فهرست تفسير شريف حضرت قرآن

سورة الفاتحة الكتاب ٣	سورة البقرة ٦	سورة آل عمران ٩٠	سورة النساء ١٣٢	سورة المائدة ١٧١	سورة الانعام ٢٠٣	سورة الاعراف ٢٣٤
سورة الانفال ٢٦٠	سورة التوبة ٢٧٠	سورة يونس ٢٨٩	سورة هود ٣٠٧	سورة يوسف ٣٢٤	سورة الرعد ٣٣٩	سورة ابراهيم ٣٤٦
سورة الحجر ٣٥٤	سورة النحل ٣٦١	سورة بني اسرائيل اسرى ٣٧٦	سورة الكهف ٣٨٨	سورة مريم ٤٠١	سورة طه ٤١٠	سورة الانبياء اقترب ٤٢٣
سورة الحج ٤٣٣	سورة المؤمنين ٤٤١	سورة النور ٤٤٨	سورة فرقان ٤٦١	سورة الشعرا ٤٦٩	سورة النمل طس ٤٧٧	سورة القصص ٤٨٦
سورة العنكبوت ٤٩٢	سورة الروم ٤٩٦	سورة لقمان ٥٠٠	سورة السجدة والم تنزيل الكتاب ٥٠٣	سورة الاحزاب ٥٠٥	سورة سبا ٥١٢	سورة الملائكة الفاطر ٥١٨
سورة يس ٥٢٢	سورة صافات ٥٢٨	سورة ص ٥٣٤	سورة زمر ٥٤٢	سورة مؤمن غافر ٥٤٨	سورة [illegible] السجدة ٥٥٣	سورة حم عسق ٥٥٧
سورة الدخان ٥٦٦	سورة الجاثية ٥٦٨	سورة الاحقاف ٥٧٠	سورة محمد ٥٧٣	سورة الفتح ٥٧٦	سورة الحجرات ٥٧٩	سورة ق ٥٨١
سورة الذاريات ٥٨٤	سورة طور ٥٨٦	سورة النجم ٥٨٨	سورة القمر ٥٩٠	سورة الرحمن ٥٩٢	سورة الواقعة ٥٩٤	سورة الحديد ٥٩٧
سورة المجادلة ٦٠٠	سورة الحشر ٦٠٣	سورة الممتحنة ٦٠٥	سورة الصف ٦٠٦	سورة الجمعة ٦٠٧	سورة المنافقين ٦٠٨	سورة التغابن ٦٠٩
سورة الطلاق ٦١٠	سورة التحريم ٦١١	سورة الملك ٦١٣	سورة القلم ٦١٥	سورة الحاقة ٦١٧	سورة المعارج سأل سائل ٦١٨	سورة النوح ٦٢٠
سورة الجن ٦٢١	سورة المزمل ٦٢٢	سورة المدثر ٦٢٣	سورة القيمة ٦٥٥	سورة الانسان هل اتى ٦٢٦	سورة المرسلات ٦٢٨	سورة النبا ٦٢٩
سورة النازعات ٦٣١	سورة عبس ٦٣٤	سورة كورت ٦٣٥	سورة انفطرت ٦٣٦	سورة المطففين ٦٣٦	سورة انشقت ٦٣٨	سورة البروج ٦٣٨

سورة الزخرف ٥٦١

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم
مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان
السلطان الغازي محمود خان وقفاً صحيحاً شرعياً لمن طالع ونظر
اكرمه الله تعالى بالزلفى والحسنى حرره الفقير أحمد شيخ زاده
المفتش باوقاف الحرمين الشريفين
غفر لهما

سورة الشمس
٦٤٤

سورة الطارق ٦٣٩	سورة الاعلى ٦٤٠	سورة الغاشية ٦٤١	سورة الفجر ٦٤٢	سورة البلد ٦٤٣	سورة الليل ٦٤٤	سورة الضحى ٦٤٥
سورة الم نشرح ٦٤٥	سورة التين ٦٤٦	سورة اقرأ ٦٤٦	سورة القدر ٦٤٧	سورة لم يكن ٦٤٨	سورة الزلزلة ٦٤٩	سورة العاديات ٦٤٩
سورة القارعة ٦٥٠	سورة التكاثر ٦٥٠	سورة العصر ٦٥٠	سورة الهمزة ٦٥١	سورة الفيل ٦٥١	سورة قريش ٦٥١	سورة أرأيت ٦٥٢
	سورة الكوثر ٦٥٢	سورة الكافرين ٦٥٢	سورة النصر ٦٥٣	سورة تبت ٦٥٣	سورة الاخلاص ٦٥٣	
		سورة الفلق ٦٥٤	سورة الناس ٦٥٤			

سبحان من ارسل رسوله بالهدى ودين الحق وبين له من شعائر الشرائع كل ما جل ودق وانزل عليه اظهر بينات وابهر حجج قرآنا
عربيا غير ذي عوج مصدقا لما بين يديه من الكتاب ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب ناطقا بكل امر رشيد هاديا الى صراط العزيز
الحميد آمرا بعبادة الصمد المعبود كتابا متشابها مثاني تقشعر منه الجلود تكاد الرواسي لهيبته تمور ويذوب منه الحديد ويميع صم
الصخور حقيقا بان يسير به الجبال ويكسر به كل صعب مجال معجز الفخم كل مصقع من مهرة قحطان ويبكت كل مفلق من سحرة البيان بحيث
لو اجتمع الانس والجن على معارضته ومباراته لعجزوا عن الاتيان بمثل آية من آياته نزله على فترة من الرسل ليرشد الامة الى اقوم السبل
فهداهم الى الحق وهم في ضلال مبين فاضمحل دجى الباطل وسطع نور اليقين فمن اتبع هداه فقد فاز بمناه واما من عانده وعصاه واتخذ
الهه هواه فقد هام في مرامي الردى وتردى في مهاوي الزور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور صلى الله عليه وعلى آله الاخيار وصحبه
الابرار ما تناوبت الانوار وتعاقبت الظلم والاضواء وعلى من تبعهم باحسان مدى الدهور والازمان اما بعد فيقول العبد الفقير الى رحمة
ربه الهادي ابو السعود محمد العمادي ان الغاية القصوى من تحرير نسخة العالم وما كان حرفا منها مسطورا والحكمة الكبرى في تخمير طينة آدم
ولم يكن شيئا مذكورا ليست الا معرفة الصانع المجيد وعبادة الباري المعيد ولا سبيل الى ذلك المطلب الجليل سوى الوقوف على مواقف
التنزيل فانه عز سلطانه وبهر برهانه وان سطر آيات قدرته في صحايف الاكوان ونصب رايات وحدته في صفايح الاعراض والاعيان
وجعل كل ذرة من ذرات العالم وكل قطرة من قطرات العيلم وكل نقطة جرى عليها قلم الابداع وكل حرف رقم في لوح الاختراع مرآة
لمشاهدة جماله ومطالعة صفات كماله حجة نيرة واضحة المكنون وآية بينة لقوم يعقلون برهانا جليا لا ريب فيه ومنهاجا سويا
لا يضل من ينتحيه بل ناطقا يتلو آيات ربه فهل من سامع واع ومجيبا داعيا فهل له من داع يكلم الناس على قدر عقولهم ويرد جوابهم بحسب
مقولهم يحاور تارة باوضح عبارة ويلوح اخرى بالطف اشارة لكن الاستدلال بتلك الآيات والدلائل والاستشهاد بتلك الامارات والمخايل
والتنبه لتلك الاشارات الرتبة والتفطن لتلك العبارات العبقرية وما في تضاعيفها من رموز اسرار القضاء والقدر وكنوز آثار التعاجيب
والعبر مما لا يطيق به عقول البشر الا بتوفيق خلاق القوى والقدر فاذا مدار المراد ليس الا كلام رب العباد اذ هو المظهر المفصل الشعاير
الدينية والمفسر لمشكلات الآيات التكوينية والكاشف عن خفايا خطاير القدس المطلع على خبايا سرائر الانس وبه تكتسب الملكات
الفاخرة وبه يتوصل الى سعادة الدنيا والآخرة خلا انه ايضا مع علو الشان وسمو المكان ونهاية الغموض والاعضال وصعوبة المأخذ
وعزة المنال في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية اعز من بيض الانوق وابعد من مناط العيوق ولا يتسنى العروج الى
معارجه الرفيعة ولا يتأتى الرقي الى مدارجه المنيعة كيف لا وانه مع كونه متضمنا لدقايق العلوم النظرية والعملية ومنطويا على دقايق
الفنون الخفية والجلية وتفاصيل الاحكام الشرعية ومحيطا بمناط الدلايل الاصلية والفرعية مبنيا عن اسرار الحقايق ونعوت
محتويا اطوار الملك والملكوت عليه يدور فلك الاوامر والنواهي واليه يستند معرفة الاشياء كما هي قد نسج على اغرب منوال وابدع طراز
واحتجبت طلعته بسبحات الاعجاز طويت حقايقه الابية عن العقول وزويت دقايقه الخفية عن اذعان الفحول يردعون العقول
ويخطف ابصار البصاير بريقه ولمعانه ولقد تصدى لتفسير غوامض مشكلاته اساطين ائمة التفسير في كل عصر من الاعصار وتولى
التيسير عويصات معضلاته سلاطين اسرة التقرير والتحرير في كل قطر من الاقطار فغاصوا في لججه وخاضوا في شججه فنظموا فرائده
في سلك التحرير وابرزوا فوائده في معرض التقرير وصنفوا كتبا جليلة الاقدار والفوائد راجحة الآثار اما المتقدمون

المحققون فاقتصروا على تمهيد المعاني وتشييد المباني وتبيين المرام وترتيب الاحكام حسبما بلغهم من سيد الانام عليه اشرف التحية
والسلام واما المتأخرون المدققون فراموا مع ذلك اظهار مزاياه الرائقة وابداء خباياه الفائقة ليعاين الناس دلائل اعجازه ويشاهدوا
مشاهد فضله وامتيازه عن ساير الكتب الكريمة الربانية والزبر العظيمة السبحانية فدونوا اسفارا بارعة جامعة لفنون المحاسن الرائعة
يتضمن كل منها فوائد شريفة تقربها عيون الاعيان وعوائد لطيفة تتشنف بها آذان الاذهان لا سيما الكشاف وانوار التنزيل المنفردان
بالشان الجليل والنعت الجميل فان كلا منهما قد احرز قصب السبق اي احراز كانه مرآة لاجتلاء وجه الاعجاز صحايفهما مرايا المزايا الحسان
وسطورهما عقود الجمان وقلايد العقيان ولقد كان في سوابق الايام وسوالف الدهور والاعوام اوان اشتغالي بمطالعتهما وممارستهما
وزمان انتصابي لمفاوضتهما ومدارستهما يدور في خلدي على الاستمرار آناء الليل واطراف النهار ان انظم فرايد درر فوائدهما في سمط دقيق
وارتب غرر فرايدهما على ترتيب انيق واضيف اليها ما الفيته في تضاعيف الكتب الفاخرة من جواهر الحقايق وصادفته في اصداف العيالم
الزاخرة من زواهر الدقايق واسلك خلالها بطريق الترصيع على نسق انيق واسلوب بديع حسبما يقتضيه جلالة شان التنزيل ويستدعيه جزالة
نظمه الجليل ما سنح للفكر العليل بالعناية الربانية وسمح به النظر الكليل بالهداية السبحانية من عوارف معارف تمتد اليها اعناق
الهمم من كل ماهر لبيب وعرايس رغايب ترنو اليها احداق الامم من كل نحرير اريب وتحقيقات رصينة تقيل عثرات الافهام يتثبته فيها
الشئون ومدارك انظار تختلط فيها الظنون وابرز من وراء استار الكون من دقايق السر المخزون في خزائن الكتاب المكنون ما تطمئن
اليه النفوس وتقربه العيون من خفايا الرموز وخبايا الكنوز واهديها الى الخزانة العامرة للبحار الزاخرة العامرة لجناب من
خصه الله تعالى بخلافة الارض واصطفاه لسلطنتها في الطول والعرض السلطان الاعظم والخاقان الاجد الافخم مالك الاسعاد الامامة العظمى
والسلطان القاهر وارث الخلافة الكبرى كابرا عن كابر رافع رايات الدين الازهر موضح آيات الشرع الانور مرغم انوف الفراعنة والجبابرة
معفر جباه القياصرة والاكاسرة فاتح بلاد المشارق والمغارب بنصر الله العزيز وجنده الغالب الهمام الذي شرق عزمه المنير فانتهى
الى المشرق الاسنى وغرب حتى بلغ مغرب الشمس او دنا بجيش عرمرم متراحم الافواج وعسكر كخضم متلاطم الامواج فاصبح ما بين افقي الطلوع
والغروب وما بين قطري الشمال والجنوب منتظما في سلك ولايته الواسعة ومندرجا تحت ظلال رايته الرائعة فاصبحت منازل الربع المسكون
مشرفة بذكر اسمه الميمون فيا له من ملك استوعب ملكه البر البسيط واستغرق فلكه وجه البحر المحيط فكانه فضاء ضربت فيه خيامه او
نصبت عليه الويته واعلامه مالك ممالك العالم ظل الله الظليل على كافة الامم قاصم القياصرة وقاهر القروم سلطان العرب والعجم والروم
سلطان المشرقين وخاقان الخافقين الامام المقتدر بالقدرة الربانية والخليفة المعتز بالعزة السبحانية المفتخر بخدمة الحرمين الجليلين
المعظمين وحماية المقامين الجميلين المفخمين ناشر القوانين السلطانية المظفر المنصور والخاقان الموقر المشهور صاحب المغازي المشهورة
في الاعصار والفتوحات المذكورة في صحايف الاسفار السلطان سليم خان بن السلطان السعيد والخاقان المجيد السلطان بايزيد خان
لازالت سلسلة سلطنته متسلسلة الى انتهاء سلسلة الزمان وارواح اسلافه العظام مترفهة في روضة الرضوان وكنت اتردد في
ذلك بين اقدام واحجام لقصور شاني وعزة المرام اين الحضيض من الذرى وشتان بين الثريا والثرى وهيهات اصطياد العنقا بالشباك
واقتياد الجوزاء من بروج الافلاك فمضت عليه الدهور والسنون وتغيرت الاطوار وتبدلت الشئون فابتليت بتدبير مصالح العباد برهة في قضايا
البلاد واخرى في قضاء العساكر والاجناد فحال بيني وبين ما كنت احاوله المهمات وتراحم الاشغال وهجوم العوارض والعلايق في تضاعيف
الصوارف والتردد الى المغازي والاسفار والتنقل من دار الى دار وكنت في تضاعيف هاتيك الامور اقدر في نفسي ان انتهز نهزة من الدهر
ويتسنى لي القرار وتطمئن بي الدار واظفر حينئذ بوقت حال ابتهل فيه الى جناب ذي العظمة والجلال اوجه اليه وجهي واسلم له سري وعلانيتي
وانظر الى كل شيء بعين الشهود واتعرف سر الحق في كل موجود تلافيا لما فرطت واستعدادا لما هو آت واتصدى لتحصيل ما عزمت عليه
واتولى لتكميل ما توجهت اليه برفاهة واطمئنان وحضور قلب وفراغ جنان فبينما انا في هذا الخيال اذ بدا لي ما لم يخطر بالبال تحول الاحوال والدهور

في مداحض الاقدام وتدقيقات متينة تنزل خطرات الاوهام من خواطر الانام في معارك افكار
الله ودوام السلطنة الاسعد الاعظم
المعظمين عاشر الخواقين العثمانية السلطان ابن السلطان السلطان سليمان خان ابن السلطان

فوقعت في مراشق من الاول امر تحل مشكلات الانام فيما تشجر بينهم في النزاع والخصام فلقيت معضلة طويلة الذيول وصرت
كالهارب من المطر الى السيول فبلغ السيل الزبى وغمرني اى غمر غوارب ماجرى بين زيد وعمرو فاصبحت في ضيق الحال وشغة الاشغال
ممايضرب به الامثال فجعلت اتمثل بقول من قال لقد كنت اشكو كل الحوادث برهة واستمرض الايام وهي صحايح الى ان تغشتني وقت
حوادث تحققت ان الحادثات منايح فلما انفرت عزمي الآمال عن الفوز بفراغ البال ورايت ان الفرصة على جناح الفوات وشمل الاسباب
في شرف الشتات وقد مسني الكبر وتضاعفت القوى والقدر ودنا الاجل من الحلول واشرقت شمس الحياة على الافول عزمت على انشاء
ماكنت انويه وتوجهت الى املاء ما طلت ابتغيه ناويا ان اسميه عند تمامه بتوفيق الله تعالى وانعامه ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب
الكريم فشرعت فيه مع تفاقم المكاره على وتزاحم المشادة بين يدي متضرعا الى رب العظمة والجبروت خلاق عالم الملك والملكوت فان
يعصمني عن الزيغ والزلل ويقيني مصارع السوء في القول والعمل ويوفقني لتحصيل ما ارومه وارجوه ويهديني الى تكميله على احسن الوجوه
ويجعله جنة عدة وعتاد انتفع به يوم المعاد فيا من توجهت اليه وجوه الذل والابتهال نحو بابه المنيع ورفعت ايدي الضراعة والسؤال الى
جنابه الرفيع افض علينا شوارق انوار التوفيق واطلعنا على دقايق اسرار التحقيق وثبت اقدامنا على مناهج هداك وانطقنا بما فيه امرك
وهداك ولا تكلنا الى انفسنا في لحظة ولا آن وخذ بناصيتنا الى الخير حيث كان جيناك على جباه الاستكانة ضارعين ولابواب فضلك
قارعين انت الملاذ في كل امر مهم وانت المعاذ في كل خطب ملم لا رب غيرك ولا خير الا خيرك بيدك مقاليد الامور لك الخلق والامر واليك النشور

الفاتحة في الاصل اول ما من شانه ان يفتح كالكتاب والثوب اطلق عليه لكونه واسطة في فتح الكل ثم اطلق على اول كل شيء فيه تدريج بوجه من
الوجوه كالكلام التدريجي حصولا والسطور والاوراق التدريجية قراءة وعدا والتا للنقل من الوصفية الى الاسمية او هي مصدر بمعنى
الفتح اطلق عليه تسمية للمفعول باسم المصدر اشعارا باصالته كانه نفس الفتح فان تعلقه به بالذات وبالباقي بواسطته لكن لا على معنى انه
واسطة في تعلقه بالباقي ثانيا حتى يرد انه لا يستني في الخاتمة لان ختم الشيء عبارة عن بلوغ اخره وذلك انما يتحقق بعد انقطاع
الملابسة عن اجزائه الاول بل على ان الفتح المتعلق بالاول فتح له اولا وبالذات وهو بعينه فتح للمجموع بواسطة لكونه جزءا منه وكذا
الكلام في الخاتمة فان بلوغ اخر الشيء يعرض للاخر اولا وبالذات وبالكل بواسطة على الوجه الذي تحققته والمراد بالاول ما يعم
الاضافي فلا حاجة الى الاعتداد بان اطلاق الفاتحة على السورة الكريمة بتمامها باعتبار جزئها الاول والمراد بالكتاب هو المجموع الشخصي
لا القدر المشترك بينه وبين اجزائه على ما عليه اصطلاح اهل الاصول ولا ضير في اشتهار السورة الكريمة بهذا الاسم في اوائل عهد النبوة
قبل تحصيل المجموع بنزول الكل لما ان التسمية من جهة الله عز اسمه او من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم بالاذن فيكفي فيها تحصله باعتبار
تحققه في علمه عز وجل او في اللوح او باعتبار انه انزل جملة الى السماء الدنيا واملاه جبريل على السفرة ثم كان منزله على النبي صلى الله
عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة كما هو المشهور والاضافة بمعنى اللام كما في جزء الشيء لا بمعنى من كما في خاتم فضة لما عرفت ان
المضاف جزء من المضاف اليه لا جزئي له ومدار التسمية كونه مبدأ للكتاب على الترتيب المعهود لا في القراءة في الصلوة ولا في التعليم ولا
في النزول كما قيل اما الاول فبين اذ ليس الكتاب القدر المشترك الصادق على ما يقرأ في الصلوة حتى يعتبر في التسمية مبدأيته له
واما الاخيران فلان اعتبار البداية من حيث التعليم او من حيث النزول يستدعي مراعاة الترتيب في بقية اجزاء الكتاب من تينك الحيثيتين
ولا ريب في ان الترتيب التعليمي والترتيب النزولي ليسا على نسق الترتيب المعهود وتسمى ام القرآن لكونها اصلا ومنشأ له اما لمبدئيتها له
واما لاشتمالها على ما فيه من الثناء على الله تعالى والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية
والاحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء والمراد بالقرآن هو المراد
بالقرآن وتسمى ام الكتاب ايضا كما يسمى بها اللوح المحفوظ لكونه اصلا لكل الكاينات والآيات الواضحة الدالة على معانيها

لكونها بينة يحمل عليها المتشابهات ومناط التسمية ما ذكر في ام القرآن لا ما اورده الامام البخاري في صحيحه من انه يبدأ بقراءتها في الصلوة فانه
مما لا تعلق له بالتسمية كما اشير اليه وتسمى الكنز لقوله صلى الله عليه وسلم انها انزلت من كنز تحت العرش او لما ذكر في ام القرآن كما انه الوجه في تسميتها
الاساس والكافية والوافية وتسمى سورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها وسورة الصلوة لوجوب قراءتها فيها وسورة
الشفاء والشافية لقوله صلى الله عليه وسلم هي شفاء من كل داء والسبع المثاني لانها سبع آيات تثنى في الصلوة او لتكرر نزولها على ما
روي انها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة اخرى حين حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني
والقرآن العظيم بسم الله الرحمن الرحيم اختلف الائمة في شان التسمية في اوائل السورة الكريمة فقيل انها ليست من القرآن اصلا وهو
قول ابن مسعود رضي الله عنه ومذهب مالك والمشهور من مذهب قدماء الحنفية وعليه قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها وقيل
انها آية فذة من القرآن نزلت للفصل والتبرك بها وهو الصحيح من مذهب الحنفية وقيل هي آية تامة من كل سورة صدرت بها وهو
قول ابن عباس وقد نسب الى ابن عمر ايضا رضي الله عنهما وعليه يحمل اطلاق عبارة ابن الجوزي في زاد المسير حيث قال روي عن ابن عمر
انها نزلت مع كل سورة وهو ايضا مذهب سعيد بن جبير والزهري وعطاء وعبد الله بن المبارك وعليه قراء المكة والكوفة
وفقهاؤهما وهو القول الجديد للشافعي رض ولذلك يجهر بها عنده فلا عبرة بما نقل عن الجصاص من ان هذا القول من الشافعي لم يسبق
اليه احد وقيل انها آية من الفاتحة مع كونها قرآنا في ساير السور ايضا من غير تعرض لكونها جزءا منها او لا ولكونها آية تامة
او لا وهو احد قولي الشافعي على ما ذكره القرطبي ونقل عن الخطابي انه قول ابن عباس وابي هريرة رضي الله عنهم وقيل انها آية
تامة في الفاتحة وبعض من البواقي وقيل انها بعض آية في الكل وقيل انها آيات من القرآن متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير
ان تكون جزءا منها وهذا القول غير معزي في الكتب الى احد وهناك قول آخر ذكره بعض المتأخرين ولم ينسبه الى احد وهو انها
آية تامة في الفاتحة وليست بقرآن في ساير السور ولا اعتبار كونها آية تامة لكان ذلك احد محتملي تردد الشافعي فانه قد نقل عنه انها بعض
آية في الفاتحة واما في غيرها فقوله فيها متردد فقيل بين ان يكون قرآنا او لا وقيل بين ان يكون آية تامة او لا قال الامام الغزالي الصحيح من
الشافعي هو التردد الثاني وعن احمد بن حنبل في كونها آية كاملة وفي كونها من الفاتحة روايتان ذكرهما ابن الجوزي ونقل انه مع مالك
وغيرهما ممن يقول انها ليست من القرآن هذا والمشهور من الاقاويل هي الثلاثة الاول والاتفاق على اثباتها في المصاحف مع الاجماع على ان ما
بين الدفتين كلام الله عز وجل يقتضي نفي القول الاول وثبوت القدر المشترك بين الاخيرين من غير دلالة على خصوصية احدهما فانها كونها جزءا
من كل سورة منه كما لا يستدعي من كونها آية مفردة منه واما ما روي عن ابي هريرة من انه صلى الله عليه وسلم قال فاتحة الكتاب سبع آيات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وما روي عن ام
سلمة من انه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية وان دل كل واحد منهما على نفي القول
الثاني فليس شيئا منهما ينافي اثبات القول الثالث اما الاول فلانه لا يدل الا على كونها آيات من كتاب الله تعالى متعددة بعدد السور المصدرة
بها من غير ان تكون جزءا منها قول لم يقل به احد واما الثاني فساكت عن التعرض لحالها في بقية واما الثالث فالحق بخلافه مع مشاركته
للثاني في السكوت المذكور والباء فيها متعلقة بمضمر ينبئ عنه الفعل المصدر بها كما انها كذلك في تسمية المسافر عند الحلول والارتحال وتسمية
كل فاعل عند مباشرة الافعال ومعناها الاستعانة او الملابسة تبركا اي بسم الله اقرأ او اتلوا وتقديم المعمول للاعتناء به والقصد الى التخصيص
كما في اياك نعبد وتقديره ابدا لا قتضائه اقتصار التبرك على البداية مخل بما هو المقصود اعني شمول البركة للكل وادعاء ان فيه امتثالا بالحديث الشريف
من جهة اللفظ والمعنى معا وفي تقدير اقرا من جهة المعنى فقط ليس بشيء فان مدار الامتثال هو البدء بالتسمية لا تقدير فعله اذ لم يقل في
الحديث الكريم كل امر ذي بال لم يقل فيه او لم يضمر فيه ابدا وهذا الى آخر السورة الكريمة مقول على السنة العباد تلقينا لهم وارشادا الى
كيفية التبرك باسمه تعالى وهداية الى منهاج الحمد وسؤال الفضل ولذلك سميت السورة الكريمة بما ذكر من تعليم المسئلة وانما كسرت ومن حق

الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينها وبين لام الابتداء والاسم
عند البصريين من الاسماء المحذوفة الاعجاز المبنية على السكون قد ادخلت عليها عند الابتداء همزة لان من دأبهم البدؤ بالمتحرك والوقف على الساكن
ويشهد له تصريفه على اسماء وسمي وسميت وسمي كهدي فيه قال والله اسماك سمى مباركا اثرك الله به ايثاركا والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه
من السمو لانه رفعة للمسمى وتنويه له وعند الكوفيين من السمة واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد عليه بان الهمزة
لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاتهم سمو وسم قال بسم الذي في كل سورة سمه وانما لم يقل بالله للفرق بين اليمين والتيمن او
لتحقيق ما هو المقصود بالاستعانة ههنا فانها تكون تارة بذاته تعالى وحقيقتها طلب المعونة على ايقاع الفعل واحداثه اي افاضة القدرة المفسرة
عند الاصوليين من اصحابنا بما يتمكن به العبد من اداء ما لزمه المنقسمة الى ممكنة وميسرة وهي المطلوبة بإياك نستعين وتارة اخرى
باسمه عز وعلا وحقيقتها طلب المعونة في كون الفعل معتدا به شرعا فانه ما لم يصدر باسمه تعالى يكون بمنزلة المعدوم ولما كانت كل
واحدة من الاستعانتين واقعة وجب تعيين المراد بذكر الاسم والا فالمتبادر من قولنا بالله عند الاطلاق لا سيما عند الوصف بالرحمن الرحيم
هي الاستعانة الاولى ان قيل فليحمل الباء على التبرك وليستغن عن ذكر الاسم لما ان التبرك لا يكون الا به قلنا ذاك فرع كون المراد
بالله هو الاسم وهل التشاجر الا فيه فلا بد من ذكر الاسم لينقطع احتمال ارادة المسمى ويتعين حمل الباء على الاستعانة الثانية
او التبرك وانما لم يكتب الالف لكثرة الاستعمال قالوا وطولت الباء عوضا عنها والله اصله الاله فحذفت همزته على غير قياس
كما ينبئ عنه وجوب الادغام وتعويض الالف واللام عنها حيث لزماه وجردا عن معنى التعريف ولذلك قيل يا الله بالقطع فان
المحذوف القياسي في حكم الثابت فلا يحتاج الى التدارك بما ذكر من الادغام والتعويض وعلى قياس تخفيف الهمزة فيكون الادغام
والتعويض من خواص الاسم الجليل ليمتاز به عما عداه امتياز مسماه عما سواه بما لا يوجد فيه من نعوت الكمال والاله في الاصل
اسم جنس يقع على كل معبود بحق او باطل اي مع قطع النظر بالحقية والبطلان لا مع اعتبار احدهما لا بعينه ثم غلب على المعبود بحق كالنجم
والصعق واما الله بحذف الهمزة فعلم مختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره اصلا واشتقاقه من الالهة والالوهة والالوهية
بمعنى العبادة حسبما نص عليه الجوهري على انه اسم منها بمعنى المألوه كالكتاب بمعنى المكتوب لا على انه صفة منها بدليل انه
يوصف ولا يوصف به حيث يقال اله واحد ولا يقال شيء اله كما يقال كتاب مرقوم ولا يقال شيء كتاب والفرق بينهما ان
الموضوع له في الصفة هو الذات المبهمة باعتبار اتصافها بمعنى معين وقيامه بها فمدلولها مركب من ذات مبهمة لم يلاحظ
معها خصوصية اصلا ومن معنى معين قائم بها على ان ملاك الامر تلك الخصوصية فبأي ذات يقوم ذلك المعنى يصح اطلاق الصفة
عليها كما في الافعال ولذلك تعمل عملها كاسمي الفاعل والمفعول والموضوع له في الاسم المذكور هو الذات المعينة والمعنى الخاص
فمدلوله مركب من ذينك المعنيين من غير رجحان للمعنى على الذات كما في الصفة ولذلك لم يعمل عملها وقيل اشتقاقه من اله بمعنى
تحير لانه سبحانه يحار في شانه العقول والافهام واما اله كعبد وزنا ومعنى فمشتق من الاله المشتق من اله بالكسر وكذا ما قاله
واستاله الاشتقاق استشوق واستحجر من الناقة والحجر وقيل من اله الى فلان اي سكن اليه لاطمئنان القلوب بذكره تعالى وسكون
الارواح الى معرفته وقيل من اله اذا فزع من امر نزل به والهه غيره اذا اجاره اذ العائذ به تعالى يفزع اليه وهو يجيره حقيقة
او في زعمه وقيل اصله لاه على انه مصدر من لاه يليه بمعنى احتجب وارتفع اطلق على الفاعل مبالغة وقيل هو اسم علم للذات الجليل بذاته
سبحانه بحيث لا يمكن اطلاقه لا اله الا الله ولا يخفى ان اختصاص الاسم الجليل بذاته سبحانه وقيل هو وصف في الاصل لكنه لما غلب عليه بحيث
لا يطلق على غيره اصلا صار كالعلم ويرده امتناع الوصف به واعلم ان المراد بالمنكر في كلمة التوحيد هو المعبود بالحق فمعناه لا فرد
من افراد المعبود بالحق الا ذلك وقيل لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الثانية وادخال الالف واللام عليه وتفخيم لامه اذا لم ينكسر ما قبله
قيل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر في قوله الا لا بارك الله في سهيل

اذا ما الله بارك في الرجال والرحمن الرحيم صفتان مبنيتان من رحم بعد جعله لازما بمنزلة الغرائز بنقله الى رحم بالضم كما هو المشهور وقيل ان
الرحيم ليس بصفة مشبهة بل هي صيغة مبالغة نص عليه سيبويه في قولهم هو رحيم فلانا والرحمة في اللغة رقة القلب والانعطاف ومنه الرحم
لانعطافها على ما فيها والمراد بها ههنا التفضل والاحسان او ارادتهما بطريق اطلاق السبب بالنسبة على مسببه البعيد او القريب فان
اسماء الله تعالى تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي التي هي انفعالات والاول من الصفات الغالبة حيث لم يطلق على غيره تعالى
وانما امتنع صرفه الحاقا له بالاغلب في بابه من غير نظر الى الاختصاص العارض فانه كان خطر وجود فعلانة فاعتباره يوجب اجتماع الصرف وعدمه
فلزم الرجوع الى اصل هذه الكلمة قبل الاختصاص العارض بان تقاس الى نظائرها من باب فعل يفعل فاذا كان كلها ممنوعة من الصرف
لتحقق وجود فعلى فيها علم ان هذه الكلمة ايضا في اصلها مما تحقق فيها وجود فعلى فتمتنع من الصرف وفيه من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك
قيل رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا وتقديمه مع كون القياس تاخيره رعاية لاسلوب الترقي الى الاعلى كما في قولهم فلان عالم
نحرير وشجاع باسل وجواد فياض لانه باختصاصه به عز وجل صار حقيقيا بان يكون قرينا للاسم الجليل الخاص به تعالى ولانه
ما يدل على جلائل النعم وعظائمها واصولها احق بالتقديم مما دل على دقائقها وفروعها وافراد الوصفين الشريفين بالذكر
لتحريك سلسلة الرحمة **الحمد لله** الحمد هو النعت بالجميل على الجميل اختياريا كان او مبدأ له على وجه يشعر بتوجهه الى المنعوت وبهذه
الحيثية يمتاز عن المدح فانه خال عنها يرشدك الى ذلك ما ترى بينهما من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول في قولك حمدته
ومدحته فان تعلق الثاني بمفعوله على منهاج تعلق عامة الافعال بمفعولاتها واما الاول فتعلقه بمفعوله مبني على معنى الانهاء كما
في قولك كلمته فانه معرب عما يفيده لام التبليغ في قولك قلت له ونظيره شكرته وعبدته وخدمته فان تعلق كل منها مبني على
المعنى المذكور وتحقيقه ان مفعول كل فعل في الحقيقة هو الحدث الصادر عن فاعله ولا يتصور في كيفية تعلق الفعل به اي فعل كان
اختلاف اصلا واما المفعول الذي هو محله وموقعه فلما كان تعلقه به ووقوعه عليه على انحاء مختلفة حسبما تقتضيه الافعال
بحسب معانيها المختلفة فان بعضها يقتضي ان يلابسه ملابسة تامة مؤثرة فيه كعامة الافعال وبعضها يستدعي ان يلابسه ادنى ملابسة
اما بالانتهاء اليه كالاعانة مثلا او بالابتداء منه كالاستعانة مثلا اعتبر في كل نحو من انحاء تعلقه به كيفية لائقة بذلك النحو مغايرة
لما اعتبر في النحوين الاخيرين فنظم القسم الاول من التعلق في سلك التعلق بالمفعول الحقيقي مراعاة لقوة الملابسة وجعل كل
واحد من القسمين الاخيرين من قبيل التعلق بواسطة الجار المناسب فان قولك اعنته مشعر بانتهاء الاعانة اليه وقولك استعنته بابتدائها
منه وقد يكون لفعل واحد مفعولان يتعلق باحدهما على الكيفية الاولى وبالاخر على الثانية او الثالثة كما في قولك حدثني الحديث
وسالني المال فان التحديث مع كونه فعلا واحدا قد تعلق بك على الكيفية الثالثة وبالمال على الاولى ولا ريب في ان اختلاف هذه
الكيفيات الثلاث وتباينها واختصاص كل من المفاعيل المذكورة بما نسب اليه منها مما لا يتصور فيه تردد ولا نكير وان كان
لا يتضح حق الاتضاح الا عند الترجمة والتفسير وان مدار ذلك الاختلاف ليس الا اختلاف الفعل واختلاف المفعول واذ لا اختلاف
في مفعول المدح والحمد تعين ان اختلافهما في كيفية التعلق لاختلافهما في المعنى قطعا هذا وقد قيل المدح مطلق عن قيد الاختيار يقال
مدحت زيدا على حسنه ورشاقة قده واياما كان فليس بينهما ترادف بل اخوة من جهة الاشتقاق الكبير وتناسب تام في المعنى
كالنصر والتاييد فانهما متناسبان معنى من غير ترادف لما ترى بينهما من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول وانما مرادف النصر
الاعانة ومرادف التاييد التقوية فتدبر ثم ان ما ذكر من التفسير هو المشهور من معنى الحمد واللائق بالارادة في مقام التعظيم
واما ما ذكرت اللغة من معنى الرضا مطلقا كما في قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا او في قولهم لهذا الامر عاقبة حميدة
وفي قول الاطباء بحران محمود مما لا يختص بالفاعل فضلا عن الاختيار فبمعزل من استحقاق الارادة ههنا استقلالا او استتباعا
بحمل الحمد على ما يعم المعنيين اذ ليس في اثباته له عز وجل فائدة يعتد بها واما الشكر فهو مقابلة النعمة بالثناء واداء بالجوارح وعقد

واداء بالجوارح

القلب على وصف المنعم بنعت الكمال كما قال من قال افادتكم النعماء مني ثلثة يدي ولساني والضمير المحجبا فاذا هو اعم منهما من وجه واخص من آخر ونقيضه
الكفران ولما كان الحمد من بين شعب الشكر ادخل في اشاعة النعمة والاعتناء بشانها وادل على مكانها لما في عمل القلب من الخفاء وفي اعمال الجوارح
من الاحتمال جعل الحمد رأس الشكر وملاك الامر كما في قوله صلى الله عليه وسلم الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وارتفاعه بالابتداء وخبره
الظرف واصله النصب كما هو شأن المصادر المنصوبة بافعالها المضمرة التي لا تكاد تستعمل معها نحو شكرا وعجبا كانه قيل نحمد الله حمدا بنون
الحكاية ليوافق ما في قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين لاتحاد الفاعل في الكل واما ما قيل من انه بيان لحمدهم له تعالى كانه قيل كيف تحمدون
فقيل اياك نعبد فمع انه لا حاجة اليه مما لا صحة له في نفسه فان السؤال المقدر لا بد ان يكون بحيث يقتضيه انتظام الكلام وينساق اليه الاذهان
والافهام ولا ريب في ان الحامد بعد ما ساق حمده تعالى على تلك الكيفية اللائقة لا يخطر ببال احد ان يسأل عن كيفيته تعالى على ان ما قدر
من السؤال غير مطابق للجواب فانه مسوق لتعيين المعبود لا لبيان العبادة حتى يتوهم كونه بيانا لكيفية حمدهم والاعتذار بان المعنى
نخصك بالعبادة وبه يتبين كيفية الحمد تعكيس للامر وتمحل لتوفيق المنزل المقرر بالموهوم المقدر وبعد اللتيا والتي ان فرض السؤال من
جهته عز وجل فاتت نكتة الالتفات التي اجمع عليها السلف والخلف وان فرض من جهة الغير تختل النظام لابتناء الجواب على خطابه تعالى
وبهذا يتضح فساد ما قيل انه استيناف جوابا لسؤال يقتضيه اجراء تلك الصفات العظام على الموصوف بها فكانه قيل ما شأنكم معه وكيف توجهكم
اليه فاجيب بحصر العبادة والاستعانة فيه فان توجيه جانب السائل بالكلية وبناء الجواب على خطابه عز وعلا مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله
والحق الذي لا محيد عنه انه استيناف صدر عن الحامد بمحض ملاحظة اتصافه تعالى بما ذكر من النعوت الجليلة الموجبة للاقبال الكلي عليه من غير
ان يتوسط هناك شيء آخر كما ستحيط به خبرا واختيار الرفع على النصب الذي هو الاصل للايذان بان ثبوت الحمد له تعالى لذاته لا لاثبات
مثبت وان ذلك امر دائم مستمر لا حادث متجدد كما تفيده قراءة النصب وهو السر في كون تحية الخليل للملائكة عليهم السلام احسن من
تحيتهم له في قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام وتعريفه للجنس ومعناه الاشارة الى الحقيقة من حيث هي حاضرة في ذهن السامع والمراد
تخصيص حقيقة الحمد به تعالى المستدعي لتخصيص جميع افرادها به سبحانه على الطريق البرهاني لكن لا بناء على ان افعال العباد مخلوقة له تعالى فتكون
الافراد الواقعة بمقابلة ما صدر عنهم من الافعال الجميلة راجعة اليه تعالى بل بناء على تنزيل تلك الافراد ودواعيها في المقام الخطابي
منزلة العدم كيفا او كما وقد قيل للاستغراق الحاصل بالقصد الى الحقيقة من حيث تحققها في ضمن جميع افرادها حسبما يقتضيه المقام وقرئ
الحمد لله بكسر الدال اتباعا لها باللام وبضم اللام اتباعا لها بالدال بناء على تنزيل الكلمتين لكثرة استعمالهما مقترنتين منزلة كلمة
واحدة مثل المغيرة ومنحدر الجبل **رب العالمين** بالجر على انه صفة لله تعالى فان اضافته حقيقية مفيدة للتعريف على كل حال ضرورة
ارادة تعين الاستمرار وقرئ منصوبا على المدح او بما دل عليه الجملة السابقة كانه قيل نحمد الله رب العالمين ولا مساغ لنصبه بالحمد
لقلة اعمال المصدر المحلى باللام وللزوم الفصل بين العامل والمعمول بالخبر والرب في الاصل مصدر بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى
كماله شيئا فشيئا وصف به الفاعل مبالغة كالعدل وقيل صفة مشبهة من ربه يربه مثل نمه ينمه بعد جعله لازما بنقله الى فعل بالضم كما
هو المشهور سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كرب الدار ورب الدابة ومنه قوله تعالى
فيسقي ربه خمرا وقوله تعالى ارجع الى ربك وما في الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قال لا يقل احدكم اطعم ربك وضئ ربك ولا يقل احدكم ربي
بل يقل سيدي ومولاي فقد قيل ان النهي فيه للتنزيه واما الارباب فحيث لم يمكن اطلاقه على الله تعالى جاز في اطلاقه الاطلاق والتقييد كما
في قوله تعالى ارباب متفرقون خير الآية والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع تعالى من المصنوعات اي في القدر
المشترك بين اجناسها وبين مجموعها فانه كما يطلق على كل جنس جنس منها في قولهم عالم الافلاك وعالم العناصر وعالم النبات وعالم
الحيوان الى غير ذلك يطلق على المجموع ايضا كما في قولنا العالم بجميع اجزائه محدث وقيل هو اسم لاولي العلم والثقلين وتناوله لما سواهم
بطريق الاستتباع فقط وقيل اريد به الناس فقط فان كل واحد منهم من حيث اشتماله على نظاير ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض

والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما فيه عالم على حياله ولذلك امر بالنظر في الانفس كالنظر في الآفاق فقيل وفي انفسكم افلا تبصرون والاول
الاحق الاظهر وايثار صيغة الجمع لبيان شمول ربوبيته تعالى لجميع الاجناس والتعريف لاستغراق افراد كل منها باسرها اذ لو افرد لربما توهم
ان التعريف للحقيقة من حيث هي او لاستغراق افراد جنس واحد على الوجه الذي اشير اليه في تعريف الحمد وحيث صح ذلك بمساعدة التعريف المقصود
نزل العالم وان لم يطلق على آحاد مدلوله منزلة الجمع حتى قيل انه جمع لا واحد له من لفظه فكما ان الجمع يستغرق آحاد مفرده وان لم يصدق
عليها كما في قوله تعالى والله يحب المحسنين اي كل محسن كذلك العالم يشمل افراد الجنس المسمى به وان لم يطلق عليها كانها آحاد مفرده التقديري
ومن قضية هذا التنزيل تنزيل جمعه منزلة جمع الجمع فكما ان الاقاويل يتناول كل واحد من آحاد الاقوال يتناول لفظ العالمين كل واحد من آحاد
الاجناس التي لا تكاد تحصى روي عن وهب بن منبه انه قال لله تعالى ثمانية عشر الف عالم والدنيا عالم منها وانما جمع بالواو والنون مع
اختصاص ذلك بصفات العقلاء وما في حكمها من الاعلام لدلالته على معنى العلم مع اعتبار تغليب العقلاء على غيرهم واعلم ان عدم اطلاق اسم
العالم على كل واحد من تلك الآحاد ليس الا باعتبار الغلبة والاصطلاح واما باعتبار الاصل فلا ريب في صحة الاطلاق قطعا لتحقق المصداق
حتما فانه كما يستدل على الله تعالى بمجموع ما سواه وبكل جنس من اجناسه يستدل عليه تعالى بكل جزء من اجزاء ذلك المجموع وبكل فرد من افراد
تلك الاجناس لتحقق الحاجة الى المؤثر الواجب لذاته في الكل فان كل ما ظهر في الظاهر مما عز وهان وحضر في هذه المحاضر كائنا ما كان دليل لائح
على الصانع المجيد وسبيل واضح الى عالم التوحيد واما شمول ربوبيته عز وجل للكل فمما لا حاجة الى بيانه اذ لا شيء مما احدق به نطاق الامكان
والوجود من العلويات والسفليات والمجردات والماديات والروحانيات والجسمانيات الا وهو في حد ذاته بحيث لو فرض انقطاع آثار التربية
عنه آنا واحدا لما استقر له القرار ولا اطمأنت به الدار الا في مطمورة العدم ومهاوي البوار لكن يفيض عليه من الجناب الاقدس تعالى شانه
وتقدس في كل زمان يمضي وكل آن يمر وينقضي من فنون الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وصفاته وكماله ما لا يحيط به فلك التعبير ولا يعلمه
الا الحكيم الخبير ضرورة انه كما لا يستحق شيء من الممكنات بذاته الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء وانما ذلك من جناب المبدأ الاول عز وعلا فكما لا يتصور
وجوده ابتداء ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الاصلي لا يتصور بقاؤه على الوجود بعد تحققه بعلته ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الطاري لما
ان الدوام من خصائص الوجود الواجبي وظاهر ان ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية التي هي علله وشرائطه وان كانت متناهية لوجوب
تناهي ما دخل تحت الوجود لكن الامور العدمية التي لها دخل في وجوده وهو المعبر عنها بارتفاع الموانع ليست كذلك اذ لا استحالة في ان
يكون لشيء واحد موانع غير متناهية يتوقف وجوده او بقاؤه على ارتفاعها اي بقائها على ترتبه لذلك الشيء من وجوه غير متناهية وبالجملة
فآثار تربيته عز وجل الفائضة سبحانه ما اعظم شأنه لا تلاحظه العيون بانظارها ولا تطالعه العقول بافكارها شأنه لا يضاهي واحسانا
لا يتناهى ونحن في معرفته حائرون وفي اقامة مراسم شكره قاصرون نسألك اللهم الهداية الى مناهج معرفتك والتوفيق لاداء حقوق
نعمتك لا نحصي ثناء عليك لا اله الا انت نستغفرك ونتوب اليك **الرحمن الرحيم** صفتان لله تعالى فان اريد بما فيهما من الرحمة ما يختص بالعقلاء
من العالمين او ما يفيض على الكل بعد الخروج الى طور الوجود من النعم فوجه تأخيرهما عن وصف الربوبية ظاهر وان اريد ما يعم الكل في الاطوار
كلها حسبما في قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء فوجه الترتيب ان التربية لا تقتضي المقارنة للرحمة فايرادهما في عقبها للايذان بانه تعالى
متفضل فيها فاعل بمقتضى رحمته السابقة من غير وجوب عليه وبانها واقعة على احسن ما يكون والاقتصار على نعته تعالى بهما في التسمية لانه
الانسب بحال المتبرك المستعين باسمه الجليل والاوفق لمقاصده **مالك يوم الدين** صفة رابعة له تعالى وتأخيرها عن الصفات الاول لما لا حاجة
الى بيان وجهه وقرأ اهل الحرمين المحترمين ملك يوم الدين من الملك الذي هو عبارة عن السلطان القاهر والاستيلاء الباهر والغلبة التامة
والقدرة على التصرف الكلي في الامور العامة بالامر والنهي وهو الانسب بمقام الاضافة الى يوم الدين كما في قوله تعالى لمن الملك اليوم لله
الواحد القهار وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الماضي ومالك منصوبا بالرفع والنصب على المدح او الحال وبالرفع منونا ومضافا على انه
خبر مبتدأ محذوف وملك بالرفع واليوم في العرف عبارة عما بين طلوع الفجر وغروب الشمس من الزمان وفي الشرع عما بين طلوع الفجر الثاني وغروب

على كل فرد من افراد الموجودات ثم كل آن من آنات الوجود غير متناهية صح

وشأنكما بالنصب على المدح او الحال

الشمس والمراد ههنا مطلق الوقت والدين الجزاء خيرا كان او شرا ومنه الثاني في المثل السائر كما تدين تدان والاول في بيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا واما الاول في الاول والثاني في الثاني فليس بجزاء حقيقة وانما سمي به مشاكلة وتسمية الشيء باسم سببه كما سميت ارادة القيام والقراءة باسمهما في قوله عز اسمه اذا قمتم الى الصلوة وقوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ولعله هو السر في بناء المفاعلة من الافعال التي تقوم باسبابها بمفعولاتها نحو عاقبت اللص ونظائره فان قيام السرقة التي هي سبب للعقوبة به فصارت كانها قامت بالجانبين وصدرت عنهما فبقيت صيغة المفاعلة الدالة على المشاركة بين الاثنين واضافة اليوم اليه لادنى ملابسة كاضافة سائر الظروف الزمانية الى ما وقع فيها من الحوادث كيوم الاحزاب وعام الفتح وتخصيصه من بين سائر ما يقع فيه من القيامة والجمع والحساب لكونه ادخل في الترغيب والترهيب فان ما ذكر من القيامة وغيرها من مبادي الجزاء ومقدماته واضافة مالك الى اليوم اضافة اسم الفاعل الى الظرف على نهج الاتساع المبني على اجرائه مجرى المفعول به مع بقاء المعنى على حاله كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار اي مالك امور العالمين كلها يوم الدين وخلو اضافته عن افادة التعريف المسوغ لوقوعه صفة للمعرفة انما هو اذا اريد به الحال او الاستقبال واما عند ارادة الاستمرار الثبوتي كما هو اللائق بالمقام فلا ريب في كونها اضافة حقيقية كاضافة الصفات المشبهة الى غير معمولها في قراءة مالك يوم الدين وهو ان لم يكن مستمرا في جميع الازمنة الا انه لتحقق وقوعه ابدا اجري مجرى المتحقق المستمر ويجوز ان يراد به الماضي بهذا الاعتبار كما يشهد به القراءة على صيغة الماضي وما ذكر من اجراء الظرف مجرى المفعول به انما هو من حيث المعنى لا من حيث الاعراب حتى يلزم كون الاضافة لفظية الا ترى انك تقول في مالك عبده امس انه مضاف الى المفعول على معنى انه كذلك معنى وانه منصوب محلا وتخصيصه بالاضافة اما لتعظيمه وتهويله او لبيان تفرده تعالى باجراء الامر فيه وانقطاع العلائق المجازية بين الملاك والاملاك حينئذ بالكلية واجراء هاتيك الصفات الجليلة عليه تعالى تعليل لما سبق من اختصاص الحمد به تعالى المستلزم لاختصاص استحقاقه له تعالى وتمهيد لما لحق من اقتصار العبادة والاستعانة عليه فان كل واحدة منها مفصحة عن وجوب ثبوت كل واحد منهما له تعالى وامتناع ثبوتها لما سواه اما الاولى والرابعة فظاهر لانهما متعرضتان صراحة لكونه تعالى ربا مالكا وما سواه مربوبا مملوكا له تعالى واما الثانية والثالثة فلان اتصافه تعالى بهما ليس الا بالنسبة الى ما سواه من العالمين وذلك يستدعي ان يكون الكل منعما عليهم فظهر ان كل واحدة من تلك الصفات كما دلت على وجوب ثبوت الامور المذكورة له تعالى دلت على امتناع ثبوتها لما عداه على الاطلاق وهو المعنى بالاختصاص

اياك نعبد واياك نستعين التفات من الغيبة الى الخطاب وتلوين للنظم من باب الى باب جار على نهج البراعة في افتنان الكلام ومسلك البلاغة حسبما يقتضي المقام لما ان التنقل من اسلوب الى اسلوب ادخل في استجلاب النفوس واستمالة القلوب يقع من كل واحد من التكلم والخطاب والغيبة الى كل واحد من الآخرين كما في قوله عز وجل والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا الآية وقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم الى غير ذلك من الالتفاتات الواردة في التنزيل لاسرار تقتضيها ومزايا تستدعيها ومما استاثر به هذا المقام الجليل من النكت الرائقة الدالة على ان تخصيص العبادة والاستعانة به تعالى لما اجري عليه من النعوت الجليلة التي اوجبت له تعالى اكمل تميز واتم ظهور بحيث تبدل خفاء الغيبة بجلاء الحضور فاستدعى استعمال صيغة الخطاب والايذان بان حق التالي بعد ما تأمل فيما سلف من تفرده تعالى بذاته الاقدس المستوجب للمعبودية وامتيازه بذاته عما سواه بالكلية واستبداده بجلائل الصفات واحكام الربوبية المميزة له عن جميع افراد العالمين وافتقار الكل اليه في الذات والوجود ابتداء وبقاء على التفصيل الذي مرت اليه الاشارة ان يترقى من رتبة البرهان الى طبقة العيان وينتقل من عالم الغيبة الى عالم الشهود ويلاحظ نفسه في حظائر القدس حاضرا في محاضر الانس كانه واقف لدى مولاه ماثل بين يديه وهو يدعو بالخضوع والاخبات ويقرع بالضراعة باب المناجاة قائلا يا من هذه شؤون ذاته وصفاته نخصك بالعبادة والاستعانة فان كل ما سواك كائنا ما كان بمعزل من استحقاق الوجود فضلا عن استحقاق ان يعبد او يستعان ولعل هذا هو السر في اختصاص السورة الكريمة بوجوب القراءة في كل ركعة من الصلوة التي هي مناجاة العبد لمولاه ومنية للتبتل اليه بالكلية واياضمير منفصل منصوب وما يلحقه من الكاف والياء والهاء حروف زيدت لتعيين الخطاب والتكلم والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في

رايتك وما ادعاه الخليل من الاضافة محتجا عليه بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب فمما لا يعول عليه وقيل هي الضماير وايا دعامة لها لتصيرها منفصلة وقيل الضمير المجموع وقرئ اياك بالتخفيف وبفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اي مذلل والعبودية ادنى منها وقيل العبادة فعل ما يرضى به الله تعالى والعبودية الرضى بما فعل الله تعالى والاستعانة طلب المعونة على الوجه الذي مر بيانه وتقديم المفعول فيهما لما ذكر من القصر والتخصيص كما في قوله تعالى واياي فارهبون مع ما فيه من التعظيم والاهتمام به قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتكرير الضمير للتنصيص على تخصيصه تعالى بكل واحدة من العبادة والاستعانة ولابراز الاستلذاذ بالمناجاة والخطاب وتقديم العبادة لما انها من مقتضيات الاسم الجليل وان ساعده الصفات المجراة عليه ايضا واما الاستعانة فمن الاحكام المبنية على الصفات المذكورة ولان العبادة من حقوق الله تعالى والاستعانة من حقوق المستعين ولان العبادة واجبة حتما والاستعانة تابعة للمستعان فيه في الوجوب وعدمه وقيل لان تقديم الوسيلة على المسئول ادعى الى الاجابة والقبول هذا على تقدير كون اطلاق الاستعانة والتوفيق لاقامة مراسمها على ما ينبغي وهو اللائق بشان التنزيل والمناسب لحال الحامد لان استعانته على ما ينبغي مسبوقة بملاحظة فعل من افعاله تعالى في ايقاعه ومن البين انه عند استغراقه في ملاحظة شؤنه تعالى واشتغاله باداء ما يوجبه تلك الملاحظة من الحمد والثناء لا يكاد يخطر بباله من افعاله واحواله الا الاقبال الكلي عليه والتوجه التام ولقد فعل ذلك بتخصيص العبادة به تعالى اولا وباستدعاء الهداية الى ما يوصل اليه آخرا فكيف يتصور ان يشتغل فيما بينهما بما لا يعنيه من امور دنياه او بما يعمها اليه وغيرها كانه قيل واياك نستعين فانا قادرين على اداء حقوقه من غير اعانة منك فوجه الترتيب واضح وفيه من الاشعار بعلو رتبة عبادته تعالى وعزة مناطها وبكونها عند العابد اشرف المباغي والمقاصد وبكونها من مواهبه تعالى لا من اعمال نفسه ومن الملاءمة لما يعقبه من الدعاء ما لا يخفى وقيل الواو للحال اي اياك نعبد مستعينين بك وايثار صيغة المتكلم مع الغير في الفعلين للايذان بقصور نفسه وعدم لياقته بالوقوف في مواقف الكبرياء منفردا وعرض العبادة واستدعاء المعونة والهداية مستقلا وان ذلك انما يتصور من عصابة هو من جملتهم وجماعة هو من زمرتهم كما هو ديدن الملوك والاشعار باشتراك سائر الموحدين له في الحالة العارضة له بناء على تعاضد الادلة الملجئة الى ذلك وقرئ نستعين بكسر النون على لغة بني تميم **اهدنا الصراط المستقيم** افراد لمعظم افراد المعونة المسئولة بالذكر وتعيين لما هو الاهم او بيان لها كانه قيل كيف اعينكم فقيل اهدنا والهداية دلالة بلطف على ما يوصل الى البغية ولذلك تختص بالخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وارد على نهج التهكم والاصل تعديتها بالى واللام كما في قوله عز وجل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وعليه قوله تعالى لنهدينهم سبلنا وهداية الله تعالى مع تنوعها الى انواع لا تكاد تنحصر منحصرة في اجناس مترتبة منها انفسية كافاضة القوى الطبيعية والحيوانية التي بها يصدر عن المرء افاعيله الطبيعية والحيوانية والقوى المدركة والمشاعر الظاهرة والباطنة التي بها يتمكن من اقامة مصالحه المعاشية والمعادية ومنها آفاقية فاما تكوينية معربة عن الحق بلسان الحال وهي نصب الادلة المودعة في كل فرد من افراد العالم حسبما لوح به فيما سلف واما مفصحة عن تفاصيل الاحكام النظرية والعملية بلسان المقال بارسال الرسل وانزال الكتب المنطوية على فنون الهدايات التي من جملتها الارشاد الى مسلك الاستدلال بتلك الادلة التكوينية الآفاقية والانفسية والتنبيه على مكانها كما اشير اليه مجملا في قوله تعالى وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وفي قوله عز وعلا ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون ومنها الهداية الخاصة وهي كشف الاسرار على قلب المهدي بالفتح بالوحي او الالهام ولكل مرتبة من هذه المراتب صاحب ينتحيها وطالب يستدعيها والمطلوب اما زيادتها كما في قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى واما الثبات عليها كما روي عن علي وابي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا ولفظ الهداية على الوجه الاخير مجاز قطعا واما على الاول

فان اعتبر مفهوم الزيادة داخلا في المعنى المستعمل فيه كان مجازا ايضا وان اعتبر خارجا عنه لولا عليه بالقرائن كان حقيقة لان الهداية الزايدة هداية كما ان العبادة الزايدة عبادة ولا يلزم الجميع بين الحقيقة والمجاز وقرئ ارشدنا والصراط الجادة اصله السين قلبت صادا لمكان الطاء كمصيطر في مسيطر من سرط الشيء اذا ابتلعه سميت به لانها تسرط السابلة اذا سلكوها كما سميت لقما لانها تلتقمهم وقد تشم الصاد صوت الزاي للقرب من المبدل منه وقد قرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام وجمعه صرط ككتاب وكتب وهو كالطريق والسبيل في التذكير والتانيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وهو الملة الحنيفية السمحة المتوسطة بين الافراط والتفريط **صراط الذين انعمت عليهم** بدل من الاول بدل الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفايدته التاكيد والتنصيص على ان طريق الذين انعم الله عليهم وهم المسلمون هو العلم في الاستقامة والمشهود له بالاستواء بحيث لا يذهب الوهم عند ذكر الطريق المستقيم الا اليه واطلاق الانعام لقصد الشمول فان نعمة الاسلام عنوان النعم كلها فمن فاز بها فقد حازها بحذافيرها وقيل المراد بهم الانبياء ولعل الاظهر انهم المذكورون في قوله عز وجل قايلا فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين لشهادة ما قبله من قوله تعالى ولهديناهم صراطا مستقيما وقيل هم اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل النسخ والتحريف وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان من النعمة وهي اللين ثم اطلقت على ما يستلذه النفس من طيبات الدنيا ونعم الله تعالى مع استحالة احصائها تنحصر اصولها في دنيوي واخروي والاول قسمان وهبي وكسبي والوهبي ايضا قسمان روحاني كنفخ الروح فيه وامداده بالعقل وما يتبعه من القوى المدركة فانها مع كونها من قبيل الهدايا نعم جليلة في انفسها وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وسلامة الاعضاء والكسبي تخلية النفس عن الرذايل وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات البهية وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المرضية وحصول الجاه والمال والثاني ان يغفر ما فرط منه والرضى عنه وتبوئته في اعلا عليين مع المقربين والمطلوب هو القسم الاخير وما هو ذريعة الى نيله من القسم الاول اللهم ارزقنا ذلك بفضلك العظيم ورحمتك الواسعة **غير المغضوب عليهم ولا الضالين** صفة للموصول على انه عبارة عن احدى الطوايف المذكورة المشهورة بالانعام عليهم وباستقامة المسلك ومن ضرورة هذه الشهرة شهرتهم بالمغايرة لما اضيف اليه كلمة غير من المتصفين بضدي الوصفين المذكورين اعني مطلق المغضوب عليهم والضالين فاكتسب بذلك تعرفا مصححا لوقوعها صفة للمعرفة كما في قولك عليك بالحركة غير السكون وصفوا بذلك تكملة لما قبله وايذانا بان السلامة من الغضب والضلال ايضا نعمة جليلة في نفسها اي الذين جمعوا بين النعمة المطلقة التي هي نعمة الايمان ونعمة السلامة من الغضب والضلال وقيل المراد بالموصول طايفة من المؤمنين لا باعيانهم فيكون بمعنى النكرة كذي اللام اذا اريد به الجنس في ضمن بعض الافراد لا بعينه وهو المسمى بالمعهود الذهني وبالمغضوب عليهم ولا الضالين اليهود والنصارى كما ورد في مسند احمد والترمذي فيبقى لفظ غير على ابهامه نكرة مثل موصوفه وانت خبير بان جعل الموصول عبارة عما ذكر من طايفة غير معينة مخل ببدلية ما اضيف اليه مما قبله فان مدارها كون صراط المؤمنين حكما في الاستقامة مشهودا له بالاستواء على الوجه الذي تحققته فيما سلف ومن البين ان ذلك من حيث اضافته وانتسابه الى كلهم لا الى بعض مبهم منهم وبهذا تبين ان لا سبيل الى جعل غير المغضوب عليهم بدلا من الموصول لما عرفت من ان شان البدل ان يفيد متبوعه مزيد تاكيد او تقرير وفضل ايضاح وتفسير ولا ريب في ان قصارى امر ما نحن فيه ان يكتسب مما اضيف اليه نوع تعرف مصحح لوقوعه صفة للموصول واما استحقاق ان يكون مقصودا بالنسبة مفيدا لما ذكر من الفوايد فكلا وقرئ بالنصب على الحال والعامل انعمت او على المدح او على الاستثناء ان فسر النعمة بما يعم القبيلين والغضب هيجان النفس لارادة الانتقام وعند اسناده الى الله تعالى يراد به غايته بطريق اسم السبب للمسبب اما على مسببه القريب ان اريد به ارادة الانتقام وعلى مسببه البعيد ان اريد به نفس الانتقام ويجوز حمل الكلام على التمثيل بان شبه الهيئة المنتزعة من سخطه تعالى للعصاة وارادة الانتقام منهم بمعاصيهم بما ينتزع من حال الملك اذا غضب على الذين عصوه واراد

ان ينتقم منهم او يعاقبهم وعليهم مرتفع بالمغضوب قايم مقام فاعله والعدول عن اسناد الغضب اليه تعالى كالانعام جرى على منهاج الآداب التنزيلية في نسبة النعم والخيرات اليه عز وجل دون اضدادها كما في قوله تعالى الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين وقوله تعالى وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا ولا مزيدة لتاكيد ما افاده غير من معنى النفي كانه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب جوازا انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب والضلال هو العدول عن الصراط السوي وقرئ وغير الضالين وقرئ ولا الضالين بالهمز على لغة من جد في الهرب عن التقاء الساكنين **آمين** اسم فعل هو استجب وعن ابن عباس رضي الله عنهما سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى امين فقال افعل بني على الفتح كاين لالتقاء الساكنين وفيه لغتان مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقنني جبريل عليه السلام آمين عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وليست من القرآن وفاقا ولكن سن ختم السورة الكريمة بها والمشهور عند ابي حنيفة ان المصلي ياتي بها مخافتة وعنه انه لا ياتي بها الامام لانه الداعي وعن الحسن رحمه الله مثله وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعند الشافعي يجهر بها لما روى وايل بن حجر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرء ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لابي بن كعب الا اخبرك بسورة لم تنزل في التوراة والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرء صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة اي برضى

سورة البقرة مدنية وهي مايتان وسبع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم **الم** الالفاظ التي يعبر بها عن حروف المعجم التي من جملتها المقطعات المرقومة في فواتح السور الكريمة اسماء لها لاندراجها تحت حد الاسم ويشهد به ما يعتريها من التعريف والتنكير والجمع والتصغير وغير ذلك من خصايص الاسم وقد نص على ذلك اساطين ايمة العربية وما وقع في عبارات المتقدمين من التصريح بحرفيتها محمول على المسامحة واما ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرء حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف ذلك الكتاب حرف ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف والذال حرف والكاف حرف فلا تعلق له بما نحن فيه قطعا فان اطلاق الحرف على ما يقابل الاسم والفعل عرف جديد اخترعه ايمة الصناعة وانما الحرف عند الاوايل ما يتركب منه الكلم من الحروف المبسوطة وربما يطلق على الكلمة ايضا تجوزا فاريد بالحديث الشريف دفع توهم التجوز وزيادة تعيين ارادة المعنى الحقيقي ليتبين بذلك ان الحسنة الموعودة ليس بعدد الكلمات القرآنية بل بعدد حروفها المكتوبة في المصاحف كما يلوح به ذكر كتاب الله تعالى دون كلام الله او القرآن وليس هذا من تسمية الشيء باسم مدلوله في شيء كما قيل كيف لا والمحكوم عليه بالحرفية واستتباع الحسنة انما هي المسميات البسيطة الواقعة في كتاب الله عز وجل سواء عبر عنها باسمائها او بانفسها كما في قولك السين مهملة والشين معجمة مثلثة وغير ذلك مما لا يصدق المحمول الا على ذات الموضوع لا اسماؤها المؤلفة كما اذا قلت الالف مؤلف من ثلثة احرف فكما ان الحسنات في قراءة قوله تعالى ذلك الكتاب بمقابلة حروفه البسيطة وموافقة لعددها وموافقة كل منها حرف واحد مستلزم للحكم بانه مستتبع لحسنة واحدة فالعبرة في ذلك بالمعبر عنه دون المعبر به ولعل السر فيه ان استتباع الحسنة منوط بافادة المعنى المراد بالكلمات القرآنية فكما ان ساير الكلمات الشريفة لا تفيد معانيها الا بالتلفظ بها بانفسها كذلك الفواتح المكتوبة لا تفيد المعاني المقصودة بها الا بالتعبير عنها باسمائها فجعل ذلك تلفظا بالمسميات كالقسم الاول من غير فرق بينهما الا يرى الى ما في الرواية الاخيرة من قوله عليه السلام والذال حرف والكاف حرف كيف عبر عن طرفي ذلك باسميهما مع كونهما ملفوظين بانفسهما ولقد روعيت في هذه التسمية نكتة رايقة حيث جعل كل مسمى لكونه من قبيل الالفاظ صدر الاسمية ليكون الملفوظ عنه اثر ذي اثر

خلا أن الألف حيث تعذر الابتداء بها استعيرت مكانها الهمزة وهي معربة إذ لا مناسبة بينها وبين مبنى الأصل لكنها ما لم تلها العوامل ساكنة الأعجاز على الوقف كأسماء الأعداد وغيرها حيث خلت عن العوامل ولذلك قيل صاد وقاف مجموعا فيهما بين الساكنين ولم يعامل معاملة أين وكيف وهؤلاء وإن وليها عامل مسها الإعراب وقصر ما آخره ألف عند التهجي لابتغاء الخفة لا لأن وزانه وزان لا تقصر ساعة تارة فتكون حرفا وتمد أخرى فتكون اسما لها كما في قول حسان رضي الله عنه ما قال لا قط إلا في تشهده لولا التشهد لم تسمع لاه هذا وقد تكلموا في شأن هذه الفواتح وما أريد بها فقيل إنها من العلوم المستورة والأسرار المحجوبة روي عن الصديق رضي الله عنه قال في كل كتاب سر وسر القرآن أوائل السور وعن علي رضي الله عنه أن لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال عجزت العلماء عن إدراكها وسئل الشعبي عنها فقال سر الله عز وجل فلا تطلبوه وقيل إنها أسماء الله تعالى وقيل إن كل حرف منها إشارة إلى اسم من أسمائه أو صفة من صفاته تعالى وقيل إنها صفات الأفعال الألف آلاؤه واللام لطفه والميم مجده وملكه قاله محمد بن كعب القرظي وقيل إنها من قبيل الحساب وقيل الألف من الله واللام من جبريل والميم من محمد أي أنزل الله الكتاب بواسطة جبريل على محمد وقيل هي أقسام من الله بهذه الحروف المعجمة لشرفها من حيث إنها أصول اللغات ومبادي كتبه المنزلة ومباني أسمائه الكريمة وقيل إشارة إلى انتهاء كلام وابتداء كلام آخر وقيل ولكن الذي عليه التعويل إما كونها أسماء للسور المصدرة بها وعليه إجماع الأكثر وإليه ذهب الخليل وسيبويه قالوا سميت بها إيذانا بأنها كلمات عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الألفاظ فلولا أنه وحي من الله عز وجل لما عجزوا عن معارضته ويقرب منه ما قاله الكلبي والسدي وقتادة من أنها أسماء للقرآن والتسمية بثلاثة أشياء فصاعدا إنما تستنكر في لغة العرب إذا ركبت وجعلت اسما واحدا كما في حضرموت فأما إذا كانت منثورة فلا استنكار فيها والمسمى هو المجموع لا الفاتحة فقط حتى يلزم اتحاد الاسم والمسمى غاية الأمر دخول الاسم في المسمى ولا محذور فيه كما لا محذور في عكسه حسبما تحققته آنفا وإنما كتبت في المصاحف صور المسميات دون صور الأسماء لأنه أدل على كيفية التلفظ بها وهي أن تكون على نهج التهجي دون التركيب ولأن فيه سلامة عن التطويل لا سيما في الفواتح الخماسية على أن خط المصحف مما لا يناقش فيه بمخالفة القياس وأما كونها مسرودة على نمط التعديد وإليه جنح أهل التحقيق قالوا إنما وردت هذه ليكون إيقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها لهم على أنه منتظم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا أنه خارج عن طوق البشر نازل من عند خلاق القوى والقدر لما تضاعفت قواهم ولما تساقطت قدرتهم وهم فرسان حلبة الجواد وأمراء الكلام في نادي الفخار دون الإتيان بما يدانيه فضلا عن المعارضة بما يساويه مع تظاهرهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعاداة والمعازة أو ليكون مطلع ما يتلى عليهم مستقلا بضرب من الغرابة أنموذجا لما في الباقي من فنون الإعجاز فإن النطق بأنفس الحروف في تضاعيف الكلام وإن كان على طرف الثمام يتناوله الخاص والعام من الأعراب والأعجام لكن التلفظ بأسمائها إنما يتأتى ممن درس وخط وأما من لم يحم حول ذلك قط فأعز من بيض الأنوق وأبعد من مناط العيوق لا سيما إذا كان على نمط عجيب وأسلوب غريب منبئ عن سر سري مبني على نهج عبقري بحيث يحار في فهمه أرباب العقول ويعجز عن إدراكه ألباب الفحول كيف لا وقد وردت تلك الفواتح في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم مشتملة على نصفها تقريبا بحيث ينطوي على أنصاف أصنافها تحقيقا أو تقريبا كما يتضح عند الفحص والتنقير حسبما فصله بعض أئمة أفاضل التفسير فسبحان من دقت حكمته من أن يطالعها الأنظار وجلت قدرته عن أن يتناولها أيدي الأفكار وإيراد بعضها فرادى وبعضها ثنائية إلى الخماسية جرى على عادة الافتنان على مراعاة أبنية الكلم وتفريقها على السور دون إيراد كلها مرة لذلك ولما في التكرير والإعادة من زيادة إفادة وتخصيص كل منها بسورتها مما لا سبيل إلى المطالبة بوجهه وعد بعضها آية دون بعض مبني على التوقيف البحث أما الم فآية حيث ما وقعت وقيل في آل عمران ليست بآية والمص آية والمر لم تعد آية والر ليست بآية في شيء من سورها الخمس وطسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس وص وق ونون لم تعد واحدة منها آية هذا على رأي الكوفيين وقد قيل إن جميع الفواتح آيات عندهم في السور كلها بلا فرق بينها وأما من عداهم فلم يعدوا شيئا منها آية ثم إنها على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد لا تشم رائحة الإعراب ويوقف عليها وقف التمام وعلى تقدير كونها أسماء للسور أو للقرآن كان لها حظ منه إما الرفع على الابتداء أو على الخبرية وإما النصب بفعل كما ذكرنا وبتقدير فعل القسم على طريقة الله لأفعلن وإما الجر بتقدير حرفه حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه النظام ولا وقف فيما عدا الرفع على الخبرية والتلفظ بالكل على وجه الحكاية ساكنة الأعجاز إلا إذا كانت منها مفردة مثل ص وق ون وإنما لم تنون لامتناع الصرف وكذا إذا كانت منها موازنة لمفرد نحو حم ويس وطس الموازنة لهابيل وقابيل حيث أجاز سيبويه فيها مثل ذلك قال في باب أسماء السور من كتابه وقد قرأ بعضهم يس والقرآن وق والقرآن فكأنه جعله اسما أعجميا ثم قال أو ذكر يس انتهى وحكى السيرافي أيضا عن بعضهم قراءة يس ويجوز أن يكون ذلك في الكل تحريكا لالتقاء الساكنين ولامتناع النصب بإضمار فعل القسم لأن ما بعدها من القرآن والقلم محلوف بهما وقد استكرهوا الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد قبل انقضاء الأول وهو السر في جعل ما عدا الواو الأولى في قوله تعالى والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى عاطفة ولا مجال للعطف ههنا للمخالفة بين الأول والثاني في الإعراب نعم يجوز ذلك بجعل الأول مجرورا بإضمار الباء القسمية مفتوحا لكونه غير منصرف وقرئ صاد وقاف بالكسر على التحريك لالتقاء الساكنين ويجوز في طسم أن تفتح نونها وتجعل من قبيل دارابجرد ذكره سيبويه في كتابه وأما ما عدا ذلك من الفواتح فليس فيها إلا الحكاية وسيجيء تفاصيل أحكام كل منها مشروحة في مواقعها بإذن الله عز سلطانه أما هذه الفاتحة الشريفة فإن جعلت اسما للسورة أو القرآن فمحلها الرفع إما على أنها خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا الم أي مسمى به وإنما صحت الإشارة إلى القرآن بعضا أو كلا مع عدم سبق ذكره لأنه باعتبار كونه بصدد الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان وإما على أنه مبتدأ أي المسمى به والأول هو الأظهر لأن ما يجعل عنوان الموضوع حقه أن يكون قبل ذلك معلوم الانتساب إليه عند المخاطب وإذ لا علم بالتسمية قبل فحقها الإخبار بها وادعاء شهرتها يأباه التردد في أن المسمى هو السورة أو كل القرآن **ذلك** اسم إشارة واللام عماد جيء به للدلالة على بعد المشار إليه والكاف للخطاب والمشار إليه هو المسمى فإنه منزل منزلة المشاهد بالحس البصري وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان بعلو شأنه وكونه في الغاية القاصية من الفضل والشرف إثر تنويهه بذكر اسمه وما قيل من أنه باعتبار التقضي أو باعتبار الوصول من المرسل إلى المرسل إليه في حكم المتباعد وإن كان مصححا لإيراده لكنه بمعزل من ترجيحه على إيراد ما وضع للإشارة إلى القريب وتذكيره على تقدير كون المسمى هو السورة لأن المشار إليه هو المسمى بالاسم المذكور من حيث إنه مسمى به لا من حيث هو مسمى بالسورة ولئن ادعي اعتبار الحيثية الثانية في الأولى بناء على أن التسمية لتمييز السورة بعضها عن بعض فذلك لتذكير ما بعده وعلى الوجه الأول مبتدأ على حدة وعلى الوجه الثاني مبتدأ ثان وقوله عز وجل **الكتاب** إما خبر له أو صفة أما إذا كان خبرا له فالجملة على الوجه الأول مستأنفة مؤكدة لما أفادته الجملة الأولى من نباهة شأن المسمى لا محل لها من الإعراب وعلى الوجه الثاني في محل الرفع على أنها خبر للمبتدأ الأول واسم الإشارة مغن عن الضمير الرابط والكتاب إما مصدر سمي به المفعول مبالغة كالخلق والتصوير للمخلوق والمصور وإما فعال مبني للمفعول كاللباس من الكتب الذي هو ضم الحروف بعضها إلى بعض وأصله الجمع والضم في الأمور البادية للحس البصري ومنه الكتيبة للعسكر كما أن أصل القراءة الضم والجمع والضم في الأشياء الخافية عليه وإطلاق الكتاب على المنظوم عبارة عن أن ماله الكتابة والمراد به على تقدير كون المسمى السورة جميع القرآن الكريم وإن لم يتم نزوله عند نزول السورة إما باعتبار تحققه في علم الله تعالى أو باعتبار ثبوته في اللوح أو باعتبار نزوله جملة إلى السماء الدنيا حسبما ذكر في فاتحة الكتاب واللام للعهد والمعنى أن هذه السورة هي الكتاب أي العمدة القصوى منه كأنه في إحراز الفضل كل الكتاب المعهود الغني عن الوصف بالكمال لاشتهاره به فيما بين الكتب على طريقة قوله عليه السلام الحج عرفة وعلى تقدير كون المسمى كل القرآن فالمراد بالكتاب الجنس واللام للحقيقة والمعنى أن ذلك هو الكتاب الكامل الحقيق بأن يخص به اسم الكتاب لغاية تفوقه على بقية الأفراد في حيازة كمالات الجنس كأن ما عداه من الكتب السماوية خارج منه بالنسبة إليه كما يقال هو الرجل أي الكامل في الرجولية الجامع

لما يكون في الرجال من مرضي الخصال وعليه قول من قال هم القوم كل القوم يا ام خالد فالمدح كما ترى من جهة حصر كمال الجنس في فرد من افراده وفي
الصورة الاولى من جهة حصر كمال الكل في الجزء ولا مساغ هناك لحمل الكتاب على الجنس لما ان فرد المعهود وهو مجموع القرآن المقابل لساير
افراده من الكتب السماوية لا بعينه الذي ينطلق عليه اسم الكتاب باعتبار كونه جزءا لهذا الفرد لا باعتبار كونه جزئيا للجنس على حاله
ولان حصر الكتاب في السورة مشعر بنقصان ساير السور وان لم يخل الحصر بالنسبة اليها لتحقق المغايرة بينهما هذا على تقدير كون الكتاب
خبرا لذلك واما اذا كان صفة له فذلك الكتاب على تقدير كون الم خبرا لمبتدأ محذوف واما خبر ثان او بدل من الخبر الاول او
مبتدأ مستقل خبره ما بعده والجملة خبر للمبتدأ الاول والمشار اليه على كلا التقديرين هو المسمى سواء كان هو السورة او القرآن
ومعنى البعد ما ذكره من الاشعار بعلو درجته وشانه والمعنى ذلك الكتاب العجيب الشان البالغ اقصى مراتب الكمال وقيل المشار اليه
هو الكتاب الموعود ومعنى البعد ح ظاهر خلا انه ان كان المسمى هو السورة ينبغي ان يراد بالوعد في قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا
كما قيل وان كان هو القرآن فهو ما في التورية والانجيل هذا على تقدير كون الم اسما للسورة او للقرآن واما على تقدير كونها مسرودة
على نمط التعديد فذلك مبتدأ والكتاب اما خبره او صفته والخبر ما بعده على نحو ما سلف او تقدير مبتدأ اي المؤلف من هذه الحروف ذلك
الكتاب وقرئ الم تنزيل الكتاب وقوله تعالى **لا ريب فيه** اما في محل الرفع على انه خبر لذلك الكتاب على الصور الثلث المذكورة او على
انه خبر ثان لالم او لذلك على تقدير كون الكتاب خبره او للمبتدأ المقدر اخرا على راي من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى
فاذا هي حية تسعى واما في محل النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل معنى الاشارة واما جملة مستانفة لا محل لها من
الاعراب مؤكدة لما قبلها وكلمة لا نافية للجنس مفيدة للاستغراق عاملة عمل ان بحملها عليها لكونها نقيضا ولازمة للاسم لزومها
واسمها مبني على الفتح لكونه مفردا نكرة لا مضافا ولا شبيها به واما ما ذكره الزجاج من انه معرب وانما حذف التنوين للتخفيف
فمما لا تعويل عليه وسبب بنائه تضمنه لمعنى من الاستغراقية لانه مركب معها تركيب خمسة عشر كما توهم وخبرها محذوف اي لا ريب فيه
موجودا ونحوه كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله والظرف صفة لاسمها ومعناه كما في نفي الكون المطلق وسلبه عن
الريب المفروض في الكتاب والخبر هو الظرف ومعناه سلب الكون فيه عن الريب المطلق وقد جعل الريب المحذوف ظرفا وجعل المذكور
خبرا لما بعده وقرئ لا ريب فيه على ان لا بمعنى ليس والفرق بينه وبين الاول ان ذلك موجب للاستغراق وهنا لا يجوز والريب في
الاصل مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقتها قلق النفس واضطرابها ثم استعمل في معنى الشك مطلقا او مع تهمة لانه يقلق النفس
ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك ومعنى نفيه عن الكتاب انه في علو الشان وسطوع البرهان بحيث
ليس فيه مظنة ان يرتاب في حقيقته وكونه وحيا منزلا من عند الله تعالى وانه لا يرتاب فيه احد اصلا الا ترى كيف جوز ذلك
في قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الى آخره فانه في قوة ان يقال وان كان لكم فيما نزلنا على عبدنا او ان
ارتبتم فيما نزلنا الى آخره الا انه خالف في الاسلوب حيث ما فرض كونهم في الريب لا كون الريب فيه لزيادة تنزيه ساحة التنزيل
عنه مع نوع اشعار بان ذلك من جهتهم لا من جهته العالية ولم يقصد ههنا ذلك الاشعار كما لم يقصد الاشعار بثبوت الريب
في ساير الكتب ليقتضي المقام تقديم الظرف كما في قوله تعالى لا فيها غول **هدى** مصدر من هداه كالسرى والبكى وهو الدلالة
بلطف الى ما يوصل الى البغية اي من شانه ذلك وقيل هي الدلالة بلطف الى ما يوصل الى البغية بدلالة وقوع الضلالة في مقابلته
في قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ولا شك في ان عدم
الوصول معتبر في مفهوم الضلال فيعتبر الوصول في مفهوم مقابله ومن ضرورة اعتباره فيه اعتباره في مفهوم الهدى المتعدي اذ
لا فرق بينهما الا من حيث التأثير والتأثر وتحصيله ان الهدى المتعدي هو التوجيه الموصل لان اللازم هو التوجه الموصل ليقابل
مقابله الضلال توجه غير موصل قطعا وهذا كما ترى مبني على امرين اعتبار الوصول وجوبا في مفهوم اللازم واعتبار

وجود اللازم وجوبا في مفهوم المتعدي وكل الامرين بمعزل من الثبوت اما الاول فلان مدار التقابل بين الهدى والضلال ليس هو الوصول وعدمه
على الاطلاق بل هما معتبران في مفهوميهما على وجه مخصوص به يتحقق التماثل بينهما وتوضيحه ان الهدى لا بد فيه من اعتبار توجهه عن علم الى ما من
شانه الايصال الى البغية كما ان الضلال لا بد فيه من اعتبار الجور عن القصد الى ما ليس من شانه الايصال قطعا وهذه المرتبة من الاعتبار
مسلمة بين الفريقين محققة للتقابل بينهما وانما النزاع في امكان الوصول الى البغية هل هو كاف في تحصيل مفهوم الهدى او لا بد فيه
من خروج الوصول من القوة الى الفعل كما ان عدم الوصول بالفعل معتبر في مفهوم الضلال قطعا اذا تقرر هذا فنقول ان اريد
باعتبار الوصول بالفعل في مفهوم الهدى اعتباره مقارنا له في الوجود زمانا حسبما اعتبر عدمه في مفهوم مقابله فذلك بين البطلان
لان الوصول غاية للتوجه المذكور فينتهي به قطعا لاستحالة التوجه الى تحصيل الحاصل وما يبقى بعد ذلك فهو اما توجه الى الثبات عليه
واما توجه الى زيادته ولان التوجه الى القصد تدريجي والوصول اليه دفعي فيستحيل اجتماعهما في الوجود ضرورة واما عدم
الوصول فحيث كان امرا مستمرا مثل ما يقتضيه من الضلال وجب مقارنته له في جميع ازمنة وجوده اذ لو فارقه في آن من آنات تلك الحالة
المقارنة في ذلك لان مقابله الذي هو الوصول فما فرضناه ضلالا لا يكون ضلالا وان اريد اعتباره من حيث انه غاية له واجبة الترتب
عليه لزم ان يكون التوجه المقارن لغاية الجد في السلوك الى ما من شانه الوصول عند تخلفه عنه لمانع خارجي كاخترام المنية مثلا
من غير تقصير ولا جور من قبل التوجه ولا خلل من جهة المسلك ضلالا اذ لا واسطة بينهما مع انه لا جور فيه عن القصد اصلا فبطل
اعتبار وجوب الوصول في مفهوم اللازم قطعا وتبين منه عدم اعتباره في مفهوم المتعدي حتما واما اعتبار وجوب اللازم فيه
وجوبا وهو الامر الثاني فشانه مبني على تمهيد اصل وهو ان فعل الفاعل حقيقة هو الذي يصدر عنه ويتم من قبله لكن لما لم يكن له في تحققه
في نفسه ومن تعلقه بمفعوله اعتبر ذلك في مدلول اسمه قطعا ثم لما كان له باعتبار كيفية صدوره عن فاعله وكيفية تعلقه بمفعوله
وغير ذلك آثار شتى مترتبة عليه متمايزة في انفسها مستقلة باحكام مقتضية لافرادها باسماء خاصة وعرض له بالقياس الى سايرها
وكانت تلك الآثار تابعة لنفس التحقق غير منفكة عنه اصلا اذ في مدلوله كالاعتماد المتعلق بالجسم مثلا وضع باعتبار الاضافة العارضة
له بالقياس الى آثاره اللازمة له وهذا امر مطرد في آثار الطبيعة واما الآثار التي له مدخل في وجودها في الجملة من غير ايجابه
تترتب عليه تارة وتفارقه اخرى بحسب وجود اسبابها الموجبة لها وعدمها كالآثار الاختيارية الصادرة عن مؤثراتها بواسطة
كونه داعيا اليها فحيث كانت مستقلة في انفسها مستندة الى مؤثراتها غير لازمة له لزوم الطبيعة التابعة له لم تعد من متمماتها ولم تعتبر
الاضافة العارضة للامر بحسب امتثال المامور والاضافة العارضة للدعوة بحسب اجابة المدعو فان الامتثال والاجابة وان
عدا من آثار الامر والدعوة باعتبار ترتبهما عليهما غالبا لكنهما حيث كانا فعلين اختياريين للمامور والمدعو مستقلين في
انفسهما غير لازمين للامر والدعوة لم يعدا من متمماتهما ولم تعتبر الاضافة العارضة لهما بحسبهما داخلة في مدلول الامر والدعوة
بل جعلا عبارة عن نفس الطلب المتعلق بالمامور والمدعو سواء وجد الامتثال والاجابة او لا اذا تمهد هذا فنقول كما ان الاجابة
والامتثال فعلان مستقلان في انفسهما صادران عن المدعو والمامور باختيارهما غير لازمين للامر والدعوة لزوم الآثار
الطبيعية التابعة للافعال الموجبة لها وان كانا مترتبين عليهما في الجملة كذلك هدى المهدي اي توجهه الى ما ذكر من المسلك
فعل مستقل له مبادئ غير لازم للهداية اعني التوجيه اليه لزوم ما ذكر من الآثار الطبيعية وان كان مترتبا عليها في الجملة
ان قيل التعلم من قبيل الافعال الاختيارية مع انه معتبر في مدلول التعليم قطعا فليكن الهدى مع الهداية كذلك قلنا ليس ذلك لكونه
فعلا اختياريا على الاطلاق ولا لكون التعليم عبارة عن تحصيل العلم للمتعلم كما قيل فان التعلم ليس بمستقل في ذلك ففي اسناده
اليه ضرب تجوز بل لان كلا منهما مفتقر في تحصله وتحققه الى الآخر فان التعليم عبارة عن القاء المبادي العلمية على المتعلم
وسوقها الى ذهنه شيئا فشيئا على ترتيب تقتضيه الحال بحيث لا يساق اليه بعضها الا بعد تلقيه لبعض آخر فكل منهما متمم

للآخر معتبر في مدلوله واما الهدى الذي هو عبارة عن التوجه المذكور ففعل اختياري يستقل به فاعله لا دخل للهداية فيه سوى كونها داعية
الى ايجاده باختياره فلم يكن معتبرا في مدلولها ان قيل التعليم نوع من انواع الهداية والتعلم نوع من انواع الاهتداء فيكون اعتباره في
مدلول التعليم اعتبارا للهدى في مدلول الهداية قلنا اطلاق الهداية على التعليم انما هو عند وضوح المسلك وامتداد المتعلم سلوكه
من غير دخل للتعليم فيه سوى كونه داعيا اليه وقد عرفت جلية الامر على ذلك التقدير وان قيل اليس تخلف الهدى عن الهداية كتخلف
العلم عن التعلم بحيث لم يكن ذلك تعليما في الحقيقة فليكن الهداية ايضا كذلك وليحمل تسمية ما لا يستتبع الهدى بها على التجوز
قلنا شتان بين التخلفين فان تخلف التعلم عن التعليم يكون لقصور فيه كما ان تخلف الانكسار عن الضرب الضعيف لذلك واما تخلف
الهدى عن الهداية فليس لشائبة قصور من جهتها بل انما هو لفقد سببه الموجب له من جهة المهدي بل تكامل ما يتم من قبل الهادي وبهذا
التحرير اتضح طريق الهداية وتبين انها عبارة عن مطلق الدلالة على ما من شأنه الايصال الى البغية لتعريف معالمه وتبيين مسالكه
من ان يشترط في مدلولها الوصول ولا القبول وان الدلالة المقارنة لهما او لاحدهما والمفارقة عنهما كل ذلك مع قطع النظر
عن قيد المقارنة وعدمها افراد حقيقية لها وان ما في قوله انك لا تهدي من احببت وقوله تعالى ولو شاء لهداكم وكذلك مما اعتبر فيه
الوصول من قبيل المجاز وانكشف ان الدلالة التكوينية المنصوبة في الانفس والآفاق مع البيانات الشرعية الواردة في الكتب السماوية
على الاطلاق بالنسبة الى كافة البرية برها وفاجرها هدايات حقيقية فائضة من عند الله سبحانه والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا
لنهتدي لولا ان هدانا الله **للمتقين** اي المتصفين بالتقوى حالا او مآلا وتخصيص الهدى بهم لما انهم المقتبسون من انواره المنتفعون
بآثاره وان كان ذلك شاملا لكل ناظر من مؤمن وكافر وبذلك الاعتبار قال تعالى هدى للناس والمتقي اسم فاعل من باب الافتعال من
الوقاية وهي فرط الصيانة والتقوى في عرف الشرع عبارة عن كمال التوقي عما يضره في الآخرة قال عليه السلام جماع التقوى
في قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية وعن عمر بن عبد العزيز انه ترك ما حرم الله واداء ما فرض الله وعن شهر بن حوشب المتقي
من ترك ما لا بأس به حذرا من الوقوع فيما فيه بأس وعن ابي يزيد ان التقوى هو التورع عن كل ما فيه شبهة وعن محمد بن حنيف انه عبارة عن كل
ما يبعدك عن الله وعن سهل المتقي من تبرأ عن حوله وقوته وقيل التقوى ان لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك وعن
ميمون بن مهران لا يكون الرجل تقيا حتى يكون اشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجابر وعن ابي تراب بين يدي التقوى
خمس عقبات لا يناله من لا يجاوزهن ايثار الشدة على النعمة وايثار الضعف على القوة وايثار الذل على العزة وايثار الجهد على
الراحة وايثار الموت على الحيوة وعن بعض الحكماء انه لا يبلغ الرجل سنام التقوى الا ان يكون بحيث لو جعل ما في قلبه في طبق فطيف
في السوق لم يستحي ممن نظر اليه وقيل التقوى ان تزين سرك للحق كما تزين علانيتك للخلق والتحقيق ان للتقوى ثلاث مراتب الاولى
التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الكفر وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر
عند قوم وهو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المعني بقوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عن كل ما
يشغل سره عن الحق عز وجل ويتبتل اليه بكليته وهو التقوى الحقيقي المأمور به في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق
تقاته ولهذه المرتبة عرض عريض يتفاوت فيه طبقات اصحابها حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشيئة
الالهية المبنية على الحكم الابية اقصاها ما انتهى اليه همم الانبياء عليهم الصلوة والسلام حيث جمعوا بذلك بين رياستي النبوة
والولاية وما عاقهم التعلق بعالم الاشباح عن العروج الى عالم الارواح ولم يصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن الاستغراق في شئون
الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية وهداية الكتاب المبين شاملة لارباب هذه المراتب اجمعين
فان اريد بكونه هدى للمتقين ارشاده اياهم الى تحصيل المرتبة الاولى وتكميلها فالمراد بهم المشارفون للتقوى مجازا لاستحالة
تحصيل الحاصل وايثاره على العبارة المعربة عن ذلك للايجاز وتصدير السورة الكريمة بذكر اوليائه تعالى وتفخيم شأنهم وان اريد

به ارشاده الى تحصيل المرتبتين الاخيرتين فان عني بالمتقين اصحاب الطبقة الاولى تعينت الحقيقة وان عني بهم اصحاب احدى الطبقتين الاخيرتين
تعين المجاز لان الوصول اليهما انما يتحقق بهداية المترتبة وكذا الحال فيما بين المرتبة الثانية والثالثة فانه ان اريد بالهدى الارشاد
الى تحصيل المرتبة الثالثة فان عني بالمتقين اصحاب المرتبة الثانية تعين الحقيقة وان عني بهم اصحاب المرتبة الثالثة تعين المجاز ولفظ
الهداية حقيقة في جميع الصور واما ان اريد بكونه هدى لهم تثبيتهم على ما هم عليه وارشادهم الى الزيادة فيه على ان يكون مفهومها داخلا
في المعنى المستعمل فيه فهو مجاز لا محالة ولفظ المتقين حقيقة على كل حال واللام متعلقة بهدى او بمحذوف وقع صفة له او حالا منه
ومحل هدى الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هو هدى او خبر مع لا ريب فيه لذلك الكتاب او مبتدأ خبره الظرف المقدم كما مر اليه
او النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل معنى الاشارة او من الضمير في فيه والعامل في الجار والمجرور من معنى الفعل المنفي
كانه قيل لم يحصل فيه الريب حال كونه هاديا على انه قيد للنفي لا للمنفي وحاصله انتفى الريب حال كونه هاديا وتنكيره للتفخيم وحمله
الكتاب اما للمبالغة كانه نفس الهدى او لجعل المصدر بمعنى الفاعل هذا والذي يستدعيه جزالة التنزيل في شان ترتيب هذه الجمل
ان تكون متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يتخلل بينهما عاطف فالم جملة برأسها على انها خبر لمبتدأ محذوف مضمرا
وطائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها دالة على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يؤلفون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة
لجهة التحدي بما دلت عليه من كونه منعوتا بالكمال الفائق ثم سجل على غاية فضله بنفي الريب فيه اذ لا افضل اعلى مما للحق واليقين وهدى
للمتقين بما يقدر له من المبتدأ جملة مؤكدة لكونه حقا لا يحول حوله شائبة شك ما ودالة على تكميل بعد كماله او مستتبع السابقة منها
اللاحقة استتباع الدليل للمدلول فانه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته بالمرة ظهر
انه الكتاب البالغ اقصى مراتب الكمال وذلك مستلزم لكونه في غاية النزاهة عن مظنة الريب اذ لا انقص مما يعتريه الشك وما كان
كذلك كان لا محالة هدى للمتقين في كل مضمار النكت الرائقة والمزايا الفائقة ما لا يخفى جلالة شانه حسبما تحققته **الذين يؤمنون
بالغيب** اما موصول بالمتقين ومحله الجر على انه صفة مقيدة له ان فسر بما هو متعارف التقوى بترك المعاصي مترتبة فقط عليه
ترتب التحلية وموضحة ان فسر بما هو المتعارف شرعا والمتبادر عرفا من فعل الطاعات وترك السيئات معا لانها تكون تفصيلا
لما انطوى عليه اسم الموصوف اجمالا وذلك لانها مشتملة على ما هو عماد الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة والصدقة فانها
امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر القرب الداعية الى التجنب عن المعاصي غالبا الا يرى الى قوله
تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه السلام الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام ومادحة للموصوفين
بالتقوى المفسر بما مر من فعل الطاعات وترك السيئات وتخصيص ما ذكر من الخصال الثلث بالذكر لاظهار شرفها وانافتها على سائر
ما انطوى تحت اسم التقوى من الحسنات والنصب على المدح بتقدير اعني او الرفع عليه بتقدير هم واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء خبره الجملة
المصدرة باسم الاشارة كما سيأتي بيانه فالوقف على المتقين حينئذ وقف تام لانه وقف على مستقل ما بعده ايضا مستقل واما على
الوجه الاول فحسن لاستقلال الموقوف عليه غير تام لتعلق ما بعده به وتبعيته له اما على تقدير الجر على الوصفية فظاهر واما على تقدير
النصب او الرفع على المدح فلما تقرر من ان المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه في الاعراب
وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان له حقيقة الا ترى كيف التزموا حذف الفعل والمبتدأ في النصب والرفع روما لتصوير كل
منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله تنبيها على شدة الاتصال بينهما قال ابو علي اذا ذكرت صفات للمدح وخولف في بعضها
الاعراب فقط خولف للافتنان اي للتفنن الموجب لايقاظ السامع وتحريكه الى الجد في الاصغاء فان تغير الكلام المسوق لمعنى من المعاني
وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشانه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من المخاطب وان قيل لا ريب في ان حال
الموصول عند كونه خبر المبتدأ محذوف كحاله عند كونه مبتدأ خبره اولئك على هدى في انه يستتبع به جملة مفيدة لاتصاف المتقين

بالصفات الفاضلة ضرورة ان كلا من الضمير المحذوف والموصول عبارة عن المتقين وان كلا من اتصافهم بالايمان وفروعه طراز ثيم للهدى والفلاح
من النعوت الجليلة فما السر في انه جعل ذلك في الصورة الاولى من توابع المتقين وعد الوقف عليه غير تام وفي الثانية منقطعا عنه وعد الوقف تاما قلنا السر
في ذلك ان المبتدأ في الصورتين وان كان عبارة عن المتقين لكن الخبر في الاول لما كان معلوما للمخاطب لفظا كيف لا وقد اشتهر في الفن ان الخبر اذا كان
معلوم الانتساب الى الموصوف حقه ان يكون خبرا له حتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات واما الخبر في الثانية
فحيث لم يكن كذلك بل كان مشتملا على ما ينبئ عنه المبتدأ من المعاني اللائقة كما ستحيط به خبرا مفيدا للمخاطب فوائد رائقة جعل ذلك منقطعا
عما قبله محافظة على الصورة والمعنى جميعا والايمان افعال من الامن المتعدي الى واحد يقال امنته وبالنقل تعدى الى اثنين يقال
امنته غيري ثم استعمل في التصديق لان المصدق يؤمن المصدق اي يجعله امينا من التكذيب والمخالفة واستعماله بالباء لتضمنه معنى الاعتراف
وقد يطلق على الوثوق فان الواثق يصير ذا امن وسكون وكلا الوجهين حسن ههنا وهو في الشرع لا يتحقق بدون التصديق بما علم ضرورة
انه من دين نبينا صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها وهل هو كاف في ذلك او لا بد من انضمام الاقرار
اليه للتمكن عنه والاول راي الشيخ الاشعري ومن شايعه فان الاقرار عنده منشأ لاجراء الاحكام والثاني مذهب ابي ح ومن تابعه وهو
الحق فانه جعلهما جزئين له خلا ان الاقرار يحتمل السقوط بعذر كما عند الاكراه وهو مجموع ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل
بموجبه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق
اتفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة وقرئ يومنون بغير همزة والغيب اما مصدر وصف به
الغائب في الشهادة كقوله تع عالم الغيب والشهادة او فيعل خفف كقيل في قيل وهين في هين وميت في ميت لكن لم يستعمل فيه الاصل
كما استعمل في نظايره واياما كان فهو ما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدرك بواحد منهما ابتداء بطريق البداهة وهو قسمان
قسم لا دليل عليه وهو الذي اريد بقوله سبح وتع وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته والنبوات
وما يتعلق بها من الاحكام والشرايع واليوم الآخر واهواله من البعث والنشور والحساب والجزاء وهو المراد ههنا فالباء صلة
بالايمان اما بتضمينه معنى الاعتراف او بجعله مجازا عن الوثوق وهو واقع موقع المفعول به وان جعلت حالة كالغيبة فالباء متعلقة بمحذوف
وقع حالا من الفاعل كما في قوله تع الذين يخشون ربهم بالغيب وقوله تع ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي يؤمنون ملتبسين بالغيبة اما عن
المؤمن به اي غائبين عن النبي صلى الله عليه وسلم غير شاهدين لما فيه من شواهد النبوة لما روي ان اصحاب ابن مسعود رض ذكروا اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وايمانهم فقال رضي الله عنه ان امر محمد كان بينا لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن مؤمن افضل من الايمان بغيب ثم تلا هذه الآية
واما على الناس اي غائبين عن المؤمنين لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم
وقيل المراد بالغيب القلب لانه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كالذين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء ح للآلة
وترك ذكر المؤمن به على التقادير الثلاثة اما للقصد الى احداث نفس الفعل كما في قولهم فلان يعطي ويمنع اي يفعلون الايمان او
للاكتفاء بما سيجيء فان الكتب الالهية ناطقة بتفاصيل ما يجب الايمان به **ويقيمون الصلوة** اقامتها عبارة عن تعديل اركانها
وحفظها من ان يقع في شيء من فرايضها وسننها وآدابها زيغ من اقام العود اذا قومه وعدله وقيل عن المواظبة عليها ماخوذ
من قامت السوق اذا انفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة فانها اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه وقيل عن التشمر
لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه واجتهد وقيل عن ادائها عبر عنه بالاقامة لاشتماله
على القيام كما عبر عنه بالقنوت الذي هو القيام وبالركوع والسجود والتسبيح والاول هو الاظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب والصلوة
فعلة من صلى اذا دعا كالزكاة وانما كتبتا بالواو لمراعاة لفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتمالها على الدعاء وقيل اصل
صلى حرك الصلوين وهما العظمان الناتيان في اعلى الفخذين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار اللفظ في المعنى الثاني دون الاول لا يقدح

لا يقدح في نقل عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد **ومما رزقناهم ينفقون** الرزق في اللغة العطاء على الحظ
نحو ذبح ورعي للمذبوح والمرعي وقيل هو بالفتح مصدر وبالكسر اسم وفي العرف ما ينتفع به الحيوان والمعتزلة لما احالوا تمكين الله تعالى من الحرام لانه
منع من الانتفاع وامر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام الا ترى انه تعالى اسند الرزق الى ذاته ايذانا بانهم ينفقون من الحلال الصرف
فان انفاق الحرام بمعزل من ايجاب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما
وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد المذكور للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة
وتمسكوا لشمول الرزق له بما روي عنه في حديث عمرو بن قرة حين اتاه فقال يا رسول الله ان الله كتب علي الشقوة فلا اراني ارزق الا
من دفي بكفي فاذن لي في الغناء من غير فاحشة من انه قال صلى الله عليه وسلم لا اذن لك ولا كرامة ولا نعمة كذبت اي عدو الله والله لقد رزقك
الله حلالا طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن الحرام رزقا لم يكن المتغذي به
طول عمره مرزوقا وقد قال تع وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والانفاق والانفاد اخوان خلا ان في الثاني معنى
الاذهاب بالكلية دون الاول والمراد بهذا الانفاق الصرف الى سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسره بالزكوة ذكر اكثر انواعه والاصل فيه او
خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها والجملة معطوفة على ما قبلها من الصلة وتقديم المفعول للاهتمام والمحافظة على رؤس الآي وادخال من
التبعيضية عليه للكف عن التبذير هذا وقد جوز ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التي منحهم الله تعالى من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده
قوله عليه السلام ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم من انوار المعرفة يفيضون **والذين يؤمنون بما
انزل اليك وما انزل من قبلك** معطوف على الموصول على تقديري وصله بما قبله وفصله عنه مندرج معه في زمرة المتقين من حيث الصورة
والمعنى معا او من حيث المعنى فقط اندراج خاصين تحت عام اذ المراد بالاولين الذين آمنوا بعد الشرك والغفلة عن جميع الشرايع
كما يؤذن به التعبير عن المؤمن به بالغيب وبالآخرين الذين آمنوا بالقرآن بعد الايمان بالكتب المنزلة قبل كعبد الله بن سلام واضرابه
او على المتقين على ان يراد بهم الاولون خاصة ويكون تخصيصهم بوصف الاتقاء للايذان بتنزههم عن حالتهم الاولى بالكلية لما انها
من كمال القباحة والمباينة للشرايع كلها الموجبة للاتقاء عنها بخلاف الآخرين فانهم غير تاركين لما كانوا عليه بالمرة بل متمسكون
باصول الشرايع التي لا تكاد تختلف باختلاف الاعصار ويجوز ان يجعل كلا الموصولين عبارة عن الكل مندرجا تحت المتقين فلا يكون
توسيط العاطف بينهما لاختلاف الذوات بل لاختلاف الصفات كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب للايذان بان كل واحد من الايمان بما اشير اليه من الامور الغائبة والايمان
بما يشهد بثبوتها من الكتب السماوية نعت جليل على حياله له شان خطير مستتبع لاحكام جمة حقيق بان يفرد له موصوف مستقل ولا
يجعل احدهما تتمة للآخر وقد شفع الاول باداء الصلوة والصدقة اللتين هما من جملة الشرايع المندرجة تحت تلك الامور المؤمن بها
تكملة له فان كمال العلم بالعمل وقرن الثاني بالايقان بالآخرة مع كونه منطويا تحت الاول تنبيها على كمال صحته وتعريضا في
اعتقاد اهل الكتابين من الخلل كما سياتي هذا على تقدير تعلق الباء بالايمان وقس عليه الحال عند تعلقها بالمحذوف فان كلا
من الايمان الغيبي المشفوع بما يصدقه من العبادتين مع قطع النظر عن المؤمن به والايمان بالكتب المنزلة الشارحة لتفاصيل
الامور التي يجب الايمان بها مقرونا بما قرن به فضيلة باهرة مستدعية لما ذكر والله تعالى اعلم وقد حمل ذلك على معنى انهم الجامعون بين الايمان
بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق له غير السمع وتكرير الموصول للتنبيه
على تغاير القبيلين وتباين السبيلين فليتامل والمراد بالموصول الثاني بعد اندراج الكل في الاول فريق خاص منهم
وهم مؤمنوا اهل الكتاب بان يخصوا بالذكر تخصيص جبريل وميكايل اثر جريان ذكر الملائكة عليهم السلام تعظيما لشانهم
وترغيبا لامثالهم واقرانهم في تحصيل ما لهم من الكمال والانزال النقل من الاعلى الى الاسفل وتعلقه بالمعاني انما هو بتوسط

تعلقه بالايمان المستتبعة لها فنزول ما عدا الصحف من الكتب الالهية الى الرسل عليهم السلام والله تعالى اعلم بان يتلقاها الملك من جنابه عز
تلقيا روحانيا او يحفظها من اللوح المحفوظ فينزل بها الى الرسل فيلقيها عليهم عليهم السلام والمراد بما انزل اليك هو القرآن بأسره
والشريعة عن آخرها والتعبير عن انزاله بالماضي مع كونه مترقبا حينئذ لتغليب المحقق على المقدر او لتنزيل ما في شرف الوقوع لتحققه منزلة
الواقع كما في قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مع ان الجن ما كانوا سمعوا الكتاب جميعا ولا كان الجميع اذ ذاك نازلا
وبما انزل من قبلك التوراة والانجيل وسائر الكتب السالفة وعدم التعرض لذكر من انزل اليهم من الانبياء عليهم السلام لقصد الايجاز
مع عدم تعلق الغرض بالتفصيل حيث تعلقه به في قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق
الآية والايمان بالكل جملة فرض وبالقرآن تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض كفاية فان في وجوبه على الكل حرجا بينا
واخلالا بامر المعاش وبناء الفعلين للمفعول للايذان بتعين الفاعل والجري على سنن الكبرياء وقد قرئا على البناء للفاعل **وبالآخرة**
هم يوقنون الايقان اتقان العلم بالشيء بنفي الشك والشبهة عنه ولذلك لا يسمى علمه تعالى يقينا اي يعلمون علما قطعيا
مزيحا لما كان اهل الكتاب عليه من الشكوك والاوهام التي من جملتها زعمهم ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان
النار لن تمسهم الا اياما معدودة واختلافهم في ان نعيم الجنة هل هو من قبيل نعيم الدنيا او لا وهل هو دائم او لا وفي تقديم الصلة
وبناء يوقنون على الضمير تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب فان اعتقادهم في امور الآخرة بمعزل من الصحة فضلا عن الوصول الى
مرتبة اليقين والآخرة تأنيث الآخر كما ان الدنيا تأنيث الادنى غلبتا على الدارين فجرتا مجرى الاسماء وقرئ بحذف الهمزة
والقاء حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة اجراء لضم ما قبلها مجرى ضمها في وجوه ووقتت ونظيره ما في قوله
لحب المؤقدان الى مؤسى وجعدة اذ اضاءهما الوقود وقوله تعالى **اولئك** اشارة الى الذين حكيت خصالهم الحميدة من حيث اتصافهم
بها وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو
درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله عز وعلا **على هدى** خبره وما فيه من الابهام المفهوم من التنكير لكمال الفخامة
كأنه قيل على اي هدى لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره وايراد كلمة الاستعلاء بناء على تمثيل حالهم في ملابستهم بالهدى بحال من
يعتلي الشيء ويستولي عليه بحيث يتصرف فيه كيف ما يريد او على استعارتها لتمسكهم بالهدى استعارة تبعية متفرعة على تشبيهه باعتلاء
الراكب واستوائه على مركوبه او على جعلها قرينة للاستعارة بالكناية بين الهدى والمركوب للايذان بقوة تمكنهم منه وكمال رسوخهم
فيه وقوله تعالى **من ربهم** متعلق بمحذوف وقع صفة له مبينة لفخامته الاضافية اثر بيان فخامته الذاتية مؤكدة لها اي على هدى
كائن من عنده تعالى وهو شامل لجميع انواع هدايته تعالى وفنون توفيقه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لغاية
تفخيم الموصوف والمضاف اليهم وتشريفهما ولزيادة تحقيق مضمون الجملة وتقريره ببيان ما يوجبه ويقتضيه وقد ادغمت النون في
الراء بغنة وبغير غنة والجملة على تقدير كون الموصولين موصولين بالمتقين مستقلة لا محل لها من الاعراب مقررة لمضمون قوله تعالى
هدى للمتقين مع زيادة تأكيد له وتحقيق كيف لا وكون الكتاب هدى لهم فن من فنون ما نحوا واستقروا عليه من الهدى حسبما
تحققته لا سيما مع ملاحظة ما يستتبعه من الفوز والفلاح وقيل واقعة موقع الجواب عن سؤال ربما ينشأ مما سبق كأنه قيل ما
للموصوفين بما ذكر من النعوت اختصوا بهداية ذلك الكتاب العظيم الشأن وهل هم احقاء بتلك الاثرة فاجيب بانهم بسبب اتصافهم بذلك
مالكون لزمام اصل الهدى الجامع لفنونه المستتبع للفوز والفلاح فاي ريب في استحقاقهم لما هو فرع من فروعه ولقد جانب سنن
الصواب من قال في تقرير الجواب ان اولئك الموصوفين غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا واما
على تقدير كونهما مفصولين عنه فهي في محل الرفع على انها خبر للمبتدأ الذي هو الموصول الاول والثاني معطوف عليه وهذه الجملة استئناف
وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن من تخصيص ما ذكر بالمتقين قبل بيان مبادي استحقاقهم لذلك كأنه قيل ما بال المتقين

المتقين مخصوصين به فاجيب بشرح ما انطوى عليه اسمهم اجمالا من نعوت الكمال وبيان ما يستدعيه من النتيجة اي الذين هذه شؤونهم احقاء بما هو
اعظم من ذلك كقولك احب الانصار الذين قارعوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جوزوا ان يكون الموصول الاول مجرى على المتقين
مفصولا والثاني مبتدأ واولئك الى آخره خبره ويجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا بغير المؤمنين من اهل الكتاب حيث كانوا يزعمون انهم
على الهدى ويطمعون في نيل الفلاح **واولئك هم المفلحون** تكرير اسم الاشارة لاظهار مزيد العناية بشأن المشار اليهم وللتنبيه على
ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي نيل كل واحدة من تينك الاثرتين وان كلا منهما كاف في تميزهم بها عمن عداهم ويؤيده توسيط
العاطف بين الجملتين بخلاف ما في قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل عليهم بكمال الغفلة عبارة عما
يفيده تشبيههم بالبهائم فيكون الجملة الثانية مقررة للاولى واما الافلاح الذي هو عبارة عن الفوز بالمطلوب فلما كان مغايرا للهدى
ونتيجة له وكان كل منهما في نفسه اعز مرام يتنافس فيه المتنافسون فعل ما فعل وهم ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد
اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ خبره المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحون للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين
بلغك انهم المفلحون في الآخرة للدلالة على ان المتقين او الاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصائصهم هذا وفي
بيان اختصاص المتقين بنيل هذه المراتب الفائقة على فنون من الاعتبارات الرائقة حسبما اشير اليه في تضاعيف تفسير الآية الكريمة من
الترغيب في اقتفاء اثرهم والارشاد الى اقتداء سيرهم ما لا يخفى مكانه والله ولي الهداية والتوفيق **ان الذين كفروا** كلام مستأنف
سيق لشرح احوال الكفرة الغواة المردة العتاة اثر بيان احوال اضدادهم المتصفين بنعوت الكمال الفائزين بمباغيهم في الحال والمآل
وانما ترك العاطف بينهما ولم يسلك به مسلك قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لما بينهما من التنافي في الاسلوب
والتباين في الغرض فان الاولى مسوقة لبيان رفعة شأن الكتاب في باب الهداية والارشاد واما التعرض لاحوال المهتدين به فانما
هو بطريق الاستطراد سواء جعل الموصول موصولا بما قبله او مفصولا عنه فان الاستئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام المتقدم فهو من
مستتبعاته لا محالة واما الثانية فمسوقة لبيان احوال الكفرة اصالة وترامي امرهم في الغواية والضلال الى حيث لا يجديهم الانذار
والتبشير ولا يؤثر فيهم العظة والتذكير فهم ناكبون في تيه الغي والعناد عن منهاج العقول وراكبون في مسلك المكابرة والعناد
متن كل صعب وذلول وانما اوثرت هذه الطريقة ولم يؤسس الكلام على بيان ان الكتاب هاد للاولين وغير مجد للآخرين
لان العنوان الاخير ليس مما يورثه كمالا حتى يتعرض له في اثناء تعداد كمالاته وان من الحروف التي تشابه الفعل في عدد الحروف والبناء
على الفتح ولزوم الاسماء ودخول نون الوقاية عليها كانني ولعلني ونظائرهما واعطاء معانيه والمتعدي خاصة في الدخول على اسمين
ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الاول ورفع الثاني ايذانا بكونه فرعا في العمل دخيلا فيه وعند الكوفيين لا عمل لها في
الخبر بل هو باق على حاله بقضية الاستصحاب واجيب بان ارتفاع الخبر مشروط بالتجرد عن العوامل والا لما انتصب خبر كان وقد زال
بدخولها فتعين اعمال الحرف واثرها تأكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم وتصدر بها الاجوبة ويؤتى بها في مواقع
الشك والانكار لدفعه ورده قال المبرد قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه
شاك فيه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل
والوليد بن المغيرة واضرابهم واحبار اليهود او للجنس وقد خص منه غير المصرين بما اسند اليه من قوله تعالى سواء عليهم الى
آخره والكفر في اللغة ستر النعمة والاصل الكفر بالفتح اي الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر قال تعالى كمثل غيث اعجب
الكفار نباته وعليه قول لبيد في ليلة كفر النجوم غمامها ومنه المتكفر بسلاحه وهو الشاكي الذي غطى السلاح بدنه وفي الشرع
انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول عليه السلام به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار بغير اضطرار ونظائرهما كفرا لدلالته
على التكذيب فان من صدق النبي صلى الله عليه وسلم لا يكاد يجترئ على امثال ذلك اذ لا داعي اليه كالزنا وشرب الخمر واحتجت

المعتزلة على حدوث القرآن بما جاء به لفظ الماضي على وجه الاخبار فانه يستدعي سابقة المخبر عنه لا محالة واجيب بانه من مقتضيات التعلق وحدوثه
لا يستدعي حدوث الكلام كما ان حدوث تعلق العلم بالمعلوم لا يستدعي حدوث العلم **سواء** هو اسم بمعنى الاستواء بيننا وبينكم وهو
قوله تعالى **عليهم** متعلق به ومعناه عندهم وارتفاعه على انه خبر ان وقوله تعالى **أأنذرتهم أم لم تنذرهم** مرتفع به على الفاعلية
لان الهمزة وام مجردتان عن معنى الاستفهام لتحقيق الاستواء بين مدخوليهما كما جرد الامر والنهي لذلك عن معناهما في قوله عز وجل
استغفر لهم او لا تستغفر لهم وحرف النداء في قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة عن معنى الطلب لمجرد التخصيص كانه قيل الذين
كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كقولك ان زيدا المختصم اخوه وابن عمه او مبتدء وسواء عليهم خبر قدم عليه اعتناء بشانه
والجملة خبر لان والفعل انما يمنع الاخبار عنه عند بقائه على حقيقته اما لو اريد به اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على طريقة
الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كما في قوله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا
ومن قولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه كانه قال انذارك وعدمه سيان عليهم والمعدول الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد
والتوصل الى ادخال الهمزة ومعادلتها عليه لافادة تقرير معنى الاستواء وتاكيده كما اشير اليه وقيل سواء مبتدء وما بعده
خبره وليس بذاك لان مقتضى المقام بيان كون الانذار وعدمه سواء لا بيان كون المستوي الانذار وعدمه والانذار اعلام
المخوف للاحتراز عنه افعال من نذر بالشيء اذا علمه فحذره والمراد ههنا التخويف من عذاب الله تعالى وعقابه على المعاصي والاقتصار عليه
لانهم ليسوا باهل للبشارة اصلا ولان الانذار اوقع في القلوب واشد تاثيرا في النفوس فان دفع المضار اهم من جلب المنافع
فحيث لم يتاثروا به فلان لا يرفعوا للبشارة راسا اولى وقرئ بتوسيط الالف بين الهمزتين مع تحقيقهما وبتوسيطها و
الثانية بين بين وبتخفيف الثانية بين بين بلا توسيط وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه والقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ
قد افلح وقرئ بقلب الثانية الفا وقد نسب ذلك الى اللحن **لا يؤمنون** جملة مستقلة مؤكدة لما قبلها مبينة لما فيه من اجمال ما فيه
الاستواء فلا محل لها من الاعراب او حال مؤكدة له او بدل منه او خبر لان وما قبلها اعتراض بما هية الحكم او خبر ثان على راي من
يجوزه عند كونه جملة والآية الكريمة مما استدل به على جواز التكليف بما لا يطاق فانه تعالى اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون فظهر
استحالة ايمانهم لاستلزامه المستحيل الذي هو عدم مطابقة اخباره تعالى للواقع مع كونهم مامورين بالايمان باقين على
التكليف ولان من جملة ما كلفوه الايمان بعدم ايمانهم المستمر والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان
الاحكام لا يستدعي اغراضا لا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء او بعدمه لا ينفي القدرة عليه
كقوله تعالى عما يفعله هو والعبد باختياره وليس ما كلفوه الايمان الاجمالي بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم ان يكلفوا الايمان
بعدم ايمانهم المستمر بل هو الايمان بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم اجمالا على ان كون الموصول عبارة عنهم ليس معلوما لهم
وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا يفيد الزام الحجة واحراز الرسول عليه السلام فضل الابلاغ ولذلك قيل سواء عليهم ولم
يقل عليك كما قيل العبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الآية الكريمة اخبار بالغيب على ما هو به
ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات الباهرة **ختم الله على قلوبهم** استيناف تعليل لما سبق من الحكم وبيان
لما يقتضيه او بيان وتاكيد له والمراد بالقلب محل القوة العاقلة من الفؤاد والختم على الشيء الاستيثاق منه بضرب الخاتم
عليه صيانة له او لما فيه من التعرض له كما في البيت الفارغ والكيس المملوء والاول هو الانسب بالمقام اذ ليس المراد به
ما في قلوبهم بل احداث حالة تجعلها بسبب تماديهم في الغي وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن منهاج النظر الصحيح بحيث لا يؤثر
فيها الانذار ولا ينفذ فيها الحق اصلا اما على طريقة الاستعارة التبعية بان يشبه معقول بمحسوس بجامع عقلي هو الاشتمال
على منع القابل عما من شانه ان يقبله ويستعار له الختم ثم يشتق منه صيغة الماضي واما على طريقة التمثيل بان يشبه الهيئة

المنتزعة من قلوبهم وقد فعل بهم ما فعل من احداث تلك الحالة المانعة من ان يصل اليها ما خلقت هي لاجله من الامور الدينية النافعة
وحيل بينها وبينه بالمرة بهيئة منتزعة من محال معدة لحلول ما عليها حلولا مستتبعا لمصالح مهمة وقد منع في ذلك الختم عليها
وحيل بينها وبين ما اعدت لاجله بالكلية ثم يستعار لها ما يدل على الهيئة المشبه بها فيكون كل من طرفي التشبيه مركبا من امور
عدة قد اقتصر من جانب المشبه به على ما عليه يدور الامر في تصوير تلك الهيئة وانتزاعها وهو الختم والباقي منوي مرادا مقصودا
بالفاظ متخيلة بها يتحقق التركيب وتلك الالفاظ وان كان لها مدخل في تحقيق وجه الشبه الذي هو امر عقلي منتزع منها وهو امتناع
الانتفاع بما اعد له بسبب مانع قوي لكن ليس في شيء منها على الانفراد تجوز باعتبار هذا المجاز بل هي باقية على حالها من كونها حقيقة
او مجازا او كناية وانما التجوز في المجموع مجموع معاني تلك الالفاظ التي ليس فيها التجوز المعهود ولم تكن الهيئة المنتزعة منها
مدلولا وضعيا لها ليكون ما دل على الهيئة المشبه بها عند استعماله في الهيئة المشبهة مستعملا في غير ما وضع له فيندرج تحت الاستعارة
التي هي قسم من المجاز اللغوي الذي هو عبارة عن الكلمة المستعملة في غير ما وضع له ذهب قدماء المحققين كالشيخ عبد القاهر
واضرابه الى جعل التمثيل قسما براسه ومن رام تقليل الاقسام بذلك الهيئة المشبه بها من قبيل المدلولات الوضعية وجعل الكلام
المفيد لها عند استعماله فيما يشبه بها من هيئة اخرى منتزعة من امور اخرى من قبيل الاستعارة وسماه استعارة تمثيلية
واسناد احداث تلك الحالة في قلوبهم الى الله تعالى لاستناد جميع الحوادث عندنا من حيث الخلق اليه سبحانه وتعالى وورود
الآية الكريمة ناعية عليهم سوء صنيعهم ووخامة عاقبتهم من حيث افعالهم من حيث الكسب مستندة اليهم فان خلقها منه سبحانه
ليس بطريق الجبر بل بطريق الترتيب على ما اقترفوه من القبائح كما يعرب عنه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم ونحو ذلك واما
المعتزلة فقد سلكوا مسلك التاويل وذكروا في ذلك عدة من الاقاويل منها ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك
في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه ومنها ان المراد به تمثيل قلوبهم بقلوب البهائم التي
خلقها الله تعالى خالية من الفطن او بقلوب قدر ختم الله تعالى عليها كما في سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا
طالت غيبته ومنها ان ذلك فعل الشيطان او الكافر واسناده اليه سبحانه باعتبار كونه باقداره تعالى وتمكينه ومنها ان
اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق الى تحصيل ايمانهم طريق سوى الالجاء والقسر ثم لم يفعل ذلك محافظة
على حكمة التكليف عبر عن ذلك بالختم لانه سد لطريق ايمانهم بالكلية وفيه اشعار بتمادي امرهم في الغي والعناد وتناهي
انهماكهم في الشر والفساد ومنها ان ذلك حكاية لما كانت الكفرة يقولونه مثل قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي
اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما بهم ومنها ان ذلك في الآخرة وانما اخبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه ويعضده
قوله تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما ومنها ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم و
وينفرون عنهم **وعلى سمعهم** عطف على ما قبله داخل في حكم الختم لقوله عز وجل وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف
لا على قلوبهم ولاشتراكهما في الادراك من جميع الجوانب واعادة الجار للتاكيد والاشعار بتغاير الختمين وتقديم ختم
قلوبهم للايذان بانها الاصل في عدم الايمان والاشعار بان ختمها ليس بطريق التبعية لختم سمعهم بناء على انه طريق اليها
فالختم عليه ختم عليها مختومة بختم به على حدة لو فرض عدم الختم على سمعهم فهو باق على حاله حسبما يفصح به قوله تعالى ولو علم الله
فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون والسمع ادراك القوة السامعة وقد يطلق عليها وعلى العضو الحامل لها وهو المراد
ههنا اذ هو المختوم عليه اصالة وتقديم حالهم على حال ابصارهم للاشتراك بينهم وبين قلوبهم في تلك الحالة ولان جنايتهم من
حيث السمع الذي به يتلقى الاحكام الشرعية وبه يتحقق الانذار اعظم منها من حيث البصر الذي به يشاهد الاحوال الدالة على التوحيد
فبيانها احق بالتقديم وانسب بالمقام قالوا السمع افضل من البصر لانه عز وجل حيث ذكرهما قدم السمع على البصر ولان السمع شرط

البنوة ولذلك ما بعث الله تعالى رسولا اصم ولان السمع وسيلة الى استكمال العقل بالمعارف التي تتلقف من اصحابها وتوحيده للامن اللبس
واعتبار الاصل وتقدير المضاف اي وعلى حواس سمعهم والكلام في ايقاع الختم على ذلك كما مر من قبل **وعلى ابصارهم غشاوة** الابصار جمع
بصر والكلام فيه كما سمعته في السمع والغشاوة فعالة من التغشية اي التغطية بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة وتنكيرها
للتفخيم والتهويل وهي على راي سيبويه مبتدأ خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الاسمية للايذان بدوام مضمونها
فان ما يدرك بالقوة الباصرة من الآيات المنصوبة في الآفاق والانفس حيث كانت مستمرة كان تعاميهم عن ذلك ايضا كذلك واما الآيات
التي تتلقى بالقوة السامعة فلما كان وصولها اليها حينا فحينا اوثر في بيان الختم عليها وعلى ما هي احدى طريقي معرفته اعني القلب
الجملة الفعلية وعلى راي الاخفش مرتفع على الفاعلية بما تعلق به الجار وقرئ بالنصب على تقدير فعل ناصب اي وجعل على ابصارهم غشاوة
وقيل على حذف الجار وايصال الختم اليه والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها
وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين الغير المعجمة والرفع **ولهم عذاب عظيم** وعيد وبيان
لما يستحقونه في الآخرة والعذاب كالنكال بناء ومعنى يقال اعذب عن الشيء اذا امسك عنه ومنه الماء العذب لانه يقمع العطش ويرده
ولذلك سمي نقاخا فانه ينقخ العطش ويكسره وفراتا لانه يرفته على القلب ويكسره ثم اتسع فيه فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن
عقابا يراد به ردع الجاني عن المعاودة وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير
والكبير نقيض الصغير فمن ضرورة كون الحقير دون الصغير كون العظيم فوق الكبير ويستعملان في الجثث والاحداث تقول رجل عظيم وكبير
تريد جثته او خطره ووصف العذاب به لتاكيد ما يفيده التنكير من التفخيم والتهويل والمبالغة في ذلك والمعنى ان على ابصارهم ضربا من
الغشاوة خارجا مما يتعارفه الناس وهي غشاوة التعامي عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يبلغ كنهه ولا يدرك غايته
اللهم انا نعوذ بك من ذلك كله يا ارحم الراحمين **ومن الناس** شروع في بيان ان بعض من حكيت احوالهم السالفة ليسوا بمقتصرين
على ما ذكر من محض الاصرار على الكفر والعناد بل يضمون اليه فنونا آخر من الشر والفساد وتعديد لجناياتهم الشايعة المستتبعة لاحوال
هايلة عاجلة وآجلة واصل ناس اناس كما يشهد له انسان واناسي وانس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في الوقة وعوض عنها
حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما واما في قوله ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا فشاذ وسموا بذلك لظهورهم وتعلق
الايناس بهم كما سمي الجن جنا لاجتنانهم وذهب بعضهم الى ان اصله النوس وهو الحركة انقلبت واوه الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها
وبعضهم الى انه ماخوذ من نسي نقلت لامه الى موضع العين فصار نيس ثم قلبت الفا سموا بذلك لنسيانهم عن ابن عباس انه قال سمي
الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي واللام فيه اما للعهد او للجنس المقصود على المصرين حسبما ذكر في الموصول كانه قيل ومنهم او من
اولئك والعدول الى الناس للايذان بكثرتهم كما ينبئ عنه التبعيض ومحل الظرف الرفع على انه مبتدأ باعتبار مضمونه او انه
المقدر هو المبتدأ كما في قوله عز وجل ومنا دون ذلك اي وجمع منا الى آخره ومن في قوله تعالى **من يقول** موصولة او موصوفة
ومحلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس او وبعض من الناس الذي يقول كقوله ومنهم الذين يؤذون النبي الى آخره او
فريق يقول كقوله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا الى آخره على ان يكون مناط الافادة والمقصود بالاصالة اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة
وما يتعلق به من الصفات جميعا لا كونهم ذوات اولئك المذكورين واما جعل الظرف خبرا كما هو الشايع في موارد الاستعمال فيأباه
جزالة المعنى لان كونهم من الناس ظاهر فالاخبار به عار من الفايدة كما قيل فان مبناه توهم كون المراد بالناس الجنس مطلقا وكذا
مدار الجواب عنه بان الفايدة هو التنبيه على ان الصفات المذكورة تنافي الانسانية فحق من يتصف بها ان لا يعلم كونه من الناس فيتحير به
ويتعجب منه وانت خبير بان الناس عبارة عن المعهودين او على الجنس المقصود على المصرين واياما كان فالفايدة ظاهرة لان تجزئة
الظرف تستدعي ان يكون اتصاف بعض اولاء بتلك الصفات القبيحة المفصلة في ثلاث عشرة آية عنوانا للموضوع مفروغا عنه

عنه غير مقصود بالذات ويكون مراد مناط الافادة كونهم من اولئك المذكورين ولا ريب لاحد في انه يجب حمل النظم الجليل على اجزل المعاني واكملها وتوحيد
الضمير في يقول باعتبار لفظه من وجمعه في قوله تعالى **آمنا بالله وباليوم الآخر** وما بعده باعتبار معناها والمراد باليوم الآخر من وقت
الحشر الى ما لا يتناهى او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار اذ لا حد وراءه وتخصيصهم بالايمان بهما بالذكر مع تكرير الباء
لادعاء انهم قد حازوا الايمان من قطريه واحاطوا به من طرفيه وانهم قد آمنوا بكل منهما على الاصالة والاستحكام وقد دسوا تحته ما هم عليه
من العقايد الفاسدة حيث لم يكن ايمانهم بواحد منهما ايمانا في الحقيقة اذ كانوا مشركين بالله بقولهم عزير ابن الله وجاحدين باليوم
الآخر بقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ونحو ذلك وحكاية عبارتهم لبيان كمال خبثهم ودعارتهم فان ما قالوه لو صدر عنهم
لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ذلك ايمانا فكيف وهم يقولونه تمويها على المسلمين واستهزاء بهم **وما هم بمؤمنين** رد
لما ادعوه ونفي لما انتحلوه وما حجازية فان جواز دخول الباء في خبرها لتاكيد النفي اتفاقي بخلاف التميمية وايثار الجملة الاسمية على الفعلية
الموافقة لدعواهم المردودة للمبالغة في الرد بافادة انتفاء الايمان عنهم في جميع الازمنة لا في الماضي فقط كما يفيده الفعلية ولا
تتوهمن ان الجملة الاسمية الايجابية تفيد دوام الثبوت فعند دخول النفي عليها تعين الدلالة على نفي الدوام فانها بمعونة المقام تدل
على دوام النفي قطعا كما ان المضارع الخالي عن حرف الامتناع يدل على استمرار الوجود وعند دخول حرف الامتناع عليه يدل على استمرار
الامتناع لا على امتناع الاستمرار كما في قوله عز وجل ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فان عدم قضاء الاجل
لاستمرار عدم التعجيل واطلاق الايمان عما قيدوه به للايذان بانهم ليسوا من جنس الايمان شيئا اصلا فضلا عن الايمان بما ذكروا
وقد جوزوا ان يكون المراد ذلك ويكون الاطلاق للظهور ومدلول الآية الكريمة ان من اظهر الايمان وهو على اعتقاده بخلافه لا
يكون مؤمنا ولا حجة فيها على الكرامية القائلين ان من تفوه بكلمتي الشهادة فارغ القلب عما يوافقه وينافيه مؤمن والله اعلم
يخادعون الله والذين آمنوا بيان ليقول وتوضيح لما هو غرضهم مما يقولون فهو استيناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه
الذهن كانه قيل ما بالهم يقولون ذلك وهم غير مؤمنين فقيل يخادعون الى آخره اي يخدعون وقد قرئ كذلك وايثار صيغة المفاعلة
لافادة المبالغة في الكيفية فان الفعل متى غولب فيه بولغ فيه قطعا او في الكمية كما في الممارسة والمزاولة فانهم كانوا مداومين
على الخدع والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد من المكروه ليوقعه فيه من حيث لا يحتسب او يوهمه المساعدة على ما يريد به ليغتر
بذلك فينجو منه بسهولة من قولهم ضب خادع وخدع وهو الذي اذا امر الحارش يده على باب جحره يوهمه الاقبال عليه فيخرج من بابه
الآخر وكلا المعنيين مناسب للمقام فانهم كانوا يريدون بما صنعوا ان يطلعوا على اسرار المؤمنين فيذيعوها الى المنابذين وان
يدفعوا عن انفسهم ما يصيب ساير الكفرة واياما كان فنسبته الى الله سبحانه اما على طريقة الاستعارة والتمثيل لافادة كمال
شناعة جنايتهم اي يعاملون معاملة المخادعين واما على طريقة المجاز العقلي بان ينسب اليه تعالى ما حقه ان ينسب الى الرسول
صلى الله عليه وسلم ابانة لمكانه عنده تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم وقوله تعالى من يطع
الرسول فقد اطاع الله مع افادة كمال الشناعة كما مر واما التجريد التوطئة والتمهيد لما بعده من نسبته الى الذين آمنوا
والايذان بقوة اختصاصهم به تعالى كما في قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله
معناها الحقيقي بناء على زعمهم الفاسد وترجمة عن اعتقادهم الباطل كانه قيل يزعمون انهم يخدعون الله والله يخدعهم
استعارة تبعية وتمثيلا لما ان صورة صنعهم مع الله والمؤمنين وصنعه معهم باجراء احكام الاسلام عليهم وهم عنده اخبث
الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول والمؤمنين بامر الله تعالى في ذلك مجاراة لهم بمثل صنيعهم صورة
صنيع المتخادعين كما قيل مما لا يرتضيه الذوق السليم اما الاول فلان المنافقين لو اعتقدوا ان الله تعالى يخدعهم بمقابلة
خدعهم لما تصور منهم التصور للخدع واما الثاني فلان مقتضى المقام ايراد حالهم خاصة وتصويرها بما يليق بها من الصورة المستهجنة

وبيان ان غائلتهم آيلة اليهم من حيث لا يحتسبون كما ينبئ عنه قوله عز وجل **وما يخدعون الا انفسهم** فالتعرض لحال الجانب الآخر مما يخل
بتوفية المقام حقه وهو حال من ضمير يخادعون اي يفعلون ما يفعلون والحال انهم ما يضرون بذلك الا انفسهم فان دائرة فعلهم
مقصورة عليهم او ما يخدعون حقيقة الا انفسهم حيث يغرونها بالاكاذيب فيلقونها في مهاوي التردي وقرئ وما يخادعون
والمعنى هو المعنى ومن حافظ على الصيغة فيما قبل قال اي وما يعاملون الا تلك المعاملة الشبيهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها
لا يحيق الا بهم او ما يخادعون حقيقة الا انفسهم حيث يمنونها الاباطيل وهي ايضاً تغرهم وتمنيهم الاماني الفارغة وقرئ وما
يخدعون من التخديع وما يخدعون اي يخدعون ويخدعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته
وقد يقال للروح لان نفس الحي به وللقلب ايضاً لانه محل الروح او متعلقه وللدم ايضاً لان قوامها به وللماء ايضاً لشدة حاجتها
اليه والمراد ههنا هو المعنى الاول لان المقصود بيان ان ضرر مخادعتهم راجع اليهم لا يتخطاهم الى غيرهم وقوله تعالى **وما يشعرون**
حال من ضمير ما يخدعون اي يقتصرون على خدع انفسهم والحال انهم ما يشعرون اي ما يحسون بذلك لتمادي غفلتهم في الغواية وحذف المفعول
اما للظهور او لعمومه اي ما يشعرون بشيء اصلاً جعل لحوق وبال ما صنعوا بهم في الظهور بمنزلة الامر المحسوس الذي لا يخفى الا على مؤف
الحواس مختل المشاعر **في قلوبهم مرض** المرض عبارة عما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال اللائق به ويوجب الخلل في افاعيله
ويؤدي الى الموت استعير ههنا لما في قلوبهم من الجهل وسوء العقيدة وعداوة النبي عليه السلام وغير ذلك من فنون الكفر المؤدي الى
الهلاك الروحاني والتنكير للدلالة على كونه نوعاً مبهماً غير ما يتعارفه الناس من الامراض والجملة مقررة لما يفيده قوله تعالى وما هم
بمؤمنين من استمرار عدم ايمانهم او تعليل له كانه قيل ما لهم لا يؤمنون فقيل في قلوبهم مرض يمنعه **فزادهم الله مرضا** بان طبع على قلوبهم
لعلمه تعالى بانه لا يؤثر فيها التذكير والانذار والجملة معطوفة على ما قبلها والفاء للدلالة على ترتيب مضمونها عليه وبه اتضح كونهم
من الكفرة المختوم على قلوبهم مع زيادة بيان السبب وقيل زادهم كفراً بزيادة التكاليف الشرعية لانهم كانوا كلما ازدادوا
التكاليف بنزول الوحي يزدادون كفراً ويجوز ان يكون المرض مستعاراً لما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور عند مشاهدتهم
لعزة المسلمين فزيادته تعالى اياهم مرضاً ما فعل بهم من القاء الروع وقذف الرعب في قلوبهم عند اعزاز الدين بامداد النبي عليه السلام
بانزال الملائكة وتأييده بفنون النصر والتمكين قوله تعالى في قلوبهم مرض الى آخره استئناف تعليلي لقوله تعالى يخادعون الله
كانه قيل ما لهم يخادعون ويداهنون ولم لا يجاهرون بما في قلوبهم من الكفر فقيل في قلوبهم ضعف مضاعف بهذه حالهم في
الدنيا **ولهم عذاب اليم** في الآخرة اي مؤلم يقال الم وهو اليم كوجع وهو وجيع على طريقة جد جده فان الالم والوجع حقيقة
للمؤلم والمضروب كما ان الجد للجاد وقيل هو بمعنى المؤلم كالسميع بمعنى المسمع وليس ذلك بثبت كما يجيء في قوله تعالى بديع السموات
والارض **بما كانوا يكذبون** الباء للسببية او للمقابلة وما مصدرية داخلة في الحقيقة على يكذبون وكلمة كانوا مقحمة لافادة
دوام كذبهم او بمقابلة كذبهم المتجدد المستمر الذي هو قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وهم غير مؤمنين فانه اخبار باحداثهم
الايمان فيما مضى لا انشاء الايمان ولو سلم فهو متضمن للاخبار بصدوره عنهم وليس كذلك لعدم التصديق القلبي بمعنى الاذعان
والقبول قطعاً ويجوز ان تجعل موصولة على الظاهر بناء على رأي من يجوز ان يكون لكان الناقصة مصدر كما صرح به في قول
الشاعر ببذل وحلم ساد في قومه الفتى وكونك اياه عليك يسير اي لهم عذاب اليم بسبب كونهم يكذبون على الاستمرار وترتيب العذاب
عليهم من سائر موجباته القوية اما لان المراد بيان العذاب الخاص بالمنافقين بناء على ظهور شركهم للمجاهرين فيما ذكر من العذاب
العظيم حسب اشتراكهم فيما يوجبه من الاصرار على الكفر فيما نعي عنه قوله تعالى ومن الناس الى آخره واما للايذان بان لهم في مقابلة سائر
جناياتهم العظيمة من العذاب ما لا يوصف واما للرمز على كمال سماجة الكذب نظراً الى ظاهر العبارة المخيلة لانفراده بالسببية مع
احاطة علم السامع بان لحوق العذاب بهم من جهات شتى وان الاقتصار عليه للاشعار بنهاية قبحه والتنفير عنه عن الصديق ويروى

ويروى مرفوعاً ايضاً الى النبي صلى الله عليه وسلم واياكم والكذب فانه مجانب للايمان وما روي ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلث كذبات
فالمراد به التعريض وانما سمي به لشبهه به صورة وقيل ما موصولة والعائد محذوف وهو اما النبي عليه السلام او القرآن وما مصدرية
اي بسبب تكذيبهم اياه او القرآن او موصولة اي بالذين يكذبونه وقرئ يكذبون ويجوز ان يكون صيغة التفعيل للمبالغة كما في
بين في بان وقلص في قلص او للتكثير كما في موتت البهائم وبركت الابل وان يكون من قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطاً ثم
وقف لينظر ما وراءه فان المنافق متوقف في امره متردد في رايه ولذلك قيل له مذبذب **واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض**
شروع في تعديد بعض من قبائحهم المتفرعة على ما حكي عنهم من الكفر والنفاق واذا ظرف زمن مستقبل ويلزمها معنى
الشرط غالباً ولا تدخل الا في الامر المحقق او المرجح وقوعه واللام متعلقة بقيل ومعناها الانهاء والتبليغ والقائم مقام فاعله
جملة لا تفسدوا على ان المراد بها اللفظ وقيل هو مضمر يفسره المذكور والفساد خروج الشيء عن الحالة اللائقة به والصلاح مقابله
والفساد في الارض هيج الحروب والفتن المستتبعة لزوال الاستقامة عن احوال العباد واختلال امر المعاش والمراد بما نهوا عنه ما
يؤدي الى ذلك من افشاء اسرار المؤمنين الى الكفار واغرائهم عليهم وغير ذلك من فنون الشرور كما يقال للرجل لا تقتل نفسك
بيدك ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم على ما تلك عاقبته وهو اما معطوف على يقول فان جعلت كلمة من موصولة فلا محل له من
الاعراب ولا باس بتخلل البيان او الاستيناف وما يتعلق بهما بين اجزاء الصلة فان ذلك ليس توسيطاً بالاجنبي وان جعلت
موصوفة فمحله الرفع والمعنى ومن الناس من اذا نهوا من جهة المؤمنين عما هم عليه من الافساد في الارض **قالوا** ارادة للبيان
ان ذلك غير صادر عنهم مع ان مقصودهم الاصلي انكار كون ذلك افساداً وادعاء كونه اصلاحاً محضاً كما سيأتي توضيحه **انما نحن
مصلحون** اي مقصورون على الاصلاح المحض بحيث لا يتعلق به شائبة الافساد والفساد مشيرين بكلمة انما الى ان ذلك من
الوضوح بحيث لا ينبغي ان يرتاب فيه واما كلام مستانف سيق لتعريف شنايعهم واما عطف على يكذبون بمعنى ولهم عذاب
اليم بكذبهم وبقولهم حين نهوا عن الافساد انما نحن مصلحون كما قيل فيأباه ان هذا النحو من التعليل حقه ان يكون باوصاف
ظاهرة العلية مسلمة الثبوت للموصوف غنية عن البيان لشهرة الاتصاف بها عند السامع او لسبق ذكره صريحاً كما في قوله تعالى
بما كانوا يكذبون فان مضمونه عبارة عما حكي عنه من قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر بما نسوا يوم الحساب فان ما ذكر من الضلال
عن سبيل الله تعالى مما يوجب حتماً نسيان جانب الآخرة التي من جملتها يوم الحساب وما لم يكن كذلك فحقه ان يخبر بعليته قصداً كما
في قوله تعالى وقالوا لن تمسنا النار الا اياماً معدودة وقوله تعالى ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق الآية الى غير ذلك ولا ريب
ان هذه الشرطية وما بعدها من الشرطيتين المعطوفتين عليها ليس مضمون شيء منها معلوم الانتساب اليهم عند السامعين
بوجه من الوجوه المذكورة حتى تستحق الانتظام في سلك التعليل المذكور فاذن حقها ان تكون مسوقة على سنن تعديد قبائحهم على
احد الوجهين مفيدة لاتصافهم بكل واحدة من تلك الاوصاف قصداً واستقلالاً كيف لا وقوله عز وجل **الا انهم هم المفسدون**
ينادي بذلك نداء جلياً فانه رد من جهته تعالى لدعواهم المحكية ابلغ رد وادله على سخط عظيم حيث سلك فيه مسلك الاستيناف
المؤدي الى زيادة تمكن الحكم في ذهن السامع وصدرت الجملة بحرفي التاكيد الا المنبهة على تحقق ما بعدها فان الهمزة الانكارية
الداخلة على النفي تفيد تحقيق الاثبات قطعاً كما في قوله تعالى اليس الله بكاف عبده ولذلك لا يكاد يقع ما بعدها من الجملة الا مصدرة بما يتلقى به
القسم واختها التي هي اما من طلائع القسم وقيل هما حرفا استفتاح موضوعان للتنبيه والاستفتاح وان المفيدة للتقرير وتعريف
الخبر وتوسيط ضمير الفصل لرد ما في قصر انفسهم على الاصلاح من التعريض بالمؤمنين ثم استدرك بقوله تعالى **ولكن لا يشعرون**
للايذان بان كونهم مفسدين من الامور المحسوسة لكن لا حس لهم حتى يدركوه وهكذا الكلام في الشرطيتين الآتيتين وما بعدهما
من رد مضمونهما ولولا ان المراد تفصيل جناياتهم وتعديد خباثتهم وهناتهم ثم اظهار فسادها وابانة بطلانها لما فتح هذا الباب

والله اعلم بالصواب **واذا قيل لهم** من قبل المؤمنين بطريق الامر بالمعروف اثر نهيهم عن المنكر اتماما للنصح واكمالا للارشاد **آمنوا**
حذف المؤمن به لظهوره او اريد افعلوا الايمان **كما آمن الناس** الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر مؤكد محذوف اي آمنوا
ايمانا مماثلا لايمانهم فما مصدرية او كافة كما في ربما فانها تكف الحرف عن العمل وتصحح دخولها على الجملة وتكون للتشبيه بين
مضموني الجملتين اي حققوا ايمانكم كما تحقق ايمانهم واللام للجنس والمراد بالناس الكاملون في الانسانية العاملون بقضية
العقل فان اسم الجنس ولذلك يسلب عما ليس كذلك فيقال هو ليس بانسان وقد جمعهما من قال اذ الناس ناس والزمان زمان
او للعهد والمراد به الرسول ومن معه ومن آمن من اهل جلدتهم كابن سلام واضرابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا
عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم **قالوا** مقابلين للامر بالمعروف بالانكار المنكر واصفين للمراجيح الرزان بضد اوصافهم
الحسان **انؤمن كما آمن السفهاء** مشيرين باللام الى من اشير اليهم في الناس من الكاملين او المعهودين او الجنس باسره وهم
مندرجون فيه على زعمهم الفاسد والسفه خفة وسخافة رأي يورثهما قصور العقل ويقابله الحلم والاناة وانما نسبوهم اليه مع
انهم في الغاية القاصية من الرشد والرزانة والوقار لكمال انهماكهم في السفاهة وتماديهم في الغواية وكونهم ممن زين له
سوء عمله فرآه حسنا فمن حسب الضلال هدى تسمى الهدى لا محالة ضلالا او لتحقير شأنهم فان كثيرا من المؤمنين كانوا فقراء
ومنهم موال كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم على تقدير كون المراد بالناس عبد الله بن سلام وامثاله واياما
ما كان فالذي تقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شأنه الجليل ان يكون صدور هذا القول عنهم بمحضر من المؤمنين الناصحين
لهم جوابا عن نصيحتهم وحيث كان فحواه تسفيه اولئك المشاهير الاعلام والقدح في ايمانهم لزم كونهم مجاهرين لا منافقين
وذلك مما لا يكاد يساعده السياق والسباق وعن هذا قالوا ينبغي ان يكون ذلك فيما بينهم لا على وجه المؤمنين قال الامام
الواحدي انهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فاخبر الله تعالى نبيه عليه السلام والمؤمنين بذلك عنهم
وانت خبير بان ابراز ما صدر عن احد المتحاورين في الخلاء في معرض ما جرى بينهما في مقام المحاورة مما لا عهد به في الكلام فضلا
عما هو في منصب الاعجاز فالحق الذي لا محيد عنه ان قولهم هذا وان صدر عنهم بمحضر من الناصحين لا يقتضي كونهم مجاهرين فانه
ضرب من الكفر انيق وفن في النفاق عريق مصنوع على شاكلة قولهم واسمع غير مسمع فكما انه كلام ذو وجهين مثلهم محتمل للشر
بان يحمل على معنى اسمع منا غير مسمع كلاما ترضاه ونحوه وللخير بان يحمل على معنى اسمع غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به رسول
الله صلى الله عليه وسلم استهزاء به مظهرين ارادة المعنى الاخير وهم مضمرون في انفسهم المعنى الاول مطمئنون به ولذلك نهوا عنه
كذلك هذا الكلام محتمل للشر كما ذكر في تفسيره وللخير بان يحمل على ادعاء الايمان كايمان الناس وانكار ما اتهموا به من النفاق
على معنى انؤمن كما آمن السفهاء والمجانين الذين لا اعتداد بايمانهم لو آمنوا ولا نؤمن كايمان الناس حتى تأمرونا بذلك
قد خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم مرائين لارادة المعنى الاخير وهم معولون على الاول فرد عليهم ذلك بقوله عز قائلا
الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ابلغ رد وجهلوا اشنع تجهيل حيث صدرت الجملة بحرفي التأكيد حسبما اشير اليه فيما سلف
وجعلت السفاهة مقصورة عليهم وبالغت لا يدرون انهم سفهاء وعن هذا اتضح لك سر ما مر في تفسير قوله تعالى انما نحن مصلحون
فان حمله على المعنى الاخير كما هو رأي الجمهور مناف لحالهم ضرورة ان مشافهتهم للناصحين بادعاء كون ما نهوا عنه من الافساد
اصلاحا كما مر اظهار منهم للشقاق وبروز باشخاصهم من نفق النفاق والاعتذار ارباب المراد بما هو غير ارائتهم للمشركين كما ذكر
في بعض التفاسير وبالاصلاح الذي يدعونه اصلاح ما بينهم وبين المؤمنين وان معنى قوله تعالى الا انهم هم المفسدون انهم
بتلك المعاملة مفسدون لمصالح المؤمنين لاشعارها باعطاء الدنية وانبائها عن ضعفهم الملجئ الى توسيط من يتصدى للاصلاح ذات
البين فضلا عن كونهم مصلحين مما لا سبيل اليه قطعا فان قوله تعالى ولكن لا يشعرون ناطق بفساده كيف لا وانه يقتضي ان يكون المنافقون

المنافقون في تلك الدعوة صادقين قاصدين للاصلاح ويأتيهم الافساد من حيث لا يشعرون ولا ريب في انهم فيها كاذبون لا يعاشرونهم
الا مضارة للدين وخيانة للمؤمنين فان طريق حل الاشكال ليس الا ما اشير اليه فان قولهم انما نحن مصلحون محتمل على الكذب وانكار
صدور الافساد المنسوب اليهم عنهم على معنى انما نحن مصلحون لا يصدر عنا ما تنهوننا عنه من الافساد وقد خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم
وارائة لارادة هذا المعنى وهم معرجون على المعنى الاول فرد عليهم بقوله تعالى الا انهم هم المفسدون الآية والله سبحانه اعلم بما اودعه في
تضاعيف كتابه المكنون من السر المخزون نسأله العصمة والتوفيق والهداية الى سواء الطريق وتفصيل هذه الآية الكريمة بلا يعلمون لانه
اكثر طباقا لذكر السفه الذي هو فن من فنون الجهل ولان الوقوف على ان المؤمنين ثابتون على الحق وهم على الباطل منوط بالتمييز
بين الحق والباطل وذلك مما لا يتسنى الا بالنظر والاستدلال واما النفاق وما فيه من الفتنة والفساد وما يترتب عليه من كون
من يتصف به مفسدا فامر بديهي يقف عليه من له شعور ولذلك فصلت الآية الكريمة السابقة بلا يشعرون **واذا لقوا الذين آمنوا**
قالوا آمنا بيان لتباين احوالهم وتناقض اقوالهم في اثناء المعاملة والمخاطبة حسب تباين المخاطبين وسياق ما صدرت به
قصتهم لتحرير مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وكذلك لم يتعرض ههنا لمتعلق الايمان فليس فيه شائبة التكرار روي ان عبد الله بن
ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة فقال ابن ابي انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فلما دنوا منهم اخذ
بيد ابي بكر الصديق فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه
وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي كرم الله وجهه فقال مرحبا يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وسيد بني هاشم
ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل قال له علي رضي الله عنه يا عبد الله اتق الله ولا تنافق فان المنافقين شر خلق الله
تعالى فقال له مهلا يا ابا الحسن انى تقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال ابن ابي لاصحابه
كيف رأيتموني فعلت فاذا رأيتموهم فافعلوا مثل ما فعلت فاثنوا عليه خيرا وقالوا ما نزال بخير ما عشت فينا فرجع المسلمون الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبروه بذلك فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اي صادفته واستقبلته وقرئ
اذا لاقوا **واذا خلوا** من خلوت الى فلان اي انفردت معه وقد يستعمل بالباء او من خلا بمعنى مضى ومنه القرون الخالية وقولهم
خلاك ذم اي جاوزك ومضى عنك وقد جوز كونه من خلوت به اذا سخرت منه على ان تعديته بالى في قوله تعالى **الى شياطينهم** لتضمنه
معنى الانهاء اي واذا انهوا اليهم السخرية الى آخره وانت خبير بان تقييد قولهم المحكي بذلك الانهاء مما لا وجه له والمراد بشياطينهم
المماثلون منهم للشيطان في التمرد والعناد المظهرون لكفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون
صغارهم وجعل سيبويه نون الشيطان تارة اصلية فوزنه فيعال على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد من الخير والرحمة ويشهد له
قولهم تشيطن واخرى زائدة فوزنه فعلان على انه من شاط اي هلك او بطل ومن اسمائه الباطل وقيل معناه نفاخ واحترق
قالوا انا معكم اي في الدين والاعتقاد لا نفارقكم في حال من الاحوال وانما خاطبوهم بالجملة الاسمية المؤكدة لان ينافي عن صدق
رغبتهم ووفور نشاطهم لا لانكار الشياطين بخلاف معاملتهم مع المؤمنين فانهم يدعون عندهم احداث الايمان منهم لعدم رواج
ادعاء الكمال فيه والثبات عليه **انما نحن مستهزؤن** بهم من غير ان يخطر ببالنا الايمان حقيقة وهو استئناف
مبني على سؤال ناشئ من ادعاء المعية كانه قيل لهم عند قولهم انا معكم فما بالكم توافقون المؤمنين في الاتيان بكلمة الايمان
فقالوا انما نحن مستهزؤن بهم فلا يقدح ذلك في كوننا معكم بل يؤكده وقد ضمنوا جوابهم انهم يهينون المؤمنين ويعدون
ذلك نصرة لدينهم او تأكيد لما قبله فان المستهزئ بالشيء مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر
والاستهزاء بالشيء السخرية منه يقال هزئت واستهزأت بمعنى واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على مكانه

وتهزأ به ناقة اي تشرع به وتخف **الله يستهزئ بهم** اي يجازيهم على استهزائهم سمي جزاؤه باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما للمشاكلة
في اللفظ او المقارنة في الوجود او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء
او يعاملهم معاملة المستهزئ بهم اما في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي
في الطغيان واما في الآخرة فيما روي انه يفتح لهم باب الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم
الذين آمنوا من الكفار يضحكون وانما استونف للايذان بانهم قد بلغوا في المبالغة في استهزاء المؤمنين الى غاية ظهرت شناعته عند السامعين
وتعاظم ذلك عليهم حتى اضطرهم الى ان يقولوا ما مصير امر هؤلاء وما عاقبة حالهم وفيه انه تعالى هو الذي يتولى امرهم ولا يحوجهم الى المعارضة
بالمثل ويستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاؤهم عنده من باب الاستهزاء وحيث ينزل بهم من النكال ويحل عليهم من الذل
والهوان ما لا يوصف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار كما يعرب عنه قوله عز قائلا اولا يرون انهم يفتنون في كل عام
مرة او مرتين وما كانوا خالين واكثر الاوقات من قرنيتك استار وتكشف اسرار ونزول في شانهم واستشعار حذر من ذلك كما انبأ
عنه قوله تعالى يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون **ويمدهم** اي يزيدهم
ويقويهم من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت الدواة والسراج اذا اصلحتهما بالحبر والزيت واسناده على تزييدهم المرموز اليه
ذلك منوط بسوء اختيارهم لما انه انما يتحقق عند الاستمداد وما يجري مجراه من الحاجة الداعية اليه كما في الامثلة المذكورة وقرئ يمدهم
من الامداد وهو صريح في ان القراءة المشهورة ليست من المد في العمر على انه يستعمل باللام كالاملاء قال الله تعالى ونمد له من العذاب مدا
وحذف الجار وايصال الفعل الى الضمير خلاف الاصل لا يصار اليه الا بدليل **في طغيانهم** متعلق بيمدهم والطغيان مجاوزة الحد في كل امر
والمراد افراطهم في العتو وغلوهم في الكفر وقرئ بكسر الطاء وهي لغة فيه كلقيان ولقيان وفي اضافته اليهم ايذان باختصاصه بهم وتأييد لما
اشير اليه من ترتب المد على سوء اختيارهم **يعمهون** حال من الضمير المنصوب او المجرور لكون المضاف مصدرا فهو مرفوع حكما
والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير والتردد بحيث لا يدري اين يتوجه واسناد هذا المد الى الله تعالى مع اسناده في قوله تعالى واخوانهم
يمدونهم في الغي محقق لقاعدة اهل الحق من ان جميع الاشياء مستندة من حيث الخلق اليه سبحانه وان كانت افعال العباد من حيث الكسب
مستندة اليهم والمعتزلة لما تعذر اليهم اجراء النظم الكريم على مسلكه نكبوا الى شعاب التأويل فاجابوا اولا بانهم لما اصروا على كفرهم
خذلهم الله تعالى ومنعهم الطافه فتزايد الرين في قلوبهم فسمي ذلك مددا في الطغيان فاسند ايلاؤه الى الله تعالى ففي المسند مجاز لغوي
وفي الاسناد عقلي لانه اسناد للفعل الى المسبب وفاعله الحقيقي هم الكفرة وثانيا بانه اريد بالمد في الطغيان ترك القسر والالجاء الى
الايمان كما في قوله تعالى ونذرهم في طغيانهم يعمهون فالمجاز في المسند فقط وثالثا بان المراد به معناه الحقيقي وهو فعل الشيطان
لكنه اسند اليه سبحانه مجازا لانه بتمكينه تعالى واقداره **اولئك** اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات
الشنيعة المميزة لهم عمن عداهم اكمل تمييز بحيث صاروا كانهم حضار مشاهدون على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم
في الشر وسوء الحال ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى **الذين اشتروا الضلالة بالهدى** والجملة مسوق لتقرير ما قبلها وبيان
لكمال جهالتهم فيما حكي عنهم من الاقوال والافعال باظهار غاية سماجتها وتصويرها بصورة ما لا يكاد يتعاطاه من له ادنى تمييز فضلا
عن العقلاء والضلالة الجور عن القصد والهدى التوجه اليه وقد استعير الاول للعدول عن الصواب في الدين والثاني للاستقامة عليه
والاشتراء استبدال السلعة بالثمن اي اخذها به لا بذله لتحصيلها كما قيل وان كان مستلزما له فان المعتبر في عقد الشراء ومفهومه
هو الجلب دون السلب المعتبر في عقد البيع ثم استعير لاخذ شيء باعطاء ما في يده عينا كان كل منهما او معنى للاعراض عما في يده
محصلا به غيره كما قيل وان استلزمه لما مر سره ومنه قوله اخذت بالجمة رأسا ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل
العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا فاشتروا الضلالة مستعار لاخذها بدلا منه آخذا منوطا بالرغبة فيها والاعراض عنه ولما

ولما اقتضى ذلك ان يكون ما يجري مجرى الثمن حاصلا للكفرة قبل العقد وما يجري مجرى المبيع غير حاصل لهم حينئذ حسبما هو في البيت ولا ريب في انهم
بمعزل من الهدى مستمرون على الضلالة استدعى الحال تحقيق ما جرى مجرى العوضين فنقول وبالله التوفيق ليس المراد بما تعلق به الاشتراء ههنا
جنس الضلالة الشاملة لجميع اصناف الكفر حتى تكون حاصلة لهم من قبل بل هو فردها الكامل الخاص بهؤلاء على ان اللام للعهد وهو
عمههم المقرون بالمد في الطغيان المترتب على ما حكي عنهم من القبائح وذلك انما يحصل لهم عند اليأس عن اهتدائهم والختم على قلوبهم وكذا
ليس المراد ما في حيز الثمن نفس الهدى بل التمكن التام منه بتعاضد الاسباب وتآخذ المقدمات المستتبعة بطريق الاستعارة كانه نفس الهدى
بجامع المشاركة في استتباع الجدوى ولا مرية في ان هذه المرتبة من التمكين كانت حاصلة لهم بما شاهدوه من الآيات الباهرة و
المعجزات القاهرة من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم وبما سمعوه من نصائح المؤمنين التي من جملتها ما حكي من النهي عن الافساد في الارض
والامر بالايمان الصحيح وقد نبذوها وراء ظهورهم واخذوا بدلها الضلالة الهائلة التي هي العمه في تيه الطغيان وحمل الهدى على
الفطرة الاصلية الحاصلة لكل احد يأباه ان اضاعتها غير مختصة بهؤلاء ولئن حملت على الاضاعة التامة الواصلة الى حد الختم
على القلوب المختصة بهم فليس في اضاعتها فقط من الشناعة ما في اضاعتها مع ما يؤيدها من المؤيدات العقلية والنقلية على ان
ذلك يفضي الى كون ذكر ما فصل من اول السورة الكريمة الى هنا ضايعا وابعد منه حمل اشتراء الضلالة بالهدى على مجرد اختيارها
عليه من غير اعتبار كونه في ايديهم بناء على انه يستعمل اتساعا في ايثار احد الشيئين الكائنين في شرف الوقوع على الآخر فانه مع
خلوه عن المزايا المذكورة بالمرة مخل برونق الترشيح الآتي هذا على هذا على تقدير حمل الاشتراء المذكور على عبارة عن
معاملتهم السابقة المحكية وهو الانسب بتجاوب اطراف النظم الكريم واما اذا جعل ترجمة عن جناية اخرى من جناياتهم فالمراد
بالهدى ما كانوا عليه من معرفة صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وحقيقة دينه بما كانوا يشاهدون من نعوته عليه السلام في
التوراة وقد كانوا على يقين منه حتى كانوا يستفتحون به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان
الذي نجد نعته في التوراة ويقولون لهم قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به كما سيأتي ولا مساغ لحمل الهدى على ما كانوا يظهرونه من لقاء المؤمنين فانها ضلالة متضاعفة **فما ربحت تجارتهم**
عطف على الصلة داخلة في حيزها والفاء للدلالة على ترتب مضمونه عليها والتجارة صناعة التجار وهو التصدي للبيع والشراء
لتحصيل الربح وهو الفضل على رأس المال يقال ربح فلان في تجارته اي استشف فيها واصاب الربح اسناد عدمه الذي هو عبارة عن
الخسران اليها وهو لاربابها بناء على التوسع المبني على ما بينهما من الملابسة وفائدته المبالغة في تخسيرهم لما فيه من الاشعار بكثرة
الخسارة وعمومه المستتبع لسرايته على ما يلابسهم وايرادهما اثر الاشتراء المستعار للاستبدال المذكور ترشيح للاستعارة
وتصوير لما فاتهم من فوائد الهدى بصورة خسار التجارة الذي يتحاشى عنه كل احد للاشباع في التخسير والتحسير ولا ينافي ذلك ان
التجارة في نفسها استعارة لانهماكهم فيما هم عليه من ايثار الضلالة على الهدى وتمرنهم عليه معربة عن كون ذلك صناعة
لهم راسخة اذ ليس من ضرورات الترشيح ان يكون باقيا على الحقيقة تابعا للاستعارة لا يقصد به الا تقويتها كما في قولك
رأيت اسدا في البراثن فانك لا تريد به الا زيادة تصوير للشجاع وانه اسد كامل من غير ان تريد بلفظ البراثن معنى آخر بل
قد يكون مستعارا من ملائم المستعار منه لملائم المستعار له ومع ذلك يكون ترشيحا لاصل الاستعارة كما في قوله فلما رأيت النسر
عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري فان لفظ الوكرين مع كونه مستعارا من معناه الحقيقي الذي هو موضع يتخذه
الطائر للتفريخ للرأس واللحية او للفودين اعني جانبي الرأس ترشيح باعتبار معناه الاصلي لاستعارة لفظ النسر للشيب ولفظ
ابن داية للشعر الاسود وكذا لفظ التعشيش مع كونه مستعارا للحلول والنزول المستمرين ترشيح لتينك الاستعارتين باعتبار
المذكور وقرئ تجاراتهم وتعددها لتعدد المضاف اليهم **وما كانوا مهتدين** اي الى طريق التجارة فان المقصود منها سلامة

راس المال مع حصول الربح ولئن فات الربح في صفقة فربما يتدارك المقصود منها اخرى لبقاء الاصل واما اتلاف المرة فليس من باب التجارة
قطعا فهولاء الذين كان راس مالهم الهدى قد استبدلوا بها الضلالة فاضاعوا كلتا الطلبتين فبقوا خائبين خاسرين نائين عن طريق
التجارة بالف منزل فالجملة راجعة الى الترشيح معطوفة على ما قبلها مشاركة له في الترتيب على الاشتراء المذكور والا لو عطفها على اشتروا
مثلهم زيادة كشف لحالهم وتصوير لها عقيب تصويرها بصورة ما يؤدي الى الخسار بحسب المآل بصورة ما يفضي الى الخسار من حيث النفس
تهويلا لها وابانة لفظاعتها فان التمثيل الطف ذريعة الى تسخير الوهم للعقل واستنزاله من مقام الاستعصاء عليه واقوى وسيلة الى تفهيم
الجاهل الغبي وقمع سورة الجامح الابي كيف لا وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية وابرازها في معرض المحسوسات الجلية وابداء
للمنكر في صورة المعروف واظهار للوحشي في هيئة المالوف والمثل في الاصل بمعنى المثل والنظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه
وشبيه ثم اطلق على القول السائر الذي يمثل مضربه بمورده وحيث لم يكن ذلك الا قولا بديعا فيه غرابة صيرته جديرا بالتسيير في البلاد
وخليقا بالقبول فيما بين كل حاضر وباد استعير لكل حال وصفة او قصة لها شان عجيب وخطر غريب من غير ان يلاحظ بينهما وبين
شيء آخر تشبيه ومنه قوله عز وجل ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له شان عظيم وخطر جليل وقوله تع مثل الجنة التي وعد المتقون اي
قصتها العجيبة الشان كمثل الذي اي الذين كما في قوله وخضتم كالذي خاضوا خلا انه وحد الضمير في قوله تع استوقد نارا
نظرا الى الصورة وانما جاز ذلك مع عدم جواز وضع القائم مقام القائمين لان المقصود بالوصف هي الجملة الواقعة صلة له دون
نفسه بل انما هو وصلة لوصف المعارف بها ولانه حقيق بالتخفيف لاستطالته ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام
في اسماء الفاعلين والمفعولين ولانه ليس باسم تام بل هو كجزئه فحقه ان لا يجمع ويستوي فيه الواحد والمتعدد كما هو شان اخواته وليس
الذين جمعه المصحح بل النون فيه مزيدة للدلالة على زيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة او قصد به جنس المستوقد
او الفوج او الفريق المستوقد والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا و
استيقادها طلب وقودها اي سطوعها وارتفاع لهيبها وتنكيرها للتفخيم فلما اضاءت ما حوله الاضاءة فرط الانارة كما يعرب عنه
قوله تع هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا ويجيء متعدية ولازمة والفاء للدلالة على ترتبها على الاستيقاد اي فلما اضاءت
النار ما حول المستوقد او فلما استضاءت نفسها فيما حوله والتانيث لكونه عبارة عن الاماكن والاشياء او اضاءت النار نفسها فيما
حوله على ان ذلك ظرف لاشراق النار المنزل منزلتها لا لنفسها او مزيدة وحوله ظرف وتاليف الحول للدوران وقيل للعام
لانه يدور ذهب الله بنورهم النور ضوء كل نير واشتقاقه من النار والضمير للذين والجمع باعتبار المعنى اي اطفاها الله نارهم
التي هي مدار نورهم وانما علق الاذهاب بالنور دون نفس النار لانه المقصود بالاستيقاد لا الاستدفاء ونحوه كما ينبئ عنه قوله تع
فلما اضاءت حيث لم يقل فلما شب ضرامها او نحو ذلك وهو جواب لما واستيناف اجيب به عن سؤال سائل يقول ما بالهم اشبهت
حالهم حال مستوقد انطفات ناره او بدل من جملة التمثيل على وجه البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله
تع فلما ذهبوا به للايجاز والامن من الالباس كانه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا في الظلمات خابطين متحيرين خائبين بعد
الكدح في احيائها واسناد الاذهاب الى الله تع اما لان الكل بخلقه تع واما لان الانطفاء حصل بسبب خفي او امر سماوي كمطر
وريح واما للمبالغة كما يؤذن به تعدية الفعل بالباء دون الهمزة لما فيه من معنى الاستصحاب والامساك يقال ذهب السلطان بماله
اذا اخذه وما اخذه الله عز وجل فامسكه فلا مرسل له من بعده ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى الظاهر الى النور لان ذهاب
الضوء قد يجامع بقاء النور في الجملة لعدم استلزام عدم القوي لعدم الضعيف والمراد ازالته بالكلية كما يفصح عنه قوله تع وتركهم
في ظلمات لا يبصرون فان الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالمرة لا سيما اذا كانت متضاعفة متراكمة متراكبا بعضها على
بعض كما يفيده الجمع والتنكير التفخيمي وما بعدها من قوله تع لا يبصرون لا يتحقق الا بعد ان لا يبقى من النور عين ولا اثر واما

واما لان المراد بالنور ما لا يرضى به الله من النار المجازية التي هي نار الفتنة والفساد كما في قوله تع كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله
ووصفها باضاءة ما حول المستوقد من باب الترشيح او النار الحقيقية التي يوقدها الغواة ليتوصلوا بها الى بعض المعاصي ويهتدوا بها
في طرق العبث والفساد فاطفاها الله تعالى وخيب اعمالهم وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى التصيير فجرى مجرى افعال
القلوب قال فتركته جزر السباع ينشنه يقضمن حسن بنانه والعصم والظلمة ماخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك
لانها تسد البصر وتمنعه من الرؤية وقرئ في ظلمات بسكون اللام وفي ظلمة بالتوحيد ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح كان
الفعل غير متعد والمعنى ان حالهم العجيبة التي هي اشتراؤهم الضلالة التي هي عبارة عن ظلمتي الكفر والنفاق المستتبعتين لظلمة
سخط الله وظلمة يوم القيمة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وظلمة العقاب السرمدي بالهدى
الذي هو النور الفطري المؤيد بما شاهدوا من دلائل الحق او بالهدى الذي كانوا حصلوه من النورية حسبما ذكر كحال من
استوقد نارا عظيمة حتى كاد ينتفع بها فاطفاها الله تعالى وتركه في ظلمات هائلة لا يتسنى فيها الابصار صم بكم عمي اخبار
لمبتدأ محذوف هو ضمير المنافقين وخبر واحد بالتاويل المشهور كما في قولهم هذا حلو حامض والصمم افة مانعة من السماع واصله
الصلابة واكتناز الاجزاء ومنه الحجر الاصم والقناة الصماء وصمام القارورة سدادها سمي به فقدان حاسة السمع لما ان سببه اكتناز
باطن الصماخ وانسداد منافذه بحيث لا يكاد يدخله هواء يحصل الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه
ان يبصر وصفوا بذلك مع سلامة مشاعرهم المعدودة لما انهم حيث سدوا مسامعهم عن الاصاخة لما يتلى عليهم من الآيات
والذكر الحكيم وابوا ان يتلقوها بالقبول وينطقوا بها السنتهم ولم يجتلوا ما شاهدوا من الآيات والمعجزات الظاهرة على يد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينظروا الى آيات التوحيد المنصوبة في الآفاق والانفس بعين التدبر واصروا على ذلك بحيث
لم يبق لهم احتمال الارعواء عنه صاروا كفاقدين تلك المشاعر بالكلية وهذا عند مفلقي سحرة البيان من باب التمثيل البليغ المؤسس
على تناسي التشبيه كما في قوله من قال ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء لما ان المقدر في النظم في حكم الملفوظ لا من
قبيل الاستعارة التي يطوى ذكر المستعار له بالكلية حتى لو لم يكن هناك قرينة لحمل على المعنى الحقيقي كما في قول زهير لدى اسد شاكي
السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم فهم لا يرجعون الفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها اي هم بسبب اتصافهم بالصفات
المذكورة لا يعودون الى الهدى الذي تركوه وضيعوه او عن الضلالة التي اخذوها والآية نتيجة للتمثيل مفيدة لزيادة تهويل
وتفظيع فان قصارى امر التمثيل بقاؤهم في ظلمات هائلة من غير تعرض لمشعري السمع والنطق والاختلال مشعر الابصار وقيل
الضمير المقدر وما بعده للموصول باعتبار المعنى كالضمائر المتقدمة فالآية الكريمة تتمة للتمثيل وتكميل له بان ما اصابهم ليس مجرد
انطفاء نارهم وبقاؤهم في ظلمات كثيفة هائلة مع بقاء حاسة البصر بحالها بل اختلت مشاعرهم جميعا واتصفوا بتلك
الصفات على طريقة التشبيه او الحقيقة فبقوا جامدين في مكانهم لا يرجعون ولا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون وكيف يرجعون
الى ما ابتدؤا منه والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة على استمرار تلك الحالة فيهم وقرئ صما بكما عميا اما على الذم كما في
قوله تع حمالة الحطب والمخصوص بالذم هم المنافقون والمستوقدون واما على الحالية من الضمير المنصوب في تركهم او المرفوع في لا
يبصرون واما على المفعولية لتركهم والضميران للمستوقدين او كصيب تمثيل لحالهم اثر تمثيل ليعم البيان منها كل دقيق وجليل
ويوفي حقها من التفظيع والتهويل فان تفننهم في فنون الكفر والضلال وتنقلهم فيها من حال الى حال حقيق بان يضرب في
شانه الامثال ويرخى في حلبته اعنة الرجال ويمد لشرحه اطناب الاطناب ويعقد لاجله فصول وابواب لما ان كل كلام له حظ من
البلاغة وقسط من الجزالة والبراعة لا بد ان يوفي فيه حق كل من مقامي الاطناب والايجاز فما ظنك بما في ذروة الاعجاز من التنزيل
الجليل ولقد نعي عليهم في هذا التمثيل تفاصيل جناياتهم وهو عطف على الاول على حذف المضاف لما يستدعيه من الضمائر المستدعية لذلك

ای کمثل ذوی صیب وکلمة او للایذان بتساوی القصتین فی الاستقلال بوجه الشبه وبصحة التمثیل بکل واحدة منهما وبهما معا والصیب فیعل
من الصوب وهو النزول الذی له وقع وتاثیر یطلق علی المطر وعلی السحاب قال الشماخ عفا آیة نسج الجنوب مع الصبا واسحم دان صادق
الوعد صیب ولعل المراد ههنا الاستلزام الثانی وتنکیره لما انه ارید به نوع منه شدید هایل کالنار فی التمثیل الاول وامدّ ما فیه
من المبالغات من جهة مادته الاولی التی هی الصاد المستقبلة والیاء المشددة والباء الشدید ومادته الثانیة اعنی الصوب المنبئ
عن شدة الانسکاب من جهة بنائه الدال علی الثبات وقری او کصایب **من السماء** متعلق بصیب او بمحذوف وقع صفة له والمراد
بالسماء هذه المظلة وهی فی الاصل کل ما علاک من سقف ونحوه وعن الحسن انها موج مکفوف ای ممنوع بقدرة الله عز وجل من السیلان
وتعریفها للایذان بان انبعاث الصیب لیس من افق واحد فان کل افق منها سماء علی حدة قال ومن بعد ارض بیننا وسماء کما ان
کل طبقة من طباقها سماء قال تعالی واوحی فی کل سماء امرها والمعنی انه صیب عام نازل من غمام مطبق آخذ بالآفاق وقیل المراد
بالسماء السحاب واللام لتعریف الماهیة **فیه ظلمات** ای انواع منها وهی ظلمة تکاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال ما
یلزم من الغمام الاسحم المطبق الآخذ بالآفاق مع ظلمة اللیل وجعلا محلا لها مع ان بعضها لغیره کظلمتی الغمام واللیل لما انهما جعلتا
من توابع ظلمته مبالغة فی شدته وتهویلا لامره وایذانا بانه من الشدة والهول بحیث تعم ظلمته ظلمات اللیل والغمام وهو السر فی
عدم جعل الظلمات هو الاصل المستتبع للبواقی مع ظهور ظرفیتها للکل اذ لو قیل او کظلمات فیها صیب الی آخره لما افاد ان الصیب
ظلمة خاصة فضلا عن کونها غالبة علی غیرها **ورعد** وهو صوت یسمع من السحاب المشهور انه یحدث من اصطکاک اجرام السحاب
بعضها عن بعض عند اضطرابها بسوق الریاح ایاه سوقا عنیفا **وبرق** وهو ما یلمع من السحاب من برق الشیء بریقا ای لمع
وکلاهما فی الاصل فی مصدر ولذلک لم یجمعا وکونهما فی الصیب باعتبار کونهما فی الظلمات الکائنة فیه والتنوین فی الکل للتفخیم
والتهویل کانه قیل فیه ظلمات شدیدة داجیة ورعد قاصف وبرق خاطف وارتفاع الجملة بالظرف علی الفاعلیة لتحقق شرط
العمل بالاتفاق وقیل بالابتداء والجملة اما صفة لصیب او حال منه لتخصصه بالصفة او بالعمل فیما بعده من الجار او من المستکن فی الظرف
الاول علی تقدیر کونه صفة لصیب والضمایر فی قوله عز وجل **یجعلون اصابعهم فی آذانهم** للمضاف الذی اقیم مقام المضاف الیه فان
معناه باق وان حذف لفظه تعویلا علی الدلیل کما فی قوله عز وعلا وکم من قریة اهلکناها فجاءها بأسنا بیاتا او هم قائلون
فان الضمیر لاهل المدلول علیه بما قام مقامه من القریة قال حسان رضی الله عنه یسقون من ورد البریص علیهم بردی یصفق
بالرحیق السلسل فان تذکیر الضمیر المستکن فی یصفق لرجوعه الی الماء المضاف الی بردی والالتفات حتما وایثار الجعل المنبئ
عن دوام الملابسة واستمرار الاستقرار علی الادخال المفید لمجرد الانتقال من الخارج الی الداخل للمبالغة فی بیان سد المسامع باعتبار
الزمان کما ان ایراد الاصابع بدل الانامل للاشباع فی بیان سدها باعتبار الذات کانهم سدوا بجملتها لا بانا ملها فحسب کما هو
المعتاد ویجوز ان یکون هذا ایماء الی کمال حیرتهم وفرط دهشتهم وبلوغهم الی حیث لا یهتدون الی استعمال الجوارح علی الوجه المعهود
وکذا الحال فی عدم تعیین الاصبع المعتادة اعنی السبابة وقیل ذلک لرعایة الادب والجملة استیناف لا محل لها من الاعراب مبنی
عن سؤال نشاء من الکلام کانه قیل عند بیان احوالهم الهائلة فماذا یصنعون فی تضاعیف تلک الشدة فقیل یجعلون الخ
وقوله عز وعلا **من الصواعق** متعلق بیجعلون ای من اجل الصواعق المقارنة للرعد من قولهم سقاه من الغیمة والصاعقة قصفة
رعد هائل تنقض معها شقة نار لا تمر بشیء الا اتت علیه من الصعق وهو شدة الصوت وبناؤها اما ان یکون صفة لقصفة
الرعد او للرعد والتاء للمبالغة کما فی الروایة او مصدر کالعافیة وقد تطلق علی کل هائل مسموع او مشاهد یقال صعقته الصاعقة
اذا اهلکته بالاحراق او بشدة الصوت وسد الآذان انما یفید علی التقدیر الثانی دون الاول وقری من الصواقع ولیس بقلب من
الصواعق لاستواء کلا البنائین فی التصرف یقال صقع الدیک وخطیب مصقع ای مجهر بخطبته **حذر الموت** منصوب بیجعلون علی

العلة وان کان معرفة بالاضافة کقوله واغفر عوراء الکریم ادخاره واصفح عن شتم اللئیم تکرما ولا ضیر فی تعدد المفعول له فان الفعل
یعلل بعلل شتی وقیل هو نصب علی المصدریة ای یحذرون حذرا مثل حذر الموت والحذر والحذار هو شدة الخوف وقری حذار الموت والموت زوال
الحیوة وقیل عرض یضادها لقوله تع خلق الموت والحیوة ورد بان الخلق بمعنی التقدیر والاعدام مقدرة **والله محیط بالکافرین**
ای لا یفوتونه کما لا یفوت المحاط به المحیط شبه شمول قدرته تع لهم وانطواء ملکوته علیهم باحاطة المحیط بما احاط به فی استحالة
الفوت او شبه الهیئة المنتزعة من احوال المحیط مع المحاط فالاستعارة المبنیة علی التشبیه الاول استعارة تبعیة فی الصفة
متفرعة عما فی مصدرها من الاستعارة والمبنیة علی الثانی تمثیلیة قد اقتصر من طرف المشبه به علی ما هو العمدة فی انتزاع الهیئة المشبه بها
اعنی الاحاطة والباقی منوی بالفاظ متخیلة بها یحصل الترکیب المعتبر فی التمثیل کما مر فی تحریره فی قوله عز وجل ختم الله علی قلوبهم
والجملة اعتراضیة منبهة علی ان ما صنعوا من سد الآذان بالاصابع لا یغنی عنهم شیئا فان القدر لا یدافعه الحذر والحیل لا ترد بأس
الله عز وجل وفائدة وضع الکافرین موضع الضمیر الراجع الی اصحاب الصیب للایذان بان ما دهمهم من الامور الهائلة المحکیة
بسبب کفرهم علی منهاج قوله تع کمثل ریح فیها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلکته فان الهلاک الناشی من السخط اللازم
اشد وقیل هذا الاعتراض من جملة احوال المشبه علی ان المراد بالکافرین المنافقون قد دل به علی انه لا مدفع لهم من عذاب الله تع
فی الدنیا والآخرة وانما وسط بین احوال المشبه به مع ان القیاس تقدیمه او تاخیره ولاظهار کمال العنایة وفرط الاهتمام
بشان المشبه **یکاد البرق** استیناف آخر وقع جوابا عن سؤال مقدر کانه قیل فکیف حالهم مع ذلک البرق فقیل یکاد ذلک
یخطف ابصارهم ای یختلسها ویسلبها بسرعة وکاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لتآخذ اسبابه وتعاضد
مبادیه لکنه لم یوجد بعد لفقد شرط او لعروض مانع ولا یکون خبرها الا مضارعا عاریا عن کلمة ان وشذ مجیئه اسما کما فی قوله
عز وجل فابیت الی فهم وما کدت آیبا وکذا مجیئه مع ان حملا له علی عسی کما فی مثل قول رؤبة قد کاد من طول البلی ان یمصحا کما
تحمل هی علیها بالحذف لما بینهما من المقارنة ولیس فیها شائبة الانشائیة کما فی عسی وقری یخطف بکسر الطاء ویخطف ویخطف
بکسرهما علی اتباع الیاء الخاء ویخطف من صیغة التفعیل ویتخطف بفتح الیاء والخاء بنقل فتحة التاء الی الخاء ویخطف من صیغة التفعیل
ویتخطف من قوله تع ویتخطف الناس من حولهم **کلما اضاء لهم** کلما ظرف وما مصدریة والزمان محذوف ای کل زمان اضاءة
وقیل ما نکرة موصوفة معناها الوقت والعاید محذوف ای کل وقت اضاء لهم والعامل فی کلما جوابها وهو استیناف ثالث
کانه قیل ما یفعلون فی اثناء ذلک الهول ایفعلون بابصارهم ما فعلوا باذانهم ام لا فقیل کلما نور البرق لهم ممشی ومسلکا علی
ان اضاء متعد والمفعول محذوف او کلما لمع لهم علی انه لازم ویؤیده قراءة کلما ضاء **مشوا فیه** ای فی ذلک المسلک او فی
مطرح نوره خطوات یسیرة مع خوف ان یخطف ابصارهم وایثار المشی علی ما فوقه من السعی والعدو للاشعار بعدم استطاعتهم
لهما **واذا اظلم علیهم** ای خفی البرق واستتر والمظلم وان کان غیره لکن لما کان الاظلام دائرا علیه استند الیه مجازا
تحقیقا لما ارید من المبالغة فی موجبات تخبطهم وقد جوز ان یکون متعدیا منقولا من ظلم اللیل ومنه ما جاء فی قول ابی تمام
هما اظلما حالی ثمت اجلیا ظلامیهما عن وجه امرد اشیب ویعضده قراءة اظلم علی البناء للمفعول **قاموا** ای وقفوا فی اماکنهم
علی ما کانوا علیه من الهیئة متحیرین مترصدین لخفقة اخری عسی تتسنی لهم الوصول الی المقصد والالتجاء الی ملجأ یعصمهم وایراد
کلما مع الاضاءة واذا مع الاظلام للایذان بانهم حراص علی المشی مترقبون لما یصحح فکلما وجدوا فرصة انتهزوها ولا کذلک
الوقوف وفیه من الدلالة علی کمال التحیر ونظایر اللب ما لا یوصف **ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم** کلمة لو لتعلیق
حصول امر ماض وهو الجزاء بحصول امر مفروض فیه هو الشرط لما بینهما من الدوران حقیقة او ادعاء ومن قضیته مفروضیة الشرط دلالتها
علی انتفائه قطعا والمنازع فیه مکابر واما دلالتها علی انتفاء الجزاء فقد قیل وقیل والحق الذی لا محید عنه انه ان کان ما بینهما

من الدوران كليا او جزئيا قد بني الحكم على اعتباره بني دالة عليه بواسطة مدلولها الوضعي ضرورة استلزام انتفاء العلة لانتفاء المعلول اما
في مادة الدوران الكلي كما في قوله عز وجل ولو شاء لهداكم اجمعين وقولك لو جئتني لاكرمتك فظاهر لان وجود المشية علة لوجود الهداية
حقيقة ووجود المجيء علة لوجود الهداية حقيقة ووجود المجيء علة لوجود الاكرام ادعاء وقد انتفيا بحكم المفروضية وانتفى معلولاهما حتما
ثم انه قد يساق الكلام لتعليل انتفاء الجزاء بانتفاء الشرط كما في المثالين المذكورين هو الاستعمال الشايع لكلمة لو ولذلك قيل هي
لامتناع الثاني لامتناع الاول وقد يساق للاستدلال بانتفاء الثاني لكونه ظاهرا او مسلما على انتفاء الاول لكونه خفيا او متنازعا
كما في قوله سبحانه لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي قوله تع لو كان خيرا ما سبقونا اليه فان فسادهما لازم لتعدد الالهة حقيقة
وعدم سبقهم الى الايمان لازم لخيريته في زعم الكفرة ولا ريب في انتفاء اللازمين فيتعين انتفاء الملزومين حقيقة في الاول وادعاء
باطلاق الثاني ضرورة استلزام انتفاء اللازم لانتفاء الملزوم لكن لا بطريق السببية الخارجية كما في المثالين الاولين بل بطريق
الدلالة العقلية الراجعة الى سببية العلم بانتفاء الثاني للعلم بانتفاء الاول ومن لم يتنبه له زعم انها لانتفاء الاول لانتفاء الثاني واما
في مادة الدوران الجزئي كما في قولك لو طلعت الشمس لوجد الضوء فلان الجزاء المنوط بالشرط الذي هو طلوعها ليس وجود اي ضوء
كان كضوء القمر المجامع لعدم الطلوع مثلا بل انما هو وجود الضوء الخاص الناشي من الطلوع ولا ريب في انتفائه بانتفاء الطلوع هذا
اذا بني الحكم على اعتبار الدوران واما اذا بني على عدمه فاما ان يعتبر هناك تحقق مدار اخر له او لا فان اعتبر فالدلالة تابعة لحال ذلك
المدار فان كان بينه وبين انتفاء الاول منافاة تعين الدلالة كما اذا قلت لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء فان وجود الضوء وان علق
صورة بعدم الطلوع لكنه في الحقيقة معلق بسبب اخر له فكانه قيل لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء لسبب اخر كالقمر مثلا ولا شبهة في ان هذا
الجزاء منتف عند انتفاء الشرط لاستحالة وجود الضوء القمري عند طلوع الشمس وان لم يكن بينهما منافاة تعين عدم الدلالة كما في قوله
صلى الله عليه وسلم في بنت ابي سلمة لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي انها لابنة اخي من الرضاعة فان المدار المعتبر في ضمن الشرط اعني
كونها ابنة اخيه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة غير مناف لانتفائه الذي هو كونها ربيبته عليه السلام بل مجامع وضرورة مجامعة اثر
هناك
بهما اعني الحرمة الناشية من كونها ربيبته عليه السلام والحرمة الناشية من كونها ابنة اخيه من الرضاعة وان لم يعتبر
تحقق مدار اخر بل بني الحكم على اعتبار عدمه فلا دلالة على ذلك اصلا كيف لا ومساق الكلام لبيان ثبوت الجزاء على كل حال بتعليقه
بما ينافيه فيعلم ثبوته عند وقوع ما لا ينافيه بالطريق الاولى كما في قوله عز وجل قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم وقوله
عليه السلام لو كان الايمان في الثريا لناله رجال من فارس وقوله علي رض لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فان الاجزية المذكورة
قد نيطت بما ينافيها ويستدعي نقائضها ايذانا بانها في انفسها بحيث يجب ثبوتها مع فرض انتفاء اسبابها او تحقق اسباب انتفائها
فكيف اذا لم يكن كذلك على طريقة لو الوصلية في مثل قوله تع او لو كنا كارهين وقول عمر رض نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه
ان حمل على تعليق عدم العصيان في ضمن عدم الخوف كانه من قبيل حديث ابنة ابي سلمة وان حمل على بيان استحالة عصيانه مبالغة كان
من هذا القبيل والآية الكريمة واردة على الاستعمال الشايع مفيدة لكمال فظاعة حالهم وغاية هول ما دهمهم من المشاق وانها
قد بلغت من الشدة الى حيث لو تعلقت مشية الله تع بازالة مشاعرهم لزالت لتحقق ما يقتضيه اقتضاء تاما وقيل كلمة لو فيها لربط
جزائها بشرطها مجردة عن الدلالة على انتفاء احدهما لانتفاء الاخر بمنزلة كلمة ان ومفعول المشية محذوف جريا على القاعدة المستمرة
فانها اذا وقعت شرطا وكان مفعولها مضمون الجزاء فلا يكاد يذكر الا ان يكون شيئا مستغربا كما في قوله فلو شئت ان ابكي دما
لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر اوسع اي لو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لفعل ولكن لم يشأ لما يقتضيه من الحكم والمصالح وفي
لاذهبه باسماعهم على زيادة الباء كما في قوله تع ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة والافراد في المشهور لان السمع مصدر في
الاصل والجملة الشرطية معطوفة على ما قبلها من الجملة الاستينافية وقيل على كلما اضاء الى اخره وقوله عز وجل ان الله على كل شيء

قدير تعليل للشرطية وتقرير لمضمونها الناطق بقدرته تع على ازالة مشاعرهم بالطريق البرهاني والشيء بحسب مفهوم اللغوي يقع على كل ما يصح
ان يعلم ويخبر عنه كاينا ما كان على انه في الاصل مصدر شاء اطلق على المفعول واكتفي في ذلك باعتبار تعلق المشية به من حيث العلم والاخبار
عنه فقط وقد خص هنا بالممكن موجودا كان او معدوما بقضية اختصاص تعلق القدرة به لما انها عبارة عن التمكن من الايجاد والاعدام والقادر هو الذي
ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير هو الفعال لكل ما يشاء كما يشاء ولذلك لم يوصف به غير الباري جل جلاله ومعنى قدرته تع
على الممكن الموجود حال وجوده انه ان شاء القادر على الوجود ابقاه عليه فان علة الوجود علة البقاء وقد مر تحقيقه في قوله تع رب العالمين
وان شاء اعدامه اعدمه وقضى قدرته على المعدوم حال عدمه ان شاء الله ايجاده اوجده وان لم يشأ لم يوجده وقيل قدرة الانسان
هيئة بها يتمكن من الفعل والترك وقدرة الله تع عبارة عن نفي العجز واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل بقدر ما
يقتضيه ارادته او بقدر قوته وفيه دليل على ان مقدور العبد مقدور الله تع حقيقة لانه شيء وكل شيء مقدور له تع واعلم ان
كل واحد من التمثيلين المفرق كما في قوله تع كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي بان يشبه المنافقون
في التمثيل الاول بالمستوقدين واظهارهم الايمان الفطري وتاييده ايام بما يشاهدونه من الدلايل باستيقاد النار وما تمكنهم التام من الانتفاع به
باضاءتها ما حولهم وازالته باذهاب النور الناري واخذ الضلالة بمقابلته ملابستهم الظلمات الكثيفة وبقاؤهم فيها ويشبهوا
في التمثيل الثاني بالرسالة والقرآن وما فيه من العلوم والمعارف التي هي مدار الحيوة الابدية بالسبب الذي هو سبب الحيوة
الارضية وما عرض لهم بنزوله من الاحزان والانكساف البال بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وتصامهم
عما يقرع اسماعهم من الوعيد بحال من يهوله الرعد والبرق فيخاف صواعقه فيسد اذنه منها ولا خلاص لهم منها واهتزازهم لما يلمع
لهم من رشد يدركونه او رفد يحرزونه بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم في امرهم حين عن لهم مصيبة بوقوفهم اذا
اظلم عليهم لكن الحمل على التمثيل المركب الذي لا يعتبر فيه تشبيه كل واحد من المفردات الواقعة في احد الجانبين بواحد من المفردات
الواقعة في جانب الاخر على وجه التفصيل بل ينزع فيه من المفردات الواقعة في جانب المشبه هيئة فتشبه بهيئة اخرى منتزعة من المفردات
الواقعة في جانب المشبه به بان ينتزع من المنافقين واحوالهم المفصلة في كل واحد من التمثيل هيئة على حدة وينزع من كل واحد
المستوقدين وايذانه بان اجتماع تلك المفردات مستتبع لهيئة عجيبة حقيقة بان يكون مثلا في الغرابة يا ايها الناس اعبدوا ربكم
اثر ما ذكر الله تع علو طبقة كتابه الكريم وتحزب الناس في شانه الى فرق ثلث مؤمنة به محافظة على ما فيه من الشرايع والاحكام
وكافرة قد نبذته وراء ظهرها بالمجاهرة والشقاق واخرى مذبذبة بينهما بالمخادعة والنفاق ونعت كل فرقة منها بما لها
من النعوت والاحوال وبين ما لهم من المصير والمال اقبل عليهم بالخطاب على نهج الالتفات هزا لهم الى الاصغاء وتوجيها للقلوب نحو
التلقي وجبرا لما في العبادة من الكلفة بلذة الخطاب فامرهم كافة بعبادته ونهاهم عن الاشراك ويا حرف وضع لنداء البعيد
وقد ينادى القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما اجلالا كما في الداعي يا الله يا رب وهو اقرب اليه من حبل الوريد استقصارا لنفسه
واستبعادا لها من محافل الزلفى ومنازل المقربين واما تنبيها على غفلته وسوء فهمه وقد يقصد به التنبيه على ان ما يعقبه امر خطير
يعتنى بشانه واي اسم مبهم جعل وصلة الى نداء المعرف باللام على انه المنادى لصالته بل على انه صفة موضحة له مزيلة لابهامه
والتزم رفعه مع انتصاب موصوفه محلا اشعارا بانه المقصود بالنداء واقحمت بينهما كلمة التنبيه تاكيدا لمعنى النداء وتعويضا
عما يستحقه اي من المضاف اليه لما تراه من استقلال هذه الطريقة بضروب من اسباب المبالغة والتاكيد كثر سلوكها في التنزيل المجيد
كيف لا وكل ما ورد في تضاعيفه على العباد من الاحكام والشرايع وغير ذلك خطوب جليلة حقيقة بان تقشعر منها الجلود وتطمئن
بها القلوب الابية ويتلقوها باذان واعية واكثرهم عنها غافلون فاقتضى الحال المبالغة والتاكيد في الايقاظ والتنبيه والمراد
بالناس كافة المكلفين الموجودين في ذلك العصر لان المجموع واسماءها المحلاة باللام للعموم بدليل صحة الاستثناء منها والتاكيد

ما يفيد العموم كما في قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين بعمومها شايعا ذايعا واما من عداهم
من سيوجد منهم فغير داخلين في خطاب المشافهة وانما دخولهم تحت حكمه لما تواتر من دينه عليه السلام ضرورة ان مقتضى خطابه واحكامه
شامل للموجودين من المكلفين ولمن سيوجد منهم الى قيام الساعة ولا يقدح في العموم ما روي عن علقمة والحسن البصري من ان كل ما ترك
فيه يا ايها الناس فهو مكي اذ ليس من ضرورة نزوله بمكة شرفها الله تعالى اختصاص حكمه باهلها ولا من قضية اختصاصه بهم
اختصاصه بالكفار اذ لم يكن كل اهلها كفرة ولا ضير في تحقق العبادة في بعض المكلفين قبل ورود هذا الامر لان المامور به المقدر
المشترك الشامل لانشاء العبادة والثبات عليها والزيادة فيها مع انها متكررة حسبما تكرر اسبابها ولا في انتفاء شرطها في
الآخرين منهم اعني الايمان لان الامر بها منتظم للامر بما لا تتم الا به وقد علم من الدين ضرورة اشتراطها به فان الامر بالصلاة للمحدث
مستتبع للامر بالتوضي لا محالة وقد قيل المراد بالعبادة ما يعم افعال القلب ايضا لما انها عبارة عن غاية التذلل والخضوع وروي
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناها التوحيد وقيل معنى اعبدوا وحدوا واطيعوا ولا
في كون بعض من الفريقين الاخيرين ممن لا يجري فيهم الانذار بموجب النص القاطع لما ان الامر لقطع الاعذار وليس فيه تكليفهم
بما ليس في وسعهم من الايمان بعدم ايمانهم اصلا اذ لا احد منهم بدخوله في حكم النص قطعا وورود النص بذلك لكونهم في انفسهم
بسوء اختيارهم كذلك لان كونهم كذلك لورود النص بذلك فلا جبر اصلا نعم لتخصيص الخطاب بالمشركين وجه لطيف ستقف
عليه عند قوله تعالى وانتم تعلمون وايراده تعالى بعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتأكيد موجب الامر بالاشعار
بعليتها للعبادة **الذي خلقكم** صفة اجريت عليه سبحانه للتبجيل والتعليل اثر التعليل وقد جوز كونها للتقييد والتوضيح
بناء على تخصيص الخطاب بالمشركين وحمل الرب على ما هو اعم من الرب الحقيقي والآلهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء
على تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اي قدرها وسواها بالقياس وقرئ خلقكم بادغام القاف في الكاف
والذين من قبلكم عطف على الضمير المنصوب وتتميم لما قصد من التعظيم والتعليل فان خلق اصولهم من موجبات العبادة
كخلق انفسهم ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف اي كانوا من زمان قبل زمانكم وقيل خلقهم من قبل خلقكم فحذف الخلق واقيم
الضمير مقامه والمراد بهم من تقدمهم من الامم السالفة كافة ومن ضرورة عموم الخطاب بيان شمول خلقه تعالى للكل
وتخصيصه بالمشركين يؤدي الى عدم التعرض لخلق من عداهم من معاصريهم واخراج الجملة مخرج الصلة التي حقها ان تكون
معلومة الانتساب الى الموصول عندهم ايضا مع انهم غير معترفين بغاية الخلق وان اعترفوا بنفسه لما ينطق به قوله
تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله للايذان بان خلقهم للتقوى من الظهور بحيث لا يتأتى لاحد انكاره وقرئ
وخلق من قبلكم وقرئ والذين من قبلكم باقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته تأكيدا كاقحام اللام بين المضافين
في لا ابا لك وبجعله موصوفا بالظرف خبرا لمبتدأ محذوف اي الذين هم اناس كائنون من قبلكم **لعلكم تتقون** المعنى الوضعي
للكلمة لعل هو انشاء توقع امر متردد بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول اما محبوب فيسمى ترجيا او مكروه فيسمى اشفاقا
وذلك المعنى قد يعتبر تحققه بالفعل اما من جهة المتكلم كما في قولك لعل الله يرحمني وهو الاصل الشائع في الاستعمال لان معنى
الانشاءات قائمة به واما من جهة المخاطب تنزيلا له منزلة المتكلم في التلبس التام بالكلام الجاري بينهما كما في قوله سبحانه
فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وقد يعتبر تحققه بالقوة بضرب من التجوز ايذانا بان ذلك الامر في نفسه مئنة للتوقع
متصف بحيثيته المتكلم يستحيل ارادة ذلك المعنى لامتناع التوقع اصلا فان روعيت في الآية الكريمة جهة المتكلم يستحيل ارادة
ذلك المعنى لامتناع التوقع من علام الغيوب عز وجل فيصار اما الى الاستعارة بان يشبه طلبه تعالى من عباده التقوى مع كونهم
مئنة لها لتعاضد اسبابها برجاء الراجي من المرجو منه امرا هين الحصول في كون متعلق كل منهما مترددا بين الوقوع وعدمه

وعدمه مع رجحان الاول فيستعار له كلمة لعل استعارة تبعية حرفية للمبالغة في الدلالة على قوة الطلب وقرب المطلوب من الوقوع واما الى
التمثيل بان تلاحظ خلقه تعالى اياهم مستعدين للتقوى وطلبه اياها منهم وهم متمكنون منها جامعون لاسبابها وينتزع من ذلك هيئة
فتشبه بهيئة منتزعة من الراجي ورجائه من المرجو منه شيئا سهل المنال فيستعمل في الهيئة الاولى ما حقه ان يستعمل في الثانية
فيكون هناك استعارة تمثيلية قد صرح من الفاظها بما هو العمدة في انتزاع الهيئة المشبه بها اعني كلمة الترجي والباقي
منوي بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مر مرارا واما جعل المشبه ارادته تعالى في الاستعارة والتمثيل
فامر مؤسس على قاعدة الاعتزال القائلة بجواز تخلف المراد عن ارادته تعالى فالجملة حال اما من فاعل خلقكم اي طالبا منكم التقوى
او من مفعوله وما عطف عليه بطريق تغليب المخاطبين على الغائبين لانهم المامورون بالعبادة اي خلقكم واياهم اي مطلوبا
منكم التقوى او علة له فان خلقهم على تلك الحال في معنى خلقهم لاجل التقوى كانه قيل خلقكم لتتقوا او كي تتقوا اما بناء على تجويز
تعليل افعاله تعالى باغراض راجعة الى العباد كما ذهب اليه كثير من اهل السنة واما تنزيلا لترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة
ترتب الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات ومصالح متقنة جليلة من غير ان تكون هي علة غائية لها بحيث
لولاها لما اقدم عليها مما لا نزاع فيه وتقييد خلقهم بما ذكر من الحال والعلة لتكميل عليته للمامور به وتأكيدها فان اتيانهم
بما خلقوا له ادخل في الوجوب وايثار تتقون على تعبدون مع موافقته لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون للمبالغة
في ايجاب العبادة والتشديد في الزامها لما ان التقوى قصارى امر العابد ومنتهى جهده فاذا الزمهم كان ما هو ادنى منها الزم
والاتيان به اهون وان روعيت جهة المخاطب فلعل في معناها الحقيقي والجملة حال من ضمير اعبدوا كانه قيل اعبدوا ربكم راجين
للانتظام في زمرة المتقين الفائزين بالهدى والفلاح على ان المراد بالتقوى مرتبتها الثالثة التي هي التبتل الى الله عز وجل
بالكلية والتنزه عن كل ما يشغل سره عن مراقبته وهي اقصى غايات العبادة التي يتنافس فيه المتنافسون وبالانتظام القدر
المشترك بين انشائه والثبات عليه ليرتجيه ارباب هذه المرتبة وما دونها من مرتبتي التوقي عن العذاب المخلد والتجنب عن كل
ما يؤثم من قول او فعل او ترك كما مر في تفسير المتقين ولعل توسيط الحال من الفاعل بين وصفي المفعول لما في التقديم من فوات
الاشعار بكون الوصف الاول معظم احكام الربوبية وكونه عريقا في ايجاب العبادة وفي التاخير من زيادة طول الكلام هذا
على تقدير اعتبار تحقق التوقع بالفعل فاما اذا اعتبر تحققه بالقوة فالجملة حال من مفعول خلقكم وما عطف عليه من الطريقة
المذكورة اي خلقكم واياهم حال كونكم جميعا بحيث يرجو منكم كل راج ان تتقوا فانه سبحانه وتعالى لما برأهم مستعدين للتقوى
جامعين لمباديها الآفاقية والانفسية كان حالهم بحيث يرجو منهم كل راج ان يتقوا لا محالة وهذه الحالة مقارنة لخلقهم
وان لم يتحقق الرجاء قطعا واعلم ان الآية الكريمة مع كونها بعبارتها ناطقة بوجوب توحيده تعالى وتحتم عبادته على كافة
الناس مرشدة لهم باشارتها الى ان مطالعة الآيات التكوينية المنصوبة في الانفس والآفاق مما يقضي بذلك قضاء متقنا
وقد بين فيها اولا من تلك الآيات ما يتعلق بانفسهم من خلقهم وخلق اسلافهم لما انه اقوى شهادة واظهر دلالة ثم عقب
بما يتعلق بمعاشهم فقيل **الذي جعل لكم الارض فراشا** وهو في محل النصب على انه صفة ثانية لربكم موضحة او مادحة او على
تقدير اخص او امدح او في محل الرفع على المدح والتعظيم بتقدير المبتدأ قال ابن مالك التزم حذف الفعل في المنصوب على المدح
اشعارا بانه انشاء كما في المنادى وحذف المبتدأ في المرفوع اجراء للوجهين على سنن واحد واما كونه مبتدأ خبره فلا
تجعلوا كما قيل فيستدعي ان يكون مناط النهي ما في حيز الصلة فقط من غير ان يكون لما سلف من خلقهم وخلق من قبلهم
مدخل في ذلك مع كونه اعظم شأنا وجعل بمعنى صير والمنصوبان بعده مفعولاه وقيل هو بمعنى خلق وانتصاب الثاني على
الحالية والظرف متعلق به على التقديرين وتقديمه على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كون ما يعقبه من منافع المخاطبين

والتشويق اليه لان النفس عند تاخير ما حقه التقديم لا سيما بعد الاشعار بمنفعته تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند وروده عليها فضل
تمكن او لما في المؤخر وما عطف عليه من نوع طول فلو قدم لفات تجاوب اطراف النظم الكريم ومعنى جعلها فراشا جعل بعضها بارزا
من الماء مع اقتضاء طبعها الرسوب وجعلها متوسطة بين الصلابة واللين صالحة للقعود عليها والنوم كالبساط المفروش وليس
من ضرورة ذلك كونها سطحا حقيقيا فان كثرة شكلها مع عظم حجمها مصححة لافتراشها وقرئ بساطا ومهادا **والسماء بناء**
عطف على المفعولين السابقين وتقديم حال الارض لما ان احتياجهم اليها وانتفاعهم بها اكثر واظهر اي جعلها قبة مضروبة عليكم
والسماء اسم جنس يطلق على الواحد والمتعدد جمع سماوة او سماءة والبناء في الاصل مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او
خباء ومنه قولهم بنى على امرأته لما انهم كانوا اذا تزوجوا امرأة ضربوا عليها خباء جديدا **وانزل من السماء ماء** عطف على جعل
اي انزل من جهتها او منها الى السحاب ومن السحاب الى الارض كما روي ذلك عنه صلى الله عليه وسلم والمراد من السماء جهة العلو
كما ينبئ عنه الاظهار في موقع الاضمار وهو على الاولين لزيادة التقرير ومن لابتداء الغاية متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا
من المفعول اي كائنا من السماء قدم عليه لكونه نكرة واما تقديم الظرف على الوجه الاول مع ان حقه التاخير عن المفعول الصريح
فاما لان السماء اصله ومبداه واما لما مر من التشويق اليه مع ما فيه من مزيد انتظام بينه وبين قوله تع **فاخرج به** اي بسبب
الماء **من الثمرات رزقا لكم** وذلك بان اودع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة منفعلة فتولد من تفاعلهما اصناف الثمار او بان اجرى عادته
باضافة صور الثمار وكيفياتها المختلفة على المادة الممتزجة منهما وان كان المؤثر في الحقيقة قدرته تع ومشيئته فانه تع
قادر على ان يوجد جميع الاشياء بلا اسباب ولا مواد كما ابدع نفوس المبادي والاسباب لكن له عز وجل في انشائها متقلبة في
الاحوال ومتبدلة في الاطوار من بدائع حكم باهرة تجدد لاولي الابصار عبرا ومزيد طمانينة الى عظيم قدرته ولطيف حكمته
ما ليس في ابداعها بغتة ومن للتبعيض لقوله تع فاخرجنا به ثمرات ولوقوعها بين منكرين اعني ماء ورزقا كانه قيل وانزل من السماء
بعض الماء فاخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج من الارض كل الثمرات
ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق ومن الثمرات بيان له او حال منه كقولك انفقت من الدراهم
الفا ويجوز ان يكون من الثمرات مفعولا ورزقا حالا منه او مصدرا من اخرج لانه بمعنى رزق وانما ساغ ورود الثمرات
دون الثمار مع ان الموضع موضع كثرة لانه اريد بالثمرات جماعة الثمرة في قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده القراءة على التوحيد
او لان الجموع يقع بعضها موقع بعض كقوله تع كم تركوا من جنات وعيون وقوله تع ثلثة قروء ولانها محلاة باللام خارجة عن
حد القلة واللام متعلقة بمحذوف وقع صفة لرزقا على تقدير كونه بمعنى المرزوق اي رزقا كائنا لكم او دعامة لتقوية
عمل رزقا على تقدير كونه مصدرا كانه قيل رزقا لكم **فلا تجعلوا لله اندادا** اما متعلق بالامر السابق مترتب عليه كانه قيل
اذا امرتم بعبادة من هذا شانه من التفرد بهذه النعوت الجليلة والافعال الجميلة فلا تجعلوا له شريكا وانما قيل اندادا
باعتبار الواقع لا لان مدار النهي هو الجمعية وقرئ ندا وايقاع الاسم الجليل موقع الضمير لتعيين المعبود بالذات اثر تعيينه بالصفات
وتعليل الحكم بوصف الالوهية التي عليها يدور امر الوحدانية واستحالة الشركة والايذان باستتباعها لسائر الصفات واما
معطوف عليه كما في قوله تع اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والفاء للاشعار بعلية ما قبلها من الصفات المجراة عليه تع للنهي او الانتهاء
او لان مآل النهي هو الامر بتخصيص العبادة به تع المترتب على اصلها كانه قيل اعبدوه فخصوه بها والاظهار في موقع الاضمار لما مر
آنفا وقيل هو نفي منصوب باضمار ان جوابا للامر ويأباه ان ذلك فيما يكون الاول سببا للثاني ولا ريب في ان العبادة لا تكون سببا
للتوحيد الذي هو اصلها ومبناها وقيل هو منصوب بلعل نصب فاطلع في قوله تع لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى
اله موسى اي خلقكم لتتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه وحيث كان مدار هذا النصب تشبيه لعل في بعد المرجو بليت كان فيه

فيه تنبيه على تقصيرهم بجعلهم المرجو القريب بمنزلة المتمني البعيد وقيل هو متعلق بقوله تع الذي جعل الى آخره على تقدير رفعه على المدح اي هو
الذي خلقكم بهذه الآيات العظام والدلالة النيرة فلا تتخذوا له شريكا وفيه ما مر من لزوم كون خلقهم وخلق اسلافهم بمعزل من مناطية
النهي مع عراقتهما فيها وقيل هو خبر للموصول بتاويل مقول في حقه وقد عرفت ما فيه من لزوم المصير الى مذهب الاخفش في تنزيل الاسم الظاهر
منزلة الضمير كما في قولك زيد قام ابو عبد الله اذا كان ذلك كنيته والند المثل المنادي من ند ندودا اذا نفر وناددته خالفته
خص بالمخالف المماثل بالذات كما خص المساوي بالمماثل في المقدار وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا والحال انهم ما زعموا
انها تماثله تعالى في صفاته ولا انها تخالفه في افعاله لما انهم لما تركوا عبادته تعالى الى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من
يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم باس الله تع وتمنحهم ما لم يرد الله تعالى بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم
جعلوا اندادا لمن يستحيل ان يكون له ند واحد وفي ذلك قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل اربا واحدا ام الف رب ادين
اذا انقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير وقوله تع **وانتم تعلمون** حال من ضمير لا تجعلوا بصرف
التقييد الى ما افاده النهي من قبح المنهي عنه ووجوب الاجتناب عنه ومفعول تعلمون كانه قيل لا تجعلوا ذلك فانه قبيح واجب الاجتناب عنه
والحال انكم من اهل العلم والمعرفة بدقائق الامور واصابة الراي او مقدر حسبما يقتضيه المقام نحو انتم تعلمون بطلان ذلك او تعلمون انه
لا يماثله شيء او تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كما في قوله تع قل هل من شركائكم من يفعل من
ذلكم من شيء وغير ذلك وحاصله تنشيط المخاطبين وحثهم على الانتهاء عما نهوا عنه هذا هو الذي يستدعيه عموم الخطاب في
النهي بجعل المنهي عنه القدر المشترك المنتظم لانشاء الانتهاء كما هو المطلوب من الكفرة والثبات عليه كما هو شان المؤمنين
حسبما مر مثله في الامر واما صرف التقييد لنفس النهي فيستدعي تخصيص الخطاب بالكفرة لا محالة اذ لا يتسنى ذلك بطريق قصر
النهي على حالة العلم ضرورة شمول التكليف للعالم والجاهل المتمكن من العلم بل انما يتاتى بطريق المبالغة في التوبيخ والتقريع بناء
على ان تعاطي القبائح من العالمين بقبحها اقبح وذلك انما يتصور في حق الكفرة فمن صرف التقييد الى نفس النهي مع تعميم الخطاب للمؤمنين
ايضا فقد ناى عن التحقيق ان قلت اليس في تخصيصه بالكفرة في الامر والنهي خلاص من امثال ما مر من التكلفات وحسن انتظام
بين السياق والسباق اذ لا محيد في آية التحدي من تجريد الخطاب وتخصيصه بالكفرة لا محالة مع ما فيه من رباء محل المؤمنين ورفع
شانهم عن حيز الانتظام في سلك الكفرة والايذان بانهم مستمرون على الطاعة والعبادة حسبما مر في صدر السورة الكريمة
مستغنون في ذلك عن الامر والنهي قلت بلى انه وجه سري ونهج سوي لا يضل من ذهب اليه ولا يذل من ثبت قدمه عليه **وان
كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا** شروع في تحقيق ان الكتاب الكريم الذي من جملته ما تلي من الآيتين الكريمتين الناطقتين
بوجوب العبادة والتوحيد منزل من عند الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم كما ان ما ذكر فيهما من الآيات التكوينية الدالة
على ذلك صادرة عنه تع لتوضيح اتصافه بما ذكر في مطلع السورة الشريفة من النعوت الجليلة التي من جملتها نزاهته عن ان
يعتريه ريب ما والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع انهم جازمون بكونه من كلام البشر كما يعرب عنه قوله تع ان كنتم صادقين
اما للايذان بان اقصى ما يمكن صدوره عنهم وان كانوا في غاية ما يكون من المكابرة والعناد هو الارتياب في شانه واما للجزم
المذكور خارج عن دائرة الاحتمال كما ان تنكيره وتصديره بكلمة الشك للاشعار بان يكون ضعيفا مشكوك الوقوع واما للتنبيه
على ان جزمهم ذلك بمنزلة الريب الضعيف لكمال وضوح دلائل الاعجاز وكفاية قوتها وانما لم يقل وان ارتبتم فيما نزلنا الى
آخره فيما سلف من المبالغة في تنزيه ساحة التنزيل عن شائبة وقوع الريب فيه حسبما نطق به قوله تع لا ريب فيه والاشعار
بان ذلك ان وقع فمن جهتهم لا من جهته العالية واعتبار استقرارهم فيه واحاطته بهم لا ينافي اعتبار ضعفه وقلته لما ان ما يقتضيه
ذلك هو دوام ملابستهم به لا قوته وكثرته ومن في مما ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لريب وحملها على التبعيض ربما يوهم

كونه محلاً للريب في الجملة وحاشاه ذلك وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن الكتاب الكريم لا عن القدر المشترك بينه وبين ابعاضه وليس معنى
كونهم في ريب منه ارتيابهم في استقامة معانيه وصحة احكامه بل في نفس كونه وحياً منزلاً من عند الله عز وجل واما ايثار التنزيل المنبئ عن
التدريج على مطلق الانزال لتذكير منشا ارتيابهم وبناء التحدي عليه ارخاء للعنان وتوسعاً للميدان فانهم كانوا اتخذوا نزوله
منجماً وسيلة الى انكاره فجعل ذلك من مبادي الاعتراف به كانه قيل ان ارتبتم في شان ما نزلنا على سهل وتدريج فهاتوا انتم مثل نوبة
فذة من نوباته ونجم فرد من نجومه فانه ايسر عليكم من ان ينزل جملة واحدة ويتحدى بالكل وهذا كما ترى غاية ما يكون في التبكيت
وازاحة العلل وفي ذكره عليه السلام بعنوان العبودية مع الاضافة الى ضمير الجلالة من التشريف والتنويه والتنبيه على اختصاصه به
تعالى وانقياده لاوامره تعالى ما لا يخفى وقرئ على عبادنا والمراد هو عليه السلام وامته او جميع الانبياء عليهم السلام ففيه ايذان بان
الارتياب فيه ارتياب فيما انزل من قبله لكونه مصدقاً له ومهيمناً عليه والامر في قوله تعالى **فاتوا بسورة** من باب التعجيز والقام
الحجر كما في قوله تعالى فات بها من المغرب والفاء للجواب وسببية الارتياب للامر والاتيان بالمامور به لما اشير اليه من انه عبارة
عن جزمهم المذكور فانه سبب للاول مطلقا وللثاني على تقدير الصدق كانه قيل ان كان الامر كما زعمتم من كون كلام البشر
قالوا لمثله لا لكم تقدرون على ما يقدر عليه سائر بني نوعكم والسورة الطائفة من القرآن العظيم المترجمة واقلها سورة
وواوها اصلية منقولة من سور البلد لانها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على فنون رائقة
من العلوم احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي المرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة في المسجد ليس عرابها
بمطارق ان السور مع كونها في انفسها رتباً من حيث الفضل والشرف او من حيث الطول والقصر فهي من حيث انتظامها مع اخواتها في
المصحف مراتب يرتقي اليها القاري شيئاً فشيئاً وقيل واوها مبدلة من همزة بمعنى البقية من الشيء ولا يخفى ما فيه وقوله من مثله بيانية
متعلقة بمحذوف وقع صفة لسورة والضمير لما نزلنا اي بسورة كائنة من مثله في علو الرتبة وسمو الطبقة والنظم الرائق
والبيان البديع وحيازة سائر نعوت الاعجاز وجعلها تبعيضية يوهم ان له مثلاً محققاً قد اريد تعجيزهم عن الاتيان ببعضه كانه
قيل فاتوا ببعض ما هو مثل له فلا يفهم كون المماثلة من تتمة المعجوز عنه فضلاً عن كونها مدار للعجز مع انه المراد وبناء الامر على
المجاراة معهم بحسب حسبانهم حيث كانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا او على التهكم بهم بابائه ما سبق من تنزيله منزلة الريب فان
مبنى التهكم على تقدير تسليم ذلك منهم وتسويفه ولو بغير حق وقيل هي زائدة كما هو راي الاخفش بدليل قوله تعالى فاتوا بسورة مثله
بعشر سور مثله وقيل هي ابتدائية فالضمير للمنزل عليه حتماً لما ان رجوعه يوهم ان له مثلاً محققاً فورود الامر التعجيزي باتيان
لشيء منه وقد عرفت ما فيه بخلاف رجوعه الى المنزل عليه فان تحقق مثله عليه السلام في البشرية والعربية والامية يهون الخطب في
الجملة خلا ان تخصيص التحدي بفرد يشاركه عليه السلام فيما ذكر من الصفات المنافية للاتيان بالمامور به لا يدل على عجز من ليس كذلك
من علمائهم بل ربما يوهم قدرتهم على ذلك في الجملة فرادى او مجتمعين مع انه يستدعي عزو المنزل عما فصل من النعوت الموجبة لاستحالة
وجود مثله فاين هذا من التحدي اتمة حجة وامرهم بان يحتشدوا في حلبة المعارضة بخيلهم ورجلهم حسبما ينطق به قوله تعالى **وادعوا
شهداءكم من دون الله** ويتعاونوا على الاتيان بمماثل في صفات الكمال لما اتى بجملته واحد من ابناء جنسهم والشهداء جمع
شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر ومعنى دون ادنى مكان من الشيء يقال هذا دون ذلك اذا كان احط منه قليلاً ثم
استعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الفضل والرتبة ثم اتسع فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم
الى حكم من غير ملاحظة انحطاط احدهما من الآخر فجرى مجرى اداة الاستثناء وكلمة من متعلقة بادعوا فتكون لابتداء الغاية
والظرف مستقر والمعنى ادعوا متجاوزين الله تعالى للاستظهار من حضركم كائناً من كان او الحاضرين في مشاهدكم ومحاضركم
من رؤسائكم واشرافكم الذين يفزعون اليهم في الملمات ويعولون عليهم في المهمات والقائمين بشهاداتكم الجارية في ما بينكم

في ما بينكم من امثالهم المتولين لاستخلاص الحقوق بتنفيذ القول عند الولاة او القائمين بنصرتكم حقيقة او زعماً من الانس والجن ليعينوكم
واخراجه سبحانه وتعالى من حكم الدعاء في الاول مع اندراجه في الحضور ولتاكيد تناوله الجميع بل عداه لا لبيان استبداده تعالى بالقدرة على ما
كلفوه فان ذلك مما يوهم انهم لو دعوه تعالى لاجابهم اليه واما في سائر الوجوه فللتصريح من اول الامر ببراءتهم منه تعالى وكونهم في
عدوة المحادة والمشاقة له قاصرين استظهارهم على ما سواه والالتفات لادخال الروعة وتربية المهابة وقيل المعنى ادعوا
من دون الله تعالى شهداءكم الذين هم وجوه الناس وفرسان المقاولة والمناقلة يشهدوا لكم انما اتيتم به مثله ايذاناً بانهم
يابون ان يرضوا لانفسهم الشهادة الواضحة ما هو بين الفساد وجلي الاستحالة وفيه انه يؤذن بعدم شمول التحدي لاولئك
الرؤساء وقيل المعنى ادعوا شهداءكم فصححوا بهم دعواكم ولا تستشهدوا بالله تعالى قائلين الله يشهد ان ما ندعيه حق فان ذلك
ديدن المحجوج وفيه انه ان اريد بما يدعون حقيقة ما هم عليه من الدين الباطل فلا مساس له بمقام التحدي وان اريد مثلية ما اتوا
للمتحدي به فمع عدم ملاءمته لابتداء التحدي يوهم انهم قد تصدوا للمعارضة واتوا بشيء مشتبه الحال متردد بين المثلية
وعدمها وانهم ادعوا مستشهدين في ذلك بالله سبحانه وتعالى اذ عند ذلك تمس الحاجة الى الامر بالاستشهاد بالناس والنهي
عن الاستشهاد به تعالى وانى لهم ذلك وما نبض لهم عرق ولا نبسوا ببنت شفة واما متعلقة بشهداءكم والمراد بهم الاصنام
ودون بمعنى التجاوز على انها ظرف مستقر وقع حالاً من ضمير المخاطبين والعامل ما دل عليه شهداءكم اي ادعوا اصنامكم الذين
اتخذتموهم آلهة متجاوزين الله في اتخاذها كذلك وكلمة من ابتدائية فان الاتخاذ ابتداء من التجاوز والتعبير عن الاصنام
بالشهداء لتعيين مدار الاستظهار بها بتذكير ما زعموا من انها بمكان من الله وانها تنفعهم بشهادتهم لهم انهم على الحق فان
ما هذا شانه يجب ان يكون ملاذاً لهم في كل امر مهم وملجأ ياوون اليه في خطب ملم كانه قيل اولئك عدتكم فادعوهم لهذه الداهية
التي دهمتكم وفي الالتفات الايذان بكمال سخافة عقولهم حيث اثروا على عبادة من له الالوهية الجامعة لجميع صفات الكمال
عبادة ما لا احقر منه وقيل لفظة دون مستعارة من معناها الوضعي الذي هو ادنى مكان من الشيء لقدامه كما في قول الاعشى
تريك القذى من دونها وهي دونه اي تريك القذى قدامها وهي قدامه فتكون ظرفاً لغواً معمولاً لشهداءكم لكفاية رائحة
الفعل فيه من غير حاجة الى الاعتماد ولا الى تقدير يشهدون اي ادعوا شهداءكم الذين يشهدون لكم بين يدي الله تعالى
ليعينوكم في المعارضة وايرادها بهذا العنوان لما مر من الاشعار بمناط الاستعانة بها ووجه الالتفات تربية المهابة وترشيح
ذلك المعنى فان ما يقوم بهذا الامر في ذلك المقام الخطير حقه ان يستعان به في كل مرام وفي امرهم على الوجهين ان يستظهروا
في معارضة القرآن الذي اخرس كل منطيق من الجماد من التهكم بهم ما لا يوصف وكلمة من تبعيضية الا انهم يقولون
جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل انما يقع في بعض تينك الجهتين كما تقول
جئته من الليل وقد يقال كلمة من الداخلة على دون في جميع المواقع بمعنى في كما في سائر الظروف التي لا تتصرف وتكون
منصوبة على الظرفية ابداً ولا تنجر الا بمن خاصة وقيل المراد بالشهداء مدارة القوم ووجوه المحافل والمحاضر ودون ظرف
مستقر ومن ابتدائية اي ادعوا الذين يشهدون لكم ان ما اتيتم به مثله متجاوزين في ذلك اولياء الله ومحصله شهداء مغايرين
لهم ايذاناً بانهم ايضاً لا يشهدون بذلك وانما قدر المضاف الى الله تعالى رعاية للمقابلة فان اولياء الله تعالى يقابلون اولياء
الاصنام كما ان ذكر الله تعالى يقابل ذكر الاصنام والمقصود بهذا الامر ارخاء العنان والاستدراج الى غاية التبكيت كانه
قيل تركنا الزامكم بشهداء لا ميل لهم الى احد الجانبين كما هو المعتاد واكتفينا بشهداءكم المعروفين بالذب عنكم فانهم ايضاً لا
يشهدون لكم حذاراً من الاثمة وانفة من الشهادة البينة البطلان كيف لا وامر الاعجاز قد بلغ من الظهور الى حيث لم يبق الى
الانكار سبيل قطعاً وفيه ما مر من عدم الملاءمة لابتداء التحدي وعدم تناوله لاولئك الشهداء وايهام انهم تعرضوا للمعارضة

والوا بشيء اخاجوا في مثليته للمتحدى به الى الشهادة وشتان بينهم وبين ذلك **ان كنتم صادقين** اي في زعمكم انه من كلامه
صلى الله عليه وسلم وهو شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه اي ان كنتم صادقين فاتوا بسورة من مثله الى آخره واستلزام المقدم للتالي
من حيث ان صدقهم في ذلك الزعم يستدعي قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه السلام في البشرية والعربية مع ما بهم من
طول الممارسة للخطب والاشعار وكثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقايع والايام لا سيما عند المظاهرة
والتعاون ولا ريب في ان القدرة على الشيء من موجبات الاتيان به ودواعي الامر به **فان لم تفعلوا** اي ما امرتم به من الاتيان بالمثل بعد ما
بذلتم في السعي غاية المجهود وجاوزتم في الجد كل حد معهود متشبثين بالذيول راكبين متن كل صعب وذلول وانما لم يصرح به ايذانا
بعدم الحاجة اليه بناء على كمال ظهور تهالكهم على ذلك وانما اورد في حيز الشرط مطلق الفعل وجعل مصدر الفعل المامور به مفعولا به
للايجاز البديع المغني عن التطويل والتكرير مع سر سري استدعاه المقام وهو الايذان بان المقصود بالتكليف هو ايقاع نفس الفعل المامور
به لاظهار عجزهم عنه لا لتحصيل المفعول اي المأتي به ضرورة استحالته وان مناط الجواب في الشرطية اعني الامر باتقاء النار هو عجزهم عن
ايقاعه لا فوت حصول المفعول فان مدلول لفظ الفعل هو نفس الافعال الخاصة لازمة كانت او متعدية من غير اعتبار تعلقاتها
بمفعولاتها الخاصة فاذا علق بفعل خاص متعد فانما يقصد به ايقاع نفس ذلك الفعل واخراجه من القوة الى الفعل واما
تعلقه بمفعوله المخصوص فهو خارج عن مدلول الفعل المطلق وانما يستفاد ذلك من الفعل الخاص ولذلك تراهم يتوسلون بذلك
الى تجريد الافعال المتعدية عن مفعولاتها وتنزيلها منزلة الافعال اللازمة فيقولون مثلا معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء والمنع.
يرشدك الى قوله تعالى فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون بعد قوله ائتوني باخ لكم من ابيكم فانه لما كان مقصود يوسف
عليه السلام بالامر ومرمى غرضه بالتكليف استحضار بنيامين لم يكتف في الشرطية الداعية لهم الى الجد في الامتثال والسعي في
تحقيق المامور به واختيار كلمة ان المفيدة للشك على اذا مع تحقق الجزم بعدم فعلهم مجاراة معهم بحسب حسبانهم قبل التجربة او تهكما بهم
ولن تفعلوا كلمة لن لنفي المستقبل كلا خلا ان في لن زيادة تاكيد وتشديد واصلها عند الخليل لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها
نونا وعند سيبويه حرف مقتضب للمعنى المذكور وهي احدى الروايتين عن الخليل والجملة اعتراض بين جزئي الشرطية مقرر لمضمون
مقدمها ومؤكد لايجاب العمل بتاليها وهذه معجزة باهرة حيث اخبر بالغيب الخاص علمه به عز وجل وقد وقع الامر كذلك كيف لا
ولو عارضوه بشيء يدانيه في الجملة لتناقله الرواة خلفا عن سلف **فاتقوا النار** جواب الشرط على ان اتقاء النار كناية عن
الاحتراز من العناد اذ بذلك يتحقق تسببه عنه كانه قيل فاذا عجزتم عن الاتيان بمثله كما هو المقرر فاحترزوا من انكار كونه
منزلا من عند الله سبحانه وتعالى فانه مستوجب للعقاب بالنار لكن اوثر عليه الكناية المذكورة المبنية على تصوير العناد بصورة النار
وجعل الاتصاف به عين الملابسة بها للمبالغة في تهويل شانه وتفظيع امره واظهار كمال العناية بتحذير المخاطبين منه وتنفيرهم عنه
وحثهم على الجد في تحقيق المكني عنه وفيه من الايجاز البديع ما لا يخفى حيث كان الاصل فان لم تفعلوا فقد صح صدقه عندكم واذا
صح ذلك كان لزومكم العناد وترككم الايمان به سببا لاستحقاقكم العقاب بالنار فاحترزوا منه واتقوا النار **التي وقودها**
الناس والحجارة صفة للنار موضحة لها زيادة تهويل وفظاعة اعاذنا من ذلك والوقود ما يوقد به النار وترفع الحطب
وقرئ بضم الواو وهو مصدر سمي به المفعول مبالغة كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده والمعنى انها من الشدة بحيث لا
تمس شيئا من رطب ويابس الا احرقته لا كنيران الدنيا تفتقر في الالتهاب الى وقود من حطب او حشيش وانما جعل هذا الوصف
صلة للموصول بقضية كون انتسابها الى ما نسبت هي اليه معلوما للمخاطب بناء على انهم سمعوه من اهل قبل ذلك او من الرسول صلى الله
عليه وسلم او سمعوا قبل هذه الآية المدنية قوله تعالى وقودها الناس والحجارة فاشير ههنا الى ما سمعوه اولا وكون سورة التحريم مدنية
لا يستلزم كون جميع آياتها كذلك كما هو المشهور واما ان الصلة ايضا يجب ان يكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند المخاطب

المخاطب فالخطب فيه هين لما ان المخاطب هناك المؤمنون وظاهر انهم سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بالحجارة الاصنام
وبالناس انفسهم حسبما ورد في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآية **اعدت للكافرين** اي هيئت للذين كفروا بما نزلنا
وجعلت عدة لعذابهم والمراد اما جنس الكفار والمخاطبون داخلون فيهم دخولا اوليا واما هم خاصة ووضع الكافرين موضع ضميرهم
لذمهم وتعليل الحكم بكفرهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة وفيه دلالة على ان النار مخلوقة موجودة الآن والجملة استئناف
لا محل لها من الاعراب مقررة لمضمون ما قبلها ومؤكدة لايجاب العمل بمضمونها لمن اريد بالناس دافعة لاحتمال العموم وقيل حال باضمار
قد من النار لا من ضميرها في وقودها لما فيه من الفصل بينهما بالخبر وقيل صلة بعد صلة او عطف على الصلة بترك العاطف **وبشر
الذين آمنوا** اي بانه منزل من عند الله عز وجل وهو معطوف على الجملة السابقة لكن لا على ان المقصود عطف نفس الامر حتى يطلب له
مشاكل يصح عطفه عليه بل على انه عطف قصة المؤمنين بالقرآن ووصف ثوابهم على قصة الكافرين به وكيفية عقابهم جريا على السنة
الالهية من شفع الترغيب بالترهيب والوعد بالوعيد وكان تغيير السبك لتحصيل كمال التباين بين حالي الفريقين وقرئ وبشر على صيغة
الفعل مبنيا للمفعول عطفا على اعدت فيكون استئنافا وتعليق التبشير بالموصول للاشعار بانه معلل بما في حيز الصلة من الايمان
والعمل الصالح لكن لا لذاتهما فانهما لا يكافئان النعم السابقة فضلا من ان يقتضيا ثوابا فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى
وعده وجعل صلته فعلا مفيدا للحدوث بعد ايراد الكفار بصيغة الفاعل لحث المخاطبين بالاتقاء على احداث الايمان وتحذيرهم من
الاستمرار على الكفر والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل لكل من يتأتى منه التبشير كما في قوله عليه السلام بشر المشائين الى المساجد
في ظلم الليالي بالنور التام يوم القيامة فانه عليه السلام لم يامر بذلك واحدا بعينه بل كل احد ممن يتاتى منه ذلك وفيه رمز الى
ان الامر لعظمه وفخامة شانه حقيق بان يتولى التبشير به كل من يقدر عليه والبشارة الخبر السار الذي يظهر به اثر السرور في البشرة
وتباشير الصبح اوائل ضوئه **وعملوا الصالحات** الصالحة كالحسنة في الجريان مجرى الاسم وهي كل ما استقام من الاعمال
بدليل العقل والنقل واللام للجنس والجمع لافادة ان المراد بها جملة من الاعمال الصالحة التي اشير الى امهاتها في مطلع السورة الكريمة
وطائفة منها متفاوتة حسب تفاوت حال المكلفين في مواجب التكليف وفي عطف العمل على الايمان دلالة على تغايرهما واشعار
بان مدار استحقاق البشارة مجموع الامرين فان الايمان اساس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء به **ان لهم
جنات** منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضمار مثل الله لافعلن والجنة هي المرة من مصدر جنه اذا ستره
مطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا
اي نخلا طوالا كانها لفرط تكاثفها والتفافها وتغطيتها لما تحتها بالمرة نفس السترة وعلى الارض ذات الشجر قال الفراء
الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم فحق المصدر ح ان يكون ماخوذا من الفعل المبني للمفعول وانما سميت دار الثواب بها
مع ان فيها ما لا يوصف من الغرفات والقصور لما انها مناط نعيمها ومعظم ملاذها وجمعها مع التنكير لانها سبع على ما ذكره ابن
عباس رضي الله عنهما جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة الماوى ودار السلام وعليون وفي كل
واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة الاعمال واصحابها **تجري من تحتها الانهار** في حيز النصب على انه صفة جنات فان
اريد بها الاشجار فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض المشتملة عليها فلا بد من تقدير مضاف اي من تحت اشجارها
وان اريد بها مجموع الارض والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء الظاهر المصحح لاطلاق اسم الجنس على الكل عن مسروق
ان انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب
او عوض عن المضاف اليه كما في قوله تعالى واشتعل الراس شيبا او للعهد والاشارة الى ما ذكر في قوله عز وعلا فيها انهار من ماء
غير آسن الآية والنهر بفتح الهاء وسكونها المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد

بهاما ويا على المجاز اللغوي والمجاز الفنها وقد اسند اليها الجريان مجازا عقليا كما في سال الميزاب **كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا**
قالوا هذا الذي رزقنا من قبل صفة ثانية لجنات اخرت عن الاولى لان جريان الانهار من تحتها وصف لها باعتبار ذاتها وهذا
وصف لها باعتبار اهلها المتمتعين بها او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستانفة كانه حين وصف الجنات بما ذكر من الفته وقع
في ذهن السامع ان ثمارها كثمار جنات الدنيا او لا فبين حالها وكلما نصب على الظرفية ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء
واقعتان موقع الحال كانه قيل كل وقت رزقوا مرزوقا مبتدا من الجنات وابتداؤه منها مقيد بكونه مبتدأ من ثمرة فصاحب
الحال الاولى رزقا وصاحب الثانية ضميره المستكن في الحال ويجوز كون من ثمرة بيانا قدم على المبين كما في قولك رايت منك اسدا
وهذا اشارة الى ما رزقوا وان وقعت على فرد معين منه كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك لا تشير الى ما تعاينه بل
لكنك انما تعني بذلك النوع المعلوم المستمر فالمعنى هذا الذي رزقناه من قبل اي من قبل هذا في الدنيا ولكن لما استحكم الشبه بينهما
جعل ذاته ذاته وانما جعل ثمر الجنة كثمار الدنيا لتميل النفس اليه حين تراه فان الطباع مائلة الى المألوف متنفرة عن غيره معروف والتبيين
لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا غير معهود لظن انه لا يكون الا كذلك او مثل الذي رزقناه من قبل في الجنة لان طعامها متشابه
الصور كما يحكى عن الحسن رضي الله عنه ان احدهم يؤتى بالصحفة فياكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فتقول الملائكة كل
فاللون واحد والطعم مختلف او كما روي انه عليه السلام قال والذي نفسي بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها
فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله تعالى مكانها مثلها والاول انسب لمحافظة عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذه المقالة كل
مرة رزقوا الا في ما عدا المرة الاولى يظهرون به التبجح وفرط الاستغراب لما بينهما من التفاوت العظيم من حيث اللذة مع اتحادهما
في الشكل واللون كانهم قالوا هذا عين ما رزقناه في الدنيا فمن اين له هذه الرتبة من اللذة والطيب ولا يقدح فيه ما روي عن ابن
عباس من انه ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسم فان ذلك لبيان كمال التفاوت بينهما من حيث اللذة والحسن والهيئة لا لبيان
ان لا تشابه بينهما اصلا كيف لا واطلاق الاسماء منوط بالاتحاد النوعي قطعا هذا وقد فسرت الآية الكريمة بان مستلذات اهل الجنة
بمقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة الحال فيجوز ان يريدوا هذا ثواب الذي رزقناه في الدنيا من الطاعات
ولا يساعده تخصيص ذلك بالثمرات فان الجنة وما فيها من فنون الكرامات من قبيل الثواب **واتوا به متشابها** اعتراض مقرر لما قبله
والضمير المجرور على الاول راجع الى ما دل عليه فحوى الكلام مما رزقوا في الدارين كما في قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما
اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى المرزوق **ولهم فيها ازواج مطهرة** اي مما في نساء الدنيا من الاحوال المستقذرة
وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال واذا العذارى بالدخان تقنعت
واستعجلت نصب القدور فملت فالجمع على اللفظ والافراد على تاويل الجماعة وقرئ مطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى
متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وما هو الا الله سبحانه وتعالى واما التطهر فيحتمل ان يكون من
قبل انفسهن كما عند اغتسالهن والزوج يطلق على الذكر وهو في الاصل اسم لماله قرين من جنسه وليس في مفهومه اعتبار التوالد
الذي هو مدار بقاء النوع حتى لا يصح اطلاقه على ازواج اهل الجنة لخلودهم فيها واستغنائهم عن الاولاد كما ان المدارية لبقاء الفرد
ليست بمعتبرة في مفهوم اسم الرزق حتى يخل ذلك باطلاقه على ثمار الجنة **وهم فيها خالدون** اي دائمون والخلود في الاصل الثبات
المديد دام او لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار الخوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله خلد ولو كان وضعه للدوام
لما قيد بالتابيد في قوله عز قائلا خالدين فيها ابدا ولما استعمل حيث لا دوام فيه لكن المراد بها الدوام قطعا لما يقتضيه من الآيات
والسنن وما قيل من ان الابدان مؤلفة من الاجزاء المتضادة في الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانحلال والانفكاك مدارها
قياس ذلك العالم الكامل بما يشاهد في عالم الكون والفساد على انه يجوز ان يعيدها الخالق تعالى بحيث لا يعتورها الاستحالة

الاستحالة ولا يعتريها الاختلال قطعا بان يجعل اجزاءها متفاوتة في الكيفيات متعادلة في القوى بحيث لا يقوى شيء منها على ابطال
احالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض ويبقى هذه النسبة محفوظة فيما بينها ابدا لا يعتريها التغيير بالاكل والشرب
والحركات وغير ذلك واعلم ان معظم اللذات الحسية لما كان مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح حسبما يقتضيه الاستقراء وكان
ملاك جميع ذلك الدوام والثبات اذ كل نعمة وان جلت حيث كانت في شرف الزوال ومعرض الاضمحلال فانها منغصة غير صافية
من شوائب الالم بشر المؤمنين بها وبدوامها تكميلا للبهجة والسرور اللهم وفقنا لمراضيك وثبتنا على ما يؤدي اليه من العقد والعمل
ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة شروع في تنزيه ساحة التنزيل عن تعلق ريب خاص اعتراهم من جهة ما وقع من
ضرب الامثال وبيان لحكمته وتحقيق للحق اثر تنزيهها عما اعتراهم من مطلق الريب بالتحدي والقام الحجر وافحام كافة البلغاء
من اهل المدر والوبر روى ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المنافقين طعنوا في ضرب الامثال وروى عطاء عنه ان هذا الطعن
كان من المشركين وروي عنه ايضا انه لما نزل قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له الآية وقوله تعالى مثل الذين اتخذوا
من دون الله اولياء الآية قالت اليهود اي قدر للذباب والعنكبوت حتى يضرب الله بهما المثل وجعلوا ذلك ذريعة الى انكار كونه
من عند الله تعالى مع انه لا يخفى على احد ممن له تمييز انه ليس مما يتصور فيه التردد فضلا عن النكير بل هو من اوضح ادلة كونه خارجا
عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر كيف لا وان التمثيل كما مر ليس الا ابراز المعنى المقصود في معرض الامر المشهود
وتحلية المعقول بحلية المحسوس وتصوير اوابد المعاني بهيئة المأنوس لاستمالة الوهم واستنزاله عن معارضته للعقل واستعصائه
عليه في ادراك الحقائق الخفية وفهم الدقائق الابية كي يتابعه فيما يقتضيه ويشايعه الى ما لا يرتضيه ولذلك شاعت الامثال في الكتب
الالهية والكلمات وذاعت في عبارات البلغاء واشارات الحكماء ومن قضيته وجوب التماثل بين المثل والممثل به في مناط التمثيل فتمثيل
العظيم بالعظيم والحقير بالحقير وقد مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة ومعارضة السفهاء باثارة الزنابير وجاء في عبارات
البلغاء اجمع من ذرة واجرأ من ذباب واسمع من قراد واضعف من بعوضة الى غير ذلك مما لا يكاد يحصره والحياء تغير النفس وانقباضها
عما يعاب به او يذم عليه يقال حيي الرجل فهو حي واشتقاقه من الحياة اشتقاق شظي ونسي وحشي من الشظا والنسا والحشا
يقال شظي الفرس ونسي وحشي اذا اعتلت منه تلك الاعضاء كان من يعتريه الحياء يعتل قوته الحيوانية وينتقص واستحيي بمعناه الا انه
يتعدى بنفسه وبحرف الجر يقال استحييته واستحييت منه والاول لا يتعدى الا بحرف الجر وقد يحذف منه احدى اليائين ومنه قوله
لا يستحيي منا الملوك ويتقي محارمنا ببوء الدم بالدم وقوله اذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد وحيث
اسند اليه سبحانه بطريق الايجاب في مثل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه وقوله عليه السلام ان الله
حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا اريد به الترك الخاص على طريقة التمثيل حيث مثل في
الحديثين الكريمين تركه تعذيب ذي الشيبة وتخييب العبد من عطائه بترك من يتركهما حياء كذلك اذا نفي عنه تعالى في المواد
الخاصة كما في هذه الآية الشريفة وفي قوله تعالى والله لا يستحيي من الحق يراد سلب ذلك الترك الخاص المضاهي لترك المستحيي عنه
لا سلب وصف الحياء عنه تعالى راسا كما في قولك ان الله لا يوصف بالحياء لان تخصيص السلب ببعض المواد يوهم كون الايجاب من
شانه تعالى في الجملة فالمراد هنا عدم تركه ضرب المثل للماثل لترك من يستحيي من ضربه وفيه رمز الى تعاضد الدواعي الى ضربه
وتواخذ البواعث اليه اذ الاستحياء انما يتصور في الافعال المقبولة للنفس المرضية عندها ويجوز ان يكون وروده على طريقة
المشاكلة فانهم كانوا يقولون اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالاشياء المحقرة كما في قول من قال من بلغ افناء يعرب
كلها اني بنيت الجار قبل المنزل وضرب المثل استعماله في مضربه وتطبيقه به لا صنعه وانشاؤه في نفسه والا لكان انشاء الامثال السائرة
في مواردها ضربا لها دون استعمالها في مضاربها غير انشائها في انفسها لكن التعبير عنه بالضرب ليس بهذا الاعتبار بل باعتبار

الاول قطعا وهو ماخوذ اما من ضرب الخاتم بجامع التطبيق فكما ان ضربه تطبيقه بقالبه كذلك استعمال الامثال في مضاربها تطبيقها بها كان المضارب
قوالب يضرب الامثال على شاكلتها لكن لا بمعنى انها تنشأ بحسبها بعد ان لم يكن كذلك بل بمعنى انها تورد منطبقة عليها سواء كان انشاؤها
كعامة الامثال التنزيلية او قبل ذلك كسائر الامثال السائرة فانها وان كانت مصنوعة من قبل لكن تطبيقها اي ايرادها منطبقة على
مضاربها انما يحصل عند الضرب واما من ضرب الطين على الجدار ليلتزق به بجامع الالصاق كان من يستعملها يلصقها بمضاربها ويجعلها ضربة
لازب لا تنفك عنها لشدة تعلقها بها ومحل ان يضرب على تقدير تعديته ويستحيي بنفسه النصب على المفعولية واما على تقدير تعديته بالجار فعند
الخليل الخفض باضمار من وعند سيبويه النصب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها ومثلا مفعول ليضرب وما اسمية ابهامية تزيد ما تقارنه من
الاسم المنكر ابهاما وشياعا كما في قولك اعطني كتابا ما كانه قيل مثلا ما من الامثال اي مثل كان فهي صفة لما قبلها او حرفية مزيدة لتقوية
النسبة وتوكيدها كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم وبعوضة بدل من مثلا وعطف بيان عند من يجوزه في النكرات او مفعول ليضرب ومثلا
حال تقدمت عليها لكونها نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل والتصيير وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي هو بعوضة والجملة
على تقدير كون ما موصولة صلة لها محذوفة الصدر كما في قوله تعالى تماما على الذي احسن على قراءة الرفع وعلى تقدير كونها موصوفة صفة
لها كذلك ومحلها على الوجهين النصب على انه بدل من مثلا او على انه مفعول ليضرب وعلى تقدير كونها ابهامية صفة لمثلا كذلك واما على
تقدير كونها استفهامية فهي خبر لها كانه لما رد استبعادهم ضرب المثل قيل ما بعوضة واي مانع فيها حتى لا يضرب بها المثل بل له تعالى ان يمثل
بما هو اصغر منها واحقر كجناحها على ما وقع في قوله عليه السلام لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء و
البعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش في لغة هذيل من الخمش وهو الخدش **فما فوقها** عطف على بعوضة
على تقدير نصبها على الوجوه المذكورة وما موصولة او موصوفة صلتها او صفتها الظرف واما على تقدير رفعها فهو عطف على ما الاول
على تقدير كونها موصولة او موصوفة واما على تقدير كونها استفهامية كما قيل والمعنى ما بعوضة فالذي فوقها او فشيء فوقها حتى لا يضرب
بها المثل وكذا على تقدير كونها صفة للنكرة او زائدة وبعوضة خبر للمضمر وذكر البعوضة فما فوقها من بين افراد المثل انما هو بطريق
التمثيل دون التعيين والتخصيص فلا يخل بالشيوع المقرر ويؤكده بطريق الاولية والمراد بالفوقية اما الزيادة في المعنى الذي
اريد بالتمثيل اعني الصغر والحقارة واما الزيادة في الحجم والجثة لكن لا بالغا ما بلغ بل في الجملة كالذباب والعنكبوت وعلى التقدير
الاول يجوز ان يكون ما الثانية خاصة استفهامية انكارية والمعنى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فاي شيء فوقها في الصغر
فاذن له تعالى ان يمثل بكل ما يريد ونظيره في احتمال الامرين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رضي الله عنها حتى
ذكرها ذلك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة
فانه يحتمل ما يجاوز الشوكة في القلة كنخبة النملة لقوله صلى الله عليه وسلم ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة
النملة وما يجاوزها في الالم كالخرور على ما حكي من الخرور **فاما الذين آمنوا** شروع في تفصيل ما يترتب على ضرب المثل من الحكم اثر تحقيق
حقيته صدوره عنه تعالى والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما يدل عليه ما قبلها كانه قيل فيضرب به فاما الذين آمنوا الخ وتقديم بيان
حال المؤمنين على ما حكي من الكفرة مما لا يفتقر الى بيان السبب في تصدير الجملتين باما من احماد امر المؤمنين وذم الكفرة ما لا يخفى وهو
حرف متضمن لمعنى اسم الشرط وفعله بمنزلة مهما يكن من شيء ولذلك يجاب بالفاء وفائدته توكيد ما صدر به وتفصيل ما في نفس المتكلم
من الاقسام فقد تذكر جميعا وقد يقتصر على واحد منها كما في قوله عز من قائل فاما الذين في قلوبهم زيغ الآية قال سيبويه اما زيد
فذاهب معناه مهما يكن من شيء فهو ذاهب لا محالة وانه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها
حرف الشرط فادخلوها الخبر وعوض المبتدا عن الشرط لفظا والمراد بالموصول فريق المؤمنين المعهودين كما ان المراد بالموصول
الثاني فريق الكفرة لا من يؤمن بضرب المثل ومن يكفر به لاختلال المعنى اي فاما المؤمنون **فيعلمون انه الحق من ربهم** كسائر

كسائر ما ورد منه تعالى والحق هو الثابت الذي يحق ثبوته لا محالة بحيث لا سبيل للعقل الى انكاره لا الثابت مطلقا واللام للدلالة على انه مشهود
بالحقية وان له حكما ومصالح ومن لابتداء الغاية المجازية وعاملها محذوف وقع حالا من الضمير المستكن في الحق او من الضمير العائد
الى المثل والى ضربه اي كائنا وصادرا من ربهم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم وللايذان بان ضرب
المثل تربية لهم وارشاد الى ما يوصلهم الى كمالهم اللائق بهم والجملة سادة مسد مفعولي يعلمون عند الجمهور ومسد مفعوله الاول
والثاني محذوف عند الاخفش اي فيعلمون حقيته ثابتة ولعل الاكتفاء بحكاية علمهم المذكور عن حكاية اعترافهم بموجبه كما في قوله تعالى
والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا للاشعار بقوة ما بينهما من التلازم وظهوره المغني عن الذكر **واما الذين
كفروا** ممن حكيت اقوالهم واحوالهم **فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا** اوثر يقولون على لا يعلمون حسبما يقتضيه ظاهر
قرينة دلالة على كمال غلوهم في الكفر وترامي امرهم في العتو فان مجرد عدم العلم بحقيته ليس بمثابة انكارها والاستهزاء به صريحا
وتمهيدا لتعداد ما بقي عليهم في تضاعيف الجواب من الضلال والفسق ونقض العهد وغير ذلك من شناعاتهم المترتبة على قولهم
المذكور على ان عدم العلم بحقيته لا يعم جميعهم فان منهم من يعلم بها وانما يقول ما يقول مكابرة وعنادا او حمله على عدم الاذعان
والقبول الشامل للجهل والعناد تعسف ظاهر هذا وقد قيل كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينته ويقابل قسيمه
لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه فتامل وكن على الحق المبين
وماذا مؤلفة من كلمة استفهام وقعت مبتدا خبره ذا بمعنى الذي وصلته التي ما بعده والعائد محذوف فالاحسن ان يجيء جوابه
مرفوعا واما منزلة منزلة كلمة واحدة بمعنى اي شيء فالاحسن في جوابه النصب والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه
والقوة التي هي مبدا والاول مع الفعل والثاني قبله وكلاهما مما لا يتصور في حقه تعالى ولذلك اختلفوا في ارادته عز وجل
فقيل ارادته تعالى لافعاله غير ساه فيه ولا مكره ولافعال غيره امره بها فلا يكون المعاصي بارادته تعالى وقيل هي علمه باشتمال الامر
على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انها عبارة عن ترجيح احدى طرفي المقدور على الآخر و
تخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجبه وهي اعم من الاختيار فانه ترجيح مع تفضيل وفي كلمة هذا تحقير للمشار اليه واسترذال له
ومثلا نصب على التمييز او على الحال كما في قوله تعالى ناقة الله لكم آية وليس مرادهم بهذه العظيمة استفهام الحكمة في ضرب المثل
ولا القدح في اشتماله على القاعدة مع اعترافهم بصدوره عنه جل وعلا بل عزمهم التنبيه بادعاء انه من الدناءة والحقارة
بحيث لا يليق بان يتعلق به امر من الامور الداخلة تحت ارادته تعالى على استحالة ان يكون ضرب المثل به من عنده تعالى فقوله عز من قائل
يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جواب عن تلك المقالة الباطلة وردا لها ببيان انه مشتمل على حكمة جليلة وغاية جميلة هي كونه
ذريعة الى هداية المستعدين للهداية واضلال المنهمكين في الغواية فوضع الفعلان موضع الفعل الواقع في الاستفهام مبالغة
في الدلالة على تحققهما فان ارادتهما دون وقوعهما بالفعل وتجافيا عن نظم الاضلال مع الهداية في سلك الارادة لايهامه
تساويهما في تعلقها وليس كذلك فان المراد بالذات من ضرب المثل هو التذكر والاهتداء كما ينبئ عنه قوله تعالى وتلك الامثال
نضربها للناس لعلهم يتفكرون ونظائره واما الاضلال فهو امر عارض مترتب على سوء اختيارهم واوثر صيغة الاستقبال
ايذانا بالتجدد والاستمرار وقيل وضع الفعلان موضع مصدريهما كانه قيل اراد اضلال كثير وهداية كثير وقدم الاضلال على الهداية مع
تقدم حال المهتدين على حال الضالين فيما قبله ليكون اول ما يقرع اسماعهم من الجواب امرا فظيعا يسوؤهم ويفت في اعضادهم
وهو السر في تخصيص هذه الفائدة بالذكر وقيل هو بيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى
وان الجهل بوجه ايراده والانكار بحسن مورده ضلال وفسق وكثرة كل فريق انما هي بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فلا
يقدح في ذلك اقلية اهل الهدى بالنسبة الى اهل الضلال حسبما نطق به قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور ونحو ذلك

واعتبار كثرتهم الذاتية دون قلتهم الاضافية لتكميل فايدة ضرب المثل وتكثيرها ويجوز ان يراد في الاولين الكثرة من حيث العدد وفي الآخرين من حيث الفضل والشرف كما في قول من قال ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا واسناد الاضلال الى خالق الضلال سبحانه مبني على ان جميع الاشياء مخلوقة له تع وان كان افعال العباد من حيث الكسب مستندة اليهم وجعله من قبيل اسناد الفعل الى سببه بابا التصريح بالسبب وقرئ يضل به كثير ويهدى به كثير على البناء للمفعول وتكرير به مع جواز الاكتفاء بالاول لزيادة تقرير السببية وتاكيدها **وما يضل به** اي بالمثل او بضربه **الا الفاسقين** عطف على ما قبله وتكملة للجواب والرد وزيادة تعيين لمن اريد اضلالهم ببيان صفاتهم القبيحة المستتبعة له واشارة الى ان ذلك ليس اضلالا ابتداء بل هو تثبيت على ما كانوا عليه من فنون الضلال وزيادة فيه وقرئ وما يضل به الا الفاسقون على البناء للمفعول والفسق في اللغة الخروج يقال فسقت الرطبة عن قشرها والفارة من جحرها اي خرجت قال رؤبة يذهبن في نجد وغورا غائرا فواسقا عن قصدها جوائرا وفي الشريعة الخروج عن طاعة الله عز وجل بارتكاب الكبيرة التي من جملتها الاصرار على الصغيرة وله طبقات ثلث الاولى التغابي وهو الارتكاب احيانا مستقبحا لها والثانية الانهماك في تعاطيها والثالثة المتابعة عليها مع جحود قبحها وهذه الطبقة من مراتب الكفر فما لم يبلغها الفاسق لا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي يدور عليه الايمان ولقوله تع وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما ذهبوا الى ان الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر عن تكذيب الحق وجحوده لم يتيسر لهم ادخال الفاسق في احدهما فجعلوه قسما بين قسمي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض احكامه والمراد ههنا العاتون المارد ون في الكفر الخارجون عن حدوده ممن حكي عنهم ما حكي من انكار كلام الله تع والاستهزاء به وتخصيص الاضلال مترتبا على صفة الفسق وما اجرى عليهم من القبائح للايذان بان ذلك هو الذي اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال فان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم على الباطل صرفت وجوه انظارهم عن التدبر في حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه وقالوا فيه ما قالوا **الذين ينقضون عهد الله** صفة للفاسقين للذم وتقرير ما هم عليه من الفسق والنقض فسخ التركيب من المركبات الحسية كالحبل والغزل ونحوهما واستعماله في ابطال العهد من حيث استعارة الحبل له لما فيه من ارتباط احدى كلامي المتعاهدين بالآخر فان شفع بالحبل واريد به العهد كان على حكاية وان قرن بالعهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وتنبيها على انه اسد في شجاعته ونحو ذلك في اضافته والعهد الموثق يقال عهد اليه كذا اذا وصاه به ووثقه عليه والمراد ههنا اما العهد الماخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على وجوده ووحدته وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم وبه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى والمعنى الظاهر او الماخوذ من جهة الرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره وذكره في الكتب المتقدمة ولم يخالفوا حكمه كما ينبئ عنه قوله عز وجل واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ونظايره وقيل عهد الله ثلثة الاول ما اخذه على جميع ذرية آدم عليه السلام بان يقروا على ربوبيته والثاني ما اخذه على الانبياء عليهم السلام بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه والثالث ما اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه **من بعد ميثاقه** الميثاق اما اسم لما يقع به الوثاقة والاحكام واما مصدر بمعنى الوعد فعلى الاول ان رجع الضمير الى العهد كان المراد بالميثاق ما وثقوه به من القبول والالتزام وان رجع الى لفظ الجلالة يراد به آياته وكتبه وانذار رسله عليهم السلام والمضاف محذوف على الوجهين اي من بعد تحقق ميثاقه وعلى الثاني ان رجع الضمير الى العهد فالميثاق مصدر من المبني للفاعل فالمعنى من بعد ان وثقوه بالقبول والالتزام ومن بعد ان وثقه الله عز وجل بانزال الكتب وارسال الرسل **ويقطعون ما امر الله به ان يوصل** يحتمل كل قطيعة لا يرضى بها الله سبحانه كقطع الرحم وموالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وساير ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع ما بين الله تع وبين العبد من الوصلة التي هي المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول

هو القول الطالب للفعل مع العلو وقيل بالاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما يقال له شان وهو القصد والطلب لما انه اثر الشان وكذا يقال له شيء وهو مصدر شاء لما انه اثر للمشيئة ومحل ان يوصل اما النصب على انه بدل من الموصول او من ضميره والثاني اولى لفظا ومعنى **ويفسدون في الارض** بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي عليها يدور فلك نظام وصلاحه **اولئك** اشارة الى الفاسقين باعتبار اتصافهم بما فصل من الصفات القبيحة وفيه ايذان بانهم متميزون بها اكمل تميز ومنتظمون بسبب ذلك في سلك الامور المحسوسة وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم في الفساد **هم الخاسرون** الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الآيات بالايمان بها والتامل في حقايقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والقطيعة بالصلة والعقاب بالثواب **كيف تكفرون بالله** التفات الى خطاب المذكورين مبني على ابراز ما عداه من قبايحهم السابقة لتزايد السخط الموجب للمشافهة بالتوبيخ والتقريع والاستفهام انكاري لا بمعنى انكار الوقوع كما في قوله تع كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الى آخره بل بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجيب منه وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الانكار الى نفس الكفر بان يقال اتكفرون لان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني وقوله عز وجل **وكنتم امواتا** الى آخر الآية حال من ضمير الخطاب في تكفرون مؤكدة للانكار والاستبعاد بما عدد فيها من الشؤون العظيمة الداعية الى الايمان الرادعة عن الكفر من حيث كونها نعمة عامة ومن حيث دلالتها على قدرة تامة كقوله تع وقد خلقكم اطوارا وكيف منصوب على التشبيه بالظرف عند سيبويه وبالحال عند الاخفش اي في اي حال او على اي حال تكفرون به والحال انكم كنتم امواتا اي اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل واطلاقها على تلك الاجسام باعتبار عدم الحيوة مطلقا كما في قوله تع بلدة ميتا وقوله تع وآية لهم الارض الميتة **فاحياكم** بنفخ الارواح فيكم والفاء للدلالة على التعقيب فان الاحياء حاصل اثر كونهم امواتا وان توارد عليهم في تلك الحالة اطوار مترتبة بعضها متراخ عن بعض كما اشير اليه آنفا **ثم يميتكم** اي عند انقضاء آجالكم وكون الاماتة من دلايل القدرة ظاهر واما كونها من النعم فلكونها وسيلة الى الحيوة الثانية التي هي الحيوان والنعمى العظمى والتراخي المستفاد من كلمة ثم بالنسبة الى زمان الاحياء دون زمان الحيوة فان زمان الاماتة غير متراخ عنه **ثم يحييكم** بالنشور يوم ينفخ في الصور او للسؤال في القبور وايا ما كان فهو متراخ من زمان الاماتة وان كان اثر زمان الموت المستمر **ثم اليه ترجعون** بعد الحشر لا الى غيره فيجازيكم باعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر او اليه تنشرون من قبوركم للحساب وهذه الافعال وان كان بعضها ماضيا وبعضها مستقبلا لا يقتضي مقارنة شيء منها لما هو حال منه في الزمان لكن الحال في الحقيقة هو العلم المتعلق بها كانه قيل كيف تكفرون بالله وانتم عالمون بهذه الاحوال المانعة منه وماله التعجب من وقوعه مع تحقق ما ينفيه وانما نظم ما ينكرونه من الاحياء الاخير والرجع في سلك ما يعترفون به من الاحياء والاماتة تنزيلا لتمكنهم من العلم لما عاينوه من الدلايل القاطعة منزلة العلم بذلك بالفعل في ازاحة العلل والاعذار والحيوة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة النامية لكونها من طلايعها وكذا فيما يخص الانسان من العقل والعلم والايمان من حيث انه كمالها وغايتها والموت بازائها يطلق على كل ما يقابل كل مرتبة من تلك المراتب قال الله تع قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال الله تعالى ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وعند وصفه بها العلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قايم بذاته تع مقتض لذلك وقرئ ترجعون بفتح التاء والاول هو الاليق بالمقام **هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا** تقرير للانكار وتاكيد له من الحيثيتين المذكورتين غير مسوكة عن سبك ما قبله مع اتحادهما في المقصود ايانة لما بينهما من التفاوت فان ما يتعلق بذواتهم من الاحياء والاماتة والحشر ادخل في الحث على الايمان والكف عن الكفر

مما يتعلق بمعايشهم وما يجري مجراها وفي جعل الضمير مبتدء والموصول خبرا من الدلالة على الجلالة ما لا يخفى وتقديم الظرف على المفعول الصريح لتعجيل
المسرة ببيان كونه نافعا للمخاطبين وللتشويق اليه كما سلف اي خلق لاجلكم جميع ما في الارض من الموجودات لتنتفعوا بها في امور دنياكم بالذات
وبالواسطة وامور دينكم بالاستدلال بها على شؤون الصانع تعالى شانه والاستشهاد بكل واحد منها على ما يلايمه من لذات الآخرة
والامها وما يعم جميع ما في الارض لا نفسها الا ان يراد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو نعم يعم كل جزء من اجزائها فانه من جملة ما فيها
ضرورة وجود الجزء في الكل وجميعا حال من الموصول الثاني مؤكد لما فيه من العموم فان كل فرد من افراد ما في الارض بل كل جزء من اجزاء العالم
له مدخل في استمراره على ما هو عليه من النظام اللائق الذي عليه يدور انتظام مصالح الناس اما من جهة المعاش فظاهر واما من جهة الدين
فلما انه ليس في العالم شيء مما يتعلق به النظر وما لا يتعلق به الا وهو دليل على القادر الحكيم جل جلاله كما في تفسير قوله تعالى رب العالمين وانه لم
يستعد له احد الفعل **ثم استوى الى السماء** اي قصد اليها بارادته ومشيته قصدا سويا بلا صارف يلويه ولا عاطف يثنيه من ارادة
خلق شيء آخر في تضاعيف خلقها او غير ذلك ماخوذ من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل وتخصيصه بالذكر ههنا اما لعدم تحققه في
خلق السفليات لما روي من تخلل خلق السموات بين خلق الارض ودحوها عن الحسن رضي الله عنه خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر
عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا
ففتقناهما واما لاظهار كمال العناية بابداع العلويات وقيل استوى استولى وملك والاول هو الظاهر وكلمة ثم للايذان بما فيه من المزية والفضل
على خلق السفليات لا للتراخي الزماني فان تقدمه على خلق ما في الارض المتاخر عن دحوها مما لا مرية فيه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحيها
ولما روي عن الحسن رضي الله عنه والمراد بالسماء اما الاجرام العلوية فان القصد اليها بارادته لا يستدعي سابقة الوجود واما جهات العلو
فسويهن اي اتمهن وقومهن وخلقهن ابتداء مصونا عن العوج والفطور لا انه سواهن بعد ان لم يكن كذلك ولا يخفى ما في مقارنة
التسوية والاستواء من حسن الموقع وفيه اشارة الى ان تغيرهن بالنمو والزبول كما في السفليات والضمير على الوجه الاول للسماء فانها
في معنى الجنس وقيل جمع سماءة اسماء وعلى الوجه الثاني مبهم يفسره قوله تعالى **سبع سموات** كما في قولهم ربه رجلا وعلى الوجه الاول بدل
من الضمير وتاخير ذكر هذا الصنيع البديع عن ذكر خلق ما في الارض مع كونه اقوى منه في الدلالة على كمال القدرة القاهرة كما نبه عليه
لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر وان كان في ابداع العلويات ايضا من المنافع الدينية والدنيوية
ما لا يحصى هذا ما قالوا وسياتي في حم السجدة مزيد تحقيق وتفصيل باذن الله تعالى **وهو بكل شيء عليم** اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من
خلق السموات والارض وما فيها على هذا النمط البديع المنطوي على الحكم الفائقة والمصالح اللائقة فان علمه عز وجل لجميع الاشياء ظاهرها
وباطنها بارزها وكامنها وما يليق بكل واحد منها يستدعي ان يخلق كل ما يخلقه على الوجه الرائق وقرئ وهو بسكون الهاء تشبيها له
بعضد **واذ قال ربك** بيان لامر آخر من جنس الامور المتقدمة المؤكدة للانكار والاستبعاد فان خلق آدم عليه السلام وما خصه
به من الكرامات السنية المحكية من اجل النعم الداعية لذريته الى الشكر والايمان الناهية عن الكفر والعصيان وتقرير لمضمون ما قبله من
قوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا وتوضيح لكيفية التصرف والانتفاع بما فيها وتلوين الخطاب بتوجيهه الى النبي صلى الله عليه وسلم
خاصة للايذان بان فحوى الكلام ليس مما يهتدى اليه بادلة العقل كالامور المشاهدة التي نبه عليها الكفرة بطريق الخطاب بل انما
طريقه الوحي الخاص به عليه السلام وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
من الانباء عن تشريفه عليه السلام ما لا يخفى واذ ظرف موضوع لزمان نسبة ماضية وقع فيها نسبة اخرى مثلها ولذلك يجب
اضافتها الى الجمل وانتصابه بمضمر صرح بمثله في قوله عز وجل واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وقوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد
عاد وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها
كان مشاهدة عيانا وقيل ليس انتصابه على المفعولية بل على تاويل ذكر الحادث فيه بحذف المظروف واقامة الظرف مقامه وايتاء ما كان

ما كان فهو معطوف على مضمر آخر يستدعيه الكلام كانه قيل له عليه السلام غب ما اوحي اليه ما خوطب به الكفرة من الوجه الناطق بتفاصيل القصص
الزاجرة عن الكفر به تعالى ذكرهم بذلك واذكر لهم هذه النعمة لينتبهوا بذلك لبطلان ما هم فيه وينتهوا عنه وقيل بما سبق من قوله تعالى وبشر الذين
آمنوا ولا يخفى بعده وقيل بمضمر دل عليه مضمون الآية المتقدمة مثل وبدء خلقكم اذ قال الى آخره ولا ريب في تقييد بدء الخلق بذلك الوقت
وقيل بخلقكم او باحياكم مضمرا وفيه ما فيه وقيل اذ زائدة ويعزى ذلك الى ابي عبيدة ومعمر وقيل انه بمعنى قد واللام في قوله عز وعلا **للملائكة**
للتبليغ وتقديم الجار والمجرور في هذا الباب مطرد لما في القول من الطول غالبا مع ما فيه من الاهتمام لما قدم والتشويق الى ما
اخر كما مر مرارا والملائكة جمع ملائك باعتبار اصله الذي هو ملاك على ان الهمزة مزيدة كالشمائل في جمع شمال والتاء لتاكيد جمع المؤنث
واشتقاقه من ملك لما فيه من معنى الشدة والقوة وقيل على انه مقلوب مالك من الالوكة وهي الرسالة اي موضع الرسالة او مرسل على انه
مصدر بمعنى المفعول فانهم وسائط بين الله وبين الناس فهم رسله عز وجل او بمنزلة رسله عليهم السلام واختلف العقلاء في حقيقتهم
بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المتكلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة
مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك عليهم السلام وذهب الحكماء الى انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة وانها
اكمل منها قوة واكثر علما تجري مجرى الشمس من الاضواء منقسمة الى قسمين قسم شانهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال
بغيره كما نعتهم الله عز وجل بقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض
حسبما جرى عليه قلم القضاء والقدر وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة
البشرية المفارقة للابدان ونقل في شرح كثرتهم انه عليه السلام اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك
ساجد او راكع وروي ان بني آدم عشر الجن وهما عشر حيوانات البر والكل عشر الطيور والكل عشر حيوانات البحار وهؤلاء كلهم عشر
ملائكة الارض الموكلين وهؤلاء كلهم عشر ملائكة سماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وهكذا الى السماء السابعة ثم
كل اولئك في مقابلة الكرسي نزر قليل ثم هؤلاء عشر ملائكة سرادق واحد من سرادقات العرش التي عددها ستمائة الف طول كل
سرادق وعرضه وسمكه اذا قوبلت به السموات والارض وما فيهما وما بينهما لا يكون له عندها قدر محسوس وما منه من مقدار شبر الا وفيه ملك
ساجد او راكع او قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر ثم ملائكة اللوح
الذين هم اشياع اسرافيل عليه السلام والملائكة الذين هم جنود جبريل عليه السلام لا يحصي اجناسهم ولا مدة اعمارهم وكيفيات عباداتهم
الا باريهم العليم الخبير على ما قال وما يعلم جنود ربك الا هو وروي انه عليه السلام حين عرج به الى السماء راى ملائكة في موضع بمنزلة سوق
يمشي بعضهم تجاه بعض فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام الى اين يذهبون فقال جبريل عليه السلام لا ادري الا اني اراهم
منذ خلقت ولا ارى واحدا منهم قد رايته قبل ذلك ثم سالا واحدا منهم قد رايته قبل ذلك ثم سالا واحدا منهم
منذ كم خلقت فقال لا ادري غير ان الله عز وجل يخلق في كل اربعمائة الف سنة كوكبا وقد خلق منذ خلقني اربعمائة الف كوكب فسبحانه
من اله ما اعظمه وما اوسع ملكوته واختلف في الملائكة الذين قيل لهم ما قيل فقيل ملائكة الارض وروى الضحاك عن ابن عباس
رضي الله عنهما انهم المختارون مع ابليس حين بعثه الله عز وعلا لمحاربة الجن حيث كانوا سكان الارض فافسدوا فيها وسفكوا الدماء
فقتلوهم الا قليلا وقد اخرجوهم من الارض والحقوهم بجزائر البحار وقلل الجبال وسكنوا الارض وخفف الله عنهم العبادة واعطى
ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة وكان يعبد الله تعالى تارة في الارض وتارة في السماء واخرى في الجنة فاخذه
العجب فكان من امره ما كان وقال اكثر الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين انهم كل الملائكة لعموم اللفظ وعدم المخصص
وقوله تعالى **اني جاعل في الارض خليفة** في حيز النصب على انه مقول قال وصيغة الفاعل بمعنى المستقبل ولذلك عملت عمله وفيها
ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه فاعل ذلك لا محالة وهي من الجعل بمعنى التصيير المتعدي الى مفعولين فقيل اوطما خليفة

وثانيهما الظرف المتقدم على ما هو مقتضى الصناعة فان مفعولي التصيير في الحقيقة اسم صار وخبره اولهما الاول وثانيهما الثاني وهما مبتدأ وخبره والاصل
في الارض خليفة ثم قيل صار في الارض خليفة ثم مصير في الارض خليفة ومعناه بعد اللتيا والتي اي جاعل خليفة من الخلائف وخليفة بعينه
كائنا في الارض فان خبر صار في الحقيقة هو الكون المقدر العامل في الظرف ولا ريب في ان ذلك مما تقتضيه المقام اصلا وانما الذي تقتضيه
هو الاخبار بجعل آدم خليفة فيها كما يعرب عنه جواب الملائكة عليهم السلام فاذن قوله تع خليفة مفعول ثان والظرف متعلق
بجاعل قدم على المفعول الصريح لما مر من التشويق الى ما اخر او بمحذوف وقع حالا مما بعده لكونه نكرة واما المفعول الاول فمحذوف تعويلا
على القرينة الدالة عليه كما في قوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما حذف فيه المفعول الاول وهو ضمير الاموال
لدلالة الحال عليه وكذا في قوله تع ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم حيث حذف فيه المفعول الاول لدلالة
يبخلون عليه اي لا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم ولا ريب في تحقق القرينة ههنا اما ان حمل على الحذف عند وقوع المحكي فهي واضحة
لوقوعه في اثناء ذكره عليه السلام على ما ستفصله كانه قيل اني خالق بشرا من طين وجاعل في الارض خليفة واما ان حمل على انهم لم
يحذف هناك بل قيل مثلا وجاعل اياه خليفة في الارض لكنه حذف عند الحكاية فالقرينة ما ذكر من جواب الملائكة عليهم السلام قال
العلامة الزمخشري في تفسير قوله تع واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين ان قلت كيف صح ان يقول لهم بشرا وما عرفوا ما البشر
ولا عهدوا به قلت وجهه ان يكون قد قال لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم انتهى فحيث جاز الاكتفاء
عند الحكاية عن ذلك التفصيل بمجرد الاسم من غير قرينة تدل عليه فما ظنك بما نحن فيه ومعه قرينة ظاهرة ويجوز ان يكون من الجعل بمعنى الخلق
المتعدي الى مفعول واحد هو خليفة وحال الظرف في التعلق والتقديم كما مر فحينئذ لا يكون لما سياتي من كلام الملائكة مترتبا عليه
بالذات بل بالواسطة فانه روي انه تعالى لما قال لهم اني جاعل في الارض خليفة قالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة قال الله تعالى يكون له
ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فعند ذلك قالوا ما قالوا والله اعلم والخليفة من يخلف غيره وينوب
منابه فعيل بمعنى الفاعل والتاء للمبالغة والمراد به اما آدم وبنوه واما اقتصر عليه استغناء بذكره عن ذكرهم كما يستغنى عن ذكر
القبيلة بذكر ابيها كمضر وهاشم ومنه الخلافة في قريش واما من يخلف او خلف يخلف فيهم عليه السلام وغيره من خلفاء ذريته والمراد
بالخلافة اما الخلافة من جهته سبحانه في اجراء احكامه وتنفيذ اوامره بين الناس وسياسة الخلق لكن لا لحاجة به تع الى ذلك بل لقصور
استعداد المستخلف عليهم وعدم لياقتهم بقبول الفيض بالذات فيختص بالخواص من بنيه واما الخلافة ممن كان في الارض قبل ذلك
فتعم حينئذ الجميع **قالوا** استيناف وقع جوابا عما ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا قالت الملائكة فقيل قالوا **اتجعل فيها
من يفسد فيها** وهو ايضا من الجعل المتعدي الى اثنين فقيل فيها ما قيل في الاول والظاهر ان الاول كلمة من والثاني محذوف ثقة
بما ذكر من الكلام السابق كما حذف الاول ثمة تعويلا على ما ذكر ههنا قال قائلهم لا تخلنا على غرائك انا طالما قد وشى بنا الاعداء
بحذف المفعول الثاني اي لا تخلنا جازعين على غرائك والمعنى اتجعل فيها من يفسد فيها خليفة والظرف الاول متعلق بتجعل
وتقديمه لما مر مرارا والثاني بيفسد وفائدته تاكيد الاستبعاد لما ان في استخلاف المفسد في محل افساده من البعد ما ليس في استخلافه
هذا وقد جوز كونه من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول واحد هو كلمة من وانت خبير بان مدار تعجبهم ليس خلق من يفسد في
الارض كيف لا وان ما يعقبه من الجملة الحالية الناطقة بدعوى احقيتهم منه يقتضي بطلانه حتما اذ لا صحة لدعوى الاحقية منه بالخلق
وهم مخلوقون بل مداره ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها باجراء احكام الله تعالى واوامره او يستخلف مكان المطيعين
على الطاعة من من شانه بني نوعه الافساد وسفك الدماء وهو عليه السلام وان كان منزها عن ذلك الا ان استخلافه مستتبع
لاستخلاف ذريته التي لا تخلو عنه غالبا وانما اظهروا تعجبهم استكشافا عما خفي عليهم من الحكم التي بذت على تلك المفاسد
والغتها واستخبارا عما يزيح شبهتهم ويرشدهم الى معرفة ما فيه صلى الله عليه وسلم من الفضائل التي جعلته اهلا لذلك كسؤال المتعلم

المتعلم عما ينقدح في ذهنه لا اعتراضا على فعل الله سبحانه ولا شكا في اشتماله على الحكمة والموعظة والمصلحة اجمالا ولا طعنا فيه صلى الله عليه وسلم
ولا في ذريته على وجه الغيبة فان منصبهم اجل من ان يظن بهم امثال ذلك قال تع بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون
وانما عرفوا ما قالوا اما باخبار من الله تعالى حسبما نقل من قبل وتلق من اللوح او استنباط عما ارتكز في عقولهم من اختصاص العصمة بهم او
بقياس لاحد الثقلين الى الآخر **ويسفك الدماء** السفك والسفح والسبك انواع من الصب والاولان مختصان بالدم بل لا يستعمل اولهما الا في
الدم المحترم اي يقتل النفوس المحترمة بغير حق والتعبير عنه بسفك الدماء لما انه اقبح انواع القتل وافظعه وقرئ يسفك بضم الفاء ويسفك
ويسفك من اسفك ويسفك وقرئ يسفك على البناء للمفعول وحذف الراجع الى من موصولة او موصوفة اي يسفك الدماء فيهم **ونحن نسبح بحمدك و
نقدس لك** جملة حالية مقررة للتعجب السابق ومؤكدة له على طريقة قول من يجد في خدمة مولاه وهو يامر بها غيره استخدم العصاة وانا مجتهد
فيها كانه قيل استخلف من من شان ذريته الفساد مع وجود من ليس من شانه ذلك اصلا والمقصود عرض احقيتهم منهم بالخلافة واستفسار
عما رجحهم عليهم مع ما هو متوقع منهم من الموانع لا العجب والتفاخر وكانهم شعروا بما فيهم من القوة الشهوية التي رذيلتها الافراطية
الفساد في الارض والقوة الغضبية التي رذيلتها الافراطية سفك الدماء فقالوا ما قالوا وذهلوا عما ستحتها القوة العقلية
ومرتبتها على الخير الحصل وذلك من علو الدرجة ما يقصر عن بلوغ رتبة القوة العقلية عند انفرادها في افاعيلها كالاحاطة بتفاصيل احوال
الجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل وغير ذلك مما نيط به امر الخلافة والتسبيح تنزيه الله تع
وتبعيده اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه سبحانه من سبح في الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اي واسع
الجري وكذلك تقديسه تعالى من قدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدسه اي طهره فان مطهر الشيء مبعده عن الاقذار والباء في
بحمدك متعلقة بمحذوف وقع حالا من الضمير اي ننزهك عن كل ما لا يليق بشانك ملتبسين بحمدك على ما انعمت به علينا من فنون النعم
التي من جملتها توفيقنا لهذه العبادة فالتسبيح لاظهار صفات الجلال والحمد لتذكر صفات الانعام واللام في لك اما مزيدة والمعنى
نقدسك واما صلة للفعل كما في سجدت لله واما للبيان كما في سقيا لك فيكون متعلقة بمحذوف اي نقدس تقديسا لك اي نصفك
بما يليق بك من العلو والعزة وننزهك عما لا يليق بك وقيل المعنى نطهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد الذي اعظمه
الاشراك بالتسبيح وسفك الدماء الذي هو تلويث النفس باقبح الجرائم بتطهير النفس عن الآثام لا تمدحا بذلك ولا اظهارا للمنة بل بيانا
للواقع قال استيناف كما سبق **اني اعلم ما لا تعلمون** ليس المراد به بيان انه تعالى يعلم ما لا يعلمونه من الاشياء كائنا ما كان فان ذلك
مما لا شبهة لهم فيه حتى يفتقروا الى التنبيه عليه لا سيما بطريق التوكيد بل بيان ان فيه عليه السلام معاني مستدعية للاستخلاف
اذ هو الذي خفي عليهم وبنوا عليه ما بنوا من التعجب والاستبعاد فما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن تلك المعاني والمعنى اني اعلم
ما لا تعلمونه من دواعي الخلافة فيه وانما لم يقتصر على بيان تحققها فيه عليه السلام بان قيل مثلا ان فيه ما يقتضيه من غير تعرض لاحاطته تع
به وغفلتهم عنه تفخيما لشانه وايذانا بابتنائه تعالى على العلم الرصين والحكمة المتقنة وصدوره لهم عن الغفلة وقيل معناه
اني اعلم من المصالح في استخلافه ما هو خفي عليكم وان هذا ارشاد للملائكة الى العلم بان افعاله تع كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن
والحكمة وانت خبير بانه مشعر بكونهم عالمين بذلك من قبل وبكون تعجبهم مبنيا على ترددهم في اشتمال هذا الفعل لحكمة ما وذلك مما لا يليق
بشانهم فانهم عالمون بان ذلك متضمن لحكمة ما ولكنهم مترددون في انها ماذا هل هو امر راجع الى محض حكم الله عز وجل او الى
فضيلة من جهة المستخلف فبين سبحانه وتعالى لهم اولا على وجه الاجمال والابهام ان فيه فضائل غائبة عنهم ليستشرفوا اليها ثم ابرز
لهم طرفا منها ليعاينوه جهرة ويظهر لهم بديع صنعه وحكمه وينزاح شبهتهم بالكلية **وعلم آدم الاسماء كلها** شروع في تفصيل
ما جرى بعد الجواب الاجمالي تحقيقا لمضمونه وتفسيرا لابهامه وهو عطف على قال والابتداء بحكاية التعليم يدل بظاهره على ان ما مر
من المقاولة المحكية انما جرت بعد خلقه عليه الصلوة والسلام بمحضر منه وهو الانسب بوقوف الملائكة على احواله صلى الله عليه وسلم بان قيل

اثر نفخ الروح فيه اني جاعل اياه خليفة في الارض فيقبل ما قيل كما اشير اليه وايراده عليه الصلوة والسلام باسمه العلمي لزيادة تعيين المراد بالخليفة
ولان ذكره بعنوان الخلافة لا يلايم مقام تمهيد مباديها وهو اسم عجمي والاقرب ان وزنه فاعل كشالخ وعازر وعابر وفالغ افعل والتصدي
لاشتقاقه من الادمة والادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض تباعا على ما روي عنه عليه الصلوة والسلام من انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض
سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك اختلف الوان ذريته او من الادم بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب
وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله
عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى مفردا كان او مركبا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن
بالزمان والمراد ههنا الاول والثاني وهو مستلزم الاول اذ العلم بالالفاظ من حيث الدلالة على المعاني مسبوق بالعلم بها والتعليم
حقيقة عبارة عن فعل يترتب عليه العلم بلا تخلف عنه ولا يحصل ذلك بمجرد افاضة المعلم بل يتوقف على استعداد المتعلم لقبول الفيض
وتلقيه من جهته كما في تفسير المهدي وهو السر في ايثاره على الاعلام والانباء فانهما انما يتوقفان على سماع الخبر الذي يشترك فيه البشر
والملك وبه يظهر حقيقة الخلافة منهم عليه السلام لما ان جبلتهم غير مستعدة للاحاطة بتفاصيل احوال الجزئيات الجسمانية خبرا فمعنى تعليمه
تعالى اياه ان يخلق فيه اذ ذاك بموجب استعداده علما ضروريا تفصيليا باسماء وجميع المسميات واحوالها وخواصها اللايقة
بكل منها او يلقي في روعه تفصيلا ان هذا فرس وشانه كيت وكيت وذاك بعير وحاله ذيت وذيت الى غير ذلك من احوال الموجودات
فيتلقاها عليه السلام حسبما يقتضيه استعداده علما ضروريا قال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومجاهد وابن جبير رحمهم الله تعالى علمه
اسماء جميع الاشياء حتى القصعة والقصيعة وحتى الجفنة والمحلب وانحى منفعة كل شيء الى جنسه وقيل اسماء ما كان وما سيكون الى يوم القيمة
وقيل معنى قوله تعالى وعلم آدم الاسماء خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات
والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء واسمائها وخواصها ومعارفها واصول العلم وقوانين الصناعات وتفاصيل الاتها
وكيفيات استعمالاتها فيكون ما مر من المقاولة قبل خلقه عليه السلام وقيل التعليم على ظاهره ولكن هناك جملا مطوية عطف عليها
المذكور اي فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح وعلمه الى آخره **ثم عرضهم على الملائكة** الضمير للمسميات المدلول عليها بالاسماء كما في قوله تعالى
واشتعل الراس شيبا والتذكير لتغليب العقلاء على غيرهم وقرئ عرضهن وعرضها اي عرض مسمياتهن او مسمياتها في الحديث انه
تعالى عرضهم امثال الذر ولعله عز وجل عرض عليهم من افراد كل نوع ما يصلح ان يكون انموذجا يتعرف منه احوال البقية واحكامها
فقال انبئوني باسماء هؤلاء تبكيتا لهم واظهارا لعجزهم عن اقامة ما علقوا به رجاءهم من امر الخلافة فان التصرف والتدبير
واقامة المعدلة بغير وقوف على مراتب الاستعدادات ومقادير الحقوق مما لا يكاد يمكن والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل
منهما والمراد ههنا ما خلا عنه وايثاره على الاخبار للايذان برفعة شان الاسماء وعظم خطرها فان النبا انما يطلق على الخبر الخطير والامر
العظيم **ان كنتم صادقين** اي في زعمكم انكم احقاء بالخلافة ممن استخلفته كما ينبئ عنه مقالكم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار
منطوقه واما ما قيل من ان المعنى في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء فليس مما يقتضيه المقام وان اول بان
يقال في زعمكم اني استخلف من غالب امره الافساد وسفك الدماء من غير ان يكون له مزية من جهة اخرى اذ لا تعلق له بامرهم
بالانباء وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه **قالوا** استيناف واقع موقع الجواب كأنه قيل فماذا قالوا اهل خرجوا عن عهدة
ما كلفوه او لا فقيل قالوا **سبحانك** قيل هو علم للتسبيح ولا يكاد يستعمل الا مضافا وقد جاء غير مضاف على الشذوذ غير
منصرف للتعريف والالف والنون المزيدتين كما قيل سبحان من علقمة واما ما في قوله سبحانه ثم سبحانا نعوذ له فقيل صرفه للضرورة
وقيل انه مصدر منكر كغفران لا اسم مصدر ومعناه على الاول تنزيهك عما لا يليق بشانك الاقدس من الامور التي من جملتها خلو
فعالك من الحكم والمصالح وعنوانه لك تسبيحا ناشئا عن كمال طمانينة النفس والايقان باستخلاف آدم عليه السلام على الحكم

الحكم البالغة وعلى الثاني تنزهت عن ذلك تنزها عن ذلك وارادوا بانهم قالوا عن اذعان لما ان علموا اجمالا بانه صلى الله عليه وسلم يكلفهم ما
كلفوه فانه يقدر على ما قد عجزوا عنه مما يتوقف عليه الخلافة وقوله عز وعلا **لا علم لنا الا ما علمتنا** اعتراف منهم بالعجز عما كلفوه وادعاء
لعالمنا ولا قدرة بنا على ما هو خارج عن دائرة استعدادنا حتى لو كنا مستعدين لذلك لافضته وما في علمتنا موصولة حذف من
صلتها عايدها او مصدرية ولقد نفوا عنهم العلم بالاسماء على وجه المبالغة حيث لم يقتصروا على بيان عدمه بان قالوا مثلا لا علم لنا بها بل جعلوه
من جملة ما لا يعلمونه واشعروا بان كونه من تلك الجملة غني عن البيان **انك انت العليم** الذي لا يخفى عليه خافية وهذا اشارة الى تحقيقهم
لقوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون **الحكيم** اي المحكم لمصنوعاته الفاعل لها حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة وهو خبر بعد خبر او صفة للاول وانت
ضمير الفصل لا محل له من الاعراب او له محل مشارك لما قبله كما قاله الكسائي وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وقيل
مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر ان وتلك الجملة تعليل لما سبق من قصر علمهم بما علمهم الله تعالى وما يفهم من ذلك من علم آدم عليه السلام
بما خفي عليهم فكانهم قالوا انت العالم بكل المعلومات التي من جملتها استعداد آدم عليه السلام لما نحن فيه بمعزل من الاستعداد له من العلوم
الخفية المتعلقة بما في الارض من انواع المخلوقات التي عليها يدور فلك الخلافة الحكيم الذي لا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة ومن جملته
تعليم آدم عليه السلام ما هو قابل له من العلوم الكلية والمعارف الجزئية المتعلقة بالاحكام الواردة على ما في الارض وبناء امر الخلافة
عليها **قال** استيناف كما سلف **يا آدم انبئهم** اي اعلمهم ونادى على اسمه كما وقع في امر الملائكة عليهم السلام مع حضوره المراد
معه ايضا وهو ظهور فضل آدم عليه السلام ابانة لما بين الامرين من التفاوت الجلي وايذانا بان علمه عليه السلام بها امر واضح
غير محتاج الى ما يجري مجرى الامتحان وانه عليه السلام حقيق بان يعلمها غيره وقرئ بقلب الهمزة ياء وبحذفها ايضا والهاء مكسورة
فيهما **باسمائهم** التي عجزوا عن علمها واعترفوا بتقاصر هممهم عن بلوغ مرتبتها **فلما انباهم باسمائهم** الفاء فصيحة عاطفة للجملة الشرطية
على محذوف يقتضيه المقام وينسحب عليه الكلام للايذان بتقرره وغناه عن الذكر وللاشعار بتحققه في اسرع ما يكون كما في قوله
عز وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله سبحانه انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك واظهار الاسماء في موضع الاضمار لاظهار كمال
العناية بشانها والايذان بانه عليه السلام انباهم بها على وجه التفصيل دون الاجمال فالمعنى فانباهم باسمائهم مفصلة وبين لهم احوال
كل منهم وخواصه واحكامه المتعلقة بالمعاش والمعاد فعلموا ذلك لما رأوا انه عليه السلام لم يتلعثم في شيء من التفاصيل التي ذكرها
مع مساعدة ما بين الاسماء والمسميات من المناسبات والمشاكلات وغير ذلك من القرائن الموجبة لصدق مقالاته عليه السلام فلما انباهم
بذلك قال عز وجل تقريرا لما مر من الجواب الاجمالي واستحضارا له **قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض** لكن لا لتقرير
نفسه كما في قوله تعالى الم يعدكم ربكم وعدا حسنا ونظائره بل لتقرير ما يفيده من تحقق دواعي الخلافة في آدم عليه السلام لظهور مصداقه
وايراد ما لا يعلمون بعنوان الغيب مضافا الى السموات والارض للمبالغة في بيان كمال شمول علمه المحيط وغاية سعته مع الايذان
بان ما ظهر من عجزهم وعلم آدم عليهم السلام من الامور المتعلقة باهل السموات واهل الارض وهذا دليل واضح على ان المراد
بما لا تعلمون فيما سبق ما اشير اليه هناك كأنه قيل الم اقل لكم اني اعلم فيه من دواعي الخلافة ما لا تعلمونه فيه هو الذي عاينتموه
وقوله تعالى **واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون** عطف على جملة الم اقل لكم لا على اعلم اذ هو غير داخل تحت القول وما في الموضعين
موصولة حذف عائدها اي اعلم ما تبدونه وما تكتمونه وتغيير الاسلوب للايذان باستمرار كتمهم قيل المراد بما تبدون قولهم
اتجعل الى آخره وبما يكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم روي انه تعالى لما خلق آدم عليه
السلام رأت الملائكة فطرته العجيبة وقالوا ليكن ما شاء فلن يخلق ربنا خلقا الا كنا اكرم عليه منه وقيل هو ما اسره ابليس
في نفسه من الكبر وترك السجود واسناد الكتمان الى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم قالوا في الآية
الكريمة دلالة على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وان ذلك هو المناط للخلافة وان التعليم يصح اطلاقه

على الله وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه عادة بمن يحترف به وان اللغات توقيفية اذ الالفاظ تدل على الالفاظ بخصوص او عموم
وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع وما هو الا من الله وان علوم الملائكة هي
وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة الاولى العليا منهم وحملوا ذلك قوله تع وما منا الا له مقام معلوم وان آدم
افضل من هؤلاء الملائكة عليهم السلام لانه اعلم منهم وانه تع يعلم الاشياء قبل حدوثها **واذ قلنا للملائكة** عطف على الظرف
الاول منصوب بما نصبه من المضمر او بناصب مستقل معطوف على ناصبه عطف القصة على القصة اي واذكر وقت قولنا لهم وقيل بفعل
دل عليه الكلام اي اطاعوا وقت قولنا الخ وقد عرفت ما في مثاله وتخصيص هذا القول بالذكر مع كون مقتضى الظاهر ايراده على
منهاج ما قبله من الاقوال المحكية المتصلة به للايذان بان ما في حيزه نعمة جليلة مستقلة حقيقة بالذكر والتذكير على حيالها والالتفات
الى التكلم لاظهار الجلالة وتربية المهابة مع ما فيه من تاكيد الاستقلال وكذا اظهار الملائكة في موضع الاضمار واللام في الكلام
وتقديمها مع مجرورها على المفعول لما مر وقرئ بضم تاء الملائكة اتباعا لضم الجيم في قوله تع **اسجدوا لآدم** كما قرئ بكسر الدال
في قوله تع الحمد لله اتباعا لكسر اللام وهي لغة ضعيفة والسجود في اللغة الخضوع والتطامن وفي الشرع وضع الجبهة على الارض على قصد
العبادة فقيل امروا بالسجود له عليه السلام على وجه التحية والتكرمة تعظيما له واعترافا بفضله واداء لحق التعليم واعتذارا عما وقع
منهم في شانه وقيل امروا بالسجود له تعالى وانما كان آدم قبلة لسجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه فكانه تعالى لما براه انموذجا للمبدعات
كلها ونسخة منطوية على تعلق العالم الروحاني بالعالم الجسماني وامتزاجهما على نمط بديع امرهم بالسجود له تعالى لما عاينوا من
عظم قدرته فاللام فيه كما في قول حسان رضي الله عنه اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن والسنن او في قوله تع اقم
الصلوة لدلوك الشمس والاول هو الاظهر وقوله عز وجل **فسجدوا** عطف على قلنا والفاء لافادة مسارعتهم الى الامتثال وعدم
تلعثمهم في ذلك روي عن وهب ان اول من سجد جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم سائر الملائكة عليهم السلام وقوله
تعالى **الا ابليس** استثناء متصل لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه في فسجدوا ثم
استثني استثناء واحد منهم او لان من الملائكة جنسا يتوالدون يقال لهم الجن كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ومنهم
ابليس او لان الجن ايضا كانوا مامورين بالسجود له لكن استغني بذكر الملائكة عن ذكرهم او منقطع وهو اسم اعجمي ولذلك لم ينصرف
ومن جعله مشتقا من الابلاس وهو الياس قال انه شبه بالعجمة حيث لم يسم به احد فكان كالاسم الاعجمي واعلم ان الذي يقتضيه هذه الآية
الكريمة والتي في سورة الاعراف من قوله تع ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس الآية والتي في سورة بني اسرائيل
وسورة الكهف وسورة طه من قوله تع واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الآية ان سجود الملائكة انما ترتب على الامر
التنجيزي الوارد بعد خلقه وتسويته ونفخ الروح فيه البتة كما يلوح به حكاية امتثالهم بعبارة السجود دون الوقوع الذي به ورد الامر
التعليقي ولكن ما في سورة الحجر من قوله عز وعلا واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون وما في سورة ص من قوله تع اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا
من طين الى آخر الآية يستدعيان بظاهرهما ترتبه على ما فيهما من الامر التعليقي من غير ان يتوسط بينهما شيء غير ما يقتضيه الفاء
الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه عليه السلام وروي عن وهب انه كان السجود كما نفخ الروح فيه عليه السلام بلا تاخير
وتاويل الآيات السابقة بحمل ما فيها من الامر على حكاية الامر التعليقي بعد تحقق المعلق به اجمالا فانه حينئذ يكون في حكم التنجيز يأباه
ما في سورة الاعراف من كلمة ثم المنادية بتاخر ورود الامر عن التصوير المتاخر عن الخلق المتاخر عن الامر التعليقي ولا اعتذار بحمل التراخي
على الرتبي والتراخي في الاخبار او بان الامر التعليقي قبل تحقق المعلق به لما كان في عدم ايجاب المامور به بمنزلة العدم جعل كانه انما
حدث بعد تحققه فحكي على صورة التنجيز يؤدي بعد اللتيا والتي الى ان ما جرى بينه وبينهم عليهم السلام في شان الخلافة وما قالوا

فيه وما سمعوا انما جرى بعد السجود المسبوق بمعرفة جلالة منزلته عم وبخروج ابليس من البين باللعن المؤبد لعناده وبعد مشاهدتهم لذلك عيانا
وهل هو الا خرق لقضية العقل والنقل والالتجاء في التفصي عنه الى تاويل نفخ الروح بحمله على ما يعم افاضة ما به حياة النفوس التي من جملتها
تعليم الاسماء تعسف ينبئ عن ضيق المجال فالذي يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر العميق بعد التصفح في مستودعات الكتاب المكنون
والتفحص عما فيه من السر المخزون ان سجودهم له عليه السلام انما ترتب على الامر التنجيزي المتفرع على ظهور فضله عليه السلام المبني على
المحاورة المسبوقة بالاخبار بالخلافة المنتظم جميع ذلك في سلك ما نيط به الامر التعليقي من التسوية ونفخ الروح اذ ليس من قضيته
وجوب السجود عقيب نفخ الروح فيه فان الفاء الجزائية ليست بنص في وجوب وقوع مضمون الجزاء عقيب وجود الشرط من غير تراخ
للقطع بعدم وجوب السعي عقيب النداء لقوله تع اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وبعدم وجوب اقامة الصلوة
عقيب الاطمئنان لقوله تع فاذا اطماننتم فاقيموا الصلوة بل انما الوجوب عند دخول الموقت كيف لا والحكمة الداعية الى ورود
ما نحن فيه من الامر التعليقي اقتضت انما هي حمل الملائكة عليهم السلام على التامل في شانه عليه السلام ليدبروا في آياته واحواله
نظرا ويحيطوا بما لديه خبرا ويستفهموا ما عسى يستبهم في امره صلى الله عليه وسلم لابتنائه على حكم ابية واسرار خفية طويت على
علومهم ويقفوا على جلية الحال قبل ورود الامر التنجيزي ويتحتم الامتثال والذي يحسم مادة الاشتباه ان ما في سورة
ص من قوله تع اذ قال ربك للملائكة الى آخره بدل من قوله تع اذ يختصمون فيما قبله من قوله تع ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ
يختصمون اي بكلامهم عند اختصامهم ما جرى بينهم في شان خلافة آدم عليه السلام من التقاول الذي من جملته ما صدر عنهم من
الانباء بالاسماء وقضيته البدلية وقوع الاختصام المذكور في تضاعيف ما شرح فيه تفصيلا من الامر التعليقي وما علق به من الخلق
والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة عليهم السلام وعناد ابليس وما تبعه من لعنه واخراجه من بين الملائكة
وما جرى بعده من الافعال والاقوال واذ ليس تمام الاختصام بعد سجود الملائكة ومكابرة ابليس المستتبعة لطرده من بينهم لما
عرفت من انه احد المختصمين كما انه ليس قبل الخلق ضرورة استحالة الانباء بالاسماء حينئذ فهو اذن بعد نفخ الروح وقبل السجود حتما
باحد الطريقين والله سبحانه اعلم بحقيقة الحال **ابى واستكبر** استيناف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء وانه لم يكن
للتردد والتامل والاباء الامتناع بالاختيار والتكبر ان يرى نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع اي امتنع عما امر به
واستكبر من ان يعظمه او يتخذه وصلة في عبادة ربه وتقديم الاباء على الاستكبار مع كونه مسببا عنه لظهوره ووضوح اثره واقتصر
في سورة ص على ذكر الاستكبار اكتفاء به وفي سورة الحجر على ذكر الاباء حيث قيل ابى ان يكون مع الساجدين **وكان من
الكافرين** اي في علم الله تع او كان اصله من كفرة الجن فلذلك ركبه ما ارتكبه على ما افصح عنه قوله تع كان من الجن ففسق عن امر ربه
فالجملة اعتراضية مقررة لما سبق من الاباء والاستكبار او صار منهم باستقباح امره تع اياه بالسجود لآدم عليه السلام زعما منه
انه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالخضوع للمفضول كما يفصح عنه قوله انا خير منه حين قيل له ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده فالجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الواو على الفاء للدلالة على ان محض الاباء
والاستكبار كفر لا انهما سببان له كما يفيده الفاء **وقلنا** شروع في حكاية ما جرى بينه تعالى وبين آدم عليه بعد تمام ما جرى بينه تعالى
وبين الملائكة وابليس من الاقوال والافعال وقد تركت حكاية توبيخ ابليس وجوابه ولعنه واستنظاره وانظاره اجتزاء بما فصل في
سائر السور الكريمة وهو عطف على قلنا للملائكة ولا يقدح في ذلك اختلاف وقتيهما فان المراد بالزمان المدلول عليه بكلمة اذ زمان
ممتد واسع للقولين وتصدير الكلام بالنداء في قوله تعالى **يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة** للتنبيه على الاهتمام بتلقي المامور به
وتخصيص اصل الخطاب به عليه السلام للايذان باصالته في مباشرة المامور به واسكن من السكنى وهو اللبث والاقامة والاستقرار
دون السكون الذي هو ضد الحركة وانت ضمير اكد به المستكن ليصح العطف عليه واختلف في وقت خلق زوجه فذكر السدي عن ابن

وما كان

مسعود وابن عباس وناس من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ان الله تعالى لما اخرج ابليس من الجنة واسكنها آدم بقي فيها وحده
ما معه من يستأنس به فالقى الله تعالى عليه النوم ثم اخذ ضلعا من جانبه الايسر ووضع مكانه لحما وخلق حواء منه فلما استيقظ وجدها
عند رأسه قاعدة فسألها ما انت قالت امرأة قال ولم خلقت قالت لتسكن الي فقالت الملائكة تجربة لعلمه صلى الله عليه وسلم ما هذه
قال امرأة قالوا لم سميت امرأة قال لانها خلقت من شيء حي وروي عن ابن عباس قال بعث الله تعالى جندا من الملائكة وحملوا آدم وحواء
على سرير من ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما النور حتى ادخلوهما الجنة وهذا كما ترى يدل على خلقها قبل دخول الجنة والمراد بها دار
الثواب لانها المعهودة وقيل هي جنة بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقها الله تعالى امتحانا لآدم عليه السلام وحمل الاهباط
على النقل منها الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا لما انه خلقه عليه السلام كان في الارض بلا خلاف ولم يذكر في هذه القصة
رفعه الى السماء ولو وقع ذلك لكان اولى بالذكر والتذكير لما انه من اعظم النعم ولانها لو كانت دار الخلد لما دخلها ابليس وقيل انها
كانت في السماء السابعة بدليل اهبطوا ثم ان الاهباط الاول كان منها الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض وقيل الكل ممكن
والادلة النقلية متعارضة فوجب التوقف وترك القطع **وكلا منها** اي من ثمارها وانما وجه الخطاب اليهما تعميما للتشريف والترفيه
ومبالغة في ازالة العلل والاعذار وايذانا بتساويهما في مباشرة المأمور به فان حواء اسوة له عليه السلام في الاكل بخلاف
السكنى فانها تابعة له فيه **رغدا** صفة للمصدر المؤكد اي اكلا واسعا **حيث شئتما** اي اي مكان اردتما منها وهذا كما ترى اطلاق
كلي حيث ابيح لهما الاكل منها على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلل ولم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للمأكولات
حتى لا يبقى لهما عذر في تناول ما منعا منه بقوله تعالى **ولا تقربا** بفتح الراء من قرب الشيء بالكسر قربه بالفتح اذا التبس به و
تعرض له وقال الجوهري قرب بالضم يقرب قربا اي دنى وقربته بالكسر قربانا دنوت منه **هذه الشجرة** نصب على انه بدل من اسم
الاشارة او نعت له بتأويلها بمشتق اي هذه الحاضرة اي من الشجرة اي لا تأكلا وانما علق النهي بالقربان منها مبالغة في تحريم
الاكل ووجوب الاجتناب عنه والمراد بها الحنطة او العنبة او التينة وقيل هي شجرة من اكل منها احدث والاولى عدم تعيينها من غير
قاطع وقرئ هذي بالياء وبكسر شين الشجرة وتاقربا وقرئ الشيرة بكسر الشين وفتح الياء **فتكونا من الظالمين** مجزوم على انه
معطوف على تقربا او منصوب على جواب النهي واياما كان فالقرب اي الاكل منها سبب لكونهما من الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم
بارتكاب المعصية او نقصوا حظوظهم بمباشرة ما يخل بالكرامة والنعيم او تعدوا حدود الله تعالى **فازلهما الشيطان عنها** اي
اصدر زلتهما اي ذنبهما وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه ما في قوله تعالى وما فعلته عن امري وازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما
وابعدهما عنها يقال زل عني كذا اذا ذهب عنك ويعضده قراءة ازالهما عن الجنة متقاربان في المعنى فان الازلال اي الازلاق
يقتضي زوال الزال عن موضعه البتة وازلاله قوله هل ادلكم على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا
ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته لهما اني لكما لمن الناصحين وهذه الآيات مشعرة بانه عليه السلام لم يؤمر بسكنى الجنة
على وجه الخلود بل على وجه التكرمة والتشريف لما قلد من خلافة الارض الى حين البعث اليها واختلف في كيفية توصله اليهما بعد ما
قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه انما منع من الدخول على وجه التكرمة كما يدخلها الملائكة عليهم السلام ولم يمنع من الدخول
للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة وقيل دخل في فم
الحية فدخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله سبحانه وتعالى **فاخرجهما مما كانا فيه** اي من الجنة ان
كان ضمير عنها للشجرة والتعبير عنها بذلك للايذان بفخامتها وجلالتها وملابستهما لها اي من المكان العظيم الذي كانا مستقرين
فيه او من الكرامة والنعيم ان كان الضمير للجنة **وقلنا اهبطوا** الخطاب لآدم وحواء بدليل قوله تعالى قال اهبطا منها جميعا
وجمع الضمير لانهما اصل الجنس فكانهما الجنس كلهم وقيل لهما وللحية وابليس على انه اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها الوسوسة

للوسوسة او يدخلها مسارقة او اهبط من السماء وقرئ بضم الباء **بعضكم لبعض عدو** حال استغني فيها عن الواو بالضمير متعادين
يبغي بعضكم على بعض بتضليله او استئناف لا محل له من الاعراب وافراد العدو اما للنظر الى لفظ البعض واما لان وزانه وزان المصدر
كالقبول **ولكم في الارض** التي هي محل الاهباط والظرف متعلق بما تعلق به الخبر اعني لكم من الاستقرار **مستقر** اي استقرار او موضع
استقرار **ومتاع** اي تمتع بالعيش وانتفاع به **الى حين** هو حين الموت على ان المغيا تمتع كل فرد من المخاطبين او القيامة
على انه تمتع الجنس في ضمن بعض الافراد والجملة كما قبلها في كونها حالا اي مستحقين للاستقرار والتمتع واستئنافا **فتلقى آدم من ربه**
كلمات اي استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها ووفق لها وقرئ بنصب آدم ورفع كلمات دلالة على انها استقبلته وبلغته
وهو قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي
انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال رب الم تنفخ في من روحك قال بلى
قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال نعم قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم والفاء
للدلالة على التوبة حصلت عقيب الامر بالهبوط قبل تحقق المأمور والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليه عليه السلام للتشريف
والايذان بعليته لالقاء الكلمات المدلول عليه بتلقيها **فتاب عليه** اي رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة والفاء للدلالة على ترتبه
على تلقي الكلمات المتضمن لمعنى التوبة التي هي عبارة عن الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على عدم العود اليه واكتفي بذكر
شأن آدم عليه السلام لما ان حواء تبع له في الحكم ولذلك طوي ذكر النساء في اكثر مواقع الكتاب والسنة **انه هو التواب** اي
الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وصف به العبد كان رجوعا عن
المعصية واذا وصف به الباري عز وجل اريد به الرجوع عن العقاب الى المغفرة **الرحيم** المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين
وعد بليغ للتائب بالاحسان مع العفو والغفران والجملة تعليل لقوله تعالى فتاب عليه **قلنا** استئناف مبني على سؤال
ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا وقع بعد قبول توبته فقيل قلنا **اهبطوا منها جميعا** كرر الامر بالهبوط ايذانا بتحتم
مقتضاه وتحققه لا محالة ودفعا لما عسى يقع في امنيته صلى الله عليه وسلم من استتباع قبول التوبة للعفو عن ذلك واظهار
النوع رأفته صلى الله عليه وسلم لما بين الامرين من الفرق البين كيف لا والاول مشوب بضرب سخط مذيل ببيان ان مهبطهم دار
بلية وتعاد لا يخلدون فيها والثاني مقرون بوعد ايتاء الهدى المؤدي الى النجاة والنجاح واما ما فيه من وعيد العقاب
فليس بمقصود من التكليف قصدا اوليا بل انما هو دائر على سوء اختيار المكلفين قيل وفيه تنبيه على ان الحازم يكفيه
في الردع من مخالفة حكم الله تعالى مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين فكيف بالمقترن بهما فتأمل وقيل الاول من
الجنة الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض ويأباه التعرض لاستقرارهم في الارض في الاول ورجوع الضمير الى الجنة
في الثاني وجميعا حال في اللفظ وتأكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي الاجتماع على الهبوط في زمان
واحد كما في قولك جاؤوا جميعا بخلاف قولك جاؤوا معا **فاما يأتينكم مني هدى** الفاء لترتيب ما بعدها على الهبوط
المفهوم من الامر به واما مركبة من ان الشرطية وما المزيدة المؤكدة لمعناها والفعل في محل الجزم بالشرط لانه مبني لاتصاله
بنون التأكيد وقيل معرب مطلقا وقيل مبني مطلقا والصحيح التفصيل ان باشرته النون بني والا اعرب نحو هل يقومن وتقديم
الظرف على الفاعل لما مر غير مرة والمعنى ان يأتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم وجواب الشرط
قوله تعالى **فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** كما في قولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك وايراد كلمة الشك
مع تحقق الاتيان لا محالة للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسول وانزال الكتب بل يكفي في ايجابه
العقل ونصب الادلة الآفاقية والانفسية والتمكين من النظر والاستدلال وللجري على سنن العظماء في ايراد عسى ولعل في

مواقع القطع والجزم والمعنى ان من تبع ما اتى منكم فلا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اي لا
ما يوجب ذلك الا انه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولانه لا يعتريهم نفس الخوف والحزن اصلا بل يستمرون على السرور والنشاط
كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله سبحانه وتعالى واستقصارا للجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خصائص
الخواص والمقربين والمراد دوام انتفائهما لا بيان دوامهما كما يتوهم من كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما تقرر في
موضعه ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام واظهار الهدى مضافا الى ضمير الجلالة للتعظيم
وتاكيد وجوب اتباعه او لان المراد بالثاني ما هو اعم من الهدايات الشرعية وما ذكر من افاضة العقل ونصب الادلة الآفاقية
والانفسية كما قيل وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا** عطف على من تبع الى آخره
قسيم له كانه قيل ومن لم يتبعه وانما اوثر عليه ما ذكر تفصيلا لحال الضلالة واظهارا لكمال قبحها وايراد الموصول بصيغة الجمع
للاشعار بكثرة الكفرة والجمع بين الكفر والتكذيب للايذان بتنوع الهدى الى ما ذكر من النوعين وايراد نون العظمة لتربية المهابة
وادخال الروعة واضافة الآيات اليها لاظهار كمال قبح التكذيب بها اي والذين كفروا برسلنا المرسلة اليهم وكذبوا
بآياتنا المنزلة عليهم وقيل المعنى كفروا بالله وكذبوا بآياته التي انزلها على انبيائه عليهم السلام واظهرها بايديهم من المعجزات
وقيل كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون كلا الفعلين متوجها الى الجار والمجرور والآية في الاصل العلامة الظاهرة
قال النابغة توهمت آيات لها فعرفتها لستة اعوام وذا العام سابع ويقال للمصنوعات من حيث دلالتها على الصانع تعالى وعلمه وقدرته
ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل لانها علامة لانفصال ما قبلها مما بعدها وقيل لانها تجمع كلمات منه فيكون
من قولهم خرج بنو فلان بآيتهم اي بجماعتهم قال خرجنا من النقبين لا حي مثلنا بآياتنا نزجي اللقاح المطافلا واشتقاقها من اي
لانها تبين ايا من اي او من اوى اليه اي رجع واصلها اية او اوية فابدلت عينها الفا على غير قياس او اوية او ايية كرمكة فاعلت
او آيية فحذفت الهمزة تخفيفا **اولئك** اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وفيه اشعار
بتميزهم بذلك الوصف تميزا مصححا للاشارة الحسية وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فيه وهو مبتدأ وقوله عز وجل
اصحاب النار اي ملازموها وملابسوها بحيث لا يفارقونها خبره والجملة خبر للموصول او اسم الاشارة بدل من الموصول او عطف
بيان له واصحاب النار خبر له وقوله تعالى **هم فيها خالدون** في حيز النصب على الحالية لورود التصريح به في قوله تعالى اصحاب النار
خالدين فيها وقد جوز كونه حالا من النار لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الاضافة او اللام المقدرة او في محل الرفع على
انه خبر آخر لاولئك على راي من جوز وقوع الجملة خبرا ثانيا وفيها متعلق بخالدون والخلود في الاصل المكث الطويل وقد انعقد
الاجماع على ان المراد به الدوام وقوله **يا بني اسرائيل** تلوين للخطاب وتوجيه له الى طائفة خاصة من الكفرة المعاصرين للنبي
صلى الله عليه وسلم لتذكيرهم بفنون النعم الفائضة عليهم بعد توجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره بتذكير كلهم بالنعمة
العامة لبني آدم قاطبة لقوله تعالى واذ قال ربك الى آخره واذ قلنا للملائكة الى آخره لان المعنى كما اشير اليه بلغهم كلامي واذكر
لهم اذ جعلنا اباهم خليفة في الارض ومسجودا للملائكة عليهم السلام وشرفناه بتعليم الاسماء وقبلنا توبته والابن من البناء
لانه مبني ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية
صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائيل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرائل بقلب الهمزة ياء واسرأل بفتح الهمزة واسرايل
بهمزة مكسورة بين الراء واللام وتخصيص هذه الطائفة بالذكر والتذكير لما انهم اوفر الناس نعمة واكثرهم كفرا بها **اذكروا**
نعمتي التي انعمت عليكم بالتفكر فيها والقيام بشكرها وفيه اشعار بانهم قد نسوها بالكلية ولم يخطروها بالبال لانهم اهملوا شكرها
فقط واضافة النعمة الى ضمير الجلالة لتشريفها وايجاب تخصيص شكرها به تعالى وتقييد النعمة بهم لما ان الانسان مجبول على حب النعمة فاذا

فاذا نظر الى ما فاض عليه من النعم الذي سيجيء تفصيلها عليهم من فنون النعم التي اجلها ادراك عصر النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ اذكروا
من افتعال ونعمتي باسكان الياء واسقاطها في الدرج وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها **واوفوا بعهدي** اي بالايمان والطاعة
اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى كل واحد ممن يتولى طرفيه ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى
عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وارسال الرسل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض
فاول مراتبه منا هو الايمان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن الدماء والاموال وآخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث نغفل
عن انفسنا فضلا عن غيرنا ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم واما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما اوفوا بعهدي في اتباع
محمد صلى الله عليه وسلم اوف بعهدكم في رفع الآصار والاغلال وعن غيره باداء الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب او
اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والتعظيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى
اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين قوله تعالى ولقد اخذ الله
ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات تجري الى آخره وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة والتاكيد **واياي فارهبون**
فيما تاتون وتذرون خصوصا في نقض العهد وهو اكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه من التقديم مع تكرير المفعول
والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبوني والرهبة خوف معه تحرز والآية متضمنة
للوعد والوعيد ودالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف الا الله تعالى **وآمنوا بما انزلت** افراد الايمان
بالقرآن بالامر به لما انه العمدة القصوى في شان الوفاء بالعهود **مصدقا لما معكم** من التوراة والتعبير عنها بذلك للايذان بعلمهم
بتصديقه لها فان المعية مئنة لتكرر المراجعة اليها والوقوف على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكونه مصدقا لها ومعنى تصديقه
للتوراة انه نازل حسبما نعت فيها او من حيث انه موافق لها في القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهي
عن المعاصي والفواحش واما ما يتراءى من مخالفته لها في بعض جزئيات الاحكام المتفاوتة بسبب تفاوت الاعصار فليست بمخالفة في
الحقيقة بل هو موافقة لها من حيث ان كلا منهما حق بالاضافة الى عصره وزمانه متضمن للحكمة التي عليها يدور فلك التشريع وليس في
التوراة دلالة على ابدية احكامها المنسوخة حتى يخالفها ما ينسخها وانما يدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها
بل نقول هي ناطقة بنسخ تلك الاحكام فان نطقها بصحة القرآن الناسخ لها نطق بنسخها فاذن مناط المخالفة في الاحكام المنسوخة
انما هو اختلاف العصر حتى لو تاخر نزول المتقدم نزل على وفق المتاخر ولو تقدم نزول المتاخر لوافق المتقدم قطعا ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي وتقييد المنزل بكونه مصدقا لما معهم لتاكيد وجوب
الامتثال بالامر فان ايمانهم بما معهم مما يقتضي الايمان بما يصدقه قطعا **ولا تكونوا اول كافر به** اي لا تسارعوا الى الكفر به فان
وظيفتكم ان تكونوا اول من آمن به لما انكم تعرفون شانه وحقيته بطريق التلقي مما معكم من الكتب الالهية كما تعرفون ابناءكم
وقد كنتم تستفتحون به وتبشرون بزمانه كما سيجيء فلا تضعوا موضع ما يتوقع منكم ويجب عليكم ما لا يتوهم صدوره عنكم من كونكم
اول كافر به ووقوع اول كافر به خبرا عن ضمير الجمع بتاويل اول فريق او فوج او بتاويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به
كقولك كسانا حلة ونهاهم عن التقدم في الكفر مع ان مشركي العرب اقدم منهم لما ان المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به
الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او لان المراد نهيهم عن كونهم اول كافر به من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر
بالقرآن فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوءل من وال اليه اذا نجا وخلص فابدلت
الهمزة واوا تخفيفا غير قياسي او اول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت **ولا تشتروا بآياتي** اي لا تاخذوا لانفسكم بدلا
منها **ثمنا قليلا** هي الحظوظ الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالنسبة الى ما فات عنهم من حظوظ الآخرة

بترك الايمان قيل كانت لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها على الايمان واتباع عن المشترى الذى هو العمدة فى عقود المعاوضة والمعقود فيها بالثمن الذى شأنه ان يكون وسيلة فيها وقرنت الآيات التى حقها ان يتنافس فيها المتنافسون بالباء التى تصحب الوسائل ايذانا بتعكيسهم حيث جعلوا ما هو المقصود الاصلى وسيلة والوسيلة مقصودا **وإياي فاتقون** بالايمان واتباع الحق والاعراض عن حطام الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادى من الآية الثانية فصلت بالرهبة التى هى من مقدمات التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امرهما بالرهبة المتناولة للفريقين واما الخطاب بالثانية فحيث خص بالعلماء امرهم بالتقوى الذى هو المنتهى **ولا تلبسوا الحق بالباطل** عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه الاشتباه بين المختلطين والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذى تخترعونه وتكتبونه حتى يشتبه احدهما بالآخر او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب الباطل التى تكتبونه فى تضاعيفه او تذكرونه فى تأويله **وتكتموا الحق** مجزوم داخل تحت حكم النهى كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء عمن لم يسمعه او منصوب باضمار ان على ان الواو للجمع على ان لا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وبين كتمانه ويعضده انه فى مصحف ابن مسعود وتكتمون اى وانتم تكتمون اى كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وتكرير الحق اما لان المراد بالاخير ليس عين الاول بل هو نعت النبى عليه السلام الذى كتموه وكتبوا مكانه غيره كما سيجىء فى قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم لزيادة تقبيح المنهى اذ فى التصريح باسم الحق ما ليس فى ضميره **وانتم تعلمون** اى حال كونكم عالمين بانكم لابسون كاتمون او وانتم تعلمون انه حق او وانتم من اهل العلم وليس اراد الحال لتقييد النهى به كما فى قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى بل لزيادة تقبيح حالهم اذ الجاهل عسى يعذر **واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة** اى صلوة المسلمين وزكوتهم فان غيرهما بمعزل عن كونه صلاة وزكوة امرهم الله تعالى بفروع الاسلام بعد الامر باصوله **واركعوا مع الراكعين** اى فى جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس فى المناجاة وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط بن قريع السعدى لا تحقرن الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه **اتأمرون الناس بالبر** تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بعد توجيهه الى الكل والهمزة فيها للتقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع فى الخير من البر الذى هو الفضاء الواسع يتناول جميع اصناف الخيرات ولذلك قيل البر ثلاثة بر فى عبادة الله تعالى وبر فى مراعاة الاقارب وبر فى معاملات الاجانب **وتنسون انفسكم** اى تتركونها من البر كالمنسيات عن ابن عباس رضى الله عنهما انها نزلت فى احبار المدينة كانوا يأمرون سرا من نصحوه باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه طمعا فى الهدايا والصلات التى كانت تصل اليهم من اتباعهم وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وقال السدى انهم كانوا يأمرون الناس بطاعة الله تعالى وينهونهم عن معصيته وهم يتركون الطاعة ويقدمون على المعصية وقال ابن جريج كانوا يأمرون الناس بالصلوة والزكوة وهم يتركونهما ومدار الانكار والتوبيخ هى الجملة المعطوفة دون ما عطفت هى عليه **وانتم تتلون الكتاب** تبكيت لهم وتقريع كقوله تعالى وانتم تعلمون والحال انكم تتلون التورية الناطقة بنعوته عليه السلام الآمرة بالايمان به او بالوعد بفعل الخير والوعيد على الفساد والعناد وترك البر ومخالفة القول العمل **افلا تعقلون** اى اتتلونه فلا تعقلون ما فيه او قبح ما تصنعون حتى ترتدعوا عنه قال انكار متوجه الى عدم الفعل بعد تحقق ما يوجبه فالمبالغة من حيث الكيف والا تتلون فلا تعقلون فالانكار متوجه الى كلا الامرين والمبالغة من حيث الكم والعقل فى الاصل المنع والامساك ومنه العقال الذى يشد به وظيف البعير ذراعه ليحبسه عن الحراك سمى به النور الروحانى الذى به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية لانه يحبسه عن تعاطى ما يقبح ويعقله على ما يحسن والآية كما ترى ناعية على كل من يعظ غيره ولا يتعظ سوء صنيعه وعدم تأثره وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالى عن العقل

عن العقل والمراد بها كما اشير اليه حثه على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل لتقوم بالحق فتقيم غيرها لا منع الفاسق عن الوعظ يروى انه كان عالم من العلماء مؤثر الكلام قوى التصرف فى القلوب وكان كثيرا ما يموت من اهل مجلسه واحد واثنان من شدة تأثير وعظه وكان فى بلده عجوز لها ابن صالح رقيق القلب سريع الانفعال وكانت تحترز عليه وتمنعه من حضور مجلس الوعظ فحضره يوما على حين غفلة فوقع من امر الله ما وقع ثم ان العجوز لقيت الواعظ يوما فى الطريق فقالت لتهدى الانام ولا تهتدى الا ان ذلك لا ينفع فيا حجر الشحذ حتى متى تسن الحديد ولا تقطع فلما سمعها الواعظ شهق شهقة فخر من فرسه مغشيا عليه فحملوه الى بيته فتوفى الى رحمة الله تعالى **واستعينوا بالصبر والصلوة** متصل بما قبله كانهم لما كلفوا ما فيه مشقة من ترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله تعالى او بالصوم الذى هو الصبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف على العبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب روى انه عليه السلام كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء **وانها** اى الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شأنها واشتمالها على ضروب من الصبر كما فى قوله تعالى واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها او جملة ما امروا بها ونهوا عنها **لكبيرة** لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه **الا على الخاشعين** الخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب وانما لم تثقل عليهم لانهم يتوقعون ما ادخر لهم بمقابلتها فتهون عليهم ولانهم يستغرقون فى مناجاة ربهم فلا يدركون ما يجرى عليهم من المشاق ولذلك قال عليه السلام وقرة عينى فى الصلوة والجملة حالية او اعتراضية تذييلية **الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون** اى يتوقعون لقاءه تعالى ونيل ما عنده من المثوبات والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليهم للايذان بفيضان احسانه اليهم او يتيقنون انهم يحشرون اليه للجزاء فيعملون على حسبه ذلك رغبة ورهبة واما الذين لا يوقنون بالجزاء ولا يرجون الثواب ولا يخافون العقاب كانت عليهم مشقة خالصة فثقلت عليهم كالمنافقين والمرائين والتعرض للعنوان المذكور للاشعار بعلية الربوبية والمالكية للحكم ويؤيده ان فى مصحف ابن مسعود رضى يعلمون وكأن الظن لما شابه العلم فى الرجحان اطلق عليه لتضمن معنى التوقع قال فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف جائف وجعل خبران فى الموضعين اسما للدلالة على تحقق اللقاء والرجوع وتقررهما عندهم **يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم** كرر التذكير للتأكيد ولربط ما بعده من الوعيد الشديد به **وانى فضلتكم** عطف على نعمتى عطف الخاص على العام لكماله اى فضلت آباءكم **على العالمين** اى عالمى زمانهم بما منحتهم من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلتهم انبياء وملوكا مقسطين وهم آباؤهم الذين كانوا فى عصر موسى عليه السلام وبعده قبل ان يغيروا **واتقوا يوما** اى حساب يوم او عذاب يوم **لا تجزى نفس عن نفس شيئا** اى لا تقضى عنها شيئا من الحقوق فانتصاب شيئا على المفعولية او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدرية وقرئ لا تجزئ اى لا تغنى عنها فيتعين النصب على المصدرية وايراده منكرا مع تنكير النفس للتعميم والاقناط الكلى والجملة صفة يوما والعائد منها محذوف اى لا تجزى فيه ومن لم يجوز الحذف قال اتسع فيه فحذف الجار واجرى المجرور مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف فى قول من قال فما ادرى اغيرهم تناء وطول العهد ام مال اصابوا اى اصابوه **ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل** اى من النفس الثانية العاصية او من الاولى والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمى

الفدية لأنها تساوي الفدي وتجزي مجراه **ولا هم ينصرون** اي يمنعون من عذاب الله عز وجل والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة
الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة والتذكير لكونها عبارة عن العباد والاناسي والنصرة ههنا اخص من المعونة لاختصاصها
بدفع الضرر وكأنه اريد بالآية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا اولا والاول النصرة والثاني
اما ان يكون مجانا اولا والاول الشفاعة والثاني اما ان يكون باداء عين ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او باداء غيره وهو
ان يعطي عنه عدلا وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لأهل الكبائر والجواب انها خاصة بالكفار للآيات الواردة في الشفاعة
والأحاديث المروية فيها ويؤيده ان الخطاب معهم ولرد ما كانوا عليه من اعتقاد ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم **واذ نجيناكم
من آل فرعون** تذكير لتفاصيل ما اجمل في قوله تعالى نعمتي التي انعمت عليكم من فنون النعماء وصنوف الآلاء اي واذكروا وقت
تنجيتنا اياكم اي اباءكم فان تنجيتهم تنجية لأعقابهم وقرئ انجيتكم واصل آل اهل لأن تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولي
الأخطار كالانبياء عليهم السلام والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى لملك الفرس وقيصر لملك الروم وخاقان لملك
الترك ولعتوه اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وتمرد وكان فرعون موسى عليه السلام مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد
وقيل انه كان عطارا باصفهان ركبته الديون فأفلس فاضطر الى الخروج فلحق بالشام فلم يتيسر له المقام به فدخل مصر فرأى في
ظاهره حملا من البطيخ بدرهم وفي نفسه بطيخا بدرهم فقال في نفسه ان تيسر لي اداء الديون فهذا طريقه فخرج الى السواد فاشترى
حملا بدرهم فتوجه به الى السوق فكل من لقيه من المكاسين اخذ واحد بطيخا فدخل البلد وما معه الا بطيخة فباعها بدرهم
ومضى لوجهه ورأى اهل البلد متروكين سدى لا يتعاطى احد سياستهم وكان قد وقع بهم وباء عظيم فتوجه نحو المقابر فرأى
ميتا يدفن فتعرض لاوليائه فقال انا امين المقابر فلا ادعكم تدفنونه حتى تعطوني خمسة دراهم فدفعوها اليه ومضى لآخر وآخر
حتى جمع في مقدار ثلاثة اشهر مالا عظيما ولم يتعرض له احد قط الى ان تعرض يوما لأولياء ميت فطلب منهم ما كان يطلب من
غيرهم فأبوا ذلك فقالوا من نصبك هذا المنصب فذهبوا به الى فرعون فقال من انت ومن اقامك بهذا المقام قال لم يقمني احد وانما
فعلت ما فعلت ليحضرني احد الى مجلسك فانبهك على اختلال حال قومك وقد جمعت بهذا الطريق هذا المقدار من المال فأحضره
ودفعه الى فرعون فقال ولني امورك ترني امينا كافيا فولاه اياها فسار بهم سيرة حسنة فانتظمت مصالح العسكر واستقامت احوال
الرعية ولبث فيهم دهرا طويلا وترامى امره في العدل والصلاح فلما مات فرعون اقاموه مقامه فكان من امره ما كان من امر فرعون
يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة **يسومونكم** اي يبغونكم اي سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصله الذهاب
في طلب الشيء **سوء العذاب** اي افظعه واقبحه بالنسبة الى سائره والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعولية ليسومونكم والجملة
حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لاشتمالها على ضميريهما **يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم** بيان
ليسومونكم ولذلك ترك العاطف بينهما وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ما فعلوا لأن فرعون رأى في المنام واخبر
الكهنة انه سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قضاء الله تعالى شيئا قيل قتلوا بتلك الطريقة تسعمائة الف
مولود وتسعين الفا وقد اعطى الله عز وجل نفس موسى عليه السلام من القوة على التصرف ما كان يعطيه اولئك المقتولين لو كانوا
احياء ولذلك كانت معجزاته ظاهرة باهرة **وفي ذلكم** اشارة الى ما ذكر من التذبيح والاستحياء او الى الانجاء منه وجمع الضمير
للمخاطبين فعلى الاول معنى قوله تعالى **بلاء** محنة وبلية وكون استحياء نسائهم اي استبقائهن على الحيوة محنة مع انه عفو وترك
العذاب لما ان ذلك كان للاستعمال في الاعمال الشاقة وعلى الثاني نعمة واصل البلاء الاختبار ولكن لما كان ذلك في حقه
سبحانه محالا وكان يجري مجرى الاختبار لعباده بالمحنة واخرى بالمحنة اطلق عليهما وقيل يجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد
بالبلاء القدر المشترك الشامل لهما **من ربكم** من جهته تعالى بتسليطهم عليكم او ببعث موسى عليه السلام وتوفيقه لتخليصكم منهم

منهم او بهما معا **عظيم** صفة لبلاء وتنكيرهما للتفخيم وفي الآية تنبيه على ان ما يصيب العبد من السراء والضراء من قبيل الاختبار فعليه الشكر
في المسار والصبر على المضار **واذ فرقنا بكم البحر** بيان لسبب التنجية وتصوير لكيفيتها اثر تذكيرها وبيان عظمها وهولها
وقد بين في تضاعيف ذلك نعمة جليلة اخرى هي الانجاء من الغرق اي اذكروا اذ فلقناه بسلوككم او ملتبسا بكم كقوله تعالى
تنبت بالدهن او بسبب انجائكم وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت مسالك وقرئ بالتشديد للتكثير لأن المسالك كانت
اثني عشر بعدد الأسباط **فانجيناكم** اي من الغرق باخراجكم الى الساحل كما يلوح به العدول الى صيغة الافعال بعد ايراد
التخليص من فرعون بصيغة التفعيل وكذا قوله تعالى **واغرقنا آل فرعون** اريد فرعون وقومه وانما اقتصر على ذكرهم للعلم
بانه اولى به منهم وقيل شخصه كما روي ان الحسن رضي الله عنه كان يقول اللهم صل على آل محمد اي شخصه واستغنى بذكره عن
ذكر قومه **وانتم تنظرون** ذلك وغرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر
الى الساحل او ينظر الى بعضكم بعضا روي انه تعالى امر موسى عليه السلام ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون
وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه بها فظهر فيه اثنا عشر طريقا
يابسا فسلكوها فقالوا نخاف ان يغرق بعض اصحابنا فلا نعلم به ففتح الله تعالى فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر
فلما وصل اليه فرعون فرآه منفلقا اقتحم هو وجنوده فغشيهم ما غشيهم واعلم ان هذه الواقعة كما انها لموسى عليه السلام
معجزة عظيمة تخر لها صم الجبال ونعمة عظيمة لأوائل بني اسرائيل موجبة عليهم شكرها كذلك اقتصاصها على ما هي عليه من رسول الله
صلى الله عليه وسلم معجزة جليلة تطمئن بها القلوب الأبية وتنقاد لها النفوس الغبية موجبة لأعقابهم ان يتلقوها بالاذعان
فلا تأثرت اوائلهم بمشاهدتها ورؤيتها ولا تذكرت اواخرهم بتذكيرها وروايتها فيالها من عصابة ما اعصاها وطائفة
ما اطغاها **واذ واعدنا موسى اربعين ليلة** لما عادوا الى مصر بعد مهلك فرعون وعد الله موسى عليه السلام ان يعطيه التوراة
وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل وعد عليه السلام بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله
تعالى فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى عليه السلام ربه الكتاب فأمره بصوم ثلثين وهي شهر ذي القعدة
ثم زاد عشرا من ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لأنها غرر الشهور وصيغة المفاعلة بمعنى الثلاثي وقيل على اصلها تنزيلا
لقبول موسى عليه السلام منزلة الوعد واربعين ليلة مفعول ثان لواعدنا على حذف المضاف اي تمام اربعين ليلة وقرئ وعدنا
ثم اتخذتم العجل بتسويل السامري الها ومعبودا وثم للتراخي الترتيبي **من بعده** اي من بعد مضيه الى الميقات على حذف
المضاف **وانتم ظالمون** باشراككم ووضعكم للشيء في غير موضعه وهو حال من ضمير اتخذتم او اعتراض تذييلي اي وانتم قوم
عادتكم الظلم **ثم عفونا عنكم** حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس وقد يجيء لازما قال عرفت المنزل الخالي عفا من بعد
اهوله عفا كل حنان كثير الوبل هطال وقوله تعالى **من بعد ذلك** اي من بعد الاتخاذ الذي هو متناه في القبح للايذان بكمال بعد
العفو بعد تلك المرتبة من الظلم **لعلكم تشكرون** لكي تشكروا نعمة العفو وتستمروا بعد ذلك على الطاعة **واذ آتينا موسى الكتاب
والفرقان** اي التوراة الجامعة بين كونها كتابا وحجة تفرق بين الحق والباطل وقيل اريد بالفرقان معجزاته المفارقة بين المحق
والمبطل في الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى
يوم الفرقان يريد به يوم بدر **لعلكم تهتدون** لكي تهتدوا بالتدبر فيه والعمل بما يحويه **واذ قال موسى لقومه** بيان لكيفية وقوع
العفو المذكور **يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل** اي معبودا **فتوبوا** اي فاعزموا على التوبة **الى بارئكم** اي الى من خلقكم
بريئا من العيوب والنقصان والتفاوت وميز بعضكم من بعض بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب الخلوص عن الغير اما بطريق
التفصي كما في برئ المريض او بطريق الانشاء كما في برأ الله آدم من الطين والتعرض لعنوان البارئية للاشعار بانهم بلغوا من

الجهالة اقصاها ومن الغباوة منتهاها حيث تركوا عبادة العليم الحكيم الذي خلقهم بلطيف حكمته بريئا من التفاوت والتنافر الى عبادة
الذي هو مثل في الغباوة وان لم يعرف حقوق منعمه حقيق بان تسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب **فاقتلوا انفسكم** فاتموا توبتكم
بالبخع او قطع الشهوات وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل من عبده يروى ان الرجل كان يرى قريبه فلم يقدر
على المضي لامر الله تعالى فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون بها فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى
وهرون عليهما السلام فكشف السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب
اشارة الى ما ذكر من التوب والقتل **خير لكم عند بارئكم** لما انه طهرة عن الشرك ووصلة الى الحيوة الابدية والبهجة السرمدية
فتاب عليكم عطف على محذوف على انه خطاب منه سبحانه على نهج الالتفات من التكلم الذي يقتضيه سياق النظم الكريم وسباقه
فان مبنى الجميع على التكلم الى الغيبة ليكون ذريعة الى اسناد الفعل الى ضمير بارئكم المستتبع للايذان بعلية عنوان البارئية والخلق
والاحياء لقبول التوبة التي هي عبارة عن العفو عن القتل تقديره ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم وانما لم يقل فتاب
عليهم على ان الضمير للقوم لما ان ذلك نعمة اريد التذكير بها للمخاطبين لا لاسلافهم هذا وقد جوز ان يكون فتاب عليكم متعلقا
بمحذوف على انه من كلام موسى عليه السلام لقومه بقبول التوبة منه تعالى لا لقوله تعالى حتما وقد عرفت ان الآية الكريمة تفصيل لكيفية
القبول المحكي فيما قبل وان المراد تذكير المخاطبين بتلك النعمة **انه هو التواب الرحيم** تعليل لما قبله اي الذي يكثر توفيق المذنبين
للتوبة ويبالغ في قبولها منهم وفي الانعام عليهم **واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك** تذكير لنعمة اخرى عليهم بعد ما صدر عنهم ما صدر
من الجناية العظيمة التي هي اتخاذ العجل اي لن نؤمن لاجل قولك ودعوتك او لن نقر لك والمؤمن به اعطاء الله اياه التورية او تكليمه
اياه او انه نبي او انه تعالى جعل توبتهم بقتلهم انفسهم **حتى نرى الله جهرة** اي عيانا وهي في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت
للمعاينة لما بينهما من الاتحاد في الوضوح والانكشاف الا ان الاول في المسموعات والثاني في المبصرات ونصبها على المصدرية لانها نوع
من الرؤية او حال من الفاعل او المفعول وقرئ بفتح الهاء على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا من الفاعل لا غير والقائلون
هم السبعون المختارون لميقات التوبة عن عبادة العجل روي انهم لما ندموا على ما فعلوا وقالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن
من الخاسرين امر الله موسى عليه السلام يامره وينهاه وكان كلما كلمه تعالى وقع على جبهته نورا ساطعا لا يستطيع احد من السبعين
النظر اليه وسمعوا كلامه تعالى مع موسى افعل ولا تفعل فعند ذلك طمعوا في رؤيته فقالوا ما قالوا كما سياتي في سورة الاعراف ان
شاء الله تعالى وقيل عشرة آلاف من قومه **فاخذتكم الصاعقة** لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه سبحانه وتعالى
مما يشبه الاجسام وتتعلق بها الرؤية تعلقها على طريق المقابلة في الجهات والاحياز ولا ريب في استحالته انما الممكن في شانه
تعالى الرؤية المنزهة عن الكيفيات بالكلية وذلك للمؤمنين في الآخرة وللافراد من الانبياء الذين بلغوا في صفاء الجوهر الى حيث
تراهم كانهم وهم في جلابيب من ابدانهم قد نضوها وتجردوا عنها الى عالم القدس في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار
من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وعن وهب انهم لم يموتوا بل
لما راوا تلك الهيئة الهائلة اخذتهم الرعدة ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم وتنقض ظهورهم واشرفوا على الهلاك فعند
ذلك بكى موسى عليه السلام ودعا ربه فكشفها الله تعالى فرجعت اليهم عقولهم ومشاعرهم ولم يكن صعقة موسى عليه السلام موتا
بل غشية لقوله تعالى فلما افاق **وانتم تنظرون** الى ما اصابكم بنفسه او باثاره **ثم بعثناكم من بعد موتكم** بتلك الصاعقة
قيد البعث به لما انه قد يكون من الاغماء وقد يكون من النوم كما في قوله تعالى ثم بعثناهم لنعلم **لعلكم تشكرون** اي نعمة البعث او ما
كفرتموه بما رأيتم من بأس الله تعالى **وظللنا عليكم الغمام** اي جعلناها بحيث تلقي عليكم ظلها وذلك انه تعالى سخر لهم السحاب
يسير بسيرهم وهم في التيه يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى **وانزلنا عليكم**

المن والسلوى اي الترنجبين والسماني وقيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع وتبعث الجنوب عليهم
السماني فيذبح الرجل منه ما يكفيه **كلوا** على ارادة القول اي قائلين لهم او قيل لهم **كلوا من طيبات ما رزقناكم** من مستلذاته وما
موصولة كانت او موصوفة عبارة عن المن والسلوى **وما ظلمونا** كلام عدل به عن نهج الخطاب السابق للايذان باقتضاء جنايات
المخاطبين للاعراض عنهم وتعداد قبائحهم عند غيرهم على طريق المباثة معطوف على مضمر قد حذف للايجاز والاشعار بانه امر محقق
غني عن التصريح به اي فظلموا بان كفروا تلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** بالكفران اذ لا يتخطاهم
ضرره وتقديم المفعول للدلالة على القصر الذي يقتضيه النفي السابق وفيه ضرب تهكم بهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة
على تماديهم في الظلم واستمرارهم على الكفر **واذ قلنا** تذكير لنعمة اخرى من جنابه تعالى وكفرة اخرى لاسلافهم اي واذكروا
وقت قولنا لآبائكم اثر ما انقذناهم من التيه **ادخلوا هذه القرية** منصوب على الظرفية عند سيبويه وعلى المفعولية عند الاخفش
وهي بيت المقدس وقيل اريحا **فكلوا منها حيث شئتم رغدا** اي واسعا هنيئا ونصبه على المصدرية او الحالية من ضمير
المخاطبين وفيه دلالة على ان المامور به الدخول على وجه الاقامة والسكنى فيؤول الى ما في سورة الاعراف من قوله تعالى اسكنوا
هذه القرية **وادخلوا الباب** اي باب القرية على ما روي من انهم دخلوا اريحا في زمن موسى عليه السلام كما سيجيء في سورة المائدة
او باب القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام **سجدا** اي متطامنين مخبتين
او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه **وقولوا حطة** اي مسئلتنا او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب
على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انها مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط رحالنا في
هذه القرية ونقيم بها **نغفر لكم خطاياكم** لما تفعلون من السجود والدعاء وقرئ بالياء والتاء على البناء للمفعول واصل خطايا
خطايئ كخطايع فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان وابدلت الثانية ياء ثم قلبت
الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بها ما ذكر **وسنزيد المحسنين** ثوابا
جعل الامتثال توبة للمسيء وسببا لزيادة الثواب للمحسن واخرج ذلك عن صورة الجواب الى الوعد ايذانا بان المحسن بصدد ذلك
وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة **فبدل الذين ظلموا** بما امروا به من التوبة والاستغفار بان اعرضوا عنه واوردوا مكانه
قولا آخر مما لا خير فيه روي انهم قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا يعنون حنطة حمراء استخفافا بامر الله
تعالى **غير الذي قيل لهم** نعت لقولا وانما صرح به مع استحالة تحقق التبديل بلا مغايرة تحقيقا لمخالفتهم وتنصيصا على المغايرة
من كل وجه **فانزلنا** اي عقيب ذلك **على الذين ظلموا** بما ذكر من التبديل وانما وضع الموصول موضع الضمير العائد الى الموصول الاول
للتعليل والمبالغة في الذم والتقريع وللتصريح بانهم بما فعلوا قد ظلموا انفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى **رجزا من السماء** اي
عذابا مقدرا منها والتنوين للتهويل والتفخيم **بما كانوا يفسقون** بسبب فسقهم المستمر حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي
والمستقبل وتعليل انزال الرجز به بعد الاشعار بتعليله بظلمهم للايذان بان ذلك فسق وخروج عن الطاعة وغلو في الظلم وان
تعذيبهم بجميع ما ارتكبوا من القبائح لا بعدم توبتهم فقط كما يشعر به ترتيبه على ذلك بالفاء والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذلك
الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه مات به في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا **واذ استسقى**
موسى لقومه تذكير لنعمة اخرى كفروها وكان ذلك في التيه حين استولى عليهم العطش الشديد وتغيير الترتيب لما اشير اليه مرارا
من قصد ابراز كل من الامور المعدودة في معرض امر مستقل واجب التذكير والتذكر ولو روعي الترتيب الوقوعي لفهم ان الكل
امر واحد امر بذكره واللام متعلقة بالفعل اي استسقى لاجل قومه **فقلنا اضرب بعصاك الحجر** روي انه كان حجرا طوريا مكعبا
حمله معه وكانت تنبع من كل وجه منه ثلاث اعين يسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة العسكر اثني عشر ميلا

او كان حجرا اهبطه الله تعالى مع آدم عليه السلام من الجنة ووقع الى شعيب عليه السلام فاعطاه موسى عليه السلام مع العصا او كان هو الحجر الذي فر بثوبه حين وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله تعالى به عما رموه به من الأدرة فاشار اليه جبريل عليه السلام ان يحمله او كان حجرا من الحجارة وهو الأظهر في الحجة قيل لم يؤمر عليه السلام بضرب حجر بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وكان يضرب بعصاه اذا نزل فيتفجر ويضربه اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه ان لا تقرع الحجر وكلمه يطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام حجمه ذراع في ذراع والعصا عشرة اذرع على طوله عليه السلام من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان في الظلمة **فانفجرت** عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام قد حذف للدلالة على كمال سرعة تحقق الانفجار كانه حصل عقيب الأمر بالضرب اي فضرب فانفجرت **منه اثنتا عشرة عينا** واما تعلق الفاء بمحذوف اي فان ضربت فقد انفجرت فغير حقيق بجلالة شان النظم الكريم كما لا يخفى على احد وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما ايضا لغتان **قد علم كل اناس** كل سبط **مشربهم** عينهم الخاصة بهم **كلوا واشربوا** على ارادة القول **من رزق الله** هو ما رزقهم من المن والسلوى والماء وقيل هو الماء وحده لانه يؤكل ما ينبت به من الزروع والثمار ويأباه ان المأمور به اكل النعمة العتيدة لا ما سيطلبونه واضافته اليه سبحانه مع استناد الكل اليه خلقا وملكا اما للتشريف واما لظهوره بغير سبب عادي وانما لم يقل من رزقنا كما يقتضيه قوله تعالى فقلنا الخ ايذانا بان الأمر بالأكل والشرب لم يكن بطريق الخطاب بل بواسطة موسى عليه السلام **ولا تعثوا في الارض** العثي اشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد حال كونكم **مفسدين** وقيل انما قيد به لان العثي في الأصل مطلق التعدي وان غلب في الفساد وقد يكون في غير الفساد كما في مقابلة الظالم المعتدي بفعله وقد يكون فيه صلاح راجح كقتل الخضر عليه السلام للغلام وخرقه للسفينة ونظيره العبث خلا انه غالب فيما يدرك حسا **واذ قلتم** تذكير لجناية اخرى لأسلافهم وكفرانهم لنعمة الله عز وجل واخلادهم الى ما كانوا فيه من الدناءة والخساسة واسناد القول المحكي الى اخلافهم وتوجيه التوبيخ اليهم لما بينهم من الاتحاد **يا موسى لن نصبر على طعام واحد** لعلهم لم يريدوا بذلك جمعوا ما طلبوا مع ما كان لهم من النعم ولزوالها وحصول ما طلبوا مكانها اذ يأباه والتعرض للوحدة بل ارادوا ان يكون هذا تارة وذاك اخرى روي انهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم فاجموا ما كانوا فيه من النعمة العتيدة لوحدتها النوعية واطرادها وتاقت انفسهم الى الشقاء **فادع لنا ربك** اي سله لأجلنا بدعائك اياه والفاء لسببية عدم الصبر للدعاء والتعرض لعنوان الربوبية لتمهيد مبادي الاجابة **يخرج لنا** اي يظهر لنا ويوجد والجزم لجواب الأمر **مما تنبت الارض** اسناد مجازي باقامة القابل مقام الفاعل ومن تبعيضية والتي في قوله تعالى **من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها** بيانية واقعة موقع الحال اي كائنا من بقلها الى آخره وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبتت الارض من الخضر والمراد به اطايبه التي تؤكل كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها والفوم الحنطة وقيل الثوم وقرئ قثائها بضم القاف وهو لغة فيه **قال** اي الله او موسى انكارا عليهم وهو استيناف وقع جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال **اتستبدلون** اي اتأخذون لأنفسكم وتختارون **الذي هو ادنى** اي اقرب منزلة وادون قدرا سهل المنال وهين الحصول لعدم كونه مرغوبا فيه وكونه تافها مرزوءا قليل القيمة واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد للشرف والرفعة فقيل بعيد المحل وبعيد الهمة وقرئ ادنأ من الدناءة وقد حملت المشهورة على ان الفها مبدلة من الهمزة **بالذي هو خير** اي بمقابلة ما هو خير فان الباء تصحب الذاهب الزائل دون الآتي الحاصل كما في التبدل والتبديل في مثل قوله عز وجل ومن يتبدل الكفر بالايمان وقوله وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط وليس فيه ما يدل قطعا على انهم ارادوا زوال المن والسلوى بالمرة وحصول ما طلبوا مكانه لتحقق الاستبدال فيما مر من صورة المناوبة **اهبطوا مصرا** امر به بيانا لدناءة مطلبهم او اسعافا لمرامهم اي انحدروا اليه من التيه يقال

هبط الوادي وقرئ بضم الباء والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اريد به العلم وانما صرف لسكون وسطه او لتأويله بالبلد دون المدينة ويؤيده انه في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه غير منون وقيل اصله مصرائيم فعرب **فان لكم ما سألتم** تعليل للأمر بالهبوط اي فان لكم فيه ما سألتموه ولعل التعبير عن الاشياء المسئولة بما للاستهجان بذكرها كانه قيل فانه كثير فيه مبتذل ينالها كل احد بغير مشقة **وضربت عليهم الذلة والمسكنة** اي جعلتا محيطتين بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقتا بهم وجعلتا ضربة لازب لا تنفكان عنهم مجازاة لهم على كفرانهم من ضرب الطين على الحائط بطريق الاستعارة بالكناية واليهود في غالب الأمر اذلاء مساكين اما على الحقيقة واما لخوف ان يضاعف جزيتهم **وباءوا** اي رجعوا بغضب عظيم وقوله تعالى **من الله** متعلق بمحذوف هو صفة لغضب مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي بغضب كائن من الله تعالى او صاروا احقاء به من قولهم باء فلان بفلان اي صار حقيقا بان يقتل بمقابلته ومنه قول من قال بؤ بشسع نعل كليب واصل البوء المساواة **ذلك** اشارة الى ما سلف من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم **بانهم** بسبب انهم **كانوا يكفرون** على الاستمرار **بآيات الله** الباهرة التي من المعجزات الساطعة الظاهرة على يدي موسى عليه السلام مما عد وما لم يعد **ويقتلون النبيين بغير الحق** كشعيا وزكريا ويحيى عليهم السلام وفائدة التقييد مع ان قتل الانبياء يستحيل ان يكون بحق الايذان بان ذلك عندهم ايضا بغير الحق اذ لم يكن احد معتقدا لحقية قتل احد منهم عليهم السلام وانما حملهم على ذلك حب الدنيا واتباع الهوى والغلو في العصيان والاعتداء كما يفصح عنه قوله تعالى **ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** اي جرهم العصيان والتمادي في العدوان الى ما ذكر من الكفر وقتل الانبياء عليهم السلام فان صغار الذنوب اذا دووم عليها ادت الى كبارها كما ان مداومة صغار الطاعات مؤدية الى تحري كبارها وقيل كررت الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما انه بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله تعالى وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع ويجوز الاشارة الى المتعدد بالمفرد بتأويل ما ذكر او تقدم كما في قول رؤبة بن العجاج فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق اي كان ما ذكر والذي حسن ذلك في المضمرات والمبهمات ان تثنيتها وجمعها ليسا على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الذين **ان الذين آمنوا** اي بألسنتهم فقط وهم المنافقون بقرينة انتظامهم في سلك الكفرة والتعبير عنهم بذلك دون عنوان النفاق للتصريح بان تلك المرتبة وان عبر عنها بالايمان لا تجديهم نفعا اصلا ولا تنقذهم عن ورطة الكفر قطعا **والذين هادوا** اي تهودوا من هاد اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك حين تابوا من عبادة العجل وخصوا به لما كانت توبتهم هائلة واما معرب يهوذا كانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليهم السلام **والنصارى** جمع نصران كندامى جمع ندمان يقال رجل نصران وامرأة نصرانة والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح عليه السلام او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران فسموا باسمها او نسبوا اليها والياء للنسبة وقال الخليل واحد النصارى نصري كمهري ومهاري **والصابئين** هم قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل هم عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبأ اذا خرج من دين الى آخر وقرئ بالياء اما بالتخفيف واما لانه من صبا اذا مال لما انهم مالوا من سائر الأديان الى ما هم فيه او من الحق الى الباطل **من آمن بالله واليوم الآخر** اي من احدث من هذه الطوائف ايمانا خالصا بالمبدأ والمعاد على الوجه اللائق **وعمل عملا صالحا** حسبما يقتضيه الايمان بما ذكر **فلهم** بمقابلة ذلك **اجرهم** الموعود لهم **عند ربهم** اي مالك امرهم ومبلغهم الى كمالهم اللائق فمن اما في محل الرفع على الابتداء خبره جملة فلهم اجرهم والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط كما في قوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين الآية وجمع الضمائر الثلاثة باعتبار معنى الموصول كما ان افراد ما في الصلة باعتبار لفظه والجملة كما هي خبر ان والعائد الى اسمها محذوف اي من آمن منهم الخ واما في محل النصب على البدلية من اسم ان وما عطف عليه وخبرها فلهم

اجرهم وعند متعلق بما تعلق به لهم من معنى الثبوت وفي اضافته الى الرب المضاف الى ضميرهم مزيد لطف بهم وايذان بان اجرهم متيقن الثبوت
مأمون عن الفوات **ولا خوف عليهم** عطف على جملة فلهم اجرهم اي لا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب **ولا هم يحزنون** حين يحزن
المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية
مضارعا لما مر من ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام هذا وقد قيل المراد بالذين آمنوا
المتدينون بدين الاسلام المخلصون منهم والمنافقون فحينئذ لا بد من تفسير من آمن من اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبدأ والمعاد على
الاطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كايمان المخلصين او بطريق احداثه وانشائه كايمان من عداهم من المنافقين
وسائر الطوائف وفائدة التعميم للمخلصين مزيد ترغيب الباقين في الايمان ان تأخرهم في الاتصاف به غير مخل بكونهم اسوة لاولئك
الاقدمين في استحقاق الاجر وما يتبعه من الامن الدائم واما ما قيل في تفسيره من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ
والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا سبيل اليه اصلا لان مقتضى المقام هو الترغيب في دين الاسلام واما بيان حال من مضى على دين آخر
قبل انتساخه فلا ملابسة له بالمقام قطعا بل ربما يخل بمقتضاه من حيث دلالته على حقيته في زمانه في الجملة على ان المنافقين والصابئين
لا يتسنى في حقهم ما ذكر اما المنافقون فان كانوا من اهل الشرك فالامر بين وان كانوا من اهل الكتاب فمن مضى منهم قبل النسخ
ليسوا بمنافقين واما الصابئون فليس لهم دين يجوز رعايته في وقت من الاوقات ولو سلم انه كان لهم دين سماوي
ثم خرجوا عنه فمن مضى من اهل ذلك الدين قبل خروجهم منه ليسوا من الصابئين فكيف يمكن ارجاع الضمير الرابط بين اسم ان
وخبرها اليهم او الى المنافقين وارتكاب ارجاعه الى مجموع الطوائف من حيث هو مجموع لا الى كل واحدة منها قصدا الى درج
الفريق المذكور فيه ضرورة ان من اهل الكتاب عاملا بمقتضى شرعه قبل نسخه من مجموع الطوائف بحكم اشتماله على اليهود والنصارى
وان لم يكن من المنافقين والصابئين مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله على ان المخلصين مع اندراجهم في خبر اسم ان
ليس لهم في حيز خبرها عين ولا اثر فتأمل وكن على الحق المبين **واذ اخذنا ميثاقكم** تذكير لجناية اخرى لاسلافهم اي
واذكر وقت اخذنا الميثاق منكم بالمحافظة على ما في التوراة **ورفعنا فوقكم الطور** عطف على قوله اخذنا او حال اي وقد رفعنا
فوقكم الطور كأنه ظلة روي ان موسى عليه السلام لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم فأبوا
قبولها فأمر جبريل عليه السلام فقلع الطور فظلله عليهم حتى قبلوا **خذوا** على ارادة القول **ما آتيناكم** من الكتاب **بقوة** بجد
وعزيمة **واذكروا ما فيه** اي احفظوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به **لعلكم تتقون** لكي تتقوا المعاصي
او لتنجوا من هلاك الدارين او رجاء منكم ان تنتظموا في سلك المتقين او طلبا لذلك وقد مر تحقيقه **ثم توليتم** اي اعرضتم عن
الوفاء بالميثاق **من بعد ذلك** من بعد اخذ ذلك الميثاق المؤكد **فلولا فضل الله عليكم ورحمته** بتوفيقكم للتوبة او بمحمد
صلى الله عليه وسلم حيث يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه **لكنتم من الخاسرين** اي المغبونين بالانهماك في المعاصي والخبط في مهاوي الضلال
عند الفترة وقيل لولا فضله تعالى عليكم بالامهال وتأخير العذاب لكنتم من الهالكين وهو الانسب بما بعده وكلمة لولا اما بسيطة
او مركبة من لو الامتناعية وحرف النفي ومعناها امتناع الشيء لوجود غيره كما ان لو لامتناعه لامتناع غيره والاسم الواقع
بعدها عند سيبويه مبتدأ خبره محذوف وجوبا لدلالة الحال عليه وسد الجواب مسده والتقدير لولا فضل الله حاصل عليكم وعند الكوفيين
فاعل لفعل محذوف اي لولا ثبت فضل الله عليكم **ولقد علمتم** اي عرفتم **الذين اعتدوا منكم في السبت** روي انهم امروا بان
يمحضوا يوم السبت للعبادة ويتجردوا لها ويتركوا الصيد فاعتدى فيه اناس منهم في زمن داود عليه السلام فاشتغلوا
بالصيد وكانوا يسكنون قرية بساحل البحر يقال لها ايلة فاذا كان يوم السبت لم يبق في البحر حوت الا برز واخرج
خرطومه فاذا مضى تفرق فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم

الاحد فالمعنى وبالله لقد علمتموهم حين فعلوا من قبيل جناياتكم ما فعلوا فلم نمهلهم ولم نعجل عقوبتهم بل عجلناها **فقلنا لهم كونوا**
قردة خاسئين اي جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الطرد والصغار على ان خاسئين نعت لقردة وقيل حال من اسم
كونوا عند من يجيز عمل كان في الظروف والحال وقيل من الضمير المستكن في قردة لانه في معنى ممسوخين وقال مجاهد ما مسخت صورهم
ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا والمراد بالامر بيان سرعة التكوين وانهم صاروا
كذلك كما اراده عز وجل وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة **فجعلناها** اي المسخة والعقوبة **نكالا**
عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه وتردعه ومنه النكل للقيد **لما بين يديها وما خلفها** لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت
حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصصهم في الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك
القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها **وموعظة للمتقين** من قومهم او لكل متق سمعها
واذ قال موسى لقومه توبيخ آخر لاخلاف بني اسرائيل بتذكير بعض جنايات صدرت عن اسلافهم اي واذكروا وقت قول موسى
عليه السلام لاجدادكم **ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة** سببه انه كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتله بنو عمه طمعا في ميراثه
وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤوا يطالبون بديته فأمرهم الله تعالى ان تذبحوا البقرة وتضربوه ببعضها فيحيى ويخبرهم
بقاتله **قالوا** استئناف وقع جوابا عما ينساق اليه الكلام كأنه قيل فماذا صنعوا هل سارعوا الى الامتثال او لا فقيل قالوا
أتتخذنا هزوا بضم الزاء وقلب الهمزة واوا وقرئ بالهمز مع الضم والسكون اي أتجعلنا مكان هزء او اهل هزء او
مهزوا بنا او الهزء نفسه استبعادا لما قاله واستخفافا به **قال** استئناف كما سبق **اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين** لان
الهزء في اثناء تبليغ امر الله سبحانه جهل وسفه نفى عنه عليه السلام ما توهموه من قبله على ابلغ وجه وآكده باخراجه مخرج ما لا مكروه
وراءه بالاستعاذة منه استفظاعا له واستعظاما لما قدموا عليه من العظيمة التي شافهوه عليه السلام بها **قالوا** استئناف
كما مر كأنه قيل فماذا قالوا بعد ذلك فقيل توجهوا نحو الامتثال وقالوا **ادع لنا** اي لاجلنا **ربك يبين لنا ما هي** ما مبتدأ
وهي خبره والجملة في حيز النصب بيبين اي يبين لنا جواب هذا السؤال وقد سألوا عن حالها وصفتها لما قرع اسماعهم ما لم
يعهدوه من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فان ما وان شاعت في طلب مفهوم الاسم والحقيقة كما في ما الشارحة والحقيقية
لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال طبيب او عالم وقيل كان حقه ان يستفهم بأي لكنهم لما رأوا ما امروا به على
حالة مغايرة لما عليه الجنس اخرجوه عن الحقيقة فجعلوه جنسا على حياله **قال** اي موسى عليه السلام بعد ما دعا ربه عز وجل بالبيان
واتاه الوحي **انه** تعالى **يقول انها** اي البقرة المأمور بذبحها **بقرة لا فارض ولا بكر** اي لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة
فروضا اي اسنت من الفرض بمعنى القطع كأنها قطعت سنها وبلغت آخرها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة
عوان اي نصف لا قحم ولا ضرع قال طوال مثل اعناق الهوادي نواعم بين ابكار وعون **بين ذلك** اشارة الى ما ذكر من
الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين لاختصاصه بالاضافة الى المتعدد **فافعلوا** امر من جهة موسى عليه السلام متفرع على ما
قبله من بيان صفة المأمور به **ما تؤمرون** اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به كما في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به فان حذف
الجار قد شاع في هذا الفعل حتى لحق بالافعال المتعدية الى مفعولين وهذا الامر منه عليه السلام لحثهم على الامتثال وزجرهم عن المراجعة
ومع ذلك لم يقتنعوا به وقوله تعالى **قالوا** استئناف كما مر كأنه قيل فماذا صنعوا بعد هذا البيان الشافي والامر المكرر فقيل قالوا
ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها حتى يتبين لنا البقرة المأمور بها **قال** اي موسى عليه السلام بعد المناجاة الى الله تعالى
ومجيء البيان **انه** تعالى **يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها** اسناد البيان في كل مرة الى الله تعالى لاظهار كمال المساعدة
في اجابة مسؤولهم بقولهم يبين لنا وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة والفقوع نصوع الصفرة وخلوصها ولذلك يؤكد به

ويقال أصفر فاقع كما يقال أسود حالك وأحمر قانئ وفي إسناده إلى اللون مع كونه من أحوال الملون لملابسته به ما لا يخفى من فضل تأكيد كأنه
قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها كما في جد جده وعن الحسن رضي الله تعالى عنه سوداء شديدة السواد وفيه فسر قوله تعالى جمالة صفر
قيل ولعل التعبير عن السواد بالصفرة لما أنها من مقدماته وأما لأن سواد الإبل يعلوه صفرة ويأباه وصفها بقوله تعالى **تسر
الناظرين** كما يأباه وصفها بفقوع اللون والسرور لذة في القلب عند حصول نفع أو توقعه من السر عن علي رضي الله تعالى عنه
من لبس نعلا أصفر قل همه **قالوا** استيناف كنظائره **ادع لنا ربك يبين لنا ما هي** زيادة استكشاف عن حالها كأنهم
سألوا بيان حقيقتها بحيث تمتاز عن جميع ما عداها مما يشاركها في الأوصاف المذكورة والأحوال المشروحة في أثناء البيان ولذلك
عللوه بقولهم **إن البقر تشابه علينا** يعنون أن الأوصاف المعدودة مما يشترك فيها كثير من البقر ولا نهتدي بها إلى تشخيص ما هو
المأمور بها ولذلك لم يقولوا إن البقرة تشابهت إيذانا بأن النعوت المعدودة ما ليست بمشخصة للمأمور بها بل صادقة على سائر
أفراد الجنس وقرئ إن الباقر وهو اسم لجماعة البقر والأباقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء ويشابه بطرح التاء والإدغام
على التذكير والتأنيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه ويشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومشتبه و
مشتبهة وفيه دلالة على أنهم ميزوها عن بعض ما عداها في الجملة وإنما بقي اشتباه ما بشرف الزوال كما ينبئ عنه قولهم **وإنا إن
شاء الله لمهتدون** مؤكدا بوجوه من التوكيد أي لمهتدون بما سألنا من البيان إلى المأمور بذبحها وفي الحديث لو لم يستثنوا
لما بينت لهم آخر الأبد **قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث** أي لم تذلل للكراب وسقي الحرث
ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية لتأكيد الأولى والفعلان صفتا ذلول كأنه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ
لا ذلول بالفتح أي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان أي حيث هو وقرئ تسقى من أسقى **مسلمة** أي سلمها الله تعالى
من العيوب أو أهلها من العمل أو أخلص لها لونها من سلم له كذا إذا خلص له ويؤيده قوله تعالى **لا شية فيها** أي لا لون فيها يخالف
لون جلدها حتى قرنها وظلفها وهي في الأصل مصدر وشاه وشيا وشية إذا خلط بلونه لونا آخر **قالوا** عندما سمعوا هذه النعوت
الآن جئت بالحق أي بحقيقة وصف البقرة بحيث ميزتها عن جميع ما عداها ولم يبق لنا في شأنها اشتباه أصلا بخلاف المرتين
الأوليين فإن ما جئت به فيهما لم يكن في التعيين بهذه المرتبة ولعلهم كانوا قبل ذلك قد رأوها ووجدوها جامعة لجميع ما فصل من
الأوصاف في المرات الثلث من غير مشارك لها فيما عد في المرة الأخيرة وإلا فمن أين عرفوا اختصاص النعوت الأخيرة بها
دون غيرها وقرئ آلآن بالمد على الاستفهام والآن بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام **فذبحوها وما كادوا يفعلون**
كاد من أفعال المقاربة وضع لدنو الخبر من الحصول والجملة حال من ضمير ذبحوا أي فذبحوها والحال أنهم كانوا قبل ذلك بمعزل منه
أو اعتراض تذييلي ومآله استثقال استعصائهم واستبطاء لهم وأنهم لفرط تطويلهم وكثرة مراجعاتهم ما كان ينتهي خيط إسهابهم
فيها قيل مضى من أول الأمر إلى الامتثال أربعون سنة وقيل وما كادوا يفعلون ذلك لغلاء ثمنها روي أنه كان في بني إسرائيل
شيخ صالح له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم إني أستودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فتوفي الشيخ وشبت
العجلة فكانت من أحسن البقر وأسمنها فساوموها اليتيم وأمه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا لما كانت وحيدة بالصفات
المذكورة وكانت البقرة إذ ذاك بثلثة دنانير واعلم أنه لا خلاف في أن مدلول ظاهر النظم الكريم بقرة مطلقة مبهمة وأن الامتثال
في آخر الأمر إنما وقع بذبح بقرة معينة حتى لو ذبحوا غيرها خرجوا عن عهدة الأمر لكن اختلف في أن المراد المأمور به أولا أي شيء
أهو المعينة وقد أخر البيان عن وقت الخطاب أو المبهمة ثم لحقها التغيير إلى المعينة بسبب تثاقلهم في الامتثال وتماديهم
في التعمق والاستكشاف فذهب بعضهم إلى الأول تمسكا بأن الضمائر في الأجوبة أعني إنها بقرة إلى آخره للمعينة قطعا
ومن قضيته أن يكون في السؤال أيضا كذلك ولا ريب في أن السؤال إنما هو من البقرة المأمور بذبحها فتكون هي المعينة وهو
مدفوع

مدفوع بأنهم لما تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى ظنوا أنها معينة خارجة عما عليه الجنس من الصفات والخواص فسألوا عنها
فرجعت الضمائر إلى المعينة في زعمهم واعتقادهم فعينها الله تعالى تشديدا عليهم وإن لم يكن المراد من أول الأمر هي المعينة والحق
أنها كانت في أول الأمر مبهمة بحيث لو ذبحوا أية بقرة كانت لحصل الامتثال بدلالة ظاهر النظم الكريم وتكرير الأمر قبل بيان
اللون وما بعده من كونها مسلمة الخ وقد قال صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم وروي مثله عن رئيس
المفسرين عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ثم رجع الحكم الأول منسوخا بالثاني والثاني بالثالث تشديدا عليهم لكن لا على وجه
ارتفاع حكم المطلق بالكلية وانتقاله إلى المعين بل على طريقة تقييده وتخصيصه به شيئا فشيئا كيف لا ولو لم يكن كذلك لأعدت
مراجعاتهم المحكية من قبيل الجنايات بل من قبيل العبادة فإن الامتثال بالأمر يدور على الوقوف على المأمور به حتما لا يكاد تنسب تلك
سؤالاتهم من باب الاهتمام بالامتثال **وإذ قتلتم نفسا** منصوب بمضمر كما مرت نظائره والخطاب لليهود المعاصرين لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وإسناد القتل والتدارؤ إليهم كما مر من نسبة جنايات الأسلاف إلى الأخلاف توبيخا وتقريعا وتخصيصهما
بالإسناد دون ما مر من هنات لظهور قبح القتل وإسناده إلى الغير أي اذكروا وقت قتلكم نفسا محرمة **فادارأتم فيها** أي
تخاصمتم في شأنها إذ كل واحد من الخصماء يدافع الآخر أو تدافعتم بأن طرح كل واحد قتلها إلى الآخر وأصله تدارأتم فادغمت التاء
في الدال واجتلبت لها همزة الوصل **والله مخرج ما كنتم تكتمون** أي مظهر لما تكتمونه لا محالة وتجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة
على الاستمرار وإنما أعمل مخرج لأنه حكاية حال ماضية **فقلنا اضربوه** عطف على فادارأتم وما بينهما اعتراض والالتفات لتربية المهابة
والضمير للنفس والتذكير باعتبار أنها عبارة عن الرجل أو بتأويل الشخص والقتيل **ببعضها** أي ببعض البقرة أي بعض كان
وقيل بأصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بأذنها وقيل بعجبها وقيل بالعظم الذي يلي الغضروف وهذا أول القصة
كما ينبئ عنه الضمير الراجع إلى البقرة كأنه قيل وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها وإنما غير
الترتيب عند الحكاية لتكرار التوبيخ وتثنية التقريع فإن كل واحد من قتل النفس المحرمة والاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم
والافتيات على أمره وترك المسارعة إلى الامتثال به جناية عظيمة حقيقة بأن تنعى عليهم بحيالها ولو حكيت القصة على ترتيب
الوقوع لما علم استقلال كل منهما بما يخص بها من التوبيخ وإنما حكي الأمر بالذبح عن موسى عليه السلام مع أنه من الله عز وجل
كالأمر بالضرب لما أن جناياتهم كانت بمراجعتهم إليه عليه السلام والافتيات على رأيه **كذلك يحيي الله الموتى** على إرادة قول معطوف
على مقدر ينسحب عليه الكلام أي فضربوه فحيي وقلنا كذلك الخ فحذفت الفاء الفصيحة في فحيي مع ما عطف بها وما عطف عليه
لدلالة كذلك على ذلك فالخطاب في كذلك حينئذ للحاضرين عند حيوة القتيل ويجوز أن يكون ذلك للحاضرين عند نزول الآية
الكريمة فلا حاجة حينئذ إلى تقدير القول بل تنتهي الحكاية عند قوله تعالى ببعضها مع ما قدر بعده فالجملة معترضة أي مثل ذلك
الإحياء العجيب يحيي الله الموتى يوم القيمة **ويريكم آياته** ودلائله الدالة على أنه تعالى على كل شيء قدير ويجوز أن يراد بالآيات
هذا الإحياء والتعبير عنه بالجمع لاشتماله على أمور بديعة من ترتب الحيوة على عضو ميت وإخباره بقاتله وما يلابسه من الأمور
الخارجة للعادات **لعلكم تعقلون** أي لكي يكمل عقولكم وتعلموا أن من قدر على إحياء نفس قدر على إحياء الأنفس كلها أو تعملوا على
قضية عقولكم ولعل الحكمة في اشتراط ما اشترط في الإحياء مع ظهور كمال قدرته على إحيائه ابتداء بلا واسطة أصلا اشتماله على
التقرب إلى الله تعالى وأداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل على الله تعالى والشفقة على الأولاد ونفع
بر الوالد وأن من حق الطالب أن يقدم قربة ومن حق المتقرب أن يتحرى الأحسن ويغالي بثمنه كما روي عن عمر رضي الله
عنه أنه ضحى بنجيبة اشتراها بثلثمائة دينار وأن المؤثر هو الله تعالى وإنما الأسباب أمارات لا تأثير لها وأن من رام أن يعرف أعدى
عدوه الساعي في إماتته الموت الحقيقي فطريقه أن يذبح بقرة نفسه التي هي قوته الشهوية حين زال عنها شرة الصبى ولم يلحقها

صعف الكبر وكان معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لاشية بها من قبايحها بحيث يتصل اثره الي نفسه فيحيي بها
حيوة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارء والجدال **ثم قست قلوبكم** الخطاب لمعاصري النبي
صلي الله عليه وسلم والقسوة عبارة عن الغلظ والجفاء والصلابة كما في الحجر استعيرت لنبو قلوبهم عن التأثر بالعظات والقوارع
التي تميع منها الجبال وتلين بها الصخور وايراد الفعل المفيد لحدوث القساوة مع ان قلوبهم لم تزل قاسية لان المراد بيان بلوغهم الي
مرتبة مخصوصة من مراتب القساوة حادثة وآما لان الاستمرار علي شيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه امر جديد وصنع حادث
وثم لاستبعاد القسوة بعد مشاهدة ما يزيلها كقوله تع ثم الذين كفروا بربهم يعدلون من بعد ذلك اشارة الي ما ذكر من احياء القتيل
او الي جميع ما عدد من الآيات الموجبة للين القلوب وتوجهها نحو الحق اي من بعد سماع ذلك وما فيه من معني البعد للايذان ببعد منزلته
وعلو طبقته وتوحيد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين اما بتأويل الفريق او لان المراد مجرد الخطاب لا تعيين المخاطب كما هو المشهور
فهي كالحجارة في القساوة **او اشد** منها **قسوة** اي هي في القسوة مثل الحجارة او زائدة عليها فيها او انها مثلها
او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده القراءة بالجر عطفا علي
الحجارة وايراد الجملة اسمية مع كون ما سبق فعلية للدلالة علي استمرار قساوة قلوبهم والفاء اما لتفريع مشابهتها لها علي
ما ذكر من القساوة تفريع التشبيه علي بيان وجه الشبه في قولك احمر خده فهو كالورد واما للتعليل كما في قولك اعبد ربك
فالعبادة حق له وانما لم يقل واقسي منها لما في التصريح بالشدة من زيادة مبالغة ودلالة ظاهرة علي اشتراك القسوتين
في الشدة واشتمال المفضل علي زيادة واو للتخيير او للترديد بمعني ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او قال هي اقسي
من الحجارة وترك ضمير المفضل عليه للامن من الالتباس **وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار** بيان لاشدية قلوبهم
من الحجارة في القساوة وعدم التأثر واستحالة صدور الخير منها يعني ان الحجارة ربما تتأثر حيث يكون منها ما يتفجر منه
المياه العظيمة **وان منها لما يشقق** اي يتشقق **فيخرج منه الماء** اي العيون **وان منها لما يهبط من خشية الله** اي يتردي
من الاعلي الي الاسفل بقضيته او دعه الله عز وجل فيها من الثقل الداعي الي المركز وهو مجاز من الانقياد لامره تعالي
والمعني ان الحجارة ليس منها فرد الا وهو منقاد لامره عز وعلا آت بما خلق له من غير استعصاء وقلوبهم ليست كذلك فتكون
اشد منها قسوة لا محالة واللام في لما لام الابتداء دخلت علي اسم ان لتقدم الخبر وقرئ ان علي انها المخففة من الثقيلة واللام
فاصلة وقرئ يهبط بالضم **وما الله بغافل عما تعملون** عن متعلقة بغافل وما موصولة والعائد محذوف او مصدرية وهو وعيد
شديد علي ما هم عليه من قساوة القلوب وما يترتب عليها من الاعمال السيئة وقرئ بالياء علي الالتفات قوله تع **افتطمعون** تلوين
للخطاب وصرف له عن اليهود الي النبي صلي الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين والهمزة للانكار
الواقع واستبعاده كما في قولك اتضرب اباك لا لانكار الوقوع كما في قوله اضرب ابي والفاء للعطف علي مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه
نظام الكلام تخرج علي قصد توجيه الانكار الي المعطوفين معا كما في افلا تبصرون علي تقدير المعطوف عليه منفيا اي الا تنظرون
فلا تبصرون فالمنكر كلا الامرين بل الي ترتب الثاني علي الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه كما اذا قدر الاول مثبتا اي
انتظرون فلا تبصرون فالمنكر ترتب الثاني علي الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه اي اتسمعون اخبارهم وتعلمون احوالهم
فتطمعون وما آل المعني ابعد ان علمتم تفاصيل شئونهم المؤيسة عنهم تطمعون **ان يؤمنوا** فانهم متماثلون في شدة الشكيمة
والاخلاق الذميمة بلا يتأتي من اخلافهم الا مثل ما اتي من اسلافهم وان مصدرية حذف عنها الجار والاصل في ان يؤمنوا
وهي مع ما في حيزها في محل النصب او الجر علي الخلاف المعروف واللام في **لكم** لتضمن معني الاستجابة كما في قوله عز وجل فآمن له لوط
اي في ايمانهم مستجيبين لكم او للتعليل اي في ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم وصلة الايمان محذوفة لظهور ان المراد به معناه

اي بها واقسي او هي عرفها
شبهها بالحجارة صح

الشرعي ويستفق علي ما فيه من المزية باذن الله تعالي **وقد كان فريق منهم** الفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم والجار
والمجرور في محل الرفع اي فريق كائن منهم وقوله تع **يسمعون كلام الله** خبر كان وقرئ كلم الله والجملة حالية مؤكدة للانكار حاسمة
لمادة الطمع مثل احوالهم الشنيعة المحكية فيما سلف علي منهاج قوله تع ثم انكم عدو بعد قوله تع افتتخذونه وذريته اولياء من دوني
اي والحال ان طائفة منهم قال ابن عباس رضي الله عنهما هم قوم من السبعين المختارين للميقات كانوا يسمعون كلامه تعالي حين
كلم موسي عليه السلام بالطور وما امر به ونهي عنه **ثم يحرفونه** عن مواضعه لا لقصور فهمهم عن الاحاطة بتفاصيله علي ما ينبغي لاستيلاء
الدهشة والمهابة حسبما تقتضيه مقام الكبرياء بل **من بعد ما عقلوه** اي فهموه وضبطوه بعقولهم ولم تبق لهم في مضمونه ولا
في كونه كلام رب العزة ريبة اصلا فلما رجعوا الي قومهم اداه الصادقون اليهم كما سمعوا وهؤلاء قالوا سمعنا الله تعالي يقول
في آخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا باس فثم للتراخي زمانا او رتبة وقال القفال
رحمه الله سمعوا كلام الله تعالي وغفلوا مراده تعالي منه فأولوه تأويلا فاسدا وقيل هم رؤساء اسلافهم الذين تولوا تحريف
التورية بعد ما احاطوا بما فيها علما وقيل هم الذين غيروا نعت النبي صلي الله عليه وسلم في عصره وبدلوا آية الرجم ويأباه الجمع بين صيغتي
الماضي والمستقبل الدال علي وقوع السماع والتحريف فيما سلف الا ان يحمل ذلك علي تقدمه علي زمان نزول الآية الكريمة لا علي تقدم
عهده صلي الله عليه وسلم هذا والاول هو الانسب بالسماع والكلام اذ التورية وان كانت كلام الله عز وعلا لكنها باسم الكتاب
اشهر واشيع التحريف فيه اظهر ووصف اليهود بتلاوتها اكثر لاستمرار رؤسائهم المباشرين للتحريف فان وظيفتهم التلاوة دون
السماع فكان الانسب حينئذ ان يقال يتلون كتاب الله تعالي فالمعني افتطمعون في ان يؤمن هؤلاء بواسطتكم ويستجيبوا لكم والحال
ان اسلافهم الموافقين لهم في خلال السوء كانوا يسمعون كلام الله بلا واسطة ثم يحرفونه من بعد ما علموه يقينا ولا يستجيبون له هيهات
ومن ههنا ظهر ما في ايثار لكم علي بالله من الفخامة والجزالة وقوله عز وجل **وهم يعلمون** جملة حالية من فاعل يحرفونه مفيدة لكمال
قباحة حالهم مؤذنة بأن تحريفهم ذلك لم يكن بناء علي نسيان ما عقلوه او علي الخطاء في بعض مقدماته بل كان ذلك حال كونهم عالمين
مستحضرين له او وهم يعلمون انهم كاذبون ومفترون **واذا لقوا** جملة مستأنفة سيقت اثر بيان ما صدر عن اشباههم لبيان ما
صدر عنهم بالذات من الشنائع المولية عن ايمانهم من نفاق بعض وعتاب آخرين عليهم او معطوفة علي ما سبق من الجملة الحالية والضمير
لليهود كما ستقف علي سره لا لمنافقيهم خاصة كما قيل تحريا لاتحاد الفاعل في فعلي الشرط والجزاء حقيقة **الذين آمنوا** من اصحاب
النبي صلي الله عليه وسلم **قالوا** اي اللاقون لكن لا بطريق تصدي الكل للقول حقيقة بل بمباشرة منافقيهم وسكوت الباقين كما
يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم وهذا ادخل في تقبيح حال الساكتين اولا والعاتبين ثانيا لما فيه من الدلالة علي
نفاقهم واختلاف احوالهم وتناقض آرائهم من اسناد القول الي المباشرين خاصة تبقدير المضاف اي قال منافقوهم **آمنا**
لم يقتصروا علي ذلك بل عللوه بانهم وجدوا نعت النبي صلي الله عليه وسلم في التورية وعلموا انه النبي المبشر به وانما لم يصرح به تعويلا
علي شهادة التوبيخ الآتي **واذا خلا بعضهم** اي بعض المذكورين وهم الساكتون منهم اي اذا فرغوا عن الاشتغال بالمؤمنين
متوجهين ومنضمين **الي بعض** آخر منهم وهم منافقوهم بحيث لم يبق معهم غيرهم وهذا نص علي اشتراك الساكتين في لقاء المؤمنين
كما يشير اليه آنفا اذ الخلو انما يكون بعد الاشتغال ولان عتابهم معلق بمحض الخلو ولولا انهم حاضرون عند المقاولة لوجب
ان يجعل سماعهم لها من تمام الشرط ولان فيه زيادة تشنيع لهم علي ما اتوا من السكوت ثم العتاب **قالوا** اي الساكتون
موبخين لمنافقيهم علي ما صنعوا **اتحدثونهم** بعنون المؤمنين **بما فتح الله عليكم** ما موصولة والعائد محذوف اي بينه لكم خاصة
في التورية من نعت النبي صلي الله عليه وسلم والتعبير عنه بالفتح للايذان بانه سر مكنون وباب مغلق لا يقف عليه احد وتجويز كون هذا

التوبيخ من جهة المنافقين لأعقابهم آراءه للتصلب في دينهم كما ذهب اليه عصابة مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل واللام في قوله عز وجل
ليحاجوكم به متعلقة بالتحديث دون الفتح والمراد تأكيد النكير وتشديد التوبيخ فإن التحديث بذلك وان كان منكرا في نفسه لكن التحديث
به لأجل هذا الغرض مما لا يكاد يصدر عن العاقل اتحدثونهم بذلك ليحتجوا عليكم به فيبكتوكم والمحدثون به وان لم يرموا حول ذلك
الغرض لكن فعلهم ذلك لما كان مستتبعا له البتة جعلوا فاعلين للغرض المذكور اظهارا لكمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم عند ربكم
اي في حكمه وكتابه كما يقال هو عند الله كذا اي في كتابه وشرعه وقيل عند ربكم يوم القيمة ورد عليه بأن الاخفاء لا يدفعه اذ هم عالمون
بأنهم محجوبون يومئذ حدثوا به او لم يحدثوا والاعتذار بأن الزام المؤمنين اياهم وتبكيتهم بأن يقولوا لهم الم تحدثونا بما في
كتابكم في الدنيا من حقية ديننا وصدق نبينا اخس فيجوز ان يكون المحذور عندهم هذا الالزام بارجاع الضمير في به الى التحديث
دون المحدث به ولا ريب في انه مدفوع بالاخفاء لا تساعده الآية الكريمة الآتية كما ستقف عليه باذن الله عز وجل افلا تعقلون
من تمام التوبيخ والعتاب والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي الا تلاحظون فلا تعقلون هذا الخطأ الفاحش او شيئا من الاشياء
التي من جملتها هذا فالمنكر عدم التعقل ابتداء او اتفعلون ذلك فلا تعقلون بطلانه مع وضوحه حتى تحتاجون الى التنبيه عليه
فالمنكر حينئذ عدم التعقل بعد الفعل هذا واما ما قيل من انه خطاب من جهة الله سبحانه للمؤمنين متصل بقوله تعالى افتطمعون والمعنى افلا
تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم فيأباه قوله تعالى اولا يعلمون فانه الى آخره تجهيل لهم من جهته تعالى فيما حكي عنهم فيكون ايراد خطاب
المؤمنين في اثنائه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه على ان في تخصيص الخطاب بالمؤمنين من التعسف في تعميمه للنبي صلى الله عليه وسلم ايضا
كما في افتطمعون من سوء الادب ما لا يخفى والهمزة للانكار والتوبيخ كما قبلها والواو للعطف على مقدر ينساق اليه الذهن والضمير
للموبخين اي ايلومونهم على التحديث المذكور مخافة المحاجة ولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون اي يسرونه فيما بينهم من المؤمنين
او ما يضمرونه في قلوبهم فيثبت الحكم في ذلك بالطريق الاولى وما يعلنون اي يظهرونه للمؤمنين او لاصحابهم حسبما سبق فحينئذ
يظهر الله تعالى للمؤمنين ما ارادوا اخفاءه بواسطة الوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم فتحصل المحاجة ويقع التبكيت كما وقع في آية
الرجم وتحريم بعض المحرمات عليهم فاي فائدة في اللوم والعتاب ومن ههنا تبين ان المحذور عندهم هو المحاجة بما فتح الله عليهم
وهي حاصلة في الدارين حدثوا به ام لا لا التحديث به حتى يندفع بالاخفاء وقيل الضمير للمنافقين فقط او لهم وللموبخين او لآبائهم
المحرفين اي ايفعلون ما يفعلون ولا يعلمون ان الله يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن جملته اسرارهم الكفر واظهارهم الايمان واخفاء
ما فتح الله عليهم واظهار غيره وكتم امر الله تعالى واظهار ما اظهروه افتراء وانما قدم الاسرار على الاعلان للايذان بافتضاحهم
ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط بجميع المعلومات كأن علمه بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه مع كونهما
في الحقيقة على السوية فإن علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا
المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة دون الخافية ويجوز ان يكون الكامنة ونظيره قوله عز وعلا قل ان تخفوا ما في صدوركم
او تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء بما ذكر من السر على عكس ما وقع في قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه
يحاسبكم به الله فإن الاصل في تعلق المحاسبة به هو الامور البادية دون الخافية ويجوز ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة
السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى
بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية ومنهم اميون وقرئ بتخفيف الياء جمع امي وهو من لا يقدر على الكتابة والقراءة
واختلف في نسبته فقيل الى الام بمعنى انه شبيه بها في الجهل بالكتابة والقراءة فانهما ليستا من شؤون النساء بل من خلال
الرجال وبمعنى انه على الحالة التي ولدته امه في الخلو عن العلم والكتابة وقيل الى الامة بمعنى انه باق على سذاجتها خال عن
معرفة الاشياء كقولهم عامي اي على عادة العامة روي عن عكرمة والضحاك ان المراد بهم نصارى العرب وقيل هم قوم من اهل

40

من اهل الكتاب رفع كتابهم لذنوب ارتكبوها فصاروا اميين وعن علي رضي الله تعالى عنه هم المجوس والحق الذي لا محيد عنه انهم جهلة
اليهود والجملة مستأنفة مسوقة لبيان قبائحهم اثر بيان شنائع الطوائف السالفة وقيل هي معطوفة على الجملة الحالية فان مضمونها
مناف لرجاء الخير منهم وان لم يكن فيه ما يحسم مادة الطمع عن ايمانهم كما في مضمون الجملة الحالية وما بعدها فان الجهل بالكتاب في
منافاة الايمان ليس بمثابة تحريف كلام الله بعد سماعه والعلم بمعانيه كما وقع في الاولين او النفاق والنهي عن اظهار ما في
التورية كما وقع من الفريقين الاخيرين اي ومنهم طائفة جهلة غير قادرين على الكتابة والتلاوة لا يعلمون الكتاب
اي لا يعرفون التورية ليطالعوها ويتحققوا ما في تضاعيفها من دلائل النبوة فيؤمنوا وحمل الكتاب على الكتابة يأباه سياق النظم
الكريم وسياقه الا اماني بالتشديد وقرئ بالتخفيف جمع امنية اصلها امنوية افعولة من منى بمعنى قدر او بمعنى تلا كتمنى في
قوله تمنى كتاب الله اول ليلة فاعلت اعلال سيد وميت ومعناها على الاول ما يقدره الانسان في نفسه ويتمناه وعلى الثاني
ما يتلوه وعلى التقديرين فالاستثناء منقطع اذ ليس ما يتمنى وما يتلى من جنس علم الكتاب اي لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون اماني حسبما
منتهم احبارهم من ان الله سبحانه يعفو عنهم وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وغير ذلك من امانيهم الفارغة المستندة الى الكتاب
على زعم رؤسائهم او لا يعلمون الكتاب لكن يتلقونه قدر ما يتلى عليهم فيقبلونه من غير ان يتمكنوا من التدبر فيه واما حمل الاماني
على الاكاذيب المختلقة على الاطلاق من غير ان يكون لها ملابسة بالكتاب فلا يساعده النظم الكريم وان هم الا يظنون ما هم
الا قوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يصلوا الى رتبة العلم فأنى يرجى منهم الايمان المؤسس على قواعد اليقين وتمام
حال هؤلاء في تمسكهم بحبال الاماني واتباع الظن عقب بيان حال الذين اوقعوهم في تلك الورطة وبكشف كيفية اضلالهم
لهم وتعيين مرجع الكل بالآخرة فقيل على وجه الدعاء عليهم فويل هو وامثاله من ويح وويس وويب وويه وويك وعول
من المصادر المنصوبة بافعال من غير لفظها لا يجوز اظهارها البتة فان اضيف نصب نحو ويلك وويحك واذا فصل عن الاضافة
رفع نحو ويل له ومعنى الويل شدة الشر قاله الخليل وقال الاصمعي الويل التفجع والويح الترحم وقال سيبويه ويل لمن وقع في
الهلكة وويح زجر لمن اشرف على الهلاك وقيل الويل الحزن وهل ويح وويب وويس بذلك المعنى او بينه وبينها فرق وقيل
ويل في الدعاء عليه وويح وما بعده في الترحم عليه قال ابن عباس رضي الله عنه الويل العذاب الاليم وعن سفيان الثوري انه
صديد اهل جهنم وروى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر
اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقال سعيد بن المسيب انه واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لماعت من شدة حره قال ابن
بريدة جبل قيح ودم وقيل صهريج في جهنم وحكى الزهري انه باب من ابواب جهنم وعلى كل حال فهو مبتدأ خبره قوله عز وعلا
للذين يكتبون الكتاب اي المحرف او ما كتبوه من التأويلات الزائفة بأيديهم تأكيد لدفع توهم المجاز كقولك كتبته بيميني
ثم يقولون هذا اي جميعا على الاول وبخصوصه على الثاني من عند الله وروي ان احبار اليهود خافوا ذهاب مأكلهم وزوال
رياستهم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا في تعويق اسافل اليهود عن الايمان فعمدوا الى صفة النبي صلى الله عليه
وسلم في التورية وكانت هي فيها حسن الوجه حسن الشعر اكحل العينين ربعة فغيروها وكتبوا مكانها طوال ازرق سبط الشعر
فاذا سألهم سفلتهم عن ذلك قرؤا عليهم ما كتبوا فيجدونه مخالفا لصفته عليه السلام فيكذبونه وثم للتراخي الرتبي فان نسبة
المحرف والتأويل الزائفة الى الله سبحانه صريحا اشد شناعة من نفس التحريف والتأويل ليشتروا به اي يأخذوا لأنفسهم
بمقابلته ثمنا هو ما اخذوه من الرشى بمقابلة ما فعلوا من التحريف والتأويل وانما عبر عن المشتري الذي هو المقصود بالذات
في عقد المعاوضة بالثمن الذي هو وسيلة فيه ايذانا بتعكيسهم حيث جعلوا المقصود بالذات وسيلة والوسيلة مقصودا
بالذات قليلا لا يعبأ به فان ذلك وان جل في نفسه فهو اقل قليل عند ما استوجبوه من العذاب الخالد فويل لهم تكرير لما سبق

للتأكيد وتصريح بتعليله بما قدمت أيديهم بعد الإشعار به فيما سلف بإيراد بعضه في حيز الصلة وبعضه في معرض الغرض والفاء للإيذان بترتبه
عليه ومن في قوله عز وجل **مما كتبت أيديهم** تعليلية متعلقة بويل أو بالاستقرار في الخبر وما موصولة اسمية والعائد محذوف أي كتبته أو مصدرية
والأول أدخل في الزجر عن تعاطي المحرف والثاني في الزجر عن التحريف **وويل لهم مما يكسبون** الكلام فيه كالذي فيما قبله والتكرير لما مر
من التأكيد والتشديد والقصد إلى التعليل بكل من الجنايتين وعدم التعرض لقولهم هذا من عند الله لما أنه من مبادي ترويج ما كتبت
أيديهم فهو داخل في التعليل به **وقالوا** بيان لبعض آخر من جناياتهم وفصله عما قبله مشعر بكونه من الأكاذيب التي خلقوها ولم يكتبوها
في الكتاب **لن تمسنا النار** في الآخرة **إلا أياما معدودة** قليلة محصورة عدد أيام عبادتهم العجل أربعين يوما مدة غيبة موسى
عليه السلام عنهم وحكى الأصم عن بعض اليهود أن عدد أيام عبادتهم العجل سبعة وروي عن ابن عباس ومجاهد أن اليهود قالوا عمر الدنيا
سبعة آلاف سنة وإنما نعذب بكل ألف سنة يوما واحدا وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه أن اليهود زعمت أنهم وجدوا
في التوراة أن ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة إلى أن ينتهوا إلى شجرة الزقوم وأنهم يقطعون في كل يوم مسيرة سنة فيكملونها
قل تبكيتا لهم وتوبيخا **أتخذتم** بإسقاط الهمزة المجتلبة لوقوعها في الدرج وبإظهار الذال وقرئ بإدغامها في التاء
عند الله عهدا خبرا أو وعدا بما تزعمون مما يدعون الأنبياء علي وعد قوي ولذلك عبر عنه بالعهد **فلن يخلف الله عهده** الفاء
فصيحة معربة عن شرط محذوف كما في قول من قال قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا أي إن كان الأمر كذلك
فلن يخلف والجملة اعتراضية وإظهار الاسم الجليل للإشعار بعلة الحكم فإن عدم الإخلاف من قضية الألوهية وإظهار العهد مضافا إلى ضميره
عز وجل لما ذكر أو لأن المراد به جميع عهوده لعمومه بالإضافة فيدخل فيه العهد المعهود دخولا أوليا وفيه تجاف عن التصريح بتحقق مضمون كلامهم
وإن كان معلقا بما لم يكد يشم رائحة الوجود قطعا أعني اتخاذ العهد **أم تقولون** مفترين **على الله ما لا تعلمون** وقوعه وإنما علق التوبيخ
بإسنادهم إليه سبحانه ما لا يعلمون وقوعه مع أن ما أسندوه إليه تعالى من قبيل ما يعلمون عدم وقوعه للمبالغة في التوبيخ والتنكير فإن
التوبيخ على الأدنى مستلزم للتوبيخ على الأعلى بالطريق الأولى وقولهم المحكي وإن لم يكن تصريحا بالافتراء عليه سبحانه لكنه مستلزم له لأن ذلك الجزم
لا يكون إلا بإسناد سببه إليه تعالى وأم إما متصلة والاستفهام للتقرير المؤدي إلى التبكيت لتحقق العلم بالشق الأخير كأنه قيل أم لم تتخذوه
بل تقولون عليه سبحانه وتعالى وإما منقطعة والاستفهام لإنكار الاتخاذ ونفيه ومعنى بل فيها للإضراب والانتقال من التوبيخ بالإنكار
على اتخاذ العهد إلى ما تفيده همزتها من التوبيخ على التقول على الله سبحانه كما في قوله عز وجل آلله أذن لكم أم على الله تفترون
بلى أتى أخره جوابا عن قولهم المحكي وإبطال له من جهته تعالى وبيان لحقيقة الحال تفصيلا في ضمن تشريع كلي شامل لهم ولسائر الكفرة
بعد إظهار كذبهم إجمالا وتفويض ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم لما أن المحاجة والإلزام من وظائفه عليه السلام مع ما فيه من الإشعار
بأنه أمر هين لا يتوقف على التوقيف وبلى حرف إيجاب مختص بجواب النفي خبرا واستفهاما **من كسب سيئة** فاحشة من السيئات
أي كبيرة من الكبائر كدأب هؤلاء الكفرة والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة فبشرهم بعذاب أليم **وأحاطت به**
من جميع جوانبه بحيث لم يبق له جانب من قلبه ولسانه وجوارحه إلا وقد اشتملت واستولت عليه **خطيئته** التي كسبها وصارت خاصة
من خواصه كما ينبئ عنه الإضافة إليه وهذا إنما يتحقق في الكافر ولذلك فسرها السلف بالكفر حسبما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن
عباس وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهم وابن جرير عن أبي وائل ومجاهد وقتادة وعطاء والربيع وقيل السيئة الكفر والخطيئة
الكبيرة وقيل بالعكس وقيل الفرق بينهما أن الأولى قد تطلق على ما يقصد بالذات والثانية تغلب على ما يقصد بالعرض لأنها من الخطأ
وقرئ خطيته وخطياته على القلب والإدغام فيهما وخطيئاته وخطاياه وفي ذلك إيذان بكثرة فنون كفرهم **فأولئك** مبتدأ
أصحاب النار خبره والجملة خبر للمبتدأ والفاء لتضمنه معنى الشرط وإيراد اسم الإشارة المنبئ عن استحضار المشار إليه بما له من الأوصاف
للإشعار بعليتها لصاحبية النار وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر والخطايا وإنما أشير إليهم بعنوان الجمعية

مراعاة لجانب المعنى في كلمة من بعد مراعاة جانب اللفظ في الضمائر الثلاثة لما أن ذلك هو المناسب لما أسند إليهم في تينك الحالتين
فإن كسب السيئة وإحاطة خطيئته به في حالة الانفراد وصاحبية النار في حالة الاجتماع أي أولئك الموصوفون بما ذكر من كسب السيئات
وإحاطة خطاياهم بهم أصحاب النار أي ملازموها في الآخرة حسب ملازمتهم في الدنيا لما يستوجبها من الأسباب التي من جملتها
ما هم عليه من تكذيب آيات الله تعالى وتحريف كلامه والافتراء عليه وغير ذلك وإنما لم يخص الجواب بحالهم بأن يقال مثلا بل هم
أصحاب النار الخ لما في التعميم من التهويل وبيان حالهم بالبرهان والدليل مع ما مر من قصد الإشعار بالتعليل **هم فيها خالدون**
دائما أبدا فأنى لهم التقضي عنها بعد سبعة أيام أو أربعين كما زعموا فلا حجة في الآية الكريمة على خلود صاحب الكبيرة لما عرفت من
اختصاصها بالكافر ولا حاجة إلى حمل الخلود على اللبث الطويل على أن فيه تهوين الخطب في مقام التهويل **والذين آمنوا وعملوا
الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون** جرت السنة الإلهية على شفع الوعد بالوعيد مراعاة لما تقتضيه الحكمة
في إرشاد العباد من الترغيب تارة والترهيب أخرى والتبشير مرة والإنذار أخرى **وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل**
شروع في تعداد بعض آخر من قبائح أسلاف اليهود مما ينادي بعدم إيمان أخلافهم وكلمة إذ نصب بإضمار فعل خوطب النبي
صلى الله عليه وسلم والمؤمنون ليؤديهم التأمل في أحوالهم إلى قطع الطمع عن إيمانهم أو اليهود الموجودون في عهد النبوة توبيخا
لهم بسوء صنيع أسلافهم أي اذكروا إذ أخذنا ميثاقهم **لا تعبدون إلا الله** على إرادة القول أي وقلنا أي قائلين لا تعبدون
الخ وهو إخبار في معنى النهي كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وكما تقول تذهب إلى فلان وتقول كيت وكيت وهو أبلغ
من صريح النهي لما فيه من إيهام أن المنهي حقه أن يسارع إلى الانتهاء عما نهي عنه فكأنه انتهى عنه فيخبر به الناهي ويؤيده قراءة
لا تعبدوا وعطف قولوا عليه وقيل تقديره أن لا تعبدوا الخ فحذف الناصب ورفع الفعل كما في قوله ألا أيهذا الزاجري
أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي ويعضده قراءة أن لا تعبدوا فيكون بدلا من الميثاق أو معمولا له بحذف الجار
وقيل إنه جواب قسم دل عليه المعنى كأنه قيل وحلفناهم لا تعبدون إلا الله وقرئ بالياء لأنهم غيب **وبالوالدين إحسانا**
متعلق بمضمر أي وتحسنون أو أحسنوا **وذي القربى واليتامى والمساكين** عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كندامى جمع نديم وهو قليل
ومسكين مفعيل من السكون كأن الفقر أسكنه من الحراك وأثخنه عن التقلب **وقولوا للناس حسنا** أي قولا حسنا سماه حسنا مبالغة
وقرئ كذلك وحسنا بضمتين وهي لغة أهل الحجاز وحسنى كبشرى والمراد به تخلق وإرشاد **وأقيموا الصلوة وآتوا
الزكوة** هما ما فرض عليهم في شريعتهم **ثم توليتم** إن جعل ناصب الظرف خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فهذا التفات
إلى خطاب بني إسرائيل جميعا بتغليب أخلافهم على أسلافهم لجريان ذكر كلهم حينئذ على نهج الغيبة فإن الخطابات السابقة لأسلافهم
محكية داخلة في حيز القول المقدر قبل لا تعبدون كأنهم استحضروا عند ذكر جناياتهم فنعيت هي عليهم وإن جعل خطابا لليهود المعاصرين
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا تعميم للخطاب بتنزيل الأسلاف منزلة الأخلاف كما أنه تعميم للتولي بتنزيل الأخلاف منزلة
الأسلاف للتشديد في التوبيخ أي أعرضتم عن المضي على مقتضى الميثاق ورفضتموه **إلا قليلا منكم** وهم من الأسلاف
من أقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن الأخلاف من أسلم كعبد الله بن سلام وأضرابه **وأنتم معرضون** جملة تذييلية
أي وأنتم قوم عادتكم الإعراض عن الطاعة ومراعاة حقوق الميثاق وأصل الإعراض الذهاب عن المواجهة والإقبال إلى
جانب العرض **وإذ أخذنا ميثاقكم** منصوب بفعل مضمر خوطب به اليهود قاطبة على ما ذكر من التغليب ونعي عليهم إخلافهم
بمواجب الميثاق المأخوذ منهم في حقوق العباد على طريقة النهي إثر بيان ما فعلوا بالميثاق المأخوذ منهم في حقوق الله سبحانه وما
يجري مجراها على سبيل الأمر فإن المقصود الأصلي من النهي عن عبادة غير الله تعالى هو الأمر بتخصيص العبادة به تعالى أي
واذكروا وقت أخذنا ميثاقكم في التوراة وقوله تعالى **لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم** كما قبله إخبار في معنى

النهي غير المسبك اليه لما ذكر من نكتة المبالغة والمراد به النهي الشديد عن تعرض بعض بني اسرائيل لبعض بالقتل والاجلاء والتعبير عن ذلك
بسفك دماء انفسهم واخراجها من ديارهم بناء على جريان كل واحد منهم مجرى انفسهم لما بينهم من الاتصال القوي نسبا ودينا
للمبالغة في الحمل على مراعاة حقوق الميثاق بتصوير المنهي عنه بصورة تكرهها كل نفس وتنفر عنها كل طبيعة فضمير انفسكم للمخاطبين
حتما اذ به يتحقق تنزيل المخرجين منزلتهم كما ان ضمير دياركم للمخرجين قطعا اذ المحذور انما هو اخراجهم من ديارهم لا من
ديار المخاطبين من حيث انهم مخاطبون كما يفصح عنه ما سيأتي من قوله من ديارهم وانما الخطاب ههنا باعتبار تنزيل ديارهم
منزلة ديار المخاطبين بناء على تنزيل انفسهم منزلتهم لتأكيد المبالغة وتشديد التشنيع واما ضمير دماءكم فمحتمل للوجهين
مفاد الاول كون المسفوك دماء ادعائية للمخاطبين حقيقة ومفاد الثاني كونه دماء حقيقية للمخاطبين ادعاء وهما
متقاربان في افادة المبالغة فتدبروا واما ما قيل من ان المعنى لا تباشروا ما يؤدي الى قتل انفسكم قصاصا او ما يبيح سفك
دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحيوة الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تحرمون به
عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي فمما لا يساعده سياق النظم الكريم بل سونص فيما قلناه كما ستقف عليه **ثم اقررتم**
اي بالميثاق وبوجوب المحافظة عليه **وانتم تشهدون** توكيد للاقرار كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الحاضرون
تشهدون اليوم على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق **ثم انتم هؤلاء** خطاب خاص بالحاضرين فيه توبيخ شديد واستبعاد قوي لما
ارتكبوه بعد ما كان من الميثاق والاقرار به والشهادة عليه فانتم مبتدأ وهؤلاء خبره ومناط الافادة واختلاف الصفات
المنزل منزلة اختلاف الذات والمعنى انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون الناقضون المتناقضون حسبما يعرب عنه الجمل الآتية فان قوله
تعالى **تقتلون انفسكم** الخ بيان له وتفصيل لاحوالهم المنكرة المندرجة تحت الاشارة ضمنا كانهم قالوا كيف نحن فقيل تقتلون انفسكم
اي الجارين مجرى انفسكم كما اشير اليه وقرئ تقتّلون بالتشديد للتكثير **وتخرجون فريقا منكم** الضمير اما للمخاطبين والمضاف
محذوف اي من انفسكم واما للمقتولين والخطاب باعتبار انهم جعلوا انفس المخاطبين والا فلا يتحقق التكافؤ بين المقتولين والمخرجين
في ذلك العنوان الذي عليه يدور فلك المبالغة في تأكيد الميثاق حسبما نص عليه ولا يظهر كمال قباحة جناياتهم في نقضه **من ديارهم**
الضمير للفريق وايثار الغيبة مع جواز الخطاب ايضا بناء على اعتبار العنوان المذكور كما مر في الميثاق للاحتراز عن توهم كون المراد
اخراجهم من ديار المخاطبين من حيث ديارهم لا من حيث هي ديار المخرجين وقيل هؤلاء موصول والجملتان في حيز الصلة والمجموع هو
الخبر لانتم **تظاهرون عليهم** بحذف احدى التائين وقرئ باثباتهما وبالادغام وتظهرون بطرح احدى التائين من تتظهرون
ومعنى الكل تتعاونون وهو حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او منهما جميعا مبينة لكيفية الاخراج دافعة لتوهم اختصاص
الحرمة بالاخراج بطريق الاصالة والاستقلال دون المظاهرة والمعاونة **بالاثم** متعلق بتظاهرون حال من فاعله اي ملتبسين بالاثم
وهو الفعل الذي يستحق فاعله الذم واللوم وقيل هو ما تنفر عنه النفس ولا يطمئن اليه القلب **والعدوان** وهو التجاوز في الظلم
وان ياتوكم اسارى جمع اسير وهو من يؤخذ قهرا فعيل بمعنى مفعول من الاسر اي الشد او جمع اسرى وهو جمع اسير كجرحى
وجريح وقد قرئ اسرى ومحله النصب على الحالية **تفادوهم** اي تخرجوهم من الاسر باعطاء الفداء وقرئ تفدوهم قال السدي
ان الله تعالى اخذ على بني اسرائيل في التورية الميثاق ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وايما عبد او امة
وجدتموه من بني اسرائيل فاشتروه واعتقوه وكانت قريظة حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج حين كان بينهما ما كان
من العداوة والشنآن فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه فاذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم منها ثم اذا اسر رجل من
الفريقين جمعوا له مالا فيفدونه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم
علينا قتالهم ولكن نستحيي ان تذل حلفاؤنا فذمهم الله تعالى على المناقضة **وهو محرم عليكم اخراجهم** هو ضمير الشأن وقع

وقع مبتدأ ومحرم فيه ضمير قائم مقام الفاعل وقع خبرا من اخراجهم والجملة خبر لضمير الشأن وقيل محرم خبر لضمير الشأن واخراجهم مرفوع على انه
مفعول ما لم يسم فاعله وقيل الضمير مبهم يفسره اخراجهم او راجع الى ما يدل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم تأكيد او بيان والجملة حال
من الضمير في تخرجون او من فريقا او منهما كما مر بعد اعتبار التقييد بالحال الآتية وتخصيص بيان الحرمة ههنا بالاخراج مع
كونه قرينا للقتل عند اخذ الميثاق لكونه مظنة للمساهلة في امره بسبب قلة خطره بالنسبة الى القتل ولان مساق الكلام لذمهم
وتوبيخهم على جناياتهم وتناقض افعالهم معا وذلك مختص بصورة الاخراج حيث لم ينقل عنهم تدارك القتلى بشيء من دية او قصاص
وهو السر في تخصيص التظاهر به فيما سبق واما تاخيره من الشرطية المعترضة مع ان حقه التقديم كما ذكره الواحدي فلان نظم
افاعيلهم المتناقضة في سمط واحد من الذكر ادخل في اظهار بطلانها **افتؤمنون ببعض الكتاب** اي التورية التي اخذ فيها
الميثاق المذكور والهمزة للانكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يستدعيه المقام اي تفعلون ذلك فتؤمنون ببعض الكتاب
وهو المفاداة **وتكفرون ببعض** وهو حرمة القتال والاخراج مع ان من قضية الايمان بالباقي لكون الكل من عند الله تعالى
داخلا في الميثاق فمناط التوبيخ كفرهم بالبعض مع ايمانهم بالبعض حسبما يفيده ترتيب النظم الكريم فان التقديم يستدعي في
المقام الخطابي اصالة المقدم وتقدمه بوجه من الوجوه حتما واذ ليس ذلك ههنا باعتبار الانكار والتوبيخ عليه فهو باعتبار الوقوع
قطعا لا ايمانهم بالبعض مع كفرهم بالبعض كما هو المفهوم لو قيل افتكفرون ببعض الكتاب وتؤمنون ببعض ولا مجرد كفرهم
بالبعض وايمانهم بالبعض كما يفيده ان يقال افتجمعون بين الايمان ببعض الكتاب والكفر ببعض وبالعكس **فما جزاء من يفعل
ذلك منكم** ما نافية ومن ان جعلت موصولة فلا محل ليفعل من الاعراب وان جعلت موصوفة فمحله الجر على انه صفتها وذلك اشارة
الى الكفر ببعض الكتاب مع الايمان ببعض او الى ما فعلوا من القتل والاجلاء مع مفادات الاسارى **منكم** حال من فاعل يفعل
الا خزي استثناء مفرغ وقع خبرا للمبتدأ والخزي الذل والهوان مع الفضيحة والتنكير للتفخيم وهو قتل بني قريظة واجلاء
بني النضير الى اذرعات واريحا من الشام وقيل الجزية **في الحيوة الدنيا** في حيز الرفع على انه صفة خزي كائن في الحيوة الدنيا
او في حيز النصب على انه ظرف لنفس الخزي ولعل بيان جزائهم بطريق القصر على ما ذكر لقطع اطماعهم الفارغة من ثمرات ايمانهم
ببعض الكتاب واظهار انه لا اثر له اصلا مع الكفر ببعض **ويوم القيمة يردون** وقرئ بالتاء ايثار صيغة الجمع نظرا الى
معنى من بعد ما اوثر الافراد نظرا الى لفظها لما ان الرد انما يكون بالاجتماع **الى اشد العذاب** لما ان معصيتهم اشد المعاصي
وقيل اشد العذاب بالنسبة الى ما لهم في الدنيا من الخزي والصغار وانما غير سبك النظم الكريم حيث لم يقل مثلا واشد العذاب يوم
القيمة للايذان بكمال التنافي بين جزائي النشاتين وتقديم يوم القيمة على ذكر ما يقع فيه لتهويل الخطب وتفظيع الحال من اول
الامر **وما الله بغافل عما تعملون** من القبائح التي من جملتها هذا المنكر وقرئ بالياء على نهج يردون وهو تأكيد للوعيد
اولئك الموصوفون بما ذكر من الاوصاف القبيحة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى **الذين اشتروا** اي آثروا **الحيوة الدنيا**
واستبدلوها **بالآخرة** واعرضوا عنها مع تمكنهم من تحصيلها فان ما ذكر من الكفر ببعض احكام الكتاب انما كان لمراعاة جانب
حلفائهم لما يعود اليهم منهم من بعض المنافع الدنيئة والدنيوية **فلا يخفف عنهم العذاب** دنيويا كان او اخرويا **ولا هم
ينصرون** بدفعه عنهم شفاعة او جبرا والجملة معطوفة على ما قبلها عطف الاسمية على الفعلية او ينصرون مفسر لمحذوف قبل الضمير
فيكون من عطف الفعلية على مثلها **ولقد آتينا موسى الكتاب** شروع في بيان بعض آخر من جناياتهم وتصديره بالجملة القسمية
لاظهار كمال الاعتناء به والمراد بالكتاب التورية عن ابن عباس رضي الله عنهما ان التورية لما نزلت جملة واحدة
امر الله عز وجل موسى عليه السلام بحملها فلم يطق بذلك فبعث بكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا حملها فخففها الله تعالى لموسى
عليه السلام فحملها **وقفينا من بعده بالرسل** يقال قفاه به اذا اتبعه اياه اي ارسلناهم على اثره كقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا

تترى وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم عليهم السلام **وآتينا عيسى بن مريم البينات** المعجزات الواضحات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالسريانية أيشوع ومعناه المبارك ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ضليل اهواء الصبا تندمه ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل **وأيدناه** اي قويناه وقرئ آيدناه **بروح القدس** بضم الدال وقرئ بسكونها اي بالروح المقدسة وهي روح عيسى عليه السلام كقولك حاتم الجود ورجل صدق وانما وصفت بالقدس للكرامة اولانه عليه السلام لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث وقيل بالانجيل كما قيل في القرآن روحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره وتخصيصه من بين الرسل عليهم السلام بالذكر ووصفه بما ذكر من ايتاء البينات والتأييد بروح القدس لما ان بعثتهم كانت لتنفيذ احكام التوراة وتقريرها واما عيسى عليه السلام فقد نسخ بشرعه كثير من احكامها ولحسم مادة اعتقادهم الباطل في حقه عليه السلام ببيان حقيقته واظهار كمال قبح ما فعلوا به عليه السلام **افكلما جاءكم رسول** من اولئك الرسل **بما لا تهوى انفسكم** من الحق الذي لا محيد عنه اي لا تحبه من هوي كفرح اذا احب والتعبير عنه بذلك للايذان بمدار الرد والقبول عندهم هو المخالفة لاهواء انفسهم والموافقة لها لا شيء آخر وتوسيط الهمزة بين الفاء وما تعلقت به من الافعال السابقة لتوبيخهم على تعقيبهم ذلك بهذا والتعجيب من شأنهم ويجوز كون الفاء للعطف على مقدر يناسب المقام اي الم تطيعوهم فكلما جاءكم رسول منهم بما لا تهوى انفسكم **استكبرتم** عن الاتباع والايمان بما جاء به من عند الله تعالى **ففريقا** منهم **كذبتم** من غير ان تتعرضوا لهم بشيء آخر من المضار والفاء للسببية او للتعقيب **وفريقا** آخر منهم **تقتلون** غير مكتفين بتكذيبهم كزكريا ويحيى وغيرهما عليهم السلام وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام وتشويق السامع الى ما فعلوا بهم لا للقصر وايثار صيغة الاستقبال في القتل لاستحضار صورته الهائلة او للايماء الى انهم بعد على تلك النية حيث هموا بما لم ينالوه من جهته عليه السلام وسحروه وسموا له الشاة حتى قال صلى الله عليه وسلم ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري **وقالوا** بيان لفن آخر من قبائحهم على طريق الالتفات الى الغيبة اشعارا بابعادهم عن رتبة الخطاب لما فصل من مخازيهم الموجبة للاعراض عنهم وحكاية نظائرها لكل من نعيهم بطلانها وقباحتها من اهل الحق والقائلون هم الموجودون في عصر النبي صلى الله عليه وسلم **قلوبنا غلف** جمع اغلف مستعار من الاغلف الذي لم يختن اي هي مغشاة باغشية جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد عليه السلام ولا تفقهه كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وقيل هو تخفيف غلف جمع غلاف ويؤيده ما روي عن ابي عمرو من القراءة بضمتين يعنون ان قلوبنا اوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعطاء وقال الكلبي يعنون ان قلوبنا لا يصل اليها حديث الا وعته ولو كان في حديثك خير لوعته ايضا **بل لعنهم الله بكفرهم** رد لما قالوه وتكذيب لهم في ذلك والمعنى على الاول ابعدهم الله سبحانه عن رحمته بأن خذلهم وخلاهم وشأنهم بسبب كفرهم العارض وابطالهم لاستعدادهم بسوء اختيارهم بالمرة وكونهم بحيث لا ينفعهم الالطاف اصلا بعد ان خلقهم على الفطرة والتمكن من قبول الحق وعلى الثاني بل ابعدهم من رحمته فأنى لهم ادعاء العلم الذي هو اجل آثارها وعلى الثالث بل ابعدهم من رحمته فلذلك لا يقبلون الحق المؤدي اليها **فقليلا ما يؤمنون** ما مزيدة للمبالغة اي فايمانا قليلا يؤمنون وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل فزمانا قليلا يؤمنون وهو ما قالوا آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره وكلاهما ليس بايمان حقيقة وقيل اريد بالقلة العدم والفاء للسببية للتعقيب لعدم الايمان **ولما جاءهم كتاب** من القرآن وتنكيره للتفخيم ووصفه بقوله عز وجل **من عند الله** اي كائن من عنده تعالى للتشريف **مصدق لما معهم** من التوراة عبر عنها بذلك لما ان المعية من موجبات الوقوف على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكونه مصدقا لها وقرئ مصدقا على انه حال من كتاب لتخصصه بالوصف **وكانوا من قبل** اي من قبل

اي من قبل مجيئه **يستفتحون على الذين كفروا** اي وقد كانوا قبل مجيئه يستفتحون به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نعته في التوراة ويقولون لهم قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والسدي نزلت في بني قريظة والنضير كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم بأن نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة كما في استعجب اي يسألون من انفسهم الفتح عليهم او يسأل بعضهم بعضا ان يفتح عليهم وعلى التقديرين فالجملة حالية مفيدة لكمال مكابرتهم وعنادهم وقوله عز وعلا **فلما جاءهم** تكرير للاول لطول العهد بتوسط الجملة الحالية وقوله تعالى **ما عرفوا** عبارة عما سلف من الكتاب لان معرفة من انزل هو عليه معرفة له والاستفتاح به استفتاح به وايراد الموصول دون الاكتفاء بالاضمار لبيان كمال مكابرتهم فان معرفة ما جاءهم من مبادي الايمان به ودواعيه لا محالة والفاء للدلالة على تعقيب مجيئه للاستفتاح به من غير ان يتخلل بينهما مدة منسية له وقوله تع **كفروا به** جواب لما الاولى كما هو رأي المبرد او جوابهما معا كما قاله ابو البقاء وقيل جواب الاولى محذوف لدلالة المذكور عليه فيكون قوله تع وكانوا الخ جملة معطوفة على الشرطية عطف القصة على القصة والمراد بما عرفوا النبي صلى الله عليه وسلم كما هو المراد بما كانوا يستفتحون به فالمعنى ولما جاءهم كتاب مصدق لكتابهم كذبوه وكانوا من قبل مجيئه يستفتحون بمن انزل عليه ذلك الكتاب فلما جاءهم النبي الذي عرفوه كفروا به **فلعنة الله على الكافرين** اللام للعهد اي عليهم ووضع المظهر موضع المضمر للاشعار بأن حلول اللعنة عليهم بسبب كفرهم كما ان الفاء للايذان بترتبها عليه او للجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا اذ الكلام فيهم وايا ما كان فهو تحقيق لمضمون قوله تع بل لعنهم الله بكفرهم **بئسما اشتروا به انفسهم** ما نكرة بمعنى شيء مفسرة منصوبة لفاعل بئس واشتروا صفته اي بئس شيئا باعوا به انفسهم وقيل اشتروها به في زعمهم حيث يعتقدون انهم بما فعلوا خلصوها من العقاب وايا ما كان لابد ان يكون المذموم ما كان حاصلا لهم لا ما كان زائلا عنهم والمخصوص بالذم قوله تع **ان يكفروا بما انزل الله** اي بالكتاب المصدق لما معهم بعد الوقوف على حقيته وتبديل الانزال بالمجيء للايذان بعلو شأنه الموجب للايمان به **بغيا** حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة لأن يكفروا حتما دون اشتروا لما قيل من الفصل بما هو اجنبي بالنسبة اليه وان لم يكن اجنبيا بالنسبة الى فعل الذم وفاعله ولأن البغي مما لا تعلق له بعنوان البيع قطعا لا سيما وهو معلل بما سيأتي من تنزيل الله تعالى من فضله على من يشاؤه وانما الذي بينه وبينه علاقة وكفرهم بما انزل الله والمعنى بئس شيئا باعوا به انفسهم كفرهم المعلل بالبغي الكائن لأجل **ان ينزل الله من فضله** الذي هو الوحي **على من يشاء** اي يشاؤه ويصطفيه **من عباده** المستأهلين لتحمل اعباء الرسالة ومآله تعليل كفرهم بالمنزل بحسدهم للمنزل عليه وايثار صيغة التفعيل ههنا للايذان بتجدد بغيهم حسب تجدد الانزال وتكثره حسب تكثره **فباءوا بغضب على غضب** اي رجعوا متلبسين بغضب كائن على غضب مستحقين له حسبما اقترفوا من كفر على كفر فانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد عليه السلام بعد عيسى عليه السلام وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من فنون كفرهم **وللكافرين** اي لهم والاظهار في موقع الاضمار للاشعار بعلية كفرهم لما حاق بهم **عذاب مهين** يراد به اهانتهم واذلالهم لما ان كفرهم بما انزل الله تعالى كان مبنيا على الحسد المبني على جمع النزول عليهم وادعاء الفضل على الناس والاستهانة بمن انزل عليه عليه الصلوة والسلام **واذا قيل** من جانب المؤمنين **لهم** اي لليهود وتقديم الجار والمجرور قد مر وجهه لا سيما في لام التبليغ **آمنوا بما انزل الله** من الكتب الالهية جميعا والمراد به الامر بالايمان بالقرآن لكن سلك مسلك التعميم ايذانا بتحتم الامتثال من حيث مشاركته لما آمنوا به فيما في حيز الصلة وموافقته له في المضمون وتنبيها على ان الايمان بما عداه من غير ايمان به ليس بايمان بما انزل الله **قالوا نؤمن** اي نستمر على الايمان **بما انزل علينا** يعنون به التوراة وما انزل على انبياء بني اسرائيل عليهم السلام لتقرير حكمها ويدسون فيه ان ما عدا ذلك غير منزل عليهم ومرادهم بضمير المتكلم اما انفسهم فمعنى الانزال عليهم تكليفهم بما في

المنزل من الاحكام واتاما انبيآء بني اسرائيل عليهم السلام وهو الظاهر لاشتماله علي مزية الايذان بان عدم ايمانهم بالفرقان لما ترتب بغيهم
وحسدهم علي نزوله علي من ليس منهم ولان مرادهم بالموصول وان كان هو التورية وما في حكمها خاصة لكن ايرادها بعنوان الانزال عليهم
مبني علي ادعاء ان ما عداها ليس كذلك علي وجه التعريض كما اشير اليه فلو اريد بالانزال عليهم ما ذكر من تكليفهم يلزم من مغايرة القرآن لما
انزل عليهم حسبما يعرب عنه قوله عز وجل **ويكفرون بما وراءه** عدم كونهم مكلفين بما فيه كما يلزم عدم كونه نازلا علي واحد من بني اسرائيل علي
الوجه الاخير وتجريد الموصول عند الاضمار عما عرض له تعسف لا يخفي والوراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الي الفاعل فيراد به
ما يتواري به وهو خلفه والي المفعول فيراد به ما يواريه وهو امامه والجملة حال من ضمير قالوا والتقدير مبتداء اي قالوا ما قالوا وهم يكفرون
بما عداه وليس المراد مجرد بيان ان افراد ايمانهم بما انزل عليهم بالذكر لنفي ايمانهم بما وراءه بل بيان ان ما يدعون من الايمان ليس
بايمان بما انزل عليهم حقيقة فان قوله عز اسمه **وهو الحق** اي المعروف بالحقيقة الحقيق بان يخص باسم الحق علي الاطلاق حال من فاعل
يكفرون وقوله تع **مصدقا** حال مؤكدة لمضمون الجملة صاحبها اما ضمير الحق وعاملها فيه من معني الفعل قاله ابو البقاء واما ضمير دل
عليه الكلام وعاملها فعل مضمر اي احقه مصدقا **لما معهم** من التورية والمعني قالوا نؤمن بما انزل علينا وهم يكفرون بالقرآن
والحال انه حق مصدق لما امنوا به فيلزمهم الكفر بما آمنوا به وما له انهم ادعوا الايمان بالتورية والحال انهم يكفرون بما يلزم من الكفر
الكفر بها **قل** تبكيتا لهم من جهة الله عز من قائل ببيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم بعد بيان التناقض في اقوالهم **فلم**
اصله لما حذفت عنه الالف فرقا بين الاستفهامية والخبرية **تقتلون انبياء الله من قبل** من قبل الخطاب للحاضرين من اليهود والماضين علي
طريق التغليب وحيث كانوا مشاركين في العقد والعمل كان الاعتراض علي اسلافهم اعتراضا علي اخلافهم وصيغة الاستقبال لحكاية
الحال الماضية وهو جواب شرط محذوف اي قل لهم **ان كنتم مؤمنين** بالتورية كما تزعمون فلاي شيء كنتم تقتلون انبياء الله
من قبل وهو فيها حرام وقرئ ابناء الله مهموزا وقوله تع ان كنتم مؤمنين تكرير الاعتراض لتاكيد الالزام وتشديد التهديد
اي ان كنتم مؤمنين فلم تقتلونهم وقد حذف من كل واحدة من الشرطيتين ما حذف ثقة بما اثبت في الاخري وقيل لا حذف فيه بل
تقديم الجواب علي الشرط وذلك لا يتاتي الا علي راي الكوفيين وابي زيد وقيل ان نافية اي ما كنتم مؤمنين والا لما قتلتموهم
ولقد جاءكم موسي بالبينات من تمام التبكيت والتوبيخ داخل تحت الامر لا تكرير لما قص في تضاعيف تعداد النعم التي من جملتها
العفو عن عبادة العجل واللام للقسم اي وبالله لقد جاءكم موسي ملتبسا بالمعجزات الظاهرة التي هي العصا واليد والسنون ونقص
الثمرات والدم والطوفان والجراد والقمل والضفادع وفلق البحر وقد عد منها التورية وليس بواضح فان المجيء بها بعد قصة العجل
ثم اتخذتم العجل اي الها **من بعده** اي من بعد مجيئه بها وقيل من بعد ذهابه الي الطور فتكون التورية حينئذ من جملة البينات وثم
للتراخي في الرتبة والدلالة علي نهاية قبح ما صنعوا **وانتم ظالمون** حال من ضمير اتخذتم بمعني اتخذتم العجل ظالمين بعبادته
واضعين لها في غير موضعها او بالاخلال بحقوق آيات الله تعالي او اعتراض اي وانتم قوم عادتكم الظلم **واذ اخذنا ميثاقكم** توبيخ
من جهة الله تع وتكذيب لهم في ادعائهم الايمان بما انزل عليهم بتذكير جناياتهم الناطقة بتكذيبهم اي واذكروا حين اخذنا
ميثاقكم **ورفعنا فوقكم الطور** قائلين **خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا** اي خذوا بما امرتم به في التورية واسمعوا ما فيها
سمع طاعة وقبول **قالوا** استيناف مبني علي سؤال سائل كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا **سمعنا** قولك **وعصينا** امرك
فاذا قابل اسلافهم مثل ذلك الخطاب المؤكد مع مشاهدتهم مثل تلك المعجزة الباهرة بمثل هذه العظيمة الشنعاء وكفروا بما في تضاعيف
التورية فكيف يتصور من اخلافهم الايمان بما فيها **واشربوا في قلوبهم العجل** علي حذف المضاف اليه مقامه للمبالغة اي تداخلهم حبه
ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به وحرصهم علي عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفي قلوبهم بيان
لمكان الاشراب كما في قوله تع انما ياكلون في بطونهم نارا والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير قد **بكفرهم** بسبب كفرهم السابق

السابق الموجب لذلك قيل كانوا يرونه مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري **قل** توبيخا لحاضري
اليهود اثر ما تبين احوال رؤسائهم الذين بهم يقتدون في كل ما يأتون وما يذرون **بئسما يامركم به ايمانكم** بما انزل عليكم
التورية حسبما تدعون والمخصوص بالذم محذوف اي ما ذكر من قولهم سمعنا وعصينا وعبادتهم العجل وفي اسناد الامر الي الايمان
تهكم بهم واضافة الايمان اليهم للايذان بانه ليس بايمان حقيقة كما ينبئ عنه قوله تع **ان كنتم مؤمنين** فانه قدح في دعواهم الايمان
بما انزل عليهم من التورية وابطال لها وتقريره ان كنتم مؤمنين بها عاملين فيما ذكر من القول والعمل بما فيها فبئسما يامركم به
ايمانكم بها واذ لا يسوغ الايمان بها مثل تلك القبائح فلستم مؤمنين بها قطعا وجواب الشرط كما تري محذوف لدلالة ما سبق
قل كرر الامر مع قرب العهد بالامر السابق لما انه امر بتبكيتهم واظهار كذبهم في فن آخر من اباطيلهم لكنه لم يحك عنهم قبل
الامر بابطاله بل اكتفي بالاشارة اليه في تضاعيف الكلام حيث قيل **ان كانت لكم الدار الآخرة** اي الجنة او نعيم الدار الآخرة
عند الله خالصة اي سالمة لكم خاصة بكم كما تدعون انه لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصبها علي الحالية من الدار
وعند ظرف للاستقرار في الخبر اعني لكم وقوله تع **من دون الناس** في محل النصب بخالصة يقال خلص لي كذا من كذا واللام
للجنس اي الناس كافة او للعهد اي المسلمين **فتمنوا الموت** فان من ايقن بدخول الجنة اشتاق الي التخلص اليها من دار البوار
وقرارة الاكدار لا سيما اذا كانت خالصة له كما قال علي كرم الله تعالي وجهه لا ابالي سقطت علي الموت او سقط الموت علي وقال
عمار بن ياسر بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة بن اليمان حين احتضر وقد كان يتمني الموت قبل جاء حبيب علي
فاقة لا افلح من ندم اي علي التمني وقوله تعالي **ان كنتم صادقين** تكرير للكلام لتشديد الالزام وللتنبيه علي ان ترتب الجواب
ليس علي تحقق الشرط في نفس الامر فقط بل في اعتقادهم ايضا وانهم قد ادعوا ذلك والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق
عليه اي ان كنتم صادقين فتمنوه وقوله تع **ولن يتمنوه ابدا** كلام مستانف غير داخل تحت الامر سيق من جهته سبحانه لبيان
ما يكون منهم من الاحجام عما دعوا اليه الدال علي كذبهم في دعواهم **بما قدمت ايديهم** بسبب ما عملوا من المعاصي الموجبة لدخول
النار كالكفر بالنبي صلي الله عليه وسلم والقرآن وتحريف التورية ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناط عامة صنائعه
ومدار اكثر منافعه عبر بها تارة عن النفس واخري عن القدرة **والله عليم بالظالمين** اي بهم وايثار الاظهار علي الاضمار لذمهم
والتسجيل عليهم بانهم ظالمون في جميع الامور التي من جملتها ادعاء ما ليس لهم ونفيه عن غيرهم والجملة تذييل لما قبلها مقررة
لمضمونه اي عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي المفضية الي فانين العذاب بما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي
الي ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم موته احد اذ لو وقع ذلك لنقل واشتهر وعن النبي صلي الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص
كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي علي وجه الارض **ولتجدنهم احرص الناس** من الوجدان العقلي وهو جار مجري العلم
خلا انه مختص بما يقع بعد التجربة ونحوها ومفعولاه الضمير واحرص والتنكير في قوله تع **علي حيوة** للايذان بان مرادهم
نوع خاص منها وهي الحيوة المتطاولة وقرئ بالتعريف **ومن الذين اشركوا** عطف علي قوله بحسب المعني كانه قيل احرص من
الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر مع دخولهم في الناس للايذان بامتيازهم من بينهم بشدة الحرص للمبالغة في
توبيخ اليهود فان حرصهم وهم معترفون بالجزاء لما كان اشد من حرص المشركين المنكرين له دل ذلك علي جزمهم بمصيرهم الي
النار ويجوز ان يحمل علي حذف المعطوف ثقة بانباء المعطوف عليه اي واحرص من الذين اشركوا فقوله تع **يود احدهم** بيان
لزيادة حرصهم علي طريقة الاستيناف ويجوز ان يكون في حيز الرفع صفة لمبتداء محذوف خبره الظرف المتقدم علي ان يكون المراد
بالمشركين اليهود لقولهم عزير ابن الله اي ومنهم طائفة يود احدهم ايهم كان اي كل واحد منهم **لو يعمر الف سنة** وهو حكاية
لودادتهم كانه قيل ليتني اعمر وانما اجري علي الغيبة لقوله تع يود كما تقول حلف بالله ليفعلن ومحله النصب علي انه مفعول يود

ان يعمر اجراء له مجرى القول لانه فعل قلبي وما هو بمزحزحه من العذاب بمجازيته والضمير العائد الى احدهم اسمها وبمزحزحه خبرها والباء زايدة
فاعل بمزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه اي يبعده وينجيه من العذاب تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من المصدر وان يعمر بدل منه وقيل هو
مبهم وان يعمر مفسره والجملة حال من احدهم والعامل يود لا يعمر على انها حال من ضميره لفساد المعنى او اعتراض واصل سنة سنوة لقولهم
سنوات وسنية وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وسنيهته وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والله بصير بما يعملون البصير في كلام العرب العالم
بكنه الشيء الخبير به ومنه قولهم فلان بصير بالفقه اي عليم بخفيات اعمالهم فهو مجازيهم بها لا محالة وقرئ بتاء الخطاب التفاتا وفيه تشديد
للوعيد قل من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عمن نزل عليه بالوحي
فقال عليه السلام جبريل عليه السلام فقال هو عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وفي بعض الروايات ورسولنا ميكائيل فلو كان هو الذي يأتيك
لآمنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا
فدفع عنه جبريل عليه السلام وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه والا فبأي حق تقتلونه وقيل امره الله تع
ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي انه كان لعمر رضي الله عنه ارض باعلى المدينة وكان ممره على مدراس اليهود فكان يجلس اليهم
ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد حببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما اجيئكم لحبكم ولا اسألكم لشك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة
في امر محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ان ذاك هو عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل يجيء
بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما عند الله تعالى قالوا جبريل اقرب منزلة هو عن يمينه وميكائيل عن يساره وهما متعاديان
فقال عمر رضي الله عنه ان كان كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما فهو عدو للآخر ومن كان عدوا
لهما كان عدوا لله سبحانه ثم رجع عمر فوجد جبريل عليه السلام قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد وافقك ربك
يا عمر قال عمر رضي الله عنه لقد رايتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وقرئ جبرئيل كسلسبيل وجبرئل كجحمرش وجبريل وجبرال
وجبرائل كجبراعيل وجبرايل كجبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله فانه نزله تعليل لجواب الشرط قائم مقامه
والبارز الاول لجبريل عليه السلام والثاني للقرآن اضمر من غير ذكر ايذانا بفخامة شانه واستغنائه عن الذكر لكمال شهرته ونباهته
لا سيما عند ذكر شيء من صفاته على قلبك زيادة تقرير للتنزيل ببيان محل الوحي فانه القابل الاول له ومدار الفهم والحفظ
وايثار الخطاب على التكلم المبني على حكاية كلام الله تعالى بعينه كما في قوله تع قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لما في النقل بالعبارة
من زيادة تقرير لمضمون المقالة باذن الله بامره وتيسيره مستعار من تسهيل الحجاب وفيه تلويح بكمال توجه جبريل عليه السلام الى تنزيله
وصدق عزيمته عليه وهو حال من فاعل نزله وقوله تع مصدقا لما بين يديه اي من الكتب الالهية التي معظمها التورية حال من مفعوله
وكذا قوله تع وهدى وبشرى للمؤمنين والعامل في الكل نزله والمعنى من عادى جبريل من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته بل يجب عليه
محبته فانه نزل عليك كتابا مصدقا لكتبهم او فالسبب في عداوته تنزيله لكتاب مصدق لكتابهم موافق له وهم له كارهون
ولذلك حرفوا كتابهم وجحدوا موافقته له لان الاعتراف بها يوجب الايمان به وذلك يستدعي انتكاس احوالهم وزوال رياستهم
وقيل ان الجواب فقد خلع ربقة الانصاف او فقد كفر بما معه من الكتاب او فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا عدو له من كان عدوا
لله اريد بعداوته تع مخالفة امره عنادا والخروج عن طاعته مكابرة او عداوة خواصه ومقربيه لكن صدر الكلام بذكره
الجليل تفخيما لشأنهم وايذانا بان عداوتهم عداوته عز وعلا كما في قوله عز وجل والله ورسوله احق ان يرضوه ثم صرح بالمرام
فقيل وملائكته ورسله وجبريل وميكال وانما افرد بالذكر مع انهما اول من يشمله عنوان الملائكة والرسالة لاظهار فضلهما
كانهما عليهما السلام من جنس آخر اشرف مما ذكر تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الجنس وللتنبيه على ان عداوة احدهما
عداوة للآخر حسما لمادة اعتقادهم الباطل في حقهما حيث زعموا انهما متعاديان وللاشارة الى ان معاداة الواحد والكل سواء

سواء في الكفر واستتباع العداوة من جهة الله سبحانه وان من عادى احدهم فكانما عادى الجميع قوله تع فان الله عدو للكافرين اي لهم
جواب الشرط والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه اشد العقاب وايثار الاسمية للدلالة على التحقق والثبات ووضع الكافرين موضع المضمر
للايذان بان عداوة المذكورين كفر وان ذلك بين لا يحتاج الى الاخبار به وان مدار عداوته تعالى لهم وسخطه المستوجب لاشد العقوبة
والعذاب هو كفرهم المذكور وقرئ ميكائل كميكاعل وميكائيل كميكاعيل وميكئيل كميكعيل وميكيل كميكعل ولقد انزلنا اليك آيات
بينات واضحات الدلالة على معانيها وعلى كونها من عند الله عز وجل وما يكفر بها الا الفاسقون اي المتمردون في الكفر الخارجون
عن حدوده فان من ليس على تلك الصفة من الكفرة لا يجترئ على الكفر بمثل هاتيك البينات قال الحسن اذا استعمل الفسق في نوع من
المعاصي وقع على اعظم افراد ذلك النوع من كفر او غيره وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال قال ابن صوريا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت واللام للعهد اي الفاسقون المعهودون وهم اهل
الكتاب المحرفون لكتابهم الخارجون عن دينهم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا اوكلما عاهدوا عهدا الهمزة للانكار والواو
للعطف على مقدر تقتضيه المقام اي اكفروا بها وهي في غاية الوضوح وكلما عاهدوا عهدا ومن جملته ذلك ما اشير اليه في قوله تعالى
وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا من قولهم للمشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد
وارم وقرئ بسكون الواو على ان التقدير النظم الكريم وما يكفر بها الا الذين فسقوا او نقضوا عهودهم مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا
وعهدوا وقوله تع عهدا اما مصدر مؤكد لعاهدوا من غير لفظه او مفعول له على انه بمعنى اعطوا العهد نبذه فريق منهم اي رموا
بالزمام ورفضوه وقرئ نقضه واسناد النبذ الى فريق منهم لان منهم من لم ينبذه بل اكثرهم لا يؤمنون اي بالتورية وهذا
دفع لما يتوهم من ان النابذين هم الاقلون وان من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون بها سرا ولما جاءهم رسول هو النبي صلى الله
عليه وسلم والتنكير للتفخيم من عند الله متعلق بجاء او بمحذوف وقع صفة لرسول لافادة مزيد تعظيمه بتأكيد ما افاده التنكير
من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية مصدق لما معهم من التورية من حيث انه صلى الله عليه وسلم قرر صحتها وحقق حقية
نبوة موسى عليه السلام بما انزل عليه من حيث انه عليه السلام جاء على وفق ما نعت فيها نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب
اي التورية وهم اليهود الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ممن كانوا يستفتحون به قبل ذلك لا الذين كانوا في
عهد سليمان عليه السلام كما قيل لان النبذ عند مجيء النبي صلى الله عليه وسلم لا يتصور منهم وافراد هذا النبذ بالذكر مع اندراجه
تحت قوله عز وجل اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم لانه معظم جناياتهم ولانه تمهيد لذكر اتباعهم لما تتلو الشياطين
وايثاره عليه والمراد بايتائها اما ايتاء علمها بالدراسة والحفظ والوقوف على ما فيها فالموصول عبارة عن علمائهم
واما مجرد انزالها عليهم فهو عبارة عن الكل وعن التقديرين فوضعه موضع الضمير للايذان بكمال التنافي بين ما اثبت لهم
في حيز الصلة وبين ما صدر عنهم من النبذ كتاب الله الذي اوتوه قال السدي لما جاءهم محمد عليه الصلوة والسلام عارضوه
بالتورية فاتفقت التورية والفرقان فنبذوا التورية واخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت فلم يوافق القرآن
فهذا قوله تع ولما جاءهم رسول من عند الله الخ وانما عبر عنها بكتاب الله تشريفا لها وتعظيما لحقها عليهم وتهويلا لما
اجترؤا عليه من الكفر بها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول لا سيما بعد ما كانوا يستفتحون به من قبل فان ذلك
قبول له وتمسك به فيكون الكفر به عند مجيئه نبذا له كانه قيل كتاب الله الذي جاء فان مجيء الرسول معرب عن مجيء الكتاب
وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه بالكلية مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه كانهم لا يعلمون
جملة حالية اي نبذوه وراء ظهورهم مشبهين بمن لا يعلمه فان اريد بهم احبارهم فالمعنى كانهم لا يعلمونه على وجه الايقان ولا يعرفون
ما فيه من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ففيه ايذان بان علمهم به رصين لكنهم يتجاهلون او كانهم لا يعلمون انه كتاب الله او لا يعلمونه

اصلاً كما اذا اريد بهم الكل وفي هذين الوجهين زيادة مبالغة في اعراضهم عما في التورية من دلائل النبوة هذا وان اريد بما نبذوه من كتاب الله القرآن فالمراد بالعلم المنفي في قوله تعالى كأنهم لا يعلمون هو العلم بانه كتاب الله ففيه ما في الوجه الاول من الاشعار بانهم متيقنون في ذلك وانما يكفرون به مكابرة وعناداً قيل ان جيل اليهود اربع فرق ففرقة آمنوا بالتورية وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون المشار اليهم بقوله عز وجل بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ العهود وتعدي الحدود تمرداً وفسوقاً وهم المعنيون بقوله تعالى نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوها لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهراً ونبذوها خفية وهم المتجاهلون **واتبعوا ما تتلوا الشياطين** عطف على جواب لما اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحرة التي كانت تقرؤ الشياطين وهم المتمردون من الجن وتتلو حكاية حال ماضية والمراد بالاتباع التوغل والتمحض فيه والاقبال عليه بالكلية والا فاصل الاتباع كان حاصلاً قبل مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يتسنى عطفه على جواب لما ولذلك قيل هو معطوف على الجملة وقيل على اشربوا **على ملك سليمان** اي في عهد ملكه قيل كانت الشياطين يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في عهد سليمان عليه السلام حتى قيل ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم له ملكه الا بهذا العلم وبه سخر الانس والجن والطير والريح التي تجري بامره وقيل ان سليمان عليه السلام كان قد دفن كثيراً من العلوم التي خصه الله بها تحت سرير ملكه فلما مضت على ذلك مدة توصل اليها قوم من المنافقين فكتبوا في خلال ذلك اشياء من فنون السحر تناسب تلك الاشياء المدفونة من بعض الوجوه ثم بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب اوهموهم انه من عمل سليمان عليه السلام وانه ما بلغ هذا المبلغ الا بسبب هذه الاشياء **وما كفر سليمان** تنزيه لساحته عليه السلام عن السحر وتكذيب لمن افترى عليه بانه كان يعتقده ويعمل به والتعرض لكونه كفراً للمبالغة في اظهار نزاهته عليه السلام وكذب باهتيه بذلك **ولكن الشياطين** وقرئ بتخفيف لكن ورفع الشياطين والواو عاطفة للجملة الاستدراكية على ما قبلها وكون المخففة عند الجمهور للعطف انما هو عند عدم الواو وكون ما بعدها مفرداً **كفروا** باستعمال السحر وتدوينه **يعلمون الناس السحر** اغواءً واضلالاً والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير كفروا او من الشياطين فان ما في لكن من رائحة الفعل كاف في العمل في الحال وفي محل الرفع على انه خبر ثان للكن او بدل من الخبر الاول وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار التعليم وتجدده او جملة مستانفة هذا على كون الضمير للشياطين واما على تقدير رجوعه الى فاعل اتبعوا فهي اما حال منه واما استينافية تحسب واعلم ان السحر انواع منها سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون انها المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الارضية وهم الذين بعث الله تعالى ابراهيم عليه السلام لابطال مقالتهم وهم ثلث فرق ففرقة منهم يزعمون ان الافلاك والنجوم واجبة الوجود لذواتها وهم الصابئة وفرقة يقولون بالهية الافلاك ويتخذون لكل واحد منها هيكلاً ويشتغلون بخدمتها وهم عبدة الاوثان وفرقة اثبتوا للافلاك والكواكب فاعلاً مختاراً لكنهم قالوا انه اعطاها قوة عالية نافذة في هذا العالم وفوض تدبيره اليها ومنها سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية فانهم يزعمون ان الانسان يبلغ روحه بالتصفية في القوة والتاثير الى حيث يقدر على الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وتغيير البنية والشكل ومنها سحر من يستعين بالارواح الارضية وهو المسمى بالعزائم وتسخير الجن ومنها التخييلات الآخذة بالعيون وتسمى الشعوذة ولا خلاف بين الامة في ان من اعتقد الاول فقد كفر وكذا من اعتقد الثاني وهو سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية واما من اعتقد ان الانسان يبلغ بالتصفية وقراءة العزائم والرقى الى حيث يخلق الله سبحانه تعالى عقيب ذلك على سبيل جريان العادة بعض الخوارق فالمعتزلة اتفقوا على انه كافر لانه لا يمكنه بهذا الاعتقاد معرفة صدق الانبياء والرسل بخلاف غيرهم ولعل التحقيق ان ذلك الانسان ان كان خيراً متشرعاً في كل ما ياتي ويذر وكان من يستعين من الارواح الخيرة وكانت عزائمه ورقاه غير مخالفة لاحكام الشريعة الشريفة ولم

يكن فيما ظهر في يده من الخوارق ضرر شرعي لاحد فليس ذلك من قبيل السحر وان كان شريراً غير متمسك بالشريعة الشريفة فظاهر ان من يستعين به من الارواح الشريرة الخبيثة لا محالة ضرورة امتناع تحقق التضام والتعاون بينهما من غير اشتراك في الخبث والشرارة فيكون كافراً قطعاً واما الشعوذة وما يجري مجراها من اظهار الامور العجيبة بواسطة ترتيب الآلات الهندسية وخفة اليد والاستعانة بخواص الادوية والاحجار فاطلاق السحر عليها بطريق التجوز او لما فيها من الدقة لانه في الاصل عبارة عن كل ما لطف ماخذه وخفي سببه ومن الصرف عن الجهة المعتادة لما انه في اصل اللغة الصرف على ما حكاه الازهري عن الفراء ويونس **وما انزل على الملكين** عطف على السحر اي ويعلمونهم ما انزل عليهما والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او هو نوع اقوى منه او على ما تتلو وما بينهما اعتراض اي واتبعوا ما انزل الخ وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاءً من الله للناس كما ابتلى قوم طالوت بالنهر او تمييزاً بينه وبين المعجزة لئلا يغتر به الناس او لان السحرة كثرت في ذلك الزمان واستنبطت ابواباً غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة فبعث الله تعالى هذين الملكين ليعلما الناس ابواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة اولئك الكذابين واظهار امرهم على الناس واما ما يحكى من ان الملائكة عليهم السلام لما رأوا ما يصعد من ذنوب بني آدم عيروهم وقالوا لله سبحانه هؤلاء الذين اخترتهم لخلافة الارض يعصونك فيها فقال عز وجل لو ركبت فيكم ما ركبت فيهم لعصيتموني قالوا سبحانك ما ينبغي لنا ان نعصيك قال تعالى فاختاروا من خياركم ملكين فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلحهم واعبدهم فاهبطا الى الارض بعد ما ركب فيهما من الشهوة وغيرها من القوى ليقضيا بين الناس نهاراً ويعرجا الى السماء مساءً وقد نهيا عن الاشراك والقتل بغير الحق وشرب الخمر والزنا وكانا يقضيان بينهم نهاراً فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم فصعدا الى السماء فاختصمت اليهما ذات يوم امرأة من اجمل النساء تسمى زهرة وكانت من لخم وقيل كانت من اهل فارس ملكة في بلدها وكان خصومتها مع زوجها فلما رأياها افتتنا بها فراوداها عن نفسها فابت فالحا عليها فقالت لا الا ان تقضيا لي على خصمي ففعلا ثم سألاها ما سألا فقالت لا الا ان تقتلاه ففعلا ثم سألاها ما سألا فقالت لا الا ان تشربا الخمر وتسجدا للصنم ففعلا كلا من ذلك بعد اللتيا والتي ثم سألاها ما سألا فقالت لا الا ان تعلماني ما تصعدان به الى السماء فعلماها الاسم الاعظم فدعت به وصعدت الى السماء فمسخها الله تعالى كوكباً فهما بالعروج حسب عادتهما فلم تطعهما اجنحتهما فعلما ما حل بهما وكان ذلك في عهد ادريس عليه السلام فالتجآ اليه ليشفع لهما ففعل فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا الاول لانقطاعه عما قليل فهما معذبان ببابل قيل معلقان بشعورهما وقيل منكوسان يضربان بسياط الحديد الى قيام الساعة فمما لا تعويل عليه لما ان مداره رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لادلة العقل والنقل ولعله من مقولات الامثال والرموز التي قصد بها ارشاد اللبيب الاريب بالترغيب والترهيب وقيل هما رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويعضده قراءة الملكين بالكسر **ببابل** الباء بمعنى في وهي متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالاً من الملكين او من الضمير في انزل وهي بابل العراق وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه بابل ارض الكوفة وقيل جبل دماوند ومنع الصرف للعجمة والعلمية او للتانيث والعلمية **هاروت وماروت** عطف بيان للملكين علمان لهما ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا واما من قرأ الملكين بكسر اللام او قال كانا رجلين صالحين فقال هما اسمان لهما وقيل هما اسما قبيلتين من الجن هما المراد من الملكين بالكسر وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت **وما يعلمان من احد** من مزيدة في المفعول به لافادة تاكيد الاستغراق الذي يفيده احد لا لافادة نفس الاستغراق كما في قولك ما جاءني من رجل وقرئ يعلمان من الاعلام **حتى يقولا انما نحن فتنة** الفتنة الاختبار وهي الامتحان وافرادها مع تعددهما لكونها مصدراً وحملها عليهما مواطأة للمبالغة كأنهما نفس الفتنة والقصر لبيان انه ليس لهما فيما يتعاطيانه شان سواها لينصرف الناس عن تعلمه اي وما يعلمان ما انزل عليهما من السحر احداً من طالبيه حتى ينصحاه قبل التعليم ويقولا له انما نحن فتنة وابتلاء

من الله عز وجل فمن عمل بما تعلم منا واعتقد حقيته كفر ومن توقى عن العمل به او اتخذه ذريعة للاتقاء عن الاغترار بمثله بقي على الايمان
فلا تكفر باعتقاد حقيته وجواز العمل به والظاهر ان غاية النفي ليست بهذه المقالة فقط بل من جملتها التزام المخاطب بموجب النهي
لكن لم يذكر لظهوره وكون الكلام في بيان اعتناء الملكين بشأن النصح والارشاد والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير يعلمون لا مفعوله
عليه كما قيل اي ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ويحملونهم على العمل به اغواء واضلالا والحال انهما ما
يعلمان احدا حتى ينهياه عن العمل به والكفر بسببه واما ما قيل من ان ما في قوله تع وما انزل الخ نافية والجملة معطوفة على قوله تع وما كفر
سليمان جيء بها لتكذيب اليهود في القصة اي لم ينزل على الملكين اباحة السحر وان هاروت وماروت بدل من الشياطين على انهما
قبيلتان من الجن خصتا بالذكر لاصالتهما وكون باقي الشياطين اتباعا لهما وان المعنى ما يعلمان احدا حتى يقولا انما نحن
فتنة فلا تكفر فتكون مثلنا فيأباه ان مقام وصف الشياطين بالكفر واضلال الناس كما لا يلائمه وصف رؤسائهم بما ذكر
من النهي عن الكفر مع ما فيه من الاخلال بنظام الكلام فان الابدال في حكم تنحية المبدل منه فيتعلمون منهما عطف على الجملة المنفية
فانها في قوة المثبتة كأنه قيل يعلمانهم بعد قولهما انما نحن الخ والضمير لاحد حملا على المعنى كما في قوله تع وما منكم من احد عنه
حاجزين ما يفرقون به اي بسببه وباستعماله بين المرء وقرئ بضم الميم وكسرها مع الهمزة وتشديد الراء بلا همزة وزوجه
بان يحدث الله تعالى بينهما التباغض والفرك والنشوز عندما فعلوا ما فعلوا من السحر على حسب جري العادة الالهية من خلق
المسببات عقيب حصول الاسباب العادية ابتلاء لا ان السحر هو المؤثر في ذلك وقيل فيتعلمون منهما ما يعملون به فيراه الناس
ويعتقدون انه حق فيكفرون فتبين ازواجهم وما هم بضارين به اي بما تعلموه واستعملوه من السحر من احد اي احدا ومن
مزيدة لما ذكر في قوله تع وما يعلمان من احد والمعهود وان كان زيادتها في معمول فعل منفي الا انه حمل الاسمية في ذلك على
الفعلية كأنه قيل وما يضرون به من احد الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب بمعزل من التأثير بالذات وانما هو بامره تع
فقد يحدث عند استعمالهم السحر فعلا من افعاله ابتلاء وقد لا يحدثه والاستثناء مفرغ والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير
ضارين او من مفعوله وان كان نكرة لاعتمادها على النفي او الضمير المجرور في به اي وما يضرون به احدا الا مقرونا باذن الله
تع وقرئ بضاري على الاضافة بجعل الجار جزءا من المجرور وفصل ما بين المتضايفين بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون
به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم صرح بذلك ايذانا بانه ليس من الامور المشوبة بالنفع والضرر بل هو شر
بحت وضرر محض لانهم لا يقصدون التخلص عن الاغترار باكاذيب من يدعي النبوة مثلا من السحرة او تخليص الناس منه
حتى يكون فيه نفع في الجملة وفيه ان الاجتناب عما لا يؤمن غوائله خير كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية وان قال من قال عرفت
الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه ولقد علموا اي اليهود الذين حكيت جناياتهم لمن اشتراه اي
استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله عز وجل واللام الاولى جواب قسم محذوف والثانية لام ابتداء علق به علموا عن العمل
ومن موصولة في حيز الرفع بالابتداء واشتراه صلتها وقوله تع ما له في الآخرة من خلاق اي من نصيب جملة من مبتدأ وخبر
ومن مزيدة في المبتدأ وفي الآخرة متعلق بمحذوف وقع حالا منه ولو اخر عنه لكان صفة له والتقدير ما له خلاق في الآخرة
وهذه الجملة في محل الرفع على انها خبر للموصول والجملة في حيز النصب سادة مسد مفعولي علموا ان جعل متعديا الى اثنين
او مفعوله الواحد ان جعل متعديا الى واحد فجملة ولقد علموا الخ مقسم عليها دون جملة لمن اشتراه الخ هذا ما عليه الجمهور
وهو مذهب سيبويه وقال الفراء وتبعه ابو البقاء ان اللام الاخيرة موطئة للقسم ومن شرطية مرفوعة بالابتداء و
اشتراه خبرها وما له في الآخرة من خلاق جواب القسم وجواب الشرط محذوف اكتفاء عنه بجواب القسم لانه اذا اجتمع
الشرط والقسم يجاب سابقهما غالبا فح يكون الجملتان مقسما عليهما ولبئس ما شروا به انفسهم اي باعوها

اي باعوها واللام جواب قسم محذوف والمخصوص بالذم محذوف اي وبالله لبئسما باعوا به انفسهم السحر او الكفر وفيه ايذان بانهم حيث
نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم فقد عرضوا انفسهم للهلكة وباعوها بما لا يزيدهم الا تبارا وتجويز كون الشري بمعنى الاشتراء
مما لا سبيل اليه لان المشتري متعين وهو ما تتلو الشياطين ولان متعلق الذم هو المأخوذ لا المنبوذ كما اشير اليه في تفسير قوله
سبحانه بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله لو كانوا يعلمون اي يعملون بعلمهم جعلوا غير عالمين لعدم عملهم بموجب
علمهم او لو كانوا يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على اليقين او حقيقة ما يتبعه من العذاب على ان المثبت لهم اولا على التوكيد
القسمي العقلي الغريزي والعلم الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير تحقيق وجواب لو محذوف اي لما فعلوا ما فعلوا
ولو انهم آمنوا اي بالرسول الموحى اليه في قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله الخ او بما انزل اليه من الآيات المذكورة في
قوله تعالى ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون او بالتورية التي اريدت بقوله تعالى نبذ فريق من الذين
اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم فان الكفر بالقرآن والرسول عليه السلام كفر بها واتقوا المعاصي المحكية عنهم لمثوبة
من عند الله جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وغير السبك الى ما عليه النظم
الكريم دلالة على ثبات المثوبة لهم والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة للتقليل
ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة تشريفية لمثوبة اي لشيء ما من المثوبة كائنة من عنده تعالى خير وقيل جواب لو محذوف اي لا
ثيبوا وما بعده جملة مستأنفة فان وقوع الجملة الابتدائية جوابا للو غير معهود في كلام العرب وقيل لو للتمني ومعناه انهم
لفظاعة الحال بحيث يتمنى العارف بما لهم ايمانهم واتقاءهم تلهفا عليهم وقرئ لمثوبة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن
يثوب اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير نسبوا الى الجهل لعدم العمل بموجب العلم يا ايها الذين آمنوا خطاب للمؤمنين فيه
ارشاد لهم الى الخير واشارة الى بعض آخر من جنايات اليهود لا تقولوا راعنا المراعاة المبالغة في الرعي وهو حفظ الغير وتدبير
اموره وتدارك مصالحه وكان المسلمون اذا القى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من العلم يقولون راعنا يا رسول الله
اي راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهم كلامك ونحفظه وكانت لليهود كلمة عبرانية او سريانية يتسابون بها فيما بينهم
وهي راعينا قيل معناها اسمع لا سمعت فلما سمعوا بقول المؤمنين ذلك افترصوه واتخذوه ذريعة الى مقصدهم فجعلوا يخاطبون
به النبي صلى الله عليه وسلم يعنون به تلك المسبة او نسبته عليه الصلوة والسلام الى الرعن وهو الحمق والهوج روي ان
سعد بن عبادة رضي الله عنه سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه قالوا او لستم تقولونها فنزلت الآية ونهي فيها المؤمنون عن ذلك قطعا لالسنة
اليهود عن التدليس وامروا بما في معناها ولا يقبل التلبيس فقيل وقولوا انظرنا اي انظر الينا بالحذف والايصال او انتظرنا
على انه من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى نحفظ وقرئ راعونا على صيغة الجمع للتوقير وراعنا
على صيغة الفاعل اي قولا ذا رعن كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا للسب بالرعن اتصف به واسمعوا
واحسنوا اسماع ما يكلمكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقي عليكم من المسائل بآذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى
الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا ما كلفتموه من النهي والامر بجد واعتناء حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه او واسمعوا
سماع طاعة وقبول ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا وللكافرين اي اليهود الذين توسلوا بقولكم
المذكور الى كفرياتهم وجعلوه سببا للتهاون برسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا له ما قالوا عذاب اليم لما اجترؤا
عليه من العظيمة وهو تذييل لما سبق فيه وعيد شديد لهم ونوع تحذير للمخاطبين عما نهوا عنه ما يود الذين كفروا الود
حب الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ونفيه كناية عن الكراهة ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بعلية ما في حيز

الصلة لعدم ودهم ولعل تعلقه بما قبله من حيث ان القول المنهي عنه كثيرا ما كان يقع عند تنزيل الوحي المعبر عنه في هذه الآية بالخير فكأنه اشير
الى ان سبب تحريفهم له الى ما حكي عنهم لوقوعه في اثناء حصول ما يكرهونه من تنزيل الخير وقيل كان فريق من اليهود يظهرون للمؤمنين محبة
ويزعمون انهم يودون لهم الخير فنزلت تكذيبا لهم في ذلك ومن في قوله تع **من اهل الكتاب ولا المشركين** للتبيين كما في قوله عز وعلا
لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ولا مزيدة لما ستعرفه **ان ينزل عليكم** في حيز النصب على انه مفعول يود وبناء الفعل
للمفعول للثقة بتعين الفاعل والتصريح الآتي وقوله تع **من خير** هو القائم مقام فاعله ومن مزيدة للاستغراق والنفي وان لم يباشره ظاهرا
لكنه منسحب عليه معنى والخير الوحي وحمله على ما يعمه وغيره من العلم والنصرة كما قيل يأباه وصفه فيما سيأتي بالاختصاص وتقديم الظرف عليه
مع ان حقه التأخر عنه لاظهار كمال العناية به لانه المدار لعدم ودهم ومن في قوله تع **من ربكم** ابتدائية والتعرض لعنوان
الربوبية للاشعار بعلية لتنزيل الخير والاضافة الى ضمير المخاطبين لتشريفهم وليست كراهتهم لتنزيله على المخاطبين من حيث تعلقهم
بما فيهم وتعريضهم بذلك لسعادة الدارين كيف لا وهم من تلك الحيثية من جملة من نزل عليهم الخير بل من حيث وقوع التنزيل على النبي
صلى الله عليه وسلم وصيغة الجمع للايذان بان مدار كراهتهم ليس معنى خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم بل وصف مشترك بين الكل
هو الخلو عن الدراسة عند اليهود وعن الرياسة عند المشركين والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم ويكرهون
ان ينزل عليكم شيء من الوحي اما اليهود فبناء على انهم اهل الكتاب وابناء الانبياء الناشئون في مهابط الوحي وانتم اميون واما
المشركون فادلالا بما كان لهم من الجاه والمال زعما منهم ان رياسة الرسالة كسائر الرياسات الدنيوية منوطة بالاسباب الظاهرة
ولذلك قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ولما كانت اليهود بهذا الداء اشهر لا سيما في اثناء ذكر ابتلائهم لم
يلزم من نفي ودادتهم لما ذكر نفي ودادة المشركين لو فرديت كلمة لا لتأكيد النفي **والله يختص برحمته** جملة ابتدائية سيقت
لتقرير ما سبق من تنزيل الخير والتنبيه على حكمته وارغام الكارهين له والمراد برحمته الوحي كما في قوله سبحانه اهم يقسمون رحمة ربك
عبر عنه باعتبار نزوله على المؤمنين بالخير وباعتبار اضافته اليه تع بالرحمة قال علي رضي الله عنه بنبوته خص بها محمدا صلى الله عليه وسلم
فالفعل متعد وصيغة الافتعال للانباء عن الاصطفاء وايثاره على التنزيل المناسب للسياق الموافق لقوله تع ان ينزل الله من فضله
على من يشاء لزيادة تشريفه صلى الله عليه وسلم واقناطهم مما علقوا به اطماعهم الفارغة والباء داخلة على المقصود اي يؤتي رحمته
من يشاء من عباده ويجعلها مقصورة عليه لاستحقاقه الذاتي الفائض عليه بحسب ارادته عز وجل تفضلا لا تتعداه الى غيره
وقيل الفعل لازم ومن فاعله والضمير العائد الى من محذوف على التقديرين وقوله تع **والله ذو الفضل العظيم** تذييل لما سبق
مقرر لمضمونه وفيه ايذان بان ايتاء النبوة من فضله العظيم كقوله تع ان فضله كان عليك كبيرا وان حرمان من حرم ذلك ليس لضيق
ساحة فضله بل لمشيئته الجارية على سنن الحكمة البالغة وتصدير الجملتين بالاسم الجليل للايذان بفخامة مضمونيهما وكون كل منهما
مستقلة بشأنها فان الاضمار في الثانية مبنيء عن توقفها على الاولى **ما ننسخ من آية او ننسها** كلام مستأنف مسوق لبيان سر
النسخ الذي هو فرد من افراد تنزيل الوحي وابطال مقالة الطاعنين فيه اثر تحقيق حقيقة الوحي ورد كلام الكارهين له راسا
قيل نزلت حين قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد عليه السلام يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه والنسخ في اللغة
الازالة والنقل يقال نسخت الريح الاثر اي ازالته ونسخت الكتاب اي نقلته ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او بالحكم
المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها من القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرئ ننسخ من
انسخ اي نأمرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وننسأها من النسأ اي نؤخرها وننسها بالتشديد وتنسها وتنسها على
خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم مبنيا للفاعل وللمفعول وقرئ ما ننسخ من آية او ننسكها وقرئ ما ننسك من آية او ننسخها والمعنى
ان كل آية نذهب بها على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة من ازالة لفظها او حكمها او كليهما معا الى بدل او الى غير بدل **نأت بخير منها**

اي نوحي آية هو خير للعباد بحسب الحال في النفع والثواب من الذاهبة وقرئ بقلب الهمزة الفا **او مثلها** اي في ما ذكر من النفع والثواب
وهذا الحكم غير مختص بنسخ الآية التامة فما فوقها بل جار في ما دونها ايضا وتخصيصها بالذكر باعتبار الغالب والنص كما ترى
دال على جواز النسخ كيف لا وتنزيل الآيات التي عليها يدور فلك الاحكام الشرعية انما هو بحسب ما يقتضيه من الحكم والمصالح وذلك
تختلف باختلاف الاحوال وتتبدل حسب تبدل الاشخاص والاعصار كاحوال المعاش فرب حكم تقتضيه الحكمة في حال تقتضي في حال اخرى
نقيضه فلو لم يجز النسخ لاختل ما بين الحكمة والاحكام من النظام **الم تعلم** الهمزة للتقرير كما في قوله سبحانه اليس الله بكاف عبده
وقوله تع الم نشرح لك صدرك والخطاب للنبي عليه السلام وقوله تع **ان الله على كل شيء قدير** ساد مسد مفعولي تعلم
عند الجمهور ومسد مفعوله الاول والثاني محذوف عند الاخفش والمراد بهذا التقرير الاستشهاد بعلمه بما ذكر على قدرته تعالى
على النسخ وعلى الاتيان بما هو خير من المنسوخ وبما هو مثله لان ذلك من جملة الاشياء المقهورة تحت قدرته سبحانه فمن علم
شمول قدرته تع لجميع الاشياء علم قدرته على ذلك قطعا والالتفات بوضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة والاشعار
بمناط الحكم فان شمول القدرة لجميع الاشياء من احكام الالوهية وكذا الحال في قوله عز سلطانه **الم تعلم ان الله له ملك
السموات والارض** فان عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتهما والجار والمجرور خبر مقدم وملك السموات والارض مبتداء
والجملة خبر لان وايثاره على ان يقال ان الله له ملك السموات والارض للقصد الى تقوي الحكم بتكرر الاسناد وهو اما
تكرير للتقرير واعادة للاستشهاد على ما ذكر وانما لم يعطف ان مع ما في حيزها على ما سبق من مثلها روما لزيادة التأكيد
واشعارا باستقلال العلم بكل منهما وكفايته في الوقوف على ما هو المقصود واما تقرير مستقل للاستشهاد على قدرته تعالى
على جميع الاشياء اي الم تعلم ان الله له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف
الكلي فيهما ايجادا واعداما وامرا ونهيا حسبما تقتضيه مشيئته لا معارض لامره ولا معقب لحكمه فمن هذا شأنه كيف يخرج
عن قدرته شيء من الاشياء وقوله تع **وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير** معطوف على الجملة الواقعة خبر الان داخل
معها تحت تعلق العلم المقرر وفيه اشارة الى تناول الخطابين السابقين للامة ايضا وانما افراده عليه السلام بهما لما ان علومهم
مستندة الى علمه عليه السلام ووضع الاسم الجليل موضع الضمير الراجع الى اسم ان لتربية المهابة والايذان بمقارنة الولاية والنصرة
للقوة والعزة والمراد به الاستشهاد بما تعلق به من العلم على تعلق ارادته تع بما ذكر من الاتيان بما هو خير من المنسوخ او بمثله
فان مجرد قدرته تع على ذلك لا يستدعي حصوله البتة وانما الذي يستدعيه كونه تع مع ذلك وليا ونصيرا لهم فمن علم انه
تعالى وليه ونصيره على الاستقلال يعلم قطعا انه لا يفعل به الا ما هو خير له فيفوض امره اليه تع ولا يخطر بباله ريبة في امر
النسخ وغيره اصلا والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا من المنصور وما
اما تميمية لا عمل لها ولكم خبر مقدم ومن ولي مبتداء مؤخر زيدت فيه كلمة من للاستغراق واما حجازية ولكم خبرها المنصوب
عند من يجيز تقديمه واسمها من ولي ومن مزيدة لما ذكر ومن دون الله في حيز النصب على الحالية من اسمها لانه في الاصل صفة له
فلما قدم انتصب حالا ومعناه سوى الله والمعنى ان قضية العلم بما ذكر من الامور الثلاثة هو الجزم والايقان بانه تعالى لا
يفعل بهم في امر من امور دينهم او دنياهم الا ما هو خير لهم والعمل بموجبه من الثقة به والتوكل عليه وتفويض الامر اليه من
غير اصغاء الى اقاويل الكفرة وتشكيكاتهم التي من جملتها ما قالوا في امر النسخ وقوله تع **ام تريدون** تجريد للخطاب عن
ذكر النبي عليه السلام وتخصيص له بالمؤمنين وام منقطعة ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال عن حملهم على العمل بموجب علمهم بما ذكر
عند ظهور بعض مخايل المساهلة منهم في ذلك وامارات التأثر من اقاويل الكفرة الى التحذير من ذلك ومعنى الهمزة

انكار وقوع الارادة منهم واستبعاده لما ان قضية الايمان وازعة عنها وتوجيه الانكار الى الارادة دون متعلقها للمبالغة في انكاره
واستبعاده ببيان انه مما لا يصدر عن العاقل ارادته فضلا عن صدوره بنفسه والمعنى بل اتريدون أن تسئلوا وانتم مؤمنون
رسولكم وهو في تلك الرتبة من علو الشان وتقرحوا عليه ما تشتهون غير واثقين في اموركم بفضل الله تعالى حسبما يوجبه قضية
علمكم بشئونه سبحانه قيل لعلهم كانوا يطلبون منه عليه السلام بيان تفاصيل الحكم الداعية الى النسخ وقيل سأله عليه السلام قوم
من المسلمين ان يجعل لهم ذات انواط كما كانت للمشركين وهي شجرة كانوا يعبدونها ويعلقون عليها المأكول والمشروب وقوله
تعالى كما سئل موسى مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر مؤكد محذوف وما مصدرية اي سؤالا مشبها بسؤال موسى عليه السلام حين
قيل له اجعل لنا الها وارنا الله جهرة وغير ذلك ومقتضى الظاهر ان يقال كما سألوا موسى لان المشبه هو المصدر من المبني للفاعل
اعني سائلية المخاطبين لا من المبني للمفعول اعني مسئولية الرسول عليه السلام حتى تشبه بمسئولية موسى عليه السلام فلعله
اريد التشبيه فيهما معا ولكنه اوجز النظم فذكر في جانب المشبه السائلية وفي جانب المشبه به المسئولية واكتفى بما ذكر في كل موضع
عما ترك في الموضع الآخر كما ذكر في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وقد
جوز ان يكون ما موصولة على ان العائد محذوف اي كالسؤال الذي سئله موسى وقوله تعالى من قبل متعلق بسئل جيء به
للتأكيد وقرئ سيل بالياء وكسر السين وبتسهيل الهمزة بين بين ومن يتبدل الكفر اي يختره ويأخذه لنفسه بالايمان
بمقابلته بدلا منه وقرئ ومن يبدل من ابدل وكان مقتضى الظاهر ان يقال ومن يفعل ذلك اي السؤال المذكور او ارادته
وحاصله ومن يترك الثقة بالآيات البينة المنزلة بحسب المصالح التي من جملتها الآيات الناسخة التي هي خير محض وحق بحت
واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل اي عدل وجار من حيث لا يدري عن الطريق المستقيم الموصل الى معالم الحق والهدى وتاه
في تيه الهوى وتردى في مهاوي الردى وانما اوثر على ذلك ما عليه النظم الكريم للتصريح في اول الامر بانه كفر وارتداد
وان كونه كذلك امر واضح غني عن الاخبار به بان يقال ومن يفعل ذلك يكفر حقيق بان يعد من المسلمات ويجعل مقدما للشرطية
روما للمبالغة في الزجر والافراط في الردع وسواء السبيل من باب اضافة الوصف الى الموصوف لقصد المبالغة في بيان
قوة الاتصاف كانه نفس السواء على منهاج حصول الصورة في الصورة الحاصلة وقيل الخطاب لليهود حين سألوا ان
ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل للمشركين حين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الخ فاضافة الرسول
اليهم على القولين باعتبار انهم من امة الدعوة ومعنى تبدل الكفر بالايمان وهم بمعزل من الايمان ترك صرف قدرتهم اليه مع
تمكنهم من ذلك وايثارهم للكفر عليه ود كثير من اهل الكتاب هم رهط من احبار اليهود روي ان فنحاص بن عازوراء وزيد
بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما
هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال
فاني عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة اما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد
نبيا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت لو يردونكم حكاية لودادتهم ولو في
معنى التمني وصيغة الغيبة كما في قوله حلف ليفعلن وقيل هي بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها
مصدر يقع مفعولا لود والتقدير ودوا ردكم وقيل هي على حقيقتها وجوابها محذوف تقديره لو يردونكم كفارا
لسروا بذلك من بعد ايمانكم متعلق بيردونكم وقوله تعالى كفارا مفعول ثان له على تضمين الرد معنى التصيير اي يصيرونكم
كفارا كما في قوله رمى الحدثان نسوة آل سعد • بمقدار سمدن له سمودا • فرد شعورهن السود بيضا • ورد وجوههن البيض
سودا • وقيل هو حال من مفعوله والاول ادخل لما فيه من الدلالة صريحا على كون الكفر المفروض بطريق القسر وايراد الظرف مع

مع عدم الحاجة اليه ضرورة كون المخاطبين مؤمنين واستحالة تحقق الرد الى الكفر بدون سبق الايمان مع توسيطه بين المفعولين لاظهار
كمال شناعة ما ارادوه وغاية بعده من الوقوع اما لزيادة قبحه الصارف للعاقل عن مباشرته واما لممانعة الايمان له كانه قيل
من بعد ايمانكم الراسخ وفيه من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى حسدا علة لود او حال اريد به نعت الجمع اي حاسدين لكم والحسد الاسف
على ما له خير لغيره من عند انفسهم متعلق بود اي ودوا ذلك من اجل تشهيهم وحظوظ انفسهم لا من قبل التدين والميل مع الحق
ولو على زعمهم او لحسدا اي حسدا منبعثا من اصل نفوسهم بالغا اقصى مراتبه من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات الساطعة
وبما عاينوا في التورية من الدلائل وعلموا انكم متمسكون به وهم منهمكون في الباطل فاعفوا واصفحوا العفو ترك المؤاخذة
والعقوبة والصفح ترك التثريب والتأنيب حتى يأتي الله بامره الذي هو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم
بضرب الجزية عليهم او الاذن في القتال وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه منسوخ بآية السيف ولا يقدح في ذلك ضرب الغاية
لانها لا تعلم الا شرعا ولا يخرج الوارد بذلك من ان يكون ناسخا كانه قيل فاعفوا واصفحوا الى ورود الناسخ ان الله على
كل شيء قدير فينتقم منهم اذا حان حينه وآن اوانه فهو تعليل لما دل عليه ما قبله واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة عطف على فاعفوا امروا
بالصبر والمداراة والتلجئ الى الله تعالى بالعبادة البدنية والمالية وما تقدموا لانفسكم من خير كصلوة او صدقة او غير ذلك
اي اي شيء من الخيرات تقدموه لمصلحة انفسكم تجدوه عند الله اي تجدوا ثوابه وقرئ تقدموا من اقدم ان الله بما
تعملون بصير فلا يضيع عنده عمل فهو وعد للمؤمنين وقرئ بالياء فهو وعيد للكافرين وقالوا عطف على ودوا والضمير
لاهل الكتابين جميعا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى اي قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا
وقالت النصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد كلا منهما الى قائله ونحوه وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا
وليس مرادهم باولئك من اقام اليهودية والنصرانية قبل النسخ والتحريف على وجههما بل انفسهم على ما هم عليه لانهم انما يقولونه
لاضلال المؤمنين وردهم الى الكفر والهود جمع هائد كعوذ جمع عائذ وبزل جمع بازل والافراد في كان باعتبار لفظ من
والجمع في خبره باعتبار معناه وقرئ الا من كان هوديا او نصرانيا تلك امانيهم الاماني جمع امنية وهي ما يتمنى كالاعجوبة
والاضحوكة والجملة معترضة مبنية لبطلان ما قالوا وتلك اشارة اليه والجمع باعتبار صدوره عن الجميع وقيل فيه حذف
مضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم وقيل تلك اشارة اليه والى ما قبله من ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم
وان يردوهم كفارا ويرده قوله تعالى قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فانهما ليسا مما يطلب له البرهان ولا مما يحتمل
الصدق والكذب قيل هاتوا اصله آتوا قلبت الهمزة هاء اي احضروا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين
في دعواكم هذا ما يقتضيه المقام بحسب النظر الجليل والذي يستدعيه اعجاز التنزيل ان يحمل الامر التبكيتي على طلب البرهان
على اصل الدخول الذي تضمنه دعوى الاختصاص به فان قوله تعالى بلى الى آخره اثبات من جهته تعالى لما نفوه مستلزم لنفي
ما اثبتوه واذ ليس الثابت به مجرد دخول غيرهم الجنة ولو معهم ليكون المنفي مجرد اختصاصهم به مع بقاء اصل الدخول على حاله
بل هو اختصاص غيرهم بالدخول كما ستعرفه باذن الله تعالى ظهر ان المنفي اصل دخولهم ومن ضرورته ان يكون هو الذي كلفوا
اقامة البرهان عليه لا اختصاصهم به ليتحد مورد الاثبات والنفي وانما عدل عن ابطال صريح ما ادعوه وسلك هذا المسلك ابانة
لغاية حرمانهم مما علقوا به اطماعهم واظهارا لكمال عجزهم عن اثبات مدعاهم لان حرمانهم من الاختصاص بالدخول وعجزهم عن اقامة
البرهان عليه لا يقتضي حرمانهم من اصل الدخول وعجزهم عن اثباته واما نفس الدخول فحيث ثبت حرمانهم منه وعجزهم عن اثباته
فهم من الاختصاص ابعد وعن اثباته اعجز وانما الفائز به من انتظمه قوله سبحانه من اسلم وجهه لله اي اخلص نفسه له تعالى
لا يشرك به شيئا عبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضاء ومجمع المشاعر وموضع السجود ومظهر آثار الخضوع الذي هو من اخص

خصائص الاخلاص وتوجهه وقصده بحيث لا يلوي عزيمته الى شيء غيره **وهو محسن** حال من ضمير اسلم اي والحال انه محسن في جميع اعماله التي
من جملتها الاسلام المذكور وحقيقة الاحسان الاتيان بالعمل على الوجه اللائق وهو حسنه الوصفي التابع لحسنه الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم
بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك **فله اجره** الذي وعد له على عمله وهو عبارة عن دخول الجنة او عما يدخل
به هو فيه دخولا اوليا واياما كان فتصويره بصورة الاجر للايذان بقوة ارتباطه بالعمل واستحالة نيله بدونه وقوله تع **عند ربه**
حال من اجره والعامل فيه معنى الاستقرار في الظرف والعندية للتشريف ووضع اسم الرب مضافا الى ضمير من اسلم موضع ضمير الجلالة
لاظهار مزيد اللطف به وتقرير مضمون الجملة اي فله اجره عند مالكه ومدبر اموره ومبلغه الى كماله والجملة جواب من ان كانت شرطية
وخبرها ان كانت موصولة والفاء لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله تع بلى وحده ويجوز ان يكون من فاعلا لفعل مقدر اي
بلى يدخلها من اسلم وقوله تع فله اجره معطوف على ذلك المقدر واياما كان فتعليق ثبوت الاجر بما ذكر من الاسلام والاحسان المختصين
باهل الايمان فاصل بان اوليك المدعين من دخول الجنة بمعزل من الاختصاص به بالف منزل **ولا خوف عليهم** في الدارين من لحوق
مكروه **ولا هم يحزنون** من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والجمع في الضمائر
الثلثة باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر الاول باعتبار اللفظ **وقالت اليهود ليست النصارى على شيء** بيان لتضليل
كل فريق صاحبه بخصوصه اثر بيان تضليله كل من عداه على وجه العموم نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم
واتاهم احبار اليهود فتناظروا فارتفعت اصواتهم فقالوا لهم لستم على شيء اي امر يعتد به من الدين او على شيء ما منه اصلا مبالغة
في ذلك كما قالوا اقل من لا شيء وكفروا بعيسى والانجيل **وقالت النصارى ليست اليهود على شيء** على وجه المذكور وكفروا بموسى والتورية
لا انهم قالوا ذلك بناء للامر على منسوخية التورية **وهم يتلون الكتاب** الواو للحال واللام للجنس اي قالوا ما قالوا والحال ان
كل فريق منهم من اهل العلم والكتاب اي كان حق كل منهم ان يعترف بحقية دين صاحبه حسبما ينطق به كتابه فان كتب الله تع متصادقة
كذلك اي مثل ذلك الذي سمعت به والكاف في محل النصب اما على انها نعت لمصدر محذوف قدم على عامله لافادة القصر اي قولا مثل
ذلك القول بعينه لا قولا مغايرا له **قال الذين لا يعلمون** من عبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم من الجهلة اي قالوا لاهل كل دين ليسوا
على شيء واما على انها حال من المصدر المضمر المعرف الدال عليه قال اي قال القول الذين لا يعلمون حال كونه مثل ذلك القول الذي
سمعت به **مثل قولهم** اما بدل من محل الكاف واما مفعول للفعل المنفي قبله اي مثل ذلك القول قال الجاهلون بمثل مقالة اليهود
والنصارى وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم اصلا **فالله يحكم بينهم** اي بين اليهود والنصارى
فان مساق النظم لبيان حالهم وانما التعرض لمقالة غيرهم لاظهار كمال بطلان مقالهم ولان المحاجة المحوجة الى الحكم انما وقعت بينهم
يوم القيمة متعلق بيحكم وكذا ما قبله وما بعده ولا ضير فيه لاختلاف المعنى **فيما كانوا فيه يختلفون** بما يقسم لكل فريق ما يليق به
من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار والظرف الاخير متعلق بيختلفون قدم عليه للمحافظة على رؤس الاي لا بكانوا
ومن اظلم ممن منع مساجد الله انكار واستبعاد لان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب
متعرضا لانكار المساواة ونفيها يشهد به العرف الفاشي والاستعمال المطرد فاذا قيل من اكرم من فلان ولا افضل من فلان فالمراد به
حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وهذا الحكم عام لكل من فعل ذلك في اي مسجد كان وان كان سبب النزول فعل
طائفة معينة في مسجد مخصوص روي ان النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان
الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا التورية وقتلوا وسبوا وقد نقل عن ابن عباس رض ان طيطوس الرومي ملك النصارى
واصحابه غزوا بني اسرائيل وقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم واحرقوا التورية وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه
الجيف وذبحوا فيه الخنازير ولم يزل خرابا حتى بناه المسلمون في عهد عمر رض وانما اوقع المنع على المساجد وان كان الممنوع

الممنوع هو الناس لما ان فعلهم من طرح الاذى والتخريب ونحوهما متعلق بالمسجد لا بالناس مع كونه على حاله وتعلق الاية الكريمة بما قبلها
من حيث انها مبطلة لدعوى النصارى اختصاصهم بدخول الجنة وقيل هو منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام
عام الحديبية فتعلقها بما تقدمها من جهة ان المشركين من جملة الجهلة القائلين لكل من عداهم ليسوا على شيء **ان يذكر فيها اسمه**
ثاني مفعولي منع كقوله تع وما منع الناس ان يؤمنوا وقوله تع وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون ويجوز
ان يكون ذلك بحذف الجار مع ان وان يكون ذلك مفعولا له اي كراهة ان يذكر فيها اسمه **وسعى في خرابها** بالهدم او التعطيل بانقطاع
الذكر **اولئك** المانعون الظالمون الساعون في خرابها **ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين** اي ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها
الا بخشية وخضوع فضلا عن الاجتراء على تخريبها وتعطيلها او ما كان الحق ان يدخلوها الا على حال التهيب وارتعاد الفرائص
من جهة المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله وقضائه بالآخرة
الا ذلك فيكون وعدا للمؤمنين بالنصر واستخلاص ما استولوا عليه منهم وقد انجز الوعد ولله الحمد روي انه لا يدخل بيت المقدس
احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف الائمة في ذلك فجوزه ابو حنيفة
مطلقا ومنعه مالك مطلقا وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره **لهم** اي لاولئك المذكورين **في الدنيا خزي** اي خزي فظيع
لا يوصف بالقتل والسبي والاذلال بضرب الجزية عليهم **ولهم في الآخرة عذاب عظيم** وهو عذاب النار لما ان سببه ايضا وهو ما
حكي من ظلمهم كذلك في العظم وتقديم الظرف في الموضعين للتشويق الى ما يذكر بعده من الخزي والعذاب لما مر من ان تاخير ما حقه
التقديم موجب لتوجه النفس فيتمكن فيها عند وروده فضل تمكن كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وانزل لكم من الانعام ثمانية
ازواج الى غير ذلك **ولله المشرق والمغرب** اي له كل الارض التي هي عبارة عن ناحيتي المشرق والمغرب لا يختص به من حيث الملك
والتصرف ومن حيث المحلية لعبادته مكان منها دون مكان فان منعتم من اقامة العبادة في المسجد الاقصى او المسجد الحرام
فاينما تولوا اي ففي اي مكان فعلتم تولية وجوهكم شطر القبلة **فثم وجه الله** ثم اسم اشارة للمكان البعيد خاصة مبني
على الفتح ولا يتصرف سوى الجر بمن وهو خبر مقدم ووجه الله مبتداء والجملة في محل الجزم على انها جواب الشرط اي هناك جهته التي
امر بها فان امكان التولية غير مختص بمسجد دون مسجد او مكان دون آخر او فثم ذاته بمعنى الحضور العلمي اي فهو عالم بما يفعل فيه
ومثيب لكم على ذلك وقرئ بفتح التاء واللام اي فاينما توجهوا القبلة **ان الله واسع** باحاطته بالاشياء او برحمته يريد
التوسعة على عباده **عليم** بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها والجملة تعليل لمضمون الشرطية وعن ابن عمر رض نزلت في صلوة المسافر
على الراحلة اينما توجهوا وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا اخطاءهم وعلى هذا لو
اخطأ المجتهد ثم تبين له الخطأ لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود عن ان يكون في جهة **وقالوا اتخذ الله**
ولدا حكاية لطرف آخر من مقالاتهم الباطلة المحكية فيما سلف معطوفة على ما قبلها من قوله تعالى وقالت الخ على صلة من لما بينهما
من الجمل الكثيرة الاجنبية والضمير لليهود والنصارى ومن شاركهم فيما قالوا من الذين لا يعلمون وقرئ بغير واو على الاستيناف
نزلت حين قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله والاتخاذ اما بمعنى الصنع
والعمل فلا يتعدى الا الى واحد واما بمعنى التصيير والمفعول الاول محذوف اي صير بعض مخلوقاته ولدا **سبحانه** تنزيه وتبرئة له
تعالى عما قالوا وسبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اي اسبح سبحانه اي انزهه تنزيها
لائقا به وفيه من التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومن جهة النقل الى التفعيل
ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لاسيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام
المصدر مع الفعل بالحذف وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه اي تنزه بذاته تنزها حقيقا به ففيه مبالغة من حيث اسناد

البراءة الذات المقدسة وان كان التنزيه اعتقاد نزاهته تع عما لا يليق به لا اثباتها له تعالى وقوله تعالى **بل له ما في السموات والارض**
رد لما زعموا وتنبيه على بطلانه وكلمة بل للاضراب عما يقتضيه مقالتهم الباطلة من مجانستهم سبحانه وتعالى لشيء من المخلوقات ومن
سرعة فنائه المحوجة الى اتخاذ ما يقوم مقامه فان مجرد الامكان والفناء لا يوجب ذلك الا يرى ان الاجرام الفلكية مع امكانها
وفنائها بالآخرة مستغنية بدوامها وطول بقائها عما يجري مجرى الولد من الحيوان اي ليس الامر كما زعموا بل هو خالق
جميع الموجودات التي من جملتها عزير والمسيح والملائكة **كل** التنوين عوض عن المضاف اليه اي كل ما فيهما كائنا ما كان من
اولي العلم وغيرهم **له قانتون** منقادون لا يستعصي شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيته ومن كان هذا شأنه لم يتصور
مجانسته لشيء ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد وانما جيء بما المختصة بغير اولي العلم تحقيرا لشأنهم وايذانا بكمال بعدهم
عما نسبوا اليه بعض منهم وصيغة جمع العقلاء في قانتون للتغليب او كل من جعلوه لله ولدا له قانتون اي مطيعون
عابدون له معترفون بربوبيته تع كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة **بديع السموات والارض**
اي مبدعهما ومخترعهما بلا مثال يحتذى به ولا قانون ينتحيه فان البديع كما يطلق على المبتدع يطلق على المبتدع نص عليه اساطين
اهل اللغة وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى انشأه كابتدعه كما ذكر في القاموس وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع في قوله امن ريحانة
الداعي السميع وقيل هو من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها للتخفيف بعد نصبه على تشبيهها باسم الفاعل كما هو المشهور اي
بديع سمواته من بدع اذا كان على شكل فائق وحسن رائق وهو حجة اخرى لابطال مقالتهم الشنعاء تقريرها ان الوالد المنفعل
بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا ورفعه على انه خبر لمبتدأ
محذوف اي هو بديع الخ وقرئ بالنصب على المدح وبالجر على انه بدل من الضمير في له على رأي من يجوز الابدال من الضمير المجرور كما في
قوله على جوده لضن بالماء حاتم **واذا قضى امرا** اي اراد شيئا كقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا واصل القضاء الاحكام
اطلق على الارادة الالهية المتعلقة بوجود الشيء لايجابها اياه البتة وقيل الامر ومنه قوله تعالى وقضى ربك الخ **فانما يقول له**
كن فيكون كلاهما من الكون التام اي احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة الامر والامتثال وانما هو تمثيل لسهولة تأتي المقدورات
بحسب تعلق مشيته به وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في الباب من اطاعة المأمور المطيع للآمر القوي المطاع وفيه تقرير لمعنى الابداع
وتلويح بحجة اخرى لابطال ما زعموا بان اتخاذ الولد شأن من يفتقر في تحصيل مراده الى مباد يستدعي ترتيبها مرور زمان وتبدل
اطوار وفعله تع متعال عن ذلك **وقال الذين لا يعلمون** حكاية لنوع آخر من قبائحهم وهو قدحهم في امر النبوة بعد حكاية
قدحهم في شأن التوحيد بنسبة الولد اليه سبحانه وتعالى واختلف في هؤلاء القائلين فقال ابن عباس رض هم اليهود وقال
مجاهد هم النصارى ووصفهم بعدم العلم لعدم علمهم بالتوحيد والنبوة كما ينبغي او لعدم علمهم بموجب علمهم او لان ما يحكى عنهم لا
يصدر عمن له شائبة علم اصلا وقال قتادة واكثر اهل التفسير هم مشركو العرب لقوله تع فليأتنا بآية كما ارسل الاولون وقالوا
لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا **لولا يكلمنا الله** اي هلا يكلمنا بلا واسطة امرا ونهيا كما يكلم الملائكة او هلا يكلمنا تنصيصا
على نبوتك **او تأتينا آية** حجة تدل على صدقك بلغوا من العتو والاستكبار الى حيث املوا نيل مرتبة المفاوضة الالهية من غير توسط
الرسول والملك ومن العناد والمكابرة الى حيث لم يعتدوا بما آتاهم من البينات الباهرة التي تخر لها صم الجبال من قبيل الآيات
قاتلهم الله انى يؤفكون **كذلك** مثل ذلك القول الشنيع الصادر عن العناد والفساد **قال الذين من قبلهم** من الامم الماضية
مثل قولهم هذا الباطل الشنيع فقالوا ارنا الله جهرة وقالوا لن نصبر على طعام واحد الآية وقالوا هل يستطيع ربك الخ وقالوا
اجعل لنا الها الخ **تشابهت قلوبهم** اي قلوب هؤلاء واولئك في العمى والعناد والا لما تشابهت اقاويلهم الباطلة **قد بينا**
الآيات اي نزلناها بينة بان جعلناها كذلك في انفسها كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل لا انا بيناها بعد ان لم تكن

ان لم تكن بينة **لقوم يوقنون** اي يطلبون اليقين ويوقنون بالحقائق لا يعتريهم شبهة ولا ريبة وهذا رد لطلبهم الآية وفي تعريف الآيات
وجمعها وايراد التبيين المفصح عن كمال التوضيح مكان الاتيان الذي طلبوه ما لا يخفى من الجزالة والمعنى انهم اقترحوا آية فذة
ونحن قد بينا الآيات العظام لقوم يطلبون الحق واليقين وانما لم يتعرض لرد قولهم لولا يكلمنا الله ايذانا بانه من ظهور البطلان
بحيث لا حاجة له الى الرد والجواب **انا ارسلناك بالحق** اي ملتبسا بالقرآن كما في قوله تع بل كذبوا بالحق لما جاءهم او بالصدق
كما في قوله تع احق هو وقوله تع **بشيرا ونذيرا** حال من المفعول باعتبار تقييده بالحال الاولى اي ارسلناك ملتبسا بالقرآن حال
كونك بشيرا لمن آمن بما انزل عليك وعمل به ونذيرا لمن كفر به او ارسلناك صادقا حال كونك بشيرا لمن صدقك بالثواب ونذيرا
لمن كذبك بالعذاب ليختاروا لانفسهم ما احبوا الا قاسرا لهم على الايمان فلا عليك ان اصروا وكابروا **ولا تسأل عن اصحاب الجحيم**
ما لهم لم يؤمنوا بعد ما بلغت ما ارسلت به وقرئ لن تسأل وما تسأل وقرئ لا تسأل على صيغة النهي ايذانا بكمال
شدة عقوبة الكفار وتهويلا لها كانها لغاية فظاعتها لا يقدر المخبر على اجرائها على لسانه او لا يستطيع السامع ان يسمع
وحمله على نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن السؤال عن حال ابويه مما لا يساعده النظم الكريم والجحيم المتأجج من النار وفي
التعبير عنهم بصاحبية الجحيم دون الكفر والتكذيب ونحوهما وعيد شديد لهم وايذان بانهم مطبوع عليهم لا يرجى منهم الايمان
قطعا وقوله تعالى **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** بيان لكمال شدة شكيمة هاتين الطائفتين
خاصة اثر بيان ما يعمهما والمشركين من الاصرار على ما هم عليه الى الموت وايراد لا النافية بين المعطوفين لتأكيد النفي لما مر
من ان تصلب اليهود في امثال هذه العظائم اشد من النصارى والاشعار بان رضى كل منهما مباين لرضى الاخرى اي لن
ترضى عنك اليهود ولو خليتهم وشأنهم حتى تتبع ملتهم ولا النصارى ولو تركتهم ودينهم حتى تتبع ملتهم فاوجز النظم ثقة
بظهور المراد وفيه من المبالغة في اقناطه صلى الله عليه وسلم من اسلامهم ما لا غاية وراءه فانهم حيث لم يرضوا عنه وهو
خلاهم يفعلون ما يفعلون بل املوا منه صلى الله عليه وسلم ما لا يكاد يدخل تحت الامكان من اتباعه عليه السلام لملتهم فكيف
يتوهم اتباعهم لملته وهذه حالتهم في انفسهم ومقالتهم فيما بينهم واما انهم اظهروها للنبي صلى الله عليه وسلم وشافهوه
بذلك وقالوا لن نرضى عنك وان بالغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا كما قيل فلا يساعده النظم الكريم بل فيه ما يدل على
خلافه فان قوله عز وجل **قل ان هدى الله هو الهدى** صريح في ان ما وقع بعد جوابا عنه ليس عين تلك العبارة بل
يستلزم مضمونها او يلزم من الدعوة الى اليهودية والنصرانية وادعاء ان الاهتداء فيهما كقوله عز وعلا حكاية عنهم
كونوا هودا او نصارى تهتدوا اي قل ردا عليهم ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي يحق ان يسمى
هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون اليه ليس بهدى بل هو هوى كما يعرب عنه قوله تعالى **ولئن اتبعت اهواءهم**
اي آراءهم الزائغة الصادرة عنهم بمقتضى شهوات انفسهم وهي التي عبر عنها فيما قبل بملتهم اذ هي التي ينتمون اليها واما
ما شرعه الله تعالى من الشريعة على لسان الانبياء وهو المعنى الحقيقي للملة فقد غيروها تغييرا **بعد الذي جاءك من العلم**
اي الوحي او الدين المعلوم صحته **ما لك من الله** من جهته العزيزة **من ولي** يلي امرك عموما **ولا نصير** يدفع عنك عقابه
وحيث لم يستلزم نفي الولي نفي النصير وسط بينهما حرف النفي للتأكيد لا بين المعطوفين لتأكيد النفي بلا وهذا من باب
التهييج والالهاب الآفاق بتوهم امكان اتباعه لملتهم وهو جواب للقسم الذي وطأه اللام واكتفي به عن جواب الشرط
الذين آتيناهم الكتاب هم المؤمنون اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه **يتلونه حق تلاوته** بمراعاة لفظه عن التحريف
وبالتدبر في معانيه والعمل بما فيه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر وما بعده مقرر له **اولئك** اشارة الى الموصوفين
بايتاء الكتاب وتلاوته كما هو حقه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل **يؤمنون به** اي بكتابهم

دون المحرفين فانهم بمعزل من الايمان به فانه لا يجامع الكفر ببعض منه **ومن يكفر به** بالتحريف والكفر بما يصدقه **فاولئك هم الخاسرون**
حيث اشتروا الكفر بالايمان **يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** ومن جملتها التورية وذكر النعمة انما يكون بشكرها وشكرها
الايمان بجميع ما فيها ومن جملته نعت النبي صلى الله عليه وسلم ومن ضرورة الاتباع بها الايمان به عليه السلام **واني فضلتكم على العالمين** افردت
هذه النعم بالذكر مع كونها مندرجة تحت النعمة السالفة لانافتها فيما بين فنون النعم **واتقوا** اي لم تؤمنوا **يوما لا تجزي** في ذلك
اليوم **نفس** من النفوس **عن نفس** اخرى **شيئا** من الاشياء او شيئا من الجزاء **ولا يقبل منها عدل** اي فدية **ولا تنفعها
شفاعة ولا هم ينصرون** وتخصيصهم بتكرير التذكير واعادة التحذير للمبالغة في النصح وللايذان بان ذلك فذلكة القصة
المقصود من القصة لما ان نعم الله عز وجل عليهم اعظم وكفرهم بها اشد واقبح **واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات** شروع في تحقيق
ان هدى الله هو ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم من التوحيد والاسلام الذي هو ملة ابراهيم عليه السلام وان ما عليه اهل الكتابين امور
زائفة وان ما يدعونه من انهم على ملته عم فرية بلا مرية ببيان ما صدر عن ابراهيم وابنائه الانبياء عليهم السلام من الاقاويل و
الافاعيل الناطقة بحقية التوحيد والاسلام وبطلان الشرك وبصحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وبكونه ذلك النبي الذي استدعاه
ابراهيم واسمعيل عليهما السلام بقولهما ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الاية فاذ منصوب على المفعولية بمضمر مقدم خوطب به النبي عم
بطريق التلوين اي واذكر لهم وقت ابتلائه عم ليتذكروا بما وقع فيه من الامور الداعية الى التوحيد الوازعة عن الشرك فيقبلوا
الحق ويتركوا ما هم فيه من الباطل وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات قد مر
وجهه في اثناء تفسير قوله عز وجل واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة وقيل على الظرفية بمضمر مؤخر اي واذ ابتلاه
كان كيت وكيت وقيل بما سيجيء من قوله تع قال الخ والاول هو اللائق بجزالة التنزيل ولا يبعد ان ينتصب بمضمر معطوف على
اذكروا خوطب به بنو اسرائيل ليتاملوا فيما يحكى عمن ينتمون الى ملته من ابراهيم وابنائه عليهم من الافعال والاقوال فيقتدوا
بهم ويسيروا بسيرتهم والابتلاء في الاصل الاختبار اي تطلب الخبرة لحال المختبر بتعريضه لامر يشق عليه غالبا فعله او تركه وذلك انما
يتصور حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الامور واما من العليم الخبير فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين قبل
ان يرتب عليه شيئا هو من مباديه العادية كمن يختبر عبده ليتعرف حاله من الكياسة فيامره بما يليق بحاله من مصالحه وابراهيم اسم
اعجمي قال السهيلي كثيرا ما يقع الاتفاق والتقارب بين السرياني والعربي الا ترى ان ابراهيم تفسيره اب راحم ولذلك جعل هو
وزوجه سارة كافلين لاطفال المؤمنين الذين يموتون صغارا الى يوم القيمة على ما روى البخاري في حديث الرؤيا ان النبي صلى الله
عليه وسلم رأى في الروضة ابراهيم عم وحوله اولاد الناس وهو مفعول مقدم لاضافة فاعله الى ضميره والتعرض لعنوان الربوبية
تشريف له عم وايذان بان ذلك الابتلاء تربية له وترشيح لامر خطير والمعنى عامله سبحانه معاملة المختبر حيث كلفه اوامر ونواهي
يظهر لحسن قيامه بحقوقها قدرته على الخروج عن عهدة الامامة العظمى وتحمل اعباء الرسالة وهذه المقالة وتذكيرها للناس لارشادهم
الى طريق اتقان الامور ببنائها على التجربة وللايذان بان بعثة النبي عم ايضا مبنية على تلك القاعدة الرصينة واقعة بعد
ظهور استحقاقه عم للنبوة العامة كيف لا وهي التي اجيب بها دعوة ابراهيم عم كما سياتي واختلف في الكلمات فقال مجاهد
هي المذكورة بعدها ورد بانه يأباه الفاء في فاتمهن ثم الاستيناف وقال طاوس عن ابن عباس رضه هي عشر خصال كانت فرضا
في شرعه وهن سنة في شرعنا خمس في الراس المضمضة والاستنشاق وفرق الراس وقص الشارب والسواك وخمس في البدن
الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء بالماء وفي الخبر ان ابراهيم عم اول من قص الشارب
واول من اختتن واول من قلم الاظفار وقال عكرمة عن ابن عباس رضه لم يبتل احد بهذا الدين فاقامه كله الا ابراهيم
ابتلاه الله تعالى بثلثين خصلة من خصال الاسلام عشر منها في سورة براءة التائبون الخ وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات

والمسلمات الخ وعشر في المؤمنون وسأل سائل الى قوله عز وجل والذين هم على صلوتهم يحافظون وقيل ابتلاه الله سبحانه بسبعة
اشياء بالشمس والقمر والنجوم والختان على الكبر والنار وذبح الولد والهجرة فوفى بالكل وقيل هن محاجة قومه والصلوة والصوم
والزكوة والضيافة والصبر عليها وقيل هي مناسك كالطواف والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغيرهن وقيل هي قوله عم
الذي خلقني فهو يهدين الايات ثم قيل انما وقع هذا الابتلاء قبل النبوة وهو الظاهر وقيل بعدها لانه يقتضي سابقة الوحي واجيب
بان مطلق الوحي لا يستلزم البعثة الى الخلق وقرئ برفع ابراهيم ونصب ربه اي دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه
اليهن اولا **فاتمهن** اي قام بهن حق القيام واداهن احسن التادية من غير تفريط وتوان كما في قوله تع وابراهيم الذي
وفى وعلى القراءة الاخيرة فاعطاه الله تع ما سأله من غير نقص ويعضده ما روي عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سأل ابراهيم
ربه بقوله رب اجعل الايات وقوله عز وجل **قال** على تقدير انتصاب اذ بمضمر جملة مستانفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الكلام
فان الابتلاء تمهيد لامر معظم وظهور فضيلة المبتلي من دواعي الاحسان اليه فبعد حكايتهما تترقب النفس الى ما وقع بعدهما كانه
قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل **قال اني جاعلك للناس اماما** او بيان لقوله تع ابتلى على رأي من جعل الكلمات عبارة عما
ذكر اثره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده وغير ذلك وعلى تقدير انتصابه بقال فالجملة معطوفة على ما قبلها عطف
القصة على القصة والواو في المعنى داخلة على قال اي وقال اذ ابتلى الخ والجعل بمعنى التصيير احد مفعوليه الضمير والثاني اماما
واسم الفاعل بمعنى المضارع واوكد منه لدلالته على انه جاعل له البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه وللناس متعلق
بجاعلك اي لاجل الناس او بمحذوف وقع حالا من اماما اذ لو تأخر عنه لكان صفة له والامام اسم لمن يؤتم به وكل نبي
امام لامته وامامته عم عامة مؤبدة اذ لم يبعث نبي بعده الا كان من ذريته مامورا باتباع ملته **قال** استيناف مبني على سؤال
مقدر كانه قيل فماذا قال ابراهيم عم عنده فقيل قال **ومن ذريتي** عطف على الكاف ومن تبعيضية متعلقة بجاعل اي وجاعل
بعض ذريتي كما تقول وزيدا لمن يقول سأكرمك او بمحذوف اي واجعل فريقا من ذريتي اماما وتخصيص البعض بذلك لبداهة
استحالة امامة الكل وان كانوا على الحق وقيل التقدير وماذا يكون من ذريتي والذرية نسل الرجل فعولة من ذروت
او ذريت والاصل ذرووة او ذروية فاجتمع في الاولى واوان زائدة واصلية فقلبت الاصلية ياء فصارت كالثانية
فاجتمعت واو وياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء فصارت ذرية او فعيلة منهما والاصل
في الاولى ذريوة فقلبت الواو ياء لما سبق من اجتماعهما وسبق احداهما بالسكون فصارت ذريية كالثانية فادغمت الياء
في مثلها فصارت ذرية او فعيلة من الذرء بمعنى الخلق والاصل ذريئة فخففت الهمزة بابدالها ياء كهمزة خطيئة ثم ادغمت
الياء الزائدة في المبدلة او فعيلة من الذر بمعنى التفريق والاصل ذريرة قلبت الراء الاخيرة ياء لتوالي الامثال كما في تسري
وتقضي وتظني فادغمت الياء في الياء كما مر او فعولة منه والاصل ذرورة فقلبت الراء الاخيرة ياء فجاء الادغام وقرئ
بكسر الذال وهي لغة فيها وقرأ ابو جعفر المدني بالفتح وهي ايضا لغة فيها **قال** استيناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن
كما سبق **لا ينال عهدي الظالمين** ليس هذا ردا لدعوته عم بل اجابة خفية لها وعدة اجمالية منه تعالى بتشريف بعض ذريته عم
بنيل عهد الامامة حسبما وقع في استدعائه عم من غير تعيين لهم بوصف مميز لهم عن جميع من عداهم فان التنصيص على حرمان
الظالمين منه بمعزل من ذلك التمييز اذ ليس معناه انه ينال كل من ليس بظالم منهم ضرورة استحالة ذلك كما اشير اليه ولعل
ايثار هذه الطريقة على تعيين الجامعين لمبادي الامامة من ذريته اجمالا او تفصيلا وارسال الباقين لئلا ينتظم المقتدون
بالائمة من الامة في سلك المحرومين وفي تفصيل كل فرقة من الاطناب ما لا يخفى مع ما في هذه الطريقة من تخييب الكفرة الذين
كانوا يتمنون النبوة وقطع اطماعهم الفارغة من نيلها وانما اوثر النيل على الجعل ايماء الى ان امامة الانبياء من ذريته عم

م كاسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان وايوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى وسيدنا محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليما كثيرا البتة بجعل مستقل بل هي حاصلة في ضمن امامة ابراهيم م تنال كلا منهم في وقت قدره الله عز وجل وقرئ الظالمون على ان عهدي مفعول قدم على الفاعل اهتماما ورعاية للفواصل وفيه دليل على عصمة الانبياء عليهم السلام من الكبائر على الاطلاق وعدم صلاحية الظالم للامامة وقوله تع واذ جعلنا البيت اي الكعبة المعظمة غلب عليها غلبة النجم على الثريا معطوف على اذ ابتلى على ان العامل فيه هو العامل فيه او مضمر مستقل معطوف على المضمر الاول والجعل اما بمعنى التصيير فقوله عز وجل مثابة اي مرجعا يثوب اليه الزوار بعد ما تفرقوا عنه او امثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره مفعوله الثاني واما بمعنى الابداع فهو حال من مفعوله واللام في قوله تع للناس متعلقة بمحذوف وقع صفة لمثابة اي مثابة كائنة للناس او بجعلنا اي جعلناه لاجل الناس وقرئ مثابات باعتبار تعدد الثائبين وامنا اي آمنا كما في قوله تع حرما آمنا على ايقاع المصدر موقع اسم الفاعل للمبالغة او على تقدير المضاف اي ذا امن او على الاسناد المجازي اي آمنا من حجه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او من دخله من التعرض له بالعقوبة وان كان جانيا حتى يخرج على ما هو رأي ابي حنيفة رحمه الله ولجواز ان يعتبر الامن بالقياس الى كل شيء كائنا ما كان ويدخل فيه امن الناس دخولا اوليا وقد اعتيد فيه امن الصيد حتى ان الكلب كان يهم بالصيد خارج الحرم فيفر منه وهو يتبعه فاذا دخل الصيد الحرم لم يتبعه الكلب واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى على ارادة قول هو عطف على جعلنا او حال من فاعله اي وقلنا او قائلين لهم اتخذوا الخ وقيل هو نفسه معطوف على الامر الذي يتضمنه قوله عز وجل مثابة للناس كانه قيل ثوبوا اليه واتخذوا الخ وقيل على المضمر العامل في اذ وقيل هي جملة مستأنفة والخطاب على الوجه الاخيرة له عليه السلام ولامته والاول هو الاليق بجزالة النظم الكريم والامر صريحا كان او مفهوما من الحكاية للاستحباب ومن تبعيضية والمقام اسم مكان وهو الحجر الذي عليه اثر قدمه م والموضع الذي كان عليه حين قام ودعا الناس الى الحج او حين رفع قواعد البيت وهو موضعه اليوم والمراد بالمصلى اما موضع الصلوة او موضع الدعاء وروي انه صلى الله عليه وسلم اخذ بيد عمر رض فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر رض افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روي جابر رض انه م لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين م وقرء واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وللشافعي في وجوبهما قولان وقيل مقام ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج عرفة والمزدلفة والجمار واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله عز وجل وقرئ واتخذوا على صيغة الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس من مكان ابراهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل اي امرناهما امرا مؤكدا ان طهرا بيتي بان طهراه على ان ان مصدرية حذف عنها الجار حذفا مطردا والجواز كون صلتها امرا او نهيا في قوله عز وجل وان اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز كونها فعلا انما هو دلالته على المصدر وهي متحققة فيهما ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا يوصف بها الا اذا كانت خبرية واما الموصول الحرفي فليس كذلك ولما كان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع الامر والنهي صلة حسب وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال او اي طهراه على ان ان مفسرة لتضمن العهد معنى القول واضافة البيت الى ضمير الجلالة للتشريف وتوجيه الامر بالتطهير ههنا اليهما عليهما السلام لا ينافي ما في سورة الحج من تخصيصه بابراهيم م فان ذلك واقع قبل بناء البيت كما يفصح عنه قوله تع واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت وكان اسمعيل م بمعزل من مثابة الخطاب وظاهر ان هذا بعد بلوغ اسمعيل مبلغ الامر والنهي وتمام البناء بمباشرته كما ينبئ عنه ايراده اثر حكاية جعله مثابة للناس الخ والمراد تطهيره من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض وغير ذلك مما لا يليق

به للطائفين حوله والعاكفين المجاورين المقيمين عنده او المعتكفين او القائمين في الصلوة كما في قوله عز وجل للطائفين والقائمين والركع السجود جمع راكع وساجد اي للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود من هيئات المصلي ولتقارب الاخيرين ذاتا وزمانا ترك العاطف بين موصوفيهما او اخلاصه لهؤلاء لئلا يغشاه غيرهم وفيه ايماء الى ان ملابسة غيرهم به وان كانت مع مقارنة امر مباح من قبيل تلويثه وتدنيسه واذ قال ابراهيم عطف على ما قبله من قوله واذ جعلنا الخ اما بالذات او بعامله المضمر كما مر رب اجعل هذا بلدا آمنا ذا امن كعيشة راضية او آمنا اهله كليلة نائم اي اجعل هذا الوادي من البلاد الآمنة وكان ذلك اول ما قدم م مكة كما روي سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم انه م لما اسكن اسمعيل وهاجر هناك وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر فجعلت تقول الى من تكلنا في هذا البلقع وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت آلله امرك بهذا فقال نعم قالت اذا لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كداء اقبل على الوادي فقال ربنا اني اسكنت الآية وتعريف البلد مع جعله صفة لهذا في سورة ابراهيم ان حمل على تعدد السؤال لما انه م سأل اولا كلا الامرين البلدية والامن فاستجيب له في احدهما وتأخر الآخر الى وقته المقدر له لما تقتضيه من الحكمة الباهرة ثم كرر السؤال حسبما هو المعتاد في الدعاء والابتهال او كان المسئول اولا البلدية وتجرد الامن المصحح للسكنى كما في سائر البلاد وقد اجيب الى ذلك وثانيا الامن المعهود او كان هو المسئول اولا ايضا وقد اجيب اليه لكن السؤال الثاني لاستدامته والاقتصار على سؤاله مع جعل البلد صفة لهذا لانه المقصد الاصلي او لان المعتاد في البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف الامن وان حمل على وحدة السؤال وتكرير الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر ان المسئول كلا الامرين وقد حكي ذلك ههنا واقتصر هناك على حكاية سؤال الامن اكتفاء عن حكاية سؤال البلدية بحكاية سؤال جعل افئدة الناس تهوي اليه كما سيأتي تفصيله هناك باذن الله عز وجل وارزق اهله من الثمرات من انواعها بان تجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك او يجبى اليه من الاقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى انه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد روي عن ابن عباس رض ان الطائف كانت من ارض فلسطين فلما دعا ابراهيم م بهذه الدعوة رفعها الله تعالى فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم وعن الزهري انه تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة ابراهيم م من آمن منهم بالله واليوم الآخر بدل من اهله بدل البعض خصهم بالدعاء اظهارا لشرف الايمان وابانة لخطره واهتماما بشأن اهله ومراعاة لحسن الادب وفيه ترغيب لقومه في الايمان وزجر عن الكفر كما ان في حكايته ترغيبا وترهيبا لقريش وغيرهم من اهل الكتاب قال استئناف مبني على السؤال كما مر مرارا وقوله تع ومن كفر عطف على مفعول فعل محذوف تقديره ارزق من آمن ومن كفر وقوله تعالى فامتعه معطوف على ذلك الفعل او في محل رفع بالابتداء وقوله تع فامتعه خبره اي فانا امتعه وانما دخلته الفاء تشبيها له بالشرط والكفر وان لم يكن سببا للتمتيع المطلق لكنه يصلح سببا لتقليله وكونه موصولا بعذاب النار وقيل هو عطف على من آمن عطف تلقين كانه قيل قل وارزق من كفر فانه ايضا مجاب كانه م قاس الرزق على الامامة فنبهه تعالى على انه رحمة دنيوية شاملة للبر والفاجر بخلاف الامامة الخاصة بالخواص وقرئ فأمتعه من امتع وقرئ فنمتعه قليلا تمتيعا قليلا او زمانا قليلا ثم اضطره الى عذاب النار اي الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقرئ ثم نضطره على وفق قراءة فنمتعه وقرئ فأمتعه قليلا ثم اضطره بلفظ الامر فيهما على انهما من دعاء ابراهيم م وفي قال ضميره وانما فصله عما قبله لكونه دعاء على الكفرة وتغيير سبكه للايذان بان الكفر سبب لاضطرارهم الى عذاب النار واما رزق من آمن فانما هو على طريقة التفضل والاحسان وقرئ بكسر الهمزة على لغة من يكسر حرف المضارعة واطّره بادغام الضاد في الطاء وهي لغة مرذولة فان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها بلا عكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف اي بئس المصير النار او عذابها واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت عطف على ما قبله من قوله عز وعلا واذ قال ابراهيم على احد الطريقين المذكورين في واذ

جعلنا وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة المنبئة عن المعجزة الباهرة والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة
غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من مقابل القيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها لانه نقلها من هيئة الانخفاض الى
هيئة الارتفاع والمرتفع حقيقة وان كان هو الذي بني عليها لكنهما لما التأما صارا شيئا واحدا فكانها نمت وارتفعت وقيل المراد بها
ساقات البناء فان كل ساق قاعدة لما يبني عليه وبرفعها بناء بعضها على بعض وقيل المراد برفعها رفع مكانة البيت واظهار شرفه
ودعاء الناس الى حجه وفي ابهامها اولا ثم تبيينها من تفخيم شانها ما لا يخفى وقيل المعنى واذ يرفع ابراهيم ما قعد من البيت واستوطأ
يعني يجعل هيئة القاعدة المستوطأة مرتفعة عالية بالبناء روي ان الله عز وجل انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من
زمرد شرقي وغربي وقال لآدم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه آدم من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة
فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج آدم عم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على
ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور وكان موضعه خاليا الى زمن ابراهيم عم فامره سبحانه ببنائه
وعرفه جبرئيل مكانه وقيل بعث الله السكينة لتدله عليه فتبعها ابراهيم عم حتى اتيا مكة المعظمة وقيل بعث الله سبحانه تعالى على قدر البيت
وسار ابراهيم في ظلها الى ان وافى مكة المعظمة فوقفت على موضع البيت فنودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من
خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه من حراء وجاء جبريل بالحجر الاسود من السماء وقيل تمخض ابو قبيس
فانشق عنه وقد خبئ فيه في ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود وقال
القاسي في شفاء الغرام في تاريخ البلد الحرام والذي يتحصل من جملة ما قيل في عدد بناء الكعبة انها بنيت عشر مرات منها
بناء الملائكة عليهم السلام وذكره النووي في تهذيب الاسماء واللغات والازرقي في تاريخه وذكر انه كان قبل خلق
آدم عم ومنها بناء آدم عم ذكره البيهقي في دلائل النبوة وروى فيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال بعث الله عز وجل جبريل الى آدم عليهما السلام فقال له ولحواء ابنيا لي بيتا فخط جبريل وجعل آدم عم يحفر
وحواء تنقل التراب حتى اذا اصاب الماء نودي من تحته حسبك آدم فلما بناه اوحي اليه ان يطوف به فقيل له انت اول
الناس وهذا اول بيت وهكذا ذكر الازرقي في تاريخه وعبد الرزاق في مصنفه ومنها بناء بني آدم عند ما رفعت الخيمة
التي عزى الله تعالى بها آدم عم وكانت ضربت في موضع البيت فبنى بنوه مكانها بيتا من الطين والحجارة فلم يزل معمورا يعمرونه
هم ومن بعدهم الى ان نسفه الغرق في عهد نوح عم ذكره الازرقي بسنده الى وهب بن منبه ومنها بناء الخليل عم وهو منصوص
عليه في القرآن مشهور فيما بين قاص ودان ومنها بناء العمالقة ومنها بناء جرهم ذكرهما الازرقي بسنده الى علي بن ابي طالب
رض ومنها بناء قصي بن كلاب ذكره الزبير بن بكار في كتاب النسب ومنها بناء قريش وهو مشهور ومنها بناء عبد الله بن الزبير
رضي الله عنهما ومنها بناء الحجاج بن يوسف وما كان ذلك بناء لكلها بل لجدار من جدرانها وقال الحافظ السهيلي ان بناءها لم يكن في
الدهر الا خمس مرات الاولى حين بناها شيث عم انتهى والله سبحانه اعلم **واسمعيل** عطف على ابراهيم ولعل تاخيره عن المفعول لان
بان الاصل في الرفع هو ابراهيم واسمعيل تبع قيل انه كان يناوله الحجارة وهو يبنيها وقيل كانا يبنيانه من طرفين **ربنا تقبل منا**
على ارادة القول اي يقولان وقد قرئ به على انه حال منهما عليهما السلام وقيل هو على انه هو العامل في اذ والجملة معطوفة على ما قبلها
والتقدير ويقولان ربنا تقبل منا اذ يرفعان اي وقت رفعهما وقيل اسمعيل مبتدأ خبره قول محذوف وهو العامل في ربنا تقبل
منا فيكون ابراهيم هو الرافع واسمعيل هو الداعي والجملة في محل النصب على الحالية اي واذ يرفع ابراهيم القواعد والحال ان اسمعيل
يقول ربنا تقبل منا والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميرهما عليهما السلام
لتحريك سلسلة الاجابة وترك مفعول تقبل مع ذكره في قوله تع ربنا وتقبل دعاء ليعم الدعاء وغيره من القرب والطاعات التي

التي من جملتها ما هما بصدده من البناء كما يعرب عنه جعل الجملة الدعائية حالية **انك انت السميع** لجميع المسموعات التي من جملتها دعاؤنا
العليم بكل المعلومات التي من زمرتها نياتنا في جميع اعمالنا والجملة تعليل لاستدعاء التقبل لا من حيث ان كونه تعالى سميعا لدعائهما عليما
بنياتهما مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث ان علمه تعالى بصحة نياتهما واخلاصهما في اعمالهما مستدع له بموجب الوعد تفضلا وتاكيد الجملة
لوصف كمال قوة يقينهما بمضمونها وقصر نعتي السمع والعلم عليه تع لاظهار اختصاص دعائهما به تع وانقطاع رجائهما عما سواه
بالكلية واعلم ان الظاهر ان اول ما جرى من الامور المحكية هو الابتلاء وما يتبعه ثم دعاء البلدية والامن وما يتعلق به ثم رفع
قواعد البيت وما يتلوه ثم جعله مثابة للناس والامر بتطهيره ولعل تغيير الترتيب الوقوعي في الحكاية لنظم الشؤون الصادرة عن جنابه
تع في سلك مستقل ونظم الامور الواقعة من جهة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام من الافعال والاقوال في سلك اخر واما قوله تع ومن
كفر الخ فانما وقع في تضاعيف الاحوال المتعلقة بابراهيم لاقتضاء المقام واستجابة ما سبق من الكلام ذلك بحيث لم يكن بد منه
اصلا كما ان وقوع قوله عم ومن ذريتي في خلال كلام سبحانه لذلك **ربنا واجعلنا مسلمين لك** مخلصين لك او مستسلمين من اسلم
اذا استسلم وانقاد واياما كان فالمطلوب الزيادة والثبات على ما كانا عليه من الاخلاص والاذعان وقرئ مسلمين على صيغة
الجمع باد خال هاجر معهما في الدعاء او لان التثنية من مراتب الجمع **ومن ذريتنا امة مسلمة لك** اي واجعل بعض ذريتنا وانما
خصاهم بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا اصلح الاتباع وانما خصا به بعضهم لما علما ان منهم ظلمة وان الحكمة الالهية
لا تقتضي اتفاق الكل على الاخلاص والاقبال الكلي على الله عز وجل فان ذلك مما يخل بامر المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا
وقيل اراد بالامة المسلمة امة محمد صلى الله عليه وسلم وقد جوز ان يكون من مبينة قدمت على المبين وفصل بها بين العاطف
والمعطوف كما في قوله تعالى ومن الارض مثلهن والاصل وامة مسلمة لك من ذريتنا **وارنا** من الرؤيا بمعنى الابصار او بمعنى
التعريف اي بصرنا او عرفنا **مناسكنا** اي متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج
لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرئ ارنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل
عليها وقرئ بالاختلاس **وتب علينا** استتابة لذريتهما وحكايتها عنهما لترغيب الكفرة في التوبة والايمان او توبة
لهما على فرط منهما سهوا ولعلهما قالاه هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما **انك انت التواب الرحيم** وهو تعليل للدعاء
ومزيد استدعاء للاجابة قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له فليدع الله عز وجل بما يناسبه من اسمائه وصفاته **ربنا وابعث فيهم**
اي في الامة المسلمة **رسولا منهم** اي من انفسهم فان البعث فيهم لا يستلزم البعث منهم ولم يبعث من ذريتهما غير النبي صلى الله
عليه وسلم فهو الذي اجيب به دعوتهما عليهم السلام روي انه قيل له قد استجيب لك وهو في آخر الزمان قال عم انا دعوة ابي ابراهيم
وبشرى عيسى ورؤيا امي وتخصيص ابراهيم عم بالاستجابة له لما انه الاصل في الدعاء واسمعيل تبع له عليهما السلام **يتلوا
عليهم آياتك** يقرأ عليهم ويبلغهم ما توحي اليه من البينات **ويعلمهم** بحسب قوتهم النظرية **الكتاب** اي القرآن **والحكمة** وما يكمل به
نفوسهم من احكام الشريعة والمعارف الحقة **ويزكيهم** بحسب قوتهم العملية اي يطهرهم عن دنس الشرك وفنون المعاصي **انك
انت العزيز** الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد **الحكيم** الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل للدعاء ولاجابة
المسؤول فان وصف الحكمة مقتض لافاضته ما تقتضيه الحكمة من الامور التي من جملتها بعث الرسول ووصف العزة مستدع لامتناع
وجود المانع بالمرة **ومن يرغب عن ملة ابراهيم** انكار واستبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب عن ملته التي هي الحق الصريح والدين
الفصيح اي لا يرغب عن ملته الواضحة الغراء **الا من سفه نفسه** اي اذلها واستمهنها واستخف بها وقيل خسر نفسه وقيل اوبق او اهلك
او جهل نفسه قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما ورد في الخبر الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل معناه
ضل من قبل نفسه وقيل اصله سفه نفسه بالرفع فنصب على التمييز نحو غبن رأيه والم رأسه ونحو قوله ونأخذ بعده بذناب عيش

اجب الظهر ليس له سنام وقوله وما قومي بثعلبة بن سعد ولا بفزارة الشعر الرقابا وذلك لانه اذا رغب عما لا يرغب عنه احد من العقلاء
فقد بالغ في اذلال نفسه واذالها واهانها حيث خالف بها كل نفس عاقلة روي ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام
فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التورية اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو
ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر فنزلت ولقد اصطفيناه في الدنيا اي اخترناه بالنبوة والحكمة من بين سائر الخلق واصله اتخاذ صفوة
الشيء كما ان اصل الاختيار اتخاذ خيره واللام لجواب قسم محذوف والواو اعتراضية والجملة مقررة لمضمون ما قبلها اي وبالله لقد
اصطفيناه وقوله تعالى وانه في الآخرة لمن الصالحين اي من المشهود لهم بالثبات على الاستقامة والخير والصلاح معطوف عليها داخل
معه في حيز القسم مؤكد لمضمونها مقرر لما تقرره ولا حاجة الى جعله اعتراضا آخر او حالا مقدرة فان من كان صفوة للعباد
في الدنيا مشهودا له بالصلاح في الآخرة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عن ملته الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن
النظر والتأمل وايثار الاسمية لما ان انتظامه في زمرة صالحي اهل الآخرة امر مستمر في الدارين لا انه يحدث في الآخرة والتأكيد بان
واللام لما ان الامور الاخروية خفية عند المخاطبين فحاجتها الى التأكيد اشد من الامور التي تشاهد آثارها وكلمة في متعلقة بالصالحين
على ان اللام للتعريف وليست بموصولة حتى يلزم تقديم بعض الصلة عليها على انه قد يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله
ربيته حتى اذا تمعددا كان جزائي بالعصا ان اجلدا او بمحذوف من لفظها اي وانه لصالح في الآخرة لمن الصالحين او من غير لفظها اي
اعني في الآخرة ونحو ذلك بعد رعيا وقيل هي متعلقة باصطفيناه على ان في النظم الكريم تقديما وتأخيرا تقديره ولقد اصطفيناه
في الدنيا والآخرة وانه لمن الصالحين اذ قال له ظرف لاصطفيناه لما ان المتوسط ليس باجنبي بل هو مقرر له لان اصطفاءه في الدنيا
انما هو للنبوة وما يتعلق بصلاح الآخرة او تعليل له او منصوب باذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتقف على ان المصطفى الصالح المستحق
للامامة والتقدم وانه ما نال ما نال الا بالمبادرة الى الاذعان والانقياد لما امر به واخلاص سره على احسن ما يكون حين قال له ربه اسلم
اي لربك قال اسلمت لرب العالمين وليس الامر على حقيقته بل هو تمثيل والمعنى اخطر بباله دلائل التوحيد المؤدية الى المعرفة الداعية
الى الاسلام من الكوكب والقمر والشمس وقيل اسلم اي اذعن واطع وقيل اثبت على ما انت عليه من الاسلام والاخلاص او استقم وفوض
امورك الى الله تعالى فالامر على حقيقته والالتفات مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة اليه عم لاظهار مزيد اللطف به والاعتناء
بتربيته واضافة الرب في جوابه عم الى العالمين للايذان بكمال قوة اسلامه عم حيث ايقن حين النظر بشمول ربوبيته للعالمين قاطبة
لا لنفسه وحده كما هو المأمور به ووصى بها ابراهيم بنيه شروع في بيان تكميله عم لغيره اثر بيان كماله في نفسه وفيه توكيد
لوجوب الرغبة في ملته عم والتوصية التقدم الى الغير بما فيه خير وصلاح للمسلمين من فعل او قول واصلها الوصلة يقال وصاه اذا
وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت لرب العالمين بتأويل الكلمة كما عبر بها
عن قوله تعالى انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني في قوله عز وجل وجعلها كلمة باقية في عقبه وقرئ اوصى والاول ابلغ و
يعقوب عطف على ابراهيم اي وصى بها هو ايضا بنيه وقرئ بالنصب عطفا على بنيه يا بني على اضمار القول عند البصريين ومتعلق بوصى
عند الكوفيين لانه في معنى القول كما في قوله رجلان من ضبة اخبرانا انا رأينا رجلا عريانا فهو عند الاولين بتقدير القول وعند
الآخرين متعلق بالاخبار الذي هو في معنى القول وقرئ ان يا بني وبنوا ابراهيم عم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان
وقيل ثمانية وقيل اربعة وعشرون وكان بنوا يعقوب اثني عشر روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا ويشسوخور وزبولون
ودوانا وتفثوتا وكوذا واوشير وبنيامين ويوسف عليه السلام ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة
الاديان ولا دين غيره عنده تعالى فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود الامر بالثبات
على الاسلام الى حين الموت اي فاثبتوا عليه ولا تفارقوه ابدا كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم

موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان حقه ان لا يحل بهم وانه يجب ان يحذر غاية الحذر ونظيره مت وانت شهيد روي ان اليهود
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت
ام منقطعة مقدرة ببل والهمزة والخطاب لاهل الكتاب الراغبين عن ملة ابراهيم عم وشهداء جمع شهيد او شاهد بمعنى
الحاضر واذ ظرف لشهداء والمراد بحضور الموت حضور اسبابه وتقديم يعقوب عليه السلام للاهتمام به اذ المراد بيان كيفية وصيته
لبنيه بعد ما بين ذلك اجمالا ومعنى بل الاضراب والانتقال عن توبيخهم على رغبتهم عن ملة ابراهيم عم الى توبيخهم على افترائهم على يعقوب عم
باليهودية حسبما حكي عنهم واما تعميم الافتراء ههنا لسائر الانبياء عليهم السلام كما قيل فيأباه تخصيص يعقوب عم بالذكر وما
سيأتي من قوله عز وجل ام يقولون ان ابراهيم الخ ومعنى الهمزة انكار وقوع الشهود عند احتضاره عم وتبكيتهم وقوله تعالى
اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر اي ما كنتم حاضرين عند احتضاره عليه السلام وقوله لبنيه ما تعبدون من بعدي اي اي شيء
تعبدونه بعد موتي فمن اين لكم ان تدعوا عليه السلام ما تدعون رجما بالغيب وعند هذا تم التوبيخ والانكار والتبكيت ثم بين
ان الامر قد جرى حينئذ على خلاف ما زعموا وانه عم اراد بسؤاله ذلك تقرير بنيه على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات
عليهما اذ به تتم وصيته بقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون وما يسأل به عن كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل
عن شيء بعينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب فقوله تعالى قالوا استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عن حكاية سؤال
يعقوب عم كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق حسبما كان مراده
عم بالسؤال اي نعبد الاله المتفق على وجوده والهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من آبائه تغليبا للاب والجد لقوله عم عم
الرجل صنو ابيه وقوله عم في العباس هذا بقية آبائي وقرئ ابيك على انه جمع بالواو والنون كما في قوله فلما تبين اصواتنا بكين
وفدينا بالابينا وقد سقطت النون بالاضافة او مفرد وابراهيم عطف بيان له واسمعيل واسحق معطوفان على ابيك الها
واحدا بدل من اله آبائك كقوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ودفع التوهم الناشئ من تكرير المضاف
لتعذر العطف على المجرور او نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او من مفعوله او منهما معا ويحتمل ان يكون
اعتراضا محققا لمضمون ما سبق تلك امة مبتدأ وخبر والاشارة الى ابراهيم ويعقوب وبنيهما الموحدين والامة هي الجماعة
التي تؤمها فرق الناس اي يقصدونها ويقتدون بها قد خلت صفة للخبر اي مضت بالموت وانفردت عمن عداها واصله صارت
الى الخلاء وهي الارض التي لا انيس بها لها ما كسبت جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب او صفة اخرى لامة او حال من الضمير
في خلت وما موصولة او موصوفة والعائد اليها محذوف اي لها ما كسبته من الاعمال الصالحة المحكية لا تتخطاها الى غيرها فان
تقديم المسند يوجب قصر المسند اليه عليه كما هو المشهور ولكم ما كسبتم عطف على نظيرتها على الوجه الاول وجملة مبتدأة على
الوجهين الاخيرين اذ لا رابط فيها ولا بد منه في الصفة ولا مقارنة في الزمان ولا بد منها في الحال اي لكم ما كسبتموه لا ما كسبه
غيركم فان تقديم المسند قد يقصد به قصره على المسند اليه كما قيل في قوله تعالى لكم دينكم ولي دين اي ولي ديني لا دينكم وحمل
الجملة الاولى على هذا القصر على معنى ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا كما قيل مما لا يساعده المقام اذ لا يتوهم متوهم انتفاعهم
بكسب هؤلاء حتى يحتاج الى بيان امتناعه وانما الذي يتوهم انتفاع هؤلاء بكسبهم فبين امتناعه بان اعمالهم الصالحة
مخصوصة بهم لا تتخطاهم الى غيرهم وليس لهؤلاء الا ما كسبوا فلا ينفعهم انتسابهم اليهم وانما ينفعهم اتباعهم لهم في
الاعمال كما قال عم يا بني هاشم لا يأتيني الناس باعمالهم وتأتوني بانسابكم ولا تسئلون عما كانوا يعملون ان
اجري السؤال على ظاهره فالجملة مقررة لمضمون ما مر من الجملتين تقريرا ظاهرا وان اريد به مسببه اعني الجزاء فهو تتميم
لما سبق جار مجرى النتيجة له وايا ما كان فالمراد تخييب المخاطبين وقطع اطماعهم الفارغة عن الانتفاع بحسنات الامة الخالية وانما

اطلق العمل لاثبات الحكم بالطريق البرهاني في ضمن قاعدة كلية هذا وقد جعل السؤال عبارة عن المواخذة والموصول عن السيئات فقيل اي لا
تواخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم ولا ريب في انه مما لا يليق بشان التنزيل كيف لا وهم منزهون من كسب السيئات فمن اين يتصور
تحميلها على غيرهم حتى يتصدي لبيان انتفاعه **وقالوا** شروع في بيان فن آخر من فنون كفرهم وهو اضلالهم لغيرهم اثر بيان ضلالهم
في انفسهم والضمير لاهل الكتابين على طريقة الالتفات المؤذن باستيجاب حالهم لابعادهم من مقام المخاطبة والاعراض عنهم وتعديد
جناياتهم عند غيرهم اي قالوا للمؤمنين **كونوا هودا او نصارى** ليس هذا القول مقولا لكلهم اولا اي طائفة كانت من الطائفتين
بل هو موزع اليهما على وجه خاص يقتضيه حالهما اقتضاء مغنيا عن التصريح به اي قالت اليهود كونوا هودا والنصارى كونوا نصارى
ففعل بالنظم الكريم ما فعل بقوله تع وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى اعتمادا على ظهور المرام **تهتدوا** جواب للامر
اي تكونوا كذلك تهتدوا **قل** خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل لهم على سبيل الرد عليهم وبيان ما هو الحق لديهم وارشادهم
اليه **بل ملة ابراهيم** اي لا نكون كما تقولون بل نكون اهل ملته ام وقيل بل نتبع ملته ام وقد جوز ان يكون المعنى بل اتبعوا انتم
ملته ام او كونوا اهل ملته وقرئ بالرفع اي بل ملتنا او امرنا ملته او نحن ملتنا اي اهل ملته **حنيفا** اي مائلا عن الباطل الى
الحق وهو حال من المضاف اليه كما في رايت وجه هند قائمة وفي قوله تع ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا الخ **وما كان
من المشركين** تعريض بهم وايذان ببطلان دعواهم اتباعه ام مع اشراكهم بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله **قولوا** خطاب للمؤمنين
بعد خطابه ام برد مقالتهم الشنعاء على الاجمال وارشادهم الى طريق التوحيد والايمان على ضرب من التفصيل اي قولوا لهم بمقابلة
ما قالوا تحقيقا للحق وارشادا ضمنيا لهم اليه **آمنا بالله وما انزل الينا** يعني القرآن قدم على سائر الكتب الالهية مع تاخره
نزولا لاختصاصه بنا وكونه سببا للايمان بها **وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط** الصحف وان
كانت نازلة الى ابراهيم ام لكن من بعده عليهم السلام حيث كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت احكامها جعلت منزلة
اليهم كما جعل القرآن منزلا والاسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام او ابناؤه الاثنا عشر
وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق **وما اوتي موسى وعيسى** من التورية والانجيل وسائر المعجزات الباهرة الظاهرة بايديهما
حسبما فصل في التنزيل الجليل وايراد الايتاء لما اشير اليه من التعميم وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام مع اليهود والنصارى **وما اوتي
النبيون** اي جملة المذكورين وغيرهم **من ربهم** من الآيات البينات والمعجزات الباهرات **لا نفرق بين احد منهم** كدأب اليهود والنصارى
آمنوا ببعض وكفروا ببعض وانما اعتبر عدم التفريق بينهم مع ان الكلام فيما اوتوه لاستلزام عدم التفريق بينهم بالتصديق
والتكذيب لعدم التفريق بين ما اوتوه وهمزة احد اما اصلية فهو اسم موضوع لمن يصلح ان يخاطب يستوي فيه المفرد
والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول بين عليه كما في مثل المال بين الناس ومنه ما في قوله صلى الله عليه وسلم
ما احلت الغنائم لاحد سود الرؤس غيركم حيث وصف بالجمع واما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه في حيز النفي
وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره اي بين احد منهم وبين غيره كما في قول النابغة فما كان بين الخير
لو جاء سالما . ابو حجر الا ليال قلائل . اي بين الخير وبيني وفيه من الدلالة صريحا على تحقق عدم التفريق بين كل فرد فرد
منهم وبين من عداه كائنا من كان ما ليس في ان يقال لا نفرق بينهم والجملة حال من الضمير في آمنا وقوله عز وجل **ونحن له مسلمون**
اي مخلصون له ومذعنون حال اخرى منه او عطف على آمنا **فان آمنوا** الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ما تقدم من ايمان
المخاطبين على الوجه المحرر مظنة لايمان اهل الكتابين لما انه مشتمل على ما هو مقبول عندهم **بمثل ما آمنتم به** اي بما آمنتم به
على الوجه الذي فصل على ان المثل مقحم كما في قوله تع وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويعضده قراءة ابن مسعود
بما آمنتم به وقراءة ابي بالذي آمنتم به ويجوز ان يكون الباء للاستعانة على ان المؤمن به محذوف لظهوره بوروده آنفا

آنفا او على ان الفعل اجري مجرى اللازم اي فان آمنوا بايمان مثل ايمانكم بما ذكر مفصلا وان تكونا للملابسة اي فان آمنوا ملتبسين بمثل ما انتم
ملتبسين به او فان آمنوا ايمانا ملتبسا بمثل ما انتم ايمانا ملتبسا به من الاذعان والاخلاص وعدم التفريق بين الانبياء عليهم
السلام فان ما وجد فيهم وصدر عنهم من الشهادة والاذعان وغير ذلك مثل ما للمؤمنين لا عينه بخلاف المؤمن به فانه لا يتصور
فيه التعدد **فقد اهتدوا** الى الحق واصابوه كما اهتديتم وحصل بينكم الاتحاد والاتفاق واما ما قيل من ان المعنى فان تحروا
الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فقد اهتدوا فان وحدة المقصد لا تابى تعدد الطريق فياباه ان مقام تعيين طريق
الحق وارشادهم اليه بعينه لا يلائم تجويز ان يكون له طريق آخر وراءه **وان تولوا** اي اعرضوا عن الايمان على الوجه المذكور بان اخلوا
بشيء من ذلك كان آمنوا ببعض وكفروا ببعض كما هو دينهم وديدنهم **فانما هم في شقاق** المشاقة والشقاق من الشق
كالمخالفة والخلاف من الخلف والمعادات والعداء من العدوة اي الجانب فان احد المخالفين يعرض عن الآخر صورة او معنى
ويوليه خلفه ويأخذ في شق غير شقه وعدوة غير عدوته والتنوين للتفخيم اي هم مستغرقون في خلاف عظيم بعيد من الحق
وهذا لدفع ما يتوهم من احتمال الوفاق بسبب ايمانهم ببعض ما آمن به المؤمنون والجملة اما جواب الشرط كما هي على ان المراد
مشاقتهم الحادثة بعد توليهم عن الايمان كجواب الشرطية الاولى واما او ثرت الجملة الاسمية للدلالة على ثباتهم واستقرارهم
في ذلك واما بتاويل فاعلموا انما هم في شقاق هذا هو الذي يستدعيه فخامة شان التنزيل الجليل وقد قيل قوله تع فان آمنوا
الخ من باب التعجيز والتبكيت على منهاج قوله تع فأتوا بسورة من مثله والمعنى فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مماثلا له في
الصحة والسداد فقد اهتدوا واذ لا امكان له فلا امكان لاهتدائهم ولا ريب في انه مما لا يليق بحمل النظم الكريم عليه
ولما دل تنكير الشقاق على امتناع الوفاق وان ذلك مما يؤدي الى الجدال والقتال لا محالة عقب ذلك بتسلية رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتفريح المؤمنين بوعد النصر والغلبة وضمان التاييد والاعزاز بالسين الدالة على تحقق الوقوع البتة فقيل **فسيكفيكهم الله**
اي سيكفيك شقاقهم فان الكفاية لا تتعلق بالاعيان بل بالافعال وقد انجز عز وعلا وعده الكريم بقتل بني قريظة وسبيهم
واجلاء بني النضير وتلوين الخطاب بتجريده للنبي صلى الله عليه وسلم مع ان ذلك كفاية منه سبحانه للكل لما انه الاصل والعمدة
في ذلك وللايذان بان القيام بامور الحروب وتحمل المؤن والمشاق ومقاساة الشدائد في مناهضة الاعداء من وظائف
الرؤساء فنعمته تعالى في الكفاية والنصر في حقه عليه السلام اتم واكمل **وهو السميع العليم** تذييل لما سبق من الوعد
وتاكيد له والمعنى انه تعالى يسمع ما تدعو به ويعلم ما في نيتك من اظهار الدين فيستجيب لك ويوصلك الى مرادك او وعيد
للكفرة اي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرونه في قلوبهم مما لا خير فيه وهو معاقبهم عليه ولا يخفى ما فيه من تاكيد الوعد السابق
فان وعيد الكفرة وعد للمؤمنين **صبغة الله** الصبغة من الصبغ كالجلسة من الجلوس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ عبر بها
عن الايمان بما ذكر على الوجه الذي فصل لكونه تطهيرا للمؤمنين من اوضار الكفر وحلية تزينهم باثاره الجميلة ومتداخلا في قلوبهم
كما ان شان الصبغ بالنسبة الى الثوب كذلك وقيل للمشاكلة التقديرية فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر
يسمونه المعمودية ويزعمون انه تطهير لهم وبه يحق نصرانيتهم واضافتها الى الله عز وجل مع استناده فيما سلف الى ضمير
المتكلمين للتشريف والايذان بانها عطية منه سبحانه لا يستقل العبد بتحصيلها فهي اذن مصدر مؤكد لقوله تع آمنا داخل معه في
حيز قولوا منتصب عنه انتصاب وعد الله عما تقدم لكونه بمثابة فعله كانه قيل صبغنا الله صبغة وقيل هي منصوبة بفعل الاغراء
اي الزموا صبغة الله واما توسط بينهما الشرطيتان وما بعدهما اعتناء ببيان ان الايمان الحق وبه الاهتداء ومسارعة الى
تسليته ام **ومن احسن من الله** مبتدا وخبر والاستفهام للانكار والنفي وقوله تع **صبغة** نصب على التمييز من احسن منقول

من المبتداء والتقدير ومن صبغته احسن من صبغته تع فالتفصيل جار بين الصبغتين لا بين فاعليهما اي لا صبغة احسن من صبغة
على معنى انها احسن من كل صبغة على ما اشير اليه في قوله تع ومن اظلم ممن منع الخ وحيث كان مدار التفصيل على تعميم الحسن الحقيقي و
الفرضي المبني على زعم الكفرة لم يلزم منه ان يكون في صبغة غيره تع حسن في الجملة والجملة اعتراضية مقررة لما في صبغة الله من معنى
التبجح والابتهاج **ونحن له** اي لله الذي اولانا تلك النعمة الجليلة **عابدون** شكرا لها ولسائر نعمه وتقديم الظرف للاهتمام و
رعاية الفواصل وهو عطف على آمنا داخل معه تحت الامر وايثار الاسمية للاشعار بدوام العبادة او على فعل الاغراء بتقدير القول
اي الزموا صبغة الله وقولوا نحن له عابدون فقوله تع ومن احسن من الله صبغة حينئذ يجري مجرى التعليل للاغراء **قل اتحاجوننا**
تجريد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم عقيب الكلام الداخل تحت الامر الوارد بالخطاب العام لما ان المامور به من الوظائف الخاصة
به عم وقرئ بادغام النون والهمزة للانكار والتوبيخ اي اتجادلوننا **في الله** اي في دينه وتدعون ان دينه الحق هو اليهودية
والنصرانية وتبنون دخول الجنة والاهتداء عليهما وتقولون تارة لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتارة
كونوا هودا او نصارى تهتدوا **وهو ربنا وربكم** جملة حالية وكذا ما عطف عليها اي اتجادلوننا والحال انه لا وجه للمجادلة
اصلا لانه تع ربنا اي مالك امرنا وامركم **ولنا اعمالنا** الحسنة الموافقة لامره **ولكم اعمالكم** السيئة المخالفة لحكمه **ونحن له**
مخلصون في تلك الاعمال لا نبتغي بها الا وجهه فاني لكم المحاجة وادعاء حقية ما انتم عليه والطمع في دخول الجنة بسببه ودعوة
الناس اليه وكلمة ام في قوله تع **ام تقولون** اما معادلة للهمزة في قوله تع اتحاجوننا داخلة في حيز الامر على معنى اي
الامرين تأتون اقامة الحجة وتنوير البرهان على حقية ما انتم عليه والحال ما ذكر ام التشبث بذيل التقليد والافتراء على
الانبياء وتقولون **ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى** فنحن بهم مقتدون
والمراد انكار كلا الامرين والتوبيخ عليهما واما منقطعة مقدرة ببل والهمزة دالة على الاضراب والانتقال من التوبيخ على المحاجة
الى التوبيخ على الافتراء على الانبياء عليهم السلام وقرئ ام يقولون على صيغة الغيبة فهي منقطعة لا غير غير داخلة تحت الامر
واردة من جهته تع توبيخا لهم وانكارا عليهم لا من جهته عم على نهج الالتفات كما قيل هذا واما ما قيل من ان المعنى اتحاجوننا
في شان الله واصطفائه نبيا من العرب دونكم لما روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا
فنزلت ومعنى قوله تع وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم انه لا اختصاص له تع بقوم دون قوم يصيب برحمته من
يشاء من عباده فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كما اكرمكم باعمالكم كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان
كرامة النبوة اما تفضل من الله تع على من يشاء فالكل فيه سواء واما افاضة حق على المستحقين لها بالمواظبة على الطاعة
والتحلي بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله تع في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون اي لا انتم فمع عدم ملاءمته
لسباق النظم الكريم وسياقه لا سيما على تقدير كون كلمة ام معادلة للهمزة غير صحيح في نفسه لما ان المراد بالاعمال من الطرفين
ما اشير اليه من الاعمال الصالحة والسيئة ولا ريب في ان امر الصلاح والسوء يدور على موافقة الدين المبني على البعثة ومخالفته
فكيف يتصور اعتبار تلك الاعمال في استحقاق النبوة واستعداد لها المتقدم على البعثة بمراتب **قل ءانتم اعلم ام الله** اعادة الامر
ليس لمجرد تاكيد التوبيخ وتشديد الانكار عليهم بل للايذان بان ما بعده ليس متصلا بما قبله بل بينهما كلام للمخاطبين مترتب على
سبق مستتبع لما لحق قد ضرب عنه الذكر صفحا لظهوره وهو تصريحهم بما وبخوا عليه من الافتراء على الانبياء عليهم السلام كما
كما في قوله عز وجل قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون قال فما خطبكم ايها المرسلون وقوله عز قائلا قال ءاسجد لمن خلقت
طينا قال ارايتك هذا الذي كرمت علي فان تكرير قال في الموضعين وتوسيط بين قولي قائل واحد للايذان بان بينهما
كلاما لصاحبه متعلقا بالاول والثاني بالتبعية والاستتباع كما حرر في محله اي كذبتم في ذلك وبكتهم قائلا ءانتم اعلم ام الله

يعلم وانتم لا تعلمون وقد نفى عن ابراهيم عم كلا الامرين حيث قال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله تع وما انزلت
التورية والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه عليهم السلام اتباعه في الدين وفاقا فكيف تقولون ما تقولون سبحان الله
عما تصفون **ومن اظلم** انكار لان يكون احد اظلم **ممن كتم شهادة** ثابتة **عنده** كائنة **من الله** وهي شهادته تع له عم بالحنيفية
والبراءة من اليهودية والنصرانية حسبما تلي آنفا فعنده صفة لشهادة وكذا من الله جيء بهما لتعليل الانكار وتاكيده فان ثبوت
الشهادة عنده وكونها من جناب الله عز وجل من اقوى الدواعي الى اقامتها واشد الزواجر عن كتمانها وتقديم الاول مع
تاخره في الوجود لمراعاة طريقة الترقي من الادنى الى الاعلى والمعنى انه لا احد اظلم من اهل الكتاب حيث كتموا هذه الشهادة واثبتوا
نقيضها بما ذكر من الافتراء وتعليق الاظلمية بمطلق الكتمان للايماء الى ان مرتبة من يردها ويشهد بخلافها في الظلم خارجة عن
دائرة البيان او لا احد اظلم منا لو كتمناها فالمراد بكتمها عدم اقامتها في مقام المحاجة وفيه تعريض بغاية اظلمية اهل الكتاب
على نحو ما اشير اليه وفي اطلاق الشهادة مع ان المراد بها ما ذكر من الشهادة المعينة تعريض بكتمانهم شهادة الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم
في التورية والانجيل **وما الله بغافل عما تعملون** من فنون السيئات فيدخل فيها كتمانهم لشهادته سبحانه وافتراؤهم على الانبياء عليهم السلام
دخولا اوليا اي هو محيط بجميع ما تاتون وما تذرون فيعاقبكم بذلك اشد عقاب وقرئ عما يعملون على صيغة الغيبة فالضمير اما لمن كتم على
المعنى واما لاهل الكتاب وقوله تع ومن اظلم الى اخر الاية مسوق من جهته تع لوصفهم بغاية الظلم وتهديدهم بالوعيد **تلك امة قد خلت لها**
ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في الزجر عما هم عليه من الافتخار بالاباء والاتكال على اعمالهم وقيل
الخطاب السابق لهم وهذا لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة الاولى الانبياء عليهم السلام وبالثانية اسلاف اليهود **سيقول**
السفهاء اي الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن التدبر والنظر من قولهم ثوب سفيه اذا كان خفيف النسج وقيل
السفيه البهات الكذاب المتعمد خلاف ما يعلم وقيل الظلوم الجهول والمراد بالسفهاء هم اليهود على ما روي عن ابن عباس رض ومجاهد
رض قالوه انكارا للنسخ وكراهة للتحويل حيث كانوا ياسنون بموافقته عم لهم في القبلة وقيل هم المنافقون وهو الانسب بقوله عز وعلا
الا انهم هم السفهاء وانما قالوه لمجرد الاستهزاء والطعن لا لاعتقادهم حقية القبلة الاولى وبطلان الثانية اذ ليس كلهم من اليهود وقيل
هم المشركون ولم يقولوه كراهة للتحويل الى مكة بل طعنا في الدين فانهم كانوا يقولون رغب عن قبلة ابائه ثم رجع اليها وليرجعن الى
دينهم ايضا وقيل هم القادحون في التحويل منهم جميعا فيكون قوله تع **من الناس** اي الكفرة لبيان ان ذلك القول المحكي لم يصدر عن
كل فرد فرد من تلك الطوائف الثلث بل عن اشقيائهم المعتادين للخوض في فنون الفساد وهو الاظهر اذ لو اريد بهم طائفة مخصوصة
منهم لما كان لبيان كونهم من الناس مزيد فائدة وتخصيص سفهائهم بالذكر لا يقتضي تسليم الباقين للتحويل وارتضاءهم اياه بل
عدم التفوه بالقدح مطلقا او بالعبارة المحكية **ما وليهم** اي اي شيء صرفهم والاستفهام للانكار والنفي **عن قبلتهم** القبلة
فعلة من المقابلة كالوجهة من المواجهة وهي الحالة التي يقابل الشيء غيره عليها كالجلسة للحالة التي يقع عليها الجلوس يقال لا قبلة له ولا
دبرة اذا لم يهتد لجهة امره غلبت على الجهة التي يستقبلها الانسان في الصلوة والمراد بها ههنا بيت المقدس واضافتها الى ضمير المسلمين
ووصفها بقوله تع **التي كانوا عليها** اي ثابتين مستمرين على التوجه اليها ومراعاتها واعتقاد حقيتها لتاكيد الانكار فان الاختصاص
بالشيء والاستمرار عليه باعتقاد حقيته مما ينافي الانصراف عنه فان اريد بالقائلين اليهود فمدار الانكار كراهتهم للتحويل عنها وزعمهم انه
خطأ وان اريد بهم المشركون فمداره مجرد القصد الى الطعن في الدين والقدح في احكامه واظهار ان كلا من التوجه اليها والانصراف عنها
واقع بغير داع اليه لكراهتهم الانصراف عنها او التوجه الى مكة وتعليق الانكار بما يوليهم عنها لا بما يوجههم الى غيرها مع تلازمهما في الوجود
لما ان ترك الدين القديم ابعد عند العقول وانكار سببه ادخل للايذان بان المنكرين هم اليهود بناء على ان المنكر عندهم هو التحويل عن
خصوصية بيت المقدس الذي هو القبلة الحقة عندهم لا التوجه الى خصوصية قبلة اخرى وهم المشركون بناء على ان المنكر عندهم

ترك القبلة القديمة على وجه الطعن والقدح لا التوجه الى الكعبة لانه الحق عندهم فانه بمعزل من ذلك كيف لا والمنافقون من احد الفريقين لا محالة والاخبار
قبل الوقوع مع كونه من دلائل النبوة حيث وقع كما اخبر لتوطين النفوس واعداد ما يبكتهم فان مفاجاة المكروه على النفس اشق واشد
والجواب العتيد لشغب الخصم الالد اردّ وقوله عز وجل **قل لله المشرق والمغرب** استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا اقول عند ذلك
فقيل قل الخ اي لله تعالى ناحيتا الارض اي الجهات كلها ملكا وملكا وتصرفا فلا اختصاص لناحية منها لذاتها بكونها قبلة دون ما عداها بل انما هو
بامر الله سبحانه ومشيئته **يهدي من يشاء** اي يهديه مشيئته تابعة للحكم الخفية التي لا يعلمها الا هو **الى صراط مستقيم** موصل الى سعادة الدارين وقد
هدانا الى ذلك حيث امرنا بالتوجه الى بيت المقدس تارة والى الكعبة اخرى حسبما تقتضيه مشيئته المقارنة للحكم الابية ومصالح خفية **وكذلك جعلناكم**
توجيه للخطاب الى المؤمنين بين الخطابين المختصين بالرسول صلى الله عليه وسلم لتاييد ما في مضمون الكلام من التشريف وذلك اشارة الى مصدر جعلناكم
لا الى جعل اخر مفهوم مما سبق كما قيل وتوحيد الكاف مع القصد الى المؤمنين لما ان المراد مجرد الفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين
وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه به وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة و
الكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير جعلناكم امة وسطا جعلا
كائنا مثل ذلك الجعل فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي ذلك الجعل
البديع جعلناكم **امة وسطا** لا جعلا اخر ادنى منه والوسط في الاصل اسم لما يستوي نسبة الجوانب اليه كمركز الدائرة ثم استعير للخصال المحمودة
البشرية لكن لا لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة كما قيل واستشهد عليه بقول ابي اوس الطائي
كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا فان تلك العلاقة بمعزل من الاعتبار في هذا المقام اذ لا ملابسة بينها
وبين اهلية الشهادة التي جعلت غاية للجعل المذكور بل لكون تلك الخصال اوساطا للخصال الذميمة المكتنفة بها من طرفي الافراط
والتفريط كالعفة التي طرفاها الفجور والخمود وكالشجاعة التي طرفاها التهور والجبن وكالحكمة التي طرفاها الجربزة والبلادة وكالعدالة
التي هي كيفية متشابهة حاصلة من اجتماع تلك الاوساط المحفوفة باطرافها ثم اطلق على المتصف بها مبالغة كانه نفسها وسوي فيه بين المفرد
والجمع والمذكر والمؤنث رعاية لجانب الاصل كدأب سائر الاسماء التي يوصف بها وقد روعيت ههنا نكتة رائعة هي ان الجعل المشار اليه عبارة
عما تقدم ذكره من هدايته تعالى الى الحق الذي عبر عنه بالصراط المستقيم الذي هو الطريق السوي الواقع في وسط الطرق الجائرة عن القصد الى
الجوانب فانا اذا فرضنا خطوطا كثيرة واصلة بين نقطتين متقابلتين فالخط المستقيم انما هو الخط الواقع في وسط تلك الخطوط المنحنية
ومن ضرورة كونه وسطا بين الطرق الجائرة كون الامة المهدية اليه امة وسطا بين الامم السالكة الى تلك الطرق الزائغة اي متصفة بالخصال
الحميدة خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل **لتكونوا شهداء على الناس** بان الله عز وجل قد اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا
وذكروا فهل من مذكر وهو غاية للجعل المذكور مترتبة عليه فان العدالة كما اشير اليه حيث كانت هي الكيفية المتشابهة المتالفة من العفة التي
هي فضيلة القوة الشهوية البهيمية والشجاعة التي هي فضيلة القوة الغضبية السبعية والحكمة التي هي فضيلة القوة العقلية الملكية المشار الى رتبتها بقوله عز وعلا ومن يؤت الحكمة فقد
اوتي خيرا كثيرا كان المتصف بها واقفا على الحقائق المودعة في الكتاب المبين المنطوي على احكام الدين واحوال الامم اجمعين حاويا لشرائط
الشهادة عليهم روي ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء عليهم السلام فيطالبهم الله تعالى بالبينة وهو اعلم اقامة للحجة على
المنكرين وزيادة لتخزيتهم بان كذبهم من بعدهم من الامم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا
ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى عند ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم ويسال عن حال امته فيزكيهم ويشهد
بعدالتهم وذلك قوله عز وجل **ويكون الرسول عليكم شهيدا** وكلمة الاستعلاء لما في الشهيد من معنى الرقيب والمهيمن وقيل لتكونوا
شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يقبل فيه الشهادة الا من العدول الاخيار وتقديم الظرف للدلالة على اختصاص شهادته عليه السلام
بهم **وما جعلنا القبلة التي كنت عليها** جرد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم رمزا الى ان مضمون الكلام من الاسرار الحقيقية بان تخص

بان تخص معرفته به عليه السلام وليس الموصول صفة للقبلة بل هو مفعول ثان للجعل وما قيل من ان الجعل تحويل الشيء من حالة الى اخرى فالمتلبس بالحالة
الثانية هو المفعول الثاني كما في قولك جعلت الطين خزفا فينبغي ان يكون المفعول الاول هو الموصول والثاني هو القبلة فكلام
صناعي ينساق اليه الذهن بحسب النظر الجليل ولكن التامل اللائق يهدي الى العكس فان المقصود افادته ليس جعل الجهة قبلة
لا غير كما يفيده ما ذكر بل هو جعل القبلة المحققة الوجود هذه الجهة دون غيرها والمراد بالموصول هي الكعبة فانه عليه السلام كان يصلي
اليها اولا ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تالفا لليهود او هي الصخرة لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من ان قبلته عليه السلام بمكة
كانت بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه وعلى هذه الرواية لا يمكن ان يراد بالقبلة الاولى الكعبة واما الصخرة فيتاتى
ارادتها على الروايتين والمعنى على الاول وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها اولا ثم رددناك عنها اثر وهي الكعبة وعلى الثاني وما
جعلناها التي كنت عليها قبل هذا الوقت وهي الصخرة **الا لنعلم** استثناء مفرغ من اعم العلل اي وما جعلنا ذلك لشيء من الاشياء
الا لنمتحن الناس اي نعاملهم معاملة من يمتحنهم ونعلم **من يتبع الرسول** في التوجه الى ما امر به من الدين او القبلة والالتفات
الى الغيبة مع ايراده عليه السلام بعنوان الرسالة للاشعار بعلة الاتباع **ممن ينقلب على عقبيه** يرتد عن دين الاسلام ولا يتوجه
الى القبلة الجديدة او لنعلم الان من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول ما رددناك الى ما كنت
عليه الا لنعلم الثابت على الاسلام والناكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه والمراد بالعلم ما يدور عليه فلك الجزاء من العلم الحالي
اي ليتعلق علمنا به موجودا بالفعل وقيل المراد علم الرسول عليه السلام والمؤمنين واسناده اليه سبحانه لما انهم خواصه او لتمييز الثابت
عن المتزلزل كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز الذي هو مسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على بناء
المجهول من صيغة الغيبة والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق بما في من من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني ممن ينقلب الخ اي لنعلم من
يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب على عقبيه **وان كانت لكبيرة** اي شاقة ثقيلة وان هي المخففة من المثقلة دخلت على ناسخ المبتدا
والخبر واللام هي الفارقة بينها وبين النافية كما في قوله تعالى ان كان وعد ربنا لمفعولا وزعم الكوفيون انها نافية واللام بمعنى
الا اي ما كانت الا كبيرة والضمير الذي هو اسم كان راجع الى ما دل عليه قوله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة
او التولية او التحويلة او الردة او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع على ان كان مزيدة كما في قوله واخوان لنا كانوا كرام واصله
وان هي لكبيرة كقولك ان زيد لمنطلق **الا على الذين هدى الله** اي الى سر الاحكام الشرعية المبنية على الحكم والمصالح اجمالا وتفصيلا
وهم المهديون الى الصراط المستقيم الثابتون على الايمان واتباع الرسول عليه السلام **وما كان الله ليضيع ايمانكم** اي ما صح وما استقام
ان يضيع ثباتكم على الايمان بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة وصلواتكم اليها لما روي انه عليه السلام
لما توجه الى الكعبة قالوا كيف حال اخواننا الذين مضوا وهم يصلون الى بيت المقدس فنزلت واللام في ليضيع اما متعلقة بالخبر
المقدر لكان كما هو راي البصرية وانتصاب الفعل بعدها بان المقدرة اي ما كان الله مريدا او متصديا لان يضيع الخ ففي
توجيه النفي الى ارادة الفعل تاكيد ومبالغة ليس في توجيهه الى نفسه واما مزيدة للتاكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو راي الكوفية
ولا يقدح في ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف الجر في عملها وقوله تعالى **ان الله بالناس لرؤف رحيم** تحقيق وتقرير للحكم وتعليل
له فان اتصافه عز وجل بهما يقتضي لا محالة ان لا يضيع اجورهم ولا يدع ما فيه صلاحهم والباء متعلقة برؤف وتقديمه على رحيم مع كونه
ابلغ لما مر في وجه تقديم الرحمن على الرحيم وقيل الرحمة اكثر من الرافة في الكمية والرافة اقوى منها في الكيفية لانها عبارة
عن ايصال النعم الصافية عن الالام والرحمة ايصال النعمة مطلقا وقد يكون مع الالم كقطع العضو المتاكل وقرئ رؤف بغير مد
كندس **قد نرى تقلب وجهك في السماء** اي تردد وتصرف نظرك في جهتها تطلعا للوحي وذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يقع في روعه ويتوقع من ربه عز وجل اي يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابراهيم وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم

ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبريل ع م بالوحي بالتحويل **فلنولينك قبلة** الفاء للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها
وهي في الحقيقة داخلة على قسم محذوف يدل عليه اللام اي فوالله لنولينك اي لنعطينكها ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته
كذا اي صيرته واليا له او لنجعلنك تلي جهتها او لنحولنك على ان نصب قبلة بحذف الجار اي الى قبلة وقيل هو متعد الى مفعولين
ترضيها تحبها وتشتاق اليها لمقاصد دينية وافقت مشيئته تع وحكمته **فول وجهك** الفاء لتفريع الامر بالتولية على الوعد الكريم
وتخصيص التولية بالوجه لما انه مدار التوجه ومعياره وقيل المراد به كل البدن اي فاصرفه **شطر المسجد الحرام** اي نحوه وهو نصب
على الظرفية من ول او على نزع الخافض او على انه مفعول ثان له وقيل الشطر في الاصل اسم لما انفصل من الشيء ودار شطور اذا كانت منفصلة
عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي محرم فيه القتال او ممنوع من الظلمة ان يتعرضوا له وفي ذكر
المسجد الحرام دون الكعبة ايذان بكفاية مراعاة الجهة لان في مراعاة العين من البعيد حرجا عظيما بخلاف القريب روي عن البراء
بن عازب ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في
رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من
صلوة الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين
وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول صلى الله عليه وسلم بالخطاب تعظيما لجنابه وايذانا باسعاف مرامه ثم عمم
الخطاب للمؤمنين مع التعرض لاختلاف اماكنهم تاكيدا للحكم وتصريحا بعمومه لكافة العباد من كل حاضر وباد وحثا للامة على المتابعة
وحيثما شرطية وكنتم في محل الجزم بها وقوله تع فولوا جوابها وتكون هي منصوبة على الظرفية بكنتم نحو قوله تع اياما تدعوا فله الاسماء
الحسنى **وان الذين اوتوا الكتاب** من فريقي اليهود والنصارى **ليعلمون انه** اي التحويل او التوجه المفهوم من التولية **الحق** لا غير
لعلمهم بان عادته سبحانه وتع جارية على تخصيص كل شريعة بقبلة ومعاينتهم لما هو مسطور في كتبهم من انه ع م يصلي الى القبلتين
كما يشعر بذلك التعبير عنهم بالاسم الموصول بايتاء الكتاب وان مع اسمها وخبرها ساد مسد مفعولي يعلمون او مسد مفعوله الواحد
على ان العلم بمعنى المعرفة وقوله تع **من ربهم** متعلق بمحذوف وقع حالا من الحق اي كائنا من ربهم او صفة له على راي من يجوز حذف
الموصول مع بعض صلته اي الكائن من ربهم **وما الله بغافل عما يعملون** وعد ووعيد للفريقين والخطاب للكل تغليبا وقرئ على
صيغة الغيبة فهو وعيد لاهل الكتاب **ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب** وضع الموصول موضع المضمر للايذان بكمال سوء حالهم
من العناد مع تحقق ما يزعهم منه من الكتاب الناطق بحقية ما كابروا في قبوله **بكل اية** اي حجة قطعية دالة على حقية التحويل
واللام موطئة للقسم وقوله تع **ما تبعوا قبلتك** جواب للقسم المضمر ساد مسد جواب الشرط والمعنى انهم ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها
الحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وتجريد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بعد تعميمه للامة لما ان المحاجة والاتيان بالاية
من الوظائف الخاصة به ع م وقوله تع **وما انت بتابع قبلتهم** جملة معطوفة على الجملة الشرطية لا على جوابها مسوقة لقطع اطماعهم
الفارغة حيث قالت اليهود لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له ع م وطمعا في رجوعه و
اختيار الجملة الاسمية للدلالة على دوام مضمونها واستمراره وافراد قبلتهم مع تعددها باعتبار اتحادها في البطلان ومخالفة
الحق ولئلا يتوهم ان مدار النفي هو التعدد وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة **وما بعضهم بتابع قبلة بعض** فان اليهود تستقبل
الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل فريق فيما هو فيه **ولئن اتبعت اهواءهم**
الزائفة المتخالفة **من بعد ما جاءك من العلم** ببطلانها وحقية ما انت عليه وهذه الشرطية الفرضية واردة على منهاج التهييج
والالهاب للثبات على الحق اي ولئن اتبعت اهواءهم فرضا **انك اذا لمن الظالمين** وفيه لطف للسامعين وتحذير لهم
عن متابعة اليهود فان من ليس من شانه ذلك اذا نهي عنه ورتب على فرضه وقوعه ما رتب من الانتظام في سلك الراسخين

الراسخين في الظلم فما ظنك بمن ليس كذلك واذن حرف جواب وجزاء توسطت بين اسم ان وخبرها لتقرير ما بينهما من النسبة اذ كان حدها
ان تتقدم او تتاخر فلم تتقدم لئلا يتوهم انها لتقرير النسبة التي بين الشرط وجوابه المحذوف لان المذكور جواب القسم ولم تتاخر
لرعاية الفواصل ولقد بولغ في التاكيد من وجوه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستعظاما
لصدور الذنب من الانبياء عليهم السلام **الذين اتيناهم الكتاب** اي علماؤهم اذ هم العمدة في ايتائه ووضع الموصول موضع المضمر مع
قرب العهد للاشعار بعليته ما في حيز الصلة للحكم والضمير المنصوب في قوله تع **يعرفونه** للرسول صلى الله عليه وسلم والالتفات الى الغيبة
للايذان بان المراد ليس معرفتهم له ع م من حيث ذاته ونسبه الزاهر بل من حيث كونه مسطورا في الكتاب منعوتا فيه بالنعوت التي من
جملتها انه ع م يصلي الى القبلتين كانه قيل الذين اتيناهم الكتاب يعرفون من وصفناه فيه وبهذا يظهر جزالة النظم الكريم وقيل هو
اضمار قبل الذكر للاشعار بفخامة شانه ع م وانه علم معلوم بغير اعلام فتامل وقيل الضمير للعلم او لما سبق الذي هو الوحي او
القران او التحويل ويؤيد الاول قوله عز وجل **كما يعرفون ابناءهم** اي يعرفونه ع م باوصافه الشريفة المكتوبة في كتابهم لا يشتبه عليهم
كما لا يشتبه ابناؤهم وتخصيصهم بالذكر دون ما يعم البنات لكونهم اعرف عندهم منهن بسبب كونهم احب اليهم عن عمر رض انه سال
عبد الله بن سلام رض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك فيه انه نبي فاما
ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر راسه رضي الله تعالى عنهما **وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون** هم الذين كابروا وعاندوا
الحق والباقون هم الذين امنوا منهم فانهم يظهرون الحق ولا يكتمونه واما الجهلة منهم فليست لهم معرفة بالكتاب ولا بما في تضاعيفه
فما هم بصدد الاظهار ولا بصدد الكتم وانما كفرهم على وجه التقليد **الحق** بالرفع على انه مبتدا وقوله تع **من ربك** خبره واللام
للعهد والاشارة الى ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم او الى الحق الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله تعالى كالذي
انت عليه لا غيره كالذي عليه اهل الكتاب او على انه خبر مبتدا محذوف اي هو الحق وقوله تع من ربك اما حال او خبر بعد خبر وقرئ
بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول ليعلمون وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره ع م من اظهار اللطف به ع م
ما لا يخفى **فلا تكونن من الممترين** اي الشاكين في كتمانهم الحق عالمين به وقيل في انه من ربك وليس المراد به نهي الرسول ع م عن الشك
فيه لانه غير متوقع منه ع م وليس بقصد واختيار بل اما لتحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب المعارف
المزيحة للشك على الوجه الابلغ **ولكل** اي لكل امة من الامم على ان التنوين عوض من المضاف اليه **وجهة** اي قبلة وقد قرئ لكل
او لكل قوم من المسلمين جانب من جوانب الكعبة **هو موليها** احد المفعولين محذوف اي موليها وجهه او الله موليها اياه وقرئ
ولكل وجهة بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد وجبر ضعف العامل وقرئ مولاها اي هو مولى
تلك الجهة قد وليها **فاستبقوا الخيرات** اي تسابقوا اليها بنزع الجار كما في قوله ثنائي عليكم آل حرب ومن يمل سواكم فاني مهتد غير
مائل وهو ابلغ من الامر بالمسارعة لما فيه من الحث على احراز قصب السبق والمراد بالخيرات جميع انواعها من امر القبلة وغيره مما ينال
به سعادة الدارين والفاضلات من الجهات وهي المسامتة للكعبة **اينما تكونوا يات بكم الله جميعا** اي في اي موضع تكونوا
من موافق او مخالف مجتمع الاجزاء او متفرقها يحشركم الله تع الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض
ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المختلفة المتقابلة يجعل صلواتكم كانها صلوة الى جهة واحدة **ان الله على كل شيء قدير** فيقدر
على الاماتة والاحياء والجمع فهو تعليل للحكم السابق **ومن حيث خرجت** تاكيد لحكم التحويل وتصريح بعدم تفاوت الامر في حالتي السفر والحضر
ومن متعلقة بقوله تع **فول** او بمحذوف عطف هو عليه اي من اي مكان خرجت اليه للسفر فول **وجهك** عند صلوتك **شطر المسجد الحرام**
او افعل ما امرت به من اي مكان خرجت اليه فول الخ **وانه** اي هذا الامر **للحق من ربك** اي الثابت الموافق للحكمة **وما الله بغافل عما
تعملون** فيجازيكم بذلك احسن جزاء فهو وعد للمؤمنين وقرئ يعملون على صيغة الغيبة فهو وعيد للكافرين **ومن حيث خرجت** اليه

اسفارکم مغاربکم من المنازل القريبة والبعيدة فول وجهک شطر المسجد الحرام الكلام فيه كما تقرر آنفا وحيثما كنتم من اقطار الارض مقيمين او
مسافرين حسيما يوعنب اثبارکتم علی خرجتم فان الخطاب عام لكافة المؤمنين المنتشرين في الآفاق من الحاضرين والمسافرين فلوقيل
وحيثما خرجتم لما تناول الخطاب المقيمين في الاماكن المختلفة من حيث قاموا منها فولوا وجوهكم من محالكم شطره والتكرير لان القبلة
لها شان خطير والنسخ من مظان الشبهة والفتنة فبالحري ان يؤكد امرها مرة عقب اخري مع انه قد ذكر في كل مرة حكمة مستقلة لئلا يكون
للناس عليكم حجة متعلق بقوله تع فولوا وقيل بمحذوف يدل عليه الكلام كانه قيل فعلنا ذلک لئلا الخ والمعني ان التولية عن الصخرة
تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التورية من اوصافه انه يحول الي الكعبة واحتجاج المشركين بانه يدعي ملة ابراهيم ويخالف قبلته
الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين منهم الذين يقولون ما تحول الي الكعبة الا ميلا الي
دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الي قبلة آبائه ويوشک ان يرجع الي دينهم وتسمية هذه الكلمة الشنعاء حجة مع انها افحش الاباطيل من قبيل
ما في قوله تع حجتهم داحضة حيث كانوا يسوقونها مساق الحجة وقيل الحجة بمعني مطلق الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة راسا
كالذي في قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ضرورة ان لا حجة للظالم وقرئ الا الذين بحرف التنبيه علي انه
استيناف فلا تخشوهم فان مطاعنهم لا تضركم شيئا واخشوني فلا تخالفوا امري ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة لمحذوف
يدل عليه النظم الكريم اي وامرتكم بما مر لاتمامي النعمة عليكم لما انه نعمة جليلة ولارادتي اهتداءكم لما انه صراط مستقيم مؤد الي سعادة الدارين
كما اشير اليه في قوله عز وجل يهدي من يشاء الي صراط مستقيم وفي التعبير عن الارادة بكلمة لعل الموضوعة للترجي علي طريقة الاستعارة التبعية
من الدلالة علي كمال العناية بالهداية ما لا يخفي او عطف علي علة مقدرة اي واخشوني لاحفظكم عنهم واتم الي آخره او علي قوله تع لئلا يكون الي
آخره وتوسيط قوله تع فلا تخشوهم الي آخره بينهما للمسارعة الي التسلية والتثبيت وفي الخبر تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه
تمام النعمة علي الموت علي الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله والظرف الاول متعلق بالفعل وقدم علي مفعوله الصريح لما في صفاته من
الطول والظرف الثاني متعلق بمضمر وقع صفة لرسولا مبينة لتمام النعمة اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الآخرة اتماما كائنا كاتمامي
لها بارسال رسول كائن منكم فان ارسال الرسول لا سيما المجانس لهم نعمة لا يكافئها نعمة قط وقيل متصل بما بعده اي كما ذكرتكم بالارسال
فاذكروني الخ وايثار صيغة المتكلم مع الغير بعد التوحيد فيما قبله افتنان وجريان علي سنن الكبرياء يتلو عليكم آياتنا صفة ثانية لرسولا كاشفة
لكمال النعمة ويزكيكم عطف علي يتلو اي يحملكم علي ما تصيرون به ازكياء ويعلمكم الكتاب والحكمة صفة ثالثة مترتبة في الوجود علي التلاوة وانما وسط
بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع علي تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب
علي التلاوة للايذان بان كلا من الامور المترتبة نعمة جليلة علي حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تع وبعث فيهم رسولا
منهم يتلو عليهم آياتک ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انک انت العزيز الحكيم لتبادر الي الفهم كون الكل نعمة واحدة كما مر نظيره في قصة
البقرة وهو السر في التعبير عن القرآن تارة بالآيات واخري بالكتاب والحكمة رمزا الي انه باعتبار كل عنوان نعمة علي حدة ولا يقدح فيه
شمول الحكمة لما في تضاعيف الاحاديث الشريفة من الشرائع وقوله عز وجل ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون صريح في ذلک فان الموصول عبارة
عبارة عن الكتاب والحكمة قطعا وقد عطف تعليمه علي تعليمهما وما ذلک الا لتفصيل فنون النعم في مقام تقتضيه كما في قوله تع ونجيناهم من عذاب
غليظ عقيب قوله تع نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا والمراد بعدم علمهم انه ليس من شانهم ان يعلموه بالفكر والنظر وغير
ذلک من طرق العلم لانحصار الطريق في الوحي فاذكروني الفاء للدلالة علي ترتب الامر علي ما قبله من موجباته اي فاذكروني بالطاعة اذكركم
بالثواب وهو تحريض علي الذكر مع الاشعار بما يوجبه واشكروا لي ما انعمت به عليكم من النعم ولا تكفرون بجحدها وعصيانا ما امرتكم به يا
ايها الذين آمنوا وصفهم بالايمان اثر تعداد ما يوجبه وتقتضيه تنشيطا لهم وحثا علي مراعاة ما يعقبه من الامر استعينوا في كل ما تأتون
وما تذرون بالصبر علي الامور الشاقة علي النفس التي من جملتها معاداة الكفرة ومقابلتهم المؤدية الي مقاتلتهم والصلوة التي

هي ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين ان الله مع الصابرين تعليل للامر بالاستعانة بالصبر خاصة لما انه المحتاج الي التعليل
واما الصلوة فحيث كانت عند المؤمنين اجل المطالب كما ينبئ عنه قوله عم وجعلت قرة عيني في الصلوة لم يفتقر الامر بالاستعانة بها الي
التعليل ومعني المعية الولاية الدائمة المستتبعة للنصرة واجابة الدعوة ودخول مع علي الصابرين لما انهم المباشرون للصبر حقيقة فهم
متبوعون من تلک الحيثية ولا تقولوا عطف علي استعينوا الخ مسوق لبيان ان لا غائلة للمامور به وان الشهادة التي ربما يؤدي اليها
الصبر حيوة ابدية لمن يقتل في سبيل الله اموات اي هم اموات بل احياء اي بل هم احياء ولكن لا تشعرون بحياتهم وفيه رمز الي انها
ليست مما يشعر به بالمشاعر الظاهرة من الحيوة الجسمانية وانما هي امر روحاني لا يدرک بالعقل بل بالوحي وعن الحسن رض ان الشهداء احياء
عند الله تعرض ارزاقهم علي ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار علي آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع قلت رأيت
في المنام سنة تسع وثلثين وتسعمائة اني ازور قبور شهداء احد رضي الله تعالي عنهم واني اتلو هذه الآية والتي في سورة آل عمران واردد
هما متفكرا في امرهم وفي نفسي ان حيوتهم روحانية لا جسمانية فبينما انا علي ذلک اذ رأيت شابا منهم قاعدا في قبره تام الجسد كامل
الخلقة في احسن ما يكون من الهيئة والمنظر ليس عليه شيء من اللباس قد بدا منه ما فوق السرة والباقي في القبر خلا اني اعلم يقينا انه
ايضا كالظاهر وانما لا يظهر لكونه عورة فنظرت الي وجهه فرأيته ينظر الي متبسما كانه ينبهني علي ان الامر بخلاف رأيي فسبحان من علت
كلمته وجلت حكمته وقيل الآية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة علي ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة
لما يحس به من البدن تبقي بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين رضوان الله تعالي عليهم اجمعين وبه نطقت الآيات والسنن
مبادي الشهادة لاختصاصهم بمزيد القرب من الله عز وعلا ولنبلونكم لنصيبنكم اصابة من يختبر احوالكم اتصبرون علي البلاء وتستسلمون
للقضاء بشيء من الخوف والجوع اي بقليل من ذلک فان ما وقاهم عنه اكثر بالنسبة الي ما اصابهم بالف مرة وكذا ما يصيب به معانديهم وانما
اخبر به قبل الوقوع ليوطنوا عليه نفوسهم ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم له حسبما اخبر به وليعلموا انه شيء يسير له عاقبة حميدة ونقص من
الاموال والانفس والثمرات عطف علي شيء وقيل علي الخوف وعن الشافعي رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان ونقص الاموال
الزكوة والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلي الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تع للملائكة
اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول عز وجل اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالي ماذا قال عبدي فيقولون حمدک واسترجع
فيقول الله عز وعلا ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه
راجعون الخطاب للرسول صلي الله عليه وسلم او لكل من يتأتي منه البشارة والمصيبة ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عم كل شيء يؤذي
المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر هو الاسترجاع باللسان بل بالقلب بان يتصور ما خلق له وانه راجع الي ربه ويتذكر نعم الله تعالي عليه ويري
ان ما ابقي عليه اضعاف ما استرده منه فيهون ذلک علي نفسه ويستسلم والمبشر به محذوف دل عليه ما بعده اولئک اشارة الي الصابرين
باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت ومعني البعد فيه للايذان بعلو رتبتهم عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلوة من الله سبحانه المغفرة
والرأفة وجمعها للتنبيه علي كثرتها وتنوعها والجمع بينها وبين الرحمة للمبالغة كما في قوله تع رأفة ورحمة رؤف رحيم والتنوين فيهما للتفخيم
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الي ضميرهم لاظهار مزيد العناية بهم اي اولئک الموصوفون بما ذكر من النعوت الجليلة عليهم
فنون الرأفة الفائضة من مالک امورهم ومبلغهم الي كمالاتهم اللائقة بهم وعن النبي صلي الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله
مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه واولئک اشارة اليهم اما باعتبار السابق والتكرير لاظهار كمال العناية
بهم واما باعتبار حيازتهم لما ذكر من الصلوات والرحمة المترتب علي الاعتبار الاول فعلي الاول المراد بالاهتداء في قوله عز وجل هم المهتدون
هو الاهتداء للحق والصواب مطلقا والجملة تذييل لما قبلها وعلي الثاني الاهتداء لما ذكر من الاسترجاع والاستسلام خاصة لما انه متقدم عليهما فلا بد لتأخيره عما هو نتيجة
من داع يوجبه وليس بظاهر والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله كانه قيل واولئک هم المختصون بالاهتداء لكل حق وصواب ولذلک استرجعوا واستسلموا

لقضاء الله تعالى وعلى الثاني هو الاهتداء والفوز بالمطالب والمعنى اولئك هم الفائزون بمباغيهم الدينية والدنيوية فان من نال رأفة الله تعالى
ورحمته لم يفته مطلب **ان الصفا والمروة** علمان لجبلين بمكة المعظمة كالصمان والمقطم **من شعائر الله** من اعلام مناسكه جمع شعيرة
وهي العلامة **فمن حج البيت او اعتمر** الحج في اللغة القصد والاعتمار الزيارة غلبا في الشريعة على قصد البيت وزيارته على الوجهين المعروفين
كالبيت والنجم في الاعيان وحيث اظهر البيت وجب تجريده عن التعلق به **فلا جناح عليه ان يطوف بهما** اي في ان يطوف بهما اصله يتطوف
قلبت التاء طاء فادغمت الطاء في الطاء وفي ايراد صيغة التفعل ايذان بان من حق الطائف ان يتكلف في الطواف ويبذل فيه جهده
وهذا الطواف واجب عندنا وعن مالك والشافعي رحمهما الله انه ركن وايراده بعدم الجناح المشعر بالتخيير لانه كان في عهد الجاهلية على الصفا صنم
يقال له اساف وعلى المروة آخر اسمه نائلة وكانوا اذا سعوا بينهما مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسر الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما
لذلك فنزلت وقيل هو تطوع ويعضده قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما **ومن تطوع خيرا** اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا
او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف وخيرا نصب على انه صفة لمصدر محذوف اي تطوعا خيرا او على حذف الجار وايصال
الفعل اليه او على تضمين معنى فعل وقرئ يطّوّع واصله يتطوع مثل يطّوّف وقرئ ومن يتطوع بخير **فان الله شاكر** اي مجاز على الطاعة
عبّر عن ذلك بالشكر مبالغة في الاحسان الى العباد **عليم** مبالغ في العلم بالاشياء فيعلم مقادير اعمالهم وكيفياتها فلا ينقص من اجورهم شيئا
وهو علة لجواب الشرط قائم مقامه كانه قيل ومن تطوع خيرا جازاه الله او اثابه فان الله شاكر عليم **ان الذين يكتمون** قيل نزلت
في احبار اليهود الذين كتموا ما في التوراة من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الاحكام وعن ابن عباس ومجاهد وقتادة
والحسن والسدي والربيع والاصم انها نزلت في اهل الكتاب من اليهود والنصارى وقيل نزلت في كل من كتم شيئا من احكام الدين
لعموم الحكم للكل والاقرب هو الاول فان عموم الحكم لا يأبى خصوص السبب والكتم والكتمان ترك اظهار الشيء قصدا مع مساس
الحاجة اليه وتحقق الداعي الى اظهاره وذلك قد يكون بمجرد ستره واخفائه وقد يكون بازالته ووضع شيء آخر في موضعه وهو
الذي فعله هؤلاء **ما انزلنا من البينات** من الآيات الواضحة الدالة على امر محمد صلى الله عليه وسلم **والهدى** اي والآيات الهادية
الى كنه امره ووجوب اتباعه والايمان به عبّر عنها بالمصدر مبالغة ولم يجمع مراعاة للاصل وهي المرادة بالبينات ايضا والعطف
لتغاير العنوان كما في قوله عز وجل هدى للناس وبينات الخ وقيل المراد بالهدى الادلة العقلية ويأباه الانزال والكتم **من بعد
ما بيناه للناس** متعلق بيكتمون والمراد بالناس الكل لا الكاتمون فقط واللام متعلقة ببيناه وكذا الظرف في قوله تعالى **في الكتاب**
فان تعلق جارين بفعل واحد عند اختلاف المعنى مما لا ريب في جوازه او الاخير متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله اي كائنا في
الكتاب وتبيينه لهم تلخيصه وايضاحه بحيث يتلقاه كل احد منهم من غير ان يكون له فيه شبهة وهذا عنوان مغاير لكونه بينا في نفسه
وهاديا مؤكد لقبح الكتم او تفهيمه لهم بواسطة موسى عم والاول انسب بقوله تعالى في الكتاب والمراد بكتمه ازالته ووضع غيره في
موضعه فانهم محوا نعته عليه الصلاة والسلام وكتبوا مكانه ما يخالفه كما ذكرناه في تفسير قوله عز وعلا فويل للذين يكتبون
الكتاب الى آخره **اولئك** اشارة اليهم باعتبار ما وصفوا به للاشعار بعليته لما حاق بهم وما فيه من معنى البعد للايذان بتراخي
امرهم وبعد منزلتهم في الفساد **يلعنهم الله** اي يطردهم ويبعدهم من رحمته والالتفات الى الغيبة باظهار اسم الذات الجامع للصفات
لتربية المهابة وادخال الروعة والاشعار بان مبدأ صدور اللعن عنه سبحانه صفة الجلال المغايرة لما هو مبدأ الانزال والتبيين
من وصف الجمال والرحمة **ويلعنهم اللاعنون** اي الذين يتأتى منهم اللعن اي الدعاء عليهم باللعن من الملائكة ومؤمني الثقلين والمراد
بيان دوام اللعن واستمراره وعليه يدور الاستثناء المتصل في قوله تعالى **الا الذين تابوا** اي عن الكتمان **واصلحوا** اي ما افسدوا بان
ازالوا الكلام المحرف وكتبوا مكانه ما كانوا ازالوه عند التحريف **وبينوا** للناس معاينه فانه غير الاصلاح المذكور او بينوا لهم ما
وقع منهم اولا وآخرا فانه ادخل في ارشاد الناس الى الحق وصرفهم عن طريق الضلال الذي كانوا اوقعوهم فيه او بينوا توبتهم

توبتهم ليمحوا به سمة ما كانوا فيه ويقتدي بهم اضرابهم وحيث كانت هذه التوبة المقرونة بالاصلاح والتبيين مستلزمة للتوبة عن الكفر مبنية عليها
لم يصرح بالايمان وقوله تعالى **فاولئك** اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة للاشعار بعليته للحكم والفاء لتأكيد ذلك **اتوب
عليهم** اي بالقبول وافاضة المغفرة والرحمة وقوله **وانا التواب الرحيم** اي المبالغ في قبول التوب ونشر الرحمة اعتراض تذييلي محقق لمضمون ما
قبله والالتفات الى التكلم للافتنان في النظم الكريم مع ما فيه من التلويح والرمز الى ما مر من اختلاف المبدأ في فعليه تعالى السابق واللاحق
ان الذين كفروا جملة مستأنفة سيقت لتحقيق بقاء اللعن فيما وراء الاستثناء وتأكيد دوامه واستمراره على غير التائبين حسبما يفيده الكلام
والاقتصار على ذكر الكفر في الصلة من غير تعرض لعدم التوبة والاصلاح والتبيين مبني على ما اشير اليه فكما ان وجود تلك الامور الثلاثة
مستلزم للايمان الموجب لعدم الكفر كذلك وجود الكفر مستلزم لعدمها جميعا اي ان الذين استمروا على الكفر المستتبع للكتمان وعدم التوبة
وماتوا وهم كفار لا يرعوون عن حالتهم الاولى **اولئك** الكلام فيه كما فيما قبله **عليهم** اي مستقر عليهم **لعنة الله والملائكة والناس اجمعين**
ممن يعتد بلعنهم وهذا بيان لدوامها الثبوتي بعد بيان دوامها التجددي وقيل الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ
والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو تريد من ان ضرب زيد وعمرو
كانه قيل اولئك عليهم ان لعنهم الله والملائكة الخ وقيل هو فاعل لفعل مقدر اي ويلعنهم الملائكة **خالدين فيها** اي في اللعنة او في النار
على انها اضمرت من غير ذكر تفخيما لشانها وتهويلا لأمرها **لا يخفف عنهم العذاب** اما مستأنف لبيان كثرة عذابهم من حيث الكيف اثر بيان
كثرته من حيث الكم او حال من الضمير في خالدين على وجه التداخل او من الضمير في عليهم على طريقة الترادف **ولا هم ينظرون** عطف على ما
قبله جار فيه ما جرى فيه وايثار الجملة الاسمية لافادة دوام النفي واستمراره اي لا يمهلون ولا يؤجلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا
ينظر اليهم نظر رحمة **والهكم** خطاب عام لكافة الناس اي المستحق منكم للعبادة **اله واحد** اي فرد في الالهية لا صحة لتسمية غيره الها اصلا
لا اله الا هو خبر ثان للمبتدأ او صفة اخرى للخبر او اعتراض واياما كان فهو مقرر للوحدانية ومزيح لما عسى يتوهم ان في الوجود الها
لكن لا يستحق العبادة **الرحمن الرحيم** خبران آخران للمبتدأ او لمبتدأ محذوف وهو تقرير للتوحيد فانه تعالى حيث كان موليا لجميع النعم
اصولها وفروعها جليلها ودقيقها وكان ما سواه كائنا ما كان مفتقرا اليه في وجوده وما يتفرع عليه من كمالاته تحقق وحدانيته
بلا ريب وانحصر استحقاق العبادة فيه تعالى قطعا قيل كان للمشركين حول الكعبة المكرمة ثلث مائة وستون صنما فلما سمعوا هذه
الآية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فأت بآية نعرف بها صدقك فنزلت **ان في خلق السموات والارض** اي في ابداعهما على ما هما عليه مع
ما فيهما من تعاجيب العبر وبدائع صنائع يعجز عن فهمها عقول البشر وجمع السموات لما هو المشهور من انها طبقات متخالفة الحقائق دون الارض
واختلاف الليل والنهار اي اعتقابهما وكون كل منهما خلفا للآخر كقوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة او اختلاف كل
منهما في انفسهما ازديادا وانتقاصا على ما قدره الله تعالى **والفلك التي تجري في البحر** عطف على ما قبله وتأنيثه اما بتأويل السفينة
او بانه جمع فان ضمة الجمع مغايرة لضمة الواحد في التقدير اذ الاولى كما في حمر والثانية كما في قفل وقرئ بضم اللام **بما ينفع الناس**
اي ملتبسة بالذي ينفعهم مما يحمل فيها من انواع المنافع وبنفعهم **وما انزل الله من السماء من ماء** عطف على الفلك وتأخيره عن ذكرها
مع كونه اعم منها نفعا لما فيه من مزيد تفصيل وقيل المقصود الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على
عجائبه ولذلك قدم على ذكر المطر والسحاب لان منشأهما البحر في غالب الامر ومن الاولى ابتدائية والثانية بيانية او تبعيضية واياما كان
فتأخيرها لما مر مرارا من التشويق والمراد بالسماء الفلك او السحاب او جهة العلو **فاحيا به الارض** بانواع النبات والازهار وما عليها من
الاشجار **بعد موتها** باستيلاء اليبوسة عليها حسبما تقتضيه طبيعتها كما يؤذن به ايراد الموت في مقابلة الاحياء **وبث فيها** اي فرق ونشر
من كل دابة من العقلاء وغيرهم والجملة معطوفة على انزل داخلة تحت حكم الصلة وقوله تعالى فاحيا الخ متصل بالمعطوف عليه بحيث كانا في حكم
شيء واحد كأنه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها الخ او على احيا بحذف الجار والمجرور العائد الى الموصول وان لم يتحقق الشرائط

المعهودة كما في قوله وان لساني شهدة يشتفى بها ولكن على من صبه الله علقم اي علقم عليه وقوله لعل الذي اصعدتني ان يردني الى الارض
ان لم يقدر لخير قادت على معنى فاحيا بالماء الارض وبث فيها من كل دابة فانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحياء وتصريف الرياح عطف على ما
انزل اي تقليبها من مهب الى آخر او من حال الى اخرى وقرئ على الافراد والسحاب عطف على تصريف او الرياح وهو اسم جنس واحده سحابة
سمي بذلك لانسحابه في الجو المسخر بين السماء والارض صفة للسحاب باعتبار لفظه وقد يعتبر معناه فيوصف بالجمع كما في قوله تع سحابا ثقالا وتسخيره تقليبه في الجو
بواسطة الرياح حسبما تقتضيه مشية الله تع ولعل تأخير تصريف الرياح وتسخير السحاب في الذكر عن جريان الفلك وانزال الماء مع انعكاس
الترتيب الخارجي لما مر في قصة البقرة من الاشعار باستقلال كل من الامور المعدودة في كونها آية ولو روعي الترتيب الخارجي لربما توهم
كون المجموع المترتب بعضه على بعض آية واحدة لآيات اسم ان دخلته اللام لتأخره عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا اي آيات عظيمة
كثيرة دالة على القدرة القاهرة والحكمة الباهرة والرحمة الواسعة المقتضية لاختصاص الالوهية به سبحانه لقوم يعقلون اي يتفكرون
فيها وينظرون اليها بعيون العقول وفيه تعريض بجهل المشركين الذين اقترحوا على النبي صلى الله عليه وسلم آية تصدقه في قوله تع والهكم اله
واحد وتسجيل عليهم بسخافة العقول والا فمن تأمل في تلك الآيات وجد كلا منها ناطقة بوجوده تع ووحدانيته وسائر صفاته الكمالية
الموجبة لتخصيص العبادة به تع واستغنى بها عن سائرها فان كل واحد من الامور المعدودة قد وجد على وجه خاص من الوجوه الممكنة
دون ما عداه مستتبعا لآثار معينة واحكام مخصوصة من غير ان تقتضي ذاته وجوده فضلا عن وجوده على نمط معين مستتبع لحكم مستقل
فاذن لابد له حتما من موجد قادر حكيم يوجده حسبما تقتضيه حكمته وتستدعيه مشيته متعال عن معارضة الغير اذ لو كان معه آخر يقدر على ما
يقدر عليه لزم اما اجتماع المؤثرين على اثر واحد او التمانع المؤدي فساد العالم ومن الناس من يتخذ من دون الله بيان لكمال ركاكة
آراء المشركين اثر تقرير وحدانيته سبحانه وتحرير الآيات الباهرة الملجئة للعقلاء الى الاعتراف بها القاضية باستحالة ان يشاركه شيء
من الموجودات في صفة من صفات الكمال فضلا عن المشاركة في صفة الالوهية والكلام في اعرابه كما فصل في قوله تع ومن الناس من
يقول آمنا بالله وباليوم الآخر الخ ومن دون الله متعلق بيتخذ اي من الناس من يتخذ من دون ذلك الاله الواحد الذي ذكرت شؤونه
الجليلة وايثار الاسم الجليل لتعيينه تع بالذات غب تعيينه بالصفات اندادا اي امثالا وهي رؤساؤهم الذين يتبعونهم فيما
يأتون وما يذرون لا سيما في الاوامر والنواهي كما يفصح عنه ما سيأتي من وصفهم بالتبرؤ من المتبعين وقيل هي الاصنام وارجاع
ضمير العقلاء اليها في قوله عز وعلا يحبونهم مبني على آرائهم الباطلة في شأنها من وصفهم بما لا يوصف به الا العقلاء والمحبة ميل القلب
من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها والفعل منه حببت على حد قد لكن الاستعمال المستفيض على احب
حبا ومحبة فهو محب وذاك محبوب ومحب قليل وحاب اقل منه ومحبة العبد لله سبحانه ارادة طاعته في اوامره ونواهيه والاعتناء
بتحصيل مراضيه ومعنى يحبونهم يطيعونهم ويعظمونهم والجملة في حيز النصب اما صفة لانداد او حالا من فاعل يتخذ وجمع الضمير باعتبار
معنى من كما ان افراده باعتبار لفظها كحب الله مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر مؤكد للفعل السابق ومن قضيته كونه مبنيا للفاعل
كونه ايضا كذلك والظاهر اتحاد فاعلهما فانهم كانوا يقرون به تع ايضا ويتقربون اليه فالمعنى يحبونهم حبا كائنا كحبهم لله تع اي
يسوون بينه تع وبينهم في الطاعة والتعظيم وقيل فاعل الحب المذكور هم المؤمنون فالمعنى حبا كائنا كحب المؤمنين له تع فلا بد من
اعتبار المشابهة بينهما في اصل الحب لا في وصفه كما او كيفا لما سيأتي من التفاوت البين وقيل هو مصدر من المبني للمفعول اي كما يحب الله تع
ويعظم وانما استغني عن ذكر من يحبه لانه غير ملبس وانت خبير بانه لا مشابهة بين محبتهم لاندادهم وبين محبوبيته تع فالمصير ح الى ما
اسلفناه في تفسير قوله عز قائلا كما سئل موسى من قبل واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار لتربية المهابة وتفخيم المضاف وابانة
كمال قبح ما ارتكبوه والذين آمنوا اشد حبا لله جملة مبتدأة جيء بها توطئة لما يعقبها من بيان رخاوة حبهم وكونه حسرة عليهم والمفضل
عليه محذوف اي المؤمنون اشد حبا له تع منهم لاندادهم ومآله ان حب اولئك له تع اشد من حب هؤلاء لاندادهم وفيه من الدلالة

من الدلالة على كون الحب مصدرا من المبني للفاعل ما لا يخفى وانما لم يجعل المفضل عليه حبهم لله تعالى لما ان المقصود بيان انقطاعه وانقلابه بغضا وذلك
انما يتصور في حبهم لاندادهم لكونه منوطا بمبان فاسدة ومباد موهومة يزول بزوال العلل ولذلك كانوا يعدلون عنها عند الشدائد الى الله
سبحانه وكانوا يعبدون صنما زمانا فاذا وجدوا آخر رفضوه اليه وقد اكلت باهلة الهها عام المجاعة وكان من حيس وانت خبير بان مدار
ذلك اعتبار اختلال حبهم لها في الدنيا وليس الكلام فيه بل في انقطاعه في الآخرة عند ظهور حقيقة الحال ومعاينة الاهوال كما سيأتي بل
اعتباره مخل بما يقتضيه مقام المبالغة في بيان كمال قبح الاضمار لتفخيم الحب والاشعار بعلته ولو يرى الذين ظلموا اي باتخاذ الانداد
ووضعها موضع المعبود اذ يرون العذاب المعد لهم يوم القيمة اي لو علموا اذا عاينوه وانما اوثر صيغة المستقبل لجريانها مجرى الماضي في
الدلالة على التحقق في اخبار علام الغيوب ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى وان الله شديد العذاب عطف عليه وفائدته
المبالغة في تهويل الخطب وتفظيع الامر فان اختصاص القوة به تع لا يوجب شدة العذاب لجواز تركه عفوا مع القدرة عليه وجواب لو محذوف
للايذان بخروجه عن دائرة البيان اما لعدم الاحاطة بكنهه واما لضيق العبارة عنه واما لايجاب ذكره ما لا يستطيعه المعبر او المستمع
من الضجر والتفجع عليه اي لو علموا اذ رأوا العذاب قد حل بهم ولم ينقذهم منه احد من اندادهم ان القوة لله تع جميعا ولا دخل لاحد في شيء
اصلا لوقعوا من الحسرة والندم فيما لا يكاد يوصف وقرئ ولو ترى بالتاء الفوقانية على ان الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
او لكل احد ممن يصلح للخطاب فالجواب ح لرأيت امرا لا يوصف من الهول والفظاعة وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول وان الله شديد
العذاب على الاستيناف او اضمار القول اذ تبرأ الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اي تبرأ الرؤساء من الذين اتبعوا من الاتباع
بان اعترفوا ببطلان ما كانوا يدعونه في الدنيا ويدعونهم اليه من فنون الكفر والضلال واعتزلوا عن مخالطتهم وقابلوهم باللعن
كقول ابليس اني كفرت بما اشركتمون من قبل وقرئ بالعكس اي تبرأ الاتباع من الرؤساء والواو في قوله عز وجل ورأوا العذاب
حالية وقد مضمرة وقيل عاطفة على تبرأ والضمير في رأوا للموصولين جميعا وتقطعت بهم الاسباب والوصل التي كانت بينهم من
التبعية والمتبوعية والاتفاق على الملة الزائغة والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر ونحوه والجملة
معطوفة على تبرأ وتوسيط الحال بينهما للتنبيه على علة التبري وقد جوز عطفها على الجملة الحالية وقال الذين اتبعوا حين عاينوا
تبرؤ الرؤساء منهم وندموا على ما فعلوا من اتباعهم لهم في الدنيا لو ان لنا كرة اي ليت لنا رجعة الى الدنيا فنتبرأ منهم
هناك كما تبرؤوا منا اليوم كذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده لا الى شيء آخر مفهوم مما سبق وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته مع كمال تميزه عما عداه وانتظامه في سلك الامور المشاهدة والكاف مقحم لتأكيد ما افاده اسم
الاشارة من الفخامة ومحله النصب على المصدرية اي ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم اي ندامات شديدة
فان الحسرة شدة الندم والتحسر وهي تألم القلب وانحساره عما يؤلمه واشتقاقها من قولهم بعير حسير اي منقطع القوة وهي ثالث مفاعيل
يرى ان كان من رؤية القلب والا فهي حال والمعنى ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم وما هم بخارجين
من النار كلام مستأنف لبيان حالهم بعد دخولهم النار والآل وما يخرجون والعدول الى الاسمية لافادة دوام نفي الخروج والضمير
للدلالة على قوة امرهم فيما اسند اليهم كما في قوله هم يفرشون اللبد كل طمرة واجرد سباق يبذ المغاليا يا ايها الناس كلوا
مما في الارض اي بعض ما فيها من اصناف الماكولات التي من جملتها ما حرمتموه افتراء على الله من الحرث والانعام قال ابن عباس رض
نزلت في قوم من ثقيف وبني عامر بن صعصعة وخزاعة وبني مدلج حرموا على انفسهم ما حرموا من الحرث والبحائر والسوائب والوصائل
والحام وقوله تع حلالا حال من الموصول اي كلوه حال كونه حلالا او مفعول لكلوا على ان من ابتدائية وقد جوز كونه صفة لمصدر مؤكد
اي اكلا حلالا ويؤيده الا ان قوله تع طيبا فانه صفة له ووصف الاكل به غير معتاد وقيل نزلت في قوم من المؤمنين حرموا على
انفسهم رفيع الاطعمة والملابس ويرده قوله عز وجل ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تقتدوا بها في اتباع الهوى فانه صريح في ان الخطاب
للكفرة كيف لا وتحريم الحلال على نفسه تزهدا ليس من باب اتباع خطوات الشيطان فضلا عن كونه تقولا وافتراء على الله تع وانما الذي

الذي نزل فيهم ما في سورة المائدة من قوله تع يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الآية وقرئ خطوات بسكون الطاء وهما لغتان
في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كأنها على الواو وبفتحتين على انها جمع خطوة وهي المرة من
الخطو **إنه لكم عدو مبين** تعليل للنهي اي ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الولاية لمن يغويه ولذلك سماه وليا في قوله تع
اولياؤهم الطاغوت **إنما يأمركم بالسوء والفحشاء** استيناف لبيان كيفية عداوته وتفصيل لفنون شره وافساده وانحصار معاملته
معهم في ذلك والسوء في الاصل مصدر ساءه يسوءه سوءا ومساءة اذا احزنه يطلق على جميع المعاصي سواء كانت من اعمال الجوارح او افعال
القلوب لاشتراك كلها في انها تسوء صاحبها والفحشاء اقبح انواعها واعظمها مساءة **وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون** عطف
على الفحشاء اي وبأن تفتروا على الله تع بانه حرم هذا وذاك ومعنى ما لا تعلمون ما لا تعلمون ان الله تعالى امر به وتعليق امره
بتقولهم على الله ما لا يعلمون وقوعه منه تع لا بتقولهم عليه ما لا يعلمون عدم وقوعه منه تع مع ان حالهم ذلك للمبالغة في الزجر
فان التحذير من الاول مع كونه في القبح والشناعة دون الثاني تحذير عن الثاني على ابلغ وجه وآكده وللايذان بان العاقل
تجب عليه ان لا يقول على الله ما لا يعلم وقوعه منه تع مع الاحتمال فضلا عن ان يقول عليه ما يعلم عدم وقوعه منه قالوا وفيه
دليل على المنع من اتباع الظن رأسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظنه مستندا الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه
وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله التفات الى الغيبة تسجيلا بكمال ضلالهم وايذانا بايجاب تعداد ما ذكر من جناياتهم لصرف
الخطاب عنهم وتوجيهه الى العقلاء لتفصيل مساوي احوالهم على نهج المباثة اي اذا قيل لهم على وجه النصيحة والارشاد اتبعوا كتاب الله
الذي انزله **قالوا** لا نتبعه **بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا** اي وجدناهم عليه اما على ان الظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من آبائنا
والفينا متعد الى واحد واما على انه مفعول ثان له مقدم على الاول نزلت في المشركين امروا باتباع القرآن وسائر ما انزل الله تع
من الحجج الظاهرة والبينات الباهرة فجنحوا للتقليد والموصول اما عبارة عما سبق من اتخاذ الانداد وتحريم الطيبات ونحو ذلك واما
باق على عمومه وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا وقيل نزلت في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا
بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم فعلى هذا يعم ما انزل الله تعالى التورية لانها ايضا تدعوا الى الاسلام وقوله
عز وجل **أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون** استيناف مسوق من جهته تع رد لمقالتهم الحمقاء واظهار لبطلان آرائهم
والهمزة لانكار الواقع واستقباحه والتعجب منه لا لانكار الوقوع كالتي في قوله تع اولو كنا كارهين وكلمة لو في امثال هذا المقام ليست
لبيان انتفاء الشيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه بل هي لبيان تحقق ما
يفيده الكلام السابق بالذات او بالواسطة من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها
على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء
متى تحقق مع المنافي القوي فلأن يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة
للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى
ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والامر والنهي كما في قولك فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطي ولو كان غنيا وقولك احسن اليه
ولو اساء اليك ولا تهنه ولو اهانك لبقائه على حاله واما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء ناشئ من ورود الانكار عليه لكن الاصل
في الكل واحد لان كلمة لو في الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو نفس مدلوله
وان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق به وان ما في حيز لو باق على ما هو عليه من الاستبعاد غالبا بخلاف ما نحن فيه لما ان كلمة لو متعلقة فيه
بفعل مقدر يقتضيه المذكور وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال مدلوله لا مدلول المذكور من حيث هو مدلوله وان الجملة حال مما يتعلق به
لا مما يتعلق بالمذكور من حيث هو متعلق به وان المقصود الاصلي انكار مدلوله باعتبار مقارنته للحالة المذكورة واما تقدير مقارنته
لغيرها فلتوسيع الدائرة وان ما في حيز لو لا يقصد استبعاده في نفسه بل يقصد الاشعار بانه امر محقق الا انه اخرج مخرج الاستبعاد
معاملة

معاملة مع المخاطبين على معتقدهم لئلا يلبسوا من التحرج بنسبة آبائهم الى كمال الجهالة والضلالة جلد النمر فيركبوا متن العناد ومبالغة في الانكار
من جهة ان اتباعهم لآبائهم حيث كان منكرا مستقبحا عند احتمال كون آبائهم كما ذكر احتمالا بعيدا فلأن يكون منكرا عند تحقق ذلك اولى والتقدير
ايتبعونهم لو لم يكن آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا كذلك فالجملة في حيز النصب على الحالية من آبائهم على
جاهلين ضالين فلأن يتحقق مع كونهم عاقلين ومهتدين اولى ان قلت الانكار المستفاد من الاستفهام الانكاري بمنزلة النفي ولا ريب في
ان الاولوية في صورة النفي معتبرة بالنسبة الى النفي الا يرى ان الاولى بالتحقق فيما ذكر من مثال النفي عند الحالة المسكوت عنها اعني عدم
الغنى هو عدم الاعطاء لا نفسه فكان ينبغي ان يكون الاولى بالتحقق فيما نحن فيه عند الحالة المسكوت عنها وهي حالة كون آبائهم عاقلين
ومهتدين انكار الاتباع لا نفسه اذ هو الذي يدل عليه ايتبعون الخ فلم اختلف الحال بينهما قلت لما ان مناط الاولوية هو الحكم الذي اريد بيان
تحققه على كل حال وذلك في مثال النفي عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفي المذكور واما فيما نحن فيه فهو نفس الاتباع المستفاد من الفعل المقدر
اذ هو الذي يقتضيه الكلام السابق اعني قولهم بل نتبع الخ واما الاستفهام فخارج وارد عليه لافادة انكاره واستقباح ما يقتضيه لانه من اتمامه
كما في صورة النفي وكذا الحال فيما اذا كانت الهمزة لانكار الوقوع ونفيه مع كونه بمنزلة صريح النفي كما سيأتي تحقيقه في قوله تع اولو كنا
كارهين وقيل الواو حالية ولكن التحقيق ان المعنى يدور على معنى العطف في سائر اللغات ايضا **ومثل الذين كفروا** جملة ابتدائية واردة
لتقرير ما قبلها بطريق التصوير وفيها مضاف قد حذف لدلالة ما قبل عليه ووضع الموصول موضع الضمير الراجع الى ما يرجع اليه الضمائر السابقة
لذمهم بما في حيز الصلة وللاشعار بعلية ما اثبت لهم من الحكم والتقدير مثل ذلك القائل وحالته الحقيقية لغرابتها بان تسمى مثلا وتسير في
الآفاق فيما ذكر من دعوته اياهم الى اتباع الحق وعدم رفعهم اليه رأسا وانهماكهم في التقليد واخلادهم الى ما هم عليه من الضلالة وعدم فهمهم
من جهة الداعي الا الدعاء من غير ان يلقوا اذهانهم الى ما يلقى عليهم **كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء** من البهائم فانها لا تسمع الا صوت
الداعي وهتفه بها من غير فهم لكلامه اصلا وقيل انما حذف المضاف من الموصول الثاني لدلالة كلمة ما عليه فانها عبارة عنه مسبوقة مع ما في
حيز الصلة بما هو مدار التمثيل اي مثل الذين كفروا فيما ذكر من انهماكهم فيما هم فيه وعدم التدبر فيما القي اليهم من الآيات كمثل بهائم الذي
ينعق بها وهي لا تسمع الا جرس النغمة ودوي الصوت وقيل المراد تمثيلهم في اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم
التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته وقيل تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو تصويته على البهائم وهذا غني عن الاضمار
لكن لا يساعده قوله الا دعاء ونداء فان الاصنام بمعزل من ذلك وقد عرفت ان حسن التمثيل فيما بينا به افراد الطرفين **صم بكم عمي**
بالرفع على الذم اي هم صم الخ **فهم لا يعقلون** شيئا لان طريق التعقل هو التدبر في مبادي الامور المعقولة والتأمل في ترتيبها وذلك انما
يحصل باستماع آيات الله ومشاهدة حججه الواضحة والمفاوضة مع من يؤخذ منه العلوم فاذا كانوا صما بكما عميا فقد انسد عليهم ابواب التعقل
وطرق الفهم بالكلية **يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم** اي من مستلذاته **واشكروا لله** الذي رزقكموها والالتفات لتربية
المهابة **إن كنتم إياه تعبدون** فان عبادته تع لا تتم الا بالشكر له وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل اني والانس والجن في
نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري **إنما حرم عليكم الميتة** اي اكلها والانتفاع بها وهي التي ماتت على غير ذكوة والسمك
والجراد خارجان عنها بالعرف او استثناء الشرع خروج الطحال من الدم **والدم ولحم الخنزير** انما خص لحمه مع ان سائر اجزائه ايضا في حكمه لانه
معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر اجزائه بمنزلة التابع **وما أهل به لغير الله** اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال
لكن لما جرت العادة برفع الصوت بالتكبير عندها سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره **فمن اضطر غير باغ** بالاستئثار
على مضطر آخر **ولا عاد** سد الرمق والجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق وعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي
وقول احمد رحمهما الله تعالى **فلا إثم عليه** في تناوله **إن الله غفور** لما فعل **رحيم** بالرخصة ان قيل كلمة انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام
لم يذكر قلنا المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حالة الاختيار كأنه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا

قوله تع ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا
كأنه قيل ايتبعون دين آبائهم حال كونهم [illegible]
عاقلين وجاهلين ضالين كانت [illegible] الحالتين
كلا منهم في الاتباع على اي حالة كانت على انها هي
غير انه النفي بذكر الحالة الثانية بينهما للدلالة
الواقعة في نفس الامر وتعويلا على اقتضائها
الاولى وتضمنه بينا فان اتباعهم الذي يعلق به
الانكار حين تحقق مع كون آبائهم

اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب المشتمل على فنون الاحكام التي من جملتها احكام المحللات والمحرمات حسبما ذكر آنفا وقال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في رؤساء اليهود حين كتموا نعت النبي صلى الله عليه وسلم ويشترون به اي يأخذون بدلا ثمنا قليلا عوضا حقيرا وقد مر سر التعبير عن ذلك بالثمن الذي هو وسيلة في عقود المعاوضة وقوله تع اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الوصفين الشنيعين المميزين لهم عمن عداهم اكمل تمييز الجاعلين اياهم بحيث كأنهم حضار مشاهدون على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية بعد منزلتهم في الشر والفساد وهو مبتدأ خبره قوله تع ما يأكلون في بطونهم الا النار والجملة خبر لأن او اسم الاشارة مبتدأ ثان او بدل من الاول والخبر ما يأكلون الخ ومعنى اكلهم النار انهم يأكلون في الحال ما يستتبع النار ويستلزمها فكأنه عين النار واكله اكلها كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر او يأكلون في المآل يوم القيمة عين النار عقوبة على اكلهم الرشى في الدنيا وفي بطونهم متعلق بيأكلون وفائدته تأكيد الاكل وتقرير ببيان مقر المأكول وقيل معناه ملء بطونهم كما في قولهم اكل في بطنه واكل في بعض بطنه ومنه كلوا في بعض بطنكم تعفوا فلا بد من الالتجاء الى تعليقه بمحذوف وقع حالا مقدرة من النار مع تقديمه على حرف الاستثناء والا فتعليقه بيأكلون يؤدي الى قصر ما يأكلونه الى الشبع على النار والمقصود قصر ما يأكلونه مطلقا عليها ولا يكلمهم الله يوم القيمة عبارة عن غضبه العظيم عليهم وتعريض بحرمانهم ما اتيح للمؤمنين من فنون الكرامات السنية والزلفى ولا يزكيهم لا يثني عليهم ولهم مع ذكر عذاب اليم مؤلم اولئك اشارة الى ما اشير اليه بنظيره باعتبار المذكور خاصة لا مع ما تلوه من احوالهم الفظيعة اذ لا دخل لها في الحكم الذي يراد بيانه ههنا فان المقصود تصوير ما باشروه من المعاملة بصورة قبيحة تنفر منها الطباع ولا يتعاطاها عاقل اصلا ببيان حقيقة ما نبذوه واظهار ركة ما اخذوه وآثروا فظاعة تبعاته وهو مبتدأ خبره الموصول اي اولئك المشترون بكتاب الله عز وجل ثمنا قليلا ليسوا بمشترين بالثمن وان قل بل هم الذين اشتروا بالنسبة الى الدنيا الضلالة التي ليست مما يمكن ان تشترى قطعا بالهدى الذي ليس من قبيل ما يبذل بمقابلة شيء وان اجل والعذاب اي اشتروا بالنظر الى الآخرة العذاب الذي لا يتوهم كونه مما يشترى بالمغفرة التي يتنافس فيها المتنافسون فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم الهائلة التي هي ملابستهم بما يوجب النار ايجابا قطعيا كأنه عينها وما عند سيبويه نكرة تامة مفيدة لمعنى التعجب مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص شر في شر اهر ذا ناب وخبرها ما بعدها اي شيء عظيم جعلهم صابرين على النار وعند الفراء استفهامية وما بعدها خبرها اي اي شيء اصبرهم على النار وقيل هي موصولة وقيل موصوفة بما بعدها والخبر محذوف اي الذي اصبرهم على النار او شيء اصبرهم على النار امر عجيب فظيع ذلك العذاب بان الله نزل الكتاب اي جنس الكتاب بالحق اي ملتبسا به فلا جرم يكون من يرفضه بالتكذيب والكتمان ويرتكب متن الجهل والغواية مبتلى بمثل هذا من افانين العذاب وان الذين اختلفوا في الكتاب اي في جنس الكتاب الالهي بان آمنوا ببعض كتب الله تعالى وكفروا ببعضها او في التورية بان آمنوا ببعض آياتها وكفروا ببعض كالآيات المغيرة المشتملة على امر بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ونعوته الكريمة فمعنى الاختلاف التخلف عن الطريق الحق او الاختلاف في تأويلها او في القرآن بان قال بعضهم انه سحر وبعضهم انه شعر وبعضهم اساطير كما حكي عن المفترين لفي شقاق بعيد عن الحق والصواب مستوجب لأشد العذاب ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر اسم جامع لكل مرضي الخصال والخطاب لأهل الكتابين فانهم كانوا اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت الى الكعبة وكان كل فريق يدعي خيرية التوجه الى قبلته من القطرين المذكورين وتقديم المشرق على المغرب مع تأخر زمان الملة النصرانية اما لرعاية ما بينهما من الترتيب المتفرع على ترتيب الشروق والغروب واما لأن توجه اليهود الى المغرب ليس لكونه مغربا بل لكون بيت المقدس من المدينة المنورة واقعا في جانب الغرب فقيل لهم ليس البر ما ذكرتم من التوجه الى تينك الجهتين على ان البر خبر ليس مقدما على اسمها كما في قوله سلي ان جهلت الناس عني وعنهم فليس سواء عالم وجهول وقوله اليس عظيما ان تلم ملمة وليس علينا في الخطوب معول وانما اختير ذلك لما ان المصدر المؤول اعرف من المحلي باللام لانه يشبه الضمير من حيث انه لا يوصف ولا يوصف به والاعرف احق بالاسمية ولأن في الاسم طولا فلو روعي الترتيب المعهود لفات تجاوب اطراف النظم الكريم وقرئ برفع البر على انه اسمها وهو اقوى بحسب المعنى لأن كل فريق يدعي ان البر

ان البر هذا فيجب ان يكون الرد موافقا لدعواهم وما ذلك الا بكون البر اسما كما يفصح عنه جعله مخبرا في الاستدراك بقوله عز وجل ولكن البر من آمن بالله وهو تحقيق بعد بيان بطلان الباطل وتفصيل لخصال البر مما لا يختلف باختلاف الشرائع وما يختلف باختلافها اي ولكن البر المعهود الذي يحق ان يهتم بشأنه ويجد في تحصيله بر من آمن بالله وحده ايمانا بريئا من شائبة الاشراك لا كايمان اليهود والنصارى المشركين بقولهم عزير ابن الله وقولهم المسيح ابن الله واليوم الآخر اي على ما هو عليه لا كما يزعمون من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وآباءهم الانبياء يشفعون لهم ففيه تعريض بان ايمان اهل الكتابين حيث لم يكن كما ذكر من الوجه الصحيح لم يكن ايمانا وفي تعليق البر بهما من اول الامر عقيب نفيه عن التوجه الى المشرق والمغرب من الجزالة ما لا يخفى كأنه قيل ولكن البر هو التوجه الى المبدأ والمعاد اللذين هما المشرق والمغرب في الحقيقة والملائكة اي وآمن بهم وبانهم عباد مكرمون متوسطون بينه تعالى وبين انبيائه بالقاء الوحي وانزال الكتب والكتاب اي بجنس الكتاب الذي افراده الفرقان الذي ينبذونه وراء ظهورهم وفيه تعريض بكتمانهم نعوت النبي عليه السلام واشترائهم بما انزل الله تعالى ثمنا قليلا والنبيين جميعا من غير تفرقة بين احد منهم كما فعل اهل الكتابين ووجه توسيط الكتاب بين حملة الوحي وبين النبيين واضح وسيأتي في قوله تع كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وآتى المال على حبه حال من الضمير في آتى والضمير المجرور للمال اي آتاه كائنا على حب المال كما في قوله صلى الله عليه وسلم حين سئل اي الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح وقول ابن مسعود رضي الله عنه ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل الضمير لله تع اي آتاه كائنا على محبته تعالى لا على قصد الشر والفساد ففيه نوع تعريض لباذلي الرشى وآخذيها لتغيير التورية وقيل للمصدر اي كائنا على حب الايتاء ذوي القربى مفعول اول لآتى قدم عليه مفعوله الثاني اعني المال للاهتمام به او لان في الثاني مع ما عطف عليه طولا لو روعي الترتيب لفات تجاوب الاطراف في الكلام وهو الذي اقتضى تقديم الحال ايضا وقيل هو المفعول الثاني واليتامى اي المحاويج منهم على ما يدل عليه الحال وتقديم ذوي القربى عليهم لما ان ايتاءهم صدقة وصلة والمساكين جمع مسكين وهو الدائم السكون لما ان الخلة اسكنته بحيث لا حراك به او دائم السكون الى الناس وابن السبيل اي المسافر سمي به لملازمته اياه كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف والسائلين الذين الجأتهم الحاجة والضرورة الى السؤال قال عليه السلام اعطوا السائل ولو جاء على فرس وفي الرقاب اي وضعه في فك الرقاب بمعاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في فك الاسارى وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها وايثار ما كان للعدول عن ذكرهم بعنوان مصحح للمالكية كالذين من قبلهم اما للايذان بعدم قرار ملكهم فيما اوتوا كما في الوجهين الاولين وبعدم ثبوته رأسا كما في الوجه الاخير واما للاشعار برسوخهم في الاستحقاق والحاجة لما ان في للظرفية المنبئة عن تمكنهم لاوتي واقام الصلوة اي المفروضة منها وآتى الزكوة اي المفروضة على ان المراد بما مر من ايتاء المال التنفل بالصدقات قدم على الفريضة مبالغة في الحث عليه او المراد بهما المفروضة والاول لبيان المصارف والثاني لبيان وجوب الاداء والموفون بعهدهم عطف على من آمن فانه في قوة ان يقال ومن اوفوا بعهدهم وايثار صيغة الفاعل للدلالة على وجوب استمرار الوفاء والمراد بالعهد ما لا يحرم حلالا ولا يحلل حراما من العهود الجارية فيما بين الناس وقوله تع اذا عاهدوا للايذان بعدم كونه من ضروريات الدين والصابرين نصب على الاختصاص غير سبكه عما قبله تنبيها على فضيلة الصبر ومزيته وهو في الحقيقة معطوف على ما قبله قال ابو علي اذا ذكرت صفات للمدح او الذم فخولف في بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان ويسمى ذلك قطعا لان تغيير المألوف يدل على زيادة ترغيب في استماع المذكور ومزيد اهتمام بشأنه كما في صدر السورة وقد قرئ والصابرون كما قرئ والموفين في البأساء اي في الفقر والشدة والضراء اي المرض والزمانة وحين البأس اي وقت مجاهدة العدو في مواطن الحرب وزيادة الحين للاشعار بوقوعه احيانا وسرعة انقضائه اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالنعوت الجميلة المعدودة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من التنبيه على علو طبقتهم وسمو رتبتهم الذين صدقوا اي في الدين واتباع الحق وتحري البر حيث لم تغيرهم الاحوال ولم تزلزلهم الاهوال واولئك هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل وتكرير

الاشارة لزيادة تنويه شأنهم وتوسيط الضمير للاشارة الى انحصار التقوى فيهم والآية الكريمة كما ترى حاوية لجميع الكمالات البشرية برمتها
تصريحا او تلويحا لما انها مع تكثر فنونها وتشعب شجونها منحصرة في خلال ثلاث صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة مع العباد وتهذيب النفس وقد
اشير الى الاولى بالايمان بما فصل والى الثانية بايتاء المال والى الثالثة باقامة الصلوة الخ ولذلك وصف الحائزون لها بالصدق نظرا
الى ايمانهم واعتقادهم وبالتقوى اعتبارا بمعاشرتهم مع الخلق ومعاملتهم مع الحق واليه يشير قوله صلى الله عليه وسلم من عمل بهذه الآية فقد
استكمل الايمان **يا ايها الذين آمنوا** شروع في بيان بعض الاحكام الشرعية على وجه التلافي لما فرط من المخلين بما ذكر من اصول الدين وقواعده
التي عليها بني اساس المعاش والمعاد **كتب عليكم** اي فرض والزم عند مطالبة صاحب الحق فلا يقدح فيه قدرة الولي على العفو فان الوجوب
انما اعتبر بالنسبة الى الحكام او القاتلين **القصاص في القتلى** اي بسبب قتلهم كما في قوله صلى الله عليه وسلم ان امرأة دخلت النار في هرة
ربطتها اي بسبب ربطها اياها **الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى** كان في الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما
طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فامرهم ان
يتباوؤا وليس فيها دلالة على عدم قتل الحر بالعبد عند الشافعي ايضا لان اعتبار المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص بالذكر وجه سوى اختصاص
الحكم بالمنطوق وقد رأيت الوجه ههنا وانما يتمسك في ذلك هو ومالك رحمهما الله تعالى بما روي علي رضي الله تعالى عنه ان رجلا قتل عبده
فجلده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفاه سنة ولم يقده وبما روي عنه رضي الله عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر
بعبد وبان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وبالقياس على الاطراف وعندنا يقتل
الحر بالعبد لقوله تعالى ان النفس بالنفس فان شريعة من قبلنا اذا قصت علينا من غير دلالة على نسخها فالعمل بها واجب على انها شريعة لنا
ولان القصاص يعتمد المساواة في العصمة وهي بالدين او بالدار وهما سيان فيهما وقرئ كتب على البناء للفاعل ونصب القصاص **فمن**
عفي له من اخيه شيء اي شيء من العفو لان عفا لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو بمنزلة كله في اسقاط القصاص وهو الواقع
ايضا في العادة اذ كثيرا ما يقع العفو من بعض الاولياء فهو شيء من العفو وقيل معنى عفي ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت
عفاه وحمل العفو على المحو كما في قول من قال ديار عفاها جور كل معاند وقوله عفاها كل حنان كثير الوبل هطال ليكون المعنى فمن محي
له من اخيه شيء صرف للعبارة المتداولة في الكتاب والسنة عن معناها المشهور المعهود الى ما ليس بمعهود فيهما وفي استعمال الناس فانهم
لا يستعملون العفو في باب الجنايات الا فيما ذكر من قبل وعفا يعدى بعن الى الجاني والذنب قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا
الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم وايراده بعنوان
الاخوة الثابتة بينهما بحكم كونهما من بني آدم عليه السلام لتحريك سلسلة الرقة والعطف عليه **فاتباع بالمعروف** فالامر اتباع او
فليكن اتباع والمراد وصية العافي بالمسامحة ومطالبة الدية بالمعروف من غير تعنيف وقوله عز وجل **واداء اليه باحسان** حث
للمعفو عنه على ان يؤديها باحسان من غير مماطلة وبخس **ذلك** اي ما ذكر من الحكم **تخفيف من ربكم ورحمة** لما فيه من التسهيل والنفع وقيل
كتب على اليهود القصاص وحده وحرم عليهم العفو والدية وعلى النصارى العفو على الاطلاق وحرم عليهم القصاص والدية وخيرت هذه
الامة بين الثلث تيسيرا عليهم وتنزيلا للحكم على حسب المنازل **فمن اعتدى بعد ذلك** بان قتل غير القاتل بعد ورود هذا الحكم او قتل
القاتل بعد العفو او اخذ الدية **فله** باعتدائه **عذاب اليم** اما في الدنيا فبالاقتصاص بما قتله بغير حق واما في الآخرة فبالنار
ولكم في القصاص حيوة بيان لمحاسن الحكم المذكور على وجه بديع لا تنال غايته حيث جعل الشيء محلا لضده وعرف القصاص ونكر
الحيوة ليدل على ان في هذا الجنس نوعا من الحيوة عظيما لا يبلغه الوصف وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيتسبب لحيوة
نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فيثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون فيكون ذلك سببا
لحيوتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بالحيوة هي الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ به

به في الآخرة والظرفان اما خبران لحيوة او احدهما خبر والآخر صلة له او حال من المستكن فيه وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل
حيوة او في القرآن حيوة للقلوب **يا اولي الالباب** اي ذوي العقول الخالصة عن شوائب الاوهام خوطبوا بذلك بعد ما خوطبوا بعنوان الايمان
تنشيطا لهم الى التأمل في حكمة القصاص **لعلكم تتقون** اي تتقون انفسكم من المساهلة في امره والاهمال في المحافظة عليه والحكم به والاذعان له
او من القصاص فتكفوا عن القتل المؤدي اليه **كتب عليكم** بيان لحكم آخر من الاحكام المذكورة **اذا حضر احدكم الموت** اي حضر اسبابه وظهر
اماراته او دنا منه من الحضور وتقديم المفعول لافادة كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت وروده عليها **ان ترك خيرا** اي مالا وقيل
مالا كثيرا لما روي عن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء
يسير فاتركه لعيالك وعن عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد الوصية وله عيال واربعمائة دينار فقالت ما ارى فيه فضلا واراد
آخر ان يوصي فسألته كم مالك فقال ثلاثة آلاف درهم قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه
لعيالك **الوصية للوالدين والاقربين** مرفوع بكتب اخر عما بينهما لما مر مرارا وايثار تذكير الفعل مع جواز تأنيثه ايضا للفصل
او على تأويل ان يوصي او الايصاء ولذلك ذكر الضمير في قوله تعالى فمن بدله بعد ما سمعه واذا عرف محض والعامل فيه كتب لكن لا من حيث صدور
الكتب عنه بل من حيث تعلقه به تعلقا فعليا لوجوب الاداء كما ينبئ عنه البناء للمفعول وكلمة الايجاب ولا مساغ لجعل العامل الوصية
لتقدمه عليها وقيل هو مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بانه
ان صح فمن ضرورة الشعر ومعنى كتب فرض وكان هذا الحكم في بدء الاسلام ثم نسخ عند نزول آية المواريث بقوله عليه السلام ان الله
قد اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث فانه وان كان من اخبار الآحاد لكن حيث تلقته الامة بالقبول انتظم في سلك المتواتر
في صلاحيته للنسخ عند ائمتنا على ان التحقيق ان الناسخ حقيقة هي آية المواريث واما الحديث فمبين لجهة نسخها ببيان انه تعالى كان قد
كتب عليكم ان تؤدوا الى الوالدين والاقربين حقوقهم بحسب استحقاقهم من غير تبيين لمراتب استحقاقهم ولا تعيين لمقادير انصبائهم
بل فوض ذلك الى آرائكم حيث قال **بالمعروف** اي بالعدل فالآن قد رفع ذلك الحكم عنكم وتولى تبيين طبقات استحقاق كل واحد منهم
وتعيين مقادير حقوقهم بالذات واعطى كل ذي حق منهم حقه الذي يستحقه بحكم القرابة من غير نقص ولا زيادة ولم يدع ثمة
شيئا فيه مدخل لرأيكم اصلا حسبما يعرب عنه الجملة المنفية بلا النافية للجنس وتصديرها بكلمة التنبيه اذا تحققت هذا ظهر لك ان
ما قيل من ان آية المواريث لا تعارضه بل تحققه وتؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الآحاد وتلقي
الامة اياها بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله عز وجل من توريث الوالدين والاقربين
بقوله تعالى يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى الله تعالى عليهم بمعزل من التحقيق وكذا ما قيل من ان الوصية للوارث كانت
واجبة بهذه الآية من غير تعيين لانصبائهم فلما نزلت آية المواريث بيانا للانصباء بلفظ الايصاء فهم منها بتنبيه النبي صلى الله عليه وسلم
ان المراد منه هذه الوصية التي كانت واجبة كانه قيل ان الله تعالى اوصى بنفسه تلك الوصية ولم يفوضها اليكم فقام الميراث مقام
الوصية فكان هذا معنى النسخ لا ان فيها دلالة على رفع ذلك الحكم فان مدلول الآية الوصية حيث كان تفويضا للامر الى آراء المكلفين
على الاطلاق وتسنى لهم الخروج عن عهدة التكليف باداء ما ادى اليه آراؤهم بالمعروف فيكون آية المواريث الناطقة بمراتب الاستحقاق
وتفاصيل مقادير الحقوق القاطعة بامتناع الزيادة والنقص بقوله تعالى فريضة من الله ناسخة لها رافعة لحكمها مما لا يشتبه على احد وقوله
تعالى **حقا على المتقين** مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا **فمن بدله** اي غيره من الاوصياء والشهود **بعد ما سمعه** اي بعد ما وصل اليه
وتحقق لديه **فانما اثمه** اي اثم الايصاء المغير او اثم التبديل **على الذين يبدلونه** لانهم خانوا وخالفوا حكم الشرع ووضع الموصول في
موضع الضمير الراجع الى من لتأكيد الايذان بعلية ما في حيز الصلة الاولى وايثار الجمع للاشعار بتعدد المبدلين انواعا او كثرتهم
افرادا والايذان بشمول الاثم لجميع الافراد **ان الله سميع عليم** وعيد شديد للمبدلين **فمن خاف من موص** اي توقع وعلم من قولهم خاف

ان يرسل السماء وقرئ من موصٍّ **جنفاً** اي ميلاً بالخطأ في الوصية **أو إثماً** اي تعمداً للحيف **فأصلح بينهم** اي بين الموصى لهم باجرائهم على منهاج الشريعة **فلا إثم عليه** اي في هذا التبديل لأنه تبديل باطل الى حق بخلاف الأول **إن الله غفور رحيم** وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الإثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام** بيان لحكم من الأحكام الشرعية وتكرير النداء لاظهار مزيد الاعتناء به والصيام في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس ومنه قوله تع اني نذرت للرحمن صوماً فلن اكلم الآية وقيل هو الامساك عن الشيء مطلقاً ومنه صامت الريح اي امسكت عن الهبوب والفرس اي امسكت عن العدو قال خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وخيل تعلك اللجما وفي الشريعة هو الامساك نهاراً مع النية عن المفطرات المعهودة التي هي معظم ما تشتهيه الأنفس **كما كتب** في حيز النصب على انه نعت للمصدر المؤكد اي كتاباً كائناً كما كتب او على انه حال من المصدر المعرفة اي كتب عليكم الصيام الكتب مشبهاً بما كتب فما على الوجهين مصدرية او على انه نعت لمصدر من لفظ الصيام اي صوماً مماثلاً للصوم المكتوب على من قبلكم فما موصولة او على انه حال من الصيام اي حال كونه مماثلاً كما كتب **على الذين من قبلكم** من الانبياء عليهم السلام والأمم من لدن آدم عليه السلام وفيه تأكيد للحكم وترغيب فيه وتطييب لأنفس المخاطبين به فان الشاق اذا عم سهل عمله والمراد بالمماثلة اما المماثلة في اصل الوجوب واما في الوقت والمقدار كما يروى ان صوم رمضان كان مكتوباً على اليهود والنصارى اما اليهود فقد تركته وصامت يوماً من السنة زعموا انه يوم غرق فرعون وكذبوا في ذلك فانه كان يوم عاشوراء واما النصارى فانهم صاموا رمضان حتى صادفوا حراً شديداً فاجتمع آراء علمائهم على تعيين فصل واحد بين الصيف والشتاء فجعلوه في الربيع وزادوا عليه عشر ايام كفارة لما صنعوا فصار اربعين ثم مرض ملكهم او وقع فيهم موتان فزادوا عشرة ايام فصار خمسين **لعلكم تتقون** اي المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة الداعية اليها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او تتقون الاخلال بادائه لأصالته او تصلون بذلك الى رتبة التقوى **أياماً معدودات** موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عداً والكثير يهال هيلاً والمراد بها اما رمضان او ما وجب في بدء الاسلام ثم نسخ به من صوم عاشوراء وثلثة ايام من كل شهر وانتصابه ليس بالصيام كما قيل لوقوع الفصل بينهما بأجنبي بل بمضمر دل هو عليه اعني صوموا اما على الظرفية او المفعولية المتفرعة عليها اتساعاً **فمن كان منكم مريضاً** اي مرضاً يضره الصوم او يعسر معه **او على سفر** مستمر عليه وفيه تلويح ورمز الى ان من سافر في اثناء اليوم لم يفطر **فعدة** اي فعليه صوم عدة ايام المرض والسفر **من ايام أخر** ان افطر فحذف الشرط والمضاف ثقة بالظهور وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة رضي الله عنه **وعلى الذين يطيقونه** اي وعلى المطيقين للصيام ان افطروا **فدية** اي اعطاء فدية وهي **طعام مسكين** وهو نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق ومد عند اهل الحجاز وكان ذلك في بدء الاسلام لأنه قد فرض عليهم الصوم وما كانوا متعودين له فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه ويتطوقونه ويطوقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تدير المكان وما بها ديار وفيه وجهان احدهما نحو معنى يطيقونه والثاني يتكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسرهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو على هذا الوجه غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم **فمن تطوع خيراً** فزاد في الفدية **فهو** اي التطوع او الخير الذي تطوعه **خير له وأن تصوموا** ايها المطيقون او المطوقون وتحملوا على انفسكم وتجهدوا طاقتكم او المرخصون في الافطار من المرضى والمسافرين **خير لكم** من الفدية او من تطوع الخير او منهما او من التأخير الى الايام أخر والالتفات الى الخطاب للتنشيط **ان كنتم تعلمون** اي ما في صومكم مع تحقق المبيح للافطار من الفضيلة والجواب محذوف ثقة بظهوره اي اخترتموه او سارعتم اليه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبير علمتم ان الصوم خير من ذلك **شهر رمضان** مبتدأ سيأتي خبره او خبر لمبتدأ محذوف اي ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اي صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول تصوموا او بدل من اياماً معدودات ورمضان مصدر رمض اي احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علماً ومنع

من الصرف للتعريف والألف والنون كما قيل ابن داية للغراب فقوله عليه السلام من صام رمضان الحديث وارد على حذف المضاف لأمن الالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم فيه من الجوع والعطش او لارتماض الذنوب بالصيام فيه او لوقوعه في ايام رمض الحر عند نقل اسماء الشهور عن اللغة القديمة **الذي أنزل فيه القرآن** خبر للمبتدأ على الوجه الأول وصفة لشهر رمضان على الوجوه الباقية ومعنى انزاله فيه انه ابتداء انزاله فيه وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى السماء الدنيا ثم نزل منجماً الى الارض حسبما تقتضيه المشية الربانية او انزل في شأنه القرآن وقوله عز وجل كتب عليكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين منه والانجيل لثلث عشرة والقرآن لأربع وعشرين **هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** حالان من القرآن اي انزل حال كونه هداية للناس بما فيه من الاعجاز وغيره وآيات واضحة مرشدة الى الحق فارقة بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والأحكام **فمن شهد منكم الشهر** اي حضر فيه ولم يكن مسافراً ووضع الظاهر موضع الضمير للتعظيم والمبالغة في البيان والفاء للتفريع والترتيب لتضمن المبتدأ معنى الشرط او زائدة على تقدير كون شهر رمضان مبتدأ والموصول صفته وهذه الجملة خبره وقيل هي جزائية كأنه قيل لما كتب عليكم الصيام في ذلك الشهر فمن حضر فيه **فليصمه** اي فليصم فيه بحذف الجار وايصال الفعل الى المجرور اتساعاً وقيل من شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي صلوتها فيكون ما بعده مخصصاً له كأنه قيل **ومن كان مريضاً** حاضراً فيه مقيماً **او على سفر** وان كان صحيحاً **فعدة من ايام أخر** اي فعليه صيام ايام أخر لأن المريض والمسافر ممن شهد الشهر ولعل التكرير لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه **يريد الله** بهذا الترخيص **بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** لغاية رأفته وسعة رحمته **ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون** علل لفعل محذوف يدل عليه ما سبق اي ولهذه الأمور شرع ما مر من امر الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعاة عدة ما افطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله تع لتكملوا علة الأمر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وتعدية فعل التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد كأنه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ويجوز ان يكون معطوفاً على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا الخ ويجوز عطفها على اليسر اي يريد بكم لتكملوا الخ كقوله تع يريدون ليطفئوا الخ والمعنى بالتكبير تعظيمه تعالى بالحمد والثناء عليه وقيل تكبير يوم العيد وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدرية والموصولة اي على هدايته اياكم او على الذي هداكم اليه وقرئ ولتكملوا بالتشديد **واذا سألك عبادي عني** في تلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى من تشريفه ورفع محله **فاني قريب** اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه روي ان اعرابياً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت **أجيب دعوة الداع اذا دعان** تقرير للقرب وتحقيق له ووعد للداعي بالاجابة **فليستجيبوا لي** اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم **وليؤمنوا بي** امر بالثبات على ما هم عليه **لعلهم يرشدون** راجين اصابة الرشد اي الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها ولما امرهم الله تع بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الكريمة الدالة على انه تع خبير باحوالهم سميع باقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تأكيداً له وحثاً عليه ثم شرع في بيان احكام الصيام فقال **أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم** روي ان المسلمين كانوا اذا امسوا حل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء الاخيرة او يرقدوا ثم ان عمر رضي الله عنه باشر بعد العشاء فندم واتى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال فاعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صائماً والرفث كناية عن الجماع لأنه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى لتضمنه معنى الافضاء والانهاء وايثاره ههنا لاستقباح ما ارتكبوه ولذلك سمي خيانة وقرئ الرفوث وتقديم الظرف على القائم مقام الفاعل لما مر مراراً من التشويق فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة اليه فيتمكن عند وروده فضل تمكن **هن لباس لكم وانتم لباس لهن** استيناف يبين سبب الاحلال وهو صعوبة الصبر عنهن

مع شدة المخالطة وكثرة الملابسة بينهن وجعل كل من الرجال والمرأة لباسا للآخر لاعتناقهما واشتمال كل منهما على الآخر بالليل قال اذا ما
الضجيع ثنى عطفها تثنت وكانت عليه لباسا او لان كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم استيناف
آخر مبين لما ذكر من السبب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب ومعنى تختانون تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من
الثواب فتاب عليكم عطف على علم اي تاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم اي محا اثره عنكم فالآن لما نسخ التحريم باشروهن
المباشرة الزاق البشرة بالبشرة كني بها عن الجماع الذي يستلزمها وفيه دليل على جواز نسخ الكتاب للسنة وابتغوا ما كتب الله لكم اي
واطلبوا ما قدره الله لكم وقرره في اللوح من الولد وفيه ان المباشرة ينبغي ان يكون غرضه الولد فان الحكمة في خلق الشهوة وشرع النكاح القضاء
الشهوة وقيل فيه نهي عن العزل وقيل عن غير المأتي والتقدير وابتغوا المحل الذي كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط
الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غلس الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط
الابيض بقوله تع من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض فان ما
يبدو بعض الفجر وما روي من انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين ابيض واسود وطفقوا يأكلون ويشربون حتى يتبينا لهم
فنزلت فلعل ذلك كان قبل دخول رمضان وتأخير البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفى اولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على
بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح دلالة على جواز تأخير الغسل اليه وصحة صوم من اصبح جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل بيان آخر وقته
ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد اي معتكفون فيها والمراد بالمباشرة الجماع وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى
امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد غير مختص ببعض دون بعض وان الوطي فيه حرام
ومفسد له لان النهي في العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله اي الاحكام المذكورة حدود وضعها الله تع لعباده فلا تقربوها فضلا عن ان
تتجاوزها نهى ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل مبالغة في النهي عن تخطيها كما قال صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه
فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه ويجوز ان يراد بحدود الله تعالى محارمه ومناهيه كذلك اي مثل ذلك التبيين البليغ يبين الله آياته
الدالة على الاحكام التي شرعها للناس لعلهم يتقون مخالفة اوامره ونواهيه ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل نهي عن اكل بعضهم اموال
بعض على خلاف حكم الله عز وجل بعد النهي عن اكل اموال انفسهم في نهار رمضان اي لا يأكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله تعالى
وبين نصب على الظرفية او الحالية من اموالكم وتدلوا بها الى الحكام عطف على المنهي عنه او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء اي ولا تلقوا
حكومتها الى الحكام لتأكلوا بالتحاكم اليهم فريقا من اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الفاجرة او ملتبسين بالاثم
وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعاصي مع العلم بها اقبح روي ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة ارض ولم
يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ عليه عليه السلام ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم
ثمنا قليلا الآية فارتدع عن اليمين فسلم الارض الى عبدان فنزلت وروي انه اختصم اليه خصمان فقال عليه السلام انما انا بشر مثلكم وانتم
تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقضي له قطعة من نار
فبكيا فقال كل واحد منهما حقي لصاحبه فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل احد منكما صاحبه يسألونك عن الاهلة سأله
معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل هي
مواقيت للناس والحج كانوا قد سألوه عليه السلام عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله العزيز الحكيم ان يجيبهم بان الحكمة الظاهرة
في ذلك ان يكون معالم للناس في عباداتهم لا سيما الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء وكذا في معاملاتهم على حسب ما يتفقون عليه
والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك في مبدئها الى منتهاها والزمان مدة
مقسومة الى الماضي والحال والمستقبل والوقت الزمان المفروض لامر وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها كانت الانصار اذا احرموا

اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراءها ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر
فقيل ولكن البر من اتقى اي بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا عن الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت للحج استطرادا
او انهم لما سألوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة فانه عليه السلام مبعوث لبيان الشرائع لا لبيان حقائق الاشياء وتركوا السؤال
عما يعنيهم ويختص بعلم الرسالة عقب بذكره جواب ما سألوا عنه تنبيها على ان اللائق بهم ان يسألوا عن امثال ذلك ويهتموا بالعلم
واريد به التنبيه على تعكيسهم في السؤال وكونه من قبيل دخول البيت من ورائه والمعنى وليس البر بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من
اتقى ذلك ولم يجترئ على مثله وأتوا البيوت من ابوابها اذ ليس في العدول بر فباشروا الامور من وجوهها واتقوا الله في تغيير
احكامه او في جميع اموركم امر بذلك صريحا بعد بيان ان البر بر من اتقى اظهارا لزيادة اعتنائه بشأن التقوى وتمهيدا لقوله تعالى
لعلكم تفلحون اي لكي تظفروا بالبر والهدى وقاتلوا في سبيل الله اي جاهدوا لاعزاز دينه واعلاء كلمته وتقديم الظرف على المفعول الصريح
لابراز كمال العناية بشأن المقدم الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك قبل ما امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل
معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهابنة والنساء او الكفرة جميعا فان
الكل بصدد قتال المسلمين ويؤيد الاول ما روي ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع
من قابل فيخلوا له مكة ثلثة ايام فرجع لعمرة القضاء فخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام
وكرهوا ذلك فنزلت ويعضده ايراده في اثناء بيان احكام الحج ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال المعاهد والمفاجأة به من غير
دعوة او بالمثلة وقتل من نهيتم عن قتله من النساء والصبيان ومن يجري مجراهم ان الله لا يحب المعتدين اي لا يريد بهم الخير وهو تعليل
للنهي واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي حيث وجدتموهم من حل او حرم واصل الثقف الحذق في ادراك الشيء علما او عملا وفيه معنى الغلبة
ولذلك استعمل فيها قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل بهم ذلك
يوم الفتح بمن لم يسلم من كفارها والفتنة اشد من القتل اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام
تعبها وتألم النفس بها وقيل شركهم في الحرم وصدهم لكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام اي لا
تفاتحوهم بالقتل هناك ولا تهتكوا حرمة المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم ثمة فاقتلوهم فيه ولا تبالوا بقتالهم ثمة
لانهم الذين هتكوا حرمته فاستحقوا اشد العذاب وفي العدول عن صيغة المفاعلة التي بها ورد النهي والشرط عدة بالنصر والغلبة وقرئ
ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم فاقتلوهم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو اسد كذلك جزاء الكافرين يفعل
بهم مثل ما فعلوا بغيرهم فان انتهوا عن القتال والكفر بعد ما رأوا قتالكم فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا
تكون فتنة اي شرك ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا بعد ما قاتلتم عن الشرك فلا عدوان الا على
الظالمين اي فلا تعتدوا عليهم اذ لا يحسن الظلم الا من ظلم فوضع الحكم وتسمية الجزاء بالعدوان للمشاكلة كما في قوله عز وجل
فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وتنعكس الحال عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء
الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء في ذي القعدة ايضا
وكراهتهم القتال فيه هذا الشهر الحرام بذاك الشهر الحرام وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص اي كل حرمة وهي ما يجب المحافظة
عليه يجري فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة فاقتلوهم ان قاتلوكم كما قال تعالى فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة مقررة لما قبلها واتقوا الله في شأن الاقتصاد واحذروا ان تعتدوا
الى ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شأنهم بالنصر والتمكين وانفقوا في سبيل الله امر بالجهاد بالمال بعد الامر به
بالنفس اي لا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه

فان ذلك مما يقوي العدو ويسلطهم عليكم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى
اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل
انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء وتعديته بالى لتضمنه معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة مصدر
كالتضرة والتسرة وهي والهلك والهلاك واحد اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم
اليها فحذف المفعول **واحسنوا** اي اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على الفقراء **ان الله يحب المحسنين** اي يريد بهم الخير **واتموا الحج**
والعمرة لله بيان لوجوب اتمام افعالهما عند التصدي لادائهما وارشاد للناس الى تدارك ما عسى يعتريهم من العوارض المخلة بذلك من
الاحصار ونحوه من غير تعرض لحالهما في انفسهما من الوجوب وعدمه كما في قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل فانه بيان لوجوب الاتمام
الى الليل من غير تعرض لوجوب اصله وانما هو بقوله تعالى كتب عليكم الصيام الآية كما ان وجوب الحج بقوله تعالى ولله على الناس حج البيت الآية
فان الامر باتمام فعل من الافعال ليس امرا باصله ولا مستلزما له اصلا فليس فيه دليل على وجوب العمرة قطعا وادعاء ان الامر باتمامهما
امر بانشائهما تامتين كاملتين حسبما تقتضيه قراءة واقيموا الحج والعمرة وان الامر للوجوب ما لم يدل على خلافه دليل محال لا سداد له لما
ان ليس البيان مقصورا على افعال الحج المفروض حتى يتصور ذلك بل الحق ان تلك القراءة ايضا محمولة على المشهورة ناطقة بوجوب اتمام
افعالهما كما ينبغي من غير تعرض لحالهما في انفسهما فالمعنى اكملوا اركانهما وشرائطهما وسائر افعالهما المعروفة شرعا لوجه الله تعالى من غير اخلال
منكم بشيء منها هذا وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك روي ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم وقيل
ان تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية افضل وقيل هو جعل نفقتهما حلالا وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا
تشوبوهما بشيء من الاعراض الدنيوية واياما كان فلا تعرض في الآية الكريمة لوجوب العمرة اصلا واما ما روي من ان ابن عباس رضي الله عنهما
قال ان العمرة لقرينة الحج وقول عمر رضي الله عنه هديت لسنة نبيك حين قال رجل وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما وفي رواية
فاهللت بهما جميعا فبمعزل من افادة الوجوب مع كونه معارضا بما روي عن جابر انه قال يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا
ولكن ان تعتمر خير لك وبقوله عليه السلام الحج جهاد والعمرة تطوع فتدبر **فان احصرتم** اي منعتم من الحج يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه
ومنعه من المضي لوجهه مثل صده واصده والمراد منع العدو عند مالك والشافعي رضي الله عنهما لقوله تعالى فاذا امنتم ولنزوله في
الحديبية ولقول ابن عباس رضي الله عنهما لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة رحمه الله لما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فعليه الحج من قابل **فما استيسر من الهدي** اي فعليكم او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر
والمعنى ان المحرم اذا احصر واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر وعندنا يبعث به
الى الحرم ويجعل للمبعوث بيده يوم امار فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله تعالى **ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله**
اي لا تحلقوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل
ذبحه فيه حلا كان او حرما ومرجعهم في ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل قلنا كان محصره صلى الله عليه وسلم
طرف الحديبية الذي الى اسفل مكة وهي من الحرم وعن الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية
هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة والمحل بالكسر يطلق على المكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي
جمع هدية كمطي ومطية **فمن كان منكم مريضا** مرضا محوجا الى الحلق **او به اذى من راسه** كجراحة وقمل **ففدية** اي فعليه فدية ان
حلق **من صيام او صدقة او نسك** بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة لعلك اذاك هوامك
قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلاثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلاثة آصع **فاذا امنتم** الاحصار
او كنتم في حال امن وسعة **فمن تمتع بالعمرة الى الحج** اي فمن انتفع بالتقرب الى الله تعالى بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج

في اشهره وقيل من استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج **فما استيسر من الهدي** اي فعليه دم استيسره
عليه بسبب التمتع وهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا ياكل منه عند الشافعي وعندنا هو كالاضحية **فمن لم يجد** اي الهدي **فصيام ثلاثة ايام**
في الحج اي في اشهره بين الاحرامين وقال الشافعي في ايام الاشتغال باعماله بعد الاحرام وقيل التحلل والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة
وثامنه وتاسعه فلا يصح يوم النحر وايام التشريق **وسبعة اذا رجعتم** اي نفرتم وفرغتم من اعماله وفي احد قولي الشافعي اذا رجعتم الى اهليكم
وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة ايام **تلك عشرة** فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كما في قولك
جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لا يعرف الحساب وان المراد بالسبعة هو العدد المخصوص
دون الكثرة كما يراد بها ذلك ايضا **كاملة** صفة مؤكدة لعشرة تفيد المبالغة في المحافظة على العدد او مبينة لكمال العشرة فانها
اول عدد كامل اذ به تنتهي الآحاد وتتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي **ذلك** اشارة الى التمتع عندنا والى الحكم
المذكور عند الشافعي **لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام** وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عند الشافعي ومن كان مسكنه وراء
الميقات عندنا واهل الحل عند طاوس وغير اهل مكة عند مالك **واتقوا الله** في المحافظة على اوامره ونواهيه لا سيما في الحج **واعلموا**
ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة
الحج اي وقته **اشهر معلومات** معروفات بين الناس هي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عندنا وتسعة بليلة النحر عند الشافعي وكله
عند مالك ومدار الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا
كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهران وبعض شهر اشهرا اقامة للبعض
مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد وصيغة جمع المذكر في غير العقلاء تجيء بالالف والتاء **فمن فرض فيهن الحج** اي اوجبه على نفسه
بالاحرام فيهن او بالتلبية او بسوق الهدي **فلا رفث ولا فسوق** اي لا جماع او فلا فحش من الكلام ولا خروج من حدود الشرع بارتكاب
المحظورات وقيل بالسباب والتنابز بالالقاب **ولا جدال** اي لا مراء مع الخدم والرفقة **في الحج** اي في ايامه والاظهار في مقام الاضمار لاظهار
كمال الاعتناء بشانه والاشعار بعلة الحكم فان زيارة البيت المعظم والتقرب بها الى الله عز وجل من موجبات ترك الامور المذكورة
وايثار النفي للمبالغة في النهي والدلالة على ان ذلك حقيق بان لا يكون فان ما كان منكرا مستقبحا في نفسه ففي تضاعيف الحج افحش كلبس
الحرير في الصلوة والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرئ الاولان بالرفع على معنى
لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب
فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفات **وما تفعلوا من خير يعلمه الله** فيجزي به خير جزاء وهو حث على فعل
الخير اثر النهي عن الشر **وتزودوا فان خير الزاد التقوى** اي تزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا
يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل
على الناس **واتقون يا اولي الالباب** فان قضية اللب استشعار خشية الله تعالى عز وجل وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون
المقصود بذلك هو الله تعالى فيتبرؤا من كل شيء سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص بهذا الخطاب اولوا
الالباب **ليس عليكم جناح ان تبتغوا** اي في ان تبتغوا اي تطلبوا **فضلا من ربكم** عطاء ورزقا منه اي الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ
ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها ايام مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت **فاذا**
افضتم من عرفات اي دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف من دفعت من البصرة
وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه علمية وتأنيث لما ان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكين ولذلك يجمع مع
اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التأنيث اما بالتاء المذكورة وهي ليست

تباء التأنيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث او تاء مقدرة كما في الاسعاد ولا سبيل اليه لان المذكورة تأبى تقديرها
لانها كالبدل منها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه السلام فلما ابصره عرفه او لان جبريل عليه السلام
كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال عرفت او لان آدم وحواء التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وهي من الاسماء
المرتجلة الا ان يجعلها جمع عارف قيل وفيه دليل على وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مأمور بها بقوله تعالى ثم
افيضوا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج او مقدمة للذكر المأمور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب
والامر به غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العشائين عند المشعر الحرام هو جبل يقف عليه الامام ويسمى
قزح وقيل ما بين مأزمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه عليه السلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته
حتى اتى المشعر الحرام فدعا فيه وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى
عند المشعر الحرام ما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر واذكروه كما هداكم اي كما علمكم او اذكروه
ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة وان كنتم من قبله من قبل ما ذكر من هدايته اياكم لمن الضالين
غير العالمين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل هي نافية واللام بمعنى الا كما في قوله عز وعلا وان نظنك
لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب لقريش لما كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة
ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الا الى كريم
وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بكسر السين اي الناسي يريد به آدم عليه السلام
من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم في تغيير المناسك ان الله غفور رحيم
يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فهو تعليل للاستغفار او للامر به فاذا قضيتم مناسككم عباداتكم المتعلقة بالحج وفرغتم منها فاذكروا الله
كذكركم آباءكم اي فاكثروا ذكره تعالى وبالغوا في ذلك كما تفعلون بذكر آبائكم ومفاخرهم وايامهم وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا
بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعله ذاكرا على المجاز والمعنى
فاذكروا الله ذكرا كذكركم آباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه بمعنى او كذكر قوم اشد منكم او منصوب بالعطف على آبائكم وذكرا
من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورية من آبائكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لآبائكم فمن الناس
تفصيل للذاكرين الى من لا يطلب بذكر الله الا الدنيا والى من يطلب به خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار والانتظام في سلك الآخرين من يقول اي
في ذكره ربنا آتنا في الدنيا اي اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا خاصة وما له في الآخرة من خلاق اي من حظ ونصيب لاقتصار همه على الدنيا
فهو بيان لحاله في الآخرة او من طلب خلاق فهو بيان لحاله في الدنيا وتأكيد لقصر دعائه على المطالب الدنيوية ومنهم من يقول ربنا آتنا
في الدنيا حسنة هي الصحة والكفاف والتوفيق للخير وفي الآخرة حسنة هي الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وروي
عن علي كرم الله وجهه ان الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء وعن الحسن ان الحسنة في الدنيا العلم
والعبادة وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار اولئك اشارة الى الفريق الثاني
باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجميلة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الاشارة الى علو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وقيل اليهما
معا فالتنوين في قوله تعالى لهم نصيب مما كسبوا على الاول للتفخيم وعلى الثاني للتنويع اي لكل منهم نوع نصيب من جنس ما كسبوا او من اجله
كقوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه وتسمية الدعاء كسبا لما انه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب العباد
على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة فاحذروا من الاخلال بطاعة من هذا شأن قدرته او يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات
واكتساب الحسنات واذكروا الله اي كبروه في اعقاب الصلوة وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام معدودات هي ايام التشريق فمن تعجل

اي استعجل في النفر او النفير فان التفعل والاستفعال يجيئان لازمين ومتعديين يقال تعجل في الامر واستعجل فيه وتعجله واستعجله والاول اوفق للمتأخر كما في
قوله قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل في يومين اي تمام يومين بعد يوم النحر وهو يوم القر ويوم الرؤس واليوم بعده
ينفر اذا فرغ من رمي الجمار فلا اثم عليه بتعجيله ومن تأخر في النفر حتى رمى في اليوم الثالث قبل الزوال او بعده وعند الشافعي بعده فقط فلا اثم عليه بما
صنع من التأخر والمراد التخيير بين التعجل والتأخر ولا يقدح فيه افضلية الثاني وانما ورد بنفي الاثم تصريحا بالرد على اهل الجاهلية حيث كانوا
مختلفين فمن مؤثم للمتعجل ومؤثم للمتأخر لمن اتقى خبر لمبتدأ محذوف اي الذي ذكر من التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتأخر او من الاحكام لمن اتقى
لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما واتقوا الله في مجامع اموركم بفعل الواجبات وترك المحظورات ليعبأ بكم
وتنتظموا في سلك المعتنين بالاحكام المذكورة والرخص او احذروا الاخلال بما ذكر من الاحكام وهو الانسب بقوله عز وجل واعلموا انكم
اليه تحشرون اي للجزاء على اعمالكم بعد الاحياء والبعث واصل الحشر الجمع وضم المفترق وهو تأكيد للامر بالتقوى وموجب للامتثال به
فان من علم بالحشر والمحاسبة والجزاء كان ذلك من اقوى الدواعي الى ملازمة التقوى ومن الناس من يعجبك قوله تجريد للخطاب وتوجيه له الى النبي
عليه السلام وهو كلام مبتدأ سيق لبيان تحزب الناس في شأن التقوى الى حزبين وتعيين ما لكل منهما ومن موصولة او موصوفة واعرابه
كما بين في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر اي ومنهم من يروقك كلامه ويعظم موقعه في نفسك لما تشاهد فيه من ملاحة
الفحوى ولطف الاداء والتعجب حيرة تعرض للانسان بسبب عدم الشعور بسبب ما يتعجب منه في الحيوة الدنيا متعلق بقوله اي ما يقوله في حق
الحيوة الدنيا ومعناها فانها الذي يريده بما يدعيه من الايمان ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى ان له قولا آخر ليس بهذه
الصفة او بيعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا بحلاوته وفصاحته لا في الآخرة لما انه يظهر هناك كذبه وقبحه وقيل لما يرهقه من الحبسة واللكنة فيها
وانت خبير بانه لا مبالغة في سوء حاله فان آله بيان حسن كلامه في الدنيا وقبحه في الآخرة وقيل معنى في الحيوة الدنيا اي لا يصدر منه
الا القول الحسن ويشهد الله على ما في قلبه اي بحسب ادعائه حيث يقول الله يعلم ان ما في قلبي موافق لما في لساني وهو عطف على يعجبك وقرئ
ويشهد الله فالمراد بما في قلبه ما فيه حقيقة ويؤيده قراءة ابن عباس رضي الله عنه والله يشهد على ما في قلبه على ان كلمة على لكون
المشهود به مضرا له فالجملة اعتراضية وقرئ ويستشهد الله وهو الد الخصام اي شديد العداوة والخصومة للمسلمين على ان الخصام مصدر
واضافة الالد اليه بمعنى في كقولهم ثبت الغدر او اشد الخصوم لهم خصومة على انه جمع خصم كصعب وصعاب قيل نزلت في الاخنس بن
شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعي الاسلام والمحبة وقيل في المنافقين والجملة حال
من الضمير المجرور في قوله او من المستكن في يشهد وعطف على ما قبلها على القراءتين المتوسطتين واذا تولى اي من مجلسك وقيل اذا صار
واليا سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف حيث بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما
يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله تعالى بشؤمه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على
اسناد الهلاك اليهما عطفا على سعى وقرئ بفتح اللام وهي لغة وقرئ على البناء للمفعول من الاهلاك والله لا يحب الفساد اي لا يرتضيه
ويبغضه ويعاقب على من يتعاطاه وهو اعتراض تذييلي واذا قيل له على نهج العظة والنصيحة اتق الله واترك ما تباشره من الفساد او
النفاق واحذر سوء مغبته اخذته العزة بالاثم اي حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي نهي عنه لجاجا وعنادا من قولك
اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم مبتدأ وخبر اي كافيه جهنم وقيل جهنم فاعل لحسبه ساد مسد خبره وهو مصدر
بمعنى الفاعل وقوي لاعتماده على الفاء الرابط للجملة بما قبلها وقيل حسب اسم فعل ماض اي كفته جهنم ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص
بالذم محذوف لظهوره وتعينه والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب والجملة اعتراض ومن الناس من يشري نفسه مبتدأ وخبر
كما مر اي يبيعها يبذلها في الجهاد ومشاق الطاعات وتعريضها للمهالك في الحروب او يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وان ترتب عليه القتل ابتغاء
مرضات الله اي طلبا للرضا وهذا كمال التقوى وايراده قسيما للاول من حيث ان ذلك يأنف من الامر بالتقوى وهذا يأمر بذلك

وان ادى الى الهلاك وقيل نزلت في صهيب بن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان
كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله فاتى المدينة فيشري ح يعني يشتري لجريان الحال على صورة الشرى
والله رؤف بالعباد ولذلك يكلفهم التقوى ويعرضهم للثواب والجملة اعتراض تذييلي يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم اي الاستسلام
والطاعة وقيل الاسلام وقرئ بفتح السين وهي لغة فيه وبفتح اللام ايضا وقوله تع كافة حال من الضمير في ادخلوا او من السلم او منهما معا وتاؤها
كما في قوله خرجت بها تمشي تجر وراءنا على اثرنا اذيال مرط مرحل وهي في الاصل اسم لجماعة تكف مخالفها ثم استعملت في معنى جميعا
ليست للتانيث حتى يحتاج الى جعل السلم مؤنثا مثل الحرب كما في قوله عز وجل وان جنحوا للسلم فاجنح لها وفي قوله السلم تاخذ منها ما رضيت
به والحرب يكفيك من انفاسها جرع وانما هي للنقل كما في عامة وخاصة وقاطبة والمعنى استسلموا لله تعالى واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا
والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليته ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم كانوا يراعون بعض احكام دينهم
القديم بعد اسلامهم او في شرائع الله تعالى كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب كلهم ووصفهم بالايمان اما على طريقة
التغليب واما بالنظر الى ايمانهم القديم او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء منها والخطاب للمسلمين وانما خوطب اهل الكتاب
بعنوان الايمان مع انه لا يصح الايمان الا بما كلفوه الآن ايذانا بان ما يدعونه لا يتم بدونه ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق
او بمخالفة ما امرتم به انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة او مظهر لها وهو تعليل للنهي او الانتهاء فان زللتم اي عن الدخول في السلم وقرئ
بكسر اللام وهي لغة فيه من بعد ما جاءتكم البينات الآيات والحجج القطعية الدالة على حقيته الموجبة للدخول فيه فاعلموا ان الله عزيز غالب على امره
لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا يترك ما يقتضيه الحكمة من مؤاخذة المجرمين المستعصين عليه او امره هل ينظرون استفهام انكاري في معنى
النفي اي ما ينتظرون بما يفعلون من العناد والمخالفة في الامتثال بما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه الا ان ياتيهم الله اي امره وباسه
او ياتيهم الله بامره وباسه فحذف الماتي به لدلالة الحال عليه والالتفات الى الغيبة للايذان بان سوء صنيعهم موجب للاعراض عنهم
وحكاية جناياتهم لمن عداهم من اهل الانصاف على طريقة المباثة وايراد الانتظار للاشعار بانهم لانهماكهم فيما هم فيه من موجبات العقوبة
كانهم طالبون لها مترقبون لوقوعها في ظلل جمع ظلة كقلل جمع قلة وهي ما اظلك وقرئ في ظلال كقلال في جمع قلة من الغمام اي
السحاب الابيض وانما اتاهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة فاذا اتى منه العذاب كان افظع واقطع للمطامع فان اتيان الشر من حيث لا
يحتسب صعب فكيف باتيانه من حيث يرجى منه الخير والملائكة عطف على الاسم الجليل اي وياتيهم الملائكة فانهم وسائط في اتيان امره تعالى
بل هم الآتون بباسه على الحقيقة وتوسيط الظرف بينهما للايذان بان الآتي اولا من جنس ما يلابس الغمام ويترتب عليه عادة واما
الملائكة وان كان اتيانهم مقارنا لما ذكر من الغمام لكن ذلك ليس بطريق الاعتياد وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر اي اتم
امر اهلاكهم وفرغ منه وهو عطف على ياتيهم داخل في حيز الانتظار وانما عدل الى صيغة الماضي دلالة على تحققه فكانه قد كان او جملة
مستانفة جيء بها انباء عن وقوع مضمونها وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله لا الى غيره ترجع الامور بالتانيث على
البناء للمفعول من الرجع وقرئ بالتذكير وعلى البناء للفاعل بالتانيث من الرجوع سل بني اسرائيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
او لكل احد من اهل الخطاب والمراد بالسؤال تبكيتهم وتقريعهم بذلك وتقرير لمجيء البينات كم آتيناهم من آية بينة معجزة ظاهرة على ايدي
الانبياء عليهم السلام وآية ناطقة بحقية الاسلام المامور بالدخول فيه وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او
الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر وآية مميزها ومن يبدل نعمة الله التي هي آياته الباهرة فانها سبب للهدى الذي هو اجل
النعم وتبديلها جعلها سببا للضلالة وازدياد الرجس او تحريفها وتاويلها الزائغ من بعد ما جاءته وصلت اليه وتمكن من معرفتها
والتصريح بذلك مع ان التبديل لا يتصور قبل المجيء للاشعار بانهم قد بدلوها بعد ما وقفوا على تفاصيلها كما في قوله عز وجل ثم يحرفونه
من بعد ما عقلوه وهم يعلمون وقيل تقديره فبدلوها ومن يبدل الخ وانما حذف للايذان بعدم الحاجة الى التصريح به لظهوره فان الله شديد العقاب

تعليل للجواب كانه قيل ومن يبدل نعمة الله عاقبه اشد عقوبة فانه شديد العقاب واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة زين
للذين كفروا الحيوة الدنيا اي حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها وتهافتوا فيها معرضين عن غيرها و
التزيين من حيث الخلق والايجاد مسند الى الله سبحانه كما يعرب عنه القراءة على البناء للفاعل اذ ما من شيء الا وهو خالقه وكل من الشيطان
والقوى الحيوانية وما في الدنيا من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين آمنوا عطف على زين وايثار
صيغة الاستقبال للدلالة على استمرار السخرية منهم ومنهم فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب كانوا يستذلونهم ويستهزؤون بهم على
رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن ابتدائية فكانهم جعلوا السخرية مبتداة منهم والذين اتقوا هم الذين آمنوا بعينهم وانما
ذكروا بعنوان التقوى للايذان بان اعراضهم عن الدنيا للاتقاء عنها لكونها مخلة بتبتلهم الى جناب القدس شاغلة عنه فوقهم
يوم القيمة لانهم في اعلا عليين وهم اسفل سافلين او لانهم في اوج الكرامة وهم في حضيض الذل والمهانة او لانهم يتطاولون
عليهم في الآخرة فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا والجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الاسمية للدلالة على دوام مضمونها
والله يرزق من يشاء اي في الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس
امة واحدة متفقين على كلمة الحق ودين الاسلام وكان ذلك بين آدم وادريس او نوح عليهم السلام وبعد الطوفان فبعث الله
النبيين اي فاختلفوا فبعث الخ وهي قراءة ابن مسعود رضي الله عنهما وقد حذف تعويلا على ما يذكر عقيبه مبشرين ومنذرين
عن كعب الذي علمته من عدد الانبياء عليهم السلام مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلث عشر والمذكور في القرآن
ثمانية وعشرون وقيل كان الناس امة واحدة متفقة على الكفر والضلال في فترة ادريس او نوح فبعث الله النبيين فاختلفوا
عليهم والاول هو الانسب بالنظم الكريم وانزل معهم الكتاب اي جنس الكتاب او مع كل واحد منهم ممن له كتاب كتابه الخاص به لا مع
كل واحد منهم على الاطلاق اذ لم يكن لبعضهم كتاب وانما كانوا ياخذون بكتب من قبلهم وعموم النبيين لا ينافي خصوص الضمير
العائد اليه بمعونة المقام بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق او متعلق بانزل كقوله عز وعلا وبالحق انزلناه وبالحق نزل
ليحكم اي الكتاب او الله سبحانه وتعالى او كل واحد من النبيين بين الناس اي المذكورين والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التعيين
فيما اختلفوا فيه اي في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه اي في الحق او في الكتاب المنزل ملتبسا به والواو
حالية الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة الاختلاف وازاحة الشقاق والتعبير عن الانزال بالايتاء للتنبيه من اول الامر
على كمال تمكنهم من الوقوف على ما في تضاعيفه من الحق فان الانزال لا يفيد تلك الفائدة اي عكسوا الامر حيث جعلوا ما انزل لازالة
الاختلاف سببا لاستحكامه ورسوخه من بعد ما جاءتهم البينات اي رسخت في عقولهم ومن متعلقة بمحذوف يدل عليه الكلام اي
فاختلفوا او ما اختلف فيه الخ وقيل بالملفوظ بناء على عدم منع الا عنه كما في قولك ما قام الا زيد يوم الجمعة بغيا بينهم متعلق بما تعلق
به اي اختلفوا بغيا وتهالكا على الدنيا فهدى الله الذين آمنوا بالكتاب لما اختلفوا فيه اي للحق الذي اختلف فيه من اختلف من
الحق بيان لما وفي ابهامه اولا وتفسيره ثانيا ما لا يخفى من التفخيم باذنه بامره او بتيسيره ولطفه والله يهدي من يشاء الى
صراط مستقيم موصل الى الحق وهو اعتراض مقرر لمضمون ما سبق ام حسبتم خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين حثا
لهم على الثبات على المصابرة على مخالفة الكفرة وتحمل المشاق من جهتهم اثر بيان اختلاف الامم على الانبياء عليهم السلام وتبيين فيه
مآل اختلافهم وما لقي الانبياء ومن معهم ممن قبلهم من مكابدة الشدائد ومقاساة الهموم وان عاقبة امرهم النصر وام منقطعة والهمزة
فيها للانكار والاستبعاد اي بل احسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم من الانبياء ومن معهم من المؤمنين
اي والحال انه لم ياتكم مثلهم بعد ولم تبتلوا بما ابتلوا به من الاحوال الهائلة التي هي مثل في الفظاعة والشدة وهو متوقع ومنتظر مستهم
استيناف وقع جوابا عما ينساق اليه الذهن كانه قيل كيف كان مثلهم فقيل مستهم الباساء اي الشدة من الخوف والفاقة والضراء

اي الآلام والأمراض وزلزلوا اي أزعجوا ازعاجا شديدا بما دهمهم من الأهوال والأفزاع حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه اي انتهى امرهم من الشدة الى حيث اضطرهم الضجر الى ان يقول الرسول وهو اعلم الناس بشؤون الله تعالى واوثقهم بنصره والمؤمنون المقتدون بآثاره المستضيئون بانواره متى اي متى ياتي نصر الله طلبا وتمنيا له واستطالة لمدة الشدة والعناء وقرئ حتى يقول بالرفع على انه حكاية حال ماضية وهذا كما ترى غايات الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية كيف لا والرسل مع علو كعبهم في الثبات والاصطبار حيث عيل صبرهم وبلغوا هذا المبلغ من الضجر والضجيج علم ان الامر بلغ الى غاية لا مطمح وراءها الا ان نصر الله قريب على تقدير القول اي فقيل لهم حينئذ ذلك اسعافا لمرامهم والمراد بالقرب القرب الزماني وفي ايثار الجملة الاسمية على الفعلية المناسبة لما قبلها وتصديرها بحرف التنبيه والتأكيد من الدلالة على تحقق مضمونها وتقرره ما لا يخفى واختيار حكاية الوعد بالنصر لما انها في حكم انشاء الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتصار على حكايتها دون حكاية نفس النصر مع تحققه للايذان بعدم الحاجة الى ذلك لاستحالة الخلف ويجوز ان يكون هذا واردا من جهته تعالى عند الحكاية على نهج الاعتراض لا واردا عند وقوع المحكي وفيه رمز الى ان الوصول الى جناب القدس لا يتسنى الا برفض اللذات ومكابدة المشاق كما ينبئ عنه قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات يسألونك ماذا ينفقون اي اصناف اموالهم قل ما انفقتم من خير ما اما شرطية واما موصولة حذف العائد اليها اي ما انفقتموه من خير اي خير كان ففيه تجويز الانفاق من جميع انواع الاموال وبيان لما في السؤال الا انه جعل من جملة ما في حيز الشرط او الصلة وابرز في معرض البيان المعرف حيث قيل فللوالدين والاقربين للايذان بان الاهم بيان المصارف المعدودة لان الاعتداد بالانفاق بحسب وقوعه في موقعه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هرم له مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت واليتامى اي المحتاجين منهم والمساكين وابن السبيل ولم يتعرض للسائلين والرقاب اما اكتفاء بما ذكر في المواقع الآخر واما بناء على دخولهم تحت عموم قوله تعالى وما تفعلوا من خير فانه شامل لكل خير واقع في اي مصرف كان فان الله به عليم فيوفي ثوابه وليس في الآية ما ينافيه فرض الزكوة لينسخ به كما نقل عن السدي كتب عليكم القتال ببناء الفعل للمفعول ورفع القتال اي قتال الكفرة وقرئ ببنائه للفاعل وهو الله عز وجل ونصب القتال وقرئ كتب عليكم القتل اي قتل الكفرة والواو في قوله تعالى وهو كره لكم حالية اي والحال انه مكروه لكم طبعا على ان الكره مصدر وصف به المفعول مبالغة او بمعنى المفعول كالخبز بمعنى المخبوز وقرئ بالفتح على انه بمعنى المضموم كالضعف والضعف او على انه بمعنى الاكراه مجازا كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوه من الامور الشاقة التي من جملتها القتال فان النفوس تكرهه وتنفر عنه والجملة اعتراضية دالة على ان في القتال خيرا لهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه من الامور المستلذة وهو معطوف على ما قبله لا محل لهما من الاعراب والله يعلم ما هو خير لكم فلذلك يأمركم به وانتم لا تعلمون اي لا تعلمونه ولذلك تكرهونه اي والله يعلم ما هو خير وشر لكم وانتم لا تعلمونهما فلا تتبعوا في ذلك رأيكم وامتثلوا بامره تعالى يسألونك عن الشهر الحرام روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصدوا القريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير بما فيها من تجارة الطائف وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وعظم ذلك على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسارى وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة والمعنى يسألك الكفار او المسلمون عن القتال في الشهر الحرام على ان قوله عز وجل قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وتنكيره لما ان سؤالهم كان عن مطلق القتال الواقع في الشهر الحرام لا عن القتال المعهود ولذلك لم يقل يسألونك عن القتال في الشهر الحرام وقرئ عن قتال فيه بتكرير العامل كما في قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقرئ قتل فيه قل في جوابهم قتال فيه كبير جملة من مبتدإ وخبر محلها النصب بقل وانما جاز وقوع

قتال مبتدأ مع كونه نكرة لتخصصه اما بالوصف ان تعلق الظرف بمحذوف وقع صفة له اي قتال كائن فيه واما بالعمل ان تعلق به وانما اوثر التنكير احترازا عن توهم التعيين وايذانا بان المراد مطلق القتال الواقع فيه اي قتال كان روي عن عطاء انه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت واكثر الاقاويل انها منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله مبتدأ قد تخصص بالعمل فيما بعده اي ومنع عن الاسلام الموصل للعبد الى الله تعالى وكفر به عطف على صد عامل فيما بعده مثله اي وكفر بالله وحيث كان الصد عن سبيل الله تعالى فردا من افراد الكفر به تعالى لم يقدح العطف المذكور في حسن عطف قوله تعالى والمسجد الحرام على سبيل الله تعالى لانه ليس باجنبي محض وقيل هو ايضا معطوف على صد بتقدير المضاف اي وصد المسجد الحرام واخراج اهله وهو النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون منه اي من المسجد الحرام وهو عطف على وكفر به اكبر عند الله خبر للاشياء المعدودة اي كبائر السائلين اكبر عند الله مما عنوا بالسؤال وهو ما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وافعل يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اي ما ارتكبوه من الاخراج والشرك وصد الناس عن الاسلام ابتداء وبقاء اكبر من القتل اي افظع من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم بيان لاستحكام عداوتهم واصرارهم على الفتنة في الدين حتى يردوكم عن دينكم الحق الى دينهم الباطل واضافة الدين اليهم لتذكير تأكد ما بينهما من العلاقة الموجبة لامتناع الافتراق ان استطاعوا اشارة الى تصلبهم في الدين وثبات قدمهم فيه كانه قيل وانى لهم ذلك ومن يرتدد منكم عن دينه تحذير عن الارتداد اي ومن يفعل ذلك باضلالهم واغوائهم فيمت وهو كافر بان لم يرجع الى الاسلام وفيه ترغيب في الرجوع الى الاسلام بعد الارتداد فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الارتداد والموت عليه وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الشر والفساد والجمع للنظر الى المعنى اي اولئك المصرون على الارتداد الى حين الموت حبطت اعمالهم الحسنة التي كانوا عملوها في حالة الاسلام حبوطا لا تلافي له قطعا في الدنيا والآخرة بحيث لم يبق لها حكم من الاحكام الدنيوية والاخروية واولئك الموصوفون بما ذكر سابقا ولاحقا من القبائح اصحاب النار اي ملابسوها وملازموها هم فيها خالدون كدأب سائر الكفرة ان الذين آمنوا نزلت في اصحاب السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فلا اجر لهم والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله كرر الموصول مع ان المراد بهما واحد لتفخيم شأن الهجرة والجهاد فكانهما مستقلان في تحقيق الرجاء اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة يرجون بما لهم من مبادي الفوز رحمة الله اي ثوابه اثبت لهم الرجاء دون الفوز بالمرجو للايذان بانهم عالمون بان العمل غير موجب للاجر وانما هو على طريق التفضل منه سبحانه لا لان في فوزهم اشتباها ما والله غفور مبالغ في مغفرة ما فرط من عباده خطأ رحيم يجزل لهم الاجر والثواب والجملة اعتراض محقق لمضمون ما قبلها يسألونك عن الخمر والميسر تواردت في شأن الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فطفق المسلمون يشربونها ثم ان عمر رضي الله تعالى عنه ومعاذا ونفرا من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين قالوا افتنا يا رسول الله في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا فام احدهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى الآية فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر رضي الله تعالى عنه انتهينا يا رب وعن علي رضي الله تعالى عنه لو وقعت قطرة منها في بئر فبنيت في مكانها منارة لم اؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف فنبت فيه الكلأ لم ارعه وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما لو ادخلت اصبعي فيها لم تتبعني وهذا هو الايمان والتقى حقا رضوان الله تعالى عليهم اجمعين والخمر مصدر خمره اي ستره سمي به من عصير العنب ما غلى واشتد وقذف بالزبد لتغطيتها العقل والتمييز كانه نفس الستر كما سميت سكرا لانها تسكرهما اي تحجزهما والميسر مصدر ميمي من يسر كالموعد والمرجع يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه اما من اليسر لانه اخذ المال بيسر من غير كد وتعب واما من اليسار لانه سلب وصفته انه كانت لهم عشرة اقدح هي الازلام

والأقلام الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزؤنها عشرة
اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا ثلثة هي المنيح والسفيح والوغد للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة
وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا قدحا
فمن خرج له من ذوات الانصباء اخذ النصيب المعين لها ومن خرج له من تلك الثلثة غرم ثمن الجزور مع حرمانه وكانوا يدفعون تلك الانصباء
الى الفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لا يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكمه جميع انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم وهاتين الكعبتين المشومتين فانهما مياسر العجم وعن علي رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه ان النرد
والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسألونك عن حكمهما وعما في تعاطيهما **قل فيهما اثم كبير** اي في تعاطيهما
ذلك لما ان الاول مسلبة للعقول التي هي قطب الدين والدنيا مع كون كل منهما متلفة للاحوال **ومنافع للناس** من كسب الطرف واللذة
ومصاحبة الفتيان وتشجيع الجبان وتقوية الطبيعة وقرئ اثم كثير بالثاء المثلثة وفي تقديم بيان اثمهما ووصفه بالكبر وتأخير ذكر منافعهما
مع تخصيصها بالناس من الدلالة على غلبة الاول ما لا يخفى على ما نطق به قوله تعالى **واثمهما اكبر من نفعهما** اي المفاسد المترتبة على تعاطيهما اعظم
من الفوائد المترتبة عليه وقرئ اقرب من نفعهما **ويسألونك ماذا ينفقون** عطف على يسألونك عن الخمر الخ عطف القصة على القصة اي اي
شيء ينفقونه قيل سائله عمرو بن الجموح ايضا سأل اولا عن اي جنس ينفق من اجناس الاموال فلما بين جواز الانفاق من جميع الاجناس سأل ثانيا
عن اي اصنافها ينفق ابن خيارها ام من غيرها او سأل عن مقدار ما ينفقه منه فقيل **قل العفو** بالنصب اي ينفقون العفو او انفقوا العفو وقرئ
بالرفع على ان ما استفهامية وذا موصولة صلتها ينفقون اي الذي ينفقونه العفو قال الواحدي اصل العفو في اللغة الزيادة وقال القفال
ما تيسر وسهل مما فضل من الكفاية وهو قول قتادة وعطاء والسدي وكانت الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين يكتسبون المال ويمسكون
قدر النفقة ويتصدقون بالفضل وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة
فاعرض عنه فكرر ذلك مرارا حتى قال عليه السلام مغضبا هاتها فاخذها فحذفها عليه حذفا لو اصابته لشجته ثم قال يأتي احدكم بماله كله يتصدق
به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى **كذلك** اشارة الى مصدر الفعل الآتي وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه
في الفضل مع كمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة والكاف لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة وافراد حرف الخطاب مع
تعدد المخاطبين باعتبار القبيل او الفريق او لعدم القصد الى تعيين المخاطب كما مر ومحله النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي مثل ذلك البيان الواضح
الذي هو عبارة عما مضى في اجوبة الاسولة المارة **يبين الله لكم الآيات** الدالة على الاحكام الشرعية المذكورة لا بيانا ادنى منه وقد مر تمام
تحقيقه في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وتبيين الآيات تنزيلها مبينة المحتوى واضحة المدلول لا انه تعالى يبينها بعد ان كانت مشتبهة
ملتبسة وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة **لعلكم تتفكرون** كي تتفكروا فيها وتقفوا على مقاصدها وتعملوا بما في تضاعيفها وقوله تعالى
في الدنيا والآخرة متعلق اما بيبين اي يبين لكم فيما يتعلق بالدنيا والآخرة الآيات واما بمحذوف وقع حالا من الآيات اي يبينها لكم
كائنة فيهما اي مبينة لاحوالكم المتعلقة بهما وانما قدم عليه التعليل لمزيد الاعتناء بشأن التفكر واما بقوله تعالى تتفكرون اي تتفكرون في
الامور المتعلقة بالدنيا والآخرة في الاحكام الواردة في اجوبة الاسولة المارة فتختارون منها ما يصلح لكم فيهما وتجتنبون عن غيره وهذا
التخصيص هو المناسب لمقام تعداد الاحكام الجزئية وتجوز التعميم بجميع الامور المتعلقة بالدنيا والآخرة فذلك حينئذ اشارة الى ما مر من البيانات
كلا او بعضا لا الى مصدر ما بعده فانه حينئذ فعل مستقل ليس بعبارة عن تلك البيانات والمراد بالآيات غير ما ذكر والمعنى مثل ذلك البيان
الوارد في الاجوبة المذكورة يبين الله لكم الآيات والدلائل لعلكم تتفكرون في اموركم المتعلقة بالدنيا والآخرة وتأخذون بما يصلح
لكم وينفعكم فيهما وتذرون ما يضركم حسبما تقتضيه تلك الآيات المبينة **ويسألونك عن اليتامى** عطف على ما قبله من نظيره روي انه لما نزلت
ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الآية تحامى الناس عن مخالطة اليتامى وتعهد اموالهم فشق عليهم ذلك فذكروه للنبي صلى الله عليه

وسلم فنزلت **قل اصلاح لهم خير** اي التعرض لاحوالهم واموالهم على طريق الاصلاح خير من مجانبتهم اتقاء **وان تخالطوهم** وتعاشروهم على وجه ينفعهم
فاخوانكم اي فهم اخوانكم اي في الدين الذي هو اقوى من العلاقة النسبية ومن حقوق الاخوة ومواجبها المخالطة بالاصلاح والنفع وقد
حمل المخالطة على المصاهرة **والله يعلم المفسد من المصلح** العلم بمعنى المعرفة المتعدية الى واحد ومن لتضمينه معنى التمييز اي يعلم من يفسد في امورهم
عند المخالطة او من يقصد بمخالطته الخيانة والافساد مميزا له ممن يصلح فيها او يقصد الاصلاح فيجازي كلا منهما بعمله ففيه وعد ووعيد خلا ان في
تقديم المفسد مزيد تهديد وتأكيدا للوعيد **ولو شاء الله لاعنتكم** اي لو شاء ان يعنتكم اي يكلفكم ما يشق عليكم من العنت وهو المشقة
لفعل ولم يجوز لكم مداخلتهم **ان الله عزيز** غالب على امره لا يعز عليه امر من الامور التي من جملتها اعناتكم فهو تعليل لمضمون الشرطية وقوله
عز وجل **حكيم** اي فاعل لافعاله حسبما تقتضيه الحكمة الداعية الى بناء التكليف على اساس الطاقة دليل على ما يفيده كلمة لو من انتفاء مقدمها
ولا تنكحوا المشركات اي لا تتزوجوهن وقرئ بضم التاء من الانكاح اي لا تزوجوهن من المسلمين **حتى يؤمن** والمراد بهن اما ما يعم
الكتابيات ايضا حسبما يقتضيه عموم التعليلين الآتيين لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى
قوله سبحانه عما يشركون فالآية منسوخة بقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واما غير الكتابيات فهي ثابتة وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج فاسا منها من المسلمين وكان يهوى امرأة في الجاهلية
اسمها عناق فاتته فقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى النبي صلى الله
عليه وسلم فاستأمره فاستأمره فنزلت **ولامة مؤمنة** تعليل للنهي عن مواصلتهن وترغيب في مواصلة المؤمنات صدر بلام الابتداء
الشبيهة بلام القسم في افادة التأكيد مبالغة في الحمل على الانزجار واصل امة امو حذف لامها على غير قياس وعوض منه تاء التأنيث
ودليل كون لامها واوا رجوعها في الجمع قال الكلابي اما الاماء فلا يدعونني ولدا اذا تداعى بنو الاموان بالعار وظهورها في المصدر
يقال هي امة بينة الاموة واقرت له بالاموة وقد وقعت مبتدأ لما فيها من لام الابتداء والوصف اي ولامة مؤمنة مع ما بها من
خساسة الرق وقلة الخطر **خير** بحسب الدين والدنيا **من مشركة** اي امرأة مشركة مع ما لها من شرف الحرية ورفعة الشأن **ولو اعجبتكم** قد مر
ان كلمة لو في امثال هذه المواقع ليست لبيان انتفاء الشيء في الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها
عليه مع انصباب المعنى على تقديره بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له
على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته معه ثبوته مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء
متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة
للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على وجه الاجمال كانه
قيل لو لم تعجبكم ولو اعجبتكم والجملة في حيز النصب على الحالية من مشركة اذ المآل ولامة مؤمنة خير من امرأة مشركة حال عدم اعجابها
وحال اعجابها اياكم بجمالها ومالها ونسبها وبغير ذلك من مبادي الاعجاب وموجبات الرغبة فيها اي على كل حال وقد اقتصر على ذكر
ما هو اشد منافاة للخيرية تنبيها على انها حيث تحققت معه فلان تتحقق مع غيره اولى وقيل الواو حالية وليس بواضح وقيل
اعتراضية وليس بسديد والحق انها عاطفة مستتبعة لما ذكر من الاعتبار اللطيف نعم يجوز ان تكون الجملة الاولى مع ما عطف عليها
مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها فتدبر **ولا تنكحوا المشركين** من الانكاح والمراد بهم الكفار على الاطلاق لما مر اي لا تزوجوا منهم
المؤمنات سواء كن حرائر او اماء **حتى يؤمنوا** ويتركوا ما هم فيه من الكفر **ولعبد مؤمن** مع ما به من ذل المملوكية **خير من مشرك**
مع ما له من عز المالكية **ولو اعجبكم** بما فيه من دواعي الرغبة فيه الراجعة الى ذاته وصفاته **اولئك** استيناف مقرر لمضمون التعليلين
الآتيين اي اولئك المذكورون من المشركات والمشركين **يدعون** من يقارنهم ويعاشرهم **الى النار** اي الى ما يؤدي اليها من الكفر والفسوق
فلا بد من الاجتناب عن مقارنتهم ومقاربتهم **والله يدعو** بواسطة عبادة المؤمنين من يقارنهم **الى الجنة والمغفرة** اي الى الاعتقاد

الحق والعمل الصالح الموصلين اليهما وتقديم الجنة على المغفرة مع ان حق التخلية ان تقدم على التحلية لرعاية مقابلة النار ابتداء **باذنه** متعلق
بيدعوا اي يدعو ملتبسا بتوفيقه الذي من جملته ارشاد المؤمنين لمقارنتهم الى الخير ونصيحتهم اياهم فهم احقاء بالمواصلة **ويبين اياته**
المشتملة على الاحوال الفائقة والحكم الرائقة **للناس لعلهم يتذكرون** اي لكي يتذكروا ويعملوا بما فيها فيفوزوا بما دعوا اليه من الجنة
والغفران هذا وقد قيل معنى والله يدعوا واولياء الله يدعون وهم المؤمنون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تشريفا لهم
وانت خبير بان الضمير في المعطوف على الخبر اعني قوله تع ويبين لله تعالى فيلزم التفكيك وقيل معناه والله يدعوا باحكامه المذكورة
الى الجنة والمغفرة فانها موصلة لمن عمل بها اليهما وهذا وان كان مستدعيا لاتحاد مرجع الضميرين الكائنين في الجملتين المتعاطفتين
الواقعتين خبرا للمبتداء لكن يفوت ح حسن المقابلة بينه وبين قوله تع اولئك يدعون الى النار ولعل الطريق الاسلم ما اوضحناه اولا
وايراد التذكر ههنا للاشعار بانه واضح لا يحتاج الى التفكر كما في الاحكام السابقة **ويسالونك عن المحيض** عطف على ما تقدم من مثله
ولعل حكاية هذه الاسولة الثلثة بالعطف لوقوع الكل عند السؤال عن الخمر وحكاية ما عداها بغير عطف لوقوع كل من ذلك في وقت على حدة
والمحيض مصدر من حاضت المراة كالمجيء والمبيت روى ان اهل الجاهلية كانوا لا يساكنون الحيض ولا يواكلونهن كداب اليهود و
المجوس واستمر الناس على ذلك الى ان سال عن ذلك ابو الدحداح في نفر من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فنزلت **قل هو اذى**
اي شيء يستقذر منه ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة له **فاعتزلوا النساء في المحيض** اي فاجتنبوا مجامعتهن في حالة المحيض قيل
اخذ المسلمون بظاهر الاعتزال فاخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن هلك
سائر اهل البيت وان استأثرنا بها هلكت الحيض فقال صلى الله عليه وسلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن
من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يفرطون في الاعتزال فامر المسلمون
بالاقتصاد بين الامرين **ولا تقربوهن حتى يطهرن** تاكيد لحكم الاعتزال وتنبيه على ان المراد به عدم قربانهن لا عدم القرب منهن وبيان
لغايته وهو انقطاع الدم عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى فان كان ذلك في اكثر المدة حل القربان كما انقطع والا فلا بد من الاغتسال
او من مضي وقت صلوة وعند الشافعي ان يغتسلن بعد الانقطاع كما يفصح عنه القراءة بالتشديد وينبئ عنه قوله عز وجل **فاذا تطهرن**
فان التطهر هو الاغتسال **فاتوهن من حيث امركم الله** من المأتى الذي حلله لكم وهو القبل **ان الله يحب التوابين** مما عسى يندر منهم من
ارتكاب بعض ما نهوا عنه ومن سائر الذنوب **ويحب المتطهرين** المتنزهين عن الفواحش والاقذار وفي ذكر التوبة اشعار بمساس الحاجة
اليها بارتكاب بعض الناس ما نهوا عنه وتكرير الفعل لمزيد العناية بامر التطهر **نساؤكم حرث لكم** اي مواضع حرث لكم شبههن بها لما بين
ما يلقى في ارحامهن وبين البذور من المشابهة من حيث ان كلا منهما مادة لما يحصل منه **فاتوا حرثكم** لما عبر عنهن بالحرث عبر عن مجامعتهن
بالاتيان وهو بيان لقوله تع فاتوهن من حيث امركم الله **انى شئتم** من اي جهة شئتم روي ان اليهود كانوا يزعمون ان من اتى امرأته
في قبلها من دبرها يأتي ولده احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت **وقدموا لانفسكم** اي ما يدخر لكم الثواب وقيل هو
التسمية عند المباشرة **واتقوا الله** بالاجتناب عن معاصيه التي من جملتها ما عد من الامور **واعلموا انكم ملاقوه** فتعرضوا لتحصيل ما تنتفعون
به حينئذ واجتنبوا اقتراف ما تفتضحون به **وبشر المؤمنين** الذين تلقوا ما خوطبوا به من الاوامر والنواهي بحسن القبول والامتثال
بما يقصر عنه البيان من الكرامة والنعيم المقيم او بكل ما يتبشر به من الامور التي تسر بها القلوب وتقر بها العيون وفيه مع ما في تلوين الخطاب
وجعل المبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم من المبالغة في تشريف المؤمنين ما لا يخفى **ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم** قيل نزلت في عبد الله
بن رواحة حين حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته وقيل في الصديق رضي الله عنه حين حلف ان لا ينفق
على مسطح لخوضه في حديث الافك والعرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة تطلق على ما يعرض دون الشيء فيصير حاجزا منه كما يقال
فلان عرضة للخير وعلى المعرض للامر كما في قوله فلا تجعلوني عرضة للوائم فالمعنى على الوجه الاول لا تجعلوا الله مانعا للامور الحسنة التي

التي تحلفون على تركها وعبر عنها بالايمان لملابستها بها كما في قوله عليه السلام لعبد الله بن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت
الذي هو خير وكفر عن يمينك وقوله تع **ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس** عطف بيان لايمانكم او بدل منها لما عرفت انها عبارة عن الامور
المحلوف عليها واللام في لايمانكم متعلقة بالفعل او بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض اي لا تجعلوا الله بركم وتقويكم واصلاحكم بين الناس
عرضة اي برزخا حاجزا بان تحلفوا به تعالى على تركها او لا تجعلوه تعالى عرضة اي شيئا يعترض الامور المذكورة ويحجزها بما ذكر من الحلف
به تعالى على تركها وقد جوز ان تكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا الى آخره بالفعل او بعرضة فيكون الايمان بمعناها وانت خبير بانه
يؤدي الى الفصل بين العامل ومعموله باجنبي وعلى الوجه الثاني لا تجعلوا الله معرضا لايمانكم تبتذلونه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من
نزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين باشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها وان تبروا احسن علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا
لان الحلاف مجترئ على الله سبحانه غير معظم له فلا يكون برا متقيا ثقة بين الناس فيكون بمعزل من التوسط في اصلاح ذات البين **والله**
سميع لايمانكم **عليم** بنياتكم فحافظوا على ما كلفتموه **لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم** اللغو ما سقط من الكلام عن درجة
الاعتبار والمراد به في الايمان ما لا عقد معه ولا قصد كما ينبئ عنه قوله تع ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان وهو المعني بقوله عز وجل **و**
لكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وقد اختلف فيه فعندنا هو ان يحلف على شيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه فانه لا قصد فيه الى
الكذب وعند الش فهي هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم من غير اخطار الحلف بالبال فالمعنى على الاول لا يؤاخذكم
الله اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم ظانا انه صادق فيه ولكن يعاقبكم بما اقترفته قلوبكم من اثم القصد الى الكذب
في اليمين وذلك في الغموس وعلى الثاني لا يلزمكم الكفارة بالقصد معه الى اليمين ولكن يلزمكموها بما نوت قلوبكم وقصدت به اليمين
ولم يكن كسب اللسان فقط **والله غفور** حيث لم يؤاخذكم باللغو مع كونه ناشيا من عدم التثبت وقلة المبالاة **حليم** حيث لم يعجل
بالمؤاخذة والجملة اعتراض مقرر لمضمون قوله تع لا يؤاخذكم الخ وفيه ايذان بان المراد بالمؤاخذة المعاقبة لا ايجاب الكفارة اذ هي
التي تتعلق بها المغفرة والحلم دونه **للذين يؤلون من نسائهم** الايلاء الحلف وحقه ان يستعمل بعلى واستعماله بمن لتضمينه معنى البعد اي
للذين يحلفون متباعدين من نسائهم ويحتمل ان يراد لهم من نسائهم **تربص اربعة اشهر** كقولك لي منك كذا وقرئ آلوا من نسائهم
وقرئ يقسمون من نسائهم والايلاء من المرأة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر او لا اقربك
على الاطلاق ولا يكون فيما دون ذلك وحكمه انه ان فاء اليها في المدة بالوطئ ان امكن او بالقول ان عجز عنه صح الفيء وحنث القادر
ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف اتساعا
اي لهم ان ينتظروا في هذه المدة من غير مطالبة بفيء او طلاق **فان فاؤا** اي رجعوا من اليمين بالحنث والفاء للتفصيل كما اذا
قلت انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى آخره والا لم البث الا ريثما اتحول **فان الله غفور رحيم** يغفر للمولي بفيئته
التي هي كتوبته اثم حنثه او ما قصد بالايلاء من ضرار المرأة **وان عزموا الطلاق** واجمعوا عليه **فان الله سميع** بما جرى منهم من الطلاق
وما يتعلق به من الدمدمة والمقاولة التي لا تخلو عنها الحال عادة **عليم** بنياتهم وفيه من الوعيد على الاصرار وترك الفيئة ما لا يخفى
والمطلقات اي ذوات الاقراء من الحرائر المدخول بهن لما قد بين ان لا عدة على غير المدخول بها وان عدة من لا تحيض لصغر او كبر
او حمل بالاشهر ووضع الحمل وان عدة الامة قرآن او شهران **يتربصن** خبر في معنى الامر مفيد للتاكيد باشعاره بان المامور به مما يجب ان
يتلقى بالمسارعة الى الاتيان به فكانهن امتثلن بالامر بالتربص فيخبر به موجودا متحققا وبناؤه على المبتداء مفيد لزيادة تاكيد **بانفسهن**
الباء للتعدية اي يقمعنها ويحملنها على ما لا تشتهيه بل يشق عليها من التربص وفيه مزيد حث لهن على ذلك لما فيه من الاباء عن الاتصاف بما
يستنكف منه من كون نفوسهن طوامح الى الرجال فيحملهن ذلك على الاقدام على الاتيان بما امرن به **ثلثة قروء** نصب على الظرفية او المفعولية
بتقدير مضاف اي يتربصن مدة ثلثة قروء او يتربصن مضي ثلثة قروء وهو جمع قرء والمراد به الحيض بدليل قوله عليه السلام دعي الصلوة

ايام اقرائك وقوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان وقوله تع واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر
ولان المقصود الاصلي من العدة استبراء الرحم ومداره الحيض دون الطهر ويقال اقرأت المراة اذا حاضت وقوله تع فطلقوهن لعدتهن معناه
مستقبلات لعدتهن وهي الحيض الثلاث وايراد جمع الكثرة في مقام جمع القلة بطريق الاتساع فان ايراد كل من الجمعين مكان الاخر شائع ذائع
وقرئ ثلثة قرو بغير همز ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الحيض والولد استعجالا في العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل
على قبول قولهن في ذلك نفيا واثباتا ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر جواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله دلالة واضحة اي فلا يجترئن على
ذلك فان قضية الايمان بالله تعالى واليوم الاخر الذي يقع فيه الجزاء والعقوبة منافية له قطعا وبعولتهن البعولة جمع بعل وهو في الاصل
السيد المالك والتاء لتأنيث الجمع كما في الحزونة والسهولة او مصدر بتقدير مضاف اي اهل بعولتهن اي ازواجهن الذين طلقوهن طلاقا
رجعيا كما ينبئ عنه التعبير عنهم بالبعولة فالضمير لبعض افراد المطلقات احق بردهن الي ملكهم بالرجعة اليهن في ذلك اي في زمان التربص
وصيغة التفضيل لافادة ان الرجل اذا اراد الرجعة والمراة تاباها وجب ايثار قوله على قولها لا ان لها ايضا حقا في الرجعة ان ارادوا
اي الازواج بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن وليس المراد به شرطية قصد الاصلاح لصحة الرجعة بل هو الحث
عليه والزجر عن قصد الضرار ولهن عليهم من الحقوق مثل الذي لهم عليهن بالمعروف من الحقوق التي يجب مراعاتها وتتحتم المحافظة عليها
وللرجال عليهن درجة اي زيادة في الحق لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن في المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او مزية في الفضل
لانهم قوامون عليهن حراس لهن ولما في ايديهن يشاركونهن فيما هو الغرض من الازواج ويستبدون بفضيلة الرعاية والانفاق والله عزيز
يقدر على الانتقام ممن يخالف احكامه حكيم تنطوي شرائعه على الحكم والمصالح الطلاق وهو بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم والمراد به الرجعي
لما ان السابق الاقرب حكمه ولما روي انه عليه السلام سئل عن الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان وهو مبتدأ بتقدير مضاف خبره ما بعده
اي عدد الطلاق الذي يستحق الزوج فيه الرد والرجعة حسبما بين انفا مرتان اي اثنان وايثار ما ورد به النظم الكريم عليه للايذان بان حقهما ان
يقعا مرة بعد مرة لا دفعة واحدة وان كان حكم الرد ثابتا حينئذ ايضا فامساك اي فالحكم بعدهما امساك لهن بالرجعة بمعروف اي
بحسن عشرة ولطف معاملة او تسريح باحسان كما روي عنه صلى الله عليه وسلم اي بعدم الرجعة الي ان تنقضي العدة فتبين وقيل المراد به
الطلاق الشرعي وبالمرتين مطلق التكرير لا التثنية بعينها كما في قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة والمعنى ان التطليق الشرعي
تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع بين الطلقتين والثلث فان ذلك بدعة عندنا وقوله تع فامساك الخ حكم مبتدأ وتخيير
والفاء فيه للترتيب على التعليم كانه قيل اذا علمتم كيفية التطليق فامركم احد الامرين ولا يحل لكم ان تاخذوا منهن بمقابلة الطلاق مما
اتيتموهن اي من الصدقات وتخصيصها بالذكر وان شاركها في الحكم سائر اموالهن اما لرعاية العادة او للتنبيه على انه اذا لم يحل لهم ان
ياخذوا مما اتوهن بمقابلة البضع عند خروجه عن ملكهم فلان لا يحل ان ياخذوا مما لا تعلق له بالبضع اولى واحرى شيئا اي نذرا يسيرا
فضلا عن الكثير وتقدم الظرف عليه لما مر مرارا والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الامرون بهما عند المرافعة وقيل
مع الازواج وما بعده مع الحكام وذلك مما يشوش النظم الكريم على القراءة المشهورة الا ان يخافا اي الزوجان وقرئ يظنا وهو
مؤيد لتفسير الخوف بالظن الا يقيما حدود الله اي الا يراعيا مواجب احكام الزوجية وقرئ يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته
من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم ايها الحكام الا يقيما اي الزوجان حدود الله بمشاهدة بعض
الامارات والمخايل فلا جناح عليهما اي على الزوجين فيما افتدت به لا على الزوج في اخذ ما افتدت به ولا عليها في اعطائه اياه روي ان
جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع
راسي وراسه شيء والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكن اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل
في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة كان اصدقها اياها تلك اي الاحكام المذكورة

حدود الله فلا تعتدوها بالمخالفة والرفض ومن يتعد حدود الله فاولئك المتعدون والجمع باعتبار معنى الموصول هم الظالمون
اي لانفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعقابه ووضع الاسم الجليل في المواقع الثلثة الاخيرة موضع الضمير لتربية المهابة وادخال الروعة
وتعقيب النهي بالوعيد للمبالغة في التهديد فان طلقها اي بعد الطلقتين السابقتين فلا تحل له من بعد اي من بعد هذا الطلاق حتى
تنكح زوجا غيره اي حتى تتزوج غيره فان النكاح ايضا يسند الي كل منهما وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد والجمهور على اشتراط الاصابة
لما روي ان امراة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وانما معه
مثل هدبة الثوب فقال صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الي رفاعة قالت نعم قال عليه السلام لا الا ان تذوقي عسيلته ويذوق
من عسيلتك وبمثله يجوز الزيادة على الكتاب وقيل النكاح بمعنى الوطئ والعقد مستفاد من لفظ الزوج والحكمة من هذا التشريع الردع
عن المسارعة الي الطلاق والعود الي المطلقة ثلثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل مكروه عندنا ويروى عدم الكراهة فيما لم يكن
الشرط مصرحا به وفاسد عند الاكثرين لقوله صلى الله عليه وسلم لعن الله المحلل والمحلل له فان طلقها اي الزوج الثاني فلا جناح عليهما
اي على الزوج الاول والمراة ان يتراجعا اي يرجع كل منهما الي الاخر بالعقد ان ظنا ان يقيما حدود الله التي اوجب مراعاتها على
الزوجين من الحقوق ولا وجه لتفسير الظن بالعلم لما ان العواقب غير معلومة ولان ان الناصبة للتوقع المنافي للعلم ولذلك لا يكاد
يقال علمت ان يقوم زيد وتلك اشارة الي الاحكام المذكورة الي هنا حدود الله اي احكامه المعينة المحمية من التعرض لها بالتغيير والمخالفة
يبينها بهذا البيان اللائق او سيبينها فيما سياتي بناء على ان بعضها يلحقه زيادة كشف وبيان بالكتاب والسنة والجملة خبر ثان عند من
يجوز كونه جملة كما في قوله تع فاذا هي حية تسعى او حال من حدود الله والعامل معنى الاشارة لقوم يعلمون اي يفهمون وتخصيصهم بالذكر لعموم
الدعوة والتبليغ لما انهم المنتفعون بالبيان او لان ما سيلحق بعض النصوص من البيان لا يقف عليه الا الراسخون في العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن
اي اخر عدتهن فان الاجل كما يطلق على المدة يطلق على منتهاها والبلوغ هو الوصول الي الشيء وقد يقال للدنو منه اتساعا وهو المراد
ههنا لقوله عز وجل فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امكان للامساك بعد تحقق بلوغ الاجل اي فراجعوهن بغير ضرار
او خلوهن حتى ينقضي اجلهن باحسان من غير تطويل وهذا كما ترى اعادة للحكم في بعض صوره اعتناء بشانه ومبالغة في ايجاب
المحافظة عليه ولا تمسكوهن ضرارا تاكيد للامر بالامساك بمعروف وتوضيح لمعناه وزجر صريح عما كانوا يتعاطونه اي لا تراجعوهن
ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى اذا شارفت انقضاء الاجل يراجعها لا لرغبة بل ليطول عليها العدة فنهي عنه بعد ما
امر بضده لما ذكر وضرارا نصب على العلية او الحالية اي لا تمسكوهن للمضارة او مضارين واللام في قوله لتعتدوا متعلقة بضرارا
اي لتظلموهن بالالجاء الي الافتداء ومن يفعل ذلك اي ما ذكر من الامساك المؤدي الي الظلم وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلته
في الشر والفساد فقد ظلم نفسه في ضمن ظلمه لهن بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا ايات الله المنطوية على الاحكام المذكورة او جميع اياته
وهي داخلة فيها دخولا اوليا هزوا اي مهزوا بها بان تعرضوا عنها وتتهاونوا في المحافظة على ما في تضاعيفها من الاحكام والحدود
من قولهم لمن لم يجد في الامر انت هازئ كانه نهي عن الهزء بها واريد ما يستلزمه من الامر بضده اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها
وارعوها حق رعايتها والا فقد اخذتموها هزوا ولعبا ويجوز ان يراد به النهي عن الامساك ضرارا فان الرجعة بلا رغبة فيها عمل بموجب ايات
الله بحسب الظاهر دون الحقيقة وهو المهزوء وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ثم يقول انما كنت العب فنزلت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
ثلث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والعتاق واذكروا نعمة الله عليكم حيث هداكم الي ما فيه سعادتكم الدينية والدنيوية
اي قابلوها بالشكر والقيام بحقوقها والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من نعمة الله اي كائنة عليكم او صفة لها على راي من يجوز حذف
الموصول مع بعض صلته اي الكائنة عليكم ويجوز ان يتعلق بنفسها ان اريد بها الانعام لانها اسم مصدر كنبات من انبت ولا يقدح في
عملها تاء التانيث لانه مبني عليها كما في قوله فلولا رجاء النصر منك ورهبة عقابك قد كانوا لنا كالموارد وما انزل عليكم عطف على

نعمة الله وما موصولة حذف عائدها من الصلة ومن في قوله عز وجل **من الكتاب والحكمة** بيانية اي من القرآن والسنة او القرآن الجامع للعنوانين على ان العطف لتغاير الوصفين كما في قولك الى القرم وابن الهمام وفي ابهامه اولا ثم بيانه من التفخيم ما لا يخفى وفي ايراده بالذكر مع كونه اول ما دخل في النعمة المأمور بذكرها ابانة بخطره ومبالغة في البعث على مراعاة ما ذكر قبله من الاحكام **يعظكم به** اي بما انزل حال من فاعل انزل او من مفعوله او منهما معا **واتقوا الله** في شأن المحافظة عليه والقيام بحقوقه الواجبة **واعلموا ان الله بكل شيء عليم** فلا يخفى عليه شيء مما تأتون وما تذرون فيؤاخذكم بافانين العقاب **واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن** بيان لحكم ما كانوا يفعلونه عند بلوغ الاجل حقيقة بعد بيان حكم ما كانوا يفعلونه عند المشارفة اليه والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها ولم يخرج والمراد المنع والخطاب اما للاولياء لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جميلة ان ترجع الى زوجها الاول بالنكاح وقيل نزلت في جابر بن عبد الله حين عضل ابنة عم له واسناد التطليق اليهم لتسببهم فيه كما ينبئ عنه تصديهم للعضل ولعل التعرض لبلوغ الاجل مع جواز التزوج الاول قبله ايضا لوقوع العضل المذكور حينئذ وليس فيه دلالة على ان ليس للمرأة ان تزوج نفسها والا لما احتيج الى نهي الاولياء عن العضل لما ان النهي لدفع الضرر عنهن فانهن وان قدرن على تزويج انفسهن لكنهن يحترزن عن ذلك مخافة اللوم والقطيعة واما للازواج حيث كانوا يعضلون مطلقاتهم ولا يدعونهن يتزوجن ظلما وقسرا لحمية الجاهلية واما للناس كافة فان اسناد ما فعله واحد منهم الى الجميع شائع مستفيض والمعنى اذا وجد فيكم طلاق فلا يقع فيما بينكم عضل سواء كان ذلك من قبل الاولياء او من جهة الازواج او من غيرهم وفيه تهويل لامر العضل وتحذير منه وايذان بان وقوع ذلك بين ظهرانيهم وهم ساكتون عنه بمنزلة صدوره عن الكل في استتباع اللائمة وسراية الغائلة **ان ينكحن** اي من ان ينكحن فمحله النصب عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل على الخلاف المشهور وقيل هو بدل اشتمال من الضمير المنصوب في تعضلوهن وفيه دلالة على صحة النكاح بعبارتهن **ازواجهن** ان اريد بهم المطلقون فالزوجية اما باعتبار ما كان واما باعتبار ما يكون والا فباعتبار الاخير **اذا تراضوا** ظرف للا تعضلوا وصيغة التذكير باعتبار تغليب الخطاب على النساء والتقييد به لانه المعتاد لا لتجويز المنع قبل تمام التراضي وقيل ظرف لان ينكحن وقوله تعالى **بينهم** ظرف للتراضي مفيد لرسوخه واستحكامه **بالمعروف** الجميل عند الشرع المستحسن عند الناس والباء اما متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل تراضوا او نعتا لمصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف واما بتراضوا اي تراضوا بما يحسن في الدين والمروءة وفيه اشعار بان المنع من التزوج بغير كفؤ او بما دون مهر المثل ليس من باب العضل **ذلك** اشارة الى ما فصل من الاحكام وما فيه من معنى البعد لتعظيم المشار اليه والخطاب لجميع المكلفين كما فيما بعده والتوحيد اما باعتبار كل واحد منهم واما بتأويل القبيل والفريق واما لان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين او للرسول صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يعرفه كل احد **ازكى لكم** اي انمى وانفع **واطهر** من ادناس الآثام واوضار الذنوب **والله يعلم** ما فيه من الزكاء والطهر **وانتم لا تعلمون** ذلك او والله يعلم ما فيه صلاح اموركم من الاحكام والشرائع التي من جملتها ما بينه ههنا وانتم لا تعلمونها فدعوا آراءكم وامتثلوا بامره تعالى ونهيه في كل ما تأتون وما تذرون **والوالدات يرضعن اولادهن** شروع في بيان الاحكام المتعلقة باولادهن خصوصا واستطرادا وهو امر اخرج مخرج الخبر مبالغة في الحمل على تحقيق مضمونه ومعناه الندب او الوجوب ان خص بمادة عدم قبول الصبي ثدي الغير او فقدان الظئر او عجز الوالد عن الاستئجار والتعبير عنهن بالعنوان المذكور لهز عطفهن نحو اولادهن والحكم عام للمطلقات وغيرهن وقيل خاص بهن اذ الكلام فيهن **حولين كاملين** التأكيد بصفة الكمال لبيان ان التقدير تحقيقي لا تقريبي مبني على المسامحة المعتادة **لمن اراد ان يتم الرضاعة** بيان لمن يتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة وفيه دلالة على جواز النقص وقيل اللام متعلقة بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له كما يقال ارضعت فلانة لفلان ولده **وعلى المولود له** اي الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي لوجوب الارضاع ومؤنة المرضعة عليه **رزقهن وكسوتهن** اجرة لهن واختلف في استئجار الام وهو غير جائز عندنا ما دامت في النكاح او العدة جائز عند الشافعي رحمه الله تعالى **بالمعروف** حسبما يراه الحاكم ويفي به وسعه **لا تكلف نفس الا وسعها** تعليل لايجاب المؤن بالمعروف او تفسير للمعروف وهو نص على انه تعالى لا يكلف العبد ما لا يطيقه

وذلك لا ينافي امكانه **لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده** تفصيل لما قبله وتقرير له اي لا يكلف كل واحد منهما الآخر ما لا يطيقه ولا يضاره بسبب ولده وقرئ لا تضار بالرفع بدلا من لا تكلف واصله على القراءتين لا تضارر بالكسر على البناء للفاعل وبالفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته اي لا يضر الوالدان بالولد فيفرط في تعهده ويقصر فيما ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد الى كل منهما لاستعطافهما اليه وللتنبيه على انه جدير بان يتفقا على استصلاحه ولا ينبغي ان يضرا به او يتضارا بسببه **وعلى الوارث مثل ذلك** عطف على قوله تعالى وعلى المولود له رزقهن الخ وما بينهما تعليل او تفسير معترض والمراد به وارث الصبي ممن كان ذا رحم محرم منه وقيل عصباته وقال الشافعي رحمه الله تعالى هو وارث الاب وهو الصبي اي تمان المرضعة من ماله عند موت الاب ولا نزاع فيه وانما الكلام فيما اذا لم يكن للصبي مال وقيل الباقي من الابوين من قوله عليه السلام واجعله الوارث منا وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة **فان ارادا** اي الوالدان **فصالا** اي فطاما عن الرضاع قبل تمام الحولين والتنكير للايذان بانه فصال غير معتاد **عن تراض** متعلق بمحذوف يساق اليه الذهن اي صادرا عن تراض **منهما** اي من الوالدين لا من احدهما فقط لاحتمال اقدامه على ما يضر بالولد بان تمل المرأة الارضاع ويبخل الاب باعطاء الاجرة **وتشاور** في شأن الولد وتفحص عن احواله واجماع منهما على استحقاقه للفطام والتشاور من المشورة وهي استخراج الرأي من شرت العسل اذا استخرجته وتنكيرهما للتفخيم **فلا جناح عليهما** في ذلك لما ان تراضيهما انما يكون بعد استقرار رأيهما واجتهادهما على ان صلاح الولد في الفطام وقلما يتفقان على الخطأ **وان اردتم** بيان لحكم عدم اتفاقهما على الفطام والالتفات الى خطاب الآباء لهزهم الى الامتثال بما امروا به **ان تسترضعوا اولادكم** بحذف المفعول الاول استغناء عنه اي ان تسترضعوا المراضع اولادكم يقال ارضعت المرأة الصبي واسترضعتها اياه وقيل انما يتعدى الى الثاني بحرف الجر يقال استرضعت المرأة للصبي اي ان تسترضعوا المراضع لاولادكم فحذف الجار ايضا كما في قوله تعالى واذا كالوهم اي كالوا لهم **فلا جناح عليكم** اي في الاسترضاع وفيه دلالة على ان للاب ان يسترضع للولد ويمنع الام من الارضاع **اذا سلمتم** اي الى المراضع **ما آتيتم** اي ما اردتم ايتاءه كما في قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وقرئ ما أتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ ما اوتيتم اي من جهة الله عز وجل كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وفيه مزيد بعث لهم على التسليم **بالمعروف** متعلق بسلمتم اي بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه وليس التسليم بشرط للصحة والجواز بل هو ندب الى ما هو الأليق والأولى فان المراضع اذا اعطين ما قدر لهن ناجزا يدا بيد كان ذلك ادخل في استصلاح شؤون الاطفال **واتقوا الله** في شأن مراعاة الاحكام المذكورة **واعلموا ان الله بما تعملون بصير** فيجازيكم بذلك واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وفيه من الوعيد والتهديد ما لا يخفى **والذين** على حذف المضاف اي وازواج الذين **يتوفون منكم** اي يقبض ارواحهم بالموت فان التوفي هو القبض يقال توفيت مالي من فلان واستوفيته منه اي اخذته وقبضته والخطاب لكافة الناس بطريق التلوين **ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا** او على حذف العائد الى المبتدأ في الخبر اي يتربصن بعدهم كما في قولهم السمن منوان بدرهم اي منوان منه وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون آجالهم وتأنيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام ولذلك تراهم لا يكادون يستعملون التذكير في مثله اصلا حتى انهم يقولون صمت عشرا ومن البين في ذلك قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل الحكمة في هذا التقدير ان الجنين اذا كان ذكرا يتحرك غالبا لثلاثة اشهر وان كان انثى يتحرك لاربعة فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف الحركة فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية والحرة والامة في هذا الحكم ولكن القياس اقتضى التنصيف في الامة وقوله عز وجل واولات الاحمال خص الحامل منه وعن علي وابن عباس رضي الله عنهما انها تعتد بابعد الاجلين احتياطا **فاذا بلغن اجلهن** اي انقضت عدتهن **فلا جناح عليكم** ايها الائمة والحكام والمسلمون جميعا **فيما فعلن في انفسهن** من التزين والتعرض للخطاب وسائر ما حرم على المعتدة **بالمعروف** بالوجه الذي لا ينكره الشرع وفيه اشارة الى انهن لو فعلن ما ينكره الشرع فعليهم ان يكفوهن عن ذلك

والا فعليهم الجناح **والله بما تعملون خبير** فلا تعملوا خلاف ما امرتم به **ولا جناح عليكم** خطاب للكل **فيما عرضتم به** التعريض والتلويح ابهام المقصود
بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك واصله امالة الكلام عن نهجه الى عرض منه اي جانب والكناية هي الدلالة
على الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف **من خطبة النساء** الخطبة بالكسر كالعقدة والجلسة ما
يفعله الخاطب من الطلب والاستلطاف بالقول والفعل فقيل هي ماخوذة من الخطب اي الشان الذي له خطر لما انها شان من الشؤون ونوع من
الخطوب وقيل من الخطاب لانها نوع مخاطبة تجري بين جانب الرجل وجانب المراة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة والتعريض بخطبتهن
ان يقول لها انك لجميلة او صالحة او نافعة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك مما يوهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت
فيه ولا يصرح بالنكاح **او اكننتم في انفسكم** اي اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا **علم الله انكم ستذكرونهن** ولا تصبرون على
السكوت عنهن وعن اظهار الرغبة وفيه نوع توبيخ لهم على قلة التثبت **ولكن لا تواعدوهن سرا** استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن
اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا بل اكتفوا بما رخص لكم من التعريض والتعبير عن النكاح بالسر لان مسببه الذي هو الوطء مما يسر به
واشارة على اسمه للايذان بانه مما ينبغي ان يسر به ويكتم وحمله على الوطء ربما يوهم الرخصة في المحظور الذي هو التصريح بالنكاح وقيل انتصاب
سرا على الظرفية اي لا تواعدوهن في السر على ان المراد بذلك المواعدة بما يستهجن وفيه ما فيه **الا ان تقولوا قولا معروفا** استثناء مفرغ
من ما يدل عليه النهي اي لا تواعدوهن مواعدة ما الا مواعدة معروفة غير منكرة شرعا وهي ما يكون بطريق التعريض والتلويح او الا
مواعدة بقول او لا تواعدوهن بشيء من الاشياء الا بان تقولوا قولا معروفا وقيل هو استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه
الى جعل التعريض موعدا وليس كذلك **ولا تعزموا عقدة النكاح** من عزم الامر اذا قصده قصدا جازما وحقيقته القطع بدليل قوله عم
لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لمن لم يبيت الصيام والنهي عنه للمبالغة في النهي عن مباشرة عقد النكاح اي لا تعزموا ولا تقدموا
ولا تقدموا عليها فيكون نهيا عن نفس الفعل لا عن قصده **واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم** من ذوات الصدور التي من جملتها العزم على ما نهيتم
عنه **فاحذروه** بالاجتناب عن العزم ابتداء او اقلاعا عنه بعد تحققه **واعلموا ان الله غفور** يغفر لمن يقلع عن عزمه خشية منه تعالى **حليم**
لا يعاجلكم بالعقوبة فلا تستدلوا بتاخيرها على ان ما نهيتم عنه من العزم ليس مما يستتبع المؤاخذة واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لادخال
الروعة **لا جناح عليكم** اي لا تبعة من مهر وهو الاظهر وقيل من وزر اذ لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم
يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه جناحا فنفى ذلك **ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن** اي ما لم تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم التاء
في جميع المواقع اي مدة عدم مسيسكم اياهن على ان ما مصدرية ظرفية بتقدير المضاف ونقل ابو البقاء انها شرطية بمعنى ان فيكون من باب
اعتراض الشرط فيكون الثاني قيدا للاول كما في قولك ان تاتني ان تحسن الي اكرمك ان ما الظرفية انما يحسن موقعها فيما اذا كان المظروف امرا ممتدا منطبقا على ما
اضيف اليها من المدة او الزمان كما في قوله تع خالدين فيها ما دامت السموات والارض وقوله تع وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ولا يخفى ان
ان التطليق ليس كذلك وتعليق الظرف بنفي الجناح ربما يوهم امكان المسيس بعد الطلاق فالوجه ان يقدر الحال مكان الزمان والمدة **او
تفرضوا لهن فريضة** اي الا ان تفرضوا لهن او حتى تفرضوا لهن عند العقد مهرا على ان فريضة فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ
من الوصفية الى الاسمية وانتصابه على المفعولية ويجوز ان تكون مصدرا صيغة واعرابا والمعنى انه لا تبعة على المطلق بمطالبة المهر اصلا اذا
كان الطلاق قبل المسيس على كل حال الا في حال تسمية المهر فان عليه ح نصف المسمى وفي حال عدم تسميته عليه المتعة لا نصف مهر المثل واما اذا
كان بعد المساس فعليه في صورة التسمية تمام المسمى وفي صورة عدمها تمام مهر المثل وقيل كلمة او عاطفة لمدخولها على ما قبلها من الفعل المجزوم
على معنى ما لم يكن منكم مسيس ولا فرض مهر **ومتعوهن** عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة
جبر ايحاش الطلاق وهي درع وملحفة وخمار على حسب الحال كما يفصح عنه قوله تع **على الموسع قدره وعلى المقتر قدره** اي ما يليق بحال كل
منهما وقرئ باسكان الدال وهي جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مبينة لمقدار المتعة بالنظر الى حال المطلق ايسارا واقتارا او حال

او حال من فاعل متعوهن بحذف الرابط اي على الموسع منكم الخ او على جعل الالف واللام عوضا من المضاف اليه عند من يجوزه على موسعكم الخ
وهذا اذا لم يكن مهر مثلها اقل من ذلك فان كان اقل فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم **متاعا** اي تمتيعا
بالمعروف اي بالوجه الذي تستحسنه الشريعة والمروة **حقا** صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا **على المحسنين** اي الذين يحسنون الى
انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع بالمعروف وانما سموا محسنين اعتبارا للمشارفة ترغيبا وتحريضا **وان طلقتموهن من
قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن** قبل ذلك **فريضة** اي وان طلقتموهن بعد النكاح مهرا على ان الجملة حال من فاعل طلقتموهن ويجوز ان يكون
حالا من مفعوله لتحقق الرابط بالنسبة اليهما ونفس الفرض من المبني للفاعل والمفعول وان لم يقارن حالة التطليق لكن اتصاف المطلق
بالفارضية فيما سبق مما لا ريب في مقارنته لها وكذا الحال في اتصاف المطلقة بكونها مفروضا لها فيما سبق **فنصف ما فرضتم** اي فلهن
نصف ما سميتم لهن من المهر او فالواجب عليكم ذلك وهذا صريح في ان المنفي في الصورة السابقة انما هو تبعة المهر وقرئ بالنصب اي
فادوا نصف ما فرضتم ولعل تاخير حكم التسمية مع انها الاصل في العقد والاكثر في الوقوع لما ان الآية الكريمة نزلت في انصاري
تزوج امراة من بني حنيفة وكانت مفوضة فطلقها قبل الدخول بها فتخاصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام عند
اظهار ان لا شيء له متعها بقلنسوتك **الا ان يعفون** استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي فلهن نصف المفروض معينا في كل حال الا حال
عفوهن فانه يسقط ذلك ح بعد وجوبه وظاهر الصيغة في نفسها يحتمل التذكير والتانيث وانما الفرق في الاعتبار والتحقيق فان الواو
في الاول ضمير والنون علامة الرفع وفي الثانية لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك لم يؤثر فيه ان تاثيره فيما عطف على محله
من قوله تع **او يعفو** بالنصب وقرئ بسكون الواو **الذي بيده عقدة النكاح** اي يترك الزوج المالك لعقده وحله ما يعود
اليه من نصف المهر الذي ساقه اليها كاملا على ما هو المعتاد تكرما فان ترك حقه عليها عفو بلا شبهة او سمي ذلك عفوا في صورة
عدم السوق مشاكلة او تغليبا لحال السوق على حال عدمه فمرجع الاستثناء ح الى منع الزيادة في المستثنى منه كما انه في الصورة
الاولى الى منع النقصان فيه اي فلهن هذا القدر بلا نقصان ولا زيادة في جميع الاحوال الا في حال عفوهن فانه ح لا يكون لهن القدر
المذكور بل ينتفي ذلك او ينحط او في حال عفو الزوج فانه ح يكون لهن الزيادة على ذلك القدر هذا على التفسير الاول واما على
التفسير الثاني فلا بد من المصير الى الاستثناء منقطعا لان في صورة عفو الزوج لا يتصور الوجوب عليه هذا عندنا وفي القول
القديم للشافعي رحمه الله تعالى ان المراد عفو الولي الذي بيده عقد نكاح الصغيرة وهو ظاهر الماخذ على ان الاول انسب
بقوله تع **وان تعفوا اقرب للتقوى** الى آخره فان اسقاط حق الصغيرة ليس في شيء من التقوى وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه
انه تزوج امراة وطلقها قبل الدخول واكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وقرئ بالياء **ولا تنسوا الفضل بينكم** اي لا
تتركوا ان يتفضل بعضكم على بعض كالشيء المنسي وقرئ بكسر الواو والخطاب في الفعلين للرجال والنساء جميعا بطريق التغليب **ان الله
بما تعملون بصير** فلا يكاد يضيع ما عملتم من التفضل والاحسان **حافظوا على الصلوات** اي داوموا على ادائها لاوقاتها من غير
اخلال بشيء منها كما ينبئ عنه صيغة المفاعلة المفيدة للمبالغة ولعل الامر بها في تضاعيف بيان احكام الازواج والاولاد قبل
الاتمام للايذان بانها حقيقة بكمال الاعتناء بشانها والمثابرة عليها من غير اشتغال عنها بشانهم بل بشان انفسهم ايضا كما
يفصح عنه الامر بها في حالة الخوف ولذلك امر بها في خلال بيان ما يتعلق بهم من الاحكام الشرعية المتشابكة الاخذ بعضها بحجزة
بعض **والصلوة الوسطى** اي المتوسطة بينها او الفضلى منها وهي صلوة العصر لقوله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة
الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام انها الصلوة التي شغل عنها سليمان بن داود عليهما السلام وفضلها
لكثرة اشتغال الناس في وقتها بتجاراتهم ومكاسبهم واجتماع ملائكة الليل وملائكة النهار ح وقيل هي صلوة الظهر لانها في وسط
النهار وكانت اشق الصلوات عليهم لما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصليها بالهاجرة فكانت افضلها لقوله صلى الله عليه وسلم

افضل العبادات احمزها وقيل هي صلوة الفجر لانها بين صلوتي الليل والنهار والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة كصلوة العصر وقيل هي صلوة المغرب لانها متوسطة من حيث العدد ومن حيث الوقوع بين صلوتي النهار والليل ووتر النهار ولا تنقص في السفر وقيل هي صلوة العشاء لانها بين الجهريتين الواقعتين في طرفي الليل وعن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم انه عليه السلام يقرأ والصلوة الوسطى وصلوة العصر فتكون حينئذ احدى الاربع قد خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالذكر وقرئ وعلى الصلوة الوسطى وقرئ بالنصب على المدح وقرئ الوصطى وقوموا لله اي في الصلوة قانتين ذاكرين له تعالى في القيام لان القنوت هو الذكر فيه وقيل هو اكمال الطاعة واتمامها بغير اخلال بشيء من اركانها وقيل خاشعين وقال ابن المسيب رضي الله عنه المراد به القنوت في الصبح فان خفتم اي من عدو او غيره فرجالا جمع راجل كقيام وقائم او رجل بمعنى راجل وقرئ بضم الراء مع التخفيف وبضمها مع التشديد ايضا وقرئ فرجلا او راجلا او ركبانا جمع راكب اي فصلوا راجلين او راكبين حسبما تقتضيه الحال ولا تخلوا بها ما امكن الوقوف في الجملة وجوز الشافعي رحمه الله تعالى ادائها حال المسايفة ايضا فاذا امنتم بزوال الخوف فاذكروا الله اي فصلوا صلاة الامن عبر عنها بالذكر لانه معظم اركانها كما علمكم متعلق بمحذوف وقع وصفا لمصدر محذوف اي ذكرا كائنا كما علمكم اي كتعليمه اياكم ما لم تكونوا تعلمون من كيفية الصلوة والمراد بالتشبيه ان تكون الصلوة المؤداة موافقة لما علمه الله تعالى وايرادها بذلك العنوان لتذكير النعمة او اشكروا الله تعالى شكرا يوازي تعليمه اياكم ما لم تكونوا تعلمون من الشرائع والاحكام التي من جملتها كيفية اقامة الصلوة حالتي الخوف والامن هذا وفي ايراد الشرطية الثانية بكلمة اذا المنبئة عن تحقق وقوع الامن وكثرته مع الايجاز في جواب الاولى والاطناب في جواب الثانية المبني على تنزيل مقام وقوع المأمور به فيها منزلة مقام وقوع الامر تنزيلا مستدعيا لاجراء مقتضى المقام الاول في كل منهما مجرى مقتضى المقام الثاني من الجزالة ولطف الاعتبار ما فيه عبرة لاولي الابصار والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا عود الى بيان بقية الاحكام المفصلة فيما سلف اثر بيان احكام وسطت بينهما لما اشير اليه من الحكمة الداعية الى ذلك وصية لازواجهم اي يوصون او ليوصوا او كتب الله عليهم وصية ويؤيد هذا قراءة من قرأ كتب عليكم الوصية لازواجكم وقرئ بالرفع على تقدير مضاف في المبتداء او الخبر اي حكم الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية ازواجهم او كتب عليهم وصية او عليهم وصية وقرئ متاع لازواجهم بدل وصية متاعا الى الحول منصوب بيوصون ان اضمرته والا فبالوصية او بمتاع على القراءة الاخيرة غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد كما في قولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل الاحتضار لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالنفقة والسكنى وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله تعالى اربعة اشهر وعشرا فانه وان كان متقدما في التلاوة متأخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن وكذلك السكنى عندنا وعند الشافعي هي باقية فان خرجن عن منزل الازواج باختيارهن فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن من معروف لا ينكره الشرع كالتزين والتطيب وترك الحداد والتعرض للخطاب وفيه دلالة على ان المحظور اخراجها عند ارادة القرار وملازمة مسكن الزوج والحداد من غير ان يجب عليها ذلك وانها كانت مخيرة بين الملازمة مع اخذ النفقة وبين الخروج مع تركها والله عزيز غالب على امره يعاقب من خالفه حكيم يراعي في احكامه مصالح عباده وللمطلقات سواء كن مدخولا بهن اولا متاع اي مطلق المتعة الشاملة للواجبة والمستحبة واوجبها سعيد بن جبير وابو العالية والزهري للكل وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة وقيل اللام للعهد والمراد غير المدخول بهن والتكرير للتأكيد بالمعروف شرعا وعادة حقا على المتقين اي مما لا ينبغي كذلك اي مثل ذلك البيان الواضح يبين الله لكم آياته الدالة على احكامه التي شرعها لعباده لعلكم تعقلون كي تفهموا ما فيها وتعملوا بموجبها الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب الاخبار وتعجيب من شأنهم البديع فان سماعهم بمنزلة الرؤية النظرية او العلمية او لكل احد ممن له حظ من الخطاب ايذانا بان قصتهم من الشهرة والشيوع بحيث يحق لكل احد ان يحمل على الاقرار برؤيتهم وسماع قصتهم ويتعجب بها وان لم يكن ممن رآهم او سمع بقصتهم فان هذا الكلام قد جرى مجرى المثل في مقام التعجب لانه شبه حال

حال غير الرائي له بناء على ادعاء ظهور امره وجلائه بحيث استوى في ادراكه الشاهد والغائب ثم اجري الكلام معه كما يجري مع الرائي قصدا الى المبالغة في شهرته وعراقته في التعجب وتعدية الرؤية بالى في قوله تعالى الى الذين خرجوا من ديارهم على تقدير كونها بمعنى الابصار باعتبار معنى النظر وعلى تقدير كونها ادراكا قلبيا لتضمين معنى الوصول والانتهاء على معنى الم ينته علمك اليهم وهم الوف اي الوف كثيرة قيل عشرة آلاف وقيل ثلثون وقيل سبعون الفا والجملة حال من ضمير خرجوا وقوله عز وجل حذر الموت مفعول له روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا منها هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا ان لا مفر من حكم الله عز سلطانه وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقيه واصابعه تعجبا مما رأى من امرهم فاوحي اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله تعالى فنادى فاذا هم قيام يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فاماتهم الله تعالى ثمانية ايام ثم احياهم وقوله عز وجل فقال لهم الله موتوا اما عبارة عن تعلق ارادته تعالى بموتهم دفعة واما تمثيل لاماتته تعالى اياهم ميتة نفس واحدة في اقرب وقت وادناه واسرع زمان واوحاه بامر آمر مطاع لمأمور مطيع كما في قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ثم احياهم عطف على مقدر يستدعيه المقام اي فماتوا ثم احياهم وانما حذف للدلالة على الاستغناء عن ذكره لاستحالة تخلف مراده تعالى عن ارادته واما على مآل المآله عبارة عن الاماتة وفيه تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض لاسباب الشهادة وان الموت حيث لم يكن منه بد ولم ينفع منه المفر فاولى ان يكون في سبيل الله تعالى ان الله لذو فضل عظيم على الناس قاطبة اما اولئك فقد احياهم ليعتبروا بما جرى عليهم فيفوزوا بالسعادة العظمى واما الذين سمعوا قصتهم فقد هداهم الى مسلك الاعتبار والاستبصار ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يشكرون فضله كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار واظهار الناس في مقام الاضمار لمزيد التشنيع وقاتلوا في سبيل الله عطف على مقدر تعينه ما قبله كانه قيل فاشكروا فضله بالاعتبار بما قص عليكم وقاتلوا في سبيل الله لما علمتم ان الفرار لا ينجي من الحمام وان المقدر لا مرد له فان كان قد حان الاجل فموت في سبيل الله عز وجل والا فنصر عزيز وثواب واعلموا ان الله سميع لمقالة السابقين والمتخلفين عليم بما يضمرونه في انفسهم وهو من وراء الجزاء خيرا وشرا فسارعوا الى القتال واحذروا المخالفة والمساهلة من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة المحل بالابتداء وذا خبره والموصول صفة له او بدل واقراض الله تعالى مثل لتقديم العمل العاجل طلبا للثواب الآجل والمراد ههنا اما الجهاد الذي هو عبارة عن بذل النفس والمال في سبيل الله عز وجل ابتغاء لمرضاته واما مطلق العمل الصالح المنتظم له انتظاما اوليا قرضا حسنا اي اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا فيضاعفه له بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فانه في معنى ايقرضه وقرئ بالرفع اي يضاعف اجره وجزاءه جعل ذلك مضاعفة له بناء على ما بينهما من المناسبة بالسببية ظاهرا وصيغة المغالبة للمبالغة وقرئ فيضعفه بالرفع وبالنصب اضعافا جمع ضعف ونصبه على انه حال من الضمير المنصوب او مفعول ثان بتضمين المضاعفة معنى التصيير او مصدر مؤكد على ان الضعف اسم للمصدر والجمع للتنويع كثيرة لا يعلم قدرها الا الله تعالى وقيل الواحد بسبعمائة والله يقبض ويبسط اي يقتر على بعض ويوسع على بعض او يقتر تارة ويوسع اخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم ولعل تأخير البسط عن القبض في الذكر للايماء الى انه يعقبه في الوجود تسلية للفقراء وقرئ يبصط بالصاد لمجاورة الطاء واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم من الاعمال خيرا وشرا الم تر تقرير وتعجيب كما سبق وقطع عنه للايذان باستقلاله في التعجب مع ان له مزيد ارتباط بما وسط بينهما من الامر بالقتال الى الملأ من بني اسرائيل الملأ من القوم وجوههم واشرافهم وهو اسم للجماعة لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم سموا بذلك لانهم يملؤون العيون مهابة والمجالس بها او لانهم مليئون بما ينبغي منهم ومن تبعيضية وما في قوله تعالى من بعد موسى ابتدائية وعاملها مقدر وقع حالا من الملأ اي كائنين بعض

اسرائيل من بعد وفاة موسى عليه السلام ولا ضير في اتحاد الحرفين لفظاً عند اختلافهما معنى **اذ قالوا** منصوب بمضمر يستدعيه المقام الم تر الى قصة الملأ او حديثهم حين قالوا **لنبي لهم** هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام وقيل شمعون بن صفية بن علقمة من ولد لاوى بن يعقوب عم وقيل اشمويل بن بال بن علقمة وهو بالعبرانية اسمعيل قال مقاتل هو من نسل هرون عليه السلام قال مجاهد اشمويل بن هلفايا **ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله** اي انهض للقتال معنا اميراً نصدر في تدبير امر الحرب عن رأيه وقرئ نقاتل بالرفع على انه حال مقدرة اي ابعثه لنا مقدرين القتال او استيناف مبني على السؤال وقرئ يقاتل بالياء مجزوماً ومرفوعاً على الجواب للامر والوصف لملكاً **قال** استيناف وقع جواباً عن سؤال ينساق اليه الذهن كأنه قيل فماذا قال لهم النبي حينئذ فقيل قال **هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا** فصل بين عسى وخبره بالشرط للاعتناء به اي هل قاربتم ان لا تقاتلوا كما اتوقعه منكم والمراد تقرير ان المتوقع كائن وانما لم يذكر في موقع الشرط الملتمس بان قيل هل عسيتم ان بعثت لكم ملكاً الخ مع انه اظهر تعلقاً بكلامهم بل ذكر كتابة القتال عليهم للمبالغة في بيان تخلفهم عنه فانهم اذا لم يقاتلوا عند فرضية القتال عليهم بايجاب الله تعالى فلأن لا يقاتلوا عند عدم فرضيته اولى ولأن ايراد ما ذكروه ربما يوهم ان سبب تخلفهم عن القتال هو المبعوث لا نفس القتال وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة **قالوا** استيناف كما سبق **وما لنا ان لا نقاتل** اي اي سبب لنا في ان لا نقاتل **في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا** اي والحال انه قد عرض لنا ما يوجب القتال ايجاباً قوياً من الاخراج عن الديار والاوطان والاغتراب من الاهل والاولاد وافراد الابناء بالذكر لمزيد تقوية اسباب القتال وذلك ان جالوت رأس العمالقة وملكهم وهو جبار من اولاد عمليق بن عاد كان هو ومن معه من العمالقة يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وظهروا على بني اسرائيل واخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين نفساً وضربوا عليهم الجزية واخذوا توراتهم **فلما كتب عليهم القتال** بعد سؤال النبي عم ذلك وبعث الملك **تولوا** اي اعرضوا وتخلفوا لكن لا في ابتداء الامر بل بعد مشاهدة كثرة العدو وشوكته كما سيجيء تفصيله وانما ذكر هاهنا مآل امرهم اجمالاً اظهاراً لما بين قولهم وفعلهم من التنافي والتباين **الا قليلا منهم** وهم الذين اكتفوا بالغرفة من النهر وجاوزوه وهم ثلثمائة وثلاثة عشر بعدد اهل بدر **والله عليم بالظالمين** وعيد لهم على ظلمهم بالتولي عن القتال وترك الجهاد وتنافي اقوالهم وافعالهم والجملة اعتراض تذييلي **وقال لهم نبيهم** شروع في تفصيل ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من الاقوال والافعال اثر الاشارة الاجمالية الى مصير حالهم اي قال لهم بعد ما اوحي اليه ما اوحي **ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا** طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول يأباه منع صرفه وملكاً حال منه روي انه عليه السلام لما دعى ربه ان يجعل لهم ملكاً اتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت **قالوا** استيناف كما مر **انى يكون له الملك علينا** اي من اين يكون او كيف يكون ذلك **ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال** الواو الاولى حالية والثانية عاطفة جامعة للجملتين في الحكم اي كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق منه ولعدم ما يتوقف عليه الملك من المال وسبب هذا الاستبعاد ان النبوة كانت مخصوصة بسبط معين من اسباط بني اسرائيل وهو سبط لاوي بن يعقوب عم وسبط المملكة بسبط يهوذا ومنه داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من احد هذين السبطين بل من ولد بنيامين قيل كان راعياً وقيل دباغاً وقيل سقاء **قال ان الله اصطفاه عليكم** لما استبعدوا تملكه بسقوط نسبه وبفقره رد عليهم ذلك اولاً بان ملاك الامر هو اصطفاء الله عليكم وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانياً بان العمدة وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليعظم خطره في القلوب ويقدر على مقاومة الاعداء ومكابدة الحروب وقد خصه الله تعالى منهما بحظ وافر وذلك قوله عز وجل **وزاده بسطة في العلم** اي العلم المتعلق بالملك او به وبالديانات ايضاً وقيل قد اوحي اليه ونبئ **والجسم** قيل بطول القامة فانه كان اطول من غيره برأسه ومنكبيه حتى ان الرجل القائم كان يمد يده فينال رأسه وقيل بالجمال وقيل بالقوة **والله يؤتي ملكه من يشاء** لانه مالك الملك والملكوت فعال لما يريد فله ان يؤتيه من يشاء من عباده **والله واسع** يوسع على الفقير ويغنيه **عليم** بمن يليق بالملك ممن لا يليق به واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة **وقال لهم نبيهم** توسيطه فيما بين قوليه المحكيين عنه عم للاشعار بعدم اتصال احدهما بالآخر وتخلل كلام من جهة المخاطبين متفرع على السابق

على السابق مستتبع للاحق كأنهم طلبوا منه عم آية تدل على انه تعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم روي انهم قالوا ما آية ملكه فقال **ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت** اي الصندوق وهو فعلوت من التوب الذي هو الرجوع لما انه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وتاؤه مزيدة لغير التأنيث كملكوت ورهبوت والمشهور ان يوقف على تائه من غير ان تقلب هاء ومنهم من يقلبها اياها والمراد به صندوق التورية وكان قد رفعه الله عز وجل بعد وفاة موسى عم سخطاً على بني اسرائيل لما عصوا واعتدوا فلما طلب القوم من نبيهم آية تدل على ملك طالوت قال لهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت من السماء والملائكة يحفظونه فأتاهم كما وصف والقوم ينظرون اليه حتى نزل عند طالوت وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما وقال ارباب الاخبار ان الله تعالى انزل على آدم تابوتاً فيه تماثيل الانبياء عليهم السلام من اولاده وكان من عود الشمشاد نحواً من ثلثة اذرع في ذراعين فكان عند آدم عم الى ان توفي فتوارثه اولاده واحداً بعد واحد الى ان وصل الى يعقوب عم ثم بقي في ايدي بني اسرائيل الى ان وصل الى موسى عم فكان عم يضع فيه التورية وكان اذا قاتل قدمه فكانت تسكن اليه نفوس بني اسرائيل وكان عنده الى ان توفي ثم تداولته ايدي بني اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا في شيء تحاكموا اليه فيكلمهم ويحكم بينهم وكانوا اذا حضروا القتال يقدمونه بين ايديهم ويستفتحون به على عدوهم وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر ثم يقاتلون العدو فاذا سمعوا من التابوت صيحة استيقنوا النصر فلما عصوا وفسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه وجعلوه في موضع البول والغائط فلما اراد الله تعالى ان يملك طالوت سلط عليهم البلاء حتى ان كل من بال عنده ابتلي بالبواسير وهلكت من بلادهم خمس مدائن فعلم الكفار ان ذلك بسبب استهانتهم بالتابوت فأخرجوه وجعلوه على ثورين فاقبل الثوران يسيران وقد وكل الله تعالى بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما حتى اتوا منزل طالوت فلما سألوا نبيهم البينة على ملك طالوت قال لهم النبي ان آية ملكه انكم تجدون التابوت في داره فلما وجدوه عنده ايقنوا بالملك **فيه سكينة من ربكم** اي في اتيانه سكون لكم وطمأنينة كائنة من ربكم او في التابوت ما تسكنون اليه وهو التورية المودعة فيه فانه عليه السلام كان اذا قاتل قدمه فتسكن اليه نفوس بني اسرائيل وقيل السكينة صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة **وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون** هي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التورية وكان قد رفعه الله تعالى بعد وفاة موسى عم والهما ابناؤهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شأنهما او انبياء بني اسرائيل **تحمله الملائكة** حال من التابوت اي ان آية ملكه اتيانه حال كونه محمولاً للملائكة وقد مر كيفية ذلك ولعل حمل الملائكة على الرواية الاخيرة عبارة عن سوقهم للثورين الحاملين له **ان في ذلك** اشارة الى ما ذكر من شأن التابوت فهو من تمام كلام النبي عم لقومه او الى نقل القصة وحكايتها فهو ابتداء كلام من جهة الله تعالى جيء به قبل تمام القصة اظهاراً لكمال العناية به وافراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين على التقديرين بتأويل الفريق او غيره كما سلف **لآية** عظيمة **لكم** دالة على ملك طالوت او على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث اخبر بهذه التفاصيل على ما هي عليه من غير سماع من البشر **ان كنتم مؤمنين** اي مصدقين بتمليكه عليكم او بشيء من الآيات وان شرطية والجواب محذوف ثقة بما قبله وقيل هي بمعنى اذ **فلما فصل طالوت بالجنود** اي انفصل بهم عن بيت المقدس والاصل فصل نفسه ولما اتحد فاعله ومفعوله شاع استعماله محذوف المفعول حتى نزل منزلة القاصر كانفصل وقيل فصل فصولاً وقد جوز كونه اصلاً برأسه ممتازاً من المتعدي بمصدره كوقف وقوفاً ووقفه وقفاً وصد صدوداً وصده صداً ورجع رجوعاً ورجعه رجعاً والباء متعلقة بمحذوف وقع حالاً من طالوت اي ملتبساً بهم ومصاحباً لهم روي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفاً وكان الوقت قيظاً وسلكوا مفازة فسألوا ان يجري الله تعالى لهم نهراً فبعد ما ظهر لهم ما تعلقت به مشيته تعالى من جهة النبي صلى الله عليه وسلم او بطريق الوحي عند من يقول بنبوته **قال ان الله مبتليكم**

بنهر بفتح الهاء وقرئ بسكونها فمن شرب منه اي من ابتداء شربه من النهر بان الشرب منه حقيقة فليس مني اي من جملتي واشياعي المؤمنين وقيل
ليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كانه بعضه لكمال اختلاطهما ومن لم يطعمه اي لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ماكولا كان او مشروبا
او غيرهما قال وان شئت حرمت النساء سواكم وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا اي نوما فانه مني الا من اغترف غرفة بيده استثناء
من قوله تع فمن شرب منه فليس مني وانما اخر من الجملة الثانية لابراز كمال العناية بها ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون
الكروع والغرفة ما يغرف وقرئ بفتح الغين على انها مصدر والباء متعلقة باغترف او بمحذوف وقع صفة لغرفة كائنة بيده روي ان
الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته ودوابه واما الذين شربوا منه فقد اسودت شفاههم وغلبهم العطش فشربوا منه عطف
على مقدر تقتضيه المقام اي فابتلوا به فشربوا منه الا قليلا منهم وهم المشار اليهم فيما سلف بالاستثناء من التولي وقرئ الا قليل منهم
ميلا الى جانب المعنى واعراضا عن عدوة اللفظ جانبا فان قوله تع فشربوا منه في قوة ان يقال فلم يطيعوه فحق ان يرد المستثنى مرفوعا
كما في قول الفرزدق وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف فان قوله لم يدع في حكم لم يبق فلما جاوزه اي النهر
هو اي طالوت والذين آمنوا معه عطف على الضمير المتصل المؤكد بالمنفصل والظرف متعلق بجاوز لا بآمنوا وقيل الواو حالية والظرف
متعلق بمحذوف وقع خبرا عن الموصول كانه قيل فلما جاوزه والحال ان الذين امنوا كائنون معه وهم اولئك القليل وفيه اشارة الى ان
من عداهم بمعزل من الايمان قالوا اي بعض من معه من المؤمنين لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده اي بمحاربتهم ومقاومتهم فضلا
عن ان يكون لنا غلبة عليهم لما شاهدوا منهم من الكثرة والشدة قيل كانوا مائة الف مقاتل شاكي السلاح قال استيناف مبني على
السؤال كانه قيل فماذا قال مخاطبهم فقيل قال الذين يظنون انهم ملاقو الله قيل اي الخلص منهم الذين يتيقنون لقاء الله تعالى
بالبعث ويتوقعون ثوابه وافرادهم بذلك الوصف لا ينافي ايمان الباقين فان درجات المؤمنين في التيقن والتوقع متفاوتة
او الذين يعلمون انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله تعالى وقيل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة والضمير في قالوا للمنخزلين
عنهم كانهم قالوه اعتذارا عن التخلف والنهر بينهما كم من فئة اي فرقة وجماعة من الناس من فاوت راسه اذا شققتها او من فاء
اليه اذا رجع فوزنها على الاول وعلى الثاني فلة قليلة غلبت فئة كثيرة وكم خبرية كانت او استفهامية مفيدة للتكثير وهي في حيز
الرفع بالابتداء خبرها غلبت اي كثير من الفئات القليلة غلبت الفئات الكثيرة باذن الله اي بحكمه وتيسيره فان دوران كافة الامور
على مشيئته تعالى فلا يذل من نصره وان قل عدده ولا يعز من خذله وان كثر اسبابه وعدده وقد روعي في الجواب نكتة بديعة حيث لم يقل
الطاقة بفئة كثيرة حسبما وقع في كلام اصحابهم مبالغة في رد اقوالهم وتسكين قلوبهم وهذا كما ترى جواب ناشئ من كمال ثقتهم بنصر الله
تع وتوفيقه ولا دخل في ذلك لظن لقاء الله تعالى بالبعث لا سيما بالاستشهاد فان العلم به ربما يورث الياس من الغلبة والتوقع
ثوابه تع ولا ريب في ان ما ذكر في حيز الصلة ينبغي ان يكون مدار الحكم الوارد على الموصول اقل ان يكون وصفا ملائما له فلعل المراد
بلقائه تعالى لقاء نصره وتاييده عبر عنه بذلك مبالغة كما عبر عن مقارنته سبحانه حيث قيل والله مع الصابرين فان المراد به معيته نصره
وتوفيقه حتما وحملها على المعية بالاثابة كما فعل يابا انهم انما قالوه تتميما لجوابهم وتاييدا له بطريق الاعتراض التذييلي تشجيعا لاصحابهم
وتثبيتا لهم على الصبر المؤدي الى الغلبة ولا تعلق له بما ذكر من المعية بالاثابة قطعا وكذا الحال اذا جعل ذلك ابتداء كلام من جهة الله
تعالى جيء به تقريرا لكلامهم والمعنى قال الذين يظنون او يعلمون من جهة النبي او من جهة التابوت والسكينة انهم ملاقو نصر الله العزيز كم من
فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله تع فنحن ايضا نغلب جالوت وجنوده وايراد خبر ان اسما مع ان اللقاء مستقبل للدلالة على تقرره
وتحققه ولما برزوا اي ظهر طالوت ومن معه من المؤمنين وصاروا الى براز من الارض في مواطن الحرب لجالوت وجنوده وشاهدوا
ما هم عليه من العدد والعدد وايقنوا انهم غير مطيقين بهم عادة قالوا اي جميعا عند تقوي قلوب الفريق الاول منهم بقول الفريق الثاني
متضرعين الى الله تع مستعينين به ربنا افرغ علينا صبرا على مقاساة شدائد الحرب واقتحام موارده الصعبة الضيقة وفي التوسل

وفي التوسل بوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال واتيار الافراغ المعرب عن الكثرة وتنكير الصبر المفصح عن التفخيم من الجزالة ما لا يخفى وثبت
اقدامنا في مداحض القتال ومزال النزال وثبات القدم عبارة عن كمال القوة والرسوخ عند المقارعة وعدم التزلزل وقت المقاومة
لا مجرد التقرر في واحد وانصرنا على القوم الكافرين بقهرهم وهزمهم ووضع الكافرين في موضع الضمير العائد الى جالوت وجنوده للاشعار
بعلة النصر عليهم ولقد راعوا في الدعاء ترتيبا بديعا حيث قدموا سؤال افراغ الصبر الذي هو ملاك الامر ثم سؤال تثبيت القدم المتفرع
عليه ثم سؤال النصر الذي هو الغاية القصوى فهزموهم اي كسروهم بلا مكث باذن الله بنصره وتاييده اجابة لدعائهم وايثار هذه الطريقة
على طريقة قوله عز وجل فاتاهم الله ثواب الدنيا الخ للمحافظة على مضمون قولهم غلبت فئة كثيرة باذن الله وقتل داود جالوت كان
ايشى ابو داود في عسكر طالوت معه ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله تعالى الى نبيهم انه الذي يقتل
جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد مر في طريقه ثلاثة احجار قال له كل منها احملنا فانك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته قيل لما ابطأ
على ابيه خبر اخوته في المصاف ارسل داود اليهم لياتيه بخبرهم فاتاهم وهم في النزاع وقد برز جالوت بنفسه الى البراز ولا يكاد يبارزه
احد وكان ظله ميلا فقال داود لاخوته اما فيكم من يخرج الى هذا الاقلف فزجروه فنحا ناحية اخرى ليس فيها اخوته وقد مر به طالوت
وهو يحرض الناس على القتال فقال له داود ما تصنعون بمن يقتل هذا الاقلف قال طالوت انكحه بنتي واعطيه شطر مملكتي فنزل داود
فرماه بما معه من الاحجار بالمقلاع فاصابه في صدره فنفذت الاحجار منه وقتلت بعده ناسا كثيرا وقيل انما كانت الاحجار عند بروز جالوت
في المعركة فانجز له طالوت ما وعده وقيل انه حسده واخرجه من مملكته ثم ندم على ما صنعه فذهب يطلبه الى ان قتل وملك داود عليه السلام
واعطي النبوة وذلك قوله عز وجل وآتاه الله الملك اي ملك بني اسرائيل في مشارق الارض المقدسة ومغاربها والحكمة اي
النبوة ولم يجتمع في بني اسرائيل الملك والنبوة قبله الا له بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط اخر وما اجتمعوا قبله على ملك قط
وعلمه مما يشاء اي مما يشاء الله تعالى تعليمه اياه لا مما يشاء داود عليه السلام كما قيل لان معظم ما علمه تعالى اياه مما لا يكاد يخطر ببال احد
ولا يقع في امنيته بشر ليتمكن من طلبه ومشيئته كالسرد بالانة الحديد ومنطق الطير والدواب ونحو ذلك من الامور الخفية ولولا دفع الله
الناس بعضهم الذين يباشرون الشر والفساد ببعض اخر منهم يردهم عما هم عليه بما قدر الله تعالى من القتل كما في القصة المحكية او غيره
وقرئ دفاع الله على ان صيغة المغالبة للمبالغة لفسدت الارض وبطلت منافعها وتوكلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر
الارض ويصلحها وقيل لولا ان الله ينصر المسلمين على الكافرين لفسدت الارض بعيثهم وقتلهم المسلمين او لو لم يدفعهم بالمسلمين لعم الكفر
ونزلت السخطة فاستوصل اهل الارض قاطبة ولكن الله ذو فضل عظيم لا يقادر قدره على العالمين كافة وهذا اشارة الى قياس
استثنائي مؤلف من وضع نقيض المقدم منتج لنقيض التالي خلا انه قد وضع موضعه ما يستتبعه ويستوجبه اعني كونه تعالى ذا
فضل على العالمين كانه قيل ولكنه متفضل في ذلك الدفع من غير ان يجب عليه ذلك وان فضله تعالى غير منحصر فيه بل هو فرد من افراد فضله
العظيم كانه قيل ولكنه تعالى يدفع فساد بعضهم ببعض فلا يفسد الارض وتنتظم به مصالح العالم وتصلح احوال الامم تلك اشارة
الى ما سلف من حديث الالوف وخبر طالوت على التفصيل المرقوم وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شان المشار اليه آيات الله المنزلة من
عنده تعالى والجملة مستانفة وقوله تعالى نتلوها عليك اي بواسطة جبرائيل عليه السلام اما حال من الآيات والعامل معنى الاشارة واما
جملة مستقلة لا محل لها من الاعراب بالحق في حيز النصب على انه حال من مفعول نتلوها اي ملتبسة باليقين الذي لا يرتاب فيه احد من اهل
الكتاب وارباب التواريخ لما يجدونها موافقة لما في كتبهم او من فاعله اي نتلوها عليك ملتبسين بالحق والصواب او من الضمير المجرور اي ملتبسا
بالحق والصدق وانك لمن المرسلين اي من جملة الذين ارسلوا الى الامم لتبليغ رسالاتنا واجراء اوامرنا واحكامنا عليهم فان
هذه المعاملة لا تجري بيننا وبين غيرهم فهي شهادة منه سبحانه برسالته صلى الله عليه وسلم اثر بيان ما يستوجبها والتاكيد من
مقتضيات مقام المجاهدين بها تلك الرسل استيناف فيه رمز الى انه صلى الله عليه وسلم من افاضل الرسل العظام عليهم الصلوة

والسلام تر زمان كونه من جملتهم والاشارة الي الجماعة الذين من جملتهم النبي صلي الله عليه وسلم واللام في المآل للاستغراق وما فيه من معني البعد للايذان
بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل الذين ذكرت قصصهم في السورة وقيل الي الذين ثبت علمه عليه السلام بهم **فضلنا بعضهم علي بعض** في مراتب الكمال بان
خصصنا كلا منهم بمنقبة شريفة ثر جليلة خلا عنها غيره **منهم من كلم الله** تفصيل للتفضيل المذكور اجمالا اي فضله بان كلمه تعالي بغير سفير وهو
موسي عليه السلام حيث كلمه تعالي ليلة الحيرة وفي الطور وقرئ كلم الله بالنصب وقرئ كالم الله من المكالمة فانه كلم الله تعالي كما انه تعالي
كلمه ويؤيده كليم الله بمعني مكالمه وايراد الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة والرمز الي ما بين التكليم والرفع وبين ما سبق من مطلق
التفضيل والمحكي من ايتاء البينات والتأييد بروح القدس من التفاوت **ورفع بعضهم درجات** اي ومنهم من رفعه علي غيره من الرسل المتفاوتين في
معارج الفضل برتبة متباعدة ومراتب نائية وتغيير الاسلوب لتربية ما بينهم من اختلاف الحال في درجات الشرف والظاهر انه رسول الله
صلي الله عليه وسلم كما ينبئ عنه الاخبار بكونه عليه السلام منهم فان ذلك في قوة بعضهم فانه قد خص بالدعوة العامة والحجج الجمة والمعجزات
المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهور والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شانه وللاشعار بانه العلم الفرد
الغني عن التعيين وقيل ابراهيم عليه السلام حيث خصه تعالي بمكرمة الخلة وقيل ادريس عليه السلام **وآتينا عيسي ابن مريم البينات** الآيات الباهرة
والمعجزات الظاهرة كاحياء الموتي وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل **وايدناه** اي قويناه **بروح القدس** بضم الدال
وقرئ بسكونها بالروح المقدسة كقولك رجل صدق وهي روح عيسي وانما وصفت بالقدس للكرامة او لانه عليه السلام لم تضمه
الاصلاب والارحام الطوامث وقيل بجبريل عليه السلام وقيل بالانجيل كما مر وافراده عليه السلام بما ذكر لرد ما بين اهل الكتابين في شانه عليه السلام
من التفريط والافراط والآية ناطقة بان الانبياء عليهم السلام متفاوتة الاقدار فيجوز تفضيل بعضهم علي بعض ولكن بقاطع **ولو شاء الله**
ما اقتتل الذين من بعدهم اي جاؤا من بعد الرسل من الامم المختلفة اي لو شاء الله عدم اقتتالهم ما اقتتلوا بان جعلهم متفقين علي اتباع الرسل المتفقة
علي كلمة الحق فمفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء علي القاعدة المعروفة وقيل تقديره لو شاء هدي الناس جميعا ما اقتتل الخ
وليس بذاك **من بعد ما جاءتهم** من جهة اولئك الرسل **البينات** المعجزات الواضحة والآيات الظاهرة الدالة علي حقية الحق الموجبة لاتباعهم
الزاجرة عن الاعراض عن سننهم المؤدي الي القتال فمن متعلقه باقتتل **ولكن اختلفوا** استدراك من الشرطية اشير به الي قياس استثنائي مؤلف
من وضع نقيض مقدمها منتج لنقيض تاليها الا انه قد وضع فيه الاختلاف موضع نقيض المقدم المترتب عليه للايذان بان الاقتتال ناشئ
من قبلهم لا من جهته تعالي ابتداء كانه قيل ولكن لم يشأ عدم اقتتالهم لانهم اختلفوا اختلافا فاحشا **فمنهم من آمن** اي
بما جاءت به اولئك الرسل من البينات وعملوا به **ومنهم من كفر** بذلك كفرا لا ارعواء له فاقتضي الحكمة عدم مشيئته تعالي لعدم اقتتالهم فاقتتلوا بموجب اقتضاء
احوالهم **ولو شاء الله** عدم اقتتالهم بعد هذه المرتبة ايضا من الاختلاف والشقاق المستتبعين للاقتتال بحسب العادة **ما اقتتلوا** وما نبض منهم عرق
التعادي لما ان الكل تحت ملكوته تعالي فالتكرير ليس للتاكيد كما ظن بل للتنبيه علي ان اختلافهم ذلك ليس موجبا لعدم مشيئته
تعالي لعدم اقتتالهم كما يفهم من وضعه في الاستدراك موضعه بل هو سبحانه مختار في ذلك حتي لو شاء بعد ذلك عدم اقتتالهم ما اقتتلوا
كما يفصح عنه الاستدراك بقوله عز وجل **ولكن الله يفعل ما يريد** اي من الامور الوجودية والعدمية التي من جملتها عدم مشيئته تعالي عدم اقتتالهم
فان الترك ايضا من جملة الافعال اي يفعل ما يريد حسبما يريد من غير ان يوجبه عليه موجب او يمنعه منه مانع وفيه دليل بين علي ان الحوادث
تابعة لمشيئته سبحانه خيرا كان او شرا ايمانا كان او كفرا **يا ايها الذين آمنوا انفقوا** في سبيل الله **مما رزقناكم** اي شيئا مما رزقناكموه علي ان ما
موصولة حذف عائدها والتعرض لوصوله منه تعالي للحث علي الانفاق كما في قوله تعالي وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والمراد به الانفاق
الواجب بدلالة ما بعده من الوعيد **من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة** كلمة من متعلقة بما تعلقت به اختها ولا ضير فيه
لاختلاف معنييهما فان الاولي تبعيضية وهذه لابتداء الغاية اي انفقوا بعض ما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا تقدرون علي تلافي ما
فرطتم فيه اذ لا بيع فيه حتي تبتاعوا ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتي يسامحكم به اخلاؤكم او يعينوكم عليه ولا شفاعة

ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا حتي تتوسلوا بشفعاء يشفعون لكم في حط ما في ذممكم وانما رفعت الثلاثة مع قصد التعميم لانها في التقدير
جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقرئ بفتح الكل **والكافرون** اي والتاركون للزكوة وايثاره عليه للتغليظ والتهديد كما في قوله تعالي
ومن كفر مكان ومن لم يحج وللايذان بان ترك الزكوة من صفات الكفار قال تعالي وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة **هم الظالمون**
اي الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعقاب ووضعوا المال في غير موضعه وصرفوه الي غير وجهه **الله لا اله الا هو** مبتدأ وخبر اي هو المستحق
للعبودية لا غير وفي اضمار خبر لا مثل في الوجود او يصح ان يوجد خلاف للنحاة معروف **الحي** الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفناء
وهو خبر ثان او خبر مبتدأ محذوف او بدل من لا اله الا هو او بدل من الله او صفة له ويعضده القراءة بالنصب علي المدح
القيوم فيعول من قام بالامر اذا حفظه اي دائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقيل هو القائم بذاته المقيم لغيره
لا تأخذه سنة ولا نوم السنة ما يتقدم النوم من الفتور قال عدي بن الرقاع العاملي وسنان اقصده النعاس فرنقت
في عينه سنة وليس بنائم والنوم حالة تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف المشاعر
الظاهرة عن الاحساس راسا والمراد بيان انتفاء اعتراء شيء منهما له سبحانه لعدم كونهما من شانه تعالي لانهما قاصران بالنسبة
الي القوة الالهية فانه بمعزل من مقام التنزيه فلا سبيل الي حمل النظم الكريم علي طريقة المبالغة والترقي بناء علي ان القادر علي
دفع السنة قد لا يقدر علي دفع النوم القوي كما في قولك فلان يقظ لا تغلبه سنة ولا نوم وانما تأخر النوم للمحافظة علي ترتيب
الوجود الخارجي وتوسيط كلمة لا للتنصيص علي شمول النفي لكل منهما كما في قوله عز وجل ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة
الآية واما التعبير عن عدم الاعتراء والعروض بعدم الاخذ فلمراعاة الواقع اذ عروض السنة والنوم لمعروضهما انما يكون بطريق
الاخذ والاستيلاء وقيل هو من باب التكميل والجملة تأكيد لما قبلها من كونه تعالي حيا قيوما فان من يعتريه احدهما يكون
موف الحيوة قاصرا في الحفظ والتدبير وقيل استئناف مؤكد لما سبق وقيل حال مؤكدة من الضمير المستكن في القيوم **له ما في**
السموات وما في الارض تقرير لقيوميته تعالي واحتجاج به علي تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما هو اعم من اجزائهما الداخلة
فيهما ومن الامور الخارجة عنهما المتمكنة فيهما من العقلاء وغيرهم **من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه** بيان لكبرياء شانه
وانه لا يدانيه احد ليقدر علي تغيير ما يريده بشفاعة وضراعة فضلا من ان يدافعه عنادا او مناصبة **يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم**
اي ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الآخرة او بالعكس او ما يحسونه وما
يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات والارض بتغليب ما فيهما من العقلاء علي غيرهم او لما دل عليه من ذا الذي
من الملائكة والانبياء عليهم السلام **ولا يحيطون بشيء من علمه** اي من معلوماته **الا بما شاء** ان يعلموه وعطفه علي ما قبله لان مجموعهما
جميعا دليل علي تفرده تعالي بالعلم الذاتي التام الدال علي وحدانيته **وسع كرسيه السموات والارض** الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل
عن مقعد القاعد وكانه منسوب الي الكرسي الذي هو الملبد وليس ثمة كرسي ولا قاعد ولا قعود وانما هو تمثيل لعظمة شانه
عز وجل وسعة سلطانه واحاطة علمه بالاشياء قاطبة علي طريقة قوله عز قائلا وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته
يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه وقيل كرسيه مجاز عن علمه اخذا من كرسي العالم وقيل عن ملكه اخذا من كرسي الملك فان الكرسي
كل ما كان اعظم تكون عظمة القاعد اكثر واوفر فعبر عن شمول علمه او عن بسطة ملكه وسلطانه بسعة كرسيه واحاطته بالاقطار
العلوية والسفلية وقيل جسم بين يدي العرش محيط بالسموات السبع لقوله عليه الصلوة والسلام ما السموات السبع والارضون
السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش علي الكرسي كفضل تلك الفلاة علي تلك الحلقة ولعله الفلك الثامن وعن
الحسن البصري انه العرش **ولا يؤده** اي لا يثقله ولا يشق عليه **حفظهما** اي حفظ السموات والارض وانما لم يتعرض لذكر ما فيهما
لان حفظهما مستتبع لحفظه **وهو العلي** المتعالي بذاته عن الاشباه والانداد **العظيم** الذي يستحقر بالنسبة اليه كل ما سواه وما تري

من انطواء هذه الآية الكريمة على امهات المسائل الالهية المتعلقة بالذات العلية والصفات الجلية فانها ناطقة بانه تعالى متفرد بالالهية متصف
بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره لما ان القيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور
لا مناسبة بينه وبين الاشباح ولا يعتريه ما يعتري النفوس والارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش
الشديد لا يشفع عنده الا من اذن له فيه العالم وحده بجميع الاشياء جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة لكل ما من شأنه
ان يملك ويقدر عليه لا يشق عليه شاق ولا يشغله شأن عن شأن متعال عما يناله الاوهام عظيم لا يحدق به الافهام تفردت بفضائل
رائقة وخواص فائقة خلت عنها اخواتها قال صلى الله عليه وسلم ان اعظم آية في القرآن آية الكرسي من قرأها بعث الله تعالى له ملكا يكتب
من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال عليه الصلوة والسلام ما قرئت هذه الآية في دار الا هجرتها الشياطين ثلثين
يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت آية اعظم منها وقال صلى الله عليه وسلم
من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ
مضجعه امنه الله تعالى على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وقال عليه الصلوة والسلام سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر
وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد
القرآن سورة البقرة وسيد البقرة آية الكرسي وتخصيص سيادته صلى الله عليه وسلم للعرب بالذكر في اثناء تعداد السادات الخاصة
لا يدل على نفي ما دلت عليه الاخبار المستفيضة وانعقد عليه الاجماع من سيادته عليه السلام بجميع افراد البشر **لا اكراه في الدين** جملة مستأنفة
جيء بها اثر بيان تفرده سبحانه وتعالى بالشؤون الجليلة الموجبة للايمان به وحده ايذانا بان من حق العاقل ان لا يحتاج الى التكليف و
الالزام بل يختار الدين الحق من غير تردد وتلعثم وقيل موجز في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين قيل منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار
والمنافقين واغلظ عليهم وقيل خاص باهل الكتاب حيث حصنوا انفسهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف
ابنان قد تنصرا قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فخلاهما **قد تبين الرشد من الغي** استئناف تعليلي صدر بكلمة التحقيق لزيادة تقرير مضمونه كما في قوله عز وجل
قد بلغت من لدني عذرا اذ قد تبين بما ذكر من نعوته تعالى التي يمتنع توهم اشتراك غيره في شيء منها الايمان الذي هو الرشد الموصل الى
السعادة الابدية من الكفر الذي هو الغي المؤدي الى الشقاوة السرمدية **فمن يكفر بالطاغوت** هو بناء مبالغة من الطغيان كالملكوت
والجبروت قلب مكان عينه ولامه فقيل هو في الاصل مصدر واليه ذهب الفارسي وقيل اسم جنس مفرد مذكر وانما الجمع والتأنيث لارادة الالهة
وهو رأي سيبويه وقيل هو جمع وهو مذهب المبرد وقيل يستوي فيه الافراد والجمع والتذكير والتأنيث اي فمن يعمل اثر ما تميز الحق من الباطل
بموجب الحجج الواضحة والآيات البينة ويكفر بالشيطان او بالاصنام او بكل ما عبد من دون الله تعالى او صد عن عبادته تعالى لما تبين له
كونه بمعزل من استحقاق العبادة **ويؤمن بالله** وحده لما شاهد من نعوته الجليلة المقتضية لاختصاص الالوهية به عز وجل الموجبة للايمان
والتوحيد وتقديم الكفر بالطاغوت على الايمان به تعالى لتوقفه عليه فان التخلية متقدمة على التحلية **فقد استمسك بالعروة الوثقى**
اي بالغ في التمسك بها كانه هو ملتبس به يطلب من نفسه الزيادة فيه والثبات عليه **لا انفصام لها** الفصم الكسر بغير ابانة كما ان
القصم هو الكسر بابانة ونفي الاول يدل على انتفاء الثاني بالاولوية والجملة اما استئناف مقرر لما قبلها من وثاقة العروة واما
حال من العروة والعامل استمسك او من الضمير المستتر في الوثقى ولها في حيز الخبر اي كائن لها والكلام تمثيل مبني على تشبيه الهيئة العقلية
المنتزعة عن ملازمة الاعتقاد الحق الذي لا يحتمل النقيض اصلا لثبوته بالبراهين النيرة القطعية بالهيئة الحسية المنتزعة من التمسك
بالحبل المحكم المأمون انقطاعه فلا استعارة في المفردات ويجوز ان تكون العروة الوثقى مستعارة للاعتقاد الحق الذي هو الايمان والتوحيد
لا للنظر الصحيح المؤدي اليه كما قيل فانه غير مذكور في حيز الشرط والاستمساك بها مستعار لما ذكر من الملازمة او ترشيح للاستعارة

للاستعارة الاولى **والله سميع** بالاقوال **عليم** بالعزائم والعقائد والجملة اعتراض تذييلي حامل على الايمان رادع عن الكفر والنفاق بما فيه من الوعد والوعيد
الله ولي الذين آمنوا اي معينهم او متولي امورهم والمراد بهم الذين ثبت في علمه تعالى ايمانهم في الجملة مآلا او حالا **يخرجهم** تفسير للولاية او خبر
ثان عند من يجوز كونه جملة او حال من الضمير في ولي **من الظلمات** التي هي اعم من ظلمات الكفر والمعاصي وظلمات الشبه بل مما في بعض مراتب العلوم
الاستدلالية من نوع ضعف وخفاء بالقياس الى مراتبها القوية الجلية بل مما في جميع مراتبها بالنظر الى مرتبة العيان كما ستعرفه **الى النور**
الذي يعم نور الايمان ونور الايقان بمراتبه ونور العيان اي يخرج بهدايته وتوفيقه كل واحد منهم من الظلمة التي وقع فيها الى ما يقابلها من النور
وافراد النور لوحدة الحق كما ان جمع الظلمات لتعدد فنون الضلال **والذين كفروا** اي الذين ثبت في علمه تعالى كفرهم **اولياؤهم الطاغوت**
اي الشياطين وسائر المضلين عن طريق الحق فالموصول مبتدأ واولياؤهم مبتدأ ثان والطاغوت خبره والجملة خبر للاول والجملة
الحاصلة معطوفة على ما قبلها ولعل تغيير السبك للاحتراز عن وضع الطاغوت في مقابلة الاسم الجليل ولقصد المبالغة بتكرير الاسناد مع الايماء
الى التباين بين الفريقين من كل وجه حتى من جهة التعبير ايضا **يخرجونهم** بالوساوس وغيرها من طرق الاضلال والاغواء **من النور** الفطري
الذي جبل عليه الناس كافة او من نور البينات التي يشاهدونها من جهة النبي صلى الله عليه وسلم بتنزيل تمكنهم من الاستضاءة بهما منزلة
نفسها **الى الظلمات** ظلمات الكفر والانهماك في الغي وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام والجملة تفسير لولاية الطاغوت او خبر ثان كما
مر واسناد الاخراج من حيث التسبب الى الطاغوت لا يقدح في استناده من حيث الخلق الى قدرته سبحانه **اولئك** اشارة الى الموصول
باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما يتبعه من القبائح **اصحاب النار** اي ملابسوها وملازموها بسبب ما لهم من الجرائم **هم فيها خالدون**
ماكثون ابدا **الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه** استشهاد على ما ذكر من ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت وتقرير له على طريقة قوله تعالى
الم تر انهم في كل واد يهيمون كما ان ما بعده استشهاد على ولايته تعالى للمؤمنين وتقرير لها وانما بدئ بهذا لرعاية الاقتران بينه
وبين مدلوله ولاستقلاله بامر عجيب حقيق بان يصدر به المقال وهو اجتراؤه على المحاجة في الله عز وجل وما اتى بها في اثنائها
من العظيمة المنادية بكمال حماقته ولان فيما بعده تعددا وتفصيلا يورث تقديمه انتشار النظم على انه قد اشير في تضاعيفه الى
هدايته تعالى ايضا بواسطة ابراهيم عليه السلام فان ما يحكى عنه من الدعوة الى الحق وادحاض حجة الكافر من آثار ولايته تعالى وهمزة
الاستفهام لانكار النفي وتقرير المنفي اي الم تنظر او الم ينته علمك الى هذا الطاغوت المارد كيف تصدى لاضلال الناس واخراجهم من
النور الى الظلمات اي قد تحققت الرؤية وتقررت بناء على ان امره من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد ممن له حظ من الخطاب فظهر
ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تشريف له وايذان بتأييده في
المحاجة **ان آتاه الله الملك** اي لان آتاه اياه حيث ابطره ذلك وحمله على المحاجة او حاجه لاجله وضعا للمحاجة التي هي اقبح وجوه
الكفر موضع ما يجب عليه من الشكر كما يقال عاديتني لاني احسنت اليك او وقت ان آتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك
للكافر **اذ قال ابراهيم** ظرف لحاج او بدل من آتاه على الوجه الاخير **ربي الذي يحيي ويميت** بفتح الياء من ربي وقرئ بحذفها روي
انه عليه السلام لما كسر الاصنام سجنه ثم اخرجه فقال من ربك الذي تدعو اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت اي يخلق الحيوة في
الاجساد **قال** استئناف مبني على السؤال كانه قيل كيف حاجه في هذه المقالة القوية الحقة فقيل قال **انا احيي واميت** روي انه
دعا برجلين فقتل احدهما واطلق الآخر فقال ذلك **قال ابراهيم** استئنافا كما سلف كانه قيل فماذا قال ابراهيم لمن في هذه
المرتبة من المحاجة وبماذا افحمه فقيل قال **فان الله يأتي بالشمس من المشرق** حسبما تقتضيه مشيئته **فأت بها من المغرب** ان كنت قادرا
على مثل مقدوراته تعالى لم يلتفت عليه السلام الى ابطال مقالة اللعين ايذانا بان بطلانها من الجلاء والظهور بحيث لا يكاد يخفى
على احد وان التصدي لابطالها من قبيل السعي في تحصيل الحاصل واتى بمثال لا يجد اللعين فيه مجالا للتمويه والتلبيس **فبهت الذي كفر**
اي صار مبهوتا وقرئ على بناء الفاعل على ان الموصول مفعول اي فغلب ابراهيم الكافر واسكته وايراد الكفر في حيز الصلة للاشعار

بعلة الحكم والتنصيص على كون المحاجة كفراً **وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** تذييل مقرر لمضمون ما قبله أي لا يهدي الذين ظلموا أنفسهم بتعريضها للعذاب
المخلد بسبب إعراضهم عن قبول الهداية إلى مناهج الاستدلال أو إلى سبيل النجاة أو إلى طريق الجنة يوم القيامة **أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ** ا
ستشهاد على ما ذكر من ولاية الله تعالى للمؤمنين وتقرير له معطوف على الموصول السابق وإيثار أو الفارقة على الواو الجامعة للاحتراز عن توهم
اتحاد المستشهد عليه في أول الأمر والكاف إما اسمية كما اختاره قوم جيء بها للتنبيه على تعدد الشواهد وعدم انحصارها فيما ذكر كما
في قولك الفعل الماضي مثل نصر وإما زائدة كما ارتضاه آخرون والمعنى أو لم تر إلى مثل الذي أو إلى الذي مر على قرية كيف هداه الله
وأخرجه من ظلمة الاشتباه إلى نور العيان والشهود أي قد رأيت ذلك وشاهدته فإذن لا ريب في أن الله ولي الذين آمنوا إلى هنا
وإما جعل الهمزة لمجرد التعجيب على أن يكون المعنى في الأول ألم تنظر إلى الذي حاج إلى آخره أي انظر إليه وتعجب من أمره وفي الثاني أو رأيت
مثل الذي مر إلى آخره إيذاناً بأن حاله وما جرى عليه في الغرابة بحيث لا يرى له مثل كما استقر عليه رأي الجمهور فغير خليق بجزالة
التنزيل وفخامة شأنه الجليل فتدبر والمار عزير بن شرخيا قاله قتادة والربيع وعكرمة وناجية بن كعب وسليمان بن بريدة والضحاك
والسدي وقيل هو أرميا بن حلقيا من سبط هارون عليه السلام قاله وهب وعبيد الله بن عمير وقيل أرميا هو الخضر بعينه وقال
مجاهد كان المار رجلاً كافراً بالبعث وهو بعيد والقرية بيت المقدس قاله وهب وعكرمة والربيع وقيل هي دير هرقل على شط دجلة
وقال الكلبي هي دير سابر آباد وقال السدي هي دير سلما باد والأول هو الأظهر والأشهر روي أن بني إسرائيل لما بالغوا في تعاطي
الشر والفساد وجاوزوا في العتو والطغيان كل حد معتاد سلط الله تعالى عليهم بخت نصر البابلي فسار إليهم في ستمائة ألف راية
حتى وطئ الشام وخرب بيت المقدس وجعل بني إسرائيل أثلاثاً ثلث منهم قتلهم وثلث منهم أقرهم بالشام وثلث منهم سباهم وكانوا
مائة ألف غلام يافع وغير يافع فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل ملك منهم أربعة غلمة وكان عزير من جملتهم فلما نجاه الله
تعالى منهم بعد حين مر بحماره على بيت المقدس فرآه على أفظع مرأى وأوحش منظر وذلك قوله عز وجل **وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا**
أي ساقطة على سقوفها بأن سقطت العروش ثم الحيطان من خوى البيت إذا سقط أو من خوت الأرض أي تهدمت والجملة حال من
ضمير مر أو من قرية عند من يجوز الحال من النكرة مطلقاً **قَالَ** أي تلهفاً عليها وتشوقاً إلى عمارتها مع استشعار اليأس عنها **أَنَّى
يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ** وهي على ما يرى من الحالة العجيبة المباينة للحياة وتقديمها على الفاعل للاعتناء بها من حيث إن الاستبعاد ناشئ من
جهتها لا من جهة الفاعل وأنى نصب على الظرفية إن كانت بمعنى متى وعلى الحالية من هذه إن كانت بمعنى كيف والعامل يحيي وأياً
ما كان فالمراد استبعاد عمارتها بالبناء والسكان من بقايا أهلها الذين تفرقوا أيدي سبا ومن غيرهم وإنما عبر عنها بالإحياء
الذي هو علم في البعد عن الوقوع عادة تهويلاً للخطب وتأكيداً للاستبعاد كما أنه لأجله عبر عن خرابها بالموت حيث قيل **بَعْدَ مَوْتِهَا**
وحيث كان هذا التعبير معرباً عن استبعاد الإحياء بعد الموت على أبلغ وجه وآكده أراه الله عز وجل أبعد الأمرين في نفسه ثم
في غيره ثم أراه ما استبعده صريحاً مبالغة في إزاحة ما عسى يختلج في خلده وأما حمل إحيائها على إحياء أهلها فيأباه التعرض لحال القرية
دون حالهم والاقتصار على ذكر موتهم تراباً وعظاماً مع كونه أدخل في الاستبعاد لشدة مباينته للحياة وغاية بعده عن قبولها على أنه
لم تتعلق إرادته تعالى بإحيائهم كما تعلقت بعمارتها ومعاينة المار إياها كما ستحيط به خبراً **فَأَمَاتَهُ اللَّهُ** أي ألبثه على الموت **مِائَةَ عَامٍ** روي أنه
لما دخل القرية ربط حماره فطاف بها ولم ير بها أحداً فقال ما قال وكانت أشجارها قد أثمرت فتناول من التين والعنب وشرب
من عصيره ونام فأماته الله تعالى في منامه وهو شاب وأمات حماره وبقية تينه وعنبه وعصيره عنده ثم أعمى الله تعالى عنه عيون
المخلوقات فلم يره أحد فلما مضى من موته سبعون سنة وجه الله عز وعلا ملكاً عظيماً من ملوك فارس يقال له يوشك إلى بيت المقدس
ليعمره ومعه ألف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة ألف عامل فجعلوا يعمرونه وأهلك الله تعالى بخت نصر ببعوضة دخلت دماغه ونجى الله
تعالى من بقي من بني إسرائيل وردهم إلى بيت المقدس وتراجع إليه من تفرق منهم في الأكناف فعمروه ثلاثين سنة وكثروا وكانوا

كأحسن ما كانوا عليه فلما تمت المائة من موت عزير أحياه الله تعالى وذلك قوله عز وجل **ثُمَّ بَعَثَهُ** وإيثاره على أحياه للدلالة على سرعته
وسهولة تأتيه على الباري تعالى كأنه بعثه من النوم وللإيذان بأنه أعاده كهيئته يوم موته عاقلاً فاهماً مستعداً للنظر والاستدلال
قَالَ استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال له بعد بعثه فقيل قال **كَمْ لَبِثْتَ** ليظهر له عجزه عن الإحاطة بشؤونه تعالى وأن إحياءه ليس
بعد مدة يسيرة ربما يتوهم أنه هين في الجملة بل بعد مدة طويلة وينحسم به مادة استبعاده بالمرة ويطلع في تضاعيفه على أمر آخر
من بدائع آثار قدرته تعالى وهو إبقاء الغذاء المتسارع إلى الفساد بالطبع على ما كان عليه دهراً طويلاً من غير تغير ما وكم نصب على
الظرفية مميزها محذوف أي كم وقتاً لبثت والقائل هو الله تعالى أو ملك مأمور بذلك من قبله تعالى قيل نودي من السماء يا عزير
كم لبثت بعد الموت **قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ** قاله بناء على التقريب والتخمين أو استقصاراً لمدة لبثه وأما ما يقال من أنه مات
ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر إلى الشمس يوماً فالتفت إليها فرأى منها بقية فقال أو بعض يوم على وجه الإضراب
فبمعزل من التحقيق إذ لا وجه للجزم بتمام اليوم ولو بناء على حسبان الغروب لتحقق النقصان من أوله **قَالَ** استئناف كما سلف **بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ
عَامٍ** عطف على مقدر أي ما لبثت ذلك القدر بل هذا المقدار **فَانْظُرْ** لتعاين أمراً آخر من دلائل قدرتنا **إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ**
أي لم يتغير في هذه المدة المتطاولة مع تداعيه إلى الفساد روي أنه وجد تينه وعنبه كما جني وعصيره كما عصر والجملة المنفية
حال بغير واو كقوله تعالى لم يمسسهم سوء إما من الطعام والشراب وإفراد الضمير لجريانهما مجرى الواحد كالغذاء وإما من الأخير
اكتفاء بدلالة حاله على حال الأول ويؤيده قراءة من قرأ وهذا شرابك لم يتسنه والهاء أصلية أو هاء سكت واشتقاقه من
السنة لما أن لامها هاء أو واو وقيل أصله يتسنن من الحمأ المسنون فقلبت نونه حرف علة كما في تقضي البازي وقد جوز أن يكون
معنى لم يتسنه لم يمر عليها السنون التي مرت لا حقيقة بل تشبيهاً أي هو على حاله كأنه لم يلبث مائة عام وقرئ لم يسنه بإدغام
التاء في السين **وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ** كيف نخرت عظامه وتفرقت وتقطعت أوصاله وتمزقت ليتبين لك ما ذكر من اللبث المديد وتطمئن به
نفسك وقوله عز وجل **وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ** عطف على مقدر متعلق بفعل مقدر قبله بطريق الاستئناف مقرر لمضمون ما سبق أي فعلنا ما فعلنا
من إحيائك بعد ما ذكر لتعاين ما استبعدته من الإحياء بعد دهر طويل ولنجعلك آية للناس الموجودين في هذا القرن بأن يشاهدوك
وأنت من أهل القرون الخالية ويأخذوا منك ما طوي عنهم منذ أحقاب من علم التوراة كما سيأتي أو متعلق بفعل مقدر بعده أي
ولنجعلك آية لهم على الوجه المذكور فعلنا ما فعلنا فهو على التقديرين دليل على ما ذكر من اللبث المديد ولذلك قرن بينه وبين
الأمر بالنظر إلى حماره وتكرير الأمر في قوله تعالى **وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ** مع أن المراد عظام الحمار أيضاً لما أن المأمور به أولاً هو النظر إليها
من حيث دلالتها على ما ذكر من اللبث المديد وثانياً هو النظر إليها من حيث تعتريها الحياة ومباديها أي وانظر إلى عظام
الحمار لتشاهد كيفية الإحياء في غيرك بعد ما شاهدت نفسه في نفسك **كَيْفَ نُنْشِزُهَا** بالزاي المعجمة أي نرفع بعضها إلى بعض ونردها
إلى أماكنها من الجسد فنركبها تركيباً لائقاً وقال الكسائي نلينها ونعظمها ولعل من فسره بنحييها أراد بالإحياء هذا المعنى وكذا
من قرأ ننشرها بالراء من أنشر الله تعالى الموتى أي أحياها لا معناه الحقيقي لقوله تعالى **ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا** أي نسترها به كما يستر الجسد باللباس
وأما من قرأ ننشرها بفتح النون وضم الشين فلعله أراد به ضد الطي كما قال الفراء فالمعنى كيف نبسطها والجملة إما حال من العظام أي
وانظر إليها مركبة مكسوة لحماً أو بدل اشتمال أي وانظر إلى العظام وكيفية إنشازها وبسط اللحم عليها ولعل عدم التعرض لكيفية نفخ
الروح لما أنها مما لا تقتضي الحكمة بيانه روي أنه نودي أيتها العظام البالية إن الله يأمرك أن تجتمعي فاجتمع كل جزء من أجزائها
التي ذهب بها الطير والسباع وطارت بها الرياح من كل سهل وجبل فانضم إلى بعض والتصق كل عضو بما يليق به الضلع بالضلع
والذراع بمحلها والرأس بموضعه ثم الأعصاب والعروق ثم انبسط عليه اللحم ثم الجلد ثم خرجت منه الشعور ثم نفخ فيه الروح فإذا
هو قائم ينهق **فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ** أي ما دل عليه الأمر بالنظر إليه من كيفية الإحياء بمباديه والفاء للعطف على مقدر يستدعيه الأمر المذكور

وانما خرق للاية لظهور تحققه واستغنائه عن الذكر والاشعار بسرعة وقوعه كما في قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله انا آتيك به
قبل ان يرتد اليك طرفك كانه قيل فانشزها الله تعالى وكساها لحما فنظر اليها فتبين له كيفيته فلما تبين له ذلك اي اتضح اتضاحا تاما
قال اعلم ان الله على كل شيء من الاشياء التي من جملتها ما شاهده في نفسه وفي غيره من تعاجيب الآثار قدير لا يستعصي عليه امر من الامور وايثار
صيغة المضارع للدلالة على ان علمه بذلك مستمر نظرا الى ان اصله لم يتغير ولم يتبدل بل انما تبدل بالعيان وصفه وفيه اشعار بانه انما قال
ما قال بناء على الاستبعاد العادي واستعظاما للامر وقيل فاعل تبين مضمر يفسره مفعول اعلم اي فلما تبين له ان الله على كل شيء
قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير وقرئ تبين له على صيغة المجهول وقرئ قال اعلم وقيل اعلم على صيغة الامر روي انه ركب
حماره واتى محلته وانكره الناس وانكر الناس وانكر المنازل فانطلق على وهم منه حتى اتى منزله فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد
ادركت زمن عزير فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير قالت نعم واين ذكر عزير قد فقدناه منذ كذا وكذا فبكت بكاء شديدا فقال
فاني عزير قالت سبحان الله اني يكون ذلك قال قد اماتني الله مائة عام ثم بعثني قالت ان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة فادع
الله لي يرد علي بصري حتى اراك فدعا ربه ومسح بيده عينيها فصحتا فاخذ بيدها فقال لها قومي باذن الله فقامت صحيحة كانما
نشطت من عقال فنظرت اليه فقالت اشهد انك عزير فانطلقت الى محلة بني اسرائيل وهم في انديتهم وكان في المجلس ابن لعزير قد بلغ مائة
وثماني عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت انظروا فاني بدعائه رجعت الى هذه الحالة
فنهض الناس فاقبلوا اليه فقال ابنه كان لابي شامة سوداء بين كتفيه مثل الهلال فكشف فاذا هو كذلك وقد كان قتل بخت نصر
ببيت المقدس من قراء التوراة اربعين الف رجل ولم يكن يومئذ بينهم نسخة من التوراة ولا احد يعرف التوراة فقراها عليهم عن
ظهر قلبه من غير ان يخرم منها حرفا فقال رجل من اولاد المسبيين ممن ورد بيت المقدس بعد مهلك بخت نصر حدثني ابي عن جدي
انه دفن التوراة يوم سبينا في خابية في كرم فان اريتموني كرم جدي اخرجتها لكم فذهبوا الى كرم جده ففتشوها فعارضوهما
بما املى عليهم عزير من ظهر القلب فما اختلفا في حرف واحد فعند ذلك قالوا هو ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واذ قال ابراهيم
دليل آخر على ولايته تعالى للمؤمنين واخراجه لهم من الظلمات الى النور وانما لم يسلك به مسلك الاستشهاد كما قبله بان يقال او كالذي
قال رب الخ لجريان ذكره عليه السلام في اثناء المحاجة ولانه لا دخل لنفسه عليه السلام في اصل الدليل كدأب عزير عليه السلام فان
ما جرى عليه من احيائه بعد مائة عام من جملة الشواهد على قدرته تعالى وهدايته والظرف منتصب بمضمر صرح بمثله في نحو قوله
تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء اي واذكر وقت قوله عليه السلام وما وقع حينئذ من تعاجيب صنع الله تعالى لتقف على ما هو
من ولايته تعالى وهدايته وتوجيه الامر بالذكر في امثال هذه المواقع الى الوقت دون ما وقع فيه من الواقعات مع انها المقصودة بالذكر
لما ذكر غير مرة من المبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل
عليها مفصلة فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها بحيث لا يشذ عنها شيء مما ذكر عند الحكاية او لم يذكر كانها مشاهدة عيانا
رب كلمة استعطاف قدمت بين يدي الدعاء مبالغة في استدعاء الاجابة ارني من الرؤية البصرية المتعدية الى واحد وبدخول
همزة النقل طلبت مفعولا آخر هو الجملة الاستفهامية المعلقة لها فانها تعلق كما يعلق النظر البصري اي اجعلني مبصرا كيف تحيي
الموتى بان تحييها وانا انظر اليها وكيف في محل نصب على التشبيه بالظرف عند سيبويه او بالحال عند الاخفش والعامل تحيي اي في اي حال
او على اي حال تحيي قال القرطبي الاستفهام بكيف انما هو سؤال عن حال شيء متقرر الوجود عند السائل والمسؤول فالاستفهام
ههنا عن هيئة الاحياء المتقرر عند السائل اي بصرني كيفية احيائك للموتى وانما ساله عليه السلام ليتأيد ايقانه بالعيان ويزداد
قلبه اطمئنانا على اطمئنان واما ما قيل من ان نمرود لما قال انا احيي واميت قال ابراهيم عليه السلام ان احياء الله تعالى برد الارواح الى
الاجساد فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم فانتقل الى تقرير آخر ثم سأل ربه ان يريه ذلك فيأباه تعليل السؤال

بالاطمئنان قال استئناف كما مر غير مرة اولم تؤمن عطف على مقدر اي الم تعلم ولم تؤمن باني قادر على الاحياء كيف شئت حتى تسألني
اراءته قاله عز وعلا وهو اعلم بانه عليه السلام اثبت الناس ايمانا واقواهم يقينا ليجيب بما اجاب به فيكون ذلك لطفا للسامعين قال بلى علمت
وآمنت بانك قادر على الاحياء على اي كيفية شئت ولكن سألت ما سألت ليطمئن قلبي بمضامة العيان الى الايمان والايقان وازداد بصيرة
بمشاهدته قال فخذ الفاء جواب شرط محذوف اي ان اردت ذلك فخذ اربعة من الطير قيل هو اسم لجمع طائر كركب وسفر وقيل جمع كتاجر
وتجر وقيل هو مصدر سمي به الجنس وقيل هو تخفيف طير بمعنى طائر كهين في هين ومن متعلقة بخذ او بمحذوف وقع صفة لاربعة
اي اربعة كائنة من الطير قيل هي طاوس وديك وغراب وحمامة وقيل نسر بدل الاخير وتخصيص الطير بذلك لانه اقرب الى الانسان
واجمع لخواص الحيوان والسهولة تأتي ما يفعل به من التجزئة والتفريق وغير ذلك فصرهن من صاره يصوره اي امالة وقرئ بكسر
الصاد من صاره يصيره اي املهن واضممهن وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره
اذا جمعه وقرئ فصرهن من التصرية بمعنى الجمع اي اجمعهن اليك لتتأملها وتعرف شياتها مفصلة حتى تعلم بعد الاحياء ان جزءا
من اجزائها لم ينتقل من موضعه الاول اصلا روي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط
ريشها ودماءها ولحومها ويمسك رؤوسها ثم امر بان يجعل اجزاءها على الجبال وذلك قوله تعالى ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اي جزئهن
وفرق اجزاءهن على ما بحضرتك من الجبال قيل كانت اربعة اجبل وقيل سبعة فجعل على كل جبل ربعا او سبعا من كل طائر وقرئ
جزؤا بضمتين وجزا بالتشديد بطرح همزته وتخفيفا ثم تشديدا عند الوقف ثم اجري الوصل مجرى الوقف ثم ادعهن يأتينك في حيز
الجزم على انه جواب الامر ولكنه بني لاتصاله بنون جمع المؤنث سعيا اي ساعيات مسرعات او ذوات سعي طيرانا او مشيا وانما اقتصر على
حكاية اوامره عز وجل من غير تعرض لامتثاله عليه السلام ولا لما ترتب عليه من عجائب آثار قدرته تعالى كما روي انه عليه السلام نادى فقال
تعالين باذن الله تعالى فجعل كل جزء منهن يطير الى صاحبه حتى صارت جثثا ثم اقبلن الى رؤوسهن فانضمت كل جثة الى راسها
فعادت كل واحدة منهن الى ما كانت عليه من الهيئة للايذان بان ترتب تلك الامور على الاوامر الجليلة واستحالة تخلفها عنها من
الجلاء والظهور بحيث لا حاجة له الى الذكر اصلا وناهيك بالقصة دليلا على فضل الخليل وعلى الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال
حيث اراه الله تعالى ما ساله في الحال على ايسر ما يكون من الوجوه وارى عزيرا ما اراه بعد ما اماته مائة عام عليهما السلام واعلم ان الله عزيز
غالب على امره لا يعجزه شيء عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة في افاعيله فليس بناء افعاله على الاسباب العادية لعجزه عن ايجادها بطريق
آخر خارق للعادات بل لكونه متضمنا للحكم والمصالح مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله اي في وجوه الخيرات من الواجب والنفل كمثل حبة لا بد
من تقدير مضاف في احد الجانبين اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة انبتت سبع سنابل اي اخرجت ساقا تشعب منها
سبع شعب لكل واحدة منها سنبلة في كل سنبلة مائة حبة كما يشاهد ذلك في الذرة والدخن في الاراضي المغلة بل اكثر من ذلك
واسناد الانبات الى الحبة مجازي كاسناده الى الارض والربيع وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كانها حاضرة بين يدي الناظر
والله يضاعف تلك المضاعفة او فوقها الى ما شاء الله تعالى لمن يشاء ان يضاعف له بفضله على حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه
ولذلك تفاوتت مراتب الاعمال في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق ومقدار
انفاقه وكيفية تحصيل ما انفقه الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله جملة مبتدأة جيء بها لبيان كيفية الانفاق الذي بين فضله بالتمثيل
المذكور ثم لا يتبعون ما انفقوا اي ما انفقوه وانفاقهم منا ولا اذى لهم المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اوجب بذلك
عليه حقا والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم به عليه وانما قدم المن لكثرة وقوعه وتوسيط كلمة لا للدلالة على شمول النفي لاتباع
كل واحد منهما وثم لاظهار علو رتبة المعطوف قيل نزلت في عثمان رضي الله عنه حين جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها
واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه حين اتى النبي صلى الله عليه وسلم باربعة آلاف درهم صدقة ولم يكد يخطر ببالهما

شيء من المن والأذي لهم اجرهم اي حسبما وعدلهم في ضمن التمثيل وهو جملة من مبتداء وخبر وقعت خبرا من الموصول وفي تكرير الاسناد وتقييد الاجر
بقوله عند ربهم من التأكيد والتشريف ما لا يخفي وتخلية الخبر عن الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للايذان بان ترتب الاجر علي
ما ذكر من الانفاق وترك اتباع المن والأذي بين لا يحتاج الي التصريح بالسببية واما ايهام انهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا
فعلوا فيأباه مقام الترغيب في الفعل والحث عليه ولا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه من المكاره ولا هم يحزنون لفوات مطلوب
من المطالب قل او جل اي لا يعتريهم ما يوجبه لا انه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولانه لا يعتريهم خوف وحزن اصلا
بل يستمرون علي النشاط والسرور كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله تعالي وهيبته واستقصارا للجد والسعي
في اقامة حقوق العبودية من خواص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية
مضارعا لما ان النفي وان دخل علي نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام قول معروف اي كلام جميل تقبله القلوب ولا
تنكره يرد به السائل من غير اعطاء شيء ومغفرة اي ستر لما وقع من السائل من الالحاف في المسئلة وغيرها مما يثقل علي المسئول وصفح عنه
وانما صح الابتداء بالنكرة في الاول لاختصاصها بالوصف وفي الثاني بالعطف او بالصفة المقدرة اي ومغفرة كائنة من المسئول خير
اي للسائل من صدقة يتبعها اذي لكونها مشوبة بضرر ما يتبعها وخلوص الاولين من الضرر والجملة مستانفة مقررة لاعتبار ترك
اتباع المن والأذي وتفسير المغفرة بنيل مغفرة من الله تعالي بسبب الرد الجميل او بعفو السائل بناء علي اعتبار الخيرية بالنسبة الي المسئول
يؤدي الي ان يكون في الصدقة الموصوفة بالنسبة اليه خير في الجملة مع بطلانها بالمرة والله غني لا يحوج الفقراء الي تحمل مؤنة
المن والأذي ويرزقهم من جهة اخري حليم لا يعاجل اصحاب المن والأذي بالعقوبة لا انهم لا يستحقونها بسببهما والجملة تذييل لما
قبلها مشتمل علي الوعد والوعيد مقرر لاعتبار الخيرية بالنسبة الي السائل قطعا يا ايها الذين امنوا اقبل عليهم بالخطاب اثر بيان ما يبتني
بطريق الغيبة مبالغة في ايجاب العمل بموجب النهي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذي اي لا تحبطوا اجرها بواحد منهما كالذي في محل النصب اما علي
انه نعت لمصدر محذوف اي لا تبطلوها ابطالا كابطال الذي ينفق ماله رئاء الناس واما علي انه حال من فاعل لا تبطلوا اي لا تبطلوها
مشبهين الذي ينفق اي الذي يبطل انفاقه بالرياء وقيل من ضمير المصدر المقدر علي ما هو رأي سيبويه وانتصاب رئاء اما علي انه
علة لينفق اي لاجل رئائهم او علي انه حال من فاعله اي ينفق ماله مرائيا والمراد به المنافق لقوله تعالي ولا يؤمن بالله واليوم الآخر حتي يرجو
ثوابا او يخشي عقابا فمثله الفاء لربط ما بعدها بما قبلها اي فمثل المرائي في الانفاق وحالته العجيبة كمثل صفوان اي حجر املس عليه
تراب اي شيء يسير منه فاصابه وابل اي مطر عظيم القطرة فتركه صلدا املس ليس عليه شيء من الغبار اصلا لا يقدرون علي شيء مما كسبوا لا
ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون له ثوابا قطعا كقوله تعالي فجعلناه هباء منثورا والجملة استئناف مبني علي السؤال كانه قيل ماذا
يكون حالهم حينئذ فقيل لا يقدرون الخ ومن ضرورة كون مثلهم كما ذكر كون مثل من يشبههم وهم اصحاب المن والأذي كذلك والضمير
الي الاخير للموصول باعتبار المعني كما في قوله عز وجل وخضتم كالذي خاضوا لما ان المراد به الجنس او الجمع او الفريق كما ان الضمائر
الاربعة السابقة له باعتبار اللفظ والله لا يهدي القوم الكافرين الي الخير والرشاد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله وفيه تعريض
بان كلا من الرياء والمن والأذي من خصائص الكفار ولا بد للمؤمنين ان يجتنبوها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله اي لطلب رضاه
وتثبيتا من انفسهم اي وليثبتوا بعض انفسهم علي الايمان فمن تبعيضية كما في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه فان المال شقيق الروح فمن
بذل ماله لوجه الله تعالي فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه فقد ثبتها كلها او وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل
انفسهم فمن ابتدائية كما في قوله تعالي حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعني وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة مخلصة
فيه ويعضده قراءة من قرأ وتبيينا من انفسهم وفيه تنبيه علي ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال الذي هو
راس كل خطيئة كمثل جنة بربوة الربوة بالحركات الثلاث وقد قرئ بها المكان المرتفع اي مثل نفقتهم في الزكاء كمثل

بستان كائن بمكان مرتفع مأمون من ان يصطلمه البرد للطافة هوائه بهبوب الرياح الملطفة له فان اشجار الربي تكون احسن منظرا وازكي ثمرا
واما الاراضي المنخفضة فقلما تسلم ثمارها من البرد للكثافة هوائها بركود الرياح وقرئ كمثل حبة اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها
ثمرتها وقرئ بسكون الكاف تخفيفا ضعفين اي مثلي ما كانت تثمر في سائر الاوقات بسبب ما اصابها من الوابل والمراد بالضعف المثل وقيل
اربعة امثال ونصبه علي الحال من اكلها اي مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل اي فطل يكفيها لجودتها وكرم منبتها ولطافة هوائها وقيل
فيصيبها طل هو المطر الصغير القطرة وقيل فالذي يصيبها طل والمعني ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله تعالي لا تضيع بحال
وان كانت تتفاوت باعتبار ما يقارنها من الاحوال ويجوز ان يعتبر التمثيل بين حالهم باعتبار ما صدر عنهم من النفقة الكثيرة
والقليلة وبين الجنة المعهودة باعتبار ما اصابها من المطر الكثير واليسير فكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكلها فكذلك نفقتهم
جلت او قلت بعد ان يطلب بها وجه الله تعالي زاكية زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عند الله تعالي والله بما تعملون بصير لا يخفي عليه شيء
منه وهو ترغيب في الاخلاص مع تحذير من الرياء ونحوه ايود احدكم الود حب الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل استعمالهما والهمزة
لانكار الوقوع كما في قوله أأضرب ابي لا لانكار الواقع كما في قولك اتضرب اباك علي ان مناط الانكار ليس جميع ما تعلق به الود بل انما هو
اصابة الاعصار وما يتبعها من الاحتراق ان تكون له جنة وقرئ جنات من نخيل واعناب اي كائنة منهما علي ان يكون الاصل
والركن فيها هذين الجنسين الشريفين الجامعين لفنون المنافع والباقي من المستتبعات لا علي ان لا يكون فيها غيرهما كما ستعرفه
والجنة تطلق علي الاشجار الملتفة المتكاثفة قال زهير كأن عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا وعلي الارض المشتملة عليها
والاول هو الانسب بقوله عز وجل تجري من تحتها الانهار اذ علي الثاني لا بد من تقدير مضاف اي من تحت اشجارها وكذا لا بد
من جعل اسناد الاحتراق اليها فيما سيأتي مجازيا والجملة في محل الرفع علي انها صفة جنة كما ان قوله تعالي من نخيل واعناب كذلك او
في محل النصب علي انها حال منها لانها موصوفة له فيها من كل الثمرات الظرف الاول خبر والثاني حال والثالث مبتدأ اي صفة للمبتداء
قائمة مقامه اي له رزق من كل الثمرات كما في قوله تعالي وما منا الا له مقام معلوم اي وما منا احد الا له الخ وليس المراد بالثمرات العموم
بل انما هو التكثير كما في قوله تعالي واوتيت من كل شيء واصابه الكبر اي كبر السن الذي هو مظنة شدة الحاجة الي منافعها ومئنة كمال
العجز عن تدارك اسباب المعاش والواو حالية اي وقد اصابه الكبر وله ذرية ضعفاء حال من الضمير في اصابه اي اصابه الكبر والحال
ان له ذرية صغارا لا يقدرون علي الكسب وترتيب مبادي المعاش وقرئ ضعاف فاصابها اعصار اي ريح عاصفة تستدير في الارض
ثم تنعكس منها ساطعة الي السماء علي هيئة العمود فيه نار شديدة فاحترقت عطف علي فاصابها وهذا كما تري تمثيل لحال من يعمل اعمال
البر والحسنات ويضم اليها ما يحبطها من القوادح ثم تجدها يوم القيمة عند كمال حاجته الي ثوابها هباء منثورا في التحسر والتأسف عليها
كذلك توحيد الكاف مع كون المخاطب جمعا قد مر وجهه مرارا اي مثل ذلك البيان الواضح الجاري في الظهور مجري الامور المحسوسة يبين الله
لكم الآيات لعلكم تتفكرون اي تتفكروا فيها وتعتبروا بما فيها من العبر وتعملوا بموجبها يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم بيان لحال ما
ينفق منه اثر بيان اصل الانفاق وكيفيته اي انفقوا من حلال ما كسبتم وخياره لقوله تعالي لن تنالوا البر حتي تنفقوا مما تحبون
ومما اخرجنا لكم من الارض اي ومن طيبات ما اخرجنا لكم من الحبوب والثمار والمعادن فحذف لدلالة ما قبله عليه ولا تيمموا بفتح التاء اصله ولا تتيمموا
وقرئ بضمها وقرئ ولا تأمموا والكل بمعني القصد اي لا تقصدوا الخبيث اي الردي الخسيس وهو كالطيب من الصفات الغالبة
التي لا تذكر موصوفاتها منه تنفقون الجار متعلق بتنفقون والضمير للخبيث والتقديم للتخصيص والجملة حال من فاعل تيمموا اي لا تقصدوا
الخبيث قاصرين الانفاق عليه او من الخبيث اي مختصا به الانفاق واياما كان فالتخصيص لتوبيخهم بما كانوا يتعاطونه من انفاق الخبيث خاصة لا
لتسويغ انفاقه مع الطيب عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه وقيل متعلق بمحذوف
وقع حالا من الخبيث والضمير للمال المدلول عليه بحسب المقام او للموصولين علي طريقة قوله كأنه في الجلد توليع البهق وللثاني

وتخصيصه بذلك لما أن التفاوت فيه أكثر وتنفقون حال من الفاعل المذكور أي ولا تقصدوا الخبيث كائنا من المال أو مما كسبتم ومما أخرجنا لكم
أو مما أخرجنا لكم منفقين إياه وقوله تعالى **ولستم بآخذيه** حال على كل حال من واو تنفقون أي تنفقون والحال أنكم لا تأخذونه في معاملاتكم
في وقت من الأوقات أو بوجه من الوجوه **إلا أن تغمضوا فيه** أي إلا وقت إغماضكم فيه أو إلا بإغماضكم وهو عبارة عن المسامحة بطريق الكناية
أو الاستعارة يقال أغمض بصره إذا غضه وقرئ على البناء للمفعول على معنى إلا أن تحملوا على الإغماض وتنطووا فيه أو توجدوا مغمضين
وقرئ تغمضوا وتغمضوا بضم الميم وكسرها وقيل تم الكلام عند قوله ولا تيمموا الخبيث ثم استؤنف فقيل على طريقة التوبيخ والتقريع
منه تنفقون والحال أنكم لا تأخذونه إلا إذا أغمضتم فيه ومآله الاستفهام الإنكاري فكأنه قيل أمنه تنفقون الخ **واعلموا أن الله غني** عن
إنفاقكم وإنما يأمركم به لمنفعتكم وفي الأمر بأن يعلموا ذلك مع ظهور علمهم به توبيخ لهم على ما يصنعون من إعطاء الخبيث وإيذان بأن ذلك
من آثار الجهل بشأنه تعالى فإن إعطاء مثله إنما يكون عادة عند اعتقاد المعطي أن الآخذ محتاج إلى ما يعطيه بل مضطر إليه **حميد** مستحق للحمد على
نعمه العظام وقيل حامد بقبول الجيد والإثابة عليه **الشيطان يعدكم الفقر** الوعد هو الإخبار بما سيكون من جهة المخبر مترتبا على شيء من زمان
أو غيره يستعمل في الشر استعماله في الخير قال تعالى النار وعدها الله الذين كفروا أي يعدكم في الإنفاق الفقر ويقول إن عاقبة إنفاقكم
أن تفتقروا وإنما عبر عن ذلك بالوعد مع أن الشيطان لم يضف مجيء الفقر إلى جهته للإيذان بمبالغته في الإخبار بتحقق مجيئه كأنه نزله
في تقرر الوقوع منزلة أفعاله الواقعة بحسب إرادته أو لوقوعه في مقابلة وعده تعالى على طريقة المشاكلة وقرئ بضم الفاء والسكون وبضمتين و
بفتحتين **ويأمركم بالفحشاء** أي بالخصلة الفحشاء أي ويغريكم على البخل ومنع الصدقات إغراء الآمر للمأمور على فعل المأمور به والعرب تسمي البخيل
فاحشا قال طرفة بن العبد أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد وقيل بالمعاصي والسيئات **والله يعدكم** أي في
الإنفاق **مغفرة** لذنوبكم والجار في قوله تعالى **منه** متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لفخامتها التي أفادها تنكيرها أي مغفرة أي
مغفرة كائنة منه عز وجل **وفضلا** صفته محذوفة لدلالة المذكور عليها كما في قوله تعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ونظائره
أي وفضلا كائنا منه تعالى أي خلفا مما أنفقتم زائدا عليه في الدنيا وفيه تكذيب للشيطان وقيل ثوابا في الآخرة **والله واسع** قدرة وفضلا
فيحقق ما وعدكم به من المغفرة وإخلاف ما تنفقونه **عليم** مبالغ في العلم فيعلم إنفاقكم فلا يكاد يضيع أجركم أو يعلم ما سيكون من المغفرة
والفضل فلا احتمال للخلف في الوعد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله **يؤتي الحكمة** قال مجاهد الحكمة هي القرآن والعلم والفقه وروي عن ابن
نجيح أنها الإصابة في القول والعمل وعن إبراهيم النخعي أنها معرفة معاني الأشياء وفهمها وقيل هي معرفة حقائق الأشياء وقيل هي الإقدام
على الأفعال الحسنة الصائبة وعن مقاتل أنها فسرت في القرآن بأربعة أوجه فتارة بمواعظ القرآن وأخرى بما فيه من عجائب الأسرار وأخرى بالعلم
والفهم وأخرى بالنبوة ولعل الأنسب بالمقام ما ينتظم الأحكام المبثوثة في تضاعيف الآيات الكريمة من أحد الوجهين الأولين ومعنى إيتائها
تبيينها والتوفيق للعلم والعمل أي يبينها ويوفق للعلم والعمل **من يشاء** من عباده أن يؤتيها إياه بموجب سعة فضله وإحاطة علمه كما آتاكم
ما بينه في ضمن الآي من الحكم البالغة التي يدور عليها فلك منافعكم فاغتنموها وسارعوا إلى العمل بها والموصول مفعول أول ليؤتي قدم
عليه الثاني للعناية به والجملة مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها **ومن يؤت الحكمة** على بناء المفعول وقرئ على البناء للفاعل أي ومن يؤته الله
الحكمة والإظهار في مقام الإضمار لإظهار الاعتناء بشأنها وللإشعار بعلة الحكم **فقد أوتي خيرا كثيرا** أي أي خير كثير فإنه قد
حيز له خير الدارين **وما يذكر** أي وما يتعظ بما أوتي من الحكمة أو وما يتفكر فيها **إلا أولوا الألباب** أي العقول الخالصة عن شوائب الوهم
والركون إلى متابعة الهوى وفيه من الترغيب في المحافظة على الأحكام الواردة في شأن الإنفاق ما لا يخفى والجملة إما حال أو اعتراض
تذييلي **وما أنفقتم من نفقة** بيان لحكم كلي شامل لجميع أفراد النفقات وما في حكمها إثر بيان حكم ما كان منها في سبيل الله وما إما شرطية أو
أو موصولة حذف عائدها من الصلة أي وما أنفقتموه من نفقة أي أي نفقة كانت في حق أو باطل في سر أو علانية قليلة أو كثيرة **أو**
نذرتم النذر عقد الضمير على شيء والتزامه وفعله كفرح ونصر **من نذر** أي نذر كان في طاعة أو معصية بشرط أو بغير شرط متعلق بالمال

بالمال أو بالأفعال كالصيام والصلاة ونحوهما **فإن الله يعلمه** الفاء على الأول داخلة على الجواب وعلى الثاني مزيدة في الخبر وتوحيد الضمير
مع تعدد متعلق العلم لاتحاد المرجع بناء على كون العطف بكلمة أو كما في قولك زيد أو عمرو أكرمته ولا يقال أكرمتهما وهذا يصير إلى
في قوله تعالى إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما لأن عود الضمير تارة إلى المقدم رعاية للأولية كما في قوله عز وعلا وإذا رأوا تجارة
أو لهوا انفضوا إليها وأخرى إلى المؤخر رعاية للقرب كما في هذه الآية الكريمة وفي قوله تعالى ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا
وحمل النظم على تأويلهما بالمذكور ونظائره أو على حذف الأول ثقة بدلالة الثاني عليه كما في قوله تعالى والذين يكنزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وقوله نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف ونحوهما مما عطف فيه بالواو الجامعة
تعسف مستغنى عنه نعم يجوز إرجاع الضمير إلى ما على تقدير كونها موصولة وتصدير الجملة بأن لتأكيد مضمونها إفادة لتحقيق الجزاء أي
تعالى يجزيكم عليه البتة إن خيرا فخير وإن شرا فشر فهو ترغيب ووعد ووعيد **وما للظالمين** بالإنفاق والنذر في المعاصي أو بمنع الصدقات
وعدم الوفاء بالنذور أو بإنفاق الخبيث أو بالرياء والمن والأذى وغير ذلك مما ينتظمه معنى الظلم الذي هو عبارة عن وضع
الشيء في غير موضعه الذي يحق أن يوضع فيه **من أنصار** أي أعوان ينصرونهم من بأس الله وعقابه لا بشفاعة ولا بمدافعة وإيراد
صيغة الجمع لمقابلة الظالمين أي وما لظالم من الظالمين من نصير من الأنصار والجملة استئناف مقرر لما فيما قبله من الوعيد مفيد
لفظاعة حال من يفعل ما يفعل من الظالمين لتحصيل الأعوان ورعاية الأخلاء **إن تبدوا الصدقات فنعما هي** نوع تفصيل لبعض ما أجمل في
الشرطية وبيان له ولذلك ترك العطف بينهما أي إن تظهروا الصدقات فنعم شيئا إبداؤها بعد أن لم يكن رياء وسمعة وقرئ بفتح النون
وكسر العين على الأصل وقرئ بكسر النون وسكون العين وقرئ بكسر النون وإخفاء حركة العين وهذا في الصدقات المفروضة وأما في صدقة
التطوع فالإخفاء أفضل وهي التي أريد بقوله تعالى **وإن تخفوها** أي تعطوها خفية **وتؤتوها الفقراء** ولعل التصريح بإيتاء الفقراء مع أنه واجب في الإبداء
أيضا لما أن الإخفاء مظنة الالتباس والاشتباه فإن الغني ربما يدعي الفقر أو يقدم على قبول الصدقة سرا ولا يفعل ذلك عند الناس
فهو خير لكم أي فالإخفاء خير لكم من الإبداء وهذا في التطوع ومن لم يعرف بالمال وأما في الواجب فالأمر بالعكس لدفع التهمة عن ابن عباس رضي الله عنهما
صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا **ويكفر عنكم من سيئاتكم** أي والله
يكفر أو الإخفاء ومن تبعيضية أي شيئا من سيئاتكم كما ستر عوها وقيل مزيدة على رأي الأخفش وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما على أن الفعل للصدقات
وقرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء أو على أنه خبر مبتدأ محذوف أي ونحن نكفر أو على أنها جملة مبتدأة من فعل وفاعل وقرئ مجزوما
عطفا على محل الفاء وما بعده لأنه جواب الشرط **والله بما تعملون** من الإسرار والإعلان **خبير** فهو ترغيب في الإسرار **ليس عليك هداهم** أي لا يجب عليك
أن تجعلهم مهديين إلى الإتيان بما أمروا به من المحاسن والانتهاء عما نهوا عنه من القبائح المعدودة وإنما الواجب عليك الإرشاد إلى الخير والحث عليه
والنهي عن الشر والردع عنه بما أوحي إليك من الآيات والذكر الحكيم **ولكن الله يهدي** هداية خاصة موصلة إلى المطلوب حتما **من يشاء** هدايته إلى ذلك
ممن يتذكر بما ذكر ويتبع الحق ويختار الخير والجملة معترضة جيء بها على طريق تلوين الخطاب وتوجيهه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الالتفات إلى
الغيبة فيما بين الخطابات المتعلقة بالمكلفين مبالغة في حملهم على الامتثال فإن الإخبار بعدم وجوب تدارك أمرهم على النبي صلى الله عليه وسلم
مؤذن بوجوبه عليهم حسبما ينطق به ما بعده من الشرطية وقيل لما كثر فقراء المسلمين نهى الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين عن التصدق على المشركين
كي تحملهم الحاجة على الدخول في الإسلام فنزلت أي ليس عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لأجل دخولهم في الإسلام فلا التفات حينئذ في
الكلام وضمير الغيبة للمعهودين من فقراء المشركين بل فيه تلوين فقط وقوله تعالى **وما تنفقوا من خير** على الأول التفات من الغيبة إلى خطاب المكلفين لزيادة
هزهم نحو الامتثال وعلى الثاني تلوين للخطاب بتوجيهه إليهم وصرفه عن النبي صلى الله عليه وسلم وما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة به على المفعولية
ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لاسم الشرط مبينة ومخصصة له أي أي شيء تنفقوا كائن من مال **فلأنفسكم** أي فهو لأنفسكم لا
ينتفع به غيركم فلا تمنوا على من أعطيتموه ولا تؤذوه ولا تنفقوا من الخبيث ونفعه الديني لكم لا لغيركم من الفقراء حتى تمنعوه ممن لا

ينتفع به من حيث الدين من فقراء المشركين وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله استثناء من اعم العلل او اعم الاحوال اي ليست نفقتكم لشيء من الاشياء الا لابتغاء
وجه الله او ليست في حال من الاحوال الا حال ابتغاء وجه الله فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله تعالى وقيل هو نفي في معنى النهي وما
تنفقوا من خير يوف اليكم اي اجره وثوابه اضعافا مضاعفة حسبما فصل فيما قبل فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه على احسن الوجوه واجملها فهو
تأكيد وبيان للشرطية السابقة او يوف اليكم ما يخلفه وهو من نتائج دعائه عليه السلام بقوله اللهم اجعل للمنفق خلفا وللممسك تلفا وقيل حجت
اسماء بنت ابي بكر فاتتها امها تسألها وهي مشركة فابت ان تعطيها وعن سعيد بن جبير انهم كانوا يتقون ان يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروي
ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار في اليهود ورضاع كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفقوهم فنزلت وهذا في غير الواجب
واما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وان كان ذميا وانتم لا تظلمون لا تنقصون شيئا مما وعدتم من الثواب المضاعف او من الخلف للفقراء متعلق
بمحذوف ينساق اليه الكلام كما في قوله عز وجل في تسع آيات الى فرعون اي اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء
الذين احصروا في سبيل الله بالغزو والجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض اي ذهابا فيها للكسب والتجارة وقيل هم اهل الصفة
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والجهاد وكانوا يخرجون
في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف اي من اجل تعففهم عن المسألة تعرفهم بسيماهم
اي تعرف فقرهم واضطرارهم بما تعاين منهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب
مبالغة في بيان وضوح فقرهم لا يسألون الناس الحافا اي الحاحا وهو ان يلازم السائل المسؤول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي
اعطاني من فضل ما عنده والمعنى لا يسألونهم شيئا وان سألوا الحاجة اضطرتهم اليه لم يلحوا وقيل هو نفي لكلا الامرين جميعا على طريقة قوله على
لاحب لا يهتدى بمناره اي لا منار ولا اهتداء وما تنفقوا من خير فان الله به عليم فيجازيكم بذلك احسن جزاء فهو ترغيب في التصدق
لا سيما على هؤلاء الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات والاحوال بالخير والصدقة وقيل نزلت في شأن
الصديق رضي الله تعالى عنه وقيل في علي كرم الله وجهه حين لم يكن عنده الا اربعة دراهم فتصدق كل واحد منها على وجه من الوجوه المذكورة ولعل
تقديم الليل على النهار والسر على العلانية للايذان بمزية الاخفاء على الاظهار وقيل في رباط الخيل والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم خبر
للموصول والفاء للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها وقيل للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين الخ ولذلك جوز الوقف على علانية ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون تقدم تفسيره الذين يأكلون الربوا اي يأخذونه والتعبير عنه بالاكل لانه معظم ما قصد به ولشيوعه في المطعومات مع ما
فيه من زيادة تشنيع لهم وهو الزيادة في المقدار او في الاجل حسبما فصل في كتب الفقه وانما كتب بالواو كالصلوة على لغة من يفخم في امثالها وزيدت
الالف تشبيها بواو الجمع لا يقومون اي من قبورهم اذا بعثوا الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان اي الا قياما كقيام المصروع
وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب بغير استواء كخبط العشواء من المس
اي الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط عقله فلذلك يقال جن الرجل وهو متعلق بما قبله من الفعل المنفي اي لا يقومون
من المس الذي بهم بسبب اكلهم الربوا او بيقوم او بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقولهم بل لان الله تعالى
اربى في بطونهم ما اكلوا من الربوا فاثقلهم فصاروا مخبلين ينهضون ويسقطون تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف ذلك
اشارة الى ما ذكر من حالهم وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بفظاعة المشار اليه بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اي ذلك العقاب بسبب
انهم نظموا الربوا والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وقالوا يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمته
درهم بدرهمين بل جعلوا الربوا اصلا في الحل وقاسوا به البيع مع وضوح الفرق بينهما فان احد الدرهمين في الاول ضائع حتما وفي الثاني
منجبر بمساس الحاجة الى السلعة او بتوقع رواجها واحل الله البيع وحرم الربوا انكار من جهة الله تعالى لتسويتهم وابطال للقياس
لوقوعه في مقابلة النص مع ما اشير اليه من عدم الاشتراك في المناط والجملة ابتدائية لا محل لها من الاعراب فمن جاءه موعظة اي

اي فمن بلغه وعظ وزجر كالنهي عن الربوا وقرئ جاءته من ربه متعلق بجاء او بمحذوف وقع صفة لموعظة والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
للاشعار بكون مجيء الموعظة للتربية فانتهى عطف على جاءه اي فاتعظ بلا تراخ وتبع النهي فله ما سلف اي ما تقدم من اخذه قبل التحريم
ولا يسترد منه وما مرتفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على رأي سيبويه لعدم اعتماد الظرف على ما قبله
وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شأنه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد اي الى
تحليل الربوا فاولئك اشارة الى من عاد والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في عاد باعتبار اللفظ وما فيه من معنى البعد للاشعار
ببعد منزلتهم في الشر والفساد اصحاب النار اي ملازموها هم فيها خالدون ماكثون ابدا والجملة مقررة لما قبلها يمحق الله الربوا اي
يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيها ويزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة وروي
عنه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقبل الصدقة ويربيها كما يربي احدكم مهره وعنه عليه السلام ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب
اي لا يرضى لان الحب مختص بالتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين آمنوا بالله ورسوله وبما جاءهم به وعملوا
الصالحات واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة تخصيصهما بالذكر مع اندراجهما في الصالحات لانافتهما على سائر الاعمال الصالحة على
طريقة ذكر جبريل وميكائيل عقيب الملائكة عليهم السلام لهم اجرهم جملة من مبتدأ وخبر واقعة خبرا لان اي اجرهم الموعود لهم وقوله تعالى
عند ربهم حال من اجرهم وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم مزيد لطف وتشريف لهم ولا خوف عليهم من مكروه آت
ولا هم يحزنون من محبوب فات يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اي قوا انفسكم عقابه وذروا ما بقي من الربوا اي واتركوا بقايا ما شرطتم
منه على الناس تركا كليا ان كنتم مؤمنين على الحقيقة فان ذلك مستلزم لامتثال ما امرتم به البتة وهو شرط حذف جوابه ثقة بما قبله
اي ان كنتم مؤمنين فاتقوه وذروا الخ روي انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا
اي ما امرتم به من الاتقاء وترك البقايا اما مع انكار حرمته واما مع الاعتراف بها فأذنوا بحرب من الله ورسوله اي فاعلموا بها من
اذن بالشيء اذا علم به اما على الاول فكحرب المرتدين واما على الثاني فكحرب البغاة وقرئ فآذنوا اي فاعلموا غيركم قيل هو من الاذن
وهو الاستماع فانه من طرق العلم وقرئ فايقنوا وهو مؤيد لقراءة العامة وتنكير حرب للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لها
مؤكدة لفخامتها اي بنوع من الحرب عظيم لا يقادر قدره كائن من عند الله تعالى ورسوله روي انه لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا
بحرب من الله ورسوله وان تبتم من الارتباء مع الايمان بحرمتها بعد ما سمعتموه من الوعيد فلكم رءوس اموالكم تأخذونها كملا لا تظلمون
غرماءكم باخذ الزيادة والجملة اما مستأنفة لا محل لها من الاعراب او حال من الضمير في لكم والعامل ما تضمنه الجار من الاستقرار ولا تظلمون
عطف على ما قبله اي لا تظلمون انتم من قبلهم بالمطل والنقص ومن ضرورة تعليق هذا الحكم بتوبتهم عدم ثبوته عند عدمها لان عدمها ان
كان مع انكار الحرمة فهم مرتدون وما لهم المكسوب في حال الردة فيء للمسلمين عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى وكذا سائر اموالهم عند الشافعي
وعندنا هو لورثتهم ولا شيء لهم على كل حال وان كان مع الاعتراف بها فان كان لهم شوكة فهم على شرف القتل لم تسلم لهم رءوسهم فكيف رءوس
اموالهم والا فكذلك عند ابن عباس رضي الله عنهما فانه يقول من عامل الربوا يستتاب والا ضرب عنقه واما عند غيره فهم محبوسون
الى ان يظهر توبتهم لا يمكنون من التصرفات اصلا فما لم يتوبوا لم يسلم لهم شيء من اموالهم بل انما يسلم بموتهم لورثتهم وان كان ذو عسرة
اي ان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة على ان كان تامة وقرئ ذا عسرة على انها ناقصة فنظرة اي فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او
فليكن نظرة وهي الانظار والامهال وقرئ فناظره اي فالمستحق ناظره اي منتظره او فصاحب نظرته على طريق النسب وقرئ
فناظره امرا من المفاعلة اي فسامحه بالنظرة الى ميسرة اي الى يسار وقرئ بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما
مضافين بحذف التاء عند الاضافة كما في قوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وان تصدقوا بحذف احدى التاءين وقرئ
بتشديد الصاد اي وان تتصدقوا على معسر من غرمائكم بالابراء خير لكم اي اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تأخذونه لمضاعفة ثوابه

ودواه فهو ندب الى ان تصدقوا برؤوس اموالهم كلا او بعضا على غرمائهم المعسرين كقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل المراد بالتصدق الانظار
لقوله عليه الصلوة والسلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون جوابه محذوف اي ان كنتم تعلمون انه خير لكم
من ما عملتموه واتقوا يوما هو يوم القيمة وتنكيره للتفخيم والتهويل وتعليق الاتقاء به للمبالغة في التحذير عما فيه من الشدائد والاهوال ترجعون
فيه على البناء للمفعول من الرجع وقرئ على البناء للفاعل من الرجوع والاول ادخل في التهويل وقرئ بالياء على طريقة الالتفات وقرئ تردون وكذا
تصيرون الى الله لمحاسبة اعمالكم ثم توفى كل نفس من النفوس والتعميم للمبالغة في تهويل اليوم اي تعطى كملا ما كسبت اي جزاء ما عملت من خير او شر
وهم لا يظلمون حال من كل نفس لتقييد ان المعاقبين وان كانت عقوباتهم مؤبدة غير مظلومين في ذلك لما انه من قبل انفسهم وجمع الضمير
لانه انسب بحال الجزاء كما ان الافراد انسب بحال الكسب عن ابن عباس رضي الله عنهما انها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها
في رأس المأتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين يوما وقيل
سبعة ايام وقيل ثلث ساعات يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين شروع في بيان حال المداينة الواقعة في تضاعيف المعاوضات الجارية
فيما بينهم ببيع السلع بالنقود بعد بيان حال الربوا اي اذا داين بعضكم بعضا وعامله نسيئة معطيا او آخذا وفائدة ذكر الدين
دفع توهم كون التداين بمعنى المجازاة والتنبيه على تنوعه الى الحال والمؤجل وانه الباعث على الكتبة وتعيين المرجع الى الضمير
المنصوب المتصل بالامر الى اجل متعلق بتداينتم او بمحذوف وقع صفة لدين مسمى بالايام والاشهر ونظائرهما مما يفيد العلم ويرفع
الجهالة لا بالحصاد والدياس ونحوهما مما لا يرفعها فاكتبوه اي الدين باجله لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على استحبابه وعن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف وليكتب بينكم كاتب بيان لكيفية الكتابة
المأمور بها وتعيين لمن يتولاها اثر الامر بها اجمالا وحذف المفعول اما لتعينه او للقصد الى ايقاع نفس الفعل اي ليفعل الكتابة
وقوله تعالى بينكم للايذان بان الكاتب ينبغي ان يتوسط بين المتداينين ويكتب كلامهما ولا يكتفي بكلام احدهما وقوله تعالى بالعدل
متعلق بمحذوف هو صفة لكاتب اي كاتب كائن بالعدل اي وليكن المتصدي للكتابة من شأنه ان يكتب بالسوية من غير ميل الى احد
الجانبين لا يزيد ولا ينقص وهو امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء كتابه موثوقا به معدلا بالشرع ويجوز ان يكون
حالا منه اي ملتبسا بالعدل وقيل متعلق بالفعل اي وليكتب بالحق ولا يأب كاتب اي ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كتاب
الدين كما علمه الله على طريقة ما علمه من كتبة الوثائق او كما بينه بقوله تعالى بالعدل او لا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله
تعالى بتعليم الكتابة كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن ابائها تأكيدا لها ويجوز
ان يتعلق الكاف بالامر على ان يكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق الاملال هو الاملاء
اي وليكن المملي من عليه الحق لانه المشهود عليه فلا بد ان يكون هو المقر وليتق الله ربه جمع بين الاسم الجليل والنعت الجميل للمبالغة في التحذير
اي وليتق المملي دون الكاتب كما قيل لقوله تعالى ولا يبخس منه اي من الحق الذي عليه على الكاتب شيئا فانه الذي يتوقع منه البخس خاصة واما
الكاتب فيتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه النقص فلو اريد نهيه لنهي عن كليهما وقد فعل ذلك حيث امر بالعدل وانما شدد في تكليف
المملي حيث جمع فيه بين الامر بالاتقاء والنهي عن البخس لما فيه من الدواعي الى المنهي عنه فان الانسان مجبول على دفع الضرر عن نفسه وتخفيف
ما في ذمته بما امكن فان كان الذي عليه الحق صرح بذلك في موضع الاضمار لزيادة الكشف والبيان لا لان الامر والنهي لغيره سفيها ناقص
العقل مبذرا مجازفا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو اي غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او عي او جهل او غير ذلك
من العوارض فليملل وليه اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم او وكيل او مترجم بالعدل اي من غير نقص ولا زيادة لم يكلف بعين ما كلف به
من عليه الحق لانه يتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه البخس واستشهدوا شهيدين اي اطلبوهما ليتحملا الشهادة على ما جرى بينكم من المداينة
وتسميتهما شهيدين لتنزيل المشارف منزلة الكائن من رجالكم متعلق باستشهدوا ومن ابتدائية او بمحذوف وقع صفة لشهيدين ومن تبعيضية

ومن تبعيضية اي شهيدين كائنين من رجال المسلمين الاحرار اذ الكلام في معاملاتهم فان خطابات الشرع لا تنتظم العبيد بطريق العبارة كما بين في
موضعه واما اذا كانت المداينة بين الكفرة او كان من عليه الحق كافرا فيجوز استشهاد الكافر عندنا فان لم يكونا اي الشهيدان جميعا على طريقة
الشمول لا شمول النفي رجلين اما لاعوازهما او لسبب آخر من الاسباب فرجل وامرأتان اي فليشهد رجل وامرأتان او فرجل وامرأتان يكفون
وهذا فيما عدا الحدود والقصاص عندنا وفي الاموال خاصة عند الشافعي ممن ترضون متعلق بمحذوف وقع صفة لرجل وامرأتان اي كائنون
مرضيين عندكم وتخصيصهم بالوصف المذكور مع تحقق اعتباره في كل شهيد لقلة اتصاف النساء به وقيل نعت لشهيدين اي كائنين ممن
ترضون ورد بانه يلزم الفصل بينهما بالاجنبي وقيل بدل من رجالكم بتكرير العامل ورد بما ذكر من الفصل وقيل نعت لشهيدين فاستشهدوا
فيلزم الفصل بين اشتراط المرأتين وبين تعليله وقوله عز وجل من الشهداء متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المحذوف الراجع الى الموصول
اي ممن ترضونهم كائنين من بعض الشهداء لعلمكم بعدالتهم وثقتكم بهم وادراج النساء في الشهداء بطريق التغليب ان تضل احديهما
فتذكر احديهما الاخرى تعليل لاعتبار العدد في النساء والعلة في الحقيقة هي التذكر ولكن الضلال لما كان سببا له نزل منزلته كما في قولك
اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه كانه قيل لاجل ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت الشهادة بان نسيتها ولعل ايثار ما عليه النظم الكريم
على ان يقال ان تضل احديهما فتذكرها الاخرى لتأكيد الابهام والمبالغة في الاحتراز عن توهم اختصاص الضلال باحديهما بعينها والتذكير
بالاخرى وقرئ فتذكر من الاذكار وقرئ فتذاكر وقرئ ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع كقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه ولا يأب
الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او لتحملها وتسميتهم شهداء قبل التحمل لما مر من تنزيل المشارف منزلة الواقع وما مزيدة عن قتادة
انه كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد فنزلت ولا تسأموا اي لا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوه
اي الدين او الحق او الكتاب وقيل كني به عن الكسل الذي هو صفة المنافق كما ورد في قوله تعالى واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول المؤمن كسلت صغيرا او كبيرا حال من الضمير اي حال كونه صغيرا او كبيرا اي قليلا او كثيرا او مجملا
او مفصلا الى اجله متعلق بمحذوف وقع حالا من الهاء في تكتبوه اي مستقرا في الذمة الى وقت حلوله الذي اقر به المديون ذلكم اشارة
الى ما امر به من الكتب والخطاب للمؤمنين اقسط اي اعدل عند الله اي في حكمه تعالى واقوم للشهادة اي اثبت لها واعون على اقامتها
وهما مبنيان من اقسط واقام فانه قياسي عند سيبويه او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب
لجموده وادنى ان لا ترتابوا واقرب الى انتفاء ريبكم في جنس الدين وقدره واجله وشهوده ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة
تديرونها بينكم استثناء منقطع من الامر بالكتابة اي لكن وقت كون تداينكم او تجارتكم تجارة حاضرة بحضور البدلين تديرونها بينكم
بتعاطيهما يدا بيد فليس عليكم جناح الا تكتبوها اي فلا بأس بان لا تكتبوها لبعده عن التنازع والنسيان وقرئ برفع تجارة على
انها اسم كان وحاضرة صفتها وتديرونها خبرها او على انها تامة واشهدوا اذا تبايعتم اي هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر
الواردة في الآية الكريمة للندب عند الجمهور وقيل للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد نهي عن المضارة
محتمل للبنائين كما ينبئ عنه قراءة من قرأ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتغيير والتحريف في الكتبة والشهادة
او نهي الطالب عن الضرار بهما بان يعجلهما عن مهمهما او يكلفهما الخروج عما حد لهما ولا يعطي الكاتب جعله وقرئ بالرفع على انه نفي في معنى
النهي وان تفعلوا ما نهيتم عنه من الضرار فانه اي فعلكم ذلك فسوق بكم اي خروج عن الطاعة ملتبس بكم واتقوا الله في مخالفة
اوامره ونواهيه التي من جملتها نهيه عن المضارة ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم فلا يكاد
يخفى عليه حالكم وهو مجازيكم بذلك كرر لفظ الجلالة في الجمل الثلث لادخال الروعة وتربية المهابة وللتنبيه على استقلال كل منها بمعنى
على حياله فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بالانعام والثالثة تعظيم لشأنه تعالى وان كنتم على سفر اي مسافرين او
متوجهين اليه ولم تجدوا كاتبا في المداينات وقرئ كتابا وكتبا وكتابا فرهان مقبوضة اي فالذي يستوثق به او فعليكم او

فليوثق بأخذ الرهن فالمشروع رهان مقبوضة وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في شرعية الارتهان كما حسبه مجاهد والضحاك لأنه صلى الله عليه وسلم رهن درعه
في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير واخذه لأهله بل لإقامة التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتبة في السفر الذي هو مظنة إعوازها
وإنما لم يتعرض لحال الشاهد لما أنه في حكم الكاتب توثقا وإعوازا والجمهور على وجوب القبض في تمام الرهن غير مالك وقرئ فرهن كسقف
وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ بسكون الهاء تخفيفا **فإن أمن بعضكم بعضا** أي بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به
واستغنى بأمانته عن الارتهان وقرئ فإن أومن بعضكم أي آمنه الناس ووصفوه بالأمانة قيل فيكون انتصاب بعضا على نزع الخافض
أي على متاع بعض **فليؤد الذي اؤتمن** وهو المديون وإنما عبر عنه بذلك العنوان لتعينه طريقا للإعلام وحمله على الأداء **أمانته** أي دينه
وإنما سمي أمانة لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ ايتمن بقلب الهمزة ياء وقرئ بإدغام الياء في التاء وهو خطأ لأن المنقلبة من الهمزة
لا تدغم لأنها في حكمها **وليتق الله ربه** في حقوق رعاية الأمانة وفي الجمع بين عنوان الألوهية وصفة الربوبية من التأكيد والتحذير
ما لا يخفى **ولا تكتموا الشهادة** أيها الشهود والمديون أي شهادتكم على أنفسكم عند المعاملة **ومن يكتمها فإنه آثم قلبه** آثم خبر إن
وقلبه مرتفع به على الفاعلية كأنه قيل يأثم قلبه أو مرتفع بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر إن وإسناد الإثم إلى القلب لأن الكتمان
مما اقترفه ونظيره نسبة الزنا إلى العين والأذن أو للمبالغة لأنه رئيس الأعضاء وأفعاله أعظم الأفعال كأنه قيل تمكن الإثم في نفسه وملك
أشرف مكان فيه وفاق سائر ذنوبه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أكبر الكبائر الإشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة
الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالنصب كما في سفه نفسه وقرئ أثم قلبه أي جعله آثما **والله بما تعملون عليم** فيجازيكم به إن خيرا
فخير وإن شرا فشر **لله ما في السموات وما في الأرض** من الأمور الداخلة في حقيقتهما والخارجة عنهما المتمكنة فيهما من أولي العلم وغيرهم أي
كلها له تعالى خلقا وملكا وتصرفا لا شركة لغيره في شيء منها بوجه من الوجوه **وإن تبدوا ما في أنفسكم** من السوء والعزم عليه بأن تظهروه
للناس بالقول أو بالفعل **أو تخفوه** بأن تكتموه منهم ولا تظهروه بأحد الوجهين ولا يندرج فيه ما لا يخلو عنه البشر من الوساوس وأحاديث
النفس التي لا عقد ولا عزيمة فيها إذ التكليف بحسب الوسع **يحاسبكم به الله** يوم القيامة وهو حجة على المنكري الحساب من المعتزلة والروافض
وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للاعتناء به وأما تقديم الإبداء على الإخفاء على عكس ما في قوله عز وجل قل إن تخفوا ما في صدوركم
أو تبدوه يعلمه الله فلما أن المتعلق بما في أنفسهم ههنا هو المحاسبة والأصل فيها الأعمال البادية وأما العلم فتعلقه بها كتعلقه
بالأعمال الخافية كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته متعال عن أن يكون بطريق حصول الصور بل وجود كل شيء في نفسه في أي طور كان علم بالنسبة إليه
تعالى وفي هذا لا يختلف الحال بين الأشياء البارزة والكامنة خلا أن مرتبة الإخفاء متقدمة على مرتبة الإبداء إذ ما من شيء يبدى
إلا وهو أو مباديه قبل ذلك مضمر في النفس فتعلق علمه تعالى بحالته الأولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقد مر في تفسير قوله تعالى أولا يعلمون
أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون **فيغفر** بالرفع على الاستئناف أي فهو يغفر بفضله **لمن يشاء** أن يغفر له **ويعذب** بعدله **من يشاء** أن يعذبه
حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وتقديم المغفرة على التعذيب لتقدم رحمته على غضبه وقرئ بجزم الفعلين عطفا على جواب
الشرط وقرئ بالجزم من غير فاء على أنه بدل من الجواب بدل البعض أو الاشتمال ونظير الجزم على البدلية من الشرط في قوله تعالى متى تأتنا تلمم
بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وإدغام الراء في اللام لحن **والله على كل شيء قدير** تذييل مقرر لمضمون ما قبله فإن كمال قدرته
تعالى على جميع الأشياء موجب لقدرته سبحانه على ما ذكر من المحاسبة وما فرع عليه من المغفرة والتعذيب **آمن الرسول** لما ذكر في فاتحة السورة
الكريمة أن ما أنزل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب العظيم الشأن هدى للمتصفين بما فصل هناك من الصفات الفاضلة التي من
جملتها الإيمان به وبما أنزل قبله من الكتب الإلهية وأنهم حائزون لآثاره من الهدى والفلاح من غير تعيين لهم بخصوصهم ولا تصريح بتحقق
اتصافهم بها إذ ليس فيما ذكر في حيز الصلة حكم بالفعل وعقب ذلك ببيان حال من المجاهرين والمنافقين ثم شرح في تضاعيفها
من فنون الشرائع والأحكام والمواعظ والحكم وأخبار سوالف الأمم وغير ذلك مما تقتضي الحكمة شرحه بين في خاتمتها المتصفون بها

بها وحكم باتصافهم بها على طريق الشهادة لهم من جهته عز وجل بكمال الإيمان وحسن الطاعة وذكر صلى الله عليه وسلم بطريق الغيبة مع ذكره هناك بطريق
الخطاب لما أن حق الشهادة الباقية على مر الدهور أن لا يخاطب بها المشهود له ولم يتعرض ههنا لبيان فوزهم بمطالبهم التي من جملتها
ما حكي عنهم من الدعوات الآتية إيذانا بأنه أمر محقق غني عن التصريح لا سيما بعد ما نص عليه فيما سلف وإيراده عليه السلام بعنوان
الرسالة المنبئة عن كونه عليه السلام صاحب كتاب مجيد وشرع جديد تمهيد لما يعقبه من قوله تعالى **بما أنزل إليه** ومزيد توضيح لاندراجه في
الرسل المؤمن بهم عليهم السلام والمراد بما أنزل إليه ما يعم كله وكل جزء من أجزائه ففيه تحقيق لكيفية إيمانه صلى الله عليه وسلم وتعيين
لعنوانه أي آمن عليه السلام بكل ما أنزل إليه **من ربه** إيمانا تفصيليا متعلقا بجميع ما فيه من الشرائع والأحكام والقصص والمواعظ وأحوال
الرسل والكتب وغير ذلك من حيث إنه منزل منه تعالى وأما الإيمان بحقية أحكامه وصدق أخباره ونحو ذلك فمن فروع الإيمان به من الحيثية
المذكورة وفي هذا الإجمال إجلال لمحله عليه السلام وإشعار بأن تعلق إيمانه بتفاصيل ما أنزل إليه وإحاطته بجميع ما انطوى عليه من
الظهور بحيث لا حاجة إلى ذكره أصلا وكذا في التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام تشريف له وتنبيه على أن
إنزاله إليه تربية وتكميل له صلى الله عليه وسلم **والمؤمنون** أي الفريق المعروفون بهذا الاسم فاللام عهدية لا موصولة لإفضائها إلى
خلو الكلام عن الجدوى وهو مبتدأ وقوله عز وجل **كل** مبتدأ ثان وقوله تعالى **آمن** خبره والجملة خبر للمبتدأ الأول والرابط بينهما
الضمير الذي ناب منابه التنوين وتوحيد الضمير في آمن مع رجوعه إلى كل المؤمنين لما أن المراد بيان إيمان كل فرد فرد منهم من غير
اعتبار الاجتماع كما اعتبر ذلك في قوله تعالى وكل أتوه داخرين وتغيير سبك النظم الكريم عما قبله لتأكيد الإشعار بما بين إيمانه عليه السلام
المبني على المشاهدة والعيان وبين إيمانهم الناشئ عن الحجة والبرهان من التفاوت البين والاختلاف الجلي كأنهما مختلفان في كل
وجه حتى في هيئة التركيب الدال عليهما وما فيه من تكرير الإسناد لما في الحكم بإيمان كل واحد منهم على الوجه الآتي من نوع خفاء
محوج إلى التقوية والتأكيد أي كل واحد منهم **بالله** وحده من غير شريك له في الألوهية والمعبودية **وملائكته** أي من حيث إنهم عباد مكرمون
له تعالى من شأنهم التوسط بينه تعالى وبين الرسل بإنزال الكتب وإلقاء الوحي فإن مدار الإيمان بهم ليس من خصوصيات ذواتهم في أنفسهم بل هو
إضافتهم إليه تعالى من الحيثية المذكورة كما يلوح به الترتيب في النظم **وكتبه ورسله** أي من حيث مجيئهما من عنده تعالى لإرشاد الخلق إلى ما
شرع لهم من الدين بالأوامر والنواهي لكن لا على الإطلاق بل على أن كل واحد من تلك الكتب منزل منه تعالى إلى رسول معين من أولئك
الرسل عليهم السلام حسبما فصل في قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط
وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم الآية ولا على أن مناط الإيمان خصوصية ذلك الكتاب أو ذلك الرسول بل على أن الإيمان
بالكل مندرج في الإيمان بالكتاب المنزل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ومستند إليه لما تلي من الآية الكريمة ولا على أن أحكام الكتب السابقة
وشرائعها باقية بالكلية ولا على أن الباقي منها معتبر بالإضافة إليها بل على أن أحكام كل واحد منها كانت حقة ثابتة إلى ورود
كتاب آخر ناسخ له وأن ما لم ينسخ منها إلى الآن من الشرائع والأحكام ثابتة من حيث إنها من أحكام هذا الكتاب المصون
عن النسخ إلى يوم القيامة وإنما لم يذكر ههنا الإيمان باليوم الآخر كما ذكر في قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر
والملائكة والكتاب والنبيين لاندراجه في الإيمان بكتبه وقرئ وكتابه على أن المراد به القرآن أو جنس الكتاب كما في قوله تعالى
فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب والفرق بينه وبين الجمع أنه شائع في أفراد الجنس والجمع في جموعه
ولذلك قيل الكتاب أكثر من الكتب وهذا نوع تفصيل لما أجمل في قوله عز وجل بما أنزل إليه من ربه اقتصر عليه إيذانا بكفايته
في الإيمان الإجمالي المتحقق في كل فرد من أفراد المؤمنين من غير نفي للزيادة ضرورة اختلاف طبقاتهم وتفاوت إيمانهم بالأمور
المذكورة في مراتب التفصيل تفاوتا فاحشا فإن الإجمال في الحكاية لا يوجب الإجمال في المحكي كيف لا وقد أجمل في حكاية إيمانه
عليه السلام بما أنزل إليه من ربه مع بداهة كونه متعلقا بتفاصيل ما فيه من الجلائل والدقائق ثم إن الأمور المذكورة حيث

كانت من الأمور الغيبية التي لا يوقف عليها إلا من جهة العليم الخبير كان الإيمان بها مصدقاً لما ذكر في صدر السورة الكريمة من الإيمان بالغيب وأما الإيمان بكتبه تعالى فإشارة إلى ما في قوله تعالى يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك هذا هو اللائق بشأن التنزيل والحقيق بمقداره الجليل وقد جوز أن يكون قوله تعالى والمؤمنون معطوفاً على الرسول فيوقف عليه والضمير الذي عوض عنه التنوين راجع إلى المعطوفين معاً كأنه قيل آمن الرسول والمؤمنون بما أنزل إليه من ربه ثم فصل ذلك وقيل كل واحد من الرسول والمؤمنين آمن بالله إلى آخره وخلا أنه قدم المؤمن به على المعطوف اعتناء بشأنه وإيذاناً بأصالته عليه السلام في الإيمان به ولا يخفى أنه مع خلوه عما في الوجه الأول من كمال إجلال شأنه عليه السلام وتفخيم إيمانه تخل بجزالة النظم الكريم لأنه إن حمل كل من الإيمانين على ما يليق بشأنه صلى الله عليه وسلم من حيث الذات ومن حيث التعلق بالتفاصيل استحال إسنادهما إلى غيره عليه السلام وضاع التكرير وإن حملا على ما يليق بشأن آحاد الأمة كان ذلك حطاً لرتبته العلية عليه السلام وأما حملهما على ما يليق بكل واحد ممن نسبا إليه من الآحاد ذاتاً وتعلقاً بأن يحملا بالنسبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم على الإيمان العياني المتعلق بجميع التفاصيل وبالنسبة إلى آحاد الأمة على الإيمان المكتسب من جهته عليه السلام اللائق بحالهم في الإجمال والتفصيل فاعتساف بين ينبغي تنزيه ساحة التنزيل عن أمثاله وقوله تعالى **لا نفرق بين أحد من رسله** في حيز النصب بقول مقدر على صيغة الجمع رعاية لجانب المعنى منصوب على أنه حال من ضمير آمن أو مرفوع على أنه خبر آخر لكل أي يقولون لا نفرق بينهم بأن نؤمن ببعض منهم ونكفر بآخرين بل نؤمن بصحة رسالة كل واحد منهم قيدوا به إيمانهم تحقيقاً للحق وتخطئة لأهل الكتابين حيث أجمعوا على الكفر بالرسول صلى الله عليه وسلم واستقل اليهود بالكفر بعيسى بن مريم عليه السلام أيضاً على أن مقصودهم الأصلي إبراز إيمانهم بما كفروا به من رسالته عليه السلام لا إظهار موافقتهم لهم فيما آمنوا به وهذا كما ترى صحيح في أن القائلين آحاد المؤمنين خاصة إذ لا يمكن أن يسند إليه عليه السلام أن يقول لا نفرق بين أحد من رسله وهو يريد به إظهار إيمانه برسالة نفسه وتصديقه في دعواه وعدم التعرض لنفي التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور إياه وإنما لم يعكس مع تحقق التلازم من الطرفين لما أن الأصل في تفريق المفرقين هو الرسل وكفرهم بالكتب متفرع على كفرهم بهم وقرئ بالياء على إسناد الفعل إلى كل وقرئ لا يفرقون حملاً على المعنى كما في قوله تعالى وكل أتوه داخرين فالجملة بنفسها حال من الضمير وقيل خبر ثان لكل كما قيل في القول المقدر فلا بد من اعتبار الكلية بعد النفي دون العكس إذ المراد شمول النفي لا نفي الشمول والكلام في همزة أحد وفي دخول بين عليه قد مر تفصيله عند قوله تعالى لا نفرق بين أحد منهم وفيه من الدلالة صريحاً على تحقق عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم وبين من عداه كائناً من كان ما ليس في أن يقال لا نفرق بين رسله وإيثار إظهار الرسل على الإضمار الواقع مثله في قوله تعالى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم إما للاحتراز عن توهم اندراج الملائكة في الحكم أو للإشعار بعلة عدم التفريق أو للإيماء إلى عنوانه لأن المعتبر عدم التفريق من حيث الرسالة دون سائر الحيثيات الخاصة عطف على آمن وصيغة الجمع باعتبار جانب المعنى وهو حكاية لامتثالهم بالأوامر إثر حكاية إيمانهم **سمعنا** أي فهمنا ما جاءنا من الحق وتيقنا بصحته **وأطعنا** ما فيه من الأوامر والنواهي وقيل سمعنا أجبنا دعوتك وأطعنا أمرك **غفرانك ربنا** أي اغفر لنا غفرانك أو نسألك غفرانك ذنوبنا المتقدمة أو ما لا يخلو عنه البشر من التقصير في مراعاة حقوقك وتقديم ذكر السمع والطاعة على طلب الغفران لما أن تقديم الوسيلة على المسؤول أدعى إلى الإجابة والقبول والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إليهم للمبالغة في التضرع والجؤار **وإليك المصير** أي الرجوع بالموت والبعث لا إلى غيرك وهو تذييل لما قبله مقرر للحاجة إلى المغفرة لما أن الرجوع للحساب والجزاء وقوله تعالى **لا يكلف الله نفساً إلا وسعها** جملة مستقلة جيء بها إثر حكاية تلقيهم لتكاليفه تعالى بحسن الطاعة إظهاراً لما له تعالى عليهم في ضمن التكليف من محاسن آثار الفضل والرحمة ابتداء لا بعد السؤال كما سيجيء هذا وقد روي أنه لما نزل قوله تعالى وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله الآية اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا أي رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والصوم والحج والجهاد وقد أنزل إليك هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير فقرأها القوم فأنزل الله عز وجل آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه إلى قوله تعالى غفرانك ربنا وإليك المصير فمنيتهم الغفران المتعلق بمشيئته عز وجل في قوله فيغفر لمن يشاء ثم أنزل الله تعالى لا يكلف الله نفساً إلا وسعها تهويناً للخطب عليهم ببيان أن المراد بما في أنفسهم ما عزموا عليه من السوء خاصة لا ما يعم الخواطر التي لا يستطاع الاحتراز عنها والتكليف إلزام ما فيه كلفة ومشقة والوسع ما يسع الإنسان ولا يضيق عليه أي سنته تعالى أنه لا يكلف نفساً من النفوس إلا ما يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها دون مدى الطاقة والمجهود فضلاً منه تعالى ورحمة لهذه الأمة كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقرئ وسعها بالفتح وهذا يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال لا على امتناعه وقوله تعالى **لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت** للترغيب في المحافظة على موجب التكليف والتحذير عن الإخلال بها ببيان أن تكليف كل نفس مع مقارنته لنعمة التخفيف والتيسير تتضمن مراعاته منفعة زائدة وأنها تعود إليها لا إلى غيرها ويستتبع الإخلال به مضرة تحيق بها لا بغيرها فإن اختصاص منفعة الفعل بفاعله من أقوى الدواعي إلى تحصيله واقتصار مضرته عليه من أشد الزواجر عن مباشرته أي لها ثواب ما كسبت من الخير الذي كلفت فعله لا لغيرها استقلالاً أو اشتراكاً بضرورة شمول كلمة ما لكل جزء من أجزاء مكسوبها وعليها لا على غيرها بأحد الطريقين المذكورين عقاب ما اكتسبت من الشر الذي كلفت تركه وإيراد الاكتساب في جانب الشر لما فيه من اعتمال أي شيء من اعتناء النفس بتحصيل الشر وسعيها في طلبه **ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا** شروع في حكاية بقية دعواتهم إثر بيان سر التكليف أي لا تؤاخذنا بما صدر عنا من الأمور المؤدية إلى النسيان أو الخطأ من تفريط وقلة مبالاة ونحوهما مما يدخل تحت التكليف أو بأنفسهما من حيث ترتبهما على ما ذكر أو مطلقاً إذ لا امتناع في المؤاخذة بهما عقلاً فإن المعاصي كالسموم فكما أن تناولها ولو سهواً أو خطأ مؤد إلى الهلاك فتعاطي المعاصي أيضاً لا يبعد أن يفضي إلى العقاب وإن لم يكن عن عزيمة ووعده تعالى بعدمه لا يوجب استحالة وقوعه فإن ذلك من آثار فضله ورحمته كما ينبئ عنه الرفع في قوله عليه السلام رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وقد روي أن اليهود كانوا إذا نسوا شيئاً عجلت لهم العقوبة فدعاؤهم بعد العلم بتحقق الموعود للاستدامة والاعتداد بالنعمة في ذلك كما في قوله تعالى ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك **ربنا ولا تحمل علينا إصراً** عطف على ما قبله وتوسيط النداء بينهما لإبراز مزيد الضراعة والإصر العبء الثقيل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه مكانه والمراد به التكاليف الشاقة وقيل الإصر الذنب الذي لا توبة له فالمعنى اعصمنا من اقترافه وقرئ آصاراً وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة **كما حملته على الذين من قبلنا** في حيز النصب على أنه صفة لمصدر محذوف أي حملاً مثل حملك إياه على من قبلنا أو على أنه صفة لإصراً أي إصراً مثل الإصر الذي حملته على من قبلنا وهو ما كلفه بنو إسرائيل من بخع النفس في التوبة وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة في يوم وليلة وصرف ربع المال للزكاة وغير ذلك من التشديدات فإنهم كانوا إذا أتوا بخطيئة حرم عليهم من الطعام بعض ما كان حلالاً لهم قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقد عصم الله عز وجل بفضله ورحمته هذه الأمة عن أمثال ذلك وأنزل في شأنهم ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم وقال عليه السلام بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وعن العقوبات التي عوقب بها الأولون من المسخ والخسف وغير ذلك قال عليه السلام رفع عن أمتي الخسف والمسخ والغرق **ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به** عطف على ما قبله واستعفاء عن العقوبات التي لا تطاق بعد الاستعفاء عما يؤدي إليها التفريط فيه من التكاليف الشاقة التي لا يكاد من كلفها يخلو عن التفريط فيها كأنه قيل لا تكلفنا تلك التكاليف ولا تعاقبنا بتفريطنا في المحافظة عليها فيكون التعبير عن إنزال العقوبات بالتحميل باعتبار ما يؤدي إليها وقيل هو تكرير للأول وتصوير للإصر بصورة ما لا يستطاع مبالغة وقيل هو استعفاء عن التكليف بما لا تفي به الطاقة البشرية حقيقة فيكون دليلاً على جوازه عقلاً وإلا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل إلى مفعول ثان **واعف عنا** أي آثار ذنوبنا **واغفر لنا** واستر عيوبنا ولا تفضحنا على رؤوس الأشهاد **وارحمنا** وتعطف بنا وتفضل علينا وتقديم طلب العفو والمغفرة على طلب الرحمة لما أن التخلية سابقة على التحلية

أنت مولانا سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولي امورنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر عبيده ومن يتولى امره على
الاعداء والمراد به عامة الكفرة وفيه اشارة الى ان اعلاء كلمة الله تعالى والجهاد في سبيله حيثما امكن من نتائج تضاعيف السورة الكريمة
روي انه صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل دعوة قد فعلت وعنه عليه السلام انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما
الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي عام من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه عليه الصلوة والسلام من قرأ الآيتين
من سورة البقرة كفتاه وهو حجة على من استكره ان تقول سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي تذكر فيها البقرة كما قال عليه الصلوة والسلام
السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال عليه
الصلوة والسلام السحرة والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب سورة آل عمران مائتا آية مدنية بسم الله الرحمن الرحيم
الم الله لا اله الا هو قد سلف ان ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة كصاد وقاف ونون ولا موازنة لمفرد كحاميم وطاسين و
الموازنة كقابيل وهابيل وكطاسين ميم الموازنة لدارابجرد وحضرموت يتعين فيه الحكاية فقط ساكنة الاعجاز
على الوقف سواء جعلت اسماء او مسرودة على نمط التعديد وان لزمها التقاء الساكنين لما انها مغتفرة في باب الوقف قطعاً فحق هذه
الفاتحة ان يوقف عليها ثم يبدأ بما بعدها كما فعله ابو بكر رواية عن عاصم واما ما فيها من الفتح على القراءة المشهورة فانما هي حركة همزة
الجلالة القيت على الميم لتدل على ثبوتها اذ ليس اسقاطها للدرج بل للتخفيف فهي مبقاة حكماً فحكم الثابت المبتدا بها ولهم يكون
الحركة لغيرها في حكم الوقف على السكون دون الحركة كما توهم واعترض بانه غير معهود في الكلام وقيل هي حركة لالتقاء الساكنين التي هي
الياء والميم ولام الجلالة بعد سقوط همزتها وانت خبير بان سقوطها مبني على وقوعها في الدرج وقد عرفت ان سكون الميم وقفي
موجب لانقطاعها عما بعدها مستدع لثبات الهمزة على حالها لا كما في الحروف والاسماء المبنية على السكون فان حقها الاتصال بما بعدها
وصفاً واستعمالاً فيسقط بها همزة الوصل وتحرك اعجازها لالتقاء الساكنين ثم ان جعلت مسرودة على نمط التعديد فلا محل لها من الاعراب
كسائر الفواتح وان جعلت اسماً للسورة فمحلها اما الرفع على انها خبر مبتداء محذوف واما النصب على اضمار فعل يليق بالمقام كاذكر
او اقرأ او نحوهما واما الرفع بالابتداء والنصب بتقدير فعل القسم او الجر بتقدير حرفه فلا مساغ لشيء منها لان ما بعدها غير صالح للخبرية
ولا للاقسام عليه فان الاسم الجليل مبتدأ وما بعده خبره والجملة مستأنفة اي هو المستحق للمعبودية لا غير وقوله عز وجل الحي القيوم خبر
آخر له او لمبتداء محذوف اي هو الحي القيوم لا غير وقيل صفة للمبتداء او بدل منه او من الجزء الاول وهو الخبر وما قبله اعتراض بين
المبتداء والخبر مقرر لما يفيده الاسم الجليل او حال منه واياً ما كان فهو كالدليل على اختصاص استحقاق المعبودية به سبحانه وتعالى لما تقرر
من ان معنى الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفناء ومعنى القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه ومن ضرورة اختصاص
ذينك الوصفين به تعالى اختصاص استحقاق المعبودية به تعالى لاستحالة تحققه بدونهما وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم
في ثلث سور في سورة البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي
القيوم وروي ان بني اسرائيل سألوا موسى عليه السلام عن اسم الله الاعظم قال الحي القيوم ويروى ان عيسى عليه السلام كان اذا
اراد احياء الموتى يدعو يا حي يا قيوم ويقال ان آصف بن برخيا حين اتى بعرش بلقيس دعا بذلك وقرئ الحي القيام وهذا
رد على من زعم ان عيسى عليه السلام كان رباً فانه روي ان وفد نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ستين راكباً فيهم
اربعة عشر رجلاً من اشرافهم ثلثة منهم اكابر اليهم يؤول امرهم احدهم اميرهم وصاحب مشورتهم العاقب واسمه عبد المسيح وثانيهم وزيرهم ومشيرهم
السيد واسمه الايهم وثالثهم حبرهم واسقفهم وصاحب مدارسهم ابو حارثة بن علقمة احد بني بكر بن وائل وقد كان ملوك الروم شرفوه
واكرموه لما شاهدوا من علمه واجتهاده في دينهم وبنوا له كنائس فلما خرجوا من نجران ركب ابو حارثة بغلته وكان اخوه كرز بن علقمة الى جنبه
فبينا بغلة ابي حارثة تسير اذ عثرت فقال كرز تعساً للابعد يريد به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابو حارثة بل تعست امك فقال

فقال كرز ولم يا اخي قال انه والله النبي الذي كنا ننتظره فقال له كرز فما يمنعك عنه وانت تعلم هذا قال لان هؤلاء الملوك اعطونا اموالاً كثيرة
واكرمونا فلو آمنا به لاخذوا منا كلها فوقع ذلك في قلب كرز واضمره الى ان اسلم فكان يحدث بذلك فأتوا المدينة ثم دخلوا مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد صلوة العصر عليهم ثياب الحبرات جبب واردية فاخرة يقول بعض من رآهم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما رأينا
وفداً مثلهم وقد حانت صلوتهم فقاموا ليصلوا في المسجد فقال عليه السلام دعوهم فصلوا الى المشرق ثم تكلم اولئك الثلاثة مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا تارة عيسى هو الله لانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه
فيطير وتارة اخرى هو ابن الله اذ لم يكن له اب يعلم وتارة اخرى انه ثالث ثلثة لقوله تعالى فعلنا وقلنا ولو كان واحداً لقال
فعلت وقلت فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلموا قالوا اسلمنا قبلك قال عليه السلام كذبتم يمنعكم من الاسلام دعاؤكم لله
ولداً قالوا ان لم يكن ولداً لله فمن ابوه فقال عليه السلام الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى يأتي عليه الفناء قالوا بلى قال عليه السلام
الستم تعلمون ان ربنا قيوم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال عليه السلام فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً قالوا لا فقال
عليه السلام الستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء قالوا بلى قال عليه السلام فهل يعلم عيسى من ذلك الا
ما علم قالوا لا قال عليه السلام الستم تعلمون ان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وان ربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث
قالوا بلى قال عليه السلام الستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المرأة ووضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي
ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى قال عليه السلام فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فأبوا الا جحوداً
فانزل الله عز وجل من اول السورة الى نيف وثمانين آية تقريراً لما احتج به عليه السلام عليهم واجاب به عن شبههم وتحقيقاً للحق
الذي فيه يمترون نزل عليك الكتاب اي القرآن عبر عنه باسم الجنس ايذاناً بكمال تفوقه على بقية الافراد في حيازة كمالات الجنس كأنه
هو الحقيق بان يطلق عليه اسم الكتاب دون ما عداه كما يلوح به التصريح باسمي التورية والانجيل وصيغة التفعيل للدلالة على
التنجيم وتقديم الظرف على المفعول لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر والجملة اما مستأنفة او خبر آخر من الاسم
الجليل او هي الخبر وقوله تعالى لا اله الا هو اعتراض او حال وقوله عز وجل الحي القيوم صفة او بدل كما مر وقرئ نزل عليك
الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب فالظاهر حينئذ ان تكون مستأنفة وقيل يجوز كونها خبراً بحذف العائد اي نزل الكتاب من عنده
بالحق حال من الفاعل والمفعول اي نزله محقاً في تنزيله او ملتبساً بالعدل في احكامه او بالصدق في اخباره التي من جملتها خبر
التوحيد وما يليه وفي وعده ووعيده او بما يحقق انه من عند الله تعالى من الحجج البينة مصدقاً حال من الكتاب بالاتفاق على تقدير كون قوله
تعالى بالحق حالاً من فاعل نزل واما على تقدير حاليته من الكتاب فهو عند من يجوز تعدد الحال بلا عطف ولا بدلية حال منه بعد حال واما
عند من يمنعه فقد قيل انه حال من محل الحال الاولى على البدلية وقيل من المستكن في الجار والمجرور لانه حينئذ يتحمل ضميراً القيام مقام عامله
المتحمل له فيكون حالاً متداخلة وعلى كل حال فهي مؤكدة وفائدة تقييد التنزيل بها حث اهل الكتابين على الايمان بالمنزل وتنبيههم على
وجوبه فان الايمان بالمصدق موجب للايمان بما يصدقه حتماً لما بين يديه مفعول لمصدقاً واللام دعامة لتقوية العمل نحو فعال لما يريد
اي مصدقاً لما قبله من الكتب السالفة وفيه ايماء الى حضورها وكمال ظهور امرها بين الناس وتصديقه اياها في الدعوة الى الايمان والتوحيد
وتنزيه الله عز وجل عما لا يليق بشأنه الجليل والامر بالعدل والاحسان وكذا في انباء الانبياء والامم الخالية وكذا في نزوله على النعت
المذكور فيها وكذا في الشرائع التي لا تختلف باختلاف الامم والاعصار ظاهر لا ريب فيه واما في الشرائع المختلفة باختلافها فمن
حيث ان احكام كل واحد منها واردة حسبما تقتضيه الحكمة التشريعية بالنسبة الى خصوصيات الامم المكلفة بها مشتملة على المصالح اللائقة
بشأنهم وانزل التورية والانجيل تعيين لما بين يديه وتبيين لرفعة محله تأكيداً لما قبله وتمهيداً لما بعده اذ بذلك يترقى شأن ما يصدقه
رفعة ونباهة ويزداد في القلوب قبولاً ومهابة ويتفاحش حال من كفر بهما في الشناعة واستتباع ما سيذكر من العذاب الشديد والانتقام

اي انزلهما جملة على موسى وعيسى عليهما السلام وانما لم يذكرا لان الكلام في الكتابين لا فيمن انزلا عليه وهما اسمان اعجميان الاول عبري والثاني سرياني ويعضده القراءة بفتح همزة الانجيل فان افعيل ليس من ابنية العرب والتصدي لاشتقاقهما من الوري والنجل تعسف **من قبل** متعلق بانزل اي انزلهما من قبل تنزيل الكتاب والتصريح به مع ظهور الامر للمبالغة في البيان **هدى للناس** في حيز النصب على انه علة للانزال اي انزلهما لهداية الناس او على انه حال منهما اي انزلهما حال كونهما هدى لهم والافراد لما انه مصدر جعل نفس الهدى مبالغة او حذف منه المضاف اي ذوي هدى ثم ان اريد بهدايتهما بجميع ما فيهما من حيث هو جميع فالمراد بالناس الامم الماضية من حين نزولهما الى زمان نسخهما وان اريد هدايتهما على الاطلاق وهو الانسب بالمقام فالناس على عمومه لما ان هدايتهما بما عدا الشرائع المنسوخة من الامور التي يصدقها القرآن فيها ومن جملتها البشارة بنزوله وبمبعث النبي صلى الله عليه وسلم تعم الناس قاطبة **وانزل الفرقان** الفرقان في الاصل مصدر كالغفران اطلق على الفاعل مبالغة والمراد به ههنا اما جنس الكتب الالهية عبر عنها بوصف شامل لما ذكر على طريق التتميم بالتعميم اثر تخصيص بعض مشاهيرها بالذكر كما في قوله عز وجل فانبتنا فيها حبا وعنبا الى قوله تعالى وفاكهة واما نفس الكتب المذكورة اعيد ذكرها بوصف خاص لم يذكر فيما سبق على طريقة العطف بتكرير لفظ الانزال تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي كما في قوله سبحانه فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ واما التوراة فانه مشتمل على المواعظ الفارقة بين الحق والباطل الداعية الى الخير والرشاد الزاجرة عن الشر والفساد وتقديم الانجيل عليه مع تأخره عنه نزولا لقوة مناسبته للتوراة في الاشتمال على الاحكام والشرائع وشيوع اقترانهما في الذكر واما القرآن نفسه ذكر بنعت مادح له بعد ما ذكر باسم الجنس تعظيما لشأنه ورفعا لمكانه وقد بين اولا تنزيله التدريجي الى الارض وثانيا انزاله الدفعي الى السماء الدنيا او اريد بالانزال القدر المشترك العاري عن قيد التدريج وعدمه واما المعجزات المقرونة بانزال الكتب المذكورة الفارقة بين المحق والمبطل **ان الذين كفروا بآيات الله** وضع موضع الضمير العائد الى ما فصل من الكتب المنزلة او منها ومن المعجزات الآيات مضافة الى الاسم الجليل تعيينا لحيثية كفرهم وتهويلا لامرهم وتأكيدا لاستحقاقهم العذاب الشديد وايذانا بان ذلك الاستحقاق لا يشترط فيه الكفر بالكل بل يكفي فيه الكفر ببعض منها والمراد بالموصول اما اهل الكتابين وهو الانسب بمقام المحاجة معهم وجنس الكفرة وهم داخلون فيه دخولا اوليا اي ان الذين كفروا بما ذكر من آيات الله الناطقة بالحق لا سيما بتوحيده تعالى وتنزيهه عما لا يليق بشأنه الجليل كلا او بعضا مع ما بها من النعوت الموجبة للايمان بها بان كذبوا بالقرآن اصالة وبسائر الكتب الالهية تبعا لما ان تكذيب المصدق موجب لتكذيب ما يصدقه حتما واصالة ايضا بان كذبوا بآياتها الناطقة بالتوحيد والتنزيه وآياتها المبشرة بنزول القرآن ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم وغيروها **لهم** بسبب كفرهم بها **عذاب** مرتفع اما على الفاعلية من الجار والمجرور او على الابتداء والجملة خبر ان والتنوين للتفخيم اي اي عذاب عذاب **شديد** لا يقادر قدره وهو وعيد جيء به اثر تقرير امر التوحيد الذاتي والوصفي والاشارة الى ما ينطق بذلك من الكتب الالهية حملا على القبول والاذعان وزجرا عن الكفر والعصيان **والله عزيز** لا يغالب يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد **ذو انتقام** عظيم خارج عن افراد جنسه وهو افتعال من النقمة وهي السطوة والتسلط يقال انتقم منه اذا عاقبه بجنايته والجملة اعتراض تذييلي مقرر للوعيد ومؤكد له **ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء** استيناف كلام سيق لبيان سعة علمه تعالى واحاطته بجميع ما في العالم من الاشياء التي من جملتها ما صدر عنهم من الكفر والفسوق سرا وجهرا اثر بيان كمال قدرته وعزته تربية لما قبله من الوعيد وتنبيها على ان الوقوف على بعض المغيبات كما كان في عيسى عليه السلام بمعزل من بلوغ رتبة الصفات الالهية وعبر عن علمه عز وجل بما ذكر بعدم خفائه عليه كما في قوله سبحانه وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء ايذانا بان علمه تعالى بمعلوماته وان كانت في اقصى الغايات الخفية ليس من شأنه ان يكون على وجه يمكن ان يقارنه شائبة خفاء بوجه من الوجوه كما في علوم المخلوقين بل هو في غاية الوضوح والجلاء والجملة المنفية خبر لان وتكرير الاسناد لتقوية الحكم وكلمة في

متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء مؤكدة لعمومه المستفاد من وقوعه في سياق النفي اي لا يخفى عليه شيء ما كائن في الارض ولا في السماء اعم من ان يكون ذلك بطريق الاستقرار فيهما او الجزئية منهما وقيل متعلقة بيخفى وانما عبر بهما عن كل العالم لانهما قطراه وتقديم الارض على السماء لاظهار الاعتناء بشأن احوال اهلها وتوسيط حرف النفي بينهما للدلالة على الترقي من الادنى الى الاعلى باعتبار القرب والبعد منا المستدعيين للتفاوت بالنسبة الى علومنا وقوله عز وجل **هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء** جملة مستأنفة ناطقة ببعض احكام قيوميته تعالى وجريان احوال الخلق في اطوار الوجود حسب مشيئته المبنية على الحكم البالغة مقررة لكمال علمه مع زيادة بيان لتعلقه بالاشياء قبل دخولها تحت الوجود ضرورة وجوب علمه تعالى بالصور المختلفة المترتبة على التصوير المترتب على المشيئة قبل تحققها بمراتب وكلمة في متعلقة بيصور او بمحذوف وقع حالا من ضمير المفعول اي يصوركم وانتم في الارحام مضغ وكيف معمول ليشاء والجملة في محل النصب على الحالية اما من فاعل يصوركم كائنا على مشيئته تعالى اي مريدا او من مفعوله اي يصوركم كائنين على مشيئته تعالى تابعين لها في قبول الاحوال المتغايرة من كونكم نطفا ثم علقا ثم مضغا غير مخلقة ثم مخلقة وفي الاتصاف بالصفات المختلفة من الذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك من الصفات وفيه من الدلالة على بطلان زعم ربوبية عيسى عليه السلام وهو من جملة ابناء النواسيت المتقلبين في هذه الاطوار على مشيئة الباري عز وعلا وكمال ركاكة عقولهم ما لا يخفى وقرئ تصوركم على صيغة الماضي من التفعل اي صوركم لنفسه وعبادته **لا اله الا هو** اذ لا يتصف بشيء مما ذكر من الشؤون العظيمة الخاصة بالالوهية احد ليتوهم الوهيته **العزيز الحكيم** المتناهي في القدرة والحكمة ولذلك يخلقكم على ما ذكر من النمط البديع **هو الذي انزل عليك الكتاب** شروع في ابطال شبههم الناشئة عما نطق به القرآن في نعت عيسى عليه السلام بطريق الاستيناف اثر بيان اختصاص الربوبية ومناطها به سبحانه وتعالى تارة بعد اخرى وكون كل من عداه مقهورا تحت ملكوته تابعا لمشيئته قيل ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تزعم يا محمد ان عيسى كلمة الله وروح منه قال عليه السلام بلى قالوا فحسبنا ذلك فنعى عليهم زيغهم وفتنتهم وبين ان الكتاب مؤسس على اصول رصينة وفروع مبنية عليها ناطقة بالحق قاضية ببطلان ما هم عليه من الضلال والمراد بالانزال القدر المشترك المجرد عن الدلالة على قيد التدريج وعدمه واللام في الكتاب للعهد وتقديم الظرف عليه لما اشير اليه فيما قبل من الاعتناء بشأن بشارته عليه السلام بتشريف الانزال عليه ومن التشويق الى ما انزل فان النفس عند تأخير ما حقه التقديم لا سيما بعد الاشعار برفعة شأنه او بمنفعته تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند وروده عليها فضل تمكن وليتصل به تقسيمه الى قسميه **منه آيات** الظرف خبر وآيات مبتدأ او بالعكس بتأويل مر تحقيقه في قوله تعالى ومن الناس من يقول الآية والاول اوفق بقواعد الصناعة والثاني ادخل في جزالة المعنى اذ المقصود الاصلي انقسام الكتاب الى القسمين المعهودين لا كونهما من الكتاب فتذكر والجملة مستأنفة او في حيز النصب على الحالية من الكتاب اي هو الذي انزل الكتاب كائنا على هذه الحالة اي منقسما الى محكم ومتشابه او الظرف هو الحال وحده وآيات مرتفع به على الفاعلية **محكمات** صفة آيات اي قطعية الدلالة على المعنى المراد محكمة العبارة محفوظة من الاحتمال والاشتباه **هن ام الكتاب** اي اصل فيه وعمدة يرد اليها غيرها فالمراد بالكتاب كله والاضافة بمعنى في كواحد العشرة لا بمعنى اللام فان ذلك يؤدي الى كون الكتاب عبارة عما عدا المحكمات والجملة اما صفة لما قبلها او مستأنفة وانما افرد الام مع تعدد الآيات لما ان المراد بيان اصلية كل واحدة منها او بيان ان الكل بمنزلة آية واحدة كما في قوله تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين وقيل اكتفى بالمفرد عن الجمع كما في قول الشاعر بها جيف الحسرى فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب اي واما جلودها **واخر** نعت لمحذوف معطوف على آيات اي وآيات اخر وهي جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الآخر او من آخر من **متشابهات** صفة لاخر وفي الحقيقة صفة للمحذوف اي محتملات لمعان متشابهة لا يمتاز بعضها من بعض في استحقاق الارادة بها ولا يتضح الامر الا بالنظر الدقيق والتأمل الانيق فالتشابه في الحقيقة وصف لتلك المعاني وصف به الآيات على طريقة وصف الدال بوصف المدلول عليه وقيل لما كان من شأن الامور المتشابهة ان يعجز العقل عن التمييز بينهما سمي كل ما لا يهتدي اليه العقل

متشابهات لم يكن ذلك بسبب التشابه كما ان المشكل في الاصل ما دخل في اشكاله وامثاله ولم يعلم بعينه ثم اطلق على كل غامض وان لم يكن غموضه من تلك الجهة وانما جعل
ذلك كذلك ليظهر فضل العلماء ويزداد حرصهم على الاجتهاد في تدبرها وتحصيل العلوم التي نيط بها استنباط ما اريد بها من الاحكام الحقة
فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج مقاصدها الرائقة ومعانيها اللائقة المدارج العالية ويعرجوا بالتوفيق بينها وبين المحكمات من
اليقين والاطمينان الى المعارج القاصية واما قوله عز وجل الر كتاب احكمت آياته فمعناها انها حفظت من اعتراء الخلل او من النسخ او ايدت
بالحجج القاطعة الدالة على حقيتها او جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها وقوله تع كتابا متشابها مثاني معناه
متشابه الاجزاء اي يشبه بعضها بعضا في صحة المعنى وجزالة النظم وحقية المدلول **فاما الذين في قلوبهم زيغ** اي ميل عن الحق الى الاهواء
الباطلة قال الراغب الزيغ الميل عن الاستقامة الى احد الجانبين وفي جعل قلوبهم مقرا للزيغ مبالغة في عدولهم عن سنن الرشاد واصرارهم
على الشر والفساد **فيتبعون ما تشابه منه** معرضين عن المحكمات اي يتعلقون بظاهر المتشابه من الكتاب او بتاويل باطل لا تحريا للحق بعد الايمان
بكونه من عند الله تعالى بل **ابتغاء الفتنة** اي طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه كما
نقل عن الوفد **وابتغاء تاويله** اي وطلب ان يأولوه حسبما يشتهونه من التاويلات الزائغة والحال انهم بمعزل من تلك الرتبة وذلك
قوله عز وجل **وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم** فانه حال من ضمير يتبعون باعتبار العلة الاخيرة اي يتبعون المتشابه لابتغاء تاويله
والحال انه مخصوص به تعالى وبمن وفقه له من عباده الراسخين في العلم اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ولم يتزلزلوا في مزال الاقدام وفي
تعليل الاتباع بابتغاء تاويله دون نفس تاويله وتجريد التاويل عن الوصف بالصحة والحقية ايذان بانهم ليسوا من التاويل
في شيء وان ما يبتغونه ليس بتاويل اصلا لا انه تاويل غير صحيح قد يعذر صاحبه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استاثر
الله تعالى بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على عدم ارادة ظاهره
ولم يدل على ما هو المراد به **يقولون آمنا به** اي بالمتشابه وعدم التعرض لايمانهم بالمحكم لظهوره او بالكتاب والجملة على الاول استيناف
موضح لحال الراسخين او حال منه وعلى الثاني خبر لقوله تع والراسخون وقوله تع **كل من عند ربنا** من تمام المقول مقرر لما قبله
ومؤكد له اي كل واحد منه ومن المحكم او كل واحد من متشابهه ومحكمه منزل من عنده لا مخالفة بينهما او آمنا به وبحقيته على مراده تع
وما يذكر حق التذكر **الا اولوا الالباب** اي العقول الخالصة عن الركون الى الاهواء الزائغة وهو تذييل سيق من جهته تع مدحا
للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما به استعدوا للاهتداء الى تاويله من تجرد العقل عن غواشي الحس وتعلق الآية
الكريمة بما قبلها من حيث انها جواب عما تشبث به النصارى من نحو قوله تع وكلمته القاها الى مريم وروح منه على وجه الاجمال وسيجيء الجواب المفصل
بقوله تع ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون **ربنا لا تزغ قلوبنا** من تمام مقالة الراسخين اي لا
تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه قال صلى الله عليه وسلم قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان
شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل معناه لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا **بعد اذ هديتنا** اي الى الحق والتاويل الصحيح
او الى الايمان بالقسمين وبعد نصب بلا تزغ على الظرف واذ في محل الجر باضافته اليه خارج من الظرفية اي بعد وقت هدايتك ايانا
وقيل انه بمعنى ان **وهب لنا من لدنك** كلا الجارين متعلق بهب وتقديم الاول لما مر مرارا ويجوز تعلق الثاني بمحذوف هو حال من
المفعول اي كائنة من لدنك ومن لابتداء الغاية المجازية ولدن في الاصل ظرف بمعنى اول غاية زمان او مكان او غيرهما من الذوات
نحو من لدن زيد وليست مرادفة لعند اذ قد يكون فضلة وكذا الذي وبعضهم يخصها بظرف المكان وتضاف الى صريح الزمان كما في قوله
تنقض الرعدة في ظهري من لدن الظهر الى العصر ولا تقطع عن الاضافة بحال واكثر ما تضاف الى المفرد وقد تضاف الى ان
وصلتها كما في قوله ولم تقطع اصلا من لدن ان وليتنا وقرابة ذي رحم ولاحق مسلم اي من لدن ولايتك ايانا وقد تضاف الى
الجملة الاسمية كما في قوله تذكر نعماه لدن انت يافع والى الجملة الفعلية ايضا كما في قوله لزمنا لدن سالمتمونا وفاقكم فلا يكم

منكم للخلاف جنوح وقلما تخلو عن مثل التبيين الاخيرين **رحمة** واسعة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق وتاخير
المفعول الصريح عن الجارين لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة لوروده
لا سيما عند الاشعار بكونه من المنافع باللام فاذا ورد لها يتمكن عندها فضل تمكن **انك انت الوهاب** تعليل للسؤال او لاعطاء المسؤول
وانت اما مبتدا او فصل او تاكيد لاسم ان واطلاق الوهاب ليتناول كل موهوب وفيه دلالة على ان الهدى والضلال من قبله تع وانه
متفضل بما ينعم به على عباده من غير ان يجب عليه شيء **ربنا انك جامع الناس** اي لحساب يوم او لجزاء يوم حذف المضاف واقيم
مقامه المضاف اليه تهويلا له وتفظيعا لما يقع فيه **لا ريب فيه** اي في وقوعه ووقوع ما فيه من الحشر والحساب والجزاء ومقصودهم بهذا
عرض كمال افتقارهم الى الرحمة وانها المقصد الاسنى عندهم والتاكيد لاظهار ما هم عليه من كمال الطمانينة وقوة اليقين باحوال الآخرة
ان الله لا يخلف الميعاد تعليل لمضمون الجملة المؤكدة او لانتفاء الريب والتاكيد لما مر واظهار الاسم الجليل مع الالتفات لابراز كمال
التعظيم والاجلال الناشئ من ذكر اليوم المهيب الهائل بخلاف ما في آخر السورة الكريمة فانه مقام طلب الانعام كما سيأتي وللاشعار
بعلة الحكم فان الالوهية منافية للاخلاف وقد جوز ان تكون الجملة مسوقة من جهته تع لتقرير قول الراسخين والميعاد مصدر كالميقات
واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو بدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا **ان الذين
كفروا** اثر ما بين الدين الحق والتوحيد وذكر احوال الكتب الناطقة به وشرح شأن القرآن وكيفية ايمان العلماء الراسخين به شرع في
بيان حال من كفر به والمراد بالموصول جنس الكفرة الشامل لجميع الاصناف وقيل وفد نجران او اليهود من قريظة والنضير او مشركو العرب
لن تغني عنهم اي لن تنفعهم وقرئ بالتذكير وبسكون الياء جدا في استثقال الحركة على حروف اللين **اموالهم** التي يبذلونها في جلب المنافع
ودفع المضار **ولا اولادهم** الذين بهم يتناصرون في الامور المهمة وعليهم يعولون في الخطوب الملمة وتاخير الاولاد عن الاموال مع توسيط
حرف النفي بينهما اما لعراقة الاولاد في كشف الكروب او لان الاموال اول عدة يفزع اليها عند نزول الخطوب **من الله** من عذابه تع
شيئا اي شيئا من الاغناء وقيل كلمة من بمعنى البدل والمعنى بدل رحمة الله او بدل طاعته كما في قوله تع ان الظن لا يغني من الحق شيئا
اي بدل الحق ومنه قوله ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفعه جده بدلك اي بدل رحمتك كما في قوله تع وما اموالكم ولا اولادكم
بالتي تقربكم عندنا زلفى وانت خبير بان احتمال سد اموالهم واولادهم مسد رحمة الله تعالى او طاعته مما لا يخطر ببال احد حتى يتصدى
لنفيه والاول هو الاليق بتفظيع حال الكفرة وتهويل امرهم والانسب لما بعده من قوله تع **واولئك هم وقود النار** ومن قوله تعالى
فاخذهم الله اي اولئك المتصفون بالكفر حطب النار وحصبها التي تسعر به فان اريد بيان حالهم عند التسعر فايثار الجملة الاسمية للدلالة
على تحقق الامر وتقرره والا فهو للايذان بان حقيقة حالهم ذلك وان احوالهم الظاهرة بمنزلة العدم فهم حال كونهم في الدنيا وقود النار
باعيانهم وفيه من الدلالة على كمال ملابستهم بالنار ما لا يخفى وهم يحتمل الابتداء وان يكون ضمير الفصل والجملة اما مستانفة مقررة لعدم
الاغناء او معطوفة على خبر ان واياما كان ففيها تعيين للعذاب الذي بين ان اموالهم واولادهم لا تغني عنهم منه شيئا وقرئ وقود
النار بضم الواو وهو مصدر اي اهل وقودها **كداب آل فرعون** الداب مصدر داب في العمل اذا كدح فيه وتعب غلب استعماله في معنى
الشان والحال والعادة ومحل الكاف الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف وقد جوز النصب بان تغني او بالوقود اي لن تغني عنهم كما لم تغن
عن اولئك او توقد بهم النار كما توقد بهم وانت خبير بان المذكور في تفسير الداب انما هو التكذيب والاخذ من غير تعرض لعدم الاغناء
لا سيما على تقدير كون من بمعنى البدل كما هو راي المجرد ولا لايقاد النار فيحمل على التعليل وهو خلاف الظاهر على انه يلزم الفصل بين
العامل والمعمول بالاجنبي على تقدير النصب بلن تغني وهو قوله تع واولئك هم وقود النار الا ان تجعل استينافا لا معطوفا على
خبر ان فالوجه هو الرفع على الخبرية اي داب هؤلاء في الكفر وعدم النجاة من اخذ الله تعالى وعذابه كداب آل فرعون **والذين من قبلهم**
اي من قبل آل فرعون من الامم الكافرة فالموصول في محل الجر عطفا على ما قبله وقوله تع **كذبوا باياتنا** بيان وتفسير لدابهم الذي

فعل بهم اي فأخذهم الله وعاقبهم ولم يجدوا من بأس الله تع محيصا فدأب هؤلاء الكفرة ايضا كدأبهم وقيل كذبوا الخ حال من آل فرعون والذين
من قبلهم على اضمار قد اي دأب هؤلاء كدأب اولئك وقد كذبوا الى آه واما كونه خبرا من الموصول كما قيل فمما يذهب برونق النظم الكريم
والالتفات الى التكلم اولا للجري على سنن الكبرياء والى الغيبة ثانيا باظهار الجلالة لتربية المهابة وادخال الروعة بذنوبهم ان اريد بها تكذيبهم
بالآيات فالباء للسببية جيء بها تاكيدا لما يفيده الفاء من سببية ما قبلها لما بعدها وان اريد بها سائر ذنوبهم فالباء للملابسة جيء بها للدلالة
على ان لهم ذنوبا اخر اي فأخذهم متلبسين بذنوبهم غير تائبين عنها كما في قوله تع وتزهق انفسهم وهم كافرون والذنب في الاصل التلو
والتابع وسمي الجريمة ذنبا لانها تتلو اي يتبع عقابها فاعلها والله شديد العقاب تذييل مقرر لمضمون ما قبله من الاخذ وتكملة له
قل للذين كفروا المراد بهم اليهود لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان يهود المدينة لما شاهدوا غلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم على
المشركين يوم بدر قالوا والله انه النبي الامي الذي بشرنا به موسى وفي التورية نعته وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى ننظر الى وقعة له
اخرى فلما كان يوم احد شكوا وقد كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوه وانطلق كعب بن الاشرف في ستين
راكبا الى اهل مكة فاجمعوا امرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وعن سعيد بن جبير وعكرمة وعن ابن عباس رضي الله عنهم
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اصاب قريشا ببدر ورجع الى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش
فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت اي قل لهم
ستغلبون البتة عن قريب في الدنيا وقد صدق الله عز وجل وعده بقتل بني قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على
من عداهم وهو من اوضح شواهد النبوة واما ما روي عن مقاتل من انها نزلت قبل بدر وان الموصول عبارة عن مشركي مكة وانه لذلك قال لهم
النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ان الله غالبكم وحاشركم الى جهنم وبئس المهاد فيؤدي الى انقطاع الآية الكريمة عما بعدها لنزوله بعد وقعة
بدر وتحشرون اي في الآخرة الى جهنم وقرئ الفعلان بالياء على انه عليه السلام امر بان يحكي لهم ما اخبر الله تعالى به من وعيدهم بعبارته
كأنه قيل أد اليهم هذا القول وبئس المهاد اي من تمام ما يقال لهم او استئناف لتهويل جهنم وتفظيع حال اهلها والمخصوص بالذم محذوف
اي وبئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم قد كان لكم جواب قسم محذوف وهو من تمام القول المأمور به جيء به لتقرير مضمون ما قبله
وتحقيقه والخطاب لليهود ايضا والظرف خبر كان على انها ناقصة ولتوسطه بينها وبين اسمها ترك التأنيث كما في قوله ان امرأ غره منكن
واحدة بعدي وبعدك في الدنيا لمغرور على ان تأنيث الآية غير حقيقي او هو متعلق بكان على انها تامة وانما قدم على فاعلها
مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما اخر اي والله قد كان لكم ايها المغترون بعددهم وعددهم آية عظيمة دالة على صدق ما اقول
لكم انكم ستغلبون في فئتين اي فرقتين او جماعتين فان المغلوبة منهما كانت مدلة بكثرتها معجبة بعزتها وقد لقيها ما لقيها ف
ما يصيبكم ومحل الظرف على انه صفة لآية وقيل النصب على خبرية كان والظرف الاول متعلق بمحذوف وقع حالا من آية التقتا في حيز الجر
على انه صفة فئتين اي تلاقتا بالقتال يوم بدر فئة بالرفع خبر مبتدا محذوف اي احديهما فئة كما في قوله اذا مت كان الناس حزبين
شامت وآخر مثن بالذي كنت اصنع اي احدهما شامت وآخر مثن وقوله تع اذا ما استقل النجم في غلس وغودر البقل ملوي ومحصود
والجملة مع ما عطف عليها مستأنفة لتقرير ما في الفئتين من الآية وقوله تع تقاتل في سبيل الله في محل الرفع على انه صفة فئة كأنه
قيل فئة مؤمنة ولكن ذكر مكانه من احكام الايمان ما يليق بالمقام مدحا لهم واعتدادا بقتالهم وايذانا بانه المدار في تحقق الآية
وهي رؤية القليل كثيرا وقرئ يقاتل على تأويل الفئة بالقوم او الفريق واخرى نعت لمبتدأ محذوف معطوف على ما حذف
من الجملة الاولى اي وفئة اخرى وانما نكرت والقياس تعريفها كقرينتها لوضوح ان التفريق لنفس المثنى المقدم ذكره وعدم الحاجة
الى التعريف وقوله تع كافرة خبر المبتدأ المحذوف وانما لم يوصف هذه الفئة بما يقابل صفة الفئة الاولى اسقاطا لقتالهم عن
الاعتبار وايذانا بانهم لم يتصدوا للقتال لما اعتراهم من الرعب والهيبة وقيل كل من المتعاطفين بدل من الضمير في التقتا وما بعدهما

وما بعدهما صفة فلا بد من ضمير محذوف عائد الى المبدل منه مسوغ لوصف البدل بالجملة العارية عن ضميره اي فئة منهما تقاتل الخ وفئة اخرى
كافرة ويجوز ان يكون كل منهما مبتدأ وما بعدهما خبرا اي فئة منهما تقاتل الخ وفئة اخرى كافرة وقيل كل منهما مبتدأ محذوف الخبر
اي منهما فئة تقاتل الخ وقرئ فئة بالجر على البدلية من فئتين بدل بعض من كل وقد مر انه لا بد من ضمير عائد الى المبدل منه ويسمى بدلا
تفصيليا كما في قوله وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت وقرئ فئة الخ بالنصب على المدح او الذم
او على الحالية من ضمير التقتا مؤمنة وكافرة فيكون فئة واخرى توطئة لما هو الحال حقيقة اذ المقصود بالذكر وصفاهما كما في
قولك جاءني زيد رجلا صالحا يرونهم اي يرى الفئة الاخيرة الفئة الاولى وايثار صيغة الجمع للدلالة على شمول الرؤية لكل واحد
واحد من آحاد الفئة والجملة في محل الرفع على انها صفة للفئة الاخيرة او مستأنفة مبينة لكيفية الآية مثليهم اي مثلي عدد الرائين
قريبا من الفين اذ كانوا قريبا من الف كانوا تسعمائة وخمسين مقاتلا رأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وفيهم ابو سفيان وابو جهل وكان
فيهم من الخيل والابل مائة فرس وسبعمائة بعير ومن اصناف الاسلحة عدد لا يحصى عن محمد بن ابي الفرات عن سعد بن اوس انه قال اسر المشركون
رجلا من المسلمين فسألوه كم كنتم قال ثلثمائة وبضعة عشر قالوا ما كنا نراكم الا تضعفون علينا او مثلي عدد المرئيين اي ستمائة ونيفا
وعشرين حيث كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلثون من الانصار رضوان الله تعالى
عليهم اجمعين وكان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وصاحب راية الانصار
سعد بن عبادة الخزرجي رضي الله عنه وكان في العسكر تسعون بعيرا وفرسان احدهما للمقداد بن عمرو والآخر لمرثد بن ابي مرثد
وست ادرع وثمانية سيوف وجميع من استشهد يومئذ من المسلمين اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين اراهم عز وجل كذلك مع قلتهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم مددا لهم منه سبحانه كما امدهم بالملائكة
عليهم السلام وكان ذلك عند التقاء الفئتين بعد ان قللهم في اعينهم عند ترائيهما ليجترؤا عليهم ولا يهربوا من اول الامر حين يجديهم الهرب
وقيل يرى الفئة الاولى الفئة الاخيرة مثلي انفسهم مع كونهم ثلثة امثالهم ليثبتوا ويطمئنوا بالنصر الموعود في قوله تع ان يكن
منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين والاول هو الاولى لان رؤية المثلين غير متعينة من جانب المؤمنين بل قد وقع رؤية
المثل بل اقل منه ايضا فانه روي ان ابن مسعود رضي الله عنه قال قد نظرنا الى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرنا
اليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا ثم قللهم الله ايضا في اعينهم حتى رأيتهم عددا يسيرا اقل من انفسهم قال ابن مسعود
رضي الله تعالى عنه لقد قللوا في اعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال اراهم مائة فأسرنا منهم رجلا
فقلنا كم كنتم قال الفا فلو اريد رؤية المؤمنين المشركين اقل من عددهم في نفس الامر كما في سورة الانفال لكانت رؤيتهم
اياهم اقل من انفسهم احق بالذكر في كونها آية من رؤيتهم مثليهم على ان ابانة آثار قدرة الله تعالى وحكمته للكفرة باراءتهم القليل
كثيرا والضعيف قويا والقاء الرعب في قلوبهم بسبب ذلك ادخل في كونها آية لهم وحجة عليهم واقرب الى اعتراف المخاطبين بذلك
لكثرة مخالطتهم الكفرة المشاهدين للحال وكذا تعلق الفعل بالفاعل اشد من تعلقه بالمفعول فجعل اقرب المذكورين السابقين فاعلا
وابعدهما مفعولا سواء جعل الجملة صفة او مستأنفة اولى من العكس هذا ما يقتضيه جزالة التنزيل على قراءة الجمهور ولا ينبغي
جعل الخطاب لمشركي مكة كما قيل اما ان جعل الوعيد عبارة عن هزيمة بدر كما صرحوا به فظاهر بقوله تعالى ستغلبون الآية لا تبشره به
واما ان جعل عبارة عن هزيمة اخرى فلان الفئة التي شاهدت تلك الآية الهائلة هم المخاطبون حينئذ فالتعبير عنهم بعد منهمة تارة وبوصفة
اخرى ثم اسناد المشاهدة اليها مع كون اسنادها الى المخاطبين اوقع في الزام الحجة وادخل في التبكيت مما لا داعي له وبهذا تبين حال
جعل الخطاب الثاني للمؤمنين واما قراءة ترونهم بتاء الخطاب فظاهرها وان اقتضى توجيه الخطاب الى المشركين لكنه ليس بنص في ذلك
لانه وان اندفع به المحذور الاخير فالاول باق بحاله فلعله رؤية المشركين نزلت منزلة رؤية اليهود لما بينهم من الاتحاد في الكفر والاتفاق

في الكلام استعارة بعد ما وقع بينهم بواسطة كعب بن الاشرف من العهد والميثاق فاسندت الرؤية اليهم مبالغة في البيان وتحقيقا لعروض مثل
[illegible] قيل المراد جميع الكفرة ولا ريب في صحته وسداده وقرئ يرونهم وترونهم على البناء للمفعول من الاراءة اي يريهم
او يريهم الله تعالى كذلك رأي العين مصدر مؤكد ليرونهم ان كانت الرؤية بصرية او مصدر تشبيهي ان كانت قلبية اي رؤية ظاهرة مكشوفة
جارية مجرى رؤية العين والله يؤيد اي يقوي بنصره من يشاء اي يؤيده من غير توسيط الاسباب العادية كما ايد الفئة القاتلة في سبيله
بما ذكر من النصر وهو من تمام القول المأمور به ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من رؤية القليل كثيرا المستتبعة لغلبة العديم العدة على الكثير
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه في الفضل لعبرة العبرة فعلة من العبور كالركبة من الركوب والجلسة
من الجلوس والمراد بها الاتعاظ فانه نوع من العبور اي لعبرة عظيمة كائنة لاولي الابصار لذوي العقول والبصائر وقيل لمن ابصرهم وهو
اما من تمام الكلام الداخل تحت القول مقرر لما قبله بطريق التذييل واما وارد من جهته تعالى تصديقا لمقالته صلى الله عليه وسلم زين
للناس كلام مستأنف سيق لبيان حقارة شأن الحظوظ الدنيوية باصنافها وتزهيد الناس فيها وتوجيه رغباتهم الى ما عنده تعالى
اثر بيان عدم نفعها للكفرة الذين كانوا يتفرزون بها والمراد بالناس الجنس حب الشهوات الشهوة نزوع النفس الى ما تريده والمراد
ههنا المشتهيات عبر عنها بالشهوات مبالغة في كونها مشتهاة مرغوبا فيها كأنها نفس الشهوات او ايذانا بانهماكهم في حبها بحيث احبوا
شهواتها كما في قوله تعالى اني احببت حب الخير او استرذالا فان الشهوة مسترذلة مذمومة في صفات البهائم والمزين هو الباري سبحانه
وتعالى اذ هو الخالق لجميع الافعال والدواعي والحكمة في ذلك ابتلاؤهم قال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم الآية فانها
ذريعة لنيل سعادة الدارين عند كون تعاطيها على نهج الشريعة الشريفة ووسيلة الى بقاء النوع وايثار صيغة المبني للمفعول للجري
على سنن الكبرياء وقرئ على البناء للفاعل وقيل المزين هو الشيطان لما ان مساق الآية الكريمة على ذمها وفرق الجبائي بين
المباحات واسند تزيينها اليه تعالى وبين المحرمات فنسب تزيينها الى الشيطان من النساء والبنين في محل النصب على انه حال من الشهوات
وهي مفسرة لها في المعنى وقيل من لبيان الجنس وتقديم النساء على البنين لعراقتهن في معنى الشهوة فانهن حبائل الشيطان وعدم التعرض
للبنات لعدم الاطراد في حبهن والقناطير المقنطرة جمع قنطار وهو المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور وقيل سبعون
الف مثقال وقيل ثمانون الفا وقيل مائة رطل وقيل الف ومائتا مثقال وقيل الف دينار وقيل مائة من ومائة
رطل ومائة درهم وقيل دية النفس واختلف في ان وزنه فعلال او فنعال ولفظ المقنطرة مأخوذ منه للتأكيد كقولهم بدرة مبدرة
وقيل المقنطرة المحكمة المحصنة وقيل الكثيرة المنضدة بعضها على بعض او المدفونة وقيل المضروبة المنقوشة من الذهب والفضة بيان للقناطير
او حال والخيل عطف على القناطير قيل هي جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والواحد فرس وقيل واحده خائل وهو مشتق من
الخيلاء المسومة اي المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها اذا ارسلها وسيبها للرعي او المطهمة
التامة الخلق والانعام اي الابل والبقر والغنم والحرث اي الزرع بمعنى المحروث ذلك اي ما ذكر من الاشياء المعهودة متاع الحياة الدنيا اي ما يتمتع
به في الحياة الدنيا اياما قلائل فتفنى سريعا والله عنده حسن المآب حسن المرجع وفيه دلالة على ان ليس فيما عدد عاقبة حميدة وفي تكرير الاسناد
الى الجلالة مبتدأ واسناد الجملة الظرفية اليه زيادة تأكيد وتفخيم ومزيد اعتناء بالترغيب فيما عند الله عز وجل من النعيم المقيم
والتزهيد في ملاذ الدنيا وطيباتها الفانية قل أؤنبئكم بخير من ذلكم اثر ما بين شأن مزخرفات الدنيا وذكر ما عنده تعالى من
حسن المآب اجمالا امر النبي صلى الله عليه وسلم بتفصيل ذلك المجمل للناس مبالغة في الترغيب والخطاب للجميع والهمزة للتقرير اي اخبركم بما هو خير مما
فصل من تلك المستلذات المزينة لكم وابهام الخير لتفخيم شأنه وللتشويق الى الله وقوله تعالى للذين اتقوا عند ربهم جنات استئناف مبين لذلك
المبهم على ان جنات مبتدأ والجار خبره او على ان جنات مرتفع به على الفاعلية عند من لا يشترط في ذلك اعتماد الجار على ما فصل في محله والمراد
بالتقوى هو التبتل الى الله تعالى والاعراض عما سواه على ما ينبئ عنه النعوت الآتية وتعليق حصول الجنات وما بعدها من فنون الخيرات

به للترغيب في تحصيله والثبات عليه وعند نصب على الحالية من جنات وتعلق بما تعلق به الجار من معنى الاستقرار مفيد لكمال علو رتبة الجنات
وسمو طبقتها والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المتقين لاظهار مزيد اللطف بهم وقيل اللام متعلقة بخير وكذا الظرف
وجنات خبر لمبتدأ محذوف والجملة مبينة لخير ويؤيده قراءة جنات بالجر على البدلية من خير ولا يخفى ان تعليق الاخبار والبيان
بما هو خير لطائفة بما يوهم ان ما ليس كذلك خير لآخرين تجري في محل الرفع او الجر صفة لجنات على حسب القراءتين من تحتها الانهار
متعلق بتجري فان اريد بالجنات نفس الاشجار كما هو الظاهر فجريانها من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض والاشجار فهو
باعتبار جزئها الظاهر كما مر تفصيله مرارا خالدين فيها حال مقدرة من المستكن في للذين والعامل ما فيه من معنى الاستقرار
وازواج مطهرة عطف على جنات اي مبرأة مما يستقذر من النساء من الاحوال البدنية والطبيعية ورضوان التنوين للتفخيم
وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة اي رضوان واي رضوان لا يقادر
قدره كائن من الله عز وجل وقرئ بضم الراء والله بصير بالعباد وباعمالهم فيثيب ويعاقب حسبما يليق بها او بصير باحوال
الذين اتقوا ولذلك اعد لهم ما ذكر وفيه اشعار بانهم المستحقون للتسمية باسم العبد الذين يقولون ربنا اننا آمنا في محل الرفع
على انه خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل من اولئك المتقون الفائزون بهذه الكرامات السنية فقيل هم الذين الخ او النصب على
المدح او الجر على انه تابع للمتقين نعتا او بدلا او للعباد كذلك والاول اظهر وقوله تعالى والله بصير بالعباد حينئذ معترضة
لتأكيد الجملة لاظهار ان ايمانهم ناشئ من وفور الرغبة وكمال النشاط وفي ترتيب الدعاء بقولهم فاغفر لنا ذنوبنا وقنا
عذاب النار على مجرد الايمان دلالة على كفايته في استحقاق المغفرة والوقاية من النار الصابرين هو على تقدير كون الموصول
في محل الرفع منصوب على المدح باضمار اعني واما على تقدير كونه في محل النصب او الجر فهو نعت له والمراد بالصبر على مشاق الطاعات
وعلى البأساء والضراء وحين البأس والصادقين في اقوالهم ونياتهم وعزائمهم والقانتين المداومين على الطاعات المواظبين
على العبادات والمنفقين اموالهم في سبيل الله تعالى والمستغفرين بالاسحار قال مجاهد وقتادة والكلبي اي المصلين بالاسحار
وعن زيد بن اسلم هم الذين يصلون الصبح في جماعة وقال الحسن مدوا الصلاة الى السحر ثم استغفروا وقال نافع كان ابن عمر
رضي الله عنهما يحيي الليلة ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعاود الصلاة فاذا قلت نعم قعد يستغفر الله ويدعو حتى يصبح
وعن الحسن كانوا يصلون في اول الليلة حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار وتخصيص الاسحار بالاستغفار لان
الدعاء فيها اقرب الى الاجابة اذ العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع لا سيما للمتهجدين وتوسيط الواو بين الصفات
المعدودة للدلالة على استقلال كل منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها شهد الله انه بفتح الهمزة اي بانه او على انه لا اله
الا هو اي بين وحدانيته بنصب الدلائل التكوينية في الآفاق والانفس وانزال الآيات التشريعية الناطقة بذلك عبر عنه
بالشهادة على طريق الاستعارة ايذانا بقوته في اثبات المطلوب واشعارا بانكار المنكر وقرئ انه بكسر الهمزة اما باجراء
شهد مجرى قال واما بجعل الجملة اعتراضا وايقاع الفعل على قوله تعالى ان الدين الخ على قراءة ان بفتح الهمزة كما سيأتي
وقرئ شهداء الله بالنصب على انه حال من المذكورين او على المدح وبالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وماله الرفع على المدح اي هم
شهداء الله وهو اما جمع شهيد كظرفاء في جمع ظريف او جمع شاهد كشعراء في جمع شاعر والملائكة عطف على الاسم الجليل بحمل
الشهادة على معنى مجازي شامل للاقرار والايمان بطريق عموم المجاز اي اقروا بذلك واولوا العلم اي آمنوا به واحتجوا عليه
بما ذكر من الادلة التكوينية والتشريعية قيل المراد بهم الانبياء عليهم السلام وقيل المهاجرون والانصار وقيل علماء
مؤمني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل جميع علماء المؤمنين الذين عرفوا وحدانيته تعالى بالدلائل القاطعة
وارتفاعهما على القراءتين الاخيرتين قيل بالعطف على الضمير في شهداء لوقوع الفصل بينهما وانت خبير بان ذلك على قراءة

انتصب على الحالية يؤدي الى تقييد حال المذكورين بشهادة الملائكة واولي العلم وليس فيه كثير فائدة فالوجه كون ارتفاعهما بالابتداء والخبر
محذوف لدلالة الكلام عليه اي والملائكة واولوا العلم يشهدون بذلك ولكن تحمل القراءتين على المدح نصبا ورفعا في تخيس العطف على المستتر
على كل حال وقوله تع **قائما بالقسط** اي مقيما للعدل في جميع اموره بيان لكماله تعالى في افعاله اثر بيان كماله في ذاته وانتصابه على
الحالية من الله كما في قوله تعالى وهو الحق مصدقا وانما جاز افراده مع عدم جواز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس لقوله تع ووهبنا له
اسحق ويعقوب نافلة ولعل تاخيره عن المعطوفين للدلالة على علو رتبتهما وقرب منزلتهما والمسارعة الى اقامة شهود التوحيد
اعتناء بشانه ورفعا لمحله وهو السر في تقديمه على المعطوفين مع ما فيه من الايذان باصالته تعالى في الشهادة به كما مر في قوله تعالى
آمن الرسول بما انزل اليه من ربه او من هو وهو الاوجه والعامل فيها معنى الجملة اي تفرد او احقه لانها حال مؤكدة او على المدح
وقيل على انه صفة للمنفي اي لا اله قائما الا هو والفصل بينهما من قبيل توسعاتهم وهو مندرج في المشهود به اذا جعل صفة او حالا
من الضمير او نصبا على المدح منه وقرئ القائم بالقسط على البدلية من هو فيلزم الفصل بينهما كما في الصفة وعلى انه خبر لمبتدأ محذوف
وقرئ قيما بالقسط **لا اله الا هو** تكرير للتاكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليجري عليه قوله تع
العزيز الحكيم فيعلم انه المنعوت بهما ووجه الترتيب تقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته تعالى ورفعهما على البدلية من الضمير او
الوصفية لفاعل شهد او الخبرية لمبتدأ مضمر وقد روي في فضلها انه عليه السلام قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله عز وجل
ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وهو دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله
وروي عن سعيد بن جبير انه كان حول البيت ثلاثمائة وستون صنما فلما نزلت هذه الآية الكريمة خررن سجدا وقيل نزلت في
نصارى نجران وقال الكلبي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم حبران من احبار الشام فلما ابصرا المدينة قال احدهما ما اشبه هذه
المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان فلما دخلا عليه عليه السلام عرفاه بالصفة فقالا له عليه السلام انت محمد قال عليه السلام
نعم قالا وانت احمد قال عليه السلام انا محمد واحمد قالا فانا نسألك عن شيء فان اخبرتنا به آمنا بك وصدقناك قال عليه السلام
سلا فقالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فانزل الله تعالى هذه الآية فاسلم الرجلان **ان الدين عند الله الاسلام** جملة
مستانفة مؤكدة للاولى اي لا دين مرضيا لله تعالى سوى الاسلام الذي هو التوحيد والتدرع بالشريعة الشريفة وعن قتادة
انه شهادة ان لا اله الا الله والاقرار بما جاء من عند الله تعالى وقرئ ان الدين عند الله للاسلام وقرئ ان الدين اي بانه
على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة او على ان شهد واقع عليه
على تقدير قراءة انه بالكسر كما اشير اليه **وما اختلف الذين اوتوا الكتاب** نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام
الذي جاء النبي صلى الله عليه وسلم وانكروا نبوته والتعبير عنهم بالموصول وجعل ايتاء الكتاب صلة له لزيادة تقبيح حالهم فان الاختلاف
ممن اوتي ما يزيله ويقطع شافته في غاية القبح والسماجة وقوله عز وجل **الا من بعد ما جاءهم العلم** استثناء مفرغ من اعم الاحوال
او اعم الاوقات اي وما اختلفوا في حال من الاحوال اي في وقت من الاوقات الا بعد ان علموا بانه الحق الذي لا محيد عنه او بعد ان
علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالحجج النيرة والآيات الباهرة وفيه من الدلالة على ترامي حالهم في الضلالة ما لا مزيد عليه
فان الاختلاف بعد حصول تلك المرتبة مما لا يصدر عن العاقل وقوله تع **بغيا بينهم** اي حسدا كائنا بينهم وطلبا للرياسة
لا لشبهة وخفاء في الامر تشنيع اثر تشنيع **ومن يكفر بآيات الله** اي بآياته الناطقة بما ذكر من ان الدين عند الله هو الاسلام
ولم يعمل بمقتضاها او باية آية كانت من آياته تعالى على ان يدخل فيها ما نحن فيه دخولا اوليا **فان الله سريع الحساب** قائم
مقام جواب الشرط علة له اي ومن يكفر بآياته تعالى فانه تعالى يجازيه ويعاقبه عن قريب فانه سريع الحساب اي يأتي حسابه
عن قريب او يتم ذلك بسرعة واظهار الجلالة لتربية المهابة وادخال الروعة وفي ترتيب العقاب على مطلق الكفر بآياته تعالى

من غير تعرض لخصوصية حالهم من كون كفرهم بعد ايتاء الكتاب وحصول الاطلاع على ما فيه وكون ذلك للبغي دلالة على كمال شدة عقابهم
فان حاجوك اي في كون الدين عند الله الاسلام او جادلوك فيه بعد ما اقمت عليهم الحجج **فقل اسلمت وجهي** اي اخلصت نفسي وقلبي
وجملتي وانما عبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والمشاعر ومجمع معظم ما يقع به العبادة من السجود والقراءة
وبه يحصل التوجه الى كل شيء **لله** لا اشرك به فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت عليه الحجج ودعت اليه الآيات والرسل عليهم السلام
ومن اتبعن عطف على المتصل في اسلمت وحسن ذلك لمكان الفصل الجاري مجرى التاكيد بالمنفصل اي واسلم من اتبعني او مفعول معه **وقل للذين
اوتوا الكتاب** اي من اليهود والنصارى وضع الموصول موضع الضمير لرعاية التقابل بين وصف المتعاطفين **والاميين** اي
الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب **أأسلمتم** متبعين لي كما فعل المؤمنون فانه قد اتاكم من البينات ما يوجبه ويقتضيه لا محالة
فهل اسلمتم وعملتم بقضيتها او انتم على كفركم بعد كما يقول من لخص لصاحبه المسألة ولم يدع من طرق التوضيح والبيان مسلكا
الا سلكه فهل فهمتها على منهاج قوله تع فهل انتم منتهون اثر تفصيل الصوارف عن تعاطي الخمر والميسر وفيه من استقصارهم
وتعييرهم بالمعاندة وقلة الانصاف وتوبيخهم بالبلادة وكلة القريحة ما لا يخفى **فان اسلموا** اي كما اسلمتم وانما لم يصرح به كما في
قوله تع فان آمنوا بمثل ما آمنتم به حسما لباب اطلاق اسم الاسلام على شيء آخر بالكلية **فقد اهتدوا** اي فازوا بالحظ الاوفر
ونجوا عن مهاوي الضلال **وان تولوا** اي اعرضوا عن الاتباع وقبول الاسلام **فانما عليك البلاغ** قائم مقام الجواب اي لم يضروك
شيئا اذ ما عليك الا البلاغ وقد فعلت على ابلغ وجه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية على اهل الكتاب
قالوا اسلمنا فقال صلى الله عليه وسلم لليهود أتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله وقال عليه السلام
للنصارى أتشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عيسى عبدا وذلك قوله عز وجل وان تولوا **والله بصير
بالعباد** عالم بجميع احوالهم وهو تذييل فيه وعد ووعيد **ان الذين يكفرون بآيات الله** اي باية كانت فيدخل فيهم الكافرون بالآيات
الناطقة بحقية الاسلام على الوجه الذي مر تفصيله دخولا اوليا **ويقتلون النبيين بغير حق** هم اهل الكتاب قتل اولوهم الانبياء
عليهم السلام وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا قاتلهم الله تعالى حائمين حول قتل النبي صلى الله عليه وسلم لولا ان
عصم الله عز وجل ساحته المنيعة وقد اشير اليه بصيغة الاستقبال وقرئ بالتشديد للتكثير والتقييد بغير حق للايذان بانه
كان عندهم ايضا بغير حق **ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس** اي بالعدل ولعل تكرير الفعل للاشعار بعلة العلماء
ومن التفاوت او باختلافهما في الوقت عن ابي عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل
قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار
في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا قاتليهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر
النهار وقرئ ويقاتلون الذين **فبشرهم بعذاب اليم** خبر ان والفاء لتضمن اسمها معنى الشرط فانها بالنسخ لا تغير معنى الشرط بل تزيده
تاكيدا وكذا الحال في النسخ بان المفتوحة كما في قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وكذا النسخ بلكن كما في قوله
فوالله ما فارقكم عن ملالة ولكن ما يقضي فسوف يكون وانما يتغير معنى الابتداء في النسخ بليت ولعل وقد ذهب سيبويه والاخفش
الى منع دخول الفاء عند النسخ مطلقا فالخبر عندهما قوله تع **اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة** كما في قولك السلطان فاحذر
عدو مبين وعلى الاول هو استيناف واسم الاشارة مبتدأ وما فيه من معنى البعد للدلالة على ترامي امرهم في الضلال وبعد منزلتهم في
فظاعة الحال والموصول بما في حيز صلته خبره اي اولئك المتصفون بتلك الصفات القبيحة او المبتلون باسوأ الحال الذين بطلت اعمالهم
التي عملوها من البر والحسنات ولم يبق لها اثر في الدارين بل بقي لهم اللعنة والخزي في الدنيا وعذاب اليم في الآخرة **وما لهم من ناصرين**
ينصرونهم من بأس الله وعذابه في احدى الدارين وصيغة الجمع لرعاية ما وقع في مقابلته لا لنفي تعدد الانصار من كل واحد منهم كما في قوله

تعالى وما للظالمين من انصار ألم تر تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يتأتى منه الرؤية من حال اهل الكتاب وسوء صنيعهم وتقرير لما سبق من ان اختلافهم
في الاسلام انما كان بعد ما جاءهم العلم بحقيقته اي ألم تنظر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي التورية على ان اللام للعهد وحمله على جنس الكتب الالهية
تطويل للمسافة اذ تمام التقريب ح بكون التورية من جملتها لان مدار التشنيع والتعجيب انما هو اعراضهم عن المحاكمة الى ما دعوا اليه وهم لم
يدعوا الا الى التورية والمراد بما اوتوه منها ما بين لهم فيها من العلوم والاحكام التي من جملتها ما علموه من نعت النبي عليه السلام وحقية
الاسلام والتعبير عنه بالنصيب للاشعار بكمال اختصاصه بهم وكونه حقا من حقوقهم التي يجب مراعاتها والعمل بموجبها وما فيه من التنكير للتفخيم
وحمله على التحقير لا يساعده مقام المبالغة في تقبيح حالهم يدعون الى كتاب الله الذي اوتوا نصيبا منه وهو التورية والاظهار في مقام الاضمار
لايجاب الاجابة واضافته الى الاسم الجليل لتشريفه وتأكيد وجوب المراجعة اليه والجملة استيناف مبين لمحل التعجب مبني على سؤال نشأ من
صدر الكلام كأنه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر اليهم فقيل يدعون الى كتاب الله تعالى وقيل حال من الموصول ليحكم بينهم وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم دخل مدراسهم فدعاهم الى الايمان فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت قال صلى الله عليه وسلم
على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم عليه السلام كان يهوديا قال صلى الله عليه وسلم لهما ان بيننا وبينكم التورية فهلموا اليها فأبيا وقيل
نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وقيل كتاب الله القرآن فانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه وقرئ ليحكم على بناء المجهول فيكون الاختلاف
بينهم بان اسلم بعضهم كعبد الله بن سلام واضرابه وعاداهم الآخرون ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بوجوب الرجوع اليه وهم
معرضون اما حال من فريق لتخصصه بالصفة اي يتولون من المجلس وهم معرضون بقلوبهم او اعتراض اي وهم قوم ديدنهم الاعراض
عن الحق والاصرار على الباطل ذلك اشارة الى ما مر من التولي والاعراض وهو مبتدأ خبره قوله تع بانهم اي حاصل بسبب انهم قالوا
لن تمسنا النار باقتراف الذنوب وركوب المعاصي الا اياما معدودات وهي مقدار عبادتهم العجل ورسخ اعتقادهم على ذلك وهون
عليهم الخطوب وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من قولهم ذلك وما اشبهه من قولهم ان آباءنا الانبياء يشفعون لنا وان الله تع
وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم ولذلك ارتكبوا ما ارتكبوا من القبائح فكيف رد لقولهم المذكور وابطال
لما غرهم باستعظام ما سيدهمهم وتهويل ما سيحيق بهم من الاهوال اي فكيف يكون حالهم اذا جمعناهم ليوم اي لجزاء يوم لا ريب فيه
اي في وقوعه ووقوع ما فيه روي ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفر راية اليهود فيفضحهم الله عز وجل على رؤس الاشهاد
ثم يأمر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت اي جزاء ما كسبت من غير نقص اصلا كما يزعمون وانما وضع المكسوب موضع جزائه
للايذان بكمال الاتصال والتلازم بينهما كأنهما شيء واحد وفيه دلالة على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار لان
توفية جزاء ايمانه وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها فاذن هي بعد الخلاص منها وهم اي كل الناس المدلول عليهم بكل نفس لا يظلمون
بزيادة عذاب او بنقص ثواب بل يصيب كلا منهم مقدار ما كسبه قل اللهم الميم عوض عن حرف النداء ولذلك لا يجتمعان وهذا من خصائص
الاسم الجليل كدخوله عليه مع حرف التعريف وقطع همزته ودخول تاء القسم عليه وقيل اصله يا الله امنا بخير اي اقصدنا به
فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته مالك الملك اي مالك جنس الملك على الاطلاق ملكا حقيقيا بحيث تتصرف فيه
كيفما تشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير مشارك ولا ممانع وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم
عنده تمنع الوصفية تؤتي الملك بيان لبعض وجوه التصرف الذي تستدعيه مالكية الملك وتحقيق لاختصاصها به تعالى حقيقة وكون
مالكية غيره بطريق المجاز كما ينبئ عنه ايثار الايتاء الذي هو مجرد الاعطاء على التمليك المؤذن بثبوت المالكية حقيقة من تشاء اي
ايتاءه اياه وتنزع الملك ممن تشاء اي نزعه منه فالملك الاول حقيقي عام ومملوكيته حقيقية والآخران مجازيان خاصان ونسبتهما
الى صاحبهما مجازية وقيل الملك الاول عام والآخران بعضان منه فتأمل وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم
الى آخرين وتعز من تشاء اي تعزه في الدنيا او في الآخرة او فيهما بالنصر والتوفيق وتذل من تشاء اي تذله في احدهما او فيهما

او فيهما من غير ممانعة من الغير ولا مدافعة بيدك الخير تعريف الخير للتعميم وتقديم الخبر للتخصيص اي بقدرتك الخير كله لا يقدر احد غيرك
تتصرف فيه قبضا وبسطا حسبما تقتضيه مشيئتك وتخصيص الخير بالذكر لما انه مقتضى بالذات واما الشر فمقتضى بالعرض اذ ما من شر
جزئي الا وهو متضمن لخير كلي او لان في حصول الشر دخلا لصاحبه في الجملة لانه من اجزية اعماله واما الخير ففضل محض او لرعاية الادب
او لان الكلام فيه فانه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة من اهل المدينة
اربعين ذراعا واخذوا يحفرونه خرج من بطن الخندق صخرة كالتل لم يعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يخبره فجاء عليه السلام واخذ منه المعول فضربها ضربة كأنها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور
الحمر في ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبريل عليه السلام ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا
فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم [illegible] فنزلت انك على كل شيء قدير تعليل لما سبق وتحقيق له تولج الليل في النهار اي
تدخله فيه بتعقيبه اياه او بنقص الاول وزيادة الثاني وتولج النهار في الليل على احد الوجهين وتخرج الحي من الميت اي تنشئ
الحيوانات من موادها او من النطفة وقيل تخرج المؤمن من الكافر وتخرج الميت من الحي اي تخرج النطفة من الحيوان وقيل تخرج الكافر
من المؤمن وترزق من تشاء بغير حساب قال ابو العباس المقري ورد لفظ الحساب في القرآن على ثلثة اوجه بمعنى التعب قال
تع وترزق من تشاء بغير حساب وبمعنى العدد قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وبمعنى المطالبة قال تعالى فامنن
او امسك بغير حساب والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل ترزق او من مفعوله وفيه دلالة على ان من قدر على امثال
هاتيك الافاعيل العظام المحيرة للعقول والافهام فقدرته على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم اهون من
كل هين عن علي رضي الله تع عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين من آل عمران
شهد الله انه لا اله الا هو الى قوله تع ان الدين عند الله الاسلام وقل اللهم الى قوله تع بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله
تع حجاب قلن يا رب تهبطنا الى ارضك والى من يعصيك قال الله عز وجل اني حلفت انه لا يقرأكن احد دبر كل صلوة الا
جعلت الجنة مثواه على ما كان منه واسكنته في حظيرة القدس ونظرت اليه بعيني كل يوم سبعين مرة وقضيت له سبعين حاجة
ادناها المغفرة واعذته من كل عدو وحاسد ونصرته عليهم وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم
بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم لهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا
الي اعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونون يولى عليكم لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة
او صداقة جاهلية ونحوهما من اسباب المصادقة والمعاشرة كما في قوله تع يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم
اولياء وقوله تع لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء حتى لا يكون حبهم ولا بغضهم الا لله تعالى او عن الاستعانة بهم في الغزو
وسائر الامور الدينية من دون المؤمنين في موضع الحال اي متجاوزين المؤمنين اليهم استقلالا او اشتراكا وفيه اشارة
الى انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء والتعبير عنه بالفعل
للاختصار او لايهام الاستهجان بذكره فليس من الله اي من ولايته تعالى في شيء يصح ان يطلق عليه اسم الولاية فان موالاة المتعاديين
مما لا يكاد يدخل تحت الوقوع قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب والجملة اعتراضية وقوله تع
الا ان تتقوا على صيغة الخطاب بطريق الالتفات استثناء مفرغ من اعم الاحوال والعامل فعل النهي معتبرا فيه الخطاب كأنه قيل
لا تتخذوهم اولياء ظاهرا او باطنا في حال من الاحوال الا حال اتقائكم منهم اي من جهتهم تقاة اي اتقاء او شيئا يجب اتقاؤه
على ان المصدر واقع موقع المفعول فانه يجوز اظهار الموالاة ح مع اطمينان النفس بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال
المانع من قشر العصا واظهار ما في الضمير كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا واصل تقاة وقية ثم ابدلت الواو

صدعها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها كأنه مصباح في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة

تاة كتخمة وتهمة وقلبت الياء الفا وقرئ تقية ويحذركم الله نفسه اي ذاته المقدسة فان جواز اطلاق لفظ النفس مرادا به الذات عليه
سبحانه بلا مشاكلة مما لا كلام فيه عند المتقدمين وقد صرح بعض محققي المتأخرين بعدم الجواز وان اريد به الذات الا مشاكلة
وفيه من التهديد ما لا يخفى عظمه وذكر النفس للايذان بان له عقابا هائلا لا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة والى الله المصير تذييل مقرر
لمضمون ما قبله ومحقق لوقوعه حتما قل ان تخفوا ما في صدوركم من الضمائر التي من جملتها ولاية الكفرة او تبدوه فيما بينكم
يعلمه الله فيؤاخذكم بذلك عند مصيركم اليه وتقديم الاخفاء على الابداء قد مر سره في تفسير قوله تع وان تبدوا ما في انفسكم او
تخفوه وقوله تع يعلم ما يسرون وما يعلنون ويعلم ما في السموات وما في الارض كلام مستأنف غير معطوف على جواب الشرط وهو من باب
ايراد العام بعد الخاص تأكيدا وتقريرا والله على كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم بما لا مزيد عليه ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه واظهار
الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة وتهويل الخطب وهو تذييل لما قبله مبين لقوله تع ويحذركم الله نفسه بان ذاته
المقدسة المتميزة عن سائر الذوات المتصفة بما لا يتصف به شيء منها من العلم الذاتي المتعلق بجميع المعلومات متصفة بالقدرة الذاتية
الشاملة لجميع المقدورات بحيث لا يخرج من ملكوته شيء قط يوم تجد كل نفس اي من النفوس المكلفة ما عملت من خير محضرا عندها بامر الله
تعالى وفيه من التهويل ما ليس في حاضرا وما عملت من سوء عطف على ما عملت والاحضار معتبر فيه ايضا الا انه خص بالذكر في الخير
للاشعار بكون الخير مرادا بالذات وكون احضار الشر من مقتضيات الحكمة التشريعية تود حال من الضمير في عملت اي تود يوم تجد صحائف
اعمالها من الخير والشر او اجزيتها محضرة لو ان بينها وبينه اي بين ذلك اليوم امدا بعيدا لغاية هوله وفي اسناد الودادة الى كل
نفس سواء كان لها عمل سيء او لا بل كانت متمحضة في الخير من الدلالة على كمال فظاعة ذلك اليوم وهول مطلعه ما لا يخفى اللهم انا
نعوذ بك من ذلك ويجوز ان يكون انتصاب يوم على المفعولية باضمار اذكروا وتود اما حال من كل نفس او استئناف مبني على السؤال
اي اذكروا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير وشر محضرا وادة ان بينها وبينه امدا بعيدا وكان سائلا قال حين امروا بذكر
ذلك اليوم فماذا يكون اذ ذاك فقيل تود لو ان بينها الخ او تجد مقصور على ما عملت من خير وتود خبر ما عملت من سوء ولا تكون
ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت فح يجوز كونها شرطية لكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانها حكاية حال ماضية واوفق للقراءة
المشهورة ويحذركم الله نفسه تكرير لما سبق واعادة له لكن لا للتأكيد فقط بل لافادة ما يفيده قوله عز وجل والله رؤوف
بالعباد من ان تحذيره تع من رأفته بهم ورحمته الواسعة او ان رأفته بهم لا تمنع تحقيق ما حذرهموه من عقابه وان تحذيره ليس
مبنيا على تناهي صفة الرأفة بل هو متحقق مع تحققها ايضا كما في قوله تع يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم فالجملة على الاول
اعتراض وعلى الثاني حال وتكرير الاسم الجليل لتربية المهابة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال
ادركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله عز وجل وان كل ما يراه كمالا من نفسه او من
غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت المحبة
بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله اي يرضى
عنكم ويغفر لكم ذنوبكم اي يكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عنه
بالمحبة بطريق الاستعارة او المشاكلة والله غفور رحيم اي لمن تحبب اليه بطاعته وتقرب اليه باتباع نبيه صلى الله عليه وسلم
فهو تذييل مقرر لما قبله مع زيادة وعد الرحمة ووضع الاسم الجليل موضع الضمير للاشعار باستتباع وصف الالوهية
للمغفرة والرحمة روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انا نعبد
المسيح حبا لله تعا وقيل في اقوام زعموا على عهده عليه السلام انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا لقولهم مصداقا من العمل
وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وقف على قريش وهم في المسجد الحرام يسجدون للاصنام

للاصنام وقد علقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشنوف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش لقد خالفتم ملة ابراهيم
واسمعيل عليهما السلام فقالت قريش انما نعبدها حبا لله تعالى ليقربونا الى الله زلفى فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ان كنتم
تحبون الله تعالى وتعبدون الاصنام لتقربكم اليه فاتبعوني اي اتبعوا شريعتي وسنتي يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته عليكم قل اطيعوا الله
والرسول اي في جميع الاوامر والنواهي فيدخل في ذلك الطاعة في اتباعه عليه السلام دخولا اوليا وايثار الاظهار على الاضمار
بطريق الالتفات لتعيين حيثية الاطاعة والاشعار بعلتها فان الاطاعة المأمور بها اطاعته عليه السلام من حيث انه رسول الله لا من حيث
ذاته ولا ريب في ان عنوان الرسالة من موجبات الاطاعة ودواعيها فان تولوا اما من تمام مقول القول فهي صيغة المضارع المخاطب
بحذف احدى التائين اي تتولوا واما كلام متفرع عليه مسوق من جهته تعالى فهي صيغة الماضي الغائب وفي ترك ذكر احتمال الطاعة
كما في قوله تع فان اسلموا تلويح الى انه غير محتمل منهم فان الله لا يحب الكافرين نفي المحبة كناية عن بغضه تعالى وسخطه عليهم اي
لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وايثار الاظهار على الاضمار لتعميم الحكم لكل الكفرة والاشعار بعلته فان سخطه تعالى عليهم بسبب كفرهم
والايذان بان التولي عن الطاعة كفر وبان محبته عز وجل مخصوصة بالمؤمنين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران
على العالمين لما بين الله عز وجل ان الدين المرضي عنده هو الاسلام والتوحيد وان اختلاف اهل الكتابين فيه انما هو للبغي
والحسد وان الفوز برضوانه ومغفرته ورحمته منوط باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته شرع في تحقيق رسالته وكونه من
اهل بيت النبوة القديمة فبدأ ببيان جلالة اقدار الرسل عليهم الصلوة والسلام كافة واتبعه ذكر مبدأ امر عيسى وامه و
كيفية دعوته للناس الى التوحيد والاسلام تحقيقا للحق وابطالا لما عليه اهل الكتابين في شأنهما من الافراط والتفريط ثم بين بطلان
محاجتهم في ابراهيم عليه السلام وادعائهم الانتماء الى ملته ونزه ساحته العلية عما هم عليه من اليهودية والنصرانية ثم نص
على ان جميع الرسل عليهم السلام دعاة الى عبادة الله عز وجل وحده وطاعته منزهون عن احتمال الدعوة الى عبادة انفسهم او
غيرهم من الملائكة والنبيين وان اممهم قاطبة مأمورون بالايمان بمن جاءهم من رسول مصدق لما معهم تحقيقا لوجوب الايمان
برسول الله صلى الله عليه وسلم وكتابه المصدق لما بين يديه من التورية والانجيل وتحتم الطاعة له حسبما سيأتي تفصيله وتخصيص آدم
عليه السلام بالذكر لانه ابو البشر ومنشأ النبوة وكذا حال نوح عليه السلام فانه آدم الثاني واما ذكر آل ابراهيم فلترغيب المعترفين
باصطفائهم في الايمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم واستمالتهم نحو الاعتراف باصطفائه بواسطة كونه من زمرتهم مع ما مر من
التنبيه على كونه عليه السلام عريقا في النبوة من زمرة المصطفين الاخيار واما ذكر آل عمران مع اندراجهم في آل ابراهيم فلاظهار مزيد
الاعتناء بتحقيق امر عيسى عليه السلام لكمال رسوخ الخلاف في شأنه فان نسبة الاصطفاء الى الاب الاقرب ادل على تحققه في الآل
وهو الداعي الى اضافة الآل الى ابراهيم دون نوح وآدم عليهم السلام والاصطفاء اخذ ما صفا من الشيء كالاستصفاء مثل به اختياره
تعالى اياهم بالنفوس القدسية وما يليق بها من الملكات الروحانية والكمالات الجسمانية المستتبعة للرسالة في نفس المصطفى كما في كافة
الرسل عليهم السلام وفيمن يلابسه واسكان الجنة واصطفى نوحا عليه السلام بكونه اول من نسخ الشرائع اذ لم يكن قبل ذلك تزويج المحارم
حراما وباطالة عمره وجعل ذريته هم الباقين واستجابة دعوته في حق الكفرة والمؤمنين وحمله على متن الماء والمراد بآل ابراهيم
اسمعيل واسحق والانبياء من اولادهما الذين من جملتهم النبي صلى الله عليه وسلم واما اصطفاؤه نفسه عليه السلام فمفهوم من اصطفائهم
بطريق الاولوية وعدم التصريح به للايذان بالغنى عنه لكمال شهرة امره في الخلة وكونه امام الانبياء وقدوة الرسل عليهم السلام
وكون اصطفاء آله بدعوته وبقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية ولذلك قال عليه السلام انا دعوة ابي ابراهيم وبآل عمران
عيسى وامه مريم بنت عمران بن ابي سوذ بن عاذار بن ماثان بن ريت بابل بن سالبان بن يوحينا بن اموذ بن ميشك بن
حارقا بن احاذ بن يوثام بن عزريا بن يوران بن ساقط بن ايشا بن راجعيم بن سليمان بن داود عليهما السلام بن ايشا بن

عويل بن يسلكو بن يا عزبن يحسون بن عميا دبن رام بن حضرون بن فارض بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام وقيل موسى وهرون عليهما السلام
ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام وبين العمرانين الف وثمانمائة سنة وقيل اصطفاء عيسى عليه السلام في
باندراج في آل ابراهيم عليه السلام والاول هو الاظهر بدليل تعقيبه بقصة مريم واصطفاء موسى وهرون عليهما السلام بانتظامهما في سلك
آل ابراهيم عليه السلام انتظاما ظاهرا والمراد بالعالمين اهل زمان كل واحد منهم اي اصطفى كل واحد منهم على عالمي زمانه ذرية نصب على
البدلية من الآلين او على الحالية منهما وقد مر بيان اشتقاقها في سورة البقرة وقوله تعالى بعضها من بعض في محل النصب على انه صفة
لذرية اي اصطفى الآلين حال كونهم ذرية متسلسلة متشعبة البعض من البعض في النسب كما ينبئ عنه التعرض لكونهم ذرية وقيل بعضها من بعض في
الدين فالاستثناء على الوجه الاول تقريبه وعلى الثاني بتمامه والله سميع لاقوال العباد عليم باعمالهم البادية والخافية فيصطفي من
بينهم لخدمته من يظهر استقامته قولا وفعلا على نهج قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها اذ قالت
امرأة عمران في حيز النصب على المفعولية بفعل مقدر على طريقة الاستئناف لتقرير اصطفاء آل عمران وبيان كيفيته اي اذكر لهم وقت قولها
الخ وقد مر مرارا وجه الذكر الى الاوقات مع ان المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث وقيل هو منصوب على الظرفية لما قبله اي سميع
لقولها المحكي عليم بضميرها المنوي وقيل هو ظرف لمعنى الاصطفاء المدلول عليه باصطفى المذكور كأنه قيل واصطفى آل عمران اذ
قالت الخ فكان من عطف الجمل على الجمل دون عطف المفرد على المفرد ليلزم كون اصطفاء الكل في ذلك الوقت وامرأة عمران هي حنة بنت
فاقوذ جدة عيسى عليه السلام وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون عليهما السلام فظنت ان زوج عمران
بن ماثان لانه عليه السلام كان معاصرا وقد تزوج ايشاع اخت حنة ام يحيى عليه السلام واما قوله صلى الله عليه وسلم في شأن يحيى وعيسى
عليهما السلام ابنا خالة فمحمول على ان الاخت كثيرا ما تطلق على بنت الاخت وبهذا الاعتبار جعلا عليهما السلام ابني خالة وقيل كانت ايشاع
اخت حنة من الام واخت مريم من الاب وخالتها من الام لانها اخت حنة من الام روي انها كانت عجوزا عاقرا فبينما هي ذات
يوم في ظل شجرة اذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته وقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق
به على بيت المقدس فيكون من سدنته وكان هذا النذر مشروعا عندهم في الغلمان ثم هلك عمران وهي حامل وحينئذ فقولها اني
نذرت لك ما في بطني لابد من حمله على التكرير لتاكيد نذرها واخراجه عن صورة التعليق الى هيئة التنجيز والتعرض لوصف الربوبية
المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميرها لتحريك سلسلة الاجابة ولذلك قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له دعاؤه
فليدع الله بما يناسبه من اسمائه وصفاته وتاكيد الجملة لابراز وفور الرغبة في مضمونها وتقديم الجار والمجرور لكمال الاعتناء به
وانما عبر عن الولد بما لابهام امره وقصوره عن درجة العقلاء محررا اي معتقا لخدمة بيت المقدس لا يشغله شأن آخر او مخلصا
للعبادة ونصبه على الحالية من الموصول والعامل فيه نذرت وقيل من ضمير ما في الصلة والعامل معنى الاستقرار فانها في قوة ما استقر
في بطني ولا يخفى ان المراد تقييد فعلها بالتحرير ليحصل به التقرب اليه تعالى لا تقييد ما لا دخل لها فيه من الاستقرار في بطنها فتقبل مني
اي ما نذرته والتقبل اخذ الشيء على وجه الرضى وهذا في الحقيقة استدعاء للولد اذ لا يتصور القبول بدون تحقق المقبول بل للولد
الذكر لعدم قبول الانثى انك انت السميع لجميع المسموعات التي من جملتها تضرعي ودعائي العليم بكل المعلومات التي من زمرتها ما في ضميري
لا غير وهو تعليل لاستدعاء القبول لا من حيث ان كونه تعالى سميعا لدعائها عليما بما في ضميرها مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث ان
علمه تعالى بصحة نيتها واخلاصها مستدع لذلك تفضلا واحسانا وتاكيد الجملة لعرض قوة يقينها بمضمونها وقصر صفتي السمع والعلم
عليه تعالى لعرض اختصاص دعائها به تعالى وانقطاع حبل رجائها عما عداه بالكلية مبالغة في الضراعة والابتهال فلما
وضعتها اي ما في بطنها وتأنيث الضمير العائد اليه لما ان المقام يستدعي ظهور انوثته واعتباره في حيز الشرط اذ عليه يترتب
جواب لما اعني قوله تعالى قالت رب اني وضعتها انثى لا على وضع ولد ما كأنه قيل فلما وضعت بنتا قالت الخ وقيل تأنيثه لان ما في

لان ما في بطنها كان انثى في علم الله تعالى او لانه مؤول بالحبلة او النفس او النسمة وانت خبير بان اعتبار شيء مما ذكر في حيز الشرط لا يكون
لترتب الجواب عليه وقوله تعالى انثى حال مؤكدة من الضمير او بدل منه وتأنيثه للمسارعة الى عرض ما دهمها من خيبة الرجاء او لما مر من التأويل
بالحبلة او النسمة فالحال حينئذ مبينة وانما قالته تحزنا وتحسرا على خيبة رجائها وعكس تقديرها لما كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك
نذرته محررا للسدانة والتأكيد للرد على اعتقادها الباطل والله اعلم بما وضعت تعظيم من جهته تعالى لموضوعها وتفخيم لشأنه وتجهيل
لها بقدره اي والله اعلم بالشيء الذي وضعته وما علق به من عظائم الامور وجعله وابنه آية للعالمين وهي غافلة عن ذلك
والجملة اعتراضية وقرئ وضعت على خطاب الله تعالى لها اي انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما اودع الله فيه من علو الشأن وسمو
المقدار وقرئ وضعت على صيغة التكلم مع الالتفات من الخطاب الى الغيبة اظهارا لغاية الاجلال فيكون ذلك منها اعتذارا الى
الله تعالى حيث اتت بمولود لا يصلح لما نذرته من السدانة او تسلية لنفسها على معنى لعل لله تعالى فيه سرا وحكمة ولعل هذه
الانثى خير من الذكر فوجه الالتفات حينئذ ظاهر وقوله تعالى وليس الذكر كالانثى اعتراض آخر مبين لما في الاول من تعظيم الموضوع ورفع
منزلته واللام في الذكر والانثى للعهد اي ليس الذكر الذي كانت تطلبه وتتخيل فيه كمالا قصاراه ان يكون كواحد من السدنة
كالانثى التي وهبت لها فان دائرة علمها وامنيتها لا تكاد تحيط بما فيها من جلائل الامور هذا على القراءتين الاوليين واما
على التفسير الاخير للقراءة الاخيرة فمعناه وليس الذكر كهذه الانثى في الفضيلة بل ادنى منها واما على التفسير الاول لها فمعناه
تأكيد الاعتذار ببيان ان الذكر ليس كالانثى في الفضيلة والمزية وصلاحية خدمة المتعبدات فانهن بمعزل من ذلك فاللام
للجنس وقوله تعالى واني سميتها مريم عطف على اني وضعتها انثى وغرضها من عرضها على علام الغيوب التقرب اليه تعالى واستدعاء
العصمة لها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة قال القرطبي معناه خادم الرب واظهار انها غير راجعة عن نيتها وان كان ما وضعته انثى
وانها ان لم تكن خليقة بسدانة بيت المقدس فلتكن من العابدات فيه واني اعيذها بك عطف على اني سميتها وصيغة المضارع للدلالة
على الاستمرار اي اجيرها بحفظك وقرئ بفتح ياء المتكلم في المواضع التي بعدها همزة مضمومة الا في موضعين بعهدي اوف وآتوني
افرغ وذريتها عطف على الضمير وتقديم الجار والمجرور عليه لابراز كمال العناية به من الشيطان الرجيم اي المطرود واصل الرجم
الرمي بالحجارة عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مسه الا مريم وابنها
ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة
فتقبلها اي اخذ مريم ورضي بها في النذر مكان الذكر ربها مالكها ومبلغها الى كمالها اللائق وفيه من تشريفها ما لا يخفى بقبول
حسن قيل الباء زائدة والقبول مصدر مؤكد للفعل بحذف الزوائد اي تقبلها قبولا حسنا وانما عدل عن الظاهر للايذان بمقارنة
التقبل لكمال الرضى وموافقته للعناية الذاتية فان صيغة التفعل مشعرة بحسب اصل الوضع بالتكلف وكون الفعل على خلاف طبع
الفاعل وان كان المراد بها في حقه تعالى ما يترتب عليه من كمال قوة الفعل وكثرته وقيل القبول ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود
لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه تعالى اياها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم تقبل قبلها انثى او بان تسلمها من امها عقيب
الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة روي ان حنة حين ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار
ابناء هرون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب
قربانهم فان بني ماثان كانت رؤوس بني اسرائيل وملوكهم وقيل لانهم وجدوا امرها وامر عيسى عليه السلام في الكتب الالهية فقال
زكريا عليه السلام انا احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا
قلم زكريا عليه السلام ورسبت اقلامهم فتكفلها وقيل هو مصدر وفيه مضاف مقدر اي فتقبلها بذي قبول اي بامر ذي قبول
حسن وقيل تقبل بمعنى استقبل كتقضى بمعنى استقضى وتعجل بمعنى استعجل اي استقبلها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها

نباتا حسنا مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف الزوائد وقيل بل لفعل مضمر موافق له تقديره فنبتت نباتا حسنا وكفلها زكريا اي جعله عليه السلام
كافلا لها وضامنا لمصالحها قائما بتدبير امورها على طريقة الوحي بل على ما ذكر من التفصيل فان رغبته عليه السلام في كفالتها وطفق قلمه ورسوب اقلامهم
وغير ذلك من الامور الجارية بينهم كلها من آثار قدرته تعالى وقرئ اكفلها وقرئ زكرياء بالنصب والمد وقرئ بتخفيف الفاء بفتحها وكسرها ورفع
زكريا ممدودا او مقصورا وقرئ وتقبلها ربها وانبتها وكفلها على صيغة الامر في الكل ونصب ربها على الدعاء اي فاقبلها يا ربها وربها وانبتها
حسنا واجعل زكريا كافلا لها فهو تعيين لجهة التربية قيل بنى عليه السلام لها محرابا في المسجد اي غرفة يصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف
المجالس ومقدمها كأنها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب روي انه كان لا يدخل عليها الا هو
وحده واذا خرج غلق عليها سبعة ابواب كلما دخل عليها زكريا المحراب تقديم الظرف على الفاعل لاظهار كمال العناية بامرها ونصب المحراب على
التوسع وكلمة كلما ظرف على ان ما مصدرية والزمان محذوف او نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف والعامل فيها جوابها
اي كل زمان دخوله عليها او كل وقت دخل عليها فيه وجد عندها رزقا اي نوعا منه غير معتاد اذ كان ينزل ذلك من الجنة وكان يجد
عندها في الصيف فاكهة الشتاء وفي الشتاء فاكهة الصيف ولم ترضع ثديا قط قال استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا
قال زكريا عليه السلام عند مشاهدة هذه الآية فقيل قال يا مريم انى لك هذا اي من اين يجيء لك هذا الذي لا يشبه ارزاق الدنيا
والابواب مغلقة دونك وهو دليل على جواز الكرامة للاولياء ومن انكرها جعل هذا ارهاصا وتأسيسا لرسالة عيسى عليه السلام
واما جعله معجزة لزكريا عليه السلام فيأباه اشتباه الامر عليه وانما خاطبها عليه السلام بذلك مع كونها بمعزل من رتبة الخطاب لما علم
بما شاهده انها مؤيدة من عند الله تعالى بالعلم والقدرة قالت استئناف كما قبله كأنه قيل فماذا صنعت مريم وهي صغيرة
لا قدرة لها على فهم السؤال ورد الجواب فقيل قالت هو من عند الله فلا تعجب ولا تستبعد ان الله يرزق من يشاء اي يرزقه بغير
حساب اي بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا منه تعالى وهو تعليل لكونه من عند الله اما من تمام كلامها فيكون في محل النصب
واما من كلامه عز وجل فهو مستأنف روي ان فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها اهدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها فقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا قالت
هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة بني اسرائيل ثم جمع عليا
والحسن والحسين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وجميع اهل بيته فاكلوا وشبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها هنالك
كلام مستأنف وقصة مستقلة سيقت في تضاعيف حكاية مريم لما بينهما من قوة الارتباط وشدة الاشتباك مع ما في ايرادها
من تقرير ما سيقت له حكايتها من بيان اصطفاء آل عمران فان فضائل بعض الاقرباء ادلة على فضائل الآخرين وهنا ظرف
مكان واللام للدلالة على البعد والكاف للخطاب اي في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت اذ يستعار
هنا وثمة وحيث للزمان دعا زكريا ربه لما رأى كرامة مريم على الله ومنزلتها منه تعالى رغب في ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد حنة
في النجابة والكرامة على الله تعالى وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت حنة كذلك وقيل لما رأى الفواكه في غير اوانها تنبه لجواز ولادة
العجوز العاقر من الشيخ الفاني فاقبل على الدعاء من غير تأخير كما ينبئ عنه تقديم الظرف على الفعل لا على معنى ان ذلك كان هو الموجب
للاقبال على الدعاء فقط بل كان جزءا اخيرا من العلة التامة التي من جملتها كبر سنه عليه السلام وضعف قواه وخوف مواليه حسبما
فصل في سورة مريم قال تفسير للدعاء وبيان لكيفيته لا محل له من الاعراب رب هب لي من لدنك كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف
معنييهما فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية مجازا اي اعطني من محض قدرتك من غير وسط معتاد ذرية طيبة كما وهبتها لحنة
ويجوز ان يتعلق من بمحذوف وقع حالا من ذرية اي كائنة من لدنك والذرية النسل تقع على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد
ههنا ولد واحد فالتأنيث في الصفة لتأنيث لفظ الموصوف كما في قول من قال ابوك خليفة ولدته اخرى وانت خليفة ذاك الكمال

وهذا اذا لم يقصد به واحد معين واما اذا قصد به المعين امتنع اعتبار اللفظ نحو طلحة وحمزة فلا يجوز ان يقال جاءت طلحة وذهبت حمزة انك
سميع الدعاء اي مجيبه وهو تعليل لما قبله وتحريك لسلسلة الاجابة فنادته الملائكة كان المنادي جبريل عليه السلام كما يفصح عنه قراءة من قرأ
فناداه جبريل والجمع كما في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وماله غير فرس وثوب قال الزجاج اي اتاه النداء من هذا الجنس الذين
هم الملائكة وقيل لما كان جبرائيل عليه السلام رئيسهم عبر عنه باسم الجماعة تعظيما له وقيل الرئيس لا بد له من اتباع فاسند النداء الى الكل مع
كونه صادرا عنه خاصة وقرئ فناداه بالامالة وهو قائم جملة حالية من مفعول النداء مقررة لما افاده الفاء من حصول البشارة
عقيب الدعاء وقوله تعالى يصلي اما صفة لقائم او خبر ثان عند من يرى تعدده عند كون الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية
تسعى او حال اخرى منه على القول بتعددها بلا عطف ولا بدلية او حال من المستكن في قائم وقوله تعالى في المحراب اي في المسجد او في
غرفة مريم متعلق بيصلي او بقائم على تقدير كون يصلي حالا من ضمير قائم لان العامل فيه وفي الحال حينئذ شيء واحد فلا يلزم الفصل
بالاجنبي كما يلزم على التقادير الباقية ان الله يبشرك بيحيى اي بان الله وقرئ بكسر الهمزة على تقدير القول او اجراء النداء
مجراه لكونه نوعا منه وقرئ يبشرك من الابشار ويبشرك من الثلاثي واياما كان ينبغي ان يكون هذا الكلام الى آخره محكيا بعبارته
من الله عز وجل على منهاج قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية كما يلوح به مراجعته عليه السلام
في الجواب اليه تعالى بالذات لا بواسطة الملك والعدول عن اسناد التبشير الى نون العظمة حسبما وقع في سورة مريم للجري على سنن
الكبرياء كما في قول الخلفاء امير المؤمنين يرسم لك كذا وللايذان بان ما حكي هناك من النداء والتبشير وما يترتب عليه من المحاورة
كان كل ذلك بتوسط الملك بطريق الحكاية منه سبحانه لا بالذات كما هو المتبادر وبهذا يتضح اتحاد المعنى في السورتين الكريمتين فتأمل
ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انما سمي يحيى لان الله تعالى
احيى به عقر امه وقال قتادة لانه تعالى احيى قلبه بالايمان قال القرطبي كان اسمه في الكتاب الاول حيا ولا بد من تقدير مضاف يعود اليه
الحال اي بولادة يحيى فان التبشير لا يتعلق بالاعيان مصدقا حال مقدرة من يحيى بكلمة من الله اي بعيسى عليه السلام وانما سمي
كلمة لانه وجد بكلمة كن من غير اب فشابه البديعيات التي هي عالم الامر ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لكلمة اي
بكلمة كائنة منه تعالى قيل هو اول من آمن به وصدق بانه كلمة الله وروح منه وقال السدي لقيت ام يحيى ام عيسى فقالت
يا مريم اشعرت بحبلي فقالت مريم وانا ايضا حبلى قالت فاني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله تعالى مصدقا
بكلمة الخ وقال ابن عباس رضي الله عنه ان يحيى كان اكبر من عيسى عليهما السلام بستة اشهر وقيل بثلاث سنين وقيل قبل رفع عيسى
عليهما السلام بمدة يسيرة وعلى كل تقدير يكون بين ولادة يحيى وبين البشارة بها زمان مديد لان مريم ولدت وهي بنت ثلاث
عشرة سنة او بنت عشر سنين وقيل بكلمة من الله اي بكتاب الله سمي الحويدرة لقصيدته وسيدا عطف على مصدقا اي رئيسا يسود
قومه ويفوقهم في الشرف وكان فائقا للناس قاطبة فانه لم يلم بخطيئة ولم يهم بمعصية فيالها من سيادة ما اسناها وحصورا عطف
على ما قبله اي مبالغا في حصر النفس وحبسها عن الشهوات مع القدرة روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت
ونبيا عطف على ما قبله مترتب على ما عدد من الخصال الحميدة من الصالحين اي ناشئا منهم لانه كان من اصلاب الانبياء عليهم السلام او
كائنا من جملة المشهورين بالصلاح كما في قوله تعالى وانه في الآخرة لمن الصالحين والمراد بالصلاح ما فوق الصلاح الذي لا بد منه
في منصب النبوة البتة من اقاصي مراتبه وعليه مبنى دعاء سليمان عليه السلام وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين قال استئناف
مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال زكريا عليه السلام حينئذ فقيل قال رب لم يخاطب الملك المنادي له بملابسة انه المباشر للخطاب
وان كان بطريق الحكاية عنه تعالى بل جرى على نهج دعائه السابق مبالغة في التضرع والمناجاة وجدا في التبتل اليه تعالى
واحترازا عما عسى يوهم خطاب الملك من توهم ان علمه سبحانه بما يصدر عنه يتوقف على توسطه كما يتوقف وقوف البشر على ما يصدر عنه

سبحانه على توسطه في افاضة الاحوال وان لم يتوقف عليه في بعضها **انى يكون لى غلام** فيه دلالة على انه قد اخبر بكونه غلاما عند التبشير كما في قوله
انا نبشرك بغلام اسمه يحيى وانى بمعنى كيف او من اين يحدث لي غلام ويجوز ان تتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من غلام اذ لو تأخر لكان
صفة له او نا قصة واسمها ظاهر وخبرها اما انى واللام متعلقة بمحذوف كما مر او هو الخبر وانى منصوب على الظرفية **وقد بلغنى الكبر** حال
من ياء المتكلم اي ادركني كبر السن واثر في كقولهم ادركته السن واخذته السن وفيه دلالة على ان كبر السن من حيث كونه من طلائع الموت
طالب للانسان لا يكاد يتركه قيل كان له تسع وتسعون سنة وقيل اثنتان وتسعون وقيل مائة وعشرون وقيل ستون وقيل خمس وستون
وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون ولامرأته ثمان وتسعون **وامرأتى عاقر** اي ذات عقر وهو ايضا حال من ياء انى عند من
يجوز تعدد الحال او من ياء بلغنى اي كيف يكون لى ذلك والحال انى وامرأتى على حالة منافية له كل المنافاة وانما قاله عليه السلام مع
دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرة الله تعالى عليه لا سيما بعد مشاهدته عليه السلام للشواهد السالفة استعظاما لقدرة الله سبحانه وتعجبا
منها واعتدادا بنعمة عز وجل عليه في ذلك لا استبعادا له وقيل بل كان ذلك للاستبعاد حيث كان بين الدعاء والبشارة ستون سنة وكان
قد نسي دعاءه وهو بعيد وقيل كان ذلك استفهاما عن كيفية حدوثه **قال** اي الله تعالى او الملك المنادي كما سلف **كذلك** اشارة الى المصدر يفعل في قوله
عز وجل **الله يفعل ما يشاء** اي ما يشاء ان يفعله من تعاجيب الافاعيل الخارقة للعادات فالله مبتدأ ويفعل خبره والكاف في النصب على
انها في الاصل نعت لمصدر محذوف اي الله يفعل ما يشاء اي يفعله فعلا مثل ذلك الفعل العجيب والصنع البديع الذي هو خلق الولد من شيخ فان
وعجوز عاقر فقدم على العامل لافادة القصر بالنسبة الى ما هو ادنى من المشار اليه واعتبرت الكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة
من الفخامة وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا او على انها حال من ضمير المصدر المقدر معرفة اي يفعل الفعل
كائنا مثل ذلك او في محل الرفع على انها خبر والجلالة مبتدأ اي على نحو هذا الشأن البديع شأن الله تعالى ويفعل ما يشاء بيان لذلك
الشأن المبهم او كذلك خبر لمبتدأ محذوف اي الامر كذلك وقوله تعالى الله يفعل ما يشاء بيان له **قال رب اجعل لى آية** اي علامة تدل
على تحقق المسئول ووقوع الحبل وانما سألها لان العلوق امر خفي لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله تعالى عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة
من حين حصولها بالشكر ولا يؤخره الى ان تظهر ظهورا معتادا ولعل هذا السؤال وقع بعد البشارة بزمان مديد اذ به يظهر ما ذكر من كون
التفاوت بين سني يحيى وعيسى عليهما السلام بستة اشهر او بثلاث سنين لان ظهور العلامة كان عقيب تعيينها لقوله تعالى في سورة مريم
فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم الآية اللهم الا ان تكون المحاورة بين زكريا ومريم في حالة كبرها وقد عدت من جملة من تكلم في
الصغر بموجب قولها المحكي والجعل ابداعي واللام متعلقة به والتقديم لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر او
بمحذوف وقع حالا من آية وقيل هو بمعنى التصيير المستدعي لمفعولين احدهما آية وثانيهما لي والتقديم لانه لا مسوغ لكون آية مبتدأ
عند انحلال الجملة الى مبتدأ وخبر سوى تقديم الجار فلا يتغير حالهما بعد دخول الناسخ **قال آيتك ألا تكلم الناس** اي لا تقدر على
تكليمهم **ثلاثة ايام** اي متوالية لقوله تعالى في سورة مريم ثلث ليال سويا مع القدرة على الذكر والتسبيح وانما جعلت آيته
ذلك لتخليص المدة لذكر الله تعالى وشكره قضاء لحق النعمة كانه قيل آية حصول المطلوب ووصول النعمة ان تحبس لسانك
الا عن شكرها واحسن الجواب ما اشتق من السؤال **الا رمزا** اي اشارة بيد او رأس ونحوهما واصله التحرك يقال ارتمز
اي تحرك ومنه قيل للبحر الراموز من ذلك العمل وقرئ رمزا بفتحتين على انه جمع رامز كخدم وبضمتين على انه جمع رموز
كرسل على انه حال منه ومن الناس معا بمعنى متراميزين كقوله متى ما تلقني فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا **واذكر ربك**
اي في ايام الحبسة شكرا لحصول التفضيل والانعام كما يؤذن به التعرض لعنوان الربوبية **كثيرا** اي ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا
وسبح اي سبحه تعالى او افعل التسبيح **بالعشى** اي من الزوال الى الغروب وقيل من العصر الى ذهاب صدر الليل **والابكار** من
طلوع الفجر الى الضحى قيل المراد بالتسبيح الصلوة بدليل تقييده بالوقت كما في قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون

وقيل الذكر اللساني كما ان المراد بالذكر الذكر القلبي وقرئ الابكار بفتح الهمزة على انه جمع بكر كسحر واسحار **واذ قالت الملائكة** شروع في
شرح بقية احكام اصطفاء آل عمران اثر الاشارة الى نبذ من فضائل بعض اقاربهم اعني زكريا ويحيى عليهما السلام لاستدعاء
المقام اياها حسبما اشير اليه وقرئ بتذكير الفعل والمراد بالملائكة جبريل عليه السلام وقد مر ما فيه من الكلام واذ منصوب بمضمر معطوف
على المضمر السابق عطف القصة على القصة وقيل معطوف على الظرف السابق اعني قوله تعالى اذ قالت امرأة عمران منصوب بناصبه
فتدبر اي واذكر ايضا من شواهد اصطفائهم وقت قول الملائكة عليهم السلام **يا مريم** وتكرير التذكير للاشعار بمزيد
الاعتناء بما يحكى من احكام الاصطفاء والتنبيه على استقلالها وانفرادها عن الاحكام السابقة فانها من احكام التربية
الجسمانية اللائقة بحال صغر مريم عليها السلام وهذه من باب التربية الروحانية بالتكاليف الشرعية المتعلقة بحال كبرها قيل كلموها
شفاها كرامة لها او ارهاصا لنبوة عيسى عليه السلام لمكان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة وقيل الهموها **ان الله اصطفاك** اولا
حيث تقبلك من امك بقبول حسن ولم يتقبل غيرك انثى وربّاك في حجر زكريا عليه السلام ورزقك من رزق الجنة وخصك بالكرامات
السنية **وطهرك** اي مما يستقذر من الاحوال والافعال ومما قذفك به اليهود بانطاق الطفل **واصطفاك** آخرا **على نساء العالمين**
بان وهب لك عيسى عليه السلام من غير اب لم يكن ذلك لاحد من النساء وجعلكما آية للعالمين فعلى هذا ينبغي ان يكون تقديم حكاية
هذه المقالة على حكاية بشارتها بعيسى عليه السلام لما مر مرارا من التنبيه على ان كلا منهما مستحق للاستقلال بالتذكير ولو
روعي الترتيب الخارجي لتبادر كون الكل شيئا واحدا وقيل المراد بالاصطفائين واحد والتكرير للتأكيد وتبيين من اصطفاها
عليهن فحينئذ لا اشكال في ترتيب النظم الكريم اذ يحمل حينئذ الاصطفاء على ما ذكر اولا ويجعل هذه المقاولة قبل بشارتها بعيسى
ايذانا بكونها قبل ذلك متوفرة على الطاعات والعبادات حسبما امرت به مجتهدة فيها مقبلة على الله تعالى متبتلة اليه تعالى منسلخة عن
احكام البشرية مستعدة لفيضان الروح عليها **يا مريم** تكرير النداء للايذان بان المقصود بالخطاب ما يرد بعده وان ما قبله من تذكير النعم
كان لتمهيد الذكر وترغيبا في العمل بموجبه **اقنتى لربك** اي قومي في الصلوة او اطيلي في القيام فيها له تعالى والتعرض لعنوان الربوبية
لها تعالى للاشعار بعلة وجوب الامتثال بالامر **واسجدى واركعى مع الراكعين** امرت بالصلوة بالجماعة بذكر اركانها مبالغة في ايجاب رعايتها
وايذانا بفضيلة كل منها واصالته وتقديم السجود على الركوع اما لكون الترتيب في شريعتهم كذلك واما لكون السجود افضل اركان
الصلوة واقصى مراتب الخضوع ولا يقتضي ذلك كون الترتيب الخارجي كذلك بل اللائق به الترقي من الادنى الى الاعلى واما
ليقترن اركعي بالراكعين للاشعار بان من لا ركوع في صلوتهم ليسوا مصلين واما ما قيل من ان الواو لا يوجب الترتيب فغايته التصحيح
لا الترجيح وتجريد الامر بالركنين الاخيرين عما قيد به الاول لما ان المراد تقييد الامر بالصلوة بذلك وقد فعل حيث قيد به الركن الاول
منها وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كما في قوله تعالى امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة لما مر من انه
افضل اركانها وبالركوع الخشوع والاخبات قيل لما امرت بذلك قامت في الصلوة حتى ورمت قدماها وسالت دما وقيحا **ذلك**
اشارة الى ما سلف من الامور البديعة وما فيه من معنى البعد للتنبيه على علو شأن المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى
من انباء الغيب اي من الانباء المتعلقة بالغيب والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب وقوله تعالى **نوحيه اليك** جملة مستقلة مبينة للاولى
وقيل الخبر هو الجملة الثانية ومن انباء الغيب اما متعلق بنوحيه او حال من ضميره اي نوحي من انباء الغيب او نوحيه حال كونه من جملة
انباء الغيب وصيغة الاستقبال للايذان بان الوحي لم ينقطع بعد **وما كنت لديهم** اي عند الذين اختلفوا وتنازعوا في تربية مريم وهو
تقرير وتحقيق لكونه وحيا على طريقة التهكم بمنكريه كما في قوله تعالى وما كنت بجانب الغربي الآية وما كنت ثاويا في اهل مدين الآية
فان طريق معرفة امثال هاتيك الحوادث والوقائع اما المشاهدة واما السماع وعدمه محقق عندهم فبقي احتمال المعاينة المستحيلة ضرورة
فنفيت تهكما بهم **اذ يلقون اقلامهم** ظرف للاستقرار العامل في لديهم واقلامهم اقداحهم التي اقترعوا بها قيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا

يكتبون التورية تبركاً **ايهم يكفل مريم** متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم ينظرون او ليعلموا ايهم يكفلها **وما كنت لديهم اذ يختصمون** اي في شأنها
تنافساً في كفالتها حسبما ذكر فيما سبق وتكرير ما كنت لديهم مع تحقق المقصود بعطف اذ يختصمون على اذ يلقون كما في قوله عز وجل نحن اعلم بما
يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى للدلالة على ان كل واحد من عدم حضوره صلى الله عليه وسلم عند القاء الاقلام وعدم حضوره عند
الاختصام مستقل بالشهادة على نبوته عليه السلام لاسيما اذا اريد باختصامهم تنازعهم قبل الاقتراع فان تغيير الترتيب في الذكر مؤكد له
اذ قالت الملائكة شروع في قصة عيسى عم وهو بدل من واذ قالت الملائكة منصوب بناصبه وما بينهما اعتراض جيء به تقريراً لما سبق
وتنبيهاً على استقلاله وكونه حقيقاً بان يعد على حياله من شواهد النبوة وترك العطف بينهما بناء على اتحاد المخاطِب والمخاطَب وايذاناً
بتقارن الخطابين او تقاربهما في الزمان وقيل منصوب بمضمر معطوف على ناصبه وقيل بدل من اذ يختصمون كأنه قيل وما كنت حاضراً في ذلك الزمان
المديد الذي وقع في طرف منه الاختصام وفي طرف آخر هذا الخطاب اشعاراً باحاطته عليه السلام بتفاصيل احوال مريم عليها السلام من اولها
الى آخرها والقائل جبريل عليه السلام وايراد صيغة الجمع لما مر **يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه** من لابتداء الغاية مجازاً متعلقة بمحذوف وقع
صفة لكلمة اي بكلمة كائنة منه عز وجل **اسمه** ذكر الضمير الراجع الى الكلمة لكونها عبارة عن مذكر وهو مبتدأ خبره **المسيح** وقوله تع **عيسى** بدل
او عطف بيان وقيل خبر آخر وقيل خبر لمبتدأ محذوف وقيل منصوب باضمار اعني مدحاً وقوله تع **ابن مريم** صفة لعيسى قيل المراد بالاسم
ما به يتميز المسمى عمن سواه فالخبر حينئذ مجموع الثلثة اذ هو المميز له عليه السلام تميزاً عن جميع من عداه والمسيح لقبه عليه السلام وهو من الالقاب
المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب من ايشوع والتصدي لاشتقاقهما من المسح والعيس وتعليله
بانه عليه السلام مسح بالبركة او بما يطهره من الذنوب او مسحه جبريل عليهما السلام او مسح الارض ولم يقم في موضع او كان عليه السلام يمسح
ذا العاهة فيبرأ او بانه كان في لونه عيس اي بياض يعلوه حمرة من قبيل الرقم على الماء وانما قيل ابن مريم مع كون الخطاب لها تنبيهاً على انه يولد
من غير اب فلا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت على نساء العالمين **وجيهاً في الدنيا والآخرة** الوجيه ذو الجاه وهو القوة والمنعة والشرف وهو
حال مقدرة من كلمة فانها وان كانت نكرة لكنها صالحة لان ينتصب بها الحال وتذكيرها باعتبار المعنى والوجاهة في الدنيا النبوة
والتقدم على الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة **ومن المقربين** اي من الله عز وجل قيل هو اشارة الى رفعه الى السماء وصحبته
الملائكة وهو عطف على الحال الاولى وقد عطف عليه قوله تع **ويكلم الناس في المهد وكهلاً** اي يكلمهم حال كونه طفلاً وكهلاً كلام الانبياء من
غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي اي يسوى من مضجعه وقيل انه رفع شاباً والمراد كهلاً بعد نزوله وفي ذكر احواله
المختلفة المتنافية اشارة الى انه بمعزل من الالوهية **ومن الصالحين** حال اخرى من كلمة معطوفة على الاحوال السالفة او من الضمير في يكلم **قالت**
استيناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قالت مريم حين قالت لها الملائكة ما قالت فقيل قالت متضرعة الى ربها **رب انى يكون** اي كيف
يكون او من اين يكون **لي ولد** على وجه الاستبعاد العادي والتعجب واستعظام قدرة الله عز وجل وقيل على وجه الاستفهام والاستفسار بانه
بالتزوج او بغيره ويكون اما تامة واني واللام متعلقتان بها وتأخير الفاعل عن الجار لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر
ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالاً من ولد اذ لو تأخر لكان صفة له واما ناقصة واسمها ولد وخبرها اما اني واللام متعلقة بمضمر
وقع حالاً كما مر او خبر واني نصب على الظرفية وقوله تع **ولم يمسسني بشر** جملة حالية محققة للاستبعاد اي والحال اني على حالة
منافية للولادة **قال** استيناف كما سلف والقائل هو الله تع او جبريل عليه السلام **كذلك الله يخلق ما يشاء** الكلام في اعرابه كما مر في
قصة زكريا بعينه خلا ان ايراد يخلق هيهنا مكان يفعل هناك لما ان ولادة العذراء من غير ان يمسها بشر ابدع واغرب من ولادة عجوز عاقر
من شيخ فان فكان الخلق المنبئ على الاختراع انسب بهذا المقام من مطلق الفعل ولذلك عقب ببيان كيفيته فقيل **اذا قضى امراً** من الامور
اي اذا اراد شيئاً كما في قوله تع انما امره اذا اراد شيئاً واصل القضاء الاحكام اطلق على الارادة الالهية القطعية المتعلقة بوجود الشيء
لايجابها اياه البتة وقيل الامر ومنه قوله تع وقضى ربك **فانما يقول له كن** لا غير **فيكون** من غير ريث وهو كما ترى تمثيل لكمال قدرته

تعالى وسهولة تأتي المقدورات حسبما تقتضيه مشيئته وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم فيها من طاعة المأمور المطيع للآمر القوي المطاع وبيان لانه
تعالى كما يقدر على خلق الاشياء مدرجاً باسباب ومواد معتادة يقدر على خلقها دفعة من غير حاجة الى شيء من الاسباب والمواد **ويعلمه الكتاب**
اي الكتابة او جنس الكتب الالهية **والحكمة** اي العلوم وتهذيب الاخلاق **والتورية والانجيل** افرادهما بالذكر على تقدير كون المراد بالكتاب المنزلة
لزيادة فضلهما وانافتهما على غيرهما والجملة عطف على يبشرك او على وجيهاً او على يخلق او هو كلام مبتدأ سيق تطييباً لقلبها وازاحة
لما اهمها من خوف اللائمة لما علمت انها تلد من غير زواج وقرئ ونعلمه بالنون **ورسولاً الى بني اسرائيل** منصوب بمضمر يقود اليه المعنى معطوف
على يعلمه اي ويجعله رسولاً الى بني اسرائيل اي كلهم وقال بعض اليهود انه كان مبعوثاً الى قوم مخصوصين ثم قيل كان رسولاً حال الصبي وقيل
بعد البلوغ وكان اول انبياء بني اسرائيل يوسف عليه السلام وآخرهم عيسى عليهما السلام وقيل اولهم موسى وآخرهم عيسى عليهم السلام وقوله
تعالى **اني قد جئتكم** معمول لرسولاً لما فيه من معنى النطق اي رسولاً ناطقاً باني الخ وقيل منصوب بمضمر معمول لقول مضمر معطوف على يعلمه اي
ويقول ارسلت رسولاً باني قد جئتكم الخ وقيل معطوف على الاحوال السابقة ولا يقدح فيه كونها في حكم الغيبة مع كون هذا في حكم
التكلم لما عرفت من ان فيه معنى النطق كأنه قيل حال كونه وجيهاً ورسولاً ناطقاً باني الخ وقرئ ورسول بالجر عطفاً على كلمة والباء
في قوله تع **باية** متعلقة بمحذوف وقع حالاً من فاعل الفعل على انها للملابسة والتنوين للتفخيم دون الوحدة لظهور تعددها وكثرتها
وقرئ بآيات فبجئتكم على انها للتعدية ومن في قوله تع **من ربكم** لابتداء الغاية مجازاً متعلقة بمحذوف وقع صفة لآية اي قد جئتكم
ملتبساً باية عظيمة كائنة من ربكم او آتيكم آية عظيمة كائنة منه تعالى والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتأكيد
ايجاب الامتثال بما سيأتي من الاوامر وقوله تع **اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير** بدل من قوله تع اني قد جئتكم ومحله النصب على
نزع الجار عند سيبويه والفراء والجر على رأي الخليل والكسائي او بدل من آية وقيل منصوب بفعل مقدر اي اعني اني الخ وقيل مرفوع
على انه خبر مبتدأ محذوف اي هي اني اخلق لكم وقرئ بكسر الهمزة على الاستيناف اي اقدر لكم اي لاجل تحصيل ايمانكم ودفع تكذيبكم
اياي من الطين شيئاً مثل صورة الطير **فانفخ فيه** الضمير للكاف اي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير وقرئ فانفخ فيها على
ان الضمير للهيئة المقدرة اي اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيها **فيكون طيراً** حياً طياراً كسائر الطيور **باذن الله** بامره
تعالى اشار عليه السلام بذلك الى ان احياءه من الله تعالى لا منه قيل لم يخلق غير الخفاش روي انه عليه السلام لما ادعى النبوة واظهر
المعجزات طالبوه بخلق الخفاش فاخذ طيناً وصوره ونفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير ما دام الناس
ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتاً ليتميز من خلق الله تعالى قيل انما طلبوا خلق الخفاش لانه اكمل الطير خلقاً وابلغ دلالة
على القدرة لان له ثدياً واسناناً وهي تحيض وتطهر وتلد كسائر الحيوان وتضحك كما يضحك الانسان ويطير بغير ريش ولا تبصر في
ضوء النهار ولا في ظلمة الليل وانما ترى في ساعتين ساعة بعد الغروب وساعة بعد طلوع الفجر وقيل خلق انواعاً من الطير **وابرئ الاكمه**
اي الذي ولد اعمى او الممسوح العين **والابرص** المبتلى بالبرص لم تكن العرب تنفر من شيء نفرتها منه ويقال له الوضح ايضاً وتخصيص
هذين الدائين لانهما مما اعيى الاطباء وكانوا في غاية الحذاقة في زمنه عليه السلام فاراهم الله تعالى المعجزة من ذلك الجنس روي انه
ربما كان يجتمع عليه عليه السلام الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى عليه السلام وما يداويه الا بالدعاء **واحيي
الموتى باذن الله** كرره مبالغة في دفع وهم من توهم فيه اللاهوتية قال الكلبي كان عليه السلام يحيي الموتى بيا حي يا قيوم احيي عازر
وكان صديقاً له فعاش وولد له ومر على ابن عجوز ميت فدعا الله تعالى فنزل عن سريره حياً ورجع الى اهله وبقي وولد له
وبنت العاشر احياها وولدت بعد ذلك فقالوا انك تحيي من كان قريب العهد من الموت فلعلهم لم يموتوا بل اصابتهم سكتة
فاحي لنا سام بن نوح فقال دلوني على قبره ففعلوا فقام على قبره فدعا الله عز وجل فقام من قبره وقد شاب رأسه فقال عليه
السلام كيف شبت ولم يكن في زمانكم شيب قال يا روح الله لما دعوتني سمعت صوتاً يقول اجب روح الله فظننت ان الساعة

قد قامت فمن هول ذلك شيبت فسأله عن النزع قال يا روح الله ان مرارته لم تذهب من حنجرتي وكان بينه وبين موته اكثر من اربعة
آلاف سنة وقال للقوم صدقوه فانه نبي فآمن به بعضهم وكذبه آخرون فقالوا هذا سحر فأرنا آية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان
خبئ لك كذا او ذلك قوله **وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم** اي بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها وقرئ تذخرون بالذال
والتخفيف **ان في ذلك** اشارة الي ما ذكر من الامور العظام **لآية** عظيمة وقرئ لآيات **لكم** دالة علي صحة رسالتي دلالة
واضحة **ان كنتم مؤمنين** جواب الشرط محذوف لانصباب المعني اليه او دلالة المذكور عليه اي انتفعتم بها وان كنتم ممن يتأتي منهم الايمان
دالتكم علي صحة رسالتي والايمان بها **ومصدقا لما بين يدي من التورية** عطف علي المضمر الذي تعلق به قوله تع بآية اي قد جئتكم
ملتبسا بآية الخ ومصدقا لما بين الخ او علي رسولا علي الاوجه الثلثة فان مصدقا فيه معني النطق كما في رسولا اي ويجعله
مصدقا ناطقا باني اصدق الخ او ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم الخ او حال كونه مصدقا باني اصدق الي آخره
او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم مصدقا الخ وقوله من التورية اما حال من الموصول والعامل مصدقا واما من ضميره المستتر
في الظرف الواقع صلة والعامل الاستقرار المضمر في الظرف او نفس الظرف لقيامه مقام الفعل **ولأحل لكم** معمول لمضمر دل عليه ما قبله
اي وجئتكم لاحل الخ وقيل عطف علي معني مصدقا كقولهم جئته معتذرا ولاجتلب رضاه كأنه قيل قد جئتكم لاصدق
ولاحل الخ وقيل عطف علي بآية اي جئتكم بآية من ربكم ولاحل لكم **بعض الذي حرم عليكم** اي في شريعة موسي عليه السلام
من الشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت قيل احل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له واختلف في احلال السبت
وقرئ حرم علي تسمية الفاعل وهو ما بين يدي او الله عز وجل وقرئ حرم بوزن كرم هذا يدل علي ان شرعه كان ناسخا لبعض احكام
التورية ولا يخل ذلك بكونه مصدقا لها لان النسخ في الحقيقة بيان لتخصيص في الازمان وتأخير المفعول من الجار والمجرور لما مر مرارا
من المبادرة الي ذكر ما يسر المخاطبين والتشويق الي الآخر **وجئتكم بآية من ربكم** شاهدة علي صحة رسالتي وقرئ بآيات **فاتقوا الله**
في عدم قبولها ومخالفة مدلولها **واطيعون** فيما امركم به وانهاكم عنه بامر الله تعا وتلك الآية هي قولي **ان الله ربي وربكم فاعبدوه**
هذا صراط مستقيم فانه الحق الصريح الذي اجمع عليه الرسل قاطبة فيكون آية بينة علي انه عليه السلام من جملتهم وقرئ ان الله بالفتح بدلا
من آية او قد جئتكم بآية علي ان الله ربي وربكم وقوله تع فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لما سبق اي قد جئتكم بآية
بعد آية مما ذكرت لكم من خلق الطير وابراء الاكمه والاحياء والانباء بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير اب ومن كلامي في المهد ومن غير
ذلك والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الي الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تع فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات
الباهرة والآيات الظاهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ومعني قراءة من فتح ولان الله ربي وربكم فاعبدوه
كقوله تع لايلاف قريش الخ ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الي استكمال القوة
النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الي استكمال القوة العملية فانه يلزم الطاعة التي هي
الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره
قوله عليه السلام قل آمنت ثم استقم **فلما احس عيسي منهم الكفر** شروع في بيان مآل احواله عليه السلام اثر ما اشير الي طرف منها
بطريق النقل عن الملائكة والقاء تفصيله يفصح عن تحقق جميع ما قالته الملائكة عليهم السلام وخروجه من القوة الي الفعل حسبما اشير نظيره
في قوله تع فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله تع انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك كانه قيل فحملته فولدته فكان كيت وكيت
وقال ذيت وذيت وانما لم يذكر اكتفاء بحكاية الملائكة وايذانا بعدم الخلق وثقة بما فصل في المواضع الاخر واما عدم نظم بقية احواله
عليه السلام في سلك النقل فما لاعتناء بامرها او لعدم مناسبتها لمقام المباشرة لما فيها من ذكر مقاساته عليه السلام للشدائد
ومعاناته للمكائد والمراد بالاحساس الادراك القوي الجاري مجري المشاهدة وبالكفر اصرارهم عليه وعتوهم ومكابرتهم مع العزيمة

مع العزيمة علي قتله عليه السلام كما ينبئ عنه الاحساس فانه انما يستعمل في امثال هذه المواقع عند كون متعلقه امرا محذورا مكروها كما في قوله عز وجل
فلما احسوا بأسنا اذا هم منها يركضون وكلمة من متعلقة باحس والضمير المجرور لبني اسرائيل اي ابتداء الاحساس من جهتهم وتقديم الجار والمجرور
علي المفعول الصريح لما مر غير مرة من الاعتناء به والتشويق الي المؤخر وقيل متعلقة بمحذوف وقع حالا من الكفر **قال** لخاص اصحابه لا
لجميع بني اسرائيل لقوله تع كما قال عيسي بن مريم للحواريين الآية وقوله تع فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة ليس بنص في توجيه
الخطاب الي الكل بل يكفي فيه بلوغ الدعوة اليهم **من انصاري** الانصار جمع نصير كاشراف جمع شريف **الي الله** متعلق بمحذوف وقع
حالا من الياء اي من انصاري متوجها الي الله ملتجئا اليه او بانصاري مضمنا معني الاضافة كأنه قيل من الذين يضيفون انفسهم الي الله
عز وجل ينصرونني كما ينصرني وقيل الي بمعني في اي في سبيل الله وقيل بمعني اللام وقيل بمعني مع **قال** استيناف مبني علي سؤال ينساق
اليه الذهن كأنه قيل فماذا قالوا في جوابه عليه السلام فقيل قال **الحواريون** جمع حواري يقال فلان حواري فلان اي صفوته وخالصته
من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن ونقائهن سمي به اصحاب عيسي عليه السلام لخلوص نياتهم ونقاء
سرائرهم وقيل لما عليهم من آثار العبادة وانوارها وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض وذلك ان واحدا من الملوك صنع طعاما وجمع
الناس عليه وكان عيسي عليه السلام علي قصعة لا يزال يأكل منها ولا تنقص فذكروا ذلك للملك فاستدعاه عليه السلام فقال له من انت
قال عيسي بن مريم فترك ملكه وتبعه مع اقاربه فاولئك هم الحواريون وقيل كانوا صيادين يصطادون السمك يلبسون الثياب البيض
فيهم شمعون ويعقوب ويوحنا فمر بهم عيسي عليه السلام فقال لهم انتم تصطادون السمك فان اتبعتموني صرتم بحيث تصطادون
بالحيوة الابدية فقالوا من انت قال عيسي بن مريم عبد الله ورسوله فطلبوا منه المعجزة وكان شمعون قد رمي شبكته تلك الليلة
فما اصطاد شيئا فامر عيسي عليه السلام بالقائها في الماء مرة اخري ففعل فاجتمع في الشبكة من السمك ما كادت تتمزق واستعانوا
باهل سفينة اخري وملؤا السفينتين فعند ذلك آمنوا بعيسي عليه السلام وقيل كانوا اثني عشر رجلا آمنوا به عليه السلام واتبعوه
وكانوا اذا جاعوا قالوا جعنا يا روح الله فيضرب بيده الارض فيخرج منها لكل واحد رغيفان واذا عطشوا قالوا عطشنا
فيضرب بيده الارض فيخرج منها الماء فيشربون فقالوا من افضل منا قال عليه السلام افضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه
فصاروا يغسلون الثياب بالاجرة فسموا حواريين وقيل ان امه سلمته الي صباغ فاراد الصباغ يوما ان يشتغل ببعض مهماته فقال
له عليه السلام ههنا ثياب مختلفة قد جعلت لكل واحد منها علامة معينة فاصبغها بتلك الالوان فغاب فجعل عليه السلام كلها في جب
واحد وقال كوني باذن الله كما اريد فرجع الصباغ فسأله فاخبره بما صنع فقال افسدت علي الثياب قال قم فانظر فجعل يخرج
ثوبا احمر وثوبا اخضر وثوبا اصفر الي ان اخرج الجميع علي احسن ما يكون حسبما كان يريد فتعجب منه الحاضرون وآمنوا به عليه السلام وهم
الحواريون قال القفال ويجوز ان يكون بعض هؤلاء الحواريين الاثني عشر من الملوك وبعضهم من صيادي السمك وبعضهم من
القصارين وبعضهم من الصباغين والكل سموا بالحواريين لانهم كانوا انصار عيسي عليه السلام واعوانه والمخلصين في طاعته ومحبته
نحن انصار الله اي انصار دينه ورسوله **آمنا بالله** استيناف جار مجري العلة لما قبله فان الايمان به تعا موجب لنصرة دينه والذب
عن اوليائه والمحاربة مع اعدائه **واشهد بانا مسلمون** مخلصون في الايمان منقادون لما يريد منا من نصرتك طلبوا منه عليه السلام الشهادة
بذلك يوم القيمة يوم يشهد الرسل عليهم السلام لاممهم وعليهم ايذانا بان مرمي غرضهم السعادة الاخروية **ربنا آمنا بما انزلت** تضرع
الي الله عز وجل وعرض لحالهم عليه تعالي بعد عرضها علي الرسول مبالغة في اظهار امرهم **واتبعنا الرسول** اي في كل ما يأتي ويذر في امر
الدين فيدخل فيه الاتباع في النصرة دخولا اوليا **فاكتبنا مع الشاهدين** اي مع الذين يشهدون بوحدانيتك او مع الانبياء
الذين يشهدون لاتباعهم او مع امة محمد عليه الصلاة والسلام فانهم شهداء علي الناس قاطبة وهو حال من مفعول اكتبنا **ومكروا**
اي الذين علم عيسي عليه السلام كفرهم من اليهود بان وكلوا به من يقتله غيلة **ومكر الله** بان رفع عيسي عليه السلام والقي شبهه علي

قصدوا اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يمكن اسناده اليه سبحانه الا بطريق المشاكلة وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان ملك بني اسرائيل لما قصد قتله عليه السلام امره جبريل عليه السلام ان يدخل بيتا فيه روزنة فرفعه جبريل عليه السلام من تلك الروزنة الى
السماء فقال الملك لرجل خبيث منهم ادخل عليه فاقتله فدخل البيت فالقى الله عز وجل شبهه عليه فخرج يخبرهم انه ليس في البيت فقتلوه
وصلبوه وقيل انه عليه السلام جمع الحواريين ليلة واوصاهم ثم قال ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة
فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فنافق احدهم فقال لهم ما تجعلون لي ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلثين درهما فاخذها
ودلهم عليه فالقى الله عز وجل عليه شبه عيسى ورفعه الى السماء فاخذوا المنافق وهو يقول انا دليلكم فلم يلتفتوا الى قوله وصلبوه
ثم قالوا وجهه يشبه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبنا فان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى فوقع بينهم قتال
عظيم وقيل لما صلب المصلوب جاءت مريم عليها السلام ومعها امرأة ابرأها الله تعالى من الجنون بدعاء عيسى عليه السلام وجعلتا تبكيان
على المصلوب فانزل الله عيسى عليه السلام فجاءهما فقال علام تبكيان قالتا عليك فقال ان الله تعالى رفعني ولم يصبني الا خير وان هذا شيء شبه لهم
قال محمد بن اسحق ان اليهود عذبوا الحواريين بعد رفع عيسى عليه السلام ولقوا منهم الجهد فبلغ ذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته فقيل
له ان رجلا من بني اسرائيل ممن تحت امرك كان يخبرهم انه رسول الله واراهم احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وفعل وفعل فقال لو
علمت ذلك ما خليت بينهم وبينه ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من ايديهم وسألهم عن عيسى عليه السلام فاخبروه فبايعهم على دينهم
وانزل المصلوب فغيبه واخذ الخشبة فاكرمها ثم غزا بني اسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر اصل النصرانية في الروم ثم جاء
بعده ملك آخر يقال له طيطيوس وغزا بيت المقدس بعد رفع عيسى عليه السلام بنحو من اربعين سنة فقتل وسبى ولم يترك في مدينة بيت
المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير الى الحجاز قال اهل التواريخ حملت مريم بعيسى عليه السلام ولها ثلث عشرة
سنة وولدته ببيت لحم من ارض اوري شلم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على ارض بابل واوحى الله تعالى اليه على
راس ثلثين سنة ورفعه اليه من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلث وثلثين سنة وعاشت امه بعد رفعه ست
سنين **والله خير الماكرين** اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب واظهار الجلالة في موقع الاضمار
لتربية المهابة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله **اذ قال الله** ظرف لمكر الله او لمضمر نحو وقع ذلك **يا عيسى اني متوفيك** اي مستوفي
اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما لك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي او متوفيك نائما اذ روي انه رفع وهو
نائم وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن وقيل مميتك من الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات
ثم رفعه الى السماء واليه ذهبت النصارى قال القرطبي والصحيح ان الله تعالى رفعه من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد وهو
اختيار الطبري وهو الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما واصل القصة ان اليهود لما عزموا على قتله عليه السلام اجتمع الحواريون وهم
اثنا عشر رجلا في غرفة فدخل عليهم المسيح من مشكوة الغرفة فاخبر بهم ابليس جميع اليهود فركب منهم اربعة آلاف رجل فاخذوا باب
الغرفة فقال المسيح للحواريين ايكم يخرج ويقتل ويكون معي في الجنة فقال واحد منهم انا يا نبي الله فالقى عليه مدرعة من صوف وعمامة
وناوله عكازه والقي عليه شبه عيسى عليه السلام فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه واما عيسى عليه السلام فكساه الله الريش والنور
والبسه النور وقطع عنه شهوة المطعم والمشرب وذلك قوله تعالى اني متوفيك فطار مع الملائكة ثم ان اصحابه حين رأوا ذلك تفرقوا
ثلث فرق فقالت فرقة كان الله فينا ثم صعد الى السماء وهم اليعقوبية وقالت فرقة اخرى كان فينا ابن الله ما شاء الله ثم
رفعه الله اليه وهم النسطورية وقالت فرقة اخرى منهم كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله اليه وهؤلاء هم المسلمون فتظاهرت
عليهم الفرقتان فقتلوهم فلم يزل الاسلام منطمسا الى ان بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم **ورافعك الي** اي الى محل كرامتي ومقر ملائكتي
ومطهرك من الذين كفروا اي من سوء جوارهم وخبث صحبتهم ودنس معاشرتهم **وجاعل الذين اتبعوك** قال قتادة والربيع والشعبي

والشعبي ومقاتل والكلبي هم اهل الاسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه من امة محمد صلى الله عليه وسلم دون الذين كذبوا عليه من النصارى
فوق الذين كفروا وهم الذين مكروا به عليه السلام ومن يسير بسيرتهم من اليهود فان اهل الاسلام فوقهم ظاهرين بالعزة والمنعة
والحجة وقيل هم الحواريون فينبغي ان يحمل فوقيتهم على فوقية المسلمين بحكم الاتحاد في الاسلام والتوحيد وقيل هم الروم وقيل هم
النصارى فالمراد بالاتباع مجرد الادعاء والمحبة والا فاولئك الكفرة بمعزل من اتباعه عليه السلام **الى يوم القيمة** غاية للجعل
او للاستقرار المقدر في الظرف لا على معنى ان الجعل او الفوقية ينتهي حينئذ ويتخلص الكفرة من الذلة بل على معنى ان المسلمين
يعلونهم الى تلك الغاية فاما بعدها فيفعل الله تعالى بهم ما يريد **ثم الي مرجعكم** اي رجوعكم بالبعث وثم للتراخي وتقديم الجار
والمجرور للقصر المفيد لتأكد الوعد والوعيد والضمير لعيسى عليه السلام وغيره من المتبعين له والكافرين به على تغليب المخاطب
على الغائب في ضمن الالتفات فانه ابلغ في التبشير والانذار **فاحكم بينكم** يومئذ اثر رجوعكم الي **فيما كنتم فيه تختلفون** من امور
الدين وفيه متعلق بتختلفون وتقديمه عليه لرعاية الفواصل **فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا** تفسير للحكم الواقع بين الفريقين
وتفصيل لكيفيته والبداية لبيان حال الكفرة لما ان مساق الكلام لتهديدهم وزجرهم عما هم عليه من الكفر والعناد وقوله
تعالى **في الدنيا والآخرة** متعلق باعذبهم لا بمعنى ايقاع كل واحد من التعذيب في الدنيا والتعذيب في الآخرة واحداثهما يوم
القيمة بل بمعنى اتمام مجموعهما يومئذ وقيل المرجع اعم من الدنيوي والاخروي وقوله تعالى الى يوم القيمة غاية للفوقية
لا للجعل والرجوع متراخ عن الجعل وهو غير محدود لا عن الفوقية المحدودة على نهج قولك سأعيرك سكنى هذا البيت
شهرا ثم اخلع عليك لخلقه لزم تأخر الخلع عن الاعارة لا عن الشهر **وما لهم من ناصرين** يخلصونهم من عذاب الله في الدارين
وصيغة الجمع لمقابلة ضمير الجمع اي ليس لواحد منهم ناصر واحد **واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات** بما ارسلت به كما هو ديدن المؤمنين
فيوفيهم اجورهم اي يعطيهم اياها كاملة ولعل الالتفات الى الغيبة للايذان بما بين مصدري التعذيب والاثابة من الاختلاف من
حيث الجلال والجمال وقرئ فنوفيهم جريا على سنن العظمة والكبرياء **والله لا يحب الظالمين** اي يبغضهم فان هذه الكناية فاشية
في جميع اللغات جارية مجرى الحقيقة وايراد الظلم للاشعار بانهم بكفرهم متعدون متجاوزون عن الحدود واضعون للكفر
مكان الشكر والايمان والجملة تذييل لما قبله مقرر لمضمونه **ذلك** اشارة الى ما سلف من نبأ عيسى عليه السلام وما فيه من معنى البعد
للدلالة على عظم شأن المشار اليه وبعد منزلته في الشرف وعلى كونه من ظهور الامر ونباهة الشأن بمنزلة المشاهد المعاين وهو
مبتدأ وقوله عز وجل **نتلوه** خبره وقوله تعالى **عليك** متعلق بنتلوه وقوله تعالى **من الآيات** حال من الضمير المنصوب او
خبر بعد خبر او هو الخبر وما بينهما حال من اسم الاشارة او ذلك خبر لمبتدأ مضمر اي الامر ذلك ونتلوه حال كما مر وصيغة
الاستقبال اما لاستحضار الصورة او على معناها اذ التلاوة لم تتم بعد **والذكر الحكيم** اي المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع
من تطرق الخلل اليه والمراد به القرآن فمن تبعيضية او بعض مخصوص منه فمن بيانية وقيل هو اللوح المحفوظ فمن ابتدائية **ان مثل
عيسى** اي ان شأنه البديع المنتظم لغرابته في سلك الامثال **عند الله** اي في تقديره وحكمه **كمثل آدم** اي كحاله العجيبة التي
لا يرتاب فيها مرتاب ولا ينازع فيها منازع **خلقه من تراب** تفسير لما ابهم في المثل وتفصيل لما اجمل فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه
الشبه بينهما وحسم لمادة شبه الخصوم فان انكار خلق عيسى عليه السلام بلا اب ممن اعترف بخلق آدم عليه السلام بغير اب وام
مما لا يكاد يصح والمعنى خلق قالبه من تراب **ثم قال له كن** اي انشأه بشرا كما في قوله تعالى ثم انشأناه خلقا آخر او قدر
تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز كون ثم لتراخي الاخبار لا لتراخي المخبر به **فيكون** حكاية حال ماضية روي ان وفد نجران
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك تشتم صاحبنا قال وما اقول قالوا تقول انه عبد قال اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته
القاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت انسانا من غير اب فحيث سلمت انه لا اب له من البشر وجب ان يكون

ابو ما هو الله فقال عليه السلام ان آدم عليه السلام ما كان له اب ولا ام ولم يلزم من ذلك كونه ابنا لله سبحانه وتعالى فكذا حال عيسى عليه السلام
الحق من ربك خبر مبتدإ محذوف اي هو الحق اي ما قصصنا عليك من نبأ عيسى عليه السلام وامه والظرف اما حال اي كائنا من ربك
او خبر ثان اي كائن منه تعالى وقيل هما مبتدأ وخبر اي الحق المذكور من الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير
المخاطب لتشريفه عليه السلام والايذان بان تنزيل هذه الآيات الحقة الناطقة بكنه الامر تربية له صلى الله عليه وسلم ولطف به **فلا**
تكن من الممترين في ذلك والخطاب اما للنبي صلى الله عليه وسلم على طريقة الالهاب والتهييج لزيادة التثبيت والاشعار بان الامتراء
في المحذورية بحيث ينبغي ان ينهى عنه من لا يكاد يمكن صدوره عنه فكيف بمن هو بصدد الامتراء واما لكل من له صلاحية الخطاب
فمن حاجك اي من النصارى اذ هم المتصدون للمحاجة **فيه** اي في شان عيسى عليه السلام وامه زعما منهم انه ليس على الشان
المحكي **من بعد ما جاءك من العلم** اي ما يوجبه ايجابا قطعيا من الآيات البينات وسمعوا ذلك منك فلم يرعووا عما هم عليه من الغي والضلال
فقل لهم **تعالوا** اي هلموا بالراي والعزيمة **ندع ابناءنا وابناءكم** اكتفي بهم عن ذكر البنات لظهور كونهم اعز منهن واما النساء
فتعلقهن من جهة اخرى **ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم** اي ليدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة
ويحملهم عليها وتقديمهم على النفس في انباء المباهلة التي هي من باب المهالك ومظان التلف مع ان الرجل يخاطر لهم بنفسه ويحارب
دونهم للايذان بكمال امنه صلى الله عليه وسلم وتمام ثقته بامره وقوة يقينه بانه لن يصيبهم في ذلك شائبة مكروه اصلا وهو السر في
تقديم جانبه عليه السلام على جانب المخاطبين في كل من المقدم والمؤخر مع رعاية الاصل في الصيغة فان غير المتكلم تبع له في الاسناد
ثم نبتهل اي نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصلها الترك من قولهم بهلت الناقة اي تركتها بلا صرار
فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف على نبتهل مبين لمعناه روي انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا
للعاقب وكان ذا رايهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر
صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما
انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة
تمشي خلفه وعلي خلفها رضي الله عنهم اجمعين وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى
وجوها لو شاء الله تعالى ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة فقالوا
يا ابا القاسم راينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال صلى الله عليه وسلم فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن
لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فابوا قال فاني اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا
ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب وثلثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك
وقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولولا عنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل
الله نجران واهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا **ان هذا** اي ما قص من نبأ عيسى وامه **لهو القصص**
الحق دون ما عداه من اكاذيب النصارى فهو ضمير الفصل دخلته اللام لكونه اقرب الى المبتدا من الخبر واصلها ان يدخل المبتدأ وقرئ
لهو بسكون الهاء والقصص خبر ان والحق صفته او هو مبتدأ والقصص خبره والجملة خبر لان **وما من اله الا الله** صرح فيه بمن الاستغراقية
تاكيدا للرد على النصارى في تثليثهم **وان الله لهو العزيز** القادر على جميع المقدورات **الحكيم** المحيط بالمعلومات لا احد يشاركه في القدرة
والحكمة ليشاركه في الالوهية **فان تولوا** عن التوحيد وقبول الحق الذي قص عليك بعد ما عاينوا تلك الحجج النيرة والبراهين الساطعة
فان الله عليم بالمفسدين اي بهم وانما وضع موضعه ما وضع للايذان بان الاعراض عن التوحيد والحق الذي لا محيد عنه بعد ما قامت به الحجج
افساد للعالم وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى **قل يا اهل الكتاب** امر بخطاب اهل الكتابين وقيل بخطاب وفد نجران وقيل بخطاب يهود

يهود المدينة **تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم** لا يختلف فيها الرسل والكتب وهي **ان لا نعبد الا الله** اي نوحده بالعبادة ونخلص فيها
ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد **ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله** بان نقول
عزير ابن الله والمسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روي انه لما نزلت اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله فقال عليه السلام اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم
قال نعم قال عليه السلام هو ذاك **فان تولوا** عما دعوتهم اليه من التوحيد وترك الاشراك **فقولوا** اي قل لهم انت والمؤمنون **اشهدوا**
بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون لما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل عليهم السلام
تنبيه انظر الى ما روعي في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدرج في المحاجة حيث بين اولا احوال عيسى عليه السلام وما توارد عليه
من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر كيفية دعوته للناس الى التوحيد والاسلام فلما ظهر عنادهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم
لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد دعاهم الى ما اتفق عليه عيسى عليه السلام والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما ظهر عدم
اجداء ذلك ايضا امر بان يقال لهم اشهدوا بانا مسلمون **يا اهل الكتاب** من اليهود والنصارى **لم تحاجون في ابراهيم** اي في ملته وشريعته
تنازعت اليهود والنصارى في ابراهيم عليه السلام وزعم كل منهم انه عليه السلام منهم وترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
والمعنى لم تدعون انه عليه السلام كان منكم **وما انزلت التورية** على موسى عليه السلام **والانجيل** على عيسى عليه السلام **الا من بعده** حيث كان
بينه وبين موسى عليهما السلام الف سنة وبين موسى وعيسى عليهما السلام الفا سنة فكيف يمكن ان يكون منكم **افلا تعقلون** اي الا
تتفكرون فلا تعقلون بطلان مذهبكم او اتغفلون ذلك فلا تعقلون بطلانه **ها انتم هؤلاء** جملة من مبتدإ وخبر صدرت
بحرف التنبيه ثم بينت بجملة مستانفة اشعارا بكمال غفلتهم اي انتم هؤلاء الاشخاص الحمقى حيث **حاججتم فيما لكم به علم** في الجملة
حيث وجدتموه في التورية والانجيل **فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم** اصلا اذ لا ذكر لدين ابراهيم في احد الكتابين قطعا وقيل هؤلاء
بمعنى الذي وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله اانتم على الاستفهام للتعجب قلبت الهمزة هاء **والله يعلم** ما حاججتم فيه او كل شيء
فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا **وانتم لا تعلمون** اي محل النزاع او شيئا من الاشياء التي من جملتها ذلك **ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا**
تصريح بما نطق به البرهان المقرر **ولكن كان حنيفا** اي مائلا عن العقائد الزائغة كلها **مسلما** منقادا لله **وما كان من المشركين** اي
تعريض بانهم مشركون بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله ورد لادعاء المشركين انهم على ملته عليه السلام **ان اولى الناس بابراهيم**
اي اقربهم اليه واخصهم به **للذين اتبعوه** اي في زمانه **وهذا النبي والذين آمنوا** لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ
والنبي بالنصب عطفا على الضمير في اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم **والله ولي المؤمنين** ينصرهم ويجازيهم الحسنى بايمانهم
وتخصيص المؤمنين بالذكر ليثبت الحكم في النبي عليه السلام بدلالة النص **ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم** نزلت في اليهود حين
دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان **وما يضلون الا انفسهم** جملة حالية جيء بها للدلالة على كمال رسوخ المخاطبين
وثباتهم على ما هم عليه من الدين القويم اي وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا اليهم لما انه يضاعف به عذابهم وقيل ما يضلون
الا امثالهم وياباه قوله **وما يشعرون** اي باختصاص وباله وضرره بهم **يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله** اي بما نطقت
به التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم **وانتم تشهدون** اي والحال انكم تشهدون انها آيات الله او بالقرآن
وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق **يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل** بتحريفكم وابراز الباطل في صورته
او بالتقصير في التمييز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كما في قوله عليه السلام
كلابس ثوبي زور **وتكتمون الحق** اي نبوة محمد عليه السلام ونعته **وانتم تعلمون** اي حقيته **وقالت طائفة من اهل الكتاب** وهم
رؤساؤهم ومفسدوهم لاعقابهم **آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا** اي اظهروا الايمان بالقرآن المنزل عليهم **وجه النهار**

اي اوله **واكفروا** اي اظهروا ما انتم عليه من الكفر به **آخره** مرائين لهم انكم آمنتم به بادي الرأي من غير تأمل ثم تأملتم فيه فوقفتم
على خلل رأيكم الاول فرجعتم عنه **لعلهم** اي المؤمنين **يرجعون** عما هم عليه من الايمان به كما رجعتم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف
ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا
الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل هم اثنا عشر رجلا من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام
اول النهار ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا صلى الله عليه وسلم بالنعت الذي ورد في التورية لعل
اصحابه يشكون فيه **ولا تؤمنوا** اي لا تقروا بتصديق قلبي **الا لمن تبع دينكم** اي لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان
على دينكم من قبل فان رجوعهم ارجى واهم **قل ان الهدى هدى الله** يهدي به من يشاء الى الايمان ويثبته عليه **ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم**
متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او بلا تؤمنوا اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله
اعتراض مفيد لكون كيدهم غير مجد لطائل او خبر ان على ان هدى الله بدل من الهدى وقرئ أان يؤتى على الاستفهام التقريعي
وهو مؤيد للوجه الاول اي الان يؤتى احد الخ دبرتم وقرئ ان على انها نافية فيكون من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا الا
لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم **او يحاجوكم عند ربكم** عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث
معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم **قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء**
والله واسع عليم ردلهم وابطال لما زعموه بالحجة الباهرة **يختص برحمته** اي يجعل رحمته مقصورة على **من يشاء والله ذو الفضل العظيم** كلا
تذييل لما قبله تقرير لمضمونه **ومن اهل الكتاب** شروع في بيان خيانتهم في المال بعد بيان خيانتهم في الدين والجار والمجرور في محل الرفع
على الابتداء حسبما تحقيقه في تفسير قوله تع ومن الناس من يقول الخ خبره قوله تع **من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك** على ان المقصود
بيان اتصافهم بمضمون الجملة الشرطية لا كونهم ذوات المذكورين كانه قيل بعض اهل الكتاب بحيث ان تأمنه بقنطار اي بمال كثير يؤده اليك
كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الفا ومائتي اوقية ذهبا فأداه اليه **ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك** كفنحاص بن عازوراء
استودعه قرشي آخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب فيهم الخيانة
الا ما دمت عليه قائما استثناء مفرغ من اعم الاحوال او الاوقات اي لا يؤده اليك في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات
الا في حال دوام قيامك اي في وقت دوام قيامك على رأسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي واقامة البينة **ذلك** اشارة الى
ترك الاداء المدلول عليه بقوله تع لا يؤده وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال غلوهم في الشر والفساد **بانهم** اي بسبب انهم
قالوا ليس علينا في الاميين اي في شأن من ليس من اهل الكتاب **سبيل** اي عتاب ومؤاخذة **ويقولون على الله الكذب** بادعائهم
ذلك **وهم يعلمون** انهم كاذبون مفترون على الله تعالى وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل في التورية في حقهم حرمة
وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها
مؤداة الى البر والفاجر **بلى** اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل وقوله تع **من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين** مقرر
للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن او لله تعالى وعموم المتقين ناب مناب الراجع من الجزاء الى من ومشعر بان التقوى
ملاك الامر عام للوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي **ان الذين يشترون** اي يستبدلون ويأخذون **بعهد**
الله اي بدل ما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم والوفاء بالامانات **وايمانهم** وبما حلفوا به من قولهم لنؤمنن به
ولننصرنه **ثمنا قليلا** هو حطام الدنيا **اولئك** الموصوفون بتلك الصفات القبيحة **لا خلاق** لا نصيب **لهم في الآخرة** اي نعيمها

من نعيمها **ولا يكلمهم الله** اي بما يسرهم او بشيء اصلا وانما يقع ما يقع من السؤال والتوبيخ والتقريع في اثناء الحساب من الملائكة عليهم السلام
او لا ينتفعون بكلمات الله تعالى واياته والظاهر انه كناية عن شدة غضبه وسخطه نعوذ بالله تعالى من ذلك لقوله **ولا ينظر اليهم يوم القيمة**
فانه مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم متفرع على الكناية في حق من يجوز عليه النظر لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاره
نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثمة نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا
عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر ويوم القيمة متعلق بالفعلين وفيه تهويل للوعيد **ولا يزكيهم** اي لا يثني عليهم او لا يطهرهم من
اوضار الاوزار **ولهم عذاب اليم** على ما فعلوه من المعاصي قيل انها نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب حرفوا
التورية وبدلوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذوا الرشوة على ذلك وقيل نزلت في الاشعث بن قيس حيث كان بينه
وبين رجل نزاع في بئر فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له شاهداك او يمينه فقال الاشعث اذن يحلف ولا يبالي
فقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان وقيل في رجل اقام سلعته في
السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يكن اشتراها به **وان منهم** اي من اليهود المحرفين **لفريقا** ككعب بن الاشرف ومالك بن الصيف
واضرابهما **يلوون السنتهم بالكتاب** اي يفتلونها بقراءته فيميلونها من المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلوون بالتشديد
ويلون بقلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على ما قبلها من الساكن **لتحسبوه** اي المحرف المدلول عليه
بقوله تع يلوون الى آخره وقرئ بالياء والضمير للمسلمين **من الكتاب** اي من جملته وقوله تع **وما هو من الكتاب** حال من الضمير المنصوب
اي والحال انه ليس منه في نفس الامر وفي اعتقادهم ايضا **ويقولون** مع ما ذكر من اللي والتحريف على طريقة التصريح لا بالتورية
والتعريض **هو** اي المحرف **من عند الله** اي منزل من عند الله **وما هو من عند الله** حال من ضمير المبتدأ في الخبر اي والحال انه ليس
من عنده تعالى في اعتقادهم ايضا وفيه من المبالغة في تشنيعهم وتقبيح امرهم وكمال جرأتهم ما لا يخفى واظهار الاسم الجليل في موضع
الاضمار لتهويل ما اقدموا عليه من القول **ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون** انهم كاذبون ومفترون على الله تعالى
وهو تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله تعالى والتعمد فيه وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود الذين قدموا على كعب بن
الاشرف وغيروا التورية وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذت قريظة ما كتبوا فخلطوه بالكتاب
الذي عندهم **ما كان لبشر** بيان لافترائهم على الانبياء عليهم السلام حيث قال نصارى نجران ان عيسى عليه السلام امرنا ان نتخذه
ربا حاشاه عليه السلام وابطال له اثر بيان افترائهم على الله سبحانه وابطاله اي ما صح وما استقام لاحد وانما قيل لبشر اشعارا
بعلة الحكم فان البشرية منافية للامر الذي اسنده الكفرة اليه **ان يؤتيه الله الكتاب** الناطق بالحق الآمر بالتوحيد الناهي عن الاشراك
والحكم الفهم والعلم او الحكمة وهي السنة **والنبوة ثم يقول** ذلك البشر بعد ما شرفه الله عز وجل بما ذكر من التشريفات وعرفه الحق واطلعه
على شؤونه العالية **للناس كونوا عبادا لي** الجار متعلق بمحذوف هو صفة عبادا اي عبادا كائنين لي **من دون الله** متعلق بلفظ عبادا
لما فيه من معنى الفعل او صفة ثانية له ويحتمل الحالية لتخصيص النكرة بالوصف اي متجاوزين الله تعالى سواء كان ذلك استقلالا او
اشتراكا فان التجاوز متحقق فيهما حتما قيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتريد
ان نعبدك ونتخذك ربا فقال عليه السلام معاذ الله ان يعبد غير الله تعالى وان نأمر بعبادة غيره تعالى فما بذلك بعثني ولا بذلك
امرني فنزلت وقيل قال رجل من المسلمين يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال عليه السلام لا ينبغي
ان يسجد لاحد من دون الله تعالى ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله **ولكن كونوا** اي ولكن يقول كونوا **ربانيين** الرباني
منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل الشديد التمسك بطاعة الله عز وجل
ودينه **بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون** اي بسبب مثابرتكم على تعليم الكتاب ودراسته اي قراءته فان حمل خبر كان

لافادة الاستمرار التجددي وتكرير بما كنتم للايذان باستقلال كل من استمرار التعليم واستمرار القراءة بالفضل وتحصيل الربانية وتقديم التعليم
على الدراسة لزيادة شرفه عليها او لان الخطاب الاول لرؤسائهم والثاني لمن دونهم وقرئ تعلمون بمعنى عالمين ويدرسون
من التدريس ويدرسون من الادراس بمعنى التدريس كاكرم بمعنى كرم ويجوز ان يكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير
بما تدرسون على الناس ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا بالنصب عطف على ثم يقول ولا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله تع
ما كان لبشر اي ما كان لبشر ان يستنبئه الله تعالى ثم يامر الناس بعبادة نفسه ويامر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا
وتوسيط الاستدراك بين المعطوفين للمسارعة الى تحقيق الحق ببيان ما يليق بشأنه ويحق صدوره عنه اثر تنزيهه عما لا يليق
به ويمتنع صدوره عنه واما ما قيل من انها غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يامر بعبادته ولا يامر باتخاذ اكفائه اربابا بل
ينهى عن ذلك وهو ادنى من العبادة فيقضي بفساده ما ذكر من توسط الاستدراك بين الجملتين المتعاطفتين ضرورة انهما حينئذ
في حكم جملة واحدة وكذا قوله تع ايامركم بالكفر فانه صريح في ان المراد بيان انتفاء كلا الامرين قصد الابيان انتفاء الاول
لانتفاء الثاني ويعضده قراءة الرفع على الاستيناف وتجويز الحالية بتقدير المبتداء اي وهو لا يامركم الى آخره بين الفساد لما عرفته
آنفا وقوله تع بعد اذ انتم مسلمون يدل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستاذنون للسجود له عليه السلام واذ اخذ الله ميثاق النبيين
منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم اي اذكر وقت اخذه تعالى ميثاقهم لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم
لتؤمنن به ولتنصرنه قيل هو على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم بذلك اولى واحرى وقيل معناه اخذ الميثاق من
النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكرهم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافة المفعول الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله
الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او سماهم نبيين تهكما بهم
لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة
للقسم لان الميثاق بمعنى الاستحلاف وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرئ لما بالكسر
على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم لمجيء رسول مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة
والمعنى اخذه للذي اتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم او لمن اجل ما آتيتكم على ان اصله لمن ما
بالادغام فحذف احدى الميمات الثلث استثقالا قال اي الله تعالى بعد ما اخذ الميثاق ءاقررتم بما ذكر واخذتم على ذلكم اصري
اي عهدي سمي به لانه يوصر اي يشد وقرئ بضم الهمزة وهي اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا
استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا اقررنا وانما لم يذكر اخذهم الاصر اكتفاء بذلك قال
تعالى فاشهدوا اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وانا معكم من الشاهدين اي وانا ايضا على اقراركم ذلك
وتشاهدكم شاهد وادخال مع على المخاطبين لما انهم المباشرون للشهادة حقيقة وفيه من التاكيد والتحذير ما لا يخفى فمن
تولى اي اعرض عما ذكر بعد ذلك الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فمعنى البعد في اسم الاشارة لتفخيم الميثاق فاولئك
اشارة الى من والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في تولى باعتبار اللفظ وما فيه من معنى البعد للدلالة على ترامي امرهم
في السوء وبعد منزلتهم في الشر والفساد اي فاولئك المتولون المتصفون بالصفات القبيحة هم الفاسقون المتمردون الخارجون
عن الطاعة من الكفرة فان الفاسق من كل طائفة من كان متجاوزا عن الحد افغير دين الله يبغون عطف على مقدر اي
ايتولون فيبغون غير دين الله وتقديم المفعول لانه المقصود انكاره او على الجملة المقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار
وقرئ بتاء الخطاب على تقدير وقل لهم وله اسلم من في السموات والارض جملة حالية مفيدة لوكادة الانكار طوعا وكرها اي
طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت

او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون على الامتناع عما قضي عليهم واليه يرجعون اي من فيهما والجمع باعتبار
المعنى وقرئ بتاء الخطاب والجملة اما معطوفة على ما قبلها منصوبة على الحالية واما مستانفة سيقت للتهديد والوعيد قل آمنا
بالله امر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه ومن معه من المؤمنين بالايمان بما ذكر وجمع الضمير في قوله تع وما انزل علينا
وهو القرآن لما انه منزل عليهم ايضا بتوسط تبليغه اليهم او لان المنسوب الى واحد من الجماعة قد ينسب الى الكل او عن نفسه
فقط وهو الانسب لما بعده والجمع لاظهار جلالة قدره عليه السلام ورفعة محله بامره بان يتكلم عن نفسه على دين الملوك ويجوز
ان يكون الامر عاما والافراد لتشريفه صلى الله عليه وسلم والايذان بانه عليه السلام اصل في ذلك كما في قوله تعالى يا ايها النبي اذا
طلقتم النساء وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط من الصحف والنزول كما يعدى بالى لانتهائه الى الرسل
يعدى بعلى لانه من فوق ومن رام الفرق بان على لكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والى لكون الخطاب للمؤمنين فقد تعسف الا ترى
الى قوله تع بما انزل اليك الخ وقوله آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا الخ وانما قدم المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم
على ما انزل على سائر الرسل عليهم السلام مع تقدمه عليه نزولا لانه المعرف له والعيار عليه والاسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد
بهم حفدة يعقوب عليه السلام وابناؤه والاثنا عشر وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم عليه السلام وما اوتي موسى وعيسى من التورية
والانجيل وسائر المعجزات الظاهرة بايديهما كما ينبئ عنه ايثار الايتاء على الانزال الخاص بالكتاب وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام
مع اليهود والنصارى والنبيون عطف على موسى وعيسى عليهما السلام اي وبما اوتي النبيون من المذكورين وغيرهم من ربهم من الكتب
والمعجزات لا نفرق بين احد منهم كدأب اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض بل نؤمن بصحة نبوة كل منهم وبحقية ما
انزل اليهم في زمانهم وعدم التعرض لنفي التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور اياه وقد مر تفصيله في تفسير قوله تع لا نفرق بين
احد من رسله وهمزة احد اما اصلية فهو اسم موضوع لمن يصلح ان يخاطب يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث
ولذلك صح دخول بين عليه كما في مثل المال بين الناس واما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه في حيز النفي وصحة
دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره اي بين احد منهم وغيره كما في قول النابغة • فما كان بين الخير اذا جاء سالما •
ابو حجر الا ليال قلائل • اي بين الخير وبيني ونحن له مسلمون اي منقادون او مخلصون له تعالى انفسنا لا نجعل له شريكا فيها وفيه تعريض
بايمان اهل الكتاب فانه بمعزل من ذلك ومن يبتغ غير الاسلام اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله تعالى كدأب المشركين صريحا و
المدعين للتوحيد مع اشراكهم كاهل الكتابين دينا ينتحل اليه وهو نصب على انه مفعول ليبتغ وغير الاسلام حال منه لما انه كان
صفة له فلما قدمت عليه انتصبت حالا او هو المفعول ودينا تمييز لما فيه من الابهام او بدل من غير الاسلام فلن يقبل منه ذلك ابدا
بل يرد اشد رد واقبحه وقوله تع وهو في الآخرة من الخاسرين اما حال من الضمير المجرور او استيناف لا محل له من الاعراب اي من
الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي
فطر الناس عليها وفي ترتيب الرد والخسران على مجرد الطلب دلالة على ان حال من تدين بغير الاسلام واطمأن بذلك افظع
واقبح واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره
كيف يهدي الله الى الحق قوما كفروا بعد ايمانهم قيل هم عشرة رهط ارتدوا بعد ما آمنوا ولحقوا بمكة وقيل هم يهود قريظة
والنضير ومن دان بدينهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا مؤمنين به قبل مبعثه وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم
البينات استبعاد لان يهديهم الله تعالى فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار
وذلك يقتضي ان لا يقبل توبة المرتد وقوله تع وشهدوا عطف على ايمانهم باعتبار انحلاله الى جملة فعلية كما في قوله تع ان
المصدقين والمصدقات واقرضوا الله الخ فانه في قوة ان يقال بعد ان آمنوا او حال من ضمير كفروا باضمار قد وهو دليل على

ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقته لان **والله لا يهدي القوم الظالمين** اي الذين ظلموا انفسهم بالاخلال في النظر ووضع الكفر موضع الايمان
فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه والجملة اعتراضية او حالية **اولئك** اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما مر من الصفات
الشنيعة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا على جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق بينهم وبين غيرهم انهم مطبوع على
قلوبهم ممنوعون من الهدى آيسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او الكل فان الكل فرا يلعن منكر
الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه **خالدين فيها** في اللعنة والعقوبة او النار وان لم تذكر لدلالة الكلام عليها **لا يخفف عنهم**
العذاب ولا هم ينظرون اي يمهلون **الا الذين تابوا من بعد ذلك** اي من بعد الارتداد **واصلحوا** اي ما افسدوا او دخلوا في الصلاح
فان الله غفور رحيم فيقبل توبتهم ويتفضل عليهم وهو تعليل لما دل عليه الاستثناء وقيل نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على
ردته فارسل الى قومه ان يسألوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس الآية فرجع الى المدينة فتاب **ان الذين كفروا بعد ايمانهم**
ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا حيث كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم
والقرآن او كفروا به عليه السلام بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار عليه والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق
او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بهم ريب المنون او نرجع اليه فننافقه باظهار الايمان **لن تقبل توبتهم**
لانهم لا يتوبون الا عند اشرافهم على الهلاك فكني عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شأنهم وابرازا لحالهم في صورة حال الآيسين من
الرحمة او لان توبتهم لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وازديادهم كفرا ولذلك لم تدخل فيه الفاء **واولئك هم الضالون** الثابتون على
الضلال **ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به** لما كان الموت على الكفر
سببا لامتناع قبول الفدية زيدت الفاء ههنا للاشعار به وملء الشيء ما يملأ به وذهبا تمييز وقرئ بالرفع على انه بدل من ملء او خبر
لمحذوف ولو افتدى محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره
فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تصدق به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة او المراد ولو افتدى
بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد **اولئك**
اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالصفات الشنيعة المذكورة **لهم عذاب اليم** موطن اسم الاشارة مبتدأ والظرف خبره ولاعتماده
على المبتدأ ارتفع به عذاب اليم على الفاعلية **وما لهم من ناصرين** في دفع العذاب عنهم او في تخفيفه ومن مزيدة للاستغراق وصيغة الجمع
لمراعاة الضمير اي ليس لواحد منهم ناصر واحد **لن تنالوا البر** من ناله نيلا اذا اصابه والخطاب للمؤمنين وهو كلام مستأنف سيق
لبيان ما ينفع المؤمنين ويقبل منهم اثر بيان ما لا ينفع الكفرة ولا يقبل منهم اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي يتنافس فيه المتنافسون
ولن تدركوا شأوه ولن تلحقوا بزمرة الابرار ولن تنالوا بر الله تعالى وهو ثوابه ورحمته ورضاه وجنته **حتى تنفقوا** اي في
سبيل الله عز وجل رغبة فيما عنده ومن في قوله تعالى **مما تحبون** تبعيضية ويؤيده قراءة من قرأ بعض ما تحبون وقيل بيانية
وما موصولة او موصوفة اي مما تهوون ويعجبكم من كرائم اموالكم واحبها اليكم كما في قوله تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم او مما تحبونها
وغيرها من الاعمال والمهجة على ان المراد بالانفاق مطلق البذل وفيه من الايذان بعزة منال البر ما لا يخفى وكان السلف رضي الله تعالى
عنهم اجمعين اذا احبوا شيئا جعلوه لله عز وجل روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها
يا رسول الله حيث اراك الله فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح او رائح فاني ارى ان تجعلها في الاقربين فقسمها في
اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد
فكأن زيدا وجد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الله تعالى قد قبلها منك قيل
وفيه دلالة على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وكتب عمر رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ان

ان يشتري له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
فاعتقها وروي ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كانت لزوجته جارية بارعة الجمال وكان عمر راغبا فيها وكان قد طلبها منها
مرارا فلم تعطها اياه ثم لما ولي الخلافة زينتها وارسلتها اليه فقالت قد وهبتكها يا امير المؤمنين فلتخدمك قال من اين ملكتها
قالت جئت بها من بيت ابي عبد الملك ففتش عن كيفية تملكه اياها فقيل انه كان على فلان العامل ديون فلما توفي اخذت من تركته
ففتش عن حال العامل واحضر ورثته وارضاهم جميعا باعطاء المال ثم توجه الى الجارية وكان يهواها هوى شديدا فقال انت
حرة لوجه الله تعالى فقالت لم يا امير المؤمنين وقد ازحت عن امرها كل شبهة واي شبهة قال لست اذن ممن نهى النفس عن الهوى
وما تنفقوا من شيء ما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة به على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف هو صفة لاسم الشرط اي اي شيء
تنفقوا كائن من الاشياء فان المفرد في مثل هذا الموضع واقع موقع الجمع وقيل محل الجار والمجرور النصب على التمييز اي اي شيء
تنفقوا طيب تحبونه او خبيث تكرهونه **فان الله به عليم** تعليل لجواب الشرط واقع موقعه اي فيجازيكم بحسبه جيدا كان او رديا
فانه تعالى عليم بكل شيء تنفقونه علما كاملا بحيث لا يخفى عليه شيء من ذاته وصفاته وتقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل وفيه
من الترغيب في انفاق الجيد والتحذير عن انفاق الردي ما لا يخفى **كل الطعام** اي كل افراد المطعوم او كل انواعه **كان حلا لبني اسرائيل**
اي حلالا لهم فان الحل مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كما في قوله تعالى لا هن حل لهم **الا ما حرم اسرائيل**
على نفسه استثناء متصل من اسم كان اي كان كل المطعومات حلالا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل اي يعقوب عليه السلام على نفسه وهو
لحوم الابل والبانها قيل كان به وجع النسا فنذر لئن شفي لا يأكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل فعل ذلك
للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي الاجتهاد وللمانع ان يقول كان ذلك باذن من الله تعالى فيه وهو كتحريمه
ابتداء **من قبل ان تنزل التورية** متعلق بقوله تعالى كان حلا ولا ضير في توسيط الاستثناء بينهما وقيل متعلق بحرم وفيه ان تقييد
تحريمه عليه السلام بقبلية تنزيل التورية ليس فيه مزيد فائدة اي كان ما عدا المستثنى حلالا لهم قبل ان تنزل التورية المشتملة
على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وهو رد على اليهود في دعواهم البراءة عما نعي عليهم في قوله تعالى فبظلم من
الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآيتين بان قالوا لسنا اول من
حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وتبكيت
لهم في منع النسخ والطعن في دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم موافقته لابراهيم عليهم السلام بتحليله لحوم الابل والبانها **قل**
فأتوا بالتورية فاتلوها امر عليه السلام بان يحاجهم بكتابهم الناطق بان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث مترتب على ظلمهم وبغيهم
كلما ارتكبوا معصية من المعاصي التي اقترفوها حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم ويكلفهم اخراجه وتلاوته ليبكتهم ويلقمهم
الحجر ويظهر كذبهم واظهار اسم التورية لكون الجملة كلاما مع اليهود ومنقطعا عما قبله وقوله تعالى **ان كنتم صادقين** اي في دعويكم
انه تحريم قديم وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه اي ان كنتم صادقين فأتوا بالتورية فاتلوها فان صدقكم مما
يدعوكم الى ذلك البتة روي انهم لم يجسروا على اخراج التورية فبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك من الحجة النيرة على صدق
النبي صلى الله عليه وسلم وجواز النسخ الذي يجحدونه ما لا يخفى والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها **فمن افترى على الله الكذب** اي اختلقه
عليه سبحانه بزعمه انه حرم ما ذكر قبل نزول التورية على بني اسرائيل ومن تقدمهم من الامم **من بعد ذلك** من بعد ما ذكر من امرهم
باحضار التورية وتلاوتها وما ترتب عليه من التبكيت والالزام والتقييد به للدلالة على كمال القبح **فاولئك** اشارة الى الموصول
باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد في الصلة باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم
في الضلال والطغيان اي فاولئك المصرون على الافتراء بعد ما ظهرت حقيقة الحال وضاقت عليهم حلبة المحاجة والجدال **هم الظالمون**

المفرطون في الظلم والعدوا المبعدون فيهما والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب مسوقة من جهته تعالى لبيان كمال عتوهم وقيل هي في محل النصب
داخل تحت القول عطفاً على قوله تع فأتوا بالتورية **قل صدق الله** اي ظهر وثبت صدقه تعالى فيما انزل في شأن التحريم وقيل في قوله تع
ما كان ابراهيم يهودياً الخ او صدق في كل شأن من الشؤن وهو داخل في ذلك دخولاً اولياً وفيه تعريض بكذبهم الصريح **فاتبعوا**
ملة ابراهيم اي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابراهيم عليه السلام فانكم ما كنتم متبعين بملته كما تزعمون او فاتبعوا مثل ملته
حتى تتخلصوا عن اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة وتلفيق الاكاذيب لتسوية الاغراض الدنية الدنيوية والزمتكم
تحريم طيبات محللة لابراهيم عليه السلام ومن تبعه والفاء للدلالة على ان ظهور صدقه تعالى موجب للاتباع وترك ما كانوا عليه
حنيفاً اي مائلاً عن الاديان الزائغة كلها **وما كان من المشركين** اي في امر من امور دينهم اصلاً وفرعاً وفيه تعريض باشراك اليهود وتصريح بانه
عليه السلام ليس بينه وبينهم علاقة دينية قطعاً والغرض بيان ان النبي صلى الله عليه وسلم على دين ابراهيم عليه السلام في الاصول
لانه لا يدعوا الا الى التوحيد والبراءة عن كل معبود سواه سبحانه وتعالى والجملة تذييل لما قبلها **ان اول بيت وضع للناس** شروع
في بيان كفرهم ببعض آخر من شعائر ملته عليه السلام اثر بيان كفرهم بكون كل المطعومات حلاً له عليه السلام روي انهم قالوا بيت المقدس
اعظم من الكعبة لانه مهاجر الانبياء وفي ارض المقدسة وقال المسلمون بل الكعبة اعظم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت اي ان اول بيت وضع للعبادة وجعل متعبداً لهم والواضع هو الله تعالى ويؤيده القراءة على البناء للفاعل وقوله تع
للذي ببكة خبر لان وانما اخبر بالمعرفة مع كون اسمها نكرة لتخصصها بتبيين الاضافة والوصف بالجملة بعدها اي للبيت الذي
ببكة اي فيها وفي ترك الموصوف من التفخيم ما لا يخفى وبكة لغة في مكة فان العرب تعاقب بين الباء والميم كما في قولهم ضربة لازب ولازم
والنميط والنبيط في اسم موضع بالدهناء وقولهم امر راتب وراتم وسبد راسه وسمدها واغبطت الحمى واغمطت وهي علم
للبلد الحرام من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيه وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضاً ولانها تبك اعناق الجبابرة اي
تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله عز وجل وقيل بكة اسم لبطن مكة وقيل لموضع البيت وقيل للمسجد نفسه ومكة اسم للبلد كله
وايد هذا بان التباك وهو الازدحام انما يقع عند الطواف وقيل بكة اسم للمسجد والمطاف ومكة اسم للبلد لقوله تع للذي ببكة
روي انه عليه السلام سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول
من بناه ابراهيم عليه السلام وقيل آدم عليه السلام وقد استوفينا ما فيه من الاقاويل في سورة البقرة وقيل اول بيت بالشرف
لا بالزمان **مباركاً** كثير الخير والنفع لما يحصل لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وهو حال من
المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه ما قدر في الظرف من فعل الاستقرار **وهدى للعالمين** لانه قبلتهم ومتعبدهم
ولان فيه آيات عجيبة دالة على عظيم قدرته تعالى وبالغ حكمته كما قال **فيه آيات بينات** واضحات كانحراف الطيور عن موازاة البيت
على مدى الاعصار ومخالطة ضواري السباع الصيود في الحرم من غير تعرض لها وقهر الله تعالى لكل جبار قصده بسوء كاصحاب الفيل
والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى **مقام ابراهيم** اي اثر قدميه عليه السلام في الصخرة التي كان عليه السلام يقوم عليها وقت رفع الحجارة
لبناء الكعبة عند ارتفاعه او عند غسل رأسه على ما روي انه عليه السلام جاء زائراً من الشام الى مكة فقالت له امرأة اسمعيل عليهما السلام
انزل حتى اغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدميه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته الى
الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي اثر قدميه عليه وهو اما مبتدأ حذف خبره اي منها مقام ابراهيم او بدل من آيات بدل البعض من
الكل او عطف بيان اما وحده باعتبار كونه بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى وعلى نبوة ابراهيم عليه السلام
كقوله تع ان ابراهيم كان امة قانتاً او باعتبار اشتماله على آيات كثيرة فان كل واحد من اثر قدميه في صخرة صماء وغوصه فيها الى
الكعبين والانة بعض الصخور دون بعض وابقائه دون آيات سائر الانبياء عليهم السلام وحفظه مع كثرة الاعداء الوف سنة

سنة آية مستقلة ويؤيده القراءة على التوحيد واما بما يفهم من قوله عز وجل **ومن دخله كان آمناً** فانه وان كان جملة مستأنفة ابتدائية او شرطية
لكنها في قوة ان يقال وامن من دخله فتكون بحسب المعنى والمآل معطوفة على مقام ابراهيم ولا يخفى ان الاثنين نوع من الجمع فتكتفي بذلك او يحمل على
انه ذكر من تلك الآيات اثنتان وطوى ذكر ما عداهما دلالة على كثرتها ومعنى امن داخله امنه من التعرض له كما في قوله تع او لم يروا
انا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابراهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمناً وكان الرجل لو جر كل جريرة
ثم لجأ الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه ولذلك قال ابو حنيفة رحمه الله من
لزمه القتل في الحل بقصاص او ردة او زنى فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى
الخروج وقيل امنه من النار وعن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة آمناً وعنه عليه السلام الحجون والبقيع يؤخذ
باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضي الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون
وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله تعالى من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة
بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار
تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام **ولله على الناس حج البيت** جملة من مبتدأ هو حج البيت وخبر هو لله وقوله تع على الناس متعلق بما
تعلق به الخبر من الاستقرار او بمحذوف هو حال من الضمير المستكن في الجار والعامل فيه ذلك الاستقرار ويجوز ان يكون على الناس هو الخبر
ولله متعلق بما تعلق به الخبر ولا سبيل الى ان يتعلق بمحذوف هو حال من الضمير المستكن في على الناس لاستلزامه تقديم الحال على العامل
المعنوي وذلك مما لا مساغ له عند الجمهور وقد جوزه ابن مالك اذا كانت هي ظرفاً او حرف جر وعاملها كذلك بخلاف الظرف وحرف الجر
فانهما يتقدمان على عاملهما المعنوي واللام في البيت للعهد وحج قصده للزيارة على الوجه المخصوص المعهود وكسر الحاء لغة نجد وقيل
هو اسم المصدر وقرئ بفتحها **من استطاع اليه سبيلاً** في محل الجر على انه بدل من الناس بدل البعض مخصص لعمومه فالضمير العائد الى
المبدل منه محذوف اي من استطاع منهم وقيل بدل الكل على ان المراد بالناس هو البعض المستطيع فلا حاجة الى الضمير وقيل في محل الرفع
على انه خبر مبتدأ مضمر اي هم من استطاع الخ وقيل في حيز النصب بتقدير اعني وقيل كلمة من شرطية والجزاء محذوف لدلالة المذكور
عليه وكذا العائد الى الناس اي من استطاع منهم اليه سبيلاً فلله عليه حج البيت وقد رجح هذا بكون ما بعده شرطية والضمير المجرور في اليه
راجع الى البيت او الى الحج والجار متعلق بالسبيل قدم عليه اهتماماً بشأنه كما في قوله عز وجل فهل الى خروج من سبيل وهل الى مرد من سبيل
لما فيه من معنى الافضاء والايصال كيف لا وهو عبارة عن الوسيلة من مال او غيره فانه قد روى انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال السبيل الزاد والراحلة وروى ابن عمر رضي الله عنهما ان رجلاً قال يا رسول الله ما السبيل قال الزاد والراحلة وهو المراد بما
روي انه عليه السلام فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وهكذا روي عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وعليه اكثر العلماء خلا ان الشافعي
رحمه الله اخذ بظاهره فاوجب الاستنابة على الزمن القادر على اجرة من ينوب عنه والظاهر ان عدم تعرضه عليه السلام لصحة البدن لظهور
الامر كيف لا والمفسر في الحقيقة هو السبيل الموصل لنفس المستطيع الى البيت وذا لا يتصور بدون الصحة وعن ابن الزبير انه على قدر
القوة ومذهب مالك ان الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد
يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك انه اذا قدر ان يؤجر نفسه فهو مستطيع **ومن كفر** وضع من كفر موضع من لم يحج تاكيداً
لوجوبه وتشديداً على تاركه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهودياً او نصرانياً وروي على بن ابي طالب رضي
الله عنه انه عليه الصلوة والسلام قال في خطبته ايها الناس ان الله فرض الحج على من استطاع اليه سبيلا ومن لم يفعل فليمت على اي حال
شاء يهودياً او نصرانياً او مجوسياً **فان الله غني عن العالمين** وعن عبادتهم وحيث كان من كفر من جملتهم داخلاً فيها دخولاً اولياً اكتفى
بذلك عن الضمير الرابط بين الشرط والجزاء ولقد حازت الآية الكريمة من فنون الاعتبارات المعربة عن كمال الاعتناء بامر الحج والتشديد على

ما ركز ما لا مزيد عليه حيث اوثرت صيغة الخبر الدالة على التحقيق وابرزت في صورة الجملة الاسمية الدالة على الثبات والاستمرار على وجه يفيد انه حق
واجب لله سبحانه في ذمم الناس لا انفكاك لهم عن ادائه والخروج عن عهدته وسلك بهم مسلك التعميم ثم التخصيص والابهام ثم التبيين
والاجمال ثم التفصيل لما في ذلك من مزيد تحقيق وتقرير وعبر عن تركه بالكفر الذي لا اقبح ورآه جعل جزاء استغناؤه تعالى
المؤذن بشدة المقت وعظم السخط لان تاركه فقط فانه قد ضرب عنه صفحا اسقاطا له عن درجة الاعتبار واستهجانا بذكره
بل عن جميع العالمين ممن فعل وترك ليدل على نهاية شدة الغضب هذا وقال ابن عباس رضي الله عنه والحسن وعطاء ومن كفر اي جحد
فرض الحج وزعم انه ليس بواجب وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الي مكة غير واجب وروي انه لما نزل قوله تع
ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به
ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل
ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع الي السماء في الثالثة وروي حجوا قبل ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود رضي الله عنه
حجوا هذا البيت قبل ان ينبت في البادية شجرة لا تأكل منها دابة الا نفقت وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما ما
نوظروا **قل يا اهل الكتاب** هم اليهود والنصارى وانما خوطبوا بعنوان اهلية الكتاب الموجبة للايمان به وبما يصدقه مبالغة في
تقبيح حالهم في كفرهم بهما وقوله عز وجل **لم تكفرون بآيات الله** توبيخ وانكار لأن يكون لكفرهم بها سبب من الاسباب وتحقيق لما يوجب الاجتناب
عنه بالكلية والمراد بآياته تعالى ما يعم الآيات القرآنية التي من جملتها ما تلي في شأن الحج وغيره وما في التورية والانجيل من شواهد
نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى **والله شهيد على ما تعملون** حال من فاعل تكفرون مفيدة لتشديد التوبيخ وتأكيد الانكار واظهار
الجلالة في موقع الاضمار لتربية المهابة وتهويل الخطب وصيغة المبالغة في شهيد للتشديد في الوعيد وكلمة ما اما عبارة عن كفرهم
او هي على عمومها وهو داخل فيها دخولا اوليا والمعنى لاي سبب تكفرون بآياته عز وجل والحال انه تعالى مبالغ في الاطلاع على
جميع اعمالكم وفي مجازاتكم عليها ولا ريب في ان ذلك يسد جميع انحاء ما تأتونه ويقطع اسبابه بالكلية **قل يا اهل الكتاب** امر بتوبيخهم
بالاضلال اثر توبيخهم بالضلال والتكرير للمبالغة في حمله عليه السلام على تقريعهم وتوبيخهم وترك عطفه على الامر السابق للايذان
باستقلالهما كما ان قطع قوله تعالى **لم تصدون** عن قوله تعالى لم تكفرون للاشعار بان كل واحد من كفرهم وصدهم شناعة على
حيالها مستقلة في استتباع اللائمة والتقريع وتكرير الخطاب بعنوان اهلية الكتاب لتأكيد الاستقلال وتشديد التشنيع فان ذلك
العنوان كما يستدعي الايمان بما هو مصدق لما معهم يستدعي ترغيب الناس فيه فصدهم عنه في اقصى مراتب القباحة ولكون صدهم في
بعض الصور بتحريف الكتاب والكفر بالآيات الدالة على نبوته عليه السلام وقرئ تصدون من اصده **عن سبيل الله** دينه الحق
الموصل الى السعادة الابدية وهو التوحيد وملة الاسلام **من آمن** مفعول لتصدون قدم عليه الجار والمجرور للاهتمام
كانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم ويقولون ان صفته عليه السلام ليست في كتابهم
ولا تقدمت البشارة به عندهم وقيل اتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوة والحروب
ليعودوا الى ما كانوا فيه **تبغونها** على اسقاط الجار وايصال الفعل الى الضمير كما في قوله فتولى غلامهم ثم نادى اظليما اصيدكم
ام حمارا بمعنى اصيد لكم اي تطلبون لسبيل الله التي هي اقوم السبل **عوجا** اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه ميلا عن الحق
بنفي النسخ وتغيير صفة الرسول صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك والجملة حال من فاعل تبغونها اي والحال انكم شهداء تشهدون بانها
سبيل الله لا يحوم حولها شائبة اعوجاج وان الصد عنها اضلال قال ابن عباس رضي الله عنهما اي تشهدون ان في التورية ان
دين الله الذي لا يقبل غيره هو الاسلام او وانتم عدول فيما بينكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وعظائم الامور **وما الله بغافل عما**
تعملون اعتراض تذييل فيه تهديد ووعيد شديد قيل لما كان صدهم للمؤمنين بطريق الخفية ختمت الآية الكريمة بما يحسم مادة حيلتهم من احاطة علمه

باعمالهم كما ان كفرهم بآيات الله تعالى لما كان بطريق العلانية ختمت الآية السابقة بشهادته تع على ما تعملون **يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من**
الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين تلوين للخطاب وتوجيه له الى المؤمنين تحذيرا لهم عن طاعة اهل الكتاب والافتتان بفتنتهم اثر توبيخهم بالاغواء
والاضلال وردعا لهم عن ذلك وتعليق الرد بطاعة فريق منهم للمبالغة في التحذير عن طاعتهم وايجاب الاجتناب عن مصاحبتهم بالكلية فانه في قوة
ان يقال لا تطيعوا فريقا الخ كما ان تعميم التوبيخ فيما قبله للمبالغة في الزجر او للمحافظة على سبب النزول فانه روي ان نفرا من الاوس والخزرج كانوا جلوسا
يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الحسد للمسلمين فغاظه ما رأى منهم من تألف القلوب واتحاد الكلمة واجتماع الرأي بعد ما كان
بينهم ما كان من العداوة والشنآن فامر شابا يهوديا كان معه بان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وكان ذلك يوما عظيما اقتتل فيه الحيان وكان الظفر فيه
للاوس وينشدهم ما قيل فيه من الاشعار ففعل فتفاخر القوم وتغاضبوا حتى تواثبوا وقالوا السلاح السلاح فاجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتعد ذلك
جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد ان اكرمكم الله تعالى بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف
بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الامام الواحدي اصطفوا للقتال فنزلت الآية الى قوله تع لعلكم تهتدون فجاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام بين الصفين فقرأهن ورفع صوته
فلما سمعوا صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم انصتوا له وجعلوا يستمعون فلما فرغ القوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وجعلوا يبكون وقوله تع
كافرين اما مفعول ثان ليردوكم على تضمين الرد معنى التصيير كما في قوله رمى الحدثان نسوة آل سعد بمقدار سمدن له سمودا فرد شعورهن السود
بيضا ورد وجوههن البيض سودا او حال من مفعوله والاول ادخل في تنزيه المؤمنين عن نسبتهم الى الكفر لما فيه من التصريح بكون الكفر المفروض بطريق
القسر واراد الفراق مع عدم الحاجة اليه ضرورة سبق الخطاب بعنوان المؤمنين واستحالة تحقق الرد الى الكفر بدون سبق الايمان مع توسيطه بين المفعولين
لاظهار كمال شناعة الكفر وغاية بعده من الوقوع اما لزيادة قبحه الصارف للعاقل عن مباشرته او لممانعة الايمان له كأنه قيل بعد ايمانكم الراسخ
وفيه من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى **وكيف تكفرون** استفهام انكاري بمعنى انكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد الخ
لا بمعنى انكار الواقع كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا الخ وفي توجيه الانكار والاستبعاد الى كيفية الكفر من المبالغة
ما ليس في توجيهه الى نفسه بان يقال اتكفرون لان كل موجود لا بد ان يكون وجوده على حال من الاحوال فاذا انكر ونفي جميع احوال وجوده فقد
انتفى وجوده بالكلية على الطريق البرهاني وقوله عز وجل **وانتم تتلى عليكم آيات الله** جملة وقعت حالا من ضمير المخاطبين في تكفرون مؤكدة للانكار
والاستبعاد بما فيها من الشئون الداعية الى الثبات على الايمان الوازعة عن الكفر وقوله تعالى **وفيكم رسوله** معطوف عليها داخل في حكمها فان
تلاوة آيات الله تعالى عليهم وكون رسوله عليه السلام بين اظهرهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم بتحقيق الحق وازاحة الشبه من اقوى الزواجر
عن الكفر وعدم اسناد التلاوة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم للايذان باستقلال كل منهما في الباب **ومن يعتصم بالله** اي ومن يتمسك بدينه
الحق الذي بينه بآياته على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وهو الاسلام والتوحيد المعبر عنه فيما سبق بسبيل الله **فقد هدي** جواب الشرط
وقد لافادة معنى التحقق كأن الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع فيه ظاهر فان المعتصم به تعالى متوقع للهدى كما ان قاصد
الكريم متوقع للندى **الى صراط مستقيم** موصل الى المطلوب والتنوين للتفخيم والوصف بالاستقامة للتصريح بالرد على الذين يبغون له عوجا
وهذا وان كان هو دينه الحق في الحقيقة والاهتداء اليه هو الاعتصام به بعينه لكن لما اختلف الاعتبار وكان العنوان الاخير مما يتنافس فيه
المتنافسون ابرز في معرض الجواب للحث والترغيب على طريقة قوله تع فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز **يا ايها الذين آمنوا** تكرير للخطاب
بعنوان الايمان اثر تشريف **اتقوا الله** الاتقاء افتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة **حق تقاته** اي حق تقواه وما يجب منها وهو
استفراغ الوسع في القيام بالموجب والاجتناب عن المحارم كما في قوله تع فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو ان يطاع ولا
يعصى ويذكر ولا ينسى ويشكر ولا يكفر وقد روي مرفوعا اليه عليه السلام وقيل هو ان لا تأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه

اوابيه وقيل هوان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة وقد مر تحقيق الحق في ذلك عند قوله عز وجل هدى للمتقين والتقاة
من اتقى كالتؤدة من اتاد اصلها وقية قلبت واوها المضمومة تاء كما في تهمة وتخمة وياؤها المفتوحة الفا **ولا تموتن الا وانتم مسلمون**
اي مخلصون نفوسكم لله عز وجل لا تجعلون فيها شركة لما سواه اصلا كما في قوله تع ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو استثناء مفرغ من اعم
الاحوال اي لا تموتن على حال من الاحوال الا حال تحقق اسلامكم وثباتكم عليه كما ينبئ عنه الجملة الاسمية ولو قيل الا مسلمين لم يفد فائدتها
والعامل في الحال ما قبل الا بعد النقض وظاهر الكريم وان كان نهيا عن الموت المقيد بقيد هو الكون على حال غير حال الاسلام لكن المقصود هو
النهي عن ذلك القيد عند الموت المستلزم للامر بضده الذي هو الكون على حال الاسلام حينئذ وحيث كان الخطاب للمؤمنين كان المراد ايجاب
الثبات على الاسلام الى الموت وتوجيه النهي الى الموت للمبالغة في النهي عن قيده المذكور فان النهي عن المقيد في امثاله نهي عن القيد ورفع له
عن اصله بالكلية مفيد لما لا يفيده النهي عن نفس القيد فان قولك لا تصل الا وانت خاشع يفيد من المبالغة في ايجاب الخشوع في الصلوة
ما لا يفيده قولك لا تترك الخشوع في الصلوة لما ان هذا نهي عن ترك الخشوع فقط وذاك نهي عنه وعما يقارنه ومفيد لكون الخشوع
هو العمدة في الصلوة وان الصلوة بدونه حقها ان لا تفعل وفيه نوع تحذير عما وراء الموت وقوله عز وعلا **واعتصموا بحبل الله**
اي بدين الاسلام او بكتابه لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل
به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم اما تمثيل للحالة الحاصلة من استظهارهم به ووثوقهم بحمايته بالحالة الحاصلة من تمسك المتدلي
من مكان رفيع بحبل وثيق مأمون الانقطاع من غير اعتبار مجاز في المفردات واما استعارة للحبل لما ذكر من الدين او الكتاب والاعتصام ترشيح لها
او مستعار للوثوق به والاعتماد عليه **جميعا** حال من فاعل اعتصموا اي مجتمعين في الاعتصام **ولا تفرقوا** اي لا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف
بينكم كاهل الكتاب او كما كنتم متفرقين في الجاهلية يحارب بعضكم بعضا او لا تحدثوا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة التي انتم عليها
واذكروا نعمة الله مصدر مضاف الى الفاعل وقوله تع **عليكم** متعلق به او بمحذوف وقع حالا منه وقوله تع **اذ كنتم** ظرف له او للاستقرار في
عليكم اي اذكروا انعامه عليكم واذكروا انعامه مستقرا عليكم وقت كونكم **اعداء** في الجاهلية بينكم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة
وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لام واب فوقعت بين اولادهما العداوة والبغضاء وتطاولت الحروب فيما بينهم مائة وعشرين سنة
فالف بين قلوبكم بتوفيقكم للاسلام **فاصبحتم** اي فصرتم **بنعمته** التي هي ذلك التأليف **اخوانا** خبر اصبحتم اي اخوانا متحابين مجتمعين على
الاخوة في الله متراحمين متناصحين متفقين على كلمة الحق وقيل معنى فاصبحتم فدخلتم في الصباح فالباء حينئذ متعلقة بمحذوف وقع حالا
من الفاعل وكذا اخوانا اي فاصبحتم ملتبسين بنعمته حال كونكم اخوانا **وكنتم على شفا حفرة من النار** شفا الحفرة وشفتها حرفها اي كنتم
مشرفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت على تلك الحالة لوقعتم فيها **فانقذكم** بان هداكم للاسلام **منها** الضمير للحفرة
او للنار او للشفا والتأنيث للمضاف اليه كما في قوله كما شرقت صدر القناة من الدم او لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها جانبها
كالجانب والجانبة واصله شفو قلبت الواو الفا في المذكر وحذفت في المؤنث **كذلك** اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من
معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه به عما عداه وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة و
الكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها النصب على انها صفة لمصدر محذوف اي مثل ذلك التبيين الواضح **يبين**
الله لكم آياته اي دلائله **لعلكم تهتدون** طلبا لثباتكم على الهدى وازديادكم فيه **ولتكن منكم امة يدعون الى الخير** امر منه سبحانه بتكميل
الغير وارشاده اثر امرهم بتكميل النفس وتهذيبها بما قبله من الاوامر والنواهي تثبيتا للكل على مراعاة ما فيها من الاحكام بان يقوم
بعضهم بمواجبها ويحافظ على حقوقها وحدودها ويذكرها الناس كافة ويردعهم عن الاخلال بها والجمهور على اسكان اللام وقرئ
بكسرها على الاصل وهو من كان التامة ومن تبعيضية متعلقة بالامر او بمحذوف وقع حالا من الفاعل وهو امة ويدعون صفتها اي لتوجد منكم
امة داعية الى الخير وامة هي الجماعة التي يؤمها فرق الناس اي يقصدونها ويقتدون بها او من الناقصة وامة اسمها ويدعون خبرها

اي ولتكن منكم امة داعين الى الخير واياما كان فتوجيه الخطاب الى الكل مع اسناد الدعوة الى البعض لتحقيق معنى فرضيتها على الكفاية وانها
واجبة على الكل لكن بحيث ان اقامها البعض سقطت عن الباقين ولو اخل بها الكل اثموا جميعا لا بحيث يتحتم على الكل اقامتها على ما ينبئ
عنه قوله تع وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية ولانها من عظائم الامور وعزائمها التي لا يتولاها الا العلماء باحكامه تعالى
ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها فان من لا يعلمها يوشك ان يأمر بمنكر وينهى عن معروف ويغلظ في مقام اللين ويلين في مقام
الغلظة وينكر على من لا يزيده الانكار الا التمادي والاصرار وقيل من بيانية كما في قوله تع وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
منهم الآية والامر من كان الناقصة والمعنى كونوا امة يدعون الآية كقوله تع كنتم خير امة اخرجت للناس ولا يقتضي ذلك كون الدعوة
فرض عين فان الجهاد من فروض الكفاية مع ثبوته بالخطابات العامة والدعاء الى الخير عبارة عن الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي
فعطف الامر بالمعروف والنهي عن الكفر عليه بقوله تع **ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** مع اندراجهما فيه من باب عطف الخاص على العام
لاظهار فضلهما وانافتهما على سائر الخيرات كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام وحذف المفعول الصريح من الافعال الثلاثة
اما للايذان بظهوره اي يدعون الناس ويأمرونهم وينهونهم واما للقصد الى ايجاد نفس الفعل كما في قولك فلان يعطي ويمنع اي يفعلون
الدعاء الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر **واولئك** اشارة الى الامة المذكورة باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الفاضلة
وكمال تميزهم بذلك عمن عداهم وانتظامهم بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم
في الفضل والافراد في كاف الخطاب اما لان المخاطب كل من يصلح للخطاب واما لان التعيين غير مقصود اي اولئك الموصوفون بتلك
الصفات الكاملة **هم المفلحون** اي هم الاخصاء بكمال الفلاح وهم ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند
بالمسند اليه او مبتدأ خبره المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحين اما للعهد او للاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعنه عليه السلام والذي
نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عذابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم وعن علي
رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له والامر بالمعروف في الوجوب والندب
تابع للمأمور به واما النهي عن المنكر فواجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والعاصي يجب عليه النهي عما ارتكبه اذ يجب عليه تركه وانكاره فلا
يسقط بترك احدهما وجوب شيء منهما والتوبيخ في قوله تع اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم انما هو على نسيان انفسهم لا على امرهم بالبر
وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا **ولا تكونوا كالذين تفرقوا** هم اهل الكتابين حيث تفرقت اليهود فرقا والنصارى فرقا **واختلفوا**
باستخراج التأويلات الزائغة وكتم الآيات الناطقة وتحريفها بما اخلدوا اليه من حطام الدنيا الدنية **من بعد ما جاءتهم البينات** اي الآيات
الواضحة المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه واتحاد الكلمة فالنهي متوجه الى المتصدين للدعوة اصالة والى اعقابهم تبعا وتحريمهم
الوصول للمختلفين من الامم السالفة المشار اليهم بقوله عز وجل وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات وقيل
هم المبتدعة من هذه الامة وقيل هم الحرورية وعلى كل تقدير فالمنهي عنه انما هو الاختلاف في الاصول دون الفروع الا ان يكون مخالفا
للنصوص البينة او الاجماع لقوله عليه السلام اختلاف امتي رحمة وقوله عليه السلام من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطأ فله اجر
واحد **واولئك** اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة وهو مبتدأ وقوله تعالى **لهم** خبره وقوله تعالى **عذاب عظيم**
مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ او مبتدأ والظرف خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول وفيه من التأكيد والمبالغة في
وعيد المتفرقين والتشديد في تهديد المتشبهين بهم ما لا يخفى **يوم تبيض وجوه** اي وجوه كثيرة وقرئ تبياض **وتسود وجوه** كثيرة
وقرئ تسواد وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير ويوم منصوب على انه ظرف للاستقرار
في لهم اي لثبوت العذاب العظيم لهم او على انه مفعول لمضمر خوطب به المؤمنون تحذيرا لهم عن عاقبة التفرق بعد مجيء البينات وترغيبا

في الاتفاق على التمسك بالدين اي اذكروا يوم تبيض الخ وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق
ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك **فاما الذين اسودت وجوههم** تفصيل
لأحوال الفريقين بعد الاشارة اليها اجمالا وتقديم بيان هؤلاء لما ان المقام مقام التحذير عن التشبيه بهم مع ما فيه من الجمع بين الاجمال
والتفصيل والافضاء الى ختم الكلام بحسن حال المؤمنين كما بدئ بذلك عند الاجمال **اكفرتم بعد ايمانكم** على ارادة القول اي فيقال
لهم ذلك والهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتابين وكفرهم بعد ايمانهم كفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمان
اسلافهم او ايمان انفسهم قبل مبعثه عليه السلام او جميع الكفرة حيث كفروا بعد ما اقروا بالتوحيد يوم الميثاق او بعد ما تمكنوا من الايمان
بالنظر الصحيح والدلائل الواضحة والآيات البينة وقيل المرتدون وقيل اهل البدع والاهواء والفاء في قوله عز وعلا **فذوقوا العذاب**
اي العذاب المعهود الموصوف بالعظم للدلالة على ان الامر بذوق العذاب على طريق الاهانة مترتب على كفرهم المذكور كما ان قوله تعالى **بما كنتم
تكفرون** صريح في ان نفس الذوق معلل بذلك والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار كفرهم او على مضيه في الدنيا **واما الذين
ابيضت وجوههم ففي رحمة الله** اعني الجنة والنعيم المخلد عبر عنها بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى فانه لا يدخل الجنة
الا برحمته تعالى وقرئ ابياضت كما قرئ اسوادت **هم فيها خالدون** استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من السياق كانه قيل كيف
يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون وتقديم الظرف للمحافظة على رؤوس الآي **تلك** اشارة الى
الآيات المشتملة على تنعيم الابرار وتعذيب الكفار ومعنى البعد للايذان بعلو شأنها وسمو مكانها في الشرف وهو مبتدأ وقوله تعالى
آيات الله خبره وقوله تعالى **نتلوها** جملة حالية من الآيات والعامل فيها معنى الاشارة او هي الخبر وآيات الله بدل من اسم الاشارة والالتفات
الى التكلم بنون العظمة مع كون التلاوة على لسان جبريل عليه السلام لابراز كمال العناية بالتلاوة وقرئ يتلوها على اسناد الفعل
الى ضميره تعالى وقوله تعالى **عليك** متعلق بنتلوها وقوله تعالى **بالحق** حال مؤكدة من فاعل نتلوها او من مفعوله اي ملتبسين او ملتبسة بالحق
والعدل ليس في حكمها شائبة جور بنقص ثواب المحسن او بزيادة عقاب المسيء او بالعقاب من غير جرم بل كل ذلك موفى لهم حسب
استحقاقهم باعمالهم بموجب الوعد والوعيد وقوله تعالى **وما الله يريد ظلما للعالمين** تذييل مقرر لمضمون ما قبله على ابلغ وجه واكده فان
تنكير الظلم وتوجيه النفي الى ارادته بصيغة المضارع دون نفسه وتعليق الحكم باحاد الجمع المعرف والالتفات الى الاسم الجليل اشعارا
بعلة الحكم بيان لكمال نزاهته عز وجل عن الظلم بما لا مزيد عليه اي ما يريد فردا من افراد الظلم لفرد من افراد العالمين في وقت من الاوقات
فضلا عن ان يظلمهم فان المضارع كما يفيد الاستمرار في الاثبات يفيده في النفي بحسب المقام كما ان الجملة الاسمية تدل بمعونة المقام
على دوام الثبوت وعند دخول حرف النفي تدل على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وفي سبك الجملة نوع ايماء الى التعريض
بان الكفرة هم ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد كما في قوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون **ولله
ما في السموات وما في الارض** اي له تعالى وحده من غير شركة اصلا ما فيهما من المخلوقات الفائتة للحصر ملكا وخلقا احياء واماتة
واثابة وتعذيبا وايراد كلمة ما اما لتغليب غير العقلاء على العقلاء واما لتنزيلهم منزلة غيرهم اظهارا لحقارتهم في مقام بيان
عظمته تعالى **والى الله** اي الى ملكه وقضائه لا الى غيره شركة او استقلالا **ترجع الامور** اي امورهم فيجازي كلا منهم بما وعد
واوعد من غير دخل في ذلك لاحد قط فالجملة مقررة لمضمون ما ورد في جزاء الفريقين وقيل هي معطوفة على ما قبلها مقررة
لمضمونه فان كون العالمين عبيده تعالى ومخلوقه ومرزوقه يستدعي ارادة الخير بهم **كنتم خير امة** كلام مستأنف سيق لتثبيت
المؤمنين على ما هم عليه من الاتفاق على الحق والدعوة الى الخير وكنتم من كان الناقصة التي تدل على تحقق شيء بصيغة في الزمان
الماضي من غير دلالة على عدم سابق او لاحق كما في قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم كذلك في علم الله تعالى او في اللوح او فيما
بين الامم السالفة وقيل معناه انتم خير امة **اخرجت للناس** صفة لامة واللام متعلقة باخرجت اي اظهرت لهم وقيل بخير امة

اي كنتم خير الناس للناس فهو صريح في ان الخيرية بمعنى النفع وان فهم ذلك من الاخراج لهم ايضا اي اخرجت لاجلهم ومصلحتهم قال ابو هريرة
رضي الله عنه معناه كنتم خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل فتدخلونهم في الاسلام وقال قتادة هم امة محمد صلى الله عليه وسلم
ولم يؤمر نبي قبله بالقتال فهم يقاتلون الكفار فيدخلونهم في الاسلام فهم خير امة للناس **تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر** استئناف
مبين لكونهم خير امة كما يقال زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم او خبر ثان لكنتم وصيغة الاستقبال للدلالة
على الاستمرار وخطاب المشافهة وان كان خاصا بمن شاهد الوحي من المؤمنين لكن حكمه عام للكل قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد امة محمد
صلى الله عليه وسلم وقال الزجاج اصل هذا الخطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعم سائر امته وروى الترمذي عن بهز بن حكيم عن
ابيه عن جده انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله تعالى
وظاهر ان المراد بكل امة اوائلهم واواخرهم لا اوائلهم فقط فلا بد ان يكون اعقاب هذه الامة ايضا داخلة في الحكم وكذا الحال فيما روي
ان مالك بن الصيف ووهب بن يهوذا اليهوديين مرا بنفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم ابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة
رضي الله تعالى عنهم فقالا لهم نحن افضل منكم وديننا خير مما تدعوننا اليه وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما كنتم خير امة
الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وروي عن الضحاك انهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة الرواة والدعاة
الذين امر الله المسلمين بطاعتهم **وتؤمنون بالله** اي ايمانا متعلقا بكل ما يجب ان يؤمن به من رسول وكتاب وحساب وجزاء وانما لم يصرح به تفصيلا
لظهور انه الذي يؤمن به المؤمنون وللايذان بانه الايمان بالله تعالى حقيقة وان ما خلا عن شيء من ذلك كايمان اهل الكتاب ليس من الايمان
به تعالى في شيء قال تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا وانما اخر ذلك
عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع تقدمه عليهما وجودا ورتبة لان دلالتهما على خيريتهم للناس اظهر من دلالته عليها وليقترن به قوله
تعالى **ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم** اي لو آمنوا كايمانكم لكان خيرا لهم مما هم عليه من الرياسة واستتباع العوام ولازدادت رياستهم
وتمتعهم بالحظوظ الدنيوية مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين وقيل مما هم فيه من الكفر فالخيرية انما هي باعتبار زعمهم وفيه
ضرب تهكم بهم وانما لم يتعرض للمؤمن به اصلا للاشعار بظهور انه الذي يطلق عليه اسم الايمان لا يذهب الوهم الى غيره ولو فصل المؤمن به ههنا
او فيما قبل لربما فهم ان لاهل الكتاب ايضا ايمانا في الجملة لكن ايمان المؤمنين خير منه ومعها ذلك **منهم المؤمنون** جملة مستأنفة سيقت جوابا
عما نشأ من الشرطية الدالة على انتفاء الخيرية لانتفاء الايمان عنهم كانه قيل هل منهم من آمن او كلهم على الكفر فقيل منهم المؤمنون المعهودون
الفائزون بخير الدارين كعبد الله بن سلام واضرابه **واكثرهم الفاسقون** المتمردون في الكفر الخارجون عن الحدود **لن يضروكم الا اذى** استثناء
مفرغ من المصدر العام اي لن يضروكم ابدا ضررا ما الا ضررا اذى لا يبالى به من طعن وتهديد لا اثر له **وان يقاتلوكم يولوكم الادبار** اي ينهزموا
من غير ان ينالوا منكم شيئا من قتل او اسر **ثم لا ينصرون** عطف على الشرطية وثم للتراخي في الرتبة اي لا ينصرون من جهة احد ولا يمنعون منكم
قتلا واخذا وفيه تثبيت لمن آمن منهم فانهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم وبشارة لهم بانهم لا يقدرون
على ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يعبأ به مع انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل وانما لم يعطف
نفي منصوريتهم على الجزاء لان المقصود هو الوعد بنفي النصر مطلقا ولو عطف عليه لكان مقيدا بمقاتلتهم كتولية الادبار وكم بين الوعدين
قيل ثم شأنهم الذي اخبركم عنه وابشركم به انهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعد ذلك بجناح ولا يقومون على ساق
ولا يستقيم لهم امر وكان كذلك حيث لقي بنو قريظة والنضير وبنو قينقاع ويهود خيبر ما لقوا **ضربت عليهم الذلة** اي هدر النفس والمال والاهل
او ذل التمسك بالباطل **اينما ثقفوا** اي وجدوا **الا بحبل من الله وحبل من الناس** استثناء من اعم الاحوال اي ضربت عليهم الذلة ضرب القبة على من هي
عليه في جميع الاحوال الا حال كونهم معتصمين بذمة الله او كتابه الذي آتاهم وذمة المسلمين او بذمة الاسلام واتباع سبيل المؤمنين **وباؤوا
بغضب من الله** اي رجعوا به مستوجبين له والتنكير للتفخيم والتهويل من متعلقة بمحذوف وقع صفة لغضب مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة

اي كائن من الله عز وجل **وضربت عليهم المسكنة** فهي محيطة بهم من جميع جوانبهم واليهود كذلك في غالب الحال مساكين تحت ايدي المسلمين والنصارى **ذلك**
اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة عليهم والبوء بالغضب العظيم **بانهم كانوا يكفرون بآيات الله** اي ذلك الذي ذكر كائن بسبب كفرهم المستمر
بآيات الله الناطقة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتحريفهم لها وبسائر الآيات القرآنية **ويقتلون الانبياء بغير حق** اي في اعتقادهم ايضا واسناد
القتل اليهم مع انه فعل اسلافهم لرضاهم به كما ان التحريف مع كونه من افعال احبارهم ينسب الى كل من يسير بسيرتهم **ذلك** اشارة الى ما ذكر
من الكفر والقتل **بما عصوا وكانوا يعتدون** اي كائن بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله تعالى على الاستمرار فان الاصرار على الصغائر
يفضي الى مباشرة الكبائر والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة والمسكنة في الدنيا واستيجاب الغضب في الآخرة كما هو
معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع حيث المؤاخذة **ليسوا سواء** جملة مستأنفة سيقت
تمهيدا لتعداد محاسن مؤمني اهل الكتاب وتذكيرا لقوله تعالى منهم المؤمنون والضمير في ليسوا لاهل الكتاب جميعا لا للفاسقين منهم خاصة
وهو اسم ليس وخبره سواء وانما افرد لانه في الاصل مصدر والمراد بنفي المساواة نفي المشاركة في اصل الاتصاف بالقبائح المذكورة لا نفي
المساواة في مراتب الاتصاف بها مع تحقق المشاركة في اصل الاتصاف بها اي ليس جميع اهل الكتاب متشاركين في الاتصاف بما ذكر
من القبائح والابتلاء بما يترتب عليها من العقوبات وقوله تعالى **من اهل الكتاب امة قائمة** استئناف مبين لكيفية عدم تساويهم ومزيل لما فيه
من الابهام كما ان ما سبق من قوله تعالى تأمرون بالمعروف الآية مبين لقوله تعالى كنتم خير امة الخ ووضع اهل الكتاب موضع الضمير العائد
اليهم لتحقيق ما به الاشتراك بين الفريقين والايذان بان تلك الامة ممن اوتي نصيبا وافرا من الكتاب لا من اراذلهم والقائمة المستقيمة العادلة
من اقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين اسلموا منهم كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيد واسيد بن عبيد واضرابهم وقيل هم اربعون
رجلا من اهل نجران واثنان وثلثون من الحبشة وثلثة من الروم كانوا على دين عيسى وصدقوا محمدا عليهما السلام وكان من الانصار
فيهم عدة قبل قدوم النبي عليه السلام منهم اسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن سلمة وابو قيس صرمة بن انس كانوا
موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما يعرفون من شرائع الحنيفية حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم فصدقوه ونصروه وقوله تعالى
يتلون آيات الله في محل الرفع على انه صفة اخرى لامة وقيل في محل النصب على انه حال منها لتخصصها بالنعت والعامل فيه الاستقرار الذي
يتضمنه الجار او من ضميرها في قائمة او من المستكن في الجار لوقوعه خبرا لامة والمراد بآيات الله القرآن وقوله تعالى **آناء الليل** ظرف
ليتلون اي في ساعاته جمع انى بزنة عصا او انى بزنة معى او انى بزنة ظبي او انى بزنة نحي او انو بزنة جرو **وهم يسجدون**
اي يصلون اذ لا تلاوة في السجود قال صلى الله عليه وسلم الا اني نهيت ان اقرأ راكعا وساجدا وتخصيص السجود بالذكر من بين سائر
اركان الصلوة لكونه ادل على كمال الخضوع والتضرع وتلاوتهم آيات الله في الصلوة مع انها مشتملة عليها قطعا لزيادة تحقيق المخالفة
وتوضيح عدم المساواة بينهم وبين الذين وصفوا آنفا بالكفر بها وهو السر في تقديم هذا النعت على نعت الايمان والمراد بصلاتهم
التهجد اذ هو ادخل في مدحهم وفيه يتيسر لهم التلاوة فانها في المكتوبة وظيفة الامام واعتبار حالهم عند الصلوة على الانفراد
يأباه مقام المدح وهو الانسب بالعدول عن ايرادها باسم الجنس المتبادر منه الصلوة المكتوبة وبالتعبير عن وقتها بالآناء المبهمة
وقيل صلاة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرها ليلة ثم خرج فاذا الناس ينتظرون
الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية وايراد الجملة اسمية للدلالة
وتكرير الاسناد لتقوية الحكم وتأكيده وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والجملة حال من فاعل يتلون وقيل هي مستأنفة والمعنى
انهم يقومون تارة ويسجدون اخرى يبتغون الفضل والرحمة بانواع ما يكون في الصلوة من الخضوع لله عز وجل كما في قوله تعالى
والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقيل المراد بالسجود هو الخضوع كما في قوله تعالى ولله يسجد ما في السموات وما في الارض **يؤمنون بالله**
واليوم الآخر صفة اخرى لامة مبينة لمباينتهم اليهود من جهة اخرى اي يؤمنون بهما على الوجه الذي نطق به الشرع والاطلاق

للايذان بالغنى عن التقييد لظهور انه الذي يطلق عليه الايمان بهما لا يذهب الوهم الى غيره وللتعريض بان ايمان اليهود بهما مع قولهم عزير ابن الله
وكفرهم ببعض الكتب والرسل ووصفهم اليوم الآخر بخلاف صفته ليس من الايمان بهما في شيء اصلا ولو قيد بما ذكر لربما توهم ان المنفي عنهم
هو القيد المذكور مع جواز اطلاق الايمان على ايمانهم بالاصل وبهما **ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** صفتان اخريان لامة اجريتا عليهم
تحقيقا لمخالفتهم اليهود في الفضائل المتعلقة بتكميل الغير اثر بيان مباينتهم لهم في الخصائص المتعلقة بتكميل النفس وتعريضا بمداهنتهم
في الاحتساب بل بتعكيسهم في الامر باضلال الناس وصدهم عن سبيل الله فانه امر بالمنكر ونهي عن المعروف **ويسارعون في الخيرات** صفة
اخرى لامة جامعة لفنون المحاسن المتعلقة بالنفس وبالغير والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع في
توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي اي يبادرون مع كمال الرغبة في فعل اصناف الخيرات اللازمة والمتعدية وفيه تعريض
بتباطئ اليهود فيها بل بمبادرتهم الى الشرور وايثار كلمة في على ما وقع في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة الخ للايذان بانهم مستقرون
في اصل الخير متقلبون في فنونه المترتبة في طبقات الفضل لا انهم خارجون عنها منتهون اليها **واولئك** اشارة الى الامة باعتبار
اتصافهم بما فصل من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم في الفضل واشاره على الضمير للاشعار
بعلة الحكم والمدح اي اولئك المنعوتون بتلك الصفات الفاضلة بسبب اتصافهم بها **من الصالحين** اي من جملة من صلحت
احوالهم عند الله عز وجل واستحقوا رضاه وثناه **وما يفعلوا من خير** كائنا ما كان تماما كثيرا او لم يذكر **فلن يكفروه** اي لن يعدموا
ثوابه البتة عبر عنه بذلك كما عبر عن توفية الثواب بالشكر اظهارا لكمال تنزهه سبحانه وتعالى عن ترك اثابتهم بتصويره بصورة
ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وتعديته الى مفعولين بتضمين معنى الحرمان وايثار صيغة البناء للمفعول للجري على سنن الكبرياء
وقرئ الفعلان على صيغة الخطاب **والله عليم بالمتقين** تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان علمه تعالى باحوالهم يستدعي توفية اجورهم لا محالة
والمراد بالمتقين اما الامة المعهودة وضع موضع الضمير العائد اليهم مدحا لهم وتعيينا لعنوان تعلق العلم بهم واشعارا بمناط
اثابتهم والتقوى المنطوي على الخصائص السالفة واما جنس المتقين عموما وهم مندرجون تحت حكمه اندراجا اوليا **ان الذين**
كفروا اي بما يجب ان يؤمن به قال ابن عباس رضي الله عنهما هم بنو قريظة والنضير فان معاندتهم كانت لاجل المال وقيل هم
مشركوا قريش فان ابا جهل كان كثير الافتخار بماله وقيل ابو سفيان واصحابه فانه انفق مالا كثيرا على الكفار يوم بدر واحد
وقيل هم الكفار كافة فانهم فاخروا بالاموال والاولاد حيث قالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فرد الله عز وجل
عليهم وقال **لن تغني عنهم** اي لن تدفع عنهم **اموالهم ولا اولادهم من الله** اي من عذابه تعالى **شيئا** اي شيئا يسيرا منه او شيئا من الاغناء
واولئك اصحاب النار اي مصاحبوها على الدوام وملازموها **هم فيها خالدون** ابدا **مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا** بيان لكيفية عدم
اغناء اموالهم التي كانوا يعولون عليها في جلب المنافع ودفع المضار ويعلقون بها اطماعهم الفارغة وما موصولة اسمية حذف عائدها
اي حال ما ينفقه الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا وقصته العجيبة التي تجري مجرى المثل في الغرابة **كمثل ريح**
فيها صر اي برد شديد فانه في الاصل مصدر وان شاع اطلاقه على الريح الباردة كالصرصر وقيل كلمة في تجريدية كما في قوله تعالى
لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة **اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم** بالكفر والمعاصي فباؤا بغضب من الله وانما وصفوا بذلك لان الاهلاك
عن سخط اشد وافظع **فاهلكته** عقوبة لهم ولم تدع منه اثرا ولا عثيرا والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه وذهابه بالكلية من غير
ان يعود اليهم نفع ما بالحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما بوجه من الوجوه وهو من التشبيه المركب الذي مر
تفصيله في تفسير قوله تعالى كمثل الذي استوقد نارا ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يراد مثل اهلاك
ما ينفقون كمثل اهلاك ريح او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون **وما ظلمهم الله** بما بين من ضياع ما انفقوا
من الاموال **ولكن انفسهم يظلمون** لما انهم اضاعوها بانفاقها لا على ما ينبغي وتقديم المفعول لرعاية الفواصل لا للتخصيص اذ الكلام

في الفعل باعتبار تعلقه بالفاعل لا بالمفعول أي ما ظلمهم الله ولكن ظلموا أنفسهم وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقد جوز أن يكون المعنى وما ظلم الله تعالى أصحاب الحرث بإهلاكه ولكنهم ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة ويأباه أنه قد مر التعرض له تصريحا واستغراقا وقرئ ولكن بالتشديد على أن أنفسهم اسمها ويظلمون خبرها والعائد محذوف للفاصلة أي ولكن أنفسهم يظلمونها وأما تقدير ضمير الشأن فلا سبيل إليه لاختصاصه بالشعر ضرورة كما في قوله ولكن من يبصر جفونك يعشق **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة** بطانة الرجل وليجته من يعرفه أسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه السلام الأنصار شعار والناس دثار قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان رجال من المؤمنين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال مجاهد نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يواصلون المنافقين فنهوا عن ذلك ويؤيده قوله تع وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل وهي صفة المنافقين وأياما كان فالحكم عام للكفرة كافة **من دونكم** أي من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا أو بمحذوف وقع صفة لبطانة أي كائنة من دونكم مجاوزة لكم **لا يألونكم خبالا** جملة مستأنفة مبينة لحالهم داعية إلى الاجتناب عنهم أو صفة لبطانة يقال ألا في الأمر إذا قصر فيه ثم استعمل معدى إلى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على تضمين معنى المنع والنقص والخبال الفساد أي لا يقصرون لكم في الفساد **ودوا ما عنتم** أي تمنوا عنتكم أي مشقتكم وشدة ضرركم وهو أيضا استئناف مؤكد للنهي موجب لزيادة الاجتناب عن المنهي عنه **قد بدت البغضاء من أفواههم** استئناف آخر مفيد لمزيد الاجتناب عن المنهي عنه أي قد ظهرت البغضاء في كلامهم لما أنهم لا يتمالكون مع مبالغتهم في ضبط أنفسهم وتحاملهم عليها أن ينفلت من ألسنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وقرئ قد بدا البغضاء والأفواه جمع فم وأصله فوه فلامه هاء يدل على ذلك جمعه على أفواه وتصغيره على فويه والنسبة إليه فوهي مما بدا لأن بدوه ليس عن روية واختيار **قد بينا لكم الآيات** الدالة على وجوب الإخلاص في الدين وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين **إن كنتم تعقلون** أي إن كنتم من أهل العقل أو إن كنتم تعقلون ما بين لكم من الآيات والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه **ها أنتم أولاء** جملة من مبتدإ وخبر صدرت بحرف التنبيه إظهارا لكمال العناية بمضمونها أي أنتم أولاء المخطئون في موالاتهم وقوله تع **تحبونهم ولا يحبونكم** بيان لخطائهم في ذلك وهو خبر ثان لأنتم أو خبر لأولاء والجملة خبر لأنتم كقولك أنت زيد تحبه أو صلة له أو حال والعامل معنى الإشارة ويجوز أن ينتصب أولاء بفعل يفسره ما بعده ويكون الجملة خبرا **وتؤمنون بالكتاب كله** أي بجنس الكتب جميعا وهو حال من ضمير المفعول في لا يحبونكم والمعنى لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم **وإذا لقوكم قالوا آمنا** نفاقا **وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ** أي من أجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا إلى التشفي سبيلا **قل موتوا بغيظكم** دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الإسلام وأهله إلى أن يهلكوا به أو باشتداده إلى أن يهلككم **إن الله عليم بذات الصدور** فيعلم ما في صدوركم من العداوة والبغضاء والحنق وهو يحتمل أن يكون من المقول أي وقل لهم إن الله تعالى عليم بما هو أخفى مما تخفونه من عض الأنامل غيظا وأن يكون خارجا عنه بمعنى لا تتعجب من اطلاعي إياك على أسرارهم فإني عليم بذات الصدور وقيل هو أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله تعالى أن يهلكوا غيظا بإعزاز الإسلام وإذلالهم من غير أن يكون ثمة قول كأنه قيل حدث نفسك بذلك **إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها** بيان لتناهي عداوتهم إلى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما أصابهم من ضر وشدة وذكر المس مع الحسنة والإصابة مع السيئة إما للإيذان بأن مدار مساءتهم أدنى مراتب إصابة الحسنة ومناط فرحهم تمام إصابة السيئة وإما لأن المس مستعار لمعنى الإصابة **وإن تصبروا** أي على عداوتهم أو على مشاق التكاليف **وتتقوا** ما حرم الله تعالى عليكم ونهاكم عنه **لا يضركم كيدهم** مكرهم وحيلتهم التي دبروها لأجلكم وقرئ لا يضركم بكسر الضاد وجزم الراء على جواب الشرط من ضاره يضيره بمعنى ضره يضره وضمة الراء في القراءة المشهورة للإتباع كضمة مد **شيئا** نصب على المصدرية أي لا يضركم شيئا من الضرر بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولأن المجد في الأمر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون جريا على الخصم **إن الله بما يعملون** في عداوتكم من الكيد

وما تخفي صدورهم أكبر

محيط عالما فيعاقبهم على ذلك وقرئ بالتاء الفوقانية أي بما تعملون من الصبر والتقوى فيجازيكم بما أنتم أهله **وإذ غدوت** كلام مستأنف مسوق للاستشهاد بما فيه من استتباع عدم الصبر والتقوى للضرر على أن وجودهما مستتبع لما وعد من النجاة عن مضرة كيد الأعداء وإذ نصب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم خاصة مع عموم الخطاب فيما قبله وما بعده للمؤمنين لاختصاص مضمون الكلام به عليه السلام أي واذكر لهم وقت غدوك ليتذكروا ما وقع فيه من الأحوال الناشئة عن عدم الصبر فيعلموا أنهم إن لزموا الصبر والتقوى لا يضرهم كيد الكفرة وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصودة بالذات للمبالغة في إيجاب ذكرها واستحضار الحادثة بتفاصيلها كما سلف بيانه في تفسير قوله تع وإذ قال ربك للملائكة الخ والمراد خروجه عليه السلام إلى أحد وكان ذلك من منزل عائشة رضي الله تعالى عنها وهو المراد بقوله تع **من أهلك** أي من عند أهلك **تبوئ المؤمنين** أي تنزلهم أو تهيئ وتسوي لهم **مقاعد** ويؤيده قراءة من قرأ تبوي للمؤمنين والجملة حال من فاعل غدوت لكن لا على أنها حال مقدرة أي ناويا وقاصدا للتبوئة كما قيل بل على أن المقصود تذكير الزمان الممتد المتسع لابتداء الخروج والتبوئة وما يترتب عليهما إذ هو المذكر للقصة وإنما عبر عنه بالغدو الذي هو الخروج غدوة مع كون خروجه عليه السلام بعد صلاة الجمعة كما ستعرفه إذ ح وقعت التبوئة التي هي العمدة في الباب إذ المقصود بتذكير الوقت تذكير مخالفتهم لأمر النبي صلى الله عليه وسلم وتزايلهم عن أحيازهم المعينة لهم عند التبوئة وعدم صبرهم وبهذا يتبين خلل رأي من احتج به على جواز أداء صلاة الجمعة قبل الزوال والأظهر أن قوله تع **للقتال** إما متعلق بتبوئ أي لأجل القتال وإما بمحذوف وقع صفة لمقاعد أي كائنة ومقاعد القتال أماكنه ومواقفه فإن استعمال المقعد والمقاعد بمعنى المكان اتساعا شائع ذائع كما في قوله في مقعد صدق وقوله تع قبل أن تقوم من مقامك روي أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ودعا عبد الله بن أبي بن سلول ولم يدعه قبل ذلك فاستشاره فقال عبد الله وأكثر الأنصار يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وإن رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا إلى هؤلاء الأكلب لا يرون أنا قد جبنا عنهم فقال عليه السلام إني قد رأيت في منامي بقرا مذبحة حولي فأولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فأولته هزيمة ورأيت كأني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة فتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر وأكرمهم الله تعالى بالشهادة يومئذ اخرج بنا إلى أعدائنا وقال النعمان بن مالك الأنصاري رضي الله عنه يا رسول الله لا تحرمني الجنة فوالذي بعثك بالحق لأدخلن الجنة ثم قال بقولي أشهد أن لا إله إلا الله وإني لا أفر من الزحف فلم يزالوا به عليه السلام حتى دخل فلبس لأمته فلما رأوه كذلك ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي يأتيه وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال ما ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال لسنة ثلث من الهجرة فمشى على رجليه فجعل يصف أصحابه للقتال فكأنما يقوم بهم القدح إن رأى صدرا خارجا قال تأخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا يأتوننا من ورائنا ولا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم **والله سميع** لأقوالكم **عليم** بضمائركم والجملة اعتراض للإيذان بأنه قد صدر عنهم هناك من الأقوال والأفعال ما لا ينبغي صدوره عنهم **إذ همت** بدل من إذ غدوت مبين لما هو المقصود بالتذكير أو ظرف لسميع عليم على معنى أنه تعالى جامع بين سماع الأقوال والعلم بالضمائر في ذلك الوقت إذ لا وجه لتقييد كونه تعالى سميعا عليما بذلك الوقت قال الفراء معنى قولك ضربت وأكرمت زيدا أن زيدا منصوب بهما وأنهما سلطا عليه معا **طائفتان منكم أن تفشلا** متعلق بهمت والباء محذوفة أي بأن تفشلا أي تجبنا وتضعفا وهما حيان من الأنصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس وهما الجناحان من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا

الف رجل وقيل تسعمائة وخمسين ووعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتح ان صبروا فلما قاربوا عسكر الكفرة وكانوا ثلثة آلاف انخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس فقال يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري فقال انشدكم الله تعالى في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهمّ الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله تعالى فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر انها ما كانت الا همة وحديث نفس كما لا تخلو النفس عنه عند الشدة **والله وليهما** اي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة والجملة اعتراض ويجوز ان يكون حالا من فاعل همت او من ضميره في تفشلا مفيدة لاستبعاد فشلهما او همتهما به مع كونهما في ولاية الله عز وجل وقرئ والله وليهم كما في قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا **وعلى الله** وحده دون ما عداه مطلقا استقلالا او اشتراكا **فليتوكل المؤمنون** في جميع امورهم فانه حسبهم واظهار الاسم الجليل للتبرك به والتعليل فان الالوهية من موجبات التوكل عليه تعالى واللام في المؤمنين للجنس فيدخل فيه الطائفتان دخولا اوليا وفيه اشعار بان وصف الايمان من دواعي التوكل وموجباته **ولقد نصركم الله ببدر** جملة مستأنفة سيقت لايجاب الصبر والتقوى بتذكير ما ترتب عليهما من النصر اثر تذكير ما ترتب على عدمهما من الضرر وقيل لايجاب التوكل على الله تعالى بتذكير ما يوجبه وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل اسمه بدر بن كلدة فسمي باسمه وقيل سمي به لصفائه كالبدر واستدارته وقيل هو اسم الموضع والوادي وكانت وقعة بدر في السابع عشر من شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة **وانتم اذلة** حال من مفعول نصركم واذلة جمع قلة للايذان باتصافهم حينئذ بوصف القلة والذلة اذ كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان ضعف حالهم في الغاية خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد ولم يكن في العسكر الا فرس واحد وقيل فرسان للمقداد ومرثد وتسعون بعيرا وست ادرع وثمانية سيوف وكان العدو زهاء الف ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة **فاتقوا الله** اقتصر على الامر بالتقوى مع كونه مشفوعا بالصبر فيما سبق وما لحق للاشعار باصالته وكون الصبر من مباديه اللازمة له ولذلك قدم عليه في الذكر وفي ترتيب الامر بالتقوى على الاخبار بالنصر ايذان بان نصرهم المذكور كان بسبب تقواهم اي اذا كان الامر كذلك فاتقوا الله فيما اتقيتم يومئذ **لعلكم تشكرون** اي راجين ان تشكروا ما ينعم به عليكم بتقواكم من النصرة كما شكرتم فيما قبل او لعلكم ينعم الله عليكم بالنصر كما فعل ذلك من قبل فوضع الشكر موضع سببه الذي هو الانعام **اذ تقول** تلوين للخطاب بتخصيصه برسول الله صلى الله عليه وسلم للتشريف والايذان بان وقوع النصر كان ببشارته عليه السلام واذ ظرف لنصركم قدم عليه الامر بالتقوى لاظهار كمال العناية به والمراد به الوقت الممتد الذي وقع فيه ما ذكر بعده وما طوي ذكره تعويلا على شهادة الحال مما يتعلق بوجود النصر وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها اي نصركم وقت قولك **للمؤمنين** حين اظهروا العجز عن المقابلة قال الشعبي بلغ المؤمنين ان كرز بن جابر الحنفي يريد ان يمد المشركين فشق ذلك على المؤمنين فنزل ح ثم حكي ههنا **الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة آلاف** الكفاية سد الخلة والقيام بالامر والامداد في الاصل اعطاء الشيء حالا بعد حال قال المفضل ما كان منه بطريق التقوية والاعانة يقال فيه امده يمده امدادا وما كان بطريق الزيادة يقال فيه مده يمده مدا ومنه والبحر يمده من بعده سبعة ابحر وقيل المد في الشر كما في قوله تعالى ويمدهم في طغيانهم يعمهون وقوله ونمد له من العذاب مدا والامداد في الخير كما في قوله تعالى وامددناكم باموال وبنين ومع التعرض لعنوان الربوبية ههنا وفيما سيأتي مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار العناية بهم والاشعار بعلة الامداد والمعنى انكار عدم كفاية الامداد بذلك المقدار ونفيه وكلمة لن للاشعار بانهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم **من الملائكة** بيان او صفة لآلاف او لما اضيف اليه اي كائنين من الملائكة **منزلين** صفة لثلثة آلاف وقيل حال من الملائكة وقرئ منزّلين بالتشديد للتكثير او للتدريج قيل امدهم الله تعالى اولا بالف ثم صاروا ثلثة آلاف ثم خمسة آلاف وقرئ مبنيا للفاعل من الصيغتين اي منزلين النصر **بلى** ايجاب لما بعد لن وتحقيق له اي بلى يكفيكم ذلك ثم وعد لهم الزيادة بشرط الصبر والتقوى حثا لهم عليهما وتقوية لقلوبهم فقال **ان تصبروا** على لقاء العدو ومناهضتهم **وتتقوا** معصية الله تعالى ومخالفة نبيه عم **ويأتوكم** اي المشركون **من فورهم هذا** اي من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر اي اشتد غليانها ثم استعير للسرعة

ثم اطلق على كل حالة لا ريث فيها اصلا ووصفه بهذا لتأكيد السرعة بزيادة تعيينه وتقريبه ونظم اتيانهم بسرعة في سلك شرطي الامداد المستتبعين له وجودا وعدما اعني الصبر والتقوى مع تحقق الامداد لا محالة سواء اسرعوا او ابطؤوا لتحقيق سرعة الامداد لا لتحقيق اصله او لبيان تحققه على اي حال فرض على ابلغ وجه واكده بتعليقه بابعد التقادير ليعلم تحققه على سائرها بالطريق الاولى فان هجوم الاعداء واتيانهم بسرعة من مظان عدم لحوق المدد عادة فعلق به تحقق الامداد ايذانا بانه حيث تحقق مع ما ينافيه عادة فلأن يتحقق بدونه اولى واحرى كما اذا اردت وصف درع بغاية الحصانة تقول ان لبستها وبارزت بها الاعداء فضربوك بايد شداد وسيوف حداد لم تتأثر منها قطعا **يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين** من التسويم الذي هو اظهار سيماء الشيء اي معلمين انفسهم او خيلهم فقد روي انهم كانوا بعمائم بيض الا جبريل عليه السلام فانه كان بعمامة صفراء على مثال الزبير بن العوام وروي انهم كانوا على خيل بلق قال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم وقال هشام بن عروة عمائم صفر وقال قتادة والضحاك كانوا قد اعلموا بالعهن في نواصي الخيل واذنابها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت وقرئ مسومين على البناء للمفعول ومعناه معلمين من جهته سبحانه وتعالى وقيل مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة **وما جعله الله** كلام مبتدأ غير داخل في حيز القول مسوق من جنابه تعالى لبيان ان الاسباب الظاهرة بمعزل من التأثير وان حقيقة النصر مختص به عز وجل ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا منه عند فقدان اسبابه وامارته معطوف على فعل مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام فان الاخبار بوقوع النصر على الاطلاق وتذكير وقته وحكاية الوعد بوقوعه على وجه مخصوص هو الامداد بالملائكة مرة بعد اخرى وتبيين وقته فيما مضى يقضي بوقوعه حتما قضاء قطعيا لكن لم يصرح به تعويلا على تعاضد الدلائل وتآخذ الامارات والمخايل وايذانا بكمال الغنى عنه بل احترازا عن شائبة التكرير او عن ايهام احتمال الخلف في الوعد المحتوم كأنه قيل عقيب قوله تعالى يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فامدكم بهم **وما جعله الله** الخ والجعل متعد الى واحد هو الضمير العائد الى مصدر ذلك الفعل المقدر واما عوده الى المصدر المذكور اعني قوله تعالى ان يمدكم او الى المصدر المدلول عليه بقوله تعالى يمددكم كما قيل فغير حقيق بجزالة التنزيل لان الهلية البسيطة متقدمة على المركبة فبيان العلة الغائية لوجود الامداد كما هو المراد بالنظم الكريم حقه ان يكون بعد بيان وجوده في نفسه ولا ريب في ان المصدرين المذكورين غير معتبرين من حيث الوجود والوقوع كمصدر الفعل المقدر حتى يتصدى لبيان احكام وجودهما بل الاول معتبر من حيث الكفاية والثاني من حيث الوعد على ان الاول هو الامداد بثلثة آلاف والواقع هو الامداد بخمسة آلاف وقوله تعالى **الا بشرى لكم** استثناء مفرغ من اعم العلل وتلوين الخطاب لتشريف المؤمنين وللايذان بانهم المحتاجون الى البشارة وتسكين القلوب بتوفيق الاسباب الظاهرة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم غني عنه بما له من التأييد الروحاني اي وما جعل امدادكم بانزال الملائكة عيانا لشيء من الاشياء الا للبشرى لكم بانكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به اي بالامداد وتسكن اليه كما كانت السكينة لبني اسرائيل كذلك فكلاهما علة غائية للجعل وقد نصب الاول لاجتماع شرائطه من اتحاد الفاعل والزمان وكونه مصدرا مسوقا للتعليل وبقي الثاني على حاله لفقدانها وقيل للاشارة ايضا الى اصالته في العلية واهميته في نفسه كما في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفي قصر الامداد عليهما اشعار بان الملائكة عليهم السلام لم يباشروا يومئذ القتال وانما كان امدادهم بتقوية قلوب المباشرين وتكثير السواد ونحو ذلك كما هو رأي بعض السلف رحمهم الله وقيل الجعل متعد الى اثنين وقوله عز وجل الا بشرى لكم استثناء من اعم المفاعيل اي وما جعله الله تعالى شيئا من الاشياء الا بشارة لكم فاللام في قوله تعالى **ولتطمئن** متعلقة بمحذوف تقديره ولتطمئن **قلوبكم به** فعل ذلك **وما النصر** اي حقيقة النصر على الاطلاق فيندرج في حكمه النصر المعهود اندراجا اوليا **الا من عند الله** اي الا كائن من عنده تعالى من غير ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب والعدد وانما هي مظاهر له بطريق جريان سنته تعالى او وما النصر المعهود الا من عنده تعالى لا من عند الملائكة فانهم

بمعزل من التأثير وانما قصارى امرهم ما ذكر من البشارة وتقوية القلوب العزيز اي الذي لا يغالب في حكمه وقضيته واجراء هذا الوصف عليه
تعالى للاشعار بعلة اختصاص النصر به تعالى كما ان وصفه تعالى بقوله الحكيم الذي يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة للايذان بعلة جعل
النصر بانزال الملائكة عليهم السلام فان ذلك من مقتضيات الحكم البالغة ليقطع متعلق بقوله تعالى ولقد نصركم وما بينهما تحقيق لحقيقته وتبيان لكيفية
وقوعه والمقصور على التعليل بما ذكر من البشرى والاطمئنان انما هو الامداد بالملائكة على الوجه المذكور فلا يقدح ذلك في تعليل اصل النصر بالقطع
وما عطف عليه او بما تعلق به الخبر في قوله عز وعلا وما النصر الا من عند الله على تقدير كونه عبارة عن النصر المعهود وقد اشير الى ان المعلل بالبشارة
والاطمئنان انما هو الامداد الصوري لا ما في ضمنه من النصر المعنوي الذي هو ملاك الامر واما تعلقه بنفس النصر كما قيل فمع ما فيه من الفصل
بين المصدر ومعموله باجنبي هو الخبر مخل بسداد المعنى كيف لا ومعناه قصر النصر المخصوص المعلل بعلل معينة على الحصول من جهته تعالى وليس المراد
الا قصر حقيقة النصر او النصر المعهود على ذلك والمعنى لقد نصركم الله يومئذ او وما النصر الظاهر عند امداد الملائكة الا ثابت من عند الله ليقطع
اي يهلك وينقص طرفا من الذين كفروا اي طائفة منهم بقتل واسر وقد وقع ذلك حيث قتل من رؤسائهم وصناديدهم سبعون واسر سبعون
او يكبتهم اي يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فان الكبت شدة غيظ او وهن يقع في القلب من كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة
وقيل الكبت الاصابة بمكروه وقيل هو الصرع للوجه واليدين فالتاء غير مبدلة واو للتنويع فينقلبوا خائبين اي فينهزموا منقطعي
الآمال غير فائزين من مبتغاهم بشيء كما في قوله تعالى ورد الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ليس لك من الامر شيء اعتراض وسط بين
المعطوف عليه المتعلق بالعاجل والمعطوف المتعلق بالآجل لتحقيق ان لا تأثير للمنصورين اثر بيان ان لا تأثير للناصرين وتخصيص النفي برسول الله
صلى الله عليه وسلم على طريق تلوين الخطاب للدلالة على الانتفاء من غيره بالطريق الاولى وانما خص الاعتراض بموقعه لان ما قبله من القطع
والكبت من مظان ان يكون فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولسائر مباشري القتال مدخل في الجملة او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على
يكبتهم والمعنى ان مالك امرهم على الاطلاق هو الله عز وجل نصركم عليهم ليهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك
من امرهم شيء انما انت عبد مأمور بانذارهم وجهادهم والمراد بتعذيبهم التعذيب الشديد الاخروي المخصوص باشد الكفرة كفرا
والا فمطلق التعذيب الاخروي متحقق في الفريقين الاولين ايضا ونظم التوبة والتعذيب المذكور في سلك العلة الغائية للنصر
المترتبة عليه في الوجود من حيث ان قبول توبتهم فرع تحققها الناشئ من علمهم بحقية الاسلام بسبب غلبة اهله المترتبة على النصر وان
تعذيبهم بالعذاب المذكور مترتب على اصرارهم على الكفر بعد تبين الحق على الوجه المذكور هذا وقد قيل ان عتبة بن ابي وقاص شج
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد وكسر رباعيته فجعل عليه السلام يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو
يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت ليس لك من الامر شيء الآية كأنه نوع معاتبة على انكاره
عليه السلام لفلاحهم وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه بان منهم من يؤمن فقوله تعالى او يتوب عليهم حينئذ معطوف على الامر
او على شيء باضمار ان اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء او ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح
بهم او يعذبهم فتتشفى منهم واياما كان فهو كلام مستأنف سيق لبيان بعض الامور المتعلقة بغزوة احد اثر بيان بعض ما يتعلق بغزوة
بدر لما بينهما من التناسب الظاهر لان كلا منهما مبني على اختصاص الامر كله بالله تعالى ومنبئ عن سلبه عمن سواه واما تعلق كل القصة
بغزوة احد على ان قوله تعالى اذ تقول بدل ثان من اذ غدوت وان ما حكي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقع يوم احد وان الامداد
الموعود كان مشروطا بالصبر والتقوى فلما لم يفعلوا لم يتحقق الموعود كما قيل فلا يساعده النظم الكريم اما اولا فلان المشروط بالصبر
والتقوى انما هو الامداد بخمسة آلاف لا بثلاثة آلاف مع انه لم يقع الامداد يومئذ ولو بملك واحد واما ثانيا فلانه كان ينبغي
ح ان ينعى عليهم جناياتهم وحرمانهم بسببها تلك النعمة الجليلة ودعوى ظهوره مع عدم دلالة السباق والسياق عليه بل مع دلالتهما على
خلافه مما لا يكاد يسمع واما ثالثا فلانه لا سبيل الى جعل الضمير في قوله تعالى وما جعله الله الخ عائدا الى الامداد الموعود لانه لم يتحقق

يتبين علته الغائية ولا الى الوعد به على معنى انه تعالى انما جعل ذلك الوعد لبشارتكم واطمئنان قلوبكم فلم تفعلوا ما شرط عليكم من الصبر والتقوى
فلم يقع انجاز الموعود لما ان قوله تعالى وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم صريح في انه قد وقع الامداد الموعود ولكن اثره انما هو مجرد
البشارة والاطمئنان وقد حصلا واما النصر الحقيقي فليس ذلك الا من عنده تعالى وجعله استئنافا مقررا لعدم وقوع الامداد على معنى
ان النصر الموعود مخصوص به تعالى فلا ينصر من خالف امره بترك الصبر والتقوى اعتساف بين يجب تنزيه التنزيل عن امثاله على ان قوله تعالى
ليقطع طرفا الآية متعلق حينئذ بما تعلق به قوله تعالى من عند الله من الثبوت والاستقرار ضرورة ان تعلقه بقوله تعالى ولقد نصركم الله
ببدر الآية مع كون ما بينهما من التفصيل متعلقا بوقعة احد من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه فلا بد من اعتبار وجود النصر قطعا لان
تفصيل الاحكام المترتبة على وجود شيء بصدد بيان انتفائه مما لم يعهد في كلام الناس فضلا عن الكلام المجيد فالحق الذي لا محيد عنه ان
قوله تعالى اذ تقول ظرف لنصركم وان ما حكي في اثنائه الى قوله تعالى خائبين متعلق بيوم بدر قطعا وما بعده محتمل للوجهين المذكورين وقوله
تعالى فانهم ظالمون تعليل على كل حال لقوله تعالى او يعذبهم مبين لكون ذلك من جهتهم وجزاء لظلمهم ولله ما في السموات وما في الارض كلام
مستأنف سيق لبيان اختصاص ملكوت كل الكائنات به عز وجل اثر بيان اختصاص طرف من ذلك به سبحانه تقريرا لما سبق وتكملة له
وتقديم الجار للقصر وكلمة ما شاملة للعقلاء ايضا تغليبا اي له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا لا مدخل فيه لاحد اصلا فله الامر كله
يغفر لمن يشاء اي يغفر له مشيئته مبنية على الحكم والمصالح ويعذب من يشاء ان يعذبه بعدله مشيئته كذلك وايثار كلمة من في الموضعين
لاختصاص المغفرة والتعذيب بالعقلاء وتقديم المغفرة على التعذيب للايذان بسبق رحمته تعالى غضبه وبانها من مقتضيات الذات دونه من مقتضيات
الذات دونه فانه من مقتضيات سيئات العصاة وهذا صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله غفور رحيم
تذييل مقرر لمضمون قوله تعالى يغفر لمن يشاء مع زيادة وفي تخصيص التذييل به دون قرينه من الاعتناء بشأن المغفرة والرحمة ما لا يخفى
يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا كلام مبتدأ مشتمل على ما هو ملاك الامر في كل باب لا سيما في باب الجهاد من التقوى والطاعة وما بعدهما
من الامور المذكورة على نهج الترغيب والترهيب جيء به في تضاعيف القصة مسارعة الى ارشاد المخاطبين الى ما فيه وايذانا
بكمال وجوب المحافظة عليه فيما هم فيه من الجهاد فان الامور المذكورة فيه مع كونها مناطا للفوز في الدارين على الاطلاق عمدة في امر
الجهاد عليها يدور فلك النصرة والغلبة كيف لا ولو حافظوا على الصبر والتقوى وطاعة الرسول عليه السلام لما لقوا ما لقوا ولعل
ايراد النهي عن الربوا في اثنائها لما ان الترغيب في الانفاق في السراء والضراء الذي عمدته الانفاق في سبيل الجهاد متضمن للترغيب
في تحصيل المال فكان مظنة مبادرة الناس الى طرق الاكتساب ومن جملتها الربوا فنهوا عن ذلك والمراد باكله اخذه وانما عبر
عنه بالاكل لما انه معظم ما يقصد بالاخذ ولشيوعه في المأكولات مع ما فيه من زيادة تشنيع وقوله عز وجل اضعافا مضاعفة
ليس لتقييد النهي بل لمراعاة ما كانوا عليه من العادة توبيخا لهم بذلك اذ كان الرجل يربي الى اجل فاذا حل قال للمدين زدني
في المال حتى ازيدك في الاجل فيفعل وهكذا عند محل كل اجل فيستغرق بالشيء الطفيف ماله بالكلية ومحله النصب على الحالية من الربوا
وقرئ مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه من الامور التي من جملتها الربوا لعلكم تفلحون راجين للفلاح واتقوا النار التي اعدت للكافرين
بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي ما يتعاطونه كان ابو حنيفة رحمه الله تعالى يقول هي اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار
المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه واطيعوا الله في كل ما امركم به ونهاكم عنه والرسول الذي يبلغكم اوامره ونواهيه
لعلكم ترحمون راجين لرحمته عقب الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة وايراد لعل في الموضعين للاشعار بعزة
منال الفلاح والرحمة قال محمد بن اسحق هذه الآية معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين امرهم بما امرهم يوم احد
وسارعوا عطف على اطيعوا وقرئ بغير واو على وجه الاستئناف اي بادروا واقبلوا وقرئ وسابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة
اي الى ما يؤدي اليهما وقيل الى الاسلام وقيل الى التوبة وقيل الى الاخلاص وقيل الى الجهاد وقيل الى اداء جميع الواجبات وترك جميع

المنهيات فيدخل فيها ما تقدم من الأمور المأمور بها والمنهي عنها دخولاً أولياً وتقديم المغفرة على الجنة لما أن التخلية متقدمة على التحلية ومن متعلقة بمحذوف
وقع صفة لمغفرة أي كائنة من ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لإظهار مزيد اللطف بهم وقوله تعالى عرضها
السموات والأرض أي كعرضهما صفة لجنة وتخصيص العرض بالذكر للمبالغة في وصفها بالسعة والبسطة على طريقة التمثيل فإن العرض في العادة
أدنى من الطول وعن ابن عباس رضي الله عنه كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض أعدت للمتقين في حيز الجر على أنه صفة أخرى
لجنة أو في محل النصب على الحالية منها لتخصصها بالصفة أي هيئت لهم وفيه دليل على أن الجنة مخلوقة الآن وأنها خارجة عن هذا العالم الذين
ينفقون في محل الجر على أنه نعت للمتقين مادح لهم أو بدل منه أو بيان أو في حيز النصب أو الرفع على المدح ومفعول ينفقون محذوف ليتناول كل ما
يصلح للإنفاق أو متروك بالكلية كما في قولك يعطي ويمنع في السراء والضراء في حالتي الرخاء والشدة واليسر والعسر أو في الأحوال كلها إذ الإنسان لا يخلو
عن مسرة أو مضرة أي لا يخلون في حال ما بإنفاق ما قدروا عليه من قليل أو كثير والكاظمين الغيظ عطف على الموصول والعدول إلى صيغة الفاعل
للدلالة على الاستمرار وأما الإنفاق فحيث كان أمراً متجدداً عبر عنه بما يفيد الحدوث والتجدد والكظم الحبس يقال كظم غيظه أي حبسه قال المبرد
تأويله أنه كتمه على امتلائه منه يقال كظمت السقاء إذا ملأته وشددت عليه أي الممسكين عليه الكافين عن إمضائه مع القدرة عليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من كظم غيظاً وهو قادر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً والعافين عن الناس أي التاركين عقوبة من استحق مؤاخذته وروي أنه
ينادي مناد يوم القيمة أين الذين كانت أجورهم على الله تعالى فلا يقوم إلا من عفا وعن النبي صلى الله عليه وسلم أن هؤلاء في أمتي قليل إلا من
عصم الله وقد كانوا كثيراً في الأمم التي مضت وفي هذين الوصفين إشعار بكمال حسن موقع عفوه عليه السلام عن الرماة وترك مؤاخذتهم
بما فعلوا من مخالفة أمره عليه السلام وندب له عليه السلام إلى ترك ما عزم عليه من مجازاة المشركين بما فعلوا بحمزة رضي الله عنه حيث قال حين
رآه قد مثل به لأمثلن بسبعين مكانك والله يحب المحسنين اللام إما للجنس وهم داخلون فيه دخولاً أولياً وإما للعهد عبر عنهم بالمحسنين
إيذاناً بأن النعوت المعدودة من باب الإحسان الذي هو الإتيان بالأعمال على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي
وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها والذين مرفوع على
الابتداء وقيل مجرور معطوف على ما قبله من صفات المتقين وقوله تعالى والله يحب المحسنين اعتراض بينهما مشير إلى ما بينهما من التفاوت فإن
درجة الأولين من التقوى أعلى من درجة هؤلاء وحظهم أوفى من حظهم أو على نفس المتقين فيكون التفاوت أكثر وأظهر إذا فعلوا فاحشة
أي فعلة بالغة في القبح كالزنى أو ظلموا أنفسهم بأن أذنبوا أي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة أو الفاحشة ما يتعدى
إلى الغير وظلم النفس ما ليس كذلك قيل قال المؤمنون يا رسول الله كانت بنو إسرائيل أكرم على الله تعالى منا كان أحدهم إذا أذنب أصبحت كفارة
ذنبه مكتوبة في عتبة داره افعل كذا فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل أن نبهان التمار أتته امرأة حسناء تطلب منه تمراً فقال لها هذا
التمر ليس بجيد وفي البيت أجود منه فذهب بها إلى بيته فضمها إلى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك وأتى النبي
صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت وقيل آخى رسول الله بين أنصاري وامرأة رجل ثقفي كان بينهما مواخاة فندم الأنصاري
وحثى على رأسه التراب وهام على وجهه وجعل يسيح في الجبال تائباً مستغفراً ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت وأياً ما كان فإطلاق اللفظ
ينتظم ما فعله الزناة انتظاماً أولياً ذكروا الله تذكروا حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء أو وعيده أو حكمه أو عقابه فاستغفروا
لذنوبهم بالتوبة والندم والفاء للدلالة على أن ذكره تعالى مستتبع للاستغفار لا محالة ومن يغفر الذنوب استفهام إنكاري والمراد بالذنوب جنسها كما في
قولك فلان يلبس الثياب ويركب الخيل لا كلها حتى يخل بما هو المقصود من استحالة صدور مغفرة فرد منها عن غيره تعالى وقوله تعالى إلا الله بدل من الضمير
المستكن في يغفر أي لا يغفر جنس الذنوب أحد إلا الله خلا أن دلالة الاستفهام على الانتفاء أقوى وأبلغ لإيذانه بأن كل أحد ممن له حظ من
الخطاب يعرف ذلك الانتفاء فيسارع إلى الجواب والمراد به وصفه سبحانه وتعالى بغاية سعة الرحمة وعموم المغفرة والجملة معترضة بين المعطوفين
أو بين الحال وصاحبها لتقرير الاستغفار والحث عليه والإشعار بالوعد بالقبول ولم يصروا عطف على فاستغفروا وتأخيره عنه مع تقدم عدم الإصرار

على الاستغفار رتبة لإظهار الاعتناء بشأن الاستغفار واستحقاقه للمسارعة إليه عقيب ذكره تعالى أو حال من فاعله أي ولم يقيموا أو غير مقيمين
على ما فعلوا أي ما فعلوا من الذنوب فاحشة كانت أو ظلماً أو على فعلهم روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أصر من استغفر وإن عاد في
اليوم سبعين مرة وأنه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار وهم يعلمون حال من فاعل يصروا أي لم يصروا على ما فعلوا وهم عالمون بقبحه
وبالنهي عنه والوعيد عليه والتقييد بذلك لما أنه قد يعذر من لا يعلم ذلك إذا لم يكن عن تقصير في تحصيل العلم به أولئك إشارة إلى المذكورين
آخراً باعتبار اتصافهم بما مر من الصفات الحميدة وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل وهو مبتدأ
وقوله تعالى جزاؤهم بدل اشتمال منه وقوله تعالى مغفرة خبره أو جزاؤهم مبتدأ ثان ومغفرة خبره والجملة خبر لأولئك وهذه الجملة خبر لقوله تعالى
والذين إذا فعلوا الخ على الوجه الأول وهو الأظهر الأنسب بنظم المغفرة المنبئة عن سابقة الذنب في سلك الجزاء إذ على الوجهين الأخيرين
يكون قوله تعالى أولئك الخ جملة مستأنفة مبينة لما قبلها كاشفة عن حال كلا الفريقين المحسنين والتائبين ولم يذكر فيها أوصاف
الأولين وما فيه شائبة الذنب حتى يذكر في مطلع الجزاء الشامل لهما المغفرة وتخصيص الإشارة بالآخرين مع اشتراكهما في حكم
إعداد الجنة لهما تعسف ظاهر من ربهم متعلق بمحذوف وقع صفة لمغفرة مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة
الإضافية أي كائنة من جهته تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم للإشعار بعلة الحكم والتشريف وجنات تجري من
تحتها الأنهار عطف على مغفرة والتنكير المشعر بكونها أدنى من الجنة السابقة مما يؤيد رجحان الوجه الأول خالدين فيها حال مقدرة
من الضمير في جزاؤهم لأنه مفعول في المعنى لأنه في قوة يجزيهم الله جنات خالدين فيها ولا مساغ لأن يكون حالاً من جنات في اللفظ
وهي لأصحابها في المعنى إذ لو كان كذلك لبرز الضمير ونعم أجر العاملين المخصوص بالمدح محذوف أي ونعم أجر العاملين ذلك أي ما ذكر
من المغفرة والجنات والتعبير عنهما بالأجر المشعر بأنهما يستحقان بمقابلة العمل وإن كان بطريق التفضل لمزيد الترغيب في الطاعات
والزجر عن المعاصي والجملة تذييل مختص بالتائبين حسب اختصاص التذييل السابق بالأولين وناهيك بمضمونهما دليلاً على ما
بين الفريقين من التفاوت النير والتباين البين شتان بين المحسنين الفائزين بمحبة الله عز وجل وبين العاملين الحائزين
لأجرتهم وعمالتهم قد خلت من قبلكم سنن رجوع إلى تفصيل بقية القصة بعد تمهيد مبادي الرشد والصلاح وترتيب مقدمات
الفوز والفلاح والخلو المضي والسنن الوقائع وقيل الأمم والظرف إما متعلق بخلت أو بمحذوف وقع حالاً من سنن أي قد مضت
من قبل زمانكم أو كائنة من قبلكم وقائع سنها الله تعالى في الأمم المكذبة كما في قوله عز وجل وقتلوا تقتيلاً سنة الله في
الذين خلوا الخ والفاء في قوله تعالى فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين للدلالة على سببية خلوها للسير والنظر
أو للأمر بهما وقيل المعنى على الشرط أي إن شككتم فسيروا الخ وكيف خبر مقدم لكان معلق لفعل النظر والجملة في محل النصب بعد
نزع الخافض لأن الأصل استعماله بالجار هذا إشارة إلى ما سلف من قوله قد خلت إلى آخره بيان للناس أي تبيين لهم على أن اللام
متعلقة بالمصدر أو كائن لهم على أنها متعلقة بمحذوف وقع صفة له وتعريف الناس للعهد وهم المكذبون أي هذا إيضاح لسوء
عاقبة ما هم عليه من التكذيب فإن الأمر بالسير والنظر وإن كان خاصاً بالمؤمنين لكن العمل بموجبه غير مختص بواحد دون واحد ففيه
حمل للمكذبين أيضاً على أن ينظروا في عواقب من قبلهم من أهل التكذيب ويعتبروا بما يعاينون من آثار دمارهم وإن لم يكن الكلام
مسوقاً لهم وهدى وموعظة أي وزيادة بصيرة وموعظة لكم وإنما قيل للمتقين للإيذان بعلة الحكم فإن مدار كونه هدى وموعظة
لهم إنما هو تقواهم ويجوز أن يراد بالمتقين الصائرون إلى التقوى والهدى والموعظة على ظاهرهما أي هذا بيان لمآل أمر
الناس وسوء مغبته وهداية لمن اتقى منهم وزجر لهم عما هم عليه من التكذيب وأن يراد به ما يعمهم وغيرهم من المتقين بالفعل ويراد بالهدى
والموعظة أيضاً ما يعم ابتداءهما والزيادة فيهما وإنما قدم كونه بياناً للمكذبين مع أنه غير مسوق له على كونه هدى وموعظة للمتقين
مع أنه المقصود بالسياق لأن أول ما يترتب على مشاهدة آثار هلاك أسلافهم ظهور حال أخلافهم وأما زيادة الهدى أو أصله فأمر

مترتب عليه وتخصيص البيان بالناس مع شموله للمتقين أيضاً لما أن المراد به مجرد البيان العاري عن الهدى والعظة والاقتصار عليهما في جانب
المتقين مع ترتبهما على البيان لما أنهما المقصد الأصلي ويجوز أن يكون تعريف الناس للجنس أي هذا بيان للناس كافة وهدى وموعظة للمتقين
منهم خاصة وقيل كلمة هذا إشارة إلى ما لخص من أمر المتقين والتائبين والمصرين وقوله تعالى قد خلت الآية اعتراض للبعث على الإيمان وبما يستحق به
ما ذكر من أجر العاملين وأنت خبير بأن الاعتراض لا بد أن يكون مقرراً لمضمون ما وقع في خلاله ومعاينة آثار هلاك المكذبين مما لا تعلق له بحال
أحد الأصناف الثلاثة للمؤمنين وإن كان باعثاً على الإيمان زاجراً عن التكذيب وقيل إشارة إلى القرآن ولا يخفى بعده **ولا تهنوا ولا تحزنوا** تشجيع
للمؤمنين وتقوية لقلوبهم وتسلية عما أصابهم يوم أحد من القتل والقرح وكان قد قتل يومئذ خمسة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب رضي الله
تعالى عنه ومصعب بن عمير صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن جحش ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعثمان بن شماس
وسعد مولى عتبة رضي الله تعالى عنهم أجمعين ومن الأنصار سبعون رجلاً رضوان الله تعالى عليهم أجمعين أي لا تضعفوا عن الجهاد بما نالكم من
الجراح ولا تحزنوا على من قتل منكم **وأنتم الأعلون** جملة حالية من فاعل الفعلين أي والحال أنكم الأعلون الغالبون دون عدوكم فإن
مصير أمرهم إلى الدمار حسبما شاهدتم من أحوال أسلافهم فهو تصريح بالوعد بالنصر والغلبة بعد الإشعار به فيما سبق أو وأنتم المعهودون بغاية
علو الشأن لما أنكم على الحق وقتالكم لله عز وجل وقتلاكم في الجنة وهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار وقيل وأنتم الأعلون
حالاً منهم حيث أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم اليوم **إن كنتم مؤمنين** متعلق بالنهي أو بالأعلون وجوابه محذوف لدلالة ما تعلق
به عليه أي إن كنتم مؤمنين فلا تهنوا ولا تحزنوا فإن الإيمان يوجب قوة القلب والثقة بصنع الله تعالى وعدم المبالاة بأعدائه
أو إن كنتم مؤمنين فأنتم الأعلون فإن الإيمان يقتضي العلو لا محالة أو إن كنتم مصدقين بوعد الله تعالى فأنتم الأعلون وأياً ما كان
فالمقصود تحقيق المعلق بناء على تحقق المعلق به كما في قول الأجير إن كنت عملت لك فأعطني أجري ولذلك قيل معناه إذ كنتم مؤمنين
وقيل معناه إن بقيتم على الإيمان **إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله** القرح بالفتح والضم لغتان كالضَّعف والضُّعف وقد
قرئ بهما وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم ألمها وقرئ بفتحتين وقيل القَرَح والقَرْح كالطَّرَد والطَّرْد والمعنى إن نالوا منكم يوم
أحد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فأنتم أحق بأن لا تضعفوا فإنكم
ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم أحد فإن المسلمين نالوا منهم قبل أن يخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقتلوا منهم نيفاً وعشرين رجلاً منهم صاحب لوائهم وجرحوا عدداً كثيراً وعقروا عامة خيلهم بالنبل **وتلك الأيام** إشارة
إلى الأيام الجارية فيما بين الأمم الماضية والآتية كافة لا إلى الأيام المعهودة خاصة من يوم بدر ويوم أحد بل هي داخلة فيها
دخولاً أولياً والمراد بها أوقات الظفر والغلبة **نداولها بين الناس** نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء أخرى كقول من
قال فيوماً علينا ويوماً لنا ويوماً نساء ويوماً نسر والمداولة كالمعاورة يقال داولته بينهم فتداولوه أي عاورته فتعاوروه
واسم الإشارة مبتدأ والأيام صفة له أو بدل منه أو عطف بيان له ونداولها خبره أو خبر ونداولها حال من الأيام والعامل
معنى اسم الإشارة أو خبر بعد خبر وصيغة المضارع الدالة على التجدد والاستمرار للإيذان بأن تلك المداولة سنة مسلوكة فيما
بين الأمم قاطبة سابقتها ولاحقتها وفيه ضرب من التسلية وقوله عز وجل **وليعلم الله الذين آمنوا** إما من باب التمثيل أي ليعاملكم
معاملة من يريد أن يعلم المخلصين الثابتين على الإيمان من غيرهم أو العلم فيه مجاز عن التمييز بطريق إطلاق اسم السبب على المسبب أي
ليميز الثابتين على الإيمان من غيرهم كما في قوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وإما على حقيقته معتبر
من حيث تعلقه بالمعلوم من حيث إنه موجود بالفعل إذ هو الذي يدور عليه فلك الجزاء لا من حيث إنه موجود بالقوة وإطلاق
الإيمان مع أن المراد هو الرسوخ والإخلاص فيه للإيذان بأن اسم الإيمان لا ينطلق على غيره والالتفات إلى الغيبة بإسناده إلى الاسم
الذات المستجمع للصفات لتربية المهابة والإشعار بأن صدور كل واحد مما ذكر بصدد التعليل من أفعاله تعالى باعتبار منشأ

معين من صفاته تعالى مغاير لمنشأ الآخر والجملة علة لما هو فرد من أفراد مطلق المداولة التي نطق به قوله تعالى نداولها بين الناس من المداولة المعهودة
الجارية بين فريقي المؤمنين والكافرين واللام متعلقة بما دل عليه المطلق من الفعل المقيد بالوقوع بين الفريقين المذكورين أو بنفس الفعل
المطلق باعتبار وقوعه بينهما والجملة معطوفة على علة أخرى لها معتبرة إما على الخصوص والتعيين محذوفة للدلالة المذكورة عليها لكونها
من مباديها كأنه قيل نداولها بينكم وبين عدوكم ليظهر أمركم وليعلم الخ فإن ظهور أعمالهم وخروجها من القوة إلى الفعل من مبادي تميزهم
عن غيرهم ومواجب تعلق العلم الأزلي بها من تلك الحيثية وكذا الحال في باب التمثيل فتأمل وإما على العموم والإبهام للتنبيه على أن
العلل غير منحصرة فيما عد من الأمور وأن العبد يسوءه ما يجري عليه من النوائب ولا يشعر بأن الله تعالى جعل له في ذلك من الألطاف
الخفية ما لا يخطر بالبال كأنه قيل نداولها بينكم ليكون من المصالح كيت وكيت وليعلم الخ وفيه من تأكيد التسلية ومزيد التبصرة
ما لا يخفى وتخصيص البيان بعلة هذا الفرد من مطلق المداولة دون سائر أفرادها الجارية فيما بين بقية الأمم تعييناً أو إبهاماً لعدم تعلق
الغرض العلمي ببيانها ولك أن تجعل المحذوف المبهم عبارة عن علل سائر أفرادها للإشارة إجمالاً إلى أن كل فرد من أفرادها له علة
داعية إليه كأنه قيل نداولها بين الناس كافة ليكون كيت وكيت من الحكم الداعية إلى تلك الأفراد وليعلم الخ فاللام الأولى
متعلقة بالفعل المطلق باعتبار تقيده بتلك الأفراد والثانية باعتبار تقيده بالفرد المعهود وقيل هي متعلقة بمحذوف مؤخر تقديره
وليعلم الله الذين آمنوا فعل ذلك **ويتخذ منكم شهداء** جمع شهيد أي ويكرم ناساً منكم بالشهادة وهم شهداء أحد فمن ابتدائية أو تبعيضية
متعلقة بيتخذ أو بمحذوف وقع حالاً من شهداء أو جمع شاهد أي ويتخذ منكم شهوداً معدلين بما ظهر منهم من الثبات على الحق والصبر
على الشدائد وغير ذلك من شواهد الصدق ليشهدوا على الأمم يوم القيامة فمن بيانية لأن تلك الشهادة وظيفة الكل دون المستشهدين
فقط وأياً ما كان ففي لفظ الاتخاذ المنبئ عن الاصطفاء والتقريب من تشريفهم وتفخيم شأنهم ما لا يخفى وقوله تعالى **والله لا يحب الظالمين** اعتراض
مقرر لمضمون ما قبله ونفي المحبة كناية عن البغض وفي إيقاعه على الظالمين تعريض بمحبته تعالى لمقابليهم والمراد بهم إما غير الثابتين
على الإيمان فالتقرير من حيث إن بغضه تعالى لهم من دواعي إخراج المخلصين المصطفين للشهادة من بينهم وإما الكفرة الذين أديل لهم
فالتقرير من حيث إن ذلك ليس بطريق النصرة لهم فإنها مختصة بأوليائه تعالى بل لما ذكر من الفوائد العائدة إلى المؤمنين وقوله تعالى
وليمحص الله الذين آمنوا أي ليصفيهم ويطهرهم من الذنوب عطف على يتخذ وتكرير اللام لتذكير التعليل لوقوع الفصل بينهما بالاعتراض
وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لإبراز مزيد الاعتناء بشأن التمحيص وهذه الأمور الثلاثة علل للمداولة المعهودة باعتبار كونها
على المؤمنين قدمت في الذكر لأنها المحتاجة إلى البيان ولعل تأخير العلة الأخيرة عن الاعتراض لئلا يتوهم اندراج المذنبين في الظالمين
أو ليقترن بقوله عز وجل **ويمحق الكافرين** فإن التمحيص فيه محو الآثار وإزالة الأوضار كما أن المحق عبارة عن النقص والإذهاب قال
المفضل هو أن يذهب الشيء بالكلية حتى لا يرى منه شيء ومنه قوله تعالى يمحق الله الربا أي يستأصله وهذه علة للمداولة باعتبار كونها على
الكافرين والمراد بهم الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وأصروا على الكفر وقد محقهم الله عز وجل جميعاً **أم حسبتم** كلام
مستأنف سيق لبيان ما هي الغاية القصوى من المداولة والنتيجة لما ذكر من تمييز المخلصين وتمحيصهم واتخاذ الشهداء وإظهار عزة مقامها
والخطاب للذين انهزموا يوم أحد وأم منقطعة وما فيها من كلمة بل للإضراب عن التسلية ببيان العلل فيما لقوا من الشدة إلى تحقيق أنها
من مبادي الفوز بالمطلب الأسنى والهمزة للإنكار والاستبعاد أي بل أحسبتم **أن تدخلوا الجنة** وتفوزوا بنعيمها وقوله تعالى **ولما يعلم الله
الذين جاهدوا منكم** حال من ضمير تدخلوا مؤكدة للإنكار فإن رجاء الأجر بغير عمل ممن يعلم أنه منوط به مستبعد عند العقول وعدم العلم
كناية عن عدم المعلوم لما بينهما من اللزوم المبني على لزوم تحقق الأول لتحقق الثاني ضرورة استحالة تحقق شيء بدون علمه تعالى به وإيثارها
على التصريح للمبالغة في تحقيق المعنى المراد فإنها إثبات لعدم جهادهم بالبرهان وللإيذان بأن مدار ترتب الجزاء على الأعمال إنما هو علم الله تعالى
بها كأنه قيل والحال أنه لم يوجد الذين جاهدوا منكم وإنما وجه النفي إلى الموصوفين مع أن المنتفي هو الوصف فقط وكما يكفي أن يقال ولما يعلم

الله جهادكم كناية عن معنى ولما تجاهدوا للمبالغة في بيان انتفاء الوصف وعدم تحققه اصلا وفي كلمة لما ايذان بان الجهاد متوقع منهم فيما يستقبل الا انه
غير معتبر في تأكيد الانكار وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذف النون او على طريقة اتباع الميم لما قبلها في الحركة لابقاء تفخيم اسم الله تعالى
منكم حال من الذين ويعلم الصابرين منصوب باضمار ان على ان الواو للجمع كما في قولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن اي لا يكن منك اكل السمك وشرب
اللبن والمعنى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة والحال انه لم يتحقق منكم الجهاد والصبر اي الجمع بينهما وايثار اسم الفاعل على الموصول للدلالة على ان المعتبر
هو الاستمرار على الصبر وللمحافظة على الفواصل وقيل مجزوم معطوف على المجزوم قبله قد حرك لالتقاء الساكنين بالفتح للخفة والاتباع كما تر
ويؤيده القراءة بالكسر على ما هو الاصل في تحريك الساكن وقرئ يعلم بالرفع على ان الواو للحال وصاحبها الموصول والمبتدا محذوف اي وهو يعلم
الصابرين كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اي تتمنون الحرب فانها من مبادي الموت او الموت بالشهادة والخطاب
للذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الخروج ثم ظهر منهم خلاف ذلك من قبل ان تلقوه متعلق بتمنون مبين لسبب اقدامهم على التمني اي من قبل ان تشاهدوه
وتعرفوا هوله وشدته وقرئ تلاقوه فقد رأيتموه اي ما تتمنونه من اسباب الموت او الموت بمشاهدة اسبابه وقوله تعالى وانتم تنظرون حال من ضمير
المخاطبين وفي ايثار الرؤية على الملاقاة وتقييدها بالنظر مزيد مبالغة في مشاهدتهم له والفاء فصيحة كانه قيل ان كنتم صادقين في تمنيكم ذلك
فقد رأيتموه معاينين له حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا فلم فعلتم ما فعلتم وهو توبيخ لهم على تمنيهم
الحرب وتسببهم لها ثم جبنهم وانهزامهم لا على تمني الشهادة بناء على تضمنها لغلبة الكفار لان مطلب من يتمناها نيل كرامة الشهداء من غير
ان يخطر بباله شيء غير ذلك فلا يستحق العتاب من تلك الجهة وما محمد الا رسول او حصر ولا عمل لما بالاتفاق لنفيه بالا وقوله تعالى قد خلت
من قبله الرسل صفة لرسول منبئة عن كونه في شرف الخلو فان خلو مشاركيه في منصب الرسالة من شواهد خلوه عليه السلام لا محالة
كانه قيل قد خلت من قبله امثاله فسيخلو كما خلوا والقصر قلبي فانهم لما انقلبوا على اعقابهم فكأنهم اعتقدوا انه عليه السلام رسول لا كسائر
الرسل في انه سيخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه كما يجب التمسك بدينهم وقيل هو قصر افراد فانهم لما استعظموا عدم بقائه عليه السلام
لهم نزلوا منزلة المستبعدين لهلاكه كانهم يعتقدون فيه عليه السلام وصفين الرسالة والبعد عن الهلاك فرد عليهم بانه مقصور
على الرسالة لا يتجاوزها الى البعد عن الهلاك فلا بد حينئذ من جعل قوله تعالى قد خلت الى آخره كلاما مبتدأ مسوقا لتقرير عدم برائته
عليه السلام من الهلاك وبيان كونه له اسوة بمن قبله من الرسل عليهم السلام واياما كان فالكلام يخرج على خلاف مقتضى الظاهر افائن مات
او قتل انقلبتم على اعقابكم انكار لارتدادهم وانقلابهم عن الدين بخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به
وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم بعد وفاته مع كونه سببا في الحقيقة لثباتهم على الدين
وايراد الموت بكلمة ان مع العلم به البتة لتنزيل المخاطبين منزلة المترددين فيه لما ذكر من استعظامهم اياه وهكذا الحال في سائر
الموارد فان كلمة ان في كلام الله تعالى لا تجري على ظاهرها قط ضرورة علمه تعالى بالوقوع او اللاوقوع بل تحمل على اعتبار حال السامع
او امر آخر يناسب المقام وتقديم تقدير الموت مع ان تقدير القتل هو الذي ثار منه الفتنة وعظم فيه المحنة لما ان الموت في شرف
الوقوع فزجر الناس عن الانقلاب عنده وحملهم على التثبت هناك اهم ولان الوصف الجامع بينه وبين الرسل عليهم السلام هو الخلو بالموت دون
القتل روي انه لما التقى الفئتان حمل ابو دجانة في نفر من المسلمين على المشركين فقاتل قتالا شديدا وقاتل علي بن ابي طالب
رضي الله عنه قتالا عظيما حتى التوى سيفه وكذا سعد بن ابي وقاص فقتلوا جماعة من المشركين وهزموهم فلما نظر الرماة اليهم
وراوا انهم قد انهزموا اقبلوا على النهب ولم يلتفتوا الى نهي اميرهم عبد الله بن جبير فلم يبق منهم عنده الا ثمانية نفر فلما رآهم
خالد بن الوليد قد اشتغلوا بالغنيمة حمل عليهم في مائتين وخمسين فارسا من المشركين من قبل الشعب وقتلوا من بقي من الرماة
ودخلوا خلف اقفية المسلمين ففرقوهم وهزموهم وحملوا على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلوهم حتى اصيب هناك نحو

ثلثين رجلا كل منهم يجثو بين يديه ويقول وجهي لوجهك وقاء ونفسي لنفسك فداء وعليك سلام الله غير مودع ورمى عبد الله بن قميئة الحارثي رسول الله
صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه الكريم فذب عنه مصعب بن عمير رضي الله عنه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قميئة وهو يزعم انه قتل
النبي صلى الله عليه وسلم فقال قتلت محمدا وصرخ صارخ قيل انه ابليس الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الى عباد الله
قال كعب بن مالك كنت اول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين فناديت باعلى صوتي يا معشر المسلمين هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانحاز اليه ثلثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي يأخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال
ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر وهو عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب
محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا كراما على ما مات عليه ثم قال اللهم اني
اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه وقاتل حتى قتل وتجويزهم لقتله عليه السلام مع قوله تعالى والله
يعصمك من الناس لما ان كل آية ليس يسمعها كل احد ولا كل من يسمعها يستحضرها في كل مقام لا سيما في مثل ذلك المقام الهائل وقد غفل عمر رضي الله عنه
عن هذه الآية الكريمة عند وفاته عليه الصلوة والسلام وقام في الناس فقال ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
توفي وان الله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه اربعين ليلة ثم رجع والله ليرجعن رسول الله ولا يقطعن
ايدي رجال وارجلهم يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ولم يزل يكرر ذلك الى ان قام ابو بكر رضي الله تعالى عنه فحمد الله عز وجل
واثنى عليه ثم قال ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم تلا وما محمد الا رسول قد خلت
من قبله الرسل الآية قال الراوي والله لكأن الناس لم يعلموا ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تلاها ابو بكر رضي الله
تعالى عنه وقال عمر رضي الله عنه والله ما هو الا ان سمعت ابا بكر رضي الله عنه تلاها فعقرت ما تحملني رجلاي وعرفت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد مات ومن ينقلب على عقبيه بادباره عما كان يقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من امر الجهاد وغيره وقيل بارتداده عن الاسلام وما ارتد يومئذ احد
من المسلمين الا ما كان من المنافقين فلن يضر الله بما فعل من الانقلاب شيئا اي شيئا من الضرر وانما يضر نفسه بتعريضها للسخط والعذاب وسيجزي الله الشاكرين
اي الثابتين على دين الاسلام الذي هو اجل نعمة واعز معروف سموا بذلك لان الثبات عليه شكر له وعرفان لحقه وفيه ايماء الى كفران المنقلبين
وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان المراد بهم الطائعون لله تعالى من المهاجرين والانصار وعن علي رضي الله تعالى عنه ابو بكر واصحابه
وعنه رضي الله عنه انه قال ابو بكر من الشاكرين ومن احباء الله تعالى واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لابراز مزيد الاعتناء بشأن جزائهم وما
كان لنفس ان تموت كلام مستأنف سيق للتنبيه على خطائهم فيما فعلوا حذرا من قتلهم وبناء على الارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم ببيان ان موت كل نفس منوط
بمشيئة الله عز وجل لا يكاد يقع بدون تعلقها به وان خوضت موارد الحتوف واقتحمت مضائق كل ما يخاف وقد اشير بذلك الى انها لم تكن متعلقة
بموتهم في الوقت الذي حذروا فيه ولذلك لم يقتلوا ح لا لاحجامهم عن مباشرة القتال وكلمة كان ناقصة اسمها ان تموت وخبرها الظرف على انه
متعلق بمحذوف وقوله تعالى الا باذن الله استثناء مفرغ من اعم الاسباب اي وما كان الموت حاصلا لنفس من النفوس بسبب من الاسباب الا بمشيئة الله تعالى
على ان الاذن مجاز منها لكونها من لوازمه او الا باذنه لملك الموت في قبض روحها وسوق الكلام مساق التمثيل بتصوير الموت بالنسبة الى النفوس
بصورة الافعال الاختيارية التي لا ينبغي للفاعل ايقاعها والاقدام عليها بدون اذنه تعالى او بتنزيل اقدامها على مباديه اعني القتال منزلة الاقدام
على نفسه للمبالغة وتحقيق المرام فان موتها حين استحال وقوعه عند اقدامها عليه او على مباديه وسعيها في ايقاعه فلان يستحيل عند عدم ذلك
اولى واظهر وفيه من التحريض على القتال ما لا يخفى كتابا مصدر مؤكد لمضمون ما قبله اي كتبه الله كتابا مؤجلا موقتا بوقت معلوم لا يتقدم ولا يتأخر ولو
ساعة وقرئ موجلا بالواو بدل الهمزة على قياس التخفيف وبعد تحقيق ان مدار الموت والحيوة محض مشيئة الله عز وجل من غير ان يكون فيه مدخل
لاحد اصلا اشير الى ان توفية ثمرات الاعمال دائرة على ارادتهم ليصرفوها عن الاغراض الدنيئة الى المطالب السنية فقيل ومن يرد اي بعمله
ثواب الآخرة نؤته منها اي من ثوابها ما نشاء من الاضعاف حسبما جرى به الوعد الكريم وسنجزي الشاكرين نعمة الاسلام الثابتين عليه الصارفين لما آتاهم الله تعالى

ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها

من القوى والقدر اي ما خلقت هي لاجله من طاعة الله عز وجل لا يلويهم عن ذلك صارف اصلاً والمراد بهم اما المجاهدون المعهودون الشهداء

وغيرهم واما جنس الشاكرين وهم داخلون فيه دخولاً اوليا والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله ووعد بالمزيد عليه وفي تصديرها بالسين وابهام

الجزاء من التأكيد والدلالة على فخامة شان الجزاء وكونه بحيث يقصر عنه البيان ما لا يخفى وقرئ الافعال الثلثة بالياء **وكأين** كلام مبتدأ

ناع عليهم تقصيرهم وسوء صنيعهم في صدودهم عن سنن الربانيين المجاهدين في سبيل الله تعالى مع الرسل الخالية عليهم وكأين لفظة مركبة

من كاف التشبيه واي حدث فيها بعد التركيب معنى التكثير كما حدث في كذا وكذا والنون تنوين اثبتت في الخط على غير قياس وفيها

خمس لغات هي احديهن والثانية كائن مثل كاعن والثالثة كأين مثل كعين والرابعة كيإن بياء ساكنة بعدها همزة مكسورة وهي

قلب ما قبلها والخامسة كإن مثل كعن وقد قرئ بكل منها ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تع **من نبي** تمييز لها لانها مثل كم الخبرية وقد

جاء تمييزها منصوباً كما في قوله اطرد اليأس بالرجا فكأين املاً حم يسره بعد عسر وقوله تع **قاتل معه ربيون كثير** خبرها على ان الفعل مسند الى

الظاهر والرابط هو الضمير المجرور في معه وقرئ قتل وقتل على صيغة المبني للمفعول مخففة ومشددة والربي منسوب الى الرب كالرباني

وكسر الراء من تغييرات النسب وقرئ بضمها وبفتحها ايضاً على الاصل وقيل هو منسوب الى الربة وهي الجماعة اي كثير من الانبياء قاتل معه لاعلاء

كلمة الله واعزاز دينه علماء اتقياء او عابدون او جماعات كثيرة فالظرف متعلق بقاتل او بمحذوف وقع حالاً من فاعله كما في القرائتين

الاخيرتين اذ لا احتمال فيهما لتعلقه بالفعل اي قتلوا او قتلوا كائنين معه في القتال لا في القتل قال سعيد بن جبير رضي الله عنه ما سمعنا

بنبي قتل في القتال وقال الحسن البصري وجماعة من العظماء لم يقتل نبي في حرب قط وقيل الفعل مسند الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم والظرف

متعلق بمحذوف وقع حالاً منه والرابط هو الضمير المجرور الراجع اليه وهذا واضح على القراءة المشهورة بلا خلاف اي كم من نبي قاتل كائنا معه

في القتال ربيون كثير واما على القرائتين الاخيرتين فغير ظاهر لا سيما على قراءة التشديد وقد جوزه بعضهم وايده بان مدار التوبيخ

انخذالهم للارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم اي كم من نبي قتل معه كائناً معه في القتل كما في قولك وغلطته فلم يتغيظ وصحت به فلم ينزجر

فان الاتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمراراً عليه بحسب الظاهر لكنه بحسب الحقيقة صنع جديد مصحح لدخول الفاء

المترتبة له على ما قبله اي فما فتروا وما انكسرت همتهم **لما اصابهم** في اثناء القتال هو علة للمنفي دون النفي وقوله تع يتعلق بقوله تع

في سبيل الله فان كون ذلك في سبيله عز وجل مما يقوي قلوبهم ويزيل وهنهم وما موصولة او موصوفة فان جعل الضميران

لجميع الربيين فهي عبارة عما عدا القتل من الجراح وسائر المكاره المعترية للكل وان جعلا للبعض الباقين بعد ما قتل

الآخرون كما هو الانسب بمقام توبيخ المنخذلين بعد ما استشهد الشهداء فهي عبارة عما ذكر مع ما اعتراهم من قتل اخوانهم

من الخوف والحزن وغير ذلك هذا على القراءة المشهورة واما على القرائتين الاخيرتين فان اسند الفعل الى الربيين فالضمير

للباقين منهم حتماً وان اسند الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم كما هو الانسب بالتوبيخ على ان الانخذال بسبب الارجاف بقتله صلى الله

عليه وسلم فهما للباقين ايضاً ان اعتبر كون الربيين مع النبي في القتل وللجميع ان اعتبر كونهم معه في القتال **وما ضعفوا** عن

العدو وقيل عن الجهاد وقيل في الدين **وما استكانوا** اي وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه

ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار

عند استيلاء الكفرة عليهم والارجاف بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان

يعتضدوا بابن ابي المنافق لطلب الامان من ابي سفيان **والله يحب الصابرين** اي على مقاساة الشدائد ومعاناة المكاره في سبيل الله تعالى

فينصرهم ويعظم قدرهم والمراد بالصابرين اما المعهودون والاظهار في موضع الاضمار للثناء عليهم بحسن الصبر والاشعار بعلة الحكم واما الجنس

وهم داخلون فيه دخولاً اولياً والجملة تذييل لما قبلها **وما كان قولهم** كلام مبين لمحاسنهم القولية معطوف على ما قبله من الجمل المبينة لمحاسنهم

الفعلية وقولهم بالنصب خبر لكان واسمها ان وما بعدها في قوله تع **الا ان قالوا** والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء اي ما كان قولهم

عند لقاء العدو واقتحام مضائق الحرب واصابة ما اصابهم من فنون الشدائد والاهوال شيء من الاشياء الا ان قالوا **ربنا اغفر لنا ذنوبنا** اي

صغائرنا **واسرافنا في امرنا** اي تجاوزنا الحد في ركوب الكبائر اضافوا الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين براء من

التفريط في جنب الله تعالى هضماً لها واستقصاراً لهممهم واسناداً لما اصابهم الى اعمالهم وقدموا الدعاء بمغفرتها على ما هو الاهم بحسب الحال

من الدعاء بقولهم **وثبت اقدامنا** اي في مواطن الحرب بالتقوية والتأييد من عندك او ثبتنا على دينك الحق **وانصرنا على القوم**

الكافرين تقريباً له الى حيز القبول فان الدعاء المقرون بالخضوع الصادر عن زكاء وطهارة اقرب الى الاستجابة والمعنى لم يزالوا

مواظبين على هذا الدعاء من غير ان يصدر عنهم قول يوهم شائبة الجزع والخوف والتزلزل في مواقف الحرب ومراصد الدين وفيه

من التعريض بالمنهزمين ما لا يخفى وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية عنهما برفع قولهم على انه الاسم والخبر ان وما في حيزها اي ما كان قولهم

شيئاً من الاشياء الا هذا القول المنبئ عن احاسن المحاسن وهذا كما ترى اقعد بحسب المعنى واوفق بمقتضى المقام لما ان الاخبار

بكون قولهم المطلق خصوصية قولهم المحكي عنهم مفصلاً كما يفيده قراءتهما اكثر افادة للسامع من الاخبار بكون خصوصية قولهم

المذكور قولهم لما ان مصب الفائدة وموقع البيان في الجمل الخبرية هو الخبر فالاحق بالخبرية ما هو اكثر افادة واظهر دلالة على

الحدث واوفر اشتمالاً على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع ولا يخفى ان ذلك ههنا في ان مع

ما في حيزها اتم واكمل واما ما يفيده الاضافة من النسبة المطلقة الاجمالية بحيث كانت سهلة الحصول خارجاً وذهناً كان حقها

ان تلاحظ ملاحظة اجمالية وتجعل عنواناً للموضوع لا مقصوداً بالذات في باب البيان وانما اختار الجمهور ما اختاروه لقاعدة

صناعية هي انه اذا اجتمع معرفتان فالاعرف منهما احق بالاسمية ولا ريب في اعرفية ان فانها الدالة على جهة النسبة وزمان

الحدث ولانه يشبه المضمر من حيث انه لا يوصف ولا يوصف به وقولهم مضاف الى مضمر فهو بمنزلة العلم **فآتاهم الله** بسبب دعائهم

ذلك **ثواب الدنيا** اي النصر والغنيمة والعز والذكر الجميل **وحسن ثواب الآخرة** اي وثواب الآخرة الحسن وهو الجنة والنعيم المخلد

وتخصيص الحسن به للايذان بفضله ومزيته وانه المعتد به عنده تع **والله يحب المحسنين** تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان محبة الله

تع للعبد عبارة عن رضاه عنه وارادة الخير به فهي مبدأ لكل سعادة واللام اما للعهد وانما وضع المظهر موضع ضمير المعهودين

للاشعار بان ما حكي عنهم من الافعال والاقوال من باب الاحسان واما للجنس وهم داخلون فيه دخولاً اولياً وهذا انسب بمقام

المؤمنين في تحصيل ما حكي عنهم من المناقب الجليلة **يا ايها الذين آمنوا** شروع في زجرهم عن متابعة الكفار ببيان استتباعها لخسران

الدنيا والآخرة اثر ترغيبهم في الاقتداء بانصار الانبياء عليهم السلام ببيان افضائه الى فوزهم بسعادة الدارين وتصدير الخطاب

بالنداء والتنبيه لاظهار الاعتناء بما في حيزه ووصفهم بالايمان لتذكير حالهم وتثبيتهم عليها باظهار مباينتها لحال اعدائهم كما

ان وصف المنافقين بالكفر في قوله تع **ان تطيعوا الذين كفروا** لذلك قصداً الى مزيد التنفير عنهم والتحذير عن طاعتهم

قال علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم فوقوع قوله تعالى **يردوكم**

على اعقابكم جواباً للشرط مع كونه في قوة ان يقال ان تطيعوهم في قولهم ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم يدخلوكم في دينهم

باعتبار كونه تمهيداً لقوله تع **فتنقلبوا خاسرين** اي للدنيا والآخرة غير فائزين بشيء منهما واقعين في العذاب الخالد على ان الارتداد

على العقب علم في انتكاس الامر ومثل في الحور بعد الكور وقيل المراد بهم اليهود والنصارى حيث كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه

في الدين ويقولون لو كان نبياً حقاً لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوماً عليه ويوماً له

وقيل ابو سفيان واصحابه والمراد بطاعتهم استماعهم والاستكانة لهم وقبول قولهم وقيل الموصول على عمومه والمعنى نهي المؤمنين عن طاعتهم في امر من

الامور حتى لا يستجروهم الى الارتداد عن الدين فلا حاجة على هذه التقادير الى ما مر من البيان **بل الله مولاكم** اضراب عما يفهم من مضمون الشرطية

كأنه قيل فليسوا انصاركم حتى تطيعوهم بل الله ناصركم لا غيره فأطيعوه واستغنوا به عن موالاتهم وقرئ بالنصب كأنه قيل لا تطيعوهم

بل اطيعوا الله وهو مولاكم نصب على انه صفة له وهو خير الناصرين فخصوه بالطاعة والاستعانة سنلقي بنون العظمة على طريقة الالتفات على سنن الكبرياء لتربية المهابة وقرئ بالياء والسين لتاكيد الالقاء في قلوب الذين كفروا الرعب بسكون العين وقرئ بضمها على الاصل وهو ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستاصلوهم فعند ذلك القى الله تعالى في قلوبهم الرعب فامسكوا فلا بد من كون نزول الآية في تضاعيف الحراب او عقيب انقضائه وقيل هو ما القي في قلوبهم من الرعب يوم الاحزاب بما اشركوا بالله متعلق بنلقي دون الرعب وما مصدرية اي بسبب اشراكهم به تعالى فانه من موجبات خذلانهم ونصر المؤمنين عليهم وكلاهما من دواعي الرعب ما لم ينزل به اي باشراكه سلطانا اي حجة سميت به لوضوحها وانارتها او لقوتها او لحدتها ونفوذها وذكر عدم تنزيلها مع استحالة تحققها في نفسها من قبيل قوله ولا ترى الضب بها ينجحر اي لا ضب ولا انجحار وفيه ايذان بان المتبع في الباب هو البرهان السماوي دون الآراء والاهواء الباطلة ومأواهم بيان لاحوالهم في الآخرة اثر بيان احوالهم في الدنيا وهو الرعب اي ما ياوون اليه في الآخرة النار لا ملجا لهم غيرها وبئس مثوى الظالمين اي مثواهم وانما وضع موضعه المظهر المذكور للتغليظ والتعليل والاشعار بانهم في اشراكهم ظالمون واضعون للشيء في غير موضعه والمخصوص بالذم محذوف اي بئس مثوى الظالمين النار وفي جعلها مثواهم بعد جعلها ماويهم نوع رمز الى خلودهم فيها فان المثوى مكان الاقامة المنبئة عن المكث واما الماوي فهو المكان الذي ياوي اليه الانسان ولقد صدقكم الله وعده نصب على انه مفعول ثان لصدق صريحا وقيل بنزع الجار اي في وعده نزلت حين قال ناس من المؤمنين عند رجوعهم الى المدينة من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله تعالى بالنصر وهو ما وعدهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من النصر قال للرماة لا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وفي رواية اخرى لا تبرحوا عن هذا المكان فانا لا نزال غالبين ما دمتم في هذا المكان وقد كان كذلك فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم قتلا ذريعا وذلك قوله تعالى اذ تحسونهم اي تقتلونهم قتلا كثيرا فاشيا من حسه اذا ابطل حسه وهو ظرف لصدقكم وقوله تعالى باذنه اي بتيسيره وتوفيقه لتحقيق ان قتلهم بما وعدهم الله تعالى من النصر وقيل هو ما وعدهم بقوله تعالى ان تصبروا وتتقوا الآية وقد مر تحقيق ان ذلك كان يوم بدر كيف لا والموعود بما ذكر امداده عز وجل بانزال الملائكة عليهم السلام وتقييد صدق وعده تعالى بوقت قتلهم باذنه تعالى صريح في ان الموعود هو النصر المعنوي والتيسير لا الامداد بالملائكة وقيل هو ما وعده تعالى بقوله سنلقي الخ وانت خبير بان القاء الرعب كان عند تركهم القتال ورجوعهم من غير سبب وبعد ذلك في الطريق على اختلاف الروايتين واياما كان فلا سبيل الى كونه مغيا بقوله تعالى حتى اذا فشلتم اي جبنتم وضعف رايكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف القلب وتنازعتم في الامر فقال بعض الرماة حين انهزم المشركون وولوا وراءهم والمسلمون على اعقابهم قتلا وضربا فما موقفنا ههنا بعد هذا وقال اميرهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه لا نخالف امر الرسول صلى الله عليه وسلم فثبت مكانه في نفر دون العشرة من اصحابه ونفر الباقون للنهب وذلك قوله تعالى وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون اي من الظفر والغنيمة وانهزام العدو فلما راى المشركون ذلك حملوا عليهم من قبل الشعب وقتلوا امير الرماة ومن معه من اصحابه حسبما فصل في تفسير قوله تعالى افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم وجواب اذا محذوف وهو منعكم نصره وقيل هو امتحنكم ويرده جعل الابتلاء غاية للصرف المترتب على منع النصر وقيل هو انقسمتم الى قسمين كما ينبئ عنه قوله تعالى منكم من يريد الدنيا وهم الذين تركوا المركز واقبلوا على النهب ومنكم من يريد الآخرة وهم الذين ثبتوا مكانهم حتى نالوا شرف الشهادة هذا على تقدير كون اذا شرطية وحتى ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية وقيل اذا اسم كما في قولهم اذا يقوم زيد اذا يقوم عمرو وحتى حرف جر بمعنى الى متعلقة بقوله تعالى صدقكم باعتبار تضمنه لمعنى النصر كانه قيل لقد نصركم الله وقت فشلكم وتنازعكم الى آخره وعلى هذا فقوله تعالى ثم صرفكم عنهم عطف على ذلك وعلى الاول عطف على الجواب المحذوف كما اشير اليه والجملتان الظرفيتان اعتراض بين المتعاطفين اي كفكم عنهم حتى حالت الحال ودالت الدولة

وفيه من اللطف بالمسلمين ما لا يخفى ليبتليكم اي يعاملكم معاملة من يمتحنكم بالمصائب ليظهر ثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمكم على المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومؤذن بان ذلك العفو بطريق التفضل والاحسان لا بطريق الوجوب عليه اي شانه ان يتفضل عليهم بالعفو او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال اديل لهم او اديل عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة والتنكير للتفخيم والمراد بالمؤمنين اما المخاطبون والاظهار في موقع الاضمار للتشريف والاشعار بعلة الحكم واما الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا اذ تصعدون متعلق بصرفكم او بقوله تعالى ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض وقرئ تصعدون من الثلاثي اي في الجبل وقرئ تصعدون من التفعل بطرح احدى التائين وقرئ يصعدون بالالتفات الى الغيبة ولا تلوون على احد اي لا تلتفتون الى ما وراءكم ولا يقف واحد منكم لواحد وقرئ تلون بواو واحدة بقلب الواو المضمومة همزة وحذفها تخفيفا وقرئ يلوون كيصعدون والرسول يدعوكم كان صلى الله عليه وسلم يدعوهم الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة للايذان بان دعوته عليه السلام كانت بطريق الرسالة من جهته سبحانه اشباعا في توبيخ المنهزمين في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى فاثابكم عطف على صرفكم اي فجازاكم الله تعالى بما صنعتم غما موصولا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم وفوت الغنيمة فالتنكير للتكثير او غما بمقابلة غم اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا على نفع فات او ضر آت وقيل لا زائدة والمعنى لتتاسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجراح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في اثابكم للرسول صلى الله عليه وسلم اي واساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم وتنفيسا عنكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر وما اصابكم من الجراح وغير ذلك والله خبير بما تعملون اي عالم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم عطف على قوله تعالى فاثابكم والخطاب للمؤمنين حقا من بعد الغم اي غم المذكور والتصريح بتاخر الانزال عنه مع دلالة ثم عليه وعلى تراخيه عنه لزيادة البيان وتذكير عظيم النعمة كما في قوله تعالى ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا امنة اي امنا نصب على المفعولية وقوله تعالى نعاسا بدل منها او عطف بيان وقيل مفعول له او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة عليه او مفعول له او حال من المخاطبين على تقدير مضاف اي ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة وقرئ بسكون الميم كانها مرة من الامن وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر غير مرة من الاعتناء بشان المقدم والتشويق الى المؤخر وتخصيص الخوف من فنون الغم بالازالة لانه المهم عندهم حينئذ لما ان المشركين لما انصرفوا كانوا يتوعدون بالرجوع فلم يامنوا كرتهم وكانوا تحت الحجف متاهبين للقتال فانزل الله تعالى عليهم الامنة فاخذهم النعاس قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما امنهم يومئذ بنعاس يغشاهم بعد خوف وانما ينعس من امن والخائف لا ينام وقال الزبير رضي الله عنه كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف فانزل الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني ما اسمعه الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وقال ابو طلحة رضي الله عنه رفعت راسي يوم احد فجعلت لا ارى احدا من القوم الا وهو يميل تحت حجفته من النعاس قال وكنت ممن القي عليه النعاس يومئذ فكان السيف يسقط من يدي فآخذه ثم يسقط السوط من يدي فآخذه وفيه دلالة على ان من المؤمنين من لم يلق عليه النعاس كما ينبئ عنه قوله عز وجل يغشى طائفة منكم قال ابن عباس هم المهاجرون وعامة الانصار ولا يقدح ذلك في عموم الانزال للكل والجملة في محل النصب على انها صفة لنعاسا وقرئ بالتاء على انها صفة لامنة وفيه ان الصفة حقها ان تتقدم على البدل وعطف البيان وان لا تفصل بينها وبين الموصوف بالمفعول له وان المعهود ان يحدث عن البدل دون المبدل منه وطائفة قد اهمتهم انفسهم اي اوقعتهم في الهموم والاحزان او ما بهم الا هم انفسهم وقصد خلاصها من قولهم اهمني الشيء اي كان من همي وقصدي والقصر مستفاد بمعونة المقام وطائفة مبتدا وما بعدها خبرها وانما جاز ذلك مع كونها نكرة لاعتمادها على واو الحال كما في قوله سرينا ونجم قد اضاء

فقد بدا المحياك اخفى ضوءه كل شارق ولوقوعها في موقع التفصيل كما في قوله اذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وتحتي شقها لم يحول
واما صفتها في الخبر محذوف اي ومعكم طائفة وفيه انه يقتضي دخول المنافقين في الخطاب بانزال الامنة واياما كان فالجملة اما حالية
مبينة لفظاعة الهول مؤكدة لعظم النعمة في الخلاص عنه كما في قوله تع او لم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم واما مستانفة
مسوقة لبيان حال المنافقين وقوله عز وجل يظنون بالله حال من ضمير اهمتهم او من طائفة لتخصصها بالصفة او صفة اخرى لها او خبر بعد خبر او
استيناف مبين لما قبله وقوله تع غير الحق في حكم المصدر اي يظنون به تعالى غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به سبحانه وقوله تع ظن الجاهلية
بدل منه وهو الظن المختص بالملة الجاهلية في الاضافة كما في حاتم الجود ورجل صدق وقوله تع يقولون بدل من يظنون لما ان مسائلهم
كانت صادرة عن الظن اي يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم على صورة الاسترشاد هل لنا من الامر اي من امر الله تعالى ووعده من النصر
والظفر من شيء اي من نصيب قط او هل لنا من التدبير من شيء وقوله تع قل ان الامر كله لله اي الغلبة بالآخرة لله تع ولاوليائه فان
حزب الله هم الغالبون او ان التدبير كله لله تعالى فانه تعالى قد دبر الامر كما جرى في سابق قضائه فلا مرد له وقرئ كله بالرفع على الابتداء
وقوله تع يخفون في انفسهم اي يضمرون فيها او يقولون فيما بينهم بطريق الخفية ما لا يبدون لك استيناف او حال من ضمير يقولون
وقوله تع قل ان الامر الخ اعتراض بين الحال وصاحبها اي يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين الانكار
والتكذيب وقوله تع يقولون استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا مما قبله كانه قيل اي شيء يخفون فقيل يحدثون انفسهم او يقول
بعضهم لبعض فيما بينهم خفية لو كان لنا من الامر شيء كما وعد محمد عليه السلام من ان الغلبة لله تع ولاوليائه وان الامر كله لله او لو كان لنا
من التدبير والراي شيء ما قتلنا هاهنا اي ما غلبنا او ما قتل من قتل منا في هذه المعركة على ان النفي راجع الى نفس القتل لا الى وقوعه
فيها فقط او لما خرجنا من منازلنا كما راه ابن ابي ويؤيده تعيين مكان القتل وكذا قوله تع قل لو كنتم في بيوتكم اي لو لم تخرجوا الى احد
وقعدتم بالمدينة كما تقولون لبرز الذين كتب عليهم القتل اي في اللوح المحفوظ بسبب من الاسباب الداعية الى البروز الى مضاجعهم الى مصارعهم
التي قدر الله قتلهم فيها وقتلوا هنالك البتة ولم تنفع العزيمة على الاقامة بالمدينة قطعا فان قضاء الله تعالى لا يرد وحكمه لا يعقب
وفيه مبالغة في رد مقالتهم الباطلة حيث لم يقتصر على تحقيق نفس القتل كما في قوله عز وجل اينما تكونوا يدرككم الموت بل عين مكانه
ايضا ولا ريب في تعين زمانه ايضا لقوله تع فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون روي ان ملك الموت حضر
مجلس سليمان عليه السلام فنظر الى رجل من اهل المجلس نظرة هائلة فلما قام قال الرجل من هذا قال سليمان عليه السلام ملك الموت
قال ارسلني مع الريح الى عالم آخر فاني رايت منه مرأى هائلا فامرها عليه السلام فالقته في قطر سحيق من اقطار العالم فما لبث
ان عاد ملك الموت الى سليمان عليه السلام فقال كنت امرت بقبض روح ذلك الرجل في هذه الساعة في ارض كذا فلما وجدته في
مجلسك قلت متى يصل هذا اليها وقد ارسلته بالريح الى ذلك المكان فوجدته هناك فقضى الله عز وجل في زمانه ومكانه من غير اخلال
بشيء من ذلك وقرئ كتب على البناء للفاعل ونصب القتل وقرئ كتب عليهم القتال وقرئ لبرز بالتشديد على البناء للمفعول وليبتلي الله
ما في صدوركم اي ليعاملكم معاملة من يبتلي ما في صدوركم من الاخلاص والنفاق ويظهر ما فيها من السرائر وهو علة لفعل مقدر قبلها معطوفة
على علل لها اخرى مطوية للايذان بكثرتها كانه قيل فعل ما فعل لمصالح جمة وليبتلي الخ وجعلها علة لبرز يأباه الذوق السليم فان
مقتضى المقام بيان حكمة ما وقع يومئذ من الشدة والهول لا بيان حكمة البروز المفروض او لفعل مقدر بعدها اي وللابتلاء المذكور فعل
ما فعل لا لعدم العناية بامر المؤمنين ونحو ذلك وتقدير الفعل مقدما خال عن هذه المزية وليمحص ما في قلوبكم من مخفيات الامور
ويكشفها او يخلصها من الوساوس والله عليم بذات الصدور اي السرائر والضمائر الخفية التي لا تكاد تفارق الصدور بل تلازمها وتصاحبها
والجملة اما اعتراض للتنبيه على ان الله تعالى غني عن الابتلاء وانما يبرز صورة الابتلاء لتمرين المؤمنين واظهار حال المنافقين او حال
من متعلق الفعلين اي فعل ما فعل للابتلاء والتمحيص والحال انه تعالى غني عنهما محيط بخفيات الامور وفيه وعد ووعيد ان الذين تولوا منكم

يوم التقى الجمعان وهم الذين انهزموا يوم احد حسبما مرت حكاياتهم انما استزلهم الشيطان اي انما كان سبب انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل
ببعض ما كسبوا من الذنوب والمعاصي التي هي مخالفة امر النبي صلى الله عليه وسلم وترك المركز والحرص على الغنيمة او الحيوة فحرموا التأييد وقوة
القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بذنوب تقدمت لهم فان المعاصي تجر بعضها الى بعض كالطاعة وقيل استزلهم بذنوب سبقت
منهم وكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج عن المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل
بعقوبة المذنب ليتوب والجملة تعليل لما قبلها على سبيل التحقيق وفي اظهار الجلالة تربية للمهابة وتاكيد للتعليل يا ايها الذين
آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وهم المنافقون القائلون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا وانما ذكر في صدر الصلة
كفرهم تصريحا بمباينة حالهم لحال المؤمنين وتنفيرا عن مماثلتهم اثر ذي اثير وقوله تع وقالوا لاخوانهم تعيين لوجه الشبه والمماثلة التي
نهوا عنها اي قالوا لاجلهم وفي حقهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم نسبا او مذهبا اذا ضربوا في الارض اي سافروا فيها وابعدوا للتجارة
او غيرها وايثار اذا المفيدة لمعنى الاستقبال على اذ المفيدة لمعنى المضي لحكاية الحال الماضية اذ المراد بها الزمان المستمر المنتظم
للحال الذي عليه يدور امر استحضار الصورة قال الزجاج اذا هاهنا تنوب عما مضى من الزمان وما يستقبل يعني انها لمجرد الوقت او
يقصد بها الاستمرار وظرفيتها لقولهم انما هي باعتبار ما وقع فيها بل التحقيق انها ظرف له لا لقولهم كانه قيل قالوا لاجل ما اصاب
اخوانهم حين ضربوا الخ او كانوا اي اخوانهم غزى جمع غاز كعفى جمع عاف قال ومغبرة الآفاق خاشعة الضوي لها قلب عفى
الحياض اجون وقرئ بتخفيف الزاي على حذف التاء من غزاة وافراد كونهم غزاة بالذكر مع اندراجه تحت الضرب في الارض
لانه المقصود بيانه في المقام وذكر الضرب في الارض توطئة له وتقديمه لكثرة وقوعه على انه قد يوجد بدون الضرب في الارض
اذ المراد به السفر البعيد وانما لم يقل او غزوا للايذان باستمرار اتصافهم بعنوان كونهم غزاة او بانقضاء ذلك اي كانوا غزاة فيما مضى
وقوله تع لو كانوا عندنا اي مقيمين ما ماتوا وما قتلوا مفعول لقالوا ودليل ذلك على ان هناك مضمرا قد حذف ثقة به اي اذا
ضربوا في الارض فماتوا او كانوا غزى فقتلوا وليس المقصود بالنهي عدم مماثلتهم في النطق بهذا القول بل في الاعتقاد بمضمونه والحكم
بموجبه كما انه المنكر على قائليه الا يرى الى قوله عز وجل ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم فانه الذي جعل حسرة فيها قطعا وانما
بذلك كما نقل عن الزجاج انه اشارة الى ظنهم انهم لو لم يحضروا القتال لم يقتلوا وتعلقه بقالوا ليس باعتبار نطقهم بذلك القول
بل باعتبار ما فيه من الحكم والاعتقاد واللام لام العاقبة كما في قوله تع ليكون لهم عدوا وحزنا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون
حسرة في قلوبهم والمراد بالتعليل المذكور بيان عدم ترتب فائدة ما على ذلك اصلا وقيل هو تعليل للنهي يعني لا تكونوا مثلهم
في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مضادتكم لهم في القول والاعتقاد
مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لقولهم الباطل اثر بيان غائلته اي هو المؤثر في الحيوة والممات وحده من غير ان يكون للاقامة
او السفر مدخل في ذلك فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي مع اقتحامهما لموارد الحتوف ويميت المقيم والقاعد مع حيازتهما
لاسباب السلامة والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرئ بالياء على انه وعيد للذين كفروا وما يعملون عام متناول
لقولهم المذكور ولمنشائه الذي هو اعتقادهم ولما ترتب على ذلك من الاعمال ولذلك تعرض لعنوان البصر لا لعنوان السمع واظهار
الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة والقاء الروعة والمبالغة في التهديد والتشديد في الوعيد ولئن قتلتم في سبيل الله
او متم شروع في تحقيق ان ما يحذرون ترتبه على الغزو والسفر من القتل والموت في سبيل الله تع ليس مما ينبغي ان يحذر بل مما يجب
ان يتنافس فيه المتنافسون اثر ابطال ترتبه عليهما واللام هي الموطئة للقسم وما في قوله تع لمغفرة من الله ورحمة لام الابتداء و
التنوين في الموصوفين للتقليل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة للمبتدأ وقد حذف صفة رحمة للدلالة المذكور عليها والجملة جواب للقسم
ساد مسد جواب الشرط والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل اصلا ولئن وقع ذلك بامر الله تعالى فنفحة

يسيرة من مغفرة ورحمة كائنتين من الله تعالى بمقابلة ذلك خير مما يجمعون اي الكفرة من منافع الدنيا وطيباتها مدة أعمارهم
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما خير من طلاع الأرض ذهبة حمراء وقرئ بالتاء اي مما تجمعونه انتم لو لم تموتوا
والاقتصار على بيان خيريتهما من ذلك بلا تعرض للاخبار بحصولهما لهم للايذان بعدم الحاجة اليه بناء على استحالة التخييب منه تعالى
بعد الاطماع وقد قيل لابد من حذف أي لمغفرة لكم من الله الخ وح ايضا يكون اخراج المقدر مخرج الصفة دون الخبر
لنحو ما ذكر من ادعاء الظهور والغنى عن الاخبار به وتغيير الترتيب الواقع في قولهم ما ماتوا وما قتلوا المبني على كثرة الوقوع
وقلته للمبالغة في الترغيب في الجهاد ببيان زيادة مزية القتل في سبيل الله وانافته في استجلاب المغفرة والرحمة وفيه
دلالة واضحة على ما مر من ان المقصود بالنهي انما هو عدم مماثلتهم في الاعتقاد بمضمون القول المذكور والعمل بموجبه لا في التفوه
به واضلال الناس ولئن متم او قتلتم اي على اي وجه اتفق هلاككم حسب تعلق الارادة الالهية وقرئ متم بكسر الميم من مات يمات
لالى الله اي الى المعبود بالحق العظيم الشأن الواسع الرحمة الجزيل الاحسان تحشرون لا الى غيره فيوفي اجوركم ويجزل لكم عطاءكم والكلام
في لامي الجملة كما مر في اختيها فبما رحمة من الله لنت لهم تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والفاء لترتيب مضمون الكلام
على ما ينبئ عنه السياق من استحقاقهم اللائمة والتعنيف بموجب الجبلة البشرية او من سعة ساحة مغفرته تعالى ورحمته والباء
متعلقة بلنت قدمت عليه للقصر وما مزيدة للتوكيد أو نكرة ورحمة بدل منها مبين لابهامها والتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف
وقع صفة لرحمة اي فبرحمة عظيمة لهم كائنة من الله تعالى وهي ربطه على جأشه وتخصيصه بمكارم الأخلاق كنت لين الجانب لهم
وعاملتهم بالرفق والتلطف بهم حيث اغتممت لهم بعد ما كان منهم ما كان من مخالفة امرك واسلامك للعدو ولو لم تكن كذلك بل
كنت فظا جافيا في المعاشرة قولا وفعلا وقال الراغب الفظ هو الكريه الخلق وقال الواحدي هو الغليظ الجانب السيئ الخلق غليظ
القلب قاسيه وقال الكلبي فظا في القول غليظ القلب في الفعل لانفضوا من حولك لتفرقوا من عندك ولم يسكنوا اليك وترددوا في
مهاوي الردى والفاء في قوله عز وجل فاعف عنهم لترتيب العفو والأمر به على ما قبله اي اذا كان الأمر كما ذكر فاعف عنهم فيما
يتعلق بحقوقك كما عفا الله عنهم واستغفر لهم الله فيما يتعلق بحقوقه تعالى اتماما للشفقة عليهم واكمالا للبر بهم وشاورهم في الأمر اي في
امر الحرب اذ هو المعهود او فيه وفي امثاله مما يجري فيه المشاورة عادة استظهارا بآرائهم وتطييبا لقلوبهم وتمهيدا لسنة المشاورة
للأمة وقرئ وشاورهم في بعض الأمر فاذا عزمت اي عقيب المشاورة على شيء واطمأنت به نفسك فتوكل على الله في امضاء
امرك على ما هو ارشد لك واصلح فان علمه مختص به سبحانه وتعالى وقرئ فاذا عزمت على صيغة التكلم اي عزمت لك على شيء وارشدتك
اليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك احدا والالتفات لتربية المهابة وتعليل التوكل او الأمر به فان عنوان الألوهية الجامعة
لجميع صفات الكمال مستدع للتوكل عليه تعالى والأمر به ان الله يحب المتوكلين عليه تعالى فينصرهم ويرشدهم الى ما فيه خير لهم وصلاح والجملة
تعليل للتوكل عليه تعالى وقوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم جملة مستأنفة سيقت بطريق تلوين الخطاب تشريفا للمؤمنين لايجاب توكلهم
عليه تعالى وحثهم على اللجأ اليه وتحذيرهم عما يفضي الى خذلانه اي ان ينصركم يوم بدر فلا احد يغلبكم على طريق نفي الجنس المنتظم لنفي
جميع افراد الغالب ذاتا وصفة ولو قيل فلا يغلبكم احد يدل على نفي الصفة فقط ثم المفهوم من ظاهر النظم الكريم وان كان نفي
مغلوبيتهم من غير تعرض لنفي المساواة ايضا وهو الذي يقتضيه المقام لكن المفهوم منه فيما قطعيا هو نفي المساواة واثبات
الغالبية للمخاطبين فاذا قلت لا اكرم من فلان او لا افضل منه فالمفهوم منه حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وهذا
امر مطرد في جميع اللغات ولا اختصاص له بالنفي الصريح بل هو مطرد فيما ورد على طريق الاستفهام الانكاري كما في قوله تعالى ومن اظلم ممن
افترى على الله كذبا في مواقع كثيرة من التنزيل ومما هو نص قاطع فيما ذكرنا ما وقع في سورة هود حيث قيل بعده في حقهم
لا جرم انهم في الآخرة هم الأخسرون فان كونهم اخسر كل خاسر يستدعي قطعا كونهم اظلم من كل ظالم وان يخذلكم كما فعله يوم أحد

وقرئ يخذلكم من اخذله اذا جعله مخذولا فمن ذا الذي ينصركم استفهام انكاري مفيد لانتفاء الناصر ذاتا وصفة بطريق المبالغة من بعده
اي من بعد خذلانه تعالى او من بعد الله تعالى على معنى اذا جاوزتموه وعلى الله فليتوكل المؤمنون تقديم الجار والمجرور لافادة قصره عليه
تعالى والفاء لترتيبه او ترتيب الأمر به على ما مر من غلبة المخاطبين على تقدير نصرته تعالى لهم ومغلوبيتهم على تقدير خذلانه تعالى اياهم فان
العلم بذلك مما يقتضي قصر التوكل عليه تعالى لا محالة والمراد بالمؤمنين اما الجنس والمخاطبون داخلون فيه دخولا اوليا واما هم
خاصة بطريق الالتفات واياما كان ففيه تشريف لهم بعنوان الايمان اشتراكا او استقلالا وتعليل لتحتم التوكل عليه تعالى فان
وصف الايمان مما يوجبه قطعا وما كان لنبي اي وما صح لنبي من الانبياء عليهم السلام ولا استقام له ان يغل اي يخون في
المغنم فان النبوة تنافيه منافاة بينة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا أخذه خفية والمراد اما
تنزيه ساحة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما ظن به الرماة يوم أحد حين تركوا المركز وأفاضوا في الغنيمة وقالوا نخشى
ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه
وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى يأتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال عليه السلام بل ظننتم
انا نغل ولا نقسم بينكم واما المبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روي انه بعث طلائع فغنم النبي صلى الله عليه وسلم
بعدهم غنائم فقسمها بين الحاضرين ولم يترك للطلائع شيئا فنزلت والمعنى ما كان لنبي ان يعطي قوما من العسكر ويمنع آخرين
بل عليه ان يقسم بين الكل بالسوية وعبر عن حرمان بعض الغزاة بالغلول تغليظا واما ما قيل من ان المراد تنزيهه عليه السلام
عما تفوه به بعض المنافقين اذ روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها
فبعيد جدا وقرئ على البناء للمفعول والمعنى ما كان له ان يوجد غالا او ينسب الى الغلول ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة يأت بالذي
غله بعينه يحمله على عنقه كما ورد في الحديث الشريف وروي انه عليه السلام قال الا لا أعرفن احدكم يأتي ببعير له رغاء وببقرة
لها خوار وشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فأقول لا أملك لك من الله شيئا فقد بلغتك او يأت بما احتمل من اثمه
ووباله ثم توفى كل نفس ما كسبت اي تعطى وافيا جزاء ما كسبت خيرا او شرا كثيرا او يسيرا ووضع المكسوب موضع جزائه تحقيقا للعدل
ببيان ما بينهما من تمام التناسب كما وكيفا كأنهما شيء واحد وفي اسناد التوفية الى كل كاسب وتعليقها بكل مكسوب مع ان المقصود
بيان حال الغال عند اتيانه بما غل يوم القيمة من الدلالة على فخامة شأن اليوم وهول مطلعه والمبالغة في بيان فظاعة حال
الغال ما لا يخفى فانه حين وفي كل كاسب جزاء ما كسبه ولم ينقص منه شيء وان كان جرمه في غاية القلة والحقارة فلأن
لا ينقص من جزاء الغال شيء وجرمه من اعظم الجرائم اظهر واجلى وهم اي كل الناس المدلول عليهم بكل نفس لا يظلمون بزيادة
عقاب او بنقص ثواب أفمن اتبع رضوان الله اي سعى في تحصيله وانتحى نحوه حيثما كان بفعل الطاعات وترك المنكرات كالنبي ومن
يسير بسيرته كمن باء اي رجع بسخط عظيم لا يقادر قدره كائن من الله تعالى بسبب معاصيه كالغال ومن يدين بدينه
والمراد تأكيد نفي الغلول من النبي صلى الله عليه وسلم وتقريره بتحقيق المباينة الكلية بينه وبين الغال حيث وصف كل منهما
بنقيض ما وصف به الآخر فقوبل رضوانه تعالى بسخطه والاتباع بالبوء والجمع بين الهمزة والفاء لتوجيه الانكار الى ترتب توهم
المماثلة بينهما والحكم بها على ما ذكر من حال الغال كأنه قيل أبعد ظهور حاله يكون من ترقى الى اعلى عليين كمن تردى الى
اسفل سافلين واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لادخال الروعة وتربية المهابة ومأواه جهنم اما كلام مستأنف مسوق
لبيان مآل امر من باء بسخطه تعالى واما معطوف على قوله تعالى باء بسخط عطف الصلة الاسمية على الفعلية واياما كان فلا محل له
من الاعراب وبئس المصير اعتراض تذييلي والمخصوص بالذم محذوف اي وبئس المصير جهنم والفرق بينه وبين المرجع ان الاول
يعتبر فيه الرجوع على خلاف الحالة الأولى بخلاف الثاني هم راجع الى الموصولين باعتبار المعنى درجات عند الله اي طبقات متفاوتة

في علمه وحكمه شبهوا في تفاوت الأحوال وتباينها بالدرجات مبالغة وايذانا بأن بينهم تفاوتا ذاتيا كالدرجات او ذووا درجات **والله
بصير بما يعملون** من الأعمال ودرجاتها فيجازيهم بحسبها **لقد منّ الله** جواب قسم محذوف اي والله لقد منّ الله اي انعم **على المؤمنين** اي من قومه
عليه السلام **اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم** اي من نسبهم ومن جنسهم عربيا مثلهم ليفقهوا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في
الصدق والأمانة مفتخرين به وفي ذلك شرف لهم عظيم قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقرئ من انفسهم اي اشرفهم فانه عليه السلام
كان من اشرف قبائل العرب وبطونها وقرئ لمن منّ الله على المؤمنين اذ بعث الى آخره على انه خبر لمبتدأ محذوف اي منه اذ بعث الى آخره
او على ان اذ في محل الرفع على الابتداء بمعنى لمن منّ الله على المؤمنين وقت بعثه وتخصيصهم بالامتنان مع عموم نعمة البعثة للأسود
والأحمر لما مر من مزيد انتفاعهم بها وقوله تعالى من انفسهم متعلق بمحذوف وقع صفة لرسولا اي كائنا من انفسهم وقوله تعالى **يتلو عليهم
آياته** صفة اخرى اي يتلو عليهم القرآن بعد ما كانوا جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي **ويزكيهم** عطف على يتلو اي يطهرهم
من دنس الطبائع وسوء العقائد واوضار الأوزار **ويعلمهم الكتاب والحكمة** اي القرآن والسنة وهو صفة اخرى لرسولا مترتبة
في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على
تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للإيذان بأن كل واحد من الأمور المترتبة نعمة جليلة على
حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويزكيهم لتبادر الى الفهم عد الجميع نعمة واحدة وهو السر في التعبير عن القرآن بالآيات تارة وبالكتاب والحكمة اخرى
رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح في ذلك شمول الحكمة لما في مطاوي الأحاديث الكريمة من الشرائع كما سلف
في سورة البقرة **وان كانوا من قبل** اي من قبل بعثته عليه السلام وتزكيته وتعليمه **لفي ضلال مبين** اي بيّن لا ريب فيه ولا في كونه ضلالا
وان هي المخففة من المثقلة وضمير الشأن محذوف واللام فارقة بينها وبين النافية والظرف الأول لغو متعلق بكان والثاني
خبرها وهي مع خبرها خبر لأن المخففة التي حذف اسمها اعني ضمير الشأن وقيل هي نافية واللام بمعنى الا اي وما كانوا من قبل
الا في ضلال مبين وايا ما كان فالجملة اما حال من الضمير المنصوب في يعلمهم او مستأنفة وعلى التقديرين فهي مبينة لكمال النعمة
وتمامها **اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا** كلام مبتدأ مسوق لابطال بعض ما صدر عنهم من الظنون الفاسدة والأقاويل
الباطلة الناشئة منها اثر ابطال بعض آخر منها والهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة لمدخولها على محذوف قبلها ولما ظرف
لقلتم مضاف الى ما بعده وقد اصبتم في محل الرفع على انه صفة لمصيبة والمراد بها ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم
وبمثليها ما اصاب المشركين يوم بدر من قتل سبعين منهم واسر سبعين وانى هذا مقول قلتم وتوسيط الظرف وما يتعلق به
بين الهمزة مع انه المقصود بالانكار والمعطوف بالواو حقيقة لتأكيد النكير وتشديد التقريع فان فعل القبيح في غير وقته
اقبح والانكار على فاعله ادخل والمعنى احين اصابكم من المشركين نصف ما قد اصابهم منكم قبل ذلك جزعتم وقلتم من اين
اصابنا هذا وقد تقدم الوعد بالنصر على توجيه الانكار والتقريع الى صدور ذلك القول عنهم في ذلك الوقت خاصة بناء
على عدم كونه مظنة له داعيا اليه بل على كونه داعيا الى عدمه فان كون مصيبة عدوهم ضعف مصيبتهم مما يهون الخطب ويورث
السلوة اوافعلتم ما فعلتم ولما اصابتكم غائلته قلتم انى هذا على توجيه الانكار الى استبعادهم الحادثة مع مباشرتهم لسببها
وتذكير اسم الاشارة في انى هذا مع كونه اشارة الى المصيبة ليس لكونها عبارة عن القتل ونحوه بل لما ان اشارتهم ليست الا
الى ما شاهدوه في المعركة من حيث هو هو من غير ان يخطر ببالهم تسميته باسم ما فضلا عن تسميته باسم المصيبة وانما هي عند الحكاية
وقوله عز وجل **قل هو من عند انفسكم** امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يجيب عن سؤالهم الفاسد اثر تحقيق فساده بالانكار والتقريع
ويبكتهم ببيان ان ما نالهم من جهتهم بتركهم المركز وحرصهم على الغنيمة وقيل باختيارهم الخروج من المدينة ويأباه ان الوعد بالنصر كان بعد ذلك

كما ذكر عند قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده الآية وان عمل النبي صلى الله عليه وسلم بموجبه قد رفع الحظر عنه وخفف جنايتهم عليه
ان اختيار الخروج والاصرار عليه كان ممن اكرمهم الله تعالى بالشهادة يومئذ واين هم من التفوه بمثل هذه الكلمة وقيل باخذهم
الفدا يوم بدر قبل ان يؤذن لهم والأول هو الأظهر الأقوى وربما يعضده توسيط خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم
بين الخطابين المتوجهين الى المؤمنين وتفويض التبكيت اليه عليه السلام فان توبيخ الفاعل على الفعل اذا كان ممن نهاه عنه كان
اشد تأثيرا **ان الله على كل شيء قدير** ومن جملته النصر عند الطاعة والخذلان عند المخالفة وحيث خرجتم عن الطاعة اصابكم منه
تعالى ما اصابكم والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها داخل تحت الأمر **وما اصابكم** رجوع الى خطاب المؤمنين اثر خطابه عليه السلام
لمزيد تبكيتهم وارشادا لهم الى حقيقة الحق فيما سألوا عنه وبيان لبعض ما فيه من الحكم والمصالح ودفع لما عسى يتوهم من قوله تعالى
هو من عند انفسكم من استقلالهم في وقوع الحادثة والعدول عن الاضمار الى ما ذكر للتهويل وزيادة التقرير ببيان وقته
بقوله تعالى **يوم التقى الجمعان** اي جمعكم وجمع المشركين **فباذن الله** اي فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سمي ذلك اذنا
لكونها من لوازمه **وليعلم المؤمنين** عطف على قوله تعالى فباذن الله عطف السبب على المسبب والمراد بالعلم التمييز والاظهار فيما
بين الناس **وليعلم الذين نافقوا** عطف على ما قبله من مثله واعادة الفعل لتشريف المؤمنين وتنزيههم عن الانتظام في قرن
المنافقين وللإيذان باختلاف حال العلم بحسب التعلق بالفريقين فانه متعلق بالمؤمنين على نهج تعلقه السابق وبالمنافقين على وجه
جديد وهو السر في ايراد الأولين بصيغة اسم الفاعل المنبئة عن الاستمرار والآخرين بموصول صلته فعل دال على الحدوث والمعنى
وما اصابكم يومئذ فهو كائن ليتميز الثابتون على الايمان والذين اظهروا النفاق **وقيل لهم** عطف على نافقوا داخل معه في حيز
الصلة او كلام مبتدأ قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هم عبد الله بن ابي واصحابه حيث انصرفوا يوم احد عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لهم عبد الله بن عمرو بن حرام اذكركم الله ان تخذلوا نبيكم وقومكم ودعاهم الى القتال وذلك قوله
تعالى **تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا** قال السدي اي ادفعوا عنا العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا معنا وقيل او ادفعوا
عن اهلكم وبلدكم وحريمكم ان لم تقاتلوا في سبيل الله تعالى وترك العطف بين تعالوا وقاتلوا لما ان المقصود بهما واحد وهو
الثاني وذكر الأول توطئة له وترغيب فيه لما فيه من الدلالة على التظاهر والتعاون قالوا استئناف وقع جوابا عن سؤال
ينسحب عليه الكلام كأنه قيل فماذا صنعوا حين خيروا بين الخصلتين المذكورتين فقيل **قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم** اي لو
نحسن قتالا او نقدر عليه وانما قالوه دغلا واستهزاء وانما عبر عن نفي القدرة على القتال بنفي العلم به لما ان القدرة على الأفعال
الاختيارية مستلزمة للعلم بها او لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم ولكن ما انتم بصدده ليس بقتال اصلا وانما هو القاء
النفس الى التهلكة وفي جعلهم التالي مجرد الاتباع دون القتال الذي هو المقصود بالدعوة دليل على كمال تثبطهم عن القتال
حيث لا ترضى نفوسهم بجعله تاليا لمقدم مستحيل الوقوع **هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان** الضمير مبتدأ واقرب خبره واللام في
للكفر وللايمان متعلقة به وكذا يومئذ ومنهم وعدم جواز تعلق حرفين متحدين لفظا ومعنى بعامل واحد بلا عطف او
بدلية انما هو فيما عدا افعل التفضيل من العوامل لاتحاد حيثية عملها واما افعل التفضيل فحيث دل على اصل الفعل وزيادته
جرى مجرى عاملين كأنه قيل قربهم للكفر زائد على قربهم للايمان وقيل يتعلق الجارين به لشبههما بالظرفين اي هم للكفر
يوم اذ قالوا ما قالوا اقرب منهم للايمان فانهم كانوا قبل ذلك يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم امارة مؤذنة بكفرهم
فلما انخذلوا عن عسكر المسلمين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل
الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليل سواد المسلمين بالانخذال تقوية للمشركين وقوله تعالى **يقولون بافواههم ما ليس
في قلوبهم** جملة مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها وذكر الافواه والقلوب تصوير لنفاقهم وتوضيح لمخالفة ظاهرهم لباطنهم

وما عبارة عن القول والمراد به ما نفس الكلام الظاهر في اللسان تارة وفي القلب اخرى فالمثبت والمنفي متحد ذاتاً وان اختلفا مظهراً
واما القول الملفوظ فقط فالمنفي حينئذ منشأه الذي لا ينفك عنه القول اصلاً وانما عبر عنه به ابانة لما بينهما من شدة الاتصال
اي يتفوهون بقول لا وجود له او لمنشأيه في قلوبهم اصلاً من الاباطيل التي من جملتها ما حكي عنهم آنفاً فانهم اظهروا فيه امرين ليس
في قلوبهم شيء منهما احدهما عدم العلم بالقتال والآخر الاتباع على تقدير العلم به وقد كذبوا فيهما كذباً بيناً حيث كانوا عالمين به غير
ناوين للاتباع بل كانوا مصرين مع ذلك على الانخزال عازمين على الارتداد وقوله عز وجل **والله اعلم بما يكتمون** زيادة تحقيق
لكفرهم ونفاقهم ببيان اشتغال قلوبهم بما يخالف اقوالهم من فنون الشر والفساد اثر بيان خلوها عما يوافقها وصيغة التفضيل لما
ان بعض ما يكتمونه من احكام النفاق وذم المؤمنين وتخطئة آرائهم والشماتة بهم وغير ذلك يعلمه المؤمنون على وجه الاجمال وان
تفاصيل ذلك وكيفياته مختصة بالعلم الالهي **الذين قالوا** مرفوع على انه بدل من واو يكتمون او خبر لمبتداء محذوف وقيل مجرور على
انه بدل من ضمير افواههم او قلوبهم كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم والمراد بهم عبد الله بن ابي واصحابه **لاخوانهم** اي لاجلهم
وهم من قتل يوم احد من جنسهم ومن اقاربهم فيندرج فيهم بعض الشهداء **وقعدوا** حال من ضمير قالوا بتقدير قد اي قالوا وقد قعدوا عن
القتال بالانخزال **لو اطاعونا** اي فيما امرناهم به ووافقونا في ذلك **ما قتلوا** كما لم نقتل وفيه ايذان بانهم امروهم بالانخزال حين انخزلوا
واغووهم كما غووا وحمل القعود على ما استصوبه ابن ابي عند المشاورة من الاقامة بالمدينة ابتداء وجعل الاطاعة عبارة عن
قبول رأيه والعمل به يرده كون الجملة حالية فانها لتعيين ما فيه العصيان والمخالفة مع ان ابن ابي ليس من القاعدين فيها بذلك المعنى
على ان تخصيص عدم الطاعة باخوانهم ينادي باختصاص الامر ايضاً بهم فيستحيل ان يحمل على ما خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم
عند المشاورة **قل** تبكيتاً لهم واظهاراً لكذبهم **فادرؤا عن انفسكم الموت** جواب لشرط قد حذف تعويلاً على ما بعده من قوله تع
ان كنتم صادقين كما انه شرط حذف جوابه لدلالة الجواب المذكور عليه اي ان كنتم صادقين فيما ينبئ عنه قولكم من انكم قادرون
على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت الذي كتب عليكم معلقاً بسبب خاص موقتاً بوقت معين بدفع سببه فان
اسباب الموت في امكان المدافعة بالحيل وامتناعها سواء وانفسكم اعز عليكم من اخوانكم وامرها اهم لديكم من امرهم والمعنى ان عدم
قتلكم كان بسبب انه لم يكن مكتوباً عليكم لا بسبب انكم دفعتموه بالقعود مع كتابته عليكم فان ذلك مما لا سبيل اليه بل قد
يكون القتال سبباً للنجاة والقعود مؤدياً الى الموت روي انه مات يوم قالوا ما قالوا سبعون منافقاً وقيل اريد ان كنتم
صادقين في مضمون الشرطية والمعنى انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين فقوله تع فادرؤا
عن انفسكم الموت ح استهزاء بهم اي ان كنتم رجالاً دفاعين لاسباب الموت فادرؤا جميع اسبابه حتى لا تموتوا كما درأتم في
زعمكم هذا السبب الخاص **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً** كلام مستأنف مسوق لبيان ان القتل الذي يحذرونه ويحذرون
الناس منه ليس مما يحذر بل هو من اجل المطالب التي يتنافس فيها المتنافسون اثر بيان ان الحذر لا يغني ولا يجدي وقرئ
تحسبن بكسر السين والمراد بهم شهداء احد وكانوا سبعين رجلاً اربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير
وعثمان بن شماس وعبد الله بن جحش وباقيهم من الانصار رضوان الله تعالى عليهم اجمعين والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقرئ بالياء على الاسناد الى ضميره عليه السلام او من ضمير من يحسب وقيل الى الذين قتلوا
والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة والتقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا امواتاً اي لا
يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتاً على ان المراد من توجيه النهي اليهم تنبيه السامعين على انهم احقاء بان يسلوا بذلك
ويبشروا بالحيوة الابدية والكرامة السنية والنعيم المقيم لكن لا في جميع اوقاتهم بل عند ابتداء القتل اذ بعد تبين حالهم لهم لا
تسليتهم فائدة ولا لتنبيه السامعين وتذكيرهم وجه وقرئ قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين **بل احياء** اي بل هم احياء

وقرئ منصوباً اي بل احسبهم احياء على ان الحسبان بمعنى اليقين كما في قوله حسبت التقى والمجد خير تجارة رباحاً اذا ما المرء اصبح ثاقلا
او على انه وارد على طريق المشاكلة **عند ربهم** في محل الرفع على انه خبر ثان للمبتداء المقدر او صفة لاحياء او في محل النصب على انه
حال من الضمير في احياء وقيل هو ظرف لاحياء او للفعل بعده والمراد بالعندية التقرب والزلفى وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ
الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم مزيد تكرمة لهم **يرزقون** اي من الجنة وفيه تأكيد لكونهم احياء وتحقيق لمعنى حيوتهم قال الامام الواحدي
الاصح في حيوة الشهداء ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من ان ارواحهم في اجواف طيور خضر وانهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طيور خضر تدور في انهار الجنة وروي ترد
انهار الجنة الى آخره وتأكل من ثمارها وتسرح من الجنة حيث شاءت وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش وفيه دلالة على ان روح
الانسان جسم لطيف لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتألمه والتذاذه ومن قال بتجرد النفوس البشرية يقول المراد ان نفوس
الشهداء تتمثل طيوراً خضراً او تتعلق بها فتلتذ بما ذكر وقيل المراد انها تتعلق بالافلاك والكواكب فتلتذ بذلك وتكتسب زيادة كمال
فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والزلفى من الله عز وجل والتمتع بالنعيم المخلد عاجلاً **ويستبشرون**
ويسرون بالبشارة **بالذين لم يلحقوا بهم** اي باخوانهم الذين لم يقتلوا بعد في سبيل الله فيلحقوا بهم **من خلفهم** متعلق بيلحقوا والمعنى انهم
بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم او بمحذوف وقع حالاً من فاعل يلحقوا اي لم يلحقوا بهم حال كونهم متخلفين عنهم باقين في الدنيا **ان لا
خوف عليهم ولا هم يحزنون** بدل من الذين بدل اشتمال مبين لكون استبشارهم بحال اخوانهم لا بذواتهم وان هي المخففة من ان واسمها
ضمير الشان المحذوف وخبرها الجملة المنفية اي يستبشرون بما تبين لهم من حسن حال اخوانهم الذين تركوهم وهو انهم عند قتلهم
يفوزون بحيوة ابدية لا يكدرها خوف وقوع محذور ولا حزن فوات مطلوب او لا خوف عليهم في الدنيا من القتل فانه عين الحيوة
التي يجب ان يرغب فيها فضلاً عن ان تخاف وتحذر اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون
والمراد بيان دوام انتفاء الخوف والحزن لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعاً فان النفي وان دخل
على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام **يستبشرون بنعمة** كرر لبيان ان الاستبشار المذكور ليس بمجرد عدم الخوف والحزن
بل به وبما يقارنه من نعمة عظيمة لا يقادر قدرها وهي ثواب اعمالهم وقد جوز ان يكون الاول متعلقاً بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بياناً
لبعض ما اجمل في قوله تع فرحين بما آتاهم الله من فضله **من الله** متعلق بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة
الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة منه تعالى **وفضل** اي زيادة عظيمة كما في قوله تع للذين احسنوا الحسنى وزيادة **وان الله
لا يضيع اجر المؤمنين** بفتح ان عطف على فضل منتظم معه في سلك المستبشر به والمراد بالمؤمنين اما الشهداء والتعبير عنهم بالمؤمنين
للايذان بسمو رتبة الايمان وكونه مناطاً لما نالوه من السعادة واما كافة اهل الايمان من الشهداء وغيرهم ذكرت توفية اجورهم على
ايمانهم وعدت من جملة ما يستبشر به الشهداء بحكم الاخوة في الدين وقرئ بكسرها على انه استيناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم
على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة لا اجر لها وفيه من الحث على الجهاد والترغيب في الشهادة والبعث على ازدياد الطاعة
وبشرى المؤمنين بالفلاح ما لا يخفى **الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح** صفة مادحة للمؤمنين لا مخصصة او نصب على
المدح او رفع على الابتداء والخبر قوله تع **للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم** بجملته ومن للبيان والمقصود من الجمع بين الوصفين المدح
والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون ومتقون روي ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا
وهموا بالرجوع فبلغ ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب
ابي سفيان وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة
على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت

الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلوهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلاق الناس عليه لما انه من جنسهم وكلامه كلامهم
يقال فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وماله سوى فرس فرد وغير ثوب واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه **ان الناس
قد جمعوا لكم فاخشوهم** روي ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله تعالى فلما
كان القابل خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله في قلبه الرعب وبدا له ان يرجع فمر به ركب من بني عبد قيس يريدون
المدينة بالميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل
وضمنها منه سهيل بن عمرو فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون للخروج فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريدا أفترون
ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لأخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا كلهم يقولون حسبنا الله
ونعم الوكيل قيل هي الكلمة التي قالها ابراهيم عليه السلام حين القي في النار **فزادهم ايمانا** الضمير المستكن للمقول او لمصدر قال او لفاعله
ان اريد به نعيم وحده والمعنى انهم لم يلتفتوا الى ذلك بل ثبت به يقينهم بالله تعالى وازداد اطمئنانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا
النية عنده وهو دليل ان الايمان يتفاوت زيادة ونقصانا فان ازدياد اليقين بالالف وكثرة التأمل وتناصر الحجج مما لا ريب فيه
ويعضده قول ابن عمر رضي الله عنهما قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه
النار **وقالوا حسبنا الله** اي محسبنا الله وكافينا من احسبه اذا كفاه والدليل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا
في قولك هذا رجل حسبك **ونعم الوكيل** ونعم الموكول اليه والمخصوص بالمدح محذوف اي الله عز وجل **فانقلبوا** عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام
اي فخرجوا اليهم ووافوا الموعد روي انه عليه السلام وافى بجيشه بدرا واقام بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا
خيرا كثيرا والباء في قوله تع **بنعمة** متعلقة بمحذوف وقع حالا من الضمير في فانقلبوا والتنوين للتفخيم اي فرجعوا من مقصدهم ملتبسين
بنعمة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله عز وجل **من الله** متعلق بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة لفخامتها الذاتية التي يفيدها التنكير
بالفخامة الاضافية اي كائنة من الله تعالى وهي العافية والثبات على الايمان والزيادة فيه وحذر العدو منهم **وفضل** اي ربح في
التجارة وتنكيره ايضا للتفخيم **لم يمسسهم سوء** حال اخرى من الضمير في فانقلبوا او من المستكن في الحال كأنه قيل منعمين حال
كونهم سالمين عن السوء والحال اذا كان مضارعا منفيا بلم وفيه ضمير ذي الحال جاز فيه دخول الواو كما في قوله تع او قال اوحي
الي ولم يوح اليه شيء وعدمه كما في هذه الآية الكريمة وفي قوله تع ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا **واتبعوا** في كل ما
اتوا من قول وفعل **رضوان الله** الذي هو مناط الفوز بخير الدارين **والله ذو فضل عظيم** حيث تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة
الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجراءة على العدو وحفظهم عن كل ما يسوؤهم مع اصابة النفع الجليل
وفيه تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطأ رأيهم حيث حرموا انفسهم ما فاز به هؤلاء وروي انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم
الله عز وجل ثواب الغزو ورضي عنهم **انما ذلكم** اشارة الى المثبط او الى من حمله على التثبيط والخطاب للمؤمنين وهو مبتدأ
وقوله تع **الشيطان** اما خبره وقوله تع **يخوف اولياءه** جملة مستأنفة مبينة لشيطنته او حال كما في قوله تع فتلك بيوتهم خاوية الخ
واما صفة والجملة خبره ويجوز ان تكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان اي ابليس والمستكن في يخوف
اما للمقدر واما للشيطان بحذف الراجع الى المقدر اي يخوف به والمراد باوليائه اما ابو سفيان واصحابه فالمفعول الاول محذوف
اي يخوفكم اولياءه كما هو قراءة ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ويؤيده قوله تع **فلا تخافوهم** اي اولياءه **وخافون** في مخالفة امري
واما القاعدون فالمفعول الثاني محذوف اي يخوفهم الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير البارز في فلا تخافوهم للناس
الثاني اي فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافوني فجاهدوا مع رسولي وسارعوا الى ما يأمركم به والخطاب للفريقين
الخارجين والقاعدين والفاء لترتيب النهي او الانتهاء على ما قبلها فان كون المخوف شيطانا مما يوجب عدم الخوف والنهي عنه

ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله عز وجل على خوف غيره ويستدعي الامن من شر الشيطان واوليائه **ولا يحزنك** تلوين
للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتشريفه بتخصيصه بالتسلية والايذان باصالته في تدبير امور الدين والاهتمام بشؤونه **الذين
يسارعون في الكفر** اي يقعون فيه سريعا لغاية حرصهم عليه وشدة رغبتهم فيه وايثار كلمة في على ما وقع في قوله تع وسارعوا الى مغفرة
من ربكم الآية للاشعار باستقرارهم في الكفر ودوام ملابستهم له في مبدأ المسارعة ومنتهاها كما في قوله تع اولئك يسارعون في الخيرات
فان ذلك مؤذن بملابستهم للخيرات وتقلبهم في فنونها في طرفي المسارعة وتضاعيفها واما ايثار كلمة الى في قوله تع وسارعوا الى
مغفرة من ربكم وجنة الآية فلان المغفرة والجنة منتهى المسارعة وغايتها والمراد بالموصول المنافقون من المتخلفين وطائفة
من اليهود حسبما عين في قوله تع يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن
قلوبهم ومن الذين هادوا وقيل قوم ارتدوا عن الاسلام والتعبير عنهم بذلك للاشارة بما في حيز الصلة الى مظنة وجود المنهي عنه
واعترائه لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي لا يحزنوك بمسارعتهم في الكفر وبادرتهم الى تمشية احكامه ومظاهرتهم لاهله وتوجيه
النهي الى جهتهم مع ان المقصود نهيه عليه السلام عن التأثر منهم للمبالغة في ذلك لما ان النهي عن التأثير نهي عن التأثر باصله
ونفي له بالمرة وقد يوجه النهي الى اللازم والمراد هو النهي عن الملزوم كما في قولك لا أرينك ههنا وقرئ لا يحزنك
من احزن المنقول من حزن بكسر الزاء والمعنى واحد وقيل معنى حزنه جعل فيه حزنا كما دهنه اي جعل فيه دهنا ومعنى احزنه
جعله حزينا وقيل معنى حزنه احدث له الحزن ومعنى احزنه عرضه للحزن **انهم لن يضروا الله** تعليل للنهي وتكميل للتسلية بتحقيق نفي
ضررهم ابدا اي لن يضروا بذلك اولياء الله البتة وتعليق نفي الضرر به سبحانه وتعالى لتشريفهم والايذان بان مضارتهم بمنزلة
مضارته سبحانه وفيه مزيد مبالغة في التسلية وقوله تع **شيئا** في حيز النصب على المصدرية اي شيئا من الضرر والتنكير
لتأكيد ما فيه من القلة والحقارة وقيل على نزع الجار اي بشيء ما اصلا وقيل المعنى لن ينقصوا بذلك من ملكه تعالى وسلطانه
شيئا كما روى ابو ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان اولكم وآخركم وجنكم وانسكم كانوا على اتقى قلب رجل منكم
ما زاد ذلك في ملك الله شيئا ولو ان اولكم وآخركم وجنكم وانسكم كانوا على افجر قلب رجل منكم ما نقص من ملك الله تعالى جناح
بعوضة والاول هو الانسب بمقام التسلية والتعليل **يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة** استئناف مبين لسر ابتلائهم بما هم فيه
من الانهماك في الكفر وفي ذكر الارادة من الايذان بكمال خلوص الداعي الى حرمانهم وتعذيبهم حيث تعلقت بها ارادة ارحم
الراحمين ما لا يخفى وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام الارادة واستمرارها اي يريد الله بذلك ان لا يجعل لهم في الآخرة حظا
ما من الثواب ولذلك تركهم في طغيانهم يعمهون الى ان يهلكوا على الكفر **ولهم** مع ذلك الحرمان الكلي **عذاب عظيم** لا يقادر قدره قيل لما
دلت المسارعة في الشيء على عظم شأنه وجلالة قدره عند المسارع وصف عذابه بالعظم رعاية للمناسبة وتنبيها على حقارة ما سارعوا
فيه وخساسته في نفسه والجملة اما مبتدأة مبينة لحظهم من العقاب اثر بيان ان لا حظ لهم من الثواب واما حال من الضمير في لهم اي
يريد الله حرمانهم من الثواب معدا لهم عذاب عظيم **ان الذين اشتروا الكفر بالايمان** اي اخذوه بدلا منه رغبة فيما اخذوه واعراضا عما
تركوه وقد مر تحقيق القول في هذه الاستعارة في تفسير قوله عز وجل اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى مستوفى **لن يضروا
الله شيئا** تفسيره كما مر غير ان فيه تعريضا ظاهرا باقتصار الضرر عليهم كأنه قيل وانما يضرون انفسهم فان جعل الموصول عبارة
عن المسارعين المعهودين بان يراد باشتراء الكفر بالايمان ايثاره عليه اما باخذه بدلا من الايمان الحاصل بالفعل كما هو حال المرتدين
او بالقوة القريبة منه الحاصلة بمشاهدة دلائله في التوراة كما هو شأن اليهود ومنافقيهم فالتكرير لتقرير الحكم وتأكيده
ببيان علته بتغيير عنوان الموضوع فان ما ذكر في حيز الصلة من الاشتراء المذكور صريح في لحوق ضرره بانفسهم وعدم تعديه الى
غيرهم اصلا كيف لا وهو علم في الخسران الكلي والحرمان الابدي دال على كمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم فكيف يتأتى

منهم ما يتوقف على قوة الحزم ورزانة الرأي ورصانة التدبير من مصادرة حزب الله تعالى وهي أعز من الأبلق الفرد وأمنع من عقاب الجو
وان اجري الموصول على عمومه بان يراد بالاشتراء المذكور القدر المشترك الشامل للمعنيين المذكورين ولأخذ الكفر بدلا مما نزل منزلة نفس
الايمان من الاستعداد القريب الحاصل بمشاهدة الوحي الناطق وملاحظة الدلائل المنصوبة في الآفاق والانفس كما هو دأب جميع الكفرة
فالجملة مقررة لمضمون ما قبلها تقرير القواعد الكلية لما اندرج تحتها من جزئيات الأحكام هذا وقد جوز كون الموصول الاول عاما للكفار
والثاني خاصا بالمعهودين وانت خبير بانه مع خلوه عن النكت المذكورة مما لا يليق بفخامة شأن التنزيل لان صدور المسارعة في
الكفر بالمعنى المذكور وكونها مظنة لايراث الحزن لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما يفهم من النهي عنه مما يتصور ممن علم اتصافه بها واما
من لا يعرف حاله من الكفرة الكائنين في الاماكن البعيدة فاسناد المسارعة المذكورة اليهم واعتبار كونها من مبادي حزنه عليه السلام
مما لا وجه له وقوله تعالى ولهم عذاب أليم جملة مبتدأة مبينة لكمال فظاعة عذابهم بذكر غاية ايلامه بعد ذكر نهاية عظمه قيل لما جرت العادة
باغتباط المشتري بما اشتراه وسروره بتحصيله عند كون الصفقة رابحة وبتألمه عند كونها خاسرة وصف عذابهم بالايلام مراعاة
لذلك ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم عطف على قوله تعالى ولا يحزنك الذين الآية والفعل مسند الى الموصول وان
بما في حيزها سادة مسد مفعوليه عند سيبويه لتمام المقصود بها وهو تعلق الفعل القلبي بالنسبة بين المبتدأ والخبر او مسد احدهما
والآخر محذوف عند الاخفش وما مصدرية او موصولة حذف عائدها ووصلها في الكتابة لاتباع الامام اي لا يحسبن الكافرون ان
املاءنا لهم او ان ما نمليه لهم خير لانفسهم او لا يحسبن الكافرون خيرية املائنا لهم او خيرية ما نمليه لهم ثابتة او واقعة ومآله نهيهم عن
السرور بظاهر املائه تعالى لهم بناء على حسبان خيريته لهم وتحسيرهم ببيان انه شر بحت وضرر محض كما ان مآل المعطوف عليه نهي الرسول
صلى الله عليه وسلم عن الحزن بظاهر حال الكفرة بناء على توهم الضرر من قبلهم وتسليته عليه السلام ببيان عجزهم عن ذلك بالكلية والمراد
بالموصول اما جنس الكفرة فيندرج تحت حكمه الكلي احكام المعهودين اندراجا اوليا واما المعهودون خاصة فايثار الاظهار على
الاضمار لرعاية المقارنة الدائمة بين الصلة وبين الاملاء الذي هو عبارة عن امهالهم وتخليتهم وشأنهم دهرا طويلا فان المقارن
له دائما انما هو الكفر المستمر لا المسارعة المذكورة ولا الاشتراء المذكور فانهما من الاحوال المتجددة المتقضية في تضاعيف الكفر
المستمر وقرئ لا تحسبن بالتاء والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الانسب بمقام التسلية او لكل من يتأتى منه الحسبان قصدا
الى اشاعة فظاعة حالهم والموصول مفعول وانما نملي لهم الخ بدل منه وحيث كان التعويل على البدل وهو ساد مسد المفعولين كما في قوله تعالى
ام تحسب ان اكثرهم يسمعون اقتصر على مفعول واحد كما في قولك جعلت المتاع بعضه فوق بعض واما مفعول ثان بتقدير مضاف اما فيه اي
لا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او في المفعول الاول اي لا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم ومعنى
التفضيل باعتبار زعمهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما استئناف مبين لحكمة الاملاء وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام
العاقبة وقرئ بفتح الهمزة ههنا على ايقاع الفعل عليه وكسرها فيما سبق على انه اعتراض بين الفعل ومعموله مفيد لمزيد الاعتناء
بابطال الحسبان ورده على معنى لا يحسبن الكافرون ان املاءنا لهم لازدياد الاثم حسبما هو شأنهم بل انما هو لتلافي ما فرط منهم بالتوبة
والدخول في الايمان ولهم في الآخرة عذاب مهين لما تضمن الاملاء التمتع بطيبات الدنيا وزينتها وذلك مما يستدعي التعزز والتجبر
وصف عذابهم بالاهانة ليكون جزاؤهم جزاء وفاقا والجملة اما مبتدأة مبينة لحالهم في الآخرة اثر بيان حالهم في الدنيا واما حال
من الواو في ليزدادوا اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين وهذا متعين على القراءة الاخيرة ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه
كلام مستأنف مسوق لوعد المؤمنين ووعيد المنافقين بالعقوبة الدنيوية التي هي الفضيحة والخزي اثر بيان عقوبتهم الاخروية
والمراد بالمؤمنين المخلصون واما الخطاب فقد قيل انه لجمهور المصدقين من اهل الاخلاص واهل النفاق ففيه التفات في ضمن التلوين
والمراد بما هم عليه اختلاط بعضهم ببعض واستواؤهم في اجراء احكام الاسلام عليهم اذ هو القدر المشترك بين الفريقين وقيل انه للكفار

والمنافقين وهو قول ابن عباس رضي الله عنه والضحاك ومقاتل والكلبي رضي الله عنهم واكثر المفسرين ففيه تلوين فقط وعطف المنافقين
عطف تفسيري للكفار والا فلا شركة بين المؤمنين والمجاهرين في امر من الامور والمراد بما هم عليه ما مر من القدر المشترك فانه
كما يجوز نسبته الى الفريقين معا يجوز نسبته الى كل منهما لا الكفر والنفاق كما قيل فان المؤمنين ما كانوا مشاركين لهم في ذلك
حتى لا يتركوا عليه وقيل انه للمؤمنين خاصة وهو قول اكثر اهل المعاني ففيه تلوين والتفات كما مر والتعرض لايمانهم قبل
الخطاب للاشعار بعلة الحكم والمراد بما هم عليه ما مر غير مرة والاول هو الاقرب واليه جنح المحققون من اهل التفسير لكونه صريحا
في كون المراد بما هم عليه ما ذكر من القدر المشترك بين الفريقين من حيث هو مشترك بينهما بخلاف القولين الاخيرين فانهما بمعزل
من ذلك كيف لا والمفهوم مما عليه المنافقون هو الكفر والنفاق ومما عليه المؤمنون هو الايمان والاخلاص لا القدر المشترك بينهما
ولئن فهم ذلك فانما يفهم من حيث الانتساب الى احدهما لا من حيث الانتساب اليهما معا وعليه يدور امر الاختلاط المحوج الى الافراز
واللام في ليذر اما متعلقة بالخبر المقدر لكان كما هو رأي البصرية وانتصاب الفعل بعدها بان المقدرة اي ما كان الله
مريدا او متصديا لان يذر المؤمنين الخ ففي توجيه النفي الى ارادة الفعل تأكيد ومبالغة ليست في توجيهه الى نفسه
واما مزيدة للتأكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو رأي الكوفية ولا يقدح في ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف
الجر في عملها وقوله عز وجل حتى يميز الخبيث من الطيب غاية لما يفيده النفي المذكور كأنه قيل ما يتركهم الله على ذلك الاختلاط
بل يقدر الامور ويرتب الاسباب حتى يعزل المنافق من المؤمن وفي التعبير عنهما بما ورد به النظم الكريم تسجيل على كل منهما بما
يليق به واشعار بعلة الحكم وافراد الخبيث والطيب مع تعدد ما اريد بكل منهما وتكثيره لا سيما بعد ذكر ما اريد باحدهما
اعني المؤمنين بصيغة الجمع للايذان بان مدار الافراز هو اتصاف الفريقين بوصفيهما لا خصوصية ذاتهما
وتعدد آحادهما كما في قوله تعالى ذلك ادنى ان لا تعولوا ونظيره قوله تعالى تذهل كل مرضعة عما ارضعت حيث قصد الدلالة
على الاتصاف بالوصف من غير تعرض لكون الموصوف من العقلاء او غيرهم وتعليق الميز بالخبيث المعبر به عن المنافق مع ان المتبادر
مما سبق من عدم ترك المؤمنين على الاختلاط تعلقه بهم وافرازهم عن المنافقين لما ان الميز الواقع بين الفريقين انما هو
بالتصرف في المنافقين وتغييرهم من حال الى حال مغايرة للاولى مع بقاء المؤمنين على ما كانوا عليه من اصل الايمان وان ظهر
مزيد اخلاصهم لا بالتصرف فيهم وتغييرهم من حال الى حال اخرى مع بقاء المنافقين على ما هم عليه من الاستتار ولان فيه مزيد تأكيد
للوعيد كما اشير اليه في قوله تعالى والله يعلم المفسد من المصلح وانما لم ينسب عدم الترك اليهم لما انه مشعر بالاعتناء بشأن من نسب
اليه فان المتبادر منه عدم الترك على حالة غير ملائمة كما يشهد به الذوق السليم وقرئ حتى يميز من التمييز وقوله تعالى وما كان الله
ليطلعكم على الغيب تمهيد لبيان الميز الموعود على طريق تجريد الخطاب للمخلصين تشريفا لهم وقوله عز وجل ولكن الله يجتبي من رسله
من يشاء اشارة الى كيفيته ووقوعه على سبيل الاجمال واظهار الاسم الجليل في الموضعين لتربية المهابة فالمعنى ما كان الله ليترك
المخلصين على الاختلاط بالمنافقين بل يرتب المبادي حتى يخرج المنافقين من بينهم وما يفعل ذلك باطلاعكم على ما في قلوبهم
من الكفر والنفاق ولكنه تعالى يوحي الى رسوله عليه السلام فيخبره بذلك وبما ظهر منهم من الاقوال والافعال حسبما حكي عنهم
بعضه فيما سلف فيفضحهم على رؤوس الاشهاد ويخلصكم من خستة الشركاء وسوء جوارهم والتعرض للاجتباء للايذان بان
الوقوف على امثال تلك الاسرار الغيبية لا يتأتى الا ممن رشحه الله تعالى لمنصب جليل تقاصرت عنه همم الامم واصطفاه على الجماهير
لارشادهم وتعميم الاجتباء لسائر الرسل عليهم السلام للدلالة على ان شأنه عليه السلام في هذا الباب امر متين له اصل اصيل
على سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين الرسل الخالية عليهم السلام وتعميم الامر في قوله تعالى فآمنوا بالله ورسله مع ان سوق النظم
الكريم للايمان بالنبي عليه السلام لايجاب الايمان به بالطريق البرهاني والاشعار بان ذلك مستلزم للايمان بالكل لانه مصدق لما بين

يديه من الرسل وهم شهداء بصحة نبوته عليه السلام والمأمور به الايمان بكل ما جاء به عليه السلام فيدخل فيه تصديقه عليه السلام فيما اخبر به من احوال
المنافقين دخولا اوليا هذا هو الذي تقتضيه جزالة النظم الكريم وقد جوز ان يكون المعنى لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من
الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها الا الخلص الذين امتحن الله تعالى قلوبهم كبذل الارواح في الجهاد
وانفاق الاموال في سبيل الله تعالى فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض بطريق
الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور فان ذلك مما استأثر الله تعالى به وانت خبير بان الاستدراك باجتباء الرسل
عليهم السلام المنبئ عن مزيد مزيتهم وفضل معرفتهم على الخلق اثر بيان قصور رتبتهم عن الوقوف على خفايا السرائر صريح في ان المراد
اظهار تلك السرائر بطريق الوحي لا بطريق التكليف بما يؤدي الى خروج اسرارهم عن رتبة الخفاء واقرب من ذلك حمل الآية
الكريمة على ان الآية مسوقة لبيان الحكمة في املائه تعالى للكفرة اثر بيان شريته لهم فالمعنى ما كان الله ليذر المخلصين على الاختلاط
ابدا كما تركهم كذلك الى الآن لسر يقتضيه بل يفرز عنهم المنافقين ولذلك فعله يومئذ حيث خلى الكفرة وشأنهم فابرز لهم صورة
الغلبة فاظهر من في قلوبهم مرض ما فيها من الخبائث وافتضحوا على رؤس الاشهاد وقيل قال الكافرون ان كان محمد صادقا
فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت **وان تؤمنوا** اي بما ذكر حق الايمان **وتتقوا** اي عدم مراعاة حقيقته او النفاق **فلكم** بمقابلة
ذلك الايمان والتقوى **اجر عظيم** لا يبلغ كنهه **ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم** بيان لحال البخل وخامة
عاقبته وتخطئة لاهله في توهم خيريته حسب بيان حال الاملاء وايراد ما بخلوا به بعنوان ايتاء الله تعالى اياه من فضله للمبالغة
في بيان سوء صنيعهم فان ذلك من موجبات بذله في سبيله كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والفعل مسند الى الموصول
والمفعول الاول محذوف لدلالة الصلة عليه وضمير الفصل راجع اليه اي لا يحسبن الباخلون بما آتاهم الله من فضله من غير ان
يكون لهم مدخل فيه او استحقاق له هو خيرا لهم من انفاقه وقيل مسند الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم والى ضمير من يحسب والمفعول
الاول هو الموصول بتقدير مضاف والثاني ما ذكر كما هو كذلك على قراءة الخطاب اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون بما آتاهم
الله من فضله هو خيرا لهم **بل هو شر لهم** التنصيص على شريته لهم مع انفهامها من نفي خيريته للمبالغة في ذلك والتنوين للتفخيم
وقوله تعالى **سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة** بيان لكيفية شريته اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق على انه حذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه للايذان بكمال المناسبة بينهما وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من رجل لا
يؤدي زكوة ماله الا جعل الله له شجاعا في عنقه يوم القيمة وقيل يجعل ما بخل به من الزكوة حية في عنقه تنهشه من قرنه الى قدمه
وتنقر رأسه وتقول انا مالك **ولله** وحده لا لاحد غيره استقلالا او اشتراكا **ميراث السموات والارض** اي ما يتوارثه اهلهما
من مال وغيره من الرسالات التي يتوارثها اهل السموات والارض فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله او انه
يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله تعالى عند هلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والندامة **والله بما تعملون** من المنع والبخل
خبير فيجازيكم على ذلك واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة والالتفات للمبالغة في الوعيد والاشعار
باشتداد غضب الرحمن الناشئ من ذكر قبائحهم وقرئ بالياء على الظاهر **لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن
اغنياء** قالته اليهود لما سمعوا قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وروي انه عليه السلام كتب مع ابي بكر رضي الله
تعالى عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال
فنحاص ان الله فقير حين سألنا القرض فلطمه ابو بكر رضي الله عنه في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت
عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت والجمع حينئذ مع كون القائل واحدا لرضى الباقين بذلك
والمعنى انه لم يخف عليه تعالى واعد له من العقاب كفاءه والتعبير عنه بالسماع للايذان بانه من الشناعة والسماجة بحيث

لا يرضى قائله بان يسمعه سامع والتوكيد القسمي للتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد **سنكتب ما قالوا** اي سنكتب ما قالوه من العظيمة الشنعاء
في صحائف الحفظة او سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه ولا نهمله كما يثبت المكتوب والسين للتأكيد اي لن يفوتنا ابدا تدوينه لكونه
في غاية العظم والهول كيف لا وهو كفر بالله تعالى واستهزاء بالقرآن العظيم والرسول الكريم ولذلك عطف عليه قوله تعالى **وقتلهم الانبياء**
ايذانا بانهما في العظم اخوان وتنبيها على انه ليس باول جريمة ارتكبوها بل لهم فيه سوابق وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه
امثال هذه العظائم والمراد بقتلهم الانبياء رضاهم بفعل اسلافهم وقوله تعالى **بغير حق** متعلق بمحذوف وقع حالا من قتلهم اي
كائنا بغير حق في اعتقادهم ايضا كما هو في نفس الامر وقرئ سنكتب على البناء للفاعل وسيكتب على البناء للمفعول وقتلهم بالرفع **ونقول
ذوقوا عذاب الحريق** اي وننتقم منهم بعد الكتبة بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق كما اذقتم المسلمين الغصص وفيه من المبالغات
ما لا يخفى وقرئ ويقول بالياء ويقال على البناء للمفعول **ذلك** اشارة الى العذاب المذكور وما فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شأنه
وبعد منزلته في الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى **بما قدمت ايديكم** اي بسبب ما اقترفتموه من قتل الانبياء والتفوه بمثل
تلك العظيمة وغيرهما من المعاصي والتعبير عن الانفس بالايدي لما ان عامة افاعيلها تزاولها بهن ومحل ان في قوله تعالى **وان الله
ليس بظلام للعبيد** الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها اي والامر انه تعالى ليس بمعذب
لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا
عن كونه ظلما بالغا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم كما يعبر عن ترك
الاثابة عن الاعمال باضاعتها مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها وصيغة المبالغة لتأكيد هذا
المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في صورة المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده
وظلام لعبيده على انها للمبالغة كما لا كيفا هذا وقد قيل محل ان الجر بالعطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفي
الظلم مستلزم للعدل المقتضي لاثابة المحسن ومعاقبة المسيء وفساده ظاهر فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا
حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب حسبما ذكره القائل في سورة الانفال وقيل سببيته لذنوبهم لعذابهم مقيدة بانضمام انتفاء ظلمه
تعالى اليها اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم وانت خبير بان امكان تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لا ينافي كون تعذيب هؤلاء
الكفرة بسبب ذنوبهم حتى لا يحتاج الى اعتبار عدمه معه وانما يحتاج الى ذلك ان لو كان المدعى ان جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب
المعذبين **الذين قالوا** نصب او رفع على الذم وهم كعب بن الاشرف ومالك بن صيف وحيي بن اخطب وفنحاص بن عازورا
ووهب بن يهودا **ان الله عهد الينا** اي امرنا في التورية واوصانا **ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار** كما
كان عليه امر انبياء بني اسرائيل حيث كان يقرب القربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من السماء فتأكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق
وهذا من مفترياتهم واباطيلهم فان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات سواء ولما كان محصل
كلامهم الباطل ان عدم ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم لعدم اتيانه بما قالوا ولو تحقق الاتيان به لتحقق الايمان رد
عليهم بقوله تعالى **قل** اي تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم **قد جاءكم رسل** كثيرة العدد كبيرة المقدار **من قبلي بالبينات** اي المعجزات الواضحة
وبالذي قلتم بعينه من القربان الذي تأكله النار **فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين** اي فيما يدل عليه كلامكم من انكم تؤمنون
برسول يأتيكم بما اقترحتموه فان زكريا ويحيى وغيرهما من الانبياء عليهم الصلاة والسلام قد جاؤكم بما قلتم في معجزات
أخر فما لكم لم تؤمنوا لهم حتى اجترأتم على قتلهم **فان كذبوك** شروع في تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم اثر ما اوحي اليه ما تجرعه
صلى الله عليه وسلم من مقالات الكفرة من المشركين واليهود وقوله تعالى **فقد كذب رسل من قبلك** تعليل لجواب الشرط اي فتسل فقد كذب
الى آخره ومن متعلقة بكذب او بمحذوف هو صفة لرسل اي كائنة من قبلك **جاؤا بالبينات** اي المعجزات الواضحة صفة لرسل **والزبر**

هو جمع زبور وهو الكتاب المقصود على الحكم من زبرته اذا احسنته وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته **والكتاب المنير** اي التورية والانجيل والزبور والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن الشرائع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة المواقع وقرئ وبالزبر باعادة الجار دلالة على انها مغايرة بالذات للبينات **كل نفس ذائقة الموت** وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقةٌ الموتَ بالتنوين وعدمه كما في قوله ولا ذاكرِ الله الا قليلا **وانما توفون اجوركم يوم القيمة** اي يوم قيامكم من القبور وفي لفظ التوفية اشارة الى ان بعض اجورهم يصل اليهم قبله كما ينبئ عنه قوله عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران **فمن زحزح عن النار** اي بُعِّد عنها يومئذ ونُجّي والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بالعجلة **وادخل الجنة فقد فاز** بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويؤتى الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه **وما الحيوة الدنيا** اي لذاتها وزخارفها **الا متاع الغرور** شبهت بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب الآخرة فهي له متاع بلاغ والغرور اما مصدر او جمع غار **لتبلون** شروع في تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين عما سيلقونه من جهة الكفرة من المكاره اثر تسليتهم عما قد وقع منهم ليوطنوا انفسهم على احتماله عند وقوعه ويستعدوا للقائه ويقابلوه بحسن الصبر والثبات فان هجوم الاوجال مما يزلزل اقدام الرجال والاستعداد للكروب مما يهون الخطوب واصل الابتلاء الاختبار اي الطلب للخبرة بحال المختبر بتعريضه لامر يشق عليه غالبا ملابسته او مفارقته وذلك انما يتصور حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الامور واما من جهة العليم الخبير فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين او الامور قبل ان يرتب عليه شيئا هو من مباديه العادية كما مر والجملة جواب قسم محذوف اي والله **لتبلون** اي لتعاملن معاملة المختبر ليظهر ما عندكم من الثبات على الحق والاعمال الحسنة وفائدة التوكيد اما تحقيق معنى الابتلاء تهوينا للخطب واما تحقيق وقوع المبتلى به مبالغة في الحث على ما اريد منهم من التهيؤ والاستعداد **في اموالكم** بما يقع فيها من ضروب الآفات المؤدية الى هلاكها واما انفاقها في سبل الخير مطلقا فلا يليق نظمه في سلك الابتلاء لما انه من باب الاضعاف لا من قبيل الاتلاف **وانفسكم** بالقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من اصناف المتاعب والمخاوف والشدائد ونحو ذلك وتقديم الاموال لكثرة وقوع الهلكة فيها **ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم** اي من قبل ايتائكم القرآن وهم اليهود والنصارى عبر عنهم بذلك للاشعار بمدار الشقاق والايذان بان بعض ما يسمعونه منهم مستند على زعمهم الى الكتاب كما في قوله تعالى ان الله عهد الينا الى آخره والتصريح بالقبلية لتأكيد الاشعار وتقوية المدار فان قدم نزول كتابهم مما يؤيد تمسكهم به **ومن الذين اشركوا اذى كثيرا** من الطعن في الدين الحنيف والقدح في احكام الشرع الشريف وصد من اراد ان يؤمن وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف واضرابه من هجاء المؤمنين وتحريض المشركين على مضادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك مما لا خير فيه **وان تصبروا** اي على تلك الشدائد والبلوى عند ورودها وتقابلوها بحسن التحمل **وتتقوا** اي تتبتلوا الى الله تعالى بالكلية معرضين عما سواه بالمرة بحيث تساوي عندكم وصول المحبوب ولقاء المكروه **فان ذلك** اشارة الى الصبر والتقوى وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهما وبعد منزلتهما وتوحيد حرف الخطاب اما باعتبار كل واحد من المخاطبين واما لان المراد بالخطاب مجرد التنبيه من غير ملاحظة خصوصية احوال المخاطبين **من عزم الامور** من معزوماتها التي يتنافس فيها المتنافسون اي مما يجب ان يعزم عليه كل احد لما فيه من كمال المزية والشرف او مما عزم الله تعالى عليه وامر به وبالغ فيه يعني ان ذلك عزمة من عزمات الله تعالى لا بد ان تصبروا وتتقوا والجملة تعليل لجواب الشرط واقع موقعه كأنه قيل وان تصبروا وتتقوا فهو خير لكم او فقد احسنتم او فعلوا او فقد احسنتم فان ذلك الخ ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى صبر المخاطبين وتقويهم فالجملة حينئذ جواب الشرط وفي ابراز الامر بالصبر والتقوى في صورة الشرطية من اظهار كمال اللطف بالعباد ما لا يخفى **واذ اخذ الله** كلام مستأنف سيق

لبيان بعض اذياتهم وهو كتمانهم ما في كتابهم من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم وغيرها واذ منصوب على المفعولية بمضمر امر به النبي صلى الله عليه وسلم خاصة بطريق تجريد الخطاب اثر الخطاب الشامل له عليه السلام وللمؤمنين لكون مضمونه من الوظائف الخاصة به عليه السلام وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها على ما مر بيانه في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني جاعل الخ اي اذكر وقت اخذه تعالى **ميثاق الذين اوتوا الكتاب** وهم علماء اليهود والنصارى ذكروا بعنوان ايتاء الكتاب مبالغة في تقبيح حالهم **لتبيننه** حكاية لما خوطبوا به والضمير للكتاب وهو جواب لقسم ينبئ عنه اخذ الميثاق كأنه قيل لهم بالله لتبيننه **للناس** وتظهرن جميع ما فيه من الاحكام والاخبار التي من جملتها امر نبوته عليه السلام وهو المقصود بالحكاية وقرئ بالياء لانهم غيب **ولا تكتمونه** عطف على الجواب وانما لم يؤكد بالنون لكونه منفيا كما في قولك والله لا يقوم زيد وقيل اكتفي بالتاكيد في الاول لانه تاكيد له وقيل هو حال من ضمير المخاطبين اما على اضمار مبتدإ بعد الواو اي وانتم لا تكتمونه واما على رأي من جوز دخول الواو على المضارع المنفي عند وقوعه حالا اي لتبيننه غير كاتمين والنهي عن الكتمان بعد الامر بالبيان اما للمبالغة في ايجاب المامور به واما لان المراد بالبيان المامور به ذكر الآيات الناطقة بنبوته عليه السلام وبالكتمان المنهي عنه القاء التاويلات الزائغة والشبهات الباطلة وقرئ بالياء كما قبله **فنبذوه** النبذ الرمي والابعاد اي طرحوا ما اخذ منهم من الميثاق الموثق بفنون التاكيد والقوه **وراء ظهورهم** ولم يراعوه ولم يلتفتوا اليه اصلا فان نبذ الشيء وراء الظهر مثل في الاستهانة به والاعراض عنه بالكلية كما ان جعله نصب العين علم في كمال العناية به وفيه من الدلالة على تحتم بيان الحق على علماء الدين واظهار ما منحوه من العلم للناس اجمعين وحرمة كتمانه لغرض من الاغراض الفاسدة او طمع في عرض من الاعراض الفانية الكاسدة ما لا يخفى وعن النبي عليه السلام من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن طاوس انه قال لوهب بن منبه اني ارى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت ان الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل لجاهل ان يسكت على جهله حتى يسأل وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا **واشتروا به** بالكتاب الذي امروا ببيانه ونهوا عن كتمانه فان ذكر نبذ الميثاق يدل على ذلك دلالة واضحة وايقاع الفعل على الكل مع ان المراد به كتم بعضه كدلائل نبوته عليه السلام ونحوها لما ان ذلك كتم للكل اذ به يتم الكتاب كما ان رفض بعض اركان الصلوة رفض لكلها او بمنزلة كتم الكل من حيث انهما سيان في الشناعة واستجرار العقاب كما في قوله تعالى وان لم تفعل فما بلغت رسالته والاشتراء استعارة لاستبدال متاع الدنيا بما كتموا اي تركوا ما امروا به واخذوا بدله **ثمنا قليلا** اي شيئا تافها حقيرا من حطام الدنيا واعراضها وفي تصوير هذه المعاملة بعقد المعاوضة لا سيما بالاشتراء المؤذن بالرغبة في المأخوذ والاعراض عن المعطى والتعبير عن المشتري الذي هو العمدة في العقد والمقصود بالمعاملة بالثمن الذي شأنه ان يكون وسيلة اليه وجعل الكتاب الذي حقه ان يتنافس فيه المتنافسون مصحوبا بالباء الداخلة على الآلات والوسائل من نهاية الجزالة والدلالة على كمال فظاعة حالهم وغاية قبحها بايثارهم الدنيء الحقير على الشريف الخطير وتعكيسهم بجعلهم المقصد الاصلي وسيلة والوسيلة مقصدا ما لا يخفى جلالة شأنه ورفعة مكانه **فبئس ما يشترون** ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس ويشترون صفته والمخصوص بالذم محذوف اي بئس شيئا يشترونه بذلك الثمن **لا تحسبن** الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح له **الذين يفرحون بما اتوا** اي بما فعلوا كما في قوله تعالى انه كان وعده مأتيا ويدل عليه قراءة ابي يفرحون بما فعلوا وقرئ بما آتوا بمعنى اعطوا وبما اوتوا اي اوتوه من علم التورية قال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود حرفوا التورية وفرحوا بذلك واحبوا ان يوصفوا بالديانة والفضل وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التورية فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا وقيل فرحوا بكتمان النصوص الناطقة بنبوته عليه السلام واحبوا ان

يحمدوا بانهم متبعون ملة ابراهيم عليه السلام فالموصول عبارة عن المذكورين او عن مشاهيرهم موضوع موضع ضميرهم والجملة مسوقة
لبيان ما يستتبعه اعمالهم المحكية من العقاب الأخروي اثر بيان قباحتها وقد اودع فيها بعض بيان اخر من شنايعهم وهو اصرارهم على
ما هم عليه من القبايح وفرحهم بذلك ومحبتهم لان يوصفوا بما ليس فيهم من الاوصاف الجميلة وقد نظم ذلك في سلك الصلة التي حقها
ان تكون معلومة الثبوت للموصول عند المخاطب ايذانا بشهرة اتصافهم بذلك وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم
راوا المصلحة في ذلك واستحمدوا به وقيل هم المنافقون كافة وهو الانسب بظاهر قوله تعالى **ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا** لشهرة
انهم كانوا يفرحون بما فعلوا من اظهار الايمان وقلوبهم مطمئنة بالكفر ويستحمدون الى المسلمين بالايمان وهم عن فعله بالف منزل وكانوا
يظهرون محبة المؤمنين وهم في الغاية القاصية من العداوة فالموصول عبارة عن طايفة معهودة من المذكورين وغيرهم فان
اكثر المنافقين كانوا من اليهود ولعل الاولى اجراء الموصول على عمومه شاملا لكل من ياتي بشيء من الحسنات فيفرح به فرح اعجاب
ويود ان يمدحه الناس بما هو عار منه من الفضايل منتظما للمعهودين انتظاما اوليا واياما كان فهو مفعول اول للتحسبن وقوله
تعالى **فلا تحسبنهم** تاكيد له والفاء زايدة والمفعول الثاني قوله تعالى **بمفازة من العذاب** اي ملتبسين بنجاة منه على ان المفازة مصدر ميمي
ولا يضر تانيثها بالتاء لما انها مبنية عليها وليست للدلالة على الوحدة كما في قوله فلولا رجاء النصر منك ورهبة عقابك قد كانوا
لنا بالموارد ولا سبيل الى جعلها اسم مكان على ان الجار متعلق بمحذوف وقع صفة لها اي بمفازة كائنة من العذاب لانها ليست
من العذاب وتقدير فعل خاص يصح به المعنى اي بمفازة منجية من العذاب مع كونه خلاف الاصل تعسف مستغنى عنه وقرئ بضم الباء
في الفعلين على ان الخطاب شامل للمؤمنين ايضا وقرئ بياء الغيبة وفتح الباء فيهما على ان الفعل له عليه السلام او لكل احد ممن يتأتى
منه الحسبان ومفعولاه كما ذكر وقرئ بضم الباء في الثاني فقط على ان الفعل للموصول والمفعول الاول محذوف لكونه عين الفاعل
والثاني بمفازة اي لا يحسبن الذين يفرحون انفسهم فائزين وقوله تعالى فلا يحسبنهم تاكيد للاول والفاء زايدة كما مر
ويجوز ان يحمل الفعل الاول على حذف المفعولين معا اختصارا لدلالة مفعولي الثاني عليهما على عكس ما في قوله باي كتاب او
باية سنة ترى حبهم علي وتحسب حيث حذف فيه مفعولا الثاني لدلالة مفعولي الاول عليهما او على ان الفعل الاول للرسول
صلى الله عليه وسلم او لكل حاسب ومفعوله الاول الموصول والثاني محذوف لدلالة مفعول الفعل الثاني عليه والفعل الثاني
مسند الى ضمير الموصول والفاء للعطف لظهور تفرع عدم حسبانهم على عدم حسبانه عليه السلام ومفعولاه الضمير المنصوب وقوله
تعالى بمفازة وتصدير الوعيد بنهيهم عن الحسبان المذكور للتنبيه على بطلان آرائهم الركيكة وقطع اطماعهم الفارغة حيث كانوا يزعمون
انهم ينجون بما صنعوا من عذاب الآخرة كما نجوا به من المؤاخذة الدنيوية وعليه كان مبنى فرحهم واما نهيه صلى الله عليه وسلم فللتعريض
بحسبانهم المذكور لا لاحتمال وقوع الحسبان من جهته صلى الله عليه وسلم **ولهم عذاب اليم** بعد ما اشير الى عدم نجاتهم من مطلق العذاب
حقق ان لهم فردا منه لا غاية له في المدة والشدة كما يلوح به الجملة الاسمية والتنكير التفخيمي والوصف **ولله** اي خاصة **ملك
السموات والارض** اي السلطان القاهر فيهما بحيث يتصرف فيهما وفيما فيهما كيفما يشاء ويريد ايجادا واعداما احياء واماتة تعذيبا
واثابة من غير ان يكون لغيره شائبة دخل في شيء من ذلك بوجه من الوجوه فالجملة مقررة لما قبلها وقوله تعالى **والله على كل شيء قدير**
تقرير لاختصاص ملك العالم الجسماني المعبر عنه بقطريه به سبحانه وتعالى فان كونه تعالى قادرا على الكل بحيث لا يشذ من ملكوته شيء
من الاشياء يستدعي كون ما سواه كائنا ما كان مقدورا له ومن ضرورته اختصاص القدرة به تعالى واستحالة ان يشاركه شيء
من الاشياء في القدرة على شيء من الاشياء فضلا عن المشاركة في ملك السموات والارض وفيه تقرير لما مر من ثبوت العذاب الاليم لهم
وعدم نجاتهم منه اثر تقرير واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة والاشعار بمناط الحكم فان شمول القدرة لجميع الاشياء
من احكام الالوهية مع ما فيه من الاستقلال باستقلال كل من الجملتين بالتقرير **ان في خلق السموات** جملة مستانفة سيقت لتقرير ما سبق

من اختصاصه تعالى بالسلطان القاهر والقدرة التامة صدرت بكلمة التاكيد اعتناء بتحقيق مضمونها اي في انشائهما على ما هما عليه
في ذواتهما وصفاتهما من الامور التي يحار في فهم اجلاها العقول **والارض** على ما هي عليه ذاتا وصفة **واختلاف الليل والنهار** اي في تعاقبهما
في وجه الارض وكون كل منهما خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات وسكون الارض او في تفاوتهما بازدياد كل منهما
بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة او في اختلافهما وتفاوتهما بحسب الامكنة
اما في الطول والقصر فان البلاد القريبة من القطب الشمالي ايامها الصيفية اطول ولياليها الصيفية اقصر من ايام البلاد البعيدة منه
ولياليها واما في انفسهما فان كرية الارض تقتضي ان يكون بعض الاوقات في بعض الاماكن ليلا وفي مقابله نهارا وفي بعضها صباحا
وفي بعضها ظهرا او عصرا او غير ذلك والليل قيل انه اسم جنس يفرق بين واحده وجمعه بالتاء كتمر وتمرة والليالي جمع الجمع والصحيح انه مفرد
ولا يحفظ له جمع والليالي جمع ليلة وهو جمع غريب كانهم توهموا انها ليلاة كما في كيكة وكياكي كانها جمع كيكاة والنهار اسم لما بين
طلوع الفجر وغروب الشمس قاله الراغب وقال ابن فارس هو ضياء ما بينهما وتقديم الليل على النهار اما لانه الاصل فان غرر الشهور
تظهر في الليالي واما لتقدمه في الخلقة حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار اي نزيله عنه فيخلفه **لآيات** اسم ان دخلته
اللام لتاخره عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا اي لآيات كثيرة عظيمة لا يقادر قدرها دالة على تعاجيب شؤونه التي من جملتها ما مر
من اختصاص الملك العظيم والقدرة التامة به سبحانه وعدم التعرض لما ذكر في سورة البقرة من الفلك والمطر وتصريف الرياح والسحاب
لما ان المقصود ههنا بيان استبداده تعالى بما ذكر من الملك والقدرة فاكتفي بمعظم الشواهد الدالة على ذلك واما هناك فقد قصد بيان
اختصاصه تعالى بالالوهية ببيان اتصافه تعالى بالرحمة الواسعة فنظمت دلائل الفضل والرحمة في سلك دلائل التوحيد فان ما فصل هناك
من آيات رحمته تعالى كما انه من آيات الوهيته ووحدته **لاولي الالباب** خبران اي لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم
المتجردين عن العلايق النفسانية المتخلصين عن العوايق الظلمانية المتأملين في احوال الحقايق واحكام النعوت المراقبين في اطوار الملك
واسرار الملكوت المتفكرين في بدايع صنايع الملك الخلاق المتدبرين في روايع حكمه المودعة في الانفس والآفاق الناظرين الى العالم
بعين الاعتبار والشهود المتفحصين عن حقيقة سر الحق في كل موجود مثابرين على مراقبته وذكراه غير ملتفتين الى شيء مما سواه الا
من حيث انه مرآة لمشاهدة جماله وآلة لملاحظة صفات كماله فان كل ما ظهر في مظاهر الابداع وحضر محاضر التكوين والاختراع سبيل
سوي الى عالم التوحيد ودليل قوي على الصانع المجيد ناطق بآيات قدرته فهل من سامع واع ومخبر باتباع علمه وحكمته فهل له من داع
يكلم الناس على قدر عقولهم ويرد جوابهم بحسب مقولهم تجاوبا تارة باوضح عبارة ويلوح اخرى بالطف اشارة مراعيا في الحوار
ابهامهم وتصريحهم وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم فتامل في هذه الشؤون والاسرار ان في ذلك لعبرة لاولي
الابصار عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل لك يا عائشة ان تاذني لي الليلة في عبادة
ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضا ولم يكثر من صب
الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله تعالى واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع
يديه فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلوة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله اتبكي
وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال ومالي لا ابكي وقد انزل الله تعالى علي في
هذه الليلة ان في خلق السموات والارض الى آخره ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وروي ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها
وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات
والارض الى آخره **الذين يذكرون الله** الموصول اما موصول باولي الالباب مجرور على انه نعت كاشف له بما في حيز الصلة واما مفصول عنه
مرفوع او منصوب على المدح او مرفوع على انه خبر لمبتدأ محذوف وقيل هو مرفوع على الابتداء والخبر هو القول المقدر قبل

قوله تعالى ربنا وفيه تفكيك من النظم الكريم ما لا يخفى واياما كان فقد اشير بما في حيز صلته ان المراد بهم الذين لا يغفلون عنه تعالى في
عامة اوقاتهم لاطمينان قلوبهم بذكره واستغراق سرائرهم في مراقبته لما ايقنوا بان كل ما سواه فائض منه وعائد اليه فلا يشاهدون
حالا من الاحوال في انفسهم والیه اشير بقوله عز وجل **قياما وقعودا وعلى جنوبهم** ولا في الافاق واليه اشير بما بعده الا وهم يعاينون في ذلك
شانا من شؤونه تعالى فالمراد به ذكره تعالى مطلقا سواء كان ذلك من حيث الذات او من حيث الصفات والافعال وسواء قارنه الذكر
اللساني اولا واما ما يحكى عن ابن عمر وعن عروة بن الزبير وجماعة رضي الله تعالى عنهم من انهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون
الله تعالى فقال بعضهم اما قال الله تبارك وتعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على اقدامهم فليس مرادهم به تفسير الآية
وتحقيق مصداقها على التعيين وانما ارادوا به التبرك بنوع موافقة لها في ضمن الاتيان بفرد من افراد مدلولها واما حمل الذكر
على الصلوة في هذه الاصول حسب الاستطاعة كما قال عليه الصلوة والسلام لعمران بن الحصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان
لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء فمما لا يساعده سباق النظم الكريم ولا سياقه والقيام والقعود جمع قائم وقاعد كنيام ورقود
جمع نائم وراقد وانتصابهما على الحالية من ضمير يذكرون اي يذكرونه قائمين وقاعدين وقوله تعالى وعلى جنوبهم متعلق بمحذوف
معطوف على الحالين اي وكائنين على جنوبهم اي مضطجعين والمراد تعميم الذكر للاوقات كما مر وتخصيص الاحوال المذكورة بالذكر
ليس لتخصيص الذكر بها بل لانها الاحوال المعهودة التي لا يخلو عنها الانسان غالبا **ويتفكرون في خلق السموات والارض** عطف على
يذكرون منتظم معه في حيز الصلة فلا محل له من الاعراب وقيل محله النصب على انه معطوف على الاحوال السابقة وليس بظاهر وهو بيان
لتفكرهم في افعاله سبحانه اثر بيان تفكرهم في ذاته تعالى على الاطلاق واشارة الى نتيجته التي تؤدي اليها من معرفة احوال المعاد مما
نطقت به الرسل وآيات الكتب فكما انها آيات تشريعية هادية للخلق الى معرفته تعالى ووجوب طاعته كذلك المخلوقات آيات تكوينية
مرشدة لهم الى ذلك فالاولى منبهات لهم على الثانية ودواع الى الاستشهاد بها كهذه الآية الكريمة ونحوها مما ورد في مواقع
غير محصورة من التنزيل والثانية مؤيدات للاولى في شواهد دالة على صحة مضمونها وحقية مكنونها فان من تامل في تضاعيف
خلق العالم على هذا النمط البديع قضى باتصاف خالقه تعالى بجميع ما نطقت به الرسل والكتب من الوجوب الذاتي والوحدة الذاتية والملك
القاهر والقدرة التامة والعلم الشامل والحكمة البالغة وغير ذلك من صفات الكمال وحكم بان من قدر على انشائه بلا مثال يحتذيه
او قانون ينتحيه فهو على اعادته بالبعث اقدر وحكم بان ذلك ليس الا لحكمة باهرة هي جزاء المكلفين بحسب استحقاقهم المنوط باعمالهم
اي علومهم واعتقاداتهم التابعة لانظارهم فيما نصب لهم من الحجج والدلائل والامارات والمخايل وسائر اعمالهم المتفرعة على ذلك
فان العمل غير مختص بعمل الجوارح بل متناول للعمل القلبي بل هو اشرف افراده لما ان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به
ومن قضيته كون الاول اشرف من الثاني وكون عمله ايضا اشرف من عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفته تعالى التي هي اول الواجبات
على العباد والغاية القصوى من الخلق على ما نطق به قوله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ليعرفون كما اعرب عنه
قوله عليه السلام كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف وانما طريقها النظري التفكر فيما ذكر من شؤونه تعالى
وقد روي عنه عليه السلام انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك
التفكر في امر الله تعالى ولذلك قال عليه السلام لا عبادة مثل التفكر وقد عرفت انه مستتبع لتحقيق ما جاءت به الشريعة الحقة والاعمال
لما فسر النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا
بقوله عليه السلام ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله تعالى فان التورع عن محارمه سبحانه وتعالى موقوف على معرفة الحلال والحرام
المنوطة بالكتاب والسنة ثم بتصادق الآيات التكوينية وبتوافق الادلة العقلية والسمعية وهو السر في نظم ما حكي عن المتفكرين من الامور
المستدعية للايمان بالشريعة في سلك نتيجة تفكرهم كما ستقف عليه واظهار خلق السموات والارض مع كفاية الاضمار لابراز كمال العناية

ببيان حالهم والايذان بكون تفكرهم على وجه التحقيق والتفصيل وعدم التعرض لادراج اختلاف الملوين في سلك التفكر مع ذكره فيما سلف
اما للايذان بظهور اندراجه فيه لما ان ذلك من الاحوال التابعة لاحوال السموات والارض كما اشير اليه واما للاشعار بمسارعتهم الى الحكم
بالنتيجة بمجرد تفكرهم في بعض الآيات من غير حاجة الى بعض آخر منها في اثبات المطلوب والخلق مصدر على حاله اي يتفكرون في انشائهما
وابداعهما بما فيهما من عجائب المصنوعات وقيل بمعنى المخلوق على ان الاضافة بمعنى في اي يتفكرون فيما خلق فيهما اعم من ان يكون
بطريق الجزئية منهما او بطريق الحلول فيهما او على انها بيانية **ربنا ما خلقت هذا باطلا** كلمة هذا اشارة الى السموات والارض متضمنة
بضرب من التعظيم كما في قوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم والتذكير لما انهما باعتبار تعلق الخبر بهما في معنى المخلوق
او الخلق على تقدير كونه بمعنى المخلوق وباطلا اما صفة لمصدر مؤكد محذوف او حال من المفعول اي ما خلقت هذا المخلوق البديع
العظيم الشان عبثا عاريا عن الحكمة خاليا عن المصلحة كما ينبئ عنه اوضاع الغافلين عن ذلك المعرضين عن التفكر فيه بل منتظما لحكم
جليلة ومصالح عظيمة من جملتها ان يكون مدارا لمعايش العباد ومنارا يرشدهم الى معرفة احوال المبداء والمعاد حسبما فصحت
عنه الرسل والكتب الالهية كما تحققته مفصلا والجملة بتمامها في حيز النصب بقول مقدر هو على تقدير كون الموصول نعتا لاولي
الالباب استيناف مبين لنتيجة التفكر ومدلول الآيات ناشئ مما سبق فان النفس عند سماع تخصيص الآيات المنصوبة في خلق
العالم باولي الالباب ثم وصفهم بذكر الله تعالى والتفكر في محال تلك الآيات تبقى مترقبة لما يظهر منهم من آثارها واحكامها كانه قيل
فماذا يكون عند تفكرهم في ذلك وماذا يترتب عليه من النتيجة فقيل يقولون كيت وكيت مما ينبئ عن وقوفهم على سر الخلق المؤدي
الى معرفة صدق الرسل وحقية الكتب الناطقة بتفاصيل الاحكام الشرعية على التفصيل الذي وقفت عليه هذا واما جعله حالا
من المستكن في الفعل كما اطبق عليه الجمهور فمما لا يساعده جزالة النظم الكريم لما ان ما في حيز الصلة وما هو قيد له حقه ان يكون من
مبادي الحكم الذي اجري على الموصول ودواعي ثبوته له كذكرهم لله عز وجل في عامة اوقاتهم وتفكرهم في خلق السموات والارض
فانهما يؤديان الى اجتلاء تلك الآيات والاستدلال بها على المطلوب ولا ريب في ان قولهم ذلك ليس من مبادي الاستدلال المذكور بل
من نتائجه المترتبة عليه فاعتباره قيدا لما في حيز الصلة مما لا يليق بشان التنزيل الجليل نعم هو حال من ذلك على تقدير كون الموصول
مرفوعا او منصوبا على المدح او مرفوعا على انه خبر لمبتدا محذوف اذ لا اشتباه في ان قولهم ذلك من مبادي مدحهم ومحاسن
مناقبهم وفي ابراز هذا القول في معرض الحال دون الخبر اشعار بمقارنته لتفكرهم من غير تلعثم وتردد في ذلك وقوله تعالى
سبحانك تنزيها لك عما لا يليق بك من الامور التي من جملتها خلق ما لا حكمة فيه اعتراض مؤكد لمضمون ما قبله وممهد لما بعده من قوله
فقنا عذاب النار فان معرفة سر خلق العالم وما فيه من الحكمة البالغة والغاية الحميدة والقيام بما يقتضيه من الاعمال الصالحة وتنزيه
الصانع المجيد تعالى عن العبث من دواعي الاستعاذة مما يحيق بالمخلين بذلك من وجهين احدهما الوقوف على تحقق العذاب فالفاء
لترتيب الدعاء على ما ذكر والثاني الاستعداد لقبول الدعاء فالفاء لترتيب المدعو اعني الوقاية على ذلك كانه قيل واذ قد عرفنا
سرك واطعنا امرك ونزهناك عما لا ينبغي فقنا عذاب النار الذي هو جزاء الذين لا يعرفون ذلك **ربنا انك من تدخل النار
فقد اخزيته** مبالغة في استدعاء الوقاية وبيان لسببه وتصدير الجملة بالنداء للمبالغة في التضرع والجؤار وتاكيدها لاظهار كمال
اليقين بمضمونها والايذان بشدة الخوف واظهار النار في موضع الاضمار لتهويل امرها وذكر الادخال في مورد العذاب لتعيين
كيفيته وتبيين غاية فظاعته قال الواحدي للاخزاء معان متقاربة يقال اخزاه الله اي ابعده وقيل اهانه وقيل اهلكه
وقيل فضحه قال ابن الانباري الخزي لغة الهلاك بتلف او بانقطاع حجة او بوقوع في بلاء والمعنى فقد اخزيته خزيا لا غاية وراءه
كقولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك اي المرعى الذي لا مرعى بعده وفيه من الاشعار بفظاعة العذاب الروحاني ما لا يخفى وقوله
تعالى **وما للظالمين من انصار** تذييل لاظهار نهاية فظاعة حالهم ببيان خلود عذابهم بفقدان من ينصرهم ويقوم بتخليصهم وغرضهم

تأكيد الاستدعاء ووضع الظالمين موضع ضمير المدخلين لذمهم والاشعار بتعليل دخولهم النار بظلمهم ووضعهم الاشياء في غير موضعها وجمع الانصار بالنظر الى جمع الظالمين اي ما لظالم من الظالمين نصير من الانصار والمراد به من ينصر بالمدافعة والقهر فليس في الآية دلالة على نفي الشفاعة على ان المراد بالظالمين هم الكفار **ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان** حكاية لدعاء آخر لهم مبني على تأملهم في الدليل السمعي بعد حكاية دعائهم السابق المبني على التفكر في الادلة العقلية وتصدير مقدمة الدعاء لاظهار كمال الضراعة والابتهال والتأكيد للايذان بصدور المقال عنهم بوفور الرغبة وكمال النشاط والمراد بالنداء الدعاء وتعديتهما بالى لتضمنهما معنى الانتهاء وباللام لاشتمالهما على معنى الاختصاص والمراد بالمنادي الرسول صلى الله عليه وسلم وتنوينه للتفخيم وايثاره على الداعي للدلالة على كمال اعتنائه بشأن الدعوة وتبليغها الى الداني والقاصي لما فيه من الايذان برفع الصوت وينادي صفة لمناديا عند الجمهور كما في قولك سمعت رجلا يقول كيت وكيت ولو كان معرفة لكان حالا منه كما اذا قلت سمعت زيدا يقول الى آخره ومفعول ثان لسمعنا عند الفارسي واتباعه وهذا اسلوب بديع يصار اليه للمبالغة في تحقيق السماع والايذان بوقوعه بلا واسطة عند صدور المسموع عن المتكلم وللتوسل به الى تفصيله واستحضار صورته وقد اختص النظم الكريم بمزية زائدة على ذلك حيث عبر عن المسموع منه بالمنادي ثم وصف بالنداء للايمان على طريقة قولك سمعت متكلما يتكلم بالحكمة لما ان التفسير بعد الابهام والتقييد بعد الاطلاق اوقع عند النفس واجدر بالقبول وقيل المنادي القرآن العظيم **ان آمنوا** اي آمنوا على ان ان تفسيرية او بان آمنوا على انها مصدرية **بربكم** بمالككم ومتولي اموركم ومبلغكم الى الكمال وفي اطلاق الايمان ثم تقييده تفخيم لشأنه **فآمنا** اي فامتثلنا بأمره واجبنا نداءه **ربنا** تكرير للتضرع واظهار لكمال الخضوع وعرض للاعتراف بربوبيته مع الايمان به والفاء في قوله تعالى **فاغفر لنا** لترتيب المغفرة او الدعاء بها على الايمان به تعالى والاقرار بربوبيته فان ذلك من دواعي المغفرة والدعاء بها **ذنوبنا** اي كبائرنا فان الايمان يجب ما قبله **وكفر عنا سيئاتنا** اي صغائرنا فانها مكفرة عن مجتنب الكبائر **وتوفنا مع الابرار** اي مخصوصين بصحبتهم محوارهم معدودين من زمرتهم وفيه اشعار بانهم كانوا يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بار وبر كاصحاب وارباب **ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك** حكاية لدعاء آخر لهم مسبوق بما قبله معطوف عليه لتأخر التحلية على التخلية وتكرير النداء لما مر مكررا والمراد بالموعود الثواب وعلى اما متعلقة بالوعد كما في وعد الله الجنة على الطاعة اي وعدتنا على تصديق رسلك او بمحذوف وقع صفة لمصدر مؤكد محذوف اي وعدتنا وعدا كائنا على السنة رسلك وقيل التقدير منزلا على رسلك او محمولا على رسلك ولا يخفى ان تقدير الافعال الخاصة في مثل هذه المواقع تعسف وجمع الرسل مع ان المنادي هو الرسول صلى الله عليه وسلم وحده لما ان دعوته عليه السلام لا سيما في باب التوحيد وما اجمع عليه الكل من الشرائع منطوية على دعوة الكل فتصديقه تصديق لهم عليهم السلام كيف لا وقد اخذ منهم الميثاق بالايمان به عليه السلام لقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب الآية وكذا الموعود على لسانه من الثواب موعود على السنة الكل وايثار الجمع لاظهار كمال الثقة بانجاز الموعود بناء على كثرة الشهود **ولا تخزنا يوم القيمة** قصدوا بذلك تذكير وعده تعالى بقوله يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه مظهرين انهم ممن آمن معه رجاء للانتظام في سلكهم يومئذ وقوله تعالى **انك لا تخلف الميعاد** تعليل لتحقيق ما نظموا في سلك الدعاء وهذه الدعوات وما في تضاعيفها من كمال الضراعة والابتهال ليست لخوفهم من اخلاف الميعاد بل لخوفهم من ان لا يكونوا من جملة الموعودين بتغير الحال وسوء الخاتمة والمآل فمرجعها الى الدعاء بالتثبيت او للمبالغة في التعبد والخشوع والميعاد الوعد وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه البعث بعد الموت وفي الآثار عن جعفر الصادق من حزبه امر فقال ربنا خمس مرات انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرأ هذه الآية **فاستجاب لهم ربهم** الاستجابة بمعنى الاجابة وقال تاج القراء الاجابة عامة والاستجابة خاصة باعطاء المسؤل ويتعدى باللام وبنفسها كما في قوله فلم يستجيبوا

عند ذاك مجيب وهو عطف على الاستئناف المقدر فيما سلف مترتب على ما في حيزه من الادعية كما ان قوله عز وجل ثم قيل للذين ظلموا الى آخره عطف على قيل المقدر قبل آلآن اي قيل لهم آلآن آمنتم به ثم قيل الآية وكما ان قوله تعالى في سورة الاعراف ونطبع على قلوبهم معطوف على ما دل عليه معنى اولم يهد الى آخره كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع الى آخره ولا ضير في اختلافهما صيغة لما ان صيغة المستقبل هاهنا للدلالة على الاستمرار المناسب لمقام الدعاء وصيغة الماضي هاهنا للايذان بتحقق الاستجابة وتقررها كما لا ضير في الاختلاف بين قوله تعالى اذ تستغيثون ربكم وبين ما عطف عليه من قوله تعالى فاستجاب لكم كما سيأتي ويجوز ان يكون معطوفا على مضمر ينساق اليه الذهن اي دعوا بهذه الادعية فاستجاب الى آخره واما على تقدير كون المقدر حالا فهو عطف على يتفكرون باعتبار مقارنته لما وقع حالا من فاعله اعني قوله ربنا الى آخره فان الاستجابة مترتبة على دعواتهم لا على مجرد تفكرهم وحيث كانت هي من اوصافهم الجميلة المترتبة على اعمالهم بالآخرة استحق الانتظام في سلك محاسنهم المعدودة في اثناء مدحهم واما على تقدير كون الموصول نعتا لاولي الالباب فلا مساغ لهذا العطف اصلا لما عرفت من ان حق ما في حيز الصلة ان يكون من مبادي جريان الحكم على الموصول وقد عرفت ان دعواتهم السابقة ليست كذلك فأين الاستجابة المتأخرة عنها وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم من تشريفهم واظهار اللطف بهم ما لا يخفى **اني لا اضيع عمل عامل منكم** اي باني وهكذا قرأ ابي رضي الله عنه والباء للسببية كأنه قيل فاستجاب لهم ربهم بسبب انه لا يضيع عمل عامل منهم اي سنته السنية مستمرة على ذلك والالتفات الى التكلم والخطاب لاظهار كمال الاعتناء بشأن الاستجابة وتشريف الداعين بشرف الخطاب والمراد تأكيدها ببيان سببها والاشعار بان مدارها اعمالهم التي قدموها على الدعاء لا مجرد الدعاء وتعميم الوعد لسائر العاملين وان لم يبلغوا درجة اولي الالباب لتأكيد استجابة الدعوات المذكورة والتعبير عن ترك الاثابة بالاضاعة مع انه ليس باضاعة حقيقة اذ الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه وقرئ بكسر الهمزة على ارادة القول اي قائلا اني الى آخره فلا التفات حينئذ وقرئ لا اضيع بالتشديد ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لعامل اي عامل كائن منكم وقوله تعالى **من ذكر او انثى** بيان لعامل وتأكيد لعمومه وقوله تعالى **بعضكم من بعض** جملة معترضة مبينة لسبب انتظام النساء في سلك الرجال في الوعد فان كون كل منهما من الآخر لتشعبهما من اصل واحد او لفرط الاتصال بينهما او لاتفاقهما في الدين والعمل مما يستدعي الشركة والاتحاد في ذلك روي ان ام سلمة رضي الله تعالى عنها قالت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اسمع الله تعالى يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت وقوله تعالى فالذين هاجروا الى آخره ضرب تفصيل لما اجمل في العمل وتعداد لبعض احاسن افراده على وجه المدح والتعظيم **فالذين هاجروا** الشرك او الاوطان والعشائر للدين وقوله تعالى **واخرجوا من ديارهم** على الاول عبارة عن نفس الهجرة وعلى الثاني عن كيفيتها وكونها بالقسر والاضطرار **واوذوا في سبيلي** اي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وهو متناول لكل اذية نالتهم من قبل المشركين **وقاتلوا** اي الكفار في سبيل الله تعالى **وقتلوا** استشهدوا في القتال وقرئ بالعكس لان الواو لا تستدعي الترتيب او لان المراد قتل بعضهم وقاتل الآخرون اذ ليس المعنى على اتصاف كل فرد من الموصول بواحد من الاوصاف المذكورة او باثنين منها او باكثر اما بطريق التوزيع او بطريق حذف بعض الموصولات من المتن كما هو رأي الكوفيين كيف لا ولو اريد الحكم على اتصاف كل فرد بالكل لكان قد اضيع عمل من اتصف بالبعض وقرئ قتلوا بالتشديد **لاكفرن عنهم سيئاتهم** جواب قسم محذوف اي والله لاكفرن والجملة القسمية خبر للمبتدأ الذي هو الموصول وهذا تصريح بوعد ما سأله الداعون بخصوصه بعد ما وعد ذلك عموما وقوله تعالى **ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار** اشارة الى ما عبر عنه الداعون فيما قبل بقولهم وآتنا ما وعدتنا على رسلك وتفسير له **ثوابا** مصدر مؤكد لما قبله فان تكفير السيئات وادخال الجنة في معنى الاثابة وقوله تعالى **من عند الله** متعلق بمحذوف هو صفة له مبينة لشرفه اي لاثيبنهم اثابة كائنة او تثويبا كائنا من عنده

تعالى بالغا الى المرتبة القاصية من الشرف وقوله تع **والله عنده حسن الثواب** اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والاسم الجليل مبتدأ خبر
عنده وحسن الثواب مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ وهو مبتدأ ثان والظرف خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول
والعندية عبارة عن الاختصاص تعالى مثل كونه بقدرته تعالى وفضله بحيث لا يقدر عليه غيره بحال شيء يكون بحضرة احد لا يد عليه
لغيره فالاختصاص مستفاد من التمثيل سواء جعل عنده خبرا مقدما لحسن الثواب اولا وفي تصدير الوعد الكريم بعد اضاعة
العمل ثم تعقيبه بمثل هذا الاحسان الذي لا يقادر قدره من لطف المسلك المنبئ عن عظم شأن المحسن ما لا يخفى **لا يغرنك تقلب**
الذين كفروا في البلاد بيان لقبح ما اوتي الكفرة من حظوظ الدنيا وكشف عن حقارتها شأنها وسوء مغبتها اثر بيان حسن ما
اوتي المؤمنون من الثواب والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على ان المراد تثبيته على ما هو عليه كقوله تع لا تطع المكذبين على ان الار د
نهي المؤمنين كما يوجه الخطاب الى مدارء القوم ورؤسائهم والمراد افنادهم او لكل احد ممن يصلح للخطاب والنهي من المؤمنين
والنهي للمخاطب وانما جعل للتقلب اي لا تنظر الى ما عليه الكفرة من السعة ووفور الحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى منهم من
التبسط في المكاسب والمتاجر والمزارع روي ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء
الله تعالى فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة **متاع قليل** خبر لمبتدأ محذوف اي
اي هو متاع قليل لا قدر له في جنب ما ذكر من ثواب الله تعالى قال عليه السلام ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه
في اليم فلينظر بم يرجع فاذا لا يجدي وجوده لواجديه ولا يضر فقدانه لفاقديه **ثم مأواهم** اي مصيرهم الذي يأوون اليه
لا يرجعونه **جهنم** التي لا يوصف عذابها وقوله تع **وبئس المهاد** ذم لها وايذان بان مصيرهم مما جنته انفسهم وكسبته ايديهم
والمخصوص بالذم محذوف اي بئس ما مهدوا لانفسهم جهنم **لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين**
فيها بيان لكمال حسن حال المؤمنين غب بيان وتكرير له اثر تقرير مع زيادة خلودهم في الجنات ليتم بذلك سرورهم
ويزداد تحسرهم ويتكامل به سوء حال الكفرة وايراد التقوى في حيز الصلة للاشعار بكون الخصال المذكورة من باب التقوى
والمراد به الاتقاء من الشرك والمعاصي فالموصول مبتدأ والظرف خبره وجنات مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ
او الظرف خبر لجنات والجملة خبر للموصول وخالدين فيها اي في الجنات حال مقدرة من الضمير او من جنات لتخصصها بالوصف
والعامل ما في الظرف من معنى الاستقرار **نزلا من عند الله** وقرئ بسكون الزاي وهو ما يعد للنازل من طعام وشراب وغيرهما
قال ابو الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحالية من جنات
لتخصصها بالوصف والعامل فيه ما في الظرف من الاستقرار وقيل هو مصدر مؤكد كأنه قيل رزقا او عطاء من عند الله **وما**
عند الله خير مبتدأ وخبر وقوله تع **للابرار** متعلق بمحذوف هو صفة لخير اي ما عنده تعالى من الامور المذكورة الدائمة خير كائن
للابرار اي مما يتقلب فيه الفجار من المتاع القليل الزائل والتعبير عنهم بالابرار للاشعار بان الصفات المعدودة من اعمال
البر كما انها من قبيل التقوى والجملة تذييل لما قبلها **وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله** جملة مستأنفة سيقت لبيان ان
اهل الكتاب ليس كلهم كمن حكيت هناتهم من نبذ الميثاق وتحريف الكتاب وغير ذلك بل منهم من له مناقب جليلة قيل
هم عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم اربعون من اهل نجران واثنان وثلثون من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى
فاسلموا وقيل المراد به اصحمة النجاشي فانه لما مات نعاه جبريل الى النبي عليهما السلام فقال عليه السلام اخرجوا فصلوا
على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى البقيع فنظر الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون
انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت وانما دخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف
بينهما كما في قوله تع وان منكم لمن ليبطئن **وما انزل اليكم** من القرآن **وما انزل اليهم** من الكتابين وتأخيرا يمانهم بهما عن

ايمانهم بالقرآن في الذكر مع ان الامر بعكسه في الوجود لما انه عيار ومهيمن عليهما فان ايمانهم بهما انما يعتبر بتبعية ايمانهم به اذ لا عبرة
باحكامهما المنسوخة وما لم ينسخ منها انما يعتبر من حيث ثبوته بالقرآن ويتعلق ما بعده بهما والمراد بايمانهم بهما ايمانهم بهما
من غير تحريف ولا كتم كما هو ديدن المحرفين واتباعهم من العامة **خاشعين لله** حال من فاعل يؤمن والجمع باعتبار المعنى **لا يشترون**
بآيات الله ثمنا قليلا تصريح بمخالفتهم للمحرفين والجملة حال كما قبله وتظمها في سلك محاسنهم ليس من حيث عدم الاشتراء بل
لتضمن ذلك لاظهار ما في الكتابين من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم **اولئك** اشارة اليهم من حيث اتصافهم بما عد من صفاتهم
الحميدة وما فيه من معنى البعد للدلالة على علو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف والفضيلة وهو مبتدأ خبره قوله تع **لهم** وقوله **اجرهم**
اي المختص بهم الموعود لهم بقوله تع اولئك يؤتون اجرهم مرتين وقوله تع يؤتكم كفلين من رحمته مرتفع بالظرف على الفاعلية او على
الابتداء والظرف خبره والجملة خبر لاولئك وقوله تع **عند ربهم** نصب على الحالية من اجرهم والمراد به التشريف كالصفة
ان الله سريع الحساب لنفوذ علمه بجميع الاشياء فهو عالم بما يستحقه كل عامل من الاجر من غير حاجة الى تأمل والمراد بيان سرعة
وصول الاجر الموعود اليهم **يا ايها الذين آمنوا** اثر ما بين في تضاعيف السورة الكريمة فنون الحكم والاحكام ختمت بما يوجب
المحافظة عليها فقيل **اصبروا** اي على مشاق الطاعات وغير ذلك من المكاره والشدائد **وصابروا** اي غالبوا اعداء الله تعالى
بالصبر في مواطن الحروب واعدى عدوكم بالصبر على مخالفة الهوى وتخصيص المصابرة بالامر بعد الامر بمطلق الصبر لكونها
اشد منه واشق **ورابطوا** اي اقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين للغزو مستعدين له قال تعالى ومن رباط الخيل
ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان
وقيام لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة **واتقوا الله** في مخالفة امره على الاطلاق فيندرج فيه ما ذكر في تضاعيف السورة
الكريمة اندراجا اوليا **لعلكم تفلحون** كي تنتظموا في زمرة المفلحين الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل المكروب عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ السورة التي
يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه والملائكة حتى تحجب الشمس والحمد لله رب العالمين **سورة النساء**

بسم الله الرحمن الرحيم **يا ايها الناس** خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم من الموجودين حينئذ والحادثين
بعد ذلك الى يوم القيمة عند انتظامهم فيه لكن لا بطريق الحقيقة فان خطاب المشافهة لا يتناول القاصرين عن درجة التكليف
الا عند الحنابلة بل اما بطريق تغليب الفريق الاول على الآخرين واما بطريق تعميم حكمه لهما بدليل خارجي فان الاجماع منعقد على
ان آخر الامة مكلفة بما كلف به اولها كما ينبئ عنه قوله عليه الصلوة والسلام الحلال ما جرى على لساني الى يوم القيمة والحرام ما جرى
على لساني الى يوم القيمة وقد فصل في موضعه واما الامم الدارجة قبل النزول فلا حظ لهم في الخطاب لاختصاص الاوامر والنواهي
بمن يتصور منه الامتثال واما ادراجهم في خطاب ما عداهما مما له دخل في تأكيد التكليف وتقوية الايجاب فعرف حاله ولفظ الناس
ينتظم الذكور والاناث حقيقة واما صيغة جمع المذكر في قوله عز وجل **اتقوا ربكم** فواردة على طريقة التغليب لعدم تناولها حقيقة
للاناث عند غير الحنابلة واما ادخالهن في الامر بالتقوى بما ذكر من الدليل الخارجي وان كان فيه مراعاة جانب الصيغة لكنه يستدعي
تخصيص لفظ الناس ببعض افراده والمأمور به اما مطلق التقوى التي هي التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك واما التقوى فيما يتعلق
بابناء الجنس اي اتقوه في مخالفة اوامره ونواهيه على الاطلاق او في مخالفة تكاليفه الواردة ههنا واياما كان فالتعرض لعنوان الربوبية
المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتأييد الامر وتأكيد ايجاب الامتثال به على طريقة الترغيب والترهيب وكذا
وصف الرب بقوله تعالى **الذي خلقكم من نفس واحدة** فان خلقه تعالى اياهم على هذا النمط البديع لانبائه عن قدرة شاملة لجميع المقدورات التي
من جملتها عقابهم على معاصيهم وعن نعمة كاملة لا يقادر قدرها من اقوى الدواعي الى الاتقاء من موجبات نقمته واتم الزواجر عن كفران

نعمه وكذا جعله تعالى اياهم صنوانا مفرعة من ارومة واحدة هي نفس آدم عليه الصلوة والسلام من موجبات الاحتراز عن الاخلال بمراعاة ما بينهم
من حقوق الاخوة وتعميم الخطاب في ربكم وخلقكم للامم السالفة ايضا مع اختصاصه فيما قبل بالمامورين بناء على ان تذكير شمول ربوبيته تعالى
وخلقه للكل من مؤكدات الامر بالتقوى وموجبات الامتثال به تفكيك للنظم الكريم مع الاستغناء عنه لان خلقه تعالى للمامورين من نفس آدم
حيث كان بواسطة ما بينهم وبينه عليه السلام من الآباء والامهات كان التعرض لخلقهم متضمنا للتعرض لخلق الوسائط جميعا وكذا التعرض
لربوبيته تعالى لهم متضمن للتعرض لربوبيته تعالى لاصولهم قاطبة لاسيما وقد نطق بذلك قوله عز وجل **وخلق منها زوجها** فانه مع
عطف عليه صريح في ذلك وهو معطوف اما على مقدر ينبئ عنه سوق الكلام لان تفريع الفروع من اصل واحد يستدعي انشاء
ذلك الاصل لا محالة كانه قيل خلقكم من نفس واحدة خلقها اولا وخلق منها زوجها الخ وهو استئناف مسوق لتقرير وحدة
المبدأ وبيان كيفية خلقهم منه وتفصيل ما اجمل اولا او صفة لنفس مفيدة لذلك واما على خلقكم داخل معه في حيز الصلة مقرر
ومبين لما ذكروا واعادة الفعل مع جواز عطف مفعوله على مفعول الفعل الاول كما في قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم
الذي خلقكم والذين من قبلكم الخ لاظهار ما بين الخلقين من التفاوت فان الاول بطريق التفريع من الاصل والثاني بطريق
الانشاء من المادة فانه تعالى خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام روي انه عز وجل لما خلقه عليه السلام واسكنه الجنة القى
عليه النوم فبينما هو بين النائم واليقظان خلق حواء من ضلع من اضلاعه اليسرى فلما انتبه وجدها عنده وتاخير ذكر خلقها
عن ذكر خلقهم لما ان تذكير خلقهم ادخل في تحقيق ما هو المقصود من حملهم على الامتثال بالامر بالتقوى من تذكير خلقها وتقديم الجار
والمجرور للاعتناء ببيان مبدئيته عليه السلام لها مع ما فيه من التشويق الى المؤخر كما مر مرارا وايرادها بعنوان الزوجية تمهيد لما بعده
من التناسل **وبث منهما** اي نشر من تلك النفس وزوجها المخلوقة منها بطريق التوالد والتناسل **رجالا كثيرا** نعت لرجالا مؤكد لما
افاده التنكير من الكثرة والافراد باعتبار معنى الجمع والعدد وقيل هو نعت لمصدر مؤكد للفعل اي بثا كثيرا **ونساء** اي كثيرة
وترك التصريح بها للاكتفاء بالوصف المذكور وايثارهما على ذكورا واناثا لتاكيد الكثرة والمبالغة فيها بترشيح كل فرد من الافراد
المبثوثة لمبدئيته غيره وقرئ وخالق وباث على حذف المبتدأ اي وهو خالق وباث **واتقوا الله الذي تساءلون به** تكرير للامر وتذكير
لبعض آخر من موجبات الامتثال به فان سؤال بعضهم بعضا بالله تعالى بان يقولوا اسالك بالله وانشدك الله على سبيل الاستعطاف
يقتضي الاتقاء من مخالفة اوامره ونواهيه وتعليق الاتقاء بالاسم الجليل لمزيد التاكيد والمبالغة في الحمل على الامتثال بتربية المهابة
وادخال الروعة ولوقوع التساؤل به لا بغيره من اسمائه تعالى وصفاته وتساءلون اصله تتساءلون فطرحت احدى التائين
تخفيفا وقرئ بادغام تاء التفاعل في السين لتقاربهما في الهمس وقرئ تسألون من الثلاثي اي تسألون به غيركم وقد فسر
به القراءة الاولى والثانية وحمل صيغة التفاعل على اعتبار الجمع كما في قولك رأيت الهلال وتراءيناه وبه فسر تساءلون
على وجه وقرئ تسلون بنقل حركة الهمزة الى السين **والارحام** بالنصب عطفا على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمروا
ويعضده قراءة تساءلون به وبالارحام فانهم كانوا يقرنونها في السؤال والمناشدة بالله عز وجل ويقولون اسالك بالله وبالرحم
او عطفا على الاسم الجليل اي اتقوا الله والارحام وصلوها فان قطيعتها مما يجب ان يتقى وهو قول مجاهد وقتادة والسدي والضحاك
والفراء والزجاج وقد جوز الواحدي نصبه على الاغراء اي والزموا الارحام وصلوها وقرئ بالجر عطفا على الضمير المجرور وبالرفع
على انه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اي مما يتقى او يتساءل به ولقد نبه الله سبحانه وتعالى حيث قرنها باسمه الجليل على
ان صلتها بمكان منه كما في قوله تعالى ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وعنه صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول
من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله **ان الله كان عليكم رقيبا** اي مراقبا وهي صيغة مبالغة من رقب يرقب رقبا ورقوبا ورقبانا اذا
احد النظر لامر يريد تحقيقه اي حافظا مطلعا على جميع ما يصدر عنكم من الافعال والاقوال وعلى ما في ضمائركم من النيات مريدا لمجازاتكم

بذلك وهو تعليل للامر ووجوب الامتثال به واظهار الاسم الجليل لتاكيده وتقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل **وآتوا اليتامى اموالهم** شروع في
تفصيل موارد الاتقاء ومظانه بتكليف ما يقابلها امرا ونهيا عقيب الامر بنفسه مرة بعد اخرى وتقديم ما يتعلق باليتامى لاظهار كمال
العناية بامرهم ولملابستهم بالارحام اذ الخطاب للاولياء والاوصياء وقلما تفوض الوصاية الى الاجانب واليتيم من مات ابوه من اليتم
وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وجمعه على يتامى اما لانه لما جرى مجرى الاسماء جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او لانه لما كان
من وادي الآفات جمع على يتمى ثم جمع يتمى على يتامى والاشتقاق يقتضي صحة اطلاقه على الكبار ايضا واختصاصه بالصغار مبني على العرف
واما قوله صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد الحلم فتعليم الشريعة لا تعيين لمعنى اللفظ اي لا يجري على اليتيم بعده حكم الايتام والمراد بايتاء اموالهم
قطع المخاطبين اطماعهم الفارغة عنها وكف الكف الخاطفة عن اختزالها وتركها على حالها غير متعرض لها بسوء حتى تاتيهم
وتصل اليهم سالمة كما ينبئ عنه ما بعده من النهي عن التبدل والاكل لا الاعطاء بالفعل فانه مشروط بالبلوغ وايناس الرشد
على ما ينطق به قوله تعالى حتى اذا بلغوا الآية وانما عبر عما ذكر بالايتاء مجازا للايذان بانه ينبغي ان يكون مرادهم بذلك ايصالها
اليهم لا مجرد ترك التعرض لها فالمراد بهم اما الصغار على ما هو المتبادر والامر خاص بمن يتولى امرهم من الاولياء و
الاوصياء وشمول حكمه لاولياء من كان بالغا عند نزول الآية بطريق الدلالة دون العبارة واما من جرى عليه اليتم في الجملة
مجازا اعم من ان يكون كذلك عند النزول او بالغا فالامر شامل لاولياء الفريقين صيغة موجب عليهم ما ذكر من حفظ اموالهم
والتحفظ عن اضاعتها مطلقا واما وجوب الدفع الى الكبار فمستفاد مما سياتي من الامر به وقيل المراد بهم الصغار وبالايتاء
الاعطاء بالزمان المستقبل وقيل اطلق اسمهم على الكبار بطريق الاتساع لقرب عهدهم باليتيم حثا للاولياء على المسارعة الى دفع
اموالهم اليهم اول ما بلغوا قبل ان يزول عنهم اسمهم المعهود فالايتاء بمعنى الاعطاء بالفعل ويأباهما ما سياتي من قوله تعالى وابتلوا
اليتامى الى آخره فان ما فيه من الامر بالدفع وارد على وجه التكليف الابتدائي لا على وجه تعيين وقته او بيان شرطه فقط كما هو مقتضى
القولين واما تعميم الاسم للصغار والكبار مجازا بطريق التغليب مع تعميم الايتاء للايتاء حالا وللايتاء مآلا وتعميم الخطاب
لاولياء كلا الفريقين على ان من بلغ منهم فوليه مامور بالدفع اليه بالفعل وان من لم يبلغ بعد فوليه مامور بالدفع اليه عند
بلوغه رشيدا فمع ما سبق تكلف لا يخفى فالانسب ما تقدم من حمل ايتاء اموالهم اليهم على ما يؤدي اليه من ترك التعرض لها بسوء
كما يلوح به التعبير عن الاعطاء بالفعل بالدفع سواء اريد باليتامى الصغار او ما يعم الصغار والكبار حسبما ذكر آنفا واما ما روي
من ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له فلما بلغ طلب منه ماله فمنعه فنزلت فلما سمعها قال اطعنا الله واطعنا الرسول
نعوذ بالله من الحوب الكبير فغير قادح في ذلك لما ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب **ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب** نهي عن اخذ مال اليتيم على
الوجه المخصوص بعد النهي الضمني عن اخذه على الاطلاق وتبدل الشيء بالشيء واستبداله به اخذ الاول بدل الثاني بعد ان كان حاصلا
له او في شرف الحصول يستعملان ابدا بافضائهما الى الحاصل بانفسهما والى الزائل بالباء كما في قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان
الخ وقوله تعالى اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير واما التبديل فيستعمل تارة كذلك كما في قوله تعالى و
بدلناهم بجنتيهم جنتين الخ واخرى بالعكس كما في قولك بدلت الحلقة بالخاتم اذا اذبتها وجعلتها خاتما نص عليه الازهري وتارة
اخرى بافضائه الى مفعوليه بنفسه كما في قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات والمراد بالخبيث والطيب ان كان هو الحرام والحلال
فالمنهي عنه استبدال مال اليتيم بمال انفسهم مطلقا كما قاله الفراء والزجاج وقيل معناه لا تذروا اموالكم الحلال وتاكلوا الحرام
من اموالهم فالمنهي عنه اكل ماله مكان مالهم المحقق او المقدر وقيل هو اختزال ماله مكان حفظه واياما كان فانما عبر عنهما بهما
تنفيرا عما اخذوه وترغيبا فيما اعطوه وتصويرا لمعاملتهم بصورة ما لا يصدر عن العاقل وان كان هو الردي والجيد فمورد النهي
ما كانوا عليه من اخذ الجيد من مال اليتيم واعطاء الردي من مال انفسهم وبه قال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري والسدي وتخصيص هذه

المعاملة بالنهي لخروجها مخرج العادة لا لاباحة ما عداها واما التعبير عنهما بتبدل الخبيث بالطيب مع انها تبديله به او تبدل الطيب بالخبيث
فللايذان بان الاولياء حقهم ان يكونوا في المعاوضات عاملين لليتيم لا لانفسهم مراعين لجانبه قاصدين لجلب المجلوب اليه مشتري كان او بائعا
لا لسلب المسلوب عنه **ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم** نهي عن منكر آخر كانوا يتعاطونه اي لا تأكلوها مضمومة الى اموالكم ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك
حرام وقد رخص من ذلك مقدار اجر المثل عند كون الولي فقيرا **انه** اي الاكل المفهوم من النهي **كان حوبا** اي ذنبا عظيما وقرئ بفتح الحاء
وهو مصدر حاب حوبا وقرئ حابا وهو ايضا مصدر كقال قولا وقال **كبيرا** مبالغة في بيان عظم ذنب الاكل المذكور كانه قيل من
كبار الذنوب العظيمة لا من افنائها **وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى** الاقساط العدل وقرئ بفتح التاء فقيل هو من قسط اي جار ولا مزيدة كما
في قوله تعالى لئلا يعلم وقيل هو بمعنى اقسط فان الزجاج حكى ان قسط يستعمل استعمال اقسط والمراد بالخوف العلم كما في قوله تعالى
فمن خاف من موص جنفا عبر عنه بذلك ايذانا بكون المعلوم مخوفا محذورا لا معناه الحقيقي لان الذي علق به الجواب هو العلم بوقوع الجور
المخوف لا الخوف منه والا لم يكن الامر شاملا لمن يصر على الجور ولا يخافه وهذا شروع في النهي عن منكر آخر كانوا يباشرونه متعلق بانفس اليتامى
اصالة وباموالهم تبعا عقب النهي عما يتعلق باموالهم خاصة وتأخيره عنه لقلة وقوع المنهي عنه بالنسبة الى الاول ونزوله منه منزلة
المركب من المفرد وذلك انهم كانوا يتزوجون من يحل لهم من اليتامى اللاتي يلونهن لكن لا لرغبة فيهن بل في مالهن ويسيئون في الصحبة والمعاشرة
ويتربصون بهن اي يمتنن فيرثوهن وهذا قول الحسن وقيل هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بادنى
من سنة نسائها فنهوا ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق وامروا ان ينكحوا ما سواهن من النساء وهذا قول الزهري
رواية عن عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها واما اعتبار اجتماع عدد كثير منهن كما اطبق عليه اكثر اهل التفسير حيث قالوا كان الرجل
يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن الخ فلا يساعده الامر بنكاح غيرهن
فان المحذور حينئذ يندفع بتقليل عددهن اي وان خفتم ان لا تعدلوا في حق اليتامى اذا تزوجتم بهن بالزيادة على العشرة او بنقص الصداق
فانكحوا ما طاب لكم ما موصولة او موصوفة ما بعدها صلتها او صفتها واوثرت على من ذهابا الى الوصف وايذانا بانه المقصود بالذات و
الغالب في الاعتبار لا بناء على ان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء لاخلاله بمقام الترغيب فيهن وقرأ ابن ابي عبلة من طاب
ومن في قوله عز وجل **من النساء** بيانية وقيل تبعيضية والمراد بهن غير اليتامى بشهادة قرينة المقام اي فانكحوا من استطابتها نفوسكم من
الاجنبيات وفي ايثار الامر بنكاحهن على النهي عن نكاح اليتامى مع انه المقصود بالذات مزيد لطف في استنزالهم عن ذلك فان النفس مجبولة على
الحرص على ما منعت منه كما ان وصف النساء بالطيب على الوجه الذي اشير اليه فيه مبالغة في الاستمالة اليهن والترغيب فيهن وكل ذلك
للاعتناء بصرفهم عن نكاح اليتامى وهو السر في توجيه النهي الضمني الى النكاح المترقب مع ان سبب النزول هو النكاح المحقق لما فيه
من المسارعة الى دفع الشر قبل وقوعه فرب واقع لا يرفع والمبالغة في بيان حال النكاح المحقق فان محظورية المترقب حيث كانت
للجور المترقب فيه فمحظورية المحقق مع تحقق الجور فيه اولى وقيل المراد بالطيب الحل اي ما حل لكم شرعا لان ما استطابوه شامل
للمحرمات ولا تخصيص لمن عداهن وفيه فرار من محذور ووقوع فيما هو افظع منه لان ما حل لهم مجمل وقد تقرر ان النص اذا تردد
بين الاجمال والتخصيص يحمل على الثاني لان العام المخصوص حجة في غير محل التخصيص والمجمل ليس بحجة قبل ورود البيان اصلا ولئن حمل
قوله تعالى حرمت عليكم الخ دالا على التفصيل بناء على ادعاء تقدمه في التنزيل فليحمل دالا على التخصيص **مثنى وثلاث ورباع** معدولة
عن اعداد مكررة غير منصرفة لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها وقيل للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان لم
يكن اصولها كذلك وقرئ وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع ومحلهن النصب على انها حال من فاعل طاب مؤكدة لما افاده
وصف الطيب من الترغيب فيهن والاستمالة اليهن بتوسيع دائرة الاذن اي فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين
وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا حسبما تريدون على معنى ان لكل واحد منهم ان يختار اي عدد شاء من الاعداد المذكورة لا ان بعضها

١٣٤

لبعض منهم وبعضها لبعض آخر كما في قولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة ولو افرد لفهم منه
تجويز الجمع بين تلك الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت بكلمة او لفات تجويز الاختلاف في العدد هذا وقد قيل في تفسير الآية الكريمة
لما نزلت الآية في اليتامى وما في اكل اموالهم من الحوب الكبير اخذ الاولياء يتحرجون من ولايتهم خوفا من لحوق الحوب بترك الاقساط مع
انهم كانوا لا يتحرجون من ترك العدل في حقوق النساء حيث كان تحت الرجل منهم عشر منهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق
اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله
فهو غير متحرج ولا تائب عنه وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا
الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات ولا يخفى انه لا يساعدهما جزالة النظم الكريم لابتنائهما على تقدم نزول الآية
الاولى وشيوعها بين الناس مع ظهور توقف حكمها على ما بعدها من قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء الى قوله تعالى وكفى بالله حسيبا
فان خفتم الا تعدلوا اي فيما بينهن ولو في اقل الاعداد المذكورة كما خفتموه في حق اليتامى او كما لم تعدلوا في حقهن او كما لم تعدلوا فيما
فوق هذه الاعداد **فواحدة** اي فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع بالكلية وقرئ بالرفع اي فالمقنع واحدة او فحسبكم
واحدة **او ما ملكت ايمانكم** اي من السراري بالغة ما بلغت من مراتب العدد وهو عطف على واحدة على ان اللزوم والاختيار فيه بطريق
التسري لا بطريق النكاح كما فيما عطف عليه لاستلزامه ورود ملك النكاح على ملك اليمين بموجب اتحاد المخاطبين في الموضعين بخلاف
ما سيأتي من قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت ايمانكم فان المأمور بالنكاح هناك غير المخاطبين
بملك اليمين وانما سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين السراري من غير حصر في عدد لقلة تبعتهن وخفة مؤنتهن
وعدم وجوب القسم فيهن وقرئ او من ملكت ايمانكم وما في القراءة المشهورة للايذان بقصور رتبتهن عن رتبة العقلاء **ذلك** اشارة
الى اختيار الواحدة والتسري **ادنى ان لا تعولوا** العول الميل من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وعال في الحكم اي جار والمراد ههنا
الميل المحظور المقابل للعدل اي ما ذكر من اختيار الواحدة والتسري اقرب بالنسبة الى ما عداهما من ان لا تميلوا ميلا محظورا لانتفائه
رأسا بانتفاء محله في الاول وانتفاء خطره في الثاني بخلاف اختيار العدد في المهائر فان الميل المحظور متوقع فيه لتحقق المحل والخطر
ومن ههنا تبين ان مدار الامر هو عدم العول لا تحقق العدل كما قيل وقد فسر بان لا يكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم
اي مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤنة على طريقة الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ووجه
كون التسري مظنة قلة العيال مع جواز الاستكثار من السراري انه يجوز العزل عنهن بغير رضاهن ولا كذلك المهائر والجملة مستأنفة
جارية مما قبلها مجرى التعليل **وآتوا النساء** اي اللاتي امر بنكاحهن **صدقاتهن** جمع صدقة كسمرة وهي المهر وقرئ بسكون الدال على
التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة **نحلة** قال ابن عباس
وقتادة وابن جريج وابن زيد فريضة من الله تعالى لانها مما فرضه تعالى في النحلة اي الملة والشرعة والديانة فانتصابها على
الحالية من الصدقات اي اعطوهن مهورهن حال كونها فريضة منه تعالى وقال الزجاج تدينا فانتصابها على انها مفعول له اي اعطوهن ديانة وشرعة وقال الكلبي نحلة اي هبة وعطية من الله تعالى وتفضلا منه عليهن فانتصابها على الحالية منها ايضا وقيل عطية من جهة
الازواج من نحله كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا والتعبير عن ايتاء المهور بالنحلة مع كونها واجبة على الازواج لافادة
معنى الايتاء عن كمال الرضى وطيب الخاطر وانتصابها على المصدرية لان الايتاء والنحلة بمعنى الاعطاء كانه قيل وانحلوا النساء
صدقاتهن نحلة اي اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحالية من ضمير آتوا اي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس
بالاعطاء او من الصدقات اي منحولة معطاة عن طيبة الانفس فالخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور بناتهم وكانوا
يقولون هنيئا لك النافجة لمن يولد له بنت يعنون تأخذ مهرها فتنفج به مالك اي تعظمه **فان طبن لكم عن شيء منه** الضمير للصدقات وتذكيره لاجراء

يجري ذلك فانه قد يشار به الي المتعدد كما في قوله عز وجل قل أؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات المعدودة وقد روي عن رؤبة انه حين
قيل له في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط ينبغي ان تقول كأنها وان اردت السواد والبلق ينبغي
ان تقول كأنهما قال لكني اردت كأن ذاك او للصداق الواقع موقعه صدقاتهن كأنه قيل وآتوا النساء صداقهن كما في قوله تعالى
فاصدق واكن حيث عطف اكن على ما دل عليه المذكور ووقع موقعه كأنه قيل فاصدق واكن واللام متعلقة بالفعل وكذا عن لكن بتضمينه معنى
التجافي والتجاوز ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء اي كائن من الصداق وفيه بعث لهن على تقليل الموهوب نفسا والتوحيد لما ان
المقصود بيان الجنس اي ان وهبن لكم شيئا من الصداق متجافيا عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى البذل من شكاسة اخلاقكم
وسوء معاشرتكم لكن عدل عن لفظ الهبة والسماحة الى ما عليه النظم الكريم ايذانا بان العمدة في الامر انما هو طيب النفس وتجافيها عن الموهوب
بالمرة فكلوه اي فخذوا ذلك الشيء الذي طابت به نفوسهن وتصرفوا فيه تملكا وتخصيص الاكل بالذكر لانه معظم وجوه التصرفات المالية
هنيئا مريئا صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء الذي يلذه الآكل والمريء ما تحمد عاقبته وقيل ما ينساغ
في مجراه الذي هو المريء وهو ما بين الحلقوم الى فم المعدة سمي بذلك لمروء الطعام فيه اي انسياغه ونصبهما على انهما صفتان للمصدر اي اكلا
هنيئا مريئا او على انهما حالان من الضمير المنصوب اي كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على كلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى
انهما صفتان اقيمتا مقام المصدرين كأنه قيل هنأ مرأ وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الاباحة وازالة التبعة روي ان ناسا
كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء اموالكم رجوع الى بيان بقية الاحكام المتعلقة باموال اليتامى
وتفصيل ما اجمل فيما سبق من شرط ايتائها ووقته وكيفيته اثر بيان بعض الاحكام المتعلقة بانفسهن اعني نكاحهن وبيان بعض الحقوق
المتعلقة بغيرهن من الاجنبيات من حيث النفس ومن حيث المال استطرادا والخطاب للاولياء نهوا ان يؤتوا المبذرين من اليتامى اموالهم مخافة
ان يضيعوها وانما اضيف اليهم وهي لليتامى لا نظرا الى كونها تحت ولايتهم كما قيل فانه غير مصحح لاتصافها بالوصف الآتي بل تنزيلا لاختصاصها
باصحابها منزلة اختصاصها بالاولياء فكأن اموالهم عين اموالهم لما بينهم وبينهم من الاتحاد الجنسي والنسبي مبالغة في حملهم
على المحافظة عليها كما في قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم اي لا يقتل بعضكم بعضا حيث عبر عن بني نوعهم بانفسهم مبالغة في زجرهم
عن قتلهم فكأن قتلهم قتل انفسهم وقد ايد ذلك حيث عبر عن جعلها مناطا لمعاش اصحابها بجعلها مناطا لمعاش الاولياء
فقيل التي جعل الله لكم قياما اي جعلها الله شيئا تقومون به وتنتعشون على حذف المفعول الاول فلو ضيعتموه لضعتم ثم زيد
في المبالغة حتى جعل ما به القيام قياما فكأنها في انفسها قيامكم وانتعاشكم وقيل انما اضيف الى الاولياء لانها من جنس ما
يقيم الناس معايشهم حيث لم يقصد بها الخصوصية الشخصية بل الجنسية التي هي معنى ما يقام به المعاش وتميل اليه القلوب ويدخر
لاوقات الاحتياج وهي بهذا الاعتبار لا تختص باليتامى وانت خبير بان ذلك بمعزل من حمل الاولياء على المحافظة المذكورة كيف لا
والوحدة الجنسية المالية ليست مختصة بما بين اموال اليتامى واموال الاولياء بل هي متحققة بين اموالهم واموال الاجانب فاذن لا وجه
لاعتبارها اصلا وقرئ اللاتي واللواتي وقرئ قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرئ قواما بكسر القاف وهو ما يقام به الشيء
او مصدر قاوم وقرئ بفتحها وارزقوهم فيها واكسوهم اي واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا وتتربحوا حتى تكون نفقاتهم
من الارباح لا من صلب المال وقيل الخطاب لكل احد كائنا من كان والمراد نهيه عن ان يفوض امر ماله الى من لا رشد له من نسائه واولاده
ووكلائه وغير ذلك ولا يخفى ان ذلك مخل بجزالة النظم الكريم وقولوا لهم قولا معروفا اي كلاما لينا تطيب به نفوسهم وعن سعيد بن جبير
ومجاهد وابن جريج عدوهم عدة جميلة بان تقولوا اذا صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وكل ما سكنت اليه النفس لحسنه شرعا او عقلا
من قول او عمل فهو معروف وما انكرته لقبحه شرعا او عقلا فهو منكر وابتلوا اليتامى شروع في تعيين وقت تسليم اموال اليتامى اليهم وبيان
شرطه بعد الامر بايتائها على الاطلاق والنهي عنه عند كون اصحابها سفهاء اي واختبروا من ليس منهم بين السفه قبل البلوغ بتتبع احوالهم

احوالهم في صلاح الدين والاهتداء الى ضبط المال وحسن التصرف فيه وجربوهم بما يليق بحالهم فان كانوا من اهل التجارة فبأن تعطوهم
من المال ما يتصرفون فيه بيعا وابتياعا وان كانوا ممن له ضياع واهل وخدم فبأن تعطوهم منه ما يصرفونه الى نفقة عبيدهم وخدمهم
واجرائهم وسائر مصارفهم حتى يتبين لكم كيفية احوالهم حتى اذا بلغوا النكاح بان يحتلموا لانهم يصلحون عنده للنكاح فان آنستم اي شاهدتم
وتبينتم وقرئ احستم كما في قوله من قال خلا ان العتاق من المطايا احسن به وهن اليه شوس منهم رشدا اي اهتداء الى وجوه
التصرفات من غير عجز وتبذير وتقديم الجار والمجرور على المفعول للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر او للاعتداد بمبدئيته له
والتنوين للدلالة على كفاية رشد في الجملة وقرئ بفتح الراء والشين وبضمهما فادفعوا اليهم اموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ وفي
ايثار الدفع على الايتاء الوارد في اول الامر ايذان بتفاوتهما بحسب المعنى كما اشير اليه فيما سلف ونظم الآية الكريمة ان حتى هي التي
يقع بعدها الجمل كالتي في قوله فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة اشكل وما بعدها جملة شرطية جعلت غاية للابتلاء
وفعل الشرط بلغوا وجوابه الشرطية الثانية كأنه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد
منهم وظاهر الآية الكريمة ان من بلغ غير رشيد اما بالتبذير او بالعجز لا يدفع اليه ماله ابدا وبه اخذ ابو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة
رحمهم الله تعالى ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان البلوغ بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في
تغير احوال الانسان لما قال عليه الصلوة مروهم بالصلوة لسبع دفع اليه ماله أونس منه رشد او لم يؤنس ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا اي
مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها
من ايدينا والجملة تأكيد للامر بالدفع وتقرير لما بعدها من قوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف الخ اي من كان من الاولياء والاوصياء غنيا
فليتنزه من اكلها وليقتنع بما آتاه الله تعالى من الغنى والرزق اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله ومن كان من الاولياء والاوصياء
فقيرا فليأكل بالمعروف بقدر حاجته الضرورية واجرة سعيه وخدمته وفي لفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف ما يدل على ان للوصي
حقا لقيامه عليها عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان رجلا قال له عليه السلام ان في حجري يتيما أفآكل من ماله قال بالمعروف غير
متأثل مالا ولا واق مالك بماله وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان ولي اليتيم قال له افأشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغي ضالتها
وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعن محمد بن كعب يتقرم كما تتقرم البهيمة
وينزل نفسه منزلة الاجير فيما لا بد منه وعن الشعبي يأكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي وعن
مجاهد يستسلف فاذا ايسر ادى وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ
القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه اني انزلت نفسي من مال الله عز وجل
منزلة والي اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعف ابلغ من عف كأنه يطلب زيادة
العفة فاذا دفعتم اليهم اموالهم بعد ما راعيتم الشرائط المذكورة وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للاهتمام به فاشهدوا عليهم بانهم
تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم لما ان ذلك ابعد من التهمة وانفى للخصومة وادخل في الامانة وبراءة الساحة وان لم يكن ذلك واجبا
عند اصحابنا فان الوصي مصدق في الدفع مع اليمين خلافا لمالك والشافعي رحمهما الله تعالى وكفى بالله حسيبا اي محاسبا فلا
تخالفوا ما امرتم به ولا تجاوزوا ما حد لكم شروع في بيان احكام المواريث بعد بيان احكام اموال اليتامى المنتقلة اليهم بالارث
للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون صح
والمراد بالاقربين المتوارثون منهم ومن في مما متعلقة بمحذوف وقع صفة لنصيبا اي لهم نصيب كائن مما ترك وقد جوز تعلقها بنصيب
وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون ايراد حكمهن على الاستقلال دون الدرج في تضاعيف احكامهم بان يقال للرجال والنساء الخ مثلا
للاعتناء بامرهن والايذان باصالتهن في استحقاق الارث والاشارة من اول الامر الى تفاوت ما بين نصيبي الفريقين والمبالغة
في ابطال حكم الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة روي ان اوس بن

ثابت الأنصاري خلف زوجته أم كجة وثلث بنات فزوى بنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فجاءت أم كجة الى
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله تعالى فنزلت فارسل اليهما ان الله تعالى قد جعل لهن نصيبا ولم يبين
فلا تفرقا من مال اوس شيئا حتى يبين فنزل يوصيكم الله الخ فاعطى أم كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم وهو دليل على جواز تأخير البيان
عن الخطاب وقوله تعالى **مما قل منه او كثر** بدل من ما الأخيرة باعادة الجار واليها يعود الضمير المجرور وهذا البدل مراد في الجملة الاولى ايضا محذوف
للتعويل على المذكور وفائدته دفع توهم اختصاص بعض الأموال ببعض الورثة كالخيل وآلات الحرب للرجال وتحقيق ان لكل من الفريقين حقا
من كل ما جل ودق **نصيبا مفروضا** نصب على انه مصدر مؤكد كقوله تعالى فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة او على الحالية اذ المعنى ثبت لهم
نصيب كائن مما ترك الوالدان والأقربون حال كونه مفروضا او على الاختصاص اي اعني نصيبا مقطوعا مفروضا واجبا لهم وفيه دليل على
ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه **واذا حضر القسمة** اي قسمة التركة وانما قدمت مع كونها مفعولا لانها المبحوث عنها ولان في
الفاعل تعددا فلو روعي الترتيب يفوت تجاوب اطراف الكلام **اولوا القربى** ممن لا يرث **واليتامى والمساكين** من الأجانب **فارزقوهم منه** اي اعطوهم شيئا
من المال المقسوم المدلول عليه بالقسمة وقيل الضمير لما وهو امر ندب كلف به البالغون من الورثة تطييبا لقلوب الطوائف المذكورة وتصدقا
عليهم وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه **وقولوا لهم قولا معروفا** وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ويعتذروا من ذلك ولا يمنوا عليهم **وليخش
الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم** امر للاوصياء بان يخشوا الله تعالى ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم
الضعاف بعد وفاتهم او لمن حضر المريض من العواد عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم
فلا يتركوا ان يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الأقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا
اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم وللمؤمنين ان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزها صلة
للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ورثة ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه
اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاد نفسه وتهديد للمخالف بحال اولاده وقرئ
ضعفاء وضعافى وضعافى **فليتقوا الله** في ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها **وليقولوا قولا سديدا** امرهم بالتقوى التي هي غاية
الخشية بعد ما امرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى اذ لا ينفع الاول بدون الثاني ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم
بالشفقة وحسن الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضري القسمة
عذرا ووعدا حسنا او يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى تجاوز الثلث وقوله تعالى **ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما** اي على وجه الظلم او
ظالمين استئناف جيء لتقرير مضمون ما فصل من الاوامر والنواهي **انما يأكلون في بطونهم** اي ملء بطونهم **نارا** اي ما يجر الى النار ويؤدي اليها
وعن ابي برزة انه قال قال صلى الله تعالى عليه وسلم يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج افواههم نارا فقيل من هم فقال عليه الصلوة والسلام
الم تر ان الله تعالى يقول ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا **وسيصلون سعيرا** اي سيدخلون نارا
هائلة مبهمة الوصف وقرئ بضم الياء مخففا ومشددا من الاصلاء والتصلية يقال صلى النار قاسى حرها وصليته شويته وأصليته
وصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها روي ان آكل مال اليتيم يبعث يوم القيمة والدخان يخرج من قبره
ومن فيه وانفه واذنه وعينيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال اليتيم وروي انه لما نزلت هذه الآية ثقل ذلك على الناس فاحترزوا
عن مخالطة اليتامى بالكلية فصعب الامر على اليتامى فنزل قوله تعالى وان تخالطوهم الآية **يوصيكم الله** شروع في تفصيل احكام المواريث
المجملة في قوله عز وجل للرجال نصيب الخ واقسام الورثة ثلثة قسم لا يسقط بحال وهم الآباء والاولاد والازواج فهؤلاء قسمان
والثالث الكلالة اي يأمركم ويعهد اليكم **في اولادكم** اولاد كل واحد منكم اي في شان ميراثهم بدئ بهم لانهم اقرب الورثة الى الميت
واكثرهم بقاء بعد الموت **للذكر مثل حظ الانثيين** جملة مستأنفة جيء بها لتبيين الوصية وتفسيرها وقيل محلها النصب بيوصيكم على ان المعنى

على ان المعنى يفرض عليكم ويشرع لكم هذا الحكم وهذا قريب مما رآه الفراء فانه يجري ما كان بمعنى القول من الافعال مجراه في حكاية
الجملة بعده ونظيره قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة الآية وقوله تعالى للذكر لا بد له من ضمير عائد
الى الاولاد محذوف ثقة بظهوره كما في قولهم السمن منوان بدرهم اي للذكر منهم وقيل الالف واللام قائم مقامه والاصل
لذكرهم ومثل صفة لموصوف محذوف اي للذكر منهم حظ مثل حظ الانثيين والبداية ببيان حكم الذكر لاظهار مزيته على الانثى كما
انها المناط لتضعيف حظه وايثار اسمي الذكر والانثى على ما ذكر اولا من الرجال والنساء للتنصيص على استواء الكبار و
الصغار من الفريقين في الاستحقاق من غير دخل للبلوغ والكبر في ذلك اصلا كما هو زعم اهل الجاهلية حيث كانوا لا يورثون
الاطفال والنساء **فان كن** اي الاولاد والتانيث باعتبار الخبر وهو قوله تعالى **نساء** اي خلصا ليس معهن ذكر **فوق اثنتين**
خبر ثان او صفة لنساء اي نساء زائدات على اثنتين **فلهن ثلثا ما ترك** اي المتوفى المدلول عليه بقرينة المقام **وان كانت** اي
المولودة **واحدة** اي امرأة واحدة ليس معها اخ ولا اخت وعدم التعرض للموصوف لظهوره مما سبق **فلها النصف** مما ترك
وقرئ واحدة على كان التامة واختلف في البنتين فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال
الجمهور حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما
الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد بقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت
الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها الاقوى منها في الاستحقاق فلان تستحقه مع مثلها اولى واحرى وان البنتين امس رحما
من الاختين وقد فرض الله تعالى لهما الثلثين حيث قال تعالى فلهما الثلثان مما ترك **ولابويه** اي لابوي الميت غير النظم الكريم لعدم
اختصاص حكمه بما قبله من الصور **لكل واحد منهما** بدل منه بتكرير العامل وسط بين المبتدأ الذي هو قوله تعالى **السدس** وبين خبره الذي
هو لابويه ونقل الخبرية اليه تنصيصا على استحقاق كل منهما السدس وتأكيدا له بالتفصيل بعد الاجمال وقرئ السدس بسكون الدال
تخفيفا وكذلك الثلث والربع والثمن **مما ترك** متعلق بمحذوف وقع حالا من السدس والعامل الاستقرار المعتبر في الخبر اي كائنا
مما ترك المتوفى **ان كان له ولد** او ولد ابن ذكرا كان او انثى واحدا او متعددا غير ان الاب في صورة الانوثة بعد ما اخذ فرضه
المذكور يأخذ ما بقي من ذوي الفروض بالعصوبة **فان لم يكن له ولد** ولا ولد ابن **وورثه ابواه** فحسب **فلامه الثلث** والباقي للاب
وانما لم يذكر لعدم الحاجة اليه لانه لما فرض انحصار الوارث في ابويه وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب وتخصيص جانب الام
بالذكر واحالة جانب الاب على دلالة الحال مع حصول البيان بالعكس ايضا لما ان حظها اهم د استحقاقه اتم واوفر ولان
استحقاقه بطريق العصوبة دون الفرض هذا اذا لم يكن معهما احد الزوجين اما اذا كان معهما ذلك فللام ثلث ما بقي بعد فرض احدهما
لا ثلث الكل كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فانه يفضي الى تفضيل الام على الاب مع كونه اقوى منها في الارث بدليل
اضعافه عليها عند انفرادهما عن الزوجين وكونه صاحب فرض وعصبة وذلك خلاف وضع الشرع **فان كان له اخوة** اي عدد
ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كانت من جهة الابوين او من جهة احدهما وسواء كانوا ذكورا او اناثا او مختلطين
وسواء كان لهم ميراث او كانوا محجوبين بالاب **فلامه السدس** واما السدس الذي حجبوها عنه فهو للاب عند وجوده ولهم عند عدمه
وعليه الجمهور وعند ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه لهم على كل حال خلا ان هذا الحجب عنده لا يتحقق بما دون الثلث وبالاخوات
الخلص وقرئ فلامه بكسر الهمزة اتباعا لما قبلها **من بعد وصية** خبر مبتدأ محذوف والجملة متعلقة بما تقدم جميعا اي هذه
الانصباء للورثة من بعد اخراج وصية **يوصي بها** اي الميت وقرئ مبنيا للمفعول مخففا ومبنيا للفاعل مشددا وفائدة الوصف
الترغيب في الوصية والندب اليها **او دين** عطف على وصية الا انه غير مقيد بما قيدت به من الوصف بل هو مطلق يتناول ما ثبت
بالبينة والاقرار في الصحة وايثار او المفيدة للاباحة على الواو للدلالة على تساويهما في الوجوب وتقدمهما على القسمة مجموعيهما او

مفردين وتقديم الوصيّة على الدين ذكراً مع تأخرها عنه حكماً لاظهار كمال العناية بتنفيذها لكونها مظنّة للتفريط في آدائها ولاطرادها بخلاف الدين **آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايّهم اقرب لكم نفعاً** الخطاب للورثة فآباؤكم مبتدأ وابناؤكم عطف عليه ولا تدرون خبره وايّهم مبتدأ واقرب خبره ونفعاً نصب على التمييز منه وهو منقول من الفاعلية كانّه قيل ايّهم قرب لكم نفعه والجملة في حيّز النصب بلا تدرون والجملة الكبيرة اعتراضيّة مؤكّدة لوجوب تنفيذ الوصيّة اي اصولكم وفروعكم الذين يتوفّون لا تدرون ايّهم انفع لكم امن يوصي ببعض ماله فيعرضكم لثواب الآخرة بتنفيذ وصيّته ام من لا يوصي بشيء فيوفر عليكم عرض الدنيا وليس المراد بنفي الدراية عنهم بيان اشتباه الامر عليهم وكون انفعيّة كلّ من الاوّل والثاني في حيّز الاحتمال عندهم من غير رجحان احدهما على الآخر كما في قوله صلّى الله عليه وسلّم مثل امّتي مثل المطر لا يدري اوله خير ام آخره فانّ ذلك بمعزل من افادة التاكيد المذكور والترغيب في تنفيذ الوصيّة بل تحقيق انفعيّة الاوّل في ضمن التعريض بانّ لهم اعتقاداً بانفعيّة الثاني مبنيّاً على عدم الدراية وقد اشير الى ذلك حيث عبّر عن الانفعيّة باقربيّة النفع تذكيراً لمناط زعمهم وتعييناً لمنشأ خطائهم ومبالغة في الترغيب المذكور بتصوير الثواب الآجل بصورة العاجل لما انّ الطباع مجبولة على حبّ الخير الحاضر كانّه قيل لا تدرون ايّهم انفع لكم فتحكمون نظراً الى ظاهر الحال وقرب المنال بانفعيّة الثاني مع انّ الامر بخلافه فانّ ثواب الآخرة لتحقق وصوله الى صاحبه ودوام تمتّعه به مع غاية قصر مدّة ما بينهما من الحيوة الدنيا اقرب واحضر وعرض الدنيا لسرعة نفاده وفنائه ابعد واقصى وقيل الخطاب للمورّثين والمعنى لا تعلمون من انفع لكم ممّن يرثكم من اصولكم وفروعكم عاجلاً وآجلاً فتحرّوا في شانهم ما اوصاكم الله تعالى به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمان بعض روي انّ احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الآخر في الجنّة سأل ان يرفع اليه صاحبه فيرفع اليه بشفاعته قيل فالجملة اعتراضيّة مؤكّدة لامر القسمة وانت خبير بانّه مشعر بانّ مدار الارث ما ذكر من اقربيّة النفع مع انّه العلاقة النسبيّة **فريضة من الله** نصب نصب مصدر مؤكّد لفعل محذوف اي فرض الله ذلك فرضاً او لقوله تعالى يوصيكم الله فانّه في معنى يأمركم ويفرض عليكم **انّ الله كان عليماً** اي بالمصالح والرتب **حكيماً** في كلّ ما قضى وقدّر فيدخل فيه الاحكام المذكورة دخولاً اوّليّاً **ولكم نصف ما ترك ازواجكم** من المال شروع في بيان احكام القسم الثاني من الورثة ووجه تقديم حكم ميراث الرجال ممّا لا حاجة الى ذكره **ان لم يكن لهنّ ولد** اي ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكراً كان او انثى واحداً كان او متعدّداً لانّ لفظ الولد ينتظم الجميع منكم او من غيركم والثاني لورثتهنّ من ذوي الفروض والعصبات وغيرهم ولبيت المال ان لم يكن لهنّ وارث آخر اصلاً **فان كان لهنّ ولد** على نحو ما فصّل والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فانّ ذكر تقدير عدم الولد وبيان حكمه مستتبع لتقدير وجوده وبيان حكمه **فلكم الربع ممّا تركن** من المال والباقي لباقي الورثة **من بعد وصيّة** متعلّق بكلتا الصورتين لا بما يليه وحده **يوصين بها** في محلّ الجرّ على انّه صفة لوصيّة وفائدتها ما مرّ من ترغيب الميّت في الوصيّة وحثّ الورثة على تنفيذها **او دين** عطف على وصيّة سواء كان ثبوته بالبيّنة او بالاقرار وايثار او على الواو لما مرّ من الدلالة على تساويهما في الوجوب والتقدّم على القسمة وكذا تقديم الوصيّة على الدين ذكراً لما ذكر من ابراز كمال العناية بتنفيذها **ولهنّ الربع ممّا تركتم ان لم يكن لكم ولد** على التفصيل المذكور آنفاً والباقي لبقيّة ورثتكم من اصحاب الفروض والعصبات او ذوي الارحام او لبيت المال ان لم يكن لكم وارث آخر اصلاً **فان كان لكم ولد** على النحو الذي فصّل **فلهنّ الثمن ممّا تركتم** من المال والباقي للباقين **من بعد وصيّة توصون بها او دين** الكلام فيه كما فصّل في نظيره فرض للرجل بحقّ الزواج ضعف ما فرض للمرأة كما في النسب لمزيّته عليها وشرفه الظاهر ولذلك اختصّ بتشريف الخطاب وهكذا قياس كلّ رجل وامرأة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى منه الّا اولاد الامّ والمعتقة ويستوي الواحدة والعدد منهنّ في الربع والثمن **وان كان رجل** شروع في بيان احكام القسم الثالث من الورثة المحتمل للسقوط ووجه تأخيره عن الاوّلين بيّن والمراد بالرجل الميّت وقوله تعالى **يورث** على البناء للمفعول من ورث لا من اورث خبر كان اي يورث منه **كلالة** الكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوّة من الاعياء استعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لضعفها بالاضافة الى قرابتهما وتطلق على من لم يخلف ولداً ولا والداً وعلى من ليس بوالد ولا ولد من المخلّفين بمعنى ذي كلالة كما تطلق القرابة على ذوي القرابة وقد جوّز كونها

كونها صفة كالهجاجة والفقاقة للاحمق فنصبها امّا على كونها مفعولاً له اي يورث منه لاجل القرابة المذكورة او على انّها حال من ضمير يورث اي حال كونه ذا كلالة او على انّها خبر لكان ويورث صفة لرجل اي ان كان رجل موروث ذا كلالة ليس له والد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل مخفّفاً ومشدّداً فانتصاب كلالة امّا على انّها حال من ضمير الفعل والمفعول محذوف اي يورث وارثه حال كونه ذا كلالة وامّا على انّها مفعول به اي يورث ذا كلالة وامّا على انّها مفعول له اي يورث لاجل الكلالة **او امرأة** عطف على رجل مقيّد بما قيّد به اي او امرأة تورث كذلك ولعلّ فصل ذكرها عن ذكره للايذان بشرفه واصالته في الاحكام **وله** اي للرجل فقط تأكيد للايذان المذكور حيث لم يتعرّض لها بعد جريان ذكرها ايضاً وقيل الضمير لكلّ منهما **اخ او اخت** اي من الامّ فحسب وقرئ كذلك فانّ احكام بني الاعيان والعلّات هي التي ذكرت في آخر السورة الكريمة والجملة في محلّ النصب على انّها حال من ضمير يورث او من رجل على تقدير كون يورث صفة له ومساقها لتصوير المسئلة وذكر الكلالة لتحقيق جريان الحكم المذكور وان كان مع من ذكر ورثة اخرى بطريق الكلالة وامّا جريانه في صورة وجود الامّ او الجدّة مع انّ قرابتهما ليست بطريق الكلالة فبالاجماع **فلكلّ واحد منهما** من الاخ والاخت **السدس** من غير تفضيل للذكر على الانثى لانّ الادلاء الى الميّت بمحض الانوثة **فان كانوا اكثر من ذلك** اي اكثر من الاخ او الاخت المنفردين بواحد او باكثر والفاء لما مرّ من انّ ذكر احتمال الانفراد مستتبع لذكر احتمال التعدّد **فهم شركاء في الثلث** يقتسمونه بالسويّة والباقي لبقيّة الورثة من اصحاب الفروض والعصبات هذا وامّا تجويز ان يكون يورث في القراءة المشهورة مبنيّاً للمفعول من اورث على انّ المراد به الوارث والمعنى وان كان رجل يجعل وارثاً لاجل الكلالة او ذا كلالة اي غير والد وولد ولذلك الوارث اخ او اخت فلكلّ واحد من ذلك الوارث واخيه واخته السدس فان كانوا اكثر من ذلك اي من الاثنين بان كانوا ثلثة او اكثر فهم شركاء في الثلث الموزّع للاثنين لا يزاد عليه شيء فبمعزل من السداد امّا اوّلاً فلانّ المعتبر على ذلك التقدير انّما هي الاخوة بين الوارث وبين شريكيه في الارث من اخيه واخته لا ما بينه وبين مورّثه من الاخوة التي عليها يترتّب حكم الارث وبها يتمّ تصوير المسئلة وانّما المعتبر بينهما الوراثة بطريق الكلالة وهي عامّة لجميع صور القرابات التي لا تكون بالولادة فلا يكون نصيب الوارث ولا نصيب شريكيه ما ذكر بعينه ومن ادّعى اختصاصها بالاخوة لامّ متمسّكاً بالاجماع على انّ المراد بالكلالة ههنا اولاد الامّ فقد اعترف ببطلان رأيه من حيث لا يحتسب كيف لا ومبناه انّما هو الاجماع على انّ المراد بالاخوة في قوله تعالى وله اخ او اخت هو الاخوة لامّ خاصّة حسبما شهد به القراءة المحكيّة والآية الآتية في آخر السورة الكريمة ولولا انّ الرجل عبارة عن الميّت والاخوة معتبرة بينه وبين ورثته لما امكن كون الكلّ اولاد الامّ ثمّ انّ الكلالة كما نصّت عليه باقية على اطلاقها ليس فيها شائبة اختصاص باولاد الامّ فضلاً عن الاجماع على ذلك والّا لاقتصر البيان على حكم صورة انحصار الورثة فيهم وانّما الاجماع فيما ذكر من انّ المراد بالاخ والاخت من كان لامّ خاصّة وانت خبير بانّ ذلك في قوّة الاجماع على انّ يورث من ورث لا من اورث فتدبّر وامّا ثانياً فلانّه يقتضي ان يكون المعتبر في استحقاق الورثة للفرض المذكور اخوّة بعضهم لبعض من جهة الامّ فقط لما ذكر من الاجماع مع ثبوت الاستحقاق على تقدير الاخوة من الجهتين وامّا ثالثاً فلانّ حكم صورة انفراد الوارث عن الاخ والاخت يبقى ح غير مبيّن وليس من ضرورة كون حظّ كلّ منهما السدس عند الاجتماع كونه كذلك عند الانفراد الا يرى انّ حظّ كلّ من الاختين الثلث عند الاجتماع والنصف عند الانفراد وامّا رابعاً فلانّ تخصيص احد الورثة بالتوريث وجعل غيره تبعاً له فيه مع اتّحاد الكلّ في الادلاء الى المورّث ممّا لا عهد به **من بعد وصيّة يوصى بها او دين** الكلام فيه كالذي مرّ في نظائره خلا انّ الدين ههنا موصوف بوصف الوصيّة جرياً على قاعدة تقييد المعطوف بما قيّد به المعطوف عليه لاتّفاق الجمهور على اعتبار عدم المضارّة فيه ايضاً وذلك انّما يتحقّق فيما يكون ثبوته بالاقرار في المرض كانّه قيل او دين يوصى به **غير مضارّ** حال من فاعل فعل مضمر يدلّ عليه المذكور وما حذف من المعطوف اعتماداً عليه كما انّ رجال في قوله عزّ وجلّ يسبّح له فيها بالغدوّ والآصال رجال على قراءة المبني للمفعول فاعل لفعل ينبئ عنه المذكور ومن فاعل الفعل المذكور والمحذوف

اكتفاءً به على قراءة البناء للفاعل اي يوصي بما ذكر من الوصية والدين حال كونه غير مضار للورثة بان يوصي بما زاد على الثلث او يكون
الوصية لقصد الاضرار بهم دون القربة وبان يقر في المرض بدين كاذبا وتخصيص هذا القيد بهذا المقام لما ان الورثة مظنة لتفريط
الميت في حقهم **وصية من الله** مصدر مؤكد لفعل محذوف وتنوينه للتفخيم ومن متعلقة بمضمر وقع صفة له مؤكدة لفخامته الذاتية
بالفخامة الاضافية اي يوصيكم بذلك وصية كائنة من الله تعالى كقوله تعالى فريضة من الله ولعل السر في تخصيص كل منهما بمحله
ما بين الاحكام المتعلقة بالاصول والفروع وبين الاحكام المتعلقة بغيرهم من التفاوت حسب تفاوت الفريضة والوصية وان كانت
كلتاهما واجبة المراعاة او منصوب بغير مضار على انه مفعول به فانه اسم فاعل معتمد على ذي الحال او منفي معنى فيعمل في المفعول الصريح
ويعضده القراءة بالاضافة اي غير مضار لوصية الله وعهده لا في شأن الاولاد فقط كما قيل اذ لا تعلق لهم بالمقام بل في شأن
الورثة المذكورة ههنا فان الاحكام المفصلة كلها مندرجة تحت قوله تعالى يوصيكم الله جارية مجرى تفسيره وبيانه ومضارتها بالاخلال
بحقوقهم ونقصها بما ذكر من الوصية بما زاد على الثلث والوصية لقصد الاضرار دون القربة والاقرار بالدين كاذبا وايقاعها
على الوصية مع انها واقعة على الورثة حقيقة كما في قوله يا سارق الليلة اهل الدار للمبالغة في الزجر عنها باخراجها مخرج مضارة
امر الله تعالى ومضارته وجعل الوصية عبارة عن الوصية بالثلث فما دونه تقتضي ان يكون غير مضار حالا من ضمير الفعل المتعلق بالوصية
فقط وذلك يؤدي الى الفصل بين الحال وعاملها باجنبي هو المعطوف على وصية مع انه لا تنحسم به مادة المضارة لبقاء الاقرار
بالدين على اطلاقه **والله عليم** بالمضار وغيره **حليم** لا يعاجل بالعقوبة فلا يغتر بالامهال وايراد الاسم الجليل مع كفاية الاضمار
لادخال الروعة وتربية المهابة **تلك** اشارة الى الاحكام التي تقدمت في شئون اليتامى والمواريث وغير ذلك **حدود الله** اي شرائعه
المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها **ومن يطع الله ورسوله** في جميع الاوامر والنواهي التي من جملتها ما فصل ههنا واظهار الاسم الجليل لما ذكر آنفا
يدخله جنات نصب على الظرفية عند الجمهور وعلى المفعولية عند الاخفش **تجري من تحتها الانهار** صفة لجنات منصوبة حسب انتصابها **خالدين
فيها** حال مقدرة من مفعول يدخله وصيغة الجمع بالنظر الى جمعيته من حيث المعنى كما ان افراد الضمير بالنظر الى افراده لفظا **وذلك**
اشارة الى ما مر من دخول الجنات الموصوفة بما ذكر على وجه الخلود وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال علو درجته **الفوز العظيم** الذي
لا فوز وراءه وصف الفوز وهو الظفر بالخير بالعظم اما باعتبار متعلقه او باعتبار ذاته فان الفوز بالعظيم عظيم والجملة اعتراض
ومن يعص الله ورسوله ولو في بعض الاوامر والنواهي قال مجاهد فيما اقتص من المواريث وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
من لم يرض بقسم الله وتعدى ما قال الله وقال الكلبي يعني ومن يكفر بقسمة المواريث **ويتعد حدوده** باستحلالها والاظهار في
موقع الاضمار للمبالغة في الزجر بتهويل الامر وتربية المهابة **ويتعد حدوده** شرائعه المحدودة في جميع الاحكام فيدخل فيها ما نحن
فيه دخولا اوليا **يدخله** وقرئ بنون العظمة في الموضعين **نارا** اي عظيمة هائلة لا يقادر قدرها **خالدا فيها** حال كما سبق ولعل
ايثار الافراد ههنا نظرا الى ظاهر اللفظ واختيار الجمع هناك نظرا الى المعنى للايذان بان الخلود في دار الثواب بصفة الاجتماع
اجلب للانس كما ان الخلود في دار العذاب بصفة الانفراد اشد في استجلاب الوحشة **وله عذاب مهين** اي وله مع عذاب الحريق الجسماني
عذاب آخر مبهم لا يعرف كنهه وهو العذاب الروحاني كما يؤذن به وصفه والجملة حالية **واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم** شروع في بيان بعض
آخر من الاحكام المتعلقة بالنساء اثر بيان احكام المواريث واللاتي جمع التي بحسب المعنى دون اللفظ وقيل جمع على غير قياس و
الفاحشة الفعلة القبيحة اريد بها الزنا لزيادة قبحه والاتيان الفعل والمباشرة يقال اتى الفاحشة اي فعلها وباشرها وكذا
جاءها ورهقها وغشيها وقرئ بالفاحشة فالاتيان بمعناه المشهور ومن متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل يأتين اي اللاتي
يفعلن الزنا كائنات من نسائكم اي من ازواجكم كما في قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم وقوله تعالى من نسائكم اللاتي دخلتم
بهن وبه قال السدي **فاستشهدوا عليهن اربعة منكم** خبر للموصول والفاء للدلالة على سببية ما في حيز الصلة للحكم اي فاطلبوا ان يشهد

ان يشهد عليهن باتيانها اربعة من رجال المؤمنين واحرارهم **فان شهدوا** عليهن بذلك **فامسكوهن في البيوت** اي فاحبسوهن فيها واجعلوها
سجنا عليهن **حتى يتوفاهن** الى ان يستوفي ارواحهن **الموت** وفيه تهويل للموت وابرازله في صورة من يتولى قبض الارواح وتوفيها او
يتوفاهن ملائكة الموت **او يجعل الله لهن سبيلا** اي يشرع لهن حكما خاصا بهن ولعل التعبير عنه بالسبيل للايذان بكونه طريقا مسلوكا فليس فيه
دلالة على كونه اخف من الحبس كما قاله ابو مسلم **واللذان يأتيانها منكم** الزاني والزانية بطريق التغليب قال السدي اريد بهما البكران
منهما كما ينبئ عنه كون عقوبتهما اخف من الحبس المخلد وبذلك يندفع التكرار حلا انه يبقى حكم الزاني المحض مبهما لاختصاص العقوبة
الاولى بالمحصنات وعدم ظهور الحاقه باحد الحكمين دلالة لخفاء الشركة في المناط **فآذوهما** اي بالتوبيخ والتقريع وقيل بالضرب بالنعال
ايضا وظاهر ان اجراء هذا الحكم ايضا انما يكون بعد الثبوت لكن ترك ذكره تعويلا على ما ذكر آنفا **فان تابا** عما فعلا من الفاحشة
بسبب ما لقيا من زواجر الاذية وقوارع التوبيخ كما ينبئ عنه الفاء **واصلحا** اي عملهما **فاعرضوا عنهما** بقطع الاذية والتوبيخ
فان التوبة والصلاح مما يمنع استحقاق الذم والعقاب وقد جوز ان يكون الخطاب للشهود الواقفين على هناتهما ويراد
بالايذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الولاة وبالاعراض عنهما ترك التعرض لهما بالرفع اليهم قيل كانت عقوبة الفريقين
المذكورين في اوائل الاسلام على ما مر من التفصيل ثم نسخ بالحد لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خذوا عني خذوا عني
قد جعل الله لهن سبيلا الثيب ترجم والبكر تجلد وقيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا وكانت عقوبة الزنا مطلقا الاذى
ثم الحبس ثم الجلد والرجم وقد جوز ان يكون الامر بالحبس غير منسوخ بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى
بامساكهن في البيوت بعد اقامة الحد صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال ولا يخفى انه
مما لا يساعده النظم الكريم وقال ابو مسلم وقد عزاه الى مجاهد ان الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين وما في سورة النور
في الزناة والزواني متمسكا بان المذكور في الاولى صيغة الاناث خاصة وفي الثانية صيغة الذكور والضرورة الى المصير الى
التغليب على انه لا امكان له في الاولى ويأباه الامر باستشهاد الاربعة فانه غير معهود في الشرع فيما عدا الزنا **ان الله كان توابا**
مبالغا في قبول التوبة من الله تعالى ليس على اطلاقه كما ينبئ عنه وصفه تعالى بكونه توابا رحيما بل هو مقيد بما سينطق به النص الكريم
فقوله تعالى التوبة مبتدأ وقوله تعالى **للذين يعملون السوء** خبره وقوله تعالى على الله متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار فان تقديم الجار
والمجرور على عامله المعنوي مما لا نزاع في جوازه وكذا الظرف او بمحذوف وقع حالا من ضمير المبتدأ المستكن فيما تعلق به الخبر على
رأي من جوز تقديم الحال على عاملها المعنوي عند كونها ظرفا او حرف جر كما سبق في تفسير قوله تعالى ولله على الناس حج البيت
واياما كان فمعنى كون التوبة عليه سبحانه صدور القبول عنه تعالى وكلمة على للدلالة على التحقيق البتة بحكم جري العادة وسبق
الوعد حتى كانه من الواجبات عليه سبحانه وهذا مراد من قال كلمة على بمعنى من وقيل هي بمعنى عند وعن الحسن يعني التوبة التي يقبلها الله
تعالى وقيل اي التوبة التي اوجب الله تعالى على نفسه بفضله قبولها وهذا يشير الى ان قوله تعالى على الله صفة للتوبة بتقدير متعلقه
معرفة على رأي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته اي انما التوبة الكائنة على الله تعالى والمراد بالسوء المعصية صغيرة كانت
او كبيرة وقيل الخبر على الله وقوله للذين متعلق بما تعلق به الخبر او بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن في متعلق الخبر وليس فيه ما في
الوجه الاول من تقديم الحال على العامل المعنوي الا ان الذي يقتضيه المقام ويستدعيه النظام هو الاول لما ان ما قبله من وصفه
تعالى بكونه توابا رحيما انما يقتضي بيان اختصاص قبول التوبة منه تعالى بالمذكورين وذلك انما يكون بجعل قوله تعالى للذين الخ
خبرا الا يرى الى قوله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات الخ فانه ناطق بما قلنا كانه قيل انما التوبة لهؤلاء
متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يعملون اي يعملون السوء ملتبسين بها اي جاهلين سفهاء او بيعملون على ان الباء سببية
اي يعملونه بسبب الجهالة لان ارتكاب الذنب مما يدعو اليه الجهل وليس المراد به عدم العلم بكونه سوءا بل عدم التفكر في العاقبة

بجهالة متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يعملون اي يعملون السوء ملتبسين بها اي جاهلين سفهاء او بيعملون على ان الباء سببية اي يعملونه بسبب الجهالة لان ارتكاب الذنب مما يدعو اليه الجهل وليس المراد به عدم العلم بكونه سوءا بل عدم التفكر في العاقبة كما يفعله الجاهل قال قتادة اجتمع اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فرأوا ان كل شيء عصي به ربه فهو جهالة عمدا كان او خطأ وعن مجاهد من عصى الله تعالى فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته وقال الزجاج يعني بقوله بجهالة اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية **ثم يتوبون من قريب** اي من زمان قريب وهو ما قبل حضور الموت كما ينبئ عنه ما سيأتي من قوله تعالى حتى اذا حضر الخ فانه صريح في ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراءه في حيز القبول وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قبل ان ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن ابراهيم النخعي ما لم يؤخذ بكظمه وهو مجرى النفس وروى ابو ايوب عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن ان ابليس قال حين اهبط الى الارض وعزتك لا افارق ابن آدم ما دام روحه في جسده فقال تعالى وعزتي لا اغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر ومن تبعيضية اي يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضور الموت زمانا قريبا ففي اي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب **فاولئك** اشارة الى المذكورين من حيث اتصافهم بما ذكر وما فيه من معنى البعد باعتبار كونهم بانقضاء ذكرهم في حكم البعيد والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب وهو مبتدأ خبره قوله تعالى **يتوب الله عليهم** وما فيه من تكرير الاسناد لتقوية الحكم وهذا وعد بقبول توبتهم اثر بيان ان التوبة لهم والفاء للدلالة على سببيتها للقبول **وكان الله عليما حكيما** مبالغا في العلم والحكمة فيبني احكامه وافعاله على اساس الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية منشأ لاتصافه تعالى بصفات الكمال **وليست التوبة للذين يعملون السيئات** تصريح بما فهم من قصر القبول على توبة من تاب من قريب وزيادة تعيين له ببيان ان توبة من عداهم بمنزلة العدم وجمع السيئات باعتبار تكرر وقوعها في الزمان المديد لا لان المراد بها جميع انواعها وبما مر من السوء نوع منها **حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن** حتى حرف ابتداء والجملة الشرطية بعدها غاية لما قبلها اي ليس قبول التوبة للذين يعملون السيئات الى حضور موتهم وقولهم ح اني تبت وذكر الآن لمزيد تعيين الوقت وايثار قال على تاب لاسقاط ذلك عن درجة الاعتبار والتحاشي عن تسميته توبة **ولا الذين يموتون وهم كفار** عطف على الموصول الذي قبله اي ليس قبول التوبة لهؤلاء ولا لهؤلاء وانما ذكر هؤلاء مع انه لا توبة لهم رأسا مبالغة في بيان عدم قبول توبة المسوفين وايذانا بان وجودها كعدمها بل في تكرير حرف النفي في المعطوف اشعار خفي بكون حال المسوفين في عدم استتباع الجدوى اقوى من حال الذين يموتون على الكفر والمراد بالموصولين اما الكفار خاصة واما الفساق وحدهم وتسميتهم في الجملة الحالية كفارا للتغليظ كما في قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين واما ما يعم الفريقين جميعا فالتسمية ح للتغليب ويجوز ان يراد بالاول الفسقة وبالثاني الكفرة ففيه مبالغة اخرى **اولئك** اشارة الى الفريقين وما فيه من معنى البعد للايذان بترامي حالهم في الفظاعة وبعد منزلتهم في السوء وهو مبتدأ خبره **اعتدنا لهم** اي هيأنا لهم **عذابا اليما** تكرير الاسناد لما مر من تقوية الحكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بكون العذاب معدا لهم وتنكير العذاب ووصفه للتفخيم الذاتي والوصفي **يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها** كان الرجل اذا مات قريبه يلقي ثوبه على امرأته او على خبائها ويقول ارث امرأته كما ارث ماله فيصير بذلك احق بها من كل احد ثم ان شاء تزوجها بلا صداق غير الصداق الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها ولم يعطها منه شيئا وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها وان ذهبت المرأة الى اهلها قبل القاء الثوب فهي احق بنفسها فنهوا عن ذلك وقيل لهم لا يحل لكم ان تأخذوهن بطريق الارث على زعمكم كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات عليه وقيل كانوا يمسكونهن حتى يمتن ويرثوا منهن فقيل لا يحل لكم ذلك وهن غير راضيات بامساككم وقرئ لا تحل بالتاء الفوقانية على

ان ترثوا بمعنى الوراثة وقرئ كرها بضم الكاف وهو لغة كالضعف والضعف وكان الرجل اذا تزوج امرأة ولم يكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر وضيق عليها لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل لهم **ولا تعضلوهن** عطفا على ترثوا ولا لتأكيد النفي والخطاب للازواج والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المرأة بولدها اذا اختنقت رحمها فخرج بعضه وبقي بعضه اي ولا ان تضيقوا عليهن **لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن** اي من الصداق بان يدفعن اليكم بعضه اضطرارا وانما عبر عن ذلك بالذهاب به لا بالاخذ ولا بالاذهاب للمبالغة في تقبيحه ببيان تضمنه لامرين كل منهما محظور شنيع الاخذ والاذهاب لانه عبارة عن الذهاب مستصحبا به **الا ان يأتين بفاحشة مبينة** على صيغة الفاعل من بين بمعنى تبين وقرئ على صيغة المفعول وعلى صيغة الفاعل من ابان بمعنى تبين اي بينة القبح من النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة ويعضده قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم وقيل الفاحشة الزنى وهو استثناء من اعم الاحوال او اعم الاوقات او اعم العلل اي ولا يحل لكم عضلهن في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات او لعلة من العلل الا في حال اتيانهن بفاحشة او الا في وقت اتيانهن بها او الا لاتيانهن بها فان السبب ح يكون من جهتهن وانتم معذورون في طلب الخلع **وعاشروهن بالمعروف** خطاب للذين يسيئون العشرة معهن والمعروف ما لا ينكره الشرع والمروءة والمراد ههنا النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في المقال ونحو ذلك **فان كرهتموهن** وسئمتم صحبتهن بمقتضى الطبيعة من غير ان يكون من قبلهن ما يوجب ذلك من الامور المذكورة فلا تفارقوهن بمجرد كراهة النفس واصبروا على معاشرتهن **فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** علة للجزاء اقيمت مقامه للايذان بقوة استلزامها اياه كأنه قيل فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه وعسى تامة رافعة لما بعدها مستغنية عن تقدير الخبر اي فقد قربت كراهتكم شيئا وجعل الله فيه خيرا كثيرا فان النفس ربما تكره ما هو اصلح في الدين واحمد عاقبة وادنى الى الخير وتحب ما هو بخلافه فليكن نظركم الى ما فيه خير وصلاح دون ما تهوى انفسكم وذكر الفعل الاول مع الاستغناء عنه وانحصار العلية في الثاني للتوسل الى تعميم مفعوله ليفيد ان ترتيب الخير الكثير من الله تعالى ليس مخصوصا بمكروه دون مكروه بل هو سنة الهية جارية على الاطلاق حسب اقتضاء الحكمة وان ما نحن فيه مادة من موادها وفيه من المبالغة في الحمل على ترك المفارقة وتعميم الارشاد ما لا يخفى وقرئ ويجعل مرفوعا على انه خبر لمبتدأ محذوف والجملة حالية تقديره وهو اي ذلك الشيء يجعل الله فيه خيرا كثيرا وقيل تقديره والله يجعل الله بوضع المظهر موضع المضمر وتنوين خيرا للتفخيم الذاتي ووصفه بالكثرة لبيان فخامته الوصفية والمراد به ههنا الولد الصالح وقيل الالفة والمحبة **وان اردتم استبدال زوج** اي تزوج امرأة ترغبون فيها **مكان زوج** ترغبون عنها بان تطلقوها **وآتيتم احداهن** اي احدى الزوجات فان المراد بالزوج هو الجنس والجملة حالية باضمار قد لا معطوفة على الشرط اي وقد آتيتم التي تريدون ان تطلقوها **قنطارا** اي مالا كثيرا **فلا تأخذوا منه** اي من ذلك القنطار **شيئا** يسيرا فضلا عن الكثير **أتأخذونه بهتانا واثما مبينا** استئناف مسوق لتقرير النهي والتنفير عن المنهي عنه والاستفهام للانكار والتوبيخ اي أتأخذونه باهتين وآثمين او للبهتان والاثم فان احدهم كان اذا تزوج امرأة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه ويدهشه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر ههنا بالظلم وقوله عز وجل **وكيف تأخذونه** انكار لاخذه اثر انكار وتنفير عنه غب تنفير وقد بولغ فيه حيث وجه الانكار الى كيفية الاخذ ايذانا بانه مما لا سبيل له الى التحقق والوقوع اصلا لان ما يدخل تحت الوجود لا بد ان يكون على حال من الاحوال فاذا لم يكن لشيء حال اصلا لم يكن له حظ من الوجود قطعا وقوله عز وجل **وقد افضى بعضكم الى بعض** حال من فاعل تأخذونه مفيدة لتأكيد النكير وتقرير الاستبعاد اي على اي حال او في اي حال تأخذونه والحال انه قد جرى بينكم وبينهن احوال منافية له

الخلوة وتقرر المهر وثبوت حق خدمتهن لكم وغير ذلك **وأخذن منكم ميثاقا غليظا** عطف على ما قبله داخل في حكمه أي أخذن منكم عهدا
وثيقا وهو حق الصحبة والمعاشرة أو ما أوثق الله تعالى عليهم في شأنهن بقوله تعالى فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان أو ما أشار إليه
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله **ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم** شروع في بيان من يحرم
نكاحها من النساء ومن لا يحرم وإنما خص هذا النكاح بالنهي ولم ينظم في سلك نكاح المحرمات الآتية مبالغة في الزجر عنه حيث
كانوا مصرين على تعاطيه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وجمهور المفسرين كان أهل الجاهلية يتزوجون بأزواج آبائهم
فنهوا عن ذلك واسم الآباء ينتظم الأجداد مجازا فيثبت حرمة ما نكحوها نصا وإجماعا ويستقل في إثبات هذه الحرمة نفس النكاح
إذا كان صحيحا وأما إذا كان فاسدا فلا بد في إثباتها من الوطء أو ما يجري مجراه من التقبيل والمس بشهوة ونحوهما بل هو المثبت لها
في الحقيقة حتى لو وقع شيء من ذلك بحكم ملك اليمين أو بالوجه المحرم تثبت به الحرمة عندنا خلافا للشافعي في المحرم أي لا تنكحوا
التي نكحها آباؤكم وإيثار ما على من للذهاب إلى الوصف وقيل ما مصدرية على إرادة المفعول من المصدر **من النساء** بيان
لما نكح على الوجهين **إلا ما قد سلف** استثناء مما نكح مفيد للمبالغة في التحريم بإخراج الكلام مخرج التعليق بالمحال على طريقة قوله
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى لا تنكحوا حلائل آبائكم إلا من ماتت منهن والمقصود سد
طريق الإباحة بالكلية ونظيره قوله تعالى حتى يلج الجمل في سم الخياط وقيل هو استثناء مما يستلزمه النهي ويستوجبه مباشرة المنهي
عنه كأنه قيل لا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء فإنه موجب للعقاب إلا ما قد مضى فإنه معفو عنه وقيل هو استثناء منقطع معناه
لكن ما قد سلف لا مؤاخذة عليه لأنه مقرر ويأباها قوله تعالى **إنه كان فاحشة ومقتا** فإنه تعليل للنهي وبيان لكون المنهي عنه
في غاية القبح مبغوضا أشد البغض وأنه لم يزل في حكم الله تعالى وعلمه موصوفا بذلك ما رخص فيه لأمة من الأمم فلا يلائم أن يوسط
بينهما ما يهون أمره من ترك المؤاخذة على ما سلف منه **وساء سبيلا** في كلمة ساء قولان أحدهما أنها جارية مجرى بئس في الذم و
العمل ففيها ضمير مبهم يفسره ما بعده والمخصوص بالذم محذوف تقديره وساء سبيلا سبيل ذلك النكاح كقوله تعالى بئس الشراب أي
ذلك الماء وثانيهما أنها كسائر الأفعال وفيها ضمير يعود إلى ما عاد إليه ضمير إنه وسبيلا تمييز والجملة إما مستأنفة لا محل لها من
الإعراب أو معطوفة على خبر كان محكية بقول مضمر هو المعطوف في الحقيقة تقديره ومقولا في حقه ساء سبيلا فإن السنة الأمم كافة
لم تزل ناطقة بذلك في الأعصار والأمصار قيل مراتب القبح ثلث القبح العقلي والقبح الشرعي والقبح العادي وقد وصف الله
تعالى هذا النكاح بكل ذلك فقوله تعالى فاحشة مرتبة قبح العقلي وقوله تعالى ومقتا مرتبة قبح الشرعي وقوله تعالى وساء سبيلا مرتبة
قبح العادي وما اجتمع فيه هذه المراتب فقد بلغ أقصى مراتب القبح **حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم**
وبنات الأخ وبنات الأخت ليس المراد تحريم نكاحهن وما يقصد به من التمتع بهن وبيان امتناع ورود ملك النكاح عليهن
وانتفاء محليتهن له رأسا وأما حرمة التمتع بهن بملك اليمين في المواد التي يتصور فيها قرار الملك كما في بعض المعطوفات على تقدير
رقهن فثابتة بدلالة النص لاتحاد المدار الذي هو عدم محلية أبضاعهن للملك لا بعبارته بشهادة سياق النظم الكريم وسياقه
وأما لم يوجب المدار المذكور امتناع ورود ملك اليمين عليهن رأسا ولا حرمة سببه الذي هو العقد أو ما يجري مجراه كما أوجب
حرمة عقد النكاح وامتناع وروده عليهن لأن مورد ملك اليمين ليس هو البضع الذي هو مورد ملك النكاح حتى يفوت محليته
له كملك النكاح فإنه حيث كان مورده ذلك فات بفوات محليته له قطعا وإنما مورده الرقبة الموجودة في كل رقيق فيتحقق
محله حتما ثم يزول بوقوع العتق في المواد التي سبب حرمتها محض القرابة النسبية كالمذكورات ويبقى في البواقي على حاله مستتبعا
لجميع المقصودة منه شرعا وأما حل الوطء فليس من تلك الأحكام فلا ضير في تخلفه عنه كما في المجوسية والأمهات تعم الجدات وإن
علون والبنات تتناول بناتهن وإن سفلن والأخوات تنتظم الأخوات من الجهات الثلث وكذا الباقيات والعمة كل أنثى ولدها

ولدها من ولد والدك والخالة كل أنثى ولدها من ولد والدتك قريبا أو بعيدا وبنات الأخ وبنات الأخت تتناول القربى والبعدى
وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة نزل الله تعالى الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة أما للرضيع والمراضعة
أختا وكذلك زوج المرضعة أبوه وأبواه جداه وأخته عمته وكل ولد ولد له من غيرها فهم إخوته وأخواته لأبيه وأم
المرضعة جدته وأختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم إخوته وأخواته لأبيه وأمه ومن ولد لها من غيره فهم إخوته وأخواته
لأمه ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وهو حكم كلي جار على عمومه وأما أم أخيه لأب وأخت
لأم وأم ابنه وأم عمه وأم خاله لأب فليست حرمتهن من جهة النسب حتى تخل بعمومه ضرورة حلهن في صور الرضاع بل من جهة المصاهرة
ألا يرى أن الأولى موطوءة أبيه والثانية بنت موطوءته والثالثة أم موطوءته والرابعة موطوءة جده الصحيح والخامسة
موطوءة جده الفاسد **وأمهات نسائكم** شروع في بيان المحرمات من جهة المصاهرة إثر بيان المحرمات من جهة الرضاعة التي لها لحمة
كلحمة النسب والمراد بالنساء المنكوحات على الإطلاق سواء كن مدخولا بهن أو لا وعليه جمهور العلماء وقد روي عن النبي عليه السلام أنه قال
في رجل تزوج امرأة ثم طلقها قبل أن يدخل بها أنه لا بأس بأن يتزوج ابنتها ولا يحل له أن يتزوج أمها وعن عمر وعمران بن
الحصين أن الأم تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسلة فأرسلوا ما أرسل الله وعن ابن عباس أبهموا ما أبهم الله خلا أنه روي
عنه وعن علي وابن عمر وابن الزبير رضي الله تعالى عنهم أنهم قرؤوا وأمهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وعن جابر روايتان وعن
سعيد بن المسيب عن زيد أنه إذا ماتت عنده فأخذ ميراثها كره أن يخلف على أمها وإذا طلقها قبل أن يدخل بها فإن يشاء
فعل أقام الموت في ذلك مقام الدخول كما قام مقامه في باب المهر والعدة ويلحق بهن الموطوءات بوجه من الوجوه المعدودة فيما
سبق والممسوسات ونظائرهن والأمهات تعم المرضعات كما تعم الجدات حسبما ذكر **وربائبكم اللاتي في حجوركم** الربائب جمع ربيبة
فعيل بمعنى مفعول والتاء للنقل إلى الاسمية والربيب ولد المرأة من آخر سمي به لأنه يربه غالبا كما يرب ولده وإن لم يكن
ذلك أمرا مطردا وهو المعني بكونهن في الحجور فإن شأنهن الغالب المعتاد أن يكن في حضانة أمهاتهن تحت حماية أزواجهن
لا كونهن كذلك بالفعل وفائدة وصفهن بذلك تقوية علة الحرمة وتكميلها كما أنها النكتة في إيرادهن باسم الربائب دون
بنات النساء فإن كونهن بصدد احتضانهم لهن وفي شرف التقلب في حجورهم وتحت حمايتهم وتربيتهم مما يقوي الملابسة والشبه
بينهن وبين أولادهم ويستدعي إجراءهن مجرى بناتهم لا تقييد الحرمة بكونهن في حجورهم بالفعل كما روي عن علي رضي الله تعالى
عنه وبه أخذ داود ومذهب جمهور العلماء ما ذكر بخلاف ما في قوله تعالى **من نسائكم اللاتي دخلتم بهن** فإنه لتقييدها به قطعا
فإن كلمة من متعلقة بمحذوف وقع حالا من ربائبكم أو من ضميرها المستكن في الظرف لأنه لما وقع صلة تحمل ضميرا أي وربائبكم اللاتي
استقررن في حجوركم كائنات من نسائكم الخ ولا مساغ لجعله حالا من أمهات أو مما أضيفت هي إليه خاصة وهو بين لا سترة به ولا
مع ما ذكر إذ لا ضرورة أن حاليته من ربائبكم أو من ضميرها تقتضي كون كلمة من ابتدائية وحاليته من أمهات أو نسائكم تستدعي كونها
بيانية وادعاء كونها اتصالية منتظمة لمعنى الابتداء والبيان أو جعل الموصول صفة للنسائين مع اختلاف عامليهما مما يجب تنزيه
ساحة التنزيل عن أمثاله مع أنه سعي في إسكات ما نطق به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واتفق عليه الجمهور حسبما ذكر فيما قبل وأما ما
نقل من القراءة فضعيفة الرواية وعلى تقدير الصحة محمولة على النسخ ومعنى الدخول بهن إدخالهن الستر والباء للتعدية وهي كناية
عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب وفي حكمه اللمس ونظائره كما مر **فإن لم تكونوا** أي فيما قبل **دخلتم بهن** أصلا **فلا جناح
عليكم** أي في نكاح الربائب وهو تصريح بما أشعر به ما قبله والفاء الأولى لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن بيان حكم الدخول
مستتبع لبيان حكم عدمه **وحلائل أبنائكم** أي زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها للزوج أو لحلولها في محله وقيل لحل كل منهما
إزار صاحبه وفي حكمهن مزنياتهم ومن يجري مجراهن من الممسوسات ونظائرهن وقوله تعالى **الذين من أصلابكم** لإخراج الأدعياء

دون ابناء الاولاد والابناء من الرضاع فانهم وان سفلوا في حكم الابناء الصلبية **وان تجمعوا بين الاختين** في حيز الرفع عطفا على ما قبله
من المحرمات والمراد به جمعهما في النكاح لا في ملك اليمين واما جمعهما في الوطئ بملك اليمين فملحق به بطريق الدلالة لاتحادهما في المدار ولقوله
عليه الصلوة والسلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجمعن ماءه في رحم اختين بخلاف نفس ملك اليمين فانه ليس في معنى النكاح
في الافضاء الي الوطئ ولا مستلزما له ولذلك يصح شراء المجوسية دون نكاحها حتي لو وطئهما لا يحل له وطئ احديهما حتي يحرم عليه
الاخري بسبب من الاسباب وكذا لو تزوج اخت امته الموطوءة لا يحل له وطئ احديهما حتي يحرم عليه الاخري لان المنكوحة موطوءة
حكما فكانه جمعهما وطئا واسناد الحرمة الي جمعهما لا الي الثانية منهما بان يقال واخوات نسائكم للاحتراز عن افادة الحرمة المؤبدة
كما في المحرمات السابقة ولكونه بمعزل من الدلالة علي حرمة الجمع بينهما علي سبيل المعية ويشترك في هذا الحكم الجمع بين المرأة وعمتها او نظائرها
فان مدار حرمة الجمع بين الاختين افضاؤه الي قطع ما امر الله تعالى بوصله وذلك متحقق في الجمع بين هؤلاء بل اولي فان العمة والخالة
بمنزلة الام فقوله صلى الله عليه وسلم لا تنكح المرأة علي عمتها ولا علي خالتها ولا علي ابنة اخيها ولا علي ابنة اختها من قبيل بيان التفسير
لا بيان التغيير وقيل هو مشهور يجوز به الزيادة علي الكتاب **الا ما قد سلف** استثناء منقطع اي لكن ما قد مضى لا تؤاخذون به ولا
سبيل الي جعله متصلا لقصد التأكيد والمبالغة كما مر فيما سلف لان قوله تعالى **ان الله كان غفورا رحيما** تعليل لما افاده الاستثناء
فيتحتم الانقطاع وقال عطاء والسدي معناه الا ما كان من يعقوب عليه السلام فانه قد جمع بين ليا ام يهودا وبين راحيل ام يوسف
عليه السلام ولا يساعده التعليل لان ما فعله يعقوب عليه السلام كان حلالا في شريعته وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان
اهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله تعالى الا امرأة الاب والجمع بين الاختين وروى هشام بن عبيد الله عن محمد بن الحسن رحمه الله انه قال
كان اهل الجاهلية يعرفون هذه المحرمات الا اثنتين نكاح امرأة الاب والجمع بين الاختين الا يرى انه قد عقب النهي عن كل منهما بقوله
تعالى الا ما قد سلف وهذا يشير الي كون الاستثناء فيهما علي سنن واحد ويأباه اختلاف التعليل **والمحصنات** بفتح الصاد وهي ذوات
الازواج احصنهن التزوج او الازواج او الاولياء اي اعففن عن الوقوع في الحرام وقرئ علي صيغة اسم الفاعل فانهن احصن فروجهن
عن غير ازواجهن او احصن ازواجهن وقيل الصيغة للفاعل علي القراءة الاولى ايضا وفتح الصاد محمول علي الشذوذ كما في نظيريه ملقح ومسهب من
القح واسهب قيل قد ورد الاحصان في القرآن بازاء اربعة معان الاول التزوج كما في هذه الآية الكريمة الثاني العفة كما في قوله تعالى
محصنين غير مسافحين الثالث الحرية كما في قوله تع ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات والرابع الاسلام كما في قوله تعالى فاذا
احصن قيل في تفسيره اي اسلمن وهي معطوفة علي المحرمات السابقة وقوله تع **من النساء** متعلق بمحذوف وقع حالا منها اي كائنات
من النساء وفائدته تأكيد عمومها لا دفع توهم شمولها للرجال بناء علي كونها صفة للانفس كما توهم **الا ما ملكت ايمانكم** استثناء من المحصنات
استثناء النوع من الجنس اي ملكتموه واسناد الملك الي الايمان لما ان سببه الغالب هو الصفقة الواقعة بها وقد اشتهر ذلك في
الارقاء لا سيما في اناثهم وهن المرادة ههنا رعاية للمقابلة بينه وبين ملك النكاح الوارد علي الحرائر والتعبير عنهن بما لاسقاطهن
بما فيهن من قصور الرق عن رتبة العقلاء وهي اما عامة حسب عموم صلتها فالاستثناء ليس لاخراج جميع افرادها من حكم التحريم
بطريق شمول النفي بل بطريق نفي الشمول المستلزم لاخراج بعضها اي حرمت عليكم المحصنات علي الاطلاق الا المحصنات اللاتي ملكتموهن
فانهن ليس من المحرمات علي الاطلاق بل فيهن من لا يحرم نكاحهن في الجملة وهن المسبيات بغير ازواجهن او مطلقا حسب اختلاف الرأيين
واما خاصة بالمذكورات فالمعنى حرمت عليكم المحصنات الا اللاتي سبين فان نكاحهن مشروع في الجملة اي لغير ملاكهن واما
حلهن لهم بحكم ملك اليمين فمفهوم بدلالة النص لاتحاد المناط لا بعبارته لما عرفت من ان مساق النظم الكريم لبيان حرمة التمتع بالمحرمات
المعدودة بحكم ملك النكاح وانما ثبوت حرمة التمتع بهن بحكم ملك اليمين بطريق دلالة النص وذلك مما لا يجري فيه الاستثناء قطعا واما
عدهن من ذوات الازواج مع تحقق الفرقة بينهن وبين ازواجهن قطعا بالتباين او بالسبي علي اختلاف الرأيين فمبني علي اعتقاد

الناس حيث كانوا غافلين عن الفرقة الا يرى الي ما روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه انه قال اصبنا يوم اوطاس سبايا لهن
ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفي رواية عنه قلنا يا رسول الله كيف نقع علي نساء قد عرفنا انسابهن وازواجهن
فنزلت والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم فاستحللناهن وفي رواية اخرى عنه ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا توطأ
حامل حتي تضع ولا حائل حتي تحيض فاباح وطأهن بعد الاستبراء وليس في ترتيب هذا الحكم علي نزول الآية الكريمة ما يدل علي كونها مسوقة له
فان ذلك انما يتوقف علي افادتها له بوجه من وجوه الدلالات لا علي افادتها بطريق العبارة او نحوها هذا وقد روي عن ابي سعيد رضي الله عنه
انه قال انها نزلت في نساء كن يهاجرن الي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولهن ازواج فيتزوجهن بعض المسلمين ثم يقدم ازواجهن
مهاجرين فنهي عن نكاحهن فالمحصنات عبارة عن مهاجرات يتحقق او يتوقع من ازواجهن الاسلام والمهاجرة ولذلك لم يزل عنهن
اسم الاحصان والنهي لتحريم المحقق وتعرف حال المتوقع والا فما عداهن بمعزل من الحرمة واستحقاق اطلاق الاسم عليهن كيف لا
وحين انقطعت العلاقة بين المسبية وزوجها مع اتحادهما في الدار فلان تنقطع ما بين المهاجرة وزوجها احق واولى كما يفصح عنه
قوله عز وجل فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الي الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن الآية **كتاب الله** مصدر مؤكد اي كتب الله
عليكم تحريم هؤلاء كتابا وفرضه فرضا وقيل منصوب علي الاغراء بفعل مضمر اي الزموا كتاب الله وعليكم متعلق اما بالمصدر واما
بمحذوف وقع حالا منه وقيل هو اغراء آخر مؤكد لما قبله قد حذف مفعوله لدلالة المذكور عليه او بنفس عليكم علي رأي من جوز تقديم
المنصوب في باب الاغراء كما في قوله يا ايها المائح دلوي دونكا اني رأيت الناس يحمدونكا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرائض
الله عليكم وقرئ كتب الله بلفظ الفعل **واحل لكم** عطف علي حرمت عليكم الخ وتوسيط قوله تعالى كتاب الله عليكم بينهما للمبالغة في الحمل علي
المحافظة علي المحرمات المذكورة وقرئ علي صيغة المبني للفاعل فيكون معطوفا علي الفعل المقدر وقيل بل علي حرمت الخ فانهما جملتان
متقابلتان مؤسستان للتحريم والتحليل المنوطين بامر الله تعالى ولا ضير في اختلاف المسند اليه بحسب الظاهر لا سيما بعد ما اكد الاولى
بما يدل علي ان المحرم هو الله تعالى **ما وراء ذلكم** اشارة الي ما ذكر من المحرمات المعدودة اي احل لكم نكاح ما سواهن انفرادا وجمعا ولعل
ايثار اسم الاشارة المتعرض لوصف المشار اليه وعنوانه علي الضمير المتعرض للذات فقط لتذكير ما في كل واحدة منهن من العنوان الذي عليه
يدور حكم الحرمة فيفهم مشاركة من في معناهن لهن فيها بطريق الدلالة فان حرمة الجمع بين المرأة وعمتها وبينها وبين خالتها ليست بطريق العبارة
بل بطريق الدلالة كما سلف وقيل ليس المراد بالاحلال الاحلال مطلقا اي في جميع الاحوال حتي يرد انه يلزم منه حل الجمع بين المرأة وعمتها وبينها
وبين خالتها بل انما هو احلالهن في الجملة اي علي بعض الاحوال ولا ريب في حل نكاحهن بطريق الانفراد ولا يقدح في ذلك حرمته بطريق الجمع الا يرى
ان حرمة نكاح المعتدة والمطلقة ثلاثا والخامسة ونكاح الامة علي الحرة ونكاح الملاعنة لا تقدح في حل نكاحهن بعد العدة
وبعد التحليل وبعد تطليق الرابعة وانقضاء العدة وبعد تطليق الحرة وبعد اكذاب الملاعن نفسه وانت خبير بان الحل يجب ان يتعلق
ههنا بما تعلق به الحرمة فيما سلف وقد تعلق هناك بالجمع فلا بد ان يتعلق الحل ههنا به ايضا **ان تبتغوا** متعلق بالفعلين المذكورين
علي انه مفعول له لكن لا باعتبار ذاتيهما بل باعتبار بيانهما واظهارهما اي بين لكم تحريم المحرمات المعدودة واحلال ما سواهن ارادة
ان تبتغوا باموالكم والمفعول محذوف اي تبتغوا النساء او متروك اي تفعلوا الابتغاء **باموالكم** بصرفها الي مهورهن او بدل اشتمال من
ما وراء ذلكم بتقدير ضمير المفعول **محصنين** حال من فاعل تبتغوا والاحصان العفة وتحصين النفس عن الوقوع فيما يوجب اللوم والعقاب **غير**
مسافحين حال ثانية منه او حال من الضمير في محصنين والسفاح الزنا والفجور من السفح الذي هو صب المني سمي به لانه الغرض منه ومفعول
الفعلين محذوف اي محصنين فروجكم غير مسافحين الزواني وهي في الحقيقة حال مؤكدة لان المحصن غير مسافح البتة وما في قوله عز وجل **فما**
استمتعتم به منهن اما عبارة عن النساء او عما يتعلق بهن من الافعال وعلي التقديرين فهي اما شرطية ما بعدها شرطها واما موصولة
ما بعدها صلتها وايا ما كان فهي مبتدأ خبرها علي تقدير كونها شرطية اما فعل الشرط وجوابه او كلاهما علي الخلاف المعروف وعلي تقدير كونها

موصولة قوله تعالى فآتوهن أجورهن والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط ثم على تقدير كونها عبارة عن النساء فالعائد إلى المبتدأ هو الضمير المنصوب في
فآتوهن سواء كانت شرطية أو موصولة ومن بيانية أو تبعيضية محلها النصب على الحالية من الضمير المجرور في به والمعنى فأي فرد استمتعتم به أو فالفرد الذي
استمتعتم به حال كونه من جنس النساء أو بعضهن فآتوهن أجورهن وقد روعي تارة جانب اللفظ فأفرد الضمير أولاً وأخرى جانب المعنى
فجمع ثانياً وثالثاً وأما على تقدير كونها عبارة عما يتعلق بهن فمن ابتدائية متعلقة بالاستمتاع والعائد إلى المبتدأ محذوف والمعنى أي فعل
استمتعتم به من جهتهن من نكاح أو خلوة ونحوهما أو فالفعل الذي استمتعتم به من قبلهن من الأفعال المذكورة فآتوهن أجورهن لأجله أو بمقابلته
والمراد بالأجور المهور فإنها أجور أبضاعهن فريضة حال من الأجور بمعنى مفروضة أو نعت لمصدر محذوف أي إيتاء مفروضاً أو مصدر مؤكد
أي فرض ذلك فريضة أي فرضن عليكم ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به أي لا إثم عليكم فيما تراضيتم به من الحط عن المهر أو الإبراء منه على طريقة
قوله تعالى فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه إثر قوله تعالى وآتوا النساء صدقاتهن وقوله إلا أن يعفون وتعميمه للزيادة على المسمى لا
يساعده رفع الجناح من الرجال لأنها ليست مظنة الجناح إلا أن يجعل الخطاب للأزواج تغليباً فإن أخذ الزيادة على المسمى مظنة الجناح على الزوج
وقيل فيما تراضيتم به من نفقة ونحوها وقيل من مقام أو فراق ولا يساعده قوله تعالى من بعد الفريضة إذ لا تعلق لهما بالفريضة إلا أن يكون الفراق
بطريق المخالعة وقيل نزلت في المتعة التي هي النكاح إلى وقت معلوم من يوم أو أكثر سميت بذلك لأن الغرض منها مجرد الاستمتاع بالمرأة
واستمتاعها بما يعطى وقد أبيحت ثلاثة أيام حين فتحت مكة شرفها الله تعالى ثم نسخت لما روي أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أباحها ثم أصبح يقول
يا أيها الناس إني كنت أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء ألا إن الله تعالى حرم ذلك إلى يوم القيامة وقيل أبيح مرتين وحرم مرتين وروي
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه رجع عن القول بجوازها عند موته وقال اللهم إني أتوب إليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف إن الله كان عليماً
بمصالح العباد حكيماً فيما شرع لهم من الأحكام ولذلك شرع لكم هذه الأحكام اللائقة بحالكم ومن لم يستطع منكم من إما شرطية ما بعدها شرطها أو موصولة
وما بعدها صلتها والظرف متعلق بمحذوف وقع حالاً من فاعل يستطع أي حال كونه منكم وقوله تعالى طولاً أي غنى وسعة أو اعتلاء ونيلاً وأصله الزيادة
والفضل مفعول ليستطع وقوله تعالى أن ينكح المحصنات المؤمنات إما مفعول صريح لطولاً فإن إعمال المصدر المنون شائع ذائع كما في قوله تعالى
أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً ذا مقربة كأنه قيل ومن لم يستطع منكم أن ينال نكاحهن وإما بتقدير حرف الجر أي ومن لم يستطع منكم
غنى إلى نكاحهن ولنكاحهن فالجار في محل النصب صفة طولاً أي طولاً موصلاً إليه أو كائناً له أو على نكاحهن على أن الطول بمعنى القدرة
في القاموس الطول والطائل والطائلة الفضل والقدرة والغنى والسعة ومحل أن بعد حذف الجار نصب عند سيبويه والفراء وجر
عند الكسائي والأخفش وإما بدل من طولاً لأن الطول فضل والنكاح قدرة وإما مفعول ليستطع وطولاً مصدر مؤكد له لأنه بمعناه
إذ الاستطاعة هو الطول أو تمييز أي ومن لم يستطع منكم نكاحهن استطاعة أو من جهة الطول والغنى أي لا من جهة الطبيعة والمزاج فإن عدم
الاستطاعة من تلك الجهة لا تعلق له بالمقام والمراد بالمحصنات الحرائر بدليل مقابلتهن بالمملوكات فإن حريتهن أحصنتهن عن ذل الرق
والابتذال وغيرهما من صفات القصور والنقصان وقوله عز وعلا فمما ملكت أيمانكم إما جواب للشرط أو خبر للموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط
والجار متعلق بفعل مقدر حذف مفعوله وما موصولة أي فلينكح امرأة أو أمة من النوع الذي ملكته أيمانكم وهو في الحقيقة متعلق بمحذوف
وقع صفة لذلك المفعول المحذوف ومن تبعيضية أي فلينكح امرأة كائنة من ذلك النوع وقيل من زائدة والموصول مفعول للفعل المقدر
أي فلينكح ما ملكته أيمانكم وقوله تعالى من فتياتكم المؤمنات في محل النصب على الحالية من الضمير المقدر في ملكت الراجع إلى ما وقيل هو المفعول للفعل المقدر
على زيادة من ومما ملكت متعلق بنفس الفعل ومن لابتداء الغاية أو بمحذوف وقع حالاً من فتياتكم ومن للتبعيض أي فلينكح فتياتكم كائناً
بعض ما ملكته أيمانكم والمؤمنات صفة لفتياتكم على كل تقدير وقيل هو المفعول للفعل المقدر ومما ملكت على ما تقدم آنفاً ومن فتياتكم حالاً
من العائد المحذوف وظاهر النظم الكريم يفيد عدم جواز نكاح الأمة الكتابية أصلاً كما هو رأي أهل الحجاز وقد جوزه أبو حنيفة رحمه الله
تعالى متمسكاً بالعموم وحمل الشرط والوصف هو الأفضلية ولا نزاع فيها لأحد وقد روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال ومما وسع

الله على هذه الأمة نكاح الأمة واليهودية والنصرانية وإن كان موسراً وقوله تعالى والله أعلم بإيمانكم جملة معترضة جيء بها لتأنيسهم بنكاح
الإماء واستنزالهم من رتبة الاستنكاف منه ببيان أن مناط التفاضل ومدار التفاخر هو الإيمان دون الأحساب والأنساب على ما نطق به قوله عز
قائلاً يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم والمعنى أنه تعالى أعلم منكم بمراتبكم
في الإيمان الذي به ينتظم أحوال العباد وعليه يدور فلك المصالح في المعاش والمعاد ولا تعلق له بخصوص الحرية والرق فرب أمة يفوق
إيمانها إيمان الحرائر وقوله تعالى بعضكم من بعض إن أريد به الاتصال من حيث الدين فهو بيان لتناسبهم من تلك الحيثية إثر بيان تفاوتهم في ذلك
وإن أريد به الاتصال من حيث النسب فهو اعتراض آخر مؤكد للتأنيس من جهة أخرى والخطاب في الموضعين إما لمن كما في الخطاب الذي
يعقبه قد روعي فيما سبق جانب اللفظ وههنا جانب المعنى والالتفات للاهتمام بالترغيب والتأنيس وإما لغيرهم من المسلمين كالخطابات
السابقة لحصول الترغيب بخطابهم أيضاً وأياً ما كان فإعادة الأمر بالنكاح على وجه الخطاب في قوله تعالى فانكحوهن مع انفهامه من قوله تعالى
فمما ملكت أيمانكم حسبما ذكر لزيادة الترغيب في نكاحهن وتقييده بقوله تعالى بإذن أهلهن وتصديره بالفاء للإيذان بترتبه على ما قبله أي
وإذ قد وقفتم على جلية الأمر فانكحوهن بإذن مواليهن ولا تترفعوا عنهن وفي اشتراط إذن الموالي دون مباشرتهم للعقد إشعار بجواز
مباشرتهن له وآتوهن أجورهن أي مهورهن بالمعروف متعلق بآتوهن أي أدوا إليهن مهورهن بغير مطل وضرار وإلجاء إلى الاقتضاء
واللز حسبما يقتضيه الشرع والعادة ومن ضرورته أن يكون الأداء إليهن بإذن الموالي فيكون ذكر إيتائهن لبيان جواز الأداء إليهن لا لكون
المهور لهن وقيل أصله آتوا مواليهن فحذف المضاف وأوصل الفعل إلى المضاف إليه محصنات حال من مفعول فانكحوهن أي حال كونهن
عفائف عن الزنا غير مسافحات حال مؤكدة أي غير مجاهرات به ولا متخذات أخدان عطف على مسافحات ولا لتأكيد ما في غير من معنى النفي
والخدن الصاحب قال أبو زيد الأخدان الأصدقاء على الفاحشة والواحد خدن وخدين والجمع للمقابلة بالانقسام على معنى أن لا يكون
لواحدة منهن خدن لا على معنى أن لا يكون لها أخدان أي غير مجاهرات بالزنا ولا مسترات له وكان الزنا في الجاهلية منقسماً إلى هذين
القسمين فإذا أحصن أي بالتزويج وقرئ على البناء للفاعل أي أحصن فروجهن أو أزواجهن فإن أتين بفاحشة أي فعلن فاحشة هي
الزنا فعليهن فثابت عليهن شرعاً نصف ما على المحصنات أي الحرائر الأبكار من العذاب من الحد الذي هو جلد مائة فنصفه خمسون كما هو
كذلك قبل الإحصان فالمراد بيان عدم تفاوت حدهن بالإحصان كتفاوت حد الحرائر فالفاء في فإن أتين جواب إذا والثانية جواب إن
فالشرط الثاني مع جوابه مترتب على وجود الأول كما في قولك إذا أتيتني فإن لم أكرمك فعبدي حر ذلك أي نكاح الإماء لمن خشي
العنت منكم أي لمن خاف وقوعه في الإثم الذي يؤدي إليه غلبة الشهوة وأصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر
يعتري الإنسان بعد صلاح حاله ولا ضرر أعظم من مواقعة المآثم بارتكاب أفحش القبائح وقيل أريد به الحد لأنه إذا هويها يخشى أن يواقعها
فيحد والأول هو اللائق بحال المؤمن دون الثاني لإيهامه أن المحذور عنده الحد لا ما يوجبه وأن تصبروا أي عن نكاحهن متعففين كافين
أنفسكم عما تشتهيه من المعاصي خير لكم من نكاحهن وإن سبقت كلمة الرخصة فيه لما فيه من تعريض الولد للرق قال عمر رضي الله تعالى عنه أيما حر تزوج
بأمة فقد أرق نصفه وقال سعيد بن جبير ما نكاح الأمة من الزنا إلا قريب ولأن حق المولى فيها أقوى فلا تخلص للزوج خلوص الحرائر
ولأن المولى يقدر على استخدامها كيفما يريد في السفر والحضر وعلى بيعها للحاضر والبادي وفيه من اختلال حال الزوج وأولاده ما لا مزيد عليه
ولأنها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله ذل ومهانة سارية إلى الناكح والعزة هي اللائقة بالمؤمنين ولأن مهرها لمولاها فلا
تقدر على التمتع به ولا على هبته للزوج فلا ينتظم أمر المنزل وقد قال عليه الصلاة والسلام الحرائر صلاح البيت والإماء هلاك البيت والله
غفور مبالغ في المغفرة فيغفر لمن لم يصبر عن نكاحهن ما في ذلك من الأمور المنافية لحال المؤمنين رحيم مبالغ في الرحمة ولذلك رخص لكم في
نكاحهن يريد الله ليبين لكم استئناف مسوق لتقرير ما سبق من الأحكام وبيان كونها جارية على مناهج المهتدين من الأنبياء والصالحين
قيل أصل النظم الكريم يريد الله أن يبين لكم فزيدت اللام لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للإرادة ومفعول يبين محذوف ثقة بشهادة

التسباق والسياق اي يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم او ما تعبدكم به من الحلال والحرام وقيل مفعول
يريد محذوف تقديره يريد الله تشريع ما شرع من التحريم والتحليل لأجل التبيين لكم وهذا مذهب البصريين ويعزى الى سيبويه وقيل ان اللام
بنفسها ناصبة للفعل من غير اضمار ان وهي وما بعدها مفعول للفعل المتقدم فان اللام قد يقام مقام ان في فعل الارادة والامر فيقال
أردت لأذهب وان اذهب وأمرتك لتقوم وان تقوم قال الله تعالى يريدون ليطفئوا نور الله وفي موضع يريدون ان يطفئوا وقال
الله تعالى وامرنا لنسلم وفي موضع وأمرت ان اسلم وفي آخر وأمرت لأعدل بينكم اي ان اعدل وهذا مذهب الكوفيين ومنعه البصريون وقالوا
ان وظيفة اللام هي الجر والنصب فيما قالوا باضمار ان اي امرنا بما امرنا للتسليم ويريدون ما يريدون ليطفئوا وقيل يؤول الفعل الذي قبل اللام
بمصدر مرفوع بالابتداء وتجعل ما بعده خبرا له كما في تسمع بالمعيدي خير من ان تراه اي ان تسمع به ويعزى هذا الرأي الى بعض البصريين
ويهديكم سنن الذين من قبلكم من الانبياء والصالحين لتقتدوا بهم **ويتوب عليكم** اذا تبتم اليه تعالى عما يقع منكم من التقصير والتفريط
في مراعاة ما كلفتم به كلفتموه من الشرائع فان المكلف قلما يخلو من تقصير يستدعي تلافيه بالتوبة ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى
ما يردعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم وليس الخطاب لجميع المكلفين حتى يتخلف مراده تعالى عن ارادته
فيمن لم يتب منهم بل لطائفة معينة حصلت لهم هذه التوبة **والله عليم** فبالغ في العلم بالاشياء التي في جملتها ما شرع لكم من الاحكام **حكيم**
مراع في جميع افعاله الحكمة والمصلحة **والله يريد ان يتوب عليكم** جملة مبتدأة مسوقة لبيان كمال منفعة ما اراده الله تعالى وكمال مضرة ما
يريده الفجرة لا لبيان ارادته تعالى لتوبته عليهم حتى يكون من باب التكرير للتقرير ولذلك غير الاسلوب الى الجملة الاسمية دلالة على دوام
الارادة ولم يفعل ذلك في قوله تعالى **ويريد الذين يتبعون الشهوات** للاشارة الى الحدوث وللايماء الى كمال المباينة بين مضموني الجملتين
كما مر في قوله تعالى الله ولي الذين آمنوا الآية والمراد بمتبعي الشهوات الفجرة فان اتباعها الائتمار لها واما المتعاطي لما سوغه الشرع
من المشتهيات دون غيره فهو متبع له لا لها وقيل هم اليهود والنصارى وقيل هم المجوس حيث كانوا يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ
وبنات الاخت فلما حرمهن الله تعالى قالوا فانكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة مع ان العمة والخالة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت
فنزلت **ان تميلوا** عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات وتكونوا زناة مثلهم وبالياء التحتانية والضمير للذين
تتبعون الشهوات **ميلا عظيما** اي بالنسبة الى ميل من اقترف خطيئة على ندرة بلا استحلال **يريد الله ان يخفف عنكم** بما مر من الرخص ما في عهدتكم
من مشاق التكاليف والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب **وخلق الانسان ضعيفا** عاجزا عن مخالفة هواه غير قادر على مقابلة دواعيه وقواه
حيث لا يصبر عن اتباع الشهوات ولا يستخدم قواه في مشاق الطاعات وعن الحسن رحمه الله تعالى ان المراد ضعف الخلقة ولا يساعده المقام فان الجملة اعتراض
تذييلي مسوق لتقرير ما قبله من التخفيف بالرخصة في نكاح الاماء وليس لضعف البنية مدخل في ذلك وانما الذي يتعلق به في العبادات الشاقة
وقيل المراد به ضعفه في امر النساء خاصة حيث لا يصبر عنهن وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني آدم قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى علي
ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف علي فتنة النساء وقرأ ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وخلق الانسان على
البناء للفاعل والضمير لله عز وجل وعنه رضي الله تعالى عنه ثماني آيات في سورة النساء هن خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم
والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن
يشاء ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم **يا ايها
الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل** شروع في بيان بعض المحرمات المتعلقة بالاموال والانفس اثر بيان الحرمات المتعلقة بالابضاع
وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه لاظهار كمال العناية بمضمونه والمراد بالباطل ما يخالف الشرع كالغصب والسرقة والخيانة والقمار
وعقود الربوا وغير ذلك مما لم يبحه الشرع اي لا يأكل بعضكم اموال بعض بغير طريق شرعي **الا ان تكون تجارة عن تراض منكم** استثناء
منقطع وعن متعلقة بمحذوف وقع صفة لتجارة اي الا ان تكون التجارة تجارة صادرة عن تراض كما في قوله اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا

اي اذا كان اليوم يوما الخ والا ان يكون الاموال اموال تجارة وقرئ تجارة بالرفع على ان كان تامة اي ولكن اقصد وكون تجارة عن
تراض اي وقوعها او ولكن وجود تجارة عن تراض غير منهي عنه وتخصيصها بالذكر من بين سائر اسباب الملك لكونها معظمها واغلبها
وقوعا واوفقها لذوي المروات والمراد بالتراضي مراضاة المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال المبايعة وقت الايجاب والقبول عندنا وعند الشافعي
رحمه الله تعالى حالة الافتراق عن مجلس العقد **ولا تقتلوا انفسكم** اي من كان من جنسكم من المؤمنين فان كلهم كنفس واحدة وعن الحسن رحمه الله
تعالى لا تقتلوا اخوانكم والتعبير عنهم بالانفس للمبالغة في الزجر عن قتلهم بتصويره بصورة ما لا يكاد يفعله عاقل او لا تهلكوا انفسكم بتعريضها
للعقاب باقتراف ما يفضي اليه فانه القتل الحقيقي لها كما يشعر به ايراده عقيب النهي عن اكل الحرام فيكون مقررا للنهي السابق وقيل
لا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله بعض الجهلة او بارتكاب ما يؤدي الى القتل من الجنايات وقيل بالقائها في التهلكة ويؤيده ما روي عن عمرو
بن العاص انه تأوله بالتيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي عليه الصلوة والسلام وقرئ لا تقتلوا بالتشديد للتكثير وقد جمع في التوصية
بين حفظ النفس وحفظ المال لما انه شقيقها من حيث انه سبب لقوامها وتحصيل كمالاتها واستيفاء فضائلها وتقديم النهي عن التعرض له
لكثرة وقوعه **ان الله كان بكم رحيما** تعليل للنهي بطريق الاستئناف اي مبالغا في رحمته لكم بالزجر عن المعاصي وللذين هم في معرض التعرض لهم
بحفظ اموالهم وانفسهم وقيل معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما حيث امر بني اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم
ولم يكلفكم تلك التكاليف الشاقة **ومن يفعل ذلك** اشارة الى القتل خاصة او بما قبله من اكل الاموال وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد
منزلتهما في الفساد **عدوانا وظلما** اي افراطا في التجاوز عن الحد واتيانا بما لا يستحقه وقيل اريد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم الظلم على النفس
بتعريضها للعقاب ومحلهما النصب على الحالية او على العلية اي معتديا وظالما او للعدوان والظلم وقرئ عدوانا بكسر العين **فسوف نصليه**
جواب للشرط اي ندخله وقرئ بالتشديد من صلّى وبفتح النون من صلاه ومنه شاة مصلية ونصليه والضمير لله تعالى او لذلك من حيث انه
سبب للصلي **نارا** اي نارا مخصوصة هائلة شديدة العذاب **وكان ذلك** اي اصلاؤه النار **على الله يسيرا** لتحقق الداعي وعدم الصارف واظهار
الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وتأكيد استقلال الاعتراض التذييلي **ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه** اي كبائر الذنوب التي نهاكم الشرع
عنها مما ذكر ههنا وما لم يذكر وقرئ كبير على ارادة الجنس **نكفر عنكم** بنون العظمة على طريقة الالتفات وقرئ بالياء بالاسناد اليه تعالى والتكفير
اماطة المستحق من العقاب بثواب ازيد او بتوبة اي نغفر لكم **سيئاتكم** صغائركم ونمحها عنكم قال المفسرون الصلوة الى الصلوة والجمعة الى الجمعة ورمضان
الى رمضان مكفرات لما بينهن من الصغائر اذا اجتنبت الكبائر واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه الحد
او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله تعالى وقتل النفس التي حرمها الله تعالى وقذف
المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار عن الزحف وعقوق الوالدين وعن علي رضي الله تعالى عنه التعرب بعد الهجرة مكان عقوق الوالدين
وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رجلا قال له الكبائر سبع قال هي الى سبعمائة اقرب منها الى
سبع وروي عنه الى سبعين اذ لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وقيل اريد به انواع الشرك لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها وبحسب فاعلها بل بحسب الاوقات والاماكن ايضا فاكبر
الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وما بينهما وسائط يصدق عليه الامران فمن عن له امران منهما ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك
فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق على اجتناب الاكبر من الثواب **وندخلكم مدخلا** بضم الميم اسم مكان هو الجنة **كريما** اي حسنا مرضيا او
مصدر ميمي اي ادخالا مع كرامة وقرئ بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ونصبه على الثاني بفعل مقدر مطاوع للمذكور اي ندخلكم فتدخلون
مدخلا او دخولا كريما كما في قوله وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف اي لم يدع فلم يبق الا مسحت الخ **ولا تتمنوا ما
فضل الله به بعضكم على بعض** اي عليكم ولعل ايثار الابهام عليه للتفادي عن المواجهة بما يشق عليهم قال القفال لما نهاهم الله تعالى عن اكل
اموال الناس بالباطل وقتل الانفس عقبه بالنهي عما يؤدي اليه من الطمع في اموالهم وتمنيها وقيل نهاهم اولا عن التعرض لاموالهم بالجوارح عما

ثم عن التعرض لها بالقلب على سبيل الحسد لتطهير اعمالهم الظاهرة والباطنة فالمعنى لا تتمنوا ما اعطاه الله تعالى بعضكم من الامور الدنيوية كالجاه والمال
وغير ذلك مما يجري فيه التنافس دونكم فان ذلك قسمة من الله تعالى صادرة عن تدبير لائق باحوال العباد مترتب على الاحاطة بجلائل شؤونهم
ودقائقها فعلى كل احد من المفضل عليهم ان يرضى بما قسم له ولا يتمنى حظ المفضل ولا يحسده عليه لما انه معارضة لحكم القدر المؤسس على الحكم
البالغة لا لان عدمه خير له ولا لانه لو كان خلافه لكان مفسدة له كما قيل اذ لا يساعده ما سيأتي من الامر بالسؤال من فضله تعالى فانه ناطق بان
المنهي عنه تمني نصيب الغير لا تمني ما زاد على نصيبه مطلقا هذا وقد قيل لما جعل الله تعالى في الميراث للذكر مثل حظ الانثيين قالت النساء
نحن احوج ان لنا سهمان وللرجال سهم واحد لانا ضعفاء وهم اقوياء واقدر على طلب المعاش منا فنزلت وهذا هو الانسب بتعليل النهي بقوله
عز وجل **للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن** فانه صريح في جريان النهي بين فريقي الرجال والنساء ولعل صيغة المذكر في النهي
لما عبر عنهن بالبعض والمعنى لكل من الفريقين في الميراث نصيب معين المقدار مما اصابه بحسب استعداده وقد عبر عنه بالاكتساب على طريقة الاستعارة
التبعية المبنية على تشبيه اقتضاء حاله لنصيبه باكتسابه اياه تاكيدا لاستحقاق كل منهما لنصيبه وتقوية لاختصاصه به بحيث لا يتخطاه الى غيره
فان ذلك مما يوجب الانتهاء عن النهي المذكور وقوله تعالى **واسئلوا الله من فضله** عطف على النهي وتوسيط التعليل بينهما لتقرير الانتهاء مع
الترغيب في الامتثال بالامر كانه قيل لا تتمنوا ما يخص بغيركم من نصيبه المكتسب واسئلوا الله تعالى من خزائن نعمه التي لا نفاد لها وحذف المفعول
للتعميم اي واسئلوه ما تريدون فانه تعالى يعطيكموه او لكونه معلوما من السياق اي واسئلوه مثله وقيل من زائدة والتقدير واسئلوا فضله
وقد جاء في الحديث لا يتمنين احدكم مال اخيه ولكن ليقل اللهم ارزقني اللهم اعطني مثله وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قال سلوا الله من فضله فانه يحب ان يسأل وافضل العبادة انتظار الفرج وحمل النصيب على الاجر الاخروي وابقاء الاكتساب
على حقيقته بجعل سبب النزول ما روي ان ام سلمة رضي الله تعالى عنها قالت ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر
مثل ما لهم على ان المعنى لكل من الفريقين نصيب خاص من الاجر مترتب على عمله فللرجال اجر بمقابلة ما يليق بهم من الاعمال كالجهاد ونحوه
وللنساء اجر بمقابلة ما يليق بهن من الاعمال كحفظ حقوق الازواج ونحوه فلا تتمن النساء خصوصية اجر الرجال وليسألن من خزائن
رحمته تعالى ما يليق بحالهن من الاجر لا يساعده سياق النظم الكريم المتعلق بالمواريث وفضائل الرجال **ان الله كان بكل شيء عليما** و
لذلك جعل الناس على طبقات ورفع بعضهم على بعض درجات حسب مراتب استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشية المبنية على الحكم
الابية **ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون** جملة مبتدأة مقررة لمضمون ما قبلها ولكل مفعول ثان لجعلنا قدم عليه للتاكيد
والشمول ودفع توهم تعلق الجعل بالبعض دون البعض كما في قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا اي ولكل تركة جعلنا ورثة
متفاوتة في الدرجة يلونها ويحرزون منها انصباءهم بحسب استحقاقهم المنوط بما بينهم وبين المورث من العلاقة ومما ترك بيان لكل قد
فصل بينهما بما عمل فيه كما فصل في قوله تعالى قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض بين لفظ الجلالة وبين صفته بالعامل فيما اضيف اليه
اعني غير او ولكل قوم جعلناهم موالي اي وراثا نصيب معين مغاير لنصيب قوم آخرين مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلناهم موالي
صفة لكل والضمير الراجع اليه محذوف والكلام مبتدأ وخبر على طريقة قولك لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله اي حظ منه واما ما قيل من ان
المعنى لكل احد جعلنا موالي مما ترك اي وراثا منه على ان من صلة موالي لانه في معنى الوراث وفي ترك ضمير مستكن عائد الى كل وقوله تعالى الوالدان
والاقربون استئناف مفسر للموالي كانه قيل من هم فقيل الوالدان الخ ففيه تفكيك للنظم الكريم لان بيان الموالي بما ذكر يفوت الابهام المصحح
لاعتبار التفاوت بينهم وبه يتحقق الانتظام كما اشير اليه في تقرير الوجهين الاولين مع ما فيه من خروج الاولاد من الموالي اذ لا يتناولهم الاقربون
كما لا يتناول الوالدين **والذين عقدت ايمانكم** هم موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض وعند ابي حنيفة رحمه الله تعالى اذا اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يرثه ويعقل عنه صح وعليه عقله وله ارثه
ان لم يكن له وارث اصلا واسناد العقد الى الايمان لان المعتاد هو المماسحة بها عند العقد والمعنى عقدت ايمانكم عهودهم فحذف العهود واقيم

المضاف اليه مقامه ثم حذف وقرئ عقدت بالتشديد وعاقدت بمعنى عاقدتهم ايمانكم وماسحتموهم وهو مبتدأ متضمن معنى الشرط ولذلك
صدر الخبر اعني قوله تعالى **فآتوهم نصيبهم** بالفاء او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او مرفوع معطوف على الوالدان والاقربون
وقوله تعالى فآتوهم الخ جملة مبينة للجملة قبلها ومؤكدة لها والضمير للموالي **ان الله كان على كل شيء** من الاشياء التي من جملتها الايتاء والمنع **شهيدا**
ففيه وعد ووعيد **الرجال قوامون على النساء** كلام مستأنف مسوق لبيان سبب استحقاق الرجال الزيادة في الميراث تفصيلا اثر
بيان تفاوت سهامهم اجمالا وايراد الجملة اسمية والخبر على صيغة المبالغة للايذان بعراقتهم في الاتصاف بما اسند اليهم ورسوخهم فيه
اي شأنهم القيام عليهن بالامر والنهي قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين موهبي وكسبي فقيل **بما فضل الله بعضهم على بعض**
الباء سببية متعلقة بقوامون او بمحذوف وقع حالا من ضميره وما مصدرية والضمير البارز لكلا الفريقين تغليبا اي قوامون عليهن
بسبب تفضيل الله تعالى اياهم عليهن او ملتبسين بتفضيله تعالى الخ ووضع البعض موضع الضميرين للاشعار بغاية ظهور الامر وعدم
الحاجة الى التصريح بالمفضل والمفضل عليه اصلا ولمثل ذلك لم يصرح بما به التفضيل من صفات كماله التي هي كمال العقل وحسن التدبير
ورزانة الرأي ومزيد القوة في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة
في جميع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحو ذلك **وبما انفقوا من اموالهم** الباء متعلقة بما تعلقت به الاولى وما مصدرية او موصولة
حذف عائدها من الصلة ومن تبعيضية او ابتدائية متعلقة بانفقوا او بمحذوف وقع حالا من العائد المحذوف اي وبسبب انفاقهم من اموالهم
او بسبب ما انفقوه من اموالهم او كائنا من اموالهم وهو ما انفقوه من المهر والنفقة روي ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار
رضي الله تعالى عنهم نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشكى
فقال عليه السلام لتقتص منه فنزلت فقال عليه الصلوة والسلام اردنا امرا واراد الله تعالى امرا والذي اراد الله خير **فالصالحات**
شروع في تفصيل احوالهن وبيان كيفية القيام عليهن بحسب اختلاف احوالهن اي فالصالحات منهن **قانتات** اي مطيعات لله تعالى
قائمات بحقوق الازواج **حافظات للغيب** اي لمواجب الغيب اي لما يجب عليهن حفظه في حال غيبة الازواج من الفروج والاموال عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا
الآية وقيل لاسرارهم واضافة المال اليها للاشعار بان ماله في حق التصرف في حكم مالها كما في قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم الآية
بما حفظ الله ما مصدرية اي بحفظه تعالى اياهن بالامر بحفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او موصولة اي بالذي
حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على حذف المضاف اي بالامر الذي
حفظ حق الله تعالى وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال **واللاتي تخافون نشوزهن** خطاب للازواج وارشاد لهم الى طريق
القيام عليهن والخوف حالة تحصل في القلب عند حدوث امر مكروه او عند الظن او العلم بحدوثه وقد يراد به احدهما اي تظنون عصيانهن
وترفعهن عن مطاوعتكم من النشز وهو المرتفع من الارض **فعظوهن** فانصحوهن بالترغيب **واهجروهن** بعد ذلك ان لم ينفع الوعظ
والنصيحة **في المضاجع** اي في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف ولا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايتات اي لا
تبايتوهن وقرئ في المضجع وفي المضطجع **واضربوهن** ان لم ينجع ما فعلتم من العظة والهجران ضربا غير مبرح ولا شائن **فان اطعنكم** بذلك
كما هو الظاهر لانه منتهى ما يعد زاجرا **فلا تبغوا عليهن سبيلا** بالتوبيخ والاذية اي فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم
يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له **ان الله كان عليا كبيرا** فاحذروه فانه تعالى اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه تعالى على
علو شأنه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم عند توبتكم وانتم احق بالعفو عن ازواجكم عند اطاعتهن لكم او انه تعالى يتعالى ويتكبر ان يظلم احدا
او ينقص حقه وعدم التعرض لعدم اطاعتهن لهم للايذان بان ذلك ليس مما ينبغي ان يتحقق او يفرض تحققه وان الذي يتوقع منهن
ويليق بشأنهن لا سيما بعد ما كان من الزواجر هو الاطاعة ولذلك صدرت الشرطية بالفاء المنبئة عن سببية ما قبلها لما بعدها

وإن خفتم شقاق بينهما تلوين للخطاب وتوجيه له إلى الحكام وارد على بناء الأمر على التقدير المسكوت عنه أعني عدم الإطاعة المؤدي إلى المخاصمة والمرافعة
إليهم والشقاق المخالفة إما لأن كلا منهما يريد ما يشق على الآخر وإما لأن كلا منهما في شق أي جانب غير شق الآخر والخوف ههنا بمعنى
العلم قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والجزم بوجود الشقاق لا ينافي بعث الحكمين لأنه لرجاء إزالته لا لتعرف وجوده بالفعل وقيل
بمعنى الظن وضمير التثنية للزوجين وإن لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما وإضافة الشقاق إلى الظرف إما على إجرائه مجرى المفعول كما
في قوله يا سارق الليلة أو مجرى الفاعل كما في قولك نهاره صائم أي إن علمتم أو ظننتم تأكد المخالفة بحيث لا يقدر الزوج على إزالتها **فابعثوا**
أي إلى الزوجين لإصلاح ذات البين **حكما** رجلا وسطا صالحا للحكومة والإصلاح **من أهله** من أهل الزوج **وحكما** آخر على صفة الأول **من**
أهلها فإن الأقارب أعرف ببواطن الأحوال وأطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحسان ولو نصبا من الأجانب جاز واختلف في أنهما هل يليان
الجمع والتفريق إن رأيا ذلك فقيل لهما ذلك وهو المروي عن علي رضي الله تعالى عنه وبه قال الشعبي وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وقال
مالك والشعبي لهما أن يتخالعا إن كان الصلاح فيه **إن يريدا** أي الحكمان **إصلاحا** أي إن قصدا إصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما
ناصحة لوجه الله تعالى **يوفق الله بينهما** يوقع بين الزوجين الموافقة والألفة ويلقي في نفوسهما المودة والرأفة وعدم التعرض لذكر
عدم إرادتهما الإصلاح لما ذكر من الإيذان بأن ذلك ليس مما ينبغي أن يفرض صدوره عنهما وأن الذي يليق بشأنهما ويتوقع
صدوره عنهما هو إرادة الإصلاح وفيه مزيد ترغيب للحكمين في الإصلاح وتحذير عن المساهلة كيلا ينسب اختلاف الأمر إلى عدم
إرادتهما فإن الشرطية الناطقة بدوران وجود التوفيق على وجود الإرادة منبئة عن دوران عدمه على عدمها وقيل كلا الضميرين
للحكمين أي إن قصدا الإصلاح يوفق الله بينهما فيتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل كلاهما للزوجين أي إن أرادا إصلاح ما بينهما
من الشقاق أوقع الله تعالى بينهما الألفة والوفاق وفيه تنبيه على أن من أصلح نيته فيما يتوخاه وفقه الله تعالى لمبتغاه **إن الله**
كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا** كلام مبتدأ مسوق
لبيان الأحكام المتعلقة بحقوق الوالدين والأقارب ونحوهم إثر بيان الأحكام المتعلقة بحقوق الأزواج صدر بما يتعلق بحقوق
الله عز وجل التي هي آكد الحقوق وأعظمها تنبيها على جلالة شأن حقوق الوالدين بنظمها في سلكها كما في سائر المواقع وشيئا نصب على
أنه مفعول أي لا تشركوا به شيئا من الأشياء صنما أو غيره أو على أنه مصدر أي لا تشركوا به شيئا من الإشراك جليا أو خفيا **وبالوالدين**
إحسانا أي أحسنوا بهما إحسانا **وبذي القربى** أي بصاحب القرابة من أخ أو عم أو خال أو نحو ذلك **واليتامى والمساكين** من الأجانب **والجار ذي**
القربى أي الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب أو دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحق الجار ذي
القربى **والجار الجنب** أي البعيد أو الذي لا قرابة له وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة
وحق الإسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الإسلام وجار له حق واحد وهو حق الجوار وهو الجار من أهل الكتاب وقرئ
والجار الجنب **والصاحب بالجنب** أي الرفيق في أمر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فإنه صحبك وحصل بجانبك ومنهم من قعد بجنبك
في مسجد أو مجلس وغير ذلك من أدنى صحبة التأمت بينك وبينه وقيل هي المرأة **وابن السبيل** هو المسافر المنقطع به أو الضيف **وما ملكت أيمانكم** من
العبيد والإماء **إن الله لا يحب من كان مختالا** أي متكبرا يأنف عن أقاربه وجيرانه وأصحابه ولا يلتفت إليهم **فخورا** يتفاخر عليهم والجملة تعليل للأمر
السابق **الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل** بضم الباء وسكون الخاء وقرئ بفتح الأول وبفتحهما وبضمهما والموصول بدل من قوله من
كان أو نصب على الذم أو رفع عليه أي هم الذين أو مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون أحقاء بكل ملامة **ويكتمون**
ما آتاهم الله من فضله أي من المال والغنى أو من نعوته صلى الله تعالى عليه وسلم التي بينها لهم في التوراة وهو أنسب بأمرهم للناس بالبخل
فإن أحبارهم كانوا يكتمونها ويأمرون أعقابهم بكتمها **وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا** وضع الظاهر موضع المضمر إشعارا بأن من
هذا شأنه فهو كافر بنعمة الله تعالى ومن كان كافرا بنعمته تعالى فله عذاب يهينه كما أهان النعمة بالبخل والإخفاء والآية نزلت في طائفة

من اليهود كانوا يقولون للأنصار بطريق النصيحة لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا نعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبلها **والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس** أي للفخار وليقال ما أسخاهم وما أجودهم لا لابتغاء وجه الله
تعالى وهو عطف على الذين يبخلون أو على الكافرين وإنما شاركوهم في الذم والوعيد لأن البخل والسرف الذي هو الإنفاق فيما لا ينبغي من
حيث إنهما طرفا تفريط وإفراط سواء في القبح واستتباع اللائمة والذم ويجوز أن يكون العطف بناء على إجراء التغاير الوصفي مجرى التغاير
الذاتي كما في قوله إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب في المزدحم أو مبتدأ خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يكن الخ كأنه قيل
والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس **ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر** ليتحروا بالإنفاق مراضيه تعالى وثوابه وهم مشركو مكة
المنفقون أموالهم عداوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل المنافقون **ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا** أي فقرينهم الشيطان
وإنما حذف للإيذان بظهوره واستغنائه عن التصريح به والمراد به إبليس وأعوانه حيث حملوهم على تلك القبائح وزينوها لهم كما في قوله تعالى
إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ويجوز أن يكون وعيدا لهم بأن الشيطان يقرن بهم في النار **وماذا عليهم** أي على من ذكر من الطوائف
لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله ابتغاء لوجه الله تعالى وإنما لم يصرح به تعويلا على التفصيل السابق واكتفاء
بذكر الإيمان بالله واليوم الآخر فيقتضي أن يكون الإنفاق لابتغاء وجهه تعالى وطلب ثوابه البتة أي وما الذي عليهم أو وأي تبعة ووبال عليهم
في الإيمان بالله والإنفاق في سبيله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء بخلاف ما هو عليه وتحريض على التفكر لطلب
الجواب لعله يؤديهم إلى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على أن المدعو إلى أمر لا ضرر فيه ينبغي أن يجيب إليه
احتياطا فكيف إذا كان فيه منافع لا تحصى وتقديم الإيمان بهما لأهميته في نفسه ولعدم الاعتداد بالإنفاق بدونه وأما تقديم إنفاقهم
رئاء الناس على عدم إيمانهم بهما مع كون المؤخر أقبح من المقدم فلرعاية المناسبة بين إنفاقهم ذلك وبين ما قبله من بخلهم وأمرهم
للناس به **وكان الله بهم** وبأحوالهم المحققة **عليما** فهو وعيد لهم بالعقاب وبأعمالهم المفروضة فهو بيان لإثابته تعالى إياهم لو كانوا آمنوا
وأنفقوا كما ينبئ عنه قوله تعالى **إن الله لا يظلم مثقال ذرة** المثقال مفعال من الثقل كالمقدار من القدر وانتصابه على أنه نعت للمفعول
قائم مقامه سواء كان الظلم بمعنى النقص أو بمعنى وضع الشيء في غير موضعه أي لا ينقص من الأجر ولا يزيد في العقاب شيئا مقدار ذرة
أو على أنه نعت للمصدر المحذوف نائب منابه أي لا يظلم ظلما مقدار ذرة وهي النملة الصغيرة أو كل جزء من أجزاء الهباء في الكوة
وهو الأنسب بمقام المبالغة فإن قلته في الثقل أظهر من قلة النملة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أدخل يده في التراب ثم نفخ فيه
فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة **وإن تك حسنة** أي وإن يك مثقال ذرة حسنة أنث لتأنيث الخبر أو لإضافته إلى الذرة وحذف
النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وتخفيفا لكثرة الاستعمال وقرئ حسنة بالرفع على أن كان تامة **يضاعفها** أي يضاعف ثوابها
جعل ذلك مضاعفة لنفس الحسنة تنبيها على كمال الاتصال بينهما كأنهما واحد وقرئ يضعفها وكلاهما بمعنى واحد وقرئ نضاعفها
بنون العظمة على طريقة الالتفات عن عثمان النهدي أنه قال لأبي هريرة رضي الله تعالى عنه بلغني عنك أنك تقول سمعت رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يقول إن الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة ألف ألف حسنة قال أبو هريرة لا بل سمعته صلى الله تعالى عليه وسلم يقول
يعطيه ألفي ألف حسنة ثم تلا هذه الآية الكريمة والمراد الكثرة لا التحديد **ويؤت من لدنه** ويعط صاحبها من عنده على نهج التفضل زائدا
على ما وعد في مقابلة العمل **أجرا عظيما** عطاء جزيلا وإنما سماه أجرا لكونه تابعا للأجر مزيدا عليه **فكيف** محله إما الرفع على أنه خبر لمبتدأ
محذوف وإما النصب بفعل محذوف على التشبيه بالحال كما هو رأي سيبويه أو على التشبيه بالظرف كما هو مذهب الأخفش أي فكيف حال
هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم أو كيف يصنعون **إذا جئنا** يوم القيامة **من كل أمة** من الأمم **بشهيد** يشهد عليهم بما كانوا عليه
من فساد العقائد وقبائح الأعمال وهو نبيهم كما في قوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم والعامل في الظرف مضمون المبتدأ
والخبر من هول الأمر وعظم الشأن أو الفعل المقدر ومن متعلقة بجئنا **وجئنا بك** يا محمد **على هؤلاء** إشارة إلى الشهداء المدلول عليهم بما ذكر

شهيدا اي تشهد على صدقهم لعلمك بعقائدهم لاستجماع شرعك لمجامع قواعدهم وقيل الى المكذبين المستفهم عن حالهم تشهد عليهم بالكفر والعصيان كما
تشهد الانبياء على اممهم وقيل الى المؤمنين كما في قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا **يومئذ يود الذين كفروا**
وعصوا الرسول استئناف لبيان حالهم التي اشير الى شدتها وفظاعتها بقوله تعالى فكيف فان اريد بهم المكذبون لرسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم فالتعبير عنهم بالموصول لاسيما بعد الاشارة اليهم بهؤلاء لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعلة ما اعتراهم من الحال الفظيعة والامر
الهائل وايراده عليه الصلوة والسلام بعنوان الرسالة لتشريفه وزيادة تقبيح حال مكذبيه فان حق الرسول ان يؤمن به ويطاع
لا ان يكفر به ويعصى وان اريد بهم جنس الكفرة فهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا والمراد بالرسول الجنس المنتظم للنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم انتظاما اوليا واياما كان ففيه من تهويل الامر وتفظيع الحال ما لا يقادر قدره وقوله تعالى وعصوا عطف على كفروا
داخل معه في الصلة والمراد معاصيهم المغايرة لكفرهم ففيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع في حق المؤاخذة وقيل
حال من ضمير كفروا وقيل صلة لموصول آخر اي يود في ذلك اليوم الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الرسول او الذين كفروا وقد عصوا الرسول
او الذين كفروا والذين عصوا الرسول ولو في قوله تعالى **لو تسوى بهم الارض** ان جعلت مصدرية فالجملة مفعول ليود اي يودون ان يدفنوا
فتسوى بهم الارض كالموتى وقيل يودون انهم لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانهم والارض سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها
وان جعلت جارية على بابها فالمفعول محذوف لدلالة الجملة عليه اي يودون تسوية الارض بهم وجواب لو ايضا محذوف ايذانا بغاية
ظهوره اي لسروا بذلك وقوله تعالى **ولا يكتمون الله حديثا** عطف على يود اي ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو
للحال اي يودون ان يدفنوا في الارض وهم لا يكتمون منه تعالى حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا
ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرئ تسوى على ان اصله تتسوى
فادغم التاء في السين وقرئ تسوى بحذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى **يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى**
حتى تعلموا ما تقولون لما نهوا فيما سلف عن الاشراك به تعالى نهوا ههنا عما يؤدي اليه من حيث لا يحتسبون فانه روي ان عبد الرحمن بن
عوف صنع طعاما وشرابا حين كانت الخمر مباحة فدعا نفرا من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء
وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت وتصدير الكلام بحرف النداء والتنبيه للمبالغة في حملهم على
العمل بموجب النهي وتوجيه النهي الى قربان الصلوة مع ان المراد هو النهي عن اقامتها للمبالغة في ذلك وقيل المراد النهي عن قربان المساجد لقوله
عليه السلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم ويأباه قوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون فالمعنى لا تقيموها في حالة السكر حتى تعلموا
قبل الشروع ما تقولونه اذ بتلك التجربة يظهر انهم يعلمون ما سيقرؤنه في الصلوة وحمل ما تقولون على ما في الصلوة يستدعي تقدم
الشروع فيها على غاية النهي وحمل العلم على ما بالقوة على معنى حتى تكونوا بحيث تعلمون ما تقرؤنه في الصلوة تطويل بلا طائل
لان تلك الحيثية انما تظهر بما ذكر من التجربة على ان ايثار ما تقولون على ما تقرؤن حينئذ يكون عاريا عن الداعي وقيل المراد بالسكر سكر
النعاس وغلبة النوم واياما كان فليس مرجع النهي هو المقيد مع بقاء القيد مرخصا بحاله بل انما هو القيد مع بقاء المقيد على حاله
ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا كانه قيل يا ايها الذين آمنوا لا تسكروا في اوقات الصلوة وقد روي انهم كانوا بعد ما
نزلت الآية الكريمة لا يشربون الخمر في اوقات الصلوة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون
ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى فانه في حيز النصب كانه قيل لا تقربوا الصلوة سكارى ولا جنبا والجنب من اصابته الجنابة يستوي
فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لجريانه مجرى المصدر **الا عابري سبيل** استثناء مفرغ من اعم الاحوال محله النصب على انه حال من ضمير لا تقربوا باعتبار
تقييده بالحال الثانية دون الاولى والعامل فيه فعل النهي اي لا تقربوا الصلوة جنبا في حال من الاحوال الا حال كونكم مسافرين على معنى
ان في حالة السفر ينتهي حكم النهي لكن لا بطريق شمول النفي لجميع صورها بل بطريق نفي الشمول فالجملة من غير دلالة على انتفاء خصوصية

البعض المنفي ولا على بقاء خصوصية البعض الباقي ولا على ثبوت نقيضه لا كليا ولا جزئيا فان الاستثناء لا يدل على ذلك عبارة نعم يشير
الى مخالفة حكم ما بعده لما قبله اشارة اجمالية يكتفى بها في المقامات الخطابية لا في اثبات الاحكام الشرعية فان ملاك الامر في ذلك
انما هو الدليل وقد ورد عقيبه على طريقة البيان وقيل هو صفة لجنبا على ان الا بمعنى غير اي لا جنبا غير عابري سبيل ومن حمل الصلوة على
مواضعها فسر العبور بالاجتياز بها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي رحمه الله تعالى وعندنا لا يجوز ذلك الا ان يكون الماء او
الطريق فيه وقيل ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم في المسجد وكانت تصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا الا في المسجد فرخص لهم ذلك
حتى تغتسلوا غاية للنهي عن قربان الصلوة حالة الجنابة ولعل تقديم الاستثناء عليه للايذان من اول الامر بان حكم النهي في هذه
الصورة ليس على الاطلاق كما في صورة السكر تشويقا الى البيان وروما لزيادة تقرره في الاذهان وفي الآية الكريمة اشارة الى
ان المصلي حقه ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه وان يزكي نفسه عما يدنسها ولا يكتفي بادنى مراتب التزكية عند امكان اعاليها **وان**
كنتم مرضى شروع في تفصيل ما اجمل في الاستثناء وبيان ما هو في حكم المستثنى من الاعذار والاقتصار فيما قبل على استثناء السفر مع مشاركة
الباقي له في حكم الترخيص للاشعار بانه العذر الغالب المبني على الضرورة التي عليها يدور امر الرخصة كانه قيل ولا جنبا الا مضطرين
واليه مرجع ما قيل من انه جعل عابري سبيل كناية عن مطلق المعذورين والمراد بالمرض ما يمنع من استعمال الماء مطلقا سواء كان ذلك لتعذر
الوصول اليه او لتعذر استعماله **او على سفر** عطف على مرضى اي او كنتم على سفر ما طال او قصر وايراده صريحا مع سبق ذكره بطريق الاستثناء
لبناء الحكم الشرعي عليه وبيان كيفيته فان الاستثناء كما اشير اليه بمعزل من الدلالة على ثبوته فضلا عن الدلالة على كيفيته وتقديم المرض
عليه للايذان باصالته واستقلاله باحكام لا توجد في غيره كالاشتداد باستعمال الماء ونحوه **او جاء احد منكم من الغائط** هو المكان الغائر
المطمئن والمجيء منه كناية عن الحدث لان المعتاد ان من يريده يذهب اليه ليواري شخصه عن اعين الناس واسناد المجيء منه الى واحد مبهم
من المخاطبين دونهم للتفادي عن التصريح بنسبتهم الى ما يستحيى منه او يستهجن التصريح به وكذلك ايثار الكناية فيما عطف عليه من قوله عز وجل
او لامستم النساء على التصريح بالجماع ونظمهما في سلك سببي سقوط الطهارة والمصير الى التيمم مع كونهما سببي وجوبها ليس باعتبار انفسهما
بل باعتبار قيدهما المستفاد من قوله تعالى **فلم تجدوا ماء** بل هو السبب في الحقيقة وانما ذكرا تمهيدا وتنبيها على انه سبب للرخصة بعد انعقاد
سبب الطهارة الصغرى والكبرى كانه قيل او لم تكونوا مرضى او مسافرين بل كنتم فاقدين للماء بسبب من الاسباب مع تحقق ما يوجب
استعماله وتخصيص ذكره بهذه الصورة مع انه معتبر في صورة المرض والسفر ايضا لندرة وقوعه فيهما واستغنائهما عن ذكره اما
لان الجنابة معتبرة فيهما قطعا فيعلم من حكمها حكم الحدث الاصغر بدلالة النص لان تقدير النظم لا تقربوا الصلوة في حال الجنابة الا
حال كونكم مسافرين فان كنتم كذلك او كنتم مرضى الخ واما لما قيل من ان عموم اعواز الماء في حق المسافر غالب والعجز عن استعمال الماء
القائم مقام عدمه في حق المريض مغن عن ذكره لفظا وما قيل من ان هذا القيد راجع الى الكل وان قيد وجوب التطهر المكني عنه بالمجيء
من الغائط والملامسة معتبر في الكل مما لا يساعده النظم الكريم **فتيمموا صعيدا طيبا** فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا قال الزجاج
الصعيد وجه الارض ترابا كان او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابي حنيفة
رحمه الله تعالى وعند الشافعي رحمه الله تعالى لا بد من ان يعلق باليد شيء من التراب **فامسحوا بوجوهكم وايديكم** اي الى المرفقين لما روي انه
صلى الله تعالى عليه وسلم تيمم ومسح يديه الى مرفقيه ولانه بدل من الوضوء فيتقدر بقدره **ان الله كان عفوا غفورا** تعليل للترخيص
والتيسير وتقرير لهما فان من عادته المستمرة ان يعفو عن الخاطئين ويغفر للمذنبين لا بد من ان يكون متيسرا لا متعسرا وقيل هو
كناية عنهما فان الترخيص والمسامحة من روادف العفو وتوابع الغفران **الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب** كلام مستأنف مسوق
لتعجيب المؤمنين من سوء حالهم والتحذير عن موالاتهم والخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية من المؤمنين وتوجيهه اليه ههنا مع توجيهه فيما
بعد الى الكل معا للايذان بكمال شهرة شناعة حالهم وانها بلغت من الظهور الى حيث يتعجب منها كل من يراها والرؤية بصرية اي الم تنظر اليهم فانهم

أحقاء بأن تشاهدهم وتتعجب من أحوالهم وتجويز كونها قلبية على أن إلى لتضمينها معنى الانتهاء كما فعلوه يأباه مقام تشهير شنائعهم ونظمها في
الأمور المشاهدة والمراد بهم أحبار اليهود روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنها نزلت في حبرين من أحبار اليهود كانا يأتيان رأس
المنافقين عبد الله بن أبي ورهطه يثبطانهم عن الإسلام وعنه رضي الله تعالى عنه أيضا أنها نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم
كانا إذا تكلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لويا لسانهما وعاباه والمراد بالكتاب هو التوراة وحمله على جنس الكتاب المنتظم لها
انتظاما أوليا تطويل للمسافة وبالذي أوتوه ما بين لهم فيها من الأحكام والعلوم التي من جملتها ما علموه من نعوت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وحقية الإسلام والتعبير عنه بالنصيب المنبئ عن كونه حقا من حقوقهم التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها للإيذان بكمال ركاكة آرائهم
حيث ضيعوه تضييعا وتنوينه تفخيمي مؤيد للتشنيع عليهم والتعجيب من حالهم فالتعبير عنهم بالموصول للتنبيه بما في حيز الصلة على كمال
شناعتهم وللإشعار بمكان ما طوي ذكره في المعاملة المحكية عنهم من الهدى الذي هو أحد العوضين وكلمة من متعلقة بأوتوا أو
بمحذوف وقع صفة لنصيبا مبينة لفخامته الإضافية إثر بيان فخامته الذاتية أي نصيبا كائنا من الكتاب وقوله عز وجل **يشترون**
الضلالة قيل هو حال مقدرة من واو أوتوا ولا ريب في أن اعتبار تقدير اشترائهم المذكور في الإيتاء مما لا يليق بالمقام وقيل حال من
الموصول أي ألم تنظر إليهم حال اشترائهم الخ وأنت خبير بأنه حال عن إفادة أن مادة التشنيع والتعجب هو الاشتراء المذكور وما عطف عليه
والذي يقتضيه جزالة النظم الكريم أنه استيناف مبين لمناط التشنيع ومدار التعجب المفهومين من صدر الكلام على وجه الإجمال والإبهام مبني على
سؤال نشأ منه كأنه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر إليهم فقيل يأخذون الضلالة ويتركون ما أوتوه من الهداية وإنما طوي ذكر المتروك لغاية
ظهور الأمر لا سيما بعد الإشعار المذكور والتعبير عن ذلك بالاشتراء الذي هو عبارة عن استبدال السلعة بالثمن أي أخذها بدلا منه
أخذا ناشئا عن الرغبة فيها والإعراض عنه للإيذان بكمال رغبتهم في الضلالة التي حقها أن يعرض عنها كل الإعراض وإعراضهم عن
التي يتنافس فيها المتنافسون وفيه من التسجيل على نهاية سخافة عقولهم وغاية ركاكة آرائهم ما لا يخفى حيث صورت حالهم بصورة ما لا يكاد
يتعاطاه أحد ممن له أدنى تمييز وليس المراد بالضلالة جنسها الحاصل لهم من قبل حتى يحمل على معنى الاشتراء المبني عن تأخرها عنه بل هو
الكامل وهو عنادهم وتماديهم في الكفر بعدما علموا بشأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتيقنوا حقية دينه وأنه هو النبي العربي المبشر به
في التوراة ولا ريب في أن هذه المرتبة لم تكن حاصلة لهم قبل ذلك وقد مر في أوائل سورة البقرة **ويريدون** عطف على يشترون شريك له
في بيان محل التشنيع والتعجيب وصيغة المضارع فيهما للدلالة على الاستمرار التجددي فإن تجدد حكم اشترائهم المذكور وتكرر العمل بموجبه في
قوة تجدده بنفسه وتكرره أي لا يكتفون بضلال أنفسهم بل يريدون بما فعلوا من كتمان نعوته صلى الله تعالى عليه وسلم **أن تضلوا** أنتم أيضا أيها
المؤمنون **السبيل** المستقيم الموصل إلى الحق **والله أعلم** أي منكم **بأعدائكم** جميعا ومن جملتهم هؤلاء وقد أخبركم بعداوتهم لكم وما يريدون بكم
لتكونوا على حذر منهم ومن مخالطتهم أو هو عليم بحالهم ومآل أمرهم والجملة معترضة لتقرير إرادتهم المذكورة **وكفى بالله وليا** في جميع أموركم ومصالحكم
وكفى بالله نصيرا في كل المواطن فثقوا به واكتفوا بولايته ونصرته ولا تتولوا غيره أو لا تبالوا بهم وبما يسومونكم من السوء فإنه تعالى يكفيكم
مكرهم وشرهم ففيه وعد ووعيد والباء مزيدة في فاعل كفى لتأكيد الاتصال الإسنادي بالاتصال الإضافي وتكرير الفعل في الجملتين مع إظهار
الجلالة في مقام الإضمار لا سيما في الثاني لتقوية استقلالهما المناسب للاعتراض وتأكيد كفايته عز وجل في كل من الولاية والنصرة والإشعار
بعليتهما فإن الألوهية من موجباتهما لا محالة **من الذين هادوا** قيل هو بيان لأعدائكم وما بينهما اعتراض وفيه أنه لا وجه لتخصيص علمه
سبحانه بطائفة من أعدائهم لا سيما في معرض الاعتراض الذي حقه العموم والإطلاق وانتظام ما هو المقصود في المقام انتظاما أوليا كما
أشير إليه وقيل هو صلة لنصيرا أي ينصركم من الذين هادوا كما في قوله تعالى فمن ينصرني من الله وفيه ما فيه من تحجير واسع نصرته عز وجل مع أنه لا داعي
إلى وضع الموصول موضع ضمير الأعداء لأن ما في حيز الصلة ليس بوصف ملائم للنصر وقيل هو خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى **يحرفون**
الكلم عن مواضعه صفة له أي من الذين هادوا قوم وفريق يحرفون الخ وفيه أنه يقتضي كون الفريق السابق بمعزل من التحريف الذي هو المصداق

لاشترائهم في الحقيقة فالذي يليق بشأن التنزيل الجليل أنه بيان للموصول الأول المتناول بحسب المفهوم لأهل الكتابين قد وسط بينهما ما وسط
لمزيد الاعتناء ببيان محل التشنيع والتعجيب والمسارعة إلى تنفير المؤمنين منهم وتحذيرهم عن مخالطتهم والاهتمام بحملهم على الثقة بالله عز وجل والاكتفاء
بولايته ونصرته وأن قوله تعالى يحرفون وما عطف عليه بيان لاشترائهم المذكور وتفصيل لفنون ضلالتهم وقد روعيت في النظم الكريم طريقة
التفسير بعد الإبهام والتفصيل إثر الإجمال روما للزيادة تقرير تقتضيه الحال والكلم اسم جنس واحده الكلمة ككلم وتمرة وتذكير ضميره باعتبار
إفراده لفظا وجمعية مواضعه باعتبار تعدده معنى وقرئ بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة وقرئ يحرفون الكلام والمراد به
ههنا إما ما في التوراة خاصة وإما ما هو أعم منه ومما يحكى عنهم من الكلمات المعهودة الصادرة عنهم في أثناء المحاورة مع رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ولا مساغ لإرادة تلك الكلمات خاصة بأن يجعل عطف قوله تعالى **ويقولون سمعنا وعصينا** الخ على ما قبله عطفا تفسيريا
لما ستقف على سره فإن أريد به الأول كما هو رأي الجمهور فتحريفه إزالته عن مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها من التوراة كتحريفهم في نعت النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم أسمر ربعة عن موضعه في التوراة بأن وضعوا مكانه آدم طوال وكتحريفهم الرجم بوضعهم بدله الحد أو صرفه عن المعنى الذي
أنزله الله تعالى فيه إلى ما لا صحة له بالتأويلات الزائغة الملائمة لشهواتهم الباطلة وإن أريد به الثاني فلا بد من أن يراد بمواضعه ما يليق به مطلقا
سواء كان ذلك بتعيينه تعالى صريحا كمواضع ما في التوراة أو بتعيين العقل والدين كمواضع غيره وأيا ما كان فقولهم سمعنا وعصينا ينبغي
أن يجري على إطلاقه من غير تقييد بزمان أو مكان ولا تخصيص بمادة دون مادة بل وأن يحمل على ما هو أعم من القول الحقيقي ومما يترجم عنه
عنادهم ومكابرتهم ليندرج فيه ما نطقت به ألسنة حالهم عند تحريف التوراة فإن من لا يتفوه بتلك العظيمة لا يكاد يتجاسر على مثل هذه الجناية
وإلا فحمله على ما قالوه في مجلس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من القبائح خاصة يستدعي اختصاص حكم الشرطية الآتية وما بعدها بهن من غير
تعرض لتحريفهم التوراة مع أنه معظم جناياتهم المعدودة ومن ههنا انكشف لك السر الموعود فتأمل أي يقولون في كل أمر مخالف لأهوائهم الفاسدة
سواء كان بمحضر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو لا بلسان المقال أو الحال سمعنا وعصينا عنادا أو تحقيقا للمخالفة وقوله تعالى **واسمع غير مسمع**
عطف على سمعنا وعصينا داخل تحت القول أي ويقولون ذلك في أثناء مخاطبته صلى الله تعالى عليه وسلم خاصة وهو كلام ذو وجهين محتمل
للشر بأن يحمل على معنى اسمع حال كونك غير مسمع كلاما أصلا بصمم أو موت أو مدعوا عليك بلا سمعت أو غير مسمع كلاما ترضاه فحينئذ يجوز أن
يكون نصبه على المفعولية وللخير بأن يحمل على اسمع منا غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم استهزاء به مظهرين له
عليه السلام إرادة المعنى الأخير وهم مضمرون في أنفسهم المعنى الأول مطمئنون به **وراعنا** عطف على اسمع غير مسمع أي ويقولون في أثناء خطابهم
له صلى الله تعالى عليه وسلم هذا أيضا يوردون كلا من العظائم الثلاث في مواقعها وهو أيضا كلمة ذات جهتين محتملة للخير بحملها على معنى
ارقبنا أي انتظرنا نكلمك وللشر بحملها على السب بالرعونة أي الحمق أو بإجرائها مجرى ما يشبهها من كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون
بها وهي راعينا كانوا يخاطبون عليه السلام بذلك ينوون الشتيمة والإهانة ويظهرون التوقير والاحترام ومصيرهم إلى مسلك النفاق
في القولين الأخيرين مع تصريحهم بالعصيان في الأول لما قالوا من أن جميع الكفرة كانوا يواجهون بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء
السوء وقيل كانوا يقولون الأول فيما بينهم وقيل يجوز أن لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به كأنهم نطقوا به **ليا بألسنتهم** أي فتلا
بها وصرفا للكلام عن نهجه إلى نسبة السب حيث وضعوا غير مسمع موضع لا أسمعت مكروها وأجروا راعنا المشابهة لراعينا مجرى انظرنا
أو فتلا بها وضما لما يظهرونه من الدعاء والتوقير إلى ما يضمرونه من السب والتحقير **وطعنا في الدين** أي قدحا فيه بالاستهزاء والسخرية و
انتصابهما على العلية ليقولون باعتبار تعلقه بالقولين الأخيرين أي يقولون ذلك لصرف الكلام عن وجهه إلى السب والطعن في الدين **ولو**
أنهم عندما سمعوا شيئا من أوامر الله تعالى ونواهيه **قالوا** بلسان المقال أو بلسان الحال مكان قولهم سمعنا وعصينا **سمعنا وأطعنا** إنما اعتبر
سمعنا مع أنه متحقق في كلامهم وإنما الحاجة إلى وضع أطعنا مكان عصينا للتنبيه على عدم اعتباره بل على اعتبار عدمه كيف لا وسماعهم
للرد ومرادهم بحكايته إعلام أن عصيانهم للأمر بعد سماعه والوقوف عليه فلا بد من إزالته وإقامة سماع القبول مقامه **واسمع** أي لو قالوا مع

عند مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم بدل قولهم اسمع غير مسمع **وانظرنا** اي لو قالوا ذلك بدل قولهم راعنا ولم يدسّوا تحت كلامهم شرًّا
اي لو ثبت انهم قالوا هذا مكان ما قالوا من الأقوال **لكان** قولهم ذلك **خيرًا لهم** مما قالوا **واقوم** اي اعدل واسدّ في نفسه وصيغة التفضيل اما على
بابها واعتبار اصل الفعل في المفضل عليه بناءً على اعتقادهم او بطريق التهكم واما بمعنى اسم الفاعل وانما قدم في البيان حاله بالنسبة اليهم
على حاله في نفسه لأن همهم مقصورة على ما ينفعهم **ولكن لعنهم الله بكفرهم** اي ولكن لم يقولوا ذلك واستمروا على كفرهم فخذلهم الله تعالى وابعدهم
عن الهدى بسبب كفرهم ذلك **فلا يؤمنون** بعد ذلك **الا قليلا** قيل اي الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الكتب والرسل والا زمانا قليلا وهو
زمان الاحتضار فانهم يؤمنون حين لا ينفعهم الايمان قال تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وكلاهما ليس بايمان قطعا وقد
جوّز ان يراد بالقلة العدم بالكلية على طريقة قوله تع لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اي ان كان الايمان المعدوم ايمانا فيهم يحدثون شيئا
من الايمان فهو في المعنى تعليقا بالمحال وانت خبير بأن الكل يأباه ما يعقبه من الأمر بالايمان بالقرآن الناطق بهذا الافضاح الى التكليف
بالايمان المتجزئ بجميع الكتب والرسل بتكليفهم بايمانهم بعدم ايمانهم ببعض الكتب والرسل وبعدم ايمانهم الى وقت الاحتضار فالوجه ان يحمل التقليل
على من يؤمن بعد ذلك كالحق لا يجعل المستثنى منه ضمير الفاعل في لا يؤمنون لاقتضائه وقوع ايمان من لعنه الله تعالى وخذله مع ما فيه من نسبة القرآن الى
الاتفاق على غير المختار بل بجعله ضمير المفعول في لعنهم اي ولكن لعنهم الله الا فريقا قليلا فانه تعالى لم يلعنهم فلم ينسد عليهم باب الايمان وقد آمن
بعد ذلك فريق من الأحبار كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما كما سيأتي **يا ايها الذين اوتوا الكتاب** تلوين للخطاب وتوجيه له اليهم بعد ما حكيت
احوالهم واقوالهم خاصة بطريق الالتفات ووصفهم تارة بايتاء الكتاب اي التورية واخرى بايتاء نصيب منها التوفية كل من المقامين حظه
فان المقصود فيما سبق بيان اخذهم الضلالة وازالتهم ما اوتوه بمقابلتها بالتحريف وليس ما ازالوه بذلك كلها حتى يوصفوا بايتائه بل هو
بعضها فوصفوا بايتائه واما ههنا فالمقصود تأكيد ايجاب الامتثال للأمر الذي يعقبه والتحذير عن مخالفته من حيث ان الايمان بالمصدق
موجب للايمان بما يصدقه والكفر بالثاني مقتض للكفر بالأول قطعا ولا ريب في ان المحذور عندهم انما هو لزوم الكفر بالتورية نفسها لا ببعضها
وذلك انما يتحقق بجعل القرآن مصدقا لكلها وان كان مناط التصديق بعضا منها ضرورة ان مصدق البعض مصدق للكل المتضمن له حتما واما
اليهم والى غيرهم قاطبة وهو لا يظهر وايا ما كان ففي تفصيل ما فصل لما كان من مظان اقلاع كل من الفريقين عما كانوا عليه من الضلالة عقب ذلك بالامر
بالمبادرة الى سلوك محجة الهداية مشفوعا بالوعيد الشديد على المخالفة فقيل **آمنوا بما نزلنا** من القرآن عبّر عنه بالموصول تشريفا له بما في حيز الصلة
وتحقيقا لكونه من عنده عز وجل **مصدقا لما معكم** من التورية عبر عنها بذلك للايذان بوقوفهم على حقيقة الحال فان المعية المستدعية لدوام
تلاوتها وتكرر المراجعة اليها من موجبات العثور على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكون القرآن مصدقا لها ومعنى تصديقه اياها نزوله
حسبما نعت لهم فيها او كونه موافقا لها في القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما
يتراءى من مخالفته لها في جزئيات الأحكام بسبب تفاوت الأمم والأعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي عين الموافقة من حيث ان كلا منها
حق بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة التي عليها يدور فلك التشريع حتى لو تأخر نزول المتقدم لنزل على وفق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر
لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي **من قبل ان نطمس وجوها** متعلق بالأمر مفيد للمسارعة الى الامتثال به
والجد في الانتهاء عن مخالفته بما فيه من الوعيد الشديد الوارد على ابلغ وجه واكده حيث لم يعلق وقوع المتوعد به بالمخالفة ولم يصرح بوقوعه عندها
تنبيها على ان ذلك امر محقق غني عن الاخبار به وانه على شرف الوقوع متوجه نحو المخاطبين وفي تنكير الوجوه المفيد للتكثير تهويل للخطب وفي
ابهامها لطف بالمخاطبين وحسن استدعاء لهم الى الايمان واصل الطمس محو الآثار وازالة الاعلام اي آمنوا من قبل ان نمحو تخطيط صورها
وننزل آثارها قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نجعلها كخف البعير او كحافر الدابة وقال قتادة والضحاك نعميها كقوله تع فطمسنا اعينهم
وقيل نجعلها منابت الشعر كوجوه القردة **فنردها على ادبارها** فنجعلها على هيئة ادبارها واقفائها مطموسة مثلها فالفاء للتسبيب او ننكسها
بعد الطمس فنردها الى موضع الاقفاء والاقفاء الى موضعها وقد اكتفى بذكر اشدهما فالفاء للتعقيب وقيل المراد بالوجوه الوجهاء على ان الطمس

بمعنى مطلق التغيير اي من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلب اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارا وادبارا او نردهم من حيث جاؤا منه وهي اذرعات الشام
فالمراد بذلك اجلاء بني النضير ولا يخفى انه لا يساعده مقام تشديد الوعيد وتعميم التهديد للجميع فالوجه ما سبق من الوجوه وقد اختلف في ان الوعيد هل كان
بوقوعه في الدنيا او في الآخرة فقيل كان بوقوعه في الدنيا ويؤيده ما روي ان عبد الله بن سلام لما قدم من الشام وقد سمع هذه الآية اتى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ان يأتي اهله فاسلم فقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يتحول وجهي الى قفائي وفي رواية جاء الى النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ويده على وجهه واسلم وقال ما قال وكذا ما روي ان عمر رضي الله تعالى عنه قرأ هذه الآية على كعب الاحبار فقال كعب يا رب
آمنت يا رب اسلمت مخافة ان يصيبه وعيدها ثم اختلفوا فقيل انه منتظر بعد ولا بد من طمس في اليهود ومسخ وهو قول المبرد وفيه ان انصراف العذاب
الموعود عن اوائلهم وهم الذين باشروا اسباب نزوله وموجبات حلوله حيث شاهدوا شواهد النبوة في رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكذبوها
وفي التورية فحرفوها واصروا على الكفر والضلالة وتعلق بهم خطاب المشافهة بالوعيد ثم نزوله على من وجد بعد ما مات من الشين من اعقابهم الضالين
باضلالهم العالمين بما مهدوا من قوانين الغواية بعيد من حكمة الله العزيز الحكيم وقيل ان وقوعه كان مشروطا بعدم الايمان وقد آمن من احبارهم
المذكوران واضرابهما فلم يقع وفيه ان اسلام بعضهم ان لم يكن سببا لتأكد نزول العذاب على الباقين لتشديدهم النكير والعناد بعد ازدياد الحق
وضوحا وقيام الحجة عليهم بشهادة اماثلهم العدول فلا اقل من ان لا يكون سببا لرفعه عنهم وقيل كان الوعيد بوقوع احد الامرين كما ينطق به قوله
تعالى **او نلعنهم** الضمير لاصحاب الوجوه **كما لعنا اصحاب السبت** فان لم يقع الامر الاول فلا نزاع في وقوع الثاني كيف لا وهم ملعونون بكل لسان في
كل زمان وتفسير اللعن بالمسخ ليس بمقرر البتة وانت خبير بأن المتبادر من اللعن المشبه بلعن اصحاب السبت هو المسخ وليس في عطفه على الطمس والرد على
الادبار شائبة دلالة على عدم ارادة المسخ ضرورة انه بغير مغاير لما عطف عليه على ان المتوعد به لا بد ان يكون امرا حادثا مترتبا على الوعيد محذورا
عندهم ليكون مزجرة عن مخالفة الامر ولم يعهد انه وقع عليهم لعن بهذا الوصف وانما الواقع عليهم ما تداولته الالسنة من اللعن المستمر الذي الفوه
وهو بمعزل من صلاحيته ان يكون حكما لهذا الوعيد او مزجرة للعنيد وقيل انما كان الوعيد بوقوع ما ذكر في الآخرة عند الحشر وسيقع فيها لا محالة
احد الامرين او كلاهما على سبيل التوزيع واما ما بدى عن عبد الله بن سلام وكعب رضي الله تعالى عنهما فمبني على الاحتياط اللائق بشأنهما والحق
ان النظم الكريم ليس بنص في احد الوجهين بل المتبادر منه بحسب المقام هو الاول لانه ادخل في الزجر وعليه مبنى ما روي عن الحبرين لكن لما لم يتضح وقوعه
علم ان المراد هو الثاني والله تعالى اعلم وايا ما كان فلعل السر في تخصيصهم بهذه العقوبة من بين العقوبات مراعاة المشاكلة بينها وبين ما
اوجبها من جناياتهم التي هي التحريف والتغيير والله هو العليم الخبير **وكان امر الله** اي ما امر به كائنا ما كان او امره بايقاع شيء ما من الاشياء
مفعولا نافذا كائنا لا محالة فيدخل فيه ما اوعدتم به دخولا اوليا فالجملة اعتراض تذييلي مقرر لما سبق ووضع الاسم الجليل موضع الضمير بطريق
الالتفات لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية ما في الاعتراض من الاستقلال **ان الله لا يغفر ان يشرك به** كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من الوعيد
وتأكيد وجوب الامتثال بالأمر بالايمان ببيان استحالة المغفرة بدونه فانهم كانوا يفعلون ما يفعلون من التحريف ويطمعون في المغفرة كما في قوله تع
فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى اي على التحريف ويقولون سيغفر لنا والمراد بالشرك مطلق الكفر المنتظم لكفر
اليهود انتظاما اوليا فان الشرع قد نص على اشراك اهل الكتاب قاطبة وقضى بخلود اصناف الكفرة في النار ونزوله في حق اليهود كما قال مقاتل
وهو الانسب بسياق النظم الكريم وسياقه لا يقتضي اختصاصه بكفرهم بل يكفي اندراجه فيه قطعا بل لا وجه له اصلا لاقتضائه جواز مغفرة ما دون
كفرهم في الشدة من انواع الكفر اي لا يغفر الكفر لمن اتصف به بلا توبة وايمان لأن الحكمة التشريعية مقتضية لسد باب الكفر وجواز مغفرته بلا ايمان مما
يؤدي الى فتحه ولأن ظلمات الكفر والمعاصي انما يسترها نور الايمان فمن لم يكن له ايمان لم يغفر له شيء من الكفر والمعاصي **ويغفر ما دون ذلك** عطف على خبر ان
وذلك اشارة الى الشرك وما فيه من معنى البعد مع قربه في الذكر للايذان ببعد درجته وكونه في اقصى مراتب القبح اي ويغفر ما دونه في القبح من المعاصي
صغيرة كانت او كبيرة تفضلا من لدنه واحسانا من غير توبة عنها لكن لا لكل احد بل **لمن يشاء** اي لمن يشاء ان يغفر له ممن اتصف به فقط لا بما فوقه
فان مغفرتهما لمن اتصف بهما سواء في استحالة الدخول تحت المشية المبنية على الحكمة التشريعية فان اختصاص مغفرة المعاصي بغير توبة بأهل

الايمان من متممات الترغيب فيه والزجر عن الكفر ومن علق المشية بكلا الفعلين وجعل الموصول الاول عبارة عمن لم يتب والثاني عمن تاب فقد ضل سبيل الصواب
كيف لا وان مساق النظم الكريم لاظهار كمال عظم جريمة الكفر وامتيازه عن سائر المعاصي ببيان استحالة مغفرته وجواز مغفرتها فلو كان الجواز على
تقدير التوبة لم يظهر بينهما فرق للاجماع على مغفرتهما بالتوبة ولم يحصل ما هو المقصود من الزجر البليغ عن الكفر والطغيان والحمل على التوبة والايمان ومن يشرك
بالله اظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لزيادة تقبيح الاشراك وتفظيع حال من يتصف به فقد افترى اثما عظيما اي افترى واختلق مرتكبا
اثما لا يتعاطى قدره ويستحقر دونه جميع الآثام فلا يتعلق به المغفرة قطعا الم تر الى الذين يزكون انفسهم تعجيب من حالهم المنافية لما هم عليه من الكفر
والطغيان والمراد بهم اليهود الذين يقولون نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤوا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على
هؤلاء ذنب قال عليه السلام لا فقالوا ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار اي انظر اليهم فتعجب من ادعائهم
انهم ازكياء عند الله تعالى مع ما هم عليه من الكفر والاثم العظيم او من ادعائهم التكفير مع استحالة ان يغفر للكافر شيء من كفره او معاصيه وفيه تحذير من
اعجاب المرء بنفسه وبعمله بل الله يزكي من يشاء عطف على مقدر ينساق اليه الكلام كأنه قيل هم لا يزكونها في الحقيقة لكذبهم وبطلان اعتقادهم بل الله
يزكي من يشاء تزكيته ممن يستأهلها من المرتضين من عباده المؤمنين اذ هو العليم الخبير بما ينطوي عليه البشر من المحاسن والمساوي وقد
وصفهم بما هم متصفون به من القبائح واصل التزكية نفي ما يستقبح بالفعل او بالقول ولا يظلمون عطف على جملة قد حذفت تعويلا على دلالة الحال عليها
وايذانا بانها غنية عن الذكر اي يعاقبون بتلك الفعلة القبيحة ولا يظلمون في ذلك العقاب فتيلا اي ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق
النواة يضرب به المثل في القلة والحقارة وقيل التقدير يثاب المزكون ولا ينقص من ثوابهم اصلا ولا يساعده مقام الوعيد انظر كيف يفترون على
الله الكذب كيف نصب اما على التشبيه بالظرف او بالحال على الخلاف المشهور بين سيبويه والاخفش والعامل يفترون وبه تتعلق على اي في اي حال او على
اي حال يفترون عليه تعالى الكذب والمراد بيان شناعة تلك الحال وكمال فظاعتها والجملة في محل النصب بعد نزع الخافض والنظر متعلق بها وهو تعجيب اثر
تعجيب وتنبيه على ان ما ارتكبوه متضمن لامرين عظيمين موجبين للتعجيب ادعاؤهم الاتصاف بما هم متصفون بنقيضه وافتراؤهم على الله سبحانه فان
ادعاءهم الزكاء عنده تعالى متضمن لادعائهم قبول الله تعالى وارتضاءه اياهم تعالى عن ذلك علوا كبيرا ولكون هذا اشنع من الاول جرما واعظم قبحا
لما فيه من نسبته سبحانه الى ما يستحيل عليه بالكلية من قبول الكفر وارتضائه لعباده ومغفرة كفر الكافر وسائر معاصيه وجه النظر الى كيفيته تشديدا
للتشنيع وتأكيدا للتعجيب والتصريح بالكذب مع ان الافتراء لا يكون الا كذبا للمبالغة في تقبيح حالهم وكفى به اي بافترائهم هذا من حيث هو افتراء
عليه تعالى مع قطع النظر عن مقارنته لتزكية انفسهم وسائر آثامهم العظام اثما مبينا ظاهرا بينا كونه اثما والمعنى كفى ذلك وحده في كونهم اشد
اثما من كل كفار اثيم او في استحقاقهم لاشد العقوبات لما مر سره وجعل الضمير لزعمهم مما لا مساغ له لاخلاله بتهويل امر الافتراء فتدبر الم تر الى
الذين اوتوا نصيبا من الكتاب تعجيب من حال اخرى لهم ووصفهم بما ذكر من ايتاء النصيب لما مر من منافاته لما صدر عنهم من القبائح وقوله عز
وجل يؤمنون بالجبت والطاغوت استيناف مبين لمادة التعجيب مبني على سؤال ينساق اليه الكلام كأنه قيل ماذا يفعلون حتى ينظر اليهم فقيل
يؤمنون الخ والجبت الاصنام وكل ما عبد من دون الله تعالى قيل اصله الجبس وهو الذي لا خير عنده فابدل السين تاء وقيل الجبت الساحر
بلغة الحبشة والطاغوت الشيطان قيل هو في الاصل كل ما يطغي الانسان روي ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة في سبعين راكبا
من اليهود ليحالفوا قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه عليه السلام فقالوا انتم اهل كتاب وانتم
اقرب الى محمد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا
ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى طريقا نحن ام محمد فقال ماذا يقول محمد
قال يأمر بعبادة الله تعالى وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا افعالهم
قال انتم اهدى سبيلا وذلك قوله تعالى ويقولون للذين كفروا اي لاجلهم وفي حقهم هؤلاء يعنونهم اهدى من الذين آمنوا سبيلا اي اقوم دينا
وارشد طريقة وايرادهم بعنوان الايمان ليس من قبل القائلين بل من جهة الله تعالى تشريفا لهم بالوصف الجميل وتخطئة لمن رجح عليهم المتصف

باقبح القبائح اولئك اشارة الى القائلين وما فيه من معنى البعد مع قربهم في الذكر للاشعار ببعد منزلتهم في الضلال وهو مبتدأ خبره قوله تعالى الذين
لعنهم الله اي ابعدهم عن رحمته وطردهم والجملة مستأنفة لبيان حالهم واظهار مصيرهم ومآلهم ومن يلعن الله اي يبعده عن رحمته فلن تجد له نصيرا
يدفع عنه العذاب دنيويا كان او اخرويا لا بشفاعة ولا بغيرها وفيه تنصيص على حرمانهم مما طلبوا من قريش وفي كلمة لن وتوجيه الخطاب الى كل احد يصلح للخطاب
وتوحيد النصير منكرا والتعبير عن عدمه بعدم الوجدان المنبئ عن سبق الطلب مسندا الى المخاطب العام من الدلالة على حرمانهم الابدي بالكلية ما لا يخفى ام لهم
نصيب من الملك شروع في تفصيل بعض آخر من قبائحهم وام منقطعة وما فيها من بل للاضراب والانتقال من ذمهم بتزكيتهم انفسهم وغيرها مما حكي
عنهم الى ذمهم بادعائهم نصيبا في الملك وبخلهم المفرط وشحهم البالغ والهمزة لانكار ان يكون لهم ما يدعونه وابطال ما زعموا ان الملك سيصير اليهم
وقوله تعالى فاذا لا يؤتون الناس نقيرا بيان لعدم استحقاقهم له بل لاستحقاقهم الحرمان منه بسبب انهم من البخل والدناءة بحيث لو اوتوا شيئا من
ذلك لما اعطوا الناس منه اقل قليل ومن حق من اوتي الملك ان يؤثر الغير بشيء منه فالفاء للسببية الجزائية لشرط محذوف اي ان جعل لهم نصيب منه
فاذا لا يؤتون الناس مقدار نقير وهو في ظهر النواة من النقرة يضرب به المثل في القلة والحقارة وهذا هو البيان الكاشف عن كنه حالهم
واذا كان شأنهم كذلك وهم ملوك فما ظنك بهم وهم اذلاء متفاقرون ويجوز ان يكون الهمزة لا لانكار الوقوع بل لانكار الواقع والتوبيخ عليه
اي لعدهم منكرا غير لائق بالوقوع على ان الفاء للعطف والانكار متوجه الى مجموع المعطوفين على معنى الهم نصيب وافر من الملك حيث كانوا اصحاب
اموال وبساتين وقصور مشيدة كالملوك فلا يؤتون الناس مع ذلك نقيرا كما تقول لغني لا يراعي اباه الك هذا القدر من المال فلا تنفق
على ابيك شيئا وفائدتها اذن تأكيد الانكار والتوبيخ حيث يجعلون ثبوت النصيب سببا للمنع مع كونه سببا للاعطاء وهي ملغاة عن العمل
كأنه قيل فلا يؤتون الناس اذن وقرئ فاذن لا يؤتوا بالنصب على اعمالها ام يحسدون الناس منقطعة ايضا مفيدة للانتقال عن توبيخهم
بما سبق الى توبيخهم بالحسد الذي هو شر الرذائل واقبحها لا سيما على ما هم بمعزل من استحقاقه واللام في الناس للعهد والاشارة الى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين وحمله على الجنس ايذانا بحيازتهم لكمالات البشرية قاطبة فكأنهم هم الناس لا غير لا يلائمه ذكر حديث آل
ابراهيم فان ذلك لتذكير ما بين الفريقين من العلاقة الموجبة لاشتراكهما في استحقاق الفضل والهمزة لانكار الواقع واستقباحه فانهم
كانوا يطمعون ان يكون النبي الموعود منهم فلما خص الله تعالى بتلك الكرامة غيرهم حسدوهم اي بل ايحسدونهم على ما آتاهم الله من فضله يعني النبوة
والكتاب وازدياد العز والنصر يوما فيوما وقوله تعالى فقد آتينا تعليل للانكار والاستقباح والزام لهم بما هو مسلم عندهم وحسم لمادة حسدهم
واستبعادهم المبنيين على توهم عدم استحقاق المحسود لما اوتي من الفضل ببيان استحقاقه له بطريق الوراثة كابرا عن كابر واجراء الكلام
على سنن الكبرياء بطريق الالتفات لاظهار كمال العناية بالامر والمعنى ان حسدهم المذكور في غاية القبح والبطلان فانا قد آتينا من قبل
هذا آل ابراهيم الذين هم اسلاف محمد عليه السلام وابناء اعمامه الكتاب والحكمة اي النبوة وآتيناهم مع ذلك ملكا عظيما لا يقادر قدره
فكيف يستبعدون نبوته عليه السلام ويحسدونه على ايتائها وتكرير الايتاء لما يقتضيه مقام التفصيل مع الاشعار بما بين النبوة والملك من المغايرة
فان اريد به الايتاء بالذات فالمراد بآل ابراهيم انبياء ذريته عليهم السلام خاصة والضمير المنصوب في الفعل الثاني لبعضهم اما بحذف المضاف او
بطريق الاستخدام لان الملك لم يؤت كلهم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الملك في آل ابراهيم ملك يوسف وداود وسليمان عليهم السلام وان
اريد به ما يعمه وغيره من الايتاء بالواسطة وهو اللائق بالمقام والاوفق لما قبله من نسبة ايتاء الفضل الى الناس فالمراد بآل ابراهيم كلهم فان
تشريف البعض بما ذكر من ايتاء النبوة والملك تشريف للكل لاغتنامهم بآثاره واقتباسهم من انواره وفي تفصيل ما اوتوه وتكرير الفعل ووصف
الملك بالعظم وتنكيره التفخيمي من تأكيد الالزام وتشديد الانكار ما لا يخفى هذا هو المتبادر من النظم الكريم واليه جنح جمهور ائمة التفسير
لكن الظاهر ح ان يكون قوله تعالى فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه حكاية لما صدر عن اسلافهم عقيب وقوع المحكي من غير ان يكون له دخل في
الالزام الذي سيق له الكلام اي فمن جنس هؤلاء الحاسدين وآبائهم من آمن بما اوتي آل ابراهيم ومنهم من اعرض عنه واما جعل الضمير لما ذكر من
حديث آل ابراهيم فيستدعي تراخي الآية الكريمة عما قبلها نزولا كيف لا وحكاية ايمانهم بالحديث المذكور واعراضهم عنه بصيغة الماضي انما تتصور

بعد وقوعه لا يمانع والاعراض المتأخرين عن سماع الحديث المأثور عن نزوله وكذا جعلها لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ الظاهر بيان حالهم بعد نزول الآية
وحمله على حكاية حالهم السابقة لا يساعده الفاء المرتبة لما بعدها على ما قبلها ولا يبعد كل البعد ان تكون الهمزة لتقرير حسدهم وتوبيخهم بذلك
ويكون قوله تعالى فقد آتينا الآية تعليلا له بدلالته على اعراضهم عما اوتي آل ابراهيم وان لم يذكر كونه بطريق الحسد كانه قيل بل يحسدون
الناس على ما آتاهم الله من فضله ولا يؤمنون به وذلك ديدنهم المستمر فانا قد آتينا آل ابراهيم ما آتيناهم فمنهم اي من جنسهم من آمن بما آتيناهم ومنهم
من اعرض عنه ولم يؤمن به والله سبحانه اعلم وفيه تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم **وكفى بجهنم سعيرا** نارا مسعرة يعذبون بها والجملة
تذييل لما قبلها **ان الذين كفروا بآياتنا** ان اريد بهم الذين كفروا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فالمراد بالآيات اما القرآن او ما يعم كله وبعضه
او ما يعم سائر معجزاته ايضا وان اريد بهم الجنس المتناول لهم تناولا اوليا فالمراد بالآيات ما يعم المذكورات وسائر الشواهد التي اوتيها الانبياء
عليهم الصلوة والسلام **سوف نصليهم نارا** قال سيبويه سوف كلمة تذكر للتهديد والوعيد وينوب عنها السين وقد تذكران في الوعد فيفيدان
التأكيد اي ندخلهم نارا عظيمة هائلة **كلما نضجت جلودهم** اي احترقت وكلما ظرف زمان والعامل فيه **بدلناهم جلودا غيرها** من قبيل بدله بخوفه
امنا من قبيل يبدل الله سيئاتهم حسنات اي اعطيناهم مكان كل جلد محترق عند احتراقه جلدا جديدا مغايرا للمحترق صورة وان كان
عينه مادة بان يزال عنه الاحتراق ليعود احساسه للعذاب والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير نصليهم وقد جوز كونها صفة
لنارا على حذف العائد اي كلما نضجت فيها جلودهم فمعنى قوله تعالى **ليذوقوا العذاب** ليدوم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله وقيل
يخلق مكانه جلد آخر والعذاب للنفس العاصية لا لآلة ادراكها قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يبدلون جلودا بيضا كامثال القراطيس
وروي ان هذه الآية قرئت عند عمر رضي الله تعالى عنه فقال للقارئ اعدها فاعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي
تفسيرها يبدل في ساعة مائة مرة فقال عمر رضي الله تعالى عنه هكذا سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الحسن تأكلهم النار كل
يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان بين منكبي الكافر
مسيرة ثلثة ايام للراكب المسرع وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ضرس الكافر او ناب الكافر
مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلثة ايام والتعبير عن ادراك العذاب بالذوق ليس لبيان قلته بل لبيان ان احساسهم بالعذاب في كل مرة
كاحساس الذائق بالمذوق من حيث انه لا يدخله نقصان بدوام الملابسة او للاشعار بمرارة العذاب مع ايلامه او للتنبيه على شدة تأثيره
من حيث ان القوة الذائقة اشد الحواس تأثرا وعلى سرايته للباطن ولعل السر في تبديل الجلود مع قدرته تعالى على ابقاء ادراك العذاب
وذوقه بحاله مع الاحتراق ومع ابقاء ابدانهم على حالها مصونة عن الاحتراق ان النفس ربما تتوهم زوال الادراك بالاحتراق ولا تستبعد
كل الاستبعاد ان تكون مصونة عن التألم والعذاب صيانة بدنها عن الاحتراق **ان الله كان عزيزا** لا يمتنع عليه ما يريده ولا يمانعه احد **حكيما**
يعاقب من يعاقبه على وفق حكمته والجملة تعليل لما قبلها من الاصلاء والتبديل واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتهويل الامر وتربية المهابة
وتعليل الحكم فان عنوان الالوهية مناط لجميع صفات كماله تعالى **والذين آمنوا وعملوا الصالحات** عقب بيان سوء حال الكفرة ببيان حسن
حال المؤمنين تكميلا للمساءة الاولين ومسرة الآخرين اي الذين آمنوا بآياتنا وعملوا بمقتضاها وهو مبتدأ خبره قوله تعالى **سندخلهم جنات**
تجري من تحتها الانهار وقرئ سيدخلهم بالياء ردا على الاسم الجليل وفي السين تأكيد للوعد **خالدين فيها ابدا** حال مقدرة من الضمير المنصوب
في سندخلهم وقوله عز وعلا **لهم فيها ازواج مطهرة** اي مما في نساء الدنيا من الاحوال المستقذرة البدنية والادناس الطبيعية في محل النصب
على انه حال من جنات او حال ثانية من الضمير المنصوب او على انه صفة لجنات بعد صفة او في محل الرفع على انه خبر للموصول بعد خبر وندخلهم
ظلا ظليلا اي فينانا لا جوب فيه دائما لا تنسخه الشمس اللهم ارزقنا ذلك بفضلك وكرمك يا ارحم الراحمين والظليل صفة مشتقة من لفظ
الظل لتأكيد كما في ليل اليل ويوم ايوم وقرئ يدخلهم بالياء وهو عطف على سيدخلهم لا على انه غير الادخال الاول بالذات بل بالعنوان
كما في قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ **ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى**

الى اهلها في تصدير الكلام بكلمة التحقيق واظهار الاسم الجليل وايراد الامر على صورة الاخبار من الفخامة وتأكيد وجوب الامتثال به والدلالة على
الاعتناء بشأنه ما لا مزيد عليه وهو خطاب يعم حكمه المكلفين قاطبة كما ان الامانات تعم جميع الحقوق المتعلقة بذممهم من حقوق الله تعالى
وحقوق العباد سواء كانت فعلية او قولية او اعتقادية وان ورد في شأن عثمان بن طلحة بن عبد الدار سادن الكعبة وصعد السطح وابى
ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه يده واخذه منه وفتح ودخل النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا ان يرده
الى عثمان ويعتذر اليه فقال عثمان لعلي رضي الله تعالى عنهما اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله تعالى في شأنك قرآنا
فقرأ عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فهبط جبرئيل عليه السلام واخبر رسول الله ان السدانة
في اولاد عثمان ابدا وقرئ الامانة على التوحيد والمراد الجنس لا المعهود وقيل هو امر للولاة باداء الحقوق المتعلقة بذممهم من المناصب
وغيرها الى مستحقيها كما ان قوله تعالى **واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل** امر لهم بايصال الحقوق المتعلقة بذمم الغير الى اصحابها وحيث
كان المأمور به هيهنا مختصا بوقت المرافعة قيد به بخلاف المأمور به اولا فانه لما لم يتعلق بوقت دون وقت اطلق اطلاقا فقوله تعالى
ان تحكموا عطف على ان تؤدوا وقد فصل بين العاطف والمعطوف بالظرف المعمول له عند الكوفيين والمقدر يدل هو عليه عند البصريين لان ما
بعد ان لا يعمل فيما قبلها عندهم اي وان تحكموا اذا حكمتم الخ وقوله تعالى بالعدل متعلق بتحكموا او بمقدر وقع حالا من فاعله اي متلبسين بالعدل
والانصاف **ان الله نعما يعظكم به** ما اما منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به
والمخصوص بالمدح محذوف اي نعما يعظكم به ذلك وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل في الحكومات وقرئ نعما بفتح النون والجملة مستأنفة مقررة
لما قبلها متضمنة لمزيد لطف بالمخاطبين وحسن استدعاء لهم الى الامتثال بالامر واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة **ان الله كان سميعا** بالاقوال
بصيرا بافعالكم فهو وعد ووعيد واظهار الجلالة لما ذكر انفا فان فيه تأكيدا لكل من الوعد والوعيد **يا ايها الذين آمنوا** بعد ما امر الولاة بطريق
العموم او بطريق الخصوص باداء الامانات والعدل في الحكومات امر سائر الناس بطاعتهم لكن لا مطلقا بل في ضمن طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله
صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قيل **اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم** وهم امراء الحق وولاة العدل كالخلفاء الراشدين ومن يقتدي بهم
من المهتدين واما امراء الجور فبمعزل من استحقاق العطف على الله تعالى والرسول عليه السلام في وجوب الطاعة لهم وقيل هم علماء الشرع لقوله تعالى
ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ويأباه قوله تعالى **فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله** اذ ليس للمقلد ان
ينازع المجتهد في حكمه الا ان يجعل الخطاب لاولي الامر بطريق الالتفات وفيه بعد وتصدير الشرطية بالفاء لترتيبها على ما قبلها فان بيان حكم طاعة
اولي الامر عند موافقتها لطاعة الله وطاعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يستدعي بيان حكمها عند المخالفة اي ان اختلفتم انتم واولو الامر منكم
في امر من امور الدين فراجعوا فيه الى كتاب الله تعالى **والرسول** اي الى سنته وقد استدل به منكرو القياس وهو في الحقيقة دليل على حجيته كيف لا
ورد المختلف فيه الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو المعني بالقياس ويؤيده الامر به بعد الامر بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله
صلى الله تعالى عليه وسلم فانه يدل على ان الاحكام ثلثة ثابت بالكتاب وثابت بالسنة وثابت بالرد اليهما بالقياس **ان كنتم تؤمنون بالله**
واليوم الآخر متعلق بالامر الاخير الوارد في محل النزاع اذ هو المحتاج الى التحذير من المخالفة وجواب الشرط محذوف عند جمهور البصريين ثقة
بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فردوه الخ فان الايمان بهما يوجب ذلك اما الايمان بالله تعالى فظاهر واما
باليوم الآخر فلما فيه من العقاب على المخالفة **ذلك** اي الرد المأمور به **خير** لكم واصلح **واحسن** في نفسه **تأويلا** اي عاقبة ومآلا وتقديم خيريته لهم على
احسنيته في نفسه لما مر من تعلق انظارهم بما ينفعهم والمراد بيان اتصافه في نفسه بالخيرية الكاملة والحسن الكامل في حد ذاته من غير اعتبار
فضله على شيء يشاركه في اصل الخيرية والحسن كما ينبئ عنه التحذير السابق **الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل**
من قبلك تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجيبا له من حال الذين يخالفون ما مر من الامر المحتوم ولا يطيعون الله ورسوله

ووصفهم بادعاء الايمان بالقرآن وبما انزل من قبله اعني التورية لتأكيد التعجب وتشديد التوبيخ والاستقباح ببيان كمال المباينة بين دعواهم وبين ما صدر عنهم وقرئ
الفعلان على البناء للفاعل وقوله عز وجل **يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت** استئناف سيق لبيان محل التعجب مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل
ماذا يفعلون فقيل يريدون الخ روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقضى لليهودي فلم يرض به المنافق فدعاه الى عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه فقال اليهودي قضى لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يرض بقضائه فقال عمر رضي الله تعالى عنه للمنافق اهكذا قال نعم فقال عمر مكانكما
حتى اخرج اليكما فدخل فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله تعالى ورسوله فنزلت فهبط
جبريل عليه السلام وقال ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انت الفاروق فالطاغوت كعب بن الاشرف سمي به لافراطه
في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه او جعل اختيار التحاكم الى غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان وقال الضحاك المراد بالطاغوت كهنة اليهود وسحرتهم وعن الشعبي ان المنافق دعا خصمه الى كاهن في جهينة
فتحاكما اليه وعن السدي ان الحادثة وقعت في قتيل بين بني قريظة والنضير فتحاكم المسلمون من الفريقين الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وابى المنافقون
منهما الا التحاكم الى ابي بردة الكاهن الاسلمي فتحاكموا اليه فيكون الاقتصار ح في معرض التعجب والاستقباح على ذكر ارادة التحاكم دون نفسه مع وقوعه
ايضا للتنبيه على ارادته مما يقضي منه العجب ولا ينبغي ان يدخل تحت الوقوع فما ظنك بنفسه وهذا انسب بوصف المنافقين بادعاء الايمان بالتورية فانه
كما يقتضي كونهم من منافقي اليهود يقتضي كون ما صدر عنهم من التحاكم ظاهر المنافاة لادعاء الايمان بالتورية وليس التحاكم الى كعب بن الاشرف بهذه المثابة
من الظهور وايضا فالمتبادر من قوله تع **وقد امروا ان يكفروا به** كونهم مأمورين بكفره في الكتابين وما ذاك الا الشيطان واولياؤه
المشهورون بولايته كالكهنة ونظائرهم لا من عداهم ممن لم يشتهر بذلك وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كما في قوله تع اولياؤهم الطاغوت
يخرجونهم والجملة حال من ضمير يريدون مفيدة لتأكيد التعجب وتشديد الاستقباح كالوصف السابق وقوله عز وجل **ويريد الشيطان ان**
يضلهم ضلالا بعيدا عطف على يريدون داخل في حكم التعجب فان اتباعهم لمن يريد اضلالهم واعراضهم عمن يريد هدايتهم اعجب من كل عجيب وضلالا
اما مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف الزوائد كما في قوله تعالى فانبتها الله نباتا حسنا اي اضلالا بعيدا واما مصدر مؤكد لفعله المدلول عليه بالمذكور
اي فيضلون ضلالا واياما كان فوصفه بالبعد الذي هو نعت موصوفه للمبالغة وقوله تع **واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول**
تكملة لمادة التعجب ببيان اعراضهم صريحا عن التحاكم الى كتاب الله تعالى ورسوله اثر بيان اعراضهم عن ذلك في ضمن التحاكم الى الطاغوت وقرئ
تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل تخفيفا كما في قولهم ما باليت بالة اصلها بالية كعافية وكما قالوا في آية ان اصلها آيية فحذف
اللام ووقعت واو الجمع بعد اللام في تعالى فضمت فصار تعالوا ومنه قول اهل مكة للمرأة تعالي بكسر اللام وعليه قول ابي فراس الحمداني
ايا جارتي ما انصف الدهر بيننا تعالي اقاسمك الهموم تعالي **رايت المنافقين** اظهار المنافقين في مقام الاضمار للتسجيل عليهم بالنفاق وذمهم
به والاشعار بعلة الحكم والرؤية بصرية وقوله تع **يصدون عنك** حال من المنافقين وقيل الرؤية قلبية والجملة مفعول ثان لها والاول
انسب لظهور حالهم وقوله تع **صدودا** مصدر مؤكد لفعله اي يعرضون عنك اعراضا واي اعراض وقيل هو اسم للمصدر الذي هو الصد والاظهر
انه مصدر لصد اللازم والصد مصدر للمتعدي يقال صد عنه صدودا اي اعرض عنه وصده عنه اي منعه منه وقوله تع **فكيف** شروع في بيان
غائلة جناياتهم المحكية ووخامة عاقبتها اي كيف يكون حالهم **اذا اصابتهم مصيبة** اي وقت اصابة المصيبة اياهم بافتضاحهم بظهور نفاقهم
بما قدمت ايديهم بسبب ما عملوا من الجنايات التي من جملتها التحاكم الى الطاغوت والاعراض عن حكمك **ثم جاؤك** للاعتذار عما صنعوا من القبائح
وهو عطف على اصابتهم والمراد تفظيع حالهم وتهويل ما دهمهم من الخطب واعتراهم من شدة الامر عند اصابة المصيبة وعند المجيء للاعتذار **يحلفون**
بالله حال من فاعل جاؤك **ان اردنا الا احسانا وتوفيقا** اي ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك الا الفصل بالوجه الحسن والتوفيق بين الخصمين ولم
نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك فلا تؤاخذنا بما فعلنا وهذا وعيد لهم على ما فعلوا وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار

وقيل جاء اولياء المقتول يطلبون بدمه وقد اهدره الله تعالى فقالوا ما اردنا اي ما اراد صاحبنا المقتول بالتحاكم الى عمر رضي الله تعالى عنه الا ان
يحسن اليه ويوفق بينه وبين خصمه **اولئك** اشارة الى المنافقين وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر والنفاق وهو مبتدأ خبره
الذين يعلم الله ما في قلوبهم اي من فنون الشرور والفسادات المنافية لما اظهروا لك من الاكاذيب **فاعرض عنهم** جواب شرط محذوف اي
اذا كان حالهم كذلك فاعرض عن قبول معذرتهم وقيل عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم ولا تظهر لهم علمك بما في بواطنهم ولا تهتك سترهم حتى
يبقوا على وجل وحذر **وعظهم** اي ازجرهم عن النفاق والكيد **وقل لهم في انفسهم** في حق انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على الشرور التي يعلمها
الله تعالى او في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا بالنصيحة لانها في السر انجع **قولا بليغا** مؤثرا واصلا الى كنه المراد مطابقا لما سيق له
من المقصود فالظرف على التقدير متعلق بالامر وقيل متعلق ببليغا على رأي من يجيز تقديم معمول الصفة على الموصوف اي قل لهم قولا بليغا
في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستئصال والايذان بان ما في
قلوبهم من مكنونات الشر والنفاق غير خاف على الله تعالى وان ذلك مستوجب لاشد العقوبات وانما هذه المكافة والتأخير لاظهارهم الايمان
والطاعة واضمارهم الكفر ولئن اظهروا الشقاق وبرزوا باشخاصهم من نفق النفاق ليمسنهم العذاب ان الله شديد العقاب **وما ارسلنا من**
رسول الا ليطاع باذن الله كلام مبتدأ جيء به تمهيدا لبيان خطائهم في الاشتغال بستر جناياتهم بالاعتذار بالاباطيل وعدم تلافيها بالتوبة
اي وما ارسلنا رسولا من الرسل لشيء من الاشياء الا ليطاع بسبب اذنه تعالى في طاعته وامره المرسل اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه
مؤد عنه تعالى فطاعته طاعة الله تعالى ومعصيته معصية الله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله او بتيسير الله تعالى وتوفيقه في طاعته **ولو**
انهم اذ ظلموا انفسهم وعرضوها للعذاب على عذاب النفاق بترك طاعتك والتحاكم الى غيرك **جاؤك** من غير تأخير كما يفصح عنه تقديم الظرف
متوسلين بك في التنصل عن جناياتهم القديمة والحادثة ولم يزدادوا جناية بالقصد الى سترها بالاعتذار الباطل والايمان الفاجرة **فاستغفروا**
الله بالتوبة والاخلاص وبالغوا في التضرع اليك حتى انتصبت شفيعا لهم الى الله تعالى واستغفرت لهم وانما قيل **واستغفر لهم الرسول** على طريقة الالتفات
تفخيما لشأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعته في حيز القبول **لوجدوا الله توابا رحيما** لعلموه مبالغا
في قبول توبتهم والتفضل عليهم بالرحمة وان فسر الوجدان بالمصادفة كان قوله تعالى توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه واياما كان ففيه
فضل ترغيب للسامعين في المسارعة الى التوبة والاستغفار ومزيد تنديم لاولئك المنافقين على ما صنعوا فان ظهور تباشير قبول التوبة
وحصول الرحمة لهم ومشاهدتهم لآثارهما نعمة زائدة عليهما موجبة لكمال الرغبة في تحصيلها وتمام الحسرة على فواتها **فلا وربك** اي فوربك ولا
مزيدة لتأكيد معنى القسم لا لتأكيد النفي في جوابه اعني قوله تع **لا يؤمنون** لانها تزاد في الاثبات ايضا كما في قوله تع فلا اقسم بمواقع النجوم ونظائره
حتى يحكموك اي يتحاكموا اليك ويرفعوا اليك وانما جيء بصيغة التحكيم مع انه عليه السلام حاكم بامر الله سبحانه ايذانا بان حقهم ان يجعلوه
عليه السلام حكما فيما بينهم ويرضوا بحكمه وان قطع النظر عن كونه حاكما على الاطلاق **فيما شجر بينهم** اي فيما اختلف بينهم من الامور واختلط
ومنه الشجر لتداخل اغصانه **ثم لا يجدوا** عطف على مقدر ينساق اليه الكلام اي فتقضي بينهم ثم لا يجدوا **في انفسهم حرجا** ضيقا **مما قضيت**
اي حكمك او مما قضيت به او من قضائك وقيل شكا من اجله اذ الشاك في ضيق من امره **ويسلموا** اي ينقادوا لامرك ويذعنوا له **تسليما** تأكيد للفعل
بمنزلة تكريره اي تسليما تاما بظاهرهم وباطنهم يقال سلم لامر الله واسلم له بمعنى وحقيقته سلم نفسه له واسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة اي
ينقادوا لحكمك انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شأن المنافق واليهودي وقيل في شأن الزبير ورجل من الانصار حين
اختصما الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك
فغضب الانصاري وقال لان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدار
واستوف حقك ثم ارسله الى جارك كان قد اشار على الزبير برأي فيه سعة له ولخصمه فلما احفظ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم استوعب

للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن القضاء فقال الانصاري قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله
هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حيوة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا
انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد
ان اقتل نفسي لقتلتها وروي انه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والذي نفسي بيده ان من امتي
رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي فنزل في شان هؤلاء **ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم** اي
لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتل انفسهم او خروجهم من ديارهم حين استتابتهم من عبادة العجل وان مصدرية او مفسرة لان
كتبنا في معنى امرنا **ما فعلوه** اي المكتوب المدلول عليه بكتبنا او احد مصدري الفعلين **الا قليل منهم** اي الا ناس قليل منهم وهم المخلصون من
المؤمنين وروي عن عمر رضي الله تعالى عنه انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك وقيل معنى اقتلوا انفسكم تعرضوا بها
للقتل بالجهاد وهو بعيد وقرئ الا قليلا بالنصب على الاستثناء او الا فعلا قليلا **ولو انهم فعلوا ما يوعظون به** من متابعة الرسول عليه السلام
وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به ظاهرا وباطنا وسميت اوامر الله تعالى ونواهيه مواعظ لاقترانها بالوعد والوعيد **لكان** اي فعلهم ذلك **خيرا
لهم** عاجلا وآجلا **واشد تثبيتا** لهم على الايمان وابعد من الاضطراب فيه او اشد تثبيتا لثواب اعمالهم **واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما**
جواب سؤال مقدر كانه قيل وما ذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل واذن لو ثبتوا لآتيناهم فان اذن جواب وجزاء **ولهديناهم صراطا مستقيما**
يصلون بسلوكه الى عالم القدس وتفتح لهم ابواب الغيب قال صلى الله تعالى عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم **ومن يطع الله والرسول**
كلام مستانف فيه فضل ترغيب في الطاعة ومزيد تشويق اليها ببيان ان نتيجتها اقصى ما ينتهي اليه همم الامم وارفع ما تمتد اليه اعناق عزائمهم
من مجاورة اعظم الخلائق مقدارا وارفعهم منارا متضمن لتفسير ما ابهم في جواب الشرطية السابقة وتفصيل ما اجمل فيه والمراد بالطاعة هو
الانقياد التام والامتثال الكامل لجميع الاوامر والنواهي **فاولئك** اشارة الى المطيعين والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في فعل الشرط
باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع القرب في الذكر للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف وهو مبتدا خبره **مع الذين انعم الله
عليهم** والجملة جواب للشرط وترك ذكر المنعم به للاشعار بقصور العبارة عن تفصيله وبيانه **من النبيين** بيان للمنعم عليهم والتعرض لمعية سائر
الانبياء عليهم الصلوة والسلام مع ان الكلام في بيان حكم طاعة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لجريان ذكرهم في سبب النزول مع ما فيه من
الاشارة الى ان طاعته عليه السلام متضمنة لطاعتهم لاشتمال شريعته على شرايعهم التي لا تتغير بتغير الاعصار روي ان نفرا من اصحاب رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا يا نبي الله ان صرنا الى الجنة تفضلنا بدرجات النبوة فلا نراك وقال الشعبي جاء رجل من الانصار الى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يبكي فقال ما يبكيك يا فلان فقال يا رسول الله بالله الذي لا اله الا هو لانت احب الي من نفسي واهلي ومالي
وولدي واني لاذكرك وانا في اهلي فياخذني مثل الجنون حتى اراك وذكرت موتي وانك ترفع مع النبيين واني ان ادخلت
الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك فلم يرد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت وروي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
كان شديد الحب له عليه السلام قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فساله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك فذكرت الآخرة فخفت ان لا
اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا
فنزلت فقال صلى الله تعالى عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين
وحكى ذلك عن جماعة من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وروي ان اناسا قال يا رسول الله الرجل يحب قوما ولما يلحق بهم قال
صلى الله تعالى عليه وسلم المرء مع من احب **والصديقين** اي المتقدمين في تصديقهم المبالغين في الصدق والاخلاص في الاقوال والافعال وهم
افاضل اصحاب الانبياء عليهم السلام واماثل خواصهم المقربين كابي بكر الصديق **والشهداء** الذين بذلوا ارواحهم في طاعة الله تعالى واعلاء كلمته **والصالحين**

الصارفين اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته وليس المراد بالمعية الاتحاد في الدرجة ولا مطلق الاشتراك في دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث يتمكن
كل واحد منهم من رؤية الآخر وزيارته متى اراد وان بعد ما بينهما من المسافة **وحسن اولئك رفيقا** الرفيق الصاحب ماخوذ من الرفق وهو لين الجانب
واللطافة في المعاشرة قولا وفعلا فان جعل اولئك اشارة الى النبيين ومن بعدهم على ان ما فيه من معنى البعد لما مر مرارا فرفيقا اما تمييز او حال على
معنى انهم وصفوا بالحسن من جهة كونهم رفقاء للمطيعين او حال كونهم رفقاء لهم وافراده لما انه كالصديق والخليط والرسول يستوي فيه الواحد والمتعدد
او لانه اريد حسن كل واحد منهم رفيقا وان جعل اشارة الى المطيعين فهو تمييز على معنى انهم وصفوا بحسن الرفيق من النبيين ومن بعدهم لا بنفس الحسن فلا يجوز
دخول من عليه كما يجوز في الوجه الاول والجملة تذييل مقرر لما قبله مؤكد للترغيب والتشويق قيل فيه معنى التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله
بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين **ذلك** اشارة الى ما للمطيعين من عظيم الاجر ومزيد الهداية ومرافقة هؤلاء المنعم عليهم او الى فضلهم ومزيتهم
وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف وهو مبتدا وقوله تعالى **الفضل** صفته وقوله تعالى **من الله** خبره اي ذلك الفضل العظيم
من الله تعالى لا من غيره او الفضل خبره ومن الله متعلق بمحذوف وقع حالا منه والعامل فيه معنى الاشارة اي ذلك الذي ذكره فضل كائنا من الله
تعالى لان اعمال المكلفين توجبه **وكفى بالله عليما** بجزاء من اطاعه وبمقادير الفضل واستحقاق اهله **يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم** الحذر والحذر واحد
كالاثر والاثر والشبه والشبه اي تيقظوا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر
آلته التي يقي بها نفسه وقيل هو ما يحذر به من السلاح والحزم اي استعدوا للعدو **فانفروا** بكسر الفاء وقرئ بضمها اي اخرجوا الى الجهاد عند خروجكم
ثبات جمع ثبة وهي الجماعة من الرجال فوق العشرة ووزنها في الاصل فعلة كحطمة حذف لامها وعوض عنها تاء التانيث وهل هي واو او ياء فيه
قولان قيل انها مشتقة من ثبا يثبو كحلا يحلو اي اجتمع وقيل من ثبيت على الرجل اذا اثنيت عليه كانك جمعت محاسنه ويجمع ايضا على ثبين
جبرا لما حذف من عجزها ومحلها النصب على الحالية اي انفروا جماعات متفرقة سرية بعد سرية **او انفروا جميعا** اي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا
فتلقوا بانفسكم الى التهلكة **وان منكم لمن ليبطئن** اي ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد من بطا بمعنى ابطا كعتم بمعنى اعتم والخطاب لعسكر
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كلهم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم الذين تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد او ليبطئن
غيره وليثبطنه من بطا منقولا من بطؤ كثقل من ثقل كما بطا ابن ابي ناسا يوم احد والاول انسب لما بعده واللام الاولى للابتداء دخلت على
اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليها ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله
ليبطئن **فان اصابتكم مصيبة** كقتل وهزيمة **قال** اي المبطئ فرحا بصنعه وحامدا لرايه **قد انعم الله علي** اي بالقعود **اذ لم اكن معهم شهيدا** اي حاضرا
في المعركة فيصيبني ما اصابهم والفاء في الشرطية لترتيب مضمونها على ما قبلها فان ذكر التبطئة مستتبع لذكر ما يترتب عليها كما ان نفس التبطئة مستتبعة
لشيء ينتظر المبطئ وقوعه **ولئن اصابكم فضل** كفتح وغنيمة **من الله** متعلق باصابكم او بمحذوف وقع صفة لفضل اي فضل كائن من الله تعالى ونسبة
اصابة الفضل الى جناب الله تعالى دون اصابة المصيبة من العادات الشريفة التنزيلية كما في قوله سبحانه واذا مرضت فهو يشفين وتقديم الشرطية
الاولى لما ان مضمونها لمقصدهم اوفق واثر نفاقهم فيها اظهر **ليقولن** ندامة على تثبطه وقعوده وتهالكا على حطام الدنيا وتحسرا على فواته
وقرئ ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من وقوله تعالى **كان لم تكن بينكم وبينه مودة** اعتراض وسط بين الفعل ومفعوله الذي هو يا
ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما لئلا يتوهم من مطلع كلامه ان تمنيه لمعية المؤمنين لنصرتهم ومظاهرتهم حسبما يقتضيه ما في البين من المودة
بل هو للحرص على المال كما ينطق به آخره وليس اثبات المودة في البين بطريق التحقيق بل بطريق التهكم وقيل الجملة التشبيهية حال من ضمير
ليقولن اي ليقولن مشبها بمن لا مودة بينكم وبينه وقيل هي داخلة في المقول اي ليقولن المثبط لمن ثبطه من المنافقين وضعفة المؤمنين
كان لم تكن بينكم وبين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم مودة حيث لم يستصحبكم في الغزو حتى تفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وغرضه القاء
العداوة بينهم وبينه صلى الله تعالى عليه وسلم وتاكيدها وكان مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان وهو محذوف وقرئ لم يكن بالياء والمنادى
في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع وقوله تعالى فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف

اي فانا افوز في ذلك الوقت وعلي انه معطوف علي كنت داخل معه تحت التمني **فليقاتل في سبيل الله** قدم الظرف علي الفاعل للاهتمام **الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة** اي يبيعونها بها وهم المؤمنون فالفاء جواب شرط مقدر اي ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الآخرة او الذين يشرونها ويختارونها علي الآخرة وهم المبطؤن فالفاء للتعقيب اي ليتركوا ما كانوا عليه من التثبط والنفاق وليعقبوه بالقتال في سبيل الله **ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما** لا يقادر قدره وتعقيب القتال باحد الامرين للاشعار بان المجاهد حقه ان يوطن نفسه باحدي الحسنيين ولا يخطر بباله القسم الثالث اصلا وتقديم القتل للايذان بتقدمه في استتباع الاجر روي ابو هريرة رضي الله تعالي عنه ان رسول الله صلي الله تعالي عليه وسلم قال تكفل الله تعالي لمن جاهد في سبيله لا يخرجه الا الجهاد في سبيله وتصديق كلمته ان يدخله الجنة او يرجعه الي مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من اجر وغنيمة **وما لكم** خطاب للمأمورين بالقتال علي طريقة الالتفات مبالغة في التحريض عليه وتاكيدا لوجوبه وهو مبتدأ وخبر وقوله عز وجل **لا تقاتلون في سبيل الله** حال عاملها في الظرف من معني الفعل والاستفهام للانكار والنفي اي اي شيء لكم غير مقاتلين اي لا عذر لكم في ترك المقاتلة **والمستضعفين** عطف علي اسم الله اي في سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم عن العدو او علي السبيل بحذف المضاف اي في خلاص المستضعفين ويجوز نصبه علي الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المؤمنين من ايدي الكفرة اعظمها واخصها **من الرجال والنساء والولدان** بيان للمستضعفين او حال منهم وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين او لضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان معهم تكميلا للاستعطاف واستجلاب المرحمة وتنبيها علي تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان لارغام آبائهم وامهاتهم وايذانا باجابة الدعاء الآتي واقتراب زمان الخلاص ببيان شركتهم في التضرع الي الله تعالي كل ذلك للمبالغة في الحث علي القتال وقيل المراد بالولدان العبيد والاماء اذ يقال لهما الوليد والوليدة وقد غلب الذكور علي الاناث فاطلق الولدان علي الولائد ايضا **الذين** محله الجر علي انه صفة للمستضعفين او لما في حيز البيان او النصب علي الاختصاص **يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها** بالشرك الذي هو ظلم عظيم وباذية المسلمين وهي مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل والمفعول اذا جري علي غير من هو له كان كالفعل في التذكير والتانيث بحسب ما عمل فيه **واجعل لنا من لدنك وليا** كلا الجارين متعلق باجعل لاختلاف معنييهما وتقديم المجرورين علي المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بهما وابراز الرغبة في المؤخر بتقديم احواله فان تاخير ما حقه التقديم عما هو من احواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع الي وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة وتقديم اللام علي من للمسارعة الي ابراز كون المسئول نافعا لهم مرغوبا فيه لديهم ويجوز ان يتعلق من بمحذوف وقع حالا من وليا قدمت عليه لكونه نكرة وكذا الكلام في قوله تعالي **واجعل لنا من لدنك نصيرا** قال ابن عباس رضي الله تعالي عنهما اي ول علينا واليا من المؤمنين يوالينا ويقوم بمصالحنا ويحفظ علينا ديننا وشرعنا وينصرنا علي اعدائنا ولقد استجاب الله عز وجل دعاءهم حيث يسر لبعضهم الخروج الي المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي واعز ناصر ففتح مكة علي يدي نبيه صلي الله تعالي عليه وسلم فتولاهم اي تولي ونصرهم اي نصر ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتي صاروا اعز اهلها وقيل المراد واجعل لنا من لدنك ولاية ونصرة اي كن انت ولينا وناصرنا وتكرير الفعل ومتعلقه للمبالغة في التضرع والابتهال **الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله** كلام مبتدأ سيق لترغيب المؤمنين في القتال وتشجيعهم ببيان كمال قوتهم بامداد الله تعالي ونصرته وغاية ضعف اعدائهم اي المؤمنون انما يقاتلون في دين الله الحق الموصل لهم الي الله عز وجل وفي اعلاء كلمته فهو وليهم وناصرهم لا محالة **والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت** اي فيما يوصلهم الي الشيطان فلا ناصر لهم سواه والفاء في قوله تعالي **فقاتلوا اولياء الشيطان** لبيان استتباع ما قبلها لما بعدها وذكرهم بهذا العنوان للدلالة علي ان ذلك نتيجة لقتالهم في سبيل الشيطان والاشعار بان المؤمنين اولياء الله لما ان قتالهم في سبيله وكل ذلك لتاكيد رغبة المؤمنين في القتال وتقوية عزائمهم عليه فان ولاية الله تعالي علم في العزة والقوة كما ان ولاية الشيطان مثل في الذلة والضعف كانه قيل اذا كان الامر كذلك فقاتلوا يا اولياء الله اولياء الشيطان ثم صرح بالتعليل فقيل **ان كيد الشيطان كان ضعيفا** اي في حد ذاته فكيف بالقياس الي قدرة الله عز وجل ولم يتعرض لبيان قوة جنابه تعالي ايذانا بظهورها قالوا فائدة ادخال كان في امثال هذه المواقع التاكيد ببيان انه منذ كان كذلك فالمعني ان كيد الشيطان منذ كان موصوفا بالضعف

الي الذين قيل لهم كفوا ايديكم تعجيب لرسول الله صلي الله تعالي عليه وسلم من احجامهم عن القتال مع انهم كانوا قبل ذلك راغبين فيه حراصا عليه حيث كادوا يباشرونه كما ينبئ عنه الامر بكف الايدي فان ذلك مشعر بكونهم بصدد بسطها الي العدو بحيث يكادون يسطون بهم قال الكلبي ان جماعة من اصحاب النبي صلي الله تعالي عليه وسلم منهم عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن اسود الكندي وقدامة بن مظعون الجمحي وسعد بن ابي وقاص الزهري رضي الله تعالي عنهم كانوا يلقون من مشركي مكة قبل الهجرة اذي شديدا فيشكون ذلك الي النبي صلي الله عليه وسلم ويقولون ائذن لنا في قتالهم ويقول لهم النبي صلي الله تعالي عليه وسلم كفوا ايديكم **واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة** فاني لم اومر بقتالهم وبناء القول للمفعول مع ان القائل هو النبي صلي الله عليه وسلم للايذان بكون ذلك بامر الله سبحانه ولان المقصود بالذات والمعتبر في التعجيب انما هو كمال رغبتهم في القتال وكونهم بحيث احتاجوا الي النهي عنه وانما ذكر في حيز الصلة الامر بكف الايدي لتحقيقه وتصويره علي طريقة الكناية فلا يتعلق ببيان خصوصية الامر غرض وكانوا في مدة اقامتهم بمكة مستمرين علي تلك الحالة فلما هاجر رسول الله صلي الله تعالي عليه وسلم الي المدينة وامروا بالقتال في وقعة بدر كرهه بعضهم وشق ذلك عليه لكن لا شكا في الدين ولا رغبة عنه بل نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت بموجب الجبلة البشرية وذلك قوله تعالي **فلما كتب عليهم القتال** الخ وهو عطف علي قيل لهم كفوا ايديكم باعتبار مدلوله الكنائي اذ حينئذ يتحقق التباين بين مدلولي المعطوفين وعليه يدور امر التعجيب كانه قيل الم تر الي الذين كانوا حراصا علي القتال فلما كتب عليهم كرهه بعضهم وقوله تعالي **اذا فريق منهم يخشون الناس** جواب لما علي ان فريق مبتدأ ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة له ويخشون خبره وتصديره باذا المفاجاة لبيان مسارعتهم الي الخشية آثر ذي اثير من غير تلعثم وتردد اي فاجا فريق منهم ان يخشوا الكفار ان يقتلوهم ولعل توجيه التعجيب الي الكل مع صدور الخشية عن بعضهم للايذان بانه ما كان ينبغي ان يصدر عن احدهم ما ينافي حالتهم الاولي وقوله تعالي **كخشية الله** مصدر مضاف الي المفعول محله النصب علي انه حال من فاعل يخشون مشبهين لاهل خشية الله تعالي وقوله تعالي **او اشد خشية** عطف عليه بمعني او اشد خشية من اهل خشية الله او علي انه مصدر مؤكد علي جعل الخشية ذات خشية مبالغة كما في جد جده اي يخشونهم خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله وايا ما كان فكلمة او اما للتنويع علي معني ان خشية بعضهم كخشية الله وخشية بعضهم اشد منها واما للابهام علي السامع وهو قريب مما في قوله تعالي وارسلناه الي مائة الف او يزيدون يعني ان من يبصرهم يقول انهم مائة الف او يزيدون **وقالوا** عطف علي جواب لما اي فلما كتب عليهم القتال فاجا فريق منهم خشية الناس وقالوا **ربنا لم كتبت علينا القتال** في هذا الوقت لا علي وجه الاعتراض علي حكمه تعالي والانكار لايجابه بل علي طريق تمني التخفيف **لولا اخرتنا الي اجل قريب** استزادة في مدة الكف واستمهال الي وقت آخر حذرا عن الموت وقد جوز ان يكون هذا مما نطقت به السنة حالهم من غير ان يتفوهوا به صريحا **قل** اي تزهيدا لهم فيما يؤملونه بالقعود من المتاع الفاني وترغيبا فيما ينالونه بالقتال من النعيم الباقي **متاع الدنيا** اي ما يتمتع وينتفع به في الدنيا **قليل** سريع التقضي وشيك الانصرام وان اخرتم الي ذلك الاجل **والآخرة** اي ثوابها الذي من جملته الثواب المنوط بالقتال **خير** اي لكم من ذلك المتاع القليل لكثرته وعدم انقطاعه وصفائه عن الكدورات وانما قيل **لمن اتقي** حثا لهم علي اتقاء العصيان والاخلال بمواجب التكليف **ولا تظلمون فتيلا** عطف علي مقدر ينسحب عليه الكلام اي تجزون فيها ولا تنقصون ادني شيء من اجور اعمالكم التي من جملتها مساعيكم في شان القتال ولا ترغبوا عنه والفتيل ما في شق النواة من الخيط يضرب به المثل في القلة والحقارة وقرئ يظلمون بالياء اعادة للضمير الي ظاهر من **اينما تكونوا يدرككم الموت** كلام مبتدأ مسوق من قبله تعالي بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله صلي الله تعالي عليه وسلم الي المخاطبين اعتناء بالزامهم اثر بيان حقارة الدنيا وعلو شان الآخرة بواسطته عليه الصلوة والسلام فلا محل له من الاعراب او في محل النصب داخل تحت القول المامور به اي اينما تكونوا في الحضر والسفر يدرككم الموت الذي لاجله تكرهون القتال زعما منكم انه من مظانه وتحبون القعود عنه علي زعم انه منجاة منه وفي لفظ الادراك اشعار بانهم في الهرب من الموت وهو مجد في طلبهم وقرئ بالرفع علي حذف الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او علي اعتبار وقوع اينما كنتم في موقع اينما تكونوا او علي انه كلام مبتدأ واينما تكونوا متصل بلا تظلمون اي لا تنقصون شيئا مما كتب من آجالكم اينما تكونوا في ملاحم الحروب ومعارك الخطوب **ولو كنتم في بروج مشيدة** في حصون رفيعة

او قصور محصنة وقال السدي وقتادة بروج السماء يقال شاد البناء واشاده وشيده رفعه وقرئ مشيِّدة بكسر الياء وصفا لها بفعل
فاعلها مجازا كما في قصيدة شاعرة ومشيد من شاد القصر اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو الجص وجواب لو محذوف اعتمادا على دلالة ما
قبله عليه اي لو كنتم في بروج مشيدة يدرككم الموت والجملة معطوفة على اخرى مثلها اي لو لم تكونوا في بروج مشيدة ولو كنتم الخ وقد اطرد
حذفها لدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق عند وجود المانع فلأن يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في
لو الوصلية وان الوصلية من التأكيد والمبالغة وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وان
تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله كلام مبتدأ جيء به عقيب ما حكي عن المسلمين لما بينهما من المناسبة في اشتمالهما على اسناد ما يكرهونه الى بعض
الامور وكراهتهم له بسبب ذلك والضمير لليهود والمنافقين روي انه كان قد بسط عليهم الرزق فلما قدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة فدعاهم
الى الايمان فكفروا امسك عنهم بعض الامساك فقالوا ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم هذا الرجل واصحابه وذلك قوله تعالى وان
تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك اي وان تصبهم نعمة ورخاء نسبوها الى الله عز وجل وان تصبهم بلية من جدب وغلاء اضافوها اليك كما
حكي عن اسلافهم بقوله تعالى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه فامر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بان يرد زعمهم الباطل ويرشدهم الى الحق
ويلقمهم الحجر ببيان استناد الكل اليه تعالى على الاجمال اذ لا يجترؤن على معارضة امر الله عز وجل حيث قيل قل كل من عند الله اي كل واحدة من
النعمة والبلية من جهة الله تعالى خلقا وايجادا من غير ان يكون لي مدخل في وقوع شيء منهما بوجه من الوجوه كما تزعمون بل وقوع الاولى منه تعالى بالذات
تفضلا ووقوع الثانية بواسطة ذنوب من ابتلي بها عقوبة كما سيأتي بيانه فهذا الجواب المجمل في معنى ما قيل ردا على اسلافهم في قوله
تعالى الا انما طائرهم عند الله اي انما سبب خيرهم وشرهم او سبب اضافة السيئة التي هي ذنوبهم عند الله تعالى لا عند غيره حتى يسندوها اليه
ويطيروا به وقوله تعالى فمال هؤلاء القوم الى آخره كلام معترض بين المبين وبيانه مسوق من جهته تعالى لتعييرهم بالجهل وتقبيح حالهم والتعجيب من
كمال غباوتهم والفاء لترتيبه على ما قبله وقوله تعالى لا يكادون يفقهون حديثا حال من هؤلاء والعامل فيها ما في الظرف من معنى الاستقرار
اي وحيث كان الامر كذلك فأي شيء حصل لهم حال كونهم بمعزل من ان يفقهوا حديثا او استئناف مبني على سؤال نشأ من الاستفهام كأنه قيل
ما بالهم وماذا يصنعون حتى يتعجب منه او يسأل عن سببه فقيل لا يكادون يفقهون حديثا من الاحاديث اصلا فيقولون ما يقولون اذ لو فقهوا شيئا
من ذلك لفهموا هذا النص وما في معناه وما هو اوضح منه من النصوص القرآنية الناطقة بان الكل فائض من عند الله تعالى وان النعمة منه تعالى
بطريق التفضل والاحسان والبلية بطريق العقوبة على ذنوب العباد لا سيما النص الوارد عليهم في صحف موسى وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة
وزر اخرى ولم يسندوا جنايات انفسهم الى غيرهم وقوله تعالى ما اصابك من حسنة الخ بيان للجواب المجمل المأمور به واجراؤه على لسان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ثم سوق البيان من جهته عز وجل بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى كل احد من الناس والالتفات لمزيد الاعتناء به والاهتمام برد
مقالتهم الباطلة والايذان بان مضمونه مبني على حكمة دقيقة حقيقة بان يتولى بيانها علام الغيوب وتوجيه الخطاب الى كل واحد منهم
دون كلهم كما في قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم للمبالغة في التحقيق بقطع احتمال سببية معصية بعضهم لعقوبة الآخرين اي ما
اصابك من نعمة من النعم فمن الله اي فهي منه تعالى بالذات تفضلا واحسانا من غير استيجاب لها من قبلك كيف لا وان كل ما يفعل المرء من الطاعات
التي يفرض كونها ذريعة الى اصابة نعمة ما فهي بحيث لا تكاد تكافئ نعمة حياته المقارنة لادائها ولا نعمة اقداره تعالى اياه على ادائها فضلا
عن استيجابها النعمة الاخرى ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله وقيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا وما
اصابك من سيئة اي بلية من البلايا فمن نفسك اي فهي منها بسبب اقترافها المعاصي الموجبة لها وان كانت من حيث الايجاد منتسبة اليه تعالى نازلة
من عنده عقوبة كقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضي الله تعالى عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب
حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما قبله وما بعده لكن لا
لبيان حاله صلى الله تعالى عليه وسلم بل لبيان حال الكفرة بطريق التصوير ولعل ذلك لاظهار كمال السخط والغضب عليهم والاشعار بانهم

لفرط جهلهم وبلادتهم بمعزل من استحقاق الخطاب لا سيما بمثل هذه الحكمة الانيقة وارسلناك للناس رسولا بيان لجلالة منصبه صلى الله تعالى عليه وسلم
ومكانته عند الله عز وجل بعد بيان بطلان زعمهم الفاسد في حقه عليه السلام بناء على جهلهم بشأنه الجليل وتعريف الناس للاستغراق والجار اما متعلق برسولا
قدم عليه للاختصاص الناظر الى قيد العموم اي مرسلا لكل الناس لا لبعضهم فقط كما في قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس واما بالفعل
ورسولا حال مؤكدة وقد جوز ان يكون مصدرا مؤكدا كما في قوله لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول يعني رسالة
وكفى بالله شهيدا اي على رسالتك بنصب المعجزات التي من جملتها هذا النص الناطق والوحي الصادق والالتفات لتربية المهابة وتقوية الشهادة والجملة
اعتراض تذييلي من يطع الرسول فقد اطاع الله بيان لاحكام رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم اثر بيان تحققها وثبوتها وانما كان كذلك
لان الآمر والناهي في الحقيقة هو الله عز وجل وانما هو عليه السلام مبلغ لامره ونهيه فمرجع الطاعة وعدمها هو الله سبحانه روي انه عليه الصلاة
والسلام قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى ان
يعبد غير الله ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت والتعبير عنه عليه السلام بالرسول دون الخطاب للايذان بان مناط كون طاعته عليه السلام
طاعة له تعالى ليس خصوصية ذاته عليه السلام بل حيثية رسالته واظهار الجلالة لتربية المهابة وتأكيد وجوب الطاعة بذكر عنوان الالوهية وحمل الرسول
على الجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما اوليا يأباه تخصيص الخطاب به عليه السلام في قوله تعالى ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا وجواب الشرط محذوف
والمذكور تعليل له اي ومن اعرض عن الطاعة فاعرض عنه انما ارسلناك رسولا مبلغا لا حفيظا مهيمنا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم
بحسبها وحفيظا حال من الكاف وعليهم متعلق به قدم عليه رعاية للفاصلة وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان الافراد في تولى باعتبار لفظه
ويقولون شروع في بيان معاملتهم مع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بعد بيان وجوب طاعته اي يقولون اذا امرتهم بشيء طاعة اي امرنا
وشأننا طاعة او منا طاعة والاصل النصب على المصدر والرفع للدلالة على الثبات كسلام فاذا برزوا من عندك اي خرجوا من مجلسك بيت
طائفة منهم اي من القائلين المذكورين وهم رؤساؤهم غير الذي تقول اي زورت طائفة منهم وسوت خلاف ما قالت لك من القبول
وضمان الطاعة لانهم مصرون على الرد والعصيان وانما يظهرون ما يظهرون على وجه النفاق وخلاف ما قلت لها والتبييت اما من البيتوتة لانه
قضاء الامر وتدبيره بالليل يقال هذا امر بيت بليل واما من بيت الشعر لان الشاعر يدبره ويسويه وتذكير الفعل لان تأنيث الطائفة
غير حقيقي وقرئ بادغام التاء في الطاء لقرب المخرج واسناده الى طائفة منهم لبيان انهم المتصدون له بالذات والباقون اتباع لهم في ذلك
لا لان الباقين ثابتون على الطاعة والله يكتب ما يبيتون اي يكتبه في جملة ما يوحى اليك فيطلعك على اسرارهم فلا يحسبوا ان مكرهم يخفى عليكم
فيجدون بذلك الى الاضرار بكم سبيلا او يثبته في صحائفهم فيجازيهم عليه واياما كان فالجملة اعتراضية فاعرض عنهم اي لا تبال بهم وبما صنعوا
او تجاف عنهم ولا تتصد للانتقام منهم والفاء لسببية ما قبلها لما بعدها وتوكل على الله في كل ما تأتي وما تذر لا سيما في شأنهم واظهار الجلالة في
مقام الاضمار للاشعار بعلة الحكم وكفى بالله وكيلا فيكفيك معرتهم وينتقم لك منهم والاظهار ههنا ايضا لما مر وللتنبيه على استقلال الجملة واستغنائها
عما عداها من كل وجه افلا يتدبرون القرآن انكار واستقباح لعدم تدبرهم القرآن واعراضهم عن التأمل فيما فيه من موجبات الايمان وتدبر الشيء
تأمله والنظر في ادباره وما يؤول اليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تفكر ونظر والفاء للعطف على مقدر اي ايعرضون عن القرآن فلا يتأملون فيه
ليعلموا كونه من عند الله تعالى بمشاهدة ما فيه من الشواهد التي من جملتها هذا الوحي الصادق والنص الناطق بنفاقهم المحكي على ما هو عليه ولو كان
القرآن من عند غير الله تعالى كما يزعمون لوجدوا فيه اختلافا كثيرا بان يكون بعض اخباره غير مطابق للواقع اذ لا علم بالامور الغيبية ماضية كانت او
مستقبلة لغيره سبحانه وحيث كانت كلها مطابقة للواقع تعين كونه من عنده تعالى قال الزجاج ولولا انه من عند الله تعالى لكان ما فيه من الاخبار بالغيب مما
يسره المنافقون وما يبيتونه مختلفا بعضه حق وبعضه باطل لان الغيب لا يعلمه الا الله وقال ابو بكر الاصم ان هؤلاء المنافقين كانوا يتواطؤن
في السر على انواع كثيرة من الكيد والمكر وكان الله تعالى يطلع الرسول عليه الصلاة والسلام على ذلك ويخبره بها مفصلة فقيل لهم ان ذلك لو لم يحصل باخبار
الله تعالى لما اطرد الصدق فيه ولوقع فيه الاختلاف فلما لم يقع ذلك قط علم انه باعلامه تعالى هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما

حمل الاختلاف على التناقض وتفاوت النظم في البلاغة بأن كان بعضه دالاً على معنى فاسد غير ملتئم وبعضه بالغاً حد الاعجاز وبعضه قاصراً عنه يمكن معارضته كما جنح اليه الجمهور فمما لا يساعده السباق ولا السياق ومن رام التقريب وقال لعل ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف في الحكم والمصالح المقتضية لذلك فقد ابعد عن الحق بمراحل **واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به** يقال اذاع السر واذاع به اي اشاعه وافشاه وقيل معنى اذاعوا به فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ من اذاعوه وهو كلام مسوق لدفع ما عسى يتوهم في بعض المواد من شائبة الاختلاف بناء على عدم فهم المراد ببيان ان ذلك لعدم وقوفهم على معنى الكلام لا لتخلف مدلوله عنه وذلك ان ناساً من ضعفة المسلمين الذين لا خبرة لهم بالاحوال كانوا اذا اخبرهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بما اوحي اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة يذيعونه من غير فهم لمعناه ولا ضبط لفحواه على حسب ما كانوا يفهمونه ويحملونه عليه من المحامل وعلى تقدير الفهم قد يكون ذلك مشروطاً بامور تفوت بالاذاعة فلا يظهر اثره المتوقع فيكون ذلك منشأ لتوهم الاختلاف فنعى عليهم ذلك وقيل **ولو ردوه** اي ذلك الامر الذي جاءهم **الى الرسول** اي عرضوه على رأيه عليه السلام مستكشفين لمعناه وما ينبغي له من التدبير والالتفات لما ان عنوان الرسالة من موجبات الرد والمراجعة الى رأيه صلى الله تعالى عليه وسلم **والى اولي الامر منهم** وهم كبار الصحابة البصراء في الامور رضي الله تعالى عنهم **لعلمه** اي لعلم الرادون معناه وتدبيره وانما وضع موضع ضميرهم الموصول فقيل **الذين يستنبطونه منهم** للايذان بانه ينبغي ان يكون قصدهم برده اليهم استكشاف معناه واستيضاح فحواه اي لعلمه اولئك الرادون الذين يستنبطونه اي يتلقونه ويستخرجون علمه وتدبيره منهم اي من جهة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واولي الامر من صحابته رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ولما فعلوا في حقه ما فعلوه فلم يقع فيه ما وقع من الاشتباه وتوهم الاختلاف وقيل لعلمه الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها فكلمة من في منهم بيانية وقيل انهم كانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من امن وسلامة او خوف وخلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله عليه الصلوة والسلام والى اولي الامر لعلم تدبير ما اخبروا به الذين يستنبطونه اي يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فيعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وفوضوه اليهم وكانوا كأن لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطونه تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون وما يذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيئاً من الخبر عن السرايا مظنوناً غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالاً على المؤمنين ولو ردوه الى الرسول عليه السلام والى اولي الامر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع او لا يذاع لعلم صحته وهل هو مما يذاع او لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم فسياق النظم الكريم صريح لبيان جناية تلك الطائفة وسوء تدبيرهم اثر بيان جناية المنافقين ومكرهم والخطاب في قوله تعالى **ولولا فضل الله عليكم ورحمته** للطائفة على طريقة الالتفات اي لولا فضله تعالى عليكم ورحمته بارشادكم الى طريق الحق الذي هو المراجعة في مظان الاشتباه الى الرسول عليه الصلوة والسلام والى اولي الامر **لاتبعتم الشيطان** وعملتم بآراء المنافقين فيما تأتون وما تذرون ولم تهتدوا الى سنن الصواب **الا قليلاً** وهم اولوا الامر الواقفون على اسرار الكتاب الراسخون في معرفة احكامه فالاستثناء منقطع وقيل ولولا فضله تعالى عليكم ورحمته بارسال الرسول وانزال الكتب لاتبعتم الشيطان وبقيتم على الكفر والضلالة الا قليلاً منكم قد تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى طريق الحق والصواب وعصمه من متابعة الشيطان كقس بن ساعدة الايادي وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل واضرابهم فالخطاب للكل والاستثناء متصل وقيل المراد بالفضل والرحمة النصرة والظفر بالاعداء اي لولا حصول النصر والظفر على التواتر والتتابع لاتبعتم الشيطان وتركتم الدين الا قليلاً منكم وهم اولوا البصائر النافذة والنيات القوية والعزائم الماضية من افاضل المؤمنين الواقفين على حقية الدين البالغين الى درجة حق اليقين المستغنين عن مشاهدة آثار حقيته من الفتح والظفر وقيل الا اتباعاً قليلاً **فقاتل في سبيل الله** تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بطريق الالتفات وهو جواب شرط محذوف ينساق اليه النظم الكريم اي اذا كان الامر كما حكي من عدم طاعة المنافقين وكيدهم وتقصير الآخرين في مراعاة احكام الاسلام فقاتل انت وحدك غير مكترث بما فعلوا وقوله عز وجل **لا تكلف الا نفسك** اي الا فعل نفسك استئناف مقرر لما قبله فان اختصاص تكليفه عليه السلام بفعل نفسه من موجبات مباشرته للقتال وحده وفيه دلالة على ان ما فعلوا من التثبط لا يضره

عليه السلام ولا يؤاخذ به وقيل هو حال من فاعل قاتل اي فقاتل غير مكلف الا نفسك وقرئ لا تكلف بالجزم على النهي وقيل على جواب الامر وقرئ بنون العظمة اي لا نكلف الا فعل نفسك لا على معنى لا نكلف احداً الا نفسك **وحرض المؤمنين** عطف على الامر بقي داخل في حكمه فان كون حال الطائفتين كما حكي سبيل للامر بالقتال وحده وبتحريض خلص المؤمنين والتحريض على الشيء الحث عليه والترغيب فيه قال الراغب كأنه في الاصل ازالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به اي رغبهم في القتال ولا تعنف بهم وانما لم يذكر المحرض عليه لغاية ظهوره وقوله تعالى **عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا** عدة منه سبحانه وتعالى محققة الانجاز بكف شدة الكفرة ومكروههم فان ما صدر بلعل وعسى مقرر الوقوع من جهته عز وجل وقد كان كذلك حيث روي ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واعد ابا سفيان بعد حرب احد موسم بدر الصغرى في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في سبعين راكباً ووافوا الموعد والقى الله تعالى في قلوب الكفرة الرعب فرجعوا من مر الظهران ويروى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وافى بجيشه بدراً واقام بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيراً كثيراً وقد مر في سورة آل عمران **والله اشد بأساً** اي من قريش **واشد تنكيلاً** اي تعذيباً وعقوبة تنكل من يشاهدها عن مباشرة ما يؤدي اليها والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبلها واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة وتكرير الخبر لتأكيد التشديد وقوله تعالى **من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها** اي من ثوابها جملة مستأنفة سيقت لبيان ان له عليه السلام فيما امر به من تحريض المؤمنين حظاً موفوراً فان الشفاعة هي التوسط بالقول في وصول شخص الى منفعة من المنافع الدنيوية او الاخروية او خلاصه عن مضرة ما كذلك من الشفع كأن المشفوع له كان فرداً فجعله الشفيع شفعاً والحسنة منها ما كانت في امر مشروع روعي بها حق مسلم ابتغاء لوجه الله تعالى من غير ان يتضمن غرضاً من الاغراض الدنيوية واي منفعة اجل مما قد حصل للمؤمنين بتحريضه عليه السلام على الجهاد من المنافع الدنيوية والاخروية واي مضرة اعظم مما تخلصوا عنه بذلك من التثبط عنه ويندرج فيها الدعاء للمسلم فانه شفاعة الى الله سبحانه وعليها مساق آية التحية الآتية روي انه عليه السلام قال من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك وهذا بيان لمقدار النصيب الموعود **ومن يشفع شفاعة سيئة** وهي ما كانت بخلاف الحسنة **يكن له كفل منها** اي نصيب من وزرها مساوٍ لها في المقدار من غير ان ينقص منه شيء **وكان الله على كل شيء مقيتاً** اي مقتدراً من اقات على الشيء اذا اقتدر عليه او شهيداً حفيظاً واشتقاقه من القوت فانه يقوي البدن ويحفظه والجملة تذييلي مقرر لما قبلها على كلا المعنيين **واذا حييتم بتحية** ترغيب في فرد شائع من افراد الشفاعة الحسنة اثر ما رغب فيها على الاطلاق وحذر عما يقابلها من الشفاعة السيئة وارشاد الى توفية حق الشفيع وكيفية ادائه فان تحية الاسلام من المسلم شفاعة منه لاخيه الى الله عز وجل والتحية مصدر حيّى اصلها تحيية كتسمية من سمى واصل الاصل تحيي بثلاث ياآت فحذفت الاخيرة وعوض عنها تاء التأنيث وادغمت الاولى في الثانية بعد نقل حركتها الى الحاء قال الراغب اصل التحية الدعاء بالحياة وطولها ثم استعملت في كل دعاء وكانت العرب اذا لقي بعضها بعضاً يقول حياك الله ثم استعملها الشرع في السلام وهي تحية الاسلام قال تعالى تحيتهم فيها سلام وقال تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال فسلموا على انفسكم تحية من عند الله قالوا في السلام مزية على التحية لما انه دعاء بالسلامة عن الآفات الدينية والدنيوية وهي مستلزمة لطول الحيوة وليس في الدعاء بطول الحيوة ذلك ولان السلام من اسمائه تعالى فالبداية بذكره مما لا ريب في فضله ومزيته اي اذا سلم عليكم من جهة المؤمنين **فحيوا باحسن منها** اي بتحية احسن منها بان تقولوا وعليكم السلام ورحمة الله ان اقتصر المسلم على الاول وبان تزيدوا وبركاته ان جمعهما المسلم وهي النهاية لانتظامها لجميع فنون المطالب التي هي السلامة عن المضار ونيل المنافع ودوامها ونماؤها **او ردوها** اي اجيبوها بمثلها روي ان رجلاً قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال لآخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله تعالى وتلا الآية فقال عليه الصلوة والسلام انك لم تترك لي فضلاً فرددت عليك مثله وجواب التسليم واجب وانما التخيير بين الزيادة وتركها وعن النخعي ان السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الرد واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد في الخطبة وتلاوة القرآن جهراً ورواية الحديث وعند دراسة العلم والاذان والاقامة ولا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجة ومطير الحمام والعاري في الحمام وغيره

على الكثير

قالوا ويسلّم الرجل على امرأته لا على الاجنبية والسنة ان يسلّم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والقليل
واذا التقيا ابتدرا وعن ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا سلّم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم
اي وعليكم ما قلتم حيث كانوا يقولون بعضهم السام عليكم وروي لا تبتدئ اليهودي بالسلام وان بداك فقل وعليك وعن الحسن انه يجوز ان يقول للكافر
وعليك السلام دون الزيادة وقيل التحية بالاحسن عند كون المسلّم مسلمًا وردّ مثلها عند كونه كافرًا **ان الله كان على كل شيء حسيبًا** فيحاسبكم على كل
شيء من اعمالكم التي من جملتها ما امرتم به من التحية فحافظوا على مراعاتها حسبما امرتم به **الله لا اله الا هو** مبتدأ وخبر وقوله تعالى **ليجمعنكم الى يوم القيمة**
جواب قسم محذوف اي والله ليحشرنكم من قبوركم الى حساب يوم القيمة وقيل الى بمعنى في والجملة القسمية اما مستأنفة لا محل لها من الاعراب او خبر ثان
للمبتدأ اي هي الخبر ولا اله الا هو اعتراض وقوله تعالى **لا ريب فيه** اي في يوم القيمة او في الجمع حال من اليوم او صفة للمصدر اي جمعًا لا ريب فيه **ومن اصدق
من الله حديثًا** انكار لان يكون احد اصدق منه تعالى في وعده وسائر اخباره وبيان لاستحالته كيف لا والكذب محال عليه سبحانه دون غيره **فما لكم** مبتدأ
وخبر والاستفهام للانكار والنفي والخطاب لجميع المؤمنين لكن ما فيه من معنى التوبيخ متوجه الى بعضهم وقوله تعالى **في المنافقين** متعلق اما بما تعلق به الخبر
اي اي شيء كائن لكم فيهم اي في امرهم وشأنهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واما بما يدل عليه قوله تعالى **فئتين** من معنى الافتراق اي فما لكم
تفترقون في المنافقين واما بمحذوف وقع حالا من فئتين اي كائنتين في المنافقين لانه في الاصل صفة فلما قدمت انتصبت حالا كما هو شأن صفات
النكرات على الاطلاق او من الضمير في تفترقون وانتصاب فئتين عند البصريين على الحالية من المخاطبين والعامل ما في لكم من معنى الفعل كما في قوله عز وجل
فما لهم عن التذكرة معرضين وعند الكوفيين على خبرية كان مضمرة اي فما لكم في المنافقين كنتم فئتين والمراد انكار ان يكون للمخاطبين شيء مصحح
لاختلافهم في امر المنافقين وبيان وجوب بت القول بكفرهم واجرائهم مجرى المجاهرين بالكفر في جميع الاحكام وذكرهم بعنوان النفاق باعتبار
وصفهم السابق روي انهم قوم من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما
خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة فمرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في امرهم وقيل هم قوم هاجروا من مكة الى المدينة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا
الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم ناس اظهروا الاسلام
وقعدوا عن الهجرة وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم احد ثم رجعوا ويأباه ما سيأتي من جعل هجرتهم غاية للنهي
عن توليهم وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا راعي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويرده ما سيأتي من الآيات الناطقة
بكيفية المعاملة معهم من السلم والحرب وهؤلاء قد اخذوا وفعل بهم ما فعل من المثلة والقتل ولم يقع في امرهم اختلاف المسلمين **والله اركسهم**
حال من المنافقين مفيدة لتأكيد الانكار السابق واستبعاد وقوع المنكر ببيان وجود النافي بعد بيان عدم الداعي وقيل من ضمير المخاطبين و
الرابط هو الواو اي اي شيء يدعوكم الى الاختلاف في كفرهم مع تحقق ما يوجب اتفاقكم على كفرهم وهو ان الله تعالى قد ردهم في الكفر كما كانوا
بما كسبوا بسبب ما كسبوه من الارتداد واللحوق بالمشركين والاحتيال على رسول الله عليه الصلوة والسلام والعائد الى الموصول محذوف وقيل ما
مصدرية اي بكسبهم وقيل معنى اركسهم نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشيء مقلوبًا وقرئ ركسهم مشددا وركسهم ايضا مخففا
اتريدون ان تهدوا من اضل الله تجريد للخطاب وتخصيص له بالقائلين بايمانهم من الفئتين وتوبيخ لهم على زعمهم ذلك واشعار بانه يؤدي الى
محاولة المحال هو هداية من اضله الله تعالى وذلك لان الحكم بايمانهم وادعاء اهتدائهم وهم بمعزل من ذلك سعي في هدايتهم وارادة لها ووضع الموصول
موضع ضمائر المنافقين لتشديد الانكار وتأكيد استحالة الهداية بما ذكر في حيز الصلة وتوجيه الانكار الى الارادة لا الى متعلقها بان
يقال اتهدون الخ للمبالغة في انكاره ببيان انه مما لا يمكن ارادته فضلا عن امكان نفسه وحمل الهداية والاضلال على الحكم بهما يأباه قوله عز
وجل **ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا** اي ومن يخلق فيه الضلال كائنا من كان فلن تجد له سبيلا من السبل فضلا عن ان تهديه اليه وفيه من الافصاح
عن كمال الاستحالة ما ليس في قوله تعالى ومن يضلل الله فما له من هاد ونظائره وحمل اضلاله تعالى على حكمه وقضائه بالضلال يخل بحسن المقابلة بين الشرط والجزاء
وتوجيه الى كل واحد من المخاطبين للاشعار بشمول عدم الوجدان للكل على طريق التفصيل والجملة اما حال من فاعل تريدون او تهدوا او الترابط هو الواو او اعتراض

تذييل مقرر للانكارات السابقة مؤكد لاستحالة الهداية فيجوز ان يكون الخطاب لكل احد ممن يصلح له من المخاطبين ولا ومن غيرهم **ودّوا لو تكفرون** كلام
مستأنف مسوق لبيان غلوهم وتماديهم في الكفر وتصديهم لاضلال غيرهم اثر بيان كفرهم وضلالهم في انفسهم وكلمة لو مصدرية غنية عن الجواب وهي
مع ما بعدها نصب على المفعولية اي ودوا ان تكفروا وقوله تعالى **كما كفروا** نصب على انه نعت لمصدر محذوف اي كفرا مثل كفرهم او حال من ضمير ذلك المصدر
كما هو رأي سيبويه وقوله تعالى **فتكونون سواء** عطف على تكفرون داخل في حكمه اي ودوا ان تكفروا فتكونوا سواء مستوين في الكفر والضلال
وقيل كلمة لو على بابها وجوابها محذوف كمفعول ودوا والتقدير ودوا كفركم لو تكفرون كما كفروا لسروا بذلك **فلا تتخذوا منهم اولياء** الفاء
جواب شرط محذوف وجمع اولياء لمراعاة جمعية المخاطبين فان المراد نهي ان يتخذ واحد من المخاطبين وليا واحدا منهم اي اذا كان حالهم ما
ذكر من ودادة كفركم فلا توالوهم **حتى يهاجروا في سبيل الله** اي حتى يؤمنوا ويحققوا ايمانهم بهجرة كائنة لله تعالى ورسوله عليه السلام لا
لغرض من اغراض الدنيا **فان تولوا** اي عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة **فخذوهم** اذا قدرتم عليهم **واقتلوهم حيث وجدتموهم** من
الحل والحرم فان حكمهم حكم سائر المشركين اسرا وقتلا **ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا** اي جانبوهم مجانبة كلية ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة
ابدا **الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق** استثناء من قوله تعالى فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم
عاهدوكم ولم يحاربوكم وهم الاسلميون كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقت خروجه الى مكة قد وادع هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا
يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال وقيل هم بنو بكر بن زيد مناة وقيل هم خزاعة
او جاؤكم عطف على الصلة اي او الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى من المأمور باخذهم وقتلهم فريقان احدهما من
ترك المحاربين ولحق بالمعاهدين والآخر من اتى المؤمنين وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى
قوم معاهدين او الى قوم كافين عن القتال لكم والقتال عليكم والاول هو الاظهر لما سيأتي من قوله تعالى فان اعتزلوكم الخ فانه صريح
في ان كفهم عن القتال احد سببي استحقاقهم لنفي التعرض عنهم وقرئ جاؤكم بغير عاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استئناف
حصرت صدورهم حال باضمار قد بدليل انه قرئ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم وقيل صفة لموصوف محذوف
هو حال من فاعل جاؤوا اي جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض **ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم** اي عن ان يقاتلوكم او لان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم الخ
ولو شاء الله لسلطهم عليكم جملة مبتدأة جارية مجرى التعليل لاستثناء الطائفة الاخيرة من حكم الاخذ والقتل ونظمهم في سلك
الطائفة الاولى الجارية مجرى المعاهدين مع عدم تعلقهم بنا ولا بمن عاهدونا كالطائفة الاولى اي ولو شاء الله لسلطهم عليكم ببسط
صدورهم وتقوية قلوبهم وازالة الرعب عنها **فلقاتلوكم** عقيب ذلك ولم يكفوا عنكم واللام جواب على التكرير او الابدال من الاولى
وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد **فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم** مع ما علمتم من تمكنهم من ذلك بمشيئة الله عز وجل
والقوا اليكم السلم اي الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام **فما جعل الله لكم عليهم سبيلا** طريقا بالاسر او بالقتل فان مكافتهم عن
قتالكم وان لم يقاتلوا قومهم ايضا والقاءهم اليكم السلم وان لم يعاهدوكم كافية في استحقاقهم لعدم تعرضكم لهم **ستجدون آخرين
يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم** هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا
رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم ليأمنوا قومهم وقيل هم بنو عبد الدار وكان ديدنهم ما ذكر **كلما ردوا الى الفتنة** اي دعوا الى الكفر وقتال
المسلمين **اركسوا فيها** قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا فيها شرا من كل عدو شرير **فان لم يعتزلوكم** بالكف عن التعرض لكم بوجه ما **ويلقوا
اليكم السلم** اي لم يلقوا اليكم الصلح والعهد بل نبذوه اليكم **ويكفوا ايديهم** اي لم يكفوها عن قتالكم **فخذوهم واقتلوهم حيث
ثقفتموهم** اي تمكنتم منهم **واولئكم** الموصوفون بما عدد من الصفات القبيحة **جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا** حجة واضحة في الايقاع
بهم قتلا وسبيا لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم باهل الاسلام او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في

اخذهم وقتلهم **وما كان لمؤمن** اي وما صح له ولا لاق بحاله **ان يقتل مؤمنا** بغير حق فان الايمان زاجر عن ذلك **الا خطأ** فانه ربما يقع لعدم
دخول الاحتراز عنه بالكلية تحت الطاقة البشرية وانتصابه اما على انه حال اي ما كان له ان يقتل مؤمنا في حال من الاحوال الا في حال
الخطأ او على انه مفعول له اي ما كان له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطأ او على انه صفة للمصدر اي الا قتلا خطأ وقيل الا بمعنى ولا
والتقدير وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا عمدا ولا خطأ وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع اي لكن ان قتله خطأ فجزاؤه
ما ذكر والخطأ ما لا يقارنه القصد الى الفعل او الى الشخص ولا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار
مع الجهل باسلامه وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة روي ان عياش بن ابي ربيعة وكان اخا ابي جهل لامه اسلم وهاجر الى المدينة
خوفا من اهله وذلك قبل هجرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاقسمت امه لا تاكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث
بن زيد بن ابي انيسة فاتياه وهو في اطم ففتل منه ابو جهل في الذروة والغارب وقال اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك
وانت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا من المدينة كتفاه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة فقال للحارث هذا اخي فمن انت يا
حارث لله علي ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا يحل كتافه او يرتد ففعل بلسانه ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحارث
وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه فانحى عليه فقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال قتلته ولم اشعر
باسلامه فنزلت **ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة** اي فعليه او فواجبه تحرير رقبة اي اعتاق نسمة عبر عنها بها كما يعبر عنها بالرأس **مؤمنة** محكوم
باسلامها وان كانت صغيرة **ودية مسلمة الى اهله** مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول ضحاك بن سفيان الكلابي كتب الي رسول الله
عليه السلام يأمرني ان اورث امرأة اشيم الضبابي من عقل زوجها **الا ان يصدقوا** اي يتصدق اهله عليه سمي العفو عنها صدقة حثا عليه
وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كل معروف صدقة وقرئ الا ان يتصدقوا وهو متعلق بعليه او بمسلمة اي تجب الدية
وتسلمها الى اهله الا وقت تصدقهم عليه فهو في محل النصب على الظرفية او الا حال كونهم متصدقين عليه فهو حال من الاهل او القاتل
فان كان اي المقتول **من قوم عدو لكم** كفار محاربين **وهو مؤمن** ولم يعلم به القاتل لكونه بين اظهر قومه بان اسلم فيما بينهم ولم يفارقهم
او بان اتاهم بعد ما فارقهم لمهم من المهمات **فتحرير رقبة مؤمنة** اي فعلى قاتله الكفارة دون الدية اذ لا وراثة بينه وبين اهله لانهم محاربون
وان كان اي المقتول المؤمن **من قوم** كفرة **بينكم وبينهم ميثاق** اي عهد موقت او مؤبد **فدية** اي فعلى قاتله دية **مسلمة الى اهله** من اهل الاسلام
ان وجدوا ولعل تقديم هذا الحكم ههنا مع تأخيره فيما سلف للاشعار بالمسارعة الى تسليم الدية تحاشيا عن توهم نقض الميثاق **وتحرير رقبة**
مؤمنة كما هو حكم سائر المسلمين ولعل افراده بالذكر مع اندراجه في حكم ما سبق من قوله تع ومن قتل مؤمنا خطأ الخ لبيان ان كونه فيما بين
المعاهدين لا يمنع وجوب الدية كما منعه كونه فيما بين المحاربين وقيل المراد بالمقتول الذمي او المعاهد لئلا يلزم التكرار بلا فائدة ولا
التوريث بين المسلم والكافر وقد عرفت عدم لزومهما **فمن لم يجد** اي رقبة ليحررها بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها من الثمن **فصيام**
اي فعليه صيام **شهرين متتابعين** لم يتخلل بين يومين من ايامهما افطار **توبة** نصب على انه مفعول له اي شرع لكم ذلك توبة اي قبولا من تاب الله
عليه اذا قبل توبته او مصدر مؤكد لفعل محذوف اي تاب عليكم توبة وقيل على انه حال من الضمير المجرور في عليه بحذف المضاف اي فعليه
صيام شهرين ذا توبة وقوله تع **من الله** متعلق بمحذوف وقع صفة لتوبة اي كائنة منه تع **وكان الله عليما** بجميع الاشياء التي من جملتها
حاله **حكيما** في كل ما شرع وقضى من الشرائع والاحكام التي من جملتها ما شرعه في شانه **ومن يقتل مؤمنا متعمدا** لما بين حكم القتل خطأ
وفصل اقسامه الثلثة عقب ذلك ببيان القتل عمدا الا ان حكمه الدنيوي لما بين في سورة البقرة اقتصر ههنا على حكمه الاخروي روي
ان مقيس بن صبابة الكناني وكان قد اسلم هو واخوه هشام فوجد اخاه قتيلا في بني النجار فاتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر له
القصة فارسل عليه السلام معه زبير بن عياض الفهري وكان من اصحاب بدر الى بني النجار يأمرهم بتسليم القاتل الى مقيس ليقتص منه ان علموه
وباداء الدية ان لم يعلموه فقالوا سمعا وطاعة لله تع ولرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي ديته فاتوه بمائة من الابل فانصرفا

راجعين الى المدينة حتى اذا كانا ببعض الطريق اتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال اتقبل دية اخيك فيكون مسبة عليك اقتل الذي معك فيكون نفس بنفس
وفضل الدية فتغفل الفهري فرماه بصخرة فشدخه ثم ركب بعيرا من الابل واستاق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وهو يقول قتلت به فهرا وحملت عقله
سراة بني النجار اصحاب فارع وادركت ثاري واضطجعت موسدا وكنت الى الاوثان اول راجع فنزلت وهو الذي استثناه رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يوم الفتح ممن امنه فقتل وهو متعلق باستار الكعبة وقوله تع متعمدا حال من فاعل يقتل وروي عن الكسائي سكون التاء كانه فر من توالي الحركات
فجزاؤه الذي يستحقه لجنايته **جهنم** وقوله تع **خالدا فيها** حال مقدرة من فاعل فعل مقدر يقتضيه المقام كانه قيل فجزاؤه ان يدخل جهنم خالدا فيها وقيل
هو حال من ضمير يجزاها وقيل من مفعول جازاه وايد ذلك بانه انسب بعطف ما بعده لموافقته له صيغة ولا يخفى ان ما يقدر للحال وللعطف عليه
حقه ان يكون مما يقتضيه المقام اقتضاء ظاهرا او يدل عليه الكلام دلالة بينة وظاهر ان كون جزائه ما ذكر لا يقتضي وقوع الجزاء البتة كما تتفق
عليه حتى يقدر يجزاها او جازاه بطريق الاخبار عن وقوعه واما قوله تع **وغضب الله عليه** فعطف على مقدر يدل عليه الشرطية دلالة واضحة كانه
قيل بطريق الاستيناف تقريرا وتاكيدا لمضمونها حكم الله بان جزاءه ذلك وغضب عليه اي انتقم منه **ولعنه** اي ابعده عن الرحمة بجعل جزائه ما ذكر وقيل هو وما
بعده معطوف على الخبر بتقدير ان وحمل الماضي على معنى المستقبل كما في قوله تع ونفخ في الصور ونظائره اي فجزاؤه جهنم وان يغضب الله عليه الخ
واعد له اي في جهنم **عذابا عظيما** لا يقادر قدره ولما ترى في الاية الكريمة من التهديد الشديد والوعيد الاكيد وفنون الابراق والارعاد وقد
تأيدت بما روي من الاخبار الشداد كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم والذي نفسي بيده لزوال الدنيا اهون عند الله من قتل مؤمن وقوله عليه السلام
لو ان رجلا قتل بالمشرق واخر رضي بالمغرب لاشرك في دمه وقوله عليه السلام من اعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيمة مكتوب بين عينيه
ايس من رحمة الله تع ونحو ذلك من القوارع تمسك الخوارج والمعتزلة بها في خلود من قتل المؤمن عمدا في النار ولا متمسك لهم فيها لا لما قيل
من انها في حق المستحل كما هو رأي عكرمة واضرابه بدليل انها نزلت في مقيس بن صبابة الكناني المرتد حسبما مرت حكايته فان العبرة بعموم
اللفظ لا بخصوص السبب بل لان المراد بالخلود هو المكث الطويل لا الدوام لتظاهر النصوص الناطقة بان عصاة المؤمنين لا يدوم عذابهم
وما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه لا توبة لقاتل المؤمن عمدا وكذا ما روي عن سفيان ان اهل العلم كانوا اذا سئلوا قالوا لا توبة
له محمول على الاقتداء بسنة الله تعالى في التشديد والتغليظ وعليه يحمل ما روي عن انس رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قال ابى الله ان يجعل لقاتل المؤمن توبة كيف لا وقد روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رجلا سأله القاتل المؤمن توبة قال لا وسأله
اخر القاتل المؤمن توبة فقال نعم فقيل له قلت لذلك كذا ولهذا كذا قال كان الاول لم يقتل بعد فقلت ما قلت كيلا يقتل وكان هذا قد قتل فقلت له
ما قلت لئلا ييأس وقد روي عنه جواز المغفرة بلا توبة ايضا حيث قال في قوله تع فجزاؤه جهنم الاية هي جزاؤه فان شاء عذبه وان شاء غفر له
وروي مرفوعا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال هي جزاؤه ان جازاه وبه قال عون بن عبد الله وبكر بن عبد الله وابو صالح قالوا قد
يقول الانسان لمن يزجره عن امر ان فعلته فجزاؤك القتل والضرب ثم ان لم يجازه بذلك لم يكن ذلك منه كذبا قال الواحدي والاصل في ذلك ان الله
عز وجل يجوز ان يخلف الوعيد وان امتنع ان يخلف الوعد بهذا وردت السنة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث انس رضي الله
تعالى عنه انه عليه الصلوة والسلام قال من وعده الله على عمله ثوابا فهو منجزه له ومن اوعده على عمله عقابا فهو بالخيار والتحقيق انه لا
ضرورة الى تفريع ما نحن فيه على الاصل المذكور لانه اخبار منه تعالى بان جزاءه ذلك لا بانه يجزيه بذلك كيف لا وقد قال الله عز وجل وجزاء
سيئة سيئة مثلها ولو كان هذا اخبارا بانه تع يجزي كل سيئة بمثلها لعارضه قوله تع ويعفو عن كثير **يا ايها الذين امنوا** اثر ما بين حكم
القتل بقسميه وان ما يتصور صدوره عن المؤمن انما هو القتل خطأ شرع في التحذير عما يؤدي اليه من قلة المبالاة في الامور **اذا ضربتم في سبيل الله**
اي سافرتم للغزو ولما في اذا من معنى الشرط صدر قوله تع **فتبينوا** بالفاء اي فاطلبوا بيان الامر في كل ما تأتون وما تذرون ولا تعجلوا فيه
بغير تدبر وروية وقرئ فتثبتوا اي اطلبوا ثباته وقوله عز وجل **ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام** نهي عما هو نتيجة لترك المأمور به وتعيين لمادة
مهمة من المواد التي يجب فيها التبيين وقرئ السلم بغير الف وبكسر السين وسكون اللام اي لا تقولوا بغير تأمل لمن حياكم بتحية الاسلام او لمن

القى اليكم مقاليد الاستسلام والانقياد **لست مؤمنا** وانما اظهرت ما اظهرت متعوذا بل اقبلوا منه ما اظهره وعاملوه بموجبه وقرئ مؤمنا بالفتح
اي مبذولا لك الامان وهذا انسب بالقراءتين الاخيرتين والاقتصار على ذكر تحية الاسلام في القراءة الاولى مع كونها مقرونة بكلمتي الشهادة كما سيأتي
في سبب النزول للمبالغة في النهي والزجر والتنبيه على كمال ظهور خطائهم ببيان ان تحية الاسلام كانت كافية في المكافة والانزجار عن التعرض
لصاحبها فكيف وهي مقرونة بها وقوله تع **تبتغون عرض الحيوة الدنيا** حال من فاعل لا تقولوا منبئ عما يحملهم على العجلة وترك التأني لكن لا على ان يكون
النهي راجعا الى القيد فقط كما في قولك لا تطلب العلم تبتغي به الجاه بل اليهما جميعا اي لا تقولوا له ذلك حال كونكم طالبين لماله الذي هو حطام سريع النفاد
وقوله تع **فعند الله مغانم كثيرة** تعليل للنهي عن ابتغاء ماله بما فيه من الوعد الضمني كأنه قيل لا تبتغوا ماله فعند الله مغانم كثيرة تغنمونها فتغنيكم
عن ارتكاب ما ارتكبتموه قوله تع **كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم** تعليل للنهي عن القول المذكور ولعل تأخيره لما فيه من نوع تفصيل ربما يخل
تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم مع ما فيه من مراعاة المقارنة بين التعليل السابق وبين ما علل به كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه
وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم وتقديم خبر كان للقصر المفيد لتأكد المشابهة بين طرفي التشبيه وذلك اشارة الى الموصول باعتبار
اتصافه بما في حيز الصلة والفاء في فمن للعطف على كنتم اي مثل ذلك الذي القى اليكم السلام كنتم انتم ايضا في مبادي اسلامكم لا يظهر منكم للناس
غيره اظهره لكم من تحية الاسلام ونحوها فمن الله عليكم بان قبل منكم تلك المرتبة وعصم بها دماءكم واموالكم ولم يأمر بالتفحص عن سرائركم والفاء
في قوله تعالى **فتبينوا** فصيحة اي اذا كان الامر كذلك فاطلبوا بيان هذا الامر البين وقيسوا حاله بحالكم وافعلوا به ما فعل بكم في اوائل اموركم من
قبول ظاهر الحال من غير وقوف على تواطئ الظاهر والباطن هذا هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شأنه الجليل ومن حسب ان
المعنى اول ما دخلتم في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لالسنتكم
فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم فيه وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم
وان تعتبروا ظاهر الاسلام في المكافة ولا تقولوا الى آخره فقد ابعد عن الحق لان المراد كما عرفت بيان ان تحصين الدماء والاموال حكم مترتب على
ما فيه المماثلة بينه وبينهم من مجرد التفوه بكلمة الشهادة واظهار ان ترتبه عليه في حقهم يقتضي ترتبه عليه في حقه ايضا الزاما لهم واظهارا
لخطائهم ولا يخفى ان ذلك انما يتأتى بتفسير منه تعالى بعليهم المترتب عليه كونهم مثله تحصين دمائهم واموالهم حسبما ذكر حتى يظهر عندهم وجوب تحصين دمه
وماله ايضا لحكم المشاركة فيما يوجبه وحيث لم يفعل ذلك بل فسره بما لم يبق في النظم الكريم ما يدل على ترتب تحصين دمائهم واموالهم على ما ذكر
فمن اين له ان يقول فحصنت دماءكم واموالكم حتى يتأتى البيان وارتكاب تقديره بناء على اقتضاء ما ذكر في تفسير المن اياه بناء على اساس واه
كيف لا وان ما ذكره بصدد التفسير ان كان امرا متفرعا على ما فيه المماثلة مبنيا عليه في حقهم لكنه ليس بحكم اريد اثباته في حقه بناء على ثبوته
في حقهم كالتحصين المذكور حتى يستحق ان يتعرض له ولا بامر له دخل في وجوب اعتبار ظاهر الاسلام من الداخلين فيه حتى يصح نظمه في سلك ما فرع عليه
قوله فعليكم ان تفعلوا الخ وحمل الكلام على معنى انكم في اول الامر كنتم مثل في قصور الرتبة في الاسلام فمن الله عليكم وبلغتم هذه الرتبة العالية
منه فلا تستقصروا حاله نظرا الى حالتكم هذه بل اعتدوا بها نظرا الى حالكم السابقة يرده ان قتله لم يكن لاستقصار اسلامه بل لتوهم عدم
مطابقة قلبه للسانه فان الآية الكريمة نزلت في شأن مرداس بن نهيك من اهل فدك وكان قد اسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا
وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه فقال اسامة انه قال بلسانه دون قلبه وفي رواية انما قالها خوفا من السلاح فقال عليه السلام هلا
شققت عن قلبه ثم قرأ الآية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي فقال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة فما زال صلى الله تعالى عليه وسلم يعيدها حتى
وددت ان لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة وقيل نزلت في رجل قال يا رسول الله كنا نطلب القوم وقد هزمهم الله تعالى فقصدت
رجلا فلما احس بالسيف قال اني مسلم فقتلته فقال الرسول صلى الله عليه وسلم اقتلت مسلما قال انه كان متعوذا فقال عليه السلام افلا شققت

عن قلبه **ان الله كان بما تعملون** من الاعمال الظاهرة والخفية وبكيفياتها **خبيرا** فيجازيكم بحسبها ان خيرا فخير وان شرا فشر فلا تتهافتوا في القتل
واحتاطوا فيه والجملة تعليل لما قبلها بطريق الاستئناف وقرئ بفتح ان على انها معمولة لتبينوا او على حذف لام التعليل **لا يستوي
القاعدون** بيان لتفاوت طبقات المؤمنين بحسب تفاوت درجات مساعيهم في الجهاد بعدما مر من الامر به وتحريض المؤمنين عليه ليأنف القاعد
ويترفع بنفسه عن انحطاط رتبته فيهتز له رغبة في ارتفاع طبقته والمراد بهم الذين اذن لهم في القعود عن الجهاد اكتفاء بغيرهم قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما هم القاعدون عن بدر والخارجون اليها وهو الظاهر الموافق لتاريخ النزول لا ما روي عن مقاتل من انهم الخارجون
الى تبوك فانه مما لا يوافقه التاريخ ولا يساعده الحال اذ لم يكن للمتخلفين يومئذ هذه الرخصة وقوله تع **من المؤمنين** متعلق بمحذوف
وقع حالا من القاعدون اي كائنين من المؤمنين وفائدتها الايذان من اول الامر بعدم اخلال وصف القعود بايمانهم والاشعار بعلة استحقاقهم
لما سيأتي من الحسنى **غير اولي الضرر** بالرفع صفة للقاعدون لجريانه مجرى النكرة حيث لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرئ بالنصب على انه
حال منه او استثناء وبالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه والضرر المرض او العاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها وفي معناها العجز عن
الاهبة عن زيد بن ثابت انه قال كنت الى جنب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها
ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم وكان اعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع
الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر **والمجاهدون** ايراده
بهذا العنوان دون الخروج المقابل لوصف المعطوف عليه كما وقع في عبارة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وكذا تقييد المجاهدة بكونها **في سبيل الله
باموالهم وانفسهم** لمدحهم بذلك والاشعار بعلة استحقاقهم لعلو المرتبة مع ما فيه من حسن موقع السبيل في مقابلة القعود وتقديم القاعدون
في الذكر للايذان من اول الامر بان القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين
المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب قصور القاصر وعليه قوله تع هل يستوي
الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور الى غير ذلك واما قوله تع هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان
صلته ملكة لصلة المفضول وقوله عز وجل **فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة** استئناف مسوق لتفصيل ما بين الفريقين
من التفاضل المفهوم من ذكر عدم استوائهما اجمالا ببيان كيفيته وكميته مبني على سؤال ينساق اليه المقال كأنه قيل كيف وقع ذلك فقيل
فضل الله الخ واما تقدير ما لهم لا يستوون فانما يليق بجعل الاستئناف تعليلا لعدم الاستواء مسوقا لاثباته وفيه تعكيس ظاهر فان الذي يحق
ان يكون مقصودا بالذات انما هو بيان تفاضل الفريقين على درجات متفاوتة واما عدم استوائهما فقصارى امره ان يكون توطئة لذكره
ولام المجاهدين والقاعدين للعهد فقيد كون الجهاد في سبيل الله معتبر في الاول كما ان قيد عدم الضرر معتبر في الثاني ودرجة نصب على المصدرية
لوقوعها موقع المرة عن التفضيل اي فضل الله تفضيلة او على نزع الخافض اي بدرجة وقيل على التمييز وقيل على الحالية من المجاهدين اي ذوي
درجة وتنوينها للتفخيم وقوله تع **وكلا** مفعول اول لما يعقبه قدم عليه لافادة القصر تأكيدا للوعد اي كل واحد من المجاهدين والقاعدين
وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة لا احدهما فقط كما في قوله تع وارسلناك للناس رسولا على ان اللام متعلقة برسولا والجملة اعتراض
جيء به تداركا لما عسى يوهمه تفضيل احد الفريقين على الآخر من حرمان المفضول وقوله عز وجل **وفضل الله المجاهدين على القاعدين** عطف على قوله
تع فضل الله الخ واللام في الفريقين مغنية لها عن ذكر القيود التي تركت على سبيل التدريج وقوله تع **اجرا عظيما** مصدر مؤكد لفضل على انه بمعنى
اجر وايثاره على ما هو مصدر من فعله للاشعار بكون ذلك التفضيل اجرا لاعمالهم او مفعول ثان له لتضمينه معنى الاعطاء اي اعطاهم زيادة على القاعدين
اجرا عظيما وقيل هو منصوب بنزع الخافض اي فضلهم باجر عظيم وقوله تع **درجات** بدل من اجرا بدل الكل مبين لكمية التفضيل وقوله تع **منه** متعلق
بمحذوف وقع صفة لدرجات دالة على فخامتها وجلالة قدرها اي درجات كائنة منه تعالى قال ابن محيريز هي سبعون درجة ما بين كل درجتين
عدو الفرس الجواد المضمر سبعين خريفا وقال السدي هي سبعمائة درجة وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان في

الجنة مائة درجة اعدها الله تعالى للمجاهدين في سبيله بين الدرجتين كما بين السماء والارض ويجوز ان يكون انتصاب درجات على المصدرية كما في قولك ضربته اسواطا
اي مرات كأنه قيل فضلهم تفضيلات وقوله تع **ومغفرة** بدل من اجرا بدل البعض لان بعض الاجر ليس من باب المغفرة اي مغفرة لما يفرط منهم من الذنوب
التي لا يكفرها سائر الحسنات التي ياتي بها القاعدون ايضا حتى تعد من خصائصهم وقوله تع **ورحمة** بدل الكل من اجرا مثل درجات ويجوز ان يكون
انتصابهما باضمار فعلهما اي غفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة هذا ولعل تكرير التفضيل بطريق العطف المنبئ عن المغايرة وتقييده تارة بدرجة واخرى
بدرجات مع اتحاد المفضل والمفضل عليه حسبما تقتضيه اللام ويستدعيه حسن الانتظام اما لتنزيل الاختلاف العنواني بين التفضيلين وبين الدرجة
والدرجات منزلة الاختلاف الذاتي تمهيدا لسلوك طريقة الابهام ثم التفسير روما لمزيد التحقيق والتقرير كما في قوله تع فلما جاء امرنا نجينا هودا
والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ كأنه قيل فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة لا يقادر قدرها ولا يبلغ كنهها وحيث
كان تحقق هذا البون البعيد بينهما موهما لحرمان القاعدين قيل وكلا وعد الله الحسنى ثم اريد تفسير ما افاده التنكير بطريق الابهام بحيث يقطع احتمال
كونه للوحدة فقيل ما قيل ولله در شان التنزيل واما للاختلاف بالذات بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات على ان المراد بالتفضيل الاول
ما خولهم الله تعالى عاجلا في الدنيا من الغنيمة والظفر والذكر الجميل الحقيق بكونه درجة واحدة وبالتفضيل الثاني ما انعم به في الآخرة من الدرجات
العالية الفائتة للحصر كما ينبئ عنه تقديم الاول وتأخير الثاني وتوسيط الوعد بالجنة بينهما كأنه قيل فضلهم عليهم في الدنيا درجة واحدة
وفي الآخرة درجات لا تحصى وقد وسط بينهما في الذكر ما هو متوسط بينهما في الوجود اعني الوعد بالجنة توضيحا لحالهما ومسارعة الى تسلية
المفضول والله سبحانه اعلم هذا ما بين المجاهدين وبين القاعدين غير اولي الضرر واما اولو الضرر فهم مساوون للمجاهدين عند القائلين
بمفهوم الصفة وبان الاستثناء من النفي اثبات واما عند من لا يقول بذلك فلا دلالة لعبارة النص عليه وقد روي عن رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم لقد خلفتم في المدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم
تهوي الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر او غيره وفي عبارة اخرى ان في المدينة لاقواما ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد الا كانوا
معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم وهم بالمدينة حبسهم العذر قالوا هذه المساواة مشروطة بشريطة اخرى سوى الضرر قد
ذكرت في قوله تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى الى قوله تع اذا نصحوا لله ورسوله وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والثاني غيرهم وفيه من
تفكيك النظم الكريم ما لا يخفى ولا ريب في ان الاضراء افضل من غيرهم درجة كما لا ريب في انهم دون المجاهدين بحسب الدرجة الدنيوية **وكان الله غفورا رحيما**
تذييل مقرر لما وعد من المغفرة والرحمة **ان الذين توفاهم الملائكة** بيان لحال القاعدين عن الهجرة اثر بيان حال القاعدين عن الجهاد وتوفاهم يحتمل ان
يكون ماضيا ويؤيده قراءة من قرأ توفتهم وان يكون مضارعا قد حذف منه احدى التائين واصله تتوفاهم على الحكاية الحال الماضية
والقصد الى استحضار صورتها ويعضده قراءة من قرأ توفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله تعالى يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها **ظالمي**
انفسهم حال من ضمير توفاهم فانه وان كان مضافا الى المعرفة الا انه نكرة في الحقيقة لان المعنى على الانفصال وان كان موصولا في اللفظ كما في قوله
تع غير محلي الصيد وهديا بالغ الكعبة وثاني عطفه اي محلين الصيد وبالغا الكعبة وثانيا عطفه كأنه قيل ظالمين انفسهم وذلك بترك الهجرة و
اختيار مجاورة الكفرة الموجبة للاخلال بامور الدين فانها نزلت في ناس من مكة قد اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة **قالوا**
اي الملائكة عليهم السلام للمتوفين تقريرا لهم بتقصيرهم في اظهار اسلامهم واقامة احكامه من الصلوة ونحوها وتوبيخا لهم بذلك **فيم كنتم** اي في اي
شيء كنتم من امور دينكم **قالوا** استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية سؤال الملائكة كأنه قيل فماذا قالوا متجانفين عن الاقرار الصحيح بما
هم فيه من التقصير متعللين بما يوجبه على زعمهم **كنا مستضعفين في الارض** اي في ارض مكة عاجزين عن القيام بمواجب الدين فيما بين اهلها **قالوا** ابطالا
لتعللهم وتبكيتا لهم **الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها** الى قطر آخر منها تقدرون فيه على اقامة امور الدين كما فعله من هاجر الى المدينة
والى الحبشة واما حمل تعللهم على اظهار العجز عن الهجرة وجعل جواب الملائكة تكذيبا لهم في ذلك فيرده ان سبب العجز عنها لا ينحصر في فقدان دار
الهجرة بل قد يكون لعدم الاستطاعة للخروج بسبب الفقر او بعدم تمكين الكفرة منه فلا يكون بيان سعة الارض تكذيبا لهم وردا عليهم بل لا بد

من بيان استطاعتهم ايضا حتى يتم التبكيت وقيل كانت الطائفة المذكورة قد خرجوا مع المشركين الى بدر منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد
بن المغيرة واشباههما فقتلوا فيها فضربت الملائكة وجوههم وادبارهم وقالوا لهم ما قالوا فيكون ذلك منهم تقريعا وتوبيخا لهم بما كانوا فيه من
مساعدة الكفرة بانتظامهم في عسكرهم ويكون جوابهم بالاستضعاف تعللا بانهم كانوا مقهورين تحت ايديهم وانهم اخرجوهم كارهين فرد عليهم بانهم
كانوا بسبيل من الخلاص عن قهرهم متمكنين من المهاجرة **فاولئك** الذين حكيت احوالهم الفظيعة **مأواهم** اي في الآخرة **جهنم** كما ان مأويهم في الدنيا
دار الكفر لتركهم الفريضة المحتومة فمأويهم مبتدأ وجهنم خبره والجملة خبر لاولئك وهذه الجملة خبر لان والفاء فيه لتضمن اسمها معنى الشرط وقوله تع قالوا
فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد عند من يشترطه وهو الخبر والعائد منه محذوف اي قالوا لهم والجملة المصدرة بالفاء معطوفة عليه مستنتجة
منه ومما في حيزه **وساءت مصيرا** اي مصيرهم او جهنم وفي الآية الكريمة ارشاد الى وجوب المهاجرة من موضع لا يتمكن الرجل من اقامة امور دينه باي سبب
كان وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم عليه السلام
ونبيه محمد عليه الصلوة والسلام **الا المستضعفين** استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه ومن في قوله تع **من الرجال والنساء**
والولدان متعلقة بمحذوف وقع حالا من المستضعفين اي كائنين منهم وذكر الولدان ان اريد بهم المماليك والمراهقون ظاهر واما ان اريد بهم الاطفال
فللمبالغة في امر الهجرة وايهام انها بحيث لو استطاعها غير المكلفين لوجبت عليهم والاشعار بانه لا محيص لهم عنها البتة يجب عليهم اذا بلغوا حتى
كأنها واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم حتى امكنت وقوله تع **لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا**
صفة للمستضعفين فان ما فيه من اللام ليس للتعريف او حال منه او من الضمير المستكن فيه وقيل تفسير لنفس المستضعفين لكثرة وجوه الاستضعاف
واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة ومباديها واهتداء السبيل معرفة طريق الموضع المهاجر اليه بنفسه او بدليل **فاولئك** اشارة الى المستضعفين
الموصوفين بما ذكر من صفات العجز **عسى الله ان يعفو عنهم** جيء بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان الهجرة من تأكد الوجوب بحيث ينبغي ان
يعد تركها ممن تحقق عدم وجوبها عليه ذنبا يجب طلب العفو عنه رجاء وطمعا لا جزما وقطعا **وكان الله عفوا غفورا** تذييل مقرر لما
قبله **ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا** ترغيب في المهاجرة وتأنيس لها اي يجد فيها متحولا ومهاجرا وانما عبر عنه بذلك
تأكيدا للترغيب لما فيه من الاشعار بكون ذلك المتحول بحيث يصل فيه المهاجر من الخير والنعمة الى ما يكون سببا لرغم انف قومه الذين هاجرهم
والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب وقيل يجد فيها طريقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم **وسعة**
اي من الرزق **ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله** اي قبل ان يصل الى المقصد وان كان ذلك خارج بابه كما ينبئ عنه ايثار الخروج من بيته على المهاجرة
ثم يدركه الموت
وهو عطف على فعل الشرط وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقيل هو حركة الهاء نقلت الى الكاف على نية الوقف كما في قوله
من عنزي سبني لم اضربه وقرئ بالنصب على اضمار ان كما في قوله والحق بالحجاز فاستريحا **فقد وقع اجره على الله** اي ثبت ذلك عنده
تع ثبوت الامر الواجب روي ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما بعث بالآيات المتقدمة الى مسلمي مكة قال جندب بن ضمرة لبنيه وكان
شيخا كبيرا احملوني فاني لست من المستضعفين واني لاهتدي الطريق والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة
فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك رسولك فمات حميدا
فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا لو توفي بالمدينة لكان اتم اجرا فنزلت قالوا كل هجرة في غرض ديني من طلب
علم او حج او جهاد او نحو ذلك فهي هجرة الى الله عز وجل والى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم **وكان الله غفورا** مبالغا في المغفرة فيغفر له
ما فرط منه من الذنوب التي من جملتها القعود عن الهجرة الى وقت الخروج **رحيما** مبالغا في الرحمة فيرحمه باكمال ثواب هجرته **واذا ضربتم في الارض** شروع
في بيان كيفية الصلوة عند الضرورة من السفر ولقاء العدو والمطر والمرض وفيه تأكيد لعزيمة المهاجر على المهاجرة وترغيب فيها لما فيه من
تخفيف المؤنة اي اذا سافرتم اي مسافرة كانت ولذلك لم يقيد بالمهاجرة **فليس عليكم جناح** اي حرج ومأثم **ان تقصروا** اي في ان
تقصروا والقصر خلاف المد يقال قصرت الشيء اي جعلته قصيرا بحذف بعض اجزائه او اوصافه فمتعلق القصر حقيقة انما هو ذلك الشيء

لا لبعضه فانه متعلق بالحذف دون القصر وعلى هذا فقوله تعالى من الصلوة ينبغي ان يكون مفعولا لتقصروا على زيادة من حسبما رآه الاخفش واما على تقدير ان
تكون تبعيضية ويكون المفعول محذوفا كما هو رأي سيبويه اي شيئا من الصلوة فينبغي ان يصار الى وصف الجزء بصفة الكل او يراد بالقصر معنى
الحبس يقال قصرت الشيء اذا حبسته او يراد بالصلوة الجنس ليكون المقصور بعضا منها وهي الرباعيات اي فليس عليكم جناح في ان تقصروا
بعض الصلوة بتنصيفها وقرئ تقصروا من التقصير والكل بمعنى وادنى مدة السفر الذي يتعلق به القصر عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى مسيرة ثلثة
ايام ولياليها بسير الابل ومشي الاقدام بالاقتصاد وعند الشافعي رحمه الله تعالى مسيرة يومين وظاهر الآية الكريمة التخيير وافضلية الاتمام وبه
تعلق الشافعي رحمه الله تعالى وبما روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه اتم في السفر وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها اتمت تارة وقصرت
اخرى وعن عثمان رضي الله تعالى عنه انه كان يتم ويقصر وعندنا يجب القصر لا محالة خلا ان بعض مشايخنا سماه عزيمة وبعضهم رخصة اسقاط بحيث
لا مساغ للاتمام لا رخصة ترفيه اذ لا معنى للتخيير بين الاخف والاثقل وهو قول عمر وعلي وابن عباس وابن عمر وجابر رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وقد روي عن عمر رضي الله تعالى عنه صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم
عليه الصلوة والسلام وعن انس خرجنا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من المدينة الى مكة فكان يصلي ركعتين ركعتين حتى رجعنا الى المدينة وعن عمران
ابن حصين رضي الله تعالى عنه ما رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يصلي في السفر الا ركعتين وصلى بمكة ركعتين ثم قالوا اتموا فانا قوم
سفر وحين سمع ابن مسعود ان عثمان رضي الله تعالى عنهما صلى بمنى اربع ركعات استرجع ثم قال صليت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
بمنى ركعتين وصليت مع ابي بكر رضي الله تعالى عنه بمنى ركعتين وصليت مع عمر رضي الله تعالى عنه بمنى ركعتين فليت حظي من اربع ركعات ركعتان
متقبلتان وقد اعتذر عثمان رضي الله تعالى عنه عن تمامه بانه تاهل بمكة وعن الزهري انه انما اتم لانه ازمع الاقامة بمكة وعن عائشة
رضي الله تعالى عنها اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وفي صحيح البخاري انها قالت فرض الله
تعالى الصلوة حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فاقرت صلوة السفر وزيدت في صلوة الحضر واما ما روي عنها من الاتمام فقد
اعتذرت عنه قالت انا ام المؤمنين فحيث حللت فهي داري وانما ورد ذلك بنفي الجناح لما انهم الفوا الاتمام فكانوا مظنة ان يخطر ببالهم ان
عليهم نقصانا في القصر فصرح بنفي الجناح عنهم ليطيب به نفوسهم ويطمئنوا اليه كما في قوله تعالى فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما
مع ان ذلك الطواف واجب عندنا ركن عند الشافعي رحمه الله تعالى وقوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي
ان خفتم ان يتعرضوا لكم بما تكرهونه من القتال وغيره فليس عليكم جناح الخ وهو شرط معتبر في شرعية ما يذكر بعده من صلوة الخوف المؤداة
بالجماعة واما في حق مطلق القصر فلا اعتبار له اتفاقا لتظاهر السنن على مشروعيته حسبما وقفت على تفاصيلها وقد ذكر الطحاوي في شرح
الآثار مسندا الى يعلى بن امية انه قال قلت لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه انما قال الله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة
ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا وقد امن الناس فقال عمر رضي الله تعالى عنه عجبت مما عجبت منه فسالت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وفيه دليل على عدم جواز الاكمال لان التصدق بما لا يحتمل التمليك اسقاط محض
لا يحتمل الرد كما حقق في موضعه ولا يتوهمن انه مخالف للكتاب لان التقييد بالشرط عندنا انما يدل على ثبوت الحكم عند وجود الشرط
واما عدمه عند عدمه فمسكوت عنه فان وجد له دليل ثبت عنده ايضا والا يبقى على حاله لعدم تحقق دليله لا لتحقق دليل عدمه وناهيك بما
سمعت من الادلة الواضحة واما عند القائلين بالمفهوم فلانه انما يدل على نفي الحكم عند عدم الشرط اذا لم يكن له فائدة اخرى وقد خرج
ههنا مخرج الاغلب كما في قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا بل نقول ان الآية الكريمة مجملة في حق مقدار القصر
وكيفيته وفي حق ما يتعلق به من الصلوات وفي مقدار مدة الضرب الذي نيط به القصر فكل ما ورد منه صلى الله تعالى عليه وسلم من القصر في حال
الامن وتخصيصه بالرباعيات على وجه التنصيف وبالضرب في المدة المعينة بيان لاجمال الكتاب وقد قيل ان قوله تعالى ان خفتم الخ متعلق
بما بعده من صلوة الخوف منفصل عما قبله فانه روي عن ابي ايوب الانصاري رضي الله تعالى عنه انه قال نزل قوله تعالى واذا ضربتم في الارض فليس

عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ثم سألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد حول فنزل ان خفتم الخ اي ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا
فليس عليكم جناح الخ وقد قرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم على انه مفعول له لما دل عليه الكلام كانه قيل شرع لكم ذلك كراهة ان يفتنكم
الخ فان استمرار الاشتغال بالصلوة مظنة لاقتدارهم على ايقاع الفتنة وقوله تعالى ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا تعليل لذلك باعتبار تعلله بما ذكر او لما فهم
من الكلام من كون فتنتهم متوقعة فان كمال عداوتهم للمؤمنين من موجبات التعرض لهم بسوء وقوله تعالى واذا كنت فيهم بيان لما قبله من النص
المجمل الوارد في مشروعية القصر بطريق التفريع وتصوير لكيفيته عند الضرورة وتخصيص البيان بهذه الصورة مع الاكتفاء فيما عداها بالبيان
بطريق السنة لمزيد حاجتهم اليه لما فيها من كثرة التغيير عن الهيئات الاصلية ومن ههنا ظهر لك ان مورد النص الشريف هي المقصورة وحكم
ما عداها مستفاد من حكمها والخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بطريق التجريد وبظاهره تعلق من لا يرى صلوة الخوف بعده صلى الله عليه
وسلم ولا يخفى ان الائمة بعده نوابه عليه الصلوة والسلام قوام بما كان يقوم به فيتناولهم حكم الخطاب الوارد له عليه السلام كما في قوله تعالى
خذ من اموالهم صدقة وقد روي ان سعيد بن العاص لما اراد ان يصلي بطبرستان صلوة الخوف قال من شهد منكم صلوة الخوف مع رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقام حذيفة بن اليمان فوصف له ذلك فصلى بهم كما وصف وكان ذلك بحضرة الصحابة رضي الله تعالى عنهم فلم ينكره
احد فحل محل الاجماع وروي في السنن انهم غزوا مع عبد الرحمن بن سمرة كابل فصلى بهم صلوة الخوف فاقمت لهم الصلوة اي اردت ان تقيم بهم
الصلوة فلتقم طائفة منهم معك بعد ان جعلتهم طائفتين ولتقف الطائفة الاخرى بازاء العدو ليحرسوكم منهم وانما لم يصرح به لظهوره
وليأخذوا اي الطائفة القائمة معك اسلحتهم اي لا يضعوها ولا يلقوها وانما عبر عن ذلك بالاخذ للايذان بالاعتناء باستصحابها كانهم
ياخذونها ابتداء فاذا سجدوا اي القائمون معك واتموا الركعة فليكونوا من ورائكم اي فلينصرفوا الى مقابلة العدو للحراسة ولتات طائفة
اخرى لم يصلوا بعد وهي الطائفة الواقفة تجاه العدو للحراسة وانما لم تعرف لما انها لم تذكر فيما قبل فليصلوا معك الركعة الباقية ولم يبين في
الآية الكريمة حال الركعة الباقية لكل من الطائفتين وقد بين ذلك بالسنة حيث روي عن ابن عمر وابن مسعود رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم حين صلى صلوة الخوف صلى بالطائفة الاولى ركعة وبالطائفة الاخرى ركعة كما في الآية ثم جاءت الطائفة الاولى وذهبت هذه
الى مقابلة العدو حتى قضت الاولى الركعة الاخرى بلا قراءة وسلموا ثم جاءت الطائفة الاخرى وقضوا الركعة الاولى بقراءة حتى صار لكل
طائفة ركعتان وليأخذوا اي هذه الطائفة حذرهم واسلحتهم لعل زيادة الامر بالحذر في هذه المرة لكونها مظنة لوقوف الكفرة على كون الطائفة
القائمة مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في شغل شاغل واما قبلها فربما يظنونهم قائمين للحرب وتكليف كل من الطائفتين بما ذكر لما ان الاشتغال
بالصلوة مظنة لالقاء السلاح والاعراض عن غيرها ومئنة لهجوم العدو كما ينطق به قوله تعالى ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم
ميلة واحدة فانه استيناف مسوق لتعليل الامر المذكور والخطاب للفريقين بطريق الالتفات اي تمنوا ان ينالوا منكم غرة وينتهزوا فرصة فيشدوا عليكم
شدة واحدة والمراد بالامتعة ما يتمتع به في الحرب لا مطلقا وهذا الامر للوجوب لقوله تعالى ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم
حيث رخص لهم في وضعها اذا ثقل عليهم استصحابها بسبب مطر او مرض وامروا ذلك بالتيقظ والاحتياط فقيل وخذوا حذركم لئلا يهجم العدو
عليهم غيلة روى الكلبي عن ابي صالح ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غزا محاربا وبني انمار فنزلوا ولا يرون من العدو احدا فوضع الناس
اسلحتهم وخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لحاجة له وقد وضع سلاحه حتى قطع الوادي والسماء ترش فحال الوادي بينه عليه السلام وبين اصحابه
فجلس رسول الله عليه الصلوة والسلام فبصر به غورث بن الحرث المحاربي فقال قتلني الله ان لم اقتلك ثم انحدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو قائم على رأسه وقد سل سيفه من غمده فقال يا محمد من يعصمك مني الآن فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم الله عز وجل ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحرث بما شئت ثم اهوى بالسيف الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخذه ثم قال يا غورث
من يمنعك مني الآن قال لا احد قال عليه الصلوة والسلام تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله واعطيك سيفك قال لا ولكن
اشهد ان لا اقاتلك ابدا ولا اعين عليك عدوا فاعطاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سيفه قال غورث والله لانت خير مني فقال رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم انا الحق بذلك منك فرجع غورث الى اصحابه فقصى عليهم قصته فآمن بعضهم قال وسكن الوادي فقطع عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
الى اصحابه واخبرهم بالخبر وقوله تع ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا تعليل للامر باخذ الحذر اي اعد لهم عذابا مهينا بان يخذلهم وينصركم عليهم فاهتموا
بامورکم ولا تهملوا في مباشرة الاسباب كي يحل بهم عذابه بايديكم وقيل لما كان الامر بالحذر من العدو موهما لتوقع غلبته واعتزازه نفى ذلك الايهام
بان الله تعالى ينصرهم ويهين عدوهم لتقوى قلوبهم فاذا قضيتم الصلوة صلوة الخوف اي اديتموها على الوجه المبين وفرغتم منها فاذكروا الله قياما
وقعودا وعلى جنوبكم فداوموا على ذكره تع وحافظوا على مراقبته ومناجاته ودعائه في جميع الاحوال حتى في حال المسايفة والقتال كما في قوله تع اذا
لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف وامنتم بعد ما وضعت الحرب اوزارها فاقيموا الصلوة اي
الصلوة التي دخل وقتها اي ادوها بتعديل اركانها ومراعاة شرائطها وقيل المراد بالذكر في الاحوال الثلثة الصلوة فيها اي فاذا اردتم اداء
الصلوة فصلوا قياما عند المسايفة وقعودا جاثين على الركب عند المراماة وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح فاذا اطمأننتم في الجملة فاقضوا ما صليتم
في تلك الاحوال التي هي احوال القلق والانزعاج وهو رأي الشافعي رحمه الله وفيه من البعد ما لا يخفى ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا اي
فرضا موقتا قال مجاهد وقته الله تعالى عليهم فلا بد من اقامتها في حالة الخوف ايضا على الوجه المشروح وقيل مفروضا مقدرا في الحضر اربع
ركعات وفي السفر ركعتين فلا بد ان تؤدى في كل وقت حسبما قدر فيه ولا تهنوا في ابتغاء القوم اي لا تضعفوا ولا تتوانوا
في طلب الكفار بالقتال والتعرض لهم بالحراب وقوله تع ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا
يرجون تعليل للنهي وتشجيع لهم اي ليس ما تقاسونه من الآلام مختصا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم ثم انهم يصبرون على ذلك
فما لكم لا تصبرون مع انكم اولى به منهم حيث ترجون من الله من اظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب في الآخرة ما لا يخطر
ببالهم وقرئ ان تكونوا بفتح الهمزة اي لا تهنوا لان تكونوا تألمون وقوله تع فانهم تعليل للنهي عن الوهن لاجله والآية
نزلت في بدر الصغرى وكان الله عليما مبالغا في العلم فيعلم اعمالكم وضمائركم حكيما فيما يأمر وينهى فجدوا في الامتثال بذلك فان
فيه عواقب حميدة انا انزلنا اليك الكتاب بالحق روي ان رجلا من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من
جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه فخباها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع
عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوه فقال
دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم
وشهدوا ببراءته وسرقة اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل فنزلت وروي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا
بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله وقيل نزل على رجل من بني سليم من اهل مكة يقال له الحجاج بن علاط فنقب بيته فسقط عليه
حجر فلم يستطع الدخول ولا الخروج فأخذ ليقتل فقيل دعه فانه قد لجأ اليك فتركه واخرجوه من مكة فالتحق بتجار من قضاعة نحو الشام
فنزلوا منزلا فسرق بعض متاعهم وهرب فاخذوه ورموه بالحجارة حتى قتلوه وقيل انه ركب سفينة الى جدة فسرق فيها كيسا فيه
دنانير فاخذ والقي في البحر لتحكم بين الناس بما اريك الله اي بما عرفك واوحى به اليك ولا تكن للخائنين اي لاجلهم والذب عنهم وهم طعمة
ومن يعينه من قومه او هو ومن يسير بسيرته خصيما مخاصما للبراء اي لا تخاصم اليهود لاجلهم والنهي معطوف على امر ينبئ عليه النظم الكريم
كانه قيل فاحكم به ولا تكن الخ واستغفر الله مما هممت به تعويلا على شهادتهم ان الله كان غفورا رحيما مبالغا في الرحمة والمغفرة لمن يستغفره
ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم اي يخونونها بالمعصية كقوله تع علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت معصية العصاة خيانة
منهم لانفسهم كما جعلت ظلما لها لرجوع ضررها اليهم والمراد بالموصول طعمة وامثاله او هو ومن عاونه وشهد ببراءته من قومه
فانهم شركاء له في الاثم والخيانة ان الله لا يحب من كان خوانا مفرطا في الخيانة مصرا عليها اثيما منهمكا فيه وتعليق عدم المحبة الذي هو
كناية عن البغض والسخط بالمبالغ في الخيانة والاثم ليس لتخصيصه به بل لبيان افراط طعمة وقومه فيهما يستخفون من الناس يستترون منهم حياء

وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله اي لا يستحيون منه سبحانه وهو احق بان يستحيى منه ويخاف من عقابه وهو معهم عالم بهم وباحوالهم
فلا طريق الى الاستخفاء منه سوى ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف
الكاذب وشهادة الزور وكان الله بما يعملون من الاعمال الظاهرة والخافية محيطا لا يعزب عنه شيء منها ولا يفوت ها انتم هؤلاء تلوين
للخطاب وتوجيه له اليهم بطريق الالتفات ايذانا بان تعديد جناياتهم يوجب مشافهتهم بالتوبيخ والتقريع والجملة مبتدأ وخبر وقوله تعالى
جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا ويجوز ان يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم الخ صلة له
والمجادلة اشد المخاصمة والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وامثاله في الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة فمن يخاصم عنهم
عند تعذيبهم وعقابهم ام من يكون عليهم وكيلا حافظا ومحاميا من بأس الله تعالى وانتقامه ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره كما
فعل طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل السوء ما دون الشرك والظلم الشرك وقيل هما الصغيرة
والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة الصادقة يجد الله غفورا لذنوبه كائنة ما كانت رحيما متفضلا عليه وفيه مزيد ترغيب لطعمة وقومه
في التوبة والاستغفار لما ان مشاهدة التائب لآثار المغفرة والرحمة نعمة زائدة كما مر ومن يكسب اثما من الآثام فانما يكسبه على
نفسه بحيث لا يتعدى ضرره ووباله الى غيره فليحترز عن تعريضها للعقاب والعذاب عاجلا وآجلا وكان الله عليما مبالغا في العلم
حكيما مراعيا للحكمة في كل ما قدر وقضى ولذلك لا تحمل وازرة وزر اخرى ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه من
الذنوب وقرئ ومن يكسب بكسر الكاف وتشديد السين واصله يكتسب او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به اي يقذف
به ويسنده وتوحيد الضمير مع تعدد المرجع لمكان او وتذكيره لتغليب الاثم على الخطيئة كانه قيل ثم يرم باحدهما وقرئ يرم
بهما وقيل الضمير للكسب المدلول عليه بقوله تعالى يكسب وثم للتراخي في الرتبة بريئا اي مما رماه به ليحمله عقوبته العاجلة كما فعل طعمة
بزيد فقد احتمل اي بما فعل من تحميل جريرته على البريء بهتانا وهو الكذب على الغير بما يبهت منه ويتحير عند سماعه لفظاعته وقوله
وقيل هو الكذب الذي يتحير في عظمه واثما مبينا اي بينا فاحشا وهو صفة لاثما وقد اكتفى في بيان عظم البهتان بالتنكير التفخيمي كانه
قيل بهتانا لا يقادر قدره واثما مبينا على ان وصف الاثم بما ذكر بمنزلة وصف البهتان به لانهما عبارة عن امر واحد هو رمي البريء بجناية
نفسه قد عبر عنه بهما تهويلا لامره وتفظيعا لحاله فمدار العظم والفخامة كون المرمي به للرامي فان رمي البريء بجناية ما خطيئة كانت او اثما
بهتان واثم في نفسه اما كونه بهتانا فظاهر واما كونه اثما فلان كون الذنب بالنسبة الى من فعله خطيئة لا يلزم منه كونه بالنسبة الى من نسبه
الى البريء منه ايضا كذلك بل لا يجوز ذلك قطعا كيف لا وهو كذب محرم في جميع الاديان فهو في نفسه بهتان واثم لا محالة وبكون تلك الجناية للرامي
يتضاعف ذلك شدة ويزداد قبحا لكن لا لانضمام جناية المكسوبة الى رمي البريء والا لكان الرمي بغير جناية مثله في العظم ولا لمجرد اشتماله
على تبرئة نفسه الخاطئة والا لكان الرمي بغير جناية مع تبرئة نفسه كذلك في العظم بل لاشتماله على قصد تحميل جنايته على البريء واجراء عقوبتها
عليه كما ينبئ عنه ايثار الاحتمال على الاكتساب ونحوه لما فيه من الايذان بانعكاس تقديره مع ما فيه من الاشعار بثقل الوزر وصعوبة الامر نعم بما ذكر
من انضمام كسبه وتبرئة نفسه الى رمي البريء يزداد الجناية قبحا لكن تلك الزيادة وصف للمجموع لا للاثم ولولا فضل الله عليك ورحمته
باعلامك ما هم عليه بالوحي وتنبيهك على الحق وقيل بالنبوة والعصمة لهمت طائفة منهم اي من بني ظفر وهم الذابون عن طعمة وقد جوز ان يكون
المراد بالطائفة كلهم ويكون الضمير راجعا الى الناس وقيل هم وفد بني ثقيف قدموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا جئناك لنبايعك على
ان لا نكسر اصنامنا ولا نعشر فردهم صلى الله عليه وسلم ان يضلوك اي بان يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بكنه الامر والجملة جواب لولا وانما نفي همهم
مع ان المنفي انما هو تأثيره فقط ايذانا بانتفاء تأثيره بالكلية وقيل المراد هو الهم المؤثر ولا ريب في انتفائه حقيقة وقيل الجواب محذوف اي لاضلوك
وقوله عز وجل لهمت جملة مستأنفة اي لقد همت طائفة الخ وما يضلون الا انفسهم لاقتصار وباله عليهم من غير ان يصيبك منه شيء والجملة
اعتراض وقوله تعالى وما يضرونك من شيء عطف عليه ومحل الجار والمجرور النصب على المصدرية اي وما يضرونك شيئا من الضرر لما انه تعالى عاصمك واما

ماخطر بالک فکان عملا منک نظار الحال ثقة باقوال القائلين من غير ان يخطر ببالک ان الحقيقة على خلاف ذلک **وانزل الله عليک الکتاب والحکمة** اي القران الجامع بين
العلوين وقيل المراد بالحکمة السنة **وعلمک** بالوحي من خفيات الامور التي من جملتها وجوه ابطال کيد المنافقين او من امور الدين واحکام الشرع **ما لم تکن تعلم**
ذلک الى وقت التعليم **وکان فضل الله عليک عظيما** اذ لا فضل اعظم من النبوة العامة والرياسة التامة **لا خير في کثير من نجواهم** اي في کثير من
تناجي الناس **الا من امر** اي الا في نجوى من امر **بصدقة او معروف** وقيل المراد بالنجوى المتناجون بطريق المجاز وقيل النجوى جمع نجي نقله الکرماني
وايا ما کان فالاستثناء متصل ويجوز الانقطاع ايضا على معنى لکن من امر بصدقة الخ ففي نجواه الخير والمعروف کل ما يستحسنه الشرع ولا ينکره العقل
فينتظم اصناف الجميل وفنون اعمال البر وقد فسر ههنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع على ان المراد بالصدقة الصدقة الواجبة **او**
اصلاح بين الناس عند وقوع المشاقة والمعاداة بينهم من غير ان يجاوز في ذلک حدود الشرع الشريف وبين اما متعلق بنفس اصلاح يقال اصلحت
بين القوم او بمحذوف هو صفة له اي کائن بين الناس عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا ادلک على صدقة
خير لک من حمر النعم فقال بلى يا رسول الله قال تصلح بين الناس اذا تفاسدوا وتقرب بينهم اذا تباعدوا قالوا ولعل السر في افراد هذه
الاقسام الثلثة بالذکر ان عمل الخير المتعدي الى الناس اما لايصال المنفعة او لدفع المضرة والمنفعة اما جسمانية کاعطاء المال واليه الاشارة
بقوله عز وجل الا من امر بصدقة واما روحانية واليه الاشارة بالامر بالمعروف واما دفع الضرر فقد اشير اليه بقوله تعالى او اصلاح بين الناس
ومن يفعل ذلک اشارة الى الامور المذکورة اعني الصدقة والمعروف والاصلاح فانه يشار به الى متعدد وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بها
للايذان ببعد منزلتها ورفعة شأنها وترتيب الوعد على فعلها اثر بيان خيرية الامر بها لما ان المقصود الاصلي هو الترغيب في الفعل وبيان خيرية الامر
به للدلالة على خيريته بالطريق الاولى لما ان مدار حسن الامر وقبحه حسن المأمور به وقبحه فحيث ثبت خيرية الامر بالامور المذکورة فخيرية فعلها
اثبت وفيه تحريض للامر بها على فعلها او اشارة الى الامر بها کانه قيل ومن يأمر بها والکلام في ترتيب الوعد على فعله کالذي مر في الخيرية
فان استتباع الامر بها للاجر العظيم انما هو لکونه ذريعة الى فعلها فاستتباعه له اولى واحق **ابتغاء مرضات الله** علة للفعل والتقييد به
لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا لغير ذلک لم يستحق به غير الحرمان **فسوف نؤتيه** بنون العظمة على الالتفات وقرئ بالياء **اجرا عظيما** يقصر عنه
الوصف **ومن يشاقق الرسول** التعرض لعنوان الرسالة لاظهار کمال شناعة ما اجترؤا عليه من المشاقة والمخالفة وتعليل الحکم الآتي بذلک **من بعد ما**
تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات الدالة على نبوته **ويتبع غير سبيل المؤمنين** اي غير ما هم مستمرون عليه من عقد وعمل وهو الدين القيم
نوله ما تولى اي نجعله واليا لما تولاه من الضلال ونخذله بان نخلي بينه وبين ما اختاره **ونصله جهنم** اي ندخلها اياها وقرئ بفتح النون من صلاه
وساءت مصيرا اي جهنم وفيها دلالة على حجية الاجماع وحرمة مخالفته **ان الله لا يغفر ان يشرک به ويغفر ما دون ذلک لمن يشاء** قد مر تفسيره
فيما سبق وهو تکرير للتأکيد والتشديد او لقصة طعمة وقد مر موته کافرا وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان شيخا من العرب جاء الى
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اني شيخ منهمک في الذنوب الا اني لم اشرک بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا
ولم اواقع المعاصي جراءة على الله تعالى وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله تعالى
فنزلت **ومن يشرک بالله فقد ضل ضلالا بعيدا** عن الحق فان الشرک اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة کما انه افتراء
واثم عظيم ولذلک جعل الجزاء في هذه الشرطية فقد ضل الخ وفيما سبق فقد افترى اثما عظيما حسبما يقتضيه سباق النظم الکريم وسياقه **ان يدعون**
اي ما يعبدون **من دونه** عز وجل **الا اناثا** هي اللات والعزى ومناة ونحوها عن الحسن انه لم يکن من احياء العرب حي الا کان لهم صنم يعبدونه
يسمونه انثى بني فلان وقيل لانهم کانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل لانهم کانوا يلبسونها انواع الحلي ويزينونها على هيئات النسوان
وقيل المراد الملائکة لقولهم الملائکة بنات الله وقيل تسميتها اناثا لتأنيث اسمائها او لانها في الاصل جماد والجمادات تؤنث من حيث
انها ضاهت الاناث لانفعالها وايرادها بهذا الاسم للتنبيه على فرط حماقة عبدتها وتناهي جهلهم والاناث جمع انثى کرباب وربى
وقرئ الا انثى على التوحيد وانثا ايضا على انه جمع انيث ککثيب وکثب او جمع اناث کثمار وثمر وقرئ وثنا واثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن

کقولک اسد واسد واسد على الاصل وقلب الواو الفا نحو اجوه في وجوه **وان يدعون** وما يعبدون بعبادتها **الا شيطانا مريدا** اذ هو الذي
امرهم بعبادتها واغراهم عليها فکانت طاعتهم له عبادة والمريد والمارد هو الذي لا يعلق بخير واصل الترکيب للملاسة ومنه
صرح ممرد ومرداء للتي تناثر ورقها **لعنه الله** صفة ثانية لشيطانا **وقال لاتخذن من عبادک نصيبا مفروضا** عطف على الجملة المتقدمة
اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله تعالى وهذا القول الشنيع الصادر عنه عند اللعن ولقد برهن على ان عبادة الاصنام غاية الضلال
بطريق التعليل بان ما يعبد وهنا ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلک ينافي الالوهية غاية المنافاة ثم استدل عليه بان ذلک
عبادة للشيطان وهو افظع الضلال من وجوه ثلثة الاول انه منهمک في الغي لا يکاد يعلق بشيء من الخير والهدى فيکون طاعته
ضلالا بعيدا من الحق والثاني انه ملعون لضلاله فلا يستتبع مطاوعته سوى اللعن والضلال والثالث انه في غاية السعي في اهلاکهم
واضلالهم فموالاة من هذا شأنه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض له
في العطاء **ولاضلنهم ولامنينهم** الاماني الباطلة کطول الحيوة وان لا بعث ولا عقاب ونحو ذلک **ولآمرنهم فليبتکن آذان الانعام**
اي فليقطعنها بموجب امري ويشقنها من غير تلعثم في ذلک ولا تأخير وذلک ما کانت العرب تفعله بالبحائر والسوائب **ولآمرنهم**
فليغيرن ممثلين به **خلق الله** عن نهجه صورة او صفة وينتظم فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر
ونحو ذلک وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لکن الفقهاء رخصوا في البهائم لمکان الحاجة وهذه الجمل المحکية عن اللعين مما نطق به
لسانه مقالا او حالا وما فيها من اللامات کلها للقسم والمأمور به في الموضعين محذوف ثقة بدلالة النظم عليه **ومن يتخذ الشيطان**
وليا من دون الله بايثار ما يدعو اليه على ما امر الله تعالى به ومجاوزته عن طاعة الله تعالى الى طاعته **فقد خسر خسرانا مبينا** لانه
ضيع رأس ماله بالکلية واستبدل بمکانه من الجنة مکانه من النار **يعدهم** اي ما لا يکاد ينجزه **ويمنيهم** اي الاماني الفارغة
او يفعل لهم الوعد والتمنية على طريقة فلان يعطي ويمنع والضميران لمن والجمع باعتبار معناها کما ان الافراد في يتخذ وخسر
باعتبار لفظها **وما يعدهم الشيطان الا غرورا** وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالقاء الخواطر الفاسدة او
بالسنة اوليائه وغرورا اما مفعول ثان للوعد او مفعول لاجله او نعت لمصدر محذوف اي وعدا ذا غرور او مصدر على غير
لفظ المصدر لان يعدهم في قوة يغرهم بوعده والجملة اعتراض وعدم التعرض للتمنية لانها باب من باب الوعد **اولئک**
اشارة الى اولياء الشيطان وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الخسران وهو مبتدأ وقوله تعالى **مأويهم** مبتدأ
ثان وقوله تعالى **جهنم** خبر للثاني والجملة خبر للاول **ولا يجدون عنها محيصا** اي معدلا ومهربا من حاص الحمار اذا عدل وقيل
خلاصا ونجاة وقيل المحيص هو الروغان بنفور وعنها متعلق بمحذوف وقع حالا من محيصا اي کائنا عنها ولا ساغ لتعلقه
بمحيصا اما اذا کان اسم مکان فظاهر واما اذا کان مصدرا فلانه لا يعمل فيما قبله **والذين آمنوا وعملوا الصالحات** مبتدأ خبره قوله تعالى
سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قرن وعيد الکفرة بوعد المؤمنين زيادة لمسرة هؤلاء ومساءة
اولئک **وعد الله حقا** اي وعده وعدا وحق ذلک حقا فالاول مؤکد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية وعد والثاني مؤکد لغيره ويجوز
ان ينتصب الموصول بمضمر يفسره ما بعده وينتصب وعد الله بقوله تعالى سندخلهم لانه في معنى نعدهم ادخال جنات الخ وحقا على
انه حال من المصدر **ومن اصدق من الله قيلا** جملة مؤکدة بليغة والمقصود من الآية معارضة مواعيد الشيطان الکاذبة
لقرنائه بوعد الله تعالى الصادق لاوليائه والمبالغة في تأکيده ترغيبا للعباد في تحصيله والقيل مصدر کالقول والقال وقال ابن
السکيت القيل والقال اسمان لا مصدران ونصبه على التمييز وقرئ باشمام الصاد وکذا کل صاد ساکنة بعدها دال **ليس بامانيکم**
ولا اماني اهل الکتاب اي ليس ما وعد الله من الثواب يحصل بامانيکم ايها المسلمون ولا اماني اهل الکتاب وانما يحصل بالايمان والعمل
الصالح ولعل نظم اماني اهل الکتاب في سلک اماني المسلمين مع ظهور حالها للايذان بعدم اجداء اماني المسلمين اصلا

في قوله تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار كما سلف وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة
حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن لاحسنوا العمل وقيل ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا
فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن اولى بالله منكم فقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا
يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب للمشركين ويؤيده تقدم ذكرهم اي ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار
وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء المسلمون لنكونن خيرا منهم واحسن حالا وقولهم لاوتين مالا وولدا ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك بقوله تعالى من يعمل سوءا يجز به عاجلا
او اجلا لما روي انه لما نزل قال ابو بكر رضي الله عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اما تحزن او تمرض اما
يصيبك البلاء قال بلى يا رسول الله قال هو ذلك ولا يجد له من دون الله اي مجاوزا لموالاة الله ونصرته وليا يواليه ولا نصيرا ينصره
في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات اي بعضها او شيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع
الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان او من الصالحات فمن للابتداء اي كائنة من ذكر الخ وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها في
استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه فاولئك اشارة الى من بعنوان اتصافه بالايمان والعمل الصالح والجمع
باعتبار معناها كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة من الاشعار بعلو رتبة المشار اليه وبعد
منزلته في الشرف يدخلون الجنة وقرئ يدخلون مبنيا للمفعول من الادخال ولا يظلمون نقيرا اي لا ينقصون شيئا حقيرا من ثواب
اعمالهم فان النقير علم في القلة والحقارة واذا لم ينقص ثواب المطيع فلان لا يزاد عقاب العاصي اولى واحرى كيف لا والمجازي ارحم
الراحمين وهو السر في الاقتصار على ذكره عقيب الثواب ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اي اخلص نفسه لله تعالى لا يعرف لها ربا سواه
وقيل بذل وجهه في السجود وقيل اخلص عمله له عز وجل وقيل فوض امره اليه تعالى وهذا انكار واستبعاد لان يكون احد احسن دينا ممن
فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها يرشدك اليه العرف المطرد والاستعمال الفاشي فانه
اذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وعليه مساق قوله تعالى ومن
اظلم ممن افترى ونظائره ودينا نصب على التمييز من احسن منقول من المبتدا والتقدير ومن دينه احسن من دين من اسلم الخ فالتفضيل في
الحقيقة جار بين الدينين لا بين صاحبيهما ففيه تنبيه على ان ذلك اقصى ما ينتهي اليه القوة البشرية وهو محسن اي ات بالحسنات
تارك للسيئات او ات بالاعمال الصالحة على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه
وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة حال من فاعل اسلم واتبع ملة ابراهيم الموافقة لدين
الاسلام المتفق على صحتها وقبولها حنيفا مائلا عن الاديان الزائغة وهو حال من فاعل اتبع او من ابراهيم واتخذ الله ابراهيم
خليلا اصطفاه وخصه بكرامات تشبه كرامة الخليل عند خليله واظهاره عليه السلام في موقع الاضمار لتفخيم شانه والتنصيص
على انه الممدوح وتاكيد استقلال الجملة الاعتراضية والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كلا منهما
فانهما متوافقان في الخصال وفائدة الاعتراض حجة من جملتها الترغيب في اتباع ملته عليه السلام فان من بلغ من الزلفى عند الله
عز وجل مبلغا مصححا للتسمية خليلا حقيق بان يكون اتباع طريقته اهم ما يمتد اليه اعناق الهمم واشرف ما يرمق برنو نحوه
احداق الامم قيل انه عليه السلام بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يطلب
الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس من الشدة فرجع غلمانه عليه السلام فاجتازوا ببطحاء
لينة فملؤا منها الغرائر حياء من الناس وجاؤا بها الى منزل ابراهيم عليه السلام والقوها فيه وتفرقوا وجاء احدهم فاخبر
ابراهيم بالقصة فاغتم لذلك غما شديدا لا سيما لاجتماع الناس ببابه رجاء الطعام فغلبته عيناه وعمدت سارة الى الغرائر فاذا

فيها اجود ما يكون من الحوارى واختبزت وفي رواية فاطعمت الناس واستنبه ابراهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم فقالت سارة من خليلك المصري
فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله تعالى خليلا ولله ما في السموات وما في الارض جملة مبتداة سيقت لتقرير وجوب طاعته تعالى على
اهل السموات والارض ببيان ان جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا لا يخرج من ملكوته شيء منها فيجازي كلا بموجب اعماله
خيرا وشرا وقيل لبيان ان اتخاذه عز وجل لابراهيم خليلا ليس لاحتياجه سبحانه الى ذلك في شيء من شؤونه كما هو دأب الادميين
فان مدار خلتهم افتقار بعضهم الى بعض في مصالحهم بل لمجرد تكرمته وتشريفه وقيل لبيان ان الخلة لا تخرجه عن رتبة العبودية وقيل
لبيان ان اصطفاءه عليه السلام للخلة بمحض مشيئته تعالى اي له تعالى ما فيهما جميعا يختار منهما ما يشاء لمن يشاء وقوله عز وعلا
وكان الله بكل شيء محيطا تذييل مقرر لمضمون ما قبله على الوجوه المذكورة فان احاطته تعالى علما وقدرة بجميع الاشياء التي من
جملتها ما فيهما من المكلفين واعمالهم مما يقرر ذلك اكمل تقرير ويستفتونك في النساء اي في حقهن على الاطلاق كما ينبئ عنه الاحكام الاتية
لا في حق ميراثهن خاصة فانه صلى الله عليه وسلم قد سئل عن احوال كثيرة مما يتعلق بهن فما بين حكمه فيما سلف احيل بيانه على ما ورد في ذلك من الكتاب
وما لم يبين حكمه بعد بين ههنا وذلك قوله تعالى قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب باسناد الافتاء الذي هو تبيين المبهم وتوضيح المشكل
اليه تعالى والى ما يتلى من الكتاب فيما سبق باعتبارين على طريقة قولك اغناني زيد وعطاؤه بعطف ما على المبتدا او ضميره في الخبر لمكان الفصل بالمفعول
والجار والمجرور وايثار صيغة المضارع للايذان باستمرار التلاوة ودوامها وفي الكتاب اما متعلق بيتلى او بمحذوف وقع حالا
من المستكن فيه اي يتلى كائنا فيه ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على ان المراد به اللوح المحفوظ والجملة معترضة مسوقة
لبيان عظم شان المتلو عليهم وان العدل في الحقوق المبينة فيهن من عظائم الامور التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها فما تلى ح
تناول لما تلي وما سيتلى ويجوز ان يكون مجرورا على القسم المنبئ عن تعظيم المقسم به وتفخيمه كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن واقسم
بما يتلى عليكم في الكتاب فالمراد بقوله تعالى يفتيكم بيانه السابق واللاحق ولا مساغ لعطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا
ومعنى وقوله تعالى في يتامى النساء على الوجه الاول وهو الاظهر متعلق بيتلى اي ما يتلى عليكم في شانهن وعلى الاخيرين بدل من
فيهن وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ ييامى على قلب همزة ايامى ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب
لهن اي ما فرض لهن من الميراث وغيره وترغبون عطف على الصلة عطف جملة مثبتة على جملة منفية وقيل حال من فاعل
تؤتونهن بتاويل وانتم ترغبون ولا ريب في انه لا يظهر لتقييد عدم الايتاء بذلك فائدة الا اذا اريد بما كتب لهن صداقهن
ان تنكحوهن اي في ان تنكحوهن لكن لا لاجل التمتع بهن بل لاكل مالهن او في ان تنكحوهن بغير اكمال الصداق وذلك ما روي
عن عائشة رضي الله تعالى عنها من انها اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بادنى من سنة
نسائها فنهوا ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق او عن ان تنكحوهن وذلك ما روي عنها رضي انها اليتيمة يرغب
وليها عن نكاحها ولا ينكحها فيعضلها طمعا في ميراثها وفي رواية عنها رضي هو الرجل يكون عنده يتيمة هو وليها ووارثها
وشريكها في المال حتى في العذق فيرغب ان ينكحها ويكره ان يزوجها رجلا فيشركه في ماله بما شركته فيعضلها فالمراد بما كتب
لهن على الوجه الاول والاخير ميراثهن وبما يتلى في حقهن قوله تعالى واتوا اليتامى اموالهم وقوله تعالى ولا تاكلوها ونحوهما من
النصوص الدالة على عدم التعرض لاموالهم وعلى الوجه الثاني صداقهن وبما يتلى فيهن قوله تعالى وان خفتم ان لا تقسطوا
في اليتامى الاية والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء وما يتلى في حقهم قوله تعالى يوصيكم الله الخ وقد كانوا في الجاهلية
لا يورثونهم كما لا يورثون النساء وانما يورثون الرجال القوام بالامور روي ان عيينة بن حصين الفزاري جاء الى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة
فقال صلى الله تعالى عليه وسلم كذلك امرت وان تقوموا لليتامى بالقسط بالجر عطف على ما قبله وما يتلى في حقهم قوله تعالى ولا تتبدلوا

الخبيث بالطيب ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم ونحو ذلك مما لا يكاد يحصر هذا على تقدير كون في يتامى النساء متعلقا بيتلى واما على تقدير كونه
بدلا من فيهن فالوجه نصبه عطفا على موضع فيهن اي يفتيكم ان تقوموا ويجوز نصبه باضمار فعل اي ويأمركم وهو خطاب للولاة او الاولياء
والاوصياء وما تفعلوا في حقوق المذكورين من خير حسبما امرتم به او ما تفعلونه من خير على الاطلاق فيندرج فيه ما يتعلق
بهم اندراجا اوليا فان الله كان به عليما فيجازيكم بحسبه وان امرأة خافت شروع في بيان ما لم يتبين فيما سلف من الاحكام اي ان
توقعت امرأة من بعلها نشوزا اي تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقل محادثتها
ومؤانستها لما يقتضي ذلك من الدواعي والاسباب فلا جناح عليهما حينئذ ان يصلحا بينهما صلحا اي في ان يصلحا بينهما
بان تحط له المهر او بعضه او القسم كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبت يومها
لعائشة او بان تهب له شيئا تستميله وقرئ يصالحا من تصالحا ويصلحا من يصطلحا ويصالحا من المفاعلة وصلحا اما منصوب بالفعل المذكور
على كل تقدير على انه مصدر منه بحذف الزوائد وقد يعبر عنه باسم المصدر كأنه قيل اصلاحا او تصالحا او اصطلاحا حسبما قرئ الفعل
او بفعل مترتب على المذكور اي فيصلح حالهما صلحا وبينهما ظرف للفعل او حال من صلحا والتعرض لنفي الجناح عنهما مع انه ليس من جانبها
الاخذ الذي هو المظنة للجناح لبيان ان هذا الصلح ليس من قبيل الرشوة المحرمة للمعطي والآخذ والصلح خير اي من الفرقة او
سوء العشرة او من الخصومة فاللام للعهد او هو خير من الخيور فاللام للجنس والجملة اعتراض مقرر لما قبله وكذا قوله تع واحضرت
الانفس الشح اي جعلت حاضرة له مطبوعة عليه لا تنفك عنه ابدا فلا المرأة تسمح بحقوقها من الرجل ولا الرجل يجود بحسن المعاشرة مع دمامتها
فان فيه تحقيقا للصلح وتقريرا له بحث كل منهما عليه لكن لا بالنظر الى حال نفسه فان ذلك يستدعي التمادي في المماكسة والشقاق بل
بالنظر الى حال صاحبه فان شح نفس الرجل وعدم ميلها عن حالتها الجبلية بغير استمالة مما يحمل المرأة على بذل بعض حقوقها اليه لاستمالته
وكذا شح نفسها بحقوقها مما يحمل الرجل على ان يقتنع من قبلها بشيء يسير ولا يكلفها بذل الكثير فيتحقق بذلك الصلح وان تحسنوا في
العشرة وتتقوا النشوز والاعراض وان تعاضدت الاسباب الداعية اليهما وتصبروا على ذلك مراعاة لحقوق الصحبة ولم
تضطروهن الى بذل شيء من حقوقهن فان الله كان بما تعملون اي من الاحسان والتقوى او بما تعملون جميعا فيدخل فيه ذلك دخولا
اوليا خبيرا فيجازيكم ويثيبكم على ذلك البتة لاستحالة ان يضيع اجر المحسنين وفي خطاب الازواج بطريق الالتفات والتعبير عن
رعاية حقوقهن بالاحسان ولفظ التقوى المنبئ عن كون النشوز والاعراض مما يتوقى منه وترتيب الوعد الكريم عليه من لطف الاستمالة
والترغيب في حسن المعاملة ما لا يخفى روي انها نزلت في عمرة بنت محمد بن مسلمة وزوجها سعد بن الربيع تزوجها وهي شابة فلما علاها
الكبر تزوج شابة وآثرها عليها وجفاها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكت اليه ذلك وقيل نزلت في ابي السائب كانت
له امرأة قد كبرت وله منها اولاد فاراد ان يطلقها ويتزوج غيرها فقالت لا تطلقني ودعني على اولادي فاقسم لي من كل شهرين ان شئت
وان شئت فلا تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو احب الي فاتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر له ذلك فنزلت ولن تستطيعوا
ان تعدلوا بين النساء اي محال ان تقدروا على ان تعدلوا بينهن بحيث لا يقع ميل ما الى جانب احداهن في شأن من الشؤون البتة وقد
كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول اللهم هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك وفي
رواية وانت اعلم بما لا املك يعني فرط محبته لعائشة رضي الله تعالى عنها ولو حرصتم اي على اقامة العدل وبالغتم في ذلك فلا تميلوا كل الميل
اي فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور واعدلوا ما استطعتم فان عجزكم عن حقيقة العدل انما يصحح عدم تكليفكم بها لا بما دونها من المراتب
الداخلة تحت استطاعتكم فتذروها اي التي ملتم عنها كالمعلقة التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وقرئ كالمسجونة وفي الحديث من
كانت له امرأتان يميل مع احداهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا الميل فيما يستقبل
فان الله كان غفورا يغفر لكم ما فرط منكم من الميل رحيما يتفضل عليكم برحمته وان يتفرقا وقرئ يتفارقا اي وان يفارق كل

واحد منهما صاحبه بان لم يتفق بينهما وفاق بوجه ما من الصلح وغيره يغن الله كلا منهما اي يجعله مستغنيا عن الآخر ويكفه مهماته من سعته
من غناه وقدرته وفيه زجر لهما عن المفارقة رغما لصاحبه وكان الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه وقوله تع
ولله ما في السموات وما في الارض اي من الموجودات كائنا ما كان من الخلائق وارزاقهم وغير ذلك جملة مستأنفة منبهة على كمال سعته
وعظم قدرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اي امرناهم في كتابهم وهم اليهود والنصارى ومن قبلهم من الامم واللام في الكتاب
للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الموصول ان اتقوا الله اي وصينا كلا منكم ومنهم بان اتقوا الله على ان ان
مصدرية حذف عنها الجار ويجوز ان تكون مفسرة لان التوصية في معنى القول فقوله تع وان تكفروا فان لله ما في السموات
وما في الارض حينئذ من تتمة القول المحكي اي ولقد قلنا لهم ولكم اتقوا الله وان تكفروا الى آخر الآية وعلى تقدير كون ان مصدرية مبنى الكلام
ارادة القول اي امرناهم واياكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا الآية وقيل هي جملة مستأنفة خوطب بها هذه الامة واياما كان
فالمترتب على كفرهم ليس مضمون قوله تعالى فان لله الآية بل هو الامر بعلمه كانه قيل وان تكفروا فاعلموا ان لله ما في السموات وما في الارض
من الخلائق قاطبة مفتقرون اليه في الوجود وسائر النعم المتفرعة عليه لا يستغنون عن فيضه طرفة عين فحقه ان يطاع ولا يعصى ويتقى
عقابه ويرجى ثوابه وقد قرر ذلك بقوله وكان الله غنيا اي عن الخلق وعبادتهم حميدا محمودا في ذاته حمدوه او لم يحمدوه فلا يتضرر
بكفرهم ومعاصيهم كما لا ينتفع بشكرهم وتقواهم وانما وصاهم بالتقوى لرحمته لا لحاجته ولله ما في السموات وما في الارض كلام مبتدأ
مسوق للمخاطبين توطئة لما بعده من الشرطية غير داخل تحت القول المحكي اي له سبحانه وتعالى ما فيهما من الخلائق خلقا وملكا يتصرف فيهم
كيفما يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وكفى بالله وكيلا في تدبير امور الكل وكل الامور فلا بد من ان يتوكل عليه لا على احد سواه
ان يشأ يذهبكم ايها الناس اي يفنكم ويستأصلكم بالمرة ويأت بآخرين اي ويوجد دفعة مكانكم قوما آخرين من البشر او خلقا آخرين
مكان الانس ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء اي ان يشأ افناءكم وايجاد آخرين يذهبكم الخ يعني ان ابقاءكم على ما انتم عليه
من العصيان انما هو لكمال غناه عن طاعتكم ولعدم تعلق مشيئته المبنية على الحكم البالغة بافنائكم لا لعجزه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا
وكان الله على ذلك اي افنائكم بالمرة وايجاد آخرين دفعة مكانكم قديرا بليغ القدرة وفيه لا سيما في توسيط الخطاب بين الجزاء
وما عطف عليه من تشديد التهديد ما لا يخفى وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب اي ان يشأ يمتكم ويأت
بناس آخرين يوالونه فمعناه معنى قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم ويروى انها لما نزلت ضرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة
فعند الله ثواب الدنيا والآخرة اي فعنده تعالى ثوابهما له ان اراده فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة او ليطلب اشرفهما فان من جاهد خالصا لوجه الله لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء او فعند الله ثواب
الدارين فيعطي كلا ما يريده كقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه الآية وكان الله سميعا بصيرا عالما بجميع المسموعات والمبصرات فيندرج
فيها ما صدر عنهم من الاقوال والاعمال المتعلقة بمراداتهم اندراجا اوليا يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مبالغين في العدل
واقامة القسط اي في جميع الامور مجتهدين في ذلك حق الاجتهاد شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله تعالى وهو خبر ثان وقيل حال
ولو على انفسكم اي ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها على ان الشهادة عبارة عن الاخبار بحق الغير سواء كان ذلك عليه
او على ثالث او بان تكون الشهادة مستتبعة لضرر ينالكم من جهة المشهود عليه او الوالدين والاقربين اي ولو كانت على والديكم واقاربكم
ان يكن اي المشهود عليه غنيا يبتغى في العادة رضاه ويتقى سخطه او فقيرا يترحم عليه غالبا وقرئ ان يكن غني او فقير على ان كان
تامة وجواب الشرط محذوف لدلالة قوله تع فالله اولى بهما عليه اي فلا تمتنعوا عنها طلبا لرضى الغني او ترحما على الفقير فان الله تعالى
اولى بجنسي الغني والفقير المدلول عليهما بما ذكر ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها وقرئ اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا

اي مخافة ان تعدلوا عن الحق فان اتباع الهوى من مظان الجور الذي حقه ان يخاف ويحذر وقيل كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان تعدلوا
عن الحق **وان تلووا** اي السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل بان تأتوا بها لا على وجهها وقرئ وان تلوا من الولاية والتصدي اي وان
وليتم اقامة الشهادة **او تعرضوا** اي عن اقامتها رأسا **فان الله كان بما تعملون** من لي الالسنة والاعراض بالكلية او من جميع الاعمال التي من
جملتها ما ذكر **خبيرا** فيجازيكم لا محالة على ذلك فهو على القراءة المشهورة وعيد محض وعلى القراءة الاخيرة متضمن للوعد **يا ايها الذين آمنوا**
خطاب لكافة المسلمين فمعنى قوله تعالى **آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل** اثبتوا
على الايمان بذلك وداوموا عليه او ازدادوا فيه طمأنينة ويقينا او آمنوا بما ذكر مفصلا بناء على ان ايمان بعضهم اجمالي والمراد بالكتاب
الثاني الجنس المنتظم لجميع الكتب السماوية لقوله تعالى وكتبه والايمان به الايمان بان كل كتاب من تلك الكتب منزل منه تعالى على رسول معين
لارشاد امته الى ما شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على ان مدار الايمان بكل واحد من تلك الكتب خصوصية ذلك الكتاب
ولا على ان احكام تلك الكتب وشرائعها باقية بالكلية ولا على ان الباقي منها معتبر بالاضافة اليها بل على ان الايمان بالكل مندرج
تحت الايمان بالكتاب المنزل على رسوله وان احكام كل منها كانت حقة ثابتة الى ورود ما نسخها وان ما لم ينسخ منها الى الآن من
الشرائع والاحكام ثابتة من حيث انها من احكام هذا الكتاب الجليل المصون عن النسخ والتبديل كما مر في تفسير خاتمة سورة البقرة وقرئ
نزل وانزل على البناء للمفعول وقيل هو خطاب لمؤمني اهل الكتاب لما ان عبد الله بن سلام وابن اخته سلاما وابن اخيه سلمة واسدا واسيدا
ابني كعب وثعلبة بن قيس ويامين بن يامين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتورية
وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال صلى الله تعالى عليه وسلم بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا
لا نفعل فنزلت فآمنوا كلهم فامرهم بالايمان بالكتاب المتناول للتورية مع انهم مؤمنون بها قيل ليس لكون المراد بالايمان ما يعم
والثبات عليه ولا لان متعلق الامر حقيقة هو الايمان بما عداها كانه قيل آمنوا بالكل ولا تخصوه بالبعض بل لان المأمور به انما هو الايمان
بها في ضمن الايمان بالقرآن على الوجه الذي اشير اليه آنفا لا ايمانهم السابق ولان فيه حملا لهم على التسوية بينها وبين سائر الكتب في التصديق
لاشتراك الكل فيما يوجبه وهو النزول من عند الله تعالى وقيل خطاب لاهل الكتابين فالمعنى آمنوا بالكل لا بالبعض دون بعض وامر كل طائفة
بالايمان بكتابه في ضمن الامر بالايمان بجنس الكتاب لما ذكر وقيل هو للمنافقين فالمعنى آمنوا بقلوبكم لا بالسنتكم فقط **ومن يكفر بالله وملائكته**
وكتبه ورسله واليوم الآخر اي بشيء من ذلك **فقد ضل ضلالا بعيدا** عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه وزيادة الملائكة واليوم الآخر
في جانب الكفر لما ان بالكفر باحدهما لا يتحقق الايمان اصلا وجمع الكتب والرسل لما ان الكفر بكتاب او برسول كفر بالكل وتقديم الرسول فيما سبق
لذكر الكتاب بعنوان كونه منزلا عليه وتقديم الملائكة والكتب على الرسل لانهم وسائط بين الله عز وجل وبين الرسل في انزال الكتب **ان الذين آمنوا**
قال قتادة هم اليهود آمنوا بموسى **ثم كفروا** بعبادتهم العجل **ثم آمنوا** عند عوده اليهم **ثم كفروا** بعيسى والانجيل **ثم ازدادوا كفرا** بكفرهم بمحمد صلى
الله تعالى عليه وسلم وقيل هم قوم تكرر منهم الارتداد واصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغي **لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا**
لما انه يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم قد ضربت بالكفر وتمرنت على الردة وكان الايمان عندهم اهون شيء
وادونه لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان محذوف اي مريدا ليغفر لهم وقوله عز وجل **بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما**
يدل على ان المراد بالمذكورين الذين آمنوا في الظاهر نفاقا وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا كفرا ونفاقا ووضع بشر موضع انذر
تهكما بهم **الذين يتخذون الكافرين اولياء** في محل النصب او الرفع على الذم بمعنى اريد بهم الذين او هم الذين وقيل نصب على انه صفة للمنافقين
وقوله تعالى **من دون المؤمنين** حال من فاعل يتخذون اي يتخذون الكفرة انصارا متجاوزين ولاية المؤمنين وكانوا يوالونهم ويقول بعضهم
لبعض لا يتم امر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فتولوا اليهود **ايبتغون عندهم العزة** انكار لرأيهم وابطال وبيان لخيبة رجائهم وقطع
لاطماعهم الفارغة والجملة معترضة مقررة لما قبلها اي ايطلبون بموالاة الكفرة القوة والغلبة قال الواحدي اصل العزة الشدة ومنه

قيل للارض الشديدة الصلبة عزاز وقوله تعالى **فان العزة لله جميعا** تعليل لما يفيده الاستفهام الانكاري من بطلان رأيهم وخيبة رجائهم
فان انحصار جميع افراد العزة في جنابه عز وعلا بحيث لا ينالها الا اولياؤه الذين كتب لهم العزة والغلبة وقال ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين يقتضي بطلان التعزز بغيره سبحانه واستحالة الانتفاع به وقيل هو جواب شرط محذوف كانه قيل ان يبتغوا عندهم عزة فان
العزة لله وجميعا حال من المستكن في قوله تعالى لله لاعتماده على المبتدأ **وقد نزل عليكم** خطاب للمنافقين بطريق الالتفات مفيد لتشديد
التوبيخ الذي يستدعيه تعداد جناياتهم وقرئ مبنيا للمفعول من التنزيل والانزال ونزل ايضا مخففا والجملة حال من ضمير يتخذون
ايضا مفيدة لكمال قباحة حالهم وغاية استعصائهم عليه سبحانه ببيان انهم فعلوا ما فعلوا من موالاة الكفرة مع تحقق ما يمنعهم
عن ذلك وهو ورود النهي الصريح عن مجالستهم المستلزم للنهي عن موالاتهم على ابلغ وجه واكده اثر بيان انتفاء ما يدعوهم اليه بالجملة
المعترضة كانه قيل تتخذونهم اولياء والحال انه تعالى قد نزل عليكم قبل هذا بمكة **في الكتاب** اي القرآن الكريم **ان اذا سمعتم آيات الله**
يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك قوله تعالى واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا
فاعرض عنهم الآية وهذا يقتضي الانزجار عن مجالستهم في تلك الحالة القبيحة فكيف بموالاتهم والاعتزاز بهم وان هي المخففة من ان
وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف والجملة الشرطية خبرها وقوله تعالى يكفر بها حال من آيات الله وقوله تعالى ويستهزأ بها عطف
عليه داخل في حكم الحالية واضافة الآيات الى الاسم الجليل لتشريفها وابانة خطرها وتهويل امر الكفر بها اي نزل عليكم في الكتاب انه
اذا سمعتم آيات الله مكفورا بها ومستهزأ بها وفيه دلالة على ان المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وان خوطب به خاصة منزل على الامة
وان مدار الاعراض عنهم هو العلم بخوضهم في الآيات ولذلك عبر عن ذلك تارة بالرؤية واخرى بالسماع وان المراد بالاعراض اظهار
المخالفة بالقيام عن مجالسهم لا الاعراض بالقلب او بالوجه فقط والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله تعالى يكفر بها ويستهزأ بها
انكم اذا مثلهم جملة مستأنفة سيقت لتعليل النهي غير داخلة تحت التنزيل واذا ملغاة عن العمل لوقوعها بين المبتدأ والخبر اي لا
تقعدوا معهم في ذلك الوقت انكم ان فعلتموه كنتم مثلهم في الكفر واستتباع العذاب وافراد المثل لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة
الى الجمع وقرئ شاذا مثلهم بالفتح لاضافته الى غير متمكن كما في قوله تعالى مثل ما انكم تنطقون وقيل هو منصوب على الظرفية اي في مثل
حالهم وقوله تعالى **ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا** تعليل لكونهم مثلهم في الكفر ببيان ما يستلزمه من شركتهم لهم في
العذاب والمراد بالمنافقين اما المخاطبون وقد وضع موضع ضميرهم المظهر تسجيلا بنفاقهم وتعليلا للحكم بمأخذ الاشتقاق واما الجنس
وهم داخلون تحته دخولا اوليا وتقديمهم على الكافرين لتشديد الوعيد على المخاطبين ونصب جميعا مثل ما قبله **الذين يتربصون بكم** تلوين
للخطاب وتوجيه الى المؤمنين بتعديد بعض آخر من جنايات المنافقين وقبائحهم وهو اما بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين فقط
اذ هم المتربصون دون الكافرين او مرفوع او منصوب على الذم اي ينتظرون امركم وما يحدث لكم من ظفر او اخفاق والفاء في قوله تعالى
فان كان لكم فتح من الله لترتيب مضمونه على ما قبلها فان حكاية تربصهم مستتبعة لحكاية ما يقع بعد ذلك كما ان نفس التربص يستدعي
شيئا ينتظر المتربص وقوعه **قالوا** اي لكم **الم نكن معكم** اي مظاهرين لكم فاسهموا لنا في الغنيمة **وان كان للكافرين نصيب** من الحرب
فانها سجال **قالوا** اي للكفرة **الم نستحوذ عليكم** اي الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم **ونمنعكم من المؤمنين** بان ثبطناهم
عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم وتوانوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم والا لكنتم نهبة للنوائب فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم
وتسمية ظفر المسلمين فتحا وما للكافرين نصيبا لتعظيم شان المسلمين وتخسيس حظ الكافرين وقرئ ونمنعكم باضمار ان **فالله يحكم**
بينكم يوم القيمة حكما يليق بشأن كل منكم من الثواب والعقاب واما في الدنيا فقد اجرى على من تفوه بكلمة الاسلام حكمه ولم يضع السيف
على من تكلم بها نفاقا **ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا** حينئذ كما قد تجعل ذلك في الدنيا بطريق الابتلاء والاستدراج
او في الدنيا على ان المراد بالسبيل الحجة **ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم** كلام مبتدأ سيق لبيان طرف آخر من قبائح اعمالهم

اي يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان نقيضه والله فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم في الدنيا معصومي الدماء والاموال
واعد لهم في الآخرة الدرك الاسفل من النار وقد مر التحقيق في صدر سورة البقرة وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون
بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم **واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى** متثاقلين كالمكره على الفعل
وقرئ بفتح الكاف وهما جمعا كسلان **يراؤن الناس** ليحسبوهم مؤمنين والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يرى غيره
عمله وهو يريه استحسانه والجملة اما استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فماذا يريدون بقيامهم اليها كسالى فقيل يراؤن الخ او حال من ضمير
قاموا **ولا يذكرون الله الا قليلا** عطف على يراؤن اي لا يذكرونه سبحانه الا ذكرا قليلا وهو ذكرهم باللسان فانه بالاضافة الى الذكر بالقلب قليل
او الا زمانا قليلا او لا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون الا بمرأى من الناس وذلك قليل وقيل لا يذكرونه تعالى في الصلوة الا قليلا عند التكبير
والتسليم **مذبذبين بين ذلك** حال من فاعل يراؤن او منصوب على الذم وذلك اشارة الى الايمان والكفر المدلول عليهما بمعونة المقام اي مرددين بينهما
متحيرين قد ذبذبهم الشيطان وحقيقة المذبذب ما يذب ويدفع عن كلا الجانبين مرة بعد اخرى وقرئ بكسر الذال اي مذبذبين قلوبهم او دينهم
او رأيهم او هو بمعنى متذبذبين كما جاء صلصل بمعنى تصلصل وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه متذبذبين وقرئ مدبدبين بالدال غير المعجمة
وكأن المعنى اخذ بهم تارة في دبة اي طريقة واخرى في اخرى **لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء** اي لا منسوبين الى المؤمنين ولا منسوبين الى الكافرين
او لا صائرين الى الاولين ولا الى الآخرين فمحله النصب على انه حال من ضمير مذبذبين او على انه بدل منه او بيان وتفسير **ومن يضلل الله** لعدم
استعداده للهداية والتوفيق **فلن تجد له سبيلا** موصلا الى الحق والصواب فضلا عن ان تهديه اليه والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان **يا ايها**
الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين نهوا عن موالاة الكفرة صريحا وان كان في بيان حال المنافقين مزجرة عن ذلك
مبالغة في الزجر والتحذير **اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا** اي اتريدون بذلك ان تجعلوا لله عليكم حجة بينة على انكم منافقون
فان موالاتهم اوضح ادلة النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه وتوجيه الانكار الى الارادة دون متعلقها بان يقال اتجعلون الخ للمبالغة في
انكاره وتهويل امره ببيان انه مما لا يصدر عن العاقل ارادته فضلا عن صدوره نفسه كما في قوله عز وجل ام تريدون ان تسألوا رسولكم **ان المنافقين**
في الدرك الاسفل من النار وهو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة حيث ضموا الى الكفر الاستهزاء بالاسلام واهله
وخداعهم واما قوله عليه السلام ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن
خان ونحوه فمن باب التشديد والتغليظ مبالغة في الزجر وتسمية طبقاتها السبع دركات لكونها متداركة متتابعة بعضها تحت بعض وقرئ بفتح الراء
وهو لغة كالسطر والسطر وبعضها ان جمع ادراك **ولن تجد لهم نصيرا** يخلصهم منه والخطاب كما سبق **الا الذين تابوا** اي عن النفاق وهو استثناء
من المنافقين بل من ضميرهم في الخبر **واصلحوا** ما افسدوا من احوالهم في حال النفاق **واعتصموا بالله** اي وثقوا به وتمسكوا بدينه **واخلصوا**
دينهم لله اي جعلوه خالصا لله لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه **فاولئك** اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد
المنزلة وعلو الطبقة **مع المؤمنين** اي المؤمنين المعهودين الذين لم يصدر عنهم نفاق اصلا منذ آمنوا والا فهم ايضا مؤمنون اي معهم في الدرجات العالية
من الجنة وقد بين ذلك بقوله تعالى **وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما** لا يقادر قدره فيساهمونهم فيه **ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم**
استئناف مسوق لبيان ان مدار تعذيبهم وجودا وعدما انما هو كفرهم لا شيء آخر فيكون مقررا لما قبله من اثابتهم عند توبتهم وما استفهامية مفيدة للنفي
على ابلغ وجه وآكده اي اي شيء يفعل الله سبحانه بتعذيبكم اتيشفى به من الغيظ ام يدرك به الثأر ام يستجلب به نفعا او يستدفع به ضررا كما هو شأن
الملوك وهو الغني المتعالي عن امثال ذلك وانما هو امر يقتضيه كفركم فاذا زال ذلك بالايمان والشكر انتفى التعذيب لا محالة وتقديم الشكر على الايمان لما
انه طريق موصل اليه فان الناظر يدرك اولا ما عليه من النعم الانفسية والآفاقية فيشكر شكرا مبهما ثم يترقى الى معرفة المنعم فيؤمن به وجواب الشرط
محذوف لدلالة ما قبله عليه **وكان الله شاكرا** الشكر من الله سبحانه هو الرضا باليسير من طاعة عباده واضعاف الثواب بمقابلته **عليما** مبالغا
في العلم بجميع المعلومات التي من جملتها شكركم وايمانكم فيستحيل ان لا يوفيكم اجوركم **لا يحب الله الجهر بالسوء من القول** عدم محبته تعالى للشيء كناية عن

سخطه والباء متعلقة بالجهر ومن بمحذوف وقع حالا من السوء اي لا يحب الله تعالى ان يجهر احد بالسوء كائنا من القول **الا من ظلم** اي الا جهر من ظلم بان يدعو
على ظالمه او يتظلم منه ويذكره بما فيه من السوء فان ذلك غير مسخوط عنده سبحانه وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه الآية وقيل
ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ الا من ظلم على البناء للفاعل فالاستثناء منقطع اي ولكن الظالم يرتكب
ما لا يحبه الله تعالى فيجهر بالسوء **وكان الله سميعا** بجميع المسموعات فيندرج فيها كلام المظلوم والظالم **عليما** بجميع المعلومات التي من جملتها حال المظلوم و
الظالم فالجملة تذييل مقرر لما يفيده الاستثناء **ان تبدوا خيرا** اي خير كان من الاقوال والافعال **او تخفوه او تعفوا عن سوء** مع ما سوغ لكم من
مؤاخذة المسيء والتخصيص عليه مع اندراجه في ابداء الخير واخفائه لما انه المقصود بالبيان وانما ذكر ابداء الخير واخفاؤه بطريق التسبيب له كما
ينبئ عنه قوله عز وجل **فان الله كان عفوا قديرا** فان ايراده في معرض جواب الشرط يدل على ان العمدة هو العفو مع القدرة اي كان مبالغا في العفو
مع كمال قدرته على المؤاخذة وقال الحسن يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله تعالى وقال الكلبي هو اقدر على عفو
ذنوبكم منكم على عفو ذنوب من ظلمكم وقيل عفوا عمن عفا قديرا على ايصال الثواب اليه **ان الذين يكفرون بالله ورسله** اي يؤدي اليه مذهبهم
ويقتضيه رأيهم لا انهم يصرحون بذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى **ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله** اي بان يؤمنوا به تعالى ويكفروا بهم لكن لا بان
يصرحوا بالايمان به تعالى وبالكفر بهم قاطبة بل بطريق الالتزام كما يحكيه قوله تعالى **ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض** اي نؤمن ببعض الانبياء ونكفر
ببعضهم كما قالت اليهود نؤمن بموسى والتوراة وعزير ونكفر بما وراء ذلك وما ذلك الا كفر بالله تعالى ورسله وتفريق بين الله تعالى ورسله في
الايمان لانه تعالى قد امرهم بالايمان بجميع الانبياء وما من نبي من الانبياء الا وقد اخبر قومه بحقية دين نبينا صلى الله عليه وعليهم اجمعين فمن
كفر بواحد منهم فقد كفر بالكل وبالله تعالى ايضا من حيث لا يحتسب **ويريدون** بقولهم ذلك **ان يتخذوا بين ذلك** اي بين الايمان والكفر **سبيلا** يسلكونه
مع انه لا واسطة بينهما قطعا اذ الحق لا يختلف وماذا بعد الحق الا الضلال **اولئك** الموصوفون بالصفات القبيحة **هم الكافرون** الكاملون في
الكفر لا عبرة بما يدعونه ويسمونه ايمانا اصلا **حقا** مصدر مؤكد لمضمون الجملة اي حق ذلك اي كونهم كاملين في الكفر حقا او صفة لمصدر الكافرين اي هم
الذين كفروا كفرا حقا اي ثابتا يقينا لا ريب فيه **واعتدنا للكافرين** اي لهم وانما وضع المظهر مكان المضمر ذما لهم وتذكيرا لوصفهم او لجميع
الكافرين وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا **عذابا مهينا** سيذوقونه عند حلوله **والذين آمنوا بالله ورسله** على الوجه الذي تبين في
تفسير قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله الآية **ولم يفرقوا بين احد منهم** بان يؤمنوا ببعضهم ويكفروا بآخرين كما فعله
الكفرة ودخول بين على احد قد مر تحقيقه في سورة البقرة بما لا مزيد عليه **اولئك** المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة **سوف يؤتيهم اجورهم** الموعودة
لهم وتصديره بسوف لتأكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تراخى وقرئ نؤتيهم بنون العظمة **وكان الله غفورا** لما فرط منهم **رحيما**
مبالغا في الرحمة عليهم بتضعيف حسناتهم **يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء** نزلت في احبار اليهود حين قالوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى عليه السلام وقيل كتابا محررا بخط سماوي على اللوح كما نزلت
التوراة او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا باعياننا بانك رسول الله وما كان مقصدهم بهذه العظيمة الا التحكم والتعنت قال الحسن ولو
سألوه لكي يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما آتاهم كفاية **فقد سألوا موسى اكبر من ذلك** جواب شرط مقدر اي ان استكبرت ما سألوه منك
فقد سألوا موسى شيئا اكبر منه وقيل تعليل للجواب اي فلا تبال بسؤالهم فقد سألوا موسى اكبر منه وهذه المسألة وان صدرت عن اسلافهم لكنهم
لما كانوا مقتدين بهم في كل ما يأتون وما يذرون اسندت اليهم والمعنى ان لهم في ذلك عرقا راسخا وان ما اقترحوا عليك ليس اول جهالاتهم **فقالوا ارنا**
الله جهرة اي ارناه نره جهرة اي عيانا او مجاهرين معاينين له والفاء تفسيرية **فاخذتهم الصاعقة** اي النار التي جاءت من السماء فاهلكتهم
وقرئ الصعقة **بظلمهم** اي بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا
ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات اي المعجزات التي اظهرها لفرعون من العصا واليد البيضاء وفلق البحر وغيرها لا التوراة لانها لم تنزل
عليهم بعد **فعفونا عن ذلك** ولم نستأصلهم وكانوا احقاء به قيل هذا استدعاء لهم الى التوبة كأنه قيل ان اولئك الذين اجرموا تابوا فعفونا

عنهم فتوبوا انتم ايضا حتى يعفو عنكم **وآتينا موسى سلطانا مبينا** تسلطا ظاهرا عليهم حيث امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن معصيتهم **ورفعنا**
فوقهم الطور بميثاقهم اي بسبب ميثاقهم ليعطوه على ما روي انهم امتنعوا عن قبول شريعة التورية فرفع الله تعالى عليهم الطور فقبلوها او ليخافوا فلا ينقضوه
على ما روي انهم هموا بنقضه فرفع الله تعالى عليهم الجبل فخافوا واقلعوا عن النقض وهو الانسب بما سيأتي من قوله عز وجل واخذنا منهم ميثاقا غليظا
وقلنا لهم على لسان موسى عليه السلام والطور مظل عليهم **ادخلوا الباب** قال قتادة كنا نحدث انه باب من ابواب بيت المقدس وقيل هو ايليا
وقيل هو اريحا وقيل هو اسم قرية وقيل باب القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى عليه السلام **سجدا** اي متطامنين
خاضعين **وقلنا لهم لا تعدوا** اي لا تظلموا باصطياد الحيتان **في السبت** وقرئ لا تعدوا ولا تعدّوا بفتح العين وتشديد الدال على ان اصله تعتدوا
فادغمت التاء في الدال لتقاربهما في المخرج بعد نقل حركتها الى العين **واخذنا منهم** على الامتثال بما كلفوه **ميثاقا غليظا** مؤكدا وهو العهد الذي
اخذ الله عليهم في التورية قيل انهم اعطوا الميثاق على انهم ان هموا بالرجوع عن الدين فالله تعالى يعذبهم باي انواع العذاب اراد **فبما نقضهم ميثاقهم**
ما مزيدة للتأكيد او نكرة تامة ونقضهم بدل منها والباء متعلقة بفعل محذوف اي فبسبب نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا من اللعن و
المسخ وغيرهما من العقوبات النازلة عليهم او على اعقابهم روي انهم اعتدوا في السبت في عهد داود عليه السلام فلعنوا ومسخوا قردة وقيل متعلقة
بحرمنا على ان قوله تعالى فبظلم بدل من قوله تعالى فبما وما عطف عليه فيكون التحريم معللا بالكل ولا يخفى ان قولهم انا قتلنا المسيح وقولهم على مريم
البهتان متأخر عن التحريم ولا ساغ لتعلقها بما دل عليه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة قوله
تعالى وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره **وكفرهم بآيات الله** اي بالقرآن او بما في كتابهم **وقتلهم الانبياء بغير حق** كزكريا ويحيى عليهما السلام
وقولهم قلوبنا غلف جمع اغلف اي هي مغشاة باغشية جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد عليه السلام او هو تخفيف غلف جمع غلاف
اي هي اوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره قاله ابن عباس رضي الله عنه وعطاء وقال الكلبي يعنون ان قلوبنا بحيث لا يصل اليها حديث الا
وعته ولو كان في حديثك خير لوعته ايضا **بل طبع الله عليها بكفرهم** كلام معترض بين المعطوفين جيء به على وجه الاستطراد مسارعة الى رد زعمهم الفاسد
اي ليس كفرهم وعدم وصول الحق الى قلوبهم لكونها غلفا بحسب الجبلة بل الامر بالعكس حيث ختم الله عليها بسبب كفرهم او ليست قلوبهم كما زعموا
بل هي مطبوع عليها بسبب كفرهم **فلا يؤمنون الا قليلا** منهم كعبد الله بن سلام واضرابه او الا ايمانا قليلا لا يعبأ به **وبكفرهم** اي بعيسى عليه السلام وهو
عطف على قولهم واعادة الجار لطول ما بينهما بالاستطراد وقد جوز عطفه على كفرهم فيكون هو وما عطف عليه من اسباب الطبع وقيل هو المجموع
معطوف على المجموع ما قبله وتكرير ذكر الكفر للايذان بتكرر كفرهم حيث كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم الصلوة والسلام **وقولهم على مريم**
بهتانا عظيما لا يقادر قدره حيث نسبوها الى ما هي عنه بالف منزل **وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله** نظم قولهم هذا في
سلك سائر جناياتهم التي نعيت عليهم ليس لمجرد كونه كذبا بل لتضمنه لابتهاجهم بقتل النبي والاستهزاء به فان وصفهم له عليه السلام بما عنوا به
الرسالة انما هو بطريق التهكم به كما في قوله تعالى يا ايها الذي نزل عليه الذكر الخ ولانبائه عن ذكرهم له عليه السلام بالوجه القبيح على ما قيل من ان ذلك وضع
للذكر الجميل من جهته تعالى فكان ذكرهم القبيح وقيل هو نعت له عليه السلام من جهته تعالى مدحا له عليه السلام ورفعا لمحله واظهارا لغاية جرأتهم في تصديهم
لقتله ونهاية وقاحتهم في افتخارهم بذلك **وما قتلوه وما صلبوه** حال او اعتراض **ولكن شبه لهم** روي ان رهطا من اليهود سبوه عليه السلام وامه
فدعا عليهم فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله تعالى بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى بان يلقى عليه شبهي فيقتل
ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقى الله تعالى عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى صلى الله تعالى عليه وسلم فلما ارادوا قتله
قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى عليه الصلوة والسلام فرفع عليه الصلوة والسلام والقي شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى
عليه السلام وقيل ان ططيانوس اليهودي دخل بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله تعالى عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وقتل وامثال هذه الخوارق
لا تستبعد في عصر النبوة وقيل ان اليهود لما هموا بقتله عليه السلام رفعه الله تعالى الى السماء خاف رؤساء اليهود من وقوع الفتنة بين عوامهم فاخذوا انسانا
وقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس واظهروا لهم انه هو المسيح وما كانوا يعرفونه الا بالاسم لعدم مخالطته عليه السلام لهم الا قليلا وشبه مسند الى

الجار والمجرور كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او في الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى
المقتول لدلالة انا قتلنا عليه ان ثمة مقتولا **وان الذين اختلفوا فيه** اي في شان عيسى عليه السلام فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال
بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا
وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السماء انه رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت **لفي شك منه** لفي تردد والشك كما يطلق
على ما لم يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكد بقوله تعالى **ما لهم به من علم الا اتباع الظن** استثناء منقطع اي
لكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس جزما كان او غيره فالاستثناء حينئذ متصل **وما قتلوه يقينا**
اي قتلا يقينا كما زعموا بقولهم انا قتلنا المسيح وقيل معناه ما علموه يقينا كما في قول من قال كذاك تخبر عنها العالمات بها وقد قتلت بعلمي ذلكم يقينا
من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه وفيه تهكم بهم لاشعاره بعلمهم في الجملة وقد نفي ذلك عنهم بالكلية **بل رفعه الله اليه** رد
وانكار لقتله واثبات لرفعه **وكان الله عزيزا** لا يغالب فيما يريده **حكيما** في جميع افعاله فيدخل فيها تدبيراته تعالى في امر عيسى عليه السلام دخولا اوليا
وان من اهل الكتاب اي من اليهود والنصارى وقوله تعالى **الا ليؤمنن به قبل موته** جملة قسمية وقعت صفة لموصوف محذوف اليه يرجع الضمير الثاني
والاول لعيسى عليه السلام قبل ان تزهق روحه بانه عبد الله ورسوله ولات حين ايمان لانقطاع وقت التكليف ويعضده انه قرئ ليؤمنن به قبل
موتهم بضم النون لما ان احدا في معنى الجمع وعن ابن عباس رضي الله عنه انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى
يحرك بها شفتيه قال فان خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وعن شهر بن حوشب قال
لي الحجاج آية ما قرأتها الا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الآية وقال اني اوتى بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك
فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبد نبي
وتقول للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر
الي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي ابن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية والاخبار بحالهم هذه وعيد
لهم وتحريض على المسارعة الى الايمان به قبل ان يضطروا اليه مع انتفاء جدواه وقيل كلا الضميرين لعيسى والمعنى وما من اهل الكتاب الموجودين
عند نزول عيسى احد الا ليؤمنن به قبل موته روي انه عليه السلام ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى
يكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله تعالى في زمانه الدجال وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب
مع الغنم ويلعب الصبيان مع الحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه وقيل الضمير الاول يرجع
الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم **ويوم القيامة يكون** اي عيسى عليه السلام **عليهم** على اهل الكتاب **شهيدا** فيشهد على اليهود
بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا **فبظلم من الذين هادوا** لعل ذكرهم بهذا العنوان للايذان بكمال عظم ظلمهم
بتذكير وقوعه بعد ما هادوا اي تابوا من عبادة العجل مثل تلك التوبة الهائلة المشروطة ببخع النفوس اثر بيان عظمه في حد ذاته بالتنوين التفخيمي
اي بسبب ظلم عظيم خارج عن حدود الاشباه والاشكال صادر عنهم **حرمنا عليهم طيبات احلت لهم** ولمن قبلهم لا لشيء غيره كما زعموا فانهم كانوا كلما
ارتكبوا معصية من المعاصي التي اقترفوها يحرم عليهم نوع من الطيبات التي كانت محللة لهم ولمن تقدمهم من اسلافهم عقوبة لهم وكانوا مع ذلك
يفترون على الله سبحانه ويقولون لسنا باول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا فكذبهم
الله عز وجل في مواقع كثيرة وبكتهم بقوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فأتوا
بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين اي في ادعائكم انه تحريم قديم روي انه عليه السلام لما كلفهم اخراج التورية لم يجسر احد على اخراجها
لما ان كون التحريم بظلمهم كان مسطورا فيها فبهتوا وانقلبوا صاغرين **وبصدهم عن سبيل الله كثيرا** اي ناسا كثيرا او صدا كثيرا **واخذهم الربوا وقد نهوا**
عنه فان الربوا كان محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على ان النهي يدل على حرمة المنهي عنه **واكلهم اموال الناس بالباطل** بالرشوة وسائر

الوجوه المحرمة **واعتدنا للكافرين منهم** اي للمصرين على الكفر لا لمن تاب وآمن من بينهم **عذابا اليما** سيذوقونه في الآخرة كما ذاقوا في الدنيا عقوبة التحريم **لكن الراسخون في العلم منهم** استدراك من قوله واعتدنا الخ وبيان لكون بعضهم على خلاف حالهم عاجلا وآجلا اي لكن الثابتون في العلم منهم المتقنون المستبصرون فيه غير التابعين للظن كاولئك الجهلة والمراد به عبد الله بن سلام واصحابه **والمؤمنون** اي منهم وصفوا بالايمان بعد ما وصفوا بما يوجبه من الرسوخ في العلم بطريق العطف المبني على المغايرة بين المعطوفين تنزيلا للاختلاف العنواني منزلة الاختلاف الذاتي وقوله تعالى **يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك** حال من المؤمنون مبينة لكيفية ايمانهم وقيل اعتراض مؤكد لما قبله وقوله عز وعلا **والمقيمين الصلوة** قيل نصب باضمار فعل تقديره واعني المقيمين الصلوة على ان الجملة معترضة بين المبتدإ والخبر وقيل هو عطف على ما انزل اليك على ان المراد بهم الانبياء اي يؤمنون بالكتب وبالانبياء او الملائكة قال مكي اي ويؤمنون بالملائكة الذين صفتهم اقامة الصلوة لقوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقيل عطف على الكاف في اليك اي يؤمنون بما انزل اليك والى المقيمين الصلوة وهم الانبياء وقيل على الضمير المجرور في منهم اي لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلوة وقرئ بالرفع على انه معطوف على المؤمنون بناء على ما مر من تنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي وكذا الحال فيما سياتي من المعطوفين فان قوله تعالى **والمؤتون الزكوة** عطف على المؤمنون مع اتحاد الكل ذاتا وكذا الكلام في قوله تعالى **والمؤمنون بالله واليوم الآخر** فان المراد بالكل مؤمنوا اهل الكتاب قد وصفوا اولا بكونهم راسخين في علم الكتاب ايذانا بان ذلك موجب للايمان حتما وان من عداهم انما بقوا مصرين على الكفر لعدم رسوخهم فيه ثم بكونهم مؤمنين بجميع الكتب المنزلة على الانبياء عليهم السلام ثم بكونهم عاملين بما فيها من الشرائع والاحكام واكتفى من بينها بذكر اقامة الصلوة وايتاء الزكوة المستتبعين لسائر العبادات البدنية والمالية ثم بكونهم مؤمنين بالمبدإ والمعاد تحقيقا لحيازتهم الايمان بقطريه واحاطتهم به من طرفيه وتعريضا بان من عداهم من اهل الكتاب ليسوا بمؤمنين بواحد منهما حقيقة فانهم بقولهم عزير ابن الله مشركون بالله سبحانه وبقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة كافرون باليوم الآخر وقوله تعالى **اولئك** اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما عدد من الصفات الجميلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى **سنؤتيهم اجرا عظيما** خبره والجملة خبر للمبتدإ الذي هو الراسخون وما عطف عليه والسين لتاكيد الوعد وتنكير الاجر للتفخيم وهذا النسق يتجاوب طرفي الاستدراك حيث اوعد الاولون بالعذاب الاليم ووعد الآخرون بالاجر العظيم كانه قيل اثر قوله تعالى واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما لكن المؤمنون منهم سنؤتيهم اجرا عظيما واما ما جنح اليه الجمهور من جعل قوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك الخ خبرا للمبتدإ ففيه كمال السداد خلا انه غير متعرض لتقابل الطرفين وقرئ سيؤتيهم بالياء مراعاة لظاهر قوله تعالى والمؤمنون بالله **انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده** جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بانه ليس بدعا من الرسل وانما شانه في حقيقة الارسال واصل الوحي كشان سائر مشاهير الانبياء الذين لا ريب لاحد في نبوتهم والكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي ايحاء مثل ايحائنا الى نوح او على انه حال من ذلك المصدر المقدر معرفا كما هو راي سيبويه اي اوحينا الايحاء حال كونه مشبها بايحائنا الخ ومن بعده متعلق باوحينا وانما بدئ بذكر نوح لانه ابو البشر واول نبي شرع الله تعالى على لسانه الشرائع والاحكام واول نبي عذبت امته لردهم دعوته وقد اهلك الله بدعائه اهل الارض **واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط** عطف على اوحينا الى نوح داخل معه في حكم التشبيه اي وكما اوحينا الى ابراهيم وهم اولاد يعقوب عليهم السلام **وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمن** خصوا بالذكر مع ظهور انتظامهم في سلك النبيين تشريفا لهم واظهارا لفضلهم كما في قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته وجبريل وميكال وتكريرا الفعل لمزيد تقرير الايحاء والتنبيه على انهم طائفة خاصة مستقلة بنوع مخصوص من الوحي **وآتينا داود زبورا** قال القرطبي كان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الاحكام وانما هي حكم ومواعظ والتحميد والتمجيد والثناء على الله عز وجل وقرئ بضم الزاء وهو جمع زبر بمعنى مزبور والجملة عطف على اوحينا داخل في حكمه لان ايتاء الزبور من باب الايحاء اي وكما آتينا داود زبورا وايثاره على واوحينا الى داود لتحقيق المماثلة في امر خاص هو ايتاء الكتاب بعد تحقيقها في مطلق الايحاء ثم اشير الى تحقيقها في امر لازم لهما لزوما كليا وهو الارسال فان قوله تعالى **ورسلا** نصب بمضمر يدل عليه اوحينا معطوف عليه داخل معه في حكم التشبيه كما قبله اي وكما ارسلنا رسلا بما يفسره قوله تعالى **قد قصصناهم عليك** اي وقصصنا رسلا كما قالوا وفرعوا عليه ان قوله تعالى قد قصصناهم على الوجه الاول منصوب على انه صفة لرسلا وعلى الوجه الثاني لا محل له من الاعراب فانه مما لا سبيل اليه كما ستقف عليه وقرئ برفع رسل وقوله تعالى **من قبل** متعلق بقصصنا اي قصصناهم من قبل هذه السورة او اليوم **ورسلا لم نقصصهم عليك** عطف على رسلا منصوب بناصبه وقيل كلاهما منصوب بنزع الخافض والتقدير كما اوحينا الى نوح والى رسل الخ والحق ان يكون انتصابهما بارسلنا فان فيه تحقيقا للمماثلة في شانه صلى الله عليه وسلم وبين شؤون من يعترفون بنبوته من الانبياء عليهم السلام في مطلق الايحاء ثم في ايتاء الكتاب ثم في الارسال فان قوله تعالى انا اوحينا اليك منتظم لمعنى آتيناك وارسلناك حتما كانه قيل انا اوحينا اليك ايحاء مثل ما اوحينا الى نوح ومثل ما اوحينا الى ابراهيم ومن بعده وآتيناك الفرقان ايتاء مثل ما آتينا داود زبورا وارسلناك ارسالا مثل ما ارسلنا رسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا آخرين لم نقصصهم عليك من غير تفاوت بينك وبينهم في حقيقة الايحاء واصل الارسال فما للكفرة يسالونك شيئا لم يعطه احد من هؤلاء الرسل عليهم السلام ومن ههنا اتضح ان رسلا لا يمكن نصبه بقصصنا فان ناصبه يجب ان يكون معطوفا على اوحينا داخلا معه في حكم التشبيه الذي عليه يدور فلك الاحتجاج على الكفرة ولا ريب في ان قصصنا لا تعلق له بشيء من الايحاء والايتاء حتى يمكن اعتباره في ضمن قوله تعالى انا اوحينا اليك ثم يعتبر بينه وبين المذكور مماثلة مصححة للتشبيه على ان تقديره في رسلا الاول يقتضي تقدير نفيه في الثاني وذلك اشد استحالة واظهر بطلانا **وكلم الله موسى** برفع الجلالة ونصب موسى وقرئ على القلب وقوله تعالى **تكليما** مصدر مؤكد رافع لاحتمال المجاز قال الفراء العرب تسمي ما وصل الى الانسان كلاما باي طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فاذا اكد به لم يكن الا حقيقة الكلام والجملة اما معطوفة على قوله تعالى انا اوحينا اليك عطف القصة على القصة لا على آتينا وما عطف عليه واما حال بتقدير قد كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات والمعنى ان التكليم بغير واسطة منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم فلم يكن ذلك قادحا في نبوة سائر الانبياء فكيف يتوهم كون نزول التورية عليه عليه السلام جملة قادحا في صحة نبوة من انزل عليه الكتاب مفصلا مع ظهور ان نزولها كذلك لحكم مقتضية لذلك من جملتها ان بني اسرائيل كانوا في العناد وشدة الشكيمة بحيث لو لم يكن نزولها كذلك لما آمنوا بها ومع ذلك ما آمنوا بها الا بعد اللتيا والتي وقد فضل الله تعالى نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم صلى الله عليهم وسلم تسليما كثيرا **رسلا مبشرين ومنذرين** نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال بان يكون رسلا موطئا لما بعده او على البدلية من رسلا الاول مبشرين لاهل الطاعة بالجنة ومنذرين للعصاة بالنار **لئلا يكون للناس على الله حجة** اي معذرة يعتذرون بها قائلين لولا ارسلت الينا رسولا فيبين لنا شرائعك ويعلمنا ما لم نكن نعلم من احكامك لقصور القوة البشرية عن ادراك جزئيات المصالح وعجز اكثر الناس عن ادراك كلياتها كما في قوله عز وجل ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك الآية وسميت حجة مع استحالة ان يكون لاحد عليه سبحانه حجة في فعل من افعاله بل له ان يفعل ما يشاء كما يشاء للتنبيه على ان المعذرة في القبول عنده تعالى بمقتضى كرمه ورحمته لعباده بمنزلة الحجة القاطعة التي لا مرد لها ولذلك قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما احد اغير من الله عز وجل لذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وما احد احب اليه المدح من الله تعالى لذلك مدح نفسه وما احد احب اليه العذر من الله تعالى لذلك ارسل الرسل وانزل الكتب فاللام متعلقة بارسلنا وقيل بقوله تعالى مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وللناس خبرها وعلى الله متعلق بمحذوف وقع حالا من حجة اي كائنة على الله وهو الخبر وللناس حال على الوجه المذكور ويجوز ان يتعلق كل منهما بما تعلق به الآخر الذي هو الخبر ولا يجوز التعلق بحجة لان معمول المصدر لا يتقدم عليه وقوله تعالى **بعد الرسل** اي بعد ارسالهم وتبليغ الشرائع الى الامم على السنتهم متعلق بحجة او بمحذوف وقع صفة لها لان الظروف يوصف بها الاحداث كما يخبر بها عنها نحو القتال يوم الجمعة **وكان الله عزيزا** لا يغالب في امر من اموره ومن قضيته الامتناع عن الاجابة الى مسالة المتعنتين **حكيما** في جميع افعاله التي من جملتها ارسال الرسل وانزال الكتب فان تعدد الرسل والكتب واختلافها في كيفية النزول وتغايرها في بعض الشرائع والاحكام انما هو لتفاوت طبقات الامم في

الاحوال التي عليها مدار فلك التكليف فكما انه سبحانه وتعالى برأهم على انحاء شتى واطوار متباينة حسبما تقتضيه الحكمة التكوينية كذلك تعبدهم بما يليق بشأنهم ويقتضيه
احوالهم المتخالفة واستعداداتهم المتغايرة من الشرائع والاحكام حسبما تستدعيه الحكمة التشريعية وراعى في ارسال الرسل وانزال الكتب وغير ذلك
الامور المتعلقة بمعاشهم ومعادهم ما فيه مصلحتهم فنزول التنزيل المنجم الواقع حسب الامور الداعية اليه فهو ايسر قبولا واسهل امتثالا لكن الله يشهد بتخفيف
النون ورفع الجلالة وقرئ بتشديد النون ونصب الجلالة وهو استدراك عما يفهم مما قبله كأنه لما تعنتوا عليه بما سبق من السؤال واحتج عليهم بقوله تعالى
انا اوحينا اليك كما اوحينا الخ قيل انهم لا يشهدون بذلك لكن الله يشهد بما انزل اليك على البناء للفاعل وقرئ على بناء المفعول والباء صلة للشهادة
اي يشهد بحقية ما انزل اليك من القرآن المعجز الناطق بنبوتك وقيل لما نزل قوله تعالى انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد
انزله بعلمه اي ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تأليفه على نظم بديع يعجز عنه كل بليغ او بعلمه بحال من انزله عليه واستعداده لاقتباس الانوار
القدسية او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث من المفعول والجملة في موقع التفسير
لما قبلها وقرئ نزّله وقوله تعالى والملائكة يشهدون اي بذلك مبتدأ وخبر والجملة عطف على ما قبلها وقيل حال من مفعول انزله اي انزله والملائكة
يشهدون بصدقه وحقيته وكفى بالله شهيدا على صحة نبوتك حيث نصب لها معجزات باهرة وحججا ظاهرة مغنية عن الاستشهاد بغيرها ان الذين كفروا
اي بما انزله الله تعالى وشهد به او بكل ما يجب الايمان به وهو داخل فيه دخولا اوليا والمراد بهم اليهود حيث كفروا به وصدوا عن سبيل الله وهو دين الاسلام
من اراد سلوكه بقولهم ما نعرف صفة محمد في كتابنا وقرئ صُدّوا مبنيا للمفعول قد ضلوا بما فعلوا من الكفر والصد عن طريق الحق ضلالا بعيدا لانهم جمعوا
بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اعرق في الضلال وابعد من الاقلاع عنه ان الذين كفروا وظلموا اي محمدا صلى الله عليه وسلم بانكار
نبوته وكتمان نعوته الجليلة ووضع غيرها مكانها او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم في المعاش والمعاد لم يكن الله ليغفر لهم لاستحالة تعلق المغفرة
بالكافر ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم لعدم استعدادهم للهداية الى الحق والاعمال الصالحة التي هي طريق الجنة والمراد بالهداية المفهومة
من الاستثناء بطريق الاشارة خلقه تعالى لاعمالهم السيئة المؤدية بهم الى جهنم عند صرف قدرتهم واختيارهم الى اكتسابها او سوقهم اليها
يوم القيامة بواسطة الملائكة والطريق على عمومه والاستثناء متصل وقيل خاص بطريق الحق والاستثناء منقطع خالدين فيها حال مقدرة من
الضمير المنصوب والعامل فيها ما دل عليه الاستثناء دلالة واضحة كأنه قيل يدخلهم جهنم خالدين فيها الخ وقوله ابدا نصب على الظرفية رافع لاحتمال
حمل الخلود على المكث الطويل وكان ذلك اي جعلهم خالدين في جهنم على الله يسيرا لاستحالة ان يتعذر عليه شيء من مراداته تعالى يا ايها الناس بعدما حكى
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تعلل اليهود بالاباطيل واقتراحهم الباطل تعنتا ورد عليهم ذلك بتحقيق نبوته عليه السلام وتقرير رسالته ببيان ان
شأنه عليه السلام في امر الوحي والارسال كشأن من يعترفون بنبوته من مشاهير الانبياء عليهم السلام واكد ذلك بشهادته سبحانه وشهادة الملائكة
امر المكلفون كافة على طريق تلوين الخطاب بالايمان بذلك امرا مشفوعا بالوعد بالاجابة والوعيد على الرد تنبيها على ان الحجة قد لزمت ولم يبق بعد ذلك
لاحد عذر في عدم القبول وقوله عز وجل قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم تكرير للشهادة وتقرير لحقية المشهود به وتمهيد لما يعقبه من الامر بالايمان وايراده صلى الله
عليه وسلم بعنوان الرسالة لتأكيد وجوب طاعته والمراد بالحق هو القرآن الكريم والباء متعلقة بجاءكم فهي للتعدية او بمحذوف وقع حالا من الرسول
اي ملتبسا بالحق ومن ايضا متعلقة اما بالفعل واما بمحذوف هو حال من الحق اي جاءكم به من عنده تعالى او جاءكم بالحق كائنا من عنده تعالى والتعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين للايذان بان ذلك لتربيتهم وتبليغهم الى كمالهم اللائق بهم ترغيبا لهم في الامتثال بما بعده من الامر والفاء
في قوله عز وعلا فآمنوا للدلالة على ايجاب ما قبلها لما بعدها اي فآمنوا به وبما جاءكم به من الحق وقوله تعالى خيرا لكم منصوب على انه مفعول لفعل واجب
الاضمار كما هو رأي الخليل وسيبويه اي اقصدوا او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر او على انه نعت لمصدر محذوف كما هو رأي الفراء اي
آمنوا ايمانا خيرا لكم او على انه خبر كان المضمرة الواقعة جوابا للامر لا جزاء للشرط الصناعي فان لله ما في السموات والارض من الموجودات سواء كانت
داخلة في حقيقتهما وبذلك يعلم حال انفسهما على ابلغ وجه وآكده او خارجة عنهما مستقرة فيهما من العقلاء وغيرهم فيدخل في جملتهم المخاطبون دخولا
اوليا اي كلها له عز وجل خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج من ملكوته وقهره شيء منها فمن هذا شأنه فهو قادر على تعذيبكم بكفركم لا محالة او فمن كان

كذلك فهو غني عنكم وعن غيركم لا يتضرر بكفركم ولا ينتفع بايمانكم وقيل فمن كان كذلك فله عبيد يعبدونه وينقادون لامره وكان الله عليما مبالغا في
العلم فهو عالم باحوال الكل فيدخل في ذلك علمه تعالى بكفرهم دخولا اوليا حكيما مراعيا للحكمة في جميع افعاله التي من جملتها تعذيبه اياهم بكفرهم يا اهل
الكتاب تجريد للخطاب وتخصيص له بالنصارى زجرا لهم عما هم عليه من الكفر والضلال لا تغلوا في دينكم بالافراط في شأن عيسى عليه السلام
وادعاء الوهيته واما غلو اليهود في حط رتبته عليه السلام ورميهم بانه ولد لغير رشده فقد نعي عليهم ذلك فيما سبق ولا تقولوا على الله
الا الحق اي لا تصفوه بما يستحيل اتصافه به من الحلول والاتحاد واتخاذ الصاحبة والولد بل نزهوه عن جميع ذلك انما المسيح قد مر تفسيره
في سورة آل عمران وقرئ بكسر الميم وتشديد السين كالسكيت على صيغة المبالغة وهو مبتدأ وقوله تعالى عيسى بدل منه او عطف بيان له وقوله
تعالى ابن مريم صفة له مفيدة لبطلان ما وصفوه به عليه السلام من بنوته تعالى وقوله تعالى رسول الله خبر للمبتدأ والجملة مستأنفة مسوقة لتعليل
النهي عن القول الباطل المستلزم للامر بضده اعني الحق اي انه مقصور على رتبة الرسالة لا يتخطاها وكلمته عطف على رسول الله اي مكون بكلمته
وامره الذي هو كن من غير واسطة اب ولا نطفة القاها الى مريم اي اوصلها اليها وحصلها فيها بنفخ جبريل عليه السلام وقيل اعلمها اياها واخبرها بها
بطريق البشارة وذلك قوله تعالى ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وقيل الجملة حال من ضميره عليه السلام المستكن فيما
دل عليه وكلمته من المعنى المشتق الذي هو العامل فيها وقد مقدرة معها وروح منه قيل هو الذي نفخ جبريل عليه السلام في درع مريم فحملت باذن
الله تعالى سمي النفخ روحا لانه ريح يخرج من الروح ومن لابتداء الغاية مجازا لا تبعيضية كما زعمت النصارى يحكى ان طبيبا حاذقا نصرانيا
للرشيد ناظر علي بن الحسين الواقدي المروزي ذات يوم فقال ان في كتابكم ما يدل على ان عيسى عليه السلام جزء منه تعالى وتلا هذه الآية
فقرأ الواقدي وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه فقال اذن يلزم ان يكون جميع تلك الاشياء منه سبحانه وتعالى عما يقولون علوا
كبيرا فانقطع النصراني فاسلم وفرح الرشيد فرحا شديدا ووصل الواقدي بصلة فاخرة وهي متعلقة بمحذوف وقع صفة لروح اي كائنة من
جهته تعالى جعلت منه تعالى وان كانت بنفخ جبريل عليه السلام لكون النفخ بامره سبحانه وقيل سمي روحا لاحيائه الاموات وقيل لاحيائه القلوب
كما سمي به القرآن لذلك في قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل اريد بالروح الوحي الذي اوحي الى مريم بالبشارة وقيل
جرت العادة بانهم اذا ارادوا وصف شيء بغاية الطهارة والنظافة قالوا انه روح فلما كان عيسى عليه السلام متكونا من النفخ لا من النطفة
وصف بالروح وتقديم كونه عليه السلام رسول الله في الذكر مع تأخره عن كونه كلمته تعالى وروحا منه في الوجود لتحقيق الحق من اول
الامر بما هو نص فيه غير محتمل للتأويل وتعيين مآل ما يحتمله وسد باب التأويل الزائغ فآمنوا بالله وخصوه بالالوهية ورسله اجمعين وصفوهم
بالرسالة ولا تخرجوا بعضهم عن سلكهم بوصفه بالالوهية ولا تقولوا ثلاثة اي الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم كما ينبئ عنه قوله تعالى أأنت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله ثلاثة ان صح انهم يقولون جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن
واقنوم روح القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحيوة انتهوا اي عن التثليث خيرا لكم قد مر
وجوب انتصابه انما الله اله واحد اي بالذات منزه عن التعدد بوجه من الوجوه فالله مبتدأ واله خبره وواحد نعت اي منفرد في الهيته سبحانه ان
يكون له ولد اي اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد او سبحوه تسبيحا من ذلك فانه انما يتصور فيمن يماثله شيء ويتطرق اليه فناء والله سبحانه منزه عن امثاله
وقرئ ان يكون اي سبحانه ما يكون له ولد وقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض جملة مستأنفة مسوقة لتعليل التنزيه وتقريره اي له ما فيهما
من الموجودات خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج عن ملكوته شيء من الاشياء التي من جملتها عيسى عليه السلام فكيف يتوهم كونه ولدا له تعالى وكفى بالله
وكيلا يكل اليه الخلق امورهم وهو غني عن العالمين فانى يتصور في حقه اتخاذ الولد الذي هو شأن العجزة المحتاجين في تدبير امورهم الى من
يخلفهم ويقوم مقامهم لن يستنكف المسيح استئناف مقرر لما سبق من التنزيه والاستنكاف الانفة والترفع من نكفت الدمع اذا نحيته عن وجهك
بالاصبع اي لن يأنف ولن يترفع ان يكون عبدا لله اي عن ان يكون عبدا له تعالى مستمرا على عبادته وطاعته حسبما هو وظيفة العبودية كيف وان
ذلك اقصى مراتب الشرف والاقتصار على ذكر عدم استنكافه عليه السلام عنه مع ان شأنه عليه السلام المباهاة به كما يدل عليه احواله ويفصح عنه اقواله

يري ان اول مقالة قالها للناس قوله اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا لوقوعه في موقع الجواب كما قاله الكفرة روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت وهو السر في
جعل المستنكف عنه كونه عليه السلام عبدا له تعالى دون ان يتعالى عن عبادة الله تعالى ونحو ذلك مع افادة فائدة جليلة هي كمال نزاهته عليه السلام عن
الاستنكاف بالكلية فان كونه عبدا له تعالى حالة مستمرة مستتبعة لدوام العبادة قطعا فعدم الاستنكاف عنه مستلزم لعدم الاستنكاف عن عبادته
تعالى كما اشير اليه بخلاف عبادته تعالى فانها حالة متجددة غير مستلزمة للدوام يكفي في اتصاف موصوفها بها تحققها مرة فعدم الاستنكاف عنها
لا يستلزم عدم الاستنكاف عن دوامها ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح اي ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا لله تعالى
وقيل ان اريد بالملائكة كل واحد منهم لم يحتج الى التقدير واحتج بالآية من زعم فضل الملائكة على الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقيل سياقه لرد
النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف اعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم
مستلزما لعدم استنكافه عليه السلام واجيب بان مناط كفر النصارى ورفعهم له عليه السلام عن مقام العبودية لما كان اختصاصه عليه
السلام وامتيازه عن سائر افراد البشر بالولادة من غير اب وبالعلم بالمغيبات وبالرفع الى السماء عطف على عدم استنكافه عن عبوديته
تعالى عدم استنكاف من هو اعلى درجة منه فيما ذكر فان الملائكة مخلوقون من غير اب ولا ام وعالمون بما لا يعلمه البشر من المغيبات ومقارهم
السموات العلى ولا نزاع لاحد في علو درجتهم من هذه الحيثية وانما النزاع في علوها من حيث كثرة الثواب على الطاعات وبان الآية ليست
للرد على النصارى فقط بل على عبدة الملئكة ايضا فلا اتجاه لما قالوا حينئذ وان سلم اختصاصها بالرد على النصارى فلعله اريد بالعطف
المبالغة باعتبار التكثير والتفضيل لا باعتبار التكبير والتفضيل كما في قولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤس ولئن سلم ارادة
التفضيل فغاية الامر الدلالة على افضلية المقربين منهم وهم الكروبيون الذين حول العرش او من هو اعلى منهم رتبة من الملئكة على المسيح من
الانبياء عليهم السلام وليس يلزم من ذلك فضل احد الجنسين على الآخر مطلقا وما التشاجر الا فيه ومن يستنكف عن عبادته اي عن طاعته
فيشمل جميع الكفرة لعدم طاعتهم له تعالى وانما جعل المستنكف عنه ههنا عبادته تعالى لان ما سيق لتعليق الوعيد بوصف ظاهر الثبوت للكفرة
فان عدم طاعتهم له تعالى مما لا سبيل لهم الى انكار اتصافهم به ان قيل لم عبر عن عدم طاعتهم له تعالى بالاستنكاف عنها مع ان ذلك منهم كان بطريق
انكار كون الامر من جهته تعالى لا بطريق الاستنكاف قلنا لانهم كانوا يستنكفون عن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل هو الا استنكاف
عن طاعة الله تعالى اذ لا امر له عليه السلام سوى امره تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله ويستكبر الاستكبار الانفة عما لا ينبغي ان يؤنف
عنه واصله طلب الكبر لنفسه بغير استحقاق له لا بمعنى تحصيله مع اعتقاد عدم حصوله فيه بل بمعنى عدم كبره واعتقاده كذلك وانما عبر عنه بما يدل
على الطلب للايذان بان كل ماله لمحض الطلب بدون حصول المطلب وقد عبر عن مثل ذلك بنفس المطلب في قوله تعالى يصدون عن سبيل الله ويبغونها
عوجا فانهم ما كانوا يطلبون ثبوت العوج لسبيل الله تعالى مع اعتقادهم لاستقامتها بل كانوا يعدونها ويعتقدونها معوجة ويحكمون
بذلك ولكن عبر عن ذلك بالطلب لما ذكر من الاشعار بان ليس هناك شيء سوى الطلب والاستكبار دون الاستنكاف المنبئ عن توهم
لحوق العار والنقص بالمستنكف عنه فسيحشرهم اليه جميعا اي المستنكفين ومقابليهم المدلول عليهم بذكر عدم استنكاف المسيح والملائكة
عليهم السلام وقد ترك ذكر احد الفريقين في التفصيل عند قوله تعالى فاما الذين آمنوا بالله الآية مع عموم الخطاب لهما اعتمادا على ظهور
اقتضاء اثابة احدهما العقاب للآخر ضرورة شمول الجزاء للكل وقيل الضمير للمستنكفين وهناك مقدر معطوف عليه والتقدير فيحشرهم
وغيرهم وقيل المعنى فيحشرهم اليه يوم يحشر العباد لمجازاتهم وفيه ان الانسب بالتفصيل الآتي اعتبار حشر الكل في الاجمال على نهج واحد وقرئ
فيحشرهم بكسر الشين وهي لغة وقرئ فسنحشرهم بنون العظمة بطريق الالتفات فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات بيان لحال الفريق المطوي
ذكره في الاجمال قدم على بيان حال ما يقابله ابانة لفضله ومسارعة الى بيان كون حشره ايضا معتبرا في الاجمال وايراده بعنوان الايمان والعمل
الصالح لا بوصف عدم الاستنكاف المناسب لما قبله وما بعده للتنبيه على انه المستتبع لما يعقبه من الثمرات فيوفيهم اجورهم من غير ان ينقص منها شيئا

اصلا ويزيدهم من فضله بتضعيفها اضعافا مضاعفة وباعطاء ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واما الذين استنكفوا
اي عن عبادته تعالى واستكبروا فيعذبهم بسبب استنكافهم واستكبارهم عذابا اليما لا يحيط به الوصف ولا يجدون لهم من دون الله وليا يلي امورهم
ويدبر مصالحهم ولا نصيرا ينصرهم من الله تعالى وينجيهم من عذابه يا ايها الناس تلوين للخطاب وتوجيه له الى كافة المكلفين اثر بيان بطلان ما عليه
الكفرة من فنون الكفر والضلال والزامهم بالبراهين القاطعة التي تخر لها صم الجبال وازاحة شبههم الواهية بالبينات الواضحة وتنبيه لهم على
ان الحجة قد تمت فلم يبق بعد ذلك علة لمتعلل ولا عذر لمتعذر قد جاءكم اي وصل اليكم وتقرر في قلوبكم بحيث لا سبيل لكم الى الانكار برهان
البرهان ما يبرهن به على المطلوب والمراد به القرآن الدال على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم المسمى لما فيه من الاحكام التي من جملتها ما اشير اليه
مما اشتملت عليه الآيات الكريمة من حقية الحق وبطلان الباطل وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه النبي صلى الله عليه وسلم عبر عنه به لما معه من
المعجزات التي اظهرها وقيل هو الدين الحق الذي اتى به وقوله تعالى من ربكم اما متعلق بجاءكم او بمحذوف وقع صفة مشرفة لبرهان مؤكدة
لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائن منه تعالى على ان من لابتداء الغاية مجازا وقد جوز على الثاني كونها تبعيضية بان
بحذف المضاف اي كائن من براهين ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار اللطف بهم والايذان بان
مجيئه لهم لتربيتهم وتكميلهم وانزلنا اليكم نورا مبينا اريد به ايضا القرآن الكريم عبر عنه تارة بالبرهان لما اشير اليه آنفا واخرى بالنور
النير بنفسه المنور لغيره من الامور المذكورة واسعاد الهداية للخلق واخراجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان وقد سلك به مسلك العطف المنبئ
على تغاير الطرفين تنزيلا للمغايرة العنوانية منزلة المغايرة الذاتية وعبر عن ملابسته للمخاطبين تارة بالمجيء المسند اليه المنبئ عن كمال
قوة البرهان كانه يجيء بنفسه فيثبت احكامه من غير ان يجيء به احد ويجيء على شبه الكفرة بالابطال واخرى بالانزال الموقع عليه
الملائم لحيثية كونه نورا توفيرا له باعتبار كل واحد من عنوانيه حظه اللائق به واسناد انزاله اليه تعالى بطريق الالتفات لكمال تشريفه
هذا على تقدير كونه عبارة عن الرسول صلى الله عليه وسلم او عن المعجزات الظاهرة على يده او عن الدين الحق فالامر هين وقوله تعالى اليكم
متعلق بانزلنا فان انزاله بالذات وان كان الى النبي صلى الله عليه وسلم لكنه منزل اليهم ايضا بواسطته عليه السلام وانما اعتبر حاله بالواسطة
دون حاله بالذات كما في قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس الآية ونظائره لاظهار كمال اللطف بهم والتصريح بوصوله اليهم
مبالغة في الاعذار وتقديمه على المفعول الصريح مع ان حقه التأخر عنه لما مر غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وللمحافظة
على فواصل الآي الكريمة فاما الذين آمنوا بالله حسبما يوجبه البرهان الذي اتاهم واعتصموا به اي عصموا به انفسهم مما يرديها من زيغ الشيطان
وغيره فسيدخلهم في رحمة منه وفضل قال ابن عباس رضي الله عنهما هي الجنة وما يتفضل عليهم مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر وعبر عن افاضة الفضل بالادخال على طريقة قوله علفتها تبنا وماء باردا وتنوين رحمة وفضل تفخيمي ومنه متعلق بمحذوف
وقع صفة مشرفة لرحمة ويهديهم اليه اي الى الله تعالى وقيل الى الموعود وقيل الى عبادته صراطا مستقيما هو الاسلام والطاعة في الدنيا
وطريق الجنة في الآخرة وتقديم ذكر الوعد بادخال الجنة على الوعد بالهداية اليها على خلاف الترتيب في الوجود بين الموعودين
للمسارعة الى التبشير بما هو المقصد الاصلي قيل انتصاب صراطا على انه مفعول لفعل محذوف ينبئ عنه يهديهم اي يعرفهم صراطا مستقيما
يستفتونك اي في الكلالة استغني عن ذكره بوروده في قوله تعالى قل الله يفتيكم في الكلالة وقد مر تفسيرها في مطلع السورة الكريمة و
المستفتي جابر بن عبد الله رضي الله عنهما روي انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة عام حجة الوداع فقال ان لي
اختا فكم آخذ من ميراثها ان ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي وروي
عنه انه قال عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مريض لا اعقل فتوضأ وصب من وضوئه علي فعقلت فقلت يا رسول الله لمن الميراث
وانما يرثني كلالة وقوله تعالى ان امرؤ هلك استيناف مبين للفتيا وارتفع امرؤ بفعل يفسره المذكور وقوله تعالى ليس له ولد صفة له وقيل
حال من الضمير في هلك ورد بانه مفسر للمحذوف غير مقصود في الكلام اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد ذكرا كان او انثى واقتصر على ذكر عدم الولد

مع ان عدم الولد ايضا معتبر في الكلالة ثقة بظهور الامر ودلالة تفصيل الورثة عليه وقوله تعالى **وله اخت** عطف على قوله ليس له ولد وحال والمراد بالاخت
ليست لام فقط فان فرضها السدس وقد مر بيانه في صدر السورة الكريمة **فلها نصف ما ترك** اي بالفرض والباقي للعصبة او لها بالرد ان لم يكن
عصبة **وهو** اي المرء المفروض **يرثها** اي اخته المفروضة اي فرض هلاكها مع بقائه **ان لم يكن لها ولد** ذكرا كان او انثى فالمراد بارثه لها
احراز جميع مالها اذ هو المشروط بانتفاء الولد بالكلية لا ارثه لها بالجملة فانه يتحقق مع وجود بنتها وليس في الآية ما يدل على سقوط
الاخوة بغير الولد ولا على عدم سقوطهم مع الاب السنة الشريفة **فان كانتا اثنتين** عطف على الشرطية الاولى اي اثنتين فصاعدا
فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث بالاخوة والتانيث والتثنية باعتبار المعنى قيل وفائدة الاخبار عنها باثنتين مع دلالة الف
التثنية على الاثنينية التنبيه على ان المعتبر في اختلاف الحكم هو العدد دون الصغر والكبر وغيرهما **وان كانوا** اي من يرث بطريق الاخوة
اخوة اي مختلطة **رجالا ونساء** بدل من اخوة والاصل وان كانوا اخوة واخوات فغلب المذكر على المؤنث **فللذكر مثل حظ الانثيين**
يقتسمون التركة على طريقة التعصيب وهذا آخر ما انزل من كتاب الله تعالى في الاحكام روي ان الصديق رضي الله تعالى عنه قال في خطبته
ان الآية التي انزلها الله تعالى في سورة النساء في الفرائض فاولها في الولد والوالد وثانيها في الزوج والزوجة والاخوة من الام والآية
التي ختم بها السورة في الاخوة والاخوات لابوين او لاب والآية التي ختم بها سورة الانفال انزلها في اولي الارحام **يبين الله لكم**
اي حكم الكلالة واحكامه وشرائعه التي من جملتها حكمها **ان تضلوا** اي كراهة ان تضلوا في ذلك وهذا راي البصريين صرح به المبرد
وذهب الكسائي والفراء وغيرهما من الكوفيين الى تقدير اللام ولا في طرفي ان اي لئلا تضلوا وقال الزجاج هو مثل قوله تعالى ان الله
يمسك السموات والارض ان تزولا اي لئلا تزولا وقال ابو عبيدة رويت للكسائي حديث عمر رضي الله عنهما وهو لا يدعون احدكم
على ولده ان يوافق من الله اجابة اي لئلا يوافق فاستحسنه وليس ما ذكر من الآية والحديث نصا فيما ذهب اليه الكسائي واضرابه لان
التقدير فيهما عند البصريين كراهة ان تزولا وكراهة ان يوافق الى آخره وقيل ليس هناك حذف ولا تقدير وانما هو مفعول يبين اي
يبين لكم ضلالكم الذي هو من شانكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه وانت خبير بان ذلك انما يليق بما اذا كان
بيانه تعالى على طريقة تعيين مواقع الخطاء والضلال من غير تصريح بما هو الحق والصواب وليس كذلك **والله بكل شيء** من الاشياء التي من جملتها
احوالكم المتعلقة بمحياكم ومماتكم **عليم** مبالغ في العلم فيبين لكم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اعتق محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله
تعالى من الذين يتجاوز عنهم والله تعالى اعلم

سورة المائدة

بسم الله الرحمن الرحيم **يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود** الوفاء القيام بموجب العقد كذا الايفاء والعقد هو العهد الموثق المشبه
بعقد الحبل ونحوه والمراد بالعقود ما يعم جميع ما الزمه الله تعالى على عباده وعقده عليهم من التكاليف والاحكام الدينية وما يعقدونه
فيما بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن دينا بان يحمل على معنى يعم الوجوب والندب امر بذلك اولا على وجه الاجمال
ثم شرع في تفصيل الاحكام التي امر بالايفاء بها وبدأ بما يتعلق بضرورات معايشهم فقيل **احلت لكم بهيمة الانعام** البهيمة كل ذات اربع و
اضافتها الى الانعام للبيان كثوب الخز وافرادها لارادة الجنس اي احل لكم اكل البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية المعدودة في سورة
الانعام والحق بها الظباء وبقر الوحش ونحوهما وقيل هي المرادة بالبهيمة هاهنا لتقدم بيان حل الانعام والاضافة الى ما بينهما من المشابهة
والمماثلة في الاجترار وعدم الانياب وفائدتها الاشعار بعلة الحكم المشتركة بين المتضايفين كانه قيل احلت لكم البهيمة الشبيهة بالانعام التي
بين احلالها فيما يستتبع المماثلة لها في مناط الحكم وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لما مر مرارا من اظهار العناية بالمقدم لما فيه من تعجيل
المسرة والتشويق الى المؤخر فانما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة الى وروده فيتمكن عند وروده فضل تمكن **الا ما يتلى عليكم** استثناء من بهيمة
الانعام اي الا محرم ما يتلى عليكم من قوله تعالى حرمت عليكم الميتة ونحوها او الا ما يتلى عليكم آية تحريمه **غير محلي الصيد** اي الاصطياد في البر

او اكل صيده وهو نصب على الحالية من ضمير لكم ومعنى عدم احلالهم له تقرير حرمته عملا واعتقادا وهو شايع في الكتاب والسنة وقوله تعالى **وانتم حرم** اي
محرمون حال من الضمير في محلي وفائدة تقييد احلال الانعام بما ذكر من عدم احلال الصيد حال الاحرام على تقدير كون المراد بها الظباء ونظائرها
ظاهرة لما ان احلالها غير مطلق كانه قيل احل لكم الصيد حال كونكم ممتنعين عنه عند احرامكم واما على التقدير الاول ففائدته اظهار النعمة واتمام
الامتنان باحلالها بتذكير احتياجهم اليه فان حرمة الصيد في حالة الاحرام من مظان حاجتهم الى احلال غيره حتما كانه قيل احلت لكم الانعام مطلقا
حال كونكم ممتنعين عن تحصيل ما يغنيكم عنها في بعض الاوقات محتاجين الى احلالها وفي اسناد عدم الاحلال اليهم بالمعنى المذكور مع حصول المراد بان
يقال غير محلل لكم او محرما عليكم الصيد حال احرامكم مزيد تربية للامتنان وتقرير للحاجة ببيان علتها القريبة فان تحريم الصيد عليهم انما يوجب
حاجتهم الى احلال ما يغنيهم عنه باعتبار تحريمهم له عملا واعتقادا مع ما في ذلك من وصفهم بما هو اللائق بهم **ان الله يحكم ما يريد** من الاحكام حسبما تقتضيه
مشيئته المبنية على الحكم البالغة فيدخل فيها ما ذكر من التحليل والتحريم دخولا اوليا ومعنى الايفاء بهما الجريان على موجبهما عملا وعقدا والاجتناب عن
تحليل المحرمات وتحريم بعض المحللات كالبحيرة ونظائرها التي سيأتي بيانها **يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله** لما بين حرمة احلال الاحرام
الذي هو من شعائر الحج عقب ذلك ببيان حرمة احلال سائر الشعائر واضافتها الى الله عز وجل لتشريفها وتهويل الخطب في احلالها وهي
جمع شعيرة وهي اسم لما اشعر اي جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي هي علامات الحاج
يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر واحلالها ان يتهاون بحرمتها وان يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدث في اشهر الحج
ما يصد به الناس عن الحج وقيل المراد بها دين الله لقوله تعالى ومن يعظم شعائر الله اي دينه وقيل حرمات الله وقيل فرائضه التي حدها لعباده
واحلالها الاخلال بها والاول انسب بالمقام **ولا الشهر الحرام** اي لا تحلوه بالقتال فيه وقيل بالنسيء والاول هو الاظهر بحال المؤمنين والمراد به شهر
الحج وقيل الاشهر الاربعة الحرم والافراد لارادة الجنس **ولا الهدي** بان يتعرض له بالغصب او بالمنع من بلوغ محله وهو ما اهدي الى الكعبة من ابل او بقر
او شاة كجدي وجدية **ولا القلائد** هي جمع قلادة وهي ما يقلد به الهدي من نعل ولحاء شجر ليعلم به انه هدي فلا يتعرض له والمراد النهي عن التعرض
لذوات القلائد من الهدي وهي البدن وعطفها على الهدي مع دخولها فيه لمزيد التوصية بها لمزيتها على ما عداها كما عطف جبريل وميكائيل
على الملائكة عليهم السلام كانه قيل والقلائد منه خصوصا او النهي عن التعرض لنفس القلائد مبالغة في النهي عن التعرض لاصحابها على
معنى لا تحلوا قلائدها فضلا عن ان تحلوها كما نهي عن ابداء الزينة بقوله تعالى ولا يبدين زينتهن مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها
ولا آمين البيت الحرام اي لا تحلوا قوما قاصدين زيارته بان تصدوهم عن زيارته باي وجه كان وقيل هناك مضاف محذوف اي قتال
قوم او اذى قوم آمين الى آخره وقرئ ولا آمي البيت الحرام بالاضافة وقوله عز وجل **يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا** حال من المستكن في
آمين لا صفة له لان المختار ان اسم الفاعل اذا وصف بطل عمله اي قاصدين زيارته حال كونهم طالبين ان يثيبهم الله تعالى ويرضى عنهم و
تنكير فضلا ورضوانا للتفخيم ومن ربهم متعلق بنفس الفعل او بمحذوف وقع صفة لفضلا مغنية عن وصف ما عطف عليه بها اي فضلا كائنا من
ربهم ورضوانا كذلك والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم والاشعار بحصول مبتغاهم وقرئ تبتغون على الخطاب
فالجملة حال من ضمير المخاطبين في لا تحلوا على ان المراد بيان منافاة حالهم هذه للمنهي عنه لا تقييد النهي بها واضافة الرب الى ضمير الآمين للايماء
الى اقتصار التشريف عليهم وحرمان المخاطبين عنه وعن نيل المبتغى وفي ذلك من تعليل النهي وتاكيده والمبالغة في استنكار المنهي عنه ما لا يخفى
ومن هاهنا قيل ان المراد بالآمين هم المسلمون خاصة وبه تمسك من ذهب الى ان الآية محكمة وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سورة
المائدة من آخر القرآن فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن رضي الله عنه ليس فيها منسوخ وعن ابي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة
وليس فيها منسوخ وقد قيل هم المشركون خاصة لانهم المحتاجون الى نهي المؤمنين عن احلالهم دون المؤمنين على ان حرمة احلالهم ثابتة بطريق
دلالة النص ويؤيده ان الآية نزلت في الحطم بن ضبيعة البكري وقد كان اتى المدينة فخلف خيله خارجها فدخل على النبي صلى الله عليه
وسلم وحده ووعده ان ياتي باصحابه فيسلموا ثم خرج من عنده عليه السلام فمر بسرح المدينة فاستاقه فلما كان في العام القابل خرج من

اليمامة حاجًا في حجاج بكر بن وائل ومعه تجارة عظيمة وقد قلدوا الهدي فسأل المسلمون النبي صلى الله عليه وسلم ان يخلي بينهم وبينه فأبى النبي
صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله الآية وفسر ابتغاء الفضل بطلب الرزق بالتجارة وابتغاء الرضوان
بانهم كانوا يزعمون انهم على سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله تعالى فوصفهم الله تعالى بظنهم وذلك الظن الفاسد وان كان بمعزل من
استتباع رضوانه تعالى لكن لا بعد في كونه مدارا لحصول بعض مقاصدهم الدنيوية وخلاصهم عن المكاره العاجلة لا سيما في ضمن مراعاة حقوق الله تعالى
وتعظيم شعائره وقال قتادة هو ان يصلح معايشهم في الدنيا ولا يعجل لهم العقوبة فيها وقيل هم المسلمون لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان المسلمين والمشركين كانوا يحجون جميعا فنهى الله المسلمين ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله تعالى لا تحلوا الآية ثم نزل بعد ذلك انما المشركون
نجس فلا يقربوا المسجد الحرام وقوله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم ولا ريب في تناول الآية للمشركين قطعا اما استقلالا واما اشتراكا لما سيأتي من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الخ فيتعين النسخ
كلا او بعضا ولا بد في الوجه الاخير من تفسير الفضل والرضوان بما يناسب الفريقين فقيل ابتغاء الفضل اي الرزق للمؤمنين والمشركين عامة و
ابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة ويجوز ان يكون الفضل على اطلاقه شاملا للفضل الاخروي ايضا ويختص ابتغاؤه بالمؤمنين **واذا حللتم**
فاصطادوا تصريح بما اشير اليه بقوله تعالى وانتم حرم من انتهاء حرمة الصيد بانتهاء موجبها والامر للاباحة بعد الحظر كأنه قيل واذا حللتم فلا
جناح عليكم في الاصطياد وقرئ أُحللتم وهو لغة في حل وقرئ بكسر الفاء بالقاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا **ولا يجرمنكم** نهي
عن احلال قوم من الآمّين خصّوا به مع اندراجهم في النهي عن احلال الكل كافة لاستقلالهم بامور ربما يتوهم كونها مصححة لاحلالهم داعية اليه
وجرم جار مجرى كسب في المعنى وفي التعدي الى مفعول واحد والى اثنين يقال جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه خلا ان جرم
يستعمل غالبا في كسب ما لا خير فيه وهو السبب في ايثاره هاهنا على الثاني وقد ينقل الاول من كل منهما بالهمزة الى معنى الثاني فيقال اجرمته ذنبا
واكسبته اياه وعليه قراءة من قرأ يُجرمنكم بضم الياء **شنآن قوم** بفتح النون وقرئ بسكونها وكلاهما مصدر أضيف الى مفعوله لا الى
فاعله كما قيل وهو شدة البغض وغاية المقت **أن صدوكم** متعلق بالشنآن باضمار لام العلة اي لأن صدوكم عام الحديبية **عن المسجد الحرام**
عن زيارته والطواف به للعمرة وهذه آية بيّنة في عموم الآمين للمشركين قطعا وقرئ ان صدوكم على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم
قد ابرز الصد المحقق فيما سبق في معرض المفروض للتوبيخ والتنبيه على ان حقه ان لا يكون وقوعه الا على سبيل الفرض والتقدير **ان تعتدوا** اي عليهم
وانما حذف تعويلا على ظهوره وايماء الى ان المقصد الاصلي من النهي منع صدور الاعتداء عن المخاطبين محافظة على تعظيم الشعائر لا منع وقوعه
على القوم مراعاة لجانبهم وهو ثاني مفعولي يجرمنكم اي لا يكسبنكم شدة بغضكم لهم لصدهم اياكم عن المسجد الحرام اعتداءكم عليهم وانتقامكم
منهم للتشفي وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للشنآن عن كسب الاعتداء للمخاطبين لكنه في الحقيقة نهي لهم عن الاعتداء على ابلغ وجه
وآكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية وقد يوجه النهي الى المسبب ويراد النهي عن
السبب كما في قوله لا أرينّك هاهنا يريد به نهي مخاطبه عن الحضور لديه ولعل تأخير هذا النهي عن قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا مع ظهور
تعلقه بما قبله للايذان بان حرمة الاعتداء لا تنتهي بالخروج عن الاحرام كانتهاء حرمة الاصطياد به بل هي باقية ما لم تنقطع علاقتهم عن الشعائر
بالكلية وبذلك يعلم بقاء حرمة التعرض لسائر الآمين بالطريق الاولى **وتعاونوا على البر والتقوى** لما كان الاعتداء غالبا بطريق التظاهر
والتعاون أمروا اثر ما نهوا عنه بان يتعاونوا على كل ما هو من باب البر والتقوى ومتابعة الامر ومجانبة الهوى فدخل فيه ما نحن بصدده
من التعاون على العفو والاغضاء عما وقع منهم دخولا اوليا ثم نهوا عن التعاون في كل ما هو من مقولة الظلم والمعاصي بقوله تعالى **ولا
تعاونوا على الاثم والعدوان** فاندرج فيه النهي عن التعاون على الاعتداء والانتقام بالطريق البرهاني واصل لا تعاونوا لا تتعاونوا فحذف
منه احدى التاءين تخفيفا وانما اخر النهي عن الامر مع تقدم التخلية مسارعة الى ايجاب ما هو المقصود بالذات فان المقصود من ايجاب ترك
التعاون على الاثم والعدوان انما هو تحصيل التعاون على البر والتقوى ثم امروا بقوله تعالى **واتقوا الله** بالاتقاء في جميع الامور التي من

جملتها مخالفة ما ذكر من الاوامر والنواهي فثبت وجوب الاتقاء فيها بالطريق البرهاني ثم علل ذلك بقوله تعالى **ان الله شديد العقاب** اي لمن لا يتقيه
فيعاقبكم لا محالة ان لم تتقوه واظهار الاسم الجليل لما مر مرارا من ادخال الروعة وتربية المهابة وتقوية استقلال الجملة **حرمت عليكم الميتة**
شروع في بيان المحرمات التي اشير اليها بقوله تعالى الا ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير ذبح **والدم** اي المسفوح منه لقوله تعالى او دما
مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونه ويقولون لم يحرم من فزد له اي من فصد له **ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به** اي
رفع الصوت لغير الله تعالى عند ذبحه كقولهم باسم اللات والعزى **والمنخنقة** اي التي ماتت بالخنق **والموقوذة** اي التي ماتت بالضرب بالخشب ونحوه من
وقذته اذا ضربته **والمتردية** اي التي تردت من علو او الى بئر فماتت **والنطيحة** اي التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح والتاء للنقل وقرئ والمنطوحة
وما اكل السبع اي ما اكل منه السبع فمات وقرئ بسكون الباء وقرئ واكيل السبع وفيه دليل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما صادته لم يحل **الا ما ذكيتم**
الا ما ادركتم ذكوته وفيه بقية حيوة يضطرب اضطراب المذبوح وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم والمري
بمحدد **وما ذبح على النصب** قيل هو مفرد وقيل جمع نصاب وقرئ بسكون الصاد واياما كان فهو واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول البيت
يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام **وان تستقسموا بالازلام** جمع زلم وهو القدح اي وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح
وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلثة اقداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الثاني نهاني ربي وعلى الثالث غفل فان خرج الآمر مضوا
على ذلك وان خرج الناهي اجتنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها مرة اخرى فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور
بالاقداح على الانصباء المعهودة **ذلكم** اشارة الى الاستقسام بالازلام ومعنى البعدية للاشارة الى بعد منزلته في الشر **فسق** تمرد وخروج عن الحد ودخول
في علم الغيب وضلال باعتقاد انه طريق اليه وافتراء على الله سبحانه ان كان هو المراد بقولهم ربي وشرك وجهالة ان كان هو الصنم وقيل ذلكم اشارة
الى تناول المحرمات المعدودة لان معنى تحريمها تحريم تناولها **اليوم** اللام للعهد والمراد به الزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة الماضية والآتية وقيل
يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة بعرفة حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على العضباء فكادت عضد الناقة تدق
لثقلها فبركت وايا ما كان فهو منصوب على انه ظرف لقوله تعالى **يئس الذين كفروا من دينكم** اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها
او من ان يغلبوكم عليه لما شاهدوا ان الله عز وجل وفى بوعده حيث اظهره على الدين كله وهو الانسب بقوله تعالى **فلا تخشوهم** اي ان يظهروا عليكم
واخشون اي واخلصوا الي الخشية **اليوم اكملت لكم دينكم** بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على اصول الشرائع
وقوانين الاجتهاد وتقديم الجار والمجرور للايذان من اول الامر بان الاكمال لمنفعتهم ولمصلحتهم كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وعليكم في قوله تعالى
واتممت عليكم نعمتي متعلق باتممت لا بنعمتي لان المصدر لا يتقدم عليه معموله وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا اي اتممتها بفتح مكة ودخولها آمنين
ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكها والنهي عن حج المشرك وطواف العريان او باكمال الدين والشرائع او بالهداية والتوفيق وقيل معنى اتممت
عليكم نعمتي انجزت لكم وعدي بقولي ولأتم نعمتي عليكم **ورضيت لكم الاسلام دينا** اي اخترته لكم من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه ان رجلا من اليهود قال له يا امير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤنها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال
اي آية قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي الآية قال عمر رضي الله عنه قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي انزلت على النبي صلى الله عليه وسلم
فيهما وهو قائم بعرفة يوم الجمعة اشار رضي الله عنه الى ان ذلك اليوم عيد لنا وروي انه لما نزلت هذه الآية بكى عمر رضي الله عنه فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر قال ابكاني انا كنا في زيادة من ديننا فاذا كمل فانه لا يكمل شيء الا نقص فقال عليه السلام صدقت يا عمر
فكانت هذه الآية نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما لبث بعد ذلك الا احدا وثمانين يوما **فمن اضطر** متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض
بما يوجب ان يجتنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي اي فمن اضطر الى تناول شيء من
هذه المحرمات **في مخمصة** اي مجاعة يخاف معها الموت او مباديه **غير متجانف لاثم** غير مائل ومنحرف اليه بان يأكلها تلذذا او مجاوزا حد
الرخصة او ينتزعها من مضطر آخر كقوله تعالى غير باغ ولا عاد **فان الله غفور رحيم** لا يؤاخذه بذلك **يسألونك ماذا احل لهم** شروع في تفصيل المحللات

التي ذكر بعضها على وجه الاجمال اثر بيان المحرمات كانهم سألوا عنها عند بيان اضدادها ولتضمن السؤال معنى القول وقع في الجملة فماذا مبتدأ
واحل لهم خبره وضمير الغيبة لما ان يسألون بلفظ الغيبة فانه كما يعبر حال المحكي عنه فيقال اقسم زيد لأفعلن يعبر حال الحاكي فيقال اقسم
زيد ليفعلن والمسئول ما احل لهم من المطاعم قل احل لكم الطيبات اي ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه كما في قوله تعالى ويحل لهم الطيبات
ويحرم عليهم الخبائث وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات بتقدير المضاف على ان ما موصولة والعائد محذوف اي وصيد ما علمتموه او مبتدأ على
ان ما شرطية والجواب فكلوا وقد جوز كونها مبتدأ على تقدير كونها موصولة ايضا والخبر كلوا وانما دخله الفاء تشبيها للموصول باسم الشرط
ومن الجوارح حال من الموصول او ضميره المحذوف والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير وقيل سميت بها لانها تجرح الصيد غالبا مكلبين
اي معلمين لها الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التأديب كثيرا ما يقع فيه او لان كل سبع يسمى كلبا
لقوله عليه السلام في حق عتبة بن ابي لهب حين اراد سفر الشام وغاظ النبي صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد
وانتصابه على الحالية من فاعل علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم لما ان اسم المكلب لا يقع الا على النحرير في علمه وقرئ مكلبين بالتخفيف والمعنى
واحد تعلمونهن حال ثانية منه او حال من ضمير مكلبين او استيناف مما علمكم الله من الحيل وطرق التعليم والتأديب كان العلم به الهام من الله تعالى
او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او مما عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساك الصيد عليه
وعدم اكله منه فكلوا مما امسكن عليكم قد مر فيما سبق ان هذه الجملة على تقدير كون ما شرطية جواب الشرط وعلى تقدير كونها موصولة مرفوعة على
الابتداء خبرها واما على تقدير كونها عطفا على الطيبات فهي جملة متفرعة على بيان حل صيد الجوارح المعلمة مبنية للمضاف المقدر الذي هو
المعطوف وبه يتعلق الاحلال حقيقة ومشيرة الى نتيجة التعليم واثره داخلة تحت الامر فالفاء فيها كما في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت
ومن تبعيضية لما ان البعض مما لا يتعلق به الاكل كالجلود والعظام والريش وغير ذلك وما موصولة او موصوفة حذف عائدها وعلى متعلقة بامسكن
اي فكلوا البعض الذي امسكنه عليكم وهو الذي لم يأكلن منه واما ما اكلن منه فهو مما امسكنه على انفسهن لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم وان اكل
منه فلا تأكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط عدم الاكل في سباع الطير لما ان تأديبها الى هذه الدرجة متعذر
وقال آخرون لا يشترط ذلك مطلقا وقد روي عن سلمان وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة رضي الله تعالى عنهم انه اذا اكل الكلب ثلثه وبقي ثلثه
وقد ذكرت اسم الله عليه فكل واذكروا اسم الله عليه الضمير لما فيما علمتم اي سموا عليه عند ارساله او لما امسكنه اي سموا عليه اذا ادركتم ذكوته
واتقوا الله في شأن محرماته ان الله سريع الحساب اي سريع اتيان حسابه او سريع تمامه اذا شرع فيه يتم في اقرب ما يكون والمعنى على التقدير بين
انه يؤاخذكم سريعا في كل ما جل ودق واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم اليوم احل لكم الطيبات قيل المراد بالايام
الثلثة وقت واحد وانما كرر للتأكيد ولاختلاف الاحداث الواقعة فيه حسن تكريره والمراد بالطيبات ما مر وطعام الذين اوتوا الكتاب اي
اليهود والنصارى واستثنى علي رضي الله عنه نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها الا شرب الخمر وبه اخذ الشافعي رضي الله عنه
والمراد بطعامهم ما يتناول من ذبائحهم وغيرها حل لكم اي حلال وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس وهو قول
عامة التابعين وبه اخذ ابو حنيفة رضي الله عنه واصحابه وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب عنده وقال صاحباه هما صنفان صنف يقرؤن الزبور
ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤن كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من اهل الكتاب واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتاب في اخذ الجزية
منهم دون اكل ذبائحهم ونكاح نسائهم لقوله صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم
ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من المؤمنات رفع على انه مبتدأ حذف خبره لدلالة ما تقدم عليه اي حل لكم ايضا والمراد
بهن الحرائر والعفائف وتخصيصهن بالذكر للبعث على ما هو الاولى لا لنفي ما عداهن فان نكاح الاماء المسلمات صحيح بالاتفاق وكذا نكاح غير العفائف
منهن واما الاماء الكتابيات فهن كالمسلمات عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى خلافا للشافعي رحمه الله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
اي هن ايضا حل لكم وان كن حربيات وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا تحل الحربيات اذا آتيتموهن اجورهن اي مهورهن وتقييد الحل باتيانها

لتأكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد بايتائها التزامها واذا ظرفية عاملها حل المحذوف وقيل شرطية حذف جوابها اي اذا آتيتموهن اجورهن فهن حلال لكم
محصنين حال من فاعل آتيتموهن اي حال كونكم اعفاء بالنكاح وكذا قوله تعالى غير مسافحين وقيل هو حال من ضمير محصنين وقيل صفة لمحصنين اي غير مجاهرين
بالزنا ولا متخذي اخدان اي ولا مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى وهو اما مجرور عطفا على مسافحين وزيدت لا لتأكيد النفي المستفاد
من غير او منصوب عطفا على غير مسافحين باعتبار اوجهه الثلثة ومن يكفر بالايمان اي من ينكر شرائع الاسلام التي من جملتها ما بين ههنا من الاحكام المتعلقة
بالحل ويمتنع عن قبولها فقد حبط عمله عمله الصالح الذي عمله قبل ذلك وهو في الآخرة من الخاسرين هو مبتدأ ومن الخاسرين خبره وفي متعلقة بما
تعلق به الخبر من الكون المطلق وقيل بمحذوف دل عليه المذكور اي خاسر في الآخرة وقيل بالخاسرين على ان الالف واللام للتعريف
لا موصولة لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وقيل يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله ربيته حتى اذا تمعددا كان جزائي بالعصا
ان اجلدا يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان الشرائع المتعلقة بدينهم بعد بيان ما يتعلق بدنياهم اذا قمتم الى الصلوة اي اردتم القيام
اليها كما في قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها مجازا للايجاز والتنبيه على ان من اراد
الصلوة حقه ان يبادر اليها بحيث لا ينفك عن ارادتها واذا قصدتم الصلوة اطلاقا لاسم احد لازميها على لازمها الآخر وظاهر الآية
الكريمة يوجب الوضوء على كل قائم اليها وان لم يكن محدثا لما ان الامر للوجوب قطعا والاجماع على خلافه وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
صلى الصلوة الخمس يوم الفتح بوضوء واحد فقال عمر رضي الله عنه صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عليه السلام عمدا فعلته يا عمر يعني
بيانا للجواز وحمل الامر بالنسبة الى غير المحدث على الندب مما لا مساغ له فالوجه ان الخطاب خاص بالمحدثين بقرينة دلالة الحال واشتراط
الحدث في التيمم الذي هو بدله وما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء من انهم كانوا يتوضؤن لكل صلوة فلا دلالة فيه على انهم
كانوا يفعلونه بطريق الوجوب اصلا كيف لا وما روي عنه صلى الله عليه وسلم من قوله من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات صريح في
ان ذلك كان منهم بطريق الندب وما قيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ يرده قوله عليه السلام المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا
حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم اي امروا عليها الماء ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك وايديكم الى المرافق الجمهور على دخول
المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كما في قوله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم وقيل هي انما تفيد معنى الغاية مطلقا واما دخولها في
الحكم وخروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما هو امر يدور على الدليل الخارجي كما في حفظت القرآن من اوله الى آخره وقوله تعالى فنظرة الى ميسرة
فان الدخول في الاول والخروج في الثاني متيقن بناء على تحقق الدليل وحيث لم يتحقق ذلك في الآية وكانت الايدي متناولة للمرافق
حكم بدخولها فيها احتياطا وقيل الى من حيث افادتها للغاية تقتضي خروجها لكن لما لم تتميز الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب ادخالها
احتياطا وامسحوا برؤسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت بالمنديل وتحقيقه انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق
فكانه قيل فالصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب كما يقتضيه ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله تعالى فاغسلوا وجوهكم واختلف
العلماء في القدر الواجب فاوجب الشافعي اقل ما يطلق عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث مسح على
ناصيته وقدرها بربع الرأس ومالك مسح الكل اخذا بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين بالنصب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة
وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يعهد محدودا وقرئ بالجر على الجوار ونظيره في القرآن كثير كقوله تعالى عذاب يوم اليم
ونظائره وللنحاة في ذلك باب مفرد وفائدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها ويغسلها غسلا قريبا من المسح وفي الفصل
بينه وبين اخواته ايماء الى افضلية الترتيب وقرئ بالرفع اي وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا اي فاغتسلوا وقرئ فاطهروا اي
فطهروا ابدانكم وفي تعليق الامر بالطهارة الكبرى بالحدث الاكبر اشارة الى اشتراط الامر بالطهارة الصغرى بالحدث الاصغر وان كنتم مرضى
مرضا يخاف به الهلاك او ازدياده باستعمال الماء او على سفر اي مستقرين عليه او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء
فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه من لابتداء الغاية وقيل للتبعيض وهي متعلقة بامسحوا وقرئ فاموا صعيدا وقد مر

تفسير الآية الكريمة مسبقا في سورة النساء فليراجع اليه ولعل التكرير ليتصل الكلام في انواع الطهارة ما يريد الله اي ما يريد بالامر بالطهارة للصلوة
او بالامر بالتيمم ليجعل عليكم من حرج من ضيق في الامتثال ولكن يريد ما يريد بذلك ليطهركم اي لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء
مكفر لها او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان
يجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا رخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء وليتم بشرعه ما هو مطهر
لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته ومن لطائف الآية الكريمة انها مشتملة
على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل
محدود وغير محدود وان آلتيهما مائع وجامد وموجبهما حدث اصغر واكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليهما تطهير
الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام لتذكركم المنعم وترغبكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اي عهده الذي اخذه
عليكم وقوله تعالى اذ قلتم سمعنا واطعنا ظرف لواثقكم به او لمحذوف وقع حالا من الضمير المجرور في ميثاقه او من ميثاقه اي كائنا وقت قولكم
سمعنا واطعنا وفائدة التقييد به تاكيد وجوب مراعاته بتذكير قبولهم والتزامهم بالمحافظة عليه وهو الميثاق الذي اخذه على المسلمين
حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال العسر واليسر والمنشط والمكره وقيل هو الميثاق الواقع ليلة العقبة
في بيعة الرضوان واضافته اليه تعالى مع صدوره عنه صلى الله عليه وسلم لكون المرجع اليه تعالى كما نطق به قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
وقال مجاهد الميثاق الذي اخذه الله تعالى على عباده حين اخرجهم من صلب آدم عليه السلام واتقوا الله اي في نسيان نعمته ونقض
ميثاقه او في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا ان الله عليم بذات الصدور اي بخفياتها الملابسة لها ملابسة
تامة مصححة لاطلاق الصاحب عليها فما ظنكم بجليات الاعمال والجملة اعتراض وتعليل للامر بالاتقاء واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار
لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان الشرائع المتعلقة بما يجري بينهم وبين غيرهم
اثر بيان ما يتعلق بانفسهم كونوا قوامين لله مقيمين لاوامره ممتثلين بها معظمين لها مراعين لحقوقها شهداء بالقسط اي بالعدل
ولا يجرمنكم اي لا يحملنكم شنآن قوم اي شدة بغضكم لهم على ان لا تعدلوا فلا تشهدوا في حقوقهم بالعدل او فتعتدوا عليهم بارتكاب
ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا وغير ذلك اعدلوا هو اي العدل اقرب للتقوى الذي امرتم به صرح لهم الامر
بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان وجوب العدل في حق الكفار بهذه المثابة
فما ظنك بوجوبه في حق المسلمين واتقوا الله امر بالتقوى اثر ما بين ان العدل اقرب لها اعتناء بشأنها وتنبيها على انها ملاك الامر ان الله خبير
بما تعملون من الاعمال فيجازيكم بذلك وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاول نزل في المشركين وهذا في اليهود او
لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء نائرة الغيظ والجملة تعليل لما قبلها واظهار الجلالة لما مر مرارا ثم حيث كان مضمونها منبئا عن
الوعد والوعيد عقب بالوعد لمن يحافظ على طاعته تعالى وبالوعيد لمن يخل بها فقيل وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات التي من جملتها العدل
والتقوى لهم مغفرة واجر عظيم حذف ثاني مفعولي وعد استغناء عنه بهذه الجملة فانه استئناف مبين له وقيل الجملة في موقع المفعول فان
الوعد ضرب من القول فكأنه قيل وعدهم هذا القول والذين كفروا وكذبوا بآياتنا التي من جملتها ما تليت من النصوص الناطقة بالامر
بالعدل والتقوى اولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر وتكذيب الآيات اصحاب الجحيم ملابسوها ملابسة مؤبدة وفي الجملة ...
شفع الوعد والوعيد والجمع بين الترغيب والترهيب ايفاء لحق الدعوة بالتبشير والانذار يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم
تذكير لنعمة الانجاء من الشر اثر تذكير نعمة ايصال الخير الذي هو نعمة الاسلام وما يتبعها من الميثاق وعليكم متعلق بنعمة الله او بمحذوف
وقع حالا منها وقوله تعالى اذ هم قوم على الاول ظرف لنفس النعمة وعلى الثاني لما تعلق به عليكم ولا سبيل الى كونه ظرفا لاذكروا
لتنافي زمانيهما اي اذكروا انعامه تعالى عليكم او اذكروا نعمته تعالى كائنة عليكم في وقت همهم ان يبسطوا اليكم ايديهم اي بان يبطشوا

بكم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للمسارعة الى بيان
رجوع ضرر البسط وغائلته اليهم حملا لهم من اول الامر على الاعتداد بنعمة دفعه كما ان تقديم لكم في قوله عز وجل هو الذي خلق لكم ما في
الارض للمبادرة الى بيان كون المخلوق من منافعهم تعجيلا للمسرة فكف ايديهم عنكم عطف على هم وهو النعمة التي اريد تذكيرها وذكر
الهم للايذان بوقوعها عند مزيد الحاجة اليها والفاء للتعقيب المفيد لتمام النعمة وكمالها واظهار ايديهم في موقع الاضمار لزيادة
التقرير اي منع ايديهم ان تمد اليكم عقيب همهم بذلك لا انه كفها عنكم بعد ما مدوها اليكم وفيه من الدلالة على كمال النعمة من حيث
انها لم تكن مشوبة بضرر الخوف والانزعاج الذي قلما يعرى عنه الكف بعد المد ما لا يخفى مكانه وذلك ما روي ان المشركين رأوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان في غزوة ذي انمار وهي غزوة ذات الرقاع وهي السابعة من مغازيه عليه السلام
قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندم المشركون الا كانوا قد اكبوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلوة هي احب اليهم من آبائهم وابنائهم
يعنون صلوة العصر وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا اليها فرد الله تعالى كيدهم بان انزل صلوة الخوف وقيل هو ما روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطأ يحسبهما
مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونعطيك ما سألت فاجلسوه في صفة وهموا بالفتك وعمد عمرو بن جحاش الى رحى
عظيمة يطرحها عليه فامسك الله تعالى يده ونزل جبريل فاخبره فخرج عليه السلام وقيل هو ما روي انه صلى الله عليه وسلم نزل منزلا
وتفرق اصحابه في العضاه يستظلون بها فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه بشجرة فجاء اعرابي فاخذه وسله فقال عليه
السلام الله تعالى فاسقطه جبريل عليه السلام من يده فاخذه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان
لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واتقوا الله عطف على اذكروا اي اتقوه في رعاية نعمته حقوق فلا تخلوا بشكرها او في كل ما تأتون وما تذرون
فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا وعلى الله اي عليه تعالى خاصة دون غيره استقلالا او اشتراكا فليتوكل المؤمنون فانه يكفيهم في كل خير ودفع
كل شر والجملة تذييل مقرر لما قبله وايثار صيغة امر الغائب واسناده الى المؤمنين لايجاب التوكل على المخاطبين بالطريق البرهاني و
للايذان بان ما وصفوا به عند الخطاب من وصف الايمان داع الى ما امروا به من التوكل والتقوى وازع عن الاخلال بهما واظهار الاسم الجليل في
موقع الاضمار لتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة التذييلية ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل كلام مستانف مشتمل على ذكر بعض ما
صدر عن بني اسرائيل من الخيانة ونقض الميثاق وما ادى اليه ذلك من التبعات مسوق لتقرير المؤمنين على ذكر نعمة الله تعالى ومراعاة
حق الميثاق الذي واثقهم به وتحذيرهم من نقضه او لتقرير ما ذكر من الهم بالبطش وتحقيقه على تقدير كون ذلك من بني قريظة حسبما مر
في الرواية ببيان ان الغدر والخيانة عادة لهم قديمة توارثوها من اسلافهم واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتفخيم الميثاق و
تهويل الخطب في نقضه مع ما فيه من رعاية حق الاستئناف المستدعي للانقطاع عما قبله والالتفات في قوله عز وجل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا
للجري على سنن الكبرياء او لان البعث كان بواسطة موسى عليه السلام كما سيأتي وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا
من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والنقيب فعيل بمعنى فاعل مشتق من النقب وهو التفتيش ومنه قوله تعالى فنقبوا في البلاد سمي بذلك
لتفتيشه عن احوال القوم واسرارهم قال الزجاج واصله من النقب وهو الثقب الواسع روي ان بني اسرائيل لما استقروا بمصر بعد هلاك
فرعون امرهم الله عز وجل بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا
اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم وامر موسى عليه السلام ان يأخذ من كل سبط نقيبا امينا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به
توثقة عليهم فاختار النقباء واخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء
يتجسسون فرأوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم بما رأوا وقد نهاهم موسى عن ذلك فنكثوا الميثاق الا
كالب بن يوفنا نقيب سبط يهوذا ويوشع بن نون نقيب سبط افرايم بن يوسف الصديق عليه السلام قيل لما توجه النقباء الى ارضهم

للتجسس لقيهم عوج بن عنق وكان طوله ثلثة آلاف وثلثمائة وثلثة وثلثين ذراعا وقد عاش ثلثة آلاف سنة وكان على رأسه حزمة حطب فأخذهم وجعلهم
في الحزمة وانطلق بهم الى امرأته وقال انظري الى هؤلاء الذين يريدون ويزعمون قتالنا فطرحهم بين يديها وقال ألا اطحنهم برجلي فقالت لا بل
خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعل فجعلوا يتعرفون احوالهم وكان لا يحمل عنقود عنبهم الا خمسة رجال او اربعة فلما خرج النقباء قال بعضهم
لبعض ان اخبرتم بني اسرائيل بخبر القوم ارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموه الا عن موسى وهرون عليهما السلام فيكونان هما يريان رأيهما
فأخذ بعضهم على بعض الميثاق ثم انصرفوا الى موسى عليه السلام وكان معهم حبة من عنبهم وقر رجل فنكثوا عهدهم وجعل كل منهم ينهى سبطه
عن قتالهم ويخبرهم بما رأى الا كالب ويوشع وكان معسكر موسى فرسخا في فرسخ فجاء عوج حتى نظر اليهم ثم رجع الى الجبل فقور منه صخرة عظيمة
على قدر العسكر ثم حملها على رأسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فقور من الصخرة وسطها المحاذي لرأسه فانتقبت في عنق عوج وطوقته فقتله
فصرعته واقبل موسى عليه السلام وطوله عشرة اذرع وكذا طول العصا فترامى في السماء عشرة اذرع فما اصاب العصا الا كعبه وهو مصروع
فقالوا فأقبلت جماعة ومعهم الخناجر حتى حزوا رأسه وقال الله اي لبني اسرائيل فقط اذ هم المحتاجون الى ما ذكر من الترغيب والترهيب كما ينبئ عنه الالتفات
مع ما فيه من تربية المهابة وتأكيد ما يتضمنه الكلام من الوعد اني معكم اي بالعلم والقدرة والنصرة لا بالنصرة فقط فان تنبيههم على علمه تعالى
بكل ما يأتون وما يذرون وعلى كونهم تحت قدرته وملكوته مما يحملهم على الجد في الامتثال لما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه كأنه قيل اني
معكم اسمع كلامكم وارى اعمالكم واعلم ضمائركم فأجازيكم بذلك هذا وقد قيل المراد بالميثاق هو الميثاق بالايمان والتوحيد وبالنقباء ملوك
بني اسرائيل الذين ينقبون احوالهم ويلون امورهم بالامر والنهي واقامة العدل وهو الانسب بقوله تعالى لئن اقمتم الصلوة وآتيتم
الزكوة وآمنتم برسلي اي بجميعهم واللام موطئة للقسم المحذوف وتأخير الايمان عن اقامة الصلوة وايتاء الزكوة مع كونهما من الفروع
المترتبة عليه لما انهم كانوا معترفين بوجوبهما مع ارتكابهم لتكذيب بعض الرسل عليهم السلام ولمراعاة المقارنة بينه وبين قوله تعالى وعزرتموهم
اي نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب وقيل التعظيم والتوقير والثناء بخير وقرئ عزرتموهم بالتخفيف واقرضتم الله بالانفاق في سبيل
الخير او بالتصدق بالصدقات المندوبة وقوله تعالى قرضا حسنا اما مصدر مؤكد وارد على غير صيغة المصدر كما في قوله تعالى فتقبلها ربها
بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا او مفعول ثان لاقرضتم على انه اسم للمال المقرض وقوله تعالى لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب للقسم المدلول
عليه باللام ساد مسد جواب الشرط ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار عطف على ما قبله داخل معه في حكم الجواب متأخر عنه
في الحصول ايضا ضرورة تقدم التخلية على التحلية فمن كفر اي برسلي وبشيء مما عدد في حيز الشرط والفاء لترتيب بيان حكم من كفر على
بيان حكم من آمن تقوية للترغيب بالترهيب بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم الموجب للايمان قطعا منكم متعلق بمضمر وقع حالا
من فاعل كفر ولعل تغيير السبك حيث لم يقل وان كفرتم عطفا على الشرطية السابقة لاخراج كفر الكل عن حيز الاحتمال واسقاط من كفر
عن رتبة الخطاب وليس المراد احداث الكفر بعد الايمان بل ما يعم الاستمرار عليه ايضا كأنه قيل فمن اتصف بالكفر بعد ذلك خلا انه قصد
بايراد ما يدل على الحدوث بيان ترقيهم في مراتب الكفر فان الاتصاف بشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه اصلا لكنه
بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث فقد ضل سواء السبيل اي وسط الطريق الواضح ضلالا بينا واخطأه خطأ فاحشا لا عذر معه
بخلاف من كفر قبل ذلك اذ ربما يمكن له الشبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم الباء سببية وما مزيدة لتوكيد الكلام وتمكينه في
النفس اي بسبب نقضهم ميثاقهم المؤكد لا بشيء آخر استقلالا او انضماما لعناهم طردناهم وابعدناهم من رحمتنا او مسخناهم قردة و
خنازير او اذللناهم بضرب الجزية عليهم وتخصيص البيان بما ذكر مع ان حقه ان يبين بعد بيان تحقق نفس اللعن والنقض بأن يقال مثلا فنقضوا
ميثاقهم فلعناهم ضرورة تقدم هلية الشيء البسيطة على هليته المركبة للايذان بأن تحققهما امر جلي غني عن البيان وانما المحتاج الى
ذلك ما بينهما من السببية والمسببية وجعلنا قلوبهم قاسية بحيث لا تتأثر عن الآيات وقيل املينا لهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى
قست او خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتى صارت كذلك وقرئ قسية وهي اما مبالغة قاسية واما بمعنى ردية من قولهم درهم قسي

اي دري اذا كان مغشوشا يابسا بيبس وخشونة وقرئ بكسر القاف اتباعا لها بالسين يحرفون الكلم عن مواضعه استئناف لبيان مرتبة قساوة
قلوبهم فانه لا مرتبة اعظم مما يصحح الاجتراء على تفسير كلام الله عز وجل والافتراء عليه وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقيل
حال من مفعول لعناهم ونسوا حظا اي تركوا نصيبا وافرا مما ذكروا به من التورية او من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل حرفوا التورية
وزلت اشياء منها عمن حفظها وعن ابن مسعود قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية ولا تزال تطلع على خائنة منهم اي خيانة على
انها مصدر كلاغية وكاذبة او فعلة خائنة اي ذات خيانة او طائفة خائنة او شخص خائن على ان التاء للمبالغة او نفس خائنة ومنهم متعلق
بمحذوف وقع صفة لها خلا ان من على الوجهين الاولين ابتدائية اي على خيانة او على فعلة خائنة كائنة منهم صادرة عنهم وعلى الوجوه
الباقية تبعيضية والمعنى ان الغدر والخيانة عادة مستمرة لهم ولاسلافهم بحيث لا يكادون يتركونها او يكتمونها فلا تزال ترى ذلك
منهم الا قليلا منهم استثناء من الضمير المجرور في منهم على الوجوه كلها وقيل من خائنة على الوجوه الثلثة الاخيرة والمراد بهم الذين آمنوا
منهم كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل من خائنة على الوجه الثاني فالمراد بالقليل الفعل القليل ومن ابتدائية كما مر اي الا فعلا قليلا كائنا
منهم فاعف عنهم واصفح اي ان تابوا وآمنوا او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف ان الله يحب المحسنين تعليل
للامر وحث على الامتثال به وتنبيه على ان العفو على الاطلاق من باب الاحسان ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم بيان لقبائح
النصارى وجناياتهم اثر بيان قبائح اليهود وجناياتهم ومن متعلقة بأخذنا اذ التقدير واخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم وتقديم
الجار والمجرور للاهتمام به ولأن ذكر حال احدى الطائفتين مما يوقع في ذهن السامع ان حال الاخرى ماذا فكأنه قيل ومن الطائفة الاخرى
ايضا اخذنا ميثاقهم وقيل هي متعلقة بمحذوف وقع خبرا لمبتدأ محذوف قامت صفته او صلته مقامه اي ومنهم قوم اخذنا ميثاقهم
او من اخذنا ميثاقهم وضمير ميثاقهم راجع الى الموصوف المقدر واما في الوجه الاول فراجع الى الموصول وقيل راجع الى بني اسرائيل اي اخذنا
من هؤلاء مثل ميثاق اولئك اي مثل ميثاقهم من الايمان بالله والرسل وبما يتفرع على ذلك من افعال الخير وانما نسب تسميتهم نصارى الى انفسهم
دون ان يقال ومن النصارى ايذانا بأنهم في قولهم نحن انصار الله بمعزل من الصدق وانما هو تقول محض منهم وليسوا من نصرة الله تعالى
في شيء او اظهارا لكمال سوء صنيعهم ببيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم فان ادعاءهم لنصرته تعالى يستدعي ثباتهم على طاعته تعالى
ومراعاة ميثاقه فنسوا عقيب اخذ الميثاق من غير تلعثم حظا وافرا مما ذكروا به في تضاعيف الميثاق من الايمان بالله تعالى وغير ذلك
حسبما مر آنفا وقيل هو ما كتب عليهم في الانجيل من ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فتركوه ونبذوه وراء ظهورهم واتبعوا اهواءهم
فاختلفوا وتفرقوا نسطورية ويعقوبية وملكانية انصارا للشيطان فأغرينا اي الزمنا والصقنا من غري بالشيء اذا لزمه
ولصق به واغراه غيره ومنه الغراء وقوله تعالى بينهم اما ظرف لأغرينا او متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله اي اغرينا العداوة
والبغضاء كائنة بينهم ولا سبيل الى جعله ظرفا لهما لأن المصدر لا يعمل فيما قبله وقوله تعالى الى يوم القيمة اما غاية للاغراء او للعداوة و
البغضاء اي يتعادون ويتباغضون الى يوم القيمة حسبما تقتضيه اهواؤهم المختلفة وآراؤهم الزائغة المؤدية الى التفرق الى الفرق
الثلث وضمير بينهم لهم خاصة وقيل لهم ولليهود اي اغرينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون
وعيد شديد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت اي يجازيهم بما عملوه على الاستمرار من نقض الميثاق
ونسيان الحظ الوافر مما ذكروا به وسوف لتأكيد الوعيد والالتفات الى ذكر الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة لتشديد الوعيد
والتعبير عن العمل بالصنع للايذان برسوخهم في ذلك وعن المجازاة بالتنبئة للتنبيه على انهم لا يعلمون حقيقة ما يعملونه من الاعمال السيئة واستتباعها
للعذاب فيكون ترتيب العذاب عليها في افادة العلم بحقيقة حالها بمنزلة الاخبار بها يا اهل الكتاب التفات الى خطاب الفريقين على ان
الكتاب جنس شامل للتورية والانجيل اثر بيان احوالهما من الخيانة وغيرها من فنون القبائح ودعوة لهم الى الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم
والقرآن وايرادهم بعنوان اهلية الكتاب لانطواء الكلام المصدر به على ما يتعلق بالكتاب وللمبالغة في التشنيع فان اهلية الكتاب من موجبات

مراعاته والعمل بمقتضاه وبيان ما فيه من الاحكام وقد فعلوا من الكتم والتحريف ما فعلوا وهم يعلمون **قد جاءكم رسولنا** الاضافة للتشريف والايذان
بوجوب اتباعه وقوله تعالى **يبين لكم** حال من رسولنا وايثار الجملة الفعلية على غيرها للدلالة على تجدد البيان اي قد جاءكم رسولنا حال كونه مبينا
لكم على التدريج حسبما تقتضيه المصلحة **كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب** اي التورية والانجيل كبعثة محمد عليه السلام وآية الرجم في التورية وبشارة
عيسى باحمد عليهما السلام في الانجيل وتأخير كثيرا عن الجار والمجرور لما مر مرارا من اظهار العناية بالمقدم لما فيه من تعجيل المسرة والتشويق الى
المؤخر لما ان ما حقه التقديم اذا أخر لا سيما مع الاشعار بكونه من منافع المخاطب تبقى النفس مترقبة الى وروده فيتمكن عندها اذا ورد فضل
تمكن ولأن في المؤخر ضرب تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم فان مما متعلق بمحذوف وقع صفة لكثيرا وما موصولة اسمية وما
بعدها صلتها والعائد اليها محذوف ومن الكتاب متعلق بمحذوف هو حال من العائد المحذوف والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم
على الكتم والاخفاء اي يبين لكم كثيرا من الذي تخفونه على الاستمرار حال كونه من الكتاب الذي انتم اهله والمتمسكون به **ويعفوا عن كثير** اي ولا يظهر
كثيرا مما تخفونه اذا لم تدع اليه داعية دينية صيانة لكم عن زيادة الافتضاح كما يفصح عنه التعبير عن عدم الاظهار بالعفو وفيه حث لهم على عدم
الاخفاء ترغيبا وترهيبا والجملة معطوفة على الجملة الحالية داخلة في حكمها وقيل يعفو عن كثير منكم ولا يؤاخذه وقوله تعالى **قد جاءكم من الله نور**
جملة مستأنفة مسوقة لبيان ان فائدة مجيء الرسول ليست منحصرة فيما ذكر من بيان ما كانوا يخفونه بل له منافع لا تحصى ومن الله متعلق بجاء ومن
لابتداء الغاية مجازا او بمحذوف وقع حالا من نور وأيا ما كان فهو تصريح بما اشعر به اضافة الرسول من مجيئه من جنابه عز وجل وتقديم الجار والمجرور
على الفاعل للمسارعة الى بيان كون المجيء من جهته العالية والتشويق الى الجائي ولأن فيه نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم كما
في قوله تعالى وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وتنوين نور للتفخيم والمراد به وبقوله **وكتاب مبين** القرآن لما فيه من كشف
ظلمات الشرك والشك وابانة ما خفي على الناس من الحق او الاعجاز البين والعطف لتنزيل المغايرة بالعنوان منزلة المغايرة بالذات
وقيل المراد بالاول هو الرسول صلى الله عليه وسلم وبالثاني القرآن **يهدي به الله** توحيد الضمير المجرور لاتحاد المرجع بالذات او لكونهما في حكم الواحد
او اريد يهدي بما ذكر وتقديم الجار والمجرور للاهتمام واظهار الجلالة لاظهار كمال الاعتناء بامر الهداية ومحل الجملة الرفع على انها صفة ثانية
لكتاب او النصب على الحالية منه لتخصصه بالصفة **من اتبع رضوانه** اي رضاه بالايمان به ومن موصولة او موصوفة **سبل السلام** اي طرق السلامة
من العذاب والنجاة من العقاب او سبل الله تعالى وهو شريعته التي شرعها للناس قيل هو مفعول ثان ليهدي والحق ان انتصابه بنزع الخافض
على طريقة قوله تعالى واختار موسى قومه وانما يعدى الى الثاني بالى او باللام كما في قوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم **ويخرجهم** الضمير لمن
والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في اتبع باعتبار اللفظ **من الظلمات** اي ظلمات فنون الكفر والضلال **الى النور** الى الايمان **باذنه** بتيسيره او
بارادته **ويهديهم الى صراط مستقيم** هو اقرب الطرق الى الله تعالى ومؤد اليه لا محالة وهذه الهداية عين الهداية الى سبل السلام وانما عطفت عليها تنزيلا
للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي كما في قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ **لقد**
كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم اي لا غير كما يقال الكرم هو التقوى وهم اليعقوبية القائلون بانه تعالى قد يحل في بدن انسان
معين وقيل لم يصرح به احد منهم لكن حيث اعتقدوا اتصافه بصفات الله خاصة وقد اعترفوا ان الله تعالى موجود فلزمهم القول بانه
المسيح لا غير وقيل لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم
قل اي تبكيتا لهم واظهارا لبطلان قولهم الفاسد والقاما لهم الحجر والفاء في قوله تعالى **فمن يملك من الله شيئا** فصيحة ومن استفهامية للانكار
والتوبيخ والملك الضبط والحفظ التام عن حزم ومن متعلقة به على حذف المضاف اي ان كان الامر كما تزعمون فمن يمنع من قدرته تعالى وارادته
شيئا وحقيقته فمن يستطيع ان يمسك شيئا فيهما **ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا** ومن حق من يكون الها
ان لا يتعلق به ولا بشأن من شؤونه بل بشيء من الموجودات قدرة غيره بوجه من الوجوه فضلا عن ان يعجز عن دفع شيء منها عند تعلقها باهلاكه
فلما كان عجزه بينا لا ريب فيه ظهر كونه بمعزل مما تقولوا في حقه والمراد بالاهلاك الاماتة والاعدام مطلقا لا بطريق السخط والغضب واظهار

واظهار المسيح على الوجه الذي نسبوا اليه الالوهية في مقام الاضمار لزيادة التقرير والتنصيص على انه من تلك الحيثية بعينها داخل تحت قهره وملكوته
تعالى ونفي المالكية المذكورة بالاستفهام الانكاري عن كل احد مع تحقق الالزام والتبكيت بنفيها عن المسيح فقط بان يقال فهل يملك شيئا
من الله ان اراد الخ لتحقيق الحق بنفي الالوهية عن كل ما عداه سبحانه واثبات المطلوب في ضمنه بالطريق البرهاني فان انتفاء المالكية المستلزم
لاستحالة الالوهية متى ظهر بالنسبة الى الكل ظهر بالنسبة الى المسيح على ابلغ وجه واكمله فيظهر استحالة الوهيته قطعا وتعميم ارادة الاهلاك
للكل مع حصول ما ذكر من التحقيق بقصرها عليه بان يقال فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح لتهويل الخطب واظهار كمال العجز ببيان ان
الكل تحت قهره وملكوته لا يقدر احد على دفع ما اريد به فضلا عن دفع ما اريد بغيره وللايذان بان المسيح اسوة لسائر المخلوقات في كونه عرضة
للهلاك كما انه اسوة لها فيما ذكر من العجز وعدم استحقاق الالوهية وتخصيص امه بالذكر مع اندراجها في ضمن من في الارض لزيادة تأكيد عجز
المسيح ولعل نظمها في سلك من فرض ارادة اهلاكهم مع تحقق هلاكها قبل ذلك لتأكيد التبكيت وزيادة تقرير مضمون الكلام بجعل حالها انموذجا
لحال بقية من فرض اهلاكه كأنه قيل قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح وامه ومن في الارض وقد اهلك امه فهل مانعه احد وكذا
حال من عداهما من الموجودين وقوله **ولله ملك السموات والارض وما بينهما** اي ما بين قطري العالم الجسماني لا ما بين وجه الارض فقط فيتناول
ما في السموات من الملائكة وما في اعماق الارض والبحار من المخلوقات تنصيص على كون الكل تحت قهره وملكوته اثر الاشارة الى كون البعض اي من في
الارض كذلك اي له تعالى وحده ملك جميع الموجودات والتصرف فيها ايجادا واعداما واحياء واماتة لا لاحد سواه استقلالا ولا اشتراكا
فهو تحقيق لاختصاص الالوهية به تعالى اثر بيان انتفائها عن كل ما سواه **يخلق ما يشاء** جملة مستأنفة مسوقة لبيان بعض احكام الملك والالوهية على
وجه يزيح ما اعتراهم من الشبهة في امر المسيح لولادته من غير اب وخلق الطير واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص اي يخلق ما يشاء من انواع
الخلق والايجاد على ان ما نكرة موصوفة محلها النصب على المصدرية لا على المفعولية كأنه قيل يخلق اي خلق يشاؤه فتارة يخلق من غير اصل
كخلق السموات والارض واخرى من اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كخلق آدم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر
وحده كخلق حواء او من انثى وحدها كخلق عيسى عليه السلام او منهما كخلق سائر المخلوقات وقد يخلق بتوسط مخلوق آخر كخلق الطير على يد عيسى
عليه الصلوة والسلام معجزة له واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب ان ينسب كله اليه تعالى لا الى من اجرى ذلك على يده
والله على كل شيء قدير اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله واظهار الاسم الجليل للتعليل وتقوية استقلال الجملة **وقالت اليهود**
والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه حكاية لما صدر عن الفريقين من الدعوى الباطلة وبيان لبطلانها بعد ذكر ما صدر عن احدهما
وبيان بطلانه اي قالت اليهود نحن اشياع ابنه عزير وقالت النصارى نحن اشياع ابنه المسيح كما قيل لاشياع ابي حبيب وهو عبد الله
ابن الزبير الحبيبيون وكما يقول اقارب الملوك عند المفاخرة نحن الملوك وقال ابن عباس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا جماعة
من اليهود الى دين الاسلام وخوفهم بعقاب الله تعالى فقالوا كيف تخوفنا به ونحن ابناء الله واحباؤه وقيل ان النصارى يتلون في
الانجيل ان المسيح قال لهم اني ذاهب الى ابي وابيكم وقيل ارادوا ان الله تعالى كالاب لنا في الحنو والعطف ونحن كالابناء له في
القرب والمنزلة وبالجملة انهم كانوا يدعون ان لهم فضلا ومزية عند الله تعالى على سائر الخلق فرد عليهم ذلك وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قل اي الزاما لهم وتبكيتا **فلم يعذبكم بذنوبكم** اي ان صح ما زعمتم فلأي شيء يعذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ وقد اعترفتم بانه تعالى
سيعذبكم في الآخرة بالنار اياما معدودة ايام عبادتكم العجل ولو كان الامر كما زعمتم لما صدر عنكم ما صدر ولما وقع عليكم ما وقع وقوله تعالى
بل انتم بشر عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي لستم كذلك بل انتم بشر **ممن خلق** اي من جنس من خلقه الله تعالى من غير مزية لكم عليهم **يغفر**
لمن يشاء ان يغفر له من اولئك المخلوقين وهم الذين آمنوا به تعالى وبرسله **ويعذب من يشاء** ان يعذبه منهم وهم الذين كفروا به وبرسله
مثلكم **ولله ملك السموات والارض وما بينهما** من الموجودات لا ينتمي اليه سبحانه شيء منها الا بالمملوكية والعبودية والمقهورية تحت ملكوته
يتصرف فيهم كيف يشاء ايجادا واعداما احياء واماتة واثابة وتعذيبا فانى لهم ادعاء ما زعموا **واليه المصير** في الآخرة خاصة

لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فيجازي كلا من المحسن والمسيء بما يستدعيه عمله من غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه **يا اهل الكتاب** تكرير
للخطاب بطريق الالتفات ولطف في الدعوة **قد جاءكم رسولنا يبين لكم** حال من رسولنا وايثاره على مبينا لما مر فيما سبق اي يبين لكم
الشرائع والاحكام الدينية المقرونة بالوعد والوعيد ومن جملتها ما بين في الآيات السابقة من بطلان اقاويلكم الشنعاء وما سيأتي
من اخبار الامم الخالية وانما حذف تعويلا على ظهور ان مجيء الرسل انما هو لبيانها او يفعل لكم البيان ويبذله لكم في كل ما تحتاجون له اي
البيان من امور الدين واما تقدير مثل ما سبق في قوله تعالى كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كما قيل فمع كونه تكريرا من غير فائدة يرده
قوله عز وجل **على فترة من الرسل** فان فتور الارسال وانقطاع الوحي انما يحوج الى بيان الشرائع والاحكام لا الى بيان ما كتموه وعلى فترة
متعلق بجاءكم على الظرفية كما في قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان اي جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من
الوحي ومزيد احتياج الى بيان الشرائع والاحكام الدينية او بمحذوف وقع حالا من ضمير يبين او من ضمير لكم اي يبين لكم ما ذكر
حال كونه على فترة من الرسل او حال كونكم عليها احوج ما كنتم الى البيان ومن الرسل متعلق بمحذوف وقع صفة لفترة اي كائنة من الرسل
مبتدأة من جهتهم وقوله تعالى **ان تقولوا** تعليل لمجيء الرسول بالبيان على حذف المضاف اي كراهة ان تقولوا معتذرين عن تفريطكم في مراعاة
احكام الدين **ما جاءنا من بشير ولا نذير** وقد انطمست آثار الشرائع السابقة وانقطعت اخبارها وزيادة من في الفاعل للمبالغة في نفي
المجيء وتنكير بشير ونذير للتقليل وهذا كما ترى يقتضي ان المقدر او المنوي فيما سبق من الشرائع والاحكام لا كيف ما كانت بل مشفوعة
بما ذكر من الوعد والوعيد وقوله تعالى **فقد جاءكم بشير ونذير** متعلق بمحذوف ينبئ عنه الفاء الفصيحة ويبين انه معلل به وتنوين بشير ونذير
للتفخيم اي لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم بشير اي بشير ونذير اي نذير **والله على كل شيء قدير** فيقدر على الارسال تترى كما فعله بين موسى
وعيسى عليهما السلام حيث كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبي وعلى الارسال بعد الفترة كما فعله بين عيسى ومحمد عليهما السلام
حيث كان بينهما ستمائة سنة وتسع وستون سنة او خمسمائة وست واربعون سنة واربعة انبياء على ما روى الكلبي ثلثة من بني
اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وقيل لم يكن بعد رسول الله عيسى الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الانسب بما في
تنوين فترة من التفخيم اللائق بمقام الامتنان عليهم بان الرسول قد بعث اليهم عند كمال حاجتهم اليه بسبب مضي دهر طويل بعد انقطاع
الوحي ليهشوا اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله تعالى وفتح باب الى الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه تعالى لم يرسل اليهم من ينبههم
عن غفلتهم **واذ قال موسى لقومه** جملة مستأنفة مسوقة لبيان ما فعلت بنو اسرائيل بعد اخذ الميثاق منهم وتفصيل كيفية نقضهم له وتعلقه
بما قبله من حيث ان ما ذكر فيه من الامور التي وصف النبي صلى الله عليه وسلم ببيانها بقوله تعالى يبين لكم كثيرا الآية ومن حيث اشتماله على
انتفاء فترة الرسل فيما بينهم واذ نصب على انه مفعول لفعل مقدر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين وصرف عن اهل الكتاب
ليعدد عليهم ما صدر عن بعضهم من الجنايات اي واذكر لهم وقت قول موسى لقومه ناصحا لهم ومستميلا لهم باضافتهم اليه **يا قوم اذكروا**
نعمة الله عليكم وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب
ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل على ما وقع فيه تفصيلا فاذا استحضر كان ما وقع فيه حاضرا بتفاصيله
كانه مشاهد عيانا وعليكم متعلق بنفس النعمة اذا جعلت مصدرا او بمحذوف وقع حالا منها اذا جعلت اسما اي اذكروا انعامه عليكم
او اذكروا النعمة كائنة عليكم وكذا اذ في قوله تعالى **اذ جعل فيكم انبياء** اي اذكروا انعامه تعالى عليكم في وقت جعله او اذكروا نعمته تعالى
كائنة عليكم في وقت جعله فيما بينكم من اقربائكم انبياء ذوي عدد كثير واولي شأن خطير لم يبعث من امة من الامم ما بعث من بني اسرائيل
من الانبياء **وجعلكم ملوكا** عطف على جعل فيكم داخل في حكمه اي جعل فيكم او منكم ملوكا كثيرة فانه قد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء
وانما حذف الظرف تعويلا على ظهور الامر او جعل الكل في مقام الامتنان عليهم ملوكا لما ان اقارب الملوك يقولون عند المفاخرة
نحن الملوك وانما لم يسلك ذلك المسلك فيما قبله لما ان منصب النبوة من عظم الخطر وعزة المطلب وصعوبة المنال بحيث لا يليق ان ينسب اليه

ولو مجازا من ليس ممن اصطفاه الله له وقيل كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله فسمي انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع
فيه ماء جار وقيل من له بيت وخادم وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق **وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين**
من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك مما آتاهم الله تعالى من الامور العظام والمراد بالعالمين
الامم الخالية الى زمانهم وقيل من عالمي زمانهم **يا قوم ادخلوا الارض المقدسة** كرر النداء بالاضافة التشريفية اهتماما بشأن الامر ومبالغة
في حثهم على الامتثال به والارض هي ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل هي الطور وما حوله وقيل
دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل هي الشام **التي كتب الله لكم** اي كتب في اللوح انها تكون مسكنا لكم ان آمنتم واطعتم لقوله تعالى لهم بعد
ما عصوا فانها محرمة عليهم وقوله تعالى **ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين** فان ترتيب الخيبة والخسران على الارتداد يدل على
اشتراط الكتب بالمجاهدة المترتبة على الايمان والطاعة قطعا اي لا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة فالجار والمجرور متعلق بمحذوف
هو حال من فاعل ترتدوا ويجوز ان يتعلق بنفس الفعل قيل لما سمعوا احوالهم من النقباء بكوا وقالوا يا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل لنا راسا
ينصرف بنا الى مصر ولا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق بالله تعالى وقوله تعالى فتنقلبوا اما مجزوم عطفا على ترتدوا او منصوب على جواب
النهي والخسران خسران الدين والدنيا لا سيما دخول ما كتب لهم **قالوا** استئناف مبني على سؤال نشأ من سياق الكلام كانه قيل فماذا قالوا بمقابلة
امره عليه السلام ونهيه فقيل قالوا غير ممتثلين بذلك **يا موسى ان فيها قوما جبارين** متغلبين لا يتأتى منازعتهم ولا يتسنى مناصبتهم والجبار
العاتي الذي يجبر الناس ويقهرهم كائنا من كان على ما يريده كائنا ما كان فعال من جبره على الامر اي اجبره عليه **وانا لن ندخلها حتى يخرجوا**
منها من غير صنع من قبلنا فانه لا طاقة لنا باخراجهم منها **فان يخرجوا منها** بسبب من الاسباب التي لا تعلق لنا بها **فانا داخلون**
حينئذ اتوا بهذه الشرطية مع كون مضمونها مفهوما مما سبق من توقيت عدم الدخول بخروجهم منها تصريحا بالمقصود وتنصيصا على ان
امتناعهم من دخولها ليس الا لمكانهم فيها واتوا في الجزاء بالجملة الاسمية المصدرة بحرف التحقيق دلالة على تقرر الدخول وثباته عند تحقق
الشرط لا محالة واظهارا لكمال الرغبة فيه وفي الامتثال بالامر **قال رجلان** استئناف كما سبق كانه قيل هل اتفقوا على ذلك او خالفهم البعض
فقيل قال رجلان **من الذين يخافون** اي يخافون الله تعالى دون العدو ويتقونه في مخالفة امره ونهيه وبه قرأ ابن مسعود رضي الله عنه وفيه
تعريض بان من عداهما لا يخافونه تعالى بل يخافون العدو وقيل من الذين يخافون العدو اي منهم في النسب لا في الخوف وهما يوشع بن نون و
كالب بن يوفنا من النقباء وقيل هما رجلان من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى فالواو حينئذ لبني اسرائيل والموصول عبارة عن الجبابرة
واليهم يعود العائد المحذوف اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويعضده قراءة من قرأ يخافون على صيغة المبني للمفعول اي المخوفين وعلى الاول
يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون من الله تعالى بالتذكير او يخوفهم الوعيد **انعم الله عليهما** اي بالتثبيت وربط الجأش والوقوف
على شؤونه تعالى والثقة بوعده او بالايمان صفة ثانية لرجلان او اعتراض وقيل حال من الضمير في يخافون او من رجلان لتخصصه بالصفة
اي قالا مخاطبين ومشجعين **ادخلوا عليهم الباب** اي باب بلدهم وتقديم الجار والمجرور عليه للاهتمام به لان المقصود انما هو دخول الباب
وهم في بلدهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من البروز الى الصحراء لئلا يجدوا للحراب مجالا **فاذا دخلتموه** اي باب بلدهم
وهم فيه **فانكم غالبون** من غير حاجة الى القتال فانا قد رأيناهم وشاهدنا ان قلوبهم ضعيفة وان كانت اجسامهم عظيمة فلا تخشوهم
واهجموا عليهم في المضايق فانهم لا يقدرون فيها على الكر والفر وقيل انما حكما بالغلبة لما علماها من جهة موسى عليه السلام ومن
قوله تعالى كتب الله لكم او لما علما من سنته تعالى في نصرة رسله وما عهدا من صنعه تعالى لموسى عليه السلام من قهر اعدائه والاول انسب بتعليق
الغلبة بالدخول **وعلى الله** تعالى خاصة **فتوكلوا** بعد ترتيب الاسباب ولا تعتمدوا عليها فانها بمعزل من التأثير وانما التأثير من عند الله العزيز
القدير **ان كنتم مؤمنين** اي مؤمنين به تعالى مصدقين لوعده فان ذلك مما يوجب التوكل عليه حتما **قالوا** استئناف كما سبق اي قالوا غير
مبالين بهما وبمقالتهما مخاطبين لموسى عليه السلام اظهارا لاصرارهم على القول الاول وتصريحا بمخالفتهم له عليه السلام **يا موسى انا لن ندخلها**

اي ارض الجبابرة فضلاً عن دخول بابهم وهم في بلدهم **ابداً** اي دهراً طويلاً **ما داموا فيها** اي في ارضهم وهو بدل من ابداً بدل البعض او عطف بيان **فاذهب** الفاء فصيحة اي فاذا كان الامر كذلك فاذهب **انت وربك فقاتلا** اي فقاتلاهم انما قالوا ذلك استهانة واستهزاء به سبحانه وبرسوله وعدم مبالاة بهما وقصدوا ذهابهما حقيقة كما ينبئ عنه غاية جهلهم وقسوة قلوبهم وقيل ارادوا ارادتهما وقصدهما كما تقول كلمته فذهب يجيبني كأنهم قالوا فأريدا قتالهم واقصداهم وقيل التقدير فاذهب انت وربك يعينك ولا يأباه قوله تعالى فقاتلا ولم يذكروا هرون ولا الرجلين كأنهم لم يجزموا بذهابهم او لم يعبؤا بقتالهم وقوله تعالى **انا هاهنا قاعدون** يؤيد الوجه الاول وارادوا بذلك عدم التقدم لا عدم التأخر **قال** عليه السلام لما رأى منهم ما رأى من العناد على طريقة البث والحزن والشكوى الى الله تعالى مع رقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة **رب اني لا املك الا نفسي واخي** عطف على نفسي وقيل الضمير في اني على معنى اني لا املك الا نفسي وان اخي لا يملك الا نفسه وقيل على الضمير في لا املك للفصل **فافرق بيننا** يريد نفسه واخاه والفاء لترتيب الفرق او الدعاء به على ما قبله **وبين القوم الفاسقين** الخارجين عن طاعتك المصرين على عصيانك بأن تحكم لنا بما نستحقه وعليهم بما يستحقونه وقيل بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم **قال فانها** اي الارض المقدسة والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الدعاء **محرمة عليهم** تحريم منع لا تحريم تعبد لا يدخلونها ولا يملكونها لأن كتابتها لهم كانت مشروطة بالايمان والجهاد وحيث نكصوا على ادبارهم حرموا ذلك وانقلبوا خاسرين وقوله تعالى **اربعين سنة** اي ظرف لمحرمة فيكون التحريم موقتاً لا مؤبداً فلا يكون مخالفاً لظاهر قوله تعالى كتب الله لكم فالمراد بتحريمها عليهم انه لا يدخلها احد منهم في هذه المدة لكن لا بمعنى ان كلهم يدخلونها بعدها بل بعضهم ممن بقي حسبما روي ان موسى عليه السلام سار بمن بقي من بني اسرائيل الى اريحا وكان يوشع بن نون على مقدمته ففتحها واقام بها ما شاء الله تعالى ثم قبضه عليه السلام وقيل لم يدخلها احد ممن قال لن ندخلها ابداً وانما دخلها مع موسى عليه السلام النواشئ من ذرياتهم فالموقت بالاربعين في الحقيقة تحريمها على ذرياتهم وانما جعل تحريماً عليهم لما بينهما من العلاقة التامة وقوله تعالى **يتيهون في الارض** اي يتحيرون في البرية استئناف لبيان كيفية حرمانهم او حال من ضمير عليهم وقيل الظرف متعلق بيتيهون فيكون التيه موقتاً والتحريم مطلقاً قيل كانوا ستمائة الف مقاتل وكان طول البرية تسعين فرسخاً وقد تاهوا في ستة فراسخ او تسعة فراسخ في ثلاثين فرسخاً وقيل في ستة فراسخ في اثني عشر فرسخاً روي انهم كانوا كل يوم يسيرون جادين حتى اذا امسوا اذا هم بحيث ارتحلوا وكان الغمام يظلهم من حر الشمس ويطلع بالليل عمود من نور يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا يطول شعورهم واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله وهذه الانعام عليهم مع انهم معاقبون لما ان عقابهم كان بطريق العرك والتأديب قيل كان موسى وهارون معهم ولكن كان ذلك لهما روحاً وسلامة كالنار لابراهيم وملائكة العذاب عليهم السلام وروي ان هارون مات في التيه ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع اريحا بعد موته بثلاثة اشهر ولا يأباه ظاهر النظم الكريم فانه تعالى بعد ما قبل دعوته على بني اسرائيل وعذبهم بالتيه بعيد ان ينجي بعض المدعو عليهم او ذراريهم ويقدر وفاتهما في محل العقوبة ظاهراً وان كان ذلك لهما روحاً وراحة وقد قيل انهما لم يكونا معهم في التيه وهو الانسب بتفسير الفرق بالمباعدة ومن قال بأنهما كانا معهم فيه فقد فسر الفرق بما ذكر من الحكم بما يستحقه كل فريق **فلا تأس** فلا تحزن **على القوم الفاسقين** روي انه عليه السلام ندم على دعائه عليهم فقيل لا تندم ولا تحزن عليهم فانهم احقاء بذلك لفسقهم **واتل عليهم** عطف على مقدر تعلق به قوله تعالى واذ قال موسى الى آخره وتعلقه به من حيث انه تمهيد لما سيأتي من جنايات بني اسرائيل بعد ما كتب عليهم ما كتب وجاءتهم الرسل بما جاءت به من البينات **نبأ ابني آدم** هما قابيل وهابيل ونقل عن الحسن والضحاك انهما رجلان من بني اسرائيل بقرينة آخر القصة وليس كذلك اوحى الله عز وجل الى آدم ان يزوج كلا منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل اجمل واسمها اقليما فحسد عليها اخاه وسخط وزعم ان ذلك ليس من عند الله تعالى بل من جهة آدم عليه السلام فقال لهما عليه السلام قربا قرباناً فمن ايكما قبل تزوجها فنزلت نار على قربان هابيل فاكلته ولم تتعرض لقربان قابيل فازداد قابيل حسداً وسخطاً وفعل ما فعل **بالحق** متعلق بمحذوف

وقع صفة لمصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق والصحة او حالاً من فاعل اتل او من مفعوله اي ملتبساً انت او نبأهما بالحق والصدق حسبما تقرر في كتب الاولين **اذ قربا قرباناً** منصوب بالنبأ ظرف له اي اتل قصتهما ونبأهما في ذلك الوقت وقيل بدل منه على حذف المضاف اي اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت ورد عليه بأن اذ لا يضاف اليه غير الزمان كوقتئذ وحينئذ والقربان اسم لما يتقرب به الى الله تعالى من نسيكة او صدقة كالحلوان اسم لما يحلى اي يعطى وتوحيده لما انه في الاصل مصدر وقيل تقديره اذ قرب كل منهما قرباناً **فتقبل من احدهما** هو هابيل قيل كان هو صاحب ضرع وقرب جملاً سميناً فنزلت نار فاكلته **ولم يتقبل من الآخر** هو قابيل قيل كان هو صاحب زرع وقرب ارداء ما عنده من القمح فلم تتعرض له النار اصلاً **قال** استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كأنه قيل فماذا قال من لم يتقبل قربانه فقيل قال لاخيه لتضاعف سخطه وحسده بما ظهر فضله عليه عند الله عز وجل **لاقتلنك** اي والله لاقتلنك بالنون المشددة وقرئ بالنون المخففة **قال** استئناف كما قبله اي قال الذي تقبل قربانه لما رأى ان حسده لقبول قربانه وعدم قبول قربان نفسه **انما يتقبل الله** اي القربان **من المتقين** لا من غيرهم وانما تقبل قرباني ورد قربانك لما فينا من التقوى وعدمه اي انما اتيت من قبل نفسك لا من قبلي فلم تقتلني خلا انه لم يصرح بذلك بل سلك مسلك التعريض حذاراً من تهييج غضبه وحملاً له على التقوى والاقلاع عما نواه ولذلك اسند الفعل الى الاسم الجليل لتربية المهابة ثم صرح بتقواه على وجه يستدعي سكون غيظه لو كان له عقل وازع حيث قال بطريق التوكيد **لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك** حيث صدر الشرطية باللام الموطئة للقسم وقدم الجار والمجرور على المفعول الصريح ايذاناً من اول الامر برجوع ضرر البسط وغائلته اليه ولم يجعل جواب القسم الساد مسد جواب الشرط جملة فعلية موافقة لما في الشرط بل اسمية مصدرة بما الحجازية المفيدة لتأكيد النفي بما في خبرها من الباء للمبالغة في اظهار براءته عن بسط اليد ببيان استمراره على نفي البسط كما في قوله تعالى وما هم بمؤمنين وقوله تعالى وما هم بخارجين منها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت كذلك السلبية تدل بمعونته على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وذلك باعتبار الدوام والاستمرار بعد اعتبار النفي لا قبله حتى يرد النفي على المقيد بالدوام فيرفع قيده اي والله لئن باشرت قتلي حسبما اوعدتني به وتحقق ذلك منك ما انا بفاعل مثله لك في وقت من الاوقات ثم علل ذلك بقوله **اني اخاف الله رب العالمين** وفيه ارشاد قابيل الى خشية الله تعالى على ابلغ وجه وآكده ما لا يخفى كأنه قال اني اخافه تعالى ان بسطت يدي اليك لاقتلك ان يعاقبني وان كان ذلك مني لدفع عدوانك عني فما ظنك بحالك وانت البادي العادي وفي وصفه تعالى بربوبية العالمين تأكيد للخوف قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم خوفاً من الله تعالى لان القتل للدفع لم يكن مباحاً حينئذ وقيل تحرياً لما هو الافضل حسبما قال صلى الله تعالى عليه وسلم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل ويأباه التعليل بخوفه تعالى الا ان يدعي ان ترك الاولى عنده بمنزلة المعصية في استتباع الغائلة مبالغة في التنزه وقوله تعالى **اني اريد ان تبوء باثمي واثمك** تعليل آخر لامتناعه عن المعارضة على انه غرض متأخر عنه كما ان الاول باعث متقدم عليه وانما لم يعطف عليه تنبيهاً على كفاية كل منهما في العلية والمعنى اني اريد باستسلامي لك وامتناعي عن التعرض لك ان ترجع باثمي اي بمثل اثمي لو بسطت يدي اليك وباثمك ببسط يدك الي كما في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم اي على البادي عين اثم سبه ومثل سب صاحبه بحكم كونه سبباً له وقيل معنى باثمي اثم قتلي ومعنى باثمك اثمك الذي لاجله لم يتقبل قربانك وكلاهما نصب على الحالية اي ترجع ملتبساً بالاثمين حاملاً لهما ولعل مراده بالذات انما هو عدم ملابسته للاثم لا ملابسة اخيه وقيل المراد بالاثم عقوبته ولا ريب في جواز ارادة عقوبة العاصي ممن علم انه لا يرعوي عن المعصية اصلاً ويأباه قوله عز وعلا **فتكون من اصحاب النار** فان كونه منهم انما يترتب على رجوعه بالاثمين لا على ابتلائه بعقوبتهما وحمل العقوبة على نوع آخر يترتب عليها العقوبة النارية يرده قوله تعالى **وذلك جزاء الظالمين** فانه صريح في ان كونه من اصحاب النار تمام العقوبة وكمالها

والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ولقد سلك في صرفه عما نواه من الشر كل مسلك من العظة والتذكير بالترغيب تارة والترهيب اخرى فما اورثه ذلك الا الاصرار على البغي والانهماك في الفساد **فطوعت له نفسه قتل اخيه** اي وسّعته وسهّلته من طاع له المرتع اذا اتسع وترتيب التطويع على ما حكى من مقالات هابيل مع تحققه قبلها ايضا كما يفصح عنه قوله لاقتلنك لما ان بقاء الفعل بعد تقرر ما يزيله من الدواعي القوية وان كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه في الحقيقة امر حادث وصنع جديد كما في قولك وعظته فلم يتعظ اولان هذه المرتبة في التطويع لم تكن حاصلة قبل ذلك بناء على تردده في قدرته على القتل لما كان اقوى منه وانما حصلت بعد وقوفه على استسلام هابيل وعدم معارضته له والتصريح باخوته لكمال تقبيح ما سولت نفسه وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعّل او على ان قتل اخيه كانه دعا نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله **فقتله** قيل لم يدر قابيل كيف يقتل هابيل فتمثل ابليس واخذ طائرا ووضع رأسه على حجر ثم شدخها بحجر آخر فتعلم منه فرضخ رأس هابيل بين حجرين وهو مستسلم لا يستعصي عليه وقيل اغتاله وهو نائم وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلف في موضع قتله فقيل عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم وقيل في جبل ثور ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره اربعين يوما وقيل سنة حتى اروح وعكفت عليه الطيور والسباع تنظر متى يرمي به فتاكله **فاصبح من الخاسرين** دينا ودنيا **فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة اخيه** روي انه تعالى بعث غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفرة فالقاه فيها والمستكن في يريه لله تعالى او للغراب واللام على الاول متعلقة ببعث حتما وعلى الثاني بيبحث ويجوز تعلقها ببعث ايضا وكيف حال من ضمير يواري والجملة ثاني مفعولي يري والمراد بسوأة اخيه جسده الميت **قال** استيناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا قال عند مشاهدة حال الغراب فقيل قال **يا ويلتي** هي كلمة جزع وتحسر والالف بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة **اعجزت ان اكون** اي عن ان اكون **مثل هذا الغراب فاواري سوأة اخي** تعجب من عدم اهتدائه الى ما اهتدى اليه الغراب فاواري بالنصب عطف على اكون وقرئ بالرفع اي فانا اواري **فاصبح من النادمين** اي على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته مدة طويلة وروي انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك ومكث آدم بعده مائة سنة لا يضحك وقيل لما قتل قابيل هابيل هرب الى عدن من ارض اليمن فاتاه ابليس فقال انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يخدمها ويعبدها فان عبدتها ايضا حصل مقصودك فبنى بيت نار فعبدها وهو اول من عبد النار **من اجل ذلك** شروع فيما هو المقصود بتلاوة النبإ من بيان بعض آخر من جنايات بني اسرائيل ومعاصيهم وذلك اشارة الى عظم شان القتل وافراد قبحه المفهومين مما ذكر في تضاعيف القصة من استعظام هابيل له وكمال اجتنابه على مباشرته وان كان ذلك بطريق الدفع عن نفسه واستسلامه لان يقتل خوفا من عقابه وبيان استتباعه لتحمل القاتل لاثم المقتول ومن كون قابيل بمباشرته من جملة الخاسرين دينهم ودنياهم ومن ندامته على فعله مع ما فيه من العتو وشدة الشكيمة وقساوة القلب والاجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كما في قولهم من جراك فعلته اي من ان جررته وجنيته ثم اتسع فيه واستعمل في كل تعليل وقرئ من اجل بكسر الهمزة وهي لغة فيه وقرئ من اجل بحذف الهمزة والقاء فتحها على النون ومن لابتداء الغاية متعلقة بقوله تعالى **كتبنا على بني اسرائيل** وتقديمها عليه للقصر اي من ذلك ابتداء الكتب ومنه نشأ لا من شيء آخر اي قضينا عليهم وبيّنا **انه من قتل نفسا** واحدة من النفوس **بغير نفس** اي بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص **او فساد في الارض** اي فساد يوجب اهدار دمها وهو عطف على ما اضيف اليه غير على معنى نفي كلا الامرين معا كما في قولك من صلى بغير وضوء او ثوب بطلت صلوته ومدار الاستعمالين اعتبار ورود النفي على ما يستفاد من كلمة او من الترديد بين الامرين المبني على التخيير والاباحة واعتبار العكس ومناط الاعتبارين اختلاف حال ما اضيف اليه غير من الامرين بحسب اشتراط نقيض الحكم بتحقق احدهما واشتراطه بتحققهما معا ففي الاول يرد النفي على الترديد الواقع بين الامرين قبل وروده فيفيد نفيهما معا وفي الثاني يرد الترديد

على النفي فيفيد نفي احدهما حتما اذ ليس قبل ورود النفي ترديد حتى يتصور عكسه وتوضيحه ان كل حكم شرط بتحقق احد شيئين مثلا فنقيضه مشروط بانتفائهما معا وكل حكم شرط بتحققهما معا فنقيضه مشروط بانتفاء احدهما ضرورة ان نقيض كل شيء مشروط بنقيض شرطه ولا ريب في ان نقيض الايجاب الجزئي كما في الحكم الاول هو السلب الكلي ونقيض الايجاب الكلي كما في الحكم الثاني هو رفعه المستلزم للسلب الجزئي فثبت اشتراط نقيض الاول بانتفائهما معا واشتراط نقيض الثاني بانتفاء احدهما ولما كان الحكم في قولك من صلى بوضوء وتيمم صحت صلوته مشروطا بتحقق احدهما مبهما كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء او تيمم بطلت صلوته مشروطا بنقيض الشرط المذكور الثابت وهو انتفاؤهما معا فتعين ورود النفي المستفاد من غير على الترديد الواقع بين الوضوء والتيمم بكلمة او فانتفى تحققهما معا ضرورة عموم النفي الوارد على المبهم وعلى هذا يدور ما قالوا انه اذا قيل جالس العلماء او الزهاد ثم ادخل عليه لا الناهية امتنع فعل الجميع نحو ولا تطع منهم آثما او كفورا اذ المعنى لا تفعل احدهما فايهما فعله فهو احدهما واما قولك من صلى بوضوء وثوب صحت صلوته حيث كان الحكم فيه مشروطا لتحقق كلا الامرين كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء او ثوب بطلت صلوته مشروطا بنقيض الشرط المذكور وهو انتفاء احدهما فتعين ورود الترديد على النفي فافاد نفي احدهما ولا يخفى ان اباحة القتل مشروطة بما ذكر من القتل والفساد ومن ضرورته اشتراط حرمته بانتفائهما معا فتعين ورود النفي على الترديد لا محالة كانه قيل من قتل نفسا بغير احدهما **فكانما قتل الناس جميعا** ومن قال في تفسيره او بغير فساد فقد ابعد عن توفية النظم الكريم حقه وما في كانما كافة مهيئة لوقوع الفعل بعدها وجميعا حال من الناس او تاكيد ومناط التشبيه اشتراك الفعلين في هتك حرمة الدماء والاستعصاء على الله تعالى وتجسير الناس على القتل وفي استتباع القود واستجلاب غضب الله تعالى وعذابه العظيم **ومن احياها** اي تسبب لبقاء نفس واحدة موصوفة بعدم ما ذكر من القتل والفساد في الارض اما بنهي قاتلها عن قتلها او استنقاذها من سائر اسباب الهلكة بوجه من الوجوه **فكانما احيا الناس جميعا** وجه التشبيه ظاهر والمقصود تهويل امر القتل وتفخيم شان الاحياء بتصوير كل منهما بصورة لائقة به في ايجاب الرهبة والرغبة ولذلك صدر النظم الكريم بضمير الشان المنبئ عن كمال شهرته ونباهته وتبادره الى الاذهان عند ذكر الضمير الموجب لزيادة تقرر ما بعده في الذهن فان الضمير لا يفهم منه اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده فضل تمكن كانه قيل ان الشان هذا **ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات** جملة مستقلة غير معطوفة على كتبنا اكدت بالتوكيد القسمي وحرف التحقيق لكمال العناية بتحقيق مضمونها وانما لم يقل ولقد ارسلنا اليهم رسلنا الى آخره للتصريح بوصول الرسالة اليهم فانه ادل على تناهيهم في العتو والمكابرة اي وبالله لقد جاءتهم رسلنا حسبما ارسلناهم بالآيات الواضحة الناطقة بتقرير ما كتبنا عليهم تاكيدا لوجوب مراعاته وتاييدا لتحتم المحافظة عليه **ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك** اي بعد ما ذكر من الكتب وتاكيد الامر بارسال الرسل تترى وتجديد العهد مرة بعد اخرى ووضع اسم الاشارة موضع الضمير للايذان بكمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايماء الى علو درجته وبعد منزلته في عظم الشان وثم للتراخي في الرتبة والاستبعاد **في الارض** متعلق بقوله تعالى **لمسرفون** وكذا الظرف المتقدم ولا يقدح فيه توسط اللام بينه وبينهما لانها لام الابتداء وحقها الدخول على المبتدإ وانما دخولها على الخبر لمكان ان فهي في حيزها الاصلي حكما والاسراف في كل امر التباعد عن حد الاعتدال مع عدم مبالاة به اي مسرفون في القتل غير مبالين به ولما كان اسرافهم في امر القتل مستلزما لتفريطهم في شان الاحياء وجودا وذكرا وكان هو اقبح الامرين وافظعهما اكتفى بذكره في مقام التشنيع **انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله** كلام مستانف سيق لبيان حكم نوع من انواع القتل وما يتعلق به من الفساد باخذ المال ونظائره وتعيين موجبه العاجل والآجل اثر بيان عظم شان القتل بغير حق وادرج فيه بيان ما اشير اليه اجمالا من الفساد المبيح للقتل اي يحاربون رسوله وذكر الله تعالى للتمهيد والتنبيه على رفعة محله عنده عز وجل ومحاربة اهل شريعته وسالكي طريقته من المسلمين محاربة له عليه السلام فيعم الحكم من يحاربهم ولو بعد اعصار بطريق العبارة دون الدلالة والقياس لان ورود النص ليس بطريق خطاب المشافهة حتى يختص حكمه بالمكلفين

عند النزول فيحتاج في تعميمه لغيرهم الى دليل آخر وقيل جعل محاربة المسلمين محاربة لله تعالى ورسوله تعظيما لهم والمعنى يحاربون اولياءهما
واصل الحرب السلب والمراد ههنا قطع الطريق وقيل المكابرة بطريق اللصوصية وان كانت في مصر **ويسعون في الارض** عطف على يحاربون
والجار متعلق به وقوله تع **فسادا** اما مصدر وقع موقع الحال من فاعل يسعون اي مفسدين او مفعول له اي للفساد او مصدر مؤكد
ليسعون لانه في معنى يفسدون على انه مصدر من افسد بحذف الزوائد او اسم مصدر قيل نزلت الآية في قوم هلال بن عويمر الاسلمي
وكان وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن اتاه من المسلمين فهو آمن لا يهاج ومن مر بهلال الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فهو آمن لا يهاج فمر قوم من بني كنانة يريدون الاسلام بناس من قوم هلال ولم يكن هلال يومئذ شاهدا فقطعوا
عليهم وقتلوهم واخذوا اموالهم وقيل نزلت في العرنيين وقصتهم مشهورة وقيل في قوم من اهل الكتاب بينهم وبين رسول الله صلى
الله عليه وسلم عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل وافسدوا في الارض ولما كانت المحاربة والفساد على مراتب متفاوتة ووجوه
شتى من القتل بدون اخذ المال ومن القتل مع اخذه واخذه بدون قتل ومن الاخافة بدون قتل واخذ شرعت لكل مرتبة من تلك المراتب
عقوبة معينة بطريق التوزيع فقيل **ان يقتلوا** اي حدا من غير صلب ان افردوا القتل ولو عفا الاولياء لا يلتفت الى ذلك لانه حق الشرع
ولا فرق بين ان يكون القتل بآلة جارحة اولا **او يصلبوا** اي مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ بان يصلبوا احياء وتبعج بطونهم
برمح الى ان يموتوا وفي ظاهر الرواية ان الامام مخير ان شاء اكتفى بذلك وان شاء قطع ايديهم وارجلهم من خلاف وقتلهم وصلبهم وصيغة
التفعيل في الفعلين للتكثير وقرئ بالتخفيف فيهما **او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف** اي ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اقتصروا
على اخذ المال من مسلم او ذمي وكان في المقدار بحيث لو قسم عليهم اصاب كلا منهم عشرة دراهم او ما يساويها قيمة اما قطع ايديهم فلاخذ
المال واما قطع ارجلهم فلاخافة الطريق بتفويت امنه **او ينفوا من الارض** ان لم يفعلوا غير الاخافة والسعي للفساد والمراد بالنفي عندنا
هو الحبس فانه نفي عن وجه الارض بدفع شرهم من اهلها ويعزرون ايضا لمباشرتهم منكر الاخافة وازالة الامن وعند الش رحمه الله
النفي من بلد الى بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل هو النفي عن بلده فقط وكانوا ينفونهم الى دهلك وهو بلد في اقصى تهامة
وناصع وهو بلد من بلاد الحبشة **ذلك** اي ما فصل من الاحكام والاجزية قيل هو مبتدأ وقوله تع **لهم خزي** جملة من خبر مقدم على المبتدأ
وقوله تع **في الدنيا** متعلق بمحذوف وقع صفة لخزي او متعلق بخزي على الظرفية والجملة في محل الرفع على انها خبر لذلك وقيل خزي
خبر لذلك **ولهم** متعلق بمحذوف وقع حالا من خزي لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا وفي الدنيا اما صفة لخزي او متعلق
على ما مر والخزي الذل والفضيحة ولهم **في الآخرة** غير هذا **عذاب عظيم** لا يقادر قدره لغاية عظم جناياتهم فقوله تعالى لهم خبر مقدم
وعذاب مبتدأ مؤخر وفي الآخرة متعلق بمحذوف وقع حالا من عذاب لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا اي كائنا في الآخرة
الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم استثناء مخصوص بما هو من حقوق الله عز وجل كما ينبئ عنه قوله تع **فاعلموا ان الله غفور رحيم** اما
ما هو من حقوق الاولياء من القصاص ونحوه فاليهم ذلك ان شاءوا عفوا وان احبوا استوفوا وانما يسقط بالتوبة وجوب استيفائه
لا جوازه وعن علي رضي الله عنه ان الحرث بن بدر جاءه تائبا بعد ما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة **يا ايها الذين آمنوا**
اتقوا الله لما ذكر عظم شأن القتل والفساد وبين حكمهما واشير في تضاعيف ذلك الى مغفرته تعالى لمن تاب من جنايته امر المؤمنين بان يتقوه
في كل ما يأتون وما يذرون بترك ما يجب اتقاؤه من المعاصي التي من جملتها ما ذكر من القتل والفساد وبفعل الطاعات التي من
جملتها السعي في احياء النفوس ودفع الفساد والمسارعة الى التوبة والاستغفار **وابتغوا** اي اطلبوا لانفسكم **اليه** اي الى ثوابه و
الزلفى منه **الوسيلة** هي فعيلة بمعنى ما يتوسل به ويتقرب الى الله عز وجل من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا اي تقرب
اليه بشيء واليه متعلق بها قدم عليها للاهتمام به وليست بمصدر حتى يعمل فيما قبلها ولعل المراد بها الاتقاء المأمور به فانه
ملاك الامر كله كما اشير اليه وذريعة لنيل كل خير ومنجاة من كل خير فالجملة حينئذ جارية مما قبلها مجرى البيان والتأكيد ومطلق

الوسيلة وهو داخل فيها دخولا اوليا وقيل الجملة الاولى امر بترك المعاصي والثانية امر بفعل الطاعات وحيث كان في كل من ترك المعاصي المشتهاة
للنفس وفعل الطاعات المكروهة لها كلفة ومشقة عقب الامر بهما بقوله تعالى **وجاهدوا في سبيله** بمحاربة اعدائه البارزة والكامنة **لعلكم**
تفلحون بنيل مرضاته والفوز بكرامته **ان الذين كفروا** كلام مبتدأ مسوق لتأكيد وجوب الامتثال بالاوامر السابقة وترغيب المؤمنين
في المسارعة الى تحصيل الوسيلة اليه عز وجل قبل انقضاء اوانه ببيان استحالة توسل الكفار يوم القيمة باقوى الوسائل الى النجاة من
العذاب فضلا عن نيل الثواب **لو ان لهم** اي لكل واحد منهم كما في قوله تعالى ولو ان لكل نفس ظلمت الآية لا لجميعهم اذ ليس في ذلك هذه المرتبة
من تهويل الامر وتفظيع الحال **ما في الارض** اي من اصناف اموالها وذخائرها وسائر منافعها وهو اسم ان ولهم خبرها ومحلها الرفع بلا
خلاف خلا انه عند بعضهم رفع على الابتداء لا حاجة فيه الى الخبر لاشتمال صلتها على المسند والمسند اليه وقد اختصت من بين سائر ما
يؤول بالاسم بالوقوع بعد لو وقيل الخبر محذوف ثم قيل يقدر مقدما اي لو ثابت كون ما في الارض لهم وقيل يقدر مؤخرا اي لو كون ما في
الارض لهم ثابت وعند المبرد والزجاج والكوفيين رفع على الفاعلية والفعل مقدر بعد لو اي لو ثبت ان لهم ما في الارض وقوله تع
جميعا توكيد للموصول او حال منه **ومثله** بالنصب عطف عليه وقوله تع **معه** ظرف وقع حالا من المعطوف والضمير راجع الى الموصول و
فائدته التصريح بفرض كينونتهما لهم بطريق المعية لا بطريق التعاقب تحقيقا لكمال فظاعة الامر مع ما فيه من نوع اشعار بكونهما شيئا واحدا
وتمهيد لافراد الضمير الراجع اليهما واللام في قوله تع **ليفتدوا به** متعلقة بما تعلق به خبر ان اعني الاستقرار المقدر في لهم وبالخبر المقدر عند من
يرى تقدير الخبر مقدما او مؤخرا وبالفعل المقدر بعد لو على رأي المبرد ومن نحا نحوه ولا ريب في ان مدار الافتداء بما ذكر هو كونه لهم
لا ثبوت كونه لهم وان كان مستلزما له والباء في به متعلقة بالافتداء والضمير راجع الى الموصول ومثله معا وتوحيده اما لما اشير اليه
واما لاجرائه مجرى اسم الاشارة كانه قيل بذلك كما في قوله كانه في الجلد توليع البهق اي كان ذلك وقيل هو راجع الى الموصول والعائد
الى المعطوف اعني مثله محذوف كما حذف الخبر من قيار في قوله فاني وقيار بها لغريب اي وقيار ايضا غريب وقد جوز ان يكون نصب ومثله
على انه مفعول معه ناصبه الفعل المقدر بعد لو تفريعا على مذهب المبرد ومن رأى رأيه وانت خبير بانه يؤدي الى كون الرافع للفاعل غير
الناصب للمفعول معه لان المعنى على اعتبار المعية بين ما في الارض ومثله في الكينونة لهم لا في ثبوت تلك الكينونة وتحققها ولا مساغ
لجعل ناصبه الاستقرار المقدر في لهم لما ان سيبويه قد نص على ان اسم الاشارة وحرف الجر المتضمن للاستقرار لا يعملان في المفعول معه وان قوله
هذا لك واباك قبيح وان جوزه بعض النحاة في الظرف وحرف الجر وقوله تع **من عذاب يوم القيمة** متعلق بالافتداء ايضا اي لو ان ما في
الارض ومثله ثابت لهم ليجعلوه فدية لانفسهم من العذاب الواقع يومئذ **ما تقبل منهم** ذلك وهو جواب لو وترتيبه على كون ذلك
لاجل افتدائهم به من غير ذكر الافتداء بان يقال وافتدوا به مع ان الرد والقبول انما يترتب عليه لا على مباديه للايذان بانه امر
محقق الوقوع غني عن الذكر وانما المحتاج الى الفرض قدرتهم على ما ذكر وللمبالغة في تحقق الرد وتخييل انه واقع قبل الافتداء
على منهاج ما في قوله تعالى انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده حيث لم يقل فأتى به فرآه فلما الى آخره
وما في قوله تع وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه من غير ذكر خروجه عليه السلام عليهن ورؤيتهن له والجملة الامتناعية بحالها خبر
ان الذين كفروا والمراد تمثيل لزوم العذاب لهم واستحالة نجاتهم منه بوجه من الوجوه المحققة والمفروضة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
يقال للكافر أرأيت لو كان لك ملء الارض ذهبا أكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك وهو كلمة الشهادة
وقوله تع **ولهم عذاب اليم** تصريح بما اشير اليه بعدم قبول فديتهم لزيادة تقريره وبيان هوله وشدته قيل محله النصب على الحالية
وقيل الرفع عطفا على خبر ان وقيل عطف على ان الذين فلا محل له كالمعطوف عليه **يريدون ان يخرجوا من النار** استئناف مسوق لبيان حالهم
في اثناء مكابدة العذاب مبني على سؤال نشأ مما قبله كانه قيل فكيف يكون حالهم او ماذا يصنعون فقيل يريدون الخ وقد بين في تضاعيف
ان عذابهم عذاب النار قيل انهم يقصدون ذلك ويطلبون المخرج فيلفحهم لهب النار ويرفعهم الى فوق فهنالك يريدون الخروج ولات حين

مناص وقيل كادوا يخرجون منها لقوة النار وزيادة رفعها اياهم وقيل يتمنونه ويريدونه بقلوبهم قوله عز وجل **وما هم بخارجين منها** اما
حال من فاعل يريدون او اعتراض واياما كان فايثار الجملة الاسمية على الفعلية مصدرة بما الحجازية الدالة بما في خبرها من الباء على تأكيد
النفي لبيان كمال سوء حالهم باستمرار عدم خروجهم منها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تفيد بمعونة المقام دوام الثبوت تفيد السلبية
ايضا بمعونته دوام النفي كما في قوله تعالى ما انا بباسط الى آخره وقرئ ان يخرجوا على بناء المفعول من الاخراج **ولهم عذاب مقيم** تصريح بما اشير
اليه آنفا من عدم تناهي مدته بعد بيان شدته **والسارق والسارقة** شروع في بيان حكم السرقة الصغرى بعد بيان احكام الكبرى
وقد عرفت اقتضاء الحال الايراد ما توسط بينهما من المقال ولما كانت السرقة معهودة من النساء كالرجال صرح بالسارقة ايضا مع
ان المعهود في الكتاب والسنة ادراج النساء في الاحكام الواردة في شأن الرجال بطريق الدلالة لمزيد الاعتناء بالبيان والمبالغة
في الزجر وهو مبتدأ خبره عند سيبويه محذوف تقديره وفيما يتلى عليكم او وفيما فرض عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وعند المبرد
قوله تعالى **فاقطعوا ايديهما** والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط اذ المعنى الذي سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب وفضلها سيبويه على
قراءة الرفع لان الانشاء لا يقع خبرا الا بتأويل واضمار والسرقة اخذ مال الغير خفية وانما توجب القطع اذا كان الاخذ من حرز
والمأخوذ يساوي عشرة دراهم فما فوقها مع شروط فصلت في موقعها والمراد بأيديهما ايمانهما كما يفصح عنه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه
والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف
اليه واليد اسم لتمام الجارحة ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عليه السلام اتي بسارق فأمر بقطع يمينه منه
جزاء نصب على انه مفعول له اي فاقطعوا للجزاء او مصدر مؤكد لفعله الذي يدل عليه فاقطعوا اي فجازوهما جزاء وقوله تعالى **بما كسبا** على الاول
متعلق بجزاء وعلى الثاني باقطعوا وما مصدرية اي بسبب كسبهما او موصولة اي بسبب ما كسباه من السرقة التي تباشر بالايدي
وقوله تعالى **نكالا** مفعول له ايضا على البدلية من جزاء لانهما من نوع واحد وقيل القطع معلل بالجزاء والقطع المعلل معلل بالنكال
وقيل هو مفعول لجزاء على طريقة الاحوال المتداخلة فانه علة للجزاء والجزاء علة للقطع كما اذا قلت ضربته تأديبا له احسانا
اليه فان الضرب معلل بالتأديب والتأديب معلل بالاحسان وقد اجازوا في قوله عز وجل ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله
من فضله على من يشاء من عباده ان يكون بغيا مفعولا له ناصبه ان يكفروا ثم قالوا ان قوله تعالى ان ينزل الله مفعول له
ناصبه بغيا على ان التنزيل علة للبغي والبغي علة للكفر وقوله تعالى **من الله** متعلق بمحذوف وقع صفة لنكالا اي نكالا كائنا
منه تعالى **والله عزيز** غالب على امره يمضيه كيف يشاء من غير ند ينازعه ولا ضد يمانعه **حكيم** في شرائعه لا يحكم الا ما تقتضيه الحكمة
والمصلحة ولذلك شرع هذه الشرائع المنطوية على متون الحكم والمصالح **فمن تاب** من السراق الى الله تعالى **من بعد ظلمه** الذي هو سرقته
والتصريح به مع كون التوبة لا تتصور قبله لبيان عظم نعمته تعالى بتذكير عظم جنايته **واصلح** اي امره بالتفصي عن تبعات ما باشره
والعزم على ترك المعاودة اليها **فان الله يتوب عليه** اي يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة واما القطع فلا يسقطه التوبة عندنا
لان فيه حق المسروق منه ويسقطه عند الشافعي في احد قوليه **ان الله غفور رحيم** مبالغ في المغفرة والرحمة ولذلك يقبل توبته وهو
تعليل لما قبله واظهار الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم وتأييد استقلال الجملة وكذا في قوله عز وجل **الم تعلم ان الله له ملك السموات**
والارض فان عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتهما والجار والمجرور خبر مقدم وملك السموات والارض مبتدأ والجملة خبر لان وهي
مع ما في حيزها ساد مسد مفعولي تعلم عند الجمهور وما فيه من تكرير الاسناد لتقوية الحكم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بطريق التلوين وقيل لكل احد صالح للخطاب والاستفهام الانكاري لتقرير العلم والمراد به الاستشهاد بذلك على قدرته تعالى
على ما سيأتي من التعذيب والمغفرة على ابلغ وجه واتمه اي الم تعلم ان الله له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة
التامة على التصرف الكلي فيهما وفيما فيهما ايجادا واعداما واحياء واماتة الى غير ذلك حسبما تقتضيه مشيئته **يعذب من يشاء**

ان يعذبه **ويغفر لمن يشاء** ان يغفر له من غير ند يساهمه ولا ضد يزاحمه وتقديم التعذيب على المغفرة لمراعاة ما بين سببيهما من الترتيب والجملة اما
تقرير لكون ملكوت السموات والارض له سبحانه او خبر آخر لان **والله على كل شيء قدير** فيقدر على ما ذكر من التعذيب والمغفرة والاظهار في موقع
الاضمار لما مر مرارا والجملة تذييل مقرر لما قبلها **يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر** خوطب به صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة
للتشريف والاشعار بما يوجب عدم الحزن والمسارعة في الشيء الوقوع فيه بسرعة ورغبة وايثار كلمة في على كلمة الى الواقعة في قوله تعالى وسارعوا
الى مغفرة من ربكم وجنة الى آخره للايماء الى انهم مستقرون في الكفر لا يبرحونه وانما ينتقلون بالمسارعة عن بعض فنونه واحكامه الى بعض آخر
منها كاظهار موالاة المشركين وابراز آثار الكيد للاسلام ونحو ذلك كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات فانهم مستمرون على الخير
مسارعون في انواعه وافراده والتعبير عنهم بالموصول للاشارة بما في حيز صلته الى مدار الحزن وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للكفرة
عن ان يحزنوه عليه السلام بمسارعتهم في الكفر لكنه في الحقيقة نهي له عليه السلام عن التأثر من ذلك والمبالاة به على ابلغ وجه واكده فان النهي
عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وقلع له من اصله وقد يوجه النهي الى المسبب ويراد به النهي عن السبب كما في قوله
لا ارينك ههنا يريد نهي مخاطبه عن الحضور بين يديه وقرئ لا يحزنك من احزنه منقولا من حزن بكسر الزاي وقرئ يسرعون يقال اسرع فيه
الشيب اي وقع فيه سريعا اي لا تحزن ولا تبال بتهافتهم في الكفر بسرعة وقوله تعالى **من الذين قالوا آمنا بافواههم** بيان للمسارعين
في الكفر وقيل متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يسارعون وقيل من الموصول اي كائنين من الذين الخ والباء متعلقة بقالوا
لا بآمنا وقوله تعالى **ولم تؤمن قلوبهم** جملة حالية من ضمير قالوا وقيل عطف على قالوا وقوله تعالى **ومن الذين هادوا** عطف على من الذين
قالوا الخ وبه يتم بيان المسارعين في الكفر بتقسيمهم الى قسمين المنافقين واليهود فقوله تعالى **سماعون للكذب** خبر لمبتدأ محذوف راجع
الى الفريقين او الى المسارعين واما رجوعه الى الذين هادوا فمخل بعموم الوعيد الآتي ومباديه للكل كما ستقف عليه وكذا جعل قوله ومن الذين
الى آخره خبرا على ان قوله سماعون صفة لمبتدأ محذوف اي ومنهم قوم سماعون الى آخره لاداية الى اختصاص ما عدد من القبائح
وما يترتب عليها من الغوائل الدنيوية والاخروية بهم فالوجه ما ذكر اولا اي هم سماعون واللام اما لتقوية العمل واما لتضمين
السماع معنى القبول واما لام كي والمفعول محذوف والمعنى هم مبالغون في سماع الكذب او في قبول ما يفتريه احبارهم من الكذب
على الله سبحانه وتحريف كتابهم او سماعون اخبارهم واحاديثكم ليكذبوا عليكم بان يمسخوها بالزيادة والنقص والتبديل والتغيير
واخبار الناس واقاويلهم الدائرة فيما بينهم ليكذبوا فيها بان يرجفوا بقتل المؤمنين وانكسار سراياهم ونحو ذلك مما فيه ضررهم
واياما كان فالجملة مستأنفة جارية مجرى التعليل للنهي فان كونهم سماعين للكذب على الوجوه المذكورة وابتناء امورهم على ما لا اصل له
من الاباطيل والاراجيف مما يقتضي عدم المبالاة بهم وترك الاعتداد بما يأتون وما يذرون للقطع بظهور بطلان اكاذيبهم واختلال ما بنوا
عليها من الافاعيل الفاسدة المؤدية الى الخزي والعذاب كما سيأتي وقرئ سماعين للكذب بالنصب على الذم وقوله تعالى **سماعون لقوم آخرين**
خبر ثان للمبتدأ المقدر مقرر للاول ومبين لما هو المراد بالكذب على الوجهين الاولين واللام مثل ما في سمع الله لمن حمده في الرجوع الى معنى
من قبل منه حمده والمعنى مبالغون في قبول كلام قوم آخرين واما كونها لام التعليل بمعنى سماعون منه عليه السلام لاجل قوم آخرين وجهوهم
عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه عليه السلام او كونها متعلقة بالكذب على ان سماعون الثاني مكرر للتأكيد بمعنى سماعون ليكذبوا لقوم آخرين
فلا يكاد يساعده النظم الكريم اصلا وقوله تعالى **لم يأتوك** صفة اخرى لقوم اي لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا وافراطا في البغضاء قيل هم
يهود خيبر والسماعون بنو قريظة وقوله تعالى **يحرفون الكلم من بعد مواضعه** صفة اخرى لقوم وصفوا لا لمغايرتهم للسماعين بل لتنبيهها على
استقلالهم واصالتهم في الرأي والتدبير ثم بعدم حضورهم مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم ايذانا بكمال طغيانهم في الضلال ثم باستمرارهم
على التحريف بيانا لافراطهم في العتو والمكابرة والاجتراء على الله عز وجل وتعيينا للكذب الذي سمعه السماعون اي يميلونه
ويزيلونه عن مواضعه بعد ان وضعه الله تعالى فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده وقيل

الجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب ناعية عليهم شنائعهم وقيل خبر مبتدأ محذوف راجع الى القوم وقوله تع يقولون كالجملة السابقة في
الوجوه المذكورة ويجوز ان يكون حالا من ضمير يحرفون واما تجويز كونهما صفة لسماعون او حالا من الضمير فيه فمما لا سبيل اليه اصلا كيف لا
وان مقول القول ناطق بان قائله ممن لا يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم والمخاطب به ممن يحضره فكيف يمكن ان يقوله السماعون المترددون
اليه عليه السلام لمن لا يحوم حوله عليه السلام قطعا وادعاء قول السماعين لاعقابهم المخالطين للمسلمين تعسف ظاهر مخل بجزالة النظم الكريم
والحق الذي لا محيد عنه ان المحرفين والقائلين هم القوم الآخرون اي يقولون لاتباعهم السماعين لهم عند القائهم اليهم اقاويلهم الباطلة
مشيرين الى كلامهم الباطل ان اوتيتم من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم هذا فخذوه واعملوا بموجبه فانه الحق وان لم تؤتوه بل اوتيتم غيره فاحذروا
اي فاحذروا قبوله واياكم واياه وفي ترتيب الامر بالحذر على مجرد عدم ايتاء المحرف من المبالغة في التحذير ما لا يخفى روي ان شريفا من خيبر
زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التورية فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ذلك وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان ياخذوا
فقال جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال عليه السلام هل تعرفون شابا ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا
قالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه الارض بما انزل الله على موسى بن عمران في التورية قال فارسلوا اليه ففعلوا فاتاهم فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال عليه السلام وانت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال لهم اترضون به حكما قالوا نعم فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر وانجاكم واغرق آل فرعون وظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن
والسلوى ورفع فوقكم الطور وانزل عليكم التورية فيها حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على من احصن قال نعم والذي ذكرتني به
لولا خشيت ان تحرقني التورية ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هي في كتابك يا محمد قال عليه السلام اذا شهد اربعة رهط عدول
انه ادخل فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم قال ابن صوريا والذي انزل التورية على موسى هكذا انزل الله في التورية على موسى
فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء كان يعرفها
من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك محمد رسول الله النبي الامي العربي الذي بشر به المرسلون وامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته اي ضلالته او فضيحته كائنا من كان فيندرج فيه المذكورون اندراجا اوليا
وعدم التصريح بكونهم كذلك للاشعار بكمال ظهوره والاستغناء عن ذكره فلن تملك له فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها والجملة مستأنفة مقررة
لما قبلها ومبينة لعدم انفكاكهم عن القبائح المذكورة ابدا اولئك اشارة الى المذكورين من المنافقين واليهود وما في اسم الاشارة
من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفساد وهو مبتدأ خبره قوله تع الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم اي من رجس الكفر وخبث الضلالة
لانهماكهم فيهما واصرارهم عليهما واعراضهم عن صرف اختيارهم الى تحصيل الهداية بالكلية كما ينبئ عنه وصفهم بالمسارعة في الكفر اولا
وشرح فنون ضلالاتهم آخرا والجملة استئناف مبين لكون ارادته تعالى لفتنتهم منوطة بسوء اختيارهم وقبح صنيعهم الموجب لها لا واقعة
منه تعالى ابتداء لهم في الدنيا خزي اما المنافقون فخزيهم فضيحتهم وهتك سترهم بظهور نفاقهم فيما بين المسلمين واما خزي اليهود
فالذل والجزية والافتضاح بظهور كذبهم في كتمان نص التورية وتنكير خزي للتفخيم وهو مبتدأ ولهم خبره وفي الدنيا متعلق بما تعلق
به الخبر من الاستقرار وكذا الحال في قوله تع في الآخرة اي مع الخزي الدنيوي عذاب عظيم هو الخلود في النار وضمير لهم في
الجملتين للمنافقين واليهود جميعا لا لليهود خاصة كما قيل وتكريره لهم مع اتحاد المرجع لزيادة التقرير والتأكيد والجملتان
استئناف مبني على سؤال نشأ من تفصيل احوالهم وافعالهم الموجبة للعقاب كأنه قيل فما لهم من العقوبة فقيل لهم في الدنيا الآية
سماعون للكذب خبر آخر للمبتدأ المقدر كرر تأكيدا لما قبله وتمهيدا لما بعده من قوله تع اكالون للسحت وهو ايضا خبر آخر
للمقدر وارد على طريقة الذم او بناء على ان المراد بالكذب ما يفتعله الراشون عند الاكالين وسكون الحاء في الاصل كل ما لا يحل

كسبه وقيل هو الحرام مطلقا من سحته اذا استأصله سمي به لانه مسحوت البركة والمراد به ههنا اما الرشى التي كان يأخذها المحرفون على تحريفهم
وسائر احكامهم الزائغة وهو المشهور او ما كان يأخذه فقراؤهم من اغنيائهم من المال ليقيموا على اليهودية كما قيل واما مطلق الحرام
المنتظم لما ذكر انتظاما اوليا وقرئ للسحت بضم السين والحاء وبفتحهما وبفتح السين وسكون الحاء وبكسر السين وسكون الحاء وعن
النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم انبته السحت فالنار اولى به فان جاؤك لما بين تفاصيل امورهم الواهية واحوالهم المختلة الموجبة لعدم المبالاة
بهم وبافاعيلهم حسبما امر به عليه السلام خوطب عليه السلام ببعض ما يبتني عليه من الاحكام بطريق التفريع والفاء فصيحة اي واذا كان
حالهم كما شرح فان جاؤك متحاكمين اليك فيما شجر بينهم من الخصومات فاحكم بينهم او اعرض عنهم غير مبال بهم ولا خائف من جهتهم اصلا وهذا
كما ترى تخيير له صلى الله عليه وسلم بين الامرين قيل هو في امر خاص هو ما ذكر من زنا المحصن وقيل في قتيل قتل من اليهود في بني
قريظة والنضير فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بنو قريظة اخواننا بنو النضير ابونا واحد وديننا واحد ونبينا
واحد اذا قتلوا منا قتيلا لم يرضوا بالقود واعطونا سبعين وسقا من تمر واذا قتلنا منهم قتلوا القاتل واخذوا منا
الضعف مائة واربعين وسقا من تمر وان كان القتيل امرأة قتلوا بها الرجل منا وبالرجل منهم الرجلين منا وبالعبد منهم الحر
منا فاقض بيننا فجعل عليه السلام الدية واحدة وقيل هو عام في جميع الحكومات ثم اختلفوا فمن قائل انه ثابت وهو المروي
عن عطاء والنخعي والشعبي وقتادة وابي بكر الاصم وابي مسلم وقائل انه منسوخ وهو قول ابن عباس ومجاهد والحسن وعكرمة قال
ابن عباس لم ينسخ من المائدة الا آيتان قوله تع لا تحلوا شعائر الله نسخها قوله تعالى اقتلوا المشركين وقوله تع فان جاؤك فاحكم
بينهم او اعرض عنهم نسخها قوله تع وان احكم بينهم بما انزل الله [illegible] وان تعرض عنهم بيان لحال الامرين اثر تخييره عليه
السلام بينهما وتقديم حال الاعراض للمسارعة الى بيان ان لا ضرر فيه حيث كان مظنة الضرر لما انهم كانوا لا يتحاكمون اليه عليه السلام
الا لطلب الايسر والاهون عليهم فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة بينهم شق ذلك عليهم فتشتد عداوتهم ومضارتهم له عليه السلام فامنه الله
عز وجل بقوله فلن يضروك شيئا من الضرر فان الله عاصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذي امرت به كما
حكمت بالرجم ان الله يحب المقسطين ومن ضرورته ان يحفظهم عن كل مكروه ومحذور وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله تعجيب
من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه والحال ان الحكم منصوص عليه في كتابهم الذي يدعون الايمان به وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة
الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما هو اهون عليهم وان لم يكن ذلك حكم الله على زعمهم بقوله تع وعندهم التورية حال من فاعل يحكمونك
وقوله تعالى فيها حكم الله حال من التورية ان جعلت مرتفعة بالظرف وان جعلت مبتدأ فهو حال من ضميرها المستكن في الخبر وقيل استيناف مسوق
لبيان ان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم كموماة ودوداة ثم يتولون عطف على يحكمونك داخل في
حكم التعجيب وثم للتراخي في الرتبة وقوله تع من بعد ذلك اي من بعد ما حكموك تصريح بما علم قطعا لتأكيد الاستبعاد والتعجيب اي ثم يعرضون عن
حكمك الموافق لكتابهم من بعد ما رضوا بحكمك وقوله تع وما اولئك بالمؤمنين تذييل مقرر لفحوى ما قبله ووضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للقصد الى
احضارهم في الذهن بما وصفوا به من القبائح ايماء الى علة الحكم والى انهم قد تميزوا بذلك عن غيرهم اكمل تميز حتى انتظموا في سلك الامور المشاهدة
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في العتو والمكابرة اي وما اولئك الموصوفون بما ذكر بالمؤمنين اي بكتابهم لاعراضهم عنه اولا
وعن حكمك الموافق له ثانيا او بهما وقيل وما اولئك بالكاملين في الايمان تهكما بهم انا انزلنا التورية كلام مستأنف سيق لبيان علو شأن
التورية ووجوب مراعاة احكامها وانها لم تزل مرعية فيما بين الانبياء ومن يقتدي بهم كابرا عن كابر مقبولة لكل احد من الحكام والمتحاكمين
محفوظة والتبديل تحقيقا لما وصف به المحرفون من عدم ايمانهم بها وتقريرا لظلمهم وكفرهم وقوله تع فيها هدى ونور حال من التورية فان ما فيها
من الشرائع والاحكام من حيث ارشادها للناس الى الحق الذي لا محيد عنه هدى ومن حيث اظهارها وكشفها ما استبهم من الاحكام وما يتعلق بها
من الامور المستورة بظلمات الجهل نور وقوله تع يحكم بها النبيون اي انبياء بني اسرائيل وقيل موسى ومن بعده من الانبياء جملة مستأنفة مبينة

رفعة رتبتها وسمو طبقتها وقد جوز كونه حالا من التورية فيكون حالا مقدرة اي يحكمون باحكامها ويحملون الناس عليها وبه تمسك من ذهب الى ان
شريعة من قبلنا شريعة لنا ما لم تنسخ وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بشان المقدم والتشويق الى المؤخر ولان في المؤخر
وما يتعلق به نوع طول ربما يخل تقديمه بتجاوب النظم الكريم وقوله تع الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين على سبيل المدح دون التخصيص والتوضيح
لكن لا للقصد الى مدحهم بذلك حقيقة فان النبوة اعظم من الاسلام قطعا فيكون وصفهم به بعد وصفهم بها تنزلا من الاعلى الى الادنى بل لتنويه
شان الصفة فان ابراز وصف في معرض مدح العظماء منبئ عن عظم قدر الوصف لا محالة كما وصف الانبياء بالصلاح ووصف الملائكة بالايمان
عليهم السلام ولذلك قيل اوصاف الاشراف اشراف الاوصاف وفيه رفع لشان المسلمين وتعريض باليهود وبانهم بمعزل من الاسلام والاقتداء
بدين الانبياء عليهم السلام لاستماع ملاحظة ما وصفوا به في قوله تع للذين هادوا وهو متعلق بيحكم اي يحكمون فيما بينهم واللام اما لبيان
اختصاص الحكم بهم اعم من ان يكون لهم او عليهم كانه قيل لاجل الذين هادوا واما للايذان بنفعه للمحكوم عليه ايضا باسقاطه التبعة عنه واما للاشعار
بكمال رضاهم به وانقيادهم له كانه امر نافع لكلا الفريقين ففيه تعريض بالمحرفين وقيل التقدير للذين هادوا وعليهم فحذف ما حذف لدلالة
ما ذكر عليه وقيل هو متعلق بانزلنا وقيل بهدى ونور وفيه فصل بين المصدر ومعموله وقيل متعلق بمحذوف وقع صفة لهما اي هدى ونور كائنان
للذين هادوا والربانيون والاحبار اي الزهاد والعلماء من ولد هارون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود وعن ابن عباس
رضي الله عنهما الربانيون الذين يسوسون بالعلم الناس ويربونهم بصغاره قبل كباره والاحبار هم الفقهاء واحده حبر بالفتح والكسر
والثاني افصح وهو راي الفراء ماخوذ من التحبير والتحسين فانهم يحبرون العلم ويزينونه وهو عطف على النبيون اي هم ايضا يحكمون باحكامها
وتوسيط المحكوم لهم بين المعطوفين للايذان بان الاصل في الحكم بها وحمل الناس على ما فيها هم النبيون وانما الربانيون والاحبار خلفاء ونواب
لهم في ذلك كما ينبئ عنه قوله تع بما استحفظوا اي بالذي استحفظوه من جهة النبيين وهو التورية حيث سألوهم ان يحفظوها من التغيير والتبديل على
الاطلاق ولا ريب في ان ذلك منهم عليهم السلام استخلاف لهم في اجراء احكامها من غير اخلال بشيء منها وفي ابهامها اولا ثم بيانها بقوله
تع من كتاب الله من تفخيمها واجلالها ذاتا واضافة وتاكيد ايجاب حفظها والعمل بما فيها ما لا يخفى وايرادها بعنوان الكتاب للايماء الى
ايجاب حفظها عن التغيير من جهة الكتابة والباء الداخلة على الموصول متعلقة بيحكم لكن لا على انها صلة له كالتي في قوله تع بها لئلا يلزم تعلق
حرفي جر متحدي المعنى بفعل واحد بل على انها سببية اي ويحكم الربانيون والاحبار ايضا بسبب ما حفظوه من كتاب الله حسبما وصاهم به
انبياؤهم وسألوهم ان يحفظوه وليس المراد بسببيته لحكمهم ذلك سببيته من حيث الذات بل من حيث كونه محفوظا فان تعليق حكمهم بالموصول
مشعر بسببية الحفظ المترتب لا محالة على ما في حيز الصلة من الاستحفاظ له وقيل الباء صلة لفعل مقدر معطوف على قوله تع يحكم بها النبيون
عطف جملة على جملة اي ويحكم الربانيون والاحبار بحكم كتاب الله الذي سألهم انبياؤهم ان يحفظوه من التغيير وكانوا عليه شهداء اي رقباء
يحمونه من ان يحوم حول التغيير والتبديل بوجه من الوجوه فتغيير الاسلوب لما ذكر من المزايا وقيل بما استحفظوا بدل من قوله تع بها باعادة العامل
وهو بعيد وكذا تجويز كون الضمير في استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار جميعا على ان الاستحفاظ من جناب الله عز وجل اي
كلفهم الله تعالى ان يحفظوه ويكونوا عليه شهداء وقوله تع وتقدس فلا تخشوا الناس خطاب لرؤساء اليهود وعلمائهم بطريق الالتفات
واما حكام المسلمين فيتناولهم النهي بطريق الدلالة دون العبارة والفاء لترتيب النهي على ما فصل من حال التورية وكونها معتنى بشانها
فيما بين الانبياء ومن يقتدي بهم من الربانيين والاحبار المتقدمين عملا وحفظا فان ذلك مما يوجب الاجتناب عن الاخلال بوظائف مراعاتها
والمحافظة عليها باي وجه كان فضلا عن التحريف والتغيير ولما كان مدار جراءتهم على ذلك خشية ذي سلطان او رغبة في الحظوظ الدنيوية نهوا
عن كل منهما صريحا اي اذا كان شانها كما ذكر فلا تخشوا الناس كائنا من كان واقتدوا في مراعاة احكامها وحفظها بمن قبلكم من الانبياء
واشياعهم واخشون في الاخلال بحقوق مراعاتها فكيف بالتعرض لها بسوء ولا تشتروا باياتي الاشتراء استبدال السلعة بالثمن اي اخذها
بدلا منه لا بذل الثمن لتحصيلها كما قيل ثم استعير لاخذ شيء بدلا مما كان له عينا كان او معنى اخذا منوطا بالرغبة فيما اخذ والاعراض

عما اعطي ونبذه كما فصل في تفسير قوله تع اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فالمعنى لا تستبدلوا باياتي التي فيها بان تخرجوها منها او تتركوا العمل
بها وتاخذوا لانفسكم بدلا منها ثمنا قليلا من الرشوة والجاه وسائر الحظوظ الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة في نفسها
لا سيما بالنسبة الى ما فات عنهم بترك العمل بها وانما عبر عن المشتري الذي هو العمدة في عقود المعاوضة والمقصد الاصلي بالثمن الذي شانه
ان يكون وسيلة لتحصيله وابرزت الايات التي حقها ان يتنافس فيها المتنافسون في معرض الالات والوسائط حيث قرنت بالباء التي
تصحب الوسائل ايذانا بمبالغتهم في التعكيس بان جعلوا المقصد الاقصى وسيلة والوسيلة الادنى مقصدا ومن لم يحكم بما انزل الله
كائنا من كان دون المخاطبين خاصة فانهم مندرجون فيه اندراجا اوليا اي من لم يحكم بذلك مستهينا به منكرا له كما يقتضيه ما فعلوه من
تحريف ايات الله تع اقتضاء بينا فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها هم الكافرون لاستهانتهم
به وهم اما ضمير الفصل ومبتدأ ما بعده خبره والجملة خبر لاولئك وقد مر تفصيله في مطلع سورة البقرة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها
ابلغ تقرير وتحذير عن الاخلال به اشد تحذير حيث علق فيه الحكم بالكفر بمجرد ترك الحكم بما انزل الله فكيف وقد انضم اليه الحكم بخلافه لا سيما
مع مباشرة ما نهوا عنه من تحريفه ووضع غيره موضعه وادعاء انه من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا وكتبنا عطف على انزلنا التورية
عليهم اي على الذين هادوا وقرئ وانزل الله على بني اسرائيل فيها اي في التورية ان النفس بالنفس اي تقاد بها اذا قتلها بغير حق
والعين تفقأ بالعين اذا فقئت بغير حق والانف يجدع بالانف المقطوع بغير حق والاذن تصلم بالاذن المقطوعة ظلما والسن
تقلع بالسن المقطوعة بغير حق والجروح قصاص اي ذات قصاص اذا كانت بحيث تعرف المساواة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
انهم كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت وقرئ وان الجروح قصاص وقرئ والعين الى اخره بالرفع عطفا على محل ان النفس لان
المعنى كتبنا عليهم النفس بالنفس اما لاجراء كتبنا مجرى قلنا واما لان معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما
يقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة انزلناها فمن تصدق اي من المستحقين به اي بالقصاص اي فمن عفا عنه
والتعبير عنه بالتصدق للمبالغة في الترغيب فيه فهو اي التصدق كفارة له اي للمتصدق يكفر الله تعالى بها ذنوبه وقيل للجاني اذا تجاوز عنه
صاحب حق سقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له اي فالمتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء وهو تعظيم
لما فعل كقوله تع فاجره على الله ومن لم يحكم كائنا من كان فيتناول من لا يرى قتل الرجل بالمرأة من اليهود تناولا بينا بما انزل الله
من الاحكام والشرائع كائنا ما كان فيدخل فيها الاحكام المحكية دخولا اوليا فاولئك هم الظالمون المبالغون في الظلم المتعدون
لحدود الله تعالى الواضعون للشيء في غير موضعه والجملة تذييل مقرر لايجاب العمل بالاحكام المذكورة وقفينا على اثارهم شروع في
بيان احكام الانجيل اثر بيان احكام التورية وهو عطف على انزلنا التورية اي اثار النبيين المذكورين يقال قفيته بفلان اذا اتبعته
اياه فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه اي قفيناهم بعيسى بن مريم اي ارسلناه عقيبهم مصدقا لما بين يديه من التورية حال
من عيسى عليه السلام واتيناه الانجيل عطف على قفينا وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور كما في التورية في محل النصب على انه حال من
الانجيل اي كائنا فيه ذلك كانه قيل مشتملا على هدى ونور وتنوين هدى ونور للتفخيم ويندرج في ذلك شواهد نبوته صلى الله عليه
وسلم ومصدقا لما بين يديه من التورية عطف عليه داخل في حكم الحالية وتكرير ما بين يديه من التورية لزيادة التقرير وهدى وموعظة
للمتقين عطف على مصدقا منتظم معه في سلك الحالية جعل كله هدى بعد ما جعل مشتملا عليه حيث قيل فيه هدى وتخصيص كونه هدى
وموعظة بالمتقين لانهم المهتدون بهداه والمنتفعون بجدواه وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه امر مبتدأ لهم بان يحكموا ويعملوا
بما فيه من الامور التي من جملتها دلائل رسالته صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته وما قررته الشريعة من احكامه واما احكامه المنسوخة
فليس الحكم بها حكما بما انزل الله فيه بل هو ابطال وتعطيل له اذ هو شاهد بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لان شهادته بصحة ما ينسخها
من الشريعة شهادة بنسخها وبان احكامه ما قررته تلك الشريعة التي شهد بصحتها كما سيأتي في قوله تع يا اهل الكتاب لستم

على نهج حتى نفيهوا التورية والانجيل الآية وقيل هو حكاية للأمر الوارد عليهم بتقدير فعل معطوف على آتيناه اي وقلنا ليحكم اهل الانجيل الخ
وقرئ وأن ليحكم على أن أن موصولة بالأمر كما في قولك امرته بأن قم كأنه قيل وآتيناه الانجيل وأمرنا بأن يحكم اهل الانجيل الخ
وقرئ على صيغة المضارع ولام التعليل على انها متعلقة بمقدر كأنه قيل وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه آتيناه اياه وقد عطف على
هدى وموعظة على انهما مفعول لهما كأنه قيل وللهدى والموعظة آتيناه اياه وللحكم بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله منكرا له
مستهينا به فاولئك هم الفاسقون المتمردون الخارجون عن الايمان والجملة تذييل مقرر لمضمون الجملة السابقة ومؤكد لوجوب الامتثال
بالأمر وفيه دلالة على ان الانجيل مشتمل على الأحكام وان عيسى عليه السلام كان مستقلا بالشرع مأمورا بالعمل بما فيه من الأحكام قلت او
كثرت لا بما في التورية خاصة وحمله على معنى وليحكم بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية خلاف الظاهر وانزلنا اليك
الكتاب اي الفرد الكامل الحقيق بأن يسمى كتابا على الاطلاق لحيازته جميع الأوصاف الكمالية لجنس الكتاب السماوي وتفوقه على
بقية افراده وهو القرآن الكريم فاللام للعهد والجملة عطف على انزلنا وما عطف عليه وقوله تع بالحق متعلق بمحذوف وقع حالا مؤكدة
من الكتاب اي ملتبسا بالحق والصدق وقيل من فاعل انزلنا وقيل من الكاف في اليك وقوله تع مصدقا لما بين يديه حال من الكتاب
اي حال كونه مصدقا لما تقدمه اما من حيث انه نازل حسبما نعت فيه او من حيث انه موافق له في القصص والمواعيد والدعوة الى الحق
والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما يتراءى من مخالفته له في بعض جزئيات الأحكام المتغيرة بسبب تغير الاعصار
فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي موافقة لها من حيث ان كلا من تلك الأحكام حق بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة التي عليها يدور
امر الشريعة وليس في المتقدم دلالة على ابدية احكامه المنسوخة حتى يخالفه الناسخ المتأخر وانما يدل على مشروعيتها مطلقا من غير
تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هو ناطق بزوالها لما ان النطق بنعته ما ينسخها نطق بنسخها وزوالها وقوله تع من الكتاب بيان لما
واللام للجنس اذ المراد هو الكتاب السماوي وهو بهذا العنوان جنس برأسه وان كان في نفسه نوعا مخصوصا من مدلول لفظ الكتاب وعلى
هذا قالوا اللام للعهد الا ان ذلك لا ينتهي الى خصوصية الفردية بل الى خصوصية النوعية التي هي اخص من مطلق الكتاب وهو ظاهر
ومن الكتاب السماوي ايضا حيث خص بما عدا القرآن ومهيمنا عليه اي رقيبا على سائر الكتب المحفوظة عن التغيير لانه يشهد لها بالصحة
والثبات ويقرر اصول شرايعها وما يتأبد من فروعها ويعين احكامها المنسوخة ببيان انتهاء مشروعيتها المستفادة من تلك الكتب
وانقضاء وقت العمل بها ولا ريب في ان تمييز احكامها الباقية على المشروعية ابدا عما انتهى وقت مشروعيته وخروج عنها من احكام
كونه مهيمنا عليها وقرئ ومهيمنا عليه على صيغة المفعول اي هو من عليه وحفظ من التغيير والتبديل كقوله عز وجل لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه والحافظ اما من جهته تعالى كقوله تع انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او الحفاظ في الاعصار والامصار
والفاء في قوله تعالى فاحكم بينهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان كون القرآن العظيم حقا مصدقا لما قبله من الكتب المنزلة على الامم مهيمنا
عليه موجب للحكم المأمور به اي اذا كان شأن القرآن كما ذكر فاحكم بين اهل الكتابين عند تحاكمهم اليك بما انزل الله اي بما انزله اليك فانه
مشتمل على جميع الأحكام الشرعية الباقية في الكتب الالهية وتقديم بينهم للاعتناء ببيان تعميم الحكم لهم ووضع الموصول موضع الضمير
للتنبيه على علية ما في حيز الصلة للحكم والالتفات باظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم ولا تتبع اهواءهم الزائغة عما
جاءك من الحق الذي لا محيد عنه وعن متعلقة بلا تتبع على تضمين معنى العدول ونحوه كأنه قيل لا تعدل عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم
وقيل بمحذوف وقع حالا من فاعله اي لا تتبع اهواءهم عادلا عما جاءك وفيه ان ما وقع حالا لا بد ان يكون فعلا عاما ووضع الموصول موضع
ضمير الموصول الأول للايماء بما في حيز الصلة من مجيء الحق الى ما يوجب كمال الاجتناب عن اتباع الاهواء وقوله تع لكل جعلنا منكم شرعة
ومنهاجا كلام مستأنف جيء به لحمل اهل الكتابين من معاصريه عليه السلام على الانقياد لحكمه عليه السلام بما انزل اليه من القرآن الكريم ببيان
انه هو الذي كلفوا العمل به دون غيره من الكتابين وانما الذي كلفوا العمل بهما من مضى قبل نسخهما من الأمم السالفة والخطاب بطريق التلوين

والالتفات للناس كافة لكن للموجودين خاصة بل للماضين ايضا بطريق التغليب واللام متعلقة بجعلنا المتعدي لواحد وهو اخبار بجعل ماض
لا انشاء وتقديمها عليه للتخصيص ومنكم متعلق بمحذوف وقع صفة لما عوض عنه تنوين كل والضمير في توسيط جعلنا بين الصفة والموصوف
كما في قوله تع اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض الخ والمعنى لكل امة كائنة منكم ايها الأمم الباقية والخالية جعلنا اي عينا ووضعنا
شرعة ومنهاجا خاصين بتلك الأمم لا تكاد امة تتخطى شرعتها التي عينت لها فالأمة التي كانت من مبعث موسى الى مبعث عيسى عليهما السلام
شرعتهم التورية والتي كانت من مبعث عيسى الى مبعث النبي عليهما السلام شرعتهم الانجيل واما انتم ايها الموجودون فشرعتكم القرآن
ليس الا فآمنوا به واعملوا بما فيه والشرعة والشريعة هي الطريقة الى الماء شبه بها الدين لكونه سبيلا موصلا الى ما هو سبب للحيوة الابدية
كما ان الماء سبب للحيوة الفانية والمنهاج الطريق الواضح في الدين من نهج الامر اذا وضح وقرئ شرعة بفتح الشين قيل فيه
دليل على انا غير متعبدين بشرائع من قبلنا والتحقيق انا متعبدون باحكامها الباقية من حيث انها احكام شريعتنا لا من حيث
انها شرعة للأولين ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير اختلاف بينكم وبين من قبلكم من الأمم في شيء
من الأحكام الدينية ولا نسخ ولا تحويل ومفعول المشية محذوف تعويلا على دلالة الجزاء عليه اي لو شاء الله ان يجعلكم امة واحدة لجعلكم الخ
وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لأجبركم عليه ولكن ليبلوكم متعلق بمحذوف يستدعيه النظام اي ولكن لم يشأ ذلك اي ان
يجعلكم امة واحدة بل شاء ما عليه السنة الالهية الجارية فيما بين الأمم ليعاملكم معاملة من يبتليكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة
المناسبة لأعصارها وقرونها هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها بمقتضى المشية الالهية المبنية على اساس الحكم البالغة
والمصالح النافعة لكم في معاشكم ومعادكم او تزيغون عن الحق وتتبعون الهوى وتستبدلون المضرة بالجدوى وتشترون الضلالة
بالهدى وبهذا اتضح ان مدار عدم المشية المذكورة ليس مجرد الابتلاء بل العمدة في ذلك ما اشير اليه من انطواء الاختلاف على ما فيه مصلحتهم
معاشا ومعادا كما ينبئ عنه قوله عز وجل فاستبقوا الخيرات اي اذا كان الأمر كما ذكر فسارعوا الى ما هو خير لكم في الدارين من
العقائد الحقة والأعمال الصالحة المندرجة في القرآن الكريم وابتدروها انتهازا للفرصة واحرازا لسابقة الفضل ففيه من تأكيد
الترغيب في الاذعان للحق وتشديد التحذير عن الزيغ ما لا يخفى وقوله تع الى الله مرجعكم استيناف مسوق مساق التعليل لاستباق
الخيرات بما فيه من الوعد والوعيد وقوله تع جميعا حال من ضمير الخطاب والعامل فيه اما المصدر المنحل الى حرف مصدري وفعل مبني للفاعل او مبني للمفعول
واما الاستقرار المقدر في الجار فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون اي فيفعل بكم من الجزاء الفاصل بين المحق والمبطل ما لا يبقى لكم معه شائبة شك
فيما كنتم تختلفون فيه في الدنيا وانما عبر عن ذلك بما ذكر لوقوعه موقع ازالة الاختلاف التي هي وظيفة الاخبار وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم
عطف على الكتاب اي انزلنا عليك الكتاب والحكم بما فيه والتعرض لعنوان انزاله تعالى اياه لتأكيد وجوب الامتثال بالأمر او على الحق اي انزلناه
بالحق وبأن احكم وحكاية انزال الأمر بهذا الحكم بعد ما مر من الأمر الصريح بذلك تأكيد له وتمهيد لما يعقبه من قوله تع واحذرهم ان يفتنوك عن
بعض ما انزل الله اليك اي يصرفوك عن بعضه ولو كان اقل قليل بتصوير الباطل بصورة الحق واظهار الاسم الجليل لتأكيد الأمر بتهويل الخطب وان
بصلته بدل اشتمال من ضميرهم اي احذر فتنتهم او مفعول له اي احذرهم مخافة ان يفتنوك واعادة ما انزل الله لتأكيد التحذير بتهويل
الخطب روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد فلعلنا نفتنه عن دينه فذهبوا اليه صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم قد عرفت
انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك
ونصدقك فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان تولوا اي اعرضوا عن الحكم بما انزل الله تعالى واراد وا غيره فاعلم انما يريد الله
ان يصيبهم ببعض ذنوبهم اي بذنب توليهم عن حكم الله عز وجل وانما عبر عنه بذلك ايذانا بأن لهم ذنوبا كثيرة هذا مع كمال عظمه واحد
من جملتها وفي هذا الابهام تعظيم للتولي كما في قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها يريد به نفسه اي نفسا كبيرة ونفسا اي
نفس وان كثيرا من الناس لفاسقون اي متمردون في الكفر مصرون عليه خارجون من الحدود المعهودة وهو اعتراض تذييلي مقرر لمضمون

ما قبله **افحكم الجاهلية يبغون** انكار وتعجيب من حالهم وتوبيخ لهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي أيتولون عن حكمك فيبغون حكم الجاهلية
وتقديم المفعول للتخصيص المفيد لتأكيد الانكار والتعجيب لان التولي عن حكمه صلى الله عليه وسلم وطلب حكم آخر منكر عجيب وطلب حكم الجاهلية
اقبح واعجب والمراد بالجاهلية اما الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى الموجبة للميل والمداهنة في الاحكام فيكون تعييرا لليهود بانهم مع
كونهم اهل كتاب وعلم يبغون حكم الجاهلية التي هي هوى وجهل لا يصدر عن كتاب ولا يرجع الى وحي واما اهل الجاهلية وحكمهم ما كانوا
عليه من التفاضل فيما بين القتلى حيث روي ان بني النضير لما تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصومة قتل وقعت بينهم وبين بني
قريظة طلبوا اليه عليه السلام ان يحكم بينهم بما كان عليه اهل الجاهلية من التفاضل فقال عليه السلام القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى
بذلك فنزلت وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه في قوله تعالى أهذا الذي بعث الله رسولا وقد
استضعف ذلك في غير الشعر وقرئ تبغون على الخطاب اما بالالتفات لتشديد التوبيخ واما بتقدير القول اي قل لهم أفحكم الخ وقرئ بفتح
الحاء والكاف اي أفحاكما كحكام الجاهلية يبغون **ومن احسن من الله حكما** انكار لان يكون احد حكمه احسن من حكمه تعالى او مساو له وان
كان ظاهر السبك غير متعرض لنفي المساواة وانكارها وقد مر تفصيله في تفسير قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله **لقوم يوقنون** اي
عندهم او اللام كما في هيت لك اي هذا الاستفهام لهم فانهم الذين يتدبرون الامور بانظارهم فيعلمون يقينا ان حكم الله عز وجل احسن
الاحكام واعدلها **يا ايها الذين آمنوا** خطاب يعم حكمه كافة المؤمنين من المخلصين وغيرهم وان كان سبب وروده بعضا منهم كما
سيأتي ووصفهم بعنوان الايمان لحملهم من اول الامر على الانزجار عما نهوا عنه بقوله عز وجل **لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء** فان
تذكير اتصافهم بضد صفات الفريقين من اقوى الزواجر عن موالاتهما اي لا يتخذ احد منكم احدا منهم وليا بمعنى لا تصافوهم ولا تعاشروهم
مصافاة الاحباب ومعاشرتهم لا بمعنى لا تجعلوهم اولياء لكم حقيقة فانه ممتنع في نفسه لا يتعلق به النهي **بعضهم اولياء بعض** اي
بعض كل فريق من ذينك الفريقين اولياء بعض آخر من ذلك الفريق لا من الفريق الآخر وانما اوثر الاجمال في البيان تعويلا على ظهور المراد
لوضوح انتفاء الموالاة بين فريقي اليهود والنصارى رأسا والجملة مستأنفة مسوقة لتعليل النهي وتأكيد ايجاب الاجتناب عن المنهي
عنه اي بعضهم اولياء بعض متفقون على كلمة واحدة في كل ما يأتون وما يذرون ومن ضرورته اجماع الكل على مضادتكم ومضارتكم
بحيث يسومونكم السوء ويبغونكم الغوائل فكيف يتصور بينكم وبينهم موالاة وقوله تعالى **ومن يتولهم منكم فانه منهم** حكم مستنتج منه فان
انحصار الموالاة فيما بينهم يستدعي كون من يواليهم منهم ضرورة ان الاتحاد في الدين الذي عليه يدور امر الموالاة حيث لم يكن بكونهم
ممن يواليهم من المؤمنين تعين ان يكون ذلك بكون من يواليهم منهم وفيه زجر شديد للمؤمنين عن اظهار صورة الموالاة لهم وان لم تكن
موالاة في الحقيقة وقوله تعالى **ان الله لا يهدي القوم الظالمين** تعليل لكون من يتولاهم منهم اي لا يهديهم الى الايمان بل يخليهم و
شأنهم فيقعون في الكفر والضلالة وانما وضع المظهر موضع ضميرهم تنبيها على ان توليهم ظلم لما انه تعريض لانفسهم للعذاب
الخالد ووضع للشيء في غير موضعه وقوله تعالى **فترى الذين في قلوبهم مرض** بيان لكيفية توليهم واشعار بسببه وبما يؤدي اليه
امرهم والفاء للايذان بترتبه على عدم الهداية والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين واما لكل احد ممن له اهلية له
وفيه مزيد تشنيع للتشنيع اي لا يهديهم بل يذرهم وشأنهم فتراهم الخ وانما وضع موضع الضمير الموصول ليشار بما في حيز صلته الى ان ما
ارتكبوه من التولي بسبب ما في قلوبهم من مرض النفاق ورخاوة العقد في الدين وقوله تعالى **يسارعون فيهم** حال من الموصول والرؤية
بصرية وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية والاول هو الانسب بظهور نفاقهم اي تراهم مسارعين في موالاتهم وانما قيل فيهم مبالغة في
بيان رغبتهم فيها وتهالكهم عليها وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على انهم مستقرون في الموالاة وانما مسارعتهم من بعض
مراتبها الى بعض آخر منها كما في قوله تعالى اولئك الذين يسارعون في الخيرات لا انهم خارجون عنها متوجهون اليها كما في قوله تعالى
وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة وقرئ فيرى بياء الغيبة على ان الضمير لله سبحانه وقيل لمن يصح منه الرؤية وقيل الفاعل

هو الموصول والمفعول هو الجملة على حذف أن المصدرية والرؤية قلبية اي ويرى القوم الذين في قلوبهم مرض ان يسارعوا فيهم فلما
حذفت انقلب الفعل مرفوعا كما في قول من قال ألا أيهذا الزاجري احضر الوغى والمراد بهم عبد الله بن أبي واضرابه الذين كانوا
يسارعون في موادة اليهود ونصارى نجران وكانوا يعتذرون الى المؤمنين بانهم لا يأمنون ان تصيبهم صروف الزمان وذلك
قوله تعالى **يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة** وهو حال من ضمير يسارعون والدائرة من الصفات الغالبة التي لا يذكر معها موصوفها اي
تدور علينا دائرة من دوائر الدهر ودولة من دوله بان ينقلب الامر وتكون الدولة للكفار وقيل نخشى ان يصيبنا مكروه من
مكاره الدهر كالجدب والقحط فلا يعطونا الميرة والقرض روي ان عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ان لي موالي من اليهود كثيرا عددهم واني ابرأ الى الله تعالى ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن أبي
اني رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع ولعله يظهر للمؤمنين انه يريد بالدوائر المعنى الاخير ويضمر في
نفسه المعنى الاول وقوله عز وجل **فعسى الله ان يأتي بالفتح** رد من جهة الله عز وجل لعللهم الباطلة وقطع لاطماعهم الفارغة
وتبشير للمؤمنين بالظفر فان عسى منه سبحانه وعد محتوم لما ان الكريم اذا اطمع اطعم لا محالة فما ظنك باكرم الاكرمين وان يأتي
في محل النصب على انه خبر عسى وهو رأي الاخفش او على انه مفعول به وهو رأي سيبويه لئلا يلزم الاخبار عن الجثة بالحدث في قولك
عسى زيد ان يقوم والمراد بالفتح فتح مكة قاله الكلبي والسدي وقال الضحاك فتح قرى اليهود من خيبر وفدك وقال قتادة ومقاتل
هو القضاء الفصل بنصره عليه السلام على من خالفه واعزاز الدين **او امر من عنده** يقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء **فيصبحوا** اي
اولئك المنافقون المتعللون بما ذكر وهو عطف على يأتي داخل معه في حيز خبر عسى وان لم يكن فيه ضمير يعود الى اسمها فان فاء السببية
مغنية عن ذلك فانها تجعل الجملتين كجملة واحدة **على ما اسروا في انفسهم نادمين** وهو ما كانوا يكتمونه في انفسهم من الكفر والشك في
امره صلى الله عليه وسلم وتعليق الندامة به لا بما كانوا يظهرونه من موالاة الكفرة لما انه الذي كان يحملهم على الموالاة ويغريهم عليها
فدل ذلك على ندامتهم عليها باصلها وسببها **ويقول الذين آمنوا** كلام مبتدأ مسوق لبيان كمال سوء حال الطائفة المذكورة
وقرئ بغير واو على انه جواب سؤال نشأ مما سبق كأنه قيل فماذا يقول المؤمنون حينئذ وقرئ ويقول بالنصب عطفا على فيصبحوا
وقيل على يأتي باعتبار المعنى كأنه قيل فعسى ان يأتي الله بالفتح ويقول الذين آمنوا والاول اوجه لان هذا القول انما يصدر عن
المؤمنين عند ظهور ندامة المنافقين لا عند اتيان الفتح فقط والمعنى ويقول الذين آمنوا مخاطبين لليهود مشيرين الى المنافقين
الذين كانوا يوالونهم ويرجون دولتهم ويظهرون لهم غاية المحبة وعدم المفارقة عنهم في السراء والضراء عند مشاهدتهم
لخيبة رجائهم وانعكاس تقديرهم بوقوع ضد ما كانوا يترقبونه ويتعللون به تعجيبا للمخاطبين من حالهم وتعريضا بهم **اهؤلاء الذين
اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم** اي بالنصرة والمعونة كما قالوا فيما حكي عنهم وان قوتلتم لننصرنكم فاسم الاشارة مبتدأ وما بعده خبره والمعنى
انكار ما فعلوه واستبعاده وتخطئتهم في ذلك او ويقول بعض المؤمنين لبعض مشيرين الى المنافقين اهؤلاء الذين اقسموا للكفرة انهم
لمعكم فالخطاب في معكم لليهود على التقديرين الا انه على الاول من جهة المؤمنين وعلى الثاني من جهة المقسمين وهذه الجملة لا محل لها
من الاعراب لانها تفسير وحكاية لمعنى اقسموا لكن لا بالفاظهم والا لقيل انا معكم وجهد الايمان اغلظها وهو في الاصل مصدر ونصبه
على الحال على تقدير واقسموا بالله يجهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولا يبالي بتعريفه لفظا لانه مؤول
بنكرة اي مجتهدين في ايمانهم او على المصدر اي اقسموا اقسام اجتهاد في اليمين وقوله تعالى **حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين** اما جملة
مستأنفة مسوقة من جهة تعالى لبيان مآل ما صنعوه من ادعاء الولاية والاقسام على المعية في المنشط والمكره اثر الاشارة
الى بطلانه بالاستفهام الانكاري واما خبر ثان للمبتدأ عند من جوز كونه جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى او هو الخبر والموصول
مع ما في حيز صلته صفة لاسم الاشارة فالاستفهام حينئذ للتقرير وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم والمعنى بطلت
اعمالهم التي عملوها في شأن موالاتكم وسعوا في ذلك سعيا بليغا حيث لم تكن لكم دولة فينتفعوا بما صنعوا من المساعي وتحملوا من

مكابرة المشاق وفيه من الاستهزاء بالمنافقين والتقريع للمخاطبين ما لا يخفى وقيل قاله بعض المؤمنين مخاطبا لبعض تعجبا من سوء حال المنافقين
واغتباطا بما من الله تعالى على انفسهم من التوفيق للاخلاص اهؤلاء الذين اقسموا لكم باغلاظ الايمان انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار
بطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي اعين الناس وانت خبير بان ذلك الكلام من المؤمنين انما يليق بما لو اظهر المنافقون حينئذ
خلاف ما كانوا يدعونه ويقسمون عليه من ولاية المؤمنين ومعاضدتهم على الكفار فظهر كذبهم وافتضحوا بذلك على رؤوس الاشهاد وبطلت
اعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي اعين المؤمنين ولا ريب في انهم يومئذ اشد ادعاء واكثر اقساما منهم قبل ذلك فضلا عن ان
يظهروا خلاف ذلك وانما الذي يظهر منهم الندامة على ما صنعوا وليس ذلك علامة ظاهرة الدلالة على كفرهم وكذبهم في ادعائهم
فانهم يدعون ان ليست ندامتهم الا على ما اظهروه من موالاة الكفرة خشية اصابة الدائرة **يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه**
وقرئ يرتدد بالفك على لغة الحجاز والادغام لغة تميم لما نهى فيما سلف عن موالاة اليهود والنصارى وبين ان موالاتهم مستدعية
للارتداد عن الدين وفصل مصير امر من يواليهم من المنافقين شرع في بيان حال المرتدين على الاطلاق وهذا من الكائنات التي اخبر
عنها القرآن قبل وقوعها روي انه ارتد عن الاسلام احدى عشر فرقة ثلاث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو
الحمار وهو الاسود العنسي كان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده فاخرج منها عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب عليه السلام
الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله تعالى على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله
ليلة قتل فسر به المسلمون وقبض عليه السلام من الغد واتى خبره في آخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب صلى الله
عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله
عنه بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وكان يقول قتلت في جاهليتي خير الناس وفي اسلامي شر
الناس وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث ابو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد فانهزم بعد القتال الى الشام فاسلم
وحسن اسلامه وسبع في عهد ابي بكر رضي الله عنه فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم
قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها من
مسيلمة الكذاب وفيها يقول ابو العلاء المعري في كتاب استغفر واستغفري امت سجاح ووالاها مسيلمة كذابة في بني الدنيا
وكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين وقوم الحطم بن زيد وكفى الله تعالى امرهم على يدي ابي بكر وفرقة
واحدة في عهد عمر رضي الله عنه غسان قوم جبلة بن الايهم نصرته اللطمة وسيرته الى بلاد الروم وقصته مشهورة وقوله عز وجل
فسوف يأتي الله جواب الشرط والعائد الى اسم الشرط محذوف اي فسوف يأتي الله مكانهم بعد اهلاكهم **بقوم يحبهم** اي يريد بهم خيري
الدنيا والآخرة ومحل الجملة الجر على انها صفة لقوم وكذا قوله تعالى **ويحبونه** اي يريدون طاعته ويتحرزون عن معاصيه معطوفة
عليها داخل في حكمها قيل هم اهل اليمن لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم اشار الى ابي موسى الاشعري وقال قوم هذا وقيل هم
الانصار رضي الله عنهم وقيل هم الفرس لما روي انه عليه السلام سئل عنهم فضرب بيده الكريمة على عاتق سلمان وقال هذا وذووه
ثم قال لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وقيل هم الفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وثلاثة آلاف من افناء
الناس جاهدوا يوم القادسية **اذلة على المؤمنين** جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل اي ارقاء رحماء متذللين ومتواضعين لهم
واستعماله بعلى اما لتضمين معنى العطف والحنو او للتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم اجنحتهم او لرعاية
المقابلة بينه وبين ما في قوله تعالى **اعزة على الكافرين** اي اشداء متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه كما في قوله عز وعلا اشداء على
الكفار رحماء بينهم وهما صفتان اخريان لقوم ترك بينهما العاطف للدلالة على استقلالهم بالاتصاف بكل منهما وفيه دليل
على صحة تأخير الصفة الصريحة عن غير الصريحة من الجملة والظرف كما في قوله تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك وقوله تعالى ما يأتيهم

من ذكر من الرحمن محدث وما ذهب اليه من لا يجوزه من ان قوله تعالى يحبهم ويحبونه كلام معترض وان مبارك خبر بعد خبر لمبتدأ محذوف
وان من ربهم ومن الرحمن حالان مقدمتان من ضمير محدث تكلف لا يخفى وقرئ اذلة اعزة بالنصب على الحالية من قوم لتخصصه بالصفة **يجاهدون**
في سبيل الله صفة اخرى لقوم مترتبة على ما قبلها مبينة مع ما بعدها لكيفية عزتهم او حال من الضمير في اعزة **ولا يخافون لومة لائم**
عطف على يجاهدون بمعنى انهم جامعون بين المجاهدة في سبيل الله وبين التصلب في الدين وفيه تعريض بالمنافقين فانهم اذا خرجوا في جيش
المسلمين خافوا اولياءهم اليهود فلا يكادون يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم وقيل هو حال من فاعل يجاهدون بمعنى انهم يجاهدون
وحالهم خلاف حال المنافقين واعترض عليه بانهم نصوا على ان المضارع المنفي بلا او ما كالمثبت في عدم جواز مباشرة واو الحال له
واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغة لا تخفى **ذلك** اشارة الى ما تقدم من الاوصاف الجليلة وما فيه من معنى البعد
للايذان ببعد منزلتها في الفضل **فضل الله** اي لطفه واحسانه لا انهم مستقلون في الاتصاف بها **يؤتيه من يشاء** ايتاءه اياه
ويوفقه لكسبه وتحصيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة **والله واسع** كثير الفواضل والالطاف **عليم** مبالغ في العلم بجميع الاشياء التي من جملتها
من هو اهل للفضل والتوفيق والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله واظهار الاسم الجليل للاشعار بالعلة وتأكيد استقلال الجملة الاعتراضية
انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا لما نهاهم الله عز وجل عن موالاة الكفرة وعلله بان بعضهم اولياء بعض لا يتصور ولايتهم
للمؤمنين وبين ان من يتولاهم يكون من جملتهم بين ههنا من هو وليهم بطريق قصر الولاية كأنه قيل لا تتخذوهم اولياء لان بعضهم اولياء
بعض وليسوا باوليائكم انما اولياؤكم الله ورسوله والمؤمنون فاختصوهم بالموالاة ولا تتخطوهم الى الغير وانما افراد الولي مع تعدده
للايذان بان الولاية اصالة لله تعالى وولايته عليه السلام وكذا ولاية المؤمنين بطريق التبعية لولايته عز وعلا **الذين يقيمون الصلوة**
ويؤتون الزكوة صفة للذين آمنوا لجريانه مجرى الاسم او بدل منه او نصب على المدح او رفع عليه **وهم راكعون** حال من فاعل الفعلين اي يعملون ما
ذكر من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة وهم خاشعون ومتواضعون لله تعالى وقيل هو حال مخصوصة بايتاء الزكوة والركوع ركوع
الصلوة والمراد بيان كمال رغبتهم في الاحسان ومسارعتهم اليه وروي انها نزلت في علي رضي الله تعالى عنه حين سأله سائل وهو
راكع فطرح اليه خاتمه كأنه كان مرجا في خنصره غير محتاج في اخراجه الى كثير عمل يؤدي الى فساد الصلوة ولفظ الجمع حينئذ لترغيب الناس في
مثل فعله رضي الله تعالى عنه وفيه دلالة على ان صدقة التطوع تسمى زكوة **ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا** اوثر الاظهار على
ان يقال ومن يتولهم رعاية لما مر من نكتة بيان اصالته تعالى في الولاية كما ينبئ عنه قوله تعالى **فان حزب الله هم الغالبون** حيث
اضيف الحزب اليه تعالى خاصة وهو ايضا من باب وضع الظاهر موضع الضمير العائد الى من اي فانهم الغالبون لكنهم جعلوا حزب الله تعالى
تعظيما لهم واثباتا لغلبتهم بالطريق البرهاني كأنه قيل ومن يتول هؤلاء فانهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون **يا ايها الذين آمنوا**
لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا روي ان رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المؤمنين
يوادونهما فنهوا عن موالاتهما ورتب النهي على وصف يعمهما وغيرهما تعميما للحكم وتنبيها على العلة وايذانا بان من هذا شأنه جدير بالمعاداة
فكيف بالموالاة **من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم** بيان للمستهزئين والتعرض لعنوان ايتاء الكتاب لبيان كمال شناعتهم وغاية ضلالتهم لما ان
ايتاء الكتاب وازع لهم عن استهزاء الدين المؤسس على الكتاب المصدق لكتابهم **والكفار** اي المشركين خصوا به لتضاعف كفرهم وهو عطف على
الموصول الاول ففيه اشعار بانهم ليسوا مستهزئين كما ينبئ عنه تخصيص الخطاب باهل الكتاب بقوله تعالى يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الاية
وقرئ بالجر عطفا على الموصول الاخير ويعضده قراءة ابي ومن الكفار وقراءة عبد الله ومن الذين اشركوا فهم ايضا من جملة المستهزئين
اولياء وجانبوهم كل المجانبة **واتقوا الله** في ذلك بترك موالاتهم او بترك المناهي على الاطلاق فيدخل فيه ترك موالاتهم دخولا اوليا **ان**
كنتم مؤمنين اي حقا فان قضية الايمان توجب الاتقاء لا محالة **واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها** اي الصلوة او المناداة ففيه دلالة
على شرعية الاذان **هزوا ولعبا** بيان لاستهزائهم بحكم خاص من احكام الدين بعد بيان استهزائهم بالدين على الاطلاق اظهارا لكمال شقاوتهم

روي أن نصرانياً بالمدينة كان إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمداً رسول الله يقول أحرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وأهله نيام
فتطايرت منها شرارة في البيت فأحرقته وأهله جميعاً **ذلك** أي الاستهزاء المذكور **بأنهم** أي بسبب أنهم **قوم لا يعقلون** فإن السفه يؤدي إلى
الجهل بمحاسن الحق والهزء به ولو كان لهم عقل في الجملة لما اجترؤوا على تلك العظيمة **قل** أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق تلوين الخطاب بعد نهي
المؤمنين عن تولي المستهزئين بأن يخاطبهم ويبين أن الدين منزه عما يصحح صدور ما صدر عنهم من الاستهزاء ويظهر لهم سبب ما ارتكبوه
ويلقمهم الحجر أي قل لأولئك الفجرة **يا أهل الكتاب** وصفوا بأهلية الكتاب تمهيداً لما سيأتي من تبكيتهم وإلزامهم بكفرهم بكتابهم **هل تنقمون منا**
من نقم منه كذا إذا عابه وأنكره وكرهه ينقمه من حد ضرب وقرئ بفتح القاف من حد علم وهي أيضاً لغة أي ما تعيبون وما تنكرون منا
إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا من القرآن المجيد **وما أنزل من قبل** أي من قبل إنزاله من التوراة والإنجيل المنزلين عليكم وسائر الكتب الإلهية
وأن أكثركم فاسقون أي متمردون خارجون عن الإيمان بما ذكر فإن الكفر بالقرآن مستلزم للكفر بما يصدقه لا محالة وهو عطف على أن آمنا
على أنه مفعول له لتنقمون والمفعول الذي هو الدين محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه دلالة واضحة فإن اتخاذ الدين هزواً ولعباً
عين نقمه وإنكاره والإيمان بما فصل عين الدين الذي نقموه خلا أنه أبرز في معرض علة نقمهم له تسجيلاً عليهم بكمال المكابرة والتعكيس حيث
جعلوا موجباً للنقم مع كونه في نفسه موجباً لقبوله وارتضائه فالاستثناء من أعم العلل أي ما تنقمون منا ديننا لعلة من العلل إلا
لأن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل من كتبكم ولأن أكثركم متمردون غير مؤمنين بواحد مما ذكر حتى لو كنتم مؤمنين بكتابكم
الناطق بصحة كتابنا لآمنتم به وإسناد الفسق إلى أكثرهم لأنهم الحاملون لأعقابهم على التمرد والعناد وقيل عطف عليه على أنه مفعول
لتنقمون لكن لا على أن المستثنى مجموع المعطوفين بل هو ما يلزمهما من المخالفة كأنه قيل ما تنقمون منا إلا مخالفتكم حيث دخلنا الإيمان وأنتم
خارجون عنه وقيل على حذف المضاف أي واعتقاد أن أكثركم فاسقون وقيل عطف على ما أي ما تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل
إلينا وبأنكم فاسقون وقيل عطف على علة محذوفة أي لقلة إنصافكم ولأن أكثركم فاسقون وقيل الواو بمعنى مع أي ما تنقمون منا إلا
الإيمان مع أن أكثركم الخ وقيل هو منصوب بفعل مقدر دل عليه المذكور أي ولا تنقمون أن أكثركم فاسقون وقيل هو مرفوع على الابتداء
والخبر محذوف أي وفسقكم معلوم أو ثابت والجملة حالية أو معترضة وقرئ بإن المكسورة والجملة مستأنفة مبينة لكون أكثرهم [illegible]
متمردين **قل هل أنبئكم بشر من ذلك** لما أمره صلى الله عليه وسلم بإلزامهم وتبكيتهم ببيان أن مدار نقمهم للدين إنما هو اشتماله على ما يوجب
ارتضاءه عندهم أيضاً وكفرهم بما هو مسلم لهم أمره عليه السلام عقيبه بأن يبكتهم ببيان أن الحقيق بالنقم والعيب حقيقة ما هم عليه
من الدين المحرف وينعي عليهم في ضمن البيان جناياتهم وما حاق بهم من تبعاتها وعقوباتها على منهاج التعريض لئلا يحملهم
التصريح بذلك على ركوب متن المكابرة والعناد ويخاطبهم قبل البيان بما ينبئ عن عظم شأن المبين ويستدعي إقبالهم على تلقيه من الجملة
الاستفهامية المشوقة إلى المخبر به والتنبئة المشعرة بكونه أمراً خطيراً لما أن النبأ هو الخبر الذي له شأن وخطر وحيث كان مناط
النقم شرية المنقوم حقيقة أو اعتقاداً وكان مجرد النقم غير مفيد لشريته البتة قيل بشر من ذلك ولم يقل بأنقم من ذلك تحقيقاً للشرية
ما سيذكر وزيادة تقرير لها وقيل إنما قيل ذلك لوقوعه في عبارة المخاطبين حيث أتى نفر من اليهود فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن دينه فقال عليه السلام أومن بالله وما أنزل إلينا إلى قوله ونحن له مسلمون فحين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام قالوا لا نعلم شراً من دينكم وإنما
اعتبر الشرية بالنسبة إلى الدين وهو منزه عن شائبة الشرية بالكلية مجاراة معهم على زعمهم الباطل المنعقد على كمال شريته ليثبت
أن دينهم شر من كل شر أي هل أخبركم بما هو شر في الحقيقة مما تعتقدونه شراً وإن كان في نفسه خيراً محضاً **مثوبة عند الله** أي جزاء
ثابتاً في حكمه وقرئ مثوبة وهي لغة فيها كمشورة ومشورة ومختصة بالخير كما أن العقوبة مختصة بالشر وإنما وضعت ههنا موضعها
على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز من بشر وقوله عز وجل **من لعنه الله وغضب عليه** خبر لمبتدأ محذوف بتقدير
مضاف قبله مناسب لما أشير إليه بكلمة ذلك أي دين من لعنه الخ أو بتقدير مضاف قبلها مناسب لمن أي بشر من أهل ذلك والجملة على

التقديرين استيناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من الجملة الاستفهامية إما على حالها وهو الظاهر المناسب لسياق النظم الكريم وإما باعتبار
التقدير فيها فكأنه قيل ما الذي هو شر من ذلك فقيل هو دين من لعنه الله الخ أو قيل في السؤال من ذا الذي هو شر من أهل ذلك فقيل هو من
لعنه الله ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة وإدخال الروعة وتهويل أمر اللعن وما تبعه والموصول عبارة عن المخاطبين
حيث أبعدهم الله تعالى من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات وسطوع البينات **وجعل منهم القردة
والخنازير** أي مسخ بعضهم قردة وهم أصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار مائدة عيسى عليه السلام وقيل كلا المسخين في أصحاب السبت
مسخت شبانهم قردة وشيوخهم خنازير وجمع الضمير الراجع إلى الموصول في منهم باعتبار معناه كما أن إفراد الضميرين الأولين
باعتبار لفظه وإيثار وضعه موضع ضمير الخطاب المناسب لأنبئكم للقصد إلى إثبات الشرية بما عدد في حيز صلته من الأمور الهائلة
الموجبة لها على الطريقة البرهانية مع ما فيه من الاحتراز عن تهييج لجاجهم **وعبد الطاغوت** عطف على صلة من وإفراد الضمير لما مر
وكذا عُبِدَ الطاغوت على قراءة البناء للمفعول ورفع الطاغوت وكذا عَبُدَ الطاغوت بمعنى صار معبوداً فالراجع إلى الموصول محذوف على
القراءتين أي عبد فيهم أو بينهم وتقديم أوصافهم المذكورة بصدد إثبات شرية دينهم على وصفهم هذا مع أنه الأصل المستتبع لها في
الوجود وأن دلالته على شريته بالذات لأن عبادة الطاغوت عين دينهم البين البطلان ودلالتها عليها بطريق الاستدلال
بشرية الآثار على شرية ما يوجبها من الاعتقاد والعمل إما للقصد إلى تبكيتهم من أول الأمر بوصفهم بما لا سبيل لهم إلى الجحود لا بشريته
وفظاعته ولا باتصافهم به وإما للإيذان باستقلال كل من المقدم والمؤخر بالدلالة على ما ذكر من الشرية ولو روعي ترتيب الوجود وقيل
من عبد الطاغوت ولعنه الله وغضب عليه إلى آخره لربما فهم أن علة الشرية هو المجموع وقد قرئ عابد الطاغوت وكذا عَبَدَ
الطاغوت بالإضافة على أنه نعت كفطن ويقظ وكذا عَبَدَة الطاغوت وكذا عُبُدَ الطاغوت بالإضافة على أنه جمع عابد
كخدم أو على أن أصله عبدة حذف تاؤه للإضافة بالنصب في الكل عطفاً على القردة والخنازير وقرئ عبد الطاغوت بالجر
عطفاً على من بناء على أنه مجرور بتقدير المضاف وقد قيل إن من مجرور على أنه بدل من شر على أحد الوجهين المذكورين في تقدير
المضاف وأنت خبير بأن ذلك مع اقتضائه إخلاء النظم الكريم عن المزايا المذكورة بالمرة مما لا سبيل إليه قطعاً ضرورة
أن المقصود الأصلي ليس مضمون الجملة الاستفهامية بل هي كما مر مقدمة سيقت أمام المقصود لهز المخاطبين وتوجيه أذهانهم
نحو تلقي ما يلقى إليهم عقيبها بجملة خبرية موافقة في الكيفية للسؤال الناشئ منها وهو المقصود إفادته وعليه يدور فلك الإلزام
والتبكيت حسبما شرح فإذا جعل الموصول مما في حيز صلته من تتمة الجملة الاستفهامية فأين الذي يلقى إليهم عقيبها جواباً
عما نشأ منها من السؤال ليحصل به الإلزام والتبكيت وأما الجملة الآتية فبمعزل من صلاحية الجواب كيف لا ولا بد من موافقته في
الكيفية للسؤال الناشئ من الجملة الاستفهامية وقد عرفت أن السؤال الناشئ منها يستدعي وقوع الشر من تتمة المخبر عنه
لا خبراً كما في الجملة المذكورة وسيتضح ذلك مزيد اتضاح بإذن الله تعالى والمراد بالطاغوت العجل وقيل هو الكهنة وكل من
أطاعوه في معصية الله عز وجل فيعم الحكم دين النصارى أيضاً ويتضح وجه تأخير ذكر عبادته عن العقوبات المذكورة إذ لو قدمت
عليها لتوهم اشتراك الفريقين في تلك العقوبات ولما كان مآل ما ذكر بصدد التبكيت أن ما هو شر مما نقموه دينهم أو أن من
هو شر من أهل ما نقموه أنفسهم بحسب ما قدر من المضافين وكانت الشرية على كلا الوجهين من تتمة الموضوع غير مقصودة
الإثبات لدينهم أو لأنفسهم عقب ذلك بإثباتها لهم على وجه يشعر بعلية ما ذكر من القبائح لثبوتها لهم بجملة مستأنفة مسوقة
من جهته سبحانه شهادة عليهم بكمال الشرارة والضلال أو داخلة تحت الأمر تأكيداً للإلزام وتشديداً للتبكيت فقيل **أولئك
شر مكاناً** فاسم الإشارة عبارة عمن ذكرت صفاتهم الخبيثة وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الشرارة أي أولئك
الموصوفون بتلك القبائح والفضائح شر مكاناً جعل مكانهم شراً ليكون أبلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل شر مكاناً أي منصرفاً

واضل عن سواء السبيل عطف على شر مقرر له اي اكثر ضلالا عن الطريق المستقيم وفيه دلالة على كون دينهم شرا محضا بعيدا عن الحق لان ما
يسلكونه من الطريق دينهم فاذا كانوا اضل كان دينهم ضلالا مبينا لا غاية وراءه وصيغة التفضيل في الموضعين للزيادة مطلقا
بالاضافة الى من يشاركهم في اصل الشرارة والضلال واذا جاؤكم قالوا آمنا نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله
عليه وسلم والجمع للتعظيم او له مع من عنده من المسلمين اي اذا جاؤكم اظهروا الاسلام وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اي يخرجون من
عندك ملتبسين بالكفر كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا
وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا بما فيها من معنى التوقع ان امارات النفاق كانت
لائحة وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يظنه ويتوقع ان يظهره الله تعالى ولذلك قيل والله اعلم بما كانوا يكتمون اي من الكفر وفيه
وعيد شديد لهم وترى خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب والرؤية بصرية كثيرا منهم من اليهود والمنافقين
وقوله تع يسارعون في الاثم حال من كثيرا وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية والاول انسب بحالهم وظهور نفاقهم والمسارعة المبادرة
والمباشرة للشيء بسرعة وايثار كلمة في على كلمة الى الواقعة في قوله تع وسارعوا الى مغفرة الخ لما ذكر في قوله تع فترى كثيرا منهم
يسارعون فيهم والمراد بالاثم الكذب على الاطلاق وقيل الحرام وقيل كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل هو ما يختص بهم من الآثام
والعدوان اي الظلم المتعدي الى الغير ومجاوزة الحد في المعاصي واكلهم السحت اي الحرام خصه بالذكر مع اندراجه في الاثم للمبالغة في
التقبيح لبئس ما كانوا يعملون اي لبئس شيئا كانوا يعملونه والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار لولا ينهاهم الربانيون
والاحبار قال الحسن رضي الله عنه الربانيون علماء الانجيل والاحبار علماء التورية وقيل كلهم في اليهود وهو تحضيض للذين
يقتدى بهم افناؤهم ويعلمون قباحة ما هم فيه وسوء مغبته على نهي اسافلهم عن ذلك مع توبيخ لهم على تركه عن قولهم الاثم واكلهم
السحت مع علمهم بقبحهما ومشاهدتهم لمباشرتهم لهما لبئس ما كانوا يصنعون وهذا ابلغ مما قيل في حق عامتهم لان العمل لا يبلغ
درجة الصنع ما لم يتدرب فيه صاحبه ولم يحصل فيه مهارة تامة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية
لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ ذم وفيه مما ينعى على العلماء توانيهم في النهي عن المنكرات
ما لا يخفى وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها اشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية اخوف عندي منها وقالت اليهود قال
ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة والضحاك ان الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا واخصبهم ناحية
فلما عصوا الله تعالى بان كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف عنهم ما بسط عليهم فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء
يد الله مغلولة وحيث لم ينكر عليه الآخرون ورضوا به نسبت تلك العظيمة الى الكل كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد
منهم وارادوا بذلك لعنهم الله تعالى انه سبحانه ممسك يقتر بالرزق فان كلا من غل اليد وبسطها مجاز عن محض البخل والجود من
غير قصد في ذلك الى اثبات يد وغل او بسط الا ترى انهم يستعملونه حيث لا يتصور فيه ذلك كما في قوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل
شكرت نداه تلاعه ووهاده ولقد سلك لبيد هذا المسلك السديد حيث قال وغداة ريح قد شهدت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال
زمامها فانه انما اراد بذلك اثبات القدرة التامة للشمال على التصرف في القرة كيفما تشاء على طريقة المجاز من غير ان يخطر
بباله ان يثبت لها يدا او للقرة زماما واصله كناية فيما يجوز عليه ارادة المعنى الحقيقي كما مر في قوله تعالى ولا ينظر اليهم
يوم القيمة في سورة آل عمران وقيل ارادوا ما حكى عنهم بقوله تع لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم
دعاء عليهم بالبخل المذموم والمسكنة او بالفقر والنكد او بغل الايدي حقيقة بان يكونوا اسارى مغلولين في الدنيا ويسحبوا الى النار
باغلالها في الآخرة فتكون المطابقة ح من حيث اللفظ وملاحظة المعنى الاصلي كما في سبني سب الله دابره ولعنوا عطف على الدعاء
الاول اي ابعدوا من رحمة الله تعالى بما قالوا اي بسبب ما قالوا من الكلمة الشنعاء وقيل كلاهما خبر بل يداه مبسوطتان عطف على مقدر يقتضيه المقام

اي كلا ليس كذلك بل هو في غاية ما يكون من الجود واليه اشير بتثنية اليد فان اقصى ما ينتهي اليه همم الاسخياء ان يعطوا ما يعطونه بكلتا
يديهم وقيل على اعطائه اكراما وعلى اعطائه استدراجا ينفق كيف يشاء جملة مستانفة واردة لتاكيد كمال جوده وللتنبيه على سر
ما ابتلوا به من الضيق الذي اتخذوه من غاية جهلهم وضلالهم ذريعة الى الاجتراء على تلك الكفرة العظيمة والمعنى ان ذلك ليس لقصور
في فيضه بل لان انفاقه تابع لمشيئته المبنية على الحكم التي عليها يدور امر المعاش والمعاد وقد اقتضت الحكمة بسبب ما فيهم من شؤم
المعاصي ان يضيق عليهم كما يشير اليه ما سيأتي من قوله عز وعلا ولو انهم اقاموا التورية والانجيل الآية وكيف ظرف ليشاء والجملة
في محل النصب على الحالية من ضمير ينفق اي ينفق كائنا على اي حال يشاء اي كائنا على مشيئته اي مريدا او ترك ذكر ما ينفقه لقصد التعميم
وليزيدن كثيرا منهم وهم علماؤهم ورؤساؤهم ما انزل اليك من القرآن المشتمل على هذه الآيات وتقديم المفعول للاعتناء به
وتخصيص الكثير منهم بهذا الحكم لما ان بعضهم ليس كذلك من ربك متعلق بانزل كما ان اليك كذلك وتاخيره عنه مع ان حق المبدأ ان يتقدم
على المنتهى لاقتضاء المقام الاهتمام ببيان المنتهى لان مدار الزيادة هو النزول اليه عليه السلام كما في قوله تعالى وانزل لكم من
السماء ماء والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه صلى الله عليه وسلم طغيانا وكفرا مفعول ثان
للزيادة اي ليزيدنهم طغيانا على طغيانهم وكفرا على كفرهم القديمين اما من حيث الشدة والغلو واما من حيث الكم والكثرة اذ
كلما نزلت آية كفروا بها فيزداد طغيانهم وكفرهم بحسب المقدار كما ان الطعام الصالح للاصحاء يزيد المرضى مرضا والقينا بينهم
اي بين اليهود فان بعضهم جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مرجئة وبعضهم مشبهة العداوة والبغضاء فلا يكاد تتوافق قلوبهم
ولا تتطابق اقوالهم والجملة مبتداة مسوقة لازاحة ما عسى يتوهم من ذكر طغيانهم وكفرهم من الاجتماع على امر يؤدي الى الاضرار
بالمسلمين قيل العداوة اخص من البغضاء لان كل عدو مبغض بلا عكس كلي الى يوم القيمة متعلق بالقينا وقيل بالبغضاء كلما
اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله تصريح بما اشير اليه من عدم وصول غائلة ما هم فيه الى المسلمين اي كلما ارادوا محاربة الرسول
صلى الله عليه وسلم ورتبوا مباديها وركبوا في ذلك متن كل صعب وذلول ردهم الله تعالى وقهرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا
فانهم لما خالفوا حكم التورية سلط الله تعالى عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط الله تعالى عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا
فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب اما صلة لاوقدوا او متعلق بمحذوف وقع صفة لنارا اي كائنا للحرب
ويسعون في الارض فسادا اي يجتهدون في الكيد للاسلام واهله واثارة الشر والفتنة فيما بينهم مما يغاير ما عبر عنه بايقاد نار الحرب
وفسادا اما مفعول له او في موقع المصدر اي يسعون للفساد او يسعون سعي فساد والله لا يحب المفسدين ولذلك اطفا نائرة افسادهم
واللام اما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا واما للعهد ووضع المظهر مقام المضمر للتعليل وبيان كونهم راسخين في الافساد ولو ان اهل
الكتاب اي اليهود والنصارى على ان المراد بالكتاب الجنس المنتظم للتورية والانجيل وانما ذكروا بذلك العنوان تاكيدا للتشنيع فان
اهلية الكتاب توجب ايمانهم به واقامتهم له لا محالة فكفرهم به وعدم اقامتهم له وهم اهله اقبح من كل قبيح واشنع من كل شنيع
ومفعول قوله تعالى آمنوا محذوف ثقة بظهوره مما سبق من قوله تعالى هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل
من قبل وان اكثركم فاسقون وما لحق من قوله تع ولو انهم اقاموا التورية الى آخره اي لو انهم مع ما صدر عنهم من فنون
الجنايات قولا وفعلا آمنوا بما نعي عليهم الايمان به فيندرج فيه فرض ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم واما ارادة ايمانهم به عليه
السلام خاصة فيأباها المقام لان ما ذكر فيما سبق وما لحق من كفرهم به عليه السلام انما ذكر مسوقا بكفرهم بكتابهم ايضا قصدا
الى الالزام والتبكيت ببيان ان الكفر به عليه السلام مستلزم للكفر بكتابهم فحمل الايمان هنا على الايمان به عليه السلام خاصة مخل بتجاوب
اطراف النظم الكريم واتقوا ما عددنا من معاصيهم التي من جملتها مخالفة كتابهم لكفرنا عنهم سيئاتهم التي اقترفوها وان كانت في
غاية العظم ونهاية الكثرة ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم مع ذلك جنات النعيم وتكرير اللام لتاكيد الوعد وفيه تنبيه على كمال

عظم ذنوبهم وكثرة معاصيهم وأن الإسلام يجب ما قبله من السيئات وإن جلت وجاوزت كل حد معهود **ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل**
بمراعاة جميع ما فيهما من الأحكام التي من جملتها شواهد نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ومبشرات بعثته فإن إقامتهما إنما تكون بذلك لا بمراعاة
جميع ما فيهما من الأحكام لانتساخ بعضها بنزول القرآن فليست مراعاة الكل من إقامتهما في شيء **وما أنزل إليهم من ربهم** من القرآن المجيد
المصدق لكتبهم وإيراده بهذا العنوان للإيذان بوجوب إقامته عليهم لنزوله إليهم وللتصريح ببطلان ما كانوا يدعونه من عدم نزوله إلى بني
إسرائيل وتقديم إليهم لما مر من قبل وفي إضافة الرب إلى ضميرهم مزيد لطف بهم في الدعوة إلى الإقامة وقيل المراد بما أنزل إليهم كتب
أنبياء بني إسرائيل مثل كتاب شعياء وكتاب حبقوق وكتاب دانيال فإنها مملوءة بالبشارة بمبعثه صلى الله عليه وسلم **لأكلوا من فوقهم**
ومن تحت أرجلهم أي لوسع عليهم أرزاقهم بأن يفيض عليهم بركات السماء والأرض أو بأن يكثر ثمرات الأشجار وغلال الزروع أو بأن يرزقهم
الجنان اليانعة الثمار فيجتنوا ما تهدل منها من رؤس الأشجار ويلتقطوا ما تساقط منها على الأرض وقيل المراد المبالغة في شرح السعة
والخصب لا تعيين الجهتين كأنه قيل لأكلوا من كل جهة ومفعول أكلوا محذوف لقصد التعميم أو للقصد إلى نفس الفعل كما في قوله فلان يعطي ويمنع
ومن في الموضعين لابتداء الغاية وفي هاتين الشرطيتين من حثهم على ما ذكر من الإيمان والتقوى والإقامة بالوعد بنيل سعادة الدارين
وزجرهم عن الإخلال به ببيان إفضائه إلى الحرمان عنها وتنبيههم على أن ما أصابهم من الضنك والضيق إنما هو من شؤم جناياتهم لا لقصور في
فيض الفياض ما لا يخفى **منهم أمة مقتصدة** جملة مستأنفة مبنية على سؤال نشأ من مضمون الجملتين المصدرتين بحرف الامتناع الدالتين
على انتفاء الإيمان والاتقاء وإقامة الكتب المنزلة من أهل الكتاب كأنه قيل هل كلهم كذلك مصرون على عدم الإيمان إلخ فقيل منهم أمة
مقتصدة إما على أن منهم مبتدأ باعتبار مضمونه أي بعضهم أمة وإما بتقدير الموصوف أي بعض كائن منهم كما مر في قوله تعالى ومن الناس من
يقول آمنا بالله الآية أي طائفة معتدلة وهم المؤمنون منهم كعبد الله بن سلام وأضرابه وثمانية وأربعون من النصارى وقيل طائفة حالهم
أمم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم **وكثير منهم** مبتدأ لتخصصه بالصفة خبره **ساء ما يعملون** أي مقول في حقهم هذا القول أي بئس ما يعملون
وفيه معنى التعجب أي ما أسوأ عملهم من العناد والمكابرة وتحريف الحق والإعراض عنه والإفراط في العداوة وهم الأجلاف المتعصبون ككعب بن
الأشرف وأشباهه والروم **يا أيها الرسول** نودي عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة تشريفا له وإيذانا بأنها من موجبات الإتيان بما
أمر به من تبليغ ما أوحي إليه **بلغ ما أنزل إليك** أي جميع ما أنزل إليك من الأحكام وما يتعلق بها كائنا ما كان وفي قوله تعالى **من ربك** أي مالك
أمرك ومبلغك إلى كمالك اللائق بك عدة ضمنية بحفظه عليه السلام وكلاءته أي بلغه غير مراقب في ذلك أحدا ولا خائف أن ينالك مكروه أبدا
وإن لم تفعل أي ما أمرت به من تبليغ الجميع بالمعنى المذكور كما ينبئ عنه قوله تعالى **فما بلغت رسالته** فإن ما لا يتعلق به الأحكام أصلا من الأسرار
الخفية ليست مما يقصد تبليغه إلى الناس أي فما بلغت شيئا من رسالته والتعبير عما تعلق به بعنوان الرسالة بالمرة لما أن بعضها ليس
أولى بالأداء من بعض فإذا لم تؤد بعضها فكأنك أغفلت أداءها جميعا كما أن من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لإدلاء كل
منها بما يدليه غيرها وكونها كذلك في حكم شيء واحد ولا ريب في أن الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به ولأن كتمان بعضها إضاعة
لما أدي منها كترك بعض أركان الصلاة فإن غرض الدعوة ينتقض بذلك وقيل فكأنك ما بلغت شيئا منها كقوله تعالى فكأنما قتل الناس جميعا
من حيث إن كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب وقرئ فما بلغت رسالاته وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما إن كتمت آية
لم تبلغ رسالاتي وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فأوحى الله إلي إن لم تبلغ رسالاتي عذبتك
وضمن لي العصمة فقويت وذلك قوله تعالى **والله يعصمك من الناس** فإنه كما ترى عدة كريمة بعصمته من لحوق ضررهم بروحه العزيزة باعثة له عليه السلام
على الجد في تحقيق ما أمر به من التبليغ غير مكترث بعداوتهم وكيدهم وعن أنس رضي الله عنه أنه عليه السلام كان يحرس حتى نزلت فأخرج رأسه
من قبة آدم فقال انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمني الله من الناس وقوله تعالى **إن الله لا يهدي القوم الكافرين** تعليل لعصمته تعالى له عليه السلام أي
لا يمكنهم مما يريدون بك من الإضرار وإيراد الآية الكريمة في تضاعيف الآيات الواردة في حق أهل الكتاب لما أن الكل قوارع يسوء الكفار

190

سماعها ويشق على الرسول صلى الله عليه وسلم مشافهتهم بها وخصوصا ما يتلوها من النص الناعي عليهم كمال ضلالهم ولذلك أعيد الأمر
فقيل **قل يا أهل الكتاب** مخاطبا للفريقين **لستم على شيء** أي دين يعتد به ويليق بأن يسمى شيئا لظهور بطلانه ووضوح فساده
وفي هذا التعبير من التحقير والتصغير ما لا غاية وراءه **حتى تقيموا التوراة والإنجيل** أي تراعوهما وتحافظوا على ما فيهما من
الأمور التي من جملتها دلائل رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته فإن إقامتهما إنما تكون بذلك وأما مراعاة
أحكامهما المنسوخة فليست من إقامتهما في شيء بل هي تعطيل لهما ورد لشهادتهما لأنهما شاهدان بنسخها وانتهاء وقت العمل
بها لأن شهادتهما بصحة ما ينسخها شهادة بنسخها وخروجها عن كونها من أحكامهما وأن أحكامهما ما قرره النبي الذي بشر فيهما
ببعثته وذكر في تضاعيفهما نعوته فإذن إقامتهما بيان شواهد النبوة والعمل بما قررته الشريعة من الأحكام كما يفصح عنه
قوله تعالى **وما أنزل إليكم من ربكم** أي القرآن المجيد بالإيمان به فإن إقامة الجميع لا تتأتى بغير ذلك وتقديم إقامة الكتابين على
إقامته مع أنها المقصودة بالذات لرعاية حق الشهادة واستنزالهم عن رتبة الشقاق وإيراده بعنوان الإنزال إليهم لما مر
من التصريح بأنهم مأمورون بإقامته والإيمان به لا كما يزعمون من اختصاصه بالعرب وفي إضافة الرب إلى ضميرهم ما أشير إليه من
اللطف في الدعوة وقيل المراد بما أنزل إليهم كتب أنبياء بني إسرائيل كما مر وقيل الكتب الإلهية فإنها بأسرها آمرة بالإيمان
لمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن جماعة من اليهود قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ألست تقر أن التوراة حق من عند الله فقال عليه السلام بلى فقالوا فإنا نؤمن بها ولا نؤمن بغيرها فنزلت
وقوله تعالى **وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا** جملة مستأنفة مبينة لشدة شكيمتهم وغلوهم في
المكابرة والعناد وعدم إفادة التبليغ نفعا وتصديرها بالقسم لتأكيد مضمونها وتحقيق مدلولها والمراد بالكثير المذكور
علماؤهم ورؤساؤهم ونسبة الإنزال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نسبته فيما مر إليهم للإنباء عن انسلاخهم عن
تلك النسبة **فلا تأس على القوم الكافرين** أي لا تتأسف ولا تحزن عليهم لإفراطهم في الطغيان والكفر بما تبلغه إليهم فإن غائلته آيلة
إليهم وتبعته حائقة بهم لا تتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالرسوخ في الكفر **إن**
الذين آمنوا كلام مستأنف مسوق لترغيب من عدا المذكورين في الإيمان والعمل الصالح أي الذين آمنوا بألسنتهم فقط وهم المنافقون
وقيل أعم من أن يواطئها قلوبهم أو لا **والذين هادوا** أي دخلوا في اليهودية **والصابئون والنصارى** جمع نصران وقد مر تفصيله
في سورة البقرة وقوله تعالى والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز إن والتقدير إن الذين
آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كيت وكيت والصابئون كذلك كقوله وإني وقيار بها لغريب وقوله وإلا فاعلموا أنا وأنتم
بغاة ما بقينا في شقاق خلاف وتوسطه بين اسم إن وخبرها للدلالة على أن الصابئين مع ظهور ضلالهم وزيغهم عن الأديان كلها
حيث قبلت توبتهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح فغيرهم أولى بذلك وقيل الجملة الآتية خبر للمبتدأ المذكور وخبر إن مقدر
كما في قوله نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف وقيل والنصارى مرفوع على الابتداء كقوله تعالى والصابئون عطفا
عليه وهو مع خبره عطف على الجملة المصدرة بإن ولا مساغ لعطفه وحده على محل إن واسمها لاشتراط ذلك بالفراغ عن الخبر
وإلا لارتفع الخبر بإن والابتداء معا واعتذر عنه بأن ذلك إذا كان المذكور خبرا لهما وأما إذا كان خبر المعطوف محذوفا فلا
محذور فيه ولا على الضمير في هادوا لعدم التأكيد والفصل ولاستلزامه كون الصابئين هودا وقرئ والصابيون بياء
صريحة تخفيف الهمزة وقرئ والصابون وهو من صبا يصبو لأنهم صبوا إلى اتباع الهوى والشهوات في دينهم وقرئ
والصابئين وقرئ يا أيها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون وقوله تعالى **من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا**
إما في محل الرفع على أنه مبتدأ خبره **فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط وجمع الضمائر الأخيرة باعتبار

معنى الموصول كان افراد ما في صلته باعتبار لفظه والجملة خبر ان والعائد الى اسمها محذوف اي من آمن منهم واما في محل النصب على انه
خبر اسم ان وما عطف عليه والخبر قوله تع فلا خوف والفاء كما في قوله تع ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم
الآية فالمعنى على تقدير كون المراد بالذين آمنوا المنافقين وهو الاظهر من احدث من هذه الطوائف ايمانا خالصا بالمبداء والمعاد
على الوجه اللائق لا كما زعمه اهل الكتاب فان ذلك بمعزل من ان يكون ايمانا بهما وعمل عملا صالحا تقتضيه الايمان بهما فلا خوف عليهم
حين يخاف الكفار العقاب ولا هم يحزنون حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما
لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام
والاستمرار بحسب المقام واما على تقدير كون المراد بالذين آمنوا مطلق المتدينين بدين الاسلام المخلصين منهم والمنافقين فالمراد
بمن آمن من اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبداء والمعاد على الاطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كما هو
شأن المخلصين او بطريق احداثه وانشائه كما هو حال من عداهم من المنافقين وسائر الطوائف وفائدة التعميم للمخلصين المبالغة
في ترغيب الباقين في الايمان ببيان ان تأخرهم في الاتصاف به غير مخل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين الاعلام واما ما قيل
المعنى من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبداء والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا سبيل اليه اصلا كما مر تفصيله في
سورة البقرة **لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل** كلام مبتدأ مسوق لبيان بعض آخر من جنايات المنادية باستبعاد الايمان منهم
اي بالله لقد اخذنا ميثاقهم بالتوحيد وسائر الشرائع والاحكام المكتوبة عليهم في التورية **وارسلنا اليهم رسلا** ذوو عدد
كثير واولو شأن خطير ليقرروهم على مراعاة حقوق الميثاق ويطلعوهم على ما يأتون وما يذرون في دينهم ويتعهدوهم بالعظة
والتذكير وقوله تع **كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم** جملة شرطية مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الاخبار بأخذ
الميثاق وارسال الرسل وجواب الشرط محذوف كأنه قيل فماذا فعلوا بالرسل فقيل كلما جاءهم رسول منهم من اولئك الرسل بما لا تحبه
انفسهم المنهمكة في الغي والفساد من الاحكام الحقة والشرائع عصوه وعادوه وقوله تع **فريقا كذبوا وفريقا يقتلون** جواب مستأنف
عن استفسار كيفية ما اظهروه من آثار المخالفة المفهومة من الشرطية على طريقة الاجمال كأنه قيل كيف فعلوا بهم فقيل فريقا منهم
كذبوه من غير ان يتعرضوا لهم بشيء آخر من المضادة وفريقا آخر منهم لم يكتفوا بتكذيبهم بل قتلوهم ايضا وانما اوثر عليه
صيغة المضارع على حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها الهائلة للتعجيب منها وللتنبيه على ان ذلك ديدنهم المستمر وللمحافظة
على رؤس الآي الكريمة وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام به وتشويق السامع الى ما فعلوا به لا للقصر هذا واما جعل الشرطية
صفة لرسلا كما ذهب اليه الجمهور فلا يساعده المقام اصلا ضرورة ان الجملة الخبرية اذا جعلت صفة او صلة ينسلخ ما فيها من
الحكم ويجعل عنوانا للموصوف وتتمة له في اثبات امر آخر له ولذلك يجب ان يكون الوصف معلوم الانتساب الى الموصوف عند السامع قبل
جعله وصفا له ومن ههنا قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات ولا ريب في ان ما سيق له النظم الكريم
انما هو بيان انهم جعلوا كل من جاءهم من رسل الله تعالى عرضة للقتل والتكذيب حسبما يفيده جعلها استينافا على ابلغ وجه واكده
لا بيان انه تعالى ارسل اليهم رسلا موصوفين بان يكون كل منهم كذلك كما هو مقتضى جعلها صفة **وحسبوا الا تكون فتنة** اي حسب بنو
اسرائيل ان لا يصيبهم من الله تعالى بما اتوا من الداهية الدهياء والخطة الشنعاء بلاء وعذاب وقرئ لا تكون بالرفع على ان
ان هي المخففة من ان واسمها ضمير الشأن المحذوف واصله انه لا تكون فتنة وتعليق فعل الحسبان بها وهي للتحقيق لتنزيله منزلة
العلم لكمال قوته وان وما في حيزها ساد مسد مفعوليه **فعموا** عطف على حسبوا والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها اي
امنوا بأس الله تعالى فتمادوا في فنون الغي والفساد **وصموا** عن الدين بعد ما هداهم الرسل الى معالمه الظاهرة وبينوا لهم
مناهجه الواضحة وصموا عن استماع الحق الذي القوه عليهم ولذلك فعلوا بهم ما فعلوا وهذا اشارة الى المرة الاولى من مرتي

افساد بني اسرائيل حين خالفوا احكام التورية وركبوا المحارم وقتلوا شعيا وقيل حبسوا ارميا عليهما السلام لا الى عبادتهم العجل بالكلية
فانها وان كانت معصية عظيمة ناشئة عن كمال العمى والصمم لكنها في عصر موسى عليه السلام ولا تعلق لها بما حكي عنهم مما فعلوا بالرسل
الذين جاؤهم بعده عليه السلام باعصار **ثم تاب الله عليهم** حتى تابوا ورجعوا عما كانوا عليه من الفساد بعد ما كانوا ببابل دهرا طويلا تحت
قهر بخت نصر اسارى في غاية الذل والمهانة فوجه الله عز وجل ملكا عظيما من ملوك فارس الى بيت المقدس ليعمره ونجى بقايا بني
اسرائيل من اسر بخت نصر بعد مهلكه وردهم الى وطنهم وتراجع من تفرق منهم في الاكناف فعمروه ثلثين سنة فكثروا وكانوا كاحسن
ما كانوا عليه وقيل لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده كشتاسف القى الله عز وجل في قلبه شفقة عليهم فردهم الى الشام
وملك عليهم دانيال عليه السلام فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر فقامت فيهم الانبياء فرجعوا الى احسن ما كانوا عليه
من الحال وذلك قوله تع ثم رددنا لكم الكرة عليهم واما ما قيل من ان المراد قبول توبتهم عن عبادة العجل فقد عرفت ان ذلك لا تعلق له
بالمقام ولم يسند التوبة اليهم كسائر احوالهم من الحسبان والعمى والصمم تجافيا عن التصريح بنسبة الخير اليهم وانما اشير اليها في ضمن
بيان توبته تعالى عليهم تمهيدا لبيان نقضهم اياها بقوله تع **ثم عموا وصموا** وهو اشارة الى المرة الآخرة من مرتي افسادهم وهو
اجتراؤهم على قتل زكريا ويحيى وقصدهم قتل عيسى عليهم السلام لا الى طلبهم الرؤية كما قيل لما عرفت سره فان فنون الجنايات
الصادرة عنهم لا تكاد تتناهى خلا ان انحصار ما حكي عنهم ههنا في المرتين وترتبه على حكاية ما فعلوا بالرسل عليهم السلام يقضي بان
المراد ما ذكرناه والله عنده علم الكتاب وقرئ عموا وصموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم اي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما
يقال تركته اذا ضربته بالترك وركبته اذا ضربته بركبتك وقوله تع **كثير منهم** بدل من الضمير في الفعلين وقيل خبر مبتدأ محذوف اي اولئك
كثير منهم **والله بصير بما يعملون** اي عملوا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها الفظيعة ورعاية للفواصل
والجملة تذييل اشير به الى بطلان حسبانهم المذكور ووقوع العذاب من حيث لم يحتسبوا اشارة اجمالية اكتفي بها تعويلا على ما فصل
نوع تفصيل في سورة بني اسرائيل والمعنى حسبوا ان لا يصيبهم عذاب ففعلوا ما فعلوا من الجنايات العظيمة المستوجبة لاشد العقوبات والله
بصير بتفاصيلها فكيف لا يؤاخذهم بها ومن اين لهم ذلك الحسبان الباطل ولقد وقع ذلك في المرة الاولى حيث سلط الله تعالى
عليهم بخت نصر عامل لهراسب على بابل وقيل جالوت الجزري وقيل سنحاريب من اهل نينوى والاول هو الاظهر فاستولى على
بيت المقدس فقتل من اهله اربعين الفا ممن يقرأ التورية وذهب بالبقية الى ارضه فبقوا هناك على اقصى ما يكون من الذل والنكد
الى ان احدثوا توبة صحيحة فردهم الله عز وعلا الى ما حكي عنهم من حسن الحال ثم عادوا الى المرة الآخرة من الافساد فبعث الله تعالى
عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه خودرود وقيل حردوس ففعل بهم ما فعل قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم
فوجد فيها دما يغلي فسألهم فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه الوفا منهم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت
منكم احدا فقالوا انه دم يحيى عليه السلام فقال بمثل هذا ينتقم الله تعالى منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من
اجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدأ **لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم** شروع في تفصيل قبائح النصارى
وابطال اقوالهم الفاسدة بعد تفصيل قبائح اليهود وهؤلاء هم الذين قالوا ان مريم ولدت الها قيل هم الملكانية والمارية
اليعقوبية منهم وقيل هم اليعقوبية خاصة قالوا ومعنى هذا ان الله تعالى حل في ذات عيسى واتحد بذاته تعالى الله عن ذلك علوا
كبيرا **وقال المسيح** حال من فاعل قالوا بتقدير قد مفيدة لمزيد تقبيح حالهم ببيان تكذيبهم للمسيح وعدم انزجارهم عما اصروا عليه
او عدمهم بها اي قالوا ذلك وقد قال المسيح مخاطبا لهم **يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم** فاني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي
وخالقكم **انه** اي الشأن **من يشرك بالله** اي شيئا في عبادته او فيما يختص به من صفات الالوهية **فقد حرم الله عليه الجنة** فلن يدخلها ابدا
كما لا يصل المحرم عليه الى المحرم فانها دار الموحدين واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتهويل الامر وتربية المهابة **ومأواه النار** فانها هي المعدة

للمشركين وهذا بيان لابتلائهم بالعقاب اثر بيان حرمانهم الثواب **وما للظالمين من انصار** اي ما لهم من احد ينصرهم بانقاذهم من النار اما بطريق المغالبة
او بطريق الشفاعة والجمع لمراعاة المقابلة بالظالمين واللام فيه للعهد والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضماير الثلثة باعتبار
لفظها واما للجنس فهم داخلون فيه دخولا اوليا ووضعه على الاول موضع الضمير للتسجيل عليهم بانهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق
الحق والجملة تذييل مقرر لما قبله وهو اما من تمام كلام عيسى عليه السلام واما وارد من جهته تعالى تأكيدا لمقالته عليه السلام وتقريرا
لمضمونها وقد قيل انه من كلامه عز وجل على معنى انهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى عليه السلام فلذلك لم يساعدهم
عليه ولم ينصر قولهم ورده وانكره وان كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره او من قول عيسى عليه السلام على معنى لا
ينصركم احد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول وانت خبير بان التعبير عما حكي عنه عليه السلام من مقابلته
لقولهم الباطل بصريح الرد والانكار والوعيد بحرمان الجنة ودخول النار بمجرد عدم مساعدته على ذلك ونفي نصرته له مع خلوه عن
الفائدة تصوير للقوي بصورة الضعيف وتهوين للخطب في مقام تهويله بل ربما يوهم ذلك بحسب الظاهر ما لا يليق بشأنه عليه السلام
من توهم المساعدة والنصرة لا سيما مع ملاحظة قوله وان كانوا معظمين له الى الان الا ان يحمل الكلام على التهكم بهم وكذا الحال
على تقدير كونه من تمام كلامه عليه السلام فان زجره اياهم عن قولهم الفاسد بما ذكر من عدم الناصر والمساعد بعد زجره اياهم بما تم
من الرد الاكيد والوعيد الشديد بمعزل من الافادة والتأثير ولا سبيل ههنا الى الاعتذار بالتهكم **لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة**
شروع في بيان كفر طائفة اخرى منهم ومعنى قولهم ثالث ثلثة ورابع اربعة ونحو ذلك احد هذه الاعداد مطلقا لا الثالث
والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور ان ينصب ما بعده بان يقال ثالث ثلاثة ورابع اربعة وانما ينصبه اذا كان ما بعده دونه بمرتبة
كما في قولك عاشر تسعة وتاسع ثمانية قيل انهم يقولون ان الالهية مشتركة بين الله سبحانه وتعالى وعيسى ومريم وكل واحد من هؤلاء
اله ويؤكده قوله تعالى للمسيح أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فقوله تعالى ثالث ثلثة اي احد ثلثة آلهة
وهو المتبادر من ظاهر قوله تعالى **وما من اله الا اله واحد** اي والحال انه ليس في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ
جميع الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق وقيل انهم يقولون الله جوهر واحد ثلثة
اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم و
بالثالث الحيوة فمعنى قوله تعالى وما من اله الا اله واحد الا اله واحد بالذات منزه عن شائبة التعدد بوجه من الوجوه **وان لم
ينتهوا عما يقولون** من الكفر الشنيع ولم يوحدوا وقوله تعالى **ليمسن الذين كفروا** جواب قسم محذوف ساد مسد جواب الشرط اي وبالله ان لم
ينتهوا ليمسنهم وانما وضع موضعه الموصول لتكرير الشهادة عليهم بالكفر ومن في قوله تعالى **منهم** بيانية او ليمسن الذين بقوا منهم
على ما كانوا عليه من الكفر فمن تبعيضية وانما جيء بالفعل المنبئ عن الحدوث تنبيها على ان الاستمرار عليه بعد ورود ما ينعى عليه بالقلع من
نص عيسى عليه السلام وغيره كفر جديد وغلو زائد على ما كانوا عليه من اصل الكفر **عذاب اليم** اي نوع شديد الالم من العذاب والهمزة الاستفهام
في قوله تعالى **افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه** لانكار الواقع واستبعاده لا لانكار الوقوع وفيه تعجيب من اصرارهم والفاء للعطف على
مقدر يقتضيه المقام اي الا ينتهون عن تلك العقائد الزائغة والاقاويل الباطلة فلا يتوبون الى الله الحق ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه
عما نسبوه اليه من الاتحاد والحلول فمدار الانكار والتعجيب عدم الانتهاء وعدم التوبة معا او يسمعون هذه الشهادات المكررة والتشديدات
المقررة فلا يتوبون عقيب ذلك فمدارهما عدم التوبة عقيب تحقق ما يوجبها من سماع تلك القوارع الهائلة وقوله عز وجل **والله غفور رحيم**
جملة حالية من فاعل يستغفرونه مؤكدة للانكار والتعجيب من اصرارهم على الكفر وعدم مسارعتهم الى الاستغفار اي والحال انه تعالى مبالغ
في المغفرة فيغفر لهم عند استغفارهم ويمنحهم من فضله **ما المسيح ابن مريم الا رسول** استئناف مسوق لتحقيق الحق الذي لا محيد عنه وبيان حقيقة
حاله عليه السلام وحال امه بالاشارة اولا الى اشرف ما لهما من نعوت الكمال التي بها صارا من زمرة اكمل افراد الجنس وآخرا الى الوصف المشترك

بينهما وبين جميع افراد البشر بل افراد الحيوان استنزالا لهم بطريق التدريج عن رتبة الاصرار على ما تقولوا عليهما وارشادا لهم الى التوبة والاستغفار
مقصور على الرسالة لا يكاد يتخطاها وقوله تعالى **قد خلت من قبله الرسل** صفة لرسول منبئة عن اتصافه بما ينافي الالوهية فان خلو الرسل السالفة
عليهم السلام منذر بخلوه المقتضي لاستحالة الوهيته اي ما هو الا رسول كالرسل الخالية من قبله خصه الله تعالى ببعض من الآيات كما خص كلا
منهم ببعض آخر منها فان احيى الموتى على يده فقد احيي العصا في يد موسى وجعلت حية تسعى وهو اعجب منه وان خلق من غير اب فقد خلق
آدم من غير اب ولا ام وهو اغرب منه وكل ذلك من جنابه عز وجل وانما عيسى وموسى مظاهر لشؤونه وافعاله **وامه صديقة** اي وما
امه ايضا الا كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق والتصديق ويبالغن في الاتصاف به فما رتبتهما الا رتبة بشرين احدهما نبي
والآخر صحابي فمن اين لكم ان تصفوهما بما لا يوصف به سائر الانبياء وخواصهم **كانا ياكلان الطعام** استئناف مبين لما اشير اليه
من كونهما كسائر افراد البشر في الاحتياج الى ما يحتاج اليه كل فرد من افراد الحيوان وقوله عز وجل **انظر كيف نبين لهم الآيات**
تعجيب من حال الذين يدعون لهما الربوبية ولا يرعوون عن ذلك بعد ما بين لهم حقيقة حالهما بيانا لا يحوم حوله شائبة ريب وكيف
نبين لهم الآيات الباهرة المنادية ببطلان ما تقولوا عليهما نداء يكاد يسمعه صم الجبال **ثم انظر انى يؤفكون** اي كيف يصرفون
عن استماعها والتأمل فيها والكلام فيه كما مر فيما قبله وتكرير الامر بالنظر للمبالغة في التعجيب وثم لاظهار ما بين العجبين من التفاوت
اي ان بياننا للآيات امر بديع في بابه بالغ لاقاصي الغايات القاصية من التحقيق والايضاح واعراضهم عنها مع انتفاء ما يصححه بالمرة
وتعاضد ما يوجب قبولها اعجب وابدع **قل** امر له صلى الله عليه وسلم بالزامهم وتبكيتهم اثر تعجيبه من احوالهم **اتعبدون من دون الله** اي
متجاوزين اياه وتقديمه على قوله تعالى **ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا** لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والموصول عبارة
عن عيسى عليه السلام واشارة على كلمة من لتحقيق ما هو المراد من كونه بمعزل من الالوهية رأسا ببيان انتظامه عليه السلام في سلك الاشياء
التي لا قدرة لها على شيء اصلا وهو عليه السلام وان كان يملك ذلك بتمليكه تعالى اياه لكنه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر به الله تعالى
من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة وتقديم الضر على النفع لان التحرز عنه اهم من تحري النفع ولان ادنى درجات التأثير
دفع الشر ثم جلب الخير وقوله تعالى **والله هو السميع العليم** حال من فاعل تعبدون مؤكد للانكار والتوبيخ ومقرر للالزام والتبكيت والرابط
هو الواو اي اتشركون بالله تعالى ما لا يقدر على شيء من ضركم ونفعكم والحال ان الله تعالى هو المختص بالاحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات
التي من جملتها ما انتم عليه من الاقوال الباطلة والعقائد الزائغة والاعمال السيئة وبالقدرة الباهرة على جميع المقدورات التي من جملتها
مضاركم ومنافعكم في الدنيا والآخرة **قل يا اهل الكتاب** تلوين للخطاب وتوجيه له الى فريقي اهل الكتاب على لسان النبي صلى الله عليه وسلم
بعد ابطال مسلك كل منهما للمبالغة في زجرهم عما سلكوه من المسلك الباطل وارشادهم الى الامم المبين **لا تغلوا في دينكم** اي لا تتجاوزوا
الحد وهو نهي للنصارى عن رفع عيسى عن رتبة الرسالة الى ما تقولوا في حقه من العظيمة ولليهود عن وضعهم له عليه السلام عن رتبته العلية
الى ما تقولوا عليه من الكلمة الشنعاء وقيل هو خاص بالنصارى كما في سورة النساء فذكرهم بعنوان اهلية الكتاب لتذكيرهم الانجيل
الناهي لهم عن الغلو وقوله تعالى **غير الحق** نصب على انه نعت لمصدر محذوف اي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق اي غلوا باطلا او حال من
ضمير الفاعل اي لا تغلوا مجاوزين الحق او من دينكم اي لا تغلوا في دينكم حال كونه باطلا وقيل نصب على الاستثناء المتصل وقيل على المنقطع
ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل هم اسلافهم وائمتهم الذين قد ضلوا من الفريقين او من النصارى على القولين قبل مبعث
النبي صلى الله عليه وسلم في شريعتهم **واضلوا كثيرا** اي قوما كثيرا ممن شايعهم في الزيغ والضلال او اضلالا كثيرا والمفعول محذوف
وضلوا عند بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وتوضيح محجة الحق وتبيين مناهج الاسلام **عن سواء السبيل** حين كذبوه وحسدوه وبغوا
عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني الى ضلالهم عما جاء به الشرع **لعن الذين كفروا** اي لعنهم الله عز وجل وبناء
الفعل للمفعول للجري على سنن الكبرياء **من بني اسرائيل** متعلق بمحذوف وقع حالا من الموصول او من فاعل كفروا وقوله تعالى **على لسان**

داود وعيسى بن مريم متعلق بلعن اي لعنهم الله تعالى في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت قال داود عليه السلام
اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخهم الله تعالى قردة واصحاب المائدة لما كفروا قال عيسى عليه السلام اللهم عذب من كفر بعد ما اكل من
المائدة عذابا لم تعذبه احدا من العالمين والعنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي
ذلك اشارة الى اللعن المذكور وايثاره على الضمير للتنبيه على كمال ظهوره وامتيازه على نظائره وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة
وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال فظاعته وبعد درجته في الشناعة والهول وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بما عصوا وكانوا يعتدون والجملة مستأنفة
واقعة موقع الجواب عما نشأ من الكلام كأنه قيل بأي سبب وقع ذلك فقيل ذلك اللعن الهائل الفظيع بسبب عصيانهم واعتدائهم المستمر
كما يفيد الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل وينبئ عنه قوله تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه فانه استئناف مفيد بعبارته لاستمرار
عدم التناهي عن المنكر ولا يمكن استمراره الا باستمرار تعاطي المنكرات وليس المراد بالتناهي ان ينهى كل واحد منهم الآخر عما يفعله من
المنكر كما هو المعنى المشهور لصيغة التفاعل بل مجرد صدور النهي عن اشخاص متعددة من غير اعتبار ان يكون كل واحد منهم ناهيا ومنهيا
معا كما في تراءوا الهلال وقيل التناهي بمعنى الانتهاء يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه فالجملة حينئذ مفسرة
لما قبلها من المعصية والاعتداء ومفيدة لاستمرارهما صريحا وعلى الاول مفيدة لاستمرار انتفاء النهي عن المنكر بأن لا يوجد فيما بينهم
من يتولاه في وقت من الاوقات ومن ضرورته استمرار فعل المنكر حسبما سبق وعلى كل تقدير فما يفيده تنكير المنكر من الوحدة نوعية
لا شخصية فلا يقدح وصفه بالفعل الماضي في تعلق النهي به لما ان متعلق الفعل انما هو فرد من افراد ما يتعلق به النهي والانتهاء
من مطلق المنكر باعتبار تحققه في ضمن اي فرد كان من افراده على ان المضي المعتبر في الصفة انما هو بالنسبة الى زمان النزول لا الى
زمان النهي حتى يلزم كون النهي بعد الفعل فلا حاجة الى تقدير المعاودة والمثل او جعل الفعل عبارة عن الارادة على ان المعاودة
كالنهي لا تتعلق بالمنكر المفعول فلا بد من المصير الى احد ما ذكر من الوجهين اولا الى تقدير المثل او الى جعل الفعل عبارة عن ارادته وفي
كل ذلك تعسف لا يخفى لبئس ما كانوا يفعلون تقبيح لسوء اعمالهم وتعجيب منه بالتوكيد القسمي كيف لا وقد اداهم الى ما شرح من اللعن
الكبير وليس في تسبيبه بذلك دلالة على خروج كفرهم عن السببية مع الاشارة الى سببيته له فيما سبق من قوله تعالى لعن الذين كفروا
فان اجراء الحكم على الموصول مشعر بعليته ما في حيز الصلة له لما ان ما ذكر في حيز السببية مشتمل على كفرهم ايضا ترى كثيرا منهم
اي من اهل الكتاب ككعب بن الاشرف واضرابه حيث خرجوا الى مشركي مكة ليتفقوا على محاربة النبي صلى الله عليه وسلم والرؤية
بصرية وقوله تعالى يتولون الذين كفروا حال من كثيرا لكونه موصوفا اي يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين وقيل من منافقي اهل الكتاب يتولون اليهود وهو قول ابن عباس ومجاهد والحسن رضي الله تعالى عنهم وقيل يوالون المشركين
ويصافونهم لبئس ما قدمت لهم انفسهم لبئس شيئا قدموا ليردوا عليه يوم القيمة ان سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تنبيها على كمال التعلق والارتباط بينهما كأنهما شيء واحد ومبالغة في الذم اي موجب
سخطه تعالى ومحله الرفع على الابتداء والجملة قبله خبره والرابط عند من يشترطه هو العموم او لا حاجة اليه لان الجملة عين المبتدأ
او على انه خبر لمبتدأ محذوف تنبئ عنه الجملة المتقدمة كأنه قيل ما هو او اي شيء هو فقيل هو ان سخط الله عليهم وقيل المخصوص
بالذم محذوف وما اسم تام معرفة في محل رفع بالفاعلية لفعل الذم وقدمت لهم انفسهم جملة في محل الرفع على انها صفة للمخصوص
بالذم قائمة مقامه والتقدير لبئس الشيء شيء قدمت لهم انفسهم فقوله تعالى ان سخط الله عليهم بدل من شيء المحذوف وهذا مذهب سيبويه
وفي العذاب اي عذاب جهنم هم خالدون ابد الآبدين ولو كانوا اي الذين يتولون المشركين من اهل الكتاب يؤمنون بالله والنبي
اي نبيهم وما انزل اليه من الكتاب او لو كان المنافقون يؤمنون بالله ونبينا ايمانا صحيحا ما اتخذوهم اي المشركين واليهود
اولياء فان الايمان بما ذكر وازع عن توليهم قطعا ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن الدين والايمان بالله ونبيهم وكتابهم

او متمردون في النفاق مفرطون فيه لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا جملة مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها من
قبائح اليهود وعراقتهم في الكفر وسائر احوالهم الشنيعة التي من جملتها موالاتهم للمشركين اكدت بالتوكيد القسمي اعتناء ببيان تحقق مضمونها
والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد صالح له ايذانا بان حالهم مما لا يخفى على احد من الناس والوجدان متعد الى اثنين احدهما
اشد الناس والثاني اليهود وما عطف عليه وقيل بالعكس لانهما في الاصل مبتدأ او خبر ومصب الفائدة هو الخبر لا المبتدأ ولا ضير في التقديم
والتأخير اذا دل على الترتيب دليل وههنا دليل واضح عليه وهو ان المقصود بيان كون الطائفتين اشد الناس عداوة للمؤمنين لا كون
اشدهم عداوة لهم الطائفتين المذكورتين وانت خبير بانه بمعزل من الدلالة على ذلك كيف لا والافادة في الصورة الثانية اتم
واكمل مع خلوها عن تعسف التقديم والتأخير اذ المعنى انك ان قصدت ان تعرف من اشد الناس عداوة للمؤمنين وتتبعت احوال
الطوائف طرا واحطت بما لديهم خبرا وبالغت في تعرف احوالهم الظاهرة والباطنة وسعيت في تطلب ما عندهم من الامور البارزة
والكامنة لتجدن الاشد تينك الطائفتين لا غير فتأمل واللام الداخلة على الموصول متعلقة بعداوة مقوية لعملها ولا يضر
كونها مؤنثة بالتاء لانها مبنية عليها كما في قوله ورهبة عقابك وقيل متعلقة بمحذوف هو صفة لعداوة اي كائنة للذين آمنوا
وصفهم الله تعالى بذلك لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وقربهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم
على التمرد والاستعصاء على الانبياء والاجتراء على تكذيبهم ومناصبتهم وفي تقديم اليهود على المشركين بعد لزومهما في قرن واحد
اشعار بتقدمهم عليهم في العداوة كما ان في تقديمهم عليهم في قوله تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا
ايذانا بتقدمهم عليهم في الحرص ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا اعيد الموصول مع صلته روما لزيادة التوضيح والبيان الذين قالوا
انا نصارى عبر عنهم بذلك اشعارا بقرب مودتهم حيث يدعون انهم انصار الله واوداء اهل الحق وان لم يظهروا اعتقاد حقية
الاسلام وعلى هذه النكتة مبني الوجه الثاني في تفسير قوله تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم والكلام في مفعولي لتجدن
وتعلق اللام كالذي سبق والعدول عن جعل ما فيه التفاوت بين الفريقين شيئا واحدا قد تفاوتا فيه بالشدة والضعف او
بالقرب والبعد بان يقال آخرا ولتجدن اضعفهم عداوة الخ او بان يقال اولا لتجدن ابعد الناس مودة الخ للايذان بكمال تباين ما
بين الفريقين من التفاوت ببيان ان احدهما في اقصى مراتب احد النقيضين والآخر في اقرب مراتب النقيض الآخر ذلك اي كونهم
اقرب مودة للمؤمنين بان منهم اي بسبب ان منهم قسيسين وهم علماء النصارى وعبادهم ورؤساؤهم والقسيس صيغة مبالغة
من تقسس الشيء اذا تتبعه وطلبه بالليل سموا به لمبالغتهم في تتبع العلم قاله الراغب وقيل القس بفتح القاف تتبع الشيء ومنه سمي
عالم النصارى قسيسا لتتبعه العلم وقيل قص الاثر وقسه بمعنى وقيل انه اعجمي وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وقيل
ضيعت النصارى الانجيل وما فيه وبقي منهم رجل يقال له قسيسا لم يبدل دينه فمن راعى هديه ودينه قيل له قسيس ورهبانا هو جمع راهب
كراكب وركبان وفارس وفرسان وقيل انه يطلق على الواحد وعلى الجمع وانشد فيه قول من قال لو عاينت رهبان دير في قلل لاقبل
الرهبان يعدو ونزل والترهب التعبد في الصومعة قال الراغب الرهبانية الغلو في تحمل التعبد من فرط الخوف والتنكير لافادة
الكثرة لا بد من اعتبارها في القسيسين ايضا اذ هي التي تدل على مودة جنس النصارى للمؤمنين فان اتصاف افراد كثيرة بجنس بخصلة
مظنة لاتصاف الجنس بها والا فمن اليهود ايضا قوم مهتدون الا ترى الى عبد الله بن سلام واضرابه قال تعالى من اهل الكتاب امة قائمة
يتلون آيات الله اناء الليل وهم يسجدون الى آخره لكنهم لما لم يكونوا في الكثرة كالذين من النصارى لم يتعد حكمهم الى جنسهم وانهم لا يستكبرون
عطف على ان منهم اي وبانهم لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وهذه الخصلة شاملة لجميع
افراد الجنس فسببيتها لاقربيتهم مودة للمؤمنين واضحة وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات
محمود وان كان ذلك من كافر واذا سمعوا ما انزل الى الرسول عطف على لا يستكبرون اي ذلك بسبب انهم لا يستكبرون وان اعينهم

تفيض من الدمع عند سماع القرآن وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم ابائهم اياه ترى اعينهم تفيض من
الدمع اي تمتلي بالدمع فاستعير له الفيض الذي هو الانصباب عن الامتلاء مبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء كانها تفيض بانفسها
مما عرفوا من الحق من الاولى لابتداء الغاية والثانية لتبيين الموصول اي ابتداء الفيض ونشاؤه من معرفة الحق وحصل من اجله
وبسببه ويحتمل ان يكون الثانية تبعيضية لان ما عرفوه بعض الحق وحيث ابكاهم ذلك فما ظنك بهم لو عرفوه كله وقرؤا القرآن واحاطوا
بالسنة وقرئ ترى اعينهم على صيغة المبني للمفعول يقولون استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية حالهم عند سماع القرآن كانه قيل
ماذا يقولون فقيل يقولون ربنا آمنا بهذا او بمن انزل هذا عليه او بهما وقيل حال من الضمير في عرفوا او من الضمير المجرور في اعينهم
لما ان المضاف جزؤه كما في قوله تع ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا فاكتبنا مع الشاهدين اي الذين شهدوا بانه حق او بنبوته
او مع امته الذين هم شهداء على الامم يوم القيمة وانما قالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك وما لنا لا نؤمن بالله وما
جاءنا من الحق كلام مستأنف قالوه تحقيقا لايمانهم وتقريرا له بانكار سبب انتفائه ونفيه بالكلية على ان قوله لا نؤمن حال
من الضمير في لنا والعامل ما فيه من الاستقرار اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين على توجيه الانكار والنفي الى السبب والمسبب جميعا
كما في قوله تع وما لي لا اعبد الذي فطرني ونظائره لا الى السبب فقط مع تحقق المسبب كما في قوله تع فما لهم لا يؤمنون وامثاله
فان همزة الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع كما في اتضرب اباك واخرى لانكار الوقوع كما في أأضرب ابي كذلك ما الاستفهامية
قد تكون لانكار سبب الواقع ونفيه فقط كما في الآية الثانية وقوله تع ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية
محققا فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء امر محقق قد انكر ونفي سببه وقد تكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيسريان الى
المسبب ايضا كما في الآية الاولى فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا قطعا فان عدم العبادة امر مفروض حتما وقوله تع
ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين حال اخرى من الضمير المذكور بتقدير مبتداء والعامل في الاولى مقيدا بها اي اي شيء
حصل لنا غير مؤمنين ونحن نطمع في صحبة الصالحين او من الضمير في لا نؤمن على معنى انكروا على انفسهم عدم ايمانهم مع انهم يطمعون في
صحبة المؤمنين وقيل معطوف على لا نؤمن على معنى وما لنا نجمع بين ترك الايمان وبين الطمع المذكور فاثابهم الله بما قالوا اي عن اعتقاد
من قولك هذا قول فلان اي معتقده وقرئ فآتاهم الله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين
اي الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور والآيات الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث
اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر القسيسين والرهبان فامر جعفر
ان يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت في ثلاثين او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم سورة مريم فبكوا وآمنوا والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب باآيات
الله تعالى على الكفر مع انه ضرب منه لما ان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم بمقابلة المصدقين بها جميعا بين الترغيب والترهيب
يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما سلف من مدح النصارى على الترهيب
ترغيب المؤمنين في كسر النفس ورفض الشهوات عقب ذلك بالنهي عن الافراط في الباب اي لا تمنعوها انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا
حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف
القيمة لاصحابه يوما فبالغ واشبع الكلام في الانذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا
صائمين وقائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا
المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم
عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النساء فمن

فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت ولا تعتدوا اي ولا تتعدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم او ولا تسرفوا في تناول الطيبات
او جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهي عن مطلق الاعتداء ليدخل تحت النهي عن تحريمها دخولا اوليا لوروده عقيبه او اريد ولا تعتدوا بذلك
ان الله لا يحب المعتدين تعليل لما قبله وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اي ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فحلالا مفعول كلوا ومما رزقكم
اما حال منه تقدمت عليه لكونه نكرة او متعلق بكلوا ومن ابتدائية او هو المفعول وحلالا حال من الموصول او من عائده المحذوف او صفة
لمصدر محذوف اي اكلا حلالا وعلى الوجوه كلها لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة واتقوا الله الذي انتم
به مؤمنون توحيد للتوصية بما امر به فان الايمان به تعالى يوجب المبالغة في التقوى والانتهاء عما نهى عنه لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم
اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم وهو عندنا ان يحلف على شيء وهو يظن انه كذلك وليس كما يظن وهو قول مجاهد
قيل كانوا احلفوا على تحريم الطيبات على ظن انه قربة فلما نزل النهي قالوا فكيف بايماننا فنزلت وعند الشافعي رحمه الله تعالى ما يبدو من المرء
من غير قصد كقوله لا والله وبلى والله وهو قول عائشة رضي الله عنها وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او للغو لانه مصدر او حال منه
ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان اي بتعقيدكم الايمان وتوثيقها بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتموها اذا حنثتم او بنكث
ما عقدتم فحذف للعلم به وقرئ بالتخفيف وقرئ عاقدتم بمعنى عقدتم فكفارته اي فكفارة نكثه وهي الفعلة التي من شانها
ان تكفر الخطيئة وتسترها واستدل بظاهره على جواز التكفير قبل الحنث وعندنا لا يجوز ذلك لقوله عليه السلام من حلف على يمين
ورأى غيرها خيرا فليأت الذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم اي من اقصده في
النوع او المقدار وهو نصف صاع من بر لكل مسكين ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين
طعاما كائنا من اوسط ما تطعمون او الرفع على انه بدل من اطعام واهلون جمع اهل كارضون جمع ارض وقرئ اهاليكم
بسكون الياء على لغة من يسكنها في الحالات الثلث كالالف وهو ايضا جمع اهل كالاراضي في جمع ارض والليالي في جمع ليل وقد
جمع اهلاء او كسوتهم عطف على اطعام او على محل من اوسط على تقدير كونه بدلا من اطعام وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب
جامع قميص ورداء وازار وقرئ بضم الكاف وهي لغة كقدرة في قدرة واسوة في اسوة وقرئ او كاسوتهم على
ان الكاف في محل الرفع تقديره او اطعامهم كاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم ان لم
تطعموهم الاوسط او تحرير رقبة اي او اعتاق انسان كيف ما كان وشرط الشافعي رحمه الله تعالى فيه الايمان قياسا على كفارة
القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال مطلقا وخيار التعيين للمكلف فمن لم يجد اي شيئا من الامور المذكورة فصيام اي فكفارته صيام
ثلثة ايام والتتابع شرط عندنا لقراءة ثلثة ايام متتابعات والشافعي لا يرى الشواذ حجة ذلك اي الذي ذكر كفارة ايمانكم
اذا حلفتم اي وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل شيء قوله تعالى اذا حلفتم وقيل بان تبروا فيها ما استطعتم
ولم يفت بها خيرا او بان تكفروها اذا حنثتم وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها كذلك اشارة الى مصدر الفعل الآتي
الى تبيين آخر بعفوهم مما سبق والكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحله في الاصل النصب على انه نعت لمصدر
محذوف واصل التقدير يبين الله تبيينا كائنا مثل ذلك التبيين فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة
فصار نفس المصدر لا نعتا له وقد مر تفصيله في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا اي ذلك البيان البديع يبين الله لكم آياته اعلام شريعته
واحكامه لا بيانا ادنى منه وتقديم لكم على المفعول لما مر مرارا لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج يا ايها الذين آمنوا
انما الخمر والميسر والانصاب اي الاصنام المنصوبة للعبادة والازلام سلف تفسيرها في اوائل السورة الكريمة رجس قذر تعاف عنه
العقول وافراده لانه خبر للخمر وخبر المعطوفات محذوف ثقة بالمذكور او المضاف محذوف اي شأن الخمر والميسر الخ من عمل الشيطان في
محل الرفع على انه صفة رجس اي كائن من عمله لانه مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه اي الرجس او ما ذكر لعلكم تفلحون اي

راجين فلاحكم وقيل لكي تفلحوا بالاجتناب عنه وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى لعلكم تفلحون في سورة البقرة ولقد اكد تحريم الخمر والميسر
في هذه الآية الكريمة بفنون التأكيد حيث صدرت الجملة بانما وقرنا بالأصنام والأزلام وسميا رجسا من عمل الشيطان تنبيها على
ان تعاطيهما شر بحت وامر بالاجتناب عن عينهما وجعل ذلك سببا يرجى منه الفلاح فيكون ارتكابهما خيبة ومحقة ثم قرر ذلك
ببيان ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقيل انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في
الخمر والميسر وهو اشارة الى مفاسدهما الدنيوية ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة اشارة الى مفاسدهما الدينية وتخصيصهما
باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال للتنبيه على ان المقصود بيان حالهما وذكر الأصنام والأزلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة
والشرارة لقوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن وتخصيص الصلوة بالافراد مع دخولها في الذكر للتعظيم والاشعار بان الصاد
عنها كالصاد عن الايمان لما انها عماده ثم اعيد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من اصناف الصوارف فقيل فهل
انتم منتهون ايذانا بان الأمر في الزجر والتحذير وكشف ما فيهما من المفاسد والشرور قد بلغ الغاية وان الأعذار قد انقطعت بالكلية
واطيعوا الله واطيعوا الرسول عطف على اجتنبوه اي اطيعوهما في جميع ما امرا به ونهيا عنه واحذروا اي مخالفتهما في ذلك فيدخل فيه
مخالفة امرهما ونهيهما في الخمر والميسر دخولا اوليا فان توليتم اي اعرضتم عن الامتثال بما امرتم به من الاجتناب عن الخمر والميسر وعن
طاعة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم والاحتراز عن مخالفتهما فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه
وخرج عن عهدة الرسالة اي خروج وقامت عليكم الحجة وانتهت الاعذار وانقطعت العلل وما بقي بعد ذلك الا العقاب وفيه
من عظم التهديد وشدة الوعيد ما لا يخفى واما ما قيل من ان المعنى فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم الرسول لأنه ما كلف الا البلاغ المبين
بالآيات وقد فعل وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كلفتموه فلا يساعده المقام اذ لا يتوهم منهم ادعاء انهم بتوليهم يضرون
الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يرد عليهم بانهم لا يضرونه عليه السلام وانما يضرون انفسهم ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جناح فيما طعموا اي تناولوا اكلا او شربا فان استعماله في الشرب ايضا مستفيض منه قوله تعالى ومن لم يطعمه فانه مني
قيل لما نزل تحريم الخمر بعد غزوة الأحزاب قال رجال من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اصيب فلان يوم بدر وفلان يوم احد وهم
يشربونها ونحن نشهد انهم في الجنة وفي رواية اخرى لما نزل تحريم الخمر والميسر قالت الصحابة رضي الله تعالى عنهم يا رسول الله
فكيف باخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر وفعلوا القمار فنزلت وليس كلمة ما في طعموا عبارة عن المباحات خاصة والا لزم تقييد
اباحتها باتقاء ما عداها من المحرمات لقوله تعالى اذا ما اتقوا واللازم منتف بالضرورة بل هي على عمومها موصولة كانت او موصوفة
وانما تخصصت بذلك القيد الطارئ عليها والمعنى ليس عليهم جناح فيما تناولوه من المأكول والمشروب كائنا ما كان اذا اتقوا ان
يكون في ذلك شيء من المحرمات والا لم يكن نفي الجناح في كل ما طعموه بل في بعضه ولا محذور فيه اذ اللازم منه تقييد اباحة الكل
بان لا يكون فيه محرم لا تقييد اباحة بعضه باتقاء بعض آخر منه كما هو اللازم من الأول وآمنوا وعملوا الصالحات اي واستمروا على
الايمان والأعمال الصالحة وقوله تعالى ثم اتقوا عطف على اتقوا داخل معه في حيز الشرط اي اتقوا ما حرم عليهم بعد ذلك مع كونه مباحا
فيما سبق وآمنوا اي بتحريمه وتقديم الاتقاء عليه اما للاعتناء به او لأنه الذي يدل على التحريم الحادث الذي هو المؤمن به واستمروا
على الايمان ثم اتقوا اي ما حرم عليهم بعد ذلك مما كان مباحا من قبل على ان المشروط بالاتقاء في كل مرة اباحة كل ما طعموه في ذلك
الوقت لا اباحة كل ما طعموه قبله لانتساخ اباحة بعضه حينئذ واحسنوا اي عملوا الأعمال الحسنة الجميلة المنتظمة لجميع ما ذكر من الأعمال
القلبية والقالبية وليس تخصيص هذه المرات بالذكر لتخصيص الحكم بها بل لبيان التعدد والتكرر بالغا ما بلغ والمعنى انهم اذا
اتقوا المحرمات واستمروا على ما هم عليه من الايمان والأعمال الصالحة وكانوا في طاعة الله تعالى ومراعاة اوامره ونواهيه بحيث
كلما حرم عليهم شيء من المباحات اتقوه ثم وثم فلا جناح عليهم فيما طعموه في كل مرة من المطاعم والمشارب اذ ليس فيها شيء محرم

عند طعمه وانت خبير بان ما عدا اتقاء المحرمات من الصفات الجميلة المذكورة لا دخل لها في انتفاء الجناح وانما ذكرت في حيز اذا شهادة باتصاف
الذين سئل عن حالهم بها ومدحا لهم بذلك وحمدا لأحوالهم وقد اشير الى ذلك حيث جعلت تلك الصفات تبعا للاتقاء في كل مرة تمييزا بينها
وبين ما له دخل في الحكم فان مساق النظم الكريم بطريق العبارة وان كان لبيان حال المتصفين بما ذكر من النعوت فيما سيأتي بقضية كلمة
اذا لكنه قد اخرج مخرج الجواب عن حال الماضين لاثبات الحكم في حقهم في ضمن التشريع الكلي على الوجه البرهاني بطريق دلالة النص بناء
على كمال اشتهارهم بالاتصاف بها فكأنه قيل ليس عليهم جناح فيما طعموه اذا كانوا في طاعته تعالى مع ما لهم من الصفات الحميدة بحيث كلما
امروا بشيء تلقوه بالامتثال وانما كانوا يتعاطون الخمر والميسر في حياتهم لعدم تحريمهما اذ ذاك ولو حرما في عصرهم لاتقوهما
بالمرة هذا وقد قيل التكرير باعتبار الأوقات الثلاثة او باعتبار الحالات الثلاث استعمال الانسان التقوى بينه وبين نفسه وبينه
وبين الناس وبينه وبين الله عز وجل ولذلك جيء بالاحسان في الكرة الثالثة بدل الايمان اشارة الى ما قاله صلى الله عليه وسلم في
تفسيره او باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات توقيا من العقاب
والشبهات توقيا من الوقوع في الحرام وبعض المباحات حفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة وقيل التكرير لمجرد
التأكيد كما في قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ونظائره وقيل المراد بالأول اتقاء الكفر وبالثاني اتقاء
الكبائر وبالثالث اتقاء الصغائر ولا ريب في انه لا تعلق لهذه الاعتبارات بالمقام فأحسن التأمل والله يحب المحسنين
تذييل مقرر لمضمون ما قبله ابلغ تقرير يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله جواب قسم محذوف اي والله ليعاملنكم معاملة من
يختبركم ليتعرف احوالكم بشيء من الصيد اي من صيد البر مأكولا او غير مأكول ما عدا المستثنيات من الفواسق فاللام للعهد نزلت
عام الحديبية ابتلاهم الله تعالى بالصيد وهم محرمون كانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث كانوا متمكنين من صيدها اخذا بايديهم
وطعنا برماحهم وذلك قوله تعالى تناله ايديكم ورماحكم فهموا باخذها فنزلت وروي انه عن لهم حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر
بن عمرو فطعنه برمحه فقتله فقيل له قتلته وانت محرم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عن ذلك فأنزل الله تعالى
الآية فالتأكيد القسمي في ليبلونكم انما هو لتحقيق ان ما وقع من عدم توحش الصيد عنهم ليس الا لابتلائهم لا لتحقيق وقوع المبتلى
كما لو كان النزول قبل الابتلاء وتنكير شيء للتحقير المؤذن بان ذلك ليس من الفتن الهائلة التي فيها تزل اقدام الراسخين
كالابتلاء بقتل الأنفس واتلاف الأموال وانما هو من قبيل ما ابتلي به اهل ايلة من صيد البحر وفائدته التنبيه على ان من
لم يثبت في مثل هذا كيف يتثبت عند شدائد المحن في قوله تعالى من الصيد بيانية قطعا اي بشيء حقير وهو الصيد وجعلها
تبعيضية يقتضي اعتبار قلته وحقارته بالنسبة الى كل الصيد لا بالنسبة الى عظائم البلايا فيعرى الكلام عن التنبيه المذكور ليعلم
الله من يخافه بالغيب اي ليتميز الخائف من عقابه الأخروي وهو غائب مترقب لقوة ايمانه فلا يتعرض للصيد ممن لا يخافه كذلك
لضعف ايمانه فيقدم عليه وانما عبر عن ذلك بعلم الله تعالى اللازم ايذانا بمدار الجزاء ثوابا وعقابا فانه ادخل في حملهم على الخوف
وقيل المعنى ليتعلق علمه تعالى بمن يخافه بالفعل وهو الذي يدور عليه امر الجزاء انما يكون عند تحقق الخوف بالفعل وقيل هناك مضاف
محذوف والتقدير ليعلم اولياء الله وقرئ ليعلم من الاعلام على حذف المفعول الأول اي ليعلم الله عباده الخ والعلم على القراءتين
متعد الى واحد واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة فمن اعتدى بعد ذلك اي بعد بيان
ان ما وقع ابتلاء من جهته تعالى لما ذكر من الحكمة لا بعد تحريمه او النهي عنه كما قاله بعضهم اذ النهي والتحريم ليس امرا حادثا ترتب عليه
الشرطية بالفاء ولا بعد الابتلاء كما اختاره الآخرون لأن نفس الابتلاء لا يصلح مدارا للتشديد العذاب بل ربما يتوهم كونه
عذرا مسوغا لتخفيفه وانما الموجب للتشديد بيان كونه ابتلاء لأن الاعتداء بعد ذلك مكابرة صريحة وعدم مبالاة
بتدبير الله تعالى وخروج عن طاعته وانخلاع عن خوفه وخشيته بالكلية اي فمن تعرض للصيد بعد ما بينا ان ما وقع من كثرة الصيد وعدم

توحشه منهم ابتلاءٌ مؤدٍ الى تمييز المطيع من العاصي فله عذاب أليم لما ذكر من أنه مكابرة محضة ولأن من لا يملك زمام نفسه ولا يراعي حكم الله تعالى في
أمثال هذه البلايا الهينة لا يكاد يراعيه في المداحض العظائم والمراد بالعذاب الأليم عذاب الدارين قال ابن عباس رضي الله عنهما يوسع
ظهره وبطنه جلداً وتنزع ثيابه يا أيها الذين آمنوا شروع في بيان ما يتدارك به الاعتداء من الأحكام إثر بيان ما يلحقه من العذاب
والتصريح بالنهي في قوله تع لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم مع كونه معلوماً لا سيما من قوله تع غير محلي الصيد وأنتم حرم لتأكيد الحرمة
وترتيب ما يعقبه عليه واللام في الصيد للعهد حسبما سلف وحُرُم جمع حرام وهو المحرم وإن كان في الحل وفي حكمه من في الحرم وإن كان
حلالاً كردح جمع رداح والجملة حال من فاعل لا تقتلوا أي لا تقتلوه وأنتم محرمون ومن قتله أي الصيد المعهود وذكر القتل في
الموضعين دون الذبح للإيذان بكونه في حكم الميتة منكم متعلق بمحذوف وقع حالاً من فاعل قتله أي كائناً منكم متعمداً حال
أيضاً أي ذاكراً لإحرامه عالماً بحرمة قتل ما يقتله والتقييد بالتعمد مع أن محظورات الإحرام يستوي فيها العمد والخطأ لما أن الآية
نزلت في المتعمد كما مر من قصة أبي اليسر ولأن الأصل فعل المتعمد والخطأ لاحق به للتغليظ وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد
ووردت السنة بالخطأ وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه لا أرى في الخطأ شيئاً أخذاً باشتراط التعمد في الآية وهو قول داود
وعن مجاهد والحسن أن المراد بالتعمد هو تعمد القتل مع نسيان الإحرام أما إذا قتله عمداً وهو ذاكر لإحرامه فلا حكم عليه وأمره
الى الله عز وجل لأنه أعظم من أن يكون له كفارة فجزاء مثل ما قتل برفعهما أي فعليه جزاء مماثل لما قتله وقرئ برفع الأول
ونصب الثاني على إعمال المصدر وقرئ بجر الثاني على إضافته الى مفعوله وقرئ فجزاؤه مثل ما قتل على الابتداء والخبرية وقرئ
بنصبهما على فليجز جزاءً أو فعليه أن يجزي جزاءً مثل ما قتل والمراد به عند أبي حنيفة وأبي يوسف المثل باعتبار القيمة تقوم
الصيد حيث صيد أو في أقرب الأماكن إليه فإن بلغت قيمته قيمة هدي تخير الجاني بين أن يشتري بها ما قيمته قيمة الصيد
فيهديه الى الحرم وبين أن يشتري بها طعاماً فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعاً من غيره وبين أن يصوم عن طعام كل
مسكين يوماً فإن فضل ما لا يبلغ طعام مسكين تصدق به أو صام عنه يوماً كاملاً إذ لم يعهد في الشرع صوم ما دونه فيكون قوله تع
من النعم بياناً للهدي المشترى بالقيمة على أحد وجوه التخيير فإن من فعل ذلك يصدق عليه أنه جزى بمثل ما قتل من النعم وعند مالك
والشافعي رحمهما الله تعالى ومن يرى رأيهما هو المثل باعتبار الخلقة والهيئات لأن الله تعالى أوجب مثل المقتول مقيداً
بالنعم فمن اعتبر المثل بالقيمة فقد خالف النص وعن الصحابة رضي الله تعالى عنهم أنهم أوجبوا في النعامة بدنة وفي الظبي شاة
وفي حمار الوحش بقرة وفي الأرنب عناقاً وعن النبي صلى الله عليه وسلم الضبع صيد وفيه شاة إذا قتله المحرم ولنا أن النص أوجب
المثل والمثل المطلق في الكتاب والسنة وإجماع الأمة والمعقول يراد به إما المثل صورة ومعنى وإما المثل معنى وأما المثل
صورة بلا معنى فلا اعتبار له في الشرع أصلاً وإذ لم يمكن إرادة الأول إجماعاً تعينت إرادة الثاني لكونه معهوداً في الشرع
كما في حقوق العباد ألا يرى أن المماثلة بين أفراد نوع واحد مع كونها في غاية القوة والظهور لم يعتبرها الشرع ولم يجعل
الحيوان عند الإتلاف مضموناً بفرد آخر من نوعه مماثل له في عامة الأوصاف بل مضموناً بقيمته مع أن المنصوص عليه في أمثاله إنما
هو المثل قال تعالى فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم بحيث لم يعتبر تلك المماثلة القوية مع تيسر معرفتها وسهولة مراعاتها
فلأن لا تعتبر ما بين أفراد أنواع مختلفة من المماثلة الضعيفة الخفية مع صعوبة مأخذها وتعسر المحافظة عليها أولى وأحرى
ولأن القيمة قد أريدت فيما لا نظير له إجماعاً فلم يبق غير مراد إذ لا عموم للمشترك في مواقع الإثبات والمراد بالمروي إيجاب
النظير باعتبار القيمة لا باعتبار العين ثم الموجب الأصلي للجناية والجزاء المماثل للمقتول إنما هو قيمته لكن لا باعتبار أن يعطيها
الجاني لمستحقيها فيصرفها الى المصارف ابتداءً بل باعتبار أن يجعلها معياراً فيقدر بها أحد الخصال الثلاث ويقيمها مقامها فقوله تع
مثل ما قتل وصف لازم للجزاء غير مفارق عنه بحال وأما قوله تع من النعم فوصف له معتبر في ثاني الحال بناءً على صفة الأول

المعيار له ولما بعده من الطعام والصيام فحقهما أن يعطفا على الوصف المفارق لا على الوصف اللازم فضلاً عن العطف على الموصوف كما سيأتي
بإذن الله تعالى وهذا يرشدك الى أن المراد بالمثل هو القيمة قوله عز وجل يحكم به أي بمثل ما قتل ذوا عدل منكم أي حكمان عادلان من المسلمين
لكن لا لأن التقويم هو الذي يحتاج الى النظر والاجتهاد من العدول دون الأشياء المشاهدة التي يستوي في معرفتها كل أحد من
الناس فإن ذلك ناشئ من الغفلة عما أرادوا به المماثلة بل لأنهم جعلوه مداراً للمماثلة بين الصيد وبين النعم من ضرب مشاكلة
ومضاهاة في بعض الأوصاف والهيئات مع تحقق التباين بينهما في بقية الأحوال مما لا يهتدي اليه من أساطين أئمة الاجتهاد وصناديد
الهداية والإرشاد إلا المؤيدون بالقوة القدسية ألا يرى أن الإمام الشافعي أوجب في قتل الحمامة شاة بناءً على ما أثبت بينهما
من المماثلة من حيث أن كلاً منهما تعب وتهدر مع أن النسبة بينهما من سائر الحيثيات كما بين الضب والنون فكيف يفوض معرفة أمثال
هذه الدقائق العويصة الى رأي عدلين من آحاد الناس على أن الحكم بهذا المعنى إنما يتعلق بالأنواع لا بالأشخاص فبعد ما عين بمقابلة
كل نوع من أنواع النعم تم الحكم ولا يبقى عند وقوع خصوصيات الحوادث حاجة الى حكم أصلاً وقرئ يحكم به ذو عدل على إرادة
جنس العادل دون الوحدة وقيل بل على إرادة الإمام والجملة صفة لجزاء أو حال منه لتخصصه بالصفة وقوله تع هدياً حال مقدرة
من الضمير في به أو من جزاء لما ذكر من تخصصه بالصفة أو بدل من مثل فيمن نصبه أو من محله فيمن جره أو نصب على المصدر أي يهديه هدياً
والجملة صفة أخرى لجزاء بالغ الكعبة صفة لهدياً لأن الإضافة غير حقيقية أو كفارة عطف على محل من النعم على أنه خبر مبتدأ
محذوف والجملة صفة ثانية لجزاء كما أشير اليه وقوله تع طعام مساكين عطف بيان لكفارة عند من لا يخصصه بالمعارف أو بدل منه
أو خبر مبتدأ محذوف أي هي طعام مساكين وقوله تع أو عدل ذلك صياماً عطف على طعام الخ كأنه قيل فعليه جزاء مماثل للمقتول هو
من النعم أو طعام مساكين أو صيام أيام بعددهم فحينئذ تكون المماثلة وصفاً لازماً للجزاء يقدر به الهدي والطعام والصيام أما
الأولان فبلا واسطة وأما الثالث فبواسطة الثاني فيختار الجاني كلاً منها بدلاً من الآخرين هذا وقد قيل إن قوله تعالى أو كفارة
عطف على جزاء فلا يبقى حينئذ في النظم الكريم ما يقدر به الطعام والصيام إلا التجاء الى القياس على الهدي بتعسف لا يخفى هذا على قراءة
جزاء بالرفع وعلى سائر القراءات فقوله تع أو كفارة خبر مبتدأ محذوف والجملة معطوفة على جملة هو من النعم وقرئ أو كفارة
طعام مساكين بالإضافة لتبيين نوع الكفارة وقرئ طعام مسكين على أن التبيين يحصل بالواحد الدال على الجنس وقرئ
أو عِدل بكسر العين والفرق بينهما أن عدل الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم والإطعام وعِدله ما عُدل به في المقدار كأن المفتوح
تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول وذلك إشارة الى الطعام وصياماً تمييز للعدل والخيار في ذلك للجاني عند أبي حنيفة وأبي يوسف
وللحكمين عند محمد رحمهم الله تعالى ليذوق وبال أمره متعلق بالاستقرار في الجار والمجرور أي فعليه جزاء ليذوق الخ وقيل بفعل يدل عليه
الكلام كأنه قيل شرع ذلك عليه ليذوق وبال أمره أي سوء عاقبة هتكه لحرمة الإحرام والوبال في الأصل المكروه والضرر الذي
ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله ومنه قوله تع فأخذناه أخذاً وبيلاً ومنه الطعام الوبيل وهو الذي لا تستمرئه المعدة عفا
الله عما سلف من قتل الصيد محرماً قبل أن تسألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل عما سلف منه في الجاهلية لأنهم كانوا متعبدين
بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرماً ومن عاد الى قتل الصيد بعد النهي عنه وهو محرم فينتقم الله منه خبر مبتدأ محذوف تقديره
فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء كقوله تع فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً أي بذلك لا يخاف الخ وقوله تعالى
ومن كفر فأمتعه أي فأنا أمتعه والمراد بالانتقام التعذيب في الآخرة وأما الكفارة فعن عطاء وإبراهيم وسعيد بن جبير والحسن أنها
واجبة على العائد وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه لا كفارة عليه تعلقاً بالظاهر والله عزيز غالب لا يغالب ذو انتقام شديد فينتقم
ممن أصر على المعصية والاعتداء أحل لكم الخطاب للمحرمين صيد البحر أي ما يصاد في المياه كلها بحراً كان أو نهراً أو غديراً وهو ما لا يعيش
إلا في الماء مأكولاً أو غير مأكول وطعامه أي وما يطعم من صيده وهو تخصيص بعد تعميم والمعنى أحل لكم التعرض لجميع ما يصاد في المياه والانتفاع

واكل ما يؤكل منه وهو السمك عندنا وعند ابن ابي ليلى جميع ما يصاد فيه على ان تفسير الآية عنده احل لكم صيد حيوان البحر وان تطعموه وقرئ
وطعمه وقيل صيد البحر ما صيد فيه وطعامه ما قذفه او نضب عنه متاعا لكم نصب على انه مفعول له مختص بالطعام كما ان نافلة حال
مختصة بيعقوب عليه السلام اي احل لكم طعامه تمتيعا للمقيمين منكم يأكلونه طريا وللسيارة منكم يتزودونه قديدا وقيل
نصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر اي متعكم به متاعا وقيل مؤكد لمعنى احل لكم فانه في قوة متعكم به تمتيعا كقوله تع كتاب الله
عليكم وحرم عليكم صيد البر وقرئ على بناء الفعل للفاعل ونصب صيد البر وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات
كطير الماء ما دمتم حرما اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام وظاهره يوجب حرمة ما صاده الحلال على المحرم وان لم يكن له فيه
مدخل وهو قول عمر وابن عباس رضي الله عنهما وعن ابي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير انه يحل له اكل ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم
يشر اليه ولم يدل عليه وكذا ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب ابي حنيفة لان الخطاب للمحرمين فكأنه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر
فيخرج منه مصيد غيرهم وعند مالك والشافعي واحمد رحمهم الله تعالى لا يباح ما صيد له واتقوا الله فيما نهاكم عنه او في جميع المعاصي
التي من جملتها ذلك الذي اليه تحشرون لا الى غيره حتى يتوهم الخلاص من اخذه تعالى بالالتجاء اليه جعل الله الكعبة قال مجاهد سميت
كعبة لكونها مكعبة مربعة وقيل لانفرادها من البناء وقيل لارتفاعها من الارض ونشوزها وقوله تع البيت الحرام عطف بيان على
جهة المدح دون التوضيح كما تجئ الصفة كذلك وقيل مفعول ثان لجعل وقوله تع قياما للناس نصب على الحال ويرده عطف ما بعده
على المفعول الاول كما سيجئ بل هذا هو المفعول الثاني وقيل الجعل بمعنى الانشاء والخلق وهو حال كما مر ومعنى كونه قياما لهم
انه مدار القيام امر دينهم ودنياهم اذ هو سبب لانتعاشهم في امور معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف
ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار وقرئ قيما على انه مصدر على وزن شبع اعل عينه بما اعل في فعله والشهر الحرام
الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة وقيل جنس الشهر الحرام وهو وما بعده عطف على الكعبة فالمفعول الثاني محذوف ثقة
بما مر اي وجعل الشهر الحرام والهدي والقلائد ايضا قياما لهم والمراد بالقلائد ذوات القلائد وهي البدن خصت بالذكر
لان الثواب فيها اكثر وبهاء الحج بها اظهر ذلك اشارة الى الجعل المذكور خاصة او مع ما ذكر من الامر بحفظ حرمة وغيره ومحله النصب
بفعل مقدر يدل عليه السياق وهو العامل في اللام بعده اي شرع ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فان
تشريع هذه الشرائع المستتبعة لدفع المضار الدينية والدنيوية قبل وقوعها وجلب المنافع الاولوية والاخروية من اوضح
الدلائل على حكمة الشارع وعدم خروج شيء من علمه المحيط وقوله تع وان الله بكل شيء عليم تعميم اثر تخصيص للتأكيد ويجوز ان
يراد بما في السموات والارض الاعيان الموجودة فيهما وبكل شيء من الامور المتعلقة بتلك الموجودات من العوارض والاحوال
التي هي من قبيل المعاني اعلموا ان الله شديد العقاب وعيد لمن انتهك محارمه او اصر على ذلك وقوله تع وان الله غفور رحيم
وعد لمن حافظ على مراعاة حرماته تعالى واقلع عن الانتهاك بعد تعاطيه ووجه تقديم الوعيد ظاهر ما على الرسول الا البلاغ
تشديد في ايجاب القيام بما امر به اي الرسول قد اتى بما وجب عليه من التبليغ بما لا مزيد عليه وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة
فلا عذر لكم من بعد في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون فيؤاخذكم بذلك نقيرا وقطميرا قل لا يستوي الخبيث
والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله تعالى بين الردئ من الاشخاص والاعمال والاموال وبين جيدها قصد به الترغيب
في جيد كل منها والتحذير عن رديها وان كان سبب النزول شريح بن ضبيعة البكري الذي مرت قصته في تفسير قوله تع
يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله الخ وقيل نزلت في رجل سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الخمر كانت تجارتي
واني اعتقدت من بيعها مالا كثيرا فهل ينفعني من ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان انفقته في حج او جهاد او صدقة لم يعدل جناح بعوضة ان الله لا يقبل الا الطيب وقال عطاء والحسن رحمهما الله تعالى

الخبيث والطيب الحرام والحلال وتقديم الخبيث في الذكر للاشعار من اول الامر بان القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء فيه لا في مقابله
فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب
قصور القاصر كما في قوله تعالى هل يستوي الاعمى والبصير الى غير ذلك واما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل
تقديم الفاضل فيه لما ان صلته ملكة لصلة المفضول ولو اعجبك كثرة الخبيث اي وان سرك كثرته والخطاب لكل واحد من الذين امر
النبي صلى الله عليه وسلم بخطابهم والواو لعطف الشرطية على مثلها المقدر وقيل للحال وقد مر اي لو لم يعجبك كثرة الخبيث ولو اعجبك
وكلتاهما في موقع الحال من فاعل لا يستوي اي لا يستويان كائنين على كل حال مفروض كما في قولك احسن الى فلان وان اساء اليك اي احسن اليه
ان لم يسئ اليك وان اساء اليك اي كائنا على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة
فان الشيء اذا تحقق مع المعارض فلان يتحقق بدونه اولى وعلى هذا السر يدور ما في لو وان الوصليتين من المبالغة والتأكيد وجواب
لو محذوف في الجملتين لدلالة ما قبلهما عليه وسيأتي تمام تحقيقه في مواقع عديدة باذن الله عز وجل فاتقوا الله يا اولي الالباب اي
في تحري الخبيث وان كثر وآثروا عليه الطيب وان قل فان مدار الاعتبار هو الجودة والرداءة لا الكثرة والقلة فالمحمود القليل خير
من المذموم الكثير بل كلما كثر الخبيث كان اخبث لعلكم تفلحون راجين ان تنالوا الفلاح يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء
هو اسم جمع على رأي الخليل وسيبويه وجمهور البصريين كطرفاء وقصباء اصله شيئاء بهمزتين بينهما الف فقلبت الكلمة بتقديم لامها على
فائها فصار وزنها لفعاء ومنع الصرف لالف التأنيث الممدودة وقيل هو جمع شيء على انه مخفف من شيّئ كهين مخفف من هيّن واصل
اشيئاء كاهوناء بزنة افعلاء فاجتمعت همزتان لام الكلمة والتي للتأنيث اذ الالف كالهمزة فخففت الكلمة بان قلبت الهمزة
الاولى ياء لانكسار ما قبلها فصارت اشيياء ثم حذفت الياء المنقلبة من الهمزة التي هي لام الكلمة وفتحت الياء المكسورة لتسلم الف الجمع
فوزنها افعاء وقوله تع ان تبد لكم تسؤكم صفة لاشياء داعية الى الانتهاء عن السؤال عنها وحيث كانت المساءة في هذه الشرطية
معلقة بابدائها لا بالسؤال عنها عقبت بشرطية اخرى ناطقة باستلزام السؤال عنها لابدائها الموجب للمحذور قطعا فقيل وان تسألوا
عنها حين ينزل القرآن تبد لكم اي تلك الاشياء الموجبة للمساءة بالوحي كما ينبئ عنه تقييد السؤال بحين التنزيل والمراد بها ما
يشق عليهم ويغمهم من التكاليف الصعبة التي لا يطيقون بها والاسرار الخفية التي يفتضحون بظهورها ونحو ذلك مما لا خير فيه فكما
ان السؤال عن الامور الواقعة مستتبع لابدائها كذلك السؤال عن تلك التكاليف مستتبع لايجابها عليهم بطريق التشديد لاساءتهم
الادب واجترائهم على المسألة والمراجعة وتجاوزهم عما لا يليق بشأنهم من الاستسلام لامر الله عز وجل من غير بحث فيه ولا تعرض لكيفيته
وكميته اي لا تكثروا مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما لا يعنيكم من نحو تكاليف شاقة عليكم ان افتاكم بها وكلفكم اياها حسبما
اوحي اليه لم تطيقوها ونحو بعض امور مستورة تكرهون بروزها وذلك مثل ما روي عن علي رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه انه قال
خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فقام رجل من بني اسد يقال له عكاشة
بن محصن وقيل هو سراقة بن مالك فقال افي كل عام يا رسول الله فاعرض عنه حتى اعاد مسألته ثلث مرات فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من
كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ومثل ما روي
عن انس وابي هريرة رضي الله عنهما انه سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء حتى احفوه في المسألة فقام عليه السلام مغضبا
خطيبا فحمد الله تعالى واثنى عليه وقال سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء ما دمت في مقامي هذا الا بينته لكم فاشفق اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يكون بين يدي امر قد حضر قال انس رضي الله عنه فجعلت التفت يمينا وشمالا فلا احد رجلا الا وهو لاف رأسه في
ثوبه يبكي فقام رجل من قريش من بني سهم يقال له عبد الله بن حذافة وكان اذا لاحى الرجال يدعى الى غير ابيه وقال يا نبي الله من ابي

فقال عليه السلام أبوك حذافة بن قيس الزهري وقام آخر فقال أين أبي فقال عليه السلام في النار ثم قام عمر رضي الله عنه فقال رضينا بالله تعالى
ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا نبيا نعوذ بالله من الفتن إنا حديثو عهد بجاهلية وشرك فاعف عنا يا رسول الله فسكن غضبه صلى الله عليه
وسلم **عفا الله عنها** استئناف مسوق لبيان أن نهيهم عنها لم يكن لمجرد صيانتهم عن المساءة بل لأنها في نفسها معصية مستتبعة للمؤاخذة وقد عفا
عنها وفيه من حثهم على الجد في الانتهاء عنها ما لا يخفى والضمير للمسألة المدلول عليها بلا تسألوا أي عفا الله تعالى عن مسائلكم السالفة حيث
لم يفرض عليكم الحج في كل عام جزاء بمسائلكم وتجاوز عن عقوبتكم الأخروية بسائر مسائلكم فلا تعودوا إلى مثلها وأما جعله صفة أخرى لأشياء
على أن الضمير لها بمعنى لا تسألوا عن أشياء عفا الله عنها ولم يكلفكم إياها فمما لا سبيل إليه أصلا لاقتضائه أن يكون الحج قد فرض أولا في كل عام
ثم نسخ بطريق العفو وأن يكون ذلك معلوما للمخاطبين ضرورة أن حق الوصف أن يكون معلوم الثبوت للموصوف عند المخاطب قبل جعله صفة له
وكلاهما ضروري الانتفاء قطعا على أنه يستدعي اختصاص النهي بمسألة الحج ونحوها إن سلم وقوعها مع أن النظم الكريم صريح في أنه مسوق
للنهي عن السؤال عن الأشياء التي يسوؤهم إبداؤها سواء كانت من قبيل الأحكام والتكاليف الموجبة لمساءتهم بإيجابها بسبب السؤال عقوبة
وتشديدا كمسألة الحج لولا عفوه تعالى عنها أو من قبيل الأمور الواقعة قبل السؤال الموجبة للمساءة بالإخبار بها كمسألة من قال أين أبي
إن قلت تلك الأشياء غير موجبة للمساءة البتة بل هي محتملة لإيجاب المسرة أيضا لأن إيجابها للأولى إن كان من حيث وجودها فهي من حيث
عدمها موجبة للأخرى قطعا وليست إحدى الحيثيتين محققة عند السائل وإنما غرضه من السؤال ظهورها كيف كانت بل لظهورها بحيثية إيجابها
للمسرة فلم عبر عنها بحيثية إيجابها للمساءة قلت لتحقيق المنهي عنه كما ستعرفه مع ما فيه من تأكيد النهي وتشديده لأن تلك الحيثية هي الموجبة
للانتهاء والانزجار لا حيثية إيجابها للمسرة ولا حيثية ترددها بين الإيجابين إن قيل الشرطية الثانية ناطقة بأن السؤال عن تلك
الأشياء الموجبة للمساءة مستلزم لإبدائها البتة كما مر فلم تخلف الإبداء عن السؤال في مسألة الحج حيث لم يفرض في كل عام قلنا لوقوع
السؤال قبل ورود النهي وما ذكر في الشرطية إنما هو السؤال الواقع بعد ورود ما هو الموجب للتغليظ والتشديد ولا تخلف فيه إن قيل ما ذكر
إنما يتمشى فيما إذا كان السؤال عن الأمور المترددة بين الوقوع وعدمه كما ذكر من التكاليف الشاقة وأما إذا كان عن الأمور الواقعة
قبله فلا يكاد يتمشى لأن ما يتعلق به الإبداء هو الذي وقع في نفس الأمر ولا مرد له سواء كان السؤال قبل النهي أو بعده وقد يكون الواقع ما يوجب
المسرة كما في مسألة عبد الله بن حذافة فيكون هو الذي يتعلق به الإبداء لا غيره فيتعين التخلف حتما قلنا لا احتمال للتخلف فضلا عن
التعيين فإن المنهي عنه في الحقيقة إنما هو السؤال عن الأشياء الموجبة للمساءة الواقعة في نفس الأمر قبل السؤال كسؤال من قال أين أبي
لا عما يعمها وغيرها مما ليس بواقع لكنه محتمل للوقوع عند المكلفين حتى يلزم التخلف في صورة عدم الوقوع وجملة الكلام أن مدلول النظم
الكريم بطريق العبارة إنما هو النهي عن السؤال عن الأشياء التي يوجب إبداؤها المساءة البتة إما بأن تكون تلك الأشياء بعرضية الوقوع
فتبدى عند السؤال بطريق الإنشاء عقوبة وتشديدا كما في صورة كونها من قبيل التكاليف الشاقة وإما بأن تكون واقعة في نفس الأمر قبل
السؤال فتبدى عنده بطريق الإخبار بها فالتخلف ممتنع في الصورتين معا ومنشأ توهمه عدم الفرق بين المنهي عنه وبين غيره بناء على عدم
امتياز ما هو موجود أو بعرضية الوجود من تلك الأشياء في نفس الأمر وما ليس كذلك عند المكلفين وملاحظتهم للكل باحتمال الوجود والعدم
وفائدة هذا الإبهام الانتهاء عن السؤال عن تلك الأشياء على الإطلاق حذارا إبداء المكروه **والله غفور حليم** اعتراض تذييلي مقرر لعفوه تعالى
أي مبالغ في مغفرة الذنوب والإغضاء عن المعاصي ولذلك عفا عنكم ولم يؤاخذكم بعقوبة ما فرط منكم **قد سألها قوم** أي سألوا هذه
المسألة لكن لا عينها بل مثلها في كونها محظورة ومستتبعة للوبال وعدم التصريح بالمثل للمبالغة في التحذير **من قبلكم** متعلق بسألها **ثم أصبحوا
بها** أي بسببها أو بمرجوعها **كافرين** فإن بني إسرائيل كانوا يستفتون أنبياءهم في أشياء فإذا أمروا بها تركوها فهلكوا **ما جعل الله من بحيرة
ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام** رد وإبطال لما ابتدعه أهل الجاهلية حيث كانوا إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أي شقوها
وحرموا ركوبها ودرها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى وكان يقول الرجل إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة

في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل إذا أعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث وإذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم وإن ولدت ذكرا فهو
لآلهتهم فإن ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره فلا
يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع وما وضع ولذلك عدي إلى مفعول واحد هو بحيرة وما عطف عليها ومن مزيدة لتأكيد
النفي فإن الجعل التكويني كما يجيء تارة متعديا إلى مفعولين وأخرى إلى واحد كذلك الجعل التشريعي يجيء مرة متعديا إلى مفعولين كما في
قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس وأخرى إلى واحد كما في الآية الكريمة **ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب** حيث
يفعلون ما يفعلون ويقولون الله أمرنا بهذا وإمامهم عمرو بن لحي فإنه أول من فعل هذه الأفاعيل الباطلة هذا شأن رؤسائهم وكبارهم
وأكثرهم وهم أراذلهم الذين يتبعونهم من معاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يشهد به سياق النظم الكريم **لا يعقلون** أنه افتراء باطل
حتى يخالفوهم ويهتدوا إلى الحق بأنفسهم فيبقون في أسر التقليد وهذا بيان لقصور عقولهم وعجزهم عن الاهتداء بأنفسهم وقوله تعالى **وإذا
قيل لهم** أي للذين عبر عنهم بأكثرهم على سبيل الهداية والإرشاد **تعالوا إلى ما أنزل الله** من الكتاب المبين للحلال والحرام **وإلى الرسول**
الذي أنزل هو عليه لتقفوا على حقيقة الحال وتميزوا الحرام من الحلال **قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا** بيان لسوء حالهم واستعصائهم
على الهادي إلى الحق وانقيادهم للداعي إلى الضلال **أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون** قيل الواو للحال دخلت عليها
الهمزة للإنكار والتعجيب أي أحسبهم ذلك ولو كان آباؤهم جهلة ضالين وقيل للعطف على شرطية أخرى مقدرة قبلها وهو الأظهر
والتقدير أحسبهم ذلك أو يقولون هذا القول لو لم يكن آباؤهم لا يعلمون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كان لا يعلمون
الخ وكلتاهما في موقع الحال أي أحسبهم ما وجدوا عليه آباءهم كائنين على كل حال مفروض وقد حذفت الأولى في الباب حذفا مطردا
لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة كيف لا وأن الشيء إذا تحقق عند المانع فلأن يتحقق عند عدمه أولى كما في قولك أحسن إلى فلان
وإن أساء إليك أي أحسن إليه إن لم يسئ إليك وإن أساء أي أحسن إليه كائنا على كل حال مفروض وقد حذفت الأولى لدلالة الثانية
عليها دلالة ظاهرة إذ الإحسان حيث أمر به عند المانع فلأن يؤمر به عند عدمه أولى وعلى هذا السر يدور ما في إن ولو الوصليتين
من المبالغة والتأكيد وجواب لو محذوف لدلالة ما سبق عليه أي لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون حسبهم ذلك أو يقولون ذلك
وما في لو من معنى الامتناع والاستبعاد إنما هو بالنظر إلى زعمهم لا إلى نفس الأمر وفائدته المبالغة في الإنكار والتعجيب ببيان أن ما قالوه
موجب للإنكار والتعجب إذا كان كون آبائهم جهلة ضالين في حيز الاحتمال البعيد فكيف إذا كان ذلك واقعا لا ريب فيه وقيل مآل الوجهين
واحد لأن الجملة المقدرة حال فكذا ما عطف عليها وأنت خبير بأن الحال على الوجه الأخير مجموع الجملتين لا الأخيرة فقط وأن الواو للعطف
لا للحال وقد مر التحقيق في قوله تعالى أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون فتدبر **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم**
أي الزموا أمر أنفسكم وإصلاحها وقرئ بالرفع على الابتداء أي واجبة عليكم أنفسكم وقوله عز وجل **لا يضركم من ضل إذا اهتديتم**
إما مجزوم على أنه جواب للأمر أو نهي مؤكد له وإنما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة إليها من الراء المدغمة إذ الأصل لا يضرركم
ويؤيده القراءة بفتح الراء وقراءة من لا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره وإما مرفوع على أنه كلام مستأنف
في موقع التعليل لما قبله ويعضده قراءة من قرأ لا يضيركم أي لا يضركم ضلال من ضل إذا كنتم مهتدين ولا يتوهمن أن فيه رخصة في ترك
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع استطاعتهما كيف لا ومن جملة الاهتداء أن ينكر على المنكر حسبما تفي به الطاقة قال صلى الله عليه وسلم
من رأى منكم منكرا فاستطاع أن يغيره فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وقد روي أن الصديق رضي الله تعالى
عنه قال يوما على المنبر يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها غير موضعها ولا تدرون ما هي وإني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول إن الناس إذا رأوا منكرا فلم يغيروه عمهم الله تعالى بعقاب فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تغتروا بقول الله
عز وجل يا أيها الناس الخ فيقول أحدكم علي نفسي والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليستعملن الله عليكم شراركم فيسومونكم

سوء العذاب ثم ليدعن خياركم فلا يستجاب لهم وعنه صلى الله عليه وسلم ما من قوم عمل فيهم منكر او سن فيهم قبيح فلم يغيروه الا وحق على الله تعالى
ان يعمهم بالعقوبة جميعا ثم لا يستجاب لهم والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحيرون على الكفرة وكانوا يتمنون ايمانهم وهم من الضلال بحيث
لا يكادون يرعوون عنه بالامر والنهي وقيل كان الرجل اذا اسلم لاموه وقالوا له سفهت آباءك وضللتهم اي نسبتهم الى السفاهة والضلال
فنزلت تسلية له بان ضلال آبائه لا يضره ولا يشينه الى الله لا الى احد سواه مرجعكم رجوعكم يوم القيمة جميعا بحيث لا يتخلف عنه احد من
المهتدين وغيرهم فينبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا من اعمال الهداية والضلال فهو وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بعمل
غيره يا ايها الذين آمنوا استيناف مسوق لبيان الاحكام المتعلقة بامور دنياهم اثر بيان الاحوال المتعلقة بامور دينهم وتصديره بحرفي النداء
والتنبيه لاظهار كمال العناية بمضمونه وقوله عز وجل شهادة بينكم بالرفع والاضافة الى الظرف توسعا اما باعتبار جريانها بينهم او باعتبار
تعلقها بما يجري بينهم من الخصومات مبتدأ وقوله تع اذا حضر احدكم الموت اي شارفه وظهرت علائمه ظرف لها وتقديم المفعول لافادة
كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت وروده عليها فانه ادخل في تهويل امر الموت وقوله تع حين الوصية بدل منه لا ظرف للموت كما توهم ولا
لحضوره كما قيل فان في الابدال تنبيها على ان الوصية من المهمات المقررة التي لا ينبغي ان يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وقوله تع اثنان
خبر للمبتدأ بتقدير المضاف اي شهادة بينكم حينئذ شهادة اثنين او فاعل لشهادة بينكم على ان خبرها محذوف اي فيما نزل عليكم ان يشهد بينكم
اثنان وقرئ شهادة بالرفع والتنوين والاعراب كما سبق وقرئ شهادةً بالنصب والتنوين على ان عاملها مضمر هو العامل في اثنان ايضا
اي ليقم شهادة بينكم اثنان ذوا عدل منكم اي من اقاربكم لانهم اعلم باحوال الميت وانصح له واقرب الى تحري ما هو اصلح له وقيل من المسلمين
وهما صفتان لاثنان او آخران عطف على اثنان تابع له فيما ذكر من الخبرية والفاعلية اي او شهادة آخرين او ان يشهد بينكم آخران او
ليقم شهادة بينكم آخران وقوله تع من غيركم صفة لآخران اي كائنان من غيركم اي من الاجانب وقيل من اهل الذمة وقد كان ذلك في
بدء الاسلام لعزة وجود المسلمين لا سيما في السفر ثم نسخ وعن مكحول انه نسخها قوله تع واشهدوا ذوي عدل منكم ان انتم مرفوع بمضمر يفسره
ما بعده تقديره ان ضربتم فلما حذف الفعل انفصل الضمير وهذا راي جمهور البصريين وذهب الاخفش والكوفيون الى انه مبتدأ بناء على جواز وقوع
المبتداء بعد ان الشرطية كجواز وقوعه بعد اذا فقوله تع ضربتم في الارض اي سافرتم فيها لا محل له من الاعراب عند الاولين لكونه
مفسرا ومرفوع على الخبرية عند الباقين وقوله تع فاصابتكم مصيبة الموت عطف على الشرط وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان
سافرتم فقاربكم الاجل حينئذ وما معكم من الاقارب ومن اهل الاسلام من يتولى امر الشهادة كما هو الغالب المعتاد في الاسفار فليشهد
آخران او فاستشهدوا آخرين او فالشاهد آخران كذا قيل والانسب ان يقدر عين ما سبق اي فآخران على معنى شهادة بينكم
شهادة آخرين او فان يشهد آخران على الوجوه المذكورة ثمه وقوله تع تحبسونهما استيناف وقع جوابا عما نشأ من اشتراط
العدالة كانه قيل فكيف نصنع ان ارتبنا بالشاهدين فقيل تحبسونهما اي تقفونهما وتصبرونهما للتحليف من بعد الصلوة وقيل هو
صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف اعتراض فائدته الدلالة على ان اللائق اشهاد الاقارب او اهل الاسلام واما اشهاد الآخرين
فعند الضرورة الملجئة اليه وانت خبير بانه يقتضي اختصاص الحبس بالآخرين مع شموله للاولين ايضا قطعا على ان اعتبار اتصافهما
بذلك يأباه مقام الامر باشهادهما اذ مآله فآخران شانهما الحبس والتحليف وان امكن اتمام التقريب باعتبار قيد الارتياب بهما
كما يفيده الاعتراض الآتي والمراد بالصلوة صلوة العصر وعدم تعينها لتعينها عندهم بالتحليف بعدها لانه وقت اجتماع الناس
وتصادم ملائكة النهار ولان جميع اهل الاديان يعظمونه ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم وقت
اذ حلف من حلف كما سياتي وقيل بعد اي صلوة كانت لانها داعية الى النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور ان الصلوة
تنهى عن الفحشاء والمنكر فيقسمان بالله عطف على تحبسونهما وقوله تع ان ارتبتم شرطية محذوفة الجواب لدلالة ما سبق من الحبس والاقسام
عليه سيقت من جهته تعالى معترضة بين القسم وجوابه للتنبيه على اختصاص الحبس والتحليف بحال الارتياب اي ان ارتاب بهما الوارث منكم

بخيانة وشيء من التركة فاحبسوهما وحلفوهما بالله وقوله عز وجل لا نشتري به ثمنا جواب للقسم وليس هذا من قبيل ما اجتمع فيه قسم وشرط
فاكتفي بذكر جواب سابقهما عن جواب الآخر كما هو الواقع غالبا فان ذلك انما يكون عند سد جواب السابق مسد جواب اللاحق لاتحاد
مضمونهما كما في قولك والله ان اتيتني لاكرمتك ولا ريب في استحالة ذلك ههنا لان القسم وجوابه كلاهما وقد عرفت ان الشرط من جهته
عز وجل لا نشتري به ثمنا جواب للقسم وليس هذا من قبيل ما اجتمع فيه قسم وشرط فاكتفي بذكر جواب سابقهما عن جواب الآخر
كما هو الواقع غالبا فان ذلك انما يكون عند سد جواب السابق مسد جواب اللاحق لاتحاد مضمونهما كما في قولك والله ان اتيتني
لاكرمتك ولا ريب في استحالة ذلك ههنا لان القسم وجوابه كلاهما وقد عرفت ان الشرط من جهته عز وجل والاشتراء هو استبدال
السلعة بالثمن اي اخذها بدلا منه لا بذله لتحصيلها كما قيل وان كان مستلزما له فان المعتبر في عقد الشراء ومفهومه هو الجلب دون السلب المعتبر
في عقد البيع ثم استعير لاخذ شيء بازالة ما عنده عينا كان او معنى على وجه الرغبة في الماخوذ والاعراض عن الزائل كما هو المعتبر في
المستعار منه حسبما مر تفصيله في تفسير قوله تع اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والضمير في به لله والمعنى لا ناخذ لانفسنا
بدلا من الله اي من حرمته عرضا من الدنيا بان نهتكها ونزيلها بالحلف الكاذب اي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال وقيل الضمير
للقسم فلا بد من تقدير مضاف البتة اي لا نستبدل بصحة القسم بالله اي لا ناخذ بدلا منها عرضا من الدنيا بان نزيل عنه وصف
الصدق ونصفه بالكذب اي لا نحلف كاذبين كما ذكروا الا فلا سداد للمعنى سواء اريد به القسم الصادق والكاذب اما ان اريد به الكاذب
فلانه يفوت حينئذ ما هو المعتبر في الاستعارة من كون الزائل شيئا مرغوبا فيه عند الحالف كحرمة اسم الله تعالى ووصف الصحة والصدق
في القسم ولا ريب في ان القسم الكاذب ليس كذلك واما ان اريد به الصادق فلانه ان امكن ان يتوسل باستعماله الى عرض الدنيا كالقسم
القسم لكن لا محذور فيه واما التوسل اليه بترك استعماله فلا امكان له ههنا حتى يصح التبري منه وانما يتوسل اليه باستعمال القسم الكاذب
وليس استعماله من لوازم ترك استعمال الصادق ضرورة جواز تركهما معا حتى يتصور جعل ما اخذ باستعماله ماخوذا بترك استعمال الصادق كما
كما في صورة تقدير المضاف فان ازالة وصف الصدق عن القسم مع بقاء الموصوف مستلزمة لثبوت وصف الكذب له البتة فتامل وقوله
ولو كان اي المقسم له المدلول عليه بفحوى الكلام ذا قربى اي قريبا منا تاكيد لتبريهم من الحلف كاذبا ومبالغة في التنزه عنه
كانهما قالا لا ناخذ لانفسنا بدلا من حرمة اسمه تعالى مالا ولو انضم اليه رعاية جانب الاقرباء فكيف اذا لم يكن كذلك وصيانة انفسهما
وان كانت اهم من رعاية الاقرباء لكنها ليست ضميمة للمال بل هي راجعة اليه وجواب لو محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اي لا نشتري به
ثمنا والجملة معطوفة على اخرى مثلها كما فصل في تفسير قوله تع ولو اعجبك الخ وقوله تع ولا نكتم شهادة الله اي الشهادة التي امرنا الله
تعالى باقامتها معطوف على لا نشتري به داخل معه في حكم القسم وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف القسم
وتعويض حرف الاستفهام منه وبغير مد كقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الآثمين اي ان كتمناها وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء
حركتها على اللام وادغام النون فيها فان عثر اي اطلع بعد التحليف على انهما استحقا اثما حسبما اعترفا به بقولهما انا اذا لمن الآثمين اي
فعلا ما يوجب اثما من تحريف وكتم بان ظهر شيء بايديهما من التركة وادعيا استحقاقهما له بوجه من الوجوه كما وقع في سبب النزول حسبما
سياتي فآخران اي رجلان آخران وهو مبتدأ خبره يقومان مقامهما ولا محذور في الفصل بالخبر بين المبتدأ وبين وصفه الذي هو الجار والمجرور
بعده اي يقومان مقام اللذين عثر على خيانتهما وليس المراد بمقامهما مقام اداء الشهادة التي تولياها ولم يؤدياها كما هي بل هو مقام
الحبس والتحليف على الوجه المذكور لاظهار الحق وابطال كذبهما فيما ادعيا من استحقاقهما لما في ايديهما من الذين استحق على البناء للفاعل
قراءة علي وابن عباس وابي رضي الله تعالى عنهم اي من اهل الميت الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم اي الاقربان الى الميت الوارثان له الاحقان
بالشهادة اي باليمين كما ستعرفه ومفعول استحق محذوف اي استحقا عليهم ان يجردوهما للقيام بها لانهما حقهما ويظهروا بهما كذب
الكاذبين وهما في الحقيقة الآخران القائمان مقام الاوليين على وضع المظهر مقام المضمر وقرئ على البناء للمفعول وهو الاظهر اي من الذين

استحق عليهم الاثم اي جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته فالاوليان مرفوع على انه خبر لمبتدأ محذوف كأنه قيل ومن هما فقيل الاوليان او هو بدل من
الضمير في يقومان او من آخران وقد جوز ارتفاعه باستحق على حذف المضاف اي استحق عليهم انتداب الاوليين منهم للشهادة وقرئ الاولين
على انه صفة للذين الخ مجرور او منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة لكونهم احق بها وقرئ الاولين على التثنية
وانتصابه على المدح وقرئ الاولان فيقسمان بالله عطف على يقومان لشهادتنا المراد بالشهادة اليمين كما في قوله تعالى فشهادة احدهم
اربع شهادات بالله اي ليميننا على انهما كاذبان فيما ادعيا من الاستحقاق مع كونها حقة صادقة في نفسها احق بالقبول من شهادتهما
اي من يمينهما مع كونها كاذبة في نفسها لما انه ظهر للناس استحقاقهما للاثم ويميننا منزهة عن الريب والريبة فصيغة التفضيل مع انه لا
حقية في يمينهما رأسا انما هي لامكان قبولها في الجملة باعتبار احتمال صدقهما في ادعاء تملكهما لما ظهر في ايديهما وما اعتدينا عطف على
جواب القسم اي ما تجاوزنا فيها الحق او ما اعتدينا عليهما بابطال حقهما انا اذا لمن الظالمين استئناف مقرر لما قبله اي انا ان اعتدينا
في يميننا لمن الظالمين انفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعذابه بسبب هتك حرمة اسم الله تعالى او لمن الواضعين الحق في غير موضعه
ومعنى النظم الكريم ان المحتضر ينبغي ان يشهد على وصيته عدلين من ذوي نسبه ودينه فان لم يجدهما بان كان في سفر فآخرين من غيرهم ثم ان
وقع ارتياب بهما اقسما على انهما ما كتما من الشهادة ولا من التركة شيئا بالتغليظ في الوقت فان اطلع بعد ذلك على كذبهما بان
ظهر بايديهما شيء من التركة وادعيا تملكه من جهة الميت حلف الورثة وعمل بايمانهم ولعل تخصيص الاثنين لخصوص الواقعة فانه روي ان تميم بن
اوس الداري وعدي بن زيد خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان مسلما
مهاجرا فلما قدما الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبرهما بذلك واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله
ومات ففتشاه فوجدا فيه اناء من فضة وزنه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه ودفعا المتاع الى اهله فاصابوا فيه الكتاب فطلبوا منهما
الاناء فقالا ما ندري انما اوصى الينا بشيء وامرنا ان ندفعه اليكم ففعلنا وما لنا بالاناء من علم فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزل يا ايها الذين آمنوا الخ فاستحلفهما بعد صلوة العصر عند المنبر بالله الذي لا اله الا هو انهما لم يختانا شيئا مما وقع ولا كتما فحلفا على ذلك
فخلى صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم ان الاناء وجد بمكة فقال من بيده اشتريته من تميم وعدي وقيل لما طالت المدة اظهراه فبلغ ذلك بني سهم
فطلبوه منهما فقالا كنا اشتريناه من بديل فقالوا الم نقل لكما هل باع صاحبنا من متاعه شيئا فقلتما لا قالا ما كان لنا بينة فكرهنا
ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله عز وجل فان عثر الآية فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة السهميان
فحلفا بالله بعد العصر انهما كذبا وخانا فدفع الاناء اليهما وفي رواية الى اولياء الميت واعلم انهما ان كانا وارثين لبديل فلا نسخ
الا في وصف اليمين فان الوارث لا يحلف على البتات والا فهو منسوخ ذلك كلام مستأنف سيق لبيان ان ما ذكر مستتبع للمنافع وارد على
مقتضى الحكمة والمصلحة اي الحكم الذي تقدم تفصيله ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها اي اقرب الى ان يؤدي الشهود الشهادة على
وجهها الذي تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة خوفا من العذاب الاخروي وهذه كما ترى حكمة شرعية التحليف بالتغليظ المذكور
وقوله تعالى او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم بيان لحكمة شرعية رد اليمين على الورثة معطوف على مقدر ينبئ عنه المقام كأنه قيل ذلك
ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها ويخافوا عذاب الآخرة بسبب اليمين الكاذبة او يخافوا الافتضاح على رؤوس الاشهاد بابطال
ايمانهم والعمل بايمان الورثة فينزجروا عن الخيانة المؤدية اليه فاي الخوفين وقع حصل المقصد الذي هو الاتيان بالشهادة على
وجهها وقيل هو عطف على يأتوا على معنى ان ذلك اقرب الى ان يأتوا بالشهادة على وجهها او الى ان يخافوا الافتضاح برد اليمين
على الورثة فلا يحلفوا على موجب شهادتهم ان لم يأتوا بها على وجهها فيظهر كذبهم واما ما قيل من ان المعنى ان ذلك اقرب الى احد
الامرين اللذين ايهما وقع كان فيه الصلاح اداء الشهادة على الصدق والامتناع عن ادائها على الكذب فيأباه المقام اذ لا
تعلق له بالحادثة اصلا ضرورة ان الشاهد مضطر فيها الى الجواب فالامتناع عن الشهادة الكاذبة مستلزم للاتيان بالصادقة

قطعا فليس هناك امران ايهما وقع كان فيه الصلاح حتى يتوسط بينهما كلمة او وانما يتأتى ذلك في شهود لم يتهموا بالخيانة على ان الامتناع
عن الشهادة الكاذبة الى خوف رد اليمين على الورثة ونسبة الاتيان بالصادقة الى غيره مع ان ما يقتضي احدهما ما يقتضي الآخر لا محالة
تحكم بحت فتأمل واتقوا الله في مخالفة احكامه التي من جملتها هذا الحكم واسمعوا ما تؤمرون به كائنا ما كان سمع طاعة وقبول والله
لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن الطاعة اي فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين اي الى
طريق الجنة او الى ما فيه نفعهم يوم يجمع الله الرسل نصب على انه بدل اشتمال من مفعول اتقوا لما بينهما من الملابسة فان مدار البدلية ليس
ملابسة الظرفية والمظروفية ونحوها فقط بل هو تعلق ما هو مصحح لانتقال الذهن من المبدل منه الى البدل بوجه اجمالي كما في ما نحن فيه
فان كونه تعالى خالق الاشياء كافة مالك يوم الدين خاصة كاف في الباب مع ان الامر بتقوى الله تعالى يتبادر منه الى الذهن
ان المتقي اي شأن من شؤونه واي فعل من افعاله وقيل هناك مضاف محذوف به يتحقق الاشتمال اي اتقوا عقاب الله يجوز
انتصابه منه بطريق الظرفية وقيل منصوب بمضمر معطوف على اتقوا وما عطف عليه اي واحذروا او واذكروا يوم الخ فان تذكير
ذلك اليوم الهائل مما يضطرهم الى تقوى الله عز وعلا وتلقي امره بسمع الاجابة والطاعة وقيل هو ظرف لقوله تعالى لا يهدي اي
لا يهديهم يومئذ الى طريق الجنة كما يهدي اليه المؤمنين وقيل منصوب بقوله تعالى واسمعوا بحذف مضاف اي اسمعوا خبر ذلك اليوم
وقيل منصوب بفعل مؤخر قد حذف للدلالة على ضيق العبارة عن شرحه وبيانه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة التامة والداهية
العامة كأنه قيل يوم يجمع الله الرسل فيقول الخ يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفي ببيانه نطاق المقال واظهار الاسم الجليل في موقع
الاضمار لتربية المهابة وتشديد التهويل وتخصيص الرسل بالذكر ليس لاختصاص الجمع بهم دون الامم كيف لا وذلك يوم مجموع له
الناس وذلك يوم مشهود وقد قال الله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم بل للابانة عن شرفهم واصالتهم والايذان بعدم الحاجة الى التصريح
بجمع غيرهم بناء على ظهور كونهم اتباعا لهم ولاظهار سقوط منزلتهم وعدم لياقتهم بالانتظام في سلك جمع الرسل كيف لا وهم عليهم السلام
يجمعون على وجه الاجلال واولئك يسحبون على وجوههم بالاغلال فيقول لهم مشيرا الى خروجهم عن عهدة الرسالة كما ينبغي حسبما يعرب عنه
تخصيص السؤال بجواب الامم اعرابا واضحا والالتفات الى الخطاب بان يقال هل بلغتم رسالاتي وماذا في قوله عز وجل ماذا اجبتم عبارة
عن مصدر الفعل فهو نصب على المصدرية اي اي اجابة اجبتم من جهة اممكم اجابة قبول او اجابة رد وقيل عبارة عن الجواب فهو
في محل النصب بعد حذف الجار عنه اي باي جواب اجبتم وعلى التقديرين ففي توجيه السؤال عما صدر عنهم وهو شهود لدى الرسل
عليهم السلام كسؤال الموؤدة يحصل من الفوائد والعدول عن اسناد الجواب اليهم بان يقال ماذا اجابوا من الابناء عن كمال
تحقير شأنهم وشدة الغيظ والسخط عليهم ما لا يخفى قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كأنه قيل فماذا
يقول الرسل عليهم السلام هنالك فقيل يقولون لا علم لنا وصيغة الماضي للدلالة على التقرر والتحقق كما في قوله تعالى ونادى اصحاب
الجنة ونادى اصحاب النار ونظائرهما وانما يقولون ذلك تفويضا للامر الى علمه تعالى واحاطته بما اعتراهم من جهتهم من مقاساة الاهوال
ومعاناة الهموم والاوجال وعرضا لعجزهم عن بيانه لكثرته وفظاعته انك انت علام الغيوب تعليل لذلك اي فتعلم ما اجابوا واظهروا
لنا وما لم نعلمه مما اضمروه في قلوبهم وفيه اظهار للشكاة ورد الامر الى علمه تعالى بما لقوا من قبلهم من الخطوب والكروب والتجاء الى ربهم
في الانتقام منهم وقيل المعنى لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة ورد ذلك بانهم يعرفونهم بسيماهم فكيف يخفى عليهم
امرهم وانت خبير بان مرادهم ح ان بعضهم كانوا في زمانهم على الحق ثم صاروا كفرة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما و
السدي انهم يفزعون من اول الامر ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعدما ثابت اليهم عقولهم بالشهادة على اممهم ولا يلائمه
التعليل المذكور وقيل المراد به المبالغة في تحقيق فضيحتهم وقرئ علام الغيوب بالنصب على النداء او الاختصاص بالمدح على ان الكلام
قد تم عند قوله انت اي انك انت المنعوت بنعوت كمالك المعروف بذلك اذ قال الله يا عيسى بن مريم شروع في بيان ما جرى بينه

تعالى وبين واحد من الرسل المجموعين من المفاوضة على التفصيل اثر بيان ما جرى بينه تعالى وبين الكل على وجه الاجمال ليكون ذلك كالانموذج لتفاصيل احوال الباقين وتخصيص شأن عيسى عليه السلام بالبيان تفصيلا من بين شؤون سائر الرسل عليهم السلام مع دلالتهما على كمال هول ذلك اليوم ونهاية سوء حال المكذبين بالرسل لما ان شأنه عليه السلام متعلق بكلا الفريقين من اهل الكتاب الذين نعيت عليهم في السورة الكريمة جناياتهم فتفصيله اعظم عليهم واجلب لحسرتهم وندامتهم وافت في اعضادهم وادخل في صرفهم عن غيهم وعنادهم واذ بدل من يوم يجمع الله الخ وصيغة الماضي لما ذكر من الدلالة على تحقق الوقوع واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار لما مر من المبالغة في التهويل وكلمة على في قوله تع **اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك** متعلق بنفس النعمة ان جعلت مصدرا اي اذكر انعامي عليكما او بمحذوف هو حال منها ان جعلت اسما اي اذكر نعمتي كائنة عليكما وليس المراد بامره عليه السلام يومئذ بذكر النعم المنتظمة في سلك التعديد تكليفه عليه السلام شكرها والقيام بمواجبها ولات حين تكليف مع خروجه عليه السلام عن عهدة الشكر في اوانه اي خروج بل اظهار امره عليه السلام بتعداد تلك النعم حسبما بينه الله سبحانه اعتدادا بها وتلذذا بذكرها على رؤوس الاشهاد ليكون حكاية ذلك على ما انبأ عنه النظم الكريم توبيخا ومزجرة للكفرة المختلفين في شأنه عليه السلام افراطا وتفريطا لقولهما جميعا **اذ ايدتك** ظرف لنعمتي اي اذكر انعامي عليكما وقت تاييدي لك او حال منها اي اذكرها كائنة وقت تاييدي لك وقرئ آيدتك والمعنى واحد اي قويتك **بروح القدس** بجبريل عليه السلام لتثبيت الحجة او بالكلام الذي يحيى به الدين واضافته الى القدس لانه سبب الطهر عن اوضار الآثام او يحيى به الموتى او النفوس حيوة ابدية وقيل الارواح مختلفة الحقائق فمنها طاهرة نورانية ومنها خبيثة ظلمانية ومنها مشرقة كدرة ومنها حرة ومنها نذلة وكانت روحه عليه السلام طاهرة مشرقة نورانية علوية وايا ما كان فهو نعمة عليهما **تكلم الناس في المهد وكهلا** استيناف مبين لتأييده عليه السلام او حال من الكاف وذكر تكليمه عليه السلام في حال الكهولة لبيان ان كلامه عليه السلام في تينك الحالتين كان على نسق واحد بديع صادرا عن كمال العقل مقارنا لرزانة الرأي والتدبير وبه استدل على انه عليه السلام سينزل من السماء لما انه عليه السلام رفع قبل التكهل قال ابن عباس رضي الله عنهما ارسله الله تعالى وهو ابن ثلاثين سنة ومكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله تعالى اليه **واذ علمتك الكتاب** عطف على قوله تع اذ ايدتك منصوب بما نصبه اي اذكر نعمتي عليكما وقت تعليمي لك الكتاب **والحكمة** اي جنسهما **والتوراة والانجيل** خصهما بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة اظهارا لشرفهما وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب **واذ تخلق من الطين كهيئة الطير** اي تصور منه هيئة مماثلة لهيئة الطير **باذني** بتسهيلي وتيسيري لا على ان يكون الخلق صادرا عنه عليه السلام حقيقة بل على ان يظهر ذلك على يده عليه السلام عند مباشرة الاسباب مع كون الخلق حقيقة لله تعالى كما ينبئ عنه قوله تع **فتنفخ فيها** اي في الهيئة المصورة **فتكون** اي تلك الهيئة **طيرا باذني** فان اذنه تعالى لو لم تكن عبارة عن تكوينه تعالى للطير بل عن محض تيسيره مع صدور الفعل حقيقة عما اسند اليه لكان هذا تكوينا من جهة الهيئة وتكرير قوله باذني في الطير مع كونه شيئا واحدا للتنبيه على ان كلا من التصوير والنفخ امر معظم بديع لا يتسنى ولا يترتب عليه شيء الا باذنه تع **وتبرئ الاكمه والابرص باذني** عطف على تخلق **واذ تخرج الموتى باذني** عطف على اذ تخلق اعيد فيه اذ لكون اخراج الموتى من قبورهم لا سيما بعد ما صارت رميما معجزة باهرة ونعمة جليلة حقيقة بتذكير وقتها صريحا قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية وتكرير قوله باذني في المواضع الاربعة للاعتناء بتحقيق الحق ببيان ان تلك الخوارق ليست من قبل عيسى بل من جهته سبحانه قد اظهرها على يديه معجزة له ونعمة خصه بها واما ذكره في سورة آل عمران مرتين لما ان ذلك موضع الاخبار وهذا موضع تعداد النعم **واذ كففت بني اسرائيل عنك** عطف على اذ تخرج اي منعت اليهود الذين ارادوا بك السوء عن التعرض لك **اذ جئتهم بالبينات** بالمعجزات الواضحة مما ذكر وما لم يذكر كالاخبار بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم ونحو ذلك وهو ظرف لكففت لكن لا باعتبار المجيء بها فقط بل باعتبار ما يعقبه من قوله

تعالى **فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين** فان قولهم ذلك مما يدل على انهم قصدوا اغتياله عليه السلام المحوج الى الكف اي كففتهم عنك حين قالوا ذلك عند مجيئك اياهم بالبينات وانما وضع موضع ضميرهم الموصول لذمهم بما في حيز الصلة فكلمة من بيانية وهذا اشارة الى ما جاء به والتذكير لان اشارتهم اليه او الى نفس المسمى من حيث هو او من حيث هو سحر لا من حيث هو مسمى بالبينات وقرئ ان هذا الا ساحر مبين فهذا اشارة الى عيسى عليه السلام **واذ اوحيت الى الحواريين** عطف على ما قبله من اخواتها الواقعة ظروفا للنعمة التي امر بذكرها وهي وان كانت في الحقيقة عين ما تفيده الجمل التي اضيف اليها تلك الظروف من التاييد بروح القدس وتعليم الكتاب والحكمة وسائر الخوارق المعدودة لكنها لمغايرتها لها بعنوان مبنى عن غاية الاحسان امر بذكرها من تلك الحيثية وجعلت عاملة في تلك الظروف لكفاية المغايرة الاعتبارية في تحقيق ما اعتبر في مدلول كلمة اذ من تعدد النسبة فانه ظرف موضوع لزمان نسبتين ماضيتين واقعتين فيه احداهما معلومة الوقوع فيه للمخاطب دون الاخرى فيراد افادة وقوعها ايضا له فيضاف الى الجملة المفيدة للنسبة الاولى ويجعل ظرفا معمولا للنسبة الثانية ثم قد تكون المغايرة بين النسبتين بالذات كما في قولك اذكر احساني اليك اذ احسنت الي تريد تنبيه المخاطب على وقوع احسانك اليه وقت وقوع احسانه اليك وهما نسبتان متغايرتان بالذات وقد تكون بالاعتبار كما في قولك اذكر احساني اليك اذ منعتك من المعصية تريد تنبيهه على كون منعه منها احسانا اليه لا على احسان آخر واقع حينئذ ومن هذا القبيل عامة ما وقع في التنزيل من قوله تع يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا الآية وقوله تع يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم الى غير ذلك من النظائر ومعنى ايحائه تعالى اليهم امره تعالى اياهم في الانجيل على لسانه عليه السلام وقيل الهامه تعالى اياهم كما في قوله تعالى واوحينا الى ام موسى وان في قوله تعالى **ان آمنوا بي وبرسولي** مفسرة لما في الايحاء من معنى القول وقيل مصدرية وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة للتنبيه على كيفية الايمان به عليه السلام كانه قيل آمنوا بوحدانيتي في الالوهية والربوبية وبرسالة رسولي ولا تزيلوه عن حيزه حطا ولا رفعا وقوله تع **قالوا** استيناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا قالوا حين اوحي اليهم ذلك فقيل قالوا **آمنا** اي بما ذكر من وحدانيته تعالى وبرسالة رسوله كما يؤذن به قولهم **واشهد باننا مسلمون** اي مخلصون في ايماننا من اسلم وجهه لله وهذا القول منهم بمقتضى وحيه تعالى وامره لهم بذلك نعمة جليلة كسائر النعم الفائضة عليه عليه السلام وكل ذلك نعمة على والدته ايضا روي انه عليه السلام لما علم انه سيؤمر بذكر تلك النعم العظام جعل يلبس الشعر وياكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول لكل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت اينما امسى بات **اذ قال الحواريون** كلام مستأنف مسوق لبيان بعض ما جرى بينه عليه السلام وبين قومه منقطع عما قبله كما ينبئ عنه الاظهار في موقع الاضمار واذ منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق تلوين الخطاب لكن لا لان الخطاب السابق لعيسى عليه السلام فانه ليس بخطاب وانما هو حكاية خطاب بل لان الخطاب لمن خوطب بقوله تع الآية فتأمل كانه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم عقيب حكاية ما صدر عن الحواريين من المقالة المعدودة من نعم الله تعالى الفائضة على عيسى عليه السلام اذكر للناس وقت قولهم الى آخره وقيل هو ظرف لقالوا اريد به التنبيه على ان ادعاءهم الايمان والاخلاص لم يكن عن تحقيق وايقان ولا ساعده النظم الكريم **يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء** اختلف في انهم هل كانوا مؤمنين او لا فقيل كانوا كافرين شاكين في قدرة الله تعالى على ما ذكروا وفي صدق عيسى عليه السلام كاذبين في دعوى الايمان والاخلاص وقيل كانوا مؤمنين وسؤالهم للاطمينان والتثبت لا لازاحة الشك وهل يستطيع سؤال عن الفعل دون القدرة عليه تعبيرا عنه بلازمه وقيل الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك بمعنى هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب بمعنى اجاب وقرئ هل تستطيع ربك اي سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عنه وهي قراءة علي وعائشة وابن عباس ومعاذ رضي الله تعالى عنهم وسعيد بن جبير في آخرين والمائدة الخوان الذي عليه الطعام من ماده اذا اعطاه ورفده كانها تميد من تقدم اليه ونظيره

قولهم شجرة مطعمة وقال ابو عبيدة هي فاعلة بمعنى مفعولة كعيشة راضية قال استيناف مبني على سؤال ناشئ مما قبله كانه قيل فماذا قال
لهم عيسى عليه السلام حين قالوا ذلك فقيل قال اتقوا الله اي من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين اي بكمال قدرته تعالى وبصحة نبوتي او ان
صدقتم في ادعاء الايمان والاسلام فان ذلك مما يوجب التقوى والاجتناب عن امثال هذه الاقتراحات وقيل امرهم بالتقوى ليصير ذلك ذريعة
لحصول المسئول كقوله تع ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقوله تع يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة
قالوا استيناف كما سبق نريد ان نأكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال اي لسنا نريد بالسؤال ازاحة شبهتنا في قدرته سبحانه
على تنزيلها او في صحة نبوتك حتى يقدح ذلك في الايمان والتقوى بل نريد ان نأكل منها اي اكل تبرك وقيل اكل حاجة وتمتع وتطمئن
قلوبنا بكمال قدرته تعالى وان كنا مؤمنين به من قبل فان انضمام علم المشاهدة الى العلم الاستدلالي مما يوجب ازدياد الطمانينة وقوة
اليقين ونعلم اي علما يقينيا لا يحوم حوله شائبة شبهة اصلا وقرئ ويعلم على البناء للمفعول ان قد صدقتنا ان هي المخففة من ان وضمير
الشأن محذوف اي ونعلم انه قد صدقتنا في دعوى النبوة وان الله يجيب دعوتنا وان كنا عالمين بذلك من قبل ونكون عليها من الشاهدين
نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل ليزداد المؤمنون منهم بشهادتنا طمانينة ويقينا ويؤمن بسببها كفارهم او من الشاهدين
للعين دون السامعين للخبر وعليها متعلق بالشاهدين ان جعل اللام للتعريف وبيان لما يشهدون عليه ان جعلت موصولة كانه قيل على اي
شيء يشهدون فقيل عليها فان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول او حال من اسم كان او هو متعلق بمحذوف يفسره من الشاهدين قال
عيسى ابن مريم لما رأى عليه السلام ان لهم غرضا صحيحا في ذلك وانهم لا يقلعون عنه ازمع على استدعائها واستنزالها واراد ان يلزمهم
الحجة بكمالها روي انه عليه السلام اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين فطأطأ رأسه وغض بصره ثم قال اللهم ربنا ناداه سبحانه وتعالى مرتين
مرة بوصف الالوهية الجامعة لجميع الكمالات ومرة بوصف الربوبية المنبئة عن التربية اظهارا لغاية التضرع ومبالغة في الاستدعاء انزل علينا
تقديم الظرف على قوله تع مائدة لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقوله تع من السماء متعلق بانزل او بمحذوف هو صفة
لمائدة اي كائنة من السماء نازلة منها وقوله تع تكون لنا عيدا في محل النصب على انه صفة لمائدة واسم تكون ضمير المائدة وخبرها اما
عيدا ولنا حال منه او من ضمير تكون عند من يرى ذلك اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وانما اسند ذلك الى المائدة لان شرف اليوم
مستعار من شرفها وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن بالجزم على جواب الامر كما في قوله تع فهب لي من لدنك
وليا يرثني خلا ان قراءة الجزم هناك متواترة وههنا من الشواذ لاولنا وآخرنا بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا
روي انها نزلت يوم الاحد ولذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل للرؤساء منا والاتباع وقيل يأكل منها اولنا وآخرنا وقرئ لاولانا
واخرانا بمعنى الامة والطائفة وآية عطف على عيدا منك متعلق بمحذوف هو صفة لآية اي كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي
وارزقنا اي المائدة او الشكر عليها وانت خير الرازقين تذييل جار مجرى التعليل اي خير من يرزق لانه خالق الارزاق ومعطيها بلا
عوض وفي اقباله عليه السلام على الدعاء بتكرير النداء المنبئ عن كمال التضرع والابتهال وزيادته ما لم يخطر ببال السائلين من الامور الداعية
الى الاجابة والقبول دلالة واضحة على انهم كانوا مؤمنين وان سؤالهم كان لتحصيل الطمانينة كما في قول ابراهيم عليه السلام رب ارني
كيف تحيي الموتى والا لما قبل اعتذارهم بما ذكر ولما اضاف اليه من عنده ما يؤكده ويقربه الى القبول قال الله استيناف كما سبق اني منزلها
عليكم ورود الاجابة منه تعالى بصيغة التفعيل المنبئة عن التكثير مع كون الدعاء منه عليه السلام بصيغة الافعال لاظهار كمال اللطف
والاحسان كما في قوله تع قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب الخ بعد قوله لئن انجانا من هذه الخ مع ما فيه من مراعاة ما وقع في عبارة السائلين
وفي تصدير الجملة بكلمة التحقيق وجعل خبرها اسما تحقيق للوعد وايذان بانه عز وجل منجز له لا محالة من غير صارف يثنيه ولا مانع
يلويه واشعار بالاستمرار اي اني منزل المائدة عليكم مرات كثيرة وقرئ بالتخفيف وقيل الانزال والتنزيل بمعنى واحد فمن يكفر بعد
اي بعد تنزيلها منكم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يكفر فاني اعذبه بسبب كفره بعد معاينة هذه الآية الباهرة عذابا اسم مصدر بمعنى

التعذيب وقيل مصدر بحذف الزوائد وانتصابه على المصدرية بالتقديرين المذكورين وجوز ان يكون مفعولا به على الاتساع وقوله تع لا اعذبه
في محل النصب على انه صفة لعذابا والضمير له اي اعذب به تعذيبا لا اعذب مثل ذلك التعذيب احدا من العالمين اي من عالمي زمانهم او من العالمين
جميعا قيل لما سمعوا هذا الوعيد الشديد خافوا ان يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل وبه قال مجاهد والحسن رضي الله عنهما
والصحيح الذي عليه جماهير الامة ومشاهير الائمة انها قد نزلت روي انه عليه السلام لما دعا بما دعا واجيب بما اجيب اذا بسفرة
حمراء نزلت بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم
اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال
بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول
ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال
شمعون رأس الحواريين يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله تعالى بالقدرة العالية
كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله
تعالى فاضطربت ثم قال عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا فمسخوا قردة وخنازير وقيل كانت تأتيهم
اربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل
منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى
دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم من مسخ فاصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات ويأكلون العذرة
في الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى عليه السلام وبكوا على الممسوخين فلما ابصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت
تطيف به عليه السلام وجعل يدعوهم باسمائهم واحدا بعد واحد فيبكون ويشيرون برؤسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة ايام
ثم هلكوا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عيسى عليه السلام قال لهم صوموا ثلاثين يوما ثم سلوا الله ما شئتم يعطكم فصاموا
فلما فرغوا قالوا لو انا عملنا لاحد فقضينا عمله لاطعمنا وسألوا الله تعالى المائدة فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة
ارغفة وسبعة احوات حتى وضعتها بين ايديهم فاكل منها آخر الناس كما اكل اولهم قال كعب نزلت منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء
والارض عليها كل الطعام الا اللحم وقال قتادة كان عليها ثمر من ثمار الجنة وقال عطية العوفي نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء
وقال الكلبي ومقاتل نزلت سمكة وخمسة ارغفة فاكلوا ما شاء الله والناس الف ونيف فلما رجعوا الى قراهم ونشروا الحديث
ضحك منهم من لم يشهد وقالوا ويحكم انما سحر اعينكم فمن اراد الله به الخير ثبته على بصيرة ومن اراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا خنازير
فمكثوا بذلك ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ واذ قال الله يا عيسى ابن مريم معطوف على
اذ قال الحواريون منصوب بما نصبه من المضمر المخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم او بمضمر مستقل معطوف على ذلك اي اذكر للناس وقت قول
الله عز وجل له عليه السلام في الآخرة توبيخا للكفرة وتبكيتا لهم باقراره عليه السلام على رؤس الاشهاد بالعبودية وامره لهم بعبادته
عز وجل وصيغة الماضي لما مر من الدلالة على التحقق والوقوع ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين الاتخاذ اما متعد الى مفعولين
فالهين ثانيهما واما الى واحد فهو حال من المفعول وليس مدار اصل الكلام ان القول متيقن والاستفهام لتعيين القائل كما هو المتبادر
من ايلاء الهمزة المبتدأ على الاستعمال الغالب وعليه قوله تعالى ءانت فعلت هذا بآلهتنا ونظائره بل على ان المتيقن هو الاتخاذ
والاستفهام لتعيين انه بامره عليه السلام ام من تلقاء انفسهم كما في قوله تع ءانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل
وقوله تع من دون الله متعلق بالاتخاذ ومحله النصب على انه حال من فاعله اي متجاوزين الله او بمحذوف هو صفة لالهين اي كائنين
من دونه تعالى واياما كان فالمراد اتخاذهما بطريق اشراكهما به سبحانه كما في قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا

وقوله عز وجل ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله الى قوله سبحانه وتعالى عما يشركون اذ به
يتأتى التوبيخ ويتسنى التقريع والتبكيت ومن توهم ان ذلك بطريق الاستقلال ثم اعتذر عنه بأن النصارى يعتقدون ان المعجزات التي ظهرت
على يد عيسى ومريم عليهما السلام لم يخلقها الله تعالى بل هما خلقاها فصح انهم اتخذوهما في حق بعض الاشياء الهين مستقلين ولم يتخذوه
تعالى الها في حق ذلك البعض فقد ابعد عن الحق بمراحل واما من تعمق فقال ان عبادته تعالى مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده تعالى
مع عبادتهما كأنه عبدهما ولم يعبده تعالى فقد غفل عما يجديه واشتغل بما لا يعنيه كدأب من قبله فان توبيخهم انما حصل بما يعتقدونه
ويعترفون به صريحا لا بما يلزمه بضرب من التأويل واظهار الاسم الجليل لكونه في حيز القول المسند الى عيسى عليه السلام قال استيناف مبني
على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل فماذا يقول عيسى عليه السلام ح فقيل يقول وايثار صيغة الماضي لما مر مرارا سبحانك سبحان
علم للتسبيح وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه وفيه من المبالغة في التنزيه من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب
والابعاد في الارض ومن جهة النقل الى صيغة التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة المشير الى الحقيقة الحاضرة
في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل ما لا يخفى اي انزهك تنزيها لائقا بك من ان اقول ذلك او من ان يقال في حقك
ذلك واما تقدير من ان يكون لك شريك في الالوهية فلا يساعده سياق النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى ما يكون لي ان اقول ما ليس لي
بحق استيناف مقرر للتنزيه ومبين للمنزه منه وما عبارة عن القول المذكور اي ما يستقيم وما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله
وايثار ليس على الفعل المنفي لظهور دلالته على استمرار انتفاء الحقية وافادة التأكيد بما في حيزه من الباء فان اسمه ضميره العائد الى ما وخبره
بحق والجار والمجرور في لي للتبيين كما في سقيا لك ونحوه وقوله تعالى ان كنت قلته فقد علمته استيناف مقرر لعدم صدور القول
المذكور عنه عليه السلام بالطريق البرهاني فان صدوره عنه مستلزم لعلمه تعالى به قطعا فحيث انتفى علمه تعالى به انتفى صدوره عنه حتما ضرورة
ان عدم اللازم مستلزم لعدم الملزوم تعلم ما في نفسي استيناف جار مجرى التعليل لما قبله كأنه قيل لانك تعلم ما اخفيه في نفسي فكيف
بما اعلنه وقوله تعالى ولا اعلم ما في نفسك بيان للواقع واظهار لقصوره اي ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله تعالى في نفسك للمشاكلة
وقيل المراد بالنفس هو الذات ونسبة المعلومات اليها لما انها مرجع الصفات التي من جملتها العلم المتعلق بها فلم يكن كنسبتها الى الحقيقة
وقوله تعالى انك انت علام الغيوب تعليل لمضمون الجملتين منطوقا ومفهوما وقوله عز وجل ما قلت لهم الا ما امرتني به استيناف مسوق
لبيان ما صدر عنه قد ادرج فيه عدم صدور القول المذكور عنه على ابلغ وجه واكده حيث حكم بانتفاء صدور جميع الاقوال المغايرة
للمأمور به فدخل فيه انتفاء صدور القول المذكور دخولا اوليا اي ما امرتهم الا بما امرتني به وانما قيل ما قلت لهم نزولا على قضية
حسن الادب ومراعاة لما ورد في الاستفهام وقوله تعالى ان اعبدوا الله ربي وربكم تفسير للمأمور به وقيل عطف بيان للضمير في به
وقيل بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا ليلزم بقاء الموصول بلا عائد وقيل خبر مضمر او مفعوله مثل هو او اعني
وكنت عليهم شهيدا رقيبا اراعي احوالهم واحملهم على العمل بموجب امرك وامنعهم عن المخالفة او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان ما دمت
فيهم ما مصدرية ظرفية تقدر بمصدر مضاف اليه زمان ودمت صلتها اي كنت شهيدا عليهم مدة دوامي فيما بينهم فلما توفيتني بالرفع
الى السماء كما في قوله تعالى اني متوفيك ورافعك الي فان التوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى الانفس
حين موتها والتي لم تمت في منامها كنت انت الرقيب عليهم لا غيرك فان انت ضمير الفصل او تأكيد وقرئ الرقيب بالرفع على انه خبر انت
والجملة خبر لكان وعليهم متعلق به اي انت كنت الحافظ لاعمالهم والمراقب فمنعت من اردت عصمته من المخالفة بالارشاد الى الدلائل
والتنبيه عليها بارسال الرسول وانزال الآيات وخذلت من خذلت من الضالين فقالوا ما قالوا وانت على كل شيء شهيد اعتراض
تذييلي مقرر لما قبله وفيه ايذان بانه تعالى كان هو الشهيد على الكل حين كونه عليه السلام فيما بينهم وعلى متعلقة بشهيد والتقديم لمراعاة
الفاصلة ان تعذبهم فانهم عبادك وقد استحقوا ذلك حيث عبدوا غيرك وان تغفر لهم فانك انت العزيز اي القوي القادر على

جميع المقدورات التي من جملتها الثواب والعقاب الحكيم الذي لا يريد ولا يفعل الا ما فيه حكمة ومصلحة فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت
فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك انما هو بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمنع الترديد وقيل الترديد بالنسبة الى فرقتين
والمعنى ان تعذبهم اي من كفر منهم وان تغفر لهم اي من آمن منهم قال الله كلام مستأنف ختم به حكاية ما حكي مما يقع يوم يجمع الله الرسل عليهم السلام
واشير الى نتيجته ومآله اي يقول الله تعالى يومئذ عقيب جواب عيسى عليه السلام مشيرا الى صدقه في ضمن بيان حال الصادقين الذين هو
في زمرتهم وصيغة الماضي لما مر في نظائره مرارا وقوله تعالى هذا اشارة الى ذلك اليوم وهو مبتدأ خبره ما بعده اي هذا اليوم الذي حكي
بعض ما يقع فيه اجمالا وبعضه تفصيلا يوم ينفع الصادقين بالرفع والاضافة والمراد بالصادقين كما ينبئ عنه الاسم الجليل المستمرون
في الدارين على الصدق في الامور الدينية التي معظمها التوحيد الذي نحن بصدده والشرائع والاحكام المتعلقة به من الرسل الناطقين
بالحق والصدق الداعين الى ذلك ومن الامم المصدقين لهم المقتدين بهم عقدا وعملا
وبه يتحقق المقصود بالحكاية من ترغيب السامعين في الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم لا كل من صدق في اي شيء كان ضرورة
ان الجاني المعترف في الدنيا بجنايته ولا ينفعه يومئذ اعترافه وصدقه صدقهم اي صدقهم فيما ذكر من امور الدين في الدنيا اذ هو
المستتبع للنفع يومئذ واعتبار استمراره في الدارين مع انه لا حاجة اليه كما عرفت ولا دخل له في استتباع النفع والجزاء مما لا وجه له
وهذه القراءة هي التي اطبق عليها الجمهور وهي الأليق بسياق النظم الكريم وسياقه وقد قرئ يوم بالنصب اما على انه ظرف
لقال فهذا ح اشارة الى قوله تعالى أأنت قلت الى آخره واما على انه خبر لهذا فهو حينئذ اشارة الى جواب عيسى عليه السلام اي هذا الجواب
منه عليه السلام واقع يوم ينفع الخ او الى السؤال والجواب معا وقيل هو خبر ولكنه بني على الفتح عند البصريين لانه مضاف الى متمكن
وقرئ يوم بالرفع والتنوين كقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي الآية لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا استيناف
مسوق لبيان النفع المذكور كأنه قيل ما لهم من النفع فقيل لهم نعيم دائم وثواب خالد وقوله تعالى رضي الله عنهم استيناف آخر لبيان
انه عز وجل افاض عليهم غير ما ذكر من الجنات ما لا قدر لها عنده وهو رضوانه الذي لا غاية وراءه كما ينبئ عنه قوله تعالى ورضوان
اذ لا شيء اعز منه حتى يمتد اليه اعناق الهمم ذلك اشارة الى نيل رضوانه تعالى وقيل الى نيل الكل الفوز العظيم لما ان عظم شأن الفوز
تابع لعظم شأن المطلوب الذي تعلق به الفوز وقد عرفت ان لا مطلب وراء ذلك اصلا وقوله تعالى لله ملك السموات والارض وما
فيهن تحقيق للحق وتنبيه على كذب النصارى وفساد ما زعموا في حق المسيح وامه اي له تعالى خاصة ملك السموات والارض وما فيهما من
العقلاء وغيرهم يتصرف فيها كيف يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وامرا ونهيا من غير ان يكون لشيء من الاشياء مدخل في ذلك
وفي ايثار ما على من المختصة بالعقلاء على تقدير تناولها للكل مراعاة للاصل واشارة الى تساوي الفريقين في استحالة الربوبية
حسب تساويهما في تحقق المربوبية وعلى تقدير اختصاصها بغير العقلاء تنبيه على كمال قصورهم عن رتبة الالوهية واهانة بهم
بتغليب غيرهم عليهم وهو على كل شيء من الاشياء قدير مبالغ في القدرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة
اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الانعام مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة اولا باسم الذات الذي عليه يدور كافة ما يوجبه من صفات الكمال واليه
يؤول جميع نعوت الجلال والجمال للايذان بانه عز وجل هو المستحق له بذاته لما مر من اقتضاء اختصاص الحقيقة به سبحانه لاقتصار جميع افرادها عليه
بالطريق البرهاني ووصفه تعالى ثانيا بما ينبئ عن تفصيل بعض موجباته المنتظمة في سلك الاجمال من عظائم الآثار وجلائل الافعال من قوله
عز وجل الذي خلق السموات والارض للتنبيه على استحقاقه تعالى واستقلاله به باعتبار افعاله العظام وآلائه الجسام ايضا وتخصيص
خلقهما بالذكر لاشتمالهما على جملة الآثار العلوية والسفلية وعامة الآلاء الجلية والخفية التي اجلها نعمة الوجود الكافية في ايجاب حمده
تعالى على كل موجود فكيف بما يتفرع عليها من فنون النعم الانفسية والآفاقية المنوط بها مصالح العباد في المعاش والمعاد اي

مطلب سورة الانعام

انشائهما على ما هما عليه من النمط الفائق والطراز الرائق منطويتين من انواع البدائع واصناف الروائع على ما تتحير فيه العقول والافكار من تعاجيب
العبر والآثار تبصرة وذكرى لاولي الابصار وجمع السموات لظهور تعدد طبقاتها واختلاف آثارها وحركاتها وتقديمها لشرفها وعلو
مكانها وتقدمها وجودا على الارض كما هي **وجعل الظلمات والنور** عطف على خلق مترتب عليه لكون جعلهما مسبوقا بخلق منشائهما ومحلهما داخل معه
في حكم الاشعار بعلة الحمد فكما ان خلق السموات والارض وما فيهما لكونه اثرا عظيما ونعمة جليلة موجب لاختصاص الحمد بخالقهما جل وعلا
كذلك جعل الظلمات والنور لكونه امرا خطيرا ونعمة عظيمة مقتض لاختصاصه بجاعلهما والجعل هو الانشاء والابداع كالخلق خلا ان ذلك
مختص بالانشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة وللتشريعي ايضا كما في قوله تع ما جعل الله من
بحيرة الآية واياما كان ففيه انباء عن ملابسة مفعوله بشيء آخر بان يكون فيه او له او منه او نحو ذلك ملابسة مصححة لان يتوسط
بينهما شيء من الظروف لغوا كان او مستقرا لكن لا على ان يكون عمدة في الكلام بل قيدا فيه كما في قوله عز وعلا وجعل بينهما برزخا
وقوله تعالى وجعل فيها رواسي وقوله تع واجعل لنا من لدنك وليا الآية فان كل واحد من هذه الظروف اما متعلق بنفس الجعل
او بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة واياما كان فهو قيد في الكلام حتى اذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل
متعديا الى اثنين هو ثانيهما كما في قوله تع يجعلون اصابعهم في آذانهم وربما يشتبه الامر فيظن انه عمدة فيه وهو في الحقيقة قيد
باحد الوجهين كما سلف في قوله تع اني جاعل في الارض خليفة حيث قيل ان الظرف مفعول ثان لجاعل وقد اشير هناك الى ان الذي يقتضيه
الذوق السليم وتقتضيه جزالة النظم الكريم انه متعلق بجاعل او بمحذوف وقع حالا من المفعول وان المفعول الثاني هو خليفة
والاول محذوف على ما مر تفصيله وجمع الظلمات لظهور كثرة اسبابها ومحالها عند الناس ومشاهدتهم لها على التفصيل وتقديمها على
النور لتقدم الاعدام على الملكات مع ما فيه من رعاية حسن المقابلة بين القرينتين وقوله تع **ثم الذين كفروا بربهم يعدلون** معطوف على الجملة
السابقة الناطقة بما مر من موجبات اختصاصه تعالى بالحمد المستدعي لاقتصار العبادة عليه كما حقق في تفسير الفاتحة الكريمة مسوق لانكار
ما عليه الكفرة واستبعاده من مخالفتهم لمضمونها واجترائهم على ما يقضي ببطلانه بديهة العقول والمعنى انه تعالى مختص باستحقاق الحمد
والعبادة باعتبار ذاته وباعتبار ما فصل من شؤونه العظيمة الخاصة به الموجبة لقصر الحمد والعبادة عليه ثم هؤلاء الكفرة لا يعملون
بموجبه ويعدلون به سبحانه اي يسوون به غيره في العبادة التي هي اقصى غايات الشكر الذي رأسه الحمد مع كون كل ما سواه مخلوقا له غير
متصف بشيء من مبادي الحمد وكلمة ثم لاستبعاد الشرك بعد وضوح ما ذكر من الآيات التكوينية القاضية ببطلانه لا بعد بيانه بالآيات
التنزيلية والموصول عبارة عن طائفة الكفار جار مجرى الاسم لهم من غير ان يجعل كفرهم بما يجب ان يؤمن به كلا او بعضا عنوانا
للموضوع فان ذلك مخل باستبعاد ما اسند اليهم من الاشراك والباء متعلقة بيعدلون ووضع الرب موضع ضميره تعالى لزيادة
التشنيع والتقبيح والتقديم لمزيد الاهتمام والمسارعة الى تحقيق مدار الانكار والاستبعاد والمحافظة على الفواصل وترك المفعول
لظهوره او لتوجيه الانكار الى نفس الفعل بتنزيله منزلة اللازم ايذانا بانه المدار في الاستبعاد والاستنكار لا خصوصية المفعول
هذا هو الحقيق بجزالة التنزيل والخليق بفخامة شأنه الجليل واما جعل الباء صلة لكفروا على ان يعدلون من العدول والمعنى ان الله تعالى حقيق
بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا بربهم يعدلون فيكفرون نعمته فيرده ان كفرهم به تعالى لا سيما باعتبار ربوبيته تعالى لهم
اشد شناعة واعظم جناية من عدولهم عن حمده عز وجل لتحققه مع اغفاله ايضا فجعل اهون الشرين عمدة في الكلام مقصود
الافادة واخراج اعظمهما مخرج القيد المفروغ عنه مما لا عهد له في الكلام السديد فكيف بالنظم التنزيلي هذا وقد قيل انه معطوف على
خلق السموات والمعنى انه تعالى خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به سبحانه ما لا يقدر على شيء منه لكن لا على قصد انه صلة
مستقلة ليكون بمنزلة ان يقال الحمد لله الذي عدلوا به بل على انه داخل تحت الصلة بحيث يكون الكل صلة واحدة كأنه قيل الحمد لله
الذي كان منه تلك النعم العظام ثم من الكفرة الكفر وانت خبير بان ما ينتظم في سلك الصلة المنبئة عن موجبات حمده عز وجل

حقه ان يكون له دخل في ذلك الانباء ولو في الجملة ولا ريب في ان كفرهم بمعزل منه وادعاء ان له دخلا فيه لدلالته على كمال الجود كأنه قيل الحمد لله
الذي انعم بمثل هذه النعم العظام على من لا يحمده تعسف لا يساعده النظام وتعكيس يأباه المقام كيف لا ومساق النظم الكريم كما يفصح عنه الآيات
الآتية تشنيع الكفرة وتوبيخهم ببيان غاية اسائتهم مع نهاية احسانه تعالى اليهم لا بيان نهاية احسانه تعالى اليهم مع غاية اسائتهم في حقه
تعالى كما يقتضيه الادعاء المذكور وبهذا اتضح انه لا سبيل الى جعل المعطوف من روادف المعطوف عليه لما ان حق الصلة ان تكون غير مقصودة
الافادة فما ظنك بما هو من روادفها وقد عرفت ان المعطوف هو الذي سيق له الكلام فتأمل وكن على الحق المبين **هو الذي خلقكم من طين** استئناف
مسوق لبيان بطلان كفرهم بالبعث مع مشاهدتهم لما يوجب الايمان به اثر بيان بطلان اشراكهم به تعالى مع معاينتهم لموجبات توحيده وتخصيص خلقهم
بالذكر من بين سائر دلائل صحة البعث مع ان ما ذكر من خلق السموات والارض من اوضحها واظهرها كما ورد في قوله تع اوليس الذي خلق السموات
والارض بقادر على ان يخلق مثلهم لما ان محل النزاع بعثهم فدلالة بدء خلقهم على ذلك اظهر وهم بشؤون انفسهم اعرف والتعامي عن الحجة النيرة اقبح
والالتفات لمزيد التشنيع والتوبيخ اي ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى للكل لما انه منشأ آدم الذي هو اصل البشر وانما نسب هذا الخلق
الى المخاطبين لا الى آدم عليه السلام وهو المخلوق منه حقيقة بان يقال هو الذي خلق اباكم الخ مع كفاية علمهم بخلقه عليه السلام منه في
ايجاب الايمان بالبعث وبطلان الامتراء لتوضيح منهاج القياس والمبالغة في ازاحة الاشتباه والالتباس مع ما فيه من تحقيق الحق والتنبيه على حكمة
خفية هي ان كل فرد من افراد البشر له حظ من انشائه عليه السلام منه حيث لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا
على فطرة سائر آحاد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من الطين خلقا لكل احد من فروعه منه
ولما كان خلقه عليه السلام على هذا النمط الساري الى جميع افراد ذريته ابدع من ان يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من نسبة
الخلق المذكور اليه وادل على عظم قدرة الخلاق العليم وكمال علمه وحكمته وكان ابتداء حال المخاطبين اولى بان يكون معيارا لانتهائها
فعل ما فعل ولله در شان التنزيل وعلى هذا السر مدار قوله تع ولقد خلقناكم ثم صورناكم الى آخره وقوله تع وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا
كما سيأتي وقيل المعنى خلق اباكم منه على حذف المضاف وقيل يعني خلقهم منه خلقهم من النطفة الحاصلة من الاغذية المتكونة من الارض واياما
كان ففيه من وضوح الدلالة على كمال قدرته تعالى على البعث ما لا يخفى فان من قدر على احياء ما لم يشم رائحة الحيوة قط كان على
احياء ما قارنها مدة اظهر قدرة **ثم قضى** اي كتب لموت كل واحد منكم **اجلا** خاصا به اي حدا معينا من الزمان يفنى عند حلوله لا محالة
وكلمة ثم للايذان بتفاوت ما بين خلقهم وبين تقدير آجالهم حسبما تقتضيه الحكم البالغة **واجل مسمى** اي حد معين لبعثكم جميعا وهو مبتدأ لتخصصه
بالصفة كما في قوله تع ولعبد مؤمن ولوقوعه في موقع التفصيل كما في قول من قال اذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وشق عندنا لم يحول
وتنوينه لتفخيم شأنه وتهويل امره ولذلك اوثر تقديمه على الخبر الذي هو **عنده** مع ان الشائع المستفيض هو التأخير كما في قولك عندي
كتاب حق ولي كتاب نفيس كأنه قيل واي اجل مسمى مثبت معين في علمه لا يتغير ولا يقف على وقت حلوله احد لا اجمالا ولا مفصلا واما
اجل الموت فمعلوم اجمالا وتقريبا بناء على ظهور اماراته او على ما هو المعتاد في اعمار الانسان وتسميته اجلا انما هي باعتبار كونه غاية
لمدة لبثهم في القبور لا باعتبار كونه مبدأ لمدة القيامة كما ان مدار التسمية في الاجل الاول هو كونه آخر مدة الحيوة لا كونه اول مدة
الممات لما ان الاجل في اللغة عبارة عن آخر المدة لا عن اولها وقيل الاجل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث من
البرزخ فان الاجل كما يطلق على آخر المدة يطلق على كلها وهو الاوفق لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى قضى لكل احد
اجلين اجلا من مولده الى موته واجلا من موته الى مبعثه فان كان برا تقيا وصولا للرحم زيد له من اجل البعث في اجل العمر وان كان
فاجرا قاطعا نقص من اجل العمر وزيد في اجل البعث وذلك قوله تع وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب فمعنى عدم تغير
الاجل ح عدم تغير آخره والاول هو الاشهر الاليق بتفخيم الاجل الثاني المنوط باختصاصه بعلمه تعالى والانسب بتهويله المبني على
مقارنته للطامة الكبرى فان كون بعضه معلوما للخلق ومضيه من غير ان يقع فيه شيء من الدواهي كما يستلزمه الحمل على المعنى الثاني

محل لذلك قطعاً ومعنى زيادة الأجل ونقصه فيما روي تأخير الأجل الأول وتقديمه **ثم أنتم تمترون** استبعاد واستنكار لامترائهم في البعث بعد معاينتهم
لما ذكر من الحجج الباهرة الدالة عليه أي تمترون في وقوعه وتحققه في نفسه مع مشاهدتكم في انفسكم من الشواهد ما يقطع مادة الامتراء بالكلية
فإن من قدر على إفاضة الحيوة وما يتفرع عليها من العلم والقدرة وسائر الكمالات البشرية على مادة غير مستعدة لشيء منها أصلاً
كان أوضح اقتداراً على إفاضتها على مادة قد استعدت لها وقارنتها مدة ومن ههنا تبين أن ما قيل من أن الأجل الأول هو النوم
والثاني هو الموت أو أن الأجل أجل الماضين والثاني أجل الباقين أو أن الأول مقدار ما مضى من عمر كل أحد والثاني مقدار ما بقي منه
مما لا وجه له أصلاً لما رأيت من أن مساق النظم الكريم استبعاد امترائهم في البعث الذي عبر عن وقته بالأجل المسمى وحيث أريد به أحد
ما ذكر من الأمور الثلثة ففي أي شيء يمترون ووصفهم بالامتراء الذي هو الشك وتوجيه الاستبعاد إليه مع أنهم جازمون بانتفاء البعث
مصرون على إنكاره كما ينبئ عنه قولهم أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون ونظائره للدلالة على أن جزمهم المذكور في
أقصى مراتب الاستبعاد والاستنكار وقوله تع **وهو الله** جملة من مبتدأ وخبر معطوفة على ما قبلها مسوقة لبيان شمول أحكام الهيته تعالى
لجميع المخلوقات وإحاطة علمه بتفاصيل أحوال العباد وأعمالهم المؤدية إلى الجزاء إثر الإشارة إلى تحقق المعاد في تضاعيف بيان
كيفية خلقهم وتقدير آجالهم وقوله تع **في السموات وفي الأرض** متعلق بالمعنى الوصفي الذي ينبئ عنه الاسم الجليل إما باعتبار أصل اشتقاقه
وكونه علماً للمعبود بالحق كأنه قيل وهو المعبود فيهما وإما باعتبار أنه اسم اشتهر بما اشتهرت به الذات من صفات الكمال فلوحظ معه منها
ما يقتضيه المقام من المالكية الكلية والتصرف الكامل حسبما تقتضيه المشيئة المبنية على الحكم البالغة فعلق به الظرف من تلك الحيثية فصار كأنه
قيل وهو المالك أو المتصرف المدبر فيهما كما في قوله تع وهو الذي في السماء اله وفي الأرض اله وليس المراد بما ذكر من الاعتبارين أن
الاسم الجليل يحمل على معناه اللغوي أو على معنى المالك والمتصرف أو نحو ذلك بل مجرد ملاحظة أحد المعاني المذكورة في ضمنه
كما لوحظ مع اسم الأسد في قوله أسد علي إلى آخره ما اشتهر به من وصف الجراءة التي اشتهر بها مسماه فجرى مجرى جري علي وبهذا تبين
أن ما قيل بصدد التصوير والتفسير أي هو المعروف بذلك في السموات وفي الأرض أو هو المعروف المشتهر بالصفات الكمالية أو هو المعروف
بالالهية فيهما أو نحو ذلك بمعزل من التحقيق فإن المعتبر مع الاسم هو نفس الوصف الذي اشتهر به إذ هو الذي يقتضيه المقام حسبما بين
آنفاً لا اشتهاره به ألا يرى أن كلمة علي في المثال المذكور لا يمكن تعليقها باشتهار الاسم بالجراءة قطعاً وقيل هو متعلق بما يفيده
التركيب الحصري من التوحد والتفرد كأنه قيل وهو المتوحد بالالهية فيهما وقيل بما تقرر عند الكل من إطلاق هذا الاسم عليه تعالى خاصة
كأنه قيل وهو الذي يقال له الله فيهما لا يشرك به شيء في هذا الاسم على الوجه الذي سبق من اعتبار معنى التوحد والقول في نحو
الكلام بطريق الاستتباع لا على حمل الاسم الجليل على معنى التوحد بالالهية أو على تقدير القول وقد جوز أن يكون الظرف خبراً ثانياً
على أن كونه سبحانه فيهما عبارة عن كونه تعالى مبالغاً في العلم بما فيهما بناء على تنزيل علمه المقدس عن حصول الصور والأشباح لكونه
حضورياً منزلة كونه تعالى فيهما وتصويره به على طريقة التمثيل المبني على تشبيه حالة علمه تعالى بما فيهما بحالة كونه تعالى فيهما فإن
العالم إذا كان في مكان كان عالماً به وبما فيه على وجه لا يخفى عليه منه شيء فعلى هذا يكون قوله عز وجل **يعلم سركم وجهركم** أي
ما أسررتموه وما جهرتم به من الأقوال أو ما أسررتموه وما أعلنتموه كائناً ما كان من الأقوال والأعمال بياناً وتقريراً لمضمونه وتحقيقاً
للمعنى المراد منه وتعليق علمه عز وجل بما ذكر خاصة مع شموله لجميع ما فيهما حسبما يفيده الجملة الآتية لانسياق النظم الكريم إلى بيان
حال المخاطبين وكذا على الوجه الثاني فإن ملاحظة الاسم الجليل من حيث المالكية الكلية والتصرف الكامل الجاري على النمط
المذكور مستتبعة لملاحظة علمه المحيط حتماً فيكون هذا بياناً وتقريراً له بلا ريب وأما على الأوجه الثلثة الباقية فلا سبيل إلى كونه
بياناً لكن لا لما قيل من أنه لا دلالة لاستواء السر والجهر في علمه تعالى على ما اعتبر فيها من المعبودية والاختصاص بهذا الاسم إذ ربما يعبد
ويختص به من ليس له كمال العلم فإنه باطل قطعاً إذ المراد بما ذكر هو المعبودية بالحق والاختصاص بالاسم الجليل ولا ريب في

أنهما مما لا يتصور فيمن ليس له كمال العلم بديهة بل لأن ما ذكر من العلم غير معتبر في مدلول شيء من المعبودية بالحق والاختصاص بالاسم حتى يكون
هذا بياناً له وبهذا تبين أنه ليس ببيان على الوجه الثالث أيضاً لما أن التوحد بالالهية لا يعتبر في مفهوم العلم الكامل ليكون هذا بياناً له
بل هو معتبر فيما صدق عليه المتوحد وذلك غير كاف في البيانية وقيل هو خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى
فإذا هي حية تسعى وقيل هو الخبر والاسم الجليل بدل من هو وبه يتعلق الظرف المتقدم ويكفي في ذلك كون المعلوم فيهما كقولك
رميت الصيد في الحرم إذا كنت خارجه والصيد فيه ولعل جعل سرهم وجهرهم فيهما لتوسيع الدائرة وتصوير أنه لا يعزب عن علمه شيء
منهما في أي مكان كان لا لأنهما قد يكونان في السموات أيضاً وتعميم الخطاب لأهلها تعسف لا يخفى **ويعلم ما تكسبون** أي ما تفعلونه لجلب نفع أو
دفع مضرة من الأعمال المكتسبة بالقلوب أو بالجوارح سراً وعلانية وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فيما سبق على التفسير الثاني للسر والجهر
لإظهار كمال الاعتناء بها لأنها التي يتعلق بها الجزاء وهو السر في إعادة يعلم **وما تأتيهم من آية من آيات ربهم** كلام مستأنف وارد
لبيان كفرهم بآيات الله وإعراضهم عنها بالكلية بعد ما بين في الآية الأولى إشراكهم بالله سبحانه وإعراضهم عن بعض آيات التوحيد وفي الآية
الثانية امتراؤهم في البعث وإعراضهم عن بعض آيات والالتفات للإشعار بأن ذكر قبائحهم قد اقتضى أن يضرب عنهم الخطاب صفحاً
وتعد جناياتهم لغيرهم ذماً لهم وتقبيحاً لحالهم فما نافية وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية أو للدلالة على الاستمرار التجددي ومن
الأولى مزيدة للاستغراق والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لآية وإضافة الآيات إلى اسم الرب المضاف إلى ضميرهم لتفخيم
شأنها المستتبع لتهويل ما اجترؤا عليه في حقها والمراد بها إما الآيات التنزيلية فإتيانها نزولها والمعنى ما ينزل إليهم آية من
الآيات القرآنية التي من جملتها هاتيك الآيات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله عز وجل المنبئة عن جريان أحكام ألوهيته على
كافة الكائنات وإحاطة علمه بجميع أحوال الخلق وأعمالهم الموجبة للإقبال عليها والإيمان بها **إلا كانوا عنها معرضين** أي على وجه التكذيب
والاستهزاء كما ستقف عليه وأما الآيات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات فإتيانها ظهورها لهم والمعنى ما يظهر
لهم آية من الآيات التكوينية التي من جملتها ما ذكر من جلائل شؤنه تعالى الشاهدة بوحدانيته تعالى إلا كانوا عنها معرضين تاركين
للنظر الصحيح فيها المؤدي إلى الإيمان بمكونها وإيثاره على أن يقال إلا أعرضوا عنها كما وقع مثله في قوله تعالى وإن يروا آية
يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الإعراض حسب استمرار إتيان الآيات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه
مراعاة للفواصل والجملة في محل النصب على أنها حال من مفعول تأتي أو من فاعله المتخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما وأياً ما كان
ففيها دلالة بينة على كمال مسارعتهم إلى الإعراض وإيقاعهم له في آن الإتيان كما يفصح عنه كلمة لما في قوله عز وجل **فقد كذبوا
بالحق لما جاءهم** فإن الحق عبارة عن القرآن الذي أعرضوا عنه حين أعرضوا عن كل آية آية منه عبر عنه بذلك إبانة لكمال قبح ما فعلوا
به فإن تكذيب الحق مما لا يتصور صدوره عن أحد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على أنه شيء مغاير له في الحقيقة واقع
عقيبه أو حاصل بسببه بل على أن الأول هو عين الثاني حقيقة وإنما الترتيب بحسب التغاير الاعتباري وقد لتحقيق ذلك المعنى كما في
قوله تع فقد جاؤا ظلماً وزوراً بعد قوله تع وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فإن ما جاؤه
أي فعلوه من الظلم والزور عين قولهم المحكي لكنه لما كان مغايراً له مفهوماً وأشنع منه حالاً رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على
الملزوم تهويلاً لأمره كذلك مفهوم التكذيب بالحق حيث كان أشنع من مفهوم الإعراض المذكور أخرج مخرج اللازم البين البطلان فرتب
عليه بالفاء إظهاراً لغاية بطلانه ثم قيد ذلك بكونه بلا تأمل تأكيداً للشناعة وتمهيداً لبيان أن ما كذبوا به آثر ذي أثير له
عواقب جليلة ستبدو لهم البتة والمعنى أنهم حيث أعرضوا عن تلك الآيات عند إتيانها فقد كذبوا بما لا يمكن تكذيبه أصلاً من غير أن يتدبروا
في حاله ومآله ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد الموجبة لتصديقه كقوله تع بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله
كما ينبئ عنه قوله تع **فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن** فإن ما عبارة عن الحق المذكور وعبر عنه بذلك تهويلاً لأمره بإيهامه

وتعليلاً للحكم بما في حيز الصلة وأنباؤه عبارة عما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة التي نطقت بها آيات الوعيد وفي لفظ الأنباء إيذان
بغاية العظم لما أن النبأ لا يطلق إلا على خبر عظيم الوقع وحملها على العقوبات الآجلة أو على ظهور الإسلام وعلو كلمته يأباه الآيات الآتية
وسوف لتأكيد مضمون الجملة وتقريره أي فسيأتيهم البتة وإن تأخر مصداق أنباء الشيء الذي كانوا يكذبون به قبل من غير أن يتدبروا
في عواقبه وإنما قيل يستهزئون إيذاناً بأن تكذيبهم كان مقروناً بالاستهزاء كما أشير إليه هذا على أن يراد بالآيات الآيات القرآنية
وهو الأظهر وأما إن أريد بها الآيات التكوينية فالفاء داخلة على علة جواب شرط محذوف والإعراض على حقيقته كأنه قيل إن كانوا
معرضين عن تلك الآيات فلا تعجب فقد فعلوا بما هو أعظم منها ما هو أعظم من الإعراض حيث كذبوا بالحق الذي هو أعظم الآيات ولا مساغ
لحمل الآيات في هذا الوجه على كلها أصلاً وأما ما قيل من أن المعنى أنهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا بالقرآن فمما ينبغي تنزيل
عن أمثاله **ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن** استئناف مسوق لتعيين ما هو المراد بالأنباء التي سيأتيهم وتقرير إتيانها بطريق الاستشهاد
وهمزة الإنكار لتقرير الرؤية وهي عرفانية مستدعية لمفعول واحد وكم استفهامية كانت أو خبرية معلقة لها عن العمل مفيدة للتكثير
سادة مع ما في حيزها مسد مفعولها منصوبة بأهلكنا على المفعولية على أنها عبارة عن الأشخاص ومن قرن مميز لها على أنه عبارة عن أهل
عصر من الأعصار سموا بذلك لاقترانهم برهة من الدهر كما في قوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم الحديث وقيل هو عبارة
عن مدة من الزمان والمضاف محذوف أي من أهل قرن وأما انتصابها على المصدرية أو على الظرفية على أنها عبارة عن المصدر أو عن الزمان
فتعسف ظاهر ومن الأولى ابتدائية متعلقة بأهلكنا أي ألم يعرفوا بمعاينة الآثار وسماع الأخبار كم أمة أهلكنا من قبل أهل مكة أي من قبل
زمانهم على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه كعاد وثمود وأضرابهم وقوله تعالى **مكناهم في الأرض** استئناف لبيان كيفية الإهلاك
وتفصيل مباديه مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل كيف كان ذلك فقيل مكناهم إلى آخره وقيل هو صفة لقرن لما أن النكرة
مفتقرة إلى المخصص فإذا وليها ما يصلح مخصصاً لها تعين وصفيته لها وأنت خبير بأن تنوينه التفخيمي مغن له عن استدعاء الصفة
على أن ذلك مع اقتضائه أن يكون مضمونه ومضمون ما عطف عليه من الجمل الأربع أمراً مفروغاً عنه غير مقصود لسياق النظم مؤد إلى اختلال
النظم الكريم كيف لا والمعنى حينئذ ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن موصوفين بكذا وكذا وبإهلاكنا إياهم بذنوبهم وأنه بين الفساد
وتمكين الشيء في الأرض جعله قاراً فيها ولما لازمه جعلها مقراً له ورد الاستعمال بكل منهما فقيل تارة مكنه في الأرض حتى أجري كل
منهما مجرى الآخر ومنه قوله تعالى **ما لم نمكن لكم** بعد قوله تعالى مكناهم في الأرض كأنه قيل في الأول مكنا لهم وفي الثاني ما لم نمكنكم وما نكرة موصوفة
بما بعدها من الجملة المنفية والعائد محذوف محلها النصب على المصدرية أي مكناهم تمكيناً لم نمكنه لكم والالتفات لما في مواجهتهم بضعف
الحال مزيد بيان لشأن الفريقين ولدفع الاشتباه من أول الأمر عن مرجعي الضميرين **وأرسلنا السماء** أي المطر أو السحاب أو المظلة
لأنها مبدأ المطر **عليهم** متعلق بأرسلنا **مدراراً** أي مغزاراً حال من السماء **وجعلنا الأنهار** أي صيرناها فقوله تعالى **تجري من تحتهم**
مفعول ثان لجعلنا أو أنشأناها فهو حال من مفعوله ومن تحتهم متعلق بتجري وفيه من الدلالة على كونها مسخرة لهم مستمرة على
الجريان على الوجه المذكور ما ليس في أن يقال وأجرينا الأنهار من تحتهم وليس المراد بتعداد هاتيك النعم العظام الفائضة عليهم بعد ذكر
تمكينهم بيان عظم جناياتهم في كفرانها واستحقاقهم بذلك لأعظم العقوبات بل بيان حيازتهم لجميع أسباب نيل المآرب ومبادي الأمن
والنجاة من المكاره والمعاطب وعدم إغناء ذلك عنهم شيئاً والمعنى أعطيناهم من البسطة في الأجسام والامتداد في الأعمار والسعة
من الأموال والاستظهار بأسباب الدنيا في استجلاب المنافع واستدفاع المضار ما لم نعط أهل مكة ففعلوا ما فعلوا **فأهلكناهم**
بذنوبهم أي أهلكنا كل قرن من تلك القرون بسبب ما يخصهم من الذنوب فما أغنى عنهم تلك العدد والأسباب فسيحل بهؤلاء مثل ما حل بهم من
العذاب وهذا كما ترى آخر ما به الاستشهاد والاعتبار وأما قوله سبحانه **وأنشأنا من بعدهم** أي أحدثنا من بعد إهلاك كل قرن **قرناً آخرين**
بدلاً من الهالكين فلبيان قدرته تعالى وسعة سلطانه وأن ما ذكر من إهلاك الأمم الكثيرة لم ينقص من ملكه شيئاً بل كلما أهلك أمة

أنشأ بدلها أخرى **ولو نزلنا عليك** جملة مستأنفة سيقت بطريق تلوين الخطاب لبيان شدة شكيمتهم في المكابرة وما يتفرع عليها من الأقاويل
الباطلة إثر بيان إعراضهم عن آيات الله تعالى وتكذيبهم بالحق واستحقاقهم بذلك لنزول العذاب ونسبة التنزيل ههنا إليه عليه السلام مع
نسبة إتيان الآيات ومجيء الحق فيما سبق إليهم للإشعار بقدحهم في نبوته عليه السلام في ضمن قدحهم فيما نزل عليه صريحاً وقال الكلبي
ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد حيث قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نؤمن لك
حتى تأتينا بكتاب من عند الله تعالى ومعه أربعة من الملائكة يشهدون أنه من عند الله تعالى وأنك رسوله **كتاباً** إن جعل اسماً كالإمام
فقوله تعالى **في قرطاس** متعلق بمحذوف وقع صفة له أي كتاباً كائناً في صحيفة وإن جعل مصدراً بمعنى المكتوب فهو متعلق بنفسه **فلمسوه**
أي الكتاب وقيل القرطاس وقوله تعالى **بأيديهم** مع ظهور أن اللمس لا يكون عادةً إلا بالأيدي لزيادة التعيين ودفع احتمال التجوز
الواقع في قوله تعالى وأنا لمسنا السماء أي تفحصنا أي فمسوه بأيديهم بعدما رأوه بأعينهم بحيث لم يبق لهم في شأنه اشتباه ولم
يقدروا على الاعتذار بتسكير الأبصار **لقال الذين كفروا** أي لقالوا وإنما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على اتصافهم بما في حيز
الصلة من الكفر الذي لا يخفى حسن موقعه باعتبار مفهومه اللغوي أيضاً **إن هذا** أي ما هذا مشيرين إلى ذلك الكتاب **إلا سحر مبين**
أي بين كونه سحراً تعنتاً وعناداً للحق بعد ظهوره كما هو دأب المفحم المحجوج وديدن المكابر اللجوج **وقالوا لولا أنزل عليه**
ملك شروع في قدحهم في نبوته عليه السلام صريحاً بعدما أشير إلى قدحهم فيها ضمناً وقيل هو معطوف على جواب لو وليس بذاك لما أن تلك
المقالة الشنعاء ليست مما يقدر صدوره عنهم على تقدير تنزيل الكتاب المذكور بل هي من أباطيلهم المحققة وخرافاتهم الملفقة التي يتعللون
بها كلما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل أي هلا أنزل عليه عليه السلام ملك بحيث نراه ويكلمنا أنه نبي حسبما نقل عنهم فيما روي
عن الكلبي ومقاتل ونظيره قولهم لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً ولما كان مدار هذا الاقتراح على شيئين إنزال الملك كما هو وجعله
عليه السلام نذيراً أجيب عنه بأن ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الوجود أصلاً لاشتماله على أمرين متباينين لا يجتمعان في الوجود
لما أن إنزال الملك على صورته يقتضي انتفاء جعله نذيراً ليستدعي عدم إنزاله على صورته لا محالة وقد أشير إلى الأول بقوله تعالى
ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر أي لو أنزلنا ملكاً على هيئته حسبما اقترحوه والحال أنه من هول المنظر بحيث لا تطيق بمشاهدته
قوى الآحاد البشرية ألا يرى أن الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين كانوا يشاهدون الملائكة ويفاوضونهم على الصور البشرية
كضيف إبراهيم ولوط وخصم داود عليهم السلام وغير ذلك وحيث كان شأنهم كذلك وهم مؤيدون بالقوى القدسية فما ظنك بمن
عداهم من العوام فلو شاهدوه كذلك لقضي أمر هلاكهم بالكلية واستحال جعله نذيراً وهو مع كونه خلاف مطلوبهم مستلزم لإخلاء
العالم عما عليه يدور نظام الدنيا والآخرة من إرسال الرسل وتأسيس الشرائع وقد قال سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً
وفيه كما ترى إيذان بأنهم في ذلك الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه وأن عدم الإجابة إليه للإبقاء عليهم وبناء الفعل الأول في
الجواب للفاعل الذي هو نون العظمة مع كونه في السؤال مبنياً للمفعول لتهويل الأمر وتربية المهابة وبناء الثاني للمفعول للجري
على سنن الكبرياء وكلمة ثم في قوله تعالى **ثم لا ينظرون** أي لا يمهلون بعد نزوله طرفة عين فضلاً عن أن ينذروا به كما هو المقصود بالإنزال
للتنبيه على تفاوت ما بين قضاء الأمر وعدم الإنظار فإن مفاجأة العذاب أشد من نفس العذاب وأشق وقيل في سبب إهلاكهم أنهم
إذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورته وهي آية لا شيء أبين منها ثم لم يؤمنوا لم يكن بد من إهلاكهم
وقيل إنهم إذا رأوه يزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف فيجب إهلاكهم وإلى الثاني بقوله عز وجل **ولو جعلناه ملكاً لجعلناه**
رجلاً على أن الضمير الأول للنذير المفهوم من فحوى الكلام بمعونة المقام وإنما لم يجعل للملك المذكور قبله بأن يعكس ترتيب المفعولين
ويقال ولو جعلناه نذيراً لجعلناه رجلاً لتحقيق أن مناط إبراز الجعل الأول في معرض التقدير ومدار استلزامه للثاني إنما
هو ملكية النذير لا نذيرية الملك وذلك لأن الجعل حقه أن يكون مفعوله الأول مبتدأً والثاني خبراً لكونه بمعنى التصيير المنقول

من صار الداخل علي المبتدأ والخبر ولا ريب في ان مصب الفائدة ومدار اللزوم بين طرفي الشرطية هو محمول المقدم لا موضوعه فحيث كانت
امتناعية اريد بها بيان انتفاء الجعل الاول لاستلزامه المحذور الذي هو الجعل الثاني وجب ان يجعل مدار الاستلزام في الاول مفعولا
ثانيا لا محالة ولذلك جعل مقابله في الجعل الثاني كذلك بانه لكمال التنافي بينهما الموجب لانتفاء الملزوم والضمير الثاني
للملك لا لما رجع اليه الاول والمعنى لو جعلنا النذير الذي اقترحوه ملكا لمثلناه رجلا لما مر من عدم استطاعة الآحاد
لمعاينة الملك علي هيكله وفي ايثار رجلا علي بشرا ايذان بان الجعل بطريق التمثيل لا بطريق قلب الحقيقة وتعيين لما يقع به التمثيل
وقوله تع **وللبسنا عليهم** عطف علي جواب لو مبني علي الجواب الاول وقرئ بحذف لام الجواب اكتفاء بما في المعطوف عليه يقال لبست الامر
علي القوم البسه اذا شبهته وجعلته مشكلا عليهم واصله الستر بالثوب وقرئ الفعلان بالتشديد للمبالغة اي ولخلطنا عليهم بتمثيله
رجلا **ما يلبسون** علي انفسهم حينئذ بان يقولوا له انما انت بشر ولست بملك ولو استدل علي ملكيته بالقرآن المعجز الناطق بها او بمعجزات اخر غير
ملجئة الي التصديق لكذبوه كما كذبوا النبي صلي الله عليه وسلم ولو اظهر لهم صورته الاصلية لزم الامر الاول والتعبير عن تمثيله تع رجلا باللبس
اما لكونه في صورة اللبس او لكونه سببا للبسهم او لوقوعه في صحبته بطريق المشاكلة وفيه تأكيد لاستحالة جعل النذير ملكا كأنه قيل لو فعلناه
لفعلنا ما لا يليق بشأننا من لبس الامر عليهم وقد جوز ان يكون المعنى وللبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون علي انفسهم الساعة في كفرهم
بآيات الله البينة **ولقد استهزئ برسل من قبلك** تسلية لرسول الله صلي الله عليه وسلم عما يلقاه من قومه وفي تصدير الجملة بلام القسم وحرف
التحقيق من الاعتناء بها ما لا يخفي وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسل اي وبالله لقد استهزئ
برسل اولي شأن خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك علي حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه **فحاق** عقيبه اي
احاط او نزل او حل او نحو ذلك فان معناه يدور علي الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل الا في الشر والحيق ما يشتمل علي الانسان من مكروه
فعله وقوله تع **بالذين سخروا منهم** اي استهزءوا بهم من اولئك الرسل عليهم السلام متعلق بحاق وتقديمه علي فاعله الذي هو قوله تع **ما كانوا به
يستهزءون** للمسارعة الي بيان لحوق الشر بهم وما اما موصولة مفيدة للتهويل اي فاحاط بهم الذين كانوا يستهزءون به حيث اهلكوا لاجله
واما مصدرية اي فنزل بهم وبال استهزائهم وتقديم الجار والمجرور علي الفاعل لرعاية الفواصل **قل سيروا في الارض** بعد بيان ما فعلت الامم
الخالية وما فعل بهم خوطب رسول الله صلي الله عليه وسلم بانذار قومه وتذكيرهم باحوالهم الفظيعة تحذيرا لهم عما هم عليه وتكملة للتسلية بما في
ضمنه من العدة اللطيفة بانه سيحيق بهم مثل ما حاق باضرابهم الاولين وقد انجز ذلك يوم بدر اي سيروا في الارض لتعرف احوال اولئك
الامم **ثم انظروا** اي تفكروا **كيف كان عاقبة المكذبين** وكلمة ثم اما لان النظر في آثارهم لا يتسني الا بعد انتهاء السير الي اماكنهم
واما لابانة ما بينهما من التفاوت في مراتب الوجوب وهو الاظهر فان وجوب السير ليس الا لكونه وسيلة الي النظر كما يفصح عنه العطف بالفاء
في قوله عز وجل فانظروا الآية واما ان الامر الاول لاباحة السير للتجارة ونحوها والثاني لايجاب النظر في آثارهم وثم لتباعد ما بين
الواجب والمباح فلا يناسب المقام وكيف متعلقة لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض اي تفكروا في انهم كيف اهلكوا بعذاب
الاستئصال والعاقبة مصدر كالعافية ونظائرها وهي منتهي الامر وماله ووضع المكذبين موضع المستهزئين لتحقيق ان مدار اصابة ما
اصابهم هو التكذيب لينزجر السامعون عنه لا عن الاستهزاء فقط مع بقاء التكذيب بحاله بناء علي توهم انه المدار في ذلك **قل** لهم بطريق
الالجاء والتبكيت **لمن ما في السموات والارض** من العقلاء وغيرهم اي لمن الكائنات جميعا خلقا وملكا وتصرفا وقوله تع **قل لله** تقرير لهم
وتنبيه علي انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يتأتي لاحد ان يجيب بغيره كما نطق به قوله عز وجل ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله وقوله تع **كتب علي نفسه الرحمة** جملة مستقلة داخلة تحت الامر ناطقة بشمول رحمته الواسعة لجميع الخلق شمول ملكه وقدرته للكل
مسوقة لبيان انه تع رءوف بعباده لا يعجل عليهم بالعقوبة ويقبل منهم التوبة والانابة وان ما سبق ذكره وما لحق من احكام الغضب ليس
من مقتضيات ذاته تعالي بل من جهة الخلق كيف لا ومن رحمته ان خلقهم علي الفطرة السليمة وهداهم الي معرفته وتوحيده بنصب الآيات الانفسية

والآفاقية وارسال الرسل وانزال الكتب المشحونة بالدعوة الي موجبات رضوانه والتحذير من مقتضيات سخطه وقد بدلوا فطرة الله تبديلا واعرضوا
عن الآيات بالمرة وكذبوا بالكتب واستهزءوا بالرسل وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين ولولا شمول رحمته لسلك بهؤلاء ايضا مسلك
الغابرين ومعني كتب الرحمة علي نفسه انه تعالي قضاها واوجبها بطريق التفضل والاحسان علي ذاته المقدسة بالذات لا بتوسط شيء اصلا وقيل هو ما
روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لما قضي الله تعالي الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش ان رحمتي
سبقت غضبي وعنه في رواية انه عليه السلام قال لما قضي الله تعالي الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي غلبت غضبي وعن عمر
رضي الله عنه انه قال لكعب ما اول شيء ابتداه الله تعالي من خلقه فقال كعب كتب الله كتابا لم يكتبه بقلم ولا مداد كتابة الزبرجد واللؤلؤ
والياقوت اني انا الله لا اله الا انا سبقت رحمتي غضبي ومعني سبق الرحمة وغلبتها انها اقدم تعلقا بالخلق واكثر وصولا اليهم مع انها
من مقتضيات الذات المفيضة للخير وفي التعبير عن الذات بالنفس حجة علي من ادعي ان لفظ النفس لا يطلق علي الله تعالي وان اريد به الذات الا
مشاكلة لما تري من انتفاء المشاكلة ههنا بنوعيها وقوله تع **ليجمعنكم الي يوم القيمة** جواب قسم محذوف والجملة استئناف مسوق للوعيد علي اشراكهم
واغفالهم النظر اي والله ليجمعنكم في القبور مبعوثين او محشورين الي يوم القيمة فيجازيكم علي شرككم وسائر معاصيكم وان امهلكم بموجب رحمته
ولم يعاجلكم بالعقوبة الدنيوية وقيل الي بمعني اللام اي ليجمعنكم ليوم القيمة كقوله تع انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه وقيل هي بمعني في
اي ليجمعنكم في يوم القيمة **لا ريب فيه** اي في اليوم او في الجمع وقوله تع **الذين خسروا انفسهم** اي بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية
والعقل السليم والاستعداد القريب الحاصل من مشاهدة الرسول صلي الله عليه وسلم واستماع الوحي وغير ذلك من آثار الرحمة في موضع النصب او
الرفع علي الذم اي اعني الذين الخ او هم الذين او هو مبتدأ والخبر قوله تع **فهم لا يؤمنون** والفاء لتضمن المبتدأ معني الشرط والاشعار بان
عدم ايمانهم بسبب خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال النظر ادي بهم الي الاصرار علي الكفر والامتناع
من الايمان والجملة تذييل مسوق من جهته تعالي لتقبيح حالهم غير داخل تحت الامر **وله** اي لله عز وجل خاصة **ما سكن في الليل والنهار** نزل الملوان
منزلة المكان فعبر عن نسبة الاشياء الزمانية اليهما بالسكني فيهما وتعديته بكلمة في كما في قوله تعالي وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم او
السكون مقابل الحركة والمراد ما سكن فيهما وتحرك فاكتفي باحد الضدين عن الآخر **وهو السميع** المبالغ في سماع كل مسموع **العليم** المبالغ في العلم
بكل معلوم فلا يخفي عليه شيء من الاقوال والافعال **قل** لهم بعدما بكتهم بما سبق من الخطاب **اغير الله اتخذ وليا** اي معبودا بطريق الاستقلال او
الاشتراك وانما سلطت الهمزة علي المفعول الاول لا علي الفعل ايذانا بان المنكر هو اتخاذ غير الله وليا لا اتخاذ الولي مطلقا كما في قوله تع اغير الله
ابغي ربا وقوله تع افغير الله تأمروني اعبد الخ **فاطر السموات والارض** اي مبدعهما بالجر صفة للجلالة مؤكدة للانكار لانه بمعني الماضي
ولذلك قرئ فطر ولا يضر الفصل بينهما بالجملة لانها ليست باجنبية اذ هي عاملة في عامل الموصوف او بدل فان الفصل بينه وبين المبدل
منه اسهل لان البدل علي نية تكرير العامل وقرئ بالرفع والنصب علي المدح وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت معني الفاطر حتي اختصم
الي اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها **وهو يطعم ولا يطعم** اي يرزق الخلق ولا يرزق وتخصيص الطعام بالذكر
لشدة الحاجة اليه او لانه معظم ما يصل الي المرزوق من الرزق ومحل الجملة النصب علي الحالية فان مضمونها مقرر لوجوب اتخاذه
سبحانه وتعالي وليا وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس القراءة الاولي ايضا علي ان الضمير لغير الله تعالي والمعني أأشرك بمن هو فاطر
السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وببنائهما للفاعل علي ان الثاني بمعني يستطيع او علي معني انه يطعم تارة ولا يطعم اخري
كقوله تع يقبض ويبسط **قل** بعد بيان ان اتخاذ غيره تعالي وليا مما يقضي ببطلانه بديهة العقول **اني امرت** من جنابه عز وجل **ان اكون
اول من اسلم** وجهه لله مخلصا له لان النبي امام امته في الاسلام كقوله تع وبذلك امرت وانا اول المسلمين وقوله تع سبحانك تبت اليك
وانا اول المؤمنين **ولا تكونن** اي وقيل لي لا تكونن **من المشركين** اي في امر من امور الدين ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك وقد جوز
عطفه علي الامر **قل اني اخاف ان عصيت ربي** اي بمخالفة امره ونهيه اي عصيان كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا وفيه بيان لكمال

اجتنابه عليه السلام المعاصي علي الاطلاق وقوله تع **عذاب يوم عظيم** اي عذاب يوم القيمة مفعول اخاف والشرطية معترضة بينهما والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه وفيه قطع لاطماعهم الفارغة وتعريض بانهم عصاة مستوجبون للعذاب العظيم **من يصرف عنه** علي البناء للمفعول اي العذاب وقرئ علي البناء للفاعل والضمير لله سبحانه وقد قرئ بالاظهار والمفعول محذوف وقوله تع **يومئذ** ظرف للصرف اي في ذلك اليوم العظيم وقد جوز ان يكون هو المفعول علي قراءة البناء للفاعل بحذف المضاف اي عذاب يومئذ **فقد رحمه** اي نجاه وانعم عليه وقيل فقد ادخله الجنة كما في قوله تع فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز والجملة مؤكدة لتهويل العذاب وضمير عنه ورحمه لمن وهو عبارة عن غير العاصي **وذلك** اشارة الي الصرف او الرحمة لانها مأولة بان مع الفعل وما فيه من معني البعد للايذان بعلو درجته وبعد مكانه من الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تع **الفوز المبين** اي الظاهر كونه فوزا وهو الظفر بالبغية والالف واللام لقصره علي ذلك **وان يمسسك الله بضر** اي ببلية كمرض وفقر ونحو ذلك **فلا كاشف له** اي فلا قادر علي كشفه عنك **الا هو** وحده **وان يمسسك بخير** من صحة ونعمة ونحو ذلك **فهو علي كل شيء قدير** ومن جملته ذلك فيقدر عليه فيمسك به ويحفظه عليك من غير ان يقدر علي دفعه او رفعه احد كقوله تع فلا راد لفضله وحمله علي تاكيد الجوابين يأباه الفاء تذكرة روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال اهدي للنبي صلي الله عليه وسلم بغلة اهداها له كسري فركبها بحبل من شعر ثم اردفني خلفه ثم سار بي مليا ثم التفت الي فقال يا غلام فقلت لبيك يا رسول الله فقال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الي الله في الرخاء يعرفك في الشدة واذا سألت فاسال الله واذا استعنت فاستعن بالله فقد مضي القلم بما هو كائن فلو جهد الخلائق ان ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو جهدوا ان يضروك بما لم يكتب الله عليك ما قدروا عليه فان استطعت ان تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فان لم تستطع فاصبر فان في الصبر علي ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر وان مع الكرب فرجا وان مع العسر يسرا **وهو القاهر فوق عباده** تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة **وهو الحكيم** في كل ما يفعله ويأمر به **الخبير** باحوال عباده وخفايا امورهم واللام في المواضع الثلثة للقصر **قل اي شيء اكبر شهادة** روي ان قريشا قالوا لرسول الله صلي الله عليه وسلم يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصاري فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله فنزلت فاي مبتدا واكبر خبره وشهادة نصب علي التمييز وقوله تع **قل الله** امر له صلي الله عليه وسلم بان يتولي الجواب بنفسه اما للايذان بتعينه وعدم قدرتهم علي ان يجيبوا بغيره او لانهم ربما يتلعثمون فيه لا لتردد لهم في انه اكبر من كل شيء بل في كونه شهيدا في هذا الشأن وقوله تع **شهيد** خبر مبتدا محذوف اي هو شهيد **بيني وبينكم** ويجوز ان يكون الله شهيد بيني وبينكم هو الجواب لانه اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم كان اكبر شيء شهادة شهيدا له عليه السلام وتكرير البين لتحقيق المقابلة **واوحي الي** اي من جهته تعالي **هذا القرآن** الشاهد بصحة رسالتي **لانذركم به** بما فيه من الوعيد والاقتصار علي ذكر الانذار لما ان الكلام مع الكفرة **ومن بلغ** عطف علي ضمير المخاطبين اي لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين او لانذركم به ايها الموجودون ومن سيوجد الي يوم القيمة وهو دليل علي ان احكام القرآن تعم الموجودين يوم نزوله ومن سيوجد بعد الي يوم القيمة خلا ان ذلك بطريق العبارة في الكل عند الحنابلة وبالاجماع عندنا في غير الموجودين وفي غير المكلفين يومئذ كما مر في اول سورة النساء **ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخري** تقرير لهم مع انكار واستبعاد **قل لا اشهد** بذلك وان شهدتم به فانه باطل صرف **قل** تكرير للامر للتاكيد **انما هو اله واحد** انما اشهد انه تعالي لا اله الا هو **وانني بريء مما تشركون** من الاصنام او من اشراككم **الذين آتيناهم الكتاب** جواب عما سبق من قولهم لقد سألنا عنك اليهود والنصاري اخر عن تعيين الشهيد مسارعة الي الزامهم بالجواب عن تحكمهم بقولهم فارنا من يشهد لك الخ والمراد بالموصول اليهود والنصاري وبالكتاب الجنس المنتظم للتوراة والانجيل وايرادهم بعنوان ايتاء الكتاب للايذان بمدار ما اسند اليهم بقوله تعالي **يعرفونه** اي يعرفون رسول الله صلي الله عليه وسلم من جهة الكتابين بحليته ونعوته المذكورة فيهما **كما يعرفون ابناءهم** بحلالهم بحيث لا يشكون في ذلك اصلا روي ان رسول الله صلي الله عليه وسلم لما قدم المدينة قال عمر رضي الله تعالي عنه لعبد الله بن سلام انزل الله تعالي علي نبيه هذه الآية فكيف هذه المعرفة فقال يا عمر لقد عرفته فيكم حين رأيته كما اعرف ابني ولانا اشد معرفة بمحمد مني بابني لاني لا ادري ما صنع النساء واشهد انه حق

من الله تعالي **الذين خسروا انفسهم** من اهل الكتابين والمشركين بان ضيعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها واعرضوا عن البينات الموجبة للايمان بالكلية **فهم لا يؤمنون** لما انهم مطبوع علي قلوبهم ومحل الموصول الرفع علي الابتداء وخبره الجملة المصدرة بالفاء لشبه الموصول بالشرط وقيل علي انه خبر مبتدا محذوف اي هم الذين خسروا الخ وقيل علي انه نعت للموصول الاول وقيل النصب علي الذم فقوله تعالي فهم لا يؤمنون علي الوجوه الاخيرة عطف علي جملة الذين آتيناهم الخ **ومن اظلم ممن افتري علي الله كذبا** بوصفهم النبي الموعود في الكتابين بخلاف اوصافه عليه السلام فانه افتراء علي الله سبحانه وبقولهم الملائكة بنات الله وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحو ذلك وهو انكار واستبعاد لان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان كان سبك التركيب غير متعرض لانكار المساواة ونفيها يشهد به العرف الفاشي والاستعمال المطرد فانه اذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل الا يري الي قوله عز وجل لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون بعد قوله تع ومن اظلم ممن افتري علي الله كذبا الخ والسر في ذلك ان النسبة بين الشيئين انما تتصور غالبا لا سيما في باب المغالبة بالتفاوت زيادة ونقصانا فاذا لم يكن احدهما ازيد تحقق النقصان لا محالة **او كذب بآياته** كان كذبوا بالقرآن الذي من جملته الآية الناطقة بانهم يعرفونه عليه السلام كما يعرفون ابناءهم وبالمعجزات وسموها سحرا وحرفوا التوراة وغيروا نعوته عليه السلام فان ذلك تكذيب بآياته تعالي وكلمة او للايذان بان كلا من الافتراء والتكذيب وحده بالغ غاية الافراط في الظلم فكيف وهم قد جمعوا بينهما فاثبتوا ما نفاه الله تعالي ونفوا ما اثبته قاتلهم الله اني يؤفكون **انه** الضمير للشأن ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصدير الجملة به للايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شأن مبهم له خطر فيبقي الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن فكأنه قيل ان الشأن الخطير هذا وهو **لا يفلح الظالمون** اي لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب واذا كان حال الظالمين هذا فما ظنك بمن في الغاية القاصية من الظلم **ويوم نحشرهم جميعا** منصوب علي الظرفية بمضمر مؤخر قد حذف ايذانا بضيق العبارة عن شرحه وبيانه وايماء الي عدم استطالة السامعين لسماعه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة والداهية التامة كأنه قيل ويوم نحشرهم جميعا **ثم نقول** لهم ما نقول كان من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به دائرة المقال وتقدير صيغة الماضي للدلالة علي التحقق وحسن موقع عطف قوله تع ثم لم تكن الخ عليه وقيل منصوب علي المفعولية بمضمر مقدم اي واذكر لهم للتخويف والتحذير يوم نحشرهم الخ وقيل ليتقوا او ليحذروا يوم نحشرهم الخ والضمير للكل وجميعا حال منه وقرئ يحشرهم جميعا ثم يقول بالياء فيهما **للذين اشركوا** اي نقول لهم خاصة للتوبيخ والتقريع علي رؤس الاشهاد **اين شركاؤكم** اي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله سبحانه واضافتها اليهم لما ان شركتها ليست الا بتسميتهم وتقولهم الكاذب كما ينبئ عنه قوله تع **الذين كنتم تزعمون** اي تزعمونها شركاء فحذف المفعولان معا وهذا السؤال المبني عن غيبة الشركاء مع عموم الحشر لها لقوله تع احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله وغير ذلك من النصوص انما يقع بعد ما جري بينها وبينهم من التبرؤ من الجانبين وتقطع ما بينهم من الاسباب والعلائق حسبما يحكيه قوله تع فزيلنا بينهم الخ ونحو ذلك من الآيات الكريمة اما بعدم حضورها حينئذ في الحقيقة بابعادها من ذلك الموقف واما بتنزيل عدم حضورها بعنوان الشركة والشفاعة منزلة عدم حضورها في الحقيقة اذ ليس السؤال عنها من حيث ذواتها بل انما هو من حيث انها شركاء كما يعرب عنه الوصف بالموصول ولا ريب في ان عدم الوصف يوجب عدم الموصوف من حيث هو موصوف فهي من حيث هي شركاء غائبة لا محالة وان كانت حاضرة من حيث ذواتها اصناما كانت او غيرها واما ما يقال من انه يحال بينها وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم فربما يشعر بعدم شعورهم بحقيقة الحال وعدم انقطاع حبال رجائهم عنها بعد وقد عرفت انهم شاهدوها قبل ذلك وانصرمت عروة اطماعهم عنها بالكلية علي انها معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب في البرزخ وانما الذي يحصل يوم الحشر الانكشاف الجلي واليقين القوي المترتب علي المحاضرة والمحاورة **ثم لم تكن فتنتهم** بتأنيث الفعل ورفع فتنتهم علي انه اسم

بتأنيث الفعل ورفع فتنتهم على أنه اسم له والخبر إلا أن قالوا وقرئ بنصب فتنتهم على أنها الخبر والاسم إلا أن قالوا والتأنيث للخبر كما في قولهم
من كانت أمك وقرئ بالتذكير مع رفع الفتنة ونصبها ورفعها السبب بحسب المعنى والجملة عطف على ما قدر عاملاً في يوم نحشرهم كما أشير إليه
فيما سلف والاستثناء مفرغ من أعم الأشياء وفتنتهم إما كفرهم مراداً به عاقبته أي لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه مدة أعمارهم
وافتخروا به شيئاً من الأشياء إلا جحوده والتبرؤ منه بأن يقولوا والله ربنا ما كنا مشركين وإما جوابهم عبر عنه بالفتنة لأنه كذب
ووصفهم تعالى بربوبيته لهم للمبالغة في التبرؤ من الإشراك وقرئ ربنا على النداء فهو لإظهار الضراعة والاجتهاد في استدعاء قبول
المعذرة وإنما يقولون ذلك مع علمهم بأنه بمعزل من النفع رأساً من فرط الحيرة والدهش وحمله على معنى ما كنا مشركين عند أنفسنا
وما علمنا في الدنيا أنا على خطأ في معتقدنا مما لا ينبغي أن يتوهم أصلاً فإنه مما يوهم أن لهم عذراً ما وأن لهم قدرة على الاعتذار
في الجملة وذلك مخل بكمال هول اليوم قطعاً على أنه قد قضى ببطلانه قوله تعالى انظر كيف كذبوا على أنفسهم فإنه تعجيب من كذبهم
الصريح بإنكار صدور الإشراك عنهم في الدنيا أي انظر كيف كذبوا على أنفسهم في قولهم ذلك فإنه أمر عجيب في الغاية وأما حمله على كذبهم
في الدنيا فتمحل يجب تنزيه ساحة التنزيل عنه وقوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون عطف على كذبوا داخل معه في حكم التعجيب وما
مصدرية أو موصولة قد حذف عائدها والمعنى انظر كيف كذبوا باليمين الفاجرة المغلظة على أنفسهم بإنكار صدور ما صدر عنهم
وكيف ضل عنهم أي زال وذهب افتراؤهم أو ما كانوا يفترونه من الإشراك حتى نفوا صدوره عنهم بالكلية وتبرؤوا منه بالمرة وقيل
ما عبارة عن الشركاء وإيقاع الافتراء عليها مع أنه في الحقيقة واقع على أحوالها من الإلهية والشركة والشفاعة ونحوها للمبالغة في
أمرها كأنها نفس المفترى وقيل الجملة كلام مستأنف غير داخل في حيز التعجيب ومنهم من يستمع إليك كلام مبتدأ مسوق لحكاية ما صدر في
الدنيا عن بعض المشركين من أحكام الكفر ثم بيان ما سيصدر عنهم يوم الحشر تقريراً لما قبله لمضمونه والضمير للذين أشركوا ومحل
الظرف الرفع على أنه مبتدأ باعتبار مضمونه أو بتقدير الموصوف كما في قوله تعالى ومنا دون ذلك أي وجمع منا دون ذلك الخ ومن
موصولة أو موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعضهم أو وبعض منهم الذي يستمع إليك أو فريق يستمع إليك على أن مناط
الإفادة اتصافهم بما في حيز الصلة أو الصفة لا كونهم ذوات أولئك المذكورين وقد مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الخ
روي أنه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وأبو جهل وأضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
للنضر وكان صاحب أخبار يا أبا قتيلة ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته ما أدري ما يقول إلا أنه يحرك لسانه ويقول أساطير
الأولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال أبو سفيان إني لأراه حقاً فقال أبو جهل كلا فنزلت وجعلنا على قلوبهم أكنة من الجعل
بمعنى الإنشاء وعلى متعلقة به وضمير قلوبهم راجع إلى من وجمعيته بالنظر إلى معناها كما أن إفراد ضمير يستمع بالنظر إلى لفظها وقد روعي
جانب المعنى في قوله تعالى ومنهم من يستمعون إليك الآية والأكنة جمع كنان وهو ما يستر به الشيء وتنوينها للتفخيم والجملة إما مستأنفة
للإخبار بما تضمنته من الختم أو حال من فاعل يستمع بإضمار قد عند من يقدرها في الماضي الواقع حالاً أي يستمعون إليك وقد ألقينا على
قلوبهم أغطية كثيرة لا يقادر قدرها خارجة عما يتعارفه الناس أن يفقهوه أي كراهة أن يفقهوا ما يستمعونه من القرآن المدلول عليه بذكر
الاستماع ويجوز أن يكون مفعولاً لما ينبئ عنه الكلام أي منعناهم أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً صمماً وثقلاً مانعاً من سماعه والكلام فيه
كما في قوله تعالى على قلوبهم أكنة وهذا تمثيل معرب عن كمال جهلهم بشؤون النبي صلى الله عليه وسلم وفرط نبو قلوبهم عن فهم القرآن الكريم ومج
أسماعهم له وقد مر تحقيقه في أول سورة البقرة وقيل هو حكاية لما قالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر الآية وأنت
خبير بأن مرادهم بذلك الإخبار بما اعتقدوه في حق القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم جهلاً وكفراً من اتصافهما بأوصاف مانعة من التصديق
والإيمان ككون القرآن سحراً وشعراً وأساطير الأولين وقس عليه ما تخيلوه في حق النبي صلى الله عليه وسلم لا الإخبار بأن هناك أمراً
وراء ذلك قد حال بينهم وبين إدراكه حائل من قبلهم حتى يمكن حمل النظم الكريم على ذلك وإن يروا كل آية من الآيات القرآنية أي يشاهدوها

بسماعها لا يؤمنوا بها على عموم النفي لا على نفي العموم أي كفروا بكل واحدة منها لعدم اجتلائهم إياها كما هي لما مر من حالهم حتى إذا جاؤوك يجادلونك
هي حتى التي تقع بعدها الجمل والجملة هي قوله تعالى إذا جاؤوك يقول الذين كفروا وما بينهما حال من فاعل جاؤوا وإنما وضع الموصول موضع
الضمير ذماً لهم بما في حيز الصلة وإشعاراً بعلة الحكم أي بلغوا من التكذيب والمكابرة إلى أنهم إذا جاؤوك مجادلين لك لا يكتفون
بمجرد عدم الإيمان بما سمعوا من الآيات الكريمة بل يقولون إن هذا أي ما هذا إلا أساطير الأولين فإن جعل أحسن الحديث وأصدقه الذي لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه من قبيل الأباطيل والخرافات رتبة من الكفر لا غاية وراءها ويجوز أن تكون حتى جارة وإذا ظرفية
بمعنى وقت مجيئهم ويجادلونك حال كما سبق وقوله تعالى يقول الذين كفروا الخ تفسير للمجادلة والأساطير جمع أسطورة أو إسطارة
أو جمع أسطار وهو جمع سطر بالتحريك وأصل الكل السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه الضمير المرفوع للمذكورين والمجرور للقرآن أي لا
يقتنعون بما ذكر من تكذيبه وعده من قبيل الأساطير بل ينهون الناس عن استماعه لئلا يقفوا على حقيقته فيؤمنوا به وينأون عنه أي
يتباعدون عنه بأنفسهم إظهاراً لغاية نفورهم عنه وتأكيداً لنهيهم عنه فإن اجتناب الناهي عن المنهي عنه من متممات النهي ولعل ذلك
هو السر في تأخير النأي عن النهي وقيل الضمير المجرور للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل المرفوع لأبي طالب ولعل جمعيته باعتبار استتباعه
لأتباعه فإنه كان ينهى قريشاً عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه فلا يؤمن به وروي أنهم اجتمعوا إليه وأرادوا
برسول الله صلى الله عليه وسلم سوءاً فقال والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفيناً فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة
وابشر بذاك وقر منه عيوناً ودعوتني وزعمت أنك ناصح ولقد صدقت وكنت ثم أميناً وعرضت ديناً لا محالة أنه من خير أديان
البرية ديناً لولا الملامة أو حذاري سبة لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً فنزلت وإن يهلكون أي ما يهلكون بما فعلوا من النهي والنأي
إلا أنفسهم بتعريضها لأشد العذاب وأفظعه عاجلاً وآجلاً وهو عذاب الضلال والإضلال وقوله تعالى وما يشعرون حال من ضمير يهلكون أي
يقصرون الإهلاك على أنفسهم والحال أنهم ما يشعرون أي لا بإهلاكهم أنفسهم ولا باقتصار ذلك عليها على أن يضروا بذلك شيئاً من القرآن
والرسول عليه السلام والمؤمنين وإنما عبر عنه بالإهلاك مع أن المنفي عن غيرهم مطلق الضرر إذ غاية ما يؤدي إليه ما فعلوا من القدح في
القرآن الكريم الممانعة في تمشية أحكامه وظهور أمر الدين للإيذان بأن ما يحيق بهم هو الهلاك لا الضرر المطلق على أن مقصدهم لم يكن
مطلق الممانعة فيما ذكر بل كانوا يبغون الغوائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ويجوز أن يكون الإهلاك معتبراً بالنسبة إلى
الذين يضلونهم بالنهي فقصره على أنفسهم مع شموله للفريقين مبني على تنزيل عذاب الضلال عند عذاب الإضلال منزلة العدم ولو ترى
إذ وقفوا على النار شروع في حكاية ما سيصدر عنهم يوم القيامة من القول المناقض لما صدر عنهم في الدنيا من القبائح المحكية مع كونه
كاذباً في نفسه والخطاب إما لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد من أهل المشاهدة والعيان قصداً إلى بيان كمال سوء حالهم وبلوغها
من الشناعة والفظاعة إلى حيث لا يختص استغرابها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الأمور البديعة بل كل من تتأتى منه الرؤية
يتعجب من هولها وفظاعتها وجواب لو محذوف ثقة بظهوره وإيذاناً بقصور العبارة عن تفصيله وكذا مفعول ترى لدلالة ما في
حيز الظرف عليه أي لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها لرأيت ما لا يساعده التعبير وصيغة الماضي للدلالة على التحقق أو حين
يطلعون عليها اطلاعاً هي تحتهم أو بدخولها فيعرفون مقدار عذابها من قولهم وقفته على كذا إذا فهمته وعرفته وقرئ وقفوا على
البناء للفاعل من وقف عليه وقوفاً فقالوا يا ليتنا نرد أي إلى الدنيا تمنياً للرجوع والخلاص وهيهات ولات حين مناص ولا نكذب بآيات
ربنا أي بآياته الناطقة بأحوال النار وأهوالها الآمرة باتقائها إذ هي التي تخطر حينئذ ببالهم ويتحسرون على ما فرطوا في حقها
أو بجميع آياته المنتظمة لتلك الآيات انتظاماً أولياً ونكون من المؤمنين بها العاملين بمقتضاها حتى لا نرى هذا الموقف الهائل أو نكون
من فريق المؤمنين الناجين من العذاب الفائزين بحسن المآب ونصب الفعلين على جواب التمني بإضمار أن بعد الواو وإجرائها مجرى الفاء
ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وابن إسحق فلا نكذب والمعنى إن رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين وقيل ينبئك عن أن

المصدرية ومن الفعل بعدها مصدر ويقدر قبله مصدر متوهم فيعطف هذا عليه كأنه قيل ليت لنا ردًا وانتفاء تكذيب وكونا من المؤمنين وقرئ
برفعهما على انه كلام مستأنف كقوله دعني ولا أعود أي انا لا أعود تركتني او لم تتركني او عطف على نرد او حال من ضميره فيكون
داخلاً في حكم التمني كالوجه الأخير للنصب وتعلق التكذيب الآتي به لما تضمنه من العدة بالايمان وعدم التكذيب كمن قال ليتني رزقت
مالا فأكافيك على صنيعك فانه متمن في معنى الواعد فلو رزق مالا ولم يكافئ صاحبه يكون مكذبا لا محالة وقرئ برفع الأول
ونصب الثاني وقد مر وجههما بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل اضراب عما ينبئ عنه التمني من الوعد بتصديق الآيات والايمان بها اي
ليس ذلك عن عزيمة صادقة ناشئة عن رغبة في الايمان وشوق الى تحصيله والاتصاف به بل لانه ظهر لهم في موقفهم ذلك ما كانوا
يخفونه في الدنيا من الداهية الدهياء وظنوا انهم مواقعوها فلخوفها وهول مطلعها قالوا ما قالوا والمراد بها النار التي وقفوا
عليها اذ هي التي سيق الكلام لتهويل امرها والتعجيب من فظاعة حال الموقوفين عليها وباخفائها تكذيبهم بها فان التكذيب
بالشيء كفر به واخفاء له لا محالة وايثاره على صريح التكذيب الوارد في قوله عز وجل هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون وقوله تع
هذه النار التي كنتم بها تكذبون مع كونه انسب بما قبله من قولهم ولا نكذب بآيات ربنا لمراعاة ما في مقابلة من البديع وهذا هو الذي
يستدعيه جزالة النظم الكريم واما ما قيل من ان المراد بما يخفون كفرهم ومعاصيهم او قبائحهم وفضائحهم التي كانوا يكتمونها من
الناس فتظهر في صحائفهم وبشهادة جوارحهم عليهم او شركهم الذي يجحدونه في بعض مواقف القيمة بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين
ثم يظهر بما ذكر من شهادة الجوارح عليهم او ما اخفاه رؤساء الكفرة عن اتباعهم من امر البعث والنشور او ما كتمه علماء اهل الكتابين
من صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ونعوته الشريفة عن عوامهم على ان الضمير المجرور للعوام والمرفوع للخواص او كفرهم الذي اخفوه
من المؤمنين والضمير المجرور للمؤمنين والمرفوع للمنافقين فبمعزل من الاعتناء بما فيها من الاعتساف والاختلال لا سبيل الى
شيء من ذلك اصلا لما عرفت من ان سوق النظم الشريف لتهويل امر النار وتفظيع حال اهلها وقد ذكر وقوفهم عليها واشير الى
انه اعتراهم عند ذلك من الخوف والخشية والحيرة والدهشة ما لا يحيط به الوصف ورتب عليه تمنيهم المذكور بالفاء القاضية بسببية ما
قبلها لما بعدها فاسقاط النار بعد ذلك من تلك السببية وهي في نفسها ادهى الدواهي وازجر الزواجر واسنادها الى شيء من الامور
المذكورة التي دونها في الهول والزجر مع عدم جريان ذكرها ثمة امر يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله واما ما قيل من ان المراد جزاء
ما كانوا يخفون فمن قبيل دخول البيوت من ظهورها وابوابها مفتوحة فتأمل ولو ردوا اي من موقفهم ذلك الى الدنيا حسبما تمنوه
وغاب عنهم ما شاهدوه من الاهوال لعادوا لما نهوا عنه من فنون القبائح التي من جملتها التكذيب المذكور ونسوا ما عاينوه بالكلية
لاقتصار انظارهم على الشاهد دون الغائب وانهم لكاذبون اي لقوم ديدنهم الكذب في كل ما يأتون وما يذرون وقالوا عطف على
عادوا داخل في حيز الجواب وتوسيط قوله تع وانهم لكاذبون بينهما لانه اعتراض مسوق لتقرير ما افادته الشرطية من كذبهم المخصوص
ولو اخر لاوهم ان المراد تكذيبهم في انكارهم البعث والمعنى لو ردوا الى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وقالوا ان هي اي ما الحيوة الا حيوتنا الدنيا
وما نحن بمبعوثين بعد ما فارقنا هذه الحيوة كأن لم يروا ما رأوا من الاحوال التي اولها البعث والنشور ولو ترى اذ وقفوا على ربهم الكلام فيه
كالذي مر في نظيره خلا ان الوقوف ههنا مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده للعقاب وقيل عرفوا
ربهم حق التعريف وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقوله تع قال استيناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فماذا قال لهم
ربهم اذ ذاك فقيل قال أليس هذا مشيرا الى ما شاهدوه من البعث وما يتبعه من الامور العظام بالحق تقريعا لهم على تكذيبهم لذلك وقولهم
عند سماع ما يتعلق به ما هو بحق وما هو الا باطل قالوا استيناف كما سبق بلى وربنا اكدوا اعترافهم باليمين اظهارا لكمال يقينهم بحقيته وايذانا
بصدور ذلك عنهم بالرغبة والنشاط طمعا في نفعه قال استيناف كما مر فذوقوا العذاب الذي عاينتموه والفاء لترتيب التعذيب على
اعترافهم بحقية ما كفروا به في الدنيا لكن لا على ان مدار التعذيب هو اعترافهم بذلك بل هو كفرهم السابق بما اعترفوا بحقيته الآن كما نطق به

قوله عز وجل بما كنتم تكفرون اي بسبب كفرهم في الدنيا بذلك او بكل ما يجب الايمان به فيدخل كفرهم به دخولا اوليا ولعل هذا التوبيخ والتقريع انما
يقع بعد ما وقفوا على النار فقالوا ما قالوا اذ الظاهر انه لا يبقى بعد هذا الامر الا العذاب قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله هم الذين حكيت
احوالهم لكن وضع الموصول موضع الضمير للايذان بتسبب خسرانهم بما في حيز الصلة من التكذيب بلقائه تعالى بقيام الساعة وما يترتب عليه من
البعث واحكامه المتفرعة عليه واستمرارهم على ذلك فان كلمة حتى في قوله تع حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لتكذيبهم لا لخسرانهم فانه ابدي
لا حد له بغتة البغت والبغتة مفاجاة الشيء بسرعة من غير شعور به يقال بغته بغتا وبغتة اي فجأه وانتصابها اما على انها مصدر
واقع موقع الحال من فاعل جاءتهم اي مباغتة او من مفعوله اي مبغوتين واما على انه مصدر مؤكد على غير الصدر فان جاءتهم في
معنى بغتتهم كقولهم اتيته ركضا او مصدر مؤكد لفعل محذوف وقع حالا من فاعل جاءتهم اي جاءتهم الساعة تبغتهم بغتة
قالوا جواب اذا يا حسرتنا تعالى فهذا اوانك والحسرة شدة الندم وهذا التحسر وان كان يعتريهم عند الموت لكن لما كان ذلك من
مبادي الساعة سمي باسمها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته او جعل مجيء الساعة بعد الموت كالواقع بغير فترة
لسرعته على ما فرطنا فيها اي على تفريطنا في شأن الساعة وتقصيرنا في مراعاة حقها والاستعداد لها بالايمان بها واكتساب الاعمال
الصالحة كما في قوله تع على ما فرطت في جنب الله وقيل الضمير للحيوة الدنيا وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة والتفريط التقصير في الشيء
مع القدرة على فعله وقيل هو التضييع وقيل الفرط السبق ومنه الفارط اي السابق ومعنى فرط خلى السبق لغيره فالتضعيف فيه للسلب
كما في جلدت البعير وقوله تع وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم حال من فاعل قالوا وفائدته الايذان بان عذابهم ليس مقصورا على ما ذكر من
الحسرة على ما فات وزال بل يقاسون مع ذلك تحمل الاوزار الثقال الى ان تلك الحسرة من الشدة بحيث لا تزول ولا تنسى بما يكابدونه من
فنون العقوبات والسر في ذلك ان العذاب الروحاني اشد من الجسماني نعوذ برحمة الله عز وجل منهما والوزر في الاصل الحمل الثقيل سمي به الاثم
والذنب لغاية ثقله على صاحبه وذكر الظهور كذكر الايدي في قوله تع فبما كسبت ايديكم فان المعتاد حمل الاثقال على الظهور كما ان
المألوف هو الكسب بالايدي والمعنى انهم يتحسرون على ما لم يعملوا من الحسنات والحال انهم يحملون اوزار ما عملوا من السيئات الا ساء ما يزرون
تذييل مقرر لما قبله وتكملة له اي بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو لما حقق فيما سبق ان وراء الحيوة
الدنيا حيوة اخرى يلقون فيها من الخطوب ما يلقون بين بعده حال تينك الحيوتين في انفسهما واللعب عمل يشغل النفس ويفترها
عما تنتفع به واللهو صرفها عن الجد الى الهزل والمعنى اما على حذف المضاف او على جعل الحيوة الدنيا نفس اللعب واللهو مبالغة كما في
قول الخنساء فانما هي اقبال وادبار اي وما اعمال الدنيا اي الاعمال المتعلقة بها من حيث هي هي او ما هي من حيث انها محل للكسب لتلك
الاعمال الا لعب شيء يشغل الناس ويلهيهم عما فيه من منفعة سريعة الزوال ولذة وشيكة الاضمحلال عما يعقبهم منفعة جليلة
باقية ولذة حقيقية غير متناهية من الايمان والعمل الصالح وللدار الآخرة التي هي محل الحيوة الاخرى خير للذين يتقون الكفر والمعاصي
لان منافعها خالصة عن المضار ولذاتها غير منغصة بالآلام مستمرة على الدوام افلا تعقلون ذلك حتى تتقوا ما انتم عليه من
الكفر والعصيان والفاء للعطف على مقدر اي اتغفلون فلا تعقلون او الا تتفكرون فلا تعقلون وقرئ يعقلون على الغيبة قد نعلم انه
ليحزنك الذين يقولون استيناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن الذي يعتريه مما حكي من الكفرة من الاصرار على التكذيب
والمبالغة فيه ببيان انه عليه السلام بمكانة من الله عز وجل وان ما يفعلون في حقه فهو راجع اليه تعالى في الحقيقة وانه ينتقم منهم لا
محالة اشد انتقام وكلمة قد لتأكيد العلم بما ذكر المفيد لتأكيد الوعيد كما في قوله تع قد يعلم ما انتم عليه وقوله تع قد يعلم الله
المعوقين منكم ونحوهما باخراجها الى معنى التكثير حسبما يخرج اليه ربما في مثل قوله فان تمس مهجور الفناء فربما اقام به بعد الوفود
وفود جريا على سنن العرب عند قصد الافراط في التكثير تقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي
وعنده مقانب جمة يريد بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه يروم اظهار براءته عن التزيد وابرازه ممن يقلل كثير ما عنده

فضلا عن تكثير القليل وعليه قوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وهذه طريقة انما تسلك عند كون الامر من الوضوح بحيث لا يحوم
حوله شائبة ريب حقيقة كما في الآيات الكريمة المذكورة او ادعاء كما في البيت وقوله قد اترك القرن مصفرا انامله وقوله
ولكنه قد يهلك المال نائله والمراد بكثرة علمه تعالى كثرة تعلقه وهو متعد الى اثنين وما بعده ساد مسدهما واسم ان ضمير الشان
وخبرها الجملة المفسرة له والموصول فاعل ليحزنك وعائده محذوف اي الذين يقولونه وهو ما حكي عنهم من قولهم ان هذا الا اساطير
الاولين ونحو ذلك وقرئ ليحزنك من احزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى **فانهم لا يكذبونك** تعليل لما يشعر به الكلام السابق من
النهي عن الاعتداد بما قالوا والتحزن لاجله بطريق التشاغل عنه وعده هينا والاقبال التام على ما هو اهم منه من استعظام جحودهم بآيات الله عز وجل
كما قيل فانه تعالى كما نهاه عن التسلية بالكلية مما يوهم كون حزنه صلى الله عليه وسلم لخاصة نفسه بل بطريق التسلي بما يفيده من بلوغه عليه السلام
في جلالة القدر ورفعة المحل والزلفى من الله عز وجل الى حيث لا غاية وراءه حيث لم يقتصر على جعل تكذيبه عليه السلام تكذيبا لآياته سبحانه
على طريقة قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله بل نفي تكذيبهم عنه عليه السلام واثبت لآياته تعالى على طريقة قوله تعالى ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله ايذانا بكمال القرب واضمحلال شؤونه عليه السلام في شأن الله عز وجل بغم فيه استعظام لجناياتهم منبئ عن عظم عقوباتهم
كانه قيل لا تعتد به وكله الى الله تعالى فانهم في تكذيبهم ذلك لا يكذبونك في الحقيقة **ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون** اي ولكنهم بآياته تعالى
يكذبون فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالرسوخ في الظلم الذي جحودهم هذا فن من فنونه والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة
واستعظام ما اقدموا عليه من جحود آياته تعالى والمراد بالجحود في مورد التكذيب للايذان بان آياته تعالى من الوضوح بحيث يشاهد صدقها
كل احد وان من ينكرها فانما ينكرها بطريق الجحود الذي هو عبارة عن الانكار مع العلم بخلافه كما في قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم ظلما وعلوا وهو نفي ما في القلب ثباته او اثبات ما في القلب نفيه والباء متعلقة بيجحدون يقال جحد حقه وبحقه اذا
انكره وهو عالم به وقيل بتضمين الجحود معنى التكذيب واياما كان فتقديم الجار والمجرور للقصر وقيل المعنى فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم
يجحدون بالسنتهم ويعضده ما روي من ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه
ليس عندنا احد غيرنا فقال والله ان محمدا الصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا
يكون لسائر قريش فنزلت وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمى الامين فعرفوا انه لا يكذب
في شيء ولكنهم كانوا يجحدونه وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بآيات الله تعالى ويروى
ان ابا جهل كان يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما نكذبك وانك عندنا لصادق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت وكان صدق الجحد عنه
الجحيث بطلبه فقره وبالاعتقاد والاول هو الذي يستدعيه جزالة التنزيل وقرئ لا يكذبونك من الاكذاب فعلى هذا معنى فانهم لا يكذبونك
وكذا وانزل اي وجد من كذا او نسبه الى الكذب وقيل معناه لا يظهرون كذبك وحده كما تقول العرب قول كذب الرجل اي نسبته الى الكذب
اليه والكذبة الى نسبت الكذب اليه او جابه اليه وقوله تعالى **ولقد كذبت رسل من قبلك** الخ تسلية له صلى الله عليه وسلم فان عموم البلية ربما
يهون امرها بعض تهوين وارشاد له عليه السلام الى الاقتداء بمن قبله من الرسل الكرام عليهم السلام في الصبر على ما اصابهم من مهمهم من فنون
الاذية وعدة ضمنية له عليه السلام بمثل ما منحوه من النصر وتصدير الكلام بالقسم لتأكيد التسلية وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن
متعلقة بكذبت لا بمحذوف وقع صفة لرسل اي وبالله لقد كذبت من قبل تكذيبك رسل اولو شأن خطير وذو وعدد كثير او كذبت رسل
كائنون من زمان قبل زمانك **فصبروا على ما كذبوا** ما مصدرية وقوله تعالى **واوذوا** عطف على كذبوا داخل في حكمه فانه كما ان
مصدرا اي المبني للمفعول اي فصبروا على تكذيبهم وايذائهم فتأس بهم واصطبر على ما نالك من قومك والمراد بايذائهم اما
تكذيبهم واما مايقارنه من فنون الايذاء لم يصرح به ثقة باستلزام التكذيب اياه غالبا وانما كذب تأكيدا لتشنيع المكذبين عطف على صبروا وقيل على كذبت وقيل سواء كان مستانفا وقوله تعالى **حتى اتاهم نصرنا** غاية للصبر وفيه ايماء بان نصره تعالى اياه عليه السلام

قوله لامر الدواة متوجه اليهم لا الدمن تبانية التيه والالتفات الى نون العظمة لابراز الاعتناء بشأن النصر وقوله تعالى **ولا مبدل لكلمات**
الله اعتراض مقرر لما قبله من اتيان نصره اياهم والمراد بكلماته تعالى ما ينبئ عنه قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون وقوله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي من المواعيد السابقة للرسل عليهم السلام الدالة على نصره رسول الله صلى الله عليه وسلم
ايضا لا نفس الآيات المذكورة ونظائرها فان الاخبار بعدم تبديلها انما يفيد عدم تبدل المواعيد الواردة الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم خاصة دون المواعيد السابقة للرسل عليهم السلام ويجوز ان يراد بكلماته تعالى جميع كلماته التي من جملتها تلك المواعيد الكريمة
ويدخل فيها المواعيد الواردة في حقه عليه السلام دخولا اوليا والالتفات الى الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية من موجبات
ان لا يغالبه احد في فعل من الافعال ولا يقع منه تعالى خلف في قول من الاقوال وقوله تعالى **ولقد جاءك من نبأ المرسلين** جملة قسمية جيء بها
لتحقيق ما منحوا من النصر وتأكيد ما في ضمنه من الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لتقرير جميع ما ذكر من تكذيب الامم وما ترتب عليه من الامور
والجار والمجرور في محل الرفع على انه فاعل باعتبار مضمونه اي بعض نبأ المرسلين وقد تقدم الموصوف اي بعض من نبأ المرسلين كما
في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية واياما كان فالمراد بنبئهم عليهم السلام على الاول نصرة الله تعالى اياهم بعد اللتيا والتي
وعلى الثاني جميع ما جرى بينهم عليهم السلام وبين اممهم على ما ينبئ عنه قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من
قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا الآية وقيل في محل النصب على الحالية من المستكن في جاءك هذا الخبر كائنا من نبأ المرسلين
وان كان كبر عليك اعراضهم كلام مستأنف مسوق لتأكيد ايجاب الصبر المستفاد من التسلية ببيان انه امر لا محيد عنه اصلا اي ان كان
عظم عليك وشق اعراضهم عن الايمان بما جئت به من القرآن الكريم حسبما يفصح عنه ما حكي عنهم من تسميتهم له اساطير الاولين وتنائيهم عنه
وتبعيد الناس عنه وقيل ان الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في محضر من قريش فقالوا يا محمد ائتنا بآية
من عند الله كما كانت تفعل الانبياء وانا نصدقك فابى الله ان يأتيهم بآية مما اقترحوا فاعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك عليه
عليه السلام لما انه عليه السلام كان شديد الحرص على ايمان قومه فكان اذا سألوا آية يود ان ينزلها الله تعالى طمعا في ايمانهم فنزلت فقوله تعالى اعراضهم
مرتفع بكبر وتقديم الجار والمجرور عليه لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والجملة في محل النصب على انها خبر لكان
مقدرة واسمها ضمير الشأن الذي هو موضع التفخيم ولا حاجة الى التقدير قد وقيل اسم كان اعراضهم وكبر جملة فعلية في محل النصب على انها خبر لها
مقدم على اسمها لانه فعل رافع لضمير مستتر كما هو مشهور وعلى التقديرين فقوله تعالى **فان استطعت** الى آخره شرطية اخرى محذوفة
الجواب وقعت جوابا للشرط الاول والمعنى ان شق عليك اعراضهم عن الايمان بما جئت به من البينات وعدم عدهم لها من قبيل الآيات واحببت ان
تجيبهم الى ما سألوه اقتراحا فان استطعت **ان تبتغي نفقا** اي سربا ومنفذا **في الارض** تنفذ فيه الى جوفها **او سلما في السماء** اي مصعدا تعرج
فيها **فتأتيهم** منها **بآية** مما اقترحوه فافعل وقد جوز ان يكون ابتغاؤهما نفس الآية كما يتراءى من ظاهر الآية فالفاء في فتأتيهم حينئذ للتفسير وتنوين آية
للتفخيم اي فان استطعت ان تبتغيهما فتجعل ذلك آية لهم فافعل والظرفان متعلقان بمحذوف هو صفة لنفقا وسلما او متعلقان بتبتغي او بمحذوف والاول اجود لما فيه من التأكيد
اذا النفق لا يكون الا في الارض والسلم لا يكون الا في السماء وقد جوز تعلقهما بمحذوف وقع حالا من فاعل تبتغي اي ان تبتغي نفقا كائنا انت في الارض او
سلما كائنا في السماء وفيه من الدلالة على تبالغ حرصه عليه السلام على اسلام قومه وتراميه الى حيث لو قدر على ان يأتي بآية من تحت
الارض او من فوق السماء لفعل رجاء لايمانهم ما لا يخفى واشار الى التعالي على اتحاد ذلك ان ذلك قبل ذلك وخلاف ما ذكرهم في التحقيق والمراد
بيان انه لا يستطيع ابتغاءه وكيف لاتخاذه **ولو شاء الله لجمعهم على الهدى** اي لو شاء الله تعالى ان يجمعهم على الهدى لجمعهم عليه بان يوفقهم
للايمان فيؤمنوا معك ولكن لم يشأ لعدم صرف اختيارهم الى جانب الهدى مع تمكنهم التام منه في مشاهدتهم للآيات الداعية اليه لا انه تعالى
لم يوفقهم له مع توجههم الى تحصيله وقيل لو شاء لجمعهم عليه بان يأتيهم بآية ملجئة اليه ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة وقوله تعالى **فلا تكونن**
من الجاهلين نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والميل الى اتيان ما يقترحونه من الآيات طمعا في ايمانهم

فاعرض عنه

مترتب على بيان عدم تعلق مشيئته تعالى بهدايتهم والمعنى وإذا عرفت أنه تعالى لم يشأ هدايتهم وإنما هم بأحد الوجهين فلا تكونن بالحرص الشديد
على إسلامهم أو الميل إلى نزول مقترحاتهم من الجاهلين بدقائق شؤونه تعالى التي من جملتها ما ذكر من عدم تعلق مشيئته تعالى بإيمانهم أما
اختيارا فلعدم توجههم إليه وأما اضطرارا فلخروجه عن الحكمة التشريعية المؤسسة على الاختيار ويجوز أن يراد بالجاهلين على الوجه
الثاني المقترحون ويراد بالنهي منعه عليه السلام من المساعدة على اقتراحهم وإيرادهم بعنوان الجهل دون الكفر ونحوه لتحقيق مناط
النهي الذي هو الوصف الجامع بينه عليه السلام وبينهم **إنما يستجيب الذين يسمعون** تقرير لما مر من أن على قلوبهم أكنة مانعة من الفقه
وفي آذانهم وقرا حاجزا من السماع وتحقيق لكونهم بذلك من قبيل الموتى لا يتصور منهم الإيمان البتة والاستجابة الإجابة المقارنة للقبول
أي إنما يقبل دعوتك إلى الإيمان الذين يسمعون ما يلقى إليهم سماع فهم وتدبر دون الموتى الذين هؤلاء منهم كقوله تعالى إنك لا تسمع الموتى
وقوله تعالى **والموتى يبعثهم الله** تمثيل لاختصاصه تعالى بالقدرة على توفيقهم بالإيمان باختصاصه تعالى بالقدرة على بعث الموتى
من القبور وقيل بيان لاستمرارهم على الكفر وعدم إقلاعهم عنه أصلا على أن الموتى مستعار للكفرة بناء على تشبيه جهلهم بموتهم
أي وهؤلاء الكفرة يبعثهم الله تعالى من قبورهم **ثم إليه يرجعون** للجزاء فحينئذ يستجيبون وأما قبل ذلك فلا سبيل إليه وقرئ
يرجعون على البناء للفاعل من رجع رجوعا والمشهورة أوفى بحق المقام لإنبائها عن كون مرجعهم إليه تعالى بطريق الاضطرار
وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه حكاية لبعض آخر من أباطيلهم بعد حكاية ما قالوا في حق القرآن الكريم وبيان ما يتعلق به والقائلون
رؤساء قريش وقيل الحارث بن عامر بن نوفل وأصحابه ولقد بلغت بهم الضلالة والطغيان إلى حيث لم يقنعوا بما شاهدوا من البينات
التي تخر لها صم الجبال حتى اجترؤوا على ادعاء أنها ليست من قبيل الآيات وإنما هي ما اقترحوه من الخوارق الملجئة أو المعقبة للعذاب
كما قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية والتنزيل بمعنى الإنزال كما ينبئ عنه القراءة
بالتخفيف وفيما سيأتي وما يفيده التعرض لعنوان ربوبيته تعالى له عليه السلام من الإشعار بالعلية إنما هو بطريق التعريض بالتهكم من جهتهم والإطلاق
الآية في قوله تعالى **قل إن الله قادر على أن ينزل آية** مع أن المراد بها هو من الخوارق المذكورة لا آية ما من الآيات لفساد المعنى
مجاراة معهم على زعمهم ويجوز أن يراد بها آية موجبة لهلاكهم كإنزال ملائكة العذاب ونحوه على أن تنوينها للتفخيم والتهويل
كما أن إظهار الاسم الجليل لتربية المهابة مع ما فيه من الإشعار بعلة القدرة الباهرة والاقتصار في الجواب على بيان قدرته
تعالى على تنزيلها مع أنها ليست في حيز الإنكار للإيذان بأن عدم تنزيله تعالى إياها مع قدرته عليه لحكمة بالغة يجب معرفتها وهم
عنها غافلون كما ينبئ عنه الاستدراك بقوله تعالى **ولكن أكثرهم لا يعلمون** أي ليسوا من أهل العلم على أن المفعول مطروح بالكلية أو لا
يعلمون شيئا على أنه محذوف مدلول عليه بقرينة المقام والمعنى أنه تعالى قادر على أن ينزل آية من ذلك أو آية وأي آية ولكن
أكثرهم لا يعلمون فلا يدرون أن عدم تنزيلها مع ظهور قدرته عليه لما أن في تنزيلها قلعا لأساس التكليف المبني على قاعدة
الاختيار أو استئصالا لهم بالكلية فيقترحونها جهلا ويتخذون عدم تنزيلها ذريعة إلى التكذيب وتخصيص عدم العلم بأكثرهم
لما أن بعضهم واقفون على حقيقة الحال وإنما يفعلون ما يفعلون مكابرة وعنادا وقوله تعالى **وما من دابة في الأرض** الخ كلام مستأنف
مسوق لبيان كمال قدرته عز وجل وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على أنه تعالى قادر على تنزيل الآية وإنما لا ينزلها محافظة على
الحكم البالغة وزيادة من لتأكيد الاستغراق وفي متعلقة بمحذوف هو وصف لدابة مفيد لزيادة التعميم كأنه قيل وما فرد من أفراد
الدواب يستقر في قطر من أقطار الأرض وكذا زيادة الوصف في قوله تعالى **ولا طائر يطير بجناحيه** مع ما فيه من زيادة التقرير أي ولا طائر
من الطيور يطير في ناحية من نواحي الجو بجناحيه كما هو المشاهد المعتاد وقرئ ولا طائر بالرفع عطفا على محل الجار والمجرور كأنه قيل
وما دابة ولا طائر **إلا أمم** أي طوائف متخالفة والجمع باعتبار المعنى كأنه قيل وما من دواب ولا طير **إلا أمم أمثالكم** أي كل أمة
منها مثلكم في أن أحوالها محفوظة وأمورها مقننة ومصالحها مرعية جارية على سنن السداد منتظمة في سلك التقديرات الإلهية والتدبيرات

الربانية **ما فرطنا في الكتاب من شيء** يقال فرط الشيء أي ضيعه وتركه قال ساعدة بن جؤية معه سقاء لا يفرط حمله أي لا يتركه ولا يفارقه
ويقال فرط في الشيء أي أهمل ما ينبغي أن يكون فيه وأغفله فقوله تعالى في الكتاب أي في القرآن على الأول ظرف لغو وقوله تعالى من شيء مفعول
لفرطنا ومن مزيدة للاستغراق أي ما تركنا في القرآن شيئا من الأشياء المهمة من جملتها بيان أنه تعالى مراع لمصالح جميع مخلوقاته على ما ينبغي
وعلى الثاني مفعول للفعل ومن شيء في موضع المصدر أي ما جعلنا الكتاب مفرطا فيه شيئا من التفريط بل ذكرنا فيه كل ما لا بد من ذكره
وأيا ما كان فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها وقيل الكتاب اللوح فالمراد بالاعتراض الإشارة إلى أن أحوال الأمم مستقصاة في
اللوح غير مقصورة على هذا القدر المجمل وقرئ فرطنا بالتخفيف وقوله تعالى **ثم إلى ربهم يحشرون** بيان لأحوال الأمم المذكورة في
الآخرة بعد بيان أحوالها في الدنيا وإيراد ضميرها على صيغة جمع العقلاء لإجرائها مجراهم والتعبير عنها بالأمم أي إلى مالك أمورهم
يحشرون يوم القيامة كدأبكم لا إلى غيره فيجازيهم فينصف بعضهم من بعض حتى يبلغ من عدله أن يأخذ للجماء من القرناء وقيل حشرها موتها
ويأباه مقام تهويل الخطب وتفظيع الحال وقوله تعالى **والذين كذبوا بآياتنا** متعلق بقوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء والموصول
عبارة عن المعهودين في قوله تعالى ومنهم من يستمع إليك الآيات ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده أي أوردنا في القرآن جميع
الأمور المهمة وأزحنا به العلل والأعذار والذين كذبوا بآياتنا التي هي منه **صم** لا يسمعونها سمع تدبر وفهم فلذلك يسمونها أساطير الأولين
ولا يعدونها من الآيات ويقترحون غيرها **وبكم** لا يقدرون على أن ينطقوا بالحق ولذلك لا يستجيبون دعوتك بها وقوله تعالى **في الظلمات**
أي في ظلمات الكفر أو ظلمات الجهل والعناد والتقليد إما خبر ثان للمبتدأ على أنه عبارة عن العمى كما في قوله تعالى صم بكم عمي وإما متعلق
بمحذوف وقع حالا من المستكن في الخبر كأنه قيل ضالون كائنين في الظلمات أو صفة لبكم أي بكم كائنون في الظلمات والمراد به بيان كمال
عراقتهم في الجهل وسوء الحال فإن الأصم الأبكم إذا كان بصيرا ربما يفهم شيئا بإشارة غيره وإن لم يفهمه بعبارته وكذا يشعر غيره بما في
ضميره بالإشارة وإن كان معزولا عن العبارة وأما إذا كان مع ذلك أعمى أو كان في الظلمات فينسد عليه باب الفهم والتفهيم بالكلية وقوله
تعالى **من يشأ الله يضلله** تحقيق للحق وتقرير لما سبق من حالهم ببيان أنهم من أهل الطبع لا يتأتى منهم الإيمان أصلا فمن مبتدأ خبره ما بعده
ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقها به أي من يشأ الله
إضلاله أي أن يخلق فيه الضلال يضلله أي يخلقه فيه لكن لا ابتداء بطريق الجبر من غير أن يكون له دخل ما في ذلك بل عند صرف اختياره إلى
كسبه وتحصيله وقس عليه قوله تعالى **ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم** لا يضل من ذهب إليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه **قل أرأيتكم** أمر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بأن يبكتهم ويلقمهم الحجر بما لا سبيل لهم إلى النكير والكاف حرف جيء به لتأكيد الخطاب لا محل له من الإعراب ومبنى التركيب وإن كان
على الاستخبار عن الرؤية قلبية كانت أو بصرية لكن المراد به الاستخبار عن متعلقها أي أخبروني **إن أتاكم عذاب الله** حسبما أتى الأمم
الخالية من أنواع العذاب الدنيوي **أو أتتكم الساعة** التي لا محيص عنها البتة **أغير الله تدعون** هذا مناط الاستخبار ومحط التبكيت وقوله
تعالى **إن كنتم صادقين** متعلق بأرأيتكم مؤكد للتبكيت كاشف عن كذبهم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه أي إن كنتم صادقين
في أن أصنامكم آلهة كما أنها دعواكم المعروفة أو إن كنتم صادقين فأخبروني أغير الله تدعون إن أتاكم عذاب الله فإن صدقهم بأي معنى كان من
موجبات إخبارهم بدعائهم غيره سبحانه وأما جعل الجواب ما دل عليه قوله تعالى أغير الله تدعون أعني فادعوه على أن الضمير لغير الله فمخل
بجزالة النظم الكريم كيف لا والمطلوب منهم إنما هو الإخبار بدعائهم غيره تعالى عند إتيان ما يأتي لا نفس دعائهم إياه وقوله تعالى **بل إياه تدعون**
عطف على جملة منفية ينبئ عنها الجملة التي تعلق بها الاستخبار إنباء جليا كأنه قيل لا غيره تعالى تدعون بل إياه تدعون وقوله تعالى
فيكشف ما تدعون إليه أي إلى كشفه عطف على تدعون أي فيكشفه إثر دعائكم وقوله تعالى **إن شاء** أي إن شاء كشفه لبيان أن قبوله دعائهم
غير مطرد بل هو تابع لمشيئته المبنية على حكم خفية قد استأثر الله تعالى بعلمها فقد يقبله كما في بعض دعواتهم المتعلقة بكشف العذاب
الدنيوي وقد لا يقبله في بعض آخر منها وفي جميع ما يتعلق بكشف العذاب الأخروي من جملته الساعة وقوله **وتنسون ما تشركون** أي

مانتشر كونه به تعالى من الأصنام تركاً كلياً عطف على تدعون أيضاً وتوسيط الكشف بينهما مع تقارنهما وتأخير الكشف عنهما لإظهار
كمال العناية بشأن الكشف والإيذان بترتبه على الدعاء خاصة وقوله تعالى **ولقد أرسلنا** كلام مستأنف مسوق لبيان أن منهم من لا
يدعو الله تعالى عند إتيان العذاب أيضاً لتماديهم في الغي والضلال لا يتأثرون بالزواجر التكوينية كما لا يتأثرون بالزواجر التنزيلية
وتصديره بالجملة القسمية لإظهار مزيد الاهتمام بمضمونه ومفعول أرسلنا محذوف لما أن مقتضى المقام بيان حال المرسل إليهم لا حال
المرسلين أي وبالله لقد أرسلنا رسلاً **إلى أمم** كثيرة **من قبلك** أي كائنة من زمان قبل زمانك **فأخذناهم** أي فكذبوا رسلهم
فأخذناهم **بالبأساء** أي بالشدة والفقر **والضراء** أي الضر والآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما **لعلهم يتضرعون** أي لكي يدعوا
الله تعالى في كشفها بالتضرع والتذلل ويتوبوا إليه من كفرهم ومعاصيهم **فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا** أي فلم يتضرعوا حينئذ مع تحقق
ما يستدعيه **ولكن قست قلوبهم** استدراك عما قبله أي فلم يتضرعوا إليه تعالى برقة القلب والخضوع مع تحقق ما يدعوهم إليه ولكن ظهر منهم
نقيضه حيث قست قلوبهم أي استمرت على ما هي عليه من القساوة أو ازدادت قساوة كقولك لم يكرمني إذ جئته ولكن أهانني **و**
زين لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي فلم يخطروا ببالهم أن ما اعتراهم من البأساء والضراء ما اعتراهم إلا لأجله وقيل
الاستدراك لبيان أنه لم يكن لهم في ترك التضرع عذر سوى قسوة قلوبهم والإعجاب بأعمالهم التي زينها لهم وقوله تعالى **فلما نسوا**
ما ذكروا به عطف على مقدر ينساق إليه النظم الكريم أي فانهمكوا فيه ونسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء فلما نسوه **فتحنا عليهم**
أبواب كل شيء من فنون النعماء على منهاج الاستدراج لما أنه عليه السلام قال مُكر بالقوم ورب الكعبة وقرئ فتّحنا بالتشديد للتكثير
وفي ترتيب الفتح على النسيان المذكور إشعار بأن التذكير في الجملة غير خال عن النفع وحتى في قوله تعالى **حتى إذا فرحوا بما أوتوا**
هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية كما في قوله تعالى حتى إذا جاء أمرنا الآية ونظائره وهي مع ذلك غاية لقوله تعالى
فتحنا أو لما يدل هو عليه كأنه قيل ففعلوا ما فعلوا حتى إذا اطمأنوا بما أتيح لهم وبطروا وأشروا **أخذناهم بغتة** أي نزل بهم عذابنا فجاءة
ليكون أشد عليهم وقعاً وأفظع هولاً **فإذا هم مبلسون** متحسرون غاية الحسرة آيسون من كل خير واجمون وفي الجملة الاسمية دلالة على
استقرارهم على تلك الحالة الفظيعة **فقطع دابر القوم الذين ظلموا** أي آخرهم بحيث لم يبق منهم أحد من دبره دبراً ودبوراً أي تبعه ووضع الظاهر
موضع المضمر للإشعار بعلة الحكم فإن هلاكهم بسبب ظلمهم الذي هو وضع الكفر موضع الشكر وإقامة المعاصي مقام الطاعات **والحمد لله**
رب العالمين على ما جرى عليهم من النكال فإن إهلاك الكفار والعصاة من حيث إنه تخليص لأهل الأرض من شؤم عقائدهم الفاسدة
وأعمالهم الخبيثة نعمة جليلة مستجلبة للحمد لا سيما مع ما فيه من إعلاء كلمة الحق التي نطقت بها رسلهم عليهم السلام **قل أرأيتم** أمر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بتكرير التبكيت عليهم وتثبيت الإلزام بعد تكملة الإلزام الأول ببيان أن أمرهم لم يزل جارياً في الأمم وهذا أيضاً
استخبار متعلق بالرؤية وإن كان بحسب الظاهر استخباراً عن نفس الرؤية **إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم** بأن أصمكم وأعماكم بالكلية
وختم على قلوبكم بأن غطى عليها بما لا يبقى لكم معه عقل وفهم أصلاً وتصيرون مجانين ويجوز أن يكون الختم عطفاً تفسيرياً للأخذ المذكور
فإن السمع والبصر طريقان للقلب منهما يرد ما يرده من المدركات فأخذهما سد لبابه بالكلية وهو السر في تقديم أخذهما على ختمها وأما
تقديم السمع على الأبصار فلأنه مورد الآيات القرآنية وإفراده لأن أصله مصدر وقوله تعالى **من إله** مبتدأ وخبره ومن استفهامية وقوله
تعالى **غير الله** صفة للخبر وقوله تعالى **يأتيكم به** أي بذاك على أن الضمير مستعار لاسم الإشارة أو بما أخذ وختم عليه صفة أخرى له والجملة
متعلق الرؤية ومناط الاستخبار أي أخبروني إن سلب الله تعالى مشاعركم من إله غيره تعالى يأتيكم بها وقوله تعالى **انظر كيف نصرف الآيات** تعجيب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم من عدم تأثرهم بما عاينوا من الآيات الباهرة أي انظر كيف نكررها ونقررها مصروفة من أسلوب إلى أسلوب
تارة بترتيب المقدمات العقلية وتارة بطريق الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير **ثم هم يصدفون** عطف على نصرف داخل في
حكمه وهو العمدة في التعجيب وثم لاستبعاد صدوفهم أي إعراضهم عن تلك الآيات بعد تصريفها على هذا النمط البديع الموجب للإقبال عليها

قل أرأيتكم تبكيت آخر لهم بإلجائهم إلى الاعتراف باختصاص العذاب بهم **إن أتاكم عذاب الله** أي عذابه العاجل الخاص بكم كما أتى من قبلكم من الأمم **بغتة** أي فجاءة
من غير أن يظهر منه مخايل الإتيان وحيث تضمن هذا معنى الخفية قوبل بقوله تعالى **أو جهرة** أي بعد ظهور أماراته وعلائمه وقيل ليلاً أو نهاراً كما
في قوله تعالى بياتاً أو نهاراً لما أن الغالب فيما أتى ليلاً البغتة وفيما أتى نهاراً الجهرة وقرئ بغتة وجهرة وهما في موضع المصدر أي إتيان بغتة
أو إتيان جهرة وتقديم البغتة لكونها أهول وأفظع وقوله تعالى **هل يهلك** متعلق الاستخبار والاستفهام للتقرير أي قل لهم تقريراً لهم باختصاص
الهلاك بهم أخبروني إن أتاكم عذابه تعالى حسبما تستحقونه هل يهلك بذلك العذاب إلا أنتم أي هل يهلك غيركم ممن لا يستحقه وإنما وضع
موضعه **إلا القوم الظالمون** تسجيلاً عليهم بالظلم وإيذاناً بأن مناط إهلاكهم ظلمهم الذي هو وضعهم الكفر موضع الإيمان وقيل المراد بالظالمين
الجنس وهم داخلون في الحكم دخولاً أولياً قال الزجاج هل يهلك إلا أنتم ومن أشبهكم وأباه تخصيص الإتيان بهم وقيل الاستفهام بمعنى النفي
ومتعلق الاستخبار محذوف كأنه قيل أخبروني إن أتاكم عذابه تعالى بغتة أو جهرة ماذا يكون الحال ثم قيل بياناً لذلك ما يهلك إلا
القوم الظالمون أي ما يهلك بذلك العذاب الخاص بكم إلا أنتم فمن قيد الهلاك بهلاك التعذيب والسخط لتحقيق الحصر بإخراج غير
الظالمين لما أنه ليس بطريق التعذيب والسخط بل بطريق الإثابة ورفع الدرجة فقد أهمل ما يجديه واشتغل بما لا يعنيه وأخل بجزالة النظم
الكريم وقرئ هل يهلك من الثلاثي **وما نرسل المرسلين** كلام مستأنف مسوق لبيان وظائف منصب الرسالة على الإطلاق وتحقيق ما في
عهدة الرسل عليهم السلام وإظهار أن ما يقترحه الكفرة عليه عليه السلام ليس مما يتعلق بالرسالة أصلاً وصيغة المضارع لبيان أن ذلك
أمر مستمر جرت عليه العادة الإلهية وقوله تعالى **إلا مبشرين ومنذرين** حالان مقدرتان من المرسلين أي ما نرسلهم إلا مقدراً تبشيرهم وإنذارهم
وفيهما معنى العلة الغائية قطعاً أي ليبشروا قومهم بالثواب على الطاعة وينذروهم بالعقاب على المعصية أي ليخبروهم بالخبر السار
والخبر الضار دنيوياً كان أو أخروياً من غير أن يكون لهم دخل ما في وقوع المخبر به أصلاً وعليه يدور القسر والإلزام أن لا يكون بيان الشرائع
والأحكام من وظائف الرسالة والفاء في قوله تعالى **فمن آمن وأصلح** لترتيب ما بعدها على ما قبلها ومن موصولة والفاء في قوله تعالى **فلا خوف عليهم ولا هم**
يحزنون لشبه الموصول بالشرط أي لا خوف عليهم من العذاب الذي أنذروه دنيوياً كان أو أخروياً ولا هم يحزنون بفوت ما بشروا به من الثواب
العاجل أو الآجل وتقديم نفي الخوف على نفي الحزن لمراعاة حق المقام وجمع الضمائر الثلاثة الراجعة إلى من باعتبار معناها كما أن إفراد الضميرين
الأولين باعتبار لفظها لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا أنه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما
كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعاً لما تقرر في موضعه من أن النفي وإن دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام
ألا يرى أن الجملة الاسمية تدل بمعونة المقام على استمرار الثبوت فإذا دخل عليها حرف النفي دلت على استمرار الانتفاء لا على انتفاء
الاستمرار كذلك المضارع الخالي عن حرف النفي يفيد استمرار الثبوت فإذا دخل عليه حرف النفي يفيد استمرار الانتفاء لا انتفاء الاستمرار ولا
بعد في ذلك فإن قولك ما زيداً ضربت معناه اختصاص النفي لا نفي الاختصاص كما بين في محله وقوله عز وجل **والذين كذبوا** عطف على
من آمن داخل في حكمه وقوله تعالى **بآياتنا** إشارة إلى أن ما ينطق به الرسل عليهم السلام عند التبشير والإنذار ويبلغونه إلى الأمم آياته تعالى
وأن من آمن به فقد آمن بآياته تعالى ومن كذب به فقد كذب بها وفيه من الترغيب في الإيمان به والتحذير عن تكذيبه ما لا يخفى والمعنى
ما نرسل المرسلين إلا ليخبروا الأمم من جهتنا بما سيقع منا من الأمور السارة والضارة لا ليوقعوها استقلالاً أو من تلقاء أنفسهم
والاستدعاء من قبلنا حتى يقترحوا عليهم ما يقترحون فإذا كان الأمر كذلك فمن آمن بما أخبروا به من قبلنا تبشيراً وإنذاراً في ضمن آياتنا وأصلح ما
يجب إصلاحه من أعماله أو دخل في الصلاح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا التي يبلغونها عند التبشير والإنذار **يمسهم**
العذاب أي العذاب الذي أنذروه عاجلاً وآجلاً أو حقيقة العذاب وجنسه المنتظم له انتظاماً أولياً **بما كانوا يفسقون** أي بسبب
فسقهم المستمر الذي هو الإصرار على الخروج عن التصديق والطاعة **قل لا أقول لكم عندي خزائن الله** استئناف مبني على ما أسس من السنة
الإلهية في شأن إرسال الرسل وإنزال الكتب مسوق لإظهار تبرئه عليه السلام عما يدور عليه مقترحاتهم أي قل للكفرة الذين يقترحون

عليك تارة بتنزيل الآيات واخرى لا ادعي ان خزائن مقدوراته تعالى مفوضة الي اتصرف فيها كيف ما اشاء استقلالا او استدعاء حتى
تقترحوا علي تنزيل الآيات او انزال العذاب او قلب الجبال ذهبا او غير ذلك مما لا يليق بشأني وجعل هذا تبرؤا عن دعوى الالهية
مما لا وجه له قطعا وقوله تع **ولا اعلم الغيب** عطف على محل عندي خزائن الله اي ولا ادعي ايضا اني اعلم الغيب من افعاله تعالى حتى تسألوني
عن وقت الساعة او وقت نزول العذاب او نحوهما **ولا اقول لكم اني ملك** حتى تكلفوني من الافاعيل الخارقة للعادات ما لا يطيق به البشر
من الرقي في السماء ونحوه او تعدوا عدم اتصافي بصفاتهم قادحا في امري كما ينبئ عنه قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في
الاسواق والمعنى اني لا ادعي شيئا من هذه الاشياء الثلثة حتى تقترحوا علي ما هو من آثارها واحكامها وتجعلوا عدم اجابتي
الى ذلك دليلا على عدم صحة ما ادعيه من الرسالة التي لا تعلق لها بشيء مما ذكر قطعا بل انما هي عبارة عن تلقي الوحي من جهة الله
عز وجل والعمل بمقتضاه فحسب حسبما ينبئ عنه قوله تع **ان اتبع الا ما يوحى الي** لا على معنى تخصيص اتباعه عليه السلام بما يوحى اليه دون غيره
بتوجيه القصر الى المفعول بالقياس الى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيه القصر الى ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي في
الاصل والاثبات في القيد بل على معنى تخصيص حاله عليه السلام باتباع ما يوحى اليه بتوجيه القصر الى نفس الفعل بالقياس الى ما يغايره من الافعال
لكن لا باعتبار النفي والاثبات معا في خصوصيته فان ذلك غير ممكن قطعا بل باعتبار النفي فيما يتضمنه من مطلق الفعل والاثبات
فيما يقارنه من المعنى المخصوص فان كل فعل من الافعال الخاصة كنصر مثلا ينحل عند التحقيق الى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل والى
معنى خاص يقومه فان معنى نصر فعل النصر يرشدك الى ذلك قولك معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء والمنع فمورد القصر في الحقيقة
ما يتعلق بالفعل بتوجيه النفي الى الاصل والاثبات الى القيد كأنه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الي من غير ان يكون لي مدخل ما في
الوحي او في الموحى بطريق الاستدعاء بوجه آخر من الوجوه اصلا **قل هل يستوي الاعمى والبصير** مثل للضال والمهتدي على الاطلاق
والاستفهام انكاري والمراد انكار استواء من لا يعلم ما ذكر من الحقائق ومن يعلمها وفيه من الاشعار بكمال ظهورها ومن التنفير عن الضلال
والترغيب في الاهتداء ما لا يخفى وتكرير الامر لتثنية التبكيت وتأكيد الالزام وقوله تع **افلا تتفكرون** تقريع وتوبيخ داخل
تحت الامر والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا تسمعون هذا الكلام الحق فلا تتفكرون فيه او اتسمعونه فلا تتفكرون
فيه ومناط التوبيخ في الاول عدم الامرين معا وفي الثاني عدم التفكر مع تحقق ما يوجبه **وانذر به الذين يخافون ان يحشروا
الى ربهم** بعدما حكى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الكفرة قوما لا يتعظون بتصريف الآيات الباهرة ولا يتأثرون بمشاهدة
المعجزات القاهرة قد ايفت مشاعرهم بالكلية وتحققوا بالاموات وقرر ذلك بان كرر عليهم من فنون التبكيت والالزام ما
يلقمهم الحجر اي القام فابوا الا الاباء والنكير وما نجع فيهم عظة ولا تذكير وما افادهم الانذار الا الاصرار على الانكار امر صلى الله
عليه وسلم بتوجيه الانذار الى من يتوقع منهم التأثر في الجملة وهم المجوزون منهم للحشر على الوجه الآتي سواء كانوا جازمين باصله
كاهل الكتاب وبعض المشركين المعترفين بالبعث المترددين في شفاعة آبائهم الانبياء كالاولين او في شفاعة الاصنام
كالآخرين او مترددين فيهما معا كبعض الكفرة الذين يعلم من حالهم انهم اذا سمعوا بحديث البعث يخافون ان يكون حقا واما
المنكرون للحشر رأسا والقائلون به القاطعون بشفاعة آبائهم او بشفاعة الاصنام فهم خارجون عمن امر بانذارهم وقد
قيل هم المفرطون في الاعمال من المؤمنين ولا يساعده سياق النظم الكريم ولا سياقه بل فيه ما يقضي باستحالة صحته كما ستقف
عليه والضمير المجرور لما يوحى او لما دل هو عليه من القرآن والمفعول الثاني للانذار اما العذاب الاخروي المدلول عليه بما في حيز
الصلة واما مطلق العذاب الذي ورد به الوعيد والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف الكلي لتربية
المهابة وتحقيق المخافة وقوله تع **ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع** في حيز النصب على الحالية من ضمير يحشروا ومن متعلقه فانه محله
وقع حالا من اسم ليس لانه في الاصل صفة له فلما قدم عليه انتصب حالا خلا ان الحال الاولى لاخراج الحشر الذي لم يقيد بها عن

عن حيز الخوف وتحقيق ان ما نيط به الخوف هو الحشر على تلك الحالة لا الحشر كيف ما كان ضرورة ان المعترفين به الجازمين بنصرة غيره
تعالى بمنزلة المنكرين له في عدم الخوف الذي يدور عليه امر الانذار واما الحال الثانية فليست لاخراج الولي الذي لم يقيد بها عن
حيز الانتفاء لفساد المعنى لاستلزامه ثبوت ولايته تعالى لهم كما في قوله تع وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير بل لتحقيق
مدار خوفهم وهو فقدان ما علقوا به رجاءهم وذلك انما هو ولاية غيره سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى ومن لا يجب داعي الله
فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء والمعنى انذر به الذين يخافون ان يحشروا غير منصورين من جهة انصارهم على
زعمهم ومن هذا اتضح ان لا سبيل الى كون المراد بالخائفين المفرطين من المؤمنين اذ ليس لهم ولي سواه تعالى ليخافوا الحشر
بدون نصرته وانما الذين يخافون الحشر بدون نصرته عز وجل وقوله تع **لعلهم يتقون** تعليل للامر اي انذرهم لكي يتقوا الكفر والمعاصي
او حال من ضمير الامر اي انذرهم راجيا تقواهم او من الموصول اي انذرهم مرجوا منهم التقوى **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي** لما امر عليه السلام بانذار المذكورين لينتظموا في سلك المتقين نهي عليه السلام عن كون ذلك بحيث يؤدي الى طردهم المتقين روي
ان رؤساء من المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو طردت هؤلاء الاعبد وارواح جبابهم يعنون فقراء المسلمين
كعمار وصهيب وخباب وسلمان واضرابهم جلسنا اليك وحادثناك فقال عليه السلام ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا
جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت قال عليه السلام نعم طمعا في ايمانهم وروي ان عمر رضي الله تعالى عنه قال له عليه السلام لو فعلت
حتى ننظر الى ما يصيرون وروي ان عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل وقرظة بن عبيد وعمرو بن
نوفل واشراف بني عبد مناف من اهل الكفر اتوا ابا طالب فقالوا يا ابا طالب ان ابن اخيك محمدا يطرد موالينا وحلفاءنا
وهم عبيدنا وعتقاؤنا كان اعظم في صدورنا وادنى لاتباعنا اياه فاتى ابو طالب الى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذي
كلموه فقال عمر رضي الله عنه لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون والى ما يصيرون وقال سلمان وخباب فينا نزلت هذه
الآية جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس وذووهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله
عليه وسلم جالسا مع ناس من ضعفاء المؤمنين فلما رأوهم حوله عليه السلام حقروهم فأتوه عليه السلام فقالوا يا رسول الله
لو جلست في صدر المسجد ونفيت عنا هؤلاء وارواح جبابهم فجالسناك وحادثناك واخذنا عنك فقال عليه السلام ما انا بطارد
المؤمنين قالوا فانا نحب ان تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا فان وفود العرب تأتيك فنستحيي ان ترانا مع هؤلاء
الاعبد فاذا نحن جئناك فاقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال عليه السلام نعم قالوا فاكتب لنا كتابا فدعا بالصحيفة
وبعلي رضي الله عنه ليكتب ونحن قعود في ناحية فنزل جبريل عليه السلام بالآية فرمى عليه السلام بالصحيفة ودعانا فأتيناه وجلسنا
عنده وكنا ندنو منه حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم
فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات
والمراد بذكر الوقتين الدوام وقيل صلوة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وقوله تع **يريدون وجهه** حال من ضمير يدعون اي يدعونه
تعالى مخلصين له فيه وتقييده به لتأكيد عليته للنهي فان الاخلاص من اقوى موجبات الاكرام المضاد للطرد وقوله تع **ما عليك من
حسابهم من شيء** اعتراض وسط بين النهي وجوابه تقريرا له ودفعا لما عسى يتوهم كونه مسوغا لطردهم من اقاويل الطاعنين في
دينهم كدأب قوم نوح حيث قالوا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي اي ما عليك شيء ما من حساب ايمانهم واعمالهم
الباطنة حتى تتصدى له وتبني على ذلك ما تراه من الاحكام وانما وظيفتك حسبما هو شأن منصب النبوة اعتبار ظواهر
الاعمال واجراء الاحكام على موجبها واما بواطن الامور فحسابها على العليم بذات الصدور كقوله تع ان حسابهم الا على ربي
وذكر قوله تع **وما من حسابك عليهم من شيء** مع ان الجواب قد تم بما قبله للمبالغة في بيان انتفاء كون حسابهم عليه عليه السلام بنظمه في

في سلك ما لا شبهة فيه اصلاً وهو انتفاء كون حسابهم عليه السلام عليهم على طريقة قوله تع لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وأما
قيل من أن ذلك تنزيل للجملتين منزلة جملة واحدة لتأديتهما معنى واحداً على نهج قوله تع ولا تزر وازرة وزر اخرى فغير حقيق
بجلالة شأن التنزيل وقد تقدم عليك في الجملة الأولى للقصد الى ايراد النفي على اختصاص حسابهم به عليه السلام اذ هو الداعي الى تصديه
عليه السلام لحسابهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى انك لا تؤاخذ بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويدعوك الحرص عليه الى ان تطرد المؤمنين
وقوله تع فتطردهم جواب النفي وقوله تع فتكون من الظالمين جواب النهي وقد جوز عطفه على فتطردهم على طريقة التسبب وليس بذاك
وكذلك فتنا بعضهم ببعض استئناف مبين لما نشأ عنه ما سبق من النهي وذلك اشارة الى مصدر ما بعده من الفعل الذي هو عبارة
عن تقديمه تع لفقراء المؤمنين في امر الدين بتوفيقهم للايمان مع ما هم عليه من كمال سوء الحال وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة
المشار اليه وبعد منزلته في الكمال والكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر
مؤكد محذوف والتقدير فتنا بعضهم ببعض فتوناً كائناً مثل ذلك الفتون ثم قدم على الفعل لافادة القصر المفيد لعدم القصور
فقط واعتبرت الكاف مقحمة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتاً له والمعنى ذلك الفتون الكامل البديع فتنا اي ابتلينا بعض الناس
ببعضهم لا فتوناً غيره حيث قدمنا الآخرين في امر الدين على الأولين المتقدمين عليهم في امر الدنيا تقدماً كلياً واللام في قوله تع
ليقولوا للعاقبة اي ليقول البعض الأولون مشيرين الى الآخرين محقرين لهم نظراً الى ما بينهما من التفاوت الفاحش الدنيوي
وتعامياً عما هو مناط التفضيل حقيقة أهؤلاء من الله عليهم من بيننا بأن وفقهم لاصابة الحق ولما يسعدهم عنده تعالى
من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء وغرضهم بذلك انكار وقوع المن راساً على طريقة قولهم لو كان خيراً ما سبقونا
اليه لا لتحقير الممنون عليهم مع الاعتراف بوقوعه بطريق الاعتراض عليه تعالى وقوله تع أليس الله بأعلم بالشاكرين رد لقولهم ذلك وابطال
له واشارة الى ان مدار استحقاق الانعام معرفة شأن النعمة والاعتراف بحق المنعم والاستفهام لتقرير علمه البالغ بذلك اي أليس الله
بأعلم بالشاكرين لنعمه حتى تستبعدوا انعامه عليهم وفيه من الاشارة الى ان اولئك الضعفاء عارفون بحق نعمة الله تعالى في تنزيل
القرآن والتوفيق للايمان شاكرون له تعالى على ذلك مع التعريض بأن القائلين بمعزل من ذلك كله ما لا يخفى وإذا جاءك الذين يؤمنون
بآياتنا هم الذين نهي عن طردهم وصفوا بالايمان بآيات الله عز وجل كما وصفوا بالمداومة على عبادته تعالى بالاخلاص تنبيهاً على احرازهم
لفضيلتي العلم والعمل وتأخير هذا الوصف مع تقدمه على الوصف الأول لما ان مدار الوعد بالرحمة والمغفرة هو الايمان بها كما ان مناط النهي
عن الطرد فيما سبق هو المداومة على العبادة وقوله تع فقل سلام عليكم امر بتبشيرهم بالسلامة عن كل مكروه بعد انذار مقابليهم وقيل
بتبليغ سلام تعالى اليهم وقيل بأن يبدأهم بالسلام وقوله تع كتب ربكم على نفسه الرحمة اي قضاها واوجبها على ذاته المقدسة بطريق
التفضل والاحسان بالذات لا بتوسط شيء ما اصلاً اثر تبشيرهم بالسلامة عن المكاره وقبوله التوبة منهم وفي التعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم اظهار اللطف بهم والاشعار بعلة الحكم وقيل ان قوماً جاؤوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انا
اصبنا ذنوباً عظاماً فلم يرد عليهم شيئاً فانصرفوا فنزلت وقوله تع أنه من عمل منكم سوءاً بدل من الرحمة وقرئ بكسر انه على انه تفسير
للرحمة بطريق الاستئناف وقوله تع بجهالة حال من فاعل عمل اي عمله وهو جاهل بحقيقة ما يتبعه من المضار والتقييد بذلك للايذان بأن
المؤمن لا يباشر ما يعلم انه يؤدي الى الضرر او عمله ملتبساً بجهالة ثم تاب من بعده اي من بعد عمله او من بعد سفهه واصلح اي ما افسده
تداركاً وعزماً على ان لا يعود اليه ابداً فأنه غفور رحيم اي فأمره انه غفور رحيم او فله انه غفور رحيم وقرئ فانه بالكسر
على انه استئناف وقع في صدر الجملة الواقعة جزاء للمن على انها موصولة او جواباً لها على انها شرطية وكذلك نفصل الآيات
قد مر آنفاً ما فيه من الكلام اي مثل هذا التفصيل البديع نفصل الآيات في صفة اهل الطاعة واهل الاجرام المصرين منهم والأوابين
ولتستبين سبيل المجرمين بتأنيث الفعل بناء على تأنيث الفاعل وقرئ بالتذكير بناء على تذكيره فإن السبيل مما يذكر ويؤنث

وهو عطف على علة محذوفة للفعل المذكور لم يقصد تعليله بها بعينها وانما قصد الاشعار بأن له فوائد جمة من جملتها ما ذكر او علة لفعل مقدر
هو عبارة عن المذكور فيكون مستأنفاً اي ولتستبين سبيلهم نفعل ما نفعل من التفصيل وقرئ بنصب السبيل على ان الفعل متعد والتاء للخطاب
اي ولتستوضح انت يا محمد سبيل المجرمين فتعاملهم بما يليق بهم قل اني نهيت امر صلى الله عليه وسلم بالرجوع الى مخاطبة المصرين على الشرك اثر ما
امر بمعاملة من عداهم من اهل الانذار والتبشير بما يليق بحالهم اي قل لهم قطعاً لأطماعهم الفارغة عن ركونه عليه السلام اليهم وبياناً لكون ما هم
من الدين هوى محضاً وضلالاً بحتاً اني صرفت وزجرت بما نصب لي من الأدلة وانزل علي من الآيات في امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون اي
عن عبادة ما تدعونه من دون الله كائناً ما كان قل كرر الأمر مع قرب العهد اعتناء بشأن المأمور به وايذاناً باختلاف المقولين من حيث ان الاول حكاية
لما من جهته عليه السلام من الانتهاء عما ذكر من عبادة ما يعبدونه وانما قيل لا اتبع اهواءكم استجهالاً لهم وتنصيصاً على انهم
فيما هم فيه تابعون لأهواء باطلة وليسوا على شيء مما ينطلق عليه الدين اصلاً واشعاراً بما يوجب النهي والانتهاء وقوله تعالى
قد ضللت اذاً استئناف مؤكد لانتهائه عما نهي عنه مقرر لكونهم في غاية الضلال والغواية اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت
وقوله تع وما انا من المهتدين عطف على ما قبله والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة على الدوام والاستمرار اي دوام النفي واستمراره لا نفي
الدوام والاستمرار كما مر مراراً اي ما انا في شيء من الهدى حتى اكون في عدادهم وقوله تع قل اني على بينة تحقيق للحق الذي عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبيان لاتباعه اياه اثر ابطال الذي عليه الكفرة وبيان عدم اتباعه له والبينة الحجة الواضحة التي تفصل بين
الحق والباطل والمراد بها القرآن والوحي وقيل هي الحجج العقلية او ما يعمها ولا يساعده المقام والتنوين للتفخيم وقوله تع من ربي
متعلق بمحذوف هو صفة لبينة مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره
عليه السلام من التشريف ورفع المنزلة ما لا يخفى وقوله تع وكذبتم به اما جملة مستأنفة او حالية بتقدير قد او بدونه جيء بها لاستقباح
مضمونها واستبعاد وقوعه مع تحقق ما يقتضي عدمه من غاية وضوح البينة والضمير المجرور للبينة والتذكير باعتبار المعنى المراد والمعنى
اني على بينة عظيمة كائنة من ربي وكذبتم بها وبما فيها من الاخبار التي من جملتها الوعيد بمجيء العذاب وقوله تع ما عندي ما تستعجلون
به استئناف مبين لخطابهم في شأن ما جعلوه منشأ لتكذيبهم بها وهو عدم مجيء ما وعد فيها من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بقولهم
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين بطريق الاستهزاء او بطريق الالزام على زعمهم اي ليس ما تستعجلونه من العذاب الموعود في القرآن وتجعلون
تأخره ذريعة الى تكذيبه في حكمي وقدرتي حتى اجيء به واظهر لكم صدقه اي ليس امره بمفوض الي ان الحكم اي ما الحكم في ذلك
تعجيلاً وتأخيراً او ما الحكم في جميع الأشياء فيدخل فيه ما ذكر دخولاً اولياً الا لله وحده من غير ان يكون لغيره دخل فيه
بوجه من الوجوه وقوله تع يقص الحق اي يتبعه بيان لشؤونه في الحكم تعالى المعهود او في جميع احكامه المنتظمة له انتظاماً اولياً اي لا
يحكم الا بما هو حق فيثبت حقية التأخير وقرئ يقض فانتصاب الحق على المصدرية اي يقض القضاء الحق او على المفعولية اي يصنع
الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها واصل القضاء الفصل بتمام الأمر واصل الحكم المنع فكأنه يمنع الباطل عن معارضة
الحق والخصم عن التعدي على صاحبه وهو خير الفاصلين اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مشير الى ان قص الحق ههنا بطريق خاص هو الفصل
بين الحق والباطل هذا هو الذي يستدعيه جزالة التنزيل وقد قيل ان المعنى اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق
وكذبتم به انتم حيث اشركتم به تعالى غيره وانت خبير بأن مساق النظم الكريم فيما سبق وما لحق على وصفهم بتكذيب آيات الله تعالى بسبب عدم
مجيء العذاب الموعود فيها فتكذيبهم به في امر التوحيد مما لا تعلق له بالمقام اصلاً قل لو ان عندي اي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من
العذاب الذي ورد به الوعيد بأن يكون امره مفوضاً الي من جهته تعالى لقضي الأمر بيني وبينكم اي بأن ينزل ذلك عليكم اثر استعجالكم
بقولكم متى هذا الوعد ونظائره وفي بناء الفعل للمفعول من الايذان بتعين الفاعل الذي هو الله سبحانه وتهويل الأمر ومراعاة حسن الأدب
ما لا يخفى فما قيل في تفسيره لأهلكتكم عاجلاً غضباً لربي ولتخلصت منكم سريعاً بمعزل من توفية المقام حقه وقوله تع والله اعلم بالظالمين

ح

بالظالمين

اعتراض مقرر لما افاده الجملة الامتناعية من انتفاء كون امر العذاب مفوضا اليه عليه السلام المستتبع لانتفاء قضاء الامر وتعليل له والمعنى والله اعلم بحال
وبانهم مستحقون للامهال بطريق الاستدراج لتشديد العذاب ولذلك لم يفوض الامر الي فلم يقض الامر بتعجيل العذاب والله اعلم **وعنده مفاتح**
الغيب لاختصاص المقدورات الغيبية به تعالى من حيث العلم اثر بيان اختصاص كلها به تعالى من حيث القدرة والمفاتح اما جمع مفتح بفتح الميم
وهو المخزن فهو مستعار لمكان الغيب كانها مخازن خزنت فيها الامور الغيبية تغلق عليها وتفتح واما جمع مفتح بكسرها وهو المفتاح ويؤيده
قراءة من قرا مفاتيح الغيب فهو مستعار لما يتوصل به الي تلك الامور بناء على الاستعارة الاولى اي عنده تعالى خاصة خزائن غيوبه وما يتوصل به اليها
وقوله عز وجل **لا يعلمها الا هو** تاكيد لمضمون ما قبله وايذان بان المراد هو الاختصاص من حيث العلم لا من حيث القدرة والمعنى ان ما تستعجلونه من العذاب ليس مقدورا
الي حتى الزمكم بتعجيله ولا معلوما لدي لاخبركم بوقت نزوله بل هو مما يختص به تعالى قدرة وعلما فينزله حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وقوله تع
ويعلم ما في البر والبحر بيان لتعلق علمه تعالى بالمشاهدات اثر بيان تعلقه بالمغيبات تكملة له وتنبيها على ان الكل بالنسبة الي علمه سواء في الجلاء اي
يعلم ما فيهما من الموجودات مفصلة على اختلاف اجناسها وانواعها وتكثر افرادها وقوله تع **وما تسقط من ورقة الا يعلمها** بيان لتعلقه باحوالها
المتغيرة بعد بيان تعلقه بذواتها فان تخصيص حال السقوط بالذكر ليس الا بطريق الاكتفاء بذكرها عن ذكر سائر الاحوال كما ان ذكر حال
الورقة وما عطف عليها خاصة دون احوال سائر ما فيهما من فنون الموجودات الفائتة للحصر باعتبار انها انموذج لاحوال سائرها وقوله تع
ولا حبة عطف على ورقة وقوله تع **في ظلمات الارض** متعلق بمحذوف هو صفة لحبة مفيدة لكمال نفوذ علمه تعالى اي ولا حبة كائنة في بطون الارض
الا يعلمها وكذا قوله تع **ولا رطب ولا يابس** معطوفان عليها داخلان في حكمها وقوله تع **الا في كتاب مبين** بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على
ان الكتاب المبين عبارة عن علمه تعالى او بدل الاشتمال على انه عبارة عن اللوح المحفوظ وقرئ الاخيران بالرفع عطفا على محل من ورقة
وقيل رفعهما بالابتداء والخبر الا في كتاب مبين وهو الانسب بالمقام لشمول الرطب واليابس حينئذ لما ليس من شانه السقوط وقد نقل قراءة
الرفع في ولا حبة ايضا **وهو الذي يتوفاكم بالليل** اي ينيمكم فيه على استعارة التوفي من الاماتة للانامة لما بين الموت والنوم من المشاركة
في زوال الاحساس والتمييز واصله قبض الشيء بتمامه **ويعلم ما جرحتم بالنهار** اي ما كسبتم فيه والمراد بالليل والنهار الجنس المتحقق في افرادهما
اذ بالتوفي والبعث الموجودين فيهما يتحقق قضاء الاجل المسمى المترتب عليهما لا في بعضها والمراد بعلمه تعالى ذلك علمه قبل الجرح كما يلوح
به تقديم ذكره على البعث اي يعلم ما تجرحون بالنهار وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وتخصيص التوفي بالليل والجرح بالنهار مع تحقق
كل منهما فيما خص بالآخر للجري على سنن العادة **ثم يبعثكم فيه** اي يوقظكم في النهار عطف على يتوفاكم وتوسيط قوله تع ويعلم الخ بينهما لبيان
ما في بعثهم من عظيم الاحسان اليهم بالتنبيه على ان ما يكتسبونه من السيئات مع كونها موجبة لابقائهم على التوفي بل لاهلاكهم بالمرة
يفيض عليهم الحيوة ويمهلهم كما ينبئ عنه كلمة التراخي كانه قيل هو الذي يتوفاكم في جنس الليالي ثم يبعثكم في جنس النهر مع علمه بما
تجترحون فيها **ليقضى اجل مسمى** معين لكل فرد فرد بحيث لا يكاد يخطي احد ما عين له طرفة عين **ثم اليه مرجعكم** اي رجوعكم بالموت
لا الي غيره اصلا **ثم ينبئكم بما كنتم تعملون** بالمجازاة باعمالكم التي كنتم تعملونها في تلك الليالي والايام وقيل الخطاب مخصوص بالكفرة
والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل كاسبون للآثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في شان ما قطعتم به اعماركم
من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضي الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم وفيه ما لا يخفى من التكليف
والاخلال لافضائه الي كون البعث معللا بقضاء المضروب له **وهو القاهر فوق عباده** اي هو المتصرف في امورهم لا غيره يفعل بهم ما يشاء
ايجادا واعداما واحياء واماتة واثابة الى غير ذلك **ويرسل عليكم** خاصة ايها المكلفون **حفظة** من الملائكة وهم الكرام الكاتبون
وعليكم متعلق بيرسل لما فيه من معنى الاستيلاء وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر
وقيل متعلق بمحذوف هو حال من حفظة اذ لو تاخر لكان صفة اي كائنين عليكم وقيل متعلق بحفظة والمحفوظ محذوف على كل حال
اي يرسل عليكم ملائكة يحفظون اعمالكم كائنا ما كان وفي ذلك حكمة جليلة ونعمة جميلة لما ان المكلف اذا علم ان اعماله تحفظ عليه

وتعرض على رؤس الاشهاد وكان ذلك ازجر له عن تعاطي المعاصي والقبائح وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم
يحتشم احتشامه من خدمه الواقفين على احواله وحتى في قوله تع **حتى اذا جاء احدكم الموت** هي التي يبتدأ بها الكلام وهي مع ذلك تجعل ما
بعدها من الجملة الشرطية غاية لما قبلها كانه قيل ويرسل عليكم حفظة يحفظون اعمالكم مدة حياتكم حتى اذا انتهت مدة احدكم كائنا من
كان وجاءه اسباب الموت ومباديه **توفته رسلنا** الآخرون المفوضون اليهم ذلك وهم ملك الموت واعوانه وانتهى هناك حفظ الحفظة
وقرئ توفاه ماضيا او مضارعا بطرح احدى التائين **وهم** اي الرسل **لا يفرطون** اي بالتواني والتاخير وقرئ مخففا من الافراط اي
لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان والجملة حال من رسلنا وقيل مستانفة سيقت لبيان اعتنائهم بما امروا به وقوله تع **ثم**
ردوا عطف على توفته والضمير للكل المدلول عليه باحدكم وهو السر في مجيئه بطريق الالتفات تغليبا والافراد اولا والجمع آخرا لوقوع
التوفي على الانفراد والرد على الاجتماع اي ثم ردوا بعد البعث بالحشر **الى الله** اي الى حكمه وجزائه في موقف الحساب **مولاهم** اي مالكهم الذي
يلي امورهم على الاطلاق لا ناصرهم كما في قوله تع وان الكافرين لا مولى لهم **الحق** الذي لا يقضي الا بالعدل وقرئ بالنصب على المدح **الا له الحكم** يومئذ
صورة ومعنى لا لاحد غيره بوجه من الوجوه **وهو اسرع الحاسبين** يحاسب جميع الخلائق في اسرع زمان واقصره لا يشغله حساب عن حساب
ولا شان عن شان وفي الحديث انه تعالى يحاسب الكل في مقدار حلب شاة **قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر** اي قل تقريرا لهم بانحطاط
شركائهم عن رتبة الالهية من ينجيكم من شدائدهما الهائلة التي تبطل الحواس وتدهش العقول ولذلك استعير لها الظلمات المبطلة
لحاسة البصر يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كوكب او من الخسف في البر والغرق في البحر وقرئ ينجيكم من الانجاء والمعنى
واحد وقوله تع **تدعونه** نصب على الحالية من مفعول ينجيكم والضمير لمن اي من ينجيكم منها حال كونكم داعين له او من فاعله اي من ينجيكم
منها حال كونه مدعوا من جهتكم وقوله تع **تضرعا وخفية** اما حال من فاعل تدعونه او مصدر مؤكد له اي تدعونه متضرعين جهارا ومسرين
او تدعونه دعاء اعلان واخفاء وقرئ خفية بكسر الخاء وقوله تع **لئن انجانا** حال من فاعل ايضا على تقدير القول اي تدعونه قائلين
لئن انجيتنا **من هذه** الشدة والورطة التي عبر عنها بالظلمات **لنكونن من الشاكرين** اي الراسخين في الشكر المداومين عليه لاجل هذه النعمة
او جميع النعماء التي من جملتها هذه وقرأ حفص لئن انجيتنا مراعاة لقوله تع تدعونه **قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب** امر صلى الله عليه
وسلم بتقرير الجواب مع كونه من وظائفهم للايذان بانه متعين عندهم ولبناء قوله تع **ثم انتم تشركون** عليه اي الله تعالى وحده ينجيكم مما تدعونه
الى كشفه من الشدائد المذكورة ومن الغموم والكرب ثم انتم بعد ما تشاهدون هذه النعم الجليلة تشركون بعبادته تعالى غيره وقرئ ينجيكم
بالتخفيف وقوله تع **قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا** استئناف مسوق لبيان انه تعالى هو القادر على القائهم في المهالك اثر بيان
انه هو المنجي لهم منها وفيه وعيد ضمني بالعذاب لاشراكهم المذكور على طريقة قوله عز وجل افامنتم ان يخسف بكم جانب البر الى قوله تعالى ام امنتم
ان يعيدكم فيه تارة اخرى الآية وعليكم متعلق بيبعث وتقديمه على مفعوله الصريح للاعتناء به والمسارعة الى بيان كون المبعوث مما يضرهم
والتهويل امر المؤخر وقوله تع **من فوقكم** متعلق به ايضا او بمحذوف وقع صفة لعذابا اي كائنا من جهة الفوق كما فعل بمن فعل من قوم لوط
واصحاب الفيل واضرابهم **او من تحت ارجلكم** اي من جهة السفل كما فعل بفرعون وقارون وقيل من فوقكم اكابركم ورؤسائكم ومن تحت
ارجلكم سفلتكم وعبيدكم وكلمة او لمنع الخلو دون الجمع فلا منع لما كان من الجهتين معا كما فعل بقوم نوح **او يلبسكم شيعا** اي يخلطكم فرقا
متحزبين على اهواء شتى كل فرقة مشايعة لامام فينشب بينكم القتال فتختلطوا في الملاحم كقول الحماسي وكتيبة لبستها بكتيبة حتى
اذا التبست نفضت لها يدي **ويذيق بعضكم باس بعض** عطف على يبعث وقرئ بنون العظمة على طريق الالتفات لتهويل الامر والمبالغة في
التحذير والبعض الاول الكفار والآخر المؤمنون ففيه وعد ووعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عند قوله تع عذابا من فوقكم
اعوذ بوجهك وعند قوله تع او من تحت ارجلكم اعوذ بوجهك وعند قوله تع او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض هذا اهون او هذا
ايسر وعنه عليه السلام انه قال سالت ربي ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم ومن تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسالته ان لا يجعل باسهم بينهم

فمعنى ذلك انظر كيف نصرف الآيات من حال الى حال لعلهم يفقهون كي يفقهوا ويقفوا على جلية الامر فيرجعوا عما هم عليه من المكابرة والعناد
وكذب به اي بالعذاب الموعود او القرآن المجيد الناطق بمجيئه قومك اي المعاندون منهم ولعل ايرادهم بهذا العنوان للايذان بكمال سوء حالهم فان
تكذيبهم بذلك مع كونهم من قومه عليه السلام مما يقضي بغاية عتوهم ومكابرتهم وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من اظهار الاهتمام بالمقدم
والتشويق الى المؤخر وقوله تع وهو الحق حال من الضمير المجرور اي كذبوا به والحال انه الواقع لا محالة او انه الكتاب الصادق في كل ما نطق
وقيل هو استيناف وايا ما كان ففيه دلالة على عظم جنايتهم ونهاية قبحها قل لهم منبها على ما يؤول اليه امرهم وعلى انك قد اديت ما عليك
من وظائف الرسالة لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم لامنعكم من التكذيب واجبركم على التصديق انما انا منذر وقد خرجت عن العهدة حيث اخبرتكم
بما سترونه لكل نبأ اي لكل شيء ينبأ به من الانباء التي من جملتها عذابكم او لكل خبر من الاخبار التي من جملتها خبر مجيئه مستقر اي وقت استقرار
ووقوع البتة او وقت استقرار بوقوع مدلوله وسوف تعلمون اي حال نبائكم في الدنيا او في الآخرة او فيهما معا وسوف للتاكيد كما في قوله تع
ولتعلمن نبأه بعد حين واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا اي بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها كما هو دأب قريش ودينهم فاعرض عنهم
بترك مجالستهم والقيام عنهم وقوله تع حتى يخوضوا في حديث غيره غاية للاعراض اي استمر على الاعراض الى ان يخوضوا في حديث غير آياتنا والتذكير
باعتبار كونها حديثا فان وصف الحديث بمغايرتها مشير الى اعتبارها بعنوان الحديثية وقيل باعتبار كونه قرآنا واما ينسينك الشيطان بان يشغلك
فتنسى النهي فتجالس ابتداء او بقاء وقرئ ينسينك من التنسية فلا تقعد بعد الذكرى اي بعد تذكر النهي مع القوم الظالمين اي معهم فوضع
المظهر موضع المضمر نعيا عليهم انهم بذلك الخوض ظالمون واضعون للتكذيب والاستهزاء موضع التصديق والتعظيم راسخون في ذلك وما على
الذين يتقون روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المسلمين حين نهوا عن مجالستهم عند خوضهم في الآيات قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا
بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام ونطوف بالبيت فنزلت اي ما على الذين يتقون قبايح اعمال الخائضين واحوالهم من حسابهم اي مما يحاسبون
عليه من الجرائر من شيء اي شيء ما على انه في محل الرفع على انه مبتدأ وما تميمية او اسم لها وهي حجازية ومن مزيدة للاستغراق ومن حسابهم حال
منه وعلى الذين يتقون في محل الرفع على انه خبر للمبتدأ او لما الحجازية على رأي من لا يجيز اعمالها في الخبر المقدم مطلقا او في محل النصب
على رأي من يجوز اعمالها في الخبر المقدم عند كونه ظرفا او حرف جر ولكن ذكرى استدراك من النفي السابق اي ولكن عليهم ان يذكروهم ويمنعوهم
عما هم عليه من القبائح بما امكن من العظة والتذكير ويظهروا لهم الكراهة والنكير ومحل ذكرى اما النصب على انه مصدر مؤكد للفعل المحذوف اي
عليهم ان يذكروهم تذكيرا او الرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر اي ولكن عليهم ذكرى لعلهم يتقون اي يجتنبون الخوض حياء او كراهة
لمساءتهم وقد جوز كون الضمير للموصول اي يذكروهم رجاء ان يثبتوا على تقواهم او يزدادوها وذر الذين اتخذوا دينهم الذي كلفوه وامروا
باقامة مواجبه لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤا او بنوا امر دينهم على ما لا يكاد يتعاطاه العاقل بطريق الجد وانما يصدر عنه بطريق
اللعب واللهو كعبادة الاصنام وتحريم البحائر والسوائب ونحو ذلك والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم وقيل هو تهديد لهم كقوله
تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا الآية وغرتهم الحيوة الدنيا واطمانوا بها حتى زعموا ان لا حيوة بعدها ابدا وذكر به اي بالقرآن من يصلح
للتذكر ان تبسل نفس بما كسبت اي لئلا تبسل كقوله تع ان تضلوا الآية او مخافة ان تبسل او كراهة ان تبسل نفوس كثيرة كما في قوله
تع علمت نفس ما احضرت وتُرتهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه او لانه
ممتنع والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اي حرام ممنوع وقد جوز ان يكون الضمير المجرور في به راجعا الى الابسال مع عدم
جريان ذكره كما في ضمير انه شأن ويكون الجملة بدلا منه مفسرا له لما في الابهام اولا والتفسير ثانيا من التفخيم وزيادة التقرير كما في قوله
على جوده لضن بالماء حاتم بجر حاتم على انه بدل من ضمير جوده فالمعنى وذكر بارتهان النفوس وحبسها بما كسبت وقوله تع ليس لها من
دون الله ولي ولا شفيع استيناف مسوق للاخبار بذلك وقيل في محل النصب على انه حال من ضمير كسبت وقيل في محل الرفع على انه وصف لنفس
والاظهر انه حال من نفس فانه في قوة نفس كافرة او نفوس كثيرة كما في قوله تع علمت نفس ما احضرت ومن دون الله متعلق بمحذوف هو حال

من ولي كما بين في تفسير قوله تع وانذر به الآية وقيل هو خبر لليس فيكون لها ح متعلقا بمحذوف على البيان وان تعدل اي ان تفد تلك النفس كل
عدل اي كل فداء على انه مصدر مؤكد لا يؤخذ منها على اسناد الفعل الى الجار والمجرور لا الى ضمير العدل كما في قوله تع ولا يؤخذ منها عدل
فانه المفدي لا المصدر كما نحن فيه اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في
سوء الحال ومحله الرفع على الابتداء والخبر قوله تع الذين ابسلوا بما كسبوا والجملة مستانفة سيقت اثر تحذيرهم من الابسال المذكور
لبيان انهم المبتلون بذلك اي اولئك المتخذون دينهم لعبا ولهوا المغترون بالحيوة الدنيا هم الذين اسلموا الى ما كسبوا من القبائح
وقوله تع لهم شراب من حميم استيناف آخر مبين لكيفية الابسال المذكور وعاقبته مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل ماذا لهم حين ابسلوا
بما كسبوا فقيل لهم شراب من ماء مغلي يتجرجر في بطونهم وتتقطع به امعاؤهم وعذاب اليم بنار تشتعل بابدانهم بما كانوا يكفرون اي بسبب كفرهم
المستمر في الدنيا وقد جوز ان يكون لهم شراب الخ حالا من ضمير ابسلوا وترتيب ما ذكر من العذابين على كفرهم مع انهم معذبون بسائر معاصيهم
ايضا حسبما ينطق به قوله تع بما كسبوا لانه العمدة في ايجاب العذاب والاهم في باب التحذير او اريد بكفرهم ما هو اعم منه ومن مستتبعاته
من المعاصي والتسيئات هذا وقد جوز ان يكون اولئك اشارة الى النفوس المدلول عليها بنفس محله الرفع بالابتداء والموصول الثاني صفته او بدل منه
ولهم شراب الخ خبره والجملة مسوقة لبيان تبعة الابسال قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا قيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه حين دعاه
ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاصنام فتوجيه الامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ح للايذان بما بينهما من الاتصال والاتحاد تنويها لشان الصديق
رضي الله عنه اي انعبد متجاوزين عبادة الله الجامع لجميع صفات الالوهية التي من جملتها القدرة على النفع والضر ما لا يقدر على نفعنا اذا عبدناه
ولا على ضرنا اذا تركناه وادنى مراتب المعبودية القدرة على ذلك وقوله تع ونرد على اعقابنا عطف على ندعو داخل في حكم الانكار والنفي اي
ونرد الى الشرك والتعبير عنه بالرد على الاعقاب لزيادة تقبيحه بتصويره بما هو علم في القبح مع ما فيه من الاشارة الى كون الشرك حالة قد تركت ونبذت
وراء الظهر وايثار نرد على نرتد لتوجيه الانكار الى الارتداد برد الغير تصريحا بمخالفة المضلين وقطعا لاطماعهم الفارغة وايذانا بان الارتداد
من غير راد ليس في حيز الاحتمال ليحتاج الى نفيه وانكاره وقوله تع بعد اذ هدانا الله اي الى الاسلام وانقذنا من الشرك متعلق بنرد مسوق
لتاكيد النكير لا لتحقيق معنى الرد وتصويره فقط والا لكفى ان يقال بعد ما اهتدينا كانه قيل ونرد الى الشرك باضلال المضل بعد اذ هدانا الله الذي
لا هادي سواه وقوله تع كالذي استهوته الشياطين في محل النصب على انه حال من مرفوع نرد اي انرد على اعقابنا مشبهين بالذي استهوته
مردة الجن واستغوته الى المهامه والمهالك وعلى انه نعت لمصدر محذوف اي نرد ردا مثل رد الذي استهوته الخ والاستهواء استفعال من هوى
في الارض اذا ذهب فيها كانها طلبت هويه وحرصت عليه وقرئ استهواه بالف ممالة وقوله تع في الارض اما متعلق باستهوته او بمحذوف هو
حال من مفعوله اي كائنا في الارض وكذا قوله تع حيران حال منه على انها بدل من الاول وحال ثانية عند من يجيزها او من الذي او من المستكن في
الظرف اي تائها ضالا عن الجادة لا يدري ما يصنع وقوله تع له اصحاب جملة في محل النصب على انها صفة لحيران او حال من الضمير فيه او مستانفة
سيقت لبيان حاله وقوله تع يدعونه الى الهدى صفة لاصحاب اي لذلك المستهوى رفقة يهدونه الى الطريق المستقيم تسمية له بالمصدر مبالغة
كانه نفس الهدى ائتنا على ارادة القول على انه بدل من يدعونه او حال من فاعله اي يقولون ائتنا وفيه اشارة الى انهم مهتدون ثابتون
على الطريق المستقيم وان من يدعونه ليس ممن يعرف الطريق المستقيم ليدعى الى اتيانه وانما يدرك سمت الداعي ومورد النعيق فقط قل ان
هدى الله الذي هدانا اليه وهو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال محض وغي بحت كقوله تع فماذا بعد الحق الا الضلال ونحوه وتكرير
الامر للاعتناء بشان المامور به ولان ما سبق للزجر عن الشرك وهذا حث على الاسلام وهو توطئة لما بعده فان اختصاص الهدى بهداه
تعالى مما يوجب الامتثال بالاوامر الواردة بعده وامرنا عطف على ان هدى الله هو داخل تحت القول واللام في لنسلم لرب العالمين لتعليل
الامر المحكي وتعيين ما اريد به من الاوامر الثلثة كما في قوله تع قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلوة وينفقوا الآية كانه قيل امرنا وقيل
امرنا وقيل لنا اسلموا لاجل ان نسلم على حذف انيا وقوله تع وان اقيموا الصلوة واتقوه اي الله تعالى في مخالفة امره عطف على لنسلم

على الوجوه الثلاثة على أن أن المصدرية إذا وصلت بالأمر تجرد هو عن معنى الأمر نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال فالمعنى على الأول
أمرنا أي قيل لنا أسلموا وأقيموا الصلوة واتقوا الله لأجل أن نسلم ونقيم الصلوة ونتقيه تعالى وعلى الأخيرين أمرنا بأن نسلم ونقيم الصلوة
ونتقيه تعالى والتعرض لوصف ربوبيته تعالى للعالمين لتعليل الأمر وتأكيد وجوب الامتثال به كما أن قوله تعالى **وهو الذي إليه تحشرون** جملة مستأنفة
موجبة للامتثال بما أمر به من الأمور الثلاثة **وهو الذي خلق السموات والأرض** أريد بخلقهما خلق ما فيهما أيضا وعدم التصريح بذلك لظهور
اشتمالهما على جميع العلويات والسفليات وقوله تعالى **بالحق** متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خلق أو من مفعوله أو صفة لمصدره المؤكد له أي قائما
بالحق أو ملتبسة بالحق أو خلقا ملتبسا به وقوله تعالى **ويوم يقول كن فيكون قوله الحق** استئناف لبيان أن خلقه تعالى لما ذكر من السموات
والأرض ليس مما يتوقف على مادة أو مدة بل يتم بمحض الأمر التكويني من غير توقف على شيء آخر أصلا وأن ذلك الأمر المتعلق بكل فرد فرد من
أفراد المخلوقات في حين معين من أفراد الأحيان حق في نفسه متضمن للحكمة ويوم ظرف لمضمون جملة قوله الحق والواو بحسب المعنى داخل عليها وتقديمه
عليها للاعتناء به من حيث إنه مدار الحقية وترك ذكر المقول له للثقة بغاية ظهوره والمراد بالقول كلمة كن تحقيقا أو تمثيلا كما هو المشهور
فالمعنى وأمره المتعلق بكل شيء يريد خلقه من الأشياء في حين تعلقه به لا قبله ولا بعده من أفراد الأحيان الحق أي المشهود له بالحقية المعروف
بها جزما وقد قيل قوله مبتدأ والحق صفته ويوم يقول خبره مقدما عليه كقولك يوم الجمعة القتال وانتصابه بمعنى الاستقرار وحاصل المعنى قوله
الحق كائن حين يقول لشيء من الأشياء كن فيكون ذلك الشيء وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات أو على الضمير في واتقوه أو بمحذوف
دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدأ أو خبر أو فاعل يكون على معنى حين يقول لقوله الحق أي لقضائه الحق كن فيكون والمراد حين يكون الأشياء
ويحدثها أو حين يقوم القيمة فيكون التكوين حشر الأجساد وإحياءها فتأمل حق التأمل **وله الملك يوم ينفخ في الصور** تقييد اختصاص الملك
به تعالى بذلك اليوم مع عموم الاختصاص لجميع الأوقات لغاية ظهور ذلك بانقطاع العلائق المجازية الكائنة في الدنيا المصححة للمالكية
المجازية في الجملة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار **عالم الغيب والشهادة** أي هو عالمهما **وهو الحكيم** في كل ما يفعله **الخبير** بجميع الأمور
الجلية والخفية **وإذ قال إبراهيم** منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم معطوف على قل أندعوا لا على أقيموا كما قيل لفساد المعنى أي
واذكر لهم بعد ما أنكرت عليهم عبادة ما لا يقدر على نفع وضر وحققت أن الهدى هو هدى الله تعالى وما يتبعه من شؤونه تعالى وقت قول إبراهيم
الذي يدعون أنهم على ملته موبخا **لأبيه آزر** على عبادة الأصنام فإن ذلك مما يبكتهم وينادي بفساد طريقتهم وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون
ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصودة لما مر مرارا من المبالغة في إيجاب ذكرها وآزر ترجمة آدم وعازر وفالغ وكذلك تارح ذكره محمد
ابن إسحق والضحاك والكلبي وكان من قرية من سواد الكوفة ومنع صرفه للعجمة والعلمية وقيل اسمه بالسريانية تارح وآزر لقبه المشهور وقيل اسم
صنم لقب هو به للزوم عبادته فهو عطف بيان لأبيه أو بدل منه وقال الضحاك معناه الشيخ الهرم وقال الزجاج المخطئ وقال الفراء وسليمان التيمي المعوج
فهو نعت له كما إذا جعل مشتقا من الأزر أو الوزر وأريد به عابد آزر على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وقرئ آزر على النداء
وهو دليل العلمية إذ لا يحذف حرف النداء إلا من الأعلام **أتتخذ** متعد إلى مفعولين هما **أصناما آلهة** أي أتجعلها لنفسك آلهة على توجيه الإنكار إلى
اتخاذ الجنس من غير اعتبار الجمعية وإنما إيراد صيغة الجمع باعتبار الوقوع وقرئ أأزرا بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاء ساكنة
وراء منونة مفتوحة وهو اسم صنم ومعناه أتعبد أزرا ثم قيل أتتخذ أصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل تحت الإنكار لكونه بيانا له
وقيل الأزر القوة والمعنى ألأجل القوة والمظاهرة تتخذ أصناما آلهة إنكارا لتعززه بها على طريقة قوله عز وجل أيبتغون عندهم العزة **إني أراك
وقومك** الذين يتبعونك في عبادتها **في ضلال** عن الحق **مبين** أي بين كونه ضلالا لا اشتباه فيه أصلا والرؤية إما علمية فالظرف مفعولها الثاني وإما
بصرية فهو حال من المفعول والجملة تعليل للإنكار والتوبيخ **وكذلك نري إبراهيم** هذه الإراءة من الرؤية المستعارة للمعرفة ونظر البصيرة أي
عرفناه وبصرناه وصيغة الاستقبال حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها وذلك إشارة إلى مصدر نري لا إلى إراءة أخرى مفهومة من قوله تعالى
إني أراك وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو درجة المشار إليه وبعد منزلته في الكمال وكمال تميزه بذلك وانتظامه بسببه في سلك الأمور المشاهدة

والكاف لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة ومحلها في الأصل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف وأصل التقدير نري إبراهيم إراءة كائنة
مثل تلك الإراءة فقدم على الفعل لإفادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار المصدر المؤكد لا نعتا له أي ذلك التبصير
البديع نبصره عليه السلام **ملكوت السموات والأرض** أي ربوبيته تعالى ومالكيته لهما وسلطانه القاهر عليهما وكونهما بما فيهما مربوبا ومملوكا
له تعالى لا تبصيرا آخر أدنى منه والملكوت مصدر على زنة المبالغة كالرهبوت والجبروت ومعناه الملك العظيم والسلطان القاهر ثم هل هو
مختص بملك الله عز سلطانه أو لا فقد قيل وقيل والأول هو الأظهر وبه قال الراغب وقيل ملكوتهما عجائبهما وبدائعهما روي أنه
كشف له عليه السلام عن السموات والأرض حتى العرش وأسفل الأرضين وقيل آياتهما وقيل ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الأرض
الجبال والأشجار والبحار وهذه الأقوال لا تقتضي أن تكون بصرية إذ ليس المراد بإراءة ما ذكر من الأمور الحسية مجرد تمكينه عليه السلام
من إبصارها ومشاهدتها في أنفسها بل اطلاعه عليه السلام على حقائقها وتعريفها من حيث دلالتها على شؤونه عز وجل ولا ريب في أن
ذلك ليس مما يدرك حسا كما ينبئ عنه اسم الإشارة المفصح عن كون المشار إليه أمرا بديعا فإن الإراءة البصرية المعتادة بمعزل من
تلك المثابة وقرئ ترى بالتاء وإسناد الفعل إلى الملكوت أي تبصره عليه السلام دلائل الربوبية واللام في قوله تعالى **وليكون
من الموقنين** متعلقة بمحذوف مؤخر والجملة اعتراض مقرر لما قبلها أي وليكون من زمرة الراسخين في الإيقان البالغين درجة عين
اليقين من معرفة الله تعالى فعلنا ما فعلنا من التبصير البديع المذكور لا لأمر آخر فإن الوصول إلى تلك الغاية القاصية كمال مترتب على
ذلك التبصير لا عينه وليس القصر لبيان انحصار فائدته في ذلك كيف لا وإرشاد الخلق وإلزام المشركين كما سيأتي من فوائده بلا مرية
بل لبيان أنه الأصل الأصيل والباقي من مستتبعاته وقيل هي متعلقة بالفعل الآتي والجملة معطوفة على علة أخرى محذوفة ينسحب
عليها الكلام أي ليستدل بها وليكون الخ فينبغي أن يراد بملكوتهما بدائعهما وآياتهما لأن الاستدلال من غايات إراءتهما لا من غايات
إراءة نفس الربوبية وقوله تعالى **فلما جن عليه الليل** على الأول وهو الحق المبين عطف على قال إبراهيم داخل تحت ما أمر بذكره بالأمر
بذكر وقته وما بينهما اعتراض مقرر لما سبق وملحق فإن تعريفه عليه السلام ربوبيته للسموات والأرض وما فيهما وكون الكل مقهورا
تحت ملكوته مفتقرا إليه في الوجود وسائر ما يترتب عليه من الكمالات وكونه من الراسخين في معرفة شؤونه تعالى الواصلين إلى ذروة عين
اليقين مما يقضي بأن يحكم عليه السلام باستحالة إلهية ما سواه سبحانه من الأصنام والكواكب وعلى الثاني هو تفصيل لما ذكر من
إراءة ملكوت السموات والأرض وبيان لكيفية استدلاله عليه السلام ووصوله إلى رتبة الإيقان ومعنى جن عليه الليل ستره بظلامه وقوله تعالى
رأى كوكبا جواب لما فإن رؤيته إنما تتحقق بزوال نور الشمس والتحقيق أنه كان قريبا من الغروب كما ستعرفه قيل كان ذلك الكوكب
هو الزهرة وقيل هو المشتري وقوله تعالى **قال هذا ربي** استئناف مبني على سؤال نشأ من الشرطية الآتية المتفرعة على بيان
إراءته عليه السلام ملكوت السموات والأرض فإن ذلك مما يحمل السامع على استكشاف ما ظهر منه عليه السلام من آثار تلك الإراءة
وأحكامها كأنه قيل فماذا صنع عليه السلام حين رأى الكوكب فقيل قال على سبيل الوضع والفرض هذا ربي مجاراة مع أبيه وقومه
الذين كانوا يعبدون الأصنام والكواكب فإن المستدل على فساد قول يحكيه على رأي خصمه ثم يكر عليه بالإبطال ولعل سلوك هذه
الطريقة في بيان استحالة ربوبية الكواكب دون بيان استحالة إلهية الأصنام لما أن هذا أخفى بطلانا واستحالة من الأول فلو صدع
بالحق من أول الأمر كما فعله في حق عبادة الأصنام لتمادوا في المكابرة والعناد ولجوا في طغيانهم يعمهون وقيل قاله عليه السلام على
وجه النظر والاستدلال وكان ذلك في زمان مراهقته وأول أوان بلوغه وهو مبني على تفسير الملكوت بآياتهما وعطف قوله تعالى ليكون على
ما ذكر من العلة المقدرة وجعل قوله تعالى فلما جن الخ تفصيلا لما ذكر من الإراءة وبيانا لكيفية الاستدلال وأنت خبير بأن كل ذلك
مما يخل بجزالة النظم الجليل وجلالة منصب الخليل عليه السلام **فلما أفل** أي غرب **قال لا أحب الآفلين** أي الأرباب المنتقلين من مكان إلى مكان
المتغيرين من حال إلى حال المحتجبين بالأستار فإنهم بمعزل من استحقاق الربوبية قطعا **فلما رأى القمر بازغا** أي مبتدئا في الطلوع

في اثر غروب الكوكب قال هذا ربي على الأسلوب السابق فلما افل كما افل النجم قال لئن لم يهدني ربي الى جنابه الذي هو الحق الذي لا محيد عنه
لأكونن من القوم الضالين فان شيئا مما رأيته لا يليق بالربوبية وهذا مبالغة منه عليه السلام في اظهار النصفة ولعله عليه السلام كان اذ ذاك
في موضع كان في جنابه الغربي جبل شامخ يستتر به الكوكب والقمر وقت الظهر من النهار او بعده بقليل وكان الكوكب قريبا منه وأفقه الشرقي
مكشوف اولا والا فطلوع القمر بعد أفول الكوكب ثم افوله بعد طلوع الشمس كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة اي مبتدئة في الطلوع مما لا يكاد
يتصور قال اي على النهج السابق هذا ربي وانما لم يؤنث لما ان المشار اليه والمحكوم عليه بالربوبية هو الجرم المشاهد من حيث هو لا من حيث هو
مسمى باسم من الأسامي فضلا عن حيثية تسميته بالشمس او لتذكير الخبر وصيانة الرب عن وصمة التأنيث وقوله تعالى هذا اكبر تأكيد لما رامه عليه السلام
من اظهار النصفة مع اشارة خفية الى فساد دينهم من جهة بيان ان الأكبر احق بالربوبية من الأصغر فلما افلت هي ايضا كما افل الكوكب والقمر
قال مخاطبا للكل صادعا بالحق بين اظهرهم يا قوم اني بريء مما تشركون اي من الذي تشركونه من الأجرام المحدثة المتغيرة من حال الى
اخرى المسخرة لمحدثها او من اشراككم وترتيب هذا الحكم ونظيريه على الأفول دون البزوغ والظهور من ضروريات سوق الاحتجاج على هذا
المساق الحكيم فان كلا منهما وان كان في نفسه انتقالا منافيا لاستحقاق معروضه للربوبية قطعا لكن لما كان الأول حالة موجبة لظهور
الآثار والأحكام ملائمة لتوهم الاستحقاق في الجملة رتب عليها الأول على الطريقة المذكورة وحيث كان الثاني حالة مقتضية لانطماس
الآثار وبطلان الأحكام المنافيين للاستحقاق المذكور منافاة بينة يكاد يعترف بها كل مكابر عنيد رتب عليها ما رتب ثم لما تبرأ
عليه السلام منهم توجه الى مبدع هذه المصنوعات ومنشئها فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض التي هذه الأجرام التي
تعبدونها من اجزائها والارض التي تعبدون فيها حنيفا اي مائلا عن الأديان الباطلة والعقائد الزائغة كلها وما انا من المشركين
في شيء من الافعال والأقوال وحاجه قومه اي شرعوا في مغالبته في امر التوحيد قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية محاجتهم كأنه
قيل فماذا قال عليه السلام حين حاجوه فقيل قال منكرا لما اجترؤا عليه من محاجته عليه السلام مع قصورهم عن تلك الرتبة وعزة المطلب
وقوة الخصم أتحاجوني في الله بادغام نون الجمع في نون الوقاية وقرئ بحذف الأول وقوله تعالى وقد هدان حال من ضمير المتكلم مؤكدة
للانكار فان كونه عليه السلام مهديا من جهة الله عز وجل ومؤيدا من عنده مما يوجب استحالة محاجته عليه السلام اي اتجادلونني في شأنه
تعالى ووحدانيته والحال انه تعالى هداني الى الحق بعد ما سلكت طريقكم بالفرض وتبين بطلانها تبينا تاما كما شاهدتموه وقوله تعالى
ولا اخاف ما تشركون به جواب عما خوفوه عليه السلام في اثناء المحاجة من اصابة مكروه من جهة اصنامهم كما قال لهود عليه السلام قومه
ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ولعلهم فعلوا ذلك حين فعل عليه السلام بآلهتهم ما فعل وما موصولة اسمية حذف عائدها وقوله
تعالى الا ان يشاء ربي شيئا استثناء مفرغ من اعم الأوقات اي لا اخاف ما تشركون به سبحانه من معبوداتكم في وقت من الأوقات الا
وقت مشيئته تعالى شيئا من اصابة مكروه بي من جهتها وذلك انما هو من جهته تعالى من غير دخل لآلهتكم فيه اصلا وفي التعرض لعنوان الربوبية مع
الاضافة الى ضميره عليه السلام اظهار منه لانقياده لحكمه سبحانه وتعالى واستسلام لأمره واعتراف بكونه تحت ملكوته وربوبيته تعالى
وقوله تعالى وسع ربي كل شيء علما كأنه تعليل للاستثناء اي احاط بكل شيء علما فلا يبعد ان يكون في علمه تعالى ان يحيق بي مكروه من
قبلها بسبب من الأسباب وفي الاظهار في موقع الاضمار تأكيد للمعنى المذكور واستلذاذ بذكره تعالى افلا تتذكرون اي أتعرضون عن
التأمل في ان آلهتكم جمادات غير قادرة على شيء ما من نفع ولا ضر فلا تتذكرون انها غير قادرة على اضراري وفي ايراد التذكر دون التفكر
ونظائره اشارة الى ان امر اصنامهم مركوز في العقول لا يتوقف الا على التذكر وقوله تعالى وكيف اخاف ما اشركتم استئناف مسوق لنفي الخوف عنه
عليه السلام بحسب زعم الكفرة بالطريق الالزامي كما سيأتي بعد نفيه عنه بحسب الواقع ونفس الأمر والاستفهام لانكار الوقوع ونفيه بالكلية كما في
قوله تعالى كيف تكفرون بالله الخ وفي توجيه الانكار الى كيفية الخوف من المبالغة ما ليس في توجيهه الى نفسه بأن يقال أأخاف لما ان كل موجود يجب
ان يكون وجوده على حال من الاحوال وكيفية من الكيفيات قطعا فاذا انتفى جميع احواله وكيفياته فقد انتفى وجوده من جميع الجهات بالطريق

البرهاني وقوله عز وجل ولا تخافون انكم اشركتم بالله حال من ضمير اخاف بتقدير مبتدأ والواو كافية في الربط من غير حاجة الى الضمير العائد
الى ذي الحال وهو مقرر لانكار الخوف ونفيه عنه عليه السلام ومفيد لاعترافهم بذلك فانهم حيث لم يخافوا في محل الخوف فلأن لا يخاف عليه
السلام في محل الأمن اولى واحرى اي وكيف اخاف انا ما ليس في حيز الخوف اصلا وانتم لا تخافون غائلة ما هو اعظم المخوفات واهولها وهو
اشراككم بالله الذي ليس كمثله شيء في الارض ولا في السماء ما هو من جملة مخلوقاته وانما عبر عنه بقوله تعالى ما لم ينزل به اي باشراكه عليكم
سلطانا على طريقة التهكم مع الايذان بأن الامور الدينية لا يقول فيها الا بالحجة المنزلة من عند الله تعالى وفي تعليق الخوف الثاني
باشراكهم من المبالغة ومراعاة حسن الأدب ما لا يخفى هذا واما ما قيل من ان قوله تعالى ولا تخافون الخ معطوف على اخاف داخل معه في
حكم الانكار والتعجب فمما لا سبيل اليه اصلا لافضائه الى فساد المعنى قطعا كيف لا وقد عرفت ان الانكار بمعنى النفي بالكلية فيؤول المعنى
الى نفي الخوف عنه عليه السلام ونفي نفيه عنهم وانه بين الفساد وحمل الانكار في الأول على معنى نفي الوقوع وفي الثاني على استبعاد
الواقع مما لا مساغ له على ان قوله تعالى فأي الفريقين احق بالأمن ناطق ببطلانه حتما فانه كلام مرتب على انكار خوفه عليه السلام
في محل الأمن مع تحقق عدم خوفهم في محل الخوف مسوق لالجائهم الى الاعتراف باستحقاقه عليه السلام لما هو عليه من الأمن وبعدم استحقاقهم
لما هم عليه وانما جيء بصيغة التفضيل المشعرة باستحقاقهم له في الجملة لاستنزالهم عن رتبة المكابرة والاعتساف بسوق الكلام على سنن
الانصاف والمراد بالفريقين الفريق الآمن في محل الأمن والفريق الآمن في محل الخوف فايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال فأينا احق بالأمن
انا ام انتم لتأكيد الالجاء الى الجواب الحق بالتنبيه على علة الحكم والتفادي عن التصريح بتخطئتهم لا لمجرد الاحتراز عن تزكية النفس ان كنتم
تعلمون المفعول اما محذوف تعويلا على ظهوره بمعونة المقام اي ان كنتم تعلمون من احق بذلك او قصدا الى التعميم اي ان كنتم تعلمون شيئا
واما متروك بالمرة اي ان كنتم من اولي العلم وجواب الشرط محذوف اي فأخبروني الذين آمنوا استئناف من جهته تعالى مبين للجواب الحق الذي
لا محيد عنه اي الفريق الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم ذلك اي لم يخلطوه اي بشرك كما يفعله الفريق المشركون حيث يزعمون انهم يؤمنون
بالله عز وجل وان عبادتهم للأصنام من تتمات ايمانهم واحكامه لكونها لأجل التقريب والشفاعة كما قالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله
زلفى وهذا معنى الخلط اولئك اشارة الى الموصول من حيث اتصافه بما في حيز الصلة وفي الاشارة اليه بعد وصفه بما ذكر ايذان بأنهم تميزوا
بذلك عن غيرهم وانتظموا في سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف وهو مبتدأ ثان
وقوله تعالى لهم الأمن جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر وقعت خبرا لأولئك وهو مع خبره خبر للمبتدأ الأول الذي هو الموصول ويجوز ان
يكون اولئك بدلا من الموصول او عطف بيان له ولهم خبرا للموصول والأمن فاعلا للظرف لاعتماده على المبتدأ ويجوز ان يكون لهم خبرا مقدما
والأمن مبتدأ والجملة خبرا للموصول ويجوز ان يكون اولئك مبتدأ ثانيا ولهم خبره والأمن فاعلا له والجملة خبرا للموصول اي اولئك الموصوفون
بما ذكر من الايمان الخالص عن شوب الشرك لهم الأمن فقط وهم مهتدون الى الحق ومن عداهم في ضلال مبين روي انه لما نزلت الآية شق ذلك
على الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال صلى الله عليه وسلم ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمن لابنه يا بني لا تشرك بالله
ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك به وليس من قضية الخلط بقاء الأصل بعد
الخلط حقيقة وقيل المراد بالظلم المعصية التي تفسق صاحبها والظاهر هو الأول لوروده مورد الجواب عن حال الفريقين وتلك اشارة الى ما
احتج به ابراهيم عليه السلام من قوله تعالى فلما جن وقيل من قوله تعالى أتحاجوني الى قوله تعالى تهتدون وما في اسم الاشارة من معنى البعد لتفخيم
شأن المشار اليه والاشعار بعلو طبقته وسمو منزلته في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى وتلك حجتنا خبره وفي اضافتها الى نون العظمة من التفخيم
ما لا يخفى وقوله تعالى آتيناها ابراهيم اي ارشدناه اليها او علمناه اياها في محل النصب على انه حال من حجتنا والعامل فيها معنى الاشارة كما
في قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا او في محل الرفع على انه خبر ثان او هو الخبر وحجتنا بدل او بيان للمبتدأ وابراهيم مفعول اول لآتينا
قدم عليه الثاني لكونه ضميرا وقوله تعالى على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبرا لتلك او بمحذوف ان جعل بدلا اي آتيناها ابراهيم حجة على قومه وقيل بقوله

آتيناها نرفع بنون العظمة وقرئ بالياء على طريقة الالتفات وكذا الفعل الآتي **درجات** اي رتبا عظيمة عالية من العلم والحكمة وانتصابها على المصدرية او على الظرفية او على نزع الخافض اي الى درجات او على التمييز والمفعول قوله تعالى **من نشاء** وتأخيره على الوجوه الثلثة الاخيرة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ومفعول المشية محذوف اي من نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على ان ذلك سنة مستمرة جارية فيما بين المصطفين الاخيار غير مختصة بابراهيم عليه السلام وقرئ بالاضافة الى من والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها لا محل لها من الاعراب وقيل هي في محل النصب على انها حال من فاعل آتينا اي حال كوننا رافعين الخ **ان ربك حكيم** في كل ما يفعله من رفع وخفض **عليم** بحال من يرفعه واستعداده له على مراتب متفاوتة والجملة تعليل لما قبلها وفي وضع الرب مضافا الى ضميره عليه السلام موضع نون العظمة بطريق الالتفات في تضاعيف بيان احوال ابراهيم عليه السلام اظهار لمزيد لطف وعناية به صلى الله عليه وسلم **ووهبنا له اسحق ويعقوب** عطف على قوله تعالى وتلك حجتنا الخ فان عطف كل من الجملة الفعلية والاسمية على الاخرى مما لا نزاع في جوازه ولا مساغ لعطفه على آتيناها لان له محلا من الاعراب نصبا ورفعا حسبما بين من قبل فلو عطف هذا عليه لكان في حكمه من الحالية والخبرية المستدعيتين للرابط ولا سبيل اليه ههنا **كلا** مفعول لما بعده وتقديمه عليه للقصر لكن لا بالنسبة الى غيرهما مطلقا بل بالنسبة الى احدهما اي كل واحد منهما **هدينا** لا احدهما دون الآخر وترك ذكر المهدي اليه لظهور انه الذي اوتي ابراهيم وانهما مقتديان به **ونوحا** منصوب بمضمر يفسره **هدينا من قبل** اي من قبل ابراهيم عد هداه نعمة على ابراهيم عليهما السلام لان شرف الوالد سار الى الولد **ومن ذريته** الضمير لابراهيم لان مساق النظم الكريم لبيان شئونه العظيمة من ايتاء الحجة ورفع الدرجات وهبة الاولاد الانبياء وابقاء هذه الكرامة في نسله الى يوم القيمة كل ذلك لالزام من ينتمي الى ملته عليه السلام من المشركين واليهود وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم عليه السلام فلو كان الضمير له لاختص المعدودون في هذه الآية والتي بعدها واما المذكورون في الآية الثالثة فعطف على نوحا وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان هؤلاء الانبياء كلهم مضافون الى ذرية ابراهيم وان كان منهم من لم يلحقه بولاد من قبل ام ولا اب لان لوطا ابن اخي ابراهيم والعرب تجعل العم ابا كما اخبر الله تعالى عن ابناء يعقوب انهم قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق مع ان اسمعيل عم يعقوب **داود وسليمان** منصوبان بمضمر كما سبق وكذا ما عطف عليهما وبه يتعلق من ذريته وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بشأنه مع ما في المفاعيل من نوع طول ربما يخل تأخيره بتجاوب النظم الكريم اي وهدينا من ذريته داود وسليمان **وايوب** هو ابن اموص من اسباط عيص بن اسحق **ويوسف وموسى وهرون** او بمحذوف وقع حالا من المذكورين اي وهديناهم حال كونهم من ذريته **وكذلك** اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم من جزاء ابراهيم عليه السلام ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير **نجزي المحسنين** جزاء مثل ذلك الجزاء والتقديم للقصر وقد مر تحقيقه مرارا والمراد بالمحسنين الجنس وبمماثلة جزائهم بجزائه عليه السلام مطلق المشابهة في مقابلة الاحسان بالاحسان والمكافاة بين الاعمال والاجزية من غير حيف لا المماثلة من كل وجه ضرورة ان الجزاء بكثرة الاولاد والانبياء مما اختص به ابراهيم عليه السلام والاقرب ان لام المحسنين للعهد وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وهو عبارة عما اوتي المذكورون من فنون الكرامات وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقته والكاف لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة الذاتية ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير ونجزي المحسنين المذكورين جزاء كائنا مثل ذلك الجزاء فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار المشار اليه نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي وذلك الجزاء البديع نجزي المحسنين المذكورين لا جزاء آخر ادنى منه والاظهار في موضع الاضمار للثناء عليهم بالاحسان الذي هو عبارة عن الاتيان بالاعمال الحسنة على الوجه اللائق الذي هو حسنه الوصفي المقارن لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة اعتراض مقرر لما قبلها **وزكريا** هو ابن آذن **ويحيى** ابنه **وعيسى** هو ابن مريم وفيه دليل بين على ان الذرية تتناول اولاد البنات **والياس** قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن في الآية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخي موسى عليه السلام **كل** اي كل واحد من اولئك المذكورين **من الصالحين** اي من الكاملين في الصلاح الذي هو عبارة عن الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي

والجملة

اعتراض جيء به للثناء عليهم بالصلاح **واسمعيل واليسع** هو ابن اخطوب بن العجوز وقرئ والليسع وهو على القراءتين علم اعجمي ادخل عليه اللام ولا اشتقاق له ويقال انه يوشع بن نون وقيل انه منقول من مضارع وسع واللام كما في يزيد في قول من قال رأيت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله **ويونس** هو ابن متى **ولوطا** هو ابن هاران بن اخي ابراهيم عليهم السلام **وكلا** اي كل واحد من اولئك المذكورين **فضلنا** بالنبوة لا بعضهم دون بعض **على العالمين** على عالمي عصرهم والجملة اعتراض كاختيها وقوله تعالى **ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم** اما متعلق بما تعلق به من ذريته ومن ابتدائية والمفعول محذوف اي وهدينا من آبائهم وذرياتهم واخوانهم جماعات كثيرة واما معطوف على كلا ومن تبعيضية اي وفضلنا بعض آبائهم الخ **واجتبيناهم** عطف على فضلنا اي اصطفيناهم **وهديناهم الى صراط مستقيم** تكرير للتأكيد وتمهيد لبيان ما هدوا اليه **ذلك** اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم من مصادر الافعال المذكورة وقيل الى ما دانوا به وما في ذلك من معنى البعد لما مر مرارا **هدى الله** الاضافة للتشريف **يهدي به من يشاء من عباده** وهم المستعدون للهداية والارشاد وفيه اشارة الى انه تعالى متفضل بالهداية **ولو اشركوا** اي هؤلاء المذكورون **لحبط عنهم** مع فضلهم وعلو طبقاتهم **ما كانوا يعملون** من الاعمال المرضية الصالحة فكيف بمن عداهم وهم هم واعمالهم اعمالهم **اولئك** اشارة الى المذكورين من الانبياء الثمانية عشر والمعطوفين عليهم عليهم السلام باعتبار اتصافهم بما ذكر من الهداية وغيرها من النعوت الجليلة الثابتة لهم وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة من الايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والشرف وهو مبتدأ خبره قوله تعالى **الذين آتيناهم الكتاب** اي جنس الكتاب المتحقق في ضمن اي فرد من افراد الكتب السماوية والمراد بايتائه التفهيم التام بما فيه من الحقائق والتمكين من الاحاطة بالجلائل والدقائق اعم من ان يكون ذلك بالانزال ابتداء او بالايراث بقاء فان المذكورين لم ينزل على كل واحد منهم كتاب معين **والحكم** اي الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والصواب **والنبوة** اي الرسالة **فان يكفر بها** اي بهذه الثلثة او بالنبوة الجامعة للباقين **هؤلاء** اي كفار قريش فانهم بكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وما انزل اليه من القرآن كافرون بما يصدقه جميعا وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر **فقد وكلنا بها** اي امرنا برعايتها ووفقنا للايمان بها والقيام بحقوقها **قوما ليسوا بها بكافرين** في وقت من الاوقات بل مستمرون على الايمان بها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تفيد دوام الثبوت كذلك السلبية تفيد دوام النفي بمعونة المقام لا نفي الدوام كما حقق في مقامه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ومجاهد هم الانصار واهل المدينة وقيل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقيل كل من آمن به وقيل الفرس فان كلا من هؤلاء الطوائف موفقون للايمان بالانبياء وبالكتب المنزلة اليهم عاملون بما فيها من اصول الشرائع وفروعها الباقية وبه يتحقق الخروج عن عهدة التوكيل والتكليف دون المنسوخ منها فانها بانتساخها خارجة عن كونها من احكامها وقد تحقق في سورة المائدة وقيل هم الانبياء المذكورون فالمراد بالتوكيل الامر بما هو اعم من اجراء احكامها كما هو شأنهم في حق كتابهم ومن اعتقاد حقيتها كما هو شأنهم في حق سائر الكتب التي من جملتها القرآن الكريم وقيل هم الملائكة فالتوكيل هو الامر بانزالها وحفظها واعتقاد حقيتها والتنوين للتفخيم والباء الاولى صلة لكافرين قدمت عليه محافظة على الفواصل والثانية لتأكيد النفي واما تقديم صلة وكلنا على مفعوله فلما مر من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ولان فيه نوع طول ربما يؤدي تقديمه الى الاخلال بتجاوب النظم الكريم او الى الفصل بين الصفة والموصوف وجواب الشرط محذوف يدل عليه المذكور اي فان يكفر بها هؤلاء فلا اعتداد به اصلا فقد وفقنا للايمان بها قوما ليسوا بها بكافرين قطعا بل مستمرون على الايمان بها والعمل بما فيها ففي ايمانهم بها مندوحة عن ايمان هؤلاء وعن هذا تبين ان الوجه ان يكون المراد بالقوم احد الطوائف المذكورة اذ بايمانهم بالقرآن والعمل باحكامه تتحقق الغنية عن ايمان الكفرة به والعمل باحكامه واما الانبياء والملائكة عليهم السلام فايمانهم به ليس من قبيل ايمان آحاد الامة كما اشير اليه **اولئك** اشارة الى الانبياء المذكورين وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وهو مبتدأ خبره قوله تعالى **الذين هدى الله** اي الى الحق والنهج المستقيم والالتفات الى الاسم الجليل للاشعار بعلة الهداية **فبهداهم اقتده** اي فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد بغيرهم والمراد بهداهم طريقتهم في الايمان بالله تعالى وتوحيده واصول الدين دون الشرائع القابلة للنسخ فانها بعد النسخ لا تبقى هدى والهاء في اقتده للوقف حقها ان تسقط في الدرج واستحسن اثباتها فيه ايضا اجراء له مجرى الوقف واقتداء بالامام

وقرئ بإشباعها على أنها كناية المصدر **قل لا أسألكم عليه** أي على القرآن أو على التبليغ فإن مساق الكلام يدل عليهما وإن لم يجر ذكرهما **أجرا** من جهتكم كما لم
يسأله من قبلي من الأنبياء عليهم السلام وهذا من جملة ما أمر عليه السلام بالاقتداء بهم **إن هو** أي القرآن **إلا ذكرى للعالمين** أي عظة وتذكير لهم
كافة من جهته تعالى فلا يختص بقوم دون آخرين **وما قدروا الله** لما بين شأن القرآن العظيم وأنه نعمة جليلة منه تعالى على كافة الأمم حسبما ينطق به
قوله تع وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين عقب ذلك ببيان غمطهم إياها وكفرهم بها على وجه سرى ذلك إلى الكفر بجميع الكتب الإلهية وأصل القدر
السبر والحزر يقال قدر الشيء يقدره بالضم قدرا إذا سبره وحزره ليعرف مقداره ثم استعمل في معرفة الشيء في مقداره وأحواله وأوصافه وقوله تع
حق قدره نصب على المصدرية وهو في الأصل صفة للمصدر أي قدره الحق فلما أضيف إلى موصوفه انتصب على ما كان ينتصب على موصوفه أي ما عرفوه
حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة عليهم ولم يراعوا حقوقه تعالى في ذلك بل أخلوا بها إخلالا **إذ قالوا** منكرين لبعثة الرسل وإنزال الكتب كافرين
بنعمه الجليلة فيهما **ما أنزل الله على بشر من شيء** فنفي معرفتهم لقدره سبحانه كناية عن حطهم لقدره الجليل ووصفهم له تعالى بنقيض نعته الجميل كما أن نفي المحبة
في مثل إن الله لا يحب الكافرين كناية عن البغض والسخط وإلا فنفي قدره تعالى يتحقق مع عدم التعرض لحطه بل مع التسلي في تحصيل المعرفة كما في قول من
يناجي تعالى مستقصرا المعرفة وعبادته سبحانك ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك وما عرفوه حق معرفته في السخط على الكفار وشدة
بطشه بهم حسبما نطق به القرآن حين اجترؤوا على التفوه بهذه العظيمة الشنعاء فالنفي بمعناه الحقيقي والقائلون هم اليهود وقد قالوه مبالغة في
إنكار إنزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فألزموا ما لا سبيل لهم إلى إنكاره أصلا حيث قيل **قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى** أي قل لهم
ذلك على طريقة التبكيت وإلقام الحجر روي أن مالك بن الصيف من أحبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذي
أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها أن الله يبغض الحبر السمين فأنت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت إلى عمر رضي الله عنه
فقال ما أنزل الله على بشر من شيء فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف وقيل هم المشركون وإلزامهم بإنزال التوراة لما أنه كان عندهم من المشاهير الذائعة
ولذلك كانوا يقولون لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم ووصف الكتاب بالموصول لزيادة التقرير وتشديد التبكيت وكذا تقييده بقوله تع
نورا وهدى فإن كونه بينا بنفسه ومبينا لغيره مما يؤكد الإلزام أي تأكيد وانتصابهما على الحالية من الكتاب والعامل أنزل أو من الضمير في به
والعامل جاء واللام في قوله تع **للناس** إما متعلق بهدى أو بمحذوف هو صفة له أي هدى كائنا للناس وليس المراد بهذا مجرد إلزامهم الاعتراف
بإنزال التوراة فقط بل بإنزال القرآن فإن الاعتراف بإنزالها مستلزم للاعتراف بإنزاله قطعا لما فيها من الشواهد الناطقة به وقد نعى
عليهم ما فعلوا بها من التحريف والتغيير حيث قيل **تجعلونه قراطيس** أي تضعونه في قراطيس مقطعة وورقات مفرقة بحذف الجار بناء على تشبيه القراطيس
بالظرف المبهم أو تجعلونه نفس القراطيس المقطعة وفيه زيادة توبيخ لهم بسوء صنيعهم كأنهم أخرجوه من جنس الكتاب ونزلوه منزلة القراطيس
الخالية والجملة حال كما سبق وقوله تع **تبدونها** صفة لقراطيس وقوله تع **وتخفون كثيرا** معطوف عليه والعائد إلى الموصوف محذوف أي كثيرا
منها وقيل كلام مبتدأ لا محل له من الإعراب والمراد بالكثير نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وسائر ما كتموه من أحكام التوراة وقرئ الأفعال
الثلاثة بالياء حملا على قالوا وما قدروا وقوله تع **وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم** قيل هو حال من فاعل تجعلونه بإضمار قد أو بدونه
على اختلاف الرأيين قلت فينبغي أن يجعل ما عبارة عما أخذوه من الكتاب من العلوم والشرائع فيكون التقييد بالحال مفيدا لتأكيد
التوبيخ وتشديد التشنيع فإن ما فعلوه بالكتاب من التفريق والتقطيع لما ذكر من الإبداء والإخفاء شناعة عظيمة في نفسها ومع
ملاحظة كونه مأخذ علومهم ومعارفهم أشنع وأعظم لا عما تلقوه من جهة النبي صلى الله عليه وسلم زيادة على ما في التوراة وبيانا
لما التبس عليهم وعلى آبائهم من مشكلاتها حسبما ينطق به قوله تع إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون كما
قالوا لأن تلقيهم لذلك من القرآن الكريم ليس مما يزجرهم عما صنعوا بالتوراة أما ما ورد فيه زيادة على ما فيها فلأنه لا تعلق له بها نفيا
ولا إثباتا وأما ما ورد بطريق البيان فلأن مدار ما فعلوا بها من التبديل والتحريف ليس ما وقع فيها من التباس واشتباه الحال حتى يقلعوا
عن ذلك بإيضاحه وبيانه فيكون الجملة حينئذ خالية عن تأكيد التوبيخ فلا تستحق أن تقع موقع الحال بل الوجه حينئذ أن يكون استئنافا مقررا

لما قبلها من مجيء الكتاب بطريق التكملة والاستطراد والتمهيد لما يعقبه من مجيء القرآن ولا سبيل إلى جعل ما عبارة عما كتموه من أحكام التوراة كما
يفصح عنه قوله تع قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب فإن ظهوره وإن كان مزجرة لهم عن الكتم مخافة الافتضاح
ومصححا لوقوع الجملة في موقع الحال لكن ذلك مما يعلمه الكاتمون حتما هذا وقد قيل الخطاب لمن آمن من قريش كما في قوله تع لتنذر قوما ما أنذر
آباؤهم وقوله تع **قل الله** أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يجيب عنهم إشعارا بتعين الجواب بحيث لا محيد عنه وإيذانا بأنهم أفحموا ولم يقدروا على
التكلم أصلا **ثم ذرهم في خوضهم** في باطلهم الذي يخوضون فيه فلا عليك بعد إلزام الحجة وإلقام الحجر **يلعبون** حال من الضمير الأول والظرف صلة
للفعل المقدم أو المؤخر أو متعلق بمحذوف هو حال من مفعول الأول أو من فاعل الثاني أو من الضمير الثاني لأنه فاعل في الحقيقة والظرف
متصل بالأول **وهذا كتاب أنزلناه** تحقيق لنزول القرآن الكريم بعد تقرير إنزال ما بشر به من التوراة وتكذيب لهم في كلمتهم الشنعاء إثر تكذيب
مبارك أي كثير الفوائد وجم المنافع **مصدق الذي بين يديه** من التوراة لنزوله حسبما وصف فيها أو الكتب التي قبلها فإنه مصدق للكل في إثبات
التوحيد والأمر به ونفي الشرك والنهي عنه وفي سائر أصول الشرائع التي لا تنسخ **ولتنذر أم القرى** عطف على ما دل عليه مبارك أي للبركات ولإنذارك
أهل مكة وإنما ذكرت باسمها المنبئ عن كونها أعظم القرى شأنا وقبلة لأهلها قاطبة إيذانا بأن إنذار أهلها أصل مستتبع لإنذار أهل الأرض
كافة وقرئ لينذر بالياء على أن الضمير للكتاب **ومن حولها** من أهل المدر والوبر في المشارق والمغارب **والذين يؤمنون بالآخرة** وبما فيها من
أفانين العذاب **يؤمنون به** أي بالكتاب لأنهم يخافون العاقبة ولا يزال الخوف يحملهم على النظر والتأمل حتى يؤمنوا به **وهم على صلاتهم
يحافظون** تخصيص محافظتهم على الصلاة بالذكر من بين سائر العبادات التي لا بد للمؤمنين من أدائها للإيذان بإنافتها من بين سائر الطاعات
وكونها أشرف العبادات بعد الإيمان **ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا** فزعم أنه تعالى بعثه نبيا كمسيلمة الكذاب والأسود العنسي أو اختلق
عليه أحكاما من الحل والحرمة كعمرو بن لحي ومتابعيه أي هو أظلم من كل ظالم وإن كان سبك التركيب على نفي الأظلم منه وإنكاره من غير
تعرض لنفي المساوي وإنكاره فإن الاستعمال الفاشي في قولك من أفضل من زيد أو لا أكرم منه على أنه أفضل من كل فاضل وأكرم من كل كريم
وقد مر تمام الكلام فيه **أو قال أوحي إلي** من جهته تعالى **ولم يوح إليه** أي والحال أنه لم يوح إليه **شيء** أصلا كعبد الله بن سعد بن أبي سرح كان
يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين فلما بلغ ثم أنشأناه خلقا آخر قال عبد الله فتبارك الله
أحسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الإنسان ثم قال عليه السلام اكتبها كذلك فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا فقد أوحي إلي
كما أوحي إليه ولئن كان كاذبا فقد قلت كما قال **ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله** كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا **ولو ترى إذ
الظالمون** حذف مفعول ترى لدلالة الظرف عليه أي ولو ترى الظالمين إذ هم **في غمرات الموت** أي شدائده من غمره إذا غشيه **والملائكة
باسطوا أيديهم** بقبض أرواحهم كالمتقاضي الملظ الملح يبسط يده إلى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة من غير إمهال وتنفيس
أو باسطوها بالعذاب قائلين **أخرجوا أنفسكم** أي أخرجوا أرواحكم إلينا من أجسادكم أو خلصوا أنفسكم من العذاب **اليوم** أي وقت الإماتة
أو الوقت الممتد بعده إلى ما لا نهاية له **تجزون عذاب الهون** أي العذاب المتضمن لشدة وإهانة فإضافته إلى الهون وهو الهوان لعراقته فيه
بما كنتم تقولون على الله غير الحق كاتخاذ الولد له ونسبة الشريك إليه وادعاء النبوة والوحي كاذبا **وكنتم عن آياته تستكبرون** فلا تتأملون
فيها ولا تؤمنون بها **ولقد جئتمونا** للحساب **فرادى** منفردين عن الأموال والأولاد وغير ذلك مما آثرتموه من الدنيا أو عن الأعوان والأصنام
التي كنتم تزعمون أنهم شفعاؤكم وهو جمع فرد والألف للتأنيث ككسالى وقرئ فرادا كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى **كما
خلقناكم أول مرة** بدل من فرادى أي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد أو حال ثانية عند من يجوز تعددها أو حال من الضمير في فرادى
أي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما أو صفة مصدر جئتمونا أي مجيئا كخلقنا لكم أول مرة **وتركتم ما خولناكم** ما تفضلنا به عليكم
في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة **وراء ظهوركم** ما قدمتم منه شيئا ولم تحملوا نقيرا **وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء**
أي شركاء الله تعالى في الربوبية واستحقاق العبادة **لقد تقطع بينكم** أي وقع التقطع بينكم كما يقال جمع بين الشيئين أي وقع الجمع بينهما

وقرئ بينكم بالرفع على اسناد الفعل الى الظرف كما يقال قوتل امامكم وخلفكم او على ان البين اسم للفصل والوصل اي تقطع وصلكم وقرئ ما بينكم
وضل عنكم اي ضاع او غاب ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى شروع في تقرير بعض افاعيله
تعالى الدالة على كمال علمه وقدرته ولطف صنعه وحكمته اثر تقرير ادلة التوحيد والفلق الشق بابانة اي شاق الحب بالنبات والنوى
بالشجر وقيل المراد به الشق الذي في الحبوب والنوى اي خالقهما كذلك كما في قولك ضيق فم الركية ووسع اسفلها وقيل الفلق بمعنى الخلق
قال الواحدي ذهبوا بفالق مذهب بفاطر يخرج الحي من الميت اي يخرج ما ينمو من الحيوان والنبات مما لا ينمو من النطفة والحب والجملة مستأنفة
مبينة لما قبلها وقيل خبر ثان لان وقوله تعالى ومخرج الميت كالنطفة والحب من الحي كالحيوان والنبات عطف على فالق الحب لا على يخرج على
الوجه الاول لان اخراج الميت من الحي ليس من قبيل فلق الحب والنوى ذلكم القادر العظيم الشان هو الله المستحق للعبادة وحده
فانى تؤفكون فكيف تصرفون عن عبادته الى غيره ولا سبيل اليه اصلا فالق الاصباح خبر آخر لان او لمبتدأ محذوف والاصباح مصدر
سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على انه جمع صبح اي فالق عمود الفجر عن بياض النهار واسفاره او فالق ظلمة الاصباح وهي الغبش التي تلي
الصبح وقرئ فالق بالنصب على المدح وجعل الليل سكنا يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استيناسا
به او يسكن فيه الخلق من قوله تعالى لتسكنوا فيه وقرئ جاعل الليل فانتصاب سكنا بفعل دل عليه جاعل وقيل بنفسه على ان المراد به الجعل
المستمر في الازمنة المتجددة وحسب تجددها لا الجعل الماضي فقط وقيل اسم الفاعل من الفعل المتعدي الى اثنين يعمل في الثاني وان
كان بمعنى الماضي لانه لما اضيف الى الاول تعين نصبه للثاني لتعذر الاضافة بعد ذلك والشمس والقمر معطوفان على الليل وعلى القراءة
الاخيرة قيل هما معطوفان على محله والاحسن نصبهما بفعل مقدر وقد قرئا بالجر وبالرفع ايضا على الابتداء والخبر محذوف اي مجعولان
حسبانا اي على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات التي نيط بها العبادات والمعاملات او محسوبان حسبانا والحسبان بالضم مصدر حسب كما
ان الحسبان بالكسر مصدر حسب ذلك اشارة الى جعلهما كذلك وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته اي ذلك التسيير
البديع تقدير العزيز الغالب القاهر الذي لا يستعصي عليه شيء من الاشياء التي من جملتها تسييرهما على الوجه المخصوص العليم بجميع المعلومات
التي من جملتها ما في ذلك التسيير البديع من المنافع والمصالح المتعلقة بمعاش الخلق ومعادهم وهو الذي جعل لكم النجوم شروع في بيان
نعمته تعالى في الكواكب اثر بيان نعمته تعالى في النيرين والجعل متعد الى واحد واللام متعلقة به وتأخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور
لما مر غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي انشأها وابدعها لاجلكم فقوله تعالى لتهتدوا بها بدل من المجرور باعادة
العامل بدل اشتمال كما في قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة والتقدير جعل لكم النجوم لاهتدائكم لكن لا على انه غاية
خلقها اهتداؤهم فقط بل على طريقة افراد بعض منافعها وغاياتها بالذكر حسبما يقتضيه المقام وقد جوز ان يكون مفعولا ثانيا للجعل
وهو بمعنى التصيير اي جعلها كائنة لاهتدائكم في اسفاركم عند دخولكم المفاوز او البحار كما ينبئ عنه قوله تعالى في ظلمات البر والبحر
اي في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة فان الحاجة الى الاهتداء بها انما تتحقق عند ذلك او في مشتبهات الطرق
عبر عنها بالظلمات على طريقة الاستعارة قد فصلنا الآيات اي بينا الآيات المتلوة المذكرة لنعمه التي هذه النعمة من جملتها
او الآيات التكوينية الدالة على شؤونه تعالى مفصلة لقوم يعلمون اي معاني الآيات المذكورة ويعملون بموجبها او يتفكرون في
الآيات التكوينية فيعلمون حقيقة الحال وتخصيص التفصيل مع عمومه للكل لانهم المنتفعون به وهو الذي انشأكم من نفس واحدة تذكير
لنعمة اخرى من نعمه تعالى دالة على عظيم قدرته ولطيف صنعه وحكمته اي انشأكم مع كثرتكم من نفس آدم عليه السلام فمستقر
ومستودع اي فلكم استقرار في الاصلاب او فوق الارض واستيداع في الارحام او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع
فيما ذكر والتعبير عن كونهم في الاصلاب او فوق الارض بالاستقرار لانهما مقرهم الطبيعي كما ان التعبير عن كونهم في الارحام او تحت
الارض بالاستيداع لما ان كلا منهما ليس بمقرهم الطبيعي وقد حمل الاستيداع على كونهم في الاصلاب وليس بواضح وقرئ مستقر

بكسر القاف اي فمنكم مستقر ومنكم مستودع فان الاستقرار منا بخلاف الاستيداع قد فصلنا الآيات المبينة لتفاصيل خلق البشر من هذه
الآية ونظائرها لقوم يفقهون غوامض الدقائق باستعمال الفطنة وتدقيق النظر فان لطائف صنع الله عز وجل في اطوار تخليق بني آدم
مما يحار في فهمه الالباب وهو السر في ايثار يفقهون على يعلمون كما ورد في شأن النجوم وهو الذي انزل من السماء ماء تذكير لنعمة اخرى من
من نعمه تعالى منبئة عن كمال قدرته تعالى وسعة رحمته اي انزل من السحاب او من سمت السماء ماء خاصا هو المطر وتقديم الجار والمجرور على
المفعول الصريح لما مر مرارا فاخرجنا به التفت الى التكلم اظهارا لكمال العناية بشأن ما انزل الماء لاجله اي فاخرجنا بعظمتنا بذلك
الماء مع وحدته نبات كل شيء من الاشياء التي من شأنها النمو من اصناف النجم والشجر وانواعهما المختلفة في الكم والكيف والخواص والآثار
اختلافا متفاوتا في مراتب الزيادة والنقصان حسبما يفصح عنه قوله تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وقوله تعالى
فاخرجنا منه خضرا شروع في تفصيل ما اجمل من الاخراج وقد بدئ بتفصيل حال النجم اي فاخرجنا من النبات الذي لا ساق له شيئا
غضا اخضر يقال شيء اخضر وخضر كاعور وعور واكثر ما يستعمل الخضر فيما يكون خضرته خلقية وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة
وقوله تعالى نخرج منه صفة لخضرا وصيغة المضارع لاستحضار الصورة لما فيها من الغرابة اي نخرج من ذلك الخضر حبا متراكبا هو السنبل المنتظم
للحبوب المتراكبة بعضها فوق بعض على هيئة مخصوصة وقرئ يخرج منه حب متراكب وقوله تعالى ومن النخل شروع في تفصيل حال الشجر
اثر بيان حال النجم فقوله تعالى من النخل خبر مقدم وقوله تعالى من طلعها بدل منه باعادة العامل كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة
حسنة لمن كان يرجو الله الخ والطلع شيء يخرج من النخل كانه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود وقوله تعالى قنوان مبتدأ اي وحاصلة من
طلع النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه اي ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرأ يخرج منه حب متراكب كان
قنوان عنده معطوفا على حب وقيل المعنى واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او ومن النخل شيء من طلعها قنوان وهو جمع قنو
وهو عنقود النخل كصنو وصنوان وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها ايضا على انه اسم جمع لان فعلان ليس من ابنية
الجمع دانية سهلة المجتنى قريبة من القاطف فانها وان كانت صغيرة ينالها القاعد يأتي بالثمر لا ينتظر الطول او ملتفة متقاربة
والاقتصار على ذكرها لدلالتها على مقابلها كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر ولزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب عطف على نبات كل
شيء اي واخرجنا به جنات كائنة من اعناب وقرئ جنات بالرفع على الابتداء اي ولكم او وثمة جنات وقد جوز عطفه على قنوان
كانه قيل وحاصلة او ومخرجة من النخل قنوان وجنات من نبات اعناب ولعل زيادة الجنات ههنا من غير اكتفاء بذكر اسم الجنس
كما فيما تقدم وما تأخر لما ان الانتفاع بهذا الجنس لا يتأتى غالبا الا عند اجتماع طائفة من افراده والزيتون والرمان منصوبان
على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم او على العطف على نبات وقوله تعالى مشتبها وغير متشابه حال من الزيتون اكتفي به
عن حال ما عطف عليه كما يكتفى بخبر المعطوف عليه عن خبر المعطوف في قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وتقديره والزيتون متشابها
وغير متشابه والرمان كذلك وقد جوز ان يكون حالا من الرمان لقربه ويكون المحذوف حالا من الاول والمعنى بعضه متشابها وبعضه
غير متشابه في الهيئة والمقدار واللون والطعم وغير ذلك من الاوصاف الدالة على كمال قدرة صانعها وحكمة منشئها ومبدعها انظروا
الى ثمره اذا اثمر اي انظروا اليه نظر اعتبار واستبصار اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا لا يكاد ينتفع به وقرئ الى ثمره وينعه اي
والى حال نضجه كيف يصير الى كماله اللائق به ويكون شيئا جامعا لمنافع جمة والينع في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت
وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهي لغة فيه وقرئ يانعه ان في ذلكم اشارة الى ما امر بالنظر اليه وما في اسم الاشارة
من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته لآيات لقوم يؤمنون اي لآيات عظيمة او كثيرة دالة على وجود القادر
الحكيم ووحدته فان حدوث ما تنبئك الاجناس المختلفة والانواع المتشعبة من اصل واحد وانتقالها من حال الى حال على نمط بديع
يحار في فهمه الالباب لا يكاد يكون الا باحداث صانع يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته من الوجوه الممكنة على غيره ولا يعوقه عن

ذلك ضد بناوله او بد يقاويه ولذلك عقب بتوبيخ من اشرك به والرد عليه حيث قيل **وجعلوا لله شركاء** اي جعلوا في اعتقادهم لله الذي شأنه ما فصل في تضاعيف هذه الآيات الجليلة شركاء **الجن** اي الملائكة حيث عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسموا جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم بالنسبة الي مقام الالوهية او الشياطين حيث اطاعوهم كما اطاعوا الله تعالى او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو راي الثنوية ومفعولا جعلوا قوله تعالى شركاء الجن قدم ثانيهما علي الاول لاستعظام ان يتخذ لله سبحانه شريك ما كائنا ما كان ولله متعلق بشركاء قدم عليه للنكتة المذكورة وقيل هما لله شركاء والجن بدل من شركاء مفسر له نص عليه الفراء وابو اسحق او منصوب بمضمر وقع جوابا عن سؤال مقدر نشأ من قوله تعالى وجعلوا لله شركاء كأنه قيل من جعلوه شركاء لله تعالى فقيل الجن اي جعلوا الجن ويؤيده قراءة ابي حيوة ويزيد بن قطيب الجن بالرفع علي تقدير هم الجن في جواب من قال من الذين جعلوهم شركاء لله تعالى وقد قرئ بالجر علي ان الاضافة للتبيين **وخلقهم** حال من فاعل جعلوا بتقدير قد او بدونه علي اختلاف الرايين مؤكدة لما في جعلهم ذلك من كمال القباحة والبطلان باعتبار علمهم بمضمونها اي وقد علموا انه تعالى خالقهم خاصة وقيل الضمير للشركاء اي والحال انه تعالى خلق الجن فكيف تجعلون مخلوقه شريكا له تعالى وقرئ خلقهم عطفا علي الجن اي وما يخلقونه من الاصنام او علي شركاء اي وجعلوا له اختلاقهم الافك حيث نسبوه الي الله تعالى **وخرقوا له** اي افتعلوا وافتروا له تعالى خلق الافك واختلقه وخرقه واخترقه بمعني وقرئ خرقوا بالتشديد للتكثير وقرئ وحرفوا له اي زوروا **بنين وبنات** فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت طائفة من العرب الملائكة بنات الله **بغير علم** اي بحقيقة ما قالوه من خطأ او صواب بل رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية او بغير علم بمرتبة ما قالوا وانه من الشناعة والبطلان بحيث لا يقادر قدره والباء متعلقة بمحذوف هو حال من فاعل خرقوا او نعت لمصدر مؤكد له اي خرقوا ملتبسين بغير علم او خرقا كائنا بغير علم **سبحانه** استئناف مسوق لتنزيهه عز وجل عما نسبوه اليه وسبحان علم للتسبيح الذي هو التبعيد عن السوء اعتقادا وقولا اي اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح في الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اي واسع الجري وانتصابه علي المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اي اسبح سبحانه اي انزهه عما لا يليق به عقدا وعملا تنزيها خاصا به حقيقا بشأنه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل الي التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال علي الجنس الي الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير الي الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران لانه سمع له فعل من الثلاثي كما ذكر في القاموس اريد به التنزه التام والتباعد الكلي ففيه مبالغة من حيث اسناد التنزه الي ذاته المقدسة اي تنزه بذاته تنزها لائقا به وهو الانسب بقوله سبحانه **وتعالى** فانه معطوف علي الفعل المضمر لا محالة ولما في التسبيح والتعالي من معنى التباعد قيل **عما يصفون** اي متباعدا عما يصفونه من ان له شريكا او ولدا **بديع السموات والارض** اي مبدعهما ومخترعهما بلا مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه فان البديع كما يطلق علي المبتدع يطلق علي المبدع نص عليه ائمة اللغة كالصريح بمعنى المصرح وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى انشأه كابتدعه علي ما ذكر في القاموس وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع في قوله امن ريحانة الداعي السميع وقيل هو من اضافة الصفة المشبهة الي الفاعل للتخفيف بعد نصبه تشبيها لها باسم الفاعل كما هو المشهور اي بديع سمواته وارضه من بدع اذا كان علي نمط عجيب وشكل فائق وحسن رائق او الي الظرف كما في قولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما والاول هو الاوجه والمعنى انه تعالى مبدع لقطري العالم العلوي والسفلي بلا مادة فاعل علي الاطلاق منزه عن الانفعال بالمرة والوالد عنصر الولد منفعل بانتقال مادته عنه فكيف يمكن ان يكون له ولد وقرئ بديع بالنصب علي المدح وبالجر علي انه بدل من الاسم الجليل او من الضمير المجرور في سبحانه علي رأي من يجيزه وارتفاعه في القراءة المشهورة علي انه خبر مبتدأ محذوف او فاعل تعالى واظهاره في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتوسيط الظرف بينه وبين الفعل للاهتمام ببيانه او مبتدأ خبره قوله تعالى **انى يكون له ولد** وهو علي الاولين جملة مستقلة

مسوقة كما قبلها لبيان استحالة ما نسبوه اليه تعالى وتقرير تنزهه عنه وقوله تعالى **ولم تكن له صاحبة** حال مؤكدة للاستحالة المذكورة فان انتفاء ان يكون له تعالى صاحبة مستلزم لانتفاء ان يكون له ولد ضرورة استحالة وجود الولد بلا والدة وان امكن وجوده بلا والد وانتفاء الاول مما لا ريب فيه لاحد فمن ضرورته انتفاء الثاني اي من اين وكيف يكون له ولد كما قيل والحال انه ليس له علي زعمهم ايضا صاحبة يكون الولد منها وقرئ لم يكن بتذكير الفعل للفصل او لان الاسم ضميره تعالى والخبر هو الظرف وصاحبة مرتفع به علي الفاعلية لاعتماده علي المبتدأ او الظرف خبر مقدم وصاحبة مبتدأ مؤخر والجملة خبر للكون وعلي هذا الوجه يجوز ان يكون الاسم ضمير الشأن لصلاحية الجملة حينئذ لان تكون مفسرة لضمير الشأن لا علي الوجه الاول لما بين في موضعه ان ضمير الشأن لا يفسر الا بجملة صريحة وقوله تعالى **وخلق كل شيء** اما جملة مستأنفة اخرى سيقت لتحقيق ما ذكر من الاستحالة او حال اخرى مقررة لها اي انى يكون له ولد والحال انه خلق كل شيء انتظمه التكوين والايجاد من الموجودات التي من جملتها ما سموه ولدا له تعالى فكيف يتصور ان يكون المخلوق ولدا لخالقه **وهو بكل شيء** من شأنه ان يعلم كائنا ما كان مخلوقا او غير مخلوق كما ينبئ عنه ترك الاضمار الي الاظهار **عليم** مبالغ في العلم ازلا وابدا حسبما يعرب عنه العدول الي الجملة الاسمية فلا يخفى عليه خافية مما كان وما سيكون من الذوات والصفات والاحوال التي من جملتها ما يجوز عليه تعالى وما لا يجوز من المحالات التي ما زعموه فرد من افرادها والجملة استئناف مقرر لمضمون ما قبلها من الدلائل القاطعة ببطلان مقالتهم الشنعاء التي اجترؤا عليها بغير علم **ذلكم** اشارة الي المنعوت بما ذكر من جلائل النعوت وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شأن المشار اليه وبعد منزلته في العظمة والخطاب للمشركين المعهودين بطريق الالتفات وهو مبتدأ وقوله تعالى **الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء** اخبار اربعة مترادفة اي ذلك الموصوف بتلك الصفات العظيمة هو الله المستحق للعبادة خاصة مالك امركم لا شريك له اصلا خالق كل شيء مما كان ومما سيكون فلا تكرار اذ المعتبر في عنوان الموضوع انما هو خالقيته لما كان فقط كما ينبئ عنه صيغة الماضي وقيل الخبر هو الاول والبواقي ابدال وقيل الاسم الجليل بدل من المبتدأ والبواقي اخبار وقيل تقدير لكل من الاخبار الثلاثة مبتدأ وقيل يجعل الكل بمنزلة اسم واحد وقوله تعالى **فاعبدوه** حكم مترتب علي مضمون الجملة فان من جمع هذه الصفات كان هو المستحق للعبادة خاصة وقوله تعالى **وهو علي كل شيء وكيل** عطف علي الجملة المتقدمة اي هو مع ما فصل من الصفات الجليلة متولي امور جميع مخلوقاته التي انتم من جملتها فكلوا اموركم اليه وتوسلوا بعبادته الي انجاح مآربكم الدنيوية والاخروية **لا تدركه الابصار** البصر حاسة النظر وقد تطلق علي العين من حيث انها محلها وادراك الشيء عبارة عن الوصول اليه والاحاطة به اي لا تصل اليه الابصار ولا تحيط به كما قال سعيد بن المسيب وقال عطاء كلت ابصار المخلوقين عن الاحاطة به فلا متمسك فيه لمنكري الرؤية علي الاطلاق وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه ومقاتل رضي الله عنه لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في الآخرة **وهو يدرك الابصار** اي يحيط بها علما اذ لا تخفى عليه خافية **وهو اللطيف الخبير** فيدرك ما لا تدركه الابصار ويجوز ان يكون تعليلا للحكمين السابقين علي طريقة اللف اي لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها وقوله تعالى **قد جاءكم بصائر من ربكم** استئناف وارد علي لسان النبي صلى الله عليه وسلم والبصائر جمع بصيرة وهي النور الذي به تستبصر النفس كما ان البصر نور به تبصر العين والمراد بها الآيات الواردة ههنا او جميع الآيات المنتظمة لها انتظاما اوليا ومن لابتداء الغاية مجازا سواء تعلقت بجاء او بمحذوف هو صفة لبصائر والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الي ضمير المخاطبين لاظهار كمال اللطف بهم اي قد جاءكم من جهة مالككم ومبلغكم الي كمالكم اللائق بكم من الوحي الناطق بالحق والصواب ما هو كالبصائر للقلوب او قد جاءكم بصائر كائنة من ربكم **فمن ابصر** اي الحق بتلك البصائر وآمن **فلنفسه** اي فلنفسه ابصر او فابصاره لنفسه لان نفعه مخصوص بها **ومن عمي** اي ومن لم يبصر الحق بعد ما ظهر له بتلك البصائر ظهورا بينا وضل عنه وانما عبر عنه بالعمى تقبيحا له وتنفيرا عنه **فعليها** اي فعليها عمي او فعماه عليها او وبال عماه **وما انا عليكم بحفيظ** وانما انا منذر والله هو الذي يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها **وكذلك نصرف الآيات** اي مثل ذلك التصريف البديع نصرف الآيات الدالة علي المعاني الرائقة الكاشفة عن الحقائق الفائقة لا تصريفا ادنى منه وقوله تعالى **وليقولوا درست** علة لفعل قد حذف

تعويلاً على دلالة السياق عليه اي وليقولوا درست نفعل ما نفعل من التصريف
محذوف واللام متعلقة بنصرف اي مثل ذلك التصريف نصرف الآيات لنلزمهم الحجة وليقولوا الخ وقيل اللام لام الامر وتنصره القراءة بسكون
اللام كأنه قيل وكذلك نصرف الآيات وليقولوا هم ما يقولون فانه لا احتفال بهم ولا اعتداد بقولهم وهذا امر معناه الوعيد والتهديد
وعدم الاكتراث بقولهم ورد عليه بأن ما بعده يأباه ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ دارست اي دارست العلماء ودرست اي
قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودرست بضم الراء مبالغة في درست اي اشتد دروسها ودرست على البناء
للمفعول بمعنى قرئت او عفيت من عفاه ودارست وفسروها بدارست اليهود محمداً صلى الله عليه وسلم وجاز الاضمار لاشتهارهم بالدراسة
وقد جوز اسناد الفعل الى الآيات وهو في الحقيقة لاهلها اي دارس اهل الآيات وحملتها محمداً صلى الله عليه وسلم وهم اهل الكتاب
ودرس محمد ودارسات اي قديمات او ذات درس كعيشة راضية وقوله تع **ولنبينه** عطف على وليقولوا واللام على الاصل لان التبيين
غاية التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر او للمصدر اي ولنفعل التبيين واللام في قوله تع **لقوم يعلمون** متعلقة
بالتبيين وتخصيصه بهم لما انهم المنتفعون به قال ابن عباس رضي الله عنهما هم اولياؤه الذين هداهم الى سبيل الرشاد ووصفهم بالعلم
للايذان بغاية جهل الاولين وخلوهم عن العلم بالمرة **اتبع ما اوحي اليك من ربك** لما حكى عن المشركين قدحهم في تصريف الآيات عقب
ذلك بامره عليه السلام بالثبات على ما هو عليه وبعدم الاعتداد بهم وباباطيلهم اي دم على ما انت عليه من اتباع ما اوحي اليك من الشرائع
والاحكام التي عمدتها التوحيد وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من اظهار اللطف به ما لا يخفى قوله تع
لا اله الا هو اعتراض بين الامرين المتعاطفين مؤكد لايجاب اتباع الوحي لا سيما في امر التوحيد وقد جوز ان يكون حالاً من ربك اي
منفرداً في الالوهية **واعرض عن المشركين** لا تحتفل بهم وباقاويلهم الباطلة التي من جملتها ما حكي عنهم آنفاً ومن جعله منسوخاً بآية
السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم **ولو شاء الله** اي عدم اشراكهم حسبما هو القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشيئة من وقوعها
شرطاً وكون مفعولها مضمون الجزاء **ما اشركوا** وهذا دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر لكن لا بمعنى انه تعالى يمنعه عنه مع توجهه اليه
بل بمعنى انه تعالى لا يريده منه لعدم صرف اختياره الجزئي نحو الايمان واصراره على الكفر والجملة اعتراض مؤكد للاعتراض وكذا قوله تع **وما
جعلناك عليهم حفيظاً** اي رقيباً مهيمناً من قبلنا تحفظ عليهم اعمالهم وكذا قوله تع **وما انت عليهم بوكيل** من جهتهم تقوم بامرهم
وتدبر مصالحهم وعليهم في الموضعين متعلق بما بعده قدم عليه للاهتمام به ولرعاية الفواصل **ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله**
اي لا تشتموهم من حيث عبادتهم لآلهتهم كأن تقولوا تباً لكم ولما تعبدونه مثلاً **فيسبوا الله عدواً** تجاوزاً عن الحق الى الباطل بان
يقولوا لكم مثل قولكم لهم **بغير علم** اي بجهالة بالله تعالى وبما يجب ان يذكر به وقرئ عُدُوّاً يقال عدا يعدو عَدْواً وعُدُوّاً وعُدْواناً وعداءً
وعدواناً روي انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن
سب آلهتنا او لنهجون الهك وقيل كان المسلمون يسبونهم فنهوا عن ذلك بأن لا تستتبع سبهم سبه سبحانه وتعالى وفيه ان الطاعة
اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر **كذلك** اي مثل ذلك التزيين القوي **زينا لكل امة عملهم** من الخير
والشر باحداث ما يمكنهم منه وتمكينهم عليه توفيقاً او تخذيلاً ويجوز ان يراد بكل امة امم الكفرة اذ الكلام فيهم وبعملهم شرهم وفسادهم
والمشبه به تزيين سب الله تعالى لهم **ثم الى ربهم** مالك امرهم **مرجعهم** اي رجوعهم بالبعث بعد الموت **فينبئهم** من غير تأخير **بما كانوا يعملون** في
الدنيا على الاستمرار من السيئات المزينة لهم وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت وفيه نكتة سرية
مبنية على حكمة أبية وهي ان كل ما يظهر في هذه النشأة من الاعيان والاعراض فانما يظهر بصورة مستعارة مخالفة لصورته الحقيقية
التي بها يظهر في النشأة الآخرة فان المعاصي سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصورة تستحسنها نفوس العصاة كما نطقت به هذه
الآية الكريمة وكذا الطاعات فانها مع كونها احسن الاحاسن قد ظهرت عندهم بصور مكروهة ولذلك قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره

وحفت النار بالشهوات فأعمال الكفرة قد برزت لهم في هذه النشأة بصورة مزينة يستحسنها الغواة ويستحبها الطغاة وستظهر في النشأة الآخرة
بصورها الحقيقية المنكرة الهائلة فعند ذلك يعرفون ان اعمالهم ماذا فعبر عن اظهارها بصورها الحقيقية بالاخبار بها لما ان كلاً منهما سبب
للعلم بحقيقتها كما هي فليتدبر قوله تع **واقسموا بالله** روي ان قريشاً اقترحوا بعض آيات فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فان فعلت
بعض ما تقولون اتصدقونني فقالوا نعم واقسموا لئن فعلت لنؤمنن جميعاً فسأل المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزلها طمعاً في ايمانهم
فهم عليه السلام بالدعاء فنزلت وقوله تع **جهد ايمانهم** مصدر في موقع الحال اي اقسموا به تعالى جاهدين في ايمانهم **لئن جاءتهم آية** من مقترحاتهم او من
جنس الآيات وهو الانسب بحالهم في المكابرة والعناد وترامي امرهم في العتو والفساد حيث كانوا لا يعدون ما يشاهدونه من المعجزات الباهرة
من جنس الآيات **ليؤمنن بها** وما كان مرمى غرضهم في ذلك الا التحكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلب المعجزة وعدم الاعتداد بما شاهدوا
منه من البينات الحقيقية بان تنقطع بها الارض وتسير بها الجبال **قل انما الآيات** اي كلها فيدخل فيها ما اقترحوه دخولاً اولياً **عند الله** اي امرها
في حكمه وقضائه يتصرف فيها حسب مشيئته المبنية على الحكم البالغة لا تتعلق بها ولا بشأن من شؤونها قدرة احد ولا مشيئته لا استقلالاً ولا
اشتراكاً بوجه من الوجوه حتى يمكنني ان اتصدى لاستنزالها بالاستدعاء وهذا كما ترى سد لباب الاقتراح على ابلغ وجه واحسنه ببيان
علو شأن الآيات وصعوبة منالها وتعاليها من ان تكون عرضة للسؤال والاقتراح واما ما قيل من ان المعنى انما الآيات عند الله تعالى
لا عندي فكيف اجيبكم اليها او آتيكم بها او هو القادر عليها لا انا حتى آتيكم بها فلا مناسبة له بالمقام كيف لا وليس مقترحهم مجيئها بغير
قدرة الله تعالى وارادته حتى يجابوا بذلك وقوله تع **وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون** كلام مستأنف غير داخل تحت الامر مسوق
من جهته تعالى لبيان الحكمة الداعية الى ما اشعر به الجواب السابق من عدم مجيء الآيات خوطب به المسلمون اما خاصة بطريق التلوين لما كانوا
راغبين في نزولها طمعاً في اسلامهم واما معه عليه السلام بطريق التعميم لما روي عنه عليه السلام من الهم بالدعاء وقد بين فيه ان ايمانهم
فاجرة وانهم مما لا يدخل تحت الوجود وان اجيب الى ما سألوه وما استفهامية انكارية لكن لا على ان مرجع الانكار هو وقوع المشعر به بل
نفس الاشعار مع تحقق المشعر به في نفسه اي واي شيء يعلمكم ان الآية التي يقترحونها اذا جاءت لا يؤمنون بل يبقون على ما كانوا عليه من الكفر
والعناد اي لا تعلمون ذلك فتتمنون مجيئها طمعاً في ايمانهم فكأنه بسط عذر من جهة المسلمين في تمنيهم نزول الآيات وقيل لا مزيدة فيتوجه الانكار
الى الاشعار والمشعر به جميعاً اي اي شيء يعلمكم ايمانهم عند مجيء الآيات حتى تتمنوا مجيئها طمعاً في ايمانهم فيكون تخطئة لرأي المسلمين وقيل
ان بمعنى لعل يقال ادخل السوق انك تشتري اللحم وعنك وعلك كلها بمعنى ويؤيده قراءة لعلها اذا جاءت لا يؤمنون على ان الكلام
قد تم قبله والمفعول الثاني ليشعركم محذوف كما في قوله تع وما يدريك لعله يزكى والجملة استئناف لتعليل الانكار وتقريره اي اي شيء يعلمكم
حالهم وما سيكون عند مجيء الآيات لعلها اذا جاءت لا يؤمنون بها فما لكم تتمنون مجيئها فان تمنيه انما يليق بما اذا كان ايمانهم بها محقق الوجود
عند مجيئها لا مرجو العدم وقرئ انها بالكسر على انه استئناف حسبما سبق مع زيادة تحقيق لعدم ايمانهم وقرئ لا تؤمنون بالفوقانية
فالخطاب في وما يشعركم للمشركين وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون فمرجع الانكار اقدام المشركين على الاقسام المذكور مع جهلهم
بحال قلوبهم عند مجيء الآيات وبكونها حينئذ كما هي الآن **ونقلب افئدتهم وابصارهم** عطف على لا يؤمنون داخل في حكم ما يشعركم مقيد بما قيد به
اي وما يشعركم انا نقلب افئدتهم عن ادراك الحق فلا يفقهونه وابصارهم عن اجتلائه فلا يبصرونه لكن لا مع توجهها اليه واستعدادها لقبوله
بل لكمال نبوها عنه واعراضها بالكلية ولذلك اخر ذكره عن ذكر عدم ايمانهم اشعاراً باصالتهم في الكفر وحسماً لتوهم ان عدم ايمانهم ناشئ
من تقليبه تعالى مشاعرهم بطريق الاجبار **كما لم يؤمنوا به** اي بما جاء من الآيات **اول مرة** اي عند ورود الآيات السابقة والكاف في
محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف منصوب بلا يؤمنون وما مصدرية اي لا يؤمنون بل يكفرون كفراً كائناً ككفرهم اول مرة وتوسيط تقليب
الافئدة والابصار بينهما لانه من متممات عدم ايمانهم **ونذرهم** عطف على لا يؤمنون داخل في حكم الاستفهام الانكاري مقيد بما قيد به مبين لما هو
المراد بتقليب الافئدة والابصار معرب عن حقيقته بأنه ليس على ظاهره بان يقلب الله سبحانه مشاعرهم عن الحق مع توجهها اليه واستعدادها له

بطريق الالجاء بل بان نخليهم وشأنهم بعد ما علم فساد استعدادهم وفرط نفورهم عن الحق وعدم تأثير اللطف فيهم اصلا ونطبع على قلوبهم حسبما
يقتضيه استعدادهم كما اشرنا اليه وقوله تع في طغيانهم متعلق بنذرهم وقوله تع يعمهون حال من الضمير المنصوب في نذرهم اي ندعهم في طغيانهم
متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين او مفعول ثان لنذرهم اي نصيرهم عامهين وقرئ ويقلب ويذرهم بالياء على اسنادهما الى ضمير الجلالة
وقرئ تقلب بالتاء والبناء للمفعول على اسناده الى افئدتهم ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة تصريح بما اشعر به قوله عز وجل وما يشعركم انها
اذا جاءت لا يؤمنون من الحكمة الداعية الى ترك الاجابة الى ما اقترحوه من الآيات اثر بيان انها في حكمه تعالى وقضائه المبني على الحكم البالغة
لا مدخل لاحد في امرها بوجه من الوجوه وبيان لكذبهم في ايمانهم الفاجرة على ابلغ وجه وآكده اي ولو اننا لم نقتصر على اتيان ما اقترحوه
ههنا من آية واحدة من الآيات بل نزلنا اليهم الملائكة كما سألوه بقولهم لولا انزل علينا الملائكة وقولهم لو ما تأتينا بالملائكة و
كلمهم الموتى وشهدوا بحقيقة الايمان بعد ان احييناهم حسبما اقترحوه بقولهم فأتوا بآبائنا وحشرنا اي جمعنا عليهم كل شيء قبلا بضمتين وقرئ بسكون
الباء اي كفلاء بصحة الامر وصدق النبي صلى الله عليه وسلم على انه جمع قبيل بمعنى الكفيل كرغيف ورغف وقضيب وقضب وهو الانسب بقوله تع
او تأتي بالله والملائكة قبيلا اي لو لم نقتصر على ما اقترحوه بل زدنا على ذلك بان احضرنا لديهم كل شيء تتأتى منه الكفالة والشهادة
بما ذكر لا فرادى بل بطريق المعية او جماعات على انه جمع قبيل هو جمع قبيلة وهو الاوفق لعموم كل شيء وشموله للانواع والاصناف اي حشرنا
كل شيء نوعا نوعا وصنفا صنفا فوجا فوجا وانتصابه على الحالية وجمعيته باعتبار الكل المجموعي اللازم للكل الافرادي اي مقابلة وعيانا
على انه مصدر كقبلا وقد قرئ كذلك وانتصابه على الوجهين على انه مصدر في موقع الحال وقد نقل عن المبرد وجماعة من اهل اللغة انه
بمعنى الجهة كما في قولك لي قبل فلان حق وانتصابه على الظرفية ما كانوا ليؤمنوا اي ما صح وما استقام لهم لتماديهم في العصيان وغلوهم في
التمرد والطغيان وما سبق القضاء عليهم بالكفر من الاحكام المترتبة على ذلك حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل ونذرهم في طغيانهم يعمهون وقوله
الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من اعم الاحوال والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة اي ما كانوا ليؤمنوا بعد
اجتماع ما ذكر من الامور المذكورة الموجبة للايمان في حال من الاحوال الداعية اليه المتممة لموجباته المذكورة الا في حال مشيئته تعالى لايمانهم
او اعم العلل اي ما كانوا ليؤمنوا لعلة من العلل المعدودة وغيرها الا لمشيئته تعالى واياما كان فليس المراد بالاستثناء بيان ان ايمانهم
على خطر الوقوع بناء على كون مشيئته تعالى ايضا كذلك بل بيان استحالة وقوعه بناء على استحالة وقوعها كأنه قيل ما كانوا ليؤمنوا الا ان شاء
وهيهات ذلك وحالهم حالهم بدليل ما سبق من قوله ونقلب افئدتهم الآية كيف لا وقوله عز وجل ولكن اكثرهم يجهلون استدراك من مضمون الشرطية
بعد ورود الاستثناء لا قبله ولا ريب في ان الذي يجهلونه سواء اريد بهم المسلمون وهو الظاهر او المقسمون ليس عدم ايمانهم بلا مشيئة
تعالى كما هو اللازم من حمل النظم الكريم على المعنى الاول فانه مما ليس يعتقده الاولون ولا مما يدعيه الآخرون بل انما هو عدم ايمانهم لعدم
مشيئته ايمانهم ومرجعه الى جهلهم بعدم مشيئته اياه فالمعنى ان حالهم كما شرح ولكن اكثر المسلمين يجهلون عدم ايمانهم عند مجيء الآيات لجهلهم
عدم مشيئته تعالى لايمانهم فيتمنون مجيئها طمعا فيما لا يكون فالجملة مقررة لمضمون قوله تعالى وما يشعركم الى آخره على القراءة المشهورة او
ولكن اكثر المشركين يجهلون عدم ايمانهم عند مجيء الآيات لجهلهم عدم مشيئته تعالى لايمانهم حينئذ فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يكاد يكون
فالجملة على القراءة السابقة بيان مبتدأ لمنشأ خطاء المقسمين ومناط اقسامهم وتقرير لهم له على قراءة لا تؤمنون بالتاء الفوقانية
وكذا على قراءة وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا كلام مبتدأ مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم
عما كان يشاهده من عداوة قريش له عليه السلام وما بنوا عليها مما لا خير فيه من الاقاويل والافاعيل ان ذلك ليس مختصا بك بل هو امر ابتلي به كل
من سبقك من الانبياء عليهم السلام ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر مؤكد لما بعده وذلك اشارة الى ما يفهم مما قبله اي جعلنا لكل نبي عدوا
جعلا كما جعلنا لك عدوا او التقديم على الفعل المذكور للقصر المفيد للمبالغة اي مثل ذلك الجعل الذي جعلناه في حقك حيث جعلنا لك عدوا
يضادونك ويضارونك ولا يؤمنون ويبغونك الغوائل ويترددون في ابطال امرك جعلنا لكل نبي تقدمك عدوا فعلوا بهم ما فعل بك

اعداؤك لا جعلا انقص منه وفيه دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء عليهم السلام بخلقه تعالى للابتلاء شياطين الانس والجن اي مردة الفريقين على
ان الاضافة بمعنى من البيانية وقيل هي اضافة الصفة الى الموصوف والاصل الانس والجن الشياطين وقيل هي بمعنى اللام اي الشياطين التي للانس
والتي للجن وهو بدل من عدوا والجعل متعد الى واحد او الى اثنين وهو اول مفعوليه قدم عليه الثاني مسارعة الى بيان العداوة واللام
على التقديرين متعلقة بالجعل او بمحذوف هو حال من عدوا وقوله تع يوحي بعضهم الى بعض كلام مستأنف مسوق لبيان احكام عداوتهم وتحقيق وجه
الشبه بين المشبه والمشبه به او حال من الشياطين او نعت لعدوا وجمع الضمير باعتبار المعنى فانه عبارة عن الاعداء كما في قوله اذا انا لم
انفع صديقي بوده فان عدوي لم يضرهم بغضي والوحي عبارة عن الايماء والقول السريع اي يلقي ويوسوس شياطين الجن الى شياطين
الانس او بعض كل من الفريقين الى بعض آخر زخرف القول اي المموه منه المزين الباطل ظاهره وباطنه من زخرفه اذا زينه غرورا مفعول له ليوحي
اي ليغروهم او مصدر في موقع الحال اي غارين او مصدر مؤكد لفعل مقدر هو حال من فاعل يوحي اي يغرون غرورا ولو شاء ربك
رجوع الى بيان الشؤون الجارية بينه عليه السلام وبين قومه المفهومة من حكاية ما جرى بين الانبياء عليهم السلام وبين اممهم كما ينبئ عنه
الالتفات والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام المعربة عن كمال اللطف في التسلية اي ولو شاء ربك عدم
الامور المذكورة لا ايمانهم كما قيل فان القاعدة المستمرة ان مفعول المشيئة انما يحذف عند وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون
الجزاء وهو قوله تع ما فعلوه اي ما فعلوا ما ذكر من عداوتك وايحاء بعضهم الى بعض مزخرفات الاقاويل الباطلة المتعلقة بامرك خاصة لا بما
وامور الانبياء عليهم السلام ايضا كما قيل فان قوله تع فذرهم وما يفترون صريح في ان المراد بهم الكفرة المعاصرون له صلى الله عليه وسلم
اي اذا كان ما فعلوه من احكام عداوتك من فنون المفاسد بمشيئته تعالى فاتركهم وافتراءهم او وما يفترونه من انواع المكايد فان لهم
في ذلك عقوبات شديدة ولك عواقب حميدة لابتناء مشيئته تعالى على الحكم البالغة البتة ولتصغى اليه اي الى زخرف القول وهو على الوجه
الاول علة اخرى للايحاء معطوفة على غرورا وما بينهما اعتراض وانما لم ينصب لفقد شرطه اذ الغرور فعل الموحي وصغو الافئدة فعل
الموحى اليه اي يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول ليغروهم به ولتميل اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة انما خص بالذكر عدم ايمانهم بالآخرة
دون ما عداها من الامور التي يجب بها الايمان وهم بها كافرون اشعارا بما هو المدار في صغو افئدتهم الى ما يلقى اليهم فان لذات الآخرة
محفوفة في هذه النشأة بالمكاره وآلامها مزينة بالشهوات فالذين لا يؤمنون باحوالها لا يدرون ان وراء تلك المكاره لذات
ودون هذه الشهوات آلاما وانما ينظرون الى ما بدا لهم في الدنيا بادي الرأي فهم مضطرون الى حب الشهوات التي من جملتها مزخرفات الاقاويل
ومموهات الاباطيل واما المؤمنون بها فحيث كانوا واقفين على حقيقة الحال ناظرين الى عواقب الامور لم يتصور منهم الميل الى تلك
المزخرفات لعلمهم ببطلانها ووخامة عاقبتها واما على الوجهين الاخيرين فهو علة لفعل محذوف يدل عليه المقام اي وليكون ذلك
جعلنا ما جعلنا والمعتزلة جعلوا اللام لام العاقبة او لام القسم او لام الامر وضعفه في غاية الظهور وليرضوه لانفسهم بعد ما مالت
اليه افئدتهم وليقترفوا اي يكتسبوا بموجب ارتضائهم له ما هم مقترفون له من القبائح التي لا يليق ذكرها افغير الله ابتغي حكما كلام مستأنف
وارد على ارادة القول والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه الكلام اي قل لهم أأميل الى زخارف الشياطين فابتغي حكما
غير الله يحكم بيننا ويفصل المحق منا من المبطل وقيل ان مشركي قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما من
احبار اليهود او من اساقفة النصارى ليخبرنا عنك بما في كتابهم من امرك فنزلت واسناد الابتغاء المنكر الى نفسه عليه السلام لا الى المشركين
كما في قوله تع افغير دين الله يبغون مع انهم الباغون لاظهار كمال النصفة او المراعاة كقولهم اجعل بيننا وبينك حكما وغير مفعول
ابتغي وحكما حال منه واما بالعكس واياما كان فتقديمه على الفعل الذي هو المعطوف بالفاء كما اشير اليه للايذان بان مدار الانكار
هو ابتغاء غيره تعالى حكما لا مطلق الابتغاء وقيل حكما تمييز لما في غير من الابهام كقولهم ان لنا غيرها ابلا قالوا الحكم ابلغ من الحاكم
وادل على الرسوخ لما انه لا يطلق الا على العادل وعلى من تكرر منه الحكم بخلاف الحاكم وقوله تع وهو الذي انزل اليكم الكتاب

جملة حالية مؤكدة لانكار ابتغاء غيره تعالى حكما ونسبة الانزال اليهم خاصة مع ان مقتضى المقام اظهار تساوي نسبته الى المتحاكمين
لاستمالتهم نحو المنزل واستنزالهم الى قبول حكمه بايهام قوة نسبته اليهم اي أغير الله ابتغي حكما والحال انه هو الذي انزل اليكم وانتم امة
امية لا تدرون ما تأتون وما تذرون القرآن الناطق بالحق والصواب الحقيق بأن يخص به اسم الكتاب مفصلا اي مبينا فيه الحق والباطل
والحلال والحرام وغير ذلك من الاحكام بحيث لم يبق في امر الدين شيء من التخليط والابهام فأي حاجة بعد ذلك الى الحكم وهذا كما
ترى صريح في ان القرآن الكريم كاف في امر الدين مغن عن غيره ببيانه وتفصيله واما ان يكون لاعجازه دخل في ذلك كما قيل فلا وقوله
تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق كلام مستأنف غير داخل تحت القول المقدر مسوق من جهته سبحانه لتحقيق
حقية الكتاب الذي نيط به امر الحكمية وتقرير كونه منزلا من عنده عز وجل ببيان ان الذين وثقوا بهم ورضوا بحكميتهم حسبما نقل آنفا
من علماء اليهود والنصارى عالمون بحقيته ونزوله من عنده تعالى وفي التعبير عن التورية والانجيل باسم الكتاب ايماء الى ما بينهما وبين
القرآن من المجانسة المقتضية للاشتراك في الحقية والنزول من عنده تعالى مع ما فيه من الايجاز وايراد الطائفتين بعنوان ايتاء الكتاب
للايذان بانهم علموه من جهة كتابهم حيث وجدوه حسبما نعت فيه وعاينوه موافقا له في الاصول وما لا يختلف من الفروع ومخبرا عن امور
لا طريق الى معرفتها سوى الوحي والمراد بالموصول اما علماء الفريقين وهو الظاهر فالايتاء هو التفهيم بالفعل واما الكل وهم داخلون فيه
دخولا اوليا فهو اعم مما ذكر ومن التفهيم بالقوة ولا ريب في ان الكل متمكنون من ذلك وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرئ منزل
من الانزال والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه عليه السلام والباء في قوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف
وقع حالا من الضمير المستكن في منزل اي ملتبسا بالحق فلا تكونن من الممترين اي في انهم يعلمون ذلك لما لا تشاهد منهم آثار العلم واحكام المعرفة فالفاء
لترتيب النهي على الاخبار بعلم اهل الكتاب بشأن القرآن او في انه منزل من ربك بالحق فيكون من باب التهييج والالهاب كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين
وقيل الخطاب في الحقيقة للامة وان كان له عليه السلام صورة وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة تعاضدت وتظاهرت فلا ينبغي لأحد
ان يمتري فيه والفاء على هذه الوجوه لترتيب النهي على نفس علمهم بحال القرآن وتمت كلمة ربك شروع في بيان كمال الكتاب المذكور من حيث ذاته
اثر بيان كماله من حيث اضافته اليه تعالى بكونه منزلا منه بالحق وتحقيق ذلك بعلم اهل الكتاب به وانما عبر عنه بالكلمة لانها الاصل في الاتصاف بالصدق
والعدل وبها تظهر الآثار من الحكم وقرئ كلمات ربك صدقا وعدلا مصدران نصبا على الحال وقيل على التمييز وقيل على العلة وقوله تعالى لا مبدل
لكلماته اما استئناف مبين لفضلها على غيرها اثر بيان فضلها في نفسها واما حال اخرى من فاعل تمت على ان الظاهر مغن عن الضمير الرابط والمعنى
انها بلغت الغاية القاصية صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام لا احد يبدل شيئا من ذلك بما هو اصدق واعدل
ولا بما هو مثله فكيف يتصور ابتغاء حكم غيره تعالى وهو السميع لكل ما يتعلق به السمع العليم بكل ما يمكن ان يعلم فيدخل في ذلك اقوال المتحاكمين واحوالهم
الظاهرة والباطنة دخولا اوليا هذا وقد قيل المعنى لا احد يقدر على ان يحرفها كما فعل بالتورية فيكون ضمانا لها من الله عز وجل بالحفظ كقوله
تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها وان تطع اكثر من في الارض لما تحقق اختصاصه تعالى بالحكمية لاستقلاله
بما يوجبها من انزال الكتاب الكامل الفاصل بين الحق والباطل وتمام صدق كلامه وكمال عدالة احكامه وامتناع وجود من يبدل شيئا منهم واستبداده
تعالى بالاحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات عقب ذلك ببيان ان الكفرة متصفون بنقائض تلك الكمالات من النقائص التي
هي الضلال والاضلال واتباع الظنون الفاسدة الناشئة من الجهل والكذب على الله سبحانه ابانة لكمال مباينة حالهم لما يرمونه وتحذيرا
عن الركون اليهم والعمل بآرائهم والمراد بمن في الارض الناس واكثرهم الكفار وقيل اهل مكة والارض ارضها اي ان تطعهم بان جعلت منهم
حكما يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه او الشريعة التي شرعها لعباده ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق
فهم على آثارهم يهتدون او جهالاتهم وآراؤهم الباطلة على ان المراد بالظن ما يقابل العلم والجملة استئناف مبني على سؤال نشأ من الشرطية
كأنه قيل كيف يضلون فقيل لا يتبعون في امور دينهم الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا فيضلون ضلالا مبينا ولا ريب في ان الضال

المتصدي للارشاد انما يرشد غيره الى مسلك نفسه فهم ضالون مضلون وقوله تعالى وان هم الا يخرصون عطف على ما قبله داخل في حكمه اي يكذبون
على الله سبحانه فيما ينسبون اليه تعالى كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان ذريعة اليه تعالى وتحليل الميتة وتحريم البحائر ونظائرها او يقدرون
انهم على شيء واني لهم ذلك ودونه مناط العيوق وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
تقرير لمضمون الشرطية وما بعدها وتأكيد لما يفيده من التحذير اي هو اعلم بالفريقين فاحذر ان تكون من الاولين ومن موصولة او موصوفة
في محل النصب لا بنفس اعلم فان افعل التفضيل لا ينصب الظاهر في مثل هذه الصور بل بفعل دل هو عليه واستفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر
يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ يضل بضم الياء على ان من فاعل يضل ومفعوله محذوف ومحلها النصب بما ذكر من الفعل
المقدر اي هو اعلم يعلم من يضل الناس فيكون تأكيدا للتحذير عن طاعة الكفرة واما ان الفاعل هو الله تعالى ومن منصوبة بما ذكر اي يعلم من
يضله او مجرورة باضافة اعلم اليها اي اعلم المضلين من قوله تعالى من يضلل الله او من قولك اضللته اذا وجدته ضالا فلا يساعده السياق
والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه امر مترتب
على النهي عن اتباع المضلين الذين من جملة اضلالهم تحريم الحلال وتحليل الحرام وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تعبدون الله فما قتله الله
احق ان تأكلوه مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين كلوا مما ذكر اسم الله تعالى خاصة على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره فقط او مع اسمه تعالى او مات حتف
انفه ان كنتم بآياته التي من جملتها الآيات الواردة في هذا الشأن مؤمنين فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله الله والاجتناب عما حرمه
وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه وما لكم ان لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه انكار لان يكون لهم شيء يدعوهم الى الاجتناب عن اكل ما
ذكر عليه اسم الله تعالى من البحائر والسوائب ونحوها وقوله تعالى وقد فصل لكم الى آخره جملة حالية مؤكدة للانكار كما في قوله تعالى وما لنا ان لا
نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي واي سبب حاصل لكم في ان لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه او واي غرض يحملكم على
ان لا تأكلوا ويمنعكم من اكله والحال انه قد فصل لكم ما حرم عليكم بقوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الى آخره فبقي ما عدا ذلك على الحل
لا بقوله تعالى حرمت عليكم الميتة الى آخره لانها مدنية واما التأخر في التلاوة فلا يوجب التأخر في النزول وقرئ الفعلان على البناء
للمفعول وقرئ الاول على البناء للفاعل والثاني للمفعول الا ما اضطررتم اليه مما حرم فانه ايضا حلال حينئذ وان كثيرا اي من الكفار
ليضلون الناس بتحريم الحلال وتحليل الحرام كعمرو بن لحي واضرابه وقرئ يضلون باهوائهم الزائغة وشهواتهم الباطلة بغير علم مقتبس من
الشريعة الشريفة مستند الى الوحي ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين لحدود الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم
وباطنه اي ما يعلن من الذنوب وما يسر او ما يعمل منها بالجوارح وما يعمل بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين
يكسبون الاثم اي يكتسبونه من الظاهر والباطن سيجزون بما كانوا يقترفون كائنا ما كان فلا بد من اجتنابهما والجملة تعليل للامر ولا تأكلوا مما لم
يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا كان او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد بن حنبل مثله وقال مالك والشافعي بخلافه
لقوله عليه السلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة رحمه الله بين العمد والنسيان واوله بالميتة او بما ذكر عليه اسم غيره
تعالى وانه لفسق فان الفسق ما اهل به لغير الله والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل المدلول عليه بلا تأكلوا والجملة مستأنفة وقيل حالية وان الشياطين
ليوحون الى اوليائهم المراد بالشياطين ابليس وجنوده فايحاؤهم وسوستهم الى المشركين وقيل مردة المجوس فايحاؤهم الى اوليائهم ما انهوا الى قريش
بالكتاب ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يتبعون امر الله ثم يزعمون ان ما يقتلونه حلال وما يقتله الله حرام ليجادلوكم اي بالوساوس الشيطانية
او بما نقل من اباطيل المجوس وهو يؤيد التأويل بالميتة وان اطعتموهم في استحلال الحرام وساعدتموهم على اباطيلهم انكم لمشركون ضرورة ان من
ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك به تعالى آثره عليه سبحانه او من كان ميتا وقرئ ميتا على الاصل فاحييناه تمثيل مسوق
لتنفير المسلمين عن طاعة المشركين اثر تحذيرهم عنها بالاشارة الى انهم مستضيئون بانوار الوحي الالهي والمشركين خائضون في ظلمات الكفر
والطغيان فكيف يعقل اطاعتهم لهم والهمزة للانكار والنفي والواو لعطف الجملة الاسمية على مثلها الذي يدل عليه الكلام اي انتم مثلهم ومن

كان ميتا فاعطيناه الحيوة وما يتبعها من القوى المدركة والمحركة وجعلنا له مع ذلك من الخارج نورا عظيما يمشي به اي بسببه والجملة استئناف
مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فماذا يصنع بذلك النور فقيل يمشي به في الناس اي فيما بينهم آمنا من جهتهم وصفه له كمن مثله اي صفته
العجيبة وهو مبتدأ وقوله تع في الظلمات خبره على ان المراد بها اللفظ لا المعنى كما في قولك زيد صفته اسمر وهذه الجملة صلة لمن وهي مجرورة
بالكاف وهي مع مجرورها خبر لمن الاولى وقوله تع ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف وقيل من الموصول اي غير خارج منها بحال وهذا كما
ترى مثل اريد به من بقي في الضلالة بحيث لا يفارقها اصلا كما ان الاول مثل اريد به من خلقه الله تعالى على فطرة الاسلام وهداه بالآيات
البينة الى طريق الحق يسلكه كيف يشاء لكن لا على ان يدل على كل واحد من هذه المعاني بما يليق به من الالفاظ الواردة في المثلين بواسطة
تشبيهه بما يناسبه من معانيها فان الفاظ المثل باقية في معانيها الاصلية بل على انه قد انتزعت من الامور المتعددة المعتبرة في كل واحد من
جانبي المثلين هيأة على حدة ومن الامور المتعددة المذكورة في كل واحد من جانبي المثلين هيأة على حدة فشبهت بهما الاوليان ونزلتا
منزلتيهما فاستعمل فيهما ما يدل على الاخريين بضرب من التجوز وقد اشير في تفسير قوله تع ختم الله على قلوبهم الآية الى ان التمثيل قسم براسه
لا سبيل الى جعله من باب الاستعارة حقيقة وان الاستعارة التمثيلية من عبارات المتأخرين نعم قد يجري ذلك على سنن الاستعارة بان لا يذكر
المشبه كهذين التمثيلين ونظائرهما وقد يجري على منهاج التشبيه كما في قوله وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا
بلاقع كذلك اي مثل ذلك التزيين البليغ زين اي من جهة الله عز وجل بطريق الخلق عند ايحاء الشياطين او من جهة الشياطين بطريق الزخرفة
والتسويل للكافرين التابعين للوساوس الشيطانية الآخذين بالمزخرفات التي يوحونها اليهم ما كانوا يعملون ما استمروا على عمله من فنون
الكفر والمعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من القبائح فانها لو لم تكن مزينة لهم لما اصروا عليها ولما جادلوا بها الحق وقيل الآية نزلت في حمزة
رضي الله عنه وابي جهل وقيل في عمر او عمار رضي الله عنهما وابي جهل وكذلك قيل معناه كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل
قرية من سائر القرى اكابر مجرميها ليمكروا فيها ومفعولا جعلنا اكابر مجرميها على تقدير المعمول الثاني والظرف لغو او هما الظرف واكابر
على ان مجرميها بدل او مضاف اليه فان افعل التفضيل اذا اضيف جاز الافراد والمطابقة وكذلك قرئ اكبر مجرميها وقيل اكابر مجرميها
مفعوله الاول والثاني ليمكروا فيها ولا يخفى ان اي معنى اريد من هذه المعاني لا بد ان يكون مشهور التحقق عند الناس معهودا فيما بينهم
حتى يصلح ان يصرف الاشارة عن سباق النظم الكريم وتوجه اليه ويجعل مقياسا لنظائره باخراجه مخرج المصدر التشبيهي وظاهر ان ليس الامر
كذلك ولا سبيل الى توجيهها الى ما يفهم من قوله تع كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وان كان المراد بهم اكابر مكة لان حاصل المعنى ح
بعد اللتيا والتي كما جعلنا اعمال اهل مكة مزينة لهم جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها الى آخره فاذن الاقرب ان ذلك اشارة الى الكفرة
المعهودين باعتبار اتصافهم بصفاتهم والافراد بتأويل الفريق او المذكور ومحل الكاف النصب على انه المفعول الثاني لجعلنا قدم عليه لافادة
التخصيص كما في قوله تع كذلك كنتم من قبل الآية والاول اكابر مجرميها والظرف لغو اي ومثل اولئك الكفرة الذين هم صناديد مكة ومجرموها
جعلنا في كل قرية اكابرها المجرمين اي جعلناهم متصفين بصفات المذكورين مزينا لهم اعمالهم مصرين على الباطل مجادلين به الحق ليمكروا
فيها اي ليفعلوا المكر فيها وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تع وما يمكرون الا بانفسهم اعتراض على سبيل الوعد لرسول الله
صلى الله عليه وسلم والوعيد للكفرة اي وما يحيق غائلة مكرهم الا بهم وما يشعرون حال من ضمير يمكرون مع اعتبار ورود الاستثناء
على النفي اي انما يمكرون بانفسهم والحال انهم ما يشعرون بذلك اصلا بل يزعمون انهم يمكرون بغيرهم وقوله تع واذا جاءتهم آية رجوع الى
بيان حال مجرمي اهل مكة بعد ما بين بطريق التسلية ان حال غيرهم ايضا كذلك وان عاقبة مكر الكل ما ذكر فان الغظيمة المنقولة انما
صدرت عنهم لا عن سائر المجرمين اي اذا جاءتهم آية بواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله
قال ابن عباس رضي الله عنهما حتى يوحى الينا ويأتينا جبرائيل عليه السلام ويخبرنا ان محمدا صادق كما قالوا او تأتي بالله والملائكة قبيلا وعن
الحسن البصري مثله وهذا كما ترى صريح في ان ما علق بايتاء ما اوتي الرسل عليهم السلام هو ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما انزل اليه

ايمانا حقيقيا كما هو المتبادر منه خلا انه يستدعي ان يحمل ما اوتي رسل الله على مطلق الوحي ومخاطبة جبرائيل عليه السلام في الجملة وان يصرف
في قوله تع الله اعلم حيث يجعل رسالته وتحمل على رسالة جبرائيل عليه السلام ويراد بجعلها تبليغها الى المرسل اليه الا وضعها في موضعها الذي هو
الرسول لتأتي كونه جوابا عن اقتراحهم وردا له بان يكون معنى الاقتراح لن نؤمن بكون تلك الآية نازلة من عند الله تعالى الى الرسول حتى يأتينا
جبرائيل بالذات عيانا كما يأتي الرسول فيخبرنا بذلك ومعنى الرد الله اعلم بمن يليق بارسال جبرائيل عليه السلام اليه لامر من الامور ايذانا بانهم ليسوا
من استحقاق ذلك التشريف وفيه من التمحل ما لا يخفى وقال مقاتل نزلت في ابي جهل حين قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي
رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا حتى يأتينا وحي كما يأتيه وقال الضحاك سأل كل واحد من القوم ان يخص
بالرسالة والوحي كما اخبر الله تعالى عنهم في قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة ولا يخفى ان كل واحد من هذين القولين وان كان
مناسبا للرد المذكور لكنه يقتضي ان يراد بالايمان المعلق بايتاء ما اوتي الرسل مجرد تصديقهم برسالته صلى الله عليه وسلم في الجملة من غير
شمول لكافة الناس وان يكون كلمة حتى في قول اللعين حتى يأتينا وحي كما يأتيه الى غاية لعدم الرضى لا لعدم الاتباع فانه مقرر على تقدير
اتيان الوحي وعدمه فالمعنى لن نؤمن برسالته اصلا حتى نؤتى نحن من الوحي والنبوة مثل ما اوتيه رسل الله او ايتاء مثل ايتاء رسل الله
واما ما قيل من ان الوليد بن المغيرة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر
مالا وولدا فنزلت فلا تعلق له بكلامهم المردود الا ان يراد بالايمان المعلق بما ذكر مجرد الايمان بكون الآية النازلة وحيا صادقا لا الايمان بكونها
نازلة اليه عليه السلام فيكون المعنى واذا جاءتهم آية نازلة الى الرسول قالوا لن نؤمن بنزولها من عند الله تعالى حتى يكون نزولها الينا لا اليه
لانا نحن المستحقون دونه فان ملخص معنى قوله لو كانت النبوة حقا الى آخره لو كان ما تدعيه من النبوة حقا لكنت انا النبي لا انت واذ لم
يكن الامر كذلك فليست بحق ومآله تعليق الايمان بحقية النبوة بكون نفسه نبيا ومثل ما اوتي نصب على انه نعت لمصدر محذوف وما مصدرية
اي حتى نؤتى ايتاء مثل ايتاء رسل الله واضافة الايتاء اليهم لانهم منكرون لايتائه عليه السلام وحيث نصب على المفعولية
توسعا لا بفعل اعلم لما عرفت من انه لا يعمل في الظاهر بل بفعل دل هو عليه اي هو اعلم يعلم الموضع الذي يضعها فيه والمعنى ان منصب
الرسالة ليس مما ينال بكثرة المال والولد وتعاضد الاسباب والعدد وانما ينال بفضائل نفسانية يخص بها الله تعالى من يشاء من خلص
عباده وقرئ رسالاته سيصيب الذين اجرموا استئناف آخر ناع عليهم ما سيلقونه من فنون الشر بعد ما نعى عليهم حرمانهم مما املوه
والسين للتأكيد ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بان اصابة ما يصيبهم لاجرامهم المستتبع لجميع الشرور والقبائح اي يصيبهم البتة
مكان ما تمنوه وعلقوا به اطماعهم الفارغة من عزة النبوة وشرف الرسالة صغار اي ذلة وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيمة وقيل من عند الله
وعذاب شديد في الآخرة او في الدنيا بما كانوا يمكرون اي بسبب مكرهم المستمر او بمقابلته وحيث كان هذا من معظم مواد اجرامهم صرح بسببيته
فمن يرد الله ان يهديه اي يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام فيتسع له وينفسح وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة
لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار صلى الله عليه وسلم حين سئل فقال نور يقذفه الله تعالى في قلب المؤمن فينشرح له
وينفسح فقالوا هل لذلك من امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والاعراض عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله
ومن يرد ان يضله اي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يكاد يدخله الايمان وقرئ
ضيقا بالتخفيف وحرجا بكسر الراء اي شديد الضيق والاول مصدر وصف به مبالغة كانما يصعد ماهذه مهيأة لدخول كأن
على الجمل الفعلية في السماء شبه للمبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يكاد يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما هو خارج عن دائرة
الاستطاعة وفيه تنبيه على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع منه الصعود وقيل معناه كأنما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب
منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ يتصاعد واصله يتصاعد كذلك اي مثل ذلك الجعل الذي هو جعل الصدر حرجا على الوجه المذكور يجعل
الله الرجس اي العذاب والخذلان قال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وقال الزجاج الرجس اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة على الذين

لا يؤمنون اي عليهم ووضع الموصول موضع المضمر للاشعار بان جعله تعالى معلل بما في حيز الصلة من كمال نبوّهم عن الايمان واصرارهم على الكفر وهذا اي
الذي جاء به القرآن او الاسلام او ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك اي طريقه الذي ارتضاه او عادته وطريقته التي اقتضتها
حكمته وفي التعرض لعنوان الربوبية ايذان بان تقويم ذلك الصراط للتربية وافاضة الكمال مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال
مؤكدة كقوله تعالى وهو الحق مصدقا والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الآيات بيناها مفصلة لقوم يذكرون يتذكرون ما في
تضاعيفها فيعلمون ان كل ما يحدث من الحوادث خيرا كان او شرا انما يحدث بقضاء الله تعالى وخلقه وانه تعالى عالم باحوال العباد حكيم عادل
فيما يفعل بهم وتخصيص القوم المذكورين بالذكر لانهم المنتفعون بتفصيل الآيات لهم دار السلام اي للمتذكرين دار السلامة من كل
المكاره وهي الجنة عند ربهم اي في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره تعالى وهو وليهم اي مولاهم وناصرهم بما كانوا يعملون
بسبب اعمالهم الصالحة او متوليهم بجزائها يتولى ايصاله اليهم ويوم يحشرهم جميعا منصوب بمضمر اما على المفعولية او الظرفية وقرئ بنون
العظمة على الالتفات لتهويل الامر والضمير المنصوب لمن يحشر من الثقلين اي واذكر يوم يحشر الثقلين قائلا يا معشر الجن او ويوم
يحشرهم يقول يا معشر الجن او ويوم يحشرهم ويقول يا معشر الجن يكون من الاحوال والاهوال ما لا يساعده الوصف لفظاعته والمعشر الجماعة
والمراد بمعشر الجن الشياطين قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر
الامير من الجنود وهذا بطريق التوبيخ والتقريع وقال اولياؤهم اي الذين اطاعوهم ومن في قوله تعالى من الانس اما لبيان الجنس
اي اولياؤهم الذين هم من الانس او متعلقة بمحذوف هو حال من اولياؤهم اي كائنين من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس
بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها وقيل بان القوا اليهم من الاراجيف والسحر والكهانة والجن بالانس بان اطاعوهم
وحصلوا مرادهم بقبول ما القوه اليهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز والمخاوف واستمتاعهم بالانس
اعترافهم بانهم قادرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا وهو يوم القيمة قالوه اعترافا بما فعلوا من طاعة الشياطين واتباع
الهوى وتكذيب البعث واظهارا للندامة عليها وتحسرا على حالهم واستسلاما لربهم ولعل الاقتصار على حكاية كلام الضالين للايذان
بان المضلين قد افحموا بالمرة فلم يقدروا على الكلام اصلا قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية كلامهم كأنه قيل فماذا قال الله
تعالى حينئذ فقيل قال النار مثواكم اي منزلكم او ذات ثوائكم كما ان دار السلام مثوى المؤمنين خالدين فيها حال والعامل مثواكم ان جعل
مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله قال ابن عباس رضي الله عنهما استثنى الله تعالى قوما قد سبق في علمه انهم يسلمون
ويصدقون النبي صلى الله عليه وسلم وهذا مبني على ان الاستثناء ليس من المحكي وما بمعنى من وقيل المعنى الا الاوقات التي ينقلون فيها
من النار الى الزمهرير فقد روي انهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى الجحيم وقيل
يفتح لهم وهم في النار باب الى الجنة فيسرعون نحوه حتى اذا صاروا اليه سد عليهم الباب وعلى التقديرين في الاستثناء تهكم بهم وقيل الا
ما شاء الله قبل الدخول كأنه قيل النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم ولا يخفى بعده ان ربك حكيم في افعاله عليم باحوال الثقلين واعمالهم وبما
يليق بها من الجزاء وكذلك اي مثل ما سبق من تمكين الجن من اغواء الانس واضلالهم نولي بعض الظالمين من الانس بعضا آخر منهم اي نجعلهم
بحيث يتولونهم بالاغواء والاضلال او نجعل بعضهم قرناء بعض في العذاب كما كانوا كذلك في الدنيا عند اقترافهم ما يؤدي اليه من القبائح
بما كانوا يكسبون بسبب ما كانوا مستمرين على كسبه من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس شروع في حكاية ما سيكون من توبيخ المعشرين
وتقريعهم بتفريطهم فيما يتعلق بخاصة انفسهم اثر حكاية توبيخ معشر الجن باغواء الانس واضلالهم وبيان مآل امرهم الم يأتكم اي في الدنيا
رسل اي من عند الله عز وجل لكن لا على ان يأتي كل رسول كل واحدة من الامم بل على ان يأتي كل امة رسول خاص بها اي الم يأت كل
فريق منكم رسول معين وقوله تعالى منكم متعلق بمحذوف وقع صفة لرسل اي كائنة من جملتكم لكن لا على انهم من جنس الفريقين معا بل
من الانس خاصة وانما جعلوا منهما اما لتأكيد وجوب اتباعهم والايذان بتقاربهما ذاتا واتحادهما تكليفا وخطابا كأنهما جنس واحد

ولذلك تمكن احدهما من اضلال الآخر واما لان المراد بالرسل ما يعم رسل الرسل وقد ثبت ان الجن قد استمعوا القرآن وانذروا به قومهم حيث نطق به قوله تعالى
واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الى قوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين وقوله تعالى يقصون عليكم آياتي صفة اخرى لرسل محققة لما هو المراد من
ارسال الرسل من التبليغ والانذار وقد حصل ذلك بالنسبة الى الثقلين وينذرونكم لقاء يومكم هذا بما في تضاعيفها من القوارع يوم الحشر الذي
قد عاينوا فيه ما اعد لهم من افانين العقوبات الهائلة قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام السابق كأنه قيل فماذا قالوا عند ذلك التوبيخ
الشديد فقيل قالوا شهدنا على انفسنا اي باتيان الرسل وانذارهم وبمقابلتهم اياهم بالكفر والتكذيب وباستحقاقهم بسبب ذلك للعذاب المخلد
حسبما فصل في حكاية جوابهم عن سؤال خزنة النار حيث قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير وقد
اجمل ههنا في الحكاية كما اجمل في حكاية جوابهم حيث قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا مع ما عطف
عليه اعتراض لبيان ما اداهم في الدنيا الى ارتكابهم للقبائح التي ارتكبوها والجاءهم في الآخرة الى الاعتراف بالكفر واستيجاب العذاب وذم
لهم بذلك اي واغتروا في الدنيا بالحيوة الدنية واللذات الخسيسة الفانية واعرضوا عن النعيم المقيم الذي بشرت به الرسل واجترؤا على ارتكاب
ما يجرهم الى العذاب المؤبد الذي انذروهم اياه وشهدوا في الآخرة على انفسهم انهم كانوا في الدنيا كافرين اي بالآيات والنذر التي اتى بها
الرسل على التفصيل المذكور آنفا واضطروا الى الاستسلام لاشد العذاب كما ينبئ عنه ما حكي عنهم بقوله تعالى وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في
اصحاب السعير وفيه من تحسيرهم وتحذير السامعين عن مثل صنيعهم ما لا مزيد عليه ذلك اشارة الى ما ذكر من شهادتهم على انفسهم بالكفر واستيجاب العذاب
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ان لم يكن ربك مهلك القرى بحذف اللام على ان ان مصدرية
او مخففة من ان وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف وقوله تعالى بظلم متعلق اما بمهلك اي بسبب ظلم او بمحذوف وقع حالا من القرى اي ملتبسة
بظلم فان ملابسة اهلها للظلم ملابسة للقرية له بواسطتهم واما كونه حالا من ربك او من ضميره في مهلك كما قيل فيأباه ان غفلة اهلها مأخوذة في
معنى الظلم حقيقة لا محالة فلا يحسن تقييده بقوله تعالى واهلها غافلون والمعنى ذلك ثابت لانتفاء كون ربك او لان الشأن لم يكن ربك مهلك
القرى بسبب اي ظلم فعلوه من افراد الظلم قبل ان ينهوا عنه وينبهوا على بطلانه برسول وكتاب وان قضى به بديهة العقول وينذروا عاقبة
جناياتهم اي لولا انتفاء كونه تعالى معذبا لهم قبل ارسال الرسل وانزال الكتب لما امكن التوبيخ بما ذكر ولما شهدوا على انفسهم بالكفر واستيجاب
العذاب ولاعتذروا بعدم اتيان الرسل كما في قوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك
من قبل ان نذل ونخزى وانما علل ما ذكر بانتفاء التعذيب الدنيوي الذي هو اهلاك القرى قبل الانذار مع ان التقريب في تعليله بانتفاء مطلق
التعذيب من غير بعث الرسل اتم على ما نطق به قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا لبيان كمال نزاهته سبحانه وتعالى عن كلا التعذيبين الدنيوي
والاخروي معا من غير انذار على ابلغ وجه واكده حيث اقتصر على نفي التعذيب الدنيوي عنه تعالى ليثبت نفي التعذيب الاخروي عنه تعالى
على الوجه الآخر بطريق الاولوية فانه تعالى حيث لم يعذبهم بعذاب يسير منقطع بدون انذار فلأن لا يعذبهم بعذاب شديد مخلد اولى
واجلى ولو علل بما ذكر من نفي التعذيب لانصرف بحسب المقام الى ما فيه الكلام من نفي التعذيب الاخروي ونفي التعذيب الدنيوي غير متعرض له
لا صريحا ولا دلالة ضرورة ان نفي الاعلى لا يدل على نفي الادنى ولان ترتب التعذيب الدنيوي على الانذار عند عدم تأثر المنذرين منه معلوم
مشاهد عند الناس معين فيستدلون بذلك على ان التعذيب الاخروي ايضا كذلك فينزجرون عن الاخلال بموجب الانذار اشد انزجار وهذا
هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما جعل ذلك اشارة الى ارسال الرسل عليهم السلام وانذارهم وخبر المبتدأ محذوف كما اطبق عليه الجمهور
فبمعزل من تقتضي المقام والله سبحانه اعلم ولكل اي من المكلفين من الثقلين درجات متفاوتة وطبقات متباينة مما عملوا من اعمالهم صالحة
كانت او سيئة فان اعمالهم درجات في انفسها او من جزاء اعمالهم فان كل جزاء مرتبة معينة لهم او من اجل اعمالهم وما ربك بغافل عما
يعملون فيخفى عليه عمل من اعمالهم او قدر ما يستحقون بها من ثواب او عقاب وقرئ بالتاء تغليبا للخطاب على الغيبة وربك الغني مبتدأ
وخبر اي هو المعروف بالغنى عن كل ما سواه كائنا من كان وما كان فيدخل فيه غناه عن العباد وعن عبادتهم وفي التعرض لوصف الربوبية في

الموصفين لاسيما في الثاني لكونه في موقع الاضمار مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من اظهار اللطف به عليه السلام وتنزيه ساحته عن توهم شمول
الوعيد الآتي لها ايضا ما لا يخفى وقوله تع ذو الرحمة خبر آخر او هو الخبر والغني صفة اي يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه
تنبيه على ان ما سلف ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتمهيد لقوله تع ان يشأ يذهبكم اي ما به حاجة اليكم ان يشأ يذهبكم
ايها العصاة وفي تلوين الخطاب من تشديد الوعيد ما لا يخفى ويستخلف من بعدكم اي من بعد اذهابكم ما يشاء من الخلق وايثار ما على من لاظهار كمال
الكبرياء واسقاطهم عن رتبة العقلاء كما انشأكم من ذرية قوم آخرين اي من نسل قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام
لكنه ابقاكم ترحما عليكم وما في كما مصدرية ومحل الكاف النصب على انه مصدر تشبيهي على غير الصدر فان يستخلف في معنى ينشئ كأنه قيل
وينشئ انشاء كانشائكم الى آخره او نعت لمصدر الفعل المذكور اي يستخلف استخلافا كائنا كانشائكم الخ والشرطية استيناف مقرر
لمضمون ما قبلها من الغنى والرحمة ان ما توعدون اي الذي توعدونه من البعث وما يتفرع عليه من الامور الهائلة وصيغة الاستقبال للدلالة
على الاستمرار التجددي لآت لواقع لا محالة كقوله تع ان ما توعدون لواقع وايثاره عليه لبيان كمال سرعة وقوعه بتصويره بصورة طالب
حثيث لا يفوته هارب حسبما يعرب عنه قوله تع وما انتم بمعجزين اي بفائتين ذلك وان ركبتم في الهرب متن كل صعب وذلول كما ان ايثار صيغة
الفاعل على المستقبل للايذان بكمال قرب الاتيان والمراد بيان دوام انتفاء الاعجاز لا بيان انتفاء دوام الاعجاز فان الجملة الاسمية كما تدل
على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام كما حقق في موضعه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اثر ما بين لهم حالهم ومآلهم بطريق الخطاب امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين بأن يواجههم بتشديد التهديد وتكرير الوعيد ويظهر لهم ما هو عليه من غاية التصلب في الدين ونهاية الوثوق
بامره وعدم المبالاة بهم اي اعملوا على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على جهتكم وحالتكم التي انتم عليها من
قولهم مكان ومكانة ومقام ومقامة وقرئ مكاناتكم والمعنى اثبتوا على كفركم ومعاداتكم اني عامل ما امرت به من الثبات على الاسلام والاستمرار على
الاعمال الصالحة والمصابرة وايراد التهديد بصيغة الامر مبالغة في الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يؤدي اليه
وتسجيل بأن المهدد لا يأتي منه الا الشر كالذي امر بحيث لا يجد الى التقصي عنه سبيلا فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار سوف لتأكيد
مضمون الجملة والعلم عرفاني ومن اما استفهامية معلقة لفعل العلم محلها الرفع على الابتداء وتكون باسمها وخبرها في محل نصب لسدها مسد
مفعول تعلمون اي فسوف تعلمون اينا تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله تعالى هذه الدار لها واما موصولة فمحلها النصب على انها مفعول لتعلمون
اي فسوف تعلمون الذي له عاقبة الدار وفيه مع الانذار انصاف في المقال وتنبيه على كمال وثوق المنذر بامره وقرئ بالياء لان تأنيث
العاقبة غير حقيقي انه اي ان الشأن لا يفلح الظالمون وضع الظلم موضع الكفر ايذانا بأن امتناع الفلاح يترتب على اي فرد من افراد الظلم
فما ظنك بالشرك الذي هو اعظم افراده وجعلوا شروع في تقبيح احوالهم الفظيعة بحكاية اقوالهم وافعالهم الشنيعة وهم مشركو العرب كانوا يعينون
اشياء من حرث ونتاج لله تعالى واشياء منهما لآلهتهم فاذا رأوا ما جعلوه لله تعالى زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه لآلهتهم واذا
زكا ما جعلوه لآلهتهم تركوه معتلين بأن الله تعالى غني عنه وما ذاك الا لحب آلهتهم وايثارهم لها والجعل اما متعد الى واحد فالجار اعني
قوله تع لله مما ذرأ متعلق به ومن في قوله تعالى من الحرث والانعام بيان لما وفيه تنبيه على فرط جهالتهم حيث اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر
على شيء ثم رجحوه عليه بأن جعلوا الزكي له اي عينوا له تعالى مما خلقه من الحرث والانعام نصيبا يصرفونه الى الضيفان والمساكين والتأخير من المجرورين
لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر واما الى مفعولين اولهما مما ذرأ على ان من تبعيضية اي جعلوا بعض ما خلقه نصيبا له وما
قيل من ان الاول نصيبا والثاني لله فلا يساعده سداد المعنى وحكاية جعلهم له تعالى نصيبا تدل على انهم جعلوا لشركائهم ايضا نصيبا ولم يذكر
اكتفاء بقوله تع فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا وقرئ بضم الزاي وهو لغة فيه وانما قيد به الاول للتنبيه على انه في الحقيقة ليس بجعل
لله تعالى غير مستتبع لشيء من الثواب كالتطوعات التي يبتغى بها وجه الله تعالى لا لما قيل من انه للتنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله تعالى به
فان ذلك مستفاد من الجعل ولذلك لم يقيد به الثاني ويجوز ان يكون ذلك تمهيدا لما بعده على معنى ان قولهم هذا لله مجرد زعم منهم لا يعملون بمقتضاه

الذي هو اختصاصه به تعالى فقوله تع فما كان لله فهو يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم بيان وتفصيل له اي فما عينوه لشركائهم
لا يصرف الى الوجوه التي يصرف اليها ما عينوه لله تعالى من قرى الضيفان والتصدق على المساكين وما عينوه لله تعالى اذا وجدوه زاكيا يصرف الى
الوجوه التي يصرف اليها ما عينوه لآلهتهم من انفاق عليها وذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك ساء ما يحكمون فيما فعلوا من ايثار آلهتهم
على الله تعالى وعملهم بما لم يشرع لهم وما بمعنى الذي والتقدير ساء الذي يحكمون حكمهم فيكون حكمهم مبتدأ وما قبله الخبر وحذف لدلالة يحكمون عليه وكذلك ومثل
ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربان بين الله تعالى وبين آلهتهم او ومثل التزيين البليغ المعهود من الشياطين زين لكثير من المشركين قتل اولادهم
بوأدهم ونحرهم لآلهتهم كان الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب وهو مشهور شركاؤهم اي اولياؤهم من
الجن او من السدنة وهو فاعل زين اخر عن الظرف والمفعول لما مر غير مرة وقرئ على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة
القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وقرئ على البناء للمفعول ورفع قتل وجر اولادهم ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين كأنه لما قيل زين لهم قتل
اولادهم قيل من زينه فقيل زينه شركاؤهم ليردوهم اي يهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل عليه السلام
او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء الله اي عدم فعلهم ذلك ما فعلوه
اي ما فعل المشركون ما زين لهم من القتل او الشركاء التزيين والارداء واللبس او الفريقان جميع ذلك على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة فذرهم وما
يفترون الفاء فصيحة اي اذا كان ما فعلوه بمشيئة الله تعالى فدعهم وافتراءهم او وما يفترونه من الافك فان فيما شاء الله تعالى حكما بالغة انما نملي
لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى وقالوا حكاية لنوع آخر من انواع الكفر هذه اشارة الى ما جعلوه لآلهتهم والتأنيث
للخبر انعام وحرث حجر اي حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والانثى لان اصله المصدر ولذلك وقع صفة لانعام
وحرث وقرئ حجر بالضم وبضمتين وحرج اي ضيق واصله حرج وقيل هو مقلوب من حجر لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان من الرجال دون
النساء والجملة صفة اخرى لانعام وحرث بزعمهم متعلق بمحذوف هو حال من فاعل قالوا اي قالوه ملتبسين بزعمهم الباطل من غير حجة وانعام خبر مبتدأ
محذوف والجملة معطوفة على قوله تع هذه انعام الى آخره اي قالوا مشيرين الى طائفة اخرى من انعامهم وهذه انعام حرمت ظهورها يعنون بها البحائر
والسوائب والحوامي وانعام اي وهذه انعام كما مر وقوله تع لا يذكرون اسم الله عليها صفة لانعام لكنه غير واقع في كلامهم المحكي كنظائره
بل مسوق من جهته تعالى تعيينا للموصوف وتمييزا له عن غيره كما في قوله تعالى وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله على احد التفاسير
كأنه قيل وانعام ذبحت على الاصنام فانها التي لا يذكر عليها اسم الله وانما يذكر عليها اسم الاصنام وقيل لا يحجون عليها فان الحج لا يعرى
عن ذكر الله تع وقال مجاهد كانت لهم طائفة من انعام لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شأنها لا ان ركبوا ولا ان حلبوا ولا ان نتجوا
ولا ان باعوا ولا ان حملوا افتراء عليه نصب على المصدرية اما على ان ما قالوه تقول على الله تعالى واما على تقدير عامل من لفظه اي افتروا افتراء
والجار متعلق بقالوا او بافتروا المقدر او بمحذوف هو صفة له لا بافتراء لان المصدر المؤكد لا يعمل او على الحال من فاعل قالوا اي مفترين او
على العلة اي للافتراء فالجار متعلق به سيجزيهم بما كانوا يفترون اي بسببه وبدله وفي ابهام الجزاء من التهويل ما لا يخفى وقالوا حكاية لفن آخر من
فنون كفرهم ما في بطون هذه الانعام يعنون به اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا حلال لهم خاصة والتاء للنقل الى الاسمية او
للمبالغة او لان ما عبارة عن الاجنة والتذكير في قوله تع ومحرم على ازواجنا اي جنس ازواجنا وهن الاناث باعتبار اللفظ وفيه كما ترى حمل
للنظم الكريم على خلاف المعهود الذي هو الحمل على اللفظ اولا وعلى المعنى ثانيا كما في قوله تع ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم الى آخره
ونظائره واما العكس فقد قالوا انه لا نظير له في القرآن وهذا الحكم منهم ان ولد ذلك حيا وهو الظاهر المعتاد وان يكن ميتة اي ان ولد
ميتة اي الذكور منهم والاناث فيه اي فيما في بطون الانعام وقيل المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب الاول على الثاني شركاء يأكلون منه جميعا
وقرئ خالصة بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في ذكورنا ولا من الذكور لانه
لا يتقدم على العامل المعنوي ولا على صاحبه المجرور وقرئ خالصه بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدأ ثان سيجزيهم وصفهم

اي جزاء وصفهم الكذب على الله تعالى في امر التحليل والتحريم من قوله تع وتصف السنتهم الكذب **انه حكيم عليم** تعليل للوعد بالجزاء فان الحكيم العليم بما صدر
عنهم لا يكاد يترك جزاءهم الذي هو من مقتضيات الحكمة **قد خسر الذين قتلوا اولادهم** جواب قسم محذوف وقرئ بالتشديد وهم ربيعة ومضر
واضرابهم من العرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر اي خسروا دينهم ودنياهم **سفها بغير علم** متعلق بقتلوا على انه علة له اي
لخفة عقلهم وجهلهم بان الله تعالى هو الرزاق لهم ولاولادهم او نصب على الحال ويؤيده انه قرئ سفهاء او مصدر **وحرموا ما رزقهم الله** من البحائر
والسوائب ونحوها **افتراء على الله** نصب على احد الوجوه المذكورة واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لاظهار كمال عتوهم وطغيانهم **قد ضلوا**
عن الطريق المستقيم **وما كانوا مهتدين** اليه وان هدوا بفنون الهدايات او وما كانوا مهتدين من الاصل لسوء سيرتهم فالجملة حينئذ اعتراض وعلى الاول
عطف على ضلوا **وهو الذي انشا جنات معروشات** تمهيد لما سياتي من تفصيل احوال الانعام اي هو الذي انشاهن من غير شركة لاحد في ذلك
بوجه من الوجوه والمعروشات ما غرسه من الكروم المرفوعات على ما يحملها **وغير معروشات** وهي الملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه
الناس وعرشوه وغير المعروشات ما نبت في البوادي والجبال **والنخل والزرع** عطف على جنات اي انشاهما **مختلفا اكله** وقرئ اكله بسكون الكاف
اي ثمره الذي يؤكل في الهيئة والكيفية والضمير اما للنخل والزرع داخل في حكمه او للزرع والباقي مقيس عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك وكل واحد
منها ومختلفا حال مقدرة اذ ليس كذلك وقت الانشاء **والزيتون والرمان** اي انشاهما وقوله تع **متشابها وغير متشابه** نصب على الحالية
اي يتشابه بعض افرادهما في اللون والهيئة والطعم ولا يتشابه بعضها **كلوا من ثمره** اي من ثمر كل واحد من ذلك **اذا اثمر** وان لم يدرك ولم يينع بعد
وقيل فائدته رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله تعالى **واتوا حقه يوم حصاده** اريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد بطريق الوجوب من غير
تعيين المقدار لا الزكوة المقدرة فانها فرضت بالمدينة والسورة مكية وقيل الزكوة والآية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به
حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتصفية وقرئ يوم حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه **ولا تسرفوا** اي
في التصدق كما روي عن ثابت بن قيس انه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمرها ولم يدخل منه شيئا الى منزله كقوله تع ولا تبسطها كل البسط الآية
انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي اسرافهم **ومن الانعام حمولة وفرشا** شروع في تفصيل حال الانعام وابطال ما تقولوا على الله تعالى في شانها بالتحريم
والتحليل وهو عطف على مفعول انشا ومن متعلقة به اي وانشا من الانعام ما يحمل عليه الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المصنوع من
شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض كانها فرش مفروش عليها **كلوا مما رزقكم الله** ما عبارة عما
ذكر من الحمولة والفرش ومن تبعيضية اي كلوا بعض ما رزقكم الله تعالى اي حلاله وفيه تصريح بان انشاءها لاجلهم ومصلحتهم **ولا تتبعوا** في امر التحليل
والتحريم بتقليد اسلافكم المجازفين في ذلك من تلقاء انفسهم المفترين على الله سبحانه **خطوات الشيطان** فان ذلك منهم لاغواء الشيطان واتباعهم
اياهم **انه لكم عدو مبين** ظاهر العداوة **ثمانية ازواج** الزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه ويحصل منهما النسل والمراد بها الانواع الاربعة وايرادها
بهذا العنوان وهذا العدد تمهيد لما سيق له الكلام من الانكار المتعلق بتحريم كل واحد من الذكر والانثى وبما في بطنها وهو بدل من حمولة وفرشا
منصوب بناصبهما وجعله مفعولا لكلوا على ان قوله تع ولا تتبعوا الآية معترض بينهما او حالا من ما بمعنى مختلفة او متعددة يخل بجزالة النظم الكريم لظهور انه
مسوق لتوضيح حال الانعام بتفصيلها اولا الى حمولة وفرش ثم تفصيلها الى ثمانية ازواج حاصلة من تفصيل الاول الى الابل والبقر وتفصيل الثاني
الى الضان والمعز ثم تفصيل كل من الاقسام الاربعة الى الذكر والانثى كل ذلك لتحرير المواد التي تقولوا فيها عليه سبحانه وتعالى بالتحليل
والتحريم ثم تبكيتهم باظهار كذبهم وافترائهم في كل مادة مادة من تلك المواد بتوجيه الانكار اليها مفصلة واثنين في قوله سبحانه وتع
من الضان اثنين بدل من ثمانية ازواج منصوب بناصبه وهو العامل في من الضان اي انشا من الضان زوجين الكبش والنعجة وقرئ اثنان
على الابتداء والضان اسم جنس كالابل وجمعه ضئين كامير او جمع ضائن كتاجر وقرئ بفتح الهمزة **ومن المعز اثنين** عطف على مثله
شريك له في حكمه اي وانشا من المعز زوجين التيس والعنز وقرئ بفتح العين وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ ومن
المعزى وهذه الازواج الاربعة تفصيل للفرش ولعل تقديمها في التفصيل مع تاخرها في الاجمال لكون هذين النوعين عرضة
للاكل الذي هو معظم ما يتعلق به الحل والحرمة وهو السر في الاقتصار على الامر به في قوله تع كلوا مما رزقكم الله من غير تعرض للانتفاع بالحمل

والركوب وغير ذلك مما حرموه في الآية واخواتها **قل** تلوين للخطاب وتوجيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تفصيل انواع الانعام التي انشاها
اي قل تبكيتا لهم واظهارا لانقطاعهم عن الجواب **آلذكرين** من ذينك النوعين وهما الكبش والتيس **حرم** اي الله عز وجل كما تزعمون انه هو المحرم **ام الانثيين**
وهما النعجة والعنز ونصب الذكرين والانثيين بحرم وهو موخر عنهما بحسب المعنى وان توسط بينهما صورة وكذا قوله تع **اما اشتملت عليه ارحام**
الانثيين اي ام ما حملت اناث النوعين حرم ذكرا كان او انثى وقوله تع **نبئوني بعلم** الى آخره تكرير للالزام وتثنية للتبكيت والافحام اي
اخبروني بامر معلوم من جهة الله تعالى من الكتاب واخبار الانبياء يدل على انه تعالى حرم شيئا مما ذكر او نبئوني تنبئة ملتبسة بعلم صادرة عنه
ان كنتم صادقين اي في دعوى التحريم عليه سبحانه وقوله تع **ومن الابل اثنين** عطف على قوله تع من الضان اثنين او وانشا من الابل اثنين
هما الجمل والناقة **ومن البقر اثنين** ذكرا وانثى **قل** افحاما لهم في امر هذين النوعين ايضا **آلذكرين** منهما **حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام**
الانثيين من ذينك النوعين والمعنى انكار ان الله سبحانه حرم عليهم شيئا من الانواع الاربعة واظهار كذبهم في ذلك وتفصيل ما ذكر من الذكور والاناث
وما في بطونها للمبالغة في الرد عليهم بايراد الانكار على كل مادة من مواد افترائهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة
واولادها كيفما كانت تارة اخرى مسندين ذلك كله الى الله سبحانه وانما عقب تفصيل كل واحد من نوعي الصغار ونوعي الكبار بما ذكر من الامر بالاستفهام
والانكار مع حصول التبكيت بايراد الامر عقيب تفصيل الانواع الاربعة بان يقال قل آلذكور حرم ام الاناث اما اشتملت عليه ارحام الاناث لما
في التثنية والتكرير من المبالغة في التبكيت والالزام وقوله تع **ام كنتم شهداء** تكرير للافحام كقوله تع نبئوني بعلم وام منقطعة ومعنى الهمزة
الانكار والتوبيخ ومعنى بل الاضراب عن التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه آخر اي بل اكنتم حاضرين مشاهدين **اذ وصاكم الله بهذا** اي حين
وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم حسبما يعود اليه مذهبكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع وفيه
تركيك عقولهم والتهكم بهم ما لا يخفى **فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا** فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك وعمرو بن لحي بن
قمعة وهو المؤسس لهذا الشر او الكل لاشتراكهم في الافتراء عليه سبحانه وتعالى اي فاي فريق اظلم من فريق افتروا الخ ولا يقدح في اظلمية الكل
كون بعضهم مخترعا وبعضهم مقتدين بهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما سبق من تبكيتهم واظهار كذبهم وافترائهم اي هو اظلم من كل ظالم وان كان
المنفي صريحا الاظلمية دون المساواة كما مر غير مرة **ليضل الناس** متعلق بالافتراء **بغير علم** متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل افترى اي افترى
عليه تعالى جاهلا بصدور التحريم عنه تعالى وانما وصفوا بعدم العلم بذلك مع انهم عالمون بعدم صدوره عنه تعالى ايذانا بخروجهم في الظلم
عن الحدود والنهايات فان من افترى عليه تعالى بغير علم بصدوره عنه تعالى اذا كان اظلم من كل ظالم فما ظنك بمن افترى عليه تعالى وهو يعلم انه لم يصدر عنه
ويجوز ان يكون حالا من فاعل يضل اي ملتبسا بغير علم بما يؤدي بهم اليه **ان الله لا يهدي القوم الظالمين** كائنا من كان الى ما فيه صلاح حالهم
عاجلا او آجلا واذا كان هذا حال المتصفين بالظلم في الجملة فما ظنك بمن هو في اقصى غاياته **قل** امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الزام
المشركين وتبكيتهم وبيان ان ما يتقولونه في امر التحريم افتراء بحت لا اصل له قطعا بان يبين لهم ما حرم عليهم وفي قوله تع **لا اجد فيما اوحي**
الي محرما ايذان بان مناط الحل والحرمة هو الوحي وانه عليه السلام قد تتبع جميع ما اوحي اليه وتفحص عن المحرمات فلم يجد غير ما فصل وفيه من
مبالغة في بيان انحصارها في ذلك ومحرما صفة لمحذوف اي لا اجد ريثما تصفحت ما اوحي الي طعاما محرما من المطاعم التي حرموها **على طاعم** اي
اي طاعم كان من ذكر او انثى ردا على قولهم محرم على ازواجنا وقوله تع **يطعمه** لزيادة التقرير **الا ان يكون** اي ذلك الطعام **ميتة** وقرئ
تكون بالتاء لتانيث الخبر وقرئ ميتة بالرفع على ان كان تامة وقوله تع **او دما مسفوحا** عطف على ان مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او
دما مسفوحا اي مصبوبا كالدماء التي في العروق لا كالطحال والكبد **او لحم خنزير فانه** اي الخنزير **رجس** اي لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة
او خبيث **او فسقا** عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض مقرر لحرمته **اهل لغير الله به** صفة له موضحة اي ذبح على اسم الاصنام وانما سمي ذلك فسقا
لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له لاهل وهو عطف على يكون والمستكن راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون **فمن اضطر** اي اصابه
الضرورة الداعية الى اكل الميتة بوجه من الوجوه المضطرة **غير باغ** في ذلك على مضطر آخر مثله **ولا عاد** قدر الضرورة **فان ربك غفور رحيم** مبالغ
في المغفرة والرحمة لا يؤاخذه بذلك وليس التقييد بالحال الاولى لبيان انه لو لم يوجد القيد لتحققت الحرمة المبحوث عنها بل للتحذير من حرام
آخر هو اخذه حق مضطر آخر فان من اخذ لحم الميتة من يد مضطر آخر فاكله فان حرمته ليست باعتبار كونه لحم الميتة بل باعتبار كونه حقا

للمضطر الآخر وأما الحال الثانية فلتحقيق زوال الحرمة المبحوث عنها قطعاً فإن التجاوز عن القدر الذي يسد به الرمق حرام من حيث إنه لحم الميتة
وفي التعرض لوصف المغفرة والرحمة إيذان بأن المعصية باقية لكنه تعالى يغفر له ويرحمه والآية محكمة لأنها تدل على أنه عليه السلام لم يجد فيما
أوحي إليه إلى تلك الغاية غيره ولا ينافيه ورود التحريم بعد ذلك في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على
حل الأشياء التي هي غيرها إلا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا خاصة لا على من عداهم من الأولين والآخرين حرمنا كل ذي ظفر أي كل ما له أصبع
من الإبل والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفراً مجازاً والمسبب عن الظلم هو التحريم تعميم حيث كان بعض ذوات
الظفر حلالاً لهم فلما ظلموا عم التحريم كلها وهذا تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل بإبطال ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيبهم في ذلك
فإنهم كانوا يقولون لسنا أول من حرمت عليه وإنما كانت محرمة على نوح وإبراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الأمر إلينا ومن البقر والغنم
حرمنا عليهم شحومهما لا لحومهما فإنهما باقية على الحل والشحوم الثروب وشحوم الكلى والإضافة لزيادة الربط إلا ما حملت ظهورهما
استثناء من الشحوم مخرج لما علق من الشحم بظهورهما عن حكم التحريم أو الحوايا عطف على ظهورهما أي ما حملته الحوايا وهي جمع حاوية أو حاوياء
كقاصعاء وقواصع أو حوية كسفينة وسفائن أو ما اختلط بعظم عطف على ما حملت وهو شحم الألية واختلاطه بالعظم اتصاله بعجب الذنب
وقيل هو كل شحم متصل بالعظم من الأضلاع وغيرها ذلك إشارة إلى الجزاء أو التحريم فهو على الأول نصب على أنه مصدر مؤكد لما بعده وعلى الثاني
على أنه مفعول ثان له أي ذلك التحريم جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وهو قتلهم الأنبياء بغير حق وأكلهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال
الناس بالباطل كقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وكانوا كلما أتوا بمعصية عوقبوا بتحريم شيء مما أحل لهم وهم ينكرون
ذلك ويدعون أنها لم تزل محرمة على الأمم فرد عليهم ذلك وأكد بقوله تعالى وإنا لصادقون أي في جميع أخبارنا التي من جملتها هذا الخبر ولقد ألقمهم
الحجر قوله تعالى كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين
روي أنه عليه السلام لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا أن يخرجوا التوراة كيف وقد بين فيها جميع ما يحذرون أوضح بيان فإن كذبوك
قيل الضمير لليهود لأنهم أقرب ذكراً ولذكر المشركين بعد ذلك بعنوان الإشراك وقيل للمشركين فالمعنى على الأول إن كذبك اليهود في الحكم المذكور
وأصروا على ما كانوا عليه من ادعاء قدم التحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لا يؤاخذكم بكل ما تأتونه من المعاصي ويمهلكم على بعضها ولا يرد بأسه بالكلية
عن القوم المجرمين فلا تنكروا ما وقع منه تعالى من تحريم بعض الطيبات عليكم عقوبة وتشديداً وعلى الثاني فإن كذبك المشركون فيما فصل من
أحكام التحليل والتحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لا يعاجلكم بالعقوبة على تكذيبكم فلا تغتروا بذلك فإنه إمهال لا إهمال وقيل ذو رحمة
للمطيعين وذو بأس شديد على المجرمين فأقيم مقامه قوله تعالى ولا يرد بأسه الخ لتضمنه التنبيه على إنزال البأس عليهم مع الدلالة على أنه
لاحق بهم البتة من غير صارف يصرفه عنهم أصلاً سيقول الذين أشركوا حكاية لفن آخر من كفرهم وإخبار قبل وقوعه ثم وقوعه حسبما
أخبر به كما يحكيه قوله تعالى عند وقوعه وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء صريح في أنه من عند الله تعالى لو شاء الله ما
أشركنا أي لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء كما فعلنا الإشراك نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء أرادوا به أن ما فعلوه حق مرضي
عند الله تعالى لا الاعتذار من ارتكاب هذه القبائح بإرادة الله تعالى إياها منهم حتى ينتهض ذمهم به دليلاً للمعتزلة ويؤيده قوله تعالى كذلك
كذب الذين من قبلهم أي مثل ما كذبك هؤلاء في أنه تعالى منع عن الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب متقدموهم الرسل فإنه صريح فيما قلنا وعطف
آباؤنا على الضمير للفصل بلا حتى ذاقوا بأسنا الذي أنزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من أمر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم
فتخرجوه لنا أي فتظهروه لنا إن تتبعون إلا الظن أي ما تتبعون في ذلك إلا الظن الباطل الذي لا يغني من الحق شيئاً وإن أنتم إلا تخرصون
تكذبون على الله عز وجل وليس فيه دلالة على المنع من اتباع الظن على الإطلاق بل فيما يعارضه قطعي قل فلله الحجة البالغة الفاء جواب شرط
محذوف أي وإذ قد ظهر أن لا حجة لكم فلله الحجة البالغة أي البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والثبات أو بلغ بها صاحبها صحة
دعواه والمراد بها الكتاب والرسول والبيان وهي من الحج بمعنى القصد كأنها تقصد إثبات الحكم وتطلبه فلو شاء هدايتكم جميعاً
لهداكم أجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن لم يشأ هداية الكل بل هداية البعض الصارفين هممهم إلى سلوك طريق الحق وضلال
آخرين صرفوا اختيارهم إلى خلاف ذلك من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم قل هلم شهداءكم أي أحضروهم وهو اسم فعل لا ينصرف على لغة

أهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع على لغة بني تميم على رأي الجمهور وقد خالفهم البعض في فعليته وليس بشيء وأصله عند البصريين ها لم من لم إذا قصد
حذفت الألف لتقدير السكون في اللام فإنه الأصل وعند الكوفيين هل أم فحذفت الهمزة بإلقاء حركتها على اللام وهو بعيد لأن هل لا تدخل الأمر
ويكون متعدياً كما في الآية ولازماً كما في قوله تعالى هلم إلينا الذين يشهدون أن الله حرم هذا وهم قدوتهم الذين ينصرون قولهم وإنما أمروا
باستحضارهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وأنه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالإضافة ووصفوا بما يدل على أنهم
شهداء معروفون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم فإن شهدوا بعد ما حضروا أن الله حرم هذا فلا تشهد معهم أي فلا تصدقهم فإنه كذب بحت
وافتراء صرف وبين لهم فساده فإن تسليمه منهم موافقة لهم في الشهادة الباطلة ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع المظهر مقام
المضمر للدلالة على أن من كذب بآيات الله تعالى وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير وأن من اتبع الحجة لا يكون إلا مصدقاً بها والذين لا يؤمنون
بالآخرة كعبدة الأوثان عطف على الموصول الأول بطريق عطف الصفة على الصفة مع اتحاد الموصوف كقوله إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة
في المزدحم فإن من يكذب بآياته تعالى لا يؤمن بالآخرة وبالعكس وهم بربهم يعدلون أي يجعلون له عديلاً عطف على لا يؤمنون والمعنى لا تتبع أهواء
الذين يجمعون بين تكذيب آيات الله وبين الكفر بالآخرة وبين الإشراك به لكن لا على أن يكون مدار النهي الجمع المذكور بل على أن أولئك جامعون
لها متصفون بكلها قل تعالوا لما ظهر بطلان ما ادعوا من أن إشراك آبائهم وتحريم ما حرموه بأمر الله تعالى ومشيئته بظهور عجزهم عن إخراج شيء
يتمسك به في ذلك وإحضار شهداء يشهدون بما ادعوا في أمر التحريم بعد ما كلفوه مرة بعد أخرى عجزاً بيناً أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن
يبين لهم من المحرمات ما يقتضي الحال بيانه على الأسلوب الحكيم إيذاناً بأن حقهم الاجتناب عن هذه المحرمات وأما الأطعمة المحرمة فقد بينت بقوله تعالى
قل لا أجد الآية وتعال أمر من التعالي والأصل فيه أن يقوله من في مكان عال لمن هو في أسفل منه ثم اتسع فيه بالتعميم كما أن الغنيمة في الأصل إصابة
الغنم من العدو ثم استعملت في إصابة كل ما يصاب منهم اتساعاً ثم في الفوز بكل مطلب من غير مشقة أتل جواب الأمر وقوله تعالى ما حرم ربكم منصوب
به على أن ما موصولة والعائد محذوف أي أقرأ الذي حرمه ربكم أي الآيات المشتملة عليه أو مصدرية أي الآيات المشتملة على تحريمه أو بحرم على أنها
استفهامية والجملة مفعول لأتل لأن التلاوة من باب القول كأنه قيل أقل أي شيء حرم ربكم عليكم متعلق بحرم على كل حال وقيل بأتل والأول
أنسب بمقام الاعتناء بإيجاب الانتهاء عن المحرمات المذكورة وهو السر في التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم فإن تذكر كونه تعالى
رباً لهم ومالكاً لأمرهم على الإطلاق من أقوى الدواعي إلى انتهائهم عما نهاهم عنه أشد انتهاء وأن في قوله تعالى أن لا تشركوا به مفسرة لفعل التلاوة
المعلق بما حرم ولا ناهية كما ينبئ عنه عطف ما بعده من الأوامر والنواهي عليه وليس من ضرورة كون المعطوف عليه تفسيراً للتلاوة المحرمات بحسب
منطوقه كون المعطوفات أيضاً كذلك حتى يمتنع انتظام الأوامر في سلك العطف عليه بل يكفي في ذلك كونها تفسيراً لها باعتبار لوازمها التي هي
النواهي المتعلقة بأضدادها تعلقت هي به فإن الأمر بالشيء مستلزم للنهي عن ضده بل هو عينه عند البعض كأن الأوامر ذكرت
وقصد لوازمها فإن عطف الأوامر على النواهي الواقعة بعد أن المفسرة لتلاوة المحرمات مع القطع بأن المأمور به لا يكون محرماً دليل واضح على أن
التحريم راجع إلى الأضداد على الوجه المذكور فكأنه قيل أتل ما حرم ربكم أن لا تشركوا ولا تسيئوا إلى الوالدين خلا أنه قد أخرج مخرج الأمر بالإحسان
إليهما بين التنبيه المكتفين به للمبالغة في إيجاب مراعاة حقوقهما فإن مجرد ترك الإساءة إليهما غير كاف في قضاء حقوقهما ولذلك عقب به
النهي عن الإشراك الذي هو أعظم المحرمات وأكبر الكبائر ههنا وفي سائر المواقع وقيل أن ناصبة ومحلها النصب بعليكم على أنه للإغراء وقيل النصب على
البدلية من ما حرم وقيل من عائده المحذوف على أن لا زائدة وقيل الجر بتقدير اللام وقيل الرفع بتقدير المتلو أن لا تشركوا أو المحرم أن
تشركوا بزيادة لا والذي عليه التعويل هو الأول لأمور من جملتها أن في إخراج المفسر على صورة النهي مبالغة في بيان التحريم وقوله تعالى شيئاً
نصب على المصدرية أو المفعولية أي لا تشركوا به شيئاً من الإشراك أو شيئاً من الأشياء وبالوالدين أي وأحسنوا بهما إحساناً وقد مر تحقيقه ولا
تقتلوا أولادكم تكليف متعلق بحقوق الأولاد عقب به التكليف المتعلق بحقوق الوالدين أي لا تقتلوهم بالوأد من إملاق أي من أجل فقر كما في
قوله تعالى خشية إملاق وقيل هذا في الفقر الناجز وذاك في المتوقع وقوله تعالى نحن نرزقكم وإياهم استئناف مسوق لتعليل النهي وإبطال سببية
المحذور سبباً للمباشرة المنهي عنه وضمان منه تعالى لأرزاقهم أي نحن نرزقكم وإياهم فلا تخافوا الفقر بناء على عجزكم عن تحصيل الرزق
وقوله تعالى ولا تقربوا الفواحش كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة الآية إلا أنه جيء ههنا بصيغة الجمع قصداً إلى النهي عن أنواعها

ولذلك أبدل عنها قوله تع ما ظهر منها وما بطن اي ما يفعل فيها علانية في الحوانيت كما هو دأب اراذلهم وما يفعل سرا باتخاذ الأخدان كما هو
عادة اشرافهم وتعليق النهي بقربانها اما للمبالغة في الزجر عنها لقوة الدواعي اليها واما لان قربانها داعي الي مباشرتها وتوسيط النهي
عن قتل الأولاد مطلقا كما وقع في سورة بني اسرائيل باعتبار انها مع كونها في نفسها جناية عظيمة في حكم قتل الأولاد فان اولاد الزنا
في حكم الأموات وقد قال عليه السلام في حق العزل ذاك وأد خفي ومن ههنا تبين ان حمل الفواحش علي الكبائر مطلقا وتفسير ما ظهر منها
وما بطن بما فسر به ظاهر الاثم وباطنه فيما سلف من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله اي حرم قتلها بأن عصمها بالاسلام
او بالعهد فيخرج منها الحربي وقوله تع الا بالحق استثناء مفرغ من اعم الأحوال اي لا تقتلوها في حال من الأحوال الا حال ملابستكم بالحق
الذي هو امر الشرع بقتلها وذلك بالكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحصان وقتل النفس المعصومة او من اعم الاسباب اي لا تقتلوها بسبب من الاسباب
الا بسبب الحق وهو ما ذكر او من اعم المصادر اي لا تقتلوها قتلا ما الا قتلا كائنا بالحق وهو القتل بأحد الأمور المذكورة ذلكم اشارة الي
ما ذكر من التكاليف الخمسة وما في ذلك من معني البعد للايذان بعلو طبقاتها من بين التكاليف الشرعية وهو مبتدأ وقوله تع وصاكم به اي امركم
به ربكم امرا مؤكدا خبره والجملة استئناف جيء به تجديدا للعهد وتأكيدا لايجاب المحافظة علي ما كلفوه ولما كانت الأمور المنهي عنها مما
يقضي بديهة العقول بقبحها فصلت الآية الكريمة بقوله تع لعلكم تعقلون اي تستعملون عقولكم التي تعقل نفوسكم وتحبسها عن مباشرة
القبائح المذكورة ولا تقربوا مال اليتيم توجيه النهي الي قربانه لما مر من المبالغة في النهي عن اكله ولاخراج القربان النافع عن حكم النهي
بطريق الاستثناء اي لا تتعرضوا له بوجه من الوجوه الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن ما يكون من الحفظ والتثمير ونحو ذلك
والخطاب للأولياء والأوصياء لقوله تع حتي يبلغ اشده فانه غاية لما يفهم من الاستثناء لا للنهي كأنه قيل احفظوه حتي يصير بالغا
رشيدا فحينئذ سلموه اليه كما في قوله تع فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم والأشد جمع شدة كنعمة وانعم او شد ككلب واكلب
او شد كصر واصر وقيل هو مفرد كآنك واوفوا الكيل والميزان بالقسط اي بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا
ولا يعسر عليها وهو اعتراض جيء به عقيب الأمر بالعدل للايذان بأن مراعاة العدل كما هو عسير كأنه قيل عليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو
عنكم واذا قلتم قولا في حكومة او شهادة او نحوهما فاعدلوا فيه ولو كان اي المقول له او عليه ذا قربي اي ذا قرابة منكم ولا تميلوا نحوهم
اصلا وقد مر تحقيق معني لو في مثل هذا الموضع مرارا وبعهد الله اوفوا اي ما عهد اليكم من الأمور المعدودة او اي عهد كان فيدخل فيه ما ذكر
دخولا اوليا او ما عاهدتم الله عليه من الايمان والنذور وتقديمه للاعتناء بشأنه ذلكم اشارة الي ما فصل من التكاليف ومعني البعد
ذكر فيما قبل وصاكم به امركم به امرا مؤكدا لعلكم تذكرون تتذكرون ما في تضاعيفه وتعملون بمقتضاه وقرئ بتشديد الذال وهذه
عشرة لا تختلف باختلاف الأمم والأعصار عن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما هذه آيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وهن
محرمات علي بني آدم كلهم وهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الأحبار والذي نفس كعب بيده ان هذه
الآيات لأول شيء في التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا اتل الآيات وان هذا صراطي اشارة الي ما ذكر في الآيتين من الأمر والنهي
قاله مقاتل وقيل الي ما ذكر في السورة فانها باسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرئ صراطي بفتح الياء ومعني
اضافته الي ضميره عليه السلام انتسابه اليه عليه السلام من حيث السلوك لا من حيث الوضع كما في صراط الله والمراد بيان ان ما فصل من
الأوامر والنواهي غير مختصة بالمتلو عليهم بل متعلقة به عليه السلام ايضا وانه عليه السلام مستمر علي العمل بها ومراعاتها وقوله مستقيما
حال مؤكدة ومحل ان مع ما في حيزها الجر بحذف لام العلة اي ولان هذا صراطي اي مسلكي مستقيما فاتبعوه كقوله تع وان المساجد
لله فلا تدعوا مع الله احدا وتعليل اتباعه بكونه صراطه عليه السلام لا بكونه صراط الله تعالي مع انه في نفسه كذلك من حيث ان سلوكه
عليه السلام فيه داع للخلق الي الاتباع اذ بذلك يتضح عندهم كونه صراط الله عز وجل وقرئ بكسر الهمزة علي الاستئناف وقرئ ان
مخففة من ان علي ان اسمها الذي هو ضمير الشأن وقرئ سراطي وقرئ وهذا صراطي وقرئ وهذا صراط ربكم وهذا صراط
ربك ولا تتبعوا السبل الأديان المختلفة او طرق البدع والضلالات فتفرق بكم بحذف احدي التاءين والباء للتعدية اي فتفرقكم حسب
تفرقها ايادي سبا فهو كما تري ابلغ من تفرقكم كما قيل من ان ذهب به لما فيه من الدلالة علي الاستصحاب ابلغ من اذهبه عن سبيله

اي سبيل الله الذي لا عوج فيه ولا حرج وهو دين الاسلام الذي ذكر بعض احكامه وقيل هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان وفيه تنبيه علي
ان صراطه عليه السلام عين سبيل الله تع ذلكم اشارة الي ما مر من اتباع سبيله تع وترك اتباع سائر السبل وصاكم به لعلكم تتقون
اتباع سبل الكفر والضلال ثم آتينا موسي الكتاب كلام مسوق من جهته تع تقريرا للوصية وتحقيقا لها وتمهيدا لما يعقبه من ذكر انزال
القرآن المجيد كما ينبئ عنه تغيير الأسلوب بالالتفات الي التكلم معطوف علي مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كأنه قيل بعد قوله
تع ذلكم وصاكم به بطريق الاستئناف تصديقا له وتقريرا لمضمونه فعلنا ذلك ثم آتينا الي آخره كما ان قوله تع ونطبع الي آخره
وانما عطفه علي ذلكم وصاكم به ونظم معه في سلك الكلام الملقن كما اجمع عليه الجمهور فمما لا يليق بجزالة النظم الكريم فتدبر وثم
للتراخي في الاخبار كما في قولك بلغني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت امس اعجب او للتفاوت في الرتبة كأنه قيل ذلكم وصاكم به قديما
وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسي التوراة فان ايتاءها مشتمل علي الوصية المذكورة وغيرها اعظم من التوصية بها فقط تماما
للكرامة والنعمة اي اتماما لهما علي انه مصدر من اتم بحذف الزوائد علي الذي احسن اي علي من احسن القيام به كائنا من كان ويؤيده انه
قرئ علي الذين احسنوا او تماما علي المحسنين او علي الذي احسن تبليغه وهو موسي عليه السلام او تماما علي ما احسنه موسي عليه السلام
اي اجاده من العلم والشرائع اي زيادة علي علمه علي وجه التتميم وقرئ بالرفع علي انه خبر مبتدأ محذوف اي علي الذي هو احسن
دين وارضاه او آتينا موسي الكتاب تماما اي تاما كاملا علي احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما
يحتاج اليه في الدين وهو عطف علي تماما ونصبهما اما علي العلية او علي المصدرية كما اشير اليه او علي الحالية وكذا قوله تع وهدي
ورحمة وضمير لعلهم لبني اسرائيل المدلول عليه بذكر موسي عليه السلام وايتاء الكتاب والباء في قوله تع بلقاء ربهم متعلقة بقوله تع
يؤمنون قدمت عليه محافظة علي الفواصل قال ابن عباس رضي الله تعالي عنهما كي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعذاب وهذا
الذي تليت عليكم اوامره ونواهيه اي القرآن كتاب عظيم الشأن لا يقادر قدره وقوله تع انزلناه مبارك اي كثير المنافع
دينا ودنيا صفتان لكتاب وتقديم وصف الانزال مع كونه غير صريح لان الكلام مع منكريه او خبران آخران لاسم الاشارة اي
انزلناه مشتملا علي فنون الفوائد الدينية والدنياوية التي فصلت عليكم طائفة منها والفاء في قوله تع فاتبعوه لترتيب ما قبلها
علي ما بعدها فان عظم شأن الكتاب في نفسه وكونه منزلا من جنابه عز وجل مستتبعا للمنافع الدينية والدنيوية موجب لاتباعه اي
ايجاب واتقوا مخالفته لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه والعمل بموجبه ان تقولوا علة لانزلناه المدلول عليه بالمذكور لا لنفسه للزوم الفصل
بين العامل والمعمول باجنبي هو مبارك وصفا كان او خبرا اي انزلناه كذلك كراهة ان تقولوا يوم القيمة لو لم تنزله انما انزل
الكتاب الناطق بتلك الأحكام العامة لكل الأمم علي طائفتين كائنتين من قبلنا وهم اليهود والنصاري وتخصيص الانزال
بكتابيهما لانهما اللذان اشتهرا فيما بين الكتب السماوية بالاشتمال علي الأحكام لا سيما الأحكام المذكورة وان كنا ان هي
المخففة من ان واللام فارقة بينها وبين النافية وضمير الشأن محذوف ومرادهم بذلك دفع ما يرد عليهم من ان نزوله عليهما
لا ينافي احكامه فلم لم تعملوا باحكامها العامة اي وانه كنا عن دراستهم لغافلين لا ندري ما في كتابهم اذ لم يكن علي لغتنا حتي نتلقي
منه تلك الأحكام العامة ونحافظ عليها وان لم يكن منزلا علينا وبهذا تبين ان معذرتهم هذه مع انهم غير مأمورين بما في الكتاب
لاشتمالها علي الأحكام المذكورة المتناولة لكافة الأمم كما ان قطع تلك المعذرة بانزال القرآن لاشتماله ايضا عليها لا علي
سائر الشرائع والأحكام فقط او تقولوا عطف علي تقولوا وقرئ كلاهما بالياء علي الالتفات عن خطاب فاتبعوه واتقوا لو
انا انزل علينا الكتاب كما انزل عليهم لكنا اهدي منهم الي الحق الذي هو المقصد الأقصي او الي ما في تضاعيفه من جلائل الأحكام
والشرائع ودقائقها لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والأخبار والخطب والأشعار
ونحو ذلك طرفا صالحا ونحن اميون وقوله تع فقد جاءكم متعلق بمحذوف ينبئ عنه الفاء الفصيحة اما معلل به اي لا تعتذروا بذلك
فقد جاءكم الخ واما شرط له اي ان صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم من كونكم اهدي من الطائفتين علي تقدير نزول الكتاب
عليكم فقد حصل ما فرضتم وجاءكم بينة واي بينة اي حجة واضحة لا يكتنه كنهها وقوله تع من ربكم متعلق بجاءكم او بمحذوف

موصوفة لبينة أي بينة كائنة منه تعالى وأياً ما كان ففيه دلالة على فضلها الإضافي كما أن في تنوينها التفخيمي دلالة على فضلها الذاتي وفي التعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم مزيد تأكيد لإيجاب الاتباع **وهدى ورحمة** عطف على بينة وتنوينهما أيضاً تفخيمي عبر عن القرآن بالبينة إيذاناً بكمال تمكنهم من دراسته ثم بالهدى والرحمة تنبيهاً على أنه مشتمل على ما اشتمل عليه التوراة من هداية الناس ورحمتهم بل هو عين الهداية والرحمة **فمن أظلم** الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن مجيء القرآن المشتمل على الهدى والرحمة موجب لغاية أظلمية من يكذبه أي وإذا كان الأمر كذلك فمن أظلم **ممن كذب بآيات الله** وضع الموصول موضع ضميرهم بطريق الالتفات تنصيصاً على اتصافهم بما في حيز الصلة وإشعاراً بعلية الحكم وإسقاطاً لهم عن رتبة الخطاب وعبر عما جاءهم بآيات الله تعالى تهويلاً للأمر وتنبيهاً على أن تكذيب أي آية كانت من آياته تعالى كاف في الأظلمية فما ظنك بمن فعل ذلك ومساواة له وإن لم يكن سبك التركيب متعرضاً لإنكار المساواة ونفيها فإذا قيل من أكرم من فلان أو لا أفضل منه فالمراد به حتماً بحكم العرف الفاشي والاستعمال المطرد أنه أكرم من كل كريم وأفضل من كل فاضل وقد مر مراراً **وصدف عنها** أي صرف الناس عنها فجمع بين الضلال والإضلال **سنجزي الذين يصدفون** الناس **عن آياتنا** وعيد لهم ببيان جزاء إضلالهم بحيث يفهم منه جزاء ضلالهم أيضاً ووضع الموصول موضع الضمير لتحقيق مناط الجزاء **سوء العذاب** أي العذاب السيئ الشديد النكاية **بما كانوا يصدفون** أي بسبب ما كانوا يفعلون من الصدف والصرف على التجدد والاستمرار وهذا تصريح بما أشعر به إجراء الحكم على الموصول من علية ما في حيز الصلة له **هل ينظرون** استئناف مسوق لبيان أنه لا يتأتى منهم الإيمان بإنزال ما ذكر من البينات والهدى وأنهم لا يرعوون عن التمادي في المكابرة واقتراح ما ينافي الحكمة التشريعية من الآيات الملجئة وأن الإيمان عند إتيانها مما لا فائدة له أصلاً مبالغة في التبليغ والإنذار وإزاحة العلل والأعذار أي ما ينتظرون **إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك** حسبما اقترحوا بقولهم لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا وبقولهم أو يأتي بالله والملائكة قبيلاً وبقولهم لولا أنزل عليه ملك ونحو ذلك أو إلا أن تأتيهم ملائكة العذاب أو يأتي أمر ربك بالعذاب والانتظار محمول على التمثيل كما سيجيء وقرئ يأتيهم بالياء لأن تأنيث الملائكة غير حقيقي **أو يأتي بعض آيات ربك** أي غير ما ذكر كما اقترحوا بقولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً ونحو ذلك من عظائم الآيات التي علقوا بها إيمانهم والتعبير عنها بالبعض للتهويل والتفخيم كما أن إضافة الآيات في الموضعين إلى اسم الرب المنبئ عن المالكية الكلية لذلك وإضافته إلى ضميره صلى الله تعالى عليه وسلم للتشريف وقيل المراد بالملائكة ملائكة الموت وبإتيانه سبحانه وتعالى إتيان كل آية بمعنى آيات القيامة والهلاك الكلي بقرينة ما بعده من إتيان بعض آياته تعالى على أن المراد به أشراط الساعة التي هي الدخان ودابة الأرض وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام ونار تخرج من عدن كما نطق به الحديث الشريف المشهور وحيث لم يكن إتيان هذه الأمور مما ينتظرونه كإتيان ما اقترحوه من الآيات فإن تعليق إيمانهم بإتيانها انتظار منهم له ظاهراً حمل الانتظار على التمثيل المبني على تشبيه حالهم في الإصرار على الكفر والتمادي في العناد إلى أن تأتيهم تلك الأمور الهائلة التي لا بد لهم من الإيمان عند مشاهدتها البتة بحال المنتظرين لها وأنت خبير بأن النظم الكريم بسباقه المنبئ عن تماديهم في تكذيب آيات الله تعالى وعدم الاعتداد بها وسياقه الناطق بعدم نفع الإيمان عند إتيان ما ينتظرونه يستدعي أن يحمل ذلك على أمور هائلة مخصوصة بهم إما بأن تكون عبارة عما اقترحوه أو عن عقوبات مترتبة على جناياتهم كإتيان ملائكة العذاب وإتيان أمره تعالى بالعذاب وهو الأنسب لما سيأتي من قوله تعالى قل انتظروا إنا منتظرون وأما حمله على ما ذكر من إتيان ملائكة الموت وإتيان كل آيات القيامة وظهور أشراط الساعة مع شمول إتيانها لكل بر وفاجر واشتمال غائلتها على كل مؤمن وكافر فمما لا يساعده المقام على أن بعض أشراط الساعة ليس بمنسد به باب الإيمان والطاعة نعم يجوز حمل بعض الآيات في قوله عز وعلا **يوم يأتي بعض آيات ربك** على ما يعم مقترحاتهم وغيرها من الدواهي العظام السالبة للاختيار الذي يدور عليه فلك التكليف فإنه بمنزلة الكبرى من الشكل الأول فيتم التقريب بدخول ما ينتظرونه في ذلك دخولاً أولياً ويوم منصوب بقوله تعالى **لا ينفع** فإن امتناع عمل ما بعد لا فيما قبلها عند وقوعها جواب القسم وقرئ يوم بالرفع على الابتداء والخبر هو الجملة والعائد محذوف أي لا ينفع فيه **نفساً** من النفوس **إيمانها** حينئذ لانكشاف الحال وكون الأمر عياناً ومدار قبول الإيمان أن يكون بالغيب كقوله تعالى فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا وقرئ لا تنفع بالتاء لكون الإيمان مضافاً إلى ضمير المؤنث الذي هو بعضه كما في قوله تعالى وقوله تعالى **لم تكن آمنت من قبل** أي من قبل إتيان بعض الآيات صفة لنفساً فصل بينهما بالفاعل لاشتماله على ضمير الموصوف ولا ضير لأنه غير أجنبي منه لاشتراكهما في العامل وقوله تعالى **أو كسبت في إيمانها خيراً** عطف على آمنت بإيراد الترديد على النفي المفيد لكفاية أحد النفيين في عدم النفع والمعنى أنه لا ينفع الإيمان حينئذ نفساً لم تقدم إيمانها أو قدمته ولم تكسب فيه خيراً ومن ضرورته اشتراط النفع بتحقق الأمرين أي الإيمان المقدم والخير المكسوب فيه معاً بمعنى أن النافع هو تحققهما والإيمان المؤخر لغو وتحصيل للحاصل إلا أنه هو النافع وتحققهما شرط في نفعه كما لو كان المقدم غير المؤخر بالذات فإن قولك لا ينفع الصوم والصدقة من لم يؤمن قبلهما معناه أنهما ينفعانه عند وقوعهما بعد الإيمان وقد استدل به أهل الاعتزال على عدم اعتبار الإيمان المجرد عن الأعمال وليس بناهض ضرورة صحة حمله على نفي الترديد المستلزم لعموم المفيد بمنطوقه لاشتراط عدم النفع بعدم الأمرين معاً وبمفهومه لاشتراط النفع بتحقق أحدهما بطريق منع الخلو دون الانفصال الحقيقي فالمعنى أنه لا ينفع الإيمان حينئذ نفساً لم يصدر عنها من قبل أحد الأمرين إما الإيمان المجرد أو الخير المكسوب فيه فيتحقق النفع بأيهما كان حسبما نطق به النصوص الكريمة من الآيات والأحاديث وما قيل من أن عدم الإيمان السابق مستلزم لعدم كسب الخير فيه بالضرورة فيكون ذكره تكراراً بلا فائدة على أن الموجب للخلود في النار هو العدم الأول من غير أن يكون للثاني دخل ما في ذلك قطعاً فيكون ذكره بصدد بيان ما يوجب الخلود لغواً من الكلام لغو من الكلام مبني على توهم أن المقصود بوصف النفس بالعدمين المذكورين مجرد بيان إيجابهما للخلود فيها وعدم نفع الإيمان الحادث في إنجائها عنه وليس كذلك وإلا لكفى في البيان أن يقال لا ينفع نفساً إيمانها الحادث بل المقصود الأصلي من وصفها بذينك العدمين في أثناء بيان عدم نفع الإيمان الحادث تحقيق أن موجب النفع إحدى ملكتيهما أعني الإيمان السابق والخير المكسوب فيه بما ذكر من الطريقة والترغيب في تحصيلهما في ضمن التحذير من تركهما ولا سبيل إلى أن يقال كما أن عدم الأول مستقل في إيجاب الخلود في النار فيلغو ذكر عدم الثاني كذلك وجوده مستقل في إيجاب الخلاص عنها فيكون ذكر الثاني لغواً لما أنه قياس مع الفارق كيف لا والخلود فيها أمر لا يتصور فيه تعدد العلل وأما الخلاص عنها مع دخول الجنة فله مراتب بعضها مرتب على نفس الإيمان وبعضها على فروعه المتفاوتة كماً وكيفاً وإنما لم يقتصر على بيان ما يوجب أصل النفع وهو الإيمان السابق مع أنه هو المقابل لما لا يوجبه أصلاً أعني الإيمان الحادث بل قرن به ما يوجب النفع الزائد أيضاً إرشاداً إلى تحري الأعلى وتنبيهاً على كفاية الأدنى وإقناطاً للكفرة عما علقوا به أطماعهم الفارغة من أعمال البر التي عملوها في الكفر من صلة الأرحام وإعتاق الرقاب وفك العناة وإغاثة الملهوفين وقرى الأضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم ببيان أن كل ذلك لغو بحت لابتنائه على غير أساس حسبما نطق به قوله تعالى والذين كفروا أعمالهم كرماد اشتدت به الريح الآية ونحو ذلك من النصوص الكريمة وأن الإيمان الحادث كما لا ينفعهم وحده لا ينفعهم بانضمام أعمالهم السابقة واللاحقة ولك أن تقول المقصود بوصف النفس بما ذكر من العدمين التعريض بحال الكفرة في تمردهم وتفريطهم في كل واحد من الأمرين الواجبين عليهم وإن كان وجوب أحدهما منوطاً بالآخر كما في قوله عز وجل فلا صدق ولا صلى تسجيلاً بكمال طغيانهم وإيذاناً بتضاعف عقابهم لما تقرر من أن الكفار مخاطبون بفروع الشرائع في حق المؤاخذة كما ينبئ عنه قوله تعالى فويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة إذا تحقق هذا وقفت على أن الآية الكريمة أحق بأن تكون حجة على المعتزلة من أن تكون حجة لهم هذا وقد قيل إنها من باب اللف التقديري أي لا ينفع نفساً إيمانها ولا كسبها في الإيمان لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فيه وليس بواضح فإن مبنى اللف التقديري أن يكون المقدر من متممات الكلام ومقتضيات المقام قد ترك ذكره تعويلاً على دلالة الملفوظ عليه واقتضائه إياه كما مر في تفسير قوله عز وجل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً فإنه قد طوي في المفصل ذكر حشر المؤمنين ثقة بإنباء التفصيل أعني قوله تعالى فأما الذين آمنوا الآية ولا ريب في أن ما قدر هاهنا ليس مما يستدعيه قوله تعالى أو كسبت في إيمانها خيراً ولا هو من مقتضيات المقام لأنه ليس مما وعدوه وعلقوه بإتيان ما ذكر من الآيات كالإيمان حتى يرد عليهم ببيان عدم نفعه إذ ذاك على أن ذلك مشعر بأن لهم بعد ما أصابهم بقاء على السلامة وزماناً يأتي منهم الكسب والعمل فيه وفيه من الإخلال بمقام تهويل الخطب وتفظيع الحال ما لا يخفى وقد أجيب عن الاستدلال بوجوه أخر قصارى أمرها إسقاط الآية الكريمة عن رتبة المعارضة للنصوص القطعية المتون القوية الدلالة على ما ذكر من كفاية الإيمان المجرد عن العمل في الإنجاء من العذاب الخالد ولو بعد اللتيا والتي لما تقرر من أن الظني يعزل عن معارضة القطعي **قل** لهم بعد بيان حقيقة الحال على وجه التهديد **انتظروا** ما تنتظرونه من إتيان أحد الأمور الثلاثة لتروا أي شيء تنتظرون **إنا منتظرون** لذلك لنشهد ما يحل بكم من سوء العاقبة وفيه

تأييد لكون المراد بما ينتظرونه إتيان ملائكة العذاب أو إتيان أمره تعالى بالعذاب كما أشير إليه وعدة ضمنية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين بنجاتهم مما يحيق بالكفرة من العقاب ولعل ذلك هو الذي شاهدوه يوم بدر والله سبحانه أعلم إن الذين فرقوا دينهم استيناف مسوق لبيان أحوال أهل الكتابين إثر بيان حال المشركين أي بددوه وبعضوه فتمسك بكل بعض منه فرقة منهم وقرئ فارقوا أي باينوا فإن ترك بعضه وإن كان بأخذ بعض آخر منه ترك للكل ومفارقة له وكانوا شيعاً أي فرقاً تشيع كل فرقة إماماً لها قال عليه السلام افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلهم في الهاوية إلا واحدة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلهم في الهاوية إلا واحدة وستفترق أمتي على ثلث وسبعين فرقة كلهم في الهاوية إلا واحدة واستثناء الواحدة من فرق كل من أهل الكتابين إنما هو بالنظر إلى العصر الماضي قبل النسخ وأما بعده فالكل في الهاوية وإن اختلفت أسباب دخولهم فمعنى قوله تعالى لست منهم في شيء لست من البحث عن تفرقهم والتعرض لمن يعاصرك منهم بالمناقشة والمؤاخذة وقيل من قتالهم في شيء سوى تبليغ الرسالة وإظهار شعائر الدين الحق الذي أمرت بالدعوة إليه فيكون منسوخاً بآية السيف وقوله تعالى إنما أمرهم إلى الله تعليل للنفي المذكور أي هو يتولى وحده أمر أولهم وآخرهم ويدبره كيف يشاء حسبما تقتضيه الحكمة يؤاخذهم في الدنيا متى شاء ويأمر بقتالهم إذا أراد وقيل المفرقون أهل البدع والأهواء الزائغة من هذه الأمة ورده أنه عليه السلام مأمور بمؤاخذتهم والاعتذار بأن معنى لست منهم في شيء حينئذ أنت بريء منهم ومن مذهبهم وهم برآء منك يأباه التعليل المذكور ثم ينبئهم أي يوم القيمة بما كانوا يفعلون عبر عن إظهاره بالتنبئة لما بينهما من الملابسة في أنهما سببان للعلم تنبيهاً على أنهم كانوا جاهلين بحال ما ارتكبوه غافلين عن سوء عاقبته أي يظهر لهم على رؤوس الأشهاد ويعلمهم أي شيء شنيع كانوا يفعلونه في الدنيا على الاستمرار ويرتب عليه ما يليق به من الجزاء وقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها استيناف مبين لمقادير أجزية العاملين وقد صدر ببيان أجزية المحسنين المدلول عليهم بذكر أضدادهم قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما يريد من عمل من المصدقين حسنة كتبت له عشر حسنات أي من جاء يوم القيمة بالأعمال الحسنة من المؤمنين إذ لا حسنة بغير إيمان فله عشر حسنات أمثالها فضلاً من الله عز وجل وقرئ عشرٌ بالتنوين أمثالها بالرفع على الوصف وهذا أقل ما وعد من الأضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بذكر العشر بيان الكثرة لا الحصر في العدد الخاص ومن جاء بالسيئة أي بالأعمال السيئة كائناً من كان من العاملين فلا يجزى إلا مثلها بحكم الوعد واحدة بواحدة وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل إنني هداني ربي أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يبين لهم ما هو عليه من الدين الحق الذي يدعون أنهم عليه وقد فارقوه بالكلية وتصدير الجملة بحرف التحقيق لإظهار كمال الاعتناء بمضمونها والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام لمزيد تشريفه أي قل لأولئك المفرقين أرشدني ربي بالوحي وبما نصب في الآفاق والأنفس من الآيات التكوينية إلى صراط مستقيم موصل إلى الحق وقوله تعالى ديناً بدل من إلى صراط فإن محله النصب كما في قوله تعالى ويهديك صراطاً مستقيماً أو مفعول لفعل مضمر يدل عليه المذكور قيماً مصدر نعت به مبالغة والقياس قوماً كعوض فأعل لإعلال فعله كالقيام وقرئ قيماً وهو فيعل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من المستقيم باعتبار الزنة وإن كان هو أبلغ منه باعتبار الصيغة ملة إبراهيم عطف بيان لديناً حنيفاً حال من إبراهيم أي مائلاً عن الأديان الباطلة وقوله تعالى وما كان من المشركين اعتراض مقرر لنزاهته عليه السلام عما عليه المفرقون لدينهم من عقد وعمل أي ما كان منهم في أمر من أمور دينهم أصلاً وفرعاً صرح بذلك رداً على الذين يدعون أنهم على ملته عليه السلام من أهل مكة واليهود المشركين بقولهم عزير ابن الله والنصارى المشركين بقولهم المسيح ابن الله قل إن صلاتي ونسكي أعيد الأمر لما أن المأمور به متعلق بفروع الشرائع وما سبق بأصولها أي عبادتي كلها وقيل وذبحي جمع بينه وبين الصلوة كما في قوله تعالى فصل لربك وانحر وقيل صلوتي وحجي ومحياي ومماتي أي وما أنا عليه في حياتي وأكون عليه عند موتي من الإيمان والطاعة أو طاعات الحيوة والخيرات المضافة إلى الممات كالوصية والتدبير وقرئ محياي بسكون الياء إجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا أشرك فيها غيره وبذلك إشارة إلى الإخلاص وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل أي بذلك الإخلاص أمرت لا بشيء غيره وقوله تعالى وأنا أول المسلمين لبيان مسارعته عليه السلام إلى الامتثال بما أمر به وأن ما أمر به ليس من خصائصه عليه السلام بل الكل مأمورون به ويقتدي به عليه السلام من أسلم منهم قل أغير الله أبغي رباً أي فأشركه في العبادة وهو رب كل شيء

جملة حالية مؤكدة للإنكار أي والحال أن كل ما سواه مربوب له مثلي فكيف يتصور أن يكون شريكاً له في المعبودية ولا تكسب كل نفس إلا عليها كانوا يقولون للمسلمين اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم إما بمعنى ليكتب علينا ما عملتم من الخطايا لا عليكم وإما بمعنى لنحمل يوم القيمة ما كتب عليكم من الخطايا فهذا رد له بالمعنى الأول أي لا يكون جناية نفس من النفوس إلا عليها ومحال أن يكون صدورها عن شخص وقرارها على شخص آخر حتى تتأتى ما ذكرتم وقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى رد له بالمعنى الثاني أي لا تحمل يومئذ نفس حاملة حمل نفس أخرى حتى يصح قولكم ثم إلى ربكم مرجعكم تلوين للخطاب وتوجيه له إلى الكل لتأكيد الوعد وتشديد الوعيد أي إلى مالك أمركم رجوعكم يوم القيمة فينبئكم يومئذ بما كنتم فيه تختلفون ببيان الرشد من الغي وتمييز الحق من الباطل وهو الذي جعلكم خلائف الأرض حيث خلفتم الأمم السالفة أو خلف بعضكم بعضاً أو جعلكم خلفاء الله تعالى في أرضه تتصرفون فيها على أن الخطاب عام ورفع بعضكم في الشرف والغنى فوق بعض درجات كثيرة متفاوتة ليبلوكم فيما آتاكم من المال والجاه أي ليعاملكم معاملة من يبتليكم لينظر ماذا تعملون من الشكر وضده إن ربك تجريد الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع إضافة اسم الرب إلى ضميره عليه السلام لإبراز مزيد اللطف به عليه السلام سريع العقاب أي عقابه سريع الإتيان لمن لم يراع حقوق ما آتاه الله تعالى ولم يشكره لأن كل آت قريب أو سريع التمام عند إرادته لتعاليه عن استعمال المبادي والآلات وإنه لغفور رحيم لمن راعاها كما ينبغي وفي جعل خبر هذه الجملة من الصفات الذاتية الواردة على بناء المبالغة مؤكداً باللام مع جعل خبر الأولى صفة جارية على غير من هي له من التنبيه على أنه تعالى غفور رحيم بالذات مبالغ فيهما فاعل للعقوبة بالعرض مسامح فيها ما لا يخفى والله تعالى أعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلت علي سورة الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ سورة الأنعام صلى عليه واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آية من سورة الأنعام يوماً وليلة صدق رسول الله وصدق حبيب الله

سورة الأعراف مكية وآيها مائتان وست آية

بسم الله الرحمن الرحيم المص إما مسرود على نمط التعديد بأحد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الإعراب وإما اسم للسورة فمحله الرفع على أنه خبر مبتدإ محذوف والتقدير هذا المص أي مسمى به وتذكير اسم الإشارة مع تأنيث المسمى لما أن الإشارة إليه من حيث أنه مسمى بالاسم المذكور لا من حيث أنه مسمى بالسورة وإنما صحت الإشارة إليه مع عدم سبق ذكره لما أنه باعتبار كونه بصدد الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد وقوله تعالى كتاب مراد به السورة كتاب الخ أو اسم إشارة أشير به إليه تنزيلاً لحضور المؤلف منه منزلة حضور نفس المؤلف أي هذا كتاب الخ وعلى الوجه الثاني خبر بعد خبر جيء به إثر بيان كونه مترجماً باسم بديع منبئ عن غرابته في نفسه إبانة لجلالة محله ببيان كونه فرداً من أفراد الكتب الإلهية حائز الكمالات المختصة بها وقد جوز كونه خبراً والمص مبتدأ أي المسمى بالمص كتاب وقد عرفت ما فيه من أن ما يجعل عنواناً للموضوع حقه أن يكون قبل ذلك معلوم الانتساب إليه عند المخاطب وإذ لا عهد بالتسمية قبل فحقها الإخبار بها أنزل إليك أي من جهته تعالى بني الفعل للمفعول جرياً على سنن الكبرياء وإيذاناً بالاستغناء عن التصريح بالفاعل لغاية ظهور تعينه وهو السر في ترك ذكر مبدإ الإنزال كما في قوله جل ذكره بلغ ما أنزل إليك من ربك ونظائره والجملة صفة لكتاب مشرفة له ولمن أنزل إليه وجعله خبراً له على معنى كتاب عظيم الشان أنزل إليك خلاف الأصل فلا يكن في صدرك حرج أي شك كما في قوله تعالى فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك خلا أنه عبر عنه بما يلازمه من الحرج فإن الشاك يعتريه ضيق الصدر كما أن المتيقن يعتريه انشراحه وانفساحه مبالغة في تنزيه ساحته عليه السلام عن نسبة الشك إليه ولو في ضمن النهي فإنه من الأحوال القلبية التي يستحيل اعتراؤه إياه عليه السلام وما قد يقع من نسبته إليه في ضمن النهي فعلى طريق التهييج والإلهاب والمبالغة في التنفير والتحذير بإيهام أن ذلك من القبح والشرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه أصلاً فكيف بمن يمكن ذلك منه والتنوين للتحقير والجار في قوله تعالى منه متعلق بحرج يقال حرج منه أي ضاق به صدره أو بمحذوف وقع صفة له أي حرج كائن منه أي لا يكن فيك شك ما في حقيته أو في كونه كتاباً منزلاً إليك من عنده تعالى فالفاء على الأول لترتيب النهي أو الانتهاء على مضمون الجملة فإنه مما يوجب انتفاء الشك فيما ذكر بالكلية وحصول اليقين قطعاً وأما على الثاني فهو لترتيب ما ذكر على الإخبار بذلك لا على نفسه فتدبر وتوجيه النهي إلى الحرج مع أن المراد نهيه عليه السلام إما لما مر من المبالغة في تنزيهه عليه السلام عن الشك فيما ذكر فإن النهي عن الشيء مما يوهم إمكان صدور المنهي عنه عن المنهي وإما للمبالغة في النهي فإن وقوع الشك في صدره عليه السلام سبب لاتصافه عليه السلام به والنهي عن السبب نهي عن المسبب بالطريق البرهاني ونفي له عن أصله بالمرة كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن

قوم الآية وليس هذا من قبيل لا ارينك ههنا فان النهي هناك وارد على المسبب مراداً به النهي عن السبب فيكون المآل نهيه عليه السلام عن تعاطي ما يورث الحرج فتأمل وقيل
الحرج على حقيقته اي لا يكن فيك ضيق صدر من تبليغه مخافة ان يكذبوك او ان تقصر في القيام بحقه فانه عليه السلام كان يخاف تكذيب قومه له واعراضهم عنه فكان يضيق صدره
من الاداء ولا ينبسط له فآمنه الله عز وجل ونهاه عن المبالاة بهم فالفاء للترتيب على مضمون الجملة او على الاخبارية فان كلا منهما موجب للاقدام على التبليغ
وزوال الخوف قطعاً وان كان ايجاب الثاني بواسطة الاول وقوله تع **لتنذر به** اي بالكتاب المنزل متعلق بانزل وما بينهما اعتراض توسط بينهما تقريراً لما قبله وتمهيداً
لما بعده وحسماً لتوهم ان مورد الشك هو الانزال للانذار وقيل متعلق بالنهي فان انتفاء الشك في كونه منزلاً من عنده تعالى موجب للانذار به قطعاً وكذا
انتفاء الخوف منهم او العلم بانه موفق للقيام بحقه موجب للتجاسر على ذلك وانت خبير بانه لا يأتي على التفسير الاول لان تعليل النهي عن الشك بما ذكر من الانذار
والتذكير مع ايهامه امكان صدوره عنه عليه السلام مشعر بان المنهي عنه ليس محذوراً لذاته بل لافضائه الى فوات الانذار والتذكير لا اقل من الايذان بان ذلك معظم
غائلته ولا ريب في فساده واما على التفسير الثاني فانما يتأتى التعليل بالانذار لا بتذكير المؤمنين اذ ليس فيه شائبة حرج حتى يجعل غائلة لانتفائه وقوله تع
وذكرى للمؤمنين في حيز النصب باضمار فعله معطوفاً على تنذر اي وتذكر المؤمنين تذكيراً او الجر عطفاً على محل ان تنذر اي للانذار والتذكير وقيل مرفوع عطفاً
على كتاب او خبر لمبتدأ محذوف وتخصيص التذكير بالمؤمنين للايذان باختصاص الانذار بالكفرة اي لتنذر به المشركين وتذكر المؤمنين وتقديم الانذار لانه اهم
بحسب المقام **اتبعوا ما انزل اليكم** كلام مستأنف خوطب به كافة المكلفين بطريق التلوين وامروا باتباع ما امر النبي عليه السلام قبله بتبليغه بطريق الانذار
والتذكير وجعله منزلاً اليهم بواسطة انزاله اليه عليه السلام اثر ذكر ما يصحح من الانذار والتذكير لتأكيد وجوب اتباعه وقوله تع **من ربكم** متعلق بانزل
على ان من لابتداء الغاية مجازاً او بمحذوف وقع حالاً من الموصول او من ضميره في الصلة وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين
مزيد لطف بهم وترغيباً لهم في الامتثال بما امروا به وتأكيد لوجوبه وجعل ما انزل ههنا عاماً للسنة القولية والفعلية بعيد نعم يعمهما حكمه بطريق الدلالة
لا بطريق العبارة ولما كان اتباع ما انزل الله تع عقب الامر بذلك بالنهي عن اتباع غيره تعالى فقيل **ولا تتبعوا من دونه** اي من دون ربكم
الذي انزل اليكم ما يهديكم الى الحق ومحله النصب على انه حال من فاعل فعل النهي اي لا تتبعوا متجاوزين الله تع **اولياء** من الجن والانس
بان تقبلوا منهم ما يلقونه اليكم بطريق الوسوسة والاغواء من الاباطيل ليضلوكم عن الحق ويحملوكم على البدع والاهواء الزائغة او من اولياء
قدم عليه لكونه نكرة اذ لو تأخر عنه لكان صفة له اي اولياء كائنة غيره تعالى وقيل الضمير للموصول على حذف المضاف في اولياء اي لا تتبعوا
من دون ما انزل اباطيل اولياء كأنه قيل ولا تتبعوا من دون دين ربكم دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا كما في قوله تع ومن يبتغ غير الاسلام
ديناً وقوله تع **قليلاً ما تذكرون** بحذف احدى التائين وتخفيف الذال وقرئ بتشديدها على ادغام التاء المهموسة في الذال المجهورة
وقرئ يتذكرون على صيغة الغيبة وقليلاً نصب اما بما بعده على انه نعت لمصدر محذوف مقدم للقصر او لزمان كذلك محذوف وما مزيدة
لتأكيد القلة اي تذكراً قليلاً او زماناً قليلاً تذكرون لا كثيراً حيث لا تتأثرون بذلك ولا تعملون بموجبه وتتركون دين الله تعالى وتتبعون
غيره ويجوز ان يراد بالقلة العدم كما قيل في قوله تع فقليلاً ما يؤمنون والجملة اعتراض تذييلي مسوق لتقبيح حال المخاطبين والالتفات على
القراءة الاخيرة للايذان باقتضاء سوء حالهم في عدم الامتثال بالامر والنهي صرف الخطاب عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة
واما نصب على انه حال من فاعل لا تتبعوا وما مصدرية مرتفعة به اي لا تتبعوا من دونه اولياء قليلاً تذكركم لكن لا على توجيه النهي الى المقيد فقط
كما في قوله تع لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى بل الى المقيد والقيد جميعاً وتخصيصه بالذكر لمزيد تقبيح حالهم بجمعهم بين المنكرين **وكم من قرية اهلكناها**
شروع في انذارهم بما جرى على الامم الماضية بسبب اعراضهم عن اتباع دين الله تعالى واصرارهم على اتباع دين اوليائهم وكم خبرية للتكثير في موضع رفع
على الابتداء كما في قولك زيد ضربته والخبر هو الجملة بعدها ومن قرية تمييز والضمير في اهلكناها راجع الى معنى كم اي كثير من القرى اهلكناها
او في موضع نصب باهلكناها كما في قوله تع انا كل شيء خلقناه بقدر والمراد باهلاكها اراده اهلاكها كما في قوله تع اذا قمتم الى الصلوة
اي اردنا اهلاكها **فجاءها** اي فجاء اهلها **بأسنا** اي عذابنا **بياتاً** مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال اي بائتين كقوم لوط **او هم قائلون**
عطف عليه اي او قائلين من القيلولة نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت الواو من الحال المعطوفة على اختها استثقالاً لاجتماع العاطفين
فان واو الحال واو عطف قد استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير كما في قوله جاءني زيد هو فارس فانه غير فصيح وتخصيص الحالتين بالذكر لما
ان نزول المكروه عند الغفلة والدعة افظع وحكايته للسامعين اذجر واردع عن الاغترار باسباب الامن والراحة ووصف الكل بوضع

والقيلولة مع بعض المهلكين بمعزل منهما لا سيما القيلولة للايذان بكمال غفلتهم وامنهم **فما كان دعواهم** اي دعاؤهم واستغاثتهم ربهم او ما كانوا يدعونه
من دينهم وينتحلونه من مذهبهم **اذ جاءهم بأسنا** عذابنا وعاينوا اماراته **الا ان قالوا** جميعاً **انا كنا ظالمين** اي الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه
وشهادتهم ببطلانه تحسراً عليه وندامة وطمعاً في الخلاص وهيهات ولات حين نجاة **فلنسألن الذين ارسل اليهم** بيان لعذابهم الاخروي اثر بيان
عذابهم الدنيوي خلا انه قد تعرض لبيان مبادي احوال المكلفين جميعاً لكونه ادخل في التهويل والفاء لترتيب الاحوال الاخروية على الدنيوية
ذكراً حسب ترتبها عليها وجوداً اي لنسألن الامم قاطبة قائلين ماذا اجبتم المرسلين **ولنسألن المرسلين** عما اجيبوا قال تع يوم يجمع الله
الرسل فيقول ماذا اجبتم والمراد بالسؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والذي نفي بقوله تع ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول
في موقف الحساب والثاني في موقف العقاب **فلنقصن عليهم** اي على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او عليهم وعلى المرسل اليهم جميعاً
ما كانوا عليه **بعلم** اي عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم **وما كنا غائبين** عنهم في حال من الاحوال فيخفى علينا شيء من اعمالهم واحوالهم والجملة
تذييل مقرر لما قبلها **والوزن** اي وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها وجيدها ورديئها ورفعه على الابتداء وقوله تع **يومئذ** خبره وقوله تع
الحق صفته اي والوزن الحق ثابت يوم اذ يكون السؤال والقص وقيل خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل ما ذلك الوزن فقيل الحق اي العدل السوي وقرئ
القسط واختلف في كيفية الوزن والجمهور على ان صحائف الاعمال هي التي توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهاراً للمعدلة وقطعاً
للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فيعترف بها السنتهم وجوارحهم وتشهد عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد وكما يثبت في صحائفهم فيقرؤنها في موقف
الحساب ويؤيده ما روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر له تسعة وتسعون سجلاً مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في
كفة والبطاقة في كفة فتطيش السجلات وتثقل البطاقة وقيل يوزن الاشخاص لما روي عنه عليه السلام انه ليأتي العظيم السمين يوم القيمة لا يزن
عند الله جناح بعوضة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير من المتأخرين
بناء على ان استعمال لفظ الوزن في هذا المعنى شائع في اللغة والعرف بطريق الكناية قالوا ان الميزان انما يراد به التوصل الى معرفة مقادير الشيء
ومقادير اعمال العباد لا يمكن اظهارها بذلك لانها اعراض قد فنيت وعلى تقدير بقائها لا تقبل الوزن وقيل ان الاعمال الظاهرة في هذه النشأة
بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح حتى ان الذنوب والمعاصي تتجسم هناك وتتصور بصورة النار
وعلى ذلك حمل قوله تع وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تع ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً انما يأكلون في بطونهم ناراً وكذا قوله عليه السلام
في حق من يشرب من اناء الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم ولا بعد في ذلك الا يرى ان العلم يظهر في عالم المثال على صورة اللبن
كما لا يخفى على من له خبرة باحوال الحضرات الخمس وقد روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة على
صور قبيحة فتوضع في الميزان ان قيل المكلف يوم القيمة اما مؤمن بانه تعالى حكيم منزه عن الجور فيكفيه حكمه تعالى بكيفيات الاعمال وكمياتها واما منكر له
فلا يسلم ح ان رجحان بعض الاعمال على بعض لخصوصيات راجعة الى ذوات تلك الاعمال بل يسنده الى اظهار الله تع اياه على ذلك الوجه فما الفائدة
في الوزن اجيب بانه ينكشف الحال يومئذ ويظهر جميع الاشياء بحقائقها على ما هي عليه وباوصافها واحوالها في انفسها من الحسن والقبح وغير ذلك
وتنخلع عن الصور المستعارة التي بها ظهرت في الدنيا فلا يبقى لاحد ممن يشاهدها شبهة في انها هي التي كانت في الدنيا بعينها وان كل واحد
منها قد ظهر في هذه النشأة بصورته الحقيقية المستتبعة لصفاته ولا يخطر بباله خلاف ذلك والله تعالى اعلم **فمن ثقلت موازينه** تفصيل للاحكام
المترتبة على الوزن والموازين اما جمع ميزان او جمع موزون على ان المراد به ما له وزن وقدر وهو الحسنات فان رجحان احدهما مستلزم لرجحان
الآخر اي فمن رجحت موازينه التي توزن بها حسناته او اعماله التي لها قدر ووزنة وعن الحسن البصري وحق لميزان توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان
توضع فيه السيئات ان يخفف **فاولئك** اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بثقل الموازين والجمعية باعتبار معناه كما ان جمع الموازين لذلك واما افراد
موازينه فراجع اليه باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والشرف **هم المفلحون** الفائزون بالنجاة والثواب وهم اما
ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ خبره المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحون للدلالة
على انهم الناس الذين بلغك انهم مفلحون في الآخرة او اشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصائصهم **ومن خفت موازينه** اي موازين اعماله
او اعماله التي لا وزن لها ولا اعتداد بها وهي اعمال السيئة **فاولئك** اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بتلك الصفة القبيحة والجمعية ومعنى البعد لما مر آنفاً في

نظيره وهو مبتدأ خبره **الذين خسروا انفسهم** اي ضيعوا الفطر السليمة التي فطروا عليها وقد ايدت بالآيات البينة وقوله تع **بما كانوا باياتنا يظلمون**
متعلق بخسروا وما مصدرية وباياتنا متعلق بيظلمون على تضمين معنى التكذيب فقدم عليه لمراعاة الفواصل والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على
استمرار الظلم في الدنيا اي فاولئك الموصوفون بخفة الموازين الذين خسروا انفسهم بسبب تكذيبهم المستمر باياتنا ظالمين **ولقد مكناكم في الارض**
لما امر الله سبحانه اهل مكة باتباع ما انزل اليهم ونهاهم عن اتباع غيره وبين لهم وخامة عاقبة بالاهلاك في الدنيا والخلد في الآخرة ذكرهم ما
افاض عليهم من فنون النعم الموجبة للشكر ترغيبا في الامتثال بالامر والنهي اثر ترهيب اي جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا او ملكناكم فيها واقدرناكم
على التصرف فيها **وجعلنا لكم فيها معايش** المعايش جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك والوجه في قراءته
اخلاص الياء وعن ابن عامر انه بهمزة تشبيها له بصحائف اعمالهم ومدائن والجعل بمعنى الانشاء والابداع اي انشأنا وابدعنا لمصالحكم ومنافعكم
فيها اسبابا تعيشون بها وكل واحد من الظرفين متعلق به او بمحذوف وقع حالا من مفعوله المنكر اذ لو تأخر لكان صفة له وتقديمهما على المفعول مع
ان حقهما التأخر عنه لما مر غير مرة من الاعتناء بشأن المقدم والتشويق الى المؤخر فان النفس عند تأخير ما حقه التقديم لا سيما عند كون المقدم منبئا عن
منفعة للسامع تبقى مترقبة لورود المؤخر فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن واما تقديم اللام على في فلما انه المنبئ عما ذكر من المنفعة فالاعتناء بشأنه اتم والمسا
رعة
الى ذكره اتم هذا وقد قيل ان الجعل متعد الى مفعولين ثانيهما احد الظرفين على انه مستقر قدم على الاول والظرف الآخر اما لغو متعلق بالجعل او بالمحذوف وقع
حالا من المفعول الاول كما مر وانت خبير بانه لا فائدة يعتد بها في الاخبار بجعل المعايش حاصلة لهم او حاصلة في الارض وقوله تع **قليلا ما تشكرون** اي
تلك النعمة تذييل مسوق لبيان سوء حال المخاطبين وتحذيرهم وبقية الكلام فيه عين ما مر في تفسير قوله تع قليلا ما تذكرون **ولقد خلقناكم ثم صورناكم**
تذكير لنعمة عظيمة فائضة على آدم عليه السلام سارية الى ذريته موجبة لشكرهم كافة وتأخيره عن ذكر ما وقع بعده من نعمة التمكين في الارض اما لانها
فائضة على المخاطبين بالذات وهذه بالواسطة واما للايذان بان كلا منهما نعمة مستقلة مستوجبة للشكر على حيالها فان رعاية الترتيب الوقوعي ربما
تؤدي الى توهم عد الكل نعمة واحدة كما ذكر في قصة البقرة وتصدير الجملتين بالقسم وحرف التحقيق لاظهار كمال العناية بمضمونهما وانما نسب الخلق
والتصوير الى المخاطبين مع ان المراد بهما خلق آدم عليه السلام وتصويره حتما توفية لمقام الامتنان حقه وتأكيدا لوجوب الشكر عليهم بالرمز الى ان لهم
حظا من خلقه عليه السلام وتصويره لا انهما ليسا من الخصائص المقصورة عليه عليه السلام كسجود الملائكة له عليه السلام بل من الامور السارية الى ذريته
جميعا اذ الكل مخلوق في ضمن خلقه على نمطه ومصنوع على شاكلته فكأنهم الذي تعلق به خلقه وتصويره اي خلقنا اباكم طينا غير مصور ثم صورناه
ابدع تصوير واحسن تقويم سار اليكم جميعا **ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم** صريح في انه ورد بعد خلقه عليه السلام وتسويته ونفخ الروح فيه امرا
منجزا غير الامر المعلق الوارد قبل ذلك بقوله تع فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وهو المراد بما حكي بقوله تع واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم الآية في سورة البقرة وسورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه من غير تعرض لوقته وكلمة ثم ههنا تقتضي تراخيه عن التصوير من غير تعرض
لبيان ما جرى بينهما من الامور وقد بينا في سورة البقرة ان ذلك ظهور فضل آدم عليه السلام بعد المحاورة المسبوقة بالاخبار باستخلافه عليه السلام
حسبما نطق به قوله عز وجل واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة الى قوله وما كنتم تكتمون فان ذلك ايضا من جملة ما نيط به الامر المعلق من
التسوية ونفخ الروح وعدم ذكره عند الحكاية لا يقتضي عدم ذكره عند وقوع المحكي كما ان عدم ذكر الامر المعلق عند حكاية الامر المنجز لا يستلزم
مسبوقيته به فان حكاية كلام واحد على اساليب مختلفة يقتضيها المقام ليست بعزيزة في الكلام العزيز فلعله قد القي الى الملائكة عليهم السلام اولا جميع ما
يتوقف عليه الامر المنجز اجمالا بان قيل مثلا اني خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل اياه خليفة في الارض فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وتبين لكم فضله
فقعوا له ساجدين فخلقه فسواه ونفخ فيه من روحه فقالوا عند ذلك ما قالوا او القي اليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط المذكورة بان قيل اثر نفخ
الروح اني جاعل هذا خليفة في الارض فهنالك ذكروا في حقه عليه السلام ما ذكروا فايده الله تعالى بتعليم الاسماء فشاهدوا منه عليه السلام ما شاهدوا فعند ذلك
ورد الامر المنجز اعتناء بشأن المأمور به وايذانا بوقته وقد حكي بعض الامور المذكورة في بعض المواطن وبعضها في بعضها اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما
ترك في موطن آخر والذي يرفع غشاوة الاشتباه عن البصائر السليمة ان في سورة ص من قوله تع اذ قال ربك للملائكة الآيات بدل من قوله
اذ يختصمون فيما قبله من قوله ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون اي بكلام عند اختصامهم ولا ريب في ان المراد بالملأ الاعلى الملائكة وآدم عليهم السلام
وابليس حسبما اطبق عليه جمهور المفسرين وباختصامهم ما جرى بينهم في شأن الخلافة من التقاول الذي من جملته ما صدر عنه عليه السلام من الانباء بالاسماء

من قضية البدلية وقوع الاختصام المذكور في تضاعيف ما شرح فيه مفصلا من الامور المعلق وما علق به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة
وعناد ابليس ولعنه واخراجه من بين الملائكة وما جرى بعده من الافعال والاقوال واذ ليس تمام الاختصام بعد سجود الملائكة ومكابرة ابليس وطرده من البين
لما عرف من انه احد المختصمين كما انه ليس قبل الخلق ضرورة فاذن هو بعد نفخ الروح وقبل السجود باحد الطريقين المذكورين والله تعالى اعلم **فسجدوا** اي الملائكة
عليهم السلام بعد الامر من غير تلعثم **الا ابليس** استثناء متصل لانه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثني
استثناء واحد منهم او لان من الملائكة جنسا يتوالدون يقال لهم الجن كما مر في سورة البقرة فقوله تع **لم يكن من الساجدين** اي ممن سجد لآدم كلام مستأنف
مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء فان عدم السجود قد يكون للتأمل ثم يقع السجود وبه علم انه لم يقع قط وقيل منقطع فيكون متصلا بما
بعده اي لكن ابليس لم يكن من الساجدين **قال** استئناف مسوق للجواب عن سؤال نشأ من حكاية عدم سجوده كأنه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ وبه يظهر وجه الالتفات
الى الغيبة اذ لا وجه لتقدير السؤال على وجه المخاطبة وفيه فائدة اخرى هي الاشعار بعدم تعلق المحكي بالمخاطبين كما في حكاية الخلق والتصوير **ما منعك ان لا**
تسجد اي ان تسجد كما وقع في سورة ص ولا مزيدة مؤكدة لمعنى الفعل الذي دخلت عليه كما في قوله تع لئلا يعلم اهل الكتاب منبهة على ان الموبخ عليه
ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مصروف الى خلافه فالمعنى ما صرفك الى ان لا تسجد **اذ امرتك** قيل فيه دلالة على مطلق الامر للوجوب والفور وفي سورة
الحجر يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وفي سورة ص ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي واختلاف العبارات عند الحكاية يدل على ان اللعين قد ادمج في معصية
واحدة ثلث معاص مخالفة الامر ومفارقة الجماعة والاباء عن الانتظام في سلك اولئك المقربين والاستكبار مع تحقير آدم عليه السلام وقد وبخ على كل
واحدة منها لكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اكتفاء بما ذكر في موطن آخر واشعارا بان كل واحدة منها كافية في التوبيخ واظهار بطلان ما
ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ رأسا في سورة البقرة وسورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه **قال** استئناف كما سبق مبني على سؤال نشأ
من حكاية التوبيخ كأنه قيل فماذا قال اللعين عند ذلك فقيل قال **انا خير منه** متجانفا عن تطبيق جوابه على السؤال بان يقول منعني كذا مدعيا لنفسه بطريق
الاستئناف شيئا يستلزم المنع من السجود على زعمه ومشعرا بان من شأنه ان لا يحسن ان يسجد لمن دونه فكيف يحسن ان يؤمر به كما ينبئ عنه ما في
سورة الحجر من قوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون فهو اول من اسس بنيان التكبر واخترع القول بالحسن والقبح العقليين وقوله تع
خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لما ادعاه من فضله عليه ولقد اخطأ اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر وذل عنه ما من جهة
الفاعل كما انبأ عنه قوله تع ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي بغير واسطة على وجه الاعتناء به وما من جهة الصورة كما نبه عليه بقوله تع ونفخت فيه من روحي
وما من جهة الغاية وهو ملاك الامر ولذلك امر الملائكة بسجوده عليه السلام حين ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر الخلافة في الارض وان له خواص ليست
لغيره وفي الآية دليل على الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق البشر الى الطين والشياطين الى النار باعتبار الجزء الغالب **قال**
استئناف كما سلف والفاء في قوله تع **فاهبط منها** لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين من مخالفة الامر وتعليله بالاباطيل واصراره على ذلك اي فاهبط من الجنة
والاضمار قبل ذكرها لشهرة كونه من سكانها قال ابن عباس رض كانوا في عدن لا في جنة الخلد وقيل من زمرة الملائكة المعززين فان الخروج من زمرتهم
هبوط واي هبوط وفي سورة الحجر فاخرج منها واما ما قيل من ان المراد الهبوط من السماء فرده ان وسوسته لآدم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد فلا
ان يحمل على احد الوجهين قطعا ويكون وسوسته على الوجه الاول بطريق النداء من باب الجنة كما روي عن الحسن البصري وقوله تع **فما يكون لك** اي فما يصح ولا يستقيم
لك ولا يليق بشأنك **ان تتكبر فيها** اي في الجنة او في زمرة الملائكة تعليل للامر بالهبوط فان عدم صحة ان يتكبر فيها علة للامر المذكور فانها مكان المطيعين
الخاشعين ولا دلالة فيه على جواز التكبر في غيرها وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة او انه تعالى انما طرده لتكبره لا لمجرد عصيانه وقوله تع
فاخرج تأكيد للامر بالهبوط متفرع على علته وقوله تع **انك من الصاغرين** تعليل للامر بالخروج مشعر بانه لتكبره اي من الاذلاء واهل الهوان على الله تع
وعلى اوليائه لتكبره عن عمر رض من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الارض **قال** استئناف
كما مر مبني على سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل فماذا قال اللعين بعد ما سمع هذا الطرد المؤكد فقيل قال **انظرني** اي امهلني ولا تمتني **الى يوم يبعثون** اي
آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم وهو وقت النفخة الثانية واراد اللعين بذلك ان يجد فسحة من اغوائهم ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت لاستحالته
بعد البعث **قال** استئناف كما سلف **انك من المنظرين** ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله لآخرين على وجه يشعر بان السائل تبع
لهم في ذلك صريح في انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به اجابة لدعائه وان استنظاره كان طلبا لتأخير الموت اذ به

بتحقق كونه من جملتهم لا لتأخير العقوبة كما قيل اي انك من جملة الذين اخرت آجالهم ازلا حسبما تقتضيه الحكمة التكوينية الي وقت فناء الخلائق غير ما استثناه الله تعالى من الخلائق وهو النفخة الاولي لا الي وقت البعث الذي هو المسؤول وقد ترك التوقيت للايجاز ثقة بما وقع في سورة الحجر وسورة ص كما ترك ذكر النداء والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا علي ما ذكر فيهما بقوله عز وجل رب فانظرني الي يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الي يوم الوقت المعلوم وفي انظاره ابتلاء للعباد وتعريض للثواب ان قلت لا ريب في ان الكلام المحكي عند صدوره عن المتكلم حالة مخصوصة تقتضي وروده علي وجه خاص من وجوه النظم بحيث لو اخل بشيء من ذلك سقط الكلام عن رتبة البلاغة البتة فالكلام الواحد المحكي علي وجوه شتي ان اقتضي الحال وروده علي وجه معين من تلك الوجوه الواردة عند الحكاية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضي الحال والبالغ الي رتبة البلاغة دون اظهار الضر وترتيب الاستنظار علي ما حاق به من اللعن والطرد علي نهج استدعاء الجبر في مقابلة الكسر كما هو المتبادر من قوله رب فانظرني حسبما حكي عنه في السورتين فما حكي ههنا يكون بمعزل من المطابقة لمقتضي الحال فضلا عن العروج الي معارج الاعجاز قلنا مقام الاستنظار مقتض لما ذكر من اظهار الضراعة وترتيب الاستنظار علي الحرمان المدلول عليه بالطرد والرجم وكذا مقام الانظار مقتض لترتيب الاخبار بالانظار علي الاستنظار وقد طبق الكلام عليه في تينك السورتين وفي كل واحد من مقامي الحكاية والمحكي جميعا حظ واما ههنا فحيث اقتضي مقام الحكاية مجرد الاخبار بالاستنظار والانظار سيقت الحكاية علي نهج الايجاز والاختصار من غير تعرض لبيان كيفية كل منهما عند المخاطبة والحوار قلت فاذن لا يكون ذلك نقلا للكلام علي ما هو عليه ولا مطابقا لمقتضي المقام قلنا الذي يجب اعتباره في نقل الكلام انما هو اصل معناه ونفس مدلوله الذي يفيده واما كيفية افادته له فليس مما يجب مراعاته عند النقل البتة بل قد تراعي وقد لا تراعي حسب اقتضاء المقام فلا يقدح في اصل الكلام تجريدها عنها بل قد تراعي عند نقله كيفيات وخصوصيات لم يراعها المتكلم اصلا ولا يخل ذلك بكون المنقول اصل المعني الا تري ان جميع المقالات المنقولة في القرآن الكريم انما تحكي بكيفيات واعتبارات لا يكاد يقدر علي مراعاتها من تكلم بها حتما والا لامكن صدور الكلام المعجز عن البشر فيما اذا كان المحكي كلاما واما عدم مطابقته لمقتضي الحال فمنشاه الغفلة عما يجب توفير مقتضاه من الاحوال فان ملاك الامر هو مقام الحكاية واما مقام وقوع المحكي فان كان مقتضاه موافقا لمقتضي مقام الحكاية يوفي كل واحد من المقامين حقه كما في سورة الحجر وسورة ص فان مقام الحكاية فيهما لما كان مقتضيا لبسط الكلام وتفصيله علي الكيفيات التي وقع عليها روعي حق المقامين معا واما في هذه السورة الكريمة فحيث اقتضي مقام الحكاية الايجاز روعي جانبه الا يري ان المخاطب المنكر اذا كان بحيث لا يفهم الا اصل المعني وجب علي المتكلم ان يجرد كلامه عن التأكيد وسائر الخواص والمزايا التي يقتضيها المقام ويخاطبه بما يناسبه من الوجوه لكنه مع ذلك يجب ان يقصد معني زائدا يفهمه سامع بليغ فهو بتجريده عن الخواص رعاية لمقتضي حال المخاطب في الفهم وبذلك يرتقي كلامه عن رتبة اصوات الحيوانات كما حقق في مقامه فاذا وجب مراعاة مقام الحكاية مع افضائها الي تجريد الكلام عن الخواص والمزايا بالمرة فما ظنك بوجوب مراعاته مع تحلية الكلام بمزايا اخر يرتقي الي رتبة الاعجاز لاسيما اذا وفي حق مقام وقوع المحكي في السورتين الكريمتين وكم هذا الا كان مبنيا علي ثقة به قال استئناف كما مثاله فبما اغويتني الباء للقسم كما في قوله تع فبعزتك لاغوينهم فان اغواءه تع اياه اثر من آثار قدرته وعزته وحكم من احكام سلطانه تع فمآل الاقسام بهما واحد فلعل اللعين اقسم بهما جميعا فحكي تارة قسمه باحدهما واخري بالآخر والفاء لترتيب مضمون الجملة علي الانظار وما مصدرية اي فاقسم باغوائك اياي لاقعدن لهم او للسببية علي ان الباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا بقوله لاقعدن لهم كما في الوجه الاول فان اللام تصد عن ذلك اي فبسبب اغوائك اياي لاجلهم اقسم بعزتك لاقعدن لآدم وذريته ترصدا بهم كما يقعد القطاع للقطع علي السابلة صراطك المستقيم الموصل الي الجنة وهو دين الاسلام فالقعود مجاز متفرع علي الكناية وانتصابه علي الظرفية كما في قوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل علي نزع الجار تقديره علي صراطك كقوله ضرب زيد الظهر والبطن ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من الجهات الاربع التي يعتاد هجوم العدو منها مثل قصده اياهم للتسويل والاضلال من اي وجه تيسر باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يذكر الفوق والتحت وعن ابن عباس رضي الله عنهما من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من جهة الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم وقيل من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون علي التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم ومن حيث لا يتيسر لهم ذلك وانما عدي الفعل الي الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والي الاخيرين بحرف المجاوزة فان الآتي منهما كالمنحرف المتجافي عنهم المار علي عرضهم ونظيره جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين اي مطيعين وانما قاله ظنا لقوله تع ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما راي منهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة عليهم السلام قال استئناف كما سلف مرارا اخرج منها اي من الجنة او من السماء او من بين الملائكة عليهم السلام مذؤما اي مذموما من ذامه اذا ذمه

وقرئ مذوما كمسول في مسؤول ومكول في مكيل من كاله يكيله مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام موطئة للقسم وجوابه لاملأن جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن تبعك بكسر اللام علي انه خبر لاملأن علي معني لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملأن جواب قسم محذوف ومعني منكم منك ومنهم علي تغليب المخاطب ويا آدم اي وقلنا كما وقع في سورة البقرة وتصدير الكلام بالنداء للتنبيه علي الاهتمام بتبليغ المأمور به وتخصيص الخطاب به عليه السلام للايذان باصالته في تلقي الوحي وتعاطي المأمور به اسكن انت وزوجك الجنة هو من السكني الذي هو عبارة عن اللبث والاستقرار والاقامة لا من السكون الذي هو ضد الحركة وانت ضمير اكد به المستكن في اسكن ليصح العطف عليه والفاء في قوله تع فكلا من حيث شئتما لبيان المراد مما في سورة البقرة من قوله تع وكلا منها رغدا حيث شئتما من ان ذلك كان جامعا للترتيب وقوله تع من حيث شئتما في معني منها حيث شئتما ولم يذكر ههنا رغدا ثقة بما ذكر هناك وتوجيه الخطاب اليهما لتعميم التشريف والايذان بتساويهما في مباشرة المأمور به فان حواء اسوة له عليه السلام في حق الاكل بخلاف السكني فانها تابعة له فيه ولتعليق النهي بهما صريحا في قوله تع ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي وهو الاصل لتصغيره علي ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين اما جزم علي العطف او نصب علي الجواب فوسوس لهما الشيطان اي فعل الوسوسة لاجلهما او تكلم لهما كلاما خفيا متداركا متكررا وهي في الاصل الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلي وقد سبق بيان كيفية وسوسته في سورة البقرة ليبدي لهما اي ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض علي انه اراد بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتهما ولذلك عبر عنهما بالسوأة وفيه دليل علي ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع ما ووري عنهما من سوآتهما ما غطي وستر عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة في المشهورة كما قلبت في اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها علي الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال عطف علي وسوس بطريق البيان ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة اي عن اكلها الا ان تكونا ملكين اي الا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة وليس فيه دلالة علي افضلية الملائكة لما ان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما اوصاف الملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك بمعزل من الدلالة علي الافضلية بالمعني المتنازع فيه وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اي اقسم لهما وصيغة للمبالغة وقيل اقسماله بالقبول وقيل قالا له اتقسم بالله انك لمن الناصحين واقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما فنزلهما الي الاكل من الشجرة وفيه تنبيه علي انه اهبطهما بذلك من درجة عالية فان التدلية والادلاء ارسال الشيء من الاعلي الي الاسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يقسم بالله كاذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما اي فلما واحدا طعمها آخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت عوراتهما واختلف في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او ظفرا وطفقا يخصفان طفق من افعال الشروع والتلبس كاخذ وجعل وانشأ وعلق وهب وانبري اي اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ذلك ورق التين وقرئ يخصفان من اخصف اي يخصفان انفسهما ويخصفان من التخصيف ويخصفان اصله يختصفان وناداهما ربهما مالك امرهما بطريق العتاب والتوبيخ الم انهكما وهو تفسير للنداء فلا محل له من الاعراب او معمول لقول محذوف اي وقال او قائلا الم انهكما عن تلكما الشجرة ما في اسم الاشارة من معني البعد لما انه اشارة الي الشجرة التي نهي عن قربانها واقل لكما عطف علي انهكما اي الم اقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين وهذا عتاب وتوبيخ علي الاغترار بقول العدو كما ان الاول عتاب علي مخالفة النهي قيل فيه دليل علي ان مطلق النهي للتحريم ولكما متعلق بعدو لما فيه من معني الفعل او بمحذوف هو حال من عدو ولم يحك هذا القول ههنا وقد حكي في سورة طه بقوله تع ان هذا عدو لك ولزوجك الآية روي انه تع قال لآدم الم يكن فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلي وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الي الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقي وحصد وداس وذري وعجن وخبز قالا ربنا ظلمنا انفسنا اي ضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج من الجنة وان لم تغفر لنا ذلك وترحمنا لنكونن من الخاسرين وهو دليل علي ان الصغائر يعاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك حملوا قولهما ذلك علي عادة المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستصغار العظيم من الحسنات قال استئناف كما مر مرارا اهبطوا خطاب لآدم وحواء وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا لهما ليعلم انه قرينهما ابدا واخبر عما قال لهم كما في قوله تع يا ايها الرسل كلوا من الطيبات ولم يذكر ههنا قبول توبتهما ثقة بما ذكر في سائر المواضع بعضكم لبعض عدو جملة حالية من فاعل اهبطوا اي ولكم في الارض مستقر اي استقرار او موضع استقرار ومتاع اي تمتع وانتفاع الي حين هو حين انقضاء آجالكم قال اعيد الاستئناف اما للايذان بعدم اتصال ما بعده بما قبله كما في قوله تع قال فما خطبكم ايها المرسلون اثر قوله تع قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون وقوله تع قال ارايتك هذا الذي كرمت علي بعد قوله تع

قال أأسجد لمن خلقت طينا وإما للإظهار الاعتناء بمضمون ما بعده من قوله فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون أي للجزاء كقوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها
نخرجكم تارة أخرى يا بني آدم خطاب للناس كافة وإيرادهم بهذا العنوان مما لا يخفى سره قد أنزلنا عليكم لباسا أي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية وأسباب نازلة منها ونظيره
وأنزل لكم من الأنعام الخ وقوله تعالى وأنزلنا الحديد يواري سوآتكم التي قصد إبليس إبداءها من أبويكم حتى اضطرا إلى خصف الأوراق وأنتم مستغنون عن ذلك وروي
أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف بثياب عصينا الله تعالى فيها فنزلت ولعل ذكر قصة آدم ع للإيذان بأن انكشاف العورة أول سوء أصاب
الإنسان من قبل الشيطان وأنه أغواهم في ذلك كما أغوى أبويهم وريشا ولباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل أي تمول وقرئ
رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى أي خشية الله تعالى وقيل الإيمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره جملة ذلك خير أو خبر
وذلك صفته كأنه قيل ولباس التقوى المشار إليه خير وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا ذلك أي إنزال اللباس من آيات الله تعالى الدالة على عظيم
فضله وعميم رحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته أو يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني آدم تكرير النداء للإيذان بكمال الاعتناء بمضمون ما صدر به وإيرادهم
بهذا العنوان مما لا يخفى سببه لا يفتننكم الشيطان أي لا يوقعنكم في الفتنة والمحنة بأن يمنعكم من دخول الجنة كما أخرج أبويكم من الجنة نعت لمصدر محذوف أي لا
يفتننكم فتنة مثل إخراج أبويكم وقد جوز أن يكون التقدير لا يخرجنكم بفتنته إخراجا مثل إخراجه لأبويكم والنهي وإن كان متوجها إلى الشيطان لكنه في الحقيقة
متوجه إلى المخاطبين كما في قولك لا أرينك ههنا وقد مر تحقيقه مرارا ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من أبويكم أو من فاعل أخرج وإسناد النزع إليه
للتسبب وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى إنه يراكم هو وقبيله أي جنوده وذريته استئناف لتعليل النهي وتأكيد التحذير منه من حيث لا ترونهم
من لابتداء غاية الرؤية وحيث ظرف لمكان انتفاء الرؤية ولا ترونهم في محل الجر بإضافة الظرف إليه ورؤيتهم إيانا من حيث لا نراهم لا تقتضي امتناع رؤيتنا لهم
مطلقا واستحالة تمثلهم لنا إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون أي جعلناهم بما أوجدنا بينهم من المناسبة أو بإرسالهم
عليهم وتمكينهم من إغوائهم وحملهم على ما سولوا لهم أولياء أي قرناء مسلطين عليهم والجملة تعليل آخر للنهي وتأكيدا للتحذير إثر تحذير وإذا فعلوا
فاحشة جملة مبتدأة لا محل لها من الإعراب وقد جوز عطفها على الصلة والفاحشة الفعلة المتناهية في القبح والتاء لأنها مجراة على الموصوف المؤنث
أو للنقل من الوصفية إلى الاسمية والمراد بها عبادة الأصنام وكشف العورة في الطواف ونحوهما قالوا جوابا للناهين عنها وجدنا عليها آباءنا
والله أمرنا بها محتجين بأمرين تقليد الآباء والافتراء على الله سبحانه ولعل تقديم المقدم للإيذان منهم بأن آباءهم إنما كانوا يفعلونها بأمر الله تعالى
بها على أن الضمير في أمرنا لهم ولآبائهم فحينئذ يظهر وجه الإعراض عن الأول في رد مقالتهم بقوله تعالى قل إن الله لا يأمر بالفحشاء فإن عادته تعالى جارية على
الأمر بمحاسن الأعمال والحث على مراضي الخصال ودلالة فيه على أن قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه عاجلا والعقاب آجلا عقلي فإن المراد بالفاحشة ما
ينفر الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كأنه قيل لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل لم فعلها
آباؤكم فقالوا الله أمرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد إذا قام الدليل بخلافه لا مطلقا أتقولون على الله ما لا تعلمون من تمام القول المأمور به والهمزة
لإنكار الواقع واستقباحه وتوجيه الإنكار والتوبيخ إلى قولهم عليه تعالى ما لا تعلمون صدوره عنه تعالى مع أن بعضهم يعلمون عدم صدوره عنه تعالى مبالغة
في إنكار تلك الصورة فإسناده ما لم يعلم صدوره عنه إليه تعالى إذا كان منكرا فإسناد ما علم عدم صدوره إليه عز وجل أشد قبحا وأحق بالإنكار قل
أمر ربي بالقسط بيان للمأمور به إثر نفي ما أسند أمره إليه تعالى من الأمور المنهي عنها والقسط العدل وهو الوسط من كل شيء المتجافي عن طرفي الإفراط والتفريط
وأقيموا وجوهكم وتوجهوا إلى عبادته مستقيمين غير عادلين إلى غيرها أو أقيموا وجوهكم نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود أو مكان سجود وهو الصلوة
أو في أي مسجد حضرتكم الصلوة عنده ولا تؤخروها حتى تعودوا إلى مساجدكم وادعوه مخلصين له الدين أي الطاعة فإن مصيركم إليه بالآخرة
كما بدأكم أي أنشأكم ابتداء تعودون إليه بإعادته فيجازيكم على أعمالكم وإنما شبه الإعادة بالابتداء تقريرا لإمكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم
من التراب تعودون إليه وقيل حفاة عراة غرلا تعودون إليه وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بأن وفقهم للإيمان وفريقا حق عليهم الضلالة
بمقتضى القضاء السابق التابع للمشيئة المبنية على الحكم البالغة وانتصابه بفعل مضمر يفسره ما بعده أي وخذل فريقا إنهم اتخذوا الشياطين أولياء
من دون الله تعليل لخذلانه أو تحقيق لضلالتهم ويحسبون أنهم مهتدون فيه دلالة على أن الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق الذم وللفارق
أن يحمله على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم أي ثيابكم لمواراة عورتكم عند كل مسجد أي طواف أو صلوة ومن السنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئته
للصلوة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلوة وكلوا واشربوا مما طاب لكم روي أن بني عامر كانوا في أيام حجهم لا يأكلون الطعام إلا قوتا ولا يأكلون

دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون بمثله فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال أو بالتعدي إلى الحرام أو بالإفراط في الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رض كل ما شئت والبس ما
شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد جمع الله الطب في نصف آية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين أي لا يرتضي
فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وما يتجمل به التي أخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من
الرزق أي المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على أن الأصل في المطاعم والملابس وأنواع التجملات الإباحة لأن الاستفهام في من للإنكار قل هي للذين آمنوا
في الحيوة الدنيا بالأصالة والكفرة وإن شاركوهم فيها فبالتبع خالصة يوم القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحالية وقرئ بالرفع على أنه خبر بعد خبر
كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون أي مثل هذا التفصيل نفصل سائر الأحكام لقوم يعلمون ما في تضاعيفها من المعاني الرائقة قل إنما حرم ربي الفواحش
أي ما تفاحش قبحه من الذنوب وقيل ما يتعلق منها بالفروج ما ظهر منها وما بطن بدل من الفواحش أي جهرها وسرها والإثم أي ما يوجب الإثم وهو تعميم بعد تخصيص وقيل
شرب الخمر والبغي أو الظلم أو الكبر أفرد للذكر للمبالغة في الزجر عنه بغير الحق متعلق بالبغي مؤكد له معنى وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين
وتنبيه على تحريم اتباع ما لا يدل عليه برهان وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون بالإلحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم والله أمرنا بها وتوجيه التحريم إلى قولهم
عليه تعالى ما لا يعلمون وقوعه لا ما يعلمون عدم وقوعه قد مر سره ولكل أمة من الأمم المهلكة أجل حد معين من الزمان مضروب لمهلكهم فإذا جاء أجلهم إن جعل الضمير
للأمم المدلول عليها بكل أمة فإظهار الأجل مضافا إليه لإفادة المعنى المقصود الذي هو بلوغ كل أمة أجلها الخاص بها ومجيئه إياها بواسطة اكتساب
الأجل بالإضافة عموما يفيد معنى الجمعية كأنه قيل إذا جاء آجالهم بأن يجيء كل واحدة من تلك الأمم أجلها الخاص بها وإن جعل لكل أمة خاصة كما هو الظاهر
فالإظهار في موقع الإضمار لزيادة التقرير والإضافة إلى الضمير لإفادة أكمل التمييز أي إذا جاءها أجلها الخاص بها لا يستأخرون عن ذلك الأجل ساعة
أي شيئا قليلا من الزمان فإنها مثل في غاية القلة منه أي لا يتأخرون أصلا وصيغة الاستفعال للإشعار بعجزهم وحرمانهم عن ذلك مع طلبهم ولا يستقدمون
أي ولا يتقدمون عليه وهو عطف على يستأخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع إمكانه في نفسه كالتأخر بل للمبالغة في انتفاء التأخر بنظمه في سلك المستحيل عقلا
كما في قوله سبحانه وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فإن من مات كافرا مع ظهور
أن لا توبة له رأسا قد نظم في عدم القبول في سلك من سوفها إلى حضور الموت إيذانا بتساوي وجود التوبة حينئذ وعدمها بالمرة وقيل المراد بالمجيء الدنو بحيث
يمكن التقدم في الجملة كمجيء اليوم الذي ضرب لهلاكهم ساعة فيه وليس بذاك وتقديم بيان انتفاء الاستئخار لما أن المقصود بالذات بيان عدم خلاصهم من العذاب
وأما في قوله تعالى ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون من سبق السبق في الذكر فلما أن المراد هناك بيان سر تأخير إهلاكهم مع استحقاقهم له حسبما ينبئ عنه قوله تعالى
ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون فالأهم هناك بيان انتفاء السبق يا بني آدم تلوين للخطاب وتوجيه له إلى كافة الناس اهتماما بشأن ما في حيزه
إما يأتينكم هي إن الشرطية ضمت إليها ما لتأكيد معنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة أو الخفيفة وفيه تنبيه على أن إرسال الرسل أمر جائز لا واجب عقلا
رسل منكم الجار متعلق بمحذوف هو صفة لرسل أي كائنون من جنسكم وقوله تعالى يقصون عليكم آياتي صفة أخرى لرسل أي يبينون لكم أحكامي وشرائعي وقوله تعالى فمن اتقى
وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون جملة شرطية وقعت جوابا للشرط أي فمن اتقى منكم التكذيب وأصلح عمله فلا خوف الخ وكذا قوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا
عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون أي والذين كذبوا منكم بآياتنا وإيراد الاتقاء في الأول للإيذان بأن مدار الفلاح ليس مجرد عدم التكذيب بل هو الاتقاء
والاجتناب عنه وإدخال الفاء في الجزاء الأول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أي تقول عليه تعالى
ما لم يقله أو كذب ما قاله أي هو أظلم من كل ظالم وقد مر تحقيقه مرارا أولئك إشارة إلى الموصول والجمع باعتبار معناه كما أن إفراد الفعلين باعتبار لفظه
وما فيه من معنى البعد للإيذان بتماديهم في سوء الحال أي أولئك الموصوفون بما ذكر من الافتراء والتكذيب ينالهم نصيبهم من الكتاب أي مما كتب لهم من الأرزاق
والأعمار وقيل الكتاب اللوح أي مما أثبت لهم فيه وأيا ما كان فمن للابتداء متعلقة بمحذوف وقع حالا من نصيبهم أي ينالهم نصيبهم كائنا من الكتاب
وقيل نصيبهم العذاب وسواد الوجه وزرقة العيون وعن ابن عباس رض كتب لمن يفتري على الله سواد الوجه قال تعالى ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم
مسودة وقوله تعالى حتى إذا جاءتهم رسلنا أي ملك الموت وأعوانه يتوفونهم أي حال كونهم متوفين لأرواحهم يؤيد الأول فإن حتى وإن كانت هي التي يبتدأ
بها الكلام لكنها غاية لما قبلها فلا بد أن يكون نصيبهم مما يتمتعون بها إلى حين وفاتهم أي ينالهم نصيبهم من الكتاب إلى أن يأتيهم ملائكة الموت فإذا جاءتهم
قالوا لهم أين ما كنتم تدعون من دون الله أي أين الآلهة التي كنتم تعبدونها في الدنيا وما وقعت موصولة بأين في خط المصحف وحقها الفصل لأنها موصولة
قالوا استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية سؤال الرسل كأنه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا ضلوا عنا أي غابوا عنا أي لا ندري

مكانهم **وشهدوا على انفسهم** عطف على قالوا اي عرفوا على انفسهم **انهم كانوا** اي في الدنيا **كافرين** عابدين لما لا يستحق العبادة اصلا حيث شاهدوا حاله وضلاله ولعله اريد بوقت مجيء الرسل وحال التوفي الزمان الممتد من ابتداء المجيء والتوفي الى نهاية يوم الجزاء بناء على تحقق المجيء والتوفي في كل ذلك الزمان بقاء وان كان حدوثهما في اوله فقط او قصد بيان غاية سرعة وقوع البعث والجزاء كانهما حاصلان عند ابتداء التوفي كما ينبئ عنه قوله عليه السلام من مات فقد قامت قيامته والا فهذا السؤال والجواب وما ترتب عليهما من الامر بدخول النار وما جرى بين اهلها من التلاعن والتقاول انما يكون بعد البعث لا محالة **قال** اي الله عز وجل يوم القيمة بالذات او بواسطة الملك **ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم** اي كائنين في جملة امم مصاحبين لهم **من الجن والانس** يعني كفار الامم الماضية من النوعين **في النار** متعلق بقوله ادخلوا **كلما دخلت امة** من الامم السابقة واللاحقة فيها **لعنت اختها** التي ضلت بالاقتداء بها **حتى اذا اداركوا فيها جميعا** اي تداركوا وتلاحقوا في النار **قالت اخراهم** دخولا او منزلة وهم الاتباع **لاولاهم** اي لاجلهم اذ الخطاب مع الله تع لا معهم **ربنا هؤلاء اضلونا** سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم **فآتهم عذابا ضعفا** اي مضاعفا **من النار** لانهم ضلوا واضلوا **قال لكل ضعف** اما القادة فلما ذكر من الضلال والاضلال واما الاتباع فلكفرهم وتقليدهم **ولكن لا تعلمون** اي ما لكم او ما لكل فريق من العذاب وقرئ بالياء **وقالت اولاهم** اي مخاطبين **لاخراهم** حين سمعوا جواب الله تع لهم **فما كان لكم علينا من فضل** اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب **فذوقوا العذاب** اي العذاب المعهود المضاعف **بما كنتم تكسبون** من قول القادة **ان الذين كذبوا بآياتنا** مع وضوحها **واستكبروا عنها** اي عن الايمان بها والعمل بمقتضاها **لا تفتح لهم ابواب السماء** اي لا تقبل ادعيتهم ولا اعمالهم او لا تعرج اليها ارواحهم كما هو شان ادعية المؤمنين واعمالهم وارواحهم والتاء في تفتح لتانيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرئ بالتخفيف وبالياء وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل للآيات وبالياء على انه لله تع **ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط** اي حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم فيما هو علم في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وفي كون الجمل مما ليس من شان الولوج في سم الابرة مبالغة في الاستبعاد وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنفر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجبل كالحبل وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وقرئ في سم المخيط وهو الخياط اي ما يخاط به كالحزام والمحزم **وكذلك** اي ومثل ذلك الجزاء الفظيع **نجزي المجرمين** اي جنس المجرمين وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا **لهم من جهنم مهاد** اي فراش من تحتهم والتنوين للتفخيم ومن تجريدية **ومن فوقهم غواش** اي اغطية والتنوين بدل من الاعلال عند سيبويه وللتصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف كما في قوله تع وله الجوار المنشآت **وكذلك** اي ومثل ذلك الجزاء الشديد **نجزي الظالمين** عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بكل واحد من ذينك الوصفين القبيحين وذكر الجرم مع الحرمان عن دخول الجنة والظلم مع التعذيب بالنار للتنبيه على انه اعظم الجرائم والجرائر **والذين آمنوا** اي بآياتنا او بكل ما يجب ان يؤمن به فيدخل فيه الآيات دخولا اوليا وقوله تع **وعملوا الصالحات** اي الاعمال الصالحة التي شرعت بالآيات وهذا بمقابلة الاستكبار عنها **لا نكلف نفسا الا وسعها** اعتراض وسط بين المبتدا الذي هو الموصول والخبر الذي هو جملة **اولئك اصحاب الجنة** للترغيب في اكتساب ما يؤدي الى النعيم المقيم ببيان سهولة مناله وتيسر تحصيله وقرئ لا تكلف نفس واسم الاشارة مبتدا واصحاب الجنة خبره والجملة خبر للمبتدا الاول الذي هو الموصول والخبر اصحاب الجنة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل والشرف **هم فيها خالدون** حال من اصحاب الجنة وقد جوز كونه حالا من الجنة لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الاضافة او اللام المقدرة او خبر ثان لاولئك على راي من يجوزه وفيها متعلق بخالدون **ونزعنا ما في صدورهم من غل** اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وصيغة الماضي للايذان بتحققه وتقرره وعن علي رض اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم **تجري من تحتهم الانهار** زيادة في لذتهم وسرورهم والجملة حال من الضمير في صدورهم والعامل اما معنى الاضافة واما العامل في المضاف او حال من فاعل نزعنا والعامل نزعنا وقيل هي مستانفة للاخبار عن صفة احوالهم **وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا** اي لما جزاؤه هذا **وما كنا لنهتدي** اي لهذا المطلب الاعلى او المطلب من المطالب التي هذا من جملتها **لولا ان هدانا الله** ووفقنا له واللام لتاكيد النفي وجواب لولا محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه ومفعول نهتدي وهدانا الثاني محذوف لظهور المراد للارادة التعميم كما اشير اليه والجملة مستانفة او حالية وقرئ ما كنا لنهتدي الخ بغير واو على انها مبينة ومفسرة للاولى **لقد جاءت رسل ربنا** جواب قسم مقدرة قالوا ابتهاجا واغتباطا بما نالوا وابتهاجا بايمانهم بما جاءتهم الرسل عليهم السلام

والباء في قوله تع **بالحق** اما للتعدية فهي متعلقة بجاءت او للملابسة فهي متعلقة بمقدر وقع حالا من الرسل اي والله لقد جاؤا بالحق او لقد جاؤا ملتبسين بالحق **ونودوا** اي نادتهم الملائكة عليهم السلام **ان تلكم الجنة** ان مفسرة لما في النداء من معنى القول او مخففة من ان وضمير الشان محذوف ومعنى البعد في اسم الاشارة اما لانهم نودوا عند رؤيتهم اياها من مكان بعيد اما لرفع منزلتها وبعد رتبتها واما للاشعار بانها تلك الجنة التي وعدوها في الدنيا **اورثتموها بما كنتم تعملون** في الدنيا من الاعمال الصالحة اي اعطيتموها بسبب اعمالكم او بمقابلة اعمالكم والجملة حال من الجنة والعامل معنى الاشارة على ان تلكم مبتدا والجنة صفته والخبر اورثتموها **ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار** تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم لا لمجرد الاخبار بحالهم والاستخبار عن حال مخاطبيهم **ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا** حذف المفعول من الفعل الثاني اسقاطا لهم عن رتبة التشريف بالخطاب عند الوعد وقيل لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا بهم وعدا كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة فانهم قد وجدوا جميع ذلك حقا وان لم يكن وعده مخصوصا بهم **قالوا نعم** اي وجدنا ما وعدنا حقا وقرئ بكسر العين وهي لغة فيه **فاذن مؤذن** قيل هو صاحب الصور **بينهم** اي بين الفريقين **ان لعنة الله على الظالمين** ان المخففة او المفسرة وقرئ بان المشددة ونصب لعنة وقرئ ان بكسر الهمزة على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال **الذين يصدون عن سبيل الله** صفة مقررة للظالمين او رفع على الذم او نصب عليه **ويبغونها عوجا** اي يبغون لها عوجا بان يصفوها بالزيغ والميل عن الحق وهو ابعد شيء منهما والعوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم يكن منتصبا وبالفتح ما كان في المنتصب كالرمح والحائط **وهم بالآخرة كافرون** غير معترفين **وبينهما حجاب** اي بين الفريقين كقوله تع فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احداهما الى الاخرى **وعلى الاعراف** اي على اعراف الحجاب واعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه بظهوره اعرف من غيره **رجال** طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيجلسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله تعالى فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء والاخيار والعلماء من المؤمنين او ملائكة يرون في صورة الرجال **يعرفون كلا** من اهل الجنة واهل النار **بسيماهم** بعلامتهم التي اعلمهم الله تعالى بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم بالقلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او بتعليم الملائكة **ونادوا** اي رجال الاعراف **اصحاب الجنة** حين رأوهم **ان سلام عليكم** بطريق الدعاء والتحية او بطريق الاخبار بنجاتهم من المكاره **لم يدخلوها** حال من فاعل نادوا او من مفعوله وقوله تع **وهم يطمعون** حال من فاعل يدخلوها اي لم يدخلوها حال كونهم طامعين في دخولها مترقبين له اي لم يدخلوها وهم في وقت عدم الدخول طامعون **واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار** اي الى جهتهم وفي عدم التعرض لتعلق انظارهم باصحاب الجنة والتعبير عن تعلق ابصارهم باصحاب النار بالصرف اشعار بان التعلق الاول بطريق الرغبة والميل والثاني بخلافه **قالوا** متعوذين بالله تع من سوء حالهم **ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين** اي في النار وفي وصفهم بالظلم دون ما هم عليه حينئذ من العذاب وسوء الحال الذي هو الموجب للدعاء اشعار بان المحذور عندهم ليس نفس العذاب فقط بل مع ما يوجبه ويؤدي اليه من الظلم **ونادى اصحاب الاعراف** كرر ذكرهم مع كفاية الاضمار لزيادة التقرير **رجالا** من رؤساء الكفار حين رأوهم فيما بين اصحاب النار **يعرفونهم بسيماهم** الدال على سوء حالهم يومئذ وعلى رياستهم في الدنيا **قالوا** بدل من نادى **ما اغنى عنكم** ما استفهامية للتوبيخ والتقريع او نافية **جمعكم** اي اتباعكم واشياعكم او جمعكم للمال **وما كنتم تستكبرون** ما مصدرية اي ما اغنى عنكم جمعكم واستكباركم المستمر عن قبول الحق او على الخلق وهو الانسب بما بعده وقرئ تستكثرون من الكثرة اي من الاموال والجنود **أهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة** من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء المؤمنين الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون صريحا انهم لا يدخلون الجنة او يفعلون ما ينبئ عن ذلك كما في قوله تع اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال **ادخلوا الجنة** تلوين للخطاب وتوجيه له الى اولئك المذكورين اي ادخلوا الجنة على رغم انوفهم **لا خوف عليكم** بعد هذا **ولا انتم تحزنون** او قيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله تع بعد ان حبسوا وشاهدوا احوال الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا والاظهر ان لا يكون المراد باصحاب الاعراف المقصرين في العمل لان هذه المقالات وما يتفرع عليه من المعرفة لا يليق بمن لم يتعين حاله بعد وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله تعالى او الملائكة ردا عليهم أهؤلاء الخ وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستيناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا في حقهم لا خوف عليكم **ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة** بعد ان استقر بكل من الفريقين القرار واطمانت به الدار **ان افيضوا علينا من الماء** اي صبوه وفيه دليل على ان الجنة فوق النار **او مما رزقكم الله** من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من الاطعمة على ان الافاضة عبارة عن الاعطاء بكثرة **قالوا** استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا

قالوا فتقبل قالوا ان الله حرمهما على الكافرين اي منعهما منهم منعاً كلياً فلا سبيل الى ذلك قطعاً الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً كتحريم البحيرة
والسائبة ونحوهما والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم الى ما لا يحسن ان يصرف اليه واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب وغرتهم الحيوة الدنيا
بزخارفها العاجلة فاليوم ننساهم نفعل بهم ما يفعل الناس بالمنسي من عدم الاعتداد بهم وتركهم في النار تركاً كلياً والفاء في فاليوم فصيحة
وقوله تع كما نسوا لقاء يومهم هذا في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي ننساهم نسياناً مثل نسيانهم لقاء يومهم هذا حيث لم يخطروه
ببالهم ولم يستعدوا له وقوله تع وما كانوا بآياتنا يجحدون عطف على ما نسوا اي وكما كانوا منكرين بانها من عند الله تع انكاراً مستمراً
ولقد جئناهم بكتاب فصلناه اي بيناً معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ والضمير للكفرة قاطبة والمراد بالكتاب الجنس او
للمعاصرين منهم والكتاب هو القرآن على علم حال من فاعل فصلناه اي عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيماً او من مفعوله اي مشتملاً على علم
كثير وقرئ فضلناه اي على سائر الكتب عالمين بفضله هدى ورحمة حال من المفعول لقوم يؤمنون لانهم المغتنمون بآثاره المقتبسون
من انواره هل ينظرون الا تأويله اي ما ينتظر هؤلاء الكفرة بعدم ايمانهم به الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما اخبر به من الوعد والوعيد
يوم يأتي تأويله وهو يوم القيمة يقول الذين نسوه من قبل اي تركوه ترك المنسي من قبل اتيان تأويله قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد تبين
انهم قد جاؤا بالحق ~~قد جاءت رسل ربنا بالحق~~ اليوم ويدفعوا عنا العذاب او نرد اي هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفاً على فيشفعوا
او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤول احد الامرين اما الشفاعة لدفع العذاب او الرد الى الدنيا وعلى الثاني ان يكون لهم شفعاء
اما لاحد الامرين او لامر واحد هو الرد فنعمل بالنصب على انه جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل غير الذي كنا نعمل اي في
الدنيا قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم التي هي رأس مالهم الى الكفر والمعاصي وضل عنهم ما كانوا يفترون اي ظهر بطلان ما كانوا يفترونه من ان
الاصنام شركاء الله تع وشفعاؤهم يوم القيمة ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام شروع في بيان مبداء الفطرة اثر بيان معاد الكفرة
اي ان خالقكم ومالككم الذي خلق الاجرام العلوية والسفلية في ستة اوقات كقوله تع ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان
المتعارف ان اليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن هي حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجاً مع القدرة على ابداعها دفعة دليل على
الاختيار للنظار وحث على التأني في الامور ثم استوى على العرش اي استوى امره واستولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله تعالى
بلا كيف والمعنى انه تعالى استوى على العرش على الوجه الذي عناه منزهاً عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به
لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشي الليل النهار اي يغطيه به ولم يذكر العكس للعلم به او لان اللفظ
يحتملها ولذلك قرئ بنصب الليل ورفع النهار وقرئ بالتشديد للدلالة على التكرار يطلبه حثيثاً اي يعقبه سريعاً كالطالب له لا يفصل بينهما شيء
والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل او من المفعول بمعنى حاثاً او محثوثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره اي
خلقهن حال كونهن مسخرات بقضائه وتصريفه وقرئ كلها بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر فانه الموجد للكل والمتصرف فيه على الاطلاق تبارك
الله رب العالمين اي تعالى بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الآية الكريمة والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين ارباباً فبين لهم ان
المستحق للربوبية واحد هو الله تع لانه الذي له الخلق والامر فانه تع خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالشمس
والقمر والنجوم كما اشار اليه بقوله تع فقضيهن سبع سموات في يومين وعمد الى الاجرام السفلية فخلق جسماً قابلاً للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها
بصور نوعية متباينة الآثار والافعال واشار بقوله تع وخلق الارض في يومين اي في يومين اي ما في جهة السفل في يومين ثم انشأ انواع المواليد
الثلثة بتركيب موادها وتصويرها ثانياً كما قال بعد قوله تع خلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها
في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين لما فصل في سورة السجدة ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على سريره فدبر الامر من السماء
الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال تع الا له الخلق والامر تبارك
الله رب العالمين ثم امر بان يدعوه مخلصين متذللين فقال ادعوا ربكم الذي قد عرفتم شؤونه الجليلة تضرعاً وخفية اي ذوي تضرع وخفية فان
الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين اي لا يجيب دعاء المجاوزين لما امروا به في كل شيء فيدخل فيه الاعتداء في الدعاء دخولاً اولياً وقد نبه على
ان الداعي يجب ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم

سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسئلك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل
ثم قرأ انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفاً وطمعاً اي ذوي خوف
نظراً الى قصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع نظراً الى سعة رحمته ووفور فضله واحسانه ان رحمت الله قريب من المحسنين في كل شيء ومن الاحسان في
الدعاء ان يكون مقروناً بالخوف والطمع وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة لمحذوف اي امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذي هو مصدر
كالنقيض والصهيل او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره او لاكتسابه التذكير من المضاف اليه كما ان المضاف يكتسي التأنيث
من المضاف اليه وهو الذي يرسل الرياح عطف على الجملة السابقة وقرئ الريح بشراً تخفيف بشر جمع بشير اي مبشرات وقرئ بفتح الباء على انه
مصدر بشره بمعنى باشرات او للبشارة وقرئ نشراً بالنون المضمومة جمع نشور اي ناشرات ونشراً على انه مصدر في موقع الحال بمعنى ناشرات
او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان بين يدي رحمته قدام رحمته التي هي المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب
تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت اي حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشيء يستقله سحاباً ثقالاً بالماء جمعه لانه بمعنى السحاب سقناه اي السحاب
وافراد الضمير لافراد اللفظ لبلد ميت اي لاجله ولمنفعته او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء اي بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح
والتذكير بتأويل المذكور وكذلك قوله تع فاخرجنا به ويحتمل ان يعود الضمير الى الماء وهو الظاهر واذا كان للبلد فالباء للالصاق في الاول والظرفية
في الثاني واذا كان لغيره فهي للسببية من كل الثمرات اي من كل انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اي كما
نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى موادها بعد جمعها
وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون بطرح احدى التائين اي تتذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا من غير شبهة والبلد
الطيب اي الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه في مقابلة
قوله والذي خبث من البلاد كالسبخة والحرة لا يخرج الا نكداً قليلاً عديم النفع ونصبه على الحال والتقدير والبلد الذي خبث لا يخرج نباته
الا نكداً فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعاً مستتراً وقرئ لا يخرج الا نكداً اي لا يخرجه البلد الا نكداً وقرئ نكداً
على المصدر اي ذا نكد ونكداً بالاسكان للتخفيف كذلك اي مثل ذلك التصريف البديع نصرف الآيات اي نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله تعالى
فيتفكرون فيها ويعتبرون بها وهذا كما ترى مثل لارسال الرسل عليهم السلام بالشرائع التي هي ماء حيوة القلوب الى المكلفين المنقسمين الى المقتبسين
من انوارها والمحرومين من مغانم آثارها وقد عقب ذلك بما يحققه ويقرره من قصص الامم الخالية بطريق الاستيناف فقيل لقد ارسلنا نوحاً الى قومه
وهو جواب قسم محذوف اي والله لقد ارسلنا الخ واطراد استعمال هذه اللام مع قد لكون مدخولها مظنة للتوقع الذي هو معنى قد فان الجملة
القسمية انما تساق لتأكيد الجملة المقسم عليها ونوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس النبي عليهما السلام قال ابن عباس رض بعث
عليه السلام على رأس اربعين سنة من عمره ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفاً
ومائتين واربعين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين ومكث يدعو قومه تسعمائة
وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفاً واربعمائة وخمسين سنة فقال يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه وحده
وترك التقييد به للايذان بانها العبادة حقيقة واما العبادة بالاشراك فليس من العبادة في شيء وقوله تع ما لكم من اله غيره اي من مستحق للعبادة
استيناف مسوق لتعليل العبادة المذكورة او الامر بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذي هو الرفع على الابتداء او الفاعلية وقرئ
بالجر باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستثناء وحكم غير حكم الاسم الواقع بعد الا اي ما لكم من اله الا اياه كقولك ما في الدار من احد الا زيداً او غير
زيد ومن اله ان جعل مبتدأ فلكم خبره او خبره محذوف ولكم للتخصيص والتبيين اي ما لكم في الوجود او في العالم اله غير الله اني اخاف عليكم اي ان لم
تعبدوه حسبما امرت به عذاب يوم عظيم هو يوم القيمة او يوم الطوفان والجملة تعليل للعبادة ببيان الصارف عن تركها اثر تعليلها ببيان الداعي
اليها ووصف اليوم بالعظم لبيان عظم ما يقع فيه وتكميل الانذار قال الملأ من قومه استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية قوله عليه السلام كأنه قيل
فماذا قالوا له عليه السلام في مقابلة نصحه فقيل قال الرؤساء من قومه والاشراف الذين يملؤن صدور المحافل باجرامهم والقلوب بجلالهم وهيبتهم والابصار
بجمالهم واهبتهم انا لنريك في ضلال اي ذهاب عن طريق الحق والصواب والرؤية قلبية ومفعولاها الضمير والظرف مبين بين كونه ضلالاً قال

بها ماؤها على المجاز اللغوي والمجاز في النهر وقد اسند اليها الجريان مجازا عقليا كما في سال الميزاب **كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا**
قالوا هذا الذي رزقنا من قبل صفة اخرى لجنات اخرت عن الاولى لان جريان الانهار من تحتها وصف لها باعتبار ذاتها وهذا
وصف لها باعتبار اهلها المتمتعين بها او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستانفة كانه حين وصف الجنات بما ذكر من الفخر وقع
في ذهن السامع أثمارها كثمار جنات الدنيا اولا فبين حالها وكلما نصب على الظرفية ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء
واقعتان موقع الحال كانه قيل كل وقت رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات وابتداؤه منها مقيد بكونه مبتدأ من ثمرة فصاحب
الحال الاولى رزقا وصاحب الثانية ضميره المستكن في الحال ويجوز كون من ثمرة بيانا قدم على المبين كما في قولك رأيت منك اسدا
وهذا اشارة الى ما رزقوا وان وقعت على فرد معين منه كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك لا تشير الى ما تعاينه بالذات
لكنك انما تعني بذلك النوع المعلوم المستمر فالمعنى هذا الذي رزقنا من قبل اي من قبل هذا في الدنيا ولكن لما استحكم الشبه بينهما
جعل ذاته ذاته وانما جعل ثمر الجنة كثمار الدنيا لتميل النفس اليه حين تراه فان الطباع مائلة الى المألوف متنفرة عن غيره معروف وليتبين
لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا غير معهود لظن انه لا يكون الا كذلك او مثل الذي رزقناه من قبل في الجنة لان طعامها متشابه
الصور كما يحكى عن الحسن رضي الله عنه ان احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فتقول الملائكة كل
فاللون واحد والطعم مختلف او كما روي انه عليه السلام قال والذي نفسي بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة فيأكلها
فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله تعالى مكانها مثلها والاول انسب لمحافظة عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذه المقالة كل
مرة رزقوا الا فيما عدا المرة الاولى يظهرون بذلك التبجح وفرط الاستغراب لما بينهما من التفاوت العظيم من حيث اللذة مع اتحادهما
في الشكل واللون كانهم قالوا هذا عين ما رزقناه في الدنيا فمن اين له هذه الرتبة من اللذة والطيب ولا يقدح فيه ما روي عن ابن
عباس من انه ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسم فان ذلك لبيان كمال التفاوت بينهما من حيث اللذة والحسن والهيئة لا لبيان
ان لا تشابه بينهما اصلا كيف لا واطلاق الاسماء منوط بالاتحاد النوعي قطعا هذا وقد فسرت الآية الكريمة بان مستلذات اهل الجنة
بمقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة الحال فيجوز ان يريدوا هذا ثواب الذي رزقناه في الدنيا من الطاعات
ولا يساعده تخصيص ذلك بالثمرات فان الجنة وما فيها من فنون الكرامات من قبيل الثواب **واتوا به متشابها** اعتراض مقرر لما قبله
والضمير المجرور على الاول راجع الى ما دل عليه فحوى الكلام مما رزقوا في الدارين كما في قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما
اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى المرزوق **ولهم فيها ازواج مطهرة** اي مما في نساء الدنيا من الاحوال المستقذرة
وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن من فاعلة وفواعل قال واذا العذارى بالدخان تقنعت
واستعجلت نصب القدور فملت فالجمع على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة وقرئ مطهرة بتشديد الطاء والهاء وكسر الهاء بمعنى
متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وما هو الا الله سبحانه وتعالى واما التطهر فيحتمل ان يكون من
قبل انفسهن كما عند اغتسالهن والزوج يطلق على الذكر والانثى وهو في الاصل اسم لما له قرين من جنسه وليس في مفهومه اعتبار التوالد
الذي هو مدار بقاء النوع حتى لا يصح اطلاقه على ازواج اهل الجنة لخلودهم فيها واستغنائهم عن الاولاد كما ان المدارية لبقاء الفرد
ليست بمعتبرة في مفهوم اسم الرزق حتى يخل ذلك باطلاقه على ثمار الجنة **وهم فيها خالدون** اي دائمون والخلود في الاصل الثبات
المديد دام او لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار الخوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله خلد ولو كان وضعه للدوام
لما قيد بالتأبيد في قوله عز قائلا خالدين فيها ابدا ولما استعمل حيث لا دوام فيه لكن المراد بها الدوام قطعا لما يقتضيه من الآيات
والسنن وما قيل من ان الابدان مؤلفة من الاجزاء المتضادة في الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانحلال والانفكاك مدارة
قياس ذلك العالم الكامل بما يشاهد في عالم الكون والفساد على انه يجوز ان يعيدها الخالق تعالى بحيث لا يعتورها الاستحالة

الاستحالة ولا يعتريها الانحلال قطعا بان يجعل اجزاءها متفاوتة في الكيفيات متعادلة في القوى بحيث لا يقوى شيء منها عند التفاعل
على احالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض ويبقى هذه النسبة منحفظة فيما بينهما ابدا لا يعتريها التغيير بالاكل والشرب
والحركات وغير ذلك واعلم ان معظم اللذات الحسية لما كان مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح حسبما يقضي به الاستقراء وكان
ملاك جميع ذلك الدوام والثبات اذ كل نعمة وان جلت حيث كانت في شرف الزوال ومعرض الاضمحلال فانها منغصة غير صافية
من شوائب الالم بشر المؤمنين بها وبدوامها تكميلا للبهجة والسرور اللهم وفقنا لمراضيك وثبتنا على ما يؤدي اليه من العقد والعمل
ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة شروع في تنزيه ساحة التنزيل عن تعلق ريب خاص اعتراهم من جهة ما وقع
من ضرب الامثال وبيان لحكمته وتحقيق للحق اثر تنزيهها عما اعتراهم من مطلق الريب بالتحدي والقام الحجر وافحام كافة البلغاء
من اهل المدر والوبر روى ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المنافقين طعنوا في ضرب الامثال وروى عطاء عنه ان هذا الطعن
كان من المشركين وروي عنه ايضا انه لما نزل قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له الآية وقوله تعالى مثل الذين اتخذوا
من دون الله اولياء الآية قالت اليهود اي قدر للذباب والعنكبوت حتى يضرب الله بهما المثل وجعلوا ذلك ذريعة الى انكار كونه
من عند الله تعالى مع انه لا يخفى على احد ممن له تمييز انه ليس مما يتصور فيه التردد فضلا عن النكير بل هو من اوضح ادلة كونه خارجا
عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر كيف لا وان التمثيل كما مر ليس الا ابراز المعنى المقصود في معرض الامر المشهود
وتحلية المعقول بحلية المحسوس وتصوير اوابد المعاني بهيئة المأنوس لاستمالة الوهم واستنزاله عن معارضته للعقل واستعصائه
عليه في ادراك الحقائق الخفية وفهم الدقائق الابية كي يتابعه فيما يقتضيه ويشايعه الى ما لا يرتضيه ولذلك شاعت الامثال في الكتب
الالهية والكلمات وذاعت في عبارات البلغاء واشارات الحكماء ومن قضيته وجوب التماثل بين المثل والممثل به في مناط التمثيل
العظيم بالعظيم والحقير بالحقير وقد مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة ومعارضة السفهاء باثارة الزنابير وجاء في عبارات
البلغاء اجمع من ذرة واجرأ من ذباب واسمع من قراد واضعف من بعوضة الى غير ذلك مما لا يكاد يحصره والحياء تغير النفس وانقباضها
عما يعاب به او يذم عليه يقال حيي الرجل وهو حي واشتقاقه من الحيوة اشتقاق شنطي ونسي وخشي من الشنطا والنسا والحشا
يقال شنطي الفرس ونسي وحشي اذا اعتلت منه تلك الاعضاء كان من يعتريه الحياء يعتل قوته الحيوانية وينقص واستحيى بمعناه خلا انه
يتعدى بنفسه وبحرف الجر يقال استحييته واستحييت منه والاول لا يتعدى الا بحرف الجر وقد يحذف منه احدى اليائين ومنه قوله
لا يستحيي منا الملوك ويتقي محارمنا بيوء الدم بالدم وقوله اذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد وكما انه
اسند اليه سبحانه بطريق الايجاب في مثل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه وقوله عليه السلام ان الله
حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا اريد به الترك الخاص على طريقة التمثيل حيث مثل في
الحديثين الكريمين تركه تعذيب ذي الشيبة وتخييب العبد من عطائه بترك من يترك هما حياء كذلك اذا نفي عنه تعالى في المواد
الخاصة كما في هذه الآية الشريفة وفي قوله تعالى والله لا يستحيي من الحق يراد سلب ذلك الترك الخاص المضاهي لترك المستحيي عنه
لا سلب وصف الحياء عنه تعالى راسا كما في قولك ان الله لا يوصف بالحياء لان تخصيص السلب ببعض المواد يوهم كون الايجاب من
شانه تعالى في الجملة فالمراد ههنا عدم تركه ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي من ضربه وفيه رمز الى تعاضد الدواعي الى ضربه
وتواخذ البواعث اليه اذ الاستحياء انما يتصور في الافعال المقبولة للنفس المرضية عندها ويجوز ان يكون وروده على طريقة
المشاكلة فانهم كانوا يقولون اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالاشياء المحقرة كما في قول من قال من مبلغ افناء يعرب
كلها اني بنيت الجار قبل المنزل وضرب المثل استعماله في مضربه وتطبيقه به لا صنعه وانشاؤه في نفسه والا لكان انشاء الامثال الثابتة
في موارده ضربا لها دون استعمالها في مضاربها مع انه ليس كذلك لكن التعبير عنه بالضرب ليس بهذا الاعتبار بل باعتبار

وتقديم الظرف الاول على الثاني مع ان مبدأ الشيء متقدم على منتهاه للمسارعة الى بيان اصابة المكروه بهم وكذا تقديمهما على الفاعل الذي هو قوله تعالى
رجس مع ما فيه من التشويق الى المؤخر ولان فيه نوع طول ما عطف عليه من قوله تعالى وغضب فربما اخل تقديمه بتجاوب النظم الكريم والرجس
العذاب من الارتجاس الذي هو الاضطراب والغضب ارادة الانتقام وتنوينهما للتفخيم والتهويل اتجادلونني في اسماء عارية عن المسمى سميتموها
اي سميتم بها انتم وآباؤكم انكار واستقباح لانكارهم مجيئه عليه السلام داعيا لهم الى عبادة الله وحده وترك عبادة الاصنام اي اتجادلونني
في اشياء سميتموها آلهة ليست هي الا محض الاسماء من غير ان يكون فيها من مصداق الالهية شيء ما لان المستحق للمعبودية بالذات ليس الا من
اوجد الكل وانها لو استحقت لكان ذلك بجعله تعالى اما بانزال آية او بنصب حجة وكلاهما مستحيل وذلك قوله تعالى ما نزل الله بها من سلطان واذ ليس ذلك
في حيز الامكان تحقق بطلان ما هم عليه فانتظروا مترتب على قوله تعالى قد وقع عليكم اي فانتظروا ما تطلبونه بقولكم فأتنا بما تعدنا اني معكم من
المنتظرين لما يحل بكم والفاء في قوله تعالى فانجيناه فصيحة كما في قوله فانفجرت اي فوقع ما وقع فانجيناه والذين معه اي في الدين برحمة عظيمة لا يقادر قدرها
منا اي من جهتنا تتعلق بمحذوف هو نعت لرحمة مؤكد لفخامتها الذاتية المنفهمة من تنكيرها بالفخامة الاضافية وقطعنا دابر الذين
كذبوا بآياتنا اي استأصلناهم بالكلية ودمرناهم عن آخرهم وما كانوا مؤمنين عطف على كذبوا داخل معه في حكم الصلة اي اصروا على الكفر والتكذيب
ولم يرعووا عن ذلك ابدا وتقديم حكاية الانجاء على حكاية الاهلاك قد مر سره وفيه تنبيه على ان مناط النجاة هو الايمان بالله تعالى
وتصديق آياته كما ان مدار البوار هو الكفر والتكذيب وقصتهم ان عادا قوم كانوا باليمن بالاحقاف وكانوا قد تبسطوا في البلاد
ما بين عمان الى حضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله تعالى اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم
حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله تعالى عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم بلاء
طلبوا الى الله تعالى الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم
معاوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فلما قدموا
نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر
وتغنيهم قينتا معاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالي واصهاري وهؤلاء على
ما هم عليه وكان يستحيي ان يكلمهم خشية ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله
فقال معاوية الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما فلما غنتا به
قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله
لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله تعالى سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا فانه قد
اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله تعالى سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء
ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد يقال له المغيث
فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة فعبدوا الله تعالى فيها الى ان ماتوا
والى ثمود اخاهم صالحا عطف على ما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا موافق له في تقديم المجرور على المنصوب وثمود قبيلة من العرب
سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام وقيل انما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ بالصرف بتأويل الحي
وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى واخوة صالح لهم من حيث النسب كهود عليه السلام فانه صالح بن عبيد بن آسف بن
ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود ولما كان الاخبار بارساله عليه السلام اليهم مظنة لان يسأل ويقال فماذا قال لهم قيل جوابا عنه بطريق الاستئناف
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وقد مر الكلام في نظائره قد جاءتكم بينة اي آية ومعجزة ظاهرة شاهدة بنبوتي وهي من
الالفاظ الجارية مجرى الابطح والابرق في الاستغناء عن ذكر موصوفاتها حالة الافراد والجمع كالصالحة افرادا وجمعا وكذلك الحسنة
والسيئة سواء كانتا صفتين للاعمال او المثوبة او الحالة من الرخاء والشدة ولذلك اوليت العوامل وقوله تعالى من ربكم متعلق
بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لبينة كما مر مرارا والمراد بها الناقة وليس هذا الكلام منه عليه السلام اول ما خاطبهم اثر دعوتهم

الى التوحيد بل انما قاله بعد ما نصحهم وذكرهم بنعم الله تعالى فلم يقبلوا كلامه وكذبوه الى ما في سورة هود من قوله تعالى هو انشأكم من الارض
واستعمركم فيها الى آخر الآيات روي انه لما اهلكت عاد عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض وكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل
كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله تعالى وافسدوا في الارض وعبدوا
الاوثان فبعث الله تعالى اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله عز وجل فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم
وانذرهم فسألوه آية فقال اية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب
لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم فدعوا اوثانهم وسألوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو
واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت
البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليه السلام عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى
ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله
وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤسهم ان يؤمنوا فمكثت
الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فاذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعها حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج
فيحتلبون ما شاؤا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا
وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما
اضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقى جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال
لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه فانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة
وبعد غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله تعالى الى ارض
فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فأتتهم صيحة من السماء ورجفة من الارض فتقطعت قلوبهم فهلكوا
وقوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية استئناف مسوق لبيان البينة واضافة الناقة الى الاسم الجليل لتعظيمها ولمجيئها من جهته تعالى بلا اسباب معهودة
ووسائط معتادة ولذلك كانت آية واي آية ولكم بيان لمن هي آية له وانتصاب آية على الحالية والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان يكون
ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان له او مبتدأ ثانيا ولكم خبرا عاملا في آية فذروها تفريع على كونها آية من آيات الله تعالى فان ذلك مما
يوجب عدم التعرض لها تأكل في ارض الله جواب الامر اي الناقة ناقة الله والارض ارض الله فاتركوها تأكل ما تأكل في ارض ربها فليس لكم ان تحولوا
بينها وبينها وقرئ تأكل بالرفع على انه في موقع الحال اي آكلة فيها وعدم التعرض للشرب اما للاكتفاء عنه بذكر الاكل او لتعميمه له ايضا كما في قوله
وعلفتها تبنا وماء باردا وقد ذكر ذلك في قوله تعالى لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة
بالشر الشامل لانواع الاذية ونكر السوء مبالغة في النهي اي لا تتعرضوا لها بشيء مما يسوءها اصلا ولا تطردوها ولا تريبوها اكراما لآية الله
تعالى فيأخذكم عذاب اليم جواب للنهي ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم
القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه
يا علي اتدري من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدري من اشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك واذكروا اذ جعلكم
خلفاء من بعد عاد اي خلفاءهم في الارض او خلفاء لهم كما مر وبوأكم في الارض اي جعل لكم مباءة ومنزلا في ارض الحجر بين الحجاز والشام تتخذون من سهولها قصورا
استئناف مبين لكيفية التبوئة اي تبنون في سهولها قصورا رفيعة او تبنون من سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن والآجر
وتنحتون الجبال اي الصخور وقرئ تنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع الفتحة كما في قوله ينباع من ذفرى سيل حرة والنحت نجر الشيء
الصلب فانتصاب الجبال على المفعولية وانتصاب قوله تعالى بيوتا على انها حال مقدرة منها كما تقول خط هذا الثوب قميصا وقيل انتصاب الجبال
على اسقاط الجار اي من الجبال وانتصاب بيوتا على المفعولية وقد جوز ان يضمن النحت معنى الاتخاذ فانتصابهما على المفعولية قيل كانوا
يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء فاذكروا آلاء الله التي انعم بها عليكم مما ذكر او جميع الآلاء التي هذه من جملتها ولا تعثوا في الارض

مفسدين فان حق آلاء الله تعالى ان تشكر و لا تهمل ولا يغفل عنها فكيف بالكفر و العثي في الارض بالافساد قال الملأ الذين استكبروا من قومه
اي عتوا وتكبروا والاستيناف كما سلف وقرئ بالواو عطفا على ما قبله من قوله تعالى قال يا قوم الخ واللام في قوله تعالى للذين استضعفوا للتبليغ وقوله
تعالى لمن آمن منهم بدل من الموصول باعادة العامل بدل الكل ان كان ضمير منهم لقومه وبدل البعض ان كان للذين استضعفوا على ان من
المستضعفين من لم يؤمن والاول هو الوجه اذ لا داعي الى توجيه الخطاب اولا الى جميع المستضعفين مع ان المجاوبة مع المؤمنين منهم على ان
الاستضعاف مختص بالمؤمنين اي قالوا للمؤمنين الذين استضعفوهم واسترذلوهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه وانما قالوه بطريق الاستهزاء
بهم قالوا انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا عن الجواب الموافق لسؤالهم بان يقولوا نعم او نعلم انه مرسل منه تعالى مسارعة الى تحقيق الحق
واظهار ما لهم من الايمان الثابت المستمر الذي ينبئ عنه الجملة الاسمية وتنبيها على ان امر ارساله من الظهور بحيث لا ينبغي ان يسأل عنه وانما
الحقيق بالسؤال عنه هو الايمان به قال الذين استكبروا اعيد الموصول مع صلته مع كفاية الضمير ايذانا بانهم قد قالوا ما قالوه بطريق العتو
والاستكبار انا بالذي آمنتم به كافرون وانما لم يقولوا انا بما ارسل به كافرون اظهارا لمخالفتهم اياهم وردا لمقالتهم فعقروا الناقة
اي نحروها اسند العقر الى الكل مع ان المباشر بعضهم للملابسة او لان ذلك لما كان برضاهم فكأنه فعله كلهم وفيه من تهويل الامر وتفظيعه
بحيث اصابت غائلته الكل ما لا يخفى وعتوا عن امر ربهم اي استكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح عليه السلام من الامر والنهي وقالوا
مخاطبين له عم بطريق التعجيز والافحام على زعمهم يا صالح ائتنا بما تعدنا اي من العذاب والاطلاق للعلم به قطعا ان كنت من المرسلين فان
كونك من جملتهم يستدعي صدق ما تقول من الوعد والوعيد فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة لكن لا اثر ما قالوا ما قالوا بل بعد ما جرى عليهم
ما جرى من مبادي العذاب في الايام الثلاثة حسبما مر تفصيله فاصبحوا في دارهم اي صاروا في ارضهم وبلدهم او في مساكنهم جاثمين
هامدين موتى لا حراك بهم واصل الجثوم البروك يقال الناس جثوم اي قعود لا حراك بهم ولا ينبسون بنبسة قال ابو عبيدة الجثوم للناس
والطير والبروك للابل والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه
من شدة الاخذ وسرعة البطش اللهم انا نعوذ بك من نزول سخطك وحلول غضبك وجاثمين خبر لاصبحوا والظرف متعلق به ولا مساغ
لكونه خبرا وجاثمين حالا لافضائه الى كون الاخبار بكونهم في دارهم مقصودا بالذات وكونهم جاثمين قيدا تابعا له غير مقصود بالذات
قيل حيث ذكرت الرجفة وحدت الدار وحيث ذكرت الصيحة جمعت لان الصيحة كانت من السماء فبلوغها اكثر وابلغ من الزلزلة
فقرن كل منهما بما هو اليق به فتولى عنهم اثر ما شاهد ما جرى عليهم تولي مغتم متحسر على ما فاتهم من الايمان متحزنا عليهم وقال يا قوم لقد
ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم بالترغيب والترهيب وبذلت فيكم وسعي ولكن لم تقبلوا مني ذلك وصيغة المضارع في قوله تعالى ولكن لا تحبون
الناصحين حكاية حال ماضية اي شأنكم الاستمرار على بغض الناصحين وعداوتهم خاطبهم عليه السلام بذلك كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اهل قليب بدر حيث قال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وقيل انما تولى عنهم قبل نزول العذاب عنهم عند
مشاهدته عليه السلام لعلاماته تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم على ما هم عليه وروي ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم
العذاب يوم السبت وروي انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا
وخمسمائة دار وروي انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم ولوطا منصوب بفعل مضمر معطوف على ما سبق وعدم التعرض للمرسل اليهم مقدما على
المنصوب حسبما وقع فيما سبق وما لحق قد مر بيانه في قصة هود عليه السلام وهو لوط بن هاران بن تارخ ابن اخي ابراهيم عليهما السلام كان
من ارض بابل من العراق مع عمه ابراهيم فهاجر الى الشام فنزل فلسطين وانزل لوطا الاردن وهي كورة بالشام فارسله الله تعالى الى
اهل سدوم وهو بلد بحمص وقوله تعالى اذ قال لقومه ظرف للمضمر المذكور اي ارسلنا لوطا الى قومه وقت قوله لهم الخ ولعل تقييد ارساله عليه
السلام بذلك لما ان ارساله اليهم لم يكن في اول وصوله اليهم وقيل هو بدل من لوطا بدل اشتمال على ان انتصابه باذكر اي اذكر وقت قوله
عليه السلام لقومه اتأتون الفاحشة بطريق الانكار التوبيخي التقريعي اي اتفعلون تلك الفعلة المتناهية في القبح المتمادية في الشرية
والسوء ما سبقكم بها ما عملها قبلكم على ان الباء للتعدية كما في قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة من قولك سبقته بالكرة اي ضربتها
قبله ومن في قوله تعالى من احد مزيدة لتأكيد النفي وافادة معنى الاستغراق وقوله تعالى من العالمين للتبعيض والجملة مستأنفة مسوقة للتأكيد

النكير وتشديد التوبيخ والتقريع فان مباشرة القبيح قبيح واختراعه اقبح ولقد انكر الله تعالى عليهم اولا اتيان الفاحشة ثم وبخهم بانهم اول من
عملها فان سبك النظم الكريم وان كان على نفي كونهم مسبوقين من غير تعرض لكونهم سابقين لكن المراد انهم سابقون لكل من عداهم من العالمين كما مر
تحقيقه مرارا في نحو قوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او مسوقة جوابا عن سؤال مقدر كأنه قيل من جهتهم لم لا نأتيها فقيل بيانا للعلة
واظهارا للزاجر ما سبقكم بها احد لغاية قبحها وسوء سبيلها فكيف تفعلونها قال عمرو بن دينار ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط
قال محمد بن اسحق كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في الدنيا مثلها فقصدهم الناس فآذوهم فعرض لهم ابليس في صورة شيخ ان فعلتم بهم كذا
وكذا نجوتم منهم فابوا فلما الح الناس عليهم قصدوهم فاصابوا غلمانا صباحا فاخبثوا فاستحكم فيهم ذلك قال الحسن كانوا لا يفعلون
ذلك الا بالغرباء وقال الكلبي اول من فعل به ذلك الفعل ابليس الخبيث حيث تمثل لهم في صورة شاب جميل فدعاهم الى نفسه ثم عبثوا
بذلك العمل انكم لتأتون الرجال خبر مستأنف لبيان تلك الفاحشة وقرئ بهمزتين صريحتين وبتليين الثانية بغير مد وبمد ايضا على انه
تأكيد للانكار السابق وتشديد للتوبيخ وفي زيادة ان واللام مزيد تقبيح وتقريع كأن ذلك امر لا يتحقق صدوره عن احد فيؤكد تأكيدا
قويا وفي ايراد لفظ الرجال دون الغلمان والمردان ونحوهما مبالغة في التوبيخ وقوله تعالى شهوة مفعول له او مصدر في موقع الحال وفي التقييد
بها وصفهم بالبهيمة الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي له ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الشهوة ويجوز
ان يكون المراد الانكار عليهم وتقريعهم على اشتهائهم تلك الفعلة الخبيثة المكروهة كما ينبئ عنه قوله تعالى من دون النساء اي متجاوزين النساء
اللاتي هن محال الاشتهاء كما ينبئ عنه قوله تعالى هن اطهر لكم بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار المذكور الى الاخبار بحالهم التي افضت بهم الى
ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف اي لا عذر لكم فيه بل انتم
قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه اي المستكبرين منهم المتولين للامر والنهي المتصدين للعقد والحل وقوله تعالى الا ان قالوا استثناء
مفرغ من اعم الاشياء اي ما كان جوابا من جهة قومه شيء من الاشياء الا قولهم اي لبعضهم الآخرين المباشرين للامور معرضين عن مخاطبته عم
اخرجوهم اي لوطا ومن معه من اهله المؤمنين من قريتكم اي الا هذا القول الذي يستحيل ان يكون جوابا لكلام لوط عم وقرئ برفع جوابه
على انه اسم كان والا ان قالوا الخ خبرها وهو اظهر وان كان الاول اقوى في الصناعة لان الاعرف احق بالاسمية واياما كان فليس المراد
انه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن مقالات لوط عم ومواعظه الا هذه المقالة الباطلة كما هو المتسارع الى الافهام بل انه لم يصدر عنهم في المرة
الاخيرة من مرات المحاورات الجارية بينهم وبينه عم الا هذه الكلمة الشنيعة والا فقد صدر عنهم قبل ذلك كثير من الترهات حسبما حكي عنهم في سائر
السور الكريمة وهذا هو الوجه في نظائره الواردة بطريق القصر وقوله تعالى انهم اناس يتطهرون تعليل للامر بالاخراج ووصفهم بالتطهر للاستهزاء
والسخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش والخبائث والافتخار بما هم فيه من القذارة كما هو ديدن الشطار والدعار فانجيناه واهله اي
المؤمنين منهم الا امرأته استثناء من اهله فانها كانت تسر بالكفر كانت من الغابرين اي الباقين في ديارهم الهالكين فيها والتذكير للتغليب ولبيان
استحقاقها لما يستحقه المباشرون للفاحشة والجملة استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عن استثنائها من حكم الانجاء كأنه قيل فماذا كان حالها فقيل
كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وقد بينه قوله تعالى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل قال ابو عبيدة مطر في الرحمة وامطر في
العذاب وقال الراغب مطر في الخير وامطر في العذاب والصحيح ان امطرنا بمعنى ارسلنا عليهم ارسال المطر قيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا
اربعة آلاف بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم
وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه وروي
ان امرأته التفتت نحو ديارها فاصابها حجر فماتت فانظر كيف كان عاقبة المجرمين خطاب لكل من يتأتى منه التأمل والنظر تعجيبا من حالهم
من اعمالهم والى مدين اخاهم شعيبا عطف على قوله والى عاد اخاهم هودا وما عطف عليه وقد روعي ههنا ما في المعطوف عليه من تقديم المجرور على المفعول
اي وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم عم شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين وقيل شعيب بن ثويب بن مدين وقيل شعيب بن
يثرون بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء عليهم السلام لحسن مراجعة قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين مع كفرهم قال استيناف
مبني على سؤال نشأ عن حكاية ارساله اليهم كأنه قيل فماذا قال لهم فقيل قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره مر تفسيره مرارا قد جاءتكم

بيّنة اي معجزة وقوله تعـ من ربكم متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لفاعله مؤكدة لفخامته الذاتية المستفادة من تنكيره بفخامته الاضافية
اي بينة عظيمة ظاهرة كائنة من ربكم ومالك اموركم ولم يذكر معجزته عم في القرآن العظيم كما لم يذكر اكثر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم
فمنها ما روي من محاربة عصا موسى عم التنين حين دفع اليه غنمه ومنها ولادة الغنم الدرع خاصة حين وعد ان يكون له الدرع من الاولاد
ومنها وقوع عصا آدم على يده في المرات السبع لان كل ذلك كان قبل ان يستنبأ موسى عليهما السلام وقيل البينة مجيئه عم كما في قوله
تعـ يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي اي حجة واضحة وبرهان نير عبر بهما عما آتاه الله تعـ من النبوة والحكمة فاوفوا الكيل اي المكيال
كما وقع في سورة هود ويؤيده قوله تعـ والميزان فان المتبادر منه الآلة وان جاز كونه مصدرا كالميعاد وقيل آلة الكيل والوزن على
الاضمار والفاء لترتيب الامر على مجيء البينة ويجوز ان يكون عاطفة على اعبدوا فان عبادة الله تعـ موجبة للاجتناب عن المناهي التي معظمها
بعد الكفر البخس الذي كانوا يباشرونه ولا تبخسوا الناس اشياءهم التي تشترونها بهما معتمدين على تمامهما اي شيء كان واي مقدار كان
فانهم يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه قال زهير افي كل اسواق العراق اتاوة وفي
كل ما باع امرؤ مكس درهم ولا تفسدوا في الارض اي بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها واهلها الانبياء واتباعهم باجراء الشرائع او اصلحوا
فيها والاضافة اليها كالاضافة في مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في
الانسانية وحسن الاحدوثة وما يطلبونه من التكسب والربح لان الناس اذا عرفوهم بالامانة رغبوا في معاملتهم ومتاجرتهم ان كنتم مؤمنين
اي مصدقين لي في قولي هذا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون اي بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب
الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا رأوا احدا يشرع في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا
انه كذاب لا يفتننك عن دينك ويتوعدون من آمن به وقيل يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله اي السبيل الذي قعدوا عليه
فوضع المظهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله او بكل صراط على انه عبارة
عن طرق الدين وقوله من آمن به مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقيل وتصدونهم وتوعدون حال من الضمير في تقعدوا
وتبغونها عوجا اي وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او بوصفها للناس بانها معوجة وهي ابعد شيء من شائبة الاعوجاج واذكروا
اذ كنتم قليلا فكثركم بالبركة في النسل والمال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم الماضية كقوم نوح ومن بعدهم من عاد وثمود
واضرابهم واعتبروا بهم وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به من الشرائع والاحكام وطائفة لم يؤمنوا اي به او لم يفعلوا الايمان
فاصبروا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب
لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ الذين استكبروا من قومه استئناف مبني على سؤال ينساق اليه المقال كأنه قيل فماذا قالوا بعد ما سمعوا هذه
المواعظ من شعيب عم فقيل قال اشراف قومه المستكبرون متطاولين عليه عليه السلام غير مكتفين بمجرد الاستعصاء عليه والامتناع من الطاعة له بل
بالغين من العتو والاستكبار الى ان قصدوا استتباعه عم فيما هم فيه واتباعه المؤمنين واجترؤا على اكراههم عليه بوعيد النفي وخاطبوه عم
بذلك على طريقة التوكيد القسمي لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا بنسبة الاخراج اليه عليه السلام اولا والى المؤمنين ثانيا بعطفهم عليه تنبيها على
اصالته عم في الاخراج وتبعيتهم له فيه كما ينبئ عنه قوله تعـ معك فانه متعلق بالاخراج لا بالايمان وتوسيط النداء باسمه العلمي بين المعطوفين لزيادة
التقرير والتهديد الناشئة عن غاية الوقاحة والطغيان اي والله لنخرجنك واتباعك من قريتنا بغضا لكم ودفعا لفتنتكم المترتبة على المساكنة
والجوار وقوله تعـ او لتعودن في ملتنا عطف على جواب القسم اي والله ليكونن احد الامرين البتة على ان المقصود الاصلي هو العود وانما ذكر النفي
والاجلاء لمحض القسر والالجاء كما يفصح عنه عدم تعرضه عم لجواب الاخراج كأنهم قالوا لا نقركم فيما بين ظهرانينا حتى تدخلوا في ملتنا وادخاله عم
في خطاب العود مع استحالة كونه عليه السلام في ملتهم قبل ذلك انما هو بطريق تغليب الجماعة على الواحد وانما لم يقولوا او لنعيدنكم على طريقة
ما قبله لما ان مرادهم ان يعودوا اليها بصورة الطواعية حذار الاخراج باختيار اهون الشرين لا اعادتهم بسائر وجوه الاكراه والتعذيب
قال استئناف كالسوابق اي قال عليه السلام ردا لمقالتهم الباطلة وتكذيبا لهم في ايمانهم الفاجرة اولو كنا كارهين على ان الهمزة لانكار الوقوع
ونفيه لا لانكار الواقع واستقباحه كالتي في قوله تعـ اولو جئتك بشيء مبين ويجوز ان يكون الاستفهام فيه باقيا على حاله وقد مر ان ان

ان كلمة لو في مثل هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء في الزمن الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف تعويلا على دلالة ما قبلها عليه
ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق بالذات او بالواسطة من الحكم الموجب
او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه
ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلأن يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء
من سائر الاحوال ويكتفي عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا
معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والامر والنهي كما في قولك فلان جواد يعطي ولو
كان فقيرا وبخيل لا يعطي ولو كان غنيا وقولك احسن اليه ولو اساء اليك ولا تهنه ولو اهانك لبقائه على حاله سالما عما يغيره واما فيما
نحن فيه ففيه نوع خفاء لتغيره بورود الانكار عليه لكن الاصل في الكل واحد الا ان كلمة لو في الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل
المذكور قبلها وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو نفس مدلوله وان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق به وان ما في حيز لو مقرر على ما
هو عليه من الاستبعاد بخلاف ما نحن فيه لما ان كلمة لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه المذكور وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو
مدلوله لا مدلول المذكور وان الجملة حال من ضميره لا من ضمير المذكور كما سيأتي وان المقصود الاصلي انكار مدلوله من حيث مقارنته للحالة المذكورة
واما تقدير مقارنته لغيرها فلتوسيع الدائرة وان ما في حيز لو لا يقصد استبعاده في نفسه بل يقصد الاشعار بانه امر مقرر الا انه اخرج مخرج
الاستبعاد مبالغة في الانكار من جهة ان العود مما ينكر عند كون الكراهة امرا مستبعدا فكيف به عند كونها امرا محققا ومعاملة مع المخاطبين
على معتقدهم لاستنزالهم من رتبة العناد وليس المراد بالكراهة مجرد كراهة المؤمنين للعود في ملة الكفرة ابتداء حتى يقال انها معلومة
لهم فكيف تكون مستبعدة عندهم بل تمادي كراهتهم له بعد وعيد الاخراج الذي جعل قرينا للقتل في قوله تعـ ولو انا كتبنا عليهم الآية فانهم
كانوا يستبعدونها ويطمعون في انهم حينئذ يختارون العود خشية الاخراج اذ رب مكروه يختار عند حلول ما هو اشد منه وافظع والتقدير
انعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين غير مبالين بالاكراه فالجملة في محل النصب على الحالية من ضمير الفعل المقدر حسبما اشير اليه
اذ ماله انعود فيها حال عدم الكراهة وحال الكراهة انكارا لما يفيده كلمتهم الشنيعة باطلاقها من العود على اي حالة كانت غير انه اكتفى بذكر
الحالة الثانية التي هي اشد الاحوال منافاة للعود واكثرها بعدا منه تنبيها على انها هي الواقعة في نفس الامر وثقة باغنائها عن ذكر
الاولى اغناء واضحا لان العود الذي تعلق به الانكار حين تحقق مع الكراهة على ما يوجبه كلامهم فلأن يتحقق مع عدمها اولى وان قلت
النفي المستفاد من الاستفهام الانكاري فيما نحن فيه بمنزلة صريح النفي ولا ريب في ان الاولوية هناك معتبرة بالنسبة الى النفي الا يرى
ان الاولى بالتحقق فيما ذكر من مثال النفي عند الحالة المسكوت عنها اعني عدم الغنى هو عدم الاعطاء لا نفسه فكان ينبغي ان يكون
الاولى بالتحقق فيما نحن فيه عند عدم الكراهة عدم العود لا نفسه اذ هو الذي يدل عليه قولنا انعود لانه في معنى لا نعود فلم اختلف
الحال بينهما قلت لما ان مناط الاولوية هو الحكم الذي اريد بيان تحققه على كل حال وذلك في مثال النفي عدم الاعطاء المستفاد من الفعل
المنفي المذكور واما فيما نحن فيه فهو نفس العود المستفاد من الفعل المقدر اذ هو الذي يقتضيه الكلام السابق اعني قولهم لتعودن واما الاستفهام
فخارج عنه وارد عليه لابطال ما يفيده ونفي ما يقتضيه لا انه من تمامه كما في صورة النفي وتوضيحه ان بين النفيين فرقا معنويا تختلف
احكامهما التي من جملتها ما ذكر من اعتبار الاولوية في احدهما بالنسبة الى نفسه وفي الآخر بالنسبة الى متعلقه ولذلك لا تستقيم
اقامة احدهما مقام الآخر على وجه الكلية الا يرى انك لو قلت مكان انعود فيها الخ لا نعود فيها ولو كنا كارهين لاختل المعنى اختلالا
فاحشا لان مدلول الاول نفي العود المقيد بحال الكراهة ومدلول الثاني تقييد العود المنفي بها وذلك لان حرف النفي يباشر نفس الفعل
وينفيه وما يذكر بعده يرجع اليه من حيث هو منفي واما همزة الاستفهام فانما تباشر الفعل بعد تقييده بما بعده لما ان دلالتها على الانكار
والنفي ليست بدلالة وضعية كدلالة حرف النفي حتى يتعلق معناها بنفس الفعل الذي يليها ويكون ما بعده راجعا اليه من حيث هو منفي بل
هي دلالة عقلية مستفادة من سياق الكلام فلا بد ان يكون ما يذكر بعد الفعل من موانعه ودواعي انكاره ونفيه حتما ليكون قرينة
صارفة للهمزة عن حقيقتها الى معنى الانكار والنفي ثم لما كان المقصود نفي الحكم على كل حال مع الاقتصار على ذكر بعض منها مغن عن ذكر ما

عدمها لاستلزام تحققه معه تحققه مع غيره بطريق الاولوية وكانت حال الكراهة عند كونها قيدا للنفي العود كذلك اي مغنيا عن ذكر سائر الاحوال
ضرورة ان تحقق العود في حال الكراهة مستلزم لتحققه في حال عدمها البتة وعند كونها قيدا لنفيه بخلاف ذلك اي غير مغن عن ذكر غيرها
ضرورة ان نفي العود في حال الكراهة لا يستلزم نفيه في غيرها بل الامر بالعكس فان نفيه في حال الارادة مستلزم لنفيه في حال
الكراهة قطعا استقام الاول لافادته نفي العود في الحالتين مع الاقتصار على ذكر ما هو مغن عن ذكر الاخرى ولم يستقم الثاني لعدم افادته
اياه على الوجه المذكور ان قيل فما وجه استقامتهما جميعا عند ذكر المعطوفين معا حيث يصح ان يقال لا نعود فيها ولو لم نكن كارهين ولو كنا
كارهين كما يصح ان يقال لا نعود فيها ولو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين مع ان المقدر في حكم الملفوظ قلنا وجهها ان كلا منهما يفيد معنى
صحيحا في نفسه لان معنى احدهما عين معنى الآخر او متلازمان متفقان في جميع الاحكام كيف لا ومدلول الاول ان العود منتف في الحالتين
ومدلول الثاني ان العود في الحالتين منتف وكلا المعنيين صحيح في نفسه مصحح لنفي العود في الحالتين مع ذكرهما معا غير ان الثاني مصحح لنفي
العود في الحالتين مع الاقتصار على ذكر حالة الكراهة على عكس المعنى الاول فانه مصحح لنفيه فيهما مع الاقتصار على ذكر حالة الارادة قد
افترينا على الله كذبا اي كذبا عظيما لا يقادر قدره ان عدنا في ملتكم التي هي الشرك وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه اي
ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فقد افترينا على الله كذبا عظيما حيث نزعم ح ان لله تعالى ندا وليس كمثله شيء وانه قد تبين
لنا ان ما كنا عليه من الاسلام باطل وان ما كنتم عليه من الكفر حق واي افتراء اعظم من ذلك وقيل انه جواب قسم محذوف حذف عنه
اللام تقديره والله لقد افترينا الخ وما يكون لنا اي وما يصح وما يستقيم لنا ان نعود فيها في كل من الاحوال او في وقت من الاوقات
الا ان يشاء الله اي الا حال مشيئة الله تع او وقت مشيئته تع لعودنا فيها وذلك مما لا يكاد يكون كما ينبئ عنه قوله تع ربنا فان
التعرض لعنوان ربوبيته تع لهم مما ينبئ عن استحالة مشيئته تع لارتدادهم قطعا وكذا قوله تع بعد اذ نجانا الله منها فان تنجيته تعالى
لهم منها من دلائل عدم مشيئته لعودهم فيها وقيل معناه الا ان يشاء الله خذلاننا وقيل فيه دليل على ان الكفر بمشيئته تعالى وايا
ما كان فليس المراد بذلك بيان ان العود فيها في حيز الامكان وخطر الوقوع بناء على كون مشيئته تعالى كذلك بل بيان استحالة وقوعه
كانه قيل وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وهيهات ذلك بدليل ما ذكر من موجبات عدم مشيئته تعالى وسع ربنا
كل شيء علما فهو محيط بكل ما كان وما سيكون من الاشياء التي من جملتها احوال عباده وعزائمهم ونياتهم وما هو اللائق بكل واحد
منهم فمحال من لطفه ان يشاء عودنا فيها بعد ما نجانا منها مع اعتصامنا به خاصة حسبما ينطق به قوله تع على الله توكلنا اي في ان
يثبتنا على ما نحن عليه من الايمان ويتم علينا نعمته بانجائنا من الاشرار بالكلية واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار للمبالغة في التضرع
والجؤار وقوله تع ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق اعراض عن معاوضتهم اثر ما ظهر له عليه السلام انهم من العتو والعناد بحيث
لا يتصور منهم الايمان اصلا واقبال على الله تعالى بالدعاء لفصل ما بينه وبينهم بما يليق بحال كل من الفريقين اي احكم بيننا بالحق والفتاح
الحكومة واظهار امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين تذييل مقرر
لمضمون ما قبله على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه عطف على قال الملأ الذين الخ ولعل هؤلاء غير اولئك المستكبرين
ودونهم في الرتبة شانهم الوساطة بينهم وبين العامة والقيام بامورهم حسبما يراه المستكبرون ويجوز ان يكونوا عين الاولين
وتغيير الصلة لما ان مدار قولهم هذا هو الكفر كما ان مناط قولهم السابق هو الاستكبار اي قال اشرافهم الذين اصروا على الكفر لاعقابهم
بعدما شاهدوا صلابة شعيب عليه السلام ومن معه من المؤمنين في الايمان وخافوا ان يتبعوا توهيما تثبيطا لهم عن الايمان به
وتنفيرا لهم عنه على طريقة التوكيد القسمي والله لئن اتبعتم شعيبا ودخلتم في دينه وتركتم دين آبائكم انكم اذا لخاسرون اي في
الدين لاشترائكم الضلالة بهداكم او في الدنيا لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف واذا حرف جواب وجزاء معترض بين اسم
ان وخبرها والجملة سادة مسد جوابي الشرط والقسم الذي وطأته اللام فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة وهكذا في سورة العنكبوت
وفي سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اي صيحة جبرئيل عليه السلام ولعلها من مبادي الرجفة فاسند هلاكهم الى السبب القريب
تارة والى البعيد اخرى فاصبحوا في دارهم اي مدينتهم وفي سورة هود في ديارهم جاثمين اي ميتين لازمين لاماكنهم لا براح لهم

منها الذين كذبوا شعيبا استيناف لبيان ابتلائهم بشؤم قولهم فيما سبق لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا وعقوبتهم بمقابلته
مبتدأ خبره قوله تع كأن لم يغنوا فيها اي استؤصلوا بالمرة وصاروا كأنهم لم يقيموا بقريتهم اصلا اي عوقبوا بقولهم ذلك وصاروا هم
المخرجين من القرية اخراجا لا دخول بعده ابدا وقوله تع الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين استيناف آخر لبيان ابتلائهم بعقوبة قولهم
الاخير واعادة الموصول والصلة كما هي لزيادة التقرير والايذان بان ما ذكر في حيز الصلة هو الذي استوجب العقوبتين اي الذين
كذبوه عليه السلام عوقبوا بمقالتهم الاخيرة فصاروا هم الخاسرين للدنيا والدين لا الذين اتبعوه عليه السلام وبهذا القصر اكتفي عن
التصريح بانجائه عليه السلام كما وقع في سورة هود من قوله تع فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا الخ فتولى عنهم وقال يا قوم
لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قال عليه السلام بعدما هلكوا تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه ذلك فقال فكيف آسى
اي احزن حزنا شديدا على قوم كافرين مصرين على الكفر ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه
عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ ايسى بالامالة
وما ارسلنا في قرية من نبي اشارة اجمالية الى بيان احوال سائر الامم اثر بيان احوال الامم المذكورة تفصيلا ومن مزيدة لتأكيد النفي والصفة
محذوفة اي من نبي كذب او كذبه اهلها الا اخذنا اهلها استثناء مفرغ من اعم الاحوال واخذنا في محل النصب من فاعل ارسلنا والفعل الماضي
لا يقع بعد الا الا باحد شرطين اما تقدير قد كما في هذه الآية او مقارنة قد كما في قولك ما زيد الا قد قام والتقدير وما ارسلنا في قرية من
القرى المهلكة نبيا من الانبياء في حال من الاحوال الا حال كوننا آخذين اهلها بالبأساء بالبؤس والفقر والضراء بالضر والمرض لكن لا على
معنى ان ابتداء الارسال مقارن للاخذ المذكور بل على انه مستتبع له غير منفك عنه بالآخرة لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه حسبما فعلت
الامم المذكورة لعلهم يضرعون كي يتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر والعزة عن اكتافهم كقوله تع لقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم
بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ثم بدلنا عطف على اخذنا داخل في حكمه مكان السيئة التي اصابتهم للغاية المذكورة الحسنة اي اعطيناهم
بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة كقوله تع وبلوناهم بالحسنات والسيئات حتى عفوا اي كثروا عددا وعددا من عفا النبات اذا
كثر وتكاثف وابطرتهم النعمة وقالوا غير واقفين على ان ما اصابهم من الامرين ابتلاء من الله سبحانه قد مس آباءنا الضراء والسراء كما مسنا ذلك
وما هو الا من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء من غير ان يكون هناك داعية تؤدي اليهما او تبعة تترتب عليهما ولعل
تأخير السراء للاشعار بانها تعقب الضراء فلا ضير فيها فاخذناهم اثر ذلك بغتة فجاءة اشد الاخذ وافظعه وهم لا يشعرون بذلك ولا
يخطرون ببالهم شيئا من المكاره كقوله تع حتى اذا فرحوا بما اوتوا الآية وليس المراد بالاخذ بغتة اهلاكهم طرفة عين كاهلاك عاد وقوم لوط
بل ما يعمه وما يمضي بين الاخذ واتمام الاهلاك ايام كدأب ثمود ولو ان اهل القرى اي القرى المهلكة المدلول عليها بقوله تع في قرية وقيل هي مكة
وما حولها من القرى وقيل جنس القرى المنتظمة لما ذكر منها انتظاما اوليا آمنوا بما اوحي الى انبيائهم معتبرين بما جرى عليهم من الابتلاء بالضراء
والسراء واتقوا اي الكفر والمعاصي او اتقوا ما انذروا به على السنة الانبياء ولم يصروا على ما فعلوا من القبائح ولم يحملوا ابتلاء الله
تع على عادات الدهر وقال ابن عباس رض وحدوا الله واتقوا الشرك لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه
لهم من كل جانب مكان ما اصابهم من فنون العقوبات التي بعضها من السماء وبعضها من الارض وقيل المراد المطر والنبات وقرئ لفتحنا
بالتشديد للتكثير ولكن كذبوا اي ولكن لم يؤمنوا ولم يتقوا وقد اكتفي بذكر الاول لاستلزامه للثاني فاخذناهم بما كانوا يكسبون من انواع
الكفر والمعاصي التي من جملتها قولهم قد مس آباءنا الخ وهذا الاخذ عبارة عما في قوله تع فاخذناهم بغتة لا عن الجدب والقحط كما قيل فانهما
قد زالا بتبديل الحسنة مكان السيئة افامن اهل القرى اي اهل القرى المذكورة على وضع المظهر موضع المضمر للايذان بان مدار التوبيخ امن
كل طائفة ما اتاهم من البأس لا امن مجموع الامم فان كل طائفة منهم اصابهم بأس خاص بهم لا يتعداهم الى غيرهم كما سيأتي والهمزة لانكار
الواقع واستقباحه لا لانكار الوقوع ونفيه كما قاله ابو شامة وغيره لقوله تع فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون والفاء للعطف
على اخذناهم وما بينهما اعتراض توسط بينهما للمسارعة الى بيان ان الاخذ المذكور مما كسبته ايديهم والمعنى ابعد ذلك الاخذ امن
اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا اي تبييتا او وقت بيات او مبيتا او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى

التبييت كالسلام بمعنى التسليم **وهم نائمون** حال من ضميرهم البارز او المستتر في بياتا **او امن اهل القرى** انكار بعد انكار للمبالغة في التوبيخ والتشديد
ولذلك لم يقل أفأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون وضحى وهم يلعبون وقرئ او بسكون الواو على الترديد **ان يأتيهم بأسنا**
ضحى اي ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت **وهم يلعبون** اي يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم كأنهم يلعبون
أفأمنوا مكر الله تكرير للنكير لزيادة التقرير ومكر الله تعالى استعارة لاستدراجه العبد واخذه من حيث لا يحتسب والمراد به اتيان
بأسه تعالى في الوقتين المذكورين ولذلك عطف الاول والثالث بالفاء فان الانكار فيهما متوجه الى ترتب الامن على الاخذ المذكور واما
الثاني فمن تتمة الاول **فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون** اي الذين خسروا انفسهم واضاعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها والاستعداد
القريب المستفاد من النظر في الآيات **اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها** اي يخلفون من خلا قبلهم من الامم المهلكة ويرثون ديارهم
والمراد بهم اهل مكة ومن حولها وتعدية فعل الهداية باللام اما لتنزيلها منزلة اللازم كأنه قيل اغفلوا ولم يفعل الهداية لهم الخ
واما لانها بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل على التقدير هو الجملة الشرطية اي اولم يبين لهم مآل امرهم **ان لو نشاء اصبناهم**
بذنوبهم اي ان الشأن لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم او بسبب ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وقرئ نهد بنون العظمة فالجملة مفعوله
ونطبع على قلوبهم عطف على ما يفهم من قوله تعالى اولم يهد كأنه قيل لا يهتدون او يغفلون عن الهداية او عن التفكر والتأمل او منقطع عنه
بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى طبعنا لافضائه الى نفي الطبع عنهم لانه في سياق جواب لو **فهم لا يسمعون**
اي اخبار الامم المهلكة فضلا عن التدبر والنظر فيها والاغتنام بما في تضاعيفها من الهدايات **تلك القرى** جملة مستأنفة جارية مجرى
الفذلكة لما قبلها من القصص منبئة عن غاية غواية الامم المذكورة وتماديهم فيها بعد ما اتتهم الرسل بالمعجزات الباهرة وتلك اشارة
الى قرى الامم المحكية على ان اللام للعهد وهو مبتدأ وقوله تعالى **نقص عليك من انبائها** خبره وصيغة المضارع للايذان بعدم انقضاء
القصة بعد ومن للتبعيض اي بعض اخبارها التي فيها عظة وتذكير وقيل تلك مبتدأ والقرى خبره وما بعده حال او خبر بعد خبر وعند من
يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى وتصدير الكلام بذكر القرى واضافة الانباء اليها مع ان المقصوص انباء اهلها
والمقصود بيان احوالهم حسبما يعرب عنه قوله تعالى **ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات** لما ان حكاية هلاكهم بالمرة على وجه الاستئصال بحيث يشمل
اماكنهم ايضا بالخسف بها والرجفة وبقائها خاوية معطلة اهول وافظع والباء في قوله تعالى بالبينات متعلقة اما بالفعل المذكور
على انها للتعدية واما بمحذوف وقع حالا من فاعله اي ملتبسين بالبينات لكن لا بأن يأتي كل رسول ببينة واحدة بل ببينات
كثيرة خاصة به معينة له حسب اقتضاء الحكمة فان مراعاة انقسام الآحاد الى الآحاد وانما هي فيما بين الرسل وضمير الامم والجملة
مستأنفة مبينة لكمال عتوهم وعنادهم اي وبالله لقد جاء كل امة من تلك الامم المهلكة رسولهم الخاص بهم بالمعجزات البينة المتكثرة
المتواردة عليهم الواضحة الدلالة على صحة رسالته الموجبة للايمان حتما وقوله تعالى **فما كانوا ليؤمنوا** بيان لاستمرار عدم ايمانهم في الزمان
الماضي لا لعدم استمرار ايمانهم وترتيب حالهم هذه على مجيء الرسل بالبينات بالفاء لما ان الاستمرار على فعل من الافعال بعد ورود ما
يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه في الحقيقة لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث نحو وعظته فلم ينزجر ودعوته فلم
يجب واللام لتأكيد النفي اي فما صح وما استقام لقوم من اولئك الاقوام في وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم الى
ان لقوا ما لقوا لغاية عتوهم وشدة شكيمتهم في الكفر والطغيان ثم ان كان المحكي عنهم آخر حال كل قوم منهم فالمراد بعدم ايمانهم
المذكور ههنا اصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتي وبما اشير اليه بقوله تعالى **بما كذبوا من قبل** تكذيبهم من لدن مجيء الرسل الى وقت الاصرار
والعناد وانما لم يجعل ذلك مقصودا بالذات كالاول بل جعل صلة للموصول ايذانا بانه بين بنفسه وانما المحتاج الى البيان عدم ايمانهم بعد
تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من اصحاب العقول والموصول الذي تعلق به
الايمان والتكذيب سلبا وايجابا عبارة عن جميع الشرائع التي جاء بها كل رسول اصولها وفروعها وان كان المحكي جميع احوال كل قوم منهم
فالمراد بما ذكر اولا كفرهم المستمر من حين مجيء الرسل الى آخره وبما اشير اليه آخرا تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من جعل الموصول المذكور
عبارة عن اصول الشرائع التي اجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا اممهم اليها آثر ذي اثير لاستحالة تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد

ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم انهم ما كانوا في زمن الجاهلية لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط بل كانت كل امة من اولئك الامم
يتسامعون بها من بقايا من قبلهم فيكذبونها ثم كانت حالتهم بعد مجيء رسلهم كحالتهم قبل ذلك كأن لم يبعث اليهم احد وتخصيص التكذيب
وعدم الايمان بما ذكر من الاصول لظهور حال الباقي بدلالة النص فانهم حين لم يؤمنوا بما اجتمعت عليه كافة الرسل فلان لا يؤمنوا بما انفرد
به بعضهم اولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصودا بالذات لما ان ما عليه يدور فلك العذاب والعقاب هو التكذيب الواقع بعد الدعوة
حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم في الكفر والتكذيب وعلى كلا التقديرين
فالضمائر الثلاثة متوافقة في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع الى اسلافهم والمعنى فما كان الابناء ليؤمنوا بما كذب به الآباء
ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل المراد ما كانوا ليؤمنوا لو احييناهم بعد اهلاكهم ورددناهم الى دار التكليف بما كذبوا من قبل كقوله
تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل الباء للسببية وما مصدرية اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل
ولا يرد عليه ههنا ما ورد في سورة يونس من مخالفة الجمهور لجعل ما المصدرية من قبيل الاسماء كما هو رأي الاخفش وابن السراج
ليرجع اليه الضمير في به **كذلك** اي مثل ذلك الطبع الشديد المحكم **يطبع الله على قلوب الكافرين** اي من المذكورين وغيرهم فلا يكاد يؤثر
فيها الآيات والنذر وفيه تحذير للسامعين واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وادخال الروعة **وما وجدنا**
لاكثرهم اي اكثر الامم المذكورين واللام متعلقة بالوجدان كما في قولك ما وجدت له مالا اي ما صادفت له مالا ولا لقيته او بمحذوف
وقع حالا من قوله **من عهد** لانه في الاصل صفة للنكرة فلما قدمت عليها انتصبت حالا والاصل وما وجدنا عهدا كائنا لاكثرهم
ومن مزيدة للاستغراق اي وما وجدنا لاكثرهم من وفاء عهد فانهم نقضوا ما عاهدوا الله عليه عند مساس البأساء والضراء
قائلين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فتخصيص هذا الشأن باكثرهم ليس لان بعضهم كانوا يوفون بعهودهم بل لان
بعضهم كانوا لا يعهدون ولا يفون وقيل المراد بالعهد ما عهد الله تعالى اليهم من الايمان والتقوى بنصب الآيات وانزال الحجج وقيل ما
عهدوا عند خطاب الست بربكم فالمراد باكثرهم كلهم وقيل الضمير للناس والجملة اعتراض فان اكثرهم لا يوفون بالعهود باي معنى
كان **وان وجدنا اكثرهم** اي اكثر الامم اي علمناهم كما في قولك وجدت زيدا ذا حفاظ وقيل الاول ايضا كذلك وان مخففة من ان
وضمير الشأن محذوف اي ان الشأن وجدنا اكثرهم **لفاسقين** خارجين عن الطاعة ناقضين للعهود وعند الكوفيين ان نافية واللام
بمعنى الا اي وما وجدنا اكثرهم الا فاسقين **ثم بعثنا من بعدهم موسى** اي ارسلنا من بعد انقضاء وقائع الرسل المذكورين عليهم السلام
او من بعد هلاك الامم المحكية والتصريح بذلك مع دلالة ثم على التراخي للايذان بان بعثه عليه السلام جرى على سنن السنة الالهية من
ارسال الرسل تترى وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر **بآياتنا** متعلق
بمحذوف وقع حالا من مفعول بعثنا او صفة لمصدره اي بعثناه ملتبسا بآياتنا او بعثناه بعثا ملتبسا بها وهي الآيات التسع المفصلات
التي هي العصا واليد البيضاء والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم حسبما سيأتي على التفصيل **الى**
فرعون هو لقب لكل من ملك مصر من العمالقة كما ان كسرى لقب لكل من ملك فارس وقيصر لكل من ملك الروم واسمه قابوس وقيل الوليد بن
مصعب بن الريان **وملائه** اي اشراف قومه وتخصيصهم بالذكر مع عموم رسالته عم لقومه كافة حيث كانوا جميعا مأمورين بعبادة رب العالمين
عز سلطانه وترك العظيمة الشنعاء التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية لاصالتهم في تدبير الامور واتباع غيرهم لهم في
الورود والصدور **فظلموا بها** اي كفروا بها اجري الظلم مجرى الكفر لكونهما من واد واحد او ضمن معنى الكفر والتكذيب اي ظلموا كافرين بها
او مكذبين بها او كفروا بها مكان الايمان الذي من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وقيل ظلموا انفسهم بسببها بان
عرضوها للعذاب الخالد او ظلموا الناس بصدهم عن الايمان بها والمراد به الاستمرار على الكفر بها الى ان لقوا من العذاب ما لقوا الا ترى الى
قوله تعالى **فانظر كيف كان عاقبة المفسدين** فكما ان ظلمهم بها مستتبع لتلك العاقبة الهائلة كذلك حكاية ظلمهم بها مستتبع للامر بالنظر
اليها وكيف خبر كان قدم على اسمها لاقتضائه الصدارة والجملة في حيز النصب باسقاط الخافض اي فانظر بعين عقلك الى كيفية ما
فعلنا بهم ووضع المفسدين موضع ضميرهم للايذان بان الظلم مستلزم للافساد **وقال موسى** كلام مبتدأ مسوق لتفصيل ما اجمل فيما قبله

من كيفية اظهار الآيات وكيفية عاقبة المفسدين **يا فرعون اني رسول** اي اليك **من رب العالمين** على الوجه الذي قرر بيانه **حقيق على ان لا اقول**
على الله الا الحق جواب عما ينساق اليه الذهن من حكاية ظلمهم بالآيات من تكذيبهم اياه عم في دعوى الرسالة وكان اصله حقيق على ان لا اقول
الخ كما هو قراءة نافع فقلب لأمن الالباس كما في قول من قال وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر او لأن ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في
الوصف بالصدق والمعنى واجب على القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع الباء لافادة
التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة ابي بالباء وقرئ حقيق على ان لا اقول وقوله تع **قد جئتكم ببينة**
من ربكم استئناف مقرر لما قبله من كونه رسولا من رب العالمين وكونه حقيقا بقول الحق ولم يكن هذا القول منه عم وما بعده من جواب
فرعون اثر ما ذكر ههنا بل بعد ما جرى بينهما من المحاورة المحكية بقوله تع قال فمن ربكما الآيات وقوله تع وما رب العالمين الآيات وقد
طوى ههنا ذكره للايجاز ومن متعلقة اما بجئتكم على انها لابتداء الغاية مجازا واما بمحذوف وقع صفة لبينة مفيدة لفخامتها الاضافية
المؤكدة لفخامتها الذاتية المستفادة من التنوين التفخيمي واضافة اسم الرب الى المخاطبين بعد اضافته فيما قبله الى العالمين لتأكيد وجوب
الايمان بها **فارسل معي بني اسرائيل** اي فخلهم حتى يذهبوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم بعد انقراض الاسباط
يستعملهم ويكلفهم الافاعيل الشاقة فانقذهم الله تع بموسى عم وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى عليهما السلام
اربعمائة عام والفاء لترتيب الارسال او الامر به على ما قبله من رسالته عم ومجيئه بالبينة **قال** استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الكلام كأنه
قيل فماذا قال فرعون له عم حين قال ما قال فقيل قال **ان كنت جئت بآية** اي من عند من ارسلك كما تدعيه **فأت بها** اي فاحضرها حتى تثبت بها رسالتك
ان كنت من الصادقين في دعواك فان كونك من جملة المعروفين بالصدق يقتضي اظهار الآية لا محالة **فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين** اي ظاهر امره
لا يشك في كونه ثعبانا وهو الحية العظيمة وايثار الجملة الاسمية للدلالة على كمال سرعة الانقلاب وثبات وصف الثعبانية فيها كأنها في الاصل
كذلك روي انه لما القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى سور القصر ثم توجه نحو
فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اؤمن بك
وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا **ونزع يده** اي من جيبه او من تحت ابطه **فاذا هي بيضاء للناظرين** اي بيضاء بياضا نورانيا خارجا
عن العادة يجتمع عليه النظارة تعجبا من امرها وذلك ما يروى انه ارى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف
ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعه شعاع الشمس وكان عليه السلام آدم شديد الادمة وقيل بيضاء للناظرين لا انها كانت
بيضاء في جبلتها **قال الملأ من قوم فرعون** اي الاشراف منهم وهم اصحاب مشورته **ان هذا لساحر عليم** اي مبالغ في علم السحر ماهر فيه قالوه تصديقا
لفرعون وتقريرا لكلامه فان هذا القول بعينه معزي في سورة الشعراء اليه **يريد ان يخرجكم من ارضكم** اي من ارض مصر **فماذا تأمرون** بفتح النون
وماذا في محل النصب على انه مفعول ثان لتأمرون بحذف الجار والاول محذوف والتقدير بأي شيء تأمرونني وهذا من كلام فرعون كما في قوله
تع ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي فاذا كان كذلك فماذا تشيرون علي في امره وقيل قاله الملأ من قبله بطريق التبليغ الى العامة فقوله تع **قالوا ارجه**
واخاه على الاول وهو الاظهر حكاية لكلام الملأ الذين شاورهم فرعون وعلى الثاني لكلام العامة الذين خاطبهم الملأ ويأباه ان الخطاب لفرعون وان
المشاورة ليست من وظائفهم اي اخره واخاه وعدم التعرض لذكره قبل لظهور كونه معه حسبما ينادي به الآيات الاخر والمعنى اخر امرهما واصدرهما
عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبر شأنهما وقرئ ارجئه وارجه من ارجأه وارجاه **وارسل في المدائن حاشرين** قيل هي مدائن صعيد مصر وكان رؤساء
السحرة ومهرتهم باقصى مدائن الصعيد وعن ابن عباس رض انهم كانوا سبعين ساحرا قد اخذوا السحر من رجلين مجوسيين من اهل نينوى مدينة
يونس عم بالموصل ورد ذلك بان المجوسية ظهرت بزرادشت وهو انما جاء بعد موسى عم **يأتوك بكل ساحر عليم** اي ماهر في السحر وقرئ بكل
سحار عليم والجملة جواب الامر **وجاء السحرة فرعون** بعد ما ارسل اليهم الحاشرين وانما لم يصرح به حسبما في قوله تع فارسل فرعون في المدائن حاشرين
للايذان بمسارعة فرعون الى الارسال ومبادرة الحاشرين والسحرة الى الامتثال **قالوا** استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية مجيء السحرة كأنه قيل
فماذا قالوا له عند مجيئهم اياه فقيل قالوا مدلين بما عندهم واثقين بغلبتهم **ان لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين** بطريق الاخبار بثبوت الاجر وايجابه
كأنهم قالوا لا بد لنا من اجر عظيم حينئذ او بطريق الاستفهام التقريري بحذف الهمزة وقرئ باثباتها وقولهم ان كنا لمجرد تعيين مناط ثبوت الاجر

لا لترددهم في الغلبة وتوسيط الضمير وتحلية الخبر باللام للقصر اي ان كنا نحن الغالبين لا موسى عم **قال نعم** وقوله تع **وانكم لمن المقربين** عطف على محذوف سد مسده
حرف الايجاب كأنه قال ان لكم لأجرا وانكم مع ذلك لمن المقربين للمبالغة في الترغيب وروي انه قال لهم تكونون اول من يدخل مجلسي وآخر من يخرج عنه
قالوا استئناف كما مر كأنه قيل فماذا فعلوا بعد ذلك فقيل قالوا متصدين لشأنهم مخاطبين لموسى عم **يا موسى اما ان تلقي** ما تلقي اولا **واما ان نكون**
نحن الملقين اي لما نلقي اولا او الفاعلين للالقاء اولا خيروه عليه السلام بالبدء بالالقاء مراعاة للادب واظهارا للجلادة وانه لا يختلف
حالهم بالتقديم والتأخير ولكن كانت رغبتهم في التقديم كما ينبئ عنه تغييرهم بتعريف الخبر وتوسيط ضمير الفصل وتأكيد الضمير المتصل **قال القوا** غير
مبال بامرهم اي القوا ما تلقون **فلما القوا** ما القوا **سحروا اعين الناس** بان خيلوا اليهم ما لا حقيقة له **واسترهبوهم** اي بالغوا في ارهابهم **وجاءوا**
بسحر عظيم في بابه روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كأنها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا **واوحينا الى موسى ان الق**
عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون الفاء فصيحة اي فالقاها فصارت حية فاذا هي الآية وانما حذف للاشعار بمسارعة موسى عم الى الالقاء وبغاية سرعة
الانقلاب كأن لقفها لما يأفكون قد حصل متصلا بالامر بالالقاء وصيغة المضارع لاستحضار صورة اللقف الهائلة والافك الصرف وقلب الشيء عن الوجه
المعتاد وما موصولة او موصوفة والعائد محذوف اي ما يأفكونه ويزورونه او مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي انها لما تلقفت ملء
الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت واعدم الله تع بقدرته القاهرة تلك الاجرام العظام او فرقها اجزاء لطيفة
قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا **فوقع الحق** اي فثبت لظهور امره **وبطل ما كانوا يعملون** اي ظهر بطلان ما كانوا مستمرين على
عمله **فغلبوا** اي فرعون وقومه **هنالك** اي في مجلسهم **وانقلبوا صاغرين** اي صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والاول
هو الظاهر لقوله تع **والقي السحرة ساجدين** فان ذلك كان بمحضر من فرعون قطعا اي خروا سجدا كأنما القاهم ملق لشدة خرورهم كيف لا وقد بهرهم
الحق واضطرهم الى ذلك **قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون** ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم ان مرادهم فرعون عن ابن عباس
رض انه قال لما آمنت السحرة اتبع موسى من بني اسرائيل ستمائة الف **قال فرعون** منكرا على السحرة موبخا لهم على ما فعلوا **آمنتم به** بهمزة واحدة
اما على الاخبار المحض المتضمن للتوبيخ او على الاستفهام التوبيخي بحذف الهمزة كما مر في ان لنا لأجرا وقد قرئ بتحقيق الهمزتين معا وبتحقيق الاولى
وتسهيل الثانية بين بين اي آمنتم بالله تع **قبل ان آذن لكم** اي بغير ان آذن لكم كما في قوله تع لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان الاذن منه
ممكن في ذلك **ان هذا لمكر مكرتموه** يعني ان ما صنعتموه ليس مما اقتضى الحال صدوره عنكم لقوة الدليل وظهور المعجزة بل هو حيلة احتلتموها مع
مواطأة موسى **في المدينة** يعني مصر قبل ان تخرجوا الى الميعاد روي ان موسى عم وامير السحرة التقيا فقال له موسى عم ارأيتك ان غلبتك
اتؤمن بي وتشهد ان ما جئت به الحق فقال الساحر والله لئن غلبتني لأومنن بك وفرعون يسمعهما وهو الذي نشأ عنه هذا القول **لتخرجوا**
منها اهلها اي القبط وتخلص لك ولبني اسرائيل وهاتان شبهتان القاهما الى اسماع عوام القبط عند معاينتهم لارتفاع اعلام المعجزة
ومشاهدتهم لخضوع اعناق السحرة لها وعدم تمالكهم من ان يؤمنوا بها يمنعهم بهما عن الايمان بنبوة موسى عم باراءة ان ايمان السحرة مبني على
المواضعة بينهم وبين موسى وان غرضهم بذلك اخراج القوم من المدينة وابطال ملكهم ومعلوم ان مفارقة الاوطان المألوفة والنعمة المعروفة
مما لا يطاق به فجمع اللعين بين الشبهتين تثبيتا للقبط على ما هم عليه وتهييجا لعداوتهم له عم ثم عقبهما بالوعيد ليريهم ان له قوة وقدرة
على المدافعة فقال **فسوف تعلمون** اي عاقبة ما فعلتم وهذا وعيد ساقه بطريق الاجمال للتهويل ثم عقبه بالتفصيل فقال **لأقطعن ايديكم وارجلكم من**
خلاف اي من كل شق طرفا **ثم لأصلبنكم اجمعين** تفضيحا لكم وتنكيلا لأمثالكم قيل هو اول من سن ذلك فشرعه الله تع لقطاع الطريق تعظيما
لجرمهم ولذلك سماه تع محاربة لله ورسوله **قالوا** استئناف مسوق للجواب عن سؤال ينساق اليه الذهن كأنه قيل فماذا قالت السحرة عند ما سمعوا وعيد
فرعون هل تأثروا به وتصلبوا فيما هم فيه من الدين فقيل قالوا ثابتين على ما احدثوا من الايمان **انا الى ربنا منقلبون** اي بالموت لا محالة فسواء
كان ذلك من قبلك اولا فلا نبالي بوعيدك او انا الى رحمة ربنا وثوابه منقلبون ان فعلت بنا ذلك كأنهم استطابوه شغفا على لقاء الله تع
او انا جميعا الى ربنا منقلبون فيحكم بيننا وبينك **وما تنقم منا** اي وما تنكر وتعيب منا **الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا** وهو خير
الاعمال واصل المفاخر ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم اعرضوا عن مخاطبته اظهارا لما في قلوبهم من العزيمة على ما قالوا وتقريبا
له ففزعوا الى الله عز وجل وقالوا **ربنا افرغ علينا صبرا** اي افض علينا من الصبر ما يغمرنا كما يغمر الماء او صب علينا ما يطهرنا من اوضار الاوزار

وأدناس الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون **وتوفنا مسلمين** ثابتين على ما رزقتنا من الإسلام غير مفتونين من الوعيد قيل فعل بهم ما أوعدهم به وقيل لم يقدر عليه لقوله تع أنتما ومن اتبعكما الغالبون **وقال الملأ من قوم فرعون** مخاطبين له بعد ما شاهدوا من أمر موسى ع م **أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض** أي في أرض مصر بتغيير الناس عليك وصرفهم عن متابعتك **ويذرك** عطف على يفسدوا أو جواب للاستفهام بالواو كما في قول الحطيئة ألم أك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والإخاء أي يكون منك ترك موسى ويكون تركه إياك وقرئ بالرفع عطفا على تذر أو استئنافا أو حالا وقرئ بالسكون كأنه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تع فأصدق وأكن **وآلهتك** معبوداتك قيل إنه كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه أصناما وأمرهم بأن يعبدوها تقربا إليه ولذلك قال أنا ربكم الأعلى وقرئ وإلاهتك أي عبادتك **قال** مجيبا لهم **سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم** كما كنا نفعل بهم ذلك من قبل ليعلم أنا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم أنه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يديه وقرئ سنقتل بالتخفيف **وإنا فوقهم قاهرون** كما كنا لم يتغير حالنا أصلا وهم مقهورون تحت أيدينا كذلك **قال موسى لقومه** تسلية لهم وعدة لحسن العاقبة حين سمعوا قول فرعون وتضجروا منه **استعينوا بالله واصبروا** على ما سمعتم من أقاويله الباطلة **إن الأرض لله** أي أرض مصر أو جنس الأرض وهي داخلة فيها دخولا أوليا **يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين** الذين أنتم منهم وفيه إيذان بأن الاستعانة بالله والصبر من باب التقوى وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم أن **قالوا** أي بنو إسرائيل **أوذينا** أي من جهة فرعون **من قبل أن تأتينا** أي بالرسالة يعنون بذلك قتل أبنائهم قبل مولد موسى ع م وبعده **ومن بعد ما جئتنا** أي رسولا يعنون به من إعادة قتل الأبناء وسائر ما كان يفعل بهم لعداوة موسى ع م من فنون الجور والظلم والعذاب وأما ما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من أنواع الخدم والمهن كما قيل فليس مما يلحقهم بواسطته ع م فليس لذكره كثير ملابسة بالمقام **قال** أي موسى ع م لما رأى شدة جزعهم مما شاهدوه مسليا لهم بالتصريح بما لوح به في قوله إن الأرض لله الخ **عسى ربكم أن يهلك عدوكم** الذي فعل بكم ما فعل وتوعدكم بإعادته **ويستخلفكم في الأرض** أي يجعلكم خلفاء في الأرض مصر **فينظر كيف تعملون** أحسنا أم قبيحا فيجازيكم حسبما يظهر منكم من الأعمال وفيه تأكيد للتسلية وتحقيق للأمر قيل لعل الإتيان بفعل الطمع لعدم الجزم منه ع م بأنهم هم المستخلفون بأعيانهم أو أولادهم فقد روي أن مصر إنما فتح في زمن داود ع م ولا يساعده قوله تع وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها فإن المتبادر استخلاف أنفس المستضعفين لا استخلاف أولادهم وإنما جيء بفعل الطمع للجري على سنن الكبرياء **ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين** شروع في تفصيل مبادي الهلاك الموعود وإيذان بأنه تع لم يمهلهم بعد ذلك ولم يكونوا في خفض ودعة بل رتبت أسباب هلاكهم فتحولوا من حال إلى حال إلى أن حل بهم عذاب الاستيصال وتصدير الجملة بالقسم لإظهار الاعتناء بمضمونها والسنون جمع سنة والمراد بها عام القحط وفيها لغتان أشهرهما إجراؤها مجرى المذكرات لم فيرفع بالواو وينصب ويجر بالياء وتحذف نونه بالإضافة واللغة الثانية إجراء الإعراب على النون ولكن مع الياء خاصة إما بإثبات تنوينها أو بحذفه قال الفراء هي في هذه اللغة مصروفة عند بني عامر وغير مصروفة عند بني تميم ووجه حذف التنوين التخفيف وح لا تحذف النون للإضافة وعلى ذلك جاء قول الشاعر • دعاني من نجد فإن سنينه لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا • وجاء الحديث اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف وسنينا كسنين يوسف باللغتين **ونقص من الثمرات** بإصابة العاهات عن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة إلا تمرة قال ابن عباس رض أما السنون فكانت لباديتهم وأهل ماشيتهم وأما نقص الثمرات فكان في أمصارهم **لعلهم يذكرون** كي يتذكروا ويتعظوا بذلك وتنبهوا على أن ذلك لأجل معاصيهم وينزجروا عما هم عليه من العتو والعناد قال الزجاج إن أحوال الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله عز وجل وفي الرجوع إليه تع ألا يرى إلى قوله تع وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقد مر تحقيق القول في لعل في محالها في تفسير قوله تع لعلكم تتقون في أوائل سورة البقرة وقوله تعا **فإذا جاءتهم الحسنة** الخ بيان لعدم تذكرهم وتماديهم في الغي أي فإذا جاءتهم السعة والخصب وغيرهما من الخيرات **قالوا لنا هذه** أي لأجلنا واستحقاقنا لها **وإن تصبهم سيئة** أي جدب وبلاء **يطيروا بموسى ومن معه** أي يتشاءموا بهم ويقولوا ما أصابتنا إلا بشؤمهم وهذا كما ترى شاهد بكمال قساوة قلوبهم ونهاية جهلهم وغباوتهم فإن الشدائد ترقق القلوب وتلين العرائك لا سيما بعد مشاهدة الآيات وقد كانوا بحيث لم تؤثر فيهم شيء منها بل ازدادوا عتوا وعنادا وتعريف الحسنة وذكرها بأداة التحقيق للإيذان بكثرة وقوعها وتعلق الإرادة بها بالذات

كما أن تنكير السيئة وإيرادها بحرف الشك للإشعار بندرة وقوعها وعدم تعلق الإرادة بها إلا بالعرض وقوله تع **ألا إنما طائرهم عند الله** استئناف مسوق من قبله تع لرد مقالتهم الباطلة وتحقيق الحق في ذلك وتصديره بكلمة التنبيه لإبراز كمال العناية بمضمونه أي ليس سبب خيرهم إلا عنده تع وهو حكمه ومشيئته المتضمنة للحكم والمصالح أو ليس سبب شؤمهم وهو أعمالهم السيئة إلا عنده تعالى أي مكتوبة لديه فإنها التي ساقت إليهم ما يسوءهم لا ما عداها وقرئ إنما طيرهم وهو اسم جمع طائر وقيل جمع له **ولكن أكثرهم لا يعلمون** ذلك فيقولون ما يقولون مما حكي عنهم وإسناد عدم العلم إلى أكثرهم للإشعار بأن بعضهم يعلمون أن ما أصابهم من الخير والشر من جهة الله تع أو يعلمون أن ما أصابهم من المصائب والبلايا ليس إلا بما كسبت أيديهم ولكن لا يعلمون بمقتضاه عنادا واستكبارا **وقالوا** شروع في بيان بعض آخر مما أخذ به آل فرعون من فنون العذاب التي هي في أنفسها آيات بينات وعدم ارعوائهم مع ذلك عما كانوا عليه من الكفر والعناد أي قالوا بعد ما رأوا من شأن العصا والسنين ونقص الثمرات **مهما تأتنا به** كلمة مهما تستعمل للشرط والجزاء وأصلها ما الجزائية ضمت إليها ما المزيدة للتأكيد كما ضمت إلى أين وإن في أينما تكونوا وإما نذهبن بك خلا أن ألف الأولى قلبت هاء حذرا من تكرير المتجانسين هذا هو الرأي السديد وقيل مه كلمة يصوت بها الناهي ضمت إليها ما الشرطية ومحلها الرفع بالابتداء أو النصب بفعل يفسره ما بعدها أي أي شيء تظهر لدينا وقوله تع **من آية** بيان لمهما وتسميتهم إياها آية لمجاراتهم على رأي موسى ع م واستهزائهم بها وللإشعار بأن عنوان كونها آية لا يؤثر فيهم وقوله تع **لتسحرنا بها** الخ إظهار لكمال الطغيان والغلو فيه وتسميته للإرشاد إلى الحق بالسحر وتسكير الأبصار والضميران المجروران راجعان إلى مهما وتذكير الأول لمراعاة جانب اللفظ لإبهامه وتأنيث الثاني للمحافظة على جانب المعنى لتبيينه بآية كما في قوله تع ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له **فما نحن لك بمؤمنين** بمصدقين لك ومؤمنين لنبوتك **فأرسلنا عليهم** عقوبة لجرائمهم لا سيما لقولهم هذا **الطوفان** أي الماء الذي طاف بهم وغشي أماكنهم وحروثهم من مطر أو سيل وقيل هو الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون **والجراد والقمل** قيل هو كبار القردان وقيل أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها **والضفادع والدم** روي أنهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة لا يستطيع أن يخرج أحد من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه إلى تراقيهم ولم يدخل بيوت بني إسرائيل منه قطرة وهي في خلال بيوتهم وفاض الماء على أرضهم وركد فمنعهم من الحرث والتصرف ودام ذلك سبعة أيام فقالوا له عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم فنبت من العشب والكلأ ما لم يعهد قبله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فأكل زروعهم وثمارهم وأبوابهم وسقوفهم ففزعوا إليه عليه السلام كما ذكر فخرج إلى الصحراء وأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت إلى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فأكل ما أبقته الجراد وكان يقع في أطعمتهم ويدخل بين ثيابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا إليه ثالثا فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن أنك ساحر ثم أرسل الله تعالى عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام إلا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب إلى قدورهم وهي تغلي وإلى أفواههم عند التكلم ففزعوا إليه رابعا وتضرعوا فأخذ عليهم العهود فدعا فكشف الله تع عنهم فنقضوا العهد فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دماء حتى كان يجتمع القبطي والإسرائيلي على إناء فيكون ما يليه دما وما يلي الإسرائيلي ماء على حاله ويمص من فم الإسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف **آيات مفصلات** حال من المنصوبات المذكورة مبينات لا يشكل على عاقل أنها آيات الله ونقمته وقيل مفرقات بعضها من بعض لامتحان أحوالهم وكان بين كل اثنتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة منها أسبوعا وقيل إنه عليه السلام لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل **فاستكبروا** أي عن الإيمان بها **وكانوا قوما مجرمين** جملة معترضة مقررة لمضمون ما قبلها **ولما وقع عليهم الرجز** أي العذاب المذكور على التفصيل فاللام للجنس المنتظم لكل واحدة من الآيات المفصلة أي كلما وقع عليهم عقوبة من تلك العقوبات **قالوا** في كل مرة **يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك** أي بعهده عندك وهو النبوة أو بالذي عهد إليك أن تدعوه فيجيبك كما أجابك في آياتك وهو صلة لادع أو حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا إليه بما عهد عندك أو متعلق بمحذوف دل عليه التماسهم مثل أسعفنا إلى ما نطلب بحق ما عندك أو قسم أجيب بقوله تع **لئن كشفت عنا الرجز** الذي وقع علينا **لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل** أي أقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت الخ **فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه**

وادناس الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون **وتوفنا مسلمين** ثابتين على ما رزقتنا من الاسلام غير مفتونين من الوعيد قيل فعل بهم ما اوعدهم به وقيل
لم يقدر عليه لقوله تع انتما ومن اتبعكما الغالبون **وقال الملأ من قوم فرعون** مخاطبين له بعد ما شاهدوا من امر موسى ع م **اتذر موسى وقومه**
ليفسدوا في الارض اي في ارض مصر بتغيير الناس عليك وصرفهم عن متابعتك **ويذرك** عطف على يفسدوا او جواب الاستفهام بالواو كما في قول
الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء اي ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع عطفا على تذر او استئنافا
او حالا وقرئ بالسكون كأنه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تع فاصدق واكن **والهتك** معبوداتك قيل انه كان يعبد الكواكب وقيل صنع
لقومه اصناما وامرهم بان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ والاهتك اي عبادتك **قال** مجيبا لهم **سنقتل ابناءهم ونستحيي
نساءهم** كما كنا نفعل بهم ذلك من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على
يديه وقرئ سنقتل بالتخفيف **وانا فوقهم قاهرون** كما كنا لم يتغير حالنا اصلا وهم مقهورون تحت ايدينا كذلك **قال موسى لقومه** تسلية لهم
وعدة لحسن العاقبة حين سمعوا قول فرعون وتضجروا منه **استعينوا بالله واصبروا** على ما سمعتم من اقاويله الباطلة **ان الارض لله** اي ارض مصر
او جنس الارض وهي داخلة فيها دخولا اوليا **يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين** الذين انتم منهم وفيه ايذان بان الاستعانة بالله
والصبر من باب التقوى وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان **قالوا** اي بنو اسرائيل **اوذينا** اي من جهة فرعون **من قبل ان تأتينا** اي
بالرسالة يعنون بذلك قتل ابنائهم قبل مولد موسى ع م وبعده **ومن بعد ما جئتنا** اي رسولا يعنون به من اعادة قتل الابناء وسائر ما كان يفعل
بهم لعداوة موسى ع م من فنون الجور والظلم والعذاب واما ما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من انواع الخدم والمهن كما قيل فليس مما
يلحقهم بواسطته ع م فليس لذكره كثير ملابسة بالمقام **قال** اي موسى ع م لما رأى شدة جزعهم مما شاهدوه مسليا لهم بالتصريح بما لوح به في
قوله ان الارض لله الخ **عسى ربكم ان يهلك عدوكم** الذي فعل بكم ما فعل وتوعدكم باعادته **ويستخلفكم في الارض** اي يجعلكم خلفاء في الارض مصر
فينظر كيف تعملون احسنا ام قبيحا فيجازيكم حسبما يظهر منكم من الاعمال وفيه تأكيد للتسلية وتحقيق للامر قيل لعل الاتيان بفعل الطمع لعدم
الجزم منه ع م بانهم هم المستخلفون باعيانهم او اولادهم فقد روي ان مصر انما فتحت في زمن داود ع م ولا يساعده قوله تع واورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها فان المتبادر استخلاف انفس المستضعفين لا استخلاف اولادهم وانما جيء بفعل الطمع
للجري على سنن الكبرياء **ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين** شروع في تفصيل مبادي الهلاك الموعود وايذان بانه تع لم يمهلهم بعد ذلك ولم
يكونوا في خفض ودعة بل رتبت اسباب هلاكهم فتحولوا من حال الى حال الى ان حل بهم عذاب الاستيصال وتصدير الجملة بالقسم لاظهار الاعتناء
بمضمونها والسنون جمع سنة والمراد بها عام القحط وفيها لغتان اشهرهما اجراؤها مجرى المذكرات فيرفع بالواو وينصب ويجر بالياء
ويحذف نونه بالاضافة واللغة الثانية اجراء الاعراب على النون ولكن مع الياء خاصة اما باثبات تنوينها او بحذفه قال الفراء هي في
هذه اللغة مصروفة عند بني عامر وغير مصروفة عند بني تميم ووجه حذف التنوين التخفيف وح لا يحذف النون للاضافة وعلى ذلك جاء
قول الشاعر • وعاني من نجد فان سنينه لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا • وجاء الحديث اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف وسنينا
كسنين يوسف بالتحتين **ونقص من الثمرات** باصابة العاهات عن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة قال ابن عباس رض
اما السنون فكانت لباديتهم واهل ماشيتهم واما نقص الثمرات فكان في امصارهم **لعلهم يذكرون** كي يتذكروا ويتعظوا بذلك ويقفوا
على ان ذلك لاجل معاصيهم وينزجروا عما هم عليه من العتو والعناد قال الزجاج ان احوال الشدة ترقق القلوب وترغب فيما
عند الله عز وجل وفي الرجوع اليه تع الا يرى الى قوله تع واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقد مر تحقيق القول في لعل في محالها
في تفسير قوله تع لعلكم تتقون في اوائل سورة البقرة وقوله تعا **فاذا جاءتهم الحسنة** الخ بيان لعدم تذكرهم وتماديهم في الغي
اي فاذا جاءتهم السعة والخصب وغيرهما من الخيرات **قالوا لنا هذه** اي لاجلنا واستحقاقنا لها **وان تصبهم سيئة** اي جدب وبلاء
يطيروا بموسى ومن معه اي يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا كما ترى شاهد بكمال قساوة قلوبهم ونهاية
جهلهم وغباوتهم فان الشدائد ترقق القلوب وتلين العرائك لاسيما بعد مشاهدة الآيات وقد كانوا بحيث لم يؤثر فيهم
شيء منها بل ازدادوا عتوا وعنادا وتعريف الحسنة وذكرها باداة التحقيق للايذان بكثرة وقوعها وتعلق الارادة بها بالذات

كما ان تنكير السيئة وايرادها بحرف الشك للاشعار بندرة وقوعها وعدم تعلق الارادة بها الا بالعرض وقوله تع **الا انما طائرهم عند الله**
استئناف مسوق من قبله تع لرد مقالتهم الباطلة وتحقيق الحق في ذلك وتصديره بكلمة التنبيه لابراز كمال العناية بمضمونه اي ليس سبب
خيرهم الا عنده تع وهو حكمه ومشيئته المتضمنة للحكم والمصالح او ليس سبب شؤمهم وهو اعمالهم السيئة الا عنده تعا اي مكتوبة
لديه فانها التي ساقت اليهم ما يسوءهم لا ما عداها وقرئ انما طيرهم وهو اسم جمع طائر وقيل جمع له **ولكن اكثرهم لا يعلمون** ذلك فيقولون
ما يحكى عنهم واسناد عدم العلم الى اكثرهم للاشعار بان بعضهم يعلمون ان ما اصابهم من الخير والشر من جهة الله تع او يعلمون ان ما اصابهم
من المصائب والبلايا ليس الا بما كسبت ايديهم ولكن لا يعلمون بمقتضاه عنادا واستكبارا **وقالوا** شروع في بيان بعض آخر مما اخذ
آل فرعون من فنون العذاب التي هي في انفسها آيات بينات وعدم ارعوائهم مع ذلك عما كانوا عليه من الكفر والعناد اي قالوا بعد
ما رأوا من شأن العصا والسنين ونقص الثمرات **مهما تأتنا به** كلمة مهما تستعمل للشرط والجزاء واصلها ما الجزائية ضمت اليها
ما المزيدة للتأكيد كما ضمت الى اين وان في اينما تكونوا واما نذهبن بك خلا ان الف الاولى قلبت هاء حذرا من تكرير
المتجانسين هذا هو الرأي السديد وقيل مه كلمة يصوت بها الناهي ضمت اليها ما الشرطية ومحلها الرفع بالابتداء او النصب بفعل
يفسره ما بعدها اي اي شيء تظهر لدينا وقوله تع **من آية** بيان لمهما وتسميتهم اياها آية لمجاراتهم على رأي موسى ع م واستهزائهم
بها والاشعار بان عنوان كونها آية لا يؤثر فيهم وقوله تع **لتسحرنا بها** الخ اظهار لكمال الطغيان والغلو فيه وتسمية للارشاد الى
الحق بالسحر وتسكير الابصار والضميران المجرور والراجعان الى مهما وتذكير الاول لمراعاة جانب اللفظ لابهامه وتأنيث الثاني
للمحافظة على جانب المعنى لتبيينه بآية كما في قوله تع ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له **فما نحن لك
بمؤمنين** بمصدقين لك ومؤمنين لنبوتك **فارسلنا عليهم** عقوبة لجرائمهم لاسيما لقولهم هذا **الطوفان** اي الماء الذي طاف بهم
وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل هو الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون **والجراد والقمل** قيل هو كبار القردان وقيل اولاد
الجراد قبل نبات اجنحتها **والضفادع والدم** روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يستطيع ان يخرج احد من بيته ودخل
الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منه قطرة وهي في خلال بيوتهم وفاض الماء على ارضهم وركد فمنعهم
من الحرث والتصرف ودام ذلك سبعة ايام فقالوا له عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم فنبت من
العشب والكلأ ما لم يعهد قبله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكل زروعهم وثمارهم وابوابهم وسقوفهم ففزعوا اليه عليه السلام كما ذكر
فخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقته
الجراد وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين ثيابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه ثالثا فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر
ثم ارسل الله تعالى عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم
وهي تغلي والى افواههم عند التكلم ففزعوا اليه رابعا وتضرعوا فاخذ عليهم العهود فدعا فكشف الله تع عنهم فنقضوا العهد فارسل
الله عليهم الدم فصارت مياههم دماء حتى كان يجتمع القبطي والاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ماء على حاله
ويمص من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف **آيات مفصلات** حال من المنصوبات المذكورة مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله
ونقمة وقيل مفرقات بعضها من بعض لامتحان احوالهم وكان بين كل اثنتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة منها اسبوعا وقيل
انه عليه السلام لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل **فاستكبروا** اي عن الايمان بها **وكانوا قوما مجرمين**
جملة معترضة مقررة لمضمون ما قبلها **ولما وقع عليهم الرجز** اي العذاب المذكور على التفصيل فاللام للجنس المنتظم لكل واحدة من الآيات المفصلة
اي كلما وقع عليهم عقوبة من تلك العقوبات **قالوا** في كل مرة **يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك** اي بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهد
اليك ان تدعوه فيجيبك كما اجابك في آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق
بمحذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب بحق ما عندك او قسم اجيب بقوله تع **لئن كشفت عنا الرجز** الذي وقع علينا
لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت الخ **فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه**

اي عدة من الزمان هم بالغوه فمعذبون بعده او مهلكون اذا هم ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا عنهم فاجؤا النكث من غير تأمل وتوقف فانتقمنا منهم
اي فاردنا ان ننتقم منهم لما اسلفوا من المعاصي والجرائم فان قوله تع فاغرقناهم عين الانتقام منهم فلا يصح دخول الفاء بينهما ويجوز ان يكون
المراد مطلق الانتقام والفاء تفسيرية كما في قوله تع فنادى نوح ربه فقال رب الخ في اليم في البحر الذي لا يدرك قعره وقيل في لجته بانهم كذبوا
باياتنا وكانوا عنها غافلين تعليل للاغراق اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بايات الله تع واعراضهم عنها وعدم تفكرهم فيها بحيث صاروا
كالغافلين عنها بالكلية والفاء وان دلت على ترتب الاغراق على ما قبله من النكث لكنه صرح بالتعليل ايذانا بان مدار جميع ذلك تكذيب
ايات الله تع والاعراض عنها ليكون ذلك مزجرة للسامعين عن تكذيب الايات الظاهرة على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعراض
عنها واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون اي بالاستعباد وذبح الابناء والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار
الاستضعاف وتجدده وهم بنوا اسرائيل ذكروا بهذا العنوان اظهارا لكمال لطفه تع وعظيم احسانه اليهم في رفعهم من حضيض المذلة الى اوج
العزة مشارق الارض ومغاربها اي جانبيها الشرقي والغربي حيث ملكها بنوا اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا في اكنافها
الشرقية والغربية كيف شاؤا وقوله تع التي باركنا فيها اي بالخصب وسعة الارزاق صفة للمشارق والمغارب وقيل للارض وفيه ضعف
للفصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف كما في لك قام ام هند وابوها العاقلة وتمت كلمة ربك الحسنى وهي وعده تع اياهم بالنصر والتمكين
كما ينبئ عنه قوله تع ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين وقرئ كلمات لتعدد المواعيد ومعنى تمت
مضت واستمرت على بني اسرائيل بما صبروا اي بسبب صبرهم على الشدائد التي كابدوها من جهة فرعون وقومه ودمرنا اي خربنا واهلكنا
ما كان يصنع فرعون وقومه من العمارات والقصور اي ودمرنا الذي كان فرعون يصنعه على ان فرعون اسم كان ويصنع خبر مقدم والجملة
الكونية صلة ما والعائد محذوف وقيل اسم كان ضمير عائد الى ما الموصولة ويصنع مسند الى فرعون والجملة خبر كان والعائد محذوف ايضا
والتقدير ودمرنا الذي كان هو يصنعه فرعون الخ وقيل كان زائدة كما ذكر وما موصولة اسمية والعائد محذوف تقديره ودمرنا الذي
يصنعه فرعون الخ اي صنعه والعدول الى صيغة المضارع على هذين القولين لاستحضار الصورة وما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا
يرفعونه من البنيان كصرح هامان وقرئ يعرشون بضم الراء والكسر افصح وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله تع وجاوزنا ببني اسرائيل
البحر شروع في قصة بني اسرائيل وشرح ما احدثوه من الامور الشنيعة بعد ان انقذهم الله عز وجل من ملكة فرعون ومن عليهم من النعم العظام
الموجبة للشكر واراهم من الايات الكبار ما تخر له صم الجبال تسلية لرسول الله عم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم
ومراقبة احوالهم وجاوز بمعنى جاز وقرئ جوزنا بالتشديد وهو ايضا بمعنى جاز فعدي بالباء اي قطعنا بهم البحر روي انه عبر بهم
موسى عم يوم عاشوراء بعدما اهلك الله تع فرعون فصاموا شكرا لله عز وجل فاتوا اي مروا على قوم قيل كانوا من لخم وقيل من العمالقة
الكنعانيين الذين امر موسى عم بقتالهم يعكفون على اصنام لهم اي يواظبون على عبادتها ويلازمونها وقرئ بكسر الكاف قال ابن جريج
كانت اصنامهم تماثيل بقر وهو اول شان العجل قالوا عند ما شاهدوا احوالهم يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده كما لهم آلهة الكاف
متعلقة بمحذوف وقع صفة لالها وما موصولة ولهم صلتها وآلهة بدل من ما والتقدير اجعل لنا الها كائنا كالذي استقر لهم قال انكم
قوم تجهلون تعجب عليه السلام من قولهم هذا اثر ما شاهدوا من الاية الكبرى والمعجزة العظمى فوصفهم بالجهل المطلق اذ لا جهل اعظم مما ظهر منهم
واكده بقوله ان هؤلاء يعني القوم الذين يعبدون تلك التماثيل متبر اي مدمر مكسر ما هم فيه اي من الدين الباطل اي يتبر الله تع ويهدم
دينهم الذي هم عليه عن قريب ويحطم اصنامهم ويتركها رضاضا وانما جيء بالجملة الاسمية للدلالة على التحقق وباطل اي مضمحل بالكلية ما
كانوا يعملون من عبادتها وان كان قصدهم بذلك التقرب الى الله تعالى فانه كفر محض وليس هذا كما في قوله تع وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه
هباء منثورا كما توهم فان المراد به اعمال البر التي عملوها في الجاهلية فانها في انفسها حسنات لو قارنت الايمان لاستتبعت اجورها
وانما بطلت لمقارنتها الكفر وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم الخبر من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بانهم هم المعرضون
للتبار وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض اليهم ما احبوا قال اغير الله ابغيكم الها شروع في
بيان شؤون الله تع الموجبة لتخصيص العبادة به تع بعد بيان ان ما طلبوا عبادته مما لا يمكن طلبه اصلا لكونه هالكا باطلا ولذلك وسط بينهما

قال مع كون كل منهما كلام موسى عم والاستفهام للانكار والتعجب والتوبيخ وادخال الهمزة على غير للايذان بان المنكر هو كون المبغي غيره تع لما انه
لاختصاص الانكار بغيره تع دون انكار الاختصاص بغيره تع وانتصاب غير على انه مفعول ابغي بحذف اللام اي ابغي لكم اي اطلب لكم غير الله تع والها اما
تمييز او حال وعلى الحالية من الها وهو المفعول لابغي على ان الاصل ابغي لكم الها غير الله فغير الله صفة لالها فلما قدمت صفة النكرة انتصب حالا وهو فضلكم
على العالمين اي والحال انه تع خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على ان ما صنعوا من سوء المعاملة حيث قابلوا تخصيص الله تع اياهم من بين امثالهم
بما لم يستحقوه تفضلا بان عمدوا الى اخس شيء من مخلوقاته تع فجعلوه شريكا له تع تبا لهم ولما يعبدون واذ انجيناكم تذكير لهم من جهته سبحانه بنعمة
الانجاء من ملكة فرعون وقرئ نجيناكم من التنجية وقرئ انجاكم فيكون مسوقا من جهة موسى عليه السلام اي واذكروا وقت انجائنا اياكم
من آل فرعون من ملكتهم لا بمجرد تخليصكم من ايديهم وهم على حالهم في المكنة والقدرة بل باهلاكهم بالكلية وقوله تع يسومونكم سوء
العذاب من سامه خسفا اي اولاه اياه او كلفه اياه وهو اما استئناف لبيان ما انجاهم منه او حال من المخاطبين او من آل فرعون او منهما معا
لاشتماله على ضميريهما وقوله تع يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل من يسومونكم مبين او مفسر له وفي ذلكم الانجاء او سوء العذاب بلاء
اي نعمة او محنة من ربكم من مالك امركم فان النعمة والنقمة كلتيهما منه سبحانه وتع عظيم لا يقادر قدره وواعدنا موسى ثلاثين ليلة
روي ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل وهم بمصر ان اهلك الله تع عدوهم اتاهم بكتاب فيه بيان ما ياتون وما يذرون فلما هلك فرعون
سال موسى عم ربه الكتاب فامره بصوم ثلاثين وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلاثين انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم
من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك وقيل اوحى الله تع اليه اما علمت ان ريح فم الصائم عندي اطيب من ريح المسك فامره الله تع بان يزيد
عليها عشرة ايام من ذي الحجة لذلك وذلك قوله تع واتممناها بعشر والتعبير عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقيل امره الله تع بان يصوم
ثلاثين يوما وان يعمل فيها بما يقربه من الله تع ثم انزلت عليه التوراة في العشر وكلم فيها وقد اجمل ذكر الاربعين في سورة البقرة وفصل
ههنا وواعدنا بمعنى وعدنا وقد قرئ كذلك وقيل الصيغة على بابها بناء على تنزيل قبوله عم منزلة الوعد وثلاثين مفعول ثان لواعدنا
بحذف المضاف اي تمام ثلاثين ليلة فتم ميقات ربه اربعين ليلة اي بالغا اربعين ليلة وقال موسى لاخيه هرون حين توجه الى المناجاة
حسبما امر به اخلفني اي كن خليفتي في قومي وراقبهم فيما ياتون وما يذرون واصلح ما يحتاج من امورهم الى الاصلاح او كن مصلحا ولا تتبع سبيل
المفسدين اي لا تتبع من سلك الافساد ولا تطع من دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص اي اختص مجيئه
بميقاتنا وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملائكة عليهم السلام وفيما روي انه عليه السلام كان يسمع ذلك من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه عز وجل
ليس من جنس سماع كلام المحدثين قال رب ارني انظر اليك اي ارني ذاتك بان تمكنني من رؤيتك وتتجلى لي فانظر اليك واراك وهو دليل على
ان رؤيته تع جائزة في الجملة لما ان طلب المستحيل مستحيل من الانبياء لا سيما ما يقتضي الجهل بشؤون الله عز وجل ولذلك رده بقوله لن تراني دون
لن ارى ولن اريك ولن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي ولم يوجد فيه ذلك بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه
الذين قالوا ارنا الله جهرة خطأ اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل ذلك حين قالوا اجعل لنا الها وان لا يتبع
سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطأ اذ لا يدل الاخبار بعدم رؤيته اياه على ان لا يراه
ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا عن ان تدل على استحالتها ودعوى الضرورة مكابرة او جهل بحقيقة الرؤية قال استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام
كانه قيل فماذا قال رب العزة حين قال موسى عم ما قال فقيل قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني استدراك لبيان انه
لا يطيق بها وفي تعليقها باستقرار الجبل ايضا دليل على الجواز ضرورة ان المتعلق بالممكن ممكن والجبل قيل هو جبل اردن فلما تجلى ربه للجبل اي
ظهرت له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطى الجبل حياة ورؤية حتى رآه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك
والشق وقرئ دكاء اي ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ دكا جمع دكاء اي قطعا وخر موسى صعقا مغشيا عليه
من هول ما رآه فلما افاق الافاقة رجوع العقل والفهم الى الانسان بعد ذهابهما بسبب من الاسباب قال تعظيما لما شاهده سبحانك اي تنزيها لك
من ان اسالك شيئا بغير اذن منك تبت اليك اي من الجراءة والاقدام على السؤال بغير اذن وانا اول المؤمنين اي بعظمتك وجلالك وقيل اول من آمن
بانك لا ترى في الدنيا وقيل بانه لا يجوز السؤال بغير اذن منك قال يا موسى استئناف مسوق لتسليته عم من عدم الاجابة الى سؤال الرؤية كانه قيل

ان منعتك الرؤية فقد اعطيتك من النعم العظام ما لم اعط احداً من العالمين فاغتنمها وثابر على شكرها **إني اصطفيتك** اي اخترتك واتخذتك صفوة وآثرتك
على الناس اي المعاصرين لك وهارون وان كان نبياً كان مأموراً باتباعه وما كان كليماً ولا صاحب شرع **برسالاتي** اي بأسفار التورية وقرئ برسالتي **وبكلامي**
وبتكليمي اياك بغير واسطة **فخذ ما آتيتك** اي اعطيتك من شرف النبوة والحكمة **وكن من الشاكرين** على ما اعطيت من جلائل النعم قيل كان سؤال الرؤية يوم عرفة
واعطاء التورية يوم النحر **وكتبنا له في الألواح من كل شيء** اي مما يحتاجون اليه من امور دينهم **موعظة وتفصيلاً لكل شيء** بدل من الجار والمجرور اي
كتبنا له كل شيء من المواعظ وتفصيل الأحكام واختلف في عدد الألواح وفي جوهرها ومقدارها فقيل انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين
وانها كانت من زمردة جاء بها جبرائيل عم وقيل من زبرجدة خضراء او ياقوتة حمراء وقيل امر الله تع موسى عم بقطعها من صخرة صماء لينها له
فقطعها بيده وشققها بأصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التورية وان طولها كان عشرة اذرع وقيل انزلت التورية وهي
سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام وعن مقاتل كتب في الألواح اني انا الله الرحمن الرحيم
لا تشركوا بي شيئاً ولا تقطعوا السبيل ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين **فخذها** على اضمار قول معطوف على كتبنا اي فقلنا خذها **بقوة** بجد وعزيمة
وقيل هو بدل من قوله تع فخذ ما آتيتك والضمير للألواح او لكل شيء لانه بمعنى الأشياء او للرسالة او للتورية **وأمر قومك يأخذوا بأحسنها** اي بأحسن
ما فيها كالعفو والصبر بالاضافة الى الاقتصاص والانتصار على طريقة الندب والحث على اختيار الأفضل كما في قوله تع واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم
او بواجباتها فانها احسن من المباح قيل المعنى يأخذوا بها واحسن صلة قال قطرب اي بحسنها وكلها حسن كقوله تع ولذكر الله اكبر وقيل هو
ان تحمل الكلمة المحتملة لمعنيين او لمعان على اشبه محتملاتها بالحق واقربها الى الصواب **سأريكم دار الفاسقين** تلوين للخطاب وتوجيه له الى
قومه عليه السلام بطريق الالتفات حملاً لهم على الجد في الامتثال بما امروا به اما على نهج الوعيد والترهيب على ان المراد بدار الفاسقين ارض مصر وديار
عاد وثمود واضرابهم فان رؤيتها وهي خالية عن اهلها خاوية على عروشها موجبة للاعتبار والانزجار عن مثل اعمال اهلها كيلا يحل بهم ما
حل بأولئك واما على نهج الوعد والترغيب على ان المراد بدار الفاسقين اما ارض مصر خاصة او مع ارض الجبابرة والعمالقة بالشام فانها مما
اتيح لبني اسرائيل وكتب لهم حسبما ينطق به قوله عز وجل يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ومعنى الاراءة الادخال بطريق الايراث
ويؤيده قراءة من قرأ سأورثكم بالثاء المثلثة كما في قوله تع واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها
وقرئ سأوريكم ولعله من اوريت الزند اي سأبينها لكم وقوله تع **سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض** استئناف مسوق لتحذيرهم
عن التكبر الموجب لعدم التفكر في الآيات التي هي ما كتب في الواح التورية من المواعظ والأحكام او ما يعمها وغيرها من الآيات التكوينية
التي من جملتها ما وعد اراءته من دار الفاسقين ومعنى صرفهم عنها الطبع على قلوبهم بحيث لا يكادون يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها
لاصرارهم على ما هم عليه من التكبر والتجبر كقوله تع فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء
بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ان في المؤخر نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الجليل اي سأطبع على قلوب الذين يعدون
انفسهم كبراء ويرون لهم على الخلق مزية وفضلاً فلا ينتفعون بآياتي التنزيلية والتكوينية ولا يغتنمون مغانم آثارها فلا تسلكوا
مسلكهم لتكونوا امثالهم وقيل المعنى سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون في ابطال ما رآه من الآيات فأبى الله الا احقاق
الحق وازهاق الباطل وعلى هذا فالأنسب ان يراد بدار الفاسقين ارض الجبابرة والعمالقة المشهورين بالعتو والتكبر في الأرض
وبإراءتها للمخاطبين ادخالهم الشام واسكانهم في مساكنهم ومنازلهم حسبما نطق به قوله تع يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله
لكم ويكون قوله سأصرف عن آياتي الخ جواباً عن سؤال مقدر ناشئ من الوعد بادخال الشام على ان المراد بالآيات ما تلي آنفاً ونظائره وبصرفهم
عنها ازالتهم عن مقام معارضتها وممانعتها لوقوع اخبارها وظهور احكامها وآثارها باهلاكهم على يد موسى عم حين سار بعد التيه بمن بقي
من بني اسرائيل او بذرياتهم على اختلاف الروايتين الى اريحا او يوشع بن نون في مقدمته ففتحها واستقر بنو اسرائيل بالشام وملكوا مشارقها
ومغاربها كأنه قيل كيف يرون دارهم وهم فيها فقيل سأهلكهم وانما عدل الى الصرف ليزداد ثقة بالآيات واطمئناناً بها وقوله تع **بغير
الحق** اما صلة للتكبر اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل وظلمهم المفرط او متعلق بمحذوف هو حال من فاعله اي يتكبرون ملتبسين
بغير الحق وقوله تع **وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها** عطف على يتكبرون داخل معه في حكم الصلة والمراد بالآية اما المنزلة فالمراد برؤيتها

مشاهدتها بسماعها او ما يعمها وغيرها من المعجزات فالمراد برؤيتها مطلق المشاهدة المنتظمة للسماع والابصار اي وان يشاهدوا كل آية من الآيات
لا يؤمنوا بها على عموم النفي لا على نفي العموم اي كفروا بكل واحدة منها لعدم اجتلائهم اياها كما هي وهذا كما ترى يؤيد كون الصرف بمعنى الطبع
وقوله تع **وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً** عطف على ما قبله داخل في حكمه اي لا يتوجهون الى الحق ولا يسلكون سبيله اصلاً لاستيلاء
الشيطنة عليهم ومطبوعيتهم على الانحراف والزيغ وقرئ بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم والسقم والسقام **وان يروا سبيل
الغي يتخذوه سبيلاً** اي يختارونه لأنفسهم مسلكاً مستمراً لا يكادون يعدلون عنه لموافقته لاهوائهم الباطلة وافضائه بهم الى شهواتهم
ذلك اشارة الى ما ذكر من تكبرهم وعدم ايمانهم بشيء من الآيات واعراضهم عن سبيل الرشد واقبالهم التام الى سبيل الغي وهو مبتدأ خبره قوله تعالى
بأنهم اي حاصل بسبب انهم **كذبوا بآياتنا** الدالة على بطلان ما اتصفوا به من القبائح وعلى حقية اضدادها **وكانوا عنها غافلين** لا يتفكرون فيها والا
لما فعلوا من الأباطيل ويجوز ان يكون اشارة الى ما ذكر من الصرف ولا يمنعه الاشعار بعلية ما في حيز الصلة كيف لا وقد مر ان ذلك في قوله تع ذلك
بما عصوا الآية يجوز ان يكون اشارة الى ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم مع كون ذلك معللاً بالكفر بآيات الله صريحاً وقيل محل اسم
الاشارة النصب على المصدر اي سأصرفهم ذلك الصرف بسبب تكذيبهم بآياتنا وغفلتهم عنها **والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة** اي ولقائهم
الدار الآخرة او ولقائهم ما وعده الله تع في الآخرة من الجزاء ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تع **حبطت اعمالهم** خبره اي ظهر بطلان اعمالهم
التي كانوا عملوها من صلة الارحام واغاثة الملهوفين ونحو ذلك او حبطت بعد ما كانت مرجوة النفع على تقدير ايمانهم بها **هل يجزون** اي لا يجزون
الا ما كانوا يعملون اي الا جزاء ما كانوا يعملونه من الكفر والمعاصي **واتخذ قوم موسى من بعده** اي من بعد ذهابه الى الطور **من حليهم** متعلق باتخذ كالجار
الأول لاختلاف معنييهما فان الأول للابتداء والثاني للتبعيض او للبيان او الثاني متعلق بمحذوف وقع حالاً مما بعده اذ لو تأخر لكان صفة له
واضافة الحلي اليهم مع انها كانت للقبط لأدنى الملابسة حيث كانوا استعاروها من اربابها قبيل الغرق فبقيت في ايديهم واما
انهم ملكوها بعد الغرق فذلك منوط بتملك بني اسرائيل غنائم القبط وهم مستأمنون فيما بينهم فلا يساعده قولهم حملنا اوزاراً من زينة
القوم والحلي بضم الحاء وكسر اللام جمع حلي كثدي وثدي وقرئ بكسر الحاء بالاتباع كدلي وقرئ حليهم على الافراد وقوله تع **عجلاً** مفعول اتخذ
اخر عن المجرور لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقيل هو متعد الى
اثنين بمعنى التصيير والمفعول الثاني محذوف اي الهاً وقوله تع **جسداً** بدل من عجلاً اي جثة ذا دم ولحم او جسداً من ذهب لا روح بعده وقوله تع **له خوار**
اي صوت بقر وقرئ بالجيم والهمزة وهو الصياح نعت لعجلاً روي ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه تراباً من اثر فرس جبرائيل عم وقد كان
اخذه عند فلق البحر او عند توجهه الى الطور فصار حياً وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح في جوفه فيصوت والأنسب بما في سورة طه هو الأول
وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانه واحد منهم واما لانهم رضوا به فكأنهم فعلوه واما لان المراد بالاتخاذ اتخاذهم اياه الهاً لا صنعته واحداثه
ألم يروا انه لا يكلمهم استئناف سيق لتقريعهم وتشنيعهم وتركيك عقولهم وتسفيههم فيما اقدموا عليه من المنكر الذي هو اتخاذه الهاً اي ألم يروا انه ليس
فيه شيء من احكام الالوهية حيث لا يكلمهم **ولا يهديهم سبيلاً** بوجه من الوجوه فكيف اتخذوه الهاً وقوله تع **اتخذوه** اي فعلوا ذلك **وكانوا ظالمين** اي
واضعين للأشياء في غير موضعها فلم يكن هذا اول منكر فعلوه والجملة اعتراض تذييلي وتكرير اتخذوه لتثنية التشنيع وترتيب الاعتراض عليه **ولما
سقط في ايديهم** اي ندموا على ما فعلوا غاية الندم فان ذلك كناية عنه لان النادم المتحسر يعض يده غماً فتصير يده مسقوطاً فيها وقرئ سقط على البناء
للفاعل بمعنى وقع العض فيها فاليد حقيقة وقال الزجاج معناه سقط الندم في انفسهم اما بطريق الاستعارة بالكناية او بطريق التمثيل **ورأوا
انهم قد ضلوا** باتخاذ العجل اي تبينوا بحيث تيقنوا بذلك حتى كأنهم رأوه بأعينهم وتقديم ذكر ندمهم على هذه الرؤية مع كونه متأخراً عنها للمسارعة
الى بيانه والاشعار بغاية سرعته كأنه سابق على الرؤية **قالوا** والله **لئن لم يرحمنا ربنا** بانزال التوبة المكفرة **ويغفر لنا** ذنوبنا بالتجاوز عن خطيئاتنا وتقديم
الرحمة على المغفرة مع ان التخلية حقها ان تقدم على التحلية اما للمسارعة الى ما هو المقصود الأصلي واما لان المراد بالرحمة مطلق ارادة الخير بهم وهو مبدأ
لانزال التوبة المكفرة لذنوبهم واللام في لئن موطئة للقسم كما اشير اليه وفي قوله تع **لنكونن من الخاسرين** لجواب القسم وما حكي عنهم من الندامة والرؤية
والقول وان كان بعد ما رجع موسى عم اليهم كما ينطق به الآيات الواردة في سورة طه لكن اريد بتقديمه عليه حكاية ما صدر عنهم من القول والفعل
في موضع واحد **ولما رجع موسى الى قومه** شروع في بيان ما جرى من موسى عم بعد رجوعه من الميقات اثر بيان ما وقع من قومه بعده وقوله تع **غضبان اسفاً**

حالان من موسى عم او الثاني من المستكن في غضبان والاسف الشديد الغضب وقيل الحزين قال بئسما خلفتموني من بعدي اي بئسما فعلتم من بعد غيبتي
حيث عبدتم العجل بعد ما رأيتم فعلي من توحيد الله تع ونفي الشركاء عنه واخلاص العبادة له او من حملكم على ذلك وكفكم عما طمحت نحوه ابصاركم حين قلتم
اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف فالخطاب للعبدة من السامري واشياعه او بئسما قمتم مقامي ولم تراعوا
عهدي حيث لم يكفوا العبدة عما فعلوا فالخطاب لهرون ومن معه من المؤمنين كما ينبئ عنه قوله تع يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعن افعصيت
امري ويجوز ان يكون الخطاب للكل على ان المراد بالخلافة ما يعم الامرين المذكورين وما نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس المستكن فيه والمخصوص بالذم
محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم اعجلتم امر ربكم اي تركتموه غير تام على تضمين عجل معنى سبق يقال عجل عن الامر اذا تركه
غير تام او اعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح طرحها من شدة
الغضب وفرط الضجر حمية للدين روي ان التوراة كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفعت ستة اسباعها التي كان فيها تفصيل
كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام واخذ برأس اخيه بشعر رأسه عليهما السلام يجره اليه حال من ضمير اخذ فعله عليه السلام توهما انه
قصر في كفهم وهرون كان اكبر منه عليهما السلام بثلث سنين وكان حمولا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل قال اي هرون مخاطبا لموسى عليهما السلام
ابن ام بحذف حرف النداء وتخصيص الام بالذكر مع كونهما شقيقين لما ان حق الام اعظم واحق بالمراعاة مع انها كانت مؤمنة وقد قاست فيه
المخاوف والشدائد وقرئ بكسر الميم باسقاط الياء تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء وقراءة الفتح لزيادة التخفيف والتشبيه بخمسة عشر ان القوم
استضعفوني وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت جهدي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت
بي الاعداء اي فلا تفعل بي ما يكون سببا لشماتتهم بي ولا تجعلني مع القوم الظالمين اي معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او النسبة الى التقصير
وهذا يؤيد كون الخطاب للكل او لا تعتقد اني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية اعتذار هرون
عليه السلام كأنه قيل فماذا قال موسى عم عند ذلك فقيل قال رب اغفر لي اي ما فعلت باخي من غير ذنب مقرر من قبله ولاخي ان فرط منه تقصير ما في
كفهم عما فعلوه من العظيمة استغفر عليه السلام لنفسه ليرضي اخاه ويظهر للشامتين رضاه لئلا تتم شماتتهم به ولاخيه للايذان بانه محتاج
الى الاستغفار حيث كان يجب عليه ان يقاتلهم وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام بعد غفران ما سلف منا وانت ارحم الراحمين فلا غرو في انتظامنا في
سلك رحمتك الواسعة في الدنيا والآخرة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ان الذين اتخذوا العجل اي تموا على اتخاذه واستمروا على عبادته كالسامري
واشياعه من الذين اشربوه في قلوبهم كما يفصح عنه كون الموصول الثاني عبارة عن التائبين فان ذلك صريح في ان الموصول الاول عبارة عن
المصرين سينالهم اي في الآخرة غضب اي عظيم لا يقادر قدره مستتبع لفنون العقوبات لما ان جريمتهم اعظم الجرائم واقبح الجرائر وقوله تع من ربهم
اي مالكهم متعلق بينالهم او بمحذوف هو نعت لغضب مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائن من ربهم وذلة
في الحيوة الدنيا هي ذلة الاغتراب التي تضرب بها الامثال والمسكنة المنتظمة لهم ولاولادهم جميعا والذلة التي اختص بها السامري من
الانفراد عن الناس والابتلاء بلا مساس يروى ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك واذا مس احدهم احد غيرهم حما جميعا في الوقت وايراد ما نالهم
في حيز السين مع مضيه بطريق تغليب حال الاخلاف على حال الاسلاف وقيل المراد بهم التائبون وبالغضب ما امروا به من قتل انفسهم
واعتذر عن السين بان ذلك حكاية عما اخبر الله تع به موسى عم حين اخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل بانه سينالهم غضب من ربهم وذلة
فيكون سابقا على الغضب وانت خبير بان سياق النظم الكريم وسياقه ما بيان عن ذلك بنبوا ظاهر الكيف لا وقوله تع وكذلك نجزي المفترين
ينادي على خلافه فانهم شهداء تائبون فكيف يمكن وصفهم بعد ذلك بالافتراء وايضا ليس لجزاء الله تع كل المفترين بهذا الجزاء الذي ظاهره
قهر وباطنه لطف ورحمة وقيل المراد بهم ابناؤهم المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان تعيير الابناء بافاعيل الآباء مشهور معروف منه قوله
تع واذ قتلتم نفسا الآية وقوله تع واذ قلتم يا موسى الآية والمراد بالغضب الاخروي وبالذلة ما اصابهم من القتل والاجلاء وضرب الجزية
عليهم وقيل المراد بالموصول المتخذون حقيقة وبالضمير في ينالهم اخلافهم ولا ريب في ان توسيط حال هؤلاء في تضاعيف بيان حال
المتخذين من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه والذين عملوا السيئات اي سيئة كانت ثم تابوا عن تلك السيئات من بعدها من بعد عملها وآمنوا ايمانا
صحيحا خالصا واشتغلوا باقامة ما هو من مقتضياته من الاعمال الصالحة ولم يصروا على ما فعلوا كالطائفة الاولى ان ربك من بعدها اي من بعد تلك التوبة

المقرونة بالايمان لغفور للذنوب وان عظمت وكثرت رحيم مبالغ في افاضة فنون الرحمة الدنيوية والاخروية والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى
ضميره عم للتشريف ولما سكت عن موسى الغضب شروع في بيان بقية الحكاية اثر ما بين تحزب القوم الى مصر وتائب والاشارة الى مآل كل
منهما اجمالا اي لما سكن عنه الغضب باعتذار اخيه وتوبة القوم وهذا صريح في ان ما حكي عنهم من الندم وما يتفرع عليه كان بعد مجيء موسى عم وفي هذا
النظم الكريم من البلاغة والمبالغة بتنزيل الغضب الحامل له عم على ما صدر عنه من الفعل والقول منزلة الآمر بذلك المغري عليه بالتحكم والتشديد و
التعبير عن سكونه بالسكوت ما لا يخفى وقرئ سكن وسكّت واسكت على ان الفاعل هو الله تع او اخوه او التائبون اخذ الالواح التي القاها وفي
نسختها اي فيما نسخ فيها وكتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة هدى اي بيان للحق ورحمة للخلق بارشادهم الى
ما فيه الخير والصلاح للذين هم لربهم يرهبون اللام الاولى متعلقة بمحذوف هو صفة لرحمة اي كائنة لهم او هي لام الاجل اي هدى ورحمة
لاجلهم والثانية لتقوية عمل الفعل المؤخر كما في قوله تع ان كنتم للرؤيا تعبرون او هي ايضا لام العلة والمفعول محذوف اي يرهبون المعاصي
لاجل ربهم لا للرياء والسمعة واختار موسى قومه شروع في بيان كيفية استدعاء التوبة وكيفية وقوعها واختار يتعدى الى اثنين ثانيهما
مجرور بمن اي اختار من قومه بحذف الجار وايصال الفعل الى المجرور كما في قوله اختارك الناس اذ رثت خلائقهم واعتل من كان يرجى عنده السؤل
اي اختارك من الناس سبعين رجلا مفعول اول لاختار اخر عن الثاني لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر لميقاتنا الذي وقتناه
بعد ما وقع من قومه ما وقع لا الميقات للكلام الذي ذكر قبل ذلك كما قيل قال السدي امره الله تع بان يأتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه تع
من عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختاره من قومه سبعين رجلا وقال محمد بن اسحق اختارهم ليتوبوا اليه تع مما صنعوا ويسألوه التوبة على
من تركوهم وراءهم من قومهم قالوا اختارهم من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال عم ان لمن قعد مثل اجر من
خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين وامرهم ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم فخرج الى طور سينا فلما دنوا من الجبل
غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه تع يكلم موسى يأمره وينهاه حسبما يشاء وهو الامر بقتل انفسهم توبة فلما اخذتهم
الرجفة مما اجترؤا عليه من طلب الرؤية فانه يروى انه لما انكشف الغمام اقبلوا الى موسى عم وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم
الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها اي ماتوا ولعلهم ارادوا بقولهم لن نؤمن لك لن نصدقك في ان الآمر لما سمعنا من الامر
بقتل انفسهم هو الله تع حتى نراه حيث قاسوا رؤيته تع على سماع كلامه قياسا فاسدا اخيث شاهد موسى عم تلك الحالة الهائلة قال رب لو
شئت اهلكتهم من قبل اي حين فرطوا في النهي عن عبادة العجل وما فارقوا عبدته حين شاهدوا اصرارهم عليها واياي ايضا حين طلبت
منك الرؤية اي لو شئت اهلاكنا بذنوبنا لاهلكتنا حينئذ اراد به عم تذكير العفو السابق لاستجلاب العفو اللاحق فان الاعتراف بالذنب والشكر
على النعمة مما يربط العتيد ويستجلب المزيد يعني انا كنا مستحقين للاهلاك ولم يكن من موانعه الا عدم مشيتك اياه فحيث لطفت بنا وعفوت
عنا تلك الجرائر فلا غرو في ان تعفو عنا هذه الجريمة ايضا وحمل الكلام على التمني يأباه قوله تع اتهلكنا بما فعل السفهاء منا اي الذين لا يعلمون
تفاصيل شؤونك ولا يتثبتون في المداحض والهمزة اما للانكار ووقوع الاهلاك ثقة بلطف الله عز وجل كما قاله ابن الانباري او للاستعطاف كما قاله
المبرد اي لا تهلكنا ان هي الا فتنتك استئناف مقرر لما قبله واعتذار عما صنعوا ببيان منشأ غلطهم اي ما الفتنة التي وقع فيها السفهاء وقالوا
ما قالوا من العظيمة الا فتنتك اي محنتك وابتلاؤك حيث اسمعتهم كلامك فافتتنوا بذلك ولم يتثبتوا فطمعوا فيما فوق ذلك تابعين للقياس
الفاسد وقوله تع تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء اما استئناف مبين لحكم الفتنة او حال من فتنتك اي حال كونها مضلا بها الخ اي تضل
بسببها من تشاء اضلاله فلا يهتدي الى التثبت وتهدي من تشاء هدايته الى الحق فلا يتزلزل في امثالها فيقوى بها ايمانه انت ولينا اي
القائم بامورنا الدنيوية والاخروية وناصرنا وحافظنا لا غير فاغفر لنا ما قارفناه من المعاصي والفاء لترتيب الدعاء على ما قبله من الولاية
كأنه قيل فمن شأن الولي المغفرة والرحمة وقيل ان اقدامه عم على ان يقول ان هي الا فتنتك الخ جراءة عظيمة فطلب من الله تع غفرانها والتجاوز
عنها وارحمنا بافاضة آثار الرحمة الدنيوية والاخروية علينا وانت خير الغافرين اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الدعاء وتخصيص
المغفرة بالذكر لانها الاهم بحسب المقام واكتب لنا اي عين لنا وقيل اوجب وحقق واثبت في هذه الدنيا حسنة اي نعمة وعافية او
خصلة حسنة قال ابن عباس رض اقبل وفادتنا وزدنا بالمغفرة والرحمة وفي الآخرة اي واكتب لنا فيها ايضا حسنة وهي المثوبة الحسنى والجنة

إنا هدنا إليك أي تبنا وأبنا إليك من هاد يهود إذا رجع وقرئ بكسر الهاء من هاد يهيد إذا حركه وأماله ويحتمل أن يكون مبنيا للفاعل وللمفعول
بمعنى أملنا أنفسنا أو أملنا إليك ويجوز أن يكون القراءة المشهورة على بناء المفعول على لغة من يقول عُود المريض مع كونها لغة ضعيفة
مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل والجملة استئناف مسوق لتعليل الدعاء فإن التوبة مما يوجب قبوله بموجب الوعد المحتوم وتصديرها
بحرف التحقيق لإظهار كمال النشاط والرغبة في التوبة والمعنى إنا تبنا ورجعنا عما صنعنا من المعصية العظيمة التي جئناك للاعتذار عنها
وعما وقع ههنا من طلب الرؤية فبعيد من لطفك وفضلك أن لا تقبل توبة التائبين قيل لما أخذتهم الرجفة ماتوا جميعا فأخذ موسى عم يتضرع
إلى الله تع حتى أحياهم وقيل رجفوا وكادت تبين مفاصلهم وأشرفوا على الهلاك فخاف موسى عم فبكى فكشفها الله تع عنهم **قال** استئناف
وقع جوابا عن سؤال ينساق إليه الكلام كأنه قيل فماذا قال الله تع عند دعاء موسى عم فقيل قال **عذابي أصيب به من أشاء** لعله عز وجل حين
جعل توبة عبدة العجل بقتلهم أنفسهم ضمن موسى عم دعاءه التخفيف والتيسير حيث قال واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة أي خصلة حسنة
عارية عن المشقة والشدة فإن في قتل أنفسهم من العذاب والتشديد ما لا يخفى فأجاب تع بأن عذابي شأنه أن أصيب به من أشاء تعذيبه من
غير دخل لغيري فيه وهم ممن تعلقت به مشيتي ولذلك جعلت توبتهم مشوبة بالعذاب الدنيوي **ورحمتي وسعت كل شيء** أي شأنها أن
تسع في الدنيا المؤمن والكافر بل كل ما يدخل تحت الشيئية من المكلفين وغيرهم وقد نال قومك نصيب منها ضمن العذاب الدنيوي وفي
نسبة الإصابة إلى العذاب بصيغة المضارع ونسبة السعة إلى الرحمة بصيغة الماضي إيذان بأن الرحمة مقتضى الذات وأما العذاب فبمقتضى
معاصي العباد والمشيئة معتبرة في جانب الرحمة أيضا وعدم التصريح بها للإشعار بغاية الظهور ألا ترى إلى قوله **فسأكتبها** أي أثبتها
وأعينها فإنه متفرع على اعتبار المشيئة كأنه قيل فإذا كان الأمر كذلك أي كما ذكر من إصابة عذابي وسعة رحمتي لكل من أشاء فسأكتبها
كتبة كائنة كما دعوت بقولك واكتب لنا في هذه الخ أي سأكتبها خالصة غير مشوبة بالعذاب الدنيوي **للذين يتقون** أي الكفر
والمعاصي أما ابتداء أو بعد ملابستها وفيه تعريض بقومه كأنه قيل لا لقومك لأنهم غير متقين فيكفيهم ما قدر لهم من الرحمة وإن كانت
مقارنة للعذاب الدنيوي **ويؤتون الزكوة** وفيه أيضا تعريض بهم حيث كانت الزكوة شاقة عليهم ولعل الصلوة إنما لم تذكر
مع أنها علي سائر العبادات اكتفاء منها بالاتقاء الذي هو عبارة عن فعل الواجبات بأسرها وترك المنكرات عن آخرها وإيراد إيتاء
الزكوة لما مر من التعريض **والذين هم بآياتنا** جميعا **يؤمنون** إيمانا مستمرا من غير إخلال بشيء منها وفيه تعريض بهم وبكفرهم بالآيات
العظام التي جاء بها موسى عم وبما سيجيء بعد ذلك من الآيات البينات كتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى وغير ذلك وتكرير الموصول
مع أن المراد به عين ما أريد بالموصول الأول دون أن يقال ويؤمنون بآياتنا عطفا على يؤتون الزكوة كما عطف هو على يتقون لما
أشير إليه من القصر بتقديم الجار والمجرور أي هم بجميع آياتنا يؤمنون لا ببعضها دون بعض **الذين يتبعون الرسول** الذي نوحي إليه كتابا
مختصا به **النبي** أي صاحب المعجزة وقيل عنوان الرسالة بالنسبة إليه تع وعنوان النبوة بالنسبة إلى الأمة **الأمي** بضم الهمزة نسبة إلى الأم
كأنه باق على حالته التي ولدته عليها أمه أو إلى أمة العرب كما قال عم إنا أمة أمية لا نحسب ولا نكتب أو إلى أم القرى وقرئ بفتح الهمزة
أي الذي لم يمارس القراءة والكتابة وقد جمع مع ذلك علوم الأولين والآخرين والموصول بدل من الموصول الأول بدل الكل أو منصوب
على المدح أو مرفوع عليه أي أعني الذين أو هم الذين وأما جعله مبتدأ على أن خبره يأمرون أو أولئك هم المفلحون فغير سديد **الذي يجدونه**
مكتوبا باسمه ونعوته بحيث لا يشكون أنه هو ولذلك عدل عن أن يقال يجدون اسمه أو وصفه مكتوبا **عندهم** زيد هذا لزيادة التقرير
وأن شأنه عم حاضر عندهم لا يغيب عنهم أصلا **في التوراة والإنجيل** اللذين تعبد بهما بنو إسرائيل سابقا ولاحقا والظرفان متعلقان
بيجدونه أو بمكتوبا وذكر الإنجيل قبل نزوله من قبيل ما نحن فيه من ذكر النبي عم والقرآن الكريم قبل مجيئهما **يأمرهم بالمعروف وينهاهم**
عن المنكر كلام مستأنف لا محل له من الإعراب قاله الزجاج متضمن لتفصيل بعض أحكام الرحمة التي وعد فيما سبق بكتبها إجمالا فإن ما بين
فيه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحلال الطيبات وتحريم الخبائث وإسقاط التكاليف الشاقة كلها من آثار الرحمة الواسعة وقيل في
محل النصب على أنه حال مقدرة من مفعول يجدونه أو من النبي أو من المستكن في مكتوبا أو مفسر لمكتوبا أي لما كتب **ويحل لهم الطيبات** التي
حرمت عليهم بشؤم ظلمهم **ويحرم عليهم الخبائث** كالدم ولحم الخنزير والربوا والرشوة **ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم**

أي يخفف عنهم ما كلفوه من التكاليف الشاقة التي هي من قبيل ما كتب عليهم حينئذ من كون التوبة بقتل النفس كتعيين القصاص في العمد والخطأ من غير
شرع الدية وقطع الأعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب وإحراق الغنائم وتحريم السبت وعن عطاء أنه كانت بنو إسرائيل
إذا قاموا يصلون لبسوا المسوح وغلوا أيديهم إلى أعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة وأوثقها إلى السارية يحبس
نفسه على العبادة وقرئ آصارهم وأصل الإصر الثقل الذي يأصر صاحبه من الحراك **فالذين آمنوا به** تعليم لكيفية اتباعه عليه السلام وبيان
لعلو رتبة متبعيه واغتنامهم مغانم الرحمة الواسعة في الدارين إثر بيان نعوته الجليلة والإشارة إلى إرشاده عم إياهم بالأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر وإحلال الطيبات وتحريم الخبائث أي فالذين آمنوا بنبوته وأطاعوه في أوامره ونواهيه **وعزروه** أي عظموه ووقروه
وأعانوه بمنع أعدائه عنه وقرئ بالتخفيف وأصله المنع ومنه التعزير **ونصروه** على أعدائه في الدين **واتبعوا النور الذي أنزل معه** أي
مع نبوته وهو القرآن عبر عنه بالنور المنبئ عن كونه ظاهرا بنفسه ومظهرا لغيره أو مظهرا للحقائق كاشفا عنها لمناسبة الاتباع
ويجوز أن يكون معه متعلقا باتبعوا أي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباعه عليه السلام بالعمل بسنته وبما أمر به ونهى عنه أو اتبعوا
القرآن مصاحبين له في اتباعه **أولئك** إشارة إلى المذكورين من حيث اتصافهم بما فصل من الصفات الفاضلة للإشعار بعليتها للحكم وما فيه من معنى
البعد للإيذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم في الفضل والشرف أي أولئك المنعوتون بتلك النعوت الجليلة **هم المفلحون** أي هم الفائزون بالمطلوب
الناجون عن الكروب لا غيرهم من الأمم فيدخل فيهم قوم موسى عم دخولا أوليا حيث لم ينجوا عما في توبتهم من المشقة الهائلة وبه يتحقق التحقيق
ويتأتى التوفيق والتطبيق بين دعائه عم وبين الجواب لا بمجرد ما قيل من أنه لما دعا لنفسه ولبني إسرائيل أجيب بما هو منطو على توبيخ بني
إسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله عز وجل وعلى كفرهم بآياته العظام التي أجراها على يد موسى عم وعرض بذلك في قوله تعالى
والذين هم بآياتنا يؤمنون وأريد أن يكون استماع أوصاف أعقابهم الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به كعبد الله بن سلام
وغيره من أهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في إخلاص الإيمان والعمل الصالح **قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم** لما حكي ما في الكتابين من
نعوت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف من يتبعه من أهلهما ونيلهم لسعادة الدارين أمر عليه السلام ببيان أن تلك السعادة غير مختصة
بهم بل شاملة لكل من يتبعه كائنا من كان ببيان عموم رسالته للثقلين مع اختصاص رسالة سائر الرسل بأقوامهم وإرسال موسى عم
إلى فرعون وملائه بالآيات التسع إنما كان لأمرهم بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه
فئته الباغية وبإرسال بني إسرائيل من الأسر والقسر وأما العمل بأحكام التورية فمختص ببني إسرائيل **جميعا** حال من الضمير في إليكم **الذي له**
ملك السموات والأرض منصوب أو مرفوع على المدح أو مجرور على أنه صفة للجلالة وإن حيل بينهما بما هو متعلق بما أضيف إليه فإنه في حكم
المتقدم عليه وقوله تع **لا إله إلا هو** بيان لما قبله فإن من ملك العالم كان هو الإله لا غيره وقوله تع **يحيي ويميت** لزيادة تقرير الوهيته
والفاء في قوله تع **فآمنوا بالله ورسوله** لتفريع الأمر على ما تمهد وتقرر رسالته عم وإيراد نفسه عليه السلام بعنوان الرسالة على طريقة الالتفات
إلى الغيبة للمبالغة في إيجاب الامتثال بأمره ووصف الرسول بقوله **النبي الأمي** لمدحه عليه السلام بهما ولزيادة تقرير أمره وتحقيق أنه المكتوب
في الكتابين ووصفه بقوله تع **الذي يؤمن بالله وكلماته** أي ما أنزل إليه وإلى سائر الرسل عليهم السلام من كتبه ووحيه لحمل أهل الكتابين على
الامتثال بما أمروا به والتصريح بإيمانه بالله تع للتنبيه على أن الإيمان به تع لا ينفك عن الإيمان بكلماته ولا يتحقق إلا به وقرئ وكلمته
على إرادة الجنس والقرآن لا من حيثية أخرى أو على أن المراد بها عيسى عم تعريضا باليهود وتنبيها على أن من لم يؤمن به لم يعتد بإيمانه
واتبعوه أي في كل ما يأتي وما يذر من أمور الدين **لعلكم تهتدون** علة للفعلين أو حال من فاعليهما أي رجاء لاهتدائكم إلى المطلوب أو
راجين له وفي تعليقهما إيذان بأن من صدقه ولم يتبعه بالتزام أحكام شريعته فهو بمعزل من الاهتداء مستمر على الغي والضلالة **ومن قوم**
موسى كلام مبتدأ مسوق لدفع ما عسى يوهمه تخصيص كتبة الرحمة والتقوى والإيمان بالآيات بمتبعي رسول الله عليه السلام من حرمان أسلاف
قوم موسى عم من كل خير وبيان أن كلهم ليسوا كما حكيت أحوالهم بل منهم **أمة يهدون** أي الناس **بالحق** أي ملتبسين به أو يهدونهم بكلمة
الحق **وبه** أي بالحق **يعدلون** أي في الأحكام الجارية فيما بينهم وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية وقيل هم الذين آمنوا
بالنبي صلى الله عليه وسلم ويأباه أنه قد مر ذكرهم فيما سلف وقيل إن بني إسرائيل لما بالغوا في العتو والطغيان حتى اجترؤا على

قتل الانبياء عليهم السلام تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسالوا الله تع ان يفرق بينهم وبين ذلك الطاغين ففتح الله تع لهم نفقا
في الأرض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم اليوم هناك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وقد ذكر عن النبي صلى الله عليه
وسلم ان جبرئيل ع م ذهب به ليلة الاسرى نحوهم فكلمهم فقال جبرئيل ع م هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الامي فآمنوا به
وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا من ادرك منكم احمد فليقرأ مني ع م فرد محمد على موسى السلام عليهما السلام ثم اقرأهم عشر سور من القرآن
نزلت بمكة ولم يكن نزلت يومئذ فريضة غير الصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا
السبت هذا وانت خبير بان تخصيصهم بالهداية من بين قومه ع م مع ان منهم من آمن بجميع الشرائع لا يخلو عن بعد وقطعناهم اي قوم موسى
لا الامة المذكورة منهم وقرئ بالتخفيف وقوله تع اثنتي عشرة ثاني مفعولي قطع لتضمنه معنى التصيير والتأنيث للحمل على الامة او القطعة
اي صيرناهم اثنتي عشرة امة او قطعة متميزا بعضها من بعض وحال من مفعوله اي فرقناهم معدودين هذا العدد وقوله تع اسباطا بدل منه
ولذلك جمع او مميز له على ان كل واحدة من اثنتي عشرة بكسر الشين وقوله تع امما على الاول بدل بعد بدل او نعت لاسباطا وعلى الثاني
بدل من اسباطا واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه حين استولى عليهم العطش في التيه الذي وقعوا فيه بسوء صنيعهم لا بجود استسقائهم
اياه عليه السلام باستسقائه عليه السلام لهم لقوله تع واذ استسقى موسى لقومه وقوله تع ان اضرب بعصاك الحجر مفسر لفعل الايحاء وقد مر
بيان شان الحجر في تفسير سورة البقرة فانبجست عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام قد حذف تعويلا على كمال الظهور وايذانا بغاية مسارعته
ع م الى الامتثال واشعارا بعدم تأثير الضرب حقيقة وتنبيها على كمال سرعة الانبجاس وهو الانفجار كانه حصل اثر الامر قبل تحقق
الضرب كما في قوله تع اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانبجست منه اثنتا عشرة عينا بعدد الاسباط واما ما قيل من ان التقدير فان
ضربت فقد انبجست فغير حقيق بجزالة النظم التنزيلي وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها قد علم كل اناس كل سبط عبر عنهم بذلك ايذانا بكثرة
كل واحد من الاسباط مشربهم اي عينهم الخاصة بهم وظللنا عليهم الغمام اي جعلناها بحيث تلقي عليهم ظلها تسير في التيه بسيرهم وتسكن
باقامتهم وكان ينزل بالليل عمود من نار يسيرون بضوئه وانزلنا عليهم المن والسلوى اي الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل
الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع وتبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منه ما يكفيه كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم
اي مستلذاته وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن المن والسلوى وما ظلمونا رجوع الى سنن الكلام الاول بعد حكاية خطابهم وهو
معطوف على جملة محذوفة للايجاز والاشعار بانه امر محقق غني عن التصريح به اي فظلموا بان كفروا بتلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك
ولكن كانوا انفسهم يظلمون اذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول لافادة القصر الذي يقتضيه النفي السابق وفيه ضرب من التهكم بهم والجمع
بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على تماديهم فيما هم فيه من الظلم والكفر واذ قيل لهم منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم
وايراد الفعل على البناء للمفعول مع استناده اليه تع كما يفصح عنه ما وقع في سورة البقرة من قوله تع واذ قلنا للجري على سنن الكبرياء
والايذان بالغنى عن التصريح به لتعين الفاعل وتغيير النظم بالأمر بالذكر للتشديد في التوبيخ اي اذكر لهم وقت قوله تع لاسلافهم اسكنوا هذه
القرية منصوبة على المفعولية يقال سكنت الدار وقيل على الظرفية اتساعا وهي بيت المقدس وقيل اريحاء وهي قرية الجبارين وكان
فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة رأسهم عوج بن عنق وفي قوله تع اسكنوا ايذان بان المامور به في سورة البقرة هو الدخول على وجه
السكنى والاقامة ولذلك اكتفي به عن ذكر رغدا في قوله تع وكلوا منها اي من مطاعمها وثمارها على ان من تبعيضية او منها على انها ابتدائية حيث
شئتم اي من نواحيها من غير ان يزاحمكم فيها احد فان الاكل المستمر على هذا الوجه لا يكون الا رغدا واسعا وعطف كلوا على اسكنوا بالواو لمقارنتهما
زمانا بخلاف الدخول فانه مقدم على الاكل ولذلك قيل هناك فكلوا وقولوا حطة اي مسئلتنا او امرك حطة لذنوبنا وهي فعلة من الحط
كالجلسة وادخلوا الباب اي باب القرية سجدا اي متطامنين مخبتين او ساجدين شكرا على اخراجهم من التيه وتقديم الامر بالدخول على الامر
بالقول المذكور في سورة البقرة غير مخل بهذا الترتيب بينهما ثم ان كان المراد بالقرية اريحاء فقد روي انهم دخلوها حيث سار اليها موسى
بمن بقي من بني اسرائيل او بذراريهم على اختلاف الروايتين ففتحها كما مر في سورة المائدة واما ان كان بيت المقدس فقد روي انهم
لم يدخلوه في حيوة موسى ع م فقيل المراد بالباب باب القبة التي كانوا يصلون اليها نغفر لكم خطيئاتكم وقرئ خطاياكم كما في سورة البقرة

وتغفر لكم خطيئاتكم وخطاياكم وخطيئتكم على البناء للمفعول سنزيد المحسنين عدة بشيئين بالمغفرة وبالزيادة وطرح الواو ههنا لا يخل بذلك لانه
استيناف مرتب على تقدير سؤال نشأ من الاخبار بالغفران كأنه قيل فماذا لهم بعد الغفران فقيل سنزيد وكذلك زيادة منهم زيادة بيان
فبدل الذين ظلموا منهم بما امروا به من التوبة والاستغفار حيث اعرضوا عنه ووضعوا موضعه قولا آخر مما لا خير فيه روي انهم دخلوه زاحفين
على استاههم وقالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية هطا شمقاثا يعنون حنطة حمراء استخفافا بامر الله عز وجل واستهزاء بموسى ع م
وقوله تع غير الذي قيل لهم نعت لقولا صرح بالمغايرة مع دلالة التبديل عليها قطعا تحقيقا للمخالفة وتنصيصا على المغايرة من كل وجه
فارسلنا عليهم اثر ما فعلوا من غير تأخير وفي سورة البقرة على الذين ظلموا والمعنى واحد والارسال من فوق فيكون كالانزال رجزا من السماء
عذابا كائنا منها والمراد الطاعون روي انه مات منهم في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا بما كانوا يظلمون بسبب ظلمهم المستمر السابق
واللاحق حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لا بسبب التبديل فقط كما يشعر به ترتيب الارسال عليه بالفاء والتصريح بهذا التعليل
لما ان الحكم ههنا مرتب على المضمر دون الموصول بالظلم كما في سورة البقرة واما التعليل بالفسق بعد الاشعار بعلية الظلم فقد مر وجهه هناك
والله تع اعلم واسألهم عطف على المقدر في اذ قيل اي واسأل اليهود المعاصرين لك سؤال تقريع بتقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله تع واعلاما
لهم بان ذلك مع كونه من علومهم الخفية التي لا يقف عليها الا من مارس كتبهم قد احاط به النبي صلى الله عليه وسلم خبرا واذ ليس ذلك بالتلقي
من كتبهم لانه ع م بمعزل من ذلك تعين انه من جهة الوحي الصريح عن القرية اي عن حالها وخبرها وما جرى على اهلها من الداهية الدهياء وهي ايلة
قرية بين مدين والطور وقيل هي مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية التي كانت حاضرة البحر اي قريبة منه مشرفة على شاطئه اذ
يعدون في السبت اي يتجاوزون حدود الله تع بالصيد يوم السبت واذ ظرف للمضاف المحذوف او بدل منه وقيل ظرف لكانت او حاضرة
وليس بذاك اذ لا فائدة في تقييد الكون او الحضور بوقت العدوان وقرئ يعدون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد حيث كانوا
يعدون آلات الصيد يوم السبت وهم منهيون عن الاشتغال فيه بغير العبادة اذ تأتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل والاول هو
الاولى لان السؤال عن عدوانهم ادخل في التقريع والحيتان جمع حوت قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها كنون ونينان لفظا ومعنى واضافتها
اليهم للاشعار باختصاصها بهم لاستقلالها بما لا يكاد يوجد في سائر افراد الجنس من الخواص الخارقة للعادة او لان المراد بها الحيتان
الكائنة في تلك الناحية وان ما ذكر من الاتيان وعدمه لاعتياد احوالهم في عدم التعرض يوم السبت يوم سبتهم ظرف لتأتيهم اي تأتيهم
يوم تعظيمهم لامر السبت وهو مصدر سبتت اليهود اذا عظمت السبت بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه
ويؤيد الاول قراءة من قرأ يوم اسباتهم وقوله تع شرعا جمع شارع من شرع عليه اذا دنى واشرف وهو حال من حيتانهم اي تأتيهم يوم
سبتهم ظاهرة على وجه الماء قريبة من الساحل ويوم لا يسبتون اي لا يراعون امر السبت لكن لا بمجرد عدم المراعاة مع تحقق يوم السبت كما هو المتبادر
بل مع انتفائهما معا اي لا سبت ولا مراعاة كما في قوله ولا ترى الضب بها ينجحر وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول
بمعنى لا يدخلون في السبت ولا يدار عليهم حكم السبت ولا يؤمرون فيه بما امروا به يوم السبت لا تأتيهم كما كانت تأتيهم يوم السبت حذرا
من صيدهم وتغيير السبك حيث لم يقل ولا تأتيهم يوم لا يسبتون لما ان الاخبار باتيانها يوم سبتهم مظنة ان يقال فماذا حالها
يوم لا يسبتون فقيل يوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم اي مثل ذلك البلاء العجيب الفظيع نعاملهم معاملة من يختبرهم ليظهر عدوانهم
ونؤاخذهم به وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها والتعجب منها بما كانوا يفسقون اي بسبب فسقهم المستمر المدلول
عليه بالجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لكن لا في تلك المادة فان فسقهم فيها لا يكون سببا للبلوى بل بسبب فسقهم المستمر في كل ما يأتون
وما يذرون وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا تأتيهم مثل ما تأتيهم يوم سبتهم فالجملة بعده حينئذ استيناف مبني على السؤال عن حكمة اختلاف
حال الحيتان بالاتيان تارة وعدمه اخرى واذ قالت عطف على اذ يعدون مسوق لتماديهم في العدوان وعدم انزجارهم عنه بعد العظات والانذارات
امة منهم اي جماعة من صلحائهم الذين ركبوا في عظتهم متن كل صعب وذلول حتى يئسوا من احتمال القبول لآخرين لا يقلعون عن التذكير رجاء
للنفع وتأثيرا مبالغة في الاعذار وطمعا في فائدة الانذار لم تعظون قوما الله مهلكهم اي مخترمهم بالكلية ومطهر الارض منهم او معذبهم
عذابا شديدا دون الاستيصال بالمرة وقيل مهلكهم مخزيهم في الدنيا او معذبهم في الآخرة لعدم اقلاعهم عما كانوا عليه من الفسق والطغيان

والتزديد لمنع الخلو دون منع الجمع فانهم مهلكون في الدنيا ومعذبون في الآخرة وايثار صيغة اسم الفاعل مع ان كلا من الاهلاك والتعذيب مترقب للدلالة علي تحققهما وتقربهما البتة كانهما واقعان وانما قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينجع فيهم او ترهيبا للقوم او سؤالا عن حكمة الوعظ ونفعه ولعلهم انما قالوه بمحضر من القوم حثا لهم علي الاتعاظ فان بت القول بهلاكهم وعذابهم مما يلقي في قلوبهم الخوف والخشية وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم وليس بذاك كما ستقف عليه قالوا اي الوعاظ معذرة الي ربكم اي نعظهم معذرة اليه تع علي انه مفعول له وهو الانسب بظاهر قولهم لم تعظون او نعتذر معذرة علي انه مصدر لفعل محذوف وقرئ بالرفع علي انه خبر مبتدأ محذوف اي موعظتنا معذرة اليه تع حتي لا ننسب الي نوع تفريط في النهي عن المنكر وفي اضافة الرب الي ضمير المخاطبين نوع تعريض بالسائلين ولعلهم يتقون عطف علي معذرة اي ورجاء لان يتقوا بعض التقاة وهذا صريح في ان القائلين لم تعظون الخ ليسوا من الفرقة الهالكة والا لوجب الخطاب فلما نسوا ما ذكروا به اي تركوا ما ذكرهم به صلحاؤهم ترك الناسي للشيء واعرضوا عنه اعراضا كليا بحيث لم يخطر ببالهم شيء من تلك المواعظ اصلا انجينا الذين ينهون عن السوء وهم الفريقان المذكوران واخراج انجائهم مخرج الجواب الذي حقه الترتيب علي الشرط وهو نسيان المعتدين المستتبع لاهلاكهم لما ان ما في حيز الشرط شيئان النسيان والتذكير كانه قيل فلما ذكر المذكرون ولم يتذكر المعتدون انجينا الاولين واخذنا الآخرين واما تصدير الجواب بانجائهم فلما مر مرارا من المسارعة الي بيان نجاتهم من اول الامر مع ما في المؤخر من نوع طول واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة الامر بعذاب بئيس اي شديد وزنا ومعني من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرئ بيئس علي وزن فيعل بفتح العين وكسرها وبئس كحذر وبئس علي تخفيف العين ونقل حركتها الي الفاء ككبد وكبد وبيس بقلب الهمزة ياء كذيب في ذئب وبيس كريس بقلب همزة بئس ياء وادغام الياء فيها وبيس علي تخفيف بيس كهين في هين وتنكير العذاب للتفخيم والتهويل بما كانوا يفسقون متعلق باخذنا كالباء الاولي ولا ضير فيه لاختلافهما معني اي اخذناهم بما ذكر من العذاب بسبب تماديهم في الفسق الذي هو الخروج عن الطاعة وهو الظلم والعدوان ايضا واجراء الحكم علي الموصول وان اشعر بعليته ما في حيز الصلة له لكنه صرح بالتعليل المذكور ايذانا بان العلة هو الاستمرار علي الظلم والعدوان مع اعتبار كون ذلك خروجا عن طاعة الله عز وجل لا نفس الظلم والعدوان والا لما اخر واعني ابتداء المباشرة ساعة ولعله تعالي قد عذبهم بعذاب شديد دون الاستيصال فلم يقلعوا عما كانوا عليه بل ازدادوا في الغي فمسخهم بعد ذلك لقوله تع فلما عتوا عما نهوا عنه اي تمردوا وتكبروا وابوا ان يتركوا ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين صاغرين اذلاء بعداء عن الناس والمراد بالامر هو الامر التكويني لا القولي وترتيب المسخ علي العتو عن الانتهاء عما نهوا عنه للايذان بانه ليس لخصوصية الحوت بل العمدة في ذلك هو مخالفة الامر والاستعصاء عليه تع وقيل المراد بالعذاب البئيس هو المسخ والجملة الثانية تقرير للاولي روي ان اليهود امروا باليوم الذي امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت وهو المعني بقوله تع انما جعل السبت علي الذين اختلفوا فيه فابتلوا به وحرم عليهم الصيد فيه وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت كأنها المخاض لا يري وجه الماء لكثرتها ولا تأتيهم في سائر الايام فكانوا علي ذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا سهلة الورود صعبة الصدور ففعلوا فجعلوا يسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر علي الخروج منها ويأخذونها يوم الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الي خشبة في الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له اني اري الله سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ في السبت القابل حوتين فلما رأوا ان العذاب لا يعاجلهم استمروا علي ذلك فصادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثلث استمروا علي النهي وثلث ملوا التذكير وسئموه وقالوا للواعظين لم تعظون الخ وثلث باشروا الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون نحن لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان لهم لشأنا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القردة انسابهم من الانس وهم لا يعرفونها فجعل القرد يأتي نسيبه فيشم ثيابه فيبكي فيقول له نسيبه الم ننهكم فيقول القرد برأسه بلي ثم ماتوا عن ثلث وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير وعن مجاهد مسخت قلوبهم وقال الحسن البصري اكلوا والله وخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في الدنيا واطولها عذابا في الآخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله تعالي جعل موعدا والساعة ادهي وامر

واذ تأذن ربك منصوب علي المفعولية بمضمر معطوف علي قوله تع واسألهم تأذن بمعني آذن توعد بمعني اوعد وبمعني عزم فان العازم علي الامر يحدث به نفسه واجري مجري فعل القسم كعلم الله وشهد الله فلذلك اجيب بجوابه حيث قيل ليبعثن عليهم الي يوم القيمة اي واذكر لهم وقت ايجابه تع علي نفسه ان يسلط علي اليهود البتة من يسومهم سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية وغير ذلك من فنون العذاب وقد بعث الله تع عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبي نساءهم وذراريهم وضرب الجزية علي من بقي منهم وكانوا يؤدونها الي المجوس حتي بعث النبي صلي الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب الجزية عليهم فلا تزال مضروبة الي آخر الدهر ان ربك لسريع العقاب يعاقبهم في الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وآمن منهم وقطعناهم اي فرقنا بني اسرائيل في الارض وجعلنا كل فرقة منهم في قطر من اقطارها بحيث لا يخلو ناحية منها منهم تكملة لادبارهم حتي لا يكون لهم شوكة وقوله تع امما اما مفعول ثان لقطعنا او حال من مفعوله منهم الصالحون صفة لامما او بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ومن يسير بسيرتهم ومنهم دون ذلك اي ناس دون ذلك الوصف اي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون عما كانوا فيه من الكفر والمعاصي فخلف من بعدهم اي من بعد المذكورين خلف اي بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع علي الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع في الشر والخلف بفتح اللام في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله صلي الله عليه وسلم ورثوا الكتاب اي التورية من اسلافهم يقرؤنها ويقفون علي ما فيها يأخذون عرض هذا الادني استيناف مسوق لبيان ما يصنعون بالكتاب بعد وراثتهم اياه اي يأخذون حطام هذا الشيء الادني اي الدنيا وهو من الدنو او الدناءة والمراد به ما كانوا يأخذونه من الرشي في الحكومات وعلي تحريف الكلام وقيل حال من واو ورثوا ويقولون سيغفر لنا ولا يؤاخذنا الله تع بذلك ويتجاوز عنه والجملة تحتمل العطف والحالية والفعل مسند الي الجار والمجرور او مصدر يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة والحال انهم مصرون علي الذنب عائدون الي مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي الميثاق الوارد في الكتاب ان لا يقولوا علي الله الا الحق عطف بيان للميثاق ومتعلق به اي بان لا يقولوا الخ والمراد به الرد عليهم والتوبيخ علي بتهم القول بالمغفرة بلا توبة والدلالة علي انها افتراء علي الله تع وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف علي الم يؤخذ من حيث المعني فانه تقرير او علي ورثوا وهو اعتراض والدار الآخرة خير للذين يتقون ما فعل هؤلاء افلا تعقلون فتعلموا ذلك فلا تستبدلوا الادني المؤدي الي العقاب بالنعيم المخلد وقرئ بالياء وفي الالتفات تشديد للتوبيخ والذين يمسكون بالكتاب اي يتمسكون في امور دينهم يقال مسك بالشيء وتمسك به قال مجاهد هم الذين آمنوا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه تمسكوا بالكتاب الذي جاء به موسي ع م فلم يحرفوه ولم يكتموه ولم يتخذوه ماكلة قال عطاء هم امة محمد صلي الله عليه وسلم وقرئ من الامساك وقرئ تمسكوا واستمسكوا موافقا لقوله تع واقاموا الصلوة ولعل التغيير في المشهورة للدلالة علي ان التمسك بالكتاب امر مستمر في جميع الازمنة بخلاف اقامة الصلوة فانها مختصة باوقاتها وتخصيصها بالذكر من بين سائر العبادات لانافتها عليها ومحل الموصول اما الجر نسقا علي الذين يتقون وقوله تع افلا تعقلون اعتراض مقرر لما قبله واما الرفع علي الابتداء والخبر قوله تع انا لا نضيع اجر المصلحين والرابط اما الضمير المحذوف كما هو رأي جمهور البصريين والتقدير اجر المصلحين منهم واما الالف واللام كما هو رأي الكوفيين فانه في حكم مصلحيهم كما في قوله تع فان الجنة هي المأوي اي مأواهم وقوله تع مفتحة لهم الابواب اي ابوابها واما العموم في مصلحين فانه من الروابط ومنه نعم الرجل زيد علي احد الوجوه وقيل الخبر محذوف والتقدير والذين يمسكون بالكتاب مأجورون او مثابون وقوله تع انا لا نضيع الخ اعتراض مقرر لما قبله واذ نتقنا الجبل فوقهم اي قلعناه من مكانه ورفعناه عليهم كانه ظلة اي سقيفة وهي كل ما اظلك وظنوا اي تيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا يوعدون به واطلاق الظن في الحكاية لعدم وقوع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله تع عليهم الطور وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا ما آتيناكم اي وقلنا او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة علي تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون بذلك قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق او راجين ان تنتظموا في سلك المتقين واذ اخذ ربك منصوب بمضمر معطوف علي ما انتصب به اذ نتقنا مسوق للاحتجاج علي اليهود بتذكير الميثاق العام المنتظم للناس قاطبة وتوبيخهم بنقضه اثر الاحتجاج عليهم بتذكير ميثاق الطور وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه مرارا اي واذكر لهم اخذ ربك من بني آدم المراد بهم الذين ولدهم كائنا من كان نسلا بعد نسل سوي من لم يولد له بسبب من الاسباب كالعقم وعدم التزوج والموت صغيرا وايثار الاخذ

على الاخراج للايذان بالاعتناء بشان المأخوذ لما فيه من الانباء على الاجتباء والاصطفاء وهو السبب في اسناده الى اسم الرب بطريق الالتفات مع ما فيه
من التمهيد للاستفهام الآتي واضافته الى ضميره عم للتشريف وقوله تع **من ظهورهم** بدل من بني آدم بدل البعض بتكرير الجار كما في قوله تعالى للذين
استضعفوا لمن آمن منهم وفي الموضعين ايذانية وفيه مزيد تقرير لابتنائه على البيان بعد الابهام والتفصيل غب الاجمال وتنبيه على ان الميثاق
قد اخذ منهم وهم في اصلاب الآباء ولم يستودعوا في ارحام الامهات وقوله تع **ذريتهم** مفعول اخذ اخر عن المفعول بواسطة الجار لاشتماله
على ضمير راجع اليه ولمراعاة اصالته ومنشابهته ولما مر مراراً من التشويق الى المؤخر وقرئ ذرياتهم والمراد بهم اولادهم على العموم فيندرج
فيهم اليهود المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اندراجاً اولياً كما اندرج اسلافهم في بني آدم كذلك وتخصيصهما باليهود سلفاً وخلفاً
مع ان ما اريد بيانه من بديع صنع الله عز وجل شامل للكل كافة مخل بفخامة التنزيل وجزالة التمثيل **واشهدهم على انفسهم** اي اشهد كل واحدة
من اولئك الذريات المأخوذين من ظهور آبائهم على انفسها لا على غيرها تقريراً لهم بربوبيته التامة وما تستتبعه من المعبودية على الاختصاص وغير
ذلك من احكامها وقوله تع **الست بربكم** على ارادة القول اي قائلاً الست بربكم ومالك امركم ومربيكم على الاطلاق من غير ان يكون لاحد مدخل في شان
من شؤونكم فينتظم استحقاق المعبودية ويستلزم اختصاصه به تع **قالوا** استيناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا
بلى شهدنا اي على انفسنا بانك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك كما ورد في الحديث الشريف وهذا تمثيل لخلقه تع اياهم جميعاً في مبدأ الفطرة مستعد
للاستدلال بالدلائل المنصوبة في الآفاق والانفس المؤدية الى التوحيد والاسلام كما ينطق به قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة الحديث
مبني على تشبيه الهيئة المنتزعة من تعريضه تع اياهم لمعرفة ربوبيته بعد تمكينهم منها بما ركز فيهم من العقول والبصائر ونصب لهم في الآفاق والانفس من
الدلائل تمكيناً تاماً ومن تمكنهم منها تمكناً كاملاً وتعرضهم لها تعرضاً قوياً بهيئة منتزعة من حمله تع اياهم على الاعتراف بها بطريق الامر ومن مسارعتهم
الى ذلك من غير تلعثم اصلاً من غير ان يكون هناك اخذ واشهاد وسؤال وجواب كما في قوله تع فقال لها وللارض ائتيا طوعاً او كرهاً قالتا اتينا
طائعين وقوله تع **ان تقولوا** بالتاء على تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاصريه من اليهود تشديداً في الالزام او اليهم والى متقدميهم
بطريق التغليب لكن لا من حيث انهم مخاطبون بقوله تع الست بربكم فانه ليس من الكلام المحكي وقرئ بالياء على ان الضمير للذرية وايّاً ما كان فهو مفعول له
لما قبله من الاخذ والاشهاد اي فعلنا ما فعلنا كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا ايها الكفرة او يقولوا هم **يوم القيمة** عند ظهور الامر **انا كنا عن هذا** عن وحدانية
الربوبية واحكامها **غافلين** لم ننبه عليه فانهم حيث جبلوا على ما ذكر من التهيؤ التام لتحقيق الحق والقوة القريبة من الفعل صاروا محجوجين عاجزين
عن الاعتذار بذلك اذ لا سبيل لاحد الى انكار ما ذكر من خلقهم على الفطرة السليمة وقوله تع **او تقولوا انما اشرك آباؤنا** عطف على تقولوا واو لمنع الخلو دون
الجمع اي هم اخترعوا الاشراك وهم سنّوه **من قبل** زماننا **وكنا** نحن **ذرية من بعدهم** لا نهتدي الى السبيل ولا نقدر على الاستدلال بالدليل **افتهلكنا
بما فعل المبطلون** من آبائنا المضلين بعد ظهور انهم المجرمون ونحن عاجزون عن التدبير والاستبداد بالرأي او تؤاخذنا فتهلكنا الخ فان ما ذكر من استعدادهم
الكامل يسد عليهم باب الاعتذار بهذا ايضاً فان التقليد عند قيام الدلائل والقدرة على الاستدلال بها مما لا مساغ له اصلاً هذا وقد حملت هذه المقاولة
على الحقيقة كما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من انه لما خلق الله تع آدم عم مسح ظهره فاخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيمة فقال الست بربكم
قالوا بلى فنودي يومئذ جف القلم بما هو كائن الى يوم القيمة وقد روي عن عمر رض انه سئل عن الآية الكريمة فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها
فقال ان الله تع خلق آدم عم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه
ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون وليس المعنى انه تعالى اخرج الكل من ظهره عليه السلام بالذات بل اخرج من ظهره عليه السلام ابناءه
الصلبية ومن ظهورهم ابناءهم الصلبية وهكذا الى آخر السلسلة لكن لما كان المظهر الاصلي ظهره عليه السلام وكان مساق الحديثين الشريفين بيان حال
الفريقين اجمالاً من غير ان يتعلق بذكر الوسائط غرض علمي نسب اخراج الكل اليه واما الآية الكريمة فحيث كانت مسوقة للاحتجاج على الكفرة المعاصرين
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان عدم افادة الاعتذار باسناد الاشراك الى آبائهم اقتضى الحال نسبة اخراج كل واحد منهم الى ظهر ابيهم من غير تعرض
لاخراج الابناء الصلبية لآدم عليه السلام من ظهره قطعاً وعدم بيان الميثاق لاسقاط عذر الغفلة حسبما ينطق به قوله تع ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا
غافلين ومعلوم انه غير دافع لغفلتهم في دار التكليف اذ لا فرد من افراد البشر يذكر ذلك فمرد ولكن لا بما قيل من ان الله عز وجل قد اوضح الدلائل على
وحدانيته وصدق رسله فيما اخبروا به فمن انكره كان معانداً ناقضاً للعهد ولزمته الحجة ونسيانهم وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد اخبار المخبر

الصادق بل بان قوله تع ان تقولوا الخ ليس مفعولاً له لقوله تع واشهدهم وما يتفرع عليه من قولهم بلى شهدنا حتى يجب كون ذلك الاشهاد والشهادة محفوظاً
لهم في الزامهم بل لفعل مضمر ينسحب عليه الكلام والمعنى فعلنا ما فعلنا من الامر بذكر الميثاق وبيانه كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا ايها الكفرة يوم القيمة
انا كنا غافلين عن هذا ذلك الميثاق لم ننبه عليه في دار التكليف والا لعملنا بموجبه هذا على قراءة الجمهور واما على القراءة بالياء فهو مفعول له لنفس الامر
المضمر العامل في اذ اخذ والمعنى اذكر لهم الميثاق المأخوذ منهم فيما مضى لئلا يعتذروا يوم القيمة بالغفلة عنه او بتقليد الآباء هذا على تقدير كون قوله تع شهدنا
من كلام الذرية وهو الظاهر فاما على تقدير كونه من كلام تع فهو العامل في ان تقولوا ولا محذور اصلاً اذ المعنى شهدنا قولكم هذا لئلا تقولوا يوم القيمة الخ
وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شأن المشار اليه وبعد منزلته والكاف لتفخيمه مؤكدة لما افاده اسم الاشارة من الفخامة والتقديم على الفعل لافادة
القصر ومحله النصب على المصدرية اي ذلك التفصيل البليغ المستتبع للمنافع الجليلة **نفصل الآيات** المذكورة لا غير ذلك **ولعلهم يرجعون** وليرجعوا عما هم
عليه من الاصرار على الباطل وتقليد الآباء نفعل التفصيل المذكور قالوا وان ابتدائيتان ويجوز ان تكون الثانية عاطفة على مقدر مترتب على
التفصيل اي وكذلك نفصل الآيات ليقفوا على ما فيها من المرغبات والزواجر وليرجعوا الخ **واتل عليهم** عطف على المضمر العامل في اذ اخذ وارد على نمطه
في الانباء عن الحور بعد الكور والضلالة بعد الهدى اي واتل على اليهود **نبأ الذي آتيناه آياتنا** اي خبره الذي له شأن وخطر وهو احد علماء بني اسرائيل
وقيل هو بلعم بن باعوراء او بلعام بن باعر من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله تع وقيل هو امية بن ابي الصلت وكان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تع
مرسل في ذلك الزمان رسولاً ورجا ان يكون هو ذلك الرسول فلما بعث الله تع النبي صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به والاول هو الانسب بمقام توبيخ
اليهود وبهتانهم **فانسلخ منها** اي من تلك الآيات انسلاخ الجلد من الشاة ولم يخطرها بباله اصلاً او خرج منها بالكلية بان كفر بها ونبذها وراء ظهره وايّاً
ما كان فالتعبير عنه بالانسلاخ المنبئ عن اتصال المحيط بالمحاط خلقة وعن عدم الملاقاة بينهما ابداً للايذان بكمال مباينته للآيات بعد ان
كان بينهما كمال الاتصال **فاتبعه الشيطان** اي تبعه حتى لحقه وادركه فصار قريناً له وهو المعنى على قراءة فاتّبعه من الافتعال وفيه تلويح بانه
اشد من الشيطان غواية او اتبعه خطواته **فكان من الغاوين** فصار من زمرة الضالين الراسخين في الغواية بعد ان كان من المهتدين وروي ان
قومه طلبوا اليه ان يدعو على موسى عم فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فلم يزالوا به حتى فعل فبقوا في التيه كان لموسى عم روحاً وراحة وانما
عذب به بنو اسرائيل وقد كان ذلك بدعائه عم كما مر في سورة المائدة **ولو شئنا** كلام مستأنف مسوق لبيان مناط ما ذكر من انسلاخه من الآيات
ووقوعه في مهاوي الغواية ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطاً وكون مفعولها مضمون الجزاء على القاعدة المستمرة اي ولو شئنا رفعه
لرفعناه اي الى المنازل العالية للابرار العالمين بتلك الآيات العاملين بموجبها لكن لا بمحض مشيئتنا من غير ان يكون له دخل في ذلك اصلاً فانه مناف
للحكمة التشريعية المؤسسة على تعليق الاجزية بالافعال الاختيارية للعباد بل مع مباشرته للعمل المؤدي الى الرفع بصرف اختياره الى
تحصيله كما ينبئ عنه قوله تع **بها** اي بسبب تلك الآيات بان عمل بموجبها فان اختياره وان لم يكن مؤثراً في حصوله ولا في ترتب الرفع عليه بل
كلاهما بخلق الله تع لكن خلقه تع منوط بذلك البتة حسب جريان العادة الالهية وقد اشير الى ذلك في الاستدراك بان اسند ما يؤدي الى نقيض
الثاني اليه حيث قيل **ولكنه اخلد الى الارض** مع ان الاخلاد اليها ايضاً مما لا يتحقق عند صرف اختياره اليه الا بخلقه تع كأنه قيل ولو شئنا رفعه
بمباشرته لسببه لرفعناه بسبب تلك الآيات التي هي اقوى اسباب الرفع ولكن لم نشأه لمباشرته لسبب نقيضه فترك في كل من المقامين ما ذكر في الآخر
تعويلاً على اشعار المذكور بالمطوي كما في قوله تع وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وتخصيص كل من
المذكورين بمقامه للايذان بان الرفع مراد له تع بالذات وتفضل محض عليه لا دخل فيه لفعله حقيقة كيف لا وجميع افعاله ومباديها من نعمه تع وتفضلاته
وان نقيضه انما اصابه بسوء اختياره على موجب الوعيد لا بالارادة الذاتية له سبحانه كما قيل في وجه ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر في الآية
المذكورة وهو السر في جريان السنة القرآنية على اسناد الخير اليه تع واضافة الشر الى الغير كما في قوله تع واذا مرضت فهو يشفين ونظائره
والاخلاد الى الشيء الميل اليه مع الاطمئنان به والمراد بالارض الدنيا وقيل السفالة والمعنى ولكنه آثر الدنيا الدنية على المنازل السنية او
الضعة والسفالة على الرفعة والجلالة **واتبع هواه** معرضاً عن تلك الآيات الجليلة فانحط ابلغ انحطاط وارتد اسفل سافلين والى ذلك اشير بقوله تع
فمثله كمثل الكلب لما انه اخس الحيوانات واسفلها وقد مثل حاله باخس احواله واذلها حيث قيل **ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث** اي فحالته التي هي مثل في السوء
كصفته في ارذل احواله وهي حالة دوام اللهث في حالتي التعب والراحة فكأنه قيل فتردى الى ما لا غاية وراءه في الخسة والدناءة وايثار الجملة

الاسمية على الفعلية بان يقال فصار مثله كمثل الكلب الخ للايذان بدوام اتصافه بتلك الحالة الخسيسة وكمال استقراره واستمراره عليها والخطاب في فعلي الشرط لكل احد ممن له حظ من الخطاب فانه ادخل في اشاعة فظاعة حاله واللهث ادلاع اللسان بالتنفس الشديد اي هو ضيق الحال مكروب دائم اللهث سواء هيجته وازعجته بالطرد العنيف او تركته على حاله فانه في الكلاب طبع لا تقدر على نفض الهواء المتسخن وجلب الهواء البارد بسهولة لضعف قلبها وانقطاع فؤادها بخلاف سائر الحيوانات فانها لا تحتاج الى التنفس الشديد ولا يلحقها الكرب والمضايقة الا عند التعب والاعياء والشرطية مع اختها تفسير لما ابهم في المثل وتفصيل لما اجمل فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه لا محل لهما من الاعراب على منهاج قوله تعالى خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون اثر قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم وقيل هي في محل النصب على الحالية من الكلب بناء على خروجهما من حقيقة الشرط وتحولهما الى معنى التسوية حسب تحول الاستفهامين المتناقضين اليه في مثل قوله تعالى ءانذرتهم ام لم تنذرهم كانه قيل لاهثا في الحالين واياما كان فالاظهر انه تشبيه للهيئة المنتزعة مما اعتراه بعد الانسلاخ من سوء الحال واضطرام القلق ودوام القلق والاضطراب وعدم الاستراحة بحال من الاحوال بالهيئة المنتزعة بما ذكر من حال الكلب وقيل لما دعا بلعم على موسى عليه السلام خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب الى ان هلك ذلك اشارة الى ما ذكر من الحالة الخسيسة منسوبة الى الكلب او الى المنسلخ وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الخسة والدناءة اي ذلك المثل السيء مثل القوم الذين كذبوا باياتنا وهم اليهود حيث اوتوا في التورية ما اوتوا من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وذكر القرآن المعجز وما فيه فصدقوه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وانسلخوا من حكم التورية فاقصص القصص مصدر سمي به المفعول كالسلب واللام للعهد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي اذا تحقق ان المثل المذكور مثل هؤلاء المكذبين فاقصصه عليهم حسبما اوحي اليك لعلهم يتفكرون فيقفون على جلية الحال وينزجرون عما هم عليه من الكفر والضلال ويعلمون انك قد علمته من جهة الوحي فيزدادوا ايقانا بك والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير المخاطب وعلى انها مفعول له اي فاقصص القصص راجيا لتفكرهم او رجاء لتفكرهم ساء مثلا استيناف مسوق لبيان كمال قبح حال المكذبين بعد بيان كونه كحال الكلب او المنسلخ وساء بمعنى بئس وفاعلها مضمر فيها ومثلا تمييز مفسر له والمخصوص بالذم قوله تعالى القوم الذين كذبوا باياتنا وحيث وجب التصادق بينه وبين الفاعل والتمييز وجب المصير الى تقدير مضاف اما اليه وهو الظاهر اي ساء مثلا مثل القوم الخ او الى التمييز اي ساء اصحاب مثل القوم الخ وقرئ ساء مثل القوم واعادة القوم موصوفا بالموصول مع كفاية الضمير بان يقال ساء مثلا مثلهم للايذان بان مدار السوء ما في حيز الصلة ولربط قوله تعالى وانفسهم كانوا يظلمون به فانه اما معطوف على كذبوا داخل معه في حكم الصلة بمعنى جمعوا بين تكذيب آيات الله تعالى بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وبين ظلمهم لانفسهم خاصة او منقطع عنه بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها واياما كان ففي يظلمون لمح الى ان تكذيبهم بالآيات متضمن للظلم بها وان ذلك ايضا معتبر في القصر المستفاد من تقديم المفعول من يهد الله فهو المهتدي لما امر النبي صلى الله عليه وسلم بان يقص قصص المنسلخ على هؤلاء الضالين الذين مثلهم كمثله ليتفكروا فيه ويتركوا ما هم عليه من الاخلاد الى الضلالة ويهتدوا الى الحق عقب ذلك بتحقيق ان الهداية والضلالة من جهة الله عز وجل وانما العظة والتذكير من قبيل الوسائط العادية في حصول الاهتداء من غير تاثير لها فيه سوى كونها دواعي الى صرف العبد اختياره نحو تحصيله حسبما نيط به خلق الله تعالى اياه كسائر افعال العباد فالمراد بهذه الهداية ما يوجب الاهتداء قطعا لكن لا لان حقيقتها الدلالة الموصلة الى البغية البتة بل لانها الفرد الكامل من حقيقة الهداية التي هي الدلالة الى ما يوصل الى البغية اي ما من شانه الايصال اليها كما سبق تحقيقه في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وليس المراد مجرد الاخبار باهتداء من هداه الله تعالى حتى يتوهم عدم الافادة بحسب الظاهر لظهور استلزام هدايته تعالى للاهتداء بل تعظيم شان الاهتداء والتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه بل هو قصر الاهتداء على من هداه الله تعالى حسبما يقتضيه تعريف الخبر فالمعنى من يهده الله اي يخلق فيه الاهتداء على الوجه المذكور فهو المهتدي لا غير كائنا من كان ومن يضلل بان لم يخلق فيه الاهتداء بل خلق فيه الضلالة لصرف اختياره نحوها فاولئك الموصوفون بالضلالة على الوجه المذكور هم الخاسرون اي الكاملون في الخسران لا غير وافراد المهتدي نظرا الى لفظ من وجمع الخاسرين نظرا الى معناها للايذان باتحاد منهاج الهدى وتفرق طرق الضلال ولقد ذرأنا كلام مستانف مقرر لمضمون ما قبله بطريق التذييل اي خلقنا لجهنم اي لدخولها والتعذيب بها وتقديمه على قوله تعالى كثيرا اي خلقا كثيرا مع كونه مفعولا به لما في توابعه من نوع طول يؤدي توسيطه بينهما وتاخيره عنها الى الاخلال بجزالة النظم الكريم وقوله تعالى من الجن والانس متعلق بمحذوف هو صفة لكثيرا اي كائنا منهما وتقديم الجن لانهم اعرق من الانس في الاتصاف بما نحن فيه من الصفات واكثر عددا واقدم خلقا

والمراد بهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية بالشقاوة لكن لا بطريق الجبر من غير ان يكون من قبلهم ما يؤدي الى ذلك بل لعلمه تعالى بانهم لا يصرفون اختيارهم نحو الحق ابدا بل يصرون على الباطل من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم من الآيات والنذر فبهذا الاعتبار جعل خلقهم مغيا بها كما ان جميع الفريقين باعتبار استعدادهم الكامل الفطري للعبادة وتمكنهم التام منها جعل خلقهم مغيا بها كما نطق به قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى لهم قلوب في محل النصب على انه صفة اخرى لكثيرا وقوله تعالى لا يفقهون بها في محل الرفع على انه صفة لقلوب مؤكدة لما يفيده تنكيرها وابهامها من كونها غير معهودة مخالفة لسائر افراد الجنس فاقدة لكمالها بالكلية لكن لا بحسب الفطرة حقيقة بل بسبب امتناعهم عن صرفها الى تحصيله وهذا وصف لها بكمال الاغراق في القساوة فانها من حيث لم تتات منها الفقه بحال فكانها خلقت غير قابلة له راسا وكذا الحال في اعينهم وآذانهم وحذف المفعول للتعميم اي لهم قلوب ليس من شانها ان يفقهوا بها شيئا مما من شانه ان يفقه فيدخل فيه ما يليق بالمقام من الحق ودلائله دخولا اوليا وتخصيصه بذلك مخل بالافصاح عن كنه حالهم ولهم اعين لا يبصرون بها الكلام فيه كما فيما عطف هو عليه والمراد بالابصار والسمع المنفيين ما يختص بالعقلاء من الادراك على ما هو وظيفة الثقلين لا ما يتناول مجرد الاحساس بالشبح والصوت كما هو وظيفة الانعام اي لا يبصرون بها شيئا من المبصرات فيندرج فيه الشواهد التكوينية الدالة على الحق اندراجا اوليا ولهم آذان لا يسمعون بها اي شيئا من المسموعات فيتناول الآيات التنزيلية تناولا اوليا واعادة الخبر في الجملتين المعطوفتين مع انتظام الكلام بان يقال واعين لا يبصرون بها وآذان لا يسمعون بها لتقرير سوء حالهم وفي اثبات المشاعر الثلاثة لهم ثم وصفها بعدم الشعور دون سلبها عنهم ابتداء بان يقال ليس لهم قلوب يفقهون بها ولا اعين يبصرون بها ولا آذان يسمعون بها من الشهادة بكمال رسوخهم في الجهل والغواية ما لا يخفى اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الضلال اي اولئك الموصوفون بالاوصاف المذكورة كالانعام اي في انتفاء الشعور على الوجه المذكور او في ان مشاعرهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك ما من شانها ان تدركه من المنافع والمضار فتجتهد في جلبها وسلبها غاية جهدها مع كونها بمعزل من الخلود وهؤلاء ليسوا كذلك حيث لا يميزون بين المنافع والمضار بل يعكسون الامر فيتركون النعيم المقيم ويقدمون على العذاب الخالد وقيل لانها تعرف صاحبها وتذكره وتطيعه وهؤلاء لا يعرفون ربهم ولا يذكرونه ولا يطيعونه وفي الخبر كل شيء اطوع لله من ابن آدم اولئك المنعوتون بما مر من مثلية الانعام والشرية منها هم الغافلون الكاملون في الغفلة المستحقون لان يخص بهم الاسم ولا يطلق على غيرهم كيف لا وانهم لا يعرفون من شؤون الله عز وجل ولا من شؤون ما سواه شيئا فيشركون به سبحانه وليس كمثله شيء وهو السميع العليم اصنامهم التي هي من اخس مخلوقاته تعالى ولله الاسماء الحسنى تنبيه للمؤمنين على كيفية ذكره تعالى وكيفية المعاملة مع المخلين بذلك الغافلين عنه سبحانه وعما يليق به من الامور وما لا يليق به اثر بيان غفلتهم التامة وضلالتهم الطامة والحسنى تانيث الاحسن اي الاسماء التي هي احسن الاسماء واجلها لانبائها عن احسن المعاني واشرفها فادعوه بها اي فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه الالحاد واللحد الميل والانحراف يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وقرئ يلحدون من الثلاثي اي يميلون في شانها عن الحق الى الباطل اما بان يسموه تعالى بما لا توقيف فيه او بما يوهم معنى فاسدا كما في قول اهل البدو يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا سخي ونحو ذلك فالمراد بالترك المامور به الاجتناب عن ذلك وباسمائه ما اطلقوه عليه تعالى وسموه به على زعمهم الخ لا اسماؤه تعالى حقيقة وعلى ذلك يحمل ترك الاضمار بان يقال يلحدون فيها واما بان يعدلوا عن تسميته تعالى ببعض اسمائه الكريمة كما قالوا وما الرحمن ما نعرف سوى رحمان اليمامة فالمراد بالترك الاجتناب ايضا وبالاسماء اسماؤه تعالى حقيقة فالمعنى سموه تعالى بجميع اسمائه الحسنى واجتنبوا اخراج بعضها من البين واما بان يطلقوها على غيره تعالى كما سموا اصنامهم الهة واما بان يشتقوا من بعضها اسماء اصنامهم كما اشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز فالمراد بالاسماء اسماؤه تعالى حقيقة كما في الوجه الثاني والاظهار في موقع الاضمار مع التجريد عن الوصف في الكل للايذان بان الحادهم في نفس الاسماء من غير اعتبار الوصف وليس المراد بالترك حينئذ الاجتناب عن ذلك اذ لا يتوهم صدور مثل هذا الالحاد عن المؤمنين ليؤمروا بتركه بل هو الاعراض عنهم وعدم المبالاة بما فعلوا ترقبا لنزول العقوبة بهم عن قريب كما هو المتبادر من قوله تعالى سيجزون ما كانوا يعملون فانه استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا من الامر بعدم المبالاة والاعراض عن المجازاة كانه قيل لم لا نبالي بالحادهم ولا نتصدى لمجازاتهم فقيل لانه سينزل بهم عقوبته وتتشفون بذلك عن قريب واما على الوجهين الاولين فالمعنى اجتنبوا الحادهم كيلا يصيبكم ما اصابهم فانه سينزل بهم عقوبة الحادهم وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون بيان اجمالي

لحال من عدا المذكورين من الثقلين الموصوفين بما ذكر من الضلال والالحاد عن الحق ومحل الظرف الرفع على انه مبتداء اما باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف
وما بعده خبره كما مر في تفسير قوله تع ومن الناس الخ اي وبعض من خلقنا او وبعض ممن خلقنا امة اي طائفة كثيرة يهدون الناس ملتبسين
بالحق او يهدونهم بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة وبالحق يحكمون في الحكومات الجارية فيما بينهم ولا يجورون فيها عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه كان يقول اذا قراها هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى عم امة الآية وعنه عليه السلام ان من امتي قوما على
الحق حتى ينزل عيسى عم وروي لا تزال من امتي طائفة على الحق الى ان ياتي امر الله وروي لا تزال من امتي امة قائمة بامر الله لا يضرهم من خذلهم
ولا من خالفهم حتى ياتي امر الله وهم ظاهرون وفيه من الدلالة على صحة الاجماع ما لا يخفى والاقتصار على نعتهم بهداية الناس للايذان بان
اهتداءهم في انفسهم امر محقق غني عن التصريح به والذين كذبوا بآياتنا شروع في تحقيق الحق الذي به يهدي الهادون وبه يعدل العادلون
وحمل الناس على الاهتداء به على وجه الترهيب ومحل الموصول الرفع على انه مبتدا خبره ما بعده من الجملة الاستقبالية واضافة الآيات الى
نون العظمة لتشريفها واستعظام الاقدام على تكذيبها اي والذين كذبوا بآياتنا التي هي معيار الحق ومصداق الصدق والعدل سنستدرجهم
اي سنستدنيهم البتة الى الهلاك شيئا فشيئا والاستدراج استفعال من درج اما بمعنى صعد ثم اتسع فيه فاستعمل في كل نقل تدريجي
سواء كان بطريق الصعود والهبوط او الاستقامة واما بمعنى مشى مشيا ضعيفا واما بمعنى طوى والاول هو الانسب بالمعنى
المراد الذي هو النقل الى اعلى درجات المهالك ليبلغ اقصى مراتب العقوبة والعذاب ثم استعير لطلب كل نقل تدريجي من حال الى حال
من الاحوال الملائمة للمنتقل الموافقة لهواه بحيث يزعم ان ذلك ترق في مراقي منافعه مع انه في الحقيقة تردٍّ في مهاوي مصارعه
فاستدراجه سبحانه اياهم ان تواتر عليهم النعم مع انهماكهم في الغي فيحسبوا انها لطف لهم منه تع فيزدادوا بطرا وطغيانا لكن
لا على ان المطلوب تدرجهم في مراتب النعم بل هو تدرجهم في مدارج المعاصي الى ان يحق عليهم كلمة العذاب على افظع حال واشنعها والاول
وسيلة اليه وقوله تع من حيث لا يعلمون متعلق بمضمر وقع صفة لمصدر الفعل المذكور اي سنستدرجهم استدراجا كائنا من حيث لا
يعلمون انه كذلك بل يحسبون انه اثرة من الله عز وجل وتقرب منه وقيل لا يعلمون ما يراد بهم واملي لهم عطف على سنستدرجهم غير
داخل في حكم السين لان الاملاء الذي هو عبارة عن الامهال والاطالة ليس من الامور التدريجية كالاستدراج الحاصل في نفسه
شيئا فشيئا بل هو فعل يحصل دفعة وانما الحاصل بطريق التدريج آثاره واحكامه لا نفسه كما يلوح به تغيير التعبير بتوحيد الضمير مع
ما فيه من الافتنان المبني على مزيد الاعتناء بمضمون الكلام لابتنائه على تجدد القصد والعزيمة واما ان ذلك للاشعار بانه بمحض التقدير
الالهي والاستدراج بتوسط المدبرات فمبناه دلالة نون العظمة على الشركة وانى ذلك والا لاحترز عن ايرادها في قوله تع ولا يحسبن
الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم الآية بل انما ايرادها في امثال هذه الموارد بطريق الجريان على سنن الكبرياء ان كيدي متين
تقرير للوعيد وتاكيد له اي قوي لا يدافع بقوة ولا بحيلة والمراد به اما الاستدراج والاملاء مع نتيجتهما التي هي الاخذ الشديد
على غرة فتسميته كيدا لما ان ظاهره لطف وباطنه قهر واما نفس ذلك الاخذ فقط فالتسمية لكون مقدماته كذلك واما ان حقيقة
الكيد هو الاخذ على خفاء من غير ان يعتبر فيه اظهار خلاف ما ابطنه فمما لا تعويل عليه مع عدم مناسبته للمقام ضرورة استدعائه لاعتبار
قيد المذكور حتما اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة كلام مبتدا مسوق لانكار عدم تفكرهم في شانه عليه السلام وجهلهم بحقيقة حاله الموجبة
للايمان به وبما انزل عليه من الآيات التي كذبوا بها والهمزة للانكار والتعجب والتوبيخ والواو للعطف على مقدر يستدعيه سياق النظم الكريم
وسياقه وما اما استفهامية انكارية في محل الرفع بالابتداء والخبر بصاحبهم واما نافية اسمها جنة وخبرها بصاحبهم والجنة من
المصادر التي يراد بها الهيئة كالركبة والجلسة وتنكيرها للتقليل والتحقير والجملة معلقة بفعل التفكر لكونه من افعال القلوب ومحلها على
الوجهين النصب على نزع الجار اي اكذبوا بها ولم يتفكروا في اي شيء من جنون كائن بصاحبهم الذي هو اعظم الائمة الهادية بالحق
وعليه نزلت تلك الآيات او في انه ليس بصاحبهم شيء من جنة حتى يوديهم التفكر في ذلك الى الوقوف على صدقه وصحة نبوته فيؤمنوا به
وبما انزل عليه من الآيات وقيل قد تم الكلام عند قوله تع اولم يتفكروا اي اكذبوا بها ولم يفعلوا التفكر ثم ابتدئ فقيل اي شيء بصاحبهم
من جنة ما على طريقة الانكار والتعجب والتبكيت او قيل ليس بصاحبهم شيء منها والتعبير عنه صلى الله عليه وسلم بصاحبهم للايذان

بان طول مصاحبتهم له عليه السلام مما يطلعهم على نزاهته عليه السلام عن شائبة ما ذكر ففيه تاكيد للتنكير وتشديد له والتعرض لنفي الجنون عنه
صلى الله عليه وسلم مع وضوح استحالة ثبوته له عم لما ان التكلم بما هو خارق لقضية العقول والعادات لا يصدر الا عمن به مس من الجنون
كيف ما اتفق من غير ان يكون له اصل ومعنى او عمن له تاييد الهي يخبر به عن الامور الغيبية واذ ليس به عم شائبة الاول تعين انه عليه السلام
مؤيد من عند الله عز وجل وقيل انه عليه السلام علا الصفا ليلا فجعل يدعو قريشا فخذا فخذا يحذرهم باس الله تع فقال قائلهم ان
صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت فالتصريح بنفي الجنون حينئذ للرد على عظيمتهم الشنعاء والتعبير عنه عم بصاحبهم وارد على
شاكلة كلامهم مع ما فيه من النكتة المذكورة وقوله تع ان هو الا نذير مبين جملة مقررة لمضمون ما قبلها ومبينة لحقيقة حاله صلى الله عليه
وسلم على منهاج قوله ان هذا الا ملك كريم بعد قوله تع ما هذا بشرا اي ما هو عليه السلام الا مبالغ في الانذار مظهر له غاية الاظهار ابرازا لكمال
الرافة ومبالغة في الاعذار وقوله تع اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض استيناف اخر مسوق للانكار والتوبيخ باخلالهم بالتامل
في الآيات التكوينية المنصوبة في الآفاق والانفس الشاهدة بصحة مضمون الآيات المنزلة اثر ما نعي عليهم اخلالهم بالتفكر في شانه عم
والهمزة لما ذكر من الانكار والتعجب والتوبيخ والواو للعطف على المقدر المذكور او على الجملة المنفية بلم والملكوت الملك العظيم اي اكذبوا بها
اولم يتفكروا فيما ذكر ولم ينظروا نظر تامل فيما يدل عليه السموات والارض من عظم الملك وكمال القدرة وما خلق الله اي وفيما خلق فيهما على
انه عطف على ملكوت وتخصيصه بهما لكمال ظهور عظم الملك فيهما او في ملكوت ما خلق على انه عطف على السموات والارض والتعميم لاشتراك الكل
في الدلالة على عظم الملك في الحقيقة وعليه قوله تع فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وقوله تع من شيء بيان لما خلق مفيد لعدم اختصاص
الدلالة المذكورة بجلائل المصنوعات دون دقائقها والمعنى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق فيهما من جليل ودقيق مما
ينطلق عليه اسم الشيء ليدلهم ذلك على العلم بوحدانيته تع وسائر شؤونه التي ينطق بها تلك الآيات فيؤمنوا بها لاتحادهما في المدلول فان
كل فرد من افراد الاكوان مما عز وهان دليل لائح على الصانع المجيد وسبيل واضح الى عالم التوحيد وقوله تع وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف
على ملكوت وان مخففة من ان واسمها ضمير الشان وخبرها عسى مع فاعلها وان يرى هو ان يكون واسم يكون ايضا ضمير الشان والخبر قد
اقترب اجلهم والمعنى اولم ينظروا في ان الشان عسى ان يكون الشان قد اقترب اجلهم وقد جوز ان يكون اسم يكون اجلهم وخبرها قد اقترب على
انها جملة من فعل وفاعل وهو ضمير اجلهم لتقدمه حكما واياما كان فمناط الانكار والتوبيخ تاخيرهم للنظر والتامل اي لعلهم يموتون عما قريب فما لهم
لا يسارعون الى التدبر في الآيات التكوينية الشاهدة بما كذبوه من الآيات القرآنية وقد جوز ان يكون الاجل عبارة عن الساعة
والاضافة الى ضميرهم لملابستهم لها من جهة انكارهم لها وبحثهم عنها وقوله عز وجل فباي حديث بعده يؤمنون قطع لاحتمال ايمانهم
راسا ونفي له بالكلية مرتب على ما ذكر من تكذيبهم بالآيات واخلالهم بالتفكر والنظر والباء متعلقة بيؤمنون وضمير بعده للآيات
على حذف المضاف المفهوم من كذبوا والتذكير باعتبار كونها قرآنا او بتاويلها بالمذكور واجراء الضمير مجرى اسم الاشارة والمعنى اكذبوا
بها ولم يتفكروا فيما يوجب تصديقها من احواله عليه السلام واحوال المصنوعات فباي حديث يؤمنون بعد تكذيبه ومعه مثل هذه الشواهد القوية
كلا وهيهات وقيل الضمير للقرآن والمعنى فباي حديث بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان وقيل هو انكار وتبكيت لهم
مترتب على اخلالهم بالمسارعة الى التامل فيما ذكر كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظر
بعد وضوح الحق وباي حديث بعد انقضاء اجلهم يؤمنون وقيل للرسول صلى الله عليه وسلم على حذف مضاف اي فباي حديث بعد حديثه
يؤمنون وهو اصدق الناس وقوله تع من يضلل الله فلا هادي له استيناف مقرر لما قبله منبئ عن الطبع على قلوبهم وقوله تع ويذرهم في
طغيانهم بالياء والرفع على الاستيناف اي وهو يذرهم وقرئ بنون العظمة على طريقة الالتفات اي ونحن نذرهم وقرئ بالياء والجزم عطفا على
محل فلا هادي له كانه قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم وقد روي الجزم بالنون عن نافع وابي عمرو في الشواذ وقوله تع يعمهون اي يترددون
ويتحيرون حال من مفعول يذرهم وتوحيد الضمير في حيز النفي نظرا الى لفظ من وجمعه في حيز الاثبات نظرا الى معناها للتنصيص على شمول النفي
والاثبات للكل يسئلونك عن الساعة استيناف مسوق لبيان بعض احكام ضلالهم وطغيانهم اي عن القيامة وهي من الاسماء الغالبة واطلاقها
عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة ما فيها من الحساب او لانها ساعة عند الله تع مع طولها في نفسها قيل ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى

الساعة إن كنت نبيًّا فأنا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانًا منهم مع علمهم أنه تعالى قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش وقوله تعالى أيّان بفتح الهمزة وقد قرئ بكسرها وهو ظرف زمان متضمن لمعنى الاستفهام ويليه المبتدأ أو الفعل المضارع دون الماضي بخلاف متى حيث يليها كلاهما قيل اشتقاقه من أيّ فعلان منه لأن معناه أيّ وقت وهو من أويت إلى الشيء لأن البعض آوٍ إلى الكل متساند إليه ومحله الرفع على أنه خبر مقدم ومرساها مبتدأ مؤخر أي متى إرساؤها أي إثباتها وتقريرها فإنه مصدر ميمي من أرساه إذا أثبته وأقره ولا يكاد يستعمل إلا في الشيء الثقيل كما في قوله تعالى والجبال أرساها ومنه مرسى السفن ومحل الجملة قيل الجر على البدلية من الساعة والتحقيق أن محلها النصب بنزع الخافض لأنها بدل من الجار والمجرور لا من المجرور فقط كأنه قيل يسألونك عن الساعة عن أيان مرساها وفي تعليق السؤال بنفس الساعة أولًا وبوقت وقوعها ثانيًا تنبيه على أن المقصد الأصلي من السؤال نفسها باعتبار حلولها في وقتها المعين لا وقتها باعتبار كونه محلًّا لها وقد سلك هذا المسلك في الجواب الملقن أيضًا حيث أضيف العلم المطلوب بالسؤال إلى ضميرها فأخبر باختصاصه به عز وجل حيث قيل **قل إنما علمها** أي علمها بالاعتبار المذكور **عند ربي** ولم يقل إنما علم وقت إرسائها ومن لم يتنبه لهذه النكتة حمل النظم الكريم على حذف المضاف والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام للإيذان بأن توفيقه عليه السلام للجواب على الوجه المذكور من باب التربية والإرشاد ومعنى كونه عنده تعالى خاصة أنه تعالى قد استأثر به بحيث لم يخبر به أحدًا من ملك مقرب ونبي مرسل وقوله تعالى **لا يجليها لوقتها إلا هو** بيان لاستمرار تلك الحالة إلى حين قيامها وإقناط كلي عن إظهار أمرها بطريق الإخبار من جهته تعالى أو من جهة غيره لاقتضاء الحكمة التشريعية إياه فإنه أدعى إلى الطاعة وأزجر عن المعصية كما أن إخفاء الأجل الخاص للإنسان كذلك والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهر للناس أمرها الذي تسألونني عنه إلا هو بالذات من غير أن يشعر به أحد من المخلوقين فيتوسط في إظهاره لهم لكن لا بأن يخبرهم بوقتها قبل مجيئه كما هو المسؤول بل بأن يقيمها فيشاهدوها عيانًا كما يفصح عنه التجلية المنبئة عن الكشف التام المزيل للإبهام بالكلية وقوله تعالى لوقتها أي في وقتها قيد للتجلية بعد ورود الاستثناء عليها لا قبله كأنه قيل لا يجليها إلا هو في وقتها إلا أنه قدم على الاستثناء للتنبيه من أول الأمر على أن تجليتها ليست بطريق الإخبار بوقتها بل بإظهار عينها في وقتها الذي يسألون عنه وقوله تعالى **ثقلت في السموات والأرض** استئناف كما قبله مقرر لمضمون ما قبله أي كبرت وشقت على أهلها من الملائكة والثقلين كل منهم أهمه خفاؤها وخروجها عن دائرة العقول وقيل عظمت عليهم حيث يشفقون منها ويخافون شدائدها وأهوالها وقيل ثقلت فيهما إذ لا يطيقها منهما ومما فيهما شيء أصلًا والأول هو الأنسب بما قبله وبما بعده من قوله تعالى **لا تأتيكم إلا بغتة** فإنه أيضًا استئناف مقرر لمضمون ما قبله فلا بد من اعتبار الثقل من حيث الخفاء أي لا تأتيكم إلا فجأة على غفلة كما قال صلى الله عليه وسلم تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه **يسألونك كأنك حفي عنها** استئناف مسوق لبيان خطئهم في توجيه السؤال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بناءً على زعمهم أنه عليه السلام عالم بالمسؤول عنه وأن العلم بذلك من مواجب الرسالة إثر بيان خطئهم في أصل السؤال بإعلام شأن المسؤول عنه والجملة التشبيهية في محل النصب على أنها حال من الكاف جيء بها بيانًا لما يدعوهم إلى السؤال على زعمهم وإشعارًا بخطئهم في ذلك أي يسألونك مشبهًا حالك عندهم بحال من هو حفي عنها أي مبالغ في العلم بها فعيل من حفي وحقيقته كأنك مبالغ في السؤال عنها فإن ذلك في حكم المبالغة في العلم بها لما أن من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه به ومبنى التركيب على المبالغة والاستقصاء ومنه إحفاء الشارب واحتفاء البقل أي استئصاله والإحفاء في المسألة أي الإلحاف فيها وقيل عن متعلقة بيسألونك وقوله تعالى كأنك حفي معترض وصلة حفي محذوفة أي حفي بها وقد قرئ كذلك وقيل هو من الحفاوة بمعنى البر والشفقة فإن قريشًا قالوا له عليه السلام إن بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك كأنك حفي تتحفى بهم فتخصهم بتعليم وقتها لأجل القرابة وتزوي أمرها عن غيرهم ففيه تخطئة لهم من جهتين وقيل هو من حفي بالشيء بمعنى فرح به والمعنى كأنك فرح بالسؤال عنها تحبه مع أنك كاره له لما أنه تعرض لحرم الغيب الذي استأثر الله عز وجل بعلمه **قل إنما علمها عند الله** أمر عليه السلام بإعادة الجواب الأول تأكيدًا للحكم وتقريرًا له وإشعارًا بعلته على الطريقة البرهانية بإيراد اسم الذات المنبئ عن استتباعها لصفات الكمال التي من جملتها العلم وتمهيدًا للتعريض بجهلهم بقوله تعالى **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** أي لا يعلمون ما ذكر من اختصاص علمها به تعالى فبعضهم ينكرونها رأسًا فلا يعلمون شيئًا مما ذكر قطعًا وبعضهم يعلمون أنها واقعة البتة ويزعمون أنك واقف على وقت وقوعها فيسألونك عنه جهلًا وبعضهم يدعون أن العلم بذلك من مواجب الرسالة

فيتخذون السؤال عنه ذريعة إلى القدح في رسالتك والمستثنى من هؤلاء هم الواقفون على جلية الحال من المؤمنين وأما الذين يسألون عنها من اليهود بطريق الامتحان فهم منتظمون في سلك الجاهلين حيث لم يعملوا بعلمهم وقوله تعالى **قل لا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرًّا** شروع في السؤال ببيان عجزه عن علمها إثر بيان عجز الكل عنه وإبطال زعمهم الذي بنوا عليه سؤالهم من كونه عليه السلام ممن يعلمها وإعادة الأمر لإظهار كمال العناية بشأن الجواب والتنبيه على استقلاله ومغايرته للأول والتعرض لبيان عجزه عما ذكر من النفع والضر لإثبات عجزه عن علمها بالطريق البرهاني واللام متعلقة بأملك والمجرور وقع حالًا من نفعًا أي لا أقدر لأجل نفسي على جلب نفع ما ولا على دفع ضر ما **إلا ما شاء الله** أن أملكه من ذلك بأن يلهمنيه فيمكنني منه ويقدرني عليه أو لكن ما شاء الله من ذلك كائن فالاستثناء منقطع وهذا أبلغ في إظهار العجز **ولو كنت أعلم الغيب** أي جنس الغيب الذي من جملته ما بين الأشياء من المناسبات المصححة عادة للسببية والمسببية ومن المباينات المستتبعة للممانعة والمدافعة **لاستكثرت من الخير** أي لحصلت كثيرًا من الخير الذي نيط تحصيله بالأفعال الاختيارية للبشر بترتيب أسبابه ودفع موانعه **وما مسني السوء** أي السوء الذي يمكن التفصي عنه بالتوقي عن موجباته والمدافعة بموانعه لا سوء ما فإن منه ما لا مدفع له **إن أنا إلا نذير وبشير** أي ما أنا إلا عبد مرسل للإنذار والبشارة شأني حيازة ما يتعلق بهما من العلوم الدينية والدنيوية لا الوقوف على الغيوب التي لا علاقة بينها وبين الأحكام والشرائع وقد كشفت من أمر الساعة ما يتعلق به الإنذار من مجيئها لا محالة واقترابها وأما تعيين وقتها فليس مما يستدعيه الإنذار بل هو مما يقدح فيه لما مر من أن إبهامه أدعى إلى الانزجار عن المعاصي وتقديم النذير على البشير لما أن المقام مقام الإنذار وقوله تعالى **لقوم يؤمنون** إما متعلق بهما جميعًا لأنهم ينتفعون بالإنذار كما ينتفعون بالبشارة وإما بالبشير فقط وما يتعلق بالنذير محذوف أي نذير للكافرين أي الباقين على الكفر وبشير لقوم يؤمنون أي في أي وقت كان ففيه ترغيب للكفرة في إحداث الإيمان وتحذير عن الإصرار على الكفر والطغيان **هو الذي خلقكم** استئناف مسوق لبيان كمال عظم جناية الكفرة في جراءتهم على الإشراك بتذكير مبادي أحوالهم المنافية له وإيقاع الموصول خبرًا لتفخيم شأن المبتدأ أي هو ذلك العظيم الشأن الذي خلقكم جميعًا وحده من غير أن يكون لغيره مدخل في ذلك بوجه من الوجوه **من نفس واحدة** هو آدم عليه السلام وهذا نوع تفصيل لما أشير إليه في مطلع السورة الكريمة إشارة إجمالية من خلقهم وتصويرهم في ضمن خلق آدم عليه السلام وتصويره وبيان لكيفيته **وجعل** عطف على خلقكم داخل في حكم الصلة ولا ضير في تقدمه عليه وجودًا لما أن الواو لا تستدعي الترتيب في الوجود **منها** أي من جنسها كما في قوله تعالى جعل لكم من أنفسكم أزواجًا أو من جسدها لما يروى أنه تعالى خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام والأول هو الأنسب إذ الجنسية هي المؤدية إلى الغاية الآتية لا الجزئية والجعل إما بمعنى التصيير فقوله تعالى **زوجها** مفعوله الأول والثاني هو الظرف المقدم وإما بمعنى الإنشاء والظرف متعلق بجعل قدم على المفعول الصريح لما مر مرارًا من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر أو بمحذوف هو حال من المفعول والأول هو الأولى وقوله تعالى **ليسكن إليها** علة غائية للجعل باعتبار تعلقه بمفعوله الثاني أي ليستأنس بها ويطمئن إليها اطمئنانًا مصححًا للازدواج كما يلوح به تذكير الضمير ويفصح عنه قوله تعالى **فلما تغشاها** أي جامعها **حملت حملًا خفيفًا** في مبادي الأمر فإنه عند كونه نطفة أو علقة أو مضغة أخف عليها بالنسبة إلى ما بعد ذلك من المراتب والتعرض لذكر خفته للإشارة إلى نعمته تعالى عليهم في إنشائه تعالى إياهم متدرجين في أطوار الخلق من العدم إلى الوجود ومن الضعف إلى القوة **فمرت به** أي فاستمرت به كما كانت قبل حيث قامت وقعدت وأخذت وتركت وعليه قراءة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقرئ فمرت بالتخفيف فمارت من المور وهو المجيء والذهاب ومن المرية أي فظنت الحمل وارتابت به وأيًّا ما كان فالمعنى حملت حملًا خف عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والأذية ولم تستثقله فمرت به أي مضت به إلى ميلاده من غير إخراج ولا إزلاق فيرده قوله تعالى **فلما أثقلت** إذ معناه فلما صارت ذات ثقل لكبر الولد في بطنها ولا ريب في أن الثقل بهذا المعنى ليس مقابلًا للخفة بالمعنى المذكور إنما يقابلها الكرب الذي يعتري بعضهن من أول الحمل إلى آخره دون بعض أصلًا وقرئ أثقلت على البناء للمفعول أي أثقلها حملها **دعوا الله** أي آدم وحواء عليهما السلام لما دهمهما أمر لم يعهداه ولم يعرفا مآله فاهتما به وتضرعا إليه عز وجل وقوله تعالى **ربهما** أي مالك أمرهما الحقيق بأن يخص به الدعاء إشارة إلى أنهما قد صدرا به دعاءهما كما في قولهما ربنا ظلمنا أنفسنا الآية ومتعلق الدعاء محذوف تعويلًا على شهادة الجملة القسمية به أي دعواه تعالى أن يؤتيهما صالحًا ووعدا بمقابلته الشكر على سبيل التوكيد القسمي وقالا أو قائلين **لئن آتيتنا صالحًا** أي ولدًا من جنسنا سويًّا **لنكونن** نحن ومن يتناسل من ذريتنا **من الشاكرين** الراسخين في الشكر على نعمائك التي من جملتها هذه النعمة وترتيب هذا الجواب على الشرط المذكور ولما أنهما قد علما أن ما علقا به دعاءهما أنموذج لسائر أفراد الجنس ومعيار لهما ذاتًا وصفة وجوده مستتبع لوجودها وصلاحه مستلزم لصلاحها فالدعاء في حقه متضمن للدعاء في حق الكل مستتبع له كأنهما قالا لئن آتيتنا وذريتنا أولادًا صالحة وقيل إن ضمير آتيتنا لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما وأنت خبير بأن نظم الكل في سلك الدعاء أصالة يأباه مقام المبالغة في الاعتناء بشأن ما هما بصدده وأما جعل ضمير

لكون من للكل فلا محذور فيه لان توسيع دائرة الشكر غير مخل بالاعتناء المذكور بل مؤكد له واياما كان فمعنى قوله تع **فلما آتاهما صالحا** لما آتاهما ما طلباه اصالة
واستتباعا من الولد وولد الولد ما تناسلوا فقوله تع **جعلا** اي جعل اولادهما **له** تعالى **شركاء** على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ثقة بوضوح الامر وتعويلا
على ما يعقبه من البيان وكذا الحال في قوله تع **فيما آتاهما** اي فيما آتى اولادهما من الاولاد حيث سموهم بعبد مناف وعبد العزى ونحو ذلك وتخصيص اشراكهم هذا
بالذكر في مقام التوبيخ مع ان اشراكهم بالعبادة اغلظ منه جناية واقدم وقوعا لما ان مساق النظم الكريم لبيان اخلالهم بالشكر في مقابلة نعمة الولد
الصالح واول كفرهم في حقه انما هو تسميتهم اياه بما ذكر وقرئ شركا اي شركة او ذوي شرك اي شركاء ان قيل ما ذكر من حذف المضاف واقامة المضاف
اليه مقامه انما يصار اليه فيما يكون للفعل ملابسة ما بالمضاف اليه ايضا بسراية اليه حقيقة او حكما ويتضمن نسبته اليه صورة مزية يقتضيها المقام كما في
مثل قوله تع واذ انجيناكم من آل فرعون الآية فان الانجاء منهم مع ان تعلقه حقيقة ليس الا بأسلاف اليهود قد نسب الى اخلافهم بحكم سرايته اليهم توفية
لمقام الامتنان حقه وكذا في قوله تع قل فلم تقتلون انبياء الله الآية فان القتل حقيقة مع كونه من جنايات آبائهم قد اسند اليهم بحكم رضاهم به
اداء لحق مقام التوبيخ والتبكيت ولا ريب في انهما عليهما السلام بريئان من سراية الجعل المذكور اليهما بوجه من الوجوه فما وجه اسناده اليهما صورة قلنا
وجهه الايذان بتركهما الاولى حيث اقدما على نظم اولادهما في سلك انفسهما والتزما شكرهم في ضمن شكرهما واقسما على ذلك قبل تعرف احوالهم ببيان اخلالهم
بالشكر الذي وعداه وعدا مؤكدا باليمين بمنزلة اخلالهما به بالذات في استيجاب الحنث والخلف مع ما فيه من الاشعار بتضاعف جنايتهم ببيان
انهم جعلوهما مذكورا ونعتوهما في ورطة الحنث والخلف وجعلوهما كانهما باشراه بالذات فجمعوا بين الجناية عليهما عليهما السلام **فتعالى الله عما يشركون**
تنزيه فيه معنى التعجب والفاء لترتيبه على ما فصل من احكام قدرته تع وآثار نعمته الزاجرة عن الشرك الداعية الى التوحيد وصيغة الجمع لما اشير اليه من تعيين
الفاعل وتنزيه آدم وحواء عليهما السلام عن ذلك وما في عما اما مصدرية اي عن اشراكهم او موصولة او موصوفة اي عما يشركونه به سبحانه والمراد
باشراكهم اما تسميتهم المذكورة او مطلق اشراكهم المنتظم لها انتظاما اوليا وقرئ تشركون بتاء الخطاب بطريق الالتفات وقيل الخطاب لآل قصي من قريش والمراد
بالنفس الواحدة نفس قصي فانهم خلقوا منه وكان له زوج من جنسه عربية قرشية وطلبا من الله تعالى ولدا صالحا فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف
وعبد الشمس وعبد قصي وعبد الدار وضمير يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما واما ما قيل من انه لما حملت حواء اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها
ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة او كلب او خنزير وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك فذكرته لآدم عليه السلام فاهمهما ذلك ثم عاد اليها وقال اني
من الله تعالى بمنزلة فان دعوت ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا في الملائكة فقبلت فلما ولدته سمته
عبد الحارث فمما لا تعويل عليه كيف لا وانه عليه السلام كان علما في علم الاسماء والمسميات فعدم علمه بابليس واسمه واتباعه اياه في مثل هذا الشأن الخطير امر
قريب من المحال والله تع اعلم بحقيقة الحال **ايشركون** استئناف مسوق لتوبيخ كافة المشركين واستقباح اشراكهم على الاطلاق وابطاله بالكلية ببيان ما
يشركون به سبحانه وتفصيل احواله القاضية ببطلان ما اعتقدوه في حقه اي ايشركون به تع **ما لا يخلق شيئا** اي لا يقدر على ان يخلق شيئا من الاشياء اصلا
ومن حق المعبود ان يكون خالقا لعابده لا محالة وقوله تع **وهم يخلقون** عطف على لا يخلق وايراد الضميرين بجمع العقلاء مع رجوعهما الى ما المعبر بها عن الاصنام
انما هو بحسب اعتقادهم فيها واجرائهم لها مجرى العقلاء وتسميتهم لها آلهة وكذا حال سائر الضمائر الآتية ووصفها بالمخلوقية بعد وصفها بنفي الخالقية
لابانة كمال منافاة حالها لما اعتقدوه في حقها واظهار غاية جهلهم فان اشراك ما لا يقدر على خلق شيء ما بخالقه وخالق جميع الاشياء مما لا يمكن ان
يسوغه من له عقل في الجملة وعدم التعرض لخالقها للايذان بتعينه والاستغناء عن ذكره **ولا يستطيعون لهم** اي لعبدتهم اذا حزبهم امر مهم وخطب ملم **نصرا** اي
نصرا ما بجلب منفعة او دفع مضرة **ولا انفسهم ينصرون** اذا اعتراهم حادثة من الحوادث اي لا يدفعونها عن انفسهم وايراد النصر للمشاكلة وهذا بيان لعجزهم
عن ايصال منفعة ما الوجودية والعدمية الى عبدتهم وانفسهم بعد بيان عجزهم عن ايصال منفعة الوجود اليهم والى انفسهم خلا انهم وصفوا هناك بالمخلوقية
لكونهم اهلا لها وههنا لم يوصفوا بالمنصورية لانهم ليسوا اهلا لها وقوله تع **وان تدعوهم الى الهدى** بيان لعجزهم عما هو ادنى من النصر المنفي عنهم وايسر
وهو مجرد الدلالة على المطلوب والارشاد الى طريق حصوله من غير ان يحصله للطالب والخطاب للمشركين بطريق الالتفات المنبئ عن مزيد الاعتناء بامر
التوبيخ والتبكيت اي ان تدعوهم ايها المشركون الى ان يهدوكم الى ما تحصلون به المطالب وتنجون به عن المكاره **لا يتبعوكم** اي مرادكم وطلبتكم وقرئ
بالتخفيف وقوله تع **سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون** استئناف مقرر لمضمون ما قبله ومبين لكيفية عدم الاتباع اي مستو عليكم في عدم
الافادة دعاؤكم لهم وسكوتكم البحت فانه لا يتغير حالكم في الحالين كما لا يتغير حالهم بحكم الجمادية وقوله تع ام انتم صامتون جملة اسمية في

معنى الفعلية معطوفة على الفعلية لانها في قوة ام صمتم عدل عنها للمبالغة في عدم افادة الدعاء ببيان مساواته للسكوت الدائم المستمر وما قيل من
ان الخطاب للمسلمين والمعنى وان تدعوا المشركين الى الهدى اي الاسلام لا يتبعوكم الخ مما لا يساعده سباق النظم الكريم وسياقه اصلا على انه لو كان
كذلك لقيل عليهم مكان عليكم كما في قوله تع ءانذرتهم ام لم تنذرهم فان استواء الدعاء وعدمه انما هو بالنسبة الى المشركين لا بالنسبة الى الداعين
فانهم فائزون بفضل الدعوة **ان الذين تدعون من دون الله** تقرير لما قبله من عدم اتباعهم لهم اي ان الذين تعبدونهم من دونه تع من الاصنام
وتسمونهم آلهة **عباد امثالكم** اي مماثلة لكم لكن لا من كل وجه بل من حيث انها مملوكة لله عز وجل مسخرة لامره عاجزة عن النفع والضر وتشبيهها بهم في
ذلك مع كون عجزها عنهما اظهر واقوى من عجزهم انما هو لاعترافهم بعجز انفسهم وادعائهم لقدرتها عليهما اذ هو الذي يدعوهم الى عبادتها
والاستعانة بها وقوله تع **فادعوهم فليستجيبوا لكم** تحقيق لمضمون ما قبله بتعجيزهم وتبكيتهم اي فادعوهم في جلب نفع او كشف ضر **ان كنتم
صادقين** اي في زعمكم انهم قادرون على ما انتم عاجزون عنه وقوله تع **الهم ارجل يمشون بها** الخ تبكيت اثر تبكيت مؤكد لما يفيده الامر التعجيزي
من عدم الاستجابة ببيان فقدان آلاتها بالكلية فان الاستجابة من الهياكل الجسمانية انما تتصور اذا كان لها حيوة وقوى محركة ومدركة
وما ليس له شيء من ذلك فهو بمعزل من الافاعيل بالمرة كانه قيل الهم هذه الآلات التي بها تتحقق الاستجابة حتى يمكن استجابتهم لكم وقد وجه الانكار
الى كل واحدة من هذه الآلات الاربع على حدة تكريرا للتبكيت وتثنية للتقريع واشعارا بان انتفاء كل واحدة منها بحيالها كاف في الدلالة
على استحالة الاستجابة ووصف الارجل بالمشي بها للايذان بان مدار الانكار هو الوصف وانما وجه الى الارجل لا الى الوصف بان يقال ايمشون
بارجلهم لتحقيق انها حيث لم يظهر منها ما يظهر من سائر الارجل فهي ليست بارجل في الحقيقة وكذا الكلام فيما بعده من الجوارح الثلث الباقية وكلمة
ام في قوله تع **ام لهم ايد يبطشون بها** منقطعة وما فيها من الهمزة لما مر من التبكيت والالزام وبل للاضراب المفيد للانتقال من فن من التبكيت بعد تمامه
الى فن آخر منه لما ذكر من المزايا والبطش الاخذ بقوة وقرئ يبطشون بضم الطاء وهي لغة فيه والمعنى بل الهم ايد يأخذون بها ما يريدون
اخذه وتأخير هذا عما قبله لما ان المشي حالهم في انفسهم والبطش حالهم بالنسبة الى الغير واما تقديمه على قوله تع **ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم
آذان يسمعون بها** مع ان الكل سواء في انها من احوالهم بالنسبة الى الغير فلمراعاة المقابلة بين الايدي والارجل ولان انتفاء المشي والبطش اظهر
والتبكيت بذلك اقوى واما تقديم الاعين فلما انها اشهر من الآذان واظهر عينا واثرا هذا وقد قرئ ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم
على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية اي ما الذين تدعون من دونه تعالى عبادا امثالكم بل ادنى منكم فيكون قوله تع الهم الخ تقريرا لنفي المماثلة باثبات
القصور والنقصان **قل ادعوا شركاءكم** بعد ما بين ان شركاءهم لا يقدرون على شيء ما اصلا امر رسول الله عليه الصلوة والسلام بان يناصبهم
المحاجة ويكر عليهم التبكيت والقام الحجر اي ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم علي **ثم كيدون** جميعا انتم وشركاؤكم وبالغوا في ترتيب ما تقدرون عليه
من مبادي الكيد والمكر **فلا تنظرون** اي فلا تمهلوني ساعة بعد ترتيب مقدمات الكيد فاني لا ابالي بكم اصلا **ان وليي الله الذي نزل الكتاب** تعليل
لعدم المبالاة المنفهم من السوق انفهاما جليا ووصفه تعالى بتنزيل الكتاب للاشعار بدليل الولاية والاشارة الى علة اخرى لعدم المبالاة كانه
قيل لا ابالي بكم وبشركائكم لان وليي هو الله الذي نزل الكتاب الناطق بانه وليي وناصري وبان شركاءكم لا يستطيعون نصر انفسهم فضلا عن
نصركم وقوله تع **وهو يتولى الصالحين** تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي ومن عادته ان يتولى الصالحين من عباده وينصرهم ولا يخذلهم **والذين تدعون**
اي تعبدونهم **من دونه** تعالى او تدعونهم للاستعانة بهم علي حسبما امرتكم به **لا يستطيعون نصركم** اي في امر من الامور او في خصوص الامر المذكور **ولا
انفسهم ينصرون** اذا نابتهم نائبة **وان تدعوهم الى الهدى** اي الى ان يهدوكم الى ما تحصلون به مقاصدكم على الاطلاق او في خصوص الكيد المعهود
لا يسمعوا اي دعاءكم فضلا عن المساعدة والامداد وهذا ابلغ من نفي الاتباع وقوله تع **وتريهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون** بيان لعجزهم عن الابصار
بعد بيان عجزهم عن السمع وبه يتم التعليل فلا تكرار اصلا والرؤية بصرية وقوله تع ينظرون اليك حال من المفعول والجملة الاسمية حال من فاعل
ينظرون اي وترى الاصنام رأي العين يشبهون الناظرين اليك ويخيل اليك انهم يبصرونك لما انهم صنعوا لها اعينا مركبة بالجواهر المضيئة
المتلألئة وصوروها بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه والحال انهم غير قادرين على الابصار وتوحيد الضمير في تريهم مع رجوعه الى
المشركين لتوجيه الخطاب الى كل واحد واحد منهم لا الى الكل من حيث هو كل كالخطابات السابقة تنبيها على ان رؤية الاصنام على الهيأة
المذكورة لا يتسنى للكل معا بل لكل من يواجهها وقيل ضمير الفاعل في تريهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وضمير المفعول على حاله وقيل للمشركين

على ان التعليل قد تم عند قوله تع لا يسمعوا اي وترى المشركين ينظرون اليك والحال انهم لا يبصرونك كما انت عليه وعن الحسن ان الخطاب في قوله تع وان تدعوا
للمؤمنين على ان التعليل قد تم عند قوله تع ينصرون اي وان تدعوا ايها المؤمنون المشركين الى الاسلام لا يلتفتوا اليكم ثم خوطب عليه السلام بطريق
التجريد بانك تراهم ينظرون اليك والحال انهم لا يبصرونك حق الابصار تنبيها على ان ما فيه عليه السلام من شواهد النبوة ودلائل الرسالة
من الجلاء بحيث لا يكاد يخفى على الناظرين **خذ العفو** بعد ما عد من اباطيل المشركين وقبائحهم ما لا يطاق تحمله امر صلى الله عليه وسلم بمجامع
مكارم الاخلاق التي من جملتها الاغضاء عنهم اي خذ ما عفا لك من افعال الناس وتسهل ولا تكلفهم ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد
او خذ العفو من المذنبين او الفضل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة **وأمر بالعرف** بالجميل المستحسن من الافعال فانها قريبة من قبول الناس من غير
نكير **واعرض عن الجاهلين** من غير مماراة ولا مكافاة قيل لما نزلت سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليهما السلام فقال لا ادري حتى اسأل
ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق امر الله تعالى نبيه بمكارم الاخلاق وروي
انه لما نزلت الآية الكريمة قال صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل قوله تع **واما ينزغنك من الشيطان نزغ** النزغ والنسغ
والنخس الغرز شبهت وسوسته للناس واغراؤه لهم على المعاصي بغرز السائق لما يسوقه واسناده الى النزغ من قبيل جد جده اي
واما يحملنك من جهته وسوسته ما على خلاف ما امرت به من اعتراء غضب او نحوه **فاستعذ بالله** فالتجئ اليه تعالى من شره **انه سميع**
يسمع استعاذتك به قولا **عليم** يعلم تضرعك اليه قلبا في ضمن القول او بدونه فيعصمك من شره وقد جوز ان يراد بنزغ الشيطان اعتراء
الغضب على نهج الاستعارة كما في قول الصديق رضي الله تعالى عنه ان لي شيطانا يعتريني ففيه زيادة تنفير عنه وفرط تحذير عن العمل بموجبه
وفي الامر بالاستعاذة بالله تعالى تهويل لامره وتنبيه على انه من الغوائل الصعبة التي لا يتخلص من مضرتها الا بالالتجاء الى حرم عصمته عز وجل
وقيل يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع باقوال من آذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها **ان الذين اتقوا** استئناف مقرر لما قبله ببيان ان ما
امر به عليه السلام من الاستعاذة بالله عز وجل سنة مسلوكة للمتقين والاخلال بها ديدن الغاوين اي ان الذين اتصفوا بوقاية انفسهم عما
يضرها **اذا مسهم طائف من الشيطان** ادنى لمة منه على ان تنوينه للتحقير وهو اسم فاعل من طاف يطوف كأنها تطوف بهم وتدور حولهم لتوقع
بهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا اي الم وقرئ طيف على انه مصدر او تخفيف من طيف من الواوي او اليائي كهين ولين والمراد بالشيطان
الجنس ولذلك جمع ضميره فيما سيأتي **تذكروا** اي الاستعاذة به تعالى والتوكل عليه **فاذا هم** بسبب ذلك التذكر **مبصرون** مواقع الخطأ ومكائد
الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه **واخوانهم** اي اخوان الشياطين وهم المنهمكون في الغي المعرضون عن وقاية انفسهم عن المضار **يمدونهم**
في الغي اي يكون الشياطين مددا لهم فيه ويعضدونهم بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من الامداد ويمادونهم كأنهم يعينونهم بالتسهيل
والاغراء وهؤلاء بالاتباع والامتثال **ثم لا يقصرون** اي لا يمسكون عن الاغواء حتى يردوهم بالكلية ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اي لا
يرعوون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له
واذا لم تأتهم بآية من القرآن عند تراخي الوحي او بآية مما اقترحوه **قالوا لولا اجتبيتها** اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اي هلا جمعتها من تلقاء نفسك
تقولا يرون بذلك ان سائر الآيات ايضا كذلك او هلا تلقيتها من ربك استدعاء **قل** ردا عليهم **انما اتبع ما يوحى الي من ربي** من غير ان يكون لي
دخل ما في ذلك اصلا على معنى تخصيص حاله عليه السلام باتباع ما يوحى اليه بتوجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى نفس الفعل بالنسبة الى مقابليه اياه
عليه السلام لا على معنى تخصيص اتباعه عليه السلام بما يوحى اليه بتوجيه القصر الى المفعول بالقياس الى مفعول آخر كما هو الشائع في موارد الاستعمال
وقد مر تحقيقه في قوله تع ان اتبع الا ما يوحى الي كأنه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الي منه تعالى وفي التعرض لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية
والتبليغ الى الكمال اللائق مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من تشريفه عليه السلام والتنبيه على تأييده ما لا يخفى **هذا** اشارة الى القرآن
الكريم المدلول عليه بما يوحى الي **بصائر من ربكم** بمنزلة البصائر للقلوب التي بها تبصر الحق وتدرك الصواب وقيل حجج بينة وبراهين نيرة
ومن متعلقة بمحذوف هو صفة لبصائر مفيدة لفخامتها اي بصائر كائنة منه تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم
لتأكيد وجوب الايمان بها وقوله تع **وهدى ورحمة** عطف على بصائر وتقديم الظرف عليهما وتعقيبهما بقوله تع **لقوم يؤمنون** للايذان بان
كون القرآن بمنزلة البصائر للقلوب متحقق بالنسبة الى الكل وبه تقوم الحجة على الجميع واما كونه هدى ورحمة فمختص بالمؤمنين به اذ هم

المقتبسون من انواره والمغتنمون بآثاره والجملة من تمام القول المأمور به **واذا قرئ القرآن فاستمعوا له** ارشاد الى طريق الفوز بما اشير اليه من المنافع
الجليلة التي عليها ينطوي القرآن اي واذا قرئ القرآن الذي ذكرت شؤونه العظيمة فاستمعوا له استماع تحقيق وقبول **وانصتوا** اي
واسكتوا في خلال القراءة وراعوها الى انقضائها تعظيما له وتكميلا للاستماع **لعلكم ترحمون** اي تفوزون بالرحمة التي هي اقصى ثمراته وظاهر
النظم الكريم يقتضي وجوب الاستماع والانصات عند قراءة القرآن في الصلوة وغيرها وقيل معناه اذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله
فاستمعوا له وجمهور الصحابة رضي الله تعالى عنهم على انه في استماع المؤتم وقد روي انهم كانوا يتكلمون في الصلوة فامروا باستماع
قراءة الامام والانصات له وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ في المكتوبة وقرأ اصحابه رضي الله عنهم
خلفه فنزلت واما خارج الصلوة فعامة العلماء على استحبابهما والآية اما من تمام القول المأمور به او الاستيناف من جهته تعالى فقوله
تع **واذكر ربك في نفسك** على الاول عطف على قل وعلى الثاني فيه تجريد للخطاب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو عام في الاذكار كافة
فان الاخفاء ادخل في الاخلاص واقرب من الاجابة **تضرعا وخيفة** اي متضرعا وخائفا **ودون الجهر من القول** اي ومتكلما ما دون الجهر فانه
اقرب الى حسن التفكر **بالغدو والآصال** متعلق باذكر اي اذكره في وقت الغدوات والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اي دخل
في الاصيل موافق للغدو **ولا تكن من الغافلين** عن ذكر الله تعالى **ان الذين عند ربك** وهم الملائكة عليهم السلام ومعنى كونهم عنده سبحانه وتعالى
قربهم من رحمته وفضله لتوفرهم على طاعته تعالى **لا يستكبرون عن عبادته** بل يؤدونها حسبما امروا به **ويسبحونه** اي ينزهونه عن كل ما لا يليق بجناب
كبريائه **وله يسجدون** اي يخصونه بغاية العبودية والتذلل لا يشركون به شيئا وهو تعريض بسائر المكلفين ولذلك شرع السجود عند قراءته عن
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم آية السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود
فعصيت فلي النار وعنه عليه السلام من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة

سورة الانفال مكية وآيها سبع وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم **يسألونك عن الانفال** النفل الغنيمة سميت به لانها عطية من الله تعالى زائدة على ما هو اصل الاجر في الجهاد من
الثواب الاخروي ويطلق على ما يعطى بطريق التنفيل زيادة على السهم من المغنم وقرئ علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام
نون عن في اللام روي ان المسلمين اختلفوا في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم فيها للمهاجرين
ام للانصار ام لهم جميعا وقيل ان الشبان قد ابلوا يومئذ بلاء حسنا فقتلوا سبعين واسروا سبعين فقالوا نحن المقاتلون ولنا الغنائم
وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها حتى قال سعد بن معاذ لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والله
ما منعنا ان نطلب ما طلب هؤلاء زهادة في الاجر ولا جبن من العدو ولكن كرهنا ان تعرى مصافك فيعطف عليك خيل من المشركين فنزلت وقيل
كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد شرط لمن كان له بلاء ان ينفله ولذلك فعل الشبان ما فعلوا من القتل والاسر فسألوه عليه السلام ما شرط لهم
فقال الشيوخ المغنم قليل والناس كثير وان تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت اصحابك فنزلت والاول هو الظاهر لما ان السؤال استعلام
لحكم الانفال بعينه كلمة عن لا استعطاء لعينها كما نطق به الوجه الاخير وادعاء زيادة عن تعسف ظاهر والاستدلال عليه بقراءة ابن مسعود وسعد بن
ابي وقاص وعلي بن الحسين وزيد ومحمد الباقر وجعفر الصادق وعكرمة وعطاء يسألونك الانفال غير متنهض فان مبناها كما قالوا على الحذف
والايصال كما يعرب عنه الجواب بقوله عز وجل **قل الانفال لله والرسول** اي حكمها مختص به تعالى يقسمها الرسول عليه السلام كيفما امر به من غير ان
يدخل فيه رأي احد ولو كان السؤال استعطاء لما كان هذا جوابا له فان اختصاص حكم ما شرط لهم من الانفال بالله والرسول لا ينافي اعطاءها اياهم
بل يحققه لانهم انما يسألونها بموجب شرط الرسول عليه السلام الصادر عنه باذن الله تعالى لا بحكم سبق ايديهم اليها ونحو ذلك مما يخل بالاختصاص
المذكور وحمل الجواب على معنى ان الانفال بالمعنى المذكور مختصة برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا حق فيها للمنفل كائنا من كان مما لا سبيل اليه
قطعا ضرورة ثبوت الاستحقاق بالتنفيل وادعاء ان ثبوته بدليل متأخر التزام لتكرر النسخ من غير علم بالناسخ الاخير ولا مساغ للمصير الى
ما ذهب اليه مجاهد وعكرمة والسدي من ان الانفال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لاحد فيها شيء بهذه الآية فنسخت بقوله
تعالى فان لله خمسه وللرسول لما ان المراد بالانفال فيما قالوا هو المعنى الاول حتما كما نطق به قوله تع واعلموا انما غنمتم من شيء الآية على ان الحق

انه لا نسخ حينئذ ايضا حسبما قاله عبد الرحمن بن زيد بن اسلم بل بين في صدر السورة الكريمة اجمالا ان امرها مفوض الى الله تعالى ورسوله ثم بين مصارفها
وكيفية قسمتها على التفصيل وادعاء اقتصار هذا الحكم اعني الاختصاص برسول الله صلى الله عليه وسلم على الانفال المشروطة يوم بدر بجعل اللام للعهد
مع بقاء استحقاق المنفل في سائر الانفال المشروطة يأباه مقام بيان الاحكام كما ينبئ عنه اظهار الانفال في موقع الاضمار على ان الجواب عن سؤال
الموعود ببيان كونه له عليه السلام خاصة مما لا يليق بشأنه الكريم اصلا وقد روي عن سعد بن ابي وقاص انه قال قتل اخي عمير يوم بدر فقتلت به
سعيد بن العاص واخذت سيفه فاعجبني فجئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الله تعالى قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال
عليه الصلوة والسلام ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة
الانفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وقد صار لي فاذهب فخذه وهذا كما ترى يقتضي عدم وقوع
التفصيل يومئذ والا لكان سؤال السيف من سعد بموجب شرطه عليه السلام ووعده لا بطريق الهبة المبتدأة وحمل ذلك من سعد على مراعاة الادب
مع كون سؤاله بموجب الشرط يرده رده عليه السلام قبل النزول وتعليله بقوله ليس هذا لي لاستحالة ان يعد عليه السلام بما لا يقدر على انجازه
واعطاؤه عليه السلام بعد النزول وترتيبه على قوله وقد صار لي ضرورة ان مناط صيرورته له عليه السلام قوله تعالى الانفال لله والرسول والغرض
انه لا مانع من اعطاء المسؤول ومما هو نص في الباب قوله عز وجل **فاتقوا الله** اي اذا كان امر الغنائم لله تعالى ورسوله فاتقوه تعالى واجتنبوا ما كنتم
فيه من المشاجرة فيها والاختلاف الموجب لسخطه تعالى او فاتقوه في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه ما هم فيه دخولا اوليا ولو كان السؤال
طلبا للمشروط لما كان فيه محذور يجب اتقاؤه واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم **واصلحوا ذات بينكم** جعل ما بينهم من الحال ملابسة
التامة لبينهم صاحبة له كما جعلت الامور المضمرة في الصدور ذات الصدور اي اصلحوا ما بينكم من الاحوال بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم
الله تعالى وتفضل به عليكم وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله تعالى
من ايدينا فجعله لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين وعن
عطاء كان الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض **واطيعوا الله ورسوله**
بتسليم امره ونهيه وتوسيط الامر باصلاح ذات البين بين الامر بالتقوى والامر بالطاعة لاظهار كمال العناية بالاصلاح بحسب المقام وليندرج
الامر به بعينه تحت الامر بالطاعة **ان كنتم مؤمنين** متعلق بالاوامر الثلثة والجواب محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه وهو الجواب على الخلاف المشهور
وايا ما كان فالمقصود تحقيق المعلق بناء على تحقق المعلق به وفيه تنشيط للمخاطبين وحث لهم على المسارعة الى الامتثال والمراد بالايمان
كماله اي ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان يدور على هذه الخصال الثلث طاعة الاوامر واتقاء المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان
انما المؤمنون جملة مستأنفة مسوقة لبيان من اريد بالمؤمنين بذكر اوصافهم الجليلة المستتبعة لما ذكر من الخصال الثلث وفيه مزيد ترغيب لهم في الامتثال
بالاوامر المذكورة اي انما الكاملون في الايمان المخلصون فيه **الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم** اي فزعت لمجرد ذكره من غير ان يذكر هناك ما يوجب
الفزع من صفاته وافعاله استعظاما لشأنه الجليل وتهيبا منه وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه وقرئ
وجلت بفتح الجيم وهي لغة وقرئ فرقت اي خافت **واذا تليت عليهم آياته** اي آية كانت **زادتهم ايمانا** اي يقينا وطمأنينة نفس فان تظاهر
الادلة وتعاضد الحجج والبراهين موجب لزيادة الاطمئنان وقوة اليقين وقيل ان نفس الايمان لا يقبل الزيادة والنقصان وانما زيادته
باعتبار زيادة المؤمن به فانه كلما نزلت آية صدق المؤمن بها فازداد ايمانه عددا واما نفس الايمان فهو بحاله وقيل باعتبار ان الاعمال تجعل
من الايمان فيزيد بزيادتها والاصوب ان نفس التصديق يقبل القوة وهي التي عبر عنها بالزيادة للفرق الظاهر بين يقين الانبياء وارباب
المكاشفات ويقين آحاد الامة وعليه مبني ما قال علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وكذا بين ما قام عليه دليل واحد وما
قامت عليه ادلة كثيرة **وعلى ربهم** مالكهم ومدبر امورهم خاصة **يتوكلون** يفوضون امورهم لا الى احد سواه والجملة معطوفة على الصلة وقوله تعالى
الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون مرفوع على انه نعت للموصول الاول او بدل منه او بيان له او منصوب على القطع المنبئ عن المدح
ذكر اولا من اعمالهم الحسنة اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ثم عقب باعمال الجوارح من الصلوة والصدقة **اولئك** اشارة الى من
ذكرت صفاتهم الحميدة من حيث انهم متصفون بها وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك عمن عداهم اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الامور

المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف **هم المؤمنون حقا** لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه ما فصل من افاضل الاعمال القلبية
والقالبية وحقا صفة لمصدر محذوف اي اولئك هم المؤمنون ايمانا حقا او مصدر مؤكد للجملة اي حق ذلك حقا كقولك هو عبد الله حقا **لهم درجات** من الكرامة
والزلفى وقيل درجات عالية في الجنة وهو اما جملة مبتدأة مبنية على سؤال نشأ من تعداد مناقبهم كأنه قيل ما لهم بمقابلة هذه الخصال فقيل لهم كيت وكيت او خبر
ثان لاولئك وقوله تعالى **عند ربهم** اما متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة عنده تعالى
او بما تعلق به الخبر اعني لهم من الاستقرار وفي اضافة الظرف الى الرب المضاف الى ضميرهم مزيد تشريف ولطف لهم وايذان بان ما وعد لهم متيقن الثبوت والحصول
مأمون الفوات **ومغفرة** لما فرط منهم **ورزق كريم** لا ينقضي امده ولا ينتهي عدده وهو ما اعد لهم من نعيم الجنة **كما اخرجك ربك من بيتك بالحق** الكاف في محل الرفع
على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهتهم لما رأيت مع كونه حقا كحالهم في كراهتهم لخروجك للحرب وهو حق او في
محل النصب على انه صفة لمصدر مقدر في قوله تعالى الانفال لله اي الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك في المدينة
او من المدينة اخراجا ملتبسا بالحق **وان فريقا من المؤمنين لكارهون** اي والحال ان فريقا منهم كارهون للخروج اما لنفرة الطبع عن القتال او لعدم الاستعداد
وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبرائيل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب
وذلول عيركم واموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رأيت عجبا رأيت كأن
ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما رضي
رجالهم ان يتنبؤا حتى تنبأت نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة
فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا
قد اغضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة فنزل جبرائيل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما
العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه فقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير
فقالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل
فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند ما غضب النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة
فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله تعالى
فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك
فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له
حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان النبي
صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا يكون الانصار ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله
قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله
لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند
الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله
تعالى وابشروا فان الله تعالى وعدني احدى الطائفتين والله لكأني الآن انظر الى مصارع القوم وروي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ
من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم قال لان الله تعالى وعدك احدى الطائفتين
وقد اعطاك ما وعدك **يجادلونك في الحق** الذي هو تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي العير والجملة استئناف او حال ثانية اي اخرجك في حال مجادلتهم اياك ويجوز
ان يكون حالا من الضمير في لكارهون وقوله تعالى **بعد ما تبين** منصوب بيجادلونك وما مصدرية اي بعد تبين الحق لهم باعلامك انهم ينصرون اينما توجهوا ويقولون
ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب كان ذلك لكراهتهم القتال **كأنما يساقون الى الموت** الكاف في محل النصب على الحالية من الضمير
في لكارهون اي مشبهين بالذين يساقون بالعنف والصغار الى القتل **وهم ينظرون** حال من ضمير يساقون اي والحال انهم ينظرون الى اسباب الموت

ويشاهدونها عيانا وما كانت هذه المرتبة من الخوف والجزع الا لقلة عددهم وعدم تأهبهم وكونهم رجالة وروي انه لم يكن فيهم الا فرسان واذ يعدكم
الله احدى الطائفتين كلام مستأنف مسوق لبيان جميل صنع الله عز وجل بالمؤمنين مع ما بهم من قلة الحزم وزيادة الهمة وقصور الرأي والخوف والجزع
اذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به المؤمنون بطريق التلوين والالتفات واحدى الطائفتين مفعول ثان ليعدكم اي اذكروا وقت وعد الله
اياكم احدى الطائفتين وتذكير الوقت مع ان المقصود تذكير ما فيه من الحوادث لما مر مرارا من المبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق
البرهاني ولان الوقت مشتمل على ما وقع فيه من الحوادث بتفاصيلها فاذا استحضر كان ما وقع فيه حاضرا مفصلا كانه مشاهد عيانا وقرئ يعدكم بسكون الدال
تخفيفا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها وقوله تع انها لكم بدل اشتمال من احدى الطائفتين مبين لكيفية الوعد اي يعدكم ان
احدى الطائفتين كائنة لكم مختصة بكم مسخرة لكم تتسلطون عليها تسلط الملاك وتتصرفون فيهم كيف شئتم وتودون عطف على يعدكم داخل تحت الامر بالذكر اي تحبون
ان غير ذات الشوكة تكون لكم من الطائفتين لا ذات الشوكة وهي النفير ورئيسهم ابو جهل وهم الف مقاتل وغير ذات الشوكة هي العير اذ لم يكن فيها الا اربعون
فارسا ورأسهم ابو سفيان والتعبير عنهم بهذا العنوان للتنبيه على سبب ودادتهم وموجب كراهتهم ونفرتهم عن موافاة النفير والشوكة الحدة مستعارة
من واحدة الشوكة القنا شباتها ويريد الله عطف على تودون منتظم معه في سلك التذكير ليظهر لهم عظيم لطف الله تع بهم مع دناءة هممهم وقصور آرائهم
اي اذكروا وقت وعده تع اياكم احدى الطائفتين وودادتكم لادناهما وارادته تع لاعلاهما وذلك قوله تع ان يحق الحق اي يثبته ويعليه بكلماته اي
باياته المنزلة في هذا الشأن او باوامره للملائكة بالامداد وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر وقرئ بكلمته ويقطع دابر الكافرين اي آخرهم
ويستأصلهم بالمرة والمعنى انتم تريدون سفساف الامور والله عز وعلا يريد معاليها وما يرجع الى علو كلمة الحق وسمو رتبة الدين وشتان بين المرادين
وقوله تع ليحق الحق ويبطل الباطل جملة مستأنفة سيقت لبيان الحكمة الداعية الى اختيار ذات الشوكة ونصرهم عليها مع ارادتهم لغيرها واللام متعلقة
بفعل مقدر مؤخر عنها اي لهذه الغاية الجليلة فعل ما فعل لا لشيء آخر وليس فيه تكرار اذ الاول لبيان تفاوت ما بين الارادتين وهذا لبيان الحكمة
الداعية الى ما ذكر ومعنى احقاق الحق اظهار حقيته لا جعله حقا بعد ان لم يكن كذلك وكذا حال ابطال الباطل ولو كره المجرمون اي المشركون ذلك اي احقاق
الحق وابطال الباطل اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم معمول لعامله فالمراد تذكير استمدادهم منه سبحانه والتجائهم اليه تعالى حين ضاقت عليهم الحيل وعيت
بهم العلل وامداده تعالى وقيل متعلق بقوله تع ليحق الحق على الظرفية وما قيل من ان قوله تع ليحق مستقبل لانه منصوب بان فلا يمكن عمله في اذ لانه ظرف
لما مضى ليس بشيء لان كونه مستقبلا انما هو بالنسبة الى زمان ما هو غاية له من الفعل المقدر لا بالنسبة الى زمان الاستغاثة حتى لا يعمل فيه بل هما في وقت واحد
وانما عبر عن زمانها باذ نظرا الى زمان النزول وصيغة الاستقبال في تستغيثون لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة وقيل متعلق بمضمر مستأنف اي
اذكروا وقت استغاثتكم وذلك انهم لما علموا انه لا بد من القتال جعلوا يدعون الله تع قائلين اي رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر
رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلث مائة وبضعة عشر فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي
ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله
كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم عطف على تستغيثون داخل معه في حكم التذكير لما عرفت انه ماض وصيغة الاستقبال لاستحضار
الصورة اني ممدكم اي باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل فنصب محله وقرئ بكسر الهمزة على ارادة القول او على اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من مقولة
القول بالف من الملائكة مردفين اي جاعلين غيرهم من الملائكة رديفا لانفسهم فالمراد بهم رؤساؤهم المستتبعون لغيرهم وقد اكتفى هاهنا بهذا البيان الاجمالي
وبين في سورة آل عمران مقدار عددهم وقيل معناه متبعين انفسهم ملائكة آخرين او متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين
بعضهم بعضا المؤمنين او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرئ مردفين بفتح الدال اي متبعين او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم
وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال واصلهما مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى الساكنان فحركت الراء بالكسر على
الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او
الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل على وقوعها وما جعله الله كلام مستأنف سيق لبيان ان الاسباب
الظاهرة بمعزل من التأثير وانما التأثير مختص به عز وجل ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا من النصر عند فقدان اسبابه والجعل متعد الى مفعول واحد
هو الضمير العائد الى مصدر فعل مقدر يقتضيه المقام اقتضاء ظاهرا مغنيا عن التصريح به كانه قيل فامدكم بهم وما جعل امدادكم بهم الا بشرى

وهو استثناء مفرغ من اعم العلل اي وما جعل امدادكم بانزال الملائكة عيانا لشيء من الاشياء الا للبشرى لكم بانكم تنصرون ولتطمئن به قلوبكم اي بالامداد
وتسكن اليه نفوسكم كما كانت السكينة لبني اسرائيل كذلك فكلاهما مفعول له للجعل وقد نصب الاول لاجتماع شرائطه وبقي الثاني على حاله لفقدانها وقيل
للاشارة الى اصالته في العلية واهميته في نفسه كما قيل في قوله تع والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفي قصر الامداد عليهما اشعار
بعدم مباشرة الملائكة للقتال وانما كان امدادهم بتقوية قلوب المباشرين وتكثير سوادهم ونحوه كما هو رأي بعض السلف وقيل
الجعل متعد الى اثنين ثانيهما الا بشرى على انه استثناء من اعم المفاعيل اي وما جعله الله شيئا من الاشياء الا بشارة لكم فاللام في لتطمئن
متعلقة بمحذوف مؤخر تقديره ولتطمئن به قلوبكم فعل ذلك لا لشيء آخر وما النصر اي حقيقة النصر على الاطلاق الا من عند الله اي الا كائن
من عند الله عز وجل من غير ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب والعدد وانما هي مظاهر له بطريق جريان السنة الالهية ان الله عزيز لا يغالب
في حكمه ولا ينازع في قضائه حكيم يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل لما قبلها متضمن للاشعار بان النصر الواقع على
الوجه المذكور من مقتضيات الحكم البالغة اذ يغشيكم النعاس اي يجعله غاشيا لكم ومحيطا بكم وهو بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة اخرى وصيغة
الاستقبال فيه وفيما عطف عليه لحكاية الحال الماضية كما في تستغيثون او منصوب باضمار اذكروا وقيل هو متعلق بالنصر وبما في من عند الله
من معنى الفعل او بالجعل وليس بواضح وقرئ يغشيكم من الاغشاء بمعنى التغشية والفاعل في الوجهين هو الباري تعالى وقرئ يغشاكم على
اسناد الفعل الى النعاس وقوله تع امنة منه على القراءتين الاوليين منصوب على العلية بفعل مترتب على الفعل المذكور اي يغشيكم النعاس
فتنعسون امنا كائنا من الله تعالى لا كلالا واعياء او على انه مصدر لفعل آخر كذلك اي فتأمنون امنا كما في قوله تع وانبتها نباتا حسنا
على احد الوجهين وقيل منصوب بنفس الفعل المذكور والامنة بمعنى الامن وعلى القراءة الاخيرة منصوب على العلية بيغشاكم باعتبار المعنى فانه
في حكم تنعسون او على انه مصدر لفعل مترتب عليه كما مر وقرئ امنة كرحمة وينزل عليكم من السماء ماء تقديم الجار والمجرور على المفعول به لما
مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فعند وروده يتمكن عندها فضل تمكن و
تقديم عليكم لما ان بيان كون التنزيل عليهم اهم من بيان كونه من السماء وقرئ بالتخفيف من الانزال ليطهركم به اي من الحدث الاصغر والاكبر
ويذهب عنكم رجز الشيطان الكلام في تقديم الجار والمجرور كما مر آنفا والمراد برجز الشيطان وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روي
انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فتمثل لهم الشيطان فوسوس اليهم وقال
انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على الحق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون
بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا فانزل الله تعالى المطر
فمطروا ليلا حتى جرى الوادي فاغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى تثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة
الشيطان وطابت النفوس وقويت القلوب وذلك قوله تع وليربط على قلوبكم اي يقويها بالثقة بلطف الله تعالى فيما بعد بمشاهدة طلائعه ويثبت به
الاقدام ولا تسوخ في الرمل فالضمير للماء كالاول ويجوز ان يكون للربط فان القلب اذا قوي وتمكن فيه الصبر والجراءة لا تكاد تزل القدم في معارك
الحروب وقوله تع اذ يوحي ربك الى الملائكة منصوب بمضمر مستأنف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التجريد حسبما ينطق به الكاف لما ان المأمور
مما لا يستطيعه غيره عليه السلام فان الوحي المذكور قبل ظهوره بالوحي المتلو على لسانه عليه السلام ليس من النعم التي يقف عليها عامة الامة كسائر النعم
السابقة التي امروا بذكر وقتها بطريق الشكر وقيل منصوب بقوله تع ويثبت به الاقدام فلا بد حينئذ من عود الضمير المجرور في به الى الربط على
القلوب ليكون المعنى ويثبت اقدامكم بتقوية قلوبكم وقت ايحائه الى الملائكة وامره بتثبيتهم اياكم وهو وقت القتال ولا يخفى ان تقييد التثبيت
المذكور بوقت مبهم عندهم ليس فيه مزيد فائدة واما انتصابه على انه بدل ثالث من اذ يعدكم كما قيل فيأباه تخصيص الخطاب به عليه السلام مع ما
عرفت من ان المأمور به ليس من الوظائف العامة للكل كسائر اخواته وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من التنويه
والتشريف ما لا يخفى والمعنى اذكر وقت ايحائه تعالى الى الملائكة اني معكم اي بالامداد والتوفيق في امر التثبيت فهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على
ارادة القول او اجراء الوحي مجراه وما يشعر به دخول كلمة مع من متبوعية الملائكة انما هي من حيث انهم المباشرون للتثبيت صورة فلهم الاصالة
من تلك الحيثية كما في امثال قوله تع ان الله مع الصابرين والفاء في قوله تع فثبتوا الذين آمنوا لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان امداده تعالى

آباؤهم من اقوى موجبات التثبيت واختلفوا في كيفية التثبيت فقالت جماعة انما امروا بتثبيتهم بالبشارة وتكثير السواد ونحوهما مما تقوى به قلوبهم وتصح
عزائمهم ونياتهم ويتأكد جدهم في القتال وهو الأنسب بمعنى التثبيت وحقيقته التي هي عبارة عن الحمل على الثبات في موطن الحراب والجد في مقاساة شدائد
القتال وروي انه كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفونه بوجهه فيأتي ويقول اني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن و
يمشي بين الصفين فيقول ابشروا فان الله ناصركم وقال آخرون امروا بمحاربة اعدائهم وجعلوا قوله تع سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب تفسيرا
لقوله تع اني معكم وقوله تع فاضربوا الى آخره تفسيرا لقوله تع فثبتوا مبينا لكيفية التثبيت وقد روي عن ابي داود المازني رضي الله عنه وكان ممن شهد بدرا
انه قال اتبعت رجلا من المشركين يوم بدر لأضربه فوقعت رأسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه انه قال لقد رأيتنا
يوم بدر وان احدنا يشير بسيفه الى المشركين فتقع رأسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف وانت خبير بأن قتلهم للكفرة مع عدم ملاءمته لمعنى
تثبيت المؤمنين مما لا يتوقف على الامداد بالقاء الرعب فلا يتجه ترتب الأمر به عليه بالفاء وقد اعتذر الأولون بأن قوله تع سالقي الى آخره
ليس بنص فيما ذكر بل يجوز ان يكون ذلك اثر قوله تع فثبتوا الذين آمنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كأنه قيل لهم قولوا لهم قولي سالقي في قلوب
الذين كفروا الرعب فاضربوا الى آخره فالضاربون هم المؤمنون واما ما قيل من ان ذلك خطاب منه تعالى للمؤمنين بالذات على طريق التلوين
فمبناه توهم وروده قبل القتال وان ذلك والسورة الكريمة انما نزلت بعد تمام الوقعة وقوله تع فوق الأعناق اي اعاليها التي هي المذابح او
الهامات واضربوا منهم كل بنان قيل البنان اطراف الأصابع من اليدين والرجلين وقيل هي الأصابع من اليدين والرجلين وقال ابو الهيثم البنان
هي المفاصل وكل مفصل بنانة قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وابن جريج والضحاك يعني الأطراف اي اضربوهم في جميع الأعضاء من اعاليها الى اسافلها
وقيل المراد بالبنان الأداني وبفوق الأعناق الأعالي والمعنى فاضربوا الصناديد والسفلة وتكرير الأمر بالضرب لمزيد التشديد والاعتناء بأمره
ومنهم متعلق به او بمحذوف وقع حالا مما بعده ذلك اشارة الى ما اصابهم من العقاب وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجته في الشدة والفظاعة
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يليق بالخطاب ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تع بأنهم شاقوا الله ورسوله اي ذلك العقاب
الفظيع واقع عليهم بسبب مشاقتهم ومعاندتهم لمن لا سبيل الى معاندته اصلا واشتقاق المشاقة من الشق لما ان كلا من المشاقين في شق خلاف
شق الآخر كما ان اشتقاق المعاداة والمخاصمة من العدوة والخصم اي الجانب لان كلا من المتعادين والمتخاصمين في عدوة وخصم غير عدوة الآخر
وخصمه ومن يشاقق الله ورسوله الاظهار في موضع الاضمار لتربية المهابة واظهار كمال شناعة ما اجترؤا عليه والاشعار بعلة الحكم وقوله تع
فان الله شديد العقاب اما نفس الجزاء قد حذف منه العائد الى من عند من يلتزمه اي شديد العقاب له او تعليل للجزاء المحذوف اي يعاقبه الله فان الله
شديد العقاب واياما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني كأنه قيل ذلك العقاب الشديد بسبب مشاقتهم
لله تعالى ورسوله وكل من يشاقق الله ورسوله كائنا من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد فاذن لهم بسبب مشاقتهم لهما عقاب شديد واما انه
وعيد لهم بما اعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا كما قيل فيرده ما بعده من قوله تع ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار فانه مع كونه
هو المسوق للوعيد بما ذكر ناطق بكون المراد بالعقاب المذكور ما اصابهم عاجلا سواء جعل ذلكم اشارة الى نفس العقاب او الى ما يفيده الشرطية من
ثبوت العقاب لهم اما على الأول فلأن الأظهر ان محله النصب بمضمر يستدعيه قوله تع فذوقوه والواو في قوله تع وان للكافرين الخ بمعنى مع فالمعنى
باشروا ذلكم العقاب الذي اصابكم فذوقوه عاجلا مع ان لكم عذاب النار آجلا فوضع الظاهر موضع الضمير لتوبيخهم بالكفر وتعليل الحكم به واما
على الثاني فلأن الأقرب ان محله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقوله تع وان للكافرين الخ معطوف عليه والمعنى حكم الله ذلكم اي ثبوت هذا
العقاب لكم عاجلا وثبوت عذاب النار آجلا وقوله تع فذوقوه اعتراض وسط بين المعطوفين للتهديد والضمير على الأول لنفس المشار اليه وعلى
الثاني لما في ضمنه وقد ذكر في اعراب الآية الكريمة وجوه اخر مدار الكل على ان المراد بالعقاب ما اصابهم عاجلا والله تعالى اعلم وقرئ بكسر ان على
الاستيناف يا ايها الذين آمنوا خطاب للمؤمنين بحكم كلي جار فيما سيقع من الوقائع والحروب جيء به في تضاعيف القصة اظهارا للاعتناء بشأنه
ومبالغة في المحافظة عليه اذا لقيتم الذين كفروا زحفا الزحف الدبيب يقال زحف الصبي زحفا اي دب على استه قليلا قليلا سمي به الجيش
الدهم المتوجه الى العدو لأنه لكثرته وتكاثفه يرى كأنه يزحف وذلك لأن الكل يرى كجسم واحد متصل فتحس حركته بالقياس اليه في غاية
البطء وان كانت في نفس الأمر على غاية السرعة قال قائلهم وارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج

ونصبه اما على انه حال من مفعول لقيتم اي زاحفين نحوكم واما على انه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال منه اي يزحفون زحفا واما كونه حالا من فاعله او منه
ومن مفعوله معا كما قيل فيأباه قوله تع فلا تولوهم الادبار اذ لا معنى لتقييد النهي عن الادبار بتوجههم السابق الى العدو او بكثرتهم بل توجه العدو اليهم وكثرتهم
هو الداعي الى الادبار عادة والمحوج الى النهي عنه وحمله على الاشعار بما سيكون منهم يوم حنين حيث تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر الفا
بعيد والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليل فلا تولوهم ادباركم فضلا عن الفرار بل قابلوهم وقاتلوهم مع قلتكم فضلا عن ان تدانوهم
في العدد او تساووهم ومن يولهم يومئذ اي يوم اللقاء دبره فضلا عن الفرار وقرئ بسكون الباء الا متحرفا لقتال اما بالتوجه الى قتال طائفة اخرى اهم
من هؤلاء واما بالفر للكر بأن يخيل عدوه انه منهزم ليغره ويخرجه من بين اعوانه ثم يعطف عليه وحده او مع من في الكمين من اصحابه وهو باب من خدع
الحرب ومكائدها او متحيزا الى فئة اي منحازا الى جماعة اخرى من المؤمنين لينضم اليهم ثم يقاتل معهم العدو وعن ابن عمر رض ان سرية فروا وانا معهم
فلما رجعوا الى المدينة استحيوا ودخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال صلى الله عليه وسلم بل انتم العكارون وانا فئتكم وانهزم
رجل من القادسية فأتى المدينة الى عمر رض فقال يا امير المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال رضي الله عنه انا فئتك ووزن متحيز متفيعل لا متفعل
والا لكان متحوزا لأنه من حاز يحوز وانتصابهما اما على الحالية والا لغو لا عمل لها واما على الاستثناء من المولين اي ومن يولهم دبره الا رجلا منهم متحرفا
او متحيزا فقد باء اي رجع بغضب عظيم لا يقادر قدره ومن في قوله تع من الله متعلقة بمحذوف هو صفة لغضب مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة
والهول بالفخامة الاضافية اي بغضب كائن منه تع ومأواه جهنم اي بدل ما اراد بفراره ان يأوي اليه من مأوى ينجيه من القتل وبئس المصير في ايقاع البؤس
في موقع جواب الشرط الذي هو التولية مقرونا بذكر المأوى والمصير من الجزالة ما لا مزيد عليه عن ابن عباس رض ان الفرار من الزحف من اكبر الكبائر
وهذا اذا لم يكن العدو اكثر من الضعف لقوله تع الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة بأهل بيته والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم رجوع
الى بيان بقية احكام الوقعة واحوالها وتقرير ما سبق منها والفاء جواب شرط مقدر يستدعيه ما مر من ذكر امداده تع وامره بالتثبيت وغير ذلك
كأنه قيل اذا كان الأمر كذلك فلم تقتلوهم انتم بقوتكم وقدرتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم ويجوز ان يكون
التقدير اذا علمتم ذلك فلم تقتلوهم اي فاعلموا او فأخبركم انكم لم تقتلوهم وقيل التقدير ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم على احد الثلاثة وبين
لما روي انهم لما انصرفوا من المعركة غالبين غانمين اقبلوا يتفاخرون يقولون قتلت واسرت وفعلت وتركت فنزلت وقد كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين طلعت قريش من العقنقل قال هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني
فأتاه جبرائيل عليهما السلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان قال لعلي رض اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى
بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وذلك قوله عز وجل بطريق تلوين الخطاب وما رميت اذ رميت ولكن
الله رمى تحقيقا لكون الرمي الظاهر على يده عليه السلام من افعاله عز وجل وتجريد الفعل عن المفعول به لما ان المقصود الأصلي بيان حال الرمي
نفيا واثباتا اذ هو الذي ظهر منه ما ظهر وهو المنشأ لتغير المرمي به في نفسه وتكثره الى حيث اصاب عيني كل واحد من اولئك الأمة الجمة شيء
من ذلك اي وما فعلت انت يا محمد تلك الرمية المستتبعة لهذه الآثار العظيمة حقيقة حين فعلتها صورة والا لكان اثرها من جنس آثار
الأفاعيل البشرية ولكن الله فعلها اي خلقها حين باشرتها لكن لا على نهج عادته تعالى في خلق افعال العباد بل على وجه غير معتاد ولذلك اثرت
هذا التأثير الخارج عن طوق البشر ودائرة القوى والقدر فمدار اثباتها لله تعالى ونفيها عنه عليه السلام كون اثرها من افعاله سبحانه لا من
افعاله عليه السلام وقرئ ولكن الله بالتخفيف والرفع في المحلين واللام في قوله تع وليبلي المؤمنين منه اي ليعطيهم من عنده تع بلاء حسنا
اي عطاء جميلا غير مشوب بمقاساة الشدائد والمكاره اما متعلقة بمحذوف متأخر فالواو اعتراضية اي وللاحسان اليهم بالنصر والغنيمة
فعل ما فعل لا لشيء غير ذلك مما لا يجديهم نفعا واما برمى فالواو للعطف على علة محذوفة اي ولكن الله رمى ليمحق الكافرين وليبلي الخ وقوله
تع ان الله سميع اي لدعائهم واستغاثاتهم عليم اي بنياتهم واحوالهم الداعية الى الاجابة تعليل للحكم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله
الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقوله تع وان الله موهن كيد الكافرين بالاضافة معطوف عليه اي المقصد ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين
وابطال حيلهم وقيل المشار اليه القتل او الرمي والمبتدأ الأمر اي الأمر ذلكم اي القتل فيكون قوله تع وان الله الآية من قبيل عطف البيان وقرئ
موهن بالتنوين مخففا ومشددا ونصب كيد الكافرين ان تستفتحوا خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم بهم وذلك انهم حين ارادوا الخروج

تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين اي ان تستنصروا لاعلى الجندين فقد جاءكم الفتح حيث نصر
اعلاهما وقد زعمتم انكم الاعلى فالتهكم في المجيء او فقد جاءكم الهزيمة والقهر فالتهكم في نفس الفتح حيث وضع موضع ما يقابله وان تنتهوا عما
كنتم عليه من الحراب ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم فهو اي الانتهاء خير لكم اي من الحراب الذي ذقتم غائلته لما فيه من السلامة من القتل والاسر
ومبنى اعتبار اصل الخيرية في المفضل عليه هو التهكم وان تعودوا اي الى حرابه عليه السلام نعد لما شاهدتموه من الفتح ولن تغني بالتاء الفوقانية
وقرئ بالياء التحتانية لان تانيث الفئة غير حقيقي او للفصل اي لن تدفع ابدا عنكم فئتكم جماعتكم التي تجمعونهم وتستغيثون بهم شيئا
اي من الاغناء او من المضار وقوله تع ولو كثرت جملة حالية وقد مر التحقيق وان الله مع المؤمنين اي ولان الله معين المؤمنين كان ذلك او
والامر ان الله مع المؤمنين ويقرب منه بحسب المعنى قراءة الكسر على الاستيناف وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم
النصر وان تنتهوا عن التكاسل والرغبة عما رغب فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم من كل شيء لما انه مناط لنيل سعادة الدارين وان تعودوا
اليه نعد عليكم بالانكار وتهييج العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر والامر ان الله مع الكاملين في الايمان يا ايها الذين امنوا
اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا بطرح احدى التائين وقرئ بادغامها عنه اي لا تتولوا عن الرسول فان الامر هو الامر بطاعته والنهي عن
الاعراض عنه وذكر طاعته تعالى للتمهيد والتنبيه على ان طاعة تعالى في طاعة رسوله عليه السلام من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير
للجهاد وقيل الامر الذي دل عليه الطاعة وقوله تع وانتم تسمعون جملة حالية واردة لتاكيد وجوب الانتهاء عن التولي مطلقا كما في قوله تعالى
فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون لا لتقييد النهي عنه بحال السماع كما في قوله تع لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى اي لا تتولوا عنه والحال
انكم تسمعون القرآن الناطق بوجوب طاعته والمواعظ الزاجرة عن مخالفته سماع فهم واذعان ولا تكونوا تقرير للنهي السابق وتحذير عن مخالفته
بالتنبيه على انها مؤدية الى انتظامهم في سلك الكفرة بكون سماعهم كلا سماع اي لا تكونوا بمخالفة الامر والنهي كالذين قالوا سمعنا بمجرد الادعاء
من غير فهم واذعان كالكفرة والمنافقين الذين يدعون السماع وهم لا يسمعون حال من ضمير قالوا اي قالوا ذلك والحال انهم لا يسمعون حيث
لا يصدقون ما سمعوه ولا يفهمونه حق فهمه فكانهم لا يسمعونه راسا ان شر الدواب استيناف مسوق لبيان كمال سوء حال المشبه بهم مبالغة
في التحذير وتقريرا للنهي اثر تقرير اي ان شر من يدب على الارض او شر البهائم عند الله اي في حكمه وقضائه الصم الذين لا يسمعون الحق البكم الذين
لا ينطقون به وصفوا بالصم والبكم لان ما خلق له الاذن واللسان سماع الحق والنطق به وحيث لم يوجد فيهم شيء من ذلك صاروا كانهم فاقدون
للجارحتين راسا وتقديم الصم على البكم لما ان صممهم متقدم على بكمهم فان السكوت عن النطق بالحق من فروع عدم سماعهم له كما ان النطق به
من فروع سماعه ثم وصفوا بعدم التعقل فقيل الذين لا يعقلون تحقيقا لكمال سوء حالهم فان الاصم الابكم اذا كان له عقل ربما يفهم بعض
الامور ويفهمه غيره بالاشارة ويهتدي بذلك الى بعض مطالبه واما اذا كان فاقدا للعقل ايضا فهو الغاية في الشرية وسوء الحال وبذلك
يظهر كونهم شرا من البهائم حيث ابطلوا ما به يمتازون عنها وبه يفضلون على كثير من خلق الله تع فصاروا اخس من كل خسيس ولو علم الله
فيهم خيرا شيئا من جنس الخير الذي من جملته صرف قواهم الى تحري الحق واتباع الهدى لاسمعهم سماع تفهم وتدبر ولوقفوا على حقية الرسول
عليه السلام واطاعوه وآمنوا به ولكن لم يعلم فيهم شيئا من ذلك لخلوهم عنه بالمرة فلم يسمعهم كذلك لخلوه عن الفائدة وخروجه عن الحكمة
واليه اشير بقوله تع ولو اسمعهم لتولوا اي لو اسمعهم سماع تفهم وهم على هذه الحالة العارية عن الخير بالكلية لتولوا عما سمعوه من الحق ولم
ينتفعوا به قط او ارتدوا بعدما صدقوه وصاروا كان لم يسمعوه اصلا وقوله تع وهم معرضون اما حال من ضمير تولوا اي لتولوا على
ادبارهم والحال انهم معرضون عما سمعوه بقلوبهم واما اعتراض تذييلي اي وهم قوم عادتهم الاعراض وقيل كانوا يقولون لرسول الله صلى الله
عليه وسلم احي قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك فالمعنى ولو اسمعهم كلام قصي الخ وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم
الا مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه قاتلهم الله تعالى فقتلوا جميعا باحد وكانوا
اصحاب اللواء وعن ابن جريج انهم المنافقون وعن الحسن رض انهم اهل الكتاب يا ايها الذين امنوا تكرير للنداء مع وصفهم بنعت الايمان
لتنشيطهم الى الاقبال على الامتثال بما يرد بعده من الاوامر وتنبيههم على ان فيهم ما يوجب ذلك استجيبوا لله وللرسول بحسن الطاعة اذا دعاكم
اي الرسول اذ هو المباشر لدعوة الله تع لما يحييكم من العلوم الدينية التي هي مناط الحيوة الابدية كما ان الجهل مدار الموت الحقيقي او هي ماء حيوة

القلب كما ان الجهل موجب موته وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كما في قوله تع ولكم في القصاص حيوة روي انه عليه السلام
مر على ابي بن كعب وهو يصلي فدعاه فعجل في صلوته ثم جاء فقال عليه السلام ما منعك من اجابتي قال كنت في الصلوة قال الم تخبر فيما اوحي الي
استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم الخ واختلف فيه فقيل هذا من خصائص دعائه عليه السلام وقيل لان اجابته عليه السلام لا تقطع الصلوة وقيل
كان ذلك الدعاء لامر مهم لا يحتمل التاخير وللمصلي ان يقطع الصلوة لمثله واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه تعالى من العبد كقوله
تع ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه تعالى مطلع من مكنونات القلوب على ما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب
وتصفيتها قبل ادراك المنية فانها حائلة بين المرء وقلبه او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه بحيث يفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويحول
بينه وبين الكفران اراد سعادته ويبدله بالامن خوفا وبالذكر نسيانا وما اشبه ذلك من الامور المعترضة المفوتة للفرصة وقرئ بين
المر بتشديد الراء على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف وانه اي الله عز وجل او الشان اليه تحشرون لا الى غيره
فيجازيكم بحسب اعمالكم فسارعوا الى طاعة الله تع وطاعة رسوله وبالغوا في الاستجابة لهما واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
اي لا تختص اصابتها بمن يباشر الظلم منكم بل يعمه وغيره كاقرار المنكر بين اظهرهم والمداهنة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وافتراق الكلمة
وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن الخ اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيبن الخ وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق
بالنون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله تع ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون
لا تدخل المنفي في غير القسم او للنهي على ارادة القول كقول من قال حتى اذا جن الظلام واختلط جاؤا بمذق هل رايت الذئب قط واما جواب
قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلف المعنى فيهما وقد جوز ان يكون نهيا عن التعرض للظلم بعد الامر باتقاء الذنب فان وباله
يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح
من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب ولذلك يصيب بالعذاب من لم يباشر سببه واذكروا اذ انتم قليل اي وقت كونكم قليلا في العدد وايثار
الجملة الاسمية للايذان باستمرار ما كانوا فيه من القلة وما يتبعها من الضعف والخوف وقوله تع مستضعفون خبر ثان او صفة لقليل وقوله تع
في الارض اي في ارض مكة تحت ايدي قريش والخطاب للمهاجرين او تحت ايدي فارس والروم والخطاب للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء تحت ايدي
فارس والروم وقوله تع تخافون ان يتخطفكم الناس خبر ثالث او صفة ثانية لقليل وصف بالجملة بعد ما وصف بالمفرد او حال من المستكن
في مستضعفون والمراد بالناس على الاول وهو الاظهر اما كفار قريش او كفار العرب لقربهم منهم وشدة عداوتهم لهم وعلى الثاني فارس والروم
اي واذكروا وقت قلتكم وذلتكم وهوانكم على الناس وخوفكم من اختطافهم فآواكم الى المدينة او جعل لكم مأوى تتحصنون به من اعدائكم وايدكم
بنصره على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون هذه النعم الجليلة يا ايها الذين
امنوا لا تخونوا الله والرسول اصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه اي لا تخونوهما بتعطيل
الفرائض والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرونه او بالغلول في الغنائم روي انه عليه الصلوة والسلام حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة
فسالوا الصلح كما صالح بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحاء من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا
وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لما ان ماله وعياله كان في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه
انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد فقال والله لا اذوق
طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله
لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه عليه السلام فحله فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب
وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزئك الثلث ان تتصدق به وتخونوا اماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم معطوف على الاول او منصوب على الجواب بالواو
وانتم تعلمون انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانها سبب الوقوع في الاثم والعقاب او محنة
من الله عز وجل ليبلوكم فيها فلا يحملنكم حبهما على الخيانة كابي لبابة وان الله عنده اجر عظيم لمن آثر رضاه تع عليهما وراعى حدوده فيهما
فنيطوا هممكم بما يؤديكم اليه يا ايها الذين امنوا تكرير الخطاب والوصف بالايمان لاظهار كمال العناية بما بعده والايذان بانه مما يقتضي الايمان

مراعاته والمحافظة عليه كما في الخطاب الآتي بقوله ان تتقوا الله اي في كل ما تأتون وما تذرون يجعل لكم بسبب ذلك فرقانا هداية في قلوبكم تفرقون بها
بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة عما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم
وينشر صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم اي يسترها ويغفر لكم ذنوبكم بالعفو والتجاوز عنها وقيل السيئات
الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لانها في اهل بدر وقد غفرهما الله تعالى لهم وقوله تع والله ذو الفضل العظيم تعليل لما قبله
وتنبيه على ان ما وعده الله تع لهم على التقوى تفضل منه واحسان لا انه مما يوجبه التقوى كما اذا وعد السيد عبده انعاما على عمل واذ يمكر بك الذين
كفروا منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم معطوف على قوله تع واذكروا اذ انتم الخ مسوق لتذكير النعمة الخاصة به عليه السلام
بعد تذكير النعمة العامة للكل اي واذكر وقت مكرهم بك ليثبتوك بالوثاق ويعضده قراءة من قرأ ليقيدوك او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى
اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك بالبيات او يقتلوك اي بسيوفهم او يخرجوك اي من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام
الانصار ومبايعتهم له عليه السلام فرقوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورون في امره عليه السلام فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد
سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال ابو البختري رأيي ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه
طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رأيي ان تحملوه على جمل وتخرجوه
من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا
فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلنا فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رأيه
فأتى جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بالخبر وامره بالهجرة فبيت عليا رضي الله عنه في مضجعه وخرج هو مع ابي بكر الى الغار ويمكرون ويمكر الله اي
يرد مكرهم عليهم او يجازيهم عليه او يعاملهم معاملة الماكرين وذلك بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فلقوا منهم ما لقوا والله خير
الماكرين لا يعبأ بمكرهم عند مكره واسناد امثال هذا اليه سبحانه مما يحسن للمشاكلة ولا يسوغ له ابتداء لما فيه من ايهام ما لا يليق به سبحانه واذا
تتلى عليهم آياتنا التي حقها ان تخر لها صم الجبال قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا قاله اللعين النضر بن الحارث واسناده الى الكل لما انه
كان رئيسهم وقاضيهم الذي يقولون بقوله ويأخذون برأيه وقيل قاله الذين ائتمروا في امره عليه السلام في دار الندوة وهذا كما ترى غاية
المكابرة ونهاية العناد كيف لا ولو استطاعوا شيئا من ذلك فما الذي كان يمنعهم من المشيئة وقد تحداهم وقرعوا على العجز ذاقوا من
ذلك الامرين ثم قورعوا بالسيف فلم يعارضوا بما سواه مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا لا سيما في باب البيان ان هذا الا اساطير الاولين
اي ما يسطرونه من القصص واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من اباطيل
ذلك اللعين روي انه لما قال ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله تعالى فقال ذلك والمعنى ان القرآن ان
كان حقا منزلا من عندك فامطر علينا الحجارة عقوبة على انكارنا او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام
على انه ليس كذلك وحاشاه وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدأ لا فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا على الوجه الذي
يدعيه عليه السلام وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كالاساطير وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم جواب
لكلمتهم الشنعاء وبيان للموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استئصال والنبي
صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم خارج عن عادته تعالى غير مستقيم في حكمه وقضائه والمراد باستغفارهم في قوله تع وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله تع وما كان ربك ليهلك القرى
بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله بيان لاستحقاقهم العذاب بعد بيان ان المانع ليس من قبلهم اي وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال
ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام اي وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الهجرة واحصارهم
عام الحديبية وما كانوا اولياءه حال من ضمير يصدون مفيدة لكمال قبح ما صنعوا من الصد فان مباشرتهم للصد عنه مع عدم استحقاقهم لولايته
امره في غاية القبح وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت الحرام فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون من الشرك الذين
لا يعبدون فيه غيره تع ولكن اكثرهم لا يعلمون انه لا ولاية لهم عليه وفيه اشعار بان منهم من يعلم ذلك ولكنه يعاند وقيل اريد باكثرهم كلهم

كما يراد بالقلة العدم وما كان صلوتهم عند البيت اي دعاؤهم او ما يسمونه صلوة او ما يضعون موضعها الا مكاء اي صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر
وقرئ بالقصر كالبكى وتصدية اي تصفيقا تفعلة من الصدى او من الصد على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلوتهم بالنصب على انه
الخبر لكان ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب وعدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلوته روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال
والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلي يخلطون عليه
ويرون انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب اي القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل ان يكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب اليم
بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش
يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او في ابي سفيان استأجر ليوم احد الفين سوى من استجاش من العرب وانفق فيهم اربعين اوقية او في اصحاب
العير فانه لما اصيب قريش يوم بدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك ثارنا منه ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله
فسينفقونها بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق يوم بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق يوم احد
ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان الغرض من الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما
لفواتها من غير حصول المقصود جعل ذاتها حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا
اي ثبتوا على الكفر واصروا عليه الى جهنم يحشرون اي يساقون لا الى غيرها ليميز الله الخبيث من الطيب اي الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح واللام متعلقة
بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوته عليه السلام مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرئ ليميز
بالتشديد للمبالغة ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا اي يضم بعضه الى بعض حتى يتراكموا لفرط ازدحامهم فيجمعه او يضم الى الكافر ما انفقه لزيد في
عذابه كمال الكافرين فيجعله في جهنم كله اولئك اشارة الى الخبيث اذ هو عبارة عن الفريق او الى المنفقين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في
الخبث هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا هم ابو سفيان واصحابه اي قل لاجلهم ان ينتهوا عما هم فيه من معاداة
النبي صلى الله عليه وسلم بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من الذنوب وقرئ ان تنتهوا يغفر لكم ويغفر لكم على البناء للفاعل وهو الله تعالى وان يعودوا
الى قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين تحزبوا على الانبياء عليهم السلام بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم عطف على
قل وقد عمم الخطاب لزيادة ترغيب المؤمنين في القتال لتحقيق ما يتضمنه قوله تع فقد مضت سنة الاولين من الوعيد حتى لا تكون فتنة اي لا يوجد منهم
شرك ويكون الدين كله لله وتضمحل الاديان الباطلة اما باهلاك اهلها جميعا او برجوعهم عنها خشية القتل فان انتهوا عن الكفر بقتالكم فان الله بما
يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وقرئ بتاء الخطاب اي بما تعملون من الجهاد المخرج لهم الى الاسلام وتعليقه بانتهائهم للدلالة على انهم
يثابون بالسببية كما يثاب المباشرون بالمباشرة وان تولوا ولم ينتهوا عن ذلك فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى
لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم عن الكلبي انها نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر
بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة وما موصولة والعائد محذوف اي الذي اصبتموه من الكفار عنوة واصل الغنيمة
اصابة الغنم من العدو ثم اتسع واطلق على كل ما اصيب منهم كائنا ما كان وقوله تع من شيء بيان للموصول محله النصب على انه حال من عائد
الموصول قصد به الاعتناء بشأن الغنيمة وان لا يشذ عنها شيء اي ما غنمتموه كائنا مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط والمخيط خلا ان
سلب المقتول للقاتل اذا نفله الامام وان الاسارى يتخير فيها الامام وكذا الاراضي المغنومة وقوله تع فان لله خمسه مبتدأ خبره محذوف
اي فحق او واجب ان لله تع خمسه وهذه الجملة خبر لان ما الخ وقرئ بالكسر والاولى آكد واقوى في الايجاب لما فيه من تكرير الاسناد كأنه
قيل فلا بد من ثبات الخمس ولا سبيل الى الاخلال به وقرئ فلله خمسه وقرئ خمسه بسكون الميم والجمهور على ان ذكر الله تع للتعظيم كما في قوله تع
والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسمة الخمس على المعطوفين عليه بقوله تعالى وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل واعادة
اللام في ذوي القربى دون غيرهم من الاصناف الثلاثة لدفع توهم اشتراكهم في سهم النبي صلى الله عليه وسلم لمزيد اتصالهم به عليه السلام وهم بنو
هاشم وبنو المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم رضي الله عنهما انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء
اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم أرأيت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال

عليه السلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه وكيفية قسمتها عندنا انها كانت في عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم على خمسة اسهم سهم له عليه السلام وسهم للمذكورين من ذوي القربى وثلثة اسهم للاصناف الثلثة الباقية واما بعده عليه السلام فسهمه
ساقط كذا سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة لسائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على الاصناف الثلثة ويؤيده ما روي عن ابي بكر
رضي الله عنه انه منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم ومن عداهم فهو بمنزلة ابن السبيل الغني لا يعطى
من الصدقة شيئا وعن زيد بن علي مثله قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل سهم الرسول صلى الله عليه وسلم لولي الامر
بعده واما عند الشافعي رحمه الله تعالى فيقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه عليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة
من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقي للفرق الثلث وعند مالك
رحمه الله تعالى الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان رأى قسمه بين هؤلاء وان رأى اعطاه بعضا منهم دون بعض وان رأى غيرهم اولى واهم
فغيرهم وتعلق ابو العالية بظاهر الاية الكريمة فقال يقسم ستة اسهم ويصرف سهم الله تعالى الى رتاج الكعبة لما روي انه عليه السلام كان يأخذ
منه قبضة فيجعلها لمصالح الكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة اسهم وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول صلى الله عليه وسلم هذا
شأن الخمس واما الاخماس الاربعة فيقسم بين الغانمين للراجل سهم وللفارس سهمان عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى وثلثة اسهم عندهما فالاية لما
بين الله حكم الخمس وسكت عن الباقي دل ذلك على انه ملك للغانمين وقوله تعالى ان كنتم آمنتم بالله متعلق بمحذوف دل عليه المذكور اي ان كنتم آمنتم
به تعالى فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به الى الله تعالى فاقطعوا اطماعكم منه واقنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد مجرد العلم بذلك
بل العلم المشفوع بالعمل والطاعة لامره تعالى وما انزلنا عطف على الاسم الجليل اي ان كنتم آمنتم بالله وبما انزلناه على عبدنا وقرئ عبدنا
وهو اسم جمع اريد به الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون فان بعض ما نزل عليه نازل عليهم بالذات كما ستعرفه يوم الفرقان يوم بدر وسمي به
لفرقه بين الحق والباطل وهو منصوب بانزلنا او بآمنتم يوم التقى الجمعان اي الفريقان المؤمنين والكافرين وهو بدل من يوم الفرقان او منصوب
بالفرقان والمراد ما انزل عليه عليه السلام يومئذ من الوحي والملائكة والفتح على ان المراد بالانزال مجرد الايصال والتيسير فينتظم الكلام انتظاما حقيقيا من
جعل الايمان بانزال هذه الاشياء من موجبات العلم بكون الخمس لله تعالى على الوجه المذكور من حيث ان الوحي ناطق بذلك وان الملائكة والفتح لما كان من
جهته تعالى وجب ان يكون ما حصل بسببها من الغنيمة مصروفة الى الجهات التي عينها الله تعالى والله على كل شيء قدير يقدر على نصر القليل على الكثير
والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل ثان من يوم الفرقان والعدوة بالضم شط الوادي وكذا بالفتح والكسر
وقد قرئ بهما ايضا وهم بالعدوة القصوى اي البعدى من المدينة وهي تأنيث الاقصى وكان القياس قلب الواو ياء كالدنيا والعليا كونهما
من كونهما من بنات الواو ولكنها جاءت على الاصل كالقود واستصوب وهو اكثر استعمالا من القصيا والركب اي العير او قوادها اسفل منكم اي في مكان
اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو نصب على الظرفية واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبلها وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم
بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شأن المسلمين والتياث امرهم
واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن فيها
ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله تعالى ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اي لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم
انتم في الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله عز وجل خارقا للعادة فيزدادوا
ايمانا وشكرا وتطمئن نفوسهم بفرض الخمس ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل من نصر
اوليائه وقهر اعدائه او مقدرا في الازل وقوله تعالى ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه او متعلق بمفعولا اي ليموت
من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن بينة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة او ليصدر كفر من
كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحيوة للكفر والايمان والمراد بمن هلك ومن حي المشارف للهلاك والحيوة او من حاله
في علم الله تعالى الهلاك والحيوة وقرئ ليهلك بالفتح وحيي بفك الادغام حملا على المستقبل وان الله لسميع عليم اي بكفر من كفر وعقابه وايمان
من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله في منامك قليلا منصوب باذكر او بدل آخر

من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اراكهم
كثيرا لفشلتم اي لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم في الامر اي امر القتال وتفرقت آراؤكم في الثبات والفرار ولكن الله سلم اي انعم بالسلامة من
الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجرأة والجبن والصبر والجزع ولذلك دبر ما دبر واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم
قليلا منصوب بمضمر خوطب به الكل بطريق التلوين والتعميم معطوف على المضمر الاول والضميران مفعولا يري وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في
اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم ويقللكم
في اعينهم حتى قال ابو جهل انما اصحاب محمد اكلة جزور قللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترئوا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى رأوهم
مثليهم ليفاجئهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وهذه من عظائم تلك الآيات الواقعة فان البصر قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه
ولا الى هذا الحد وانما ذلك بصد الله تعالى الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشرائط ليقضي الله امرا كان مفعولا كرره لاختلاف
الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثم الالتقاء على الوجه المذكور وههنا اعزاز دين الاسلام واهله واذلال الكفر وحزبه والى الله ترجع الامور
كلها يصرفها كيف يريد لا راد لامره ولا معقب لحكمه وهو الحكيم المجيد يا ايها الذين آمنوا صدر الخطاب بحرف النداء والتنبيه اظهارا لكمال
الاعتناء بمضمون ما بعده اذا لقيتم فئة اي حاربتم جماعة من الكفرة وانما لم يوصفوا بالكفر لظهور ان المؤمنين لا يحاربون الا الكفرة واللقاء
مما غلب في القتال فاثبتوا اي للقائهم في مواطن الحرب واذكروا الله كثيرا اي في تضاعيف القتال مستمدين منه مستغيثين به مستظهرين بذكره
مترقبين لنصره لعلكم تفلحون اي تفوزون بمرامكم وتظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله
تعالى وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل اليه بكليته فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في حال من الاحوال واطيعوا الله ورسوله في كل
ما تأتون وما تذرون فيندرج فيه ما امروا به ههنا اندراجا اوليا ولا تنازعوا باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر او احد فتفشلوا جواب النهي
وقيل عطف عليه وتذهب ريحكم بالنصب عطف على جواب النهي وقرئ بالجزم على تقدير عطف فتفشلوا على النهي اي تذهب دولتكم وشوكتكم فانها
مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها وجريانها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح
يبعثها الله تعالى وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا على شدائد الحرب ان الله مع الصابرين بالنصرة والكلاءة
وما فيهم من كلمة مع من اصالتهم انما هي من حيث انهم المباشرون للصبر فهم متبوعون من تلك الحيثية ومعيته تعالى انما هي من حيث الامداد والاعانة
ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بعد ما امروا به من احاسن الاعمال نهوا عما يقابلها من قبائحها والمراد بهم اهل مكة حين خرجوا لحماية العير
بطرا اي فخرا واشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا جحفة اتاهم رسول ابي سفيان وقال ارجعوا فقد سلمت عيركم
فأبوا الا اظهار الجلادة آثارا فلقوا ما لقوا حسبما ذكر في اوائل السورة الكريمة فنهي المؤمنون ان يكونوا امثالهم مرائين بطرين وامروا
بالتقوى والاخلاص من حيث ان النهي عن الشيء مستلزم للامر بضده ويصدون عن سبيل الله عطف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال
وكذا ان جعل مفعولا له لكن لا على تأويل المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيهم عليه واذ زين لهم الشيطان اعمالهم منصوب بمضمر خوطب به
النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين اي واذكر وقت تزيين الشيطان اعمالهم في معاداة المؤمنين وغيرها بان وسوس اليهم وقال لا غالب لكم
اليوم من الناس واني جار لكم اي القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه
فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته والا لانتصب
كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان اي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه
مجيرهم سببا لهلاكهم وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله اي تبرأ منهم وخاف عليهم ويئس من حالهم لما رأى امداد الله
تعالى للمسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك
الكناني وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني مجيركم من كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له
الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث فانطلق فانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة
فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف

اخاف ان يصيبني بمكروه من الملائكة او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ رأى فيه ما لم يره قبله والاول ما قاله الحسن رض واختاره ابن بحر والله
شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه او مستأنفا من جهة الله عز وجل اذ يقول المنافقون منصوب بزين او بنكص او بشديد العقاب والذين في
قلوبهم مرض اي الذين لم تطمئن قلوبهم بالايمان بعد وبقي فيها نوع شبهة وقيل هم المشركون وقيل هم المنافقون في المدينة والعطف لتغاير الوصفين كما في
قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب غر هؤلاء يعنون المؤمنين دينهم حتى تعرضوا لما لا طاقة لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة و
بضعة عشر الى زهاء الف ومن يتوكل على الله جواب لهم من جهته تعالى ورد لمقالتهم فان الله عزيز غالب لا يذل من توكل عليه واستجار به وان
قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقول ويحار في فهمه ارباب الفحول وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه ولو ترى اي ولو رأيت فان لو الامتناعية
ترد المضارع ماضيا كما ان ان ترد الماضي مضارعا والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقد مر تحقيقه في قوله تع ولو
ترى اذ وقفوا على النار وكلمة اذ في قوله تع اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ظرف لترى والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة حين يتوفيهم الملائكة ببدر
وتقديم المفعول للاهتمام به وقيل الفاعل ضمير عائد الى الله عز وجل والملائكة مبتدأ وقوله تع يضربون وجوههم خبره والجملة حال من الموصول قد استغني
فيها بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منه او من الملائكة او منهما لاشتماله على ضميريهما وادبارهم اي واستاههم او ما اقبل منهم وما ادبر من الاعضاء
وذوقوا عذاب الحريق على ارادة القول معطوفا على يضربون او حالا من فاعله اي ويقولون او قائلين ذوقوا بشارة بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم
مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف للايذان بخروجه عن حدود البيان اي لرأيت امرا فظيعا لا يكاد يوصف ذلك اشارة
الى ما ذكر من الضرب والعذاب وما فيه من معنى البعد للاشعار بكونه في الغاية القصوى من الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره بما قدمت ايديكم اي ذلك الضرب
والعذاب واقع بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي ومحل ان في قوله تع وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي والامر انه تعالى
ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا
عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه في سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها واما ما قيل من انها معطوفة على ما للدلالة على ان
سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لأمكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم فليس بسديد لما ان امكان تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لا ينافي كون
تعذيب هؤلاء الكفرة المعينة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى اعتبار عدمه معه نعم لو كان المدعي كون جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين لاحتيج
الى ذلك كدأب آل فرعون في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف والجملة استيناف مسوق لبيان ان ما حل بهم من العذاب بسبب كفرهم لا بشيء
آخر من جهة غيرهم بتشبيه حالهم بحال المعروفين بالاهلاك بسبب جرائمهم لزيادة تقبيح حالهم وللتنبيه على ان ذلك سنة مطردة فيما بين الامم
المهلكة اي شأنهم الذي استمروا عليه مما فعلوا وفعل بهم من الاخذ كدأب آل فرعون المشهورين بقباحة الاعمال وفظاعة العذاب والنكال
والذين من قبلهم اي من قبل آل فرعون من الامم التي فعلوا من المعاصي ما فعلوا ولقوا من العقاب ما لقوا كقوم نوح وعاد واضرابهم من اهل الكفر والفساد
وقوله تع كفروا بآيات الله تفسير لدأبهم الذي فعلوا لا لدأب آل فرعون ونحوهم كما قيل فان ذلك معلوم منه بقضية التشبيه وقوله تع فأخذهم الله
تفسير لدأبهم الذي فعل بهم والفاء لبيان كونه من لوازم جناياتهم وتبعاتها المتفرعة وقوله تع بذنوبهم لتأكيد ما افاده الفاء من السببية مع الاشارة
الى ان لهم مع كفرهم ذنوبا اخر لها دخل في استتباع العقاب ويجوز ان يكون المراد بذنوبهم معاصيهم المتفرعة على كفرهم فتكون الباء للملابسة اي فأخذهم
متلبسين بذنوبهم غير تائبين عنها فدأبهم مجموع ما فعلوا وما فعل بهم لا ما فعلوه فقط كما قيل قال ابن عباس رض ان آل فرعون ايقنوا ان موسى نبي الله
فكذبوه كذلك هؤلاء جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالصدق فكذبوه فانزل الله تعالى بهم عقوبته كما انزل بآل فرعون وجعل العذاب من جملة دأبهم مع انه ليس
مما يتصور مداومتهم عليه واعتيادهم اياه كما هو المعتبر في مدلول الدأب اما لتغليب ما فعلوه على ما فعل بهم او لتنزيل مداومتهم على ما يوجبه من الكفر
والمعاصي منزلة مداومتهم عليه لما بينهما من الملابسة التامة وقوله تع ان الله قوي شديد العقاب اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من الاخذ وقوله تع ذلك الخ استيناف
مسوق لتعليل ما يفيده النظم الكريم من كون ما حل بهم من العذاب منوطا باعمالهم السيئة غير واقع بلا سابقة ما يقتضيه وهو ما اشير اليه لا نفس ما حل بهم من العذاب
او الانتقام كما قيل فانه مع كونه معللا بما ذكر من كفرهم وذنوبهم لا يتصور تعليله بجريان عادته تعالى على عدم تغيير نعمته على قوم قبل تغييرهم لحالهم وتوهم
ان السبب ليس ما ذكر كما هو منطوق النظم الكريم بل ما يستفاد من مفهوم الغاية من جريان عادته تع على تغيير نعمتهم عند تغيير حالهم بناء على تخيل ان
المعلل ترتب عقابهم على كفرهم من غير تخلف عنه ركوب شطط تأمل وابعاد عن الحق بمراحل وتهوين لامر الكفر بآيات الله واسقاط له عن رتبة ايجاب العقاب

في مقام تهويله والتحذير منه فالمعنى ذلك اي ترتب العقاب على اعمالهم السيئة دون ان يقع ابتداء مع قدرته تعالى على ذلك بأن الله اي بسبب انه تعالى لم يك في
حد ذاته مغيرا نعمة انعمها اي لم ينبغ له سبحانه ولم يصح في حكمته ان يكون بحيث يغير نعمة انعم بها على قوم من الاقوام اي نعمة كانت جلت او هانت حتى يغيروا
ما بانفسهم من الاعمال والاحوال التي كانوا عليها وقت ملابستهم بالنعمة ويتصفوا بما ينافيها سواء كانت احوالهم السابقة مرضية صالحة او قريبة
من الصلاح بالنسبة الى الحادثة كدأب هؤلاء الكفرة حيث كانوا قبل البعثة كفرة عبدة اصنام مستمرين على حالة مصححة لافاضة نعمة الامهال وسائر
النعم الدنيوية عليهم فلما بعث اليهم النبي صلى الله عليه وسلم بالبينات غيروها الى اسوأ منها واسخط حيث كذبوه عليه السلام وعادوه ومن تبعه من
المؤمنين وتحزبوا عليهم يبغونهم الغوائل فغير الله تعالى ما انعم به عليهم من نعمة الامهال وعاجلهم بالعذاب والنكال واصل يك يكن فحذفت النون تخفيفا
لشبهها بالحروف اللينة وان الله سميع عليم عطف على ان الله الخ داخل معه في حيز التعليل اي وبسبب انه تعالى سميع عليم يسمع ويعلم جميع ما يأتون وما يذرون
من الاقوال والافعال السابقة واللاحقة فيرتب على كل منها ما يليق بها من ابقاء النعمة وتغييرها وقرئ وان الله بكسر الهمزة فالجملة ح استيناف
مقرر لمضمون ما قبلها وقوله تع كدأب آل فرعون والذين من قبلهم في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي حتى يغيروا ما بانفسهم تغييرا كائنا
كدأب آل فرعون اي كتغييرهم على ان دأبهم عبارة عما فعلوه فقط كما هو الانسب بمفهوم الدأب وقوله تع كذبوا بآيات ربهم تفسير له بتمامه وقوله تع
فاهلكناهم اخبار بترتب العقوبة عليه لا انه من تمام تفسيره ولا ضير في توسط قوله تع وان الله سميع عليم بينهما كما مر نظيره في سورة آل عمران حيث
جوزوا انتصاب محل الكاف بلن تغني مع ما بينهما من قوله تع واولئك هم وقود النار هذا على تقدير عطف الجملة على ما قبلها واما على تقدير كونها اعتراضا
فلا غبار في توسطها قطعا وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف كما قبله فالجملة ح استيناف آخر مسوق لتقرير ما سيق له الاستيناف الاول
بتشبيه دأبهم بدأب المذكورين لكن لا بطريق التكرير المحض بل بتغيير العنوان وجعل الدأب في الجانبين عبارة عما يلازم معناه الاول من تغيير الحال
وتغيير النعمة اخذا مما نطق به قوله تع ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة الآية اي دأب هؤلاء وشأنهم الذي هو عبارة عن التغيير المذكور كدأب
اولئك حيث غيروا حالهم فغير الله تعالى نعمته عليهم فقوله تع كذبوا بآيات ربهم تفسير لدأبهم الذي فعلوه من تغييرهم الحال وقوله تع فاهلكناهم
تفسير لدأبهم الذي فعل بهم من تغييره تعالى ما بهم من نعمته واما دأب قريش فمستفاد منه بحكم التشبيه فلله در شأن التنزيل حيث اكتفى في كل من
التشبيهين بتفسير احد الطرفين واضافة الآيات الى الرب المضاف الى ضميرهم لزيادة تقبيح ما فعلوا بها من التكذيب والالتفات الى نون العظمة في اهلكنا
جريا على سنن الكبرياء لتهويل الخطب والكلام في الفاء وفي قوله تع بذنوبهم كالذي مر وعطف قوله تع واغرقنا آل فرعون على اهلكنا مع اندراجه تحته
للايذان بكمال هول الاغراق وفظاعته كعطف جبريل على الملائكة عليهم السلام وكل اي كل من الفرق المذكورين او كل من هؤلاء واولئك او كل من
غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين اي لانفسهم بالكفر والمعاصي حيث عرضوها للهلاك او واضعين للكفر والتكذيب مكان الايمان والتصديق
ولذلك اصابهم ما اصابهم ان شر الدواب بعد ما شرح احوال المهلكين من شرار الكفرة شرع في بيان احوال الباقين منهم وتفصيل احكامهم وقوله تع عند الله
اي في حكمه وقضائه الذين كفروا اي اصروا على الكفر ولجوا فيه جعلوا شر الدواب لا شر الناس ايماء الى انهم بمعزل من مجانستهم وانما هم من جنس الدواب
ومع ذلك شر من جميع افرادها حسبما نطق به قوله عز وجل ان هم الا كالانعام بل هم اضل وقوله تع فهم لا يؤمنون حكم مترتب على تماديهم في الكفر ورسوخهم
فيه وتسجيل عليهم بكونهم من اهل الطبع لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف اصلا جيء به على وجه الاعتراض لا انه عطف على كفروا داخل معه في
حيز الصلة التي لا حكم فيها بالفعل وقوله تع الذين عاهدت منهم بدل من الموصول الاول او عطف بيان له او نصب على الذم اي عاهدتهم ومن للايذان
بأن المعاهدة التي هي عبارة عن اعطاء العهد واخذه من الجانبين معتبرة ههنا من حيث اخذه عليه السلام عهدهم اذ هو المناط لما نعي
عليهم من النقض لا اعطاؤه عليه السلام اياهم عهده كأنه قيل الذين اخذت منهم عهدهم وقيل هي للتبعيض لان المباشر بالذات للعهد بعضهم
لا كلهم ثم ينقضون عهدهم عطف على عاهدت داخل معه في حكم الصلة وصيغة الاستقبال للدلالة على التجدد في النقض وتعدده وكونهم على نيته
في كل حال اي ينقضون عهدهم الذي اخذته منهم في كل مرة اي من مرات المعاهدة اذ هي التي يتوقع فيها عدم النقض ويستقبح وجوده لا من مرات
المحاربة كما قيل اذ لا يتوقع فيها عدم النقض بل لا يتصور اصلا حتى يستقبح فيها وجوده لكونها مظنة لعدمه فلا فائدة في تقييد النقض بالوقوع
في كل مرة من مراتها لا صحة له قطعا لان النقض لا يتحقق الا في المرة الواردة على المعاهدة لا في المرات الواقعة بعدها بلا معاهدة ولئن
سلم ان المراد هي المرات الواقعة اثر المعاهدة يبقى النقض الواقع بلا محاربة كبيع السلاح ونحوه خارجا من البيان ولئن عد ذلك من المحاربة

فلا يحصل لزوم خلو الكلام عن الفائدة بالمرة لأن المحاربة بهذا المعنى عين النقض فيؤول الأمر إلى أن يقال ينقضون عهدهم في كل مرة من مرات النقض
وحمل المحاربة على محاربة غيرهم ليكون المعنى ينقضون عهدهم في كل مرة من مرات محاربة الأعداء مع كونه في غاية البعد والركاكة يستلزم خروج نقضهم
بالنقض في البيان وهم لا يتقون حال من فاعل ينقضون أي يستمرون على النقض والحال أنهم لا يتقون سبة الغدر ولا يبالون بما فيه من العار
والنار وقوله تع فإما تثقفنهم شروع في بيان أحكامهم بعد تفصيل أحوالهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أي فإذا كان حالهم كما ذكر فإما
تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب أي في تضاعيفها فشرد بهم أي ففرق عن مناصبتك تفريقا عنيفا موجبا للاضطرار والاضطراب ونكل عنها بأن
تفعل بهم من النكاية والتعذيب ما يوجب أن تشرد من خلفهم أي من وراءهم من الكفرة وفيه إيماء إلى أنهم بصدد الحرب قريب من هؤلاء وقرئ فشرذ
بالذال المعجمة ولعله مقلوب شذر بمعنى فرق وقرئ من خلفهم أي افعل التشريد من وراءهم والمعنى واحد لأن إيقاع التشريد في الوراء لا يتحقق
إلا بتشريد من وراءهم لعلهم يذكرون يتعظون بما شاهدوا مما نزل بالناقضين فيرتدعون عن النقض أو عن الكفر وقوله تع وإما تخافن من
قوم خيانة بيان لأحكام المشرفين إلى نقض العهد إثر بيان أحكام الناقضين له بالفعل والخوف مستعار للعلم أي وإما تعلمن من قوم من المعاهدين
نقض عهد فيما سيأتي بما لاح لك منهم من دلائل الغدر ومخايل الشر فانبذ إليهم أي فاطرح إليهم عهدهم على سواء على طريق مستو قصدا بأن تظهر
لهم النقض وتخبرهم إخبارا مكشوفا بأنك قد قطعت ما بينك وبينهم من الوصلة ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد كيلا يكون من قبلك
شائبة خيانة أصلا فالجار متعلق بمحذوف هو حال من النابذ أي فانبذ إليهم ثابتا على سواء وقيل على استواء في العلم بنقض العهد بحيث
يستوي فيه أقصاهم وأدناهم أو يستوي فيه أنت وهم فهو على الأول حال من المنبوذ إليهم وعلى الثاني من الجانبين إن الله لا يحب
الخائنين تعليل للأمر بالنبذ إما باعتبار استلزامه للنهي عن المناجزة التي هي خيانة فيكون تحذيرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها وإما
باعتبار استتباعه للقتال بالآخرة فيكون حثا له عليه السلام على النبذ أولا وعلى قتالهم ثانيا كأنه قيل وإما تعلمن من قوم خيانة فانبذ
إليهم ثم قاتلهم إن الله لا يحب الخائنين وهم من جملتهم لما علمت حالهم ولا يحسبن الذين كفروا أي أنفسهم فحذف للتكرار وقوله سبقوا أي فاتوا
وأفلتوا من أن يظفر بهم مفعول ثان ليحسبن والمراد إقناطهم من الخلاص وقطع أطماعهم الفارغة من الانتفاع بالنبذ والاقتصار على دفع هذا التوهم
مع أن مقاومة المؤمنين بل الغلبة عليهم أيضا مما يتعلق به أمانيهم الباطلة للتنبيه على أن ذلك مما لا يحوم حوله وهمهم وحسبانهم وإنما الذي
يمكن أن يدور في خلدهم حسبان المناص فقط وقيل الفعل مسند إلى أحد أو إلى من خلفهم والمفعول الأول الموصول المتناول لهم أيضا وقيل هو
الفاعل وأن محذوفة من سبقوا وهي مع ما في حيزها سادة مسد المفعولين ويؤيده ولا يحسبن الذين كفروا أن سبقوا ويعضده قراءة من
قرأ أنهم سبقوا ونظيره في الحذف قوله تع ومن آياته يريكم البرق خوفا وقوله تع أفغير الله تأمروني أعبد الآية قال الزجاج وقرئ بالتاء على
خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي قراءة واضحة وقرئ ولا تحسب الذين بكسر الباء وبفتحها على حذف النون الخفيفة وقوله تع إنهم لا يعجزون
أي لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن إدراكهم تعليل للنهي على طريقة الاستيناف وقرئ بفتح الهمزة على حذف لام التعليل وقيل الفعل واقع
عليه ولا زائدة وسبقوا حال بمعنى سابقين أي مفلتين هاربين وعلى هذا قراءة الخطاب لإزاحة ما عسى يحذر من عاقبة النبذ لما أنه إيقاظ للعدو
وتمكين لهم من الهرب والخلاص من أيدي المؤمنين وفيه نفي لقدرتهم على المقاومة والمقابلة على أبلغ وجه وآكده كما أشير [illegible] نزلت فيمن أفلت
من قتل المشركين وقرئ لا يعجزون بكسر النون ولا يعجزون بالتشديد وأعدوا لهم توجيه الخطاب إلى كافة المؤمنين لما أن الأمور من وظائف الكل
كما أن توجيهه فيما سبق وما لحق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكون ما في حيزه من وظائفه عليه السلام أي أعدوا لقتال الذين نبذ إليهم العهد
وهيئوا لحرابهم أو لقتال الكفار على الإطلاق وهو الأنسب بسياق النظم الكريم ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب كائنا ما كان
وعن عقبة بن عامر سمعته عليه السلام يقول على المنبر ألا إن القوة الرمي قالها ثلاثا ولعل تخصيصه عليه السلام إياه بالذكر لإنافته على نظائره من القوى
ومن رباط الخيل الرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله تعالى فعال بمعنى مفعول أو مصدر سميت هي به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة
ورباطا أو جمع ربيط كفصيل وفصال أو جمع ربط ككعب وكعاب وكلب وكلاب وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة
مع كونها من جملتها للإيذان بفضلها على بقية أفرادها كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام ترهبون به أي تخوفون وقرئ ترهبون بالتشديد
وقرئ تخزون به والضمير لما استطعتم أو للإعداد وهو الأنسب ومحل الجملة النصب على الحالية من فاعل أعدوا أي أعدوا مرهبين به أو من الموصول أو من

إليه وقيل

عائده المحذوف أي أعدوا ما استطعتموه مرهبا به عدو الله وعدوكم وهم كفار مكة خصوا بذلك من بين الكفار مع كون الكل كذلك لغاية عتوهم ومجاوزتهم
الحد في العداوة وآخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة وقيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم أي لا تعرفونهم بأعيانهم أو لا تعلمونهم كما هم عليه
من العداوة وهو الأنسب بقوله تع الله يعلمهم أي لا غيره فإن أعيانهم معلومة لغيره تعالى أيضا وما تنفقوا من شيء لإعداد القتال قل أو جل في سبيل الله
الذي أوضحه الجهاد يوف إليكم أي جزاؤه كاملا وأنتم لا تظلمون بترك الإثابة أو بنقص الثواب والتعبير عن تركها بالظلم مع أن الأعمال غير موجبة للثواب حتى
يكون ترك ترتيبه عليها ظلما لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وإبراز الإثابة في معرض الأمور الواجبة
عليه تعالى كما مر في تفسير قوله تع فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم وإن جنحوا الجنوح الميل ومنه الجناح ويعدى باللام وبإلى أي إن مالوا للسلم
أي للصلح بوقوع الرهبة في قلوبهم بمشاهدة ما بكم من الاستعداد وإعتاد العتاد فاجنح لها أي للسلم والتأنيث لحمله على نقيضه قال السلم تأخذ منها
ما رضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها جرع وقرئ فاجنح بضم النون وتوكل على الله ولا تخف أن يظهروا لك السلم وجوانحهم مطوية على المكر والكيد إنه
تعالى هو السميع فيسمع ما يقولون في خلواتهم من مقالات الخداع العليم فيعلم نياتهم فيؤاخذهم بما يستحقونه ويرد كيدهم في نحرهم والآية خاصة باليهود وقيل
عامة نسختها آية السيف وإن يريدوا أن يخدعوك بإظهار السلم وإبطان الحرب فإن حسبك الله أي فاعلم بأن محسبك الله من شرورهم وناصرك عليهم
هو الذي أيدك بنصره تعليل لكفايته تعالى إياه عليه السلام بطريق الاستيناف فإن تأييده تعالى إياه عليه السلام فيما سلف على ما ذكر من الوجه البعيد من
الوقوع من دلائل تأييده تعالى فيما سيأتي أي هو الذي أيدك بإمداده من عنده بلا واسطة كقوله تع وما النصر إلا من عند الله أو بالملائكة مع خرقه
للعادة وبالمؤمنين من المهاجرين والأنصار وألف بين قلوبهم مع ما كان بينهم قبل ذلك من العصبية والضغينة والتهالك على الانتقام بحيث
لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا بتوفيقه تعالى كنفس واحدة وهذا من أبهر معجزاته عليه السلام لو أنفقت ما في الأرض جميعا أي لتأليف ما
بينهم ما ألفت بين قلوبهم استيناف مقرر لما قبله ومبين لعزة المطلب وصعوبة المأخذ أي تناهى التعادي فيما بينهم إلى حد لو أنفق
منفق في إصلاح ذات البين جميع ما في الأرض من الأموال والذخائر لم يقدر على التأليف والإصلاح وذكر القلوب للإشعار بأن التأليف
بينها لا ينبغي وإن أمكن التأليف ظاهرا ولكن الله ألف بينهم قلبا وقالبا بقدرته القاهرة الباهرة إنه عزيز كامل القدرة والغلبة
لا يستعصي عليه شيء مما يريده حكيم يعلم كيفية تسخير ما يريده وقيل الآية في الأوس والخزرج كان بينهم إحن لا أمد لها ووقائع أفنت ساداتهم
وأعاظمهم ودقت أعناقهم وجماجمهم فأنسى الله عز وجل جميع ذلك وألف بينهم بالإسلام حتى تصافوا وأصبحوا يرمون عن قوس واحدة
وصاروا أنصارا يا أيها النبي شروع في بيان كفايته تعالى إياه عليه السلام في جميع أموره وأمور المؤمنين أو في الأمور الواقعة بينهم وبين
الكفرة كافة إثر بيان كفايته تعالى إياه عليه السلام في مادة خاصة وتصدير الجملة بحرفي النداء والتنبيه للتنبيه على مزيد الاعتناء بمضمونها
وإيراده عليه السلام بعنوان النبوة للإشعار بعليتها للحكم حسبك الله أي كافيك في جميع أمورك أو فيما بينك وبين الكفرة من الحراب ومن اتبعك
من المؤمنين في محل النصب على أنه مفعول معه أي كفاك وكفى أتباعك الله ناصرا كما في قول من قال فحسبك والضحاك عضب مهند وقيل في موضع
الجر عطفا على الضمير كما هو رأي الكوفيين أي كافيك وكافيهم أو في محل الرفع عطفا على اسم الله تعالى أي كفاك الله والمؤمنون والآية
نزلت في البيداء في غزوة بدر قبل القتال وقيل أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر رضي الله عنه
فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في إسلام عمر رض يا أيها النبي بعد ما بين كفايته إياهم بالنصر والإمداد أمر عليه السلام بترتيب
مبادي نصره وإمداده وتكرير الخطاب على الوجه المذكور لإظهار كمال الاعتناء بشأن المأمور به حرض المؤمنين على القتال أي بالغ في حثهم
عليه وترغيبهم فيه بكل ما أمكن من الأمور المرغبة التي أعظمها تذكير وعده تعالى بالنصر وحكمه بكفايته تعالى أو بكفايتهم وأصل التحريض الحرض
وهو أن ينهكه المرض حتى يشفى على الموت وقال الراغب كأنه في الأصل إزالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به قلت فالأوجه أن يجعل الحرض
عبارة عن ضعف القلب الذي هو من باب نهكه المرض وقيل معنى تحريضهم تسميتهم حرضا بأن يقال إني أراك في هذا الأمر حرضا أي محرضا فيه
لتهييجه إلى الإقدام وقرئ حرص بالصاد المهملة وهو واضح إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وعد كريم منه تعالى بتغليب كل
جماعة من المؤمنين على عشرة أمثالهم بطريق الاستيناف بعد الأمر بتحريضهم وقوله تع وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا مع انفهام مضمونه مما قبله
لكون كل منهما عدة بتأييد الواحد على العشرة لزيادة التقرير المفيدة لزيادة الاطمئنان على أنه قد يجري بين الجمعين الكبيرين مع

ان التفاوت فيما بين كل من الجمعين القليلين والكثيرين على نسبة واحدة فبيّن ان ذلك لا يتفاوت في الصورتين وقوله تعالى من الذين كفروا بيان
للألف وهذا القيد معتبر في المائتين ايضا وقد ترك ذكره تعويلا على ذكره ههنا كما ترك قيد الصبر ههنا مع كونه معتبرا حتما ثقة بذكره هناك
بانهم قوم لا يفقهون متعلق بيغلبوا اي بسبب انهم قوم جهلة بالله تعالى وباليوم الآخر لا يقاتلون احتسابا وامتثالا لامر الله تعالى واعلاء
لكلمته وابتغاء لرضوانه كما هو المؤمنون وانما يقاتلون للحمية الجاهلية واتباع خطوات الشيطان واثارة ثائرة البغي والعدوان فلا
يستحقون الا القهر والخذلان واما ما قيل من ان من لا يؤمن بالله واليوم الآخر لا يؤمن بالمعاد فالسعادة عنده ليست الا هذه الحيوة الدنيوية
فيشح بها ولا يعرضها للزوال بمزاولة الحروب واقتحام موارد الخطوب فيميل الى ما فيه السلامة فيفر فيغلب واما من اعتقد ان لا سعادة في
هذه الحيوة الفانية وانما السعادة هي الحيوة الباقية فلا يبالي بهذه الحيوة الدنيا ولا يقيم لها وزنا فيقدم على الجهاد بقلب قوي
وعزم صحيح فيقوم الواحد من مثله مقام الكثير فكلام حق لكنه لا يلائم المقام الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا لما كان الوعد السابق
متضمنا لايجاب مقاومة الواحد للعشرة وثباته لهم كما نقل عن ابن جريج انه كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وقد بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم حمزة في ثلثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلثمائة راكب فهزمهم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه بعد مدة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة
الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم لما كثروا نزل التخفيف والمراد بالضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين
في الاهتداء الى القتال لا الضعف في الدين كما قيل وقرئ ضُعفا بضم الضاد وهي لغة فيه كالفقر والفقر والمكث والمكث وقيل الضعف
بالفتح ما في الرأي والعقل وبالضم ما في البدن وقرئ ضعفاء جمع ضعيف والمراد بعلمه تعالى بضعفهم علمه تعالى به من حيث هو متحقق بالفعل
لا علمه تعالى به مطلقا كيف لا وهو ثابت في الازل وقوله تعالى فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين تفسير للتخفيف وبيان لكيفيته وقرئ
تكن ههنا وفيما سبق بالتاء الفوقانية وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله اي بتيسيره وتسهيله وهذا القيد معتبر فيما سبق من غلبة
المائة المائتين والالف وغلبة العشرين المائتين كما ان قيد الصبر معتبر ههنا وانما ترك ذكره ثقة بما مر وقوله تعالى والله مع الصابرين
فانه اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والمراد بالمعية معية نصره وتأييده ولم يتعرض ههنا لحال الكفرة من الخذلان كما لم يتعرض هناك
لحال المؤمنين مع ان مدار الغلبة في الصورتين مجموع الامرين اعني نصر المؤمنين وخذلان الكفرة اكتفاء بما ذكر في كل مقام عما ترك في المقام
الآخر وما يشعر به كلمة مع من متبوعية مدخولها لاصالتهم من حيث انهم المباشرون للصبر كما تقرر مرارا ما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد
والاول ابلغ لما فيه من بيان ان ما يذكر سنة مطردة فيما بين الانبياء عليهم السلام اي ما صح وما استقام لنبي من الانبياء عليهم السلام ان يكون له
اسرى وقرئ بتأنيث الفعل واسارى ايضا حتى يثخن في الارض اي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفرة ويقل حزبهم ويعز الاسلام ويستولي
اهله من اثخنه المرض والجرح اذا اثقله وجعله بحيث لا حراك به ولا براح واصله الثخانة التي هي الغلظ والكثافة وقرئ بالتشديد للمبالغة تريدون
عرض الدنيا استيناف مسوق للعتاب اي تريدون حطامها باخذ الفداء وقرئ يريدون بالياء والله يريد الآخرة اي يريد لكم ثواب الآخرة
الذي لا مقدار عنده للدنيا وما فيها او يريد سبب نيل الآخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف كما في قوله
اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ونهى
عن اخذ الفداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن بقوله تعالى فاما منا بعد واما فداء لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله
يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكّن عليا من عقيل وحمزة من العباس
ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب اعناقهم فقال عليه السلام ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون
اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله
اخبرني فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه
وروي انه عليه السلام قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وكان هو ايضا ممن اشار بالاثخان لولا كتاب من الله سبق اي لولا

حكم منه تعالى سبق اثباته في اللوح المحفوظ وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما لم يصرح لهم بالنهي واما ان الفدية التي اخذوها
ستحل لهم فلا يصلح ان يعد من موانع مساس العذاب فان الحل اللاحق لا يرفع حكم الحرمة السابقة كما ان الحرمة اللاحقة كما في الخمر مثلا لا يرفع حكم
الاباحة السابقة على انه قادح في تهويل ما نعي عليهم من اخذ الفداء لمسكم اي لاصابكم فيما اخذتم اي لاجل ما اخذتم من الفداء عذاب عظيم لا يقادر قدره
فكلوا مما غنمتم روي انهم امسكوا عن الغنائم فنزلت قالوا الفاء للترتيب على سبب محذوف اي قد ابحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم والاظهر انها
للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي دعوه فكلوا مما غنمتم وقيل ما عبارة عن الفدية فانها من جملة الغنائم ويأباه سياق النظم الكريم وسياقه
حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدته الترغيب في اكلها وقوله تعالى طيبا صفة لحلالا مفيدة لتأكيد الترغيب واتقوا الله
اي في مخالفة امره ونهيه ان الله غفور رحيم فيغفر لكم ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل ورود الاذن فيه ويرحمكم ويتوب عليكم اذا اتقيتموه يا ايها
النبي قل لمن في ايديكم اي في ملكتكم كأن ايديكم قابضة عليهم من الاسرى وقرئ من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية يؤتكم
خيرا مما اخذ منكم من الفداء وقرئ على البناء للفاعل روي انها نزلت في العباس كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدي ابني اخيه عقيل بن
ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال عليه السلام فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت
خروجك من مكة وقلت لها ما ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس ما يدريك
فقال اخبرني به ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها
في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذ اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس بعد حين فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا وان
ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي يتأول به ما في قوله تعالى ويغفر لكم
والله غفور رحيم فانه وعد بالمغفرة مؤكد بما بعده من الاعتراض التذييلي وان يريدوا خيانتك اي نكث ما بايعوك عليه من الاسلام وهذا كلام مسوق من
جهته تعالى لتسليته عليه السلام بطريق الوعد له والوعيد لهم فقد خانوا الله من قبل بكفرهم ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم اي اقدرك عليهم
حسبما رأيت يوم بدر فان اعادوا الخيانة فاعلم انه سيمكنك منهم ايضا وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء وهو بعيد والله عليم فيعلم ما في
نياتهم وما يستحقونه من العقاب حكيم يفعل كل ما يفعله حسبما تقتضيه حكمته البالغة ان الذين آمنوا وهاجروا هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله
ولرسوله وجاهدوا باموالهم بان صرفوها الى الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم بمباشرة القتال واقتحام المعارك والخوض في المهالك في
سبيل الله متعلق بجاهدوا قيد لنوعي الجهاد ولعل تقديم الاموال على الانفس لما ان المجاهدة بالاموال اكثر وقوعا واتم دفعا للحاجة حيث لا يتصور
المجاهدة بالنفس بلا مجاهدة بالمال والذين آووا ونصروا هم الانصار آووا المهاجرين وانزلوهم منازلهم وبذلوا اليهم اموالهم وآثروهم
على انفسهم ولو كانت بهم خصاصة ونصروهم على اعدائهم اولئك اشارة الى الموصوفين بما ذكر من النعوت الفاضلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو
طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضيلة وهو مبتدأ وقوله تعالى بعضهم اما بدل منه وقوله تعالى اولياء بعض خبره واما مبتدأ ثان واولياء بعض خبره والجملة
خبر للمبتدأ الاول اي بعضهم اولياء بعض في الميراث وقد كان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله تعالى
واولوا الارحام الآية وقيل في النصرة والمظاهرة ويرده قوله تعالى فعليكم النصر بعد نفي موالاتهم والذين آمنوا ولم يهاجروا كسائر المؤمنين ما لكم
من ولايتهم من شيء اي من توليهم في الميراث وان كانوا من اقرب اقاربكم حتى يهاجروا وقرئ بكسر الواو تشبيها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة
وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق معاهدة فانه لا يجوز نقض عهدهم
بنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير فلا تخالفوا امره كيلا يحل بكم عقابه والذين كفروا بعضهم اولياء بعض آخر منهم في الميراث او في الموازرة
وهذا بمفهومه مفيد لنفي الموارثة والموازرة بينهم وبين المسلمين وايجاب المباعدة والمصارمة وان كانوا اقارب الا تفعلوه اي ما امرتم به من
التواصل بينكم وتولي بعضكم بعضا حتى التوارث ومن قطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض اي تحصل فتنة عظيمة فيها وهي ضعف الايمان
وظهور الكفر وفساد كبير في الدين وقرئ كثير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا
كلام مسوق للثناء عليهم والشهادة لهم بفوزهم القدح المعلى من الايمان مع الوعد الكريم بقوله تعالى لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه
فلا تكرار لما ان مساق الاول لايجاب التواصل بينهم والذين آمنوا من بعد وهاجروا بعد هجرتكم وجاهدوا معكم في بعض مغازيكم فاولئك منكم اي من جملتكم

ايها المهاجرون والانصار وهم الذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الحقهم الله تعالى بالسابقين وجعلهم منهم تفضلا
منه وترغيبا في الايمان والهجرة وفي توجيه الخطاب اليهم بطريق الالتفات من تشريفهم وتعظيم محلهم ما لا يخفى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض آخر منهم في التوارث
من الاجانب في كتاب الله اي في حكمه او في اللوح او في القرآن واستدل به على توريث ذوي الارحام ان الله بكل شيء عليم ومن جملته ما في تعليق التوارث
بالقرابة الدينية اولا وبالقرابة النسبية آخرا من الحكم البالغة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد
انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته والله تعالى اعلم واحكم وبالعطا اكرم

سورة التوبة

ولها اسماء اخر سورة التوبة والمقشقشة والبحوث والمنقرة والمبعثرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة
العذاب لما فيها من ذكر التوبة ومن التبرئة من النفاق والبحث والتنقير عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم
واشتهارها بهذه الاسماء يقتضي انها سورة مستقلة وليست بعضا من سورة الانفال وادعاء اختصاص الاشتهار بالقائلين باستقلالها خلاف
الظاهر فيكون حكمة ترك التسمية عند النزول نزولها في رفع الامان الذي يأباه مقام التصدير بما يشعر ببقائه من ذكر اسمه تعالى مشفوعا بوصف الرحمة
كما روي عن ابن عيينة رضي الله عنه لا الاشتباه في استقلالها وعدمه كما يحكى عن ابن عباس رضي الله عنهما ولا رعاية ما وقع بين الصحابة
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين من الاختلاف في ذلك على ان ذلك ينزع الى القول بان التسمية ليست من القرآن وانما كتبت للفصل بين السور
كما نقل عن قدماء الحنفية وان مناط اثباتها في المصاحف وتركها انما هو رأي من تصدى لجمع القرآن دون التوقيف ولا ريب في ان
الصحيح من المذاهب انها آية فذة من القرآن انزلت للفصل والتبرك بها وان لا مدخل لرأي احد في الاثبات والترك وانما المتبع في ذلك
هو الوحي والتوقيف ولا مرية في عدم نزولها ههنا والا لامتنع ان يقع في الاستقلال اشتباه او اختلاف فهو اما لاتحاد السورتين او لما ذكر
لا سبيل الى الاول والا لبينه صلى الله عليه وسلم لتحقق مزيد الحاجة الى البيان لتعاضد ادلة الاستقلال من كثرة الآيات وطول المدة فيما بين نزولها
فحيث لم يبينه عليه السلام تعين الثاني لان عدم البيان من الشارع في موضع البيان بيان للعدم براءة خبر مبتدأ محذوف وتنوينه للتفخيم وقرئ بالنصب
اي اسمعوا براءة ومن في قوله عز وجل من الله ورسوله ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لها مفيدة لزيادة تفخيم وتهويل اي هذه براءة مبتدأة من
جهة الله ورسوله واصلة الى الذين عاهدتم من المشركين وانما لم يذكر ما تعلق به البراءة حسبما ذكر في قوله تعالى ان الله بريء من المشركين اكتفاء بما في
حيز الصلة فانه منبئ عنه انباء ظاهرا واحترازا عن تكرير لفظة من وقيل هي مبتدأ لتخصصها بالصفة وخبرها الى الذين الخ والذي تقتضيه
جزالة النظم الكريم هو الاول لان هذه البراءة امر حادث لم يعهد عند المخاطبين ذاتها ولا عنوان ابتدائها من الله تعالى ورسوله حتى يخرج ذلك
العنوان مخرج الصفة لها ويجعل المقصود بالذات والعمدة في الاخبار شيئا آخر هو وصولها الى المعاهدين نعم انما الحقيق بان يعتنى بافادته حدوث
تلك البراءة من جهته تعالى ووصولها اليهم فان حق الصفات قبل علم المخاطب بثبوتها للموصوف ان تكون اخبارا وحق الاخبار بعد العلم بثبوتها له
ان تكون صفات كما حقق في موضعه وقرئ من الله بكسر النون على ان الاصل في تحريك الساكن الكسر ولكن الوجه هو الفتح في لام التعريف خاصة
لكثرة الوقوع والعهد العقد الموثق باليمين والخطاب في عاهدتم للمسلمين وقد كانوا عاهدوا مشركي العرب من اهل مكة وغيرهم باذن الله تعالى
واتفاق الرسول صلى الله عليه وسلم فنكثوا الا بني ضمرة وبني كنانة فامر المسلمون بنبذ العهد الى الناكثين وامهلوا اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤا
وانما نسبت البراءة الى الله تعالى ورسوله مع شمولها للمسلمين واشتراكهم في حكمها ووجوب العمل بموجبها وعلقت المعاهدة بالمسلمين خاصة
مع كونها باذن الله تعالى واتفاق الرسول عليه الصلوة والسلام للانباء عن تنجزها وتحتمها من غير توقف على رأي المخاطبين لانها عبارة عن انهاء
حكم الامان ورفع الخطر المترتب على العهد السابق عن التعرض للكفرة وذلك منوط بجناب الله تعالى لانه امر كسائر الاوامر الجارية على حسب حكمة
تقتضيها وداعية تستدعيها تترتب عليها آثارها من غير توقف على شيء اصلا واشتراك المسلمين في حكمها ووجوب العمل بموجبها انما هو على طريقة
الامتثال بالامر لا على ان يكون لهم مدخل في اتمامها او في ترتب احكامها عليها واما المعاهدة فحيث كانت عقدا كسائر العقود الشرعية لا تتحصل
في نفسها ولا تترتب عليها احكامها الا بمباشرة المتعاقدين على وجوه مخصوصة اعتبرها الشرع لم يتصور صدورها عنه سبحانه وانما الصادر عنه
في شأنها هو الاذن فيها وانما الذي يباشرها ويتولى امرها المسلمون ولا يخفى ان البراءة انما تتعلق بالعهد لا بالاذن فيه فنسبت كل واحد

منهما الى من هو اصل فيها على ان في ذلك تفخيما لشأن البراءة وتهويلا لامرها وتسجيلا على الكفرة بغاية الذل والهوان ونهاية الخزي والخذلان وتنزيها
لساحة السبحان والكبرياء عما يوهم شائبة النقص والبداء سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا وادراجه عليه السلام في النسبة الاولى واخراجه عن
الثانية لتنويه شأنه الرفيع واجلال قدره المنيع في كلا المقامين صلى الله عليه وسلم وايثار الجملة الاسمية على الفعلية كأن يقال قد برئ الله ورسوله
من الذين او نحو ذلك للدلالة على دوامها واستمرارها وللتوسل الى تهويلها بالتنوين التفخيمي كما اشير اليه فسيحوا السياحة والسيح الذهاب في الارض
والسير فيها بسهولة على مقتضى المشيئة كسيح الماء على موجب الطبيعة ففيه من الدلالة على كمال التوسعة والترفيه ما ليس في سيروا ونظائره وزيادة
قوله عز وجل في الارض لقصد التعميم لاقطارها من دار الاسلام وغيرها والمراد اباحة ذلك لهم وتخليتهم وشأنهم من الاستعداد للحرب او تحصين الاهل
والمال او تحصيل المهرب او غير ذلك لا تكليفهم بالسياحة فيها وتلوين الخطاب بصرفه عن المسلمين وتوجيهه اليهم مع حصول المقصود بصيغة امر الغائب ايضا
للمبالغة في الاعلام بالامهال حسما لمادة تعللهم بالغفلة وقطعا لشافة اعتذارهم بعدم الاستعداد وايثار صيغة الامر مع تسني افادة ذلك
المعنى بطريق الاخبار ايضا كأن يقال مثلا فلكم ان تسيحوا او نحو ذلك لاظهار كمال القوة والغلبة وعدم الاكتراث لهم ولاستعدادهم فكأن ذلك امر مطلوب
منهم والفاء لترتيب الامر بالسياحة وما يعقبه على ما يؤذن به البراءة المذكورة من الحراب على ان الاول مترتب على نفسه والثاني على علمه ايجابا تعليقه على عنوان
كونه من الله تعالى لا لترتيب الاول عليه والثاني على الاول كما في قوله تعالى قل سيروا في الارض فانظروا الخ كأنه قيل هذه براءة موجبة لقتالكم فاسعوا في
تحصيل العدد والاسباب وبالغوا في اعداد العتاد من كل باب اربعة اشهر واعلموا انكم بسياحتكم في اقطار الارض في العرض والطول وان ركبتم متن كل صعب
وذلول غير معجزي الله اي لا تفوتونه بالهرب والتحصن وان الله وضع الاسم الجليل موضع المضمر لتربية المهابة وتهويل امر الاخزاء وهو الاذلال بما فيه فضيحة
وعار مخزي الكافرين اي مخزيكم ومذلكم في الدنيا بالقتل والاسر وفي الآخرة بالعذاب وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم بالكفر بعد وصفهم بالاشراك
وللاشعار بان علة الاخزاء هي كفرهم ويجوز ان يكون المراد جنس الكافرين فيدخل فيه المخاطبون دخولا اوليا والمراد بالاشهر الاربعة هي الاشهر
الحرم التي علق القتال بانسلاخها فقيل شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من
شهر ربيع الآخر وجعلت حرما لحرمة قتالهم فيها او لتغليب ذي الحجة والمحرم على البقية وقيل من عشر ذي القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول
لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في العام القابل في ذي الحجة وذلك قوله عليه السلام ان الزمان قد استدار
كهيئته يوم خلق الله السموات والارض روي انه صلى الله عليه وسلم امر ابا بكر رضي الله عنه على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا رضي الله عنه على العضباء
ليقرأها على اهل الموسم فقيل له عليه السلام لو بعثت بها الى ابي بكر فقال عليه السلام لا يؤدي عني الا رجل مني وذلك لان عادة العرب ان لا يتولى
امر العهد والنقض على القبيلة الا رجل منها فلما دنا علي سمع ابو بكر رضي الله عنه الرغاء فوقف فقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما لحقه قال امير او مأمور قال مأمور فمضيا فلما كان قبل يوم التروية خطب ابو بكر رضي الله عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال
يا ايها الناس اني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين آية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت
بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريانا ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده واذان من الله ورسوله اي اعلام
منهما فعال بمعنى الافعال كالعطاء بمعنى الاعطاء ورفعه كرفع براءة والجملة معطوفة على مثلها وانما قيل الى الناس اي كافة لان الاذان غير مختص
بقوم دون آخرين كالبراءة الخاصة بالناكثين بل هو شامل لعامة الكفرة وللمؤمنين ايضا يوم الحج الاكبر هو يوم العيد لان فيه تمام الحج
ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي انه عليه السلام وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل
يوم عرفة لقوله عليه السلام الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله
فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ان الله اي بان الله
وقرئ بالكسر لان الاذان فيه معنى القول بريء من المشركين اي المعاهدين الناكثين ورسوله عطف على المستكن في بريء او على محل ان واسمها على
قراءة الكسر وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع اي بريء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم فان تبتم من الشرك والغدر
التفات من الغيبة الى الخطاب لزيادة تهديد وتشديد والفاء لترتيب مقدم الشرطية على الاذان بالبراءة المذيلة بالوعيد الشديد المؤذن
بلين عريكتهم وانكسار شدة شكيمتهم فهو اي فالتوب خير لكم في الدارين وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفاء

فاعلموا انكم غير معجزي الله غير سابقين ولا فائتين وبشر الذين كفروا تلوين للخطاب وصرف له عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان البشارة بعذاب اليم وان كانت بطريق التهكم انما تليق بمن يقف على الاسرار الالهية الا الذين عاهدتم من المشركين استدراك من النبذ السابق الذي اخر فيه القتال اربعة اشهر كأنه قيل لا تمهلوا الناكثين فوق اربعة اشهر لكن الذين عاهدتموهم ثم لم ينكثوا عهدهم فلا تجروهم مجرى الناكثين في المسارعة الى قتالهم بل اتموا اليهم عهدهم ولا يضر في ذلك تخلل الفاصل بقوله تع واذان من الله ورسوله الخ لانه ليس باجنبي بالكلية بل هو امر باعلام تلك البراءة كأنه قيل واعلموها وقيل هو استثناء متصل من المشركين الاول ويرده بقاء الثاني على العموم مع كونهما عبارة عن فريق واحد وجعله استثناء من الثاني يأباه بقاء الاول كذلك وقيل هو استدراك من المقدر في فسيحوا اي فقولوا لهم سيحوا اربعة اشهر لكن الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط الميثاق ولم يقتلوا منكم احدا ولا يضروكم قط وقرئ بالمعجمة اي لم ينقضوا عهدكم شيئا من النقض وكلمة ثم للدلالة على ثباتهم على عهدهم مع تمادي المدة ولم يظاهروا اي لم يعاونوا عليكم احدا من اعدائكم كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فظاهرتهم قريش بالسلاح فاتموا اليهم عهدهم اي ادوه اليهم كملا الى مدتهم ولا تفاجئوهم بالقتال عند مضي الاجل المضروب للناكثين ولا تعاملوهم معاملتهم قال ابن عباس رضي الله عنهما بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم ان الله يحب المتقين تعليل لوجوب الامتثال وتنبيه على ان مراعاة حقوق العهد من باب التقوى وان التسوية بين الوفي والغادر منافية لذلك وان كان المعاهد مشركا فاذا انسلخ اي انقضى استعير له من الانسلاخ الواقع بين الحيوان وجلده والاغلب اسناده الى الجلد والمعنى اذا انقضى الاشهر الحرم وانفصلت عما كانت مشتملة عليه سائرة له انفصال الجلد عن الشاة انكشفت عنه انكشاف الحجاب عما وراءه كما ذكره ابو الهيثم من انه يقال اهللنا شهر كذا اي دخلنا فيه ولبسناه فنحن نزداد كل ليلة لباسا منه الى مضي نصفه ثم نسلخه من انفسنا جزأ فجزأ حتى نسلخه عن انفسنا كله فينسلخ وانشد اذا ما سلخت الشهر اهللت مثله كفى قاتلا سلخي الشهور واهلالا وتحقيقه ان الزمان محيط بما فيه من الزمانيات مشتمل عليه اشتمال الجلد للحيوان وكذا كل جزء من اجزائه الممتدة من الايام والشهور والسنين فاذا مضى فكأنه انسلخ عما فيه وفيه مزيد لطف لما فيه من التلويح بان تلك الاشهر كانت حرزا لاولئك المعاهدين عن غوائل ايدي المسلمين فنيط قتالهم بزوالها والمراد بها اما ما مر من الاشهر الاربعة فقط ووضع المظهر موضع المضمر ليكون ذريعة الى وصفها بالحرمة تاكيدا لما ينبئ عنه اباحة السياحة من حرمة التعرض لهم مع ما فيه من مزيد الاعتناء بشأنها واما هي مع ما فهم من قوله تع فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم من تتمة مدة بقيت لغير الناكثين فعلى الاول يكون المراد بالمشركين في قوله تع فاقتلوا المشركين الناكثين خاصة فلا يكون قتال الباقين مفهوما من عبارة النص بل من دلالته وعلى الثاني مفهوما من العبارة الا انه يكون الانسلاخ وما نيط به من القتال شيئا فشيئا لا دفعة واحدة كأنه قيل فاذا تم ميقات كل طائفة فاقتلوهم وحملها على الاشهر المعهودة الدائرة في كل سنة لا يساعده النظم الكريم واما انه يستدعي بقاء حرمة القتال فيها اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فلا اعتداد به لا لانها نسخت بقوله تع وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة كما توهم فانه رجم بالغيب لانه ان اريد به ما في سورة الانفال فانه نزل عقيب غزوة بدر وقد صح ان المراد بالذين كفروا في قوله تع قل للذين كفروا الخ ابو سفيان واصحابه وقد اسلم في اواسط رمضان عام الفتح سنة ثمان وسورة التوبة انما نزلت في شوال سنة تسع وان اريد ما في سورة البقرة فانه ايضا نزل قبل الفتح كما يعرب عنه ما قبله من قوله اخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل ذلك يوم الفتح فكيف ينسخ به ما ينزل بعده بل لان انعقاد الاجماع على انتساخها كاف في الباب من غير حاجة الى كون سنده منقولا الينا وقد صح ان النبي صلى الله عليه وسلم حاصر الطائف لعشر بقين من المحرم حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم اي ائسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم اي قيدوهم او امنعوهم من التقلب في البلاد قال ابن عباس رضي الله عنه حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد اي كل ممر ومجتاز يجتازون منه في اسفارهم وانتصابه على الظرفية اي ارصدوهم وارقبوهم حتى لا يمروا به وفائدته على التفسير الثاني دفع احتمال ان يراد بالحصر المحاصرة المعهودة فان تابوا عن الشرك بالايمان عنهما اضطروا بما ذكر من القتل والاسر والحصر واقاموا الصلوة واتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم واكتفي بذكرهما عن ذكر بقية العبادات لكونهما رئيسي العبادات البدنية والمالية فخلوا سبيلهم فدعوهم وشأنهم ولا تتعرضوا لهم بشيء مما ذكر ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر ويثيبهم بايمانهم وطاعاتهم وهو تعليل للامر بتخلية السبيل وان احد شروع في بيان حكم المتصدين لمبادي التوبة من سماع كلام الله تعالى والوقوف على

شعائر الدين اثر بيان حكم التائبين عن الكفر والمصرين عليه وهو مرتفع بشرط مضمر يفسره الظاهر لا بالابتداء لان ان لا تدخل الا الفعل من المشركين استجارك بعد انقضاء الاجل المضروب اي سألك ان تؤمنه وتكون له جارا فاجره اي امنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة ما تدعو اليه والاقتصار على ذكر السماع لعدم الحاجة الى شيء آخر في الفهم لكونهم من اهل اللسن والفصاحة وحتى سواء كانت للغاية او للتعليل متعلقة بما عندها لا بقوله تعالى استجارك لانه يؤدي الى اعمال حتى في المضمر وذلك مما لا يكاد يرتكب في غير ضرورة الشعر كما في قوله فلا والله لا يلقي اناس فتى حتاك يا ابن زيد كذا قيل الا ان تعلق الاجارة بسماع كلام الله تعالى باحد الوجهين يستلزم تعلق الاستجارة ايضا بذلك وبما في معناه من امور الدين وما روي عن علي رضي الله عنه انه اتاه رجل من المشركين فقال ان اراد الرجل منا ان يأتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل لسماع كلام الله تع او لحاجة قتل قال لا لان الله تعالى يقول وان احد من المشركين استجارك فاجره الخ فالمراد بما فيه من الحاجة هي الحاجة المتعلقة بالدين لا ما يعمها وغيرها من الحاجات الدنيوية كما ينبئ عنه قوله ان يأتي محمدا فان من يأتيه عليه السلام انما يأتيه للامور المتعلقة بالدين ثم ابلغه بعد استماعه له ان لم يؤمن مأمنه اي مسكنه الذي يأمن فيه وهو دار قومه ذلك يعني الامر بالاجارة وابلاغ المأمن بانهم بسبب انهم قوم لا يعلمون بالاسلام وما حقيقته او قوم جهلة فلا بد من اعطاء الامان حتى يفهموا الحق ولا يبقى لهم معذرة اصلا كيف يكون للمشركين عهد شروع في تحقيق حقيقة ما سبق من البراءة واحكامها المتفرعة عليها وتبيين الحكمة الداعية الى ذلك والمراد بالمشركين الناكثون لان البراءة انما هي في شأنهم والاستفهام انكاري لا بمعنى انكار الواقع كما في قوله تع كيف تكفرون بالله الخ بل بمعنى انكار الوقوع ويكون من الكون التام وكيف في محل النصب على التشبيه بالحال او الظرف وقيل من الكون الناقص وكيف خبر يكون قدم على اسمه وهو عهد لاقتضائه الصدارة وللمشركين متعلق بمحذوف وقع حالا من عهد ولو كان مؤخرا لكان صفة له او بيكون عند من يجوز عمل الافعال الناقصة في الظروف وعند متعلق بمحذوف وقع صفة لعهد او بنفسه لانه مصدر او بيكون كما مر ويجوز ان يكون الخبر للمشركين وعند كما ذكر او متعلق بالاستقرار الذي تعلق به للمشركين ويجوز ان يكون الخبر عند الله وللمشركين اما تبيين واما حال من عهد واما متعلق بيكون او بالاستقرار الذي تعلق به الخبر ولا يبالي بتقديم معمول الخبر على الاسم لكونه حرف جر وكيف على الوجهين الاخيرين نصب على التشبيه بالظرف او الحال كما في صورة الكون التام وهو الاولى لان في انكار ثبوت العهد في نفسه من المبالغة ما ليس في انكار ثبوته للمشركين لان ثبوته الرابطي فرع ثبوته العيني فانتفاء الاصل يوجب انتفاء الفرع رأسا وفي توجيه الانكار الى كيفية ثبوت العهد من المبالغة ما ليس في توجيهه الى ثبوته لان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع الاحوال وجوده فقد انتفى على الطريق البرهاني اي على اي حال او في اي حال يوجد لهم عهد معتد به عند الله وعند رسوله يستحق ان يراعى حقوقه ويحافظ عليه الى تمام المدة ولا يتعرض لهم بحسبه قتلا واخذا واما ان يأمنوا به من عذاب الآخرة كما قيل فلا سبيل الى اعتباره اصلا اذ لا دخل لعهدهم في ذلك الامن قطعا وان كان مرعيا عند الله تعالى وعند رسوله كعهد غير الناكثين وتكرير كلمة عند للايذان بعدم الاعتداد به عند كل منهما على حدة الا الذين استدراك من النفي المفهوم من الاستفهام المتبادر شموله لجميع المعاهدين اي لكن الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وهم المستثنون فيما سلف والتعرض لكون المعاهدة عند المسجد الحرام لزيادة بيان اصحابها والاشعار بسبب وكادتها ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله عز وجل فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم والفاء لتضمنه معنى الشرط وما اما مصدرية منصوبة المحل على الظرفية بتقدير المضاف اي فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم واما شرطية منصوبة المحل على الظرفية الزمانية اي زمان استقاموا لكم فاستقيموا لهم او مرفوعة على الابتداء والعائد محذوف اي اي زمان استقاموا لكم فيه فاستقيموا لهم فيه وقيل الاستثناء متصل محله النصب على الاصل او الجر على البدل من المشركين والمراد بهم الجنس لا المعهود واياما كان فحكم الامر بالاستقامة ينتهي بانتهاء مدة العهد لان استقامتهم التي وقت بوقتها الاستقامة المأمور بها عبارة عن مراعاة حقوق العهد وبعد انقضاء مدته لا عهد ولا استقامة فصار عين الامر الوارد فيما سلف حيث قيل فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم خلا انه قد صرح ههنا بما لم يصرح به هناك مع كونه معتبرا قطعا وهو تقييد الاتمام المأمور به ببقائهم على ما كانوا عليه من الوفاء ان الله يحب المتقين تعليل للامر بالاستقامة واشعار بان القيام بموجب العهد من احكام التقوى كما مر كيف تكرير لاستنكار ما مر من ان يكون للمشركين عهد حقيق بالمراعاة عند الله سبحانه وعند رسوله صلى الله عليه وسلم واما ما قيل من ان الاستبعاد ثباتهم على العهد فكما ترى لان ما يذكره بصدد التعليل للاستبعاد عين عدم ثباتهم على العهد لا انه شيء يستدعيه وانما اعيد الاستنكار والاستبعاد تأكيدا لتعداد العلل الموجبة لهما لاخلال تخلل ما في البين بالارتباط والتقريب وحذف الفعل المستنكر للايذان بان النفس مستحضرة

الله ١٢

له مترقبة لورود ما يوجب استنكاره لا لمجرد كونه معلوماً كما في قوله وخبرتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب فانه علة مصحح لا مرجح اي كيف يكون
لهم عهد معتد به عند الله تعالى وعند رسوله **وان يظهروا عليكم** اي وحالهم انهم ان يظهروا عليكم اي يظفروا بكم **لا يرقبوا فيكم** اي لم يرعوا في شانكم واصل
الرقوب النظر بطريق الحفظ والرعاية ومنه الرقيب ثم استعمل في مطلق الرعاية والمراقبة ابلغ منه كالمراعاة وفي نفي الرقوب من المبالغة ما ليس في نفيها
الّاً ولا ذمة اي حلفاً وقيل قرابة ولا عهداً او حقاً يعاب على اغفاله مع ما سبق لهم من تاكيد الايمان والمواثيق يعني ان وجوب مراعاة حقوق العهد
على كل من المتعاهدين مشروط بمراعاة الآخر لها فاذا لم يراعها المشركون فكيف تراعونها على منوال قول من قال علام تقبل منهم فدية وهم
لا فضة قبلوا منا ولا ذهبا وقيل الال من اسماء الله تعالى اي لا يراعوا حق الله تعالى وقيل الجوار وقيل الحلف لانهم اذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا
به اصواتهم للتشهير ولما كان عدم تعليق رعاية العهد بالظفر موهماً للرعاية عند عدمه كشف عن حقيقة شؤونهم الجلية والخفية بطريق الاستيناف
وبين انهم في حالة العجز ايضاً ليسوا من الوفاء في شيء وان ما يظهرونه مداهنة لا مهادنة **يرضونكم بافواههم** حيث يظهرون الوفاء والمصافاة
ويعدون لكم بالايمان والطاعة ويؤكدون ذلك بالايمان الفاجرة ويتعللون عند ظهور خلافه بالمعاذير الكاذبة ونسبة الارضاء الى الافواه
للايذان بان كلامهم مجرد الفاظ يتفوهون بها من غير ان يكون لها مصداق في قلوبهم **وتابى قلوبهم** ما يفيده كلامهم **واكثرهم فاسقون** خارجون
عن الطاعة فان مراعاة حقوق العهد من باب الطاعة متمردون ليست لهم مروءة رادعة ولا عقيدة وازعة لا يتسترون كما يتعاطاه بعضهم ممن
يتفادى عن الغدر ويتعفف عما يجر احدوثة السوء **اشتروا بآيات الله** بآياته الآمرة بالايفاء بالعهود والاستقامة في كل امر او بجميع آياته فيدخل
فيها ما ذكر دخولاً اولياً اي تركوها واخذوا بدلها **ثمناً قليلاً** اي شيئاً حقيراً من حطام الدنيا وهو اهواؤهم وشهواتهم التي اتبعوها او ما انفقه
ابو سفيان من الطعام وصرفه الى الاعراب **فصدوا** اي عدلوا ونكبوا من صد صدوداً او صرفوا غيرهم من صد صداً والفاء للدلالة على سببية الاشتراء
لذلك **عن سبيله** اي الدين الحق الذي لا محيد عنه والاضافة للتشريف او سبيل بيته الحرام حيث كانوا يصدون الحجاج والعمار عنه **انهم ساء ما كانوا
يعملون** اي بئس ما كانوا يعملونه او عملهم المستمر والمخصوص بالذم محذوف وقد جوز ان يكون كلمة ساء على اصلها من التصرف لازمة بمعنى قبح او متعدية
والمفعول محذوف اي ساءهم الذي يعملونه او عملهم وقوله عز وجل **لا يرقبون في مؤمن الّاً ولا ذمة** نعي عليهم عدم مراعاة حقوق عهد المؤمنين
على الاطلاق فلا تكرار وقيل هذا في اليهود او في الاعراب المذكورين ومن يحذو حذوهم واما ما قيل من انه تفسير لقوله تعالى يعملون او دليل على ما هو
مخصوص بالذم فمشعر باختصاص الذم والسوء بعملهم هذا دون غيره **واولئك** الموصوفون بما عد من الصفات السيئة **هم المعتدون** المجاوزون الغاية القصوى
من الظلم والشرارة **فان تابوا** اي عما هم عليه من الكفر وسائر العظائم والفاء للايذان بان تقريعهم بما نعي عليهم من مساوي اعمالهم مزجرة عنها
ومظنة للتوبة **واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة** اي التزموهما وعزموا على اقامتهما **فاخوانكم** اي فهم اخوانكم وقوله تعالى **في الدين** متعلق باخوانكم
لما فيه من معنى الفعل اي لهم ما لكم وعليهم ما عليكم فعاملوهم معاملة الاخوان وفيه من استمالتهم واستجلاب قلوبهم ما لا مزيد عليه والاختلاف بين
جواب هذه الشرطية وجواب التي مرت من قبل مع اتحاد الشرط فيهما لما ان الاولى سيقت اثر الامر بالقتل ونظائره فوجب ان يكون جوابها
امراً بخلاف ذلك وهذه سيقت بعد الحكم عليهم بالاعتداء واشباهه فلا بد من كون جوابها حكماً بخلافه البتة **ونفصل الآيات** اي نبينها والمراد
بها اما ما مر من الآيات المتعلقة باحوال المشركين من الناكثين وغيرهم واحكامهم حالتي الكفر والايمان واما جميع الآيات فيندرج فيها تلك الآيات
اندراجاً اولياً **لقوم يعلمون** اي ما فيها من الاحكام او لقوم عالمين وهو اعتراض للحث على التأمل في الاحكام المندرجة في تضاعيفها والمحافظة
عليها **وان نكثوا** عطف على قوله تعالى فان تابوا اي وان لم يفعلوا ذلك بل نقضوا **ايمانهم من بعد عهدهم** الموثوق بها واظهروا ما في ضمائرهم من الشر
واخرجوه من القوة الى الفعل حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وان يظهروا عليكم لا يرقبوا الآية او ثبتوا على ما هم عليه من النكث لا انهم ارتدوا بعد الايمان
كما قيل **وطعنوا في دينكم** قدحوا فيه بتصريح التكذيب وتقبيح الاحكام **فقاتلوا ائمة الكفر** اي فقاتلوهم وانما اوثر ما عليه النظم الكريم للايذان بانهم
صاروا بذلك ذوي رياسة وتقدم في الكفر احقاء بالقتل والقتال وقيل المراد بائمتهم رؤساؤهم وصناديدهم وتخصيصهم بالذكر اما لاهمية
قتلهم او للمنع من مراقبتهم لكونهم مظنة لها او للدلالة على استيصالهم فان قتلهم غالباً يكون بعد قتل من دونهم وقرئ ايمة بتحقيق الهمزتين
على الاصل والافصح اخراج الثانية بين بين واما التصريح بالياء فلحن ظاهر عند القراء **انهم لا ايمان لهم** اي على الحقيقة حيث لا يراعونها ولا يعدون
نقضها محذوراً وان اجروها على السنتهم وانما علق النفي بها لا بالنكث فيما سلف لا بالعهد المؤكد بها لانها العمدة في المواثيق وجعل الجملة

تعليلاً للامر بالقتال لا يساعده تعليقه بالنكث والطعن لان حالهم فيان لا ايمان لهم حقيقة بعد النكث والطعن كحالهم قبل ذلك وحمله على معنى
عدم بقاء ايمانهم بعد النكث والطعن مع انه لا حاجة الى بيانه خلاف الظاهر ولعل الاولى جعلها تعليلاً لمضمون الشرط كانه قيل وان نكثوا
وطعنوا كما هو المتوقع منهم اذ لا ايمان لهم حقيقة حتى لا ينكثوها او لاستمرار القتال المامور به المستفاد من سياق الكلام كانه قيل فقاتلوهم
الى ان يؤمنوا انهم لا ايمان لهم حتى يعقد معهم عهد آخر وقرئ بكسر الهمزة على انه مصدر بمعنى اعطاء الامان اي لا سبيل الى ان تعطوهم امانا
بعد ذلك ابداً واما العكس كما قيل فلا وجه له لاشعاره بان معاهدتهم معنا على طريقة ان يكون اعطاء الامان من قبلهم وذلك بين البطلان او
بمعنى الاسلام فنفي كونه تعليلاً للامر بالقتال اشكال بل استحالة لانه ان حمل على انتفاء الاسلام مطلقاً فهو بمعزل عن العلية للقتال ولا
به كما قبل النكث والطعن وان حمل على انتفائه فيما سياتي فلا يلائم جعل الانتهاء غاية للقتال فيما سيجيء فالوجه ان يجعل تعليلاً لما ذكر من
مضمون الشرط كانه قيل ان نكثوا وطعنوا وهو الظاهر من حالهم لانه لا اسلام لهم حتى يرتدعوا عن نقض جنس ايمانهم وعن الطعن في
دينكم **لعلهم ينتهون** متعلق بقوله تعالى فقاتلوا اي قاتلوهم ارادة ان ينتهوا اي ليكن غرضكم من القتال انتهاءهم عما هم عليه من الكفر وسائر
العظائم التي يرتكبونها لا ايصال الاذية كما هو دين المؤذين **الا تقاتلون** الهمزة الداخلة على انتفاء مقاتلتهم للانكار والتوبيخ يدل على
تحضيضهم على المقاتلة بطريق حملهم على الاقرار بانتفائها كانه امر لا يمكن ان يعترف به طائعاً لكمال شناعته فيلجؤن الى ذلك ولا يقدرون
على الاقرار به فيختارون المقاتلة **قوماً نكثوا ايمانهم** التي حلفوها عند المعاهدة على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة **وهموا
باخراج الرسول** من مكة حين تشاوروا في امره بدار الندوة حسبما ذكر في قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا فيكون نعياً عليهم جناياتهم القديمة
وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وهموا باخراجه من المدينة **وهم بدؤكم** بالمعاداة والمقاتلة **اول مرة** لان رسول الله
صلى الله عليه وسلم جاءهم اولاً بالكتاب المبين وتحداهم به فعدلوا عن المحاجة لعجزهم عنها الى المقاتلة او بدؤا بقتال خزاعة حلفاء النبي
صلى الله عليه وسلم لان اعانة بني بكر عليهم قتال معهم **اتخشونهم** اي اتخشون ان ينالكم منهم مكروه حتى تتركوا قتالهم وبخهم اولاً بترك مقاتلتهم
وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الرغبة فيها ويحقق ان من كان على تلك الصفات السيئة بان لا تترك مصادمته ويوبخ من فرط
فيها **فالله احق ان تخشوه** بمخالفة امره وترك قتال اعدائه **ان كنتم مؤمنين** فان قضية الايمان تخصيص الخشية به تعالى وعدم المبالاة بمن سواه
وفيه من التشديد ما لا يخفى **قاتلوهم** تجريد للامر بالقتال بعد التوبيخ على تركه ووعد بنصرهم وبتعذيب اعدائهم واخزائهم وتشجيع لهم **يعذبهم الله
بايديكم ويخزهم** قتلاً واسراً **وينصركم عليهم** اي يجعلكم جميعاً غالبين عليهم اجمعين ولذلك اخر عن التعذيب والاخزاء **ويشف صدور قوم
مؤمنين** ممن لم يشهد القتال وهم خزاعة قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى
كثيراً فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال عليه السلام ابشروا فان الفرج قريب **ويذهب غيظ قلوبهم** بما كابدوا من
المكاره والمكائد ولقد انجز الله سبحانه جميع ما وعدهم به على اجمل ما يكون فكان اخباره عليه السلام بذلك قبل وقوعه معجزة عظيمة **ويتوب
الله على من يشاء** كلام مستانف ينبئ عما سيكون من بعض اهل مكة من التوبة المقبولة بحسب مشيئته تعالى المبنية على الحكم البالغة فكان
كذلك حيث اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر بحسب المعنى فان القتال كما هو
سبب لغل شوكتهم والانة شكيمتهم فهو سبب للتدبر في امرهم وتوبتهم من الكفر والمعاصي والاختلاف في وجه السببية غير السبك والله تعالى اعلم
والله ايثار اظهار الجلالة على الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة **عليم** لا يخفى عليه خافية **حكيم** لا يفعل ولا يامر الا ما فيه حكمة ومصلحة **ام حسبتم** ام
منقطعة جيء بها للدلالة على الانتقال عن التوبيخ السابق الى آخر وما فيها من همزة الاستفهام الانكاري توبيخ لهم على الحسبان المذكور اي بل احسبتم
ان تتركوا على ما انتم عليه ولا تؤمروا بالجهاد ولا تبتلوا بما يمحصكم والخطاب اما لمن شق عليهم القتال من المؤمنين او للمنافقين **ولما يعلم
الله الذين جاهدوا منكم** الواو حالية ولما للنفي مع التوقع والمراد من نفي العلم نفي المعلوم بالطريق البرهاني اذ لو شمت رائحة الوجود لعلم قطعاً اي
ام حسبتم ان تتركوا والحال انه لم يتبين الخلص من المجاهدين منكم من غيرهم وما في لما من التوقع منبه على ان ذلك سيكون وفائدة
التعبير عما ذكر من عدم التبيين من حيث كونه متعلقاً للعلم ومداراً للثواب وعدم التعرض لحال المقصرين لما ان ذلك بمعزل من الاندراج
تحت ارادة اكرم الاكرمين **ولم يتخذوا** عطف على جاهدوا داخل في حيز الصلة او حال من فاعله اي جاهدوا حال كونهم غير متخذين

من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة اي بطانة وصاحب سر وهو الذي تطلعه على ما في ضميرك من الأسرار الخفية من الولوج وهو الدخول
ومن دون الله متعلق بالاتخاذ ان ابقي على حاله او مفعول ثان له ان جعل بمعنى التصيير **والله خبير بما تعملون** اي بجميع اعمالكم وقرئ على الغيبة وهو
تذييل يزيح ما يتوهم من ظاهر قوله تع ولما يعلم الخ او حال من فاعله او من مفعوله والمعنى ولما يعلم الله الذين جاهدوا والحال انه يعلم جميع اعمالكم
لا يخفى عليه شيء منها **ما كان للمشركين** اي ما صح وما استقام لهم على معنى نفي الوجود والتحقق لا نفي الجواز كما في قوله تع اولئك ما كان لهم ان يدخلوها
الا خائفين اي ما وقع ولا تحقق لهم **ان يعمروا** عمارة معتدا بها **مساجد الله** اي المسجد الحرام وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر
ولان كل ناحية من نواحيه المختلفة الجهات مسجد على حياله بخلاف سائر المساجد اذ ليس في نواحيها اختلاف الجهة ويؤيده القراءة بالتوحيد
وقيل ما كان لهم ان يعمروا شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ويأباه انهم لا يتصدون لتعمير سائر المساجد
ولا يفتخرون بذلك على انه مبني على كون النفي بمعنى نفي الجواز واللياقة دون الوجود **شاهدين على انفسهم بالكفر** اي باظهار آثار الشرك من
نصب الأوثان حول البيت والعبادة لها فان ذلك شهادة صريحة على انفسهم بالكفر وان ابوا ان يقولوا نحن كفار كما نقل عن الحسن
رحمه الله تعالى وهو حال من الضمير في يعمروا اي محال ان يكونوا ما سموه عمارة عمارة بيت الله مع ملابستهم لما ينافيها ويحبطها من عبادة غيره
تعالى فانها ليست من العمارة في شيء واما ما قيل من ان المعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله تعالى فليس بمعرب
عن كنه المرام فان عدم استقامة الجمع بين المتنافيين انما يستدعي انتفاء احدهما لا بعينه لا انتفاء العمارة الذي هو المقصود روي ان
المهاجرين والأنصار اقبلوا على اسارى بدر يعيرونهم بالشرك وطفق علي رضي الله تعالى عنه يوبخ العباس بقتال النبي صلى الله عليه وسلم
وقطيعة الرحم واغلظ له في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقال او لكم محاسن قالوا نعم انا لنعمر المسجد الحرام
ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت **اولئك** الذين يدعون عمارة المسجد وما يضاهيها من اعمال البر مع ما بهم من الكفر **حبطت اعمالهم**
التي يفتخرون بها بما قارنها من الكفر فصارت هباء منثورا **وفي النار هم خالدون** لكفرهم ومعاصيهم وايراد الجملة الاسمية للمبالغة في الدلالة
على الخلود والظرف متعلق بالخبر قدم عليه للاهتمام به ومراعاة الفاصلة وكلتا الجملتين مستأنفة لتقرير النفي السابق الاولى من جهة
نفي استتباع الثواب والثانية من جهة نفي استدفاع العذاب **انما يعمر مساجد الله** الكلام في ايراد صيغة الجمع كما مر فيما مر خلا ان ارادة
جميع المسجد وادراج المسجد الحرام في ذلك غير مخالفة لمقتضى الحال فان الايجاب ليس كالسلب وقد قرئ بالافراد ايضا والمراد ههنا ايضا
قصر تحقق العمارة ووجودها على المؤمنين لا قصر جوازها ولياقتها اي انما يصح ويستقيم ان يعمرها عمارة يعتد بها **من آمن بالله** وحده **واليوم الآخر**
بما فيه من البعث والحساب والجزاء حسبما نطق به الوحي **واقام الصلوة وآتى الزكوة** على ما علم من الدين فيندرج فيه الايمان بنبوة النبي صلى الله
عليه وسلم حتما وقيل هو مندرج تحت الايمان بالله خاصة فان احد جزئي كلمة الشهادة علم للكل اي انما يعمرها من جمع هذه الكمالات العلمية
والعملية والمراد بالعمارة ما يعم مرمة ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة
والذكر ودراسة العلوم فيها ونحو ذلك وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث في المسجد يأكل الحسنات
كما تأكل البهيمة الحشيش وقال عليه السلام قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم
زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وعنه عليه السلام من الف المسجد الفه الله وقال عليه السلام اذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد
فاشهدوا له بالايمان وعن انس رضي الله عنه من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوؤه **ولم
يخش الا الله** فعمل بموجب امره ونهيه غير آخذ له في الله لومة لائم ولا خشية ظالم فيندرج فيه عدم الخشية عند القتال ونحو ذلك واما الخوف
الجبلي من الامور المخوفة فليس من هذا الباب ولا مما يدخل تحت التكليف والخطاب وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفي تلك
الخشية عنهم **فعسى اولئك** المنعوتون بتلك النعوت الجميلة **ان يكونوا من المهتدين** اي مباغيهم من الجنة وما فيها من فنون المطالب العلية وابراز
اهتدائهم مع ما بهم من الصفات السنية في معرض التوقع لقطع اطماع الكفرة عن الوصول الى مواقف الاهتداء والانتفاع باعمالهم التي يحسبون
انهم في ذلك محسنون ولتوبيخهم بقطعهم بانهم مهتدون فان المؤمنين ما بهم من هذه الكمالات اذا كان امرهم دائرا بين لعل وعسى
فما بال الكفرة وهم هم واعمالهم اعمالهم وفيه لطف للمؤمنين وترغيب لهم في ترجيح جانب الخوف على جانب الرجاء ورفض الاغترار بالله تعالى

اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام اي في الفضيلة وعلو الدرجة **كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله** السقاية والعمارة مصدران
لا يتصور تشبيههما بالأعيان فلا بد من تقدير مضاف في احد الجانبين اهل الحاج وعمرة المسجد الحرام اذ جعلتموها كايمان من آمن الخ وعلى التقديرين
فالخطاب اما للمشركين على طريقة الالتفات وهو المتبادر من تخصيص ذكر الايمان بجانب المشبه به واما لبعض المؤمنين المؤثرين للسقاية والعمارة
ونحوهما على الهجرة والجهاد ونظائرهما وهو المناسب للاكتفاء في الرد عليهم ببيان عدم مساواتهم عند الله للفريق الثاني وبيان اعظمية
درجتهم عند الله تعالى على وجه يشعر بعدم حرمان الأولين بالكلية وجعل معنى التفضيل الى زعم الكفرة لا يجدي نفعا كثيرا لانه ان لم يشعر بعدم
الحرمان فليس يشعر بالحرمان ايضا اما على الاول فهو توبيخ للمشركين ومداره على انكار تشبيه انفسهم من حيث اتصافهم بوصفيهم المذكورين مع قطع
النظر عما هم عليه من الشرك بالمؤمنين من حيث اتصافهم بالايمان والجهاد او على انكار تشبيه وصفيهم المذكورين في حد ذاتهما مع الاغماض عن
مقارنتهما للشرك بالايمان والجهاد واما اعتبار مقارنتهما له كما قيل فيأباه المقام كيف لا وقد بين آنفا حبوط اعمالهم بذلك الاعتبار
بالمرة وكونها بمنزلة العدم فتوبيخهم بعد ذلك على تشبيههما بالايمان والجهاد ثم رد ذلك بما يشعر بعدم حرمانهم عن اصل الفضيلة بالكلية كما
اشير اليه مما لا يساعده النظم التنزيلي ولو اعتبر ذلك لما احتيج الى تقرير انكار التشبيه وتأكيده بشيء آخر اذ لا شيء اظهر بطلانا من تشبيه المعدوم
بالموجود فالمعنى اجعلتم اهل السقاية والعمارة في الفضيلة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله او اجعلتموها في ذلك كالايمان والجهاد
وشتان بينهما فان السقاية والعمارة وان كانتا في انفسهما من اعمال البر والخير لكنهما وان خلتا عن القوادح بمعزل عن صلاحية ان
يشبه اهلهما باهل الايمان والجهاد او يشبه نفسهما بنفس الايمان والجهاد وذلك قوله عز وجل **لا يستوون عند الله** اي لا يساوي الفريق الاول
الثاني من حيث اتصاف كل منهما بوصفيهما ومن ضرورته عدم التساوي بين الوصفين الاولين وبين الاخيرين لان المدار في التفاوت بين
الموصوفين واسناد عدم الاستواء الى الموصوفين لان الاهم بيان تفاوتهم وتوجيه النفي ههنا والانكار فيما سلف الى الاستواء والتشبيه
مع ان دعوى المفتخرين بالسقاية والعمارة من المشركين والمؤمنين انما هي الافضلية دون التساوي والتشابه للمبالغة في الرد عليهم
فان نفي التساوي والتشابه نفي للافضلية بالطريق الاولى والجملة استئناف لتقرير الانكار المذكور وتأكيده او حال من مفعولي الجعل
والرابط هو الضمير كانه قيل اسويتم بينهم حال كونهم متفاوتين عنده تعالى وقوله تع **والله لا يهدي القوم الظالمين** حكم عليهم بانهم
مع ظلمهم بالاشراك ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم ضالون في هذا الجعل غير مهتدين الى طريق معرفة الحق وتمييز الراجح من المرجوح
وظالمون بوضع كل منهما موضع الآخر وفيه زيادة تقرير لعدم التساوي بينهم وقوله تع **الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله
باموالهم وانفسهم** استئناف لبيان مراتب فضلهم اثر بيان عدم الاستواء وضلال المشركين وظلمهم وزيادة الهجرة وتفصيل نوعي الجهاد
للايذان بان ذلك من لوازم الجهاد لا انه اعتبر بطريق التدارك امر لم يعتبر فيما سلف اي هم باعتبار اتصافهم بهذه الاوصاف الجميلة **اعظم
درجة عند الله** اي اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يتصف بها كائنا من كان وان حاز جميع ما عداها من الكمالات التي من جملتها السقاية والعمارة **واولئك**
اي المنعوتون بتلك النعوت الفاضلة وما في اسم الاشارة من معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم في الرفعة **هم الفائزون** المختصون بالفوز
العظيم او بالفوز المطلق كان فوز من عداهم ليس بفوز بالنسبة الى فوزهم واما على الثاني فهو ان يكون الخطاب لبعض المؤمنين فهو توبيخ لمن يؤثر
السقاية والعمارة من المؤمنين على الهجرة والجهاد وروي ان عليا رضي الله عنه قال للعباس رضي الله عنه بعد اسلامه يا عم الا تهاجرون
الا تلحقون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الست في افضل من الهجرة اسقي حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال ما اراني
الا تارك سقايتنا فقال عليه السلام اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا وروي النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال رجل ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اسقي الحاج وقال الآخر ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل الله
افضل مما قلتم فزجرهم عمر رضي الله عنه وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليتم استفتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه فدخل فانزل الله عز وجل هذه الآية والمعنى اجعلتم اهل السقاية والعمارة من المؤمنين في الفضيلة
والرفعة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله او اجعلتموها كالايمان والجهاد وانما لم يذكر الايمان في جانب المشبه مع كونه معتبرا فيه
قطعا تعويلا على ظهور الامر واشعارا بان مدار انكار التشبيه هو السقاية والعمارة دون الايمان وانما لم يترك ذكره في جانب المشبه به

ايضاً تقوية للانكار وتذكير الاسباب الرجحان ومبادي الافضلية وايذاناً بكمال التلازم بين الايمان وما تلاه ومعنى عدم الاستواء عند الله تعالى على تقدير ظاهر وكذا اعظمية درجة الفريق الثاني واما قوله تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين فالمراد به عدم هدايته تعالى لهم الى معرفة الراجح من المرجوح وظلمهم بوضع كل منهما موضع الآخر لا عدم الهداية مطلقاً ولا الظلم عموماً والقصر في قوله تعالى واولئك هم الفائزون بالنسبة الى درجة الفريق الثاني او الى الفوز المطلق ادعاء كما مر والله سبحانه اعلم يبشرهم ربهم برحمة عظيمة منه ورضوان كبير وجنات عالية لهم فيها في تلك الجنات نعيم مقيم نعم لا نفاد لها وفي التعرض لعنوان الربوبية تاكيد للمبشر به وتربية له خالدين فيها اي في الجنات ابداً تاكيد للخلود لزيادة توضيح المراد به اذ قد يراد به المكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم لا قدر عنده لاجور الدنيا او للاعمال التي في مقابلته والجملة استيناف وقع تعليلاً لما سبق يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء نهي لكل فرد من افراد المخاطبين عن موالاة فرد من المشركين بقضية مقابلة الجمع بالجمع الموجبة لانقسام الآحاد الى الآحاد كما في قوله عز وجل وما للظالمين من انصار لا عن موالاة طائفة منهم فان ذلك مفهوم من النظم دلالة لا عبارة والآية نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا وعشيرتنا وذهبت تجاراتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقاربه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم في ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة نهياً عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله ابعد الناس ويبغض في الله اقرب الناس اليه ان استحبوا الكفر اي اختاروه على الايمان واصروا عليه اصراراً لا يرجى معه الاقلاع عنه اصلاً وتعليق النهي عن الموالاة بذلك لما انها قبل ذلك ربما تؤدي بهم الى الاسلام بسبب شعورهم بمحاسن الدين ومن يتولهم اي واحداً منهم كما يشير اليه افراد الضمير في الفعل لمراعاة الموصول وللايذان باستقلال كل واحد منهم في الاتصاف بالظلم لان المراد تولي فرد واحد وكلمة من في قوله تعالى منكم للجنس لا للتبعيض فاولئك اي اولئك المتولون هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير موضعها كأن ظلم غيرهم كلا ظلم عند ظلمهم قل تلوين للخطاب وامر له صلى الله عليه وسلم بان يثبت المؤمنين ويقوي عزائمهم على الانتهاء عما نهوا عنه من موالاة الآباء والاخوان ويزهدهم فيهم وفيمن يجري مجراهم من الابناء والازواج ويقطع علائقهم عن زخارف الدنيا وزينتها على وجه التوبيخ والترهيب ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم لم يذكر الابناء والازواج فيما سلف لان موالاة الابناء والازواج غير معتادة بخلاف المحبة وعشيرتكم اي اقرباؤكم مأخوذ من العشرة اي الصحبة وقيل من العشرة فانهم جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرئ عشيراتكم وعشائركم واموال اقترفتموها اي اكتسبتموها وانما وصفت بذلك ايماء الى عزتها عندهم لحصولها بكد اليمين وتجارة اي امتعة اشتريتموها للتجارة والربح تخشون كسادها بفوات وقت رواجها بغيبتكم عن مكة المعظمة في ايام الموسم ومساكن ترضونها اي منازل تعجبكم الاقامة فيها من الدور والبساتين وفي التعرض للصفات المذكورة للايذان بان اللوم على محبة ما ذكر من زينة الحيوة الدنيا ليس لتناسيها فانها من مبادي المحبة وموجبات الرغبة فيها والانقطاع مالها من فنون المحاسن بمعزل عن ان يؤثر حبها على حبه تعالى وحب رسوله صلى الله عليه وسلم كما في قوله عز وجل ما غرك بربك الكريم احب اليكم من الله ورسوله بالحب الاختياري المستتبع لاثره الذي هو الملازمة وعدم المفارقة لا الحب الجبلي الذي لا يخلو عنه البشر فانه غير داخل تحت التكليف الدائر على الطاعة وجهاد في سبيله نظم حبه في سلك حب الله تعالى وحب رسوله عليه السلام تنويهاً لشانه وتنبيهاً على انه مما يجب ان يحب فضلاً عن ان يكره وايذاناً بان محبته راجعة الى محبتهما فان الجهاد عبارة عن قتال اعدائهما لاجل عداوتهم فمن يحبهما يجب ان يحب قتال من لا يحبهما فتربصوا اي انتظروا حتى يأتي الله بامره عن ابن عباس رضي الله عنهما انه فتح مكة وقيل هي عقوبة عاجلة او آجلة والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن الطاعة في موالاة المشركين او القوم الفاسقين كافة فيدخل في زمرتهم هؤلاء دخولاً اولياً اي لا يرشدهم الى ما هو خير لهم وفي الآية الكريمة من الوعيد ما لا يكاد يتخلص منه الا من تداركه لطف من ربه والله المستعان لقد نصركم الله خطاب للمؤمنين خاصة في مواطن كثيرة من الحروب وهي مواقفها ومقاماتها والمراد بها وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة ويوم حنين عطف على محل في مواطن بحذف المضاف في احدهما اي وموطن يوم حنين او في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ولعل التغيير للايذان بما وقع فيه من قلة الثبات من اول الامر وقيل المراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين رضي الله عنه وقيل يوم حنين منصوب بمضمر معطوف على نصركم اي ونصركم يوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم بدل من يوم حنين ولا منع فيه من عطفه على محل الظرف بناء على انه لم يكن في المعطوف عليه كثرة ولا اعجاب اذ ليس من قضية العطف مشاركة المعطوف فيما اضيف اليه المعطوف عليه ومنصوب باضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا عشرة آلاف منهم

من شهد فتح مكة من المهاجرين والانصار والفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وكانوا اربعة آلاف فيمن ضامهم من امداد سائر العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين اسمه سلمة بن سلام الانصاري لن نغلب اليوم من قلة فساءت كلمته رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم المشركون وخلوا الذراري فاكب المسلمون على الغنائم فتنادى المشركون يا حماة السوء اذكروا الفضائح فتراجعوا فادرك المسلمين كلمة الاعجاب فانكشفوا وذلك قوله عز وجل فلم تغن عنكم شيئاً والاغناء اعطاء ما يدفع به الحاجة اي لم تعطكم تلك الكثرة ما تدفعون به حاجتكم شيئاً من الاغناء وضاقت عليكم الارض بما رحبت اي برحبها وسعتها على ان ما مصدرية والباء بمعنى مع اي لا تجدون فيها مفراً تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب ولا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم مدبرين روي انه بلغ مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده ليس معه الا عمه العباس آخذاً بلجام بغلته وابن عمه ابو سفيان بن الحرث آخذاً بركابه وهو يركض البغلة نحو المشركين ونحو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب روي انه عليه الصلوة والسلام كان يحمل على الكفار فيفرون ثم يحملون عليه فيقف لهم فعل ذلك بضع عشرة مرة قال العباس كنت اكف البغلة لئلا تسرع به نحو المشركين وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على انه صلى الله عليه وسلم كان في الشجاعة ورباطة الجأش سباقاً للغايات القاصية وما كان ذلك الا لكونه مؤيداً من عند الله تعالى العزيز الحكيم فعند ذلك قال يا رب ائتني بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتاً صح بالناس فنادى الانصار فخذاً فخذاً ثم نادى يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقاً واحداً وهم يقولون لبيك لبيك وذلك قوله تعالى ثم انزل الله سكينته على رسوله اي رحمته التي تسكن بها القلوب وتطمئن اليها اطمئناناً كلياً مستتبعاً للنصر القريب واما مطلق السكينة فقد كانت حاصلة له عليه السلام قبل ذلك ايضاً وعلى المؤمنين عطف على رسوله وتوسيط الجار بينهما للدلالة على ما بينهما من التفاوت اي المؤمنين الذين انهزموا وقيل على الذين ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وسلم او على الكل وهو الانسب ولا ضير في تحقق اصل السكينة في الثابتين من قبل والتعرض لوصف الايمان للاشعار بعليته للانزال وانزل جنوداً لم تروها اي بابصاركم كما يرى بعضكم بعضاً وهم الملائكة عليهم السلام عليهم البياض على خيول بلق فنظر النبي عليه السلام الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس فاخذ كفاً من التراب فرمى به نحو المشركين وقال شاهت الوجوه فلم يبق منهم احد الا امتلأت به عيناه ثم قال عليه السلام انهزموا ورب الكعبة واختلفوا في عدد الملائكة يومئذ فقيل خمسة آلاف وقيل ثمانية آلاف وقيل ستة عشر الفاً وفي قتالهم ايضاً فقيل قاتلوا وقيل لم يقاتلوا الا يوم بدر وانما كان نزولهم لتقوية قلوب المؤمنين بالقاء الخواطر الحسنة وتأييدهم بذلك والقاء الرعب في قلوب المشركين قال سعيد بن المسيب حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه فقالوا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا فركبوا اكتافنا وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك اي ما فعل بهم مما ذكر جزاء الكافرين لكفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء ان يتوب عليه منهم لحكمة تقتضيه اي يوفقه للاسلام والله غفور يتجاوز عما سلف منهم من الكفر والمعاصي رحيم يتفضل عليهم ويثيبهم روي ان ناساً منهم جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه على الاسلام وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا قيل سبي يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال عليه السلام ان عندي ما ترون ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئاً فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤنا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئاً فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضاً علينا حتى نصيب شيئاً فنعطيه مكانه قالوا قد رضينا وسلمنا فقال عليه السلام اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعوا اليه العرفاء انهم قد رضوا يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس وصفوا بالمصدر مبالغة كأنهم عين النجاسة او هم ذوو نجس لخبث باطنهم او لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس او لانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن انه من صافح مشركاً توضأ واهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم وهو تخفيف نجس ككبد في كبد كأنه قيل انما المشركون نجس او ضرب نجس واكثر ما جاء تابعاً لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام تفريع على نجاستهم وانما نهى عن القرب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وهو مذهب عطاء وقيل المراد بالنهي عن الدخول مطلقاً وقيل المراد بالمنع عن الحج والعمرة وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله تعالى ويؤيده قوله عز وجل بعد عامهم هذا فان تقييد النهي بذلك يدل على اختصاص المنهي عنه بوقت من اوقات العام اي لا يحجوا ولا يعتمروا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسعة من الهجرة حين امر ابو بكر رضي الله تعالى عنه على الموسم ويدل عليه قول علي رضي الله تعالى عنه حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا

بذا مشركوا لا يمنعون من دخول الحرام والمسجد الحرام وسائر المساجد عنده وعند الشافعي يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون من جميع المساجد ونهي
المشركين ان يقربوه راجع الي نهي المسلمين عن تمكينهم من ذلك وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك **وان خفتم عيلة**
اي فقرا بسبب منعهم من الحج وانقطاع ما كانوا يجلبونه اليكم من الارفاق والمكاسب وقرئ عائلة علي انها مصدر كالعافية او حالا عائلة **فسوف يغنيكم الله**
من فضله من عطائه او من تفضله بوجه آخر فارسل الله تع السماء عليهم مدرارا اغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الي مكة الطعام
وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض **ان شاء** ان يغنيكم مشيئة
تابعة للحكمة الداعية اليها وانما قيد ذلك بها لينقطع الآمال الي الله تع ولان الاغناء ليس مطردا بحسب الافراد والاحوال والاوقات **ان الله عليم** بمصالحكم
حكيم فيما يعطي ويمنع **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله** امرهم بقتال اهل الكتابين اثر امرهم بقتال المشركين ومنعهم من ان يحوموا حول ما كانوا يفعلونه من
الحج والعمرة غير خائفين من الفاقة الموهمة من انقطاعهم ونبههم في تضاعيف ذلك علي بعض طرق الاغناء الموعود علي الوجه الكلي وارشدهم الي سلوكه
ابتغاء لفضله واستنجازا لوعده والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية ما في حيز الصلة للامر بالقتال وبانتظامهم بسبب ذلك في سلك المشركين فان
اليهود مثنية والنصاري مثلثة فهم بمعزل من ان يؤمنوا بالله سبحانه **ولا باليوم الآخر** فان علمهم باحوال الآخرة كلا علم فايمانهم المبني عليه ليس بايمان به
ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله اي ما ثبت تحريمه بالوحي متلوا او غير متلو وقيل المراد برسوله الرسول الذي يزعمون اتباعه اي يخالفون اصل دينهم
المنسوخ اعتقادا وعملا **ولا يدينون دين الحق** الثابت الذي هو ناسخ لسائر الاديان وهو دين الاسلام وقيل دين الله **من الذين اوتوا الكتاب** من
التورية والانجيل فمن بيانية لا تبعيضية حتي يكون بعضهم علي خلاف ما نعت **حتي يعطوا** اي يقبلوا ان يعطوا **الجزية** اي ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من
جزي دينه اي قضاه او لانهم يجزون بها من من عليهم بالاعفاء عن القتل **عن يد** حال من الضمير في يعطوا اي عن يد مواتية مطيعة بمعني منقادين او من
يدهم بمعني مسلمين بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غني ولذلك لم تجب الجزية علي الفقير العاجز او عن يد قاهرة
عليهم اي بسبب يد بمعني عاجزين اذلاء او عن انعام عليهم فان ابقاء مهجتهم بما بذلوا من الجزية نعمة عظيمة عليهم او من الجزية اي نقدا مسلمة
عن يد الي يد وغاية القتال ليست نفس هذا الاعطاء بل قبوله كما اشير اليه **وهم صاغرون** اي اذلاء وذلك بان يأتي بها بنفسه ماشيا غير راكب
ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس ويؤخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية وان كان يؤديها وهي تؤخذ عند ابي حنيفة رحمه الله تعالي من اهل الكتاب مطلقا
ومن مشركي العجم لا من مشركي العرب وعند ابي يوسف رحمه الله تعالي لا تؤخذ من العربي كتابيا كان او مشركا وتؤخذ من العجمي كتابيا كان او مشركا وعند
الشافعي رحمه الله تعالي تؤخذ من اهل الكتاب عربيا او عجميا ولا تؤخذ من اهل الاوثان مطلقا وذهب مالك والاوزاعي الي انها تؤخذ من جميع
الكفار واما المجوس فقد اتفقت الصحابة علي اخذ الجزية منهم لقوله عليه الصلوة والسلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب وروي عن علي رضي الله تعالي
عنه انه كان لهم كتاب يدرسونه فاصبحوا وقد اسري علي كتابهم فرفع من بين اظهرهم واتفقوا علي تحريم ذبيحتهم ومناكحتهم لقوله عليه السلام في آخر
ما نقل من الحديث غير ناكحي نسائهم واكلي ذبيحتهم ووقت الاخذ عند ابي حنيفة اول السنة وتسقط بالاسلام والموت ومقدارها علي الفقير المعتمل اثنا عشر درهما وعلي
المتوسط الحال اربعة وعشرون درهما وعلي الغني ثمانية واربعون درهما ولا جزية علي فقير عاجز عن الكسب ولا علي شيخ فان او زمن او صبي او
امرأة وعند الشافعي رحمه الله تعالي تؤخذ في آخر السنة من كل واحد دينار غنيا كان او فقيرا كان له كسب او لم يكن **وقالت اليهود** جملة مبتدأة سيقت
لتقرير ما مر من عدم ايمان اهل الكتابين بالله سبحانه وانتظامهم بذلك في سلك المشركين **عزير ابن الله** مبتدأ وخبر وقرئ بغير تنوين علي انه اسم اعجمي كعازر
وعيزار غير منصرف للعجمة والتعريف واما تعليله بالتقاء الساكنين او بجعل الابن وصفا علي ان الخبر محذوف فتعسف مستغني عنه قيل هو قول قدمائهم
ثم انقطع فحكي الله تعالي عنهم ذلك ولا عبرة بانكار اليهود وقيل قول بعض ممن كان بالمدينة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه جاء رسول الله صلي الله عليه
وسلم ناس منهم وهم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفي وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص بن عازورا وهو الذي قال
ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسي عليه السلام فرفع الله تع عنهم التورية ومحاها من قلوبهم
فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل عليه السلام فقال له اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه التورية فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم
منها حرفا فقالوا ما جمع الله التورية في صدره وهو غلام الا انه ابنه قال الامام الكلبي لما قتل بخت نصر علماءهم جميعا وكان عزير اذ ذاك صغيرا
فاستصغره ولم يقتله فلما رجع بنو اسرائيل الي بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التورية بعث الله تعالي عزيرا ليجدد لهم التورية ويكون آية بعد ما اماته

مائة عام يقال انه اتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه فمثلت في صدره فلما اتاهم فقال لهم اني عزير كذبوه فقالوا ان كنت كما تزعم فامل علينا التورية ففعل فقالوا
انّ الله تعالي لم يقذف التورية في قلب رجل الا انه ابنه تعالي الله عن ذلك علوا كبيرا وعن ابن عباس رضي الله عنهما اضاعوا التورية وعملوا بغير الحق
فانساهم الله التورية ونسخها من صدورهم ورفع التابوت فتضرع عزير الي الله تعالي وابتهل اليه فعاد حفظ التورية الي قلبه فانذر قومه به ثم ان
التابوت نزل فعرضوا ما تلاه عزير علي ما فيه فوجدوه مثله فقالوا ما قالوا **وقالت النصاري المسيح ابن الله** هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة
ان يكون ولد بغير اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتي من لم يكن الها **ذلك** اشارة الي ما صدر عنهم من العظيمتين وما فيه من معني
البعد للدلالة علي بعد درجة المشار اليه في الشناعة والفظاعة **قولهم بافواههم** اما تأكيد لنسبة القول المذكور اليهم ونفي للتجوز عنها او اشعار بانه
قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الموجود في الافواه من غير ان يكون له مصداق في الخارج **يضاهئون** اي في الكفر والشناعة وقرئ بغير همزة
قول الذين كفروا اي يشابه قولهم علي حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه عند انقلابه مرفوعا قول الذين كفروا **من قبل** اي من قبلهم وهم المشركون
يقولون الملائكة بنات الله او اللات والعزي بنات الله لا قدماؤهم كما قيل اذ لا تعدد في القول حتي يتأتي التشبيه وجعله بين قولي الفريقين
مع اتحاد المقول ليس فيه مزيد مزية وقيل الضمير اي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير الخ لانهم اقدم منهم وهو ايضا كما تري فانه
يستدعي اختصاص الرد والابطال بقوله تع ذلك قولهم بافواههم بقول النصاري **قاتلهم الله** دعاء عليهم جميعا بالاهلاك فان من قاتله الله
تعالي هلك او تعجب من شناعة قولهم **اني يؤفكون** كيف يصرفون من الحق الي الباطل والحال انه لا سبيل اليه اصلا **اتخذوا** زيادة تقرير لما سلف من كفرهم
بالله تع **احبارهم** وهم علماء اليهود واختلف في واحده قال الاصمعي لا ادري اهو حبر ام حبر وقال ابو الهيثم بالفتح لا غير وكان الليث وابن السكيت
يقولان حبر وحبر للعالم ذميا كان او مسلما بعد ان كان من اهل الكتاب **ورهبانهم** وهم علماء النصاري من اصحاب الصوامع اي اتخذ كل واحد من الفريقين
علماءهم لا الكل الكل **اربابا من دون الله** بان اطاعوهم في تحريم ما احله الله تع وتحليل ما حرمه او بالسجود لهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان عبادة
له في قوله تع يا ابت لا تعبد الشيطان وقوله تع بل كانوا يعبدون الجن قال عدي بن حاتم اتيت رسول الله صلي الله عليه وسلم وفي عنقي صليب
من ذهب وكان اذ ذاك علي دين يسمي الركوسية فريق من النصاري وهو يقرأ سورة براءة فقال يا عدي اطرح هذا الوثن فطرحته فلما
انتهي الي قوله تع اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قلت يا رسول الله لم يكونوا يعبدونهم فقال عليه السلام اليس يحرمون ما احل
الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه فقلت بلي قال ذلك عبادتهم قال الربيع قلت لابي العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني اسرائيل
قال انهم ربما وجدوا في كتاب الله تع ما يخالف اقوال الاحبار فكانوا يأخذون باقوالهم ويتركون حكم كتاب الله **والمسيح ابن مريم** عطف علي رهبانهم
اي اتخذه النصاري ربا معبودا بعد ما قالوا انه ابنه تعالي الله عن ذلك علوا كبيرا وتخصيص الاتخاذ به يشير الي ان اليهود ما فعلوا ذلك بعزير وتأخير
في الذكر مع ان اتخاذهم له عليه السلام ربا معبودا اقوي من مجرد الاطاعة في امر التحليل والتحريم كما هو المراد باتخاذهم الاحبار والرهبان اربابا
لانه مختص بالنصاري ونسبته عليه السلام الي امه من حيث دلالتها علي مربوبيته المنافية للربوبية للايذان بكمال ركاكة رأيهم والقضاء عليهم بنهاية
الجهل والحماقة **وما امروا** اي والحال ان اولئك الكفرة ما امروا في كتابيهم **الا ليعبدوا الها واحدا** عظيم الشان هو الله سبحانه وتعالي و
يطيعوا امره ولا يطيعوا امر غيره بخلافه فان ذلك مخل بعبادته تع فان جميع الكتب السماوية متفقة علي ذلك قاطبة وقد قال المسيح عليه السلام
انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة واما اطاعة الرسول عليه السلام وسائر من امر الله تعالي بطاعته فهي في الحقيقة اطاعة لله عز
وجل او وما امر الذين اتخذهم الكفرة اربابا من المسيح والاحبار والرهبان الا ليوحدوا الله تع فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم مأمورون
مستعبدون مثلهم ولا يقدح في ذلك كون ربوبية الاحبار والرهبان بطريق الاطاعة ايضا به تع وحيث لم يخصوها به تعالي لم يخصوه بالعبادة
به سبحانه **لا اله الا هو** صفة ثانية لالها او استيناف مقرر للتوحيد **سبحانه عما يشركون** عن الاشراك في العبادة والطاعة **يريدون ان يطفئوا**
نور الله اطفاء النار عبارة عن ازالة لهبها الموجب لزوال نورها لا عن ازالة نورها كما قيل لكن لما كان الغرض من اطفاء نار لا يراد بها الا
النور كالمصباح ازالة نورها جعل اطفاؤها عبارة عنها ثم شاع ذلك حتي كان عبارة عن مطلق ازالة النور وان كان لغير النار والسر في
ذلك انحصار امكان الازالة في نورها والمراد بنور الله سبحانه اما حجته النيرة الدالة علي وحدانيته وتنزهه عن الشركاء والاولاد او القرآن
العظيم الناطق بذلك اي يريد اهل الكتابين ان يردوا القرآن ويكذبوه فيما نطق به من التوحيد والتنزه عن الشركاء والاولاد والشرائع

التي في جملتها ما خالفوا من امر الحل والحرمة بأفواههم باقاويلهم الباطلة الخارجة عنها من غير ان يكون لها مصداق تنطبق عليه او حاصل تستند اليه حسبما حكي
عنهم وقيل المراد به نبوة النبي صلى الله عليه وسلم هذا وقد قيل مثّلت حالهم فيما ذكر بحال من يريد طمس نور عظيم منبث في الآفاق بنفخة ويأبى الله
اي لا يريد الا ان يتم نوره باعلاء كلمة التوحيد واعزاز دين الاسلام وانما صح الاستثناء المفرغ من الموجب لكونه بمعنى النفي كما اشير اليه لوقوعه
في مقابلة قوله تعالى يريدون وفيه من المبالغة والدلالة على الامتناع ما ليس في نفي الارادة اي لا يريد شيئا من الاشياء الا اتمام نوره فيندرج
في المستثنى منه بقاؤه على ما كان عليه فضلا عن الاطفاء وفي اظهار النور في مقام الاضمار مضافا الى ضميره عز وجل زيادة اعتناء بشأنه
وتشريف له على تشريف واشعار بعلة الحكم ولو كره الكافرون جواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة قبلها مقدرة
وكلتاهما في موقع الحال اي لا يريد الله الا اتمام نوره لو لم يكره الكافرون ذلك ولو كرهوه اي على كل حال مفروض وقد حذف الاولى في
الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة لان الشيء اذا تحقق عند المانع فلأن يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذا السر يدور ما في
ان ولو الوصليتين من التأكيد وقد مر زيادة تحقيق لهذا مرارا هو الذي ارسل رسوله ملتبسا بالهدى اي القرآن الذي هو هدى للمتقين
ودين الحق الثابت وهو دين الاسلام ليظهره اي رسوله على الدين كله اي على اهل الاديان كلهم او ليظهر الدين الحق على سائر الاديان بنسخه اياها
حسبما تقتضيه الحكمة والجملة بيان وتقرير لمضمون الجملة السابقة والكلام في قوله عز وعلا ولو كره المشركون كما فيما سبق خلا ان وصفهم بالشرك
بعد وصفهم بالكفر للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الكفر بالله يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان حال الاحبار والرهبان في اغوائهم
لأراذلهم اثر بيان سوء حال الاتباع في اتخاذهم لهم اربابا يطيعونهم في الاوامر والنواهي واتباعهم لهم فيما يأتون وما يذرون
ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل يأخذونها بطريق الرشوة لتغيير الاحكام والشرائع والتخفيف والمسامحة فيها
وانما عبر عن ذلك بالاكل بناء على انه معظم الغرض منه وتقبيحا لحالهم وتنفيرا للسامعين عنهم ويصدون الناس عن الاسلام عن دين الاسلام
او عن المسلك المقرر في التورية والانجيل الى ما افترحوه وحرفوه بأخذ الرشى او يصدون عنه بأنفسهم باكلهم الاموال بالاباطيل والذين يكنزون
الذهب والفضة اي يجمعونهما ويحفظونهما سواء كان ذلك بالدفن او بوجه آخر والموصول عبارة اما عن الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة
في الوصف بالحرص والضن بهما بعد وصفهم بما سبق من اخذ الرشى والبراطيل في الاباطيل واما عن المسلمين الكانزين غير المنفقين وهو الانسب
بقوله عز وجل ولا ينفقونها في سبيل الله فيكون نظمهم في قرن المرتشين من اهل الكتاب تغليظا ودلالة على كونهم اسوة لهم في استحقاق البشارة
بالعذاب الأليم فالمراد بالانفاق في سبيل الله الزكوة لما روي انه لما نزل كبر ذلك على المسلمين فذكر عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله
تعالى لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم ولقوله عليه السلام ما ادي زكوته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد عليه مع عدم
الانفاق فيما امر الله بالانفاق فيه واما قوله عليه السلام من ترك صفرا او بيضا كوي بها ونحوه فالمراد ما لم يؤد حقها الا اذا كان يوم القيمة
صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب اليم خبر للموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط ويجوز ان يكون الموصول منصوبا
بفعل يفسره فبشرهم يوم منصوب بعذاب اليم او بمضمر يدل عليه ذلك اي يعذبون او يحمى عليها في نار جهنم اي يوم توقد النار ذات حمي شديد عليها
واصله تحمي بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التأنيث
الى التذكير كما تقول رفعت القصة الى الامير فان طرحت القصة قلت رفع الى الامير وانما قيل عليها والمذكور شيآن لان المراد بهما دنانير
ودراهم كثيرة كما قال علي رضي الله تعالى عنه اربعة آلاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا الكلام في قوله تعالى ولا ينفقونها وقيل الضمير
للاموال والكنوز فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب كذلك بل
اولى فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم لها وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم
ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوا ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب
والكبد او لانها اصول الجهات الاربعة التي هي مقاديم البدن ومآخره وجنباه هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم لمنفعتها فكان عين مضرتها
وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ بضم النون ان عدة الشهور اي عددها عند الله اي في حكمه وهو معمول لها لانها
مصدر اثنا عشر خبر لان شهرا تمييز مؤكد كما في قولك عندي من الدنانير عشرون دينارا والمراد الشهور القمرية اي عليها يدور فلك الاحكام الشرعية في كتاب الله

في اللوح المحفوظ او فيما اثبته واوجبه وهو صفة اثنا عشر اي اثنا عشر شهرا مثبتا في كتاب الله تعالى وقوله تعالى يوم خلق السموات والارض متعلق
بما في الجار والمجرور من معنى الاستقرار او بالكتاب على انه مصدر والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله تعالى الاجرام والحركات والازمنة
منها اي من تلك الشهور الاثنا عشر اربعة حرم هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع الا ان الزمان
قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين
جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه من الحل والحرمة وعاد الحج الى ذي الحجة بعد ما كانوا ازالوه عن محله بالنسيء الذي احدثوه في الجاهلية
وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة ابو بكر رضي الله عنه قبلها في ذي القعدة ذلك اي تحريم الاشهر الاربعة المعينة المعدودة وما في ذلك
من معنى البعد لتفخيم المشار اليه هو الدين القيم المستقيم دين ابراهيم عليه السلام واسمعيل عليه السلام وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا
يعظمون الاشهر الحرم ويكرهون القتال فيها حتى انه لو لقي رجل قاتل ابيه واخيه لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثوا النسيء
فغيروا فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتهن وارتكاب ما حرم فيهن والجمهور على ان حرمة القتال فيهن منسوخة وان الظلم ارتكاب المعاصي فيهن فانه
اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخ ويؤيد الاول انه عليه السلام
حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة اي جميعا وهو مصدر كف عن الشيء فان
الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين اي معكم بالنصر والامداد فيما تباشرونه من القتال وانما وضع المظهر موضع
المضمر مدحا لهم بالتقوى وحثا للقاصرين عليه وايذانا بانه المدار في النصر وقيل هي بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم انما النسيء هو مصدر نسأه
اذا اخره نسأ ونساء ونسيئا كمس مسا ومساسا ومسيسا وقرئ بهن جميعا وقرئ بقلب الهمزة ياء وتشديد الياء الاولى فيها كانوا اذا
جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وربما زادوا في عدد الشهور بأن
يجعلوها ثلثة عشر واربعة عشر ليتسع لهم الوقت ويجعلوا اربعة اشهر من السنة حرما ولذلك نص على العدد المعين في الكتاب والسنة اي انما تأخير
حرمة شهر الى شهر زيادة في الكفر لانه تحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله فهو كفر آخر مضموم الى كفرهم يضل به الذين كفروا ضلالا على ضلالهم القديم وقرئ
على البناء للفاعل من الافعال على ان الفعل لله سبحانه اي يخلق فيهم الضلال عند مباشرتهم لمباديه واسبابه وهو المعنى على القراءة الاولى ايضا
وقيل المضلون حينئذ رؤساؤهم والموصول عبارة عن اتباعهم وقرئ يضل بفتح الياء والضاد من ضلل يضلل ونضل بنون العظمة يحلونه اي الشهر المؤخر
عاما من الاعوام ويحرمون مكانه شهرا آخر مما ليس بحرام ويحرمونه اي يحافظون على حرمته كما كانت والتعبير عن ذلك بالتحريم باعتبار احلالهم له في العام
الماضي او لاسنادهم له الى آلهتهم كما سيجيء عاما اخر اذا لم يتعلق بتغييره غرض من اغراضهم قال الكلبي اول من فعل ذلك رجل من كنانة يقال له نعيم بن
ثعلبة وكان اذا هم الناس بالصدور من الموسم يقوم فيخطب ويقول لا مرد لما قضيت وانا الذي لا اعاب ولا اجاب فيقول له المشركون لبيك ثم
يسألونه ان ينسئهم شهرا يغيرون فيه فيقول ان صفرا العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة وان قال حلال عقدوا
الاوتار وشدوا الازجة واغاروا وقيل هو جنادة بن عوف الكناني وكان مطاعا في الجاهلية كان يقوم على جمل في الموسم فينادي باعلى صوته
ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في العام القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه وقيل هو رجل من كنانة يقال له
القلمس قال قائلهم ومنا ناسئ الشهر القلمس وعن ابن عباس رضي الله عنهما اول من سن النسيء عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف والجملتان
تفسير للضلال او حال من الموصول والعامل عامله ليواطئوا اي ليوافقوا عدة ما حرم الله من الاشهر الاربعة واللام متعلقة بالفعل الثاني او بما دل
عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بخصوصه من الاشهر المعينة زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله سبحانه والمعنى جعل اعمالهم
مشتهاة للطبع محبوبة للنفس وقيل خذلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا فاستمروا على ذلك والله لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة الى المطلوب
البتة وانما يهديهم الى ما يوصل اليه عند سلوكه وهم قد صدوا عنه بسوء اختيارهم فتاهوا في تيه الضلال يا ايها الذين آمنوا رجوع الى حث المؤمنين وتحريضهم
على قتال الكفرة اثر بيان طرف من قبائحهم الموجبة لذلك ما لكم استفهام فيه معنى الانكار والتوبيخ اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم تثاقلتم
وتقاعستم اصله تثاقلتم وقد قرئ كذلك اي اي شيء حصل او حاصل لكم او ما تصنعون حين قال لكم النبي صلى الله عليه وسلم انفروا اي اخرجوا الى
الغزو في سبيل الله متثاقلين على ان الفعل ماض لفظا مضارع معنى كأنه قيل تتثاقلون فالعامل في الظرف الاستقرار المقدر في لكم او معنى الفعل المدلول

عليه بذلك ويجوز ان يعمل فيه الحال اي ما لكم متثاقلين حين قيل لكم انفروا وقرئ اثاقلتم على الاستفهام الانكاري التوبيخي فالعامل في الظرف ح اما هو او الاول
الى الارض متعلق باثاقلتم على تضمينه معنى الميل والاخلاد اي اثاقلتم مائلين الى الدنيا وشهواتها الفانية عما قليل وكرهتم مشاق الغزو ومتاعبه المستتبعة
للراحة الخالدة كقوله تع ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه او الى الاقامة بارضكم ودياركم وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من
الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ وقد ادركت ثمار المدينة وطابت ظلالها مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ذلك وقيل ما
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها الا ورى بغيرها الا في غزوة تبوك فانه عليه السلام بين لهم المقصد فيها ليستعدوا لها ارضيتم
بالحيوة الدنيا وغرورها من الاخرة اي بدل الاخرة ونعيمها الدائم فما متاع الحيوة الدنيا اظهر في مقام الاضمار لزيادة التقرير اي فما التمتع
بها وبلذائذها في الاخرة اي في جنب الاخرة الا قليل اي مستحقر لا يؤبه له وفي ترشيح الحيوة الدنيا بما يؤذن بنفاستها ويستدعي الرغبة فيها و
تجريد الاخرة عن مثل ذلك مبالغة في بيان حقارة الدنيا ودناءتها وعظم شان الاخرة وعلوها الا تنفروا اي ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه
يعذبكم اي الله عز وجل عذابا اليما اي يهلككم بسبب فظيع هائل كقحط ونحوه ويستبدل بكم بعد اهلاككم قوما غيركم وصفهم بالمغايرة الوصفية والذاتية
المستلزمة للاستيصال اي قوما مطيعين مؤثرين للاخرة على الدنيا ليسوا من اولادكم ولا ارحامكم كاهل اليمن وابناء فارس وفيه من الدلالة على شدة
السخط ما لا يخفى ولا تضروه شيئا اي لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه اصلا فانه الغني عن كل شيء وفي كل شيء وقيل الضمير للرسول صلى الله عليه وسلم فان الله
عز وجل وعده بالعصمة والنصرة وكان وعده مفعولا لا محالة والله على كل شيء قدير فيقدر على اهلاككم والاتيان بقوم اخرين الا تنصروه فقد نصره الله
اي ان لم تنصروه فسينصره الله الذي قد نصره في وقت ضرورة اشد من هذه المرة فحذف الجزاء واقيم سببه مقامه وان لم تنصروه فقد اوجب له
النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره اذ اخرجه الذين كفروا اي تسببوا لخروجه حيث اذن له عليه السلام في ذلك حين هموا باخراجه
ثاني اثنين حال من ضميره عليه السلام وقرئ بسكون الياء على لغة من يجري الناقص مجرى المقصور في الاعراب اي احد اثنين من غير اعتبار كونه عليه السلام
ثانيا فان معنى قولهم ثالث ثلثة ورابع اربعة ونحو ذلك احد هذه الاعداد مطلقا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور ان ينصب ما بعده
بان يقال ثالث ثلثة ورابع اربعة وقد مر في قوله تع لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة من سورة المائدة وجعله عليه السلام ثانيهما لمشي
الصديق امامه ودخوله في الغار اولا لكنسه وتسوية البساط كما ذكر في الاخبار تمحل مستغنى عنه اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض
اذ المراد به زمان متسع والغار ثقب في اعلى ثور وهو جبل في يمين مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلثا اذ يقول بدل ثان او ظرف لثاني لصاحبه
اي الصديق لا تحزن ان الله معنا بالعون والعصمة والمراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا تحوم حول صاحبها شائبة شيء من الحزن وما هو المشهور
من اختصاص مع بالمتبوع فالمراد بما فيه من المتبوعية في الامر المباشر روي ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر رضي الله تع عنه على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه الصلوة والسلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله
تع حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار
ولا يفطنون قد اخذ الله تعالى بابصارهم وفيه من الدلالة على علو طبقة الصديق رضي الله تع عنه وسابقة صحبته ما لا يخفى ومن ذلك قالوا
من انكر صحبة ابي بكر رضي الله تعالى عنه فقد كفر لانكاره كلام الله سبحانه وتعالى فانزل الله سكينته امنته التي تسكن عندها القلوب عليه على النبي
صلى الله عليه وسلم فالمراد بها ما لا يحوم حوله شائبة الخوف اصلا او على صاحبه اذ هو المنزعج واما النبي صلى الله عليه وسلم فكان على
طمانينة من امره وايده بجنود لم تروها عطف على نصره الله والجنود هم الملائكة النازلون يوم بدر والاحزاب وحنين وقيل هم الملائكة
انزلهم ليحرسوه في الغار ويأباه وصفهم بعدم رؤية المخاطبين لهم وقوله عز وجل وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة
الكفرة فان ذلك الجعل لا يتحقق بمجرد الانجاء بل بالقتل والاسر ونحو ذلك وكلمة الله هي العليا لا يدانيها شيء وتغيير الاسلوب للدلالة على
انها في نفسها كذلك لا يتبدل شانها ولا يتغير حالها دون غيرها من الكلم ولذلك وسط ضمير الفصل وقرئ بالنصب عطفا على كلمة الذين والله عزيز
لا يغالب حكيم في حكمه وتدبيره انفروا تجريد للامر بالنفور بعد التوبيخ على تركه والانكار على المساهلة فيه وقوله تع خفافا وثقالا حالان من
ضمير المخاطبين اي على اي حال كان من يسر او عسر حاصلين باي سبب كان من الصحة والمرض او الغنى والفقر او قلة العيال وكثرتهم او غير ذلك
مما ينتظم مساعدة الاسباب وعدمها بعد الامكان والقدرة في الجملة وما ذكر في تفسيرهما من قولهم خفافا لقلة عيالهم وثقالا لكثرتها او خفافا

من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا ومراضا ليس لتخصيص الامرين المتقابلين بالارادة من غير
مقارنة للباقي وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلي ان انفر قال عليه الصلوة والسلام نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وعن
ابن عباس رضي الله تع عنهما نسخت بقوله عز وجل ليس على الضعفاء ولا على المرضى الاية وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ايجاب للجهاد بهما ان
امكن وباحدهما عند عدم امكانه واعوازه الاخر حتى ان من ساعده النفس والمال يجاهد بهما ومن ساعده المال دون النفس يغزي مكانه من حاله على
عكس حاله الى هذا ذهب كثير من العلماء وقيل هو ايجاب للقسم الاول فقط ذلكم اي ما ذكر من النفير والجهاد وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان
ببعد منزلته في الشرف خير لكم اي خير عظيم في نفسه او خير مما يبتغى بتركه من الراحة والدعة وسعة العيش والتمتع بالاموال والاولاد ان كنتم تعلمون
اي تعلمون الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ لا احتمال لغير الصدق في اخبار الله تعالى فبادروا اليه لو كان صرف للخطاب عنهم وتوجيه له
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتعديد ما صدر عنهم من الهنات فعلا وقولا على طريقة المباثة وبيانا لدناءة هممهم وسائر رذائلهم اي لو كان
ما دعوا اليه عرضا قريبا العرض ما عرض لك من منافع الدنيا اي لو كان ذلك غنما سهل الماخذ قريب المنال وسفرا قاصدا ذا قصد بين القريب
والبعيد لاتبعوك في النفير طمعا في الفوز بالغنيمة وتعليق الاتباع بكلا الامرين يدل على عدم تحققه عند توسط السفر فقط ولكن بعدت عليهم
الشقة اي المسافة الشاطة الشاقة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين وسيحلفون اي المتخلفون عن الغزو وقوله تع بالله اما متعلق
بسيحلفون او هو من جملة كلامهم والقول مراد على الوجهين اي سيحلفون بالله اعتذارا عند قفولك قائلين لو استطعنا او سيحلفون قائلين
بالله لو استطعنا الخ اي لو كان لنا استطاعة من جهة العدة او من جهة الصحة او من جهتهما جميعا حسبما عن لهم من الكذب والتعلل وعلى التقديرين
قوله تع لخرجنا معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط جميعا اما على الثاني فظاهر واما على الاول فلان قولهم لو استطعنا في قوة بالله لو استطعنا
لانه بيان لقوله تع سيحلفون بالله وتصديق له والاخبار بما سيكون منهم بعد القفول وقد وقع حسبما اخبر به من جملة المعجزات الباهرة وقرئ لو استطعنا
بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع كما في قوله عز وجل فتمنوا الموت يهلكون انفسهم بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب اهلاك للنفس ولذلك
قال عليه الصلوة والسلام اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع او حال من فاعله اي مهلكين انفسهم او من فاعل لخرجنا جيء به على طريقة الاخبار
عنهم كانه قيل نهلك انفسنا اي لخرجنا معكم مهلكين انفسنا كما في قولك حلف ليفعلن مكان لافعلن والله يعلم انهم لكاذبون اي في مضمون الشرطية
وفيما ادعوا ضمنا من انتفاء تحقق المقدم حيث كانوا مستطيعين للخروج ولم يخرجوا عفا الله عنك صريح في انه سبحانه وتعالى قد عفا عنه صلى الله عليه
وسلم ما وقع منه عند استيذان المتخلفين في التخلف معتذرين بعدم الاستطاعة واذنه اعتمادا على ايمانهم ومواثيقهم لخلوه عن المزاحم من ترك
الاولى والافضل الذي هو التاني والتوقف الى انجلاء الامر وانكشاف الحال وقوله عز وجل لم اذنت لهم اي لاي سبب اذنت لهم حين اعتلوا
بعللهم بيان لما اشير اليه بالعفو من ترك الاولى واشارة الى انه ينبغي ان يكون اموره عليه السلام منوطة باسباب قوية موجبة لها
او مصححة وان ما ابرزوه في معرض التعلل والاعتذار مسوغا بالايمان كان بمعزل من كونه سببا للاذن قبل ظهور صدقه وكلتا اللامين متعلقة
بالاذن لاختلافهما في المعنى فان الاولى للتعليل والثانية للتبليغ والضمير المجرور لجميع المستاذنين وتوجه الانكار الى الاذن باعتبار شموله
للكل لا باعتبار تعلقه بكل فرد فرد لتحقق عدم استطاعة بعضهم كما ينبئ عنه قوله تع حتى يتبين لك الذين صدقوا اي فيما اخبروا به عند الاعتذار
من عدم الاستطاعة من جهة المال او من جهة البدن او من جهتهما معا حسبما عن لهم هناك وتعلم الكاذبين في ذلك فتعامل كلا من الفريقين بما يستحقه
وهو بيان لذلك الاولى الافضل وتخصيص له عليه السلام فان كلمة حتى سواء كانت بمعنى اللام او بمعنى الى لا يمكن تعلقها بقوله تع لم اذنت لاستلزامه
ان يكون اذنه عليه السلام لهم معللا او مغيا بالتبين والعلم ويكون توجه الاستفهام اليه من تلك الحيثية وذلك بين الفساد بل بما يدل عليه ذلك
كانه قيل لم سارعت الى الاذن لهم وهلا تانيت حتى ينجلي الامر كما هو قضية الحزم قال قتادة وعمرو بن ميمون اثنان فعلهما رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم يؤمر فيهما بشيء اذنه للمنافقين واخذه الفداء من الاسارى فعاتبه الله تعالى كما تسمعون وتغيير الاسلوب بان عبر عن الفريق الاول
بالموصول الذي صلته فعل دال على الحدوث وعن الفريق الثاني باسم الفاعل المفيد للدوام للايذان بان ما ظهر من الاولين صدق حادث في امر خاص
غير مصحح لنظمهم في سلك الصادقين وان ما صدر عن الاخرين وان كان كذبا حادثا متعلقا بامر خاص لكنه امر جار على عادتهم المستمرة ناشئ
عن رسوخهم في الكذب والتعبير عن ظهور الصدق بالتبين وعما يتعلق بالكذب بالعلم لما هو المشهور من ان مدلول الخبر هو الصدق والكذب احتمال

عقلي فظهور صدقه انما هو تبين ذلك المدلول وانقطاع احتمال نقيضه بعد ما كان محتملا له احتمالا عقليا واما كذبه فأمر حادث لا دلالة للخبر عليه بالجملة
حتى ظهوره تبينا له بل هو نقيض لمدلوله فما يتعلق به يكون علما مستأنفا واسناده الى ضميره عليه السلام لا الى المعلومين ببناء الفعل للمفعول
مع اسناد التبين الى الأولين لما ان المقصود بهما علمه عليه السلام بهم ومؤاخذتهم بموجبه بخلاف الأولين حيث لا مؤاخذة عليهم ومن لم يتنبه
لهذا قال حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه واسناد التبين الى الأولين وتعليق العلم بالآخرين مع ان مدار الاسناد والتعلق اولا
وبالذات هو وصف الصدق والكذب كما اشير اليه لما ان المقصد هو العلم بكلا الفريقين باعتبار اتصافهما بوصفيهما المذكورين ومعاملتهما بحسب
استحقاقهما لا العلم بوصفيهما بذاتيهما او باعتبار قيامهما بموصوفيهما هذا وفي تصدير فاتحة الخطاب ببشارة العفو دون ما يوهم العتاب من مراعاة
جانبه عليه السلام وتعهده بحسن المفاوضة ولطف المراجعة ما لا يخفى على اولي الالباب قال سفيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل ذكر
المعفو ولقد اخطأ واساء الادب وبئسما فعل فيما قال وكتب من زعم ان الكلام كناية عن الجناية وان معناه اخطأت وبئسما فعلت هب انه
كناية اليس ايثارها على التصريح بالجناية للتلطيف في الخطاب والتخفيف في العتاب وهب ان العفو مستلزم للخطأ فهل هو مستلزم لكونه من القبح
واستتباع اللائمة بحيث يصحح هذه المرتبة من المشافهة بالسوء ويسوغ انشاء الاستقباح بكلمة بئسما المنبئة عن بلوغ القبح الى رتبة التعجب
منها ولا يخفى انه لم يكن في خروجهم مصلحة للدين ومنفعة للمسلمين بل كان فيه فساد وخبال حسبما نطق به قوله تعالى لو خرجوا الخ وقد كرهه سبحانه كما يفصح
عنه قوله تعالى ولكن كره الله انبعاثهم الآية نعم كان الأولى تأخير الاذن حتى يظهر كذبهم آثر ذي اثير ويفتضحوا على رؤوس الاشهاد ولا يتمكنوا
من التمتع بالعيش على الأمن والدعة ولا يتسنى لهم الابتهاج فيما بينهم بانهم غروه عليه السلام وراج عليه الاكاذيب على انه لم يهنأ لهم عيش
وما قرت لهم عين اذ لم يكونوا على امن واطمئنان بل كانوا على خوف من ظهور امرهم وقد كان لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر تنبيه على
انه كان ينبغي ان يستدل باستئذانهم على حالهم ولا يؤذن لهم اي ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك في ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم
وان الخلص منهم يبادرون اليه من غير توقف على الاذن فضلا عن ان يستأذنوك في التخلف عنه وحيث استأذنك هؤلاء في التخلف كان ذلك
مظنة للتأني في امرهم بل دليلا على نفاقهم وقيل المستأذن فيه محذوف ومعنى قوله تعالى ان يجاهدوا كراهة ان يجاهدوا وانه قيل المحذوف هو
التخلف والمعنى لا يستأذنك المؤمنون في التخلف كراهة الجهاد فيتوجه النفي الى القيد وبه يمتاز المؤمن من المنافق وهو وان كان في نفسه
امرا خفيا لا يوقف عليه بادي الأمر لكن عامة احوالهم لما كانت منبئة عن ذلك جعل امرا ظاهرا مقررا وقيل هو الجهاد اي لا يستأذنك المؤمنون
في الجهاد كراهة ان يجاهدوا وانبأ على ان الاستئذان في الجهاد ربما يكون لكراهة ولا يخفى ان الاستئذان في الشيء لكراهته مما لا يقع بل
لا يعقل ولو سلم وقوعه فالاستئذان لعلة الكراهة مما لا يمتاز بحسب الظاهر من الاستئذان لعلة الرغبة فالذي نفي من المؤمنين يجب ان يثبت للمنافقين
وظاهر انهم لم يستأذنوا في الجهاد لكراهتهم بل انما استأذنوا في التخلف والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة
لهم باجزل الثواب وتقرير لمضمون ما سبق كأنه قيل والله عليم بانهم كذلك واشعار بان ما صدر عنهم معلل بالتقوى انما يستأذنك اي في التخلف
مطلقا على الأول ولكراهة الجهاد على الثاني الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص الايمان بهما في الموضعين للايذان بان الباعث على الجهاد
ببذل النفس والمال انما هو الايمان بهما اذ به يتسنى للمؤمنين استبدال الحيوة الأبدية والنعيم المقيم الخالد بالحيوة الفانية والمتاع الكاسد
وارتابت قلوبهم عطف على الصلة وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق الريب وتقرره فهم حال كونهم في ريبهم وشكهم المستقر في قلوبهم يترددون
اي يتحيرون فان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات ديدن المستبصر والتعبير عنه به مما لا يخفى موقعه ولو ارادوا الخروج يدل على ان بعضهم قالوا عند الاعتذار
كنا نريد الخروج لكن لم نتهيأ له وقد قرب الرحيل بحيث لا يمكننا الاستعداد فقيل تكذيبا لهم لو ارادوه لاعدوا له اي للخروج في وقته عدة اي اهبة
من الزاد والراحلة والسلاح وغير ذلك مما لا بد منه للسفر وقرئ عده بحذف التاء والاضافة الى ضمير الخروج كما فعل بالعدة من قال واخلفوك
عد الأمر الذي وعدوا اي عدته وقرئ عدة بكسر العين وعده بالاضافة ولكن كره الله انبعاثهم اي نهوضهم للخروج قيل هو استدراك عما
يفهم من مقدم الشرطية فان انتفاء ارادتهم للخروج يستلزم انتفاء خروجهم وكراهة الله تعالى انبعاثهم يستلزم تثبطهم عن الخروج فكأنه قيل
ما خرجوا ولكن تثبطوا والاتفاق في المعنى لا يمنع الوقوع بين طرفي لكن بعد تحقق الاختلاف نفيا واثباتا في اللفظ كقولك ما احسن الى زيد
ولكن اساء والاظهر ان يكون استدراكا من نفس المقدم على نهج ما في الاقيسة الاستثنائية والمعنى لو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن

ما ارادوه لما انه تعالى كره انبعاثهم لما فيه من المفاسد التي ستبين فثبطهم اي حبسهم بالجبن والكسل فتثبطوا عنه ولم يستعدوا له وقيل اقعدوا مع القاعدين
تمثيل لالقاء الله تعالى كراهة الخروج في قلوبهم او لوسوسة الشيطان بالأمر بالقعود او هو حكاية قول بعضهم لبعض او هو اذن الرسول عليه السلام
لهم في القعود والمراد بالقاعدين اما المعذورون واما غيرهم وايا ما كان غير خال عن الذم لو خرجوا فيكم بيان لسر كراهته تعالى لانبعاثهم
اي لو خرجوا مخالطين لكم ما زادوكم اي ما اورثوكم شيئا من الأشياء الا خبالا اي فسادا وشرا فالاستثناء مفرغ متصل وقيل منقطع وليس بذلك
ولا وضعوا خلالكم اي ولسعوا فيما بينكم بالنمائم والتضريب وافساد ذات البين من وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا اي حملته
على الاسراع والمعنى لاوضعوا ركائبهم بينكم والمراد به المبالغة في الاسراع بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي وقرئ ولا رقصوا من
رقصت الناقة اي اسرعت وارقصتها انا وقرئ ولا وفضوا اي اسرعوا يبغونكم الفتنة يحاولون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم والقاء
الرعب في قلوبكم وافساد نياتكم والجملة حال من ضمير اوضعوا او استئناف وفيكم سماعون لهم اي نمامون يسمعون حديثكم لأجل نقله اليهم او فيكم
قوم ضعفة يسمعون اي يطيعونهم والجملة حال من مفعول يبغونكم او فاعله لاشتمالها على ضميريهما او مستأنفة ولعلهم لم يكونوا في كثرة العدد
وكيفية الفساد بحيث يخل مكانهم فيما بين المؤمنين بأمر الجهاد اخلالا عظيما ولم يكن فساد خروجهم معادلا لمنفعته ولذلك لم تقتض الحكمة عدم
خروجهم فخرجوا مع المؤمنين ولكن حيث كان انضمام المنافقين القاعدين اليهم مستتبعا لخلل كلي كره الله انبعاثهم فلم يتسن اجتماعهم
فاندفع فسادهم ووجه العتاب على الاذن في قعودهم مع تقرره لا محالة وتضمن خروجهم لهذه الفاسدة انهم لو قعدوا بغير اذن منه عليه السلام
لظهر نفاقهم فيما بين المسلمين من أول الأمر ولم يقدروا على مخالطتهم والسعي فيما بينهم بالاراجيف ولم يتسن لهم التمتع بالعيش الى ان يظهر
حالهم بقوارع الآيات النازلة والله عليم بالظالمين علما محيطا بضمائرهم وظواهرهم وما فعلوا فيما مضى وما يأتي منهم فيما سيأتي ووضع
المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والتشديد في الوعيد والاشعار بترتبه على الظلم ولعله شامل للفريقين السماعين والقاعدين
لقد ابتغوا الفتنة تشتيت شملك وتفريق اصحابك عنك من قبل اي يوم احد حين انصرف عبد الله بن ابي سلول المنافق بمن معه وقد تخلف بمن
معه عن تبوك ايضا بعد ما خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا من المنافقين ليفتكوا به عليه السلام فردهم الله تعالى خاسئين وقلبوا لك الأمور تقليب الأمر
تصريفه من وجه الى وجه وترديده لأجل التدبير والاجتهاد في المكر والحيلة يقال للرجل المتصرف في وجوه الحيل حول قلب اي اجتهدوا ودبروا
لك الحيل والمكائد ودوروا الآراء في ابطال امرك وقرئ بالتخفيف حتى جاء الحق اي النصر والتأييد الالهي وظهر امر الله غلب دينه وعلا
شرعه وهم كارهون والحال انهم كارهون لذلك اي على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عن تخلف المتخلفين
وبيان ما ثبطهم الله تعالى لأجله وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعذارهم تداركا لما عسى يفوت بالمبادرة الى الاذن وايذانا بان ما
فات بها ليس مما لا يمكن تلافيه تهوينا للخطب ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني اي لا توقعني في الفتنة وهي العصيان والاثم بان
اني متخلف لا محالة اذنت او تأذن فأذن لي حتى لا اقع في المعصية بالمخالفة او لا تلقني في الهلكة فاني ان خرجت معك هلك مالي وعيالي لعدم
من يقوم بمصالحهم وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الأنصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكن اعينك بمالي
فاتركني وقرئ ولا تفتني من افتنه بمعنى فتنه الا في الفتنة اي في عينها ونفسها واكد افرادها الغني عن الوصف بالكمال الحقيقي
باختصاص اسم الجنس بها سقطوا لا في شيء مغاير لها فضلا عن ان يكون لهم مهربا ومخلصا عنها وذلك بما فعلوا من العزيمة على التخلف والجرأة
على الاستئذان بهذه الطريقة الشنيعة ومن القعود بالاذن المبني عليه وعلى الاعتذارات الكاذبة وقرئ بافراد الفعل محافظة على لفظ من وفي
تصدير الجملة بحرف التنبيه مع تقديم الظرف ايذان بانهم وقعوا فيها وهم يحسبون انهم منجى من الفتنة زعما منهم ان الفتنة انما هي التخلف
بغير اذن وفي التعبير عن الافتتان بالسقوط في الفتنة تنزيل لها منزلة المهواة المهلكة المفصحة عن ترديهم في دركات الردى اسفل سافلين
وقوله عز وجل وان جهنم لمحيطة بالكافرين وعيد لهم على ما فعلوا معطوف على الجملة السابقة داخل تحت التنبيه اي جامعة لهم يوم القيمة من
كل جانب وايثار الجملة الاسمية للدلالة على الثبات والاستمرار او محيطة بهم الآن تنزيلا لشيء سيقع عن قريب منزلة الواقع او وصفا لاسباب
الشيء بوصفه فان مبادي احاطة النار بهم في الكفر والمعاصي محيطة بهم الآن من جميع الجوانب ومن جملتها ما فروا منه وما سقطوا فيه من الفتنة وقيل

ملك المبادي المتشكلة بصور الأعمال والأخلاق هي التي تراها بعينها ولكن لا يظهر ذلك في هذه النشأة وإنما يظهر عند تشكلها بصورها الحقيقية في النشأة الآخرة والمراد بالكافرين إما المنافقون وإيثار وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالكفر والإشعار بأنه معظم أسباب الإحاطة المذكورة وإما جميع الكافرين الشاملين للمنافقين شمولا أوليا إن تصبك في بعض مغازيك حسنة من الظفر والغنيمة تسؤهم تلك الحسنة أي تورثهم مساءة لفرط حسدهم وعداوتهم لك وإن تصبك في بعضها مصيبة من نوع شدة يقولوا متبجحين بما صنعوا حامدين لآرائهم قد أخذنا أمرنا أي تلافينا ما يهمنا من الأمر يعنون به الاعتزال عن المسلمين والقعود عن الحرب والمداراة مع الكفرة وغير ذلك من أمور الكفر والنفاق قولا وفعلا من قبل أي من قبل إصابة المصيبة في وقت تداركه يشيرون بذلك إلى أن المعاملة المذكورة إنما تروج عند الكفرة بوقوعها حال قوة الإسلام لا بعد إصابة المصيبة ويتولوا عن مجلس الاجتماع والتحدث إلى أهاليهم أو يعرضوا عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم فرحون بما صنعوا من أخذ الأمر وبما أصابه عليه الصلاة والسلام والجملة حال من الضمير في يقولوا ويتولوا لا في الأخير فقط لمقارنة الفرح لهما معا وإيثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام السرور وإسناد المساءة إلى الحسنة والمسرة إلى أنفسهم دون المصيبة بأن يقال وإن تصبك مصيبة تسرهم للإيذان باختلاف حالهم حالتي عروض المساءة والمسرة بأنهم في الأولى مضطرون وفي الثانية مختارون قل بيانا لبطلان ما بنوا عليه مسرتهم من الاعتقاد لن يصيبنا أبدا وقرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا من فيعل لا من فعل لأنه واوي يقال صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب إلا ما كتب الله لنا أي أثبته لمصلحتنا الدنيوية أو الأخروية من النصرة عليكم أو الشهادة المؤدية إلى النعيم الدائم هو مولانا ناصرنا ومتولي أمورنا وعلى الله وحده فليتوكل المؤمنون التوكل تفويض الأمر إلى الله تعالى والرضى بما فعله وإن كان ذلك بعد ترتيب المبادي العادية والفاء للدلالة على السببية والأصل ليتوكل المؤمنون على الله قدم الظرف على الفعل لإفادة القصر ثم أدخل الفاء للدلالة على استيجابه تعالى للتوكل عليه كما في قوله تعالى وإياي فارهبون والجملة إن كانت من تمام الكلام المأمور به فإظهار الاسم الجليل في مقام الإضمار لإظهار التبرك والتلذذ به وإن كانت مسوقة من قبله تعالى أمر المؤمنين بالتوكل إثر أمره صلى الله عليه وسلم بما ذكر فالأمر ظاهر وكذا إعادة الأمر في قوله عز وجل قل هل تربصون بنا لانقطاع حكم الأمر الأول بالثاني وإن كان أمر الغائب وأما على الوجه الأول فهي لإبراز كمال العناية بشأن المأمور به والإشعار بما بينه وبين ما أمر به أولا من الفرق في السياق والتربص التمكث مع انتظار مجيء شيء خيرا كان أو شرا والباء للتعدية وإحدى التاءين محذوفة أي ما تنتظرون بنا إلا إحدى الحسنيين أي العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصر والشهادة وهذا نوع بيان لما أبهم في الجواب الأول وكشف لحقيقة الحال بإعلام أن ما يزعمونه مضرة للمسلمين من الشهادة أنفع مما يعدونه منفعة من النصر والغنيمة ونحن نتربص بكم إحدى السوأيين من العواقب إما أن يصيبكم الله بعذاب من عنده كما أصاب من قبلكم من الأمم المهلكة والظرف صفة عذاب ولذلك حذف عامله وجوبا أو بعذاب بأيدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا الفاء فصيحة أي إذا كان الأمر كذلك فتربصوا بنا ما هو عاقبتنا إنا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فإذا لقي كل منا ومنكم ما يتربصه لا تشاهدون إلا ما يسوءنا ولا نشاهد إلا ما يسوءكم قل أنفقوا أموالكم في سبيل الله طوعا أو كرها مصدران وقعا موقع الفاعل أي طائعين أو كارهين وهو أمر في معنى الخبر كقوله تعالى استغفر لهم أو لا تستغفر لهم والمعنى أنفقتم طوعا أو كرها لن يتقبل منكم ونظم الكلام في سلك الأمر للمبالغة في بيان تساوي الأمرين في عدم القبول كأنهم أمروا بأن يمتحنوا الحال فينفقوا على الحالين فينظروا هل يتقبل منهم فيشاهدوا عدم القبول وهو جواب قول جد بن قيس ولكن أعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل أن يكون بمعنى عدم الأخذ منهم وأن يكون بمعنى عدم الإثابة عليه وقوله عز وجل إنكم كنتم قوما فاسقين أي عاتين متمردين تعليل لرد إنفاقهم وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم وقرئ بالتحتانية إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله استثناء من أعم الأشياء أي ما منعهم قبول نفقاتهم منهم شيئا من الأشياء إلا كفرهم وقرئ يقبل على البناء للفاعل وهو الله تعالى ولا يأتون الصلوة إلا وهم كسالى أي لا يأتونها في حال من الأحوال إلا حال كونهم متثاقلين ولا ينفقون إلا وهم كارهون لأنهم لا يرجون بها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا فقوله تعالى طوعا أي من غير إلزام من جهته عليه السلام لا رغبة أو هو فرضي لتوسيع الدائرة فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم فإن ذلك استدراج لهم ووبال عليهم حسبما ينبئ عنه قوله تعالى إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا بما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يقاسون فيها من الشدائد والمصائب وتزهق أنفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك

لهم نقمة لا نعمة وأصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله إنهم لمنكم في الدين والإسلام وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون يخافون أن يفعل بهم ما يفعل بالمشركين فيظهرون الإسلام تقية ويؤيدونه بالأيمان الفاجرة لو يجدون ملجأ استئناف مقرر لمضمون ما سبق من أنهم ليسوا من المسلمين وأن التجاءهم إليهم إنما هو للتقية اضطرارا حتى أنهم لو وجدوا غير ذلك ملجأ أي مكانا حصينا يلجؤون إليه من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة وإيثار صيغة الاستقبال في الشرط وإن كان المعنى على المضي لإفادة الاستمرار عدم الوجدان فإن المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس نصا في إفادة انتفاء استمرار الفعل كما هو الظاهر بل قد يفيد استمرار انتفائه أيضا حسبما يقتضيه المقام فإن معنى قولك لو تحسن إلي شكرتك بسبب استمرار انتفاء الإحسان لأنه بسبب انتفاء استمرار الإحسان فإن الشكر يتوقف على وجود الإحسان لا على استمراره كما حقق في موضعه أو مغارات أي غيرانا وكهوفا يخفون فيها أنفسهم وقرئ بضم الميم من أغار الرجل إذا دخل الغور وقيل متعد من غار إذا دخل الغور أي أمكنة يغيرون فيها أشخاصهم وأهليهم ويجوز أن يكون من أغار الثعلب إذا أسرع بمعنى مهارب ومغار أو مدخلا أي نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا من الدخول ومدخلا من الإدخال أي مكانا يدخلون فيه أنفسهم وقرئ متدخلا ومندخلا من التدخل والاندخال لولوا أي لصرفوا وجوههم وأقبلوا وقرئ لوالوا أي لالتجأوا إليه أي إلى أحد ما ذكر وهم يجمحون أي يسرعون بحيث لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي لا يثنيه اللجام وفيه إشعار بكمال عتوهم وطغيانهم وقرئ يجمزون ويشتدون ومنه الجماز ومنهم من يلمزك بكسر الميم وقرئ بضمها أي يعيبك سرا وقرئ يلمزك ويلامزك مبالغة في الصدقات أي في شأنها وقسمتها فإن أعطوا منها بيان لفساد لمزهم وأنه لا منشأ له سوى حرصهم على حطام الدنيا أي إن أعطوا منها قدر ما يريدون رضوا بما وقع من القسمة واستحسنوها وإن لم يعطوا منها ذلك المقدار إذا هم يسخطون أي يفاجئون السخط وإذا نائب مناب فاء الجزائية قيل نزلت الآية في أبي الجواظ المنافق حيث قال ألا ترون إلى صاحبكم يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم أنه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة واسمه حرقوص بن زهير التميمي رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب أهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال عليه الصلوة والسلام ويلك إن لم أعدل فمن يعدل وقيل هم المؤلفة قلوبهم والأول هو الأظهر ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله أي ما أعطاهم الرسول عليه السلام من الصدقات طيبي النفوس به وإن قل وذكر الله عز وجل للتعظيم والتنبيه على أن ما فعله الرسول عليه السلام كان بأمره سبحانه وقالوا حسبنا الله أي كفانا فضله وصنعه بنا وما قسمه لنا سيؤتينا الله من فضله ورسوله بعد هذا حسبما نرجو ونؤمل إنا إلى الله راغبون في أن يخولنا فضله والآية بأسرها في حيز الشرط والجواب محذوف بناء على ظهوره أي لكان خيرا لهم إنما الصدقات شروع في تحقيق حقية ما صنعه الرسول صلى الله عليه وسلم من القسمة ببيان المصارف ورد لمقالة القالة في ذلك وحسم لأطماعهم الفارغة المبنية على زعمهم الفاسد ببيان أنهم بمعزل من الاستحقاق أي جنس الصدقات المشتملة على الأنواع المختلفة للفقراء والمساكين أي مخصوصة بهؤلاء الأصناف الثمانية الآتية لا تتجاوزهم إلى غيرهم كأنه قيل إنما هي لهم لا لغيرهم فما للذين لا علاقة بينها وبينهم يقولون فيها ما يقولون وما سوغ لهم أن يتكلموا فيها وفي قاسمها والفقير من له أدنى شيء والمسكين من لا شيء له هو المروي عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى وقد قيل على العكس ولكل منهما وجه يدل عليه والعاملين عليها الساعين في جمعها وتحصيلها والمؤلفة قلوبهم هم أصناف فمنهم أشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستألفهم ليسلموا فيرضخ لهم ومنهم قوم أسلموا ونياتهم ضعيفة فيؤلف قلوبهم بإجزال العطاء كعيينة بن حصين والأقرع بن حابس والعباس بن مرداس ومنهم من يترقب بإعطائهم إسلام نظرائهم ولعل الصنف الأول كان يعطيهم الرسول صلى الله عليه وسلم من خمس الخمس الذي هو خالص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكوة وقد سقط سهم هؤلاء بالإجماع لما أن ذلك كان لتكثير سواد الإسلام فلما أعزه الله عز وعلا وأعلى كلمته استغني عن ذلك وفي الرقاب أي وللصرف في فك الرقاب بأن يعان المكاتبون بشيء منها على أداء نجومهم وقيل بأن يفدى الأسارى وقيل بأن يبتاع منها الرقاب فتعتق وأيا ما كان فالعدول عن اللام لعدم ذكرهم بعنوان مصحح للمالكية والاختصاص كالذين من قبلهم أو للإيذان بعدم قرار ملكهم فيما أعطوا كما في الوجهين الأولين أو بعدم ثبوته رأسا كما في الوجه الأخير أو للإشعار برسوخهم في استحقاق الصدقة كما أن في للظرفية المنبئة عن إحاطتهم بها وكونهم محلها ومركزها والغارمين أي الذين تدينوا لأنفسهم في غير معصية إذا لم يكن لهم نصاب فاضل عن ديونهم وكذلك عند الشافعي رحمه الله تعالى من غرم لإصلاح ذات البين وإطفاء الثائرة بين القبيلتين وإن كانوا أغنياء وفي سبيل الله أي فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل أي المسافر المنقطع عن ماله وتكرير الظرف في الأخيرين للإيذان بزيادة فضلهما في الاستحقاق أو لما مر من أن إيرادهما بعنوان غير مصحح للمالكية والاختصاص فهذه

مصارف الصدقات فللمتصدق ان يدفع صدقته الى كل واحد منهم وان يقتصر على صنف منهم لان اللام لبيان انهم مصارف لا تخرج عنهم لا لاثبات
الاستحقاق وقد روي ذلك عن عمر وابن عباس وحذيفة رضي الله تعالى عليهم وعند الشافعي رحمه الله تعالى لا يجوز الا ان يصرف الى ثلثة من كل الاصناف
فريضة من الله مصدر مؤكد لما دل عليه صدر الآية اي فرض لهم الصدقات فريضة ونقل عن سيبويه انه منصوب بفعله مقدرا اي فرض الله ذلك فريضة
او حال من الضمير المستكن في قوله للفقراء اي انما الصدقات كائنة لهم حال كونها فريضة اي مفروضة والله عليم باحوال الناس ومراتب استحقاقهم
حكيم لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة من الامور الحسنة التي من جملتها سوق الحقوق الى مستحقيها ومنهم الذين يؤذون النبي نزلت في فرقة من
المنافقين قالوا في حقه عليه السلام ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ذلك فيقع بنا ما يقع فقال الجلاس بن سويد نقول ما
شئنا ثم ناتيه فننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول انما محمد اذن سامعة وذلك قوله عز وجل ويقولون هو اذن اي يسمع كل ما قيل من غير
ان يتدبر فيه ويميز بين ما يليق بالقبول لمساعدة امارات الصدق له وبين ما لا يليق وانما قالوه لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يواجههم
بسوء ما صنعوا ويصفح عنهم حلما وكرما فحملوه على سلامة القلب وقالوا ما قالوا قل اذن خير لكم من قبيل رجل صدق في الدلالة على المبالغة في
الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يكون المراد اذن في الخير والحق وفيما ينبغي سماعه وقبوله لا في غير ذلك كما يدل
عليه قراءة رحمة بالجر عطفا عليه اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله وقرئ اذن بسكون الذال فيهما وقرئ اذن خير على انه صفة
او خبر ثان وقوله عز وجل يؤمن بالله تفسير لكونه اذن خير لهم اي يصدق بالله تعالى لما قام عنده من الادلة الموجبة له وكون ذلك خيرا للمخاطبين
كما انه خير للعالمين مما لا يخفى ويؤمن للمؤمنين اي يصدقهم لما علم فيهم من الخلوص واللام مزيدة للتفرقة بين الايمان المشهور وبين الايمان
بمعنى التسليم والتصديق كما في قوله تعالى انؤمن لك الخ وقوله تعالى فما آمن لموسى الخ ورحمة عطف على اذن خير اي وهو رحمة بطريق اطلاق المصدر على
الفاعل للمبالغة للذين آمنوا منكم اي للذين اظهروا الايمان منكم حيث يقبله منهم لكن لا تصديقا لهم في ذلك بل رفقا بهم وترحما عليهم ولا يكشف
اسرارهم ولا يهتك استارهم واسناد الايمان اليهم بصيغة الفعل بعد نسبته الى المؤمنين بصيغة الفاعل المبنية على الرسوخ والاستمرار للايذان
بان ايمانهم امر حادث ما له من قرار وقرئ بالنصب على انها علة لفعل دل عليه اذن خير اي ياذن لكم رحمة والذين يؤذون رسول الله بما نقل عنهم من
قولهم هو اذن ونحوه وفي صيغة الاستقبال المشعرة بترتب الوعيد على الاستمرار على ما هم عليه اشعار بقبول توبتهم كما افصح عنه قوله تعالى فيما سياتي
فان يتوبوا يك خيرا لهم بما يخبرون من اذيته عليه السلام كما ينبئ عنه بناء الحكم على الموصول عذاب اليم وهذا اعتراض مسوق من قبله عز وجل على نهج
الوعيد غير داخل تحت الخطاب وفي تكرير الاسناد باثبات العذاب الاليم لهم ثم جعل الجملة خبرا للموصول ما لا يخفى من المبالغة وايراده صلى الله عليه وسلم
بعنوان الرسالة مضافا الى الاسم الجليل لغاية التعظيم والتنبيه على ان اذيته راجعة الى جنابه عز وجل موجبة لكمال السخط والغضب يحلفون
بالله لكم الخطاب للمؤمنين خاصة وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن ثم ياتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالايمان ليعذروهم
ويرضوا عنهم اي يحلفون لكم انهم ما قالوا ما نقل اليهم مما يورث اذاة النبي صلى الله عليه وسلم واما التخلف عن الجهاد فليس بداخل في هذا الاعتذار
ليرضوكم بذلك وافراد ارضائهم بالتعليل مع ان عمدة اغراضهم ارضاء الرسول صلى الله عليه وسلم وقد قبل عليه السلام ذلك منهم ولم يكذبهم للايذان
بان ذلك بمعزل من ان يكون وسيلة الى ارضائه عليه السلام وانه عليه السلام انما لم يكذبهم رفقا بهم وسترا لعيوبهم لا عن رضى بما فعلوا كما اشير
اليه والله ورسوله احق ان يرضوه اي احق بالارضاء ولا يتسنى ذلك الا بالطاعة والمتابعة وايفاء حقوقه عليه السلام في باب الاجلال والاعظام
مشهدا ومغيبا واما ما اتوا به من الايمان الفاجرة فانما يرضى بها من انحصر طريق علمه في الاخبار الى ان يجيء الحق ويزهق الباطل والجملة نصب على
الحالية من ضمير يحلفون اي يحلفون لكم لارضائكم والحال انه تعالى ورسوله احق بالارضاء منكم اي يعرضون عما يهمهم ويجديهم ويشتغلون بما لا يعنيهم
وايراد الضمير في يرضوه اما للايذان بان رضاه عليه السلام مندرج تحت رضاه سبحانه وارضاءه عليه السلام ارضاء له تعالى لقوله تعالى من يطع الرسول
فقد اطاع الله واما لانه مستعار لاسم الاشارة الذي يشار به الى الواحد والمتعدد بتاويل المذكور كما في قول رؤبة فيها خطوط من سواد
وبلق كانه في الجلد توليع البهق اي كان ذلك لا يقال اي حاجة الى الاستعارة بعد التاويل بالمذكور لانا نقول لولا الاستعارة لم يتسن التاويل
لان الضمير لا يتعرض الا لذات ما يرجع اليه من غير تعرض لوصف من اوصافه التي من جملتها المذكورية وانما المتعرض لها اسم الاشارة واما لانه
عائد الى رسوله والكلام جملتان حذف خبر الاولى لدلالة خبر الثانية عليه كما ذهب اليه سيبويه ومنه قول من قال نحن بما عندنا وانت بما عندك راض

والرأي مختلف او الى الله على ان المذكور خبر الجملة الاولى وخبر الثانية محذوف كما هو رأي المبرد ان كانوا مؤمنين جوابه محذوف تعويلا على دلالة ما سبق
عليه اي ان كانوا مؤمنين فليرضوا الله ورسوله بما ذكر فانهما احق بالارضاء الم يعلموا اي اولئك المنافقون والاستفهام للتوبيخ على ما اقدموا عليه
من العظيمة مع علمهم بسوء عاقبتها وقرئ بالتاء على الالتفات لزيادة التقريع والتوبيخ اي الم يعلموا بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم من فنون
القوارع والانذارات انه اي الشان من يحادد الله ورسوله المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق والمعاداة من العدوة بمعنى الجانب فان كل واحد
من مباشري كل من الافعال المذكورة في محل غير محل صاحبه ومن شرطية جوابها قوله تعالى فان له نار جهنم على ان خبره محذوف اي فحق
ان له نار جهنم وقرئ بكسر الهمزة والجملة الشرطية في محل الرفع على انها خبر لان وهي مع خبرها سادة مسد مفعولي يعلموا وقيل المعنى فله
وان تكرير الاولى تأكيدا لطول العهد لا من باب التأكيد اللفظي المانع للاولى من العمل ودخول الفاء كما في قول من قال لقد علم الحي اليمانون انني
اذا قلت اما بعد اني خطيبها وقد جوز ان يكون فان له معطوفا على انه وجواب الشرط محذوف تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك
فان له الخ ورد بان ذلك انما يجوز عند كون فعل الشرط ماضيا او مضارعا مجزوما بلم خالدا فيها حال مقدرة من الضمير المجرور ان اعتبر في الظرف
ابتداء الاستقرار وحدوثه وان اعتبر مطلق الاستقرار فالامر ظاهر ذلك اشارة الى ما ذكر من العذاب الخالد وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا في درجته في الهول
والفظاعة الخزي العظيم الخزي الذل والهوان المقارن للفضيحة والندامة وهي ثمرات نفاقهم حيث يفتضحون على رؤوس الاشهاد بظهور نفاقهم ولحوق
العذاب الخاص بهم والجملة تذييل لما سبق يحذر المنافقون ان تنزل عليهم في شانهم فان ما نزل في حقهم نازل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم
من الاسرار الخفية فضلا عما كانوا يظهرونه فيما بينهم من اقاويل الكفر والنفاق ومعنى تنبئتها اياهم بما في قلوبهم مع انه معلوم لهم وان
المحذور عندهم اطلاع المؤمنين على اسرارهم لا اطلاع انفسهم عليها انها تذيع ما كانوا يخفونه من اسرارهم فتنتشر فيما بين الناس فيسمعونها
من افواه الرجال مذاعة فكانها تخبرهم بها او المراد بالتنبئة المبالغة في كون السورة مشتملة على اسرارهم كانها تعلم من احوالهم الباطنة ما لا
يعلمونه فتنبئهم بها وتنعى عليهم قبائحهم وقيل معنى يحذر ليحذر وقيل الضميران الاولان للمؤمنين والثالث للمنافقين ولا يبالي بالتفكيك عند
ظهور الامر بعود المعنى اليه اي يحذر المنافقون ان تنزل على المؤمنين سورة تخبرهم بما في قلوب المنافقين وتهتك عليهم استارهم قال ابو مسلم
كان اظهار الحذر منهم بطريق الاستهزاء فانهم كانوا اذا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر كل شيء ويقول انه بطريق الوحي يكذبونه ويستهزئون
به ولذلك قيل قل استهزءوا اي افعلوا الاستهزاء وهو امر تهديد ان الله مخرج اي من القوة الى الفعل ومن الكمون الى البروز ما تحذرون اي تحذرونه
من انزال السورة ومن مخازيكم ومثالبكم المستكنة في قلوبكم الفاضحة لكم على ملأ الناس والتأكيد لرد انكارهم بذلك لا لدفع ترددهم في وقوع
المحذور اذ ليس حذرهم بطريق الحقيقة ولئن سألتهم عما قالوا ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روي انه عليه السلام كان يسير في غزوة تبوك وبين يديه
من المنافقين يستهزئون بالقرآن وبالرسول عليه السلام ويقولون انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتتح حصون الشام وقصورها هيهات هيهات
فاطلع الله تعالى نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من امرك ولا من
امر اصحابك ولكنا كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل غير ملتفت الى اعتذارهم ناعيا عليهم جناياتهم منزلا لهم
منزلة المعترف بوقوع الاستهزاء موبخا لهم على اخطائهم موقع الاستهزاء ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون حيث عقب حرف التقرير بالمستهزأ به
ولا يستقيم ذلك الا بعد تحقق الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا لا تشتغلوا بالاعتذار وهو عبارة عن محو اثر الذنب فانه معلوم الكذب بين البطلان
قد كفرتم اظهرتم الكفر بايذاء الرسول عليه الصلوة والسلام والطعن فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم له ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم
او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء وقرئ يعف على اسناد الفعل الى الله سبحانه وقرئ على البناء للمفعول مسندا الى الظرف بتذكير الفعل
وبتانيثه ايضا ذهابا الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة نعذب بنون العظمة وقرئ بالياء على البناء للفاعل وبالتاء على البناء للمفعول مسندا
الى ما بعده طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على الاجرام وهم غير التائبين او مباشرين له وهم غير المجتنبين قال محمد بن اسحاق الذي عفي عنه رجل
واحد هو يحيى بن حمير الاشجعي لما نزلت هذه الآية تاب عن نفاقه وقال اللهم اني لا ازال اسمع آية تقشعر منه الجلود وتجب منها القلوب اللهم
اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت فاصيب يوم اليمامة فما احد من المسلمين الا عرف مصرعه غيره المنافقون
والمنافقات التعرض لاحوال الاناث للايذان بكمال عراقتهم في الكفر والنفاق بعضهم من بعض متشابهون في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشيء

الواحد بالشخص وقيل اريد به نفي ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله تع وما هم منكم وقوله تع يأمرون بالمنكر
اي بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف اي عن الايمان والطاعة استيناف مقرر لمضمون ما سبق ومفصح عن مضادة حالهم لحال المؤمنين او خبر ثان
ويقبضون ايديهم اي عن المبرات والانفاق في سبيل الله فان قبض اليد كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله
وخذلهم والتعبير عنه بالنسيان للمشاكلة ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد والفسق الذي هو الخروج عن الطاعة والانسلاخ عن
كل خير والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير كما في قوله تع وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار اي المجاهرين نار جهنم خالدين فيها
مقدرين الخلود فيها هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عقابها وعذابها ولعنهم الله اي ابعدهم من رحمته واهانهم وفي اظهار الاسم
الجليل من الايذان بشدة السخط ما لا يخفى ولهم عذاب مقيم اي نوع من العذاب غير عذاب النار دائم لا ينقطع ابدا او لهم عذاب مقيم معهم في الدنيا
لا ينفك عنهم وهو ما يقاسونه من تعب النفاق الذي هم منه في بلية دائمة لا يأمنون ساعة من خوف الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع
على اسرارهم كالذين من قبلكم التفات من الغيبة الى الخطاب للتشديد والكاف في محل الرفع على الخبرية اي انتم مثل الذين من قبلكم من الامم
المهلكة او في حيز النصب بفعل مقدر اي فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا تفسير وبيان لتشبههم
بهم وتمثيل لحالهم بحالهم فاستمتعوا وتمتعوا او في صيغة الاستفعال ما ليس في التفعل من الاستزادة والاستدامة في التمتع بخلاقهم بنصيبهم من
ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير وهو ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر
محذوف اي استمتاعا كاستمتاع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم الخسيسة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن
النظر في العواقب الحقة واللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم اياهم واقتفائهم اثرهم وخضتم اي دخلتم في الباطل كالذي
خاضوا اي كالذين باسقاط النون او كالفوج الذي او كالخوض الذي خاضوه اولئك اشارة الى المتصفين بالاوصاف المعدودة من
المشبهين والمشبه بهم لا الى الفريق الاخير فقط فان ذلك يقتضي ان يكون حبوط اعمال المشبهين في حيز انهم مفهومين ضمنا لا صريحا ويؤدي الى
خلو تلوين الخطاب عن الفائدة اذ الظاهرة اوليكم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يصلح للخطاب اي اولئك الموصوفون
بما ذكر من الافعال الذميمة حبطت اعمالهم ليس المراد بها اعمالهم المعدودة كما يشعر به التعبير عنهم باسم الاشارة فان غائلتها غنية عن البيان بل
اعمالهم التي كانوا يستحقون بها اجورا حسنة لو قارنت الايمان اي ضاعت وبطلت بالكلية ولم يترتب عليها اثر في الدنيا والآخرة بطريق
المثوبة والكرامة اما في الآخرة فظاهر واما في الدنيا فلان ما ترتب على اعمالهم فيها من الصحة والسعة وغير ذلك حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل
من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ليس ترتبه عليها على طريقة المثوبة والكرامة بل بطريق الاستدراج
واولئك اي الموصوفون بحبوط الاعمال في الدارين هم الخاسرون الكاملون في الخسران في الدارين الجامعون لمباديه واسبابه طرا فانه قد
ذهبت رؤس اموالهم التي هي اعمالهم فيما ضرهم ولم ينفعهم قط ولو انها ذهبت فيما لا يضرهم ولا ينفعهم لكفى به خسرانا وايراد اسم الاشارة
في الموضعين للاشعار بعلية الاوصاف المشار اليها بالحبوط والخسران الم يأتهم اي المنافقين نبأ الذين من قبلهم اي خبرهم الذي له شان وهو
فعلوا وما فعل بهم والاستفهام للتقرير والتحذير قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين وهم قوم شعيب والمؤتفكات قريات قوم
لوط ائتفكت بهم اي انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى
الشر اتتهم رسلهم بالبينات استيناف لبيان نبأهم فما كان الله ليظلمهم الفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام اي
فكذبوهم فاهلكهم الله فما كان الله ليظلمهم بذلك وايثار ما عليه النظم الكريم للمبالغة في تنزيه ساحة السبحان عن الظلم اي ما صح وما استقام له
ان يظلمهم ولكنهم انفسهم ظلموا انفسهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في قوله عز وجل ولكن كانوا انفسهم يظلمون للدلالة على استمرار ظلمهم حيث
لم يزالوا يعرضونها للعقاب بالكفر والتكذيب وتقديم المفعول لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد الى قصر المظلومية عليهم على
رأي من يرى التقديم موجبا للقصر فيكون كما في قوله تع وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم من غير قصر للظلم على الفاعل او المفعول وسيجيء لهذا
مزيد بيان في قوله سبحانه ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض بيان لحسن حال
المؤمنين والمؤمنات حالا وما لا اثر بيان قبح حال اضدادهم عاجلا وآجلا والتعبير عن نسبة هؤلاء بعضهم الى بعض بالولاية دون نسبة

اولئك بمن الاتصالية للايذان بان نسبة هؤلاء بطريق القرابة الدينية المبنية على المعاقدة المستتبعة للآثار من المعونة والنصرة وغير ذلك ونسبة
اولئك بمقتضى الطبيعة والعادة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر اي جنسي المعروف والمنكر المنتظمين لكل خير وشر ويقيمون الصلوة فلا يزالون
يذكرون الله سبحانه فهو في مقابلة ما سبق من قوله تع نسوا الله ويؤتون الزكوة بمقابلة قوله تع ويقبضون ايديهم ويطيعون الله ورسوله
اي في كل امر ونهي وهو بمقابلة وصف المنافقين بكمال الفسق والخروج عن الطاعة اولئك اشارة الى المؤمنين والمؤمنات باعتبار اتصافهم بما
سلف من الصفات الفاضلة وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم في الفضل اي اولئك المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة سيرحمهم الله
اي يفيض عليهم آثار رحمته من التأييد والنصرة البتة فان السين مؤكدة للوقوع كما في قولك سأنتقم منك ان الله عزيز تعليل للوعد اي قوي
قادر على اعزاز اوليائه وقهر اعدائه حكيم يبني احكامه على اساس الداعية الى ايصال الحقوق من النعمة والنقمة الى مستحقيها من اهل
الطاعة واهل المعصية وهذا وعد للمؤمنين متضمن لوعيد المنافقين كما ان ما سبق في شان المنافقين من قوله تع فنسيهم وعيدهم
متضمن لوعد المؤمنين فان منع لطفه تع عنهم لطف في حق المؤمنين وعد الله المؤمنين والمؤمنات تفصيل لآثار رحمته الاخروية
اثر ذكر رحمته الدنيوية والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بعليته وصف الايمان لحصول ما تعلق به الوعد وعدم التعرض
لذكر ما مر من الامر بالمعروف وغير ذلك للايذان بانه من لوازمه ومستتبعاته اي وعدهم شاملا لكل احد منهم على اختلاف طبقاتهم في
مراتب الفضل كيفا وكما جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها فان كل احد منهم فائز بها لا محالة ومساكن طيبة اي وعد بعض
الخواص لكل منهم منازل تستطيبها النفوس او يطيب فيها العيش في الخبر انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات
عدن هي ابهى اماكن الجنات واسناها عن النبي صلى الله عليه وسلم عدن دار الله لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة
النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تع طوبى لمن دخلك وعن ابن عمر رضي الله عنه ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج
والمروج وله خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حبرة لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد وعن ابن مسعود رضي الله عنه هي بطنان
الجنة وسرتها فعدن على هذا علم وقيل هو بمعناه اللغوي اعني الاقامة والخلود فمرجع العطف الى اختلاف الوصف وتغايره فكانه وصفه
اولا بانه من حيث ما هو اشرف الاماكن المعروفة عندهم من الجنات ذات الانهار الجارية ليميل اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه
بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا يكاد يخلو عنها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه
بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اعلى من ذلك كله فقال ورضوان من الله اي وشيء
يسير من رضوانه تع اكبر اذ عليه يدور فوز كل خير وسعادة وبه يناط نيل كل شرف وسيادة ولعل عدم نظمه في سلك الوعد مع عزته
في نفسه لانه متحقق في ضمن كل موعود ولانه مستمر في الدارين روي انه تع يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى وقد
اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم
ابدا ذلك اشارة الى ما سبق ذكره وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجته في العظم والفخامة هو الفوز العظيم دون ما يعده الناس فوزا
من حظوظ الدنيا فانها مع قطع النظر عن فنائها وتغيرها وتنغصها وتكدرها ليست بالنسبة الى ادنى شيء من نعيم الآخرة بمثابة جناح
البعوض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء ونعم ما قال من قال
تالله لو كانت الدنيا باجمعها تبقى علينا وما من رزقها رغدا ما كان من حق حر ان يذل بها فكيف وهي متاع يضمحل غدا يا ايها النبي جاهد الكفار
اي المجاهرين منهم بالسيف والمنافقين بالحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا يأخذك بهم رأفة قال عطاء نسخت هذه الآية كل شيء من
العفو والصفح ومأويهم جهنم جملة مستأنفة لبيان آجل امرهم اثر بيان عاجله وقيل حالية وبئس المصير تذييل قبله والمخصوص بالذم محذوف
يحلفون بالله ما قالوا استيناف لبيان ما صدر عنهم من الجرائم الموجبة لما مر من الامر بالجهاد والغلظة عليهم ودخول جهنم روي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمعه من كان منهم معه عليه السلام فقال الجلاس بن سويد
منهم لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس
اجل والله ان محمدا الصادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم

انزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق فنزلت وايثار صيغة الاستقبال في يحلفون لاستحضار الصورة او للدلالة على تكرر الحلف
وصيغة الجمع في قالوا مع ان القائل هو الجلاس للايذان بان بقيتهم برضاهم بقوله صاروا بمنزلة القائل **ولقد قالوا كلمة الكفر** هي ما حكي آنفا
والجملة مع ما عطف عليها اعتراض **وكفروا بعد اسلامهم** اي واظهروا ما في قلوبهم من الكفر بعد اظهارهم الاسلام **وهموا بما لم ينالوا** هو الفتك برسول الله
صلى الله عليه وسلم وذلك انه توافق خمسة عشر منهم على ان يدفعوه عليه السلام عن راحلته اذا تسنم العقبة بالليل وكان عمار بن ياسر آخذا بخطام
راحلته يقودها وحذيفة بن اليمان خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم
متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي بن سلول
وان لم يرض به رسول الله صلى الله عليه وسلم **وما نقموا** اي وما انكروا وما عابوا او وما وجدوا ما يورث نقمتهم **الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله**
سبحانه وتعالى وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في غاية ما يكون من ضنك العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة
فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل
او اعم العلل اي وما انكروا شيئا من الاشياء الا اغناء الله تعالى اياهم او ما انكروا لعلة من العلل الا لاغناء الله اياهم **فان يتوبوا** عما هم
عليه من الكفر والنفاق **يك خيرا لهم** في الدارين قيل لما تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله
لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته **وان يتولوا** اي استمروا على ما كانوا عليه من التولي والاعراض عن الدين او اعرضوا عن التوبة
بعد هذا العرض **يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا** بالقتل والاسر والنهب وغير ذلك من فنون العقوبات **والآخرة** بالنار وغيرها من افانين العقاب **وما لهم**
في الارض مع سعتها وتباعد اقطارها وكثرة اهلها المصحح لوجدان ما نفي بقوله عز وجل **من ولي ولا نصير** ينقذهم من العذاب بالشفاعة او المدافعة
ومنهم بيان لقبائح بعض آخر منهم **من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن** لنؤتين الزكوة وغيرها من الصدقات **ولنكونن من الصالحين** قال ابن
عباس رضي الله عنهما يريد الحج وقرئ بالنون الخفيفة فيهما قيل نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله ان
يرزقني مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدي حقه خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين
كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع من الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة
فسألاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى
اري رأيي وذلك قوله تعالى **فلما آتاهم من فضله بخلوا به** اي منعوا حق الله منه **وتولوا** اي اعرضوا عن طاعة الله سبحانه فلما رجعا قال لهما رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال عليه السلام ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب على راسه
فقال عليه السلام هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض عليه السلام فجاء بها الى ابي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها وجاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها
وهلك في خلافة عثمان رضي الله عنه وقيل نزلت فيه وفي سهل بن الحرث وجد بن القيس ومعتب بن قشير والاول هو الاشهر **وهم معرضون** جملة
معترضة اي وهم قوم عادتهم الاعراض او حالية اي تولوا باجرامهم وهم معرضون بقلوبهم **فاعقبهم** اي جعل الله عاقبة فعلهم ذلك **نفاقا** راسخا
في قلوبهم الى يوم يلقونه اي الى يوم موتهم الذي يلقون الله تعالى عنده او يلقون فيه جزاء عملهم وهو يوم القيمة وقيل فاورثهم البخل نفاقا متمكنا
في قلوبهم ولا يلايمه قوله عز وجل **بما اخلفوا الله ما وعدوه** اي بسبب اخلافهم ما وعدوه تعالى من التصدق والصلاح **وبما كانوا يكذبون** اي وبكونهم
مستمرين على الكذب في جميع المقالات التي من جملتها وعدهم المذكور وتخصيص الكذب به يؤدي الى تخلية الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل عن المزية
فان تسبيب الاعقاب المذكور بالاخلاف والكذب يقضي باسناده الى الله عز وجل اذ لا معنى لكونهما سببين لاعقاب البخل النفاق والتحقيق
انه لما كانت الفاء الدالة على الترتيب والتفريع منبئة عن ترتب اعقاب النفاق المخلد على افعالهم المحكية عنهم من المعاهدة بالتصدق والصلاح
والبخل والتولي والاعراض وفيها ما لا دخل له في الترتب المذكور كالمعاهدة ازيح ما في ذلك من الابهام بتعيين ما هو المدار في ذلك والله تعالى
اعلم وقرئ بتشديد الذال **الم يعلموا** اي المنافقون او من عاهد الله تعالى وقرئ بالتاء الفوقانية خطابا للمؤمنين فالهمزة على الاول للانكار
والتوبيخ والتهديد اي الم يعلموا **ان الله يعلم سرهم ونجويهم** اي ما اسروه في انفسهم وما تناجوا به فيما بينهم من المطاعن وتسمية الصدقة جزية وغير ذلك

مما لا خير فيه وتقديم السر على النجوى ليسطر في قوله سبحانه وستردون الى عالم الغيب والشهادة **وان الله علام الغيوب** فلا يخفى عليه شيء من الاشياء
حتى اجترؤا عليه من العظائم واظهار اسم الجلالة في الموقعين لالقاء الروعة وتربية المهابة وفي ايراد العلم المتعلق بسرهم ونجواهم بصيغة الفعل
الدال على الحدوث والتجدد والعلم المتعلق بالغيوب الكثيرة الدائمة بصيغة الاسم الدال على الدوام والمبالغة من الفخامة والجزالة ما لا يخفى
وعلى الثاني لتقرير علم المؤمنين بذلك وتنبيههم على انه تعالى مؤاخذهم ومجازيهم بما علم من اعمالهم **الذين يلمزون** نصب او رفع على الذم ويجوز جره
على البدلية من الضمير في سرهم ونجواهم وقرئ بضم الميم وهي لغة اي يعيبون **المطوعين** اي المتطوعين المتبرعين **من المؤمنين** حال من المطوعين
وقوله تعالى **في الصدقات** متعلق بيلمزون روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث الناس على الصدقة فاتى عبد الرحمن بن عوف باربعين اوقية
من ذهب وقيل باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك له حتى صولحت تماضر رابعة نسائه عن ربع الثمن على ثمانين الفا وقيل كان ذلك ثمانين الف دينار منه
وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر فقال بت ليلي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي
وجئت بصاع فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله
ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت **والذين لا يجدون الا جهدهم** عطف على المطوعين اي يلمزون
الذين لا يجدون الا طاقتهم وقرئ بفتح الجيم وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه وقيل هو بالضم الطاقة وبالفتح المشقة **فيسخرون منهم**
عطف على يلمزون اي يهزؤن بهم والمراد بهم الفريق الاخير **سخر الله منهم** اخبار بمجازاته تعالى اياهم على ما فعلوا من السخرية والتعبير عنها بذلك للمشاكلة
ولهم اي ثابت لهم **عذاب اليم** التنوين للتهويل والتفخيم وايراد الجملة الاسمية للدلالة على الاستمرار **استغفر لهم او لا تستغفر لهم** اخبار باستواء الامرين
الاستغفار لهم وتركه في استحالة المغفرة وتصويره بصورة الامر للمبالغة في بيان استوائهما كانه عليه الصلوة والسلام امر بامتحان الحال بان يستغفر
تارة ويتركه اخرى ليظهر له جلية الامر كما مر في قوله عز وجل قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم **ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم**
بيان لاستحالة المغفرة بعد المبالغة في الاستغفار اثر بيان الاستواء بينه وبين عدمه روي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سال
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل عليه السلام فنزلت فقال عليه السلام محافظة على ما هو الاصل من ان مراتب الاعداد حدود
معينة يخالف حكم كل منها حكم ما فوقها ان الله قد رخص لي فسأزيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم
وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة في مطلق التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكانها العدد باسره وقيل هي اكمل الاعداد
لجمعها معانيها ولان الستة اول عدد تام لتعادل اجزائها الصحيحة اذ نصفها ثلثة وثلثها اثنان وسدسها واحد وجملتها ستة وهي مع الواحد سبعة
فكانت كاملة اذ لا مرتبة بعد التمام الا الكمال ثم السبعون غاية الكمال اذ الآحاد غايتها العشرات والسبعمائة غاية الغايات **ذلك** اشارة الى امتناع المغفرة
لهم ولو بعد المبالغة في الاستغفار اي ذلك الامتناع ليس لعدم الاعتداد باستغفارك بل **بانهم** اي بسبب انهم **كفروا بالله ورسوله** كفرا متجاوزا عن الحد
كما يلوح به وصفهم بالفسق في قوله تعالى **والله لا يهدي القوم الفاسقين** فان الفسق في كل شيء عبارة عن التمرد والتجاوز عن حدوده اي لا يهديهم هداية
موصلة الى المقصد البتة لمخالفة ذلك للحكمة التي يدور عليها فلك التكوين والتشريع واما الهداية بمعنى الدلالة على ما يوصل اليه فهي متحققة لا محالة
ولكنهم بسوء اختيارهم لم يقبلوها فوقعوا فيما وقعوا وهو تذييل مؤكد لما قبله من الحكم فان مغفرة الكافر انما هي بالاقلاع عن الكفر والاقبال
الى الحق والمنهمك فيه المطبوع عليه بمعزل من ذلك وفيه تنبيه على عذر النبي صلى الله عليه وسلم في استغفاره لهم وهو عدم يأسه عن ايمانهم حيث لم
يعلم انهم مطبوعون على الغي والضلال اذ الممنوع هو الاستغفار لهم بعد تبيين حالهم كما سيتلى من قوله عز وجل ما كان للنبي الآية **فرح المخلفون**
اي الذين خلفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالاذن لهم في القعود بعد استئذانهم او خلفهم الله تعالى بتثبيطه اياهم لما علم في ذلك من الحكمة الخفية واخلفهم
كسلهم او نفاقهم **بمقعدهم** متعلق بفرح اي بقعودهم وتخلفهم عن الغزو **خلاف رسول الله** اي خلفه وبعد خروجه حيث خرج ولم يخرجوا يقال اقام خلاف
الحي اي بعدهم ولم يظعن ويؤيده قراءة من قرأ خلف رسول الله فانتصابه على انه ظرف لمقعدهم اذ الفائدة في تقييد فرحهم بذلك وقيل هو بمعنى
المخالفة ويعضده قراءة من قرأ خلف رسول الله بضم الخاء فانتصابه على انه مفعول له والعامل اما فرح اي فرحوا لاجل مخالفته عليه السلام بالقعود واما
مقعدهم اي فرحوا بقعودهم لاجل مخالفته عليه الصلوة والسلام وعلى انه حال والعامل احد المذكورين اي فرحوا مخالفين له عليه السلام بالقعود

مخالفتهم له عليه السلام وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله لا ايثارا للدعة والخفض علي طاعة الله تع فقط بل مع ما في قلوبهم من الكفر
والنفاق فان ايثار احد الامرين قد يتحقق بادني رجحان منه من غير ان يبلغ الآخر مرتبة الكراهة وانما اوثر ما عليه النظم الكريم علي ان يقال وكرهوا
ان يخرجوا الي الغزو ايذانا بان الجهاد في سبيل الله مع كونه من اجل الرغائب واشرف المطالب التي يجب ان يتنافس فيه المتنافسون قد كرهوه كما فرحوا
باقبح القبائح الذي هو القعود خلاف رسول الله صلي الله عليه وسلم وقالوا اي لاخوانهم تثبيطا لهم اي علي التخلف والقعود وتواصيا فيما بينهم بالشر
والفساد او للمؤمنين تثبيطا لهم عن الجهاد ونهيا لهم عن المعروف واظهارا لبعض العلل الداعية لهم الي ما فرحوا به من القعود فقد جمعوا ثلث خلال
من خصال الكفر والضلال من الفرح بالقعود وكراهية الجهاد ونهي الغير عن ذلك لا تنفروا في الحر فانه لا يستطاع شدته قل ردا عليهم وتجهيلا لهم
نار جهنم التي ستدخلونها بما فعلتم اشد حرا مما تحذرون من الحر المعهود وتحذرون الناس منه فما لكم لا تحذرونها وتعرضون انفسكم لها بايثار
القعود علي النفير لو كانوا يفقهون اعتراض تذييلي من جهته سبحانه وتع غير داخل تحت القول المامور به مؤكد لمضمونه وجواب لو اما مقدر اي لو كانوا
يفقهون انها كذلك وكيف هي او ان مالهم اليها لما فعلوا ما فعلوا او لتأثروا بهذا الالزام واما غير منوي علي ان لو لمجرد التمني المنبئ عن امتناع
تحقق مدخولها اي لو كانوا من اهل الفطانة والفقه كما في قوله عز وجل قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون
فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا اخبار عن عاجل امرهم وآجله عن الضحك القليل والبكاء الطويل المؤدي اليه اعمالهم السيئة التي من جملتها ما ذكر من الفرح
والفاء لسببية ما سبق للاخبار بما ذكر من الضحك والبكاء لا لنفسهما اذ لا يتصور السببية في الاول اصلا وقليلا وكثيرا منصوبان علي المصدرية او
الظرفية اي ضحكا قليلا وبكاء كثيرا او زمانا كثيرا واخراجه في صورة الامر للدلالة علي تحتم وقوع المخبر به فان امر الآمر المطاع مما لا يكاد يتخلف
عنه المامور به خلا ان المقصود افادته في الاول هو وصف القلة فقط وفي الثاني وصف الكثرة مع الموصوف يروي ان اهل النفاق يبكون في
النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ويجوز ان يكون الضحك كناية عن الفرح والبكاء عن الغم وان يكون القلة عبارة عن العدم والكثرة
عن الدوام جزاء بما كانوا يكسبون من فنون المعاصي والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة علي الاستمرار التجددي ما داموا في الدنيا وجزاء
مفعول له للفعل الثاني اي ليبكوا جزاء او مصدر حذف ناصبه اي يجزون بما ذكر من البكاء الكثير جزاء بما كسبوا من المعاصي المذكورة فان رجعك الله الفاء
لتفريع الامر الآتي علي ما بين من امرهم والفعل من الرجع المتعدي دون الرجوع اللازم اي فان ردك الله تع الي طائفة منهم اي الي المنافقين من
المتخلفين في المدينة فان تخلف بعضهم انما كان لعذر عائق مع الاسلام او الي من بقي من المنافقين المتخلفين بان ذهب بعضهم بالموت او
بالغيبة عن البلاد او بان لم يستأذن البعض عن قتادة انهم كانوا اثني عشر رجلا قيل فيهم ما قيل فاستأذنوك للخروج معك الي غزوة اخري بعد
غزوة تبوك هذه فقل اخراجا لهم عن ديوان الغزاة وابعادا لمحلهم من محفل صحبتك لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا من الاعداء وهو اخبار في معني
النهي للمبالغة وقد وقع كذلك انكم تعليل لما سلف اي لانكم رضيتم بالقعود اي عن الغزو وفرحتم بذلك اول مرة هي غزوة تبوك فاقعدوا الفاء
لتفريع الامر بالقعود بطريق العقوبة علي ما صدر عنهم من الرضي بالقعود اي اذ رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا من بعد مع الخالفين اي المتخلفين
الذين ديدنهم القعود والتخلف دائما وقرئ الخلفين علي القصر فكانوا محوا اسمائهم عن دفتر المجاهدين ولزهم في قرن الخالفين عقوبة لهم اي عقوبة
وتذكير اسم التفضيل المضاف الي المؤنث هو الاكثر الدائر علي الالسنة فانك لا تكاد تسمع قائلا يقول هما كبري امرأة او اولي مرة ولا تصل علي احد
منهم مات صفة لاحد وانما جيء بصيغة الماضي تنبيها علي تحقق الوقوع لا محالة ابدا متعلق بالنهي اي لا تدع ولا تستغفر لهم ابدا ولا تقم علي قبره اي
لا تقف عليه للدفن او للزيارة والدعاء روي انه صلي الله عليه وسلم كان يقوم علي قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس النفاق عبد الله
ابن ابي بن سلول بعث الي رسول الله صلي الله عليه وسلم ليأتيه فلما دخل عليه قال عليه السلام اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لي
لا لتؤنبني وسأله ان يكفنه في شعاره الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه وكان مؤمنا صالحا فاجابه عليه السلام تسلية له
ومراعاة لجانبه وارسل اليه قميصه فكفن فيه فلما هم بالصلوة او صلي نزلت وعن عمر رضي الله تعالي عنه انه قال لما هلك عبد الله بن ابي ووضعناه
ليصلي عليه قام رسول الله صلي الله عليه وسلم فقلت اتصلي علي عدو الله القائل يوم كذا كذا وكذا والقائل يوم كذا كذا وكذا وعددت ايامه
الخبيثة فتبسم عليه السلام ثم مشي معه وقام علي حفرته حتي دفن فوالله ما لبث الا يسيرا حتي نزلت ولا تصل الي آخره فما صلي رسول الله صلي الله عليه وسلم
بعد ذلك علي منافق ولا قام علي قبره وانما لم ينه عن التكفين بقميصه عليه السلام لان الضنة بالقميص كانت مظنة الاخلال بالكرم علي انه كان

مكافاة لقميصه الذي كان البسه العباس رضي الله عنه حين اسر ببدر والخبر مشهور انهم كفروا بالله ورسوله تعليل للنهي علي معني ان الاستغفار
للميت والوقوف علي قبره انما يكون لاستصلاحه وذلك مستحيل في حقهم لانهم استمروا علي الكفر بالله وبرسوله مدة حيوتهم وماتوا وهم فاسقون
اي متمردون في الكفر خارجون عن حدوده كما بين من معني الفسق ولا تعجبك اموالهم واولادهم تكرير لما سبق وتقرير لمضمونه بالاخبار بوقوعه ويجوز
ان يكون هذا في حق فريق غير الفريق الاول وتقديم الاموال في مثل هذه المواقع علي الاولاد مع كونهم اعز منهم اما لعموم مساس الحاجة اليها
بحسب الذات وبحسب الافراد والاوقات فانها مما لا بد منه لكل احد من الآباء والامهات والاولاد في كل وقت وحين حتي ان من له اولاد ولا مال
له فهو واولاده في ضيق ونكال واما الاولاد فانما يرغب فيهم من بلغ مبلغ الابوة واما لان المال مناط لبقاء النفس والاولاد لبقاء
النوع واما لانها اقدم في الوجود من الاولاد لان الاجزاء المنوية انما تحصل من الاغذية كما سيأتي في سورة الكهف انما يريد الله بما
متعهم به من الاموال والاولاد ان يعذبهم بها في الدنيا بسبب معاناتهم المشاق ومكابدتهم الشدائد في شأنها وتزهق انفسهم وهم كافرون اي
فيموتوا كافرين باشتغالهم بالتمتع بها والالتهاء عن النظر والتدبر في العواقب واذا انزلت سورة من القرآن ويجوز ان يراد بها بعضها
ان آمنوا بالله ان مفسرة لما في الانزال من معني القول والوحي او مصدرية حذف عنها الجار اي بان آمنوا وجاهدوا مع رسوله لاعزاز دينه
واعلاء كلمته استأذنك اولوا الطول منهم اي ذووا الفضل والسعة والقدرة علي الجهاد بدنا ومالا وقالوا عطف تفسيري لاستأذنك مغن
عن ذكر ما استأذنوا فيه يعني ذرنا نكن مع القاعدين اي الذين قعدوا عن الغزو لما بهم من عذر رضوا استيناف لبيان سوء صنيعهم وعدم امتثالهم
لكلا الامرين وان لم يردوا الاول صريحا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء اللاتي شأنهن القعود ولزوم البيوت جمع خالفة وقيل الخالفة
من لا خير فيه وطبع علي قلوبهم لهم بسبب ذلك لا يفقهون ما في الايمان بالله تعالي وطاعته في اوامره ونواهيه واتباع رسوله عليه السلام والجهاد
من السعادة وما في اضداد ذلك من الشقاوة لكن الرسول والذين آمنوا معه بالله وبما جاء من عنده تعالي وفيه ايذان بانهم ليسوا من
الايمان بالله في شيء وان لم يعرضوا عنه صريحا اعراضهم عن الجهاد باستيذانهم في القعود جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء عن الغزو
فقد نهد اليه ونهض له من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا واقاموا امر الجهاد بكلا نوعيه كقوله تع فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما
ليسوا بها بكافرين واولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة لهم بواسطة نعوتهم المزبورة الخيرات اي منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا
والجنة في العقبي وقيل الحور كقوله عز قائلا فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة تخفيف خيرة واولئك هم المفلحون اي الفائزون بالمطلوب لا من
حاز بعضا من الحظوظ الفانية عما قليل وتكرير اسم الاشارة تنويه لشأنهم وربأ لمكانهم اعد الله لهم استيناف لبيان كونهم مفلحين اي
هيأ لهم في الآخرة جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها حال مقدرة من الضمير المجرور والعامل اعد ذلك اشارة الي ما فهم من اعداد الله سبحانه
لهم الجنات المذكورة من نيل الكرامة العظمي الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم شروع في بيان احوال منافقي
الاعراب اثر بيان منافقي اهل المدينة والمعذرون من عذر في الامر اذا قصر فيه وتواني ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له
او المعتذرون بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الي العين وهم المعتذرون بالباطل وقرئ المعذرون من الاعذار وهو الاجتهاد في
العذر والاحتشاء فيه قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا الجهد فأذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا
ان غزونا معك اغارت اعراب طي علي اهالينا ومواشينا فقال عليه السلام سيغنيني الله تعالي عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم
الله سبحانه وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعني اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين
كادغامها في الطاء والزاي والصاد في المطوعين وازكي واصدق وقيل اريد بهم المعتذرون بالصحة وفيه فسر المعذرون اي الذين لم يفرطوا في
العذر وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقو الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا فظهر انهم كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان والطاعة
سيصيب الذين كفروا منهم اي من الاعراب او من المعتذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والاسر في الدنيا والنار
في الآخرة ليس علي الضعفاء ولا علي المرضي كالهرمي والزمني ولا علي الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كمزينة وجهينة وبني عذرة حرج اثم
في التخلف اذا نصحوا لله ورسوله وهو عبارة عن الايمان بهما والطاعة لهما في السر والعلن وتوليهما في السراء والضراء والحب فيهما والبغض فيهما
كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه ما علي المحسنين من سبيل استيناف مقرر لمضمون ما سبق اي ليس عليهم جناح ولا الي معاتبتهم سبيل ومن مزيدة

للتأكيد ووضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انتظامهم بنصحهم لله ورسوله في سلك المحسنين وتعليل لنفي الحرج عنهم اي ما على جنس المحسنين من سبيل وهم من جملتهم **والله غفور رحيم** تذييل مؤيد لمضمون ما ذكر مشير الى ان بهم حاجة الى المغفرة وان كان تخلفهم بعذر **ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم** عطف على المحسنين كما يؤذن به قوله عز وجل فيما سيأتي انما السبيل الآية وقيل عطف على الضعفاء وهم البكاؤن سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن معقل وعلبة بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا قد نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرفوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال عليه الصلوة والسلام لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد ونعمان وقيل ابو موسى الاشعري واصحابه **قلت لا اجد ما احملكم عليه** حال من الكاف في اتوك باضمار قد وما عاقه لما سألوه عليه السلام وغيره مما يحمل عليه عادة وفي ايثار لا اجد على ليس عندي من تلطيف الكلام وتطييب قلوب السائلين ما لا يخفى كأنه عليه السلام يطلب ما يسألونه على الاستمرار فلا يجده **تولوا** جواب اذا **واعينهم تفيض** اي تسيل بشدة **من الدمع** اي دمعا فان من البيانية مع مجرورها في حيز النصب على التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها لافادتها ان العين بعينها صارت دمعا فياضا والجملة حالية وقوله عز اسمه **حزنا** نصب على العلية او الحالية او المصدرية لفعل دل عليه ما قبله اي تحزن للحزن فان الحزن يسند الى العين مجازا كالفيض او تولوا له او حزنين او يحزنون حزنا فيكون هذه الجملة حالا من الضمير في تفيض **الا يجدوا** على حذف لام متعلقة بحزنا او تفيض اي لئلا يجدوا **ما ينفقون** في شراء ما يحتاجون اليه اذ لم يجدوه عندك انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستأذنونك في التخلف وهم اغنياء واجدون لاهبة الغزو مع سلامتهم **رضوا** استئناف تعليلي لما سبق كأنه قيل ما بالهم استأذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا **بان يكونوا مع الخوالف** الذين شأنهم الضعة والدناءة **وطبع الله على قلوبهم** اي خذلهم فغفلوا عن وخامة العاقبة **فهم** بسبب ذلك **لا يعلمون** ابدا غائلة ما رضوا به وما يستتبعه آجلا كما لم يعلموا بخساسة شأنه عاجلا **يعتذرون اليكم** استئناف لبيان ما يتصدون له عند العود اليهم روي انهم كانوا بضعة وثمانين رجلا فلما رجع عليه السلام اليهم جاؤا يعتذرون اليه بالباطل والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فانهم كانوا يعتذرون اليهم ايضا لا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط اي يعتذرون اليكم في التخلف **اذا رجعتم** من الغزو منتهين **اليهم** وانما لم يقل الى المدينة ايذانا بان مدار الاعتذار هو الرجوع اليهم لا الرجوع الى المدينة فلعل منهم من بادر الى الاعتذار قبل الرجوع اليها **قل** تخصيص لهذا الخطاب برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تعميمه فيما سبق لاصحابه ايضا لان الجواب وظيفته عليه السلام واما اعتذارهم فكان شاملا للمخاطبين شمول الرجوع لهم للكل **لا تعتذروا** اي لا تفعلوا الاعتذار كقوله تع اخسؤا فيها ولا تكلمون او لا تعتذروا بما عندكم من المعاذير واما التعرض لعنوان كذبها فلا يساعده قوله تع **لن نؤمن لكم** اي لن نصدقكم في ذلك ابدا فانه استئناف تعليلي للنهي مبني على سؤال من قبلهم متفرع على ادعاء الصدق في الاعتذار كأنهم قالوا لم لا نعتذر فقيل لانا لا نصدقكم ابدا فيكون عبثا اذ لا يترتب عليه غرض المعتذر وقوله عز وجل **قد نبأنا الله من اخباركم** تعليل لانتفاء التصديق اي اعلمنا بالوحي بعض اخباركم المنافية للتصديق مما اشرتموه من الشر والفساد واضمرتموه في ضمائركم وهيأتموه للابراز في معرض الاعتذار من الاكاذيب وجمع ضمير المتكلم في الموضعين للمبالغة في حسم اطماعهم من التصديق رأسا ببيان عدم رواج اعتذارهم عند احد من المؤمنين اصلا فان تصديق البعض لهم ربما يطمعهم في تصديق الرسول ايضا صلى الله عليه وسلم بواسطة المصدقين وللايذان بافتضاحهم بين المؤمنين كافة **وسيرى الله عملكم** فيما سيأتي أتتوبون اليه تع مما انتم فيه من النفاق ام تثبتون وكأنه استتابة وامهال للتوبة وتقديم مفعول الرؤية على ما عطف على فاعله من قوله تع **ورسوله** للايذان باختلاف حال الرؤيتين وتفاوتهما وللاشعار بان مدار الوعيد هو علمه عز وجل باعمالهم **ثم تردون** يوم القيمة **الى عالم الغيب والشهادة** للجزاء بما ظهر منكم من الاعمال ووضع المظهر موضع المضمر لتشديد الوعيد فان علمه سبحانه وتعالى بجميع اعمالهم الظاهرة والباطنة واحاطته باحوالهم البارزة والكامنة مما يوجب الزجر العظيم **فينبئكم** عند ردكم اليه ووقوفكم بين يديه **بما كنتم تعملون** اي بما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من الاعمال السيئة السابقة واللاحقة على ان ما موصولة والعائد اليها محذوف او بعملكم المستمر على انها مصدرية والمراد بالتنبئة بذلك المجازاة به وايثارها عليها لمراعاة ما سبق من قوله تع قد نبأنا الله الخ فان المنبأ به الاخبار المتعلقة باعمالهم وللايذان بانهم ما كانوا عالمين في الدنيا بحقيقة اعمالهم وانما يعلمونها يومئذ **سيحلفون بالله لكم** تأكيد لمعاذيرهم الكاذبة وتقرير لها والسين للتأكيد والمحلوف عليه محذوف يدل عليه الكلام وهو ما اعتذروا به من الاكاذيب والجملة بدل من يعتذرون او بيان له **اذا انقلبتم** اي انصرفتم من الغزو **اليهم** ومعنى الانقلاب هو الرجوع والانصراف مع زيادة معنى الوصول والاستيلاء وفائدة تقييد حلفهم به للايذان

بانه ليس لدفع ما خاطبهم النبي صلى الله عليه وسلم به من قوله تع لا تعتذروا الخ بل هو امر مبتدأ **لتعرضوا عنهم** وتصفحوا عنهم صفح رضا فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم كما يفصح عنه قوله تع لترضوا عنهم **فاعرضوا عنهم** لكن لا اعراض رضا كما هو طلبتهم بل اعراض اجتناب ومقت كما ينبئ عنه قوله عز وجل **انهم رجس** فانه صريح في ان المراد بالاعراض عنهم انما الاجتناب عنهم لما فيهم من الرجس روحا واما ترك استصلاحهم بترك المعاتبة لان المقصود بها التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا يقبلون التطهير فلا يتعرض لهم بها وقوله عز وجل **ومأويهم جهنم** اما من تمام التعليل فان كونهم من اهل النار من دواعي الاجتناب عنهم وموجبات ترك استصلاحهم باللوم والعتاب واما تعليل مستقل اي وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا انتم في ذلك **جزاء** نصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر من لفظه وقع حالا اي يجزون جزاء او لمضمون الجملة السابقة فانها مفيدة لمعنى المجازاة قطعا كأنه قيل مجزيون جزاء **بما كانوا يكسبون** في الدنيا من فنون السيئات او على انه مفعول له **يحلفون لكم** بدل مما سبق وعدم ذكر المحلوف به لظهوره اي يحلفون به تع **لترضوا عنهم** بحلفهم وتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم **فان ترضوا عنهم** حسبما راموا وساعدتموهم في ذلك **فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين** اي فان رضاكم عنهم لا يجديهم نفعا لان الله ساخط عليهم ولا اثر لرضاكم عند سخطه سبحانه ووضع الفاسقين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالخروج عن الطاعة المستوجب لما حل بهم من السخط وللايذان بشمول الحكم لمن شاركهم في ذلك والمراد به نهي المخاطبين عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم الكاذبة على ابلغ وجه وآكده فان الرضى عمن لا يرضى عنه الله تع مما لا يكاد يصدر عن المؤمن قيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم ان رضى المؤمنين من دواعي رضى الله تعالى قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين منافقا فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن ابي يحلف ان لا يتخلف عنه ابدا **الاعراب** هي صيغة جمع وليست بجمع للعرب قاله سيبويه لئلا يلزم كون الجمع اخص من الواحد فان العرب هو هذا الجيل الخاص سواء سكن البوادي ام القرى واما الاعراب فلا يطلق الا على من يسكن البوادي ولهذا نسب الى الاعراب على لفظه فقيل اعرابي قال اهل اللغة رجل عربي وجمعه العرب كما يقال مجوسي ويهودي ثم يحذف ياء النسب في الجمع فيقال المجوس واليهود ورجل اعرابي ويجمع على الاعراب والاعاريب اي اصحاب البدو **اشد كفرا ونفاقا** من اهل الحضر لجفائهم وقسوة قلوبهم وتوحشهم ونشأتهم في معزل من مشاهدة العلماء ومفاوضتهم وهذا من باب وصف الجنس بوصف افراده كما في قوله تع وكان الانسان كفورا اذ ليس كلهم كما ذكر على ما ستحيط به خبرا **واجدر الا يعلموا** اي احق واخلق بان لا يعلموا **حدود ما انزل الله على رسوله** لبعدهم عن مجلسه صلى الله عليه وسلم وحرمانهم من مشاهدة معجزاته ومعاينة ما ينزل عليه من الشرائع في تضاعيف الكتاب والسنة **والله عليم** باحوال كل من اهل الوبر والمدر **حكيم** فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من العقاب والثواب **ومن الاعراب** شروع في بيان تشعب جنس الاعراب الى فريقين وعدم انحصارهم في الفريق المذكور كما يتراءى من ظاهر النظم الكريم وشرح لبعض مثالب هؤلاء المتفرعة على الكفر والنفاق بعد بيان تماديهم فيهما وحمل الاعراب على الفريق المذكور خاصة وان ساعده كون من يحكي حاله بعضا منهم وهم الذين يصدد الانفاق من اهل النفاق دون فقرائهم او اعراب اسد وغطفان وتميم كما قيل لكن لا يساعده ما سيأتي من قوله تع ومن الاعراب من يؤمن الخ فان اولئك ليسوا من هؤلاء قطعا وانما هم من الجنس اي ومن جنس الاعراب الذي نعت بعض افراده **من يتخذ ما ينفق** من المال اي يعد ما يصرفه في سبيل الله ويتصدق به صورة **مغرما** اي غرامة وخسرانا لازما اذ لا ينفقه احتسابا ورجاء لثواب الله تعالى ليكون له مغنما وانما ينفقه رياء وتقية فهي غرامة محضة وما في صيغة الاتخاذ من معنى الاختيار والانتفاع بما يتخذ انما هو باعتبار غرض المنفق من الرياء والتقية لا باعتبار ذات النفقة اعني كونها غرامة **ويتربص بكم الدوائر** اصل الدائرة ما يحيط بالشيء والمراد بها ما لا محيص عنه من مصائب الدهر اي ينتظر بكم دوائر الدهر ونوبه ودوله ليذهب غلبتكم عليه فيتخلص مما ابتلي به **عليهم دائرة السوء** دعاء عليهم بنحو ما ارادوا بالمؤمنين على نهج الاعتراض كقوله سبحانه غلت ايديهم بعد قول اليهود ما قالوا والسوء مصدر ثم اطلق على كل ضرر وشر واضيفت اليه الدائرة ذما كما يقال رجل سوء لان من دارت عليه ذام لها وهي من باب اضافة الموصوف الى صفته فوصفت في الاصل بالمصدر مبالغة ثم اضيفت الى صفتها كقوله عز وجل ما كان ابوك امرأ سوء وقيل معنى الدائرة يقتضي معنى السوء فانما هي اضافة بيان وتأكيد كما قالوا شمس النهار ولحيا رأسه وقرئ بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة **والله سميع** بما يقولونه عند الانفاق مما لا خير فيه **عليم** بما يضمرونه من الامور الفاسدة التي من جملتها ان يتربصوا بكم الدوائر وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى **ومن الاعراب** اي من جنسهم على الاطلاق **من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ** اي يأخذ لنفسه على وجه الاصطفاء والادخار **ما ينفق** اي ينفقه في سبيل الله تع **قربات** اي ذرائع اليها

وللايذان بما بينهما من كمال الاختصاص جعل كأنه نفس القربات او افرادها وهي ثاني مفعولي يتخذ وقوله عز وجل عند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول
اي وسائل اليها فانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ولذلك سن للمتصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له
ان يصلي عليه كما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال اللهم صل على آل ابي اوفى فان ذلك منصبه فله ان يتفضل به على من يشاء والتعرض لوصف الايمان
بالله واليوم الآخر في الفريق الاخير مع ان مساق الكلام لبيان الفرق بين الفريقين في شأن اتخاذ ما ينفقانه حالا ومآلا وان ذكر اتخاذه ذريعة
الى القربات والصلوات مغن عن التصريح بذلك لكمال العناية بايمانهم وببيان اتصافهم به وزيادة اعتنائهم بتحقيق الفرق بين الفريقين من اول الامر
واما الفريق الاول فاتصافهم بالكفر والنفاق معلوم من سياق النظم الكريم صريحا الا انها قربة لهم شهادة لهم من جناب الله تعالى بصحة ما
اعتقدوه وتصديق لرجائهم والضمير لما ينفق والتأنيث باعتبار الخبر مع ما مر من تعدده باحد الوجهين والتنكير للتفخيم المغني عن الجمع اي قربة عظيمة لا
يكتنه كنهها وفي ايراد الجملة الاسمية وتصديرها بحرفي التنبيه والتحقيق من الجزالة ما لا يخفى والاقتصار على بيان كونها قربة لهم لانها الغاية القصوى
وصلوات الرسول من ذرائعها وقوله تعالى سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة رحمته الواسعة بهم وتفسير للقربة كما ان قوله عز وجل والله سميع عليم
وعيد للاولين عقيب الدعاء عليهم والسين للدلالة على تحقق ذلك وتقرره البتة وقوله تعالى ان الله غفور رحيم تعليل لتحقق الوعد على نهج
الاستئناف التحقيقي قيل هذا في عبد الله ذي البجادين وقومه وقيل في بني مقرن من مزينة وقيل في اسلم وغفار وجهينة وروى ابو هريرة انه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلم وغفار وشيء من مزينة وجهينة خير عند الله يوم القيمة من تميم واسد بن خزيمة وهوازن وغطفان والسابقون
الاولون من المهاجرين بيان لفضائل اشراف المسلمين اثر بيان فضيلة طائفة والمراد بهم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا والذين
اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين رجلا والذين آمنوا حين قدم عليهم
ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم باحسان اي ملتبسين به والمراد به كل خصلة حسنة وهم اللاحقون
بالسابقين من الفريقين على ان من تبعيضية او الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة فالمراد بالسابقين جميع المهاجرين والانصار ومن
بيانية رضي الله عنهم خبر للمبتدأ اي رضي عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوه من رضاه المستتبع لجميع المطالب واعد لهم
في الآخرة جنات تجري تحتها الانهار وقرئ من تحتها كما في سائر المواقع خالدين فيها ابدا من غير انتهاء ذلك الفوز العظيم الذي لا فوز
وراءه وما في اسم الاشارة من معنى البعد لبيان بعد منزلتهم في مراتب الفضل وعظم الدرجة من مؤمني الاعراب وممن حولكم من الاعراب شروع في بيان
احوال منافقي اهل المدينة ومن حولها من الاعراب بعد بيان حال اهل البادية منهم اي ممن حول بلدتكم منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم وغفار كانوا
نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم عطف مفرد على مفرد وقوله تعالى مردوا على النفاق اما جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب مسوقة لبيان
علوهم في النفاق اثر بيان اتصافهم به واما صفة للمبتدأ الاول فصل بينها وبينه بما عطف على خبره واما صفة لمحذوف اقيمت هي مقامه وهو مبتدأ
خبره من اهل المدينة كما في قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا والجملة عطف على الجملة السابقة اي ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق اي تمهروا فيه
من مرن فلان على عمله ومرد عليه اذا درب به وضرى حتى لان عليه ومهر فيه غير ان مرد لا يكاد يستعمل الا في الشر فالضمير على الوجهين الاولين
شامل للفريقين حسب شمول النفاق وعلى الوجه الاخير خاص بمنافقي اهل المدينة وهو الاظهر والانسب بذكر منافقي اهل البادية اولا ثم ذكر منافقي
الاعراب المجاورين للمدينة ثم ذكر منافقي اهلها والله تعالى اعلم وقوله عز شأنه لا تعلمهم بيان لتمردهم اي لا تعرفهم انت لكن لا باعيانهم واسمائهم وانسابهم
بل بعنوان نفاقهم يعني انهم بلغوا من المهارة في النفاق والتنوق في مراعاة التقية والتحامي عن مواقع التهم الى حيث يخفى عليك حالهم مع ما انت عليه
من علو الكعب وسمو الطبقة في كمال الفطنة وصدق الفراسة وفي تعليق نفي العلم بهم مع انه متعلق بحالهم مبالغة في ذلك وايماء الى ان ما هم فيه من
صفة النفاق لعراقتهم ورسوخهم فيها صارت بمنزلة ذاتياتهم او مشخصاتهم بحيث لا يعد من لا يعرفهم بتلك الصفة عالما بهم وحمل عدم علمه عليه السلام
باعيانهم على عدم علمه عليه السلام بعد تحقق هذا البيان على انه عليه السلام يعلم ان فيهم منافقين لكن لا يعلمهم باعيانهم مع كونه خلاف الظاهر عار عما ذكر
من المبالغة وقوله عز وجل نحن نعلمهم تقرير لما سبق من مهارتهم في فن النفاق اي لا يقف على سرائرهم المركوزة في ضمائرهم الا من لا تخفى عليه خافية
لما هم عليه من شدة الاهتمام بابطان الكفر واظهار الاخلاص وفي تعليق العلم بهم مع ان المقصود بيان تعلقه بحالهم لما مر في تعليق نفيه بهم وقوله
عز شأنه سنعذبهم وعيد لهم وتحقيق لعذابهم حسبما علم الله فيهم من موجباته والسين للتأكيد مرتين عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم

قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والثاني اما القتل واما عذاب القبر والاول
هو القتل والثاني عذاب القبر والاول اخذ الزكوة منهم لما انهم يعدونها مغرما بحتا والثاني نهك الابدان واتعابها بالطاعات الفارغة عن الثواب ولعل
تكرير عذابهم لما فيهم من الكفر المشفوع بالنفاق او النفاق المؤكد بالتمرد فيه ويجوز ان يكون المراد بالمرتين مجرد التكثير كما في قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي
كرة بعد اخرى ثم يردون يوم القيمة الى عذاب عظيم هو عذاب النار وفي تغيير السبك باسناد عذابهم السابق الى نون العظمة حسب اسناد ما قبله من العلم واسناد
ردهم الى العذاب اللاحق الى انفسهم ايذان باختلافهما حالا وان الاول خاص بهم وقوعا وزمانا يتولاه سبحانه وتعالى والثاني شامل لعامة الكفرة وقوعا
وزمانا وان اختلفت طبقات عذابهم وآخرون بيان لحال طائفة من المسلمين ضعيفة الهمم في امور الدين وهو عطف على منافقون اي وممن
حولكم ومن اهل المدينة قوم آخرون اعترفوا بذنوبهم التي هي تخلفهم عن الغزو وايثار الدعة عليه والرضى بسوء جوار المنافقين وندموا على ذلك ولم
يعتذروا بالمعاذير الكاذبة ولم يخفوا ما صدر عنهم من الاعمال السيئة كما فعله من اعتاد اخفاء ما فيه وابراز ما ينافيه من المنافقين الذين اعتذروا
بما لا خير فيه من المعاذير المؤكدة بالايمان حسب ديدنهم المألوف وهم رهط من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد عندما بلغهم ما نزل في
المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين حسب عادته الكريمة ورآهم كذلك فسأل عن شأنهم فقيل انهم اقسموا ان
لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال عليه السلام وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت خلطوا عملا صالحا هو ما سبق منهم من الاعمال الصالحة والخروج
الى المغازي السابقة وغيرها وما لحق من الاعتراف بذنوبهم في التخلف عن هذه المرة وتذممهم وندامتهم على ذلك وتخصيصه بالاعتراف لا يناسب الخلط
لا سيما على وجه يؤذن بتوارد المختلطين وكون كل منهما مخلوطا به كما يؤذن به تبديل الواو بالباء في قوله تعالى وآخر سيئا فان قولك خلطت الماء
باللبن يقتضي ايراد الماء على اللبن دون العكس وقولك خلطت الماء واللبن معناه ايقاع الخلط بينهما من غير دلالة على اختصاص احدهما بكونه مخلوطا
والآخر بكونه مخلوطا به وترك تلك الدلالة على جعل كل منهما متصفا بالوصفين جميعا وذلك فيما نحن فيه بورود كل من العملين على الآخر مرة بعد اخرى
والمراد بالعمل السيء ما صدر عنهم من الاعمال السيئة اولا وآخرا او عن الكلى التوبة والاثم وقيل الواو بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاة شاة ودرهما
بمعنى شاة بدرهم عسى الله ان يتوب عليهم اي يقبل توبتهم المفهومة من اعترافهم بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن سيئات التائب ويتفضل عليه وهو
تعليل لما يفيده كلمة عسى من وجوب القبول فانها للاطماع الذي هو من اكرم الاكرمين ايجاب واي ايجاب خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا
يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال عليه السلام ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت فليست هي الصدقة
المفروضة لكونها مأمورا بها ولما روي انه عليه السلام اخذ منهم الثلث وترك لهم الثلثين فوقع ذلك بيانا لما في الصدقة من الاجمال وانما هي كفارة
لذنوبهم حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل تطهرهم اي عما تلطخوا به من اوضار التخلف والتاء للخطاب والفعل مجزوم على انه جواب للامر وقرئ بالرفع على
انه حال من ضمير المخاطب في خذ او صفة لصدقة والتاء للخطاب او للصدقة والعائد على الاول محذوف ثقة بما بعده وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى
طهره وتزكيهم بها باثبات الياء وهو خبر لمبتدأ محذوف والجملة حال من الضمير في الامر او في جوابه اي وانت تزكيهم بها اي تنمي بتلك الصدقة
حسناتهم الى مراتب المخلصين واموالهم او تبالغ في تطهيرهم هذا على قراءة الجزم في تطهرهم واما على قراءة الرفع فسواء جعل التاء للخطاب او للصدقة
وكذا جعلت الجملة الاولى حالا من ضمير المخاطب او صفة على الوجهين فالثانية عطف على الاولى حالا وصفة من غير حاجة الى تقدير المبتدأ اذ
التوجيه دخول الواو في الجملة الحالية وصل عليهم اي واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلواتك وقرئ صلواتك لتعدد المدعو لهم سكن لهم
تسكن نفوسهم اليها وتطمئن قلوبهم بها ويثقون بانه سبحانه قبل توبتهم والجملة تعليل للامر بالصلوة عليهم والله سميع يسمع ما صدر عنهم من الاعتراف
بالذنب والتوبة والدعاء عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم ومن الاخلاص في التوبة والدعاء او سميع يجيب دعاءك لهم عليم بما
تقتضيه الحكمة والجملة حينئذ تذييل للتعليل مقرر لمضمونه وعلى الاول تذييل لما سبق من الآيتين محقق لما فيهما الم يعلموا وقرئ بالتاء والضمير اما للتائبين
فهو تحقيق لما سبق من قبول توبتهم وتطهير الصدقة وتزكيتها لهم وتقرير لذلك وتوطين لقلوبهم ببيان ان المتولي لقبول توبتهم واخذ صدقاتهم
هو الله سبحانه وان اسند الاخذ والتطهير والتزكية اليه عليه السلام اي الم يعلم اولئك التائبون ان الله هو يقبل التوبة الصحيحة الخالصة عن
عباده المخلصين فيها ويتجاوز عن سيئاتهم كما ينبئ عنه كلمة عن والمراد بهم اما اولئك التائبون ووضع المظهر في موضع المضمر للاشعار بعلية
العبادة لقبولها واما كافة العباد وهم داخلون في ذلك دخولا اوليا ويأخذ الصدقات اي يقبل صدقاتهم على ان اللام عوض عن المضاف اليه

اوجنس الصدقات المندرج تحته صدقاتهم اندراجا اوليا اي هو الذي يتولى قبول التوبة واخذ الصدقات وما يتعلق بها من التطهير والتزكية وان كنت انت
المباشر لها ظاهرا وفيه من تقرير ما ذكر ورفع شأن النبي صلى الله عليه وسلم على نهج قوله تع ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ما لا يخفى **وان الله هو
التواب الرحيم** تاكيد لما عطف عليه وزيادة تقرير لما يقرره مع زيادة معنى ليس فيه اي الم يعلموا انه المختص المستأثر ببلوغ الغاية القصوى
من قبول التوبة والرحمة وان ذلك سنة مستمرة له وشأن دائم والجملتان في حيز النصب بيعلموا يسد كل واحدة منهما مسد مفعوليه واما الغير التائبين
من المؤمنين فقد روي انهم قالوا لما تيب على الاولين هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت اي الم يعلموا ما
للتائبين من الخصال الداعية الى التكرمة والتقريب والانتظام في سلك المؤمنين والتلقي بحسن القبول والمجالسة فهو ترغيب لهم في الصدقة
والتوبة وقوله تع **وقل اعملوا** زيادة ترغيب لهم في العمل الصالح الذي من جملته التوبة والاولين في الثبات على ما هم عليه اي قل لهم بعد ما بان
لهم شأن التوبة اعملوا ما تشاؤن من الاعمال فظاهره ترخيص وتخيير وباطنه ترغيب وترهيب وقوله عز وعلا **فسيرى الله عملكم** اي خيرا كان او شرا
وهو تعليل لما قبله وتأكيد للترغيب والترهيب والسين للتاكيد **ورسوله** عطف على الاسم الجليل وتأخيره عن المفعول للاشعار بما بين الرؤيتين من التفاوت
والمؤمنون في الخبر لو ان رجلا عمل في صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس كائنا ما كان والمعنى ان اعمالكم غير خافية عليهم كما رأيتم وتبين
لكم ثم ان كان المراد بالرؤية معناها الحقيقي فالامر ظاهر وان اريد بها مآلها من الجزاء خيرا او شرا فهو خاص بالدنيوي من اظهار المدح في
الثناء والذكر الجميل والاعزاز ونحو ذلك من الاجزية واضدادها **وستردون** اي بعد الموت **الى عالم الغيب والشهادة** وفي وضع الظاهر موضع
المضمر من تهويل الامر وتربية المهابة ما لا يخفى ووجه تقديم الغيب في الذكر لسعة عالمه وزيادة خطره على الشهادة غني عن البيان وقيل ان الموجودات
الغائبة عن الحواس علل او كالعلل للموجودات المحسوسة والعلم بالعلل علة للعلم بالمعلولات فوجب سبق العلم بالغيب على العلم بالشهادة وعن ابن
عباس رضي الله عنهما الغيب ما يسرونه من الاعمال والشهادة ما يظهرونه كقوله تع يعلم ما يسرون وما يعلنون فالتقديم حينئذ لتحقيق ان
نسبة علمه تعالى المحيط بالسر والعلن واحد على ابلغ وجه وآكده بايهام ان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه وبما يعلنونه كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته
منزه عن ان يكون بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء وتحققه في نفسه علم بالنسبة الى الله تعالى وفي هذا المعنى لا تختلف الحال بين الامور البارزة
والكامنة واما للايذان بان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه القريبة او البعيدة مضمر قبل ذلك في
القلب فتعلق علمه تعالى به في حالته الاولى متقدم على تعلقه به في حالته الثانية **فينبئكم** عقيب الرد الذي هو عبارة عن الامر الممتد الى
يوم القيمة **بما كنتم تعملون** قبل ذلك في الدنيا والمراد بالتنبئة بذلك الجزاء بحسبه ان خيرا فخير وان شرا فشر فهو وعد ووعيد **وآخرون** عطف على
آخرون قبله اي ومن المتخلفين من اهل المدينة ومن حولها من الاعراب قوم آخرون غير المعترفين المذكورين **مرجون** وقرئ مرجئون من ارجيته
وارجاته اي اخرته ومنه المرجئة الذين لا يقطعون بقبول التوبة **لامر الله** في شأنهم قال ابن عباس رضي الله عنهما هم كعب بن مالك ومرارة
بن الربيع وهلال بن امية لم يسارعوا الى التوبة والاعتذار كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السواري واظهار الغم والجزع والندم
على ما فعلوا فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى اصحابه عن ان يسلموا عليهم او يكلموهم وكانوا من اصحاب بدر فهجروهم والناس في شأنهم
على اختلاف فمن قائل هلكوا وقائل عسى الله ان يغفر لهم فصاروا عندهم مرجئين لامره تع **اما يعذبهم** ان بقوا على ما هم عليه من الحال وقيل ان اصروا
على النفاق وليس بذاك فان المذكورين ليسوا من المنافقين **واما يتوب عليهم** ان خلصت نيتهم وصحت توبتهم والجملة في محل النصب على الحالية اي
منهم هؤلاء اما معذبين واما متوبا عليهم وقيل آخرون مبتدأ ومرجون صفته وهذه الجملة خبره **والله عليم** باحوالهم **حكيم** فيما فعل بهم من الارجاء
وما بعده وقرئ والله غفور رحيم **والذين اتخذوا مسجدا** عطف على ما سبق اي ومنهم الذين او نصب على الذم وقرئ بغير واو لانها قصة على حيالها
الذين اتخذوا مسجدا وانتصابه على انه مفعول له او مفعول ثان لاتخذوا او على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر منصوب على الحالية اي يضارون
بذلك ضرارا او على انه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا من ضمير اتخذوا اي مضارين للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم فيصلي بهم في مسجدهم فلما فعله عليه السلام حسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب ايضا اذا قدم من الشام وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق
وقد كان قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يفعل ذلك الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن

يومئذ ولى هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا واصحابه من
المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قباء وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن
نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما قفل
من غزوة تبوك سألوه عليه السلام اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي فقال لهم انطلقوا
الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة وهلك ابو عامر الفاسق بالشام
بقنسرين **وكفرا** تقوية للكفر الذي يضمرونه **وتفريقا بين المؤمنين** الذين كانوا يصلون في مسجد قباء مجتمعين فيغص بهم فارادوا ان
يتفرقوا وتختلف كلمتهم **وارصادا** اعدادا او انتظارا او ترقبا **لمن حارب الله ورسوله** وهو الراهب الفاسق اي لاجله حتى يجيء فيصلي فيه
ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم **من قبل** متعلق باتخذوا اي من قبل ان ينافقوا بالتخلف حيث كانوا بنوه قبل غزوة تبوك او بحاربوا اي حاربهما
قبل اتخاذ هذا المسجد **وليحلفن ان اردنا** اي ما اردنا ببناء هذا المسجد **الا الحسنى** الا الخصلة الحسنى وهي الصلوة وذكر الله والتوسعة على المصلين
او الارادة الحسنى **والله يشهد انهم لكاذبون** في حلفهم ذلك **لا تقم** للصلوة **فيه** في ذلك المسجد حسبما دعوك اليه **لمسجد اسس على التقوى** يعني مسجد قباء
اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقباء وهي يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة وقيل هو مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعن ابي سعيد رضي الله عنه سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ
حصباء فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة واللام اما للابتداء او للقسم المحذوف اي والله لمسجد وعلى التقديرين فمسجد
مبتدأ وما بعده صفته وقوله تع **من اول يوم** اي من ايام تأسيسه وهو متعلق بأسس وقوله تع **احق ان تقوم فيه** اي للصلوة وذكر الله تع
خبره وقوله تع **فيه رجال** جملة مستأنفة مبينة لاحقيته لقيامه عليه السلام فيه من جهة الحال بعد بيان احقيته له من حيث المحل او صفة اخرى للمبتدأ
او حال من الضمير في فيه وعلى كل حال ففيه تحقيق وتقرير لاستحقاق القيام فيه والمراد بكونه احق نفس كونه حقيقا به لا لاستحقاق في مسجد الضرار
رأسا وانما عبر عنه بصيغة التفضيل لفضله وكماله في نعته او الافضلية في الاستحقاق لما يتناول ما يكون باعتبار زعم الباني ومن يشايعه في الاعتقاد
وهو الانسب بما سيأتي **يحبون ان يتطهروا** من المعاصي والخصال الذميمة لمرضات الله سبحانه وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها **والله يحب المطهرين**
اي يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء
فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر رضي الله تعالى عنه يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال عليه
الصلوة والسلام اترضون بالقضاء قالوا نعم قال عليه السلام اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون
ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا نتبع الغائط الاحجار
الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم فيه رجال يحبون ان يتطهروا وقرئ ان يطهروا بالادغام وقيل هو عام في التطهر
عن النجاسات كلها وكانوا يتبعون الماء اثر البول وعن الحسن رضي الله تعالى عنه هو التطهر عن الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة
لذنوبهم فحموا عن آخرهم **افمن اسس بنيانه** على بناء الفعل للفاعل والنصب وقرئ على البناء للمفعول والرفع وقرئ اسس بنيانه على الاضافة جمع
اساس واساس بالفتح والكسر جمع اس وقرئ آساس بنيانه جمع اس ايضا واس بنيانه وهي جملة مستأنفة مبينة لخيرية الرجال المذكورين من اهل
مسجد الضرار والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر اي أبعد ما علم حالهم من اسس بنيان دينه **على تقوى من الله ورضوان** اي على قاعدة محكمة
هي التقوى من الله وابتغاء مرضاته بالطاعة والمراد بالتقوى درجتها الثانية التي هي التوقي عن كل ما يؤثم من فعل او ترك وقرئ تقوى بالتنوين
على ان الالف للالحاق دون التأنيث **خير ام من اسس بنيانه** ترك الاضمار للايذان باختلاف البنيانين ذاتا واختلافهما وصفا واضافة
على شفا جرف هار الشفا الحرف والشفير والجرف ما جرفه السيل اي استأصله واحتفر ما تحته فبقي واهيا يريد الانهدام والهار الهائر المتصدع
المشرف الى السقوط من هار يهور ويهار او هار يهير قدمت لامه على عينه فصار كغاز ورام وقيل حذفت عينه اعتباطا اي غير موجب فجرى وجوه
الاعراب على لامه **فانهار به في نار جهنم** مثل ما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس بما ذكر ثم رشح بانهياره في النار ووضع بمقابلة
الرضوان تنبيها على ان تأسيس ذلك على امر يحفظه من النار ويوصله الى رضوانه ومقتضياته التي ادناها الجنة وتأسيس هذا على ما هو بصدد الوقوع

في النار ساعة ف ع ثم مصيرهم اليها لا محالة وقرئ جرف بسكون الراء **والله لا يهدي القوم الظالمين** اي لانفسهم او الواضعين للاشياء في غير مواضعها
اي لا يرشدهم الي ما فيه نجاتهم وصلاحهم ارشادا موجبا له لا محالة واما الدلالة علي ما يرشدهم اليه ان استرشدوا به فهو متحقق بلا اشتباه **لا يزال
بنيانهم الذي بنوا** البنيان مصدر اريد به المفعول ووصفه بالموصول الذي صلته فعله للايذان بكيفية بنيانهم له وتاسيسه علي اوهن قاعدة واوهي
اساس وللاشعار بعلة الحكم اي لا يزال مسجدهم ذلك مبنيا ومهدوما **ريبة في قلوبهم** اي سبب ريبة وشك في الدين كانه نفس الريبة اما حال بنائه
فظاهر لما ان اعتزالهم من المؤمنين واجتماعهم في مجمع علي حياله يظهرون فيه ما في قلوبهم من آثار الكفر والنفاق ويدبرون فيه امورهم ويتشاورون
في ذلك ان يلقي بعضهم الي بعض ما سمعوا من اسرار المؤمنين مما يزيدهم ريبة وشكا في الدين واما حال هدمه فلما انه رسخ به ما كان في قلوبهم
من الشر وتضاعف آثاره واحكامه او سبب ريبة في امرهم حيث ضعفت قلوبهم ووهي اعتقادهم بخفاء امرهم علي المؤمنين لانهم اظهروا من امرهم
بعد البناء اكثر مما كانوا يظهرونه قبل ذلك وقت اختلاطهم بالمؤمنين وساءت ظنونهم بانفسهم فلما هدم بنيانهم تضاعف ذلك وتقوي وصاروا
مرتابين في ان رسول الله صلي الله عليه وسلم هل يتركهم علي ما كانوا عليه من قبل او يامر بقتلهم ونهب اموالهم وقال الكلبي معني ريبة حسرة وندامة وقال السدي
وحبيب والمبرد لا يزال هدم بنيانهم حزازة وغيظا في قلوبهم **الا ان تقطع** من التفعل بحذف احدي التائين اي الا ان تتقطع **قلوبهم** قطعا وتتفرق
اجزاؤها بحيث لا يبقي لها قابلية ادراك واضمار قطعا وهو استثناء من اعم الاوقات او اعم الاحوال ومحله النصب علي الظرفية اي لا يزال بنيانهم ريبة
في كل الاوقات او كل الاحوال الا وقت تقطع قلوبهم او حال تقطع قلوبهم فح يسلون عنها واما ما دامت سالمة فالريبة باقية فيها فهو تصوير
لامتناع زوال الريبة عن قلوبهم ويجوز ان يكون المراد حقيقة تقطعها عند قتلهم او في القبور او في النار وقرئ تقطع علي بناء المجهول من التفعيل مذكرا
ومؤنثا وعلي البناء للفاعل منه علي خطاب النبي صلي الله عليه وسلم او لكل من يصلح للخطاب اي الا ان تقطع انت قلوبهم بالقتل وقرئ علي البناء للمجهول
من الثلاثي مؤنثا وقرئ الي ان تقطع قلوبهم والي ان تقطع قلوبهم علي الخطاب وقرئ ولو قطعت قلوبهم علي اسناد الفعل مجهولا الي قلوبهم ولو
قطعت قلوبهم علي الخطاب لرسول الله صلي الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب وقيل الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا علي
تفريطهم **والله عليم** بجميع الاشياء التي من جملتها ما ذكر من احوالهم **حكيم** في جميع احواله التي من زمرتها امره الوارد في حقهم **ان الله اشتري من المؤمنين
انفسهم واموالهم** ترغيب للمؤمنين في الجهاد ببيان فضيلته اثر بيان حال المتخلفين عنه ولقد بولغ في ذلك علي وجه لا مزيد عليه حيث عبر عن قبول الله تعالي
من المؤمنين انفسهم واموالهم التي بذلوها في سبيله تعالي واثابته اياهم بمقابلتها الجنة بالشري علي طريقة الاستعارة التبعية ثم جعل المبيع الذي هو
العمدة والمقصد في العقد انفس المؤمنين واموالهم والثمن الذي هو الوسيلة في الصفقة الجنة ولم يجعل الامر علي العكس بان يقال ان الله باع الجنة
من المؤمنين بانفسهم واموالهم ليدل علي ان المقصد في العقد هو الجنة وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الانفس والاموال وسيلة اليها ايذانا
بتعلق كمال العناية بهم وباموالهم ثم انه لم يقل بالجنة بل قيل **بان لهم الجنة** مبالغة في تقرر وصول الثمن اليهم واختصاصه بهم كانه قيل بالجنة الثابتة
لهم المختصة بهم واما ما يقال من ان ذلك لمدح المؤمنين بانهم بذلوا انفسهم واموالهم بمجرد الوعد لكمال ثقتهم بوعده تعالي وان تمام الاستعارة موقوف
علي ذلك اذ لو قيل بالجنة لاحتمل كون الشري حقيقة لانها صالحة للعوضية بخلاف الوعد بها فليس بشيء لان مناط دلالته ما عليه النظم الكريم علي
الوعد ليس كونه جملة ظرفية مصدرة بان فان ذلك بمعزل من الدلالة علي الاستقبال بل الجنة التي يستحيل وجودها في الدنيا ولو سلم ذلك لكون
العوض الجنة الموعود بها لا الموعود بها **يقاتلون في سبيل الله** استيناف لكن لا لبيان ما لاجله الشري ولا لبيان نفس الاشتراء لان قتالهم في سبيل الله
تعالي ليس باشتراء الله تعالي منهم انفسهم واموالهم بل هو بذل لهم في ذلك ولبيان البيع الذي يستدعيه الاشتراء المذكور كانه قيل كيف يبيعون انفسهم
واموالهم بالجنة فقيل يقاتلون في سبيل الله وهو بذل منهم لانفسهم واموالهم الي جهة الله سبحانه وتعريض لهما للهلاك وقوله تع **فيقتلون ويقتلون**
بيان لكون القتال في سبيل الله بذلا للنفس وان المقاتل في سبيله باذل لها وان كانت سالمة غانمة فان الاسناد في الفعلين ليس بطريق اشتراط
الجمع بينهما ولا اشتراط الاتصاف باحدهما البتة بل بطريق وصف الكل بحال البعض فانه يتحقق القتال من الكل سواء وجد الفعلان او احدهما منهم
او من بعضهم بل يتحقق ذلك وان لم يصدر منهم احدهما ايضا كما اذا وجدت المضاربة ولم يوجد القتل من احد الجانبين او لم يوجب المضاربة ايضا فانه
يتحقق الجهاد بمجرد العزيمة والنفير وتكثير السواد وتقديم حالة القاتلية علي حالة المقتولية للايذان بعدم الفرق بينهما في كونهما مصداقا لكون
القتال بذلا للنفس وقرئ بتقديم المبني للمفعول رعاية لكون الشهادة عريقة في الباب وايذانا بعدم مبالاتهم بالموت في سبيل الله تعالي بل يكون

بل يكون احب اليهم من السلامة كما قيل في حقهم لا يفرحون اذا نالت رماحهم قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا لا يقع الطعن الا في نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل
وقيل في يقاتلون الي آخره معني الامر كما في قوله تع تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم **وعدا عليه** مصدر مؤكد لما يدل عليه كون الثمن مؤجلا **حقا**
نعت لوعدا والظرف حال منه لانه لو تاخر لكان صفة له وقوله تع **في التورية والانجيل والقرآن** متعلق بمحذوف وقع صفة لوعدا اي وعدا مثبتا
في التورية والانجيل كما هو مثبت في القرآن **ومن اوفي بعهده من الله** اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من حقية الوعد علي نهج المبالغة في كونه سبحانه اوفي
بالعهد من كل واف فان اخلاف الميعاد مما لا يكاد يصدر عن كرام الخلق مع امكان صدوره عنهم فكيف بجناب الخلاق الغني عن العالمين جل جلاله
وسبك التركيب وان كان علي انكار ان يكون احد اوفي بالعهد منه سبحانه من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها لكن المقصود به قصدا مطردا
انكار المساواة ونفيها قطعا فاذا قيل من اكرم من فلان او افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل **فاستبشروا**
التفات الي الخطاب تشريفا لهم علي تشريف وزيادة لسرورهم علي سرور والاستبشار اظهار السرور والسين فيه ليس للطلب كاستوقد واوقد
والفاء لترتيب الاستبشار والامر به علي ما قبله اي فاذا كان كذلك فسروا نهاية السرور وافرحوا غاية الفرح بما فزتم به من الجنة وانما قيل **ببيعكم**
مع ان الابتهاج به باعتبار ادائه الي الجنة لان المراد ترغيبهم في الجهاد الذي عبر عنه بالبيع وانما لم يذكر العقد بعنوان الشري لان ذلك
من قبل الله سبحانه لا من قبلهم والترغيب انما يكون فيما يتم من قبلهم وقوله تع **الذي بايعتم به** لزيادة تقرير بيعهم وللاشعار بكونه مغايرا لسائر البياعات
فانه بيع للفاني بالباقي ولان كلا البدلين له سبحانه وتع عن الحسن رضي الله عنه انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها روي ان الانصار لما
بايعوه عليه الصلوة والسلام علي العقبة قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال صلي الله عليه وسلم اشترط لربي ان تعبدوه
ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم قال فاذا فعلنا فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل
ومر برسول الله صلي الله عليه وسلم اعرابي وهو يقرأها قال كلام من قال كلام الله عز وجل قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الي الغزو
واستشهد **وذلك** اي الجنة التي جعلت ثمنا بمقابلة ما بذلوا من انفسهم واموالهم **هو الفوز العظيم** الذي لا فوز اعظم منه وما في ذلك من معني
البعد اشارة الي بعد منزلة المشار اليه وسمو رتبته في الكمال ويجوز ان يكون ذلك اشارة الي البيع الذي امروا بالاستبشار به ويجعل ذلك
كانه نفس الفوز العظيم او يجعل فوزا في نفسه فالجملة علي الاول تذييل للآية الكريمة وعلي الثاني لقوله تع فاستبشروا ومقرر لمضمونه **التائبون** رفع
علي المدح اي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين كما يدل عليه القراءة بالياء نصبا علي المدح ويجوز ان يكون مجرورا علي انه صفة للمؤمنين
وقد جوز الرفع علي الابتداء والخبر محذوف اي التائبون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله تع وكلا وعد الله الحسني ويجوز ان يكون
خبره قوله تع **العابدون** وما بعده خبر بعد خبر اي التائبون من الكفر علي الحقيقة هم الجامعون لهذه النعوت الفاضلة اي المخلصون في عبادة الله تع
الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء **السائحون** الصائمون لقوله عليه السلام سياحة امتي الصوم شبه بها لانه عائق عن الشهوات
او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الي العثور علي خفايا الملك والملكوت وقيل هم السائحون في الجهاد وطلب العلم **الراكعون الساجدون** في
الصلوة **الآمرون بالمعروف** بالايمان والطاعة **والناهون عن المنكر** عن الشرك والمعاصي والعطف فيه للدلالة علي ان المتعاطفين بمنزلة خصلة واحدة
واما قوله تع **والحافظون لحدود الله** اي فيما بينه وعينه من حقائق الشرائع عملا وحملا للناس عليه فلئلا يتوهم اختصاصه باحد الوجهين **وبشر
المؤمنين** الموصوفين بالنعوت المذكورة ووضع ضميرهم للتنبيه علي ان ملاك الامر هو الايمان وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به
للايذان بخروجه عن حد البيان وفي تخصيص الخطاب بالاولين زيادة اعتناء بامرهم من الترغيب والتسلية **ما كان للنبي والذين آمنوا** بالله وحده
اي ما صح لهم في حكم الله عز وجل وحكمته وما استقام **ان يستغفروا للمشركين** به سبحانه **ولو كانوا** اي المشركون **اولي قربي** اي ذوي قرابة لهم وجواب لو
محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة علي جملة اخري قبلها محذوفة حذفا مطردا كما بين في قوله تع ولو كره الكافرون ونظائره روي انه
عليه السلام قال لعمه ابي طالب لما حضرته الوفاة يا عم قل كلمة احاج لك بها عند الله فابي فقال عليه السلام لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه
فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الي الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في
الاستغفار لها فلم ياذن لي وانزل علي الآيتين **من بعد ما تبين لهم** اي للنبي عليه السلام والمؤمنين **انهم** اي المشركين **اصحاب الجحيم** بان ماتوا علي الكفر
او نزل الوحي بانهم يموتون علي ذلك **وما كان استغفار ابراهيم لابيه** بقوله واغفر لابي اي بان توفقه للايمان وتهديه اليه كما يلوح به

تعليله بقوله انه كان من الضالين والجملة استيناف مسوق لتقرير ما سبق ودفع ما يتراأى بحسب الظاهر من المخالفة وقرئ وما استغفر ابراهيم لابيه
وقرئ وما يستغفر ابراهيم على حكاية الحال الماضية وقوله تع الا عن موعدة استثناء مفرغ من اعم العلل اي لم يكن استغفاره عليه السلام لابيه
آزر ناشئا عن شيء من الاشياء الا عن موعدة وعدها ابراهيم عليه السلام اياه اي اباه وقد قرئ كذلك بقوله لاستغفرن لك وقوله لاستغفر لك
ربي بناء على رجاء ايمانه لعدم تبين حقيقة امره والا لما وعدها اياه كانه قيل وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة مبنية على عدم
تبين امره كما ينبئ عنه قوله تع فلما تبين له اي لابراهيم بان اوحي اليه بانه مصر على الكفر غير مؤمن ابدا وقيل بان مات على الكفر والاول انسب
بقوله تع انه عدو لله فان وصفه بالعداوة مما يأباه حالة الموت تبرأ منه اي تنزه عن الاستغفار له وتجانب كل التجانب وفيه من المبالغة ما ليس في
تركه ونظائره ان ابراهيم لاواه لكثير التأوه وهو كناية عن كمال الرأفة ورقة القلب حليم صبور على الاذية والمحنة وهو استيناف لبيان
ما كان يدعوه عليه السلام الى ما صدر عنه من الاستغفار وفيه ايذان بان ابراهيم عليه السلام كان اواها حليما فلذلك صدر عنه ما صدر من الاستغفار
قبل التبين فليس لغيره ان يأتسي به في ذلك وتأكيد لوجوب الاجتناب عنه بعد التبين بانه عليه السلام تبرأ منه بعد التبين وهو في كمال رقة
القلب والحلم فلا بد ان يكون غيره اكثر منه اجتنابا وتبرؤا واما ان الاستغفار قبل التبين لو كان غير محظور لما استثني عن الائتساء به في
قوله تع الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فقد حقق في سورة مريم باذن الله تعالى وما كان الله ليضل قوما اي ليس من عادته ان يصفهم
بالضلال عن طريق الحق ويجري عليهم احكامه بعد اذ هديهم للاسلام حتى يبين لهم بالوحي صريحا او دلالة ما يتقون اي ما يجب اتقاؤه من محظورات
الدين فلا يتزجروا عما نهوا عنه واما قبل ذلك فلا يسمي ما صدر عنهم ضلالا ولا يؤاخذون به ففيه تسلية للذين استغفروا للمشركين قبل ذلك وفيه
دليل على ان الغافل غير مكلف بما لا يستبد بمعرفته العقل ان الله بكل شيء عليم تعليل لما سبق اي انه تعالى عليم بجميع الاشياء التي من جملتها حاجتهم الى
بيان قبح ما لا يستقل العقل في معرفته فيبين لهم ذلك كما فعل هنا ان الله له ملك السموات والارض من غير شريك له فيه يحيي ويميت وما لكم من دون الله
من ولي ولا نصير لما منعهم من الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى وضمن في ذلك التبرأ منهم رأسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولي اموره
والغالب عليه ولا يتأتى لهم نصر ولا ولاية الا منه تعالى ليتوجهوا اليه بشراشرهم متبرئين عما سواه غير قاصدين الا اياه لقد تاب الله على النبي
قال ابن عباس رضي الله عنهما هو العفو عن اذنه للمنافقين في التخلف عنه والمهاجرين والانصار قيل هو في حق زلات سبقت منهم يوم احد ويوم حنين
وقيل المراد بيان فضل التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج اليها حتى النبي صلى الله عليه وسلم لما صدر عنه في بعض الاحوال من ترك الاولى الذين
اتبعوه ولم يتخلفوا عنه ولم يخلوا بامر من اوامره في ساعة العسرة اي في وقتها والتعبير عنه بالساعة لزيادة تعيينه وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا
في عسرة من الظهر يعتقب عشرة على بعير واحد ومن الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة الى ان اقتسم
التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء المتغير وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ
ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة ووصف المهاجرين والانصار بما ذكر من اتباعهم له صلى الله عليه وسلم في مثل هاتيك المراتب من الشدة للمبالغة
في بيان الحاجة الى التوبة فان ذلك حيث لم يغنهم عنها فلان لا يستغني عنها غيرهم اولى واحرى من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم بيان لتناهي الشدة
وبلوغها الى ما لا غاية وراءها وهو اشراف بعضهم على ان يميلوا الى التخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي كاد ضمير الشأن او ضمير القوم الراجع
اليه الضمير في منهم وقرئ بتأنيث الفعل وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين من المؤمنين كابي لبابة واضرابه ثم تاب عليهم
تكرير للتأكيد وتنبيه على انه يتاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة والمراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رؤف رحيم استيناف تعليلي فان
صفة الرأفة والرحمة من دواعي التوبة والعفو ويجوز كون الاول عبارة عن ازالة الضرر والثاني عن ايصال المنفعة وان يكون احدهما للسوابق والاخر
للواحق وعلى الثلثة الذين خلفوا اي وتاب الله على الثلثة الذين اخر امرهم عن امر ابي لبابة واصحابه حيث لم يقبل معذرتهم مثل اولئك ولا رد
ولم يقطع في شأنهم بشيء الى ان نزل فيهم الوحي وهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع وقرئ خلفوا اي خلفوا الغازين بالمدينة
او فسدوا من المخالفة وخلوف الفم وقرئ خالفوا وقرئ على المخلفين والاول هو الانسب لان قوله تع حتى اذا ضاقت عليهم الارض غاية للتخلف
ولا يناسبه الا المعنى الاول اي خلفوا واخر امرهم الى ان ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي برحبها وسعتها لاعراض الناس عنهم وانقطاعهم عن مفاوضتهم
وهو مثل لشدة الحيرة كانه لا يستقر به قرار ولا تطمئن له دار وضاقت عليهم انفسهم اي اذا رجعوا الى انفسهم لا يطمئنون بشيء لعدم الانس والسرور

والاستيلاء الوحشة والحيرة وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه اي علموا ان لا ملجأ من سخطه تعالى الا الى استغفاره ثم تاب عليهم اي وفقهم للتوبة ليتوبوا
او انزل قبول توبتهم ليصيروا من جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب المبالغ في قبول التوبة
كما وكيفا وان كثرت الجنايات وعظمت الرحيم المتفضل عليهم بفنون الالاء مع استحقاقهم لافانين العقاب روي ان ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم منهم من بداله وكره مكانه فلحق به عليه السلام عن الحسن بلغني انه كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه
ما خلفني الا ظلك وانتظار ثمارك اذهب فانت في سبيل الله ولم يكن له الا اهله فقال يا اهلاه ما بطأني وخلفني الا الضن بك فلا جرم والله
لاكابدن المفاوز حتى الحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فركب ولحق ولم يكن له الا نفسه لا اهل ولا مال فقال يا نفسي ما خلفني الا حب الحيوة لك
والله لاكابدن الشدائد حتى الحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فتأبط زاده ولحق برسول الله عليه السلام قال الحسن رضي الله عنه كذلك والله
المؤمن يتوب من ذنوب ولا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري ان بعيره ابطأ به فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا
فقال عليه السلام لما رأى سواده كن ابا ذر فقال الناس هو ذاك فقال عليه السلام رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وعن
ابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع
وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام ورحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه
وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به عليه السلام
منهم الثلثة قال كعب لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعد ما ذكرني وقال يا ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه
الا حسن برديه والنظر في عطفيه قال عليه السلام ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما
مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت لله ساجدا وكنت
كما وصفني ربي حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة رضي الله عنه
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الاية وعن ابي بكر الوراق انه
سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه يا ايها الذين امنوا خطاب عام يندرج فيه
التائبون اندراجا اوليا وقيل لمن تخلف من الطلقاء من غزوة تبوك خاصة اتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه المعاملة مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم في امر المغازي دخولا اوليا وكونوا مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية وقولا وعملا او في كل شأن من الشؤون فيدخل
فيه ما ذكرا وفي توبتهم وانابتهم فيكون المراد بهم حينئذ هؤلاء الثلثة واضرابهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه خطاب لمن آمن من اهل الكتاب اي
كونوا مع المهاجرين والانصار وانتظموا في سلكهم في الصدق وسائر المحاسن وقرئ من الصادقين ما كان لاهل المدينة ما صح وما استقام لهم ومن
حولهم من الاعراب كمزينة وجهينة واشجع وغفار واضرابهم ان يتخلفوا عن رسول الله عند توجهه صلى الله عليه وسلم الى الغزو ولا يرغبوا نصب وقد جوز جزمه بانفسهم
عن نفسه اي لا يصرفوها عن نفسه الكريمة ولا يصونوها عما لم يصن عنه نفسه بل يكابدوا معه ما يكابده من الاهوال والخطوب والكلام في معنى النهي وان كان على
صورة الخبر ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام من وجوب المشايعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ اي عطش يسير ولا نصب اي ولا تعب ما ولا مخمصة اي مجاعة
لا ما يستباح عنده المحرمات من مراتبها فان الظمأ والنصب اليسيرين حيث لم يخلوا من الثواب فلان لا يخلوا ذلك منه اولى فلا حاجة الى تأكيد النفي بتكرير لا
ويجوز ان يراد بها تلك المرتبة ويكون الترتيب بناء على كثرة الوقوع وقلته فان الظمأ اكثر وقوعا من النصب الذي هو اكثر وقوعا من المخمصة بالمعنى المذكور
فتوسيط كلمة لا حينئذ ليس لتأكيد النفي بل للدلالة على استقلال كل واحد منها بالفضيلة والاعتداد به في سبيل الله واعلاء كلمته ولا يطؤن موطئا
يغيظ الكفار اي لا يدوسون بارجلهم وحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم دوسا او مكانا يدوس ولا ينالون من عدو نيلا مصدر كالقتل والاسر والنهب
او مفعول اي شيئا ينال من قبلهم الا كتب لهم به اي بكل واحد من الامور المعدودة عمل صالح وحسنة مقبولة مستوجبة بحكم الوعد الكريم للثواب الجميل ونيل
الزلفى والتنوين للتفخيم وكون المكتوب عين ما فعلوه من الامور لا يمنع دخول الباء فان اختلاف العنوان كاف في ذلك ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم
تعليل لما سلف من الكتب والمراد بالمحسنين اما المبحوث عنهم ووضع المظهر موضع المضمر لمدحهم والشهادة عليهم بالانتظام في سلك المحسنين وان

اعمالهم من قبيل الاحسان وللاشعار بعلية المأخذ للحكم واما جنس المحسنين وهم داخلون فيه دخولاً اولياً ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة او علاقة سوط ولا كبيرة كما انفق عثمان رضي الله عنه والترتيب باعتبار ماذكر من كثرة الوقوع وقلته وتوسيط لا للتنصيص على استبداد كل منهما بالكتب والجزاء لا لتأكيد النفي كما في قوله تع ولا يقطعون اي لا يجتازون في مسيرهم واديا وهو في الاصل كل منعرج من الجبال والآكام يكون منفذا للسيل اسم فاعل من ودي اذا سال ثم شاع في الارض على الاطلاق الا كتب لهم اي اثبت لهم ذلك الذي فعلوه من الانفاق والقطع ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون احسن جزاء اعمالهم او جزاء احسن اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة اي ما صح وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو او طلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فان ذلك مخل بامر المعاش فلولا نفر فهلا نفر من كل فرقة اي طائفة كثيرة منهم كاهل بلدة او قبيلة عظيمة طائفة اي جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين اي يتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اي وليجعلوا غاية سعيهم ومرمى غرضهم من ذلك ارشاد القوم وانذارهم اذا رجعوا اليهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه في الدين من فروض الكفاية وان يكون غرض المتعلم الاستقامة والاقامة لا الترفع على العباد والتبسط في البلاد كما هو ديدن ابناء الزمان والله المستعان لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لينذر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار مالم يتواتر لم يفد ذلك وقد قيل للآية وجه آخر هو ان المؤمنين لما سمعوا ما نزل في المتخلفين تسارعوا الى النفير رغبة ورهبة وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فالضمير في ليتفقهوا ولينذروا لبواقي الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا للطوائف اي ولينذر البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم ما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر عليه السلام اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح قيل هم اليهود حوالي المدينة كبني قريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة بالنسبة الى العراق وغيره وليجدوا فيكم غلظة اي شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين كسخطة وبضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع المتقين بالعصمة والنصرة والمراد بهم اما المخاطبون ووضع الظاهر موضع الضمير للتنصيص على ان الايمان والقتال على الوجه المذكور من باب التقوى والشهادة بكونهم من زمرة المتقين واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والمراد بالمعية الولاية الدائمة وقد ذكر وجه دخول مع المتبوع في قوله تع ان الله معنا واذا ما انزلت سورة من سور القرآن فمنهم اي من المنافقين من يقول لاخوانه لينبتهم على النفاق او لعوام المؤمنين وضعفتهم ليصدهم عن الايمان ايكم زادته هذه السورة ايمانا وقرئ بنصب ايكم على تقدير فعل يفسره المذكور اي ايكم زادت زادته هذه الخ وايراد الزيادة مع انه لا ايمان فيهم اصلا باعتبار اعتقاد المؤمنين حسبما نطق به قوله تع انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا فاما الذين آمنوا جواب من جهته سبحانه وتعالى وتحقيق للحق وتعيين لحالهم عاجلا وآجلا اي فاما الذين آمنوا بالله تعالى وبما جاء من عنده فزادتهم ايمانا زيادة العلم اليقيني الحاصل من التدبر فيها والوقوف على ما فيها من الحقائق وانضمام ايمانهم بما فيها بايمانهم السابق وهم يستبشرون بنزولها وبما فيه من المنافع الدينية والدنيوية واما الذين في قلوبهم مرض اي كفر وسوء عقيدة فزادتهم رجسا الى رجسهم اي كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وعقائد باطلة واخلاقا ذميمة كذلك وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك الى ان يموتوا عليه اولا يرون الهمزة للانكار والتوبيخ والواو للعطف على مقدر اي لا ينظرون ولا يرون انهم اي المنافقين يفتنون في كل عام من الاعوام مرة او مرتين والمراد مجرد التكثير لا بيان الوقوع حسب العدد المزبور اي يبتلون بافانين البليات من المرض والشدة وغير ذلك مما يذكر الذنوب والوقوف بين يدي رب العزة فيؤدي الى الايمان به تعالى او بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون ما ينزل عليه من الآيات لاسيما القوارع الزائدة للايمان الناعية عليهم ما فيهم من القبائح المخزية لهم ثم لا يتوبون عطف على لا يرون داخل تحت الانكار والتوبيخ وكذا قوله تع ولا هم يذكرون والمعنى اولا يرون افتتانهم الموجب لايمانهم ثم لا يتوبون عما هم عليه من النفاق ولا هم يتذكرون بتلك الفتن الموجبة للتذكر والتوبة وقرئ بالتاء والخطاب للمؤمنين والهمزة للتعجب اي الا تنظرون ولا ترون احوالهم العجيبة التي هي افتتانهم على وجه التتابع وعدم التنبه لذلك فقوله تع ثم لا يتوبون وما عطف عليه معطوف على يفتنون واذا ما انزلت سورة بيان لاحوالهم عند نزولها وهم في محفل تبليغ الوحي كما ان الاول بيان

لمقالاتهم وهم غائبون عنه نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها او سخرية بها او غيظا لما فيها من مخازيهم هل يراكم من احد اي قائلين هل يراكم احد من المسلمين لننصرف مظهرين انهم لا يصطبرون على استماعها ويغلب عليهم الضحك فيفتضحون او ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من احد ان قمتم من المجلس وايراد ضمير الخطاب لبعث المخاطبين على الجد في انتهاز الفرصة فان المرء بشأنه اكثر اهتماما منه بشأن اصحابه كما في قوله تع وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا وقيل المعنى واذا ما انزلت سورة في عيوب المنافقين ثم انصرفوا عطف على نظر بعضهم والتراخي باعتبار وجدان الفرصة والوقوف على عدم رؤية احد من المسلمين اي انصرفوا جميعا عن محفل الوحي خوفا من الافتضاح او غير ذلك صرف الله قلوبهم اي عن الايمان حسب انصرافهم عن المجلس والجملة اخبارية او دعائية بانهم اي بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء الفهم او لعدم التدبر لقد جاءكم الخطاب للعرب رسول اي رسول عظيم الشأن من انفسكم من جنسكم عربي قرشي مثلكم وقرئ بفتح الفاء اي اشرفكم وافضلكم عزيز عليه ما عنتم اي شاق شديد عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب وهذا من نتائج ما سلف من المجانسة حريص عليكم في ايمانكم وصلاح حالكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم قدم الابلغ منهما وهي الرأفة التي هي عبارة عن شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا تلوين للخطاب وتوجيه له الى النبي صلى الله عليه وسلم تسلية له اي ان اعرضوا عن الايمان بك فقل حسبي الله فانه يكفيك ويعينك عليهم لا اله الا هو استيناف مقرر لمضمون ما قبله عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم اي الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي ينزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابي ان آخر ما نزل هاتان الآيتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن علي الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وسورة قل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة عليهم السلام

سورة يونس

بسم الله الرحمن الرحيم الر بتفخيم الراء المفتوحة وقرئ بالامالة اجراء للالف الاصلية مجرى المنقلبة من الياء وقرئ بين بين وهو اما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدي على احد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذه السورة مسماة بالر وهو اظهر من الرفع على الابتداء لعدم سبق العلم بالتسمية بعد فحقها الاخبار بها لا جعلها عنوان الموضوع لتوقفه على علم المخاطب بالانتساب كما مر والاشارة اليها قبل جريان ذكرها لما انها باعتبار كونها على جناح الذكر وبصدده صارت في حكم الحاضر كما يقال هذا ما اشترى فلان او النصب بتقدير فعل لائق بالمقام نحو اذكر او اقرأ وكلمة تلك اشارة اليها اما على تقدير كون الر مسرودا على نمط التعديد فقد نزل حضور مادتها التي هي الحروف المذكورة منزلة ذكرها فاشير اليها كأنه قيل هذه الكلمات المؤلفة من جنس هذه الحروف المبسوطة الى آخره واما على تقدير كونه اسما للسورة فقد نوهت بالاشارة اليها بعد تنويهها بتعيين اسمها او الامر بذكرها او بقراءتها وما في اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتها في الفخامة ومحله الرفع على انه مبتدأ خبره قوله عز وجل آيات الكتاب وعلى تقدير كون الر مبتدأ فهو مبتدأ ثان او بدل من الاول والمعنى هي آيات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمقصود ببيان بعضيتها منه وصفها بما اشتهر اتصافه به من النعوت الفاضلة والصفات الكاملة والمراد بالكتاب اما جميع القرآن العظيم وان لم ينزل الكل حينئذ اما باعتبار تعينه وتحققه في علم الله عز وعلا او في اللوح او باعتبار انه انزل جملة الى السماء الدنيا كما هو المشهور فان فاتحة الكتاب كانت مسماة بهذا الاسم وبام القرآن في عهد النبوة ولما يحصل المجموع الشخصي اذ ذاك فلا بد من ملاحظة كل من الكتاب والقرآن باحد الاعتبارات المذكورة واما جميع القرآن النازل وقتئذ المتفاهم بين الناس اذ ذاك فانه كما يطلق على المجموع الشخصي يطلق على مجموع ما نزل في كل عصر الا يرى الى ما روي عن جابر رضي الله عنه انه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرجلين من قتلى احد في ثوب واحد ثم يقول ايهم اكثر اخذا للقرآن فاذا اشير له الى احدهما قدمه في اللحد فان ما يفهمه الناس من القرآن في ذلك الوقت ويحافظون على التفاوت في اخذه انما هو المجموع النازل حينئذ من غير ملاحظة لتحقق المجموع الشخصي في علم الله سبحانه او في اللوح ولا لنزوله جملة الى السماء الدنيا الحكيم ذي الحكمة وصف به لاشتماله على فنون الحكم الباهرة ونطقه بها او هو من باب وصف الكلام بصفة صاحبه او من باب الاستعارة المكنية المبنية على تشبيه الكتاب بالحكيم الناطق بالحكمة هذا وقد جعل الكتاب عبارة عن نفس السورة وكلمة تلك اشارة الى ما في ضمنها من الآي فانها في حكم الحاضر لاسيما بعد ذكر ما تتضمنها من السورة عند بيان اسمها او الامر بذكرها او بقراءتها وينبغي ان يكون المشار اليه حينئذ

كل واحدة منها لا جميعها من حيث هو جميع ذلك لانه عين السورة فلا يكون للاضافة وجه ولا لتخصيص الوصف بالمضاف اليه حكمة فلا يتاتى ما قصد من مدح
المضاف بما للمضاف اليه من صفات الكمال ولان في بيان اتصاف كل منها بالكمال من المبالغة ما ليس في بيان اتصاف الكل بذلك والمتبادر من الكتاب عند
الاطلاق وان كان كله باحد الوجهين المذكورين لكن صحة اطلاقه على بعضه مما لا ريب فيها والمشهور وان كان اتصاف الكل باحد الاعتبارين بما
ذكر من نعوت الكمال الا ان شهرة اتصاف كل سورة منه بما اتصف به الكل مما لا ينكر وعليه يدور تحقق مدح السورة بكونها بعضا
من القرآن الكريم اذ لولا ان بعضه منعوت بنعت كله داخل تحت حكمه لما تسنى ذلك وفيه ما لا يخفى من التكلف والتعسف **اكان للناس عجبا**
الهمزة لانكار تعجبهم وتعجيب السامعين منه لكونه في غير محله والمراد بالناس كفار مكة وانما عبر عنهم باسم الجنس من غير تعرض لكفرهم مع انه
المدار لتعجبهم كما تعرض له في قوله عز وجل قال الكافرون الى آخره لتحقيق ما فيه الشركة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعيين مدار
التعجب في زعمهم ثم تبيين خطائهم واظهار بطلان زعمهم بايراد الانكار والتعجيب واللام متعلقة بمحذوف وقع حالا من عجبا وقيل بعجبا
على التوسع المشهور في الظروف وقيل المصدر اذا كان بمعنى اسم الفاعل او اسم المفعول جاز تقديم معموله عليه وقيل متعلقة بكان وهو مبني
على دلالة كان بمعنى اسم الفاعل الناقصة على الحدث **ان اوحينا** اسم كان قدم عليه خبرها اهتماما بشانه لكونه مدار الانكار والتعجيب وتشويقا
الى المؤخر ولان في الاسم ضرب تفصيل ففي مراعاة الاصل نوع اخلال بتجاوب اطراف الكلام وقرئ برفع عجب على انه الاسم وهو نكرة والخبر
ان اوحينا وهو معرفة لان ان مع الفعل في تاويل المصدر المضاف الى المعرفة البتة والمختار حينئذ ان يجعل كان تامة وان اوحينا متعلقا
بعجب على حذف حرف التعليل اي احدث للناس عجب لان اوحينا او من ان اوحينا او بدلا من عجب لكن لا على توجيه الانكار والتعجيب الى حدوثه
بل الى كونه عجبا فان كون الابدال في حكم تنحية المبدل منه ليس معناه اهداره بالمرة وانما قيل للناس لا عند الناس للدلالة على انهم اتخذوه
اعجوبة لهم وفيه من زيادة تقبيح حالهم ما لا يخفى **الى رجل منهم** اي الى بشر من جنسهم كقولهم ابعث الله بشرا رسولا ومن افنائهم من حيث المال لا من
عظمائهم كقولهم لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وكلا الوجهين من ظهور البطلان بحيث لا مزيد عليه اما الاول فلان بعث الملك
انما يكون عند كون المبعوث اليهم ملائكة كما قال سبحانه قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا
واما عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية كيف لا وهي منوطة بالتناسب والتجانس فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التي عليها يدور
فلك التكوين والتشريع وانما الذي تقتضيه الحكمة ان يبعث الملك من بينهم الى الخواص المختصين بالنفوس الكريمة الزكية المؤيدين بالقوة
القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب واما الثاني فلان مناط الاصطفاء للنبوة
والرسالة هو التقدم في الاتصاف بما ذكر من النعوت الجميلة والصفات الجليلة والسبق في احراز الفضائل العلية وحيازة الملكات
السنية جبلة واكتسابا ولا ريب لاحد منهم في انه عليه السلام في ذلك الشان في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية
واما التقدم في الرياسة الدنيوية والسبق في نيل الحظوظ الدنية فلا دخل له في ذلك قطعا بل له اخلال به غالبا قال عليه السلام لو كانت
الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء **ان انذر الناس** ان مصدرية لجواز كون صلتها امرا كما في قوله تعالى
وان اقم وجهك وذلك لان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سيان فساغ وقوع الامر والنهي صلة حسب وقوع الفعل الخبري فيجرد
عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال ووجوب كون الصلة في الموصول الاسمي خبرية انما هو
للتوصل بها الى وصف المعارف بالجمل لا لقصور في دلالة الانشاء على المصدر او مفسرة اذ الايحاء فيه معنى القول وقد جوز كونها مخففة
من المثقلة على حذف ضمير الشان والقول من الخبر والمعنى ان الشان قولنا انذر الناس والمراد به جميع الناس كافة لا ما اريد به بالاول
وهو النكتة في ايثار الاظهار على الاضمار وكون الثاني عين الاول عند اعادة المعرفة ليس على الاطلاق **وبشر الذين آمنوا** بما اوحيناه وصدقوه
ان لهم اي بان لهم **قدم صدق** اي سابقة ومنزلة رفيعة **عند ربهم** وانما عبر عنها بها اذ بها يحصل السبق والوصول الى المنازل الرفيعة كما
يعبر عن النعمة باليد لانها تعطى بها وقيل مقام صدق والوجه ان الوصول الى المقام انما يحصل بالقدم واضافتها الى الصدق للدلالة على تحققها
وثباتها وللتنبيه على ان مدار نيل ما نالوه من المراتب العلية هو صدقهم فان التصديق لا ينفك عن الصدق **قال الكافرون** هم المتعجبون وايرادهم
ههنا بعنوان الكفر مما لا حاجة الى ذكر سببه وترك العاطف لجريانه مجرى البيان للجملة التي دخل عليها همزة الانكار او لكونه استئنافا مبنيا على

على السؤال كانه قيل ماذا صنعوا بعد التعجب هل بقوا على التردد والاستبعاد او قطعوا فيه بشيء فقيل قال الكافرون على طريقة التوكيد **ان هذا**
يعنون به ما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن الحكيم المنطوي على الانذار والتبشير **لسحر مبين** اي ظاهر وقرئ لساحر على ان الاشارة
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ ما هذا الا سحر مبين وهذا اعتراف من حيث لا يشعرون بان ما عاينوه خارج عن طوق البشر نازل من جناب
خلاق القوى والقدر ولكنهم يسمونه بما قالوا تماديا في العناد كما هو ديدن المكابر اللجوج ودأب المفحم المحجوج **ان ربكم** كلام مستانف سيق لاظهار بطلان
تعجبهم المذكور وما بنوا عليه من المقالة الباطلة غب الاشارة اليه بالانكار والتعجيب وتحقيق حقية ما تعجبوا منه وصحة ما انكروه من التنبيه الاجمالي
على بعض ما يدل عليه من شؤون الخلق والتقدير واحوال التكوين والتدبير ويرشدهم الى معرفتها بادنى تذكير لاعترافهم به من غير نكير لقوله تع
قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل فانى تؤفكون وقوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض الى قوله تع ومن
يدبر الامر فسيقولون الله اي ان ربكم ومالك امركم الذي تتعجبون من ان يرسل اليكم رجلا منكم بالانذار والتبشير وتعدون ما اوحي اليه من الكتاب الحكيم
سحرا هو **الله الذي خلق السموات والارض** وما فيهما من اصول الكائنات **في ستة ايام** اي في ستة اوقات او في مقدار ستة ايام معهودة فان
نفس اليوم الذي هو عبارة عن زمان كون الشمس فوق الارض مما لا يتصور تحققه حين لا ارض ولا سماء وفي خلقها مدرجا مع القدرة التامة
على ابداعها دفعة دليل على الاختيار واعتبار للنظار وحث لهم على التاني في الاحوال والاطوار واما تخصيص ذلك بالعدد المعين فامر قد استاثر
بعلم ما يستدعيه علام الغيوب جلت قدرته ودقت حكمته وايثار صيغة الجمع في السموات لما هو المشهور من الابتداء بانها اجرام مختلفة الطباع متباينة
الآثار والاحكام **ثم استوى على العرش** العرش هو الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الاوامر والتدابير منه
تنزل وقيل هو الملك ومعنى استوائه سبحانه عليه استيلاؤه عليه او استواء امره وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة له سبحانه بلا كيف
والمعنى انه سبحانه استوى على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن التمكن والاستقرار وهذا بيان لجلالة ملكه وسلطانه بعد بيان عظمة شانه
وسعة قدرته بما ذكر من خلق هاتيك الاجرام العظام **يدبر الامر** التدبير النظر في ادبار الامور وعواقبها لتقع على الوجه المحمود والمراد ههنا التقدير على الوجه
الاتم الاكمل والمراد بالامر امر ملكوت السموات والارض والعرش وغير ذلك من الجزئيات الحادثة شيئا فشيئا على اطوار شتى وانحاء لا تكاد تحصى
من المناسبات والمباينات في الذوات والصفات والازمنة والاوقات اي يقدر ما ذكر من امر الكائنات الذي ما تعجبوا منه من امر البعث والوحي فرد من جملته وشعبة
من دوحته ويهيئ اسباب كل منها حدوثا وبقاء في اوقاتها المعينة ويرتب مصالحها على الوجه الفائق والنمط اللائق حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه
المصلحة والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير استوى وقد جوز كونه خبرا ثانيا لان او مستانفة لا محل لها من الاعراب مبنية على سؤال نشأ
من ذكر الاستواء على العرش المنبئ عن اجراء احكام الملك وعلى كل حال فايثار صيغة المضارع للدلالة على تجدد التدبير واستمراره وقوله عز وجل
ما من شفيع بيان لاستبداده تعالى في التدبير والتقدير ونفي للشفاعة على ابلغ الوجوه فان نفي جميع افراد الشفيع بمن الاستغراقية يستلزم نفي الشفاعة
على اتم الوجوه كما في قوله تع لا عاصم اليوم من امر الله وهذا بعد قوله تع يدبر الامر جار مجرى قوله تع وهو يجير ولا يجار عليه عقيب قوله تع قل من بيده
ملكوت كل شيء وقوله تع **الا من بعد اذنه** استثناء مفرغ من اعم الاوقات اي ما من شفيع يشفع لاحد في وقت من الاوقات الا بعد اذنه المبنية على
الحكمة الباهرة وذلك عند كون الشفيع من المصطفين الاخيار والمشفوع له ممن يليق بالشفاعة كقوله تع يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون
الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وفيه من الدلالة على عظمة جلاله سبحانه ما لا يخفى **ذلكم** اشارة الى المعلوم بتلك العظمة اي ذلك العظيم الشان
المنعوت بما ذكر من نعوت الكمال التي عليها يدور استحقاق الالوهية **الله** وقوله تعالى **ربكم** بيان له او بدل منه او خبر ثان لاسم الاشارة وهذا بعد
بيان ان ربكم الذي خلق السموات والارض الى آخره لزيادة التقرير والمبالغة في التذكير ولتفريع الامر بالعبادة عليه بقوله تع **فاعبدوه** اي
وحدوه من غير ان تشركوا به شيئا من ملك او نبي فضلا عن جماد لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وآمنوا بما انزلت اليكم **افلا تذكرون** اي اتعلمون
ان الامر كما فصل فلا تذكرون ذلك حتى تقفوا على فساد ما انتم عليه فترتدعوا عنه **اليه** لا الى احد سواه استقلالا او اشتراكا **مرجعكم** اي بالبعث
كما ينبئ عنه قوله تع **جميعا** فانه حال من الضمير المجرور لكونه فاعلا في المعنى اي اليه رجوعكم مجتمعين والجملة كالتعليل لوجوب العبادة **وعد الله**
مصدر مؤكد لنفسه لان قوله عز وجل اليه مرجعكم وعد منه سبحانه بالبعث او لفعل مقدر اي وعد الله وعدا واياما كان فهو دليل على ان المراد بالمرجع
هو الرجوع بالبعث لان ما بالموت بمعزل من الوعد كما انه بمعزل من الاجتماع وقرئ بصيغة الفعل **حقا** مصدر آخر مؤكد لما دل عليه الاول **انه يبدؤ**

الخلق وقرئ يبدئ **ثم يعيده** وهو استئناف علل به وجوب المرجع اليه سبحانه وتعالى فان غاية البدء والاعادة هو جزاء المكلفين باعمالهم حسنة او سيئة
وقرئ بالفتح اي لأنه ويجوز كونه منصوبا بما نصب وعد الله اي وعد الله وعدا بدء الخلق ثم اعادته ومرفوعا بما نصب حقا اي حق حقا بدء الخلق
الى آخره **ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط** اي بالعدل وهو حال من فاعل يجزي اي ملتبسا بالعدل او متعلق بيجزي اي ليجزي بقسطه ويوفيهم
اجورهم وانما اجمل ذلك ايذانا بانه لا يفي به الحصر او بقسطهم وعدلهم عند ايمانهم ومباشرتهم للأعمال الصالحة وهو الانسب بقوله عز وجل **والذين كفروا
لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون** فان معناه ويجزي الذين كفروا بسبب كفرهم وتكرير الاسناد بجعل الجملة الظرفية خبرا للموصول لتقوية
الحكم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على مواظبتهم على الكفر وتغيير النظم الكريم للايذان بكمال استحقاقهم للعقاب وان التعذيب بمعزل عن
الانتظام في سلك العلة الغائية للخلق بدءا واعادة وانما يحيق ذلك بالكفرة على موجب سوء اختيارهم واما المقصود الاصلي من ذلك فهو الاثابة **هو الذي
جعل الشمس ضياء** تنبيه على الاستدلال على وجوده تعالى ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته بآثار صنعه في النيرين بعد التنبيه على الاستدلال بما مر من
ابداع السموات والارض والاستواء على العرش وغير ذلك وبيان لبعض افراد التدبير الذي اشير اليه اشارة اجمالية وارشاد الى انه حين دبر امورهم
المتعلقة بمعاشهم هذا التدبير البديع فلأن يدبر مصالحهم المتعلقة بالمعاد بارسال الرسول وانزال الكتاب وتبيين طريق الهدى وتعيين مهاوي الردى
اولى واحرى والجعل ان جعل بمعنى الانشاء والابداع فضياء حال من مفعوله اي خلقها حال كونها ذات ضياء على حذف المضاف او ضياء محضا للمبالغة
وان جعل بمعنى التصيير فهو مفعوله الثاني اي جعلها ضياء على احد الوجهين المذكورين لكن لا بعد ان كانت خالية عن تلك الحالة بل ابدعها كذلك كما في قولهم
ضيّق فم الركية ووسّع اسفلها والضياء مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط وياؤه منقلبة من الواو لانكسار ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين
بينهما الف بتقديم اللام على العين **والقمر نورا** الكلام فيه كالكلام في الشمس والضياء اقوى من النور وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور ففيه اشعار
بان نوره مستفاد من الشمس **وقدره** اي قدر له وهيأ **منازل** او قدر مسيره في منازل او قدره ذا منازل على تضمين التقدير معنى التصيير وتخصيص
القمر بهذا التقدير لسرعة سيره ومعاينة منازله وتعلق احكام الشريعة به وكونه عمدة في تواريخ العرب وقد جعل الضمير لكل منهما وهي
ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة
والعشرين فاذا كان في آخر منازله دق واستقوس ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص الشهر ويكون مقام الشمس في كل منزلة منها ثلاثة عشر يوما
وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة وهي السرطان والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة
والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعوا والسماك والغفر والزبانى والاكليل والقلب والشولة والنعائم
والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو المؤخر والرشا وبطن الحوت **لتعلموا** بتعاقب
الليل والنهار المنوطين بطلوع الشمس وغروبها او باعتبار نزول كل منهما في تلك المنازل **عدد السنين** التي يتعلق بها غرض علمي لاقامة مصالحكم الدينية
والدنيوية **والحساب** اي حساب الاوقات على ان الالف واللام عوض عن المضاف اليه من الاشهر والايام والليالي وغير ذلك مما نيط به شيء من المصالح
المذكورة وتخصيص العدد بالسنين والحساب بالاوقات لما انه لم يعتبر في السنين المعدودة معنى مغاير لمراتب الاعداد كما اعتبر في الاوقات المحسوبة
وتحقيقه ان الحساب احصاء ما له كمية انفصالية بتكرير امثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل كالسنة
المتحصلة من اثني عشر شهرا قد تحصل كل من ذلك من ثلاثين يوما قد تحصل كل من ذلك من اربع وعشرين ساعة مثلا والعد مجرد احصائه بتكرير
امثاله من غير اعتبار ان يتحصل بذلك شيء كذلك ولما لم يعتبر في السنين المعدودة تحصل حد معين له اسم خاص غير اسامي مراتب الاعداد وحكم مستقل
اضيف اليها العدد وتحصل مراتب الاعداد من العشرات والمآت والألوف اعتباري لا يجدي في تحصل المعدود نفعا وحيث اعتبر في الاوقات
المحسوبة تحصل ما ذكر من المراتب التي لها اسام خاصة واحكام متعلقة علق بها الحساب المنبئ عن ذلك والسنة من حيث تحققها في نفسها مما
يتعلق به الحساب وانما الذي يتعلق به العد طائفة وتعلقه في ضمن ذلك بكل واحدة من تلك الطائفة ليس من الحيثية المذكورة اعني حيثية تحصلها
من عدة اشهر قد تحصل كل واحد منها من عدة ايام قد حصل كل منها بطائفة من الساعات فان ذلك وظيفة الحساب بل من حيث انها فرد من تلك
الطائفة المعدودة من غير ان يعتبر معها شيء غير ذلك وتقديم العدد على الحساب مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما على العكس لأن العلم
المتعلق بعدد السنين علم اجمالي بما تعلق به الحساب تفصيلا وان لم يتحد الجهة او لأن العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصل امر آخر حسبما حقق آنفا

نازل من الحساب الذي اعتبر فيه ذلك منزلة البسيط من المركب **ما خلق الله ذلك** اي ما ذكر من الشمس والقمر على ما حكي من الاحوال وفيه ايذان بان معنى
على تلك الاحوال والهيئات ليس الا خلقهما كذلك كما اشير اليه ولا يقدح في ذلك ان استفادة القمر النور من الشمس امر حادث فان المراد بجعله
نورا انما هو جعله بحيث يتصف بالنور عند وجود شرائطه لا اتصافه به بالفعل **الا بالحق** استثناء مفرغ من اعم احوال الفاعل او المفعول اي ما
خلق ذلك ملتبسا بشيء من الاشياء **الا** ملتبسا **بالحق** مراعيا لمقتضى الحكمة البالغة او مراعيا فيه ذلك وهو ما اشير اليه اجمالا من العلم باحوال
السنين والاوقات المنوط بها امور معاملاتهم وعباداتهم **يفصل الآيات** اي الآيات التكوينية المذكورة او جميع الآيات فيدخل فيها الآيات المذكورة
دخولا اوليا او يفصل الآيات التنزيلية المنبهة على ذلك وقرئ بنون العظمة **لقوم يعلمون** الحكمة في ابداع الكائنات فيستدلون بذلك على
شؤون مبدعها جل وعلا او يعلمون ما في تضاعيف الآيات المنزلة فيؤمنون بها وتخصيص التفصيل بهم لأنهم المنتفعون به **ان في اختلاف الليل والنهار**
تنبيه آخر اجمالي على ما ذكر اي في تعاقبهما وكون كل منهما خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات وسكون الارض او في
تفاوتهما في انفسهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة او في
اختلافهما وتفاوتهما بحسب الامكنة اما في الطول والقصر فان البلاد القريبة من القطب الشمالي ايامها الصيفية اطول ولياليها الصيفية
اقصر من ايام البلاد البعيدة منه ولياليها واما في انفسهما فان كرية الارض تقتضي ان يكون بعض الاوقات في بعض الاماكن ليلا وفي مقابله
نهارا **وما خلق الله في السموات والارض** من اصناف المصنوعات **لآيات** عظيمة او كثيرة دالة على وجود الصانع تعالى ووحدته وكمال علمه وقدرته وبالغ
حكمته التي من جملة مقتضياتها ما انكروه من ارسال الرسول وانزال الكتب والبعث والجزاء **لقوم يتقون** خصهم بذلك لأن الداعي الى النظر والتدبر
انما هو تقوى الله وطاعته والحذر من العاقبة ولأنهم الموفقون على ان جميع المخلوقات آيات دون غيرهم وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها
وهم عنها معرضون **ان الذين لا يرجون لقاءنا** بيان لمآل امر من كفر بالبعث واعرض عن البينات الدالة عليه بعد تحقيق ان مرجع الكل اليه تعالى
وانه يعيدهم بعد بدئهم للجزاء ثوابا وعقابا وتفصيل بعض الآيات الشاهدة بذلك والمراد بلقائه تعالى اما الرجوع اليه تعالى بالبعث او لقاء
الحساب كما في قوله عز وجل اني ظننت اني ملاق حسابيه وايا ما كان ففيه مع الالتفات الى ضمير الجلالة من تهويل الامر ما لا يخفى والمراد
بعدم الرجاء عدم التوقع مطلقا المنتظم لعدم الامل وعدم الخوف فان عدمهما لا يستدعي عدم اعتقاد وقوع المأمول والمخوف اي لا
يتوقعون الرجوع الينا او لقاء حسابنا المؤدي اما الى حسن الثواب او الى سوء العذاب فلا يأملون الاول واليه اشير بقوله تعالى **ورضوا
بالحيوة الدنيا** فانه مبني على ايثار الادنى الخسيس على الاعلى النفيس كقوله تعالى ارضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة ولا يخافون الثاني واليه
اشير بقوله تعالى **واطمأنوا بها** اي سكنوا فيها سكون من لا براح له منها آمنين من اعتراء المزعجات غير مخطرين ببالهم ما يسوؤهم من عذابنا
وقيل المراد بالرجاء معناه الحقيقي وباللقاء حسن اللقاء اي لا يأملون حسن لقائنا بالبعث والاحياء بالحيوة الابدية ورضوا
بدلا منها وعما فيها من فنون الكرامات السنية بالحيوة الدنيا الدنية الفانية واطمأنوا بها اي سكنوا اليها مكبين عليها قاصرين
مجامع همتهم على لذائذها وزخارفها على غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم وايثار الباء على كلمة الى المنبئة عن مجرد الوصول والانتهاء
للايذان بتمام الملابسة ودوام المصاحبة والمؤانسة وحمل الرجاء على الخوف فقط يأباه كلمة الرضاء بالحيوة الدنيا فانها منبئة
عما ذكر من ترك الاعلى واخذ الادنى واختيار صيغة الماضي في الصلتين الاخيرتين للدلالة على التحقق والتقرر كما ان اختيار صيغة
المستقبل في الاولى للايذان باستمرار عدم الرجاء **والذين هم عن آياتنا** المفصلة في صحائف الاكوان حسبما اشير الى بعضها او آياتنا المنزلة
المنبهة على الاستشهاد بها المتفقة معها في الدلالة على حقية ما لا يرجونه من اللقاء المترتب على البعث وعلى بطلان ما رضوا به واطمأنوا اليه
من الحيوة الدنيا **غافلون** لا يتفكرون فيها اصلا وان نبهوا على ذلك وذكروا بانواع القوارع لانهماكهم فيما يصدهم عنها من الاحوال
المعدودة وتكرير الموصول للتوسل به الى جعل صلته جملة اسمية منبئة عما هم عليه من استمرار الغفلة ودوامها وتنزيل التغاير الذاتي ايذانا
بمغايرة الوصف الاخير للاوصاف الاول واستقلاله باستتباع العذاب هذا واما ما قيل من ان العطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على
ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا والانهماك في الشهوات بحيث لا يخطر ببالهم الآخرة اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد
بالاولين من انكر البعث ولم ير الا الحيوة الدنيا وبالآخرين من الهاه حب العاجل عن التأمل في الآجل فكلام ناء عن السداد قاصر **اولئك** الموصوفون

بما ذكر من صفات السوء **مأويهم** اي مسكنهم ومقرهم الذي لا براح لهم منه **النار** لا ما اطمأنوا بها من الحيوة الدنيا ونعيمها **بما كانوا يكسبون** من
الاعمال القلبية المعدودة وما تستتبعه من اصناف المعاصي والسيئات او بكسبهم اياها والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار
التجددي والباء متعلقة بمضمون الجملة الاخيرة الواقعة خبرا عن اسم الاشارة وهو مع خبره خبر لان في قوله تع ان الذين لا يرجون لقاءنا
الخ **ان الذين آمنوا** اي فعلوا الايمان او آمنوا بما يشهد به الآيات التي غفل عنها الغافلون او بكل ما يجب ان يؤمن به فيندرج فيه ذلك اندراجا
اوليا **وعملوا الصالحات** اي الاعمال الصالحة في انفسها اللائقة بالايمان وانما ترك ذكر الموصوف لجريانها مجرى الاسماء **يهديهم ربهم** اي
الالتفات تشريفا لهم باضافة الرب اليهم واشعارا بعلة الهداية **بايمانهم** اي يهديهم بسبب ايمانهم الى مأواهم ومقصدهم وهي الجنة وانما لم
يذكر تعويلا على ظهوره والسياق النفس اليها لا سيما بملاحظة ما سبق من بيان مأوى الكفرة وما ادّاهم اليه من اعمالهم السيئة ومشاهدة
ما لحق من التلويح وفي النظم الكريم اشعار بان مجرد الايمان والعمل الصالح لا يكفي في الوصول الى الجنة بل لا بد بعد ذلك من الهداية الربانية
وان الكفر والمعاصي كافية في دخول النار ثم انه لا نزاع في ان المراد بالايمان الذي جعل سببا لتلك الهداية هو ايمانهم الخاص المشفوع
بالاعمال الصالحة لا الايمان المجرد عنها ولا ما هو اعم منهما الا ان ذلك بمعزل عن الدلالة على خلاف ما عليه اهل السنة والجماعة من ان الايمان
الخالي عن عمل صالح يفضي الى الجنة في الجملة ولا يخلد صاحبه في النار فان منطوق الآية الكريمة ان الايمان المقرون بالعمل الصالح سبب
للهداية الى الجنة واما ان كل ما هو سبب لها يجب ان يكون كذلك فلا دلالة لها ولا لغيرها عليه قطعا كيف لا وقوله عز وجل الذين آمنوا
ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون ناطق بخلافه فان المراد بالظلم هو الشرك كما اطبق عليه المفسرون والمعنى لم يخلطوا ايمانهم
بشرك ولئن حمل على ظاهره ايضا يدخل في الاهتداء من آمن ولم يعمل صالحا ثم تاب قبل ان يظلم بفعل حرام او بترك واجب **تجري من تحتهم الانهار**
اي من بين ايديهم كقوله سبحانه وهذه الانهار تجري من تحتي او تجري وهم على سرر مرفوعة وارائك مصفوفة والجملة مستأنفة او خبر ثان لان
او حال من مفعول يهديهم على تقدير كون المهدي اليه الثواب والجنة وقوله تجري من تحتهم الانهار جار مجرى التفسير والبيان فان التمسك بحبل
السعادة في حكم الوصول اليها او قبل يهديهم الى ادراك الحقائق البديعة بحسب القوة العملية كما قال عليه الصلوة والسلام من عمل بما علم
ورثه الله علم ما لم يعلم **في جنات النعيم** خبر آخر او حال اخرى منه او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي فالمراد بالمهدي اليه اما منازلهم في الجنة
او ما يريدونه فيها **دعويهم** اي دعاؤهم وهو مبتدأ وقوله عز وجل **فيها** متعلق به وقوله **سبحانك اللهم** خبره اي دعاؤهم هذا الكلام وهو
معمول المقدر لا يجوز اظهاره والمعنى اللهم انا نسبحك تسبيحا ولعلهم يقولونه عندما عاينوا فيها من تعاجيب آثار قدرته تعالى ونتائج
رحمته ورأفته ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر تقديسا لمقامه تع عن شوائب العجز والنقصان وتنزيها لوعده الكريم
عن سمات الخلف **وتحيتهم فيها** التحية المكرمة بالحالة الجليلة اصلها احياك الله حيوة طيبة اما ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم
كما في قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام او تحية الله عز وجل لهم كما في قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم **سلام** اي
سلامة عن كل مكروه **وآخر دعويهم** اي خاتمة دعائهم **ان الحمد لله رب العالمين** اي ان يقولوا ذلك نعتا له عز وجل بصفات الاكرام اثر
نعته تعالى بصفات الجلال اي دعاؤهم منحصر فيما ذكر اذ ليس لهم مطلب مترقب حتى ينظموه في سلك الدعاء وان هي المخففة من ان الثقيلة
اصله انه الحمد لله فخفف وضمير الشأن كما في قوله ان هالك كل من يحفى وينتعل وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد ولعل ذكر
توسيط تحيتهم عند الحكاية بين دعائهم وخاتمته للتوسل الى ضم الحكاية بالتحميد تبركا مع ان التحية ليست باجنبية على الاطلاق ودعوى
كون ترتيب الوقوع ايضا كذلك بان كانوا حين دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله تعالى وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم
الملائكة بالسلام عن الوفات والفوز باصناف الكرامات او حياهم بذلك رب العزة فحمدوه تعالى واثنوا عليه باياه اضافة الآخر الى دعوا
وقد جوز ان يكون المراد بالدعاء العبادة كما في قوله تع واعتزلكم وما تدعون الخ ايذانا بان لا تكليف في الجنة اي ما عبادتهم الا ان
يسبحوه ويحمدوه وليس ذلك بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا ولا يساعده تعيين الخاتمة **ولو يعجل الله للناس** هم الذين لا
يرجون لقاء الله تعالى لانكارهم البعث وما يترتب عليه من الحساب والجزاء اشير الى بعض من عظائم امورهم ومعاصيهم المتفرعة على ذلك
وهو استعجالهم بما اوعدوا به من العذاب تكذيبا واستهزاء وايرادهم باسم الجنس لما ان تعجيل الخير لهم ليس دائرا على وصفهم المذكور اذ ليس

كل ذلك بطريق الاستدراج اي لو يعجل الله لهم **الشر** الذي كانوا يستعجلون به فانهم كانوا يقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ونحو ذلك وقوله تع **استعجالهم بالخير** نصب على انه مصدر تشبيهي وضع موضع مصدر ناصبه دلالة
على اعتبار الاستعجال في جانب المشبه كاعتبار التعجيل في جانب المشبه به تعجيلا مثل تعجيله لهم الخير عند استعجالهم به فحذف ما حذف تعويلا
على دلالة الباقي عليه **لقضي اليهم اجلهم** لأدّي اليهم الاجل الذي عين لعذابهم وأميتوا وأهلكوا بالمرة وما امهلوا طرفة عين وفي ايثار
صيغة المبني للمفعول جري على سنن الكبرياء مع الايذان بتعيين الفاعل وقرئ على البناء للفاعل كما قرئ لقضينا واختيار صيغة الاستقبال
في الشرط وان كان المعنى على المضي لافادة ان عدم قضاء الاجل لاستمرار عدم التعجيل فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس بنص في
افادة انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام كما حقق في موضعه واعلم ان مدار الافادة في الشرطية ان يكون
التالي امرا مغايرا للمقدم في نفسه مترتبا عليه في الوجود كما في قوله عز وجل لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم فان العنت اي الوقوع في المشقة والهلاك
امر مغاير لطاعته عليه السلام لهم مترتب عليها في الوجود او يكون فردا كاملا من افراده ممتازا من البقية بامر يخصه كما في الاجوبة المحذوفة في
مثل قوله تع ولو ترى اذ وقفوا على النار وقوله تع ولو ترى اذ وقفوا على ربهم وقوله تع ولو ترى اذ المجرمون ونظائرها اي لرأيت امرا
هائلا فظيعا او نحو ذلك وكما في قوله تع ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة اذا فسر الجواب بالاستيصال فانه فرد كامل
من افراد مطلق المؤاخذة قد عبر عنه بما لا مزيد عليه في الدلالة على الشدة والفظاعة تحسن موقعه في معرض التالي للمؤاخذة المطلقة واما ما نحن فيه
من القضاء فليس بامر مغاير لتعجيل الشر في نفسه وهو ظاهر بل هو اما نفسه او جزئي منه كسائر جزئياته من غير مزية له على البقية اذ لم يعبر
في معنونه ما ليس في مفهوم تعجيل الشر من الشدة والهول فلا يكون في ترتيبه عليه وجودا او عدما مزيد فائدة مصحح لجعله تاليا له
فالحق ان المقدم ليس نفس التعجيل المذكور بل هو ارادته المستتبعة للقضاء المذكور وجودا وعدما كما في قوله تع لو يؤاخذهم بما كسبوا
لعجل لهم العذاب اي لو يريد مؤاخذتهم فان تعجيل العذاب لهم نفس المؤاخذة او جزء من جزئياتها غير ممتاز عن البقية فليس في بيان ترتبه
عليها وجودا وعدما مزيد فائدة وانما الفائدة في بيان ترتبه على ارادتها حسبما ذكر وايضا في ترتيب التالي على ارادة المقدم ما ليس في
ترتيبه على نفسه من الدلالة على المبالغة وتهويل الامر والدلالة على ان الامور منوطة بارادته تعالى المبنية على الحكم البالغة **فنذر الذين لا يرجون
لقاءنا** بنون العظمة الدالة على التشديد في الوعيد وهو عطف على مقدر تنبئ عنه الشرطية كانه قيل لكن لا نفعل ذلك لما تقتضيه الحكمة فنتركهم
امهالا واستدراجا **في طغيانهم** الذي هو عدم رجاء اللقاء وانكار البعث والجزاء وما يتفرع على ذلك من اعمالهم السيئة ومقالاتهم الشنيعة
يعمهون اي يترددون ويتحيرون وفي وضع الموصول موضع الضمير نوع بيان للطغيان بما في حيز الصلة واشعار بعليته للترك والاستدراج
واذا مس الانسان الضر اي اصابه جنس الضر من مرض وفقر وغيرهما من الشدائد اصابة يسيرة **دعانا** لكشفه وازالته **لجنبه** حال من فاعل دعا
بشهادة ما عطف عليه من الحالين واللام بمعنى على كما في قوله تع يخرون للاذقان اي دعانا كائنا على جنبه اي مضطجعا **او قاعدا او قائما** اي
في جميع الاحوال مما ذكر وما لم يذكر وتخصيص المعدودات بالذكر لعدم خلو الانسان عنها عادة او دعانا في جميع احوال مرضه على انه المراد بالضر
خاصة مضطجعا عاجزا عن القعود وقاعدا غير قادر على النهوض وقائما لا يستطيع الحراك **فلما كشفنا عنه ضره** الذي مسه غب ما دعانا جسبما
بغى عنه الفاصر **مر** اي مضى واستمر على طريقته التي كان ينتحيها قبل مساس الضر ونسي حالة الجهد والبلاء او مر عن موقف الضراعة والابتهال ونأى
بجانبه **كأن لم يدعنا** اي كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن كما في قوله كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا والجملة التشبيهية في محل
النصب على الحالية من فاعل مر اي مر مشبها بمن لم يدعنا **الى ضر** اي الى كشف ضر **مسه** وهذا وصف للجنس باعتبار حال بعض افراده ممن هو
متصف بهذه الصفات **كذلك** نصب على المصدرية وذلك اشارة الى مصدر الفعل الآتي وما فيه من معنى البعد للتفخيم والكاف مقحمة للدلالة
على زيادة فخامة المشار اليه اقحاما لا يكاد يترك في لغة العرب ولا في غيرها ومن ذلك قولهم مثلك لا يبخل مكان انت لا تبخل اي مثل ذلك التزيين
العجيب **زين للمسرفين** اي للموصوفين بما ذكر من الصفات الذميمة واسرافهم لما ان الله تعالى انما اعطاهم القوى والمشاعر ليصرفوها الى مصارفها
ويستعملوها فيما خلقت له من العلوم والاعمال الصالحة فلما صرفوها الى ما لا ينبغي وهي رأس مالهم فقد اتلفوها واسرفوا اسرافا ظاهرا والتزيين
اما من جهة الله تعالى على طريق التخلية والخذلان او من الشيطان بالوسوسة والتسويل **ما كانوا يعملون** من الاعراض عن الذكر والدعاء والانهماك

في الشهوات وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث إن في كل منهما إملاءً للكفرة على طريقة الاستدراج بعد الإنقاذ من الشر المقدر في الأولى ومن الضر في الأخرى **ولقد أهلكنا القرون** أي القرون الخالية مثل قوم نوح وعاد وأضرابهم ومن في قوله تعالى **من قبلكم** متعلقة بأهلكنا أي أهلكناهم من قبل زمانكم والخطاب لأهل مكة على طريقة الالتفات للمبالغة في تشديد التهديد بعد تأييده بالتوكيد القسمي **لما ظلموا** ظرف للإهلاك أي أهلكناهم حين فعلوا الظلم بالتكذيب والتمادي في الغي والضلال من غير تأخير وقوله تعالى **وجاءتهم رسلهم بالبينات** متعلق بجاءتهم على أن الباء للتعدية أو بمحذوف وقع حالاً من رسلهم دالة على إفراطهم في الظلم وتناهيهم في المكابرة أي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالآيات البينة الدالة على صدقهم أو ملتبسين بها حين لا مجال للتكذيب وقد جوز أن يكون قوله تعالى وجاءتهم عطفاً على ظلموا فلا محل له من الإعراب عند سيبويه وعند غيره محله الجر لأنه معطوف على ما هو مجرور بإضافة الظرف إليه وليس الظلم منحصراً في التكذيب حتى يحتاج إلى الاعتذار بأن التركيب الذكري لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعي كما في قوله تعالى ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً بل هو محمول على سائر أنواع الظلم والتكذيب مستفاد من قوله تعالى **وما كانوا ليؤمنوا** على أبلغ وجه وآكده فإن اللام لتأكيد النفي أي وما صح وما استقام لهم أن يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله تعالى إياهم لعلمه بأن الألطاف لا تنجع فيهم والجملة على الأول عطف على ظلموا لأنه إخبار بإحداث التكذيب وهذا بالإصرار عليه وعلى الثاني عطف على ما عطف وقيل اعتراض بين الفعل وما يجري مجرى مصدره التشبيهي أعني قوله تعالى **كذلك** فإن الجزاء المشار إليه عبارة عن مصدره أي مثل ذلك الجزاء الفظيع أي الإهلاك الشديد الذي هو الاستئصال بالمرة **نجزي القوم المجرمين** أي كل طائفة مجرمة وفيه وعيد شديد وتهديد أكيد لأهل مكة لاشتراكهم لأولئك المهلكين في الجرائم والجرائر التي هي تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم والإصرار عليه وتقرير لمضمون ما سبق من قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وقرئ بالياء على الالتفات إلى الغيبة وقد جوز أن يكون المراد بالقوم المجرمين أهل مكة على طريقة وضع الظاهر موضع ضمير الخطاب إيذاناً بأنهم أعلام في الإجرام ويأباه كل الإباء قوله عز وجل **ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم** فإنه صريح في أنه ابتداء تعرض لأمورهم وأن ما بين فيه إنما هو مبادي أحوالهم لاختبار كيفيات أعمالهم على وجه يشعر باستمالتهم نحو الإيمان والطاعة فمحال أن يكون ذلك إثر بيان منتهى أمرهم وخطابهم ببت القول بإهلاكهم لكمال إجرامهم والمعنى ثم استخلفناكم في الأرض بعد أولئك القرون التي تسمعون أخبارها وتشاهدون آثارها استخلاف من يختبر **لننظر** أي لنعامل معاملة من ينظر **كيف تعملون** فهي استعارة تمثيلية وكيف منصوب على المصدرية بتعملون لا بننظر فإن ما فيه من معنى الاستفهام مانع من تقدم عامله عليه أي أي عمل تعملون أو الحالية أي على أي حال تعملون الأعمال اللائقة بالاستخلاف من أوصاف الحسن كقوله عز وجل ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ففيه إشعار بأن المراد بالذات والمقصود الأصلي من الاستخلاف إنما هو ظهور الكيفيات الحسنة للأعمال الصالحة وأما الأعمال السيئة فبمعزل من أن تصدر عنهم لا سيما بعد ما سمعوا أخبار القرون المهلكة وشاهدوا آثار بعضها فضلاً عن أن ينتظم ظهورها في سلك العلة الغائية للاستخلاف وقيل منصوب على أنه مفعول به أي أي عمل تعملون خيراً أم شراً فنعاملكم بحسبه فلا يكون في كلمة كيف حينئذ دلالة على أن المعتبر في الجزاء جهات الأعمال وكيفياتها لا ذواتها كما هو رأي القائل بل تكون حينئذ مستعارة لمعنى أي شيء **وإذا تتلى عليهم** التفات من خطابهم إلى الغيبة إعراضاً عنهم وتوجيهاً للخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعديد جناياتهم المضادة لما أريد منهم بالاستخلاف من تكذيب الرسول والكفر بالآيات البينات وغير ذلك كدأب من قبلهم من القرون المهلكة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد جوابهم الآتي حسب تجدد التلاوة **آياتنا** الدالة على حقية التوحيد وبطلان الشرك والإضافة لتشريف المضاف والترغيب في الإيمان به والترهيب في تكذيبه **بينات** حال كونها واضحات الدلالة على ذلك وإيراد فعل التلاوة مبنياً للمفعول مسنداً إلى الآيات دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنائه للفاعل للإشعار بعدم الحاجة لتعيين التالي وللإيذان بأن كلامهم في نفس المتلو دون التالي **قال الذين لا يرجون لقاءنا** وضع الموصول موضع الضمير إشعاراً بعلية ما في حيز الصلة للعظيمة المحكية عنهم وأنهم إنما اجترؤوا عليها لعدم خوفهم من عقابه تعالى يوم اللقاء لإنكارهم له ولما هو من مباديه من البعث وذماً لهم بذلك أي قالوا لمن يتلوها عليهم وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما لم يذكر إيذاناً بتعينه **ائت بقرآن غير هذا** أشاروا بهذا إلى القرآن المشتمل على تلك الآيات لا إلى نفسها فقط قصداً إلى إخراج الكل من البين أي ائت بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والحساب والجزاء أو ما نكرهه من ذم آلهتنا ومعايبها والوعيد على عبادتها **أو بدله** بتغيير ترتيبه بأن تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية أخرى خالية عنها وإنما قالوه كيداً وطمعاً في المساعدة ليتوسلوا به إلى الإلزام والاستهزاء به **قل** لهم **ما يكون لي** أي ما يصح وما يستقيم لي ولا يمكنني أصلاً **أن أبدله من تلقاء نفسي** أي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفاً وقرئ بفتح التاء وقصر الجواب ببيان امتناع

ما اقترحوه على اقتراحهم الثاني للإيذان بأن استحالة ما اقترحوه أولاً من الظهور بحيث لا حاجة إلى بيانها وأن التصدي لذلك مع كونه ضائعاً ربما يعد من قبيل المجاراة مع السفهاء إذ لا يصدر مثل ذلك الاقتراح عن العقلاء ولأن ما يدل على استحالة الثاني يدل على استحالة الأول بالطريق الأولى **إن أتبع** أي ما أتبع في شيء مما آتي وأذر **إلا ما يوحى إلي** من غير تغيير له في شيء أصلاً على معنى قصر حاله عليه السلام على اتباع ما يوحى إليه لا قصر اتباعه على ما يوحى إليه كما هو المتبادر من ظاهر العبارة كأنه قيل ما أفعل إلا اتباع ما يوحى إلي وقد مر تحقيق المقام في سورة الأنعام وهو تعليل لصدر الكلام فإن من شأنه اتباع الوحي على ما هو عليه لا يستبد بشيء دونه قطعاً وفيه جواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا به عليه السلام بهذا السؤال من أن القرآن كلامه ولذلك قيد التبديل في الجواب بقوله من تلقاء نفسي وسماه عصياناً عظيماً مستتبعاً لعذاب عظيم فإنه تعليل لمضمون ما قبله من امتناع التبديل واقتصار أمره عليه السلام على اتباع الوحي **إني أخاف إن عصيت ربي** أي أخاف إن عصيته تعالى بتعاطي ما ليس لي من التبديل من تلقاء نفسي والإعراض عن اتباع الوحي **عذاب يوم عظيم** هو يوم القيامة ويوم اللقاء الذي لا يرجونه وفيه إشعار بأنهم استوجبوه بهذا الاقتراح والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام لتهويل أمر العصيان وإظهار كمال نزاهته عليه السلام عنه وإيراد اليوم بالتنوين التفخيمي ووصفه بالعظم لتهويل ما فيه من العذاب وتفظيعه ولا مساغ لحمل مقترحهم على التبديل والإتيان بقرآن آخر من جهة الوحي وتفسير قوله تعالى ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي بأنه لا يتسهل لي أن أبدله بالاستدعاء من جهة الوحي وما أتبع إلا ما يوحى إلي من غير صنع ما من الاستدعاء وغيره من قبلي لأنه يرده التعليل المذكور لكن لا لأن المقترح حينئذ ليس فيه معصية أصلاً كما توهم فإن استدعاء تبديل الآيات النازلة حسبما تقتضيه الحكمة التشريعية بعضها ببعض لا سيما بموجب اقتراح الكفرة مما لا ريب في كونه معصية بل لأنه ليس فيه معصية الافتراء مع أنها المقصودة بما ذكر في التعليل الآتي إلى ما بعده من الآيتين فإنه صريح في أن مقترحهم الإتيان بغير القرآن وتبديله بطريق الافتراء وأن زعمهم في الأصل أيضاً كذلك وقوله عز وجل **قل لو شاء الله ما تلوته عليكم** تحقيق لحقية القرآن وكونه من عند الله تعالى إثر بيان بطلان ما اقترحوا الإتيان به واستحالته عبارة ودلالة وإنما صدر بالأمر المستقل مع كونه داخلاً تحت الأمر السابق إظهاراً لكمال الاعتناء بشأنه وإيذاناً باستقلاله مفهوماً وأسلوباً فإنه برهان دال على كونه بأمر الله تعالى ومشيئته كما سيأتي وما سبق مجرد إخبار باستحالة ما اقترحوه ومفعول شاء محذوف ينبئ عنه الجزاء لا غير ذلك كما قيل فإن مفعول المشيئة إنما يحذف إذا وقع شرطاً وكان مفعولها مضمون الجزاء ولم يكن في تعلقها به غرابة كما في قوله ولئن شئت أن أبكي دماً لبكيته حيث لم يحذف لفقدان الشرط الأخير ولأن المستلزم للجزاء أعني عدم تلاوته عليه السلام للقرآن عليهم إنما هو مشيئته تعالى له لا مشيئته لغير القرآن والمعنى أن الأمر منوط بمشيئته تعالى وليس لي منه شيء قط ولو شاء عدم تلاوتي له عليكم لا بأن شاء عدم تلاوتي له من تلقاء نفسي بل بأن لم ينزله علي ولم يأمرني بتلاوته كما ينبئ عنه إيثار التلاوة على القراءة ما تلوته عليكم **ولا أدراكم به** أي ولا أعلمكم به بواسطتي والتالي وهو عدم التلاوة والإدراء منتف فينتفي المقدم أعني مشيئة عدم التلاوة ولا يخفى أن ما يستلزمه لعدم مشيئة التلاوة قطعاً فانتفاؤها مستلزم لانتفائه حتماً وانتفاء عدم مشيئة التلاوة إنما يكون بتحقق مشيئة التلاوة فثبت أن تلاوته عليه السلام للقرآن بمشيئته تعالى وأمره وإنما قيدنا الإدراء بكونه بواسطته عليه السلام لأن عدم الإعلام مطلقاً ليس من لوازم الشرط الذي هو مشيئة عدم تلاوته فلا يجوز نظمه في سلك الجزاء وفي إسناد عدم الإدراء إليه تعالى إيذان بأن لا دخل له عليه السلام في ذلك حسبما يقتضيه المقام وقرئ ولا أدرأتكم ولا أدرأكم بالهمزة فيهما على لغة من يقول أعطأت وأرضأت في أعطيت وأرضيت أو على أنه من الدرء بمعنى الدفع أي ولا جعلتكم بتلاوته عليكم خصماء تدرؤونني بالجدال وقرئ ولا أنذرتكم به وقرئ لأدراكم به بلام الجواب أي لو شاء الله ما تلوته أنا عليكم ولأعلمكم به على لسان غيري على معنى أنه الحق الذي لا محيص عنه لو لم أرسل به أنا لأرسل به غيري ألبتة أو على معنى أنه تعالى يمن على من يشاء فخصني بهذه الكرامة **فقد لبثت فيكم عمراً** تعليل للملازمة المستلزمة لكون تلاوته بمشيئة الله عز وجل وأمره حسبما بين آنفاً لكن لا بطريق الاستدلال عليها بعدم تلاوته عليه السلام فيما سبق بسبب عدم مشيئته تعالى إياه بل بطريق الاستشهاد عليها بما شاهدوا منه عليه السلام في تلك المدة الطويلة من الأمور الدالة على استحالة كون التلاوة من جهته عليه السلام بلا وحي وعمراً نصب على التشبيه بظرف الزمان والمعنى قد أقمت فيكم دهراً مديداً مقدار أربعين سنة تحفظون تفاصيل أحوالي طراً وتحيطون بما لدي خبراً **من قبله** أي من قبل نزول القرآن لا أتعاطى شيئاً مما يتعلق به لا من حيث نظمه المعجز ولا من حيث معناه الكاشف عن أسرار الحقائق وأحكام الشرائع **أفلا تعقلون** أي ألا تلاحظون ذلك فلا تعقلون امتناع صدوره عن مثلي ووجوب كونه منزلاً من عند الله العزيز الحكيم فإنه غير خاف على من له عقل سليم والحق الذي لا محيد عنه أن من له أدنى مسكة من العقل إذا تأمل في أمره صلى الله عليه وسلم وأنه نشأ فيما بينهم هذا الدهر الطويل

من غير مصاحبة العلماء في شأن من الشؤون ولا مراجعة اليهم في فن من الفنون ولا مخالطة البلغاء في المفاوضة والحوار والخوض معهم في انشاء الخطب والاشعار
ثم اتى بكتاب بهرت فصاحته كل فصيح فائق وبذت بلاغته كل بليغ رائق علا نظمه كل منثور ومنظوم وحوى فحواه بدائع اصناف العلوم كاشفا عن اسرار
الغيب من وراء استار الكون ناطق باخبار ما قد كان وما سيكون مصدق لما بين يديه من الكتب المنزلة مهيمن عليها في احكامها المجملة والمفصلة لا يبقى
عنده شائبة اشتباه في انه وحي منزل من عند الله تعالى هذا هو الذي اتفقت عليه كلمة الجمهور ولكن الانسب ببناء الجواب فيما سلف على مجرد امتناع
صدور التغيير والتبديل عنه عليه السلام لكونه معصية موجبة للعذاب العظيم واقتصار حاله عليه السلام على اتباع الوحي وامتناع الاستبداد بالرأي من غير
تعرض هنا ولا هناك لكون القرآن في نفسه امرا خارجا عن طوق البشر ولا لكونه عليه السلام غير قادر على الاتيان بمثله ان يستشهد ههنا على المطلب
بما يلايم ذلك من احواله المستمرة في تلك المدة المتطاولة من كمال نزاهته عليه السلام عما يوهم شائبة صدور الكذب والافتراء عنه في حق احد كائنا
من كان كما ينبئ عنه تعقيبه بتظليم المفتري على الله تعالى والمعنى قد لبثت فيما بين ظهرانيكم قبل الوحي لا اتعرض لاحد قط بتحكم ولا جدال ولا احوم
حول مقال فيه شائبة شبهة فضلا عما فيه كذب او افتراء الا تلاحظونه فلا تعقلون ان من هذا شأنه المطرد في هذا العهد البعيد يستحيل ان يفتري على الله
عز وجل ويتحكم على كافة الخلق بالاوامر والنواهي الموجبة لسلب الاموال وسفك الدماء ونحو ذلك وان ما اتى به وحي مبين تنزيل من رب العالمين
وقوله عز وجل **فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا** استفهام انكاري معناه الجحد اي لا احد اظلم منه على معنى انه اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب
مفيدا لانكار ان يكون احد اظلم منه من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها فانه اذا قيل من افضل من فلان او لا اعلم منه يفهم منه حتما انه افضل من
كل فاضل واعلم من كل عالم وزيادة قوله تعالى كذبا مع ان الافتراء لا يكون الا كذبا للايذان بان ما اضافوه اليه ضمنا وحملوه عليه السلام عليه صريحا
مع كونه افتراء على الله سبحانه كذب في نفسه فرب افتراء يكون كذبه في الاسناد فقط كما اذا اسند ذنب زيد الى عمرو وهذا للمبالغة منه عليه السلام في
التفادي عما ذكر من الافتراء على الله سبحانه **او كذب بآياته** فكفر بها وهذا تظليم للمشركين بتكذيبهم للقرآن وامره فلا مجال لحمل الافتراء على الافتراء
باتخاذ الولد والشريك اي واذا كان الامر كذلك فمن افترى على الله تعالى بان يختلق كلاما فيقول هذا من عند الله تعالى او يبدل بعض آياته ببعض كما تجوزون
ذلك في شأني وكذلك من كذب بآياته تعالى كما تفعلونه اظلم من كل ظالم **انه** الضمير للشأن ووقع اسما لان والخبر ما يعقبه من الجملة ومدار وضعه
ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصديرها به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول
الامر الا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده عليه فضل تمكن فكأنه قيل ان الشأن هذا اي **لا يفلح المجرمون** اي لا
ينجون من محذور ولا يظفرون بمطلوب والمراد جنس المجرمين فيندرج فيه المفتري والمكذب اندراجا اوليا **ويعبدون من دون الله** حكاية لجناية اخرى
لهم نشأت عنها جناياتهم الاولى معطوفة على قوله تعالى واذا تتلى عليهم الآية عطف قصة على قصة ومن دون متعلق بيعبدون ومحله النصب على الحالية
من فاعله اي متجاوزين الله سبحانه لا بمعنى ترك عبادته بالكلية بل بمعنى عدم الاكتفاء بها وجعلها قرينة لعبادة الاصنام كما يفصح عنه سياق النظم
الكريم **ما لا يضرهم ولا ينفعهم** اي ما ليس من شأنه الضر والنفع من الاصنام التي هي جمادات وما موصولة او موصوفة وتقديم نفي الضر لان درء احكام
العبادة دفع الضرر الذي هو اول المنافع والعبادة امر حادث مسبوق بالعدم الذي هو مظنة الضرر فحيث لم يقدر الاصنام على الضرر لم يوجد لاحداث
العبادة سبب وقيل لا يضرهم ان تركوا عبادتها ولا ينفعهم ان عبدوها كان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة عزى ومناة وهبل
واسافا ونائلة **ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله** عن النضر بن الحرث اذا كان يوم القيمة يشفع لي اللات قيل انهم كانوا يعتقدون ان
المتولي لكل اقليم روح معين من ارواح الافلاك فعينوا لذلك الروح صنما معينا من الاصنام واشتغلوا بعبادته ومقصودهم ذلك الروح
ثم اعتقدوا ان ذلك الروح يكون عند الاله الاعظم مشتغلا بعبوديته وقيل انهم كانوا يعبدون الكواكب فوضعوا لها اصناما معينة و
اشتغلوا بعبادتها قصدا الى عبادة الكواكب وقيل انهم وضعوا طلسمات معينة على تلك الاصنام ثم تقربوا اليها وقيل انهم وضعوا هذه
الاصنام على صور انبيائهم واكابرهم وزعموا انهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فان اولئك الاكابر يشفعون لهم عند الله تعالى
قل تبكيتا لهم **اتنبئون الله بما لا يعلم** اي اتخبرونه بما لا وجود له اصلا وهو كون الاصنام شفعاءهم عند الله تعالى اذ لولاه لعلمه علام الغيوب وفيه
تقريع لهم وتهكم بهم وبما يدعونه من المحال الذي لا يكاد يدخل تحت الصحة والامكان وقرئ اتنبئونه بالتخفيف وقوله تعالى **في السموات ولا في الارض**
حال من العائد المحذوف في يعلم مؤكدة للنفي لان ما لا يوجد فيهما فهو منتف عادة **سبحانه وتعالى عما يشركون** عن اشراكهم المستلزم لتلك

المقالة الباطلة او عن شركائهم الذين يعبدونهم شفعاءهم عند الله تعالى وقرئ تشركون بتاء الخطاب على انه من جملة القول المأمور به وعلى
الاول هو اعتراض تذييلي من جهته سبحانه وتعالى **وما كان الناس الا امة واحدة** بيان لان التوحيد والاسلام ملة قديمة اجمعت عليها الامم
قاطبة فطرة وتشريعا وان الشرك وفروعه جهالات ابتدعها الغواة خلافا للجمهور وشقا لعصا الجماعة واما حمل اتحادهم على الاتفاق على
الضلال عند الفترة واختلافهم على ما كان منهم من الاتباع والاصرار فمما لا احتمال له اي وما كان الناس كافة من اول الامر الا متفقين على الحق
والتوحيد من غير اختلاف وذلك من عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل وقيل الى زمان ادريس وقيل الى زمان نوح عليهما السلام
وقيل من حين الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا الى ان ظهر فيما بينهم الكفر وقيل لدن ابراهيم عليه السلام الى ان ظهر عمرو بن لحي
عبادة الاصنام فالمراد بالناس العرب خاصة وهو الانسب بايراد الآية الكريمة اثر حكاية ما حكي عنهم من الهنات وتنزيه ساحة الكبرياء
عن ذلك **فاختلفوا** بان كفر بعضهم وثبت آخرون على ما هم عليه فخالف كل من الفريقين الآخر لان كلا منهما احدث ملة على حدة من ملل
الكفر مخالفة لملة الآخر فان الكلام ليس في ذلك الاختلاف اذ كل منهما مبطل حينئذ فلا يتصور ان يقضي بينهما بابقاء المحق واهلاك
المبطل والفاء التعقيبية لا تنافي امتداد زمان الاتفاق اذ المراد بيان وقوع الاختلاف عقيب انصرام مدة الاتفاق لا عقيب حدوث الاتفاق
ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير القضاء بينهم او بتأخير العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيمة فانه يوم الفصل **لقضي بينهم** عاجلا **فيما فيه يختلفون**
بتمييز الحق عن الباطل بابقاء المحق واهلاك المبطل وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية والدلالة على الاستمرار **ويقولون** حكاية لجناية اخرى
لهم معطوفة على قوله تعالى ويعبدون وصيغة المضارع لاستحضار صورة مقالتهم الشنعاء والدلالة على الاستمرار والقائلون اهل مكة
لولا انزل عليه آية من ربه ارادوا آية من الآيات التي اقترحوها كأنهم لفرط العتو والفساد ونهاية التمادي في المكابرة والعناد لم يعدوا
البينات النازلة عليه عليه السلام من جنس الآيات واقترحوا غيرها مع انه قد انزل عليه من الآيات الباهرة والمعجزات المتكاثرة ما يضطرهم
الى الانقياد والقبول لو كانوا من ارباب العقول **فقل** لهم في الجواب **انما الغيب لله** اللام للاختصاص العلمي دون التكويني فان الغيب والشهادة
في ذلك الاختصاص سيان والمعنى ان ما اقترحتموه وزعمتم انه من لوازم النبوة وعلقتم ايمانكم بنزوله من الغيوب المختصة بالله سبحانه لا وقوف
لي عليه **فانتظروا** نزوله **اني معكم من المنتظرين** اي لما يفعل الله بكم لاجترائكم على مثل هذه العظيمة من جحود الآيات واقتراح غيرها وجعل الغيب عبارة
عن الصارف عن انزال الآيات المقترحة يأباه ترتيب الامر بالانتظار على اختصاص الغيب **واذا اذقنا الناس رحمة** صحة وسعة **من بعد ضراء مستهم**
اي خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم واسناد المساس الى الضراء بعد اسناد الاذاقة الى ضمير الجلالة من الآداب القرآنية كما في قوله تعالى واذا
مرضت فهو يشفين ونظائره قيل سلط الله تعالى على اهل مكة القحط سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحياء فطفقوا يطعنون في آياته تعالى
ويعادون رسوله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه وذلك قوله تعالى **اذا لهم مكر في آياتنا** اي بالطعن فيها وعدم الاعتداد بها والاحتيال في دفعها
واذا الاولى شرطية والثانية جوابها كأنه قيل فاجؤا وقوع المكر منهم وتنكير مكر للتفخيم وفي متعلقة بالاستقرار الذي تعلق به اللام **قل الله**
اسرع مكرا اي اعجل عقوبة اي عذابه اسرع وصولا اليكم مما يأتي منكم في دفع الحق وتسمية العقوبة بالمكر لوقوعها في مقابلة مكرهم وجودا او ذكرا
ان رسلنا الذين يحفظون اعمالكم والاضافة للتشريف **يكتبون ما تمكرون** اي مكركم او ما تمكرونه وهو تحقيق للانتقام منهم وتنبيه على ان ما دبروا في
اخفائه غير خاف على الحفظة فضلا عن العليم الخبير وصيغة الاستقبال في الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددي والجملة تعليل من جهته تعالى لاسرعية
مكره سبحانه غير داخل في الكلام الملقن كقوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا فان كتابة الرسل لما يمكرون من مبادي بطلان مكرهم وتخلف اثره عنه بالكلية
وفيه من المبالغة ما لا يوصف وتلوين الخطاب بصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم للتشديد في التوبيخ وقرئ على لفظ الغيبة فيكون حينئذ
تعليلا لما ذكر او للامر **هو الذي يسيركم** كلام مستأنف مسوق لبيان جناية اخرى لهم مبنية على ما مر آنفا من اختلاف حالهم حسب اختلاف ما يعتريهم من
السراء والضراء اي يمكنكم من السير تمكينا مستمرا عند الملابسة به وقبلها **في البر** مشاة وركبانا وقرئ ينشركم من النشر ومنه قوله عز وعلا فاذا انتم بشر تنتشرون
حتى اذا كنتم في الفلك اي السفن فانه جمع فلك على زنة اسد جمع اسد لا على وزن قفل وغاية التسيير ليست ابتداء ركوبهم فيها بل مضمون الشرطية
كما ينبئ عنه ايثار الكون المؤذن بالدوام على الركوب المشعر بالحدوث **وجرين** اي السفن **بهم** بالذين فيها والالتفات الى الغيبة للايذان بما لهم من سوء
الحال الموجب للاعراض عنهم كأنه يذكر لغيرهم مساوي احوالهم ليعجبهم منها ويستدعي منه الانكار والتقبيح وقيل ليس فيه التفات بل معنى قوله تعالى حتى اذا كنتم

في الفلك اذ كان بعضكم فيها اذ الخطاب للكل ومنهم المسيرون في البر فالضمير الغائب عائد الي ذلك المضاف المقدر كما في قوله تعالى او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج
اي او كذي ظلمات يغشاه موج بريح طيبة لينة الهبوب موافقة لمقصدهم وفرحوا بها بتلك الريح لطيبها وموافقتها جاءتها جواب اذا والضمير المنصوب للريح
الطيبة اي تلقتها واستولت عليها من طرف مخالف لها فان الهبوب علي وفقها لا يسمي مجيا لريح اخري عادة بل هو اشتداد للريح الاولي وقيل للفلك والا
اظهر لاستلزامه للثاني من غير عكس لان الهبوب علي طريقة الريح اللينة يعد مجيا بالنسبة الي الفلك دون الريح اللينة مع انه لا يستتبع تلاطم الامواج الموجب
لمجيها من كل مكان ولان التهويل في بيان استيلائها علي ما فرحوا به وعلقوا به حبال رجائهم اكثر ريح عاصف اي ذات عصف وقيل العصوف مختص
بالريح فلا حاجة الي الفارق وقيل الريح قد يذكر وجاءهم الموج في الفلك من كل مكان اي من امكنة مجي الموج عادة ولا بعد في مجيئه من جميع الجوانب ايضا
اذ لا يجب ان يكون مجيئه من جهة هبوب الريح فقط بل قد يكون من غيرها بحسب اسباب تتفق وظنوا انهم احيط بهم اي هلكوا فان ذلك مثل في الهلاك واصله
احاطة العدو بالحي او سدت عليهم مسالك الخلاص دعوا الله بدل من ظنوا بدل اشتمال لما بينهما من الملابسة والتلازم او استيناف مبني علي سؤال ينساق
اليه الاذهان كانه قيل فماذا صنعوا فقيل دعوا الله مخلصين له الدين من غير ان يشركوا به شيئا من الهتهم لا مخصصين للدعاء به تعالى لا يكونون مخلصين
له الدين لئن انجيتنا اللام موطئة للقسم علي ارادة القول اي قائلين والله لئن انجيتنا من هذه الورطة لنكونن البتة بعد ذلك ابدا من الشاكرين لنعمك
التي من جملتها هذه النعمة المسئولة وقيل الجملة معمول دعوا لان الدعاء من قبيل القول والاول هو الاولي لاستدعاء الثاني لاقتصار دعائهم علي ذلك
فقط وفي قوله لنكونن من الشاكرين من المبالغة في الدلالة علي كونهم ثابتين في الشكر مثابرين عليه منتظمين في سلك المنعوتين بالشكر الراسخين فيه ما ليس
في ان يقال لنشكرن فلما انجاهم مما غشيهم من الكربة والفاء للدلالة علي سرعة الاجابة اذا هم يبغون في الارض اي فاجؤا الفساد فيها وسارعوا اليه
مترامين في ذلك متجاوزين عما كانوا عليه من حدود العبث من قولهم بغي الجرح اذا ترامي في الفساد وزيادة في الارض للدلالة علي شمول بغيهم لاقطارها
وصيغة المضارع للدلالة علي التجدد والاستمرار وقوله تعالى بغير الحق تاكيد لما يفيده البغي او معناه انه بغير الحق عندهم ايضا بان ذلك ظلما ظاهرا لا يخفي
قبحه علي احد كما في قوله تعالى ويقتلون النبيين بغير الحق واما ما قيل من انه للاحتراز عن البغي بحق كتخريب الغزاة ديار الكفرة وقطع اشجارهم واحراق زروعهم
فلا يساعده النظم الكريم لابتنائه علي كون البغي بمعني افساد صورة الشي وابطال منفعته دون ما ذكر من المعني اللائق بحال المفسدين يا ايها الناس
توجيه للخطاب الي اولئك الباغين للتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد انما بغيكم الذي تتعاطونه وهو مبتدا وقوله تعالى علي انفسكم خبره اي عليكم في
الحقيقة لا علي الذين تبغون عليهم وان ظن كذلك وقوله تعالى متاع الحيوة الدنيا بيان لكون ما فيه من المنفعة العاجلة شيئا غير معتد به سريع الزوال
دائم الوبال وهو نصب علي انه مصدر مؤكد لفعل مقدر بطريق الاستيناف اي تتمتعون متاع الحيوة الدنيا وقيل علي انه مصدر وقع موقع الحال اي
متمتعين بالحيوة الدنيا والعامل هو الاستقرار الذي في الخبر لا نفس البغي لانه يؤدي الي الفصل بين المصدر ومعموله بالخبر ولا الخبر عن الموصول الا بعد تمام صلته
وانت خبير بانه ليس في تقييد كون بغيهم علي انفسهم بحال تمتعهم بالحيوة الدنيا معني يعتد به وقيل علي انه ظرف زمان نحو مقدم الحاج اي زمن متاع
الحيوة الدنيا وفيه ما مر بعينه وقيل علي انه مفعول الفعل دل عليه المصدر اي تبغون متاع الحيوة الدنيا ولا يخفي انه لا يدل علي البغي بمعني الطلب
وجعل المصدر ايضا بمعناه مما يخل بجزالة النظم الكريم لان الاستيناف لبيان سوء عاقبة ما حكي عنهم من البغي المفسر بالافساد والمفرط اللائق
بحالهم فاي مناسبة بينه وبين البغي بمعني الطلب وجعل الاول ايضا بمعناه مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عنه وقيل علي انه مفعول له اي لاجل متاع الحيوة
الدنيا والعامل ما ذكر من الاستقرار وفيه ان المعلل بما ذكر نفس البغي لا كونه علي انفسهم وقيل العامل فيه فعل مدلول عليه بالمصدر اي تبغون لاجل متاع الحيوة
الدنيا علي ان الجملة مستانفة وقيل علي انه مفعول صريح للمصدر وعلي انفسكم ظرف لغو متعلق به والمراد بالانفس الجنس والخبر محذوف لطول الكلام
والتقدير انما بغيكم علي ابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا محذور او ظاهر الفساد ولا يخفي ذلك وفيه ما مر من ابتنائه علي ما لا يليق بالمقام من كون البغي
بمعني الطلب نعم لو جعل نصبه علي العلة اي انما بغيكم علي ابناء جنسكم لاجل متاع الحيوة الدنيا محذور كما اختاره بعضهم لكان له وجه في الجملة لكن الحق
الذي تقتضيه جزالة التنزيل انما هو الاول وقري متاع بالرفع علي انه الخبر والظرف صلة للمصدر او خبر ثان او خبر لمبتدا محذوف اي هو متاع الي اخره
كما في قوله عز وجل الا ساعة من نهار بلاغ اي هذا بلاغ فالمراد بانفسهم علي الوجه الاول ابناء جنسهم وانما عبر عنهم بذلك هزا لشفقتهم عليهم وحثا
لهم علي ترك ايثار التمتع المذكور علي حقوقهم ولا مجال للحمل علي الحقيقة لان كون بغيهم وبالا عليهم ليس بثابت عندهم حسبما تقتضيه ما حكي عنهم ولم
يخبر به بعد حتي يجعل من تتمة الكلام ويجعل كونه متاعا مقصود الافادة علي ان عنوان كونه وبالا عليهم قادح في كونه متاعا فضلا عن كونه من

من مبادي ثبوته للمبتدا كما هو المتبادر من السوق واما كون البغي علي ابناء الجنس فمعلوم الثبوت عندهم ومتضمن لمبادي التمتع من اخذ المال والاستيلاء
علي الناس وغير ذلك واما علي الوجهين الاخيرين فلا موجب للعدول عن الحقيقة فان المبتدا اما نفس البغي والضمير العائد اليه من حيث هو هو لا من حيث
كونه وبالا عليهم كما في صورة كون الظرف صلة للمصدر فتدبر وقري متاعا الحيوة الدنيا اما نصب متاعا فعلي ما مر واما نصب الحيوة فعلي انه بدل من
متاعا بدل الاشتمال وقيل علي انه مفعول به لمتاعا اذا لم يكن انتصابه علي المصدرية لان المصدر المؤكد لا يعمل عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال لا تمكر
ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وقال محمد بن كعب ثلث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال تعالى
انما بغيكم علي انفسكم وما يمكرون الا بانفسهم فمن نكث فانما ينكث علي نفسه وعنه صلي الله عليه وسلم اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا
البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنهما لو بغي جبل علي جبل لدك الباغي ثم الينا مرجعكم عطف علي ما مر من الجملة المستانفة المقدرة كانه
قيل تتمتعون متاع الحيوة الدنيا ثم ترجعون الينا وانما غير السبك الي الجملة الاسمية مع تقديم الجار والمجرور للدلالة علي الثبات والقصر فننبئكم بما كنتم
تعملون في الدنيا علي الاستمرار من البغي وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده ساخبرك بما فعلت وفيه نكتة خفية مبنية علي حكمة ابية وهي
ان كل ما يظهر في هذه النشاة من الاعيان والاعراض فانما يظهر بصورة مغايرة لصورته الحقيقية التي بها يظهر في النشاة الاخرة فان المعاصي
مثلا سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصور تستحسنها نفوس العصاة وكذا الطاعات مع كونها احسن الاحاسن قد ظهرت عندهم بصور مكروهة
ولذلك قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فالبغي في هذه النشاة وان برز بصورة تشتهيها البغاة وتستحسنها الغواة
لتمتعهم به من حيث اخذ المال والتشفي من الاعداء ونحو ذلك لكن ذلك ليس بتمتع في الحقيقة بل هو تضرر من حيث لا يحتسبون وانما يظهر لهم ذلك عند بروز
ما كانوا يعملونه من البغي بصورته الحقيقية المضادة لما كانوا يشاهدونه علي ذلك من الصورة وهو المراد بالتنبئة المذكورة والله سبحانه اعلم انما
مثل الحيوة الدنيا كلام مستانف سيق لبيان شان الحيوة الدنيا وقصر مدة التمتع بها وقرب زمان الرجوع الموعود وقد شبه حالها العجيبة الشان
البديعة المثال المنتظمة لغرابتها في سلك الامثال في سرعة تقضيها وانصرام نعيمها غب اقبالها واغترار الناس بها بحال ما علي الارض من انواع النبات
في زوال رونقها ونضارتها فجاة وذهابها حطاما لم يبق لها اثر اصلا بعد ما كانت غضة طرية قد التف بعضها ببعض وزينت الارض بالوانها
وتقوت بعد ضعفها بحيث طمع الناس وظنوا انها سلمت من الجوائح وليس المشبه به ما دخله الكاف في قوله عز وجل كماء انزلناه من السماء فاختلط به
نبات الارض بل ما يفهم من الكلام فانه من التشبيه المركب مما ياكل الناس والانعام من البقول والزروع والحشيش حتي اذا اخذت الارض زخرفها جعلت
الارض في تزينها بما عليها من اصناف النباتات واشكالها والوانها المختلفة المونقة اخذة زخرفها علي طريقة التمثيل بالعروس التي قد اخذت من الوان
الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقري علي الاصل وقري وازينت كاغيلت من غير اعلال والمعني صارت ذات زينة
وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا جواب اذا اي ضرب زرعها ما يجتاحه من الافات
والعاهات ليلا او نهارا فجعلناها اي زرعها وسائر ما عليها حصيدا اي شبيها بما حصد من اهله كان لم تغن كان لم يغن زرعها والمضاف محذوف
للمبالغة وقري بتذكير الفعل بالامس اي فيما قبل زمان قريب فان الامس مثل في ذلك كانه قيل لم تغن انفا كذلك اي مثل ذلك التفصيل البديع نفصل الايات
اي الايات القرانية التي من جملتها هذه الايات المنبهة علي احوال الحيوة الدنيا اي نوضحها ونبينها لقوم يتفكرون في تضاعيفها ويقفون علي معانيها
وتخصيص تفصيلها بهم لانهم المنتفعون بها ويجوز ان يراد بالايات ما ذكر في اثناء التمثيل من الكائنات والفاسدات او تفصيلها تصريفها علي الترتيب المحكي
ايجادا واعداما فانها ايات وعلامات يستدل بها من يتفكر فيها علي احوال الحيوة الدنيا حالا ومالا والله يدعوا الي دار السلام ترغيب للناس في الحيوة
الاخرة الباقية اثر ترغيبهم عن الحيوة الدنيوية الفانية اي يدعو الناس جميعا الي دار السلامة عن كل مكروه وافة وهي الجنة وانما ذكرت بهذا
الاسم لذكر الدنيا بما يقابله من كونها معرضا للافات او الي دار الله تعالى وتخصيص الاضافة التشريفية بهذا الاسم الكريم للتنبيه علي ذلك او الي
دار يسلم الله تعالى او الملائكة فيها علي من يدخلها او يسلم بعضهم علي بعض ويهدي من يشاء هدايته منهم الي صراط مستقيم موصل اليها وهو الاسلام والتزود
بالتقوي وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشية دليل علي ان الامر غير الارادة وان من اصر علي الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا اي
اعمالهم التي عملوها علي الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره رسول الله صلي الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك
تراه فان لم تكن تراه فانه يراك الحسني اي المثوبة الحسني وزيادة اي وما يزيد علي تلك المثوبة تفضلا لقوله عز اسمه ويزيدهم من فضله وقيل الحسني

مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة اللقاء ولا يرهق وجوههم
اي لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة اي اثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم مثل ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من الحزن
وسوء الحال والتنكير للتحقير اي شيء منهما والجملة مستأنفة لبيان امنهم من المكاره اثر بيان فوزهم بالمطالب والثاني وان اقتضى الاول الا انه
ذكر اذكارا بانقاذهم الله تعالى منه برحمته وتقديم المفعول على الفاعل للاهتمام ببيان ان المصون من الرهق اشرف اعضائهم وللتشويق الى المؤخر فان ما
حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة لوروده عليها فيتمكن عندها فضل تمكن ولان في الفاعل ضرب تفصيل كما في قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
وقوله عز وجل وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالصفات المذكورة وما في اسم الاشارة
من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم اي اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجميلة الفائزون بالمثوبات الناجون من المكاره اصحاب الجنة
هم فيها خالدون بلا زوال دائمون بلا انتقال والذين كسبوا السيئات اي الشرك والمعاصي وهو مبتدأ بتقدير المضاف خبره قوله تعالى جزاء سيئة بمثلها
اي جزاء الذين كسبوا السيئات اي يجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها كما يزاد في الحسنة وتغيير السبك لمراعاة ما بين الفريقين من كمال التنافي
والتباين وايراد الكسب للايذان بان ذلك انما هو لسوء صنيعهم وبسبب جناياتهم على انفسهم او الموصول معطوف على الموصول الاول كأنه قيل وللذين
كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها كقولك في الدار زيد والحجرة عمرو وفيه دليل على ان المراد بالزيادة الفضل وترهقهم ذلة واي ذلة كما ينبئ عنه
التنوين التفخيمي وفي اسناد الرهق الى انفسهم دون وجوههم ايذان بانها محيطة بهم غاشية لهم جميعا وقرئ يرهقهم بالياء التحتانية ما لهم من الله من
عاصم اي لا يعصمهم احد من سخطه تعالى وعذابه او ما لهم من عنده تعالى من يعصمهم كما يكون للمؤمنين وفي نفي العاصم من المبالغة في نفي العصمة ما لا يخفى والجملة
مستأنفة او حال من ضمير ترهقهم كأنما اغشيت وجوههم قطعا من الليل لفرط سوادها وظلمتها مظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل في
قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرئ قطعا بسكون الطاء وهو طائفة من الليل قال
افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم فيجوز كون مظلما صفة له او حالا منه وقرئ كأنما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم
والجملة كما قبلها مستأنفة او حال من ضمير ترهقهم اولئك اي الموصوفون بما ذكر من الصفات الذميمة اصحاب النار هم فيها خالدون وحيث كانت
الآية الكريمة في حق الكفار بشهادة السياق والسباق ولم يكن فيها تمسك للوعيدية ويوم نحشرهم كلام مستأنف مسوق لبيان بعض آخر من احوالهم
الفظيعة وتأخيره في الذكر مع تقدمه في الوجود على بعض احوالهم المحكية سابقا للايذان باستقلال كل من السابق واللاحق بالاعتبار ولو روعي
الترتيب الخارجي لعد الكل شيئا واحدا كما مر في قصة البقرة ولذلك فصل عما قبله ويوم منصوب على المفعولية بمضمر اي انذرهم او ذكرهم وضمير
نحشرهم لكلا الفريقين الذين احسنوا والذين كسبوا السيئات لانه المتبادر من قوله تعالى جميعا ومن افراد الفريق الثاني بالذكر في قوله تعالى
ثم نقول للذين اشركوا اي نقول للمشركين من بينهم ولان توبيخهم وتهديدهم على رؤوس الاشهاد افظع والاخبار بحشر الكل في تهويل اليوم ادخل وتخصيص
وصف اشراكهم بالذكر في حيز الصلة من بين سائر ما اكتسبوه من السيئات لابتناء التوبيخ والتقريع عليه مع ما فيه من الايذان بكونه معظم جناياتهم
وعمدة سيئاتهم وقيل للفريق الثاني خاصة فيكون وضع الموصول موضع الضمير لما ذكر آنفا مكانكم نصب على انه في الاصل ظرف لفعل اقيم مقامه لا على
انه اسم فعل وحركته حركة بناء كما هو رأي الفارسي اي الزموا حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تأكيد للضمير المتصل به من عامله لسده مسده وشركاؤكم
عطف عليه وقرئ بالنصب على ان الواو بمعنى مع فزيلنا من زلت الشيء عن مكانه ازيله اي ازلته والتكثير لا للتعدية وقرئ فزايلنا بمعناه
نحو كلمته وكالمته وهو معطوف على نقول وايثار صيغة الماضي للدلالة على التحقق المورث لزيادة التوبيخ والتحسير والفاء للدلالة على وقوع
التزييل ومباديه عقيب الخطاب من غير مهلة ايذانا بكمال رخاوة ما بين الفريقين من العلاقة والوصلة اي ففرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل
التي كانت بينهم في الدنيا لكن لا من الجانبين بل من جانب العبدة فقط لعدم احتمال شمول الشركاء للشياطين كما سيجيء فخابت آمالهم وانصرمت
عرى اطماعهم وحصل لهم اليأس الكلي من حصول ما كانوا يرجونه من جهتهم والحال وان كانت معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب لكن
هذه المرتبة من اليقين انما حصلت عند المشاهدة والمشافهة وقيل المراد بالتزييل التفريق الحسي اي فباعدنا بينهم بعد الجمع في الموقف وتبرئ
شركائهم منهم ومن عبادتهم كما في قوله تعالى اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا فالواو حينئذ في قوله تعالى وقال شركاؤهم حالية
بتقدير كلمة قد عند من يشترطها وبدونه عند غيره لا عاطفة كما في التفسير الاول لاستدعائه المحاورة المحاضرة الغائبة بالمباعدة وليس في ترتيب

التزييل بهذا المعنى على الامر بلزوم المكان ما في ترتيبه عليه بالمعنى الاول من النكتة المذكورة ليصار لاجل رعايتها الى تغيير الترتيب الخاص فان المباعدة
بعد المحاورة حتما واما قطع الاقران والعلائق فليس كذلك بل ابتداؤه حاصل من حين الحشر بل بعض مراتبه حاصل قبله ايضا وانما الحاصل عند المحاورة
اقصاها كما اشير اليه فلا اعتداد بما في تقديمه من التغيير لاستتباع رعاية ما ذكر من النكتة ولو سلم تأخر جميع مراتبه من المحاورة فرعاية تلك النكتة
كافية في استدعاء تقديمه عليها ويجوز ان تكون حالية على هذا التقدير ايضا والمراد بالشركاء قيل الملائكة وعزير والمسيح وغيرهم ممن عبدوه من اولي
العلم ففيه تأييد لرجوع الضمير الى الكل وقولهم ما كنتم ايانا تعبدون عبارة عن تبرئهم من عبادتهم وانهم عبدوا في الحقيقة اهواءهم وشياطينهم
الذين اغووهم لانها الآمرة لهم بالاشراك دونهم كقولهم سبحانك انت ولينا من دونهم الآية وقيل الاصنام ينطقها الله الذي انطق كل شيء فتشافههم
بذلك مكان الشفاعة التي كانوا يتوقعونها فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العليم الخبير ان كنا عن عبادتكم لغافلين اي عن عبادتكم لنا وتركه
للظهور وللايذان بكمال الغفلة عنها والغفلة عبارة عن عدم الارتضاء والا فعدم شعور الملائكة بعبادتهم لهم غير ظاهر وهذا يقطع احتمال كون
المراد بالشركاء الشياطين كما قيل فان ارتضاءهم باشراكهم مما لا ريب فيه وان لم يكونوا مجبرين لهم على ذلك وان مخففة من ان واللام فارقة
هنالك اي في ذلك المقام الدهش او في ذلك الوقت على استعارة ظرف المكان للزمان تبلوا اي تختبر وتذوق كل نفس مؤمنة كانت او كافرة
سعيدة او شقية ما اسلفت من العمل وتعاينه بكنهه مستتبعا لآثاره من نفع او ضر وخير او شر واما ما علمت من حالها من حين الموت والابتلاء بالعذاب
في البرزخ فامر مجمل وقرئ نبلو بنون العظمة ونصب كل وابدال ما منه اي نعاملها معاملة من يبلوها ويتعرف احوالها من السعادة والشقاوة باختبار
ما اسلفت من العمل ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء اي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبة بنزع الخافض وقرئ تتلو
اي تتبع لان عملها هو الذي يهديها الى طريق الجنة او الى طريق النار او تقرأ في صحيفة اعمالها ما قدمت من خير او شر وردوا الضمير للذين اشركوا
على انه معطوف على زيلنا وما عطف عليه وقوله عز وجل هنالك تبلوا الى آخره اعتراض في اثناء الحكاية مقرر لمضمونها الى الله اي الى جزائه وعقابه
مولاهم ربهم الحق اي المتحقق الصادق ربوبيته لا ما اتخذوه ربا باطلا وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولهم الحمد لله اهل الحمد او على المصدر المؤكد
وضل عنهم وضاع اي ظهر ضياعه وضلاله لا انه قبل ذلك كان غير ضال وضل في اعتقادهم ايضا ما كانوا يفترون من ان آلهتهم تشفع لهم او ما كانوا
يدعون انها آلهة هذا وجعل الضمير في ردوا للنفوس المدلول عليها بكل نفس على انه معطوف على تبلو وان العدول الى الماضي للدلالة على التحقق
والتقرر وان ايثار صيغة الجمع للايذان بان ردهم الى الله تعالى يكون على طريقة الاجتماع لا يلائمه التعرض لوصف الحقية في قوله تعالى مولاهم الحق
فانه للتعريض بالمردودين حسبما اشير اليه ولئن اكتفي فيه بالتعريض ببعضهم او حمل الحق على معنى العدل في الثواب والعقاب فقوله عز وجل وضل عنهم
ما كانوا يفترون مما لا مجال فيه للتدارك قطعا فان ما فيه من الضمائر الثلاثة للمشركين فيلزم التفكيك حتما وتخصيص كل نفس بالنفوس المشركة مع عموم
البلوى للكل يأباه مقام تهويل المقام والله تعالى اعلم قل اي لاولئك المشركين الذين حكيت احوالهم وبين ما يؤدي اليه اعمالهم احتجاجا على حقية
التوحيد وبطلان ما هم عليه من الاشراك من يرزقكم من السماء والارض اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من
كل واحدة منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان كلمة من على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض ام من يملك السمع والابصار ام منقطعة
وما فيها من كلمة بل للاضراب عن الاستفهام الاول لكن لا على طريقة الابطال بل على وجه الانتقال وصرف الكلام عنه الى استفهام آخر تنبيها على كفايته
فيما هو المقصود اي من يستطيع خلقهما وتسويتهما على هذه الفطرة العجيبة او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من ادنى شيء
يصيبهما ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي اي ومن يحيي ويميت او ومن ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان ومن يدبر الامر
اي ومن يلي تدبير امر العالم جميعا وهو تعميم بعد تخصيص بعض ما اندرج تحته من الامور الظاهرة بالذكر فسيقولون بلا تلعثم ولا تأخير الله اذ لا مجال
للمكابرة لغاية وضوحه والخبر محذوف اي الله يفعل ما ذكر من الافاعيل لا غيره فقل عند ذلك تبكيتا لهم افلا تتقون الهمزة لانكار عدم الاتقاء بمعنى
انكار الواقع كما في اتضرب اباك لا بمعنى انكار الوقوع كما في اضرب ابي والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم اي اتعلمون ذلك فلا تقون انفسكم
عذابه الذي ذكر لكم بما تتعاطونه من اشراككم به ما لا يشاركه في شيء مما ذكر من خواص الالهية فذلكم فذلكة لما تقدم اي ذلكم الذي اعترفتم باتصافه
بالنعوت المذكورة وهو مبتدأ وقوله تعالى الله خبره وقوله تعالى ربكم اي مالككم ومتولي اموركم على الاطلاق بدل منه او بيان له وقوله تعالى الحق
صفة له اي ربكم الثابت ربوبيته والمتحقق الوهيته تحققا لا ريب فيه فماذا اي يجوز ان يكون الكل اسما واحدا قد غلب فيه الاستفهام على اسم الاشارة

وان يكون ذا موصولا بمعنى الذي اي ما الذي بعد الحق اي غيره بطريق الاستعارة واظهار الحق اما لان المراد به غير الاول واما لزيادة التقرير ومراعاة
كمال المقابلة بينه وبين الضلال والاستفهام انكاري بمعنى انكار الوقوع ونفيه اي ليس غير الحق الا الضلال الذي لا يختاره احد فحيث ثبت ان عبادة
من هو منعوت بما ذكر من النعوت الجليلة حق ظهر ان ما عداها من عبادة الاصنام ضلال محض اذ لا واسطة بينهما وانما سميت ضلالا مع كونها من
اعمال الجوارح باعتبار ابتنائها على ما هو ضلال من الاعتقاد والرأي هذا على تقدير كون الحق عبارة عن التوحيد واما على تقدير كونه عبارة عن الاول
فالمراد بالضلال هو الاصنام لا عبادتها والمعنى فماذا **بعد** الرب **الحق** الثابت ربوبيته **الا الضلال** اي الباطل الضائع المضمحل وانما سمي بالمصدر
مبالغة كأنه نفس الضلال والضياع وهذا انسب بقوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون على التفسير الثاني **فانى تصرفون** استفهام انكاري بمعنى انكار
الواقع واستبعاده والتعجب منه وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الانكار الى نفس الفعل لان كل موجود لا بد من ان يكون وجوده على حال من الاحوال
قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني كما مر مرارا والفاء لترتيب الانكار على ما قبله اي كيف تصرفون من الحق
الذي لا محيد عنه وهو التوحيد الى الضلال عن السبيل المستبين وهو الاشراك وعبادة الاصنام او من عبادة ربكم الحق الثابت ربوبيته الى عبادة
الباطل الذي سمعتم ضلاله وضياعه في الآخرة وفي ايثار صيغة المبني للمفعول ايذان بان الانصراف من الحق الى الضلال مما لا يصدر عن العاقل
بارادته وانما يقع عند وقوعه بالقسر من جهة صارف خارجي **كذلك** اي كما حقت الربوبية لله تعالى او كما انه ليس بعد الحق الا الضلال او انهم
مصروفون عن الحق **حقت كلمة ربك** وحكمه وقضاؤه **على الذين فسقوا** اي تمردوا في الكفر وخرجوا الى اقصى حدوده **انهم لا يؤمنون** بدل
من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب **قل هل من شركائكم** احتجاج آخر على حقية التوحيد وبطلان الاشراك باظهار كون شركائهم
بمعزل من استحقاق الالهية ببيان اختصاص خواصها من بدء الخلق واعادته به سبحانه وتعالى وانما لم يعطف على ما قبله ايذانا باستقلاله في اثبات
المطلوب والسؤال للتبكيت والالزام وقد جعلت هلية الاعادة وتحققها للوضوح مكانها وسنوح برهانها بمنزلة بدء الخلق فنظمت في سلكه
حيث قيل **من يبدأ الخلق ثم يعيده** ايذانا بتلازمهما وجودا وعلما يستلزم الاعتراف به الاعتراف بها وان صدهم عن ذلك انهم من المكابرة
والعناد ثم امر صلى الله عليه وسلم بان يبين لهم من يفعل ذلك فقيل له **قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده** اي هو يفعلهما لا غير كائنا ما كان لا بان
ينوب عليه السلام عنهم في ذلك كما قيل لان المقول المأمور به غير ما اريد منهم من الجواب وان كان مستلزما له اذ ليس المسئول عنه من يبدأ الخلق ثم يعيده
كما في قوله تعالى قل من رب السموات والارض قل الله حتى يكون القول المأمور به عين الجواب الذي اريد منهم ويكون عليه السلام نائبا عنهم في ذلك
بل انما هو وجود من يفعل البدء والاعادة من شركائهم فالجواب المطلوب منهم لا لا غير نعم امر صلى الله عليه وسلم بان يضمنه مقالته ايذانا بتعينه وتحتمه
واشعارا بانهم لا يجترئون على التصريح به مخافة التبكيت والقام الحجر لا مكابرة ولجاجا فتدبر واعادة الجملة في الجواب بتمامها غير محذوفة الخبر كما في
الجواب السابق لمزيد التأكيد والتحقيق **فانى تؤفكون** الافك الصرف والقلب عن الشيء وقد يخص بالقلب عن الرأي وهو الانسب بالمقام اي كيف
تقلبون من الحق الى الباطل والكلام فيه كما ذكر في تصرفون **قل هل من شركائكم** احتجاج آخر على ما ذكر الزاما لهم غب الزام وافحاما اثر افحام وفصله
عما قبله لما ذكر من الدلالة على استقلاله **من يهدي الى الحق** اي بوجه من الوجوه فان ادنى مراتب المعبودية هداية المعبود لعبدته الى ما فيه صلاح امرهم
واما تعيين طريق الهداية وتخصيصه بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر كما قيل فمخل بما تقتضيه المقام من كمال التبكيت والالزام
فان العجز عن الهداية على وجه خاص لا يستلزم العجز عن مطلق الهداية وهدى كما يستعمل بكلمة الى لتضمنه معنى الانتهاء يستعمل باللام للدلالة
على ان المنتهى غاية للهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك استعمل بها ما اسند الى الله تعالى حيث قيل **قل الله يهدي للحق** اي هو يهدي
له دون غيره وذلك بما ذكر من نصب الادلة والحجج وارسال الرسل وانزال الكتب والتوفيق للنظر والتدبر وغير ذلك من فنون الهدايات والكلام في
الامر بالسؤال والجواب كما مر فيما مر **افمن يهدي الى الحق** وهو الله عز وجل **احق ان يتبع امن لا يهدي** بكسر الهاء اصله يهتدي فادغم وكسرت الهاء
لالتقاء الساكنين وقرئ بكسر الياء اتباعا لها لحركة الهاء وقرئ بفتح الهاء نقلا لحركة التاء اليها اي لا يهتدي بنفسه فضلا عن هداية
غيره وفيه من المبالغة ما لا يخفى وانما نفي عنه الاهتداء مع ان المفهوم مما سبق نفي الهداية لما ان نفيها يستتبع نفيه غالبا فان من اهتدى الى الحق
لا يخلو عن هداية غيره في الجملة وادناها كونه قدوة له بان يراه فيسلك مسلكه من حيث لا يدري والفاء لترتيب الاستفهام على ما سبق من تحقق
هدايته تعالى صريحا وعدم هداية شركائهم المفهوم من القصر ومن عدم الجواب بالعدم فان ذلك مما يضطرهم الى الجواب الحق لا لتوجيه الاستفهام

الى الترتيب كما يقع في بعض المواقع فان ذلك مختص بالانكاري كما في قوله تعالى افمن اتبع رضوان الله الخ ونحوه والهمزة متأخرة في الاعتبار وانما تقدمها
في الذكر لاظهار عراقتها في اقتضاء الصدارة كما هو رأي الجمهور حتى لو كان السؤال بكلمة اي لأخرت حتما الا ترى الى قوله تعالى فاي الفريقين
احق بالامن اثر تقدير ما يلجئ المشركين الى الجواب من حالهم وحال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ لا يهدي بمعنى لا يهتدي لمجيئه لازما او لا
يهدي غيره وصيغة التفضيل اما على حقيقتها والمفضل عليه محذوف كما اختاره مكي والتقدير افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع ممن لا يهدي
ام من لا يهدي احق الى آخره واما بمعنى حقيق كما اختاره ابو حيان واياما كان فالاستفهام للالزام وان يتبع في حيز النصب او الجر بعد حذف الجار
على الخلاف المعروف اي بان يتبع **الا ان يهدى** استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا يهتدي او لا يهدي غيره في حال من الاحوال الا حال هدايته تعالى
الى الاهتداء او الى هداية الغير وهذا حال اشراف شركائهم من الملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام وقيل المعنى ام من لا يهتدي من الاوثان الى
مكان فينتقل اليه الا ان ينقل او الا ان يفعله الله تعالى من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه وقرئ الا ان يهدى من التفعيل للمبالغة **فما لكم** اي اي شيء لكم في
اتخاذكم هؤلاء شركاء لله سبحانه وتعالى والاستفهام للانكار التوبيخي وفيه تعجيب من حالهم وقوله تعالى **كيف تحكمون** اي بما يقضي صريح العقل ببطلانه
انكار لحكمهم الباطل وتعجيب منه وتشنيع لهم بذلك والفاء لترتيب كلا الانكارين على ما ظهر من وجوب اتباع الهادي الى الحق ان قلت التبكيت بالاستفهام
الثاني انما يظهر في حق من يعكس جوابه الصحيح فيحكم باحقية من لا يهدي بالاتباع دون من يهدي وهم ليسوا حاكمين باحقية شركائهم لذلك دون الله
سبحانه وتعالى بل باستحقاقهما جميعا مع رجحان جانبه تعالى حيث يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قلت حكمهم باستحقاقه تعالى للاتباع بطريق الاشتراك
حكم منهم بعدم استحقاقه تعالى لذلك بطريق الاستقلال فصاروا حاكمين باستحقاق شركائهم له دون الله تعالى من حيث لا يحتسبون **وما يتبع اكثرهم** كلام
مبتدأ غير داخل في حيز الامر مسوق من قبله تعالى لبيان عدم فهمهم لمضمون ما افحمهم والقمهم الحجر من البرهان النير الموجب لاتباع الهادي الى الحق الناعي عليهم
بطلان حكمهم وعدم تأثرهم من ذلك لعدم اهتدائهم الى طريق العلم اصلا اي لا يتبع اكثرهم في معتقداتهم ومحاوراتهم **الا ظنا** واهيا من غير التفات
الى فرد من افراد العلم فضلا عن ان يسلكوا مسالك الادلة الصحيحة الهادية الى الحق المبنية على المقدمات اليقينية الحقة فيفهموا مضمونها ويقفوا على
صحتها وبطلان ما يخالفها من احكامهم الباطلة فيحصل التبكيت والالزام فالمراد بالاتباع مطلق الاعتقاد الشامل لما يقارن القبول والانقياد
وما لا يقارنه وبالقصر ما اشير اليه من ان لا يكون لهم في اثنائه اتباع لفرد من افراد العلم والالتفات اليه ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم الاشعار
بان بعضهم قد يتبعون العلم فيقفون على حقية التوحيد وبطلان الشرك لكن لا يقبلونه مكابرة وعنادا فيحصل بالنسبة اليهم التأثر من البرهان المزبور وان لم
يظهروه وكونهم اشد كفرا واكثر عذابا من الفريق الاول لا يقدح فيما بينهم من فحوى الكلام عرفا من كون اولئك اسوأ حالا من غيرهم اذ المعتبر سوء
الحال من حيث الفهم والادراك لا من حيث الكفر والعذاب او وما يتبع اكثرهم مدة عمرهم الا ظنا ولا يتركونه ابدا فان حرف النفي الداخل على المضارع
يفيد استمرار النفي بحسب المقام فالمراد بالاتباع هو الاذعان والقصر والانقياد باعتبار الزمان ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم مع مشاركة
المعاندين لهم في ذلك التلويح بما سيكون من بعضهم من اتباع الحق والتوبة كما سيأتي هذا وقد قيل المعنى وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله تعالى الا
ظنا غير مستند الى برهان عندهم وقيل وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام انها آلهة الا ظنا والمراد بالاكثر الجميع فتأمل وقيل الضمير في اكثرهم للناس
فلا حاجة الى التكلف **ان الظن لا يغني من الحق** من العلم اليقيني والاعتقاد الصحيح المطابق للواقع **شيئا** من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن
الحق حالا منه والجملة استئناف لبيان شأن الظن وبطلانه وفيه دلالة على وجوب العلم في الاصول وعدم جواز الاكتفاء بالتقليد **ان الله عليم بما**
يفعلون وعيد لهم على افعالهم القبيحة فيندرج تحتها ما حكي عنهم من الاعراض عن البراهين القاطعة والاتباع للظنون الفاسدة اندراجا اوليا وقرئ
تفعلون بالالتفات الى الخطاب لتشديد الوعيد **وما كان هذا القرآن** شروع في بيان ردهم للقرآن الكريم اثر بيان ردهم للادلة العقلية المندرجة في
تضاعيفه اي وما صح وما استقام ان يكون هذا القرآن المشحون بفنون الهدايات المستوجبة للاتباع التي من جملتها ما تلي من الحجج البينة القاطعة بحقية
التوحيد وبطلان الشرك **ان يفترى من دون الله** اي افتراء من الخلق اي مفترى منهم سمي بالمصدر مبالغة **ولكن تصديق الذي بين يديه** من الكتب الالهية
المشهود على صدقها اي مصدقا لها كيف لا وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد بصحتها ونصبه بانه خبر لكان مقدرا وقد جوز كونه علة لفعل محذوف
تقديره لكن انزله الله تعالى تصديق الى آخره وقرئ بالرفع على تقدير المبتدأ اي ولكن هو تصديق الى آخره **وتفصيل الكتاب** عطف عليه نصبا ورفعا
اي وتفصيل ما كتب واثبت من الحقائق والشرائع **لا ريب فيه** خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك اي منتفيا عنه الريب او حال من الكتاب وان كان مضافا اليه

فانه مفعول في المعنى او استيناف لا محل له من الاعراب **من رب العالمين** خبر آخر اي كائنا من رب العالمين ومتعلق بتصديق وتفصيل او بالفعل المعلل بهما ولا ريب فيه
اعتراض كما في قولك زيد لا شك فيه كريم او حال من الكتاب او من الضمير في فيه ومساق الآية الكريمة بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه **ام يقولون
افتراه** اي بل ايقولون افتراه محمد عليه السلام والهمزة لانكار الواقع واستبعاده **قل** تبكيتا لهم واظهارا لبطلان مقالتهم الفاسدة ان كان الامر كما تقولون
فاتوا بسورة مثله اي في البلاغة وحسن الصياغة وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا مني في النظم والعبارة وقرئ
بسورة مثله على الاضافة اي بسورة كتاب مثله **وادعوا** للمظاهرة والمعاونة **من استطعتم** دعاءه والاستعانة به من آلهتكم التي تزعمون انها ممدة لكم
في المهمات والملمات ومداره‌كم الذين تلجئون الى آرائهم في كل ما تأتون وما تذرون **من دون الله** متعلق بادعوا ودون جار مجرى اداة الاستثناء وقد مر
تفصيله في قوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم اي ادعوا سواه تعالى من استطعتم من خلقه فانه لا يقدر عليه احد واخراجه سبحانه من حكم الدعاء للتنصيص
على براءتهم منه تعالى وكونهم في عدوة المضادة والمشاقة لا لبيان استبداده تعالى بالقدرة على ما كلفوه فان ذلك مما يوهم انهم لو دعوه تعالى لاجابهم اليه **ان
كنتم صادقين** اي في اني افتريته فان ذلك مستلزم لامكان الاتيان بمثله وهو ايضا مستلزم لقدرتكم عليه والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه **بل كذبوا
بما لم يحيطوا بعلمه** اضراب وانتقال عن اظهار بطلان ما قالوا في حق القرآن العظيم بالتحدي الى اظهاره ببيان انه كلام ناشئ عن جهلهم بشأنه الجليل فما عبارة عن
كله لا عما فيه من ذكر البعث والجزاء وما يخالف دينهم كما قيل فانه مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن مثله اي سارعوا الى تكذيبه اثر ذي اثير من غير ان
يتدبروا فيه ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد الدالة على كونه كما وصف آنفا ويعلموا انه ليس مما يمكن ان يكون له نظير يقدر عليه المخلوق والتعبير عنه
بما لم يحيطوا بعلمه دون ان يقال بل كذبوا به من غير ان يحيطوا بعلمه او نحو ذلك للايذان بكمال جهلهم به وانهم لم يعلموه الا بعنوان عدم العلم به وبان تكذيبهم
انما هو بسبب عدم علمهم به لما ان ارادة الحكم على الموصول مشعرة بعلية ما في حيز الصلة له **ولما يأتهم تأويله** عطف على الصلة او حال من الموصول اي ولم
يقفوا بعد على تأويله ولم يبلغ اذهانهم معانيه الرائقة المنبئة على علو شأنه والتعبير عن ذلك باتيان التأويل للاشعار بان تأويله متوجه الى
الاذهان منساق اليها بنفسه او لم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين انه صدق ام كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة النظم والمعنى
ومن جهة الاخبار بالغيب وهم قد فاجؤا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفكروا في معناه او ينتظروا وقوع ما اخبر به من الامور المستقبلة ونفي اتيان
التأويل بكلمة لما الدالة على التوقع بعد نفي الاحاطة بعلمه بكلمة لم لتأكيد الذم وتشديد التشنيع فان الشناعة في تكذيب الشيء قبل علمه المتوقع اتيانه
افحش منها في تكذيبه قبل علمه مطلقا والمعنى انه كان يجب عليهم ان يتوقفوا الى زمان وقوع المتوقع فلم يفعلوا واما ان المتوقع قد وقع بعد وانهم استمروا
عند ذلك ايضا على ما هم عليه ولا فلا تعرض له ههنا والاستشهاد عليه بعدم انقطاع الذم وادعاء ان قولهم افتراه تكذيب بعد التدبر ناشئ من عدم
التدبر فقد تدبر كيف لا وهم لم يقولوه بعد التحدي بل قبله وادعاء كونه مسبوقا بالتحدي الوارد في سورة البقرة يرده انها مدنية وهذه مكية واما
الذي يدل عليه ما سيتلى عليك من قوله تعالى ومنهم من يؤمن به ومنهم الى آخره وقوله تعالى **كذلك** الى آخره وصف لحالهم المحكي وبيان لما يؤدي اليه من العقوبة
اي مثل ذلك التكذيب المبني على بادي الراي والمجازفة من غير تدبر وتامل **كذب الذين من قبلهم** اي فعلوا التكذيب او كذبوا المعجزات التي ظهرت على
ايدي انبيائهم او كذبوا انبياءهم **فانظر كيف كان عاقبة الظالمين** وهم الذين من قبلهم من المكذبين وانما وضع المظهر موضع المضمر للايذان بكون
التكذيب ظلما وبعليته لاصابة ما اصابهم من سوء العاقبة وبدخول هؤلاء الظالمين في زمرتهم جرما ووعيدا دخولا اوليا وقوله عز وجل **ومنهم**
الى آخره وصف لحالهم بعد اتيان التاويل المتوقع اذ حينئذ يمكن تنويعهم الى المؤمن به وغير المؤمن ضرورة امتناع الايمان بشيء من غير علم به واشتراك
الكل في التكذيب والكفر به قبل ذلك حسبما افاده قوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اي ومن هؤلاء المكذبين **من يؤمن به** عند الاحاطة بعلمه واتيان
تأويله وظهور حقيقته بعد ما سعوا في المعارضة ورازوا قواهم فيها فتضاءلت دونها او بعد ما شاهدوا وقوع ما اخبر به كما اخبر به مرارا ومعنى الايمان
به اما الاعتقاد بحقيته فقط اي يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند ويكابر وهؤلاء هم الذين اشير بقصر اتباع الظن على اكثرهم الى انهم
يعلمون الحق على التفسير الاول كما اشير اليه فيما سلف واما الايمان الحقيقي اي سيؤمن به ويتوب عن الكفر وهم الذين اشير بالقصر المذكور على التفسير الثاني
الى انهم سيتبعون الحق كما مر **ومنهم من لا يؤمن** اي لا يصدق به في نفسه كما لا يصدق به ظاهرا لفرط غباوته المانعة عن الاحاطة بعلمه كما ينبغي
وان كان فوق مرتبة عدم الاحاطة به اصلا او لسخافة عقله واختلال تمييزه وعجزه عن تخليص علومه عن معارضة الظنون والاوهام التي الفها
فيبقى على ما كان عليه من الشك وهذا القدر من الاحاطة واتيان التأويل كاف في مقابلة ما سبق من عدم الاحاطة بالمرة وهؤلاء هم الذين

اريدوا فيما سلف بقوله عز وجل وما يتبع اكثرهم الا ظنا على التفسير الاول او لا يؤمن به فيما سياتي بل يموت على كفره معاندا كان او شاكا وهم المستمرون
على اتباع الظن على التفسير الثاني من غير اذعان للحق وانقياد له **وربك اعلم بالمفسدين** اي بكلا الفريقين على الوجه الاول او بالمعاندين فقط كما قيل لاشتراكهما
في اصل الافساد المستدعي لاشتراكهما في الوعيد او بالمصرين الباقين على الكفر على الوجه الثاني من المعاندين والشاكين **وان كذبوك** اي تموا على تكذيبك
واصروا عليه حسبما اخبر عنهم بعد الزام الحجة بالتحدي **فقل لي عملي ولكم عملكم** اي تبرأ منهم فقد اعذرت كقوله تعالى فان عصوك فقل اني بريء والمعنى لي
جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا وتوحيد العمل المضاف اليهم باعتبار الاتحاد النوعي ولمراعاة كمال المقابلة **انتم بريئون مما اعمل وانا
بريء مما تعملون** تاكيد لما افاده لام الاختصاص من عدم تعدي جزاء العمل الى غير عامله اي لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام
المتاركة وعدم التعرض لهم قيل انه منسوخ باية السيف **ومنهم من يستمعون اليك** بيان لكونهم مطبوعا على قلوبهم بحيث لا سبيل الى ايمانهم وانما جمع الضمير الراجع
الى كلمة من رعاية لجانب المعنى كما افرد فيما سياتي محافظة على ظاهر اللفظ ولعل ذلك للايماء الى كثرة المستمعين بناء على عدم توقف الاستماع على ما
يتوقف عليه النظر من المقابلة وانتفاء الحجاب والظلمة اي ومنهم ناس يستمعون اليك عند قراءتك القرآن وتعليمك للشرائع **افانت تسمع الصم** همزة الاستفهام
انكارية والفاء عاطفة وليس الجمع بينهما لترتيب انكار الاسماع على الاستماع كما هو رأي سيبويه والجمهور على ان يجعل تقديم الهمزة على الفاء لاقتضائها
الصدارة كما تقرر في موضعه بل لانكار ترتبه عليه حسبما هو المعتاد لكن لا بطريق العطف على الفعل المذكور لادائه الى اختلال المعنى لانه اما صلة او صفة
واياما كان فالعطف عليه يستدعي دخول المعطوف في حيزه وتوجه الانكار اليه من تلك الحيثية ولا ريب في فساده بل بطريق العطف على مقدر مفهوم
من فحوى النظم كانه قيل ايستمعون اليك فانت تسمعهم لا انكارا لاستماعهم فانه امر محقق بل انكارا لوقوع الاستماع عقيب ذلك وترتبه عليه حسب العادة
الكلية بل نفيا لامكانه ايضا كما ينبئ عنه وضع الصم موضع ضميرهم ووصفهم بعدم العقل بقوله عز وجل **ولو كانوا لا يعقلون** اي ولو انضم الى صممهم عدم
عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس اذا وصل الى صماخه صوت واما اذا اجتمع فقدان السمع والعقل جميعا فقد تم الامر **ومنهم من ينظر اليك** ويعاين
دلائل نبوتك الواضحة **افانت** اي عقيب ذلك انت تهديهم وانما قيل **تهدي العمي** تربية لانكار هدايتهم وابرازا لوقوعها في معرض الاستحالة وقد
اكد ذلك حيث قيل **ولو كانوا لا يبصرون** اي ولو انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك
هي البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق فحيث اجتمع فيهم الحمق والعمى فقد انسد عليهم باب الهدى وجواب لو في
الجملتين محذوف لدلالة قوله تعالى تسمع الصم تهدي العمي عليه وكل منهما معطوفة على جملة مقدرة مقابلة لها في المعنى كلتاهما في موضع الحال من مفعول
الفعل السابق اي افانت تسمع الصم لو كانوا يعقلون ولو كانوا لا يعقلون افانت تهدي العمي لو كانوا يبصرون ولو كانوا لا يبصرون اي على حال مفروض وقد
حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق عند تحقق المانع القوي فلان يتحقق عند عدمه او عند
تحقق المانع الضعيف اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في لو وان الوصليتين من التاكيد وقد مر الكلام في قوله تعالى ولو كره الكافرون ونظائره مرارا
ان الله لا يظلم الناس اشارة الى ان ما حكي عنهم من عدم اهتدائهم الى طريق الحق وتعطل مشاعرهم من الادراك ليس لامر مستند الى الله عز وجل من خلقهم
مؤوفي المشاعر ونحو ذلك بل انما هو من قبلهم اي لا ينقصهم **شيئا** مما نيط به مصالحهم الدينية والدنيوية وكمالاتهم الاولوية والاخروية من مبادي
ادراكاتهم واسباب علومهم من المشاعر الظاهرة والباطنة والارشاد الى الحق بارسال الرسل وانزال الكتب بل يوفيهم ذلك من غير اخلال بشيء اصلا
ولكن الناس وقرئ بالتخفيف ورفع الناس ووضع الظاهر موضع الضمير لزيادة التعيين والتقرير اي لكنهم بعدم استعمال مشاعرهم فيما خلقت له
واعراضهم عن قبول دعوة الحق وتكذيبهم للرسل والكتب **انفسهم يظلمون** اي ينقصون ما ينقصون مما يخلون به من مبادي كمالهم وذرائع اهتدائهم
وانما لم يذكر لما ان مرمى الغرض انما هو قصر الظلم على انفسهم لا بيان ما يتعلق به الظلم والتعبير عن فعلهم بالنقص مع كونه تفويتا بالكلية وابطالا
بالمرة لمراعاة جانب قرينته وقوله عز وجل انفسهم اما تاكيد للناس فيكون بمنزلة ضمير الفصل في قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين
في قصر الظالمية عليهم واما مفعول ليظلمون حسبما وقع في سائر المواقع وتقديمه عليه لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد الى قصر
المظلومية عليهم على رأي من لا يرى التقديم موجبا للقصر فيكون كما في قوله سبحانه وتعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم من غير قصر للظلم لا على
الفاعل ولا على المفعول واما على رأي من يراه موجبا له فلعل ايثار قصرها دون قصر الظالمية عليهم للمبالغة في بيان بطلان افعالهم وسخافة عقولهم
لما ان اقبح الامرين عند اتحاد الفاعل والمفعول واشدهما انكارا عند العقل ونفرة لدى الطبع واوجبهما حذرا منه عند كل احد هو المظلومية

لا انظالمية على ان قصر الاولى عليهم مستلزم لما تقتضيه ظاهر الحال من قصر الثانية عليهم ضرورة انه اذا لم يظلم احدا من الناس الا نفسه يلزم ان لا يظلمه الا نفسه
اذ لو ظلمه غيره يلزم كون ذلك الغير ظالما لغير نفسه والمفروض ان لا يظلم احد الا نفسه فاكتفي بالقصر الاول عن الثاني مع رعاية ما ذكر من الفائدة وصيغة المضارع
للاستمرار نفيا واثباتا فان حرف النفي اذا دخل على المضارع يفيد بحسب المقام استمرار النفي لا نفي الاستمرار الا ترى ان قولك ما زيدا ضربت يدل على
اختصاص النفي لا على نفي الاختصاص وسياق الآية الكريمة لالزام الحجة ويجوز ان يكون للوعيد فالمضارع المنفي للاستقبال والمثبت للاستمرار والمعنى
ان الله لا يظلمهم بتعذيبهم يوم القيمة شيئا من الظلم ولكنهم انفسهم يظلمون ظلما مستمرا فان مباشرتهم المستمرة للسيئات الموجبة للتعذيب
عين ظلمهم لانفسهم وعلى الوجهين فالآية الكريمة تذييل لما سبق **ويوم يحشرهم** منصوب بمضمر وقرئ بالنون على الالتفات اي اذكر لهم او انذرهم
يوم يحشرهم **كأن لم يلبثوا** اي كأنهم لم يلبثوا **الا ساعة من النهار** اي شيئا قليلا منه فانها مثل في غاية القلة وتخصيصها بالنهار لان ساعاته
اعرف حالا من ساعات الليل والجملة في موقع الحال من ضمير المفعول اي يحشرهم مشبهين في احوالهم الظاهرة للناس بمن لم يلبث في الدنيا ولم يتقلب
في نعيمها الا ذلك القدر اليسير فان من اقام بها دهرا وتمتع بمتاعها لا يخلو عن بعض آثار نعمة واحكام بهجة منافية لما بهم من رثاثة الهيئة وسوء
الحال او بمن لم يلبث في البرزخ الا ذلك المقدار ففائدة التقييد بيان كمال يسر الحشر بالنسبة الى قدرته تعالى ولو بعد دهر طويل واظهار بطلان
استبعادهم وانكارهم بقولهم أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ونحو ذلك وبيان تمام الموافقة بين النشأتين في الاشكال والصور
فان قلة اللبث في البرزخ من موجبات عدم التبدل والتغير فقوله عز وعلا **يتعارفون بينهم** بيانا وتقرير له لان التعارف مع طول العهد
ينقلب تناكرا وعلى الاول يكون استئنافا اي يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتعارفوا الا قليلا وذلك اول ما خرجوا من القبور اذ هم حينئذ على ما
كانوا عليه من الهيئة المتعارفة فيما بينهم ثم ينقطع التعارف لشدة الاهوال المذهلة واعتراء الاحوال المعضلة المغيرة للصور والاشكال
المبدلة لها من حال الى حال **قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله** شهادة من الله سبحانه وتعالى على خسرانهم وتعجب منه وقيل حال من ضمير يتعارفون على ارادة
القول والتعبير عنهم بالموصول مع كون المقام مقام اضمار لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعليته لما اصابهم والمراد بلقاء الله تعالى ان كان مطلق
الحساب والجزاء او حسن اللقاء فالمراد بالخسران الوضيعة والمعنى ضيعوا في تجاراتهم ومعاملاتهم واشترائهم الكفر بالايمان والضلالة بالهدى ومعنى
قوله تعالى **وما كانوا مهتدين** ما كانوا عارفين باحوال التجارة مهتدين لطرقها وان كان سوء اللقاء فالخسار الهلاك والضلال اي قد ضلوا
واهلكوا بتكذيبهم وما كانوا مهتدين الى طريق النجاة **واما نرينك** اصله ان نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ومن ثمة اكد الفعل بالنون
اي نبصرنك بان نظهر لك **بعض الذي نعدهم** اي وعدناهم من العذاب ونعجله في حياتك فتراه والعدول الى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة
او للدلالة على التجدد الاستمراري اي نعدهم وعدا متجددا حسبما يقتضيه الحكمة من انذار غب انذار وفي تخصيص البعض بالذكر رمز الى العدة
باراءة بعض الموعود وقد اراه يوم بدر **او نتوفينك** قبل ذلك **فالينا مرجعهم** اي كيف ما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم او لا فالينا
مرجعهم في الدنيا والآخرة فننجز ما وعدناهم البتة وقيل المذكور جواب للشرط الثاني كأنه قيل فالينا مرجعهم فنريكه في الآخرة وجواب الاول محذوف
لظهوره اي فذاك **ثم الله شهيد على ما يفعلون** من الافعال السيئة التي حكيت عنهم والمراد بالشهادة اما مقتضاها ونتيجتها وهي معاقبته تعالى
اياهم واما اقامتها واداؤها بانطاق الجوارح واظهار اسم الجلالة لادخال الروعة وتربية المهابة وتأكيد التهديد وقرئ ثمة اي هنالك
ولكل امة من الامم الخالية **رسول** يبعث اليهم بشريعة خاصة مناسبة لاحوالهم ليدعوهم الى الحق **فاذا جاء رسولهم** فبلغهم ما ارسل به
فكذبوه وخالفوه **قضي بينهم** اي بين كل امة ورسولها **بالقسط** بالعدل وحكم بنجاة الرسول والمؤمنين به وهلاك المكذبين كقوله تعالى وما كنا
معذبين حتى نبعث رسولا **وهم لا يظلمون** في ذلك القضاء المستوجب لتعذيبهم لانه من نتائج اعمالهم او ولكل امة من الامم يوم القيمة رسول
تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان كقوله عز وجل وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم **ويقولون
متى هذا الوعد** استعجالا لما وعدوا من العذاب على طريقة الاستهزاء به والانكار حسبما يرشد اليه الجواب لا طلبا لتعيين وقت مجيئه على وجه الالزام
كما في سورة الملك **ان كنتم صادقين** اي في انه يأتينا والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الذين يتلون عليهم الآيات المتضمنة
للوعد المذكور وجواب الشرط محذوف اعتمادا على ما تقدم حسبما حذف في قوله تعالى فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فان الاستعجال
في قوة الامر بالاتيان عجلة كأنه قيل فليأتنا عجلة ان كنتم صادقين ولما فيه من الاشعار بكون اتيانه بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم

قيل **قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا** اي لا اقدر على شيء منهما بوجه من الوجوه وتقديم الضر لما ان مساق النظم لاظهار العجز عنه واما ذكر النفع فلتوسيع الدائرة
تكملة للعجز وما وقع في سورة الاعراف من تقديم النفع للاشعار بأهميته والمقام مقامه والمعنى اني لا املك شيئا من شؤوني ردا وايرادا مع ان
ذلك اقرب حصولا فكيف املك شؤونكم حتى اتسبب في اتيان عذابكم الموعود **الا ما شاء الله** استثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله كائن وحمله على
الاتصال على معنى الا ما شاء الله ان املكه يأباه مقام التبرؤ عن ان يكون له عليه السلام دخل في اتيان الوعد فان ذلك يستدعي بيان كون المتنازع
فيه مما لا يشاء الله ان يملكه عليه السلام وجعله عبارة عن بعض الاحوال المعهودة المنوطة بالافعال الاختيارية المفوضة الى العباد على ان يكون
المعنى لا املك لنفسي شيئا من الضر والنفع الا ما شاء الله ان املكه منهما من الضر والنفع المترتبين على افعالي الاختيارية كالضر والنفع المترتبين
على الاكل والشرب عدما ووجودا تعسف ظاهر وقوله تعالى **لكل امة اجل** بيان لما ابهم في الاستثناء وتقييد لما في القضاء السابق من الاطلاق
المشعر بكون المقضي به امرا منجزا غير متوقف على شيء غير مجيء الرسول وتكذيب الامة اي لكل امة امة ممن قضي بينهم وبين رسولهم اجل معين خاص
بهم لا يتعدى الى امة اخرى مضروب لعذابهم يحل بهم عند حلوله **اذا جاء اجلهم** ان جعل الاجل عبارة عن حد معين من الزمان فمعنى مجيئه ظاهر وان اريد
ما امتد اليه من الزمان فمعنى مجيئه عبارة عن انقضائه اذ هناك يتحقق مجيئه بتمامه والضمير ان جعل للامم المدلول عليها بكل امة فاظهار الاجل
مضافا اليه لافادة المعنى المقصود الذي هو بلوغ كل امة اجلها الخاص بها ومجيئه اياها بعينها من بين الامم بواسطة اكتساب الاجل بالاضافة
عموما يفيده معنى الجمعية كأنه قيل اذا جاءهم آجالهم بان يجيء كل واحدة من تلك الامم اجلها الخاص بها وان جعل لكل امة خاصة كما هو الظاهر فالاظهار
في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاضافة الى الضمير لافادة كمال التعيين اي اذا جاءها اجلها الخاص بها **فلا يستأخرون** عن ذلك الاجل **ساعة**
اي شيئا قليلا من الزمان فانها مثل في غاية القلة منه اي لا يتأخرون عنه اصلا وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له **ولا يستقدمون**
اي لا يتقدمون عليه وهو عطف على يستأخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع امكانه في نفسه كالتأخر بل للمبالغة في انتفاء التأخر بنظمه في سلك
المستحيل عقلا كما في قوله سبحانه وتعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار
فان من تاب كافرا مع ظهور ان لا توبة له رأسا قد نظم في عدم قبول التوبة في سلك من سوفها الى حضور الموت ايذانا بتساوي وجود التوبة حينئذ
وعدمها بالمرة كما مر في سورة الاعراف وقد جوز ان يراد بمجيء الاجل دنوه بحيث يمكن التقدم في الجملة كمجيء اليوم الذي ضرب لهلاكهم ساعة معينة
منه لكن ليس في تقييد عدم الاستئخار به نوع مزيد فائدة وتقديم بيان انتفاء الاستئخار على بيان انتفاء الاستقدام لان المقصود الاهم بيان عدم
خلاصهم من العذاب ولو ساعة وذلك بالتأخر واما ما في قوله تعالى ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون من سبق السبق في الذكر فلان المراد هناك
بيان سر تأخير عذابهم مع استحقاقهم له حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون فالاهم اذ ذاك بيان انتفاء
السبق كما ذكر هناك **قل** لهم غب ما بينت كيفية جريان سنة الله عز وجل فيما بين الامم على الاطلاق ونبهتهم على ان عذابهم امر مقرر محتوم لا يتوقف الا على
مجيء اجله المعلوم ايذانا بكمال دنوه وتنزيلا له منزلة اتيانه حقيقة **ارأيتم** اي اخبروني **ان اتاكم عذابه** الذي تستعجلون به **بياتا** اي وقت بيات و
اشتغال بالنوم **او نهارا** اي عند اشتغالكم بمشاغلكم حسبما عين لكم من الاجل بمقتضى المشيئة التابعة للحكمة كما عين لسائر الامم المهلكة وقوله عز وجل **ماذا
يستعجل منه المجرمون** جواب للشرط بحذف الفاء كما في قولك ان اتيتك ماذا تطعمني والمجرمون موضع المضمر لتأكيد الانكار ببيان مباينة حالهم للاستعجال
فان حق المجرم ان يهلك فزعا من اتيان العذاب فضلا عن استعجاله والجملة الشرطية متعلقة بأرأيتم والمعنى اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى اي شيء تستعجلون
منه تعالى والشيء لا يمكن استعجاله بعد اتيانه والمراد به المبالغة في انكار استعجاله باخراجه عن حيز الامكان وتنزيله في الاستحالة منزلة استعجاله بعد اتيانه
بناء على تنزيل تقرر اتيانه ودنوه منزلة اتيانه حقيقة كما اشير اليه وهذا الانكار بمنزلة النهي في قوله عز وعلا اتى امر الله فلا تستعجلوه خلا ان التنزيل
هناك صريح وهنا ضمني كما في قول من قال لغريمه الذي يتقاضاه حقه أرأيت ان اعطيتك حقك فماذا تطلب مني يريد المبالغة في انكار التقاضي
بنظمه في سلك التقاضي بعد الاعطاء بناء على تنزيل تقرره منزلة نفسه وقوله عز وجل **اثم اذا ما وقع آمنتم به** انكار لايمانهم بنزول العذاب بعد وقوعه حقيقة
داخل مع ما قبله من انكار استعجالهم به بعد اتيانه حكما تحت القول المأمور به اي أبعد ما وقع العذاب وحل بكم حقيقة آمنتم به حين لا ينفعكم الايمان انكار التأخيره
الى هذا الحد وايذانا باستتباعه للندم والحسرة ليقلعوا عما هم عليه من العناد ويتوجهوا نحو التدارك قبل فوت الوقت فتقديم الظرف للقصر وقيل ماذا
يستعجل منه متعلق بأرأيتم وجواب الشرط محذوف اي تندموا على الاستعجال وتعرفوا خطأه والشرطية اعتراض مقرر لمضمون الاستخبار وقيل الجواب قوله تعالى

أثم إذا ما وقع إلى آخره والاستفهامية الأولى اعتراض والمعنى أخبروني إن أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان ثم جيء بكلمة التراخي دلالة على الاستبعاد
ثم زيد أداة الشرط دلالة على استقلاله بالاستبعاد وعلى أن الأول كالتمهيد له وجيء بإذا مؤكدًا بما ترشيحًا لمعنى الوقوع وزيادة للتجهيل وأنهم لم يؤمنوا إلا بعد
أن لم ينفعهم الإيمان البتة وقوله تعالى آلآن استئناف من جهته تعالى غير داخل تحت القول الملقن مسوق لتقرير مضمون ما سبق على إرادة القول أي قيل لهم عند وقوع العذاب
آلآن آمنتم به إنكارًا للتأخير وتوبيخًا عليه ببيان أنه لم يكن ذلك لعدم سبق الإنذار به ولا للتأمل والتدبر في شأنه ولا لشيء آخر مما عسى يعد عذرًا
في التأخير بل كان ذلك على طريق التكذيب والاستعجال به على وجه الاستهزاء وقرئ آلان بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وقوله تعالى وقد كنتم به تستعجلون
أي تكذيبًا واستهزاء جملة وقعت حالا من فاعل آمنتم المقدر لتشديد التوبيخ والتقريع وزيادة التنديم والتحسير وتقديم الجار والمجرور على الفعل لمراعاة الفواصل
دون القصر وقوله تعالى ثم قيل إلى آخره تأكيد للتوبيخ والعتاب بوعيد العذاب والعقاب وهو عطف على ما قدر قبل آلآن للذين ظلموا أي وضعوا الكفر والتكذيب موضع
الإيمان والتصديق أو ظلموا أنفسهم بتعريضها للعذاب والهلاك ووضع الموصول موضع الضمير لذمهم بما في حيز الصلة والإشعار بعليته لإصابة ما أصابهم ذوقوا
عذاب الخلد المؤلم على الدوام هل تجزون اليوم إلا بما كنتم تكسبون في الدنيا من أصناف الكفر والمعاصي التي من جملتها ما مر من الاستعجال ويستنبئونك أي يستخبرونك
فيقولون على طريقة الاستهزاء والإنكار أحق هو أحق خبر قدم على المبتدأ الذي هو الضمير للاهتمام به ويؤيده قوله تعالى إنه لحق أو مبتدأ والضمير مرتفع به
ساد مسد الخبر والجملة في موقع النصب بيستنبئونك وقرئ آلحق هو تعريضًا بأنه باطل كأنه قيل أهو الحق لا الباطل أو هو الذي سميتموه الحق قل لهم غير
ملتفت إلى استهزائهم مغضيًا أي معرضًا عما قصدوا وبانيًا للأمر على أساس الحكمة إي وربي إي من حروف الإيجاب بمعنى نعم في القسم خاصة كما أن هل
بمعنى قد في الاستفهام خاصة ولذلك يوصل بواوه إنه أي العذاب الموعود لحق لثابت البتة أكد الجواب بأتم وجوه التأكيد حسب شدة إنكارهم وقوته
وقد زيد تقريرًا وتحقيقًا بقوله عز اسمه وما أنتم بمعجزين أي بفائتين العذاب بالهرب وهو لاحق بكم لا محالة وهو إما معطوف على جواب القسم أو مستأنف
سيق لبيان عجزهم عن الخلاص مع ما فيه من التقرير المذكور ولو أن لكل نفس ظلمت بالشرك والتعدي على الغير أو غير ذلك من أصناف الظلم ولو مرة حسبما
يفيده كون الصفة فعلا ما في الأرض أي ما في الدنيا من خزائنها وأموالها ومنافعها قاطبة بما كثرت لافتدت به أي لجعلته فدية لها من العذاب من افتداه
بمعنى فداه وأسروا أي النفوس المدلول عليها بكل نفس والعدول إلى صيغة الجمع مع تحقق العموم في صورة الأفراد أيضًا لإفادة تهويل الخطب بكون
الإسرار بطريق المعية والاجتماع وإنما لم يراع ذلك فيما سبق لتحقيق ما يتوخى من فرض كون جميع ما في الأرض لكل واحدة من النفوس وإيثار صيغة
جمع المذكر لحمل لفظ النفس على الشخص أو لتغليب ذكورهم على إناثهم الندامة على ما فعلوا من الظلم أي أخفوها ولم يظهروها لكن لا للاصطبار والتجلد
هيهات ولات حين اصطبار بل لأنهم بهتوا لما رأوا العذاب أي عند معاينتهم من فظاعة الحال وشدة الأهوال ما لم يكونوا يحتسبون فلم يقدروا
على أن ينطقوا بشيء فلما بمعنى حين منصوب بأسروا أو حرف شرط حذف جوابه لدلالة ما تقدم عليه وقيل أسرها رؤساؤهم ممن أضلوهم حياء منهم
وخوفًا من توبيخهم ولكن الأمر أشد من أن يعتريهم هناك شيء غير خوف العذاب وقيل أسروا الندامة أخلصوها لأن إسرارها إخلاصها أو لأن سر
الشيء خالصته حيث تخفى وتضن بها ففيه تهكم بهم وقيل أظهروا الندامة من قولهم أسر الشيء وأشره إذا أظهره حين عيل صبره وفني تجلده وقضي
بينهم أي أوقع القضاء بين الظالمين من المشركين وغيرهم من أصناف أهل الظلم بأن أظهر الحق سواء كان من حقوق الله سبحانه أو من حقوق
العباد من الباطل وعومل أهل كل منهما بما يليق به بالقسط بالعدل وتخصيص الظلم بالتعدي وحمل القضاء على مجرد الحكومة بين الظالمين والمظلومين
من غير أن يتعرض لحال المشركين وهم أظلم الظالمين لا يساعده المقام فإن مقتضاه إنما كون الظلم عبارة عن الشرك أو عما يدخل فيه دخولا أوليًا
وهم أي الظالمون لا يظلمون فيما فعل بهم من العذاب بل هو من مقتضيات ظلمهم ولوازمه الضرورية ألا إن لله ما في السموات والأرض أي ما وجد فيهما
داخلا في حقيقتهما أو خارجًا عنهما متمكنًا فيهما وكلمة ما لتغليب غير العقلاء على العقلاء فهو تقرير لكمال قدرته سبحانه على جميع الأشياء وبيان
لاندراج الكل تحت ملكوته يتصرف فيه كيفما يشاء إيجادًا وإعدامًا وإثابة وعقابًا ألا إن وعد الله إظهار الاسم الجليل لتفخيم شأن الوعد والإشعار
بعلة الحكم وهو إما بمعنى الموعود أي جميع ما وعد به كائنا ما كان فيندرج فيه العذاب الذي استعجلوه وما ذكر في أثناء بيان حاله اندراجًا أوليًا
أو بمعناه المصدري أي وعده بجميع ما ذكر فمعنى قوله تعالى حق على الأول ثابت واقع لا محالة وعلى الثاني مطابق للواقع وتصدير الجملتين بحرفي
التنبيه والتحقيق للتسجيل على تحقق مضمونهما المقرر لمضمون ما سلف من الآيات الكريمة والتنبيه على وجوب استحضاره والمحافظة عليه ولكن أكثرهم
لقصور عقولهم واستيلاء الغفلة عليهم والفهم بالأحوال المحسوسة المعتادة لا يعلمون ذلك فيقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون هو يحيي ويميت في الدنيا

في الدنيا من غير دخل لأحد في ذلك وإليه ترجعون في الآخرة بالبعث والحشر يا أيها الناس التفات ورجوع إلى استمالتهم نحو الحق واستنزالهم إلى قبوله
واتباعه غب تحذيرهم من غوائل الضلال بما تلي عليهم من القوارع الناعية عليهم سوء عاقبتهم وإيذان بأن جميع ذلك مسوق لمصالحهم ومنافعهم
قد جاءتكم موعظة هي والوعظ والعظة التذكير بالعواقب سواء كان بالزجر والترهيب أو بالاستمالة والترغيب وكلمة من في قوله تعالى
من ربكم ابتدائية متعلقة بجاءتكم أو تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لموعظة أي موعظة كائنة من مواعظ ربكم وفي التعرض
لعنوان الربوبية من حسن الموقع ما لا يخفى وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين أي كتاب جامع لهذه الفوائد والمنافع فإنه كاشف
عن أحوال الأعمال حسناتها وسيئاتها مرغب في الأولى ورادع عن الأخرى ومبين للمعارف الحقة التي هي شفاء لما في الصدور من الأدواء
القلبية كالجهل والشك والشرك والنفاق وغيرها من العقائد الزائغة وهاد إلى طريق الحق واليقين بالإرشاد إلى الاستدلال بالدلائل
المنصوبة في الآفاق والأنفس وفي مجيئه رحمة للمؤمنين حيث نجوا به من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الإيمان وتخلصوا من دركات النيران
وارتقوا إلى درجات الجنان والتنكير في الكل للتفخيم قل تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأمر الناس بأن يغتنموا
ما في مجيء القرآن العظيم من الفضل والرحمة بفضل الله وبرحمته المراد بهما إما ما في مجيء القرآن من الفضل والرحمة وإما الجنس وهما داخلان فيه دخولا أوليًا
والباء متعلقة بمحذوف وأصل الكلام ليفرحوا بفضل الله وبرحمته وتكرير الباء في رحمته للإيذان باستقلالها في استيجاب الفرح ثم قدم الجار
والمجرور على الفعل لإفادة القصر ثم أدخل عليه الفاء لإفادة معنى السببية فصار بفضل الله وبرحمته فليفرحوا ثم قيل فبذلك فليفرحوا للتأكيد
والتقرير ثم حذف الفعل الأول لدلالة الثاني عليه والفاء الأولى جزائية والثانية للدلالة على السببية والأصل إن فرحوا بشيء فبذلك فليفرحوا
لا بشيء آخر ثم أدخل الفاء للدلالة على السببية ثم حذف الشرط ومعنى البعد في اسم الإشارة للدلالة على بعد درجة فضل الله تعالى ورحمته ويجوز
أن يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز أن تتعلق الباء بجاءتكم أي جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك أي فبمجيئها فليفرحوا
وقرئ فلتفرحوا وقرأ أبي فافرحوا وعن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والإسلام
وقيل فضله الإسلام ورحمته ما وعد عليه هو أي ما ذكر من فضل الله ورحمته خير مما يجمعون من حطام الدنيا وقرئ تجمعون أي فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير
مما تجمعون أيها المخاطبون قل أرأيتم أي أخبروني ما أنزل الله لكم من رزق ما منصوبة المحل بما بعدها أو بما قبلها واللام للدلالة على أن المراد بالرزق
ما حل لهم وجعله منزلا لأنه مقدر في السماء محصل بها وما يتوقف عليه وجودًا وبقاءً بأسباب سماوية من المطر والكواكب والإنضاج والتلوين
فجعلتم منه أي جعلتم بعضه حرامًا أي حكمتم بأنه حرام وحلالا أي وجعلتم بعضه حلالا أي حكمتم بحله مع كون كله حلالا وذلك قولهم هذه أنعام وحرث
حجر الآية وقولهم ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ونحو ذلك وتقديم الحرام لظهور أثر الجعل فيه ودوران
التوبيخ عليه قل تكرير لتأكيد الأمر بالاستخبار أي أخبروني آلله أذن لكم في ذلك الجعل فأنتم فيه ممتثلون بأمره تعالى أم على الله تفترون أم متصلة
والاستفهام للتقرير والتبكيت لتحقق العلم بالشق الأخير قطعًا كأنه قيل أم لم يأذن لكم بل تفترون عليه سبحانه فأظهر اسم الجليل وقدم على الفعل
دلالة على كمال قبح افترائهم وتأكيدًا للتبكيت إثر تأكيد مع مراعاة الفواصل ويجوز أن يكون الاستفهام للإنكار وأم منقطعة ومعنى بل فيها
الإضراب والانتقال من التوبيخ والزجر بإنكار الإذن إلى ما يفيده همزتها من التوبيخ على الافتراء عليه سبحانه وتقريره وتقديم الجار والمجرور على
هذا يجوز أن يكون للقصر كأنه قيل بل أعلى الله تعالى خاصة تفترون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب كلام مسوق من قبله تعالى لبيان هول ما
سيلقونه غير داخل تحت القول المأمور به والتعبير عنهم بالموصول في موقع الإضمار لقطع احتمال الشق الأول من الترديد والتسجيل عليهم بالافتراء
وزيادة الكذب مع أن الافتراء لا يكون إلا كذبًا لإظهار كمال قبح ما افتعلوا وكونه كذبًا في اعتقادهم أيضًا وكلمة ما استفهامية وقعت مبتدأ
وظن خبرها ومفعولاه محذوفان وقوله عز وجل يوم القيمة ظرف لنفس الظن أي أي شيء ظنهم في ذلك اليوم يوم عرض الأفعال والأقوال والمجازاة
عليها مثقالا بمثقال والمراد تهويله وتفظيعه بهول ما يتعلق به مما يصنع بهم يومئذ وقيل هو ظرف لما يتعلق به ظنهم اليوم من الأمور التي ستقع يوم القيمة
تنزيلا له ولما فيه من الأحوال لكمال وضوح أمره في التقرر والتحقق منزلة المسلم عندهم أي أي شيء ظنهم لما سيقع يوم القيمة أيحسبون أنهم لا يسألون
عن افترائهم ولا يجازون عليه أو يجازون جزاء يسيرًا ولأجل ذلك يفعلون ما يفعلون كلا إنهم لفي أشد العذاب لأن معصيتهم أشد المعاصي ومن أظلم
ممن افترى على الله كذبًا وقرئ على لفظ الماضي أي أي ظن ظنوا يوم القيمة وإيراد صيغة الماضي لأنه كائن فكأنه قد كان إن الله لذو فضل

اي عظيم لا يكتنه كنهه على الناس اي جميعاً حيث انعم عليهم بالعقل المميز بين الحق والباطل والحسن والقبيح ورحمهم بانزال الكتب وارسال الرسل وبين لهم
الاسرار التي لا تستقل العقول في ادراكها وارشدهم الى ما يهمهم من امر المعاش والمعاد ولكن اكثرهم لا يشكرون تلك النعم الجليلة فلا يصرفون
قواهم ومشاعرهم الى ما خلقت له ولا يتبعون دليل العقل فيما يستبد به ولا دليل الشرع فيما لا يدرك الا به وقد تفضل عليهم ببيان ما سيلقونه يوم القيمة
فلا يلتفتون اليه فيقعون فيما يقعون فهو تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وما تكون في شان اي في امر من شانت شانه اي قصدت قصده مصدر بمعنى
المفعول وما تتلوا منه الضمير للشان والظرف صفة لمصدر محذوف اي تلاوة كائنة من الشان اذ هي معظم شؤونه عليه السلام او للتنزيل
والاضمار قبل الذكر لتفخيم شانه ومن ابتدائية او تبعيضية او لله عز وجل ومن ابتدائية والتي في قوله تعالى من قرآن مزيدة لتاكيد النفي او
ابتدائية على الوجه الاول وبيانية او تبعيضية على الثاني والثالث ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب اثر تخصيصه بمن هو قدوة الكل وقد روعي في كل
من المقامين ما يليق به حيث ذكر اولاً من الاعمال ما فيه فخامة وجلالة وثانياً ما يتناول الجليل والحقير الا كنا عليكم شهوداً استثناء مفرغ
من اعم احوال المخاطبين بالافعال الثلثة اي ما تلابسون بشيء منها في حال من الاحوال الا حال كوننا رقباء مطلعين عليه حافظين له اذ تفيضون فيه
اي تخوضون وتندفعون فيه واصل الافاضة الاندفاع بكثرة او بقوة وحيث اريد بالافعال الثلثة الحالة المستمرة الدائمة المقارنة للزمان
الماضي ايضاً اوثر في الاستثناء صيغة الماضي وفي الظرف كلمة اذ التي تفيد المضارع معنى الماضي وما يعزب عن ربك اي لا يبعد ولا يغيب عن علمه
الشامل وفي التعرض لعنوان الربوبية من الاشعار باللطف ما لا يخفى وقرئ بكسر الزاي من مثقال ذرة كلمة من مزيدة لتاكيد النفي اي ما يعزب عنه ما يساوي
في الثقل نملة صغيرة او هباء في الارض ولا في السماء اي في دائرة الوجود والامكان فان العامة لا تعرف سواهما ممكناً ليس في احدهما او متعلقاً
بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود اقامة البرهان على احاطة علمه تعالى بتفاصيلها ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب
مبين كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية للجنس واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على مثقال ذرة وجعل
الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف وعلى محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعاً كانه قيل لا يعزب عن ربك شيء ما لكن جميع الاشياء في كتاب مبين
فكيف يعزب عنه شيء منها وقيل يجوز ان يكون الاستثناء متصلاً ويعزب بمعنى يبين ويصدر والمعنى لا يصدر عنه تعالى شيء الا وهو في كتاب مبين
والمراد بالكتاب المبين اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله بيان على وجه التبشير والوعد لما هو نتيجة لاعمال المؤمنين وغاية لما ذكر قبله من كونه تعالى
مهيمناً على نبيه عليه السلام وامته في كل ما يأتون وما يذرون واحاطة علمه سبحانه بجميع ما في السماء وما في الارض وكون الكل مثبتاً في الكتاب المبين
بعدما اشير الى فظاعة حال المفترين على الله تعالى يوم القيمة وما سيعتريهم من الهول اشارة اجمالية على طريقة التهديد والوعيد وصدرت الجملة بحرف
التنبيه والتحقيق لزيادة تقرير مضمونها والولي لغة القرب والمراد باولياء الله تعالى خلص المؤمنين لقربهم الروحاني منه سبحانه وتعالى كما سيفصح
عنه تفسيرهم لا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا
يحزنون ولا انه لا يعتريهم خوف وحزن اصلاً بل يستمرون على النشاط والسرور كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاماً لجلال الله
سبحانه وهيبته واستقصاراً للجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان
انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعاً لما مر مراراً من ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الاستمرار والدوام بحسب
المقام وانما لا يعتريهم ذلك لان مقصدهم ليس الا طاعة الله تعالى ونيل رضوانه المستتبع للكرامة والزلفى وذلك مما لا ريب في حصوله ولا احتمال
لفواته بموجب الوعد بالنسبة اليه تعالى واما ما عدا ذلك من الامور الدنيوية المترددة بين الحصول والفوات فهي بمعزل من الانتظام في سلك مقصدهم
وجوداً او عدماً حتى يخافوا من حصول ضارها او يحزنوا بفوات نافعها وقوله عز وجل الذين آمنوا اي بكل ما جاء من عند الله تعالى وكانوا يتقون اي
يقون انفسهم عما يحق وقايتها عنه من الافعال والتروك وقاية دائمة حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل بيان وتفسير لهم واشارة الى ما
به نالوا ما نالوا على طريقة الاستيناف المبني على السؤال ومحل الموصول الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف كانه قيل من اولئك وما سبب فوزهم
بتلك الكرامة فقيل هم الذين جمعوا بين الايمان والتقوى المفضيين الى كل خير المنجيين عن كل شر وقيل محله النصب او الرفع على المدح او على وصف
مادح للاولياء ولا يقدح في ذلك توسط الخبر والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منها الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقي عن الشرك التي يفيدها
الايمان ايضاً ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك اعني تنزه الانسان عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بالكلية وهي التقوى

الحقيقية المأمور بها في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وبه يحصل الشهود والحضور والقرب الذي عليه يدور اطلاق الاسم
عليه وهكذا كان حال كل من دخل معه عليه الصلوة والسلام تحت الخطاب بقوله عز وعلا ولا تعملون من عمل خلا ان لهم في شان التبتل و
التنزه درجات متفاوتة حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشية المبنية على الحكم الابية اقصاها ما انتهى اليه
همم الانبياء عليهم السلام حتى جمعوا بذلك بين رياستي النبوة والولاية ولم يعقهم التعلق بعالم الاشباح عن الاستغراق في عالم الارواح ولم
يصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية فملاك امر الولاية هو
التقوى المذكور فاولياء الله تعالى هم المؤمنون المتقون ويقرب منه ما قيل من انهم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام
بحق عبودية الله تعالى والدعوة اليه ولا يخالفه ما قيل من انهم الذين يذكر الله برؤيتهم لما روي عن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم سئل من اولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم اي بسمتهم واخباتهم وسكينتهم ولا ما قيل من انهم المتحابون في الله لما روي عن عمر
رضي الله عنه انه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عباداً ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم
القيمة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام منهم ولا اموال يتعاطونها
فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس فان ما ذكر من حسن السمت والسكينة
المذكورة لله تعالى والتحاب في الله سبحانه من الاحوال الدينوية اللازمة للايمان والتقوى والآثار الخاصة بهما الحقيقية بالتخصيص بالذكر
لظهورها وقربها من افهام الناس فقد اورد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا من ذلك حسبما يقتضيه مقام الارشاد والتذكير ترغيباً للسائل
او غيرهم من الحاضرين فيما خصه بالذكر هناك من احكامهما فلعل الحاضرين اولاً كانوا محتاجين الى اصلاح الحال من جهة الاقوال والافعال
والملابس ونحو ذلك والحاضرين ثانياً مفتقرين الى تاليف قلوبهم وعطفها نحو المؤمنين الذين لا علاقة بينهم وبينهم من جهة النسب والقرابة وتاكيد
ما بينهم من الاخوة الدينية ببيان عظم شانها ورفعة مكانها وحسن عاقبتها ليرعوا حقوقها ويهجروا من لا يوافقهم في الدين من ارحامهم واما ما
ذكر من انه يغبطهم الانبياء فتصوير لحسن حالهم على طريقة التمثيل قال الكواشي وهذا مبالغة والمعنى لو فرض قوم بهذه الصفة لكانوا هؤلاء
وقيل اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وجعل قوله عز وجل الذين آمنوا وكانوا يتقون تفسيراً لتوليهم اياه تعالى
وقوله عز وجل لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة تفسيراً لتوليه تعالى اياهم ولا ريب في ان اعتبار القيد الاخير في مفهوم الولاية غير مناسب
لمقام ترغيب المؤمنين في تحصيلها والثبات عليها وبشارتهم بآثارها ونتائجها بل مخل بذلك اذ التحصيل انما يتعلق بالمقدور والاستبشار
لا يحصل الا بالعلم بوجود سببه والقيد المذكور ليس بمقدور لهم حتى يحصلوا الولاية بتحصيله ولا بمعلوم لهم عند حصوله حتى يعرفوا حصول
الولاية لهم ويستبشروا بمحاسن آثارها بل التولي بالكرامة عين نتيجة الولاية فاعتباره في عنوان الموضوع ثم الاخبار بعدم الخوف والحزن
مما لا يليق بشان التنزيل الجليل فالذي يقتضيه نظمه الكريم ان الاول تفسير للاولياء حسبما شرح والثاني بيان لما اولاهم من خيرات الدارين
بعد بيان انجائهم من شرورهما ومكارههما والجملة مستانفة كما سبق كانه قيل هل لهم وراء ذلك من نعمة وكرامة فقيل لهم ما يسرهم في الدارين
وتقديم الاول لما ان التخلية سابقة على التحلية مع ما فيه من مراعاة حق المقابلة بين حسن حال المؤمنين وسوء حال المفترين وتعجيل ادخال المسرة
بتبشير الخلاص عن الاهوال وتوسيط البيان بين بشارة الخلاص عن المحذور وبشارة الفوز بالمطلوب لاظهار كمال العناية بتفسير الاو
لياء
مع الايذان بان انتفاء الخوف والحزن لانتفائهم عما يؤدي اليهما من الاسباب والبشرى مصدر اريد به المبشر به من الخيرات العاجلة كالنصر
والفتح والغنيمة وغير ذلك والآجلة الغنية عن البيان وايثار الابهام والاجمال للايذان بكونه وراء البيان والتفصيل والظرفان في موقع
الحال منه والعامل ما في الخبر من معنى الاستقرار اي لهم البشرى حال كونها في الحيوة الدنيا وحال كونها في الآخرة اي عاجلة وآجلة او من
الضمير المجرور اي حال كونهم في الحيوة ومن البشرى العاجلة الثناء الحسن والذكر الجميل ومحبة الناس عن ابي ذر رضي الله عنه قلت يا رسول الله
الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال عليه السلام تلك عاجل بشرى المؤمن هذا وقيل البشرى مصدر والظرفان متعلقان به اما البشرى
في الدنيا فهي البشارات الواقعة للمؤمنين المتقين في غير موضع من الكتاب المبين وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا الصالحة يراها
المؤمن او ترى له وعنه عليه الصلوة والسلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تاتيهم الملائكة بالرحمة

قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة وأما البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بأيمانهم وما يقرؤن منها وغير ذلك من البشارات فيكون هذا بشارة بما سيقع من البشارات العاجلة والآجلة المطلوبة لغاياتها لا لذواتها ولا يخفى ان صرف البشارة الناجزة عن المقاصد بالذات الى وسائلها مما لا يناسب جلالة شأن التنزيل الكريم **لا تبديل لكلمات الله** لا تغيير لأقواله التي من جملتها مواعيده الواردة بشارة للمؤمنين المتقين فيدخل فيها البشارات الواردة ههنا دخولا أوليا ويثبت امتناع الاخلاف فيها ثبوتا قطعيا وعلى تقدير كون المراد بالبشرى الرؤيا الصالحة فالمراد بعدم تبديل كلماته تعالى ليس عدم الخلف بينها وبين نتائجها الدنيوية والأخروية بل عدم الخلف بينها وبين ما دل على ثبوتها ووقوعها فيما سيأتي بطريق الوعد من قوله تعالى لهم البشرى فتدبر **ذلك** اشارة الى ما ذكر من أن لهم البشرى في الدارين **هو الفوز العظيم** الذي لا فوز وراءه وفيه تفسير لما ابهم فيما سبق وهاتيك الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شأنه وليس من شرط ان يكون بعده كلام متصل بما قبله وهذه تذييل والسابقة اعتراض **ولا يحزنك قولهم** تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقاه من جهتهم من الأذية الناشئة من مقالاتهم الموحشة وتبشير له عليه السلام بأنه عز وجل ينصره ويعزه عليهم اثر بيان ان له ولأتباعه أمنا من كل محذور وفوزا بكل مطلوب وقرئ ولا يحزنك من أحزن وهو في الحقيقة نهي له عليه السلام عن الحزن كأنه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بتكذيبهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وسائر ما يتفوهون به في شأنك مما لا خير فيه وانما وجه النهي الى قولهم للمبالغة في نهيه عليه السلام عن الحزن لما أن النهي عن التأثير نهي عن التأثر بأصله ونفي له بالمرة وقد توجه الى اللازم والمراد هو النهي عن الملزوم كما في قولك لا أرينك ههنا وتخصيص النهي عن الحزن بالايراد مع شمول النفي السابق للخوف ايضا لما أنه لم يكن فيه عليه السلام شائبة خوف حتى ينهى عنه وربما كان يعتريه عليه السلام في بعض الأوقات نوع حزن فسلي عن ذلك وقوله تعالى **ان العزة** تعليل للنهي على طريقة الاستئناف أي الغلبة والقهر **لله جميعا** أي في ملكه وسلطانه لا يملك احد شيئا منها اصلا لا هم ولا غيرهم فهو يقهرهم ويعصمك منهم وينصرك عليهم وقد كان كذلك فهي من جملة البشارات العاجلة وقرئ بفتح ان على صريح التعليل أي لأن العزة لله **هو السميع العليم** يسمع ما يقولون في حقك ويعلم ما يعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك **ألا ان لله من في السموات ومن في الأرض** أي العقلاء من الملائكة والثقلين وتخصيصهم بالذكر للايذان بعدم الحاجة الى التصريح بغيرهم فانهم مع شرفهم وعلو طبقتهم اذا كانوا عبيدا له سبحانه مقهورين تحت قدرته وملكته فما عداهم من الموجودات اولى بذلك وهو مع ما فيه من التأكيد لما سبق من اختصاص العزة بالله تعالى الموجب لسلوته عليه السلام وعدم مبالاته بالمشركين وبمقالاتهم تمهيد لما لحق من قوله تعالى **وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء** وبرهان على بطلان ظنونهم واعمالهم المبنية عليها وما اما نافية وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف لظهوره أي ما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء في الحقيقة وان سموها شركاء فاقتصر على احدهما لظهور دلالته على الآخر ويجوز ان يكون المذكور مفعول يدعون ويكون مفعول يتبع محذوفا لانفهامه من قوله تعالى **ان يتبعون الا الظن** أي ما يتبعون يقينا انما يتبعون ظنهم الباطل واما موصولة معطوفة على من كأنه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أي وله شركاؤهم وتخصيصهم بالذكر مع دخولهم فيما سبق عبارة او دلالة للمبالغة في بيان بطلان اتباعهم وفساد ما بنوه عليه من ظنهم شركاءهم معبودين مع كونهم عبيدا له سبحانه واما استفهامية أي وأي شيء يتبعون أي لا يتبعون شيئا ما يتبعون الا الظن والخيال الباطل كقوله تعالى ما تعبدون الا اسماء سميتموها الى آخره وقرئ تدعون بالتاء فالاستفهام للتبكيت والتوبيخ كأنه قيل وأي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين تقريرا لكونهم متبعين لله تعالى مطيعين له وتوبيخا لهم على عدم اقتدائهم بهم في ذلك كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقيل ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبعه الملائكة والنبيون من الحق **وان هم الا يخرصون** يكذبون فيما ينسبونه اليه سبحانه ويحزرون ويقدرون انهم شركاء تقديرا باطلا **هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا** تنبيه على تفرده تعالى بالقدرة الكاملة والنعمة الشاملة ليدلهم على توحده سبحانه باستحقاق العبادة وتقرير لما سلف من كون جميع الموجودات الممكنة تحت قدرته وملكته المفصح عن اختصاص العزة به سبحانه والجعل ان كان بمعنى الابداع والخلق فمبصرا حال والا فلكم مفعوله الثاني او هو حال كما في الوجه الأول والمفعول الثاني لتسكنوا فيه او هو محذوف يدل عليه المفعول الثاني من الجملة الثانية كما ان العلة الغائية منها محذوفة اعتمادا على ما في الأولى والتقدير هو الذي جعل لكم الليل مظلما

مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتتحركوا فيه لمصالحكم كما سيجيء نظيره في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله الآية فحذف في كل واحد من الجانبين ما ذكر في الآخر اكتفاء بالمذكور عن المتروك واسناد الابصار الى النهار مجازي كالذي في نهاره صائم **ان في ذلك** أي في جعل كل منهما كما وصفا او فيهما وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه وعلو رتبته **لآيات** أي عجيبة كثيرة او آيات اخر غير ما ذكر **لقوم يسمعون** أي هذه الآيات المتلوة ونظائرها المنبهة على تلك الآيات التكوينية الآمرة بالتأمل فيها سماع تدبر واعتبار فيعملون بمقتضاها وتخصيص الآيات بهم مع انها منصوبة لمصلحة الكل لما انهم المنتفعون بها **قالوا** شروع في ذكر ضرب آخر من اباطيلهم وبيان بطلانه اتخذ الله ولدا أي تبناه **سبحانه** تنزيه وتقديس له عما نسبوا اليه وتعجيب من كلمتهم الحمقاء **هو الغني** على الاطلاق عن كل شيء في كل شيء وهو علة لتنزهه سبحانه وايذان بأن اتخاذ الولد من احكام الحاجة وقوله عز وجل **له ما في السموات وما في الأرض** أي من العقلاء وغيرهم تقرير لغناه وتحقيق لمالكيته تعالى لكل ما سواه وقوله تعالى **ان عندكم من سلطان** أي حجة **بهذا** أي بما ذكر من قولهم الباطل توضيح لبطلانه بتحقيق سلامة ما اقيم من البرهان الساطع عن المعارض فمن في من سلطان زائدة لتأكيد النفي وهو مبتدأ والظرف المقدم خبره او مرتفع على انه فاعل للظرف لاعتماده على النفي وبهذا متعلق اما بسلطان لأنه بمعنى الحجة والبرهان واما بمحذوف وقع صفة له واما بما في عندكم من معنى الاستقرار كأنه قيل ان عندكم في هذا القول من سلطان والالتفات الى الخطاب لمزيد المبالغة في الالزام والافحام وتأكيد ما في قوله تعالى **أتقولون على الله ما لا تعلمون** من التوبيخ والتقريع على جهلهم واختلاقهم وفيه تنبيه على ان كل مقالة لا دليل عليها فهي جهالة وان العقائد لا بد لها من برهان قطعي وان التقليد بمعزل من الاعتداد به **قل** تلوين للخطاب وتوجيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبين لهم سوء مغبتهم ووخامة عاقبتهم **ان الذين يفترون على الله الكذب** أي في كل امر فيدخل فيه ما نحن بصدده من الافتراء بنسبة الولد والشريك اليه سبحانه دخولا أوليا **لا يفلحون** أي لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب اصلا وتخصيص عدم النجاة والفوز بما يندرج في ذلك من عدم النجاة من النار وعدم الفوز بالجنة لا يناسبه مقام المبالغة في الزجر عن الافتراء عليه سبحانه **متاع في الدنيا** كلام مستأنف سيق لبيان ان ما يترائى فيهم بحسب الظاهر من نيل المطالب والفوز بالحظوظ الدنيوية على الاطلاق او في ضمن افترائهم بمعزل من ان يكون من جنس الفلاح كأنه قيل كيف لا يفلحون وهم في غبطة ونعيم فقيل هو متاع يسير في الدنيا وليس بفوز بالمطلوب ثم اشير الى انتفاء النجاة عن المكروه ايضا بقوله عز وجل **ثم الينا مرجعهم** أي بالموت **ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون** فيبقون في الشقاء المؤبد بسبب كفرهم المستمر او بكفرهم في الدنيا فأين هم من الفلاح وقيل المبتدأ المحذوف حياتهم او تقلبهم وقد قيل انه افتراؤهم ولا يخفى ان المتاع انما يطلق على ما يكون مطبوعا عند النفس مرغوبا فيه في نفسه يتمتع وينتفع به وانما عدم الاعتداد به لسرعة زواله ونفس الافتراء عليه سبحانه اقبح القبائح عند النفس فضلا عن ان يكون مطبوعا عندها وعده ذلك باعتبار اجراء حكم ما يؤدي اليه من رياستهم عليه مما لا وجه له فالوجه ما ذكر اولا وليس ببعيد ما قيل ان المحذوف هو الجزاء أي لهم متاع والآية اما مسوقة من جهة الله سبحانه لتحقيق عدم افلاحهم غير داخلة في الكلام المأمور به كما يقتضيه ظاهر قوله تعالى ثم الينا مرجعهم وقوله تعالى ثم نذيقهم واما داخلة فيه على ان النبي صلى الله عليه وسلم مأمور بنقله وحكايته عنه عز وجل **واتل عليهم** أي على المشركين من اهل مكة وغيرهم لتحقيق ما سبق من انهم لا يفلحون وان ما يتمتعون به على جناح الفوات وانهم مشرفون على العذاب الخالد **نبأ نوح** أي خبره الذي له شأن وخطر مع قومه الذين هم اضراب قومك في الكفر والعناد ليتدبروا ما فيه من زوال ما تمتعوا به من النعيم وحلول عذاب الغرق الموصول بالعذاب المقيم لينزجروا بذلك عما هم عليه من الكفر او تنكسر شدة شكيمتهم او يعترف بعضهم بصحة نبوتك بأن عرفوا ان ما تتلوه موافقا لما ثبت عندهم من غير مخالفة بينهما اصلا مع علمهم بأنك لم تسمع ذلك من احد ليس الا بطريق الوحي وفيه من تقرير ما سبق من كون الكل لله سبحانه واختصاص العزة به تعالى وانتفاء الخوف والحزن من اوليائه عز وعلا قاطبة وتشجيع النبي صلى الله عليه وسلم وحمله على عدم المبالاة بهم وبأقوالهم وافعالهم ما لا يخفى **اذ قال** معمول لنبأ او بدل منه بدل الاشتمال واياما كان فالمراد بعض نبائه عليه السلام لا كل ما جرى بينه وبين قومه واللام في قوله تعالى **لقومه** للتبليغ **يا قوم ان كان كبر** أي عظم وشق **عليكم مقامي** أي نفسي كما يقال فعلته لمكان فلان أي لفلان ومنه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه أي خاف ربه او قيامي ومكثي بين ظهرانيكم مدة طويلة او قيامي **وتذكيري بآيات الله** فانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة يقومون على ارجلهم والجماعة قعود ليظهر حالهم وسمع مقالهم **فعلى الله توكلت** جواب للشرط أي دمت على تخصيص التوكل به تعالى ويجوز ان يراد به احداث مرتبة مخصوصة من مراتب التوكل **فأجمعوا امركم** عطف على الجواب والفاء لترتيب الأمر بالاجماع على التوكل لا لترتيب نفس الاجماع عليه او هو الجواب وما سبق جملة اعتراضية والاجماع العزم قيل هو متعد بنفسه وقيل فيه حذف وايصال قال السدوسي اجمعت الأمر افصح من اجمعت عليه وقال ابو الهيثم اجمع امره جعله مجموعا بعد ما كان متفرقا وتفرقه انه

يقول مرة افعل كذا واخرى افعل كذا واذا عزم على امر واحد فقد جمعه اي جعله جميعا وشركاءكم بالنصب على ان الواو بمعنى مع كما يدل عليه القراءة بالرفع عطفا على
الضمير المتصل تنزيلا للفصل منزلة التاكيد واسناد الاجماع الى الشركاء على طريقة التهكم وقيل انه عطف على امركم بحذف المضاف اي امر شركائكم وقيل
منصوب بفعل محذوف اي وادعوا شركاءكم وقد قرئ كذلك وقرئ فاجمعوا من الجمع اي فاعزموا على امركم الذي تريدون من السعي في اهلاكي
واحتشدوا فيه على اي وجه يمكنكم ثم لا يكن امركم ذلك عليكم غمة اي مستورا من غمه اذا ستره بل مكشوفا مشهورا تجاهرونني به فان الستر
انما يصار اليه لسد باب تدارك الخلاص بالهرب او نحوه بحيث استحال ذلك في حقي لم يكن للستر وجه وانما خاطبهم عليه السلام بذلك اظهارا لعدم المبالاة
بهم وانهم لن يجدوا اليه سبيلا وثقة بالله سبحانه وبما وعده من عصمته وكلاءته فكلمة ثم للتراخي في الرتبة واظهار الامر في موقع الاضمار لزيادة
تقرير تقتضيها مقام الامر بالاظهار الذي يستلزمه النهي عن الستر والاسرار وقيل المراد بامرهم ما يعتريهم من جهته عليه السلام من الحال الشديدة
عليهم المكروهة لديهم والغمة الغم كالكربة والكرب وثم للتراخي الزماني والمعنى لا يكن حالكم عليكم غمة وتخلصوا باهلاكي من ثقل مقامي وتذكيري
ولا يخفى انه لا يساعده قوله عز وجل ثم اقضوا الي ولا تنظرون اي ادوا الي اي احكموا ذلك الامر الذي تريدون بي ولا تمهلوني كقوله تعالى
وقضينا اليه ذلك الامر او ادوا الي ما هو حق عليكم عندكم من اهلاكي كما يقضي الرجل غريمه فان توسيط ما يحصل بعد الاهلاك بين الامر بالعزم على
مباديه وبين الامر بقضائه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه وقرئ افضوا بالفاء اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضاء
فان توليتم الفاء لترتيب التولي على ما سبق فالمراد به اما الاستمرار عليه واما احداث التولي المخصوص اي ان اعرضتم عن نصيحتي وتذكيري اثر ما
شاهدتم مني مخايل صحة ما اقول ودلائلها التي من جملتها دعوتي اياكم جميعا الى تحقيق ما تريدون بي من السوء غير مبال بكم وبما يأتي منكم
واحجامكم عن الاجابة علما منكم باني على الحق المبين مؤيد من عند الله العزيز فما سألتكم بمقابلة وعظي وتذكيري من اجر تؤدونه الي حتى يؤدي ذلك
الى توليكم اما لاتهامكم اياي بالطمع والسؤال واما لثقل دفع المسؤول عليكم او حتى يضرني توليكم المؤدي الى الحرمان فالاول لاظهار بطلان
التولي ببيان عدم ما يصححه والثاني لاظهار عدم مبالاته عليه السلام بوجوده وعدمه وعلى التقديرين فالفاء الجزائية لسببية الشرط للاعلام
مضمون الجزاء لا لنفسه والمعنى ان توليتم فاعلموا ان ليس في مصحح له ولا انا متضرر منه وقوله عز وجل ان اجري الا على الله ينتظم المعنيين جميعا خلا انه على
الاول تاكيد وعلى الثاني تعليل لاستغنائه عليه السلام عنهم اي ما ثوابي على العظة والتذكير الا عليه تعالى يثيبني به آمنتم او توليتم وامرت ان اكون
من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره او المستسلمين لكل ما يصيبني من البلاء في طاعة الله تعالى فكذبوه فاصروا على ما هم عليه من التكذيب
بعد ما الزمهم الحجة وبين لهم المحجة وحقق ان توليهم ليس له سبب غير التمرد والعناد فلا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه ومن معه في الفلك من المسلمين
وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا اي بالطوفان وتأخير ذكره عن ذكر الانجاء والاستخلاف حسبما وقع
في قوله عز وعلا ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة وغير ذلك من الآيات الكريمة لاظهار
كمال العناية بشأن المقدم وتعجيل المسرة للسامعين وللايذان بسبق الرحمة التي هي من مقتضيات الربوبية على الغضب الذي هو من مستتبعات
جرائم المجرمين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تهويل لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب بالرسول صلى الله عليه وسلم وتسلية له عليه السلام ثم بعثنا اي ارسلنا
من بعده اي من بعد نوح عليه السلام رسلا التنكير للتفخيم ذاتا ووصفا اي رسلا كراما ذوي عدد كثير الى قومهم اي الى اقوامهم لكن لا بان ارسلنا كل رسول
منهم الى اقوام الكل او الى قوم ما اي قوم كانوا بل كل رسول منهم الى قومه خاصة مثل هود الى عاد وصالح الى ثمود وغير ذلك ممن قص منهم
ومن لم يقصص فجاؤهم اي جاء كل رسول قومه المخصوصين به بالبينات اي بالمعجزات الواضحة الدالة على صدق ما قالوا والباء اما متعلقة بالفعل
المذكور على انها للتعدية او بمحذوف وقع حالا من ضمير جاؤا اي ملتبسين بالبينات لكن لا بان يأتي كل رسول ببينة واحدة بل ببينات كثيرة
خاصة به معينة له حسب اقتضاء الحكمة فان مراعاة انقسام الآحاد الى الآحاد انما هي فيما بين ضميري جاؤهم كما اشير اليه فما كانوا ليؤمنوا بيان
لاستمرار عدم ايمانهم في الزمان الماضي لا لعدم استمرار ايمانهم كما مر مثله في هذه السورة الكريمة غير مرة اي فما صح وما استقام لقوم من اولئك الاقوام
في وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم لشدة شكيمتهم في الكفر والعناد ثم ان كان المحكي آخر حال كل قوم حسبما يدل عليه
حكاية قوم نوح فالمراد بعدم ايمانهم المذكور ههنا اصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتي وبما اشير اليه في قوله عز وجل بما كذبوا به من قبل تكذيبهم
من حين مجيء الرسل الى زمان الاصرار والعناد وانما لم يجعل ذلك مقصودا بالذات كالاول حيث جعل صلة للموصول ايذانا بانه بين بنفسه غني

عن البيان وانما المحتاج الى ذلك عدم ايمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من اصحاب
العقول والموصول الذي تعلق به الايمان والتكذيب سلبا وايجابا عبارة عن جميع الشرائع التي جاء بها كل رسول اصولها وفروعها وان كان المحكي
جميع احوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر اولا كفرهم المستمر من حين مجيء الرسل الى آخره وبما اشير اليه آخرا تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من كون الموصول
المذكور عبارة عن اصول الشرائع التي اجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا اممهم اليها اثر ذي اثير لاستحالة تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد ولوازمها
ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم انهم ما كانوا في زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط بل كان كل قوم من اولئك الاقوام يتسامعون
بها من بقايا من قبلهم كثمود من بقايا عاد وعاد من بقايا قوم نوح عليه السلام فيكذبونها ثم كانت حالتهم بعد مجيء الرسل كحالتهم قبل ذلك
كأن لم يبعث اليهم احد وتخصيص التكذيب وعدم الايمان بما ذكر من الاصول لظهور حال الباقي بدلالة النص فانهم حين لم يؤمنوا بما اجمعت عليه
كافة الرسل فلأن لا يؤمنوا بما تفرد به بعضهم اولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصودا بالذات لما ان ما عليه يدور امر العذاب والعقاب عند حتما
التكذيب هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم
في الكفر والتكذيب وعلى التقديرين فالضمائر الثلاثة متوافقة في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع الى قوم نوح عليه السلام والمعنى فما كان
قوم الرسل ليؤمنوا بما كذب به قوم نوح ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل الباء للسببية اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة
الرسل ولا يخفى ان ذلك يؤدي الى مخالفة الجمهور من جعل ما المصدرية من قبيل الاسماء كما هو رأي الاخفش وابن السراج ليرجع اليها الضمير وفي
ارجاعه الى الحق بادعاء كونه مركوزا في الاذهان ما لا يخفى من التعسف كذلك اي مثل ذلك الطبع المحكم نطبع بنون العظمة وقرئ بالياء على ان
الضمير لله سبحانه وتعالى على قلوب المعتدين المتجاوزين عن الحدود المعهودة في الكفر والعناد المتجافين عن قبول الحق وسلوك طريق الرشاد
وذلك بخذلانهم وتخليتهم وشأنهم لانهماكهم في الغي والضلال وفي امثال هذا دلالة على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد ثم بعثنا
عطف على قوله تعالى ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم عطف قصة على قصة من بعدهم اي من بعد اولئك الرسل عليهم السلام موسى وهارون خصهما
بعثتهما عليهما السلام بالذكر ولم يكتف باندراج خبرهما فيما اشير اليه اشارة اجمالية من اخبار الرسل عليهم السلام مع اقوامهم واوثر في ذلك ضرب
تفصيل ايذانا بخطر شأن القصة وعظم وقعها كما في نبأ نوح عليه السلام الى فرعون وملائه اي اشراف قومه وتخصيصهم بالذكر لاصالتهم في اقامة المصالح
والمهمات ومراجعة الكل اليهم في النوازل والملمات بآياتنا اي ملتبسين بها وهي الآيات المفصلات في الاعراف فاستكبروا الاستكبار ادعاء
الكبر من غير استحقاق والفاء فصيحة اي فأتياهم فبلغاهم الرسالة فاستكبروا عن اتباعهما وذلك قول اللعين لموسى عليه السلام الم نربك فينا وليدا
ولبثت فينا من عمرك سنين الى آخره وكانوا قوما مجرمين اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي كانوا معتادين لارتكاب الذنوب العظام فان الاجرام مؤذن
بعظم الذنب ومنه الجرم اي الجثة فلذلك اجترؤا على ما اجترؤا عليه من الاستهانة برسالة الله عز وجل وحمل الاستكبار على الامتناع عن قبول الآيات
لا يساعده قوله عز وعلا فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر فانه صريح في ان المراد باستكبارهم ما وقع منهم قبل مجيء الحق الذي سموه
سحرا اعني العصا واليد البيضاء كما ينبئ عنه سياق النظم الكريم وذلك اول ما اظهره عليه السلام من الآيات العظام والفاء فيه ايضا فصيحة معربة عما
صرح به في مواضع اخر كأنه قيل قال موسى قد جئتكم ببينة من ربكم الى قوله تعالى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين
فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه قالوا من فرط عتوهم وعنادهم ان هذا لسحر مبين اي ظاهر كونه سحرا او فائق في بابه واضح فيما بين اضرابه
وقرئ لساحر قال موسى استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الاذهان كأنه قيل فماذا قال لهم موسى حينئذ فقيل قال على طريقة الاستفهام الانكاري
التوبيخي اتقولون للحق الذي هو ابعد شيء من السحر الذي هو الباطل البحت لما جاءكم اي حين مجيئه اياكم ووقوفكم عليه او من اول الامر من غير
تأمل وتدبر وكلا الحالين مما ينافي القول المذكور والمقول محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه وايذانا بانه مما لا ينبغي ان يتفوه به ولو على
نهج الحكاية اي اتقولون له ما تقولون من انه سحر يعني به انه مما لا يمكن ان يقوله قائل ويتكلم به متكلم او القول بمعنى العيب والطعن من قولهم فلان
يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونظيره الذكر في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم الى آخره فيستغنى عن المفعول اي اتعيبونه
وتطعنون فيه وعلى الوجهين فقوله عز وجل اسحر هذا انكار مستأنف من جهته عليه السلام لكونه سحرا وتكذيب لقولهم وتوبيخ لهم على ذلك اثر
توبيخ وتجهيل بعد تجهيل اما على الاول فظاهر واما على الثاني فوجه ايثار انكار كونه سحرا على انكار كونه معيبا بان يقال مثلا افيه عيب حسبما يقتضيه

ظاهر الانكارات بني التقريع بالرد عليهم في خصوصية ما عابوه به بعد التنبيه بالانكارات بني عليه ان ليس فيه شائبة عيب اصلا وما في هذا من معنى القرب لزيادة
تعيين المشار اليه واستحضار ما فيه من الصفات الدالة على كونه آية باهرة من آيات الله المنادية على امتناع كونه سحرا اي اسحر هذا الذي امره واضح مكشوف
وشأنه مشاهد معروف بحيث لا يرتاب فيه احد ممن له عين مبصرة وتقديم الخبر للايذان بانه مصب الانكار ولما استلزم كونه سحرا كون من اتى به ساحرا
اكد الانكارات بقوله وما فيه من التوبيخ والتجهيل بقوله عز وجل **ولا يفلح الساحرون** وهو جملة حالية من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو بلا ضمير كما في قول
من قال جاء الشتاء ولست املك عدة وقولك جاء زيد ولم تطلع الشمس اي اتقولون للحق انه سحر والحال انه لا يفلح فاعله اي لا يظفر بمطلوب ولا ينجو من مكروه
فكيف يمكن صدوره ممن هو من المؤيدين من عند الله العزيز الحكيم الفائزين بكل مطلب الناجين عن كل محذور وقوله تعالى اسحر هذا جملة معترضة بين الحال
وصاحبها اكد بها الانكارات بقوله ببيان استحالة كونه سحرا بالنظر الى ذاته قبل بيان استحالته بالنظر الى صدوره عنه عليه السلام هذا واما
تجويز ان يكون الكل مقول القول على ان المعنى اجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون فمما لا يساعده النظم الكريم اصلا اما اولا
فلأن زعمهم انما هو الحكم بانه سحر من غير ان يكون فيه دلالة على ما تعسف فيه من المعنى بوجه من الوجوه فصرف جوابه عليه السلام عن صريح ما خاطبوه
الى ما لا يفهم منه اصلا مما يجب تنزيه النظم التنزيلي عن الحمل على امثاله واما ثانيا فلأن التعرض لعدم افلاح السحرة على الاطلاق من وظائف
من يتمسك بالحق المبين دون الكفرة المتشبثين بأذيال بعض منهم في معارضته عليه السلام ولو كان ذلك من كلامهم لناسب تخصيص عدم الافلاح
بمن زعموه ساحرا بناء على غلبة من يأتون به من السحرة واما ثالثا فلأن قوله عز وجل **قالوا اجئتنا** الى آخره مسوق لبيان انه عليه السلام القمهم
الحجر فانقطعوا عن الاتيان بكلام له تعلق بكلامه عليه السلام فضلا عن الجواب الصحيح واضطروا الى التشبث بذيل التقليد الذي هو دأب كل
عاجز محجوج وديدن كل معاند لجوج على انه استيناف وقع جوابا عما قبله من كلامه عليه السلام على طريقة قوله تعالى قال موسى الى آخره حسبما اشير اليه
كأنه قيل فماذا قالوا لموسى عليه السلام عندما قال لهم ما قال فقيل قالوا عاجزين عن المحاجة اجئتنا **لتلفتنا** اي لتصرفنا فان الفتل واللفت اخوان
عما وجدنا عليه آباءنا اي من عبادة الاصنام ولا ريب في ان ذلك انما يتسنى بكون ما ذكر من تتمة كلامه عليه السلام على الوجه الذي شرح اذ على تقدير كونه
محكيا من قبلهم يكون جوابه عليه السلام خاليا عن التبكيت الملجئ لهم الى العدول عن سنن المحاجة ولا ريب في انه لا علاقة بين قولهم اجئتنا الى آخره
وبين انكاره عليه السلام لما حكي عنهم مصححة لكونه جوابا عنه **وتكون لكما الكبرياء** اي الملك والتكبر على الناس باستتباعهم وقرئ ويكون بالياء التحتانية
وكلمة في في قوله تعالى **في الارض** اي ارض مصر متعلقة بتكون او بالكبرياء او بالاستقرار في لكما لوقوعه خبرا او بمحذوف وقع حالا من الكبرياء او من الضمير
في لكما لتحمله اياه **وما نحن لكما بمؤمنين** اي بمصدقين فيما جئتما به وتثنية الضمير في هذين الموضعين بعد افراده فيما تقدم من المقامين باعتبار
شمول الكبرياء لهما عليهما السلام واستلزام التصديق لاحدهما التصديق للآخر واما اللفت والمجيء له فحيث كانا من خصائص صاحب الشريعة
اسند الى موسى عليه السلام خاصة **وقال فرعون** توحيد الفعل لان الامر من وظائف فرعون اي قال لملائه يأمرهم بترتيب مبادي الزامهما عليهما السلام
بالفعل بعد اليأس عن الزامهما بالقول **ائتوني بكل ساحر عليم** بفنون السحر حاذق ماهر فيه وقرئ سحار **فلما جاء السحرة** عطف على مقدر يستدعيه
المقام قد حذف ايذانا بسرعة امتثالهم بامر فرعون كما هو شأن الفاء الفصيحة في كل مقام اي فأتوا به فلما جاؤا **قال لهم موسى** لكن لا في ابتداء
مجيئهم بل بعد ما قالوا له عليه السلام ما حكي عنهم في السور الأخر من قولهم اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ونحو ذلك **القوا ما انتم ملقون** اي
ملقون له كائنا ما كان من اصناف السحر **فلما القوا** ما القوا من العصي والحبال واسترهبوا الناس وجاؤا بسحر عظيم **قال لهم موسى** غير مكترث بهم وبما صنعوا
ما جئتم به السحر ما موصولة وقعت مبتدأ والسحر خبره اي هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه من آيات الله سبحانه او هو من جنس السحر يريهم ان حاله بين
لا يعبأ به كأنه قال ما جئتم به مما لا ينبغي ان يجاء به وقرئ آلسحر على الاستفهام فما استفهامية اي اي شيء جئتم به اهو السحر الذي يعرف حاله كل
احد ولا يتصدى له عاقل وقرئ ما جئتم به سحر وقرئ ما اتيتم به سحر ودلالتهما على المعنى الثاني في القراءة المشهورة اظهر **ان الله سيبطله** اي سيمحقه
بالكلية بما يظهره على يدي من المعجزة فلا يبقى له اثر اصلا او سيظهر بطلانه للناس والسين للتأكيد **ان الله لا يصلح عمل المفسدين** اي عمل جنس المفسدين
على الاطلاق فيدخل فيه السحرة دخولا اوليا او عملكم فيكون من باب وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالافساد والاشعار بعلة الحكم وليس المراد بعدم
اصلاح عملهم عدم جعل فساده صلاحا بل عدم اثباته وتمامه اي لا يثبته ولا يكمله ولا يديمه بل يمحقه ويهلكه ويسلط عليه الدمار والجملة تعليل لما
سبق من قوله ان الله سيبطله والكل اعتراض تذييلي وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له **ويحق الله الحق** عطف على قوله تعالى سيبطله

اي يثبته ويقويه واظهار الاسم الجليل في المقامين لالقاء الروعة وتربية المهابة **بكلماته** باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته **ولو كره المجرمون**
ذلك والمراد بهم كل من اتصف بالاجرام من السحرة وغيرهم **فما آمن لموسى** معطوف على مقدر قد فصل في مواقع اخرى اي فالقى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون
الى آخره وانما لم يذكر تعويلا على ذلك وايثارا للايجاز وايذانا بان قوله تعالى ان الله سيبطله مما لا يحتمل الخلف اصلا وعطفه على ذلك بالفاء مع كونه
عدم ما استمر من قبيل ما في قوله عز وجل فاتبعوا امر فرعون وما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر والسر في ذلك ان الاتيان بالشيء بعد ورود ما
يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث اي فما آمن له عليه السلام بمشاهدة تلك الآيات القاهرة **الا**
ذرية من قومه اي الا اولاد قومه بني اسرائيل حيث دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة
من شبانهم آمنوا به عليه السلام او مؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وامرأته وماشطته وهو بعيد **على خوف** اي كائنين على خوف عظيم **من فرعون**
وملائهم الضمير لفرعون والجمع لما هو المعتاد في ضمائر العظماء ولا يأباه مقام بيان علوه في الفساد وغلوه في الشر والتسلط على العباد
او لان المراد به آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم اي على خوف من فرعون ومن اشراف بني اسرائيل حيث كانوا يمنعون اعقابهم خوفا
من فرعون عليهم وعلى انفسهم **ان يفتنهم** اي يعذبهم وهو بدل الاشتمال او مفعول خوف فان اعمال المصدر المنكر كثير كما في قوله تعالى او اطعام في يوم ذي
مسغبة يتيما او مفعول له بعد حذف اللام واسناد الفعل الى فرعون خاصة لانه الآمر بالتعذيب **وان فرعون لعال في الارض** لغالب في ارض مصر
وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد بالقتل وسفك الدماء او في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء والجملتان اعتراض
تذييلي مؤكد لمضمون ما سبق **وقال موسى** لما رأى تخوف المؤمنين منه **يا قوم ان كنتم آمنتم بالله** اي صدقتم به وبآياته **فعليه توكلوا** وبه ثقوا ولا
تخافوا احدا غيره فانه كافيكم كل شر وضير **ان كنتم مسلمين** مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان
وجوب التوكل عليه تعالى فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام وجوده فانه لا يتحقق مع التخليط ونظيره ان احسن اليك زيد فاحسن اليه ان
قدرت عليه **فقالوا** مجيبين له عليه السلام من غير تلعثم في ذلك **على الله توكلنا** لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ثم دعوا ربهم قائلين **ربنا لا تجعلنا**
فتنة اي موقع فتنة **للقوم الظالمين** اي لا تسلطهم علينا حتى يعذبونا او يفتنونا عن ديننا او يفتتنوا بنا ويقولوا لو كان هؤلاء على الحق
لما اصيبوا وقوله تعالى **ونجنا برحمتك من القوم الكافرين** دعاء منهم بالانجاء من سوء جوارهم وشؤم مصاحبتهم بعد الانجاء من ظلمهم ولذلك
عبر عنهم بالكفر بعد ما وصفوا بالظلم وفي ترتيب الدعاء على التوكل تلويح بان الداعي حقه ان يبني دعاءه على التوكل على الله تعالى **واوحينا**
الى موسى واخيه ان تبوآ ان مفسرة لان في الوحي معنى القول اي اتخذا مباءة **لقومكما بمصر بيوتا** تسكنون فيها وترجعون اليها للعبادة **واجعلوا**
انتما وقومكما **بيوتكم** تلك **قبلة** مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة فان موسى عليه السلام كان يصلي اليها **واقيموا الصلوة** اي فيها امروا
بذلك في اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم **وبشر المؤمنين** بالنصرة في الدنيا اجابة لدعوتهم والجنة في العقبى وانما
ثني الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتولاه رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة فيها مما
يفعله كل احد ثم وحد لان بشارة الامة وظيفة صاحب الشريعة ووضع المؤمنين موضع ضمير القوم لمدحهم بالايمان وللاشعار بانه المدار في التبشير
وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة اي ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوها **واموالا** وانواعا كثيرة من المال **في الحيوة الدنيا ربنا**
ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم بممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت وللعلة
لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها ذريعة الى الضلال فكأنهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تأكيدا
او تنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله تعالى **ربنا اطمس على اموالهم** الطمس المحق وقرئ بضم الميم اي اهلكها **واشدد على قلوبهم** اي اجعلها
قاسية واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان كما هو قضية شأنهم **فلا يؤمنوا** جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض
حتى يروا العذاب الاليم اي يعاينوه ويوقنوا به بحيث لا ينفعهم ذلك اذ ذاك **قال قد اجيبت دعوتكما** يعني موسى وهرون عليهما السلام لانه كان يؤمن كما
يشعر به اضافة الرب الى ضمير المتكلم مع الغير في المواقع الثلاثة **فاستقيما** فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتماه كائن
في وقته لا محالة روي انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة **ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون** اي بعادة الله سبحانه في تعليق الامور بالحكم والمصالح او سبيل
الجهلة في الاستعجال او عدم الوثوق بوعد الله سبحانه وتعالى وقرئ بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان ايضا **وجاوزنا**

ببني اسرائيل البحر هو من جاوز المكان اذا تخطاه وخلفه والباء للتعدية اي جعلناهم مجاوزين البحر بان جعلناه يبسا وحفظناهم حتى بلغوا الشط وقرئ جوزنا وهو
من التجويز المرادف للمجاوزة لا مما هو بمعنى التنفيذ نحو ما وقع في قول الاعشى كما جوز السكي في الباب فيتق والا لقيل وجوزنا بني اسرائيل في البحر وخلا
النظم الكريم عن الايذان بانفصالهم عن البحر وبمقارنة العناية الالهية لهم عند الجواز كما هو المشهور في الفرق بين اذهبه وذهب به فاتبعهم يقال تبعته حتى
اتبعته اذا كان سبقك فلحقته اي ادركهم ولحقهم فرعون وجنوده حتى تراءت الفئتان وكان يجمع جمعا بغيا وعدوا ظلما واعتداء اي باغين وعادين او للبغي
والعدو وقرئ وعدوا وذلك ان موسى عليه السلام خرج ببني اسرائيل على حين غفلة من فرعون فلما سمع به تبعهم حتى لحقهم ووصل الى الساحل وهم قد خرجوا من
البحر ومسلكهم باق على حاله يبسا فسلكه بجنوده اجمعين فلما دخل آخرهم وهم اولهم بالخروج غشيهم من اليم ما غشيهم حتى اذا ادركه الغرق اي لحقه والجمه قال
آمنت انه اي بانه والضمير للشأن وقرئ انه على الاستئناف بدلا من آمنت وتفسيرا له لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل لم يقل كما قالت السحرة آمنا برب العالمين
رب موسى وهرون بل عبر عنه تعالى بالموصول وجعل صلته ايمان بني اسرائيل به تعالى للاشعار برجوعه عن الاستعصاء وباتباعه لمن كان يستتبعهم طمعا في القبول والانتظام
معهم في سلك النجاة وانا من المسلمين اي الذين اسلموا انفسهم لله اي جعلوها سالمة خالصة له تعالى واراد بهم اما بني اسرائيل خاصة واما الجنس وهم داخلون فيه
دخولا اوليا والجملة على الاول عطف على آمنت وايثار الاسمية لادعاء الدوام والاستمرار وعلى الثاني تحتمل الحالية ايضا من ضمير المتكلم اي آمنت مخلصا لله منتظما في
سلك الراسخين فيه ولقد كرر المعنى الواحد بثلاث عبارات حرصا على القبول المفضي الى النجاة وهيهات هيهات بعد ما فات ما فات واتى بما هو آت وقوله عز
وجل آلآن مفعول لقول مقدر معطوف على قال اي فقيل آلآن وهو الى قوله تعالى آية حكاية لما جرى فيه سبحانه من الغضب على المخذول ومقابلة ما اظهره بالرد عليه
وجه الانكار التوبيخي على تأخيره وتقريعه بالعصيان والافساد وغير ذلك وفي حذف الفعل المذكور وايراد الخبر المحكي في صورة الانشاء من الدلالة على
عظم السخط وشدة الغضب ما لا يخفى كما يفصح عنه ما روي من ان جبريل عليه السلام دس فاه عند ذلك بحال البحر وسده به فانه تأكيد للرد القولي بالرد
الفعلي ولا ينافيه تعليله بمخافة ادراك الرحمة فيما نقل انه عليه السلام قال للنبي عليه الصلوة والسلام فلو رأيتني يا محمد وانا آخذ من حال البحر فادسه في فيه
مخافة ان تدركه الرحمة اذ المراد بها الرحمة الدنيوية اي النجاة التي هي طلبة المخذول وليس من ضرورة ادراكها صحة الايمان كما في ايمان قوم يونس عليه السلام
حتى يلزم من كراهته ما لا يتصور في شأن جبريل عليه السلام من الرضا بالكفر اذ لا استحالة في ترتب هذه الرحمة على مجرد التفوه بكلمة الايمان وان كان
ذلك في حالة البأس واليأس فيحمل دسه عليه السلام على سد باب الاحتمال البعيد لكمال الغيظ وشدة الحرد فتدبر والله الموفق وحق العامل في
الظرف ان يقدر مؤخرا ليتوجه الانكار والتوبيخ الى تأخير الايمان الى حد يمتنع قبوله فيه اي آلآن تؤمن حين يئست من الحيوة وايقنت بالممات وقوله
عز وعلا وقد عصيت قبل حال من فاعل الفعل المقدر جيء به لتشديد التوبيخ والتقريع على تأخير الايمان الى هذا الآن ببيان انه لم يكن تأخيره لعدم
بلوغ الدعوة اليه ولا للتأمل والتدبر في دلائله وآياته ولا لشيء آخر مما عسى يعد عذرا في التأخير بل كان ذلك على طريقة الرد والاستعصاء
والافساد فان قوله تعالى وكنت من المفسدين عطف على عصيت داخل في حيز الحال اي وكنت من الغالين في الضلال والاضلال عن الايمان كقوله تعالى الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فهذا عبارة عن فساده الراجع الى نفسه والساري الى غيره من الظلم
والتعدي وصد بني اسرائيل عن الايمان والاول عن عصيانه الخاص به فاليوم ننجيك اي نخرجك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا وفي التعبير
عنه بالتنجية تلويح بان مراده بالايمان هو النجاة كما مر وتهكم به او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنو اسرائيل وقرئ ننجيك من الانجاء وننحيك
بالحاء من التنحية اي نلقيك بناحية الساحل ببدنك في موضع الحال من ضمير المخاطب اي ننجيك ملابسا ببدنك فقط لا مع روحك كما هو مطلوبك فهو
تخييب له وحسم لاطماعه بالمرة او عاريا عن اللباس او كاملا سويا او بدرعك وكانت له درع من الذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اي باجزاء
بدنك كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كأنه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم من
عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى روي انهم لم يصدقوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل او لتكون
لمن يأتي بعدك من الامم اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا من الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان وان بلغ الغاية القصوى من عظم الشأن
وعلو الكبرياء وقوة السلطان فهو مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلفك فعلا ماضيا اي لمن خلفك من الجبابرة وقرئ لمن خلقك
بالقاف اي لتكون لخالقك آية كسائر الآيات فان افراده تعالى اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه قصد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة في
امرك وبرهان نير على كمال علمه وقدرته وحكمته وارادته وهذا الوجه محتمل على القراءة المشهور ايضا وفي تعليل تنجيته بما ذكر ايذان بانها ليست لاعزازه

او لفائدة اخرى عائدة اليه بل لكمال الاستهانة به وتفضيحه على رؤس الاشهاد وزيادة تفظيع حاله كمن يقتل ثم تجر جثته في الاسواق او يدار برأسه
في البلاد واللام الاولى متعلقة بننجيك والثانية بمحذوف وقع حالا من آية اي كائنة لمن خلفك وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا
يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وهو اعتراض تذييلي جيء به عند الحكاية تقريرا لفحوى الكلام المحكي ولقد بوأنا بني اسرائيل كلام مستأنف سيق
لبيان النعم الفائضة عليهم اثر نعمة الانجاء على وجه الاجمال واخلالهم بشكرها واداء حقوقها اي اسكناهم وانزلناهم بعد ما انجيناهم واهلكنا اعداءهم
مبوأ صدق اي منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ملكوها بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها حسبما نطق به قوله تعالى واورثنا القوم الذين
كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها ورزقناهم من الطيبات اي اللذائذ فما اختلفوا في امور دينهم حتى جاءهم الحق اي الا
بعد ما جاءهم العلم بقراءتهم التورية وعلمهم باحكامها او في امر محمد عليه السلام الا من بعد ما علموا صدق نبوته وتظاهر معجزاته فالمراد بالمختلفين
الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز بين المحق والمبطل بالاثابة والتعذيب فان
كنت في شك اي في شك ما يسير على الفرض والتقدير فان مضمون الشرطية انما هو تعليق شيء بشيء من غير تعرض لامكان شيء منهما كيف لا وقد يكون
كلاهما ممتنعا كقوله عز وجل قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك ونظائرهما مما انزلنا اليك من القصص التي
من جملتها قصة فرعون وقومه واخبار بني اسرائيل فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك فان ذلك محقق عندهم ثابت في كتبهم حسبما القيناه اليك
والمراد اظهار نبوته عليه السلام بشهادة الاحبار حسبما هو المسطور في كتبهم وان لم يكن اليه حاجة اصلا او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم
بصحة نبوته عليه السلام او تهييجه عليه السلام وزيادة تثبيته على ما هو عليه من اليقين لا تجويز صدور الشك منه عليه السلام ولذلك قال عليه السلام
لا اشك ولا اسأل وقيل المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وتميم الداري وكعب واضرابهم وقيل الخطاب للنبي عليه السلام والمراد
امته او لكل من يسمع اي ان كنت ايها السامع في شك مما انزلنا اليك على لسان نبينا وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى
حلها بالرجوع الى اهل العلم وقرئ فاسأل الذين يقرؤن الكتاب لقد جاءك الحق الذي لا محيد عنه ولا ريب في حقيته من ربك وظهر ذلك بالآيات القاطعة
التي لا يحوم حولها شائبة الارتياب وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من التشريف ما لا يخفى فلا تكونن من الممترين بالتزلزل
عما انت عليه من الجزم واليقين ودم على ذلك كما كنت من قبل ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله من باب التهييج والالهاب والمراد به اعلام ان التكذيب
من القبح والمحذورية بحيث ينبغي ان ينهى عنه من لا يتصور امكان صدوره عنه فكيف بمن يمكن اتصافه به وفيه قطع لاطماع الكفرة فتكون بذلك
من الخاسرين انفسا واعمالا ان الذين حقت عليهم شروع في بيان اصرار الكفرة على ما هم عليه من الكفر والضلال اي ثبتت ووجبت بمقتضى المشيئة
المبنية على الحكمة البالغة كلمة ربك حكمه وقضاؤه بانهم يموتون على الكفر ويخلدون في النار كقوله تعالى ولكن حق القول مني لاملأن جهنم الى آخره
لا يؤمنون ابدا اذ لا كذب لكلامه ولا انتقاض لقضائه اي لا يؤمنون ايمانا نافعا واقعا في اوانه فيندرج فيهم المؤمنون عند معاينة العذاب مثل
فرعون باقيا عند الموت فيدخل فيهم المرتدون ولو جاءتهم كل آية واضحة المدلول مقبولة لدى العقول لان سبب ايمانهم وهو تعلق ارادته تعالى به
مفقود ولكن فقدانه ليس لمنع منه سبحانه مع استحقاقهم له بل لسوء اختيارهم المتفرع على عدم استعدادهم لذلك حتى يروا العذاب الاليم كدأب آل فرعون
واضرابهم فلولا كانت كلام مستأنف لتقرير ما سبق من استحالة ايمان من حقت عليهم كلمته تعالى لسوء اختيارهم مع تمكنهم من التدارك فيكون الاستثناء
الآتي بيانا لكون قوم يونس عليه السلام ممن لم تحق عليه الكلمة لاهتدائهم الى التدارك في وقته ولولا بمعنى هلا وقرئ كذلك اي فهلا كانت
قرية من القرى المهلكة آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر ايمانها الى حين معاينته كما فعل فرعون وقومه فنفعها ايمانها بان يقبله الله تعالى
منها ويكشف بسببه العذاب عنها الا قوم يونس استثناء منقطع اي لكن قوم يونس لما آمنوا اول ما رأوا امارة العذاب ولم يؤخروا الى حلوله كشفنا
عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا بعد ما اظلهم وكاد يحل بهم ويجوز ان يكون الجملة في معنى النفي كما يفصح عنه حرف التحضيض فيكون الاستثناء
متصلا اذ المراد بالقرى اهاليها كأنه ما آمنت قبيلة طائفة من الامم العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس عليه السلام فيكون قوله تعالى لما
آمنوا استئنافا لبيان نفع ايمانهم ويؤيده قراءة الرفع على البدلية ومتعناهم بمتاع الدنيا بعد كشف العذاب عنهم الى حين مقدر لهم في علم الله
تعالى روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا
اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس عليه السلام اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان رأينا اسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلثون اغامت

السماء غيماً اسود هائلاً يدخن دخاناً شديداً ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم
ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا
الى الله تعالى فرحمهم الله وكشف عنهم وكان ذلك يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن عباس رض بلغ من توبتهم ان ردوا المظالم حتى ان الرجل كان
يتقلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده الى صاحبه وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا
يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت
اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك لآمن من في الارض تحقيق لدوران ايمان كافة المكلفين وجوداً وعدماً
على قطب مشيته تعالى مطلقاً اثر بيان تبعية كفر الكفرة لكلمته ومفعول المشية محذوف لوجود ما يقتضيه من وقوعها شرطاً وكون مفعولها مضمون الجزاء
وان لا يكون في تعلقها به غرابة كما هو المشهور اي لو شاء سبحانه ايمان من في الارض من الثقلين لآمن كلهم بحيث لا يشذ عنهم احد جميعاً مجتمعين على الايمان
لا يختلفون فيه لكنه لا يشاؤه لكونه مخالفاً للحكمة التي عليها بني اساس التكوين والتشريع وفيه دلالة على ان من شاء الله تعالى ايمانه يؤمن لا محالة
أفانت تكره الناس على ما لم يشأ الله منهم حسبما ينبئ عنه حرف الامتناع في الشرطية والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كأنه قيل أربك لا يشاء ذلك
فانت تكرههم حتى يكونوا مؤمنين فيكون الانكار متوجهاً الى ترتيب الاكراه المذكور على عدم مشيته تعالى ويجوز ان يكون الفاء لترتيب الانكار على عدم مشيته تعالى
بناء على ان الهمزة متأخرة في الاعتبار وانما قدمت لاقتضائها الصدارة كما هو رأي الجمهور واياً ما كان فالمشية على اطلاقها اذ لا فائدة بل
لا وجه لاعتبار عدم مشية الالجاء خاصة في انكار الترتيب عليه وترتيب الانكار عليه وفي ايلاء الاسم حرف الاستفهام ايذان بان الاكراه امر ممكن
لكن الشأن في المكره من هو وما هو الا هو وحده ولا يشارك فيه لانه القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرهم الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر
وفيه ايذان باعتبار الالجاء في المشية كما اشير اليه وما كان لنفس بيان لتبعية ايمان النفوس المؤمنة لمشيته تعالى وجوداً بعد بيان الدوران الكلي عليها
وجوداً وعدماً اي ما صح وما استقام لنفس من النفوس التي علم الله تعالى انها تؤمن ان تؤمن الا باذن الله اي بتسهيله ومنحه الالطاف وانما خصت
النفس بمن ذكر ولم يجعل من قبيل قوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله لان الاستثناء مفرغ من اعم الاحوال اي ما كان لنفس ان تؤمن في
حال من احوالها الا حال كونها ملابسة باذنه تعالى فلا بد من كون الايمان مما يؤول اليه حالها كما ان الموت حال لكل نفس بحيث لا محيص لها عنه
فلا بد من تخصيص النفس بمن ذكر فان النفوس التي علم الله انها لا تؤمن ليس لها حال تؤمن فيها حتى يستثنى تلك الحال عن غيرها ويجعل الرجس اي الكفر
بقرينة ما قبله عبر عنه بالرجس الذي هو عبارة عن القبيح المستقذر المستكره لكونه علماً في القبح والاستكراه وقيل هو العذاب والخذلان المؤدي
اليه وقرئ بالزاء اي يجعل الكفر ويبقيه على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم
من الطبع فلا يحصل لهم الهداية التي عبر عنها بالاذن فيبقون مغمورين بقبائح الكفر والضلال او مقهورين بالعذاب والنكال والجملة معطوفة على مقدر
ينسحب عليه النظم الكريم كأنه قيل فيأذن لهم بمنح الالطاف ويجعل الى آخره قل مخاطباً لاهل مكة بعثاً لهم على التدبر في ملكوت السموات والارض
وما فيهما من تعاجيب الآيات الانفسية والآفاقية ليتضح لك انهم من الذين لا يعقلون وحقت عليهم الكلمة انظروا اي تفكروا وقرئ بنقل حركة
الهمزة الى اللام قل ماذا في السموات والارض اي اي شيء بديع فيهما من عجائب صنعه الدالة على وحدته وكمال قدرته على ان ماذا جعل بالتركيب اسماً
واحداً معلقاً فيه الاستفهام على اسم الاشارة فهو مبتدأ خبره الظرف ويجوز ان يكون ما مبتدأ وذا بمعنى الذي والظرف صلته والجملة خبر للمبتدأ
وعلى التقديرين فالمبتدأ او الخبر في محل النصب باسقاط الخافض وفعل النظر معلق بالاستفهام وما تغني اي ما تنفع وقرئ بالتذكير الآيات وهي
التي عبر عنها بقوله تعالى ماذا في السموات والارض والنذر جمع نذير على انه فاعل بمعنى منذر او على انه مصدر اي لا تنفع الآيات والرسل المنذرون او
الانذارات عن قوم لا يؤمنون على علم الله سبحانه وحكمه فما نافية والجملة اما حالية او اعتراضية ويجوز كون ما استفهامية انكارية في موضع النصب على
المصدرية اي اي اغناء تغني الى آخره فالجملة حينئذ اعتراضية فهل ينتظرون اي مشركوا مكة وامثالهم الا مثل ايام الذين خلوا اي الا يوماً مثل
ايام الذين خلوا من قبلهم من مشركي الامم الماضية اي مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها
قل تهديداً لهم فانتظروا ما هو عاقبتكم اني معكم من المنتظرين كذلك ثم ننجي رسلنا بالتشديد وقرئ بالتخفيف وهو عطف على مقدر يدل عليه
قوله مثل ايام الذين خلوا وما بينهما اعتراض جيء به مسارعة الى التهديد ومبالغة في تشديد الوعيد كأنه قيل اهلكنا الامم ثم نجينا رسلنا

رسلنا المرسلة اليهم والذين آمنوا وصيغة الاستقبال لحكاية الاحوال الماضية لتهويل امرها باستحضار صورها وتأخير حكاية التنجية عن حكاية الاهلاك
على عكس ما في قوله تعالى فنجيناه ومن معه في الفلك الى آخره ونظائره الواردة في مواقع عديدة ليتصل به قوله عز وعلا كذلك اي مثل ذلك الانجاء
حقاً علينا اعتراض بين العامل والمعمول اي حق ذلك حقاً وقيل بدل من المحذوف الذي ناب عنه كذلك اي انجاء مثل ذلك حقاً والكاف متعلقة
بقوله تعالى ننج المؤمنين اي من كل شدة وعذاب والجملة تذييل لما قبلها مقرر لمضمونه والمراد بالمؤمنين اما الجنس المتناول للرسل عليهم السلام والاتباع واما
الاتباع فقط وانما لم يذكر انجاء الرسل ايذاناً بعدم الحاجة اليه واياً ما كان ففيه تنبيه على ان مدار النجاة هو الايمان قل لجمهور المشركين يا ايها الناس
اوثر الخطاب باسم الجنس مصدراً بحرف التنبيه تعميماً للتبليغ واظهاراً لكمال العناية بشأن ما بلغ اليهم ان كنتم في شك من ديني الذي اعبد الله عز وجل
به وادعوكم اليه ولم تعلموا ما هو وما صفته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله في وقت من الاوقات ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم ثم يفعل
بكم ما يفعل من فنون العذاب اي فاعلموا ان تخصيص العبادة به تعالى ورفض عبادة ما سواه من الاصنام وغيرها مما تعبدونه جهلاً وتقديم ترك عبادة الغير
على عبادته تعالى لتقدم التخلية على التحلية كما في كلمة التوحيد وللايذان بالمخالفة من اول الامر وان كنتم في شك من صحة ديني وسداده فاعلموا
ان خلاصته اخلاص العبادة لمن بيده الايجاد والاعدام دون ما هو بمعزل منهما من الاصنام فاعرضوها على عقولكم واجيلوا فيها افكاركم وانظروا
فيها بعين الانصاف لتعلموا انه حق لا ريب فيه وفي تخصيص التوفي بالذكر مع كونهم قاطعين بعدم الصحة للايذان بان اقصى ما يمكن عروضه للعاقل
في هذا الباب هو الشك في صحته واما القطع بعدمها فمما لا سبيل اليه او ان كنتم في شك من ثباتي على الدين فاعلموا اني لا اتركه ابداً وامرت ان
اكون من المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وهو تصريح بان ما عليه من دين التوحيد ليس بطريق العقل الصرف بل بالامداد السماوي والتوفيق الالهي
وحذف حرف الجر من ان يجوز ان يكون من باب الحذف المطرد مع ان وان وان يكون خاصاً بفعل الامر كما في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به وان
اقم وجهك للدين عطف على ان اكون خلا ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا ضير في ذلك لان مناط جواز وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر
وذلك لا يختلف بالخبرية والطلبية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف الا بالجمل الخبرية
وليس الموصول الحرفي كذلك اي وامرت بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه باداء المأمور به والانتهاء عن المنهي عنه او باستقبال القبلة في الصلوة
وعدم الالتفات الى اليمين والشمال حنيفاً حال من الدين او الوجه اي مائلاً عن الاديان الباطلة ولا تكونن من المشركين عطف على اقم داخل تحت الامر
اي لا تكونن منهم اعتقاداً ولا عملاً وقوله عز وعلا ولا تدع عطف على قوله تعالى قل يا ايها الناس غير داخل تحت الامر وقيل على ما قبله من النهي والوجه هو الاول
لان ما بعده من الجمل الى آخر الآيتين متسقة لا يمكن فصل بعضها عن بعض كما ترى ولا وجه لادراج الكل تحت الامر وهو تأكيد للنهي المذكور وتفصيل لما اجمل فيه
اظهاراً لكمال العناية بالامر وكشفاً عن وجه بطلان ما عليه المشركون اي لا تدع من دون الله استقلالاً ولا اشتراكاً ما لا ينفعك اذا دعوته لدفع مكروه
او جلب محبوب ولا يضرك اذا تركته بسلب المحبوب دفعاً او رفعاً او بايقاع المكروه وتقديم النفع على الضر غني عن بيان السبب فان فعلت اي ما نهيت عنه من
دعاء ما لا ينفع ولا يضر كنى به عنه تنويهاً لشأنه عليه السلام وتنبيهاً على رفعة مكانه من ان ينسب اليه عبادة غير الله سبحانه ولو في ضمن الجملة الشرطية فانك اذاً
من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال من يسأل عن تبعة ما نهي عنه وان يمسسك الله بضر تقرير لما اورد في حيز الصلة من سلب النفع عن الاصنام وهو بيان لعدم
النفع برفع المكروه المستلزم لعدم النفع بجلب المحبوب استلزاماً ظاهراً فان رفع المكروه ادنى مراتب النفع فاذا انتفى انتفى النفع بالكلية وان يردك بخير
تحقيق لسلب الضر الوارد في حيز الصلة اي ان يرد ان يصيبك بخير فلا راد لفضله الذي من جملته ما اراد بك من الخير فهو دليل على جواب الشرط لا نفس الجواب
وفيه ايذان بان فيضان الخير منه تعالى بطريق التفضل من غير استحقاق عليه سبحانه اي لا احد يقدر على رده كائناً ما كان فيدخل فيه الاصنام دخولاً اولياً وهو
بيان لعدم ضرها بدفع المحبوب قبل وقوعه المستلزم لعدم ضرها برفعه او بايقاع المكروه استلزاماً جلياً ولعل ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع
تلازم الامرين للايذان بان الخير مراد بالذات وان الضر انما يمسهم لما يوجبه من الدواعي الخارجية لا بالقصد الاولي واريد معنى الفعلين في كل من
الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر في احدهما المس وفي الآخر الارادة ليدل بما ذكر في كل جانب
على ما ترك في الجانب الآخر على انه قد صرح بالاصابة حيث قيل يصيب به اظهاراً لكمال العناية بجانب الخير كما ينبئ عنه ترك الاستثناء فيه اي يصيب بفضله
الواسع المنتظم لما اراد بك من الخير وجعل الفضل عبارة عن ذلك الخير بعينه على ان يكون من باب وضع المظهر في موضع المضمر لما ذكر من الفائدة يأباه قوله عز
وجل من يشاء من عباده فان ذلك ينادي بعموم الفضل وقوله تعالى قائلاً وهو الغفور الرحيم تذييل لقوله تعالى يصيب به الى آخره مقرر لمضمونه والكل تذييل

للشرطية الأخيرة محقق لمضمونها قل مخاطبا لأولئك الكفرة بعد ما بلغتهم ما أوحي إليك يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم وهو القرآن العظيم المشتمل على محاسن الأحكام التي من جملتها ما مر آنفا من أصول الدين واطلعتم على ما في تضاعيفه من البينات والهدى ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالإيمان به والعمل بما في مطاويه فإنما يهتدي لنفسه أي منفعة اهتدائه لها خاصة ومن ضل بالكفر به والإعراض عنه فإنما يضل عليها أي فوبال الضلال مقصور عليها والمراد تنزيه ساحة الرسالة عن شائبة غرض عائد إليه عليه السلام من جلب نفع أو دفع ضر كما يلوح به إسناد المجيء إلى الحق من غير إشعار بكون ذلك بواسطته وما أنا عليكم بوكيل بحفيظ موكول إلي أمركم وإنما أنا بشير ونذير واتبع اعتقادا وعملا وتبليغا ما يوحى إليك على نهج التجدد والاستمرار من الحق المذكور المتأكد يوما فيوما وفي التعبير عن بلوغه إليهم بالمجيء وإليه عليه السلام بالوحي تنبيه على ما بين المرتبتين من التنائي واصبر على ما يعتريك من مشاق التبليغ حتى يحكم الله بالنصر عليهم أو بالأمر بالقتال وهو خير الحاكمين إذ لا يمكن الخطأ في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس أعطي له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق بفرعون الحمد لله سبحانه وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين.

سورة هود

بسم الله الرحمن الرحيم . الر محله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف وقيل على أنه مبتدأ والأول هو الأظهر كما أشير إليه في سورة يونس عليه السلام والنصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اذكر أو اقرأ على تقدير كونه اسما للسورة على ما عليه إطباق الأكثر أو لا محل له من الإعراب مسرودا على نمط التعديد حسبما فصل في أخواته وقوله تعالى كتاب خبر له على الوجه الثاني وللمبتدأ المحذوف على الوجه الباقية أحكمت آياته نظمت نظما متقنا لا يعتريه خلل بوجه من الوجوه أو جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها أو منعت من النسخ بمعنى التغيير مطلقا أو أيدت بالحجج القاطعة الدالة على كونها من عند الله عز وجل أو على ثبوت مدلولاتها فالمراد بالآيات جميعها أو على حقية ما تشتمل عليه من الأحكام الشرعية فالمراد بها بعضها المشتمل عليها كما إذا فسر الإحكام بالمنع من النسخ بمعنى تبديل الحكم الشرعي خاصة وأما تفسيره بالمنع من الفساد أخذا من قولهم أحكمت الدابة إذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح ففيه إيهام ما لا يكاد يليق بشأن الآيات الكريمة من التداعي إلى الفساد لولا المانع وفي إسناد الإحكام على الوجه المذكورة إلى آيات الكتاب دون نفسه لاسيما على الوجه الشاملة لكل آية آية منه من حسن الموقع والدلالة على كونه في أقصى غاية منه ما لا يخفى ثم فصلت أي جعلت فصولا من الأحكام والدلائل والمواعظ والقصص وفصل فيها مهمات العباد في المعاش والمعاد على الإسناد المجازي والتفسير بجعلها آية آية لا يساعده المقام لأن ذلك من الأوصاف الأولية لها فلا يناسب عطفه على إحكامها بكلمة التراخي وأما المعنيان الأولان فهما وإن كانا مع الإحكام زمانا حيث لم تزل الآيات محكمة مفصلة لأنها أحكمت أو فصلت بعد أن لم تكن كذلك إذ الفعلان من قبيل قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل إلا أنهما حيث كانا من صفات الآيات باعتبار نسبة بعضها إلى بعض على وجه يستتبع أحكاما مخصوصة وآثارا معتدا بها وبملاحظة مصالح العباد ناسب أن يشار إلى تراخي رتبتهما عن رتبة الإحكام وإن حمل جعلها آية آية على معنى تفريق بعضها عن بعض يكون من هذا القبيل إلا أنه ليس في متانته في استتباع ما يستتبعه من الأحكام والآثار أو فرقت في التنزيل منجمة بحسب المصالح فإن أريد تنزيلها المنجم بالفعل فالتراخي زماني وإن أريد جعلها في نفسها بحيث يكون نزولها منجما حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فهو رتبي لأن ذلك وصف لازم لها حقيق بأن يترتب على وصف إحكامها وقرئ أحكمت آياته ثم فصلت على صيغة التكلم وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت أي فرقت بين الحق والباطل من لدن حكيم خبير صفة للكتاب وصف بها بعد ما وصف بإحكام آياته وتفصيلها الدالين على علو رتبته من حيث الذات إبانة لجلالة شأنه من حيث الإضافة أو خبر للمبتدأ المذكور أو المحذوف أو صلة للفعلين وفي بنائهما للمفعول ثم إيراد الفاعل بعنوان الحكمة البالغة والإحاطة بجلائلها ودقائقها منكرا بالتنكير التفخيمي وربطهما به لا على النهج المعهود في إسناد الأفاعيل إلى فواعلها مع رعاية حسن الطباق من الجزالة والدلالة على فخامتها وكونهما على أكمل ما يكون مما لا يكتنه كنهه أن لا تعبدوا إلا الله مفعول له حذف عنه اللام مع فقدان الشرط أعني كونه فعلا لفاعل الفعل المعلل جريا على سنن القياس المطرد في حذف حرف الجر مع أن المصدرية كأنه قيل كتاب أحكمت آياته ثم فصلت لئلا تعبدوا إلا الله أي تتركوا عبادة غير الله عز وجل وتمحضوا في عبادته فإن الإحكام والتفصيل على ما فصل من المعاني مما يدعوهم إلى الإيمان والتوحيد وما يتفرع عليه من الطاعات قاطبة وقيل أن مفسرة لما في التفصيل من معنى القول أي قيل لا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه من جهة الله تعالى نذير أنذركم عذابه إن لم تتركوا ما أنتم عليه من الكفر وعبادة غير الله تعالى وبشير أبشركم بثوابه إن آمنتم به وتمحضتم في عبادته ولما ذكر شؤون الكتاب من إحكام آياته وتفصيلها وكون ذلك من قبل الله تعالى وأورد معظم ما تضمنه

ما نظم في سلك الغاية أو الأمر من التوحيد وترك الإشراك وتبطينه وبين قرينة أعني الاستغفار والتوبة ذكر أن من نزل عليه ذلك الكتاب مرسل من عند الله تعالى لتبليغ أحكامه وترشيحها بالمؤيدات من الوعد والوعيد للإيذان بأن التوحيد في أقصى مراتب الأهمية حتى أفرد بالذكر وأيد إيجابه بالخطاب الكتاب مع تلويح بأنه كما لا يتحقق في نفسه إلا مقارنا للحكم برسالته صلى الله عليه وسلم كذلك في الذكر لا ينفك أحدهما عن الآخر وقد روعي في سوق الخطاب تقديم الإنذار على التبشير ما روعي في الكتاب من تقديم النفي على الإثبات والتخلية على التحلية ليتجاوب أطراف الكلام ويجوز أن يكون قوله تعالى أن لا تعبدوا إلا الله كلاما منقطعا عما قبله واردا على لسانه عليه السلام إغراء لهم على اختصاصه تعالى بالعبادة كأنه صلى الله عليه وسلم قال ترك عبادة غير الله تعالى أي الزموا على معنى اتركوا عبادة غير الله تركا مستمرا إنني لكم من جهة الله نذير وبشير أو نذير أنذركم من عقابه على تقدير استمراركم على الكفر وبشير أبشركم بثوابه على تقدير ترككم له وتوحيدكم ولما سيق إليهم حديث التوحيد وأكد ذلك بخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم على وجه الإنذار والتبشير شرع في ذكر ما هو من تتمته على وجه يتضمن تفصيل ما أجمل في وصف البشير والنذير فقيل وأن استغفروا ربكم وهو معطوف على أن لا تعبدوا على ما ذكر من الوجهين فعلى الأول أن مصدرية لجواز كون صلتها أمرا أو نهيا كما في قوله تعالى وأن أقم وجهك للدين حنيفا لأن مدار جواز كونها فعلا إنما هو دلالته على المصدر وهو موجود فيهما ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي إنما هو للتوصل إلى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف بها إلا إذا كانت خبرية وأما الموصول الحرفي فليس كذلك ولما كان الخبر والإنشاء في الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع الأمر والنهي صلة حسب مساغ وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك عن معنى الأمر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال ثم توبوا إليه عطف على استغفروا والكلام فيه كالكلام فيه والمعنى فعل ما فعل من الأحكام والتفصيل لتخصوا الله تعالى بالعبادة وتطلبوا منه ستر ما فرط منكم من الشرك ثم ترجعوا إليه بالطاعة أو تستمروا على ما أنتم عليه من التوحيد والاستغفار أو تستغفروا من الشرك وتتوبوا من المعاصي وعلى الثاني أن مفسرة أي قيل في أثناء تفصيل الآيات لا تعبدوا إلا الله واستغفروا ثم توبوا إليه والتعرض لوصف الربوبية تلقين للمخاطبين وإرشاد لهم إلى طريق الابتهال في السؤال وترشيح لما يعقبه من التمتيع وإيتاء الفضل بقوله يمتعكم متاعا حسنا أي يمتعكم تمتيعا وانتصابه على أنه مصدر حذف منه الزوائد كقوله تعالى أنبتكم من الأرض نباتا أو على أنه مفعول به وهو اسم لما يتمتع به من منافع الدنيا من الأموال والبنين وغير ذلك والمعنى يعيشكم عيشا مرضيا لا يفوتكم فيه شيء مما تشتهون ولا ينقصه شيء من المكدرات إلى أجل مسمى مقدر عند الله عز وجل وهو آخر أعماركم ولما كان ذلك غاية لا يطمح وراءها مطمح جرى التمتيع مجرى التأبيد عادة أو لا يهلككم بهلاك الاستئصال ويؤت كل ذي فضل في الطاعة والعمل فضله جزاء فضله إما في الدنيا أو في الآخرة وهذه تكملة لما أجمل من التمتيع إلى أجل مسمى وتبيين لما عسى يعتبر فهم حكمته من بعض ما يتفق في الدنيا من تفاوت الحال بين العاملين فرب إنسان له فضل طاعة وعمل لا يتمتع في الدنيا أكثر مما تمتع آخر دونه في الفضل وربما يكون المفضول أكثر تمتيعا فقيل ويعط كل فاضل جزاء فضله إما في الدنيا كما يتفق في بعض المواد وإما في الآخرة وذلك مما لا مرد له وهذا ضرب تفصيل لما أجمل فيما سبق من البشارة ثم شرع في الإنذار فقيل وإن تولوا أي تتولوا عما ألقي إليكم من التوحيد والاستغفار والتوبة وإنما أخر عن البشارة جريا على سنن تقدم الرحمة على الغضب أو لأن العذاب قد علق بالتولي عما ذكر من التوحيد والاستغفار والتوبة وذلك يستدعي سابقة ذكره وقرئ تولوا من ولي فإني أخاف عليكم بموجب الشفقة والرأفة أو أتوقع عذاب يوم كبير هو يوم القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم في قوله تعالى ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم إما لكونه كذلك في نفسه أو وصف بوصف ما يكون فيه كما وصف بالثقل في قوله تعالى ثقلت في السماوات والأرض وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط أكلوا فيه الجيف وأيا ما كان ففي إضافة العذاب إليه تهويل وتفظيع له إلى الله مرجعكم رجوعكم بالموت ثم البعث للجزاء في مثل ذلك اليوم لا إلى غيره جميعا لا يتخلف منكم أحد وهو على كل شيء قدير فيندرج في تلك الكلية قدرته على إماتتكم ثم بعثكم وجزائكم فيعذبكم بأفانين العذاب وهو تقرير لما سلف من كبر اليوم وتعليل للخوف ولما ألقي إليهم محوي الكتاب على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وسيق إليهم ما ينبغي أن يساق من الترغيب والترهيب وقع في ذهن السامع أنهم بعد ما سمعوا مثل هذا المقال الذي تخر له صم الجبال هل قابلوه بالإقبال أم تمادوا فيما كانوا عليه من الإعراض والضلال فقيل مصدرا بكلمة التنبيه إشعارا بأن ما يعقبها من هناتهم أمر يجب أن يفهم ويتعجب منه ألا إنهم يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه أي يستمرون على ما كانوا عليه من التولي والإعراض لأن من أعرض عن شيء ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه وهذا معنى جزل مناسب للمسبق وقد نحا نحوه العلامة الزمخشري ولكن حيث لم يصلح التولي سببا للاستخفاء في قوله عز وجل ليستخفوا منه

الالتجاء الى اضمار الارادة حيث قال ويريدون ليستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله والمؤمنين على اعراضهم وجعله في قوة المعنى اليه من قبيل الاضمار
في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانفلق ولا يخفى ان انسياق الذهن الى توسيط الارادة بين تثني الصدور وبين الاستخفاء
ليس كانسياقه الى توسيط الضرب بين الامر به وبين الانفلاق ولعل الاظهر ان معناه يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر والاعراض عن الحق
وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يكون ذلك مخفيا مستورا فيها كما يعطف الثياب على ما فيها من الاشياء المستورة وانما لم يذكر ذلك استهجانا
بذكره وايماء الى ان ظهوره مغن عن ذكره او ليذهب ذهن السامع الى كل ما لا خير فيه من الامور المذكورة فيدخل فيه ما ذكر من توليهم عن الحق الذي القي
اليهم دخولا اوليا فحينئذ يظهر وجه كون ذلك سببا للاستخفاء ويؤيده ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان
رجلا حلو المنطق حسن السياق للحديث يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة ويضمر في قلبه ما يضادها وقال ابن شداد انها نزلت في بعض
المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه كيلا يراه النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه كان
يصنع ما يصنع لانه لو رآه النبي صلى الله عليه وسلم لم يمكنه التخلف عن حضور مجلسه والمصاحبة معه وربما يؤدي ذلك الى ظهور ما في قلبه من الكفر والنفاق
وقرئ تثنوني صدورهم بالياء والتاء من اثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة وعن ابن عباس رضي الله عنهما لتثنوني وقرئ تثنون
واصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش من الكلأ وضعف يريد مطاوعة صدورهم للثني كما يثني الهش من النبات او اراد ضعف ايمانهم ورخاوة
قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنان افعال منه ثم همز كما قيل ابياضت وادهامت وقرئ تثنوي بوزن ترعوي **الا حين يستغشون ثيابهم** اي يتغطون بها
على ما نقل عن ابن شداد او حين يأوون الى فراشهم ويتدثرون بثيابهم فان ما يقع حينئذ حديث النفس عادة وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته
ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي **يعلم ما يسرون** اي يضمرون في قلوبهم **وما يعلنون** اي يستوي بالنسبة الى علمه المحيط
سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه وانما قدم السر على العلن نعيا عليهم من اول الامر ما صنعوا وايذانا بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه
وتحقيقا للمساواة بين العلمين على ابلغ وجه فكان علمه بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه ونظيره قوله تعالى قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله
حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء على عكس ما وقع في قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اذ لم يتعلق باشعار ان المحاسبة
بما يخفونه اولى منها بما يبدونه غرض بل الامر بالعكس واما ههنا فقد تعلق باشعار كون تعلق علمه تعالى بما يسرونه اولى منه بما يعلنونه غرض مهم
مع كونهما على السوية كيف لا وعلمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف
الحال بين الاشياء البارزة والكامنة واما قوله تعالى واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون فحيث كان واردا بصدد الخطاب مع الملائكة عليهم السلام
المنزه مقامهم عن اقتضاء التأكيد والمبالغة في الاخبار باحاطة علمه تعالى بالظاهر والباطن لم يسلك فيه ذلك المسلك مع انه وقع الغنية
عنه بما قبله من قوله عز وجل اني اعلم غيب السموات والارض ويجوز ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء
يعلن الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه سبحانه بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية **انه عليم بذات الصدور** تعليل لما
سبق وتقرير له واقع موقع الكبرى من القياس وفي صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق والتعبير عن الضمائر بعنوان صاحبتها من البراعة ما لا يصفه
الواصفون كانه قيل انه مبالغ في الاحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما يسرون
وما يعلنون ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب من قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر
من اسرارها **وما من دابة في الارض الا على الله رزقها** غذاؤها اللائق بها من حيث الخلق ومن حيث الايصال اليها بطريق طبيعي او ارادي لتكفله اياه
تفضلا ورحمة وانما جيء به على طريق الوجوب اعتبارا لسبق الوعد وتحقيقا لوصوله اليها البتة وحملا للمكلفين على الثقة به تعالى والاعراض عن اتعاب
النفس في طلبه **ويعلم مستقرها** محل قرارها في الاصلاب **ومستودعها** موضعها في الارحام وما يجري مجراها من البيض ونحوها وانما خص كل من الاسمين بما خص به
من المحلين لان النطفة بالنسبة الى الاصلاب في حيزها الطبيعي ومنشأها الخلقي واما بالنسبة الى الارحام وما يجري مجراها فهي مودعة فيها الى وقت معين
او مسكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة ولعل تقديم محلها باعتبار حالتها الاخيرة لرعاية
المناسبة بينها وبين عنوان كونها دابة في الارض والمعنى ما من دابة في الارض الا يرزقها الله تعالى حيث كانت من اماكنها يسوقه اليها ويعلم موادها
المتخالفة المندرجة في مراتب الاستعدادات المتفاوتة في الاطوار المتباينة ومقارها المتنوعة ويفيض عليها في كل مرتبة ما يليق بها من مبادي

من مبادي وجودها وكمالاتها المتفرعة عليه وقد فسر المستودع بما كنها في الممات ولا يلائمه مقام التكفل بارزاقها **كل** من الدواب ورزقها ومستقرها
ومستودعها **في كتاب مبين** اي مثبت في اللوح المحفوظ البين لمن ينظر فيه من الملائكة عليهم السلام او المظهر لما اثبت فيه للناظرين ولما انتهى الامر الى انه
سبحانه محيط بجميع احوال ما في الارض من المخلوقات التي لا تكاد تحصى من مبدأ فطرتها الى منتهاها اقتضى الحال التعرض لمبدأ خلق السموات والارض والحكمة
الداعية الى ذلك فقيل **وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام** السموات في يومين والارض في يومين وما عليها من انواع الحيوان والنبات
وغير ذلك في يومين حسبما فصل في سورة حم السجدة ولم يذكر خلق ما في الارض لكونه من تتمات خلقها وهو السر في جعل زمان خلقه تتمة لزمان خلقها
في قوله تعالى في اربعة ايام اي في تتمة اربعة ايام والمراد بالايام الاوقات كما في قوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره اي في ستة اوقات او مقدار ستة
ايام فان اليوم في المتعارف زمان كون الشمس فوق الارض ولا يتصور ذلك حين لا ارض ولا سماء وفي خلقها مدرجا مع القدرة التامة على خلقها
دفعة دليل على انه قادر مختار واعتبار للنظار وحث على التأني في الامور واما تخصيص ذلك بالعدد المعين فأمر استأثر بعلم ما يقتضيه علام الغيوب
جلت حكمته وايثار صيغة الجمع في السموات لما هو المشهور من الاشارة الى كونها اجراما مختلفة الطبائع ومتفاوتة الآثار والاحكام **وكان عرشه**
قبل خلقهما **على الماء** ليس تحته شيء غيره سواء كان بينهما فرجة او كان موضوعا على متنه كما ورد في الاثر فلا دلالة فيه على امكان الخلاء كيف لا ولو دل لدل
على وجوده لا على امكانه فقط ولا على كون الماء اول ما حدث في العالم بعد العرش وانما يدل على ان خلقهما اقدم من خلق السموات والارض من غير تعرض
للنسبة بينهما **ليبلوكم** متعلق بخلق اي خلق السموات والارض وما فيهما من المخلوقات التي من جملتها انتم ورتب فيهما جميع ما تحتاجون اليه من مبادي وجودكم
واسباب معايشكم واودع في تضاعيفهما من تعاجيب الصنائع والعبر ما تستدلون به على مطالبكم الدينية ليعاملكم معاملة من يبتليكم **ايكم احسن عملا** فيجازيكم
بالثواب والعقاب غب ما تبين المحسن من المسيء وامتازت درجات افراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المترتبة على انظارهم فيما نصب من
الحجج والدلائل والامارات والمخايل ومراتب اعمالهم المتفرعة على ذلك فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ايكم احسن عقلا
واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملا مخصوصا به فكما ان الاول اشرف من الثاني فكذا الحال في عمله كيف لا ولا عمل
بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد آثر ذي اثير وانما طريقها النظري التفكر في بدائع صنائع الملك الخلاق والتدبر في آياته البينات المنصوبة
في الانفس والآفاق ولا طاعة بدون فهم ما في مطاوي الكتاب الحكيم من الاوامر والنواهي وغير ذلك مما لا مدخل في الباب وقد روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله عز وجل الذي
هو عمل القلب لان احدا لا يقدر على ان يعمل في اليوم بجوارحه مثل عمل اهل الارض وتعليق فعل البلوى اي تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور
الذي يقتضي عدم ايراد المفعول اصلا مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظائره ولذلك اجري مجراه بطريق
التمثيل او الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل للفريقين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن
والاحسن فقط للايذان بان المراد بالذات والمقصود الاصلي مما ذكر من ابداع تلك البدائع على ذلك النمط البديع الرائع انما هو ظهور كمال احسان
المحسنين وان ذلك لكونه على اتم الوجوه اللائقة واكمل الاساليب الرائقة يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد احد عن سننه المستبين بل يهتدي كل فرد
الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة وانما التفاوت بينهم في مراتبهما بحسب القوة والضعف والكثرة والقلة واما الاعراض عن ذلك والوقوع
في مهاوي الضلال فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن ان ينتظم ظهوره في سلك العلة الغائية لذلك الصنع البديع وانما هو عمل يصدر عن عامله
بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب ولا يخفى ما فيه من الترغيب في الترقي الى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقائضها والله تعالى
اعلم **ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت** على ما يوجبه قضية الابتلاء ليترتب عليه الجزاء المتفرع على ظهور مراتب الاعمال **ليقولن الذين كفروا** ان وجه
الخطاب في قوله تعالى انكم الى جميع المكلفين فالموصول مع صلته للتخصيص اي ليقولن الكافرون منهم وان وجه الى الكافرين منهم فهو وارد على طريقة
الذم **ان هذا الا سحر مبين** اي مثله في الخديعة او البطلان وهذا اشارة الى القول المذكور او الى القرآن فان الاخبار عن كونهم مبعوثين وان لم
يجب كونه بطريق الوحي المتلو الا انهم عند سماعهم ذلك تخلصوا الى القرآن لانبائه عنه في كل موضع وكونه علما عندهم في ذلك فعمدوا الى تكذيبه
وتسميته سحرا تماديا منهم في العناد وتعاديا عن سنن الرشاد وقيل هي اشارة الى نفس البعث ولا يلائمه التسمية بالسحر فانه انما يطلق
على شيء موجود ظاهرا لا اصل له في الحقيقة ونفس البعث عندهم معدوم بحت وتعلق الآية الكريمة بما قبلها اما من حيث ان البعث

كما اشير اليه من تتمات الابتلاء المذكور فكأنه قيل الامر كما ذكر ومع ذلك ان اخبرتهم بمقدمة فذة من مقدماته وقضية فردة من تتماته لا يلعثمون في
الرد ويعدون ذلك من قبيل ما لا صحة له اصلا فضلا عن تصديق ما هو من تتماته واما من حيث ان البعث خلق جديد فكأنه قيل وهو الذي خلق
جميع المخلوقات ابتداء لهذه الحكمة البالغة ومع ذلك ان اخبرتهم بانه يعيدهم تارة اخرى وهو اهون عليه يقولون ما يقولون فسبحان الله عما
يصفون وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القائل والى القرآن على اسلوب شعر شاعر وقرئ بالفتح على تضمين قلت معنى ذكرت
او على ان لك بمعنى عنك في علك اي ولئن قلت لعلكم مبعوثون على ان الرجاء والتوقع باعتبار حال المخاطبين اي توقعوا ذلك ولا تبتوا
القول بانكاره او على انه مجاراة معهم في الكلام على نهج المساعدة لئلا يتسارعوا الى اللجاج والعناد ويتماقع اسماعها بت القول بخلاف ما
الفوا والفوا عليه آباءهم من انكار البعث ويكون ذلك داعيا لهم الى التأمل والتدبر وما فعلوه قاتلهم الله انى يؤفكون **ولئن اخرنا عنهم
العذاب** المترتب على بعثهم او العذاب الموعود في قوله تعالى فان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه قتل جبريل عليه السلام للمستهزئين والظاهر ان المراد به العذاب الشامل للكفرة دون ما يخص بعضا منهم على انه لم يكن موعودا يستعجل منه المجرمون
الى امة معدودة الى طائفة من الايام قليلة لان ما يحصره العد قليل **ليقولن ما يحبسه** اي اي شيء يمنعه من المجيء فكأنه يريده فيمنعه مانع وان كانوا
يقولونه بطريق الاستعجال استهزاء لقوله تعالى ما كانوا به يستهزؤن ومرادهم انكار المجيء والحبس رأسا لا الاعتراف به والاستفسار عن حابسه **الا يوم
يأتيهم** ذلك **ليس مصروفا** محبوسا **عنهم** على معنى انه لا يدفعه رافع ابدا ان اريد به عذاب الآخرة او لا يدفعه عنكم دافع بل هو واقع بكم ان اريد به
عذاب الدنيا ويوم منصوب بخبر ليس مقدما عليه واستدل به البصريون على جواز تقديمه على ليس اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع متبوعه
ورد بان الظرف يجوز فيه ما لا يجوز في غيره توسعا وبانه قد يقدم المعمول حيث لا يقدم العامل كما في قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل
فلا تنهر فاما اليتيم والسائل مع كونهما منصوبين بالفعلين المجزومين قد تقدما على لا الناهية مع امتناع تقدم الفعلين عليها قال
ابو حيان وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم اظفر بتقديم خبر ليس عليها ولا بتقديم معموله الا ما دل عليه ظاهر الآية الكريمة وقول الشاعر
فيابى فما يزداد الا لجاجة وكنت ابيا في الخنا لست اقدم **وحاق بهم** اي احاط بهم **ما كانوا به يستهزؤن** اي العذاب الذي كانوا يستعجلونه
استهزاء وفي التعبير عنه بالموصول تهويل لمكانه واشعار بعلية ما ورد في حيز الصلة من استهزائهم به لنزوله واحاطته والتعبير عنهما
بالماضي وارد على عادة الله تعالى في اخباره لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو
شأن المخبر وتقرير وقوع المخبر به ما لا يخفى **ولئن اذقنا الانسان منا رحمة** اي اعطيناه نعمة من صحة وامن وجدة وغيرها واوصلناها اليه بحيث
يجد لذتها **ثم نزعناها منه** اي سلبناه اياها وايراد النزع للاشعار بشدة تعلقه بها وحرصه عليها **انه ليؤس** شديد القنوط من روح الله
قطوع رجاءه من عود امثالها عاجلا وآجلا بفضل الله تعالى لقلة صبره وعدم توكله عليه وثقته به **كفور** عظيم الكفران لما سلف من النعم
وفيه اشارة الى ان النزع انما كان بسبب كفرانهم بما كانوا يتقلبون فيه من نعم الله عز وجل وتأخيره عن وصف يأسهم مع تقدمه عليه لرعاية
الفواصل على ان اليأس من فضل الله سبحانه وقطع الرجاء عن اضافة امثاله في العاجل وايصال اجره في الآجل من باب الكفران للنعمة السالفة ايضا
ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وجدة بعد عدم وفرج بعد شدة وفي التعبير عن ملابسة الرحمة والنعماء بالذوق المؤذن
بلذتهما وكونهما مما يرغب فيه وعن ملابسة الضراء بالمس المشعر بكونها في ادنى ما يطلق عليه اسم الملاقاة من مراتبها واسناد الاول الى الله عز وجل
دون الثاني ما لا يخفى من الجزالة والدلالة على ان مراده تعالى انما هو ايصال الخير المرغوب فيه على احسن ما يكون وانه انما يريد بعباده اليسر دون العسر
وانما ينالهم ذلك بسوء اختيارهم نيلا يسيرا كأنما يلاصق البشرة من غير تأثير واما نزع الرحمة فانما صدر عنه تعالى بقضية الحكمة الداعية اليه
وهي كفرانهم بها كما سبق وتنكير الرحمة باعتبار لحوق النزع بها **ليقولن ذهب السيئات عني** اي المصائب التي تسوءني ولم يعترني بعد امثالها
كما هو شأن اولئك الاشرار فان الترقب لورود امثالها مما يكدر السرور وينغص العيش **انه لفرح** بطر واشر بالنعم مغتر بها **فخور** على الناس
بما اوتي من النعم مشغول بذلك عن القيام بحقها واللام في لئن في الآيات الاربع موطئة للقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط **الا الذين
صبروا** على ما اصابهم من الضراء سابقا او لاحقا ايمانا بالله واستسلاما لقضائه **وعملوا الصالحات** شكرا على آلائه السابقة واللاحقة
واللام في الانسان اما للاستغراق الجنسي فالاستثناء متصل او للعهد فمنقطع **اولئك** اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة

وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل اي اولئك الموصوفون بتلك الصفات الحميدة **لهم مغفرة** عظيمة لذنوبهم وان جمت
واجر ثواب لاعمالهم الحسنة **كبير** ووجه تعلق الآيات الثلاث بما قبلهن من حيث ان اذاقة النعماء ومساس الضراء فصل من باب الابتلاء واقع
موقع التفصيل من الاجمال الواقع في قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا والمعنى ان كلا من اذاقة النعماء ونزعها مع كونها ابتلاء للانسان أيشكر
ام يكفر لا يهتدي الى سنن الصواب بل يحيد في كلتا الحالتين عنه الى مهاوي الضلال فلا يظهر منه حسن عمل الا من الصابرين الصالحين او من حيث
ان انكارهم بالبعث واستهزاءهم بالعذاب بسبب بطرهم وفخرهم كأنه قيل انما فعلوا ما فعلوا لان طبيعة الانسان مجبولة على ذلك **فلعلك تارك
بعض ما يوحى اليك** من البينات الدالة على حقية نبوتك المنادية بكونها من عند الله عز وجل لمن له اذن واعية **وضائق به صدرك** اي عارض لك ضيق صدر
بتلاوته عليهم وتبليغه اليهم في اثناء الدعوة والمحاجة **ان يقولوا** لان يقولوا تعاميا عن تلك البراهين التي لا يكاد يخفى صحتها على احد ممن له
ادنى بصيرة وتماديا في العناد على وجه الاقتراح **لولا انزل عليه كنز** مال خطير مخزون يدل على صدقه **او جاء معه ملك** يصدقه قيل قاله عبد الله بن
امية المخزومي وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا ان كنت رسولا وقال آخرون ائتنا بالملائكة
يشهدوا بنبوتك فقال لا اقدر على ذلك فنزلت فكأنه صلى الله عليه وسلم لما عاين اجتراءهم على اقتراح مثل هذه العظائم غير قانعين بالبينات
الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من ارباب العقول وشاهد ركوبهم من المكابرة متن كل صعب وذلول مسارعين الى المقابلة بالتكذيب
والاستهزاء وتسميتها سحرا اثر حاله صلى الله عليه وسلم بحال من يتوقع منه ان يضيق صدره بتلاوة تلك الآيات الناطقة عليهم وتبليغها اليهم
فحمل على الحذر منه بما في لعل من الاشفاق فقيل **انما انت نذير** ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك غير مبال بما صدر عنهم من الرد والقبول **والله
على كل شيء وكيل** يحفظ احوالك واحوالهم فتوكل عليه في جميع امورك فانه فاعل بهم ما يليق بحالهم والاقتصار على النذير في اقصى غاية من اصابة المحز
ام يقولون افتراه اضراب بأم المنقطعة عن ذكر ترك اعتدادهم بما يوحى وتهاونهم به وعدم اقتناعهم بما فيه من المعجزات الظاهرة الدالة على كونه
من عند الله عز وجل وعلى حقية نبوته صلى الله عليه وسلم وشروع في ذكر ارتكابهم لما هو اشد منه واعظم وما فيها من معنى الهمزة للتوبيخ والانكار
والتعجيب والضمير المستكن في افتراه للنبي صلى الله عليه وسلم والبارز لما يوحى اي بل ايقولون افتراه ليس من عند الله **قل** ان كان الامر كما تقولون
فأتوا انتم ايضا **بعشر سور مثله** في البلاغة وحسن النظم وهو نعت لسور اي امثاله وتوحيده اما باعتبار مماثلة كل واحدة منها او لان المطابقة
ليست بشرط حتى يوصف المثنى بالمفرد كما في قوله تعالى انؤمن لبشرين مثلنا او للايماء الى ان وجه الشبه ومدار المماثلة في الجميع شيء واحد هو البلاغة
المؤدية الى مرتبة الاعجاز فكأن الجميع واحد **مفتريات** صفة اخرى لسور اخرت عن وصفها بالمماثلة لما يوحى لانها الصفة المقصودة بالتكليف
اذ بها يظهر عجزهم وقعودهم عن المعارضة واما وصف الافتراء فلا يتعلق به غرض يدور عليه شيء في مقام التحدي وانما ذكر على نهج المساهلة وارخاء
العنان وانه لو عكس الترتيب لربما توهم ان المراد هو المماثلة في الافتراء والمعنى فأتوا بعشر سور مماثلة له في البلاغة مختلقات من عند انفسكم ان صح
اني اختلقته من عندي فانتم اقدر على ذلك مني لانكم عرب فصحاء بلغاء قد مارستم مبادي ذلك من الخطب والاشعار وحفظتم الوقائع والايام
وزاولتم اساليب النظم والنثر **وادعوا** للاستظهار في المعارضة **من استطعتم** دعاءه والاستعانة به من آلهتكم التي تزعمون انها ممدة لكم في كل ما تأتون
وما تذرون والكهنة ومدارسكم الذين تلجأون الى آرائهم في الملمات ليسعدوكم فيها **من دون الله** متعلق بادعوا اي متجاوزين الله تعالى **ان كنتم صادقين** في
اني افتريته فان ذلك يستلزم امكان الاتيان بمثله وهو ايضا يستلزم قدرتكم عليه والجواب محذوف يدل عليه المذكور **فان لم يستجيبوا لكم** اي فان لم يفعلوا
ما كلفتموهم من الاتيان بمثله كقوله تعالى فان لم تفعلوا الآية وانما عبر عنه بالاستجابة ايماء الى انه صلى الله عليه وسلم على كمال امن من امره كأن امره لهم بالاتيان
بمثله دعاء لهم الى امر يريد وقوعه والضمير في لكم للرسول صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم كما في قوله قال وان شئت حرمت النساء سواكم اوله وللمؤمنين
لانهم اتباع له عليه السلام في الامر بالتحدي وفيه تنبيه لطيف على ان حقهم ان لا ينفكوا عنه عليه السلام وينا صبوا معه لمعارضة المعاندين كما كانوا يفعلونه
في الجهاد وارشاد الى ان ذلك مما يفيد الرسوخ في الايمان والطمأنينة في الايقان ولذلك رتب عليه قوله عز وجل **فاعلموا** اي اعلموا حين ظهر لكم عجزهم عن المعارضة
مع تمالئهم عليها علما يقينيا متاخما لعين اليقين بحيث لا يحوم حوله شائبة ريب بوجه من الوجوه كأن ما عداه من مراتب العلم ليس بعلم لكن لا للاشعار بانحطاط
تلك المراتب بل بارتفاع هذه الرتبة وبه يتضح سر ايراد كلمة الشك مع القطع بعدم الاستجابة فان تنزيل سائر المراتب منزلة العدم مستتبع لتنزيل الجزم
بعدم الاستجابة منزلة الشك فيه او اثبتوا او استمروا على ما كنتم عليه من العلم **انما انزل** ملتبسا **بعلم الله** المخصوص به بحيث لا يحوم حوله العقول والافهام مستبدا

الخصائص الاعجاز من جهة النظم الرائق والاخبار بالغيب **وان لا اله الا هو** اي واعلموا ايضا ان لا شريك له في الالوهية واحكامها ولا يقدر على ما يقدر عليه احد **فهل انتم مسلمون** اي مخلصون في الاسلام او ثابتون عليه وهذا من باب التثبت والترقية الى معارج اليقين ويجوز ان يكون الخطاب في الكل للمشركين من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم داخلا تحت الامر للتحدي والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم فان لم يستجب لكم آلهتكم وسائر من اليهم تجأرون في مهماتكم وملماتكم الى المعاونة والمظاهرة فاعلموا ان ذلك خارج عن دائرة قدرة البشر وانه منزل من خالق القوى والقدر وايراد كلمة الشك ح مع الجزم بعدم الاستجابة من جهة آلهتهم تهكم بهم وتسجيل عليهم بكمال سخافة العقل وترتيب الامر بالعلم على مجرد عدم الاستجابة من حيث انه مسبوق بالدعاء المسبوق بعجزهم واضطرارهم فكانه قيل فان لم يستجيبوا لكم عند التجائكم اليهم بعد ما اضطررتم الى ذلك وضاقت عليكم الحيل وعيت بكم العلل او من حيث ان من يستمدون بهم اقوى منهم في اعتقادهم فاذا ظهر عجزهم بعدم استجابتهم وان كان ذلك قبل ظهور عجز انفسهم يكون عجزهم اظهر واوضح واعلموا ايضا ان آلهتكم بمعزل عن رتبة الشركة في الالوهية واحكامها فهل انتم داخلون في الاسلام اذ لم يبق بعد شائبة شبهة في حقيته وفي بطلان ما كنتم فيه من الشرك فيدخل فيه الاذعان لكون القرآن من عند الله تعالى دخولا اوليا او منقادون للحق الذي هو كون القرآن من عند الله تعالى وتاركون لما كنتم فيه من المكابرة والعناد وفي هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر واقناط من ان يجيرهم آلهتهم من بأس الله عز وسلطانه هذا والاول انسب لما سلف من قوله تع وضائق به صدرك ولما سيأتي من قوله تع فلا تك في مرية منه واشد ارتباطا بما يعقبه كما ستحيط به خبرا **من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها** اي ما يزينها ويحسنها من الصحة والامن والسعة في الرزق وكثرة الاولاد والرياسة وغير ذلك والمراد بالارادة ما يحصل عند مباشرة الاعمال لا مجرد الارادة القلبية لقوله تع **نوف اليهم اعمالهم فيها** وادخال كان عليها للدلالة على استمرارها منهم بحيث لا يكادون يريدون الآخرة اصلا وليس المراد باعمالهم كلهم فانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل احد ينال كل ما يهواه فان ذلك منوط بالمشية الجارية على قضية الحكمة كما ينطق به قوله تع من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ولا كل اعمالهم بل بعضها الذي يترتب عليه الامور المذكورة بطريق الاجر والجزاء من اعمال البر وقد اطلق واريد بها ثمراتها فالمعنى يوصل اليهم ثمرات اعمالهم في الحيوة الدنيا كاملة وقرئ يوف على الاسناد الى الله عز وجل وتوف بالفوقانية على البناء للمفعول ورفع اعمالهم وقرئ نوفي بالتخفيف والرفع لكون الشرط ماضيا كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم **وهم فيها** اي في الحيوة الدنيا **لا يبخسون** اي لا ينقصون وانما عبر عن ذلك بالبخس الذي هو نقص الحق مع انه ليس لهم شائبة حق فيما اوتوه كما عبر عن اعطائه بالتوفية التي هي اعطاء الحقوق مع ان اعمالهم بمعزل من كونها مستوجبة لذلك بناء للامر على ظاهر الحال ومحافظة على صورة الاعمال ومبالغة في نفي النقص كان ذلك نقص لحقوقهم فلا يدخل تحت الوقوع والصدور عن الكريم اصلا والمعنى انهم فيها خاصة لا ينقصون ثمرات اعمالهم واجورها نقصا كليا مطردا ولا يحرمونها حرمانا كليا واما في الآخرة فهم في الحرمان المطلق واليأس المحقق كما ينطق به قوله تع **اولئك** الى آخره فانه اشارة الى المذكورين باعتبار ارادتهم الحيوة الدنيا او باعتبار توفيتهم اجورهم من غير بخس او باعتبارهما وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في سوء الحال اي اولئك المريدون للحيوة الدنيا وزينتها الموفون فيها ثمرات اعمالهم من غير بخس **الذين ليس لهم في الآخرة الا النار** لان هممهم كانت مصروفة الى الدنيا واعمالهم مقصورة على تحصيلها وقد اجتنوا ثمرتها ولم يكونوا يريدون بها شيئا آخر فلا جرم لم يكن لهم في الآخرة الا النار وعذابها المخلد **وحبط ما صنعوا فيها** اي ظهر في الآخرة حبوط ما صنعوه من الاعمال التي كانت تؤدي الى الثواب لو كانت معمولة للآخرة او حبط ما صنعوه في الدنيا من اعمال البر اذ شرط الاعتداد بها الاخلاص **وباطل** اي في نفسه **ما كانوا يعملون** في اثناء تحصيل المطالب الدنيوية ولاجل ان الاول من شأنه استتباع الثواب والاجر وان عدمه لعدم مقارنته للايمان والنية الصحيحة وان الثاني ليس له جهة صالحة قط علق بالاول الحبوط المؤذن بسقوط اجره بصيغة الفعل المنبئ عن الحدوث وبالثاني البطلان المفصح عن كونه بحيث لا طائل تحته اصلا بالاسمية الدالة على كون ذلك وصفا لازما له ثابتا فيه وفي زيادة كان في الثاني دون الاول ايماء الى ان صدور اعمال البر منهم وان كان لغرض فاسد ليس في الاستمرار والدوام كصدور الاعمال التي هي من مقدمات مطالبهم الدنية وقرئ وبطل على الفعل اي ظهر بطلانه حيث علم هناك ان ذلك وما يستتبعه من الحظوظ الدنيوية مما لا طائل تحته او انقطع اثره الدنيوي فبطل مطلقا وقرئ وباطلا ما كانوا يعملون على ان ما ابهامية او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وعن انس رض ان المراد بقوله تع من كان يريد الى آخره اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسهم لهم في الغنائم وانت خبير بان ذلك انما كان بعد الهجرة والسورة مكية وقيل هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل

فقد قيل ذلك وهذا لغيره ممن يعمل اعمال البر لا لوجه الله تعالى فعلى هذا لا بد من تقييد قوله تع ليس لهم الا النار بان ليس لهم بسبب اعمالهم الريائية الا ذلك والذي تقتضيه جزالة النظم الكريم ان المراد به مطلق الكفرة بحيث يندرج فيه القادحون في القرآن العظيم اندراجا اوليا فانه عز وعلا لما امر نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بان يزدادوا علما ويقينا بان القرآن منزل من عند الله وبان لا قدرة لغيره على شيء اصلا وهيجهم على الثبات على الاسلام والرسوخ فيه عند ظهور عجز الكفرة وما يدعون من دون الله من المعارضة وتبين انهم ليسوا على شيء اصلا اقتضى الحال ان يتعرض شؤونهم الموهمة لكونهم على شيء في الجملة من نيلهم الحظوظ العاجلة واستوائهم على المطالب الدنيوية وبيان ان ذلك بمعزل من الدلالة عليه ولقد تبين ذلك بيان ثم اعيد الترغيب فيما ذكر من الايمان بالقرآن والتوحيد والاسلام فقيل **افمن كان على بينة من ربه** اي برهان نير عظيم الشأن يدل على حقية ما رغب في الثبات عليه من الاسلام وهو القرآن وباعتباره او بتأويل البرهان ذكر الضمير الراجع اليها في قوله تع **ويتلوه** اي يتبعه **شاهد** يشهد بكونه من عند الله تعالى وهو الاعجاز في نظمه المطرد في كل مقدار سورة منه او ما وقع في بعض آياته من الاخبار بالغيب وكلاهما وصف تابع له شاهد بكونه من عند الله عز وجل غير انه على التقدير الاول يكون في الكلام اشارة الى حال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في تمسكهم بالقرآن عند كونه تبين منزلا بعلم الله بشهادة الاعجاز **منه** اي من القرآن غير خارج عنه او من جهة الله تعالى فان كلا منهما وارد من جهته تعالى للشهادة ويجوز على هذا التقدير ان يراد بالشاهد المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ذلك ايضا من الشواهد التابعة للقرآن الواردة من جهته تعالى فالمراد بمن في قوله تع افمن كل من اتصف بهذه الصفة الحميدة فيدخل فيه المخاطبون بقوله فاعلموا فهل انتم مسلمون دخولا اوليا وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل المراد بالبينة دليل العقل وبالشاهد القرآن فالضمير في منه لله عز وجل او البينة القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبرائيل او لسان النبي صلى الله عليه وسلم على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والاولى هو الاول ولما كان المراد بتلو الشاهد للبرهان اقامة الشهادة بصحته وكونه من عند الله تعالى تابعا له بحيث لا يفارقه في مشهد من المشاهد فان القرآن بينة باقية على وجه الدهر مع شاهدها الذي يشهد بامرها الى يوم القيمة عند كل مؤمن وجاحد عطف كتاب موسى على فاعله مع كونه مقدما عليه في النزول قائلا عز قائلا **ومن قبله كتاب موسى** فكانه قيل افمن كان على بينة من ربه ويشهد به شاهد منه وشاهد آخر من قبله هو كتاب موسى وانما قدم في الذكر المؤخر في النزول لكونه وصفا لازما له غير مفارق منه ولعراقة في وصف التلو والتنكير في بينة وشاهد للتفخيم **اماما** اي مؤتما به في الدين ومقتدى وفي التعرض لهذا الوصف بصدد بيان تلو الكتاب ما لا يخفى من تفخيم شأن المتلو **ورحمة** اي نعمة عظيمة على من انزل اليهم ومن بعدهم الى يوم القيمة باعتبار احكامه الباقية المؤيدة بالقرآن العظيم وهما حالان من الكتاب **اولئك** الموصوفون بتلك الصفات الحميدة وهي الكون على بينة من الله تعالى ولما ان ذلك عبارة عن مطلق التمسك بها وقد يكون ذلك بطريق التقليد لمن سلف من عظماء الدين من غير عثور على دقائق الحقائق وصفهم بانهم **يؤمنون به** اي يصدقونه حق التصديق حسبما يشهد به الشواهد الحقة المعربة عن حقيته **ومن يكفر به** اي بالقرآن ولم يصدق بتلك الشواهد الحقة **من الاحزاب** من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم **فالنار موعده** يردها لا محالة حسبما نطق به قوله عز وعلا ليس لهم في الآخرة الا النار وفي جعلها موعدا اشعار بان له فيها ما لا يوصف من افانين العذاب **فلا تك في مرية منه** اي في شك من امر القرآن وكونه من عند الله عز وجل غب ما شهدت به الشواهد المذكورة وظهر فضل من تمسك به **انه الحق من ربك** الذي يربيك في دينك ودنياك **ولكن اكثر الناس لا يؤمنون** بذلك اما لقصور انظارهم واختلال افكارهم واما لعنادهم واستكبارهم فمن في قوله تع افمن كان على بينة من ربه مبتدأ خبره محذوف لاغناء الحال عن ذكره وتقديره افمن كان على بينة من ربه كاولئك الذين ذكرت اعمالهم وبين مصيرهم ومآلهم يعني ان بينهما تفاوتا عظيما بحيث لا يكاد يتراءى ناراهما وايراد الفاء بعد الهمزة لانكار ترتب توهم المماثلة على ما ذكر من صفاتهم وعد من هناتهم كانه قيل ابعد ظهور حالهم في الدنيا والآخرة كما وصف يتوهم المماثلة بينهم وبين من كان على احسن ما يكون في العاجل والآجل كما في قوله تع افاتخذتم من دونه اولياء اي ابعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء وقوله تع افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى **ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا** بان نسب اليه ما لا يليق به كقولهم للملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا او قولهم لآلهتهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله يعني انهم مع كفرهم بآيات الله تعالى مفترون عليه كذبا وهذا التركيب وان كان سبكه على انكار ان يكون احد اظلم منهم من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها ولكن المقصود به قصدا مطردا انكار المساواة ونفيها وافادة انهم اظلم من كل ظالم كما ينبئ عنه ما سيتلى من قوله عز وجل لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد منه حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل **اولئك** الموصوفون بالظلم البالغ الذي هو الافتراء على الله تعالى وبهذه الاشارة حصلت الغنية عن اسناد العرض الى اعمالهم واكتفي باسناده اليهم حيث قيل **يعرضون** لان عرضهم من تلك الحيثية وبذلك العنوان عرض لاعمالهم على وجه ابلغ فان عرض العامل بعمله افظع من عرض عمله مع غيبته **على ربهم** الحق وفيه ايماء الى بطلان رأيهم في اتخاذهم

اربابا من دون الله عز وجل ويقول الاشهاد عند العرض من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد او شهيد كأصحاب واشراف هؤلاء الذين كذبوا على
ربهم بالافتراء عليه كان ذلك امر واضح غني عن الشهادة بوقوعه وانما المحتاج الى الشهادة تعيين من صدر عنه ذلك فلذلك لا يقولون هؤلاء كذبوا على ربهم دفعا
لهم بذلك لا شهادة عليهم كما يشعر به قوله ويقولون ويشهد الى آخره وتوطئة لما يعقبه من قوله الا لعنة الله على الظالمين بالافتراء المذكور ويجوز ان يكون هذا
على الوجه الاول من كلام الله عز وجل وفيه تهويل عظيم لما يحيق بهم من عاقبة ظلمهم اللهم انا نعوذ بك من الخزي على رؤس الاشهاد الذين يصدون عن سبيل الله اي كل
من يقدرون على صده ويفعلون الصد عن سبيل الله عن دينه القويم ويبغونها عوجا انحرافا اي يصفونها بذلك وهو ابعد شيء منه او يبغون اهلها ان ينحرفوا عنها يقال
بغيتك خيرا او شرا اي طلبت لك وهذا شامل لتكذيبهم بالقرآن وقولهم انه ليس من عند الله وهم بالآخرة هم كافرون اي يصفونها بالعوج والحال انهم كافرون بها لا
انهم يؤمنون بها ويزعمون ان لها سبيلا سويا يهدون الناس اليه وتكرير الضمير لتأكيد كفرهم واختصاصهم به كأن كفر غيرهم ليس بشيء عند كفرهم اولئك مع ما وصف
من احوالهم الموجبة للتدمير لم يكونوا معجزين الله تعالى منفلتين بانفسهم من اخذه لو اراد ذلك في الارض مع سعتها وان هربوا منها كل مهرب وما كان لهم من دون الله
من اولياء ينصرونهم من بأسه ولكن اخر ذلك لحكمة تقتضيه والجمع اما باعتبار افراد الكفرة كأنه قيل وما كان لاحد منهم من ولي او باعتبار تعدد ما كانوا يدعون من دون الله
تعالى فيكون ذلك بيانا لحال آلهتهم من سقوطها عن رتبة الولاية يضاعف لهم العذاب استئناف يتضمن حكمة تأخير المؤاخذة وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالتشديد
ما كانوا يستطيعون السمع لفرط تصامهم عن الحق وبغضهم له كأنهم لا يقدرون على السمع ولما كان قبح حالهم في عدم اذعانهم للقرآن الذي طريق تلقيه السمع
اشد منه في عدم قبولهم لسائر الآيات المنوطة بالابصار بالغ في نفي الاول عنهم حيث نفى عنهم الاستطاعة واكتفى في الثاني بنفي الابصار فقال وما كانوا يبصرون
لتعاميهم عن آيات الله المبسوطة في الانفس والآفاق وهو استئناف وقع تعليلا لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان لما نفي من ولاية الآلهة فانها لا تسمع ولا تبصر فكيف تصلح
للولاية وقوله تعالى يضاعف لهم العذاب اعتراض وسط بينهما نعيا عليهم من اول الامر سوء العاقبة اولئك المنعوتون بما ذكر من القبائح الذين خسروا انفسهم باشتراء
عبادة الآلهة بعبادة الله عز سلطانه وضل عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها او خسروا ما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة
لا جرم فيه ثلاثة اوجه الاول ان لا نافية لما سبق وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما في حيزه فاعله والمعنى لا ينفعهم ذلك الفعل حق انهم في الآخرة هم الاخسرون وهذا
مذهب سيبويه والثاني جرم بمعنى كسب وما بعده مفعوله وفاعله ما دل عليه الكلام هم الاخسرون اي كسب ذلك خسرانهم فالمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور خسرانهم والثالث ان لا جرم
بمعنى لا بد اي لا بد انهم في الآخرة هم الاخسرون واياما كان فمعناه انهم اخسر من كل خاسر فتبين انهم اظلم من كل ظالم وهذه الآيات الكريمة كما ترى مقررة لما سبق
من انكار المماثلة بين من كان على بينة من ربه وبين من كان يريد الحيوة الدنيا ابلغ تقرير فانهم حيث كانوا اظلم من كل ظالم واخسر من كل خاسر لم يتصور مماثلة بينهم
وبين احد من الظلمة الاخسرين فما ظنك بالمماثلة بينهم وبين من هو في اعلى مدارج الكمال ولما ذكر فريق الكفار واعمالهم وبين مصيرهم ومآلهم شرع في بيان حال
اضدادهم اعني فريق المؤمنين وما يؤول اليه امرهم من العواقب الحميدة تكملة لما سلف من محاسنهم المذكورة في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه الآية ليتبين
ما بينهما من التباين حالا ومآلا فقيل ان الذين آمنوا اي بكل ما يجب ان يؤمن به فيندرج تحته ما نحن بصدده من الايمان بالقرآن الذي عبر عنه بالكون على بينة
من الله وانما يحصل ذلك باستماع الوحي والتدبر فيه ومشاهدة ما يؤدي الى ذلك في الانفس والآفاق وفعلوا الايمان كما في يعطي ويمنع وعملوا الصالحات واخبتوا
الى ربهم اي اطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخضوع والتواضع من الخبت وهي الارض المطمئنة ومعنى اخبت دخل في الخبت كأتهم وانجد دخل في تهامة ونجد
اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجميلة اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون وبعد بيان تباين حاليهما عقلا اريد بيان تباينهما حسا فقيل مثل الفريقين المذكورين
اي حالهما العجيب لان المثل لا يطلق الا على ما فيه غرابة من الاحوال والصفات كالاعمى والاصم والبصير والسميع اي كحال هؤلاء فيكون ذواتهم كذواتهم والكلام وان امكن
ان يحمل على تشبيه الفريق الاول بالاعمى وبالاصم وتشبيه الفريق الثاني بالبصير وبالسميع لكن الادخل في المبالغة والاقرب الى ما يشير اليه لفظ المثل والانسب بما
سبق من وصف الكفرة بعدم استطاعة السمع وبعدم الابصار ان يحمل على تشبيه الفريق الاول بمن جمع بين العمى والصمم وتشبيه الفريق الثاني بمن جمع بين
البصر والسمع على ان يكون الواو في قوله تعالى والاصم وفي قوله والسميع لعطف الصفة على الصفة كما في قول من قال الى الملك القرم وابن الهمام وليث
الكتيبة في المزدحم واياما كان فالظاهر ان المراد بالحال المدلول عليها بلفظ المثل وهي التي يدور عليها امر التشبيه ما يلايم الاحوال اللائقة المذكورة
المعتبرة في جانب المشبه به من تعامي الفريق الاول عن مشاهدة آيات الله المنصوبة في العالم والنظر اليها بعين الاعتبار وتصامهم عن استماع آيات
القرآن الكريم وتلقيها بالقبول حسبما ذكر في قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وانما لم يراع هذا الترتيب ههنا لكون الاعمى
اظهر واشهر في سوء الحال من الاصم ومن استعمال الفريق الثاني لكل من ابصارهم واسماعهم فيما ذكر كما ينبغي المدلول عليه بما سبق من الايمان والعمل الصالح

والعمل الصالح والاخبات حسبما فسر به فيما مر فلا يكون التشبيه تمثيليا لا جميع الاحوال المعدودة لكل من الفريقين مما ذكر وما يؤدي اليه من العذاب المضاعف والخسران البالغ في
احدهما ومن النعيم المقيم في الآخر فان اعتبار ذلك ينزع الى كون التشبيه تمثيليا بان ينتزع من حال الفريق الاول في تصامهم وتعاميهم المذكورين ووقوعهم بسبب ذلك في
العذاب المضاعف والخسران الذي لا خسران فوقه هيئة فتشبه بهيئة منتزعة ممن فقد مشعري البصر والسمع فتخبط في مسلكه فوقع في مهاوي الردى ولم يجد الى مقصده سبيلا
وينتزع من حال الفريق الثاني في استعمال مشاعرهم في آيات الله تعالى حسبما ينبغي وفوزهم بدار الخلود هيئة فتشبه بهيئة منتزعة ممن له بصر وسمع يستعملهما في مهماته
فيهتدي الى سبيله وينال مرامه هل يستويان يعني الفريقين المذكورين والاستفهام انكاري مقرر لما سبق من انكار المماثلة في قوله عز وجل افمن كان على بينة مثلا اي حالا
وصفة وهو تمييز من فاعل يستويان افلا تذكرون اي اتشكون في عدم الاستواء وما بينهما من التباين او اتغفلون عنه فلا تتذكرونه بالتأمل فيما ضرب لكم من المثل
فيكون الانكار واردا على المعطوفين معا او اتسمعون هذا فلا تتذكرون فيكون راجعا الى عدم التذكر بعد تحقق ما يوجب وجوده وهو المثل المضروب كما في قوله تعالى افإن
مات او قتل انقلبتم على اعقابكم فان الفاء هناك لانكار الانقلاب بعد تحقق ما يوجب عدمه من علمهم بخلو الرسل قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم او افلا تعقلون التذكر
او افلا تعقلون وفي معنى الهمزة انكار عدم التذكر واستبعاد صدوره عن المخاطبين وانه ليس مما يصح ان يقع لا من قبيل الانكار في قوله تعالى افمن كان على بينة من
ربه وقوله تعالى هل يستويان فان ذلك لنفي المماثلة ونفي الاستواء ولما بين من فاتحة السورة الكريمة الى هذا المقام انه كتاب محكم الآيات مفصلها نازل في
شأن التوحيد وترك عبادة غير الله سبحانه وان الذي انزل عليه نذير وبشير من جهته تعالى وقرر في تضاعيف ذلك ما له مدخل في تحقيق هذا المرام من الترغيب والترهيب
والزام المعاندين بما يقارنه من الشواهد الحقة الدالة على كونه من عند الله تعالى وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم عما عراه من ضيق الصدر العارض له من اقتراحاتهم
الشنيعة وتكذيبهم له وتسميتهم للقرآن تارة سحرا واخرى مفترى وتثبيته عليه السلام والمؤمنين على التمسك به والعمل بموجبه على ابلغ وجه وابدع اسلوب شرع في
تحقيق ما ذكر وتقريره بذكر قصص الانبياء صلوات الله تعالى عليهم اجمعين المشتملة على ما اشتمل عليه فاتحة السورة الكريمة لتأكيد ذلك بطريقين احدهما ان ما امر به
من التوحيد وفروعه مما اطبق عليه الانبياء قاطبة والثاني ان ذلك انما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي فلا يبقى في حقيته كلام اصلا وليتسلى بها
بما يشاهده من معاناة الرسل قبله من اممهم ومقاساتهم الشدائد من جهتهم فقيل ولقد ارسلنا نوحا الى قومه الواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وحرفه
الباء لا الواو كما في سورة الاعراف لئلا يجتمع واوان ولا يكاد يطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع وان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر
بها ونوح هو ابن لمك بن متوشلخ بن ادريس عليهما السلام وهو اول نبي بعث بعده قال ابن عباس رضي الله عنهما بعث عليه السلام على رأس اربعين من عمره
ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وكان عمره الفا وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين
سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين
سنة اني لكم نذير بالكسر على ارادة القول اي فقال او قائلا وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالفتح على اضمار حرف الجر اي ارسلناه ملتبسا بذلك الكلام وهو
اني لكم نذير بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كأن والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد واقتصر على ذكر كونه عليه السلام نذيرا لان دعوته عليه السلام كانت
بطريق الانذار فقط الا يرى الى قوله عليه السلام فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الى آخره بل لانهم لم يغتنموا مغانم البشارة
مبين ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص عنه لان الانذار اعلام المحذور لا لمجرد التخويف والازعاج بل للحذر منه فيتعلق بكلا وصفيه ان لا تعبدوا الا الله اي بان
لا تعبدوا على ان ان مصدرية والباء متعلقة بارسلنا ولا ناهية اي ارسلناه ملتبسا بنهيهم عن الشرك ووسط بينهما بيان بعض اوصافه واحواله عليه السلام وهو
كونه نذيرا مبينا ليكون ادخل في القبول ولم يفعل ذلك في صدر السورة لئلا يفرق بين الكتاب ومضمونه بما ليس من اوصافه واحواله او مفسرة متعلقة به او بنذير
او مفعول لمبين وعلى قراءة الفتح بدل من اني لكم نذير مبين وتعيين لما يوجب وقوع المحذور وتبيين لوجه الخلاص وهو عبادة الله تعالى وقوله تعالى اني اخاف عليكم
عذاب يوم اليم تعليل لموجب النهي وتحقيق للمحذور وتحقيق للانذار والمراد به يوم القيمة او يوم الطوفان ووصفه بالاليم على الاسناد المجازي للمبالغة كما في نهاره
صائم وهذه المقالة وما في معناها مما قاله عليه السلام في اثناء الدعوة على ما عزي اليه في سائر السور لما لم يصدر عنه عليه السلام مرة واحدة بل كان
يكررها عليهم في تلك المدة المتطاولة على ما نطق به قوله تعالى رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الآيات عطف على فعل الارسال المعارف لها والقول المقدر
بعده جوابهم المتعرض لاحوال المؤمنين الذين اتبعوه عليه السلام بعد اللتيا والتي بالفاء التعقيبية فقيل فقال الملأ الذين كفروا من قومه اي الاشراف منهم
من قولهم فلان مليء بكذا اي مطيق له لانهم ملؤا بكفايات الامور او لانهم ملؤا القلوب هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملأ بالاحكام والآراء الصائبة ووصفهم
بالكفر لذمهم والتسجيل عليهم بذلك من اول الامر لا لان بعض اشرافهم ليسوا بكفرة ما نراك الا بشرا مثلنا مرادهم ما انت الا بشر مثلنا ليس فيك مزية تخصك من دوننا

بما ندعيه من النبوة ولو كان كذلك لرأيناها لا ان ذلك محتمل ولكن لا نراه وكذا الحال في قولهم **وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي** فالفعلان من رؤية العين وقوله تع الا
بشرا مثلنا حال من المفعول وكذا قوله اتبعك في موضع الحال منه اما على حاله او بتقدير قد عند من يشترط ذلك ويجوز ان يكون من رؤية القلب وهو الظاهر فهما المفعول الثاني
وتعلق الرأي في الاول بالمثلية لا بالبشرية فقط وانما لم يبتوا القول بذلك مع جزمهم به واصرارهم عليه اراءة بان ذلك لم يصدر عنهم جزافا بل بعد التأمل في الامر
والتدبر فيه وكذلك اقتصروا على ذكر الظن فيما سيأتي وتعريضا من اول الامر برأي المتبعين فكأن قولهم وما نراك جواب عما يرد عليهم من انه عليه السلام ليس مثلهم
حيث عاين دلائل نبوته واغتنم اتباعه من له عين تبصر وقلب يدرك فزعموا ان هؤلاء اراذلنا اي اخساؤنا وادانينا جمع ارذل فانه صار بالغلبة جاريا مجرى الاسم
كالاكبر والاكابر او جمع اراذل جمع رذل ككالب واكلب وكلب يعنون انه لا عبرة باتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصالة رأي وقد كان ذلك منهم في بادي
الرأي اي ظاهره من غير تعمق من البدو او في اوله من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقد قرأه ابو عمرو بها وانتصابه على الظرفية على حذف المضاف
اي وقت حدوث بادي الرأي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم مع كونهم اولي الالباب الراجحة لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهر الحيوة الدنيا كان الاشرف عندهم الاكثر
منها حظا والارذل من حرمها ولم يفقهوا ان ذلك لا يزن عند الله جناح بعوضة وان النعيم انما هو نعيم الآخرة والاشرف من فاز به والارذل من حرمه نعوذ بالله تعالى
من ذلك **وما نرى لكم** اي لك ولمتبعيك فغلب المخاطب على الغائبين **علينا من فضل** يعنون ان اتباعهم لك لا يدل على نبوتك ولا يجديكم فضيلة تستتبع اتباعنا لكم
واقتصارهم هٰهنا على ذكر عدم رؤية الفضل بعد تصريحهم برذالتهم فيما سبق باعتبار حالهم السابق واللاحق ومرادهم انهم كانوا اراذل قبل اتباعهم لك ولا نرى فيهم وفيك
بعد الاتباع فضيلة علينا **بل نظنكم كاذبين** جميعا لكون كلامكم واحدا ودعواكم واحدة او اياك في دعوى النبوة واياهم في تصديقك واقتصارهم على الظن احتراز
منهم عن نسبتهم الى المجازفة ومجاراة معه عليه السلام بطريق الاراءة على نهج الانصاف **قال يا قوم ارأيتم** اي اخبروني وفيه ايماء الى ركاكة رأيهم المذكور **ان كنت على بينة**
برهان ظاهر **من ربي** وشاهد يشهد بصحة دعواي **وآتاني رحمة من عنده** هي النبوة ويجوز ان يكون هي البينة نفسها جيء بها ايذانا بانها مع كونها بينة من الله تع
رحمة ونعمة عظيمة من عنده تع فوجه افراد الضمير في قوله تع **فعميت عليكم** حينئذ ظاهر وان اريد بها النبوة وبالبينة البرهان الدال على صحتها فالافراد لارادة
كل واحدة منهما او لكون الضمير للبينة والاكتفاء بذلك لاستلزام خفائها خفاء النبوة او لتقدير فعل آخر بعد البينة ومعنى عميت اخفيت وقرئ عميت ومعناه خفيت
وحقيقته ان الحجة كما تجعل مبصرة وبصيرة تجعل عمياء لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره وفي قراءة ابي فعماها عليكم على الاسناد الى الله عز وجل **انلزمكموها** اي
انكرهكم على الاهتداء بها وهو جواب ارأيتم وساد مسد جواب الشرط وقرأ ابو عمرو باخفاء حركة الميم وحيث اجتمع ضميران منصوبان وقد قدم اعرفهما جاز في الثاني
الوصل والفصل فوصل كما في قوله تع فسيكفيكهم الله **وانتم لها كارهون** لا تختارونها ولا تتأملون فيها ومحصول الجواب اخبروني ان كنت على حجة ظاهرة الدلالة على صحة
دعواي الا انها خافية عليكم غير مسلمة عندكم ايمكننا ان نكرهكم على قبولها وانتم معرضون عنها غير متدبرين فيها اي لا يكون ذلك وظاهره مشعر بصدوره عنه عليه السلام
بطريق اظهار اليأس عن الزامهم والقعود عن محاجتهم كقوله ولا ينفعكم نصحي الى آخره لكنه محمول على ان مراده صلى الله عليه وسلم ردهم عن الاعراض عنها وحثهم على
التدبر فيها بصرف الانكار الى الالزام حال كراهتهم لها لا الى الالزام مطلقا ويجوز ان يكون المراد بالبينة دليل العقل الذي هو ملاك الفضل وبحسبه يمتاز
افراد البشر بعضها عن بعض وبه يناط الكرامة عند الله عز وجل والاجتباء للرسالة وبالكون عليها التمسك به والثبات عليه وبخفائها على الكفرة على ان يكون الضمير
للبينة عدم ادراكهم لكونه عليه السلام عليها وبالرحمة النبوة التي انكروا اختصاصه عليه السلام بها بين ظهرانيهم والمعنى انكم زعمتم ان عهد النبوة لا ينال الا من
له فضيلة على سائر الناس مستتبعة لاختصاصه به دونهم اخبروني ان امتزت عنكم بزيادة مزية وحيازة فضيلة من ربي وآتاني بحسبها نبوة من عنده فخفيت عليكم
تلك البينة ولم تصيبوها ولم تنالوها او لم تعلموا حيازتي لها وكوني عليها الى الآن حتى زعمتم اني مثلكم وهي متحققة في نفسها انلزمكم قبول نبوتي التابعة لها
والحال انكم كارهون لذلك فيكون الاستفهام للحمل على الاقرار وهو الانسب بمقام المحاجة وحينئذ يكون كلامه عليه السلام جوابا عن شبههم التي ادرجوها في خلال مقالهم
من كونه عليه السلام بشرا قصارى امره ان يكون مثلهم من غير فضل له عليهم وقطعا لشأفة آرائهم الركيكة **ويا قوم لا اسألكم عليه** اي على ما قلته في اثناء دعوتكم
مالا تؤدونه بعد ايمانكم واتباعكم لي فيكون اجرا لي في مقابلة اهتدائكم **ان اجري الا على الله** الذي يثيبني في الآخرة وفي التعبير عنه حين نسب اليهم بالمال
من المزية **وما انا بطارد الذين آمنوا** جواب عما لوحوا به بقولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا من انه لو اتبعه الاشراف لوافقوهم وان اتباع الفقراء
مانع لهم عن ذلك كما صرحوا به في قولهم انؤمن لك واتبعك الارذلون فكان ذلك التماسا منهم لطردهم وتعليقا لايمانهم به عليه السلام بذلك انفة من الانتظام معهم في
سلك واحد **انهم ملاقوا ربهم** تعليل لامتناعه عليه السلام عن طردهم اي انهم فائزون في الآخرة بلقاء الله عز وجل كأنه قيل لا اطردهم ولا ابعدهم عن
مجلسي لانهم مقربون في حضرة القدس والتعرض لوصف الربوبية لتربية وجوب رعايتهم وتحتم الامتناع عن طردهم او مصدقون في الدنيا بلقاء ربهم موقنون

به عالمون انهم ملاقوه لا محالة فكيف اطردهم وحمله على معنى انهم يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي او على خلاف ذلك مما تعرفونهم
من بناء ايمانهم على بادي الرأي من غير نظر وتفكر وما علي ان اشق عن قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون يأباه الجزم بترتب غضب الله
تعالى على طردهم كما سيأتي وايضا فهم انما قالوا ان اتباعهم لك انما هو بحسب بادي الرأي بلا تأمل وتفكر وهذا لا يكاد يصلح مدارا للطرد في الدنيا ولا للمؤاخذة
غايته ان لا يكونوا في مرتبة الموقنين وادعاء ان بناء الايمان على ظاهر الرأي يؤدي الى الرجوع عنه عند التأمل فكأنهم قالوا انهم اتبعوك بلا تأمل فلا يثبتون
على دينك بل يرتدون عنه تعسف لا يخفى **ولكني اراكم قوما تجهلون** بكل ما ينبغي ان يعلم ويدخل فيه جهلهم بلقاء الله عز وعلا وبمنزلتهم عنده وباستيجاب
طردهم لغضب الله كما سيأتي وبركاكة رأيهم في التماس ذلك وتوقيف ايمانهم عليه انفة عن الانتظام معهم في سلك واحد وزعما منهم ان الرذالة بالفقر
والشرف بالغنى وايثار صيغة الفعل للدلالة على التجدد والاستمرار او تتسافهون على المؤمنين بنسبتهم الى الخساسة **ويا قوم من ينصرني من الله** بدفع حلول
سخطه عني ان طردتهم فان ذلك امر لا مرد له لكون الطرد ظلما موجبا لحلول السخط قطعا وانما لم يصرح به اشعارا بانه غني عن البيان لا سيما بعدما قدم ما
يلوح به من احوالهم فكأنه قيل من يدفع عني غضب الله تعالى **ان طردتهم** وهم بتلك المثابة من الكرامة والزلفى كما ينبئ عنه قوله تع **افلا تذكرون** اي اتستمرون
على ما انتم عليه من الجهل المذكور فلا تتذكرون ما ذكر من احوالهم حتى تعرفوا ان ما تأتونه بمعزل عن الصواب ولكون هذه العلة مستقلة بوجه مخصوص ظاهر الدلالة
على وجوب الامتناع عن الطرد افردت عن التعليل السابق وصدرت بيا قوم **ولا اقول لكم** حين ادعي النبوة **عندي خزائن الله** اي رزقه وامواله حتى تستدلوا بعدمها
على كذبي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين فان النبوة اعز من ان ينال باسباب دنيوية ودعواها بمعزل عن ادعاء المال والجاه **ولا
اعلم الغيب** اي لا ادعي في قولي اني لكم اخاف عليكم عذاب يوم اليم علم الغيب حتى تسارعوا الى الانكار والاستبعاد **ولا اقول اني ملك** حتى تقولوا ما نراك
الا بشرا مثلنا فان البشرية ليست من موانع النبوة بل من مباديها يعني انكم اتخذتم فقدان هذه الامور الثلثة ذريعة الى تكذيبي والحال اني لا ادعي شيئا من ذلك
ولا الذي ادعيه يتعلق بشيء منها وانما يتعلق بالفضائل النفسانية التي بها تتفاوت مقادير البشر **ولا اقول** مساعدة لكم كما تقولون **للذين تزدري
اعينكم** اي تستحقرهم وتستقذرهم من زراه اذا عابه واسناد الازدراء الى اعينهم بالنظر الى قولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا واما للاشعار بان ذلك
لقصور نظرهم ولو تدبروا في شأنهم ما فعلوا ذلك اي لا اقول في شأن الذين استرذلتموهم لفقرهم من المؤمنين **لن يؤتيهم الله خيرا** في الدنيا او الآخرة فعسى الله
ان يؤتيهم خيري الدارين ان قلت هذا القول ليس مما يستنكره الكفرة ولا مما يتوهمون صدوره عنه عليه السلام اصالة او استتباعا كادعاء الملكية وعلم الغيب
وحيازة الخزائن مما نفاه عليه السلام عن نفسه بطريق التبري والتنزه عنه فمن اي وجه عطف نفيه على نفيها قلت من جهة ان كلا النفيين رد لقياسهم الباطل
الذي تمسكوا به فيما سلف فانهم زعموا ان النبوة تستتبع الامور المذكورة وانها لا تتسنى ممن ليس عليه تلك الصفات وان العثور على مكانها واغتنام
مغانمها ليس من دأب الاراذل فاجاب عليه السلام بنفي ذلك جميعا فكأنه قال لا اقول وجود تلك الاشياء من مواجب النبوة ولا عدم المال والجاه من موانع الخير
الله اعلم بما في انفسهم من الايمان وانما اقتصر على نفي القول المذكور مع انه عليه السلام جازم بان الله سبحانه سيؤتيهم خيرا عظيما في الدارين وانهم على يقين
راسخ في الايمان جريا على سنن الانصاف مع القوم واكتفاء بمخالفة كلامهم وارشادا لهم الى مسلك الهداية بان اللائق لكل احد ان لا يبت القول الا فيما يعلمه
يقينا ويبني اموره على الشواهد الظاهرة ولا يجازف فيما ليس فيه على بينة ظاهرة **اني اذا** اي اذا قلت ذلك **لمن الظالمين** لهم بحط مرتبتهم ونقص حقوقهم او
من الظالمين لانفسهم بذلك فان وباله راجع الى انفسهم وفيه تعريض بانهم ظالمون في ازدرائهم واسترذالهم وقيل اذا قلت شيئا مما ذكر من ادعاء الملكية
وعلم الغيب وحيازة الخزائن وهو بعيد لان تبعة الاقوال مغنية عن التعليل بلزوم الانتظام في زمرة الظالمين **قالوا يا نوح قد جادلتنا** خاصمتنا **فاكثرت
جدالنا** اي اطلته واتيته بانواعه فان اكثار الجدال يتحقق بعد وقوع اصله فلذلك عطف عليه بالفاء او اردت ذلك فاكثرته كما في قوله تع فاذا قرأت القرآن
فاستعذ بالله ولما حجهم عليه السلام وابرز لهم بينات واضحة المدلول وحججا تتلقاها العقول والقمهم الحجر برد شبههم الباطلة ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم
العلل وقالوا **فأتنا بما تعدنا** من العذاب المعجل او العذاب الذي اشير اليه في قوله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم على تقدير ان لا يكون المراد باليوم يوم القيمة
ان كنت من الصادقين فيما تقول **قال انما يأتيكم به الله ان شاء** يعني ان ذلك ليس موكولا الي ولا هو مما يدخل تحت قدرتي وانما يتولاه الله الذي كفرتم به
وعصيتموه يأتيكم به عاجلا او آجلا ان تعلق به مشيئته التابعة للحكمة وفيه ما لا يخفى من تهويل الموعود فكأنه قيل الاتيان به امر خارج عن دائرة القوى البشرية
وانما يفعله الله تعالى **وما انتم بمعجزين** بالهرب او بالمدافعة كما تدافعونني في الكلام **ولا ينفعكم نصحي** النصح كلمة جامعة لكل ما يدور عليه الخير من فعل او قول وحقيقته
امحاض ارادة الخير والدلالة عليه ونقيضه الغش وقيل هو اعلام موقع الغي ليتقى وموضع الرشد ليقتفى **ان اردت ان انصح لكم** شرط جوابه حذف لدلالة ما سبق

عليه والتقدير ان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي وهذه الجملة دليل على ما حذف من جواب قوله تعالى **ان كان الله يريد ان يغويكم** والتقدير ان كان الله يريد ان يغويكم
فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي هذا على ما ذهب اليه البصريون من عدم تقديم الجزاء على الشرط واما على ما ذهب اليه الكوفيون من جوازه فقوله تعالى ولا
ينفعكم نصحي جزاء للشرط الاول والجملة جزاء للشرط الثاني وعلى التقديرين فالجزاء متعلق بالشرط الاول وتعلقه به معلق بالشرط الثاني وهذا الكلام متعلق بقولهم قد
جادلتنا فاكثرت جدالنا صدر عنه عليه السلام اظهارا للعجز عن الزامهم بالحجج والبينات لتماديهم في العناد وايذانا بان ما سبق منه ليس بطريق الجدال والخصام بل بطريق
النصيحة لهم والشفقة عليهم وبانه لم يأل جهدا في ارشادهم الى الحق وهدايتهم الى سبيله المستبين وامحاض النصح لهم ولكن لا ينفعهم ذلك عند ارادة الله تعالى
لاغوائهم وتقييد عدم نفع النصح بارادته مع انه محقق لا محالة للايذان بان ذلك النصح منه مقارن للارادة والاهتمام به ولتحقيق المقابلة بين ذلك وبين ما
وقع بازائه من ارادته تعالى لاغوائهم وانما اقتصر في ذلك على مجرد ارادة الاغواء دون نفسه حيث لم يقل ان كان الله يغويكم مبالغة في بيان غلبة جنابه عز وجل
حيث دل ذلك على ان نصحه المقارن للاهتمام به لا يجديهم عند مجرد ارادة الله سبحانه لاغوائهم فكيف عند تحقيق ذلك وخلقه فيهم وزيادة كان للاشعار بتقدم ارادته
تعالى زمانا كتقدمه رتبة وللدلالة على تجددها وانما قدم على هذا الكلام ما يتعلق بقولهم فأتنا بما تعدنا من قوله تعالى انما يأتيكم به الله ان شاء ردا عليهم
من اول الامر وتسجيلا عليهم بحلول العذاب مع ما فيه من اتصال الجواب بالسؤال وفيه دليل على ان ارادته تعالى يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده غير واقع وقيل
معنى ان يغويكم ان يهلككم من غوي الفصيل غوى اذا بشم وهلك **هو ربكم** هو خالقكم ومالك امركم **واليه ترجعون** فيجازيكم على اعمالكم لا محالة **ام يقولون افتراه** قال ابن
عباس رضي يعني نوحا عليه السلام ومعناه بل ايقول قوم نوح ان نوحا افترى ما جاء به مسندا الى الله عز وجل **قل** يا نوح **ان افتريته** بالفرض البحت **فعلي اجرامي** اثمي
ووبال اجرامي وهو كسب الذنب وقرئ بلفظ الجمع ويعضده ان فسره الاولون بآثامي **وانا بريء مما تجرمون** من اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم عني ومعاداتكم
لي وقال مقاتل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ومعناه بل ايقولون مشركو مكة افترى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر نوح فكانه انما جيء به في تضاعيف القصة
عند سوق طرف منها تحقيقا لحقيتها وتأكيدا لوقوعها وتشويقا للسامعين الى استماعها لا سيما وقد قص منها طائفة متعلقة بما جرى بينه عليه السلام وبين قومه من المحاجة
وبقيت طائفة مستقلة متعلقة بعذابهم **واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك** اي المصرين على الكفر وهو اقناط له عليه السلام من ايمانهم واعلام لكونه كالمحال
الذي لا يصح توقعه **الا من قد آمن** الا من وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه وهذا الاستثناء على طريقة قوله الا ما قد سلف **فلا تبتئس بما كانوا يفعلون** اي لا
تحزن حزن بائس مستكين ولا تغتم بما كانوا يتعاطونه من التكذيب والاستهزاء والايذاء في هذه المدة الطويلة فقد انتهى افعالهم وحان وقت الانتقام منهم
واصنع الفلك ملتبسا **باعيننا** اي بحفظنا وكلاءتنا كأن معه من الله عز وجل حفاظا وحراسا يكلؤونه باعينهم من التعدي من الكفرة ومن الزيغ في الصنعة
ووحينا اليك كيف تصنعها وتعليمنا والهامنا عن ابن عباس رضي لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله تعالى اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر والامر
للوجوب اذ لا سبيل الى صيانة الروح من الغرق الا به فيجب كوجوبها واللام اما للعهد بان يحمل على ان هذا مسبوق بوحي الله تعالى اليه عليه السلام انه
سيهلكهم بالغرق وينجيه ومن معه بشيء يصنعه بامره تعالى ووحيه من شأنه كيت وكيت واسمه كذا واما للجنس قيل صنعها عليه السلام في سنتين وقيل في
اربعمائة سنة وكانت من خشب الساج وجعلت ثلاثة بطون حمل في البطن الاول الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب و
الانعام وفي البطن الاعلى جنس البشر هو ومن معه مع ما يحتاجون اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام وقيل جعل في الاول الدواب والوحوش
وفي الثاني الانس وفي الاعلى الطير قيل كان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وسمكها ثلاثين ذراعا وقال الحسن كان طولها الفا ومائتي
ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب
من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو
قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى عليه السلام اهكذا اهلكت قال لا مت وانا شاب ولكني ظننت انها الساعة فمن ثم شبت فقال
حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب وطبقة للانس وطبقة للطير ثم
قال عد باذن الله تعالى كما كنت فعاد كما كان ترابا **ولا تخاطبني في الذين ظلموا** اي لا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم وفيه من المبالغة ما ليس فيما لو
قيل ولا تدعني فيهم وحيث كان فيه ما يلوح بالاستبعاد اكد التعليل فقيل **انهم مغرقون** اي محكوم عليهم بالاغراق قد مضى به القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه
ولزمتهم الحجة فلم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين ومثلا للآخرين **ويصنع الفلك** حكاية حال ماضية لاستحضار صورتها العجيبة وقيل تقديره واخذ يصنع
الفلك او اقبل يصنعها فاقتصر على يصنع واياما كان ففيه ملاءمة للاستمرار المفهوم من الجملة الواقعة حالا من ضميره اعني قوله تعالى **وكلما مر عليه ملأ من قومه**

سخروا منه استهزأوا به لعمله السفينة اما لانهم ما كانوا يعرفونها ولا كيفية استعمالها والانتفاع بها فتعجبوا من ذلك وسخروا منه واما لانه كان يصنعها في برية
بهماء في ابعد موضع من الماء وفي وقت عزته عزة شديدة وكانوا يتضاحكون ويقولون يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا وقيل لانه عليه السلام كان
ينذرهم الغرق فلما طال مكثه فيهم ولم يشاهدوا منه عينا ولا اثرا عزوه من باب المحال ثم لما رأوا اشتغاله باسباب الخلاص من ذلك فعلوا ما فعلوا ومدار
الجميع انكار ان يكون لعمله عليه السلام عاقبة حميدة مع ما فيه من تحمل المشاق العظيمة التي لا تكاد تطاق واستجهاله عليه السلام في ذلك **قال ان تسخروا منا**
مستجهلين لنا فيما نحن فيه **فانا نسخر منكم** اي نستجهلكم فيما انتم عليه واطلاق السخرية عليه للمشاكلة وجمع الضمير في منا اما لان سخريتهم منه عليه السلام
سخرية من المؤمنين ايضا او لانهم كانوا يسخرون منهم ايضا الا انه اكتفى بذكر سخريتهم منه عليه السلام ولذلك تعرض الجميع للمجازاة في قوله تعالى فانا نسخر
منكم الى آخره فتكافأ الكلام من الجانبين وتعليق استجهاله عليه السلام اياهم بما فعلوا من السخرية باعتبار اظهاره ومشافهته عليه السلام اياهم بذلك والا
فهو عليه السلام اياهم جاهلين فيما يأتون ويذرون امر مطرد لا تعلق له بسخريتهم منهم لكنه عليه السلام لم يكن يتصدى لاظهاره جريا على نهج الاخلاق
الحميدة وانما اظهره جزاء بما صنعوا بعد اللتيا والتي فان سخريتهم كانت مستمرة ومتجددة حسب تجدد مرورهم به ولم يكن يجيبهم في كل مرة
والا لقيل ويقول ان تسخروا منا الى آخره بل انما اجابهم بعد بلوغ اذاهم الغاية كما يؤذن به الاستيناف فكان سائلا سأل فقال فما صنع نوح عند
بلوغهم منه هذا المبلغ فقيل قال ان تسخروا منا اي تنسبونا فيما نحن بصدده من التأهب والمباشرة لاسباب الخلاص من العذاب الى الجهل وتسخروا منا لاجله
فانا ننسبكم اليه فيما انتم فيه من الاعراض عن استدفاعه بالايمان والطاعة ومن الاستمرار على الكفر والمعاصي والتعرض لاسباب حلول سخط الله تعالى التي من جملتها
استجهالكم ايانا وسخريتكم منا والتشبيه في قوله عز وجل **كما تسخرون** اما في مجرد التحقق والوقوع او في التجدد والتكرر حسبما صدر عن ملأ غب ملأ
لا في الكيفيات والاحوال التي لا تليق بشأن النبي صلى الله عليه وسلم فكلا الامرين واقع في الحال وقيل نسخر منكم في المستقبل سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم
الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة ولعل مراده نعاملكم معاملة من يفعل ذلك لان نفس السخرية مما لا يكاد يليق بمنصب النبوة ومع ذلك لا سداد له لان
حالهم اذ ذاك ليس مما يلائمه السخرية او ما يجري مجراها فتأمل **فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه** وهو عذاب الغرق **ويحل عليه** حلول الدين المؤجل **عذاب مقيم**
هو عذاب النار الدائم وهو تهديد بليغ ومن عبارة عنهم وهي اما استفهامية في حيز الرفع او موصولة في محل النصب بتعلمون وما في حيزها ساد مسد مفعولين
او مفعول واحد ان جعل العلم بمعنى المعرفة ولما كان مدار سخريتهم استجهالهم اياه عليه السلام في مكابدة المشاق الفادحة لدفع ما لا يكاد يدخل تحت الصحة
على زعمهم من الطوفان ومقاساة الشدائد في بناء السفينة وكانوا يعدونه عذابا قيل بعد استجهالهم فسوف تعلمون من يأتيه العذاب يعني ان ما باشرته
ليس فيه عذاب لاحق بي فسوف تعلمون من المعذب ولقد اصاب العلم بعد استجهالهم محزه ووصف العذاب بالاخزاء لما في الاستهزاء والسخرية من لحوق الخزي
والعار عادة والتعرض لحلول العذاب المقيم للمبالغة في التهديد وتخصيصه بالمؤجل وايراد الاول بالاتيان في غاية الجزالة **حتى اذا جاء امرنا** حتى هي التي
يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لقوله ويصنع وما بينهما حال من الضمير فيه وسخروا منه جواب كلما وقال استيناف
على تقدير سؤال سائل كما ذكرناه وقيل الجواب هو سخروا منه بدل من مر او صفة لملأ وقد عرفت ان الحق هو الاول لان المقصود بيان تناهيهم
في ايذائه عليه السلام وتحمله لاذيتهم لا مسارعته عليه السلام الى جوابهم كلما وقع منهم ما يؤذيه من الكلام **وفار التنور** نبع منه الماء وارتفع
بشدة كما يفور القدر بغليانها والتنور تنور الخبز وهو قول الجمهور روي انه قيل لنوح عليه السلام اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب ومن
معك في السفينة فلما نبع الماء اخبرته امرأته فركب وقيل كان تنور آدم عليه السلام وكان من حجارة فصار الى نوح وانما نبع منه وهو ابعد شيء
من الماء على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان عمل السفينة في ذلك الموضع او في الهند
او في موضع بالشام يقال له عين وردة وعن ابن عباس وعكرمة والزهري ان التنور وجه الارض وعن قتادة اشرف موضع في الارض اي
اعلاه وعن علي رضي فار التنور طلع الفجر **قلنا احمل فيها** اي في السفينة وهو جواب اذا **من كل** اي من كل نوع لا بد منه في الارض **زوجين** الزوج
ما له مشاكل من نوعه فالذكر زوج للانثى كما هي زوج له وقد يطلق على مجموعهما فيقابل الفرد ولازالة ذلك الاحتمال قيل **اثنين** كل منهما زوج
للآخر وقرئ على الاضافة وانما قدم ذلك على اهله وسائر المؤمنين لكونه عريقا فيما امر به من الحمل لانه يحتاج الى مزاولة الاعمال منه عليه السلام
في تمييز بعضه من بعض وتعيين الازواج فانه روي انه عليه السلام قال يا رب كيف احمل من كل زوجين اثنين فحشر الله تعالى اليه السباع والطير
وغيرها فجعل يضرب بيديه في كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى والانثى في اليسرى فيجعلها في السفينة واما البشر فانما يدخل الفلك باختياره فيخف

فيه معنى الحمل اولا انها انما يحمل بمباشرة البشر وهم انما يدخلونها بعد حملهم اياها **واهلك** عطف على زوجين او على اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم **الا من سبق**
عليه القول بانه من المغرقين بسبب ظلمهم في قوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا الآية والمراد به ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين والاستثناء
منقطع ان اريد بالاهل الاهل ايمانا وهو الظاهر كما ستعرفه او متصل ان اريد به الاهل قرابة ويكفي في صحة الاستثناء المعلومية عند المراجعة الى احوالهم والتفحص
عن اعمالهم وجيء بعلى لكون السابق ضارا لهم كما جيء باللام فيما هو نافع لهم في قوله عز وجل ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ان الذين سبقت لهم منا
الحسنى **ومن آمن** من غيرهم وافراد الاهل منهم للاستثناء المذكور وايثار صيغة الافراد في آمن محافظة على لفظ من للايذان بقلتهم كما اعرب عنه قوله تعالى **وما آمن معه**
الا قليل قيل كانوا ثمانية نوح عليه السلام واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن ابن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وعنه ايضا انهم كانوا عشرة سوى
نسائهم وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء واعتبار
المعية في ايمانهم للايذان بالمعية في مقر الامان والنجاة **وقال** اي نوح عليه السلام لمن معه من المؤمنين كما ينبئ عنه قوله تعالى ان ربي لغفور رحيم ولو رجع الضمير
الى الله تعالى لناسب ان يقال ان ربكم ولعل ذلك بعد ادخال ما امر بحمله في الفلك من الازواج كأنه قيل فحمل الازواج او ادخلها في الفلك وقال للمؤمنين **اركبوا**
فيها كما يشعر به قوله تعالى وهي تجري بهم والركوب العلو على شيء متحرك ويتعدى بنفسه واستعماله ههنا بكلمة في ليس لان المأمور به كونهم في جوفها لا فوقها
كما ظن فان اظهر الروايات انه عليه السلام جعل الوحوش ونظائرها في البطن الاسفل والانعام في الاوسط وركب هو ومن معه في الاعلى بل لرعاية جانب المحلية
والمكانية في الفلك والسر فيه ان معنى الركوب العلو على شيء له حركة اما ارادية كالحيوان او قسرية كالسفينة والعجلة ونحوهما فاذا استعمل في الاول يوفر له
حظ الاصل فيقال ركبت الفرس وعليه قوله عز من قائل والخيل والبغال والحمير لتركبوها وان استعمل في الثاني يلوح بمحلية المفعول بكلمة في فيقال ركبت في السفينة
وعليه الآية الكريمة وقوله عز قائلا فاذا ركبوا في الفلك وقوله تعالى فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها **بسم الله** متعلق باركبوا حال من فاعله اي
اركبوا مسمين الله تعالى او قائلين بسم الله **مجريها ومرسيها** نصب على الظرفية اي وقت اجرائها وارسائها على انهما اسما زمان او مصدران كالاجراء والارساء بحذف
الوقت كقولك آتيك خفوق النجم او اسما مكان انتصبا بما في بسم الله من معنى الفعل او ارادة القول ويجوز ان يكون بسم الله مجراها ومرسيها جملة مستقلة من مبتدأ وخبر في
موضع الحال من ضمير الفلك اي اركبوا فيها مجراة ومرساة باسم الله تعالى بمعنى التقدير كقوله تعالى ادخلوها خالدين او جملة مقتضبة على ان نوحا امرهم بالركوب فيها
ثم اخبرهم بان اجراءها وارساءها باسم الله تعالى فيكونان كلامين له عليه السلام قيل كان عليه السلام اذا اراد ان يجريها يقول بسم الله فتجري واذا اراد ان يرسيها
يقول بسم الله فترسو ويجوز ان يكون الاسم مقحما كما في قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وامره وقرئ مجريها
ومرسيها على صيغة الفاعل مجروري المحل صفتين لله عز اسمه ومجراها ومرساها بفتح الميم مصدرين او زمانين او مكانين من جرى ورسا **ان ربي لغفور** للذنوب
والخطايا **رحيم** لعباده ولذلك نجاكم من هذه الطامة والداهية التامة ولولا ذلك لما فعله وفيه دلالة على ان نجاتهم ليست بسبب استحقاقهم لها بل بمحض
فضل الله سبحانه وغفرانه ورحمته على ما عليه رأي اهل السنة **وهي تجري بهم** متعلق بمحذوف دل عليه الامر بالركوب اي فركبوا فيها مسمين وهي تجري ملتبسة بهم **في**
موج كالجبال وهو ما ارتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة من ذلك كجبل في ارتفاعها وتراكمها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة
تجري في جوفه كالحوت فغير ثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا او اربعين ذراعا ولئن صح ذلك فهذا الجريان انما هو قبل ان يتفاقم
الخطب كما يدل عليه قوله تعالى **ونادى نوح ابنه** فان ذلك انما يتصور قبل ان ينقطع العلاقة بين السفينة والبر اذ حينئذ يمكن جريان ما جرى بين نوح عليه السلام
وبين ابنه من المفاوضة بالاستدعاء الى السفينة والجواب بالاعتصام بالجبل وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته وكان ربيبه وما
يقال من انه كان لغير رشده لقوله تعالى فخانتاهما فارتكاب عظيمة لا يقادر قدرها فان جناب الانبياء صلوات الله تعالى عليهم وسلامه ارفع من ان يشار
اليه باصبع الطعن وانما المراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف حرفها وانت خبير بانه لا يلائمه الاستدعاء الى
السفينة فانه صريح في انه لم ييأس من حياته بعد **وكان في معزل** اي في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه واخوته وقومه بحيث لم يتناوله الخطاب باركبوا
واحتاج الى النداء المذكور وقيل في معزل من الكفار قد انفرد عنهم وظن نوح انه يريد مفارقتهم ولذلك دعاه الى السفينة وقيل كان ينافق اباه
فظن انه مؤمن وقيل كان يعلم انه كافر الى ذلك الوقت لكنه عليه السلام ظن انه عند مشاهدة تلك الاهوال ينزجر عما كان عليه ويقبل الايمان وقيل لم
يكن الذي تقدم من قوله تعالى الا من سبق عليه القول نصا في كون ابنه داخلا تحته بل كان كالمجمل فحملته شفقة الابوة على ذلك **يا بني** بالفتح اقتصارا
عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة في قولك يا بنيا وقرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة او سقطت الياء والالف لالتقاء الساكنين لان الراء

بعدهما ساكنة **اركب معنا** قرأ ابو عمرو والكسائي وحفص بادغام الباء في الميم لتقاربهما في المخرج وانما اطلق الركوب عن ذكر الفلك لتعينها وللايذان بضيق المقام
حيث حال الجريض دون القريض مع اغناء المعية عن ذلك **ولا تكن مع الكافرين** اي في المكان وهو وجه الارض خارج الفلك لا في الدين وان كان ذلك مما
يوجبه كما يوجب ركوبه معه عليه السلام كونه معه في الايمان لانه عليه السلام بصدد التحذير عن المهلكة فلا يلائمه النهي عن الكفر **قال سآوي الى جبل** من الجبال **يعصمني**
بارتفاعه **من الماء** زعما منه ان ذلك كسائر المياه في ازمنة السيول المعتادة التي ربما يتقى منها بالصعود الى الربى وانى له ذلك وقد بلغ السيل الزبى وجهلا
بان ذلك انما كان لاهلاك الكفرة وان لا محيص من ذلك سوى الالتجاء الى ملجأ المؤمنين فلذلك اراد عليه السلام ان يبين له حقيقة الحال ويصرفه عن ذلك الفكر
المحال وكان مقتضى الظاهر ان يجيب بما ينطبق على كلامه ويتعرض لنفي ما اثبته للجبل من كونه عاصما له من الماء بان يقول لا يعصمك منه مفيدا النفي وصف العظمة عنه
فقط من غير تعرض لنفيه عن غيره ولا لنفي الموصوف اصلا لكنه عليه السلام حيث **قال لا عاصم اليوم من امر الله** سلك طريقة نفي الجنس المنتظم لنفي جميع افراد العاصم ذاتا
وصفة كما في قولهم ليس فيها داع ولا مجيب اي احد من الناس للمبالغة في نفي كون الجبل عاصما بالوجهين المذكورين وزاد اليوم للتنبيه على انه ليس كسائر الايام
التي تقع فيها الوقائع وتلم فيها الملمات المعتادة التي ربما يتخلص من ذلك بالالتجاء الى بعض الاسباب العادية وعبر عن الماء في محل اضماره بامر الله
اي عذابه الذي يشير اليه حيث قيل حتى اذا جاء امرنا تفخيما لشانه وتهويلا لامره وتنبيها لابنه على خطائه في تسميته ماء وتوهمه انه كسائر المياه التي يتقى
منها بالهرب الى بعض المهارب المعهودة وتعليلا للنفي المذكور فان امر الله لا يغالب وعذابه لا يرد وتمهيدا لحصر العصمة في جناب الله عز وجل جاره بالاستثناء
كأنه قيل لا عاصم من امر الله الا هو وانما قيل **الا من رحم** تفخيما لشأنه الجليل بالابهام ثم التفسير وبالاجمال ثم التفصيل واشعارا بعلية رحمته في ذلك بموجب سبقها
على غضبه وكل ذلك لكمال عنايته عليه السلام بتحقيق ما يتوخاه من نجاة ابنه ببيان شأن الداهية وقطع اطماعه الفارغة وصرفه عن التعلل بما لا يغني عنه
شيئا وارشاده الى العياذ بالمعاذ الحق عز جاره وقيل لا مكان يعصم من امر الله الا مكان من رحمه الله وهو الفلك وقيل معناه لا ذا عصمة الا من رحمه الله تعالى
وحال بينهما الموج اي بين نوح وبين ابنه فانقطع ما بينهما من المجاوبة لا بين ابنه وبين الجبل لقوله **فكان من المغرقين** اذ هو انما يتفرع على حيلولة الموج بينه
عليه السلام وبين ابنه لا بينه وبين الجبل لانه بمعزل من كونه عاصما وان لم يحل بينه وبين الملتجئ اليه موج وفيه دلالة على هلاك سائر الكفرة على ابلغ وجه
فكأن ذلك امر متقرر الوقوع غير مفتقر الى البيان وفي ايراد كان دون صار مبالغة في كونه منهم **وقيل يا ارض ابلعي** اي انشفي استعير من ازدراد الحيوان
ما يأكله للدلالة على ان ذلك ليس كالنشف المعتاد التدريجي **ماءك** اي ما على وجهك من ماء الطوفان دون المياه المعهودة فيها من العيون والانهار وعبر
عنه بالماء بعد ما عبر عنه فيما سلف بامر الله تعالى لان المقام مقام النقص والتقليل لا مقام التفخيم والتهويل **ويا سماء اقلعي** اي امسكي عن ارسال المطر يقال اقلعت
السماء والارض من الماء **وغيض الماء وقضي الامر** اي انجز ما وعد الله تعالى نوحا من اهلاك قومه وانجائه باهله او اتم الامر **واستوت** استقرت الفلك **على الجودي** وهو
جبل بالموصل او بالشام او بآمل روي انه عليه السلام ركب في الفلك في عاشر رجب ونزل عنها في عاشر المحرم فصام ذلك اليوم شكرا فصار سنة **وقيل بعدا**
للقوم الظالمين اي هلاكا لهم والتعرض لوصف الظلم للاشعار بعليته للهلاك ولتذكير ما سبق من قوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ولقد بلغت الآية
الكريمة من مراتب الاعجاز قاصيتها وملكت من غرر المزايا ناصيتها ولقد تصدى لتفصيلها المهرة المتقنون ولعمري ان ذلك فوق ما يصفه الواصفون
فحري بان نوجز الكلام في هذا الباب ونفوض الامر الى تأمل اولي الالباب والله عنده علم الكتاب **ونادى نوح ربه** اي اراد ذلك بدليل الفاء في قوله تعالى **فقال رب**
ان ابني من اهلي وقد وعدتني انجاءهم في ضمن الامر بحملهم في الفلك والنداء على الحقيقة والفاء لتفصيل ما فيه من الاجمال **وان وعدك الحق** اي وعدك ذلك
او ان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه خلف فيدخل فيه الوعد المعهود دخولا اوليا **وانت احكم الحاكمين** لانك اعلمهم واعدلهم وانت اكثر حكمة من ذوي
الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع وهذا الدعاء منه عليه السلام على طريقة دعاء ايوب عليه السلام اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت
ارحم الراحمين **قال يا نوح** لما كان دعاؤه عليه السلام بتذكير وعده جل ذكره مبنيا على كون كنعان من اهله نفى اولا كونه منهم بقوله تعالى **انه ليس من**
اهلك اي ليس منهم اصلا لان مدار الاهلية هو القرابة الدينية ولا علاقة بين المؤمن والكافر او ليس من اهلك الذين امرتك بحملهم في الفلك لخروجه عنهم
بالاستثناء وعلى التقديرين ليس هو من الذين وعد بانجائهم ثم علل عدم كونه منهم على طريقة الاستئناف التحقيقي بقوله **انه عمل غير صالح** اصله انه
ذو عمل غير صالح فجعل نفس العمل مبالغة كما في قول الخنساء فانما هي اقبال وادبار وايثار غير صالح على فاسد اما لان الفاسد ربما يطلق على ما
فسد ومن شأنه الصلاح فلا يكون نصا فيما هو من قبيل الفساد المحض كالقتل والمظالم واما للتلويح بان نجاة من نجا انما هي لصلاحه وقرأ الكسائي
ويعقوب انه عمل غير صالح اي عملا غير صالح ولما كان دعاؤه عليه السلام مبنيا على ما ذكر من كون كنعان من اهله وقد نفى ذلك وحقق ببيان علته

فرع على ذلك النهي على سؤال النجاة الا انه جيء بالنهي على وجه عام يندرج فيه ذلك اندراجا اوليا فقيل فلا تسألن اي اذا وقفت على جلية الحال فلا تطلب مني
ليس لك به علم اي مطلبا لا تعلم يقينا ان حصوله صواب وموافق للحكمة على تقدير كونها عبارة عن المسؤول الذي هو مفعول للسؤال او طلبا لا تعلم انه صواب
على تقدير كونه عبارة عن المصدر الذي هو مفعول مطلق فيكون النهي واردا بصريحه في كل من معلوم الفساد ومشتبه الحال ويجوز ان يكون المعنى ما ليس لك
علم بانه صواب او غير صواب فيكون النهي واردا في مشتبه الحال ويفهم منه حال معلوم الفساد بالطريق الاولى وعلى التقديرين فهو عام يندرج تحته ما
نحن فيه كما ذكرناه وهذا كما ترى صريح في ان نداءه عليه السلام ربه عز وعلا ليس استفسارا عن سبب عدم انجاء ابنه مع سبق وعده بانجاء اهله وهو
منهم كما قيل فان النهي عن استفسار ما لم يعلم غير موافق للحكمة وعدم العلم بالشيء داع الى الاستفسار عنه لا الى تركه بل هو دعاء منه لانجاء ابنه حين
حال الموج بينهما ولم يعلم بهلاكه بعد اما بتقريبه الى الفلك بتلاطم الامواج او بتقريبها اليه وقيل او بانجائه في قلة الجبل وبإباه تذكير الوعد في الدعاء
فانه مخصوص بالانجاء في الفلك وقوله لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم ومجرد حيلولة الموج بينهما لا يستوجب هلاكه فضلا عن العلم به لظهور امكان
عصمة الله تعالى اياه برحمته وقد وعد بانجاء اهله ولم يكن ابنه مجاهرا بالكفر كما ذكرناه حتى لا يجوز عليه عليه السلام ان يدعوه الى الفلك او يدعو ربه لانجائه
واعتزاله عنه عليه السلام وقصده الالتجاء الى الجبل ليس نصا في الاصرار على الكفر لظهور جواز ان يكون لجهله بانحصار النجاة في الفلك وزعمه ان الجبل ايضا
يجري مجراه او لكراهة الاحتباس في الفلك بل قوله سآوي الى جبل يعصمني من الماء بعدما قال له نوح عليه السلام ولا تكن مع الكافرين ربما يطمعه عليه السلام
في ايمانه حيث لم يقل اكون معهم او سآوي ويعصمني فان افراد نفسه بنسبة الفعلين المذكورين ربما يشعر بانفراده من الكافرين واعتزاله عنهم وامتثاله
ببعض ما امره به نوح عليه السلام الا انه عليه السلام لو تأمل في شأنه حق التأمل وتفحص عن احواله في كل ما يأتي وما يذر لما اشتبه عليه انه ليس من
المستثنى من اهله ولذلك قيل اني اعظك ان تكون من الجاهلين فعبر عن ترك الاولى بذلك وقرئ فلا تسألن بغير ياء الاضافة وبالنون الثقيلة بياء
وبغير ياء قال رب اني اعوذ بك ان اسألك اي اطلب منك من بعد ما ليس لي به علم اي مطلوبا لا اعلم ان حصوله مقتضى الحكمة او طلبا لا اعلم انه صواب سواء
كان معلوم الفساد او مشتبه الحال ولا اعلم انه صواب او غير صواب على ما مر وهذه توبة منه عليه السلام مما وقع منه وانما لم يقل اعوذ بك منه او من ذلك مبالغة في
التوبة واظهارا للرغبة والنشاط فيها وتبركا بذكر ما لقنه الله تعالى وهو ابلغ من ان يقول اتوب اليك ان اسألك لما فيه من الدلالة على كون ذلك امرا هائلا
محذورا لا محيص منه الا بالعوذ بالله تعالى وان قدرته قاصرة عن النجاة من المكاره الا بذلك والا تغفر لي ما صدر عني من السؤال المذكور وترحمني بقبول
توبتي اكن من الخاسرين اعمالا بسبب ذلك فان الذهول عن شكر الله تعالى لا سيما عند وصول هذه النعمة الجليلة التي هي النجاة وهلاك الاعداء والاشتغال
بما لا يعني خصوصا بمبادي خلاص من قيل في شأنه انه عمل غير صالح والتضرع الى الله تعالى في امره معاملة غير رابحة وخسران مبين وتأخير ذكر هذا النداء
عن حكاية الامر الوارد على الارض والسماء وما يتلوه من زوال الطوفان وقضاء الامر واستواء الفلك على الجودي والدعاء بالهلاك على الظالمين
مع ان حقه ان يذكر عقيب قوله تعالى فكان من المغرقين حسبما وقع في الخارج اذ حينئذ يتصور الدعاء بالانجاء لا بعد العلم بالهلاك ليس لما قيل من
استقلاله بغرض مهم هو جعل قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان لا يقدم في الامور الدينية الاصولية الا بعد اليقين قياسا على ما وقع في قصة
البقرة من تقديم ذكر الامر بذبحها على ذكر القتيل الذي هو اول القصة فكان حقها ان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة
فاضربوه ببعضها كما قرر في موضعه فان تغيير الترتيب هناك للدلالة على كمال سوء حال اليهود بتعديد جناياتهم المتنوعة وتثنية التقريع عليهم
بكل نوع على حدة فقوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة الى آخره لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى
الامتثال وما يتبع ذلك وقوله تعالى واذ قتلتم نفسا الى آخره للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الامور العظيمة ولو قصت القصة على ترتيبها
لفات الغرض الذي هو تثنية التقريع ولظن ان المجموع تقريع واحد واما ما نحن فيه فليس مما يمكن ان يراعى فيه مثل تلك النكتة اصلا وما ذكر
من جعل القرابة الدينية غامرة للقرابة النسبية الى آخره لا يفوت على تقدير سوق الكلام على ترتيب الوقوع ايضا بل لان ذكر هذا النداء كما ترى
مستدع لذكر ما مر من الجواب المستدعي لذكر ما مر من توبته عليه السلام المؤدي ذكرها الى ذكر قبولها في ضمن الامر الوارد بنزوله عليه السلام من الفلك
بالسلام والبركات الفائضة عليه وعلى المؤمنين حسبما يجيء مفصلا ولا ريب في ان هذه المعاني آخذ بعضها بحجزة بعض بحيث لا يكاد يفرق الآيات الكريمة
المنطوية عليها بعضها من بعض وان ذلك انما يتم بتمام القصة ولا ريب ان ذلك انما يكون بتمام الطوفان فلا جرم اقتضى الحال ذكرها قبل هذا
النداء وذلك انما يكون عند كون ذكر كنعان من المغرقين ولهذه النكتة ازداد حسن موقع الايجاز البليغ وفيه فائدة اخرى هي التصريح بهلاكه من

من اول الامر ولو ذكر النداء اثر عقيب قوله فكان من المغرقين لربما توهم من اول الامر الى ان يرد قوله انه ليس من اهلك الى آخره انه ينجو بدعائه عليه
السلام فيحمل على هلاكه من اول الامر ثم ذكر الامر الوارد على الارض والسماء الذي هو عبارة عن تعلق الارادة الربانية الازلية بما ذكر من الغيض
والاقلاع وبين بلوغ امر الله محله وجريان قضائه ونفوذ حكمه عليهم بهلاك من هلك ونجاة من نجا بتمام الطوفان واستواء الفلك على الجودي فقصت
القصة الى هذه المرتبة وبين ذلك وبين ذلك اي بيان ثم تعرض لما وقع في تضاعيف ذلك مما جرى بين نوح وبين رب العزة جلت حكمته فذكر
بعد توبته عليه السلام قبولها بقوله قيل يا نوح اهبط اي انزل من الفلك وقرئ بضم الباء بسلام ملتبسا بسلامة من المكاره كائنة منا او بسلام
وتحية منا عليك كما قال سلام على نوح في العالمين وبركات عليك اي خيرات نامية في نسلك وما يقوم به معاشك ومعاشهم من انواع الارزاق
وقرئ بركة وهذا اعلام وبشارة من الله تعالى بقبول توبته وخلاصه من الخسران بفيضان انواع الخيرات عليه في كل ما يأتي وما يذر وعلى امم ناشئة
ممن معك متشعبة منهم فمن ابتدائية والمراد الامم المؤمنة المتناسلة ممن معه الى يوم القيمة وامم سنمتعهم اي وممنهم امم على انه خبر حذف لدلالة ما سبق
عليه فان المراد الامم المبارك عليهم المتشعبة منهم نكرة يدل على ان بعض من يتشعب منهم ليسوا على صفتهم يعني ليس جميع من تشعب منهم مسلما ومباركا
عليه بل منهم امم ممتعون في الدنيا معذبون في الآخرة وعلى هذا لا يكون الكائنون مع نوح عليه السلام مسلما ومباركا عليهم صريحا وانما يفهم ذلك
من كونهم مع نوح عليه السلام ومن كون ذرياتهم كذلك بدلالة النص ويجوز ان يكون من بيانية اي وعلى امم هم الذين معك وانما سموا امما لانهم
امم متحزبة وجماعة متفرقة او لان جميع الامم انما تشعبت منهم فحينئذ يكون المراد بالامم المشار اليهم في قوله تعالى وامم سنمتعهم بعض الامم المتشعبة
منهم وهي الامم الكافرة المتناسلة منهم الى يوم القيمة ويبقى امر الامم الناشئة المؤمنة منهم مبهما غير متعرض له ولا مدلول عليه ومع ذلك ففي
دلالة المذكور على خبره المحذوف خفاء لان من المذكورة بيانية والمحذوفة تبعيضية او ابتدائية فتأمل ثم يمسهم اما في الآخرة او في الدنيا
ايضا منا عذاب اليم عن محمد بن كعب القرظي داخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيمة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن
زيد هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام
وبالعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى ما قص من قصة نوح عليه السلام اما لكونها بتقضيها في حكم البعيد او للدلالة على بعد منزلتها وهي
مبتدأ خبره من انباء الغيب اي من جنسها اي ليست من قبيل سائر الانباء بل هي نسيج وحدها متفردة عما عداها او بعضها نوحيها اليك خبر ثان
والضمير لها اي موحاة اليك وهو الخبر ومن انباء متعلق به فالتعبير بصيغة المضارع لاستحضار الصورة او حال من انباء الغيب اي موحاة اليك
ما كنت تعلمها انت ولا قومك خبر آخر اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا اي من قبل ايحائنا اليك واخبارك بها او من قبل هذا العلم الذي كسبته
بالوحي او من قبل هذا الوقت وحال من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك بها وفي ذكر جهلهم تنبيه على انه عليه السلام لم يتعلمه
اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يعلموه فكيف يؤخذ منهم فاصبر متفرع على الايحاء او العلم المستفاد منه المدلول عليه بقوله ما كنت تعلمها انت
ولا قومك من قبل هذا اي واذ قد اوحيناها اليك او علمتها بذلك فاصبر على مشاق تبليغ الرسالة واذية قومك كما صبر نوح على ما سمعته من انواع
البلايا في هذه المدة المتطاولة وهذا ناظر الى ما سبق من قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك الى آخره ان العاقبة بالظفر في الدنيا وبالفوز
في الآخرة للمتقين كما شاهدته في نوح عليه السلام وقومه ولك فيه اسوة حسنة وهي تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليل للامر بالصبر
فان كون العاقبة الحميدة للمتقين وهي في اقصى درجات التقوى والمؤمنون كلهم متقون مما يسليه عليه السلام ويهون عليه الخطوب ويذهب عنه ما عسى
يعتريه من ضيق صدر وهذا على تقدير ان يراد بالتقوى الدرجة الاولى منه اعني التوقي من العذاب المخلد بالتبري وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى
ويجوز ان يراد الدرجة الثالثة منه وهي ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهي التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله
حق تقاته فان التقوى بهذا المعنى منطو على الصبر المذكور فكأنه قيل فاصبر فان العاقبة للصابرين والى عاد متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى ارسلنا في
قصة نوح وهو الناصب لقوله تعالى اخاهم اي وارسلنا الى عاد اخاهم اي واحدا منهم في النسب كقولهم يا اخا العرب وتقديم المجرور على المنصوب
للحذر عن الاضمار قبل الذكر وقيل متعلق بالفعل المذكور فيما سبق واخاهم معطوف على نوحا وقد مر في سورة الاعراف وقوله تعالى هودا عطف بيان لاخاهم
وكان عليه السلام من جملتهم فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن آدم بن سام بن نوح عليه السلام وقيل هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح
عليه السلام ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لكلامه واعرف بحاله وارغب في اقتدائه قال لما كان ذكر ارساله عليه السلام اليهم مظنة

للسؤال عما قال لهم ودعاهم إليه أجيب عنه بطريق الاستئناف فقيل قال يا قوم اعبدوا الله أي وحده كما ينبئ عنه قوله تعالى ما لكم من إله غيره فإنه استئناف يجري مجرى البيان
للعبادة المأمور بها والتعليل للأمر بها كأنه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا إذ ليس لكم من إله سواه وغيره بالرفع صفة لإله باعتبار محله وقرئ
بالجر حملا له على لفظه إن أنتم ما أنتم باتخاذكم الأصنام شركاء له أو بقولكم إن الله أمرنا بعبادتها إلا مفترون عليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا يا قوم لا أسألكم
عليه أجرا إن أجري إلا على الذي فطرني خاطب به كل نبي قومه إزاحة لما عسى يتوهمونه وإمحاضا للنصيحة فإنها ما دامت مشوبة بالمطامع بمعزل عن التأثير
وإيراد الموصول للتفخيم وجعل الصلة فعل الفطرة لكونه أقدم النعم الفائضة من جناب الله تعالى المستوجبة للشكر الذي لا يتأتى إلا بالجريان على موجب
أمره الغالب معرضا عن المطالب الدنيوية التي من جملتها الأجر أفلا تعقلون أي تغفلون عن هذه القضية أو لا تتفكرون فيها فلا تعقلونها أو تجهلون
كل شيء فلا تعقلون شيئا أصلا فإن هذا مما لا ينبغي أن يخفى على أحد من العقلاء ويا قوم استغفروا ربكم أي اطلبوا مغفرته لما سلف منكم من الذنوب بالإيمان
والطاعة ثم توبوا إليه أي توسلوا إليه وأيضا التبري من الغير إنما يكون بعد الإيمان بالله تعالى والرغبة فيما عنده يرسل السماء أي المطر عليكم مدرارا أي كثير الدرور
ويزدكم قوة مضافة ومنضمة إلى قوتكم أي يضاعفها لكم وإنما رغبهم بكثرة المطر لأنهم كانوا أصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله تعالى عنهم القطر
وأعقم أرحام نسائهم ثلاث سنين فوعدهم عليه السلام كثرة الأمطار وتضاعف القوة بالتناسل على الإيمان والتوبة ولا تتولوا أي لا تعرضوا عما
دعوتكم إليه مجرمين مصرين على ما كنتم عليه من الإجرام قالوا يا هود ما جئتنا ببينة أي بحجة تدل على صحة دعواك وإنما قالوه لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم
بما جاءهم من البينات الفائتة للحصر وما نحن بتاركي آلهتنا أي بتاركي عبادتها عن قولك أي صادرين عنه أي صادرا تركنا عن ذلك بإسنادها حال الوصف
إلى الموصوف ومعناه التعليل على أبلغ وجه لدلالته على كونه علة فاعلية ولا يفيده الباء واللام وهذا كقولهم المنقول عنهم في سورة الأعراف أجئتنا لنعبد الله
وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا وما نحن لك بمؤمنين أي بمصدقين في شيء مما تأتي وتذر فيندرج تحته ما دعاهم إليه من التوحيد وترك عبادة
الآلهة وفيه من الدلالة على شدة الشكيمة وتجاوز الحد في العتو ما لا يخفى إن نقول إلا اعتراك أي ما نقول إلا قولنا اعتراك أي أصابك بعض
آلهتنا بسوء بجنون لسبك إياها وصدك عن عبادتها وحطك لها عن رتبة الألوهية والمعبودية بما مر من قولك ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا
مفترون والتنكير في سوء للتقليل كأنهم لم يبالغوا في العتو كما ينبئ عنه نسبة ذلك إلى بعض آلهتهم دون كلها والجملة مقول القول وإلا لغو
لأن الاستثناء مفرغ وهذا الكلام مقرر لما مر من قولهم وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين فإن اعتقادهم بكونه عليه السلام كما
قالوا وحاشاه من ذلك يوجب عدم الاعتداد بقوله وعده من قبيل الخرافات فضلا عن التصديق والعمل بمقتضاه يعنون أنا لا نعتقد كلامك
إلا من قبيل ما لا يحتمل الصدق والكذب من الهذيانات الصادرة عن المجانين فكيف نصدقه ونؤمن به ونعمل بموجبه ولقد سلكوا في طريقة المخالفة
والعناد إلى سبيل الترقي من الأدنى إلى الأعلى حيث أخبروا أولا عن عدم مجيئه بالبينة مع احتمال كون ما جاء به عليه السلام حجة في نفسه وإن لم تكن
واضحة الدلالة على المراد وثانيا عن ترك الامتثال بقوله عليه السلام بقولهم وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك مع إمكان تحقق ذلك بتصديقهم
له عليه السلام بكلامه ثم نفوا تصديقهم له عليه السلام بقولهم وما نحن لك بمؤمنين مع كون كلامه عليه السلام مما يقبل التصديق ثم نفوا عنه تلك
المرتبة أيضا حيث قالوا إن نقول إلا اعتراك الخ قاتلهم الله أنى يؤفكون قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه أي من
إشراككم من دون الله أي من غير أن ينزل به سلطانا كما قال في سورة الأعراف أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من
سلطان أو مما تشركونه من الآلهة غير الله جاب به عن مقالتهم الحمقاء المبنية على اعتقاد كون آلهتهم مما يضر أو ينفع وأنها بمعزل عن ذلك وإنما
ما وقع إلا منه عليه السلام في حق آلهتهم من كونها بمعزل عن الألوهية إنما وقع في ضمن الأمر بعبادة الله تعالى واختصاصها وقد شق عليهم ذلك وعدوه
مما يورث شينا حتى زعموا أنها تصيبه عليه السلام بسوء مجازاة بصنيعه معها صرح عليه السلام بالحق وصدع به حيث أخبر ببراءته القديمة عنها بالجملة
الاسمية المصدرة بإني واستشهد الله على ذلك وأمرهم بأن يسمعوا ذلك وليشهدوا به استهانة بهم ثم أمرهم بالاجتماع والاحتشاد مع آلهتهم جميعا
دون بعض منها حسبما يشعر به قولهم بعض آلهتنا والتعاون في إيصال الكيد إليه عليه السلام ونهاهم عن الإنظار والإمهال في ذلك فقال فكيدوني
جميعا ثم لا تنظرون أي إن صح ما لوحتم به من كون آلهتكم مما يقدر على إضرار من ينال منها ويصد عن عبادتها ولو بطريق ضمني فإني بريء منها
فكونوا أنتم معها جميعا وباشروا كيدي ثم لا تمهلوني ولا تسامحوني في ذلك فالفاء لتفريع الأمر على زعمهم في قدرة آلهتهم على ما قالوا
وعلى البراءة كليهما وهذا من أعظم المعجزات فإنه عليه السلام كان رجلا منفردا بين الجم الغفير والجمع الكثير من عتاة عاد الغلاظ الشداد وقد خاطبهم

بما خاطبهم وحقرهم وآلهتهم وهيجهم على مباشرة مبادي المضادة والمضارة وحثهم على التصدي لأسباب المعازة والمعاداة فلم يقدروا على مباشرة
شيء مما كلفوه وظهر عجزهم عن ذلك ظهورا بينا كيف لا وقد التجأ إلى ركن منيع رفيع واعتصم بحبل متين حيث قال إني توكلت على الله ربي وربكم
يعني أنكم وإن بذلتم في مضارتي مجهودكم لا تقدرون على شيء مما تريدونه بي فإني متوكل على الله تعالى وإنما جيء بلفظ الماضي لكونه أدل على الإنشاء
المناسب للمقام وأنا واثق بكلاءته وحفظه عن غوائلكم وهو مالكي ومالككم لا يصدر عنكم شيء ولا يصيبني أمر إلا بإرادته ومشيئته ثم برهن عليه بقوله
ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها أي إلا هو مالك لها قادر عليها يصرفها كيف يشاء غير مستعصية عليه فإن الأخذ بالناصية تمثيل لذلك
إن ربي على صراط مستقيم تعليل لما يدل عليه التوكل من عدم قدرتهم على إضراره أي هو على الحق والعدل فلا يكاد يسلطكم علي إذ لا يضيع عنده معتصم
ولا يفوته ظالم والاقتصار على إضافة الرب إلى نفسه إما بطريق الاكتفاء لظهور المراد وإما لأن فائدة كونه تعالى مالكا لهم أيضا راجعة إليه عليه
السلام فإن تولوا أي تتولوا بحذف إحدى التاءين أي إن تستمروا على ما كنتم عليه من التولي والإعراض فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم أي لم أعاتب على
تفريط في الإبلاغ وكنتم محجوجين بأن بلغكم الحق فأبيتم إلا التكذيب والجحود ويستخلف ربي قوما غيركم استئناف بالوعيد لهم بأن الله تعالى يهلكهم
ويستخلف في ديارهم وأموالهم قوما آخرين أو عطف على الجواب بالفاء ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه بالجزم عطفا على الموضع كأنه قيل فإن تولوا
يعذرني ويهلككم ويستخلف مكانكم آخرين وفي اقتصار إضافة الرب عليه عليه السلام رمز إلى اللطف به والتدمير للمخاطبين ولا تضرونه بتوليكم شيئا
من الضرر لاستحالة ذلك عليه ومن جزم ويستخلف أسقط النون إن ربي على كل شيء حفيظ أي رقيب مهيمن فلا يخفى عليه أعمالكم فيجازيكم بحسبها أو
حافظ مستول على كل شيء فكيف يضره شيء وهو الحافظ للكل ولما جاء أمرنا أي نزل عذابنا وفي التعبير عنه بالأمر مضافا إلى ضميره جل
جلاله وعن نزوله بالمجيء ما لا يخفى من التفخيم والتهويل أو ورد أمرنا بالعذاب نجينا هودا والذين آمنوا معه وكانوا أربعة آلاف برحمة عظيمة
كائنة منا وهي الإيمان الذي أنعمنا به عليهم بالتوفيق والهداية إليه ونجيناهم من عذاب غليظ أي كانت تلك التنجية تنجية من عذاب غليظ
وهي السموم التي كانت تدخل أنوف الكفرة وتخرج من أدبارهم فتقطعهم إربا إربا وقيل أريد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب
أغلظ منه وأشد وهذه التنجية وإن لم تكن مقيدة بمجيء الأمر لكن جيء بها تكملة للنعمة عليهم وتعريضا بأن المهلكين كما عذبوا في الدنيا
بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد أنث اسم الإشارة باعتبار القبيلة أو لأن الإشارة إلى قبورهم وآثارهم
جحدوا بآيات ربهم كفروا بها بعدما استيقنوها وعصوا رسله جمع الرسل مع أنه لم يرسل إليهم غير هود عليه السلام تفظيعا لحالهم وإظهارا
لكمال كفرهم وعنادهم ببيان أن عصيانهم له عليه السلام عصيان لجميع الرسل السابقين واللاحقين لاتفاق كلمتهم على التوحيد لا نفرق
بين أحد من رسله فيجوز أن يراد بالآيات ما أتى به هود وغيره من الأنبياء عليهم السلام وفيه زيادة ملاءمة لما تقدم من جمع الآيات وما تأخر
قوله تعالى واتبعوا أمر كل جبار عنيد من كبرائهم ورؤسائهم الدعاة إلى الضلال وإلى تكذيب الرسل فكأنه قيل عصوا كل رسول واتبعوا أمر كل
جبار وهذا الوصف ليس كما سبق من جحود الآيات وعصيان الرسل في الشمول لكل فرد فرد منهم فإن الاتباع للأمر من وصف الأسافل دون
الرؤساء وعنيد فعيل من عند عندا وعنودا وعنيدا إذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم إلى الهدى وأطاعوا من دعاهم إلى الردى واتبعوا في هذه
الدنيا لعنة إبعادا عن الرحمة وعن كل خير أي جعلت اللعنة لازمة لهم وعبر عن ذلك بالتبعية للمبالغة فكأنها لا تفارقهم وإن ذهبوا
كل مذهب بل تدور عليهم معهم حيثما داروا ولوقوعه في صحبة أتباعهم رؤساءهم يعني أنهم لما اتبعوهم أتبعوا ذلك جزاء وفاقا ويوم
القيامة أي أتبعوا يوم القيامة أيضا لعنة وهي عذاب النار المخلد حذفت لدلالة الأولى عليها وللإيذان بكون كل من اللعنتين نوعا برأسه لم يجتمعا في
قرن واحد بأن يقال وأتبعوا في هذه الدنيا ويوم القيامة لعنة كما في قوله تعالى واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إيذانا باختلاف
نوعي الحسنتين فإن المراد بالحسنة الدنيوية نحو الصحة والكفاف والتوفيق للخير وبالحسنة الأخروية الثواب والرحمة ألا إن عادا كفروا ربهم أي بربهم
أو نعمة ربهم حملا له على نقيضه الذي هو الشكر أو جحدوه ألا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك مع كونهم هالكين أي هلاك تسجيلا عليهم باستحقاق الهلاك
واستيجاب الدمار وتكرير حرف التنبيه وإعادة عاد للمبالغة في تفظيع حالهم والحث على الاعتبار بقصتهم قوم هود عطف بيان لعاد فائدته
التمييز عن عاد الثانية عاد إرم والإيماء إلى أن استحقاقهم للبعد بسبب ما جرى بينهم وبين هود عليه السلام وهم قومه وإلى ثمود أخاهم صالحا عطف
على ما سبق من قوله تعالى وإلى عاد أخاهم هودا وثمود قبيلة من العرب سموا باسم أبيهم الأكبر ثمود بن عابر بن إرم بن سام وقيل إنما سموا بذلك

تقله ما بهم من الثمد وهو الماء القليل وصالح عليه السلام هو بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود ولما كان الاخبار بارساله اليهم مظنة لان يسأل ويقال ماذا قال لهم قيل جوابا عنه بطريق الاستيناف **قال يا قوم اعبدوا الله** اي وحده وعلل ذلك بقوله تع **ما لكم من اله غيره** ثم زيد فيما يبعثهم على الايمان والتوحيد ويحثهم على زيادة الاخلاص بقوله **هو انشأكم من الارض** اي هو كونكم وخلقكم منها لا غيره فقصر قلبا وقصر افراد فان خلق آدم عليه السلام منها خلق لجميع افراد البشر لما مر مرارا من ان خلقه عليه السلام لم يكن مقصورا على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على خلق جميع ذرياته التي ستوجد الى يوم القيمة انطواء اجماليا وقيل ان خلق آدم عليه السلام وانشاء مواد النطف التي منها خلق نسله من التراب انشاء لجميع الخلق من الارض فقدبر **واستعمركم** من العمر اي عمركم واستبقاكم **فيها** او من العمارة اي اقدركم على عمارتها او امركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لمن بعدكم **فاستغفروه ثم توبوا اليه** فان ما فصل من فنون الاحسان داع الى الاستغفار عما وقع منهم من التفريط والتوبة عما كانوا عليه وكانوا يباشرونه من القبائح وقد زيد في بيان ما يوجب ذلك فقيل **ان ربي قريب** اي قريب الرحمة كقوله تع ان رحمة الله قريب من المحسنين **مجيب** لمن دعاه وسأله وقد روعي في النظم الكريم نكتة حيث قدم ذكر العلة الباعثة المتقدمة على الامر بالاستغفار والتوبة واخر عنه ذكر الغاية المتأخرة عنهما في الوجود اعني الاجابة **قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا** اي كنا نرجو منك لما كنا نرى منك من دلائل السداد ومخائل الرشاد ان تكون لنا سيدا او مستشارا في الامور وعن ابن عباس رض فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه **قبل هذا** الذي باشرته من الدعوة الى التوحيد وترك عبادة الآلهة او قبل هذا الوقت فكانهم لم يكونوا الى الآن على يأس من ذلك ولو بعد الدعوة الى الحق فالآن قد انصرم عنك رجاؤنا وقرئ مرجوا بالمد والهمزة **اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا** اي عبدوا والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية **واننا لفي شك مما تدعونا اليه** من التوحيد وترك عبادة الاوثان وغير ذلك من الاستغفار والتوبة **مريب** اي موقع في الريب من ارابه اذا اوقعه في الريبة اي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة او من اراب اذا كان ذا ريبة وايهما كان فالاسناد مجازي والتنوين فيه وفي شك للتفخيم **قال يا قوم ارأيتم** اي اخبروني **ان كنت** في الحقيقة **على بينة** اي حجة ظاهرة وبصيرة وبرهان **من ربي** مالكي ومتولي امري **وآتاني منه** من جهته **رحمة** نبوة وهذه الامور وان كانت متحققة الوقوع لكنها صدرت بكلمة الشك اعتبارا لحال المخاطبين ورعاية لحسن المحاورة لاستنزالهم عن المكابرة **فمن ينصرني من الله** اي ينجيني من عذابه والعدول الى الاظهار لزيادة التهويل والفاء لترتيب انكار النصرة على ما سبق من ايتاء النبوة وكونه على بينة من ربه على تقدير العصيان حسبما يعرب عنه قوله تع **ان عصيته** اي بالمساهلة في تبليغ الرسالة والمجاراة معكم فيما تأتون وتذرون فان العصيان ممن ذلك شأنه ابعد والمؤاخذة عليه الزم وانكار نصرته ادخل **فما تزيدونني** اذن باستتباعكم اياي كما ينبئ عنه قولهم قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اي لا تفيدونني اذ لم يكن فيه اصل الخسران حتى يزيدوه **غير تخسير** اي غير ان تجعلوني خاسرا بابطال اعمالي وتعريضي لسخط الله تعالى او فما تزيدونني بما تقولون غير ان انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم لخاسرون فالزيادة على معناه والفاء لترتيب عدم الزيادة على انتفاء الناصر المفهوم من انكاره على تقدير العصيان مع تحقق ما ينفيه من كونه عليه السلام على بينة من ربه وايتائه النبوة **ويا قوم هذه ناقة الله** الاضافة للتشريف والتنبيه على انها مفارقة لسائر ما يجانسها من حيث الخلقة ومن حيث الخلق **لكم آية** معجزة دالة على صدق نبوتي وهي حال من ناقة الله والعامل ما في هذه من معنى الفعل ولكم حال من آية متقدمة عليها لكونها نكرة ولو تأخرت لكانت صفة لها ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان ولكم خبرا وعاملا في آية **فذروها** خلوها وشأنها **تأكل في ارض الله** ترعى نباتها وتشرب ماءها واضافة الارض الى الله عز وجل لتربية استحقاقها لذلك وتعليل الامر بتركها وشأنها **ولا تمسوها بسوء** بولغ في النهي عن التعرض لها بما يضرها حيث نهى عن المس الذي هو من مبادي الاصابة ونكر السوء اي لا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من السوء فضلا عن عقرها وقتلها **فيأخذكم عذاب قريب** اي قريب النزول روي انهم طلبوا منه ان يخرج من صخرة تسمى الكاثبة ناقة عشراء مخترجة جوفاء وبراء وقالوا ان فعلت ذلك صدقناك فأخذ صالح عليهم مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم انتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع بن عمرو في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذواب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع رأسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق عليهم ذلك **فعقروها** قيل زينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا

فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها **فقال** لهم صالح **تمتعوا** اي عيشوا **في داركم** اي في منازلكم او في الدنيا **ثلثة ايام** قيل قال لهم تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب **ذلك** اشارة الى ما يدل عليه الامر بالتمتع ثلثة ايام من نزول العذاب عقيبها وما في ذلك من معنى البعد للتفخيم **وعد غير مكذوب** اي غير مكذوب فيه فحذف الجار للاتساع المشهور كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب كأن الواعد قال له اني بك فان وفى به صدقه والا كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول **فلما جاء امرنا** اي عذابنا او امرنا بنزوله وفيه ما لا يخفى من التهويل **نجينا صالحا والذين آمنوا معه** متعلق بنجينا او بآمنوا **برحمة** بسبب رحمة عظيمة **منا** وهي بالنسبة الى صالح النبوة والى المؤمنين الايمان كما مر او ملتبسين برحمة ورأفة منا **ومن خزي يومئذ** اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة كقوله تع ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى انه وكانت تلك التنجية تنجية من خزي يومئذ اي من ذلة ومهانة او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة كما فسر به العذاب الغليظ فيما سبق فيكون المعنى ونجيناهم من عذاب يوم القيمة بعد تنجيتنا اياهم من عذاب الدنيا وعن نافع بالفتح على اكتساء المضاف البناء من المضاف اليه هنا وفي المعارج في قوله تع من عذاب يومئذ وقرئ بالتنوين ونصب يومئذ **ان ربك** الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم **هو القوي العزيز** القادر على كل شيء والغالب عليه لا غيره ويكون الاخبار بتنجية الاولياء لا سيما عند الانباء بحلول العذاب اهم ذكرا ما ولانهم اخبر بهلاك الاعداء فقال **واخذ الذين ظلموا** عدل عن الضمير الى المظهر تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بعليته لنزول العذاب بهم **الصيحة** اي صيحة جبرائيل عليه السلام وقيل اتتهم من السماء صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة ولعلها وقعت عقيب الصيحة المستتبعة لتموج الهواء **فاصبحوا** اي صاروا **في ديارهم** اي بلادهم او مساكنهم **جاثمين** هامدين موتى لا يتحركون والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون ذلك عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من الدلالة على شدة الاخذ وسرعته اللهم انا نعوذ بك من حلول غضبك قيل لما رأوا العلامات التي بينها صالح من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله عليه السلام فنجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع وهو يوم الاحد تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فأتتهم الصيحة فتقطعت قلوبهم فهلكوا **كأن لم يغنوا** اي كأنهم لم يقيموا **فيها** في بلادهم او في مساكنهم وهو في موقع الحال اي اصبحوا جاثمين مماثلين لمن لم يوجد ولم يقم في مقام قط **الا ان ثمود** وضع موضع المظهر لزيادة البيان ونونه ابو بكر هنا وفي النجم وقرأ حفص هنا وفي الفرقان والعنكبوت بغير تنوين **كفروا ربهم** صرح بكفرهم مع كونه معلوما مما سبق من احوالهم تقبيحا لحالهم وتعليلا لاستحقاقهم بالدعاء عليهم بالبعد والهلاك في قوله تع **الا بعدا لثمود** وقرأ الكسائي بالتنوين **ولقد جاءت رسلنا ابراهيم** وهم الملائكة عن ابن عباس رض انهم جبرائيل وميكائيل وقيل هم جبرائيل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وقال الضحاك كانوا تسعة وعن محمد بن كعب جبرائيل ومعه سبعة وعن السدي احدى عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل كانوا اثني عشر ملكا عليهم السلام وانما اسند اليهم مطلق المجيء بالبشرى دون الارسال لانهم لم يكونوا مرسلين اليه عليه السلام بل الى قوم لوط لقوله تع انا ارسلنا الى قوم لوط وانما جاؤه لرعاية البشرى ولما كان المقصود في السورة الكريمة ذكر سوء صنيع الامم الى نقم مع الرسل المرسلة اليهم ولحوق العذاب بهم بسببه ذلك ولم يكن جميع قوم ابراهيم عليه السلام ممن لحق بهم العذاب بل انما لحق بقوم لوط منهم خاصة غير الاسلوب المطرد فيما سبق من قوله تع والى عاد اخاهم هودا والى ثمود اخاهم صالحا ثم رجع اليه حيث قيل والى مدين اخاهم شعيبا **بالبشرى** اي ملتبسين بها قيل هي مطلق البشرى المنتظمة للبشارة بالولد من سارة لقوله تعالى فبشرناها باسحق الآية وقوله وبشرناه بغلام حليم وقوله وبشروه بغلام عليم وللبشارة بعدم لحوق الضرر به لقوله تع فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى لظهور تفرع المجادلة على مجيئها كما سيأتي وقيل هي البشارة بهلاك قوم لوط ويأباه مجادلته عليه السلام في شأنهم والاظهر انها البشارة بالولد وستعرف سر تفرع المجادلة على ذلك ولما كان الاخبار بمجيئهم بالبشرى مظنة لسؤال السامع بانهم ما قالوا اجيب بانهم **قالوا سلاما** اي سلمنا او نسلم عليك سلاما ويجوز ان يكون نصبه بقالوا اي قالوا قولا ذا سلام او ذكروا سلاما **قال سلام** اي عليكم سلام اي سلام عليكم حياهم باحسن من تحيتهم وقرئ سلم كحرم في حرام وقرأ ابن ابي عبلة قال سلاما وعنه انه قرأه بالرفع فيهما **فما لبث** اي ابراهيم **ان جاء بعجل** اي في المجيء به او ما لبث تحيئته بعجل **حنيذ** اي مشوي بالرضف في الاخدود وقيل سمين يقطر ودكه كقوله بعجل سمين من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال **فلما رأى ايديهم لا تصل اليه** لا يمدون اليه ايديهم للاكل **نكرهم** اي انكرهم يقال نكره وانكره واستنكره بمعنى وانما انكرهم لانهم كانوا اذا نزل بهم ضيف ولم يأكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير وقد روي

انهم كانوا ينكتون بقداح كانت في ايديهم في اللحم ولا تصل اليه ايديهم وهذا الانكار منه عليه السلام راجع الي فعلهم المذكور واما انكاره المتعلق بانفسهم فلا
تعلق له برؤيته عدم اكلهم وانما وقع ذلك عند رؤيته لهم لعدم كونهم ممن كان يعهد من الناس الا يرى الي قوله تع في سورة الذاريات سلام قوم منكرون
واوجس منهم اي احس واضمر من جهتهم خيفة لما ظن ان نزولهم لامر انكره الله تعالى عليه او لتعذيب قومه وانما اخر المفعول الصريح عن الظرف لان المراد
الاخبار بانه عليه السلام اوجس من جهتهم شيئا هو الخيفة لا انه اوجس الخيفة من جهتهم لا من جهة غيرهم وتحقيقه ان تاخير ما حقه التقديم يوجب ترقب
النفس اليه فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن قالوا لا تخف ما قالوه بمجرد ما راوا منه مخايل الخوف ازالة له منه بل بعد اظهاره عليه السلام له قال
تعالى في سورة الحجر قال انا منكم وجلون ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء بذلك انا ارسلنا ظاهره انه استيناف في معنى التعليل للنهي المذكور كما ان قوله تع
انا نبشرك تعليل لذلك فان ارسالهم الي قوم اخرين يوجب امنهم من الخوف اي ارسلنا بالعذاب الي قوم لوط خاصة الا انه ليس كذلك فان قوله تع
قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الي قوم مجرمين صريح في انهم قالوه جوابا عن سؤاله عليهم السلام وقد اوجز الكلام ههنا اكتفاء
بذلك وامراته قائمة وراء الستر بحيث تسمع محاورتهم او على رؤسهم للخدمة حسبما هو المعتاد والجملة حال من ضمير قالوا اي قالوه وهي قائمة
تسمع مقالتهم فضحكت سرورا بزوال الخوف وبهلاك اهل الفساد او بهما جميعا وقيل بوقوع الامر حسبما كانت تقول فيما سلف فانها
كانت تقول لابراهيم اضمم اليك لوطا فاني ارى ان العذاب نازل بهؤلاء القوم وقيل ضحكت حاضت ومنه ضحكت الشجرة اذا سال صمغها
وهو بعيد وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحق اي عقبناها سرورها بسرور اتم منه على السنة رسلنا ومن وراء اسحق يعقوب بالنصب على انه مفعول
لما دل عليه قوله فبشرناها اي وهبنا لها من وراء اسحق يعقوب وقرئ بالرفع على الابتداء خبره الظرف اي من بعد اسحق يعقوب مولودا او موجود وكلا
الاسمين داخل في البشارة كيحيى وواقع في الحكاية بعد ان ولدا فسميا بذلك وتوجيه البشارة ههنا اليها مع ان الاصل في ذلك ابراهيم عليه السلام
وقد وجهت اليه حيث قيل وبشرناه بغلام حليم وبشروه بغلام عليم للايذان بان ما بشر به يكون منهما ولكونها عقيمة حريصة على الولد قالت استئناف
ورد جوابا عن سؤال من سال وقال فما فعلت اذ بشرت بذلك فقيل قالت يا ويلتى اصل الويل الخزي ثم شاع في كل امر فظيع والالف مبدلة من ياء
الاضافة كما في يا لهفا ويا عجبا وقرا الحسن على الاصل وامالها ابو عمرو وعاصم في رواية ومعناه يا ويلتى احضري فهذا اوان حضورك وقيل هي
الف الندبة ويوقف عليها بهاء السكت االد وانا عجوز بنت تسعين او تسع وتسعين سنة وهذا الذي تشاهدونه بعلي اي زوجي واصل
البعل القائم بالامر شيخا وكان ابن مائة وعشرين سنة ونصبه على الحال والعامل معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو شيخ
او خبر اخر او هو الخبر وبعلي بدل من اسم الاشارة او بيان له وكلا الجملتين وقعتا حالا من الضمير في االد لتقرير ما فيه من الاستبعاد وتعليله اي االد
وكلانا على حالة منافية لذلك وانما قدمت بيان حالها على بيان حاله عليه السلام لان مباينة حالها لما ذكر من الولادة اكثر اذ ربما يولد للشيوخ
من الشواب اما العجائز داؤهن عقام ولان البشارة متوجهة اليها صريحا ولان العكس في البيان ربما يوهم من اول الامر نسبة المانع عن الولادة الي
جانب ابراهيم عليه السلام وفيه ما لا يخفى من المحذور واقتصارها على الاستبعاد على ولادتها من غير تعرض لحال النافلة لانها المستبعد واما ولادة ولدها
فلا يتعلق بها استبعاد ان هذا اي ما ذكر من حصول الولد من هرمين مثلنا لشيء عجيب بالنسبة الي سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده وهذه
الجملة لتعليل الاستبعاد بطريق الاستيناف التحقيقي ومقصدها استعظام نعمة الله عز وجل عليها في ضمن الاستعجاب العادي لا استبعاد ذلك بالنسبة الي قدرته
سبحانه وتعالى قالوا اتعجبين من امر الله اي قدرته وحكمته او تكوينه او شانه انكروا عليها تعجبها من ذلك لانها كانت ناشئة في بيت النبوة
ومهبط الوحي والايات ومظهر المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان حقها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء من امثال هذه الخوارق
من الطاف الله تعالى الخفية ولطائف صنعه الفائضة على كل احد ممن يتعلق بذلك مشيئته الازلية لا سيما على اهل بيت النبوة الذي ليست مرتبتهم عند الله
سبحانه كمراتب سائر الناس وان تسبح الله تعالى وتحمده وتمجده والي ذلك اشاروا بقوله تعالى رحمة الله التي وسعت كل شيء واستتبعت كل خير
وانما وضع المظهر موضع المضمر لزيادة تشريفها وبركاته اي خيراته النامية المتكاثرة في كل باب التي من جملتها هبة الاولاد وقيل الرحمة النبوة والبركات
الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابراهيم عليه السلام عليكم اهل البيت نصب على المدح او الاختصاص لانهم اهل بيت خليل
الرحمن وصرف الخطاب من صيغة الواحدة الي جمع المذكر لتعميم حكمه لابراهيم عليه السلام ايضا ليكون جوابهم لها جوابا له ايضا ان خطر بباله
مثل ما خطر ببالها والجملة كلام مستانف علل به انكار تعجبها كانه قيل ليس المقام مقام التعجب فان الله تعالى على كل شيء قدير ولستم يا اهل

بيت النبوة والكرامة والزلفى كسائر الطوائف بل رحمته المستتبعة لكل خير الواسعة لكل شيء وبركاته اي خيراته النامية الفائضة منه بواسطة
تلك الرحمة الواسعة لازمة لكم لا تفارقكم انه حميد فاعل ما يستوجب الحمد مجيد كثير الخير والاحسان الي عباده والجملة لتعليل ما سبق من قوله رحمة الله
وبركاته عليكم فلما ذهب عن ابراهيم الروع اي ما اوجس منهم من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم وعرفان سبب مجيئهم والفاء لربط بعض احوال ابراهيم
عليه السلام ببعض غب انفصالها بما ليس باجنبي من كل وجه بل له مدخل تام في السياق والسباق وتاخير الفاعل عن الظرف لانه مصب الفائدة
فان تاخير ما حقه التقديم تبقى النفس مترقبة ومنتظرة الي وروده فيتمكن فيها عند وروده اليها فضل تمكن وجاءته البشرى ان فسرت
البشرى بقولهم لا تخف فسببيته ذهاب الخوف ومجيء السرور للمجادلة المدلول عليها بقوله تع يجادلنا في قوم لوط اي جادل رسلنا في
شانهم وعدل الي صيغة الاستقبال لاستحضار صورتها او طفق يجادلنا ظاهرة واما ان فسرت ببشارة الولد او بما يعمها فلعل سببيتها
له من حيث انها تفيد زيادة اطمينان قلبه بسلامته وسلامة اهله ومجادلته اياهم انه قال لهم حين قالوا له انا مهلكوا اهل هذه القرية
ارايتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارايتم
ان كان فيها رجل مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله ان قيل المتبادر من هذا الكلام
ان يكون ابراهيم عليه السلام قد علم انهم مرسلون لاهلاك قوم لوط قبل ذهاب الروع عن نفسه ولكن لم يقدر على مجادلتهم في شانهم لاشتغاله
بشان نفسه فلما ذهب عنه الروع فرغ لها مع ان ذهاب الروع انما هو قبل العلم بذلك لقوله تع قالوا لا تخف انا ارسلنا الي قوم لوط قلنا
كان لوط عليه السلام على شريعة ابراهيم عليه السلام وقومه مكلفين بها فلما راى من الملائكة ما راى خاف على نفسه وعلى كافة امته التي
من جملتهم قوم لوط ولا ريب في تقدم هذا الخوف على قولهم لا تخف واما الذي علمه عليه السلام بعد النهي عن الخوف فهو اختصاص قوم لوط بالهلاك
لا دخولهم تحت العموم فتامل والله الموفق ان ابراهيم لحليم غير عجول على الانتقام ممن اساء اليه اواه كثير التاوه على الذنوب والتاسف على الناس منيب
راجع الي الله تعالى والمقصود بتعداد صفاته الجميلة المذكورة بيان ما حمله عليه السلام على ما صدر عنه من المجادلة يا ابراهيم اي قالت الملائكة يا ابراهيم
اعرض عن هذا الجدال انه اي الشان قد جاء امر ربك اي قدره الجاري على وفق قضائه الازلي الذي هو عبارة عن الارادة الازلية والعناية
الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص حسب تعلقها بالاشياء في اوقاتها وهو المعبر عنه بالقدر وانهم اتيهم عذاب غير مردود بجدال
ولا بدعاء ولا بغيرهما ولما جاءت رسلنا لوطا قال ابن عباس رضي الله عنهما انطلقوا من عند ابراهيم عليه السلام الي لوط عليه السلام وبين القريتين
اربعة فراسخ ودخلوا عليه في صور غلمان مرد حسان الوجوه فلذلك سيء بهم اي ساءه مجيئهم لظنه انهم اناس فخاف ان يقصدهم قومه ويعجز عن مدافعتهم
وقرا نافع وابن عامر والكسائي وابو عمرو سيء وسيئت باشمام السين بالضم روي ان الله تعالى قال للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات
فلما مشى معهم منطلقا بهم الي منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرها قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات
فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امراته فاخبرت به قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا ما رايت مثل وجوههم قط وضاق بهم ذرعا اي
ضاق بمكانهم صدره او قلبه او وسعه وطاقته وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقيل ضاقت نفسه عن هذا الحادث والذرع
وذكر الذرع مثل وهو المساحة وكانه قدر البدن مجازا اي ان بدنه ضاق قدره من احتمال ما وقع وقيل الذراع اسم للجارحة من المرفق الي الانامل
ومدها ومعنى ضيق الذرع في قوله تع ضاق بهم ذرعا قصرها كما ان معنى سعتها وبسطها طولها ووجه التمثيل بذلك ان القصير الذرع اذا مدها ليتناول ما
يتناوله الطويل الذرع تقاصر عنه وعجز عن تناوله فضرب مثلا للذي قصرت طاقته دون بلوغ الامر وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه اي
لوطا وهو في بيته مع اضيافه قومه يهرعون اليه اي يسرعون كانما يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه والجملة حال من قومه وكذا قوله ومن قبل اي
قبل هذا الوقت كانوا يعملون السيئات اي جاؤا مسرعين والحال انهم كانوا منهمكين في عمل السيئات فضروا بها وتمرنوا فيها حتى لم يبق عندهم قباحتها ولذلك
لم يستحيوا مما فعلوا من مجيئهم مهرعين مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن من قبل ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم
لا لعدم مشروعيته فان تزويج المسلمات من الكفار كان جائزا وقد زوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنته من عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن الربيع قبل الوحي وكلاهما
كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه واياما كان فقد اراد به وقاية ضيفه وذلك غاية الكرام وقيل ما كان ذلك القول
منه مجرى على الحقيقة من ارادة النكاح بل كان ذلك مبالغة في التواضع لهم واظهارا لشدة امتعاضه مما اوردوا عليه طمعا في ان يستحيوا منه

اذا سمعوا ذلك فينزجروا عما اقدموا عليه مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم جميعا بان لا مناكحة بينهم وهو الانسب بقولهم لقد علمت ما لنا في بناتك من حق
كما ستقف عليه **فاتقوا الله** بترك الفواحش او بايثارهن عليهم **ولا تخزون في ضيفي** اي لا تفضحوني في شانهم فان اخزاء ضيف الرجل وجاره اخزاء له او لا تخجلوني
من الخزاية وهي الحياء **اليس منكم رجل رشيد** يهتدي الى الحق الصريح ويرعوي عن الباطل القبيح **قالوا** معرضين عما نصحهم به من الامر بتقوى الله تعالى والنهي عن
اخزائه مجيبين عن اول كلامه **لقد علمت ما لنا في بناتك من حق** مستشهدين بعلمه بذلك يعنون انك قد علمت ان لا سبيل الى المناكحة بيننا وبينك وما عرضك
الا عرض سابري ولا مطمع لنا في ذلك **وانك لتعلم ما نريد** من اتيان الذكران ولما يئس عليه السلام من ارعوائهم عما هم عليه من الغي **قال لو ان لي بكم قوة**
اي لفعلت بكم ما فعلت وصنعت ما صنعت كقوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى **او آوي الى ركن شديد** عطف على ان لي بكم
الى آخره لما فيه من معنى الفعل اي لو قويت على دفعكم بنفسي او اويت الى ناصر عزيز قوي اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في الشدة والمنعة وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد روي انه عليه السلام اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رات
الملائكة ما على لوط من الكرب **قالوا** اي الرسل لما شاهدوا عجزه عن مدافعة قومه **يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك** بضرر ولا مكروه فافتح الباب ودعنا واياهم
ففتح الباب فدخلوا فاستاذن جبريل عليه السلام ربه رب العزة جل جلاله في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه
وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم كما قال عز وعلا فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا
وهم يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط قوما سحرة **فاسر باهلك** بالقطع من الاسراء وقرا ابن كثير ونافع بالوصل حيث جاء في القرآن من السرى والفاء
لترتيب الامر بالاسراء على الاخبار برسالتهم المؤذنة بورود الامر والنهي من جنابه عز وجل اليه عليه السلام **بقطع من الليل** بطائفة منه **ولا يلتفت منكم**
اي لا يتخلف ولا ينظر الى ورائه **احد** منك ومن اهلك وانما نهوا عن ذلك ليجدوا في السير فان من يلتفت الى ما وراءه لا يخلو عن ادنى وقفة او لئلا
يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم **الا امراتك** استثناء من قوله تعالى فاسر باهلك ويؤيده انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك
وقرئ بالرفع على البدل من احد فالالتفات بمعنى التخلف لا بمعنى النظر الى الخلف كيلا يلزم التناقض بين القراءتين المتواترتين فان النصب يقتضي كونها
غير مامور بالاسراء بها والرفع كونه مامورا بذلك والاعتذار بان مقتضى الرفع انما هو مجرد كونها معهم وذلك لا يستدعي الامر بالاسراء بها حتى
يلزم المناقضة لجواز ان تسري هي بنفسها كما روي انه عليه السلام لما اسرى باهله تبعتهم فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه
فادركها حجر فقتلها وان يسري بها عليه السلام من غير امر بذلك اذ موجب النصب انما هو عدم الامر بالاسراء بها لا النهي عن الاسراء بها حتى يكون
عليه السلام بالاسراء بها مخالفا للنهي لا يجدي نفعا لان انصراف الاستثناء الى الالتفات يستدعي بقاء الاهل على العموم فيكون الاسراء بها مامورا
به قطعا وفي حمل الاهلية في احدى القراءتين على الاهلية الدينية وفي الاخرى على النسبية مع ان فيه ما لا يخفى من التحكم والاعتساف كر على ما فر منه
المناقضة فالاولى حينئذ جعل الاستثناء في القراءتين من قوله لا يلتفت مثل الذي في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل منهم فان ابن عامر قراه بالنصب وان
كان الافصح الرفع على البدل ولا بعد في كون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه بطريق الاستصلاح ولذلك
علله على طريقة الاستئناف بقوله **انه مصيبها ما اصابهم** من العذاب وهو امطار الحجارة وان لم يصبها الخسف والضمير في انه للشان وقوله تعالى مصيبها خبر
وقوله ما اصابهم مبتدأ والجملة خبر لان الذي اسمه ضمير الشان وفيه ما لا يخفى من تفخيم شان ما اصابهم ولا حسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع
موعدهم الصبح اي موعد عذابهم وهلاكهم تعليل للامر بالاسراء والنهي عن الالتفات المشعر بالحث على الاسراع **اليس الصبح بقريب** تاكيد للتعليل فان قرب الصبح
داع الى الاسراع في الاسراء للتباعد عن مواقع العذاب وروي انه قال للملائكة عليهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح قال اريد اسرع من ذلك فقالوا ذلك
وانما جعل ميقات هلاكهم الصبح لانه وقت الدعة والراحة فيكون حلول العذاب حينئذ افظع ولانه انسب بكون ذلك عبرة للناظرين **فلما جاء امرنا** اي
وقت عذابنا وموعده وهو الصبح **جعلنا عاليها** اي عالي قرى قوم لوط وهي التي عبر عنها بالمؤتفكات وهي خمس مدائن فيها اربعمائة الف **سافلها**
اي قلبناها على تلك الهيئة وجعل عاليها معمولا اول للجعل وسافلها معمولا ثانيا له وان تحقق القلب بالعكس ايضا لتهويل الامر وتفظيع الخطب لان
جعل عاليها الذي هو مقارهم ومساكنهم سافلها اشد عليهم واشق من جعل سافلها عاليها وان كان مستلزما له روي ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه
في اسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واسناد الجعل والامطار الى ضميره سبحانه باعتبار
انه المسبب لتفخيم الامر وتهويل الخطب **وامطرنا عليها** على اهل المدائن او شذاذهم **حجارة من سجيل** من طين متحجر كقوله حجارة من طين وقيل اصله

سنك كل فعرب وقيل هو من اسجله اذا اعطاه والمعنى من مثل الشيء المرسل او من مثل العطية في الادرار او من السجل اي مما كتب الله تعالى ان يعذبهم به وقيل
اصله من سجين اي من جهنم فابدلت نونه لاما **منضود** نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه اثر بعض كقطار الامطار **مسومة** معلمة للعذاب
وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيماء تتميز به عن حجارة الارض او باسم من ترمى به **عند ربك** في خزائنه التي لا يتصرف فيها غيره عز وجل **وما هي** اي
الحجارة الموصوفة **من الظالمين** من كل ظالم **ببعيد** فانهم بسبب ظلمهم مستحقون لها وملابسون بها وفيه وعيد شديد لاهل الظلم كافة وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل عليه السلام فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي
هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم واسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تاويل الحجارة بالحجر او اجرائه على موصوف مذكر اي بشيء
بعيد او بمكان بعيد فانها وان كانت في السماء وهي في غاية البعد من الارض الا انها حين هوت منها فهي اسرع شيء لحوقا بهم فكانها بمكان قريب
منهم او لانه على زنة المصدر كالزفير والصهيل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث **والى مدين** اي اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام
او جعل اسما للقبيلة بالغلبة او اهل مدين وهو بلد بناه مدين فسمي باسمه **اخاهم** اي نسيبهم **شعيبا** وهو ابن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان
يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعة قومه والجملة معطوفة على قوله تعالى والى ثمود اخاهم صالحا اي وارسلنا الى مدين اخاهم شعيبا **قال** استئناف
وقع جوابا عن سؤال نشا عن صدر الكلام فكانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال كما قال من قبله من الرسل عليهم السلام **يا قوم اعبدوا الله** وحده ولا
تشركوا به شيئا **ما لكم من اله غيره** تحقيق للتوحيد وتعليل للامر به وبعدما امرهم بما هو ملاك امر الدين واول ما يجب على المكلفين نهاهم عن ترتيب مبادي
ما اعتادوه من البخس والتطفيف عادة مستمرة فقال **ولا تنقصوا المكيال والميزان** كي تتوسلوا بذلك الى بخس حقوق الناس **اني اريكم بخير** اي ملتبسين
بثروة وسعة تغنيكم عن ذلك ونعمة من الله تعالى حقها ان تقابل بغير ما تاتونه من المساءة والتفضل على الناس شكرا عليها او اراكم بخير فلا تزيلوه
بما انتم عليه من الشر وهو على كل علة للنهي عقب بعلة اخرى اعني قوله عز وجل **واني اخاف عليكم** اي ان لم تنتهوا عن ذلك **عذاب يوم محيط** لا يشذ منه
شاذ منكم وقيل عذاب يوم مهلك من قوله تعالى واحيط بثمره واصله من احاطة العدو والمراد عذاب يوم القيمة او عذاب الاستئصال ووصف اليوم بالاحاطة
وهي حال العذاب على الاسناد المجازي وفيه من المبالغة ما لا يخفى فان اليوم زمان يشتمل على ما وقع فيه من الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للعذاب
ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه ويجوز ان يكون هذا تعليلا للامر والنهي جميعا **ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط** اي بالعدل من غير
زيادة ولا نقصان فان الزيادة في الكيل والوزن وان كان تفضلا مندوبا اليه لكنها في الالة محظورة كالنقص فلعل الزائد للاستعمال عند الاكتيال
والناقص للاستعمال وقت الكيل وانما امر بتسويتهما وتعديلهما صريحا بعد النهي عن نقصهما مبالغة في الحمل على الايفاء والمنع من البخس وتنبيها على انه
لا يكفيهم مجرد الكف عن النقص والبخس بل يجب عليهم اصلاح ما افسدوه وجعلوه معيارا لظلمهم وقانونا لعدوانهم **ولا تبخسوا الناس** بسبب نقصهما
وعدم اعتدالهما **اشياءهم** التي يشترونها بهما وقد صرح بالنهي عن البخس بعدما علم ذلك في ضمن النهي عن نقص المعيار والامر بايفائه اهتماما بشانه
وترغيبا في ايفاء الحقوق بعد الترهيب والزجر عن نقضها ويجوز ان يكون المراد بالامر بايفاء المكيال والميزان الامر بايفاء المكيل والموزون ويكون
النهي عن البخس عاما للنقص في المقدار وغيره تعميما بعد التخصيص كما في قوله تعالى **ولا تعثوا في الارض مفسدين** فان العثي يعم نقص الحقوق وغيره من
انواع الفساد وقيل البخس المكس كاخذ العشور في المعاملات قال زهير بن ابي سلمى افي كل اسواق العراق اتاوة وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم
والعثي في الارض السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقتل الغلام
وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امر آخرتكم ومصالح دينكم **بقية الله** اي ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عن تعاطي المحرمات **خير لكم** مما تجمعون
بالبخس والتطفيف فان ذلك هباء منثور بل شر محض وان زعمتم ان فيه خيرا كقوله تعالى يمحق الله الربوا ويربي الصدقات **ان كنتم مؤمنين** بشرط
ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان لا محالة وان كنتم مصدقين بما في مقالتي لكم وقيل البقية
الطاعة كقوله عز وعلا والباقيات الصالحات خير عند ربك وقرئ تقية الله بالفوقانية وهي تقواه عن المعاصي **وما انا عليكم بحفيظ** احفظكم
من القبائح واحفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت اذ انذرت ولم آل في ذلك جهدا او ما انا بحافظ ومستبق عليكم
نعم الله تعالى ان لم تتركوا ما انتم عليه من سوء الصنيع **قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد آباؤنا** من الاوثان اجابوا بذلك امره عليه
السلام اياهم بعبادة الله تعالى وحده المتضمن لنهيهم عن عبادة الاصنام ولقد بالغوا في ذلك وبلغوا اقصى مراتب الخلاعة والمجون وعلى ذلك

والضلال حيث لم يكتفوا بانكار الوحي الآمر بذلك حتى ادعوا ان لا امر به من العقل واللب اصلا وانه من احكام الوسوسة والجنون وعلى ذلك بنوا استفهامهم
وقالوا بطريق الاستهزاء اصلوتك التي هي من نتايج الوسوسة وافاعيل المجانين تامرك بان نترك عبادة الاوثان التي توارثناها ابا عن جد وانما
جعلوه عليه السلام مأمورا مع ان الصادر عنه انما هو الامر بعبادة الله تعالى وغير ذلك من الشرايع لانه عليه السلام لم يكن يأمرهم بذلك من تلقاء نفسه
بل من جهة الوحي وانه كان يعلمهم بانه مأمور بتبليغه اليهم وتخصيصهم باسناد الامر الى الصلوة من بين سائر احكام النبوة لانه عليه السلام كان
كثير الصلوة معروفا بذلك وكانوا اذا رأوه يصلي يتغامزون ويتضاحكون فكانت هي من بين سائر شعائر الدين ضحكة لهم وقرئ اصلوتك
او ان نفعل في اموالنا ما نشاء جواب عن امره عليه السلام بايفاء الحقوق ونهيه عن البخس والنقص معطوف على ما اي او ان نترك ان نفعل في اموالنا ما
نشاء من الاخذ والاعطاء والزيادة والنقص وقرئ بالتاء في الفعلين عطفا على مفعول تأمرك اي اصلوتك تأمرك ان تفعل انت في اموالنا ما تشاء
وتجويز العطف على ما على ان يراد بالترك معنيان متخالفان والمراد بفعله عليه السلام ايجاب الايفاء والعدل في معاملاتهم لا نفس الايفاء
فان ذلك ليس من افعاله عليه السلام بل من افعالهم وانما لم نقل عطفا على ان نترك لان الترك ليس مأمورا به على الحقيقة بل انما هو مأمور بتكليفه عليه السلام
اياهم وامره بذلك والمعنى اصلوتك تأمرك ان تكلفنا ان نترك ما يعبد آباؤنا وحمله على معنى اصلوتك تأمرك بما ليس في وسعك وعهدتك من
افاعيل غيرك ليكون ذلك تعريضا منهم بركاكة رأيه عليه السلام واستهزائهم به من تلك الجهة يأباه دخول الهمزة على الصلوة دون الامر ويستدعي
ان يصدر عنه عليه السلام في اثناء الدعوة ما يدل على ذلك او يوهمه وانى ذلك فتأمل وقرئ بالنون في الاول والتاء في الثاني عطفا على ان نترك
اي او ان نفعل نحن في اموالنا عند المعاملة ما تشاء انت من التسوية والايفاء انك لانت الحليم الرشيد وصفه عليه السلام بالوصفين على طريقة التهكم
وانما ارادوا بذلك وصفه بضديهما كقول الخزنة ذق انك انت العزيز الكريم ويجوز ان يكون تعليلا لما سبق من استبعاد ما ذكروه على معنى انك لانت
الحليم الرشيد على زعمك واما وصفه بهما على الحقيقة فيأباه مقام الاستهزاء اللهم الا ان يراد بالصلوة الدين كما قيل قال يا قوم أرأيتم ان كنت على
بينة اي حجة واضحة وبرهان نير عبر بها عما آتاه الله تعالى من النبوة والحكمة ردا على مقالتهم الشنعاء في جعلهم امره ونهيه غير مسند الى سند من ربي ومالك
اموري وايراد حرف الشرط مع جزمه على ما عليه من البينات والحجج لاعتبار حال المخاطبين ومراعاة حسن المحاورة معهم كما ذكرناه في نظائره ورزقني منه
اي من لدنه رزقا حسنا هو النبوة والحكمة ايضا عبر عنهما بذلك تنبيها على انهما مع كونهما بينة رزق حسن كيف لا وذلك مناط الحيوة الابدية له
ولامته وجواب الشرط محذوف يدل عليه فحوى الكلام اي اتقولون في شأني ما تقولون والمعنى انكم نظمتموني في سلك السفهاء الغواة وعددتم ما صدر عني
من الاوامر والنواهي من قبيل ما لا يصح ان يتفوه به عاقل وجعلتموه من احكام الوسوسة والجنون واستهزأتم بي وبأفعالي حتى قلتم ان ما امرتكم به من
التوحيد وترك عبادة الاصنام والاجتناب عن البخس والتطفيف ليس مما يأمر به آمر العقل ويقضي به قاضي الفطنة وانما يأمر به صلوتك التي هي من
احكام الوسوسة والجنون فاخبروني ان كنت من جهة ربي ومالك اموري ثابتا على النبوة والحكمة التي ليس وراءها غاية للكمال ولا مطمح لطامح ورزقني
تجريد بذلك رزقا حسنا اتقولون في شأني وشأن افعالي ما تقولون مما لا خير فيه ولا شر وراءه هذا هو الجواب الذي يستدعيه السباق ويساعده النظم
الكريم واما ما قيل من ان المحذوف أيصح لي ان لا آمركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي او هل يسع مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية
والجسمانية ان اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه فبمعزل من ذلك وانما يناسب تقديره ان حمل كلامهم على الحقيقة واريد بالصلوة الدين على معنى
اديتك يأمرك ان تكلفنا بترك عبادة آلهتنا القديمة وترك التصرف المطلق في اموالنا وتخالفنا في ذلك وتشق عصانا وهذا مما لا ينبغي ان يصدر
عنك فانك انت المشهور بالحلم الفاضل والرشد الكامل فيما بيننا كما كان قول قوم صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا مسرودا على ذلك النمط فاجيبوا
بما اجيبوا به وعلى هذا الوجه يكون المراد بالرزق الحسن الحلال الذي آتاه الله تعالى والمعنى حينئذ اخبروني ان كنت نبيا من عند الله تعالى ورزقني مالا
حلالا استغني به عن العالمين أيصح ان اخالف امره واوافقكم فيما تأتون وما تذرون وما اريد بنهيي اياكم عما انهاكم عنه من البخس والتطفيف ان اخالفكم
الى ما انهاكم عنه اي اقصده بعد ما وليتم عنه واستبد به دونكم يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عن كذا اذا كان الامر
على العكس ان اريد اي ما اريد بما اباشره من الامر والنهي الا الاصلاح الا ان اصلحكم بالنصيحة والموعظة ما استطعت اي مقدار ما استطعته من الاصلاح
والتقييد به للاحتراز عن الاكتفاء بالاصلاح في الجملة لا عن ارادة ما ليس في وسعه منه وما توفيقي اي كوني موفقا لتحقيق ما انتحيه من اصلاحكم الا بالله
اي بتأييده ومعونته بل الاصلاح من حيث الخلق مستند اليه سبحانه وانما انا من مباديه الظاهرة قاله عليه السلام تحقيقا للحق وازاحة لما عسى يوهمه

يوهمه اسناد الاستطاعة اليه بارادته من استبداده بذلك عليه توكلت في ذلك معرضا عما عداه فانه القادر على كل مقدور وما عداه عاجز محض في
حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار بمعزل من مرتبة الاستمداد به والاستظهار واليه انيب اي ارجع فيما انا بصدده ويجوز ان يكون المراد
وما كوني موفقا لاصابة الحق والصواب في كل ما آتي واذر الا بهدايته تعالى ومعونته عليه توكلت وهو اشارة الى محض التوحيد الذاتي والفعلي واليه
انيب اي عليه اقبل بشراشر نفسي في جامع اموري وايثار صيغة الاستقبال على الماضي الانسب للتقرر والتحقق كما في التوكل لاستحضار الصورة
والدلالة على الاستمرار ولا يخفى ما في جوابه عليه السلام من مراعاة لطف المراجعة ورفق الاستنزال والمحافظة على قواعد حسن المجاورة والمحاورة
وتمهيد معاقد الحق بطلب التوفيق من جناب الله عز وجل والاستعانة به في اموره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بعداوتهم
واما تهديدهم بالرجوع الى الله تعالى للجزاء كما قيل فلا لان الانابة انما هي الرجوع الاختياري بالفعل الى الله تعالى لا الرجوع الاضطراري للجزاء او ما يعمهما
ويا قوم لا يجرمنكم اي لا يكسبنكم من جرمته ذنبا مثل كسبته مالا شقاقي معاداتي واصلها ان احد المتعاديين يكون في عدوة وشق والآخر في آخر
ان يصيبكم مفعول ثان ليجرمنكم اي لا يكسبنكم معاداتكم لي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من الصيحة والرجفة
وقرأ ابن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما له اي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد كما نقل اكسبه المال من كسب المال
فكما لا فرق بين كسبته مالا واكسبته اياه لا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته اياه في المعنى الا ان الاول اصح وادور على السنة الفصحاء وقرئ
مثل ما اصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للشقاق
عن كسب اصابة العذاب لكنه في الحقيقة نهي للكفرة عن مشاقته عليه السلام على الطف اسلوب وابدعه كما مر في سورة المائدة عند قوله تعالى ولا يجرمنكم
شنآن قوم الآية وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم من الامم المعدودة فاعتبروا بهم فكأنه غير اسلوب التحذير بهم ولم
يصرح بما اصابهم بل اكتفى بذكر قربهم ايذانا بان ذلك مغن عن ذكره لشهرة كونه منظوما في سمط ما ذكر من دواهي الامم المرقومة او ليسوا ببعيد
منكم في الكفر والمعاصي فلا يبعد ان يصيبكم مثل ما اصابهم وافراد البعيد مع تذكيره لان المراد وما اهلاكهم على نية المضاف او وما هم بشيء بعيد لان
المقصود افادة عدم بعدهم على الاطلاق لا من حيث خصوصية كونهم قوما او ما هم في زمان بعيد او مكان بعيد ولا يبعد ان يكون ذلك لكونه على زنة
المصادر كالنهيق والشهيق ولما انذرهم عليه السلام بسوء عاقبة صنيعهم عقبه طمعا في ارعوائهم عما كانوا فيه يعمهون من طغيانهم بالحمل على الاستغفار
والتوبة فقال واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه قد مر تفسيره في اول السورة ان ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود مبالغ في فعل ما يفعل البليغ المودة
بمن يوده من اللطف والاحسان وهذا تعليل للامر بالاستغفار والتوبة وحث عليهما قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول الفقه معرفة غرض المتكلم من
كلامه اي ما نفهم مرادك وانما قالوه بعد ما سمعوا منه دلائل الحق المبين على احسن وجه وابلغه وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل فلم يجدوا الى محاورته
سبيلا سوى الصدود عن منهاج العقل والسلوك الى سبيل الشقاق كما هو ديدن المفحم المحجوج يقابل البينات بالسب والابراق والارعاد
فجعلوا كلامه المشتمل على فنون الحكم والمواعظ وانواع العلوم والمعارف من قبيل ما لا يفهم معناه ولا يدرك فحواه في ضمن ذلك انه في تضاعيفه
ما يستوجب اقصى ما يكون من المؤاخذة والعقاب ولعل ذلك لما فيه من التحذير من عواقب الامم السالفة ولذلك قالوا وانا لنراك فينا فيما بيننا
ضعيفا لا قوة لك ولا قدرة على شيء من الضر والنفع والايقاع والدفع ولولا رهطك لولا مراعاة جانبهم لا لولاهم يمانعوننا ويدافعوننا
لرجمناك فان مانعة الرهط وهو اسم للثلثة الى السبعة او الى العشرة لهم وهم الوف مؤلفة مما لا يكاد يتوهم وايد ذلك بقوله عز وجل
وما انت علينا بعزيز مكرم محترم حتى نمتنع من رجمك وانما نكف عنه للمحافظة على حرمة رهطك الذين ثبتوا على ديننا ولم يختاروك علينا
ولم يتبعوك دوننا وايلاء الضمير حرف النفي وان لم يكن الخبر فعليا غير خال عن الدلالة على رجوع النفي الى الفاعل دون الفعل لا سيما
مع قرينة قوله ولولا رهطك كأنه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا وحيث كان غرضهم من عظيمتهم هذه عائدا الى
نفي ما فيه عليه السلام من القوة والعزة الربانيتين حسبما يوجبه كونه على بينة من ربه مؤيدا من عنده وتقيضه قضية طلب التوفيق منه والتوكل
عليه والانابة اليه والى اسقاط ذلك كله عن درجة الاعتداد به والاعتبار قال عليه السلام في جوابهم يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله فان
الاستهانة بمن لا يتعزز الا به عز وجل استهانة بجنابه العزيز وانما انكر عليهم اعزية رهطه منه تعالى مع ان ما اثبتوه انما هو مطلق عزة رهطه
لا اعزيتهم منه عز وجل مع الاشتراك في اصل العزة لتثنية التقريع وتكرير التوبيخ حيث انكر عليهم اولا ترجيح جنبة الرهط على جنبة الله تعالى وثانيا

بنفي العزة بالمرة والمعنى ارهطي اعزّ عليكم من الله فانه مما لا يكاد يصح والحال انكم لم تجعلوا له تعالى حظا من العزة اصلا **واتخذتموه** بسبب عدم اعتدادكم
بمن لا يرد ولا يصدر الا بامره **وراءكم ظهريا** شيئا منبوذا وراء الظهر منسيا لا يبالي به منسوب الى الظهر والكسر لتغيير النسب كالامسي في النسبة الى الامس
ان ربي بما تعملون من الاعمال السيئة التي من جملتها عدم مراعاتكم لجانبه **محيط** لا يخفى عليه منها خافية وان جعلتموه منسيا فيجازيكم عليها وتحتمل ان يكون
الانكار للرد والتكذيب فانهم لما ادعوا انهم لا يكفون عن رجمه عليه السلام لقوته وعزته بل لمراعاة جانب رهطه رد عليهم ذلك بانكم ما قدرتم الله
حق قدره العزيز ولم تراعوا جنابه القوي فكيف تراعون جانب رهطي الاذلة **ويا قوم اعملوا** لما رأى عليه السلام اصرارهم على الكفر وانهم لا يرعوون
عما هم فيه من المعاصي حتى اجترؤا على العظيمة التي هي الاستهانة به والعزيمة على رجمه لولا حرمة رهطه قال لهم على طريقة التهديد اعملوا **على مكانتكم** اي على غاية
تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وانما قاله عليه السلام ردا لما ادعوا انهم اقوياء قادرون على رجمه وانه ضعيف فيما بينهم
لا عزة له او على ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة والمعنى اثبتوا على ما انتم عليه من الكفر والمشاقة لي وسائر
ما انتم عليه مما لا خير فيه وابذلوا جهدكم في مضارتي وايقاع ما في نيتكم واخراج ما في امنيتكم من القوة الى الفعل **اني عامل** على مكانتي حسبما يؤيدني
الله ويوفقني بانواع التأييد والتوفيق **سوف تعلمون** لما هددهم عليه السلام بقوله اعملوا على مكانتكم اني عامل كان مظنة ان يسأل منهم سائل
فيقول فماذا يكون بعد ذلك فقيل سوف تعلمون **من يأتيه عذاب يخزيه** وصف العذاب بالاخزاء تعريضا بما اوعدوه عليه السلام به من الرجم فانه مع كونه
عذابا فيه خزي ظاهر حيث لا يكون الا بجناية عظيمة توجبه **ومن هو كاذب** عطف على من يأتيه لا على انه قسيمه بل حيث اوعدوه بالرجم وكذبوه قيل
سوف تعلمون من المعذب والكاذب وفيه تعريض بكذبهم في ادعائهم القوة والقدرة على رجمه عليه السلام وفي نسبته الى الضعف والهوان وفي ادعائهم
الابقاء عليه لرعاية جانب الرهط والاختلاف بين المعطوفين بالفعلية والاسمية لان كذب الكاذب ليس بمرتقب كاتيان العذاب بل انما المرتقب
ظهور الكذب السابق المستمر ومن اما استفهامية معلقة للعلم عن العمل كانه قيل سوف تعلمون اينا يأتيه عذاب يخزيه واينا كاذب واما موصولة اي
سوف تعرفون الذي يأتيه عذاب والذي هو كاذب **وارتقبوا** وانتظروا مآل ما اقول **اني معكم رقيب** منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير
او المرتقب كالرفيع وفي زيادة معكم اظهار منه عليه السلام لكمال الوثوق بامره **ولما جاء امرنا** اي عذابنا كما ينبئ عنه قوله تعالى سوف تعلمون من يأتيه عذاب
يخزيه او وقته فان الارتقاب مؤذن بذلك **نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا** وهي الايمان الذي وفقناهم له او برحمة كائنة منا لهم وانما ذكر
بالواو كما في قصة عاد هود لما انه لم يسبقه فيهما ذكر وعد يجري مجرى السبب المقتضي لدخول الفاء في معلومه كما في قصتي صالح ولوط فانه قد سبق هناك
سابقة الوعد بقوله ذلك وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح **واخذت الذين ظلموا** عدل اليه عن الضمير تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بان ما اخذ
بسبب ظلمهم الذي فصل فيما سبق فنون **الصيحة** قيل صاح بهم جبريل عليه السلام فهلكوا وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة وفي سورة العنكبوت
فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهواء المفضي اليها كما مر فيما قبل **فاصبحوا في ديارهم جاثمين** ميتين لازمين
لاماكنهم لا براح لهم منها وانما لم يجعل متعلق العلم في قوله تعالى سوف تعلمون من يأتيه عذاب الخ نفس العذاب بل من يأتيه ذلك جعل مجيئه بعد ذلك امرا مسلم
الوقوع غنيا عن الاخبار به حيث جعل شرطا وجعل تنجية شعيب عليه السلام واهلاك الكفرة جوابا له ومقصود الافادة وانما قدم تنجيته اهتماما
بشأنها وايذانا بسبق الرحمة التي هي مقتضى الربوبية على الغضب الذي يظهر اثره بموجب جرائرهم وجرائمهم **كأن لم يغنوا فيها** اي لم يقيموا متصرفين في اطرافها
متقلبين في اكنافها **الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود** العدول عن الاضمار الى الاظهار ليكون ادل على طغيانهم الذي اداهم الى هذه المرتبة وليكون التشبيه من
شبه هلاكهم بهلاكهم اعني ثمود وانما شبه هلاكهم بهلاكهم لانهما اهلكا بنوع من العذاب وهو الصيحة غير ان هؤلاء صيح بهم من فوقهم واولئك من تحتهم
وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تقرير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر للمكسور **ولقد ارسلنا موسى
بآياتنا** وهي الآيات التسع المفصلات التي هي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والانفس ومنهم
من جعلهما آية واحدة وعد منها اظلال الجبل وليس كذلك فانه لقبول احكام التورية حين اباه بنو اسرائيل والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من
ارسلنا او نعتا للمصدر المؤكد اي ارسلناه حال كونه ملتبسا بآياتنا او ارسلناه ارسالا ملتبسا بها **وسلطان مبين** هو المعجزات الباهرة منها
او هو العصا والافراد بالذكر لاظهار شرفها لكونها ابهرها او المراد بالآيات ما عداها وهما عبارتان عن شيء واحد اي ارسلناه بالجامع بين كونه
آياتنا وبين كونه سلطانا له عليه السلام على نبوته واضحا في نفسه او موضحا اياها من ابان لازما ومتعديا او هو الغلبة والاستيلاء كقوله تعالى ونجعل لكما

سلطانا ويجوز ان يكون المراد ما بينه عليه السلام في تضاعيف دعوته حين قال له فرعون من ربكما فما بال القرون الاولى من الحقائق الرائقة والدقائق
اللائقة وجعله عبارة عن التورية او ادراجها في جملة الآيات يرده قوله عز وجل **الى فرعون وملئه** فان نزولها انما كان بعد هلاك فرعون وقومه قاطبة
ليعمل بها بنو اسرائيل فيما يأتون وما يذرون واما فرعون وقومه فانما كانوا مأمورين بعبادة رب العالمين وترك العظيمة الشنعاء
التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية وبارسال بني اسرائيل من الاسر والقسر وتخصيص ملئه بالذكر مع عموم رسالته عليه السلام لقومه كافة
لاصالتهم في الرأي وتدبير الامور واتباع غيرهم لهم في الورود والصدور وانما لم يصرح بكفر فرعون بآيات الله تعالى وانهماكه فيما كان عليه من الضلال والاضلال
بل اقتصر على ذكر شأن ملئه فقيل **فاتبعوا امر فرعون** اي امره بالكفر بما جاء به موسى عليه السلام من الحق المبين للايذان بوضوح حاله فكأن كفره وامره ملأه
بذلك امر محقق الوجود غير محتاج الى الذكر صريحا وانما المحتاج الى ذلك شأن ملئه المترددين بين هاد الى الحق وداع الى الضلال فنعى عليهم سوء
صنيعهم واختيارهم وايراد الفاء في اتباعهم المترتب على امر فرعون المبني على كفره المسبوق بتبليغ الرسالة للاشعار بمفاجأتهم في الاتباع ومسارعة
فرعون الى الكفر وامرهم به فكأن ذلك كله لم يتراخ عن الارسال والتبليغ بل وقع جميع ذلك في وقت واحد فوقع اثر ذلك اتباعهم ويجوز ان يراد
بامر فرعون شأنه المشهور وطريقته الزائغة فيكون معنى فاتبعوا فاستمروا على الاتباع والفاء مثل ما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر
فان الاتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث فتأمل وترك الاضمار لدفع
توهم الرجوع الى موسى عليه السلام من اول الامر ولزيادة تقبيح حال المتبعين فان فرعون علم في الفساد والافساد والضلال والاضلال فاتباعه لفرط
الجهالة وعدم الاستبصار وكذا الحال في قوله تعالى **وما امر فرعون برشيد** الرشد ضد الغي وقد يراد به محمود العاقبة فهو على الاول بمعنى المرشد او ذي
الرشد حقيقة لغويته والاسناد مجازي وعلى الثاني مجازي والاسناد حقيقي **يقدم قومه** جميعا الاشراف وغيرهم **يوم القيمة** اي يتقدمهم من قدمه
اذا تقدمه وهو استيناف لبيان حاله في الآخرة اي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه او لتوضيح عدم صلاح مآل امره
وسوء عاقبته **فاوردهم النار** اي يوردهم وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع لا محالة شبه فرعون بالفارط الذي يتقدم الواردة الى الماء
واتباعه بالواردة والنار بالماء الذي يردونه ثم قيل **وبئس الورد المورود** اي بئس الورد الذي يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش
وتبريد الاكباد والنار على ضد ذلك **واتبعوا** اي الملأ الذين اتبعوا امر فرعون **في هذه** اي في الدنيا **لعنة** عظيمة حيث يلعنهم من بعدهم من الامم الى يوم القيمة
ويوم القيمة ايضا حيث يلعنهم اهل الموقف قاطبة فهي تابعة لهم حيثما ساروا دائرة معهم اينما داروا في الموقف فكما اتبعوا امر فرعون اتبعتهم اللعنة في
الدارين جزاء وفاقا واكتفى ببيان حالهم الفظيع وشأنهم الشنيع عن بيان حال فرعون اذ حين كان حالهم هكذا فما ظنك بحال من اغواهم والقاهم في
هذا الضلال البعيد وحيث كان شأن الاتباع ان يكونوا اعوانا للمتبوع جعلت اللعنة رفدا لهم على طريقة التهكم فقيل **بئس الرفد المرفود** اي بئس العون
المعان وقد فسر الرفد بالعطاء ولا يلائمه المقام واصله ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم وهي اللعنة في الدارين وكونه
مرفودا من حيث ان كل لعنة منها معينة وممدة لصاحبتها ومؤيدة لها **ذلك** اشارة الى ما قص من انباء الامم وبعده باعتبار تقضيه في الذكر والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ خبره قوله تعالى **من انباء القرى** المهلكة بما جنته ايدي اهلها **نقصه عليك** خبر بعد خبر اي ذلك النبأ بعض انباء
القرى مقصوص عليك **منها** اي من تلك القرى **قائم وحصيد** اي ومنها حصيد حذف لدلالة الاول عليه شبه ما بقي منها بالزرع القائم على ساقه وما عفا
وبطل بالحصيد والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب **وما ظلمناهم** بان اهلكناهم **ولكن ظلموا انفسهم** بان جعلوها عرضة للهلاك باقتراف ما يوجبه **فما اغنت عنهم**
فما نفعتهم ولا دفعت بأس الله تعالى عنهم **آلهتهم التي يدعون** اي يعبدونها **من دون الله** اوثر صيغة المضارع حكاية للحال الماضية او دلالة على استمرار
عبادتهم لها **من شيء** في موضع المصدر اي شيئا من الاغناء **لما جاء امر ربك** اي حين مجيء عذابه وهو منصوب باغنت وقرئ آلهتهم اللاتي يدعون
على البناء للمجهول **وما زادوهم غير تتبيب** اي اهلاك وتخسير فانهم انما هلكوا وخسروا بسبب عبادتهم لها **وكذلك** اي ومثل ذلك الاخذ الذي مر
بيانه وهو رفع على الابتداء وخبره قوله **اخذ ربك** وقرئ اخذ ربك فمحل الكاف النصب على انه مصدر مؤكد **اذا اخذ القرى** اي اهلها وانما اسند اليها
للاشعار بسريان اثره اليها حسبما ذكر وقرئ اذ اخذ **وهي ظالمة** حال من القرى وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامهم في الاخذ
اجريت الحال عليها وفائدتها الاشعار بانهم انما اخذوا بظلمهم ليكون ذلك عبرة لكل ظالم **ان اخذه اليم شديد** وجيع صعب على المأخوذ لا يرجى منه
الخلاص وفيه ما لا يخفى من التهديد والتحذير **ان في ذلك** اي في اخذه تعالى للامم المهلكة او في قصصهم **لآية** لعبرة **لمن خاف عذاب الآخرة** فانه المعتبر به حيث

يستدل اعاحاق بهم العذاب الشديد بسبب ما عملوا من السيئات علي احوال عذاب الآخرة واما من انكر الآخرة واحال فناء العالم زعم ان ليس موجود الا شي
من احوال مستندا الي الفاعل المختار وان لم يتبع فيه من الحوادث فانما يقع لاسباب تقتضيه من اوضاع فلكية تتفق في بعض الاوقات لا لما ذكر من المعاصي
التي يعتبر بها الامم الهالكة فهو بمعزل من هذا الاعتبار تبا لهم ولما لهم من الافكار **ذلك** اشارة الي يوم القيمة المدلول عليه بذكر الآخرة **يوم مجموع له**
الناس اي يجمع له الناس للمحاسبة والجزاء والتعبير للدلالة علي ثبات معنى الجمع وتحقق وقوعه لا محالة وعدم انفكاك الناس عنه فهو ابلغ من قوله تعالى
يوم يجمعكم ليوم الجمع **وذلك** اي يوم القيمة مع ملاحظة عنوان جمع الناس له **يوم مشهود** اي مشهود فيه حيث يشهد فيه اهل السموات والارضين فاتسع
فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كما في قوله في محفل من نواصي الناس مشهود اي كثير شاهدوه ولو جعل نفس اليوم مشهودا لفات ما هو الغرض
من تعظيم اليوم وتهويله وتمييزه عن غيره فان ساير الايام ايضا كذلك **وما نؤخره** اي ذلك اليوم الملحوظ بعنواني الجمع والشهود **الا لاجل معدود**
الا لانتهاء مدة قليلة مضروبة حسبما تقتضيه الحكمة **يوم يات** اي حين يأتي ذلك اليوم المؤخر بانقضاء اجله كقوله تع ان تأتيهم الساعة بغتة
وقيل يوم يأتي الجزاء الواقع فيه وقيل اي الله عز وجل فان المقام مقام تفخيم شان اليوم وقرئ باثبات الياء علي الاصل **لا تكلم نفس** اي لا تتكلم بما
ينفع وينجي من جواب او شفاعة وهو العامل في الظرف او الانتهاء المحذوف في قوله تع الا لاجل معدود اي ينتهي الاجل يوم يأتي او المضمر المعهود
اعني اذكر **الا باذنه** عز سلطانه في التكلم كقوله تع لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موطن من مواطن ذلك اليوم وقوله عز وجل هذا
يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر من مواقفه كما ان قوله سبحانه يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها في آخر [illegible]
[illegible] والممنوع عنه الاعذار الباطلة نعم قد يؤذن فيها ايضا لاظهار بطلانها كما في قول الكفرة والله ربنا ما كنا مشركين [illegible]
فمنهم شقي وجبت له النار بموجب الوعيد **وسعيد** اي ومنهم سعيد حذف الخبر لدلالة الاول عليه وهو من وجبت له الجنة بمقتضى الوعد والضمير لاهل
الموقف المدلول عليه بقوله لا تكلم نفس او للناس وتقديم الشقي علي السعيد لان المقام مقام التحذير والانذار **فاما الذين شقوا** اي سبقت لهم
الشقاوة **ففي النار** اي مستقرون فيها **لهم فيها زفير وشهيق** الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في اول النهيق وآخره قال الشماخ
[illegible] بعيد مدى التطريب اول صوته زفير ويتلوه شهيق محشرج والمراد بهما وصف شدة كربهم وتشبيه حالهم بحال من استولت
علي قلبه الحرارة وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا [illegible]
[illegible] **خالدين فيها** [illegible]
[illegible] **ما دامت السموات والارض** [illegible]
[illegible]
الا ما شاء ربك [illegible]
[illegible]
ان ربك فعال لما يريد [illegible]
[illegible]

عذاب النار [illegible] العذاب [illegible] سبحانه [illegible] الآلام الروحانية [illegible]
[illegible]
واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض [illegible]
الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ [illegible]
[illegible]
فلا تك في مرية [illegible]
مما يعبد هؤلاء [illegible]
[illegible]
ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل [illegible]
[illegible]
وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص [illegible]
[illegible]
ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه [illegible]
ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم [illegible]
وانهم لفي شك منه مريب [illegible]
وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم [illegible]
انه بما يعملون خبير [illegible]

حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر فاستقم كما امرت لما بين في تضاعيف القصص المحكية عن الامم الماضية سوء عاقبة الكفر وعصيان الرسل واشير الى ان حال هؤلاء الكفرة في
الكفر والضلال واستحقاق العذاب مثل اولئك المعذبين وان نصيبهم من العذاب واصل اليهم من غير نقص وان تكذيبهم للقرآن مثل تكذيب قوم موسى عليه السلام للتورية
وانه لولم تسبق كلمة القضاء بتأخير عقوبتهم العامة ومؤاخذتهم التامة الى يوم القيمة لفعل بهم ما فعل بآبائهم من قبل وانهم موفون نصيبهم غير منقوص وان كل
واحد من المؤمنين والكافرين يوفى جزاء عمله امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة كما امر به في العقائد والاعمال المشتركة بينه وبين سائر المؤمنين
ولا سيما الاعمال الخاصة به من تبليغ الاحكام الشرعية والقيام بوظائف النبوة وتحمل اعباء الرسالة بحيث يدخل تحته ما امر به فيما سبق من قوله تعالى
فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك الآية وبالجملة فهذا الامر منتظم لجميع محاسن الاحكام الاصلية والفرعية والكمالات النظرية والعملية والخروج عن
عهدته في غاية ما يكون من الصعوبة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود ومن تاب معك اي تاب من الشرك والكفر وشاركك في
الايمان وهو المعنى بالمعية وهو معطوف على المستكن في قوله فاستقم وحسن من غير تاكيد لمكان الفاصل القائم مقامه وفي الحقيقة هو من عطف الجملة على الجملة اذ المعنى
وليستقم من تاب معك وقيل هو منصوب على انه مفعول معه كما قاله ابو البقاء والمعنى استقم مصاحبا لمن تاب معك ولا تطغوا ولا تنحرفوا عما حد لكم بافراط
او تفريط فان كلا طرفي قصد الامور ذميم وانما سمي ذلك طغيانا وهو تجاوز الحد تغليظا او تغليبا لحال سائر المؤمنين على حاله عليه السلام انه بما تعملون
بصير فيجازيكم على ذلك وهو تعليل للامر والنهي وفي الآية دلالة على وجوب اتباع المنصوص عليه من غير انحراف بمجرد الرأي فانه طغيان وضلال واما العمل بمقتضى
الاجتهاد التابع لعلل النصوص فذلك من باب الاستقامة كما امر على موجب النصوص الآمرة بالاجتهاد ولا تركنوا اي لا تميلوا ادنى ميل الى الذين ظلموا اي
الى الذين وجد منهم الظلم في الجملة ومدار النهي هو الظلم والجمع باعتبار جمعية المخاطبين وما قيل من ان ذلك للمبالغة في النهي من حيث ان كونهم جماعة مظنة
الرخصة في مداهنتهم انما يتم لو كان المراد النهي عن الركون اليهم من حيث انهم جماعة وليس كذلك فتمسكم بسبب ذلك النار واذا كان حال الميل في الجملة الى من
وجد منه ظلم ما في الافضاء الى مساس النار هكذا فما ظنك بمن يميل الى الراسخين في الظلم والعدوان ميلا عظيما ويتهالك على مصاحبتهم ومنادمتهم ويلقي
شراشره على مؤانستهم ومعاشرتهم ويبتهج بالتزيي بزيهم ويمد عينيه الى زهرتهم الفانية ويغبطهم بما اوتوا من القطوف الدانية وهو في الحقيقة من الحبة
طفيف ومن جناح البعوض خفيف بمعزل من ان يميل اليه القلوب ضعف الطالب والمطلوب والآية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب
الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الميل الى احد طرفي الافراط والتفريط ظلم على نفسه او على غيره
وقرئ تركنوا على لغة تميم وتركنوا على صيغة البناء للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله من اولياء اي من انصار ينقذونكم من النار والجملة نصب على
الحالية من قوله فتمسكم النار ونفي الاولياء ليس بطريق نفي ان يكون لكل واحد منهم اولياء حتى يصدق بان يكون له ولي بل لمكان لكم بطريق انقسام
الآحاد الى الآحاد لكن لا على معنى نفي استقلال كل منهم بنصير بل على معنى نفي ان يكون لواحد منهم نصير بقرينة المقام ثم لا تنصرون من جهة الله سبحانه اذ قد
سبق في حكمه ان يعذبكم بركونكم اليهم وثم لتراخي رتبة كونهم غير منصورين من جهته تعالى بعد ما اوعدهم بالعذاب واوجبه عليهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة
الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله تعالى معذبهم وان غيره لا ينقذهم انتج انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلوة طرفي النهار اي غدوة وعشية
وانتصابه على الظرفية لكونه مضافا الى الوقت وزلفا من الليل اي ساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه جمع زلفة عطف على طرفي النهار والمراد
بصلوتهما صلوة الغداة والعصر وقيل الظهر موضع العصر لانه بعد الزوال عشية وبصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر
ويسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات التي من جملتها بل عمدتها ما امرت به من الصلوات يذهبن السيئات التي قلما يخلو منها البشر اي يكفرنها وفي الحديث
ان الصلوة الى الصلوة كفارة لما بينهما ما اجتنب الكبائر وقيل نزلت في ابي اليسر الانصاري اذ قبل امرأة ثم ندم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره
بما فعل فقال صلى الله عليه وسلم انتظر امر ربي فلما صلى صلوة العصر نزلت قال عليه الصلوة والسلام نعم اذهب فانها كفارة لما عملت او يمنعن من اقترافها كقوله تعالى
ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ذلك اشارة الى قوله تعالى فاستقم فما بعده وقيل الى القرآن ذكرى للذاكرين اي عظة للمتعظين واصبر على مشاق ما امرت به في
تضاعيف الاوامر السابقة واما ما نهي عنه من الطغيان والركون الى الذين ظلموا فليس في الانتهاء عنه مشقة فلا وجه لتعميم الصبر له اللهم الا ان يراد به ما لا يمكن
عادة خلو البشر عنه من ادنى ميل بحكم الطبيعة من الاستقامة المأمور بها ومن يسير ميل بحكم البشرية الى من وجد منه ظلم ما فان في الاحتراز عن امثاله من المشقة
ما لا يخفى فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي يوفيهم اجور اعمالهم من غير بخس اصلا وانما عبر عن ذلك بنفي الاضاعة مع ان عدم اعطاء الاجر ليس باضاعة حقيقة
كيف لا والاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يمتنع صدوره عنه سبحانه

من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه وانما عدل عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود مع افادة فائدة عامة لكل من يتصف به وهو تعليل
للامر بالصبر وفيه ايماء الى ان الصبر على ما ذكر من باب الاحسان فلولا كان فهلا كان من القرون الكائنة من قبلكم على رأي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته
او كائنة من قبلكم اولوا بقية من الرأي والعقل او اولوا فضل وخير وسميا بها لان الرجل انما يخرج عادة اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل
ويقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ومنه ما قيل في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز ان يكون البقية بمعنى البقوى كالتقية من التقوى اي
فهلا كان منهم ذووا ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله تعالى وعقابه يؤيده انه قرئ اولوا بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه
وانتظره اي اولوا مراقبة وخشية من عذاب الله كانهم ينتظرون نزوله لاشفاقهم ينهون عن الفساد في الارض الواقع منهم حسبما حكى عنهم الا قليلا
ممن انجينا منهم استثناء منقطع اي لكن قليلا منهم انجيناهم لكونهم على تلك الصفة على ان من للبيان لا للتبعيض لان جميع الناجين ناهون ولا صحة
للاتصال على ظاهر الكلام لانه يكون تخصيصا لاولي البقية على النهي المذكور الا للقليل من الناجين منهم كما اذا قلت هلا قرأ قومك القرآن الا الصلحاء
منهم مريدا الاستثناء الصلحاء من المحضضين على القراءة نعم يصح ذلك ان جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض فكانه قيل ما كان من القرون اولوا
بقية الا قليلا منهم لكن الرفع هو الافصح حينئذ على البدلية واتبع الذين ظلموا بمباشرة الفساد وترك النهي عنه ما اترفوا فيه اي انعموا من الشهوات
واهتموا بتحصيلها اما المباشرون فظاهر واما المساهلون فلما لهم في ذلك من نيل حظوظهم الفاسدة وقيل المراد بهم تاركوا النهي وانت خبير بانه يلزم منه
عدم دخول مباشري الفساد في الظلم والاجرام عبارة وكانوا مجرمين اي كافرين فهو بيان لسبب استئصال الامم المهلكة وهو فشو الظلم واتباع الهوى
فيهم وشيوع ترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اي لم ينهوا واتبع الى آخره فيكون العدول الى المظهر لادراج المباشرين
معهم في الحكم والتسجيل عليهم بالظلم وللاشعار بعليته ذلك لما حاق بهم من العذاب وعلى استئناف يترتب على قوله الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا
عن الفساد واتبع الذين ظلموا من مباشري وتاركي النهي عنه فيكون الاظهار مقتضى الظاهر وقوله وكانوا مجرمين عطف على اترفوا اي اتبعوا
الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالآثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر او على اتبع اي اتبعوا شهواتهم وكانوا بذلك الاتباع
مجرمين ويجوز ان يكون اعتراضا وتسجيلا عليهم بانهم قوم مجرمون وقرئ اتبع اي اتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به
المشهورة ويعضده تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى اي ما صح وما استقام بل استحال في الحكمة اي يهلك القرى التي اهلكنا حسبما بلغك
انباؤها ويعلم من ذلك حال باقيها من القرى الظالمة واللام لتأكيد النفي وقوله بظلم اي ملتبسا به قيل هو حال من الفاعل اي ظالما لها والتنكير للتفخيم
والايذان بان اهلاك المصلحين ظلم عظيم والمراد تنزيه الله تعالى عن ذلك بالكلية بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى والا فلا ظلم فيما
فعله الله تعالى بعباده كائنا ما كان لما تقرر من قاعدة اهل السنة وقد مر تفصيله في سورة آل عمران عند قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد
وقوله تعالى واهلها مصلحون حال من المفعول والعامل عامله ولكن لا باعتبار تقييده بما وقع حالا من فاعله اعني بظلم لدلالته على تقييد نفي
الاهلاك ظلما بحال كون اهلها مصلحين ولا ريب في فساده بل مطلقا عن ذلك وقيل المراد بالظلم الشرك والباء للسببية اي لا يهلك القرى بسبب
اشراك اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا آخر وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه تعالى ومن ذلك قدم الفقهاء
عند تزاحم الحقوق حقوق العباد الفقراء على حقوق الله تعالى الغني الحميد وقيل الملك يبقى مع الشرك ولا يبقى مع الظلم وانت تدري ان مقام النهي
عن المنكرات التي اقبحها الاشراك بالله لا يلائمه فان الشرك داخل في الفساد في الارض دخولا اوليا ولذلك كان ينهى كل من الرسل الذين قصت
انباؤهم امته اولا عن الاشراك ثم عن سائر المعاصي التي كانوا يتعاطونها فالوجه حمل الظلم على مطلق الفساد الشامل للشرك وغيره من اصناف المعاصي
وحمل الصلاح على اصلاحه والاقلاع عنه بكون بعضهم متصدين للنهي عنه وبعضهم متوجهين الى الاتعاظ غير مصرين على ما هم عليه من الشرك وغيره من انواع
الفساد ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مجتمعة على الحق ودين الاسلام بحيث لا يكاد يختلف فيه احد ولكن لم يشأ ذلك فلم يكونوا متفقة على الحق
ولا يزالون مختلفين في الحق اي مخالفين له كقوله تعالى وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم الا من رحم ربك الا قوما
قد هداهم الله تعالى بفضله الى الحق فاتفقوا عليه ولم يختلفوا فيه اي لم يخالفوه وحمله على مطلق الاختلاف الشامل لما يصدر من المحق والمبطل يأباه الاستثناء
المذكور ولذلك اي لما ذكر من الاختلاف خلقهم اي الذين بقوا بعد الثنيا وهم المختلفون فاللام للعاقبة او للترحم فالضمير لمن واللام في معناها او لهما
معا فالضمير للناس كافة واللام بمعنى مجازي عام لكلا المعنيين وتمت كلمة ربك اي وعيده او قوله للملائكة لاملأن جهنم من الجنة والناس

اجمعين اي من عصاتهما اجمعين ومنهما اجمعين لامن احدهما وكلا اي وكل نبأ فالتنوين عوض من المضاف اليه نقص عليك نخبرك به وقوله تع من انباء الرسل بيان لكلا وقوله تع ما نثبت به فؤادك بدل منه والاظهر ان يكون المضاف اليه المحذوف في كلا المفعول المطلق لنقص اي كل اقتصاص اي كل اسلوب من اساليبه نقص عليك من انباء الرسل وقوله سبحانه ما نثبت به فؤادك مفعول نقص وفائدته التنبيه على ان المقصود بالاقتصاص زيادة يقينه عليه السلام وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذية الكفار بالوقوف على تفاصيل احوال الامم الخالية في تماديهم في الضلال وما لقي الرسل من جهتهم من مكابدة المشاق وجاءك في هذه السورة او الانباء المقصوصة عليك الحق الذي لا محيد عنه وموعظة وذكرى للمؤمنين اي الجامع بين كونه حقا في نفسه وكونه موعظة وذكرى للمؤمنين ولكون الوصف الاول حالا له في نفسه حلي باللام دون ما هو وصف له بالقياس الى غيره وتقديم الظرف اعني في هذه على الفاعل لان المقصود بيان منافع السورة او الانباء المقصوصة فيها واشتمالها على ما ذكر من المنافع المفصلة لا بيان كون ذلك فيها لا في غيرها ولان عند تأخير ما حقه التقديم تبقى النفس مترقبة اليه فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن ولان في التأخير نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقل للذين لا يؤمنون بهذا الحق ولا يتعظون به ولا يتذكرون اعملوا على مكانتكم على حالكم وجهتكم التي هي عدم الايمان انا عاملون على حالنا وهو الايمان به والاتعاظ والتذكر به وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل بامثالكم من الكفرة ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امرك وامرهم اليه وقرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعا فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك والفاء لترتيب الامر بالعبادة والتوكل على كون مرجع الامور كلها الى الله عز وجل وفي تأخير الامر بالتوكل عن الامر بالعبادة اشعار بانه لا ينفع دونها وما ربك بغافل عما تعملون فيجازيهم بموجبه وقرئ تعملون على تغليب المخاطب اي انت وهم فيجازي كلا منك ومنهم بموجب الاستحقاق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطي عشر حسنات بعدد من صدق كل واحد من الانبياء المعدودين فيها عليهم السلام وبعدد من كذبهم وكان يوم القيمة من السعداء بفضل الله سبحانه وتعالى والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب يوم الحساب

سورة يوسف

بسم الله الرحمن الرحيم الر الكلام فيه وفي محله وفيما اريد بالاشارة والآيات والكتاب في قوله تع تلك آيات الكتاب عين ما سلف في مطلع سورة يونس المبين من ابان بمعنى بان اي الظاهر امره في كونه من عند الله وفي اعجازه بنوعيه لا سيما الاخبار عن الغيب او الواضح معانيه للعرب بحيث لا يشتبه عليهم حقائقه ولا يلتبس لديهم دقائقه لنزوله على لغتهم او بمعنى بين اي المبين لما فيه من الاحكام والشرائع وخفايا الملك والملكوت واسرار النشأتين في الدارين وغير ذلك من الحكم والمعارف والقصص على تقدير كون الكتاب عبارة عن السورة فابانته انباؤه عن قصة يوسف فانه قد روي ان احبار اليهود قالوا لرؤساء المشركين سلوا محمدا صلى الله عليه وسلم لماذا انتقل آل يعقوب عليه السلام من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام ففعلوا ذلك فيكون وصف الكتاب بالابانة من قبيل براعة الاستهلال لما سيأتي ولما وصف الكتاب بما يدل على الشرف الذاتي عقب ذلك بما يدل على الشرف الاضافي فقيل انا انزلناه اي الكتاب المنعوت بما ذكر من النعوت الجليلة فان كان عبارة عن الكل وهو الاظهر الانسب بقوله تع قرآنا عربيا اذ هو المشهور بهذا الاسم المعروف بهذا النعت المتسارع الى الفهم عند اطلاقهما فالامر ظاهر وان جعل عبارة عن السورة فتسميتها قرآنا لما عرفته فيما سلف والسر في ذلك انه اسم جنس في الاصل يقع على الكل والبعض كالكتاب ولانه مصدر بمعنى المفعول اي انزلناه حال كونه مقروا بلغتكم لعلكم تعقلون اي لكي تفهموا معانيه طرا وتحيطوا بما فيه من البدائع خبرا وتطلعوا على انه خارج عن طوق البشر منزل من عند خلاق القوى والقدر نحن نقص عليك اي نخبرك ونحدثك واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه لان من يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القرآن لانه يتبع ما حفظ منه آية بعد آية احسن القصص اي احسن الاقتصاص فنصبه على المصدرية وفيه مع بيان الواقع ايهام لما في قصاص اهل الكتاب من القبح والخلل وترك المفعول اما للاعتماد على انفهامه من قوله عز وجل بما اوحينا اي بايحائنا اليك هذا القرآن اي هذه السورة فان كونها موحاة مبني عن كون ما في ضمنها مقصوصا والتعرض لعنوان قرآنيتها لتحقيق ان الاقتصاص ليس بطريق الالهام او الوحي غير المتلو واما لظهوره من سؤال المشركين بتلقين علماء اليهود واحسنيته لانه قد اقتص على ابدع الطرائق الرائقة واعجب الاساليب الفائقة اللائقة كما لا يكاد يخفى على من طالع القصة من كتب الاولين والآخرين وان كان لا يميز الغث من السمين ولا يفرق بين الشمال واليمين وفي كلمة هذا ايماء الى مغايرة هذا القرآن لما في قوله تع قرآنا عربيا بان يكون المراد بذلك المجموع فتأمل او نقص عليك احسن ما يقص من الانباء وهو قصة آل يعقوب عليه السلام على ان القصص

على ان القصص فعل بمعنى المفعول كالنبأ والخبر او مصدر سمي به المفعول كالخلق والصيد ونصب احسن على المفعولية وحسنيتها لتضمنها من الحكم والعبر ما لا يخفى كمال حسنه وان كنت ان مخففة من الثقيلة وضمير الشأن الواقع اسما لها محذوف واللام فارقة والجملة خبر والمعنى وان الشأن كنت من قبله من قبل ايحائنا اليك هذه السورة لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى والتعبير عن عدم العلم بالغفلة لاجلال شأن النبي صلى الله عليه وسلم وان غفل بعض الغافلين اذ قال يوسف نصب باضمار اذكر وشروع في القصة انجازا للوعد باحسن الاقتصاص او بدل من احسن القصص على تقدير كونه مفعولا بدل الاشتمال فان اقتصاص الوقت المشتمل على المقصوص من حيث اشتماله عليه اقتصاص للمقصوص ويوسف اسم عبري لا عربي لخلوه عن سبب آخر غير التعريف وفتح السين وكسرها على بعض القراءات بناء على التلقب به لا على انه مضارع بني للمفعول او الفاعل من اسف لشهادة المشهورة بعجمته لابيه يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وقد روي عنه عليه السلام ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم يا ابت اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التأنيث لتناسبهما في الزيادة فلذلك قلبت هاء في الوقف على قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب وكسرتها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن لانها حركة اصلها او لان الاصل يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة وانما لم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الالفاظ المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وعدم تسكينها كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رأيت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك وهذا تأويل رؤياي ولان الظاهر ان وقوع مثل هذه الامور البديعة في عالم الشهادة لا يختص برؤيته دون رائيه فيكون طامة كبرى لا يخفى على احد من الناس احد عشر كوكبا والشمس والقمر روي عن جابر رض ان يهوديا جاء الى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهن يوسف عليه السلام فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بذلك فقال عليه الصلوة والسلام اذا اخبرتك بذلك هل تسلم قال نعم قال عليه الصلوة والسلام جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته وانما اخر الشمس والقمر عن الكواكب لاظهار مزيتهما وشرفهما على سائر الطوالع بعطفهما عليها كما في عطف جبريل وميكال على الملائكة عليهم السلام وقد جوز ان تكون الواو بمعنى مع اي رأيت الكواكب مع الشمس والقمر ولا يبعد ان يكون ذلك اشارة الى تأخر ملاقاته عليه السلام لهما عن ملاقاته لاخوته وعن وهب ان يوسف عليه السلام رأى وهو ابن سبع سنين ان احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدائرة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون رأيتهم لي ساجدين استئناف لبيان حالهم التي رآهم عليها كان سائلا سأل فقال كيف رأيتهم فاجاب بذلك وانما اجريت مجرى العقلاء في الضمير لوصفها بوصف العقلاء اعني السجود وتقديم الجار والمجرور لاظهار العناية والاهتمام بما هو الاهم مع ما في ضمنه من رعاية الفاصلة قال يا بني صغره للشفقة او لطافة لصغر السن وهو ايضا استئناف مبني على سؤال من قال فماذا قال يعقوب بعد سماع هذه الرؤيا العجيبة ولما عرف يعقوب عليه السلام من هذه الرؤيا ان يوسف يبلغه الله تعالى مبلغا جليلا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه الكرام خاف عليه حسد الاخوة وبغيهم فقال صيانة لهم من ذلك ولم من معاناة المشاق ومقاساة الاحزان وان كان واثقا بان الله تعالى سيحقق ذلك لا محالة وطمعا في حصوله بلا مشقة لا تقصص رؤياك نهي ما في المنام كما ان الرؤية ما في اليقظة فرق بينهما بحرفي التأنيث كما في القربة والقربى وحقيقتها ارتسام الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فيتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فيصير مشاهدة ثم اذا كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه على اخوتك فيكيدوا نصب باضمار ان اي فيفعلوا لك اي لاجلك ولاهلاكك كيدا متينا راسخا لا تقدر على التفصي عنه او خفيا عن فهمك لا تتصدى لمدافعته وهذا اوفق بمقام التحذير وان كان يعقوب عليه السلام يعلم انهم ليسوا بقادرين على تحويل ما دلت الرؤيا على وقوعه وهذا الاسلوب آكد من ان يقال فيكيدوك كيدا اذ ليس فيه دلالة على كون نفس الفعل مقصود الايقاع وقد قيل انما جيء باللام لتضمينه معنى الاحتيال المتعدي باللام ليفيد معنى المضمن والمضمن فيه للتأكيد اي فيحتالوا لك ولاهلاكك حيلة وكيدا والمراد باخوته ههنا الذين

يخشى غوائلهم ومكائدهم من بني علاته الاحد عشر وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر وهؤلاء هم المشار اليهم بالكواكب الاحد عشر واما
بنيامين الذي هو شقيق يوسف عليه السلام وامهما راحيل التي تزوجها يعقوب عليه السلام بعد وفات اختها ليا او في حياتها اذ لم يكن جمع الاختين اذ ذاك
محرما فليس بداخل تحت هذا النهي اذ لا يتوهم مضرته ولا يخشى معرته ولم يكن معدودا معهم في الرؤيا اذ لم يكن معهم في السجود ليوسف نهيه عن اقتصاص الرؤيا
عليهم كلا او بعضا **ان الشيطان للانسان عدو مبين** ظاهر العداوة فلا يالوا جهدا في اغواء اخوتك واضلالهم وحملهم على ما لا خير فيه وهو استيناف كان يوسف
عليه السلام قال كيف يصدر ذلك عن اخوتي الناشئين في بيت النبوة فقيل ان الشيطان يحملهم على ذلك ولما نبهه عليهما السلام على ان لرؤياه شانا
عظيما يستتبع منافع وحذره اشاعتها المؤدية الى ان يحول اخوته بينها وبين ظهور آثارها وحصولها او يوعروا سبيل وصولها شرع في تعبيرها
وتاويلها على وجه اجمالي فقال **وكذلك** اي ومثل ذلك الاجتباء البديع الذي شاهدت آثاره في عالم المثال من سجود تلك الاجرام العلوية النيرة
لك وبحسبه وعلى وفقه **يجتبيك ربك** يختارك لجناب كبريائه ويستنبئك فتنال من جاه ذاجعه ويصطفيك على اشراف الخلائق وسراة الناس قاطبة ويبرز
مصداق تلك الرؤيا في عالم الشهادة حسبما عاينته من قصور والمراد بالتشبيه بيان المضاهاة المتحققة بين الصور المرئية في عالم المثال وبين ما وقعت
هي صورا واشباحا له من الكائنات الظاهرة بحسبها في عالم الشهادة اي كما سخرت لك الاجرام العظام يسخر لك وجوه الناس ونواصيهم مذعنين لطاعتك
خاضعين لك على وجه الاستكانة ومراده بيان اطاعة ابويه واخوته له لكنه انما لم يصرح به حذرا من اذاعته **ويعلمك** كلام مبتدأ غير داخل تحت التشبيه اراد
به عليه السلام تاكيد مقالته وتحقيقها وتوطين نفس يوسف عليه السلام بما اخبر به على طريقة التعبير والتاويل كانه قال وهو يعلمك **من تاويل الاحاديث** اي
ذلك الجنس من العلوم او طرفا صالحا منه فتطلع على حقيقة ما اقول ولا يخفى ما فيه من تاكيد ما سبق والبعث على تلقي ما سياتي بالقبول والمراد بتاويل الاحاديث تعبير
الرؤيا اذ هي احاديث الملك ان كانت صادقة او احاديث النفس والشيطان ان لم يكن كذلك والاحاديث اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل
لا جمع احدوثة وقيل كانهم جمعوا حديثا على احدثة ثم جمعوا الجمع على احاديث كقطيع واقطعة واقاطيع وقيل هو تاويل غوامض كتب الله تعالى وسنن الانبياء عليهم السلام
والاول هو الاظهر وتسمية التعبير تاويلا لانه جعل المرئي آيلا الى ما يذكره المعبر بصدد التعبير وراجعا اليه فكانه عليه السلام اشار بذلك الى ما سيقع من يوسف عليه السلام
من تعبيره لرؤيا صاحبي السجن ورؤيا الملك وكون ذلك ذريعة الى ما يبلغه الله تعالى اليه من الرياسة العظمى التي عبر عنها باتمام النعمة وانما عرف يعقوب ذلك منه عليهما السلام
من جهة الوحي او اراد كون هذه الخصلة سببا لظهور امره عليه السلام على الاطلاق فيجوز حينئذ ان يكون معرفته عليه السلام بذلك بطريق الفراسة والاستدلال والشواهد
والدلائل والامارات والمخايل بان من وفقه الله تعالى لمثل هذه الرؤيا لا بد من توفيقه لتعبيرها وتاويل امثالها وتمييز ما هو آفاقي منها مما هو انفسي كيف لا
وهي تدل على كمال تمكن نفسه عليه السلام في عالم المثال وقوة تصرفاتها فيه فيكون اقبل لفيضان المعارف المتعلقة بذلك العالم وبما يحاكيه من الامور الواقعة
بحسبها في عالم الشهادة واقوى وقوفا على النسب الواقعة بين الصور المعاينة في احد ذينك العالمين وبين الكائنات الظاهرة على وفقها في العالم الآخر
وان هذا الشان البديع لا بد ان يكون انموذجا لظهور امر من اتصف به ومدارا لجريان احكامه فان لكل نبي من الانبياء عليهم الصلوة والسلام معجزة
بها يظهر آثاره ويجري احكامه **ويتم نعمته عليك** بان يضم الى النبوة المستفادة من الاجتباء الملك ويجعله تتمة لها وتوسيط ذكر التعليم المذكور
بينهما لكونه من لوازم النبوة والاجتباء ولرعاية ترتيب الوجود الخارجي ولما اشرنا اليه من كون اثره وسيلة الى تمام النعمة ويجوز ان يعد نفس
الرؤيا من نعم الله تعالى عليه فيكون جميع النعم الواصلة اليه بحسبها مصداقا لها تماما لتلك النعمة **وعلى آل يعقوب** وهم اهله من بنيه وغيرهم فان رؤية يوسف
عليه السلام اخوته كواكب يهتدى بانوارها من نعم الله تعالى عليهم لدلالتها على مصير امرهم الى النبوة فيقع كل ما يخرج من القوة الى الفعل من كمالاتهم بحسب ذلك
تماما لتلك النعمة لا محالة واما اذا اريد بتمام النعمة الملك فلكونه كذلك بالنسبة اليهم باعتبار انهم يغتنمون آثاره من العز والجاه والمال **كما اتمها على**
ابويك نصب على المصدرية اي ويتم نعمته عليك اتماما كائنا كاتمام نعمته على ابويك وهي نعمة الرسالة والنبوة واتمامها على ابراهيم عليه السلام باتخاذه
خليلا وانجائه من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه وكل ذلك نعم
جليلة وقعت تتمة لنعمة النبوة ولا يجب في تحقيق التشبيه كون ذلك في جانب المشبه به مثل ما وقع في جانب المشبه من كل وجه **من قبل** اي من قبل
هذا الوقت او من قبلك **ابراهيم واسحق** عطف بيان لابويك والتعبير عنهما بالاب مع كونهما اباجده وابا ابيه للاشعار بكمال ارتباطه بالانبياء الكرام
عليهم السلام وتذكير معنى الولد سر ابيه ليطمئن قلبه بما اخبر به في ضمن التعبير الاجمالي لرؤياه والاقتصار في المشبه به على ذكر اتمام النعمة من غير تعرض للاجتباء
من باب الاكتفاء فان اتمام النعمة يقتضي سابقة النعمة المستدعية للاجتباء لا محالة **ان ربك** استيناف لتحقيق مضمون الجمل المذكورة اي يفعل ما ذكر

لانه **عليم** بكل شيء فيعلم من يستحق الاجتباء وما يتفرع عليه من التعليم المذكور واتمام النعمة العامة على الوجه المذكور **حكيم** فاعل لكل شيء حسبما
يقتضيه الحكمة والمصلحة فيفعل ما يفعل كما يفعل جريا على سنن علمه وحكمته والتعرض لعنوان الربوبية في الموضعين لتربية تحقق وقوع ما ذكر من
الافاعيل هذا وقد قيل في تفسير الآية الكريمة اي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال النفس يجتبيك ربك للنبوة والملك
او لامور عظام ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة حيث جعلهم في الدنيا انبياء وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات
العلى في الجنة كما اتمها على ابويك بالرسالة فتامل والله الهادي **لقد كان في يوسف واخوته** اي في قصتهم والمراد بهم ههنا اما جميعهم فان لبنيامين
ايضا حصة من القصة او بنو علاته المعدودون فيما سلف اذ عليهم يدور رحاها **آيات** علامات عظيمة الشان دالة على قدرة الله
تعالى القاهرة وحكمته الباهرة **للسائلين** لكل من سال عن قصتهم وعرفها او الطالبين للآيات المعتبرين بها فانهم الواقفون عليها و
المنتفعون بها دون من عداهم ممن اندرج تحت قوله تعالى وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فالمراد بالقصة
نفس المقصوص او على نبوته صلى الله عليه وسلم لمن ساله من المشركين او اليهود عن قصتهم فاخبرهم بذلك على ما هي عليه من غير سماع من احد ولا
ممارسة شيء من الكتب فالمراد بها اقتصاصها وجميع الآيات حينئذ للاشعار بان اقتصاص كل طائفة من القصة آية بينة كافية في الدلالة على نبوته
صلى الله عليه وسلم على نحو ما ذكر في قوله تعالى مقام ابراهيم على تقدير كونه عطف بيان لقوله تعالى آيات بينات لا لما قيل من انه لتعدد جهة الاعجاز
لفظا ومعنى وقرأ ابن كثير آية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم خبر يوسف وبغي اخوته عليه لما رأى
من بغي قومه عليه ليتأسى به **اذ قالوا ليوسف واخوه** اي شقيقه بنيامين وانما لم يذكر باسمه تلويحا بان مدار المحبة ليوسف من الطرفين الا يرى الى
انهم كيف اكتفوا باخراج يوسف من البين من غير تعرض له حيث قالوا اقتلوا يوسف **احب الى ابينا منا** وحد الخبر مع تعدد المبتدأ لان افعل من
كذا لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث نعم اذا عرف وجب الفرق واذا اضيف جاز الامران وفائدة لام الابتداء في
يوسف تحقيق مضمون الجملة وتاكيده **ونحن عصبة** اي والحال انا جماعة قادرون على الحل والعقد احقاء بالمحبة والعصبة والعصابة العشرة
من الرجال فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم **ان ابانا** في ترجيحهما علينا في المحبة مع فضلنا عليهما وكونهما بمعزل من كفاية الامور
بالصغر والقلة **لفي ضلال** اي ذهاب عن طريق التعديل اللائق وتنزيل كل منا منزلته **مبين** ظاهر الحال روي انه كان احب اليه لما يرى فيه
من مخايل الخير وكانت اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتضاعف حسدهم حتى حملهم على مباشرة ما قص عنهم
اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا من جملة ما حكي بعد قوله اذ قالوا وقد قاله بعض منهم مخاطبا للباقين لقضية الصيغة فكانهم رضوا بذلك كما يروى ان
القائل شمعون او دان والباقون كانوا راضين الا من قال لا تقتلوا الخ فجعلوا كانهم القائلون وادرجوا تحت القول المسند الى الجميع او قاله كل
واحد منهم مخاطبا للبقية وهو ادل على مسارعتهم الى ذلك القول وتنكير ارضا واخلاؤها من الوصف للابهام اي ارضا منكورة مجهولة بعيدة
من العمران ولذلك نصبت نصب الظروف المبهمة **يخل** بالجزم جواب للامر اي يخلص **لكم وجه ابيكم** فيقبل عليكم بكليته ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا
يساهمكم في محبته احد فذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم **وتكونوا** بالجزم عطفا على يخل او بالنصب على اضمار ان والواو بمعنى مع مثل
قوله وتكتموا الحق وايثار الخطاب في لكم وما بعده للمبالغة في حملهم على القبول فان اعتناء المرء بشان نفسه واهتمامه بتحصيل منافعه اتم واكمل
من بعده من بعد يوسف اي من بعد الفراغ من امره او قتله او طرحه **قوما صالحين** تائبين الى الله تعالى عما جنيتم او صالحين مع ابيكم باصلاح ما بينكم
وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في امور دنياكم بانتظامها بعده بخلو وجه ابيكم **قال قائل منهم** هو يهوذا وكان احسنهم فيه رأيا وهو الذي
قال فلن ابرح الارض الخ وقيل روبيل وهو استيناف مبني على سؤال من سال وقال اتفقوا على ما عرض عليهم من خصلتي الضيع ام خالفهم في
ذلك احد فقيل قال قائل منهم **لا تقتلوا يوسف** اظهره في مقام الاضمار استجلابا لشفقتهم عليه او استعظاما لقتله وهو هو فانه يروى انه
قال لهم القتل عظيم ولم يصرح بنهيهم عن الخصلة الاخرى واحاله على اولوية ما عرض عليهم بقوله تع **والقوه في غيابة الجب** اي في قعره وغوره سمي
بها لغيبته عن عين الناظر والجب البئر التي لم تطو بعد لانها ارض جبت جبا من غير ان يزاد على ذلك شيء وقرأ نافع في غيابات الجب وقرئ في الموضعين
كان لتلك الجب غيابات واراد بالجب الجنس اي في بعض غيابات الجب وقرئ غيابات وغيبة **يلتقطه** ياخذه على وجه الصيانة عن الضياع
والتلف فان الالتقاط اخذ شيء مشرف على الضياع **بعض السيارة** اي بعض طائفة تسير في الارض واللام في السيارة كما في الجب وما فيهما وفي

البعض من الابهام لتحقيق ما يتوخاه من ترويج كلامهم بموافقته لغرضهم الذي هو تنائي يوسف عنهم بحيث لا يدري اثره ولا يروي خبره وقرئ بالتاء
التأنيث لان بعض السيارة سيارة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم ومنه قطعت بعض اصابعه ان كنتم فاعلين بمشورتي لم يبت القول عليهم بل انما
عرض ذلك عليهم تأليفا لقلبهم وتوجيها لهم الى رأيه وحذرا من نسبتهم له الى التحكم والافتيات اي ان كنتم فاعلين ما ازمعتم عليه من ازالته من عند ابيه لا محالة
ولما كان هذا مظنة لسؤال سائل يقول فما فعلوا بعد ذلك هل قبلوا ذلك منه او لا فاجيب بطريق الاستيناف على وجه ادرج في تضاعيفه
قبولهم له بما سيجيء من قوله واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب فقيل قالوا يا ابانا خاطبوه بذلك تحريكا لسلسلة النسب بينه وبينهم وتذكيرا للرابطة الاخوية
بينهم وبين يوسف ليتسببوا بذلك الى استنزاله عليه السلام عن رأيه في حفظه منهم لما احس منهم بامارات الحسد والبغي فكانهم قالوا ما لك اي اي شيء
لك لا تأمنا اي لا تجعلنا امناء على يوسف مع انك ابونا ونحن بنوك وهو اخونا وانا له لناصحون مريدون له الخير ومشفقون عليه ليس فينا ما يخل بالنصيحة
والمقة قط والقراءة المشهورة بالادغام والاشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام ارسله معنا غدا الى الصحراء يرتع اي
يتسع في اكل الفواكه ونحوها فان الرتع هو الاتساع في الملاذ ويلعب بالاستباق والتناضل ونظائرهما مما يعد من باب التأهب للغزو وانما عبروا
عن ذلك باللعب لكونه على هيئته تحقيقا لما راموه من استصحاب يوسف عليه السلام بتصويرهم له بصورة ما يلائم حاله عليه السلام وقرئ نرتع ونلعب
بالنون وقرأ ابن كثير نرتع من ارتعى ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرئ يرتع ما شيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء وانا له
لحافظون من ان يناله مكروه اكدوا مقالتهم باصناف التاكيد من ايراد الجملة اسمية وتحليتها بان واللام واسناد الحفظ الى كلهم وتقديم له على
الخبر احتياطا في تحصيل مقصدهم قال استئناف مبني على سؤال من يقول فماذا قال يعقوب عليه السلام فقيل قال اني ليحزنني اللام للابتداء كما
في قوله عز وجل ان ربك ليحكم بينهم ان تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة صبري عليه ومع ذلك اخاف ان يأكله الذئب لان الارض كانت
مذأبة والحزن الم القلب بفوت المحبوب والخوف انزعاج النفس لنزول المكروه ولذلك اسند الاول الى الذهاب به المفوت لاستمرار صاحبته
ومواصلته ليوسف والثاني الى ما يتوقع نزوله من اكل الذئب وقيل رأى في المنام ان قد شد عليه عليه السلام ذئب وكان يحذره فقال ذلك
ولقد لقنهم العلة ان البلاء موكل بالمنطق وقرأ ابن كثير ونافع في رواية اليزيدي بالهمزة على الاصل وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة
درجا وقيل اشتقاقه من تذأبت الريح اذا هاجت من كل جانب وقال الاصمعي بالعكس وهو اظهر لفظا ومعنى وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع
واللعب ولعله اهتمامكم بحفظه قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة اي والحال انا جماعة كثيرة جديرة بان تعصب بنا الامور العظام وتكفى الخطوب بآرائنا وتدبيرنا
واللام الداخلة على الشرط موطئة للقسم وقوله انا اذا لخاسرون جواب مجزئ عن الجزاء اي هالكون ضعفا وخورا وعجزا او مستحقون لان يدعى
علينا بالخسار والدمار ويقال خسرهم الله ودمرهم حيث اكل الذئب بعضهم وهم حضور وقيل ان لم نقدر على حفظه وهو اعز شيء عندنا فقد
هلكت مواشينا اذن وخسرناها وانما اقتصروا على جواب خوف يعقوب عليه السلام من اكل الذئب لانه السبب القوي في المنع دون الحزن لقصر مدته
بناء على انهم يأتون به عن قريب فلما ذهبوا به واجمعوا اي ازمعوا ان يجعلوه مفعول لاجمعوا يقال اجمع الامر ومنه فاجمعوا امركم ولا يستعمل ذلك الا
في الافعال التي قويت الدواعي الى فعلها في غيابت الجب قيل هي بئر بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام
بكنعان التي هي من نواحي الاردن كما ان مدين كذلك واما ما يقال من انها بئر بيت المقدس فيرده التعليل بالتقاط السيارة ومجيئهم اباهم عشاء
ذلك اليوم فان بين منزل يعقوب عليه السلام وبين بيت المقدس مراحل وجواب لما محذوف ايذانا بظهوره واشعارا بان تفصيله مما لا تحويه
فلك العبارة ومجمله فعلوا به من الاذية ما فعلوا روي انهم لما برزوا الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث
فقال يهوذا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فأتوا به الى البئر فتعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه لما
عزموا عليه من تلطيخه بالدم احتيالا لابيه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك فدلوه
فيها فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم آوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه وظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا
ان يرضخوه فمنعهم يهوذا وكان يأتيه بالطعام كل يوم ويروى ان ابراهيم عليه السلام حين القي في النار وجرد عن ثيابه اتاه جبريل عليه السلام بقميص
من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب عليهم السلام فجعله يعقوب في تميمة وعلقها في عنق يوسف فجاءه جبريل عليه السلام
فأخرجه من التميمة فالبسه اياه واوحينا اليه عند ذلك تبشيرا له بما يؤول امره وازالة لوحشته وايناسا له قيل كان ذلك قبل ادراكه كما اوحي الى يحيى وعيسى

وعيسى وقيل كان اذ ذاك مدركا قال الحسن كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم بامرهم هذا اي لتتخلصن مما انت فيه من سوء الحال وضيق المجال ولتحدثن
اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون بانك يوسف لتباين حاليك حالك هذا وحالك يومئذ لعلو شأنك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن اوهامهم
وقيل لبعد العهد المبدل للهيئات المغير للاشكال والاول ادخل في التسلية روي انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه
على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابت
الجب وقلتم لابيكم اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون بالايحاء على معنى انا آنسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة
التي اورثوه وهم لا يشعرون بذلك ويحسبون انه مرهق مستوحش لا انيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم فقوله تعالى وهم لا يشعرون
متعلق باوحينا لا غير وجاؤا اباهم عشاء آخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء يبكون متباكين
روي انه لما سمع يعقوب عليه السلام بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي متسابقين في العدو او الرمي وقد
يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل ونظائرهما وتركنا يوسف عند متاعنا اي ما نتمتع به من الثياب والازواد وغيرهما فاكله الذئب عقيب
ذلك من غير مضي زمان يعتاد فيه التفقد والتعهد وحيث لا يكاد يطرح المتاع عادة الا في مقام يؤمن فيه الغوائل لم يعد تركه عليه السلام عنده من باب
الغفلة وترك الحفظ الملتزم لا سيما اذا لم يبرحوا ولم يغيبوا عنه فكانهم قالوا انا لم نقصر في محافظته ولم نغفل عن مراقبته بل تركناه في
مأمننا ومجمعنا بمرأى منا لان ميدان السباق لا يكون عادة الا بحيث يتراءى غايتاه وما فارقناه الا ساعة يسيرة بيننا وبينه مسافة قصيرة
فكان ما كان وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا في هذه المقالة الدالة على عدم تقصيرنا في امره ولو كنا عندك وفي اعتقادك صادقين موصوفين بالصدق
والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا وكلمة لو في امثال هذا الموقع لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم
الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه
ثبوته او انتفاؤه مع غيره من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه
شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وقد مر تفصيله في سورة
البقرة عند قوله تعالى اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وفي سورة الاعراف عند قوله تعالى اولو كنا كارهين وجاؤا على قميصه محله النصب على الظرفية
من قوله بدم اي جاؤا فوق قميصه بدم كما يقول جاؤا على جماله باحمال او على الحالية منه والخلاف في تقدم الحال على المجرور فيما اذا لم تكن الحال ظرفا كذب مصدر
وصف به الدم مبالغة او مصدر بمعنى المفعول اي مكذوب فيه او بمعنى ذي كذب اي ملابس للكذب وقرئ كذبا على انه حال من الضمير اي جاؤا
كاذبين او مفعول له وقرأت عائشة رضي الله عنها بغير المعجمة اي كدر وقيل طري قال ابن جني اصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج على
اظفار الاحداث كانه دم قد اثر في قميصه روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه فلما سمع يعقوب بخبر يوسف عليهما السلام صاح
باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم
يمزق قميصه عليه وقيل كان في قميص يوسف عليه السلام ثلث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة
يوسف عليه السلام حين قد من دبر قال استئناف مبني على سؤال فكأنه قيل ماذا قال يعقوب عليه السلام هل صدقهم فيما قالوا ام لا فقيل قال لم يكن
ذلك بل سولت لكم انفسكم اي زينت وسهلت قاله ابن عباس رضي الله عنهما والتسويل تقدير شيء في النفس مع الطمع في تمامه قال الازهري كأن
التسويل تفعيل من سؤال الانسان وهو امنيته التي يطلبها فتزين لطالبها الباطل وغيره واصله مهموز وقيل من السول وهو الاسترخاء امرا
من الامور منكرا لا يوصف ولا يعرف فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل او امثل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه اي الى الخلق الا ترى
قال يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل سقط حاجباه على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا قال طول الزمان وكثرة
الاحزان فاوحى الله عز وجل اليه يا يعقوب اتشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها لي وقرأ ابي فصبرا جميلا والله المستعان اي المطلوب منه العون وهو
انشاء منه عليه السلام للاستعانة المستمرة على ما تصفون على اظهار حال ما تصفون وبيان كونه كذبا واظهار سلامته فانه علم في الكذب قال سبحانه
سبحان ربك رب العزة عما يصفون وهو الاليق بما سيجيء من قوله تعالى فصبر جميل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا وتفسير المستعان عليه باحتمال ما يصفون
من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه يأباه تكذيبه عليه السلام لهم في ذلك ولا يساعده الصيغة فانها قد غلبت في وصف الشيء بما ليس فيه كما

اشير اليه **وجاءت** شروع في بيان ما جرى على يوسف في الجب بعد الفراغ عن ذكر ما وقع بين اخوته وبين ابيه والتعبير بالمجيء ليس بالنسبة الى مكانهم فان كنعان
ليس بجانب المصري من مدين بل الى مكان يوسف وفي ايثاره على المرور والاتيان او نحوهما ايماء الى كونه عليه السلام في الكرامة والزلفى عند مليك مقتدر
والظاهر ان الجب كان في الامم المتناء فان المتبادر من اسناد المجيء الى السيارة مطلقا في قوله عز وجل وجاءت **سيارة** اي رفقة تسير من جهة
مدين الى مصر وقوعه باعتبار سيرهم المعتاد وهو الذي يقتضيه قوله تعالى فيما سلف يلتقطه بعض السيارة وقد قيل انه كان في قفرة بعيدة من العمران لم يكن
الا للرعاة فاخطأوا الطريق فنزلوا قريبا منه وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه عليه السلام **فارسلوا واردهم** الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان
ذلك مالك بن ذعر الخزاعي وانما لم يذكر منتهى الارسال كما لم يذكر منتهى المجيء اعني الجب للايذان بان ذلك معهود لا يضرب عنه الذكر صفحا **فادلى دلوه** اي
ارسلها الى الجب والخذف لما عرفته فتدلى بها يوسف فخرج **قال** استيناف مبني على سؤال يقتضيه الحال **يا بشرى هذا غلام** كأنه نادى البشرى وقال
تعال فهذا اوانك حيث فاز بنعمة بادرة واي نعمة مكان ما يوجد مباحا من الماء وقيل اسم صاحبه ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراي
وامال فتحة الراء حمزة والكسائي وقرأ ورش بين اللفظين وقرئ يا بشرى بالادغام وهي لغة وبشراي على قصد الوقف **واسروه** اي اخفاه الوارد
واصحابه عن بقية الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا
كان يأتيه كل يوم بالطعام فأتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فأتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه منهم وسكت يوسف مخافة ان
يقتلوه ولا يخفى ما فيه من البعد **بضاعة** نصب على الحالية اي اخفوه حال كونه بضاعة اي متاعا للتجارة فانها قطعة من المال يضع عنه اي قطع للتجارة
والله عليم بما يعملون وعيد لهم على ما صنعوا من جعلهم مثل يوسف وهو هو عرضة للابتذال بالبيع والشرى وما دبروا في ذلك من الحيل **وشروه** اي باعوه
والضمير للوارد واصحابه **بثمن بخس** زيف ناقص العيار **دراهم** بدل من ثمن اي لا دنانير **معدودة** اي غير موزونة فهو بيان لقلته ونقصانه مقدارا بعد بيان
نقصانه في نفسه اذ المعتاد فيما لا يبلغ اربعين العد دون الوزن فعن ابن عباس رضي الله عنهما انها كانت عشرين درهما وعن السدي انها كانت اثنين
وعشرين درهما **وكانوا** اي الذين باعوه **فيه** في يوسف **من الزاهدين** من الذين لا يرغبون فيما بأيديهم فلذلك باعوه بما ذكر من الثمن البخس وسبب ذلك انهم
التقطوه والملتقط للشيء متهاون به غير واثق بأمره يخاف ان يظهر له مستحق فينزعه منه فيبيعه من اول مساوم باوكس ثمن ويجوز ان يكون معنى
شروه اشتروه من اخوته على ما حكي وهم غير راغبين في شراه خشية ذهاب ماله لما ظن في اذنهم من الاباق والعدول عن صيغة الافتعال المنبئة عن الاتخاذ
لما مر من ان اخذهم انما كان بطريق البضاعة دون الاجتباء والاقتناء وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وبيان لما زهدوا فيه ان جعلت
موصولة كانه قيل في اي شيء زهدوا فقيل زهدوا فيه لان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول **وقال الذي اشتراه من مصر** وهو العزيز الذي كان على
خزائنه واسمه قطفير او اطفير وبيان كونه من مصر لتربية ما يتفرع عليه من الامور مع الاشعار بكونه غير من اشتراه من الملتقطين بما ذكر من الثمن البخس وكان
الملك يومئذ الريان بن الوليد العمليقي ومات في حيوة يوسف عليه السلام بعد ان امن به فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه الى الاسلام فابى وقيل كان
الملك في ايامه فرعون موسى عليه السلام عاش اربعمائة سنة لقوله عز وجل ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف عليه السلام
والاية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الاباء واختلف في مقدار ما اشتراه به العزيز فقيل بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه في
السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا ووزنه ورقا ووزنه حريرا فاشتراه قطفير بذلك المبلغ وكان سنه اذ ذاك سبع عشرة سنة
واقام في منزله مع ما مر عليه من مدة لبثه في السجن ثلث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة **لامرأته**
راعيل او زليخا وقيل اسمها هو الاول والثاني لقبها واللام متعلقة بقال لا باشتراه **اكرمي مثواه** اجعلي محل اقامته كريما مرضيا والمعنى احسني تعهده **عسى ان
ينفعنا** في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا **او نتخذه ولدا** اي نتبناه وكان ذلك لما تفرس فيه من مخائل الرشد والنجابة ولذلك قيل افرس
الناس ثلثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استأجره وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما وكذلك نصب على المصدرية **وكذلك** اشارة
الى ما يفهم من كلام العزيز وما فيه من معنى البعد لتفخيمه اي مثل ذلك التمكين البديع **مكنا ليوسف في الارض** اي جعلنا له فيها مكانا يقال مكنه فيه اي اثبته فيه
ومكن له فيه اي جعل له فيه مكانا ولتقاربهما وتلازمهما يستعمل كل منهما في محل الاخر قال عز وجل كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم
اي ما لم نمكنكم فيها او مكناهم في الارض الى اخره والمعنى كما جعلناه مثوى كريما في منزل العزيز او مكانا عليا في قلبه حتى امر امرأته دون سائر خواصه
باكرام مثواه جعلنا له مكانة رفيعة في ارض مصر ولعله عبارة عن جعله وجيها بين اهلها ومحببا في قلوبهم كافة كما في قلب العزيز لانه الذي يؤدي الى

الى الغاية المذكورة في قوله تع **ولنعلمه من تأويل الاحاديث** اي نوفقه لتعبير بعض المنامات التي عمدتها رؤيا الملك وصاحبي السجن لقوله تع ذلكما مما علمني
ربي سواء جعلناه معطوفا على غاية مقدرة ينساق اليها الكلام ويستدعيها النظام كانه قيل ومثل ذلك التمكين مكنا ليوسف في الارض وجعلنا قلوب
اهلها كافة محال محبته ليترتب عليه ما ترتب مما جرى بينه وبين امرأة العزيز ولنعلمه بعض تأويل الاحاديث وهو تأويل الرؤيا المذكورة فيؤدي ذلك
الى الرياسة العظمى ولعل ترك المعطوف عليه للاشعار بعدم كونه مرادا بالذات او جعلناه علة لمعلل محذوف كانه قيل ولهذه الحكمة البالغة فعلنا ذلك
التمكين دون غيرها مما ليس له عاقبة حميدة هذا ولا يخفى عليك ان الذي عليه تدور هذه الامور انما هو التمكين في جانب العزيز واما التمكين في جانب الناس
كافة فتأديته الى ذلك انما هي باعتبار اشتماله على ذلك التمكين فاذن الحق ان يكون ذلك اشارة الى مصدر قوله تعالى مكنا ليوسف على ان يكون هو عبارة
عن التمكين في قلب العزيز او في منزله وكون ذلك تمكينا في الارض بملابسة انه عزيز فيها لا عن تمكين اخر يشبه به كما مر في قوله تع وكذلك جعلناكم امة وسطا
من ان ذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده لا الى جعل اخر يقصد تشبيه هذا الجعل به فالكاف مقحم للدلالة على فخامة شأن المشار اليه اقحاما لا يكاد يترك
في لغة العرب ولا في غيرها ومن ذلك قولهم مثلك لا يبخل وهكذا ينبغي ان يحقق المقام واما التمكين بمعنى جعله ملكا يتصرف في ارض مصر بالامر والنهي فهو من اثار ذلك
التعليم ونتائجه المتفرعة عليه كما عرفته لا من مباديه المؤدية اليه فلا سبيل الى جعله غاية له ولم يعهد منه عليه السلام في تضاعيف قضاياه العمل بموجب المنامات
المنبهة على الحوادث قبل وقوعها عهدا مصححا لجعله غاية لولايته وما وقع من التدارك في امر السنين فانما هو عمل بموجب الرؤيا السابقة المعهودة اللهم
الا ان يراد بتعليم تأويل الاحاديث ما سبق من تفهيم غوامض اسرار الكتب الالهية ودقائق سنن الانبياء عليهم السلام فيكون المعنى حينئذ مكناه في ارض
مصر ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه معاني كتب الله تع واحكامها ودقائق سنن الانبياء عليهم السلام فيقضي بها فيما بين اهلها والتعليم الاجمالي لتلك المعاني
والاحكام وان كان غير متأخر عن تمكينه بذلك المعنى الا ان تعليم كل معنى شخصي يتفق في ضمن الحوادث والارشاد الى الحق في كل نازلة من النوازل متأخر عن ذلك
صالح لان يكون غاية له **والله غالب على امره** لا يستعصي عليه امر ولا يمانعه شيء بل انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فيدخل في ذلك شؤونه المتعلقة بيوسف
دخولا اوليا او متول على امر يوسف لا يكله الى غيره وقد اريد به من الفتنة ما اريد مرة غب مرة فلم يكن الا ما اراد الله له من العاقبة الحميدة **ولكن اكثر الناس لا
يعلمون** ان الامر كذلك فيأتون ويذرون زعما منهم ان لهم من الامر شيئا وانى لهم ذلك وان الامر كله لله عز وجل او لا يعلمون لطائف صنعه وخفايا فضله **ولما
بلغ اشده** اي منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلثين الى الاربعين وقيل سن الشباب ومبدأه بلوغ الحلم والاول هو الاظهر لقوله تع **آتيناه حكما**
حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وفقها او نبوة **وعلما** اي تفقها في الدين وتنكيرهما للتفخيم اي حكما وعلما لا يكتنه كنههما ولا يقادر قدرهما فهما
ما اتاه الله تعالى عند تكامل قواه سواء كانا عبارة عن النبوة والحكم بين الناس او غيرهما كيف لا وقد جعل ايتاؤهما جزاء لعمله عليه السلام حيث قيل **وكذلك** اي مثل
ذلك الجزاء العجيب **نجزي المحسنين** اي كل من يحسن في عمله فيجب ان يكون ذلك بعد انقضاء اعماله الحسنة التي من جملتها معاناة الاحزان والشدائد وقد فسر العلم بعلم
تأويل الاحاديث ولا صحة له لان تخصيص علم تأويل رؤيا الملك فان ذلك حيث كان عند تناهي ايام البلاء صح ان يعد ايتاؤه من جملة الجزاء واما رؤيا صاحبي
السجن فقد لبث عليه السلام بعد تعبير ما في السجن بضع سنين وفي تعليق الجزاء المذكور بالمحسنين اشعار بعلية الاحسان له وتنبيه على انه سبحانه انما اتاه ما اتاه لكونه
محسنا في اعماله متقيا في عنفوان امره هل جزاء الاحسان الا الاحسان **وراودته التي هو في بيتها** رجوع الى شرح ما جرى عليه في منزل العزيز بعد ما امر امرأته
باكرام مثواه وقوله تع وكذلك مكنا ليوسف الى هنا اعتراض جيء به انموذجا للقصة ليعلم السامع من اول الامر ان ما لقيه عليه السلام من الفتن التي ستحكى
بتفاصيلها له غاية جميلة وعاقبة حميدة وانه عليه السلام محسن في جميع اعماله لم يصدر عنه في حالتي السراء والضراء ما يخل بنزاهته ولا يخفى ان مدار حسن
التخلص الى هذا الاعتراض قبل تمام الاية الكريمة انما هو التمكين البالغ المفهوم من كلام العزيز فادراج الايجاز السابق تحت الاشارة بذلك في قوله تع
وكذلك مكنا كما فعله الجمهور ناء من التقريب فتأمل والمراد المطالبة من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد لطالب الماء والكلاء وهي مفاعلة
من واحد نحو مطالبة الداين ومماطلة المديون ومداواة الطبيب ونظائرها مما يكون من احد الجانبين الفعل ومن الاخر سببه فان هذه الافعال وان
كانت صادرة عن احد الجانبين لكن لما كانت اسبابها صادرة عن الجانب الاخر جعلت كانها صادرة عنهما وهذا باب لطيف المسلك مبني على اعتبار دقيق
تحقيقه ان سبب الشيء يقام مقامه ويطلق عليه اسمه كما في قولهم كما تدين تدان اي كما تجزي تجزى فان فعل البادي وان لم يكن جزاء لكنه لكونه سببا للجزاء
اطلق عليه اسمه وكذلك ارادة القيام الى الصلوة وارادة قراءة القرآن حيث كانتا سببا للقيام والقراءة عبر عنهما بهما فقيل اذا قمتم الى الصلوة
فاذا قرأت القرآن وهذه قاعدة مطردة مستمرة ولما كانت اسباب الافعال المذكورة فيما نحن فيه صادرة عن الجانب المقابل لجانب فاعلها فان

للمماطلة التي هي من جانب الغريم وهي منه للمطالبة التي هي من جانب الدائن وكذا مداواة الطبيب للمرض الذي هو من جانب المريض وكذلك مراودتها
عليه السلام نزل صدوره عن محالها بمنزلة صدور سيئاتها التي هي تلك الافعال فبني الصيغة على ذلك وروعي جانب الحقيقة بان اسند الفعل الى
على صاحب السبب فتأمل ويجوز ان يراد بصيغة المغالبة مجرد المبالغة وقيل الصيغة على بابها بمعنى انها طلبت منه الفعل وهو منها الترك
وهو الرفق والتمحل وتعديتها بعن لتضمينها معنى المخادعة فالمعنى خادعته **عن نفسه** اي فعلت ما يفعل المخادع بصاحبه عن شيء لا يريد
وهو يحتال ان يأخذه منه وهي عبارة عن التمحل في مواقعته اياها والعدول عن التصريح باسمها للمحافظة على الستر وللاستهجان بذكره وايراد
المراودة فان كونه في بيتها مما يدعو الى ذلك قيل لواحدة ما حملك على ما انت عليه مما لا خير فيه قالت قرب الوساد وطول السواد وللاظهار
عليه السلام فان عدم ميله اليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها واستعصائه عليها مع كونه تحت ملكها ينادي عليه السلام في اعلى معارج العفة
وغلقت الابواب قيل كانت سبعة ولذلك جاء الفعل بصيغة التفعيل دون الافعال وقيل للمبالغة في الايثاق والاحكام **وقالت هيت لك** قرئ
وكسرها مع فتح التاء وبناؤه كبناء اين وعيط وهيت كجير وهيت كحيث اسم فعل معناه اقبل وبادر واللام للبيان اي لك اقول هذا كما في
هيت على صيغة الفعل بمعنى تهيأت يقال هاء يهيء كجاء يجيء اذا تهيأ وهيئت لك واللام صلة للفعل **قال معاذ الله** اي اعوذ بالله
عونني اليه وهذا اجتناب منه على اتم الوجوه واشارة الى التعليل بانه منكر هائل يجب ان يعاذ بالله تعالى للخلاص منه وما ذلك الا لانه عليه السلام قد
اراه الله تعالى من البرهان النير على ما هو عليه في حد ذاته من غاية القبح ونهاية السوء وقوله عز وجل **انه ربي احسن مثواي** تعليل للامتناع ببعض
جية مما عسى يكون مؤثرا عندها وداعيا لها الى اعتباره بعد التنبيه على سببه الذاتي الذي لا تكاد تقبله لما سولته لها نفسها والضمير للشأن
موضعه اذ عائشهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصدير الجملة به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرير في الذهن فان الضمير لا يفهم
الامر الا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن فكانه قيل ان الشأن الخطير هذا وهو ربي اي سيدي
مثواي اي احسن تعهدي حيث امرك باكرامي فكيف يمكن ان اسيء اليه بالخيانة وفيه ارشادها الى رعاية حق العزيز بالطف وجه وقيل الضمير
ربي خبران واحسن مثواي خبر ثان او هو الخبر والاول بدل من الضمير والمعنى ان الحال هذا فكيف اعصيه بارتكاب الفاحشة الكبيرة وفيه
عقاب الله عز وجل وعلى التقديرين ففي الاقتصار على ذكر هذه الحالة من غير تعرض لاقتضائها الامتناع عما دعته اليه ايذان بان
من البيان كافية في الدلالة على استحالته وكونه مما لا يدخل تحت الوقوع اصلا وقوله تعالى **انه لا يفلح الظالمون** تعليل للامتناع المذكور
الفلاح الظفر وقيل البقاء في الخير ومعنى افلح دخل فيه كاصبح واخواته والمراد بالظالمين كل من ظلم كائنا من كان فيدخل في ذلك المجاوزون للاحسان
العصاة لامر الله تعالى دخولا اوليا وقيل الزناة لانهم ظالمون لانفسهم وللمزني باهله **ولقد همت به** بمخالطته اذ الهم لا يتعلق بالاعيان
وعزمت عليه عزما جازما لا يلويها عنه صارف بعد ما باشرت مباديها وفعلت من المراودة وتغليق الابواب ودعوته عليه السلام الى نفسها
لك ولعلها تصدت هنالك لافعال اخر من بسط يدها اليه وقصد المعانقة وغير ذلك مما يضطره عليه السلام الى الهرب نحو الباب والتأكيد
توهم من احتمال اقلاعها عما كانت عليه بما في مقالته عليه السلام من الزواجر **وهم بها** بمخالطتها اي مال اليها بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة
ميلا جبليا لا يكاد يدخل تحت التكليف لانه قصدها قصدا اختياريا الا يرى الى ما سبق من استعصامه المبني على كمال كراهيته له ونفرته عنه
فلاح الظالمين وهل هو الا تسجيل باستحالة صدور الهم منه عليه تسجيلا محكما وانما عبر عنه بالهم لمجرد وقوعه في صحبة همها في الذكر بطريق
شبهته به كما قيل ولقد اشير الى تباينهما حيث لم يلزا في قرن واحد من التعبير بان قيل ولقد هما بالمخالطة او هم كل منهما بالآخر وصدر الاول
بن التوكيد القسمي وعقب الثاني بما يعفو اثره من قوله عز وجل **لولا ان رأى برهان ربه** اي حجته الباهرة الدالة على كمال قبح الزنا وسوء
المراد برؤيته لها كمال ايقانه بها ومشاهدته لها مشاهدة واصلة الى مرتبة عين اليقين الذي تتجلى هناك حقائق الاشياء بصورها الحقيقية
وما المستعارة التي بها تظهر في هذه النشأة على ما نطق به قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وكان عليه السلام قد
موجب ذلك البرهان النير على ما هو عليه في حد ذاته اقبح ما يكون واوجب ما يجب ان يحذر منه ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام والحكم بعدم افلاح
جواب لولا محذوف يدل عليه الكلام اي لولا مشاهدته برهان ربه في شأن الزنا لجرى على موجب ميله الجبلي ولكنه حيث كان مشاهدا له من قبل
عليه في قضيته البرهان وفائدة هذه الشرطية بيان ان امتناعه عليه السلام لم يكن لعدم مساعدة من جهة الطبيعة بل لمحض العفة والنزاهة

القبيح مع وفور الدواعي الداخلية وترتب المقدمات الخارجية الموجبة لظهور الاحكام الطبيعية هذا وقد نص ائمة الصناعة على ان لولا في امثال هذه المواقع جار
المعنى لا من حيث الصيغة مجرى التقييد للحكم المطلق كما في مثل قوله تعالى ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها فلا يتحقق هناك هم اصلا وقد جوز
وهم بها جواب لولا جاريا على قاعدة الكوفيين في جواز التقديم فالهم حينئذ على معناه الحقيقي فالمعنى لولا انه قد شاهد برهان ربه لهم بها كما
ولكن حيث انتفى عدم المشاهدة بدليل استعصامه وما يتفرع عليه انتفى الهم رأسا هذا وقد فسر همه عليه السلام بانه عليه السلام حل الهميان وجلس
وبانه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها ورؤيته للبرهان بانه سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث ثم وثم الى ان تمثل له يعقوب عليه السلام عاضا
وقيل ضرب على صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل بدت كف فيما بينهما ليس فيها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم
ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فقال الله عز وجل لجبريل
السلام ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل عليه السلام وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في ديوان الانبياء وقيل
العزيز وقيل وقيل ان كل ذلك الا خرافات واباطيل تمجها الآذان وتردها العقول والاذهان ويل لمن لاكها ولفقها او سمعها وصدقها **كذلك** الكاف
المحل وذلك اشارة الى الاراءة المدلول عليها بقوله تعالى لولا ان رأى برهان ربه اي مثل ذلك التبصير والتعريف عرفناه برهاننا فيما قبل او الى التثبيت
اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه **لنصرف عنه السوء** على الاطلاق فيدخل فيه خيانة السيد دخولا اوليا **والفحشاء** والزنى لانه مفرط القبح وفيه آية
قاطعة على انه عليه السلام لم يقع منه هم بالمعصية ولا توجه اليها قط والا لقيل لنصرفه عن السوء والفحشاء وانما توجه اليه ذلك من خارج فصرفه
عما فيه من موجبات العفة والعصمة فتأمل وقرئ ليصرف على اسناد الصرف الى ضمير الرب **انه من عبادنا المخلصين** تعليل لما سبق من مضمون الجملة بطريق
المخلصون هم الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته بان عصمهم عما هو قادح فيها وقرئ على صيغة الفاعل وهم الذين اخلصوا دينهم لله سبحانه وكلا المعنيين
في سلكهم داخل في زمرتهم من اول امره بقضية الجملة الاسمية لا ان ذلك حدث له بعد ان لم يكن كذلك فانحسم مادة احتمال صدور الهم بالسوء منه عليه السلام
واستبقا الباب متصل بقوله ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه وقوله كذلك الى آخره اعتراض جيء به بين المعطوفين تقريرا لنزاهته عليه السلام
وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض والمعنى لقد همت به وأبى هو واستبقا اي تسابقا الى الباب البراني الذي هو المخلص ولذلك وحد بعد
سلف وحذف حرف الجر واوصل الفعل الى المجرور نحو واذا كالوهم او ضمن الاستباق معنى الابتدار واسناد السبق في ضمن الاستباق اليها مع ان مراد
يوسف وذا لا يوجب الانتهاء الى الباب لانها لما رأته يسرع الى الباب ليتخلص منها اسرعت هي ايضا لتسبقه اليه وتمنعه عن الفتح والخروج وعبر عن اسراعها
مبالغة **وقدت قميصه من دبر** اجتذبته من ورائه فانشق طولا وهو القد كما ان الشق عرضا هو القط وقد قيل في وصف علي كرم الله وجهه
كان اذا اعتلى قد واذا اعترض قط واسناد القد اليها خاصة مع ان لقوة يوسف ايضا دخلا فيه اما لانها الجزء الاخير للعلة التامة واما للايذان بمبالغتها
في منعه عن الخروج وبذل مجهودها في ذلك لفوت المحبوب ولخوف الافتضاح **والفيا سيدها** اي صادفا زوجها واذ لم يكن ملكه ليوسف عليه السلام صحيحا
لم يقل سيدهما قيل الفياه مقبلا وقيل كان جالسا مع ابن عم للمرأة **لدى الباب** اي البراني كما مر روي كعب انه لما هرب يوسف عليه السلام جعل فراش القفل
يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب قالت استئناف مبني على سؤال سائل يقول فماذا كان حين الفيا العزيز عند الباب فقيل **قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا**
من الزنا ونحوه **الا ان يسجن او عذاب اليم** ما نافية اي ليس جزاؤه الا السجن او العذاب الاليم قيل المراد به الضرب بالسياط او استفهامية اي اي شيء
جزاؤه غير ذاك او ذلك ولقد اتت في تلك الحالة التي تدهش فيها الفطن حيث شاهدها العزيز على تلك الهيئة المريبة بحيلة جمعت فيها غرضيها وهي تبرئة ساحتها عن
الريبة واظهار الحال واستنزال يوسف عن رأيه في استعصائه عليها وعدم مواتاته على مرادها بالقاء الرعب في قلبه من مكرها طمعا في مواقعته لها كرها عند يأسها عن
ذلك اختيارا كما قالت ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين ثم انها جعلت صدور الارادة المذكورة عن يوسف عليه السلام امرا محققا مفروغا عنه
غنيا عن الاخبار بوقوعه وانما هي عليه من الافاعيل لاجل تحقيق جزائها فهي تريد ايقاعه حسبما تقتضيه قانون الايالة وفي ابهام المريد تهويل لشأن الجزاء المذكور
بكونه قانونا مطردا في كل احد كائنا من كان وفي ذكر نفسها بعنوان اهلية العزيز اعظام للخطب واغراء له على تحقيق ما تتوخاه بحكم الغضب والحمية **قال** استئناف
وجواب عما يقال فماذا قال يوسف حينئذ فقيل قال **هي راودتني عن نفسي** اي طالبتني للمواتاة لا اني اردت بها سوءا كما قالت وانما قاله عليه السلام تنزيها
لنفسه عما اسندته اليه من الخيانة وعدم معرفة حق السيد ودفعا لما عرضته له من الامرين الامرين وفي التعبير عنها بضمير الغيبة دون الخطاب واسم الاشارة
مراعاة لحسن الادب مع الايماء الى الاعراض عنها **وشهد شاهد من اهلها** قيل هو ابن عمها وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان

حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره وقد جوّز ان يكون بعض اهلها قد بَصُر بها من حيث لا تشعر فاغضبه الله تعالى ليوسف عليه السلام بالشهادة له والقيام بالحق وانما القى الله سبحانه الشهادة الى من هو من اهلها ليكون ادلّ على نزاهته عليه السلام وانفى للتهمة وقيل كان الشاهد ابن خالٍ لها صبيا في المهد انطقه الله تعالى ببرائته وهو الأظهر فانه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى عليه السلام رواه الحاكم عن ابي هريرة وقال صحيح على شرط الشيخين وذكر كونه من اهلها لبيان الواقع اذ لا يختلف الحال في هذه الصورة بين كون الشاهد من اهلها او من غيرهم **ان كان قميصه قدّ من قبل** اي ان علم انه قدّ من قبل ونظيره ان أحسنتَ اليّ فقد احسنتُ اليك فيما قبل فان معناه ان تعتدّ باحسانك اليّ فاعتدّ باحساني السابق اليك **فصدقت** بتقدير قد لانها تقرب الماضي الى الحال اي فقد صدقت وكذا الحال في قوله فكذبت وهي وان لم تصرّح بانه عليه السلام ارادها سوءًا الا ان كلامها حيث كان واضح الدلالة عليه اسند اليها الصدق والكذب بذلك الاعتبار فانهما كما يعرضان للكلام باعتبار منطوقه يعرضان له باعتبار ما يستلزمه وبذلك الاعتبار يعتريان للانشاآت **وهو من الكاذبين** وهذه الشرطية حيث لا ملازمة عقلية ولا عادية بين مقدّمها وتاليها ليست من الشهادة في شيء وانما ذكرت توسيعا للدائرة وارخاءً للعنان الى جانب المرأة باجراء ما عسى يحتمله الحال في الجملة بان يقع القدّ من قبل بمدافعتها له عليه السلام عن نفسها عند ارادته المخالطة والتكشف مجرى الظاهر الغالب الوقوع تقريبا لما هو المقصود باقامة الشهادة اعني مضمون الشرطية الثانية التي هي قوله عز وجل **وان كان قميصه قدّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين** الى التسليم والقبول عندها مع لكونه اقرب الى الوقوع وادلّ على المطلوب وان لم يكن بين طرفيها ايضا ملازمة وحكاية الشرطية بعد فعل الشهادة لكونها من قبيل الاقوال وتقدير القول اي شهد قائلا الى آخره وتسميتها شهادة مع انه لا حكم فيها بالفعل بالصدق والكذب لتأديتها مؤدّاها بل لانها شهادة على الحقيقة وحكم بصدقه وكذبها اما على تقدير كون الشاهد هو الصبي فظاهر اذ هو اخبار بهما من قبل علّام الغيوب والتصوير بصورة الشرطية للايذان بان ذلك ظاهر من العلائم ايضا واما على تقدير كونه غيره فلان الظاهر ان صورة الحال معلومة له على ما هي عليه اما مشاهدةً او اخبارا فهو متيقن بعدم مقدّم الشرطية الاولى وبوجود مقدّم الشرطية الثانية ومن ضرورته الجزم بانتفاء تالي الاولى وبوقوع تالي الثانية فاذن هو اخبار بكذبها وصدقه عليه السلام لكنه ساق شهادته مساقا مأمونا من الجرح والطعن حيث صدّرها بصورة الشرطية المتردّدة ظاهرا بين نفعها ونفعه واما حقيقة فلا تردّد فيها قطعا لان الشرطية الاولى تعليق لصدقها بامر محقق العدم والثانية تعليق لصدقه عليه السلام بامر محقق الوجود والقدّ من دبر فيكون محققا البتة وهذا كما قيل فيمن قال لامرأة زوّجيني نفسك فقالت لي زوج فكذّبها في ذلك فقالت ان لم يكن لي زوج فقد زوّجتك نفسي فقبل الرجل فاذا لا زوج فهو نكاح اذ تعليق الشيء بامر مقرر تنجيز له وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كأنهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف للتأنيث والعلمية وقرئ بسكون العين **فلما رأى قميصه قدّ من دبر** كأنه لم يكن رأى ذلك بعدُ او لم يتدبره فلما تنبه له وعلم حقيقة الحال **قال انه** اي الامر الذي وقع فيه التشاجر وهو عبارة عن ارادة السوء الذي اسندت الى يوسف وتدبير عقوبته بقولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا الى آخره لكن لا من حيث صدور تلك الارادة والاسناد عنها بل مع قطع النظر عن ذلك لئلا يخلو قوله تعالى **من كيدكنّ** اي من جنس حيلتكن ومكركن ايتها النساء لا من غيركن عن الافادة وتدبير العقوبة وان لم يكن تجريده عن الاضافة اليها الا انها لما صوّرته بصورة الحق افاد الحكم بكونه من كيدهن افادة ظاهرة فتأمّل وتعميم الخطاب للتنبيه على ان ذلك خلقٌ لهن عريق ولا تحسبا هنداً لها الغدر وحدها سجية نفسٍ كل غانية هند ورجع الضمير الى قولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا فقط عدول عن البحث عن اصل ما وقع فيه النزاع من ان ارادة السوء ممن هي الى البحث عن شعبة من شعبه وجعله للسوء او للامر المعبر به عن طمعها في يوسف عليه السلام بأباه الخبر فان الكيد يستدعي عن ان يعتبر مع ذلك هنات أخر من قبلها كما اشرنا اليه **ان كيدكنّ عظيم** فانه ألطف واعلق بالقلب واشد تأثيرا في النفس وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء ما لا اخاف من الشيطان فانه تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم ولان الشيطان يوسوس مسارقة وهن يواجهن بالرجال **يوسف** حذف منه حرف النداء لقربه وكمال تفطنه للحديث وفيه تقريب وتلطيف لمحله **اعرض عن هذا** اي عن هذا الامر وعن التحديث به واكتمه فقد ظهر صدقك ونزاهتك **واستغفري** انتِ يا هذه **لذنبك** الذي صدر عنك وثبت عليك **انك كنت** بسببه وذلك **من الخاطئين** من جملة القوم المتعمدين للذنب او من جنسهم يقال خطئ اذا اذنب عمدا وهو تعليل للامر بالاستغفار والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكان العزيز رجلا حليما فاكتفى بهذا القدر من مؤاخذتها وقيل كان قليل الغيرة **وقال نسوة** اي جماعة من النساء وكن خمسا امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي كتأنيث اللمة وهي الجماعة ولذلك لم يلحق فعله تاء التأنيث **في المدينة** ظرف لقال اي اشعن الامر في مصر او صفة للنسوة **امرأة العزيز** اي النساء والتبة وهي اسم لجماعة الرجال

اي الملك يريدن قطفير واضافتهن لها اليه بذلك العنوان دون ان يصرحن باسمها او اسمه ليست لقصد المبالغة في اشاعة الخبر بحكم ان النفوس الى سماع اخبار ذوي الاخطار أميل كما قيل اذ ليس مرادهن تفضيح العزيز بل هي لقصد الاشباع في لومها بقولهن **تراود فتاها** اي تطالبه بمواقعتها وتتمحل في ذلك وتخادعه **عن نفسه** وقيل تطلب منه الفاحشة وايثارهن لصيغة المضارع للدلالة على دوام المراودة والفتى من الناس الشاب واصله فتيٌ لقولهم فتيان والفتوة شاذة وجمعه فتية وفتيان ويستعار للمملوك وهو المراد هٰهنا وفي الحديث لا يقل احدكم عبدي وأمتي وليقل فتاي او فتاتي وتعبيرهن عن يوسف عليه السلام بذلك مضافا اليها لا الى العزيز الذي لا يستلزم الاضافة اليه الهوان بل ربما يشعر بنوع عزة لابانة ما بينهما من التباين البيّن الناشئ عن المالكية والمملوكية وكل ذلك لتربية ما مرّ من المبالغة والاشباع في اللوم فان من لا زوج لها من النساء او لها زوج دنيٌّ قد تعذر في مراودة الاخدان لا سيما اذا كان فيهم علو الجناب واما التي لها زوج واي زوج عزيز مصر فمراودتها لغيره لا سيما لعبده الذي لا كفاءة بينها وبينه اصلا وتماديها في ذلك غاية الغي ونهاية الضلال **قد شغفها حبا** اي شق حبه شغاف قلبها وهو حجابه او جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب حتى وصل الى فؤادها وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير اذا هنأه فأحرقه بالقطران وعن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما الشغف الحب القاتل والشعف حب دون ذلك وكان الشعبي يقول الشغف حب والشعف جنون والجملة خبر ثانٍ او حال من فاعل تراود او من مفعوله واياما كان فهو تكرير للوم وتأكيد للعذول ببيان اختلال احوالها القلبية كأحوالها القالبية وجعلها تعليلا لدوام المراودة من حيث الانية مصير الى الاستدلال على الاجلى بالاخفى ومن حيث اللمية ميل الى تمهيد العذر من قبلها وليس ذلك المقام وانتصاب حبا على التمييز لنقله عن الفاعلية اذ الاصل قد شغفها حبه كما اشرنا اليه **انا لنراها** اي نعلمها علما مما متاخما للمشاهدة والعيان فيما صنعت من المراودة والمحبة المفرطة مستقرة **في ضلال** عن طريق الرشد والصواب او سنن العقل **مبين** واضح لا يخفى كونه ضلالا على احد او مظهر لامرها بين الناس فالجملة مقررة لمضمون الجملتين السابقتين المسوقتين للوم والتشنيع وتسجيل عليها بانها في امرها على خطأ عظيم وانما لم يقلن انها لفي ضلال مبين اشعارا بان ذلك الحكم غير صادر عنهن مجازفة بل عن علم ورأي مع التلويح بانهن متنزهات عن امثال ما هي عليه **فلما سمعت بمكرهن** باغتيابهن وسوء قالتهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني وهو مقتها وتسميته مكرا لكونه خفية منها كمكر الماكر وان كان ظاهر العزها وقيل استكتمتهن سرها فأفشينه عليها وقيل انما قلن ذلك لتريهن يوسف عليه السلام **ارسلت اليهن** تدعوهن قيل دعت اربعين امرأة منهن الخمس المذكورات **واعتدت** اي احضرت وهيأت **لهن متكأ** اي ما يتكئن عليه من النمارق والوسائد او تبت لهن مجلس طعام وشراب لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهي ان الرجل ان يأكل متكئا وقيل متكأ طعاما من قولهم اتكأنا عند فلان أي طعمنا قال جميل فظللنا بنعمة واتّكأنا وشربنا الحلال من قلله وعن مجاهد متكأ طعاما يحزّ حزا كان المعنى يعتمد بالسكين عند القطع لان القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين وقرئ بغير همز وقرئ بالمد باشباع حركة الكاف كمنتزاح في منتزح وينباع في ينبع وقرئ متكا وهو الاترج وأنشد وأهدت متكة لبني ابيها تخب بها العثمثمة الوقاح او ما يقطع من متك الشيء اذا بتكه ومتكا من تكئ اذا اتكى **وآتت كل واحدة منهن سكينا** لتستعمله في قطع ما يعهد قطعه مما قدم بين ايديهن وقرب اليهن من اللحوم والفواكه ونحوها وهن متكئات وغرضها من ذلك ما سيقع من تقطيع ايديهن **وقالت** ليوسف وهن مشغولات بمعالجة السكاكين واعمالها فيما بايديهن من الفواكه واضرابها والعطف بالواو ربما يشير الى ان قولها **اخرج عليهن** اي ابرز لهن لم يكن عقيب ترتيب امورهن ليتم غرضها من استغفالهن **فلما رأينه** عطف على مقدر يستدعيه الامر بالخروج وينسحب عليه الكلام اي فخرج عليهن فرأينه وانما حذف تحقيقا لمفاجأة رؤيتهن كأنها تفوت عند ذكر خروجه عليهن كما حذف لتحقيق السرعة في قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وفيه ايذان بسرعة امتثاله عليه السلام بامرها فيما لا يشاهد مضرته من الافاعيل **اكبرنه** عظمنه وهبن حسنه الفائق وجماله الرائق الرائع فان فضل جماله على جمال كل جميل كان كفضل القمر ليلة القدر على سائر الكواكب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدر كما يرى نور الشمس على الماء وقيل معنى اكبرن حضن والهاء للسكت او ضمير راجع الى يوسف عليه السلام على حذف اللام اي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق **وقطعن ايديهن** اي جرحنها بما في ايديهن من السكاكين لفرط دهشتهن وخروج حركات جوارحهن عن منهاج الاختيار والاعتياد حتى لم يعلمن ما فعلن وفي التعبير عن الجرح بالقطع ما لا يخفى من الدلالة على كثرة جرحهن ومع ذلك لم يبالين بذلك ولم يشعرن به **وقلن حاش لله** تنزيها له سبحانه عن صفات النقص والعجز وتعجبا من قدرته على مثل ذلك الصنع البديع واصله حاشا كما قرأه ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف جر يفيد معنى

التنزيه في باب الاستثناء فلا يستثنى به الا ما يكون موجبا للتنزيه فوضع موضعه فمعنى حاشا لله تنزيه الله وبراءة الله وهي قراءة ابن مسعود واللام لبيان المنزه
والمبرأ كما في سقيا لك والدليل على وضعه موضع المصدر قراءة ابي السمال حاشا لله بالتنوين وقراءة ابي عمرو بحذف الالف وقراءة الاعمش بحذف الاولى
فان التصرف من خصائص الاسم فيدل على تنزيله منزلته وعدم التنوين لمراعاة اصله كما في قولك جلست من عن يمينه وقوله غدت من عليه منقلب الالف الى الياء
مع الضمير وقرئ حاش لله بسكون الشين اتباعا للفتحة الالف في الاسقاط وحاش الاله وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اي
صار في ناحية ان يقارف ما رمته به لله اي لطاعته او لمكانه او جانب المعصية لاجل الله **ما هذا بشرا** على اعمال ما بمعنى ليس وهي لغة اهل الحجاز لمشاركتهما
في نفي الحال وقرئ بشر على لغة تميم وبشرى اي بعبد مشترى لئيم نفين عنه البشرية لما شاهدن فيه من الجمال العبقري الذي لم تعهد مثاله في البشر وقصرنه على
الملكية بقولهن **ان هذا الا ملك كريم** بناء على ما ركز في العقول من ان لا حي احسن من الملك كما ركب فيها ان لا اقبح من الشيطان ولذلك لا يزال يشبه بهما
كل متناه في الحسن والقبح وغرضهن وصفه باقصى مراتب الحسن والجمال **قالت فذلكن** الفاء فصيحة والخطاب للنسوة والاشارة الى يوسف بالعنوان الذي وصفته
به الآن من الخروج في الحسن والجمال عن المراتب البشرية والاقتصار على الملكية فاسم الاشارة مبتدأ والموصول خبره والمعنى ان كان الامر كما قلتن فذلكن الملك الكريم
النائي عن المراتب البشرية هو **الذي لمتنني فيه** اي عيرتنني فيه وفي الافتتان به حيث رأيتن بحلي بنسبتي الى العزيز وضعتن قدره بكونه من المماليك او
بالعنوان الذي وصفته به فيما تقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني فهو خبر لمبتدأ محذوف اي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن
وقلتن فيه وفي ما قلتن فالآن قد علمتن من هو وما هو ولكن فينا واما ما يقال يعني انكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في
الافتتان به فلا يلائم المقام فاما مرادها بدعوتهن وتمهيد ما مهدته لهن تبكيتهن وتنديمهن على ما صدر عنهن من اللوم وقد فعلت ذلك بالامر يدعيه وما
ذكر من المقال تحقق لمعذرتها قبل ظهور معذرته وقد قيل في تعليل الملكية ان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملكية
وهو ايضا لا يلائم قولها فذلكن الذي لمتنني فيه فان عنوان العصمة مما ينافي تمشية مرامها ثم بعدما اقامت عليهن الحجة واوضحت لديهن عذرها وقد
اصابهن من قبله عليه السلام ما اصابها باحت لهن ببقية سرها فقالت **ولقد راودته عن نفسه** حسبما قلتن وسمعتن **فاستعصم** امتنع طالبا للعصمة وهو
بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها وفيه استمسك واستجمع الرأي وفيه برهان نير على انه لم
يصدر عنه عليه السلام شيء مخل باعتصامه بقوله معاذ الله من الهم وغيره اعترفت لهن اولا بانكن يسمعنه من مراودتها له واكدته اظهارا لابتهاجها بذلك ثم
زادت على ذلك انه اعرض عنها على ابلغ ما يكون ولم يمل اليها قط ثم زادت عليه ايضا انها مستمرة على ما كانت عليه غير مرعوية عنه لا بلوم العواذل ولا باء
الجبيب فقالت **ولئن لم يفعل ما آمره** اي آمر به فيما سيأتي كما لم يفعله فيما مضى فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير كما في امرتك الخير فالضمير للموصول او امري
اياه اي موجب امري ومقتضاه فما مصدرية والضمير ليوسف وعبرت عن مراودتها بالامر اظهارا لجريان حكومتها عليه واقتضاء للامتثال بامرها **ليسجنن**
بالنون المثقلة آثرت بناء الفعل للمفعول جريا على رسم الملوك او ايهاما لسرعة ترتب ذلك على عدم امتثاله لامرها كأنه لا يدخل بينهما فعل فاعل **وليكونا**
بالمخففة **من الصاغرين** اي الاذلاء في السجن وقد قرئ الفعلان بالتثقيل ولكن المشهورة اولى لان النون كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف واللام الاولى
على حرف الشرط موطئة للقسم وجوابه ساد مسد الجوابين ولقد اتت بهذا الوعيد المنطوي على فنون التأكيد بمحضر منهن ليعلم يوسف انها ليست في امرها
خفية ولا خيفة من احد فيضيق عليه الحيل ويعيى به العلل وينصحن له ويرشدنه الى موافقتها وانما كانت هذه الابراق والارعاد منها مظنة لسؤال سائل
يقول فما صنع يوسف عليه السلام حينئذ فقيل **قال** مناجيا لربه عز سلطانه **رب السجن** الذي اوعدتني بالالقاء فيه وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر **احب الي**
اي آثر عندي لانه مشقة قليلة نافدة اثرها راحات جليلة ابدية **مما يدعونني اليه** من مواتاتها التي تؤدي الى الشقاء والعذاب الاليم وهذا الكلام منه عليه السلام
مبني على ما مر من انكشاف الحقائق لديه وبروز كل منهما بصورتها اللائقة بها فصيغة التفضيل ليست على بابها اذ ليس له شائبة محبة لما دعته اليه وانما هو
والسجن شران اهونهما واقربهما الى الايثار السجن والتعبير عن الايثار بالمحبة لحسم مادة طمعها عن المساعدة خوفا من الحبس والاقتصار على ذكر السجن من حيث
ان الصغار من فروعه ومستتبعاته واسناد الدعوة اليهن جميعا لان النسوة رغبنه في مطاوعتها وخوفنه من مخالفتها وقيل دعونه الى انفسهن وقيل
انما ابتلي عليه السلام بالسجن لقوله هذا وكان الاولى به ان يسأل الله تعالى العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر **والا تصرف**
اي ان لم تصرف **عني كيدهن** في تحبيب ذلك وتحسينه لدي بان تثبتني على ما انا عليه من العصمة والعفة **اصب اليهن** اي امل الى اجابتهن او الى
انفسهن على قضية الطبيعة وحكم القوة الشهوية وهذا فزع منه عليه السلام الى الطاف الله تعالى جريا على سنن الانبياء والصالحين في قصر نيل الخيرات والنجاة

830

والنجاة عن الشرور على جناب الله عز وجل وسلب القوى والقدر عن انفسهم ومبالغة في استدعاء لطفه في صرف كيدهن باظهار ان لا طاقة له بالمدافعة كقول
المستغيث ادركني والا هلكت لا انه يطلب الاجبار والالجاء الى العصمة والعفة وفي نفسه داعية تدعوه الى هواهن والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا
لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ اصب اليهن من الصبابة وهي رقة الشوق **واكن من الجاهلين** اي الذين لا يعملون بما يعلمون لان
من لا جدوى لعلمه فهو والجاهل سواء او من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه من القبائح لان الحكيم لا يفعل القبيح **فاستجاب له ربه** دعاءه الذي تضمنه
قوله والا تصرف عني كيدهن الى آخره فان فيه استدعاء لصرف كيدهن على ابلغ وجه والطفه كما مر وفي اسناد الاستجابة الى الرب مضافا اليه
عليه السلام ما لا يخفى من اظهار اللطف **فصرف عنه كيدهن** حسب دعائه وثبته على العصمة والعفة **انه هو السميع** لدعاء المتضرعين اليه **العليم** باحوالهم وما يصلحهم
ثم بدا لهم اي ظهر للعزيز واصحابه المتصدين للحل والعقد ريثما اكتفوا بامر يوسف بالكتمان والاعراض عن ذلك **من بعد ما رأوا الآيات** الصارفة لهم عن ذلك
البداء وهي الشواهد الدالة على براءته عليه السلام وفاعل بدا اما مصدره او الرأي المفهوم من السياق او المصدر المدلول عليه بقوله **ليسجننه** والمعنى بدا لهم
بداء او رأي او سجنه المحتوم قائلين والله ليسجننه فالقسم المحذوف وجوابه معمول للقول المقدر حالا من ضميرهم وما كان ذلك البداء الا باستنزال المرأة لزوجها
وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطواعة لها تقوده حيث شاءت قال السدي انها قالت للعزيز ان هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يخبرهم
باني راودته عن نفسه فاما ان تأذن لي فأخرج فأعتذر الى الناس واما ان تحبسه ولقد ارادت بذلك تحقيق وعيدها لتلين به عريكته وتنقاد لها قرونته
لما انصرمت حبال رجائها عن استتباعه بعرض الجمال والترغيب بنفسها وباعوانها وقرئ لتسجننه على صيغة الخطاب بان خاطب بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده
على وجه التعظيم او خاطب به العزيز ومن عنده من اصحاب الرأي المباشرين للسجن والحبس **حتى حين** الى حين انقطاع قالة الناس وهذا بادي الرأي عند العزيز
وذويه واما عندها فحتى يذلله السجن ويسخره لها ويحسب الناس انه المجرم وقرئ عتى حين بلغة هذيل **ودخل معه** اي في صحبته **السجن فتيان** من فتيان
الملك ومماليكه احدهما شرابيه والآخر خبازه روي ان جماعة من اهل مصر ضمنوا لهما مالا ليسما الملك في طعامه وشرابه فأجاباهم الى ذلك ثم ان الساقي
نكل عن ذلك ومضى عليه الخباز فسم الخبز فلما حضر الطعام قال الساقي لا تأكل ايها الملك فان الخبز مسموم وقال الخباز لا تشرب ايها الملك فان الشراب مسموم
فقال الملك للساقي اشربه فشربه فلم يضره وقال للخباز كله فأبى فجرب بدابة فهلكت فأمر بحبسهما فاتفق ان دخلا معه وتأخير الفاعل لما مر مرارا من
الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ليتمكن عند النفس حين وروده عليها فضل تمكن ونظيره تقديم الظرف على المفعول في قوله تعالى فأوجس منهم خيفة
وتأخير السجن عن الظرف لايهام العكس ان يكون الظرف خبرا مقدما على المبتدأ ويكون الجملة حالا من فاعل دخل فتأمل **قال احدهما** استئناف مبني على
سؤال من يقول ما صنعا بعدما دخلا معه السجن فأجيب بانه قال احدهما وهو الشرابي **اني اراني** اي رأيتني والتعبير بالمضارع لاستحضار الصورة الماضية **اعصر خمرا**
اي عنبا سماه بما يؤول اليه لكونه المقصود من العصر وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود اعصر عنبا **وقال الآخر** وهو الخباز **اني اراني احمل**
فوق رأسي خبزا تأخير المفعول عن الظرف لما مر آنفا وقوله **تأكل الطير منه** اي تنهش منه صفة للخبز او استئناف مبني على السؤال **نبئنا بتأويله** بتأويل ما ذكر
من الرؤيين او ما رؤي واجراء الضمير مجرى ذلك بطريق الاستعارة فان اسم الاشارة يشار به الى متعدد كما في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كأنه
في الجلد توليع البهق اي كأن ذلك والسر في المصير الى اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة مع انه لا حاجة اليه بعد تأويل المرجع بما ذكر او بما رؤي ان الضمير
يتعرض لنفس المرجع من حيث هو من غير تعرض لحال من احواله فلا يتسنى تأويله باحد الاعتبارين الا باجرائه مجرى اسم الاشارة الذي يدل على المشار اليه بالاعتبار
الذي جرى عليه في الكلام فتأمل هذا اذا قالاه معا او قاله احدهما من جهتهما معا واما اذا قاله كل منهما اثر ما قص ما رآه فالخطاب المذكور ليس عبارتهما
ولا عبارة احدهما من جهتهما ليتعدد المرجع بل عبارة كل منهما نبئني بتأويله مستعرا لما رآه وصيغة المتكلم مع الغير واقعة في الحكاية دون المحكي على
طريقة قوله عز وجل يا ايها الرسل كلوا من الطيبات فانهم لم يخاطبوا بذلك دفعة بل خوطب كل منهم في زمانه بصيغة مفردة خاصة به **انا نراك** تعليل لعرض
رؤياهما عليه واستفسارهما منه عليه السلام **من المحسنين** من الذين يجيدون عبارة الرؤيا لما رأياه يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فيؤولها له تأويلا
حسنا او من العلماء لما سمعاه يذكر للناس ما يدل على علمه وفضله او من المحسنين الى اهل السجن اي فأحسن الينا بكشف غمتنا ان كنت قادرا على ذلك روي انه
عليه السلام كان اذا مرض منهم رجل قام عليه واذا ضاق مكانه اوسع واذا احتاج جمع وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم
فجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك وما احسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف بن
صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن

شيئت وعن الشعبي انهما تحالما ليمتحناه فقال الشرابي اراني في بستان فاذا بأصل حبلة عليها ثلثة عناقيد من عنب فقطعتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اراني وفوق رأسي ثلث سلال فيها انواع الأطعمة واذا سباع الطير تنهش قال لا يأتيكما طعام ترزقانه في مقامكما هذا حسب عادتكما المطردة الا نبأتكما بتأويله استثناء مفرغ من اعم الأحوال اي لا يأتيكما طعام في حال من الأحوال الا حال ما نبأتكما به بان بينت لكما ماهيته وكيفيته وسائر احواله قبل ان يأتيكما واطلاق التأويل عليه اما بطريق الاستعارة فان ذلك بالنسبة الى مطلق الطعام المبهم بمنزلة التأويل بالنظر الى ما روي في المنام وشبيه له واما بطريق المشاكلة حسبما وقع في عبارتهما من قولهما نبئنا بتأويله ولا يبعد ان يراد بالتأويل الشيء الآيل لا المآل فانه في الأصل جعل شيء آيلا الى شيء آخر فكما يجوز ان يراد به الثاني يجوز ان يراد به الأول فالمعنى الا نبأتكما بما يؤول اليه من الكلام والخبر المطابق للواقع وكان عليه السلام يقول لهما اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كذلك ومراده عليه السلام بذلك بيان كل ما يهمهما من الأمور المترقبة قبل وقوعها وانما تخصيص الطعام بالذكر لكونه عريقا في ذلك بحسب الحال مع ما فيه من مراعاة حسن التخلص اليه مما استعبراه من الرؤيتين المتعلقتين بالطعام والشراب وقد جعل الضمير لما قصا من الرؤيتين على معنى لا يأتيكما طعام ترزقانه حسب عادتكما الا اخبرتكما بتأويل ما قصصتما علي قبل ان يأتيكما ذلك الطعام الموقت مرادا به الأخبار بالاستعجال في التنبئة وانت خبير بأن النظم الكريم ظاهر في تعدد اتيان الطعام والاخبار بالتأويل وتجددهما وان المقام مقام اظهار فضله في فنون العلم بحيث يدخل في ذلك تأويل رؤياهما دخولا اوليا وانما لم يكتف عليه السلام بمجرد تأويل رؤياهما مع ان فيه دلالة على فضله لما نعتاه عليه السلام بالانتظام في سمط المحسنين وانهما قد علما ذلك حيث قالا انا نراك من المحسنين توسم عليه السلام فيهما خيرا وتوجها الى قبول الحق فاراد ان يخرج اثر ذي اثير عما في عهدته من دعوة الخلق الى الحق فمهد قبل الخوض في ذلك مقدمة تزيدهما علما بعظم شأنه وثقة بأمره ووقوفا على علو طبقته في بدائع العلوم توسلا بذلك الى تحقيق ما يتوخاه وقد تخلص اليها من كلامهما فكأنه قال تأويل ما قصصتماه علي في طرف الثمام حيث رأيتما مثاله في المنام واني ابين لكما كل جليل ودقيق من الأمور المستقبلة وان لم يكن هناك مقدمة المنام حتى ان الطعام الموظف الذي يأتيكما كل يوم ابينه لكما قبل اتيانه ثم اخبرهما بان علمه ذلك ليس من قبيل علوم الكهنة والعرافين بل هو فضل الهي يؤتيه من يشاء ممن يصطفيه للنبوة فقال ذلكما اي ذلك التأويل والاخبار بالمغيبات ومعنى البعد في ذلك للاشارة الى علو درجته وبعد منزلته مما علمني ربي بالوحي والالهام اي بعض منه او من ذلك الجنس الذي لا يحوم حول ادراكه العقول ولقد دلهما بذلك على ان له علوما جمة ما سمعاه قطعة من جملتها وشعبة من دوحتها ثم بين ان نيل تلك الكرامة بسبب اتباعه ملة آبائه الأنبياء العظام وامتناعه عن الشرك فقال اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهو استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من قوله ذلكما مما علمني ربي وتعليلا له لا للتعليم الواقع صلة للموصول لتأديته الى معنى انه مما علمني ربي لهذا السبب دون غيره لا لمضمون الجملة الخبرية لأن ذكره بصدد التعليل ليس لعلة لكون التأويل المذكور بعضا مما علمه ربه او لكونه من جنسه بل لنفس تعليم ما علمه فكأنه قيل لماذا علمك ربك تلك العلوم البديعة فقيل لأني تركت ملة الكفرة اي دينهم الذي اجتمعوا عليه من الشرك وعبادة الأوثان والمراد بتركها الامتناع عنها رأسا كما يفصح عنه قوله ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء لا تركها بعد ملابستها وانما عبر عنه بذلك لكونه ادخل بحسب الظاهر في اقتداء هما به عليه السلام والتعبير عن كفرهم بالله تعالى بسلب الايمان به للتنصيص على ان عبادتهم له تعالى مع عبادة الأوثان ليست بايمان به تعالى كما هو زعمهم الباطل على ما مر في قوله تعالى انه عمل غير صالح وهم بالآخرة وما فيها من الجزاء هم كافرون على الخصوص دون غيرهم لافراطهم في الكفر واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب يعني انه انما حاز هذه الكمالات وفاز بتلك الكرامات بسبب انه اتبع ملة آبائه الكرام ولم يتبع ملة قوم كفروا بالمبدأ والمعاد وانما قاله عليه السلام ترغيبا لصاحبيه في الايمان والتوحيد وتنفيرا لهما عما كانا عليه من الشرك والضلال وقدم ذكر تركه لملتهم على ذكر اتباعه لملة آبائه لأن التخلية متقدمة على التحلية ما كان اي ما صح وما استقام فضلا عن الوقوع لنا معاشر الأنبياء لقوة نفوسنا ووفور علومنا ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان من ملك او جني او انسي فضلا عن الجماد البحت ذلك اي التوحيد المدلول عليه بقوله ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء من فضل الله علينا اي ناشئ من تأييده لنا بالنبوة وترشيحه ايانا لقيادة الأمة وهدايتهم الى الحق وذلك مع كونه من موجبات التوحيد ودواعيه الجليلة وفضل عظيم علينا بالذات وعلى الناس كافة واستنطاقا وحيث عبر عنه بذلك العنوان عبر عن التوحيد الذي يوجبه بالشكر فقيل ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يوحدون فان التوحيد مع كونه من آثار ما ذكر من التأييد شكر لله عز وجل على تلك النعمة وانما وضع الظاهر موضع الضمير الراجع الى الناس لزيادة توضيح وبيان ولقطع توهم رجوعه الى المجموع الموهم لعدم اختصاص غير الشاكر بالناس وقيل ذلك التوحيد من فضل الله تعالى علينا حيث نصب لنا ادلة ننظر فيها ونستدل بها على الحق وقد

وقد نصب مثل تلك الأدلة لسائر الناس ايضا ولكن اكثرهم لا ينظرون ولا يستدلون بها اتباعا لأهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين ولك ان تقول ذلك التوحيد فضل الله علينا حيث اعطانا عقولا ومشاعر نستعملها في دلائل التوحيد التي مهدها في الأنفس والآفاق وقد اعطى سائر الناس ايضا مثلها ولكن اكثرهم لا يشكرون اي لا يصرفون تلك القوى والمشاعر الى ما خلقت هي له ولا يستعملونها فيما ذكر من ادلة التوحيد الآفاقية والأنفسية والعقلية والنقلية يا صاحبي السجن اي يا صاحبي في السجن كما تقول يا سارق الليلة ناداهما بعنوان الصحبة في مدار الأشجان ودار الأحزان التي تصفو فيها المودة وتخلص النصيحة ليقبلا عليه ويقبلا مقالته وقد ضرب لهما مثلا يتضح به الحق عندهما حق اتضاح فقال أأرباب متفرقون لا ارتباط بينهم ولا اتفاق يستعبدكما كل منهم حسبما اراد غير مراقب للآخرين مع عدم استقلاله خير لكما ام الله المعبود بالحق الواحد المتفرد بالألوهية القهار الغالب الذي لا يغالبه احد وبعد ما نبههما على فساد تعدد الأرباب بين لهما سقوط آلهتهم عن درجة الاعتبار رأسا فضلا عن الألوهية فقال معمما للخطاب لهما ولمن على دينهما ما تعبدون من دونه اي من دون الله شيئا الا اسماء فارغة لا مطابق لها في الخارج لأن ما ليس فيه مصداق اطلاق الاسم عليه لا وجود له اصلا فكانت عبادتهم لتلك الأسماء فقط سميتموها جعلتموها اسماء وانما لم يذكر المسميات تربية لما يقتضيه المقام من اسقاطها عن مرتبة الوجود وايذانا بأن تسميتهم في البطلان حيث كانت بلا مسمى كعبادتهم حيث كانت بلا معبود انتم وآباؤكم بمحض جهلكم وضلالتكم ما انزل الله بها اي بتلك التسمية المستتبعة للعبادة من سلطان من حجة تدل على صحتها ان الحكم في امر العبادة المتفرعة على تلك التسمية الا لله عز سلطانه لأنه المستحق لها بالذات اذ هو الواجب بالذات الموجد للكل والمالك لأمره امر استيناف مبني على سؤال ناشئ من قوله ان الحكم الا لله فكأنه قيل فماذا حكم الله تعالى في هذا الشأن فقيل امر على ألسنة الأنبياء عليهم السلام ان لا تعبدوا اي بأن لا تعبدوا الا اياه حسبما تقضي به قضية العقل ايضا ذلك اي تخصيصه تعالى بالعبادة الدين القيم الثابت المستقيم الذي تعاضدت عليه البراهين عقلا ونقلا ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي ذلك هو الدين القيم لجهلهم بتلك البراهين ولا يعلمون شيئا اصلا فيعبدون اسماء سموها من تلقاء انفسهم معرضين عن البرهان العقلي والسلطان النقلي وبعد تحقيق الحق ودعوتهما اليه وبيانه لهما مقدار الرفيع ومرتبة علمه الواسع شرع في تفسير ما استفسراه ولكونه بحثا مغايرا لما سبق فصله عنه بتكرير الخطاب فقال يا صاحبي السجن اما احدكما وهو الشرابي وانما لم يعينه ثقة بدلالة التعبير وتوسلا بذلك الى ابهام مر صاحبه حذار مشافهته بما يسوءه فيسقي ربه اي سيده خمرا روي انه عليه السلام قال له ما رأيت من الكرمة وحسنها الملك وحسن حالك عنده واما القضبان الثلثة فثلثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقرئ فيسقي ربه على البناء للمفعول اي يسقى ما يروى به واما الآخر وهو الخباز فيصلب فتأكل الطير من رأسه روي انه عليه السلام قال له ما رأيت من السلال الثلثة ثلثة ايام ثم تخرج فتقتل قضي تم واحكم الأمر الذي فيه تستفتيان وهو ما رأياه من الرؤيين قطعا لا مآله الذي هو عبارة عن نجاة احدهما وهلاك الآخر كما يوهمه اسناد القضاء اليه اذ الاستفتاء انما يكون في الحادثة لا في حكمها يقال استفتي الفقيه في الحادثة اي طلب منه بيان حكمها ولا يقال استفتاه في حكمها او جوابها كذا او كما هو علم في ذلك قوله تعالى يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ومعنى استفتائهما فيه طلبهما لتأويله بالاستفتاء تهويلا لأمره وتفخيما لشأنه اذ الاستفتاء انما يكون في النوازل المشكلة الحكم المبهمة الجواب وايثار صيغة الاستقبال مع سبق استفتائهما في ذلك لما انهما بصدده الى ان يقضي عليه السلام من الجواب وطره واسناد القضاء اليه مع انه من احوال مآله لأنه في الحقيقة عين ذلك المآل وقد ظهر في عالم المثال بتلك الصورة واما توحيده مع تعدد رؤياهما فوارد على حسب ما وحداه في قولهما نبئنا بتأويله لا لأن الأمر ما اتهماه وسيجا لأجله من سم الملك فانهما لم يستفتيا فيه وفيما هو صورته بل فيما هو صورة لمآله وعاقبته فتأمل وانما اخبرهما عليه السلام بذلك تحقيقا لتعبيره وتأكيدا له وقيل لما عبر رؤياهما جحدا وقالا ما رأينا شيئا فاخبرهما ان ذلك كائن صدقتما او كذبتما ولعل الجحود من الخباز اذ لا داعي الى جحود الشرابي الا ان يكون ذلك لمراعاة جانبه وقال اي يوسف عليه السلام للذي ظن انه ناج اوثر على صيغة المضارع مبالغة في الدلالة على تحقق النجاة حسبما يعنيه قوله تعالى قضي الأمر الذي فيه تستفتيان وهو السر في ايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال للذي ظنه ناجيا منهما من صاحبيه وانما ذكر بوصف النجاة تمهيدا لمناط التوصية بالذكر عند الملك وعنوان التقرب المفهوم من التعبير المذكور وان كان ادخل في ذلك وادعى الى تحقيق ما وصاه به لكنه ليس بوصف فارق يدور عليه الامتياز بينه وبين صاحبه المذكور بوصف الهلاك والظان هو يوسف عليه السلام لا صاحبه لأن التوصية المذكورة لا تدور على ظن الناجي بل على ظن يوسف وهو بمعنى اليقين كما في قوله تعالى اني ظننت اني ملاق حسابيه فالوجه بالتعبير كما ينبئ عنه قوله تعالى قضي الأمر الى آخره وقيل هو بمعناه والتعبير بالاجتهاد والحكم بقضاء الأمر ايضا اجتهادي اذكرني بما انا عليه من الحال والصفة عند ربك سيدك وصفني له بصفتي التي شاهدتها فانساه الشيطان اي انسى الشرابي بوسوسته والقائه في قلبه اشغالا تعوقه عن الذكر والا فالانساء في الحقيقة لله عز وجل والفاء للسببية فان توصيته عليه السلام المتضمنة للاستعانة بغيره سبحانه كانت باعثة لما ذكر من الانساء ذكر ربه اي ذكر الشرابي له عليه

السّلام عند الملك والاضافة لأدني ملابسة او ذكر اخبار ربّه **فلبث** اي يوسف بسبب ذلك الانساء او القول **في السّجن بضع سنين** البضع ما بين الثلث الي التسع
من البضع وهو القطع واكثر الأقاويل انّه لبث فيه سبع سنين وروي عن النّبي صلّي الله عليه وسلّم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربّك لما لبث في
السّجن سبعًا بعد الخمس والاستعانة بالعباد وان كانت مرخصة لكن اللّائق بمناصب الأنبياء عليهم السّلام الأخذ بالعزائم **وقال الملك** اي الرّيان **انّي اري** اي
رأيت واتيا بصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية **سبع بقرات سمان** جمع سمين وسمينة ككرام في جمع كريم وكريمة يقال رجال كرام ونسوة كرام **يأكلهنّ** اي
اكلهنّ والعدول الي المضارع لاستحضار الصّورة تعجيبًا والجملة حال من البقرات او صفة لها **سبع عجاف** اي سبع بقرات عجاف وهي جمع عجفاء والقياس عجف
لأن فعلاء وافعل لا يجمع علي فعال ولكن عدل به عن القياس حملًا لأحد النّقيضين علي الآخر وانّما لم يقل سبع عجاف بالإضافة لأن التّمييز موضوع لبيان
الجنس والصّفة ليست بصالحة لذلك فلا يقال ثلثة ضخام واربعة غلاظ واما قولك ثلثة فرسان وخمسة ركبان فلجريان الفارس مجري الأسماء روي
رأي سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وخرج عقيبهنّ سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلعت العجاف السّمان **وسبع سنبلات خضر** قد انعقد
حبّها **واخر يابسات** اي وسبعًا آخر يابسات فقد ادركت والتوت علي الخضر حتّي غلبتها علي ما روي ولعلّ عدم التّعرّض لذكره للاكتفاء بما ذكر من حال البقرات
يا ايّها الملأ خطاب للأشراف من العلماء والحكماء **افتوني في رؤياي** هذه اي عبّروها وبيّنوا حكمها وما تؤول اليه من العاقبة والتّعبير عن التّعبير بالافتاء
لتشريفهم وتفخيم امر رؤياه **ان كنتم للرّؤيا تعبرون** اي تعلمون عبارة جنس الرّؤيا علمًا مستمرًّا وهي الانتقال من الصّور الخياليّة المشاهدة في المنام الي ما هي صور
وامثلة لها من الأمور الآفاقيّة والأنفسيّة الواقعة في الخارج من العبور وهو المجاوزة تقول عبرت النّهر اذا قطعته وجاوزته ونحو اوّلتها اي ذكرت مآلها
وعبرت الرّؤيا عبارة اثبت من عبّرتها تعبيرًا والجمع بين الماضي والمستقبل للدّلالة علي الاستمرار كما اشير اليه واللّام للبيان او لتقوية العامل المؤخّر لرعاية الفواصل
او لتضمين تعبرون معني فعل متعدّ باللّام كأنّه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارتها ويجوز ان يكون للرّؤيا خبر كان كما يقال فلان لهذا الأمر اذا كان مستقلًّا به متمكّنًا
منه وتعبرون خبر آخر **قالوا** استيناف مبني علي السّؤال كأنّه قيل فماذا قال الملأ للملك فقيل قالوا هي **اضغاث احلام** اي تخاليطها جمع ضغث وهو في الأصل ما جمع من اخلاط
النّبات وحزم ثمّ استعير لما تجمعه القوّة المتخيّلة من احاديث النّفس ووساوس الشّيطان وتريها في المنام والأحلام جمع حلم وهي الرّؤيا الكاذبة الّتي لا حقيقة لها
والاضافة بمعني من اي هي اضغاث من احلام اخرجوها من جنس الرّؤيا الّتي لها عاقبة تؤول اليها ويعتني بأمرها وجمعوها وهي رؤيا واحدة مبالغة في وصفها
بالبطلان كما في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس العمائم لمن لا يملك الّا فرسًا واحدًا وعمامة فردة ولتضمّنها اشياء مختلفة من البقرات السّبع السّمان والسّبع العجاف
والسّنابل السّبع الخضر والأخر اليابسات فتأمّل حسن موقع الأضغاث مع السّنابل فلله درّ شأن التّنزيل **وما نحن بتأويل الأحلام** اي المنامات الباطلة الّتي لا اصل لها
بعالمين لا لأنّ لها تأويلًا ولكن لا نعلمه بل لأنّه لا تأويل لها وانّما التّأويل للمنامات الصّادقة ويجوز ان يكون ذلك اعترافًا منهم بقصور علمهم وانّهم ليسوا بنحارير في
تأويل الأحلام مع انّ لها تأويلًا كما يشعر به عدولهم عمّا وقع في كلام الملك من العبارة المعربة عن مجرّد الانتقال من الدّالّ الي المدلول حيث لم يقولوا بتعبير
الأحلام او عبارتها الي التّأويل المنبئ عن التّصرّف والتّكلّف في ذلك لما بين الآيل والمآل من البعد ويؤيّده قوله قوله عزّ وجلّ انا انبّئكم بتأويله **وقال**
الّذي نجا منهما اي من صاحبي يوسف وهو الشّرابي **وادّكر** بغير المعجمة وهو الفصيح وعن الحسن بالمعجمة اي تذكّر يوسف عليه السّلام وشئونه الّتي شاهدها ووصيّته
بتقريب رؤيا الملك واشكال تأويلها علي الملأ **بعد امّة** اي مدّة طويلة وقرئ امّة بالكسر وهي النّعمة اي بعد ما انعم عليه بالنّجاة وامه اي نسيان والجملة حال
من الموصول او من ضميره في الصّلة وقيل معطوفة علي نجا وليس بذاك لأنّ حقّ كلّ من الصّفة والصّلة ان تكون معلومة الانتساب والموصول عند المخاطب كما
عند المتكلّم ولذلك قيل انّ الصّفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات وانت تدري انّه تذكّره بعد امّة انّما علم بهذه الجملة فلا مجال لنظمه
مع نجاته المعلومة قبل في سلك الصّلة **انا انبّئكم بتأويله** اي اخبركم به بالتّلقّي عمّن عنده علمه لا من تلقاء نفسي ولذلك لم يقل انا افتيكم فيها وعقّبه بقوله
فارسلون اي الي يوسف وانّما لم يذكره ثقة بما سبق من التّذكّر وما لحق من قوله **يوسف ايّها الصّدّيق** اي ارسل اليه فأتاه فقال يا يوسف ووصفه بالمبالغة
في الصّدق حسبما شاهده وذاق احواله وجرّبها لكونه بصدد اغتنام آثاره واقتباس انواره فهو من باب براعة الاستهلال **افتنا في سبع بقرات**
سمان يأكلهنّ سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات اي في رؤيا ذلك وانّما لم يصرّح به لوضوح مرامه بقرينة ما سبق من معاملتهما ولدلالة مضمون الحادثة
عليه حيث لا امكان لوقوعه في عالم الشّهادة اي بيّن لنا مآلها وحكمها وحيث عاين علوّ رتبته عليه السّلام في الفضل عبّر عن ذلك بالافتاء ولم يقل كما قال هو
وصاحبه اوّلا نبّئنا بتأويله وفي قوله افتنا مع انّه المستفتي وحده اشعار بأنّ الرّؤيا ليست له بل لغيره ممّن له ملابسة بأمور العامّة وانّه في ذلك معبّر وسفير
كما آذن بذلك حيث قال **لعلّي ارجع الي النّاس** اي الي الملك ومن عنده او الي اهل البلدان كان السّجن في الخارج كما قيل فأنبّئهم بذلك **لعلّهم يعلمون** ذلك ويعلمون

ويعلمون مقتضاه او يعلمون فضلك ومكانك مع ما انت فيه من الحال فتتخلّص منه وانّما لم يبتّ القول في ذلك مجاراة معه علي نهج الأدب واحترازًا عن المجازفة اذ لم يكن
علي يقين من الرّجوع فربّما اخترم دونه لعلّ المنايا دون ما تعداني ولا من علمهم بذلك فربّما لم يعلموه **قال** استيناف مبني علي السّؤال كأنّه قيل فماذا قال يوسف عليه السّلام
في التّأويل فقيل قال **تزرعون سبع سنين دأبا** قرئ بفتح الهمزة وسكونها وكلاهما مصدر دأب في العمل اذا جدّ فيه وتعب وانتصابه علي الحاليّة من فاعل
تزرعون اي دائبين او تدأبون دأبا علي انّه مصدر مؤكّد لفعل هو الحال اوّل عليه السّلام البقرات السّمان والسّنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات
بسنين مجدبة فأخبرهم بأنّهم يواظبون سبع سنين علي الزّراعة ويبالغون فيها اذ بذلك يتحقّق الخصب الّذي هو مصداق البقرات السّمان وتأويلها ودلّهم
علي امر نافع لهم فقال **فما حصدتم** اي في كلّ سنة **فذروه في سنبله** ولا تذروه كيلا يأكله السّوس كما هو شأن غلال مصر ونواحيها ولعلّه
عليه السّلام استدلّ علي ذلك بالسّنبلات الخضر وانّما امرهم بذلك اذ لم يكن معتادًا فيما بينهم وحيث كانوا معتادين للزّراعة لم يأمرهم بها وجعلها امرًا محقّق الوقوع
وتأويلًا للرّؤيا مصدقًا لما فيها من البقرات السّمان **الّا قليلا ممّا تأكلون** في تلك السّنين وفيه ارشاد منه عليه السّلام لهم الي التّقليل في الأكل والاقتصار علي
استثناء المأكول دون البذر لكون ذلك معلومًا من قوله تزرعون سبع سنين وبعد اتمام ما امرهم به شرع في بيان بقيّة التّأويل الّتي تظهر منها حكمة الأمر
المذكور فقال **ثمّ يأتي** وهو عطف علي تزرعون فلا وجه لجعله بمعني الأمر حثًّا لهم علي الجدّ والمبالغة في الزّراعة علي انّه يحصل بالاخبار بذلك ايضًا **من بعد ذلك**
اي من بعد السّنين السّبع المذكورات وانّما لم يقل من بعدهنّ قصدًا الي الاشارة الي وصفهنّ فانّ الضّمير ساكت عن اوصاف المرجع بالكلّيّة **سبع شداد** اي سبع سنين
صعاب **يأكلن ما قدّمتم لهنّ** من الحبوب المتروكة في سنابلها وفيه تنبيه علي انّ امره عليه السّلام بذلك كان لوقت الضّرورة واسناد الأكل اليهنّ مع انّه
حال النّاس فيهنّ مجازي كما في نهاره صائم وفيه تلويح بأنّه تأويل لأكل العجاف السّمان واللّام في لهنّ ترشيح لذلك فكأنّ ما ادّخر في السّنابل من الحبوب
شيء قد هيّئ وقدّم لهنّ كالّذي يقدّم للنّازل والّا فهو في الحقيقة مقدّم للنّاس فيهنّ **الّا قليلا ممّا تحصنون** تحرزون لبذور الزّراعة **ثمّ يأتي من**
بعد ذلك اي من بعد السّنين الموصوفة بما ذكر من الشّدّة واكل الغلال المدّخرة **عام** لم يعبّر عنه بالسّنة تحاشيًا عن المدلول الأصلي لها من عام القحط وتنبيهًا
من اوّل الأمر علي اختلاف الحال بينه وبين السّوابق **فيه يغاث النّاس** من الغيث اي يمطرون يقال غيثت البلاد اذا مطرت في وقت الحاجة او من الغوث يقال
اغاثنا الله تعالي اي امدّنا برفع المكاره حين اظلّتنا **وفيه يعصرون** اي ما من شأنه ان يعصر من العنب والقصب والزّيتون والسّمسم ونحوها من الفواكه لكثرتها
والتّعرّض لذكر العصر مع جواز الاكتفاء عنه بذكر الغيث المستلزم له عادة كما اكتفي به عن ذكر تصرّفهم في الحبوب امّا لأنّ استلزام الغيث له ليس كاستلزامه
للحبوب اذ المذكورات يتوقّف صلاحها علي مبادئ اخري غير المطر وامّا لمراعاة جانب المستفتي باعتبار حالته الخاصّة به وهي الّتي تدور عليها حسن موقع
تغليبه علي النّاس في القراءة المشهورة بالفوقانيّة وقيل معني يعصرون يحلبون الضّروع وتكريره فيه امّا للاشعار باختلاف اوقات ما يقع فيه من الغيث والعصر
زمانًا وهو ظاهر وعنوانًا فانّ الغيث والغوث من فضل الله تعالي والعصر من فعل النّاس وامّا لأنّ المقام مقام تعداد منافع ذلك المقام ولأجله قدّم في
الموضعين علي الفعلين فانّ المقصود الأصلي بيان انّه يقع في ذلك العام هذا النّفع وذاك النّفع لا بيان انّهما يقعان في ذلك العام كما يفيده التّأخير ويجوز ان
يكون التّقديم للقصر علي معني انّ غيثهم وعصرهم في سائر السّنين بمنزلة العدم بالنّسبة الي عامهم ذلك وان يكون ذلك في الأخير لمراعاة الفواصل
وفي الأوّل لرعاية حاله وقرئ يعصرون علي البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو المناسب للاغاثة ويجوز ان يكون المبني للفاعل ايضًا منه كأنّه
قيل فيه يغاث النّاس وفيه يغيثون اي يغيثهم الله تعالي ويغيث بعضهم بعضًا وقيل معني يعصرون يمطرون من اعصرت السّحابة امّا بتضمين اعصرت معني
مطرت وتعديته تعديته وامّا بحذف الجارّ وايصال الفعل علي انّ الأصل اعصرت عليهم واحكام هذا العام المبارك ليست مستنبطة من رؤيا الملك وانّما
تلقّاها عليه السّلام من جهة الوحي فبشّرهم بها بعد ما اوّل الرّؤيا بما اوّل وامرهم بالتّدبير اللّائق في شأنه ابانة لعلوّ كعبه ورسوخ قدمه في الفضل وانّه
محيط بما لم يخطر ببال احد فضلًا عمّا يري صورته في المنام علي نحو قوله لصاحبيه عند استفتائهما في منامهما لا يأتيكما طعام ترزقانه الّا نبّأتكما بتأويله
واتمامًا للنّعمة عليهم حيث لم يشاركه عليه السّلام في العلم بوقوعها احد ولو برؤية ما يدلّ عليها في المنام **وقال الملك** بعد ما جاءه السّفير بالتّعبير وسمع
ما سمع من نقير وقطمير **ائتوني به** لما علم من علمه وفضله **فلمّا جاءه** اي يوسف **الرّسول** واستدعاه الي الملك **قال ارجع الي ربّك** اي سيّدك **فاسأله ما بال النّسوة**
اللّاتي قطّعن ايديهنّ اي فتّشه عن شأنهنّ وانّما لم يقل فاسأله ان يفتّش عن ذلك حثًّا للملك علي الجدّ في التّفتيش ليتبيّن براءته وتتّضح نزاهته
اذ السّؤال ممّا يهيّج الانسان علي الاهتمام في البحث للتّفصّي عمّا توجّه اليه وامّا الطّلب فممّا قد يتسامح ويتساهل فيه ولا يبالي به وانّما لم يتعرّض لامرأة
العزيز مع ما لقي منها من مقاساة الأحزان ومعاناة الأشجان محافظة علي مواجب الحقوق واحترازًا عن مكرها حيث اعتقدها مقيمة في عدوة العداوة وامّا النّسوة

فقد كان يطمع في صدعهن بالحق وشهادتهن بإقرارها بأنها راودته عن نفسه فاستعصم ولذلك اقتصر على وصفهن بتقطيع الأيدي ولم يصرح بمراودتهن له
وقولهن أطع مولاتك واكتفى بالإيماء إلى ذلك بقوله إن ربي بكيدهن عليم مجاملة معهن واحترازا عن سوء قالتهن عند الملك وانتصابهن للخصومة مدافعة
عن أنفسهن متى سمعن بنسبته لهن إلى الفساد قال استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل قال الملك إثر ما بلغه الرسول الخبر وأحضرهن ما
خطبكن أي شأنكن وهو الأمر الذي يحق لعظمه أن يخاطب المرء فيه صاحبه إذ راودتن يوسف وخادعتنه عن نفسه ورغبتنه في إطاعة مولاته هل وجدتن
فيه شيئا من سوء وريبة قلن حاش لله تنزيها له وتعجبا من نزاهته وعفته ما علمنا عليه من سوء بالغن في نفي جنس السوء عنه بالتنكير وزيادة من قالت
امرأة العزيز وكانت حاضرة في المجلس وقيل أقبلت النسوة عليها يقررنها وقيل خافت أن يشهدن عليها بما قالت لهن ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين فأقرت قائلة الآن حصحص الحق أي ثبت واستقر أو تبين وظهر بعد خفائه قاله الخليل وقيل هو
مأخوذ من الحصة وهي القطعة من الجملة أي تبين حصة الحق من حصة الباطل كما تتبين حصيص الأراضي وغيرها وقيل بان وظهر من حص شعره إذا استأصله
بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول من حصحص البعير مباركه أي ألقاها في الأرض للإناخة قال فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى
نوأة ثم صمما والمعنى أقر الحق في مقره ووضع في موضعه ولم ترد بذلك مجرد ظهور ما ظهر بشهادتهن من مطلق نزاهته عليه السلام فيما أحاط به علمهن من غير
تعرض لنزاهته في سائر المواضع وكل المواطن خصوصا فيما وقع فيه التشاجر بحضر العزيز ولا بحث عن حال نفسها وما صنعت في ذلك بل أرادت ظهور ما هو متحقق
في نفس الأمر وثبوته من نزاهته عليه السلام في محل النزاع وخيانتها فقالت أنا راودته عن نفسه لا أنه راودني عن نفسي وإنه لمن الصادقين أي في قوله حين افترت
عليه هي راودتني عن نفسي وأرادت بالآن زمان تكلمها بهذا الكلام لا زمان شهادتهن فتأمل أيها المنصف هل ترى فوق هذه المرتبة نزاهة حيث لم
تتمالك الخصماء من الشهادة بها والفضل ما شهدت به الخصماء وإنما تصدى عليه السلام لتمهيد هذه المقدمة قبل الخروج ليظهر براءة ساحته عما قرف به لا سيما
عند العزيز قبل أن يحل ما عقده كما يعرب عنه قوله عليه السلام لما رجع إليه الرسول وأخبره بكلامهن ذلك أي ذلك التثبت المؤدي إلى ظهور حقيقة الحال ليعلم
أي العزيز أني لم أخنه في حرمته كما زعم لا علما مطلقا فإن ذلك لا يستدعي تقديم التفتيش على الخروج من السجن بل قبلما ذكر من نقض ما أبرمه ولعل المراد
حقوق السيادة لأن المباشرة للخروج من حبسه قبل ظهور بطلان حبله سببا له وإن ذلك بأمر الملك مما يوهم الافتيات على رأيه وأما أن يكون ذلك لئلا
يتمكن من تقبيح أمره عند الملك تمحلا لإمضاء ما أمضاه فلا يليق بشأنه عليه السلام في الوثوق بأمره والتوكل على ربه جل جلاله بالغيب أي بظهر الغيب
وهو حال من الفاعل أو المفعول أي لم أخنه وأنا غائب عنه أو وهو غائب عني أو ظرف أي بمكان الغيب وراء الأستار والأبواب المغلقة وأيا ما كان
فالمقصود بيان كمال نزاهته عن الخيانة وغاية اجتنابه عنها عند تعاضد أسبابها وأن الله أي وليعلم أنه تعالى لا يهدي كيد الخائنين أي لا ينفذه ولا
يسدده بل يبطله ويزهقه أو لا يهديهم في كيدهم إيقاعا للفعل على الكيد مبالغة كما في قوله تعالى يضاهئون قول الذين كفروا أي يضاهئونهم في قولهم
وفيه تعريض بامرأته في خيانتها أمانته وبه في خيانته أمانة الله تعالى حين ساعدها على حبسه بعدما رأوا آيات نزاهته عليه السلام ويجوز أن يكون ذلك
لتأكيد أمانته وأنه لو كان خائنا لما هدى الله عز وجل أمره وأحسن عاقبته وما أبرئ نفسي أي لا أنزهها عن السوء قاله عليه السلام هضما لنفسه الكريمة
عن كل سوء ورياء بمكانها عن التزكية والإعجاب بحالها عند ظهور كمال نزاهتها على أسلوب قوله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر وتحديثا
بنعمة الله عز وجل عليه وإبرازا لسره المكنون في شأن أفعال العباد أي لا أنزهها عن السوء من حيث هي هي ولا أسند هذه الفضيلة إليها بمقتضى
طبعها من غير توفيق من الله عز وجل إن النفس البشرية التي من جملتها نفسي في حد ذاتها لأمارة بالسوء مائلة إلى الشهوات مستعملة للقوى والآلات
في تحصيلها بل إنما ذلك بتوفيق الله تعالى وعصمته ورحمته كما يفيده قوله تعالى إلا ما رحم ربي من النفوس التي يعصمها من الوقوع في المهالك ومن جملتها نفسي
أو هي أمارة بالسوء في كل وقت إلا وقت رحمة ربي وعصمته لها وقيل الاستثناء منقطع أي لكن رحمة ربي هي التي تصرف عنها السوء كما في قوله تعالى
ولا هم ينقذون إلا رحمة إن ربي غفور رحيم عظيم المغفرة لما يعتري النفوس بموجب طباعها ومبالغ في الرحمة لها بعصمتها من الجريان بمقتضى ذلك وإيثار
الإظهار في موقع الإضمار مع التعرض لعنوان الربوبية لتربية مبادئ المغفرة والرحمة وقيل إلى هنا من كلام امرأة العزيز والمعنى ذلك الذي قلت ليعلم
يوسف عليه السلام أني لم أخنه ولم أكذب عليه في حال الغيبة وجئت بما هو الحق الواقع وما أبرئ نفسي مع ذلك من الخيانة حيث قلت في حقه ما قلت
وفعلت به ما فعلت إن كل نفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي أي إلا نفسا رحمها الله تعالى بالعصمة كنفس يوسف إن ربي غفور لمن استغفر لذنبه
واعترف به رحيم له فعلى هذا يكون تأبيه عليه السلام في الخروج عن السجن لعدم رضاه عليه السلام بملاقاة الملك وأمره بين بين فعل ما فعل حتى يتبين نزاهته

نزاهته وأنه إنما سجن بظلم عظيم مع ما له من الفضل ونباهة الشأن ليتلقاه الملك بما يليق به من الإعظام والإجلال وقد وقع وقال الملك ائتوني به أستخلصه
أجعله خالصا لنفسي وخاصا بي فلما كلمه أي فأتوا به فحذف للإيذان بسرعة الإتيان به فكأنه لم يكن بين الأمر بإحضاره والخطاب معه زمان أصلا والضمير المستكن
في كلمه ليوسف والبارز للملك أي فلما كلمه يوسف إثر ما أتاه فاستنطقه وشاهد منه ما شاهد قال إنك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة رفيعة أمين مؤتمن
على كل شيء واليوم ليس بمعيار لمدة المكانة والأمانة بل هو آن التكلم والمراد تحديد مبدئهما احترازا عن احتمال كونهما بعد حين روي أنه عليه السلام لما
جاءه الرسول خرج من السجن ودعا لأهله واغتسل ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم إني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك
من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان فقال لسان آبائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فأجابه بجميعها فتعجب منه فقال
أحب أن أسمع منك رؤياي فحكاها ونعت له البقرات والسنابل وأماكنها على ما رآها فأجلسه على السرير وفوض إليه أمره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي
فنصبه منصبه وزوجه راعيل فوجدها عذراء وولدت له أفرائيم وميشا ولعل ذلك إنما كان بعد تعيينه عليه السلام لما عين له من أمر الخزائن كما يعرب عنه
قوله عز وجل قال اجعلني على خزائن الأرض أي أرض مصر ولني أمرها من الإيراد والصرف إني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها وفيه دليل
على جواز طلب الولاية إذا كان الطالب ممن يقدر على إقامة العدل وإجراء أحكام الشريعة وإن كان من يد الجائر والكافر وعن مجاهد أنه أسلم الملك على يده
عليه السلام ولعل إيثاره عليه السلام لتلك الولاية خاصة إنما كان للقيام بما هو أهم أمور السلطنة إذ ذاك من تدبير أمر السنين فضل في التأويل لكونه من
فروع تلك الولاية لا لمجرد عموم الفائدة وجموم العائدة كما قيل وإنما لم يذكر إجابة الملك إلى ما سأله عليه السلام من جعله على خزائن الأرض إيذانا بأن ذلك
أمر لا مرد له غني عن التصريح به لا سيما بعد تقديم ما يندرج تحته أحكام السلطنة بحذافيرها من قوله إنك اليوم لدينا مكين أمين وللتنبيه على أن كل ذلك من الله
عز وجل وإنما الملك آلة في ذلك قيل وكذلك أي مثل ذلك التمكين البديع مكنا ليوسف أي جعلنا له مكانا في الأرض أي أرض مصر روي أنها كانت أربعين فرسخا
في أربعين وفي التعبير عن الجعل المذكور بالتمكين في الأرض مسندا إلى ضميره عز سلطانه من تشريفه عليه السلام والمبالغة في كمال ولايته والإشارة إلى حصول
ذلك من أول الأمر لا أنه حصل بعد السؤال ما لا يخفى يتبوأ منها ينزل من بلادها حيث يشاء ويتخذه مباءة وهو عبارة عن كمال قدرته على التصرف فيها
ودخولها تحت ملكه وسلطانه فكأنها منزله يتصرف فيها كما يتصرف الرجل في منزله وقرأ ابن كثير بالنون روي أن الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه
بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال عليه السلام أما السرير فأشد به ملكك وأما الخاتم فأدبر به أمرك وأما التاج فليس من
لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعته لك إجلالا وإقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض إليه الملك أمره وأقام العدل بمصر وأحبته الرجال
والنساء وباع من أهل مصر في سني القحط الطعام في السنة الأولى بالدنانير والدراهم وفي الثانية بالحلي والجواهر وفي الثالثة بالدواب ثم بالضياع
والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا ما رأينا كاليوم ملكا أجل وأعظم منه ثم أعتقهم ورد إليهم أملاكهم وكان لا يبيع من أحد من الممتارين أكثر
من حمل بعير تقسيطا بين الناس نصيب برحمتنا بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء بمقتضى الحكمة الداعية إلى المشيئة ولا نضيع أجر
المحسنين بل نوفيه بكماله وفيه إشعار بأن مدار المشيئة المذكورة إحسان من نصيبه الرحمة المرقومة وأنها أجره ولدفع توهم انحصار ثمرات الإحسان
فيما ذكر من الأجر العاجل قيل على سبيل التوكيد ولأجر الآخرة أي أجرهم في الآخرة فالإضافة للملابسة وهو النعيم المقيم الذي لا نفاد له خير لهم أي للمحسنين
المذكورين وإنما وضع موضعه الموصول فقيل للذين آمنوا وكانوا يتقون تنبيها على أن المراد بالإحسان إنما هو الإيمان والثبات على التقوى المستفاد من جمع
صيغتي الماضي والمستقبل وجاء إخوة يوسف ممتارين لما أصاب أرض كنعان وبلاد الشام ما أصاب مصر وقد كان أرسلهم يعقوب عليه السلام جميعا غير بنيامين
فدخلوا عليه أي على يوسف وهو في مجلس ولايته فعرفهم لقوة فهمه وعدم مباينة أحوالهم السابقة لحالهم يومئذ لمفارقته إياهم وهم رجال وتشابه هيئاتهم
وزيهم في الحالين ولكون همته معقودة بهم وبمعرفة أحوالهم لا سيما في زمن القحط وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له وهم له منكرون أي والحال أنهم منكرون
لطول العهد وتباين ما بين حاليه عليه السلام في نفسه ومنزلته وزيه ولاعتقادهم أنه هلك وحيث كان إنكارهم له أمرا مستمرا في حالتي المحضر والمغيب أخبر عنه
بالجملة الاسمية بخلاف عرفانه عليه السلام إياهم ولما جهزهم بجهازهم أي أصلحهم بعدتهم من الزاد وما يحتاج إليه المسافر وأوقر ركائبهم بما جاؤوا له من الميرة
وقرئ بكسر الجيم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم لم يقل بأخيكم مبالغة في إظهار عدم معرفته لهم ولعله عليه السلام إنما قاله لما قيل من أنهم سألوه عليه السلام
حملا زائدا على المعتاد لبنيامين فأعطاهم ذلك وشرطهم أن يأتوا به لا لما قيل من أنه لما رأوه وكلموه بالعبرانية قال لهم من أنتم فإني أنكركم فقالوا
نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لهم لعلكم جئتم عيونا قالوا معاذ الله نحن إخوة بنو أب واحد وهو شيخ كبير صديق نبي

من الأنبياء اسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد فقال كم أنتم قالوا عشرة قال فأين الحادي عشر قالوا هو عند أبيه يتسلّى به من الهالك قال فمن
يشهد لكم أنكم لستم عيوناً وأنّ ما تقولون حق قالوا إنّا ببلاد لا يعرفنا أحد فيها فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وأتوني بأخيكم من أبيكم وهو يحمل
رسالة من أبيكم حتى أصدقكم فاقترعوا فأصابت القرعة شمعون فخلّفوه عنده إذ لا يساعده ورود الأمر بالإتيان به عند التجهيز ولا الحث عليه بإيفاء الكيل ولا
الإحسان في الإنزال ولا الاقتصار على منع الكيل على تقدير عدم الإتيان به ولا جعل بضاعتهم في رحالهم لأجل رجوعهم ولا عِدَتهم بالإتيان به بطريق المراودة ولا
تعليلهم عند أبيهم إرسال أخيهم بمنع الكيل من غير ذكر الرسالة على أن استبقاء شمعون لو وقع لكان ذلك طامّة ينسى عندها كل قيل وقال ألا ترون أني
أوفي الكيل أتمّه لكم وإيثار صيغة الاستقبال مع كون هذا الكلام بعد التجهيز للدلالة على أنّ ذلك عادة له مستمرة وأنا خير المنزلين جملة حالية أي ألا ترون أني أوفي
الكيل لكم إيفاء مستمراً والحال أني في غاية الإحسان في إنزالكم وضيافتكم وقد كان الأمر كذلك وتخصيص الرؤية بالإيفاء لوقوع الخطاب في أثنائه وأما الإحسان
في الإنزال فقد كان مستمراً فيما سبق ولحق ولذلك أخبر عنه بالجملة الاسمية ولم يقله عليه السلام بطريق الامتنان بل لحثهم على تحقيق ما أمرهم به والاقتصار في الكيل على
ذكر الإيفاء لأنّ معاملته عليه السلام معهم في ذلك كمعاملته مع غيرهم في مراعاة مواجب العدل وأما الضيافة فليس للناس فيها حق فخصّهم في ذلك بما شاء
فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي من بعد فضلاً عن إيفائه ولا تقربون بدخول بلادي فضلاً عن الإحسان في الإنزال والضيافة وهو إما نهي أو نفي معطوف على
محل الجزاء وفيه دليل على أنهم كانوا على نية الامتيار مرة بعد أخرى وأنّ ذلك كان معلوماً له عليه السلام قالوا سنراود عنه أباه أي سنخادعه عنه ونحتال في انتزاعه
من يده ونجتهد في ذلك وفيه تنبيه على عزة المطلب وصعوبة مناله وإنا لفاعلون ذلك غير مفرطين فيه ولا متوانين أو لقادرون عليه لا نتعايى به وقال
لفتيانه غلمانه الكيالين جمع فتى وقرئ لفتيته وهي جمع قلة له اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فإنه وكّل بكل رحل رجلاً يعبّئ فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام
وكانت نعالاً وأدماً وإنما فعله عليه السلام تفضلاً عليهم وخوفاً من أن لا يكون عند أبيه ما يرجعون به مرة أخرى وكل ذلك لتحقيق ما يتوخاه من رجوعهم بأخيه
كما يؤذن به قوله لعلهم يعرفونها أي يعرفون حق ردّها والتكرم في ذلك أو لكي يعرفوها وهو الظاهر المتعلق بقوله إذا انقلبوا إلى أهلهم فإنّ معرفتها مقيّدة
بالرجوع وتفريغ الأوعية قطعاً وأما معرفة حق التكرم في ردّها فهي وإن كانت في ذاتها غير مقيّدة بذلك لكن لما كان ابتداؤها حينئذ قيّدت به لعلهم يرجعون
حسبما أمرتهم به فإنّ التفضل عليهم بإعطاء البدلين ولا سيما عند إعواز البضاعة من أقوى الدواعي إلى الرجوع وما قيل إنما فعله عليه السلام لما لم ير من الكرم أن
يأخذ من أبيه وإخوته ثمناً فكلام حق في نفسه ولكن يأباه التعليل المذكور وأما أنّ علّة الجعل المذكور للرجوع من حيث أنّ ديانتهم تحملهم على ردّ البضاعة لأنهم
لا يستحلّون إمساكها فمداره حسبانهم أنها بقيت في رحالهم نسياناً وظاهر أنّ ذلك لا يخطر ببال أحد أصلاً فإنّ هيئة التعبئة تنادي بأن ذلك بطريق التفضل
ألا يرى أنهم كيف جزموا بذلك حين رأوها وجعلوا ذلك دليلاً على التفضلات السابقة كما ستحيط به خبراً فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا قبل أن يشتغلوا بفتح المتاع يا أبانا
منع منا الكيل أي فيما بعد وفيه ما لا يخفى من الدلالة على كون الامتيار مرة بعد مرة معهوداً فيما بينهم وبينه عليه السلام فأرسل معنا أخانا بنيامين إلى مصر
وفيه إيذان بأنّ مدار المنع عدم كونه معهم نكتل بسببه من الطعام ما نشاء وقرأ حمزة والكسائي بالياء على إسناده إلى الأخ لكونه سبباً للاكتيال أي يكتل
لنفسه مع اكتيالنا وإنا له لحافظون من أن يصيبه مكروه قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه يوسف من قبل وقد قلتم في حقه أيضاً ما قلتم ثم فعلتم به ما
فعلتم فلا أثق بكم ولا بحفظكم وإنما أفوّض الأمر إلى الله فالله خير حافظاً وقرئ حفظاً وانتصابهما على التمييز والحالية على القراءة الأولى وتوهم تقييد الخيرية بتلك
الحالة وهو أرحم الراحمين فأرجو أن يرحمني بحفظه ولا يجمع عليّ مصيبتين وهذا كما ترى ميل منه عليه السلام إلى الإذن والإرسال لما رأى فيه من المصلحة ولما
فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردّت إليهم أي تفضلاً وقد علموا ذلك بما مرّ من دلالة الحال وقرئ بنقل حركة الدال المدغمة إلى الراء كما قيل قيل وكيل قالوا
استئناف مبني على السؤال كأنه قيل ماذا قالوا حينئذ فقيل قالوا لأبيهم ولعله كان حاضراً عند الفتح يا أبانا ما نبغي إذا فسّر البغي بالطلب فما إما استفهامية
منصوبة به فالمعنى ماذا نبتغي وراء ما وصفنا لك من إحسان الملك إلينا وكرمه الداعي إلى امتثال أمره والمراجعة إليه في الحوائج وقد كانوا أخبروه بذلك وقالوا
له إنا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلاً من آل يعقوب ما أكرمنا كرامته وقوله تعالى هذه بضاعتنا ردّت إلينا جملة مستأنفة موضحة لما دلّ
عليه الإنكار من بلوغ اللطف غايته كأنهم قالوا كيف لا وهذه بضاعتنا ردّت إلينا تفضلاً من حيث لا ندري بعدما منّ علينا من المنن العظام هل من مزيد على
هذا فنطلبه ولم يريدوا به الاكتفاء بذلك مطلقاً والتقاعد عن طلب نظائره بل أرادوا الاكتفاء به في استيجاب الامتثال لأمره والالتجاء إليه في
استجلاب المزيد كما أشرنا وقوله تعالى ردّت إلينا حال من بضاعتنا والعامل معنى الإشارة وإيثار صيغة البناء للمفعول للإيذان بكمال الإحسان الناشئ
عن كمال الإخفاء المفهوم من كمال غفلتهم عنه بحيث لم يشعروا به ولا بفاعله وقوله عز وجل ونمير أهلنا أي نجلب إليهم الطعام من عند الملك معطوف على مقدر

على مقدر ينسحب عليه ردّ البضاعة أي فنستظهر بها ونمير أهلنا ونحفظ أخانا من المكاره حسبما وعدنا فما يصيبه من مكروه ونزداد أي بواسطته ولذلك وسّط
الإخبار بحفظه بين الأصل والمزيد كيل بعير أي وسق بعير زائداً على أوساق أباعرنا على قضية التقسيط ذلك أي ما يحمله أباعرنا كيل يسير أي مكيل قليل
لا يقوم بأودنا فهو استئناف وقع تعليلاً لما سبق كأنه قيل أي حاجة إلى الازدياد فقيل ما قيل أو ذلك الكيل الزائد شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك
أو سهل عليه لا يتعاظمه وأي مطلب نطلب من مهماتنا والجملة الواقعة بعده توضيح وبيان لما يشعر به الإنكار من كونهم فائزين ببعض المطالب أو
متمكنين من تحصيله فكأنهم قالوا بضاعتنا حاضرة فنستظهر بها ونمير أهلنا ونحفظ أخانا فما يصيبه شيء من المكاره ونزداد بسببه غير ما نكتاله
لأنفسنا كيل بعير فأي شيء نبتغي وراء هذه المباغي وقرئ ما تبغي على خطاب يعقوب عليه السلام أي أيّ شيء تبغي وراء هذه المباغي المشتملة على
سلامة أخينا وسعة ذات أيدينا أو وراء ما فعل بنا الملك من الإحسان داعياً إلى التوجه إليه والجملة الاستئنافية موضحة لذلك أو أيّ شيء تبغي شاهداً
على صدقنا فيما وصفنا لك من إحسانه والجملة المذكورة عبارة عن الشاهد المدلول عليه بفحوى الإنكار وأما نافية فالمعنى ما نبغي شيئاً غير
ما رأينا من إحسان الملك في وجوب المراجعة إليه وما نبغي غير هذه المباغي وقيل ما نطلب منك بضاعة أخرى والجملة المستأنفة تعليل له وأما إذا فسّر
البغي بمجاوزة الحد فما نافية فقط والمعنى ما نبغي في القول وما نتزيّد فيما وصفنا لك من إحسان الملك إلينا وكرمه الموجب لما ذكر والجملة المستأنفة
لتحصيل أمثاله من مير أهلنا أي جملة اعتراضية تذييلية على معنى وينبغي أن نمير أهلنا رتبته ذلك بقولك سعيت في حاجة فلان ويجب أن أسعى أنت خبير
بأنّ شأن الجمل التذييلية أن تكون مؤكدة لمضمون الصدر ومقررة له كما في المثال المذكور وقولك فلان ينطق بالحق والحق أبلج وأنّ قوله ونمير إلى آخره
وإن ساعدنا في حمله على معنى ينبغي أن نمير أهلنا بمعزل من ذلك وما نبغي في الرأي وما نعدل عن الصواب فيما نشير به عليك من إرسال أخينا معنا والجمل
إلى آخرها تفصيل وبيان لعدم بغيهم وإصابة رأيهم أي بضاعتنا حاضرة نستظهر بها ونمير أهلنا ونصنع كيت وكيت فتأمل قال لن أرسله معكم بعدما
عاينت منكم ما عاينت حتى تؤتون موثقاً من الله أي ما تتوثق به من جهة الله عز وجل وإنما جعله موثقاً منه تعالى لأنّ توكيد العهود به مأذون فيه من
جهته تعالى فهو إذن منه عز وجل لتأتنني به جواب القسم إذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم أي إلا أن تغلبوا فلا تطيقوا به أو إلا أن تهلكوا
وأصله من إحاطة العدو فإنّ من أحاط به العدو فقد هلك غالباً وهو استثناء من أعم الأحوال أو أعم العلل على تأويل الكلام بالنفي الذي ينساق إليه
أي لتأتنني به لا تمتنعون منه في حال من الأحوال ولعلة من العلل إلا حال الإحاطة بكم أو لعلة الإحاطة بكم ونظيره قولهم أقسمت عليك لما فعلت
وإلا فعلت أي ما أريد منك إلا فعلك وقد جوّز الأول بلا تأويل أيضاً أي لتأتنني به على كل حال إلا حال الإحاطة بكم وأنت تدري أنه حيث لم يكن الإتيان به
من الأفعال الممتدّة الشاملة للأحوال على سبيل المعية كما في قولك لألزمنك إلا أن تعطيني حقي ولم يكن مراده عليه السلام مقارنته على سبيل البدل لما
عدا الحال المستثناة كما إذا قلت صلّ إلا أن تكون محدثاً بل مجرد تحققه ووقوعه من غير إخلال به كما في قولك لأحجنّ العام إلا أن أحصر فإنّ مرادك إنما
هو الإخبار بعدم منع ما سوى حال الإحصار عن الحج لا الإخبار بمقارنته لتلك الأحوال على سبيل البدل كما هو مرادك في مثال الصلاة كان اعتبار الأحوال
معه من حيث عدم منعها منه فمآل المعنى إلى التأويل المذكور فلما آتوه موثقهم عهدهم من الله حسبما أراد يعقوب عليه السلام قال الله على ما نقول أي على ما قلنا في
أثناء طلب الموثق وإيتائه من الجانبين وإيثار صيغة الاستقبال لاستحضار صورته المؤدية إلى تثبيتهم ومحافظتهم على تذكره ومراقبته وكيل مطّلع رقيب
يريد به عرض ثقته بالله تعالى وحثّهم على مراعاة ميثاقهم وقال ناصحاً لهم لما أزمع على إرسالهم جميعاً يا بنيّ لا تدخلوا مصر من باب واحد نهاهم عن ذلك حذاراً
من إصابة العين فإنهم كانوا ذوي جمال وشارة حسنة وقد كانوا تجملوا في هذه الكرة أكثر مما في المرة الأولى وقد اشتهروا في مصر بالكرامة والزلفى
لدى الملك بخلاف النوبة الأولى فكانوا مئنّة لطموح كل ناظر وطموح كل طامح وإصابة العين بتقدير العزيز الحكيم ليست مما ينكر وقد ورد عنه عليه السلام
إنّ العين حق وعنه عليه السلام إنّ العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وقد كان صلى الله عليه وسلم يعوّذ الحسنين رضي الله تعالى عنهما بقوله أعوذ بكلمات
الله التامة من كل شيطان وهامّة ومن كل عين لامّة وكان يقول كان أبوكما يعوّذ بها إسمعيل وإسحق عليهم السلام رواه البخاري في صحيحه وقد
شهدت بذلك التجارب ولما لم يكن عدم الدخول من باب واحد مستلزماً للدخول من أبواب متفرقة وكان في دخولهم من بابين أو ثلاثة بعض ما في الدخول من باب واحد
من نوع اجتماع مصحّح لوقوع المحذور قال وادخلوا من أبواب متفرقة بياناً لما هو المراد بالنهي وإنما لم يكتف بهذا الأمر مع كونه مستلزماً له إظهاراً لكمال
العناية به وإيذاناً بأنه المراد بالأمر المذكور لا تحقيق شيء آخر وما أغني عنكم أي لا أنفعكم ولا أدفع عنكم بتدبيري من الله من شيء أي شيئاً مما قضى عليكم
فإنّ الحذر لا يمنع القدر ولم يرد به عليه السلام إلغاء الحذر بالمرة كيف لا وقد قال عز قائلاً ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وقال خذوا حذركم بل أراد

بيان أن ما وصاهم ليس مما يستوجب المراد لا محالة بل هو تدبير في الجملة وإنما التأثير وترتب المنفعة عليه من العزيز القدير وأن ذلك ليس بمدافعة للقدر بل هو استعانة
بالله تعالى وهرب منه إليه **إن الحكم** مطلقا **إلا لله** لا يشاركه أحد ولا يمانعه شيء **عليه** لا على أحد سواه **توكلت** في كل ما آتي وأذر وفيه دلالة على أن ترتيب الأسباب غير مخل
بالتوكل **وعليه** دون غيره **فليتوكل المتوكلون** جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة مع تقديم الصلة للاختصاص مفيدا بالواو عطف فعل غيره من تخصيص التوكل بالله
عز وجل على فعل نفسه وبالفاء سببية فعله لكونه نبيا لفعل غيره من المقتدين به فيدخل فيهم بنوه دخولا أوليا وفيه ما لا يخفى من حسن هدايتهم وإرشادهم إلى
التوكل فيما هم بصدده على الله عز وجل غير مغترين بما وصاهم به من التدبير **ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم** من الأبواب المتفرقة من البلد قيل كانت له أربعة
أبواب فدخلوا منها وإنما اكتفي بذكره لاستلزامه الانتهاء عما نهوا عنه **ما كان** ذلك الدخول **يغني** فيما سيأتي عند وقوع **عنهم** عن الداخلين لأن المقصود
استدفاع الضرر عنهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لتحقيق المقارنة الواجبة بين جواب لما ومدخوله فإن عدم الإغناء بالفعل إنما يتحقق عند نزول
المحذور لا وقت الدخول وإنما المحقق حينئذ ما أفاده الجمع المذكور من عدم كون الدخول المذكور مغنيا فيما سيأتي فتأمل **من الله** من جهته **من شيء** أي شيئا مما
قضاه عليهم مع كونه مظنة لذلك في بادي الرأي حيث وصاهم به يعقوب عليه السلام وعملوا بموجبه واثقين بجدواه من فضل الله تعالى فليس المراد بيان سببيته
الدخول المذكور لعدم الإغناء كما في قوله تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا فإن مجيء النذير هناك سبب لزيادة نفورهم بل بيان عدم سببيته للإغناء
مع كونه متوقعة في بادي الرأي كما في قولك حلف أن يعطيني حقي عند حلول الأجل فلما حل لم يعطني شيئا فإن المراد بيان عدم سببيته حلول الأجل للإعطاء
مع كونها مرجوة بموجب الحلف لا لبيان سببيته لعدم الإعطاء فالمآل بيان عدم ترتب الغرض المقصود على التدبير المعهود مع كونه مرجو الوجود لا بيان ترتب
عدمه عليه ويجوز أن يراد ذلك أيضا بناء على ما ذكره عليه السلام في تضاعيف وصيته من أنه لا يغني عنهم من الله شيئا فكأنه قيل ولما فعلوا ما وصاهم
به لم يفد ذلك شيئا ووقع الأمر حسبما قال عليه السلام فلقوا ما لقوا فيكون من باب وقوع المتوقع فتأمل **إلا حاجة** استثناء منقطع أي ولكن حاجة وحزازة
كائنة **في نفس يعقوب قضاها** أي أظهرها ووصاهم بها دفعا للخاطرة غير معتقد أن للتدبير تأثيرا في تغيير التقدير وقد جعل ضمير الفاعل في قضاها للدخول
على معنى أن ذلك الدخول قضى في نفس يعقوب وهي إرادته أن يكون دخولهم من أبواب متفرقة فالمعنى ما كان ذلك الدخول يغني عنهم من جهة الله شيئا
ولكن قضى حاجة حاصلة في نفس يعقوب بوقوعه حسب إرادته فالاستثناء منقطع أيضا وعلى التقديرين لم يكن للتدبير فائدة سوى دفع الخاطرة
وأما إصابة العين فإنما لم تقع لكونها غير مقدرة عليهم لا لأنها اندفعت بذلك مع كونها مقضية عليهم **وإنه لذو علم** جليل **لما علمناه** لتعليمنا إياه
بالوحي ونصب الأدلة حيث لم يعتقد أن الحذر يدفع القدر وأن التدبير له حظ من التأثير حتى يتبين الخلل في رأيه عند تخلف الأثر أو حيث بت القول
بأنه لا يغني عنهم من الله شيئا فكان الحال كما قال وفي تأكيد الجملة بإن واللام وتنكير العلم وتعليله بالتعليم المسند إلى ذاته سبحانه من الدلالة على جلالة
شأن يعقوب عليه السلام وعلو مرتبة علمه وفخامته ما لا يخفى **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** أسرار القدر ويزعمون أنه يغني عنه الحذر وأما ما يقال من أن المعنى
لا يعلمون إيجاب الحذر مع أنه لا يغني شيئا من القدر فيأباه مقام بيان تخلف المطلوب عن المبادي **ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه** بنيامين
أي ضمه إليه في الطعام أو في المنزل أو فيهما روي أنهم لما دخلوا عليه قالوا له هذا أخونا قد جئناك به فقال لهم أحسنتم وستجدون ذلك عندي فأكرمهم
ثم أضافهم وأجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لأجلسني معه فقال يوسف بقي أخوكم فريدا فأجلسه معه على
مائدته وجعل يؤاكله ثم أنزل كل اثنين منهم بيتا فقال هذا لا ثاني معه فيكون معي فبات يوسف يضمه إليه ويشم رائحته حتى أصبح وسأله عن ولده
فقال لي عشرة بنين اشتققت أسماءهم من اسم أخ لي هلك فقال له أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال من يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك
يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام إليه وعانقه وتعرف إليه وعند ذلك **قال إني أنا أخوك فلا تبتئس** أي فلا تحزن **بما كانوا يعملون** بنا فيما مضى فإن الله
تعالى قد أحسن إلينا وجمعنا بخير ولا تعلمهم بما أعلمتك قال ابن عباس رضي الله عنهما وعن وهب أنه لم يتعرف إليه بل قال له أنا أخوك بدل أخيك المفقود ومعنى
فلا تبتئس لا تحزن بما كنت تلقاه من الحسد والأذى فقد أمنتهم وروي أنه قال له فأنا لا أفارقك قال قد علمت اغتمام والدي بي فإذا حبستك
يزداد غمه ولا سبيل إلى ذلك إلا أن أنسبك إلى ما لا يجمل قال لا أبالي فافعل ما بدا لك قال أدس صاعي في رحلك ثم أنادي عليك بأنك سرقته ليتهيأ لي
ردك بعد تسريحك معهم قال افعل **فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية** أي المشربة قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسقى بها الدواب
ويكال بها الحبوب وكانت من فضة وقيل من ذهب وقيل من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت إناء مستطيلة تشبه المكوك الفارسي الذي يلتقي
طرفاه يستعمله الأعاجم وقيل كانت مرصعة بالجواهر **في رحل أخيه** بنيامين وقرئ وجعل على حذف جواب لما تقديره أمهلهم حتى انطلقوا **ثم أذن مؤذن**

نادى مناد **أيتها العير** وهي الإبل التي عليها الأحمال لأنها تعير أي تذهب وتجيء وقيل أنها قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كأنها جمع عير وأصلها فعل
مثل سقف وسقف فعل به ما فعل ببيض وغيد والمراد أصحابها كما في قوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي روي أنهم لما ارتحلوا وأمهلهم يوسف حتى
انطلقوا منزلا وقيل خرجوا من العمارة فأدركوا ونودوا **إنكم لسارقون** هذا الخطاب إن كان بأمر يوسف فلعله أريد بالسرقة أخذهم له من أبيه ودخول
بنيامين فيه بطريق التغليب وإلا فهو من قبل المؤذن بناء على زعمه والأول هو الأظهر الأوفق للسياق وقرئ إنكم سارقون بلا لام **قالوا** أي الإخوة **وأقبلوا عليهم**
جملة حالية من ضمير قالوا جيء بها للدلالة على انزعاجهم مما سمعوه لمباينته حالهم **ماذا تفقدون** أي تعدمون تقول فقدت الشيء إذا عدمته بأن ضل عنك لا
بفعلك والمآل ماذا ضاع عنكم وصيغة المستقبل لاستحضار الصورة وقرئ تفقدون من أفقدته إذا وجدته فقيدا وعلى التقديرين فالعدول عما يقتضيه الظاهر
من قولهم ماذا سرق منكم لبيان كمال نزاهتهم بإظهار أنه لم يسرق منهم شيء فضلا أن يكونوا هم السارقين له وإنما الممكن أن يضيع منهم شيء فيسألونهم
أنه ماذا وفيه إرشاد لهم إلى مراعاة حسن الأدب والاحتراز عن المجازفة ونسبة البراء إلى الأخير فيه لا سيما بطريق التوكيد فلذلك غيروا كلامهم حيث **قالوا**
في جوابهم **نفقد صواع الملك** ولم يقولوا سرقتموه أو سرق وقرئ صاع وصوع وصوع بفتح الصاد وضمها وبإهمال العين وإعجامها من الصياغة ثم قالوا إتماما
لما تلقوه من قبلهم وإرادة لاعتقادهم أنه إنما بقي في رحلهم اتفاقا **ولمن جاء به** من عند نفسه مظهرا له قبل التفتيش **حمل بعير** من الطعام جعلا له على نية تحقيق الوعد
لجزمهم بامتناع وجود الشرط وعزمهم على ما لا يخفى من أخذ من وجد في رحله **وأنا به زعيم** كفيل أؤديه إليه وهو قول المؤذن **قالوا تالله** الجمهور على أن التاء
بدل من الواو ولذلك لا تدخل إلا على الجلالة العظيمة أو الرب المضاف إلى الكعبة أو الرحمن في قول ضعيف ولو قلت تالرحيم لم يجز وقيل من الباء وقيل أصل بنفسها
وأيا ما كان ففيه تعجب **لقد علمتم** علما جازما مطابقا للواقع **ما جئنا لنفسد في الأرض** أي لنسرق فإنه من أعظم أنواع الإفساد أو لنفسد فيها أي إفساد
كان مما عز أو هان فضلا عما نسبتمونا إليه من السرقة ونفي المجيء للإفساد وإن لم يكن مستلزما لما هو مقتضى المقام من نفي الإفساد مطلقا لكنهم جعلوا المجيء
الذي يترتب عليه ذلك ولو بطريق الاتفاق مجيئا لغرض الإفساد مفعولا لأجله ادعاء وإظهارا لكمال قبحه عندهم وتربئة لاستحالة صدوره عنهم كما قيل
في قوله تعالى ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد الدال بظاهره على نفي المبالغة في الظلم دون نفي الظلم في الجملة الذي هو مقتضى المقام من أن المعنى
إذا عذبت من لا يستحق التعذيب كنت ظلاما مفرطا في الظلم فكأنهم قالوا إن صدر عنا إفساد كان مجيئنا لذلك مريدين به تقبيح حاله وإظهار كمال
نزاهتهم عنه يعنون أنه قد شاع بينكم في كرتي مجيئنا ما نحن عليه وقد كانوا على غاية ما يكون من الديانة فيما يأتون ويذرون حتى روي أنهم دخلوا مصر
وأفواه رواحلهم مكعومة لئلا تتناول زرعا أو طعاما لأحد وكانوا مثابرين على فنون الطاعات وعلمهم بذلك أنه لا يصدر عنا إفساد **وما كنا سارقين**
أي ما كنا نوصف بالسرقة قط وإنما حكموا بعلمهم ذلك لأن العلم بأحوالهم الشاهدة يستلزم العلم بأحوالهم الغائبة وإنما لم يكتفوا بنفي الأمرين المذكورين
بل استشهدوا بعلمهم بذلك إلزاما للحجة عليهم وتحقيقا للتعجب المفهوم من تاء القسم **قالوا** أي أصحاب يوسف عليه السلام **فما جزاؤه** الضمير للصواع
على حذف المضاف أي فما جزاء سرقته عندكم وفي شريعتكم **إن كنتم كاذبين** لا في دعوى البراءة عن السرقة فإنهم صادقون فيها بل فيما يستلزمه ذلك من
نفي كون الصواع فيهم كما يؤذن به قوله عز وجل **قالوا جزاؤه من وجد** أي أخذ من وجد الصواع **في رحله** حيث ذكر بعنوان الوجدان في الرحل دون عنوان
السرقة وإن كان ذلك مستلزما لها في اعتقادهم المبني على قواعد العادة ولذلك جابوا بما أجابوا فإن الأخذ والاسترقاق سنة إنما هو جزاء السارق
دون من وجد في يده مال غيره كيف ما كان فتأمل وأحمل كلام كل فريق على ما لا يزاحم رأيه فإنه أقرب إلى معنى الكيد وأبعد من الافتراء
وقوله تعالى **فهو جزاؤه** تقرير لذلك الحكم أي فأخذه جزاؤه كقولك حق الضيف أن يكرم فهو حقه ويجوز أن يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي
خبره على إقامة الظاهر مقام المضمر والأصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو على أن الأول لمن والثاني للظاهر الذي وضع موضعه **كذلك** أي مثل ذلك الجزاء
الأوفى **نجزي الظالمين** بالسرقة تأكيد للحكم المذكور غب تأكيد وبيان لقبح السرقة ولقد فعلوا ذلك ثقة بكمال براءتهم عنها وهم عما فعل بهم غافلون **فبدأ**
يوسف بعد ما رجعوا إليه للتفتيش **بأوعيتهم** بأوعية الإخوة العشرة أي بتفتيشها **قبل** تفتيش **وعاء أخيه** بنيامين لنفي التهمة روي أنه لما بلغت النوبة
إلى وعائه قال ما أظن هذا أخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا **ثم استخرجها** أي السقاية أو الصواع فإنه
يذكر ويؤنث **من وعاء أخيه** لم يقل منه على رجوع الضمير إلى الوعاء أو من وعائه على رجوعه إلى أخيه قصدا إلى زيادة كشف وبيان وقرئ بضم الواو وبقلبها
همزة كما في إشاح في وشاح **كذلك** نصب على المصدرية والكاف مقحمة للدلالة على فخامة المشار إليه وكذا ما في ذلك من معنى البعد أي مثل ذلك الكيد العجيب وهو
عبارة عن إرشاد الإخوة إلى الإفتاء المذكور بإجرائه على ألسنتهم وبحملهم عليه بواسطة المستفتين من حيث لم يحتسبوا فمعنى قوله عز وجل **كدنا ليوسف**

صنعناله ودبرنا لأجل تحصيل غرضه من المقدمات التي رتبها من دس الصواع وما يتلوه فاللام ليست كما في قولك فيكيد واكك كيدا فانها داخلة على المتضرر
على ما هو الاستعمال الشائع وقوله تع **ماكان ليأخذ اخاه في دين الملك** استيناف وتعليل لذلك الكيد وصنعه لا تفسير وبيان له كما قيل كأنه قيل لماذا فعل
ذلك فقيل لأنه لم يكن ليأخذ أخاه بما فعله في دين الملك في أمر السارق أي في سلطانه قاله ابن عباس أو في حكمه وقضائه قاله قتادة الا به جزاء السارق
في دينه انما كان ضربه وتغريمه ضعف ما أخذ دون الاسترقاق والاستعباد كما هو شريعة يعقوب عليه السلام فلم يكن يتمكن بما صنعه من اخذ اخيه بالسرقة
التي نسبها اليه في حال من الاحوال **الا ان يشاء الله** اي الا حال مشيئته التي هي عبارة عن ارادته لذلك الكيد او الا حال مشيئته للاخذ بذلك الوجه ويجوز
ان يكون الكيد عبارة عن مباديه المؤدية اليه جميعا من ارشاد يوسف وقومه الى ما صدر عنهم من الافعال والاقوال حسبما شرح مرتبا لكن لا على ان يكون
القصر المستفاد من تقديم المجرور مأخوذا بالنسبة الى غيره مطلقا على معنى مثل ذلك الكيد كدنا لا كيدا آخر اذ لا معنى لتعليله بعجز يوسف عليه السلام عن
اخذ اخيه في دين الملك في شأن الرق قطعا اذ لا علاقة بين مطلق الكيد ودين الملك في امر الرق اصلا بل بالنسبة الى بعضه على معنى مثل
ذلك الكيد البالغ الى هذا الحد كدناله ولم نكتف ببعض من ذلك لانه لم يأخذ اخاه في دين الملك به الا حال مشيئتنا له بايجاد ما يجري مجرى الجزء الصوري
من العلة التامة وهو ارشاد اخوته الى الافتاء المذكور وعلى هذا ينبغي ان يحمل القصر في تفسير من فسر قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف بقوله علمناه اياه و
اوحينا به اليه اي مثل ذلك التعليم المستتبع لما شرح مرتبا علمناه دون بعض من ذلك فقط الى آخره وعلى كل حال فالاستثناء من اعم الاحوال كما اشير اليه
ويجوز ان يكون من اعم العلل والاسباب اي لم يكن ليأخذ اخاه لعلة من العلل ولسبب من الاسباب الا لعلة مشيئته تعالى او الا بسبب مشيئته تعالى واياما
ماكان فهو متصل لان اخذ السارق اذا كان ممن يرى ذلك ويعتقده دينا لا سيما عند رضاه وافتائه به ليس مخالفا لدين الملك وقد قيل معنى
الاستثناء الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك وانت تدري ان المراد بدينه ما عليه حينئذ فتغييره مخل بالاتصال وارادته مطلقا ما
يتدين به اعم منه ومما يحدث تفضي الى كون الاستثناء من قبيل التعليق بالمحال اذ المقصود بيان عجز يوسف عليه السلام عن اخذ اخيه حينئذ ولم تعلق
المشيئة بالجعل المذكور اذ ذاك وارادة عجزه مطلقا تؤدي الى خلاف المراد فان استثناء حال المشيئة المذكورة من احوال عجزه عليه السلام مما يشعر بعدم
الحاجة الى الكيد المذكور فتدبر وقد جوز الانقطاع اي لكن اخذه لمشيئة الله تعالى واذنه في دين غير دين الملك **نرفع درجات** اي رتبا كثيرة عالية
من العلم وانتصابها على المصدرية او الظرفية او على نزع الخافض اي الى درجات والمفعول قوله تع **من نشاء** اي نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة
وتستدعيه المصلحة كما رفعنا يوسف وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بان ذلك سنة مستمرة غير مختصة بهذه المادة والجملة مستأنفة لا محل لها
من الاعراب **وفوق كل ذي علم** من اولئك المرفوعين **عليم** لا ينالون شأوه واعلم انه ان جعل الكيد عبارة عن المعنيين الاولين فالمراد برفع يوسف عليه السلام
ما اعتبر فيه بالشرطية او الشطرية من ارشاده عليه السلام الى دس الصواع في رحل اخيه وما يتفرع عليه من المقدمات المرتبة لاستبقاء اخيه مما يتم من قبله
والمعنى ارشدنا اخوته الى الافتاء المذكور لانه لم يكن متمكنا من اخذ اخيه بدونه او ارشدنا كلا منهم ومن يوسف واصحابه الى ما صدر عنهم ولم نكتف بما تم
من قبل يوسف فقط لانه لم يكن متمكنا من اخذ اخيه بذلك فقوله نرفع درجات الى قوله تعالى عليم توضيح لذلك على معنى ان الرفع لا يوجب تمام مرامه
اذ ليس ذلك بحيث لا يعزب عن علمه شيء بل انما نرفع كل من نرفع حسب استعداده وفوق كل واحد منهم عليم لا يقادر قدر علمه ولا يكتنه كنهه نرفع
كلا منهم الى ما يليق به من معارج العلم ومدارجه وقد رفع يوسف عليه السلام الى ما يليق به من الدرجات العالية وعلم ان ما حوله دائرة علمه لا يفي بمرامه
فارشد اخوته الى الافتاء المذكور فكان ما كان وكأنه عليه السلام لم يكن على يقين من صدور الافتاء المذكور عن اخوته وان كان على طمع
منه فان ذلك الى الله عز وجل وجودا وعلما والتعرض لوصف العلم لتعيين جهة الفوقية وفي صيغة المبالغة مع التنكير والالتفات الى الغيبة من
الدلالة على فخامة شأنه عز وعلا وجلالة مقدار علمه المحيط ما لا يخفى واما ان جعل عبارة عن التعليم المستتبع للافتاء المذكور فالرفع عبارة عن ذلك
التعليم والافتاء وان لم يكن داخلا تحت قدرته عليه السلام لكنه كان داخلا تحت علمه بواسطة الوحي والتعليم والمعنى مثل ذلك التعليم البالغ
الى هذا الحد علمناه ولم نقتصر على تعليم ما عدا الافتاء الذي سيصدر عن اخوته اذ لم يكن متمكنا من اخذ اخيه الا بذلك فقوله نرفع درجات
من نشاء توضيح لقوله كدنا وبيان لان ذلك من باب الرفع الى الدرجات العالية من العلم ومدح ليوسف برفعه اليها وقوله وفوق كل ذي علم
عليم تذييل له اي نرفع درجات عالية من العلم من نشاء رفعه وفوق كل منهم عليم هو اعلى درجة قال ابن عباس رضي الله عنهما فوق كل عالم
عالم الى ان ينتهي العلم الى الله عز وجل والمعنى ان اخوة يوسف كانوا علماء الا ان يوسف افضل منهم وقرئ درجات من نشاء بالاضافة والاو

والاول انسب بالتذييل حيث نسب فيه الرفع الى من نسب اليه الفوقية لا الى درجته ويجوز كون العليم في هذا التفسير ايضا عبارة عن الله عز وجل اي وفوق
كل من اولئك المرفوعين عليم نرفع كلا منهم الى درجته اللائقة به والله تعالى اعلم **قالوا ان يسرق** يعنون بنيامين **فقد سرق اخ له من قبل** يريدون به
يوسف عليه السلام وما جرى عليه من جهة عمته على ما قيل من انها كانت تحضنه فلما شب اراد يعقوب عليه السلام انتزاعه منها وكانت لا تصبر عنه ساعة
وكانت لها منطقة ورثتها من ابيها اسحاق ~~فانظروا من اخذها~~ عليه السلام فاحتالت لاستبقاء يوسف عليه السلام فعمدت الى المنطقة فحزمتها
عليه من تحت ثيابه ثم قالت فقدت منطقة اسحاق فانظروا من اخذها فوجدوها على يوسف فقالت انه لي سلم افعل به ما شئت فخلاه يعقوب عليه السلام
عندها حتى ماتت وقيل كان اخذ في صباه صنما لابي امه فكسره والقاه في الجيف وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه
فدفنه **فاسرها يوسف** اي اكن الحرارة الحاصلة فيما قالوا **في نفسه** لا انه اسرها لبعض اصحابه كما في قوله تعالى واسررت لهم اسرارا **ولم يبدها لهم** لا قولا
ولا فعلا صفحا عنهم وحلما وهو تأكيد لما سبق **قال** اي في نفسه وهو استيناف مبني على سؤال نشأ من الاخبار بالاسرار المذكور كأنه قيل فماذا قال
في نفسه في تضاعيف ذلك الاسرار فقيل قال **انتم شر مكانا** اي منزلة حيث سرقتم اخاكم من ابيكم ثم طفقتم تفترون على البريء وقيل بدل من اسرها والضمير
للمقالة المفسرة بقوله انتم شر مكانا **والله اعلم بما تصفون** اي عالم علما بالغا الى اقصى المراتب بان الامر ليس كما تصفون من صدور السرقة منا انما
هو افتراء علينا فالصيغة لمجرد المبالغة لا لتفضيل علمه عز وجل على علمهم كيف لا وليس لهم بذلك من علم **قالوا** عندما شاهدوا مخايل اخذ بنيامين مستعطفين
يا ايها العزيز ان له ابا لم يريدوا بذلك الاخبار بان له ابا فان ذلك معلوم مما سبق وانما ارادوا الاخبار بان له ابا **شيخا كبيرا** في السن لا يكاد يستطيع
فراقه وهو علالة به يتعلل بها عن شقيقه الهالك **فخذ احدنا مكانه** فليس له عنده بمنزلته من المحبة والشفقة **انا نراك من المحسنين** الينا فاتمم احسانك
بهذه التتمة او المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك **قال معاذ الله** اي نعوذ بالله معاذا من **ان نأخذ** فحذف الفعل واقيم مقامه المصدر مضافا
الى المفعول به بعد حذف الجار **الا من وجدنا متاعنا عنده** لان اخذنا له انما هو بقضية فتواكم فليس لنا الاخلال بموجبها وايثار صيغة التكلم مع الغير هنا
مع كون الخطاب من جانب اخوته على التوحيد من باب التسلك الى سنن الملوك او للاشعار بان الاخذ والاعطاء ليس مما يستبد به بل هو منوط بآراء اولي الحل
والعقد وايثار من وجدنا متاعنا عنده دون من سرق متاعنا لتحقيق الحق والاحتراز عن الكذب في الكلام مع تمام المرام فانهم لا يحملون وجدان
الصواع في الرحل على محمل غير السرقة **انا اذا** اي اذا اخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده ولو برضاه **لظالمون** في مذهبكم وما لنا ذلك وهذا اللفظ هو الذي
اريد بالكلام في اثناء الحوار وله معنى باطن هو ان الله عز وجل انما امرني بالوحي ان آخذ بنيامين لمصالح علمها الله في ذلك فلو اخذت غيره كنت ظالما
وعاملا بخلاف الوحي **فلما استيأسوا منه** اي يئسوا من يوسف واجابته لهم اشد يأس بدلالة صيغة الاستفعال وانما حصلت لهم هذه المرتبة من اليأس
لما شاهدوه من عوذه بالله مما طلبوه الدال على كون ذلك عنده في اقصى مراتب الكراهة وانه مما يجب ان يحترز عنه ويعاذ منه بالله عز وجل ومن
تسميته ظلما بقوله انا اذا لظالمون **خلصوا** اعتزلوا وانفردوا عن الناس **نجيا** اي ذوي نجوى على ان يكون بمعنى التنجوي والتناجي او فوجا نجيا على ان يكون
بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا ويجوز ان يقال هم نجي كما يقال هم صديق لانه بزنة المصادر من الزفير
والزئير **قال كبيرهم** في السن وهو روبيل او في العقل وهو يهوذا او رئيسهم وهو شمعون **الم تعلموا** كأنهم اجمعوا عند التناجي على الانقلاب جملة ولم يرض به
فقال منكرا عليهم الم تعلموا **ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله** عهدا يوثق به وهو حلفهم بالله تعالى وكونه لاذنه فيه وكون الحلف باسمه الكريم **ومن قبل** اي
من قبل هذا **ما فرطتم في يوسف** قصرتم في شأنه ولم تحفظوا عهد ابيكم وقد قلتم وانا له لناصحون وانا له لحافظون وما مزيدة او مصدرية ومحل المصدر النصب
عطفا على مفعول تعلموا اي الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم السابق في شأن يوسف عليه السلام ولا ضير في الفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف وقد
جوز النصب عطفا على اسم ان والخبر في يوسف او من قبل على معنى الم تعلموا ان تفريطكم السابق وقع في شأن يوسف عليه السلام او ان تفريطكم الكائن او
كائنا في شأن يوسف عليه السلام وقع من قبل وفيه ان مقتضى المقام انما هو الاخبار بوقوع ذلك التفريط لا بكون تفريطهم السابق واقعا في شأن يوسف
عليه السلام كما هو مفاد الاول ولا بكون تفريطهم الكائن في شأنه واقعا من قبل كما هو مفاد الثاني على ان الظرف المقطوع عن الاضافة لا يقع خبرا ولا صفة
ولا صلة ولا حالا الا عند البعض كما تقرر في موضعه وقيل محله الرفع على الابتداء والخبر من قبل وفيه ما فيه وقيل ما موصولة او موصوفة ومحلها النصب او الرفع والحق
هو النصب عطفا على مفعول تعلموا اي ما فرطتموه بمعنى قدمتموه في حقه من الخيانة واما النصب عطفا على اسم ان والرفع على الابتداء فقد عرفت حاله **فلن ابرح الارض**
متفرع على ما ذكره وذكره اياهم من ميثاق ابيه وقوله لن تتنبي به الا ان يحاط بكم اي فلن افارق ارض مصر جريا على قضية الميثاق **حتى يأذن لي ابي** في البراح

بالانصراف اليه وكان أيمانهم كانت معقودة على عدم الرجوع بغير اذن يعقوب عليه السلام او يحكم الله لي بالخروج منها على وجه لا يؤدي الى نقض الميثاق او بخلاص اخي
بسبب من الاسباب روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك لتردن الينا اخانا او لاصيحن صيحة لا تبقي بمصر حامل الا القت ولدها ووقفت كل شعرة
في جسده فخرجت من ثيابه وكانوا بنو يعقوب اذا غضبوا لا يطاقون الا انه اذا مس من غضب واحد منهم سكن غضبه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه فمسه
فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد لبذرا من بذر يعقوب وهو خير الحاكمين اي لا يحكم الا بالحق والعدل ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق على
ظاهر الحال وقرئ سُرِّق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا وشاهدنا ان الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب اي باطن الحال حافظين فما
ندري ان حقيقة الامر كما شاهدنا ام بخلافه او ما كنا عالمين حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انا نبتلى بهذا الامر او انك تصاب به كما اصبت بيوسف
واسأل القرية التي كنا فيها اي مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي عندها اي ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة والعير التي اقبلنا فيها اي اصحابها فان
القصة معروفة فيما بينهم وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل من صنعاء وانا لصادقون تأكيد في محل القسم قال اي يعقوب عليه السلام وهو استئناف
مبني على سؤال نشأ مما سبق فكأنه قيل فماذا كان عند قول المتوقف لاخوته ما قال فقيل قال يعقوب عند ما رجعوا اليه فقالوا له ما قالوا وانما حذف للايذان
بأن مسارعتهم الى قبوله ورجوعهم به الى ابيهم امر مسلم غني عن البيان وانما المحتاج اليه جواب ابيهم بل سولت اي زينت وسهلت وهو اضراب لا عن صريح كلامهم
فانهم صادقون في ذلك بل عما يتضمنه من ادعاء البراءة عن التسبب فيما نزل به وانه لم يصدر منهم ما يؤدي الى ذلك من قول او فعل كأنه قيل لم يكن الامر كذلك
بل زينت لكم انفسكم امرا من الامور فأتيتموه يريد بذلك فتياهم بأخذ السارق بسرقته فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله ان يأتيني
بهم جميعا بيوسف واخيه والمتوقف بمصر انه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم الذي لم يبتليني الا لحكمة بالغة وتولى اي اعرض عنهم كراهة لما سمع منهم وقال يا
اسفى على يوسف الاسف اشد الحزن والحسرة اضافه الى نفسه والالف بدل من الياء فناداه اي يا اسفي تعال فهذا اوانك وانما تأسف على يوسف مع ان
الحادث مصيبة اخويه لان رزأه كان قاعدة الارزاء غضا عنده وان تقادم عهده آخذا بمجامع قلبه لا ينساه ولانه كان واثقا بحياتهما عالما
بمكانهما طامعا في ايابهما واما يوسف فلم يكن في شأنه ما يحرك سلسلة رجائه سوى رحمة الله تعالى وفضله وفي الخبر لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون
الا امة محمد صلى الله عليه وسلم الا يرى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع بل قال ما قال والتجانس بين لفظي الاسف ويوسف مما يزيد النظم الكريم بهجة
كما في قوله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه وقوله اثاقلتم الى الارض ارضيتم وقوله ثم كلي من كل الثمرات وجئتك من سبأ بنبأ يقين ونظائرها وابيضت
عيناه من الحزن الموجب للبكاء فان العبرة اذا كثرت محقت سواد العين وقلبته الى بياض كدر قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا روي انه
جفت عينا يعقوب من يوم فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله عز وجل من يعقوب عليه السلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه سأل جبريل عليه السلام ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله تعالى
ساعة قط دليل على جواز التأسف والبكاء عند النوائب فان الكف عن ذلك مما لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الذي لا يجوز
ما يفعله الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الخدود والصدور وشق الجيوب وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه بكى على ولد بعض بناته وهو
يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح فهو كظيم مملوء من
الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله تعالى وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ
من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه قالوا تالله تفتؤ اي لا تفتؤ ولا تزال تذكر يوسف تفجعا عليه فحذف حرف النفي كما في
قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا لعدم الالتباس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات يكون على النفي البتة حتى تكون حرضا مريضا مشفيا على
الهلاك وقيل الحرض من اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع والنعت منه بالكسر ككتف وقد قرئ به وبضمتين كجنب وغرب
او تكون من الهالكين الميتين قال انما اشكو بثي البث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه على الناس اي ينشره فكأنهم قالوا له ما قالوا بطريق التسلية
والاشكاء فقال لهم اني لا اشكو ما بي اليكم او الى غيركم حتى تتصدوا للتسلية وانما اشكو همي وحزني الى الله تعالى ملتجئا الى جنابه متضرعا لدى بابه في دفعه
وقرئ بفتحتين وضمتين واعلم من الله ما لا تعلمون من لطفه ورحمته فارجو ان يرحمني ويلطف بي ولا يخيب رجائي او اعلم وحيا او الهاما من جهته ما لا تعلمون
من حياة يوسف قيل رأى ملك الموت عليهما السلام في المنام فسأله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف عليه السلام انه سيخر له ابواه واخوته سجدا

يا بني اذهبوا فتحسسوا اي تعرفوا وهو تفعل من الحس وقرئ بالجيم من التجسس وهو الطلب اي تطلبوا من يوسف واخيه اي من خبرهما ولم يذكر الثالث لان غيبته
اختيارية لا يعسر ازالتها ولا تيأسوا من روح الله لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ بضم الراء اي من رحمته التي يحيى بها العباد وهذا ارشاد لهم الى بعض ما ابهم
في قوله واعلم من الله ما لا تعلمون ثم حذرهم عن ترك العمل بموجب نهيه بقوله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون لعدم علمهم بالله تعالى وصفاته
فان العارف لا يقنط في حال من الاحوال فلما دخلوا عليه اي على يوسف بعدما رجعوا الى مصر بموجب مرام ابيهم وانما لم يذكر ذلك ايذانا بمسارعتهم الى ما امروا
به واشعارا بان ذلك امر محقق لا يفتقر الى الذكر والبيان قالوا يا ايها العزيز اي الملك القادر المتمنع مسنا واهلنا الضر الهزال من شدة الجوع وجئنا
ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت بضاعتهم من متاع الاعراب
صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة وانما قدموا ذلك ليكون ذريعة الى
اسعاف مرامهم ببعث الشفقة وهز العطف والرأفة وتحريك سلسلة الرحمة ثم قالوا فأوف لنا الكيل اي اتممه لنا وتصدق علينا برد اخينا الينا قاله
الضحاك وابن جريج وهو الانسب بحالهم نظرا الى مرامهم وبالايفاء او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها واختاره الفضيل وانما سموه تصدقا
تواضعا وارادوا التصدق فوق ما يعطيهم بالثمن بناء على اختصاص حرمة الصدقة بنبينا صلى الله عليه وسلم وانما لم يبدؤوا بما امروا به استجلابا للرأفة
والشفقة ليبعثوا بما قدموا من رقة الحال رقة القلب والحنو على ان ما ساقوه كلام ذو وجهين فان قولهم وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين يحتمل
الحمل على المحملين فلعله عليه السلام حمله على المحمل الاول ولذلك قال مجيبا عما عرضوا به وضمنوه كلامهم من طلب رد اخيهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه
وكان الظاهر ان يتعرض لما فعلوا باخيه فقط وانما تعرض لما فعلوا بيوسف لاشتراكهما في وقوع الفعل عليهما فان المراد بذلك افرادهم له عن يوسف واذلاله
بذلك حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اي هل تبتم عن ذلك بعد علمكم بقبحه فهو سؤال عن الملزوم والمراد لازمه اذ انتم جاهلون بقبحه فلذلك
اقدمتم على ذلك او جاهلون عاقبته وانما قاله نصحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا ويجوز ان يكون
هذا الكلام منه عليه السلام منقطعا عن كلامهم وتنبيها لهم على ما هو حقهم ووظيفتهم من الاعراض عن جميع المطالب والتمحض في طلب بنيامين بل يجوز ان يقف
عليه السلام بطريق الوحي او الالهام على وصية ابيه وارساله اياهم للتحسس منه ومن اخيه فلما رآهم قد اشتغلوا عن ذلك قال ما قال وقيل اعطوه كتاب يعقوب
عليه السلام وقد كتب فيه من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي
فشدت يداه ورجلاه فرمي به في النار فنجاه الله تعالى وجعلت النار له بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا فكان
لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم فقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي
ابن وهو اخوه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا
دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرأه لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ما قال وقيل لما قرأه بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا
تظفر كما ظفروا قالوا أئنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك اكدوه بان واللام قالوه استغرابا وتعجبا وقرئ انك بالايجاب قيل عرفوه
بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكان لسارة
ويعقوب مثلها وقرئ أئنك او انت يوسف على معنى أئنك يوسف او انت يوسف فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وفيه زيادة استغراب قال انا يوسف
جوابا عن مسألتهم وقد زاد عليه قوله وهذا اخي اي من ابوي مبالغة في تعريف نفسه وتفخيما لشأن اخيه وتكملة لما افاده قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف
واخيه حسبما يفيده قوله تعالى قد من الله علينا فكأنه قال هل علمتم ما فعلتم بنا من التفريق والاذلال فانا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا بالخلاص
عما ابتلينا به والاجتماع بعد الفرقة والعزة بعد الذلة والانس بعد الوحشة ولا يبعد ان يكون فيه اشارة الى الجواب عن طلبهم لرد بنيامين بانه اخي
لا اخوكم فلا وجه لطلبكم ثم علل ذلك بطريق الاستيناف التعليلي بقوله انه من يتق اي يفعل التقوى في جميع احواله او يق نفسه عما يوجب سخط الله تعالى
وعذابه ويصبر على المحن او على مشقة الطاعات او عن المعاصي التي تستلذها النفس فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي اجرهم وانما وضع المظهر موضع المضمر
تنبيها على ان الموصوفين بالتقوى والصبر موصوفون بالاحسان قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك وفضلك علينا بما ذكرت من النعوت الجليلة وان كنا
وان الشأن كنا لخاطئين لمتعمدين للذنب اذ فعلنا بك ما فعلنا ولذلك اعزك واذلنا وفيه اشعار بالتوبة والاستغفار ولذلك قال لا تثريب اي لا عتب
ولا تأنيب عليكم وهو تفعيل من الثرب وهو الشحم الغاشي للكرش ومعناه ازالته كما ان التجليد ازالة الجلد والتقريع ازالة القرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية

الهزال فضرب مثلاً للتقريع الذي يذهب بماء الوجوه وقوله عز وعلا **اليوم** منصوب بالتثريب او بالمقدر خبراً للا اي لا اثربكم او لا تثريب مستقر عليكم اليوم الذي هو
مظنة له فما ظنكم بسائر الايام او بقوله **يغفر الله لكم** لانه حينئذ صفح عن جريمتهم وعفا عن جريرتهم بما فعلوا من التوبة **وهو ارحم الراحمين** يغفر الصغائر و
الكبائر ويتفضل على التائب بالقبول ومن كرمه عليه السلام ان اخوته ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشية ونحن نستحيي منك بما فرط منا فيك فقال
عليه السلام ان اهل مصر وان ملكت فيهم كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبداً بيع بعشرين درهماً ما بلغ ولقد شرفت بكم الآن وعظمت
في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم عليه السلام **اذهبوا بقميصي هذا** قيل هو الذي كان عليه حينئذ وقيل هو القميص المتوارث الذي كان
في التعويذ امره جبريل عليه السلام بارساله اليه واوحي اليه ان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى الا عوفي **فالقوه على وجه ابي يأت بصيراً** يكن بصيراً او يأت
الي بصيراً ويشهده قوله تع **وأتوني باهلكم اجمعين** اي بابي وغيره ممن ينتظمه لفظ الاهل جميعاً من النساء والذراري قيل انما حمل القميص يهوذا وقال
انا احزنته بحمل القميص ملطخاً بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخاً **ولما فصلت العير** خرجت
من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولاً اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما انفصل العير **قال ابوهم** يعقوب عليه السلام لمن عنده
اني لاجد ريح يوسف اوجده الله سبحانه ما عبق بالقميص من ريح يوسف من ثمانين فرسخاً حين اقبل به يهوذا **لولا ان تفندون** اي تنسبوني الى الفند وهو الخرف
وانكار العقل وفساد الرأي من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة اذ لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرها وجواب لولا محذوف اي
لصدقتموني **قالوا** اي الحاضرون عنده **تالله انك لفي ضلالك القديم** لفي ذهابك عن الصواب قدماً في افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك
للقائه وكان عندهم انه قد مات **فلما ان جاء البشير** وهو يهوذا **القاه** اي القى البشير القميص **على وجهه** اي وجه يعقوب او القاه يعقوب على وجه نفسه
فارتد عاد **بصيراً** لما انتعش فيه من القوة **قال الم اقل لكم** يعني قوله اني لاجد ريح يوسف فالخطاب لمن كان عنده بكنعان او قوله ولا تيأسوا
من روح الله فالخطاب لبنيه وهو الانسب بقوله **اني اعلم من الله ما لا تعلمون** فان مدار النهي المذكور انما هو العلم الذي اوتي يعقوب من جهة الله سبحانه
وعلى هذا يجوز ان يكون هذا مقول القول اي الم اقل لكم حين ارسلتكم الى مصر وامرتكم بالتحسس ونهيتكم عن اليأس من روح الله تعالى اعلم من الله ما لا
تعلمون من حيوة يوسف عليه السلام روي انه سأل البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن
تمت النعمة **قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين** ومن حق من اعترف بذنبه ان يصفح عنه ويستغفر له فكانهم كانوا على ثقة من عفوه عليه السلام
ولذلك اقتصروا على استدعاء الاستغفار او ادرجوا ذلك في الاستغفار **قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم** وهذا مشعر بعفوه قبل اخر
الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتحرى به وقت الاجابة وقيل اخره الى ان يستحل لهم من يوسف عليه السلام او يعلم انه قد عفا عنهم
فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويعضده انه روي عنه انه استقبل القبلة قائماً يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين
عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا الهلكة نزل جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة فان
صح ثبت نبوتهم وان ما صدر عنهم انما صدر قبل الاستنباء وقيل المراد الاستمرار على الدعاء فقد روي انه كان يستغفر كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة
وقيل قام الى الصلوة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه فقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى
الله اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين **فلما دخلوا على يوسف** روي انه وجه يوسف الى ابيه جهازاً ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه فاستقبله يوسف
والملك في اربعة آلاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب عليه السلام وهو يمشي متوكئاً على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال
يا يهوذا اهذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل قال له يوسف يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك الم
تعلم ان القيمة تجمعنا فقال بلى ولكني خشيت ان يسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل
وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلاً سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف ومائتي الف **اوى
اليه ابويه** اي اباه وخالته ونزلها منزلة الام كتنزيل العم منزلة الاب في قوله عز وجل واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق او لان يعقوب عليه السلام تزوجها
بعد امه وقال الحسن وابن اسحق كانت امه في الحيوة فلا حاجة الى التأويل ومعنى آوى اليه ضمهما اليه واعتنقهما وكانه عليه السلام ضرب في الملتقى مضرباً
فنزل فيه فدخلوا عليه فآواهما اليه **وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين** من الشدائد والمكاره قاطبة والمشية متعلقة بالدخول على الامن **ورفع ابويه** عند
نزولهم بمصر **على العرش** على السرير تكرمة لهما فوق ما فعله لاخوته **وخروا له** اي ابواه واخوته **سجداً** تحية له فانه كان السجود عندهم جارياً مجرى التحية والتكرمة

كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها من عادات الناس الفاشية في التعظيم والتوقير وقيل ما كان ذلك الا انحناء دون تعفير الجباه ويأباه الخرور وقيل خروا لاجله
سجداً لله شكراً ويرده قوله تع **وقال يا ابت هذا تأويل رؤياي التي** رأيتها وقصصتها عليك **من قبل** في زمن الصبا **قد جعلها ربي حقاً** صدقاً واقعاً بعينه
والاعتذار بجعل يوسف بمنزلة القبلة وجعل اللام كما في قوله اليس اول من صلى لقبلتكم تعسف لا يخفى وتأخيره عن الترفع على العرش ليس بنص في ذلك لان الترتيب
الذكري لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعي فلعل تأخيره عنه ليتصل به ذكر كونه تعبيراً للرؤياه وما يتصل به من قوله **وقد احسن بي** المشهور استعمال الاحسان
بالى وقد يستعمل بالباء ايضاً كما في قوله عز اسمه وبالوالدين احساناً وقيل هذا بتضمين اللطف والاحسان الخفي كما يؤذن به قوله تع ان ربي لطيف لما يشاء
وفيه فائدة لا تخفى اي لطف بي محسناً الي غير هذا الاحسان **اذ اخرجني من السجن** بعد ما ابتليت به ولم يصرح بقصة الجب حذراً من تثريب اخوته لان الظاهر
حضورهم لوقوع الكلام عقيب خرورهم سجداً واكتفاء بما يتضمنه قوله تع **وجاء بكم من البدو** اي البادية **من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي** اي
افسد بيننا بالاغواء واصله من نخس الرائض الدابة وحملها على الجري يقال نزغه ونسغه اذا نخسه ولقد بالغ عليه السلام في الاحسان حيث اسند ذلك الى الشيطان **ان
ربي لطيف لما يشاء** اي لطيف التدبير لاجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب ما من صعب الا وهو بالنسبة الى تدبيره سهل **انه هو العليم** بوجوه المصالح **الحكيم**
الذي يفعل كل شيء على قضية الحكمة روي ان يوسف اخذ بيد يعقوب عليهما السلام فطاف به في خزائنه فادخله في خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب
وخزائن السلاح وغير ذلك فلما ادخله خزائن القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثماني مراحل قال امرني جبريل قال او ما
تسأله قال انت ابسط اليه مني فسأله قال جبريل الله تعالى امرني بذلك لقولك اخاف ان يأكله الذئب قال فهلا خفتني وروي ان يعقوب اقام معه اربعاً
وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحاق فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلثاً وعشرين سنة فلما تم امره وعلم
انه لا يدوم له تاقت نفسه الى الملك الدائم الخالد فتمنى الموت فقال **رب قد آتيتني من الملك** اي بعضاً منه عظيماً وهو ملك مصر **وعلمتني من تأويل الاحاديث**
اي بعضاً من ذلك كذلك ان اريد بتعليم تأويل الاحاديث تفهيم غوامض اسرار الكتب الالهية ودقائق سنن الانبياء عليهم السلام فالترتيب ظاهر واما ان
اريد به تعليم تعبير الرؤيا كما هو الظاهر فلعل تقديم ايتاء الملك عليه في الذكر ابلغ لانه بمقام تعداد النعم الفائضة عليه من الله سبحانه والملك اعرق في كونه نعمة
من التعليم المذكور وان كان ذلك ايضاً نعمة جليلة في نفسه ولا يمكن تمشية هذا الاعتذار فيما سبق لان التعليم هناك وارد على نهج العلة الغائية للتمكين
فان حمل على معنى التمليك لزم تأخره عنه واما الواقع ههنا فمجرد التأخر في الذكر والعطف بحرف الواو لا يستدعي ذلك الترتيب في الوجود **فاطر السموات والارض**
مبدعهما وخالقهما نصب على انه صفة للمنادى او منادى آخر وصفه تعالى به بعد وصفه بالربوبية مبالغة في ترتيب مبادي ما يعقبه من قوله **انت وليي** مالك اموري **في الدنيا
والآخرة** او الذي يتولاني بالنعمة فيهما واذ قد اتممت علي نعمة الدنيا **توفني** اقبضني **مسلماً والحقني بالصالحين** من آبائي او بعامة الصالحين في الرتبة
والكرامة فانما تتم النعمة بذلك قيل لما دعا توفاه الله عز وجل طيباً طاهراً فتخاصم اهل مصر في دفنه وتشاحوا في ذلك حتى هموا بالقتال فرأوا ان
يصنعوا له تابوتاً من مرمر فجعلوه فيه ودفنوه في النيل ليمر عليه ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعاً واحداً في التبرك به وولد له افرائيم وميشا ولافرائيم نون
ولنون يوشع فتى موسى عليه السلام ولقد توارثت الفراعنة من العمالقة بعده مصر ولم تزل بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف وآبائه الى ان بعث
الله تعالى موسى عليه السلام **ذلك** اشارة الى ما سبق من نبأ يوسف وما فيه من معنى البعد لما مر مراراً من الدلالة على بعد منزلته او كونه بالانقضاء في حكم البعيد والخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ خبره **من انباء الغيب** الذي لا يحوم حوله احد وقوله **نوحيه اليك** خبر بعد خبر او حال من الضمير في الخبر ويجوز ان يكون ذلك اسماً
موصولاً ومن انباء الغيب صلته ويكون الخبر نوحيه اليك **وما كنت لديهم** يريد اخوة يوسف عليه السلام **اذ اجمعوا امرهم** وهو جعلهم اياه في غيابت الجب **وهم يمكرون**
به ويبغون له الغوائل حتى تقف على ظواهر اسرارهم وبواطنها وتطلع على سرائرهم طراً وتحيط بما لديهم خبراً وليس المراد مجرد نفي حضوره عليه السلام فيشهد اذا
اجماعهم ومكرهم فقط بل في سائر المشاهد ايضاً وانما تخصيصه بالذكر لكونه مطلع القصة واخفى احوالها كما ينبئ عنه قوله وهم يمكرون والخطاب وان كان
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكن المراد الزام المكذبين والمعنى ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اذ لا سبيل الى معرفتك اياه سوى ذلك اذ عدم سماعك ذلك من
الغير وعدم مطالعتك للكتب امر لا يشك فيه المكذبون ايضاً ولم تكن بين ظهرانيهم عند وقوع الامر حتى تعرفه كما هو فتبلغه اليهم وفيه تهكم بالكفار فكانهم
يشكون في ذلك فيدفع شكهم وفيه ايضاً ايذان بان ما ذكر من النبأ هو الحق المطابق للواقع وما ينقله اهل الكتاب ليس على ما هو عليه يعني ان مثل هذا
التحقيق بلا وحي لا يتصور الا بالحضور والمشاهدة واذ ليس ذلك بالحضور فهو بالوحي ومثله قوله تعالى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وقوله وما
كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر **وما اكثر الناس** يريد به العموم او اهل مكة **ولو حرصت** اي على ايمانهم وبالغت في اظهار الآيات القاطعة الدالة

صنعناله ودبرنا لاجل تحصيل غرضه من المقدمات التي رتبها من دس الصواع وما يتلوه فاللام ليست كما في قولك فيكيد واك كيدا فانها داخلة على المتضرر
عليها هو الاستعمال الشايع وقوله تعالى ماكان ليأخذ اخاه في دين الملك استئناف وتعليل لذلك الكيد وصنعه لا تفسير وبيان له كانه قيل لماذا فعل
ذلك فقيل لانه لم يكن ليأخذ اخاه بما فعله في دين الملك في امر السارق اي في سلطانه قاله ابن عباس او في حكمه وقضائه قاله قتادة الا بجزاء السارق
في دينه انما كان ضربه وتغريمه ضعف ما اخذ دون الاسترقاق والاستعباد كما هو شريعة يعقوب عليه السلام فلم يكن يتمكن بما صنعه من اخذ اخيه بالسرقة
التي نسبها اليه في حال من الاحوال الا ان يشاء الله اي الا حال مشيئته التي هي عبارة عن ارادته لذلك الكيد او الا حال مشيئته للاخذ بذلك الوجه ويجوز
ان يكون الكيد عبارة عن مباديه المؤدية اليه جميعا من ارشاد يوسف وقومه الى ما صدر عنهم من الافعال والاقوال حسبما شرح مرتبا لكن لا على ان يكون
القصر المستفاد من تقديم المجرور ماخوذا بالنسبة الى غيره مطلقا على معنى مثل ذلك الكيد كدنا لا كيدا آخر اذ لا معنى لتعليله بعجز يوسف عليه السلام عن
اخذ اخيه في دين الملك في شان السرقة قطعا اذ لا علاقة بين مطلق الكيد ودين الملك في امر السرقة اصلا بل بالنسبة الى بعضه على معنى مثل
ذلك الكيد البالغ الى هذا الحد كدناه ولم نكتف ببعض من ذلك لانه لم يأخذ اخاه في دين الملك به الا حال مشيئتنا له بايجاد ما يجري مجرى الجزء الصوري
من العلة التامة وهو ارشاد اخوته الى الافتاء المذكور وعلى هذا ينبغي ان يحمل القصر في تفسير من فسر قوله تعالى كدنا ليوسف بقوله علمناه اياه و
اوحينا به اليه اي مثل ذلك التعليم المستتبع لما شرح مرتبا علمناه دون بعض من ذلك فقط الى آخره وعلى كل حال فالاستثناء من اعم الاحوال كما اشير اليه
ويجوز ان يكون من اعم العلل والاسباب اي لم يكن ليأخذ اخاه لعلة من العلل ولسبب من الاسباب الا لعلة مشيئته تعالى او الا بسبب مشيئته تعالى واياما
كان فهو متصل لان اخذ السارق اذا كان ممن يرى ذلك ويعتقده دينا لا سيما عند رضاه وافتائه به ليس مخالفا لدين الملك وقد قيل معنى
الاستثناء الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك وانت تدري ان المراد بدينه ما عليه حينئذ فتغييره مخل بالاتصال وارادة مطلق ما
يتدين به اعم منه ومما يحدث تفضي الى كون الاستثناء من قبيل التعليق بالمحال اذ المقصود بيان عجز يوسف عليه السلام عن اخذ اخيه حينئذ ولم يتعلق
المشيئة بالجعل المذكور اذ ذاك وارادة عجزه مطلقا تؤدي الى خلاف المراد فان استثناء حال المشيئة المذكورة من احوال عجزه عليه السلام مما يشعر بعدم
الحاجة الى الكيد المذكور فتدبر وقد جوز الانقطاع اي لكن اخذه بمشيئة الله تعالى واذنه في دين غير دين الملك نرفع درجات اي رتبا كثيرة عالية
من العلم وانتصابها على المصدرية او الظرفية او على نزع الخافض اي الى درجات والمفعول قوله تعالى من نشاء اي نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة
وتستدعيه المصلحة كما رفعنا يوسف وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بان ذلك سنة مستمرة غير مختصة بهذه المادة والجملة مستانفة لا محل لها
من الاعراب وفوق كل ذي علم من اولئك المرفوعين عليم لا ينالون شاوه واعلم انه ان حمل الكيد عبارة عن المعنيين الاولين فالمراد برفع يوسف عليه السلام
ما اعتبر فيه بالشرطية او الشطرية من ارشاده عليه السلام الى دس الصواع في رحل اخيه وما يتفرع عليه من المقدمات المرتبة لاستبقاء اخيه مما يتم من قبله
والمعنى ارشدنا اخوته الى الافتاء المذكور لانه لم يكن متمكنا من اخذ اخيه بدونه او ارشدنا كلا منهم ومن يوسف واصحابه الى ما صدر عنهم ولم نكتف بما تم
من قبل يوسف فقط لانه لم يكن متمكنا من اخذ اخيه بذلك فقوله نرفع درجات الى قوله تعالى عليم توضيح لذلك على معنى ان الرفع لا يوجب تمام مرامه
اذ ليس ذلك بحيث لا يعزب عن علمه شيء بل انما نرفع كل من نرفع حسب استعداده وفوق كل واحد منهم عليم لا يقادر قدر علمه ولا يكتنه كنهه يرفع
كلا منهم الى ما يليق به من معارج العلم ومدارجه وقد رفع يوسف عليه السلام الى ما يليق به من الدرجات العالية وعلم ان ما حوله دائرة علمه لا يفي بمرامه
فارشد اخوته الى الافتاء المذكور فكان ما كان وكانه عليه السلام لم يكن على يقين من صدور الافتاء المذكور عن اخوته وان كان على طمع
منه فان ذلك الى الله عز وجل وجودا وعلما والتعرض لوصف العلم لتعيين جهة الفوقية وفي صيغة المبالغة مع التنكير والالتفات الى الغيبة من
الدلالة على فخامة شانه عز وعلا وجلالة مقدار علمه المحيط ما لا يخفى واما ان حمل عبارة عن التعليم المستتبع للافتاء المذكور فالرفع عبارة عن ذلك
التعليم والافتاء وان لم يكن داخلا تحت قدرته عليه السلام لكنه كان داخلا تحت علمه بواسطة الوحي والتعليم والمعنى مثل ذلك التعليم البالغ
الى هذا الحد علمناه ولم نقتصر على تعليم ما عدا الافتاء الذي سيصدر عن اخوته اذ لم يكن متمكنا من اخذ اخيه الا بذلك فقوله نرفع درجات
من نشاء توضيح لقوله كدنا وبيان لان ذلك من باب الرفع الى الدرجات العالية من العلم ومدح ليوسف برفعه اليها وقوله وفوق كل ذي علم
عليم تذييل له اي نرفع درجات عالية من العلم من نشاء رفعه وفوق كل منهم عليم هو اعلى درجة قال ابن عباس رضي الله عنهما فوق كل عالم
عالم الى ان ينتهي العلم الى الله عز وجل والمعنى ان اخوة يوسف كانوا علماء الا ان يوسف افضل منهم وقرئ درجات من نشاء بالاضافة والاول

انسب بالتذييل حيث نسب فيه الرفع الى من نسب اليه الفوقية لا الى درجته ويجوز كون العليم في هذا التفسير ايضا عبارة عن الله عز وجل اي وفوق
كل من اولئك المرفوعين عليم نرفع كلا منهم الى درجته اللائقة به والله تعالى اعلم قالوا ان يسرق يعنون بنيامين فقد سرق اخ له من قبل يريدون به
يوسف عليه السلام وما جرى عليه من جهة عمته على ما قيل من انها كانت تحضنه فلما شب اراد يعقوب عليه السلام انتزاعه منها وكانت لا تصبر عنه ساعة
وكانت لها منطقة ورثتها من ابيها اسحاق ~~فانظروا من اخذها عليه السلام~~ فاحتالت لاستبقاء يوسف عليه السلام فعمدت الى المنطقة فحزمتها
عليه من تحت ثيابه ثم قالت فقدت منطقة اسحاق فانظروا من اخذها فوجدوها على يوسف فقالت انه لي سلم افعل به ما اشاء فخلاه يعقوب عليه السلام
عندها حتى ماتت وقيل كان اخذ في صباه صنما لابي امه فكسره والقاه في الجيف وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه
فدفنه فاسرها يوسف اي اكن الحزازة الحاصلة فيما قالوا في نفسه لا انه اسرها لبعض اصحابه كما في قوله تعالى واسررت لهم اسرارا ولم يبدها لهم لا قولا
ولا فعلا صفحا عنهم وحلما وهو تاكيد لما سبق قال اي في نفسه وهو استئناف مبني على سؤال نشأ من الاخبار بالاسرار المذكور كانه قيل فماذا قال
في نفسه في تضاعيف ذلك الاسرار فقيل قال انتم شر مكانا اي منزلة حيث سرقتم اخاكم من ابيكم ثم طفقتم تفترون على البريء وقيل بدل من اسرها والضمير
للمقالة المفسرة بقوله انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون اي عالم علما بالغا الى اقصى المراتب بان الامر ليس كما تصفون من صدور السرقة منا انما
هو افتراء علينا فالصيغة لمجرد المبالغة لا لتفضيل علمه عز وجل على علمهم كيف لا وليس لهم بذلك من علم قالوا عندما شاهدوا مخايل اخذ بنيامين مستعطفين
يا ايها العزيز ان له ابا لم يريدوا بذلك الاخبار بان له ابا فان ذلك معلوم مما سبق وانما ارادوا الاخبار بان له ابا شيخا كبيرا في السن لا يكاد يستطيع
فراقه وهو علالته يتعلل به عن شقيقه الهالك فخذ احدنا مكانه فليس له عنده بمنزلته من المحبة والشفقة انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك
بهذه التتمة او المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله اي نعوذ بالله معاذا من ان ناخذ فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه مضافا
الى المفعول به بعد حذف الجار الا من وجدنا متاعنا عنده لان اخذنا له انما هو بقضية فتواكم فليس لنا الاخلال بموجبها وايثار صيغة التكلم مع الغير ها
مع كون الخطاب من جانب اخوته على التوحيد من باب التسلك الى سنن الملوك او للاشعار بان الاخذ والاعطاء ليس مما يستبد به بل هو منوط بآراء اولي الحل
والعقد وايثار من وجدنا متاعنا عنده دون من سرق متاعنا لتحقيق الحق والاحتراز عن الكذب في الكلام مع تمام المرام فانهم لا يحملونه الا على وجدان
الصواع في الرحل على محمل غير السرقة انا اذا اي اذا اخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده ولو برضاه لظالمون في مذهبكم وما لنا ذلك وهذا المعنى الذي هو
اريد بالكلام في اثناء الحوار وله معنى باطن هو ان الله عز وجل انما امرني بالوحي ان آخذ بنيامين لمصالح علمها الله في ذلك فلو اخذت غيره كنت ظالما
وعاملا بخلاف الوحي فلما استيأسوا منه اي يئسوا من يوسف واجابته لهم اشد يأس بدلالة صيغة الاستفعال وانما حصلت لهم هذه المرتبة من اليأس
لما شاهدوه من عوذه بالله مما طلبوه الدال على كون ذلك عنده في اقصى مراتب الكراهة وانه مما يجب ان يحترز عنه ويعاذ منه بالله عز وجل ومن
تسميته ظلما بقوله انا اذا لظالمون خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن الناس نجيا اي ذوي نجوى على ان يكون بمعنى التنجي والتناجي او فوجا نجيا على ان يكون
بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا ويجوز ان يقال هم نجي كما يقال هم صديق لانه بزنة المصادر من الزفير
والزئير قال كبيرهم في السن وهو روبيل او في العقل وهو يهوذا او رئيسهم وهو شمعون الم تعلموا كانهم اجمعوا عند التناجي على الانقلاب جملة ولم يرض به
فقال منكرا عليهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا يوثق به وهو حلفهم بالله تعالى وكونه لاذنه فيه وكون الحلف باسمه الكريم ومن قبل اي
من قبل هذا ما فرطتم في يوسف قصرتم في شانه ولم تحفظوا عهد ابيكم وقد قلتم وانا له لناصحون وانا له لحافظون وما مزيدة او مصدرية ومحل المصدر النصب
عطفا على مفعول تعلموا اي الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم السابق في شان يوسف عليه السلام ولا ضير في الفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف وقد
جوز النصب عطفا على اسم ان والخبر في يوسف او من قبل على معنى الم تعلموا ان تفريطكم السابق وقع في شان يوسف عليه السلام او ان تفريطكم الكائن
كائنا في شان يوسف عليه السلام وقع من قبل وفيه ان مقتضى المقام انما هو الاخبار بوقوع ذلك التفريط لا بكون تفريطهم السابق واقعا في شان يوسف
عليه السلام كما هو مفاد الاول ولا بكون تفريطهم الكائن في شانه واقعا من قبل كما هو مفاد الثاني على ان الظرف المقطوع عن الاضافة لا يقع خبرا ولا صفة
ولا صلة ولا حالا عند البعض كما تقرر في موضعه وقيل محله الرفع على الابتداء والخبر من قبل وفيه ما فيه وقيل ما موصولة او موصوفة ومحلها النصب او الرفع والحق
هو النصب عطفا على مفعول تعلموا اي ما فرطتموه بمعنى قدمتموه في حقه من الخيانة واما النصب عطفا على اسم ان والرفع على الابتداء فقد عرفت حاله فلن ابرح الارض
متفرع على ما ذكره وذكرهم اياه من ميثاق ابيه وقوله لما تتنى به الآن بحاطتكم اي فلن افارق ارض مصر جريا على قضية الميثاق حتى ياذن لي ابي في البراح

والكلأ **ومن كل الثمرات** متعلق بجعل في قوله تعالى **جعل فيها زوجين اثنين** اي اثنينية حقيقية وهما الفردان اللذان كل منهما زوج الآخر واكد به الزوجين لئلا يفهم
ان المراد بذلك الشفعان اذ يطلق الزوج على المجموع ولكن اثنينيته ذلك اثنينية اعتبارية اي جعل من كل نوع من انواع الثمرات الموجودة في الدنيا ضربين
وصنفين اما في اللون كالابيض والاسود او في الطعم كالحلو والحامض او في القدر كالصغير والكبير او في الكيفية كالحار والبارد وما اشبه ذلك ويجوز
ان يتعلق بجعل الاول ويكون الثاني استئنافا لبيان كيفية ذلك الجعل **يغشي الليل النهار** استعارة تبعية تمثيلية مبنية على تشبيه ازالة نور الجو بالظلمة
بتغطية الاشياء الظاهرة بالاغطية اي يستر النهار بالليل والتركيب وان احتمل العكس ايضا بالحمل على تقديم المفعول الثاني على الاول فان ضوء النهار
ايضا ساتر لظلمة الليل الا ان الانسب بالليل ان يكون هو الغاشي وعد هذا في تضاعيف الآيات السفلية وان كان تعلقه بالآيات العلوية ظاهرا باعتبار
ان ظهوره في الليل فان الليل انما هو ظلها فيما فوق موقع ظلها لا ليل اصلا ولان الليل والنهار لهما تعلق بالثمرات من حيث العقد والانضاج على
انهما ايضا زوجان متقابلان مثلها وقرئ يغشي من التغشية **ان في ذلك** اي فيما ذكر من مد الارض وايتادها بالرواسي واجراء الانهار وخلق الثمرات واغشاء
الليل النهار وفي الاشارة بذلك تنبيه على عظم شأن المشار اليه في بابه **لآيات** باهرة وهي آثار تلك الافاعيل البديعة جلت حكمة صانعها ففي على معناها
فان تلك الآثار مستقرة في تلك الافاعيل منوطة بها ويجوز ان يشار بذلك الى تلك الآثار المدلول عليها بتلك الافاعيل ففي تجريدية **لقوم يتفكرون** فان
التفكر فيها يؤدي الى الحكم بان تكوين كل من ذلك على هذا النمط الرائق والاسلوب الفائق اللائق لا بد له من مكون قادر حكيم يفعل ما يشاء ويختار ما يريد لا معقب
لحكمه وهو الحميد المجيد **وفي الارض قطع** جملة مستأنفة مشتملة على طائفة اخرى من الآيات اي بقاع كثيرة مختلفة في الاوصاف من طيبة الى سبخة وكريمة
الى زهيدة وصلبة الى رخوة الى غير ذلك **متجاورات** اي متلاصقة وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات اي جعل في الارض قطعا **وجنات من اعناب** اي
بساتين كثيرة منها **وزرع** من كل نوع من انواع الحبوب وافراده لمراعاة اصله ولعل ذكر الجنات عليه مع كونه عمود المعاش لظهور حالها في اختلافها و
مباينتها لسائرها ورسوخ ذلك فيها وتأخير قوله تعالى **ونخيل** لئلا يقع بينها وبين صفتها وهي قوله تعالى **صنوان وغير صنوان** فاصلة والصنوان جمع صنو
كقنوان وقنو وهي النخلة التي لها رأسان واصلهما واحد وقرئ بضم الصاد على لغة بني تميم وقيس وقرئ جنات بالنصب عطفا على زوجين وبالجر على كل الثمرات
فلعل عدم نظم قوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات في هذا السلك مع ان اختصاص كل من تلك القطع بما لها من الاحوال والصفات بمحض جعل الخالق الحكيم جلت قدرته
حين مد الارض ودحاها للايماء الى كون تلك الاحوال صفات راسخة لتلك القطع وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب وجنات **يسقى** اي ما ذكر من القطع
والجنات والزرع والنخيل وقرئ بالتأنيث مراعاة للفظ والاول اوفق بمقام بيان اتحاد الكل في حالة السقي **بماء واحد** لا اختلاف في طبعه سواء
كان السقي بماء الامطار او بماء الانهار **ونفضل** مع تأخذ اسباب التشابه بمحض قدرتنا واختيارنا **بعضها على بعض** آخر منها **في الاكل** فيما يحصل منها
من الثمر والطعم وقرئ بالياء على بناء الفاعل ردا على يدبر ويفصل ويغشي وعلى بناء المفعول وفيه ما لا يخفى من الفخامة والدلالة على عدم احتمال استناد الفعل
الى فاعل آخر بغض عن بناء الفعل للفاعل **ان في ذلك** الذي فصل من احوال القطع والجنات **لآيات** كثيرة عظيمة ظاهرة **لقوم يعقلون** يعملون على قضية
عقولهم فان من عقل هذه الاحوال العجيبة لا يتلعثم في الجزم بان من قدر على ابداع هذه البدائع وخلق تلك الثمار المختلفة في الاشكال والالوان
والطعوم والروائح في تلك القطع المتباينة المتجاورة وجعلها حدائق ذات بهجة قادر على اعادة ما ابداه بل هي اهون في القياس وهذه الاحوال
وان كانت هي الآيات انفسها لا انها فيها الا انه قد جردت عنها امثالها مبالغة في كونها آية ففي تجريدية مثلها في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد والمشار اليه
الاحوال الكلية والآيات افرادها الحادثة شيئا فشيئا في الازمنة وآحادها الواقعة في الاقطار والامكنة المشاهدة لاهلها ففي على معناها وحيث
كانت دلالة هذه الاحوال على مدلولها اظهر مما سبق علق كونها آيات بمحض التعقل ولذلك لم يتعرض لغير تفضيل بعضها على بعض في الاكل الظاهر
لكل عاقل مع تحقق ذلك في الخواص والكيفيات مما يتوقف العثور عليه على نوع تأمل وتفكر كأنه لا حاجة في ذلك الى التفكر اصلا وفيه تعريض بان المشركين
غير عاقلين **وان تعجب** يا محمد من شيء **فعجب** لا عجب منه حقيق بان يقصر عليه التعجب **قولهم** بعد مشاهدة ما عدد من الآيات الشاهدة بانه تعالى على
كل شيء قدير **أئذا كنا ترابا** على طريقة الاستفهام الانكاري المفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار وهو في محل الرفع على البدلية من قولهم على انه بعينه المقول
او في محل النصب على المفعولية منه على انه مصدر فالعجب على الاول كلامهم وعلى الثاني تكلمهم بذلك والعامل في اذا ما دل عليه قوله **أئنا لفي خلق جديد**
وهو نبعث او نعاد وتقديم الظرف لتقوية الانكار بالبعث بتوجيهه اليه في حالة منافية له وتكرير الهمزة في قولهم أئنا لتأكيد الانكار وليس مدار
انكارهم كونهم ثابتين في الخلق الجديد بالفعل عند كونهم ترابا بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له وفيه من الدلالة على عتوهم وتماديهم في الكفر

في النكير ما لا يخفى وقيل وان تعجب من قولهم الدال عليه فتأمل وقد جوز كون الخطاب لكل من يصلح له اي ان تعجب يا من ينظر في هذه الآيات من قدرة من هذه
افعاله فازدد تعجبا ممن ينكر مع هذه الدلائل قدرته تعالى على البعث وهو اهون من هذه والانسب بقوله ويستعجلونك بالسيئة هو الاول وقوله تعالى فعجب خبر
قدم على المبتدأ للقصر والتسجيل من اول الامر بكون قولهم ذلك امرا عجيبا ويجوز ان يكون مبتدأ لكونه موصوفا بالوصف المقدر كما اشير اليه فالمعنى وان تعجب
فالعجب الذي لا عجب وراءه قولهم هذا فانه عجب منه وعلى الاول وان تعجب قولهم هذا عجب لا عجب فوقه **اولئك** مبتدأ والموصول خبره اي اولئك المنكرون لقدرته
تعالى على البعث ريثما عاينوا ما فصل من الآيات الباهرة الملجئة لهم الى الايمان لو كانوا يبصرون **الذين كفروا بربهم** وتمادوا في ذلك فان انكارهم لقدرته
عز وجل كفر به واي كفر **واولئك** مبتدأ خبره قوله تعالى **الاغلال في اعناقهم** اي مقيدون بقيود الضلال لا يرجى خلاصهم او مغلولون يوم القيامة **واولئك**
الموصوفون بما ذكر من الصفات **اصحاب النار هم فيها خالدون** لا ينفكون عنها وتوسيط ضمير الفصل ليس لتخصيص الخلود بمنكري البعث خاصة بل بالجميع
المدلول عليه بقوله تعالى اولئك الذين كفروا بربهم **ويستعجلونك بالسيئة** بالعقوبة التي انذروها وذلك حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم
بالعذاب استهزاء منهم بانذاره **قبل الحسنة** اي العافية والاحسان اليهم بالامهال **وقد خلت من قبلهم المثلات** اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا
بها ولا يحترزون حلول مثلها بهم والجملة حالية لبيان ركاكة رأيهم في الاستعجال بطريق الاستهزاء اي يستعجلونك بها مستهزئين بانذارك منكرين لوقوع
ما انذرتهم اياه والحال انه قد مضت العقوبات النازلة على امثالهم من المكذبين المستهزئين والمثلة بوزن السمرة العقوبة سميت بها لما بينها وبين
المعاقب عليه من المماثلة ومنه المثال للقصاص وقرئ المثلات بضمتين باتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات
بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات جمع مثلة كركبة وركبات **وان ربك لذو مغفرة** عظيمة **للناس على ظلمهم** انفسهم بالذنوب والمعاصي ومحلها
النصب على الحالية اي ظالمين والعامل فيه المغفرة والمعنى ان ربك لغفور للناس لا يعجل لهم العقوبة وان كانوا ظالمين بل يمهلهم بتأخيرها **وان ربك لشديد
العقاب** يعاقب من يشاء منهم حين يشاء فتأخير ما استعجلوه ليس للاهمال وعنه عليه السلام لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ لاحد العيش ولولا وعيده وعقابه
لاتكل كل احد **ويقول الذين كفروا** وهم المستعجلون ايضا وانما عدل عن الاضمار الى الموصول ذما لهم ونعيا عليهم كفرهم بآيات الله تعالى التي تخر لها صم الجبال
حيث لم يرفعوا لها رأسا ولم يعدوها من جنس الآيات وقالوا **لولا انزل عليه آية من ربه** مثل آيات موسى وعيسى عليهما السلام عنادا ومكابرة والا ففي
ادنى آية انزلت عليه عليه السلام غنية وعبرة لاولي الالباب **انما انت منذر** مرسل للانذار من سوء عاقبة ما يأتون وما يذرون كدأب من قبلك من الرسل
وليس عليك الا الاتيان بما يعلم به نبوتك وقد حصل ذلك بما لا مزيد عليه ولا حاجة الى الزامهم والقامهم الحجر بالاتيان بما اقترحوا من الآيات **ولكل قوم هاد**
معين لا بالذات بل بعنوان الهداية يعني لكل قوم نبي مخصوص بمقتضى اختصاص كل منهم بما يختص به حكم لا يعلمها الا الله تعالى او لكل قوم هاد عظيم الشأن
قادر على ذلك هو الله سبحانه وما عليك الا انذارهم فلا يهمنك عنادهم وانكارهم للآيات المنزلة عليك وازدراؤهم بها ثم عقبه بما يدل على كمال علمه وقدرته
وشمول قضائه وقدره المبنيين على الحكم والمصالح تنبيها على ان تخصيص كل قوم بنبي وكل نبي بجنس معين من الآيات انما هو للحكم الداعية الى ذلك
اظهارا لكمال قدرته على هدايتهم لكن لا يهتدي الا من تعلق بهدايته مشيئته التابعة لحكم استأثر بعلمها فقال **الله يعلم ما تحمل كل انثى** اي تحمله فما
موصولة اريد بها ما في بطنها من حين العلوق الى زمن الولادة لا بعد تكامل الخلق فقط والعلم متعد الى واحد او اي شيء تحمل وعلى اي حال هو من
الاحوال المتواردة عليه طورا فطورا فهي استفهامية معلقة للعلم او حملها فهي مصدرية **وما تغيض الارحام وما تزداد** اي تنقصه وتزداده كالخديج
والتام وفي المدة كالمولود في اقل مدة الحمل والمولود في اكثرها وفيما بينهما قيل ان الضحاك ولد في سنتين وهرم بن حيان في اربع ومن ذلك
سمي هرما وفي العدد كالواحد فما فوقه روي ان شريكا كان رابع اربعة او يعلم نقصها وازديادها لما فيها فالفعلان متعديان كما في قوله تعالى
وغيض الماء وقوله وازدادوا تسعا وقوله ونزداد كيل بعير او لازمان قد اسند الى الارحام مجازا وهما لما فيها **وكل شيء** من الاشياء **عنده بمقدار**
بقدر لا يمكن تجاوزه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر فان كل حادث من الاعيان والاعراض له في كل مرتبة من مراتب التكوين ومباديها وقت معين
وحال مخصوص لا يكاد يجاوزه والمراد بالعندية الحضور العلمي بل العلم الحضوري فان تحقق الاشياء في انفسها في اي مرتبة كانت من مراتب الوجود
والاستعداد لذلك علم له بالنسبة الى الله عز وجل **عالم الغيب** اي الغائب عن الحس **والشهادة** اي الحاضر له عبر عنهما بهما مبالغة وقيل اريد بالغيب المعدوم
وبالشهادة الموجود وهو خبر مبتدأ محذوف او خبر وقرئ بالنصب على المدح وهذا كالدليل على ما قبله من قوله تعالى الله يعلم الخ **الكبير** العظيم الشأن
الذي كل شيء دونه **المتعال** المستعلي على كل شيء بقدرته او المنزه عن نعوت المخلوقات وبعد ما بين سبحانه انه عالم بجميع احوال الانسان في مراتب

فطرته ومحيط بعالمي الغيب والشهادة بيّن انه تعالى عالم بجميع ما يأتون وما يذرون من الافعال والاقوال وانه لا فرق بالنسبة اليه بين السر والعلن فقال **سواء**
منكم من اسرّ القول في نفسه **ومن جهر به** اظهره لغيره **ومن هو مستخف** مبالغ في الاختفاء كأنه مختف **بالليل** وطالب للزيادة **وسارب** بارز يراه كل احد **بالنهار**
من سرب سروبا اي برز وهو عطف على من هو مستخف او على مستخف ومن عبارة عن الاثنين كما في قوله تعالى فان عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان
كأنه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والاستواء وان اسند الى من اسرّ ومن جهر به والى الفاعل من حيث هو فاعل كما في الاخيرين وتقديم
الاسرار والاستخفاء لاظهار كمال علمه تعالى فكأنه في التعلق بالخفيات اقدم منه بالظواهر والا فنسبته الى الكل سواء لما عرفت **له** اي لكل ممن اسرّ
او جهر والمستخفي والسارب **معقبات** ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقّبه مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كأن بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون
اقواله وافعاله فيكتبونه او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او المراد بالمعقبات الجماعات وقرئ معاقيب جمع معقب ومعقبة على تعويض
الياء من احدى القافين **من بين يديه ومن خلفه** من جميع جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر **يحفظونه من امر الله** من بأسه حين اذنب بالاستمهال والاستغفار له
او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله تعالى وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحراس
والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله تعالى **ان الله لا يغير ما بقوم** من النعمة والعافية **حتى يغيروا ما بانفسهم** من الاعمال الصالحة او ملكاتها
التي هي فطرة الله التي فطر الناس عليها الى اضدادها **واذا اراد الله بقوم سوءا** لسوء اختيارهم واستحقاقهم لذلك **فلا مرد له** فلا رد له والعامل في اذا
ما دل عليه الجواب **وما لهم من دونه من وال** يلي امرهم ويدفع عنهم السوء الذي اراده الله بهم بما قدمت ايديهم من تغيير ما بهم وفيه دلالة على ان تخلف مراده تعالى
محال وايذان بانهم بما باشروه من انكار البعث واستعجال السيئة واقتراح الآية قد غيروا ما بانفسهم من الفطرة واستحقوا لذلك حلول غضب الله تعالى وعذابه
هو الذي يريكم البرق خوفا من الصاعقة **وطمعا** في المطر وجه تقديم الخوف على الطمع ظاهر لما ان المخوف عليه النفس او الرزق العتيد والمطموع فيه الرزق
المترقب وقيل الخوف ايضا من المطر لكن الخائف منه غير الطامع فيه كالخزاف والحراث ويأباه الترتيب اللهم الا ان يتكلف ما اشير اليه من ان المخوف عتيد
والمطموع فيه مترقب وانتصابهما اما على المصدرية اي فتخافون خوفا وتطمعون طمعا او على الحالية من البرق او المخاطبين باضمار ذوي او بجعل المصدر بمعنى
المفعول او الفاعل مبالغة او على العلية بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او بتأويل الاخافة والاطماع ليتحد فاعل العلة والفعل المعلل واما جعل
المعلل هي الرؤية التي تتضمنها الاراءة على طريقة قول النابغة وحلت بيوتي في يفاع ممنع تخال به راعي الحمولة طائرا حذارا على ان لا تنال مقادتي ولا
نسوتي حتى يمتن حرائرا اي احللت بيوتي حذارا فلا سبيل اليه لانه وقع في معرض العلة الغائية لا سيما الخوف لا يصلح علة لرؤيتهم **وينشئ السحاب**
الغمام المنسحب في الجو **الثقال** بالماء وهي جمع ثقيلة وصف بها السحاب لكونها اسم جنس في معنى الجمع والواحدة سحابة يقال سحابة ثقيلة وسحاب ثقال
كما يقال امرأة كريمة ونسوة كرام **ويسبح الرعد** اي سامعوه من العباد الراجين للمطر ملتبسين **بحمده** اي يضجون بسبحان الله والحمد لله واسناده الى الرعد لحمله لهم على
ذلك او يسبح الرعد نفسه على ان تسبيحه عبارة عن دلالته على وحدانيته تعالى وفضله المستوجب لحمده وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول سبحان
من يسبح الرعد بحمده واذا اشتد يقول اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن علي كرم الله تعالى وجهه سبحان من سبحت له
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب
وعن الحسن خلق من خلق الله تعالى ليس بملك **والملائكة** اي يسبح الملائكة **من خيفته** من هيبته واجلاله جل جلاله وقيل الضمير للرعد **ويرسل الصواعق فيصيب بها من**
يشاء فيهلكه بذلك **وهم** اي الكفرة المخاطبون في قوله تعالى هو الذي يريكم البرق وقد التفت الى الغيبة ايذانا باسقاطهم عن درجة الخطاب واعراضا عنهم وتعديدا
لجناياتهم لدى كل من يستحق الخطاب كأنه قيل هو الذي يفعل امثال هذه الافاعيل العجيبة من اراءة البرق وانشاء السحاب الثقال وارسال الصواعق
الدالة على كمال علمه وقدرته ويعقلها من يعقلها من المؤمنين او الرعد نفسه او الملك الموكل به والملائكة ويعملون بموجب ذلك من التسبيح والحمد والخوف من
من هيبته تعالى وهم اي الكفرة الذين حكيت هناتهم مع ذلهم وهوانهم وحقارة شأنهم **يجادلون في الله** اي في شأنه تعالى حيث يفعلون ما يفعلون من
انكار البعث واستعجال العذاب استهزاء واقتراح الآيات فالواو لعطف الجملة على ما قبلها من قوله تعالى هو الذي يريكم البرق الخ او على قوله الله يعلم ما تحمل الخ
واما العطف على قوله تعالى ويقول الذين كفروا كما قيل فلا مجال له لان قوله تعالى الله يعلم الخ استئناف لبيان بطلان قولهم ذلك ونظائره من الاستعجال
وانكار البعث قاطع لعطف ما بعده على ما قبله وقيل للحال اي فيصيب بالصواعق من يشاء وهم في الجدال وقد اريد به ما اصاب اربد بن ربيعة اخا لبيد
فانه اقبل مع عامر بن الطفيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغيانه الغوائل فدخلا المسجد وهو عليه السلام جالس في نفر من اصحابه رضي الله عنهم

فاستشرفوا لجمال عامر وكان من اجمل الناس وقد كان اوصى الى اربد انه اذا رأيتني اكلم محمدا صلى الله عليه وسلم فدر من خلفه واضربه بالسيف
فجعل يكلمه عليه السلام فدار اربد من خلفه عليه السلام فاخترط من سيفه شبرا فحبسه الله تعالى فلم يقدر على سله وجعل عامر يومي اليه فرأى النبي صلى الله عليه
وسلم الحال فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله عز وجل على اربد صاعقة في يوم صحو صائف فاحرقته وولى عامر هاربا فنزل في بيت امرأة
سلولية فلما اصبح ضم عليه سلاحه وتغير لونه وركب فرسه فجعل يركض في الصحراء ويقول ابرز يا ملك الموت ويقول الشعر ويقول واللات لئن اصحر لي
محمد وصاحبه يعني ملك الموت لانفذتهما برمحي فارسل الله تعالى ملكا فلطمه بجناحه فارداه في التراب فخرجت على ركبته في الوقت غدة عظيمة فعاد الى البيت
السلولية وهو يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم دعا بفرسه فركبه فاجراه حتى مات على ظهره وقيل اريد به ما روي عن الحسن انه كان
رجل من طواغيت العرب فبعث النبي صلى الله عليه وسلم نفرا من اصحابه يدعونه الى الله عز وجل فقال لهم اخبروني عما تدعونني اليه ما هو ومم هو من ذهب ام
من فضة ام من نحاس ام من حديد ام من در فاستعظموا مقالته فرجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا رجلا اكفر قلبا ولا اعتى على الله منه
فقال عليه السلام ارجعوا اليه فما زاد الا مقالته الاولى واخبث فرجعوا اليه عليه السلام واخبروا بما صنع فقال عليه السلام ارجعوا اليه فرجعوا اليه فبينما هم
عنده ينازعونه اذ ارتفعت سحابة ورعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاحترق الكافر فجاؤوا يسعون ليخبروه عليه السلام بالخبر فاستقبلهم
الاصحاب فقالوا احترق صاحبكم قالوا من اين علمتم قالوا اوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم **وهو شديد المحال** اي والحال انه شديد المماحلة والمكايدة
والمماكرة لاعدائه من محله اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيل وقيل هو محال بمعنى القوة وقيل هو مفعل من الحول والحيلة اعل على
غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله
اشد وموساه احد **له دعوة الحق** اي الدعوة الثابتة الواقعة في محلها المجابة عند وقوعها والاضافة للايذان بملابستها للحق واختصاصها به وكونه بمعزل
من شائبة البطلان والضياع والضلال كما يقال كلمة الحق وقيل له دعوة الله سبحانه اي الدعوة اللائقة بحضرته كما في قوله عليه السلام فمن كانت هجرته الى الله
ورسوله فهجرته الى الله ورسوله والتعرض لوصف الحقية لتربية معنى الاستجابة والاول هو الاولى لقوله تعالى وما دعاء الكافرين الا في ضلال وتعلق الجملتين
بما قبلهما من حيث ان اهلاك اربد وعامر محال من الله تعالى واجابة لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما ان كانت الآية نزلت في شأنهما او من حيث انه
وعيد للكفرة على مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتحذير لهم باجابة دعوته عليهم **والذين يدعون** اي الاصنام الذين يدعوهم المشركون
فحذف العائد **من دونه** اي من دون الله عز وجل **لا يستجيبون لهم بشيء** من طلباتهم **الا كباسط كفيه الى الماء** اي الا استجابة كائنة كاستجابة الماء لمن بسط
كفيه اليه من بعيد فالاستجابة مصدر من المبني للفاعل على ما يقتضيه الفعل الظاهر اعني لا يستجيبون ويجوز ان يكون من المبني للمفعول ويضاف الى الباسط
بناء على استلزام المصدر من المبني للفاعل للمبني للمفعول وجودا وعدما فكأنه قيل لا يستجيبون لهم بشيء فلا يستجاب لهم الا استجابة كائنة كاستجابة من بسط
كفيه الى الماء كما في قوله وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف اي لم يدع فلم يبق الا مسحت او مجلف **ليبلغ** اي الماء بنفسه
من غير ان يؤخذ بشيء من الاناء ونحوه **فاه وما هو** اي الماء **ببالغه** ببالغ فيه ابدا لكونه جمادا لا يشعر بعطشه ولا ببسط يديه اليه فضلا عن الاستطاعة
لما اراده من البلوغ الى فيه شبه حال المشركين في عدم حصولهم في دعاء آلهتهم على شيء اصلا وركاكة رأيهم في ذلك بحال عطشان هائم لا يدري ما يفعل
قد بسط كفيه من بعيد الى الماء يبغي وصوله الى فيه من غير ملاحظة التشبيه في جميع مفردات الاطراف فان الماء في نفسه شيء نافع بخلاف آلهتهم والمراد
نفي الاستجابة رأسا الا انه قد اخرج الكلام مخرج التهكم بهم فقيل لا يستجيبون لهم شيئا من الاستجابة الا استجابة كائنة في هذه الصورة التي ليست فيها
شائبة الاستجابة قطعا فهو في الحقيقة من باب التعليق بالمحال وقرئ تدعون بالتاء وكباسط بالتنوين **وما دعاء الكافرين الا في ضلال** اي ذهاب
وضياع وخسار **ولله** وحده **يسجد** يخضع وينقاد لا لشيء غيره استقلالا او اشتراكا فالقصر ينتظم القلب والافراد **من في السموات والارض** من الملائكة والثقلين
طوعا وكرها اي طائعين وكارهين وانقياد طوع وكره او حال طوع وكره فان خضوع الكل لعظمة الله عز وجل وانقيادهم لاحداث ما اراد فيهم من
احكام التكوين والاعدام شاؤوا او ابوا وعدم مداخلة حكم غيره بل غير حكمه تعالى في تلك الشؤون مما لا يخفى على احد **وظلالهم** اي تنقاد له تعالى ظلال من له
ظل منهم اعني الانس حيث تتصرف على مشيئته وتتأتى لارادته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال **بالغدو والآصال** ظرف للسجود والمقدر او حال
من الظلال وتخصيص الوقتين بالذكر مع ان انقيادها متحقق في جميع اوقات وجودها لظهور ذلك فيهما والغدو جمع غداة كقنى في جمع قناة والآصال جمع
اصيل وقيل جمع اصل وهو جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قد قرئ والايصال اي الدخول في الاصيل وقيل

ان المراد حقيقة السجود فان الكفرة حال الاضطرار وهو المعنى بقوله تعالى وكرها يخصون السجود به سبحانه قال تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ولا يجدي
ان يخلق الله تعالى في الضلال افهاما وعقولا بها تسجد لله سبحانه كما خلقها للجبال حتى اشتغلت بالتسبيح وظهر فيها آثار التجلي كما قاله ابن الانباري ويجوز ان يراد
بسجودها ما يشاهد فيها من هيئة السجود تبعا لاصحابها وانت خبير بان اختصاص سجود الكافر حالة الضرورة والشدة بالله سبحانه لا يجدي فان سجودهم
لاصنامهم حالة الرخاء مخل بالقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور فالوجه حمل السجود على الانقياد ولان تحقيق انقياد الكل في الابداع والاعدام له تعالى
ادخل في التوبيخ على اتخاذ اولياء من دونه من تحقيق سجودهم له تعالى وتخصيص انقياد العقلاء بالذكر مع كون غيرهم ايضا كذلك لانهم العمدة وانقيادهم دليل
انقياد غيرهم على انه بين ذلك بقوله عز وجل قل من رب السموات والارض فانه لتحقيق ان خالقهما ومتولي امرهما مع ما فيهما على الاطلاق هو الله سبحانه وقوله
تعالى قل الله امر بالجواب من قبله عليه السلام اشعارا بانه متعين للجوابية فهو والخصم في تقريره سواء او امر بحكاية اعترافهم ايذانا بانه امر لا بد لهم من ذلك كانه قيل
احك اعترافهم فبكتهم بما يلزمهم من الحجة والقمهم الحجر او امر بتلقينهم ذلك ان تلعثموا في الجواب حذرا من الالزام فانهم لا يتمالكون اذ ذاك ولا يقدرون
على انكاره قل الزاما لهم وتبكيتا افاتخذتم لانفسكم والهمزة لانكار الواقع كما في قولك اضربت اباك لا لانكار الوقوع كما في قوله اضرب ابي والفاء
للعطف على مقدر بعد الهمزة اي اعلمتم ان ربهما هو الله الذي ينقاد لامره من فيهما كافة فاتخذتم عقيبه من دونه اولياء عاجزين لا يملكون لانفسهم
نفعا يستجلبونه ولا ضرا يدفعونه عن انفسهم فضلا عن القدرة على جلب النفع لغيره ودفع الضر عنه لا على ان يكون الانكار متوجها الى المعطوفين معا
كما في قوله تعالى أفلا تعقلون اذا قدر المعطوف عليه لا تسمعون بل الى ترتب الثاني على الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه والمعنى أبعد ان علمتم ان
ربهما هو الله جل جلاله اتخذتم من دونه اولياء عجزة والحال ان قضية العلم بذلك انما هو الاقتصار على توليه فعكستم الامر كما في قوله تعالى كان من الجن
ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني ووصف الاولياء هاهنا بعدم المالكية للنفع والضر في ترشيح الانكار وتأكيده كتقييد الاتخاذ هناك
بالجملة الحالية أعني قوله تعالى وهم لكم عدو فان كلا منهما مما ينفي الاتخاذ المذكور ويؤكد انكاره قل تصويرا لآرائهم الركيكة بصورة المحسوس
هل يستوي الاعمى الذي هو المشرك الجاهل بمستحقها والبصير الذي هو الموحد العالم بذلك او ان الاول عبارة عن المعبود الغافل والثاني اشارة الى المعبود العالم
بكل شيء ام هل تستوي الظلمات التي هي عبارة عن الكفر والضلال والنور الذي هو عبارة عن التوحيد والايمان وقرئ بالياء ولما دل النظم الكريم
على ان الكفرة فيما فعلوا من اتخاذ الاصنام اولياء من دون الله سبحانه في الضلال المحض والخطأ البحت بحيث لا يخفى بطلانه على احد وانهم في ذلك كالاعمى
الذي لا يهتدي الى شيء اصلا وليس لهم في ذلك شبهة تصلح ان تكون منشأ لغلطهم وخطأهم فضلا عن الحجة اكد ذلك فقيل ام جعلوا لله اي بل
اجعلوا له شركاء خلقوا كخلقه سبحانه والهمزة لانكار الوقوع لا لانكار الواقع مع وقوعه وقوله خلقوا كخلقه هو الذي يتوجه اليه الانكار واما نفس
الجعل فهو واقع لا يتعلق به الانكار بهذا المعنى والمعنى انهم لم يجعلوا لله تعالى شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم بسبب ذلك وقالوا هؤلاء خلقوا
كخلقه تعالى فاستحقوا بذلك العبادة كما استحقها ليكون ذلك منشأ لخطئهم بل انما جعلوا له شركاء هو بمعزل من ذلك بالمرة وفيه ما لا يخفى من التعريض
بركاكة رأيهم والتهكم بهم قل تحقيقا للحق وارشادا لهم اليه الله خالق كل شيء كافة لا خالق سواه فيشاركه في استحقاق العبادة وهو الواحد المتوحد
بالالوهية المتفرد بالربوبية القهار لكل ما سواه فكيف يتوهم ان يكون له شريك وبعد ما مثل المشركين والشرك بالاعمى والظلمات والموحد والتوحيد بالبصير
والنور مثل الحق الذي هو القرآن العظيم في فيضانه من جناب القدس على قلوب خالية عنه متفاوتة الاستعداد وفي جريانه عليها ملاحظة وحفظا
وعلى الالسنة مذاكرة وتلاوة وفي ثباته فيها مع كونه ممدا للحيوة الروحانية وما يتلوها من الملكات السنية والاعمال المرضية بالماء النازل
من السماء السائل في اودية يابسة لم يجر عادتها بذلك سيلانا مقدرا بمقدار اقتضته الحكمة في احياء الارض وما عليها الباقي فيها حسبما يدور عليه منافع
الناس وفي كونه حلية تتحلى به النفوس وتصل الى البهجة الابدية ومتاعا يتمتع به في المعاش والمعاد بالذهب والفضة وسائر الفلزات التي يتخذ
منها انواع الآلات والادوات ويبقى منتفعا مدة طويلة ومثل الباطل الذي ابتلي به الكفرة لقصور نظرهم بما يظهر فيهما من غير مداخلة له فيهما والاضمحلال
بصفائهما من الزبد الرابي فوقهما المضمحل سريعا فقيل انزل من السماء اي من جهتها ماء اي كثيرا او نوعا منه وهو ماء المطر فسالت بذلك اودية واقعة
في مواقعه لا جميع الاودية اذ الامطار لا تستوعب الاقطار وهو جمع واد وهو منفرج بين تلال او جبال او آكام على الشذوذ كناد واندية وناج
وانجية قالوا وجهه ان فاعلا يجيء بمعنى فعيل كناصر ونصير وشاهد وشهيد وعالم وعليم وحيث جمع فعيل على افعلة كجريب واجربة جمع فاعل ايضا على افعلة
فان اريد بها ما يسيل فيها على الانهار المستمرة حقيقي وان اريد معناها الحقيقي فالاسناد مجازي كما في جري النهر وايثار التمثيل بها على الانهار المستمرة

المستمرة الجريان لوضوح المماثلة بين شأنها وشأن ما مثل بها كما اشير اليه بقدرها اي سالت ملتبسة بمقدارها الذي عينه الله تعالى واقتضته حكمته في
نفع الناس او بمقدارها المتفاوت قلة وكثرة بحسب تفاوت محالها صغرا وكبرا لا بكونها مالئة لها منطبقة عليها بل بمجرد قلتها بصغرها المستلزم
لقلة موارد الماء وكثرتها بكبرها المستدعي لكثرة الموارد فان مورد السيل الجاري في الوادي الصغير اقل من موارد السيل الجاري في الوادي الكبير
هذا ان اريد بالاودية ما يسيل فيها اما ان اريد بها معناها الحقيقي فالمعنى سالت مياهها بقدرها لان الاودية على نحو ما عرفته آنفا او يراد بضميرها
مياهها بطريق الاستخدام ويراد بقدرها ما ذكر اولا من المعنيين فاحتمل السيل الجاري في تلك الاودية اي حمل معه زبدا اي غثاء ورغوة وانما
وصف ذلك بقوله تعالى رابيا اي عاليا منتفخا فوقه بيانا لما اريد بالاحتمال المحتمل لكون الحميل غير طاف كالاشجار الثقيلة وانما لم يدفع ذلك الاحتمال
بان يقال فاحتمل السيل فوقه للايذان بان تلك الفوقية مقتضى شأن الزبد لا من جهة المحتمل تحقيقا للمماثلة بينه وبين ما مثل به من الباطل الذي شأنه
الظهور في بادي الرأي من غير مداخلة في الحق ومما يوقدون عليه في النار اي يفعلون الايقاد عليه كائنا في النار والضمير للناس اضمر مع عدم
سبق الذكر لظهوره وقرئ بالخطاب ابتغاء حلية او متاع اي لطلب اتخاذ حلية وهي ما يتزين ويتجمل به كالحلي المتخذة من الذهب والفضة او
اتخاذ متاع وهي ما يتمتع به من الاواني والآلات المتخذة من الرصاص والحديد وغير ذلك من الفلزات زبد خبث مثله مثل ما ذكر من زبد الماء في
كونه رابيا فوقه فقوله زبد مبتدأ خبره الظرف المقدم ومن ابتدائية دالة على مجرد كونه مبتدئا وناشئا منه لا تبعيضية معربة عن كونه بعضا منه كما
قيل لاخلال ذلك بالتمثيل وفي التعبير عن ذلك بالموصول والتعرض لما في حيز الصلة من ايقاد النار عليه جري على سنن الكبرياء باظهار التهاون به كما في قوله
تعالى فاوقد لي يا هامان على الطين واشارة الى كيفية حصول الزبد منه بذوبانه وفي زيادة في النار اشعار بالمبالغة في الاعتمال للاذابة وحصول
الزبد كما يشير اليه وعدم التعرض لاخراجه من الارض لعدم دخل ذلك العنوان في التمثيل كما ان لعنوان انزال الماء من السماء دخلا فيه حسبما فصل فيما
سلف بل له اخلال بذلك كذلك اي مثل ذلك الضرب البديع المشتمل على نكت رائقة يضرب الله الحق والباطل اي مثل الحق ومثل الباطل والحذف للانباء
عن كمال التماثل بين الممثل والممثل به كان المثل المضروب عين الحق والباطل وبعد تحقيق التمثيل مع الايماء في تضاعيف ذلك الى وجوه المماثلة على
ابدع وجوه وانهاها حسبما اشير اليه في مواقعها بين عاقبة كل من الممثلين على وجه التمثيل مع التصريح ببعض ما به المماثلة من الذهاب والبقاء تتمة للغرض
من التمثيل من الحث على اتباع الحق الثابت والردع عن الباطل الزائل فقيل فاما الزبد من كل منهما فيذهب جفاء اي مرميا به وقرئ جفالا والمعنى
واحد واما ما ينفع الناس منهما كالماء الصافي والفلز الخالص فيمكث في الارض اما الماء فيثبت بعضه في منافعه ويسلك بعضه في عروق الارض
الى العيون والقنى والآبار واما الفلز فيصاغ من بعضه انواع الحلي ويتخذ من بعضه اصناف الآلات والادوات فينتفع بكل من ذلك انواع الانتفاع مدة
طويلة فالمراد بالمكث في الارض ما هو اعم من المكث في نفسها ومن البقاء في ايدي المتقلبين فيها وتغيير ترتيب اللف الواقع في الفذلكة الموافق للترتيب الواقع
في التمثيل لمراعاة الملاءمة بين حالتي الذهاب والبقاء وبين ذكرهما فان المعتبر انما هو بقاء الباقي بعد ذهاب الذاهب لا قبله كذلك يضرب الله اي مثل
ذلك الضرب العجيب يضرب الامثال في كل باب اظهارا لكمال اللطف والعناية في الارشاد والهداية وفيه تفخيم لشأن هذا التمثيل وتأكيد لقوله كذلك
يضرب الله الحق والباطل اما باعتبار ابتناء هذا على التمثيل الاول او بجعل ذلك اشارة اليهما جميعا وبعد ما بين شأن كل من الحق والباطل حالا ومآلا
اكمل بيان شرع في بيان حال اهل كل منهما مآلا تكميلا للدعوة ترغيبا وترهيبا فقيل للذين استجابوا لربهم اذ دعاهم الى الحق بفنون الدعوة التي من
جملتها ضرب الامثال فانه الطف ذريعة الى تفهيم القلوب الغبية واقوى وسيلة الى تسخير النفوس الابية كيف لا وهو تصوير للمعقول بصورة المحسوس وابراز
لأوابد المعاني في هيئة المأنوس فاي دعوة اولى منه بالاستجابة والقبول الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا له وعاندوا الحق الجلي لو
ان لهم ما في الارض من اصناف الاموال جميعا بحيث لم يشذ منه شاذ في اقطارها او مجموعا غير متفرق بحسب الازمان ومثله معه لافتدوا به اي بما في الارض
ومثله معه جميعا ليتخلصوا عما بهم وفيه من تهويل ما يلقاهم ما لا يحيط به البيان فالموصول مبتدأ والشرطية كما هي خبره لكن لا على انها وضعت موضع السوأى
فوقعت في مقابلة الحسنى الواقعة في القرينة الاولى لمراعاة حسن المقابلة فصار كانه قيل وللذين لم يستجيبوا له السوأى كما توهم فان الشرطية وان دلت
على كمال سوء حالهم لكنها بمعزل من القيام مقام لفظ السوأى مصحوبا باللام الداخلة على الموصول او ضميره وعليه يدور حصول المرام وانما الواقع في تلك
المقابلة سوء الحساب في قوله تعالى اولئك لهم سوء الحساب وحيث كان اسم الاشارة الواقع مبتدأ في هذه الجملة عبارة عن الموصول الواقع مبتدأ في الجملة التي قبلها كان
خبرها اعني الجملة الظرفية خبرا عن الموصول في الحقيقة ومبينا لابهام مضمون الشرطية الواقعة خبرا عنه اولا ولذلك ترك العطف فصار كانه قيل والذين لم

يستجيبوا له لهم سوء الحساب وذلك في قوة أن يقال وللذين لم يستجيبوا سوء الحساب مع زيادة تأكيد فتم حسن المقابلة على أبلغ وجه وآكده ثم بين مؤدي ذلك فقيل
ومأواهم أي مرجعهم جهنم وفيه نوع تأكيد لتفسير الحسنى بالجنة وبئس المهاد أي المستقر والمخصوص بالذم محذوف وقيل اللام في قوله تعالى للذين استجابوا لربهم متعلقة
بقوله يضرب الله الأمثال أي الأمثال اللائقة وقوله الحسنى صفة للمصدر أي استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله والذين لم يستجيبوا له معطوف على الموصول وقوله لو أن لهم الخ
كلام مستأنف مسوق لبيان ما أعد لغير المستجيبين والكافرين المعاندين أي هما مثلا الفريقين وأنت خبير بأن عنوان الاستجابة وعدمها لا مناسبة بينه وبين ما
يدور عليه أمر التمثيل وأن الاستعمال المستفيض دخول اللام على من يقصد تذكيره بالمثل نعم قد يستعمل في هذا المعنى أيضا كما في قوله سبحانه ضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة
فرعون ونظائره على أن بعض الأمثال المضروبة لا سيما المثل الأخير الموصول بالكلام ليس مثل الفريقين بل هو مثل الحق والباطل ولا مساغ لجعل الفريقين مضروبا
لهم أيضا بأن يجعل في حكم أن يقال كذلك يضرب الله الأمثال للناس إذ لا وجه حينئذ لتنويعهم إلى المستجيبين وغير المستجيبين فتأمل أفمن يعلم أنما أنزل إليك من
ربك من القرآن الذي مثل بالماء المنزل من السماء والإبريز الخالص في المنفعة والجدوى الحق الذي لا حق وراءه أو الحق الذي أشير إليه بالأمثال المضروبة
فيستجيب له كمن هو أعمى عمي القلب لا يشاهده وهو نار على علم ولا يقدر قدره وهو في أقصى مراتب العلو والعظم فيبقى حائرا في ظلمات الجهل وغياهب الضلال
أو لا يتذكر بما ضرب من الأمثال أي كمن لا يعلم ذلك إلا أنه أريد زيادة تقبيح حاله فعبر عنه بالأعمى وإيراد الفاء بعد الهمزة لتوجيه الإنكار إلى ترتيب توهم
المماثلة على ظهور حال كل منهما بما ضرب من الأمثال وبين المصير والمآل كأنه قيل أبعد ما بين حال كل من الفريقين ومآلهما يتوهم المماثلة بينهما ثم استؤنف
فقيل إنما يتذكر بما ذكر من المذكرات فيقف على ما بينهما من التفاوت والتنائي أولوا الألباب أي العقول الخالصة المبرأة من مشايعة الإلف ومعارضة الوهم
الذين يوفون بعهد الله بما عقدوا على أنفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى وما عهد الله عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه على أنفسهم
وقبلوه من الإيمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص وفيه تأكيد للاستمرار المفهوم من صيغة المستقبل والذين يصلون ما
أمر الله به أن يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والإيمان بجميع الأنبياء المجمعين على الحق من غير تفريق بين أحد منهم ويندرج فيه مراعاة جميع حقوق الناس بل حقوق
كل ما يتعلق بهم من الهرة والدجاج ويخشون ربهم خشية جلال وهيبة ورهبة فلا يعصونه في ما أمر به ويخافون سوء الحساب فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا وفيه
دلالة على كمال فظاعته حسبما ذكر فيما قبل والذين صبروا على ما تكرهه النفس من الأفعال والتروك ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه خاصة من أن ينظروا إلى جانب
الخلق رياء أو سمعة ولا إلى جانب النفس زينة وعجبا وحيث كان الصبر على الوجه المذكور ملاك الأمر في كل ما ذكر من الصلات السابقة واللاحقة أورد على صيغة
الماضي اعتناء بشأنه ودلالة على وجوب تحققه فإن ذلك مما لا بد منه إما في نفس الصلات كما في ما عدا الأولى والرابعة والخامسة أو في إظهار أحكامها كما في
الصلات الثلاث المذكورات فإنها وإن استغنت عن التصبر في أنفسها حيث لا مشقة على النفس في الاعتراف بالربوبية والخشية والخوف لكن إظهار أحكامها وإجراء
موجبها غير خال عن الاحتياج إليه وأقاموا الصلوة المفروضة وأنفقوا مما رزقناهم أي بعضه الذي يجب عليهم إنفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال أو لمن لا يتهم
بترك الزكوة أو عند إنفاقه وإعطائه من تمنعه المروءة من أخذه ظاهرا وعلانية لمن لم يكن كما ذكر أو الأول في التطوع والثاني في الفرض ويدرؤون بالحسنة السيئة
أي يجازون الإساءة بالإحسان أو يتبعون السيئة الحسنة فتمحوها عن ابن عباس رضي الله عنهما يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم وعن
الحسن إذا حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفوا وإذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان إذا أذنبوا تابوا وقيل إذا رأوا منكرا أمروا بتغييره وتقديم المجرور على
المنصوب لإظهار كمال العناية بالحسنة أولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة والملكات الجميلة وهو مبتدأ خبره الجملة الظرفية أعني قوله تعالى لهم عقبى الدار أي عاقبة الدنيا وما
ينبغي أن يكون مآل أهلها وهي الجنة وقيل الجار والمجرور خبر لأولئك وعقبى الدار فاعل الاستقرار وأيا ما كان فليس فيه قصر حتى يرد أن بعض ما في حيز الصلة ليس من
العزائم التي يخل إخلالها بالوصول إلى حسن العاقبة والجملة خبر للموصولات المتعاطفة أو استئناف لبيان ما استوجبوا بتلك الصفات إن جعلت الموصولات المتعاطفة
صفات لأولي الألباب على طريقة المدح من غير أن يقصد أن يكون للصلات المذكورة مدخل في التذكر جنات عدن بدل من عقبى الدار أو مبتدأ خبره يدخلونها والعدن
الإقامة ثم صار علما لجنة من الجنان أي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم جمع أبوي كل واحد منهم فكأنه قيل من آبائهم وأمهاتهم وأزواجهم
وذرياتهم هو عطف على المرفوع في يدخلون وإنما ساغ ذلك للفصل بالضمير الآخر أو مفعول معه والمعنى أنه يلحق بهم من صلح من أهلهم وإن لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا
لهم تعظيما لشأنهم وهو دليل على أن الدرجة تعلو بالشفاعة أو أن الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة
في أنسهم وفي التقييد بالصلاح قطع للأطماع الفارغة لمن يتمسك بمجرد حبل الأنساب والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من أبواب المنازل أو من أبواب الفتوح و
التحف قائلين سلام عليكم بشارة لهم بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم أو بمحذوف أي هذه الكرامة العظمى بما صبرتم أي بسبب صبركم أو بدل ما احتملتم

من مشاق الصبر ومتاعبه والمعنى لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الساعة وتخصيص الصبر بالذكر من بين الصلات لما قدمناه من أن له دخلا في كل منها ومزية
زائدة من حيث إنه ملاك الأمر في كل منها وإن شيئا منها لا يعتد به إلا أن يكون لابتغاء وجه الرب تعالى وتقدس فنعم عقبى الدار أي فنعم عقبى الدار الجنة وقرئ
بفتح النون والأصل نعم فسكن العين بنقل حركتها إلى النون تارة وبدونه أخرى وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول
سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وكذا عن الخلفاء الأربعة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين والذين ينقضون عهد الله أريد بهم من يقابل الأولين ويعاندهم في
الاتصاف بنقائض صفاتهم من بعد ميثاقه من بعد ما أوثقوه من الاعتراف والقبول ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل من الإيمان بجميع الأنبياء المجمعين على الحق حيث يؤمنون
ببعضهم ويكفرون ببعضهم ومن حقوق الأرحام وموالاة المؤمنين وغير ذلك مما لا يراعون حقوقه من الأمور المعدودة فيما سلف وإنما لم يتعرض لنفي الخشية والخوف
عنهم صريحا لدلالة النقض والقطع على ذلك وأما عدم التعرض لنفي الصبر المذكور فلأنه إنما اعتبر تحققه في ضمن الحسنات المعدودة ليقع معتدا به فلا وجه لنفيه
عمن بينه وبين الحسنات بعد المشرقين كما لا وجه لنفي الصلوة والزكوة ممن يحوم حول أصل الإيمان بالله تعالى فضلا عن فروع الشرائع وإن أريد بالإنفاق التطوع فنفيه
مندرج تحت قطع ما أمر الله تعالى به أن يوصل وأما درء السيئة بالحسنة فانتفاؤه عنهم ظاهر مما يتلوه وحق فإن من يجازي إحسانه عز وجل بنقض العهد ومخالفة الأمر
ويباشر الفساد حسبما يحكيه قوله عز وعلا ويفسدون في الأرض أي بالظلم وتهييج الفتن كيف يتصور منه مجازاة الإساءة بالإحسان على أن ذلك يشعر بأن له دخلا
في الإفضاء إلى العقوبة التي ينبئ عنها قوله تعالى أولئك إلى آخره أي أولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح لهم بسبب ذلك اللعنة أي الإبعاد من رحمة الله تعالى ولهم مع ذلك
سوء الدار أي سوء عاقبة الدنيا أو عذاب جهنم فإنها دارهم لأن ترتيب الحكم على الموصول مشعر بعلية الصلة له ولا يخفى أنه لا دخل له في ذلك على أكثر التفاسير
فإن مجازاة السيئة بمثلها مأذون فيها ودفع الكلام السيئ بالحسن وكذا الإعطاء عند المنع والعفو عند الظلم والوصل عند القطع ليس مما يورث تركه تبعة وأما
ما اعتبر اندراجه تحت الصلة الثانية من الإخلال ببعض الحقوق المندوبة فلا ضير في ذلك لأن اعتباره من حيث إنه من مستتبعات الإخلال بالعزائم بالكفر ببعض الأنبياء
وعقوق الوالدين وترك سائر الحقوق الواجبة وتكرير لهم للتأكيد والإيذان باختلافهما واستقلال كل منهما في الثبوت الله يبسط الرزق أي يوسعه لمن
يشاء من عباده ويقدر أي يضيقه على من يشاء حسبما تقتضيه الحكمة من غير أن يكون لأحد مدخل في ذلك ولا شعور بحكمته فربما يبسط للكافر إملاء واستدراجا وربما
يضيقه على المؤمن زيادة لأجره فلا تغتر ببسطه الكافر كما لا يقنط بقدره المؤمن وفرحوا أي أهل مكة فرح أشر وبطر لا فرح سرور بفضل الله تعالى بالحيوة الدنيا
وما بسط لهم فيها من نعيمها وما الحيوة الدنيا وما يتبعها من النعيم في الآخرة في جنب نعيم الآخرة إلا متاع إلا شيء نزر يتمتع به كعجالة الراكب وزاد الراعي
والمعنى أنهم رضوا بحظ الدنيا معرضين عن نعيم الآخرة والحال أن ما أشروا به في جنب ما أعرضوا عنه شيء قليل النفع سريع النفاد ويقول الذين كفروا
أي أهل مكة وإيثار هذه الطريقة على الإضمار مع ظهور إرادتهم عقيب ذكر فرحهم بالحيوة الدنيا لذمهم والتسجيل عليهم بالكفر فيما حكي عنهم من قولهم لولا أنزل
عليه آية من ربه فإن ذلك في أقصى مراتب المكابرة والعناد كأن ما أنزل عليه عليه السلام من الآيات العظام الباهرة ليس بآية حتى اقترحوا ما لا تقتضيه الحكمة
من الآيات المحسوسة التي لا يبقى لأحد بعد ذلك طاقة بعدم القبول ولذلك أمر في الجواب بقوله تعالى قل إن الله يضل من يشاء إضلاله مشيئة تابعة للحكمة الداعية
إليها أي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره إلى تحصيله ويدعه منهمكا فيه لعلمه بأنه لا ينجع فيه اللطف ولا ينفعه الإرشاد كمن كان على صفتكم في المكابرة والعناد
وشدة الشكيمة والغلو في الفساد فلا سبيل له إلى الاهتداء ولو جاءته كل آية ويهدي إليه أي إلى جنابه العلي الكبير هداية موصلة إليه لا دلالة مطلقة على ما يوصل
إليه فإن ذلك غير مختص بالمهتدين وفي تشريفهم ما لا يوصف من أناب أقبل إلى الحق وتأمل في تضاعيف ما نزل من دلائله الواضحة وحقيقة الإنابة الدخول في نوبة
الخير وإيثار إيراد ما في الصلة على إيراد المشيئة كما في الصلة الأولى للتنبيه على الداعي إلى الهداية بل إلى مشيئتها والإشعار بما دعا إلى المشيئة الأولى من المكابرة
وفيه حث للكفرة على الإقلاع عما هم عليه من العتو والعناد وإيثار صيغة الماضي للإيماء إلى استدعاء الهداية لسابقة الإنابة كما أن إيثار صيغة المضارع في
الصلة الأولى للدلالة على استمرار المشيئة حسب استمرار مكابرتهم الذين آمنوا بدل من أناب فإن أريد بالهداية الهداية المستمرة فالأمر ظاهر لظهور كون الإيمان
مؤديا إليها وإن أريد إحداثها فالمراد بالذين آمنوا الذين صار أمرهم إلى الإيمان كما في قوله تعالى هدى للمتقين أي الصائرين إلى التقوى وإلا فالإيمان لا يؤدي إلى
الهداية نفسها أو خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين آمنوا أو منصوب على المدح وتطمئن قلوبهم أي تسكن وتستقر بذكر الله بكلامه المعجز الذي لا ريب فيه كقوله
وهذا مبارك أنزلناه وقوله تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ويعلمون أن لا آية أعظم منه فيقترحوها والعدول إلى صيغة المضارع لإفادة دوام
الاطمئنان وتجدده حسب تجدد الآيات وتعددها ألا بذكر الله وحده تطمئن القلوب دون غيره من الأمور التي تميل إليها النفوس من الدنيويات وهذا ظاهر أما
سائر المعجزات فالقصر من حيث إنها ليست في إفادة الطمأنينة بالنسبة إلى من لم يشاهدها بمثابة القرآن المجيد فإنه معجزة باقية إلى يوم القيمة يشاهدها كل أحد

وتطمئن به القلوب كافة وفيه اشعار بان الكفرة ليست لهم قلوب وافئدة حيث لم يطمئنوا بذكر الله تعالى ولم يعدوه آية وهو اظهر الآيات وابهرها وقيل تطمئن
قلوبهم بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته تعالى كقوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او بذكر دلائله الدالة على وحدانيته او بذكره
جل وعلا انسا به وتبتلا اليه فالمراد بالهداية دوامها واستمرارها الذين آمنوا وعملوا الصالحات بدل من القلوب على حذف المضاف بدل الكل حسبما رمز اليه اي
قلوب الذين آمنوا وفيه ايماء الى ان الانسان انما هو القلب او مبتدأ خبره الجملة الدعائية على التأويل اعني قوله تعالى طوبى لهم او خبر مبتدأ مضمر او نصب على المدح
فطوبى لهم حال عاملها الفعلان وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى والواو منقلبة من الياء كموقن وموسر وقرئ طوبى بكسر الطاء لتسلم الياء والمعنى
اصابوا خيرا ومحلها النصب كسلاما لك او الرفع على الابتداء وان كانت نكرة لكونها في معنى الدعاء كسلام عليك يدل على ذلك القراءة في قوله تعالى وحسن مآب
بالنصب والرفع واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك كذلك مثل ذلك الارسال العظيم الشأن المصحوب بهذه المعجزة الباهرة ارسلناك في امة قد خلت اي مضت
من قبلها امم كثيرة قد ارسل اليهم رسل لتتلو لتقرأ عليهم الذي اوحينا اليك من الكتاب العظيم الشأن وتهديهم الى الحق رحمة لهم وتقديم المجرور على المنصوب من
قبيل الابهام ثم البيان كما في قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك وفيه ما لا يخفى من ترقب النفس الى ما سيرد وحسن قبولها له عند وروده عليها وهم اي والحال انهم يكفرون
بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت كل شيء رحمته واحاطت به نعمته والعدول الى المظهر المتعرض لوصف الرحمة من حيث ان الارسال ناشئ منها كما قال تعالى وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين فلم يقدروا قدرها ولم يشكروا نعمها لا سيما ما انعم به عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن الذي هو مدار المنافع الدينية و
الدنيوية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين امروا بالسجود فقالوا وما الرحمن قل هو اي الرحمن الذي كفرتم به وانكرتم معرفته ربي الرب في الاصل بمعنى
التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به مبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت اي خالقي ومبلغي الى مراتب الكمال وايراده قبل قوله
لا اله الا هو اي لا مستحق للعبادة سواه تنبيه على ان استحقاق العبادة منوط بالربوبية وقيل ان اباجهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فرجع
الى المشركين فقال ان محمدا يدعو الهين فنزلت ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الآية عليه توكلت في جميع اموري لا سيما في النصرة عليكم لا على احد
سواه واليه خاصة متاب اي توبتي كقوله تعالى واستغفر لذنبك امر عليه السلام بذلك ابانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله تعالى وانها صفة الانبياء وبعثا
للكفرة على الرجوع عما هم عليه بابلغ وجه والطفه فانه عليه السلام حيث امر بها وهو منزه عن شائبة اقتراف ما يوجبها من الذنب وان قل فتوبتهم وهم عاكفون
على انواع الكفر والمعاصي مما لا بد منه اصلا وقد فسر المتاب بمطلق الرجوع فقيل مرجعي ومرجعكم وزيد فيحكم بيني وبينكم وقد قيل فيثيبني على مصابرتكم
فتأمل ولو ان قرآنا اي قرآنا ما وهو اسم ان والخبر قوله تعالى سيرت به الجبال وجواب لو محذوف لانسياق الكلام اليه بحيث يتلقفه السامع من التالي والمقصود
اما بيان عظم شان القرآن العظيم وفساد رأي الكفرة حيث لم يقدروا قدره العلي ولم يعدوه من قبيل الآيات فاقترحوا غيره مما اوتي موسى وعيسى عليهما السلام واما
بيان غلوهم في المكابرة والعناد وتماديهم في الضلال والفساد فالمعنى على الاول ولو ان قرآنا سيرت به الجبال اي بانزاله او بتلاوته عليها وزعزعت عن
مقارها كما فعل ذلك بالطور لموسى عليه السلام او قطعت به الارض اي شققت وجعلت انهارا او عيونا كما فعل بالحجر حين ضربه عليه السلام بعصاه او جعلت قطعا متصدعة
او كلم به الموتى اي بعد ان احيي بقراءته عليها كما احييت لعيسى عليه السلام لكان ذلك هذا القرآن لكونه الغاية القصوى في الانطواء على عجائب آثار قدرة الله تعالى وهيبته
عز وجل كقوله تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله لا في الاعجاز اذ لا مدخل له في هذه الآثار ولا في التذكير والانذار والتخويف
لاختصاصها بالعقلاء مع انه لا علاقة لها بتكليم الموتى واعتبار فيض العقول اليها مخل بالمبالغة المقصودة وتقديم المجرور في المواضع الثلاثة على المرفوع لما مر
غير مرة من قصد الابهام ثم التفسير لزيادة التقرير لان بتقديم ما حقه التأخير تبقى النفس مستشرفة ومترقبة الى المؤخر انه ماذا فيتمكن عند وروده عليها
فضل تمكن وكلمة او في الموضعين لمنع الخلو لا لمنع الجمع واقتراحهم وان كان متعلقا بمجرد ظهور مثل هذه الافاعيل العجيبة على يده عليه السلام لا بظهورها بواسطة
القرآن لكن ذلك حيث كان مبنيا على عدم اشتماله في زعمهم على الخوارق نيط ظهورها به مبالغة في بيان اشتماله عليها وانه حقيق بان يكون مصدرا لكل خارق
وابانة لركاكة رأيهم في شان الرفيع كأنه قيل لو ان ظهور امثال ما اقترحوه من مقتضيات الحكمة لكان مظهرها هذا القرآن الذي لم يعدوه آية وفيه من تفخيم
شانه العزيز ووصفهم بركاكة العقل ما لا يخفى بل لله الامر جميعا اي له الامر الذي عليه يدور فلك الاكوان وجودا وعدما يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لما يدعو اليه
من الحكم البالغة وهو اضراب عما تضمنته الشرطية من معنى النفي لا بحسب منطوقه بل باعتبار موجبه ومؤداه اي لو ان قرآنا فعل به ما ذكر لكان ذلك هذا القرآن
ولكن لم يفعل بل فعل ما عليه الشأن الآن لان الامر كله له وحده فالاضراب ليس بمتوجه الى كون الامر لله سبحانه بل الى ما يؤدي اليه ذلك من كون الشأن على
ما كان لما تقتضيه الحكمة من بناء التكليف على الاختيار افلم ييأس الذين آمنوا اي افلم يعلموا على لغة هوازن او قوم من النخع او على استعمال اليأس في معنى العلم لتضمنه

له ويؤيده قراءة علي وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين افلم يتبين بطريق التفسير والفاء للعطف على مقدر اي اغفلوا
عن كون الامر جميعا لله تعالى فلم يعلموا ان لو يشاء الله على حذف ضمير الشأن وتخفيف ان لهدى الناس جميعا باظهار امثال تلك الآثار العظيمة فالانكار متوجه الى
المعطوفين جميعا او أعلموا كون الامر جميعا لله فلم يعلموا ما يوجبه ذلك العلم مما ذكر فهو متوجه الى ترتب المعطوف على المعطوف عليه اي تخلف العلم الثاني عن العلم الاول
وعلى التقديرين فالانكار انكار الوقوع كما في قوله تعالى الم يعدكم ربكم وعدا حسنا لا انكار الواقع كما في قولك الم تخف الله حتى عصيته ثم ان مناط الانكار ليس عدم
علمهم بمضمون الشرطية فقط بل مع عدم علمهم بعدم تحقق مقدمها كأنه قيل الم يعلموا ان الله تعالى لو شاء هدايتهم لهداهم وانه لم يشأها وذلك لانهم كانوا يودون
ان يظهر ما اقترحوا من الآيات ليجتمعوا على الايمان وعلى الثاني لو ان القرآن فعل به ما فصل من التعاجيب لما آمنوا به كقوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم
الموتى الآية فالاضراب حينئذ متوجه الى ما سلف من اقتراحهم مع كونهم في العناد على ما شرح اي فليس لهم ذلك بل لله الامر جميعا ان شاء اتى بما اقترحوا وان
لم يأت به حسبما يستدعيه داعية الحكمة من غير ان يكون لاحد عليه تحكم او اقتراح واليأس بمعنى القنوط اي الم يعلم الذين آمنوا حالهم هذه فلم يقنطوا من الايمان
حتى احبوا ظهور مقترحاتهم فالانكار متوجه الى المعطوفين او اعلموا ذلك فلم يقنطوا من ايمانهم فهو متوجه الى وقوع المعطوف بعد المعطوف عليه اي تخلف
القنوط عن العلم المذكور والانكار على التقديرين الواقع كما في قوله تعالى افلا تتقون ونظائره لا انكار الوقوع فان عدم قنوطهم منه مما لا مرد له وقوله
تعالى ان لو يشاء الله الخ متعلق بمحذوف اي افلم ييأسوا من ايمانهم علما منهم وعالمين بانه لو يشاء الله لهدى الناس جميعا وانه لم يشأ ذلك او بآمنوا اي
افلم يقنط الذين آمنوا بان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا على معنى افلم ييأس من ايمانهم المؤمنون بمضمون الشرطية وبعدم تحقق مقدمها المفهوم من مكابرتهم
حسبما تحكيه كلمة لو فالوصف المذكور من دواعي انكار يأسهم وقيل ان اباجهل واضرابه قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا سير بقرآنك الجبال
عن مكة حتى تتسع لنا ونتخذ فيها البساتين والقطائع وقد سخرت لداود فلست باهون على الله منه ان كنت نبيا كما زعمت او سخر لنا به الريح كما سخرت لسليمان
عليه السلام لنتجر عليها الى الشام فقد شق علينا قطع الشقة البعيدة او ابعث لنا به رجلين او ثلاثة ممن مات من آبائنا فنزلت فمعنى تقطيع الارض حينئذ قطعها
بالسير ولا حاجة حينئذ الى الاعتذار في اسناد الافاعيل المذكورة الى القرآن كما احتيج اليه في الوجهين الاولين وعن الفراء انه متعلق بما قبله من قوله وهم يكفرون
بالرحمن وما بينهما اعتراض وهو بالحقيقة دال على الجواب والتقدير ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى لكفروا بالرحمن
والتذكير في كلم بالموتى لتغليب المذكر من الموتى على غيره ولا يزال الذين كفروا من اهل مكة تصيبهم بما صنعوا اي بسبب ما صنعوه من الكفر والتمادي فيه وعدم
بيانه اما للقصد الى تهويله او استهجانه وهو تصريح بما اشعر به بناء الحكم على الموصول من علية الصلة له مع ما في صيغة الصنع من الايذان برسوخهم في ذلك قارعة
داهية تقرعهم وتقلقهم وهو ما كان يصيبهم من انواع البلايا والمصائب من القتل والاسر والنهب والسلب وتقديم المجرور على الفاعل لما مر مرارا من ارادة
التفسير اثر الابهام لزيادة التقرير والاحكام مع ما فيه من بيان ان مدار الاصابة من جهتهم اثر ذي اثير او تحل تلك القارعة قريبا اي مكانا قريبا من دارهم
فيفزعون منها ويتطاير اليهم شرارها شبهت القارعة بالعدو المتوجه اليهم فاسند اليها الاصابة تارة والحلول اخرى ففيه استعارة بالكناية
وتخييل وترشيح حتى يأتي وعد الله اي موتهم او القيامة فان كلا منهما وعد محتوم لا مرد له وفيه دلالة على ان ما يصيبهم عند ذلك من العذاب في غاية الشدة
وان ما ذكر سابقا نفحة يسيرة بالنسبة اليه ثم حقق ذلك بقوله تعالى ان الله لا يخلف الميعاد اي الوعد كالميلاد والميثاق بمعنى الولادة والتوثقة لاستحالة
ذلك على الله سبحانه وقال ابن عباس رضي الله عنهما اراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها وكانوا بين اغارة و
اختطاف وتخويف بالهجوم عليهم في ديارهم فالاصابة والحلول حينئذ من احوالهم ويجوز على هذا ان يكون قوله تعالى او تحل قريبا من دارهم خطابا
للرسول صلى الله عليه وسلم مرادا به حلوله الحديبية والمراد بوعد الله تعالى ما وعده من فتح مكة ولقد استهزئ برسل كثيرة خلت من قبلك فامليت
للذين كفروا اي تركتهم ملاوة من الزمان في امن ودعة كما يملى للبهيمة في المرعى وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما لقي من المشركين
من التكذيب والاقتراح على طريقة الاستهزاء به ووعيد لهم والمعنى ان ذلك ليس مختصا بك بل هو امر مطرد قد فعل ذلك برسل كثيرة كائنة من قبلك
فامهلت الذين فعلوه بهم والعدول في الصلة الى وصف الكفر ليس للمستهزئين لان المملى لهم غير المستهزئين بل لارادة الجمع بين الوصفين اي فامليت
للذين كفروا مع استهزائهم لا باستهزائهم فقط ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اي عقابي اياهم وفيه من الدلالة على تناهي كيفيته في الشدة والفظاعة
ما لا يخفى افمن هو قائم اي رقيب مهيمن على كل نفس كائنة من كانت بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه شيء من ذلك بل يجازي كلا بعمله وهو الله سبحانه
والخبر محذوف اي كمن ليس كذلك انكارا لذلك وادخال الفاء لتوجيه الانكار الى توهم المماثلة غب ما علم مما فعل تعالى بالمستهزئين من الاملاء

المديد والاخذ الشديد ومن كون الامر لله تعالى وكون هداية الناس جميعا منوطة بمشيئته تعالى ومن توارد القوارع على الكفرة الى ان يأتي وعد الله كانه قيل
أأ الامر كذلك فمن هذا شأنه كما ليس في عداد الاشياء حتى تشركوه به فالانكار متوجه الى ترتب المعطوف اعني توهم المماثلة على المعطوف عليه المقدر اعني
كون الامر كما ذكر كما في قولك تعلم الحق فلا تعمل به لا الى المعطوفين جميعا كما اذا قلت الا تعلم ولا تعمل به وقوله تعالى **وجعلوا لله شركاء** جملة مستقلة جيء بها للدلالة على الخبر
او حالية اي افمن هذه صفاته كما ليس كذلك وقد جعلوا له شركاء لا شريكا واحدا او معطوفة على الخبر ان قدر ما يصلح لذلك اي افمن هذا شأنه لم يوحدوه
وجعلوا له شركاء ووضع المظهر موضع المضمر للتنصيص على وحدانيته ذاتا واسما وللتنبيه على اختصاصه باستحقاق العبادة مع ما فيه من البيان بعد الابهام
بايراده موصولا للدلالة على التفخيم وقوله تعالى **قل سموهم** تبكيت لهم اثر تبكيت اي سموهم من هم وما ذا اسماؤهم او صفوهم وانظروا هل لهم ما يستحقون
به العبادة ويستاهلون الشركة **ام تنبئونه** اي بل اتنبئون الله **بما لا يعلم في الارض** اي بشركاء مستحقين للعبادة لا يعلمهم الله تعالى ولا يعزب عنه مثقال
ذرة في السموات والارض وقرئ بالتخفيف **ام بظاهر من القول** بل اتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير ان يكون له معنى وحقيقة كتسمية الزنجي كافورا كقوله
تعالى ذلك قولهم بافواههم وهاتيك الاساليب البديعة التي وردت عليها الاية الكريمة منادية على انها خارجة عن قدرة البشر من كلام خلاق القوى والقدر
فتبارك الله رب العالمين **بل زين للذين كفروا** وضع الموصول موضع المضمر ذما لهم وتسجيلا عليهم بالكفر **مكرهم** تمويههم الاباطيل او كيدهم للاسلام بشركهم **و**
صدوا عن السبيل اي سبيل الحق من صده صدا وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال اليها وقرئ بفتحها اي صدوا الناس او من صد صدودا **ومن يضلل**
الله اي يخلق فيه الضلال بسوء اختياره او يخذله **فما له من هاد** يوفقه للهدى **لهم عذاب** شاق **في الحيوة الدنيا** بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب
فانها انما تصيبهم عقوبة على كفرهم **ولعذاب الاخرة اشق** من ذلك بالشدة والمدة **وما لهم من الله** من عذابيه المذكورين **من واق** من حافظ يعصمهم من ذلك
فمن الاولى صلة للوقاية والثانية مزيدة للتأكيد **مثل الجنة** اي صفتها العجيبة الشأن التي في الغرابة كالمثل **التي وعد المتقون** عن الكفر والمعاصي وهو مبتدأ
خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا عليك مثل الجنة وقوله تعالى **تجري من تحتها الانهار** تفسير لذلك المثل على انه حال من الضمير المحذوف من الصلة العائد
الى الجنة اي وعدها وهو الخبر عند غيره كقولك شأن زيد يأتيه الناس ويعظمونه او على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة تجري الى آخره **اكلها** ثمرها **دائم**
لا ينقطع **وظلها** ايضا كذلك لا تنسخه الشمس كما تنسخ ظلال الدنيا **تلك** الجنة المنعوتة بما ذكر **عقبى الذين اتقوا** الكفر والمعاصي اي مآلهم ومنتهى امرهم **وعقبى**
الكافرين النار لا غير وفيه ما لا يخفى من اطماع المتقين واقناط الكافرين **والذين آتيناهم الكتاب** هم المسلمون من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما
ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة **يفرحون بما انزل اليك** اذ هو الكتاب الموعود في التوراة والانجيل
ومن الاحزاب اي من احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف والسيد والعاقب اسقفي نجران واتباعهما
من ينكر بعضه وهو الشرائع الحادثة انشاء او نسخا لا ما يوافق ما حرفوه والا لنعي عليهم من اول الامر ان مدار ذلك انما هو جنايات ايديهم واما ما يوافق
كتبهم فلم ينكروه وان لم يفرحوا به وقيل يجوز ان يراد بالموصول الاول عامتهم فانهم ايضا يفرحون به لكونه مصداقا لكتبهم في الجملة فحينئذ يكون قوله تعالى
ومن الاحزاب الى آخره تتمة بمنزلة ان يقال ومنهم من ينكر بعضه **قل** الزاما لهم وردا لانكارهم **انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به** اي شيئا من الاشياء
او لا افعل الاشراك والمراد قصر الامر بالعبادة على الله تعالى لا قصر الامر مطلقا على عبادته خاصة اي قل لهم انما امرت فيما انزل الي بعبادة الله وحده ولو
ظاهر انه لا سبيل لكم الى انكاره لاطباق جميع الانبياء والكتب على ذلك كقوله تعالى قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله
ولا نشرك به شيئا فما لكم تشركون به عزيرا والمسيح وقرئ ولا اشرك به بالرفع على الاستيناف اي وانا لا اشرك به **اليه** الى الله تعالى خاصة على النهج المذكور
من التوحيد او الى ما امرت به من التوحيد **ادعوا** الى الله تعالى وحده **واليه مآب** مرجعي للجزاء وحيث كانت هذه الحجة الباهرة لازمة لهم لا يجدون عنها محيصا امر
عليه السلام بان يخاطبهم بذلك الزاما وتبكيتا لهم ثم شرع في رد انكارهم لفروع الشرائع الواردة ابتداء او بدلا من الشرائع المنسوخة ببيان الحكمة في ذلك
فقيل **وكذلك انزلناه** اي ما انزل اليك وذلك اشارة الى مصدر انزلناه او انزل اليك ومحله النصب على المصدرية اي مثل ذلك الانزال البديع المنتظم
لاصول مجمع عليها وفروع متشعبة الى موافقة ومخالفة حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة انزلناه **حكما** حاكما يحكم في القضايا والوقائع بالحق او يحكم به
كذلك والتعرض لذلك العنوان مع ان بعضه ليس بحكم لتربية وجوب مراعاته وتحتم المحافظة عليه **عربيا** مترجما بلسان العرب والتعرض لذلك للاشارة
الى ان ذلك احدى مواد المخالفة للكتب السابقة مع ان ذلك مقتضى الحكمة اذ بذلك يسهل فهمه وادراك اعجازه والاقتصار على اشتمال الانزال على اصول
الديانات المجمع عليها حسبما يفيده قوله تعالى قل انما امرت ان اعبد الله الى آخره يأباه التعرض لاتباع اهوائهم وحديث المحو والاثبات وان لكل اجل كتاب

كتاب فان المجمع عليه لا يتصور فيه الاستتباع والاتباع **ولئن اتبعت اهواءهم** التي يدعونك اليها من تقرير الامور المخالفة لما انزل اليك من الحق كالصلوة
الى بيت المقدس بعد التحويل **بعد ما جاءك من العلم** العظيم الشأن الناقض من ذلك الحكم العربي او العلم بمضمونه **ما لك من الله** من جنابه العزيز والالتفات من
التكلم الى الغيبة وايراد الاسم الجليل لتربية المهابة قال الازهري لا يكون الها حتى يكون معبودا وحتى يكون رازقا ومدبرا **من ولي** يلي امرك وينصرك
على من يبغيك الغوائل **ولا واق** يقيك من مصارع السوء وحيث لم يستلزم نفي الناصر على العدو نفي الواقي من نكايته دخل على المعطوف حرف النفي للتأكيد
كقولك ما لي دينار ولا درهم او ما لك من بأس الله من ناصر ولا واق لاتباعك اهواءهم وامثال هاتيك القوارع انما هي لقطع اطماع الكفرة وتهييج المؤمنين
على الثبات في الدين واللام في لئن موطئة وما لك ساد مسد جوابي الشرط والقسم **ولقد ارسلنا رسلا** كثيرة كائنة **من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية**
نساء واولادا كما جعلناها لك وهو رد لما كانوا يعيبونه صلى الله عليه وسلم بالزواج والاولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول يأكل الطعام الى آخره **وما**
كان لرسول منهم اي ما صح وما استقام ولم يكن في وسعه **ان يأتي بآية** مما اقترح عليه وحكم مما التمس منه **الا باذن الله** ومشيئته المبنية على الحكم والمصالح
التي عليها امر الكائنات لا سيما مثل هذه الامور العظام والالتفات لما قدمناه ولتحقيق مضمون الجملة بالايماء الى العلة **لكل اجل** اي لكل مدة ووقت
من المدد والاوقات **كتاب** حكم معين يكتب على العباد حسبما تقتضيه الحكمة فان الشرائع كلها لاصلاح احوالهم في المبدأ والمعاد ومن قضيته ذلك ان تختلف
حسب اختلاف احوالهم المتغيرة حسب تغير الاوقات كاختلاف العلاج حسب اختلاف احوال المرضى بحسب الاوقات **يمحو الله ما يشاء** اي ينسخ ما يشاء
نسخه من الاحكام لما تقتضيه الحكمة بحسب الوقت **ويثبت** بدله ما فيه المصلحة او يبقيه على حاله غير منسوخ او يثبت ما يشاء اثباته مطلقا اعم منهما ومن الانشاء
ابتداء او يمحو من ديوان الحفظة الذين ديدنهم كتبة كل قول وعمل ما لا يتعلق به الجزاء ويثبت الباقي او يمحو سيئات التائب ويثبت مكانها الحسنة او
يمحو قرونا ويثبت آخرين او يمحو الفاسد من العالم الجسماني ويثبت الكائنات او يمحو الرزق ويزيد فيه او يمحو الاجل والسعادة والشقاوة وبه قال
ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهما والقائلون به يتضرعون الى الله تعالى ان يجعلهم سعداء وهذا رواه جابر رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
والانسب تعميم كل من المحو والاثبات ليشمل الكل ويدخل في ذلك مواد الانكار دخولا اوليا وقرئ بالتشديد **وعنده ام الكتاب** اي اصله وهو اللوح
المحفوظ اذ ما من شيء من الذاهب والثابت الا وهو مكتوب فيه كما هو **واما نرينك** اصله ان نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ومن ثم الحقت
النون بالفعل **بعض الذي نعدهم** اي وعدناهم من انزال العذاب عليهم والعدول الى صيغة المضارعة لحكاية الحال الماضية او نعدهم وعدا متجددا
حسبما تقتضيه الحكمة من انذار غب انذار وفي ايراد البعض رمز الى اراءة بعض الموعود **او نتوفينك** قبل ذلك **فانما عليك البلاغ** اي تبليغ احكام الرسالة
بتمامها لا تحقيق مضمونها الذي من جملتها **وعلينا** لا عليك **الحساب** محاسبة اعمالهم السيئة والمؤاخذة بها اي كيف ما دارت الحال
اريناك بعض ما وعدناهم من العذاب الدنيوي او لم نرك فعلينا ذلك وما عليك الا تبليغ الرسالة فلا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك
من الظفر ولا يضجرك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح الخفية ثم طيب نفسه عليه السلام بطلوع تباشيره فقال **اولم يروا** استفهام انكاري والواو
للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي انكروا نزول ما وعدناهم او شكوا او لم ينظروا في ذلك ولم يروا **انا نأتي الارض** اي ارض الكفر **ننقصها من اطرافها**
بان نفتحها على المسلمين شيئا فشيئا ونلحقها بدار الاسلام ونذهب منها اهلها بالقتل والاسر والاجلاء أليس هذا من ذلك ومثله قوله عز سلطانه
افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون وقوله ننقصها حال من فاعل نأتي او من مفعوله وقرئ ننقصها بالتشديد وفي لفظ الاتيان
المؤذن بالاستيلاء المحتوم والاستيلاء العظيم من الفخامة ما لا يخفى كما في قوله عز وجل وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا **والله يحكم**
ما يشاء كما يشاء وقد حكم للاسلام بالعزة والاقبال وعلى الكفر بالذلة والادبار حسبما يشاهد من المخايل والآثار وفي الالتفات من التكلم الى الغيبة
وبناء الحكم على الاسم الجليل من الدلالة على الفخامة وتربية المهابة وتحقيق مضمون الخبر بالاشارة الى العلة ما لا يخفى وهي جملة اعتراضية جيء بها لتأكيد
فحوى ما تقدمها وقوله تعالى **لا معقب لحكمه** اعتراض في اعتراض لبيان علو شأن حكمه جل جلاله وقيل نصب على الحالية كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول
جاء زيد لا عمامة على رأسه اي حاسرا والمعقب من يكر على الشيء فيبطله وحقيقته من يعقبه ويقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه
يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب **وهو سريع الحساب** فعما قليل يحاسبهم ويجازيهم في الآخرة بافانين العذاب بعدما عذبهم بالقتل والاسر والاجلاء
في الدنيا حسبما يرى وقال ابن عباس رضي الله عنهما سريع الانتقام **وقد مكر الذين** خلوا **من قبلهم** من قبل كفار مكة بانبيائهم والمؤمنين كما مكر
هؤلاء وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانه لا عبرة بمكرهم ولا تأثير بل لا وجود له في الحقيقة ولم يصرح بذلك اكتفاء بدلالة القصر المستفاد من

من تعليلها اعني قوله تع فلله المكر اي جنس المكر جميعا لا وجود لمكرهم اصلا اذ هو عبارة عن ايصال المكروه الي الغير من حيث لا يشعر به وحيث كان جميع ما يأتون وما
يذرون بعلم الله تعالي وقدرته وانما لهم مجرد الكسب من غير فعل ولا تأثير حسبما ينبئ به قوله عز وجل يعلم ما تكسب كل نفس ومن قضيته عصمة اوليائه وعقاب الماكرين
بهم توفية لكل نفس جزاء ما تكسبه ظهر ان ليس لمكرهم بالنسبة الي من مكروا بهم عين ولا اثر وان المكر كله لله تعالي حيث يؤاخذهم بما كسبوا من فنون المعاصي التي
من جملتها مكرهم من حيث لا يحتسبون او ولله المكر الذي باشروه جميعا لا لهم علي ان ذلك ليس مكرا منهم بالانبياء بل هو بعينه مكر من الله تعالي بهم وهم لا يشعرون
حيث لا يحيق المكر السيء الا باهله وسيعلم الكفار حين يقضي بمقتضي علمه فيوفي كل نفس جزاء ما تكسبه لمن عقبي الدار اي العاقبة الحميدة من الفريقين وان جهلوا
ذلك يومئذ وقيل السين لتأكيد وقوع ذلك وعلمهم به حينئذ وقرئ سيعلم الكافر علي ارادة الجنس والكافرون والكفر اي اهله والذين كفروا وسيعلم علي
صيغة المجهول من الاعلام اي سيخبر ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل قاله رؤساء اليهود وصيغة الاستقبال لاستحضار صورة كلمتهم الشنعاء تعجيبا منها
او للدلالة علي تجدد ذلك واستمراره منهم قل كفي بالله شهيدا بيني وبينكم فانه قد اظهر علي رسالتي من الحجج القاطعة والبينات الباهرة ما فيه مندوحة عن
شهادة شاهد آخر ومن عنده علم الكتاب اي علم القرآن وما عليه من النظم المعجز او من هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته عليه السلام في
كتبهم والآية مدنية بالاتفاق او من عنده علم اللوح المحفوظ وهو الله سبحانه اي كفي شاهدا بيننا بالذي يستحق العبادة فانه شحن كتابه بالدعوة الي
عبادته وايدني بانواع التأييد وبالذي يختص بعلم ما في اللوح من الاشياء الكائنة التي من جملتها رسالتي وقرئ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب علي
الاول مرتفع بالظرف المعتمد علي الموصول ومبتدأ خبره الظرف وهو متعين علي الثاني ومن عنده عُلِم الكتاب بالكسر وبناء المفعول ورفع الكتاب عن رسول الله
صلي الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضي وكل سحاب يكون الي يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله عز وجل والله تعالي اعلم

سورة ابراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم الر الكلام فيه وفي محله غير مرة وقوله تع كتاب خبر له علي تقدير كون الر مبتدأ او لمبتدأ مضمر علي تقدير كونه خبر المبتدأ محذوف
او مسرودا علي نمط التعديد وكذا ان يكون بانيا لهذا المبتدأ المحذوف وقوله تع انزلناه اليك صفة له وقوله تع لتخرج الناس متعلق بانزلناه اي لتخرجهم
كافة بما في تضاعيفه من البينات الواضحة المفصحة عن كونه من عند الله عز وجل الكاشفة عن العقائد الحقة وقرئ ليخرج الناس من الظلمات اي لتخرج
الناس من عقائد الكفر والضلال التي كلها ظلمات محضة وجهالات صرفة الي النور الي الحق الذي هو نور بحت لكن لا كيف ما كان فانك لا تهدي من احببت بل
باذن ربهم اي بتيسيره وتوفيقه وللانباء عن كون ذلك منوطا باقبالهم الي الحق كما يفصح عنه قوله تع ويهدي اليه من اناب استعير له الاذن الذي هو عبارة
عن تسهيل الحجاب لمن يقصد الورود واضيف الي ضميرهم اسم الرب المفصح عن التربية التي هي عبارة عن تبليغ الشيء الي كماله المتوجه اليه وشمول الاذن
بهذا المعني للكل واضح وعليه يدور كون الانزال لاخراجهم جميعا وعدم تحقق الاذن بالفعل في بعضهم لعدم تحقق شرطه المستند الي سوء اختيارهم غير مخل
بذلك والباء متعلقة بتخرج او بمضمر وقع حالا من مفعوله اي ملتبسين باذن ربهم وجعله حالا من فاعله يأباه اضافة الرب اليهم لا اليه وحيث كان الحق
مع وضوحه في نفسه وايضاحه لغيره موصلا الي الله عز وجل استعير له النور تارة والصراط اخري فقيل الي صراط العزيز الحميد علي وجه الابدال بتكرير العامل
كما في قوله تعالي للذين استضعفوا لمن آمن منهم واخلال البدل والبيان بالاستعارة انما هو في الحقيقة لا في المجاز كما في قوله سبحانه حتي يتبين لكم الخيط
الابيض من الخيط الاسود من الفجر وقيل هو استيناف مبني علي سؤال كأنه قيل الي اي نور فقيل الي صراط العزيز الحميد واضافة الصراط اليه تعالي لانه مقصده
او المبين له وتخصيص الوصفين بالذكر للترغيب في سلوكه ببيان ما فيه من الامن والعاقبة الحميدة الله بالجر عطف بيان للعزيز الحميد لجريانه مجري الاعلام الغالبة
بالاختصاص بالمعبود بالحق كالنجم في الثريا وقرئ بالرفع علي هو الله اي العزيز الحميد الذي اضيف اليه الصراط الله الذي له ملكا وملكا ما في السموات وما في الارض
اي ما وجد فيهما داخلا فيهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما كما مر في آية الكرسي ففيه علي القراءتين بيان لكمال فخامة شأن الصراط واظهار لتحتم سلوكه علي الناس
قاطبة وتجويز الرفع علي الابتداء بجعل الموصول خبرا ابتناه العقول عن هذه النكتة وقوله عز وجل وويل للكافرين وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من
الظلمات الي النور بالويل وهو نقيض الوأل وهو النجاة واصله النصب كسائر المصادر ثم رفع رفعها للدلالة علي الثبات كسلام عليك من عذاب شديد متعلق بويل
علي معني يولولون ويضجون منه قائلين يا ويلاه كقوله تع دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون الحيوة الدنيا اي يؤثرونها وهذا استفعال من المحبة فان المؤثر للشيء
علي غيره كأنه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من غيره علي الآخرة اي الحيوة الآخرة الابدية ويصدون عن سبيل الله التي بين شأنها والاقتصار
علي الاضافة الي الاسم الجليل المنطوي علي كل وصف جميل لزوم الاختصار وهو من صده صدا وقرئ يُصدون من اصد المنقول من صد صدودا اذا نكب وهو غير

فصيح كأوقف فان في صده وقفه لمندوحة عن تكلف النقل ويبغونها اي يبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل الي الضمير اي يطلبون لها عوجا اي زيغا
واعوجاجا وهو ابعد شيء من ذلك اي يقولون لمن يريدون صده واضلاله انها سبيل ناكبة وزائغة غير مستقيمة ومحل الموصول بهذه الصلات الجر علي انه بدل من الكافرين
او صفة له فيعتبر كل وصف من اوصافهم بازاء ما يناسبه من المعاني المعتبرة في الصراط فالكفر المبني عن الستر بازاء كونه نورا واستحباب الحيوة الدنيا
الفانية المفصحة عن وخامة العاقبة بمقابلة كون سلوكه محمود العاقبة والصد عنه بازاء كونه مأمونا وفيه من الدلالة علي تماديهم في الغي ما لا يخفي او
النصب علي الذم او الرفع علي الابتداء والخبر قوله تعالي اولئك في ضلال بعيد وعلي الاول جملة مستأنفة وقعت معللة لما سبق من لحوق الويل بهم تأكيدا لما
اشعر به بناء الحكم علي الموصول اي اولئك الموصوفون بالقبائح المذكورة من استحباب الحيوة الدنيا علي الآخرة وصد الناس عن سبيل الله المستقيمة ووصفها
بالاعوجاج وهي منه بمنزل في ضلال عن طريق الحق بعيد بالغ في ذلك غاية الغايات القاصية والبعد وان كان من احوال الضال الا انه قد وصف به وصفه
مجازا للمبالغة كجد جده وداهية دهياء ويجوز ان يكون المعني في ضلال ذي بعد فان الضال قد يضل بعيدا وفي جعل الضلال محيطا بهم احاطة الظرف بما
فيه ما لا يخفي من المبالغة وما ارسلنا اي في الامم الخالية من قبلك كما سيذكر اجمالا من رسول الا ملتبسا بلسان قومه متكلما بلغة من ارسل اليهم من الامم المتفقة
علي لغة سواء بعث فيهم اولا وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش وبلسن بضمتين وضمة وسكون كعمد وعمد ليبين لهم ما امروا به فيتلقوه منه بيسر
وسرعة ويعملوا بموجبه من غير حاجة الي الترجمة ممن لم يؤمر به وحيث لم يكن مراعاة هذه القاعدة في شأن سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم وعليهم اجمعين لعموم
بعثته الثقلين كافة علي اختلاف لغاتهم وكان تعدد نظم الكتاب المنزل اليه حسب تعدد السنة الامم ادعي الي التنازع واختلاف الكلمة وتطرق ايدي التحريف
مع ان استقلال البعض من ذلك بالاعجاز دون غيره مئنة لقدح القادحين واتفاق الجميع فيه امر قريب من الالجاء وحصل البيان بالترجمة والتفسير اقتضت الحكمة
اتحاد النظم المنبئ عن العزة وجلالة الشأن المستتبع لفوائد غنية عن البيان علي ان الحاجة الي الترجمة تتضاعف عند التعدد اذ لابد لكل امة من معرفة توافق
الكل وتحاذيه حذو القذة بالقذة من غير مخالفة ولو في خصلة فذة وانما يتم ذلك لمن يترجم عن الكل واحدا او متعددا وفيه من التعذر ما يتاخم الامتناع
ثم لما كان اشرف الاقوام واولاهم بدعوته عليه السلام قومه الذين بعث فيهم ولغتهم افضل اللغات نزل الكتاب المتين بلسان عربي مبين وانتشرت احكامه
فيما بين الامم اجمعين وقيل الضمير في قومه لمحمد صلي الله عليه وسلم فانه تعالي انزل الكتب كلها عربية ثم ترجمها جبريل عليه السلام او كل من نزل عليه من الانبياء عليهم السلام
بلغة من نزل عليهم ورده قوله تع ليبين لهم فانه ضمير القوم وظاهر ان جميع الكتب لم تنزل لتبيين العرب وفي رجعه الي قوم كل نبي كأنه قيل وما ارسلنا من
رسول الا بلسان قوم محمد صلي الله عليه وسلم ليبين الرسول لقومه الذين ارسل اليهم ما لا يخفي من التكلف فيضل الله من يشاء اضلاله اي يخلق فيه الضلال لمباشرة
اسبابه المؤدية اليه او يخذله ولا يلطف به لما يعلم انه لا ينجع فيه الالطاف ويهدي بالتوفيق ومنح الالطاف من يشاء هدايته لما فيه من الانابة والاقبال الي الحق
والالتفات باسناد الفعلين الي الاسم الجليل المنطوي علي الصفات لتفخيم شأنهما وترشيح مناط كل منهما والفاء فصيحة مثلها في قوله تع فقلنا اضرب بعصاك الحجر
فانفلق كأنه قيل فبينوه لهم فاضل الله من شاء منهم اضلاله لما لا يليق الآية وهدي من شاء هدايته لاستحقاقه لها والحذف للايذان بان مسارعة كل رسول
الي ما امر به وجريان كل من اهل الخذلان والهداية علي سننه امر متحقق غني عن الذكر والبيان والعدول الي صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة او للدلالة
علي التجدد والاستمرار حسب تجدد البيان من الرسل المتعاقبة عليهم السلام وتقديم الاضلال علي الهداية اما لانه ابقاء ما كان والهداية انشاء ما لم يكن او للمبالغة في
بيان ان لا تأثير للتبيين والتذكير من قبل الرسل وان مدار الامر انما هو مشيئته تعالي بايهام ان ترتب الضلالة علي ذلك اسرع من ترتب الاهتداء وهذا محقق لما
سلف من تقييد الاخراج من الظلمات الي النور باذن الله تعالي وهو العزيز فلا يغالب في مشيئته الحكيم الذي لا يفعل شيئا من الاضلال والهداية الا لحكمة بالغة وفيه
ان ما فوض الي الرسل انما هو تبليغ الرسالة وتبيين طريق الحق واما الهداية والارشاد اليه فذلك بيد الله سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولقد ارسلنا
موسي شروع في تفصيل ما اجمل في قوله عز وجل وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم الآية بآياتنا اي ملتبسا بها وهي معجزاته التي اظهرها لبني
اسرائيل ان اخرج قومك بمعني اي اخرج لان الارسال فيه معني القول او بان اخرج كما في قوله تعالي وان اقم وجهك فان صيغ الافعال في الدلالة علي المصدر سواء وهو المدار
في صحة الوصل والمراد بذلك اخراج بني اسرائيل بعد مهلك فرعون من الظلمات من الكفر والجهالات التي ادتهم الي ان يقولوا يا موسي اجعل لنا الها كما لهم آلهة الي النور
الي الايمان بالله وتوحيده وسائر ما امروا به وذكرهم بايام الله اي بنعمائه وبلائه كما ينبئ عنه قوله عليه السلام اذكروا نعمة الله عليكم لكن لا بما جري عليهم فقط
بل عليهم وعلي من قبلهم من الامم في الايام الخالية حسبما ينبئ عنه قوله تع الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم الآيات او بايامه المنطوية علي ذلك كما يلوح به قوله اذ
انجاكم والالتفات من التكلم الي الغيبة باضافة الايام الي الاسم الجليل للايذان بفخامة شأنها والاشعار بعدم اختصاص ما فيها من المعاملة بالمخاطب وقومه

كما يوهمه الاضافة الى ضمير المتكلم اي عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد وقيل بايام الله وقائعه التي وقعت على الامم قبلهم وايام العرب وقائعها وحروبها
وملاحمها اي انذرهم وقائعه التي دهمت الامم الخالية الدارجة ويرده ما تصدى له عليه السلام بصدد الامتثال من التذكير بكل من السراء والضراء مما جرى عليهم وعلى
غيرهم حسبما يتلى عليك ان في ذلك اي في التذكير بها او في مجموع تلك النعماء والبلاء او في ايامها لآيات عظيمة او كثيرة دالة على وحدانية الله تعالى وقدرته وعلمه
وحكمته فهي على الاول عبارة عن الايام سواء اريد بها انفسها او ما فيها من النعماء والبلاء ومعنى ظرفية التذكير لها كونه مناطا لظهورها وعلى الثالث عن تلك
النعماء والبلاء ومعنى الظرفية ظاهر واما على الثاني فعن كل واحدة من تلك النعماء والبلاء والمشار اليه المجموع المشتمل عليها من حيث هو مجموع او كلمة في تجريدية
مثلها في قوله تع لهم فيها دار الخلد لكل صبار على بلائه شكور لنعمائه وقيل لكل مومن والتعبير عنهم بذلك للاشعار بان الصبر والشكر عنوان المومن اي لكل
من يليق بكمال الصبر والشكر او الايمان ويصير امره اليها لا لمن اتصف بها بالفعل لانه تعليل للامر بالتذكير المذكور السابق على التذكر المودي الى تلك المرتبة فان
من تذكر ما فاض او نزل عليه او على من قبله من النعماء والبلاء وتنبه لعاقبة الشكر والصبر او الايمان لا يكاد يفارقها وتخصيص الآيات بهم لانهم المنتفعون بها لا لانها
خافية عن غيرهم فان التبيين حاصل بالنسبة الى الكل وتقديم الصبار على الشكور لتقدم متعلق الصبر اعني البلاء على النعماء وكون الشكر عاقبة الصبر واذ قال موسى
لقومه شروع في بيان تصديه عليه السلام لما امر به من التذكير لاخراج المذكور واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وتعليق الذكر بالوقت
مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر سره غير مرة اي اذكر لهم وقت قوله عليه السلام لقومه اذكروا نعمة الله عليكم بدأ عليه السلام بالترغيب لانه عند النفس
اقبل وهي اليه اميل والظرف متعلق بنفس النعمة ان جعلت مصدرا او بمحذوف وقع حالا منها ان جعلت اسما اي اذكروا انعامه عليكم او اذكروا نعمته كائنة
عليكم وكذا كلمة اذ في قوله تع اذ انجاكم من آل فرعون اي اذكروا انعامه عليكم وقت انجائه اياكم من آل فرعون او اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم وقت انجائه اياكم
منهم او بدل اشتمال من نعمة الله مرادا بها الانعام او العطية يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب السوء
مصدر ساء يسوء والمراد به جنس العذاب السيء او استعبادهم واستعمالهم في الاعمال الشاقة والاستهانة بهم وغير ذلك مما لا يحصر ونصبه على انه مفعول ليسومونكم ويذبحون
ابناءكم المولودين وانما عطفه على يسومونكم اخراجا له عن مرتبة العذاب المعتاد وانما فعلوا ذلك لان فرعون رأى في المنام وقال له الكهنة انه سيولد منهم من يذهب
بملكه فاجتهدوا في ذلك فلم يغن عنهم من قضاء الله سبحانه شيئا ويستحيون نساءكم اي يبقونهن في الحيوة مع الذل والصغار ولذلك عد من جملة البلاء والجمل احوال من آل
فرعون او من ضمير المخاطبين او منهما جميعا لان فيها ضمير كل منهما وفي ذلكم اي فيما ذكر من افعالهم الفظيعة بلاء من ربكم اي ابتلاء منه لان البلاء عين تلك الافعال اللائم
ان تجعل في تجريدية ونسبته الى الله تعالى اما من حيث الخلق او الاقدار والتمكين عظيم لا يطاق ويجوز ان يكون المشار اليه الانجاء من ذلك والبلاء الابتلاء بالنعمة
وهو الانسب كما يلوح به التعرض لوصف الربوبية وعلى الاول يكون ذلك باعتبار المآل هو الانجاء او باعتبار ان بلاء المومن تربية له واذ تأذن ربكم من جملة مقال موسى عليه السلام
لقومه معطوف على نعمة الله اي اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم اي آذن ايذانا بليغا لا تبقى معه شائبة شبهة لما في صيغة التفعل من معنى التكلف
المحمول في حقه سبحانه على غايته التي هي الكمال وقيل هو معطوف على قوله تع اذ انجاكم اي اذكروا نعمته تعالى في هذين الوقتين فان هذا التأذن ايضا نعمة من الله تعالى
عليهم ينالون بها خيري الدنيا والآخرة وفي قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه واذ قال ربكم ولقد ذكرهم عليه السلام اولا بنعمائه تعالى عليهم صريحا وضمنه تذكير
ما اصابهم قبل ذلك من الضراء ثم امرهم ثانيا بذكر ما جرى من الله سبحانه من الوعد بالزيادة على تقدير الشكر والوعيد بالعذاب على تقدير الكفر والمراد بتذكير
الاوقات تذكير ما وقع فيها من الحوادث مفصلة اذ هي محيطة بذلك فاذا ذكرت ذكر ما فيها كانه مشاهد معاين لئن شكرتم لأزيدنكم نعمة الى نعمة ولئن
كفرتم ذلك وغمطتموه ان عذابي لشديد فعسى ان يصيبكم منه ما يصيبكم ومن عادة الكرام التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد فما ظنك باكرم الاكرمين ويجوز ان يكون
المذكور تعليلا للجواب المحذوف اي لاعذبنكم واللام في الموضعين موطئة للقسم وكل من الجوابين ساد مسد جوابي الشرط والقسم والجملة اما مفعول لتأذن لانه ضرب
من القول والقول مقدر بعده كانه قيل واذ تأذن ربكم فقال الى آخره وقال موسى ان تكفروا نعمه تعالى ولم تشكروها انتم يا بني اسرائيل ومن في الارض من الخلائق
جميعا فان الله لغني عن شكركم وشكر غيركم حميد مستوجب للحمد بذاته لكثرة ما يوجبه من اياديه وان لم يحمده احد او محمود يحمده الملائكة بل كل ذرة من ذرات العالم
ناطقة بحمده والحمد حيث كان بمقابلة النعمة وغيرها من الفضائل كان ادل على كماله سبحانه وهو تعليل لما حذف من جواب ان اي ان تكفروا لم يرجع وباله الا عليكم فان الله
تعالى الغني عن شكر الشاكرين ولعله عليه السلام انما قاله عندما عاين منهم دلائل العناد ومخائل الاصرار على الكفر والفساد وتيقن انه لا ينفعهم الترغيب ولا التعريض
بالترهيب او قاله غب تذكيرهم بما ذكر من قول الله عز سلطانه تحقيقا لمضمونه وتحذيرا لهم من الكفران ثم شرع في الترهيب بتذكير ما جرى على الامم الخالية فقال
الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم ليتدبروا ما اصاب كل واحد من حزبي المومن والكافر فيقلعوا عما هم عليه من الشر وينيبوا الى الله تعالى وقيل هو ابتداء كلام من الله

من الله تعالى خطابا للكفرة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فيختص تذكير موسى عليه السلام بما يختص ببني اسرائيل من السراء والضراء والايام بالايام الجارية عليهم فقط وفيه
ما لا يخفى من البعد وايضا لا يظهر حينئذ وجه تخصيص تذكير الكفرة الذين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بما اصاب اولئك المعدودين مع ان غيرهم اسوة لهم في
الخلو قبل هؤلاء قوم نوح بدل من الموصول او عطف بيان وعاد معطوف على قوم نوح وثمود والذين من بعدهم اي من بعد هؤلاء المذكورين والجملة اعتراض والمعنى
انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله سبحانه وتعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما بين عدنان واسمعيل ثلثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود رضي الله عنه اذا قرأ هذه
الآية قال كذب النسابون يعني انهم كانوا يدعون علم الانساب وقد نفى الله تعالى علمها عن العباد جاءتهم رسلهم استيناف لبيان نبائهم بالبينات بالمعجزات الظاهرة
والبينات الباهرة فبين كل رسول لامته طريق الحق وهداهم اليه ليخرجهم من الظلمات الى النور فردوا ايديهم في افواههم مشيرين بذلك الى السنتهم وما يصدر عنها
من المقالة اعتناء منهم بشانها وتنبيها للرسل على تلقيها والمحافظة عليها واقناطا لهم عن التصديق والايمان باعلام ان لا جواب لهم سواه وقالوا انا كفرنا
بما ارسلتم به اي على زعمكم وهي البينات التي اظهروها حجة على صحة رسالاتهم لقوله تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا ومرادهم بالكفر بها الكفر بدلالتها على صحة رسالاتهم
او فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله تع عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه واستهزاء به كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء
وامرا لهم باطباق الافواه او ردوها في افواه الانبياء عليهم السلام يمنعونهم من التكلم تحقيقا او تمثيلا او جعلوا ايدي الانبياء في افواههم تعجبا من عتوهم وعنادهم
كما ينبئ عنه تعجبهم بقولهم افي الله شك الى آخره وقيل الايدي بمعنى الايادي عبر عنها عن مواعظهم ونصائحهم وشرائعهم التي هي مدار النعم الدينية والدنياوية
لانهم لما كذبوها فلم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه وانا لفي شك عظيم مما تدعوننا اليه من الايمان بالله والتوحيد فلا ينافي شكهم في ذلك كفرهم القطعي
بما ارسل به الرسل من البينات فانهم كفروا بها قطعا حيث لم يعتدوا بها ولم يجعلوها من جنس المعجزات ولذلك قالوا فاتونا بسلطان مبين وقرئ تدعونا بالادغام
مريب موقع في الريبة من اراب او ذي ريبة من اراب الرجل وهي قلق النفس وعدم اطمئنانها بالشيء قالت رسلهم استيناف مبني على سؤال ينساق اليه المقال كانه
قيل فماذا قالت لهم رسلهم فاجيب بانهم قالوا منكرين عليهم ومتعجبين من مقالتهم الحمقاء افي الله شك بادخال الهمزة على الظرف للايذان بان مدار الانكار ليس نفس
الشك بل وقوعه فيما لا يكاد يتوهم فيه الشك اصلا منقادين عن تطبيق الجواب على كلام الكفرة بان يقولوا انتم في شك مريب من الله تعالى مبالغة في تنزيه
ساحة السبحان عن شائبة الشك وتسجيلا عليهم بسخافة العقول اي افي شانه سبحانه من وجوده ووحدته ووجوب الايمان وحده شك ما وهو اظهر من كل ظاهر
واجلى من كل جلي حتى تكونوا من قبله في شك مريب وحيث كان مقصدهم الاقصى الدعوة الى الايمان والتوحيد وكان اظهار البينات وسيلة الى ذلك لم يتعرضوا للجواب
عن قول الكفرة انا كفرنا بما ارسلتم به واقتصروا على بيان ما هو الغاية القصوى ثم عقبوا ذلك الانكار بما يوجبه من الشواهد الدالة على انتفاء المنكر فقالوا فاطر السموات
والارض اي مبدعهما وما فيهما من المصنوعات على نظام انيق شاهد بتحقق ما انتم منه في شك وهو صفة للاسم الجليل او بدل منه وشك مرتفع بالظرف لاعتماده على
الاستفهام وجعله مبتدأ على ان الظرف خبره يفضي الى الفصل بين الموصوف والصفة بالاجنبي اعني المبتدأ والفاعل ليس باجنبي من رافعه وقد جوز ذلك ايضا يدعوكم
الى الايمان بارساله ايانا لا انا ندعوكم اليه من تلقاء انفسنا كما يوهمه قولكم مما تدعوننا اليه ليغفر لكم بسببه او يدعوكم لاجل المغفرة كقولك دعوته لينال كل بعض
من ذنوبكم اي بعضها وهو ما عدا المظالم مما بينهم وبين الله تعالى فان الاسلام يجبه قيل هكذا في جميع وقع في القرآن في وعد الكفرة دون وعد المؤمنين تفرقة بين الوعدين
ولعل ذلك لما ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفرة مرتبة على محض الايمان وفي شان المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فتتناول
الخروج من المظالم وقيل المعنى ليغفر لكم بدلا من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله تعالى وجعله منتهى اعماركم على تقدير الايمان قالوا استيناف كما سبق
ان انتم اي ما انتم الا بشر مثلنا من غير فضل يؤهلكم لما تدعونه من النبوة تريدون صفة ثانية لبشر حملا على المعنى كقوله تعالى ابشر يهدوننا او كلام مستأنف
اي تريدون بما تتصدون له من الدعوة والارشاد ان تصدونا بتخصيص العبادة بالله سبحانه عما كان يعبد آباؤنا اي عن عبادة ما استمر آباؤنا
على عبادته من غير شيء يوجبه والا فاتونا اي ان لم يكن الامر كما قلنا بل كنتم رسلا من جهة الله عز وجل كما تدعونه فاتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم
واستحقاقكم لتلك الرتبة او على صحة ما تدعونه من النبوة حتى نترك ما لم نزل نعبده ابا عن جد ولقد كانوا آتوهم من الآيات الظاهرة والبينات الباهرة ما تخر له
صم الجبال ولكنهم انما يقولون ما يقولون من العظائم مكابرة وعنادا واراءة لمن وراءهم ان ذلك ليس من جنس ما ينطلق عليه السلطان المبين قالت لهم رسلهم
مجاراة معهم في اول مقالتهم وانما قيل لهم لاختصاص الكلام بهم حيث اريد الزامهم بخلاف ما سبق وسلف من انكار وقوع الشك في الله سبحانه فان ذلك عام
وان اختص بهم ما يعقبه ان نحن الا بشر مثلكم كما تقولون ولكن الله يمن على من يشاء من عباده يعنون ان ذلك عطية من الله تعالى يعطيها من يشاء من عباده بمحض
الفضل والامتنان من غير داعية توجبه قالوه تواضعا وهضما للنفس او ما نحن من الملائكة بل نحن بشر مثلكم في الصورة او في الدخول تحت الجنس ولكن الله تعالى

من الفضائل والاستعدادات والكمالات على من يشاء المن بها وما شاء ذلك الا لعلمه باستحقاقه لها وتلك الفضائل والكمالات والاستعدادات هي التي يدور عليها فلك
الاصطفاء للنبوة وما كان وما صح وما استقام لنا ان نأتيكم بسلطان اي بحجة من الحجج فضلا عن السلطان المبين بشيء من الاشياء وسبب من الاسباب الا باذن الله فانه
امر يتعلق بمشيئته تعالى ان شاء كان والا فلا وعلى الله وحده دون ما عداه مطلقا فليتوكل المؤمنون امر منهم للمؤمنين بالتوكل ومقصودهم حمل انفسهم عليه اثر ذي اثير
الا يرى الى قوله عز وجل وما لنا اي اي عذر لنا ان لا نتوكل على الله اي في ان لا نتوكل عليه والاظهار لاظهار النشاط بالتوكل عليه والاستلذاذ بذكر اسمه تعالى
وتعليل التوكل وقد هدانا اي والحال انه قد فعل بنا ما يوجبه ويستدعيه حيث هدانا سبلنا اي ارشد كلا منا سبيله ومنهاجه الذي شرع له واوجب عليه سلوكه
في الدين وحيث كانت اذية الكفار مما يوجب القلق والاضطراب القادح في التوكل قالوا على سبيل التوكيد القسمي مظهرين لكمال العزيمة ولنصبرن على ما آذيتمونا
بالعناد واقتراح الآيات وغير ذلك مما لا خير فيه وعلى الله خاصة فليتوكل المتوكلون اي فليثبت المتوكلون على ما احدثوه من التوكل والمراد هو المراد مما سبق من ايجاب
التوكل على انفسهم والمراد بالمتوكلين المؤمنون والتعبير عنهم بذلك لسبق ذكر اتصافهم به ويجوز ان يراد وعليه فليتوكل من توكل دون غيره وقال الذين كفروا لعل
هؤلاء القائلين بعض المتمردين العاتين الغالين في الكفر من اولئك الامم الكافرة التي نقلت مقالاتهم الشنيعة دون جميعهم كقوم شعيب واضرابهم ولذلك لم يقل
وقالوا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا لم يقتنعوا بعصيانهم الرسل ومعاندتهم الحق بعد ما رأوا البينات الغائية للحصر حتى اجترؤا على مثل هاتيك
العظيمة التي لا يكاد يحيط بها دائرة الامكان فحلفوا على ان يكون احد الامرين والعود اما بمعنى مطلق الصيرورة او باعتبار تغليب المؤمنين على الرسل وقد مر في الاعراف
وسيأتي في الكهف فاوحى اليهم اي الى الرسل ربهم مالك امرهم عند تناهي كفر الكفرة وبلوغهم من العتو الى غاية لا مطمع بعدها في ايمانهم لنهلكن الظالمين على اضمار
القول او على اجراء الايحاء مجراه لكونه ضربا منه ولنسكننكم الارض اي ارضهم وديارهم عقوبة لهم بقولهم لنخرجنكم من ارضنا كقوله تعالى واورثنا القوم الذين
كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها من بعدهم اي من بعد اهلاكهم وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولهم حلف زيد ليخرجن غدا ذلك
اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اي ذلك الامر محقق ثابت لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف الذي يقف فيه العباد يوم
يقوم الناس لرب العالمين او قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل لفظ المقام مقحم وخاف وعيد وعيدي بالعذاب وعذابي الموعود للكفار والمعنى ان ذلك حق للمتقين
كقوله والعاقبة للمتقين واستفتحوا اي استنصروا الله على اعدائهم كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموه وسألوه القضاء بينهم من الفتاحة
وهي الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فالضمير للرسل وقيل للكفرة وقيل للفريقين فانهم سألوا ان ينصر المحق ويهلك المبطل وهو معطوف على اوحى
اليهم وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن الظالمين اي اوحى اليهم ربهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب اي خسر وهلك كل جبار عنيد متصف بضد ما اتصف به
المتقون اي فنصروا اعني استفتاحهم وظفروا بما سألوا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم المعاندون فالخيبة بمعنى مطلق الحرمان دون الحرمان عن المطلوب
او ذلك باعتبار انهم كانوا يزعمون انهم على الحق او استفتح الكفار على الرسل وخابوا ولم يفلحوا وانما قيل وخاب كل جبار عنيد ذما لهم وتسجيلا عليهم بالتجبر والعناد
لا ان بعضهم ليسوا كذلك وانه لم تصبهم الخيبة او استفتحوا جميعا فنصر الرسل وانجز لهم الوعد وخاب كل عات متمرد فالخيبة بمعنى الحرمان عن المطلوب وفي اسناد
الخيبة الى كل منهم ما لا يخفى من المبالغة من ورائه جهنم اي بين يديه فانه مرصد لها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الآخرة وقيل من وراء حياته
وحقيقته ما توارى عنك ويسقى معطوف على مقدر جوابا عن سؤال سائل كأنه قيل فماذا يكون اذن فقيل يلقى فيها ويسقى من ماء مخصوص لا كالمياه المعهودة
صديد وهو قيح اي دم مختلط بمدة يسيل من الجرح قال مجاهد وغيره هو ما يسيل من اجساد اهل النار وهو عطف بيان لما ابهم اولا ثم بين بالصديد تهويلا
لامره وتخصيصه بالذكر من بين عذابها يدل على انه من اشد انواعه يتجرعه قيل هو صفة لماء او حال منه والاظهر انه استيناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا
يفعل به فقيل يتجرعه اي يتكلف جرعه مرة بعد اخرى لغلبة العطش واستيلاء الحرارة عليه ولا يكاد يسيغه اي لا يقارب ان يسيغه فضلا عن الاساغة بل يغص
به فيشربه بعد اللتيا والتي جرعة غب جرعة فيطول عذابه تارة بالحرارة والعطش واخرى بشربه على تلك الحال فان السوغ انحدار الشراب في الحلق بسهولة وقبول
نفس ونفيه لا يوجب نفي ما ذكر جميعا وقيل لا يكاد يدخله في جوفه وعبر عنه بالاساغة لما انها المعهودة في الاشربة وهو حال من فاعل يتجرعه او من مفعوله
او منهما جميعا ويأتيه الموت اي اسبابه من الشدائد من كل مكان ويحيط به من جميع الجهات او من كل مكان من جسده حتى اصول شعره وابهام رجليه
وما هو بميت اي والحال انه ليس بميت حقيقة كما هو الظاهر من مجيء اسبابه لا سيما من جميع الجهات حتى يتألم بما غشيه من اصناف الموبقات ومن ورائه
من بين يديه عذاب غليظ يستقبل كل وقت عذابا اشد واشق مما كان قبله وفيه دفع ما يتوهم من الخفة بحسب الاعتياد كما في عذاب الدنيا وقيل هو الخلود
في النار وقيل هو حبس الانفاس وقيل المراد بالاستفتاح والخيبة استسقاء اهل مكة في سنيهم التي ارسلها الله تعالى عليهم بدعوته عليه السلام وخيبتهم

في ذلك وقد وعدهم بدل ذلك صديد اهل النار مثل الذين كفروا بربهم اي صفتهم وحالهم العجيبة الشأن التي هي كالمثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى
اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مهتوك وماله منهوب وهو استيناف مبني على سؤال من قال ما بال اعمالهم التي عملوها في وجوه البر من صلة الارحام
واعتاق الرقاب وفداء الاسارى واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم حتى آل امرهم الى هذا المآل فاجيب بان ذلك كرماد
اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب به في يوم عاصف العصف اشتداد الريح وصف به زمانها مبالغة كقولك ليلة ساكرة وانما السكور لريحها
شبهت صنائعهم المعدودة لابتنائها على غير اساس من معرفة الله تعالى والايمان به والتوجه بها اليه تعالى برماد طيرته الريح العاصفة او استيناف مسوق
لبيان اعمالهم للاصنام او مبتدأ خبره محذوف كما هو رأي سيبويه اي فيما يتلى عليك مثلهم وقوله اعمالهم جملة مستأنفة مبنية على سؤال من يقول كيف مثلهم
فقيل اعمالهم كيت وكيت سواء اريد بها صنائعهم او اعمالهم لاصنامهم وقيل اعمالهم بدل من مثل الذين وقوله كرماد خبره لا يقدرون اي يوم القيامة مما كسبوا
من تلك الاعمال على شيء ما اي لا يرون له اثرا من ثواب او تخفيف عذاب كدأب الرماد المذكور وهو فذلكة التمثيل والاكتفاء ببيان عدم رؤية الاثر لاعمالهم
للاصنام مع ان لها عقوبات هائلة للتصريح ببطلان اعتقادهم وزعمهم انها شفعاء لهم عند الله تعالى وفيه تهكم بهم ذلك اي ما دل عليه التمثيل دلالة واضحة
من ضلالهم مع حسبانهم انهم على شيء هو الضلال البعيد عن طريق الحق والصواب او عن نيل الثواب الم تر خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به امته وقيل
لكل احد من الكفرة لقوله تعالى يذهبكم والرؤية رؤية القلب وقوله تعالى ان الله خلق السموات والارض ساد مسد مفعوليها اي الم تعلم انه تعالى خلقهما
بالحق ملتبسة بالحكمة والوجه الصحيح الذي يحق ان تخلق عليه وقرئ خالق السموات والارض ان يشأ يذهبكم يعدمكم بالمرة ويأت بخلق جديد اي يخلق
بدلكم خلقا آخر مستأنفا لا علاقة بينكم وبينهم رتب قدرته تعالى على ذلك على قدرته تعالى على خلق السموات والارض على هذا النمط البديع ارشادا الى
طريق الاستدلال فان من قدر على خلق مثل هاتيك الاجرام العظيمة كان على تبديل خلق آخر بهم اقدر ولذلك قال وما ذلك اي اذهابكم والاتيان بخلق جديد مكانكم
على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته على جميع الممكنات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه حقيق بان يؤمن به ويرجى ثوابه
ويخشى عقابه وبرزوا لله جميعا اي يبرزون يوم القيامة وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه كما في قوله سبحانه ونادى اصحاب الجنة اصحاب
النار او لانه لا مضي ولا استقبال بالنسبة اليه سبحانه والمراد بروزهم من قبورهم لامر الله تعالى ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يظنون عند
ارتكابهم الفواحش سرا انها تخفى على الله سبحانه فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند انفسهم فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف والمراد ضعف الرأي
وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة للذين استكبروا الرؤساء الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا في الدنيا لكم تبعا في تكذيب
الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغيب في جمع غائب ومصدر نعت به مبالغة او على اضمار اي ذوي تبع فهل انتم مغنون دافعون عنا والفاء
للدلالة على سببية الاتباع للاغناء والمراد التوبيخ والعتاب والتقريع والتبكيت من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة
موقع المفعول اي بعض الشيء الذي هو عذاب الله تعالى ويجوز ان تكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون عنا بعض العذاب بعض الاغناء ويعضد
الاول قوله تعالى فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قالوا اي المستكبرون جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله اي للايمان ووفقنا له
لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اي اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنينا عنكم كما عرضناكم له
ولكن سد دوننا طريق الخلاص ولات حين مناص سواء علينا اجزعنا مما لقينا ام صبرنا على ذلك اي مستو علينا الجزع والصبر في عدم الانجاء والهمزة
وام لتأكيد التسوية كما في قوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم وانما اسند وهما ونسب استواءهما الى ضمير المتكلم المنتظم للمخاطبين ايضا مبالغة
في النهي عن التوبيخ باعلام انهم شركاء لهم فيما ابتلوا به وتسلية لهم ويجوز ان يكون قوله سواء علينا الى آخره من كلام الفريقين على منوال قوله تعالى ذلك ليعلم اني
لم اخنه بالغيب ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك فلا ينفعهم عند ذلك
ولما كان عتاب الاتباع من باب الجزع ذيلوا جوابهم ببيان ان لا جدوى في ذلك فقالوا ما لنا من محيص من منجى ومهرب من العذاب من حاص الحمار اذا عدل بالفرار
وهو اما اسم مكان كالمبيت والمصيف او مصدر كالمغيب والمشيب وهي جملة مفسرة لاجمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الاعراب او حال مؤكدة او بدل منه
وقال الشيطان الذي اضل كلا الفريقين واستتبعهما عند ما عتبوا بما قاله الاتباع للمستكبرين لما قضي الامر اي احكم وفرغ منه وهو الحساب ودخل اهل
الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في محفل الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق اي وعدا من حقه ان ينجز فانجز او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء
ووعدتكم اي وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كان فالاصنام شفعاؤكم ولم يصرح ببطلانه لما دل عليه قوله فاخلفتكم اي موعدي على حذف المفعول

الثاني اي نقضته جعل خلف وعده كالاخلاف منه كأنه كان قادرا على انجازه وأنى له ذلك **وما كان لي عليكم من سلطان** اي تسلط او حجة تدل على صدقي **الا ان**
دعوتكم الا دعائي اياكم الى الضلالة وتسويلي وهو وان لم يكن من باب السلطان لكنه ابرزه في معرضه على طريقة تحية بينهم ضرب وجيع مبالغة في نفي السلطان عن نفسه كأنه
قال انما يكون لي عليكم سلطان اذا كان مجرد الدعاء من بابه ويجوز كون الاستثناء منقطعا **فاستجبتم لي** فأسرعتم اجابتي **فلا تلوموني** بوعدي اياكم حيث لم يكن ذلك
على طريقة القسر والالجاء كما يدل عليه الفاء وقرئ بالياء على وجه الالتفات كما في قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم **ولوموا انفسكم** حيث استجبتم باختياركم
حين دعوتكم بلا حجة ولا دليل بمجرد تزيين وتسويل ولم تستجيبوا ربكم اذ دعاكم دعوة الحق المقرونة بالبينات والحجج وليس مراده التنصل عن توجه الائمة اليه
بالمرة بل بيان انهم احق بها منه وفيه دلالة على استقلال العبد في افعاله كما زعمت المعتزلة بل يكفي في ذلك ان يكون لقدرته الكاسبة التي عليها يدور فلك التكليف
مدخل فيه فانه سبحانه انما يخلق افعاله حسبما يختاره وعليه يترتب السعادة والشقاوة وما قيل من انه يستدعي ان يقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى
عليكم الكفر واجبركم عليه مبني على عدم الفرق بين مذهب اهل الحق وبين مسلك الجبرية **ما انا بمصرخكم** اي بمغيثكم مما انتم فيه من العذاب **وما انتم بمصرخي** مما انا فيه
وانما تعرض لذلك مع انه لم يكن في حيز الاحتمال مبالغة في بيان عدم اصراخه اياهم وايذانا بانه ايضا مبتلى بمثل ما ابتلوا به ومحتاج الى الاصراخ فكيف من اصراخ
الغير ولذلك آثر الجملة الاسمية فان مصب الفائدة جوابا منه عن توبيخهم وتقريعهم وهذا جواب عن استغاثتهم به في استدفاع ما دهمهم من العذاب وقرئ بكسر الياء
اني كفرت اليوم **بما اشركتمون من قبل** اي باشراككم اياي بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله تعالى ويوم القيمة يكفرون بشرككم يعني ان اشراككم لي بالله سبحانه
هو الذي اطمعكم في نصرتي لكم بان كان لكم علي حق حيث جعلتموني لنا فيكون تعليلا لعدم اصراخه فان الكافر بالله سبحانه بمعزل من الاغاثة والاعانة سواء
كان ذلك بالمدافعة او الشفاعة واما جعله تعليلا لعدم اصراخهم اياه فلا وجه له اذ لا احتمال له حتى يحتاج الى التعليل ولان تعليل عدم اصراخهم بكفره يوم انهم
بسبيل من ذلك لولا المانع من جهته **ان الظالمين لهم عذاب اليم** تتمة كلامه او ابتداء كلام من جهة الله عز وجل وفي حكاية امثاله لطف للسامعين وايقاظ
لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم **وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم** اي بامره
او بتوفيقه وهدايته وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم اظهار مزيد اللطف بهم والمدخلون هم الملائكة عليهم السلام وقرئ على صيغة
التكلم فيكون قوله تعالى باذن ربهم متعلقا بقوله تعالى **تحيتهم فيها سلام** اي تحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم **الم تر** الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وقد
علق بما بعده من قوله تعالى **كيف ضرب الله مثلا** اي كيف اعتمده ووضعه في موضعه اللائق به **كلمة طيبة** منصوب بمضمر اي جعل كلمة طيبة هي كلمة التوحيد او كل كلمة
حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة **كشجرة طيبة** اي حكم بانها مثلها لانه تعالى صيرها مثلها في الخارج وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا
كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدا محذوف اي هي كشجرة وان يكون اول
مفعولي ضرب اجراء له مجرى جعل وقد اخر عن ثانيهما اعني مثلا لئلا يبعد عن صفته التي هي كشجرة وقد قرئت بالرفع على الابتداء **اصلها ثابت** اي ضارب بعروقه
الارض وقرأ انس بن مالك رضي الله عنه كشجرة طيبة ثابت اصلها وقراءة الجماعة اقوى سبكا والنسب لقرينته اعني قوله تعالى **وفرعها** اي اعلاها **في السماء**
في جهة العلو ويجوز ان يراد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس عن الجمع **تؤتي اكلها** تعطي ثمرها **كل حين** وقته الله تعالى لاثمارها **باذن ربها** بارادة خالقها
والمراد بالشجرة المنعوتة اما النخلة كما روي مرفوعا او شجرة في الجنة **ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون** لان في ضربها زيادة
افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني بصور المحسوسات **ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة** اي كمثل شجرة خبيثة قيل هي كل شجرة لا يطيب ثمرها كالحنظل و
الكشوث ونحوهما وتغيير الاسلوب للايذان بان ذلك غير مقصود الضرب والبيان وانما ذلك امر ظاهر يعرفه كل احد **اجتثت** استؤصلت واخذت جثتها
بالكلية **من فوق الارض** لكون عروقها قريبة منها **ما لها من قرار** استقرار عليها **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت** الذي ثبت بالحجة عندهم
وتمكن في قلوبهم وهو الكلمة الطيبة التي ذكر صفتها العجيبة **في الحيوة الدنيا** فلا يزالون عنه اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون و
الذين فتنهم اصحاب الاخدود **وفي الآخرة** فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولا تدهشهم اهوال القيمة او عند سؤال القبر روي انه عليه
السلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره فيقولان من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول
ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت وقد
مثال ابناء الشجرة المذكورة اكلها كل حين قال الثعلبي في تفسيره اخبرني ابو القاسم بن حبيب في سنة ست وثمانين وثلثمائة قال سمعت ابا
الطيب محمد بن علي الخياط يقول سمعت سهل بن عمار العتكي يقول رأيت يزيد بن هرون في منامي بعد موته فقلت ما فعل الله بك فقال اتاني في قبري

في قبري ملكان فظان فقالا من ربك وما دينك ومن نبيك فأخذت بلحيتي البيضاء فقلت لهما ألمثلي يقال هذا وقد علمت الناس جوابكما ثمانين سنة فذهبا
ويضل الله الظالمين اي يخلق فيهم الضلال عن الحق الذي ثبت المؤمنين عليه حسب ارادتهم واختيارهم والمراد بهم الكفرة بدليل مقابلته ووصفهم بالظلم
اما باعتبار وضعهم للشيء في غير موضعه واما باعتبار ظلمهم لانفسهم حيث بدلوا فطرة الله التي فطر الناس عليها فلم يهتدوا الى القول الثابت او كل من
ظلم نفسه بالاقتصار على التقليد والاعراض عن البينات الواضحة فلا يثبت في مواقف الفتن ولا يهتدي الى الحق فالمراد بالذين آمنوا حينئذ المخلصون في
الايمان الراسخون في الايقان كما ينبئ عنه التثبيت لكنه يوهم كون كلمة التوحيد اذا كانت لا عن ايقان داخلة تحت ما لا قرار له من الشجرة المضروبة مثلا **ويفعل الله**
ما يشاء من تثبيت بعض واضلال آخرين حسبما توجبه مشيئته التابعة للحكم البالغة المقتضية لذلك وفي اظهار الاسم الجليل في الموضعين من الفخامة وتربية
المهابة ما لا يخفى مع ما فيه من الايذان بان التفاوت في مبدأ التثبيت والاضلال فان مبدأ صدور كل منهما عنه سبحانه وتعالى من صفاته العلى غير ما هو مبدأ صدور
الآخر **الم تر** تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد مما صنع الكفرة من الاباطيل التي لا تكاد تصدر عمن له ادنى ادراك اي الم تنظر **الى الذين بدلوا نعمة الله**
اي شكر نعمته تعالى بان وضعوا موضعه **كفرا** عظيما وغمطا لها او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبوها فصاروا مستبدلين بها كفرا كاهل مكة
حيث خلقهم الله سبحانه واسكنهم حرمه الامن الذي يجبى اليه ثمرات كل شيء وجعلهم قوام بيته وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين
وقتلوا واسروا يوم بدر فصاروا اذلاء مسلوبي النعمة باقين بالكفر بدلها وعن عمر وعلي رضي الله عنهما هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية
اما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين كأنهما تأولا ولان ما يستملي من قوله عز وجل قل تمتعوا الآية **واحلوا** اي انزلوا **قومهم**
بارشادهم اياهم الى طريقة الشرك والضلال وعدم التعرض لحلولهم لدلالة الاحلال عليه اذ هو فرع الحلول كقوله تعالى يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار **دار**
البوار دار الهلاك الذي لا هلاك وراءه **جهنم** عطف بيان لها وفي الابهام ثم البيان ما لا يخفى من التهويل **يصلونها** حال منها او من قومهم داخلين فيها مقاسين لحرها
او استئناف لبيان كيفية الحلول او مفسر لفعل يقدر ناصبا لجهنم فالمراد بالاحلال المذكور حينئذ تعريضهم للهلاك بالقتل والاسر لكن قوله تعالى قل تمتعوا فان
مصيركم الى النار انسب بالتفسير الاول **وبئس** المصير على حذف المخصوص بالذم اي بئس المقر جهنم وبئس **القرار** قرارهم فيها وفيه بيان ان حلولهم وصليهم على وجه الدوام
والاستمرار **وجعلوا** عطف على احلوا وما عطف عليه داخل معهما في حيز الصلة وحكم التعجيب اي جعلوا في اعتقادهم وحكمهم **لله** الفرد الصمد الذي ليس كمثله شيء وهو الواحد
القهار **اندادا** اشباها في التسمية او في العبادة **ليضلوا** قومهم الذين يشايعونهم حسبما ضلوا **عن سبيله** القويم الذي هو التوحيد ويوقعونهم في ورطة الكفر والضلال
ولعل تغيير الترتيب مع ان مقتضى ظاهر النظم ان يذكر كفرانهم بنعمة الله تعالى ثم كفرانهم بذاته تعالى باتخاذهم الانداد ثم اضلالهم لقومهم المؤدي الى احلالهم دار
البوار لتثنية التعجيب وتكريره والايذان بان كل واحد من وضع الكفر موضع الشكر واحلال القوم دار البوار واتخاذ الانداد للاضلال امر يقضي منه العجب
ولو سيق النظم على نسق الوجود لربما فهم التعجيب من مجموع الهنات الثلث كما في قصة البقرة وقرئ ليضلوا بالفتح واياما كان فليس ذلك غرضا حقيقيا لهم من
اتخاذ الانداد ولكن لما كان ذلك نتيجة له شبه بالغرض وادخل عليه اللام بطريق الاستعارة التبعية **قل** تهديدا لاولئك الضالين المضلين ونعيا عليهم
بانهم لشدة اباءهم قبول الحق وفرط انهماكهم في الباطل وعدم ارعوائهم عن ذلك بحال حقيقا بان يضرب عنهم صفحا ويعطف عنهم عنان العظة ويخلوا وشأنهم
ولا ينهوا عنه بل يؤمروا بمباشرته مبالغة في التخلية والخذلان ومسارعة الى بيان عاقبته الوخيمة ويقال لهم **تمتعوا** بما انتم عليه من الشهوات التي من جملتها
كفران النعم العظام واستتباع الناس في عبادة الاصنام **فان مصيركم الى النار** ليس الا فلا بد لكم من تعاطي ما يوجب ذلك ويقتضيه من احوالكم بل هي في الحقيقة صورة
لدخولها ومثال لها حسبما يلوح به قوله سبحانه واحلوا قومهم دار البوار الخ فهو تعليل للامر المأمور وفيه من التهديد الشديد والوعيد الاكيد ما لا يوصف او قيل لهم
تصويرا لحالهم وتعبيرا عما يلجئهم الى ذلك تمتعوا ايذانا بانهم لفرط انغماسهم في التمتع بما هم فيه من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم مأمورون بذلك من
قبل آمر الشهوة مذعنون لحكمه منقادون لامره كذا مأمور ساع في طاعة آمر مطاع فليس قوله تعالى فان مصيركم الى النار وفيه التهديد والوعيد لا في الامر **قل**
لعبادي الذين آمنوا خصهم بالاضافة اليه تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لوظائف العبودية الموفون بحقوقها وترك العطف بين الامرين للايذان
بتباين حالهما باعتبار المقول تهديدا وتشريفا والمقول ههنا محذوف دل عليه الجواب اي قل لهم اقيموا وانفقوا **يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم**
اي يداوموا على ذلك وفيه ايذان بكمال مطاوعتهم للرسول صلى الله عليه وسلم وغاية مسارعتهم الى الامتثال باوامره وقد جوزوا ان يكون المقول يقيموا وينفقوا
بحذف لام الامر عنهما وانما حسن ذلك دون الحذف كما في قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا
قد اقيما مقامهما وليس بذاك **سرا وعلانية** منتصبان على المصدرية من الامر المقدر لان جواب الامر المذكور اي انفقوا انفاق سر وعلانية والاحب في الانفاق

اخفاء المطوع به واعلان الواجب والمراد حث المؤمنين على الشكر لنعم الله سبحانه بالعبادة البدنية والمالية وترك التمتع بمتاع الدنيا والركون اليها كما هو صنيع الكفرة
من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتلافى به تقصيره او يفتدي به نفسه والمقصود نفي عقد المعاوضة بالمرة وتخصيص البيع بالذكر للايجاز
مع المبالغة في نفي العقد اذ انتفاء البيع يستلزم انتفاء الشراء على ابلغ وجه وانتفاؤه ربما يتصور مع تحقق الايجاب من قبل البائع **ولا خلال** ولا مخالة فيشفع لك
خليل او يسامحه بمال يفتدي به نفسه او من قبل ان ياتي يوم لا انتفاع فيه بالبيع والمخالة ولا انتفاع بذلك وانما الانتفاع والارتفاق فيه بالانفاق
لوجه الله سبحانه والظاهر ان من متعلقة بانفقوا وتذكير اتيان ذلك اليوم لتاكيد مضمونه كما في سورة البقرة من حيث ان كلا من الشفاعة وما يتدارك به التقصير
معاوضة وتبرعا وانقطاع آثار البيع والخلال الواقعين في الدنيا وعدم الانتفاع بهما من اقوى الدواعي الى الاتيان بما يبقى عوائده ويدوم فوائده من
الانفاق في سبيل الله تعالى او من حيث ان ادخار المال وترك انفاقه انما يقع غالبا للتجارات والمهادات فحيث لا يمكن ذلك في الآخرة فلا وجه لادخاره الى وقت
الموت وتخصيص التاكيد بذلك لميل الطباع الى المال وكونها مجبولة على حبه والضنة به ولا يبعد ان يكون تاكيدا لمضمون الامر باقامة الصلوة ايضا من حيث
ان تركها كثيرا ما يكون بالاشتغال بالبياعات والمخالات كما في قوله تعالى واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وقرئ بالفتح فيهما على ارادة النفي العام
ودلالة الرفع على ذلك باعتبار خطابي هو وقوعه في جواب هل فيه بيع وخلال **الله** مبتدأ خبره **الذي خلق السموات** وما فيهما من الاجرام العلوية **والارض** وما
فيها من انواع المخلوقات لما ذكر احوال الكافرين لنعم الله تعالى وامر المؤمنين باقامة مراسم الطاعة شكرا للنعم شرع في تفصيل ما يستوجب على كافة الانام المثابرة
على الشكر والطاعة من النعم العظام والمنن الجسام حثا للمؤمنين عليها وتقريعا للكفرة المخلين بها الواضعين موضعها الكفر والمعاصي وفي جعل المبتدأ الاسم
الجليل والخبر الاسم الموصول بتلك الافاعيل العظيمة من خلق هذه الاجرام العظام وانزال الامطار واخراج الثمرات وما يتلوها من الآثار العجيبة ما لا يخفى
من تربية المهابة والدلالة على قوة السلطان **وانزل من السماء** اي السحاب فان كل ما علاك سماء او من الفلك فان المطر منه يبتدئ الى السحاب ومنه الى الارض
على ما دلت عليه ظواهر النصوص او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى الجو فينعقد سحابا ماطرا وايا ما كان فمن ابتدائية **ماء**
اي نوعا منه هو المطر وتقديم المجرور على المنصوب اما باعتبار كونه مبدأ لنزوله او للتشويق كما في قولك اعطاه السلطان من خزانته مالا او لما مر مرارا من
التشويق الى المؤخر **فاخرج به** بذلك الماء **من الثمرات** المتنوعة للحصر اما لانه صيغ الجموع يتعاور بعضها موضع بعض واما لانه اريد بجمع القلة جماعة الثمرة
التي في قولك ادركت ثمرة بستان فلان **رزقا لكم** تعيشون به وهو بمعنى المرزوق شامل للمطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن للتبيين كقولك انفقت من
الدراهم الفا ويجوز ان يكون من الثمرات مفعولا ورزقا حالا منه او مصدرا من اخرج لانه بمعنى رزق وللتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات كانه
قيل انزل من السماء بعض الماء فاخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم اذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل الرزق
ثمرا واخراج الثمرات وان كان بمشيئته تعالى وقدرته لكن جرت عادته عز وجل بافاضة صورها وكيفياتها على المواد الممتزجة من الماء والتراب واودع في الماء
قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ايجاد الاشياء بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب كذلك لما
ان له تعالى في انشائها مدرجا من طور الى طور صنائع وحكما يجدد فيها لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس ذلك في ابداعها دفعة وقوله لكم
صفة لقوله رزقا ان اريد به المرزوق ومفعول به ان اريد به المصدر كانه قيل رزقا اياكم **وسخر لكم الفلك** بان اقدركم على صنعتها واستعمالها بان الهمكم كيفية ذلك
لتجري في البحر جريا تابعا لارادتكم **بامره** بمشيئته التي نيط بها كل شيء وتخصيصه بالذكر للتنصيص على ان ذلك ليس بمزاولة الاعمال واستعمال الآلات كما يتراءى من
ظاهر الحال **وسخر لكم الانهار** ان اريد بها المياه العظيمة الجارية في الانهار العظام كما يومي اليه ذكرها عند البحر فتسخيرها جعلها معدة لانتفاع الناس حيث يتخذون
منها جداول يسقون بها زروعهم وجناتهم وما شابه ذلك وان اريد بها نفس الانهار فتسخيرها تيسيرها لهم **وسخر لكم الشمس والقمر دائبين** يدابان في سيرهما
وانارتهما اصالة وخلافة واصلاحهما لما نيط بهما صلاحه من المكونات **وسخر لكم الليل والنهار** يتعاقبان خلفة لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها
ذكر سبحانه وتعالى انواع النعم الفائضة عليهم وابرز كل واحدة منها في جملة مستقلة تنويها لشانها وتنبيها على رفعة مكانها وتنصيصا على كون كل منها
نعمة جليلة مستوجبة للشكر وفي التعبير عن التصريف المتعلق بما ذكر من الفلك والانهار والشمس والقمر والليل والنهار بالتسخير من الاشعار بما فيها من صعوبة المأخذ وعزة
المنال والدلالة على عظم السلطان وشدة المحال ما لا يخفى وتاخير تسخير الشمس والقمر عن تسخير ما تقدمهما من الامور المعدودة مع ما بينهما وبين خلق السموات من المناسبة
الظاهرة لاستتباع ذكرهما الذكر للارض المستدعي لذكر انزال الماء منها اليها الموجب لذكر اخراج الرزق الذي من جملته ما يحصل بواسطة الفلك والانهار
او للتفادي عن توهم كون الكل اعني خلق السموات والارض وتسخير الشمس والقمر نعمة واحدة كما مر في قصة البقرة **وآتاكم من كل ما سألتموه** اي اعطاكم

اي اعطاكم بعض جميع ما سألتموه حسبما تقتضيه مشيئته التابعة للحكمة والمصلحة كقوله سبحانه من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد او آتاكم من كل ذلك ما
احتجتم اليه ونيط به انتظام احوالكم على الوجه المقدر فكانكم سألتموه او كل ما طلبتموه بلسان الاستعداد او كل ما سألتموه على ان من للبيان وكلمة كل
للتكثير كقولك فلان يعلم كل شيء واتاه كل الناس وعليه قوله عز وجل فتحنا عليهم ابواب كل شيء وقيل الاصل وآتاكم من كل ما سألتموه وما لم تسألوه فحذف الثاني
لدلالة ما ابقي على ما القي وقرئ بتنوين كل على ان ما نافية ومحل ما سألتموه النصب على الحالية اي آتاكم من كل غير سائليه **وان تعدوا نعمة الله** التي انعم بها عليكم
لا تحصوها لا تطيقوا حصرها ولو اجمالا فانها غير متناهية واصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد وضع حصاة ليحفظ بها ففيه
ايذان بعدم بلوغ مرتبة معتد بها من مراتبها فضلا عن بلوغ غايتها كيف لا وما من فرد من افراد الناس وان كان في اقصى مراتب الفقر والافلاس ممنوا باصناف
الغنايا مبتليا بانواع الرزايا فهو بحيث لو تاملته الفيته متقلبا في نعم لا تحد ومنن لا تحصى ولا تعد كانه قد اعطي ساعة وآن من النعماء ما حواه حيطة الامكان
وان كنت في ريب من ذلك فقدر انه ملك ملك اقطار العالم ودانت له كافة الامم واذعنت لطاعته السراة وخضعت لهيبته رقاب العتاة وفاز بكل مرام
ونال كل منال وحاز جميع ما في الدنيا من اصناف الاموال من غير تدبير احمد ولا شريك يساهمه بل قدر ان جميع ما فيها من حجر ومدر يواقيت غالية ونفائس درر ثم
قدر انه قد وقع من فقد مشروب او مطعوم في حالة بلغت نفسه الحلقوم فهل تشتري وهو في تلك الحال بجميع ماله من الملك والمال لقمة تنجيه عن رداه او شربة تروية
من ظما ام يختار الهلاك فيذهب الاموال والاملاك بغير بدل يبقي عليه ولا نفع يعود اليه كلا بل يبذل لذلك كل ما تحويه اليدان كائنا ما كان وليس في صفقته شائبة
الخسران فان تلك اللقمة والشربة خير مما في الدنيا بالف رتبة مع انهما في طرف الثمام يتعاطاهما متى شاء من الليالي والايام وقدر انه قد احتبس عليه النفس فلا دخل منه
ما خرج ولا خرج منه ما ولج والحين قد حان واتاه الموت من كل مكان افما يعطي ذلك كله بمقابلة نفس واحد بلى يعطيه وهو يراه حامدا فاذن هو خير من اموال الدنيا
بجملتها ومطالبها برمتها مع انه قد اتيح له كل آن من آنات الليالي والايام حال اليقظة والمنام هذا من الظهور والجلاء بحيث لا يكاد يخفى على احد من العقلاء وان
رمت العثور على حقيقة الحق والوقوف على كل ما جل من السر ودق فاعلم ان الانسان بمقتضى حقيقته الممكنة بمعزل عن استحقاق الوجود وما يتبعه من الكمالات اللائقة
والملكات الرائقة بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الالهية من العلاقة لما استقر له القرار ولا اطمانت به الدار الا في مطمورة العدم والبوار ومهاوي الهلاك
والدمار لكن يفيض عليه من الجناب الاقدس تعالى شانه وتقدس في كل زمان يمضي وكل آن يمر وينقضي من انواع الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وسائر صفاته
الروحانية والنفسانية والجسمانية ما لا يحيط به نطاق التعبير ولا يعلمه الا العليم الخبير وتوضيحه انه كما لا يستحق الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء وانما ذلك من جناب
المبدأ الاول عز وجل لكن لا يتصور وجوده ابتداء ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الاصلي لا يتصور بقاؤه على الوجود بعد تحققه بعلته ما لم ينسد عليه جميع انحاء
عدمه الطاري لان الاستمرار والدوام من خصائص الوجود الواجبي وانت خبير بان ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية التي هي علله و
شرائطه وان وجب كونها متناهية وهي ما دخل تحت الوجود لكن الامور العدمية التي لها دخل في وجوده ليست كذلك اذ لا استحالة لوجود ما
لا يكون لشيء واحد موانع غير متناهية وانما الاستحالة لدخولها تحت الوجود فارتفاع تلك الموانع التي لا تتناهى اعني بقاءها على العدم مع امكان
وجودها في انفسها في كل آن من آنات الوجود نعم غير متناهية حقيقة لا ادعاء وكذا الحال في وجودات علله وشرائطه القريبة والبعيدة ابتداء وبقاء
وكذا في كمالاته التابعة لوجوده فاتضح انه يفيض عليه كل آن نعم لا تتناهى من وجوه شتى فسبحانك ما اعظم سلطانك لا تلاحظك
العيون بانظارها ولا تطالعك العقول بافكارها شانك لا يضاهى واحسانك لا يتناهى ونحن في معرفتك حائرون وفي اقامة مراسم شكرك
قاصرون نسألك الهداية الى مناهج معرفتك والتوفيق لاداء حقوق نعمتك لا نحصي ثناء عليك لا اله الا انت نستغفرك ونتوب اليك **ان الانسان لظلوم**
يظلم النعمة باغفال شكرها او بوضعها اياها في غير موضعها او يظلم نفسه بتعريضها للحرمان **كفار** شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في
النعمة يجمع ويمنع واللام في الانسان للجنس ومصداق الحكم بالظلم والكفران بعض من وجد فيه من افراده ويدخل في ذلك الذين بدلوا نعمة الله كفرا
الى آخره دخولا اوليا **واذ قال ابراهيم** اي واذكر وقت قوله عليه السلام والمقصود من تذكيره تذكير ما وقع فيه من مقالاته عليه السلام على نهج التفصيل والمراد
به تاكيد ما سلف من تعجيبه عليه السلام ببيان فن آخر من جناياتهم حيث كفروا بالنعم الخاصة بهم بعد ما كفروا بالنعم العامة وعصوا اباهم ابراهيم عليه السلام
حيث اسكنهم بمكة شرفها الله تعالى لاقامة الصلوة والاجتناب عن عبادة الاصنام والشكر لنعم الله تعالى وسأله تعالى ان يجعله بلدا آمنا ويرزقهم
من الثمرات وتهوي اليهم قلوب الناس من كل اوب سحيق فاستجاب الله تعالى دعاءه وجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء فكفروا بتلك النعم العظام
واستبدلوا بالبلد الحرام دار البوار وجعلوا لله اندادا وفعلوا ما فعلوا **رب اجعل هذا البلد** يعني مكة شرفها الله تعالى **آمنا** اي ذا امن وآمنا اهله بحيث لا يخاف

فيه على ما مر في سورة البقرة والفرق بينه وبين ما فيها من قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا أن المسؤول هناك البلدية والأمن معا وههنا الأمن فقط حيث
جعل هو المفعول الثاني للجعل وجعل البلد صفة للمفعول الأول فإن حمل على تعدد السؤال فلعله عليه السلام سأل أولا كلا الأمرين فاستجيب له في أحدهما وتأخر
الآخر إلى وقته المقدر لما تقتضيه من الحكمة الداعية إليه ثم كرر السؤال كما هو المعتاد في الدعاء والابتهال أو كان المسؤول أولا مجرد الأمن المصحح للسكنى
كما في سائر البلاد وقد أجيب إليه وثانيا الأمن المعهود أو كان هو المسؤول فيهما وقد أجيب إليه أيضا لكن السؤال الثاني للاستدامة والاقتصار على ذلك
لأنه المقصود أو لأن المعتاد في البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف الأمن وإن حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر أن المسؤول كلا
الأمرين وقد حكي أولا واقتصر ههنا على حكاية سؤال الأمن لا لمجرد أن نعمة الأمن أدخل في استيجاب الشكر فذكره أنسب بمقام تقريع الكفرة على إغفاله كما قيل
بل لأن سؤال البلدية قد حكي بقوله تعالى فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم إذ المسؤول هويها إليهم للمساكنة معهم لا للحج فقط وهو عين سؤال البلدية قد
حكي بعبارة أخرى وكان ذلك أول ما قدم عليه السلام مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه عليه السلام لما أسكن إسمعيل
وهاجر هناك وعاد متوجها إلى الشام تبعته هاجر وجعلت تقول إلى من تكلنا في هذا البلقع وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت آلله أمرك بهذا
فقال نعم قالت إذا لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى إذا استوى على ثنية كدا أقبل على الوادي فقال ربنا إني أسكنت الآية وإنما فصل ما بينهما
تثنية للامتنان وإيذانا بأن كلا منهما نعمة جليلة مستتبعة لشكر كثير كما في قصة البقرة **واجنبني وبني** بعدني وإياهم **أن نعبد الأصنام** واجعلنا
في جانب بعيد أي ثبتنا على ما كنا عليه من التوحيد وملة الإسلام والبعد عن عبادة الأصنام وقرئ وأجنبني من الأفعال وهما لغة أهل نجد يقولون جنبني
شره وأجنبني شره وأما أهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على أن عصمة الأنبياء عليهم السلام بتوفيق الله تعالى والظاهر أن المراد ببنيه أولاده
الصلبية فلا احتجاج به لابن عيينة رضي على أن أحدا من أولاد إسمعيل لم يعبد الصنم وإنما كان لكل قوم حجر نصبوه وقالوا هو حجر والبيت حجر فكانوا
يدورون به ويسمونه الدوار فاستحب أن يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت وليت شعري كيف ذهب عليه ما في القرآن العظيم من قوارع تنعي
على قريش عبادة الأصنام على أن فيما ذكره كرا على ما فر منه **رب إنهن** أي الأصنام **أضللن كثيرا من الناس** أي تسببن له كقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا
وهو تعليل لدعائه وإنما صدره بالنداء إظهارا لاعتنائه به ورغبته في استجابته **فمن تبعني** منهم فيما أدعوا إليه من التوحيد وملة الإسلام **فإنه مني** أي
بعضي قاله عليه السلام مبالغة في بيان اختصاصه به أو متصل بي لا ينفك عني في أمر الدين **ومن عصاني** أي لم يتبعني والتعبير عنه بالعصيان للإيذان بأنه عليه السلام
مستمر على الدعوة وأن عدم اتباع من لم يتبعه إنما هو لعصيانه لا لأنه لم يبلغه الدعوة **فإنك غفور رحيم** قادر على أن تغفر له وترحمه ابتداء أو بعد توفيقه للتوبة
وفيه أن كل ذنب فلله تعالى أن يغفره حتى الشرك خلا أن الوعيد قضى بالفرق بينه وبين غيره **ربنا** آثر عليه السلام ضمير الجماعة لأن ما قبل من تقدم ذكره
وذريته والإرعاء في قوله رب إنهن الخ بل لأن الدعاء المصدر به وما أورده بصدد تمهيد مبادي إجابته من قوله **إني أسكنت** الآية متعلقة بذريته
فالتعرض لوصف ربوبيته تعالى لهم أدخل في القبول وإجابة المسؤول **من ذريتي** أي بعضهم أو ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهو إسمعيل عليه السلام وما
سيولد له فإن إسكانه حيث كان على وجه الاطمئنان متضمن لإسكانهم روي أن هاجر أم إسمعيل عليه السلام كانت لسارة فوهبتها من إبراهيم عليه السلام فلما
ولدت له إسمعيل عليه السلام غارت عليهما فناشدته أن يخرجهما من عندها فأخرجهما إلى أرض مكة فأظهر الله تعالى عين زمزم **بواد غير ذي زرع** لا يكون فيه
زرع أصلا وهو وادي مكة شرفها الله سبحانه **عند بيتك** ظرف لأسكنت كقولك صليت بمكة عند الركن لا أنه صفة لواد أو بدل منه إذ المقصود إظهار كون
ذلك الإسكان مع فقدان مباديه بالمرة لمحض التقرب إلى الله تعالى والالتجاء إلى جواره الكريم كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الحرمة المؤذن بعزة الملتجأ وعصمته
عن المكاره في قوله تعالى **المحرم** حيث حرم التعرض له والتهاون به أو لم يزل معظما ممنعا يهابه الجبابرة في كل عصر أو منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا
وتسميته إذ ذاك بيتا ولم يكن له بناء وإنما كان نشزا مثل الرابية تأتيه السيول فتأخذ ذات اليمين وذات الشمال باعتبار ما يؤول إليه الأمر من بنائه عليه السلام
فإنه ينزع إلى اعتبار عنوان الحرمة أيضا كذلك بل إنما هي باعتبار ما كان من قبل فإن تعدد بناء الكعبة المعظمة مما لا ريب فيه وإنما الاختلاف في كمية عدده وقد
ذكرناها في سورة البقرة بفضل الله سبحانه **ربنا ليقيموا الصلوة** متوجهين إليه متبركين به وهو متعلق بأسكنت وتخصيصها بالذكر من بين سائر شعائر الدين لفضلها
وتكرير النداء وتوسيطه لإظهار كمال العناية بإقامة الصلوة والاهتمام بعرض أن الغرض من إسكانهم بذلك الوادي البلقع ذلك المقصد الأقصى والمطلب الأسنى
وكل ذلك لتمهيد مبادي إجابة دعائه وإعطاء مسؤوله الذي لا يتسنى ذلك المرام إلا به ولذلك أدخل عليه الفاء فقال **فاجعل أفئدة من الناس** أي أفئدة من أفئدتهم ومن
للتبعيض ولذلك قيل لو قال أفئدة لازدحمت عليهم فارس والروم وأما زيد عليه من قولهم ولحجت اليهود والنصارى فغير مناسب للمقام إذ المسؤول توجيه

القلوب إليهم للمساكنة معهم لا توجيهها إلى البيت للحج وإلا لقيل تهوي إليه فإنه عين الدعاء بالبلدية قد حكي بعبارة أخرى كما مر أو لابتداء الغاية كقولك
القلب مني سقيم أي أفئدة ناس وقرئ آفدة على القلب كآدر في أدؤر أو على أنه اسم فاعل من أفدت الرحلة إذا عجلت أي جماعة من الناس وأفدة بطرح الهمزة من
الأفئدة أو على النعت من أفد **تهوي إليهم** تسرع إليهم شوقا ووادا وقرئ على البناء للمفعول من أهواه غيره وتهوى من باب علم أي تحب وتعديته بإلى لتضمينه
معنى الشوق والنزوع وأول آثار هذه الدعوة ما روي أنه مرت رفقة من جرهم تريد الشام فرأوا الطير تحوم على الجبل فقالوا إن هذا الطائر لعائف على الماء
فأشرفوا فإذا هم بهاجر فقالوا لها إن شئت كنا معك وآنسناك والماء ماؤك فأذنت لهم وكانوا معها إلى أن شب إسمعيل عليه السلام وماتت هاجر
فتزوج إسمعيل منهم كما هو المشهور **وارزقهم** أي ذريتي الذين أسكنتهم هناك أو مع من ينحاز إليهم من الناس وإنما لم يخص الدعاء بالمؤمنين منهم كما في قوله وارزق
أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر اكتفاء بذكر إقامة الصلوة **من الثمرات** من أنواعها بأن تجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك أو يجبى إليه من
الأقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى أنه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الطائف كانت
من أرض فلسطين فلما دعا إبراهيم عليه السلام بهذه الدعوة رفعها الله تعالى ووضعها حيث وضعها رزقا للحرم وعن الزهري أنه تعالى نقل قرية من قرى الشام
فوضعها بالطائف لدعوة إبراهيم عليه السلام **لعلهم يشكرون** تلك النعمة بإقامة الصلوة وأداء سائر مراسم العبودية وقيل اللام في ليقيموا لام الأمر والمراد
أمرهم بإقامة الصلوة والدعاء من الله تعالى بتوفيقهم لها ولا يناسبه الفاء في قوله تعالى فاجعل إلى آخره وفي دعائه عليه السلام من مراعاة حسن الأدب والمحافظة على
قوانين الضراعة وعرض الحاجة واستنزال الرحمة واستجلاب الرأفة ما لا يخفى فإنه عليه السلام بذكر كون الوادي غير ذي زرع بين كمال افتقارهم إلى المسؤول وبذكر
كون إسكانهم عند البيت المحرم أشار إلى أن جوار الكريم يستوجب إفاضة النعيم وبعرض كون ذلك الإسكان مع كمال إعواز مرافق المعاش لمحض إقامة الصلوة
وأداء حقوق البيت مهد جميع مبادي إجابة السؤال ولذلك قرنت دعوته عليه السلام بحسن القبول **ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن** من الحاجات وغيرها والمراد بما
نخفي ما يقابل ما نعلن سواء تعلق به الإخفاء أولا أي تعلم ما نظهره وما لا نظهره فإن علمه تعالى متعلق بما لا يخطر بباله مما فيه من الأحوال الخفية فضلا عن إخفائه
وتقديم ما نخفي على ما نعلن لتحقيق المساواة بينهما في تعلق العلم بهما على أبلغ وجه فكأن تعلقه بما يخفي أقدم منه بما يعلن أو لأن مرتبة السر والخفاء متقدمة على
مرتبة العلن إذ ما من شيء يعلن إلا وهو قبل ذلك خفي فتعلق علمه سبحانه بحالته الأولى أقدم من تعلقه بحالته الثانية ومقصده عليه السلام أن إظهار هذه الحاجات وما هو
من مباديها وتتماتها ليس لكونها غير معلومة لك بل إنما هو لإظهار العبودية والتخشع لعظمتك والتذلل لعزتك وعرض الافتقار إلى ما عندك والاستعجال لنيل أياديك
وتكرير النداء للمبالغة في الضراعة والابتهال وضمير الجماعة لأن المراد ليس مجرد علمه تعالى بسره وعلنه بل بجميع خفايا الملك والملكوت وقد حققه بقوله على وجه الاعتراض
وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء لما أنه العالم بالذات فما من أمر يدخل تحت الوجود كائنا ما كان في زمان من الأزمان إلا
ووجوده في ذاته علم بالنسبة إليه سبحانه وإنما قال وما يخفى على الله إلى آخره دون أن يقول ويعلم ما في السموات والأرض تحقيقا لما عناه بقوله
تعالى تعلم ما نخفي من أن علمه تعالى بذلك ليس على وجه يكون فيه شائبة خفاء بالنسبة إلى علمه تعالى كما يكون ذلك بالنسبة إلى علوم المخلوقات وكلمة
في متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء أي من شيء كائن فيهما أعم من أن يكون ذلك على الوجه الاستقراري فيهما أو على وجه الجزئية منهما أو بيخفى
وتقديم الأرض على السماء مع توسيط لا بينهما باعتبار القرب والبعد منا المستدعيين للتفاوت بالنسبة إلى علومنا والالتفات من الخطاب
إلى اسم الذات المستجمعة للصفات لتربية المهابة والإشعار بعلة الحكم على نهج قوله تعالى ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير والإيذان بعمومه لأنه
ليس بشأن يختص به أو بمن يتعلق به بل شامل لجميع الأشياء فالمناسب ذكره تعالى بعنوان مصحح لمبدئية الكل وقيل هو من كلام الله عز وجل وارد
بطريق الاعتراض لتصديقه عليه السلام كقوله سبحانه وكذلك يفعلون ومن للاستغراق على الوجهين **الحمد لله الذي وهب لي على الكبر** أي مع كبري
ويأسي عن الولد قيد الهبة به استعظاما للنعمة وإظهارا لشكرها **إسمعيل وإسحق** روي أنه ولد له إسمعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له
إسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة أو مائة وسبع عشرة سنة **إن ربي** ومالك أمري **لسميع الدعاء** لمجيبه من قولهم سمع الملك كلامه إذا اعتد به وهي
من أبنية المبالغة العاملة عمل الفعل أضيف إلى مفعوله أو فاعله بإسناد السماع إلى دعاء الله تعالى مجازا وهو مع كونه من تتمة الحمد والشكر إذ هو
وصف له تعالى بأن ذلك الجميل سنته المستمرة تعليل على طريقة التذييل للهبة المذكورة وفيه إيذان بتضاعف النعمة فيها حيث وقعت بعد الدعاء بقوله رب هب لي
من الصالحين فاقترنت الهبة بقبول الدعوة وتوحيد ضمير المتكلم وإن كان ذكر عقيب هبتهما لما أن نعمة الهبة فائضة عليه خاصة وهما من النعم لا من المنعم عليهم
رب اجعلني مقيم الصلوة مثابرا عليها معدلا لها وتوحيد ضمير المتكلم مع شمول دعوته لذريته أيضا حيث قال **ومن ذريتي** أي بعضهم المذكورين

ومن يسير سيرتهما من اولادهما للاشعار بانه المقتدي في ذلك وذريته اتباع له وان ذكرهم بطريق الاستطراد لا كما في قوله ربنا اني اسكنت الى آخره فان
اسكانه مع عدم تحققه بلا ملابسة لمن اسكنه انما هو مذكور بطريق التمهيد للدعاء والذي هو مخصوص بذريته وانما خص هذا الدعاء ببعض ذريته
لعلمه من جهة الله تعالى ان بعضا منهم لا يكون مقيم الصلوة كقوله تعالى ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك **ربنا وتقبل دعاء** اي دعائي
هذا المتعلق بجعلي وجعل بعض ذريتي مقيمي الصلوة ثابتين على ذلك مجتنبين عن عبادة الاصنام ولذلك جيء بضمير الجماعة **ربنا اغفر لي** اي ما فرط مني
من ترك الاولى في باب الدين وغير ذلك مما لا يسلم منه البشر **ولوالدي** وقرئ بالتوحيد ولابوي وهذا الاستغفار منه عليه السلام انما كان قبل تبين الامر عليه السلام
وقيل اراد بوالديه آدم وحواء وقيل بشرط الاسلام ويرده قوله تعالى الا قول ابراهيم الآية وقد مر في سورة التوبة نوع تحقيق للمقام وسيأتي تمامه في
سورة مريم بفضل الله عز وجل **وللمؤمنين** كافة من ذريته وغيرهم وللايذان باشتراك الكل في الدعاء بالمغفرة جيء بضمير الجماعة **يوم يقوم الحساب** اي يثبت ويتحقق
محاسبة اعمال المكلفين على وجه العدل استعير له من ثبوت القائم على الرجل بالاستقامة ومنه قامت الحرب على ساق والمراد تهويله وقيل اسند اليه قيام
اهله مجازا او حذف المضاف كما في واسأل القرية واعلم ان ما حكي عنه عليه السلام من الادعية والاذكار وما يتعلق بها ليس بصادر عنه على الترتيب المحكي
ولا على وجه المعية بل صدر عنه في ازمنة متفرقة حكي مرتبا للدلالة على سوء حال الكفرة بعد ظهور امره في الملة وارشاد الناس اليها والتضرع الى الله تعالى لمصالحهم
الدينية والدنيوية **ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون** خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد تثبيته على ما كان عليه من عدم حسبانه عز وجل كذلك
نحو قوله ولا تكونن من المشركين ونظائره مع ما فيه من الايذان بكونه واجب الاحتراز عنه في الغاية حتى نهي عنه من لا يمكن تعاطيه او نهيه عليه السلام عن حسبانه تعالى
تاركا لعقابهم على طريقة العفو والتعبير عنه بذلك للمبالغة في النهي والايذان بان ذلك الحسبان بمنزلة حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم اذ العلم بذلك مستوجب لعقابهم
لا محالة فتركه لو كان لكان للغفلة عما يوجبه من اعمالهم الخبيثة وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعد له اكيد ووعيد للكفرة وسائر الظالمين شديد
او لكل احد ممن يستعجل عذابهم ويتوهم اهمالهم للجهل بصفاته تعالى والاغترار بامهاله وقيل معناه لا تحسبنه تعالى يعاملهم معاملة الغافل عما عملوا بل معاملة من
يحافظ على اعمالهم ويجازيهم بذلك نقيرا او قطميرا والمراد بالظالمين اهل مكة ممن عدت مساويهم من تبديل نعمة الله كفرا واحلال قومهم دار البوار واتخاذ
الانداد كما يؤذن به التعرض لحكمة التأخير المنبئ عنه قوله تعالى قل تمتعوا الآية او جنس الظالمين وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا **انما يؤخرهم** ممهلهم متمتعين
بالحظوظ الدنيوية ولا يعجل عقوبتهم حسبما يشاهده وهو استئناف وقع تعليلا للنهي السابق اي دم على ما كنت عليه من عدم حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم
ولا تحزن بتأخير ما تستوجبه من العذاب الاليم ان تأخيره للتشديد والتغليظ ولا تحسبنه تعالى تاركا لعقوبتهم لما ترى من تأخيرها انما ذلك لاجل هذا او لا
تحسبنه تعالى يعاملهم معاملة الغافل ولا يؤاخذهم بما عملوا لما ترى من التأخير انما هو لهذه الحكمة وقرئ بالنون وايقاع التأخير عليهم مع ان المؤخر انما هو
عذابهم لتهويل الخطب وتفظيع الحال ببيان انهم متوجهون الى العذاب مرصدون لامر ما لا انهم باقون باختيارهم والدلالة على ان حقهم من العذاب هو الاستئصال
بالمرة وان لا يبقى منهم في الوجود عين ولا اثر وللايذان بان المؤخر من جملة العذاب وعنوانه ولو قيل انما يؤخر عذابهم الى آخره لما فهم ذلك **ليوم** اي لاجل يوم هائل **تشخص فيه**
الابصار ترتفع ابصار اهل الموقف فيه فيدخل في زمرتهم الكفرة المعهودون دخولا اوليا اي تبقى مفتوحة لا تتحرك اجفانهم من هول ما يرونه واعتبار عدم قرارها
في اماكنها اما باعتبار الارتفاع الحسي في جرم العين واما بجعل الصيغة من شخص من بلد الى بلد وسار في ارتفاع **مهطعين** مسرعين الى الداعي مقبلين عليه
بالخوف والذل والخشوع او مقبلين بابصارهم عليه لا يقلعون عنه ولا يطرفون هيبة وخوفا وحيث كان ادامة النظر ههنا بالنظر الى الداعي قيل **مقنعي رؤسهم**
اي رافعيها مع ادامة النظر من غير التفات الى شيء قاله العتبي وابن عرفة او ناكسيها ويقال اقنع رأسه اي طأطأها ونكسها فهو من الاضداد وهما حالان
مما دل عليه الابصار من اصحابها او الثاني حال متداخلة من الضمير في الاول واضافته غير حقيقية فلا ينافي الحالية **لا يرتد اليهم طرفهم** لا يرجع اليهم تحريك
اجفانهم حسبما كان يرجع اليهم كل لحظة بل تبقى اعينهم مفتوحة لا تطرف ولا ترجع اليهم اجفانهم التي هي آلة الطرف فيكون اسناد الرجوع الى الطرف مجازيا او
نفس الجفن قال الفيروزآبادي الطرف العين لا يجمع لانه مصدر في الاصل او اسم جامع للعين او لا يرجع نظرهم الى انفسهم فضلا عن ان يرجع الى شيء آخر
فيبقون مبهوتين وهو ايضا حال او بدل من مقنعي الى آخره او استئناف والمعنى لا يزول ما اعتراهم من شخوص الابصار وتأخيره عما هو من تتمته من الاهطاع
والاقناع مع ما بينه وبين الشخوص المذكور من المناسبة لتربية هذا المعنى **وافئدتهم هواء** خالية من العقل والفهم لفرط الحيرة والدهش كأنها نفس الهواء
الخالي عن كل شاغل ومنه قيل للجبان والاحمق قلبه هواء اي لا قوة ولا رأي فيه واعتبار خلوها عن كل خير لا يناسب المقام وهو اما حال عاملها لا يرتد فقيد
لكون شخوص ابصارهم وعدم ارتداد طرفهم بلا فهم ولا اختيار او جملة مستقلة **وانذر الناس** خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعلامه ان تأخيرهم لماذا

او امر له بانذارهم وتخويفهم منه والمراد بالناس الكفار المعبر عنهم بالظالمين كما يقتضيه ظاهر اتيان العذاب والعدول اليه من الاضمار للاشعار بان المراد بالانذار
هو الزجر عما هم عليه من الظلم شفقة عليهم لا التخويف للازعاج والايذاء فالمناسب عدم ذكرهم بعنوان الظلم او الناس جميعا فان الانذار عام للفريقين كقوله
تعالى انما تنذر من اتبع الذكر والاتيان يعمهما من حيث كونهما في الموقف وان كان لحوقه بالكفار خاصة اي انذرهم وخوفهم **يوم يأتيهم العذاب** المعهود
وهو اليوم الذي وصف بما يوصف من الاوصاف الهائلة اعني يوم القيمة وقيل هو يوم موتهم معذبين بالسكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى
او يوم هلاكهم بالعذاب العاجل ويأباه القصر الآتي **فيقول الذين ظلموا** اي فيقولون والعدول عنه الى ما عليه النظم الكريم للتسجيل عليهم بالظلم
والاشعار بان ما لقوه من الشدة انما هو لظلمهم وايثاره على صيغة الفاعل حسبما ذكر اولا للايذان بان الظلم في الجملة كاف في الافضاء الى ما
ذكر من الاهوال من غير حاجة الى الاستمرار عليه كما ينبئ عنه صيغة الفاعل وعلى تقدير كون المراد بالناس من يعم المسلمين ايضا فالمعنى الذين ظلموا
منهم وهم الكفار او يقول كل من ظلم بالشرك والتكذيب من المنذرين وغيرهم من الامم الخالية فان اتيان العذاب يعمهم كما يشعر بذلك وعدهم
باتباع الرسل **ربنا اخرنا** ردنا الى الدنيا وامهلنا **الى اجل قريب** الى امد وحد من الزمان قريب **نجب دعوتك** اي الدعوة اليك والى توحيدك
او دعوتك لنا على السنة الرسل ففيه ايماء الى انهم صدقوهم في انهم مرسلون من عند الله تعالى **ونتبع الرسل** فيما جاؤنا به اي نتدارك ما فرطنا فيه من
اجابة الدعوة واتباع الرسل والجمع اما باعتبار اتفاق الجميع على التوحيد وكون عصيانهم للرسول عليه السلام عصيانا لهم جميعا عليهم السلام واما
باعتبار ان المحكي كلام ظالمي الامم جميعا والمقصود بيان وعد كل امة باتباع رسولها **اولم تكونوا اقسمتم من قبل** على اضمار القول معطوفا على فيقول
اي فيقال لهم توبيخا وتبكيتا الم تؤخروا في الدنيا ولم تكونوا اقسمتم اذ ذاك بالسنتكم بطرا واشرا وجهلا وسفها **ما لكم من زوال** مما انتم عليه من
التمتع بالحظوظ الدنيوية او بالسنة الحال حيث بنيتم مشيدا واملتم بعيدا ولم تحدثوا انفسكم بالانتقال منها الى هذه الحالة وفيه اشعار بامتداد
زمان التأخير وبعد مداه او ما لكم من زوال من هذه الدار الى دار اخرى للجزاء كقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وصيغة الخطاب
في جواب القسم لمراعاة حال الخطاب في اقسمتم كما في قوله حلف بالله ليخرجن وهو ادخل في التوبيخ من ان يقال ما لنا مراعاة لحال المقسم ذكر البيهقي
عن محمد بن كعب القرظي رحمه الله انه قال لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله تعالى في اربع منها فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها ابدا يقولون ربنا
امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيجيبهم الله تعالى ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا
فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون فيجيبهم الله تعالى فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا الآية ثم
يقولون ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل فيجيبهم الله تعالى اولم تكونوا اقسمتم الآية ثم يقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا
نعمل فيجيبهم الله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما
ضالين فيجيبهم الله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها ابدا ان هو الا زفير وشهيق وعند ذلك انقطع رجاؤهم واقبل بعضهم ينبح في
وجه بعض واطبقت عليهم جهنم اللهم انا بك نعوذ وبكنفك نلوذ عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك **وسكنتم** من السكنى بمعنى التبوء والاستيطان
وانما استعمل بكلمة في حيث قيل **في مساكن الذين ظلموا انفسهم** جريا على الاصل لانه منقول عن مطلق السكون الذي حقه التعدية بها او من السكون واللبث اي
قررتم في مساكنهم مطمئنين سائرين سيرتهم في الظلم بالكفر والمعاصي غير محدثين لانفسكم بما لقيه الاولون بسبب ما اجترحوا من الموبقات وفي ايقاع الظلم
على انفسهم بعد اطلاقه فيما سلف ايذان بان غائلة الظلم آيلة الى صاحبه والمراد بهم اما جميع من تقدم من الامم المهلكة على تقدير اختصاص الاستمهال والخطاب
السابق للمنذرين واما اوائلهم من قوم نوح وهود على تقدير عمومهما للكل وهذا الخطاب وما يتلوه باعتبار حال اواخرهم **وتبين لكم** بمشاهدة الآثار وتواتر
الاخبار **كيف فعلنا بهم** من الاهلاك والعقوبة بما فعلوا من الظلم والفساد وكيف منصوب بما بعده من الفعل وليس الجملة فاعلا لتبين كما قاله بعض الكوفيين بل
فاعله ما دلت هي عليه دلالة واضحة اي فعلنا العجيب بهم كما مر في قوله تعالى ليسجننه وقرئ ونبين **وضربنا لكم الامثال** اي بينا لكم في القرآن العظيم على تقدير
اختصاص الخطاب بالمنذرين او على السنة الانبياء عليهم السلام على تقدير عمومه لجميع المخاطبين الظالمين صفات ما فعلوا وما فعل بهم من الامور التي هي في الغرابة
كالامثال المضروبة لكل ظالم لتعتبروا بها وتقيسوا اعمالكم على اعمالهم ومآلكم على مآلهم وتنتقلوا من حلول العذاب العاجل الى حلول العذاب الآجل فترتدعوا عما
كنتم فيه من الكفر والمعاصي او بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب والجمل الثلاث في موقع الحال من ضمير اقسمتم اي اقسمتم بالخلود والحال انكم سكنتم في مساكن
المهلكين بظلمهم وتبين لكم فعلنا العجيب بهم ونبهناكم على جلية الحال بضرب الامثال وقوله عز وجل **وقد مكروا مكرهم** حال من الضمير الاول في فعلنا بهم اي من

التابع او منهما جميعا وانما قدم عليه قوله تعالى وضربنا لكم الامثال لشدة ارتباطه بما قبله اي فعلنا بهم ما فعلنا والحال انهم قد مكروا في ابطال الحق وتقرير الباطل
مكرهم العظيم الذي استفرغوا في عمله المجهود وجاوزوا فيه كل حد معهود بحيث لا يقدر عليه غيرهم فالمراد بيان تناهيهم في استحقاق ما فعل بهم او وقد مكروا
مكرهم المذكور في ترتيب مبادي البقاء ومدافعة اسباب الزوال فالمقصود اظهار عجزهم واضمحلال قدرتهم وحقارتها عند قدرته تعالى **وعند الله مكرهم** اي
جزاء مكرهم الذي فعلوه على ان المكر مضاف الى فاعله او اخذه تعالى بهم على انه مضاف الى مفعوله وتسميته مكرا لكونه بمقابلة مكرهم وجودا او ذكرا او لكونه
في صورة المكر في الاتيان من حيث لا يشعرون وعلى التقديرين فالمراد به ما افاده قوله عز وجل كيف فعلنا بهم لا انه وعيد مستانف والجملة حال من الضمير
في مكروا اي مكروا مكرهم وعند الله جزاؤه او ما هو اعظم منه والمقصود بيان فساد رأيهم في غاية المتانة والشدة وعبر عن ذلك بكونه مسوى
ومعدا لازالة الجبال عن مقارها لكونه مثلا في ذلك والجملة المصدرة بان الوصلية معطوفة على جملة مقدرة والمعنى وعند الله جزاء مكرهم او المكر
الذي يحيق بهم ان لم يكن مكرهم لتزول منه الجبال وان كان الى آخره وقد حذف ذلك حذفا مطردا لدلالة المذكور عليه دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق عند
وجود المانع القوي فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في ان الوصلية من التاكيد المعنوي والجواب محذوف دل عليه ما سبق وهو قوله تعالى
وعند الله مكرهم وقيل ان نافية واللام لتاكيدها كما في قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم ويعضده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وما كان مكرهم فالجملة حينئذ
حال من الضمير في مكروا لا من قوله تعالى وعند الله مكرهم اي مكروا ومكرهم والحال ان مكرهم لم يكن لتزول منه الجبال على انها عبارة عن آيات الله تعالى وشرائعه
ومعجزاته الظاهرة على ايدي الرسل السالفة عليهم السلام التي هي بمنزلة الجبال الراسيات في الرسوخ واما كونها عبارة عن امر النبي صلى الله عليه وسلم وامر
القرآن العظيم كما قيل فلا مجال له اذ الماكرون هم المهلكون لا الساكنون في مساكنهم من المخاطبين وان خص الخطاب بالمنذرين وقيل هي مخففة من ان والمعنى انه
كان مكرهم لتزول منه ما هو كالجبال في الثبات مما ذكر من الآيات والشرائع والمعجزات والجملة كما هي حال من ضمير مكروا اي مكروا مكرهم المعهود وان
الشان كان مكرهم لازالة الآيات والشرائع على معنى انه لم يكن يصح ان يكون منهم مكر كذلك وكان شان الآيات والشرائع مانعا من مباشرة
المكر لازالته وقد قرأ الكسائي لتزول بفتح اللام على انها الفارقة والمعنى تعظيم مكرهم فالجملة حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم اي عنده تعالى جزاء مكرهم
او المكر بهم والحال ان مكرهم بحيث تزول منه الجبال اي في غاية الشدة وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي وقرئ وان كاد مكرهم هذا
هو الذي يقتضيه النظم الكريم وينساق اليه الطبع السليم وقد قيل ان الضمير في مكروا للمنذرين والمراد بمكرهم ما افاده قوله عز وجل واذ يمكر
بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الآية وغير ذلك من انواع مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل الوجه حينئذ ان يكون قوله تعالى
وقد مكروا الى آخره حالا من القول المقدر اي فيقال لهم ما يقال والحال انهم مع ما فعلوا من الاقسام المذكور مع ما ينافيه من السكون في مساكن
المهلكين وتبين احوالهم وضرب الامثال قد مكروا مكرهم العظيم اي لم يكن الصادر عنهم مجرد الاقسام الذي ونحوه بل اجترؤوا على مثل هذه العظيمة
وقوله تعالى وعند الله مكرهم حال من ضمير مكروا حسبما ذكرنا من قبل وقوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال مسوق لبيان عدم تفاوت الحال
في تحقق الجزاء بين كون مكرهم قويا او ضعيفا كما مر هناك وعلى تقدير كون ان نافية فهو حال من ضمير مكروا والجبال عبارة عن امر النبي صلى الله
عليه وسلم اي وقد مكروا والحال ان مكرهم ما كان لتزول منه تلك الشرائع والآيات التي هي في القوة كالجبال وعلى تقدير كونها مخففة من المثقلة
واللام مكسورة يكون حالا منه ايضا على معنى ان ذلك المكر العظيم منهم كان لهذا الغرض على معنى انه لم يكن يصح ان يكون منهم مكر كذلك لما ان شان
الشرائع اعظم من ان يمكر بها ماكر وعلى تقدير فتح اللام فهو حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم كما ذكرنا من قبل فليتأمل **فلا تحسبن الله مخلف وعده**
رسله لم يرد به والله سبحانه اعلم ما وعده بقوله تعالى انا لننصر رسلنا الآية وقوله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي كما قيل فانه لا اختصاص له بالتعذيب
لا سيما الاخروي بل ما سلف آنفا من وعده بتعذيب الظالمين بقوله تعالى انما يؤخرهم الآية كما يفصح عنه الفاء الداخلة على النهي الذي اريد به تثبيته
عليه السلام على ما كان عليه من الثقة بالله تعالى والتيقن بانجاز وعده المذكور المقرون بالامر بانذارهم يوم اتيان العذاب المتضمن لذكر تعذيب الامم
السالفة بسبب كفرهم وعصيانهم رسلهم بعد ما وعدهم بذلك كما فصلت قصة كل منهم في القرآن العظيم وكانه قيل واذ قد وعدناك بعذاب الظالمين
يوم القيمة واخبرناك بما يلقونه من الشدائد وبما يسألونه من الرد الى الدنيا وبما اجبناهم به وقرعناهم بعدم تأملهم في احوال من سبقهم من الامم
الذين اهلكناهم بظلمهم بعد ما وعدنا رسلهم باهلاكهم فدم على ما كنت عليه من الثقة بعدم اخلافنا رسلنا وعدنا اياهم **ان الله عزيز** غالب لا يماكر
وقادر لا يقادر **ذو انتقام** لاوليائه من اعدائه والجملة تعليل للنهي المذكور وتذييل له وحيث كان الوعد عبارة عما ذكرنا من تعذيبهم خاصة لم يذيل

لم يذيل بان يقال ان الله لا يخلف الميعاد بل تعرض لوصف العزة والانتقام المشعرين بذلك والمراد بالانتقام ما اشير اليه بالفعل في قوله تعالى كيف
فعلنا بهم وعبر عنه بالمكر **يوم تبدل الارض غير الارض** ظرف لمضمر مستانف ينسحب عليه النهي المذكور اي ينجزه يوم الى آخره او معطوف عليه نحو وارتقب
يوم تبدل الارض غير الارض او لانتقام وهو يوم ياتيهم العذاب بعينه ولكن له احوال جمة يذكر كل مرة بعنوان مخصوص والتقييد به مع عموم انتقامه
للاوقات كلها للافصاح عما هو المقصود به من تعذيب الكفرة المؤخرة الى ذلك اليوم بموجب الحكمة الداعية اليه وقيل بدل من يوم ياتيهم العذاب او
نصب باذكر او باضمار لا يخلف وعده يوم تبدل الى آخره وفيه ايضا ما في الوجه الثالث من الحاجة الى الاعتذار ولا يجوز ان ينتصب بقوله
مخلف وعده لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده وقيل هو غير مانع لان قوله تعالى ان الله عزيز ذو انتقام جملة اعتراضية فلا يبالي بها فاصلا واعلم
ان التبديل قد يكون في الذوات كما في بدلت الدراهم دنانير وعليه قوله عز وجل بدلناهم جلودا غيرها وقد يكون في الصفات كما في قولك بدلت الحلقة
خاتما اذا غيرت شكلها ومنه قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات على بعض الاقوال والآية الكريمة ليست بنص في احد الوجهين فعن علي كرم الله وجهه
تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود تبدل الارض بارض كفضة بيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما هي تلك الارض وانما تغير صفاتها وانشد وما الناس بالناس الذين عهدتهم وما الدار بالدار التي كنت تعلم وتبدل السموات
بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا ويدل عليه ما روى ابو هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال تبدل
الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا **والسموات** اي وتبدل السموات غير السموات حسبما مر من التفصيل وتقديم
تبديل الارض على السموات لقربها منا ولكون تبديلها اعظم اثرا بالنسبة الينا **وبرزوا** اي الخلائق او الظالمون المدلول عليهم بمعونة السياق والمراد
بروزهم من اجداثهم التي في بطون الارض او ظهورهم باعمالهم التي كانوا يعملونها سرا ويزعمون انها لا تظهر او يعملون عمل من يزعم ذلك ولعل
اسناد البروز اليهم مع انه لاعمالهم للايذان بتشكلهم باشكال تناسبها وهو معطوف على تبدل والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه
او حال من الارض بتقدير قد والرابط بينها وبين صاحبها الواو **لله الواحد القهار** للحساب والجزاء والتعرض للوصفين لتهويل الخطب وتربية المهابة
واظهار بطلان الشرك وتحقيق الانتقام في ذلك اليوم على تقدير كونه ظرفا له وتحقيق اتيان العذاب المعهود على تقدير كونه بدلا من يوم ياتيهم العذاب
فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب وقادر لا يضار ولا يغار كان في غاية ما يكون من الشدة والصعوبة **وترى المجرمين** عطف على
برزوا والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار الصورة او للدلالة على الاستمرار واما البروز فهو دفعي لا استمرار فيه وعلى تقدير كونها حالية من
برزوا فهو معطوف على تبدل ويجوز عطفه على عامل الظرف المقدم على تقدير كونه ينجزه **يومئذ** يوم اذ برزوا لله عز وجل او يوم اذ تبدل الارض او يوم
اذ ينجز وعده **مقرنين** قرن بعضهم مع بعض حسب اقترانهم في الجرائم والجرائر او قرنوا مع الشياطين الذين اغووهم او قرنوا مع ما اقترفوا من العقائد
الزائغة والملكات الردية والاعمال السيئة غب تصور كل منها وتشكلها بما يناسبها من الصور الموحشة والاشكال الهائلة او قرنت ايديهم
وارجلهم الى رقابهم وهو حال من المجرمين **في الاصفاد** في القيود او الاغلال وهو اما متعلق بقوله تعالى مقرنين او حال من ضميره اي مصفدين **سرابيلهم**
اي قمصانهم **من قطران** جملة من مبتدا وخبر محلها النصب على الحالية من المجرمين او من ضميرهم في مقرنين رابطتها الضمير فقط كما في كلمته فوه الى
في او مستانفة والقطران ما يتحلب من الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بما فيه من الحدة الشديدة وقد تصل حرارته الى الجوف وهو
اسود منتن يسرع فيه اشتعال النار يطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم الالوان الاربعة من العذاب لذعه
وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون الموحش والنتن على ان التفاوت بينه وبين ما نشاهده وبين النارين لا يكاد يقادر قدره
فكأن ما نشاهده منهما اسماء مسمياتها في الآخرة فبكرمه العميم نعوذ وبكنفه الواسع نلوذ ويحتمل ان يكون ذلك تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من
الملكات الردية والهيئات الموحشة فتجلب اليها الآلام والغموم بل وان يكون القطران المذكور عين ما لبسوه في هذه النشاة وجعلوه شعارا لهم
من العقائد الباطلة والاعمال السيئة المستجلبة لفنون العذاب قد تجسدت في النشاة الآخرة بتلك الصورة المستتبعة لاشتداد العذاب عصمنا الله
سبحانه عن ذلك بمنه ولطفه وقرئ من قطر آن اي نحاس مذاب متناه حره **وتغشى وجوههم النار** اي تعلوها وتحيط بها النار التي تمس جسدهم
المسربل بالقطران وتخصيص الوجوه بالحكم المذكور مع عمومه لسائر اعضائهم لكونها اعز الاعضاء الظاهرة واشرفها كقوله تعالى افمن يتقي بوجهه
سوء العذاب الى آخره ولكونها مجمع المشاعر والحواس التي خلقت لادراك الحق وقد اعرضوا عنه ولم يستعملوها في تدبره كما ان الفؤاد اشرف

الأعضاء الباطنة ومحل المعرفة وقد ملؤها بالجهالات ولذلك قيل تطلع على الأفئدة او لخلوها عن القطران المغني عن ذكر غشيان النار لها ولعل
تخليتها عنه ليتعارفوا عند انكشاف اللهب احيانا ويتضاعف عذابهم بالخزي على رؤوس الأشهاد وقرئ تغشّى اي تتغشّى بحذف احدى التاءين
والجملة نصب على الحالية لا على ان الواو حالية لأنه مضارع مثبت بل على انها معطوفة على الحال قاله ابو البقاء **ليجزي الله** متعلق بمضمر اي يفعل
بهم ذلك ليجزي **كل نفس** مجرمة **ما كسبت** من انواع الكفر والمعاصي جزاء موافقا لعملها وفيه ايذان بأن جزاءهم مناسب لأعمالهم او بقوله برزوا
على تقدير كونه معطوفا على تبدل والضمير للخلق وقوله وترى المجرمين الى آخره اعتراض بين المتعلق والمتعلق به اي برزوا للحساب ليجزي الله
كل نفس مطيعة او عاصية ما كسبت من خير او شر وقد اكتفى بذكر عقاب العصاة تعويلا على شهادة الحال لا سيما مع ملاحظة سبق الرحمة الواسعة
ان الله سريع الحساب اذ لا يشغله شأن عن شأن فيتمه في اعجل ما يكون من الزمان فيوفي الجزاء بحسبه او سريع المجيء يأتي عن قريب او سريع الانتقام كما قال
ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وهو سريع الحساب **هذا** اي ما ذكر من قوله سبحانه ولا تحسبن الله غافلا الى قوله سريع الحساب **بلاغ** كفاية في
العظة والتذكير من غير حاجة الى ما انطوى عليه السورة الكريمة او كل القرآن المجيد من فنون العظات والقوارع **للناس** للكفار خاصة على تقدير
اختصاص الانذار بهم في قوله تعالى وأنذر الناس او لهم وللمؤمنين كافة على تقدير شموله لهم ايضا وان كان ما شرح مختصا بالظالمين **ولينذروا**
به عطف على مقدر واللام متعلقة بالبلاغ اي كفاية لهم في ان ينصحوا وينذروا به او هذا ابلاغ لهم لينصحوه ولينذروا به على ان البلاغ بمعنى
الابلاغ كما في قوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ او متعلقة بمحذوف اي ولينذروا به انزل او تلي وقرئ لينذروا من نذر بالشيء اذا علمه
وحذره واستعد له **وليعلموا** بالتأمل فيما فيه من الدلائل الواضحة التي هي اهلاك الامم واسكان آخرين مساكنهم وغيرهما مما سبق ولحق **انما هو اله**
واحد لا شريك له وتقديم الانذار لأنه الداعي الى التأمل المؤدي الى ما هو غاية له من العلم المذكور والتذكر في قوله تعالى **وليذكر اولو الالباب**
اي ليتذكروا ما كانوا يعلمونه من قبل من التوحيد وغيره من شؤون الله عز وجل ومعاملته مع عباده فيرتدعوا عما يرديهم من الصفات التي يتصف
بها الكفار ويتدرعوا بما يحظيهم من العقائد الحقة والاعمال الصالحة وفي تخصيص التذكر باولي الالباب تلويح باختصاص العلم بالكفار ودلالة
على ان المشار اليه بهذا ما ذكرنا من القوارع المسوقة لشأنهم لا كل السورة المشتملة عليها وعلى ما سيق للمؤمنين ايضا فان فيه ما يفيدهم فائدة
جديدة وحيث كان ما يفيده البلاغ من التوحيد وما يترتب عليه من الاحكام بالنسبة الى الكفرة امرا حادثا وبالنسبة الى اولي الالباب الثابت
على ذلك حسبما اشير اليه عبر عن الاول بالعلم وعن الثاني بالتذكر وروعي ترتيب الوجود مع ما فيه من الختم بالحسنى والله سبحانه اعلم ختم الله لنا وللمسلمين
بالسعادة والحسنى ورزقنا الفوز برضاته في الاولى والعقبى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات
بعدد من عبد الاصنام ومن لم يعبد والحمد لله وحده

سورة الحجر

بسم الله الرحمن الرحيم **الر** قد مر الكلام فيه في محله في مطلع سورة الرعد واخواتها **تلك** اشارة اليه اي تلك السورة العظيمة
آيات الكتاب الكامل المعهود الغني عن الوصف به المشهور بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به على الاطلاق اي بعض منه مترجم مستقل باسم
خاص فهو عبارة عن جميع القرآن او عن الجميع المنزل اذ ذاك اذ هو المتسارع الى الفهم حينئذ عند الاطلاق وعليه يترتب فائدة وصف الآيات بنعت
ما اضيفت اليه من نعوت الكمال لا على جعله عبارة عن السورة اذ هي في الاتصاف بذلك ليست بتلك المرتبة من الشهرة حتى يستغنى عن التصريح بالوصف
على انها عبارة عن جميع آياتها فلا بد من جعل تلك اشارة الى كل واحدة منها وفيه من التكلف ما لا يخفى كما ذكر في سورة الرعد **وقرآن** اي قرآن عظيم الشأن
مبين مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والاحكام او لسبيل الرشد والغي او فارق بين الحق والباطل والحرام والحلال ولقد فخم شأنه العظيم مع ما جمع فيه
من وصفي الكتابية والقرآنية على طريقين احدهما اشتماله على صفات كمال جنس الكتب الالهية فكأنه كلها والثانية طريقة كونه ممتازا عن غيره
نسيج وحده بديعا في بابه خارجا عن دائرة البيان واخرت الطريقة الثانية لما ان الاشارة الى امتيازه عن سائر الكتب بعد التنبيه على انطوائه
على كمالات غيره من الكتب ادخل في المدح كيلا يتوهم من اول الامر ان امتيازه عن غيره لاستقلاله باوصاف خاصة به من غير اشتمال على كمال
سائر الكتب الكريمة وهكذا الكلام في فاتحة سورة النمل خلا انه قدم فيها القرآن على الكتاب لما سيذكر هناك ولما بين كون السورة الكريمة بعضا
من الكتاب والقرآن لتوجيه المخاطبين الى حسن تلقي ما فيها من الاحكام والقصص والمواعظ شرع في بيان ما تضمنه فقيل **ربما** بضم الراء وتخفيف الباء
المفتوحة وقرئ بالتشديد وبفتح الراء مخففا وبزيادة التاء مشددا وفيه ثماني لغات فتح الراء وضمها مشددا ومخففا وزيادة التاء

التاء ايضا مشددا ومخففا ورب حرف جر لا يدخل الا على الاسم وما كافة مصححة لدخوله على الفعل وحقه الدخول على الماضي ودخوله على قوله تعالى **يود الذين كفروا**
لما ان المترقب في اخباره تعالى كالماضي المقطوع في تحقق الوقوع فكأنه قيل ربما ود الذين كفروا والمراد كفرهم بالكتاب والقرآن وبكونه من عند الله تعالى
لو كانوا مسلمين منقادين لحكمه مذعنين لأمره وفيه ايذان بأن كفرهم انما كان بالجحود بعد ما علموا كونه من عند الله تعالى وتلك الودادة يوم القيمة او عند
موتهم او عند معاينة حالهم وحال المسلمين او عند رؤيتهم خروج عصاة المسلمين من النار روى ابو موسى الاشعري انه قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا
كان يوم القيمة واجتمع اهل النار في النار ومعهم من شاء الله تعالى من اهل القبلة قال لهم الكفار ألستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم
وقد صرتم معنا الى النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيغضب الله سبحانه لهم بفضل رحمته فيأمر بكل من كان من اهل القبلة في النار فيخرجون منها
فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وروى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لا يزال الرب يرحم ويشفع اليه حتى يقول من كان من المسلمين
فليدخل الجنة فعند ذلك يتمنون الاسلام والحق ان ذلك محمول على شدة ودادتهم واما نفس الودادة فليست مختصة بوقت دون وقت بل هي مقررة
مستمرة في كل آن يمر عليهم وان المراد بيان ذلك على ما هو عليه من الكثرة وانما جيء بصيغة التقليل جريا على سنن العرب فيما يقصدون به الافراط فيما
يعكسون عنه تقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي او لا تعدم عندي فارسا وعنده مقانب جمة من الكتائب وقصده في
ذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه يريد اظهار براءته من التزيد وابراز انه ممن يقلل لعلو الهمة كثير ما عنده فضلا عن تكثير القليل وبهذه طريقة انما
تسلك اذا كان الامر من الوضوح بحيث لا يحوم حوله شائبة ريب فيصار اليه هضما للحق فدل النظم الكريم على ودادة الكافرين للاسلام في كل آن من آنات اليوم
الآخر وان ذلك من الظهور بحيث لا يشتبه على احد ولو جيء بكلام يدل على ضده وعلى ان تلك الودادة مع كثرتها في نفسها مما تستقل بالنسبة الى جناب الكبرياء
وهذا هو الموافق لمقام بيان حقارة شأن الكفار وعدم الاعتداد بما هم فيه من الكفر والتكذيب كما ينطق به قوله تعالى **ذرهم يأكلوا ويتمتعوا** الآية او ذلك
الى الاشعار بأن من شأن العاقل اذا عن له امر يكون مظنون الحمد وقليلا ما يكون كذلك ان لا يفارقه ولا يفارق ضده فكيف اذا كان متيقن الحمد كما في قولهم
لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الانسان على ما فعل فان المقصود ليس بيان كون الندم مرجو الوجود بلا تيقن به او قليل الوقوع بل التنبيه على ان العاقل
لا يباشر ما يرجى فيه الندم ويقل وقوعه فيه فكيف بقطعي الوقوع وانه يكفي قليل الندم في كونه حاجزا عن ذلك الفعل فكيف كثيره والمقصود من سلوك هذه
الطريقة اظهار الترفع والاستغناء عن التصريح بالغرض بناء على ادعاء ظهوره فالمعنى لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة لوجب عليهم ان لا يفارقوه فكيف
وهم يودونه كل آن وهذا اوفق بمقام استنزالهم عما هم عليه من الكفران وهذان طريقان متمايزان ذاتا ومقاما فمن ظنهما واحدا فقد نأى عن توفية المقام حقه
ذرهم دعهم عن النهي عما هم عليه بالتذكرة والنصيحة او لا سبيل الى ارعوائهم عن ذلك وبالغ في تخليتهم وشأنهم بل مرهم بتعاطي ما يتعاطونه يأكلوا ويتمتعوا
بدنياهم وفي تقديم الاكل ايذان بأن تمتعهم انما هو من قبيل تمتع البهائم بالمآكل والمشارب والمراد دوامهم على ذلك لا احداثه فانهم كانوا كذلك وتمتعهم
بلا استمتاع ما ينغص عيشهم من القوارع والزواجر فان التمتع على ذلك الوجه امر حادث يصلح ان يكون مترتبا على تخليتهم وشأنهم **ويلههم الامل** ويشغلهم عن
اتباعك وعن التفكر فيما هم يصيرون اليه او عن الايمان والطاعة فان الاكل والتمتع يفضيان الى ذلك **الامل** والتوقع لطول الاعمار وبلوغ الاوطار واستقامة
الاحوال وان لا يلقوا في العاقبة والمآل الا خيرا فالافعال الثلاثة مجزومة على الجوابية للامر حسبما عرفت من تضمن الامر بالترك للامر بها على طريقة المجاز او على ان يكون المراد
بالافعال المرقومة مباشرتهم لها غافلين عن وخامة عاقبتها غير سامعين لسوء مغبتها اصلا ولا ريب في ترتب ذلك على الامر بالترك فان النهي عما هم عليه
من ارتكاب القبائح مما يشوش عليهم تمتعهم وينغص عليهم عيشهم فأمره عليه السلام بتركه ليتمرغوا فيما هم فيه من حظوظهم فيذهلهم ما يدهمهم وهم عنها غافلون
فسوف يعلمون سوء صنيعهم او وخامة عاقبتهم او حقيقة الحال التي الجأتهم الى التمني المذكور حيث لم يعلموا ذلك من جهتك وهو مع كونه وعيدا اكيدا وتهديدا شديدا وعيدة
عقب تهديد تعليل للامر بالترك فان علمهم ذلك علة لترك النهي والنصيحة لهم وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار وتقرير للجحود والانكار وكذلك ما رتب عليه
من الاكل والتمتع والالهاء **وما اهلكنا** شروع في بيان سر تأخير عذابهم الى يوم القيمة وعدم نظمهم في سلك الامم الدارجة في تعجيل العذاب اي ما اهلكنا **من قرية**
من القرى بالخسف بها وبأهلها كما فعل ببعضها او باخلائها عن اهلها غب اهلاكهم كما فعل بآخرين **الا ولها** في ذلك الشأن **كتاب** اي اجل مقدر مكتوب في اللوح
واجب المراعاة بحيث لا يمكن تبديله لوقوعه حسب الحكمة المقتضية له معلوم لا ينسى ولا يغفل عنه حتى يتصور التخلف عنه بالتقدم والتأخر فكتاب مبتدأ خبره
الظرف والجملة حال من قرية فانها لعمومها لا سيما بعد تأكده بكلمة من في حكم الموصوفة كما اشير اليه والمعنى ما اهلكنا قرية من القرى في حال من الاحوال الا
حال ان يكون لها كتاب اي اجل موقت لمهلكها قد كتبناه لا نهلكها قبل بلوغه **معلوم** لا يغفل عنه حتى يمكن مخالفته بالتقدم والتأخر او مرتفع بالظرف والجملة

كما هي حال اي ما اهلكنا قرية من القرى في حال من الاحوال الا وقد كان لها في حق هلاكها كتاب اي اجل مقدر مكتوب في اللوح معلوم لا يغفل عنه او صفة لكن لا
للقرية المذكورة بل للمقدرة التي هي بدل من المذكورة على المختار فيكون بمنزلة كونه صفة للمذكورة اي ما اهلكنا قرية من القرى الا قرية لها كتاب معلوم كما
في قوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن فان قوله تعالى لا يسمن صفة لكن لا للطعام المذكور لانه انما يدل على انحصار طعامهم الذي لا يسمن في الضريع وليس المراد
ذلك بل للطعام المقدر بعد الا اي ليس لهم طعام من شيء من الاشياء الا طعام لا يسمن فليس فيه فصل بين الموصوف والصفة بكلمة الا كما توهم واما
توسيط الواو بينهما وان كان القياس عدمه فللايذان بكمال الالتصاق بينهما من حيث ان الواو شأنها الجمع والربط فان ما نحن فيه من الصفة اقوى لصوقا بالموصوف
منها به في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون فان امتناع انفكاك الاهلاك عن الاجل المقدر عقلي وعن الانذار عادي جرى عليه السنة الالهية
ولما بين ان الامم المهلكة كان لكل منهم وقت معين لهلاكهم وان هلاكهم لم يكن الا حسبما كان مكتوبا في اللوح بين ان كل امة من الامم منهم ومن غيرهم لها
كتاب لا يمكن التقدم عليه ولا التأخر عنه فقيل **ما تسبق من امة** من الامم المهلكة وغيرهم **اجلها** المكتوب في كتابها اي لا تجيء هلاكها قبل مجيء كتابها او لا تمضي
امة قبل مضي اجلها فان السبق اذا كان واقعا على زماني فمعناه المجاوزة والتخليف فاذا قلت سبق زيد عمروا فمعناه انه جاوزه وخلفه وراءه واذا
كان واقعا على زمان كان الامر بالعكس والسر في ذلك ان الزمان يعتبر فيه الحركة والتوجه الى المتكلم فما سبقه يتحقق قبل تحققه واما الزماني فانما يعتبر فيه
الحركة والتوجه الى ما سيأتي من الزمان فالسابق ما تقدم الى المقصد وايراده بعنوان الاجل باعتبار ما يقتضيه من السبق كما ان ايراده بعنوان الكتاب المعلوم
باعتبار ما يوجبه من الاهلاك **وما يستأخرون** اي وما يتأخرون وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له وايثار صيغة المضارع في الفعلين بعد
ما ذكر نفي الاهلاك بصيغة الماضي لان المقصود بيان دوامهما واستمرارهما فيما بين الامم الماضية والباقية واسنادهما الى الامة بعد اسناد الاهلاك الى القرية
لما ان السبق والاستئخار حال الامة دون القرية مع ما في الامة من العموم لاهل تلك القرى وغيرهم ممن اخرت عقوباتهم الى الآخرة وتأخير ذكر عدم تأخرهم
عن ذكر عدم سبقهم مع كون المقام مقام المبالغة في بيان تحقق عذابهم اما باعتبار تقدم السبق في الوجود واما باعتبار ان المراد بيان سر تأخير عذابهم مع استحقاقهم
لذلك وايراد الفعل على صيغة جمع المذكر للحمل على المعنى مع التغليب ولرعاية الفواصل ولذلك حذف الجار والمجرور والجملة مبينة لما سبق والمعنى ان
تأخير عذابهم الى يوم القيامة حسبما اشير اليه ببيان ودادتهم للاسلام اذ ذاك وبالامر بتركهم وشأنهم الى ان يعلموا حقيقة الحال انما هو لتأخر اجلهم المقدر
لما تقتضيه من الحكم البالغة ومن جملتها ما علم الله تعالى من ايمان بعض من يخرج منهم الى يوم القيامة **وقالوا** شروع في بيان كفرهم بمن انزل عليه الكتاب
بعد بيان كفرهم بالكتاب وما يؤول اليه حالهم والقائلون مشركو مكة لغاية تماديهم في العتو والغي **يا ايها الذي نزل عليه الذكر** خاطبوا به رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تسليما لذلك واعتقادا له بل استهزاء به عليه السلام واشعارا بعلة حكمهم الباطل في قولهم **انك لمجنون** كدأب فرعون اذ قال ان رسولكم
الذي ارسل اليكم لمجنون يعنون يا من يدعي مثل هذا الامر البديع الخارق للعادات انك بسبب تلك الدعوى او بسبب ما يعتريك عندما تدعي انه ينزل
عليك لمجنون وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لان انكارهم متوجه الى كون النازل ذكرا من الله تعالى لا الى كون المنزل عليه رسول الله بعد
تسليم كون النازل منه تعالى كما في قوله تعالى لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فان الانكار هناك متوجه الى كون التنزيل عليه لا الى الاسناد
الى الفاعل **لوما تأتينا** كلمة لو عند تركيبها مع ما تفيد عند تركيبها مع لا من معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض خلا انه عند ارادته لا يليها الا
فعل ظاهرا كان او مضمرا وعند ارادة المعنى الاول لا يليها الا اسم ظاهرا كان او مقدرا عند البصريين والمراد هنا هو الثاني اي هلا تأتينا **بالملائكة** يشهدون
بصحة نبوتك ويعضدونك في الانذار كقوله تعالى لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او يعاقبوننا على التكذيب كما تأتي الامم المكذبة لرسلهم **ان كنت
من الصادقين** في دعواك فان قدرة الله تعالى على ذلك مما لا ريب فيه وكذا احتياجك اليه في تمشية امرك فانا لا نصدقك بدون ذلك او ان كنت من جملة
تلك الرسل الصادقين الذين عذبت اممهم المكذبة لهم **ما ننزل الملائكة** بالنون على بناء الفعل لضمير الجلالة من التنزيل وقرئ من الانزال وقرئ تنزل
من التنزيل ومن الثلاثي وهو كلام مسوق الى النبي صلى الله عليه وسلم جوابا لهم عن مقالتهم المحكية وردا لاقتراحهم الباطل ولشدة استدعاء ذلك
للجواب قدم رده على ما هو جواب عن اولها اعني قوله انا نحن نزلنا الذكر الآية كما فعل في قوله تعالى قال انما يأتيكم به الله فانه مع كونه جوابا عن قولهم
فأتنا بما تعدنا قدم على قوله ولا ينفعكم نصحي الآية مع كونه جوابا عن اول كلامهم الذي هو قولهم يا نوح قد جادلتنا لما ذكر من شدة اقتضائه
للجواب وليكون احد الجوابين متصلا بالسؤال وفي العكس يلزم انفصال كل من الجوابين عن سؤاله والعدول عن تطبيقه لظاهر كلامهم بصدد الاقتراح وهو
ان يقال ما نأتيهم بهم للايذان بانهم قد اخطأوا في التعبير حسبما اخطأوا في الاقتراح وان الملائكة لعلو رتبتهم اعلى من ان ينسب اليهم مطلق الاتيان

الاتيان الشامل للانتقال من احد الامكنة المتساوية الى آخر منها بل من الاسفل الى الاعلى وان يكون مقصد حركاتهم اولئك الكفرة وان يدخلوا تحت ملكوت احد
وانما الذي يليق بشأنهم النزول من مقامهم العالي وكون ذلك بطريق التنزيل من جناب الرب الجليل **الا بالحق** اي ملتبسا بالوجه الذي يحق ملابسة التنزيل به
مما تقتضيه الحكمة ويجري به السنة الالهية كقوله سبحانه وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق والذي اقترحوه من التنزيل لاجل الشهادة لديهم
وهم هم ومنزلتهم في الحقارة والهوان منزلتهم مما لا يكاد يدخل تحت الصحة والحكمة اصلا فان ذلك من باب التنزيل بالوحي الذي لا يكاد يفتح على غير
الانبياء الكرام من افراد كمل المؤمنين فكيف على امثال اولئك الكفرة اللئام وانما الذي يدخل في حقهم تحت الحكمة في الجملة هو التنزيل للتعذيب والاستئصال
كما فعل باضرابهم من الامم السالفة ولو فعل ذلك لاستؤصلوا بالمرة **وما كانوا اذا منظرين** جزاء الشرط مقدر وفيه ايذان بانتاج مقدماتهم
لنقيض مطلوبهم كما في قوله تعالى واذن لا يلبثون خلافك الا قليلا قال صاحب النظم لفظة اذن مركبة من اذ وهو اسم بمعنى الحين تقول اتيتك
اذ جئتني اي حين جئتني ثم ضم اليه ان فصار اذ ان ثم استثقلوا الهمزة فحذفوها فمجيء لفظة ان دليل على اضمار فعل بعدها والتقدير وما
كانوا اذ كان ما طلبوه منظرين والمعنى ولو نزلناهم ما كانوا مؤخرين كدأب سائر الامم المهلكة المكذبة المستهزئة ومع استحقاقهم لذلك قد
جرى قلم القضاء بتأخير عذابهم الى يوم القيامة حسبما اجمل في قوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل الى آخره وحال حائل الحكمة بينهم وبين استئصالهم
لتعلق العلم والارادة بازدياد عذابهم وبايمان بعض ذراريهم واما نظم ايمان بعضهم في سمط الحكمة فيأباه مقام بيان تماديهم في الكفر والفساد
ولجاجهم في المكابرة والعناد هذا هو الذي يستدعيه اعجاز التنزيل الجليل واما ما قيل في تعليل عدم موافقة التنزيل للحكمة من انهم حينئذ يكونون مصدقين
عن اضطرار وانه لا حكمة في ان تأتيكم بصور تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا او ان انزال الملائكة لا يكون الا لحصول الفائدة بانزالهم وقد
علم الله تعالى من حال هؤلاء الكفار انه لو انزل اليهم الملائكة لبقوا مصرين على كفرهم فيصير انزالهم عبثا باطلا ولا يكون حقا فمع اخلال كل من ذلك
بقطعية الباقي لا يلزم من فرض وقوع شيء من ذلك تعجيل العذاب الذي يفيده قوله تعالى وما كانوا اذا منظرين هذا على تقدير كون اقتراحهم لاتيان الملائكة
لاجل الشهادة واما على تقدير كون ذلك لتعذيبهم فالمعنى انا ما ننزل الملائكة للتعذيب الا تنزيلا ملتبسا بالحق الذي تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة
حتما بحيث لا محيد عنه ولو نزلناهم حسبما اقترحوا ما كان ذلك التنزيل ملتبسا بمقتضى الحكمة الموجبة لتأخير عذابهم الى يوم القيامة لا رفقا بهم بل تشديدا
عليهم كما مر من قبل وحيث كان في نسبة تنزيلهم للتعذيب الى عدم موافقة الحكمة نوع ايهام لعدم استحقاقهم التعذيب عدل عما تقتضيه الظاهر الى ما
عليه النظم الكريم فكأنه قيل لو نزلناهم ما كانوا منظرين وذلك غير موافق للحكمة الموجبة لتأخير عذابهم وللتشديد عقابهم وقيل المراد بالحق الوحي
وقيل العذاب فتدبر **انا نحن نزلنا الذكر** رد لانكارهم التنزيل واستهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وتسلية له اي نحن بعظم شأننا
وعلو جنابنا نزلنا ذلك الذكر الذي انكروه وانكروا نزوله عليك ونسبوك بذلك الى الجنون وعموا منزله حيث بنوا الفعل للمفعول ايماء الى انه امر لا مصدر
له وفعل لا فاعل له **وانا له لحافظون** من كل ما لا يليق به فيدخل فيه تكذيبهم واستهزاؤهم به دخولا اوليا فيكون وعيدا للمستهزئين به واما الحفظ من
مجرد التحريف والزيادة والنقص وامثالها فليس بمقتضى المقام فالوجه الحمل على الحفظ من جميع ما يقدح فيه من الطعن فيه والمجادلة في حقيته ويجوز ان يراد
حفظه بالاعجاز دليلا على التنزيل من عنده تعالى اذ لو كان من عند غير الله تعالى لتطرق عليه الزيادة والنقص والاختلاف وفي سبك الجملتين من الدلالة
على كمال الكبرياء والجلالة وعلى فخامة شأن التنزيل ما لا يخفى وفي ايراد الثانية بالجملة الاسمية دلالة على دوام الحفظ والله سبحانه اعلم وقيل الضمير المجرور للرسول
صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى والله يعصمك من الناس وتأخير هذا الكلام وان كان جوابا عن اول كلامهم الباطل ردا له لما ذكر آنفا ولارتباطه بما يعقبه من
قوله تعالى **ولقد ارسلنا** اي رسلا وانما لم يذكر لدلالة ما بعده عليه **من قبلك** متعلق بارسلنا او بمحذوف هو نعت للمفعول المحذوف اي رسلا كائنة من قبلك **في شيع
الاولين** اي فرقهم واحزابهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريقة ومذهب من شاعه اذا تبعه واضافته الى الاولين من اضافة الموصوف الى صفته عند الفراء ومن
حذف الموصول عند البصريين اي شيع الامم الاولين ومعنى ارسالهم فيهم جعل كل منهم رسولا فيما بين طائفة منهم ليتابعوه في كل ما يأتي ويذر من امور الدين **وما يأتيهم
من رسول** المراد نفي اتيان كل رسول لشيعته الخاصة به لا نفي اتيان كل رسول لكل واحدة من تلك الشيع جميعا او على سبيل البدل وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة
على طريقة حكاية الحال الماضية فان ما لا تدخل في الاغلب على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال اي ما اتى شيعة من تلك الشيع رسول
خاص بها **الا كانوا به يستهزئون** كما يفعله هؤلاء الكفرة والجملة في محل النصب على انها حال مقدرة من ضمير المفعول في يأتيهم اذا كان المراد بالاتيان حدوثه
او في محل الرفع على انها صفة رسول فان محله الرفع على الفاعلية اي الا رسول كانوا به يستهزئون واما الجر على انها صفة باعتبار لفظه فيفضي الى

زيادة من الاستغراقية في الاثبات ويجوز ان يكون منصوبا على الاستثناء وان كان المختار الرفع على البدلية وهذا كما ترى تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بان هذه عادة الجهال مع الانبياء عليهم السلام وحيث كان الرسول مصحوبا بكتاب من الله تعالى تضمن ذكر استهزائهم بالرسول استهزاءهم بالكتاب ولذلك قيل
كذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام السابق من القاء الوحي مقرونا بالاستهزاء اي مثل السلك الذي سلكناه في قلوب اولئك المستهزئين برسلهم وبما جاؤوا به من
الكتب نسلكه اي الذكر في قلوب المجرمين اي اهل مكة او جنس المجرمين فيدخلون فيه دخولا اوليا ومحله النصب على انه نعت لمصدر محذوف وحال منه اي نسلكه سلكا
مثل ذلك السلك او نسلك السلك حال كونه مثله اي مقرونا بالاستهزاء غير مقبول لما تقتضيه الحكمة فانهم من اهل الخذلان ليس لهم استحقاق لقبول الحق وصيغة المضارع
لكون المشبه به مقدما في الوجود وهو السلك الواقع في الامم السالفة وللدلالة على استحضار الصورة والسلك ادخال الشيء في آخر كسلك الخيط في
الابرة والرمح في المطعوم لا يؤمنون به اي بالذكر حال من ضمير نسلكه اي غير مؤمن به او بيان للجملة السابقة فلا محل لها من الاعراب وقد جعل الضمير للاستهزاء
فتتعين البيانية اذ لا يجعل الضمير المجرور ايضا له على ان الباء للملابسة اي نسلك الاستهزاء في قلوبهم حال كونهم غير مؤمنين بملابسته والحال اما مقدرة
او مقارنة للايذان بان كفرهم مقارن للالقاء كما في قوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقد خلت سنة الاولين اي قد مضت طريقتهم التي سنها الله تعالى في اهلاكهم
حين فعلوا ما فعلوا من التكذيب والاستهزاء وهو استئناف جيء به تكملة للتسلية وتصريحا بالوعيد والتهديد ولو فتحنا عليهم اي على هؤلاء المقترحين المعاندين
بابا من السماء اي بابا ما من ابوابها المعهودة كما قيل ويسرنا لهم الرقي والصعود اليه فظلوا فيه في ذلك الباب يعرجون بآلة او بغيرها ويرون ما فيها من العجائب
عيانا كما يفيده الظلول وقيل الملائكة الذين اقترحوا اتيانهم يعرجون في ذلك الباب وهم يرونهم عيانا مستوضحين طول نهارهم لقالوا لفرط غلوهم وعتوهم
في المكابرة وتماديهم عن قبول الحق انما سكرت ابصارنا اي سدت من الاحساس من السكر كما يدل عليه القراءة بالتخفيف او حيرت كما يعضده قراءة من قرأ سكرت
اي حارت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد صلى الله عليه وسلم كما قالوه عند ظهور سائر الآيات الباهرة وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على انهم يبتون القول بذلك
وان ما يرونه لا حقيقة له وانما هو امر خيل اليهم بنوع من السحر وفي اسمية الجملة الثانية دلالة على دوام مضمونها وايرادها بعد تسكير الابصار لبيان انكارهم لغير ما يرونه من
عروج كل منهم الى السماء وان كان مرئيا لغيره فهو معلوم له بطريق الوجدان مع قطع النظر عن الابصار فهم يدعون ان ذلك نوع آخر من السحر غير تسكير الابصار ولقد
جعلنا في السماء بروجا قصورا ينزلها السيارات وهي البروج الاثنا عشر المشهورة المختلفة الهيئات والخواص حسبما يدل عليه الرصد والتجربة مع ما اتفق عليه الجمهور من
بساطة السماء والجعل ان جعل بمعنى الخلق والابداع وهو الظاهر فالجار متعلق به وان جعل بمعنى التصيير فهو مفعول ثان له متعلق بمحذوف اي جعلنا بروجا كائنة
في السماء وزيناها اي السماء بتلك البروج المختلفة الاشكال والكواكب سيارات كانت وثوابت للناظرين اليها فمعنى التزيين ظاهرا وللمتفكرين المعتبرين
المستدلين بذلك على قدرة مقدرها وحكمة مدبرها فتزيينها ترتيبها على نظام بديع مستتبع للآثار الحسنة وحفظناها من كل شيطان رجيم مرمي بالنجوم فلا
يقدر ان يصعد اليها ويوسوس في اهلها ويتصرف فيها ويقف على احوالها الا من استرق السمع محله النصب على الاستثناء المتصل ان فسر الحفظ بمنع الشياطين عن
التعرض لها على الاطلاق والوقوف على ما فيها في الجملة او المنقطع ان فسر ذلك بالمنع عن دخولها والتصرف فيها عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انهم كانوا لا
يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلث سموات ولما ولد النبي صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها واستراق السمع اختلاسه سرا
شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال من الاوضاع فاتبعه اي تبعه ولحقه شهاب لهب محرق وهي شعلة نار ساطعة
وقد يطلق على الكواكب والسنان لما فيهما من البريق مبين ظاهر امره للمبصرين قال معمر قلت لابن شهاب الزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم وان
النجم ينقض ويرمى به الشيطان فيقتله او يخبله لئلا يعود الى استراق السمع ثم يعود الى مكانه قال افرأيت قوله تعالى انا كنا نقعد منها مقاعد الآية قال غلظت
وشدد امرها حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه عليه السلام قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الشياطين
يركب بعضهم بعضا الى السماء الدنيا يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا تخطئ ابدا فمنهم من تقتله ومنهم من تحرق وجهه وجنبه ويده حيث يشاء
الله تعالى ومنهم من تخبله فيصير غولا فيضل الناس في البوادي قال القرطبي اختلفوا في ان الشهاب هل يقتل ام لا قال ابن عباس يجرح ويحرق ويخبل ولا يقتل وقال
الحسن وطائفة يقتل قال والاول اصح والارض مددناها بسطناها وهو بالنصب على الحذف على شريطة التفسير ولم يقرأ بالرفع لرجحان النصب للعطف على الجملة الفعلية
اعني قوله تعالى ولقد جعلنا الى آخره وليوافق ما بعده اعني قوله تعالى والقينا فيها رواسي اي جبالا ثوابت وقد مر بيانه في اول الرعد وانبتنا فيها اي في الارض او فيها
وفي رواسيها من كل شيء موزون بميزان الحكمة ذاتا وصفة ومقدارا وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة وغيرهما او من كل شيء مستحسن متناسب او ما يوزن
ويقدر من ابواب النعم وجعلنا لكم فيها معايش ما تعيشون به من المطاعم والملابس وغيرهما مما يتعلق به البقاء وهي بياء صريحة وقرئ بالهمزة تشبيها له

تشبيها له بالشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم كانه قيل جعلنا لكم معايش وجعلنا لكم من لستم برازقيه من العيال والمماليك والخدم وما يشبههما
على طريقة التغليب وذكرهم بهذا العنوان لرد حسبانهم انهم يكفون مؤناتهم ولتحقيق ان الله تعالى هو الذي يرزقهم واياكم او وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين
وان من شيء ان للنفي ومن مزيدة للتاكيد وشيء في محل الرفع على الابتداء اي ما من شيء من الاشياء الممكنة فيدخل فيها ما ذكر دخولا اوليا الا عندنا خزائنه
الظرف خبر للمبتدا وخزائنه مرتفع به على انه فاعله لاعتماده او خبر له والجملة خبر للمبتدا الاول والخزائن جمع الخزانة وهي ما يحفظ فيه نفائس الاموال
غلب في العرف على ما للملوك والسلاطين من خزائن ارزاق الناس شبهت مقدوراته تعالى الغائبة للحصر المندرجة تحت قدرته الشاملة في كونها مستورة عن علوم
العالمين مصونة عن وصول ايديهم مع كمال افتقارهم اليها ورغبتهم فيها وكونها مهياة متاتية لايجاده وتكوينه بحيث متى تعلقت الارادة بوجودها
وجدت بلا تاخر بنفائس الاموال المخزونة في الخزائن السلطانية فذكر الخزائن على طريقة الاستعارة التخييلية وما ننزله اي ما نوجد وما نكون شيئا من تلك
الاشياء ملتبسا بشيء من الاشياء الا بقدر معلوم اي الا ملتبسا بمقدار معين تقتضيه الحكمة وتستدعيه المشية التابعة لها لا بما تقتضيه القدرة فان ذلك غير
متناه فان تخصيص كل شيء بصفة معينة وقدر معين ووقت محدود دون ما عدا ذلك مع استواء الكل في الامكان واستحقاق تعلق القدرة به لا بد له من
حكمة تقتضي اختصاص كل من ذلك بما اختص به وبهذا البيان ستر عدم تكوين الاشياء على وجه الكثرة حسبما هو في خزائن القدرة وهو اما عطف على مقدر اي ننزله او
ننزله الى آخره او حال مما سبق اي عندنا خزائن كل شيء والحال انا ما ننزله الا بقدر معلوم فالاول لبيان سعة القدرة والثاني لبيان بالغ الحكمة وحيث كان
انشاء ذلك بطريق التفضل من العالم العلوي الى العالم السفلي كما في قوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وكان ذلك بطريق التدريج عبر عنه
بالتنزيل وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار وارسلنا الرياح عطف على جعلنا لكم فيها معايش وما بينهما اعتراض لتحقيق ما سبق وترشيح ما لحق اي
ارسلنا الرياح لواقح اي حوامل شبهت الريح التي تجيء بالخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه بالعقيم ما لا يكون كذلك او ملقحات بالشجر والسحاب ونظيره الطوائح
بمعنى المطيحات في قوله ومختبط مما تطيح الطوائح اي المهلكات وقرئ وارسلنا الريح على ارادة الجنس فانزلنا من السماء بعد ما انشانا بتلك الرياح سحابا
ماطرا ماء فاسقيناكموه اي جعلناه لكم سقيا وهو ابلغ من سقيناكموه لما فيه من الدلالة على جعل الماء معدا لهم ينتفعون به متى شاؤوا وما انتم له بخازنين
نفي عنهم ما اثبته لجنابه بقوله وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قيل نحن القادرون على ايجاده وخزنه في السحاب وانزاله وما انتم على ذلك بقادرين
وقيل ما انتم بخازنين له بعد ما انزلناه في الغدران والآبار والعيون بل نحن نخزنه فيها لنجعلها سقيا لكم مع ان طبيعة الماء تقتضي الغور وانا لنحن نحيي بايجاد
الحيوة في بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها عنها وقد يعمم الاحياء والاماتة لما يشمل الحيوان والنبات وتقديم الضمير للحصر وهو اما تاكيد للاول او مبتدا خبره
الفعل والجملة خبر لانا ولا يجوز كونه ضمير الفصل لا لان اللام مانعة عن ذلك كما قيل فان النحاة جوزوا دخول لام التاكيد على ضمير الفصل كما في قوله تعالى ان
هذا لهو القصص الحق بل لانه لم يقع بين اسمين ونحن الوارثون اي الباقون بعد فناء الخلق قاطبة المالكون للملك عند انقضاء زمان الملك المجازي الحاكمون في الكل
اولا وآخرا وليس لهم الا التصرف الصوري والملك المجازي وفيه تنبيه على ان المتاخر ليس بوارث للمتقدم كما يتراءى من ظاهر الحال ولقد علمنا المستقدمين منكم
من تقدم منكم ولادة وموتا ولقد علمنا المستاخرين من تاخر ولادة وموتا او من خرج من اصلاب الآباء ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق
الى الطاعة ومن تاخر في ذلك لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل عليها دليل عليه وفي تكرير قوله تعالى
ولقد علمنا ما لا يخفى من الدلالة على كمال التاكيد وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امرأة حسناء كانت تصلي
خلف رسول الله عليه السلام فتقدم بعض الناس لئلا يراها وتاخر آخرون ليروها فنزلت والاول هو المناسب لما سبق وما لحق من قوله تعالى وان ربك هو
يحشرهم اي للجزاء وتوسيط ضمير العظمة للدلالة على انه هو القادر على حشرهم والمتولي له لا غير لانهم كانوا يستبعدون ذلك ويستنكرونه ويقولون من يحيي
العظام وهي رميم اي هو يحشرهم لا غير وفي الالتفات والتعرض لعنوان الربوبية اشعار بعلة الحكم وفي الاضافة الى ضميره عليه السلام دلالة على اللطف به عليه السلام
انه حكيم بالغ الحكمة متقن في افعاله فانها عبارة عن العلم بحقائق الاشياء على ما هي عليه والاتيان بالافعال على ما ينبغي عليم وسع علمه كل شيء ولعل تقديم
صفة الحكمة للايذان باقتضائها للحشر والجزاء ولقد خلقنا الانسان اي هذا النوع بان خلقنا اصله واول فرد من افراده خلقا جديدا بديعا منطويا على خلق سائر
افراده انطواء اجماليا كما مر تحقيقه في سورة الانعام من صلصال من طين يابس غير مطبوخ يصلصل اي يصوت عند نقره قيل اذا توهمت في صوته مدا
فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن من حما من طين تغير واسود بطول مجاورة الماء وهو صفة لصلصال اي من
صلصال كائن من حما مسنون اي مصور من سنة الوجه وهي صورته او مصبوب من سن الماء صبه اي مفرغ على هيئة الانسان كما يفرغ الصور من الجواهر

المذابة في القوالب وقيل منتن فهو صفة لحماء وعلى الاولين حقه ان يكون صفة لصلصال وانما اخر عن حماء تنبيها على ان ابتداء مسنونيته ليس في حال كونه صلصالا بل في حال كونه حماء كانه سبحانه افرغ الحماء فصور من ذلك تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صوت ثم غيره الى جوهر آخر فتبارك الله احسن الخالقين **والجان** ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الاثر لان تشعب الجنس لما كان من فرد واحد مخلوق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وقرئ بالهمزة وانتصابه بفعل يفسره **خلقناه** وهو اقوى من الرفع للعطف على الجملة الفعلية **من قبل** من قبل خلق الانسان ومن هذا يظهر جواز كون المراد بالمستقدمين احد الثقلين وبالمستأخرين الآخر والخطاب بقوله منكم للكل **من نار السموم** من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا امتناع في خلق الحيوة في الاجرام البسيطة كما لا امتناع في خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي غالب اجزائها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي غالب اجزائها الجزء الارضي وقوله تعالى من نار باعتبار الغالب كقوله تعالى خلقكم من تراب ومساق الآية الكريمة كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء **واذ قال ربك** نصب باضمار اذكر وتذكير الوقت لما مر مرارا من انه ادخل في تذكير ما وقع فيه من الحوادث وفي التعرض لوصف الربوبية المنبئة عن تبليغ الشيء الى كماله اللائق به شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره عليه السلام اشعار بعلة الحكم وتشريف له صلى الله عليه وسلم اي اذكر وقت قوله تعالى **للملائكة اني خالق** فيما سيأتي وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه تعالى فاعل له البتة من غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه **بشرا** اي انسانا قيل هذا ليس عين العبارة الجارية وقت الخطاب بل الظاهر ان يكون قد قيل لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكن اقتصر عند الحكاية على الاسم وقيل جسما كثيفا يلاقي ويباشر وقيل خلقا بادي البشرة بلا صوف ولا شعر **من صلصال** متعلق بخالق او بمحذوف وقع صفة لمفعوله اي بشرا كائنا من صلصال كائن **من حماء مسنون** تقدم تفسيره ولا ينافي هذا ما في قوله تعالى في سورة ص اني خالق بشرا من طين فان عدم التعرض لذلك عند وقوع المحكي غايته انه لم يتعرض له هناك اكتفاء بما شرح ههنا **فاذا سويته** اي صورته بالصورة الانسانية والخلقة البشرية او سويت اجزاء بدنه بتعديل طبائعه **ونفخت فيه من روحي** النفخ اجراء الريح الى تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحيوة بالفعل على المادة القابلة لها اي فاذا كملت استعداده وافضت عليه ما يحيى به من الروح التي هي من امري **فقعوا له** امر من وقع يقع وفيه دليل على ان ليس المأمور به مجرد الانحناء كما قيل اي اسقطوا له **ساجدين** تحية له وتعظيما او اسجدوا لله تعالى على انه عليه السلام بمنزلة القبلة حيث ظهر فيه تعاجيب آثار قدرته تعالى وحكمته كقول حسان رضي الله عنه أليس اول من صلى لقبلتكم واعلم الناس بالقرآن والسنن **فسجد الملائكة** اي فخلقه فسواه فنفخ فيه الروح فسجد له الملائكة **كلهم** بحيث لم يشذ منهم احد **اجمعون** بحيث لم يتأخر في ذلك احد منهم عن احد ولا اختصاص لافادة هذا المعنى بالحالية بل يفيده التأكيد ايضا فان الاشتقاق الواضح يرشد الى ان فيه معنى الجمع والمعية بحسب الوضع والاصل في الخطابيات تنزيل على اكمل احوال الشيء ولا ريب في ان السجود معا اكمل اصناف السجود لكن شاع استعماله تأكيدا وافهم مقام كل في افادة معنى الاحاطة من غير نظر الى الكمال فاذا اقيم الاحاطة على من لفظ آخر لم يكن بد من مراعاة الاصل صونا للكلام عن الالغاء وقيل اكد بتأكيدين مبالغة في التعميم هذا واما ان سجودهم هذا هل ترتب على ما حكي من الامر التعليقي كما يقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة ص او على الامر التنجيزي كما يستدعيه ما في غيرهما فقد خرجنا بفضل الله عز وجل عن عهدة تحقيقه في تفسير سورة البقرة **الا ابليس** استثناء متصل اما لانه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة فعد منهم تغليبا واما لان من الملائكة جنسا يتوالدون وهو منهم وقوله تعالى **ابى ان يكون مع الساجدين** استئناف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء فان مطلق عدم السجود قد يكون مع التردد وبه علم انه مع الاباء والاستكبار او منقطع فيتصل به ما بعده اي لكن ابليس ابى ان يكون معهم وفيه دلالة على كمال ركاكة رأيه حيث ادمج في معصية واحدة ثلث معاص مخالفة الامر والاستكبار مع تحقير آدم عليه السلام ومفارقة الجماعة والاباء عن الانتظام في سلك اولئك المقربين الكرام **قال** استئناف مبني على سؤال من قال فماذا قال تعالى عند ذلك فقيل **يا ابليس ما لك** اي اي سبب لك او اي غرض لك كما قيل لقوله تعالى ما منعك **الا تكون** في ان لا تكون **مع الساجدين** لآدم مع انهم هم ومنزلتهم في الشرف منزلتهم وما كان التوبيخ عند وقوعه لمجرد تخلفه عنهم بل لكل من المعاصي الثلث المذكورة قال تعالى في سورة الاعراف قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك وفي سورة ص يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ولكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اجتزاء بما ذكر في موطن آخر واشعارا بان كل واحد من تلك المعاصي الثلث كافية في التوبيخ واظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ رأسا في سورة البقرة وسورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه **قال** اي ابليس وهو ايضا استئناف مبني على السؤال الذي ينساق اليه الكلام **لم اكن لاسجد** اللام لتأكيد النفي اي ينافي حالي ولا

ولا يستقيم مني لاني مخلوق من اشرف العناصر واعلاها ان اسجد **لبشر** اي جسم كثيف **خلقته من صلصال من حماء مسنون** اقتصر ههنا على الاشارة الاجمالية الى ادعاء الخيرية وشرف المادة اكتفاء بما صرح به حين قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولم يكتف اللعين بمجرد ذكر كونه عليه السلام من التراب الذي هو اخس العناصر واسفلها بل تعرض لكونه مخلوقا منه في اخس احواله من كونه طينا متغيرا وقد اكتفي في سورة الاعراف وسورة ص بما حكي عنه ههنا فاقتصر على حكاية تعرضه لخلقه عليه السلام من طين وكذا في سورة بني اسرائيل حيث قال أأسجد لمن خلقت طينا وفي جوابه دليل على ان قوله تعالى ما لك ليس استفسارا عن الغرض بل هو استفسار عن السبب وفي عدوله عن تطبيق جوابه على السؤال روم للتفصي عن المناقشة وانى له ذلك كأنه قال لم امتنع عن امتثال الامر ولا عن الانتظام في سلك الملائكة بل عما لا يليق بشأني من الخضوع للمفضول ولقد جرى خذله الله تعالى على سنن قياس عقيم وزل عنه ان ما يدور عليه فلك الفضل والكمال هو التحلي بالمعارف الربانية والتخلي عن الملكات الردية التي اقبحها الاستعصاء على رب العالمين جل جلاله **قال فاخرج منها** من زمرة الملائكة المعززين لا من السماء فان وسوسته لآدم عليه السلام في الجنة انما كانت بعد هذا الطرد وقوله تعالى فاهبط منها ليس نصا في ذلك فان الخروج من بين الملأ الاعلى هبوط واي هبوط او من الجنة على ان وسوسته كانت بطريق النداء من بابها كما روي عن الحسن البصري او بطريق المشافهة بعد الاحتيال في دخولها وتوسل اليه بالحية كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ولا تنافي هذا طرده على رؤس الاشهاد لما تقتضيه من الحكم البالغة **فانك رجيم** مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته فان من عارض النص بالقياس فهو رجيم ملعون **وان عليك اللعنة** الابعاد عن الرحمة وحيث كان ذلك من جهة الله سبحانه وان كان جاريا على السنة العباد قيل في سورة ص وان عليك لعنتي **الى يوم الدين** الى يوم الجزاء والعقوبة وفيه اشعار بتأخير عقابه وجزائه اليه وان اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لفعله وانما يتحقق ذلك يومئذ وفيه من التهويل ما لا يوصف وجعل اقصى امد اللعنة ليس لانها تنقطع هنالك بل لانه عند ذلك يعذب بما ينسى به اللعنة من افانين فتصير هي كالزائل وقيل انما حد به لانه ابعد غاية يضربها الناس كقوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض وحيث امكن كون تأخير العقوبة هو الموت كسائر من اخرت عقوباتهم الى الآخرة من الكفرة طلب اللعين تأخير موته كما حكي عنه بقوله تعالى **قال رب فانظرني** اي امهلني واخرني ولا تمتني والفاء متعلقة بمحذوف ينسحب عليه الكلام اي اذا جعلتني رجيما فامهلني **الى يوم يبعثون** اي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت لاستحالته بعد يوم البعث **قال فانك من المنظرين** ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله لآخرين على وجه يؤذن بكون السائل تبعا لهم في ذلك دليل على انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به وقع اجابة لدعائه اي انك من جملة الذين اخرت آجالهم ازلا حسبما تقتضيه حكمة التكوين فالفاء ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور به كما في قوله فان ترحم فانت لذاك اهل فانه لا امكان لجعل الفاء فيه لربط ما فيه تعالى من الاهلية القديمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط الاخبار بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها وان استنظاره كان طلبا لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتأخير العقوبة كما قيل ونظمه في ذلك في سلك من اخرت عقوبتهم الى الآخرة في علم الله تعالى ممن سبق من الجن ولحق من الثقلين لا يلائم مقام الاستنظار مع الحيوة ولان ذلك التأخير معلوم من اضافة اليوم الى الدين مع اضافته في السؤال الى البعث كما عرفته وفي سورة الاعراف قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين بترك التوقيت والنداء والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر ههنا وفي سورة ص فان ايراد كلام واحد على اساليب متعددة غير عزيز في الكتاب العزيز واما ان كل اسلوب من اساليب النظم الكريم لا بد ان يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وان ما حكي من اللعين انما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع الا دفعة فمقام المحاورة ان اقتضى احد الاساليب المذكورة فهو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى طبقة الاعجاز وما عداه قاصر عن رتبة البلاغة فضلا عن الارتقاء الى معالم الاعجاز فقد مر تحقيقه بتوفيق الله تعالى في سورة الاعراف **الى يوم الوقت المعلوم** وهو وقت النفخة الاولى التي علم انه يصعق عندها من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله تعالى ويجوز ان يكون المراد بالايام واحدا والاختلاف في العبارات لاختلاف الاعتبارات فالتعبير بيوم البعث لان غرض اللعين به يتحقق وبيوم الدين لما ذكر من الجزاء وبيوم الوقت المعلوم لما ذكر او لاستيثاره تعالى بعلمه فلعل كلا من هلاك الخلق جميعا وبعثهم وجزائهم في يوم واحد يموت اللعين في اوله ويبعث في اوسطه ويعاقب في آخره روي ان بين موته وبعثه اربعين سنة من سني الدنيا مقدار ما بين النفختين ونقل عن الاحنف بن قيس رحمه الله تعالى انه قال قدمت المدينة اريد امير المؤمنين عمر رضي الله عنه فاذا انا بحلقة عظيمة وكعب الاحبار فيها يحدث الناس وهو يقول لما حضر آدم عليه السلام الوفاة قال يا رب سيشمت بي عدوي ابليس اذا رآني ميتا وهو منظر الى يوم القيمة فاجيب ان يا آدم انك سترد الى الجنة ويؤخر اللعين الى النظرة ليذوق الم الموت بعدد الاولين والآخرين

ثم قال لملك الموت فلما وصفه قال يارب حسبي فضج الناس وقالوا يا ابا اسحق كيف ذلك فاني فالحوا فقال يقول الله سبحانه لملك الموت عقيب النفخة الاولى قد جعلت فيك
قوة اهل السموات السبع واهل الأرضين السبع واني البستك اليوم اثواب السخط والغضب كلها فانزل بغضبي وسطوتي على رجيمي ابليس فأذقه الموت واحمل
عليه فيه مرارة الأولين والآخرين من الثقلين اضعافا مضاعفة وليكن معك من الزبانية سبعون الفا قد امتلأوا غيظا وغضبا وليكن مع كل منهم سلسلة
من سلاسل جهنم وغل من اغلالها وانزع روحه المنتنة بسبعين الف كلاب من كلاليبها وناد مالكا ليفتح ابواب النيران فينزل ملك الموت بصورة لو نظر اليها اهل
السموات والأرضين لماتوا بغتة من هولها فينتهي الى ابليس فيقول قف لي يا خبيث لأذيقنك الموت كم من عمر ادركت وقرون اضللت وهذا هو الوقت المعلوم قال
فيهرب اللعين الى المشرق فاذا هو بملك الموت بين عينيه فيهرب الى المغرب فاذا هو بين عينيه فيغوص البحار فتنز منه البحار فلا تقبله فلا يزال يهرب في الارض
ولا محيص له ولا ملاذ ثم يقوم في وسط الدنيا عند قبر آدم عليه السلام ويتمرغ في التراب من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق حتى اذا كان في الموضع الذي
اهبط فيه آدم عليه السلام وقد نصبت له الزبانية الكلاليب وصارت الأرض كالجمرة احتوشته الزبانية وطعنوه بالكلاليب ويبقى في النزع والعذاب الى حيث
يشاء الله تعالى ويقال لآدم وحواء اطلعا اليوم الى عدوكما كيف يذوق الموت فيطلعان فينظران الى ما هو فيه من شدة العذاب فيقولان ربنا اتممت علينا نعمتك
قال رب بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية والجواب لأزينن اي اقسم باغوائك اياي لأزينن لهم المعاصي في الأرض اي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله
تعالى اخلد الى الأرض واقسامه بعزة الله المفسرة بسلطانه وقهره لا ينافي اقسامه بهذا فانه فرع من فروعها واثر من آثارها فلعله اقسم بهما جميعا فحكي
تارة قسمه بهذا واخرى بذاك وللسببية وقوله لأزينن جواب قسم محذوف والمعنى بسبب تسبيبك لاغوائي اقسم لأفعلن بهم مثل ما فعلت بي من التسبيب لاغوائهم
بتزيين المعاصي وتسويل الأباطيل والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبب له بأمره اياه بالسجود لآدم عليه السلام واعتذروا عن امهال الله تعالى له
وتسليطه له على اغواء بني آدم بانه تعالى قد علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل ام لم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق
مزيد الثواب ولأغوينهم اجمعين لأحملنهم على الغواية الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرئ
بكسر اللام اي الذين اخلصوا نفوسهم لله عز وجل قال هذا صراط علي اي حق علي ان اراعيه مستقيم لا عوج والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين
من اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق يؤدي الى الوصول الي من غير اعوجاج وضلال والأظهر ان ذلك لما وقع في عبارة ابليس حيث قال لأقعدن لهم
صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم الآية وقرئ علي من علو الشرف ان عبادي وهم المشار اليهم بالمخلصين ليس لك عليهم سلطان تسلط وتصرف
بالاغواء الا من اتبعك من الغاوين وفيه مع كونه تحقيقا لما قاله اللعين تفخيم لشأن المخلصين وبيان لمنزلتهم ولانقطاع مخالب الاغواء عنهم وان اغواءه
للغاوين ليس بطريق السلطان بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم وان جهنم لموعدهم اي موعد المتبعين والغاوين والأول انسب وادخل في الزجر عن اتباعه
وفيه دلالة على ان جهنم مكان الوعد وان الموعود ما لا يوصف في الفظاعة اجمعين تأكيد للضمير او حال والعامل فيها الوعد ان جعل مصدرا على تقدير المضاف او معنى
الاضافة ان جعل اسم مكان لها سبعة ابواب يدخلونها لكثرتهم او سبع طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في الغواية والمتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر
ثم الجحيم ثم الهاوية لكل باب منهم من الأتباع او الغواة جزء مقسوم حزب معين مفرز من غيره حسبما يقتضيه استعداده فأولاها للموحدين والثانية لليهود
والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان جهنم لمن ادعى الربوبية
ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الأصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والهاوية للموحدين ولعل حصرها في السبع لانحصار المهلكات في المحسوسات بالحواس الخمس
ومقتضيات القوة الشهوية والغضبية وقرئ بضم الزاي وبحذف الهمزة والقاء حركتها الى ما قبلها مع تشديدها في الوقف والوصل ومنهم حال من جزء او من
ضميره في الظرف لا في مقسوم لأن الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها ان المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرهما مكفرة في جنات وعيون اي
مستقرون فيها خالدين لكل واحد منهم جنة وعين او لكل منهم عدة منهما كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ بكسر العين حيث وقع في القرآن العظيم
ادخلوها على ارادة القول امر من الله تعالى لهم بالدخول وقرئ ادخلوها امرا منه تعالى للملائكة بادخالهم وقرأ الحسن ادخلوها مبنيا على صيغة
الماضي من الادخال بسلام ملتبسين بسلام اي سالمين او مسلما عليكم آمنين من الآفات والزوال ونزعنا ما في صدورهم من غل اي حقد كان في الدنيا وعن علي رضي
ارجو ان اكون انا وعثمان والزبير منهم رضوان الله تعالى عليهم اجمعين اخوانا حال من الضمير في قوله تعالى في جنات او من فاعل ادخلوها او من الضمير في
آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله تعالى على سرر متقابلين ويجوز كونهما صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لأنه بمعنى
متصافين وكون الثاني حالا من المستكن في الأول وعن مجاهد تدور بهم الأسرة حيث ما داروا فهم متقابلون في جميع احوالهم لا يمسهم فيها نصب

اي تعب بأن لا يكون لهم فيها ما يوجبه من الكد في تحصيل ما لا بد لهم منه لحصول كل ما يريدونه من غير مزاولة عمل اصلا او بأن لا يعتريهم ذلك وان باشروا الحركات العنيفة
لكمال قوتهم وهو استئناف او حال من الضمير في متقابلين وما هم منها بمخرجين ابد الآباد لأن تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي وهم الذين عبر عنهم بالمتقين اني
انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الأليم فذلكة لما سلف من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة اشعار بأن ليس المراد بالمتقين من
يتقي جميع الذنوب كبيرها وصغيرها وفي وصف ذاته تعالى بها وبالرحمة على وجه القصر دون التعذيب ايذان بأنهما مما يقتضيهما الذات وان العذاب انما
يتحقق بما يوجبه من خارج ونبئهم عطف على نبئ عبادي والمقصود اعتبارهم بما جرى على ابراهيم عليه السلام من البشرى في تضاعيف الخوف وبما حل بقوم
لوط من العذاب ونجاته عليه السلام مع اهله التابعين له في ضمن الخوف وتنبيههم لحلول انتقامه تعالى من المجرمين وعلمهم بأن عذاب الله هو العذاب الأليم
عن ضيف ابراهيم عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم جبريل عليه السلام وملكان معه وقال محمد بن كعب وسبعة عليهم السلام وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم
السلام وقال الضحاك كانوا تسعة وعن السدي كانوا احد عشر ملكا عليهم السلام وانما لم يتعرض لعنوان رسالتهم لأنهم لم يكونوا مرسلين الى ابراهيم عليه السلام
بل الى قوم لوط حسبما يأتي ذكره اذ دخلوا عليه نصب بفعل مضمر معطوف على نبئ اي واذكر وقت دخولهم عليه او خبر مقدر مضاف الى ضيف اي خبر
ضيف ابراهيم حين دخولهم عليه ونفس ضيف على انه مصدر في الأصل فقالوا عند ذلك سلاما اي نسلم سلاما او سلمنا سلاما قال انا منكم وجلون اي خائفون
فان الوجل اضطراب النفس لتوقع مكروه قاله عليه السلام حين امتنعوا من اكل ما قربه اليهم من العجل الحنيذ لما ان المعتاد عندهم انه اذا نزل بهم ضيف فلم
يأكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير لا عند ابتداء دخولهم لقوله تعالى فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة فلا مجال لكون خوفه عليه السلام
بسبب دخولهم بغير اذن ولا بغير وقت اذ لو كان كذلك لأجابوا حينئذ بما اجابوا به ولم يتصد عليه السلام لتقريب الطعام اليهم وانما لم يذكر ههنا اكتفاء بما
بين في غير هذا الموضع الا يرى الى انه لم يذكر ههنا رده عليه السلام لسلامهم قالوا لا توجل لا تخف وقرئ لا تأجل ولا توجل من اوجله اي اخافه ولا
تواجل من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استئناف لتعليل النهي عن الوجل فان المبشر به لا يكاد يحوم حول ساحته خوف ولا حزن كيف لا وهو بشارة ببقائه
وبقاء اهله في عافية وسلامة زمانا طويلا بغلام هو اسحق عليه السلام لقوله تعالى فبشرناها باسحق ولم يتعرض ههنا لبشارة يعقوب عليه السلام اكتفاء
بما ذكر في سورة هود عليم اذا بلغ وفي موضع بغلام حليم قال ابشرتموني على ان مسني الكبر تعجب عليه السلام من بشارتهم بالولد في حالة منافية للولادة
وزاد في ذلك فقال فبم تبشرون اي بأي اعجوبة تبشرونني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء او بأي طريقة تبشرونني وقرئ
بتشديد النون المكسورة على ادغام نون الجمع في نون الوقاية قالوا بشرناك بالحق اي بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو
امر الله تعالى وقوله تعالى فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك فان الله تعالى قادر على ان يخلق بشرا بغير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ
من القنطين وكان مقصده عليه السلام استعظام نعمته تعالى عليه في ضمن التعجب العادي المبني على سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده لا استبعاد ذلك
بالنسبة الى قدرته سبحانه كما ينبئ عنه قول الملائكة فلا تكن من القانطين دون ان يقولوا من الممترين ونحوه قال ومن يقنط استفهام انكاري اي لا يقنط من
رحمة ربه الا الضالون المخطئون طريق المعرفة والصواب فلا يعرفون سعة رحمته وكمال علمه وقدرته كما قال يعقوب عليه السلام لا ييأس من روح الله الا القوم
الكافرون ومراده نفي القنوط عن نفسه على ابلغ وجه واكده اي ليس بي قنوط من رحمته تعالى وانما الذي اقول لبيان منافاة حالي لفيضان تلك النعمة الجليلة
علي وفي التعرض لوصف الربوبية والرحمة ما لا يخفى من الجزالة وقرئ بضم النون وبكسرها من قنط بالفتح ولم تكن هذه المفاوضة من الملائكة مع ابراهيم
عليهم السلام خاصة بل مع سارة ايضا حسبما شرح في سورة هود ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء بما ذكر هناك كما انه لم يذكر هذا هناك اكتفاء بما ذكر
ههنا قال اي ابراهيم عليه السلام وتوسيطه بين قوله السابق وبين قوله فما خطبكم اي امركم وشأنكم الخطير الذي لأجله ارسلتم سوى البشارة ايها المرسلون
صريح في ان بينهما مقالة مطوية لهم اشير بها الى مكانها كما في قوله تعالى قال أأسجد لمن خلقت طينا قال ارأيتك هذا الذي كرمت علي الآية فان قوله الأخير
ليس موصولا بقوله الأول بل هو مبني على قوله تعالى فاخرج منها فانك رجيم فان توسيط قال بين قوليه للايذان بعدم اتصال الثاني بالأول وعدم ابتنائه
عليه بل على غيره ثم خطابه لهم عليهم السلام بعنوان الرسالة بعد ما كان خطابه السابق مجردا عن ذلك مع تصديره بالفاء دليل على ان مقالتهم المطوية
كانت متضمنة لبيان ان مجيئهم ليس لمجرد البشارة بل لهم شأن آخر لأجله ارسلوا فكأنه قال عليه السلام ان لم يكن شأنكم مجرد البشارة فماذا هو
فلا حاجة الى الالتجاء الى ان علمه عليه السلام بأن كل المقصود ليس البشارة بسبب انهم كانوا ذوي عدد والبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفي بالواحد
في زكريا عليه السلام ومريم والى انهم بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدأوا بها فتأمل قالوا انا ارسلنا الى قوم

مجرمين يعني قوم لوط لكن وصفوا بالاجرام وجيء بهم بطريق التنكير ذما لهم واستهانة بهم الا آل لوط استثناء متصل من الضمير في مجرمين اي الى قوم اجرموا جميعا الا آل لوط
فالقوم والارسال شاملان للمجرمين وغيرهم والمعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط لنهلك الاولين وننجي الآخرين ويدل عليه قوله تعالى انا لمنجوهم اي لوطا وآله اجمعين
اي مما يصيب القوم فانه استيناف للاخبار بنجاتهم لعدم اجرامهم او لبيان ما فهم من الاستثناء من مطلق عدم شمول العذاب لهم فان ذلك قد يكون بكون حالهم بين بين
او لتعليله فان من تعلق بهم التنجية بمنجى من شمول العذاب ومنقطع من قوم وقوله تعالى انا لمنجوهم متصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن وعلى هذا فقوله تعالى الا امرأته
استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول من الكفرة لتهلك معهم وقرئ قدرنا بالتخفيف وانما علق فعل التقدير مع اختصاص ذلك بافعال القلوب لتضمنه معنى
العلم ويجوز حمله على معنى قلنا لانه بمعنى القضاء قول واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسنادهم له الى انفسهم وهو فعل الله سبحانه لما لهم من الزلفى والاختصاص فلما جاء
آل لوط المرسلون شروع في بيان كيفية اهلاك المجرمين وتنجية آل لوط حسبما اجمل في الاستثناء ثم فصل في التعليل نوع تفصيل ووضع المظهر موضع المضمر للايذان بان
مجيئهم لتحقيق ما ارسلوا به من الاهلاك والتنجية وليس المراد به ابتداء مجيئهم بل مطلق كينونتهم عند آل لوط فان ما حكي عنه عليه السلام بقوله تعالى قال انكم قوم منكرون
انما قاله عليه السلام بعد اللتيا والتي حين ضاقت عليه الحيل وعيت به العلل لما لم يشاهد من المرسلين عند مقاساة الشدائد ومعاناة المكائد من قومه الذين
يريدون بهم ما يريدون ما هو المعهود والمعتاد من الاعانة والامداد فيما يأتي ويذر عند تجشمه في تخليصهم انكارا لخذلانهم له وترك نصرته في مثل تلك المضايقة المعترية
له بسببهم حيث لم يكونوا مباشرين معه لاسباب المدافعة والممانعة حتى الجأته الحالة الى ان قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد حسبما فصل في سورة هود لا انه
قاله عند ابتداء ورودهم له خوفا ان يطرقوه بشر كما قيل كيف لا وهم بجوابهم المحكي بقوله تعالى قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي بالعذاب الذي كنت تتوعدهم
فيمترون فيه ويكذبونك قد قشروا العصا وبينوا له عليه السلام جلية الامر فاني يمكن ان يعتريه بعد ذلك المساءة وضيق الذرع وليست كلمة بل اضرابا عن موجب
الخوف المذكور على معنى ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل بما يسرك وتقر به عينك بل هي اضراب عما فهمه عليه السلام من ترك النصرة له والمعنى ما خذلناك وما خلينا بينك وبينهم
بل جئناك بما يدمرهم من العذاب الذي كانوا يكذبونك حين كنت تتوعدهم به ولعل تقديم هذه المقاولة على ما جرى بينه وبين اهل المدينة من المجادلة للمسارعة
الى ذكر بشارة لوط عليه السلام باهلاك قومه وتنجية آله عقيب ذكر بشارة ابراهيم عليه السلام بهما وحيث كان ذلك مستدعيا لبيان كيفية النجاة وترتيب
مباديها اشير الى ذلك اجمالا ثم ذكر ما فعل القوم وما فعل بهم ولم يبال بتغيير الترتيب الوقوعي ثقة بمراعاته في مواقع اخر ونسبة المجيء بالعذاب اليه عليه السلام
مع انه نازل بالقوم بطريق تفويض امره اليه لا بطريق نزوله عليه كانهم جاؤوه به وفوضوا امره اليه ليرسله عليهم حسبما كان يتوعدهم به وآتيناك
بالحق اي باليقين الذي لا مجال فيه للامتراء عنه والمراد بالحق الاخبار بمجيء العذاب المذكور وقوله تعالى وانا لصادقون تاكيد له اي اتيناك فيما قلنا بالخبر
الحق اي المطابق للواقع وانا لصادقون في ذلك الخبر او في كل كلام فيكون كالدليل على صدقهم فيه وعلى الاول تاكيد اثر تاكيد وقوله تعالى فاسر باهلك
شروع في ترتيب مبادي النجاة اي اذهب بهم في الليل وقرئ بالوصل وكلاهما من السرى وهو السير في الليل وقرئ فسر من السير بقطع من الليل بطائفة
منه او من آخره قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم وهو بعد ما مضى منه شيء صالح واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع
بهم وتطلع على احوالهم ولعل ايثار الاتباع على السوق مع انه المقصود بالامر للمبالغة في ذلك اذ السوق ربما يكون بالتقدم على بعض مع التأخر عن بعض
ويلزمه عادة الغفلة عن حال المتأخر والالتفات المنهي عنه بقوله تعالى ولا يلتفت منكم اي منك ومنهم احد فيرى ما وراءه من الهول فلا يطيقه او يصيبه ما اصابهم او ولا
ينصرف منكم احد ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل هو امر بذلك ليوطنوا انفسهم على المهاجرة او هو نهي عن ربط القلب بما خلفوه او هو للاسراع في السير
فان الملتفت قلما يخلو عن ادنى وقفة وعدم ذكر استثناء المرأة عن الاسراء او الالتفات لا يستدعي عدم وقوعه فان ذلك كما عرفت مرارا للاكتفاء بما ذكر
في مواضع اخر وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله تعالى بالمضي اليه وهو الشام او مصر وحذف الصلتين على الاتساع المشهور وايثار المضي الى ما ذكر على الوصول
اليه واللحوق به للايذان باهمية النجاة ولمراعاة المناسبة بينه وبين ما سلف من الغابرين وقضينا اليه اي اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدي بالى ذلك الامر
مبهم يفسره ان دابر هؤلاء مقطوع على انه بدل منه وايثار اسم الاشارة على الضمير للدلالة على اتصافهم بصفاتهم القبيحة التي هي مدار ثبوت الحكم اي دابر
هؤلاء المجرمين وايراد صيغة المفعول بدل صيغة المضارع لكونها ادخل في الدلالة على الوقوع وفي لفظ القضاء والتعبير عن العذاب بالامر والاشارة
اليه بذلك وتأخيره عن الجار والمجرور وابهامه اولا ثم تفسيره ثانيا من الدلالة على فخامة الامر وفظاعته ما لا يخفى وقرئ بالكسر على الاستيناف والمعنى انهم
يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء
بمعنى مدبري هؤلاء وجاء اهل المدينة شروع في حكاية ما صدر عن القوم عند وقوفهم على مكان الاضياف من الفعل والقول وما ترتب عليه بعد ما اشير الى

ذلك اجمالا حسبما نبه عليه اي جاء اهل سدوم منزل لوط عليه السلام يستبشرون اي مستبشرين باضيافه عليه السلام طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفي
الضيف حيث كان مصدرا في الاصل اطلق على الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث واطلاقه على الملائكة بحسب اعتقاده عليه السلام لكونهم في زي الضيف والتأكيد
ليس لانكارهم بذلك بل لتحقيق اتصالهم به واظهار اعتنائه بشأنهم وتشمره لمراعاة حقوقهم وحمايتهم عن السوء ولذلك قال فلا تفضحون اي عندهم بان تتعرضوا
لهم بسوء فيعلموا انه ليس لي عندكم قدر وحرمة او لا تفضحوني بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه يقال فضحه فضحا وفضيحة اذا اظهر من امره
ما يلزمه العار واتقوا الله في مباشرتكم لما يسوءني ولا تخزون اي لا تذلوني ولا تهينوني بالتعرض لمن اجرتهم بمثل تلك الفعلة الخبيثة وحيث كان التعرض لهم بعد
ان نهاهم عليه السلام عن ذلك بقوله فلا تفضحون اكثر تأثيرا في جانبه عليه السلام واجلب للعار اليه اذ التعرض للجار قبل شعور المجير بذلك ربما يتسامح فيه واما
بعد الشعور به والمناصبة لحمايته والذب عنه فذاك اعظم العار عبر عليه السلام عما يعتريه من جهتهم بعد النهي المذكور بسبب لجاجهم ومجاهرتهم بمخالفته بالخزي
وامرهم بتقوى الله في ذلك وانما لم يصرح بالنهي عن نفس تلك الفاحشة لانه كان يعرف انه لا يفيدهم ذلك وقيل المراد تقوى الله تعالى في ركوب الفاحشة ولا
يساعده توسيطه بين النهيين عن امرين متعلقين بنفسه عليه السلام وكذلك قوله تعالى قالوا اولم ننهك عن العالمين اي عن التعرض لهم بمنعهم عنا وضيافتهم
والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر اي الم نتقدم اليك ولم ننهك عن ذلك فانهم كانوا يتعرضون لكل احد من الغرباء بالسوء وكان عليه السلام ينهاهم
عن ذلك بقدر وسعه وكانوا قد نهوه عليه السلام عن ان يجير احدا فكأنهم قالوا ما ذكرت من الفضيحة والخزي انما جاءك من قبلك لا من قبلنا اذ لولا تعرضك
لما نتصدى له لما اعتراك تلك الحالة ولما رآهم لا يقلعون عما هم عليه قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم وبناته حقيقة
اي فتزوجوهن وقد كانوا من قبل يطلبونهن ولا يجيبهم لعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعية المناكحة بين المسلم والكفار وقد فصل ذلك في سورة هود
ان كنتم فاعلين اي قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم من الله تعالى بحياة النبي صلى الله عليه وسلم او من الملائكة بحياة لوط عليه السلام والتقدير لعمرك قسمي
وهي لغة في العمر يختص به القسم ايثارا للخفة لكثرة دورانه على الالسنة انهم لفي سكرتهم غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ
والصواب يعمهون يتحيرون ويتمادون فكيف يسمعون النصح وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فأخذتهم الصيحة اي الصيحة العظيمة الهائلة وقيل صيحة جبريل
عليه السلام مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها عالي المدينة او عالي قراهم وهو المفعول الاول لجعلنا وقوله تعالى سافلها مفعول ثان له
وهو ادخل في الهول والفظاعة من العكس كما مر وامطرنا عليهم في تضاعيف ذلك قبل تمام الانقلاب حجارة كائنة من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب وقد
فصل ذلك في سورة هود ان في ذلك اي فيما ذكر من القصة لآيات لعلامات يستدل بها على حقيقة الحق للمتوسمين اي المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون
في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسيمته وانها اي المدينة او القرى لبسبيل مقيم اي طريق ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ان في ذلك فيما ذكر من
المدينة او القرى او في كونها بمرأى من الناس يشاهدونها في ذهابهم وايابهم لآية عظيمة للمؤمنين بالله ورسوله فانهم الذين يعرفون ان ما حاق بهم من العذاب
الذي ترك ديارهم بلاقع انما حاق بهم لسوء صنيعهم واما غيرهم فيحملون ذلك على الاتفاق او الاوضاع الفلكية وافراد الآية بعد جمعها فيما سبق لما
ان المشاهد ههنا بقية الآثار لا كل القصة كما فيما سلف وان كان ان مخففة من ان وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة اي وان
الشأن كان اصحاب الايكة وهم قوم شعيب عليه السلام والايكة الشجرة الملتفة المتكاثفة وكانت عامة شجرهم المقل وكانوا يسكنونها فبعثه الله تعالى اليهم لظالمين
متجاوزين عن الحد فانتقمنا منهم بالعذاب روي ان الله تعالى سلط عليهم الحر سبعة ايام ثم بعث سحابة فالتجأوا اليها يلتمسون الروح فبعث الله تعالى عليهم
منها نارا فاحرقتهم فهو عذاب يوم الظلة وانهما يعني سدوم والايكة ومدين فانه عليه السلام كان مبعوثا اليهما فذكر احدهما منبه على الآخر لبامام مبين
لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به سمي به الطريق ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه لانها مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر يعني ثمود المرسلين
اي صالحا فان من كذب واحدا من الانبياء فقد كذب الجميع لاتفاقهم على التوحيد والاصول التي لا تختلف باختلاف الامم والاعصار وقيل المراد صالح ومن معه
من المؤمنين كما قيل الخبيبون لخبيب بن عبد الله بن الزبير واصحابه والحجر واد بين المدينة والشام كانوا يسكنونه وآتيناهم آياتنا وهي الآيات المنزلة
على نبيهم او المعجزات من الناقة وسقبها وشربها ودرها او الادلة المنصوبة لهم فكانوا عنها معرضين اعراضا كليا بل كانوا معارضين لها حيث فعلوا
بالناقة ما فعلوا وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لحسبانهم ان ذلك يحميهم منه
عن جابر رضي الله تعالى عنه انه قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا
ان يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فاسرع حتى خلفها فأخذتهم الصيحة مصبحين وهكذا وقع في سورة هود

فما أغنى عنهم ولم يدفع عنهم ما نزل بهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والأموال الوافرة والعدد المتكاثرة وفيه تهكم بهم والفاء لترتيب عدم الإغناء
الذي خص بوقت نزول العذاب حسبما كانوا يرجون لا عدم الإغناء المطلق فإنه أمر مستمر وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق أي إلا خلقا ملتبسا بالحق
والحكمة والمصلحة بحيث لا يلائم استمرار الفساد واستقرار الشرور ولذلك اقتضت الحكمة إهلاك أمثال هؤلاء دفعا لفسادهم وإرشادا لمن بقي إلى الصلاح أو إلا
بسبب العدل والإنصاف يوم الجزاء على الأعمال كما ينبئ عنه قوله تعالى وإن الساعة لآتية فينتقم الله تعالى لك فيها ممن كذبك فاصفح أي أعرض عنهم الصفح الجميل إعراضا
جميلا وتحمل أذيتهم ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هي منسوخة بآية السيف إن ربك الذي يبلغك إلى غاية الكمال هو الخلاق لك
ولهم ولسائر الموجودات على الإطلاق العليم بأحوالك وأحوالهم بتفاصيلها فلا يخفى عليه شيء مما جرى بينك وبينهم فهو حقيق بأن تكل جميع الأمور إليه ليحكم بينهم أو هو
الذي خلقكم وعلم تفاصيل أحوالكم وقد علم أن الصفح اليوم أصلح إلى أن يكون السيف أصلح فهو تعليل للأمر بالصفح على التقديرين وفي مصحف عثمان وأبي
رضي الله عنهما هو الخالق وهو صالح للقليل والكثير والخلاق مختص بالكثير ولقد آتيناك سبعا سبع آيات وهي الفاتحة وعليه عمر وعلي وابن مسعود وأبو
هريرة رضي الله تعالى عنهم والحسن وأبو العالية والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة رحمهم الله تعالى وقيل سبع سور وهي الطوال التي سابعتها الأنفال والتوبة
فإنهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل يونس أو الحواميم السبع وقيل الصحائف السبع وهي الأسباع من المثاني بيان للسبع من
التثنية وهي التكرير فإن كان المراد الفاتحة وهو الظاهر فتسميتها مثاني لتكرر قراءتها في الصلاة وأما تكرر قراءتها في غير الصلاة كما قيل فليس
بحيث يكون مدارا للتسمية ولأنها تثنى بما يقرأ بعدها في الصلاة وأما تكرر نزولها فلا يكون وجها للتسمية لأنها كانت مسماة بهذا الاسم قبل
نزولها الثاني إذ السورة مكية بالاتفاق وإن كان المراد غيرها من السور فوجه كونها من المثاني أن كلا من ذلك تكرر قراءته وألفاظه أو قصصه ومواعظه
أو من الثناء لاشتماله على ما هو ثناء على الله تعالى واحدتها مثناة أو مثنية صفة للآية وأما الصحائف وهي الأسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ
والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء على الله تعالى كأنها تثني عليه سبحانه بأفعاله وصفاته الحسنى ويجوز أن يراد بالمثاني القرآن لما ذكر أو لأنه
مثني عليه بالإعجاز أو كتب الله كلها فمن للتبعيض وعلى الأول للبيان والقرآن العظيم إن أريد بالسبع الآيات أو السور فمن عطف الكل على البعض أو العام على
الخاص وإن أريد به الأسباع أو كل القرآن فهو عطف أحد الوصفين على الآخر كما في قوله إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب في المزدحم أي ولقد آتيناك
ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب ولا تدم نظرك إلى ما متعنا به من زخارف الدنيا وزينتها ومحاسنها وزهرتها
أزواجا منهم أصنافا من الكفرة فإن ما في الدنيا من أصناف الأموال والذخائر بالنسبة إلى ما أوتيته مستحقر لا يعبأ به أصلا وفي حديث أبي بكر رضي الله تعالى عنه من
أوتي القرآن فرأى أن أحدا أوتي أفضل مما أوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي أنه وافت من بصرى وأذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها
أنواع البز والطيب والجواهر وسائر الأمتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها وأنفقناها في سبيل الله تعالى فقيل لهم قد أعطيتم سبع آيات
وهي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم حيث لم يؤمنوا ولم ينتظموا في سلك أتباعك ليتقوى بهم ضعفاء المسلمين وقيل أو أنهم المتمتعون به ويأباه
كلمة على فإن تمتعهم به لا يكون مدارا للحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين أي تواضع لهم وارفق بهم وألن جانبك لهم وطب نفسا عن إيمان الأغنياء وقل
إني أنا النذير المبين أي المنذر المظهر لنزول عذاب الله تعالى وحلوله كما أنزلنا على المقتسمين قيل إنه متعلق بقوله تعالى ولقد آتيناك إلى آخره أي أنزلنا عليك كما
أنزلنا على أهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين أي قسموه إلى حق وباطل حيث قالوا عنادا أو عدوانا بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل وبعضه باطل مخالف
لهما أو اقتسموه لأنفسهم استهزاء حيث كان يقول بعضهم سورة البقرة لي وبعضهم سورة آل عمران لي وهكذا أو قسموا ما قرؤوا من كتبهم وحرفوه فأقروا
بعضه وحملوا توسط قوله تعالى لا تمدن عينيك على إرادة ما هو المراد بالكلام من التسلية وعقب ذلك بأنه جل المقام عن التشبيه ولقد أوتي عليه السلام ما لم
يؤت أحد قبله ولا بعده مثله وقيل إنه متعلق بقوله وقل إني أنا النذير المبين فإنه في قوة الأمر بالإنذار كأنه قيل أنذر قريشا مثل ما أنزلنا على المقتسمين
يعني اليهود وهو ما جرى على بني قريظة والنضير بأن جعل المتوقع كالواقع وقد وقع كذلك وأنت خبير بأن ما يشبه به العذاب المنذر لا بد أن يكون
محقق الوقوع معلوم الحال عند المنذرين إذ به يتحقق فائدة التشبيه وهي تأكيد الإنذار وتشديده وعذاب بني قريظة والنضير مع عدم
وقوعه إذ ذاك لم يسبق به وعد ووعيد فهم منه في غفلة محضة وشك مريب وتنزيل المتوقع منزلة الواقع له موقع جليل من الإعجاز لكن
إذا صادف مقاما يقتضيه كما في قوله تعالى إنا فتحنا لك فتحا مبينا ونظائره على أن تخصيص الاقتسام باليهود بمجرد اختصاص العذاب المذكور
بهم مع شركة النصارى في الاقتسام المتفرع على الموافقة والمخالفة وفي الاقتسام بمعنى التحريف الشامل للكتابين بل تخصيص العذاب المذكور

المذكور بهم مع كونه من نتائج الاقتسام تخصيص من غير مخصص وقد جعل الموصول مفعولا أول لأنذر أي أنذر المعضين الذين يجزؤون القرآن إلى سحر وشعر
وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم فقعد كل منهم في مدخل لينفر الناس عن الإيمان برسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فإنه ساحر ويقول الآخر شاعر والآخر كذاب فأهلكهم الله تعالى يوم بدر وقبله بآفات وفيه مع ما فيه من الاشتراك
لما سبق في عدم كون العذاب الذي شبه به العذاب المنذر واقعا ولا معلوما للمنذرين ولا موعود الوقوع أنه لا داعي إلى تخصيص وصف التعضية بهم وإخراج
المقتسمين من بينهم مع كونهم أسوة لهم في ذلك فإن وصفهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما وصفوا من السحر والشعر والكذب متفرع على وصفهم للقرآن
بذلك وجعل هو الأنفس التعضية ولا إلى إخراجهم من حكم الإنذار على أن ما نزل بهم من العذاب لم يكن من الشدة بحيث يشبه به عذاب غيرهم ولا مخصوصا بهم بل عاما
لكلا الفريقين وغيرهم مع أن بعض المنذرين كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن المطلب قد هلكوا قبل هلاك أكثر المقتسمين يوم بدر ولا
إلى تقديم المفعول الثاني على الأول كما في قوله كما أنزلنا وقيل إنه وصف لمفعول النذير أقيم مقامه والمقتسمون هم القاعدون في مداخل مكة كما حرر
وفيه مع ما مر أن قوله تعالى كما أنزلنا صريح في أنه من قول الله تعالى لا من قول الرسول صلى الله عليه وسلم والاعتذار بأن ذلك من باب ما يقوله بعض خواص
الملك أمرنا بكذا وأن الآمر هو الملك حسبما سلف في قوله تعالى قدرنا إنها لمن الغابرين تعسف لا يخفى وأن إعمال الوصف الموصوف مما لم يجوزه البصريون
فلا بد من الهرب إلى مسلك الكوفيين أو المصير إلى جعله مفعولا غير صريح أي أنا النذير المبين بعذاب مثل عذاب المقتسمين وقيل المراد بالمقتسمين الرهط
الذين تقاسموا على أن يبيتوا صالحا عليه السلام فأهلكهم الله تعالى وأنت تدري أن عذابهم حيث كان متحققا ومعلوما للمنذرين حسبما نطق به القرآن
العظيم صالح لأن يقع مشبها به للعذاب المنذر لكن الموصول المذكور عقيبه حيث لم يكن كونه صفة للمقتسمين حينئذ فسواء جعلناه مفعولا أول للنذير
أو لما دل هو عليه من أنذر لا يكون للتعرض لعنوان التعضية في حيز الصلة ولا لعنوان الاقتسام بالمعنى المزبور في حيز المفعول الثاني فائدة لما أن ذلك
إنما يكون للإشعار بعلية الصلة والصفة للحكم الثابت للموصول والموصوف فلا يكون هناك وجه شبه يدور عليه تشبيه عذابهم خاصة لعدم اشتراكهم
في السبب فإن المعضين بمعزل من التقاسم على التبييت الذي هو السبب لهلاك أولئك كما أن أولئك بمعزل من التعضية التي هي السبب لهلاك هؤلاء
ولا علاقة بين السببين مفهوما ولا وجودا تصحح وقوع أحدهما في جانب والآخر في جانب واتفاق الفريقين على مطلق الاتفاق على الشر المفهوم من الاتفاق
على الشر المخصوص الذي هو التبييت المدلول عليه بالتقاسم غير مفيد إذ لا دلالة لعنوان التعضية على ذلك وإنما يدل عليه اقتسام المداخل وجعل
الموصول مبتدأ على أن خبره الجملة القسمية لا يليق بجزالة التنزيل وجلالة شأنه الجليل إذا عرفت هذا فاعلم أن الأقرب من الأقوال المذكورة أنه متعلق بالأول
وأن المراد بالمقتسمين أهل الكتابين وأن الموصول مع صلته صفة مبينة لكيفية اقتسامهم ومحل الكاف النصب على المصدرية وحديث جلالة المقام
عن التشبيه من لوائح النظر الجليل والمعنى لقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم إيتاء مماثلا لإنزال الكتابين على أهلهما وعدم التعرض لذكر ما أنزل
عليهم من الكتابين لأن الغرض بيان المماثلة بين الإيتائين دون متعلقيهما والعدول عن تطبيق ما في جانب المشبه به على ما في جانب المشبه بأن يقال كما
آتينا المقتسمين حسبما وقع في قوله والذين آتيناهم الكتاب إلى آخره للتنبيه على ما بين الإيتائين من التنائي فإن الأول على وجه التكرمة والامتنان
فشتان بينه وبين الثاني ولا يقدح ذلك في وقوعه مشبها به فإن ذلك إنما هو لمسلميته عندهم وتقدم وجوده على المشبه زمانا لا لمزية تعود إلى ذاته
كما في الصلوات الخليلية فإن التشبيه فيها لكون رحمة الله تعالى الفائضة على إبراهيم عليه السلام وآله أتم وأكمل مما فاض على النبي صلى الله عليه وسلم
وإنما ذلك للتقدم في الوجود والتنصيص عليه في القرآن العظيم فليس في التشبيه شائبة إشعار بأفضلية المشبه به من المشبه فضلا عن إيهام أفضلية
ما تعلق به الأول مما تعلق به الثاني وإنما ذكر بعنوان الاقتسام إنكارا لاتصافهم به مع تحقق ما ينفيه من الإنزال المذكور وإيذانا بأنه كان من حقهم
أن يؤمنوا بالكل حسب إيمانهم بما أنزل عليهم بحكم الاشتراك في العلة والاتحاد في الحقيقة التي هي مطلق الوحي وتوسيط قوله تعالى ولا تمدن إلى آخره
لكمال اتصاله بما هو المقصود من بيان حال ما أوتي النبي صلى الله عليه وسلم ولقد بين أولا علو شأنه ورفعة مكانه بحيث يستوجب اغتباطه عليه السلام
بمكانه واستغناءه به عما سواه ثم نهى عن الالتفات إلى زهرة الدنيا وعبر عن إيتائها لأهلها بالتمتيع المنبئ عن وشك زوالها عنهم ثم عن الحزن
بعدم إيمان المنهمكين فيها وأمر بمراعاة المؤمنين والاكتفاء بهم عن غيرهم وبإظهار القيام بمواجب الرسالة ومراسم النذارة حسبما فصل في تضاعيف
ما أوتي من القرآن العظيم ثم رجع إلى كيفية إيتائه على وجه أدرج فيه ما يزيح شبهة المنكرين ويستنزلهم من العناد من بيان مشاركته لما لا ريب لهم
في كونه وحيا صادقا فتأمل والله عنده علم الكتاب هذا وقد قيل المعنى قل إني أنا النذير المبين كما قد أنزلنا في الكتب أنك ستأتي نذيرا

على ان المقتسمين اهل الكتاب انتهى يريد ان ما في كما موصولة والمراد بالمشابهة المستفادة من الكاف الموافقة وهما مع ما في حيزهما في محل النصب على
الحالية من مفعول قل اي قل هذا القول حال كونه كما انزلنا على اهل الكتاب اي موافقا لذلك فالانسب حينئذ حمل الاقتسام على التحريف ليكون وصفهم
بذلك تعريضا بما فعلوا من تحريفهم وكتمانهم لنعت النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى عضين جمع عضة وهي الفرقة اصلها عضوة فعلة من عضى
الشاة تعضية اذا جعلها اعضاء وانما جمعت جمع السلامة جبرا للمحذوف كسنين وعزين والتعبير عن تجزئة القرآن بالتعضية التي هي تفريق
الاعضاء من ذي الروح المستلزم لازالة حيوته وابطال اسمه دون مطلق التجزئة والتفريق اللذين ربما يوجدان فيما لا يضره التبعيض من المثليات
للتنصيص على كمال قبح ما فعلوه بالقرآن العظيم وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضة السحر بلسان قريش فنقصانها على الاول
واو وعلى الثاني هاء **فوربك لنسئلنهم اجمعين** اي لنسئلن يوم القيمة اصناف الكفرة من المقتسمين وغيرهم سؤال توبيخ وتقريع **عما كانوا يعملون**
في الدنيا من قول وفعل وترك فيدخل فيه ما ذكر من الاقتسام والتعضية دخولا اوليا ولنجزينهم بذلك جزاء موفورا وفيه من التشديد وتاكيد الوعيد
ما لا يخفى والفاء لترتيب الوعيد على اعمالهم التي ذكر بعضها وفي التعرض لوصف الربوبية مضافا اليه عليه السلام اظهار اللطف به عليه السلام **فاصدع بما تؤمر**
فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او افرق بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والعائد محذوف اي بما تؤمر به
من الشرائع المودعة في تضاعيف ما اوتيته من المثاني السبع والقرآن العظيم ومن جملته ان يقول اني انا النذير المبين **واعرض عن المشركين** اي لا تلتفت
الى ما يقولون ولا تبال بهم ولا تقصد للانتقام منهم **انا كفيناك المستهزئين** بقمعهم وتدميرهم كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن
وائل والحرث بن قيس الطلاطلة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون في ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فنزل جبريل
عليه السلام فقال امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات
واومى الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فقال لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى فمات واشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمي والى
انف الحارث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح رأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى
مات **الذين يجعلون مع الله الها آخر** وصفهم بذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهوينا للخطب عليه باعلام انهم لم يقتصروا على الاستهزاء
به عليه السلام بل اجترؤا على العظيمة التي هي الاشراك بالله سبحانه وتعالى **فسوف يعلمون** عاقبة ما يأتون وما يذرون **ولقد نعلم انك يضيق صدرك**
بما يقولون من كلمات الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء به وبك وتحلية الجملة بالتاكيد لافادة تحقيق ما تتضمنه من التسلية وصيغة الاستقبال
لافادة استمرار العلم حسب استمرار متعلقه باستمرار ما يوجبه من اقوال الكفرة **فسبح بحمد ربك** فافزع الى الله تعالى فيما نابك من ضيق الصدر والحرج
بالتسبيح والتقديس ملتبسا بحمده وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام ما لا يخفى من اظهار اللطف به عليه السلام والاشعار بعلة
الحكم اعني الامر بالتسبيح والحمد **وكن من الساجدين** اي المصلين يكفك ويكشف الغم عنك او نزهه عما يقولون ملتبسا بحمده على ان هداك للحق المبين
وعنه عليه السلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة **واعبد ربك** دم على ما انت عليه من عبادته تعالى وايثار الاظهار بالعنوان السالف آنفا لتاكيد ما
سبق من اظهار اللطف به عليه السلام والاشعار بعلة الامر بالعبادة **حتى يأتيك اليقين** اي الموت فانه متيقن اللحوق بكل حي مخلوق واسناد الاتيان
اليه للايذان بانه متوجه الى الحي طالب للوصول اليه والمعنى دم على العبادة ما دمت حيا من غير اخلال بها لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا والله تعالى اعلم

سورة النحل

بسم الله الرحمن الرحيم **اتى امر الله** اي الساعة او ما يعمها وغيرها من العذاب الموعود للكفرة عبر عن ذلك بامر الله للتفخيم والتهويل وللايذان بان
تحققه في نفسه واتيانه منوط بحكمه النافذ وقضائه الغالب واتيانه عبارة عن دنوه واقترابه على طريقة نظم المتوقع في سلك الواقع او عن اتيان مباديه
القريبة على نهج اسناد حال الاسباب الى المسببات وايا ما كان ففيه تنبيه على كمال قربه من الوقوع واتصاله به وتكميل لحسن موقع التفريع في قوله
عز وجل **فلا تستعجلوه** فان النهي عن استعجال الشيء وان صح تفريعه على قرب وقوعه اذ بالوقوع يستحيل الاستعجال اصلا لا بما ذكر من قرب وقوعه
ووقوع مباديه والخطاب للكفرة خاصة كما يدل عليه القراءة على صيغة نهي الغائب واستعجالهم وان كان بطريق الاستهزاء لكنه حمل
على الحقيقة ونهوا عنه بضرب من التهكم لا مع المؤمنين سواء اريد بامر الله ما ذكر او العذاب الموعود للكفرة خاصة اما الاول فلانه لا يتصور

من المؤمنين استعجال الساعة او ما يعمها وغيرها من العذاب حتى يعمهم النهي عنه واما الثاني فلان استعجالهم له بطريق الحقيقة واستعجال الكفرة
بطريق الاستهزاء كما عرفته فلا ينتظمها صيغة واحدة والالتجاء الى ارادة معنى مجازي يعمهما معا من غير ان يكون هناك رعاية نكتة سرية تعسف
لا يليق بشان التنزيل الجليل مع ما روي من انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض
ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا
يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع الناس رؤسهم فلما نزل فلا تستعجلوه اطمأنوا فليس فيه
دلالة على عموم الخطاب كما قيل لا لما توهم من ان التصدير بالفاء يأباه فانه بمعزل من ابائه حسبما تحققته بل لان مناط اطمئنانهم انما هو وقوفهم على
ان المراد بالاتيان هو الاتيان الادعائي لا الحقيقي الموجب لاستحالة الاستعجال المستلزمة لامتناع النهي عنه لما ان النهي عن الشيء يقتضي امكانه
في الجملة ومدار ذلك الوقوف انما هو النهي عن الاستعجال المستلزم لامكانه المقتضي لعدم وقوع المستعجل بعد ولا يختلف ذلك باختلاف المستعجل كائنا
من كان بل فيه دلالة واضحة على عدم العموم لان المراد بامر الله انما هو الساعة وقد عرفت استحالة صدور استعجالها عن المؤمنين نعم يجوز تخصيص الخطاب
بهم على تقدير كون امر الله عبارة عن العذاب الموعود للكفرة خاصة لكن الذي يقتضيه الاعجاز التنزيلي انه خاص بالكفرة كما ستقف عليه ولما كان استعجالهم
ذلك من نتائج اشراكهم المستتبع لنسبة الله عز وجل الى ما لا يليق به من العجز والاحتياج الى الغير واعتقادهم ان احدا يحجزه عن انجاز وعده او امضاء وعيده
وقد قالوا في تضاعيفه ان صح مجيء العذاب فالاصنام تخلصنا عنه بشفاعتها رد ذلك فقيل بطريق الاستئناف **سبحانه وتعالى عما يشركون** اي تنزه
وتقدس بذاته وجل عن اشراكهم المؤدي الى صدور امثال هذه الاباطيل عنهم او عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراده بهم بوجه من الوجوه وصيغة الاستقبال
للدلالة على تجدد اشراكهم واستمراره والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء ذكر قبائحهم للاعراض عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب وحكاية شنائعهم
لغيرهم وعلى تقدير تخصيص الخطاب بالمؤمنين يفوت هذه النكتة كما يفوت ارتباط المنهي عنه بالمنزه عنه وقرئ على صيغة الخطاب **ينزل الملائكة**
بيان لتحتم التوحيد حسبما نبه عليه تنبيها اجماليا ببيان تقدس جناب الكبرياء وتعاليه عن ان يحوم حوله شائبة ان يشاركه شيء في شيء وايذان بانه
دين اجمع عليه جمهور الانبياء عليهم السلام وامروا بدعوة الناس اليه مع الاشارة الى سر البعثة والتشريع وكيفية القاء الوحي والتنبيه على طريق علم
الرسول صلى الله عليه وسلم باتيان ما اوعدهم به وباقترابه ازاحة لاستبعادهم اختصاصه عليه السلام بذلك واظهارا لبطلان رأيهم في الاستعجال و
التكذيب وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بان ذلك عادة مستمرة له سبحانه والمراد بالملائكة اما جبريل عليه السلام قال الواحدي يسمى الواحد بالجمع اذا
كان رئيسا او هو ومن معه من حفظة الوحي بامر الله تعالى وقرئ ينزل من الانزال وتنزل بحذف احدى التائين وعلى صيغة المبني للمفعول من التنزيل **بالروح**
اي بالوحي الذي من جملته القرآن على نهج الاستعارة فانه يحيي القلوب الميتة بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد والباء متعلقة بالفعل او بما
هو حال من مفعوله اي ملتبسين بالروح **من امره** بيان للروح الذي اريد به الوحي فانه امر بالخير او حال منه اي حال كونه ناشئا ومبتدأ منه او صفة له على
رأي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته اي بالروح الكائن من امره او الناشئ منه او متعلق بينزل ومن للسببية كالباء مثل ما في قوله تعالى مما خطيئاتهم
اي ينزلهم بامره **على من يشاء من عباده** اي ينزلهم به عليهم لاختصاصهم بصفات تؤهلهم لذلك **ان انذروا** بدل من الروح اي ينزلهم ملتبسين بان انذروا
اي بهذا القول والمخاطبون به الانبياء الذين نزلت الملائكة عليهم عليهم السلام والآمر هو الله سبحانه والملائكة نقلة كما يشعر به الباء في المبدل منه وان اما
مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف اي ينزلهم ملتبسين بان الشان اقول لكم انذروا او مفسرة على ان تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى
القول كانه قيل يقول بواسطة الملائكة لمن يشاء من عباده انذروا فلا محل لها من الاعراب او مصدرية لجواز كون صلتها انشائية كما في قوله تعالى وان اقم
وجهك حسبما ذكر في اوائل سورة هود فمحلها الجر على البدلية ايضا والانذار الاعلام خلا انه مختص باعلام المحذور من نذر بالشيء اذا علمه فحذره وانذره
بالامر انذارا اي اعلمه وحذره وخوفه في ابلاغه كذا في القاموس اي اعلموا الناس **انه لا اله الا انا** فالضمير للشان ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته
المغنية عن التصريح به وفائدة تصدير الجملة به الايذان من اول الامر بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرر له في الذهن فان الضمير لا يفهم منه ابتداء
الا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن لديه عند وروده فضل تمكن كانه قيل انذروا ان الشأن الخطير هذا وايثار مضمونه عن المحذور
ليس لذاته بل من حيث اتصاف المنذرين بما يضاده من الاشراك وذلك كاف في كونه اعلامه انذارا وقوله سبحانه **فاتقون** خطاب للمستعجلين على طريقة
الالتفات والفاء فصيحة اي اذا كان الامر كما ذكر من جريان عادته تعالى بتنزيل الملائكة على الانبياء عليهم السلام وامرهم بان ينذروا الناس انه لا شريك له

في الالوهية فالتقوية في الاخلال بمضمونه ومباشرة ما ينافيه من الاشراك وفروعه التي من جملتها الاستعجال والاستهزاء وبعد تمهيد الدليل السمعي شرع في
تحرير الادلة العقلية فقيل **خلق السموات والارض بالحق** اي اوجدهما على ما هما عليه من الوجه اللائق والنمط الرائق **تعالى** وتقدس بذاته لا سيما بافعاله
التي من جملتها ابداع [illegible] المخلوقين **عما يشركون** عن اشراكهم المعهود او عن شركة ما يشركونه من الباطل الذي لا يبدئ ولا يعيد وبعد ما نبه على صنعه الكلي المنطوي
على تفاصيل مخلوقاته شرع في تعداد ما فيه من خلائقه مبتدئا بفعله المتعلق بالانفس فقال **خلق الانسان** اي هذا النوع غير الفرد الاول **من نطفة**
بجماد لا حس له ولا حراك سيال لا يحفظ شكلا ولا وضعا **فاذا هو** بعد الخلق **خصيم** منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم **مبين** لحجته لقن بها وهذا
انسب بمقام الامتنان باعطاء القدرة على الاستدلال بذلك على قدرته تعالى ووحدته او مخاصم لخالقه منكر له قائل من يحيي العظام وهي رميم وهذا انسب
بمقام تعداد هنات الكفرة روي ان ابي بن خلف الجمحي اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم فقال يا محمد اترى الله تعالى يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت
والانعام وهي الازواج الثمانية من الابل والبقر والضان والمعز وانتصابها بمضمر يفسره قوله تعالى **خلقها** او بالعطف على الانسان وما بعده بيان ما
خلق لاجله والذي بعده تفصيل لذلك وقوله **لكم** اما متعلق بخلقها وقوله **فيها** خبر مقدم وقوله تعالى **دفء** مبتدا وهو ما يدفأ به فيقي من البرد والجملة
حال من المفعول او الظرف الاول خبر للمبتدا المذكور وفيها حال من دفء اذ لو تاخر لكان صفة **ومنافع** هي درها وركوبها وحملها والحراثة بها وغير
ذلك وانما عبر عنها بها ليتناول الكل مع انه الانسب بمقام الامتنان بالنعم وتقديم الدفء على المنافع لرعاية اسلوب الترقي الى الاعلى **ومنها تاكلون**
ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم وغير ذلك وتغيير النظم للايماء الى انها لا تبقى عند الاكل كما في السابق واللاحق فان الدفء والمنافع والجمال يحصل منها
وهي باقية على حالها ولذلك جعلت محالا لها بخلاف الاكل وتقديم الظرف للايذان بان الاكل منها هو المعتاد المعتمد في المعاش وان الاكل مما عداها من
الدجاج والبط وصيد البر والبحر من قبيل التفكه مع ان فيه مراعاة للفواصل ويحتمل ان يكون معنى الاكل منها اكل ما يحصل بسببها فان الحبوب والثمار
المكاسب المكتسبة باكراء الابل وباثمان نتاجها والبانها وجلودها **ولكم فيها** مع ما فصل من انواع المنافع الضرورية **جمال** اي زينة في اعين الناس
ووجاهة عندهم **حين تريحون** تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي **وحين تسرحون** تخرجونها بالغداة من حظائرها الى مسارحها فالمفعول محذوف
من الفعلين لرعاية الفواصل وتعيين الوقتين لان ما يدور عليه امر الجمال من تزيين الافنية والاكناف بها وتجاوب ثغائها ورغائها انما هو عند
ورودها وصدورها في ذينك الوقتين واما عند كونها في المراعي فينقطع اضافتها الحسية الى اربابها وعند كونها في الحظائر لا يراها راء ولا ينظر اليها
ناظر وتقديم الاراحة على السرح لتقدم الورود على الصدور ولكونها اظهر منه في استتباع ما ذكر من الجمال واتم في استجلاب الانس والبهجة اذ فيها
حضور بعد غيبة واقبال بعد ادبار على احسن ما يكون ملاء البطون مرتفعة الضلوع حافلة الضروع وقرئ حينا تريحون وحينا تسرحون على ان كلا
من الفعلين وصف لحينا بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه **وتحمل اثقالكم** جمع ثقل وهو متاع المسافر وقيل اثقالكم اجرامكم **الى بلد** قال ابن عباس رضي الله عنهما اريد به
اليمن ومصر والشام [illegible] ولعله نظر الى انها متاجر اهل مكة وقال عكرمة اريد به مكة ولعله نظر الى ان احمالهم واثقالهم عند القفول من متاجرهم اكثر
ومحاجتهم الى الحمولة امس والظاهر انه عام لكل بلد سحيق **لم تكونوا بالغيه** واصلين اليه بانفسكم مجردين عن الاثقال لولا الابل **الا بشق الانفس** فضلا عن استصحابها
[illegible] وقرئ بفتح الشين وهما لغتان بمعنى الكلفة والمشقة وقيل المفتوح مصدر من شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع والمكسور
النصف كانه يذهب نصف القوة لما يناله من الجهد فالاضافة الى الانفس مجازية او على تقدير مضاف اي الا بشق قوى الانفس وهو استثناء مفرغ من
اعم الاشياء اي لم تكونوا بالغيه بشيء من الاشياء الا بشق الانفس ولعل تغيير النظم الكريم السابق الدال على كون الانعام مدارا للنعم السابقة الى الجملة
الفعلية المفيدة لتجدد الحدوث للاشعار بان هذه النعمة ليست في العموم بحسب المنشا وبحسب المتعلق وفي الشمول للاوقات والاطراد في الاحيان المعهودة
بمثابة النعم السابقة فانها بحسب المنشا خاصة بالابل وبحسب المتعلق بالضاربين في الارض المتقلبين فيها للتجارة وغيرها في احايين غير مطردة
واما سائر النعم المعدودة فموجودة في جميع اصناف الانعام وعامة لكافة المخاطبين دائما او في عامة الاوقات **ان ربكم لرءوف رحيم** ولذلك اسبغ عليكم
تلك النعم الجليلة ويسر لكم الامور الشاقة **والخيل** هو اسم جنس للفرس لا واحد له من لفظه كالابل وهو عطف على الانعام اي خلق الخيل **والبغال والحمير لتركبوها**
تعليل بعظم منافعها والا فالانتفاع بها بالحمل ايضا مما لا ريب في تحققه **وزينة** عطف على محل لتركبوها وتجريده عن اللام لكونه فعلا لفاعل الفعل المعلل دون الاول
وتاخيره لان الركوب اهم منه ومصدر لفعل محذوف اي وتتزينوا بها زينة وقرئ بغير واو اي خلقها زينة لتركبوها ويجوز ان يكون مصدرا واقعا موقع
الحال من فاعل تركبوها او مفعوله اي متزينين بها او متزينا بها **ويخلق ما لا تعلمون** اي يخلق في الدنيا غير ما عدد من اصناف النعم فيكم ولكم ما لا تعلمون

ما لا تعلمون كنهه وكيفية خلقه فالعدول الى صيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار والتجدد او لاستحضار الصورة او يخلق لكم في الجنة غير ما ذكر من النعم الدنيوية
ما لا تعلمون اي ما ليس من شانكم ان تعلموه وهو ما اشير اليه بقوله عليه الصلوة والسلام حكاية عن الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر ويجوز ان يكون هذا اخبارا بانه سبحانه يخلق من الخلائق ما لا علم لنا به دلالة على قدرته الباهرة الموجبة للتوحيد كنعمته الباطنة والظاهرة
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبريل عليه السلام كل سحر فيغتسل فيزداد
نورا الى نور وجمالا الى جمال وعظما الى عظم ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل قطرة تقع من ريشه كذا وكذا الف ملك فيدخل منهم كل يوم سبعون الف ملك البيت
المعمور وسبعون الف ملك الكعبة لا يعودون اليه الى يوم القيمة **وعلى الله قصد السبيل** القصد مصدر بمعنى الفاعل يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم على طريقة الاستعارة
او على نهج اسناد حال سالكه اليه كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه اي حق عليه سبحانه وتعالى بموجب رحمته ووعده المحتوم بيان الطريق
المستقيم الموصل لمن يسلكه الى الحق الذي هو التوحيد بنصب الادلة وارسال الرسل وانزال الكتب لدعوة الناس اليه او مصدر بمعنى الاقامة والتعديل
قاله ابو البقاء اي عليه عز وجل تقويمها وتعديلها اي جعلها بحيث يصل سالكه الى الحق لكن لا بعد ما كانت في نفسها منحرفة عنه بل ابدعها ابتداء على نهج قوله سبحان من
صغر البعوض وكبر الفيل وحقيقته راجعة الى ما ذكر من نصب الادلة وقد فعل ذلك حيث ابدع هذه البدائع التي كل واحدة منها لاحب يهتدي بمناره وعلم
يستضاء بناره وارسل رسلا مبشرين ومنذرين وانزل عليهم كتبا من جملتها هذا الوحي الناطق بحقيقة الحق الفاحص عن كل ما جل من الاسرار ودق
الهادي الى سبيل الاستدلال بتلك الادلة المفضية الى معالم الهدى المنجية عن فيافي الضلالة ومهاوي الردى الا ترى كيف بين اولا تنزه جناب الكبرياء
وتعاليه بحسب الذات عن ان يحوم حوله شائبة توهم الاشراك ثم اظهر واوضح سر القاء الوحي على الانبياء عليهم السلام وكيفية امرهم بانذار الناس
ودعوتهم الى التوحيد ونهيهم عن الاشراك ثم كرر على بيان تعاليه عن ذلك بحسب الافعال مرشدا الى طريقة الاستدلال فبدا بفعله المتعلق بمحيط العالم
الجسماني ومركزه بقوله تعالى خلق السموات والارض تعالى عما يشركون ثم فصل افعاله المتعلقة بما بينهما فبدا بفعله المتعلق بانفس المخاطبين ثم ذكر ما يتعلق
بما لا بد لهم منه في معايشهم ثم بين قدرته على خلق ما لا يحيط به علم البشر بقوله ويخلق ما لا تعلمون وكل ذلك كما ترى بيان لسبيل التوحيد غب بيان
وتعديل له اثر تعديل فالمراد بالسبيل على الاول الجنس بدليل اضافة القصد اليه وقوله تعالى **ومنها** في محل الرفع على الابتداء اما باعتبار مضمونه واما
بتقدير الموصوف كما في قوله تعالى ومنا دون ذلك وقد مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر الى آخره اي بعض السبيل او بعض من
السبيل فانها تؤنث وتذكر **جائر** اي مائل عن الحق منحرف عنه لا يوصل سالكه اليه وهو طرق الضلال التي لا يكاد يحصى عددها المندرجة كلها تحت الجائر وعلى
الثاني نفس السبيل المستقيم والضمير في منها راجع اليها بتقدير المضاف اي ومن جنسها لما عرفت من ان تعديل السبيل وتقويمه ابداعه ابتداء على وجه الاستقامة
والعدالة لا تقويمه بعد انحرافه واما ما كان فليس في النظم الكريم تغيير الاسلوب رعاية لامر مطلوب كما قيل فان ذلك انما يكون فيما اقتضى الظاهر ان يقال
والذي يسقيني ويشفين ولكن غير السبك الى ما عليه النظم الكريم تفاديا عن اسناد ما تكرهه النفس اليه سبحانه وليس المراد ببيان قصد السبيل
مجرد اعلام انه مستقيم حتى يصح اسناد انه جائر اليه تعالى فيحتاج الى الاعتذار عن عدم ذلك على انه لو اريد ذلك لم يوجد لتغيير الاسلوب نكتة
وقد بين ذلك في مواضع غير معدودة بل المراد ما مر من نصب الادلة لهداية الناس اليه ولا امكان لاسناد مثله اليه تعالى بالنسبة الى الطريق
الجائر بان يقال وجائرها حتى يصرف ذلك الاسناد منه تعالى الى غيره لنكتة تستدعيه ولا يتوهم متوهم حتى يقتضي الحال دفع ذلك بان يقال الاجائر
ثم تغيير السبك في النظم عن ذلك لداعية اقوى منه بل الجملة الظرفية اعتراضية جيء بها لبيان الحاجة الى البيان والتعديل واظهار جلالة قدر النعمة
في ذلك والمعنى على الله تعالى بيان الطريق المستقيم الموصل الى الحق وتعديله بما ذكر من نصب الادلة ليسلكه الناس باختيارهم ويصلوا الى المقصد وهذا
هو الهداية المفسرة بالدلالة على ما يوصل الى المطلوب لا الدلالة المستلزمة للاهتداء البتة فان ذلك مما ليس بحق على الله تعالى لا بحسب ذاته
ولا بحسب رحمته بل هو مخل بحكمته حيث يستدعي تسوية المحسن والمسيء والمطيع والعاصي بحسب الاستعداد واليه اشير بقوله تعالى **ولو شاء لهداكم اجمعين** اي لو شاء
ان يهديكم الى ما ذكر من التوحيد هداية موصلة اليه البتة مستلزمة لاهتدائكم اجمعين لفعل ذلك ولكن لم يشاه لان مشيئته تابعة للحكمة الداعية اليها
ولا حكمة في تلك المشيئة لما ان الذي عليه يدور فلك التكليف واليه يستند الثواب والعقاب انما هو الاختيار الجزئي الذي عليه يترتب الاعمال التي
بها يناط الجزاء هذا هو الذي يقتضيه المقام ويستدعيه حسن النظام وقد فسروا قصد السبيل عليه تعالى بانتهائه اليه على نهج الاستقامة وايثار
حرف الاستعلاء على اداة الانتهاء لتاكيد الاستقامة على وجه تمثيلي من غير ان يكون هناك استعلاء لشيء عليه سبحانه وتعالى عنه علوا كبيرا كما في قوله

مستقيم فالقصد مصدر بمعني الفاعل والمراد بالسبيل الجنس كما مر وقوله تعالى ومنها جائر معطوف علي الجملة الاولي والمعني ان قصد السبيل واصلة اليه تعالى
وبعضها منحرف عنه ولو شاء لهداكم جميعا الي الاول وانت خبير بان هذا حق في نفسه ولكنه بمعزل عن تمكنه موجبة لتوسيطه بين ما سبق من ادلة
الحق ولما بين الطريق السمعي للتوحيد علي وجه اجمالي وفصل بعض ادلته المتعلقة باحوال الحيوانات وعقب ذلك ببيان السر الداعي الي
البرهان علي التأمل فيما سبق وحثا علي حسن التلقي للحق اتبع ذلك ذكر ما يدل عليه من احوال النبات فقيل هو الذي انزل بقدرته القاهرة
من السحاب او من جانب السماء ماء اي نوعا منه وهو المطر وتاخيره عن المجرور لما مر مرارا من ان المقصود هو الاخبار بانه انزل من السماء
شيئا هو الماء لا انه انزله من السماء والسر فيه ما سلف من ان عند تاخير ما حقه التقديم يبقي الذهن مترقبا له مشتاقا اليه فيتمكن لديه عند وروده
عليه فضل تمكن لكم منه شراب اي ما تشربونه وهو مرتفع بالظرف الاول او مبتدأ وهو خبره والجملة صفة لماء والظرف الثاني نصب علي الحالية من شراب ومن
تبعيضية وليس في تقديمه ايهام حصر المشروب فيه حتي يفتقر الي الاعتذار بانه لا باس بهلاك مياه العيون والآبار لقوله تعالى فسلكه ينابيع في الارض
وقوله فاسكناه في الارض وقيل الظرف الاول متعلق بانزل والثاني بشراب والجملة صفة لماء وانت خبير بان ما فيه من توسيط المنصوب بين المجرورين
وتوسيط الثاني منهما بين الماء وصفته مما لا يليق بجزالة نظم التنزيل الجليل ومنه شجر من ابتدائية اي ومنه يحصل شجر ترعاه المواشي والمراد به ما ينبت من
الارض سواء كان له ساق اولا وتبعيضية مجازا لانه لما كان سقيه من الماء جعل كانه منه كقوله اسنمة الآبال في ربابه يعني به المطر الذي ينبت به
الكلأ الذي تاكله الابل فتسمن اسنمتها وفي حديث عكرمة لا تاكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعني به الكلأ فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية
واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض ينبت اي الله عز وجل وقرئ بالنون لكم به مما
انزل من السماء الزرع والزيتون والنخيل والاعناب بيان للنعم الفائضة عليهم من الارض بطريق الاستئناف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة
علي التجدد والاستمرار وانها سنته الجارية علي مر الدهور او لاستحضار صورة الانبات وتقديم الظرفين علي المفعول الصريح لما مر انفا
مع ما في تقديم اولهما من الاهتمام به لادخال المسرة ابتداء وتقديم الزرع علي ما عداه لانه اصل الاغذية وعمود المعاش وتقديم الزيتون
لما فيه من الشرف من حيث انه ادام من وجه وفاكهة من وجه وتقديم النخيل علي الاعناب لظهور اصالتها وبقائها وجمع الاعناب للاشارة الي ما
فيها من الاشتمال علي الاصناف المختلفة وتخصيص الانواع المعدودة بالذكر مع اندراجها تحت قوله تعالى ومن كل الثمرات للاشعار بفضلها
وتقديم الشجر عليها مع كونه غذاء للانعام لحصوله بغير صنع من البشر وللارشاد الي مكارم الاخلاق فان مقتضاها ان يكون اهتمام الانسان بامر
ما تحت يده اكمل من اهتمامه بامر نفسه او لان اكثر المخاطبين من اصحاب المواشي ليس لهم زرع ولا ثمر وقيل المراد تقديم ما يسام لتقديم غذائه فانه
غذاء حيواني للانسان وهو اشرف الاغذية وقرئ ينبت من الثلاثي مسندا الي الزرع وما عطف عليه ان في ذلك اي في انزال الماء وانبات ما فصل
لآية عظيمة دالة علي تفرده تعالى بالالوهية لاشتماله علي كمال العلم والقدرة والحكمة لقوم يتفكرون فان من تفكر في ان الحبة او النواة
تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فتنشق اسفلها فيخرج منه عروق تنبسط في اعماق الارض وتنشق اعلاها وان كانت منتكسة في
الوقوع ويخرج منه ساق فينمو ويخرج منه الاوراق والازهار والحبوب والثمار المشتملة علي اجسام مختلفة الاشكال والالوان والخواص والطبائع
وعلي نواة قابلة لتوليد الامثال علي النمط المحرر لا الي نهاية مع اتحاد المواد واستواء نسبة الطبائع السفلية والتاثيرات العلوية بالنسبة الي الكل
علم ان من هذه افعاله وآثاره لا يمكن ان يشبهه شيء من صفات الكمال فضلا عن ان يشاركه اخس الاشياء في اخص صفاته التي هي الالوهية واستحقاق
العبادة تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحيث انتفي سلوك هذه الطريقة الي ترتيب المقدمات الفكرية قطع الآية الكريمة بالتفكر وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان
خلفة لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها والشمس والقمر يدأبان في سيرهما وانارتهما اصالة وخلافة واصلاحهما لما نيط بهما صلاحه من
المكونات التي من جملتها ما فصل واجمل كل ذلك لمصالحكم ومنافعكم وليس المراد بتسخيرها لهم تمكينهم من تصرفها كيف شاؤوا كما في قوله تعالى سبحان الذي
سخر لنا هذا ونظائره بل هو تصريفه تعالى لها حسبما يترتب عليه منافعهم ومصالحهم كان ذلك تسخير لهم وتصرف من قبلهم حسب ارادتهم وفي التعبير عن ذلك
التصريف بالتسخير ايماء الي ما في المسخرات من صعوبة المأخذ بالنسبة الي المخاطبين وايثار صيغة الماضي للدلالة علي ان ذلك امر واحد مستمر وان تجدد
آثاره والنجوم مسخرات بامره مبتدأ وخبر اي سائر النجوم في حركاتها واوضاعها من التثليث والتربيع ونحوهما مسخرات لله تعالى او لما خلقن له بارادته
ومشيئته وحيث لم يكن عود منافع النجوم اليهم في الظهور بمثابة ما قبلها من الملوين والقمرين لم ينسب تسخيرها اليهم باداة الاختصاص بل ذكر علي وجه

علي وجه يفيد كونها تحت ملكوته تعالى من غير دلالة علي شيء آخر ولذلك عدل عن الجملة الفعلية الدالة علي الحدوث الي الاسمية المفيدة للدوام والاستمرار وقرئ
برفع الشمس والقمر ايضا وقرئ بنصب النجوم علي انه مفعول اول لفعل مقدر ينبئ عنه الفعل المذكور ومسخرات مفعول ثان له اي وجعل النجوم مسخرات بامره او
علي انه معطوف علي المنصوبات المتقدمة ومسخرات حال من الكل والعامل ما في سخر من معني نفع اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله الذي خلقها ودبرها
كيف شاء او لما خلق له بايجاده وتقديره او لحكمه ومصدر ميمي جمع لاختلاف الانواع اي انواعا من التسخير وما قيل من ان فيه ايذانا بالجواب عما عسي
يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها بان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا امور ممكنة الذات والصفات واقعة علي بعض
الوجوه الممكنة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل فمبناه حسبان ما ذكر ادلة علي وجود الصانع تعالى وقدرته
واختياره وانت تدري ان ليس الامر كذلك فانه ليس مما ينازع فيه الخصم ولا يتلعثم في قبوله قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر
الشمس والقمر ليقولن الله فاني يؤفكون وقال ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله الآية وانما ذلك
ادلة التوحيد من حيث ان من هذا شأنه لا يتوهم ان يشاركه شيء في شيء فضلا عن ان يشاركه الجماد في الالوهية ان في ذلك اي فيما ذكر من التسخير
المتعلق بما ذكر مجملا ومفصلا لآيات باهرة متكاثرة لقوم يعقلون وحيث كانت هذه الآثار العلوية متعددة ودلالة ما فيها من عظيم القدرة
والعلم والحكمة علي الوحدانية اظهر جمع الآيات وعلقت بمجرد العقل من غير حاجة الي التأمل والتفكر ويجوز ان يكون المراد لقوم يعقلون ذلك فالمشار اليه
حينئذ تعاجيب الدقائق المودعة في العلويات المدلول عليها بالتسخير التي لا يتصدي لمعرفتها الا المهرة من اساطين علماء الحكمة ولا ريب في ان احتياجها
الي التفكر اكثر وما ذرأ عطف علي قوله تعالى والنجوم رفعا ونصبا علي انه مفعول لجعل اي وما خلق لكم في الارض من حيوان ونبات حال كونه مختلفا
مختلفا الوانه اي اصنافه فان اختلافها غالبا يكون باختلاف اللون مسخر لله تعالى او لما خلق له من الخواص والاحوال والكيفيات او جعل ذلك مختلف الالوان
اي الاصناف لتتمتعوا من ذلك باي صنف شئتم وقد عطف علي ما قبله من المنصوبات وعقب بان ذكر الخلق لهم مغن عن ذكر التسخير واعتذر بان الاول
لا يستلزم الثاني لزوما عقليا لجواز كون ما خلق لهم عزيز المرام صعب المنال وقيل هو منصوب بفعل مقدر اي خلق وابث علي ان قوله مختلفا الوانه حال من
مفعوله ان في ذلك الذي ذكر من التسخير ونحوه لآية بينة الدلالة علي ان من هذا شأنه واحد لا ند له ولا ضد لقوم يذكرون فان ذلك غير
محتاج الا الي تذكر ما عسي يغفل عنه من العلوم الضرورية واما ما يقال من ان اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم فمداره
ما توهمناه من حسبان ما ذكر دليلا علي اثبات الصانع تعالى وقد عرفت حقيقة الحال فان اريد ما يدل علي اتصافه سبحانه بما ذكر من صفات الكمال ليس
بطريق الاستدلال عليه بل من حيث ان ذلك من المقدمات المسلمة جيء به للاستدلال به علي ما يقتضيه ضرورة من وحدانيته تعالى واستحالة ان يشاركه
شيء في الالوهية وهو الذي سخر البحر شروع في تعداد النعم المتعلقة اثر تفصيل النعم المتعلقة بالبر حيوانا ونباتا اي جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع
به بالركوب والغوص والاصطياد لتاكلوا منه لحما طريا هو السمك والتعبير عنه باللحم مع كونه حيوانا للتلويح بانحصار الانتفاع به في الاكل
ووصفه بالطراوة للاشعار بلطافته والتنبيه علي وجوب المسارعة الي اكله كيلا يتسارع اليه الفساد كما ينبئ عنه جعل البحر مبدأ اكله وللايذان
بكمال قدرته تعالى في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق ومن اطلاق اللحم عليه ذهب مالك والثوري الي ان من حلف لا ياكل اللحم حنث باكله والجواب ان
مبني الايمان العرف ولا ريب في انه لا يفهم منه اللحم عند الاطلاق ولذلك لو امر خادمه بشراء اللحم فجاء بالسمك لم يكن ممتثلا بالامر الا يري الي ان الله تعالى
سمي الكافر دابة حيث قال ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ولا يحنث بركوبه من حلف لا يركب دابة وتستخرجوا منه حلية كاللؤلؤ والمرجان
تلبسونها عبر في مقام الامتنان عن لبس نسائهم بلبسهم لكونهن منهم او لكون لبسهن لاجلهم وتري الفلك السفن مواخر فيه جواري فيه مقبلة
ومدبرة ومعترضة بريح واحدة تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل هو صوت جري الفلك ولتبتغوا عطف علي تستخرجوا وما عطف
عليه وما بينهما اعتراض لتمهيد مبادي الابتغاء ودفع توهم كونه باستخراج الحلية او علي علة محذوفة اي لتنتفعوا بذلك ولتبتغوا ذكره ابن الانباري
او متعلقة بفعل محذوف اي وفعل ذلك لتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اي تعرفون حقوق نعمه الجليلة فتقومون بادائها
بالطاعة والتوحيد ولعل تخصيص هذه النعمة بالتعقيب بالشكر من حيث ان فيها قطعا لمسافة طويلة مع احمال ثقيلة في مدة قليلة من غير مزاولة
اسباب السفر من غير حركة اصلا مع انها في تضاعيف المهالك وعدم توسيط الفوز بالمطلوب بين الابتغاء والشكر للايذان باستغنائه عن التصريح به
وبحصولهما معا والقي في الارض رواسي اي جبالا ثوابت وقد مر تحقيقه في سورة الرعد ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب او لئلا تميد بكم فان

الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت حقيقة بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او تتحرك بادنى سبب محرك فلما خلقت الجبال
حافاتها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد وقيل لما خلق الله تعالى الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فا
وقد ارسيت بالجبال **وانهارا** اي وجعل فيها انهارا لان في القى معنى الجعل **وسبلا لعلكم تهتدون** بها الى مقاصدكم **وعلامات** معالم يستدل بها السابلة
بالنهار من جبل وسهل وريح وقد نقل ان جماعة يشمون التراب ويتعرفون به الطرقات **وبالنجم هم يهتدون** بالليل في البراري والبحار حيث لا علامة
غيره والمراد بالنجم الجنس وقيل هو الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدي وقرئ بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع كرهن ورهن ورهن وقيل الاصل
بطريق حذف الواو من النجوم للتخفيف ولعل الضمير لقريش فانهم كانوا كثيري التردد للتجارة مشهورين بالاهتداء بالنجوم في اسفارهم وحرف النظم
عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم
واوجب عليهم **افمن يخلق** هذه المصنوعات العظيمة ويفعل هاتيك الافاعيل البديعة او يخلق كل شيء **كمن لا يخلق شيئا** اصلا وهو تبكيت للكفرة
وابطال لاشراكهم وعبادتهم للاصنام بانكار ما يستلزمه ذلك من المشابهة بينها وبينه سبحانه وتعالى بعد تعداد ما يقتضي ذلك اقتضاء
ظاهرا وتعقيب الهمزة بالفاء لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المشابهة المذكورة على ما فصل من الامور العظيمة الظاهرة الاختصاص به تعالى
المعلومة كذلك فيما بينهم حسبما يؤذن به ما تلوناه من قوله تعالى ولئن سألتهم الآيتين والاقتصار على ذكر الخلق من بينها لكونه اعظمها واظهرها
واستتباعه اياها او لكون كل منها خلقا مخصوصا اي أبعد ظهور اختصاصه تعالى بمبدئية هذه الشؤون الواضحة الدالة على وحدانيته تعالى وتفرده
واستبداده باستحقاق العبادة يتصور المشابهة بينه وبين ما هو بمعزل من ذلك بالمرة كما هو قضية اشراككم ومدارها وان كان على تشبيه غير الخالق
بالخالق لكن التشبيه حيث كان نسبة تقوم بالمنتسبين اختير ما عليه النظم الكريم مراعاة لحق سبق الملكة على العدم وتعاديا عن توسيط عدمها بينها
وبين جزئياتها المفصلة قبلها وتنبيها على كمال قبح ما فعلوه من حيث ان ذلك ليس مجرد رفع الاصنام عن محلها بل هو حط لمنزلة الربوبية الى مرتبة
الجمادات ولا ريب في انه اقبح من الاول والمراد بمن لا يخلق كل ما هذا شأنه كائنا ما كان والتعبير عنه بما يختص بالعقلاء للمشاكلة او العقلاء خاصة ويعرف
منه حال غيرهم بدلالة النص فان من يخلق حيث لم يكن كمن لا يخلق وهو من جملة العقلاء فما ظنك بالجماد وايا ما كان فدخول الاصنام في حكم عدم المماثلة
والمشابهة اما بطريق الاندراج تحت الموصول العام بطريق الانفهام بدلالة النص على الطريقة البرهانية لا بانها هي المرادة بالموصول خاصة **افلا
تذكرون** اي الا تلاحظون فلا تتذكرون ذلك فانه لوضوحه بحيث لا يفتقر الى شيء سوى التذكر **وان تعدوا نعمة الله** تذكير اجمالي لنعمه تعالى بعد
تعداد طائفة منها وكان الظاهر ايراده عقيبها تكميلا لها على طريقة قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون ولعل فصل ما بينهما بقوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق
للمبادرة الى الزام الحجة والقام الحجر اثر تفصيل ما فصل من الافاعيل التي هي ادلة الوحدانية مع ما فيه من سر ستقف عليه ودلالتها عليها وان لم تكن مقصودة
على حيثية الخلق ضرورة ظهور دلالتها عليها من حيثية الانعام ايضا لكنها حيث كانت من مستتبعات الحيثية الاولى استغني عن التصريح بها ثم بين
حالها بطريق الاجمال اي ان تعدوا نعمه الفائضة عليهم مما ذكر وما لم يذكر حسبما يعرب عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا **لا تحصوها**
لا تطيقوا حصرها ولا تضبطوا اعدادها ولو اجمالا فضلا عن القيام بشكرها وقد خرجنا عن عهدة تحقيقه في سورة ابراهيم بفضل الله سبحانه **ان الله
لغفور** حيث يستر ما فرط منكم من كفرانها والاخلال بالقيام بحقوقها ولا يعاجلكم بالعقوبة على ذلك **رحيم** حيث يفيضها عليكم مع استحقاقكم للقطع
والحرمان بما تأتون وما تذرون من اصناف الكفر التي من جملتها عدم الفرق بين الخالق وغيره وكل من ذلك نعمة وايما نعمة فالجملة تعليل للحكم بعدم
الاحصاء وتقديم وصف المغفرة على نعت الرحمة لتقدم التخلية على التحلية **والله يعلم ما تسرون** تضمرونه من العقائد والاعمال **وما تعلنون** اي
تظهرونه منهما وحذف العائد لمراعاة الفواصل اي يستوي بالنسبة الى علمه المحيط سركم وعلنكم وفيه من الوعيد والدلالة على اختصاصه سبحانه بنعوت
الالهية ما لا يخفى وتقديم السر على العلن لما ذكرنا في سورة البقرة وسورة هود من تحقيق المساواة بين علميه المتعلقين بهما على ابلغ وجه
كان علمه تعالى بالسر اقدم منه بالعلن او لان كل شيء يعلن فهو قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى اقدم من تعلقه بحالته
الثانية **والذين تدعون** شروع في تحقيق كون الاصنام بمعزل من استحقاق العبادة وتوضيحه بحيث لا يبقى فيه شائبة ريب بتعديد احكامها
واحوالها المنافية لذلك منافاة ظاهرة وتلك الاحوال وان كانت غنية عن البيان لكنها شرحت للتنبيه على كمال حماقة عبدتها وانهم لا
يعرفون ذلك الا بالتصريح اي والآلهة الذين يعبدهم الكفار **من دون الله** سبحانه وقرئ على صيغة المبني للمفعول وعلى الخطاب **لا يخلقون شيئا** من

من الاشياء اصلا اي ليس من شأنهم ذلك ولما لم يكن بين نفي الخالقية وبين المخلوقية تلازم بحسب المفهوم وان تلازما في الصدق اثبت لهم ذلك
صريحا فقيل **وهم يخلقون** اي شأنهم ومقتضى ذاتهم المخلوقية لانها ذوات ممكنة مفتقرة في ماهياتها ووجوداتها الى الموجد وبناء الفعل للمفعول
لتحقيق التضاد والمقابلة بين ما اثبت لهم وبين ما نفي عنهم من وصفي المخلوقية والخالقية وللايذان بعدم الافتقار الى بيان الفاعل لظهور اختصاص
الفعل بفاعله جل جلاله ويجوز ان يجعل الخلق الثاني عبارة عن النحت والتصوير رعاية للمشاكلة بينه وبين الاول ومبالغة في كونهم مصنوعين
لعبدتهم واعجز عنهم وايذانا بكمال ركاكة عقولهم حيث اشركوا بخالقهم مخلوقهم واما جعل الاول ايضا عبارة عن ذلك كما فعل فلا وجه له اذ
القدرة على مثل ذلك الخلق ليست مما يدور عليه استحقاق العبادة اصلا ولما ان اثبات المخلوقية لهم غير مستدع لنفي الحيوة عنهم لما ان بعض
المخلوقين احياء صرح بذلك فقيل **اموات** وهو خبر ثان للموصول لا للضمير كما قيل او خبر مبتدإ محذوف وحيث كان بعض الاموات مما يعتريه
الحيوة سابقا او لاحقا كاجساد الحيوان والنطف التي ينشئها الله تعالى حيوانا احترز عن ذلك فقيل **غير احياء** اي لا يعتريها الحيوة اصلا فهي
اموات على الاطلاق واما قوله تعالى **وما يشعرون ايان يبعثون** اي ما يشعر اولئك الآلهة ايان يبعث عبدتهم ففيه على طريقة التهكم بهم لان شعور الجماد
بالامور الظاهرة بديهي الاستحالة عند كل احد فكيف بما لا يعلمه الا العليم الخبير وفيه ايذان بان البعث من لوازم التكليف وان معرفة وقته مما
لا بد منه في الالوهية **الهكم اله واحد** لا يشاركه شيء في شيء وهو تصريح بالمدعى وتلخيص للنتيجة غب اقامة الحجة **فالذين لا يؤمنون بالآخرة** واحوالها
التي من جملتها ما ذكر من البعث وما يعقبه من الجزاء المستلزم لعقوبتهم وذلتهم **قلوبهم منكرة** للوحدانية جاحدة لها وللآيات الدالة عليها
وهم مستكبرون عن الاعتراف بها او عن الآيات الدالة والفاء للايذان بان اصرارهم على الانكار واستمرارهم على الاستكبار وقع موقع النتيجة
للدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة والمعنى انه قد ثبت بما قرر من الحجج والبينات اختصاص الالهية به سبحانه فكان من نتيجة ذلك اصرارهم
على ما ذكر من الانكار والاستكبار وبناء الحكم المذكور على الموصول للاشعار بكونه معللا بما في حيز الصلة فان الكفرة بالآخرة وبما فيها من
البعث والجزاء المتنوع الى الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية يؤدي الى قصر النظر على العاجل والاعراض عن الدلائل السمعية والعقلية
الموجب لانكارها وانكار مؤداها والاستكبار عن اتباع الرسول عليه السلام وتصديقه واما الايمان بها وبما فيها فيدعو لا محالة الى التأمل
في الآيات والدلائل رغبة ورهبة فيورث ذلك يقينا بالوحدانية وخضوعا لامر الله تعالى **لا جرم** اي حقا وقد مر تحقيقه في سورة هود **ان الله يعلم ما
يسرون** من انكار قلوبهم **وما يعلنون** من استكبارهم وقولهم للقرآن اساطير الاولين وغير ذلك من قبائحهم فيجازيهم بذلك **انه لا يحب المستكبرين** تعليل لما
تضمنه الكلام من الوعيد اي لا يحب المستكبرين عن التوحيد او عن الآيات الدالة عليها او لا يحب جنس المستكبرين فكيف بمن استكبر عما ذكر **واذا
قيل لهم** اي لاولئك المنكرين المستكبرين وهو بيان لاضلالهم غب بيان ضلالهم **ماذا انزل ربكم** القائل الوافدون عليهم او المسلمون او بعض
منهم على طريق التهكم وماذا منصوب بما بعده او مرفوع اي اي شيء انزل او ما الذي انزله **قالوا اساطير الاولين** اي ما تدعون نزوله او المنزل
بطريق السخرية اساطير اي احاديث الاولين واباطيلهم وليس من الانزال في شيء قيل هؤلاء القائلون هم المقتسمون الذين اقتسموا مداخل
مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند سؤال وفود الحاج عما نزل عليه عليه السلام **ليحملوا** متعلق بقالوا اي قالوا ما قالوا ليحملوا
اوزارهم الخاصة بهم وهي وزر ضلالهم **كاملة** لم يكفر منها شيء بنكبة اصابتهم في الدنيا كما يكفر بها اوزار المؤمنين **يوم القيمة** ظرف ليحملوا
ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار من ضل باضلالهم وهو وزر الاضلال لانهما شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه فيتحاملان الوزر
واللام للتعليل في نفس الامر من غير ان يكون غرضا وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار الاضلال او باعتبار حال قولهم لا حال الحمل **بغير علم** حال
من الفاعل اي يضلونهم غير عالمين بان ما يدعون اليه طريق الضلال واما حمله على معنى غير عالمين بانهم يحملون يوم القيمة اوزار الضلال والاضلال
على ان يكون العامل في الحال قالوا وتأييده بما سيأتي من قوله تعالى واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من حيث ان حمل ما ذكر من اوزار الضلال
والاضلال من قبيل اتيان العذاب من حيث لا يشعرون فيرده ان الحمل المذكور انما هو يوم القيمة والعذاب المذكور انما هو العذاب الدنيوي كما ستقف
عليه او حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدة التقييد بها الاشعار بان مكرهم لا يروج عند ذي لب وانما يتبعهم الاغبياء
والجهلة والتنبيه على ان جهلهم ذلك لا يكون عذرا اذ كان يجب عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق الحقيق بالاتباع وبين المبطل **الا ساء ما يزرون**
اي بئس شيئا يزرونه ما ذكر **قد مكر الذين من قبلهم** وعيد لهم برجوع غائلة مكرهم الى انفسهم كدأب من قبلهم من الامم الخالية الذين اصابهم ما اصابهم

من العذاب العاجل اي قد سوّوا منصوبات ليمكروا بها رسل الله تعالى فاتى الله اي امره وحكمه بنيانهم وقرئ بيتهم وبيوتهم من القواعد من جهة القواعد وهي
الاساطين التي تعمده او اساسه فضعضعت اركانه فخر عليهم السقف من فوقهم اي سقط عليهم سقف بنيانهم اذ لا يتصور له القيام بعد تهدم القواعد شبهت
حال اولئك الماكرين في تسويتهم المكائد والمنصوبات التي ارادوا بها الايقاع برسل الله سبحانه وفي ابطاله تعالى تلك الحيل والمكائد وجعله اياها اسبابا
لهلاكهم بحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى ذلك من قبل اساطينه بان ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا وقرئ فخر عليهم السقف
بضمتين واتاهم العذاب اي الهلاك والدمار من حيث لا يشعرون باتيانه منه بل يتوقعون اتيان مقابله مما يريدون ويشتهون والمعنى ان هؤلاء
الماكرين القائلين للقرآن العظيم اساطير الاولين سيأتيهم من العذاب مثل ما اتاهم وهم لا يحتسبون والمراد به العذاب العاجل لقوله سبحانه ثم يوم القيمة
يخزيهم فانه عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي هذا الذي فهم من التمثيل من عذاب هؤلاء او ما هو اعم منه ومما ذكر من عذاب اولئك جزاؤهم في
الدنيا ويوم القيمة يخزيهم يذلهم بعذاب الخزي على رؤس الاشهاد واصل الخزي ذل يستحيى منه وثم للايماء الى ما بين الجزائين من التفاوت مع ما يدل
عليه من التراخي الزماني وتغيير السبك بتقديم الظرف ليس لقصر الخزي على يوم القيمة كما هو المتبادر من تقديم الظرف على الفعل بل لان الاخبار بجزائهم
في الدنيا مؤذن بان لهم جزاء اخرويا فيبقى النفس مترقبة الى وروده سائلة عنه بانه ماذا فاريد تنبيهها بانه في الآخرة فسيق الكلام على وجه
يؤذن بان المقصود بالذكر اخزاؤهم لا كونه يوم القيمة والضمير اما للمفترين في حق القرآن العظيم او لهم ولمن مثلوا بهم من الماكرين كما اشير اليه
وتخصيصه بهم يأباه السباق والسياق كما ستقف عليه ويقول لهم تفضيحا وتوبيخا فهو الى آخره بيان للاخزاء اين شركاءي اضافهم اليه سبحانه
حكاية لاضافتهم الكاذبة ففيه توبيخ اثر توبيخ مع استهزاء بهم الذين كنتم تشاقون فيهم اي تخاصمون الانبياء والمؤمنين في شأنهم بانهم شركاء
حقا حين بينوا لكم بطلانها والمراد بالاستفهام استحضارها للشفاعة او المدافعة على طريقة الاستهزاء والتبكيت والاستفسار عن مكانهم لا يوجب
غيبتهم حقيقة حتى يتعذر بانه يجوز ان يحال بينهم وبين عبدتهم حينئذ ليتفقدوا في ساعة علقوا بها الرجاء فيها او بانهم لما لم ينفعوهم فكانهم غيب
بل يكفي في ذلك عدم حضورهم بالعنوان الذي كانوا يزعمون انهم متصفون به من عنوان الالهية فليس هناك شركاء ولا اماكنها على ان قوله ليتفقدوا
ليس بسديد فانه قد تبين عندهم الامر حينئذ فرجعوا عن ذلك الزعم الباطل فكيف يتصور منهم التفقد وقرئ بكسر النون اي تشاقونني على ان مشاقة
الانبياء والمؤمنين لاسيما في شأن متعلق به سبحانه مشاقة له عز وجل قال الذين اوتوا العلم من اهل الموقف وهم الانبياء والمؤمنون الذين
اوتوا علما بدلائل التوحيد وكانوا يدعونهم في الدنيا الى التوحيد فيجادلونهم ويتكبرون عليهم اي يقولون توبيخا لهم واظهارا للشماتة
بهم وتقريرا لما كانوا يعظونهم وتحقيقا لما اوعدوهم به وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحققه وتحتم وقوعه حسبما هو المعتاد في اخباره
سبحانه وتعالى كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف ان الخزي الفضيحة والذل والهوان اليوم منصوب بالخزي على رأي من
يرى اعمال المصدر باللام او بالاستقرار في الظرف وفيه فصل بين العامل والمعمول بالمعطوف الا انه مغتفر في الظروف وايراده للاشعار بانهم
كانوا قبل ذلك في عزة وشقاق والسوء العذاب على الكافرين بالله تعالى وباياته ورسله الذين تتوفيهم الملائكة بتأنيث الفعل وقرئ بتذكيره
وبادغام التاء في التاء والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار صورة توفيهم اياهم لما فيها من الهول والموصول في محل الجر على انه نعت للكافرين
او بدل منه او في محل النصب او الرفع على الذم وفائدته تخصيص الخزي والسوء بمن استمر كفره الى حين الموت دون من آمن منهم ولو في آخر عمره
اي على الكافرين المستمرين على الكفر الى ان يتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم اي حال كونهم مستمرين على الكفر فانه ظلم منهم لانفسهم واي ظلم حيث
عرضوها للعذاب المخلد وبدلوا فطرة الله تبديلا فالقوا السلم اي فيلقون والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع وهو عطف على قوله
تعالى فيقول اين شركاءي وما بينهما جملة اعتراضية جيء بها تحقيقا لما حاق بهم من الخزي على رؤس الاشهاد اي فيسألون ويتركون المشاقة وينزلون
عما كانوا عليه في الدنيا من الكبر وشدة الشكيمة قائلين ما كنا نعمل في الدنيا من سوء اي من شرك قالوه منكرين لصدوره عنهم كقولهم والله
ربنا ما كنا مشركين وانما عبروا عنه بالسوء اعترافا بكونه سيئا لا انكارا لكونه كذلك مع الاعتراف بصدوره عنهم ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على
ان يكون المراد به الكلام الدال عليه وعلى التقديرين فهو جواب عن قوله سبحانه اين شركاءي في سورة الانعام لا عن قول اولي العلم ادعاء لعدم
استحقاقهم لما دهمهم من الخزي والسوء بلى رد عليهم من قبل اولي العلم واثبات لما نفوه اي بلى كنتم تعملون ما تعملون ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو
يجازيكم عليه وهذا اوانه فادخلوا ابواب جهنم اي كل صنف بابه المعد له وقيل ابوابها اصناف عذابها فالدخول عبارة عن الملابسة والمقاساة
خالدين

خالدين فيها ان اريد بالدخول حدوثه فالحال مقدرة وان اريد مطلق الكون فيها فهي مقارنة فلبئس مثوى المتكبرين اي عن التوحيد كما قال تعالى قلوبهم
منكرة وهم مستكبرون وذكرهم بعنوان التكبر للاشعار بعليته لثوائهم فيها والمخصوص بالذم محذوف اي جهنم وتأويل قولهم ما كنا نعمل من سوء بانا ما كنا
عاملين ذلك في اعتقادنا روما للمحافظة على ان لا كذب ثمة يرده الرد المذكور وما في سورة الانعام من قوله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم وقيل
للذين اتقوا اي المؤمنين وصفوا بالتقوى اشعارا بان ما صدر عنهم من الجواب ناشئ من التقوى ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اسلكوا في الجواب مسلك السؤال
من غير تلعثم في الصورة والمعنى اي انزل خيرا فانه جواب مطابق للسؤال سبكا وللواقع في نفس الامر مضمونا واما الكفرة فانهم خذلهم الله تعالى كما
غيروا الجواب عن نهج الحق الواقع الذي ليس من دافع غيروا صورته وعدلوا بها عن سنن السؤال حيث رفعوا الاساطير ردا لما مر من انكار النزول
روي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه
كان خيرا لك فيقول انا شر وافد ان رجعت الى قومي دون ان استطلع امر محمد واراه فيلقى اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم فيخبرونه بحقيقة
الحال فهم الذين قالوا خيرا للذين احسنوا اي اعمالهم او فعلوا الاحسان في هذه الدار الدنيا حسنة اي مثوبة حسنة مكافاة فيها ولدار الآخرة اي
مثوبتهم فيها خير مما اوتوا في الدنيا من المثوبة او خير على الاطلاق فيجوز اسناد الخيرية الى نفس دار الآخرة ولنعم دار المتقين اي دار الآخرة حذف
لدلالة ما سبق عليه وهذا الكلام مبتدأ مدح الله تعالى به المتقين وعدة جوابهم المحكي من جملة احسانهم ووعدهم بذلك ثوابي الدنيا والآخرة فلا محل له من
الاعراب او بدل من خيرا او تفسير له اي انزل خيرا هو هذا الكلام الجامع قالوه ترغيبا للسائل جنات عدن خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره محذوف اي
لهم جنات ويجوز ان يكون هو المخصوص بالمدح يدخلونها صفة لجنات على تقدير تنكير عدن وكذلك تجري من تحتها الانهار وكلاهما حال على تقدير علميته
لهم فيها في تلك الجنات ما يشاؤن الظرف الاول خبر لما والثاني حال منه والعامل ما في الاول ومتعلق به اي حاصل لهم فيها ما يشاؤن من انواع المشتهيات وتقديمه
للاحتراز عن توهم تعلقه بالمشيئة او لما مر مرارا من ان تأخير ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس اليه فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن كذلك اي
مثل ذلك الجزاء الاوفى يجزي الله المتقين اللام للجنس اي كل من يتقي من الشرك والمعاصي ويدخل فيه المتقون المذكورون دخولا اوليا ويكون فيه بعث لغيرهم
على التقوى او للعهد فيكون فيه تحسير للكفرة الذين تتوفيهم الملائكة نعت للمتقين وقوله تعالى طيبين اي طاهرين عن دنس الظلم لانفسهم حال من الضمير
وفائدته الايذان بان ملاك الامر في التقوى هو الطهارة عما ذكر الى وقت توفيهم ففيه حث للمؤمنين على الاستمرار على ذلك ولغيرهم على تحصيله وقيل فرحين
طيبي النفوس ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى جناب القدس يقولون حال من الملائكة اي قائلين لهم سلام
عليكم قال القرظي رحمه الله تعالى اذا استدعيت نفس المؤمن جاءه ملك الموت عليه السلام فقال السلام عليك يا ولي الله الله تعالى يقرأ عليك السلام ويبشره
بالجنة ادخلوا الجنة اللام للعهد اي جنات عدن الى آخره ولذلك جردت عن النعت والمراد دخولهم لها في وقته فان ذلك بشارة عظيمة وان تراخى المبشر به
لا دخول القبر الذي هو روضة من رياضها اذ ليس في البشارة به ما في البشارة بدخول نفس الجنة بما كنتم تعملون بسبب ثباتكم على التقوى والطاعة او بالذي
كنتم تعملونه من ذلك وقيل المراد بالتوفي التوفي للحشر لان الامر بالدخول حينئذ يتحقق هل ينظرون اي ما ينتظر كفار مكة المار ذكرهم الا ان تأتيهم الملائكة
لقبض ارواحهم بالعذاب جعلوا منتظرين لذلك وشتان بينهم وبين انتظاره لا لانه يلحقهم البتة لحوق الامر المنتظر بل لمباشرتهم لاسبابه الموجبة له
المؤدية اليه فكانهم يقصدون اتيانه ويترصدون لوروده وقرئ بتذكير الفعل او يأتي امر ربك التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
اشعار بان اتيانه لطف به صلى الله عليه وسلم وان كان عذابا عليهم والمراد بالامر العذاب الدنيوي لا القيمة لكن لا لان انتظارها لا يجامع انتظار اتيان
الملائكة فلا يلائمه العطف باو لانها ليست نصا في العناد اذ يجوز ان يعتبر منع الخلو ويراد بايرادها كفاية كل واحد من الامرين في عذابهم بل لان قوله
تعالى فيما سيأتي ولكن كانوا انفسهم يظلمون فاصابهم الآية صريح في ان المراد بهم ما اصابهم من العذاب الدنيوي كذلك اي مثل ذلك وما فعل هؤلاء
من الشرك والظلم والتكذيب والاستهزاء فعل الذين خلوا من قبلهم من الامم وما ظلمهم الله بما سيحل من عذابهم ولكن كانوا بما كانوا استمروا عليه من
القبائح الموجبة لذلك انفسهم يظلمون كان الظاهر ان يقال ولكن كانوا هم الظالمين كما في سورة الزخرف لكنه اوثر ما عليه النظم الكريم لافادة
ان غائلة ظلمهم آيلة اليهم وعاقبته مقصورة عليهم مع استلزام اقتصار ظلمهم كل احد على نفسه من حيث الوقوع اقتصاره عليه من حيث الصدور
وقد مر تحقيقه في سورة يونس فاصابهم عطف على قوله تعالى فعل الذين من قبلهم وما بينهما اعتراض لبيان ان فعلهم ذلك ظلم لانفسهم سيئات ما عملوا
اي اجزية اعمالهم السيئة على طريقة تسمية المسبب باسم سببه ايذانا بفظاعته لا على حذف المضاف فانه يوهم ان لهم اعمالا غير سيئاتهم وحاق بهم اي احاط

من الحيق الذي هو احاطة الشر وهو ابلغ من الاصابة وافظع **ما كانوا به يستهزؤن** من العذاب **وقال الذين اشركوا** اي اهل مكة وهو بيان لفن آخر من
كفرهم والعدول عن الاضمار الى الموصول لتقريعهم بما في حيز الصلة وذمهم بذلك من اول الامر **لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء** اي لو شاء عدم عبادتنا
لشيء غيره كما تقول لما عبدنا ذلك **نحن ولا آباؤنا** الذين نقتدي بهم في ديننا **ولا حرمنا من دونه من شيء** من السوائب والبحائر وغيرها وانما قالوا
ذلك تكذيبا للرسول صلى الله عليه وسلم وطعنا في الرسالة رأسا متمسكين بان ما شاء الله تعالى يجب وما لم يشأ يمتنع فلو انه تعالى شاء ان نوحده ولا
نشرك به شيئا ولا نحرم ما حرمنا شيئا كما تقوله الرسل وينقلونه من جهة الله عز وجل لكان الامر كما شاء من التوحيد ونفي الاشراك وما يتبعهما وحيث
لم يكن كذلك ثبت انه لم يشأ شيئا من ذلك وانما يقوله الرسل من تلقاء انفسهم فاجيب عنه بقوله عز وجل **كذلك** اي مثل ذلك الفعل الشنيع **فعل**
الذين من قبلهم من الامم اي اشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله وجادلوهم بالباطل حين نبهوهم على الخطاء وهدوهم الى الحق **فهل على الرسل**
الذين يبلغون رسالات الله وعزائم امره ونهيه **الا البلاغ المبين** اي ليست وظيفتهم الا تبليغ الرسالة تبليغا واضحا او موضحا وابانة طريق
الحق واظهار احكام الوحي من جملتها تحتم تعلق مشيئة الله تعالى باهتداء من صرف قدرته واختياره الى تحصيل الحق لقوله تعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا واما الجاؤهم الى ذلك وتنفيذ قولهم عليهم شاؤا او ابوا كما هو مقتضى استدلالهم فليس ذلك من وظيفتهم ولا من الحكمة
التي عليها يدور امر التكليف في شيء حتى يستدل بعدم ظهور آثاره على عدم حقية الرسل او على عدم تعلق مشيئته تعالى بذلك فان ما يترتب عليه
الثواب والعقاب من افعال العباد لا بد في تعلق مشيئته تعالى بوقوعه من مباشرتهم الاختيارية له وصرف اختيارهم الجزئي الى تحصيله والا لكان
الثواب والعقاب اضطراريين فالفاء للتعليل كانه قيل كذلك فعل اسلافهم وذلك باطل فان الرسل ليس شأنهم الا تبليغ الرسالة باوامر الله
تعالى ونواهيه لا تحقيق مضمونهما واجراء موجبهما على الناس قسرا والجاء وايراد كلمة على للايذان بانهم في ذلك مأمورون وبانما يبلغونه
حق للناس عليهم ايفاؤه وبهذا ظهر ان حمل قولهم لو شاء الله الى آخره على الاستهزاء لا يلائم الجواب والله تعالى اعلم بالصواب **ولقد بعثنا في كل**
امة رسولا تحقيق لكيفية تعلق مشيئته تعالى بافعال العباد بعد بيان ان الالجاء ليس من وظائف الرسالة ولا من باب المشيئة المتعلقة
بما يدور عليه الثواب والعقاب من الافعال الاختيارية لهم اي بعثنا في كل امة من الامم الخالية رسولا خاصا بهم **ان اعبدوا الله** يجوز ان تكون
ان مفسرة لما في البعث من معنى القول وان تكون مصدرية اي بعثنا بان اعبدوا الله وحده **واجتنبوا الطاغوت** هو الشيطان وكل ما يدعو
الى الضلالة **فمنهم** اي من تلك الامم والفاء فصيحة اي فبلغوا ما بعثوا به من الامر بعبادة الله تعالى وحده واجتناب الطاغوت فتفرقوا فمنهم
من هدى الله الى الحق الذي هو عبادته واجتناب الطاغوت بعد صرف قدرتهم واختيارهم الجزئي الى تحصيله **ومنهم من حقت عليه الضلالة** اي
وجبت وثبتت الى حين الموت لعناده واصراره عليها وعدم صرف قدرته الى تحصيل الحق وتغيير الاسلوب للاشعار بان ذلك لسوء اختيارهم
كقوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين فعلم ان كلا من مشيئة الهداية وعدمها انما حصل منهم من التوجه الى الحق وعدمه لا بطريق القسر والالجاء
حتى يستدل بعدمهما على عدم تعلق مشيئته تعالى بعبادتهم له تعالى وحده **فسيروا** يا معشر قريش **في الارض فانظروا** في اكنافها **كيف كان عاقبة المكذبين**
من عاد وثمود ومن سار سيرتهم ممن حقت عليه الضلالة لعلكم تعتبرون حين تشاهدون في منازلهم وديارهم آثار الهلاك والعذاب وترتيب
الامر بالسير على مجرد الاخبار بثبوت الضلالة عليهم من غير اخبار بحلول العذاب للايذان بانه غني عن البيان وان ليس الخبر كالعيان وترتيب النظر
على السير لما انه بعده وان ملاك الامر في تلك العاقبة هو التكذيب والتعلل بانه لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء **ان تحرص** خطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وقرئ بفتح الراء وهي لغة **على هداهم** اي ان تطلب هدايتهم بجهدك **فان الله لا يهدي من يضل** اي فاعلم انه تعالى لا يخلق الهداية
جبرا وقسرا فيمن يخلق فيه الضلالة لسوء اختياره والمراد به قريش وانما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على انهم ممن حقت عليه الضلالة
وللاشعار بعلة الحكم ويجوز ان يكون المذكور علة للجزاء الموصوف اي ان تحرص على هداهم فلست بقادر على ذلك لان الله لا يهدي من يضله وهؤلاء
من جملتهم وقرئ لا يهدى على البناء للمفعول اي لا يقدر احد على هداية من يضله الله تعالى وقرئ لا يهدي بفتح الهاء وادغام تاء يهتدي
في الدال ويجوز ان يكون يهدي بمعنى يهتدي وقرئ يضل بفتح الياء وقرئ لا هادي لمن يضل ولمن اضل **وما لهم من ناصرين** ينصرونهم في الهداية
او يدفعون العذاب عنهم وصيغة الجمع في الناصرين باعتبار الجمعية في الضمير فان مقابلة الجمع بالجمع تقتضي انقسام الآحاد الى الآحاد لا لان المراد
نفي طائفة من الناصرين من كل منهم **واقسموا بالله** شروع في بيان فن آخر من اباطيلهم وهو انكارهم البعث **جهد ايمانهم** مصدر في موقع الحال اي جاهدين

اي جاهدين في ايمانهم **لا يبعث الله من يموت** ولقد رد الله تعالى عليهم ابلغ رد بقوله الحق **بلى** اي بلى يبعثهم **وعدا** مصدر مؤكد لما دل عليه بلى فان ذلك
موعد من الله سبحانه او لمحذوف اي وعد ذلك وعدا **عليه** صفة لوعدا اي وعدا ثابتا عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده او لان البعث من مقتضيات
الحكمة **حقا** صفة اخرى له او نصب على المصدرية اي حق حقا **ولكن اكثر الناس** لجهلهم بشؤونه عز شانه من العلم والقدرة والحكمة وغيرها من صفات الكمال وبما
يجوز عليه وما لا يجوز وعدم وقوفهم على سر التكوين والغاية القصوى منه وعلى ان البعث مما تقتضيه الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها سبحانه **لا يعلمون**
انه يبعثهم فيبتون القول بعدمه او انه وعد عليه حق فيكذبونه قائلين لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين **ليبين لهم**
غاية لما دل عليه بلى من البعث والضمير لمن يموت اذ التبيين يعم المؤمنين ايضا فانهم وان كانوا عالمين بذلك لكنه عند معاينة حقيقة الحال يتضح الامر
فيصل علمهم الى مرتبة عين اليقين اي يبعثهم ليبين لهم بذلك وبما يحصل لهم من مشاهدة الاحوال كما هي ومعاينتها بصورها الحقيقية الشأن **الذي**
يختلفون فيه من الحق المنتظم لجميع ما خالفوه مما جاء به الشرع المبين ويدخل فيه البعث دخولا اوليا **وليعلم الذين كفروا** بالله سبحانه بالاشراك
وانكار البعث وتكذيب وعده الحق **انهم كانوا كاذبين** في كل ما يقولون لا سيما في قولهم لا يبعث الله من يموت والتعبير عن الحق بالموصول للدلالة
على فخامته وللاشعار بعلية ما ذكر في حيز الصلة للتبيين وما عطف عليه وجعلهما غاية للبعث والمشار اليه باعتبار وروده في معرض الرد على المخالفين
وابطال مقالة المعاندين المستدعي للتعرض لما يردعهم عن المخالفة ويلجئهم الى الاذعان للحق فان الكفرة اذا علموا ان تحقق البعث انما كان لتبيين انه
حق وليعلموا انهم كاذبون في انكاره كان ذلك ازجر لهم عن انكاره وادعى الى الاعتراف به ضرورة انه يدل على صدق العزيمة على تحقيقه كما
تقول لمن ينكر انك تصلي لاصلين رغما لانفك واظهارا لكذبك ولان تكرر الغايات ادل على وقوع الفعل المغيا بها والا فالغاية الاصلية
للبعث باعتبار ذاته انما هو الجزاء الذي هو الغاية القصوى للخلق المغيا بمعرفته عز وجل وعبادته وانما لم يذكر ذلك لتكرر ذكره في مواضع اخر
وشهرته وانما لم يدرج علم الكفار بكذبهم تحت التبيين بان يقال وان الذين كفروا كانوا كاذبين بل جيء بصيغة العلم لان ذلك ليس مما تعلق به التبيين
الذي هو عبارة عن اظهار ما كان مبهما قبل ذلك بان يخبر به فيختلف فيه كالبعث الذي نطق به القرآن فاختلف فيه المختلفون واما كذب الكافرين
فليس من هذا القبيل فانما يتعلق به علم ضروري حاصل لهم من قبل انفسهم وقد مر تحقيقه في سورة التوبة عند قوله تعالى حتى يتبين لك الذين
صدقوا وانما خص الاسناد بهم حيث لم يقل وليعلموا ان الكافرين لان علم المؤمنين بذلك حاصل لهم قبل ذلك ايضا **انما قولنا** استئناف
لبيان كيفية التكوين على الاطلاق ابتداء واعادة بعد التنبيه على آنية البعث ومنه يظهر كيفيته فما كافة وقولنا مبتدأ وقوله **لشيء** اي
اي شيء كان مما عز وهان متعلق به على ان اللام للتبليغ كهي في قولك قلت له قم فقام وجعلها الزجاج سببية اي لاجل شيء وليس بواضح
والتعبير عنه بذلك باعتبار وجوده عند تعلق مشيئته تعالى به لا انه كان شيئا قبل ذلك **اذا اردناه** ظرف لقولنا اي وقت ارادتنا لوجوده **ان**
نقول له كن خبر للمبتدأ **فيكون** اما عطف على مقدر يفصح عنه الفاء وينسحب عليه الكلام اي فنقول ذلك فيكون كقوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له
كن فيكون واما جواب لشرط محذوف اي فاذا قلنا ذلك فهو يكون وليس هناك قول ولا مقول له ولا آمر ولا مأمور حتى يقال انه يلزم منه احد
المحالين اما خطاب المعدوم او تحصيل الحاصل او يقال ان ما يستدعيه انحصار قوله تعالى في قوله تعالى كن وليس يلزم منه الخطاب اسباب التكوين فيه كما
بعينه قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فان المراد بالشأن هو الشأن الشامل للقول والفعل ومن ضرورة انحصاره في
كلمة كن انحصار اسبابه على الاطلاق فيه بل انما هو تمثيل لسهولة تأتي المقدورات حسب تعلق مشيئته تعالى بها وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في ذلك
من طاعة المأمور المطيع لامر الآمر المطاع فالمعنى انما ايجادنا لشيء عند تعلق مشيئتنا به ان نوجده في اسرع ما يكون ولما عبر عنه بالامر الذي هو قول
مخصوص وجب ان يعبر عن مطلق الايجاد بالقول المطلق فتأمل وفي الآية الكريمة من الفخامة والجزالة ما يحار فيه العقول والالباب وقرئ بنصب يكون عطفا
على نقول او تشبيها له بجواب الامر **والذين هاجروا في الله** اي في شأن الله تعالى ورضاه وفي حقه ولوجهه **من بعد ما ظلموا** ولعلهم الذين ظلمهم اهل مكة
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرجوهم من ديارهم هاجروا الى الحبشة ثم بوأهم الله تعالى المدينة حسبما وعد بقوله تعالى **لنبوئنهم في**
الدنيا حسنة اي مباءة حسنة اي نبوية كما قال قتادة وهو الانسب لما هو المشهور من كون السورة غير ثلث آيات من آخرها مكية واما ما نقل
عن ابن عباس رضي الله عنهما من انها نزلت في صهيب وبلال وعمار وخباب وعابس وجبير وابي جندل بن سهيل اخذهم المشركون فجعلوا يعذبونهم ليردوهم
عن الاسلام فاما صهيب فقال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى بهم بماله وهاجر فلما رآه ابو بكر رضي الله عنه

قال ربح البيع يا صهيب وقال عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فانما يناسب ما حكي عن الاصم من كون كل السورة مدنية وما نقل عن قتادة
من كون هذه الآية الى آخر السورة مدنية فيحمل ما نقلنا عنه من نزول الآية في اصحاب الهجرتين على ان يكون نزولها بالمدينة بين الهجرتين واما جعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم من جملتهم فلا يساعده نظم التنزيل ولا شأنه الجليل وقرئ لنثوينهم ومعناه لنثوينهم مثواة حسنة او لننزلنهم في الدنيا
منزلة حسنة وهي الغلبة على من ظلمهم من اهل مكة وعلى العرب قاطبة واهل الشرق والغرب كافة ولأجر الآخرة اي اجر اعمالهم المذكورة في الآخرة
اكبر مما يعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضي الله عنه انه اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله تعالى لك فيه هذا ما وعدك الله تعالى
في الدنيا وما ادخر في الآخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله تعالى يجمع لهؤلاء المهاجرين خيري الدارين لوافقوهم في الدين
وقيل للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في الاجتهاد او لما تألموا لما اصابهم من المهاجرة وشدائدها الذين صبروا على الشدائد من اذية الكفار
ومفارقة الاهل والوطن وغير ذلك ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم خاصة يتوكلون منقطعين اليه تعالى معرضين عما سواه مفوضين اليه
الامر كله والجملة اما معطوفة على الصلة وتقديم الجار والمجرور للدلالة على قصر التوكل على الله تعالى وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام التوكل او حال من
ضمير صبروا وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم وقرئ بالياء مبنيا للمفعول وهو رد لقريش حين قالوا الله اجل من ان يكون له رسول من
البشر كما هو مبنى قولهم لو شاء الله ما عبدنا الى آخره اي جرت السنة الالهية حسبما اقتضته الحكمة بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحي اليهم بواسطة
الملك اوامره ونواهيه ليبلغوها الناس ولما كان المقصود من الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم تنبيه الكفار على مضمونه صرف الخطاب اليهم فقيل
فاسألوا اهل الذكر اي اهل الكتاب وعلماء الاخبار او كل من يذكر بعلم وتحقيق ليعلموكم ذلك ان كنتم لا تعلمون حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه وفيه دلالة
على انه لم يرسل للدعوة العامة ملكا وقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الرسل ولا امرأة ولا صبيا ولا ينافيه نبوة
عيسى عليه السلام وهو في المهد لانها اعم من الرسالة واشارة الى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر بالمعجزات والكتب والباء متعلقة
بمقدر وقع جوابا عن سؤال من قال بم ارسلوا فقيل ارسلوا بالبينات والزبر او بما ارسلنا داخلا تحت الاستثناء مع رجالا عند من يجوزه اي ما ارسلنا الا
رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او على نية التقديم قبل اداة الاستثناء اي ما ارسلنا من قبلك بالبينات والزبر الا رجالا عند من
يجوز تأخير صلة ما قبل الا الى ما بعده او بما وقع صفة للمستثنى اي الا رجالا ملتبسين بالبينات او بنوحي على المفعولية او الحالية من القائم مقام فاعل نوحي
وهو اليهم على ان قوله تعالى فاسألوا اعتراض او بقوله لا تعلمون على ان الشرط للتبكيت كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي وانزلنا اليك الذكر اي
القرآن وانما سمي به لانه تذكير وتنبيه للغافلين لتبين للناس كافة ويدخل فيهم اهل مكة دخولا اوليا ما نزل اليهم في ذلك الذكر من الاحكام والشرائع
وغير ذلك من احوال القرون المهلكة بافانين العذاب حسب اعمالهم الموجبة لذلك على وجه التفصيل بيانا شافيا كما ينبئ عنه صيغة التفعيل في الفعلين لا سيما
بعد ورود الثاني اولا على صيغة الافعال ولما ان التبيين اعم من التصريح بالمقصود ومن الارشاد الى ما يدل عليه دخل تحته القياس على الاطلاق سواء كان
في الاحكام الشرعية او غيرها ولعل قوله تعالى ولعلهم يتفكرون اشارة الى ذلك اي ارادة ان يتأملوا فيتنبهوا للحقائق وما فيه من العبر ويحترزوا
عما يؤدي الى مثل ما اصاب الاولين من العذاب افأمن الذين مكروا السيئات هم اهل مكة الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صد اصحابه
عن الايمان عليهم الرضوان لا الذين احتالوا لهلاك الانبياء كما قيل ولا من يعم الفريقين لما ان المراد تحذير هؤلاء عن اصابة مثل ما اصاب اولئك من فنون
العذاب المعدودة والسيئات نعت لمصدر محذوف اي مكروا المكرات السيئات التي قصت عنهم او مفعول به للفعل المذكور على تضمينه معنى العمل اي عملوا
السيئات فقوله تعالى ان يخسف الله بهم الارض مفعول لأمن او السيئات صفة لما هو المفعول اي افأمن الماكرون العقوبات السيئة وقوله ان يخسف الى آخره
بدل من ذلك وعلى كل حال فالفاء من ذلك للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم اي انزلنا اليك الذكر لتبين لهم مضمونه الذي من جملته انباء الامم
المهلكة بفنون العذاب ويتفكروا في ذلك الم يتفكروا فأمن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض كما فعل بقارون على توجيه الانكار الى المعطوفين
معا او ألم يتفكروا فأمنوا على توجيهه الى المعطوف على ان الامن بعد التفكر مما لا يكاد يفعله احد وقيل هو عطف على مقدر ينبئ عنه الصلة اي أمكروا
فأمن الذين مكروا الى آخره او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون باتيانه اي في حالة غفلتهم او من مأمنهم ومن حيث يرجون اتيان ما يشتهون كما حكي
فيما سلف مما نزل بالماكرين او يأخذهم في تقلبهم اي في حالة تقلبهم في مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين ممتنعين او فائتين بالهرب والفرار
على ما يوهم حال التقلب والسير والفاء اما لتعليل الاخذ او لترتيب عدم الاعجاز عليه دلالة على شدته وفظاعته حسبما قال صلى الله عليه وسلم

ويختارون لانفسهم البنين فمدار الخطأ جعلهم لله ذلك سبحانه مع ابائهم اياه لا جعلهم البنين لانفسهم ولا عدم جعلهم له سبحانه ويجوز ان يكون مداره
التعكيس لقوله تعالى تلك اذا قسمة ضيزى للذين لا يؤمنون بالآخرة ممن ذكرت قبائحهم مثل السوء الذي هو كالمثل في القبح وهي الحاجة الى الولد ليقوم
مقامهم عند موتهم وايثار الذكور لاستظهارهم ووأد البنات لدفع العار وخشية الاملاق المنادي كل ذلك بالعجز والقصور والشح البالغ ووضع
الموصول موضع الضمير للاشعار بان مدار اتصافهم بتلك القبائح هو الكفر بالآخرة ولله سبحانه وتعالى المثل الاعلى اي الصفة العجيبة الشأن التي هي مثل في
العلو مطلقا وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الواسع والنزاهة عن صفات المخلوقين ويدخل فيه علوه تعالى عما قالوه علوا كبيرا وهو العزيز
المنفرد بكمال القدرة لا سيما على مؤاخذتهم بذنوبهم الحكيم الذي يفعل كل ما يفعل بمقتضى الحكمة البالغة وهذا ايضا من جملة صفاته العجيبة تعالى ولو
يؤاخذ الله الناس الكفار بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما عدد من قبائحهم وهذا التصريح بما افاده قوله تعالى وهو العزيز الحكيم وايذان
بان ما اتوه من القبائح قد تناهى الى حد لا غاية وراءه ما ترك عليها على الارض المدلول عليها بالناس وبقوله تعالى من دابة اي ما ترك عليها شيئا من دابة
قط بل اهلكها بالمرة بشؤم ظلم الظالمين كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه انه سمع رجلا
يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن عباس رضي الله عنه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب
ابن آدم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء لم يكن الابناء فيلزم ان لا يكون في الارض دابة لما انها مخلوقة لمنافع البشر لقوله سبحانه هو
الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ولكن لا يؤاخذهم بذلك بل يؤخرهم الى اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا او يكثر عذابهم فاذا جاء اجلهم
المسمى لا يستأخرون عن ذلك الاجل اي لا يتأخرون وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عنه مع طلبهم له ساعة فذة وهي مثل في قلة المدة
ولا يستقدمون اي لا يتقدمون وانما تعرض لذكره مع انه لا يتصور الاستقدام عند مجيء الاجل مبالغة في بيان عدم الاستئخار بنظمه في سلك ما
يمتنع كما في قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان من
مات كافرا مع انه لا توبة له رأسا قد نظم في سمط من لم تقبل توبته للايذان بانهما سيان في ذلك وقد مر في تفسير سورة يونس ويجعلون لله
اي يثبتون له سبحانه وينسبون اليه في زعمهم ما يكرهون لانفسهم مما ذكر وهو تكرير لما سبق تثنية للتقريع وتوطئة لقوله تعالى وتصف السنتهم
الكذب اي يجعلون له تعالى ما يجعلون ومع ذلك تصف السنتهم الكذب وهو ان لهم الحسنى العاقبة الحسنى عند الله تعالى كقوله تعالى ولئن رجعت الى ربي
ان لي عنده للحسنى وقرئ الكذب وهو كذب على انه صفة الالسنة لا جرم رد لكلامهم ذلك واثبات لنقيضه اي حقا ان لهم مكان ما املوا من
الحسنى النار التي ليست وراء عذابها عذاب وهي علم في السوءى وانهم مفرطون اي مقدمون اليها من افرطته اي قدمته في طلب الماء وقيل منسيون
من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته وقرئ بالتشديد وفتح الراء من فرطته في طلب الماء وبكسر الراء المشددة من التفريط في الطاعات وبكسر
المخففة من الافراط في المعاصي فلا يكونان حينئذ من احوالهم الاخروية كما عطف عليه تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عما يناله من جهالات الكفرة ووعيد لهم على ذلك اي ارسلنا اليهم رسلا فدعوهم الى الحق فلم يجيبوا الى ذلك فزين لهم الشيطان اعمالهم القبيحة فعكفوا
عليها مصرين فهو وليهم اي قرينهم وبئس القرين اليوم اي يوم زين لهم الشيطان اعمالهم فيه على طريق حكاية الحال الماضية او في الدنيا او يوم القيمة
على طريقة حكاية الحال الآتية وهي حال كونهم معذبين في النار والولي بمعنى الناصر اي فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره مبالغة في نفي الناصر عنهم
ويجوز ان يكون الضمير عائدا الى مشركي قريش والمعنى زين للامم السالفة اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم وان يكون على حذف المضاف اي
ولي امثالهم ولهم في الآخرة عذاب اليم او عذاب النار وما انزلنا عليك الكتاب اي القرآن الا لتبين استثناء مفرغ من اعم العلل اي ما انزلناه
عليك لعلة من العلل الا لتبين لهم اي للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحكام الافعال واحوال المعاد وهدى ورحمة معطوفان
على محل لتبين اي وللهداية والرحمة لقوم يؤمنون وانما انتصبا لكونهما اثري فاعل الفعل المعلل بخلاف التبيين حيث لم ينتصب لفقدان شرطه
ولعل تقديمه عليهما لتقدمه في الوجود وتخصيص كونهما [illegible] ورحمة بالمؤمنين لانهم المغتنمون آثاره والله انزل من السماء من السحاب او من
جانب السماء حسبما مر وهذا تكرير لما سبق تأكيدا لمضمونه وتوطئة لما يعقبه من ادلة التوحيد ماء نوعا خاصا من الماء هو المطر وتقديم المجرور على
المنصوب لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر فاحيا به الارض بما انبت به فيها من انواع النباتات بعد موتها اي بعد يبسها وما يفيده الفاء من التعقيب
العادي لا ينافيه ما بين المعطوفين من المهلة ان في ذلك اي في انزال الماء من السماء واحياء الارض الميتة به لآية واية آية دالة على وحدته

سبحانه وعلمه وقدرته وحكمته لقوم يسمعون هذا التذكير ونظائره سماع تفكر وتدبر فكأن من ليس كذلك اصم وان لكم في الانعام لعبرة عظيمة
واي عبرة يجاري في دركها العقول ويهيم في فهمها الباب الفحول نسقيكم استيناف لبيان ما ابهم اولا من العبرة مما في بطونه اي بطون الانعام والتذكير
هنا لمراعاة جانب اللفظ فانه اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على افعال كاكياس واخلاق كما ان تأنيثه في سورة
المؤمنين لرعاية جانب المعنى ومن جعله جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن ليس لجميعها او له على المعنى فان المراد به الجنس وقرئ بفتح النون
ههنا وفي سورة المؤمنين من بين فرث ودم لبنا الفرث فضالة ما يبقى من العلف في الكرش المنهضمة بعض الانهضام وكيفما يبقى في المعا
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعل المراد به ان
اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذو البدن لان عدم تكونهما في الكرش مما لا ريب فيه بل الكبد تجذب صفاوة الطعام
المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد
على قدر الحاجة من المرتين الصفراء والسوداء وبدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقي على الاعضاء بحسبها فتجري على كل
حقه على ما يليق به بتقدير العزيز الحكيم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع
الزائد اولا لاجل الجنين الى الرحم فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض لمجاورته لحومها الغددية البيض ويلذ
طعمه فيصير لبنا ومن تدبر في بدائع صنع الله تعالى فيما ذكر من الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها وتسخير
القوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاعتراف بكمال علمه وقدرته وحكمته وتناهي رأفته ورحمته ومن الاولى تبعيضية لما ان اللبن
بعض ما في بطونه لانه مخلوق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث حسبما فصل والثانية ابتدائية كقولك سقيت من
الحوض لان بين الفرث والدم مبدأ الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم وتقديمه على المفعولية لما مر مرارا من ان تقديم ما حقه التأخير يبعث للنفس شوقا
الى المؤخر موجبا لفضل تمكنه عند وروده عليها لا سيما اذا كان المقدم متضمنا لوصف مناف لوصف المؤخر كالذي نحن فيه فان بين وصفي
المقدم والمؤخر تنافيا وتناهيا بحيث لا يتراءى ناراهما فان ذلك مما يزيد الشوق والاستشراف الى المؤخر كما في قوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر
الاخضر نارا او حال من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة خالصا عن شائبة ما في الدم والفرث من الاوصاف ببرزخ من القدرة
الباهرة الحاجزة عن بغي احدهما عليه مع كونهما مكتنفين له سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم قيل لم يغص احد باللبن وقرئ سيغا بالتشديد
وبالتخفيف مثل هين وهين ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بما دل عليه الاسقاء من مطلق الاطعام المنتظم لاعطاء المطعوم والمشروب فان اللبن
مطعوم كما انه مشروب اي ونطعمكم من ثمرات النخيل ومن الاعناب اي من عصيرهما وقوله تعالى تتخذون منه سكرا استيناف لبيان كنه الاطعام
وكشفه او بقوله تتخذون منه وتكرير الظرف للتأكيد او خبر لمبتدأ محذوف صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وحذف
الموصوف اذا كان في الكلام كلمة من شائع نحو قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف اعني
العصير او لان المراد هو الجنس والسكر مصدر سمي به الخمر وقيل هو النبيذ وقيل هو الطعم ورزقا حسنا كالتمر والدبس والزبيب والخل والآية ان
كانت سابقة النزول على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة ان في ذلك لآية باهرة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم
في الآيات بالنظر والتأمل واوحى ربك الى النحل اي الهمها وقذف في قلوبها وعلمها بوجه لا يعلمه الا العليم الخبير وقرئ بفتحتين ان اتخذي اي بان
اتخذي على ان ان مصدرية ويجوز ان يكون مفسرة لما في الايحاء من معنى القول وتأنيث الضمير مع ان النحل مذكر للحمل على المعنى او لانه جمع نحلة
والتأنيث لغة اهل الحجاز من الجبال بيوتا اي اوكارا مع ما فيها من الخلايا وقرئ بيوتا بكسر الباء ومن الشجر ومما يعرشون اي يعرشه الناس
اي يرفعه من كرم او سقف وقيل المراد به ما يرفعه الناس ويبنونه للنحل والمعنى اتخذي لنفسك بيوتا من الجبال والشجر اذا لم يكن لك ارباب والا فاتخذي
ما يعرشونه لك وايراد حرف التبعيض لما انها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل [illegible] في كل مكان منها ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهينها
حلوها ومرها فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهو حال من
السبل اي مذللة غير متوعرة ذللها الله سبحانه وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي اسلكي منقادة لما امرت به يخرج من بطونها استيناف عدل به
عن خطاب النحل لبيان ما يظهر منها من تعاجيب صنع الله تعالى التي هي موضع العبرة بعد ما امرت بما امرت شراب اي عسل لانه مشروب واحتج به

ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته وايراد الجملة الاسمية للدلالة على دوام النفي لا لنفي الدوام او يأخذهم على تخوف اي مخافة وحذر عن الهلاك والعذاب
بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم العذاب وهم متخوفون وحيث كانت حالتا التقلب والتخوف مظنة للهرب عبر عن اصابة العذاب فيهما
بالاخذ وعن اصابته حالة الغفلة المنبئة عن السكون بالاتيان وقيل التخوف التنقص قال قائلهم تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود
النبعة السفن اي يأخذهم على ان يتنقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا والمراد بذكر الاحوال الثلث بيان قدرة الله سبحانه على
اهلاكهم باي وجه كان لا الحصر فيها فان ربكم لرؤف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة ويحلم عنكم مع استحقاقكم لها اولم يروا الاستفهام
انكاري وقرئ على صيغة الخطاب والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الم ينظروا ولم يروا متوجهين الى ما خلق الله من شيء اي من كل شيء
اي من كل شيء يتفيؤ ظلاله اي ترجع شيئا فشيئا حسبما تقتضيه ارادة الخالق تعالى فان التفيؤ مطاوع الافاءة وقرئ بتأنيث الفعل عن اليمين
والشمائل اي الم يروا الاشياء التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها استعير لهما ذلك من يميني الانسان وشماله
سجدا لله حال من الظلال كقوله تعالى وظلالهم بالغدو والآصال والمراد بسجودها تصرفها على مشيئة الله سبحانه وتأتيها لارادته تعالى في الامتداد
والتقلص وغيرهما غير ممتنعة عليه فيما سخرها له وقوله تعالى وهم داخرون اي صاغرون منقادون حال من الضمير في ظلاله والجمع باعتبار المعنى وايراد الصيغة
الخاصة بالعقلاء لما ان الدخور من خصائصهم والمعنى ترجع الظلال من جانب الى جانب بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها
فانها كل يوم من ايام السنة تتحرك على مدار معين من المدارات اليومية بتقدير العزيز العليم منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة
بها على هيئة الساجد والحال ان اصحابها من الاجرام داخرة منقادة لحكمه تعالى ووصفها بالدخور مغن عن وصف ظلالها به او كلاهما حال من الضمير
المشار اليه والمعنى ترجع ظلال تلك الاجرام حال كونها منقادة لله تعالى داخرة فوصفها بهما مغن عن وصف ظلالها بهما ولعل المراد بالموصول الجمادات
من الجبال والاشجار والاحجار التي لا يظهر لظلالها اثر سوى التفيؤ بما ذكر من ارتفاع الشمس وانحدارها واختلاف مشارقها ومغاربها واما الحيوان
فظله يتحرك بتحركه وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب منه تظهر آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله
وهو جانبه الغربي المقابل له فان الظلال في اول النهار تبتدئ من الشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبتدئ من الغرب واقعة
على الربع الشرقي منها وبعد ما بين سجود الظلال واصحابها من الاجرام السفلية الثابتة في احيازها ودخورها له سبحانه وتعالى شرع في بيان سجود
المخلوقات المتحركة بالارادة سواء كانت لها ظلال او لا فقيل ولله يسجد اي له تعالى وحده يخضع وينقاد لا لشيء غيره استقلالا او اشتراكا لان الانسب
بحال المخاطبين قصر الافراد كما يؤذن به قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ما في السموات قاطبة وما في الارض كائنا ما كان من دابة بيان لما في
الارض وتقديمه لقلته ولئلا يقع بين المبين والمبين فصل والافراد مع ان المراد الجمع لافادة وضوح شمول السجود لكل فرد من الدواب قال الاخفش هو
كقولك ما اتاني من رجل مثله وما اتاني من الرجال مثله والملائكة عطف على ما في السموات عطف جبريل على الملائكة تعظيما واجلالا او على ان يراد بما في السموات
الخلق الذي يقال له الروح او يراد به ملائكة السموات وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم وهم اي الملائكة مع علو شأنهم لا يستكبرون
عن عبادته عز وجل له وتقديم الضمير ليس للقصر والجملة اما حال من فاعل يسجد مسندا الى الملائكة او استيناف اخبر عنهم بذلك يخافون ربهم اي مالك امرهم
وفيه تربية للمهابة واشعار بعلة الحكم من فوقهم اي يخافونه جل وعلا خوف هيبة واجلال وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده او يخافون
ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من يخاف الله سبحانه لا يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون
اي ما يؤمرون به من الطاعات والتدبيرات وايراد الفعل مبنيا للمفعول جريا على سنن الجلالة وايذانا بعدم الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة استناده الى
غيره سبحانه وفيه ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وبعد ما بين ان جميع الموجودات يخصونه بالخضوع والانقياد الطبيعي وما يجري مجراه
من عبادة الملائكة حيث لا يتصور منهم عدم الانقياد اصلا بالله عز وجل اردف ذلك بحكاية نهيه سبحانه وتعالى للمكلفين عن الاشراك فقيل وقال الله
عطفا على قوله تعالى ولله يسجد واظهار الفاعل وتخصيص لفظة الجلالة بالذكر للايذان بانه متعين للالوهية وانما المنهي عنه هو الاشراك به لا ان المنهي عنه
مطلق اتخاذ الهين بحيث يتحقق الانتهاء عنه برفض ايهما كان اي قال تعالى لجميع المكلفين لا تتخذوا الهين اثنين وانما ذكر العدد مع ان صيغة
التثنية مغنية عن ذلك دلالة على ان مساق النهي هي الاثنينية وانها منافية للالوهية كما ان وصف الاله بالوحدة في قوله تعالى انما هو اله واحد للدلالة
على ان المقصود اثبات الوحدانية وانها من لوازم الالهية واما الالهية فامر مسلم الثبوت له سبحانه واليه اشير حيث اسند اليه القول وفيه التفات من التكلم

الى الغيبة على رأي من اكتفى في تحقق الالتفات بكون الاسلوب الملتفت عنه حق الكلام ولم يشترط سبق الذكر على ذلك الوجه **فاياي فارهبون** التفات من الغيبة
الى التكلم لتربية المهابة والقاء الرهبة في القلوب ولذلك قدم المفعول وكرر الفعل اي ان كنتم راهبين شيئا فاياي ارهبوا فارهبون لا غير فاني ذلك الواحد
الذي يسجد له ما في السموات والارض **وله ما في السموات والارض** خلقا وملكا تقرير لعلة انقياد ما فيهما له سبحانه خاصة وتحقيق لتخصيص الرهبة به تعالى وتقديم
الظرف لتقوية ما في اللام من معنى الاختصاص وكذا في قوله تع **وله الدين** اي الطاعة والانقياد **واصبا** اي واجبا ثابتا لا زوال له لما تقرر بانه الاله الواحد
الحقيق بان يرهب وقيل واصبا من الوصب اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء الدائم بحيث لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر
افغير الله تتقون الهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه السياق اي اعقيب تقرر الشؤن المذكورة من تخصيص جميع الموجودات للسجود به تعالى
وكون ذلك كله له ونهيه عن اتخاذ الانداد وكون الدين له واصبا المستدعي ذلك لتخصيص التقوى به سبحانه غير الله الذي شانه ما ذكر تتقون
فتطيعون **وما بكم** اي اي شيء يلابسكم ويصاحبكم **من نعمة** اية نعمة كانت **فمن الله** فهي من الله فما شرطية او موصولة متضمنة لمعنى الشرط باعتبار الاخبار دون
الحصول فان ملابسة النعمة بهم سبب للاخبار بانها منه تعالى لا لكونها منه تعالى **ثم اذا مسكم الضر** مساسا يسيرا **فاليه تجأرون** تتضرعون في كشفه لا الى غيره والجؤار
رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا وقرئ تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها على ما
قبلها وفي ذكر المساس المنبئ عن ادنى اصابة وايراده بالجملة الفعلية المعربة عن الحدوث مع ثم الدالة على وقوعه بعد برهة من الدهر وتحلية الضر
بلام الجنس المفيدة لمساس ادنى ما ينطلق عليه اسم الجنس مع ايراد النعمة بالجملة الاسمية الدالة على الدوام والتعبير عن ملابستها للمخاطبين بباء المصاحبة
وايراد ما المعربة عن العموم ما لا يخفى من الجزالة والفخامة ولعل ايراد اذا دون ان للتوسل به الى تحقيق وقوع الجواب **ثم اذا كشف الضر عنكم** وقرئ كاشف
الضر وكلمة ثم ليست للدلالة على تمادي زمان مساس الضر ووقوع الكشف بعد برهة مديدة بل للدلالة على تراخي رتبة ما يترتب عليه من مفاجأة الاشراك
المدلول عليها بقوله سبحانه **اذا فريق منكم بربهم يشركون** فان ترتبها على ذلك في ابعد غاية من الضلال ثم ان وجه الخطاب الى الناس جميعا فمن للتبعيض
والفريق فريق الكفرة وان وجه الى الكفرة فمن للبيان كانه قيل اذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر وازدجر كقوله تع فلما نجاهم الى البر
فمنهم مقتصد فمن تبعيضية ايضا والتعرض لوصف الربوبية للايذان بكمال قبح ما ارتكبوه من الاشراك والكفران **ليكفروا بما آتيناهم** من نعمة الكشف عنهم
كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة وانكار كونها من الله عز وجل **فتمتعوا** امر تهديد والالتفات من الغيبة الى الخطاب للايذان بتناهي السخط
وقرئ بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا على ان يكون كفران النعمة والتمتع غرضا لهم من الاشراك ويجوز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد **فسوف**
تعلمون عاقبة امركم وما ينزل بكم من العذاب وفيه وعيد اكيد مبني عن اخذ شديد حيث لم يذكر المفعول اشعارا بانه مما لا يوصف **ويجعلون** لعله عطف
على ما سبق بحسب المعنى تعدادا لجناياتهم اي يفعلون ما يفعلون من الجؤار الى الله تعالى عند مساس الضر ومن الاشراك به عند كشفه **ويجعلون لما لا**
يعلمون اي لما لا يعلمون حقيقته وقدره الخسيس من الجمادات التي يتخذونها شركاء لله سبحانه جهالة وسفاهة ويزعمون انها تنفعهم وتشفع لهم
على ان ما موصولة والعائد اليها محذوف او لما لا علم له اصلا وليس من شانه ذلك فما موصولة ايضا والعائد اليها ما في الفعل من الضمير المستكن وصيغة
جمع العقلاء لكونها عبارة عن آلهتهم التي وصفوها بصفات العقلاء او مصدرية واللام للتعليل اي لعدم علمهم والمجعول له محذوف للعلم بمكانه
نصيبا مما رزقناهم من الزرع والانعام وغيرهما تقربا اليها **تالله لتسئلن** سؤال توبيخ وتقريع **عما كنتم تفترون** في الدنيا بانها آلهة حقيقة
بان يتقرب اليها وفي تصدير الجملة بالقسم وصرف الكلام من الغيبة الى الخطاب المنبئ عن كمال الغضب من شدة الوعيد ما لا يخفى **ويجعلون لله**
البنات هم خزاعة وكنانة الذين يقولون الملائكة بنات الله **سبحانه** تنزيه وتقديس له عز وجل عن مضمون قولهم ذلك وتعجب من جراءتهم على
التفوه بمثل تلك العظيمة **ولهم ما يشتهون** من البنين ما مرفوعة المحل على انه مبتدأ والظرف المقدم خبره والجملة حالية وسبحانه اعتراض في حاق
موقعه وجعلها منصوبة بالعطف على البنات اي يجعلون لانفسهم ما يشتهون من البنين يؤدي الى جعل الجعل بمعنى يعم الزعم والاختيار **واذا بشر**
احدهم بالانثى اي اخبر بولادتها **ظل وجهه** اي صار او دام النهار كله **مسودا** من [illegible] من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام
والتشوير **وهو كظيم** ممتلئ حنقا وغيظا **يتوارى** يستخفي **من القوم من سوء ما بشر به** [illegible] سوءه والتعبير عنها بما لاسقاطها عن درجة العقلاء
ايمسكه اي مترددا في امره محدثا نفسه في شانه ايمسكه **على هون** ذل وقرئ هوان **ام يدسه** يخفيه **في التراب** بالوأد والتذكير باعتبار لفظ ما وقرئ
بالتانيث **الا ساء ما يحكمون** حيث يجعلون ما هذا شانه عندهم من الهون والحقارة لله تعالى المتعالي عن الصاحبة والولد والحال انهم يتحاشون عنه

به ويقوله تعالى كلي من زعم ان النحل تاكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل في بطنها عسلا ثم تقيء ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها
اجزاء قليلة حلوة صغيرة متفرقة على الازهار والاوراق وتضعها في بيوتها فاذا اجتمع فيها شيء كثير يكون عسلا فسر البطون بالافواه **مختلف الوانه**
ابيض واسود واصفر واحمر حسب اختلاف سن النحل او الفصل او الذي اخذت منه العسل **فيه شفاء للناس** اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في
سائر الامراض اذ قلما يكون معجون لا يكون فيه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز كونه للتفخيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال عليه السلام اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله
وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه فبرئ كانما انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن او لما بين الله تعالى من احوال النحل وعن ابن مسعود رضي الله عنه العسل شفاء
لكل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفائين العسل والقرآن **ان في ذلك** الذي ذكر من عجائب آثار قدرة الله تعالى **لآية** عظيمة **لقوم**
يتفكرون فان من تفكر في اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة المشتملة على حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقدر عليها حذاق
المهندسين الا بآلات رقيقة وادوات انيقة وانظار رفيقة جزم قطعا بان له خالقا قادرا حكيما يلهمها ذلك ويهديها اليه جل جلاله **والله خلقكم**
لما ذكر سبحانه من عجائب احوال ما ذكر من الماء والنبات والانعام والنحل اشار الى بعض عجائب احوال البشر من اول عمره الى آخره وتطوراته فيما
بين ذلك وقد ضبطوا مراتب العمر في اربع الاولى سن النشو والنماء والثانية سن الوقوف وهي سن الشباب والثالثة سن الانحطاط القليل وهي سن
الكهولة والرابعة سن الانحطاط الكبير وهي سن الشيخوخة **ثم يتوفاكم** حسبما يقتضيه مشيته المبنية على حكم بالغة باجال مختلفة اطفالا وشبانا وشيوخا
ومنكم من يرد قبل توفيه اي يعاد **الى ارذل العمر** اي اخسه واحقره وهو خمس وسبعون سنة على ما روي عن علي رضي الله عنه وتسعون سنة على ما نقل
عن قتادة رضي الله عنه وقيل خمس وتسعون وايثار الرد على الوصول والبلوغ ونحوهما للايذان بان بلوغه والوصول اليه رجوع في الحقيقة الى الضعف
بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق ولا عمر اسوأ حالا من عمر الهرم الذي يشبه الطفل في نقصان العقل والقوة **لكيلا يعلم بعد علم شيئا**
منه العلم او من المعلومات او لكيلا يعلم شيئا بعد علمه بذلك الشيء وقيل لئلا يعقل بعد عقله الاول شيئا **ان الله عليم** بمقادير اعماركم **قدير** على كل شيء
يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت الآجال ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم
ولو كان ذلك مقتضى الطبائع لما بلغ التفاوت هذا المبلغ **والله فضل بعضكم على بعض في الرزق** اي جعلكم متفاوتين فيه فاعطاكم منه افضل
مما اعطى مماليككم **فما الذين فضلوا** فيه على غيرهم **برادي رزقهم** الذي رزقهم اياه **على ما ملكت ايمانهم** على مماليكهم الذين هم شركاؤهم في المخلوقية
والمرزوقية **فهم** اي الملاك والمماليك **فيه** اي في الرزق **سواء** اي لا يردونه عليهم بحيث يساوونهم في التصرف ويشاركونهم في التدبير والفاء للدلالة
على ترتب التساوي على الرد اي لا يردونه عليهم ردا مستتبعا للتساوي وانما يردون عليهم منه شيئا يسيرا فحيث لا يرضون بمساواة مماليكهم
لانفسهم وهم امثالهم في البشرية والمخلوقية لله عز سلطانه في شيء لا يختص بهم بل يعمهم واياهم من الرزق الذي هم اسوة لهم في استحقاقه
فما بالهم يشركون بالله سبحانه وتعالى فيما لا يليق الا به من الالوهية والمعبودية الخاصة بذاته بعض مخلوقاته الذي هو بمعزل من درجة الاعتبار
وهذا كما ترى مثل ضرب لكمال قباحة ما فعله المشركون تقريعا عليهم كقوله تعالى هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء الآية
افبنعمة الله يجحدون حيث يفعلون ما يفعلون من الاشراك فان ذلك يقتضي ان يضيفوا نعم الله سبحانه الفائضة عليهم الى شركائهم ويجحدوا كونها
من عند الله تعالى او حيث انكروا امثال هذه الحجج البالغة بعد ما انعم الله بها عليكم والباء لتضمين الجحود معنى الكفر نحو وجحدوا بها والفاء للعطف على الخطاب
او ليس الموالي برادي رزقهم على مماليكهم بل انا الذي ارزقهم واياهم فلا يحسبوا انهم يعطونهم شيئا وانما هو رزقي اجريه على ايديهم فهم جميعا
في ذلك سواء لا مزية لهم على مماليكهم الا يفهمون ذلك فيجحدون نعمة الله تعالى فهو رد على زعم المفضلين او على فعلهم المؤذن بذلك او ما المفضلون برادي
بعض فضلهم على مماليكهم فيتساووا في ذلك [illegible] التفضيل ليس الا ليبلوهم ايشكرون ام يكفرون لا يعرفون ذلك فيجحدون نعمة الله تعالى
كانه قيل فلم يردده عليهم والجملة الاسمية للدلالة على [illegible] رهم على عدد الرد يحكى عن ابي ذر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما [illegible] فما رئي عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت **والله**
جعل لكم من انفسكم اي من جنسكم **ازواجا** لتأنسوا بها وتقيموا بذلك جميع مصالحكم ويكون اولادكم امثالكم وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام
وجعل لكم من ازواجكم وضع الظاهر موضع المضمر للايذان بان المراد جعل لكل منكم من زوجه لا من زوج غيره **بنين** وبانه نتيجة الازواج هو التوالد **وحفدة**

جمع حافد وهو الذي يسرع في الخدمة والطاعة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد اي جعل لكم خدما يسرعون في خدمتكم وطاعتكم فقيل المراد بهم اولاد الاولاد
وقيل البنات عبر عنهن بذلك ايذانا بوجه المنة فانهن يخدمن البيوت اتم خدمة وقيل اولاد المرأة من الزوج الاول وقيل البنون والعطف لاختلاف
الوصفين وقيل الاختان على البنات وتأخير المنصوب في الموضعين عن المجرور لما مر من التشويق وتقديم المجرور باللام على المجرور بمن للايذان من اول
الامر بعود منفعة الجعل اليهم امدادا للتشويق وتقوية له اي جعل لمصلحتكم مما يناسبكم ازواجا وجعل لمنفعتكم من جهة مناسبة لكم بنين وحفدة ورزقكم
من الطيبات من اللذائذ او من الحلالات ومن للتبعيض اذ المرزوق في الدنيا انموذج لما في الآخرة افبالباطل يؤمنون وهو ان الاصنام تنفعهم والبحائر
ونحوها حرام والفاء في المعطوف داخلة على الفعل وهي للعطف على مقدر اي ايكفرون بالله الذي شأنه هذا فيؤمنون بالباطل او ابعد تحقق ما ذكر من نعم الله تعالى
بالباطل يؤمنون دون الله سبحانه وبنعمت الله تعالى الفائضة عليهم مما ذكر ومما لا يحيط به دائرة البيان هم يكفرون حيث يضيفونها الى الاصنام وتقديم
الصلة على الفعل للاهتمام او لايهام الاختصاص مبالغة او لرعاية الفواصل والالتفات الى الغيبة للايذان باستيجاب حالهم للاعراض عنهم وصرف
الخطاب الى غيرهم من السامعين تعجيبا لهم مما فعلوه ويعبدون من دون الله لعله عطف على يكفرون داخل تحت الانكار التوبيخي اي ايكفرون بنعمة الله
ويعبدون من دونه ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ان جعل الرزق مصدرا فشيئا نصب على المفعولية منه اي ما لا يقدر على ان
يرزقهم شيئا لا من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وان جعل اسما للمرزوق فنصبه على البدلية منه بمعنى قليلا ومن السموات والارض صفة لرزقا
اي كائنا منهما ويجوز كونه تأكيدا للا يملك رزقا ما شيئا من الملك ولا يستطيعون اي يملكوه اذ لا استطاعة لهم رأسا لانها موات لا حراك بها فالضمير
للآلهة ويجوز ان يكون للكفرة على معنى انهم مع كونهم احياء متصرفين في الامور لا يستطيعون من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس له فلا
تضربوا لله الامثال التفات الى الخطاب للايذان بالاهتمام بشأن النهي اي لا تشركوا به شيئا والتعبير عن ذلك بضرب المثل للقصد الى النهي عن الاشراك
به تعالى في شأن من الشؤون فان ضرب المثل مبناه تشبيه حالة بحالة وقصة بقصة اي لا تشبهوا بشأنه شأنا من الشؤون واللام مثلها في قوله تعالى
ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون لا مثلها في قوله تعالى واضرب لهم مثلا اصحاب القرية ونظائره والفاء
للدلالة على ترتب النهي على ما عدد من النعم الفائضة عليهم من جهته سبحانه وكون ما يشركون به تعالى بمعزل عن ان يملك لهم من اقطار السموات والارض
شيئا من رزق ما فضلا عما فصل من نعمة الخلق والتفضيل في الرزق ونعمة الازواج والاولاد ان الله يعلم تعليل للنهي المذكور ووعيد على المنهي عنه اي
انه تعالى يعلم كنه ما تأتون وما تذرون وانه في غاية العظم والقبح وانتم لا تعلمون ذلك والا لما فعلتموه او انه تعالى يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا
آراءكم وقفوا في مواقف الامتثال بما ورد عليكم من الامر والنهي ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون
ذلك فتقعون فيما تقعون فيه من مهاوي الردى والضلال ثم علمهم كيفية ضرب الامثال في هذا الباب فقال ضرب الله مثلا اي ذكر واورد شيئا يستدل به على
تباين الحال بين جنابه عز وجل وبين ما اشركوا به وعلى تباعدهما بحيث ينادي بفساد ما ارتكبوه نداء جليا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء بدل من مثلا
وتفسير له والمثل في الحقيقة حالته العارضة له من المملوكية والعجز التام وبحسبها ضرب نفسه مثلا ووصف العبد بالمملوكية للتمييز عن الحر لاشتراكهما في
كونهما عبدا لله سبحانه وقد ادمج فيه ان الكل عبيد له تعالى وبعدم القدرة لتمييزه عن المكاتب والمأذون اللذين لهما تصرف في الجملة وفي ابهام المثل
اولا ثم بيانه بما ذكر ما لا يخفى من الفخامة والجزالة ومن رزقناه من موصوفة معطوفة على عبدا اي رزقناه بطريق الملك والالتفات الى التكلم للاشعار
باختلاف حالي ضرب المثل والرزق منا من جنابنا الكبير المتعالي رزقا حسنا حلالا طيبا او مستحسنا عند الناس مرضيا فهو ينفق منه تفضلا
واحسانا والفاء لترتيب الانفاق على الرزق كانه قيل ومن رزقناه منا رزقا حسنا فانفق وايثار ما عليه النظم الكريم من الجملة الاسمية الفعلية الخبر
للدلالة على ثبات الانفاق واستمراره التجددي سرا وجهرا اي حال السر والجهر او انفاق سر وانفاق جهر والمراد بيان عموم انفاقه للاوقات وشمول
انعامه لمن يجتنب عن قبوله جهرا والاشارة الى اصناف نعم الله تعالى الباطنة والظاهرة وتقديم السر على الجهر للايذان بفضله عليه والعدول عن تطبيق
القرينتين بان يقال وحرا مالكا للاموال مع كونه ادل على تباين بينه وبين [illegible] تحقيق الحق بان الاحرار ايضا تحت ربقة عبوديته
سبحانه وتعالى وان مالكيتهم لما يملكونه ليست الا بان يرزقهم الله تعالى اياه من غير ان يكون لهم دخل في ذلك مع محاولة المبالغة في الدلالة على ما
قصد بالمثل من تباين الحال بين الممثلين فان العبد المملوك حيث لم يكن مثل العبد المالك فما ظنك بالجماد ومالك الملك خلاق العالمين هل يستوون
جمع الضمير للايذان بان المراد بما ذكر من اتصف بالاوصاف المذكورة من الجنسين المذكورين لا فردان معينان اي هل يستوي العبيد والاحرار الموصوفون

والاحرار الموصوفون بما ذكر من الصفات مع ان الفريقين سيان في البشرية والمخلوقية لله سبحانه وان ما ينفقه الاحرار ليس مما لهم دخل في ايجاده
ولا في تملكه بل هو مما اعطاه الله تعالى اياهم فحيث لم يستو الفريقان فما ظنكم برب العالمين حيث تشركون به ما لا ذليل اذل منه وهو الاصنام الحمد لله
اي كله له لانه مولي جميع النعم لا يستحقه احد غيره وان ظهرت على ايدي بعض الوسائط فضلا عن استحقاق العبادة وفيه ارشاد الى ما هو الحق من ان ما يظهر
على يد من ينفق فيما ذكر راجع الى الله سبحانه كما لوح به قوله تعالى رزقناه بل اكثرهم لا يعلمون ما ذكر فيضيفون نعمه تعالى الى غيره ويعبدونه لاجلها ونفي
العلم عن اكثرهم للاشعار بان بعضهم يعلمون ذلك وانما لا يعملون بموجبه عنادا كقوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون وضرب الله مثلا اي
مثلا آخر يدل على ما دل عليه المثل السابق على وجه اوضح واظهر وبعد ما ابهم ذلك لتنتظر النفس الى وروده وتترقبه حتى يتمكن لديها عند وروده فضل
تمكن فقيل رجلين احدهما ابكم وهو من ولد اخرس لا يقدر على شيء من الاشياء المتعلقة بنفسه او بغيره بحدس او فراسة لقلة فهمه وسوء ادراكه وهو كل ثقل
وعيال على مولاه اي حيث يرسله مولاه في امر بيان لعدم قدرته على اقامة مصالح مولاه ولو كانت مصلحة يسيرة وقرئ يوجه على البناء للمفعول وعلى صيغة
الماضي من التوجه لا يأت بخير بنجح وكفاية مهم البتة هل يستوي هو مع ما فيه من الاوصاف المذكورة ومن يأمر بالعدل اي من هو منطيق فهم ذو رأي وكفاية
ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الجامع لمجامع الفضائل وهو في نفسه مع ما ذكر من نفعه العام للخاص والعام على صراط مستقيم ومقابلة الصفات
المذكورة بهذين الوصفين لانهما في حق ما يقابلها فان محصل الصفات المذكورة عدم استحقاق المأمورية وملخص هذين استحقاق كمال الآمرية
المستتبع لحيازة المحاسن باجمعها وتغيير الاسلوب حيث لم يقل والآخر آمر بالعدل الآية لمراعاة الملاءمة بينه وبين ما هو المقصود من بيان التباين بين
القرينين واعلم ان كلا من الفعلين ليس المراد بهما حكاية الضرب الماضي بل المراد انشاؤه بما ذكر عقيبه ولا يبعد ان يقال ان الله تعالى ضرب مثلا لخلق الفريقين
على ما هما عليه فكان خلقهما كذلك للاستدلال بعدم تساويهما على امتناع التساوي بينه سبحانه وبين ما يشركون فيكون كل من الفعلين حكاية للضرب
الماضي ولله تعالى خاصة لا لاحد غيره استقلالا ولا اشتراكا غيب السموات والارض اي الامور الغائبة عن علوم المخلوقين قاطبة بحيث لا سبيل اليهما
لا مشاهدة ولا استدلالا ومعنى الاضافة اليهما التعلق بهما اما باعتبار الوقوع فيهما حالا او مآلا واما باعتبار الغيبة على اهلهما والمراد بيان الاختصاص
به تعالى من حيث المعلومية حسبما ينبئ عنه عنوان الغيبة لا من حيث المخلوقية والمملوكية وان كان الامر كذلك في نفس الامر وفيه اشعار بان علمه تعالى
حضوري فان تحقق الغيوب في انفسها علم بالنسبة اليه تعالى ولذلك لم يقل ولله علم غيب السموات والارض وما امر الساعة التي هي اعظم ما وقع فيه
المماراة من الغيوب المتعلقة بهما من حيث غيبتها عن اهلهما او ظهور آثارها فيهما عند وقوعها فان وقت وقوعها بعينه من الغيوب التي نصبت عليها الادلة
اي ما شأنها في سرعة المجيء الا كلمح البصر اي كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها او هو اي بل امرها فيما ذكر اقرب من ذلك واسرع زمانا بان يقع في بعض
من زمانه فان ذلك الآن قصر حركة اينية لها هوية اتصالية منطبقة على زمان له هوية كذلك قابل للانقسام الى ابعاض هي ازمنة ايضا بل في آن غير منقسم من
ذلك الزمان وهو آن ابتداء تلك الحركة او ما امرها الا كالشيء الذي يستقرب ويقال هو او هو اقرب واياما كان فهو تمثيل لسرعة مجيئها حسبما
عبر عنه في فاتحة السورة الشريفة بالاتيان ان الله على كل شيء قدير ومن جملة الاشياء ان يجيء بها باسرع ما يكون فهو قادر على ذلك او وما امر اقامة
الساعة التي كنهها وكيفيتها من الغيوب الخاصة به سبحانه وهي اماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والآخرين وتبديل صور الاكوان اجمعين وقد
انكرها المنكرون وجعلوها من قبيل ما لا يدخل تحت الامكان في سرعة الوقوع وسهولة التأتي الا كلمح البصر او هو اقرب على ما مر من الوجهين ان الله على كل شيء
قدير فهو قادر على ذلك لا محالة وقيل غيب السموات والارض عبارة عن يوم القيمة بعينه لما ان علمه بخصوصه غائب عن اهلهما فوضع الساعة موضع الضمير
لتقوية مضمون الجملة والله اخرجكم من بطون امهاتكم عطف على قوله والله جعل لكم من انفسكم ازواجا منتظم معه في سلك ادلة التوحيد من قوله تعالى والله
انزل من السماء ماء وقوله تعالى والله خلقكم وقوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض والامهات بضم الهمزة وقرئ بكسرها ايضا جمع الام زيدت الهاء فيه
كما زيدت في اهراق من اراق وشذت زيادتها في الواحدة قال امهتي خندف والياس ابي لا تعلمون شيئا في موقع الحال اي غير عالمين شيئا اصلا
وجعل لكم السمع والابصار والافئدة عطف على اخرجكم وليس فيه دلالة على تأخير الجعل المذكور من الاخراج لما ان مدلول الواو هو الجمع مطلقا لا الترتيب على ان اثر
ذلك الجعل لا يظهر قبل الاخراج اي جعل لكم هذه الاشياء آلات تحصلون بها العلم والمعرفة بان تحسوا بمشاعركم جزئيات الاشياء وتدركوها بافئدتكم
وتتنبهوا لما بينها من المشاركات والمباينات بتكرر الاحساس فيحصل لكم علوم بديهية تتمكنون بالنظر فيها من تحصيل العلوم الكسبية والافئدة جمع
فؤاد وهو وسط القلب وهو من القلب كالقلب من الصدر وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة وتقديم المجرور على المنصوب لما مر من الايذان

من اول الامر يكون المجعول لا فعاله وتشوق النفس الى المؤخر ليتمكن عند وروده عليها فضل تمكن **لعلكم تشكرون** كي تعرفوا ما انعم به عليكم طورا غب طور فتشكروه
وتقديم السمع على البصر لما انه طريق تلقي الوحي ولان ادراكه اقدم من ادراك البصر وافراده باعتبار كونه مصدرا في الاصل **الم يروا** وقرئ بالتاء **الى الطير** جمع طائر اي الم ينظروا اليها **مسخرات** مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المساعدة له وفيه مبالغة من حيث ان معنى التسخير جعل الشيء
منقادا لآخر يتصرف فيه كيف يشاء كتسخير البحر والفلك والدواب للانسان والواقع ههنا تسخير الهواء للطير لتطير فيه كيف تشاء فكان مقتضى طبيعة
الطير السقوط فسخرها الله تعالى للطيران وفيه تنبيه على ان الطيران ليس بمقتضى طبع الطير بل ذلك بتسخير الله تعالى **في جو السماء** اي في الهواء المتباعد من
الارض والسكاك واللوح ابعد منه واضافته الى السماء لما انه في جانبها من الناظر ولاظهار كمال القدرة **ما يمسكهن** في الجو حين قبض اجنحتهن وبسطها
ووقوفهن **الا الله** عز وجل بقدرته الواسعة فان ثقل جسدها ورقة قوام الهواء يقتضيان سقوطها ولا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها وهو اما حال من الضمير
المستتر في مسخرات او من الطير واما مستأنف **ان في ذلك** الذي ذكر من تسخير الطير بان خلقها خلقة تتمكن بها منه بان جعل لها اجنحة خفيفة واذنابا كذلك
وجعل اجسادها من الخفة بحيث اذا بسطت اجنحتها واذنابها لا يطيق ثقلها ان يخرق ما تحتها من الهواء الرقيق القوام وتخرق ما بين يديها من الهواء لانها لا تلاقيه
بحجم كبير **لآيات** ظاهرة **لقوم يؤمنون** اي من شأنهم ان يؤمنوا وانما خص ذلك بهم لانهم المنتفعون به **والله جعل لكم** معطوف على ما تقدم وتقديم لكم على ما سيأتي
من المجرور والمنصوب لما مر من الايذان من اول الامر بانه لمصلحتهم ومنفعتهم لتشويق النفس الى وروده وقوله تعالى **من بيوتكم** اي من بيوتكم المعهودة التي
تبنونها من الحجر والمدر تبيين لذلك المجعول المبهم في الجملة وتأكيد لما سبق من التشويق **سكنا** فعل بمعنى مفعول اي موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم
او تسكنون اليه من غير ان ينتقل من مكانه اي جعل بعض بيوتكم بحيث تسكنون اليه وتطمئنون به **وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا** اي بيوتا اخر مغايرة لبيوتكم
المعهودة في الخيام والقباب والاخبية والفساطيط **تستخفونها** تجدونها خفيفة سهلة المأخذ **يوم ظعنكم** وقت ترحالكم في النقض والحمل والنقل
وقرئ بفتح العين **ويوم اقامتكم** وقت نزولكم في الضرب والبناء **ومن اصوافها واوبارها واشعارها** عطف على قوله تعالى من جلود الانعام على وجه التنويع اي وجعل لكم
من اصواف الضأن واوبار الابل واشعار المعز **اثاثا** اي متاع البيت واصله الكثرة والاجتماع ومنه شعر اثيث **ومتاعا** اي شيئا يتمتع به بفنون
التمتع **الى حين** الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان يبلى ويفنى فانه في موضع البلى والفنى وقيل الى ان تموتوا والكلام في ترتيب المفاعيل مثل ما مر
من قبل **والله جعل لكم مما خلق** من غير صنيع من قبلكم **ظلالا** اشياء تستظلون بها من الحر كالغمام والشجر والجبل وغيرها امتن سبحانه بذلك لما ان
تلك الديار غالبة الحرارة **وجعل لكم من الجبال اكنانا** مواضع تستكنون فيها من الكهوف والغيران والسروب والكلام في الترتيب الواقع بين المفاعيل كالذي
مر غير مرة **وجعل لكم سرابيل** جمع سربال وهو كل ما يلبس اي جعل لكم ثيابا من القطن والكتان والصوف وغيرها **تقيكم الحر** خصه بالذكر اكتفاء بذكر
احد الضدين عن ذكر الآخر اولان وقايته هي الاهم عندهم لما مر آنفا **وسرابيل** من الدروع والجواشن **تقيكم بأسكم** اي البأس الذي يصل الى
بعضكم من بعض في الحرب والطعن ولقد من الله سبحانه علينا حيث ذكر جميع نعمه الفائضة على جميع الطوائف فبدأ بما يخص المقيمين حيث قال والله جعل لكم
من بيوتكم سكنا ثم بما يخص المسافرين ممن لهم قدرة على الخيام واضرابها حيث قال وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا الى آخره ثم بما يعم من لا يقدر على
ذلك ولا يؤويه الا الظلال حيث قال وجعل لكم مما خلق ظلالا الى آخره ثم بما لا بد منه لاحد حيث قال وجعل لكم سرابيل الى آخره ثم بما لا غنى عنه
في الحروب حيث قال وسرابيل تقيكم بأسكم ثم قال كذلك اي مثل ذلك الاتمام البالغ **يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون** اي ارادة ان تنظروا فيما اسبغ عليكم
من النعم الظاهرة والباطنة والانفسية والآفاقية فتعرفوا حق منعمها فتؤمنوا به وحده وتذروا ما كنتم به تشركون وتنقادوا لامره وافراد
النعمة اما لان المراد بها المصدر او لاظهار ان ذلك بالنسبة الى جناب الكبرياء شيء قليل وقرئ تسلمون اي تسلمون من العذاب او من الشرك وقيل من الجراح بلبس
الدروع **فان تولوا** فعل ماض على طريقة الالتفات وصرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلية له اي فان اعرضوا عن الاسلام ولم
يقبلوا منك ما القي اليهم من البينات والعبر والعظات **فانما عليك البلاغ المبين** اي فلا قصور من جهتك لان وظيفتك هي البلاغ الموضح او الواضح وقد
فعلته بما لا مزيد عليه فهو من باب وضع السبب موضع المسبب **يعرفون نعمة الله** استئناف لبيان ان توليهم واعراضهم عن الاسلام ليس لعدم معرفتهم
بما عدد من نعم الله تعالى اصلا فانهم يعرفونها ويعترفون انها من الله تعالى **ثم ينكرونها** بافعالهم حيث يعبدون غير منعمها او بقولهم انها بشفاعة
آلهتنا او بسبب كذا وقيل نعمة الله تعالى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات كما يعرفون ابناءهم ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار
بعد المعرفة لان حق من عرف النعمة الاعتراف بها لا الانكار واسناد المعرفة والانكار المتفرع عليها الى ضمير المشركين على الاطلاق من باب اسناد

اسناد حال البعض الى الكل كقولهم بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم فان بعضهم ليسوا كذلك لقوله سبحانه **واكثرهم الكافرون** اي المنكرون بقلوبهم غير
المعترفين بما ذكر والحكم عليهم بمطلق الكفر المؤذن بالكمال من حيث الكمية لا ينافي كمال الفرقة الاولى من حيث الكيفية هذا وقد قيل ذكر الاكثر اما لان بعضهم
لم يعرفوا لنقصان العقل او التفريط في النظر او لم يقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف فتدبر **ويوم نبعث من كل امة شهيدا** يشهد لهم بالايمان والطاعة
وعليهم بالكفر والعصيان وهو نبيها **ثم لا يؤذن للذين كفروا** في الاعتذار اذ لا عذر لهم وثم للدلالة على ان ابتلاءهم بالمنع عن الاعتذار المنبئ عن الاقناط
الكلي وهو عند ما يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون اشد من ابتلائهم بشهادة الانبياء عليهم السلام عليهم **ولا هم يستعتبون** يسترضون اي
اي لا يقال لهم ارضوا ربكم اذ الآخرة دار الجزاء لا دار العمل وانتصاب الظرف بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم يوم نبعث الى آخره او يوم نبعث يحيق بهم
ما يحيق مما لا يوصف وكذا قوله تعالى **واذا رأى الذين ظلموا العذاب** الذي يستوجبونه بظلمهم وهو عذاب جهنم **فلا يخفف عنهم** ذلك **ولا هم ينظرون** اي
يمهلون كقوله تعالى بل تأتيهم بغتة فتبهتهم **واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم** الذين كانوا يدعونهم في الدنيا وهم الاوثان او الشياطين الذين شاركوهم
في الكفر بالحمل عليه وقارنوهم في الغي والضلال **قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك** اي نعبدهم او نطيعهم ولعلهم قالوا ذلك
طمعا في توزيع العذاب بينهم كما ينبئ عنه قوله سبحانه **فالقوا** اي شركاؤهم **اليهم القول انكم لكاذبون** فان تكذيبهم اياهم فيما قالوا ليس الا
للمدافعة والتخلص عن غائلة مضمونه وانما كذبوهم وقد كانوا يعبدونهم ويطيعونهم لان الاوثان ما كانوا راضين بعبادتهم لهم فكان عبادتهم
لم تكن عبادة لهم كما قالت الملائكة عليهم السلام بل كانوا يعبدون الجن يعنون ان الجن هم الذين كانوا راضين بعبادتهم لا نحن او كذبوهم في تسميتهم
شركاء وآلهة تنزيها لله سبحانه من الشريك والشياطين وان كانوا راضين بعبادتهم لهم لكنهم لم يكونوا حاملين لهم على وجه القسر والالجاء
كما قال ابليس لعنه الله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فكانهم قالوا ما عبدتمونا حقيقة بل انما عبدتم اهواءكم **والقوا** اي
الذين اشركوا **الى الله يومئذ السلم** الاستسلام والانقياد لحكمه العزيز الغالب بعد الاستكبار عنه في الدنيا **وضل عنهم** اي ضاع وبطل **ما كانوا يفترون**
من ان لله سبحانه شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم وذلك حين كذبوهم وتبرؤوا منهم **الذين كفروا** في انفسهم **وصدوا** اغيرهم **عن سبيل الله** بالمنع
عن الاسلام والحمل على الكفر **زدناهم عذابا فوق العذاب** الذي كانوا يستحقونه بكفرهم قيل في زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال
تلسع احداهن فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة البرد الى النار **بما كانوا يفسدون** متعلق
بقوله زدناهم اي زدنا عذابهم بسبب استمرارهم على الفساد وهو الصد المذكور **ويوم نبعث** تكرير لما سبق تثنية للتهديد **في كل امة شهيدا عليهم** اي
نبيا **من انفسهم** من جنسهم قطعا لمعذرتهم وفي قوله تعالى عليهم اشعار بان شهادة انبيائهم على الامم تكون بمحضر منهم **وجئنا بك** ايثار لفظ المجيء على البعث
لكمال العناية بشانه عليه السلام وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع **شهيدا على هؤلاء** الامم وشهدائهم كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقيل على امتك والعامل في الظرف محذوف كما مر والمراد به يوم القيامة **ونزلنا عليك الكتاب** الكامل في الكتابية الحقيق بان
يخص به اسم الجنس وهو اما استئناف او حال بتقدير قد **تبيانا** بيانا بليغا **لكل شيء** يتعلق بامور الدين ومن جملة ذلك الاحوال الامم مع انبيائهم فيكون
كالدليل على كونه عليه السلام شهيدا عليهم وكذا من جملته ما اخبر به هذه الآية الكريمة من بعث الشهداء وبعثه عليه السلام شهيدا عليهم عليهم السلام والتبيان
كالتلقاء في كسر اوله وكونه تبيانا لكل شيء من امور الدين باعتبار ان فيه نصا على بعضها واحالة لبعضها على السنة حيث امر باتباع النبي صلى الله عليه وسلم
وطاعته وقيل فيه وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته باتباع اصحابه حيث قال اصحابي كالنجوم بايهم
اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطئوا طرق الاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس مستندة الى تبيان الكتاب ولم يضر ما في البعض
من الخفاء في كونه تبيانا فان المبالغة باعتبار الكمية دون الكيفية كما قيل في قوله تعالى وما انا بظلام للعبيد انه من قولك فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده
ومنه قوله سبحانه وما للظالمين من انصار **وهدى** ورحمة للعالمين فان حرمان الكفرة من مغانم آثاره من تفريطهم لا من جهة الكتاب **وبشرى للمسلمين**
خاصة او يكون كل ذلك خاصا بهم لانهم المنتفعون بذلك **ان الله يأمر** اي فيما نزله تبيانا لكل شيء وهدى وبشرى وايثار صيغة الاستقبال فيه وفيما
بعده لافادة التجدد والاستمرار **بالعدل** بمراعاة التوسط بين طرفي الافراط والتفريط وهو رأس الفضائل كلها يندرج تحته فضيلة القوة العقلية
الملكية من الحكمة المتوسطة بين الجربزة والبلادة وفضيلة القوة الشهوية البهيمية من العفة المتوسطة بين الخلاعة والخمود وفضيلة القوة الغضبية
السبعية من الشجاعة المتوسطة بين التهور والجبن فمن الحكم الاعتقادية التوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما ان

العدل هو التوحيد والقول بالكسب المتوسط بين الجبر والقدر ومن الحكم العملية التعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب ومن الحكم الخلقية الجود المتوسط بين البخل والتبذير **والاحسان** اي الاتيان بما امر به على الوجه اللائق وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما يشير اليه قوله عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك **وايتاء ذي القربى** اي اعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص اثر تعميم اهتماما بشانه **وينهى عن الفحشاء** الافراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا مثلا **والمنكر** ما ينكر شرعا او عقلا من الافراط في اظهار آثار القوة الغضبية **والبغي** الاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم وهو من آثار القوة الوهمية الشيطانية التي هي حاصلة من رذيلتي القوتين المذكورتين الشهوية والغضبية وليس في البشر شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر عنه بواسطة هذه القوى الثلثة ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي اجمع آية في القرآن للخير والشر ولم يكن فيه غير هذه الآية الكريمة لكفت في كونه تبيانا لكل شيء وهدى **يعظكم** بما يامر وينهى وهو اما استيناف واما حال من الضمير في الفعلين **لعلكم تذكرون** طلبا لان تتعظوا بذلك **واوفوا بعهد الله** هو البيعة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانها مبايعة لله سبحانه لقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله **اذا عاهدتم** اي حافظوا على حدود ما عاهدتم الله عليه وبايعتم به رسوله عليه السلام **ولا تنقضوا الايمان** التي تحلفون بها عند المعاهدة **بعد توكيدها** حسبما هو المعهود في اثناء العهود لا على ان يكون النهي مقيدا بالتوكيد مختصا به **وقد جعلتم الله عليكم كفيلا** شاهدا رقيبا فان الكفيل مراع لحال المكفول به محافظ عليه **ان الله يعلم ما تفعلون** من نقض الايمان والعهود فيجازيكم على ذلك **ولا تكونوا** فيما تصنعون من النقض **كالتي نقضت غزلها** اي ما غزلته مصدر بمعنى المفعول **من بعد قوة** متعلق بنقضت اي كالمراة التي نقضت غزلها من بعد ابرامه واحكامه **انكاثا** طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحالية من غزلها او على انه مفعول ثان لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد تقبيح حال النقض بتشبيه الناقض بمثل هذه الخرقاء المعتوهة قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تامرهن فينقضن ما غزلن **تتخذون ايمانكم دخلا بينكم** حال من الضمير في لا تكونوا او في الجار والمجرور الواقع موقع الخبر اي لا تكونوا مشابهين بامراة شانها هذا حال كونكم متخذين ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه **ان تكون امة** بان تكون جماعة **هي اربى** اي ازيد عددا واوفر مالا **من امة** من جماعة اخرى اي لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا راوا شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم **انما يبلوكم الله به** اي بان تكون امة اربى من امة اي يعاملكم بذلك معاملة من يختبركم لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله تعالى وبيعة رسوله صلى الله عليه وسلم ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم بحسب ظاهر الحال **وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون** حين جازاكم باعمالكم ثوابا وعقابا **ولو شاء الله** مشية قسر والجاء **لجعلكم امة واحدة** متفقة على الاسلام **ولكن** لا يشاء ذلك لكونه مزاحما لقضية الحكمة بل **يضل من يشاء** اضلاله اي يخلق فيه الضلال حسبما يصرف اختياره الجزئي اليه **ويهدي من يشاء** هدايته حسبما يصرف اختياره الى تحصيلها **ولتسالن** جميعا يوم القيمة **عما كنتم تعملون** في الدنيا وهذا اشارة الى ما لوح به من الكسب الذي عليه يدور امر الهداية والضلال **ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم** تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تاكيدا او مبالغة في بيان قبح المنهي عنه وتمهيدا لقوله سبحانه **فتزل قدم** عن محجة الحق **بعد ثبوتها** عليها ورسوخها فيها بالايمان وافراد القدم وتنكيرها للايذان بان زلل قدم واحدة اي قدم كانت عزت او هانت محذور عظيم فكيف باقدام كثيرة **وتذوقوا السوء** اي العذاب الدنيوي **بما صددتم** بصدودكم او بصدكم غيركم **عن سبيل الله** الذي ينتظم الوفاء بالعهود والايمان فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره **ولكم في الآخرة عذاب عظيم** لا يقادر قدره **ولا تشتروا بعهد الله** اي لا تاخذوا بمقابلة عهده تعالى وبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم او آياته الناطقة بايجاب المحافظة على العهود والايمان **ثمنا قليلا** اي لا تستبدلوا بها عوضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون ضعفة المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد من حطام الدنيا **انما عند الله** عز وجل من النصر والتغنيم والثواب الاخروي **هو خير لكم** مما يعدونكم **ان كنتم تعلمون** اي ان كنتم من اهل العلم والتمييز وهو تعليل للنهي على طريقة التحقيق كما ان قوله تعالى **ما عندكم** الى آخره تعليل للخيرية بطريق الاستيناف اي ما تتمتعون به من نعيم الدنيا وان جل بل الدنيا وما فيها جميعا **ينفد** وان جم عدده وينقضي وان طال امده **وما عند الله** من خزائن رحمته الدنيوية والاخروية **باق** لا نفاد له اما الاخروية فظاهرة واما الدنيوية فحيث كانت موصولة بالاخروية ومستتبعة لها فقد انتظمت في سمط الباقيات الصالحات وفي ايثار الاسم على صيغة المضارع من الدلالة

من الدوام ما لا يخفى وقوله تعالى **ولنجزين** بنون العظمة على طريقة الالتفات تكرير للوعد المستفاد من قوله تعالى انما عند الله هو خير لكم على نهج التوكيد القسمي مبالغة في الحمل على الثبات في الدين والالتفات عما يقتضيه ظاهر الحال من ان يقال ولنجزينكم اجركم باحسن ما كنتم تعملون للتوسل الى التعرض لاعمالهم والاشعار بعليتها للجزاء اي وبالله لنجزين **الذين صبروا** على اذية المشركين ومشاق الاسلام التي من جملتها الوفاء بالعهود والفقر وقرئ بالياء من غير التفات **اجرهم** مفعول ثان لنجزين اي لنعطينهم اجرهم الخاص بهم بمقابلة صبرهم على ما منوا به من الامور المذكورة **باحسن ما كانوا يعملون** اي لنجزينهم بما كانوا يعملونه من الصبر المذكور وانما اضيف اليه الاحسن للاشعار بكمال حسنه كما في قوله سبحانه وحسن ثواب الآخرة لا لافادة قصر الجزاء على الاحسن منه دون الحسن فان ذلك مما لا يخطر ببال احد لا سيما بعد قوله تعالى اجرهم او لنجزينهم بحسب احسن افراد اعمالهم على معنى لنعطينهم بمقابلة الفرد الادنى من اعمالهم المذكورة ما نعطيه بمقابلة الفرد الاعلى منها من الاجر الجزيل لا انا نعطي الاجر بحسب افرادها المتفاوتة في مراتب الحسن بان نجزي الحسن منها بالاجر الحسن والاحسن بالاحسن وفيه ما لا يخفى من العدة الجميلة باغتفار ما عسى يعتريهم في تضاعيف الصبر من بعض الجزع ونظمه في سلك الصبر الجميل او لنجزينهم بجزاء احسن من اعمالهم واما التفسير بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بما ترجح تركه ايضا كالمحرمات والمكروهات دلالة على ان ذلك هو المدار للجزاء دون ما يستوي فعله وتركه كالمباحات فلا يساعده مقام الحث على الثبات على ما هم عليه من الاعمال الحسنة المخصوصة والترغيب في تحصيل ثمراتها بل التعرض لاخراج بعض اعمالهم عن مدارية الجزاء من قبيل تحجير الرحمة الواسعة في مقام توسيع حماها **من عمل صالحا** اي عملا صالحا اي عمل كان وهذا شروع في تحريض كافة المؤمنين على كل عمل صالح غب ترغيب طائفة منهم في الثبات على ما هم عليه من عمل صالح مخصوص دفعا لتوهم اختصاص الاجر الموفور بهم وبعملهم المذكور وقوله تعالى **من ذكر او انثى** مبالغة في بيان شموله للكل **وهو مؤمن** قيده به اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب او تخفيف العذاب لقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وايثار ايراده بالجملة الاسمية الحالية على نظمه في سلك الصلة لافادة وجوب دوامه ومقارنته للعمل الصالح **فلنحيينه حيوة طيبة** في الدنيا يعيش عيشا طيبا اما ان كان موسرا فظاهر واما ان كان معسرا فيطيب عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقع الاجر العظيم كالصائم يطيب نهاره بملاحظة نعيم ليله بخلاف الفاجر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا فلا يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنا بعيشه **ولنجزينهم** في الآخرة **اجرهم باحسن ما كانوا يعملون** حسبما نفعل بالصابرين فليس فيه شائبة تكرار والجمع في الضمائر العائدة الى الموصول لمراعاة جانب المعنى كما ان الافراد فيما سلف لرعاية جانب اللفظ وايثار ذلك على العكس لما ان وقوع الجزاء بطريق الاجتماع المناسب للجمعية ووقوع ما في حيز الصلة وما يترتب عليه بطريق الافتراق والتعاقب الملائم للافراد واذ قد انتهى الامر الى مدار الجزاء المذكور هو صلاح العمل وحسنه رتب عليه بالفاء للارشاد الى ما به يحسن العمل الصالح ويخلص عن شوب الفساد فقيل **فاذا قرات القرآن** اي اذا اردت قراءته عبر بها عن ارادتها على طريقة اطلاق اسم المسبب على السبب ايذانا بان المراد هي الارادة المتصلة بالقراءة **فاستعذ بالله** فاساله وما ارسلنا من قبلك من نبي ولا رسول الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الآية وتوجيه الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخصيص قراءة القرآن من بين الاعمال الصالحة بالاستعاذة عند ارادتها للتنبيه على انها لغيره عليه السلام وفي سائر الاعمال الصالحة اهم فانه عليه السلام حيث امر بها عند قراءة القرآن الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فما ظنكم بمن عداه عليه السلام فيما عدا القراءة من الاعمال والامر للندب وهذا مذهب الجمهور وعند عطاء للوجوب وقد اخذ بظاهر النظم الكريم فاستعاذ عقيب القراءة ابو هريرة رضي الله عنه ومالك وابن سيرين وداود وحمزة من القراء وعن ابن مسعود رضي الله عنه قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالسميع العليم **من الشيطان الرجيم** فقال عليه الصلوة والسلام قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ **انه** الضمير للشان او للشيطان **ليس له سلطان** تسلط وولاية **على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون** اي اليه يفوضون امورهم وبه يعوذون في كل ما ياتون وما يذرون فان وسوسته لا تؤثر فيهم ودعوته غير مستجابة لهم وايثار صيغة الماضي في الصلة الاولى للدلالة على التحقق كما ان اختيار صيغة الاستقبال في الثانية لافادة الاستمرار التجددي وفي التعرض لوصف الربوبية عدة كريمة باعاذة المتوكلين والجملة تعليل للامر بالاستعاذة او لجوابه المنوي اي يعذك او نحوه **انما سلطانه** اي تسلطه وولايته بدعوته المستتبعة للاستجابة لا سلطانه بالقسر والالجاء فانه منتف عن الفريقين لقوله سبحانه حكاية عنه وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وقد افصح عنه قوله تعالى **على الذين يتولونه** اي يتخذونه وليا ويستجيبون دعوته ويطيعونه فان المقصود بمعزل من ذلك **والذين هم به** سبحانه وتعالى **مشركون** او بسبب

الشيطان مشركون اذ هو الذي حملهم على الاشراك بالله تعالى وقصر سلطانه عليهم عقب نفيه عن المؤمنين المتوكلين دليل على ان لا واسطة في الخارج بين
التوكل على الله تعالى وبين تولي الشيطان وان كان بينهما واسطة في المفهوم وان من لم يتوكل عليه تعالى ينتظم في سلك من يتولى الشيطان من حيث
لا يحتسب اذ به تتم التعليل ففيه مبالغة في الحمل على التوكل والتحذير عن مقابلته وايثار الجملة الفعلية الاستقبالية في الصلة الاولى لما مر من افادة
الاستمرار التجددي كما ان اختيار الجملة الاسمية في الثانية للدلالة على الثبات وتكرير الموصول للاحتراز عن توهم كون الصلة الثانية حالية
مقيدة لعدم دخول غير المشركين من اولياء الشيطان تحت سلطانه وتقديم الاولى على الثانية التي هي مقابلة الصلة الاولى فيما سلف لرعاية المقارنة
بينها وبين ما يقابلها من التوكل على الله تعالى ولو روعي الترتيب السابق لانفصل كل من القرينتين عما يقابلها واذا بدلنا آية مكان آية منه
وجعلناها بدلا منه بان نسخناها بها والله اعلم بما ينزل اولا وآخرا وبان كلا من ذلك ما نزلت حيث ما نزلت الا حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فان كل
وقت له مقتضى الآخر فكم من مصلحة تنعكس في وقت آخر مفسدة وبالعكس لانقلاب الامور الداعية الى ذلك وما الشرائع الا مصالح للعباد في المعاش
والمعاد تدور حسبما تدور المصالح والجملة اما معترضة لتوبيخ الكفرة والتنبيه على فساد رأيهم وفي الالتفات الى الغيبة مع اسناد الخبر الى الاسم الجليل
المستجمع للصفات ما لا يخفى من تربية المهابة وتحقيق معنى الاعتراض او حالية وقرئ بالتخفيف من الانزال قالوا اي الكفرة الجاهلون بحكمة النسخ
انما انت مفتر اي متقول على الله تأمر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وحكاية هذا القول عنهم ههنا للايذان بان ذلك كفرة ناشئة من نزغات
الشيطان وانه وليهم بل اكثرهم لا يعلمون اي لا يعلمون شيئا اصلا او لا يعلمون ان في النسخ حكما بالغة واسناد هذا الحكم الى الاكثر لما ان منهم
من يعلم ذلك وانما ينكره عنادا قل نزله اي القرآن المدلول عليه بالآية روح القدس يعني جبريل عليه السلام اي الروح المطهر من الادناس
البشرية واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كاضافة حاتم الى الجود حيث قال حاتم الجود للمبالغة في ذلك الوصف كأنه طبع منه وفي
صيغة التفعيل في الموضعين اشعار بان التدريج في الانزال مما تقتضيه الحكم البالغة من ربك في اضافة الرب الى ضميره عليه السلام من الدلالة
على تحقيق افاضة آثار الربوبية عليه عليه السلام ما ليس في اضافته الى ياء المتكلم المنبئة على التلقين المحض بالحق اي ملتبسا بالحق الثابت
الموافق للحكمة المقتضية له بحيث لا يفارقها انشاء ونسخا وفيه دلالة على ان النسخ حق ليثبت الذين آمنوا على الايمان بانه كلامه
تعالى فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية المصالح اللائقة بالحال رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم وقرئ ليثبت من
الافعال وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه تعالى وهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول
اضداد الامور المذكورة لمن سواهم من الكفار ولقد نعلم انهم يقولون غير ما نقل عنهم من المقالة الشنعاء انما يعلمه اي القرآن بشر على طريق البت
مع ظهور انه نزله روح القدس عليه السلام وتحلية الجملة بفنون التأكيد لتحقيق ما تتضمنه من الوعيد وصيغة الاستقبال لافادة استمرار التجدد
في متعلقه فانهم مستمرون على تفوه تلك العظيمة يعنون بذلك جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف
بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عائشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان
صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي وانما لم يصرح باسم من زعموا انه يعلمه مع كونه ادخل في ظهور كذبهم للايذان بان مدار خطائهم ليس بنسبته عليه السلام
الى التعلم من شخص معين بل من البشر كائنا من كان مع كونه عليه السلام معدنا لعلوم الاولين والآخرين لسان الذي يلحدون اليه اعجمي الالحاد
الامالة من الحد القبر اذا امال حفره عن الاستقامة فقالوا الحد فلان في قوله والحد في دينه اي لغة الرجل الذي يميلون اليه القول عن الاستقامة
اعجمية غير بينة وقرئ بفتح الياء والحاء بتعريف اللسان وهذا القرآن الكريم لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال
طعنهم وتقريره ان القرآن معجز بنظمه كما انه معجز بمعناه فان زعمتم ان بشرا يعلمه معناه فكيف يعلمه هذا النظم الذي اعجز جميع اهل الدنيا والتشبث
في انتفاء الطعن باذيال امثال هذه الخرافات الركيكة دليل على كمال عجزهم ان الذين لا يؤمنون بآيات الله انها من عند الله بل يقولون فيها ما يقولون
يسمونها تارة افتراء واخرى اساطير معلمة من البشر لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل النجاة هداية موصلة الى المطلوب لما علم انهم لا يستحقون ذلك
لسوء حالهم ولهم عذاب اليم وهذا تهديد لهم ووعيد على ما هم عليه من الكفر بآيات الله تعالى ونسبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الافتراء
والتعلم من البشر بعد اماطة شبهتهم ورد طعنهم وقوله تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله رد لقولهم انما انت مفتر وقلب
للامر عليهم ببيان انهم هم المفترون بعد رده بتحقيق انه منزل من عند الله تعالى بواسطة روح القدس وانما وسط بينهما قوله تعالى ولقد نعلم

الآية لما لا يخفى من شدة اتصاله بالرد الاول والمعنى والله تعالى اعلم ان المفتري هو الذي يكذب بآيات الله ويقول انه افتراء ومعلم
من البشر اي تكذيبها على الوجه المذكور هو الافتراء على الحقيقة لان حقيقة الكذب والحكم بان ما هو كلامه تعالى ليس بكلامه تعالى في كونه كذبا
وافتراء كالحكم بان ما ليس بكلامه تعالى كلامه تعالى والتصريح بالكذب للمبالغة في بيان قبحه وصيغة المضارع لرعاية المطابقة بينه وبين ما
هو عبارة عنه اعني قوله لا يؤمنون بها ولتحاف ما نطقت به من العقاب فلا يمكن ان يصدر عنه افتراء البتة واولئك الموصوفون بما ذكر
من عدم الايمان بآيات الله تعالى هم الكاذبون على الحقيقة او الكاملون في الكذب اذ لا كذب اعظم من تكذيب آياته تعالى والطعن فيها بامثال هاتيك
الاباطيل والسر في ذلك ان الكذب الساذج الذي هو عبارة عن الاخبار بعدم وقوع ما هو واقع في نفس الامر بخلق الله تعالى او بوقوع
ما لم يقع كذلك مدافعة له سبحانه في فعله وقوله المنبئ عنه معا او الذين عادتهم الكذب لا يزعهم عنه وازع من دين او مروءة وقيل الكاذبون
في قولهم انما انت مفتر من كفر بالله اي تلفظ بكلمة الكفر من بعد ايمانه به تعالى وهو ابتداء كلام لبيان حال من كفر بآيات الله بعد ما آمن بها بعد
بيان حال من لم يؤمن بها رأسا ومن موصولة ومحلها الرفع على الابتداء والخبر محذوف لدلالة الخبر الآتي عليه او هو خبر لهما معا او النصب
على الذم الا من اكره على ذلك بامر يخاف على نفسه او على عضو من اعضائه وهو استثناء متصل من حكم الغضب والعذاب او الذم لان الكفر لغة
يتم بالقول كما اشير اليه وقوله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان حال من المستثنى والعامل هو الكفر الواقع بالاكراه لا نفس الاكراه لان مقارنة
اطمئنان القلب بالايمان للاكراه لا يجدي نفعا وانما المجدي مقارنته للكفر الواقع به اي الا من كفر باكراه او الا من اكره فكفر والحال ان
قلبه مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته وانما لم يصرح به ايماء الى انه ليس بكفر حقيقة وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب ولكن
من لم يكن كذلك بل من شرح بالكفر صدرا اي اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب عظيم لا يكتنه كنهه من الله اظهار الاسم الجليل لتربية
المهابة وتقوية تعظيم العذاب ولهم عذاب عظيم اذ لا جرم اعظم من جرمهم والجمع في الضميرين المجرورين لمراعاة جانب المعنى كما ان الافراد
في المستكن في الصلة لرعاية جانب اللفظ روي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فاباه ابواه فربطوا
سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا انما اسلمت من اجل الرجال فقتلوها وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام
واما عمار فاعطاهم بلسانه ما اكرهوا عليه فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا ان عمارا ملئ ايمانا
من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بكلمة الكفر عند الاكراه الملجئ وان كان الافضل ان
يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه وروي ان مسيلمة الكذاب اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد صلى الله عليه وسلم قال
رسول الله قال فما تقول في فقال انت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد صلى الله عليه وسلم قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم
فاعاد ثلاثا فاعاد جوابه فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق ذلك اشارة
الى الكفر بعد الايمان او الى الوعيد المذكور بانهم بسبب انهم استحبوا الحيوة الدنيا آثروها على الآخرة وان الله لا يهدي الى الايمان والى ما يوجب الثبات
عليه هداية قسر والجاء القوم الكافرين في علمه المحيط فلا يعصمهم عن الزيغ وما يؤدي اليه من الغضب والعذاب العظيم ولولا احد الامرين
اما ايثار الحيوة الدنيا على الآخرة واما عدم هداية الله سبحانه للكافرين هداية قسر بان آثروا الآخرة على الدنيا او بان هداهم الله
تعالى هداية قسر لما كان ذلك لكن الثاني مخالف للحكمة والاول مما لا يدخل تحت الوقوع واليه اشير بقوله تعالى اولئك اي اولئك الموصوفون بما ذكر
من القبائح الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فأبت عن ادراك الحق والتأمل فيه واولئك هم الغافلون اي الكاملون في الغفلة اذ لا غفلة اعظم
من الغفلة عن تدبر العواقب لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها الى ما لا يقتضي الا العذاب المخلد ثم ان ربك للذين
هاجروا الى دار الاسلام وهم عمار واصحابه رضي الله عنهم اي لهم بالولاية والنصر لا عليهم كما يوجبه ظاهر اعمالهم السابقة فالجار والمجرور خبر
لان ويجوز ان يكون خبرها محذوفا لدلالة الخبر الآتي عليه ويجوز ان يكون ذلك خبرا لها ويكون ان الثانية تأكيدا للاولى وثم للدلالة على تباعد
رتبة حالهم هذه عن رتبة حالهم التي يفيدها الاستثناء من مجرد الخروج عن حكم الغضب والعذاب بطريق الاشارة لا عن رتبة حال الكفرة من بعد
ما فتنوا اي عذبوا على الارتداد وتلفظوا بما يرضيهم مع اطمئنان قلوبهم بالايمان وقرئ على بناء الفاعل اي عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه

جبراً حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا في سبيل الله تعالى وصبروا على مشاق الجهاد ان ربك من بعدها من بعد المهاجرة والجهاد والصبر فهو تصريح بما
اشعر به بناء الحكم على الموصول من علية الصلة له او من بعد الفتنة المذكورة فهو لبيان عدم اخلال ذلك بالحكم لغفور لما فعلوا من قبل رحيم ينعم عليهم
مجازاة على ما صنعوا من بعد وفي التعرض لعنوان الربوبية في الموضعين ايماء الى علة الحكم وفي اضافة الرب الى ضميره صلى الله عليه وسلم مع ظهور
الاثر في الطائفة المذكور اظهار لكمال اللطف به عليه الصلوة والسلام واشعار بان افاضة آثار الربوبية عليهم من المغفرة والرحمة بواسطته عليه
الصلوة والسلام ولكونهم اتباعاً له يوم تأتي كل نفس منصوب برحيم وما رتب عليه او باذكر وهو يوم القيمة يوم يقوم الناس لرب العالمين
تجادل عن نفسها عن ذاتها تسعى في خلاصها بالاعتذار لا يهمها شأن غيرها فتقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس اي تعطى وافياً كاملاً ما عملت
اي جزاء ما عملت بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب اشعاراً بكمال الاتصال بين الاجزية والاعمال وايثار الاظهار على الاضمار لزيادة التقرير
وللايذان باختلاف وقتي المجادلة والتوفية وان كانتا في يوم واحد وهم لا يظلمون لا ينقصون اجورهم او لا يعاقبون بغير موجب ولا يزاد
في عقابهم على ذنوبهم وضرب الله مثلاً قرية قيل ضرب المثل صنعه واعتماله وقد مر تحقيقه في سورة البقرة ولا يتعدى الا الى مفعول واحد وانما
عدي الى الاثنين لتضمينه معنى الجعل وتأخير قرية مع كونها مفعولاً اول لئلا يحول المفعول الثاني بينها وبين صفتها وما يترتب عليها اذ التأخير
عن الكل مخل بتجاوب اطراف النظم وتجاوبها ولان تأخير ما حقه التقديم مما يورث النفس ترقباً لوروده وتشوقاً اليه لا سيما اذا كان
في المقدم ما يدعو اليه فان المثل مما يدعو الى المحافظة على تفاصيل احوال ما هو مثل فيتمكن المتأخر عند وروده لديها فضل تمكن والقرية اما
محققة في الغابرين واما مقدرة اي جعلها مثلاً لاهل مكة خاصة او لكل قوم انعم الله تعالى عليهم فابطرتهم النعمة ففعلوا ما فعلوا فبدل الله
تعالى بنعمتهم نقمة ودخل فيهم اهل مكة دخولاً اولياً كانت آمنة ذات امن من كل مخوف مطمئنة لا يزعج اهلها مزعج يأتيها رزقها اقوات
اهلها صفة ثانية لقرية وتغيير سبكها عن الصفة الاولى لما ان اتيان رزقها متجدد وكونها آمنة مطمئنة ثابت مستمر رغداً واسعاً من كل
مكان من نواحيها فكفرت اي كفر اهلها بانعم الله اي بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نُعم كبؤس وابؤس والمراد
بها نعمة الرزق والامن المستمر وايثار جمع القلة للايذان بان كفران نعمة قليلة حيث اوجب هذا المحيط بهم باللباس الغاشي للابس فاستعير له اسمه
واوقع عليه الاذاقة المستعارة لمطلق الايصال المنبئة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراكي اللامسة والذائقة على نهج التجريد فانها
لشيوع استعمالها في ذلك وكثرة جريانها على الالسنة جرت مجرى الحقيقة كقول من قال كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكاً غلقت لضحكته رقاب المال
فان الغمر مع كونه في الحقيقة من احوال الماء الكثير لما كان كثير الاستعمال في المعروف المشبه بالماء الكثير جرى مجرى الحقيقة فصارت اضافته
الى الرداء المستعار للمعروف تجريداً او شبه اثرهما وضررهما من حيث الاحاطة بهم والكراهة لديهم تارة باللباس الغاشي للابس المناسب للخوف بجامع
الاحاطة واللزوم تشبيه معقول بمحسوس فاستعير له اسمه استعارة تصريحية واخرى بطعم المر والبشع الملائم للجوع الناشئ من فقد الرزق
بجامع الكراهة فاومي اليه بان اوقع عليه الاذاقة المستعارة لايصال المضار المنبئة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراكي اللامسة
والذائقة وتقديم الجوع الناشئ مما ذكر من فقدان الرزق على الخوف المترتب على زوال الامن المقدم فيما تقدم على اتيان الرزق لكونه انسب
بالاذاقة او لمراعاة المقارنة بينها وبين اتيان الرزق وقد قرئ بتقديم الخوف وبنصبه ايضاً عطفاً على المضاف او اقامة له مقام مضاف
محذوف واصله ولباس الخوف بما كانوا يصنعون فيما قبل او على وجه الاستمرار وهو الكفران المذكور اسند ذلك الى اهل القرية تحقيقاً
للامر بعد اسناد الكفران اليها وايقاع الاذاقة عليها ارادة للمبالغة وفي صيغة الصنعة ايذان بان كفران النعمة صار صنعة راسخة لهم
وسنة مسلوكة ولقد جاءهم من تتمة التمثيل جيء بها لبيان ان ما فعلوه من كفران النعم لم يكن مزاحمة منهم لقضية العقل فقط بل كان ذلك معارضة
لحجة الله على الخلق ايضاً اي ولقد جاء اهل تلك القرية رسول منهم اي من جنسهم يعرفونه باصله ونسبه فاخبرهم بوجوب الشكر على النعمة
وانذرهم سوء عاقبة ما يأتون وما يذرون فكذبوه في رسالته او فيما اخبرهم به مما ذكر فالفاء فصيحة وعدم ذكره للايذان بمفاجأتهم
بالتكذيب من غير تلعثم فاخذهم العذاب المستأصل لشأفتهم غب ما ذاقوا نبذة من ذلك وهم ظالمون اي حال التباسهم بما هم عليه من الظلم
اي حال التباسهم بما هم عليه من الظلم الذي هو كفران نعم الله تعالى وتكذيب رسوله غير مقلعين عنه بما ذاقوا من مقدماته الزاجرة عنه وفيه
دلالة على تماديهم في الكفر والعناد وتجاوزهم في ذلك كل حد معتاد وترتيب العذاب على تكذيب الرسول جرى على سنة الله تعالى حسبما يرشد اليه

يرشد اليه قوله سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً وبه يتم التمثيل فان حال اهل مكة سواء ضرب المثل لهم خاصة او لمن سار سيرتهم
كافة محاذية لحال اهل تلك القرية حذو القذة بالقذة من غير تفاوت بينهما ولو في خصلة فذة كيف لا وقد كانوا في حرم آمن ويتخطف
الناس من حولهم وما يمر ببالهم طيف من الخوف وكانت تجبى اليه ثمرات كل شيء ولقد جاءهم رسول منهم واي رسول يحار في ادراك سمو رتبته
العقول صلى الله عليه وسلم ما اختلف الدبور والقبول فكفروا وابوا نعم الله تعالى وكذبوا رسوله صلى الله عليه وسلم فاذاقهم الله لباس الجوع والخوف
حيث اصابهم بدعائه عليه الصلوة والسلام بقوله اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف فاصابهم ما اصابهم من جدب شديد وازمة حصت
كل شيء حتى اضطرتهم الى اكل الجيف والكلاب الميتة والعظام المحرقة والعلهز وهو الوبر المعالج بالدم وقد ضاقت عليهم الارض بما رحبت وهو
من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كانوا يغيرون على مواشيهم وعيرهم وقوافلهم ثم اخذهم يوم بدر ما اخذهم من العذاب هذا هو
الذي يقتضيه المقام ويستدعيه حسن النظام واما ما اجمع عليه اكثر اهل التفسير من ان الضمير في قوله تعالى ولقد جاءهم لاهل مكة قد ذكر
حالهم صريحاً بعد ما ذكر مثلهم وان المراد بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالعذاب ما اصابهم من الجدب ووقعة بدر فبمعزل من التحقيق كيف لا وقوله
سبحانه فكلوا مما رزقكم الله مفرع على نتيجة التمثيل وصدهم عما يؤدي الى مثل عاقبته والمعنى واذ قد استبان لكم حال من كفر بانعم الله
تعالى وكذب رسوله عليه الصلوة والسلام وما حل بهم بسبب ذلك من اللتيا والتي اولاً وآخراً فانتهوا عما انتم عليه من كفران النعم وتكذيب
الرسول صلى الله عليه وسلم كيلا يحل بكم مثل ما حل بهم واعرفوا حق نعم الله تعالى واطيعوا رسوله صلى الله عليه وسلم في امره ونهيه وكلوا من
رزق الله حال كونه حلالاً طيباً وذروا ما تفترون من تحريم البحائر ونحوها واشكروا نعمت الله واعرفوا حقها ولا تقابلوها بالكفران
والفاء في المعنى داخلة على الامر بالشكر فكانه قيل فاشكروا نعمة الله غب اكلها حلالاً طيباً وقد ادرج فيه النهي عن زعم الحرمة ولا ريب في
ان هذا انما يتصور حين كان العذاب المستأصل متوقعاً بعد وقد تمهدت مباديه وبعد ما وقع ما وقع فمن ذا الذي يحذرون
ذا الذي يؤمر بالاكل والشكر وحمل قوله تعالى فاخذهم العذاب وهم ظالمون على الاخبار بذلك قبل الوقوع يأباه التصدي لاستئصالهم
بالامر والنهي وتوجيه خطاب الامر بالاكل الى المؤمنين مع ان ما يتلوه من خطاب النهي متوجه الى الكفار كما فعله الواحدي حيث قال
فكلوا انتم يا معشر المؤمنين مما رزقكم الله من الغنائم مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل ان كنتم اياه تعبدون اي تطيعون او ان
صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته تعالى انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به تعليل لحل ما
امرهم باكله مما رزقهم اي انما حرم هذه الاشياء دون ما تزعمون حرمته من البحائر والسوائب ونحوها فمن اضطر بما اعتراه من الضرورة
فتناول شيئاً من ذلك غير باغ اي على مضطر آخر ولا عاد اي متجاوز قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم اي لا يؤاخذه بذلك فاقيم
سببه مقامه وفي التعرض لوصف الربوبية ايماء الى علة الحكم وفي الاضافة الى ضميره عليه السلام اظهار لكمال اللطف به عليه الصلوة والسلام
وتصدير الجملة بانما لحصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما ضم اليه دليل كالسباع والحمر الاهلية ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل
باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم اللام صلة مثلها في قوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات اي لا تقولوا في شأن ما تصفه
السنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير ترتب ذلك الوصف
على ملاحظة وفكر فضلاً عن استناده الى وحي او قياس مبني عليه الكذب منتصب بلا تقولوا وقوله تعالى هذا حلال وهذا حرام بدل منه او
ان يتعلق بتصف على ارادة القول اي لا تقولوا لما تصف السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام وان يكون القول المقدر حالاً من السنتهم اي
قائلة هذا حلال الى آخره ويجوز ان ينتصب الكذب بتصف ويتعلق هذا حلال الى آخره بلا تقولوا واللام للتعليل وما مصدرية اي لا تقولوا
هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحلوا ولا تحرموا لمجرد وصف السنتكم الكذب وتصويرها بصورة مستحسنة وتزيينها له
في المسامع كان السنتهم لكونها منشأ ومنبعاً للزور شخص عالم بكنهه ومحيط بحقيقته يصفه للناس ويعرفه اوضح وصف وابين تعريف على طريقة
الاستعارة بالكناية كما يقال وجهه يصف الجمال وعينه تصف السحر وقرئ بالجر صفة لما مع مدخولها كانه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب
كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الشتم او
بمعنى الكلم الكواذب او هو جمع الكذاب من قولهم كذب كذاباً ذكره ابن جني لتفتروا على الله الكذب فان مدار الحل والحرمة ليس الا امر الله تعالى

فالحكم بالحل والحرمة اسناد للتحليل والتحريم الى الله سبحانه من غير ان يكون ذلك منه واللام لام العاقبة ان الذين يفترون على الله الكذب في امر من الامور
لا يفلحون لا يفوزون بمطالبهم التي ارتكبوا الافتراء للفوز بها متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة
قليلة ولهم عذاب اليم في الآخرة لا يكتنه كنهه وعلى الذين هادوا خاصة دون غيرهم من الاولين والآخرين حرمنا ما قصصنا عليك اي بقوله تعالى حرمنا
كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الآية من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وهو تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل
بابطال ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيبهم في ذلك فانهم كانوا يقولون لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن
بعدهما حتى انتهى الامر الينا وما ظلمناهم بذلك التحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه حسبما نعى عليهم قوله تعالى
فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الآية ولقد القمهم الحجر قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل
على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين روي انه عليه السلام لما قال لهم ذلك بهتوا ولم
يجسروا ان يخرجوا التورية كيف لا وقد بين فيها ان تحريم ما حرم عليهم من الطيبات لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا اوضح بيان وفيه
تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة اي بسبب جهالة او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله
وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله تعالى وغيره ثم تابوا من بعد ذلك اي من بعد ما عملوا
والتصريح به مع دلالة ثم عليه للتأكيد والمبالغة واصلحوا اي اصلحوا اعمالهم او دخلوا في الصلاح ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور
لذلك السوء رحيم يثيب على طاعته تركا وفعلا وتكرير قوله تعالى ان ربك لتأكيد الوعد واظهار كمال العناية بانجازه والتعرض
لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام مع ظهور الاثر في التائبين للايماء الى ان افاضة آثار الربوبية من المغفرة والرحمة
عليهم بتوسطه عليه السلام وكونهم من اتباعه كما اشير اليه فيما مر ان ابراهيم كان امة على حياله لحيازته من الفضائل البشرية ما لا يكاد يوجد
الا متفرقة في امة جمة حسبما قيل ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وهو رئيس اهل التوحيد وقدوة اصحاب التحقيق جادل
اهل الشرك والقمهم الحجر ببينات باهرة لا تبقي ولا تذر وابطل مذاهبهم الزائغة بالبراهين القاطعة والحجج الدافعة او لانه عليه السلام
كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار وقيل فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا
يقصدونه ويقتدون بسيرته لقوله تعالى اني جاعلك للناس اماما وايراد ذكره عليه السلام عقيب تزييف مذاهب المشركين من الشرك
والطعن في النبوة وتحريم ما احله الله تعالى للايذان بان حقية دين الاسلام وبطلان الشرك وفروعه امر ثابت لا ريب فيه قانتا لله
مطيعا له قائما بامره حنيفا مائلا عن كل دين باطل الى الدين الحق غير زائل عنه بحال ولم يك من المشركين في امر من امور دينهم اصلا
وفرعا صرح بذلك مع ظهوره لا ردا على كفار قريش فقط في قولهم نحن على ملة ابينا ابراهيم بل عليهم وعلى اليهود والمشركين بقولهم
عزير ابن الله في افترائهم وادعائهم انه عليه السلام كان على ما هم عليه كقوله تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما
وما كان من المشركين اذ به ينتظم امر ايراد التحريم والسبت سابقا ولاحقا شاكرا لانعمه صفة ثالثة لامة وانما اوثر صيغة جمع القلة للايذان
بانه عليه السلام كان لا يخل بشكر النعمة القليلة فكيف بالكثيرة وللتصريح بكونه عليه السلام على خلاف ما هم عليه من الكفران بانعم الله تعالى حسبما
بين ذلك بضرب المثل اجتبيه للنبوة وهديه الى صراط مستقيم موصل اليه سبحانه وهو ملة الاسلام وليست نتيجة هذه الهداية مجرد
اهتدائه عليه السلام بل مع ارشاد الخلق ايضا بمعونة قرينة الاجتباء وآتيناه في الدنيا حسنة حالة حسنة من الذكر الجميل والثناء فيما بين
الناس قاطبة حتى انه ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل هي الخلة والنبوة وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم والالتفات الى
التكلم لاظهار كمال الاعتناء بشأنه وتفخيم مكانه عليه السلام وانه في الآخرة لمن الصالحين اصحاب الدرجات العالية في الجنة حسبما سأله
بقوله والحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم ثم اوحينا اليك مع علو طبقتك وسمو
رتبتك ان اتبع ملة ابراهيم الملة اسم لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان الانبياء عليهم السلام من امللت الكتاب اذا امليته وهو الدين بعينه
لكن باعتبار الطاعة له وتحقيقه ان الوضع الالهي مهما نسب الى من يؤديه عن الله تعالى يسمى ملة ومهما نسب الى من يقيمه ويعمل به يسمى دينا
قال الراغب الفرق بينهما ان الملة لا تضاف الا الى النبي صلى الله عليه وسلم ولا تكاد توجد مضافة الى الله سبحانه ولا الى آحاد الامة ولا

تستعمل الا في جملة الشرائع دون آحادها والمراد بملته عليه السلام الاسلام الذي عبر عنه آنفا بالصراط المستقيم حنيفا حال من المضاف اليه
لما ان المضاف لشدة اتصاله به عليه السلام جرى منه مجرى البعض فعد بذلك من قبيل رأيت وجه هند قائمة والمأمور به الاتباع في الاصول
دون الشرائع المتبدلة بتبدل الاعصار وما في ثم من التراخي في الرتبة للايذان بان هذه النعمة اجل النعم الفائضة عليه عليه السلام وما كان
من المشركين تكرير لما سبق لزيادة تأكيد وتقرير لنزاهته عليه السلام عما هم عليه من عقد وعمل وقوله سبحانه انما جعل السبت اي فرض تعظيمه
والتخلي فيه للعبادة وترك الصيد فيه تحقيق لذلك النفي الكلي وتوضيح له بابطال ما عسى يتوهم كونه قادحا في كليته حسبما سلف في
قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الآية الى آخره فان اليهود كانوا يدعون ان السبت من شعائر الاسلام وان ابراهيم عليه السلام كان محافظا
عليه اي ليس السبت من شرائع ابراهيم عليه السلام وشعائر ملته التي امرت باتباعها حتى يكون بينه عليه السلام وبين بعض المشركين
علاقة في الجملة وانما شرع ذلك لبني اسرائيل بعد مدة طويلة وايراد الفعل مبنيا للمفعول جرى على سنن الكبرياء وايذان بعدم الحاجة الى التصريح بالفاعل
لاستحالة الاسناد الى الغير وقد قرئ على البناء للفاعل وانما عبر عن ذلك بالجعل موصولا بكلمة على وعنهم بالاسم الموصول باختلافهم فقيل انما
جعل السبت على الذين اختلفوا فيه للايذان بتضمنه التشديد والابتلاء المؤدي الى العذاب وبكونه معللا باختلافهم في شأنه قبل الوقوع ايثارا له
على امر الله تعالى به واختيارا للعكس لكن لا باعتبار شمول العلية لطرفي الاختلاف وعموم القائلة للفريقين بل باعتبار حال منشأ الاختلاف من
الطرف المخالف للحق وذلك ان موسى عليه السلام امر اليهود ان يجعلوا في الاسبوع يوما واحدا للعبادة وان يكون ذلك يوم الجمعة فأبوا عليه وقالوا
نريد اليوم الذي فرغ الله تعالى فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فاذن الله تعالى لهم في السبت وابتلاهم بتحريم
الصيد فيه فاطاع امر الله تعالى الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله سبحانه قردة دون اولئك المطيعين
وان ربك ليحكم بينهم اي بين الفريقين المختلفين فيه يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون اي يفصل ما بينهما من الخصومة والاختلاف فيجازي كل فريق
بما يستحقه من الثواب والعقاب وفيه ايماء الى ان ما وقع في الدنيا من مسخ احد الفريقين وانجاء الآخر بالنسبة الى ما سيقع في الآخرة شيء لا يعتد به
هذا هو الذي يستدعيه الاعجاز التنزيلي وقد قيل المعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه اي احلوا الصيد فيه تارة وحرموه
اخرى وكان حتما عليهم ان يتفقوا على تحريمه حسبما امر الله سبحانه به وفسر الحكم بينهم بالمجازاة باختلاف افعالهم بالاحلال تارة والتحريم اخرى ووجه
ايراده هيهنا بانه اريد به انذار المشركين من سخط الله تعالى على العصاة والمخالفين لاوامره كضرب المثل بالقرية التي كفرت بانعم الله تعالى ولا ريب في ان كلمة
بينهم تحكم بان المراد بالحكم هو الفصل ما بين الفريقين من الاختلاف وان توسيط حديث المسخ لانذار المذكورين حكاية امر النبي صلى الله عليه وسلم
باتباع ملة ابراهيم عليه السلام وبين امره صلى الله عليه وسلم بالدعوة اليها من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه فتأمل ادع اي من بعثت
اليهم من الامة قاطبة فحذف المفعول للتعميم او فعل الدعوة كما في قولهم يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع فحذفه للقصد الى ايجاد نفس
الفعل اشعارا بان عموم الدعوة غني عن البيان وانما المقصود الامر بايجادها على وجه مخصوص الى سبيل ربك الى الاسلام الذي عبر عنه تارة
بالصراط المستقيم واخرى بملة ابراهيم عليه السلام وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية وتبليغ الشيء الى كماله اللائق شيئا فشيئا
مع اضافة الرب الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم في مقام الامر بالدعوة للامة على الوجه الحكيم وتكميلهم باحكام الشريعة من الدلالة على اظهار
اللطف به صلى الله عليه وسلم والايماء الى وجه بناء الحكم ما لا يخفى بالحكمة اي بالمقالة المحكمة الصحيحة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة
والموعظة الحسنة اي الخطابيات المقنعة والعبر النافعة على وجه لا يخفى عليهم انك تناصحهم ما ينفعهم فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق
والثانية لدعوة عوامهم ويجوز ان يكون المراد بهما القرآن المجيد فانه جامع لكلا الوصفين وجادلهم اي ناظر معانديهم بالتي هي احسن بالطريقة
التي هي احسن طرق المناظرة والمجادلة من الرفق واللين واختيار الوجه الايسر واستعمال المقدمات المشهورة تسكينا لشغبهم واطفاء للهبهم كما
فعله الخليل عليه السلام ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله الذي امرك بدعوة الخلق اليه واعرض عن قبول الحق بعد ما عاين من الحكم والمواعظ والعبر
وهو اعلم بالمهتدين اليه بذلك وهو تعليل لما ذكر من الامرين والمعنى والله تعالى اعلم اسلك في الدعوة والمناظرة الطريقة المذكورة فانه تعالى هو
اعلم بحال من لا يرعوي عن الضلال بموجب استعداده المكتسب وبحال من يصير امره الى الاهتداء لما فيه من خير جبلي فما شرعه لك في الدعوة
هو الذي تقتضيه الحكمة فانه كاف في هداية المهتدين وازالة عذر الضالين او ما عليك الا ما ذكر من الدعوة والمجادلة بالاحسن واما حصول

الهداية والضلال المجازاة عليهما فالى الله سبحانه اذ هو اعلم بمن يبقى على الضلال وبمن يهتدي اليه فيجازي كلا منهما بما يستحقه وتقديم الضالين لما
ان مساق الكلام لهم والمراد الضلال بصيغة الفعل الدال على الحدوث لما انه تغيير لفطرة الله التي فطر الناس عليها واعراض عن الدعوة وذلك امر
عارض بخلاف الاهتداء الذي هو عبارة عن الثبات على الفطرة والجريان على موجب الدعوة ولذلك جيء به على صيغة الاسم المنبئ عن الثبات
وتكرير هو اعلم للتأكيد والاشعار بتباين حال المعلومين من الضالين والمهتدين وما لهما من العقاب والثواب وبعد ما امره عليه الصلوة والسلام
فيما يختص به من شأن الدعوة بما امره به من الوجه اللائق بخطاب شامل له ولمن شايعه فيما يعم الكل فقال **وان عاقبتم** اي ان اردتم المعاقبة على
طريقة قول الطبيب للمحتمي ان اكلت فكل قليلا **فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به** اي بمثل ما فعل بكم وقد عبر عنه بالعقاب على طريقة اطلاق اسم المسبب على
السبب نحو كما تدين تدان او على نهج المشاكلة والمقصود ايجاب مراعاة العدل مع من يناصبهم من غير تجاوز وبين مآل الجدال الى القتال وادى
النزاع الى القراع فان الدعوة المأمور بها لا تكاد تنفك عن ذلك كيف لا وهي موجبة لصرف الوجوه عن القبل المعبودة وادخال الاعناق في قلادة
غير معهودة قاضية عليهم بفساد ما يأتون وما يذرون وبطلان دين استمرت عليه آباؤهم الاولون وقد ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل
عليهم طرق المحاجة والمناظرة ارتحت دونهم ابواب المباحثة والمحاورة وقيل انه صلى الله عليه وسلم لما رأى حمزة رضي الله عنه يوم احد قد مثل به
قال لئن اظفرني الله تعالى بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده وقرئ وان عقبتم فعقبوا اي وان قفيتم بالانتصار
فقفوا بمثل ما فعل بكم غير متجاوزين عنه والامر وان دل على اباحة المماثلة في المثلة من غير تجاوز لكن في تقييده بقوله وان عاقبتم حثا على العفو
تعريضا وقد صرح به على الوجه الآكد فقيل **ولئن صبرتم** اي عن المعاقبة بالمثل **لهو** اي لصبركم ذلك **خير** لكم من الانتصار بالمعاقبة وانما قيل **للصابرين**
مدحا لهم وثناء عليهم بالصبر او وصفا لهم بصفة تحصل لهم عند ترك المعاقبة ويجوز عود الضمير الى مطلق الصبر المدلول عليه بالفعل فيدخل فيه صبرهم
كدخول انفسهم في جنس الصابرين دخولا اوليا ثم امر صلى الله عليه وسلم صريحا بما ندب اليه غيره تصريحا وتعريضا من الصبر لانه اولى الناس بعزائم
الامور لزيادة علمه بشؤونه سبحانه ووفور وثوقه به فقيل **واصبر** اي على ما اصابك من جهتهم من فنون الآلام والاذية وعاينت من اعراضهم عن الحق
بالكلية **وما صبرك الا بالله** استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي وما صبرك ملابسا ومصحوبا بشيء من الاشياء الا بالله اي بذكره والاستغراق في مراقبة
شؤونه والتبتل اليه بمجامع الهمة وفيه من تسليته عليه الصلوة والسلام وتهوين مشاق الصبر عليه وتشريفه ما لا مزيد عليه والاشعار بانه المنبئة على حكم
بالغة مستتبعة لعواقب حميدة فالتسلية من حيث اشتماله على غايات جميلة وقيل الا بتوفيقه ومعونته فهي من حيث تسهيله وتيسيره فقط **ولا تحزن**
عليهم اي على الكافرين بوقوع اليأس من ايمانهم بك ومتابعتهم لك نحو فلا تأس على القوم الكافرين وقيل على المؤمنين وما فعل بهم والاول هو الانسب
بجزالة النظم الكريم **ولا تك في ضيق** بالفتح وقرئ بالكسر وهما لغتان كالقول والقيل اي لا تكن في ضيق صدر وحرج ويجوز كون الاول تخفيف
ويجوز كون الاول تخفيف ضيق كهين من هين اي في امر ضيق **مما يمكرون** اي من مكرهم بك فيما يستقبل فالاول نهي عن التألم بمطلوب من قبلهم
فات والثاني عن التألم بمحذور من جهتهم آت والنهي عنهما مع ان انتفاءهما من لوازم الصبر المأمور به لاسيما على الوجه الاول لزيادة التأكيد
واظهار كمال العناية بشأن التسلية والا فهل يخطر ببال من توجه الى الله سبحانه بشراشر نفسه متنزها عن كل ما سواه من الشواغل شيء من
مطلوب فينهى عن الحزن بفواته او محذور فينكف عن الخوف من وقوعه **ان الله مع الذين اتقوا** تعليل لما سبق من الامر والنهي والمراد بالمعية
الولاية الدائمة التي لا تحوم حول صاحبها شائبة من الجزع والحزن وضيق الصدر وما يشعر به دخول كلمة مع من متبوعية المتقين تناهي من حيث
انهم المباشرون للتقوى وكذا الحال في قوله سبحانه وتعالى ان الله مع الصابرين ونظائرهما كافة والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة من الحائزة
لما تحتها من مرتبة التوقي عن الشرك ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك اعني التنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بشراشر
نفسه وهو التقوى الحقيقي المورث لولايته تعالى المقرونة ببشارة قوله سبحانه وتعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والمعنى
ان الله ولي الذين تبتلوا اليه بالكلية وتنزهوا عن كل ما يشغل سرهم عنه فلم يخطر ببالهم شيء من فوات مطلوب او خوف من محذور فضلا عن
الحزن بفواته او الخوف من وقوعه وهو المعنى بما به الصبر المأمور به حسبما اشير اليه وبه يحصل التقريب ويتم التعليل كما في قوله تعالى فاصبر ان العاقبة
للمتقين على احد التفسيرين كما حقق في مقامه والاتجرد والتوقي من المعاصي لا يكون مدار الشيء من العزائم المرخص في تركها فكيف بالصبر المشار اليه
وردعه وانما مداره المعنى المذكور فكانه قيل ان الله مع الذين صبروا وانما اوثر ما عليه النظم الكريم مبالغة في الحث على الصبر بالتنبيه

بالتنبيه على انه من خصائص اجل النعوت الجليلة ورادفه كما ان في قوله تعالى **والذين هم محسنون** للاشعار بانه من باب الاحسان ايضا في قفص المنافسون
على ما فعل ذلك حيث قيل واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقد نبه على ان كلا من الصبر والتقوى من قبيل الاحسان في قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان
الله لا يضيع اجر المحسنين وحقيقة الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله
عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وتكرير الموصول للايذان بكفاية كل من الصلتين في ولايته سبحانه من
غير ان يكون احدهما تتمة للاخرى وايراد الاولى فعلية للدلالة على الحدوث كما ان ايراد الثانية اسمية لافادة كون مضمونها سمة راسخة
لهم وتقديم التقوى على الاحسان لما ان التخلية متقدمة على التحلية والمراد بالموصولين اما جنس المتقين والمحسنين وهو عليه السلام داخل في
زمرتهم دخولا اوليا واما هو عليه السلام ومن شايعه عبر عنهم بذلك مدحا لهم وثناء عليهم بالنعتين الجليلين وفيه رمز الى ان صنيعه عليه
السلام مستتبع لاقتداء الامة به كقول من قال لابن عباس رضي الله عنهما عند التعزية اصبر نكن بك صابرين فانما صبر الرعية عند صبر
الرأس عن هرم بن حيان انه قيل له حين الاحتضار اوص قال انما الوصية من المال واوصيكم بخواتيم سورة النحل عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله تعالى بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلته كان له من الاجر كالذي مات واحسن
الوصية والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده

سورة بني اسرائيل

بسم الله الرحمن الرحيم **سبحان الذي اسرى بعبده** سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وحيث كان المسبح معنى لا عينا وجنسا لا شخصا لم تكن
اضافته من قبيل ما في زيد المعارك او حاتم طي وانتصابه بفعل متروك الاظهار تقديره اسبح الله سبحان الى آخره وفيه ما لا يخفى من الدلالة
على التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومنه فرس سبوح اي واسع الجري ومن جهة النقل الى
التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لاسيما وهو علم يشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة قيامه مقام
المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه ففيه مبالغة من حيث اضافة التنزه الى ذاته المقدسة ومناسبة تامة بين المحذوف
وبين ما عطف عليه في قوله تعالى سبحانه وتعالى كانه قيل تنزه بذاته وتعالى والاسراء السير بالليل خاصة كالسري وقوله تعالى **ليلا** لافادة قلة
زمان الاسراء بما فيه من التنكير الدال على البعضية من حيث الاجزاء دلالة على البعضية من حيث الافراد فان قولك سرت ليلا كما يفيد بعضيته
زمان سيرك من الليالي يفيد بعضيته من فرد واحد منها بخلاف ما اذا قلت سرت الليل فانه يفيد استيعاب السير له جميعا فيكون معيارا
للسير لا ظرفا له ويؤيده قراءة من الليل اي بعضه وايثار لفظ العبد للايذان بتمحضه عليه السلام في عبادته سبحانه وبلوغه في ذلك غاية الغايات
القاصية ونهاية النهايات النائية حسبما يلوح به مبدأ الاسراء ومنتهاه واضافة التنزيه او التنزه الى الموصول المذكور للاشعار بعلية ما في
حيز الصلة للمضاف فان ذلك من ادلة كمال قدرته وبالغ حكمته ونهاية تنزهه عن صفات المخلوقين **من المسجد الحرام** اختلف في مبدأ الاسراء
فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر فانه روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم
واليقظان اذ اتاني جبريل عليه السلام بالبراق وقيل هو دار ام هانئ بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به
او لان الحرم كله مسجد فانه روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه عليه الصلوة والسلام كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلوة العشاء
فكان ما كان فقصه عليها فلما قام ليخرج الى المسجد تشبثت بثوبه عليه السلام لتمنعه خشية ان يكذبه القوم قال عليه السلام وان كذبوني
فلما خرج جلس اليه ابو جهل فاخبره عليه السلام بحديث الاسراء فقال ابو جهل يا معشر كعب بن لؤي بن غالب هلم فحدثهم فمن مصفق ووا
يده على رأسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى ابي بكر الصديق فقال ان كان قال ذلك لقد صدق
قالوا اتصدقه على ذلك قال اني اصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق وكان فيهم من يعرف بيت المقدس فاستنعتوه المسجد فجلي له
بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال
تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد اشرقت
فقال آخر هذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا فانهم الله اني يؤفكون واختلف في وقته ايضا
فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن انس رضي الله عنه والحسن انه كان قبل البعثة واختلف ايضا انه في اليقظة او في المنام فعن الحسن

صح

انه كان في المنام واكثر الاقاويل بخلافه والحق انه كان في المنام قبل البعثة وفي اليقظة بعدها واختلف ايضا انه كان جسمانيا او روحانيا
فعن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه وعن معوية انه قال انما عرج بروحه والحق
انه كان جسمانيا على ما ينبئ عنه التصدير بالتنزيه وما في ضمنه من التعجب فان الروحاني ليس في الاستبعاد والاستنكار وخرق العادة
بهذه المثابة ولذلك تعجبت منه قريش واحالوه ولا استحالة فيه فانه قد ثبت في الهندسة ان قطر الشمس اضعف من قطر الارض مائة
ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل الى موضع طرفها الاعلى بحركة الفلك الاعظم مع معاوقة حركة فلكها في اقل من ثانية
وقد تقرر ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض التي من جملتها الحركة وان الله سبحانه قادر على كل ما يحيط به حيطة الامكان فيقدر على
ان يخلق مثل تلك الحركة بل اسرع منها في جسد النبي صلى الله عليه وسلم او فيما يحمله ولو لم يكن مستبعدا لم يكن معجزة الى المسجد الاقصى اي بيت
المقدس سمي به اذ لم يكن حينئذ وراءه مسجد وفي ذلك من تربية معنى التنزيه والتعجب ما لا يخفى الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لانه
مهبط الوحي ومتعبد الانبياء عليهم السلام لنريه غاية للاسراء من آياتنا العظيمة التي من جملتها ذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر
ولا يقدح في ذلك كونه قبل الوصول الى المقصد ومشاهدة بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم العلية عليهم السلام والا
الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقواله عليه السلام بلا اذن البصير بافعاله بلا بصر حسبما يؤذن به
القصر فيكرمه ويقربه بحسب ذلك وفيه ايماء الى ان الاسراء المذكور ليس الا لتكرمته عليه السلام ورفع منزلته والا فالاحاطة باقواله وافعاله
حاصلة من غير حاجة الى التقريب والالتفات الى الغيبة لتربية المهابة وآتينا موسى الكتاب اي التورية وفيه ايماء الى دعوته عليه السلام الى الطور
وما وقع فيه من المناجاة جمعا بين الامرين المتحدين في المعنى ولم يذكر هاهنا العروج بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السماء وما كان فيه مما
لا يكتنه كنهه حسبما نطقت به سورة النجم تقريبا للاسراء الى قبول السامعين اي آتيناه التورية بعد ما اسرينا به الى الطور وجعلناه اي ذلك
الكتاب هدى لبني اسرائيل يهتدون بما في مطاويه ان لا تتخذوا على ان لا تتخذوا والخو كتبت اليه ان افعل كذا وقرئ بالياء على ان ان مصدرية
والمعنى آتينا موسى الكتاب لهداية بني اسرائيل لئلا يتخذوا من دوني وكيلا اي ربا تكلون اليه اموركم والافراد لما ان فعيلا مفرد في اللفظ
في المعنى ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء على قراءة النهي والمراد تأكيد الحمل على التوحيد بتذكير انعامه تعالى عليهم في ضمن
انجاء آبائهم من الغرق في سفينة نوح عليه السلام او على انه احد مفعولي لا تتخذوا على قراءة النفي ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله تعالى
ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او بدل من واو لا تتخذوا بابدال الظاهر من
ضمير المخاطب كما هو مذهب بعض [illegible] وقرئ ذِرّية بكسر الذال انه اي ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا كثير الشكر في مجامع حالاته
وفيه ايذان بان انجاء من معه كان ببركة شكره عليه السلام وحث للذرية على الاقتداء به وزجر لهم عن الشرك الذي هو اعظم مراتب الكفران
وقيل الضمير لموسى عليه السلام وقضينا اي اتممنا واحكمنا منزلين الى بني اسرائيل وموحين اليهم في الكتاب اي في التورية فان الانزال والوحي
الى موسى عليه السلام انزال ووحي اليهم لتفسدن في الارض جواب قسم محذوف ويجوز اجراء القضاء المحتوم مجرى القسم كانه قيل واقسمنا لتفسدن
مرتين والثانية قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلام ولتعلن علوا كبيرا لتستكبرن عن طاعة الله سبحانه او لتغلبن
الناس بالظلم والعدوان وتفرطن في ذلك افراطا مجاوزا للحدود فاذا جاء وعد اوليهما اي اولى كرتي الافساد اي حان وقت حلول العقاب
الموعود بعثنا عليكم لمؤاخذتكم بجناياتكم عبادا لنا وقرئ عبيدا لنا اولي بأس شديد ذوي قوة وبطش في الحروب هم سنجاريب من
اهل نينوى وجنوده وقيل بخت نصر عامل لهراسب وقيل جالوت فجاسوا اي ترددوا لطلبكم بالفساد وقرئ بالحاء والمعنى واحد وقرئ
خلل الديار فقتلوا علماءهم وكبارهم واحرقوا التورية وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا وذلك من قبيل تولية بعض الظالمين بعضا
مما جرت به السنة الالهية وكان ذلك وعدا مفعولا لا مفعولا لا محالة بحيث لا صارف عنه ولا مبدل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة
عليهم على الذين فعلوا بكم ما فعلوا بعد مائة سنة حين تبتم ورجعتم عما كنتم عليه من الافساد والعلو وقيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ
بني اسرائيل اسراهم واموالهم ورجوع الملك اليهم وذلك انه لما ورث بهمان بن اسفنديار الملك من جده كشتاسف بن لهراسف
القى الله تعالى في قلبه الشفقة عليهم فرد اسراهم الى الشام وملك عليهم دانيال عليه السلام فاستولوا على من كان فيها من اتباع

التفات

جمع

بخت نصر وقيل هي قتل داود عليه السلام لجالوت وامددناكم باموال كثيرة بعد ما نهبت اموالكم وبنين بعد ما سبيت اولادكم وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم
من قبل او من عدوكم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم القوم المجتمعون للذهاب الى العدو كالعبيد والمعيز ان احسنتم اعمالكم سواء
كانت لازمة لانفسكم او متعدية الى الغير اي عملتموها على الوجه اللائق ولا يتصور ذلك الا بعد ان يكون الاعمال حسنة في انفسها وان فعلتم
الاحسان احسنتم لانفسكم لان ثوابها لها وان اسأتم اعمالكم بان عملتموها لا على الوجه اللائق ويلزمه السوء الذاتي او فعلتم الاساءة فلها
اذ عليها وبالها وعن علي كرم الله وجهه ما احسنت الى احد ولا اسأت اليه وتلاها فاذا جاء وعد الآخرة حان وقت ما وعد من عقوبة المرة
الآخرة ليسوؤا وجوهكم متعلق بفعل حذف لدلالة ما سبق عليه اي بعثناهم ليسوؤا ومعنى ليسوؤا وجوهكم ليجعلوا آثار المساءة والكآبة
بادية في وجوهكم كقوله تع سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء على ان الضمير لله تعالى او للوعد او للبعث ولنسوء بنون العظمة وفي قراءة
علي رضي الله تعالى عنه لنسوءن على انه جواب اذا وقرئ لنسوءن بالنون الخفيفة وليسوءن واللام في قوله عز وجل وليدخلوا المسجد عطف على
ليسوؤا متعلق بما تعلق هو به كما دخلوه اول مرة في اول مرة وليتبروا اي يهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم
تتبيرا فظيعا لا يوصف بان سلط الله عز وجل سلطانه عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل حردوس قيل دخل
صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال لم تصدقوني فقتل على ذلك الوفا فلم يهدأ الدم
ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى بن زكريا عليهما السلام فقال لمثل هذا ينتقم منكم ربكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي
وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لا ابقي منهم احدا فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الآخرة ان تبتم
توبة اخرى وانزجرتم عما كنتم عليه من المعاصي وان عدتم الى ما كنتم فيه من المعاصي والفساد مرة اخرى عدنا الى عقوبتكم ولقد عادوا
فاعاد الله سبحانه عليهم النقمة بان سلط عليهم الاكاسرة ففعلوا بهم ما فعلوا من ضرب الاتاوة ونحو ذلك وعن الحسن عادوا فبعث الله
تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة مثله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اي محبسا لا
يستطيعون الخروج منها ابد الآبدين وقيل بساطا كما يبسط الحصير وانما عدل عن ان يقال وجعلنا جهنم لكم تسجيلا على كفرهم بالعود وذما
لهم بذلك واشعارا بعلة الحكم ان هذا القرآن الذي آتيناك يهدي اي الناس كافة لا فرقة مخصوصة منهم كدأب الكتاب الذي آتيناه موسى
للتي للطريقة التي هي اقوم اي اقوم الطرائق واسدها اعني ملة الاسلام والتوحيد وترك ذكرها ليس لقصد التعميم لها وللحالة والخصلة ونحوهما
مما تعبر به عن المقصد المذكور بل للايذان بالغنى عن التصريح بها لغاية ظهورها لا سيما بعد ذكر الهداية التي هي من روادفها والمراد بهدايته
لها كونه بحيث يهتدي اليها من يتمسك به لا تحصيل الاهتداء بالفعل فانه مخصوص بالمؤمنين حينئذ ويبشر المؤمنين بما في تضاعيفه من
الاحكام والشرائع وقرئ بالتخفيف الذين يعملون الصالحات التي شرحت فيه ان لهم اي بان لهم بمقابلة تلك الاعمال اجرا كبيرا بحسب الذات
وبحسب التضعيف عشر مرات فصاعدا وان الذين لا يؤمنون بالآخرة واحكامها المشروحة فيه من البعث والحساب والجزاء وتخصيصها
بالذكر من بين سائر ما كفروا به لكونها معظم ما امروا بالايمان به ولمراعاة التناسب بين اعمالهم وجزائها الذي انبأ عنه قوله عز وجل
اعتدنا لهم عذابا اليما وهو عذاب جهنم اي اعتدنا لهم فيما كفروا وانكروا وجوده من الآخرة عذابا اليما وهو ابلغ في الزجر لما ان اتيان
العذاب من حيث لا يحتسب افظع وافجع والجملة معطوفة على جملة يبشر باضمار يخبر او على قوله تعالى ان لهم داخلة معه تحت التبشير المراد به
مجازا مطلق الاخبار المنتظم للاخبار بالخبر السار وبالنبأ الضار حقيقة فيكون ذلك بيانا لهداية القرآن بالترغيب والترهيب
ويجوز كون التبشير بمعناه والمراد تبشير المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم وقوله تع ويدع الانسان بالشر بيان لحال
المهدي اثر بيان حال الهادي واظهار لما بينهما من التباين والمراد بالانسان الجنس اسند اليه حال بعض افراده او حكي عنه حاله في بعض
احيانه فالمعنى على الاول ان القرآن يدعو الانسان الى الخير الذي لا خير فوقه من الاجر الكبير ويحذره من الشر الذي لا شر وراءه من
العذاب الاليم وهو اي بعض منه وهو الكافر يدعو لنفسه بما هو الشر من العذاب المذكور اما بلسانه حقيقة كدأب من قال منهم اللهم ان كان هذا
هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ومن قال فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين الى غير ذلك
مما حكي عنهم واما باعمالهم السيئة المفضية اليه الموجبة له مجازا كما هو ديدن كلهم دعاءه بالخير اي مثل دعائه بالخير المذكور فرضا لا تحقيقا

فانه يعجل من الدعاء به وفيه رمز الي انه اللائق بحاله **وكان الانسان** اي من اسند اليه الدعاء المذكور من افراده **عجولا** يسارع الي طلب كل ما يخطر بباله متعاميا
عن ضرره او مبالغا في العجلة يستعجل العذاب وهو آتيه لا محالة ففيه نوع تهكم به وعلى تقدير حمل الدعاء على اعمالهم تحمل العجولية على اللج والتمادي
في استيجاب العذاب بتلك الاعمال وعلى الثاني ان القران يدعو الانسان الي ما هو خير وهو في بعض احيانه كما عند الغضب يدعه ويدعو الله تعالى لنفسه
واهله وماله بما هو شر وكان الانسان بحسب جبلته عجولا ضجرا لا يتأني الي ان يزول عنه ما يعتريه روي انه عليه السلام دفع الي سودة اسيرا فارخت
كتافه رحمة لانينه بالليل من الم القد فهرب فلما اخبرته النبي صلي الله عليه وسلم وقال اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة فقال
عليه السلام اني سألت الله تعالى ان يجعل دعائي على من لا يستحق من اهلي عذابا رحمة او يدعو بما هو شر وهو يحسبه خيرا وكان الانسان عجولا غير
متبصر لا يتدبر في اموره حق التدبر ليتحقق ما هو خير حقيق بالدعاء به وما هو شر جدير بالاستعاذة منه **وجعلنا الليل والنهار آيتين** شروع في بيان
بعض وجوه ما ذكر من الهداية بالارشاد الي مسلك الاستدلال بالآيات والدلائل الآفاقية التي كل واحدة منها برهان نير لا ريب فيه ومنهاج بين لا يضل
من ينتحيه فان الجعل المذكور وما عطف عليه من محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة وان كانت من الهدايات التكوينية لكن الاخبار بذلك من الهدايات
القرآنية المنبهة على تلك الهدايات وتقديم الليل لمراعاة الترتيب الوجودي اذ منه ينسلخ النهار وفيه تظهر غرر الشهور ولو ان الليلة اضيفت الي ما
قبلها من النهار لكانت من شهر وصاحبها من شهر آخر ولترتيب غاية آية النهار عليها بلا واسطة اي جعلنا الملوين بهيأتهما وتعاقبهما واختلافهما
في الطول والقصر على وتيرة عجيبة يحار في فهمها العقول آيتين تدلان على ان لهما صانعا حكيما قادرا عليما وتهديان الي ما هدي اليه القران العظيم
من ملة الاسلام **فمحونا آية الليل** الاضافة اما بيانية كما في اضافة العدد الي المعدود اي محونا الآية التي هي الليل وفائدتها تحقيق مضمون الجملة
السابقة ومحوها جعلها ممحوة الضوء مطموسة لكن لا بعد ان لم يكن كذلك بل ابداعها على ذلك كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل اي انشأهما
كذلك والفاء تفسيرية لان المحو المذكور وما عطف عليه ليسا مما يحصل عقيب جعل الجديدين آيتين بل هما من جملة ذلك الجعل ومتمماته **وجعلنا
آية النهار** اي الآية التي هي النهار على نحو ما مر **مبصرة** مضيئة يبصر فيها الاشياء وصفا لها بحال اهلها او مبصرة للناس من ابصره فبصر واما حقيقة
وآية الليل والنهار نيراهما ومحو القمر اما خلقه مطموس النور في نفسه فالفاء كما ذكر واما نقص ما استفاده من الشمس شيئا فشيئا الي المحاق على ما هو
معني المحو والفاء للتعقيب وجعل الشمس مبصرة ابداعها مضيئة بالذات ذات اشعة تظهر بها الاشياء المظلمة **لتبتغوا** متعلق بقوله تعالى وجعلنا آية النهار
كما اشير اليه اي وجعلناها مضيئة لتطلبوا لانفسكم في بياض النهار **فضلا من ربكم** اي رزقا اذ لا يتسني ذلك في الليل وفي التعبير عن الرزق بالفضل وعن
الكسب بالابتغاء والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الي الكمال شيئا فشيئا دلالة على ان ليس للعبد في تحصيل الرزق تأثير سوي الطلب
وانما الاعطاء الي الله سبحانه لا بطريق الوجوب عليه بل تفضلا بحكم الربوبية **ولتعلموا** متعلق بكلا الفعلين اعني محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة
لا باحدهما فقط اذ لا يكون ذلك بانفراده مدارا للعلم المذكور اي لتعلموا بتفاوت الجديدين او نيريهما ذاتا من حيث الاظلام والاضاءة مع تعاقبهما
او حركاتهما واوضاعهما وسائر احوالهما **عدد السنين** التي يتعلق بها غرض علمي لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية **والحساب** اي الحساب المتعلق
بما في ضمنها من الاوقات اي الاشهر والايام والليالي وغير ذلك مما نيط به شيء من المصالح المذكورة ونفس السنة من حيث تحققها مما ينتظمه الحساب
وانما الذي تعلق به العد طائفة منها وتعلقه في ضمن ذلك بكل واحدة منها ليس من الحيثية المذكورة اعني حيثية تحققها وتحصلها من عدة اشهر قد
تحصل كل واحد منها من عدة ايام قد حصل كل منها بطائفة من الساعات مثلا فان ذلك وظيفة الحساب بل من حيث انها فرد من تلك الطائفة
المعدودة بعدها اي يفنيها من غير ان يعتبر في ذلك تحصل شيء معين وتحقيقه ما مر في سورة يوسف من ان الحساب احصاء ماله كمية منفصلة بتكرير امثاله
من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين منه له اسم خاص وحكم مستقل كما اشير اليه آنفا والعد احصاؤه بمجرد تكرير امثاله من غير ان يتحصل
منه شيء كذلك ولما ان السنين لم يعتبر فيها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل اضيف اليها العدد وعلق الحساب بما عداها مما اعتبر فيه تحصيل
مراتب معينة لها اسامي خاصة واحكام مستقلة وتحصل مراتب الاعداد من العشرات والمئات والالوف اعتباري لا يجدي في تحصل المعدودات
وتقديم العدد على الحساب مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما على العكس للتنبيه من اول الامر على ان متعلق الحساب ما في تضاعيف السنين من
الاوقات او لان العلم المتعلق بعدد السنين علم اجمالي بما تعلق به الحساب تفصيلا او لان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصل شيء آخر منه حسبما
ذكر نازل من الحساب المعتبر فيه ذلك منزلة البسيط من المركب او لان العلم المتعلق بالاول اقصي المراتب فكان جديرا بالتقديم في مقام الامتنان

الامتنان والله سبحانه اعلم **وكل شيء** تفتقرون اليه في المعاش والمعاد سوي ما ذكر من جعل الليل والنهار آيتين وما يتبعه من المنافع الدينية والدنيوية
وهو منصوب بفعل يفسره قوله تعالى **فصلناه تفصيلا** اي بيناه في القرآن الكريم بيانا بليغا لا التباس معه كقوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا
لكل شيء فظهر كونه هاديا للتي هي اقوم ظهورا بينا **وكل انسان** مكلف **الزمناه طائره** اي عمله الصادر عنه باختياره حسبما قدر له كانه طار
اليه من عش الغيب ووكر القدر او ما وقع له في القسمة الازلية الواقعة حسب استحقاقه في العلم الازلي من قولهم طار له سهم كذا **في عنقه** لتصوير
لشدة اللزوم وكمال الارتباط اي الزمناه عمله بحيث لا يفارقه ابدا بل يلزمه لزوم العلاقة او الغل للعنق لا ينفك عنه بحال وقرئ بسكون النون
ونخرج له بنون العظمة وقد قرئ بالياء مبنيا للفاعل على ان الضمير لله عز وجل وللمفعول والضمير للطائر كما في قراءة نخرج من اخرج **يوم القيمة**
والبعث للحساب **كتابا** مسطورا فيه ما ذكر من عمله نقيرا وقطميرا وهو مفعول لنخرج على القراءتين الاوليين او حال من المفعول المحذوف الراجع
الي الطائر وعلى الاخريين حال من المستتر في الفعل من ضمير الطائر **يلقاه** اي يلقي الانسان او يلقاه الانسان **منشورا** وهما صفتان للكتاب
او الاول صفة والثاني حال منها وقرئ يلقاه من لقيته كذا اي يلقي الانسان اياه قال الحسن بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان فهما عن يمينك
وعن شمالك فاما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك واما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك حتى اذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك في
قبرك حتى تخرج لك يوم القيمة **اقرأ كتابك** اي قائلين ذلك عن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا وقيل المراد بالكتاب نفسه
المنتقشة بآثار اعماله فان كل عمل يصدر من الانسان خيرا او شرا يحدث منه في جوهر روحه امر مخصوص الا انه يخفي ما دام الروح متعلقا
بالبدن مشتغلا بواردات الحواس والقوي فاذا انقطع علاقته عن البدن قامت قيامته لان النفس كانت ساكنة مستقرة في الجسد وعند ذلك
قامت وتوجهت نحو الصعود الي العالم العلوي فيزول الغطاء وتنكشف الاحوال ويظهر على لوح النفس نقش كل شيء عمله في مدة عمره وهذا معني الكتابة
والقراءة **كفي بنفسك اليوم حسيبا** اي كفي نفسك والباء زائدة واليوم ظرف لكفي وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه بمعني الحاسب كالصريم بمعني الصارم
من حسب عليه كذا او بمعني الكافي وضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره لان ما ذكر من الحساب والكفاية مما يتولاه الرجال او لانه مبني
على تأويل النفس بالشخص على انها عبارة عن نفس المذكور كقول جبلة بن حريث يا نفس انك بالذات مسرور فاذكر فهل ينفعنك اليوم تذكير
من اهتدي فانما يهتدي لنفسه فذلكة لما تقدم من بيان كون القرآن هاديا لاقوم الطرائق ولزوم الاعمال لاصحابها اي من اهتدي بهدايته
وعمل بما في تضاعيفه من الاحكام وانتهي عما نهاه عنه فانما يعود منفعة اهتدائه الي نفسه لا تتخطاه الي غيره ممن لم يهتد **ومن ضل** عن الطريقة
التي يهديه اليها **فانما يضل عليها** اي فانما وبال ضلاله عليها لا على من عداه ممن لم يباشره حتى يمكن مفارقة العمل صاحبه **ولا تزر وازرة وزر
اخري** تأكيد للجملة الثانية اي لا تحمل نفس حاملة للوزر وزر نفس اخري حتى يمكن تخلص النفس الثانية عن وزرها وهذا يخل ما بين العامل وعمله من
التلازم بل انما تحمل كل منها وزرها وهذا تحقيق لمعني قوله عز وجل وكل انسان الزمناه طائره في عنقه واما ما يدل عليه قوله تعالى من يشفع شفاعة
حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وقوله تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم
بغير علم من حمل الغير وزر الغير وانتفاعه بحسنته وتضرره بسيئته فهو في الحقيقة انتفاع بحسنة نفسه وتضرر بسيئته فان جزاء الحسنة والسيئة
اللتين يعملهما العامل لازم له وانما الذي يصل الي من يشفع جزاء شفاعته لا جزاء اصل الحسنة والسيئة وكذلك جزاء الضلال مقصور على الضالين
وما يحمله المضلون انما هو جزاء الاضلال لا جزاء الضلال وانما خص التأكيد بالجملة الثانية قطعا للاطماع الفارغة حيث كانوا يزعمون انهم ان لم يكونوا
على الحق فالتبعة على اسلافهم الذين قلدوهم **وما كنا معذبين** بيان للعناية الربانية اثر بيان اختصاص آثار الهداية والضلال باصحابها وعدم
حرمان المهتدي من ثمرات هدايته وعدم مؤاخذة النفس بجناية غيرها اي وما صح وما استقام منا بل استحال في سنتنا المبنية على الحكم البالغة
او ما كان في حكمنا الماضي وقضائنا السابق ان نعذب احدا من اهل الضلال والاوزار اكتفاء بقضية العقل **حتي نبعث** اليهم **رسولا** يهديهم الي الحق ويردعهم
عن الضلال ويقيم الحجج ويمهد الشرائع حسبما في تضاعيف الكتاب المنزل عليه والمراد بالعذاب المنفي اما عذاب الاستيصال كما قاله الشيخ ابو منصور
الماتريدي رحمه الله وهو المناسب لما بعده او الجنس الشامل للدنيوي والاخروي وهو من افراده واياما كان فالبعث غاية لعدم صحة وقوعه
في وقته المقدر له لا لعدم وقوعه مطلقا كيف لا والاخروي لا يمكن وقوعه عقيب البعث والدنيوي ايضا لا يحصل الا بعد تحقق ما يوجبه من الفسق
والعصيان الا يري الي قوم نوح كيف تأخر عنهم ما حل بهم زهاء الف سنة وقوله تعالى **واذا اردنا ان نهلك قرية** بيان لكيفية وقوع التعذيب

بعد البعث التي جعلت غاية لعدم صحته وليس المراد بالارادة تحققها بالفعل اذ لا يتخلف عنه المراد ولا الارادة الازلية المتعلقة بوقوع
المراد في وقته المقدر له اذ لا يقارنها الجزاء الآتي بل دنو وقتها كما في قوله تعالى اتى امر الله اي واذا دنا وقت تعلق ارادتنا باهلاك
قرية بان نعذب اهلها بما ذكر نا من عذاب الاستيصال الذي بينا انه لا يصح منا قبل البعثة او بنوع مما ذكرنا من مطلق العذاب اعني
عذاب الاستيصال لما بهم من الظلم والمعاصي دنوا تقتضيه الحكمة من غير ان يكون له حد معين **امرنا** بواسطة الرسول المبعوث الى اهلها **مترفيها**
متنعميها وجباريها وملوكها خصهم بالذكر مع توجه الامر الى الكل لانهم الاصول في الخطاب والباقي اتباع لهم ولان توجه الامر اليهم آكد وعدم
التعرض للمأمور به لظهور ان المراد به الحق والخير لان الله لا يامر بالفحشاء لا سيما بعد ذكر هداية القرآن لما يهدي اليه واما لان المراد وجد
منا الامر كما يقال فلان يعطي ويمنع **ففسقوا فيها** اي خرجوا عن الطاعة وتمردوا **فحق عليها القول** اي ثبت وتحقق موجبه بحلول العذاب اثر ما ظهر
منهم ما ظهر من الفسق والطغيان **فدمرناها** بتدمير اهلها **تدميرا** لا يكتنه كنهه ولا يوصف هذا هو المناسب لما سبق وقيل الامر مجاز من الحمل على الفسق
والتسبب له بان صب عليهم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق وقيل هو بمعنى التكثير يقال امرت الشيء فامر اي كثرته فكثر وفي الحديث خير المال سكة
مأبورة ومهرة مأمورة اي كثيرة النتاج ويعضده قراءة آمرنا وامّرنا من الافعال والتفعيل وقد جعلتا من الامارة اي جعلناهم امراء وكل ذلك
لا يساعده مقام الزجر عن الضلال والحث على الاهتداء فان مؤدى ذلك ان طغيانهم منوط بارادة الله سبحانه وانعامه عليهم بنعم وافرة
ابطرتهم وحملتهم على الفسق حملا حقيقيا بان يعبر عنه بالامر به **وكم اهلكنا** اي وكثيرا ما اهلكنا **من القرون** بيان لكم وتمييز له والقرن مدة من الزمان
يخترم فيها القوم وهي عشرون او ثلثون او اربعون او ثمانون او مائة وقد ايد ذلك بانه صلى الله عليه وسلم دعا لرجل فقال عش قرنا فعاش
مائة سنة او مائة وعشرون **من بعد نوح** من بعد زمنه عليه السلام كعاد وثمود ومن بعدهم ممن قصت احوالهم في القرآن العظيم ومن لم تقص
وعدم نظم قومه عليه السلام في تلك القرون المهلكة لظهور امرهم على ان ذكره عليه السلام رمز الى ذكرهم **وكفى بربك** اي كفى ربك **بذنوب عباده**
خبيرا بصيرا يحيط بظواهرها وبواطنها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من الاعتقادات والنيات التي هي مبادي الاعمال الظاهرة او
لعمومه حيث يتعلق بغير المبصرات ايضا وفيه اشارة الى ان البعث والامر وما يتلوهما من فسقهم ليس لتحصيل العلم بما صدر عنهم من الذنوب فان ذلك
حاصل قبل ذلك وانما هو لقطع الاعذار والزام الحجة من كل وجه **من كان يريد** باعماله التي يعملها سواء كان ترتب المراد عليهم بطريق الجزاء كاعمال
البر او بطريق ترتب المعلولات على العلل كالاسباب او باعمال الآخرة فالمراد بالمريد على الاول الكفرة واكثر الفسقة وعلى الثاني اهل الرياء والنفاق
والمهاجر للدنيا والمجاهد لمحض الغنيمة **العاجلة** فقط من غير ان يريد معها الآخرة كما ينبئ عنه الاستمرار المستفاد من زيادة كان مقصورا مع
على مطلق الارادة في قسيمه والمراد بالعاجلة الدار الدنيا وبارادتها ارادة ما فيها من فنون مطالبها كقوله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا وجوز
ان يراد الحيوة العاجلة كقوله عز وجل من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها لكن الانسب هو الاول بقوله تعالى **عجلنا له فيها** اي في تلك العاجلة
فان الحيوة الدنيا واستمرارها من جملة ما عجل له فالانسب بذلك كلمة من كما في قوله تعالى ومن كان يريد ثواب الدنيا نؤته منها **ما نشاء** اي ما نشاء
تعجيله له من نعيمها لا كل ما يريد **لمن نريد** تعجيل ما نشاء له وهو بدل من الضمير في له باعادة الجار بدل البعض فانه راجع الى الموصول المنبئ عن الكثرة
وقرئ لمن يشاء على ان الضمير لله سبحانه وقيل هو لمن فيكون مخصوصا بمن اراد به ذلك وهو واحد من الدهماء وتقييد المعجل والمعجل له بما ذكر
من المشيئة والارادة لما ان الحكمة التي عليها يدور فلك التكوين لا تقتضي وصول كل طالب الى مرامه ولا استيفاء كل واصل لما يطلبه بتمامه واما ما يترائ
من قوله تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون من نيل كل مؤمل لجميع آماله ووصول كل عامل الى نتيجة اعماله
فقد اشير الى تحقيق القول فيه في سورة هود بفضل الله تعالى **ثم جعلنا له** مكان ما عجلنا له **جهنم** وما فيها من اصناف العذاب **يصليها** يدخلها وهو حال
من الضمير المجرور او من جهنم او استيناف **مذموما مدحورا** مطرودا من رحمة الله تعالى وقيل الآية في المنافقين كانوا يراؤن المسلمين ويغزون معهم ولم
يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ويأباه ما يقال ان السورة مكية سوى آيات معينة **ومن اراد** باعماله **الآخرة** الدار الآخرة وما فيها من
النعيم المقيم **وسعى لها سعيها** اي السعي اللائق بها وهو الاتيان بما امر والانتهاء عما نهي لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار
النية والاخلاص **وهو مؤمن** ايمانا صحيحا لا يخالطه شيء قادح فيه وايراد الايمان بالجملة الحالية للدلالة على اشتراط مقارنته لما ذكر في حيز
الصلة **فاولئك** اشارة الى الموصول بعنوان اتصافه بما في حيز الصلة وما في ذلك من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم والجمعية لمراعاة

لمراعاة جانب المعنى ايماء الى ان الاثابة المفهومة من الخبر تقع على وجه الاجتماع اي اولئك الجامعون لما مر من الخصال الحميدة اعني ارادة الآخرة
والسعي الجميل لها والايمان **كان سعيهم مشكورا** مقبولا عند الله تعالى بحسن القبول مثابا وفي تعليق المشكورية بالسعي دون قرينيه اشعار
بان العمدة فيها **كلا** التنوين عوض عن المضاف اليه اي كل واحد من الفريقين لا الفريق الاخير المريد للخير الحقيق بالاسعاف فقط **نمد** اي
نزيده مرة بعد مرة بحيث يكون الآنف مددا للسالف وما به الامداد ما عجل لاحدهما من العطايا العاجلة وما اعد للآخر من العطايا الآجلة
المشار اليها بمشكورية السعي وانما لم يصرح به تعويلا على ما سبق تصريحا وتلويحا واتكالا على ما لحق عبارة واشارة كما ستقف عليه وقوله تعالى
هؤلاء بدل من كلا **وهؤلاء** عطف عليه اي نمد هؤلاء المعجل لهم **وهؤلاء** المشكور سعيهم فان الاشارة متعرضة لذات المشار اليه بما له من
العنوان لا للذات فقط كالاضمار ففيه تذكير لما به الامداد وتعيين للمضاف اليه المحذوف دفعا لتوهم كونه افراد الفريق الاخير وتأكيد للقصر
المستفاد من تقديم المفعول وقوله تعالى **من عطاء ربك** اي من معطاه الواسع الذي لا تناهي له متعلق بنمد ومغن عن ذكر ما به الامداد ومنبه
على ان الامداد المذكور ليس بطريق الاستيجاب بالسعي والعمل بل بمحض التفضل **وما كان عطاء ربك** اي دنيويا كان او اخرويا وانما اظهر اظهارا
لمزيد الاعتناء بشأنه واشعارا بعليته للحكم **محظورا** ممنوعا ممن يريده بل هو فائض على من قدر له بموجب المشيئة المبنية على الحكمة وان
وجد منه ما يقتضي الحظر كالكفر وهو في معنى التعليل لشمول الامداد للفريقين والتعرض لعنوان الربوبية في الموضعين للاشعار بمبدئيتها
لما ذكر من الامداد وعدم الحظر **انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض** كيف في محل النصب بفضلنا على الحالية والمراد توضيح ما مر من الامداد
وعدم محظورية العطاء بالتنبيه على استحضار مراتب احد العطائين والاستدلال بها على مراتب الآخر اي انظر بنظر الاعتبار كيف فضلنا بعضهم
على بعض فيما امددناهم به من العطايا العاجلة فمن وضيع ورفيع وظالع وضليع ومالك ومملوك وموسر وصعلوك تعرف بذلك مراتب العطايا
الآجلة ودرجات تفاضل اهلها على طريقة الاستشهاد بحال الادنى على حال الاعلى كما افصح عنه قوله تعالى **وللآخرة اكبر** اي هي وما فيها اكبر
من الدنيا وقرئ اكثر **درجات واكبر تفضيلا** لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها العالية التي لا يقادر قدرها ولا يكتنه كنهها كيف لا وقد عبر عنه
بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا وجوز ان يراد بما به الامداد العطايا العاجلة فقط ويحمل القصر المذكور على دفع توهم
اختصاصها بالفريق الاول فان تخصيص ارادتهم بها ووصولهم اليها بالذكر من غير تعرض لبيان النسبة بينها وبين الفريق الثاني ارادة ووصولا
مما يوهم اختصاصها بالاولين فالمعنى كل واحد من الفريقين نمد بالعطايا العاجلة لا من ذكرنا ارادته لها فقط من الفريق الاول من عطاء
ربك الواسع وما كان عطاؤه الدنيوي محظورا من احد ممن يريده وممن يريد غيره انظر كيف فضلنا في ذلك العطاء بعض كل من الفريقين على بعض
آخر منهما وللآخرة الخ والاعتبار عدم المحظورية بالنسبة الى الفريق الاول تحقيقا لشمول الامداد له كما فعله الجمهور حيث قالوا لا يمنعه من عاص
لعصيانه يقتضي كون القصر لدفع توهم اختصاص الامداد الدنيوي بالفريق الثاني مع انه لم يسبق في الكلام ما يوهم ثبوته له فضلا عن ايهام
اختصاصه **لا تجعل مع الله الها آخر** الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به امته وهو من باب التهييج والالهاب او لكل احد ممن يصلح للخطاب
فتقعد بالنصب جوابا للنهي والقعود بمعنى الصيرورة من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او بمعنى العجز من قعد عن الشيء اي عجز عنه **مذموما**
مخذولا خبران وحالان اي جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى وفيه اشعار بان الموحد جامع بين المدح والنصرة
وقضى ربك اي امر امرا مبرما وقرئ واوصى ربك **ان لا تعبدوا** اي بان لا تعبدوا **الا اياه** على ان ان مصدرية ولا نافية او اي لا تعبدوا على
انها مفسرة ولا ناهية لان العبادة غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل للسعي للآخرة **وبالوالدين**
اي وبان تحسنوا بهما او واحسنوا بهما **احسانا** لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش **اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما** اما مركبة من ان الشرطية
وما المزيدة لتأكيدها ولذلك دخل الفعل نون التأكيد ومعنى عندك في كنفك وكفالتك وتقديمه على المفعول مع ان حقه التأخر عنه للتشويق
الى وروده فانه مدار تضاعف الرعاية والاحسان واحدهما فاعل للفعل وتأخيره عن الظرف والمفعول لئلا يطول الكلام به وبما عطف عليه
وقرئ يبلغان فاحدهما بدل من ضمير التثنية وكلاهما عطف عليه ولا سبيل الى جعل كلاهما تأكيدا للضمير وتوحيد ضمير الخطاب في عندك وفيما بعده
مع ان ما سبق على الجمع للاحتراز عن التباس المراد فان المقصود نهي كل احد عن تأفيف والديه ونهرهما ولو قوبل الجمع بالجمع او بالتثنية لم يحصل هذا
المرام **فلا تقل لهما** اي لواحد منهما حالتي الانفراد والاجتماع **اف** وهو صوت ينبئ عن تضجر او اسم فعل هو اتضجر وقرئ بالكسر بلا تنوين وبالفتح والضم

منوناً وغير منون اي لا تضجر بما تستقذر منهما وتستثقل من مؤنتهما وهذا النهي يفهم النهي عن سائر ما يؤذيهما بدلالة النص وقد خص بالذكر بعضها اظهاراً
للاعتناء بشانه فقيل **ولا تنهرهما** اي لا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ قيل النهي والنهر والنهم اخوات **وقل لهما** بدل من التأفيف والنهر **قولاً كريماً** ذا كرم
او هو وصف له بوصف صاحبه اي قولاً صادراً عن كرم ولطف وهو القول الجميل الذي يقتضيه حسن الادب ويستدعيه النزول على المروة مثل ان
يقول يا ابتاه ويا اماه كدأب ابراهيم عليه السلام اذ قال لابيه يا ابت مع ما به من الكفر ولا يدعوهما باسمائهما فانه من الجفاء وسوء الادب ودين
الدعار وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال ان تقوم الى خدمتهما عن كسل وقيل ان لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر اليهما شزراً ولا يريا منك
مخالفة في ظاهر وباطن وان تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة اودائهما من بعدهما فعن النبي صلى الله عليه وسلم ان من ابر
البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه **واخفض لهما جناح الذل** عبارة عن الانة الجانب والتواضع والتذلل لهما فان اعزازهما لا يكون الا بذلك فكانه
قيل واخفض لهما جناحك الذليل وجعل لذلة جناح كما جعل لبيد في قوله وغداة ريح قد كشفت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها للقرة
زماماً وللشمال يداً تشبيهاً له بطائر يخفض جناحه لافراخه تربية لها وشفقة عليها واما جعل خفض الجناح عبارة عن ترك الطيران كما فعله
القفال فلا يناسب المقام **من الرحمة** من فرط رحمتك وعطفك عليهما ورقتك لهما لافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله تعالى اليهما ولا تكتف برحمتك
الفانية بل ادع الله تعالى لهما برحمته الواسعة الباقية **وقل رب ارحمهما** برحمتك الدنيوية والاخروية التي من جملتها الهداية الى الاسلام فلا ينافي
ذلك كفرهما **كما ربياني** الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي رحمة مثل تربيتهما لي او مثل رحمتهما لي على ان التربية رحمة ويجوز ان
يكون لهما الرحمة والتربية معاً وقد ذكر احدهما في احد الجانبين والآخر في الآخر كما يلوح به التعرض لعنوان الربوبية في مطلع الدعاء كانه
قيل رب ارحمهما وربهما كما رحماني وربياني **صغيراً** ويجوز ان يكون الكاف للتعليل اي لاجل تربيتهما لي كقوله تعالى واذكروه كما هداكم ولقد بالغ
عز وجل في التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده سبحانه ونظمهما في سلك القضاء بهما معاً ثم ضيق الامر في باب مراعاتهما
حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع ماله من موجبات الضجر ما لا يكاد يدخل تحت الحصر وختمها بان جعل رحمته التي وسعت كل شيء مشبهة
بتربيتهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضى الله في رضى الوالدين وسخطه في سخطهما وروي يفعل البار ما يشاء ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل
العاق ما يشاء ان يفعل فلن يدخل الجنة وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما
حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما وروي ان شيخاً اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال ان ابني هذا له مال كثير وانه لا ينفق علي من ماله فنزل جبريل عليه السلام وقال ان هذا الشيخ قد انشأ في ابنه ابياتاً ما قرع سمع مثلها فاستنشدها
فانشدها الشيخ فقال غذوتك مولوداً ومنتك يافعاً تعل بما اجني عليك وتنهل اذا ليلة ضافتك بالسقم لم ابت لسقمك الا باكياً اتململ كاني انا المطروق
دونك بالذي طرقت به دوني وعيني تهمل فلما بلغت السن والغاية التي اليها مدى ما كنت فيك اؤمل جعلت جزائي غلظة وفظاظة كانك انت
المنعم المتفضل فليتك اذ لم ترع حق ابوتي فعلت كما الجار المجاور يفعل فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انت ومالك لابيك **ربكم اعلم بما في
نفوسكم** من البر والعقوق **ان تكونوا صالحين** قاصدين الصلاح والبر دون العقوق والفساد **فانه** تعالى **كان للاوابين** اي الرجاعين اليه تعالى عما فرط
منهم مما لا يكاد يخلو عنه البشر **غفوراً** لما وقع منهم من نوع تقصير او اذية فعلية او قولية وفيه ما لا يخفى من التشديد في الامر بمراعاة حقوقهما ويجوز ان يكون
عاماً لكل تائب ويدخل فيه الجاني على ابويه دخولاً اولياً **وآت ذا القربى** اي ذا القرابة **حقه** توصية بالاقارب اثر التوصية ببر الوالدين ولعل المراد بهم
المحارم وبحقهم النفقة كما ينبئ عنه قوله تعالى **والمسكين وابن السبيل** فان المأمور به في حقهما المواساة المالية لا محالة اي وآتهما حقهما مما كان مفترضاً
بمكة بمنزلة الزكوة وكذا النهي عن التبذير وعن الافراط في القبض والبسط فان الكل من التصرفات المالية **ولا تبذر تبذيراً** نهي عن صرف المال الى من
سواهم ممن لا يستحقه فان التبذير تفريق في غير موضعه مأخوذ من تفريق حبات والقائها كيفما كان من غير تعهد لمواقعه لا عن الاكثار في صرفه اليهم والا
لناسبه الاسراف الذي هو تجاوز الحد في صرفه وقد نهي عنه بقوله تعالى ولا تبسطها وكلاهما مذموم **ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين** تعليل للنهي
عن التبذير ببيان انه يجعل صاحبه ملزوزاً في قرن الشياطين والمراد بالاخوة المماثلة التامة في كل ما لا خير فيه من صفات السوء التي من جملتها
التبذير اي كانوا بما فعلوا من التبذير امثال الشياطين او الصداقة او الملازمة اي كانوا اصدقاءهم واتباعهم فيما ذكر من التبذير والصرف في المعاصي
فانهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة وسائر ما لا خير فيه من المناهي والملاهي او المقارنة اي قرناءهم في النار

في النار على سبيل الوعيد **وكان الشيطان لربه كفوراً** من تتمة التعليل اي مبالغاً في كفران نعمته تعالى لان شانه ان يصرف جميع ما اعطاه الله تعالى من القوى
والقدرة الى غير ما خلقت هي له من انواع المعاصي والافساد في الارض واضلال الناس وحملهم على الكفر بالله وكفران نعمه الفائضة عليهم وصرفها الى غير ما
امر الله تعالى الى غير مصرفها من باب الكفران المقابل للشكر الذي هو عبارة عن صرفها الى ما خلقت هي له والتعرض لوصف الربوبية للاشعار بكمال عتوه
فان كفران نعمة الرب مع كون الربوبية من اقوى الدواعي الى شكرها غاية الكفران ونهاية الضلال والطغيان **واما تعرضن عنهم** اي ان اعرضك
امر اضطرك الى ان تعرض عن اولئك المستحقين **ابتغاء رحمة من ربك** اي لفقد رزق من ربك اقامة للمسبب مقام السبب فان الفقد سبب للابتغاء
ترجوها من الله تعالى لتعطيهم وكان صلى الله عليه وسلم اذا سئل شيئاً وليس عنده اعرض عن السائل وسكت حياء فامر بتعهدهم بالقول الجميل لئلا
تعتريهم الوحشة بسكوته عليه السلام فقيل **فقل لهم قولاً ميسوراً** سهلاً ليناً وعدهم وعداً جميلاً من يسر الامر اذا سعد او قل لهم رزقنا الله
واياكم من فضله على انه دعاء لهم بتيسر عليهم فقرهم **ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط** تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر
زجراً لهما وحملاً على ما بينهما من الاقتصاد كلا طرفي قصد الامور ذميم وحيث كان قبح الشح مقارناً له معلوماً من اول الامر روعي ذلك في التصوير
باقبح الصور ولما كان غائلة الاسراف في آخره بين قبحه في اثره فقيل **فتقعد ملوماً** اي فتصير ملوماً عند الله تعالى وعند الناس وعند نفسك اذا احتجت
وندمت على ما فعلت **محسوراً** نادماً او منقطعاً بك لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وما قيل من انه روي عن جابر رضي الله عنه انه قال بينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قاعد اذ اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعاً فقال عليه السلام من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت له قل ان
امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل عليه السلام داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عرياناً واذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلوة فنزلت
فياباه ان السورة مكية خلا آيات في آخرها وكذا ما قيل انه عليه السلام اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وكذا عيينة بن حصن الفزاري فجاء عباس
بن مرداس فانشأ يقول اتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع وما كنت دون امرئ منهما
ومن تضع اليوم لا يرفع فقال عليه السلام يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل وكانوا جميعاً من المؤلفة القلوب فنزلت **ان ربك يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر** تعليل لما مر اي يوسعه على بعض ويضيقه على آخرين حسبما يتعلق به مشيئته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضافة
التي تحوجك الى الاعراض عن السائلين او نفاد ما في يدك اذا بسطتها كل البسط الا لمصلحتك **انه كان بعباده خبيراً بصيراً** تعليل لما سبق اي يعلم سرهم
وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما لا يخفى عليهم ويجوز ان يراد ان البسط والقبض من امر الله العالم بالسرائر والظواهر الذي بيده خزائن السموات
والارض فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا او ان يراد انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته فلا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا
كل البسط وان يراد انه تعالى يبسط ويقدر حسب مشيئته فلا تبسطوا على من قدر عليه رزقه وان يكون تمهيداً لقوله **ولا تقتلوا اولادكم خشية
املاق** اي مخافة فقر وقرئ بكسر الخاء كانوا يئدون بناتهم مخافة الفقر فنهوا عن ذلك **نحن نرزقهم واياكم** لا انتم فلا تخافوا الفاقة بناء على عجزكم
يعجزكم عن تحصيل رزقهم وهو ضمان لرزقهم وتعليل للنهي المذكور بابطال موجبه في زعمهم وتقديم ضمير الاولاد على المخاطبين على عكس ما وقع في
سورة الانعام للاشعار باصالتهم في افاضة الرزق او لان الباعث على القتل هناك الاملاق الناجز ولذلك قيل من املاق وههنا الاملاق
المتوقع ولذلك قيل خشية املاق فكانه قيل نرزقهم من غير ان ينتقص من رزقكم شيء فيعتريكم ما تخشونه واياكم ايضاً رزقاً الى رزقكم **ان قتلهم
كان خطئاً كبيراً** تعليل آخر ببيان ان المنهي عنه في نفسه منكر عظيم والخطأ الذنب والاثم يقال خطئ خطأً كاثم اثماً وقرئ بالفتح والسكون وبفتحتين
بمعناه كالحذر والحذر وقيل بمعنى ضد الصواب وبكسر الخاء والمد وبفتحها ممدوداً وبفتحهما وحذف الهمزة وبكسرها كذلك **ولا تقربوا الزنا** مباشرة
مباديه القريبة والبعيدة فضلاً عن مباشرته وانما نهى عن قربانه على خلاف ما سبق ولحق من القتل للمبالغة في النهي عن نفسه ولان قربانه داع الى
مباشرته وتوسيط النهي عنه بين النهي عن قتل الاولاد والنهي عن قتل النفس المحرمة على الاطلاق باعتبار انه قتل للاولاد لما انه تضييع للانساب
فان من لم يثبت نسبه ميت حكماً **انه كان فاحشة** فعلة ظاهرة القبح متجاوزة عن الحد **وساء سبيلاً** اي بئس طريقاً طريقه فانه غصب الابضاع
المؤدي الى اختلال امر الانساب وهيجان الفتن كيفما وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان على راسه كالظلة فاذا
انقطع رجع اليه وقال عليه السلام لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وعن حذيفة رضي الله عنه انه قال قال عليه السلام اياكم والزنى فان فيه
ست خصال ثلاثة في الدنيا وثلاثة في الآخرة فاما التي في الدنيا فذهاب البهاء ودوام الفقر وقصر العمر واما التي في الآخرة فسخط الله تعالى

وسؤال الحساب والخلود في النار **ولا تقتلوا النفس التي حرم الله** قتلها بان عصمها بالاسلام او بالعهد **الا بالحق** الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان
وقتل نفس معصومة عمدا فالاستثناء مفرغ اي لا تقتلوها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق او ملتبسين او ملتبسة بشيء من الاشياء ويجوز ان يكون
نعتا لمصدر محذوف اي لا تقتلوها قتلا ما الا قتلا ملتبسا بالحق **ومن قتل مظلوما** بغير حق يوجب قتله او يبيحه للقاتل حتى انه لا يعتبر اباحته
لغير القاتل فان من عليه القصاص اذا قتله غير من له القصاص يقتص له ولا يفيده قول الولي انا امرته بذلك ما لم يكن الامر ظاهرا **فقد جعلنا لوليه**
لمن يلي امره من الوارث او السلطان عند عدم الوارث **سلطانا** تسلطا واستيلاء على القاتل يواخذه بالقصاص او بالدية حسبما تقتضيه جنايته
او حجة غالبة **فلا يسرف** وقرئ لا تسرف **في القتل** اي لا يسرف الولي في امر القتل بان يتجاوز الحد المشروع بان يزيد عليه المثلة او بان يقتل
غير القاتل من اقاربه او بان يقتل الاثنين مكان الواحد كما يفعله اهل الجاهلية او بان يقتل القاتل في مادة الدية وقرئ بصيغة النفي
مبالغة في افادة معنى النهي **انه كان منصورا** تعليل للنهي والضمير للولي على معنى انه تعالى نصره بان اوجب القصاص والدية وامر الحكام بمعونته
في استيفاء حقه فلا يبغ ما وراء حقه ولا يستزد عليه ولا يخرج من دائرة امر الناصر او للمقتول ظلما على معنى انه تعالى نصره بما ذكر فلا يسرف
وليه في شأنه او للذي يقتله الولي ظلما واسرافا ووجه التعليل ظاهر وعن مجاهد ان الضمير في لا يسرف للقاتل الاول ويعضده قراءة فلا
تسرفوا والضميران في التعليل عائدان الى الولي والمقتول فالمراد بالاسراف ح اسراف القاتل على نفسه بتعريضها للهلاك العاجل والاجل
لا الاسراف وتجاوز الحد في القتل اي لا يسرف على نفسه في شأن القتل كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم **ولا تقربوا مال اليتيم**
نهي عن قربانه لما ذكر من المبالغة في النهي عن التعرض له ومن افضاء ذلك اليه وللتوسل الى الاستثناء بقوله تع **الا بالتي هي احسن** اي الا بالخصلة
والطريقة التي هي احسن الخصال والطرائق وهي حفظه واستثماره **حتى يبلغ اشده** غاية لجواز التصرف على الوجه الاحسن المدلول عليه بالاستثناء
لا للوجه المذكور فقط **واوفوا بالعهد** سواء جرى بينكم وبين ربكم او بينكم وبين غيركم من الناس والايفاء بالعهد والوفاء به هو القيام بمقتضاه
والمحافظة عليه ولا يكاد يستعمل الا بالباء فرقا بينه وبين الايفاء الحسي كايفاء الكيل والوزن **ان العهد** اظهر في مقام الاضمار اظهارا لكمال
العناية بشأنه او لان المراد مطلق العهد المنتظم للعهد المعهود **كان مسئولا** اي مسئولا عنه على حذف الجار وجعل الضمير بعد انقلابه مرفوعا مستكنا
في اسم المفعول كقوله تع وذلك يوم مشهود اي مشهود فيه ونظيره ما في قوله تع تلك آيات الكتاب الحكيم على ان اصله الحكيم قائله فحذف المضاف
وجعل الضمير مستكنا في الحكيم بعد انقلابه مرفوعا ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة
باي ذنب قتلت **واوفوا الكيل** اي اتموه ولا تخسروه **اذا كلتم** اي وقت كيلكم للمشترين وتقييد الامر بذلك لما ان التطفيف هناك يكون واما وقت
الاكتيال على الناس فلا حاجة الى الامر بالتعديل قال تعالى اذا اكتالوا على الناس يستوفون الآية **وزنوا بالقسطاس** هو القرسطون وقيل كل ميزان
صغيرا كان او كبيرا رومي معرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لانتظام المعربات في سلك الكلم العربية وقرئ بضم القاف **المستقيم** اي العدل السوي
ولعل الاكتفاء باستقامته عن الامر بايفاء الوزن لما ان عند استقامته لا يتصور الجور غالبا بخلاف الكيل فانه كثيرا ما يقع التطفيف مع استقامة
الآلة كما ان الاكتفاء بايفاء الكيل عن الامر بتعديله لما ان ايفاءه لا يتصور بدون تعديل المكيال وقد امر بتقويمه ايضا في قوله تع اوفوا الكيل والميزان
بالقسط **ذلك** اي ايفاء الكيل والوزن بالميزان السوي **خير** في الدنيا اذ هو امانة توجب الرغبة في معاملته والذكر الجميل بين الناس **واحسن تاويلا**
عاقبة تفعيل من آل اذا رجع والمراد ما يؤول اليه **ولا تقف** ولا تتبع من قفا اثره اي تبعه وقرئ ولا تقف من قاف اثره اي قفاه ومنه القافة في
جمع القائف **ما ليس لك به علم** اي لا تكن في اتباع ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده واحتج به من منع
اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند قطعيا كان او ظنيا واستعماله بهذا المعنى مما لا ينكر شيوعه وقيل انه
مخصوص بالعقائد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه السلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله تعالى في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج
ومنه قول الكميت ولا ارمي البري بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان رمينا **ان السمع والبصر والفؤاد** وقرئ بفتح الفاء والواو المقلوبة من الهمزة
عند ضم الفاء **كل اولئك** اي كل واحد من تلك الاعضاء فاجريت مجرى العقلاء لما كانت مسئولة عن احوالها شاهدة على اصحابها هذا وان اولاء
وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا الذي يعم القبيلين جاء لغيرهم ايضا قال ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد اولئك الايام
كان عنه مسئولا اي كان كل من تلك الاعضاء مسئولا عن نفسه على ان اسم كان ضمير راجع الى كل وكذا الضمير المجرور وقد جوز ان يكون الاسم ضمير

ضمير الفاعل بطريق الالتفات اذ الظاهر ان يقال كنت عنه مسئولا والجار والمجرور في محل الرفع قد اسند اليه مسئولا معللا بان الجار والمجرور لا يلتبس
بالمبتدأ وهو السبب في منع تقديم الفاعل وما يقوم مقامه ولكن النحاس حكى الاجماع على عدم جواز تقديم القائم مقام الفاعل اذا كان مجرورا ويجوز
ان يكون من باب على شريطة التفسير ويحذف الجار من المفسر ويعود الضمير مستكنا كما ذكرنا في قوله تع يوم مشهود وجوز ان يكون مسئولا مسندا الى
المصدر المدلول عليه بالفعل وان يكون فاعله المصدر وهو السؤال وعنه في محل النصب وسأل ابن جني ابا علي عن قولهم فيك يرغب وقال لا يرتفع بما بعده فاين
المرفوع فقال المصدر اي فيك يرغب الرغب بمعنى يفعل الرغبة كما في قولهم يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع وجوز ان يكون اسم كان او فاعله ضمير
كل بحذف المضاف اي كان صاحبه عنه مسئولا او مسئولا صاحبه **ولا تمش في الارض** التقييد لزيادة التقرير والاشعار بان المشي عليها مما لا يليق
بالمرح **مرحا** تكبرا وبطرا واختيالا وهو مصدر وقع موقع الحال اي ذا مرح او تمرح مرحا او لاجل المرح وقرئ بالكسر **انك لن تخرق الارض** بدوسك
وشدة وطأتك وقرئ بضم الراء **ولن تبلغ الجبال** التي هي بعض اجزاء الارض **طولا** حتى يمكن لك ان تتكبر عليها اذ التكبر انما يكون بكثرة القوة
وعظم الجثة وكلاهما مفقود وفيه تعريض بما عليه المختال من رفع رأسه ومشيه على صدور قدميه **كل ذلك** اشارة الى ما علم في تضاعيف ذكر
الاوامر والنواهي من الخصال الخمس والعشرين **كان سيئه** الذي نهي عنه وهي اثنتا عشرة خصلة **عند ربك مكروها** مبغضا غير مرضي او غير مراد بالارادة
الاولية لا غير مراد مطلقا لقيام الادلة القاطعة على ان جميع الاشياء واقعة بارادته سبحانه وهو تتمة لتعليل الامور المنهي عنها جميعا
ووصف ذلك بمطلق الكراهة مع ان البعض من الكبائر للايذان بان مجرد الكراهة عنده تعالى كافية في وجوب الانتهاء عن ذلك وتوجيه الاشارة
الى الكل ثم تعيين البعض دون توجيهها اليه ابتداء لما ان البعض المذكور ليس بمذكور جملة بل على وجه الاختلاط وفيه اشعار بكون ما عداه مرضيا عنده
تعالى وانما لم يصرح بذلك ايذانا بالغنى عنه وقيل الاضافة بيانية كما في آية الليل وآية النهار وقرئ سيئة على انه خبر كان وذلك اشارة الى ما نهي
عنه من الامور المذكورة ومكروها بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به او جرى على موصوف مذكر اي امرا
مكروها اي اجري مجرى الاسماء زال عنه معنى الوصفية ويجوز كونه حالا من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة وقرئ سيئاته وقرئ شأنه
ذلك اي الذي تقدم من التكاليف المفصلة **مما اوحى اليك ربك** اي بعض منه او من جنسه **من الحكمة** التي هي علم الشرائع او معرفة الحق لذاته والعمل به
او من الاحكام المحكمة التي لا يتطرق اليها النسخ والفساد وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذه الآيات الثماني عشر كانت في الواح موسى عليه السلام
اولها لا تجعل مع الله الها آخر قال تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وهي عشر آيات في التورية ومن اما متعلقة باوحى على انها
تبعيضية او ابتدائية واما بمحذوف وقع حالا من الموصول او من ضميره المحذوف في الصلة اي كائنا من الحكمة واما بدل من الموصول باعادة الجار
ولا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد غيره ممن يتصور منه صدور المنهي عنه وقد كرر للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر
ومنتهاه وانه رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه علومه وحكمه وان بذ فيها اساطين الحكماء وحك بيافوخه عنان السماء وقد رتب عليه
ما هو عائدة الاشراك اولا حيث قيل فتقعد مذموما مخذولا ورتب عليه ههنا نتيجته في العقبى فقيل **فتلقى في جهنم ملوما** من جهة نفسك ومن جهة
غيرك **مدحورا** مبعدا من رحمة الله تعالى وفي ايراد الالقاء مبنيا للمفعول جري على سنن الكبرياء وازدراء بالشرك وجعل له من قبيل خشبة ياخذها
آخذ بكفه فيطرحها في التنور **افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا** خطاب للقائلين بان الملائكة بنات الله سبحانه والاصفاء بالشيء
جعله خالصا والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يفسره المذكور اي افضلكم على جنابه فخصكم بافضل الاولاد على وجه الخلوص وآثر لذاته
اخسها وادناها كما في قوله سبحانه الكم الذكر وله الانثى وقوله تعالى ام له البنات ولكم البنون وقد قصد ههنا بالتعرض لعنوان الربوبية تشديد النكير
وتاكيده واشير بذكر الملائكة عليهم السلام وايراد الاناث مكان البنات الى كفرة لهم اخرى وهي وصفهم لهم عليهم السلام بالانوثة التي هي
اخس صفات الحيوان كقوله تع وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا **انكم لتقولون** بمقتضى قولكم ومذهبكم الباطل الذي هو اضافة الولد
اليه سبحانه **قولا عظيما** لا يقادر قدره في استتباع الاثم وخرقه لقضايا العقول بحيث لا يجترئ عليه احد حيث يجعلونه تعالى من قبيل الاجسام المتجانسة
السريعة الزوال وليس كمثله شيء وهو الواحد القهار الباقي بذاته ثم تضيفون اليه ما تكرهون من اخس الاولاد وتفضلون عليه انفسكم بالبنين ثم
تصفون الملائكة الذين هم من اشرف الخلائق بالانوثة التي هي اخس اوصاف الحيوان فيا لها من ضلة ما اقبحها وكفرة ما اشنعها وافظعها
ولقد صرفنا هذا المعنى وكررناه **في هذا القرآن** على وجوه من التقرير في مواضع منه وانما ترك الضمير تعويلا على الظهور وقرئ بالتخفيف **ليذكروا**

مافيه ويقفوا على بطلان ما يقولونه والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء الحال ان يعرض عنهم ويحكي للسامعين هناتهم وقرئ بالتخفيف من الذكر
بمعنى التذكر ويجوز ان يراد بهذا القرآن ما نطق ببطلان مقالاتهم المذكورة من الآيات الكريمة الواردة على اساليب مختلفة ومعنى التصريف فيه
جعله مكانا له اي اوقعنا فيه التصريف كقوله تخرج في عراقيبها نصلي وقد جوز ان يراد به ابطال اضافتهم اليه تعالى البنات وانت تعلم ان ابطالها من
آثار القرآن ونتائجها وما يزيدهم اي والحال انه ما يزيدهم ذلك التصريف البالغ الا نفورا عن الحق واعراضا عنه فضلا عن التذكر المؤدي الى
معرفة ابطال ما هم عليه من القبائح قل في اظهار بطلان ذلك من جهة اخرى لو كان معه تعالى آلهة كما يقولون اي المشركون قاطبة وقرئ بالتاء
خطابا لهم من قبل النبي صلى الله عليه وسلم والكاف في محل النصب على انها نعت لمصدر محذوف اي كونا مشابها لما يقولون والمراد بالمشابهة
الموافقة والمطابقة اذن لابتغوا جواب عن مقالتهم الشنعاء وجزاء للو اي لطلبوا الى ذي العرش اي الى من له الملك والربوبية على الاطلاق سبيلا
بالممانعة والمغالبة كما هو ديدن الملوك بعضهم مع بعض على طريقة قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل بالتقرب اليه تعالى كقوله تعالى
اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة والاول هو الاظهر الانسب لقوله سبحانه فانه صريح في ان المراد بيان انه يلزم مما يقولونه محذور
عظيم من حيث لا يحتسبون واما ابتغاء السبيل اليه تعالى بالتقرب فليس مما يختص بهذا التقدير ولا هو مما يلزمهم من حيث لا يشعرون بل هو امر
يعتقدونه رأسا اي تنزه بذاته تنزها حقيقا به وتعالى متباعدا عما يقولون من العظيمة التي هي ان يكون معه آلهة وان يكون له بنات علوا
تعاليا كقوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا كبيرا لا غاية وراءه كيف لا وانه سبحانه في اقصى غايات الوجود وهو الوجوب الذاتي وما يقولونه
من ان له تعالى شريكا واولادا في ابعد مراتب العدم اعني الامتناع لا لانه تعالى في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود لذاته واتخاذ
الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه كما قيل فان ما يقولونه ليس مجرد اتخاذ الولد بل اتخاذه تعالى له وان يكون معه آلهة ولا ريب
في ان ذلك ليس بداخل في حد الامكان فضلا عن دخوله تحت الوجود وكونه من ادنى مراتب الوجود انما هو بالنسبة الى من من شانه ذلك تسبح
بالفوقانية وقرئ بالتحتانية وقرئ سبحت له السموات السبع والارض ومن فيهن من الملائكة والثقلين على ان المراد بالتسبيح معنى منتظم
لما ينطق به لسان المقال ولسان الحال بطريق عموم المجاز وان من شيء من الاشياء حيوانا كان او نباتا او جمادا الا يسبح ملتبسا بحمده اي ينزهه
تعالى بلسان الحال عما لا يليق بذاته الاقدس من لوازم الامكان ولواحق الحدوث اذ ما من موجود الا وهو بامكانه وحدوثه يدل دلالة واضحة
على ان له صانعا عليما قادرا حكيما واجبا لذاته قطعا للسلسلة ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم
ذلك وقرئ لا يفقهون على صيغة المبني للمفعول من باب التفعيل انه كان حليما ولذلك لم يعاجلكم بالعقوبة مع ما انتم عليه من موجباتها من
الاعراض عن التدبر والدلائل الواضحة الدالة على التوحيد والانهماك في الكفر والاشراك غفورا لمن تاب منكم واذا قرأت القرآن الناطق
بالتسبيح والتنزيه ودعوتهم الى العمل بما فيه من التوحيد ورفض الشرك وغير ذلك من الشرائع جعلنا بقدرتنا ومشيئتنا المبنية على دواعي
الحكم الخفية بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة اوثر الموصول على الضمير ذما لهم بما في حيز الصلة وانما خص بالذكر كفرهم بالآخرة من بين
سائر ما كفروا به من التوحيد ونحوه دلالة على انها معظم ما امروا بالايمان به في القرآن وتمهيدا لما سينقل عنهم من انكار البعث واستعجاله ونحو
ذلك حجابا يحجبهم من ان يدركوك على ما انت عليه من النبوة ويفهموا قدرك الجليل ولذلك اجترؤا على تفوه العظيمة التي هي قولهم ان تتبعون
الا رجلا مسحورا وحمل الحجاب على ما روي عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله تعالى عنهما من انه لما نزلت سورة تبت اقبلت العوراء ام جميل امرأة ابي لهب
وفي يدها فهر والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد في المسجد ومعه ابو بكر رضي الله عنه فلما رآها قال يا رسول الله لقد اقبلت هذه واخاف ان تراك
قال عليه السلام انها لن تراني وقرأ قرآنا فوقفت على ابي بكر رضي الله تعالى عنه ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا يقبله الذوق السليم ولا يساعده
النظم الكريم مستورا ذا ستر كما في قولهم سيل مفعم او مستورا عن الحس بمعنى غير حسي او مستورا في نفسه بحجاب آخر او مستورا كونه حجابا
حيث لا يدرون انهم لا يدرون وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية كثيرة جمع كنان ان يفقهوه مفعول لاجله اي كراهة ان يفقهوه او مفعول لما
دل عليه الكلام اي منعناهم ان يفقهوه ويقفوا على كنهه ويعرفوا انه من عند الله تعالى وفي آذانهم وقرا صمما وثقلا مانعا من سماعه اللائق
وهذه تمثيلات معرب بها عن كمال جهلهم بشؤون النبي صلى الله عليه وسلم وفرط نبو قلوبهم عن فهم القرآن الكريم ومج اسماعهم له جيء بها بيانا
لعدم فقههم للتسبيح بلسان المقال اثر بيان عدم فقههم للتسبيح بلسان الحال وايذانا بان هذا التسبيح من الظهور بحيث لا يتصور عدم فهمه الا

الا لمانع قوي يعتري المشاعر فيبطلها وتنبيها على ان حالهم هذا اقبح من حالهم السابق لا حكاية لما قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا
وقر ومن بيننا وبينك حجاب كيف لا وقصدهم بذلك انما هو الاخبار بما اعتقدوه في حق القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم جهلا وكفرا من اتصافهما
باوصاف مانعة من التصديق والايمان ككون القرآن سحرا وشعرا واساطير وقس عليه حال النبي صلى الله عليه وسلم لا الاخبار بان هناك امرا
وراء ما ادركوه قد حال بينهم وبين ادراكه حائل من قبلهم ولا ريب في ان ذلك المعنى مما لا يكاد يلائم المقام واذا ذكرت ربك في القرآن وحده واحدا
غير مشفوع به آلهتهم وهو مصدر وقع موقع الحال اصله يحد وحده ولوا على ادبارهم اي هربوا ونفروا نفورا او ولوا نفورا بمعنى نافرين
نحن اعلم بما يستمعون به ملتبسين به من اللغو والاستخفاف والهزء بك وبالقرآن يروى انه كان يقوم عن يمينه عليه السلام رجلان من بني عبد الدار
وعن يساره رجلان فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وفائدته تأكيد الوعيد بالاخبار بانه كما يقع
الاستماع المزبور منهم يتعلق به العلم لان العلم يستفاد من هناك من احد وكذا قوله تعالى واذ هم نجوى لكن لا من حيث تعلقه بما به الاستماع بل بما به التناجي
المدلول عليه بسياق النظم والمعنى نحن اعلم بالذي يستمعون ملتبسين به مما لا خير فيه من الامور المذكورة وبالذي يتناجون به فيما بينهم والاول
ظرف ليستمعون والثاني ليتناجون والمعنى نحن اعلم بما به الاستماع وقت استماعهم من غير تأخير وبما به التناجي وقت تناجيهم ونجوى مرفوع على
الخبرية بتقدير المضاف اي ذوو النجوى او هو جمع نجي كقتلى جمع قتيل اي متناجون اذ يقول الظالمون بدل من اذ هم وفيه دليل على ان ما يتناجون
به غير ما يستمعون به وانما وضع الظالمون موضع المضمر اشعارا بانهم في ذلك ظالمون مجاوزون للحد اي يقول كل منهم للآخرين عند تناجيهم
ان تتبعون ما تتبعون ان وجد منكم الاتباع فرضا وما تتبعون باللغو والهزء الا رجلا مسحورا اي سحر فجن او رجلا ذا سحر اي رئة يتنفس اي
بشرا مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال اي مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا في جميع ذلك عن منهاج المحاجة فلا يستطيعون سبيلا الى طعن
يمكن ان يقبله احد فيتهافتون ويخبطون ويأتون بما لا يرتاب في بطلانه احد او الى سبيل الحق والرشاد وفيه من الوعيد وتسلية الرسول صلى الله
عليه وسلم ما لا يخفى وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا استفهام انكاري مفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار للبعث بعد ما آل الحال الى هذا المآل لما
بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من التنافي كان استحالة الامر من الظهور بحيث لا يقدر المخاطب على التكلم به والرفات ما بولغ في دقه وتفتيته
وقال الفراء هو التراب وهو قول مجاهد وقيل هو الحطام واذا متمحضة للظرفية وهو الاظهر والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى أئنا لمبعوثون لا نفسه
لان ما بعد ان والهمزة واللام لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث او نعاد وهو المرجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص انكاره به فانهم
منكرون للاحياء بعد الموت وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه اليه في حالة منافية له وتكرير الهمزة في قولهم أئنا
لتأكيد النكير وتحلية الجملة بان واللام لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد كما عسى يتوهم من ظاهر الرواية فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة
كما في مثل قوله افلا تعقلون ونظائره على رأي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم
ثابتين في المبعوثية بالفعل في حال كونهم عظاما ورفاتا كما يتراءى من ظاهر الجملة الاسمية بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه الى
انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم في الكفر وتماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه خلقا جديدا نصب على المصدر من غير لفظه او
الحالية على ان الخلق بمعنى المخلوق قل جوابا لهم وتقريبا لما استبعدوه كونوا حجارة او حديدا او خلقا آخر مما يكبر في صدوركم اي يعظم
عندكم من قبول الحيوة لكمال المباينة والمنافاة بينها وبينه فانكم مبعوثون ومعادون لا محالة فسيقولون من يعيدنا مع ما بيننا وبين الاعادة
من مثل هذه المباعدة والمباينة قل لهم تحقيقا للحق وازاحة للاستبعاد وارشادا لهم الى طريقة الاستدلال الذي اي يعيدكم القادر
العظيم الذي فطركم اخترعكم اول مرة من غير مثال يحتذيه ولا اسلوب ينتحيه وكنتم ترابا ما شم رائحة الحيوة اليس الذي يقدر على ذلك بقادر على ان
يعيد العظام البالية الى حالتها المعهودة بلى انه على كل شيء قدير فسينغضون اليك رؤسهم اي سيحركونها نحوك تعجبا وانكارا ويقولون استهزاء
متى هو اي ما ذكرته من الاعادة قل لهم عسى ان يكون ذلك قريبا نصب على انه خبر ليكون او ظرف على ان كان تامة اي ان يقع في زمان
قريب ومحل ان مع ما في حيزها اما نصب على انه خبر لعسى وهي ناقصة واسمها ضمير عائد الى ما عاد اليه هو اي عسى البعث ان يكون قريبا
او عسى البعث يقع في زمان قريب او رفع على انه فاعل لعسى وهي تامة اي عسى كونه قريبا او وقوعه في زمان قريب يوم يدعوكم منصوب
بفعل مضمر اي اذكروا او على انه بدل من قريبا على انه ظرف او بيكون تامة بالاتفاق او ناقصة عند من جوز اعمال الناقصة في الظروف اي يبعثكم

المصدر المستكن في عسى او يكون اعني البعث عند من يجوز اعمال ضمير المصدر كما في قول زهير وما الحرب الا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم فهو
ضمير المصدر وقد تعلق به ما بعده من الجار فتستجيبون اي يوم يبعثكم فتبعثون وقد استعير لهما الدعاء والاجابة ايذانا بكمال سهولة التأتي وبان المقصود
منهما الاحضار للمحاسبة والجواب بحمده حال من ضمير تستجيبون اي منقادين له حامدين لما فعل بكم غير مستعصين او حامدين له تعالى على كمال
قدرته عند مشاهدة آثارها ومعاينة احكامها وتظنون عطف على تستجيبون اي تظنون عند ما ترون ما ترون من الامور الهائلة ان لبثتم اي
ما لبثتم في القبور الا قليلا كالذي مر على قرية او ما لبثتم في الدنيا وقل لعبادي اي المؤمنين يقولوا عند محاورتهم مع المشركين التي اي الكلمة التي
هي احسن ولا يخاشنوهم كقوله تع ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم اي يفسد ويهيج الشر والمراء ويغري بعضهم
على بعض ليقع بينهم المشاقة والمعاداة والمضارة فلعل ذلك يؤدي الى تأكد العناد وتمادي الفساد فهو تعليل للامر السابق وقرئ بكسر الزاء
ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة وهو تعليل لما سبق من ان الشيطان ينزغ بينهم ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم بالتوفيق للايمان
او ان يشأ يعذبكم بالاماتة على الكفر وهذا تفسير التي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة وما يشاكلها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار
فانه مما يهيجهم على الشر مع ان العاقبة مما لا يعلمه الا الله سبحانه فعسى يهديهم الى الايمان وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امورهم تقسرهم على
الايمان وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمشاقة وذلك قبل نزول آية السيف وقيل نزل
في عمر رضي الله تعالى عنه شتمه رجل فامر بالعفو وقيل افرط اذية المشركين بالمؤمنين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل الكلمة التي
هي احسن ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله وربك اعلم بمن في السموات والارض وتفاصيل احوالهم الظاهرة والكامنة التي بها يستأهلون الاصطفاء
والاجتباء فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء ممن يستحقه وهو رد عليهم اذ قالوا بعيد ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع
اصحابه دون ان يكون ذلك من الاكابر والصناديد وذكر من في السموات لابطال قولهم لولا انزل علينا الملائكة وذكر من في الارض لرد قولهم لولا
انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتنزه عن العلائق الجسمانية
لا بكثرة الاموال والاتباع وآتينا داود زبورا بيان لحيثية تفضيله عليه السلام فان ذلك ايتاء الزبور لا ايتاء الملك والسلطنة وفيه ايذان بتفضيل
النبي صلى الله عليه وسلم فان تفوقيته الجليلة وكونه خاتم النبيين مسطورة في الزبور وان المراد بعباد الله الصالحين في قوله تعالى ان الارض يرثها
عبادي الصالحون هو النبي صلى الله عليه وسلم وامته وتعريف الزبور تارة وتنكيره اخرى اما لانه في الاصل فعول بمعنى المفعول كالحلوب او مصدر بمعناه
كالقبول واما لان المراد آتينا داود زبورا من الزبر او بعضا من الزبور فيه ذكره صلى الله عليه وسلم وقرئ بضم الزاء على انه جمع زبر بمعنى مزبور
قل ادعوا الذين زعمتم انها آلهة من دونه تعالى من الملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر عنكم بالمرة كالمرض والفقر والقحط
ونحو ذلك ولا تحويلا اي ولا تحويله الى غيركم اولئك الذين يدعون اي اولئك الآلهة الذين يدعوهم المشركون من المذكورين يبتغون يطلبون لانفسهم
الى ربهم ومالك امورهم الوسيلة القربة بالطاعة والعبادة ايهم اقرب بدل من فاعل يبتغون واي موصولة اي يبتغي من هو اقرب اليه تعالى الوسيلة فكيف بمن
دونه او ضمن الابتغاء معنى الحرص فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب اليه تعالى بالطاعة والعبادة ويرجون رحمته بها ويخافون عذابه بتركها كدأب سائر
العباد فاين هم من كشف الضر فضلا عن الالهية ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الملائكة والرسل عليهم السلام وهو تعليل لقوله
تعالى ويخافون عذابه وتخصيصه بالتعليل لما ان المقام مقام التحذير من العذاب وان بينهم وبين العذاب بونا بعيدا وان من قرية بيان لتحتم حلول عذابه
تعالى بمن لا يحذره اثر بيان انه حقيق بالحذر وان اساطين الخلق من الملائكة والنبيين عليهم السلام على حذر من ذلك وكلمة ان نافية ومن استغراقية
والمراد بالقرية الكافرة اي ما من قرية من قرى الكفار الا نحن مهلكوها اي مخربوها البتة بالخسف بها او باهلاك اهلها بالمرة لما ارتكبوا من عظائم الموبقات
المستوجبة لذلك وفي صيغة الفاعل وان كانت بمعنى المستقبل ما ليس فيه من الدلالة على التحقق والتقرر وانما قيل قبل يوم القيمة لان الاهلاك يومئذ غير
مختص بالقرى الكافرة ولا هو بطريق العقوبة وانما هو لانقضاء عمر الدنيا او معذبوها اي معذبوا اهلها على الاسناد المجازي عذابا شديدا لا
بالقتل والسبي ونحوهما من البلايا الدنيوية فقط بل بما لا يكتنه كنهه من فنون العقوبات الاخروية ايضا حسبما يفصح عنه اطلاق التعذيب عما قيد به الاهلاك
من قبلية يوم القيمة كيف لا وكثير من القرى العاتية العاصية قد اخرت عقوباتها الى يوم القيمة كان ذلك الذي ذكر من الاهلاك والتعذيب في الكتاب
اي اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا لم يغادر منه شيء الا بين فيه بكيفياته واسبابه الموجبة له ووقته المضروب له هذا وقد قيل الهلاك للقرى الصالحة

الصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت في كتاب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها اما مكة فيخربها الحبشة ويهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة
بالترك والجبال بالصواعق والرجفة واما خراسان فهلاكها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا وقال الحافظ ابو عمرو الداني في كتاب الفتن انه روي عن وهب بن
منبه ان الجزيرة آمنة من الخراب حتى يخرب ارمينية وآمنة حتى يخرب مصر ومصر آمنة حتى يخرب الكوفة ولا يكون الملحمة الكبرى حتى يخرب الكوفة فاذا كانت
الملحمة الكبرى فتحت قسطنطينية على يدي رجل من بني هاشم وخراب الاندلس من قبل الزنج وخراب افريقية من قبل الاندلس وخراب مصر من انقطاع النيل
واختلاف الجيوش فيها وخراب العراق من الجوع وخراب الكوفة من قبل عدو وهو من ورائهم يحصرهم حتى لا يستطيعون ان يشربوا من الفرات قطرة
وخراب البصرة من قبل الغرق وخراب الايلة من قبل عدو يحصرهم برا وبحرا وخراب الري من الديلم وخراب خراسان من قبل التبت وخراب التبت
من قبل الصين وخراب الهند واليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من الحبشة وخراب المدينة من قبل الجوع وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال آخر قرية من قرى الاسلام خرابا المدينة وقد اخرجه العمري من هذا الوجه وانت خبير بان تعميم القرية لا يساعده السياق ولا
السياق وما منعنا ان نرسل بالآيات اي الآيات التي اقترحتها قريش من احياء الموتى وقلب الصفا ذهبا ونحو ذلك الا ان كذب بها الاولون استثناء
مفرغ من اعم الاشياء اي وما منعنا ارسالها شيء من الاشياء الا تكذيب الاولين بها حين جاءتهم باقتراحهم وعدم ارساله تعالى بها وان كانت لمشيته
المبنية على الحكم البالغة لا يمنع مانع عن ذلك من التكذيب وغيره لاستحالة العجز عليه تعالى لكن تكذيبهم المذكور بواسطة استتباعه لاستيصالهم بحكم
السنة الالهية واستلزامه لتكذيب الآخرين بحكم الاشتراك في العتو والعناد وافضائه الى ان يحل بهم مثل ما حل بهم بحكم الشركة في الجريرة لما كان منافيا
لارسال ما اقترحوه من الآيات لتعين التكذيب المستدعي للاستيصال المخالف لما جرى به قلم القضاء من تأخير عقوبات هذه الامة الى الآخرة لحكم
باهرة من جملتها ما يتوهم من ايمان بعض اعقابهم عبر عن تلك المنافاة بالمنع على نهج الاستعارة ايذانا بتعاضد مبادي الارسال لا كما زعموا من عدم
ارساله تعالى لتأييده عليه السلام بالمعجزات وهو السر في ايثار الارسال على الايتاء لما فيه من الاشعار بتداعي الآيات الى النزول لولا ان تمسكها يد التقدير
واسناد هذا المنع الى تكذيب الاولين لا الى علمه تعالى بما سيكون من الآخرين كما في قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون
لاقامة الحجة بابراز الانموذج وللايذان بان مدار الاجابة الى ايتاء مقترحهم ليس الا صنيعهم وآتينا ثمود الناقة عطف على ما يفصح عنه النظم الكريم كانه
قيل وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون حيث آتيناهم ما اقترحوا من الآيات الباهرة فكذبوها وآتينا باقتراحهم ثمود الناقة
مبصرة على صيغة الفاعل اي بينة ذات ابصار او بصائر يدركها الناس او اسند اليها حال من يشاهدها مجازا اي جاعلتهم ذوي ابصار
وبصائر من ابصره اذا جعله بصيرا وقرئ على صيغة المفعول وبفتح الميم والصاد وهي نصب على الحالية وقرئ بالرفع على انها خبر مبتدأ
محذوف فظلموا بها فكفروا بها ظالمين اي لم يكتفوا بمجرد الكفر بها بل فعلوا بها ما فعلوا من العقر او ظلموا انفسهم وعرضوها للهلاك بسبب عقرها
ولعل تخصيصها بالذكر لما ان ثمود عرب مثلهم وان لهم من العلم بحالهم ما لا مزيد عليه حيث يشاهدون آثار هلاكهم ورودا وصدورا او لانها
من جهة انها حيوان اخرج من الحجر اوضح دليل على تحقق مضمون قوله تع قل كونوا حجارة او حديدا وما نرسل بالآيات المقترحة الا تخويفا لمن ارسلت
هي عليهم مما يعقبها من العذاب المستاصل كالطليعة له وحيث لم يخافوا ذلك فعل بهم ما فعل فلا محل للجملة حينئذ من الاعراب ويجوز ان يكون حالا
من ضمير ظلموا اي فظلموا بها ولم يخافوا عاقبته والحال انا ما نرسل بالآيات التي هي من جملتها الا تخويفا من العذاب الذي يعقبها فنزل بهم ما نزل
واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس اي علما كما نقله الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما فلا يخفى عليه شيء من افعالهم الماضية والمستقبلة من الكفر
والتكذيب وقوله تع وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس الى آخر الآية تنبيه على تحققها بالاستدلال عليها بما صدر عنهم عند مجيء بعض الآيات
لاشتراك الكل في كونها امورا خارقة للعادات منزلة من جناب الله سبحانه لتصديق النبي صلى الله عليه وسلم فتكذيبهم ببعضها مستلزم لتكذيب الباقي
كما ان تكذيب الآخرين بغير المقترحة يدل على تكذيبهم بالآيات المقترحة والمراد بالرؤيا ما عاينه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من
عجائب الارض والسماء حسبما ذكر في فاتحة السورة الكريمة والتعبير عن ذلك بالرؤيا اما لانه لا فرق بينها وبين الرؤية او لانها وقعت بالليل
او لان الكفرة قالوا لعلها رؤيا اي وما جعلنا الرؤيا التي اريناكها عيانا مع كونها آية عظيمة واية آية حقيقة بان لا يتلعثم في تصديقها
احد ممن له ادنى بصيرة الا فتنة افتتن بها الناس حتى ارتد بعضهم والشجرة الملعونة في القرآن عطف على الرؤيا والمراد بلعنها لعن
طاعميها على الاسناد المجازي او ابعادها عن الرحمة فانها تنبت في اصل الجحيم في ابعد مكان من الرحمة اي وما جعلناها الا فتنة لهم حيث انكروا

ذلك وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت في ذلك ضلالا بعيدا حيث كابروا قضية عقولهم فانهم يرون النعامة تبتلع الجمر وقطع
الحديد المحماة فلا تضرها ويشاهدون المناديل المتخذة من وبر السمندر تلقى في النار فلا تؤثر فيها ويرون ان في كل شجر نارا وقرئ بالرفع على حذف
الخبر كانه قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك **ونخوفهم** بذلك وبنظائرها من الآيات فان الكل للتخويف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار
فما يزيدهم التخويف **الا طغيانا كبيرا** متجاوزا عن الحد فلو انا ارسلنا بما اقترحوه من الآيات لفعلوا بها ما فعلوا بنظائرها وفعل بهم ما فعل باشياعهم
وقد قضينا بتأخير العقوبة العامة لهذه الامة الى الطامة الكبرى هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم وقد حمل اكثر المفسرين الاحاطة بالقدرة
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما عسى يعتريه من عدم الاجابة الى انزال الآيات التي اقترحوها لان انزالها ليس بمصلحة من نوع حزن من طعن الكفرة
حيث كانوا يقولون لو كنت رسولا حقا لاتيت بهذه المعجزات كما اتى بها موسى وغيره من الانبياء عليهم الصلوة والسلام فكانه قيل اذكر وقت قولنا
لك ان ربك اللطيف بك قد احاط بالناس فهم في قبضة قدرته لا يقدرون على الخروج من مشيئته فهو يحفظك منهم فلا تهتم بهم وامض لما امرتك به
من تبليغ الرسالة الا ترى ان الرؤيا التي اريناك من قبل جعلناها فتنة للناس مورثة للشبهة مع انها ما اورثت ضعفا لامرك وفتورا في حالك وقد
فسر الاحاطة باهلاك قريش يوم بدر وانما عبر عنه بالماضي مع كونه منتظرا حسبما ينبئ عنه قوله تع قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وغير ذلك
جريا على عادته سبحانه في اخباره واولت الرؤيا بما عسى رآه عليه السلام في المنام من مصارعهم لما روي انه عليه السلام لما ورد ماء بدر قال والله
لكأني انظر الى مصارع القوم وهو يومي الى الارض هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت به قريش فاستسخروا منه وبما رآه عليه السلام انه سيدخل
مكة واخبر باصحابه فتوجه اليها فصده المشركون عام الحديبية واعتذر عن كون ما ذكر مدنيا بانه يجوز ان يكون الوحي باهلاكهم وكذا الرؤيا وتعيين
المصارع واقعين بعد الهجرة وانت خبير بانه يلزم منه ان يكون افتتان الناس بذلك واقعا بعد الهجرة وان يكون ازديادهم طغيانا متوقعا غير واقع
عند نزول الآية وقد قيل الرؤيا ما رآه عليه السلام في وقعة بدر من مضمون قوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولا ريب في ان
تلك الرؤيا مع وقوعها في المدينة ما جعلت فتنة للناس **واذ قلنا للملائكة** تذكير لما جرى منه تعالى من الامر ومن الملائكة من الامتثال والطاعة من غير تردد
وتحقيق لمضمون ما سبق من قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا
ويعلم من حال الملائكة حال غيرهم من عيسى وعزير عليهما السلام في الطاعة وابتغاء الوسيلة ورجاء الرحمة ومخافة العذاب ومن حال ابليس حال من يعاند الحق
ويخالف الامر اي واذكر وقت قولنا لهم **اسجدوا لآدم** تحية وتكريما لما له من الفضائل المستوجبة لذلك **فسجدوا** له من غير تلعثم امتثالا بالامر واداء لحقه عليه
السلام **الا ابليس** وكان داخلا في زمرتهم مندرجا تحت الامر بالسجود **قال** اي عندما وبخ بقوله عز سلطانه يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين
وقوله ما منعك الا تسجد اذ امرتك وقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي كما اشير اليه في سورة الحجر وغيرها **أأسجد** وانا المخلوق من العنصر العالي
لمن خلقت طينا نصب على نزع الخافض اي من طين او حال من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين او من نفس الموصول اي أأسجد له واصله طين والتعبير عنه
عليه السلام بالموصول لتعليل انكاره بما في حيز الصلة **قال** اي ابليس لكن لا عقيب كلامه المحكي بل بعد الانظار المترتب على استنظاره المتفرع
على الامر بخروجه من بين الملأ الاعلى باللعن المؤبد وانما لم يصرح بذلك اكتفاء بما ذكر في مواضع اخر فان توسيط قال بين كلامي اللعين للايذان بعدم
اتصال الثاني بالاول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره كما في قوله تعالى قال فما خطبكم بعد قوله تعالى ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون **ارأيتك
هذا الذي كرمت علي** الكاف للتأكيد للخطاب لا محل لها من الاعراب وهذا مفعول اول والموصول صفته والثاني محذوف لدلالة الصلة عليه اي اخبرني عن هذا
الذي كرمته علي بان امرتني بالسجود له لم كرمته علي وقيل هذا مبتدأ حذف عنه حرف الاستفهام والموصول مع صلته خبره ومقصوده الاستصغار والاستحقار
اي اخبرني اهذا من كرمته علي وقيل معنى ارأيتك اتأملت كأن المتكلم ينبه المخاطب على استحضار ما يخاطبه به عقيبه **لئن اخرتن حيا الى يوم القيمة** كلام
مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه قوله **لاحتنكن ذريته** اي لاستأصلنهم من قولهم احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا او لاقودنهم
حيث ما شئت ولاستولين عليهم استيلاء قويا من قولهم حنكت الدابة واحتنكتها اذا جعلت في حنكها الاسفل حبلا تقودها به وما ذكر كقوله
لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين وانما علم تسني ذلك المطلب تلقيا من جهة الملائكة عليهم السلام واستنباطا من قولهم اتجعل
فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء او توسما من خلقه **الا قليلا** منهم وهم المخلصون الذين عصمهم الله تعالى **قال اذهب** اي امض لشأنك الذي اخترته
وهو طرد له وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه **فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم** اي جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب رعاية لحق

المتبوعية **جزاء موفورا** اي جزاء مكملا من قولهم فر لصاحبك فرة اي وفر وهو نصب على انه مصدر مؤكد لما في قوله فان جهنم جزاؤكم
من معنى تجازون او للفعل المقدر او حال موطئة لقوله موفورا **واستفزز** اي استخف **من استطعت منهم** ان تستفزه **بصوتك** بدعائك الى
الفساد **واجلب عليهم** اي صح عليهم من الجلبة وهي الصياح **بخيلك ورجلك** اي باعوانك وانصارك من راكب وراجل من اهل العبث والفساد قال
ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة ان له خيلا ورجلا من الجن والانس فما كان من راكب يقاتل في معصية الله تعالى فهو من خيل ابليس والخيل
الخيالة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب وقرئ بكسر الجيم وهي قراءة حفص على انه فعل بمعنى
فاعل كتعب وتاعب ومعناه وجمعه مثل حذر وحذر وندس وندس ونظائرهما اي جمعك الراجل ليطابق الخيل وقرئ رجالك ورجالك ويجوز
ان يكون استفزازه بصوته واجلابه بخيله تمثيلا لتسلطه على من يغويه فكأنه مغوار وقع على قوم فصوت بهم صوتا يزعجهم من اماكنهم ويقلقهم
عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم **وشاركهم في الاموال** بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما
لا ينبغي **والاولاد** بالحث على التوصل اليهم بالاسباب المحرمة والاشراك كتسميتهم بعبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة
والافعال القبيحة **وعدهم** المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة بتطويل الامل **وما يعدهم الشيطان الا غرورا**
اعتراض لبيان شأن مواعيده والالتفات الى الغيبة لتقوية معنى الاعتراض مع ما فيه من صرف الكلام عن خطابه وبيان شأنه للناس ومن الاشعار بعلية
شيطنته للغرور وهو تزيين الخطاء بما يوهم انه صواب **ان عبادي** الاضافة للتشريف وهم المخلصون وفيه ان من تبعه ليس منهم وان الاضافة
لثبوت الحكم في قوله تعالى **ليس لك عليهم سلطان** اي تسلط وقدرة على اغوائهم كقوله تع انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون **وكفى
بربك وكيلا** لهم يتوكلون عليه ويستمدون به في الخلاص عن اغوائك والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف الكلي مع
الاضافة الى ضمير ابليس اللعين للاشعار بكيفية كفايته تعالى اياهم اعني سلب قدرته على اغوائهم **ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر** مبتدأ وخبر والازجاء
السوق حالا بعد حال اي هو القادر الحكيم الذي يسوق لمنافعكم الفلك ويجريها في البحر **لتبتغوا من فضله** من رزقه الذي هو فضل من قبله او من
الربح الذي هو معطيه ومن مزيدة او تبعيضية وهذا تذكير لبعض النعم التي هي دلائل التوحيد وتمهيد لذكر توحيدهم عند مساس الضر تكملة لما مر
من قوله تع فلا يملكون الآية **انه كان بكم** ازلا وابدا **رحيما** حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما يعسر من مباديه وهذا تذييل فيه تعليل لما سبق
من الازجاء لابتغاء الفضل وصيغة الرحيم للدلالة على ان المراد بالرحمة الرحمة الدنيوية والنعم العاجلة المنقسمة الى الجليلة والحقيرة **واذا مسكم
الضر في البحر** خوف الغرق فيه **ضل من تدعون** اي ذهب عن خواطركم ما كنتم تدعون من دون الله من الملائكة او المسيح وغيرهم **الا اياه** وحده من غير ان
يخطر ببالكم احد منهم وتدعوه لكشفه استقلالا او اشتراكا او ضل كل من تدعونه عن اغاثتكم وانقاذكم ولم يقدر على ذلك الا الله على الاستثناء
المنقطع **فلما نجاكم** من الغرق واوصلكم **الى البر اعرضتم** عن التوحيد وانشغلتم في كفران النعمة **وكان الانسان كفورا** تعليل لما سبق من الاعراض
أفأمنتم الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فأمنتم **ان يخسف بكم جانب البر** الذي هو مأمنكم اي يقلبه ملتبسا بكم او بسبب كونكم
فيه وفي زيادة الجانب تنبيه على تساوي الجوانب والجهات بالنسبة الى قدرته سبحانه وقهره وسلطانه وقرئ بنون العظمة **او يرسل عليكم**
من فوقكم وقرئ بالنون **حاصبا** ريحا ترمي بالحصباء **ثم لا تجدوا لكم وكيلا** يحفظكم من ذلك او يصرفه عنكم فانه لا راد لامره الغالب **ام امنتم
ان يعيدكم فيه** في البحر اوثرت كلمة في على كلمة الى المنبئة عن مجرد الانتهاء للدلالة على استقرارهم فيه **تارة اخرى** اسناد الاعادة اليه تعالى مع ان
العود اليه باختيارهم باعتبار خلق الدواعي الملجئة لهم الى ذلك وفيه ايماء الى كمال شدة هول ما لاقوه في التارة الاولى بحيث لولا الاعادة لما عادوا
فيرسل عليكم وانتم في البحر وقرئ بالنون **قاصفا من الريح** وهي التي لا تمر بشيء الا كسرته وجعلته كالرميم او التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كأنها
تتقصف اي تتكسر **فيغرقكم** بعد كسر فلككم كما ينبئ عنه عنوان القصف وقرئ بالنون وبالتاء على الاسناد الى ضمير الريح **بما كفرتم** بسبب اشراككم وكفرانكم
لنعمة الانجاء **ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا** اي ثائرا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا كقوله تع ولا يخاف عقباها **ولقد
كرمنا بني آدم** قاطبة تكريما شاملا لبرهم وفاجرهم اي كرمناهم بالصورة والقامة المعتدلة والتسلط على ما في الارض والتمتع به والتمكن من الصناعات
وغير ذلك مما لا يكاد يحيط به نطاق العبارة ومن جملته ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما من ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه
اليه بيده وما قيل من شركة القرد له في ذلك مبني على عدم الفرق بين اليد والرجل فانه متناول له برجله التي يطأ بها القاذورات لا بيده **وحملناهم في**

البر والبحر علي الدواب والسفن من حملته اذا جعلت له ما يركبه وليس من المخلوقات شيء كذلك وقيل حملناهم فيهما حيث لم يخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء وانت خبير
بان الاول هو الانسب بالتكريم او جميع الحيوانات كذلك ورزقناهم من الطيبات اي فنون النعم وضروب المستلذات مما يحصل بصنعهم وبغير صنعهم وفضلناهم
في العلوم والادراكات بما ركبنا فيهم من القوي المدركة التي بها يتميز الحق من الباطل والحسن من القبيح علي كثير ممن خلقنا وهم من عدا الملائكة عليهم السلام تفضيلا
عظيما فحق عليهم ان يشكروا نعمه ولا يكفروها ويستعملوا قواهم في تحصيل العقائد الحقة ويرفضوا ما هم عليه من الشرك الذي لا يقبله احد ممن له ادني
تمييز فضلا عمن فضل علي من عدا الملأ الاعلي الذين هم العقول المحضة وانما استثني جنس الملائكة من هذا التفضيل لان علومهم دائمة عارية عن الخطأ والخلل
وليس فيه دلالة علي افضليتهم بالمعني المتنازع فيه فان المراد ههنا بيان التفضيل في امر مشترك بين جميع افراد البشر صالحها وطالحها ولا يمكن ان يكون ذلك
هو الفضل في عظم الدرجة وزيادة القربة عند الله سبحانه ان قيل اي حاجة الي تغيير ما فيه التفضيل بعد بيان ما هو المراد بالمفضلين فان استثناء
الملائكة عليهم السلام من تفضيل جميع افراد البشر عليهم لا يستلزم استثناءهم من تفضيل بعض افراده عليهم قلنا لا بد من تعيينه البتة اذ ليس من الافراد الفاجرة
للبشر احد يفضل علي احد من المخلوقات فيما هو المتنازع فيه اصلا بل هم ادني من كل دني حسبما ينبئ عنه قوله تع اولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا وقوله تع
ان شر الدواب عند الله الذين كفروا يوم ندعو نصب علي المفعولية باضمار اذكر او ظرف بما دل عليه قوله تع ولا يظلمون وقرئ بالياء علي البناء للفاعل
وللمفعول ويدعو بقلب الالف واوا علي لغة من يقول في افعي افعو وقد جوز كون الواو علامة الجمع كما في قوله تع واسروا النجوي او ضميره وكل
بدلا منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وقد يكتفي بتقديره كما في يدعي كل اناس من بني آدم الذين فعلنا بهم في الدنيا
ما فعلنا من التكريم والتفضيل وهذا شروع في بيان تفاوت احوالهم في الآخرة بحسب احوالهم واعمالهم في الدنيا بامامهم اي بمن ائتموا به من نبي او مقدم
في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا اصحاب كتاب الخير يا اصحاب كتاب الشر او يا اهل دين كذا يا اهل كتاب كذا وقيل
الامام جمع ام كخف وخفاف والحكمة في دعوتهم بامهاتهم اجلال عيسي عليه السلام وتشريف الحسنين رضي الله تعا عنهما والستر علي اولاد الزنا فمن
اوتي يومئذ من اولئك المدعوين كتابه صحيفة اعماله بيمينه ابانة لخطر الكتاب المؤتي وتشريفا لصاحبه وتبشيرا له من اول الامر بما في مطاويه فاولئك
اشارة الي من باعتبار معناه ايذانا بانهم حزب مجتمعون علي شأن جليل او اشعارا بان قراءتهم لكتبهم تكون علي وجه الاجتماع لا علي وجه الانفراد كما في
حال الايتاء وما فيه من الدلالة علي البعد للاشعار برفعة درجاتهم اي اولئك المخصوصون بتلك الكرامة التي يشعر بها الايتاء المزبور فاولئك يقرؤن الذي
اوتوه علي الوجه المبين تبجحا بما سطر فيه من الحسنات المستتبعة لفنون الكرامات ولا يظلمون اي لا ينقصون من اجور اعمالهم المرتسمة في كتبهم بل
يؤتونها مضاعفة فتيلا اي قدر فتيل وهو القشرة التي في شق النواة او ادني شيء فان الفتيل مثل في القلة والحقارة ومن كان من
المدعوين المذكورين في هذه الدنيا التي فعل بهم فيها ما فعل من فنون التكريم والتفضيل اعمي فاقد البصيرة لا يهتدي الي رشده ولا يعرف ما
اوليناه من نعمة التكرمة فهو في الآخرة التي عبر عنها بيوم ندعو اعمي كذلك اي لا يهتدي الي ما ينجيه ولا يظفر مما يجديه لان العمي الاول موجب للثاني
وقد جوز كون الثاني بمعني التفضيل علي ان عماه في الآخرة اشد من عماه في الدنيا ولذلك قرأ ابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما واضل سبيلا
اي من الاعمي لزوال الاستعداد الممكن وتعطل الآلات بالكلية وهذا بعينه هو الذي اوتي كتابه بشماله بدلالة حال ما سبق من الفريق المقابل له ولعل
العدول عن ذكره بذلك العنوان مع انه الذي يستدعيه حسن المقابلة حسبما هو الواقع في سورة الحاقة وسورة الانشقاق للايذان بالعلة الموجبة له
كما في قوله تع واما ان كان من المكذبين الضالين بعد قوله تع واما ان كان من اصحاب اليمين والرمز الي علة حال الفريق الاول وقد ذكر في احد
الجانبين المسبب وفي الآخر السبب ودل بالمذكور في كل منهما علي المتروك في الآخر تعويلا علي شهادة العقل كما في قوله عز وعلا وان يمسسك الله بضر فلا
كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وان كادوا ليفتنونك نزلت في ثقيف اذ قالوا للنبي صلي الله عليه وسلم لا ندخل في دينك حتي تعطينا
خصالا نفتخر بها علي العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلواتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان
تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا وج كما حرمت مكة فاذا قالت العرب لم فعلت فقل ان الله امرني بذلك وقيل في قريش حيث قالوا اجعل لنا
آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة او قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتي تلم بآلهتنا فان مخففة من المشددة وضمير الشان الذي هو
اسمها محذوف واللام هي الفارقة بينها وبين النافية اي ان الشان قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك فاتنين عن الذي اوحينا اليك مما اقترحه
ثقيف او قريش حسبما نقل واذا لاتخذوك خليلا اي لو اتبعت اهواءهم لكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي ولولا ان ثبتناك علي ما انت عليه

من الحق بعصمتنا لك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا من الركون الذي هو ادني ميل اي لولا تثبيتنا لك لقاربت ان تميل اليهم شيئا يسيرا من الميل اليسير
لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك العصمة فمنعتك من ان تقرب من ادني مراتب الركون اليهم فضلا عن نفس الركون وهذا صريح في انه عليه السلام
ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل علي ان العصمة بتوفيق الله تعالي وعنايته اذن لو قاربت ان تركن اليهم ادني ركنة لاذقناك ضعف
الحيوة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير خطير وكان اصل الكلام عذابا
ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات بمعني مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت اضافة موصوفها وقيل الضعف من
اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع عنك العذاب وان كادوا الكلام فيه
كما في الاول اي كاد اهل مكة ليستفزونك اي ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم من الارض اي الارض التي انت فيها وهي ارض مكة ليخرجوك منها واذن
لا يلبثون بالرفع عطفا علي خبر كاد وقرئ لا يلبثوا بالنصب علي ان الجملة معطوفة علي جملة وان كادوا ليستفزونك باعمال اذن خلافك اي بعدك
قال خلت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا اي ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك وقرئ خلفك الا قليلا الا زمانا قليلا
وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته عليه السلام وقيل نزلت الآية في اليهود حيث حسدوا مقام النبي صلي الله عليه وسلم بالمدينة
فقالوا الشام مقام الانبياء عليهم السلام فان كنت نبيا فالحق بها حتي نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه عليه السلام فخرج مرحلة فنزلت فرجع
ثم قتل منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير بقليل سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب علي المصدرية اي سن الله تعالي ذلك واضافتها الي الرسل
لانها سنت لاجلهم علي ما ينطق به قوله عز وجل ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم الصلوة لدلوك الشمس لزوالها كما ينبئ عنه قوله عليه السلام اتاني
جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت فصلي بي الظهر واشتقاقه من الدلك لان من نظر اليها حينئذ يدلك عينه وقيل لغروبها من دلكت
الشمس اي غربت وقيل اصل الدلوك الميل فينتظم كلا المعنيين واللام للتأقيت مثلها في قولك لثلاث خلون الي غسق الليل الي اجتماع ظلمته وهو وقت
صلوة العشاء وليس المراد اقامتها فيما بين الوقتين علي وجه الاستمرار بل اقامة كل صلوة في وقتها الذي عين لها ببيان جبريل عليه السلام كما
ان اعداد ركعات كل صلوة موكولة الي بيانه عليه السلام ولعل الاكتفاء ببيان المبدأ والمنتهي في اوقات الصلوات من غير فصل بينها لما ان
الانسان فيما بين هذه الاوقات علي اليقظة فبعضها متصل ببعض بخلاف اول وقت العشاء والفجر فانه باشتغاله فيما بينهما بالنوم ينقطع احدهما عن
الآخر ولذلك فصل وقت الفجر عن سائر الاوقات وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب والتحديد المذكور بيان لمبدئه ومنتهاه واستدل به علي امتداد وقتها
الي غروب الشفق وقوله تع وقرآن الفجر اي صلوة الفجر نصب عطفا علي مفعول اقم او علي الاغراء قاله الزجاج وانما سميت قرآنا لانه ركنها كما سمي ركوعا
وسجودا واستدل به علي الركنية ولا دلالة له علي ذلك لجواز كون مدار التجوز كون القراءة مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلوة الفجر لدل الامر
باقامتها علي الوجوب فيها نصا وفيما عداها دلالة ويجوز ان يكون وقرآن الفجر حثا علي تطويل القراءة في صلوة الفجر ان قرآن الفجر اظهر في مقام الاضمار
ابانة لمزيد الاهتمام به كان مشهودا يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من تبدل الضياء بالظلمة والانتباه بالنوم الذي
هو اخو الموت او يشهده كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير فالآية علي تفسير الدلوك بالزوال جامعة للصلوات الخمس وعلي تفسيره بالغروب
لما عدا الظهر والعصر ومن الليل قيل هو نصب علي الاغراء اي الزم بعض الليل وقيل لا يكون المغري به حرفا ولا يجدي نفعا كون معناها التبعيض فان واو
مع ليست اسما بالاجماع وان كانت بمعني الاسم الصريح بل هو منصوب علي الظرفية بمضمر اي قم بعض الليل فتهجد به اي ازل والق الهجود اي النوم فان
صيغة التفعل تجئ للازالة كالتحرج والتحنث والتأثم ونظائرها والضمير المجرور للقرآن من حيث هو لا بقيد اضافته الي الفجر او للبعض المفهوم من قوله
تع من الليل اي تهجد في ذلك البعض علي ان الباء بمعني في وقيل منصوب بتهجد اي تهجد بالقرآن بعض الليل علي طريقة واياي فارهبون نافلة لك
فريضة زائدة علي الصلوات الخمس المفروضة خاصة لك دون الامة ولعله هو الوجه في تاخير ذكرها عن ذكر صلوة الفجر مع تقدم وقتها عليها
او تطوعا لكن لا لكونها زيادة علي الفرائض بل لكونها زيادة له صلي الله عليه وسلم في الدرجات علي ما قال مجاهد والسدي فانه عليه الصلوة والسلام
مغفور ما تقدم من ذنبه وما تاخر فيكون تطوعه زيادة في درجاته بخلاف من عداه من الامة فان تطوعهم لتكفير ذنوبهم وتدارك الخلل الواقع في
فرائضهم وانتصابها اما علي المصدرية بتقدير تنفل او بجعل تهجد بمعناه او بجعل نافلة بمعني تهجدا فان ذلك عبادة زائدة واما علي الحالية من
الضمير الراجع الي القرآن اي حال كونها صلوة نافلة واما علي المفعولية لتهجد اذا جعل بمعني صل وجعل الضمير المجرور للبعض اي فصل في ذلك البعض

عسى ان يبعثك ربك الذي يبعثك الى الكمال اللائق بك من بعد الموت الاكبر كما بعثك من النوم الذي هو الموت الاصغر بالصلوة والعبادة مقاما نصب على الظرف
على اضمار فيقيمك او تضمين البعث معنى الاقامة [illegible] محمودا عندك وعند جميع الناس [illegible]
هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وعن ابن عباس رضي الله عنهما [illegible] الاولون والآخرون [illegible]
لبيك وسعديك [illegible]
وقل رب ادخلني [illegible] مدخل صدق [illegible] واخرجني [illegible] مخرج صدق [illegible]
[illegible]
واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا [illegible]
وقل جاء الحق [illegible] وزهق الباطل اي ذهب وهلك [illegible] ان الباطل كان زهوقا [illegible]
[illegible]
وننزل من القرآن ما هو شفاء [illegible] ورحمة للمؤمنين [illegible] ولا يزيد الظالمين الا خسارا [illegible]
[illegible]
واذا انعمنا على الانسان [illegible] اعرض ونأى بجانبه [illegible] واذا مسه الشر كان يؤسا [illegible]
قل كل يعمل على شاكلته [illegible]

تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا
اي اسد طريقا وابين منهاجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسألونك عن الروح [illegible]
الروح الذي هو مدبر البدن الانساني ومبدأ حيوته روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح
فان اجاب عنها جميعا او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي [illegible]
[illegible] قل الروح من امر ربي [illegible]
[illegible] وما اوتيتم من العلم الا قليلا [illegible]
[illegible]
ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك [illegible]
[illegible] الا رحمة من ربك [illegible] ان فضله كان عليك كبيرا [illegible]
قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله [illegible]
[illegible]

او من المجموع بان يتألبوا على تلفيق كلام واحد بتلاحق الافكار وتعاضد الانظار وقيل ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا لبعض ولو كان الآخر وقد
حذف المعطوف عليه حذفا مطردا لدلالة المعطوف عليه دلالة واضحة فان الاتيان بمثله حيث انتفى عند التظاهر فلأن ينتفي عند عدمه اولى وعلى هذه
النكتة يدور ما في ان ولو الوصليتين من التأكيد كما مر غير مرة ومحله النصب على الحالية حسبما عطف عليه اي لا يأتون بمثله على كل حال مفروض
ولو في هذه الحال المنافية لعدم الاتيان به فضلا عن غيرها وفيه حسم لاطماعهم الفارغة في روم تبديل بعض آياته ببعض ولا مساغ لكون الآية تقريرا
لما قبلها من قوله تعالى ثم لا تجد لك به علينا وكيلا كما قيل لكن لا لما قيل من ان الاتيان بمثله اصعب من استرداد عينه ونفي الشيء انما يقرره نفي ما
دونه لا نفي ما فوقه فان اصعبية الاسترداد بغير امره تعالى من الاتيان بمثله مما لا شبهة فيه بل لان الجملة القسمية ليست مسوقة الى النبي صلى الله عليه وسلم
بل الى الكافرين من قبله عليه السلام ولقد صرفنا كررنا ورددنا على انحاء مختلفة توجب زيادة تقرير وبيان ووكادة رسوخ واطمئنان للناس
في هذا القرآن المنعوت بما ذكر من النعوت الفاضلة من كل مثل من كل معنى بديع هو في الحسن والغرابة واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول فأبى
اكثر الناس وأوثر الاظهار على الاضمار تأكيدا وتوضيحا الا كفورا اي الا جحودا وانما صح الاستثناء من الموجب مع انه لا يصح ضربت الا زيدا لانه متأول
بالنفي كأنه قيل ما قبل اكثرهم الا كفورا وفيه من المبالغة ما ليس في أبوا الايمان لان فيه دلالة على انهم لم يرضوا بخصلة سوى الكفور من الايمان والتوقف
في الامر ونحو ذلك وانهم بالغوا في عدم الرضا حتى بلغوا مرتبة الاباء وقالوا عند ظهور عجزهم ووضوح مغلوبيتهم بالاعجاز التنزيلي وغيره من
المعجزات الباهرة متعللين بما لا يمكن في العادة وجوده ولا تقتضي الحكمة وقوعه في الامور كما هو ديدن المبهوت المحجوج لن نؤمن لك حتى تفجر وقرئ
بالتشديد لنا من الارض ارض مكة ينبوعا عينا لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر او تكون لك جنة اي بستانا
يستر اشجاره ما تحتها من العرصة والمراد اما اجراء الانهار خلالها عند سقيها او ادامة اجرائها كما ينبئ عنه الفاء لا ابتداؤه او تسقط السماء كما زعمت
علينا كسفا جمع كسفة كقطعة وقطع لفظا ومعنى وقرئ بالسكون كسدرة وسدر وهي حال من السماء والكاف في كما في محل النصب على انه صفة
مصدر محذوف اي اسقاطا مماثلا لما زعمت يعنون بذلك قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء او تأتي بالله والملائكة قبيلا اي مقابلا
كالعشير والمعاشر او كفيلا يشهد بصحة ما تدعيه وهو حال من الجلالة وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها اي والملائكة قبيلاء كما حذف الخبر في
قوله فاني وقيار بها لغريب او جماعة فيكون حالا من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة او ترقى في السماء
اي في معارجها فحذف المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرجة ولن نؤمن لرقيك اي لاجل رقيك فيها وحده او لن نصدق رقيك فيها حتى تنزل
علينا كتابا فيه تصديقك نقرؤه نحن من غير ان يتلقى من قبلك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال عبد الله بن ابي امية لن نؤمن لك حتى تتخذ الى
السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تأتيها وتأتي معك بصك منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون انك كما تقول وما كانوا يقصدون
بهاتيك الاقتراحات الباطلة الا العناد واللجاج ولو انهم اوتوا اضعاف ما اقترحوا من الآيات ما زادهم ذلك الا مكابرة والا فقد كان يكفيهم بعض
ما شاهدوا من المعجزات التي تخر لها صم الجبال قل تعجبا من شدة شكيمتهم وتنزيها لساحة السبحان عما لا يكاد يليق بها من مثل هذه
الاقتراحات الشنيعة التي تكاد السموات يتفطرن منها او عن طلبك ذلك وتنبيها على بطلان ما قالوه سبحان ربي وقرئ قال سبحان ربي هل
كنت الا بشرا رسولا لا ملكا حتى يتصور مني الرقي في السماء ونحوه رسولا مأمورا من قبل ربي بتبليغ الرسالة من غير ان يكون لي خيرة
في الامر كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله على ايديهم حسبما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله
سبحانه حتى يتخيروها وقوله بشرا خبر لكنت ورسولا صفته وما منع الناس اي الذين حكيت اباطيلهم ان يؤمنوا مفعول ثان لمنع وقوله اذ جاءهم الهدى
اي الوحي ظرف لمنع او يؤمنوا اي وما منعهم وقت مجيء الوحي المقرون بالمعجزات المستدعية للايمان ان يؤمنوا بالقرآن وبنبوتك وما منعهم ان
يؤمنوا بذلك وقت مجيء ما ذكر الا ان قالوا في محل الرفع على انه فاعل منع اي الا قولهم ابعث الله بشرا رسولا منكرين ان يكون رسول الله تعالى
من جنس البشر وليس المراد ان هذا القول صدر عن بعضهم فمنع بعضا آخر منهم بل المانع هو الاعتقاد الشامل للكل المستتبع لهذا القول منهم وانما عبر
عنه بالقول ايذانا بانه مجرد قول يقولونه بافواههم من غير ان يكون له مفهوم ومصداق وحصر المانع فيما ذكر مع ان لهم موانع شتى لما انه معظمها او
لانه هو المانع بحسب الحال اعني عند سماع الجواب بقوله تعالى هل كنت الا بشرا رسولا اذ هو الذي يتشبثون به حينئذ من غير ان يخطر ببالهم شبهة اخرى
من شبههم الواهية وفيه ايذان بكمال عنادهم حيث يشير الى ان الجواب المذكور مع كونه حاسما لمواد شبههم ملجئا الى الايمان يعكسون الامر ويجعلون

ما نعا منه قل لهم اولا من قبلنا تبيينا للحكمة وتحقيقا للحق المزيح للريب لو كان اي لو وجد واستقر في الارض بدل من البشر ملائكة
يمشون مطمئنين قارين فيها من غير ان يعرجوا في السماء ويعلموا ما يجب ان يعلم لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا يهديهم الى الحق ويرشدهم
الى الخير لتمكنهم من الاجتماع والتلقي منه واما عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق مفاوضة الملائكة كيف لا وهي منوطة بالتناسب والتجانس
فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التي عليها بني التكوين والتشريع وانما يبعث الملك من بينهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين
بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب وقوله ملكا يحتمل ان يكون حالا من
رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا في قوله تعالى ابعث الله بشرا رسولا والاول اولى قل لهم ثانيا من جهتك بعد ما قلت لهم من قبلنا ما قلت
وبينت لهم ما تقتضيه الحكمة في البعثة ولم يرفعوا اليه رأسا كفى بالله وحده شهيدا على اني اديت ما علي من مواجب الرسالة اكمل اداء وانكم فعلتم
ما فعلتم من التكذيب والعناد وتوجيه الشهادة الى كونه عليه السلام رسولا باظهار المعجزة على وفق الدعوة كما اختير لا يساعده قوله تعالى
بيني وبينكم وما بعده من التعليل وانما لم يقل بيننا تحقيقا للمفارقة وابانة للمباينة وشهيدا اما حال او تمييز انه كان بعباده من الرسل والمرسل
اليهم خبيرا بصيرا محيطا بظواهر احوالهم وبواطنها فيجازيهم على ذلك وهو تعليل للكفاية وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار
ومن يهد الله كلام مبتدأ يفصل ما اشار اليه الكلام السابق من مجازاة العباد اشارة اجمالية اي من يهده الله الى الحق بما جاء من قبله
من الهدى فهو المهتدي اليه والى ما يؤدي اليه من الثواب او المهتدي الى كل مطلوب ومن يضلل اي يخلق فيه الضلال بسوء اختياره كهؤلاء المعاندين
فلن تجد لهم اوثر ضمير الجماعة اعتبارا لمعنى من غب ما اوثر في مقابلة الافراد نظرا الى لفظها تلويحا بوحدة طريق الحق وقلة سالكيه وتعدد سبل
الضلال وكثرة الضلال اولياء من دونه من دون الله تعالى انصارا يهدونهم الى طريق الحق او الى طريق يوصلهم الى مطالبهم الدنيوية والاخروية
او الى طريق النجاة من العذاب الذي يستدعيه ضلالهم على معنى لن تجد لاحد منهم وليا على ما تقتضيه قضية مقابلة الجمع بالجمع من انقسام الآحاد
الى الآحاد ونحشرهم التفات من الغيبة الى التكلم ايذانا بكمال الاعتناء بامر الحشر يوم القيمة على وجوههم حال من الضمير المنصوب اي كائنين عليها سحبا
كقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم او مشيا فقد روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي
امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا حال من الضمير المجرور في الحال السابقة وبكما وصما لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا ينطقون
ما يقبل منهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم لما انهم كانوا في الدنيا لا يستبصرون بالآيات والعبر ولا ينطقون بالحق ولا يستمعونه ويجوز ان يحشروا بعد
الحساب من الموقف الى النار مؤوفي القوى والحواس وان يحشروا كذلك ثم يعاد اليهم قواهم وحواسهم فان ادراكاتهم بهذه المثابة في بعض المواطن مما لا
ريب فيه مأواهم جهنم اما حال او استئناف وكذا قوله تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا اي كلما سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم ولم يبق ما يتعلق به
النار وتحرقه زدناهم توقدا بان بدلناهم جلودا غيرها فعادت ملتهبة ومستعرة ولعل ذلك عقوبة لهم على انكارهم الاعادة بعد الفناء بتكريرها مرة
بعد اخرى ليروها عيانا حيث لم يعلموها برهانا كما يفصح عنه قوله تعالى ذلك اي ذلك العذاب جزاؤهم بانهم اي بسبب انهم كفروا بآياتنا العقلية والنقلية
الدالة على صحة الاعادة دلالة واضحة فذلك مبتدأ وجزاؤهم خبره ويجوز ان يكون مبتدأ ثانيا وبانهم خبره والجملة خبر لذلك وان يكون جزاؤهم
بدلا من ذلك او بيانا له والخبر هو الظرف وقالوا منكرين اشد الانكار أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا اما مصدر
مؤكد من غير لفظه اي لمبعوثون بعثا جديدا واما حال اي مخلوقين مستأنفين اولم يروا اي الم يتفكروا ولم يعلموا ان الله الذي خلق السموات والارض
من غير مادة مع عظمها قادر على ان يخلق مثلهم في الصغر على ان المثل مقحم والمراد بالخلق الاعادة كما عبر عنها بذلك حيث قيل خلقا جديدا وجعل لهم اجلا
لا ريب فيه عطف على اولم يروا فانه في قوة قد رأوا والمعنى قد علموا ان من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم من الانس وجعل لهم
ولبعثهم اجلا محققا لا ريب فيه هو القيمة فأبى الظالمون وضع موضع الضمير تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد بالمرة الا كفورا اي جحودا قل لو
انتم تملكون خزائن رحمة ربي خزائن رزقه التي افاضها على كافة الموجودات وانتم مرتفع بفعل يفسره المذكور كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني
وفائدة ذلك المبالغة للدلالة على الاختصاص اذا لامسكتم لبخلتم خشية الانفاق مخافة النفاد بالانفاق اذ ليس في الدنيا احد الا وهو يختار النفع
لنفسه ولو آثر غيره بشيء فانما يؤثره لعوض يفوقه فاذن هو بخيل بالاضافة الى جود الله سبحانه وكان الانسان قتورا مبالغا في البخل لان مبنى امره
على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض بما يبذله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات واضحات الدلالة على نبوته وصحة ما جاء به من عند الله

وهي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والطوفان والسنون ونقص الثمرات وقيل انفجار الماء من الحجر ونتق الطور على بني اسرائيل وانفلاق البحر بدل الاخيرة ويأباه ان هذه الثلاث لم تكن نزلت اذ ذاك وان الاولين لا تعلق لهما بفرعون وانما اوتيهما بنو اسرائيل وعن صفوان بن عسال ان يهوديا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال ان لا تشركوا به شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربوا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي يده ورجله عليه السلام ولا يساعده ايضا ما ذكر ولعل جوابه عليه السلام بذلك لما انه المهم للسائل وقبوله لما انه كان في التورية مسطورا وقد علم انه ما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من جهة الوحي **فاسأل بني اسرائيل** وقرئ فسل اي فقلنا له سلهم من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل او سلهم عن ايمانهم وحال دينهم او سلهم ان يعاضدوك ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم على صيغة الماضي وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي فاسألهم عن تلك الآيات لتزداد يقينا وطمانينة او ليظهر صدقك **اذ جاءهم** متعلق بقلنا او بسأل على القراءة المذكورة وبآتينا او بمضمر هو يخبروك او اذكر على تقدير كون الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم **فقال له فرعون** الفاء فصيحة اي فاظهر عند فرعون ما آتيناه من الآيات البينات وبلغه ما ارسل به فقال له فرعون **اني لاظنك يا موسى مسحورا** سحرت فتخبط عقلك **قال لقد علمت ما انزل هؤلاء** يعني الآيات التي اظهرها **الا رب السموات والارض** خالقهما ومدبرهما والتعرض لربوبيته تعالى لهما للايذان بانه لا يقدر على ايتاء مثل تلك الآيات العظام الا خالقهما ومدبرهما **بصائر** حال من الآيات اي بينات مكشوفات تبصرك صدقي ولكنك تعاند وتكابر نحو وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وفي ضرورة ذلك العلم العلم بانه عليه السلام على كمال رصانة العقل فضلا عن توهم المسحورية وقرئ علمت على صيغة التكلم اي لقد علمت بيقيني ان هذه الآيات انزلها الله عز سلطانه فكيف يتوهم ان يحوم حولي سحر **واني لاظنك يا فرعون مثبورا** مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما صرفك او هالكا ولقد قارع عليه السلام ظنه بظنه وشتان بينهما كيف لا وظن فرعون افك مبين وظنه عليه السلام يتاخم اليقين **فاراد** اي فرعون **ان يستفزهم** اي يستخفهم ويزعجهم **من الارض** ارض مصر او من الارض مطلقا بالقتل كقوله سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم **فاغرقناه ومن معه جميعا** فعكسنا عليه مكره واستفززناه وقومه بالاغراق **وقلنا من بعده** من بعد اغراقه **لبني اسرائيل اسكنوا الارض** التي اراد ان يستفزكم منها **فاذا جاء وعد الآخرة** الكرة الآخرة او الحيوة او الساعة او الدار الآخرة اي قيام القيامة **جئنا بكم لفيفا** مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى **وبالحق انزلناه وبالحق نزل** اي وما انزلنا القرآن الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه او ما انزلناه من السماء الا محفوظا وما نزل على الرسول الا محفوظا من تخليط الشياطين ولعل المراد بيان عدم اعتراء البطلان له اول الامر وآخره **وما ارسلناك الا مبشرا** للمطيع بالثواب **ونذيرا** للعاصي من العقاب وهو تحقيق لحقية بعثته عليه السلام اثر تحقيق حقية انزال القرآن **وقرآنا** منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى **فرقناه** وقرئ بالتشديد لدلالة على كثرة نجومه **لتقرأه على الناس على مكث** على مهل وتثبت فانه ايسر للحفظ واعون على الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه **ونزلناه تنزيلا** حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة ويقع من الحوادث والواقعات **قل للذين كفروا آمنوا به او لا تؤمنوا** فان ايمانكم به لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصا **ان الذين اوتوا العلم من قبله** اي العلماء الذين قرأوا الكتب السابقة من قبل تنزيله وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل او رأوا فيها نعتك ونعت ما انزل اليك **اذا يتلى عليهم** اي القرآن **يخرون للاذقان** اي يسقطون على وجوههم **سجدا** تعظيما لامر الله تعالى او شكرا لانجاز ما وعد به في تلك الكتب من بعثتك وتخصيص الاذقان بالذكر للدلالة على كمال التذلل اذ حينئذ يتحقق الخرور عليها وايثار اللام للدلالة على اختصاص الخرور بها كما في قوله فخر صريعا لليدين وللفم وهو تعليل لما يفهم من قوله تعالى آمنوا به او لا تؤمنوا من عدم المبالاة بذلك اي ان لم تؤمنوا به فقد آمن به احسن ايمان من هو خير منكم ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم **ويقولون** في سجودهم **سبحان ربنا** عما يفعل الكفرة من التكذيب او عن خلف وعده **ان كان وعد ربنا لمفعولا** ان مخففة من المثقلة واللام فارقة اي ان الشأن هذا **ويخرون للاذقان يبكون** كرر الخرور للاذقان لاختلاف السبب فان الاول لتعظيم امر الله تعالى او الشكر لانجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله تعالى **ويزيدهم** اي القرآن بسماعهم **خشوعا** كما يزيدهم علما ويقينا بالله تعالى **قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن** نزل حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا عن عبادة الهين وهو يدعو الها آخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله

تعالى في التورية والمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين بانهما عبارتان عن ذات واحدة وان اختلف الاعتبار والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو اوفق لقوله تعالى **اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى** والدعاء بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه وما مزيدة لتاكيد ما في اي من الابهام والضمير في له للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام اياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه اذ حسن جميع اسمائه يستدعي حسن ذينك الاسمين كونهما حسنيين لدلالتهما على صفات الكمال من الجلال والجمال والاكرام **ولا تجهر بصلوتك** اي بقراءة صلوتك بحيث تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها **ولا تخافت بها** اي بقراءتها بحيث لا يسمع من خلفك من المؤمنين **وابتغ بين ذلك** اي بين الجهر والمخافتة على الوجه المذكور **سبيلا** امرا وسطا قصدا فان خير الامور اوساطها والتعبير عن ذلك بالسبيل باعتبار انه امر يتوجه اليه المتوجهون ويؤمه المقتدون ويوصلهم الى المطلوب وروي ان ابا بكر رضي الله عنه كان يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر رضي الله عنه كان يجهر بها ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل المعنى لا تجهر بصلوتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالمخافتة نهارا والجهر ليلا وقيل بصلوتك بدعائك وذهب قوم الى انها منسوخة بقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية **وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا** كما زعم اليهود والنصارى وبنو مليح حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا **ولم يكن له شريك في الملك** اي الالوهية كما يقوله الثنوية القائلون بتعدد الآلهة **ولم يكن له ولي من الذل** ناصر ومانع منه لاعتزازه به او لم يوال احدا من اجل مذلة ليدفعها به وفي التعرض في اثناء الحمد لهذه الصفات الجليلة ايذان بان المستحق للحمد من هذه نعوته دون غيره اذ بذلك يتم الكمال والقدرة التامة على الايجاد وما يتفرع عليه من افاضة انواع النعم وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله تعالى **وكبره تكبيرا** وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه واجتهد في الطاعة والتحميد ينبغي ان يعترف بالقصور في ذلك روي انه عليه السلام كان اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية الحمد لله سبحانه وله الكبرياء والعظمة والجبروت

سورة الكهف

بسم الله الرحمن الرحيم **الحمد لله الذي انزل على عبده** محمد صلى الله عليه وسلم **الكتاب** اي الكتاب الكامل الغني عن الوصف بالكمال المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به وهو عبارة عن جميع القرآن او عن الجميع المنزل حينئذ كما مر مرارا وفي وصفه تعالى بالموصول اشعار بعلية ما في حيز الصلة لاستحقاق الحمد وايذان بعظم شأن التنزيل الجليل كيف لا وعليه يدور فلك سعادة الدارين وفي التعبير عن الرسول صلى الله عليه وسلم بالعبد مضافا الى ضمير الجلالة تنبيه على بلوغه عليه السلام الى اعلى معارج العبادة وتشريف له اي تشريف واشعار بان شأن الرسول ان يكون عبدا للمرسل كما زعمت النصارى في حق عيسى عليه السلام وتاخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور مع ان حقه التقديم عليه ليتصل به قوله تعالى **ولم يجعل له عوجا** اي شيئا من العوج بنوع اختلال في النظم وتناف في المعنى او انحراف عن الدعوة الى الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان واما قوله تعالى لا ترى فيها عوجا ولا امتا مع كون الجبال من الاعيان فلما انه على انتفاء ما لا يدرك من العوج بحاسة البصر بل انما يوقف عليه بالبصيرة بواسطة استعمال المقاييس الهندسية ولما كان ذلك مما لا يشعر به بالمشاعر الظاهرة عد من قبيل ما في المعاني وقيل العوج بالفتح في اعوجاج المنتصب كالعود والحائط وبالكسر في اعوجاج غيره عينا كان او معنى **قيما** بالمصالح الدينية والدنيوية للعباد على ما ينبئ عنه ما بعده من الانذار والتبشير فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على ما قبله من الكتب السماوية شاهدا بصحتها او مهيمنا عليها او متناهيا في الاستقامة فيكون تاكيدا لما دل عليه نفي العوج مع افادة كون ذلك من صفاته الذاتية اللازمة له حسبما ينبئ عنه الصيغة لا انه نفي عنه العوج مع كونه من شأنه وانتصابه على تقدير كون الجملة المتقدمة على الصلة بمضمر ينبئ عنه نفي العوج تقديره جعله قيما واما على تقدير كونها حالية فهو على الحالية من الكتاب اذ لا فصل حينئذ بين ابعاض المعطوف عليه بالمعطوف وقرئ قيما لينذر متعلق بانزل والفاعل ضمير الجلالة كما في الفعلين المعطوفين عليه والاطلاق عن ذكر المفعول الاول للايذان بان ما سيق له الكلام هو المفعول الثاني وان الاول ظاهر لا حاجة الى ذكره اي نزل الكتاب **لينذر** بما فيه الذين كفروا به **بأسا** اي عذابا **شديدا من لدنه** اي صادرا من عنده نازلا

من قبله بمقابلة كفرهم وتكذيبهم وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع **ويبشر** بالتشديد وقرئ
بالتخفيف **المؤمنين** اي المصدقين به **الذين يعملون الصالحات** الاعمال الصالحة التي بينت في تضاعيفه وايثار صيغة الاستقبال في الصلة للاشعار
بتجدد الاعمال الصالحة واستمرارها واجراء الموصول على موصوفه المذكور لما ان مدار قبول الاعمال هو الايمان **ان لهم** اي بان لهم بمقابلة ايمانهم واعمالهم
المذكورة **اجرا حسنا** هو الجنة وما فيها من المثوبات الحسنى **ماكثين** حال من الضمير المجرور في لهم **فيه** اي في ذلك الاجر **ابدا** من غير انتهاء اي خالدين فيه
وهو نصب على الظرفية لماكثين وتقديم الانذار على التبشير لاظهار كمال العناية بزجر الكفار عما هم عليه مع مراعاة تقديم التخلية على التحلية
وتكرير الانذار بقوله تع **وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا** متعلق بفرقة خاصة ممن عمه الانذارات السابق من مستحقي البأس الشديد للايذان
بكمال فظاعة حالهم لغاية شناعة كفرهم وضلالهم اي وينذر من بين سائر الكفرة هؤلاء المتفوهين بمثل هاتيك العظيمة خاصة وهم كفار
العرب الذين يقولون الملائكة بنات الله تع واليهود القائلون عزير ابن الله والنصارى القائلون المسيح ابن الله وترك اجراء الموصول على الموصوف
كما فعل في قوله تع ويبشر المؤمنين للايذان بكفاية ما في حيز الصلة في الكفر على اقبح الوجوه وايثار صيغة الماضي في الصلة للدلالة على تحقق
صدور تلك الكلمة القبيحة عنهم فيما سبق وجعل المفعول المحذوف فيما سلف عبارة عن هذه الطائفة يؤدي الى خروج سائر اصناف الكفرة
عن الانذار والوعيد وتعميم الانذار هناك للمؤمنين ايضا بحمله على معنى مجرد الاخبار بالخبر الضار من غير اعتبار حلول المنذر به على المنذر كما في
قوله تع ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا يقتضي الى خلو النظم الكريم عن الدلالة على حلول البأس الشديد على من عدا هذه الفرقة وتجويز ان يكون
الفاعل في الافعال الثلاثة ضمير الكتاب او ضمير الرسول عليه السلام **ما لهم به** اي باتخاذه سبحانه وتعالى ولدا **من علم** مرفوع على الابتداء او الفاعلية
لاعتماد الظرف ومن مزيدة لتأكيد النفي والجملة حالية او مستأنفة لبيان حالهم في مقالهم اي ما لهم بذلك شيء من علم اصلا لا لاخلالهم بطريقه
مع تحقق المعلوم وامكانه بل لاستحالته في نفسه **ولا لآبائهم** الذين قلدوهم فتاهوا جميعا في تيه الجهالة والضلالة او ما لهم علم بما قالوه اهو صواب
ام خطأ بل انما قالوه رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية كما في قوله تع وخرقوا له بنين وبنات بغير علم او بحقيقة ما قالوه وبعظم رتبته
في الشناعة كما في قوله تع وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه الآية وهو الانسب بقوله تع **كبرت كلمة** اي
عظمت مقالتهم هذه في الكفر والافتراء لما فيها من نسبته سبحانه الى ما لا يكاد يليق بجناب كبريائه والفاعل في كبرت اما ضمير المقالة المدلول عليها بقالوا
وكلمة نصب على التمييز او ضمير مبهم مفسر بما بعده من النكرة المنصوبة تمييزا كبئس رجلا والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت هي كلمة خارجة من
افواههم وقرئ كبرت باسكان الباء مع اشمام الضمة وقرئ كلمة بالرفع **تخرج من افواههم** صفة للكلمة مفيدة لاستعظام اجترائهم على التفوه بها
واسناد الخروج اليها مع ان الخارج هو الهواء المتكيف بكيفية الصوت لملابسته بها **ان يقولون** ما يقولون في ذلك الشأن **الا كذبا** الا قولا كذبا
لا يكاد يدخل تحت امكان الصدق اصلا والضمير ان لهم ولآبائهم مثل حاله عليه السلام في شدة الوجد على اعراض القوم وتوليهم عن الايمان بالقرآن وكمال
التحسر عليهم بحال من يتوقع منه اهلاك نفسه اثر فوت ما يحبه عند مفارقة احبته تأسفا على مفارقتهم وتلهفا على مهاجرتهم فقيل على طريقة
التمثيل حملا له عليه السلام على الحذر والاشفاق من ذلك **فلعلك باخع** اي مهلك **نفسك على آثارهم** غما ووجدا على فراقهم وقرئ بالاضافة **ان لم
يؤمنوا بهذا الحديث** اي القرآن الذي عبر عنه في صدر السورة بالكتاب وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه وقرئ بان المفتوحة اي لان لم
يؤمنوا باعمال باخع لحمله على حكاية حال ماضية لاستحضار الصورة كما في قوله عز وجل باسط ذراعيه **اسفا** مفعول له لباخع اي لفرط الحزن والغضب
او حال مما فيه من الضمير اي متأسفا ويجوز حمل النظم الكريم على الاستعارة التبعية بجعل التشبيه بين اجزاء الطرفين لا بين الهيئتين المنتزعتين
منهما كما في التمثيل وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تع ختم الله على قلوبهم **انا جعلنا ما على الارض** استيناف وتعليل لما في لعل من معنى الاشفاق اي انا
جعلنا ما عليها مما عدا من وجه اليه التكليف من الزخارف حيوانا كان او نباتا او معدنا كقوله تع هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا **زينة** مفعول
ثان للجعل ان حمل على معنى التصيير وحال ان حمل على معنى الابداع واللام في **لها** اما متعلقة بزينة او بمحذوف هو صفة لها اي كائنة لها اي ليتمتع بها الناظرون
من المكلفين وينتفعوا بها نظرا واستدلالا فان الحيات والعقارب من حيث تذكيرهما لعذاب الآخرة من قبيل المنافع بل كل حادث داخل تحت الزينة من جهة
حيث دلالته على وجود الصانع ووحدته فان الازواج والاولاد ايضا من زينة الحيوة الدنيا بل اعظمها ولا يمنع ذلك كونهم من جملة المكلفين فانهم من جهة
انتسابهم الى اصحابهم داخلون تحت الزينة ومن جهة كونهم مكلفين داخلين تحت الابتلاء **لنبلوهم** متعلق بجعلنا اي جعلنا ما جعلنا لنعاملهم معاملة

معاملة من يختبرهم **ايهم احسن عملا** فنجازيهم بالثواب والعقاب حسبما يتبين المحسن من المسيء وامتازت طبقات افراد كل من الفريقين حسب امتياز مراتب علومهم
المترتبة على انظارهم وتفاوت درجات اعمالهم المتفرعة على ذلك كما قررناه في مطالع سورة هود واي اما استفهامية مرفوعة بالابتداء واحسن خبرها
والجملة في محل النصب معلقة لفعل البلوى لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالسؤال والنظر ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل او الاستعارة التبعية
واما موصولة بمعنى الذي واحسن خبر مبتدأ مضمر والجملة صلة لها وهي في حيز النصب بدلا من مفعول لنبلوهم والتقدير لنبلو الذي هو احسن عملا
فحينئذ يحتمل ان تكون الضمة في ايهم للبناء كما في قوله عز وجل ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا على احد الاقوال لتحقق شرط البناء الذي
هو الاضافة لفظا وحذف صدر الصلة وان يكون للاعراب لان ما ذكر شرط لجواز البناء لا لوجوبه وحسن العمل الزهد فيها وعدم الاغترار بها والقناعة
باليسير منها وصرفها على ما ينبغي والتأمل في شأنها وجعلها ذريعة الى معرفة خالقها والتمتع بها حسبما اذن له الشرع واداء حقوقها والشكر لها لا اتخاذها
وسيلة الى الشهوات والاغراض الفاسدة كما يفعله الكفرة واصحاب الاهواء وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شاملا للفريقين باعتبار اعمالهم
المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للاشعار بان الغاية الاصلية للجعل المذكور انما هو ظهور كمال احسان المحسنين على ما حقق في
تفسير قوله تع ليبلوكم ايكم احسن عملا **وانا لجاعلون** فيما سيأتي عند تناهي عمر الدنيا **ما عليها** من المخلوقات قاطبة بافنائها بالكلية وانما اظهر في
مقام الاضمار لزيادة التقرير او لادراج المكلفين فيه **صعيدا** مفعول ثان للجعل والصعيد التراب او وجه الارض قال ابو عبيدة هو المستوي من الارض
وقال الزجاج هو الطريق الذي لا نبات فيه **جرزا** ترابا لا نبات فيه بعد ما كان يتعجب من بهجته النظار وتتشرف بمشاهدته الابصار يقال ارض
جرز لا نبات فيها وسنة جرز لا مطر فيها قال الفراء جرزت الارض فهي مجروزة اي ذهب نباتها بقحط او جراد ويقال جرزها الجراد والشاة والابل
اذا اكلت ما عليها وهذه الجملة لتكميل ما في السابقة من التعليل والمعنى لا تحزن بما عاينت من القوم من تكذيب ما انزلنا عليك من الكتاب فانا قد
جعلنا ما على الارض من فنون الاشياء زينة لها لنختبر اعمالهم فنجازيهم بحسبها وانا لمفنون جميع ذلك عن قريب ومجازون لهم بحسب اعمالهم **ام حسبت**
الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد انكار حسبان امته وام منقطعة مقدرة ببل التي هي للانتقال من حديث الى حديث لا للابطال وبهمزة الاستفهام
عند الجمهور وببل وحدها عند غيرهم اي بل احسبت **ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا** في بقائهم على الحيوة مدة طويلة من الدهر **من آياتنا** من بين آياتنا التي
من جملتها ما ذكرنا من جعل ما على الارض زينة لها للحكمة المشار اليها ثم جعل ذلك كله صعيدا جرزا كأن لم تغن بالامس **عجبا** آية ذات عجب وصفا له
موضع المضاف او وصفا لذلك بالمصدر مبالغة وهو خبر لكانوا ومن آياتنا حال منه والمعنى ان قصتهم وان كانت خارقة للعادات ليست بعجيبة بالنسبة
الى سائر الآيات التي من جملتها ما ذكر من تعاجيب خلق الله تعالى بل هي عندها كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم كلبهم قال امية
بن ابي الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد وقيل هو لوح رصاصي او حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعل على باب
الكهف وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف فهو من رقمة الوادي اي جانبه وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين
وقيل اصحاب الرقيم آخرون وكانوا ثلثة انطبق عليهم الغار فنجوا بذكر كل منهم احسن عمله على ما فصل في الصحيحين **اذ اوى** ظرف لعجبا لا لحسبت
او مفعول لاذكر اي حين التجأ **الفتية** اي اصحاب الكهف واوثر الاظهار على الاضمار لتحقيق ما كانوا عليه في انفسهم من حال الفتوة فانهم كانوا فتية
من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فهربوا منه بدينهم ولان صاحبية الكهف من فروع التجائهم **الى الكهف** فلا يناسب اعتبارها معهم
قبل بيانه الى الكهف لجعلهم بجلوسهم واتخذوه مأوى **فقالوا ربنا آتنا من لدنك** من خزائن رحمتك الخاصة المكنونة عن عيون اهل العادات فمن
ابتدائية متعلقة بآتنا او بمحذوف وقع حالا من مفعوله الثاني قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له اي آتنا كائنة من لدنك
رحمة خاصة تستوجب المغفرة والرزق والامن من الاعداء **وهيئ لنا من امرنا** الذي نحن عليه من مهاجرة الكفار والمثابرة على طاعتك
واصل التهيئة احداث هيئة الشيء اي اصلح ورتب واتمم لنا من امرنا **رشدا** اصابة للطريق الموصل الى المطلوب واهتداء اليه وكلا الجارين
متعلق بهيئ لاختلافهما في المعنى وتقديم المجرورين على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بهما وابراز الرغبة في المؤخر بتقديم احواله فان تأخير
ما حقه التقديم عما هو تقديم من احواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع الى وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة
وكذا الكلام في قوله تع من لدنك على تقدير تعلقه بآتنا وتقديم لنا على من امرنا للايذان من اول الامر بكون المسئول مرغوبا فيه لديهم او اجعل
امرنا رشدا كله على ان من تجريدية مثلها في قولك رأيت منك اسدا **فضربنا على آذانهم** اي انمناهم على طريقة التمثيل المبني على تشبيه الانامة

الثقيلة المانعة عن وصول الأصوات الى الآذان بضرب الحجاب عليها وتخصيص الآذان بالذكر مع اشتراك سائر المشاعر لها في الحجب عن الشعور عند النوم لما انها
المحتاج الى الحجب عادة اذ هي الطريقة للتيقظ غالبا لا سيما عند انفراد النائم واعتزاله عن الخلق وقيل الضرب على الآذان كناية عن الانامة الثقيلة
وحمله على تعطيلها كما في قولهم ضرب الأمير على يد الرعية اي منعهم من التصرف مع عدم ملاءمته لما سيأتي من البعث لا يدل على النوم مع انه المراد قطعا
والفاء في فضربنا كما في قوله عز وجل فاستجبنا له بعد قوله تعالى اذ نادى فان الضرب المذكور وما يترتب عليه من التقليب ذات اليمين وذات الشمال
والبعث وغير ذلك ايتاء رحمة لدنية خافية عن ابصار المتمسكين بالاسباب العادية استجابة لدعوتهم في الكهف ظرف مكان لضربنا سنين ظرف
زمان له باعتبار بقائه لا لابتدائه سنين اي ذوات عدد او تعد عددا على انه مصدر او معدودة على انه بمعنى المفعول ووصف السنين بذلك
اما للتكثير وهو الانسب باظهار كمال القدرة او للتقليل وهو الأليق بمقام انكار كون القصة عجبا من بين سائر الآيات العجيبة فان مدة لبثهم كبعض
يوم عنده عز وجل ثم بعثناهم اي ايقظناهم من تلك النومة الثقيلة الشبيهة بالموت لنعلم بنون العظمة وقرئ بالياء مبنيا للفاعل بطريق الالتفات
واياما كان فهو غاية للبعث لكن لا بجعل العلم مجازا من الاظهار والتمييز او بحمله على ما يصح وقوعه غاية للبعث الحادث من العلم الحالي الذي تعلق
به الجزاء كما في قوله تعالى الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وقوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا ونظائرهما التي يتحقق فيها العلم
بتحقق متعلقه قطعا فان تحويل القبلة قد ترتب عليه تحزب الناس الى متبع ومنقلب وكذا مداولة الايام بين الناس ترتب عليه تحزبهم الى الثابت
على الايمان والمتزلزل فيه وتعلق بكل من الفريقين العلم الحالي والاظهار والتمييز واما بعث هؤلاء فلم يترتب عليه تفرقهم الى المحصي وغيره حتى يتعلق
بهما العلم او الاظهار والتمييز وينتظم شيء من ذلك في سلك الغاية وانما الذي ترتب عليه تفرقهم الى مقدر تقديرا غير مصيب ومفوض الى العلم الرباني
وليس شيء منهما من الاحصاء في شيء بل بحمل النظم الكريم على التمثيل المبني على جعل العلم عبارة عن الاختبار مجازا بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب
وليس من ضرورة الاختبار صدور الفعل المختبر به عن المختبر قطعا بل قد يكون لاظهار عجزه عنه على سنن التكاليف التعجيزية كقوله تعالى فأت بها من المغرب وهو
المراد ههنا فالمعنى بعثناهم لنعاملهم معاملة من يختبرهم اي الحزبين اي الفريقين المختلفين في مدة لبثهم بالتقدير والتفويض كما سيأتي احصى اي ضبط
لما لبثوا اي للبثهم امدا اي غاية فيظهر لهم عجزهم ويفوضوا ذلك الى العليم الخبير ويتعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم من حفظ ابدانهم وأديانهم فيزدادوا
يقينا بكمال قدرته وعلمه ويستبصروا به امر البعث ويكون ذلك لطفا لمؤمني زمانهم وآية بينة لكفارهم وقد اقتصر ههنا من تلك الآيات الجليلة على ذكر
مبدئها الصادر عنه عز وجل وفيما سيأتي على ما صدر عنهم من التساؤل المؤدي اليها وهذا اولى من تصوير التمثيل بان يقال بعثناهم بعث من يريد ان يعلم
الى آخره حسبما وقع في تفسير قوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا على احد الوجوه حيث حمل على معنى فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان
من غير الثابت اذ ربما يتوهم منه استلزام الارادة لتحقق المراد فيعود المحذور فيصار الى جعل ارادة العلم عبارة عن الاختبار فاختبر واختر هذا
وقد قرئ ليُعلم مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل من الاعلام على ان المفعول الاول محذوف والجملة المصدرة بأي في موقع المفعول الثاني فقط ان جعل العلم
عرفانيا وفي موقع المفعولين ان جعل يقينيا اي ليعلم الله الناس اي الحزبين احصى الى آخره وروى عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ان احد الحزبين
الفتية والآخر الملوك الذين تداولوا المدينة ملكا بعد ملك وقيل كلاهما من غيرهم والاول هو الاظهر فان اللام للعهد ولا عهد لغيرهم والامد بمعنى
المدى كالغاية في قولهم ابتداء الغاية وانتهاء الغاية وهو مفعول لاحصى والجار والمجرور حال منه قدمت عليه لكونه نكرة وليس معنى احصاء تلك المدة
ضبطها من حيث كميتها المتصلة الذاتية فانه لا يسمى احصاء بل ضبطها من حيث كميتها المنفصلة العارضة لها باعتبار قسمتها الى السنين وبلوغها من
تلك الحيثية الى مراتب الاعداد على ما يرشدك اليه كون تلك المدة عبارة عما سبق من السنين ويجوز ان يراد بالامد معناه الوصفي بتقدير المضاف اي لزمان
لبثهم وبدونه ايضا فان اللبث عبارة عن الكون المستمر المنطبق على الزمان المذكور فباعتبار الامتداد العارض له بسببه يكون له امد لا محالة
لكن ليس المراد به ما يقع غاية ومنتهى لذلك الكون المستمر باعتبار كميته المتصلة العارضة له بسبب انطباقه على الزمان الممتد بالذات وهو آن انبعاثهم
من نومهم فان معرفته من تلك الحيثية لا يخفى على احد ولا تسمى احصاء كما مر بل باعتبار كميته المنفصلة العارضة له بسبب عروضها لزمانه المنطبق هو عليه
باعتبار انقسامه الى السنين ووصوله الى مرتبة معينة من مراتب العدد كما حقق في الصورة الاولى والفرق بين الاعتبارين ان ما تعلق به الاحصاء في
الصورة السابقة نفس المدة المنقسمة الى السنين فهو مجموع ثلثمائة وتسع سنين وفي الصورة الاخيرة منتهى تلك المدة المنقسمة اليها اعني السنة
التاسعة بعد الثلثمائة وتعلق الاحصاء بالامد بالمعنى الاول ظاهر واما تعلقه به بالمعنى الثاني فباعتبار انتظامه لما تحته من مراتب العدد واشتماله

واشتماله عليها هذا على تقدير كون ما في قوله تعالى لما لبثوا مصدرية ويجوز ان يكون موصولة حذف عائدها من الصلة اي للذين لبثوا فيه من الزمان الذي عبر عنه
فيما قبل بسنين عددا فالامد بمعناه الوصفي على ما تحققته وقيل اللام مزيدة والموصول مفعول وامدا نصب على التمييز واما ما قيل من ان احصى اسم تفضيل
لانه الموافق لما وقع في سائر الآيات الكريمة نحو ايهم احسن عملا ايهم اقرب لكم نفعا الى غير ذلك مما لا يحصى ولأن كونه فعلا ماضيا يشعر بان غاية البعث
هو العلم بالاحصاء المتقدم على البعث لا بالاحصاء المتأخر عنه وليس كذلك وادعاء ان مجيء افعل التفضيل من المزيد عليه غير قياسي مدفوع بانه عند
سيبويه قياس مطلقا وعند ابن عصفور فيما ليست همزته للنقل ولا ريب في ان ما نحن فيه من ذاك القبيل وامتناع عمله انما هو في غير التمييز من المعمولات
واما ان التمييز يجب كونه فاعلا في المعنى فلمانع ان يمنعه لصحة ان يقال انهم احفظ لهذا الشعر وزنا او تقطيعا او يقال ان العامل في امدا فعل محذوف
يدل عليه المذكور اي يحصي لما لبثوا امدا كما في قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا وحديث الوقوع في المحذور بلا فائدة مدفوع بما اشير اليه من فائدة
الموافقة للنظائر فمع ما فيه من الاعتساف والخلل بمعزل من السداد لأن مؤداه ان يكون المقصود بالاختبار اظهار افضل الحزبين وتمييزه عن الادنى مع
تحقق اصل الاحصاء فيهما ومن البين ان لا تحقق له اصلا وان المقصود بالاختبار اظهار عجز الكل عنه رأسا فهو فعل ماض قطعا وتوهم ايذانه بان غاية
البعث هو العلم بالاحصاء المتقدم عليه مردود بان صيغة الماضي باعتبار حال الحكاية والله تعالى اعلم نحن نقص عليك شروع في تفصيل ما اجمل فيما سلف
من قوله تعالى اذ اوى الفتية الى آخره اي نحن نخبرك بتفاصيل اخبارهم وقد مر بيان اشتقاقه في مطلع سورة يوسف عليه السلام نبأهم النبأ الخبر الذي له
شأن وخطر بالحق اما صفة لمصدر محذوف او حال من ضمير نقص او من نبأهم او صفة له على رأي من يرى حذف الموصول مع بعض صلته اي نقص قصصا
ملتبسا بالحق او نقصه ملتبسين به او نقص نبأهم ملتبسا به او نبأهم الملتبس به ونبؤهم حسبما ذكره محمد بن اسحق بن يسار انه قد مرج اهل الانجيل
وعظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم فعبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت وكان ممن بالغ في ذلك وعتا عتوا كبيرا دقيانوس فانه غلا فيه غلوا شديدا
فجاس خلال الديار والبلاد بالعيث والفساد وقتل من خالفه من المتمسكين بدين عيسى عليه السلام وكان يتتبع الناس فيخيرهم بين القتل وبين
عبادة الأوثان فمن رغب في الحيوة الدنيا الدنية يصنع ما يصنع ومن آثر عليها الحيوة الابدية قتله وقطع آرابه وعلقها في سور المدينة وابوابها
فلما رأى الفتية ذلك وكانوا عظماء مدينتهم وقيل كانوا من خواص الملك قاموا فتضرعوا الى الله عز وجل واشتغلوا بالصلوة والدعاء فبينما هم
كذلك اذ دخل اعوان الجبار فاحضروهم بين يديه فقال لهم ما قال وخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان فقالوا ان لنا الها ملأ السموات والارض
عظمته وجبروته لن ندعو من دونه احدا ولن نقر لما تدعونا اليه فاقض ما انت قاض فأمر فنزع ما عليهم من الثياب الفاخرة واخرجهم من عنده
وخرج هو الى مدينة نينوى لبعض شأنه وامهلهم الى رجوعه ليتأملوا في امرهم فان تبعوه والا فعل بهم ما فعل بسائر المسلمين فازمعت الفتية على الفرار
بالدين والالتجاء الى الكهف الحصين فأخذ كل منهم من بيت ابيه شيئا فتصدقوا ببعضه وتزودوا بالباقي فأووا الى الكهف فجعلوا يصلون فيه
آناء الليل واطراف النهار ويبتهلون الى الله سبحانه بالأنين والجؤار وفوضوا امر نفقتهم الى يمليخا فكان اذا اصبح يضع عنه ثيابه الحسان ويلبس
لباس المساكين ويدخل المدينة ويشتري ما يهمهم ويتجسس ما فيها من الاخبار ويعود الى اصحابه فلبثوا على ذلك الى ان قدم الجبار المدينة فطلبهم
واحضر آباءهم فاعتذروا بانهم عصوهم ونهبوا اموالهم وبذروها في الاسواق وفروا الى الجبل فلما رأى يمليخا ما رأى من الشر رجع الى اصحابه
وهو يبكي ومعه قليل من الزاد فاخبرهم بما شاهده من الهول ففزعوا الى الله عز وجل وخروا له سجدا ثم رفعوا رؤسهم وجلسوا يتحدثون
في امرهم فبينما هم كذلك اذ ضرب الله تعالى على آذانهم فناموا ونفقتهم عند رؤسهم فخرج دقيانوس في طلبهم بخيله ورجله فوجدهم قد دخلوا الكهف
فأمر باخراجهم فلم يطق احد ان يدخله فلما ضاق بهم ذرعا قال قائل منهم أليس قد كنت قدرت عليهم قتلهم قال بلى قال فابن عليهم باب
الكهف ودعهم يموتوا جوعا وعطشا وليكن كهفهم قبرا لهم ثم كان من شأنهم ما قص الله عز وعلا منهم انهم فتية استئناف تحقيقي
مبني على تقدير السؤال من قبل المخاطب والفتية جمع قلة للفتى كالصبية للصبي آمنوا بربهم اوثر الالتفات للاشعار بعلية وصف الربوبية
لايمانهم ولمراعاة ما صدر عنهم من المقالة حسبما سيحكى عنهم وزدناهم هدى بأن ثبتناهم على ما كانوا عليه من الدين واظهرنا لهم مكنونات
محاسنه وفيه التفات من الغيبة الى ما عليه سبك النظم سباقا وسياقا من التكلم وربطنا على قلوبهم اي قويناها حتى اقتحموا مضايق الصبر
على هجر الاهل والاوطان والنعيم والاخوان واجترؤا على الصدع بالحق من غير خوف وحذار والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا منصوب
بربطنا والمراد بقيامهم انتصابهم لاظهار شعار الدين قال مجاهد خرجوا من المدينة فاجتمعوا على غير ميعاد فقال اكبرهم اني لأجد في نفسي شيئا

ان ربي رب السموات والارض فقالوا نحن ايضا كذلك فقاموا جميعا فقالوا ربنا رب السموات والارض ضمنوا دعويهم ما يحقق فحواها ويقضي بمقتضاها
فان ربوبيته عز وجل لهما يقتضي ربوبيته لما فيهما اي اقتضاء وقيل المراد قيامهم بين يدي الجبار من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة
الاصنام فحينئذ يكون ما سيأتي من قوله تعالى هؤلاء الى آخره منقطعا عما قبله صادرا عنهم بعد خروجهم من عنده لن ندعو من دونه الها لن نعبد ابدا
معبودا آخر لا استقلالا ولا اشتراكا والعدول عن ان يقال ربا للتنصيص على رد المخالفين حيث كانوا يسمون اصنامهم آلهة وللاشعار
بان مدار العبادة وصف الالوهية وللايذان بان ربوبيته بطريق الالوهية لا بطريق المالكية المجازية لقد قلنا اذا شططا اي قولا ذا شطط
اي تجاوز عن الحد او قولا هو عين الشطط على انه وصف بالمصدر مبالغة ثم اقتصر على الوصف مبالغة على مبالغة وحيث كانت العبادة
مستلزمة للقول لما انها لا تعرى عن الاعتراف بالوهية المعبود والتضرع اليه قيل لقد قلنا واذا جواب وجزاء اي لو دعونا من دونه الها والله
لقد قلنا قولا خارجا عن حد العقول مفرطا في الظلم هؤلاء هو مبتدأ وفي معنى الاشارة تحقير لهم قومنا عطف بيان له اتخذوا من دونه
آلهة خبره وفيه معنى الانكار لولا يأتون تحضيض فيه معنى الانكار والتعجيز اي هلا يأتون عليهم على الوهيتهم او على صحة اتخاذهم لها آلهة بسلطان
بين بحجة ظاهرة الدلالة على مدعاهم وهو تبكيت لهم والقام حجر فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا
والمعنى انه اظلم من كل ظالم وان كان سبك النظم على انكار الاظلمية من غير تعرض لانكار المساواة كما مر تحقيقه في سورة هود واذ اعتزلتموهم
اي فارقتموهم في الاعتقاد او اردتم الاعتزال الجسماني وما يعبدون الا الله عطف على الضمير المنصوب وما موصولة او مصدرية اي اعتزلتموهم
ومعبوديهم الا الله او وعبادتهم الا عبادة الله وعلى التقديرين فالاستثناء متصل على تقدير كونهم مشركين كاهل مكة ومنقطع على تقدير
تمحضهم في عبادة الاوثان ويجوز كون ما نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه فأووا الى الكهف
قال الفراء هو جواب اذ كما تقول اذ فعلت فافعل كذا وقيل هو دليل على جوابه اي اذ اعتزلتموهم اعتزالا اعتقاديا فاعتزلوهم اعتزالا
جسمانيا او اذا اردتم اعتزالهم فافعلوا ذلك بالالتجاء الى الكهف ينشر لكم يبسط لكم ويوسع عليكم ربكم مالك امركم من رحمته في الدارين ويهيئ لكم
يسهل لكم من امركم الذي انتم بصدده من الفرار بالدين مرفقا ما ترتفقون وتنتفعون به وقرئ بفتح الميم وكسر الفاء مصدرا كالمرجع وتقديم لكم
في الموضعين لما مر مرارا من الايذان من اول الامر بكون المؤخر من منافعهم والتشويق الى وروده وترى الشمس بيان لحالهم بعدما أووا الى الكهف
ولم يصرح به ايذانا بعدم الحاجة اليه لظهور جريانهم على موجب الامر به لكونه صادرا عن رأي صائب وتعويلا على ما سلف من قوله سبحانه اذ
أوى الفتية الى الكهف وما لحق من اضافة الكهف اليهم وكونهم في فجوة منه والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب وليس المراد
به الاخبار بوقوع الرؤية تحقيقا بل الانباء بكون الكهف بحيث لو رأيته ترى الشمس اذا طلعت تزاور اي تتزاور وتتنحى بحذف احدى التائين
وقرئ بادغام التاء في الزاء وتزور كتحمر وتزوار كتحمار وتزئر وكلها من الزور وهو الميل عن كهفهم الذي أووا اليه فالاضافة لادنى
ملابسة ذات اليمين اي جهة ذات يمين الكهف عند توجه الداخل الى قعره اي جانبه الذي يلي المغرب فلا يقع عليهم شعاعها فيؤذيهم واذا غربت
اي تراها عند غروبها تقرضهم اي تقطعهم من القطيعة والصرم ولا تقربهم ذات الشمال اي جهة ذات شمال الكهف اي جانبه الذي يلي المشرق وكان ذلك
بتصريف الله سبحانه على منهاج خرق العادة كرامة لهم وقوله تعالى وهم في فجوة منه جملة حالية مبينة لكون ذلك امرا بديعا اي تراها تميل عنهم يمينا وشمالا
ولا تحوم حولهم مع انهم في متسع من الكهف معرض لاصابتها لولا ان صرفتها عنهم يد التقدير ذلك اي ما صنع الله بهم من تزاور الشمس وقرضها حالتي الطلوع
والغروب مع كونهم في موقع شعاعها من آيات الله العجيبة الدالة على كمال علمه وقدرته وحقية التوحيد وكرامة اهله عنده سبحانه وتعالى وهذا
قيل ان سد دقيانوس عليهم باب الكهف وقيل كان باب الكهف شماليا مستقبل بنات النعش واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته مشرق رأس
السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها
على جنبيه وتحلل عفونته وتعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي اجسادهم ويبلي ثيابهم ولعل ميل الباب الى جانب الغرب كان اكثر ولذلك اوقع التزاور
على كهفهم والقرض على انفسهم فذلك ح اشارة الى ايوائهم الى كهف هذا شأنه واما جعله اشارة الى حفظ الله سبحانه اياهم في ذلك الكهف
تلك المدة الطويلة او الى اطلاعه سبحانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم على اخباره فلا يساعده ايراده في تضاعيف القصة من يهد الله الى
الحق بالتوفيق له فهو المهتد الذي اصاب الفلاح والمراد اما الثناء عليهم والشهادة لهم باصابة المطلوب والاخبار بتحقيق ما املوه من نشر الرحمة

من نشر الرحمة وتهيئة المرفق او التنبيه ان امثال هذه الآية كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله تعالى للاستبصار بها ومن يضلل اي يخلق فيه الضلال
لصرف اختياره اليه فلن تجد له ابدا وان بالغت في التتبع والاستقصاء وليا ناصرا مرشدا يهديه الى ما ذكر من الفلاح لاستحالة
وجوده في نفسه لا انك لا تجده مع وجوده او امكانه وتحسبهم بفتح السين وقرئ بكسرها ايضا والخطاب فيه كما فيما سبق ايقاظا جمع يقظ بكسر
القاف وفتحها وهو اليقظان ومدار الحسبان انفتاح عيونهم على هيئة الناظر وقيل كثرة تقلبهم ولا يلائمه قوله تعالى ونقلبهم وهم رقود اي نيام
وهو تقرير لما لم يذكر فيما سبق اعتمادا على ذكره التبع من الضرب على آذانهم ونقلبهم في رقدتهم ذات اليمين نصب على الظرفية اي جهة تلي ايمانهم
وذات الشمال اي جهة تلي شمائلهم كيلا تأكل الارض ما يليها من ابدانهم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لو لم يقلبوا لاكلتهم الارض قيل لهم تقلبتان
في السنة وقيل تقلبة واحدة يوم عاشوراء وقيل في كل تسع سنين وقرئ يقلبهم على الاسناد الى ضمير الجلالة وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل
ينبئ عنه وتحسبهم اي وترى تقلبهم وكلبهم قيل هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه مرارا فلم يرجع فانطقه الله تعالى فقال لا تخشوا جانبي فاني احب
احباء الله فناموا حتى احرسكم وقيل كلب راع قد تبعهم على دينهم ويؤيده قراءة كالبهم اذ الظاهر لحوقه بهم وقيل هو كلب صيد احدهم او زرعه
او غنمه واختلف في لونه فقيل كان احمر وقيل اصفر وقيل اصهب وقيل غير ذلك وقيل كان اسمه قطمير وقيل ريان وقيل تقود وقيل قطمور وقيل ثور
قال خالد بن معدان ليس في الجنة من الدواب الا كلب اصحاب الكهف وحمار بلعم وقيل لم يكن ذلك من جنس الكلاب بل كان اسدا باسط ذراعيه حكاية
حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل وعند الكسائي وهشام وابي جعفر من البصريين يجوز اعماله مطلقا والذراع من المرفق الى رأس الاصبع الوسطى
بالوصيد اي بموضع الباب من الكهف لو اطلعت عليهم اي لو عاينتهم وشاهدتهم واصل الاطلاع الاشراف على الشيء بالمعاينة والمشاهدة وقرئ بضم
الواو لوليت منهم فرارا هربا مما شاهدت منهم وهو اما نصب على المصدرية من معنى ما قبله اذ التولية والفرار من واد واحد واما على الحالية بجعل
المصدر بمعنى الفاعل اي فارا او بجعل الفاعل مصدرا مبالغة كما في قولها فانما هي اقبال وادبار واما على انه مفعول له ولملئت منهم رعبا
وقرئ بضم العين اي خوفا يملأ الصدر ويرعبه وهو اما مفعول ثان او تمييز وذلك لما البسهم الله عز وجل من الهيبة والهيئة كانت اعينهم مفتحة
كالمستيقظ الذي يريد ان يتكلم وقيل لطول اظفارهم وشعورهم ولا يساعده قولهم لبثنا يوما او بعض يوم وقوله ولا يشعرن بكم احدا
فان الظاهر من ذلك عدم اختلاف احوالهم في انفسهم وقيل لعظم اجرامهم ولعل تأخير هذا من ذكر التولية للايذان باستقلال كل منهما في الترتب
على الاطلاع اذ لو روعي ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم ترتيب المجموع من حيث هو هو عليه للاشعار بعدم زوال الرعب بالفرار كما هو المعتاد
وعن معاوية لما غزا الروم فمر بالكهف قال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله تعالى
من هو خير منك حيث قال لو اطلعت عليهم الآية قال معاوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا
الكهف بعث الله تعالى ريحا فاحرقتهم وقرئ بتشديد اللام على التكثير وبابدال الهمزة ياء مع التخفيف والتشديد وكذلك بعثناهم اي كما
انمناهم وحفظنا اجسادهم من البلى والتحلل آية دالة على كمال قدرتنا بعثناهم من النوم ليتساءلوا بينهم اي ليسأل بعضهم بعضا فيترتب عليه
ما فصل من الحكم البالغة وجعله غاية للبعث المعلل فيما سبق بالاختبار من حيث انه من احكامه المترتبة عليه والاقتصار على ذكره لاستتباعه لسائر
آثاره قال استئناف لبيان تساؤلهم قائل منهم هو رئيسهم واسمه مكسلمينا كم لبثتم في منامكم لعله قاله لما رأى من مخالفة حالهم لما هو المعتاد في
الجملة قالوا اي بعضهم لبثنا يوما او بعض يوم قيل انما قالوه لانهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم آخر النهار فقالوا لبثنا يوما فلما رأوا ان
الشمس لم تغرب بعد قالوا او بعض يوم وكان ذلك بناء على الظن الغالب فلم يعزوا الى الكذب قالوا اي بعض آخر منهم بما سنح لهم من الادلة
او بالهام من الله سبحانه ربكم اعلم بما لبثتم اي انتم لا تعلمون مدة لبثكم وانما يعلمها الله سبحانه وهذا رد منهم على الاولين باجمل ما يكون من مراعاة
حسن الادب وبه يتحقق التحزب الى الحزبين المعهودين فيما سبق وقد قيل القائلون جميعهم ولكن في حالتين ولا يساعده النظم الكريم فان الاستئناف
في الحكاية والخطاب في المحكي يقضي بان الكلام جار على منهاج المحاورة والمجاوبة والا لقيل ثم قالوا ربنا اعلم بما لبثنا فابعثوا احدكم بورقكم
هذه الى المدينة قالوه اعراضا عن التعمق في البحث واقبالا على ما يهمهم بحسب الحال كما ينبئ عنه الفاء والورق الفضة مضروبة او غير مضروبة
ووصفها باسم الاشارة يشعر بان القائل ناولها بعض اصحابه ليشتري بها قوت يومهم ذلك وقرئ بسكون الراء وبادغام القاف في الكاف
وبكسر الواو وبسكون الراء مع الادغام وحملهم لها دليل على ان التزود لا ينافي التوكل على الله تعالى فلينظر ايها اي اهلها ازكى احل واطيب او اكثر

وارخص فليأتكم برزق منه اي من ذلك الازكى طعاما وليتلطف وليتكلف اللطف في المعاملة كيلا يغبن او في الاستخفاء لئلا يعرف ولا يشعرن بكم
احدا من اهل المدينة فانه يستدعي شيوع اخباركم اي لا يفعلن ما يؤدي الي ذلك فالنهي علي الاول تاسيس وعلي الثاني تاكيد للامر بالتلطف
انهم تعليل لما سبق من الامر والنهي اي ليبالغ في التلطف وعدم الاشعار لانهم ان يظهروا عليكم ان يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر
يرجموكم ان ثبتم علي ما انتم عليه او يعيدوكم في ملتهم اي يصيروكم اليها ويدخلوكم فيها كرها من العود بمعنى الصيرورة كقوله تعالى او لتعودن في ملتنا وقيل كانوا
اولا علي دينهم وايثار كلمة في علي كلمة الي للدلالة علي الاستقرار الذي هو اشد شيء عندهم كراهة وتقديم احتمال الرجم علي احتمال الاعادة
لان الظاهر في حالهم هو الثبات علي الدين المؤدي اليه وضمير الخطاب في المواضع الاربعة للمبالغة في حمل المبعوث علي الاستخفاء وحث
الباقين علي الاهتمام بالتوصية فان امحاض النصح ادخل في القبول واهتمام الانسان بشأن نفسه اكثر واوفر ولن تفلحوا اذا اي ان دخلتم
فيها ولو بالكره والالجاء لن تفوزوا بخير ابدا لا في الدنيا ولا في الآخرة وفيه من التشديد في التحذير ما لا يخفى وكذلك اي وكما انمناهم وبعثناهم
لما مر من ازديادهم في مراتب اليقين اعثرنا اي اطلعنا الناس عليهم ليعلموا اي الذين اعثرناهم عليهم بما عاينوا من احوالهم العجيبة ان وعد الله
اي وعده بالبعث او موعوده الذي هو البعث او ان كل وعده او كل موعوده فيدخل فيه وعده بالبعث والبعث الموعود دخولا اوليا حق
صادق لا خلف فيه او ثابت لا مرد له لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة اي القيامة التي هي عبارة عن وقت بعث
الخلائق جميعا للحساب والجزاء لا ريب فيها لا شك في قيامها فان من شاهد انه جل وعلا توفى نفوسهم وامسكها ثلثمائة سنة فاكثر حافظا
ابدانها من التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها لا يبقى له شائبة شك في ان وعده تعالى حق وانه يبعث من في القبور فيرد اليهم ارواحهم فيحاسبهم
ويجزيهم بحسب اعمالهم اذ يتنازعون ظرف لقوله اعثرنا قدم عليه الغاية اظهارا لكمال العناية بذكرها لا لقوله ليعلموا كما قيل لدلالته علي ان التنازع
يحدث بعد الاعثار وليس كذلك اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم امرهم ليرتفع الخلاف ويتبين الحق قيل المتنازع فيه امر دينهم حيث
كانوا اختلفوا في البعث فمن مقر له وجاحد به وقائل يقول ببعث الارواح دون الاجساد وآخر يقول ببعثهما معا قيل كان ملك المدينة حينئذ رجلا
صالحا مؤمنا وقد اختلف اهل مملكته في البعث حسبما فصل فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس علي رماد وسأل ربه ان يظهر الحق
فالقى الله عز وجل في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به دقيانوس باب الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه فعند ذلك بعثهم الله تعالى فجرى بينهم من التقاول
ما جرى روي ان المبعوث لما دخل المدينة اخرج الدرهم ليشتري به الطعام وكان علي ضرب دقيانوس فاتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك
فقص عليه القصة فقال بعضهم ان آباءنا اخبرونا بان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مسلم
وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله تعالى ونعيذك به من شر الانس والجن ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فالقى
الملك عليهم ثيابه وجعل لكل منهم تابوتا من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى علي باب الكهف مسجدا وقيل لما انتهوا
الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثمة مسجدا وقيل المتنازع فيه امر الفتية قبل
بعثهم اي اعثرنا عليهم حين يتذاكرون بينهم امرهم وما جرى بينهم وبين دقيانوس من الاحوال والاهوال ويتلقون ذلك من الاساطير
وافواه الرجال وعلى التقديرين فالفاء في قوله عز وجل فقالوا ابنوا عليهم اي علي باب كهفهم بنيانا لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم و
محافظة عليها وقوله تعالى ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين كأنهم لما رأوا عدم اهتدائهم الى حقيقة حالهم من حيث العدد ومن حيث اللبث
في الكهف قالوا ذلك تفويضا للامر الى علام الغيوب او من كلام الله سبحانه ردا لقول الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين وقيل هو
امرهم وتدبيرهم عند وفاتهم او شأنهم في الموت والنوم حيث اختلفوا في انهم ماتوا او ناموا كما في اول مرة فاذ حينئذ متعلق بقوله تعالى قال
الذين غلبوا علي امرهم وهم الملك والمسلمون لنتخذن عليهم مسجدا وقوله تعالى فقالوا معطوف علي يتنازعون وايثار صيغة الماضي للدلالة علي ان هذا
القول ليس مما يستمر ويتجدد كالتنازع وقيل يتعلق باذكر مضمرا واما تعلقه باعثرنا فياباه ان اعثارهم ليس في زمان تنازعهم
فيما ذكر بل قبله وجعل وقت التنازع ممتدا يقع في بعضه الاعثار وفي بعضه التنازع تعسف لا يخفي مع انه لا مخصص لاضافته الى التنازع وهو
مؤخر في الوقوع سيقولون الضمير في الافعال الثلثة للخائضين في قصتهم في عهد النبي عليه السلام من اهل الكتاب والمسلمين لكن لا علي وجه
اسناد كل منها الى كلهم بل الى بعضهم ثلثة رابعهم كلبهم اي هم ثلثة اشخاص رابعهم اي جاعلهم اربعة بانضمامه اليهم كلبهم قيل قاله اليهود وقيل

وقيل قاله السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا وقرئ ثلاث بادغام الثاء في التاء ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قيل قاله النصارى او العاقب
منهم وكان نسطوريا رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع عليه وظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانتصابه علي الحالية من الضمير في
الفعلين جميعا اي راجمين او علي المصدرية منهما فان الرجم والقول واحد او من محذوف مستانف او واقع موقع الحال من ضمير الفعلين معا
اي يرجمون رجما وعدم ايراد السين للاكتفاء بعطفه علي ما فيه ذلك ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم هو ما يقوله المسلمون بطريق التلقي من هذا الوحي
وما فيه مما يرشدهم اليه ذلك من عدم نظمه في سلك الرجم بالغيب وتغيير سبكه بزيادة الواو المفيدة لزيادة وكادة النسبة فيما بين طرفيها الا
بوحي آخر كما قيل قل تحقيقا للحق وردا علي الاولين ربي اعلم اي اقوى علما بعدتهم بعددهم ما يعلمهم اي ما يعلم عدتهم او ما يعلمهم فضلا عن العلم بعدتهم
الا قليل من الناس قد وفقهم الله تعالى للاستشهاد بتلك الشواهد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حين وقعت الواو انقطعت العدة وعليه مدار
قوله رضي الله تعالى عنه انا من ذلك القليل ولو كان في ذلك وحي آخر مما خفي عليه ولما احتاج الى الاستشهاد بالواو ولكان المسلمون اسوة له في العلم
بذلك وعن علي كرم الله تعالى وجهه انهم سبعة نفر اسماؤهم تمليخا ومكشلينا ومشلينا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش
ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في امره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم كلبهم قطمير
فلا تمار الفاء لتفريع النهي علي ما قبله اي اذ قد عرفت جهل اصحاب القولين الاولين فلا تجادلهم فيهم في شأن الفتية الا مراء ظاهرا قدر ما تعرض له
الوحي من وصفهم بالرجم بالغيب وعدم العلم علي الوجه الاجمالي وتفويض العلم الى الله سبحانه من غير تصريح بجهلهم وتفضيح لهم فانه مما يخل بمكارم الاخلاق
ولا تستفت فيهم في شأنهم منهم من الخائضين احدا فان فيما قص عليك لمندوحة عن ذلك مع انه لا علم لهم بذلك وقال عطاء الا قليل من اهل الكتاب
فالضماير الثلثة في الافعال الثلثة لهم وما ذكر من الشواهد لارشاد المؤمنين الى صحة القول الثالث وفيه تمحيص عما في الاول من التكلف في جعل
احد الاقوال المحكية المنظومة في سمط واحد ناشئا عن الحكاية مع كون الآخرين بخلافه ووضوح في سبب حذف المفعول في لا تمار والمعنى حينئذ
واذ قد وقفت علي ان كلهم ليسوا علي خطاء في ذلك فلا تجادلهم الا جدالا ظاهرا ينطق به الوحي المبين من غير تجهيل لجميعهم فان فيهم مصيبا وان
قل والنهي عن الاستفتاء لدفع ما عسى يتوهم من احتمال جوازه او احتمال وقوعه بناء علي اصابة بعضهم فالمعنى لا تراجع اليهم في شأن الفتية ولا
تصدق القول الثالث من حيث صدوره عنهم بل من حيث التلقي من الوحي ولا تقولن لشيء اي لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل ذلك الشيء غدا
اي فيما يستقبل من الزمان مطلقا فيدخل فيه الغد دخولا اوليا فانه نزل حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذي
القرنين فسألوه عليه السلام فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش وما قيل من ان المدلول بعبارته
هو الغد وما بعده ذلك مفهوم بطريق دلالة النص يرده ان ما بعده ليس بمعناه في مناط النهي فان وسعة المجال دليل القدرة فليس الا ان
يشاء الله استثناء مفرغ من النهي اي لا تقولن ذلك في حال من الاحوال الا حال ملابسته بمشيته تعالى علي الوجه المعتاد وهو ان يقال
ان شاء الله او في وقت من الاوقات الا وقت ان يشاء الله ان تقوله لا مطلقا بل مشيته اذن فان النسيان ايضا بمشيته تعالى ولا مساغ
لتعليقه بفاعل لعدم سداد استثناء اقتران المشية بالفعل ومنافاه استثناء اعتراضها النهي وقيل الاستثناء جار مجرى التابيد كانه قيل
لا تقولنه ابدا كقوله تع وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله واذكر ربك بقولك ان شاء الله متداركا له اذا نسيت اذا فرط منك نسيان
ثم ذكرته وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تاخير الاستثناء وعامة الفقهاء علي خلافه اذ لو صح ذلك لما تقرر اقرار
ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب قال القرطبي هذا في تدارك التبرك والتخلص عن الاثم واما الاستثناء المغير للحكم فلا يكون الا متصلا
ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك ليبعثك
ذلك علي التدارك او اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل علي اداء الصلوة المنسية عند ذكرها وقل عسى ان يهدين ربي اي يوفقني
لاقرب من هذا اي لشيء اقرب واظهر من نبأ اصحاب الكهف من الآيات والدلائل الدالة علي نبوتي رشدا اي ارشادا للناس ودلالة علي ذلك وقد
فعل ذلك عز وجل حيث آتاه من البينات ما هو اعظم من ذلك وابين كقصص الانبياء المتباعد اياهم والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام
الساعة او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي ولبثوا في كهفهم احياء مضروبا علي آذانهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا وهي جملة مستانفة
مبينة لما اجمل فيما سلف واشير الى عزة مناله وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم هكذا

وبعضهم ثلثمائة وروي عن علي رضي الله تعالى عنه انه قال عند اهل الكتاب انهم لبثوا ثلثمائة سنة شمسية والله تعالى ذكر السنة القمرية والتفاوت بينهما في
كل مائة سنة ثلث سنين فيكون ثلثمائة وتسع سنين وسنين عطف بيان لثلثمائة وقيل بدل وقرئ على الاضافة وضعا للجمع موضع المفرد ومما يحسنه
ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف في الواحد والاصل في العدد اضافته الى الجمع **قل الله اعلم بما لبثوا** اي بالزمان الذي لبثوا فيه **له غيب السموات والارض**
اي ما غاب فيهما وخفي من احوال اهلهما واللام للاختصاص العلمي دون التكويني فانه غير مختص بالغيب **ابصر به واسمع** ذكر بصيغة التعجب على ان شأن
علمه سبحانه بالمبصرات والمسموعات خارج عما عليه ادراك المدركين لا يحجبه شيء ولا يحول دونه حائل ولا يتفاوت بالنسبة اليه اللطيف والكثيف والصغير والكبير
والخفي والجلي والهاء ضمير الجلالة ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر للانشاء
فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في كفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المامور وهو كل احد والباء
مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ولعل تقديم ابصاره تعالى لما ان الذي نحن بصدده من قبيل المبصرات **ما لهم** اي لاهل السموات
والارض **من دونه** تعالى **من ولي** يتولى امورهم وينصرهم استقلالا **ولا يشرك في حكمه** في قضائه او في علم الغيب **احدا** منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وهو كما ترى
ابلغ في نفي الشريك من ان يقال من ولي ولا شريك وقرئ على صيغة نهي الحاضر على ان الخطاب لكل احد ولما دل اشتمال القرآن الكريم لقصة اصحاب الكهف
من حيث انها بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم من المغيبات على انه وحي معجز امره عليه السلام بالمداومة على دراسته فقال **واتل ما اوحي اليك من**
كتاب ربك ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا او بدله **لا مبدل لكلماته** لا قادر على تبديله وتغييره غيره **ولن تجد** ابد الدهر وان بالغت في الطلب **من دونه**
ملتحدا ملجأ تعدل اليه عند الالمام ملمة **واصبر نفسك** احبسها وثبتها مصاحبة **مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي** اي دائبين على الدعاء في جميع
الاوقات وقيل في طرفي النهار وقرئ بالغدوة على ان ادخال اللام عليها وهي علم في الاغلب على تاويل التنكير والمراد بهم فقراء المؤمنين مثل صهيب
وخباب ونحوهم وقيل اصحاب الصفة وكانوا نحو سبعمائة رجل قيل انه قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء الموالي
الذين كان ريحهم الضان حتى نجالسك كما قال قوم نوح عليه السلام انؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت والتعبير عنهم بالموصول لتعليل الامر بما في
حيز الصلة من الخصلة الداعية الى ادامة الصحبة **يريدون** بدعائهم ذلك **وجهه** حال من المستكن في يدعون اي مريدين لرضاه تعالى وطاعته **ولا تعد**
عيناك عنهم اي لا يجاوزهم نظرك الى غيرهم من عداه اي جاوزه واستعماله بعن لتضمينه معنى النبوة او لا تصرف عيناك النظر عنهم الى غيرهم من عدوته عن الامر
اي صرفته عنه على ان المفعول محذوف لظهوره وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من الاعداء والتعدية والمراد نهيه عليه السلام عن الازدراء بهم
لرثاثة زيهم طموحا الى زي الاغنياء **تريد زينة الحيوة الدنيا** اي تطلب مجالسة الاشراف والاغنياء واصحاب الدنيا وهي حال من الكاف على الوجه
الاول من القراءة المشهورة ومن الفاعل على الوجه الثاني منها وضمير تريد للعينين واسناد الارادة اليه مجاز وتوحيده للتلازم كما في قوله لمن
زحلوفة زل بها العينان تنهل ومن المستكن في الفعل على القراءتين الاخيرتين **ولا تطع** في تنحية الفقراء عن مجلسك **من اغفلنا قلبه** اي جعلناه غافلا
لبطلان استعداده للذكر بالمرة او وجدناه غافلا كقولك اجبنته وابخلته اذا وجدته كذلك او هو من اغفل ابله اي لم يسمه بالذكر **عن ذكرنا** كاولئك
الذين يدعونك الى طرد الفقراء عن مجلسك فانهم غافلون عن ذكرنا على خلاف ما عليه المؤمنون من الدعاء في مجامع الاوقات وفيه تنبيه على ان
الباعث له الى ذلك الدعاء غفلة قلبه عن جناب الله سبحانه وجهته وانهماكه في الحسيات حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وقرئ اغفلنا
قلبه على اسناد الفعل الى القلب اي حسبنا غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة من اغفلته اذا وجدته غافلا **واتبع هويه وكان امره فرطا**
ضياعا وهلاكا او متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط اي متقدم للخيل او هو بمعنى الافراط والتفريط فان الغفلة
عن ذكره سبحانه تؤدي الى اتباع الهوى المؤدي الى التجاوز والتباعد عن الحق والصواب والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية ما في حيز الصلة
للنهي عن الاطاعة **وقل** لاولئك الغافلين المتبعين هواهم **الحق من ربكم** اي ما اوحي الي الحق لا غير كائنا **من ربكم** والحق المعهود من جهة ربكم
لا من جهتي حتى يتصور فيه التبديل او يمكن التردد في اتباعه وقوله تعالى **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** اما من تمام القول المامور به
والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها بطريق التهديد لا التفريع عليه كما في قوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وقوله تعالى الحق من ربك
فلا تكونن من الممترين اي عقيب تحقق ان ما اوحي الي حق لا ريب فيه او ان ذلك الحق من جهة ربكم من شاء ان يؤمن به فليؤمن كسائر المؤمنين
ولا يتعلل بما لا يكاد يصلح للتعلل ومن شاء ان يكفر به فليفعل وفيه من التهديد واظهار الاستغناء عن متابعتهم وعدم المبالاة بهم

بهم وبايمانهم وجودا وعدما ما لا يخفى واما تهديد من جهة الله تعالى والفاء لترتيب ما بعدها من التهديد على الامر لا على مضمون المامور به والمعنى قل لهم ذلك
وبعد ذلك من شاء ان يؤمن به او ان يصدقك فيه فليؤمن ومن شاء ان يكفر به او ان يكذبك فيه فليفعل فقوله تعالى **انا اعتدنا** وعيد شديد وتاكيد
للتهديد وتعليل لما يفيده من الزجر عن الكفر او لما يفهم من ظاهر التخيير من عدم المبالاة بكفرهم وقلة الاهتمام بزجرهم عنه فان اعداد جزائه من دواعي
الاملاء والامهال وعلى الوجه الاول هو تعليل للامر بما ذكر من التخيير التهديدي اي قل لهم **للظالمين** اي هيأنا للكافرين بالحق بعدما جاء من الله
سبحانه والتعبير عنهم بالظالمين للتنبيه على ان مشية الكفر واختياره تجاوز عن الحد ووضع للشيء في غير موضعه **نارا** عظيمة عجيبة **احاط بهم** اي
يحيط بهم وايثار صيغة الماضي للدلالة على التحقق **سرادقها** اي فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط
وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار **وان يستغيثوا** من العطش **يغاثوا بماء كالمهل** كالحديد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله
فاعتبوا بالصيلم **يشوي الوجوه** اذا قدم ليشرب انشوى الوجه لحرارته عن النبي صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة
وجهه **بئس الشراب** ذلك **وساءت** النار **مرتفقا** متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وانى ذلك في النار وانما هو لمقابلة قوله تعالى وحسنت مرتفقا
ان الذين امنوا في محل التعليل للحث على الايمان المنفهم من التخيير كانه قيل وللذين امنوا ولعل تغيير سبكه للايذان بكمال تنافي مآلي الفريقين اي ان الذين
امنوا بالحق الذي اوحي اليك **وعملوا الصالحات** حسبما بين في تضاعيفه **انا لا نضيع اجر من احسن عملا** خبر ان الاولى هي الثانية مع ما في حيزها والراجع
محذوف اي من احسن منهم عملا او مستغنى عنه كما في قولك نعم الرجل زيد او واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا في الحقيقة هو الذي امن وعمل الصالحات
اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة **لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار** استيناف لبيان الاجر او هو الخبر وما بينهما اعتراض او هو خبر بعد خبر
يحلون فيها من اساور من ذهب من الاولى ابتدائية والثانية صفة لاساور والتنكير للتفخيم وهو جمع اسورة او اسوار جمع سوار **ويلبسون ثيابا**
خضرا خصت الخضرة بثيابهم لانها احسن الالوان واكثرها طراوة **من سندس واستبرق** اي مما رق من الديباج وما غلظ جمع بين النوعين للدلالة
على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين **متكئين فيها على الارائك** على السرر على ما هو شأن المتنعمين **نعم الثواب** ذلك **وحسنت** اي الارائك **مرتفقا**
اي متكأ **واضرب لهم** اي للفريقين الكافر والمؤمن **مثلا رجلين** مفعولان لاضرب ولعل ثانيهما لانه المحتاج الى التفصيل والبيان اي اضرب للكافرين والمؤمنين
لا من حيث احوالهما المستفادة مما ذكر انفا من ان للاولين في الاخرة كذا وللاخرين كذا بل من حيث عصيان الاولين مع تقلبهم في نعم الله وطاعة
الاخرين مع مكابدتهم مشاق الفقر مثلا حال رجلين مقدرين او محققين هما اخوان من بني اسرائيل او شريكان كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهوذا
اقتسما ثمانية الاف دينار فاشترى الكافر بنصيبه ضياعا وعقارا وصرف المؤمن نصيبه الى وجوه المبار فال امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل هما اخوان
من بني مخزوم كافر هو الاسود بن عبد الاشد ومسلم هو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاشد زوج ام سلمة رضي الله عنهما **جعلنا لاحدهما** وهو الكافر
جنتين بستانين **من اعناب** من كروم متنوعة والجملة بتمامها بيان للتمثيل او صفة لرجلين **وحففناهما بنخل** اي جعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بها
كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته بهم اي جعلتهم حافين حوله فيزيده الباء مفعولا اخر كقولك غشيته بهم **وجعلنا بينهما** وسطهما **زرعا**
ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الهيئة الرائقة والوضع الانيق **كلتا الجنتين اتت اكلها** ثمرها وبلغ مبلغا صالحا للاكل
وقرئ بسكون الكاف وقرئ كل الجنتين اتى اكله **ولم تظلم منه** لم تنقص من اكلها **شيئا** كما يعهد ذلك في سائر البساتين فان الثمار غالبا تكثر في عام
وتقل في اخر وكذا بعض الاشجار يأتي بالثمر في بعض الاعوام دون بعض **وفجرنا خلالهما** فيما بين كل من الجنتين **نهرا** على حدة ليدوم شربهما ويزيد
بهاؤهما وقرئ بالتخفيف ولعل تأخير ذكر تفجير النهر عن ذكر ايتاء الاكل مع ان الترتيب الخارجي على العكس للايذان باستقلال كل من ايتاء
الاكل وتفجير النهر في تكميل محاسن الجنتين كما في قصة البقرة ونحوها ولو عكس لانفهم ان المجموع خصلة واحدة بعضها مترتب على بعض فان ايتاء الاكل
متفرع على السقي عادة وفيه ايماء الى ان ايتاء الاكل لا يتوقف على السقي كقوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار **وكان له** لصاحب الجنتين **ثمر** انواع
من المال غير الجنتين من ثمر ماله اذا كثره قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو جميع المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك وقال مجاهد هو الذهب
والفضة خاصة **فقال لصاحبه** المؤمن **وهو** اي القائل **يحاوره** اي صاحبه المؤمن وان جاز العكس اي يراجعه في الكلام من حار اذا رجع **انا اكثر منك مالا**
واعز نفرا حشما واعوانا واولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه **ودخل جنته** التي شرحت احوالها وعددها وصفاتها وهيأتها وتوحيدها
اما لعدم تعلق الغرض بتعددها واما لاتصال احدهما بالاخرى واما لان الدخول يكون في واحدة فواحدة **وهو ظالم لنفسه** ضار لها بعجبه

وكفره قال استيناف مبني على سؤال نشأ من ذكر دخول جنته حال ظلمه لنفسه كأنه قيل فماذا قال إذ ذاك فقيل قال ما أظن أن تبيد هذه الجنة أي تفنى أبدا
لطول أمله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته ولعله إنما قاله بمقابلة موعظة صاحبه وتذكيره بفناء جنته ونهيه عن الاغترار بها وأمره
بتحصيل الباقيات الصالحات وما أظن الساعة قائمة كائنة فيما سيأتي ولئن رددت بالبعث عند قيامها كما تقوله إلى ربي لأجدن يومئذ خيرا
منها أي من هذه الجنة وقرئ منهما أي من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة ومدار هذا الطمع واليمين الفاجرة اعتقاده أنه تعالى إنما أولاه ما أولاه
في الدنيا لاستحقاقه الذاتي وكرامته عليه سبحانه ولم يدر أن ذلك استدراج قال له صاحبه استيناف كما سبق وهو يحاوره جملة حالية كما مر فائدتها
التنبيه من أول الأمر على أن ما يتلوه كلام بشأنه مسوق للمحاورة أكفرت حيث قلت ما أظن الساعة قائمة بالذي خلقك أي في ضمن
خلق أصلك من تراب فإن خلق آدم عليه السلام منه متضمن لخلقه منه لما أن خلق كل فرد من أفراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام إذ لم تكن فطرته
الشريفة مقصورة على نفسه بل كانت أنموذجا منطويا على فطرة سائر أفراد الجنس انطواء إجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه
عليه السلام من التراب خلقا للكل منه وقيل خلقك منه لأنه أصل مادتك إذ به يحصل الغذاء الذي منه تحصل النطفة فتدبر ثم من نطفة هي مادتك
القريبة فالمخلوق واحد والمبدأ متعدد ثم سواك رجلا أي عدلك وكملك إنسانا ذكرا أو صيرك رجلا والتعبير عنه تعالى بالموصول للإشعار
بعلية ما في حيز الصلة لإنكار الكفر والتلويح بدليل البعث الذي نطق به قوله عز من قائل يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم
من تراب إلى آخره لكنا هو الله ربي أصله لكن أنا وقد قرئ كذلك فحذفت الهمزة فتلاقت النونان فكان الإدغام وهو ضمير الشأن وهو مبتدأ
خبره الله ربي وتلك الجملة خبر أنا والعائد منها إليه الضمير وقرئ بإثبات ألف أنا في الوصل والوقف جميعا وفي الوقف خاصة وقرئ لكنه
بالهاء ولكن بطرح أنا ولكن أنا لا إله إلا هو ربي ومدار الاستدراك قوله تعالى أكفرت كأنه قال أنت كافر لكنني مؤمن موحد ولا أشرك بربي أحدا
فيه إيذان بأن كفره كان بطريق الإشراك ولولا إذ دخلت جنتك قلت أي هلا قلت عندما دخلتها وتقديم الظرف على المحضض عليه للإيذان بتحتم
القول في آن الدخول من غير ريث لا للقصر ما شاء الله أي الأمر ما شاء الله أو ما شاء الله كائن على أن ما موصولة مرفوعة المحل أو أي شيء شاء الله
كان على أنها شرطية منصوبة والجواب محذوف والمراد تخصيصه على الاعتراف بأنها وما فيها بمشيئة الله تعالى إن شاء أبقاها وإن شاء أفناها
لا قوة إلا بالله أي هلا قلت ذلك اعترافا بعجزك وأن ما تيسر لك من عمارتها وتدبير أمرها إنما هو بمعونته تعالى وإقداره عن النبي صلى الله عليه وسلم
من رأى شيئا فأعجبه فقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يضره إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا أنا إما مؤكد لياء المتكلم أو ضمير فصل بين مفعولي
الرؤية إن جعلت علمية وأقل ثانيهما وحال إن جعلت بصرية فيكون أنا حينئذ تأكيدا لا غير لأن شرط كونه ضمير فصل توسطه بين المبتدأ والخبر
أو ما أصله المبتدأ والخبر وقرئ أقل بالرفع خبرا لأنا والجملة مفعول ثان للرؤية أو حال وفي قوله تعالى وولدا نصرة لمن فسر النفر بالولد فعسى ربي أن
يؤتين خيرا من جنتك هو جواب الشرط والمعنى إن ترني أفقر منك فأنا أتوقع من صنع الله سبحانه أن يقلب ما بي وبك من الفقر والغنى فيرزقني
لإيماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب جنتك ويرسل عليها حسبانا هو مصدر بمعنى الحساب كالبطلان والغفران أي مقدارا قدره
الله تعالى وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقيل عذاب حسبان وهو حساب ما كسبت يداه وقيل مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق ومساعدة النظم الكريم
فيما سيأتي للأولين أكثر من السماء فتصبح صعيدا زلقا مصدر أريد به المفعول مبالغة أي أرضا ملساء يزلق عليها لاستيصال ما عليها من البناء
والشجر والنبات أو يصبح عطف على قوله تعالى فتصبح وعلى الوجه الثالث على يرسل ماؤها غورا أي غائرا في الأرض أطلق عليه المصدر مبالغة فلن تستطيع
له أي للماء الغائر طلبا فضلا عن وجدانه ورده وأحيط بثمره أهلك أمواله المعهودة من جنتيه وما فيهما وأصله من إحاطة العدو وهو عطف
على مقدر كأنه قيل فوقع بعض ما توقع من المحذور وأهلك أمواله وإنما حذف لدلالة السباق والسياق عليه كما في المعطوف عليه بالفاء الفصيحة
فأصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن وهو كناية عن الندم كأنه قيل فأصبح يندم على ما أنفق فيها أي في عمارتها من المال ولعل تخصيص الندم به دون ما
هلك الآن من الجنة لما أنه إنما يكون على الأفعال الاختيارية ولأن ما أنفق في عمارتها كان مما يمكن صيانته عن طوارق الحدثان وقد صرفه
إلى مصالحها رجاء أن يتمتع بها أكثر مما يتمتع به وكان يرى أنه لا تنالها أيدي الردى ولذلك قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا فلما ظهر له
أنها مما يعتريه ندم على ما صنع بناء على الزعم الفاسد من إنفاق ما يمكن ادخاره في مثل هذا الشيء السريع الزوال وهي أي الجنة من الأعناب
المحفوفة بنخل خاوية ساقطة على عروشها أي دعائمها المصنوعة للكروم لسقوطها قبل سقوطها وتخصيص حالها بالذكر دون النخل والزرع

والزرع إما لأنها العمدة وهما من متمماتها وإما لأن ذكر هلاكها مغن عن ذكر هلاك الباقي لأنها حيث هلكت وهي مسندة بعروشها فهلاك ما عداها
بالطريق الأولى وإما لأن الإنفاق في عمارتها أكثر وقيل أرسل الله تعالى عليها نارا فأحرقتها وغار ماؤها ويقول عطف على يقلب أو حال من ضميره أي وهو
يقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا كأنه تذكر موعظة أخيه وعلم أنه إنما أتي من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يصبه ما أصابه قيل ويحتمل أن يكون ذلك
توبة من الشرك وندما على ما فرط منه ولم تكن له وقرئ بالياء التحتانية فئة ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الإهلاك أو على رد المهلك أو
الإتيان بمثله وجمع الضمير باعتبار المعنى كما في قوله عز وعلا يرونهم مثليهم من دون الله فإنه القادر على ذلك وحده وما كان في نفسه منتصرا ممتنعا
بقوته عن انتقامه سبحانه منتصرا في ذلك المقام وفي تلك الحال هنالك الولاية أي النصرة له وحده لا يقدر عليها أحد فهو تقرير لما قبله أو ينصر فيها
أولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر بما فعل بالكافر أخاه المؤمن ويعضده قوله تعالى هو خير ثوابا وخير عقبا أي لأوليائه وقرئ الولاية بكسر الواو
ومعناها الملك والسلطان أي هنالك السلطان له عز وجل لا يغلب ولا يمتنع منه أو لا يعبد غيره كقوله تعالى فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له
الدين فيكون تنبيها على أن قوله يا ليتني لم أشرك إلى آخره كان عن اضطرار وجزع عما دهاه على أسلوب قوله تعالى آلآن وقد عصيت قبل وكنت من
المفسدين وقيل هنالك إشارة إلى الآخرة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقرئ برفع الحق على أنه صفة للولاية وبنصبه على أنه مصدر
مؤكد وقرئ عقبا بضم القاف وعقبى كرجعى والكل بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا أي واذكر لهم ما يشبهها في زهرتها ونضارتها
وسرعة زوالها لئلا يطمئنوا بها ولا يعكفوا عليها ولا يضربوا عن الآخرة صفحا بالمرة أو بين لهم صفتها العجيبة التي هي في الغرابة كالمثل كماء استيناف
لبيان المثل أي هي كماء أنزلناه من السماء ويجوز كونه مفعولا ثانيا لاضرب على أنه بمعنى صير فاختلط به فاشتبك بسببه نبات الأرض فالتف وخالط
بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه أو نجع الماء في النبات حتى روي ورف فمقتضى الظاهر حينئذ فاختلط بنبات الأرض وإيثار ما عليه النظم الكريم
عليه للمبالغة في الكثرة لأن كلا من المختلطين موصوف بصفة صاحبه فأصبح ذلك النبات الملتف إثر بهجتها ورفيفها هشيما مهشوما مكسورا
تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من أذراه وتذروه الريح وليس المشبه به نفس الماء بل هو الهيئة المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء
يكون أخضر وارقا ثم هشيما تطيره الرياح كأن لم يغن بالأمس وكان الله على كل شيء من الأشياء التي من جملتها الإنشاء والإفناء مقتدرا قادرا
على الكمال المال والبنون زينة الحيوة الدنيا بيان لشأن ما كانوا يفتخرون به من محسنات الحيوة الدنيا كما قال الأخ الكافر أنا أكثر منك مالا وأعز
نفرا إثر بيان شأن نفسها بما مر من المثل وتقديم المال على البنين مع كونهم أعز منه كما في الآية المحكية آنفا وقوله تعالى وأمددناكم بأموال وبنين
وغير ذلك من الآيات الكريمة لعراقته فيما نيط به من الزينة والإمداد وغير ذلك وعمومه بالنسبة إلى الأفراد والأوقات فإنه زينة وممد لكل أحد
من الآباء والبنين في كل وقت وحين وأما البنون فزينتهم وإمدادهم إنما يكون بالنسبة إلى من بلغ مبلغ الأبوة ولأن المال مناط
لبقاء النفس والبنون لبقاء النوع ولأن الحاجة إليه أمس من الحاجة إليهم ولأنه أقدم منهم في الوجود ولأنه زينة بدونهم من
غير عكس فإن من له بنون بلا مال فهو في ضيق حال ونكال وإفراد الزينة مع أنها مسندة إلى الاثنين لما أنها مصدر في الأصل أطلق على المفعول
مبالغة كأنهما نفس الزينة والمعنى أن ما يفتخرون به من المال والبنين شيء يتزين به في الحيوة الدنيا وقد علم شأنها في سرعة الزوال
وقرب الاضمحلال فكيف بما هو من أوصافها التي شأنها أن تزول قبل زوالها والباقيات الصالحات هي أعمال الخير وقيل هي الصلوات الخمس وقيل
سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وقيل كل ما أريد به وجه الله تعالى وعلى كل تقدير يدخل فيها فقراء المؤمنين الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه دخولا أوليا أما صلاحها فظاهر وأما بقاؤها فبقاء عوائدها عند فناء كل ما تطمح إليه النفس
من حظوظ الدنيا خير أي مما نعت شأنه من المال والبنين وإخراج بقاء تلك الأعمال وصلاحها مخرج الصفات المفروغ عنها مع أن حقهما
أن يكونا مقصودي الإفادة لا سيما في مقابلة إثبات الفناء لما يقابلها من المال والبنين على طريقة قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله
باق للإيذان بأن بقاءها أمر محقق لا حاجة إلى بيانه بل لفظ الباقيات اسم لها لا وصف ولذلك لم يذكر الموصوف وإنما الذي يحتاج إلى
التعرض له خيريتها عند ربك أي في الآخرة وهو بيان لما يظهر فيه آثار خيريتها بمنزلة إضافة الزينة إلى الحيوة الدنيا لا لأفضليتها منهما
من المال والبنين مع مشاركة الكل في الأصل إذ لا مشاركة لهما في الخيرية في الآخرة ثوابا عائدة تعود إلى صاحبها وخير أملا حيث ينال بها
صاحبها في الآخرة كل ما كان يؤمله في الدنيا وأما ما مر من المال والبنين فليس لصاحبه أمل يناله وتكرير خير للإشعار باختلاف حيثيتي الخيرية

والمبالغة فيها **ويوم نسير الجبال** منصوب بمضمر اي اذكر حين نقلعها من اماكنها ونسيرها في الجو على هيأتها كما ينبئ عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها
جامدة وهي تمر مر السحاب او نسير اجزاءها بعد ان نجعلها هباء منبثا والمراد بتذكيره تحذير المشركين مما فيه من الدواهي وقيل هو معطوف على ما
قبله من قوله تع عند ربك اي الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيمة وقرئ تُسيَّر على صيغة البناء للمفعول من التفعيل جريا على سنن
الكبرياء وايذانا بالاستغناء عن الاسناد الى الفاعل لتعينه وقرئ تسير **وترى الارض** جميع جوانبها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد
ممن يتأتى منه الرؤية وقرئ ترى على صيغة البناء للمفعول **بارزة** اما بروز ما تحت فظاهر واما ما عداه فكانت الجبال تحول بينه وبين
الناظر قبل ذلك فالآن اضحى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا **وحشرناهم** جمعناهم الى الموقف من كل اوب وايثار صيغة الماضي بعد نسير
وترى للدلالة على تحقق الحشر المتفرع على البعث الذي ينكره المنكرون وعليه يدور امر الجزاء وكذا الكلام فيما عطف عليه منفيا وموجبا وقيل
هو للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير والبروز ليعاينوا تلك الاهوال كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك **فلم نغادر** اي لم نترك **منهم احدا** يقال غادره
واغدره اذا تركه ومنه الغدر الذي هو ترك الوفاء والغدير الذي هو ماء يتركه السيل في الارض الغائرة وقرئ بالياء وبالفوقانية على
اسناد الفعل الى ضمير الارض كما في قوله تع والقت ما فيها وتخلت **وعرضوا على ربك** شبهت حالهم بحال جند عرضوا على السلطان ليأمر فيهم بما يأمر
وفي الالتفات الى الغيبة وبناء الفعل للمفعول مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة الى ضميره عليه السلام من تربية المهابة والجري على سنن
الكبرياء واظهار اللطف به عليه السلام ما لا يخفى **صفا** اي غير متفرقين ولا مختلطين فلا تعرض فيه لوحدة الصف وتعدده وقد ورد في الحديث
الصحيح يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد صفوفا **لقد جئتمونا** على اضمار القول على وجه يكون حالا من ضمير عرضوا اي مقولا لهم او وقلنا لهم
واما كونه عاملا في يوم نسير كما قيل فبعيد من جزالة التنزيل الجليل كيف لا ويلزم منه ان هذا القول هو المقصود بالاصالة دون سائر القوارع مع
خاص التعلق بما قبله من العرض والحشر دون تسيير الجبال وبروز الارض **كما خلقناكم** نعت لمصدر مقدر اي مجيئا كائنا كمجيئكم عند خلقنا لكم
اول مرة او حال من ضمير جئتمونا اي كائنين **كما خلقناكم اول مرة** حفاة عراة غرلا وما معكم شيء مما تفتخرون به من الاموال والانصار كقوله تعالى
ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم **بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا** اضراب وانتقال من كلام الى كلام
كلاهما للتوبيخ والتقريع اي زعمتم في الدنيا انه لن نجعل لكم ابدا وقتا ننجز فيه ما وعدناه من البعث وما يتبعه وان مخففة من المثقلة فصل بحرف
النفي بينها وبين خبرها لكونها جملة فعلية متصرفة غير دعاء والظرف اما مفعول ثان للجعل وهو بمعنى التصيير والاول هو موعدا او حال من موعدا
وهو بمعنى الخلق والابداع **ووضع الكتاب** عطف على عرضوا داخل تحت الامور الهائلة التي اريد تذكيرها بتذكير وقتها واورد فيه ما اورد في
امثاله من صيغة الماضي دلالة على التقرر ايضا اي وضع صحائف الاعمال وايثار الافراد للاكتفاء بالجنس والمراد بوضعها اما وضعها في
ايدي اصحابها يمينا وشمالا واما في الميزان **فترى المجرمين** قاطبة فيدخل فيهم الكفرة المنكرون للبعث دخولا اوليا **مشفقين** خائفين **مما فيه**
من الجرائم والذنوب **ويقولون** عند وقوفهم على ما في تضاعيفه نقيرا او قطميرا **يا ويلتنا** منادين لهلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات مستدعين لها
ليهلكوا ولا يروا اهوال ما لاقوه اي يا ويلتنا احضري فهذا اوان حضورك **مال هذا الكتاب** اي اي شيء له وقوله تع **لا يغادر صغيرة ولا كبيرة**
الا احصاها اي حواها وضبطها جملة حالية محققة لما في الجملة الاستفهامية من التعجب او استينافية مبنية على سؤال نشأ من التعجب كانه قيل
ما شأنه حتى يتعجب منه فقيل لا يغادر سيئة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها **ووجدوا ما عملوا** في الدنيا من السيئات او جزاء ما عملوا **حاضرا** مسطورا
عتيدا **ولا يظلم ربك احدا** فيكتب ما لم يعمل من السيئات او يزيد في عقابه المستحق فيكون اظهارا لمعدلة القلم الازلي **واذ قلنا للملائكة** اي اذكر
وقت قولنا لهم **اسجدوا لآدم** سجود تحية وتكريم وقد مر تفصيله **فسجدوا** جميعا امتثالا بالامر **الا ابليس** فانه لم يسجد بل ابى واستكبر وقوله تعالى
كان من الجن كلام مستأنف سيق مساق التعليل لما يفيده استثناء اللعين من الساجدين كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان اصله جنيا
ففسق عن امر ربه اي خرج عن طاعته كما ينبئ عنه الفاء او صار فاسقا كافرا بسبب امر الله تعالى اذ لولاه لما ابى والتعرض لوصف الربوبية
النافية للفسق لبيان كمال قبح ما فعله والمراد بتذكير قصته تشديد النكير على المتكبرين المفتخرين بانسابهم واموالهم المستنكفين
عن الانتظام في سلك فقراء المؤمنين ببيان ان ذلك من صنيع ابليس وانهم في ذلك تابعون لتسويله كما ينبئ عنه قوله تع **افتتخذونه** الى
آخره فان الهمزة للانكار والتعجيب والفاء للتعقيب اي اعقيب علمكم بصدور تلك القبائح عنه تتخذونه **وذريته** اي اولاده واتباعه

واتباعه جعلوا ذريته مجازا قال قتادة يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين
اولياء من دوني فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي **وهم** اي والحال ان ابليس وذريته **لكم عدو** اي اعداء كما في قوله تع فانهم عدو لي
الا رب العالمين وقوله تع هم العدو وانما فعل به ذلك تشبيها له بالمصادر نحو القبول والولوع وتقييد الاتخاذ بالجملة الحالية لتأكيد الانكار
وتشديده فان مضمونها مانع من وقوع الاتخاذ ومناف له قطعا **بئس للظالمين** اي الواضعين للشيء في غير موضعه **بدلا** من الله سبحانه
ابليس وذريته وفي الالتفات الى الغيبة مع وضع الظالمين موضع الضمير من الايذان بكمال السخط والاشارة الى ان ما فعلوه ظلم قبيح ما لا يخفى
ما اشهدتهم استيناف مسوق لبيان عدم استحقاقهم للاتخاذ المذكور في انفسهم بعد بيان الصوارف عن ذلك من خباثة المحتد والفسق والعداوة
اي ما احضرت ابليس وذريته **خلق السموات والارض** حيث خلقتهما قبل خلقهم **ولا خلق انفسهم** اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله تع ولا تقتلوا انفسكم
هذا ما اجمع عليه الجمهور حذارا من تفكيك الضميرين ومحافظة على ظاهر لفظ الانفس ولك ان ترجع الضمير الثاني الى الظالمين وتلتزم التفكيك
بناء على عود المعنى اليه فان نفي اشهاد الشياطين خلق الذين يتولونهم هو الذي يدور عليه انكار اتخاذهم اولياء بناء على ان ادنى ما
يصحح التولي حضور الولي خلق المتولي وحيث لا حضور لا مصحح للتولي قطعا واما نفي اشهاد بعض الشياطين خلق بعض منهم فليس من مدار
الانكار المذكور في شيء على ان اشهاد بعضهم خلق بعض ان كان مصححا لتولي الشاهد بناء على دلالته على كماله باعتبار ان له مدخلا في خلق
المشهود في الجملة فهو مخل بتولي المشهود بناء على قصوره عمن شهد خلقه فلا يكون نفي الاشهاد المذكور متمحضا في نفي الكمال المصحح للتولي عن
الكل وهو المناط للانكار المذكور **وما كنت متخذ المضلين** اي متخذهم وانما وضع موضعه المظهر ذما لهم وتسجيلا عليهم بالاضلال وتاكيدا لما سبق
من انكار اتخاذهم اولياء **عضدا** اعوانا في شأن الخلق او في شأن من شؤوني حتى يتوهم شركتهم في التولي بناء على الشركة في بعض احكام
الربوبية وفيه تهكم بهم وايذان بكمال ركاكة عقولهم وسخافة آرائهم حيث لا يفهمون هذا الامر الجلي الذي لا يكاد يشتبه على البله والصبيان
فيحتاجون الى التصريح به وايثار نفي الاشهاد على نفي شهودهم ونفي اتخاذهم اعوانا على نفي كونهم كذلك للاشعار بانهم مقهورون تحت قدرته
تعالى تابعون لمشيئته وارادته فيهم وانهم بمعزل من استحقاق الشهود والمعونة من تلقاء انفسهم من غير احضار واتخاذ وانما قصارى ما يتوهم
في شأنهم ان يبلغوا ذلك المبلغ بامر الله عز وجل ولم يكد ذلك يكون وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما اطلعتهم على اسرار
التكوين وخصصتهم بفضائل لا يحويها غيرهم حتى يكونوا قدوة للناس فيؤمنوا بايمانهم كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه
لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين ويعضده القراءة بفتح التاء خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ما صح لك الاعتضاد بهم ووصفهم
بالاضلال لتعليل نفي الاتخاذ وقرئ متخذا المضلين على الاصل وقرئ عضدا بضم العين واسكان الضاد وبفتح وسكون بالتخفيف وبضمتين
بالاتباع وبفتحتين على انه جمع عاضد كرصد وراصد **ويوم يقول** اي الله عز وجل للكافرين توبيخا وتعجيزا وقرئ بنون العظمة **نادوا**
شركائي الذين زعمتم انهم شفعاؤكم ليشفعوا لكم والمراد بهم كل ما عبد من دونه تعالى وقيل ابليس وذريته **فدعوهم** اي نادوهم للاغاثة
وفيه بيان لكمال اعتنائهم باغاثتهم على طريقة الشفاعة اذ معلوم ان لا طريقة الى المدافعة **فلم يستجيبوا لهم** فلم يغيثوهم اذ لا امكان لذلك
وفي ايراده مع ظهوره تهكم بهم وايذان بانهم في الحماقة بحيث لا يفهمونه الا بالتصريح به **وجعلنا بينهم** بين الداعين والمدعوين **موبقا**
اسم مكان او مصدر من وبق وبوقا كوثب وثوبا او وبق وبقا كفرح فرحا اذا هلك اي مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هي في
الشدة نفس الهلاك كقول عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقيل البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا في الآخرة
ويجوز ان يكون المراد بالشركاء الملائكة وعزيرا وعيسى عليهم السلام ومريم وبالموبق البرزخ البعيد اي جعلنا بينهم امدا بعيدا يهلك فيه
الاشواط لفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهي في اعلى الجنان **ورأى المجرمون النار** وضع المظهر مقام المضمر تصريحا باجرامهم وذما لهم بذلك **فظنوا**
اي فايقنوا **انهم مواقعوها** مخالطوها واقعون فيها او ظنوا اذ رأوها من مكان بعيد انهم مواقعوها الساعة **ولم يجدوا عنها مصرفا** انصرافا
او مكانا ينصرفون اليه **ولقد صرفنا** اي كررنا واوردنا على وجوه كثيرة من النظم **في هذا القرآن للناس** لمصلحتهم ومنفعتهم **من كل مثل** من جملته ما مر
من مثل الرجلين ومثل الحيوة الدنيا او من كل نوع من انواع المعاني البديعة الداعية الى الايمان التي هي في الغرابة والحسن واستجلاب النفس كالمثل
ليتلقوه بالقبول فلم يفعلوه **وكان الانسان** بحسب جبلته **اكثر شيء جدلا** اي اكثر الاشياء التي يتأتى منها الجدل وهو ههنا شدة الخصومة بالمماراة

والباطل في الجدل الذي هو القتل والمجادلة الملاواة لان كلا من المجادلين يلتوي على صاحبه وانتصابه على التمييز والمعنى ان جدله اكثر من جدل كل مجادل
وما منع الناس اي اهل مكة الذين حكيت اباطيلهم ان يؤمنوا من ان يؤمنوا بالله تعالى ويتركوا ما هم فيه من الاشراك اذ جاءهم الهدى اي القرآن العظيم الهادي
الى الايمان بما فيه من فنون المعاني الموجبة له ويستغفروا ربهم عما فرط منهم من انواع الذنوب التي من جملتها مجادلتهم للحق بالباطل الا ان تأتيهم سنة الاولين
اي الا طلب اتيان سنتهم او الا انتظار اتيانها او الا تقديره فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وسنتهم الاستيصال او يأتيهم العذاب اي
عذاب الآخرة قبلا اي انواعا جمع قبيل او عيانا كما في قراءة قبلا بكسر القاف وفتح الباء وقرئ بفتحتين اي مستقبلا يقال لقيته قبلا وقبلا وقبلا
وانتصابه على الحالية من الضمير او العذاب والمعنى ان ما تضمنه القرآن الكريم من الامور المستوجبة للايمان بحيث لو لم يكن مثل هذه الحكمة القوية لما
امتنع الناس من الايمان وان كانوا مجبولين على الجدل المفرط وما نرسل المرسلين الى الامم متلبسين بحال من الاحوال الا حال كونهم مبشرين للمؤمنين
بالثواب ومنذرين للكفرة والعصاة بالعقاب ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها
تعنتا ليدحضوا به الحق اي يزيلوه عن مركزه ويبطلوه من دحض القدم وهو زلقها وهو قولهم للرسل عليهم السلام ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله
لانزل ملائكة ونحوهما واتخذوا آياتي التي تخر لها صم الجبال وما انذروا اي انذروه من القوارع الناعية عليهم العقاب والعذاب او انذارهم هزوا استهزاء
وقرئ بسكون الزاء وهو ما يستهزأ به ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه وهو القرآن العظيم فاعرض عنها ولم يتدبرها ولم يتذكر بها وهذا السبك وان
كان مدلوله الوضعي نفي الاظلمية من غير تعرض لنفي المساواة في الظلم الا ان مفهومه العرفي انه اظلم من كل ظالم وبناء الاظلمية على ما في حيز الصلة من
الاعراض عن القرآن للاشعار بان ظلم من يجادل فيه ويتخذه هزوا خارج عن الحد ونسي ما قدمت يداه اي عمله من الكفر والمعاصي التي من جملتها ما ذكر
من المجادلة بالباطل والاستهزاء بالحق ولم يتفكر في عاقبتها انا جعلنا على قلوبهم اكنة اغطية كثيرة جمع كنان وهو تعليل لاعراضهم ونسيانهم
بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه مفعول لما دل عليه الكلام اي منعناهم ان يقفوا على كنهه او مفعول له اي كراهة ان يفقهوه وفي آذانهم اي جعلنا
فيها وقرا ثقلا يمنعهم من استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا اي فلن يكون منهم اهتداء البتة مدة التكليف واذن جزاء للشرط
وجواب عن سؤال النبي صلى الله عليه وسلم المدلول عليه بكمال عنايته باسلامهم كأنه قال عليه الصلوة والسلام ما لي لا ادعوهم فقيل ان تدعهم الى آخره
وجمع الضمير الى الموصول في هذه المواضع الخمسة باعتبار معناه كما ان افراده في المواطن الخمسة المتقدمة باعتبار لفظه وربك الغفور مبتدأ وقوله تعالى الغفور
خبره وقوله تعالى ذو الرحمة اي الموصوف بها خبر بعد خبر وايراد المغفرة على صيغة المبالغة دون الرحمة فهي فعل وايجاد ولا يدخل تحت الوجود الا متناهي
وتقديم الوصف الاول لان التخلية قبل التحلية او لانه اهم بحسب الحال اذ المقام مقام بيان تأخير العقوبة عنهم بعد استيجابهم لها كما يعرب عنه قوله
عز وجل لو يؤاخذهم اي لو يريد مؤاخذتهم بما كسبوا من المعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من مجادلتهم بالباطل واعراضهم عن آيات ربهم وعدم
المبالاة بما اجترحوا من الموبقات لعجل لهم العذاب لاستيجاب اعمالهم لذلك وايثار المؤاخذة المنبئة عن شدة الاخذ بسرعة على التعذيب والعقوبة
ونحوهما للايذان بان النفي المستفاد من مقدم الشرطية متعلق بوصف السرعة كما ينبئ عنه تاليها وايثار صيغة الاستقبال وان كان المعنى
على المضي لافادة ان انتفاء تعجيل العذاب لهم بسبب استمرار عدم ارادة المؤاخذة فان المضارع الواقع موقع الماضي يفيد استمرار
انتفاء الفعل فيما مضى كما حقق في موضعه بل لهم موعد اسم زمان هو يوم بدر او يوم القيمة والجملة معطوفة على مقدر كأنه قيل لكنهم ليسوا
مؤاخذين بغتة لن يجدوا البتة من دونه موئلا منجى او ملجأ يقال وأل اي نجا ووأل اليه اي لجأ اليه وتلك القرى اي قرى عاد وثمود واضرابها
وهي مبتدأ على تقدير المضاف اي واهل تلك القرى خبره قوله تعالى اهلكناهم او مفعول مضمر مفسر به لما ظلموا اي وقت ظلمهم كما فعلت
قريش بما حكي عنهم من القبائح وترك المفعول اما لتعميم الظلم او لتنزيله منزلة اللازم اي لما فعلوا الظلم ولما اما حرف كما قال ابن عصفور
واما ظرف استعمل للتعليل وليس المراد به الوقت المعين الذي عملوا فيه الظلم بل زمان ممتد من ابتداء الظلم الى آخره وجعلنا لمهلكهم اي
عينا لاهلاكهم موعدا اي وقتا معينا لا محيد لهم عن ذلك وهذا استشهاد على ما فعل بقريش من تعيين الوعد ليتنبهوا لذلك ولا يغتروا
بتأخير العذاب وقرئ بضم الميم وفتح اللام اي اهلاكهم وبفتحهما واذ قال موسى نصب باضمار فعل اي اذكر وقت قوله عليه السلام لفتاه
وهو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليهم السلام سمي فتاه اذ كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يتعلم منه ويسمى التلميذ فتى وان كان
شيخا ولعل المراد بتذكيره وعقيب بيان ان لكل امة موعدا تذكير ما في القصة من موعد الملاقاة مع ما فيها من سائر المنافع الجليلة لا ابرح

لا ابرح من برح الناقص كزال يزال اي لا ازال اسير فحذف الخبر اعتمادا على قرينة الحال اذ كان عند التوجه الى السفر واتكالا على ما يعقبه من قوله حتى ابلغ
فان ذلك غاية تستدعي ذا غاية تؤدي اليها ويجوز ان يكون اصل الكلام لا يبرح مسيري حتى ابلغ فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه فنقلب الضمير البارز المجرور المحل مرفوعا مستكنا والفعل من صيغة الغيبة الى التكلم ويجوز ان يكون من برح التام كزال يزول
اي لا افارق ما انا بصدده حتى ابلغ مجمع البحرين هو ملتقى بحر فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل هما الكر والرس بارمينية وقيل
افريقية وقرئ بكسر الميم كمشرق او امضي حقبا اسير زمانا طويلا اتيقن معه فوات المطلب والحقب الدهر او ثمانون سنة وكان منشأ هذه العزيمة
ان موسى عليه السلام لما ظهر على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله عز وجل ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا
فخطبته بديعة رقت بها القلوب ورقت العيون فقالوا له من اعلم الناس قال انا فعتب الله تعالى عليه اذ لم يرد العلم اليه عز وجل فاوحى اليه بل
اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر عليه السلام وكان في ايام افريدون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر
وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى عليه السلام سأل ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال
الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى فاي عبادك قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى
فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فدلني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على ساحل البحر عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال
تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فاخذ حوتا فجعله في مكتل فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغا اي الفتى
كما اشير اليه مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه اتساعا او بمعنى الوصل نسيا حوتهما الذي جعل فقدانه امارة وجدان المطلوب
اي نسيا تفقد امره وما يكون منه وقيل نسي يوشع ان يقدمه وموسى عليهما السلام ان يأمره فيه بشيء روي انهما لما بلغا مجمع البحرين وفيه الصخرة
وعين الحيوة التي لا يصيب ماؤها ميتا الا حيي وضعا رؤسهما على الصخرة فناما فلما اصاب الحوت برد الماء وروحه عاش وقد كانا اكلا منه
وكان ذلك بعد ما استيقظ يوشع عليه السلام وقيل توضأ عليه السلام من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش فوقع في الماء فاتخذ سبيله في
البحر سربا مسلكا كالسرب وهو النفق قيل امسك الله عز وجل جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه معجزة لموسى او للخضر عليهما السلام وانتصاب
سربا على انه مفعول ثان لاتخذ وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز ان يتعلق باتخذ فلما جاوزا اي مجمع البحرين الذي جعل موعدا للملاقاة قيل اولجا
وسار الليلة والغداء الى الظهر والقي على موسى عليه السلام الجوع فعند ذلك قال لفتاه آتنا غداءنا اي ما نتغدى به وهو الحوت كما ينبئ عنه الجواب
لقد لقينا من سفرنا هذا اشارة الى ما سارا بعد مجاوزة الموعد نصبا تعبا واعياء قيل لم يتعب ولم يجع قبل ذلك والجملة في محل التعليل للامر
باتيان الغداء اما باعتبار ان النصب انما يعتري بسبب الضعف الناشئ عن الجوع واما باعتبار ما في اثناء التغدي من استراحة ما قال اي فتاه
عليهما السلام ارأيت اذ اوينا الى الصخرة اي التجأنا اليها واقمنا عندها وذكر الايواء اليها مع ان المذكور فيما سبق مرتين بلوغ مجمع البحرين لزيادة
تعيين محل الحادثة فان المجمع محل متسع لا يمكن تحقيق المراد المذكور بنسبة الحادثة اليه ولتمهيد العذر فان الايواء اليها والنوم عندها مما
يؤدي الى النسيان عادة والرؤية مستعارة للمعرفة التامة والمشاهدة الكاملة ومراده بالاستفهام تعجيب موسى عليه السلام مما اعتراه
هناك من النسيان مع كون ما شاهده من العظائم التي لا تكاد تنسى وقد جعل فقدانه علامة لوجدان المطلوب وهذا اسلوب معتاد فيما بين الناس
يقول احدهم لصاحبه اذا نابه خطب ارأيت ما نابني يريد بذلك تهويله وتعجيب صاحبه وانه مما لا يعهد ووقوعه لا استخباره عن ذلك كما قيل والمفعول
محذوف اعتمادا على ما يدل عليه من قوله عز وجل فاني نسيت الحوت وفيه تأكيد للتعجب وتربية لاستعظام المنسي وايقاع النسيان على اسم الحوت دون
ضمير الغداء مع انه المأمور باتيانه للتنبيه من اول الامر على انه ليس من قبيل نسيان المسافر زاده في المنزل وان ما شاهده ليس من قبيل الاحوال
المتعلقة بالغداء من حيث هو غداء وطعام بل من حيث هو موت كسائر الحيوان مع زيادة اي نسيت ان اذكر لك امره وما شاهدت منه من الامور
العجيبة وما انسانيه الا الشيطان بوسوسته الشاغلة عن ذلك وقوله تعالى ان اذكره بدل اشتمال من الضمير اي ما انساني ان اذكره لك وفي تعليق الانساء
بضمير الحوت اولا وبذكره له عليه السلام ثانيا على طريق الابدال المبني عن تنحية المبدل منه اشارة الى ان متعلق النسيان ايضا ليس نفس الحوت بل
ذكر امره وقرئ ان اذكره وايثار ان اذكره على المصدر للمبالغة فان مدلوله نفس الحدث عند وقوعه والحال وان كانت غريبة لا يعهد نسيانها
لكنه لما تعود بمشاهدة امثالها عند موسى عليه السلام والفها قل اهتمامه بالمحافظة عليها واتخذ سبيله في البحر عجبا بيان لطرف من امر الحوت

مبني على طرف آخر منه وما بينهما اعتراض قدم عليه للاعتناء بالاعتذار كأنه قيل حيي واضطرب ووقع في البحر واتخذ سبيله فيه سبيلا عجبا فعجبا ثاني
مفعولي اتخذ والظرف حال من اولهما او ثانيهما او هو المفعول الثاني وعجبا صفة مصدر محذوف اي اتخاذا عجبا وهو كون مسلكه كالطاق والسرب او
مصدر فعل محذوف اي اعجب منه عجبا وقد قيل انه من كلام موسى عليه السلام وليس بذاك قال اي موسى عليه السلام ذلك الذي ذكرت من امر
الحوت ما كنا نبغ وقرئ باثبات الياء والضمير العائد الى الموصول محذوف واصله نبغيه اي نطلبه لكونه امارة للفوز بالمرام فارتدا اي رجعا على
آثارهما طريقهما الذي جاءا منه قصصا يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا او مقتصين حتى أتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا
التنكير للتفخيم والاضافة للتشريف والجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس عليهم السلام آتيناه رحمة من عندنا
هي الوحي والنبوة كما يشعر به تنكير الرحمة واختصاصها بجناب الكبرياء وعلمناه من لدنا علما خاصا لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره وهو علم الغيوب
قال له موسى استيناف مبني على سؤال نشأ من السياق كأنه قيل فماذا جرى بينهما من الكلام فقيل قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن استيذانا
منه في اتباعه له على وجه التعلم مما علمت رشدا اي علما ذا رشد ارشد به في ديني والرشد اصابة الخير وقرئ بفتحتين وهو مفعول تعلمني
ومفعول علمت محذوف وكلاهما منقول من علم المتعدي الى مفعول واحد ويجوز كونه علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته
وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من نبي آخر ما لا تعلق له باحكام شريعته من اسرار العلوم الخفية ولقد راعى في سوق الكلام غاية التواضع معه عليهما
السلام قال اي الخضر انك لن تستطيع معي صبرا نفي عنه استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كأنه مما لا يصح ولا يستقيم وعلله بقوله
وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ايذانا بانه يتولى امورا خفية المدار منكرة الظواهر والرجل الصالح لا سيما صاحب الشريعة لا يتمالك ان
يشمئز عند مشاهدتها وفي صحيح البخاري قال الخضر يا موسى اني على علم من علم الله تعالى علمنيه لا تعلمه وانت على علم من علم الله تعالى علمكه الله
لا اعلمه وخبرا تمييز اي لم يحط به خبرك قال موسى عليه السلام ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير معترض عليك وتوسيط الاستثناء بين
مفعولي الوجدان لكمال الاعتناء بالتيمن ولئلا يتوهم تعلقه بالصبر ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص وفي وعده هذا بالوجدان
من المبالغة ما ليس في الوعد بنفس الصبر وترك العصيان او على ستجدني فلا محل له من الاعراب والاول هو الاولى لما عرفته ولظهور تعلقه بالاستثناء
حينئذ وفيه دليل على ان افعال العباد بمشية الله سبحانه قال فان اتبعتني اذن له في الاتباع بعد اللتيا والتي والفاء لتفريع الشرطية
على ما مر من التزام موسى عليه السلام للصبر والطاعة فلا تسألني عن شيء تشاهده من افعالي اي لا تفاتحني بالسؤال عن حكمته فضلا عن المناقشة
والاعتراض حتى احدث لك منه ذكرا اي حتى ابتدئ ببيانه وفيه ايذان بان كل ما صدر عنه فله حكمة وغاية حميدة البتة وهذا من
ادب المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع وقرئ فلا تسألني بالنون المثقلة فانطلقا اي موسى والخضر عليهما السلام على الساحل يطلبان السفينة
واما يوشع فقد صرفه موسى عليه السلام الى بني اسرائيل قيل انهما مرا بسفينة فكلما اهلها فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول حتى اذا ركبا في السفينة
استعمال الركوب في مثل هذه المواقع بكلمة في مع تجريده عنها في مثل قوله عز وجل لتركبوها وزينة على ما يقتضيه تعديته بنفسه لما اشير اليه
في قوله تعالى وقال اركبوا فيها الا ما قيل من ان في ركوبها معنى الدخول خرقها قيل خرقها بعد ما لججوا حيث اخذ فأسا فقلع من الواحها لوحين مما
يلي الماء فعند ذلك قال موسى اخرقتها لتغرق اهلها من الاغراق وقرئ بالتشديد من التغريق وليغرق اهلها من الثلاثي لقد جئت اتيت وفعلت شيئا
امرا اي عظيما هائلا من امر الامر اذا عظم قيل الاصل أمر تخفف قال اي الخضر الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا تذكير لما قاله من قبل وتحقيق لمضمونه
متضمن للانكار على عدم الوفاء بوعده قال لا تؤاخذني بما نسيت بنسياني او بالذي نسيته او بشيء نسيته وهو وصيته بان لا يسأله عن حكمة ما صدر عنه
من الافعال الخفية الاسباب قبل بيانه اراد انه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي كما ورد في صحيح البخاري من ان الاول كان من موسى نسيانا او
اخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه انه قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوسل
الى الغرض او اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة ولا ترهقني اي لا تغشني ولا تحملني من امري وهو اتباعه اياه
عسرا اي لا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا الفاء فصيحة اي فقبل عذره فخرجا من
السفينة فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل كان الغلام يلعب بالغلمان فقتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه بالسكين قال
اي موسى عليه السلام اقتلت نفسا زكية طاهرة عن الذنوب وقرئ زاكية بغير نفس اي بغير قتل نفس محرمة وتخصيص نفي هذا المبيح بالذكر من

بين سائر المبيحات من الكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحصان لانه الاقرب الى الوقوع نظرا الى حال الغلام ولعل تغيير النظم الكريم بجعل ما صدر عن الخضر عليه
السلام ههنا من جملة الشرط وابراز ما صدر عن موسى عليه السلام في معرض الجزاء المقصود افادته مع ان الحقيق بذلك انما هو ما صدر عن الخضر عليه
السلام من الخوارق البديعة لاستشراف النفس الى آخره وورود خبرها لقلة وقوعها في نفس الامر وندرة وصول خبرها الى الاذهان ولذلك روعيت
تلك النكتة في الشرطية الاولى لما ان صدور الخوارق منه عليه السلام خرج بوقوعه مرة مخرج العادة فانصرف النفس عن ترقبه الى ترقب
احوال موسى عليه السلام هل يحافظ مراعاة شرطه بموجب وعده الاكيد عند مشاهدة خارق آخر او يسارع الى المناقشة كما مر في المرة الاولى
فكان المقصود افادة ما صدر عنه عليه السلام ففعل ما فعل ولله در شأن التنزيل واما ما قيل من ان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان
جديرا بان يجعل عمدة في الكلام فليس من دفع الشبهة في شيء بل هو مؤيدها فان كون القتل اقبح من مبادي قلة صدوره عن المؤمن العاقل وندرة
وصول خبره الى الاسماع وذلك مما يستدعي جعله مقصودا بالذات وكون الاعتراض عليه ادخل في موجبات كثرة صدوره عن كل عاقل وذلك مما
لا يقتضي جعله كذلك لقد جئت شيئا نكرا قيل معناه من الاول اذ لا يمكن تداركه كما يمكن تدارك الاول بالسد ونحوه وقيل الامر اعظم من النكر
لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا زيد لك لزيادة المكافحة بالعتاب على رفض
الوصية وقلة التثبت والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير حتى زاد في النكير في المرة الثانية قال اي موسى
عليه السلام ان سألتك عن شيء بعدها اي بعد هذه المرة فلا تصاحبني وقرئ من الافعال اي لا تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني عذرا
اي قد اعذرت ووجدت من قبلي عذرا حيث خالفتك ثلاث مرات عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك لو
لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرئ من لدني بتخفيف النون وقرئ بسكون الدال كعضد في عضد فانطلقا حتى اذا اتيا
اهل قرية هي انطاكية وقيل ايلة وهي ابعد ارض الله من السماء وقيل هي برقة وقيل بلدة بالاندلس عن النبي صلى الله عليه وسلم
كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف فيها الضيف ولا يعرف لابن السبيل حقه وقوله تعالى استطعما اهلها في محل الجر على
انه صفة للقرية ولعل العدول عن استطعامهم على ان يكون صفة للاهل لزيادة تشنيعهم على سوء صنيعهم فان الاباء عن الضيافة وهم
اهلها قاطنون بها اقبح واشنع روي انهما طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فأبوا ان يضيفوهما بالتشديد وقرئ
بالتخفيف من الاضافة يقال ضافه اذا كان له ضيفا واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفا له وحقيقة ضاف مال اليه من ضاف السهم
عن الغرض ونظيره زاره من الازورار فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض اي يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة للدلالة على
المبالغة في ذلك والانقضاض الاسراع في السقوط وهو انفعال من القض يقال قضضته فانقض ومنه انقضاض الطير والكوكب لسقوطه
بسرعة وقيل هو افعلال من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاص من انقاصت السن اذا انشقت طولا فاقامه
قيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه وقيل اقامه بعمود عمده به قيل كان سمكه مائة ذراع قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا تحريضا له على
اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه فضول لما في لو من النفي كأنه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك الصبر واتخذ
افتعل من تخذ بمعنى اخذ كاتبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرئ لتخذت اي لاخذت وقرئ بادغام الذال في التاء قال اي الخضر
عليه السلام هذا فراق بيني وبينك على اضافة المصدر الى الظرف اتساعا وقد قرئ على الاصل والمشار اليه اما نفس الفراق كما في هذا اخوك او الوقت
الحاضر اي هذا الوقت وقت فراق بيني وبينك او السؤال الثالث اي هذا سبب ذلك الفراق حسبما هو الموعود سأنبئك السين للتأكيد
لعدم تراخي التنبيه بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا التأويل رجع الشيء الى مآله والمراد به ههنا المآل والعاقبة اذ هو المنبأ به دون التأويل
وهو خلاص السفينة من اليد العادية وخلاص ابوي الغلام من شره مع الفوز بالبدل الاحسن واستخراج اليتيمين للكنز وفي جعل صلة الموصول عدم
استطاعة موسى عليه السلام للصبر دون ان يقال بتأويل ما فعلت او بتأويل ما رأيت ونحوهما نوع تعريض به عليه السلام وعتاب اما السفينة التي
خرقتها فكانت لمساكين لضعفاء لا يقدرون على مدافعة الظلمة وقيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر واسناد العمل الى الكل
حينئذ انما هو بطريق التغليب او لان عمل الوكلاء بمنزلة عمل الموكلين فاردت ان اعيبها اي اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك اي امامهم وقد
قرئ به او خلفهم وكان رجوعهم عليه لا محالة واسمه جلندي بن كركر وقيل منولة بن جلندي الازدي يأخذ كل سفينة اي صالحة وقد قرئ به

غصبًا من اصحابها وانتصابه على انه مصدر مبين لنوع الاخذ ولعل تفريع ارادة تعييب السفينة على مسكنة اصحابها قبل بيان خوف الغصب مع ان مدارها
كلا الامرين للاعتناء بشانها اذ هي المحتاجة الى التأويل وللايذان بان الاقوى في المدارية هو الامر الاول ولذلك لا يبالي بتخليص سفن سائر
الناس مع تحقق خوف الغصب في حقهم ايضًا ولان في التأخير فصلا بين السفينة وضميرها مع توهم رجوعه الى الاقرب وأمّا الغلام الذي قتلته
فكان ابواه مؤمنين لم يصرح بكفرانه او بكفره اشعارا بعدم الحاجة الى الذكر لظهوره فخشينا ان يرهقهما فخفنا ان يغشي الوالدين المؤمنين طغيانًا
عليهما وكفرًا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرًّا وبلاءً او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ
كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه وانما خشي الخضر عليه السلام منه ذلك لان الله سبحانه اعلمه بحاله واطلعه على سر امره وقرئ
فخاف ربك اي كره سبحانه كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز ان يكون القراءة المشهورة على الحكاية بمعنى فكرهنا كقوله تعالى لاهب لك
فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرًا منه بان يرزقهما بدله ولدًا خيرًا منه وفي التعرض لعنوان الربوبية والاضافة اليهما ما لا يخفى من الدلالة على ارادة
وصول الخير اليهما زكوةً طهارة من الذنوب والاخلاق الردية واقرب رحمًا اي رحمة وعطفا قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت
نبيًّا هدى الله تعالى على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيًّا وقيل ابدلهما ولدًا مؤمنًا مثلهما وقرئ يبدلهما بالتشديد وقرئ
رحمًا بضم الحاء ايضًا وانتصابه على التمييز مثل زكوة وأمّا الجدار المعهود فكان لغلامين يتيمين في المدينة هي القرية المذكورة فيما سبق
ولعل التعبير عنها بالمدينة لاظهار نوع اعتداد بها باعتداد ما فيها من اليتيمين وابيهما الصالح قيل اسماهما اصرم
وصريم واسم المقتول جيسون وكان تحته كنز لهما من فضة وذهب كما روي مرفوعًا والذم على كنزهما في قوله عز وجل والذين يكنزون
الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكوتهما وسائر حقوقهما وقيل كان لوحًا من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت
لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها
باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم وكان ابوهما صالحًا تنبيه على ان سعيه في ذلك كان صلاحًا
لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا به سبعة آباء فاراد ربك اي مالكك ومدبر امورك ففي اضافة الرب الى ضميره عليه السلام
دون ضميرهما تنبيه له عليه السلام على تحتم كمال الانقياد والاستسلام لارادته سبحانه ووجوب الاحتراز عن المناقشة فيما وقع بحسبها من
الامور المذكورة ان يبلغا اشدهما اي حلمهما وكمال رأيهما ويستخرجا كنزهما من تحت الجدار ولولا اني اقمته لانقض وخرج الكنز من تحته قبل
اقتدارهما على حفظ المال وتنميته وضاع بالكلية رحمةً من ربك مصدر في موقع الحال اي مرحومين منه عز وجل او مفعول له او مصدر مؤكد
لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمضمر اي فعلت ما فعلت من الامور التي شاهدتها رحمة من ربك ويعضده اضافة الرب الى
ضمير المخاطب دون ضميرهما فيكون قوله عز وعلا وما فعلته عن امري اي عن رأيي واجتهادي تأكيدًا لذلك ذلك اشارة الى العواقب المنظومة
في سلك البيان وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتها في الفخامة تأويل ما لم تسطع اي لم تستطع فحذف التاء للتخفيف عليه صبرًا من الامور
التي رأيتها اي مآله وعاقبته فيكون انجازًا للتنبيه الموعود او الى البيان نفسه فيكون التأويل بمعناه وعلى كل حال فهو فذلكة لما تقدم
وفي جعل الصلة عين ما مر تكرير للتنكير وتشديد للعتاب تنبيه اختلفوا في حيوة الخضر عليه السلام فقيل انه حي وسببه انه كان على مقدمة
ذي القرنين فلما دخل الظلمات اصاب الخضر عليه السلام عين الحيوة فنزل واغتسل منها وشرب من مائها واخطأ ذو القرنين الطريق
فعاد قالوا والياس ايضًا في الحيوة يلتقيان كل سنة بالموسم وقيل انه ميت لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى العشاء ذات ليلة
ثم قال أرأيتكم ليلتكم هذه فان رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض احد ولو كان الخضر حيًّا لما عاش بعد مائة
عام روي ان موسى عليه السلام لما اراد ان يفارقه قال له اوصني قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به ويسألونك عن ذي القرنين هم
اليهود سألوه على وجه الامتحان او سأله قريش بتلقينهم وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرارهم على ذلك الى ورود الجواب وهو ذو
القرنين الاكبر واسمه الاسكندر بن فيلقوس اليوناني وقال ابن اسحق اسمه مرزبان بن مرزبه من ولد يافث بن نوح عليه السلام وكان
اسود وقيل اسمه عبد الله بن الضحاك وقيل مصعب بن عبد الله بن قينان بن منصور بن عبد الله بن الازد بن عون بن زيد بن كهلان بن سبا بن
يعرب بن قحطان وقال السهيلي قيل ان اسمه مرزبان بن مدركة ذكره ابن هشام وهو اول التبابعة وقيل انه افريدون بن النعمان الذي

الذي قتل الضحاك وذكر ابو الريحان البيروني في كتابه المسمى بالآثار الباقية عن القرون الخالية ان ذا القرنين هو ابو كرب شمي بن عبير بن افريقيس
الحميري وان ملكه بلغ مشارق الارض ومغاربها وهو الذي افتخر به اليماني حيث قال قد كان ذو القرنين جدي مسلمًا ملكًا علا في الارض
غير مفند بلغ المشارق والمغارب يبتغي اسباب امر من حكيم مرشد وجعل هذا القول اقرب لان الاذواء كانوا من اليمن كذا في المنار
وذوي نواس وذي النون وذي رعين وذي يزن وذي جدن قال الامام الرازي والاول هو الاظهر لان من بلغ ملكه من السعة والقوة
الى الغاية التي نطق بها التنزيل الجليل انما هو الاسكندر اليوناني كما تشهد به كتب التواريخ يروى انه لما مات ابوه جمع ملك الروم بعد ان كان
طوائف ثم قصد ملوك العرب وقهرهم ثم مضى حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسمه ثم دخل الشام
وقصد بني اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحه ثم انعطف الى ارمينية وباب الابواب ودان له العراقيون والقبط والبربر ثم توجه
نحو دارا بن دارا وهزمه مرارًا الى ان قتله صاحب حرسه واستولى على ملكه وممالك الفرس وقصد الهند وفتحه وبنى مدينة سرنديب وغيرها
من المدن العظام ثم قصد الصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى بها مدائن كثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات
انتهى كلام الامام وروي ان اهل النجوم قالوا له انك لا تموت الا على ارض من حديد وتحت سماء من خشب وكان يدفن كنز كل بلدة فيها
ويكتب ذلك بصفته وموضعه فبلغ بابل فرعف وسقط عن دابته فبسطت له دروع فنام عليها فآذته الشمس فاظلوه بترس فنظر فقال
هذه ارض من حديد وسماء من خشب فايقن بالموت فمات وهو ابن الف وستمائة سنة وقيل ثلاثة آلاف سنة قال ابن كثير وهذا غريب
واغرب منه ما قاله ابن عساكر من انه بلغني انه عاش ستًّا وثلاثين سنة او ثنتين وثلاثين سنة وانه كان بعد داود وسليمان عليهما السلام
فان ذلك لا ينطبق الا على ذي القرنين الثاني كما سنذكره قلت وكذا ما ذكره الامام من قصد بني اسرائيل وورود بيت المقدس والذبح
في مذبحه فانه مما لا يكاد يتأتى نسبته الى الاول واختلف في نبوته بعد الاتفاق على اسلامه وولايته فقيل كان نبيًّا لقوله تعالى انا
مكنا له في الارض وظاهره انه متناول للتمكين في الدين وكماله بالنبوة ولقوله تعالى وآتيناه من كل شيء سببًا ومن جملة الاشياء النبوة ولقوله
تعالى قلنا يا ذا القرنين ونحو ذلك وقيل كان ملكًا لما روي ان عمر رضي الله عنه سمع رجلًا يقول لآخر يا ذا القرنين فقال اللهم غفرًا اما رضيتم
ان تتسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة قال ابن كثير والصحيح انه ما كان نبيًّا ولا ملكًا وانما كان ملكًا صالحًا عادلًا ملك
الاقاليم وقهر اهلها من الملوك وغيرهم ودانت له البلاد وانه كان داعيًا الى الله تعالى سائرًا في الخلق بالمعدلة التامة والسلطان المؤيد المنصور
وكان الخضر على مقدمة جيشه بمنزلة المستشار الذي هو من الملك بمنزلة الوزير وقد ذكر الازرقي وغيره انه اسلم على يدي الخليل ابراهيم عليه
السلام بقدومه تلقاه ودعا له واوصاه بوصايا ويقال انه اتي بفرس ليركب فقال لا اركب في بلد فيه الخليل فعند ذلك سخر له السحاب وطوى له
الاسباب وبشره ابراهيم عليه السلام بذلك فكانت السحاب تحمله وعساكره وجميع آلاتهم اذا ارادوا غزوة قوم وقال ابو الطفيل سئل علي
كرم الله وجهه اكان نبيًّا ام ملكًا فقال لم يكن نبيًّا ولا ملكًا لكن كان عبدًا احب الله تعالى فاحبه وناصح الله تعالى فناصحه سخر له السحاب
ومد له الاسباب واختلف في وجه تسميته بذي القرنين فقيل لانه بلغ بقرني الشمس مشرقها ومغربها وقيل لانه ملك الروم وفارس وقيل
الروم والترك وقيل لانه كان في رأسه او في تاجه ما يشبه القرنين وقيل لانه كان له ذوابتان وقيل لانه كانت صفحتا رأسه من النحاس
وقيل لانه دعا الناس الى الله عز وجل فضرب بقرنه الايمن فمات ثم بعثه الله تعالى فضرب بقرنه الايسر فمات ثم بعثه الله تعالى وقيل لانه
رأى في منامه انه صعد الفلك فاخذ بقرني الشمس وقيل لانه انقرض في عهده قرنان وقيل لانه سخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور
من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل لقب به لشجاعته هذا واما ذو القرنين الثاني فقد قال ابن كثير انه الاسكندر بن فيلبس بن مصريم
بن هرمس بن ميطون بن رومي بن ليطي بن يونان بن يافث بن تونة بن العز بن العيص بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام كذا نسبه ابن
عساكر المقدوني اليوناني المصري باني الاسكندرية الذي يؤرخ بايامه الروم وكان متأخرًا عن الاول بدهر طويل اكثر من الفي سنة
وكان وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وهو الذي قتل دارا بن دارا واذل ملوك الفرس ووطئ ارضهم ثم قال ابن كثير وانما نبهنا على هذا
لان كثيرًا من الناس يعتقد انهما واحد وان المذكور في القرآن العظيم هو هذا المتأخر فيقع بذلك خطأ كبير وفساد كثير كيف لا والاول
كان عبدًا صالحًا مؤمنًا وملكًا عادلًا ووزيره الخضر عليه السلام وقد قيل انه كان نبيًّا واما الثاني فقد كان كافرًا وزيره ارسطاطاليس

الفيلسوف وقد كان ما بينهما من الزمان اكثر من الفي سنة فاين هذا من ذلك انتهى قلت المقدوني نسبة الي بلدة من بلاد الروم غربي دار السلطنة
السنية قسطنطينية المحمية لا زالت مشحونة بالشعائر الدينية بينهما من المسافة خمسة عشر يوما او نحو ذلك عند مدينة سيروز واسمها بلغة اليونانيين
مقدونيا كانت سرير ملك هذا الاسكندر وهي اليوم بلقع لا يقيم بها احد ولكن فيها علائم تحكي عظمها في عهد عمرانها ونهاية شوكة واليها
وسلطانها ولقد مررت بها عند القفول عن بعض المغازي السلطانية فعاينت فيها من تعاجيب الآثار ما فيه عبرة لاولي الابصار قل لهم في الجواب
سأتلوا عليكم اي سأذكر لكم منه اي من ذي القرنين ذكرا اي نبأ مذكورا وحيث كان ذلك بطريق الوحي المتلو حكاية عن جهة الله عز وجل
قيل سأتلوا انا اي آخره او سأتلو من جهته تعالى في شأنه ذكرا اي قرآنا والسين للتأكيد والدلالة على التحقق المناسب لمقام تأييده
عليه السلام وتصديقه بانجاز وعده اي لا اترك التلاوة البتة كما في قول من قال سأشكر عمروا ان تراخت منيتي ايادي لم تمنن
وان هي جلت لا للدلالة على ان التلاوة ستقع فيما يستقبل كما قيل لان هذه الآية ما نزلت بانفرادها قبل الوحي بتمام القصة بل موصولة بما
بعدها ريثما سألوه عليه السلام عنه وعن الروح وعن اصحاب الكهف فقال لهم عليه السلام ائتوني غدا اخبركم فابطأ عليه الوحي خمسة عشر يوما
او اربعين كما ذكر فيما سلف وقوله عز وجل انا مكنا له في الارض شروع في تلاوة الذكر المعهود حسبما هو الموعود والتمكين ههنا الاقدار
وتمهيد الاسباب يقال مكنه ومكن له ومعنى الاول جعله قادرا او قويا ومعنى الثاني جعل له قدرة وقوة وللتلازم بينهما في الوجود وتقاربهما
في المعنى يستعمل كل منهما في محل الآخر كما في قوله عز وعلا مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي جعلناهم قادرين من حيث القوى والاسباب والآلات
على انواع التصرفات فيها ما لم نجعله لكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب فكانه قيل ما لم نمكنكم فيها اي ما لم نجعلكم قادرين
على ذلك فيها او مكنا لهم في الارض ما لم نمكن لكم وهكذا اذا كان التمكين مأخوذا من المكان بناء على توهم ميمه اصلية كما اشير اليه في سورة
يوسف عليه السلام والمعنى انا جعلنا له مكنة وقدرة على التصرف في الارض من حيث التدبير والرأي والاسباب حيث سخر له السحاب ومد له
في الاسباب وبسط له النور وكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير في الارض وذللت له طرقها وآتيناه من كل شيء اراده من
مهمات ملكه ومقاصده المتعلقة بسلطانه سببا اي طريقا يوصله اليه وهو كل ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة فاتبع بالقطع اي
فاراد بلوغ المغرب سببا يوصله اليه ولعل قصد بلوغ المغرب ابتداء لمراعاة الحركة الشمسية وقرئ فاتبع من الافتعال والفرق ان
الاول فيه معنى الادراك والاسراع دون الثاني حتى اذا بلغ مغرب الشمس اي منتهى الارض من جهة المغرب بحيث لا يتمكن احد من مجاوزته ووقف على
حافة البحر المحيط الغربي الذي يقال له اوقيانوس الذي فيه الجزائر المسماة بالخالدات التي هي مبدأ الاطوال على احد القولين وجدها اي الشمس
تغرب في عين حمئة اي ذات حمأة وهي الطين الاسود من حمئت البئر اذا كثرت حمأتها وقرئ حامية اي حارة روي ان معاوية رضي الله تعالى
عنه قرأ حامية وعنده ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فقال حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو بن العاص كيف تقرأ قال كما يقرأ امير المؤمنين ثم
وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين وروي في ثأط فوافق قول ابن عباس رضي الله عنهما وليس بينهما منافاة قطعية
لجواز كون العين جامعة بين الوصفين وكون الياء في الثانية منقلبة من الهمزة لانكسار ما قبلها واما رجوع معاوية الى قول ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما بما سمعه من كعب مع ان قراءته ايضا مسموعة قطعا فلكون قراءة ابن عباس قطعية في مدلولها وقراءته محتملة ولعله لما بلغ ساحل
المحيط رآها كذلك اذ ليس في مطمح بصره غير الماء كما يلوح به قوله تع وجدها تغرب ووجد عندها عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحوش
وطعامهم ما لفظه وكانوا كفارا فخيره الله جل ذكره بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الايمان وذلك قوله تع قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب
بالقتل من اول الامر واما ان تتخذ فيهم حسنا اي امرا ذا حسن على حذف المضاف او على طريقة اطلاق المصدر على موصوفه مبالغة وذلك بالدعوة
الى الاسلام والارشاد الى الشرائع ومحل ان مع صلته اما الرفع على الابتداء او الخبرية واما النصب على المفعولية اي اما تعذيبك واقع واما امرك
تعذيبك او اما تفعل تعذيبك وهكذا الحال في الاتخاذ ومن لم يقل بنبوته قال كان الخطاب بواسطة نبي في ذلك العصر او كان ذلك الهاما لا وحيا
بعد ان كان ذلك التخيير موافقا للشريعة ذلك النبي قال اي ذو القرنين لذلك النبي او لمن عنده من خواصه بعد ما تلقى امره تعالى مختارا للشق الاخير
اما من ظلم اي نفسه ولم يقبل دعوتي واصر على ما كان عليه من الظلم العظيم الذي هو الشرك فسوف نعذبه بالقتل وعن قتادة انه كان يطبخ من كفر
في القدور ومن آمن اعطاه وكساه ثم يرد الى ربه في الآخرة فيعذبه فيها عذابا نكرا فظيعا وهو عذاب النار وفيه دلالة ظاهرة على ان الخطاب

الخطاب لم يكن بطريق الوحي اليه وان مقاولته كانت مع النبي او مع من عنده من اهل مشورته واما من آمن بموجب دعوتي وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه
الايمان فله في الدارين جزاء الحسنى اي فله المثوبة الحسنى او الفعلة الحسنى والجنة جزاء على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة قدم على المبتدأ اعتناء به
او منصوب بمضمر اي نجزي بها جزاء والجملة حالية او معترضة بين المبتدأ والخبر المتقدم عليه او حال اي مجزيا بها او تمييز وقرئ منصوبا غير منون
على انه سقط تنوينه لالتقاء الساكنين ومرفوعا منونا على انه المبتدأ والحسنى بدله والخبر الجار والمجرور وقيل خير بين القتل والاسر
والجواب من باب الاسلوب الحكيم لان الظاهر التخيير بينهما وهم كفار فقال اما الكافر فيراعي في حقه قوة الاسلام واما المؤمن فلا
يتعرض له الا بما يجب ويجوز ان يكون اما واما للتوزيع دون التخيير اي ليكن شأنك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن بقي
على حاله والثاني لمن تاب وسنقول له من امرنا اي مما نأمر به يسرا اي سهلا ميسرا غير شاق وتقديره ذا يسر واطلق عليه المصدر
مبالغة وقرئ بضمتين ثم اتبع سببا اي طريقا راجعا من مغرب الشمس موصلا الى مشرقها حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع الذي
تطلع عليه الشمس اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على تقدير مضاف اي مكان طلوع الشمس فانه مصدر قيل بلغه في ثنتي
عشر سنة وقيل في اقل من ذلك بناء على ما ذكر من انه سخر له السحاب وطوي له الاسباب وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا
من اللباس والبناء قيل هم الزنج وعن كعب ان ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوا الاسراب او البحر فاذا ارتفع
النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقالوا بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم
فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينما نحن كذلك اذ سمعنا
كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هو فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا
لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند
مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض كذلك اي امر ذي القرنين كما وصفناه لك في رفعة المحل وبسطة الملك او امره فيهم كامره في اهل المغرب
من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اي على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليه الشمس في
الكفر والحكم او سترا مثل ستركم من اللباس والاكنان والجبال وغير ذلك وقد احطنا بما لديه من الاسباب والعدد والعدد خبرا يعني ان ذلك من
الكثرة بحيث لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير هذا على الوجه الاول واما على الوجوه الباقية فالمراد بما لديه ما يتناول ما جرى عليه وما صدر عنه
وما لاقاه فتأمل ثم اتبع سببا اي طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين
اللذين سد ما بينهما وهو منقطع ارض الترك مما يلي المشرق لا جبلا ارمينية وآذربيجان كما توهم وقرئ بالضم قيل ما كان من خلق
الله تعالى فهو مضموم وما كان من عمل الخلق فهو مفتوح وانتصاب بين على المفعولية لانه مبلوغ وهو من الظروف التي تستعمل اسما ايضا كما
ارتفع في قوله تع لقد تقطع بينكم وانجر في قوله تعالى فراق بيني وبينك وجد من دونهما اي من ورائهما مجاوزا عنهما قوما اي امة من الناس
لا يكادون يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرئ من باب الافعال اي لا يفهمون السامع كلامهم واختلفوا في انهم من اي الاقوام
فقال الضحاك هم جيل من الترك وقال السدي هم الترك سرية من يأجوج ومأجوج فرجت فضرب ذو القرنين السد فبقيت خارجة فجميع
الترك منهم وعن قتادة انهم اثنتان وعشرون قبيلة سد ذو القرنين على احدى وعشرين قبيلة منهم وبقيت واحدة فسموا الترك
لانهم تركوا خارجين قال اهل التاريخ اولاد نوح عليه السلام ثلثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب والعجم والروم وحام ابو
الحبشة والزنج والنوبة ويافث ابو الترك والخزر والصقالبة ويأجوج ومأجوج قالوا اي بواسطة مترجمهم او بالذات على ان يكون
فهم ذو القرنين كلامهم وافهام كلامه اياهم من جملة ما آتاه الله تعالى من الاسباب يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج قد ذكرنا انهم من
اولاد يافث بن نوح عليه السلام وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل واختلف في صفاتهم فقيل في غاية صغر الجثة وقصر القامة
لا يزيد قدهم على شبر واحد وقيل في نهاية عظم الجسم وطول القامة يبلغ قدودهم نحو مائة وعشرين ذراعا وفيهم من عرضه كذلك وقيل
لهم مخالب واضراس كالسباع وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمزة كما قرأ عاصم
وقد قرئ بغير همزة ومنع صرفهما للتعريف والتأنيث مفسدون في الارض اي في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزروع قيل كانوا

يخرجون ايام الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا يأكلون الناس ايضا **فهل نجعل لك خرجا** اي جعلا من اموالنا والفاء
لتفريع العرض على افسادهم في الارض وقرئ خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج ما على الارض والذمة والخرج المصدر وقيل الخرج على
كل رأس والخراج ما كان على البلد وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه **على ان تجعل بيننا وبينهم سدا** وقرئ بالضم **قال ما مكني** بالادغام
وقرئ بالفك اي ما مكنني **فيه ربي** وجعلني فيه مكينا قادرا من الملك والمال وسائر الاسباب **خير** اي مما تريدون ان تبذلوه الي من الخراج فلا حاجة بي اليه
فاعينوني بقوة اي بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبآلات لا بد منها في البناء والفاء لتفريع الامر بالاعانة على خيرية ما مكنه الله تعالى
فيه من مالهم او على عدم قبول خرجهم **اجعل** جواب للامر **بينكم وبينهم** تقديم اضافة الظرف الى ضمير المخاطبين على اضافته الى ضمير ياجوج وماجوج لاظهار
كمال العناية بمصالحهم كما راعوه في قولهم بيننا وبينهم **ردما** اي حاجزا حصينا وبرزخا متينا وهو اكبر من السد واوثق يقال ثوب مردم اي
فيه رقاع فوق رقاع وهذا اسعاف بمرامهم فوق ما يرجونه **آتوني زبر الحديد** جمع زبرة كغرف في غرفة وهي القطعة الكبيرة وهذا لا ينافي رد
خراجهم لان المأمور به الايتاء بالثمن او المناولة كما ينبئ عنه القراءة بوصل الهمزة اي جيئوني بزبر الحديد على حذف الباء كما في امرتك
الخير ولان ايتاء الامر من قبيل الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل ولعل تخصيص الامر بالايتاء بها دون سائر الآلات من الصخور والحطب ونحوهما
لما ان الحاجة اليها امس اذ هي الركن في السد ووجودها اعز قيل حفر للاساس **حتى** بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب
والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما وكان مائة فرسخ وذلك قوله عز قائلا **حتى اذا ساوى بين الصدفين**
اي آتوه اياها فاخذ يبني شيئا فشيئا حتى اذا جعل ما بين ناحيتي الجبلين من البنيان مساويا لهما في السمك على النهج المحكي قيل
كان ارتفاعه مائتي ذراع وعرضه خمسين ذراعا وقرئ سوّي من التسوية وسووي على البناء للمجهول **قال** للعملة **انفخوا** اي بالكيران
في الحديد المبني ففعلوا **حتى اذا جعله** اي المنفوخ فيه **نارا** اي كالنار في الحرارة والهيئة واسناد الجعل المذكور الى ذي القرنين مع انه فعل
الفعلة للتنبيه على انه العمدة في ذلك وهم بمنزلة الآلة **قال** للذين يتولون امر النحاس من الاذابة ونحوها **آتوني افرغ عليه قطرا** اي
آتوني قطرا اي نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وقرئ بالوصل اي جيئوني كأنه يستدعيهم للاعانة
باليد عند الافراغ واسناد الافراغ الى نفسه للسر الذي وقفت عليه آنفا وكذا الكلام في قوله تعالى ساوى وقوله تعالى **فما اسطاعوا**
بحذف تاء الافتعال تخفيفا وحذرا عن تلاقي المتقاربين وقرئ بالادغام وفيه جمع بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا
والفاء فصيحة اي فعلوا ما امروا به من ايتاء القطر او الاتيان فافرغه عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار جبلا صلدا فجاء ياجوج
وماجوج فقصدوا ان يعلوه وينقبوه فما اسطاعوا **ان يظهروه** اي يعلوه ويرقوا فيه لارتفاعه وملاسته **وما استطاعوا له نقبا** لصلابته
وثخانته وهذه معجزة عظيمة لان تلك الزبر الكثيرة اذا اثرت فيها حرارة النار لا يقدر الحيوان على ان يحوم حولها فضلا عن النفخ فيها
الى ان تكون كالنار او عن افراغ القطر عليها فكأنه سبحانه وتعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن ابدان اولئك المباشرين للاعمال فكان
ما كان والله على كل شيء قدير وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها بحيث لم يبق هناك
فرجة اصلا **قال** اي ذو القرنين لمن عنده من اهل تلك الديار وغيرهم **هذا** اشارة الى السد وقيل الى تمكنه من بنائه والفضل للمتقدم اي هذا
الذي ظهر على يدي وحصل بمباشرتي من السد الذي شأنه ما ذكر من المتانة وصعوبة المنال **رحمة** اي اثر رحمة عظيمة عبر عنها بها مبالغة
من ربي على كافة العباد لا سيما على مجاوريه وفيه ايذان بانه ليس من قبيل الآثار الحاصلة بمباشرة الخلق عادة بل هو احسان الهي محض
وان ظهر بمباشرتي والتعرض لوصف الربوبية لتربية معنى الرحمة **فاذا جاء وعد ربي** مصدر بمعنى المفعول وهو يوم القيمة لا خروج ياجوج وماجوج
كما قيل اذ لا يساعده النظم الكريم والمراد بمجيئه ما ينتظم مجيئه ومجيء مباديه من خروجهم وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام ونحو ذلك
لا دنو وقوعه فقط كما قيل فان بعض الامور التي ستحكى تقع بعد مجيئه حتما **جعله** اي السد المشار اليه مع متانته ورصانته وفيه من الجزالة
ما ليس في توجيه الاشارة السابقة من التمكين المذكور **دكاء** اي ارضا مستوية وقرئ دكا اي مدكوكا مسوى بالارض وكل ما انبسط بعد
ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك اي المنبسط السنام وهذا الجعل وقت مجيء الوعد بمجيء بعض مباديه وفيه بيان لعظم قدرته عز وجل
بعد بيان سعة رحمته **وكان وعد ربي** اي وعده المعهود او كل ما وعد به فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا **حقا** ثابتا لا محالة واقعا البتة وهذه

الجملة تذييل من ذي القرنين لما ذكره من الجملة الشرطية ومقرر لمضمونها وهو آخر ما حكي من قصته وقوله عز وجل **وتركنا بعضهم** كلام مسوق
من جنابه تعالى معطوف على قوله تعالى جعله دكا ومحقق لمضمونه اي جعلنا بعض الخلائق **يومئذ** اي يوم اذ جاء الوعد بمجيء بعض مباديه **يموج**
في بعض آخر منهم يضطربون اضطراب امواج البحر ويختلط انسهم وجنهم حيارى من شدة الهول ولعل ذلك قبل النفخة الاولى او تركنا بعض ياجوج
وماجوج **يموج في بعض** آخر منهم حين يخرجون من السد مزدحمين في البلاد روي انهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون
الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون ان يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله عز وجل نغفا في اقفائهم
فيدخل اذانهم فيموتون موت نفس واحدة فيرسل الله تعالى عليهم طيرا فتلقيهم في البحر ثم يرسل مطرا فيغسل الارض ويطهرها من نتنهم حتى يتركها كالزلفة
ثم يوضع فيها البركة وذلك بعد نزول المسيح عليه السلام وقتل الدجال **ونفخ في الصور** هي النفخة الثانية بقضية الفاء في قوله تعالى **فجمعناهم** ولعل
عدم التعرض لذكر النفخة الاولى لانها داهية عامة ليس فيها حالة مختصة بالكفار ولئلا يقع الفصل بين ما يقع في النشأة الاولى من الاحوال والاهوال
وبين ما يقع منها في النشأة الآخرة اي جمعنا الخلائق بعد ما تفرقت اوصالهم وتمزقت اجسادهم في صعيد واحد للحساب والجزاء **جمعا** اي جمعا
عجيبا لا يكتنه كنهه **وعرضنا جهنم** اظهرناها وابرزناها **يومئذ** اي يوم اذ جمعنا الخلائق كافة **للكافرين** منهم حيث جعلناها بحيث يرونها
ويسمعون لها تغيظا وزفيرا **عرضا** اي عرضا فظيعا هائلا لا يقادر قدره وتخصيص العرض بهم مع انها بمرأى من اهل الجمع قاطبة لان ذلك لاجلهم
خاصة **الذين كانت اعينهم** وهم في الدنيا **في غطاء** كثيف وغشاوة غليظة محاطة بذلك من جميع الجوانب **عن ذكري** عن الآيات المؤدية لاولي
الابصار المتدبرين فيها الى ذكري بالتوحيد والتمجيد او كانت اعين بصائرهم **في غطاء عن ذكري** على وجه يليق بشأني او عن القرآن الكريم
وكانوا مع ذلك **لا يستطيعون** لفرط تصامهم عن الحق وكمال عداوتهم للرسول صلى الله عليه وسلم **سمعا** استماعا لذكري وكلامي الحق الذي لا
يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذا تمثيل لاعراضهم عن الادلة السمعية كما ان الاول تصوير لتعاميهم عن الآيات المشاهدة بالابصار
والموصول نعت للكافرين او بدل منه او بيان جيء به لذمهم بما في حيز الصلة وللاشعار بعليته لاصابة ما اصابهم من عرض جهنم لهم فان ذلك انما
هو لعدم استعمال مشاعرهم فيما عرض لهم في الدنيا من الآيات واعراضهم عنها مع كونها اسبابا منجية عما ابتلوا به في الآخرة **افحسب الذين**
كفروا اي كفروا بي كما يعرب عنه قوله تعالى عبادي والحسبان بمعنى الظن وقد قرئ افظن والهمزة للانكار والتوبيخ على معنى انكار الواقع
واستقباحه كما في قولك اضربت اباك لا لانكار الوقوع كما في قوله اضرب ابي والفاء للعطف على مقدر يفصح عنه الصلة على توجيه الانكار والتوبيخ
الى المعطوفين جميعا كما اذا قدر المعطوف عليه في قوله تعالى افلا تعقلون منفيا اي الا تسمعون فلا تعقلون لا الى المعطوف فقط كما اذا
قدر مثبتا اي اتسمعون فلا تعقلون والمعنى اكفروا بي مع جلالة شأني فحسبوا **ان يتخذوا عبادي من دوني** من الملائكة وعيسى وعزير عليهم السلام
وهم تحت سلطاني وملكوتي **اولياء** معبودين ينصرونهم من بأسي وما قيل انها للعطف على ما قبلها من قوله تعالى كانت اعينهم الخ دلالة على ان
الحسبان ناشئ من التعامي والتصام وادخل عليها همزة الانكار ذما على ذم وقطعا له عن المعطوف عليهما لفظا لا معنى للايذان بالاستقلال المؤكد
للذم يأباه ترك الاضمار والتعرض لوصف آخر غير التعامي والتصام على انهما اخرجا مخرج الاحوال الجبلية لهم ولم يذكرا من حيث انهما من افعالهم
الاختيارية الحادثة كحسبانهم ليحسن تفريعه عليهما وايضا فانه دين قديم لهم لا يمكن جعله ناشئا عن تصامهم عن كلام الله عز وجل وتخصيص الانكار
بحسبانهم المتأخر عن ذلك تعسف لا يخفى وما في حيز الصلة ان ساد مسد مفعولي حسب كما في قوله تعالى وحسبوا ان لا تكون فتنة اي افحسبوا انهم
يتخذونهم اولياء على معنى ان ذلك ليس من الاتخاذ في شيء لما انه انما يكون من الجانبين وهم عليهم السلام منزهون عن ولايتهم بالمرة لقولهم
سبحانك انت ولينا من دونهم وقيل مفعوله الثاني محذوف اي افحسبوا اتخاذهم نافعا لهم والوجه هو الاول لان في هذا تسليما لنفس الاتخاذ
واعتدادا به في الجملة وقرئ افحسب الذين كفروا اي اكافيهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او الفعل والفاعل فان النعت اذا
اعتمد الهمزة ساوى الفعل في العمل فالهمزة حينئذ بمعنى انكار الوقوع **انا اعتدنا جهنم** اي هيأناها **للكافرين** المعهودين عدل عن الاضمار
ذما لهم واشعارا بان ذلك الاعتاد بسبب كفرهم المتضمن لحسبانهم الباطل **نزلا** اي شيئا يتمتعون به عند ورودهم وهو ما يقام للنزيل
اي الضيف مما حضر من الطعام وفيه تخطئة لهم في حسبانهم وتهكم بهم حيث كان اتخاذهم اياهم اولياء من قبيل اعتاد العتاد واعداد
الزاد ليوم المعاد فكأنه قيل انا اعتدنا لهم مكان ما اعدوا لانفسهم من العدة والذخر جهنم عدة وفي ايراد النزل ايماء الى ان لهم وراء

جهنّم من العذاب ما هي انموذج له وقيل النزل موضع النزول ولذلك فسّره ابن عباس رضي الله عنهما بالمثوى **قل هل ننبئكم** الخطاب الثاني للكفرة على وجه
التوبيخ والجمع في صيغة المتكلّم لتعيينه من اوّل الامر وللايذان بمعلوميّة النبأ للمؤمنين ايضًا **بالاخسرين اعمالًا** نصب على التمييز والجمع للايذان
بتنوّعها وهذا بيان لحال الكفرة باعتبار ما صدر عنهم من الاعمال الحسنة في انفسها وفي حسبانهم ايضًا حيث كانوا معجبين بها واثقين بنيل ثوابها
ومشاهدة آثارها غب بيان حالهم باعتبار اعمالهم السيّئة في انفسها مع كونها حسنة في حسبانهم **الذين ضلّ سعيهم** في اقامة تلك الاعمال اي ضاع
وبطل بالكلّيّة **في الحيوة الدنيا** متعلّق بالسعي لا بالضلال لانّ بطلان سعيهم غير مختصّ بالدنيا قيل المراد بهم اهل الكتابين قاله ابن عباس وسعد بن
ابي وقاص ومجاهد ويدخل في الاعمال حينئذ ما عملوه من الاحكام المنسوخة المتعلّقة بالعبادات وقيل الرهابنة الذين يحبسون انفسهم في الصوامع
ويحملونها على الرياضات الشاقّة ولعلّه ما يعمّهم وغيرهم من الكفرة ومحلّ الموصول الرفع على انّه خبر مبتدإ محذوف لانّه جواب للسؤال كانّه قيل
من هم فقيل الذين الى آخره وجعله مجرورًا على انّه نعت للاخسرين او بدل منه او منصوبًا على الذمّ على انّ الجواب على ما سيأتي من قوله تع اولئك الآية
يأباه انّ صدره ليس منبئًا عن خسران الاعمال وضلال السعي كما يستدعيه مقام الجواب والتفريع الاوّل وان دلّ على حبوطها لكنّه ساكت عن انباء
ما هو العمدة في تحقيق معنى الخسران من الوثوق بترتّب الربح واعتقاد النفع فيما صنعوا على انّ التفريع الثاني ممّا يقطع ذلك الاحتمال رأسًا اذ لا مجال
لادراجه تحت الامر بقضيّة نون العظمة **وهم يحسبون انّهم يحسنون صنعًا** الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي المستلزم
لحسنها الذاتي اي يحسبون انّهم يعملون ذلك على الوجه اللائق وذلك لاعجابهم باعمالهم التي سعوا في اقامتها وكابدوا في تحصيلها والجملة حال
من فاعل ضلّ اي بطل سعيهم المذكور والحال انّهم يحسبون انّهم يحسنون في ذلك وينتفعون بآثاره او من المضاف اليه لكونه في محلّ الرفع
نحو قوله تعالى اليه مرجعكم جميعًا اي بطل سعيهم والحال انّهم الى آخره والفرق بينهما انّ المقارن لحال حسبانهم المذكور في الاوّل ضلّ سعيهم وفي الثاني
نفس سعيهم والاوّل ادخل في بيان خطائهم **اولئك** كلام مستأنف من جنابه تع مسوق لتكميل تعريف الاخسرين وتبيين سبب خسرانهم
وضلال سعيهم وتعيينهم بحيث ينطبق التعريف على المخاطبين غير داخل تحت الامر اي اولئك المنعوتون بما ذكر من ضلال السعي مع الحسبان المزبور **الذين
كفروا بآيات ربّهم** بدلائله الداعية الى التوحيد عقلًا ونقلًا والتعرّض لعنوان الربوبيّة لزيادة تقبيح حالهم في الكفر المذكور **ولقائه** بالبعث
وما يتبعه من امور الآخرة على ما هي عليه **فحبطت** لذلك **اعمالهم** المعهودة حبوطًا كلّيًّا **فلا نقيم لهم** اي لاولئك الموصوفين بما مرّ من حبوط
الاعمال وقرئ بالياء **يوم القيمة وزنًا** اي فنزدريهم ولا نجعل لهم مقدارًا واعتبارًا لانّ مداره الاعمال الصالحة وقد حبطت بالمرّة وحيث
كان هذا الازدراء من عواقب حبوط الاعمال عطف عليه بطريق التفريع وامّا ما هو من اجزئة الكفر فسيجيء بعد ذلك او لا نضع لاجل وزن اعمالهم
ميزانًا لانّه انّما يوضع لاهل الحسنات والسيّئات من الموحّدين ليتميّز به مقادير الطاعات والمعاصي ليترتّب عليه التكفير او عدمه لانّ ذلك في
الموحّدين بطريق الكمّيّة وامّا الكفر فاحباطه للحسنات بحسب الكيفيّة دون الكمّيّة فلا يوضع لهم الميزان قطعًا **ذلك** وقوله تع **جزاؤهم جهنّم** جملة
مبيّنة له او ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف اي جزاؤهم به او جزاؤهم بدله وجهنّم خبره او جزاؤهم خبره وجهنّم عطف بيان للخبر
بما كفروا تصريح بانّ ما ذكر جزاء بكفرهم المتضمّن لسائر القبائح التي انبأ عنها قوله تع **واتّخذوا آياتي ورسلي هزوًا** اي هزؤًا بهما فانّهم لم يقتنعوا
بمجرّد الكفر بالآيات والرسل بل ارتكبوا مثل تلك العظيمة ايضًا **انّ الذين آمنوا** بيان بطريق الوعد لمآل الذين اتّصفوا باضداد ما اتّصف به الكفرة
اثر بيان مآلهم بطريق الوعيد اي آمنوا بآيات ربّهم ولقائه **وعملوا الصالحات** من الاعمال **كانت لهم** فيما سبق من حكم الله تعالى ووعده وفيه ايماء
الى انّ اثر الرحمة يصل اليهم بمقتضى الرأفة الازليّة بخلاف ما مرّ من جعل جهنّم للكافرين نزلًا فانّه بموجب ما حدث من سوء اختيارهم **جنّات
الفردوس** عن مجاهد انّ الفردوس هو البستان بالروميّة وقال عكرمة هو الجنّة بالحبشيّة وقال الضحّاك هي الجنّة الملتفّة الاشجار وقيل هي الجنّة
التي تنبت ضروبًا من النبات وقيل هي الجنّة من الكرم خاصّة وقيل ما كان غالبه كرمًا وقال المبرّد هو فيما سمعت من العرب الشجر الملتفّ والاغلب
عليه ان يكون من العنب وعن كعب انّه ليس في الجنان اعلى من جنّة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعن رسول الله صلّى الله عليه
وسلّم في الجنّة مائة درجة ما بين كلّ درجة مسيرة مائة عام والفردوس اعلاها وفيها الانهار الاربعة فاذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس
فانّ فوقها عرش الرحمن ومنه تفجّر انهار الجنّة **نزلًا** خبر كانت والجارّ والمجرور متعلّق بمحذوف على انّه حال من نزلًا او على انّه بيان او حال من
جنّات الفردوس والخبر هو الجارّ والمجرور فان جعل النزل بمعنى ما يهيّأ للنازل فالمعنى كانت لهم ثمار جنّات الفردوس نزلًا او جعلت نفس

الجنّات نزلًا مبالغة في الاكرام وفيه ايذان بانّها عند ما اعدّ الله لهم على ما جرى على لسان النبوّة من قوله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بمنزلة النزل بالنسبة الى الضيافة وان جعل بمعنى المنزل فالمعنى ظاهر **خالدين فيها** نصب على الحاليّة **لا يبغون عنها
حولًا** مصدر كالعوج والصغر اي لا يطلبون تحوّلًا عنها اذ لا يتصوّرون ان يكون شيء اعزّ عندهم وارفع منها حتّى تنازعهم اليه انفسهم وتطمح نحوه
ابصارهم ويجوز ان يراد نفي التحوّل وتأكيد الخلود والجملة حال من صاحب خالدين او من ضميره فيه فيكون حالًا متداخلة **قل لو كان البحر** اي
جنس البحر **مدادًا** وهو ما تمدّ به الدواة من الحبر **لكلمات ربّي** لتحرير كلمات علمه وحكمته التي من جملتها ما ذكر من الآيات الداعية الى التوحيد المحذّرة
من الاشراك **لنفد البحر** مع كثرته ولم يبق منه شيء لتناهيه **قبل ان تنفد** وقرئ بالياء والمعنى من غير ان ينفد **كلمات ربّي** لعدم
تناهيها فلا دلالة للكلام على نفادها بعد نفاد البحر وفي اضافة الكلمات الى اسم الربّ المضاف الى ضميره صلّى الله عليه وسلّم في
الموضعين من تفخيم المضاف وتشريف المضاف اليه ما لا يخفى واظهار البحر والكلمات في موضع الاضمار لزيادة التقرير **ولو جئنا** كلام من
جهته تع غير داخل في الكلام الملقّن جيء به لتحقيق مضمونه وتصديق مدلوله مع زيادة مبالغة وتأكيد والواو لعطف الجملة على نظيرتها
المستأنفة المقابلة لها المحذوفة لدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة اي لنفد البحر من غير نفاد كلماته تعالى لو لم نجئ **بمثله مددًا** ولو
جئنا بقدرتنا الباهرة بمثله مددًا عونًا وزيادة لانّ مجموع المتناهيين متناهٍ بل مجموع ما يدخل تحت الوجود من الاجسام لا يكون الّا
متناهيًا لقيام الادلّة القاطعة على تناهي الابعاد وقرئ مددًا جمع مدّة وهي ما يستمدّه الكاتب وقرئ مدادًا **قل** لهم بعد ما بيّنت لهم
شأن كلماته تع **انّما انا بشر مثلكم** لا ادّعي الاحاطة بكلماته التامّة **يوحى الىّ** من تلك الكلمات **انّما الهكم اله واحد** لا شريك له في الخلق ولا في
سائر احكام الالوهيّة وانّما تميّزت عنكم بذلك **فمن كان يرجو لقاء ربّه** الرجاء توقّع وصول الخير في المستقبل والمراد بلقائه تع كرامته
وادخال الماضي على المستقبل للدلالة على انّ اللائق بحال المؤمن الاستمرار والاستدامة على رجاء اللقاء اي فمن استمرّ على رجاء
كرامته تع **فليعمل** لتحصيل تلك الطلبة العزيزة **عملًا صالحًا** في نفسه لائقًا بذلك المرجوّ كما فعله الذين آمنوا وعملوا الصالحات **ولا يشرك بعبادة
ربّه احدًا** اشراكًا جليًّا كما فعله الذين كفروا بآيات ربّهم ولقائه ولا اشراكًا خفيًّا كما يفعله اهل الرياء ومن يطلب به اجرًا وايثار وضع
المظهر موضع المضمر في الموضعين مع التعرّض لعنوان الربوبيّة لزيادة التقرير وللاشعار بعلّيّة العنوان للامر والنهي ووجوب الامتثال فعلًا
وتركًا روي انّ جندب بن زهير رضي الله عنه قال لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم انّي لاعمل العمل لله تعالى فاذا اطّلع عليه سرّني فقال عليه
الصلوة والسلام انّ الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقًا له وروي انّه عليه الصلوة والسلام قال له اجران اجر السرّ واجر العلانية
وذلك اذا قصد ان يقتدى به وعنه عليه الصلوة والسلام اتّقوا الشرك الاصغر قيل وما الشرك الاصغر قال الرياء عن رسول الله صلّى الله عليه
وسلّم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورًا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلّها كانت له نورًا من الارض الى السماء وعنه عليه
الصلوة والسلام من قرأ عند مضجعه قل انّما انا بشر مثلكم الى آخره كان له من مضجعه نورًا يتلألأ الى مكّة حشو ذلك النور ملائكة يصلّون عليه
حتّى يقوم وان كان مضجعه بمكّة كان له نورًا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلّون عليه حتّى يستيقظ

سورة مريم

الحمد لله سبحانه على نعمه العظام

بسم الله الرحمن الرحيم **كهيعص** بامالة الهاء والياء واظهار الدال وقرئ بفتح الهاء وامالة الياء وبتفخيمهما وباخفاء
النون قبل الصاد لتقاربهما وقد سلف انّ ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة ولا موازنة لمفرد فطريق التلفّظ بها الحكاية فقط ساكنة
الاعجاز على الوقف سواء جعلت اسماء للسور او مسرودة على نمط التعديد وان لزمها التقاء الساكنين لكونه مغتفرًا في باب الوقف
قطعًا فحقّ هذه الفاتحة الكريمة ان يوقف عليها جريًا على الاصل وقرئ بادغام الدال فيما بعدها لتقاربهما في المخرج فان جعلت اسمًا للسورة
على ما عليه اطباق اكثر المفسّرين فمحلّه الرفع امّا على انّه خبر لمبتدإ محذوف والتقدير هذا كهيعص اي مسمّى به وانّما صحّت الاشارة اليه مع
عدم جريان ذكره لانّه باعتبار كونه على جناح الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان او على انّه مبتدأ خبره **ذكر رحمة
ربّك** اي المسمّى به ذكر رحمة ربّك فانّ ذكرها لمّا كان مطلع السورة الكريمة ومعظم ما انطوت هي عليه جعلت كانّها نفس ذكرها والاوّل هو
الاولى لانّ ما يجعل عنوانًا للموضوع حقّه ان يكون معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا علم بالتسمية من قبل فحقّها الاخبار بها كما في الوجه الاوّل

وان جعلت مسرودة علي نمط التعديد حسبما جنح اليه اهل التحقيق فذكر الي آخره خبر لمبتدإ محذوف هو ما ينبئ عنه تعديد الحروف كأنه قيل المؤلف من
جنس هذه الحروف المبسوطة مرادًا به السورة ذكر رحمة الي آخره او اسم اشارة اشير به اليه تنزيلاً لحضور المادة منزلة حضور المؤلف منها
اي هذا ذكر رحمة الي آخره وقيل هو مبتدأ قد حذف خبره اي فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة ربك علي صيغة الماضي من التذكير اي
هذا المتلو ذكرها وقرئ ذكّر علي صيغة الامر والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الي الكمال مع الاضافة الي ضميره عليه السلام للايذان
بأن تنزيل السورة عليه عليه السلام تكميل له عليه السلام وقوله تعالى **عبده** مفعول لرحمة ربك علي انها مفعول لما اضيف اليها وقيل للذكر علي انه
مصدر اضيف الي فاعله علي الاتساع ومعنى ذكر الرحمة بلوغها واصابتها كما يقال ذكرني معروف فلان اي بلغني وقوله عز وعلا **زكريا** بدل منه او
عطف بيان له **اذ نادى ربه نداء خفيا** ظرف لرحمة ربك وقيل لذكر علي انه مضاف الي فاعله اتساعًا لا علي الوجه الاول لفساد المعنى وقيل هو بدل
اشتمال من زكريا كما في قوله واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت ولقد راعى عليه السلام حسن الادب في اخفاء دعائه فانه مع كونه بالنسبة اليه عز
وجل كالجهر ادخل في الاخلاص وابعد من الرياء واقرب الي الخلاص عن لائمة الناس علي طلب الولد لتوقفه علي مبادي لا يليق به تعاطيها في اوان الكبر
والشيخوخة وعن غائلة مواليه الذين كان يخافهم وقيل كان ذلك منه عليه السلام لضعف الهرم قالوا كان سنه حينئذ ستين وقيل خمسا
وستين وقيل سبعين وقيل خمسا وسبعين وقيل ثمانين وقيل اكثر منها كما مر في تفسير سورة آل عمران **قال** جملة مفسرة لنادى لا محل لها من
الاعراب **رب اني وهن العظم مني** اسناد الوهن الي العظم لما انه عماد البدن ودعام الجسد فاذا اصابه الضعف والرخاوة اصاب كله او لانه اشد
اجزائه صلابة وقوامًا واقلها تأثرًا من العلل فاذا وهن كان ما وراءه اوهن وافراده للقصد الي الجنس المنبئ عن شمول الوهن لكل فرد من افراده
ومني متعلق بمحذوف هو حال من العظم وقرئ وهِن بكسر الهاء وبضمها ايضا وتأكيد الجملة لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمونها **واشتعل الرأس**
شيبا شبه عليه السلام الشيب في البياض والانارة بشواظ النار وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل مأخذ باشتعالها ثم اخرج مخرج
الاستعارة ثم اسند الاشتعال الي محل الشعر ومنبته واخرج مخرج التمييز واطلق الرأس اكتفاء بما قيد به العظم وفيه من فنون البلاغة وكمال
الجزالة ما لا يخفى حيث كان الاصل اشتعل شيب رأسي فاسند الاشتعال الي الرأس كما ذكر لافادة شموله لكلها فان وزانه بالنسبة الي الاصل وزان
اشتعل بيته نارا بالنسبة الي اشتعل النار في بيته ولزيادة تقريره بالاجمال اولا والتفصيل ثانيا ولمزيد تفخيمه بالتنكير وقرئ بادغام
السين في الشين **ولم اكن بدعائك رب شقيا** اي لم اكن بدعائي اياك خائبا في وقت من اوقات هذا العمر الطويل بل كلما دعوتك استجبت لي
والجملة معطوفة علي ما قبلها او حال من ضمير المتكلم اذ المعنى واشتعل رأسي شيبا وهذا توسل منه عليه السلام بما سلف منه من الاستجابة عند كل
دعوة اثر تمهيد ما يستدعي الرحمة ويستجلب الرأفة من كبر السن وضعف الحال فانه تعالى بعد ما عوّد عبده بالاجابة دهرا طويلا لا يكاد يخيبه ابدا
لا سيما عند اضطراره وشدة افتقاره والتعرض في الموضعين لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الي ضميره
عليه السلام لا سيما توسيط رب بين كان وخبرها لتحريك سلسلة الاجابة بالمبالغة في التضرع ولذلك قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له دعاؤه
فليدع الله تعالى بما يناسبه من اسمائه وصفاته **واني خفت الموالي** عطف علي قوله تعالى اني وهن مترتب مضمونه علي مضمونه فان ضعف القوى وكبر السن
من مبادي خوفه عليه السلام من يلي امره بعد موته ومواليه بنو عمه وكانوا شرار بني اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته في امته ويبدلوا عليهم دينهم
وقوله من ورائي اي بعد موتي متعلق بمحذوف ينساق اليه الذهن اي فعل الموالي من بعدي او جور الموالي وقد قرئ كذلك وبما في الموالي من معنى الولاية
اي خفت الذين يلون الامر **من ورائي** لا بخفت لفساد المعنى وقرئ من وراي بالقصر وفتح الياء وقرئ خفت الموالي من ورائي اي قلوا وعجزوا
عن القيام بامور الدين بعدي او خفت الموالي القادرون علي اقامة مراسم الملة ومصالح الامة من خف القوم اي ارتحلوا مسرعين اي درجوا
قدامي ولم يبق منهم من به تقوّ واعتضاد فالظرف حينئذ متعلق بخفت **وكانت امرأتي عاقرا** اي لا تلد من حين شبابها **فهب لي من لدنك** كلا
الجارين متعلق بهب لاختلاف معنييهما فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية مجازا وتقديم الاول لكون مدلوله اهم عنده ويجوز تعلق الثاني بمحذوف
وقع حالا من المفعول ولدن في الاصل ظرف بمعنى اول غاية زمانا او مكانا او غيرهما من الذوات وقد مر تفسيره في اوائل سورة آل عمران اي اعطني
من محض فضلك الواسع وقدرتك الباهرة بطريق الاختراع لا بواسطة الاسباب العادية **وليا** اي ولدا من صلبي وتأخيره عن الجارين لاظهار كمال
الاعتناء بكون الهبة له علي ذلك الوجه البديع مع ما فيه من التشويق الي المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مستشرفة له فعند وروده

ها يتمكن عنده فضل تمكن ولان فيه نوع طول بما بعده من الوصف فتأخيرهما عن الكل او توسيطهما بين الموصوف والصفة مما لا يليق بجزالة النظم
الكريم والفاء لترتيب ما بعدها علي ما قبلها فان ما ذكره عليه السلام من كبر السن وضعف القوى وعقر المرأة موجب لانقطاع رجائه عليه السلام
عن حصول الولد بتوسط الاسباب العادية واستيهابه علي الوجه الخارق للعادة ولا يقدح في ذلك ان يكون هناك داع آخر الي الاقبال علي
الدعاء المذكور من مشاهدته عليه السلام للخوارق الظاهرة في حق مريم كما يعرب عنه قوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه الآية وعدم ذكره
ههنا للتعويل علي ذكره هناك كما ان عدم ذكر مقدمة الدعاء هنالك للاكتفاء بذكرها ههنا فان الاكتفاء بما ذكر في موطن عما ترك في
موطن آخر من النكت التنزيلية وقوله تعالى **يرثني** صفة لوليا وقرئ هو وما عطف عليه بالجزم جوابا للدعاء اي يرثني من حيث العلم والدين
والنبوة فان الانبياء عليهم السلام لا يورثون المال قال عليه السلام نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة وقيل يرثني الحبورة وكان
عليه السلام حبرا **ويرث من آل يعقوب** يقال ورثه وورث منه لغتان وآل الرجل خاصته الذين يؤول اليه امرهم للقرابة او الصحبة او الموافقة في الدين
وكانت زوجة زكريا اخت ام مريم اي ويرث منهم الملك قيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام وقال الكلبي ومقاتل هو يعقوب بن
ماثان اخو عمران بن ماثان من نسل سليمان عليه السلام وكان آل يعقوب اخوال يحيى بن زكريا قال الكلبي كان بنو ماثان رؤس بني اسرائيل
وملوكهم وكان زكريا رئيس الاحبار يومئذ فاراد ان يرثه ولده حبورته ويرث من بني ماثان ملكهم وقرئ ويرث وارث آل يعقوب علي
انه حال من المستكن في يرث وقرئ اُوَيرث آل يعقوب بالتصغير ففيه ايماء الي وراثته عليه السلام لما يرثه في حالة صغره وقرئ وارث من آل
يعقوب علي انه فاعل يرثني علي طريقة التجريد اي يرثني به وارث وقيل من للتبعيض اذ لم يكن كل آل يعقوب عليه السلام انبياء ولا علماء **واجعله رب**
رضيا مرضيا عندك قولا وفعلا وتوسيط رب بين مفعولي الجعل للمبالغة في الاعتناء بشأن ما يستدعيه **يا زكريا** علي ارادة القول اي قال تعالى
يا زكريا **انا نبشرك بغلام اسمه يحيى** لكن لا بان يخاطبه عليه السلام بذلك بالذات بل بواسطة الملك علي ان يحكي له عليه السلام هذه العبارة عنه
عز وجل علي نهج قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا علي الآية وقد مر تحقيقه في سورة آل عمران وهذا جواب لندائه عليه السلام ووعد باجابة دعائه
لكن لا كلا كما هو المتبادر من قوله تعالى فاستجبنا له ووهبنا له يحيى الي آخره بل بعضا حسبما يقتضيه المشيئة الالهية علي الحكم البالغة فان الانبياء عليهم
السلام وان كانوا مستجابي الدعوة لكنهم ليسوا كذلك في جميع الدعوات الا ترى الي دعوة ابراهيم في حق ابيه والي دعوة النبي صلى الله عليه وسلم
حيث قال وسألته ان لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها وقد كان من قضائه عز وعلا ان يهبه يحيى نبيا مرضيا ولا يرثه فاستجيب دعاؤه
في الاول دون الثاني حيث قتل قبل موت ابيه عليهما السلام علي ما هو المشهور وقيل بقي بعده برهة فلا اشكال حينئذ وفي تعيين اسمه عليه السلام
تأكيد للوعد وتشريف له عليه السلام وفي تخصيصه به حسبما يعرب عنه قوله تعالى **لم نجعل له من قبل سميا** اي شريكا له في الاسم حيث لم يسم احد
قبله بيحيى مزيد تشريف وتفخيم له عليه السلام فان التسمية بالاسامي البديعة الممتازة عن اسماء سائر الناس تنويه بالمسمى لا محالة وقيل سميا
في الفضل والكمال كما في قوله تعالى هل تعلم له سميا فان المتشاركين في الوصف بمعنى المتشاركين في الاسم قالوا لم يكن له عليه السلام مثل في انه لم يعص الله
تعالى ولم يهم بمعصية قط وانه ولد من شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا فيكون هذا اجمالا لما نزل بعده من قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله
وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين والاظهر انه اسم اعجمي وان كان عربيا فهو منقول عن الفعل كيعمر ويعيش قيل سمي به لانه حيي به رحم امه
او حيي دين الله تعالى بدعوته **قال** استئناف مبني علي السؤال كأنه قيل فماذا قال عليه السلام حينئذ فقيل قال **رب** ناداه تعالى بالذات مع
وصول خطابه تعالى اليه بتوسط الملك للمبالغة في التضرع والمناجاة والجد في التبتل اليه تعالى والاحتراز عما عسى يوهم خطابه للملك من توهم ان علمه
تعالى بما يصدر عنه متوقف علي توسطه كما ان علم البشر بما يصدر عنه تعالى متوقف علي ذلك في عامة الاوقات **انى يكون لي غلام** كلمة انى بمعنى كيف
او من اين وكان اما تامة وانى واللام متعلقتان بها وتقديم الجار علي الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الي ما اخر اي كيف او من اين
يحدث لي غلام ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من غلام اذ لو تأخر لكان صفة له اي انى يحدث كائنا لي غلام او ناقصة اسمها ظاهر وخبرها
اما انى ولي متعلق بمحذوف كما مر او هو الخبر وانى نصب علي الظرفية وقوله تعالى **وكانت امرأتي عاقرا** حال من ضمير المتكلم بتقدير قد وكذا قوله تعالى
وقد بلغت من الكبر عتيا حال منه مؤكدة للاستبعاد اثر تأكيد اي كانت امرأتي عاقرا لم تلد في شبابها وشبابي فكيف وهي الآن عجوز وقد
بلغت انا من اجل كبر السن جساوة وقحولا في المفاصل والعظام او بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا من عتا يعتو واصله عتوو كقعود فاستثقل

توالي الضمتين والواوين فكسرت التاء فانقلبت الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم قلبت الثانية ايضا لاجتماع الواو والياء وسبق احدهما بالسكون
وكسرت العين اتباعا لما بعدها وقرئ بضمها ولعل البداية هٰهنا بذكر حال امرأته على عكس ما في سورة آل عمران لما انه قد ذكر حاله في تضاعيف
دعائه وانما المذكور هٰهنا بلوغه اقصى مراتب الكبر تتمة لما ذكر قبل واما هنالك فلم يسبق في الدعاء ذكر حاله فلذلك قدمه على ذكر حال امرأته
لما ان المسارعة الى بيان قصور شأنه انسب وانما قاله عليه السلام مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرة الله عز وجل لا سيما بعد مشاهدته
للشواهد المذكورة في سورة آل عمران استعظاما لقدرة الله تعالى وتعجبا منها واعتدادا بنعمته تعالى في ذلك باظهار انه من محض لطف الله
عز وعلا وفضله مع كونه في نفسه من الامور المستحيلة عادة لا استبعادا له وقيل انما قاله ليجاب بما اجيب به فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع
المبطلون وقيل كان ذلك منه عليه السلام استفهاما عن كيفية حدوثه وقيل بل كان ذلك بطريق الاستبعاد حيث كان بين الدعاء والبشارة
ستون سنة وكان قد نسي دعاءه وهو بعيد قال استئناف كما مر مبني على سؤال نشأ مما سلف والكاف في قوله تعالى كذلك قال ربك مقحمة
كما في مثلك لا يبخل محلها اما النصب على انه مصدر تشبيهي لقال الثاني وذلك اشارة الى مصدره الذي هو عبارة عن الوعد السابق لا الى قول آخر
شبه هذا به وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وقوله تعالى هو علي هين جملة مقررة للوعد المذكور دالة على انجازه
داخلة في حيز قال الاول كانه قيل قال الله عز وجل مثل ذلك القول البديع قلت اي مثل ذلك الوعد الخارق للعادة وعدت هو علي خاصة
هين وان كان في العادة مستحيلا وقرئ وهو علي هين فالجملة حينئذ حال من ربك والياء عبارة عن ضميره كما ستعرفه او اعتراض وعلى كل
حال فهي مؤكدة ومقررة لما قبلها ثم اخرج القول الثاني مخرج الالتفات جريا على سنن الكبرياء لتربية المهابة وادخال الروعة كقول الخلفاء
امير المؤمنين يرسم لك مكان انا ارسم ثم اسند الى اسم الرب المضاف الى ضميره عليه السلام تشريفا له واشعارا بعلة الحكم فان تذكير جريان احكام
ربوبيته تعالى عليه عليه السلام من ايجاده من العدم وتصريفه في اطوار الخلق من حال الى حال شيئا فشيئا الى ان يبلغ كماله اللائق به مما يقلع اساس
استبعاده عليه السلام لحصول الموعود ويورثه عليه السلام الاطمينان بانجازه لا محالة ثم التفت من ضمير الغائب العائد الى الرب الى ياء المتكلم
ايذانا بان مدار كونه هينا عليه سبحانه هو القدرة الذاتية لا ربوبيته تعالى له عليه السلام خاصة وتمهيدا لما يعقبه وقيل ذلك اشارة الى مبهم
يفسره قوله تعالى هو علي هين على طريقة قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ولا يخرج هذا الوجه على القراءة بالواو
لانها لا تدخل بين المفسر والمفسر واما الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وذلك اشارة الى ما تقدم من وعده تعالى اي قال عز وعلا الامر كما وعدت
وهو واقع لا محالة وقوله تعالى قال ربك الى آخره استئناف مقرر لمضمونه والجملة المحكية على القراءة الثانية معطوفة على المحكية الاولى او حال من
المستكن في الجار والمجرور وايا ما كان فتوسيط قال بينهما مشعر بمزيد الاعتناء بكل منهما والكلام في اسناد القول الى الرب ثم الالتفات الى
التكلم كالذي مر آنفا وقيل ذلك اشارة الى ما قاله زكريا عليه السلام اي قال تعالى كما قلت تصديقا له فيما حكاه من الحالة المباينة للولادة في
نفسه وفي امرأته وقوله تعالى قال ربك الى آخره استئناف مسوق لازالة استبعاده بعد تقريره اي قال تعالى هو مع بعده في نفسه علي هين والقراءة الثانية
ادخل في افادة هذا المعنى على ان الواو للعطف واما جعلها للحال فتخل بسداد المعنى لان مآله تقرير صعوبته حال سهولته عليه تعالى مع ان المقصود بيان
سهولته عليه سبحانه مع صعوبته في نفسه وقوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا جملة مستأنفة مقررة لما قبلها والمراد به ابتداء خلق البشر
اذ هو الواقع اثر العدم المحض لا ما كان بعد ذلك بطريق التوالد المعتاد وانما لم يقل وقد خلقت اباك آدم عليه السلام وهو المخلوق من العدم حقيقة بان يقال وقد
خلقت اباك او آدم من قبل ولم يك شيئا مع كفايته في ازالة الاستبعاد بقياس حال ما بشر به على حاله عليه السلام لتأكيد الاحتجاج وتوضيح منهاج
القياس حيث نبه على ان كل فرد من افراد البشر له حظ من انشائه عليه السلام من العدم اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا
منطويا على فطرة سائر آحاد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان ابداعه عليه السلام على ذلك الوجه ابداعا للكل واحد من فروعه
كذلك ولما كان خلقه عليه السلام على هذا النمط الساري الى جميع افراد ذريته ابدع من ان يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من نسبة
المذكور اليه وادل على عظم قدرته تعالى وكمال علمه وحكمته وكان عدم زكريا حينئذ اظهر عنده واجلى وكان حاله اولى بان يكون معيارا لحال ما
بشر به نسب الخلق المذكور اليه كما نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم توفية لمقام الامتنان حقه فكانه
قيل قد خلقتك من قبل في تضاعيف خلق آدم ولم تك اذ ذاك شيئا اصلا بل عدما بحتا ونفيا صرفا فاما هذا واما حمل الشيء على المعتد به اي ولم تك

اي ولم يك شيئا معتدا به فيأباه المقام ويرده نظم الكلام وقرئ خلقناك قال رب اجعل لي آية اي علامة تدلني على تحقيق المسئول ووقوع الحبل ولم يكن
هذا السؤال منه عليه السلام لتأكيد البشارة وتحقيقها كما قيل فان ذلك مما لا يليق بمنصب الرسالة وانما كان ذلك لتعريف وقت العلوق حيث كانت
البشارة مطلقة عن تعيينه وهو امر خفي لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة بالشكر من حين حدوثها ولا يؤخره الى
ان تظهر ظهورا معتادا وقد مرت الاشارة في تفسير سورة آل عمران الى ان هذا السؤال ينبغي ان يكون بعد ما مضى بعد البشارة برهة من
الزمان لما روي ان يحيى كان اكبر من عيسى عليهما السلام بستة اشهر او بثلاث سنين ولا ريب في ان دعاء زكريا عليه السلام كان في صغر مريم
لقوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه وهي انما ولدت عيسى عليه السلام وهي بنت عشر سنين او بنت ثلاث عشرة سنة والجعل ابداعي واللام متعلقة به
وتقديمها على المفعول به لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف وقع حالا من آية اذ لو تأخر لكان صفة لها وقيل
بمعنى التصيير المستدعي لمفعولين اولهما آية وثانيهما الظرف وتقديمه لانه لا مسوغ لكون آية مبتدأ عند انحلال الجملة الى مبتدأ وخبر سوى تقديم
الظرف فلا يتغير حالهما بعد ورود الناسخ قال آيتك الا تكلم الناس اي ان لا تقدر على ان تكلمهم بكلام الناس مع القدرة على الذكر والتسبيح
ثلاث ليال مع ايامهن للتصريح بها في سورة آل عمران سويا حال من فاعل تكلم مفيد لكون انتفاء التكلم بطريق الاضطرار دون الاختيار اي تمنع
الكلام فلا تطيق به حال كونك سوي الخلق سليم الجوارح ما بك شائبة بكم ولا خرس فخرج على قومه من المحراب اي من المصلى او من الغرفة وكانوا
من وراء المحراب ينتظرونه ان يفتح لهم الباب فيدخلوه ويصلوا اذ خرج عليهم متغيرا لونه فانكروه وقالوا مالك فاوحى اليهم اي اوحى اليهم لقوله
تعالى الا رمزا وقيل كتب على الارض وان في قوله تعالى ان سبحوا اما مفسرة لاوحى او مصدرية والمعنى اي صلوا او بان صلوا بكرة وعشيا
هما ظرفا زمان للتسبيح عن ابي العالية ان المراد بهما صلوة الفجر وصلوة العصر او نزهوا ربكم طرفي النهار ولعله كان مأمورا بان يسبح شكرا
ويأمر قومه بذلك يا يحيى استئناف طوي قبله جمل كثيرة مسارعة الى الانباء بانجاز الوعد الكريم اي قلنا يا يحيى خذ الكتاب اي التورية بقوة
اي بجد واستظهار بالتوفيق وآتيناه الحكم صبيا قال ابن عباس رضي الله عنهما الحكم النبوة استنبأه وهو ابن ثلاث سنين وقيل الحكم
الحكمة وفهم التورية والفقه في الدين روي انه دعاه الصبيان الى اللعب فقال ما للعب خلقنا وحنانا من لدنا عطف على الحكم وتنوينه للتفخيم
وهو التحنن والاشتياق ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي وآتيناه
رحمة عظيمة عليه كائنة من جنابنا او رحمة في قلبه وشفقة على ابويه وغيرهما وزكوة اي طهارة من الذنوب او صدقة تصدقنا به على ابويه
او وفقناه للتصدق على الناس وكان تقيا مطيعا متجنبا عن المعاصي وبرا بوالديه عطف على تقيا اي بارا بهما لطيفا بهما محسنا اليهما
ولم يكن جبارا عصيا متكبرا عاقا لهما او عاصيا لربه وسلام عليه من الله عز وجل يوم ولد من ان يناله الشيطان بما ينال به بني آدم ويوم
يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من هول القيمة وعذاب النار واذكر في الكتاب كلام مستأنف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وامر بذكر قصة
مريم اثر قصة زكريا لما بينهما من كمال الاشتباك والمراد بالكتاب السورة الكريمة لا القرآن اذ هي التي صدرت بقصة زكريا المستتبعة لذكر
قصتها وقصص الانبياء المذكورين فيها اي واذكر للناس فيها مريم اي نبأها فان الذكر لا يتعلق بالاعيان وقوله تعالى اذ انتبذت ظرف لذلك
المضاف لكن لا على ان يكون المأمور به ذكر نبأها عند انتباذها فقط بل كل ما عطف عليه وحكي بعده بطريق الاستئناف داخل في حيز الظرف متمم
للنبأ وقيل بدل اشتمال من مريم على ان المراد بها نبأها فان الظروف مشتملة على ما فيها وقيل بدل الكل على ان المراد بالظرف ما وقع فيه وقيل
اذ بمعنى ان المصدرية كما في قولك اكرمتك اذ لم تكرمني اي لان لم تكرمني فهو بدل اشتمال لا محالة وقوله تعالى من اهلها متعلق بانتبذت وقوله
تعالى مكانا شرقيا مفعول له باعتبار ما في ضمنه من معنى الاتيان المترتب وجودا واعتبارا على اصل معناه العامل في الجار والمجرور وهو السر في
تأخيره عنه اي اعتزلت وانفردت منهم واتت مكانا شرقيا من بيت المقدس او من دارها لتتخلى هنالك للعبادة وقيل قعدت في مشرقة
للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط او بشيء يسترها وذلك قوله تعالى فاتخذت من دونهم حجابا وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت
خالتها واذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هي في مغتسلها اتاها الملك عليه السلام في صورة آدمي شاب امرد وضيء الوجه جعد الشعر وذلك
قوله تعالى فارسلنا اليها روحنا اي جبرائيل عليه السلام عبر عنه بذلك توفية للمقام حقه وقرئ بفتح الراء لكونه سببا لما فيه روح العباد الذي
هو عدة المقربين في قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان فتمثل لها بشرا سويا سوي الخلق كامل البنية لم يفقد من حسان نعوت

الآدمية شيئا وقيل في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وذلك لتستأنس بكلامه وتتلقى منه ما يلقي اليها من كلماته تعالى اذ لو بدا لها
على الصورة الملكية لنفرت منه ولم تستطع مفاوضته واما ما قيل من ان ذلك لتهييج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها فمع مخالفته لما ذكر من قوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا لان
وبيان آثار القدرة الخارقة للعادة يكذبه قوله تعالى **قالت اني اعوذ بالرحمن منك** فانه شاهد عدل بانه لم يخطر ببالها شائبة ميل ما اليه فضلا
عما ذكر من الحالة المترتبة على اقصى مراتب الميل والشهوة نعم كان تمثله على ذلك الحسن الفائق والجمال الرائق لابتلائها وسبر عفتها ولقد ظهر
منها من الورع والعفاف ما لا غاية وراءه وذكره تعالى بعنوان الرحمانية للمبالغة في العياذ به تعالى واستجلاب آثار الرحمة الخاصة التي هي
العصمة مما دهمها وقوله تعالى **ان كنت تقيا** تتقي الله تعالى وتبالي بالاستعاذة به وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة السباق عليه اي
فاني عائذة به او فتعوذ بتعوذي او فلا تتعرض لي **قال انما انا رسول ربك** يريد عليه السلام اني لست ممن يتوقع منه ما توهمت من الشر
وانما انا رسول ربك الذي استعذت به **لاهب لك غلاما** اي لان اكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز ان يكون ذلك حكاية لقوله تعالى
ويؤيده القراءة بالياء والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها لتشريفها وتسليتها والاشعار بعلة الحكم فان هبة الغلام لها من
احكام تربيتها وفي بعض المصاحف امرني ان اهب لك غلاما **زكيا** طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير اي مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح
قالت انى يكون لي غلام كما وصفت **ولم يمسسني بشر** اي والحال انه لم يباشرني بالنكاح رجل وانما قيل بشر مبالغة في بيان تنزهها من مبادي
الولادة **ولم اك بغيا** عطف على لم يمسسني داخل معه في حكم الحالية مفصح عن كون المساس عبارة عن المباشرة بالنكاح اي ولم اكن فاجرة تبغي
الرجال وهي فعول بمعنى الفاعل اصلها بغوي فادغمت الواو بعد قلبها ياء في الياء وكسرت الغين للياء وقيل هي فعيل بمعنى الفاعل والا لقيل
بغو كما يقال فلان نهو عن المنكر وانما لم تلحقه التاء لانها من باب النسب كطالق او بمعنى المفعول اي يبغيها الرجال للفجور بها **قال** اي الملك تقريرا
لمقالته وتحقيقا لها **كذلك** اي الامر كما قلت لك وقوله تعالى **قال ربك** الى آخره استئناف مقرر له اي قال ربك الذي ارسلني اليك **هو** اي ما ذكرت لك
من هبة الغلام من غير ان يمسك بشر اصلا **علي** خاصة **هين** وان كان مستحيلا عادة لما اني لا احتاج الى الاسباب والوسائط وقوله تعالى **ولنجعله آية**
للناس اما علة لمعلل محذوف اي ولنجعل وهب الغلام آية لهم وبرهانا يستدلون به على كمال قدرتنا نفعل ذلك او معطوف على علة اخرى مضمرة
اي لنبين به عظم قدرتنا ولنجعله آية الى آخره والواو على الاول اعتراضية والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال الجلالة **ورحمة** عظيمة كائنة **منا**
عليهم يهتدون بهدايته ويسترشدون بارشاده **وكان** ذلك **امرا مقضيا** محكما قد تعلق به قضاؤنا الازلي او قدر وسطر في اللوح المحفوظ
لا بد من جريانه عليك البتة او كان امرا حقيقا بان يقضي ويفعل لتضمنه حكما بالغة **فحملته** بان نفخ جبريل عليه السلام في درعها فدخلت النفخة في
جوفها قيل انه عليه السلام رفع درعها فنفخ في جيبه فحملت وقيل نفخ عن بعد فوصل الريح اليها فحملت في الحال وقيل ان النفخة كانت في فيها وكانت
مدة حملها سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية اشهر غيره وقيل تسعة اشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة كما حملته وضعته
وسنها حينئذ ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين **فانتبذت به** اي فاعتزلت وهو في بطنها كما في قوله تدوس بنا الجماجم
والتريبا فالجار والمجرور في حيز النصب على الحالية اي فانتبذت ملتبسة به **مكانا قصيا** بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار وهو
بقصر مدة الحمل **فاجاءها المخاض** اي فالجأها وهو في الاصل منقول من جاء لكنه لم يستعمل في غيره كاتى في اعطى وقرئ المخاض بكسر الميم وكلاهما مصدر
مخضت المرأة اذا تحرك الولد في بطنها للخروج **الى جذع النخلة** لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة
لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثمة غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك
ليريها من آياتها ما يسكن روعتها ويطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها **قالت يا ليتني مت** بكسر الميم من مات يمات كخفت وقرئ
بضمها من مات يموت **قبل هذا** اي هذا الوقت الذي لقيت فيه ما لقيت وانما قالته مع انها كانت تعلم ما جرى بينها وبين جبرائيل عليه السلام من الوعد
الكريم استحياء من الناس وخوفا من لائمتهم او حذرا من وقوع الناس في المعصية بما تكلموا فيها او جريا على سنن الصالحين عند اشتداد الامر
عليهم كما روي عن عمر رضي الله عنه انه اخذ تبنة من الارض فقال يا ليتني هذه التبنة ولم اكن شيئا وعن بلال انه قال ليت بلالا لم تلده امه
وكنت نسيا اي شيئا تافها شانه ان ينسى ولا يعتد به اصلا وقرئ بالكسر قيل هما لغتان في ذلك كالوتر والوتر وقيل هو بالكسر اسم لما ينسى
كالنقض اسم لما ينقض وبالفتح مصدر سمي به المفعول مبالغة وقرئ بهما مهموزا من نسأت اللبن اذا صببت عليه الماء فصار مستهلكا فيه وقرئ

وقرئ نسبا كعصا **منسيا** لا يخطر ببال احد من الناس وهو نعت للمبالغة وقرئ بكسر الميم اتباعا له بالسين **فناداها** اي جبريل **من تحتها**
قيل انه كان يقبل الولد وقيل من تحتها اي من مكان اسفل منها تحت الاكمة وقيل من تحت النخلة وقيل ناداها عيسى عليه السلام فخاطبها
من تحتها بكسر الميم **ان لا تحزني** اي لا تحزني على ان ان مفسرة او بان لا تحزني على انها مصدرية قد حذف عنها الجار **قد جعل ربك تحتك**
اي بمكان اسفل منك وقيل تحت امرك اي ان امرت بالجري جرى وان امرت بالامساك امسك **سريا** اي نهرا صغيرا حسبما روي
مرفوعا قال ابن عباس رضي الله عنهما ان جبريل عليه السلام ضرب برجله الارض فظهرت عين ماء عذب فجرى جدولا وقيل فعله عيسى عليه السلام
وقيل كان هناك نهر يابس اجرى الله عز وجل فيه الماء حينئذ كما فعل مثله بالنخلة فانها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ورق
فضلا عن الثمر وكان الوقت شتاء فجعل الله تعالى لها اذ ذاك رأسا وخوصا وثمرا وقيل كان هناك ماء جار والاول هو الموافق لمقام
بيان ظهور الخوارق والمتبادر من النظم الكريم وقيل سريا اي سيدا جليلا رفيع الشأن نبيا وهو عيسى عليه السلام فالتنوين
للتفخيم والجملة تعليل لانتفاء الحزن المفهوم من النهي عنه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها لتشريفها وتاكيد التعليل
وتكميل التسلية **وهزي** هز الشيء تحريكه الى الجهات المتقابلة تحريكا عنيفا متداركا والمراد ههنا ما كان منه بطريق الجذب والدفع
لقوله تعالى **اليك** اي الى جهتك والباء في قوله عز وجل **بجذع النخلة** صلة للتاكيد كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى آخره قال الفراء تقول
العرب هزه وهز به واخذ بالخطام او للالصاق الفعل بمدخولها اي افعلي الهز به او هزي الثمرة بهزه وقيل هي متعلقة بمحذوف وقع حالا
من مفعول الهز اي هزي اليك الرطب كائنا بجذعها **تساقط** اي تسقط النخلة **عليك** اسقاطا متواترا حسب تواتر الهز وقرئ تسقط
ويسقط من الاسقاط بالتاء والياء وتساقط باظهار التائين وتساقط بطرح الثانية وتساقط بادغامها في السين ويساقط بالياء
كذلك وتسقط ويسقط من السقوط على ان التاء في الكل للنخلة والياء للجذع وقوله تعالى **رطبا** على القراءات الثلاث الاول مفعول وعلى
الست البواقي تمييز وقوله تعالى **جنيا** صفة له وهو ما قطع قبل يبسه فعيل بمعنى مفعول اي رطبا مجنيا اي صالحا للاجتناء وقيل بمعنى فاعل اي طريا
وقرئ جنيا بكسر الجيم للاتباع **فكلي واشربي** اي من ذلك الرطب وماء السري او من الرطب وعصيره **وقري عينا** وطيبي نفسا وارفضي
عنها ما احزنك واهمك فانه تعالى قد نزه ساحتك عما اختلج في صدور المتقيدين بالاحكام العادية بان اظهر لهم من البسائط العنصرية
والمركبات النباتية ما يخرق العادات التكوينية ويرشدهم الى الوقوف على سريرة امرك وقرئ وقري بكسر القاف وهي لغة نجد واشتقاقه
من القرار فان العين اذا رأت ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة
ولذلك يقال قرة العين وسخنة العين للمحبوب والمكروه **فاما ترين من البشر احدا** اي آدميا كائنا من كان وقرئ ترئن على لغة من
يقول لبأت بالحج لما بين الهمزة والياء من التآخي **فقولي** له ان استنطقك **اني نذرت للرحمن صوما** اي صمتا وقد قرئ كذلك او صياما
وكان صيامهم بالسكوت **فلن اكلم اليوم انسيا** اي بعد ان اخبرتكم بنذري وانما اكلم الملائكة واناجي ربي وقيل امرت بان
تخبر بنذرها بالاشارة وهو الاظهر قال الفراء العرب تسمي كل ما وصل الى الانسان كلاما باي طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فاذا
اكد لم يكن الا حقيقة الكلام وانما امرت بذلك لكراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم والاكتفاء بكلام عيسى عليه السلام فانه نص قاطع
في قطع الطعن **فاتت به قومها** اي جاءتهم مع ولدها راجعة اليهم عند ما طهرت من نفاسها **تحمله** اي حاملة له **قالوا** مؤنبين لها **يا مريم**
لقد جئت اي فعلت **شيئا فريا** اي عظيما بديعا منكرا من فري الجلد اي قطعه او جئت مجيئا عجيبا عبر عنه بالشيء تحقيقا للاستغراب **يا اخت**
هرون استئناف لتجديد التعيير وتاكيد التوبيخ عنوا به هرون النبي عليه السلام وكانت من اعقاب من كان معه في طبقة الاخوة وقيل كانت
من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان في زمانهم شبهوها به اي كنت عندنا مثله في الصلاح او شتموها به **ما كان ابوك امرأ**
سوء وما كانت امك بغيا تقرير لكون ما جاءت به فريا منكرا وتنبيه على ان ارتكاب الفواحش من اولاد الصالحين افحش **فاشارت اليه** اي الى
عيسى عليه السلام ان كلموه والظاهر انها بينت حينئذ نذرها وانها بمعزل من محاورة الانس حسبما امرت ففيه دلالة على ان المأمور به بيان نذرها
بالاشارة لا بالعبارة والجمع بينهما مما لا عهد به **قالوا** منكرين لجوابها **كيف نكلم من كان في المهد صبيا** ولم نعهد فيما سلف صبيا يكلمه عاقل
وقيل كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم صالح للقريب والبعيد وهو ههنا للقريب خاصة بدليل انه مسوق للتعجب وقيل هي زائدة

والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه او هي تامة او دائمة كما في قوله تعالى وكان الله عليما حكيما قال استيناف مبني على سؤال نشأ من سياق
النظم الكريم كانه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل قال عيسى عليه السلام اني عبد الله انطقه الله عز وجل بذلك اثر ذي اثير تحقيقا للحق وردا على من زعم
ربوبيته قيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليهما السلام وعن السدي رضي الله تعالى عنه لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا
مما فعلت وروي انه عليه السلام كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره واشار بسبابته فقال ما قال
الى آخره وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان آتاني الكتاب اي الانجيل وجعلني نبيا وجعلني مع ذلك مباركا نفاعا معلما
للخير والتعبير بلفظ الماضي في الافعال الثلثة اما باعتبار ما سبق في القضاء المحتوم او بجعل ما في شرف الوقوع لا محالة واقعا وقيل اكمله الله تعالى عقلا
واستنباه طفلا اينما كنت اي حيثما كنت واوصاني بالصلوة اي امرني بها امرا مؤكدا والزكوة زكوة المال ان ملكته او تطهير النفس عن
الرذائل ما دمت حيا في الدنيا وبرا بوالدتي عطف على مباركا اي جعلني بارا وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف به مبالغة او منصوب بمضمر دل عليه
اوصاني اي وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلوة والزكوة والتنكير للتفخيم ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله تعالى
لفرط تكبره والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا كما هو على يحيى على ان التعريف للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن
على اعدائه فان اثبات جنس السلام لنفسه تعريض باثبات ضده لاضداده كما في قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بان العذاب على
من كذب وتولى ذلك اشارة الى من فصلت نعوته الجليلة وما فيه من معنى البعد للدلالة على علو رتبته وبعد منزلته وامتيازه بتلك المناقب
الحميدة عن غيره ونزوله منزلة المشاهد المحسوس عيسى بن مريم لا ما يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يزعمونه على الوجه الابلغ والمنهاج
البرهاني حيث جعله موصوفا باضداد ما يصفونه قول الحق بالنصب على انه مصدر مؤكد لقال اني عبد الله الى آخره وقوله تعالى ذلك عيسى بن
مريم اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير
للكلام السابق او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرئ قال الحق وقول الحق فان القول والقول
والقال في معنى واحد فيه يمترون اي يشكون او يتنازعون فيقول اليهود ساحر والنصارى ابن الله سبحانه وقرئ بتاء الخطاب ما كان
لله اي ما صح وما استقام له تعالى ان يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه له تعالى عما بهتوه وقوله تعالى اذا قضى امرا فانما
يقول له كن فيكون تبكيت لهم ببيان ان شأنه تعالى اذا قضى امرا من الامور ان يتعلق به ارادته فيكون حينئذ بلا تأخير فمن هذا شأنه
كيف يتوهم ان يكون له ولد وقرئ فيكون بالنصب على الجواب وقوله تعالى وان الله ربي وربكم فاعبدوه من تمام كلام عيسى عليه السلام قبل هو
عطف على قوله اني عبد الله داخل تحت القول وقد قرئ بغير واو وقرئ بفتح الهمزة على حذف اللام اي ولانه تعالى ربي وربكم فاعبدوه
كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وقيل معطوف على الصلوة هذا اي الذي ذكرته من التوحيد صراط مستقيم لا يضل
سالكه والفاء في قوله تعالى فاختلف الاحزاب من بينهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها تنبيها على سوء صنيعهم بجعلهم ما يوجب الاتفاق منشأ للاختلاف
فان ما حكي من مقالات عيسى عليه السلام مع كونها نصوصا قاطعة في كونه عبده تعالى ورسوله قد اختلف اليهود والنصارى بالتفريط والافراد
او فرق النصارى فقالت النسطورية هو ابن الله وقالت اليعقوبية هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا
وقالت الملكانية هو عبد الله ونبيه فويل للذين كفروا وهم المختلفون عبر عنهم بالموصول ايذانا بكفرهم جميعا واشعارا بعلة الحكم من مشهد
يوم عظيم اي من شهود يوم عظيم الهول والحساب والجزاء وهو يوم القيمة او من وقت شهوده او من مكان الشهود فيه او من شهادة ذلك اليوم
عليهم وهو ان يشهد عليهم الملائكة والانبياء عليهم السلام والسنتهم وآذانهم وايديهم وارجلهم وسائر آرائهم بالكفر والفسوق او من وقت
الشهادة او من مكانها وقيل هو ما شهدوا به في حق عيسى وامه اسمع بهم وابصر تعجب من حدة سمعهم وابصارهم يومئذ ومعناه ان اسماعهم
وابصارهم يوم يأتوننا للحساب والجزاء اي يوم القيمة جدير بان يتعجب منهما بعد ان كانوا في الدنيا صما عميا او تهديد بما سيسمعون ويبصرون
يومئذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الاول في موقع الرفع على الثاني في حيز النصب
لكن الظالمون اليوم اي في الدنيا في ضلال مبين لا يدرك غايته حيث اغفلوا الاستماع والنظر بالكلية ووضع الظالمين موضع الضمير للايذان
بانهم في ذلك ظالمون لانفسهم وانذرهم يوم الحسرة اي يوم يتحسر الناس قاطبة اما المسيء فعلى اساءته واما المحسن فعلى قلة احسانه اذ قضي

الامر اي فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقيل حين يجاء بالموت على صورة كبش
املح فيذبح والفريقان ينظرون فينادي المنادي يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرح واهل
النار غما الى غم واذ بدل من يوم الحسرة او ظرف للحسرة فان المصدر المعرف باللام يعمل في المفعول الصريح عند بعضهم فكيف بالظرف وهم في غفلة
اي عما يفعل بهم في الآخرة وهم لا يؤمنون وهما جملتان حاليتان من الضمير المستتر في قوله تعالى في ضلال مبين اي مستقرون في ذلك وهم في
تينك الحالتين وما بينهما اعتراض او من مفعول انذرهم اي انذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة لمعنى التعليل انا نحن نرث
الارض ومن عليها لا يبقى لاحد غيرنا عليها ملك ولا ملك او نتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفي الوارث لارثه والينا يرجعون اي
يردون للجزاء لا الى غيرنا استقلالا او اشتراكا واذكر عطف على انذرهم في الكتاب اي في السورة او في القرآن ابراهيم اي اتل على الناس قصته
وبلغها اياهم كقوله تعالى واتل عليهم نبأ ابراهيم لانهم ينتمون اليه عليه السلام فعساهم باستماع قصته يقلعون عما هم فيه من القبائح انه كان
صديقا ملازما للصدق في كل ما يأتي ويذر او كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى وآياته وكتبه ورسله والجملة استيناف
مسوق لتعليل موجب الامر فان وصفه عليه السلام بذلك من دواعي ذكره نبيا خبر آخر لكان مقيد للاول مخصص له كما ينبئ عنه قوله تعالى من النبيين
والصديقين الآية اي كان جامعا بين الصديقية والنبوة ولعل هذا الترتيب للمبالغة في الاحتراز عن توهم تخصيص الصديقية بالنبوة فان
كل نبي صديق اذ قال بدل اشتمال من ابراهيم وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله او متعلق بكان او بنبيا وتعليق الذكر بالاوقات مع ان المقصود
تذكير ما وقع فيها من الحوادث قد مر سره مرارا اي كان جامعا بين الاثرين حين قال لابيه آزر متلطفا في الدعوة مستميلا له يا ابت اي يا ابي
فان التاء عوض من ياء الاضافة ولذلك لا يجتمعان وقد قيل يا ابتا لكون الالف بدلا من الياء لم تعبد ما لا يسمع ثناءك عليه عند عبادتك له وجوارك
اليه ولا يبصر خضوعك وخشوعك بين يديه او لا يسمع ولا يبصر شيئا من المسموعات والمبصرات فيدخل في ذلك ما ذكر دخولا اوليا ولا يغني
عنك شيئا في جلب نفع او دفع ضر ولقد سلك عليه السلام في دعوته احسن منهاج واقوم سبيل واحتج عليه ابدع احتجاج بحسن ادب وخلق جميل لئلا
يركب متن المكابرة والعناد ولا ينكب بالكلية عن محجة الرشاد حيث طلب منه علة عبادته لما يستخف به عقل كل عاقل من عالم وجاهل ويأبى الركون
اليه فضلا عن عبادته التي هي الغاية القاصية من التعظيم مع انها لا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام الخالق الرازق المحيي المميت
المثيب المعاقب ونبه على ان العاقل يجب ان يفعل كل ما يفعل لداعية صحيحة وغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا قادرا على النفع
والضر مطيقا بايصال الخير والشر لكن كان ممكنا لاستنكف العقل السليم عن عبادته وان كان اشرف الخلائق لما يراه مثله في الحاجة والانقياد
للقدرة القاهرة الواجبية فما ظنك بجماد مصنوع من حجر او شجر ليس له من اوصاف الاحياء عين ولا اثر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الى الحق
المبين لما انه لم يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي مصدرا لدعوته بما مر من الاستمالة والاستعطاف حيث قال يا ابت اني قد
جاءني من العلم ما لم يأتك ولم يسم اباه بالجهل المفرط وان كان في اقصاه ولا نفسه وان كان كذلك بل ابرز نفسه في صورة رفيق له اعرف باحوال ما
سلكاه من الطريق فاستماله برفق حيث قال فاتبعني اهدك صراطا سويا اي مستقيما موصلا الى اسنى المطالب منجيا عن الضلال المؤدي الى مهاوي
الردى والمعاطب ثم ثبطه عما كان عليه بتصويره بصورة يستنكرها كل عاقل ببيان انه مع عرائه عن النفع بالمرة مستجلب لضرر عظيم فانه في
الحقيقة عبادة الشيطان لما انه الآمر به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان فان عبادتك للاصنام عبادة له اذ هو الذي يسوّلها لك ويغريك
عليها وقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا تعليل لموجب النهي وتأكيد له ببيان انه مستعص على ربك الذي انعم عليك بفنون النعم ولا ريب
في ان المطيع للعاصي عاص وكل من هو عاص حقيق بان يسترد منه النعم وينتقم منه والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاقتصار
على ذكر عصيانه من بين سائر جناياته لانه ملاكها او لانه نتيجة معاداته لآدم عليه السلام وذريته وتذكيره داع لابيه الى الاحتراز عن
موالاته وطاعته والتعريض لعنوان الرحمانية لاظهار كمال شناعة عصيانه وقوله تعالى يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن تحذير
من سوء عاقبة ما كان عليه من عبادة الشيطان وهو ابتلاؤه بما ابتلي به معبوده من العذاب الفظيع وكلمة من متعلقة بمضمر وقع صفة
للعذاب مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية واظهار الرحمن للاشعار بان وصف الرحمانية لا يدفع حلول
العذاب كما في قوله عز وجل ما غرك بربك الكريم فتكون للشيطان وليا اي قرينا له في اللعن المخلد وذكر الخوف للمجاملة وابراز الاعتناء

بامره قال استيناف مبني علي سؤال نشأ من صدر الكلام كانه قيل ماذا قال ابوه عند ما سمع منه عليه السلام هذه النصايح الواجبة القبول فقيل
قال مصرًّا علي عناده اراغب انت عن آلهتي يا ابراهيم اي معرض ومنصرف انت عنها بتوجيه الانكار الي نفس الرغبة مع ضرب من التعجيل كان
الرغبة عنها مما لا يصدر عن العاقل فضلاً عن ترغيب الغير عنها وقوله لئن لم تنته لأرجمنك تهديد وتحذير عما كان عليه من العظة والتذكير
اي والله لئن لم تنته عما كنت عليه من النهي عن عبادتها لأرجمنك بالحجارة او باللسان واهجرني اي فاحذرني واتركني مليًّا اي زمانًا
طويلاً او مليًّا بالذهاب مطيقًا به قال استيناف كما سلف سلام عليك توديع ومتاركة علي طريقة مقابلة السيئة بالحسنة اي لا اصيبك
بمكروه بعد ولا اشافهك بما يؤذيك ولكن ساستغفر لك ربي اي استدعيه ان يغفر لك بان يوفقك الي التوبة ويهديك الي الايمان كما
يلوح به تعليل قوله تعالى واغفر لابي بقوله تعالى انه كان من الضالين والاستغفار بهذا المعني للكافر قبل تبين انه يموت علي الكفر مما لا ريب فيه
في جوازه وانما المحذور استدعاء المغفرة له مع بقائه علي الكفر فانه مما لا مساغ له عقلاً ولا نقلاً واما الاستغفار له بعد موته علي
الكفر فلا يأباه قضية العقل وانما الذي يمنعه السمع الا يري الي انه عليه السلام قال لعمه ابي طالب لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزل
قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الآية ولا اشتباه في ان هذا الوعد من ابراهيم عليه السلام
وكذا قوله لاستغفرن لك وما ترتب عليهما من قوله تعالى واغفر لابي انما كان قبل انقطاع رجائه عن ايمانه لعدم تبين امره لقوله
تعالى فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه كما مر في تفسير سورة التوبة واستثناؤه عما يؤتسي في قوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه
لاستغفرن لك لا يقدح في جوازه لكن لا لان ربك كان قبل ورود النهي والموعدة وعدها اياه كما قيل لما ان النهي انما ورد في
شأن الاستغفار بعد تبين الامر وقد كان استغفاره عليه السلام قبل التبين فلم يتناوله النهي اصلاً وان الوعد بالمحظور لا يرفع
حظره بل لان المراد بما يؤتسي به ما يجب الايتساء به حتمًا لورود الوعيد علي الاعراض عنه بقوله تعالى لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة
لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فاستثناؤه عن ذلك انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان
للكافر المرجو ايمانه لا سيما وقد انقطع ذلك عند ورود الاستثناء وذلك مما لا يتردد فيه احد من العقلاء واما عدم جوازه قبل
تبين الامر فلا دلالة للاستثناء عليه قطعًا وتوجيه الاستثناء الي العدة بالاستغفار لا الي نفس الاستغفار بقوله واغفر لابي
الآية لانها كانت هي الحاملة له عليه السلام عليه وتخصيص تلك العدة بالذكر دون ما وقع ههنا لورودها علي نهج التأكيد القسمي
واما جعل الاستغفار دائرًا عليها وترتيب التبري علي تبين الامر فقد مر تحقيقه في تفسير سورة التوبة وقوله تعالى انه كان بي حفيًّا اي
بليغًا في البر والالطاف تعليل لمضمون ما قبله واعتزلكم اي اتباعد عنك وعن قومك وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بديني حيث لم تؤثر فيكم
نصايحي وادعو ربي اعبده وحده وقد جوز ان يراد به دعاؤه المذكور في سورة الشعراء ولا يبعد ان يراد به استدعاء الولد
ايضًا بقوله رب هب لي من الصالحين حسبما يساعده السباق والسياق عسى الا اكون بدعاء ربي شقيًّا اي خائبًا ضايع السعي وفيه تعريض
بشقائهم في عبادة آلهتهم وفي تصدير الكلام بعسى من اظهار التواضع ومراعاة حسن الادب والتنبيه علي حقيقة الحق من ان الاجابة والاثابة
بطريق التفضل منه عز وجل لا بطريق الوجوب وان العبرة بالخاتمة وذلك من الغيوب المختصة بالعليم الخبير ما لا يخفى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله
بالمهاجرة الي الشام وهبنا له اسحق ويعقوب بدل من فارقهم من اقربائه الكفرة لكن لا عقيب المهاجرة فان المشهود ان الموهوب حينئذ
اسمعيل عليه السلام لقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم اثر دعائه بقوله رب هب لي من الصالحين ولعل ترتيب هبتهما علي اعتزاله ههنا لبيان
كمال عظم النعم التي اعطاها الله تعالى اياه بمقابلة من اعتزلهم من الاهل والاقرباء فانهما شجرتا الانبياء لهما اولاد واحفاد اولوا
شأن خطير وذووا عدد كثير هذا وقد روي انه عليه السلام لما قصد الشام اتى اولاً حران وتزوج بسارة وولدت له اسحق
وولد لاسحق يعقوب والاول هو الاقرب الاظهر وكلاًّ اي كل واحد منهما او منهم وهو مفعول اول لقوله تعالى جعلنا نبيًّا قدم عليه للتخصيص
لكن لا بالنسبة الي من عداهم بل بالنسبة الي بعضهم اي كل واحد منهم جعلنا نبيًّا لا بعضهم دون بعض ووهبنا لهم من رحمتنا هي النبوة وذكرها
بعد ذكر جعلهم نبيًّا للايذان بانها من باب الرحمة وقيل هي المال والاولاد وما بسط لهم من سعة الرزق وقيل هو الكتاب والاظهر انها
عامة لكل خير ديني ودنيوي اوتوه مما لم يؤت احد من العالمين وجعلنا لهم لسان صدق عليًّا يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجا

استجابة لدعوته بقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به من الكلام ولسان العرب لغتهم واضافته الي الصدق
ووصفه بالعلو للدلالة علي انهم احقاء بما يثنون عليهم وان محامدهم لا تخفى علي تباعد الاعصار وتبدل الدول وتحول الملل والنحل
واذكر في الكتاب موسى قدم ذكره علي ذكر اسمعيل عليه السلام لئلا ينفصل عن ذكر يعقوب عليهم السلام انه كان مخلصًا موحدًا اخلص عبادته
عن الشرك والرياء او اسلم وجهه لله تعالى واخلص نفسه عما سواه وقرئ مخلصًا علي ان الله تعالى اخلصه وكان رسولاً نبيًّا ارسله الله تعالى
الي الخلق فانبأهم عنه ولذلك قدم رسولاً مع كونه اخص واعلى وناديناه من جانب الطور الايمن جبل بين مصر ومدين والايمن صفة للجانب
اي ناديناه من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى عليه السلام او من جانبه الميمون من اليمن ومعنى ندائه منه انه
تمثل له الكلام من تلك الجهة وقربناه نجيًّا تقريب تشريف مثل حاله عليه السلام بحال من قربه الملك لمناجاته واصطفاه لمصاحبته
ونجيًّا اي مناجيًا حال من احد الضميرين في ناديناه او قربناه وقيل مرتفعًا لما روي انه رفع فوق السموات حتى سمع صريف القلم
ووهبنا له من رحمتنا اي من اجل رحمتنا ورأفتنا له او بعض رحمتنا اخاه اي معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته بقوله واجعل
لي وزيرًا من اهلي هرون اخي لا نفسه لانه كان اكبر منه عليهما السلام وهو علي الاول مفعول لوهبنا وعلي الثاني بدل وقوله تعالى هرون
بيان له وقوله تعالى نبيًّا حال منه واذكر في الكتاب اسمعيل فصل ذكره عن ذكر ابيه واخيه لابراز كمال الاعتناء بامره بايراده مستقلاً وقوله
تعالى انه كان صادق الوعد تعليل لموجب الامر وايراده عليه السلام بهذا العنوان والوصف لكمال شهرته به وناهيك انه وعد الصبر علي الذبح
بقوله ستجدني ان شاء الله من الصابرين فوفى وكان رسولاً نبيًّا فيه دلالة علي ان الرسول لا يجب ان يكون صاحب شريعة فان اولاد
ابراهيم عليهم السلام كانوا علي شريعته وكان يأمر اهله بالصلوة والزكوة اشتغالاً بالاهم وهو ان يقبل الرجل بالتكميل علي نفسه ومن
هو اقرب الناس اليه قال تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارًا او قصدًا الي تكميل الكل بتكميلهم لانهم قدوة
يؤتسي بهم وقيل اهله امته فان الانبياء عليهم السلام آباء الامم وكان عند ربه مرضيًّا لاتصافه بالنعوت الجليلة التي من جملتها ما ذكر
من خصاله الحميدة واذكر في الكتاب ادريس وهو سبط شيث وجد ابي نوح فانه نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليهم السلام
واشتقاقه من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة قريبًا من ذلك فلقب به لكثرة دراسته روي انه تعالى
انزل عليه ثلثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب انه كان صديقًا ملازمًا للصدق في جميع احواله نبيًّا خبر آخر
لكان مخصص للاول اذ ليس كل صديق نبيًّا ورفعناه مكانًا عليًّا هو شرف النبوة والزلفى عند الله عز وجل وقيل علو الرتبة بالذكر الجميل
في الدنيا كما في قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك وقيل الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة روي عن كعب وغيره في سبب رفع ادريس عليه السلام
انه سار ذات يوم في حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يا رب اني قد مشيت فيها يومًا وقد اصابني منها ما اصابني فكيف من يحملها مسيرة خمسمائة
عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يا رب ما الذي قضيت فيه فقال
ان عبدي ادريس سألني ان اخفف عنك حملها وحرها فاجبته فقال رب اجعل بيني وبينه خلة فاذن الله تعالى له فرفعه الي السماء اولئك اشارة
الي المذكورين في السورة الكريمة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى الذين انعم الله عليهم
صفته اي انعم عليهم بفنون النعم الدينية والدنيوية حسبما اشير اليه مجملاً وقوله تعالى من النبيين بيان للموصول وقوله تعالى من ذرية آدم بدل
منه باعادة الجار ويجوز ان يكون كلمة من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية وممن حملنا مع نوح اي ومن ذرية من حملنا
معه خصوصًا وهم من عدا ادريس عليه السلام فان ابراهيم كان من ذرية سام بن نوح ومن ذرية ابراهيم وهم الباقون واسرائيل عطف علي ابراهيم اي ومن
ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وفيه دليل علي ان اولاد البنات من الذرية وممن هدينا واجتبينا اي
ومن جملة من هديناهم الي الحق واجتبيناهم للنبوة والكرامة وقوله تعالى اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدًا وبكيًّا خبر لاولئك ويجوز ان يكون الخبر هو الموصول
وهذا استئنافًا مسوقًا لبيان خشيتهم من الله تعالى واخباتهم له مع ما لهم من علو الرتبة وسمو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله
عز سلطانه وسجدًا وبكيًّا حالان من ضمير خروا اي ساجدين باكين عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا
والبكي جمع باك كالسجود جمع ساجد واصله بكوي فاجتمع الواو والياء وسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء وحركت

الكاف بالكسر المجانس للياء وقرئ يتلى بالياء التحتانية لان التانيث غير حقيقي وقرئ بكيا بكسر الباء للاتباع قالوا ينبغي ان يدعو الساجد في
سجدته بما يليق باياتها فههنا يقول اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة اياتك وفي اية الاسرا
يقول اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وفي اية تنزيل السجدة يقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ
بك من ان اكون من المستكبرين عن امرك **فخلف من بعدهم خلف** يقال عقب الخير خلف بفتح اللام وعقب الشر خلف بالسكون اي فعقبهم وجاء بعدهم
عقب سوء **اضاعوا الصلوة** وقرئ الصلوات اي تركوها او اخروها عن وقتها **واتبعوا الشهوات** من شرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك
في فنون المعاصي وعن علي رضي الله عنه هم من بني الشديد وركب المنظور ولبس المشهور **فسوف يلقون غيا** اي شرا فان كل شر عند العرب غي وكل
خير رشاد كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما وعن الضحاك جزاء غي كقوله تعالى يلق اثاما اي جزاء اثام
او غيا عن طريق الجنة وقيل غي واد في جهنم يستعيذ منه اوديتها وقوله تعالى **الا من تاب وآمن وعمل صالحا** يدل على ان الاية في حق الكفرة **فاولئك**
اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للامر مرارا اي فاولئك المنعوتون بالتوبة والايمان والعمل الصالح **يدخلون**
الجنة بموجب الوعد المحتوم وقرئ يدخلون على البناء للمفعول **ولا يظلمون شيئا** اي لا ينقصون من جزاء اعمالهم شيئا او لا ينقصون شيئا من النقص
وفيه تنبيه على ان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم **جنات عدن** بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها وما بينهما اعتراض او نصب
على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي هي او تلك جنات الى اخره او مبتدا خبره **التي وعد** الى اخره وقرئ جنة عدن نصبا ورفعا
وعدن علم لمعنى العدن وهو الاقامة كما ان فينة وسحر وامس فيمن لم يصرفها اعلام لمعاني الفينة وهي الساعة التي انت فيها والسحر والامس فجرى لذلك
مجرى العدن او هو علم لارض الجنة خاصة ولولا ذلك لما ساغ ابدال ما اضيف اليه من الجنة بلا وصف وعند غير البصريين وصفه بقوله تعالى التي **وعد الرحمن عباده**
وجعله بدلا لانه خلاف الظاهر فان الموصول في حكم المشتق وقد نصوا على ان البدل بالمشتق ضعيف والتعرض لعنوان الرحمة للايذان بان وعدها و
انجازه لكمال سعة رحمته تعالى والباء في قوله تعالى **بالغيب** متعلقة بمضمر هو حال من المضمر العائد الى الجنات او من عباده اي وعدها اياهم ملتبسة
او ملتبسين بالغيب اي غائبة عنهم غير حاضرة او غائبين عنها لا يرونها وانما آمنوا بها بمجرد الاخبار او بمضمر هو سبب للوعد اي وعدها
اياهم بسبب ايمانهم **انه كان وعده** اي موعوده كائنا ما كان فيدخل فيه الجنات الموعود دخولا اوليا ولما كانت هي مثابة يرجع اليها قيل
ماتيا اي ياتيه من وعد له لا محالة بغير خلف وقيل هو مفعول بمعنى فاعل وقيل ماتيا بمعنى مفعول منجزا من اتى اليه احسانا اي فعله **لا يسمعون فيها**
لغوا اي فضول كلام لا طائل تحته وهو كناية عن عدم صدور اللغو عن اهلها وفيه تنبيه على ان اللغو مما ينبغي ان يجتنب عنه في هذه الدار
ما امكن **الا سلاما** استثناء منقطع اي لكن يسمعون تسليم الملائكة عليهم السلام عليهم وتسليم بعضهم على بعض او متصل بطريق التعليق بالمحال
اي لا يسمعون لغوا الا الاسلاما فحيث استحال كون السلام لغوا استحال سماعهم له بالكلية كما في قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول
من قراع الكتائب او على ان معناه الدعاء بالسلامة وهم اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام وقوله تعالى **ولهم رزقهم**
فيها بكرة وعشيا وارد على عادة المتنعمين في هذه الدار وقيل المراد دوام رزقهم ودروره والا فليس فيها بكرة ولا عشيا **تلك الجنة** مبتدا
وخبر جيء به لتعظيم شان الجنة وتعيين اهلها فان ما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها وعلو رتبتها **التي نورث** اي نورثها من
عبادنا من كان تقيا اي نبقيها عليهم بتقواهم ونمتعهم بها كما نبقي على الوارث مال مورثه ونمتعه به والوراثة اقوى ما يستعمل في التملك والاستحقاق
من الالفاظ من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا ابطال وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو آمنوا واطاعوا
زيادة في كرامتهم وقرئ نورث بالتشديد **وما نتنزل الا بامر ربك** حكاية لقول جبريل حين استبطاه رسول الله عليهما السلام لما سئل عن اصحاب الكهف
وذي القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فابطا عليه اربعين يوما او خمسة عشر يوما فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال
المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك وانزل الله عز وجل هذه الاية وسورة والضحى والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع التنزيل
وقد يطلق على مطلق النزول كما يطلق التنزيل على الانزال والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت الا بامر الله تعالى على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما
يتنزل بالياء على ان الضمير للوحي **له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك** وهو ما نحن فيه من الاماكن والازمنة ولا ننتقل من مكان الى مكان ولا
ننزل في زمان دون زمان الا بامره ومشيئته **وما كان ربك نسيا** اي تاركا لك يعني ان عدم النزول لم يكن الا لعدم الامر به لحكمة بالغة

فيه ولم يكن لتركه تعالى لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وفي اعادة اسم الرب المعرب عن التبليغ الى الكمال اللائق مضافا الى ضميره عليه السلام من
تشريفه والاشعار بعلة الحكم ما لا يخفى وقيل اول الاية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة مخاطبا بعضهم بعضا بطريق التبجح والابتهاج والمعنى
وما نتنزل الجنة الا بامر الله تعالى ولطفه وهو مالك الامور كلها سافلها ومترقبها وحاضرها فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله
تعالى وما كان ربك نسيا تقرير لقولهم من جهة الله تعالى اي وما كان ناسيا لاعمال العاملين وما وعدهم من الثواب عليها وقوله تعالى **رب السموات**
والارض وما بينهما بيان لاستحالة النسيان عليه تعالى فان من بيده ملكوت السموات والارض وما بينهما كيف يتصور ان يحوم حول ساحة
سبحانه الغفلة والنسيان وهو خبر مبتدا محذوف او بدل من ربك والفاء في قوله تعالى **فاعبده واصطبر لعبادته** لترتيب ما بعدها من موجب الامر
على ما قبلها من كونه تعالى رب السموات والارض وما بينهما وقيل من كونه تعالى غير تارك له عليه السلام او غير ناس لاعمال العاملين والمعنى فحين عرفته
انه تعالى لا ينساك او لا ينسى اعمال العاملين كائنا من كان فاقبل على عبادته واصطبر على مشاقها ولا تحزن بابطاء الوحي وهزء الكفرة فانه
يراقبك ويراعيك ويلطف بك في الدنيا والآخرة وتعدية الاصطبار باللام لا بحرف الاستعلاء كما في قوله تعالى واصطبر عليها لتضمنه معنى الثبات
للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمبارز اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك من شداته **هل تعلم له سميا** السمي
هو الشريك في الاسم والظاهر ان يراد به ههنا الشريك في اسم خاص قد عبر عنه تعالى بذلك وهو رب السموات والارض وما بينهما
والمراد بانكار العلم ونفيه انكار المعلوم ونفيه على ابلغ وجه واكده فالجملة تقرير لما افاده الفاء من علية ربوبيته العامة لوجوب عبادته
بل لوجوب تخصيصها به تعالى ببيان استقلاله عز وجل بذلك الاسم وانتفاء اطلاقه على الغير بالكلية حقا او باطلا وقيل المراد هو الشريك في
الاسم الجليل فان المشركين مع غلوهم في المكابرة لم يسموا الصنم بالجلالة اصلا وقيل هو الشريك في اسم الاله والمراد بالتسمية التسمية
على الحق فالمعنى هل تعلم شيئا يسمى بالاستحقاق الها واما التسمية على الباطل فهي كلا تسمية فتقرير الجملة لوجوب العبادة حينئذ
باعتبار ما في الاسمين الكريمين من الاشعار باستحقاق العبادة فتدبر **ويقول الانسان** المراد به اما الجنس باسره واسناد القول الى الكل
لوجود القول فيما بينهم وان لم يقله الجميع كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم واما البعض المعهود منهم وهم الكفرة او
ابي بن خلف فانه اخذ عظاما بالية ففتها فقال زعم محمد انا نبعث بعد ما نموت ونصير الى هذه الحالة اي يقول بطريق الانكار والاستبعاد
ائذا ما مت لسوف اخرج حيا اي ابعث من الارض او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لما ان المنكر كونها بعد الموت
وقت الحيوة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي ههنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما
خلصت الهمزة واللام للتعويض في يا الله فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وقرئ اذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر **اولا**
يذكر الانسان من الذكر الذي يراد به التفكر والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بان الانسانية من دواعي التفكر
فيما جرى عليه من شؤون التكوين المنجية بالقلع عن القول المذكور وهو السر في اسناده الى الجنس او الى الفرد بذلك العنوان والهمزة
للانكار التوبيخي والواو لعطف الجملة المنفية على مقدر يدل عليه يقول اي ايقول ذلك ولا يذكر **انا خلقناه من قبل** اي من قبل الحالة
التي هو فيها وهي حالة بقائه **ولم يك شيئا** اي والحال انه لم يكن حينئذ شيئا اصلا فحيث خلقناه وهو في تلك الحالة المنافية للخلق
بالكلية مع كونه ابعد من الوقوع فلان نبعثه بجمع المواد المتفرقة وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض اولى واظهر فما له لا يذكره فيقع
فيما يقع فيه من النكير وقرئ يذكر ويتذكر على الاصل **فوربك** اقسامه باسمه عزت اسماؤه مضافا الى ضميره عليه السلام لتحقيق الامر
بالاشعار بعليته وتفخيم شانه عليه السلام ورفع منزلته **لنحشرنهم** لنجمعن القائلين بالسوق الى المحشر بعد ما اخرجناهم من الارض احياء
فيه اثبات للبعث بالطريق البرهاني على ابلغ وجه واكده كانه امر واضح غني عن التصريح به وانما المحتاج الى البيان ما بعده من الاهوال **والشياطين**
معطوف على الضمير المنصوب او مفعول معه روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين التي كانت تغويهم كل منهم مع شيطانه في
سلسلة وهذا وان كان مختصا بهم لكن ساغ نسبته الى الجنس باعتبار انهم لما حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا معهم
جميعا كما ساغ نسبة القول المحكي اليه مع كون القائل بعض افراده **ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا** ليرى السعداء ما نجاهم الله تعالى منه فيزدادوا
غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم بهم والجثي

جمع جاثٍ من جثا إذا قعد على ركبتيه وأصله جثوو بواوين فاستثقل اجتماعهما بعد ضمتين فكسرت الثاء للتخفيف فانقلبت الواو الأولى ياءً لسكونها
وانكسار ما قبلها فاجتمعت واو وياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياءً وأدغمت فيها الياء الأولى وكسرت الجيم اتباعاً لما بعدها
وقرئ بضمها ونصبه على الحالية من الضمير البارز أي لنحضرنهم حول جهنم جاثين على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع أو لأنه من توابع
التواقف للحساب قبل التواصل إلى الثواب والعقاب فإن أهل الموقف جاثون كما ينطق به قوله تعالى وترى كل أمة جاثية على ما هو المعتاد
في مواقف التقاول وإن كان المراد بالإنسان الكفرة فلعلهم يساقون إلى شاطئ جهنم جثاة بهم أو لعجزهم عن القيام لما اعتراهم من
الشدة **ثم لننزعن من كل شيعة** أي من كل أمة شاعت ديناً من الأديان **أيهم أشد على الرحمن عتياً** أي من كان منهم أعصى وأعتى فنطرحهم
فيها وفي ذكر الأشد تنبيه على أنه تعالى يعفو عن بعض من أهل العصيان وعلى تقدير تفسير الإنسان بالكفرة فالمعنى أنا نميز من كل طائفة
منهم أعصاهم فأعصاهم وأعتاهم فأعتاهم فنطرحهم في النار على الترتيب أو ندخل كلاً منهم طبقتها اللائقة به وأيهم مبني على الضم عند سيبويه
لأن حقه أن يبنى كسائر الموصولات لكنه أعرب حملاً على كل وبعض للزوم الإضافة وإذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد إلى حقه ومنصوب
المحل بننزعن وكذلك قرئ منصوباً ومرفوع عند غيره بالابتداء على أنه استفهامي وخبره أشد والجملة محكية والتقدير لننزعن
من كل شيعة الذين يقال لهم أيهم أشد أو معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم أو مستأنفة والفعل واقع على كل شيعة
على زيادة من أو على معنى لننزعن بعض كل شيعة كقوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا وعلى للبيان فيتعلق بمحذوف وكأن سائلاً
قال على من عتوا فقيل على الرحمن أو متعلق بأفعل وكذا الباء في قوله تعالى **ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً** أي هم أولى بصليها
أو صليهم أولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز أن يراد بهم وبأشدهم عتياً رؤساء الشيع فإن عذابهم مضاعف لضلالهم وإضلالهم
والصلي كالبقي صيغةً وإعلالاً وقرئ بضم الصاد **وإن منكم** التفات لإظهار مزيد الاعتناء بمضمون الكلام وقيل هو خطاب للناس
من غير التفات إلى المذكور ويؤيد الأول أنه قرئ وإن منهم أي ما منكم أيها الإنسان **إلا واردها** أي واصلها وحاضرها يمر بها
المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر أنه عليه السلام سئل عنه فقال إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا
ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة وأما قوله تعالى أولئك عنها مبعدون فالمراد به الإبعاد عن عذابها وقيل
ورودها الجواز على الصراط الممدود عليها **كان** أي ورودهم إياها **على ربك حتماً مقضياً** أي أمراً محتوماً أوجبه الله عز وجل على ذاته
وقضى أنه لا بد من وقوعه البتة وقيل أقسم عليه **ثم ننجي الذين اتقوا** الكفر والمعاصي مما كانوا عليه من حال الجثو على الركب على الوجه الذي
سلف فيساقون إلى الجنة وقرئ ننجي بالتخفيف وينجي وينجى على البناء للمفعول وقرئ ثمه ننجي بفتح الثاء أي هناك ننجيهم **ونذر**
الظالمين بالكفر والمعاصي **فيها جثياً** منهاراً بهم كما كانوا قيل فيه دليل على أن المراد بالورود الجثو حواليها وأن المؤمنين يفارقون الفجرة
بعد تجاثيهم حولها ويلقى الفجرة فيها على هيئاتهم وقوله تعالى **وإذا تتلى عليهم** الآية إلى آخرها حكاية لما قالوا عند سماع الآيات التكوينية
الناعية عليهم فظاعة حالهم ووخامة مآلهم أي وإذا تتلى على المشركين **آياتنا** التي من جملتها ما تلي من الآيات القاطعة بحسن حال المؤمنين
وسوء حال الكفرة وقوله تعالى **بينات** أي مرتلات الألفاظ مبينات المعاني بنفسها أو ببيان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أو بينات الإعجاز
حال مؤكدة من آياتنا **قال الذين كفروا** أي قالوا ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على أنهم قالوا ما قالوا كافرين بما يتلى عليهم رادين
له أو قال الذين مردوا منهم على الكفر ومرنوا على العتو والعناد وهم النضر بن الحرث وأتباعه الفجرة واللام في قوله تعالى **للذين آمنوا**
للتبليغ كما في مثل قوله تعالى وقال لهم نبيهم وقيل لام الأجل كما في قوله تعالى قال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه أي
قالوا لأجلهم وفي حقهم والأول هو الأولى لأن قولهم ليس في حق المؤمنين فقط كما ينطق به قوله تعالى **أي الفريقين** أي المؤمنين والكافرين
كأنهم قالوا أينا **خير** نحن أو أنتم **مقاماً** أي مكاناً وقرئ بضم الميم أي موضع إقامة ومنزل **وأحسن ندياً** أي مجلساً ومجتمعاً
يروى أنهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنونها ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة ثم يقولون ذلك لفقراء المؤمنين
يريدون بذلك أن خيريتهم حالاً وأحسنيتهم منالاً مما لا يقبل الإنكار وأن ذلك لكرامتهم على الله سبحانه وزلفاهم إذ هو العيار على
الفضل والنقصان والرفعة والضعة وأن من ضرورته هوان المؤمنين عليه تعالى لقصور حظهم العاجل وما هذا القياس العقيم والرأي السقيم

والرأي السقيم إلا لكونهم جهلة لا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم فرد عليهم ذلك من جهته تعالى بقوله **وكم أهلكنا قبلهم من**
قرن هم أحسن أثاثاً ورئياً أي كثيراً من القرون التي كانوا أفضل منهم فيما يفتخرون به من الحظوظ الدنيوية كعاد وثمود وأضرابهم من الأمم العاتية
قبل هؤلاء أهلكناهم بفنون العذاب ولو كان ما آتيناهم لكرامتهم علينا لما فعلنا بهم ما فعلنا وفيه من التهديد والوعيد ما لا يخفى كأنه قيل
فلينتظر هؤلاء أيضاً مثل ذلك فكم مفعول أهلكنا ومن قرن بيان لإبهامها وأهل كل عصر قرن لمن بعدهم لأنهم يتقدمونهم مأخوذ من قرن
الدابة وهو مقدمها وقوله تعالى هم أحسن أثاثاً في حيز النصب على أنه صفة لكم وأثاثاً تمييز النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثي ما
لبس منه ورث والرئي المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن لما يطحن وقرئ رياً على قلب الهمزة ياءً وإدغامها أو على أنه من الري وهو النعمة
والترفه وقرئ ريئاً على القلب ورياً بحذف الهمزة وزياً بالزاي المعجمة من الزي وهو الجمع فإنه عبارة عن المحاسن المجموعة **قل من كان في**
الضلالة فليمدد له الرحمن مداً لما بين عاقبة أمر الأمم المهلكة مع ما كان لهم من التمتع بفنون الحظوظ العاجلة أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
بأن يجيب هؤلاء المفتخرين بما لهم من الحظوظ ببيان مآل أمر الفريقين إما على وجه كلي متناول لهم ولغيرهم من المنهمكين في اللذات الفانية المبتهجين
بها على عمومها وإما على وجه خاص بهم على أنها عبارة عنهم ووصفهم بالتمكن لذمهم والإشعار بعلة الحكم أي من كان مستقراً في الضلالة مغموراً
بالجهل والغفلة عن عواقب الأمور فليمدد له الرحمن أي يمد له ويمهله بطول العمر وإعطاء المال والتمكين من التصرفات وإخراجه على صيغة الأمر للإيذان
بأن ذلك مما ينبغي أن يفعل بموجب الحكمة لقطع المعاذير كما ينبئ عنه قوله عز وجل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر أو للاستدراج كما ينطق به قوله
تعالى إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً وقيل المراد به الدعاء بالمد والتنفيس واعتبار الاستقرار في الضلالة لما أن المد لا يكون إلا للمصرين عليها إذ
رب ضال يهديه الله عز وجل والتعرض لعنوان الرحمانية لما أن المد من أحكام الرحمة الدنيوية وقوله تعالى **حتى إذا رأوا ما يوعدون** غاية للمد الممتد
لا لقول المفترين كما قيل إذ ليس فيه امتداد بحسب الذات وهو ظاهر ولا الاستمرار بحسب التكرار لوقوعه في حيز جواب إذا وجمع الضمير في الفعلين
باعتبار معنى من كما أن الإفراد في الضميرين الأولين باعتبار لفظها وقوله تعالى **إما العذاب وإما الساعة** تفصيل للموعود بدل منه على سبيل البدل
فإنه إما العذاب الدنيوي بغلبة المسلمين واستيلائهم عليهم وتعذيبهم إياهم قتلاً وأسراً وإما يوم القيامة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال على طريقة
منع الخلو دون الجمع فإن العذاب الأخروي لا ينفك عنهم بحال وقوله تعالى **فسيعلمون** حينئذ **من هو شر مكاناً** من الفريقين بأن يشاهدوا الأمر
على عكس ما كانوا يقدرونه فيعلمون أنهم شر مكاناً لا خير مقاماً **وأضعف جنداً** أي فئةً وأنصاراً لا أحسن ندياً كما كانوا يدعونه وليس المراد
أن له ثمة جنداً ضعفاء كلا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً وإنما ذكر ذلك رداً لما كانوا يزعمون أن لهم أعواناً
من الأعيان وأنصاراً من الأخيار ويفتخرون بذلك في الأندية والمحافل **ويزيد الله الذين اهتدوا هدى** كلام مستأنف سيق لبيان حال
المهتدين إثر بيان حال الضالين وقيل عطف على فليمدد لأنه في معنى الخبر حسبما عرفته كأنه قيل من كان في الضلالة يمده الله ويزيد
المهتدين هداية كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وقيل عطف على الشرطية المحكية بعد القول كأنه لما بين أن إمهال الكافرين
وتمتيعهم بالحياة ليس لفضلهم عقب ذلك ببيان أن قصور حظ المؤمنين منها ليس لنقصهم بل لأنه تعالى أراد بهم ما هو خير من ذلك وقوله تعالى
والباقيات الصالحات خير على تقديري الاستئناف والعطف كلام مستأنف وارد من جهته تعالى لبيان فضل أعمال المهتدين غير داخل في حيز
الكلام الملقن لقوله تعالى **عند ربك** أي الطاعات التي تبقى فوائدها وتدوم عوائدها ومن جملتها ما قيل من الصلوات الخمس وما قيل من قول
سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خير عند الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره للتشريف صلى الله عليه وسلم
ثواباً أي عائدة مما يتمتع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها لا سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة السرمدية
والعذاب الأليم كما أشير إليه بقوله تعالى **وخير مرداً** أي مرجعاً وعاقبةً وتكرير الخير لمزيد الاعتناء ببيان الخيرية وتأكيدها وفي التفضيل مع أن ما
للكفرة بمعزل من أن يكون له خيرية في العاقبة تهكم بهم **أفرأيت الذي كفر بآياتنا** التي من جملتها آيات البعث نزلت في العاص بن وائل كان لخباب
ابن الأرت عليه مال فاقتضاه فقال لا حتى تكفر بمحمد قال لا والله لا أكفر به حياً ولا ميتاً ولا حين تبعث قال فإذا بعثت جئني فيكون لي
مال وولد فأعطيك وفي رواية قال لا أكفر به حتى يميتك ثم تبعث فقال إني لميت ثم مبعوث قال نعم قال دعني حتى أموت وأبعث فسأوتى
مالاً وولداً فأقضيك فنزلت فالهمزة للتعجب من حاله والإيذان بأنها من الغرابة والشناعة بحيث يجب أن ترى ويقضى منها العجب

ومن فرق بين ألم تر وأرأيت بعد بيان اشتراكهما في الاستعمال لقصد التعجيب بأن الأول يتعلق بنفس المتعجب منه فيقال ألم تر إلى الذي صنع كذا بمعنى
انظر إليه فتعجب من حاله والثاني يتعلق بمثل المتعجب منه فيقال أرأيت مثل الذي صنع كذا بمعنى أنه من الغرابة بحيث لا يرى له مثل فقد حفظ
شيئاً وغابت عنه أشياء وكأنه ذهب عليه قوله عز وجل أرأيت الذي يكذب بالدين والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أنظرت
فرأيت الذي كفر بآياتنا الباهرة التي حقها أن يؤمن بها كل من يشاهدها **وقال** مستهزئاً بها مصدراً كلامه باليمين الفاجرة والله
لأوتين في الآخرة **مالاً وولداً** أي انظر إليه فتعجب من حالته البديعة وجرأته الشنيعة هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم وقد
قيل إن أرأيت بمعنى أخبر والفاء على أصلها والمعنى أخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث أولئك الذين قالوا أي الفريقين خير مقاماً الآية
وأنت خبير بأن المشهور استعمال أرأيت في معنى أخبرني بطريق الاستفهام جارياً على أصله أو مخرجاً إلى ما يناسبه من المعاني لا بطريق
الأمر بالإخبار لغيره وقرئ وُلداً على أنه جمع ولد كأُسد جمع أَسَد أو على أنه لغة فيه كالعَرَب والعُرْب وقوله تعالى **أطلع الغيب** رد لكلمته
الشنعاء وإظهار لبطلانها إثر ما أشير إليه بالتعجيب منها أي أقد بلغ من عظمة الشأن إلى أن ارتقى إلى علم الغيب الذي استأثر به العليم الخبير
حتى ادعى أن يؤتى في الآخرة مالاً وولداً وأقسم عليه **أم اتخذ عند الرحمن عهداً** بذلك فإنه لا يتوصل إلى العلم به إلا بأحد هذين الطريقين
والتعرض لعنوان الرحمانية للإشعار بعلية الرحمة لإيتاء ما يدعيه وقيل العهد كلمة الشهادة وقيل العمل الصالح فإن وعده تعالى بالثواب
عليهما كالعهد وهذا مجاراة مع اللعين بحسب منطوق مقاله كما أن كلامه مع خباب كان كذلك وقوله تعالى **كلا** ردع له عن التفوه بتلك العظيمة
وتنبيه على خطائه **سنكتب ما يقول** أي سنظهر أنا كتبنا قوله كقوله إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة أي تبين أني لم تلدني لئيمة أو سننتقم منه
انتقام من كتب جريمة الجاني وحفظها عليه فإن نفس الكتبة لا تكاد تتأخر عن القول لقوله عز وعلا ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد
فمبنى الأول تنزيل إظهار الشيء الخفي منزلة إحداث الأمر المعدوم بجامع أن كلاً منهما إخراج من الكمون إلى البروز فيكون استعارة تبعية
مبنية على تشبيه إظهار الكتابة على رؤس الأشهاد بإحداثها ومدار الثاني تسمية الشيء باسم سببه فإن كتابة جريمة المجرم سبب لعقوبته
قطعاً **ونمد له من العذاب مداً** مكان ما يدعيه لنفسه من الإمداد بالمال والولد أي نطول له من العذاب ما يستحقه أو نزيد عذابه ونضاعف له
لكفره وافترائه على الله سبحانه واستهزائه بآياته العظام ولذلك أكد بالمصدر دلالة على فرط الغضب **ونرثه** بموته **ما يقول** أي مسمى ما يقول ومصداقه
وهو ما أوتيه في الدنيا من المال والولد وفيه إيذان بأنه ليس لما يقول مصداق موجود سوى ما ذكر أي ننزع عنه ما آتيناه **ويأتينا** يوم القيامة
فرداً لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلاً عن أن يؤتى ثمة زائداً وقيل نزوي عنه ما زعم أنه يناله في الآخرة ونعطيه من يستحقه ويأباه
معنى الإرث وقيل المراد بما يقول نفس القول المذكور لا مسماه والمعنى إنما يقول هذا القول ما دام حياً فإذا قبضناه حلنا بينه وبين أن يقوله
ويأتينا رافضاً له منفرداً عنه وأنت خبير بأن ذلك مبني على أن صدور القول المذكور عنه بطريق الاعتقاد وأنه مستمر على التفوه به راجٍ لوقوع
مضمونه ولا ريب في أن ذلك مستحيل ممن كفر بالبعث وإنما قال ما قال بطريق الاستهزاء وتعليق أذيته بالمحال **واتخذوا من دون الله آلهة** حكاية
لجناية أخرى عامة للكل مستتبعة لضد ما يرجون مترتبة عليها إثر حكاية مقالة الكافر المعهود واستتباعها النقيض مضمونها أي اتخذوا الأصنام
آلهة متجاوزين الله تعالى **ليكونوا لهم عزاً** أي ليتعززوا بهم بأن يكونوا لهم وصلة إليه عز وجل وشفعاء عنده **كلا** ردع لهم عن ذلك الاعتقاد
الباطل وإنكار لوقوع ما علقوا به أطماعهم الفارغة **سيكفرون بعبادتهم** أي ستجحد الآلهة بعبادتهم لها بأن ينطقها الله تعالى وتقول ما عبدتمونا
أو سينكر الكفرة حين شاهدوا سوء عاقبة كفرهم عبادتهم لها كما في قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين ومعنى قوله تعالى **ويكونون عليهم**
ضداً على الأول تكون الآلهة التي كانوا يرجون أن تكون لهم عزاً ضداً للعز أي ذلاً وهواناً أو تكون عوناً عليهم وآلة لعذابهم حيث تجعل
وقود النار وحصب جهنم أو حيث كانت عبادتهم لها سبباً لعذابهم وإطلاق الضد على العون لما أن عون الرجل يضاد عدوه وينافيه بإعانته
له وعلى الثاني تكون الكفرة ضداً وأعداءً للآلهة كافرين بها بعد أن كانوا يحبونها كحب الله ويعبدونها وتوحيد الضد لوحدة المعنى الذي
عليه يدور مضادتهم فإنهم بذلك كشيء واحد كما في قوله صلى الله عليه وسلم وهم يد على من سواهم وقرئ كلاً بفتح الكاف والتنوين على قلب
الألف نوناً في الوقف قلب ألف الإطلاق في قوله أقلي اللوم عاذل والعتابن وقولي إن أصبت لقد أصابن أو على معنى كل هذا الرأي
كلاً وقرئ كلا على إضمار فعل يفسره ما بعده أي سيجحدون كلا سيكفرون إلى آخره **ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين** تعجيب لرسول الله

صلى الله عليه وسلم مما نطقت به الآيات الكريمة السالفة وحكته عن هؤلاء الكفرة الغواة والمردة العتاة من فنون القبائح من الأقاويل والأفاعيل
والتمادي في الغي والانهماك في الضلال والإفراط في العناد والتصميم على الكفر من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم والإجماع على مدافعة
الحق بعد اتضاحه وانتفاء الشك عنه بالكلية وتنبيه على أن جميع ذلك منهم بإضلال الشياطين وإغوائهم لا لأن له مسوغاً في الجملة
ومعنى إرسال الشياطين عليهم إما تسليطهم عليهم وتمكينهم من إضلالهم وإما تقييضهم لهم وليس المراد تعجيبه عليه السلام من إرساله إياهم
كما يوهمه تعليق الرؤية به بل مما ذكر من أحوال الكفرة من حيث كونها من آثار إغواء الشياطين كما ينبئ عنه قوله تعالى **تؤزهم أزاً** فإنه إما
حال مقدرة من الشياطين أو استئناف وقع جواباً عما نشأ من صدر الكلام كأنه قيل ماذا يفعل الشياطين بهم حينئذ فقيل تؤزهم أي تغريهم
وتهيجهم على المعاصي تهييجاً شديداً بأنواع الوساوس والتسويلات فإن الأز والهز والاستفزاز أخوات معناها شدة الإزعاج **فلا تعجل عليهم**
أي بأن يهلكوا جميعاً حسبما تقتضيه جناياتهم ويبيدوا عن آخرهم وتطهر الأرض من فسادهم والفاء للإشعار بكون ما قبلها مظنة لوقوع المنهي
عنه محوجة إلى النهي كما في قوله تعالى إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة وقوله تعالى **إنما نعد لهم عداً** تعليل لموجب النهي ببيان اقتراب
هلاكهم أي لا تستعجل بهلاكهم فإنه لم يبق لهم إلا أيام وأنفاس نعدها عداً **يوم نحشر المتقين** منصوب على الظرفية بفعل مؤخر قد حذف للإشعار بضيق
العبارة عن حصره وشرحه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة التامة والدواهي العامة كأنه قيل يوم نحشر المتقين أي نجمعهم **إلى الرحمن** إلى
ربهم الذي يغمرهم برحمته الواسعة **وفداً** وافدين عليه كما يفد الوفود على الملوك منتظرين لكرامتهم وإنعامهم **ونسوق المجرمين** كما تساق
البهائم **إلى جهنم ورداً** عطاشاً فإن من يرد الماء لا يرده إلا العطش أو كالدواب التي ترد الماء نفعل بالفريقين من الأفعال ما لا يفي ببيانه
نطاق المقال وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم أي اذكر لهم بطريق الترغيب والترهيب يوم نحشر إلى آخره
وقيل على الظرفية لقوله تعالى **لا يملكون الشفاعة** والذي يقتضيه مقام التهويل ويستدعيه جزالة التنزيل أن ينتصب بأحد الوجهين الأولين
ويكون هذا استئنافاً مبيناً لبعض ما فيه من الأمور الدالة على هوله وضميره عائد إلى العباد المدلول عليهم بذكر الفريقين لانحصارهم فيهما
وقيل إلى المتقين خاصة وقيل إلى المجرمين من الكفرة وأهل الإسلام والشفاعة على الأولين مصدر من المبني للفاعل وعلى الثالث ينبغي أن
يكون مصدراً من المبني للمفعول وقوله تعالى **إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً** على الأول استثناء متصل من لا يملكون ومحل المستثنى إما الرفع على
البدل أو النصب على أصل الاستثناء والمعنى لا يملك العباد أن يشفعوا لغيرهم إلا من استعد له بالتحلي بالإيمان والتقوى أو من أمر بذلك من
قولهم عهد الأمير إلى فلان بكذا إذا أمره به فيكون ترغيباً للناس في تحصيل الإيمان والتقوى المؤدي إلى نيل هذه الرتبة وعلى الثاني
استثناء من الشفاعة على حذف المضاف والمستثنى منصوب على البدل أو على أصل الاستثناء أي لا يملك المتقون الشفاعة إلا شفاعة
من اتخذ العهد بالإسلام فيكون ترغيباً في الإسلام وعلى الثالث استثناء من لا يملكون أيضاً والمستثنى مرفوع على البدل أو منصوب على الأصل
والمعنى لا يملك المجرمون أن يشفع لهم إلا من كان منهم مسلماً **وقالوا اتخذ الرحمن ولداً** حكاية لجناية اليهود والنصارى ومن زعم من
العرب أن الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً إثر حكاية جناية عبدة الأصنام بطريق عطف القصة على القصة وقوله
لقد جئتم شيئاً إداً رد لمقالتهم الباطلة وتهويل لأمرها بطريق الالتفات المنبئ عن كمال السخط وشدة الغضب المفصح عن غاية التشنيع
والتقبيح وتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجرأة والإد بالكسر والفتح العظيم المنكر والإدة الشدة وأدني الأمر وآدني أثقلني
وعظم علي أي فعلتم أمراً منكراً شديداً لا يقادر قدره فإن جاء وأتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته وقوله تعالى **تكاد السموات**
إلى آخره صفة لإداً أو استئناف لبيان عظم شأنه في الشدة والهول وقرئ يكاد بالتذكير **يتفطرن منه** يتشققن مرة بعد أخرى من
عظم ذلك الأمر وقرئ ينفطرن والأول أبلغ لأن تفعل مطاوع فعّل وانفعل مطاوع فعَل ولأن أصل التفعل التكلف **وتنشق الأرض**
أي وتكاد تنشق الأرض **وتخر الجبال** أي تسقط وتتهدم **هداً** مصدر مؤكد لمحذوف هو حال من الجبال أي تهد هداً أو مصدر من المبني للمفعول
مؤكد لتخر على غير الصدر لأنه حينئذ بمعنى التهدم والخرور كأنه قيل وتخر الجبال خروراً أو مصدر بمعنى المفعول منصوب على الحالية أي مهدودة أو
مفعول له أي لأنها تهد وهذا تقرير لكونه إداً والمعنى أن هول تلك الكلمة الشنعاء وعظمها بحيث لو تصورت بصورة محسوسة لم تطق بها هاتيك
الأجرام العظام وتفتتت من شدتها أو أن فظاعتها في استجلاب الغضب واستيجاب السخط بحيث لولا حلمه تعالى لخرب العالم وبدد قوائمه

عضبًا على من تفوه بها ان دعوا للرحمن ولدًا منصوب على حذف اللام المتعلقة بتكاد او مجرور باضمارها اي تكاد السموات يتفطرن والارض تنشق
والجبال تخر لان دعوا للرحمن سبحانه ولدًا وقيل اللام متعلقة بهدًا وقيل الجملة بدل من الضمير المجرور في منه كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم وقيل
خبر مبتدأ محذوف اي الموجب لذلك ان دعوا الى آخره وقيل فاعل هدًا اي هدها دعاء الولد والاول هو الاولى ودعوا من دعا بمعنى سمى المتعدي
الى مفعولين وقد اقتصر على ثانيهما ليتناول كل ما دعي له ولدًا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى الى فلان اي انتسب اليه وقوله
تعالى وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدًا حال من فاعل قالوا او دعوا مقررة لبطلان مقالتهم واستحالة تحقق مضمونها اي قالوا اتخذ الرحمن ولدًا
او ان دعوا للرحمن ولدًا والحال انه ما يليق به تعالى اتخاذ الولد ولا ينطلب لو طلب مثلا لاستحالته في نفسه ووضع الرحمن موضع الضمير للاشعار
بعلة الحكم بالتنبيه على ان كل ما سواه تعالى اما نعمة او منعم عليه فكيف يتسنى ان يجانس من هو مبدأ النعم ومولى اصولها وفروعها حتى يتوهم
ان يتخذه ولدًا وقد صرح به قوله عز قائلا ان كل من في السموات والارض اي ما منهم احد من الملائكة والثقلين الا آتي الرحمن عبدًا الا وهو
مملوك يأوي اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على الاصل لقد احصاهم اي حصرهم واحاط بهم بحيث لا يكاد يخرج منهم احد من حيطة علمه
وقبضة قدرته وملكوته وعدهم عدًا اي عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم وكل شيء عنده بمقدار وكلهم آتيه يوم القيمة فردًا اي كل واحد
منهم آتٍ اياه تعالى منفردًا من الاتباع والانصار وفي صيغة الفاعل من الدلالة على اتيانهم لذلك البتة ما ليس في صيغة المضارع لو قيل يأتيه فاذا كان
شأنه تعالى وشأنهم كما ذكر فاني يتوهم احتمال ان يتخذ شيئا منهم ولدًا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كما فصلت قبائح احوال الكفرة
عقب ذلك بذكر محاسن احوال المؤمنين سيجعل لهم الرحمن ودًا اي سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها سوى ما لهم
من الايمان والعمل الصالح والتعرض لعنوان الرحمانية لما ان الموعود من آثارها وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدًا يقول لجبريل
عليه السلام احببت فلانًا فاحبه فيحبه جبريل عليه السلام ثم ينادي في اهل السماء ان الله احب فلانًا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم توضع
له المحبة في الارض والسين لان السورة مكية وكانوا اذ ذاك ممقوتين بين الكفرة فوعدهم ذلك ثم انجزه حين ربا الاسلام او لان الموعود
في القيمة حين تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل الذي كان في الدنيا ولعل افراد هذا بالوعد من بين
ما سيؤتون يوم القيمة من الكرامات السنية لما ان الكفرة سيقع بينهم يومئذ تباغض وتضاد وتلاعن فانما يسرناه اي القرآن بلسانك بان
انزلناه على لغتك والباء بمعنى على وقيل ضمن التيسير معنى الانزال اي يسرنا القرآن منزلين له بلغتك والفاء لتعليل امر ينساق اليه النظم
الكريم كانه قيل بعد ايحاء السورة الكريمة بلغ هذا المنزل وبشر به وانذر فانما يسرناه بلسانك العربي المبين لتبشر به المتقين اي الصائرين
الى التقوى بامتثال ما فيه من الامر والنهي وتنذر به قومًا لدًا لا يؤمنون به لجاجًا وعنادًا واللد جمع الالد وهو الشديد الخصومة اللجوج
المعاند وقوله تعالى وكم اهلكنا قبلهم من قرن وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ضمن وعيد الكفرة بالاهلاك وحث له عليه السلام على الانذار اي
قرنًا كثيرًا اهلكنا قبل هؤلاء المعاندين وقوله تعالى هل تحس منهم من احد استئناف مقرر لمضمون ما قبله اي هل تشعر باحد منهم وترى
او تسمع لهم ركزًا اي صوتًا خفيًا واصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون المخفي والمعنى
اهلكناهم بالكلية واستأصلناهم بحيث لا يرى منهم احد ولا يسمع منهم صوت خفي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطي
عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله تعالى في الدنيا ومن لم
يدع الله تعالى

سورة طه

بسم الله الرحمن الرحيم طه فخمها قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل والطاء وحده ابو عمرو وورش لاستعلائه وامالهما
الباقون وهو من الفواتح التي تصدر بها السور الكريمة وعليه جمهور المتقنين وقيل معناه يا رجل وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما
والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة والكلبي الا انه عند سعيد على اللغة النبطية وعند قتادة على السريانية وعند عكرمة على
الحبشية وعند الكلبي على لغة عك وقيل عك وهي لغة يمانية قالوا ان صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بقلب الياء طاء وحذف ذا من هذا
وما استشهد به من قول الشاعر ان السفاهة طه في خلائقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين ليس بنص في ذلك لجواز كونه قسمًا كما في حم لا ينصرون
وقد جوز ان يكون الاصل طأها بصيغة الامر من الوطء فقلبت في يطأ الفا لانفتاح ما قبلها كما في قول من قال لا هناك المرتع وها ضمير الارض

على انه خطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بان يطأ الارض بقدميه لما كان يقوم في تهجده على احدى رجليه مبالغة في المجاهدة ولكن يأباه
كتابتهما على صورة الحرف كما يأبى التفسير بيا رجل فان الكتابة على صورة الحرف مع كون التلفظ بخلافه من خصائص حروف المعجم وقرئ طه
اما على ان اصله طأ فقلبت همزته هاء كما في امثال هرقت او قلبت الهمزة في يطأ الفا كما مر ثم بني منه الامر والحق به هاء السكت واما على
انه اكتفى في التلفظ بشطري الاسمين واقيما مقامهما في الدلالة على المسميين فكانهما اسماهما الدالان عليهما وعلى هذا ينبغي ان يحمل قول
من قال اكتفى بشطري الكلمتين وعبر عنهما باسمهما والا فالشطران لم يذكرا من حيث انهما مسميان لاسميهما ليقعا معبرًا عنهما بل من حيث
انهما جزآن لهما قد اكتفى بذكرهما عن ذكرهما ولذلك وقع التلفظ بانفسهما لا باسميهما بان يراد بصيغة التثنية في الموضعين الشطران من
حيث هما مسميان لا من حيث هما جزآن للاسمين ويراد باسمهما الشطران من حيث هما قائمان مقام الاسمين فالمعنى اكتفى في التلفظ بشطري
الكلمتين اي الاسمين فعبر عنهما اي عن الشطرين من حيث هما مسميان بهما من حيث هما قائمان مقام الاسمين واما حمله على معنى انه اكتفى
في الكتابة بشطري الكلمتين يعني طا على تقديري كونه امرًا او كونه حرف نداء وها على تقديري كونها كناية الارض وكونها حرف تنبيه وعبر
عن ذينك الشطرين في التلفظ باسمهما فبين البطلان كيف وطا وها على ما ذكر من التقادير ليسا باسمين للحرفين المذكورين بل الاول
امر او حرف نداء والثاني ضمير الارض او حرف تنبيه على ان كتابة صورة الحرف والتلفظ بغيره من خواص حروف المعجم كما مر فالحق ما سلف
من انها من الفواتح اما مسرودة على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين في مطلع سورة البقرة فلا محل لها من الاعراب وكذا ما بعدها من قوله
تعالى ما انزلنا عليك القرآن لتشقى فانه استئناف مسوق لتسليته صلى الله تعالى عليه وسلم عما كان يعتريه من جهة المشركين من التعب فان الشقاء
شائع في ذلك المعنى ومنه اشقى من رائض مهر اي ما انزلناه عليك لتتعب بالمبالغة في مكابدة الشدائد في مقاولة العتاة ومحاورة الطغاة
وفرط التأسف على كفرهم به والتحسر على ان يؤمنوا كقوله عز وجل فلعلك باخع نفسك على آثارهم الآية بل للتبليغ والتذكير وقد فعلت
فلا عليك ان لم يؤمنوا به بعد ذلك او لصرفه عليه السلام عما كان عليه من المبالغة في المجاهدة في العبادة كما روي انه عليه السلام كان يقوم
بالليل حتى ترم قدماه فقال له جبريل عليهما السلام ابق على نفسك فان لها عليك حقًا اي ما انزلناه عليك لتتعب بنهك نفسك وحملها
على الرياضات الشاقة والشدائد الفادحة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحارث قالا لرسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم انك شقي حيث تركت دين آبائك وان القرآن نزل عليك لتشقى به فرد ذلك بانا ما انزلناه عليك لما قالوا والاول هو الانسب
كما يشهد به الاستثناء الآتي هذا واما اسم للقرآن محله الرفع على انه مبتدأ ما بعده خبره والقرآن ظاهر اوقع موقع العائد الى المبتدأ
كانه قيل القرآن ما انزلناه عليك لتشقى او النصب على اضمار فعل القسم او الجر بتقدير حرفه وما بعده جوابه وعلى هذين الوجهين يجوز
ان يكون اسمًا للسورة ايضًا بخلاف الوجه الاول فانه لا يتسنى على ذلك التقدير لكن لا لان المبتدأ يبقى حينئذ بلا عائد ولا قائم مقامه
فان القرآن صادق على السورة لا محالة اما بطريق الاتحاد ان اريد به القدر المشترك بين الكل والبعض او باعتبار الاندراج ان اريد به الكل
بل لان نفي كون انزاله للشقاء يستدعي سبق وقوع الشقاء مترتبًا على انزاله قطعًا اما بحسب الحقيقة كما اذا اريد به معنى التعب او بحسب
زعم الكفرة كما لو اريد به ضد السعادة ولا ريب في ان ذلك انما يتصور في انزال ما انزل من قبل واما انزال السورة الكريمة فليس مما يمكن ترتب
الشقاء السابق عليه حتى يتصدى لنفيه عنه اما باعتبار الاتحاد فظاهر واما باعتبار الاندراج فلان ماله ان يقال هذه السورة ما
انزلنا القرآن المشتمل عليها لتشقى ولا يخفى ان جعلها مخبرًا عنها مع انه لا دخل لانزالها في الشقاء السابق اصلا مما لا يليق بشأن التنزيل
الجليل وقوله تعالى الا تذكرة نصب على انه مفعول له لانزلنا لكن لا من حيث انه معلل بالشقاء على معنى ما انزلنا عليك القرآن لتتعب لتبليغ
الا تذكرة الآية كقولك ما ضربتك للتأديب الا اشفاقًا لما انه يجب في امثاله ان يكون بين العلتين ملابسة بالسببية والمسببية حتمًا كما
في المثال المذكور وفي قولك ما شافهتك بالسوء لتتأذى الا زجرًا لغيرك فان التأديب في الاول مسبب عن الاشفاق والتأذي في الثاني
سبب لزجر الغير وقد عرفت ما بين الشقاء والتذكرة والتبليغ من التنافي ولا يجدي ان يراد به التعب في الجملة المجامع للتذكرة لظهور ان لا
ملابسة بينهما بما ذكر من السببية والمسببية وانما يتصور ذلك ان لو قيل مكان الا تذكرة الا تكثير الثواب فان الاجر بقدر التعب ولا من
حيث انه بدل من محل لتشقى كما في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل لوجوب المجانسة بين البدلين وقد عرفت حاله بل من حيث انه معطوف عليه بحسب المعنى

بعد نفيه بطريق الاستدراك المستفاد من الاستثناء المنقطع كأنه قيل ما انزلنا عليك القرآن لتتعب في تبليغه ولكن تذكرة لمن يخشى وقد جرد التذكرة
عن اللام لكونها فعلا لفاعل الفعل المعلل اي لمن من شأنه ان يخشى الله عز وعلا ويتأثر بالانذار لرقة قلبه ولين عريكته او لمن علم الله تعالى
انه يخشى بالتخويف وتخصيصها بهم مع عموم التذكرة والتبليغ لانهم المنتفعون بها وقوله تعالى تنزيلا مصدر مؤكد لمضمر مستأنف مقرر
لما قبله اي نزل تنزيلا او لما يفيده الجملة الاستثنائية فانها متضمنة لان يقال انزلناه للتذكرة والاول هو الانسب بما بعده من
الالتفات او منصوب على المدح والاختصاص وقيل هو منصوب بيخشى على المفعولية اي يخشى تنزيلا من الله تعالى وانت خبير بان تعليق
الخشية والخوف ونظائرهما بمطلق التنزيل غير معهود نعم قد يعلق ذلك ببعض اجزائه المشتملة على الوعيد ونظائره كما في قوله تعالى
يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم وقيل هو بدل من تذكرة لكن لا على انه مفعول له لانزلنا اذ لا يعلل الشيء
بنفسه ولا بنوعه بل على انه مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال من الكاف في عليك او من القرآن ولا مساغ له الا بان يكون قيدا لانزلنا
بعد تقييده بالقيد الاول وقد عرفت حاله فيما سلف وقرئ تنزيل على انه خبر لمبتدأ محذوف ومن في قوله تعالى ممن خلق الارض والسموات
العلى متعلقة بتنزيلا او بمضمر هو صفة له مؤكدة لما في تنكيره من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية ونسبة التنزيل الى الموصول بطريق
الالتفات الى الغيبة بعد نسبته الى نون العظمة لبيان فخامته تعالى بحسب الافعال والصفات اثر بيانها بحسب الذات بطريق الابهام ثم التفسير
لزيادة تحقيق وتقرير وتخصيص خلقهما بالذكر مع ان المراد خلقهما بجميع ما يتعلق بهما كما يفصح عنه قوله تعالى له ما في السموات وما في الارض
الآية لاصالتهما واستتباعهما لما عداهما وتقديم الارض لكونها اقرب الى الحس واظهر عنده ووصف السموات بالعلى وهو جمع العليا تأنيث الاعلى
لتأكيد الفخامة مع ما فيه من مراعاة الفواصل وكل ذلك الى قوله تعالى له الاسماء الحسنى مسوق لتعظيم شأن المنزل عز وجل المستتبع لتعظيم المنزل
الداعي الى تربية المهابة وادخال الروعة المؤدية الى استنزال المتمردين عن رتبة العتو والطغيان واستمالتهم نحو الخشية المفضية الى
التذكر والايمان الرحمن رفع على المدح اي هو الرحمن وقد عرفت في صدر سورة البقرة ان المرفوع مدحا في حكم الصفة الجارية على ما قبله وان
لم يتبعه في الاعراب ولذلك التزموا حذف المبتدأ ليكون في صورة متعلق من متعلقاته وقد قرئ بالجر على انه صفة صريحة للموصول
وما قيل من ان الاسماء الناقصة لا يوصف منها الا الذي وحده وهو مذهب الكوفيين واياما كان فوصفه بالرحمانية اثر وصفه بخالقية
السموات والارض للاشعار بان خلقهما من آثار رحمته تعالى كما ان قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما الرحمن للايذان بان ربوبيته
تعالى بطريق الرحمة وفيه اشارة الى ان تنزيل القرآن ايضا من احكام رحمته تعالى كما ينبئ عنه قوله عز وجل الرحمن علم القرآن او رفع على
الابتداء واللام للعهد والاشارة الى الموصول والخبر قوله تعالى على العرش استوى وجعل الرحمة عنوان الموضوع الذي شأنه ان يكون معلوم
الثبوت للموضوع عند المخاطب للايذان بان ذلك امر بين لا ستره به غني عن الاخبار به صريحا وعلى متعلقة باستوى قدمت عليه لمراعاة
الفواصل والجار والمجرور على الاول خبر مبتدأ محذوف كما في قراءة الجر وقد جوز ان يكون خبرا بعد خبر والاستواء على العرش مجاز من الملك
والسلطان متفرع على الكناية فيمن يجوز عليه القعود على السرير يقال استوى فلان على سرير الملك يراد به ملك وان لم يقعد على السرير اصلا
والمراد بيان تعلق ارادته الشريفة بايجاد الكائنات وتدبير امرها وقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض سواء كان ذلك بالجزئية
منهما او بالحلول فيهما وما بينهما من الموجودات الكائنة في الجو دائما كالهواء والسحاب واكثريا كالطير اي له وحده دون غيره لا شركة ولا استقلالا
اي له كل ما ذكر ملكا وتصرفا واحياء واماتة وايجادا واعداما وما تحت الثرى اي ما وراء التراب وذكره مع دخوله تحت ما في الارض لزيادة
التقرير روي عن محمد بن كعب انه ما تحت الارضين السبع وعن السدي ان الثرى هو الصخرة التي عليها الارض السابعة وان تجهر بالقول
بيان لاحاطة علمه تعالى بجميع الاشياء اثر بيان سعة سلطنته وشمول قدرته لجميع الكائنات اي وان تجهر بذكره تعالى ودعائه فاعلم انه تعالى
غني عن جهرك فانه يعلم السر واخفى اي ما اسررته الى غيرك وشيئا اخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك من غير ان تتفوه به اصلا او ما اسررته
لنفسك واخفى منه وهو ما ستسره فيها فيما سيأتي وتنكيره للمبالغة في الخفاء وهذا اما نهي عن الجهر كقوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا
وخيفة ودون الجهر من القول واما ارشاد للعباد الى ان الجهر ليس لاسماعه سبحانه بل لغرض آخر من تصوير النفس بالذكر وتثبيته فيها ومنعها
من الاشتغال بغيره وقطع الوسوسة عنها وهضمها بالتضرع والجؤار وقوله تعالى الله عز وجل وقوله تعالى لا اله الا هو تحقيق للحق وتصريح بما

بما تضمنه ما قبله من اختصاص الالوهية به سبحانه فان ما اسند اليه تعالى من خلق جميع الموجودات والرحمانية والمالكية للكل والعلم الشامل مما يقتضيه
اقتضاء بينا وقوله تعالى له الاسماء الحسنى بيان لكون ما ذكر من الخالقية والرحمانية والمالكية والعالمية اسماءه وصفاته من غير تعدد في ذاته
فانه روي ان المشركين حين سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن قالوا ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر والحسنى تأنيث
الاحسن يوصف به الواحدة المؤنثة والجمع من المذكر والمؤنث كمآرب اخرى وآياتنا الكبرى وهل اتاك حديث موسى استئناف مسوق
لتقرير امر التوحيد الذي اليه انتهى مساق الحديث وبيان انه امر مستمر فيما بين الانبياء كابرا عن كابر وقد خوطب به موسى عليه السلام
حيث قيل له انني انا الله لا اله الا انا وبه ختم عليه السلام مقاله حيث قال انما الهكم الله الذي لا اله الا هو واما ما قيل من ان ذلك لترغيب
النبي صلى الله عليه وسلم في الايتساء بموسى عليه السلام في تحمل اعباء النبوة والصبر على مقاساة الخطوب في تبليغ احكام النبوة والرسالة
فيأباه ان مساق النظم الكريم لصرفه عليه السلام عن اقتحام المشاق وقوله تعالى اذ رأى نارا كان كيت وكيت وقيل مفعول لمضمر مقدم اي اذكر وقت
رؤيته نارا روي انه عليه السلام استأذن شعيبا عليهما السلام في الخروج الى امه واخيه فخرج باهله واخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام
فلما وافى وادي طوى وهو بالجانب الغربي من الطور ولد له ولد في ليلة مظلمة شاتية مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت
ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فبينما هو كذلك اذ رأى نارا على يسار الطريق من جانب الطور فقال لاهله امكثوا اي اقيموا
مكانكم امرهم عليه السلام بذلك لئلا يتبعوه فيما عزم عليه من الذهاب الى النار كما هو المعتاد لا لئلا ينتقلوا الى موضع آخر فانه مما لا يخطر
بالبال والخطاب للمرأة والولد والخادم وقيل لها وحدها والجمع اما لظاهر لفظ الاهل او للتفخيم كما في قول من قال وان شئت حرمت النساء
سواكم وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا اني آنست نارا اي ابصرتها ابصارا بينا لا شبهة فيه وقيل الايناس خاص بابصار ما يؤنس به
والجملة تعليل للامر والمأمور به لعلي آتيكم منها اي اجيئكم من النار بقبس اي بشعلة مقتبسة من معظم النار وهي المراد بالجذوة في سورة
القصص وبالشهاب القبس او اجد على النار هدى هاديا يدلني على الطريق على انه مصدر سمي به الفاعل مبالغة او حذف منه المضاف اي ذا هداية
او على انه اذا وجد الهادي فقد وجد الهدى وقيل هاديا يهديني الى ابواب الدين فان افكار الابرار معمورة بالهمة الدينية في عامة
احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والاول هو الاظهر لان مساق النظم الكريم لتسلية اهله وقد نص عليه في سورة القصص حيث قيل لعلي
آتيكم منها بخبر او جذوة الآية وكلمة او في الموضعين لمنع الخلو دون منع الجمع ومعنى الاستعلاء في قوله تعالى على النار ان اهل النار يستعلون
المكان القريب منها او لانهم عند الاصطلاء يكتنفونها قياما وقعودا فيشرفون عليها ولما كان الاتيان بهما مترقبا غير محقق الوقوع صدر
الجملة بكلمة الترجي وهي اما علة لفعل قد حذف ثقة بما يدل عليه من الامر بالمكث والاخبار بايناس النار وتفاديا عن التصريح بما يوحشهم واما
حال من فاعله اي فاذهب اليها لآتيكم او كي آتيكم او راجيا ان آتيكم منها بقبس الآية وقد مر تحقيق ذلك مفصلا في تفسير قوله يا ايها الناس اعبدوا
ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون فلما اتاها اي النار التي آنسها قال ابن عباس رضي الله عنهما رأى شجرة خضراء اطافت
بها من اسفلها الى اعلاها نار بيضاء تتقد كاضوء ما يكون فوقف متعجبا من شدة ضوئها وشدة خضرة الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا
كثرة الماء في الشجرة يغير ضوءها قالوا النار اربعة اصناف صنف يأكل ولا يشرب وهي نار الدنيا وصنف يشرب ولا يأكل وهي نار الشجر الاخضر
وصنف يأكل ويشرب وهي نار جهنم وصنف لا يأكل ولا يشرب وهي نار موسى عليه السلام وقالوا ايضا هي اربعة انواع نوع له نور واحراق
وهي نار الدنيا ونوع لا نور له ولا احراق وهي نار الاشجار ونوع له نور بلا احراق وهي نار موسى عليه السلام ونوع له احراق بلا نور وهي نار
الجحيم روي ان الشجرة كانت عوسجة وقيل كانت سمرة نودي يا موسى اي نودي فقيل يا موسى اني انا ربك او عومل النداء معاملة
القول لكونه ضربا منه وقرئ بالفتح اي باني وتكرير الضمير لتأكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روي انه لما نودي يا موسى
قال عليه السلام من المتكلم فقال الله عز وجل انا ربك فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله تعالى
باني اسمعه من جميع الجهات بجميع الاعضاء قلت وذلك لان سماع كل ما ليس من شأنه ذلك من الاعضاء ليس الا من آثار قدرة الخلاق
العليم تعالى وتقدس وقيل تلقى عليه السلام كلام رب العزة تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش به
من غير اختصاص بعضو وجهة فاخلع نعليك امر عليه السلام بذلك لان الحفوة ادخل في التواضع وحسن الادب ولذلك كان السلف الصالحون

يطوفون بالكعبة حافين وقيل ليباشر الوادي بقدميه تبركاً به وقيل لما أن نعليه كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الأهل والمال
والفاء لترتيب الأمر على ما قبلها فإن ربوبيته تعالى له عليه السلام من موجبات الأمر ودواعيه وقوله تعالى إنك بالواد المقدس تعليل لوجوب الخلع
المأمور به وبيان لسبب ورود الأمر بذلك من شرف البقعة وقدسها روي أنه عليه السلام خلعهما وألقاهما وراء الوادي طوى بضم الطاء
غير منون وقرئ منوناً وقرئ بالكسر منوناً وغير منون فمن نونه أوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثني من الطي مصدر لنودي أو
المقدس أي نودي نداءين أو قدس بعد أخرى وأنا اخترتك أي اصطفيتك للنبوة والرسالة وقرئ وأنا اخترناك بالفتح والكسر والفاء
في قوله تعالى فاستمع لترتيب الأمر والمأمور به على ما قبلها فإن اختياره عليه السلام لما ذكر من موجبات الاستماع والأمر به واللام في قوله
تعالى لما يوحى متعلقة باستمع وما موصولة أو مصدرية أي فاستمع للذي يوحى إليك أو للوحي لا باخترتك كما قيل لكن لا لما قيل فإنه
من باب التنازع وإعمال الأول فلا بد حينئذ من إعادة الضمير مع الثاني بل لأن قوله تعالى إنني أنا الله لا إله إلا أنا بدل من ما يوحى ولا ريب
في أن اختياره عليه السلام ليس لهذا الوحي فقط والفاء في قوله تعالى فاعبدني لترتيب المأمور به على ما قبلها فإن اختصاص الألوهية
به سبحانه وتعالى من موجبات تخصيص العبادة به عز وجل وأقم الصلوة خصت الصلوة بالذكر وأفردت بالأمر مع اندراجها في الأمر
بالعبادة لفضلها وإنافتها على سائر العبادات بما نيطت به من ذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وذلك قوله تعالى لذكري أي
لتذكرني فإن ذكري كما ينبغي لا يتحقق إلا في ضمن العبادة والصلوة أو لتذكرني فيها لاشتمالها على الأذكار أو لذكري خاصة لا تشوبه
بذكر غيري أو لإخلاص ذكري وابتغاء وجهي لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضاً آخر أو لتكون ذاكراً لي غير ناس وقيل لذكري إياها
وأمري بها في الكتب أو لأن أذكرك بالمدح والثناء وقيل لأوقات ذكري وهي مواقيت الصلوات أو لذكر صلوتي لما روي أنه عليه السلام قال
من نام عن صلوة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها إن الله تعالى يقول أقم الصلوة لذكري وقرئ لذكرى بألف التأنيث وللذكرى معرفاً
وللذكرى بالتعريف والتذكير وقوله تعالى إن الساعة آتية تعليل لوجوب العبادة وإقامة الصلوة أي كائنة لا محالة وإنما عبر عن ذلك
بالإتيان تحقيقاً لحصولها بإبرازها في معرض أمر محقق متوجه نحو المخاطبين أكاد أخفيها أي لا أظهرها بأن أقول إنها آتية ولولا أن
ما في الإخبار من اللطف وقطع الأعذار لما فعلت أو أكاد أظهرها بإيقاعها من أخفاه إذا أظهره بسلب خفائه ويؤيده القراءة بفتح الهمزة
من خفاه بمعنى أظهره وقيل أخفاه من الأضداد إذ يجيء بمعنى الإظهار والستر وقوله تعالى لتجزى كل نفس بما تسعى متعلق بآتية وما بينهما اعتراض
أو بأخفيها على المعنى الأخير وما مصدرية أي لتجزى بسعيها في تحصيل ما ذكر من الأمور المأمور بها وتخصيصه في معرض الغاية لإتيانها
مع أنه لجزاء كل نفس بما صدر عنها سواء كان سعياً فيما ذكر أو تقاعداً عنه بالمرة أو سعياً في تحصيل ما يضاده للإيذان بأن المراد بالذات
من إتيانها هو الإثابة بالعبادة وأما العقاب بتركها فمن مقتضيات سوء اختيار العصاة وبأن المأمور به في قوة الوجوب والساعة
في شدة الهول والفظاعة بحيث يوجبان على كل نفس أن تسعى في الامتثال بالأمر وتجد في تحصيل ما ينجيها من الطاعات وتحترز عن اقتراف
ما يرديها من المعاصي وعليه مدار الأمر في قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم
أحسن عملاً فإن الابتلاء مع شموله لكافة المكلفين باعتبار أعمالهم المنقسمة إلى الحسن والقبيح أيضاً لا إلى الحسن والأحسن فقط قد علق
بالأخيرين لما ذكر من أن المقصود الأصلي من إبداع تلك البدائع على ذلك النمط الرائع إنما هو ظهور كمال إحسان المحسنين وأن ذلك لكونه
على أتم الوجوه الرائقة وأكمل الأنحاء اللائقة يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد أحد عن سننه المستبين بل يهتدي كل فرد إلى ما يرشد إليه
من مطلق الإيمان والطاعة وإنما التفاوت بينهم في مراتبهما بحسب القوة والضعف وأما الإعراض عن ذلك فوقوع في مهاوي الضلال
بمعزل من الوقوع فضلاً عن أن ينتظم في سلك الغاية لذلك الصنع البديع وإنما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له
ومسوغ بتة ويجوز أن يراد بالسعي مطلق العمل فلا يصدنك عنها أي عن ذكر الساعة ومراقبتها وقيل عن تصديقها والأول هو الأليق
بشأن موسى عليه السلام وإن كان النهي بطريق التهييج والإلهاب وتقديم الجار والمجرور على قوله تعالى من لا يؤمن بها لما مر مراراً من
الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر فإن ما حقه التقديم إذا أخر تبقى النفس مستشرفة له فيتمكن عند وروده لها فضل تمكن
ولأن في المؤخر نوع طول ربما يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم وهذا وإن كان بحسب الظاهر نهياً للكافر عن صد موسى عليه السلام

عليه السلام عن الساعة لكنه في الحقيقة نهي له عليه السلام عن الانصداد عنها على أبلغ وجه وآكده فإن النهي عن أسباب الشيء ومباديه المؤدية إليه نهي عنه
بالطريق البرهاني وإبطال للسببية عن أصلها كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم إلى آخره فإن صد الكافر حيث كان سبباً لانصداده عليه السلام
كان النهي عنه نهياً بأصله وموجبه وإبطالاً له بالكلية ويجوز أن يكون من باب النهي عن المسبب وإرادة النهي عن السبب على أن يراد نهيه
عليه السلام عن إظهار لين الجانب للكفرة فإن ذلك سبب لصدهم إياه عليه السلام كما في قوله لا أرينك ههنا فإن المراد نهي المخاطب
عن الحضور لديه الموجب لرؤيته واتبع هواه أي ما تهواه نفسه من اللذات الحسية الفانية فتردى أي فتهلك فإن الإغفال عنها
وعن تحصيل ما ينجي عن أهوالها مستتبع للهلاك لا محالة وهو في محل النصب على جواب النهي أو في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي
فأنت تردى وما تلك بيمينك يا موسى شروع في حكاية ما كلفه عليه السلام من الأمور المتعلقة بالخلق إثر حكاية ما أمر به من الشؤون الخاصة
بنفسه فما استفهامية في حيز الرفع بالابتداء وتلك خبره أو بالعكس وهو أدخل بحسب المعنى وأوفق بالجواب وبيمينك متعلق بمضمر وقع حالاً
أي وما تلك قارة أو مأخوذة بيمينك والعامل معنى الإشارة كما في قوله عز وعلا وهذا بعلي شيخاً وقيل تلك موصولة أي ما التي هي بيمينك
وأياً ما كان فالاستفهام إيقاظ وتنبيه له عليه السلام على ما سيبدو له من التعاجيب وتكرير النداء لزيادة التأنيس والتنبيه قال هي
عصاي نسبها إلى نفسه تحقيقاً لوجه كونها بيمينه وتمهيداً لما يعقبه من الأفاعيل المنسوبة إليه عليه السلام وقرئ عصي على لغة هذيل أتوكؤ
عليها أي أعتمد عليها عند الإعياء أو الوقوف على رأس القطيع وأهش بها أي أخبط بها الورق وأسقطه على غنمي وقرئ أهش بكسر الهاء
وكلاهما من هش الخبز يهش إذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين غير المعجمة وهو زجر الغنم وتعديته بعلى لتضمين معنى الإنحاء والإقبال أي
أزجرها منحياً ومقبلاً عليها ولي فيها مآرب أخرى أي حاجات أخر من هذا الباب مثل ما روي أنه عليه السلام كان إذا سار ألقاها على عاتقه فعلق
بها أدواته من القوس والكنانة والحلاب ونحوها وإذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل به وإذا
قصر الرشاء وصله بها وإذا تعرضت لغنمه السباع قاتل بها ومن جملة المآرب أنها كانت ذات شعبتين ومحجن فإذا طال الغصن جناه بالمحجن وإذا
أراد كسره لواه بالشعبتين وكأنه عليه السلام فهم أن المقصود من السؤال بيان حقيقتها وتفصيل منافعها بطريق الاستقصاء حتى إذا ظهرت على
خلاف تلك الحقيقة وبدت منها خواص بديعة علم أنها آيات باهرة ومعجزات قاهرة أحدثها الله تعالى وليست من الخواص المترتبة عليها فذكر
حقيقتها ومنافعها على التفصيل والإجمال على معنى أنها من جنس العصا مستتبعة لمنافع بنات جنسها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه من سؤال
العليم الخبير قال استئناف مبني على سؤال ينساق إليه الذهن كأنه قيل فماذا قال الله عز وجل فقيل قال ألقها يا موسى لترى من شأنها
ما لم يخطر ببالك من الأمور وتكرير النداء لتأكيد التنبيه فألقاها على الأرض فإذا هي حية تسعى روي أنه عليه السلام حين ألقاها انقلبت
حية صفراء في غلظ العصا ثم انتفخت وعظمت فلذلك شبهت بالجان تارة وسميت ثعباناً أخرى وعبر عنها ههنا بالاسم العام
للحالين وقيل قد انقلبت من أول الأمر ثعباناً وهو الأليق بالمقام كما يفصح عنه قوله عز وجل فإذا هي ثعبان مبين وإنما شبهت بالجان
في الجلادة وسرعة الحركة لا في صغر الجثة وقوله تعالى تسعى إما صفة لحية أو خبر ثان عند من يجوز كونه جملة قال استئناف كما سبق خذها
ولا تخف عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انقلبت ثعباناً ذكراً يبتلع كل شيء من الصخر والشجر فلما رآه كذلك خاف ونفر وملكه ما يملك البشر عند مشاهدة
الأهوال والمخاوف من الفزع والنفار وفي عطف النهي على الأمر إشعار بأن عدم المنهي عنه مقصود لذاته لا لتحقيق المأمور به فقط وقوله
تعالى سنعيدها سيرتها الأولى مع كونه استئنافاً مسوقاً لتعليل الامتثال بالأمر والنهي فإن إعادتها إلى ما كانت عليه من موجبات أخذها وعدم
الخوف منها عدة كريمة بإظهار معجزة أخرى على يده عليه السلام وإيذان بكونها مسخرة له عليه السلام ليكون على طمأنينة من أمره ولا تعتريه
شائبة تزلزل عند محاجة فرعون أي سنعيدها بعد الأخذ إلى حالتها الأولى التي هي الهيئة العصوية قيل بلغ عليه السلام عند ذلك من الثقة
وعدم الخوف إلى حيث كان يدخل يده في فمها ويأخذ بلحييها والسيرة فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الجار
أي إلى سيرتها أو على أن أعاد منقول من عاده بمعنى عاد إليه أو على الظرفية أي سنعيدها في طريقتها أو على تقدير فعلها وإيقاعه حالاً
من المفعول أي سنعيدها عصا كما كانت قبل تسير سيرتها أي سائرة سيرتها الأولى فتنتفع بها كما كنت تنتفع من قبل واضمم يدك إلى جناحك أمر
عليه السلام بذلك بعد ما أخذ الحية وانقلبت عصا كما كانت أي أدخلها تحت عضدك فإن جناحي الإنسان جنباه كما أن جناحي العسكر ناحيتاه

مستعار من جناحي الطائر وقد سميا جناحين لانه يجنحهما اي يميلهما عند الطيران قوله تعالى تخرج جواب الامر وقوله تعالى بيضاء حال من الضمير فيه وقوله
تعالى من غير سوء متعلق بمحذوف هو حال من الضمير في بيضاء اي كائنة من غير عيب وقبح كني به عن البرص كما كني بالسوأة عن العورة لما
ان الطباع تعافه وتنفر عنه روي انه عليه السلام كان آدم فاخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس تغشي البصر آية اخرى
اي معجزة اخرى غير العصا وانتصابها على الحالية اما من الضمير في تخرج على انها بدل من الحال الاولى واما من الضمير في بيضاء وقيل من الضمير
في الجار والمجرور وقيل هي منصوبة بفعل مضمر نحو خذ ودونك وقوله تعالى لنريك من آياتنا الكبرى متعلق بمضمر ينساق اليه النظم الكريم كأنه
قيل فعلنا ما فعلنا من الامر والاظهار لنريك بذلك بعض آياتنا الكبرى صفة لآياتنا او نريك بذلك من آياتنا ما هي كبرى على ان الكبرى مفعول
ثان لنريك ومن آياتنا متعلق بمحذوف هو حال من ذلك المفعول واياما كان فالآية الكبرى عبارة عن العصا واليد جميعا واما تعلقه
بما دل عليه آية اي دللنا بها الى آخره او بقوله تعالى واضمم او بقوله تخرج او بما قدر من نحو خذ ودونك كما قال بكل من ذلك قائل فيؤدي الى
عراء آية العصا عن وصف الكبر فتدبر اذهب الى فرعون تخلص الى ما هو المقصود من تمهيد المقدمات السالفة فصل عما قبله من الاوامر ايذانا
باصالته اي اذهب اليه بما رأيته من الآيات الكبرى وادعه الى عبادتي وحذره نقمتي وقوله تعالى انه طغى تعليل للامر او لوجوب المأمور به اي
جاوز الحد في التكبر والعتو والتجبر حتى تجاسر على العظيمة التي هي دعوى الربوبية قال استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كأنه
قيل فماذا قال عليه السلام حين امر بهذا الامر الخطير والخطب العسير فقيل قال مستعينا بربه عز وجل رب اشرح لي صدري ويسر لي امري لما امر بما
امر به من الخطب الجليل تضرع الى ربه عز وجل واظهر عجزه بقوله ويضيق صدري ولا ينطلق لساني وسأله تعالى ان يوسع صدره ويفسح
قلبه ويجعله عليما بشؤون الحق واحوال الخلق حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد والمكاره بجميل الصبر وحسن الثبات ويتلقاها
بصدر فسيح وجأش رابط وان يسهل عليه مع ذلك امره الذي هو اجل الامور واعظمها واصعب الخطوب واهولها بتوفيق الاسباب
ورفع الموانع وفي زيادة كلمة لي مع انتظام الكلام بدونها تأكيد لطلب الشرح والتيسير بابهام المشروح والميسر اولا وتفسيرهما ثانيا
وفي تقديمها وتكريرها اظهار مزيد اعتناء بشأن كل من المطلوبين وفضل اهتمام باستدعاء حصولهما له واختصاصهما به واحلل عقدة من لساني
روي انه كان في لسانه عليه السلام رتة من جمرة ادخلها فاه في صغره وذلك ان فرعون حمله ذات يوم فاخذ لحيته فنتفها لما كان فيها من
الجواهر فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة فوضعها في فيه قيل واحترقت يده
فاجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنه واختلف في زوال العقدة
بكمالها فمن قال به تمسك بقوله تعالى قد اوتيت سؤلك ومن لم يقل به احتج بقوله تعالى هو افصح مني وقوله تعالى ولا يكاد يبين واجاب عن الاول
بانه لم يسأل حل عقدة لسانه بالكلية بل حل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها ووصفها بقوله من لساني اي عقدة كائنة من عقدات في
وجعل قوله تعالى يفقهوا قولي جواب الامر وغرضا من الدعاء فبحلها في الجملة يتحقق ايتاء سؤله عليه السلام والحق ان ما ذكر لا يدل على بقائها
في الجملة اما قوله تعالى هو افصح مني فلانه عليه السلام قاله قبل استدعاء الحل كما ستعرفه على ان افصحيته منه عليهما السلام لا تستدعي بقاءها
اصلا بل تستدعي عدم البقاء لما ان الافصحية توجب ثبوت اصل الفصاحة في المفضول ايضا وذلك مناف للعقدة راسا واما قوله تعالى
ولا يكاد يبين فمن باب غلو اللعين في العتو والطغيان والا لدل على عدم زوالها اصلا وتنكيرها انما يفيد قلتها في نفسها لا قلتها باعتبار
كونها بعضا من الكثير وتعلق كلمة من في قوله تعالى من لساني بمحذوف هو صفة لها ليس بمقطوع به بل الظاهر تعلقها بنفس الفعل فان
المحلول اذا كان متعلقا بشيء ومتصلا به فكما يتعلق الحل به يتعلق بذلك الشيء ايضا باعتبار ازالته عنه او ابتداء حصوله منه واجعل لي
وزيرا من اهلي هارون اخي اي موازرا يعاونني في تحمل اعباء ما كلفته على ان اشتقاقه من الوزر الذي هو الثقل او ملجأ اعتصم برأيه على انه
من الوزر وهو الملجأ وقيل اصله ازير من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت همزته واوا كقلبها في موازر ونصبه
على انه مفعول ثان لاجعل قدم على الاول الذي هو قوله تعالى هارون اعتناء بشأن الوزارة ولي صلة للجعل او متعلق بمحذوف هو حال
من وزيرا اذ هو صفة له في الاصل ومن اهلي اما صفة لوزيرا او صلة لاجعل وقيل مفعولاه لي وزيرا وهارون عطف بيان للوزير ومن
اهلي كما مر من الوجهين واخي في الوجهين بدل من هارون او عطف بيان آخر وقيل هما وزيرا من اهلي ولي تبيين كما في قوله تعالى ولم

يكن له كفوا احد ورد بان شرط المفعولين في باب النواسخ صحة انعقاد الجملة الاسمية ولا مساغ لجعل وزير مبتدأ والخبر عنه بما بعده اشدد به
ازري واشركه في امري كلاهما على صيغة الدعاء اي احكم به قوتي واجعله شريكي في امر الرسالة حتى نتعاون على ادائها كما ينبغي وفصل الاول
عن الدعاء السابق لكمال الاتصال بينهما فان شد الازر عبارة عن جعله وزيرا واما الاشراك في الامر فحيث كان من احكام الوزارة توسط
بينهما العاطف كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا غاية للادعية الثلاثة الاخيرة فان كل واحد منهما من التسبيح والذكر مع كونه مكثرا لفعل الآخر ومضاعفا
له بسبب انضمامه اليه مكثر له في نفسه ايضا بسبب تقويته وتأييده اذ ليس المراد بالتسبيح والذكر ما يكون منهما بالقلب او في الخلوات حتى لا
يتفاوت حاله عند التعدد والانفراد بل ما يكون منهما في تضاعيف اداء الرسالة ودعوة المردة العتاة الى الحق وذلك مما لا ريب في اختلاف
حاله في حالتي التعدد والانفراد فان كلا منهما يصدر عنه بتأييد الآخر من اظهار الحق ما لا يكاد يصدر عنه مثله حال الانفراد وكثيرا في الموضعين
نعت لمصدر محذوف او زمان محذوف اي ننزهك عما لا يليق بك من الصفات والافعال التي من جملتها ما يدعيه فرعون من الطاغية وتقبله منه
فئته الباغية من ادعاء الشركة في الالوهية ونصفك بما يليق بك من صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال تنزيها كثيرا او زمانا كثيرا من جملته
زمان دعوة فرعون واوان المحاجة معه واما ما قيل من ان المعنى كي نصلي لك كثيرا ونحمدك ونثني عليك فلا يساعده المقام انك كنت بنا بصيرا
اي عالما باحوالنا وبان ما دعوتك به مما يصلحنا ويفيدنا في تحقيق ما كلفته من اقامة مراسم الرسالة وبان هارون نعم الردء في اداء ما امرت به
والباء متعلقة ببصيرا قدمت عليه لمراعاة الفواصل قال قد اوتيت سؤلك اي اعطيت مسؤولك فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والمأكول
والايتاء عبارة عن تعلق ارادته تعالى بوقوع تلك المطالب وحصولها له عليه السلام البتة وتقديره اياها حتما فكلها حاصلة له عليه السلام وان
كان وقوع بعضها بالفعل مترقبا بعد كتيسير الامر وشد الازر وباعتباره قيل سنشد عضدك باخيك وقوله تعالى يا موسى تشريف له عليه السلام
بشرف الخطاب اثر تشريفه بشرف قبول الدعاء وقوله تعالى ولقد مننا عليك كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله وزيادة توطين نفس موسى
عليه السلام بالقبول ببيان انه تعالى حيث انعم عليه بتلك النعم التامة من غير سابقة دعاء منه وطلب فلأن ينعم عليه بمثلها وهو طالب له وداع
اولى واحرى وتصديره بالقسم لكمال الاعتناء بذلك اي وبالله لقد انعمنا مرة اخرى اي في وقت غير هذا الوقت لا ان ذلك مؤخر من هذا فان
اخرى تأنيث آخر بمعنى غير والمرة في الاصل اسم للمرور الواحد ثم اطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات متعدية كانت او لازمة ثم شاع في كل
فرد واحد من افراد ماله افراد متجددة فصار علما في ذلك حتى جعل معيارا لما في معناه من سائر الاشياء فقيل هذا بناء المرة ويقرب منها
الكرة والتارة والدفعة والمراد بها ههنا الوقت الممتد الذي وقع فيه ما سيأتي ذكره من المنن العظيمة الكثيرة وقوله تعالى اذ اوحينا الى امك ما يوحى
ظرف لمننا والمراد بالايحاء اما الايحاء على لسان نبي في وقتها كقوله تعالى واذ اوحيت الى الحواريين الآية واما الايحاء بواسطة الملك لا على وجه
النبوة كما اوحي الى مريم واما الالهام كما في قوله تعالى واوحى ربك الى النحل واما الاراءة في المنام والمراد بما يوحى ما سيأتي من الامر بقذفه
في التابوت وقذفه في البحر ابهم اولا تهويلا له وتفخيما لشأنه ثم فسر ليكون اقر عند النفس وقيل معناه ما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم شأنه
وفرط الاهتمام به وقيل ما لا يعلم الا بالوحي وفيه انه لا يلائم المعنيين الاخيرين للوحي اذ لا تفخيم لشأنه في ان يكون مما لا يعلم الا بالالهام
او بالاراءة في المنام وان في قوله تعالى ان اقذفيه في التابوت مفسرة لان الوحي من باب القول او مصدرية حذف عنها الباء اي بان اقذفيه
وفي معنى القذف ههنا الوضع وكذا في قوله تعالى فاقذفيه في اليم فالالقاء وهذا التفصيل هو المراد بقوله تعالى فاذا خفت عليه فالقيه في اليم
لا القذف بلا تابوت فليلقه اليم بالساحل لما كان القاء البحر اياه بالساحل امرا واجب الوقوع لتعلق الارادة الربانية به جعل البحر كأنه
ذو تمييز مطيع امر بذلك واخرج الجواب مخرج الامر والضمائر كلها لموسى عليه السلام والمقذوف في البحر والملقى بالساحل وان كان هو التابوت
اصالة لكن لما كان المقصود بالذات ما فيه جعل التابوت تبعا له في ذلك يأخذه عدو لي وعدو له جواب للامر بالالقاء وتكرير العدو للمبالغة
والتصريح بالامر والاشعار بان عداوته له عليه السلام مع تحققها لا تؤثر فيه ولا تضره بل تؤدي الى المحبة فان الامر بما هو سبب للهلاك
صورة من قذفه في البحر ووقوعه في يد عدو الله تعالى وعدوه مشعر بان هناك لطفا خفيا مندرجا تحت قهر صوري وقيل الاول
باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع وليس المراد بالساحل نفس الشاطئ بل ما يقابل الوسط وهو ما يلي الساحل من البحر بحيث يجري ماؤه
الى نهر فرعون لما روي انها جعلت في التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته والقته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه

الماء إليه فأتي به إلى بركة في البستان وكان فرعون ثمة جالساً مع آسية بنت مزاحم فأمر به فأخرج ففتح فإذا هو صبي أصبح الناس وجهاً فأحبه
عدو الله حباً شديداً لا يكاد يتمالك الصبر عنه وذلك قوله تعالى **وألقيت عليك محبة مني** كلمة من متعلقة بمحذوف هو صفة لمحبة مؤكدة لما في تنكيرها
من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أي محبة عظيمة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك ولذلك أحبك
عدو الله وآله وقيل هي متعلقة بألقيت أي أحببتك ومن أحبه الله تعالى أحبته القلوب لا محالة وقوله تعالى **ولتصنع على عيني** متعلق بألقيت
معطوف على علة له مضمرة أي ليتعطف عليك ولتربى بالحنو والشفقة بمراقبتي وحفظي أو مضمر مؤخر هو عبارة عما قبله من إلقاء المحبة
والجملة مبتدأة أي ولتصنع على عيني فعلت ذلك وقرئ ولتصنع على صيغة الأمر بسكون اللام وكسرها وقرئ بفتح التاء والنصب أي وليكون
عملك على عين مني لئلا تخالف به عن أمري **إذ تمشي أختك** ظرف لتصنع على أن المراد به وقت وقع فيه مشيها إلى بيت فرعون وما ترتب عليه
من القول والرجع إلى أمها وتربيتها له بالبر والحنو وهو المصداق لقوله تعالى ولتصنع على عيني إذ لا شفقة أعظم من شفقة الأم وصنعها
على موجب مراعاته تعالى وقيل هو بدل من إذ أوحينا على أن المراد به زمان متسع متباعد الأطراف وهو الأنسب بما سيأتي من قوله فنجيناك من الغم
إلى آخره فإن جميع ذلك من المنن الإلهية ولا تعلق لشيء منها بالصنع المذكور وأما كونه ظرفاً لألقيت كما جوز فربما يوهم أن إلقاء المحبة
لم يحصل قبل ذلك ولا ريب في أن معظم آثار إلقائها ظهر عند فتح التابوت **فتقول** أي لفرعون وآسية حين رأتهما يطلبان له عليه السلام مرضعة
يقبل ثديها وكان لا يقبل ثدياً وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية **هل أدلكم على من يكفله** أي يضمه إلى نفسه ويربيه وذلك
إنما يكون بقبوله ثديها روي أنه فشا الخبر بمصر أن آل فرعون أخذوا غلاماً في النيل لا يرتضع ثدي امرأة واضطروا إلى تتبع النساء
فخرجت أخته مريم لتعرف خبره فجاءتهم متنكرة فقالت ما قالت وقالوا ما قالوا فجاءت بأمه فقبل ثديها فالفاء في قوله تعالى **فرجعناك إلى أمك**
فصيحة معربة عن محذوف قبلها يعطف عليه ما بعدها أي فقالوا دلينا عليها فجاءت بأمك فرجعناك إليها **كي تقر عينها** بلقائك **ولا تحزن**
أي لا يطرأ عليها الحزن بفراقك بعد ذلك وإلا فزوال الحزن مقدم على السرور المعبر عنه بقرة العين فإن التخلية متقدمة على التحلية وقيل
ولا تحزن أنت بفقد إشفاقها **وقتلت نفساً** هي نفس القبطي الذي استغاثه الإسرائيلي عليه **فنجيناك من الغم** أي غم قتله خوفاً من عقاب الله
تعالى بالمغفرة ومن اقتصاص فرعون بالإنجاء عنه بالمهاجرة إلى مدين **وفتناك فتوناً** أي ابتليناك ابتلاء أو فتوناً من الابتلاء على أنه جمع
فتن أو فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز في حجزة وبدور في بدرة أي خلصناك مرة بعد أخرى وهو إجمال ما ناله في سفره من الهجرة
عن الوطن ومفارقة الألاف والمشي راجلاً وفقد الزاد وقد روي أن سعيد بن جبير سأل عنه ابن عباس رضي الله عنهم فقال خلصناك
من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير وألقته أمه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطياً وآجر نفسه
عشر سنين وضل الطريق وتفرق غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير ولكن الذي تقتضيه النظم الكريم
أن لا تعد إجارة نفسه وما بعدها من تلك الفتون ضرورة أن المراد بها ما وقع قبل وصوله عليه السلام إلى مدين بقضية الفاء في قوله تعالى
فلبثت سنين في أهل مدين إذ لا ريب في أن الإجارة المذكورة وما بعدها مما وقع بعد الوصول إليهم وقد أشير بذكر لبثه عليه السلام فيهم دون
وصوله عليه السلام إليهم إلى جميع ما قاساه عليه السلام في تضاعيف تلك السنين العشر من فنون الشدائد والمكاره التي كل واحدة
منها فتنة وأي فتنة ومدين بلدة شعيب عليه السلام على ثماني مراحل من مصر **ثم جئت** أي إلى المكان الذي أونس فيه النار ووقع فيه النداء
والجؤار وفي كلمة التراخي إيذان بأن مجيئه عليه السلام كان بعد اللتيا والتي من ضلال الطريق وتفرق الغنم في الليلة المظلمة الشاتية
وغير ذلك **على قدر** أي تقدير قدرته لأن أكلمك وأستنبئك في وقت قد عينته لذلك فما جئت إلا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر
وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه إلى الأنبياء عليهم السلام وهو رأس أربعين سنة وقوله تعالى **يا موسى** تشريف له عليه السلام وتنبيه على
الحكاية التي هي تفصيل المرة الأخرى التي وقعت قبل المرة المحكية أولاً وقوله تعالى **واصطنعتك لنفسي** تذكير لقوله تعالى وأنا اخترتك وتمهيد
لإرساله عليه السلام إلى فرعون مؤيداً بأخيه حسبما استدعاه بعد تذكير المنن السابقة تأكيداً لوثوقه عليه السلام بحصول نظائرها اللاحقة
وهذا تمثيل لما خوله عز وعلا من الكرامة العظمى بتقريب الملك بعض خواصه واصطناعه لنفسه وترشيحه لبعض أموره الجليلة والعدول عن نون العظمة
الواقعة في قوله تعالى وفتناك ونظيريه أحق بمقام تمهيد لإفراد لفظ النفس اللائق بالمقام فإنه أدخل في تحقيق معنى الاصطناع والاستخلاص

والاستخلاص أي اصطفيتك برسالاتي وبكلامي وقوله تعالى **اذهب أنت وأخوك** أي وليذهب أخوك حسبما استدعيت استئناف مسوق لبيان ما هو المقصود
بالاصطناع **بآياتي** أي بمعجزاتي التي أريتكهما من اليد البيضاء والعصا فإنهما وإن كانتا اثنتين لكن في كل منهما آيات شتى كما في قوله تعالى فيه
آيات بينات مقام إبراهيم فإن انقلاب العصا حيواناً آية وكونها ثعباناً عظيماً لا يقادر قدره آية أخرى وسرعة حركته مع عظم جرمه
آية أخرى وكونه مع ذلك مسخراً له عليه السلام بحيث كان يدخل يده في فيه فلا يضره آية أخرى ثم انقلابها عصاً آية أخرى وكذلك اليد
فإن بياضها في نفسه آية وشعاعها آية ثم رجوعها إلى حالتها الأولى آية أخرى والباء للمصاحبة لا للتعدية إذ المراد ذهابهما إلى
فرعون ملتبسين بالآيات متمسكين بها في إجراء أحكام الرسالة وإكمال أمر الدعوة لا مجرد إذهابها وإيصالها إليه **ولا تنيا** لا تفترا ولا تقصرا
وقرئ ولا تنيا بكسر التاء للإتباع **في ذكري** أي بما يليق بي من الصفات الجليلة والأفعال الجميلة عند تبليغ رسالتي والدعاء إلي وقيل المعنى لا تنيا
في تبليغ رسالتي فإن الذكر يقع على جميع العبادات وهو أجلها وأعظمها وقيل لا تنسياني حيثما تقلبتما واستمدا به العون والتأييد واعلما
أن أمراً من الأمور لا يتأتى ولا يتسنى إلا بذكري **اذهبا إلى فرعون** جمعهما في صيغة أمر الحاضر مع غيبة هرون إذ ذاك للتغليب وكذا الحال في صيغة النهي روي
أنه أوحي إلى هرون وهو بمصر أن يتلقى موسى عليهما السلام وقيل سمع بإقباله فتلقاه **إنه طغى** تعليل لموجب الأمر والفاء في قوله تعالى **فقولا له قولاً ليناً**
لترتيب ما بعدها على طغيانه فإن تليين القول مما يكسر سورة عناد العتاة ويلين عريكة الطغاة قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تعنفا في قولكما
وقيل القول اللين مثل هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى فإنها دعوة في صورة عرض ومشورة ويرده ما يجيء من قوله تعالى فقولا إنا رسولا ربك
الآيتين وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة وقيل عداه شباباً لا يهرم ويبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح وملكاً
لا يزول إلا بالموت وقرئ ليناً **لعله يتذكر** بما بلغتماه من ذكري ويرغب فيما رغبتماه فيه **أو يخشى** عقابي ومحل الجملة النصب على الحال من ضمير التثنية
أي فقولا له قولاً ليناً راجيين أن يتذكر أو يخشى وكلمة أو لمنع الخلو أي باشرا الأمر مباشرة من يرجو ويطمع أن يثمر عمله ولا يخيب سعيه وهو يجتهد بطوقه
ويحتشد بأقصى وسعه وجدوى إرسالهما إليه مع العلم بحاله إلزام الحجة وقطع المعذرة **قالا ربنا** أسند القول إليهما مع أن القائل حقيقة هو موسى عليه السلام
بطريق التغليب إيذاناً بأصالته في كل قول وفعل وتبعية هرون عليه السلام له في كل ما يأتي ويذر ويجوز أن يكون هرون قد قال ذلك بعد تلاقيهما
فحكي ذلك مع قول موسى عليهما السلام عند نزول الآية كما في قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات فإن هذا الخطاب قد حكي لنا بصيغة الجمع مع أن كلاً
من المخاطبين لم يخاطب إلا بطريق الانفراد ضرورة استحالة اجتماعهم في الوجود فكيف باجتماعهم في الخطاب **إننا نخاف أن يفرط علينا** أي يعجل علينا
بالعقوبة ولا يصبر إلى إتمام الدعوة وإظهار المعجزة من فرط إذا تقدم ومنه الفارط وقرئ فارط يسبق الخيل وقرئ يفرط من أفرط إذا حمله على العجلة
أي نخاف أن يحمله حامل من الاستكبار أو الخوف على الملك أو غيرهما على المعاجلة بالعقاب **أو أن يطغى** أي يزداد طغياناً إلى أن يقول في شأنك ما لا ينبغي
لكمال جراءته وقساوته وإطلاقه من حسن الأدب وإظهار كلمة أن مع سداد المعنى بدونه لإظهار كمال الاعتناء بالأمر والإشعار بتحقق الخوف
من كل منهما **قال** استئناف مبني على سؤال نشأ من النظم الكريم ولعل إسناد الفعل إلى ضمير الغيبة للإشعار بانتقال الكلام من مساق إلى
آخر فإن ما قبله من الأفعال الواردة على صيغة التكلم حكاية لموسى عليه السلام بخلاف ما سيأتي من قوله تعالى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى فإنه ما قبله
أيضاً وارد بطريق الحكاية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كأنه قيل فماذا قال لهما ربهما عند تضرعهما إليه فقيل قال **لا تخافا** ما توهمتما من الأمرين وقوله
تعالى **إنني معكما** تعليل لموجب النهي ومزيد تسلية لهما والمراد بالمعية كمال الحفظ والنصرة كما ينبئ عنه قوله تعالى **أسمع وأرى** أي ما يجري بينكما
وبينه من قول وفعل فأفعل في كل حال ما يليق بها من دفع ضر وشر وجلب نفع وخير ويجوز أن لا يقدر شيء على معنى إنني حافظكما سميعاً بصيراً
والحافظ الناصر إذا كان كذلك فقد تم وبلغت النصرة غايتها **فأتياه** أمراً بإتيانه الذي هو عبارة عن الوصول إليه بعد ما أمرا بالذهاب
إليه فلا تكرار وهو عطف على لا تخافا باعتبار تعليله بما بعده **فقولا إنا رسولا ربك** أمراً بذلك تحقيقاً للحق من أول الأمر ليعرف الطاغية شأنهما
ويبني جوابه عليه وكذا التعرض لربوبيته تعالى له والفاء في قوله تعالى **فأرسل معنا بني إسرائيل** لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن كونهما رسولي ربه مما يوجب
إرسالهم معهما والمراد بالإرسال إطلاقهم من الأسر والقسر وإخراجهم من تحت يده العادية لا تكليفهم أن يذهبوا معهما إلى الشام كما ينبئ عنه قوله تعالى
ولا تعذبهم أي بإبقائهم على ما كانوا عليه من العذاب فإنهم كانوا تحت ملكة القبط يستخدمونهم في الأعمال الصعبة الفادحة من الحفر ونقل
الأحجار وغيرهما من الأعمال الشاقة ويقتلون ذكورهم عاماً دون عام ويستخدمون نساءهم وتوسيط حكم الإرسال بين بيان رسالتهما

وبين ذكر المجيء بآية دالة على صحتها لاظهار الاعتناء به مع ما فيه من تهوين الامر على فرعون فان ارسالهم معهما من غير تعرض لنفسه وقومه بفنون
التكاليف الشاقة كما هو حكم الرسالة عادة ليس مما يشق عليه كل المشقة ولان في بيان مجيء الآية نوع طول كما ترى فتأخير ذلك عنه مخل
بتجاوب اطراف النظم الكريم واما ما قيل من ان ذلك دليل على ان تخليص المؤمنين عن الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان فكلا **قد جئناك بآية من ربك**
تقرير لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وتعليل لوجوب الارسال فان مجيئهما بالآية من جهته تعالى مما يحقق رسالتهما ويقررها
ويوجب الامتثال بامرهما واظهار اسم الرب في موضع الاضمار مع الاضافة الى ضمير المخاطب لتاكيد ما ذكر من التقرير والتعليل وتوحيد الآية
مع تعددها لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا بيان تعدد الحجة وكذلك قوله تعالى قد جئتكم ببينة وقوله تعالى او لو جئتك بشيء مبين واما
قوله تعالى فأت بآية ان كنت من الصادقين فالظاهر ان المراد بها آية من الآيات **والسلام** المستتبع لسلامة الدارين من الله تعالى والملائكة
وغيرهم من المسلمين **على من اتبع الهدى** بتصديق آيات الله تعالى الهادية الى الحق وفيه من الترغيب في اتباعهما على الطف وجه ما لا يخفى **انا قد اوحي
الينا** من جهة ربنا **ان العذاب** الدنيوي والاخروي **على من كذب** اي بآياته تعالى **وتولى** اي اعرض عن قبولها وفيه من التلطيف في الوعيد حيث
لم يصرح بحلول العذاب به ما لا مزيد عليه **قال** اي فرعون بعد ما اتياه وبلغاه ما امرا به وانما طوي ذكره للايجاز والاشعار بانهما كما امرا
بذلك سارعا الى الامتثال من غير تلعثم وبان ذلك من الظهور بحيث لا حاجة الى التصريح به **فمن ربكما يا موسى** لم يضف الرب الى نفسه ولو بطريق
حكاية ما في قوله تعالى انا رسولا ربك وقوله تعالى قد جئناك بآية من ربك لغاية عتوه ونهاية طغيانه بل اضافه اليهما لما ان المرسل لا بد
ان يكون ربا للرسول او لانهما قد صرحا بربوبيته تعالى للكل بان قالا انا رسول رب العالمين كما وقع في سورة الشعراء والاقتصار
ههنا على ذكر ربوبيته تعالى لفرعون لكفايته فيما هو المقصود والفاء لترتيب السؤال على ما سبق من كونهما رسولي ربهما اي اذا كنتما
رسولي ربكما فاخبرا من ربكما الذي ارسلكما وتخصيص النداء بموسى عليه السلام مع توجيه الخطاب اليهما لما انه الاصل في الرسالة وهرون
وزيره واما ما قيل من ان ذلك لانه قد عرف ان له عليه السلام رتة فاراد ان يفحمه فيرده ما شاهده منه عليه السلام من حسن البيان القاطع
لذلك الطمع الفارغ واما قوله ولا يكاد يبين فمن غلوه في الخبث والدعاوة كما مر **قال** اي موسى عليه السلام مجيبا له **ربنا** اما مبتدأ
وقوله تعالى **الذي اعطى كل شيء خلقه** خبره او هو خبر لمبتدأ محذوف والموصول صفته واياما كان فلم يريدا بضمير المتكلم انفسهما فقط حسبما
اراد اللعين بل جميع المخلوقات تحقيقا للحق وردا عليه كما يفصح عنه ما في حيز الصلة اي ربنا الذي اعطى كل شيء من الاشياء خلقه اي
صورته وشكله اللائق بما نيط به من الخواص والمنافع او اعطى مخلوقاته كل شيء تحتاج هي اليه وترتفق به وتقديم المفعول الثاني للاهتمام به
او اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث زوج الحصان بالحجر والبعير بالناقة والرجل بالمرأة ولم يزوج شيئا من ذلك بخلاف
جنسه وقرئ خلقه على صيغة الماضي على ان الجملة صفة للمضاف او المضاف اليه وحذف المفعول الثاني اما للاقتصار على الاول اي كل شيء
خلقه الله تعالى لم يحرمه من عطائه وانعامه او للاختصار مع كونه منويا مدلولا عليه بقرينة الحال اي اعطى كل شيء خلقه تعالى ما يحتاج اليه
ثم هدى اي الى طريق الانتفاع والارتفاق بما اعطاه وعرفه كيف يتوصل الى بقائه وكماله اما اختيارا كما في الحيوانات او طبعا
كما في الجمادات والقوى الطبيعية النباتية والحيوانية ولما كان الخلق الذي هو عبارة عن تركيب الاجزاء وتسوية الاجسام متقدما
على الهداية التي هي عبارة عن ابداع القوى المحركة والمدركة في تلك الاجسام وسط بينهما كلمة التراخي ولقد ساق عليه السلام جوابه على
نمط رائق واسلوب لائق حيث بين انه تعالى عالم قادر بالذات خالق لجميع الاشياء منعم عليها بجميع ما يليق بها بطريق التفضل وضمنه
ان ارساله تعالى اياه الى الطاغية من جملة هداياته تعالى اياه بعد ان هداه الى الحق بالهدايات التكوينية حيث ركب فيه العقل وسائر المشاعر
والآلات الظاهرة والباطنة **قال فما بال القرون الاولى** لما شاهد اللعين ما نظمه عليه السلام في سلك الاستدلال من البرهان النير على الطراز
الرائع خاف ان يظهر للناس حقية مقالاته عليه السلام وبطلان خرافات نفسه ظهورا بينا اراد ان يصرفه عليه السلام عن سننه الى
بعض الامور التي لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات ويشغله عما هو بصدده عسى يظهر فيه نوع غفلة فيتسلق بذلك الى ان يدعي بين يدي
قومه نوع معرفة فقال فما حال القرون الماضية والامم الخالية وماذا جرى عليهم من الحوادث المفصلة فاجاب عليه السلام بان العلم باحوالهم
مفصلة مما لا ملابسة له بمنصب الرسالة وانما علمها عند الله عز وجل واما ما قيل من انه سأله عن حال من خلا من القرون وعن شقاء من

شقي منهم وسعادة من سعد فيأباه قوله تعالى **قال علمها عند ربي في كتاب** فان معناه انه من الغيوب التي لا يعلمها الا الله تعالى وانما انا عبد لا اعلم منها
الا ما علمنيه من الامور المتعلقة بما ارسلت به ولو كان المسئول عنه ما ذكر من الشقاوة والسعادة لاجيب ببيان ان من اتبع الهدى منهم فقد سلم
ومن تولى فقد عذب حسبما نطق به قوله تعالى والسلام الآيتين في كتاب اي مثبت في اللوح المحفوظ بتفاصيله ويجوز ان يكون ذلك تمثيلا لتمكنه
وتقرره في علم الله عز وجل بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة كما يلوح به قوله تعالى **لا يضل ربي ولا ينسى** اي لا يخطئ ابتداء ولا يذهب عليه
بقاء بل هو ثابت ابدا فانهما محالان عليه سبحانه وهو على الاول لبيان ان اثباته في اللوح ليس لحاجته تعالى اليه في العلم به ابتداء او بقاء
واظهار ربي في موقع الاضمار للتلذذ بذكره ولزيادة التقرير والاشعار بعلة الحكم فان الربوبية مما يقتضي عدم الضلال والنسيان حتما ولقد
اجاب عليه السلام عن السؤال بجواب عبقري بديع حيث كشف عن حقيقة الحق حجابها مع انه لم يخرج عما كان بصدده من بيان شؤونه تعالى ثم تخلص الى
حيث قال بطريق الحكاية عن الله عز وجل لما سيأتي من الالتفات **الذي جعل لكم الارض مهدا** على ان الموصول اما مرفوع على المدح او منصوب عليه او خبر مبتدأ
محذوف اي جعلها لكم كالمهد تتمهدونها او ذات مهد وهو مصدر سمي به المفعول وقرئ مهادا اسم لما يمهد كالفراش او جمع مهد اي جعل كل موضع منها
مهدا لكل واحد منكم **وسلك لكم فيها سبلا** اي حصل لكم طرقا ووسطها بين الجبال والاودية والبراري تسلكونها من قطر الى قطر لتقضوا منها مآربكم
وتنتفعوا بمنافعها ومرافقها **وانزل من السماء ماء** هو المطر **فاخرجنا به** اي بذلك الماء وهو عطف على انزل داخل تحت الحكاية وانما التفت
الى التكلم للتنبيه على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة والايذان بانه لا يتأتى الا من قادر مطاع عظيم الشأن تنقاد لامره وتذعن
لمشيئته الاشياء المختلفة كما في قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها وقوله تعالى امن خلق السموات والارض وانزل
من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة خلا ان ما قبل الالتفات هناك صريح كلامه تعالى واما ههنا فحكاية عنه تعالى وجعل قوله تعالى فاخرجنا به هو المحكي
مع كون ما قبله كلام موسى عليه السلام خلاف الظاهر مع انه يفوت حينئذ الالتفات لعدم اتحاد المتكلم **ازواجا** اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران
بعضها ببعض **من نبات** بيان او صفة لازواجا اي كائنة من نبات وكذا قوله تعالى **شتى** اي متفرقة جمع شتيت ويجوز ان يكون صفة لنبات لما انه
في الاصل مصدر يستوي فيه الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة في الطعم والرائحة والشكل والنفع بعضها صالح للناس على اختلاف وجوه الصلاح وبعضها
للبهائم فان من تمام نعمته تعالى ان ارزاق عباده لما كان تحصيلها بعمل الانعام جعل علفها مما يفضل عن حاجاتهم ولا يليق بكونه طعاما لهم وقوله
تعالى **كلوا وارعوا انعامكم** حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اي اخرجنا منها اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا انعامكم اي معديها لانتفاعكم
بالذات وبالواسطة آذنين في ذلك **ان في ذلك** اشارة الى ما ذكر من شؤونه تعالى وافعاله وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته
في الكمال والتنكير في قوله تعالى **لآيات** للتفخيم كما وكيفا اي لآيات كثيرة جليلة واضحة الدلالة على شؤون الله عز وجل في ذاته وصفاته وافعاله
وعلى نبوة موسى وهرون عليهما السلام **لاولي النهى** جمع نهية سمي بها العقل لنهيه عن اتباع الباطل وارتكاب القبيح كما سمي بالعقل والحجر لعقله
وحجره عن ذلك اي لذوي العقول الناهية عن الاباطيل التي من جملتها ما تدعيه الطاغية وتقبله منه فئته الباغية وتخصيص كونها آيات بهم مع
انها آيات للعالمين باعتبار انهم المنتفعون بها **منها خلقناكم** اي في ضمن خلق ابيكم آدم عليه السلام منها فان كل فرد من افراد البشر له حظ
من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه عليه السلام بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا
مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام منها خلقا للكل منها وقيل المعنى خلقنا ابدانكم من النطفة المتولدة من الاغذية
المتولدة من الارض بوسائط وقيل ان الملك الموكل بالرحم ليأخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه المولود فيبددها على النطفة فيخلق من
التراب والنطفة **وفيها نعيدكم** بالاماتة وتفريق الاجزاء وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على الاستقرار المديد فيها **ومنها نخرجكم تارة اخرى** بتأليف
اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الهيئة السابقة ورد الارواح اليها وكون هذا الاخراج تارة اخرى باعتبار ان خلقهم من الارض
اخراج لهم منها وان لم يكن على نهج التارة الثانية والتارة في الاصل اسم للتور الواحد وهو الجريان ثم اطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات
المتجددة كما مر في المرة **ولقد اريناه** حكاية اجمالية لما جرى بين موسى عليه السلام وبين فرعون اثر حكاية ما ذكره عليه السلام بجلائل نعمائه الداعية
له الى قبول الحق والانقياد له وتصديرها بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها واسناد الاراءة الى نون العظمة نظرا الى الحقيقة لا الى موسى
عليه السلام نظرا الى الظاهر لتهويل امر الآيات وتفخيم شأنها واظهار كمال شناعة اللعين وتماديه في المكابرة والعناد اي وبالله لقد

بصّرنا فرعون وعرّفناه **آياتنا** حين قال لموسى عليه السلام ان كنت جئت باية فأت بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين
ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين وصيغة الجمع مع كونهما اثنتين باعتبار ما في تضاعيفهما من بدائع الامور التي كل منها اية بيّنة لقوم
يعقلون حسبما بيّن في تفسير قوله تع اذهب انت واخوك باياتي وقد ظهر عند فرعون امور اخر كل واحد منها داهية دهياء فانه روي انه
عليه السلام لما القاها انقلبت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر فتوجه نحو
فرعون فهرب واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا من قومه فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك الا ما
اخذته فاخذه فعاد عصا وروي انها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني
بما شئت ويقول فرعون انشدك الى اخره ونزع يده من جيبه فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن حدود العادات قد غلب شعاعه
شعاع الشمس يجتمع عليه النظارة تعجبا من امره ففي تضاعيف كل من الايتين ايات جمة لكنها لما كانت غير مذكورة صراحة اكدت بقوله
كلها كانه قيل اريناه اياتنا بجميع مستتبعاتها وتفاصيلها قصدا الى بيان انه لم يبق له في ذلك عذر ما ولا مساغ لعد بقية الايات التسع
منها لما انها انما ظهرت على يده عليه السلام بعد ما غلب السحرة على مهل في نحو من عشرين سنة كما مر في تفسير سورة الاعراف ولاريب في
ان امر السحرة مترتب بعد وابعد من ذلك ان يعد منها ما جعل لاهلاكهم لا لارشادهم الى الايمان من فلق البحر وما ظهر بعد مهلكه من الايات الظاهرة لـ
بني اسرائيل من نتق الجبل والحجر سواء اريد به الحجر الذي فر بثوبه او الذي انفجرت منه العيون وكذا ان يعد منها الايات الظاهرة على الانبياء
عليهم السلام بناء على ان حكايته عليه السلام اياها لفرعون في حكم اظهارها بين يديه واراءته اياها لاستحالة الكذب عليه عليه السلام
فان حكايته عليه السلام اياها لفرعون مما لم يجر ذكره ههنا على ان ما سياتي من حمل ما اظهره عليه السلام على السحر والتصدي للمعارضة
بالمثل ياباه اباء بينا وينطق بان المراد بها ما ذكرناه قطعا ولولا ذلك لجاز جعل ما فصله عليه السلام من افعاله تعالى الدالة على اختصاصه
بالربوبية واحكامها من جملة الايات **فكذب** موسى عليه السلام من غير تردد وتاخير مع ما شاهد في يده من الشواهد الناطقة بصدقه جحودا
وعنادا **وابى** الايمان والطاعة لعتوه واستكباره وقيل كذب بالايات جميعا وابى ان يقبل شيئا منها او ابى قبول الحق وقوله تعالى
قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى استئناف مبين لكيفية تكذيبه وابائه والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وادعاء انه امر محال والمجيء
اما على حقيقته او بمعنى الاقبال على الامر والتصدي له اي اجئتنا من مكانك الذي كنت فيه بعد ما غبت عنا او اقبلت علينا لتخرجنا من
مصر بما اظهرته من السحر فان ذلك مما لا يصدر عن العاقل لكونه من باب محاولة المحال وانما قاله لحمل قومه على غاية المقت لموسى عليه السلام
بابراز ان مراده عليه السلام ليس مجرد انجاء بني اسرائيل من ايديهم بل اخراج القبط من وطنهم وحيازة املاكهم واموالهم بالكلية حتى لا يتوجه
الى اتباعه احد ويبالغوا في المدافعة والمخاصمة وسمى ما اظهره عليه السلام من المعجزات الباهرة سحرا لتجسيرهم على المقابلة ثم ادعى انه
يعارضه بمثل ما اتى به عليه السلام فقال **فلنأتينك بسحر مثله** الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها واللام جواب قسم محذوف كانه قيل اذا كان كذلك
فوالله لنأتينك بسحر مثل سحرك **فاجعل بيننا وبينك موعدا** اي وعدا كما ينبئ عنه وصفه بقوله تعالى **لا نخلفه** فانه المناسب لا المكان والزمان اي
لا نخلف ذلك الوعد **نحن ولا انت** وانما فوض اللعين امر الوعد الى موسى عليه السلام للاحتراز عن نسبته الى ضعف القلب وضيق المجال واظهار
الجلادة واراءة انه متمكن من تهيئة اسباب المعارضة وترتيب الات المغالبة طال الامد ام قصر كما ان تقديم ضميره على ضمير موسى عليه السلام
وتوسيط كلمة النفي بينهما للايذان بمسارعته الى عدم اخلافه وبما يوجب عدم اخلافه عليه السلام ولذلك اكد النفي بتكرير حرفه وانتصاب **مكانا سوى**
بفعل يدل عليه المصدر لا به لانه موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه فحينئذ يكون مطابقة الجواب في قوله تع **قال موعدكم يوم الزينة**
من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه يومئذ او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول
او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في ان المراد به المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوي مسافته الينا واليك وهو في
النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ وقرئ بكسر السين قيل يوم الزينة يوم عاشوراء او يوم النيروز او يوم عيد كان لهم في كل عام
وانما خصه عليه السلام بالتعيين لاظهار كمال قوته وكونه على ثقة من امره وعدم مبالاته بهم لما ان ذلك اليوم وقت ظهور غاية شوكتهم
وليكون ظهور الحق وزهوق الباطل في يوم مشهود على رؤوس الاشهاد ويشيع ذلك فيما بين كل حاضر وباد **وان يحشر الناس ضحى**
عطف

عطف على يوم او الزينة وقرئ على البناء للفاعل بالتاء على خطاب فرعون وبالياء على ان الضمير له على سنن الملوك او لليوم **فتولى فرعون** اي
انصرف عن المجلس **فجمع كيده** اي ما يكايد به من السحرة وادواتهم **ثم اتى** اي الموعد ومعه ما جمعه من كيده وفي كلمة التراخي ايماء الى انه
لم يسارع اليه بل اتاه بعد لأي وتلعثم وقوله تع **قال لهم موسى** الى اخره بطريق الاستيناف المبني على السؤال يقضي بان المترقب من احواله
عليه السلام حينئذ والمحتاج الى السؤال والبيان ليس الا ما صدر عنه عليه السلام من الكلام واما اتيانه اولا فامر محقق غني عن التصريح به كانه
قيل فماذا صنع موسى عليه السلام عند اتيان فرعون بمن جمعه من السحرة فقيل قال لهم بطريق النصيحة **ويلكم لا تفتروا على الله كذبا** بان تدعوا اياته
التي ستظهر على يدي سحرا كما فعل فرعون **فيسحتكم** اي يستأصلكم بسببه **بعذاب** هائل لا يقادر قدره وقرئ فيسحتكم من الثلاثي على لغة
اهل الحجاز والاسحات لغة بني تميم ونجد **وقد خاب من افترى** اي على الله كائنا من كان باي وجه كان فيدخل فيه الافتراء المنهي عنه دخولا اوليا
اي وقد خاب فرعون المفتري فلا تكونوا مثله في الخيبة والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها **فتنازعوا** اي السحرة حين سمعوا كلامه عليه السلام
كأن ذلك غاظهم فتنازعوا **امرهم** الذي اريد منهم من مغالبته عليه السلام وتشاوروا وتناظروا **بينهم** في كيفية المعارضة وتجاذبوا اهداب القول
في ذلك **واسروا النجوى** اي من موسى عليه السلام لئلا يقف عليه فيدافعه وكان نجواهم ما نطق به قوله تعالى **قالوا** اي بطريق التناجي والاسرار **ان هذان
لساحران** الى اخره فانه تفسير له ونتيجة لتنازعهم وخلاصة ما استقرت عليه اراؤهم بعد التناظر والتشاور وان مخففة من ان قد اهملت عن العمل
واللام فارقة وقرئ بتشديد نون هذان وقيل هي نافية واللام بمعنى الا اي ما هذان الا ساحران وقرئ ان بالتشديد وهذان اسمها على لغة
بلحارث بن كعب فانهم يعربون التثنية تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها جملة من مبتدا
وخبر وفيهما ان اللام لا تدخل خبر المبتدا وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرئ ان هذين
لساحران وهي قراءة واضحة **يريدان ان يخرجاكم من ارضكم** اي ارض مصر بالاستيلاء عليها **بسحرهما** الذي اظهراه من قبل **ويذهبا بطريقتكم المثلى** اي
بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب وامثلها باظهار مذهبهما واعلاء دينهما ويريدون به ما كان عليه قوم فرعون لا طريقة السحر فانهم ما كانوا يعتقدونه
دينا وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل لقول موسى عليه السلام ارسل معنا بني اسرائيل وكانوا ارباب علم فيما بينهم ويأباه ان
اخراجهم من ارضهم انما يكون بالاستيلاء عليها تمكنا وتصرفا فكيف يتصور حينئذ نقل بني اسرائيل الى الشام وحمل الاخراج على اخراج بني اسرائيل
منها مع بقاء قوم فرعون على حالهم مما يجب تنزيه التنزيل عن امثاله على ان هذه المقالة منهم للاغراء بالمبالغة في المغالبة والاهتمام بالمناصبة
فلا بد ان يكون الانذار والتحذير باشد المكاره واشقها عليهم ولا ريب في ان اخراج بني اسرائيل من بينهم والذهاب بهم الى الشام وهم امنون
في ديارهم ليس فيه كثير محذور وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم لما انهم قدوة لغيرهم ولا يخفى ان تخصيص الاذهاب بهم مما لا قرينة عليه وقوله
تعالى **فاجمعوا كيدكم** تصريح بالمطلوب اثر تمهيد المقدمات والفاء فصيحة اي اذا كان الامر كما ذكر من كونهما ساحرين يريدان بكم ما ذكر من
الاخراج والاذهاب فازمعوا كيدكم واجعلوه مجمعا عليه بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم وارموا عن قوس واحدة وقرئ فاجمعوا من الجمع
ويعضده قوله تع فجمع كيده اي فاجمعوا ادوات سحركم ورتبوها كما ينبغي **ثم ائتوا صفا** اي مصطفين امروا بذلك لانه اهيب في
صدور الرائين في استجلاب الرهبة من المشاهدين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقيل
كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنان من القبط والباقي من بني اسرائيل وقيل تسعمائة ثلثمائة من الفرس وثلثمائة من الروم وثلثمائة من الاسكندرية
وقيل خمسة عشر الفا وقيل بضعة وثلثين الفا والله اعلم ولعل الموعد كان مكانا متسعا خاطبهم موسى عليه السلام بما ذكر في قطر من اقطاره
وتنازعوا امرهم في قطر اخر منه ثم امروا بان ياتوا وسطه على الوجه المذكور وقد فسر الصف بالمصلى لاجتماع الناس فيه من الاعياد والصلوات ووجه
صحته ان يكون علما لموضع معين من المكان الموعود واما ارادة مصلى من المصليات بعد تعين المكان الموعود فلا مساغ لها قطعا وقوله تع
وقد افلح اليوم من استعلى اعتراض تذييلي من قبلهم مؤكد لما قبله من الامر اي قد فاز بالمطلوب من غلب يريدون بالمطلوب ما وعدهم فرعون من الاجر
والتقريب حسبما نطق به قوله تعالى قال نعم وانكم لمن المقربين ومن غلب انفسهم جميعا على طريقة قولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون او من غلب
منهم حثا لهم على بذل المجهود في المغالبة هذا هو اللائق بتجاوب اطراف النظم الكريم وقد قيل كان نجواهم ان قالوا حين سمعوا مقالة موسى
عليه السلام ما هذا القول بساحر وقيل كان ذلك ان قالوا ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل كان ذلك قولهم ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء

فلعله أمر فيكون إسرارهم حينئذ من فرعون وملائه ويحمله قولهم إن هذان لساحران إلى آخره على أنهم اختلفوا فيما بينهم على الأقاويل المذكورة ثم رجعوا
عن ذلك بعد التنازع والتشاجر واستقرت آراؤهم على ذلك وأبوا إلا المناصبة للمعارضة وأما جعل ضمير قالوا لفرعون وملائه على أنهم
قالوا ذلك للسحرة ردا لهم عن الاختلاف وأمروهم بالإجماع والإزماع وإظهار الجلادة بالإتيان على وجه الاصطفاف فمحل نظر إذ النظم الكريم
كما يشهد به الذوق السليم قالوا استئناف مبني على سؤال ناشئ من حكاية ما جرى بين السحرة من المقاولة كأنه قيل فماذا فعلوا بعد ما
قالوا فيما بينهم ما قالوا فقيل قالوا يا موسى وإنما لم يتعرض لإجماعهم وإتيانهم بطريق الاصطفاف إشعارا بظهور أمرهما وغناهما عن
البيان إما أن تلقي أي ما تلقيه أولا على أن المفعول محذوف لظهوره أو تفعل الإلقاء أولا على أن الفعل منزل منزلة اللازم وإما أن نكون أول
من ألقى ما يلقيه أي أول من يفعل الإلقاء خيروه عليه السلام بما ذكر مراعاة للأدب لما رأوا منه عليه السلام ما رأوا من مخايل الخير ورزانة
الرأي وإظهار الجلادة أنه لا يختلف حالهم بالتقديم والتأخير وأن مع ما في حيزها منصوب بفعل مضمر أو مرفوع بخبرية مبتدأ محذوف أي
اختر إلقاءك أولا أو إلقاءنا أو الأمر إما إلقاؤك قال استئناف كما سلف ناشئ عن حكاية تخيير السحرة إياه عليه السلام كأنه قيل
فماذا قال عليه السلام فقيل قال بل ألقوا أنتم أولا مقابلة للأدب بأحسن من أدبهم حيث بت القول بإلقائهم أولا وإظهارا لعدم المبالاة
بسحرهم ومساعدة لما أوهموا من الميل إلى البدء وليبرزوا ما معهم ويستفرغوا أقصى جهدهم ويستنفدوا قصارى وسعهم
ثم يظهر الله عز وجل سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه لما علم أن ما سيظهر بيده سيلقف ما يصنعون من كيد السحر فإذا
حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى الفاء فصيحة معربة عن مسارعتهم إلى الإلقاء كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق أي
فألقوا فإذا حبالهم وهي للمفاجأة والتحقيق أنها أيضا ظرفية تستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف إليها لكنها خصت بكون متعلقها
فعل المفاجأة والجملة ابتدائية والمعنى فألقوا ففاجأ موسى عليه السلام وقت أن يخيل إليه سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك أنهم
كانوا لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيل إليه أنها تتحرك وقرئ تخيل بالتاء على إسناده إلى ضمير الحبال
والعصي وإبدال أنها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ يخيل بإسناده إلى الله تعالى وقرئ تخيل بحذف إحدى التاءين من تتخيل فأوجس في نفسه خيفة موسى
أي أضمر فيها بعض خوف من مفاجأته بمقتضى البشرية المجبولة على النفرة من الحيات والاحتراز عن ضررها المعتاد من اللسع ونحوه وقيل
من أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه وليس بذاك كما ستعرفه وتأخير الفاعل لمراعاة الفواصل قلنا لا تخف أي ما توهمت إنك أنت الأعلى
تعليل لما يوجبه النهي من الانتهاء عن الخوف وتقرير لغلبته على أبلغ وجه وآكده كما يعرب عنه الاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف
الخبر ولفظ العلو المنبئ عن الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل وألق ما في يمينك أي عصاك كما وقع في سورة الأعراف وإنما أوثر الإبهام
تهويلا لأمرها وتفخيما لشأنها وإيذانا بأنها ليست من جنس العصي المعهودة المستتبعة للآثار المعتادة بل خارجة عن حدود سائر أفراد
الجنس مبهمة الكنه مستتبعة لآثار غريبة وعدم مراعاة هذه النكتة عند حكاية الأمر في موضع آخر لا يستدعي عدم مراعاتها عند
وقوع المحكي هذا وحمل الإبهام على التحقير بأن يراد لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويد الذي في يدك فإنه بقدرة الله تعالى
يلقفها مع وحدته وكثرتها وصغره وعظمها يأباه ظهور حالها فيما مر من أن ذلك المعنى إنما يليق بما لو فعلت العصي ما فعلت وهي
على هيئتها الأصلية وقد كان منها ما كان وقوله تعالى تلقف ما صنعوا بالجزم جوابا للأمر من لقفه إذا ابتلعه والتقمه بسرعة والتأنيث
لكونها عبارة عن العصي أي تبتلع ما صنعوه من الحبال والعصي التي خيل إليك سعيها وخفتها والتعبير عنها بما صنعوا للتحقير والإيذان
بالتمويه والتزوير وقرئ تلقف بتشديد القاف وإسقاط إحدى التاءين من تتلقف وقرئ بالرفع على الحال أو الاستئناف والجملة
الأمرية معطوفة على النهي متممة بما في حيزها للتعليل موجبة ببيان كيفية غلبته عليه السلام وعلوه فإن ابتلاع عصاه لأباطيلهم التي
منها أوجس في نفسه ما أوجس مما يقلع مادته بالكلية وهذا كما ترى صريح في أن خوفه عليه السلام لم يكن مما ذكر من مخالجة الشك للناس
وعدم اتباعهم له عليه السلام وإلا لعلل بما يزيله من الوعد بما يوجب إيمانهم واتباعهم له عليه السلام وقوله تعالى إنما صنعوا إلى آخره تعليل
لقوله تعالى تلقف ما صنعوا وما إما موصولة أو موصوفة أي أن الذي صنعوه أو أن شيئا صنعوه كيد ساحر بالرفع على خبر أن أي كيد
جنس الساحر وتنكيره للتوسل به إلى تنكير ما أضيف إليه للتحقير وقرئ بالنصب على أنه مفعول صنعوا وما كافة وقرئ كيد سحر على أن الإضافة للبيان

للبيان كما في علم فقه أو على معنى ذي سحر أو على تسمية الساحر سحرا مبالغة وقوله تعالى ولا يفلح الساحر أي هذا الجنس حيث أتى أي حيث كان وأين أقبل
من تمام التعليل وعدم التعرض لشأن العصا وكونها معجزة إلهية مع ما في ذلك من تقوية التعليل للإيذان بظهور أمرها والفاء في قوله تعالى فألقي السحرة سجدا
كما سلف فصيحة معربة عن محذوفين ينساق إليهما النظم الكريم غنيين عن التصريح بهما لعدم احتمال تردد موسى عليه السلام في الامتثال بالأمر واستحالة
عدم وقوع اللقف الموعود أي فألقاه عليه السلام فوقع ما وقع من اللقف فألقي السحرة سجدا لما تيقنوا أن ذلك ليس من باب السحر وإنما هي
آية من آيات الله عز وجل روي أن رئيسهم قال كنا نغلب الناس وكانت الآلات تبقى علينا فلو كان هذا سحرا فأين ما ألقيناه من الآلات فاستدل
بتغير أحوال الأجسام على الصانع القادر العالم وبظهور ذلك على يد موسى عليه السلام على صحة رسالته لا جرم ألقاهم ما شاهدوه على وجوههم
وتابوا وآمنوا وأتوا بما هو غاية الخضوع قيل لم يرفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب الأعمال والعقاب وعن عكرمة لما خروا سجدا
أراهم الله تعالى منازلهم في الجنة ولا ينافيه قولهم إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا إلى آخره لأن كون تلك المنازل منازلهم باعتبار صدور هذا القول
عنهم قالوا استئناف كما مر غير مرة آمنا برب هرون وموسى تأخير موسى عند حكاية كلامهم لرعاية الفواصل وقد جوز أن يكون ترتيب كلامهم أيضا
هكذا إما لكبر سن هرون عليه السلام وإما للمبالغة في الاحتراز عن التوهم الباطل من جهة فرعون وقومه حيث كان فرعون ربى موسى عليه السلام
في صغره فلو قدموا موسى عليه السلام لربما توهم اللعين وقومه من أول الأمر أن مرادهم فرعون قال أي فرعون للسحرة آمنتم له أي لموسى عليه السلام
واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع وقرئ على الاستفهام التوبيخي قبل أن آذن لكم أي من غير أن آذن لكم بالإيمان له كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل
أن تنفد كلمات ربي لا أن الإذن لهم في ذلك واقع بعده أو متوقع إنه أي موسى عليه السلام لكبيركم أي في فنكم وأعلمكم به وأستاذكم الذي
علمكم السحر فتواطأتم على ما فعلتم أو علمكم شيئا دون شيء فلذلك [illegible] وهذه شبهة زورها اللعين وألقاها على قومه وأراهم أن أمر الإيمان منوط
بإذنه فلما كان إيمانهم بغير إذنه لم يكن معتدا به وأنهم من تلامذته عليه السلام فلا عبرة بما أظهره كما لا عبرة بما أظهروه وذلك لما اعتراه من
الخوف من اقتداء الناس بالسحرة في الإيمان بالله تعالى ثم أقبل عليهم بالوعيد المؤكد حيث قال فلأقطعن أي فوالله لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف أي
اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كأن القطع ابتدأ من مخالفة العضو العضو فإن المبتدئ من المعروض مبتدئ من العارض أيضا وهي
مع مجرورها في حيز النصب على الحالية أي لأقطعنها مختلفات وتعيين تلك الحال للإيذان بتحقق الأمر أي القطع الأمر وإيقاعه لا محالة بتعيين
كيفيته المعهودة في باب السياسة لأنها أفظع من غيرها ولأصلبنكم في جذوع النخل أي عليها وإيثار كلمة في للدلالة على إبقائهم عليها زمانا مديدا تشبيها
لاستمرارهم عليها باستقرار المظروف في الظرف المشتمل عليه قالوا وهو أول من صلب وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير وقد قرئا بالتخفيف
ولتعلمن أينا يريد به نفسه وموسى عليه السلام لقوله تعالى آمنتم له قبل أن آذن لكم واللام مع الإيمان في كتاب الله تعالى لغيره تعالى وهذا إما لقصد توضيع
موسى عليه السلام والهزء به لأنه لم يكن من التعذيب في شيء وإما لإراءة أن إيمانهم لم يكن عن مشاهدة المعجزة ومعاينة البرهان بل كان عن خوف
من قبل موسى عليه السلام حيث رأوا ابتلاع عصاه لحبالهم وعصيهم فخافوا على أنفسهم أيضا وقيل يريد به رب موسى الذي آمنوا به بقولهم آمنا
برب هرون وموسى أشد عذابا وأبقى أي أدوم قالوا غير مكترثين بوعيده قالوا لن نؤثرك لن نختارك بالإيمان والاتباع على ما جاءنا من الله
تعالى على يد موسى عليه السلام من البينات من المعجزات الظاهرة فإن ما ظهر بيده عليه السلام من العصا كان مشتملا على معجزات جمة كما مر تحقيقه فيما
سلف فإنهم كانوا عارفين بجلائلها ودقائقها والذي فطرنا أي خلقنا وسائر المخلوقات وهو عطف على ما جاءنا وتأخيره لأن ما في
ضمنه آية عقلية نظرية وما شاهدوه آية حسية ظاهرة وإيراده تعالى بعنوان فاطريته تعالى لهم للإشعار بعلة الحكم فإن خالقيته تعالى لهم وكون فرعون
من جملة مخلوقاته مما يوجب عدم إيثارهم له عليه سبحانه وتعالى وهذا جواب منهم لتوبيخ فرعون بقوله آمنتم له قبل أن آذن لكم وقيل هو قسم محذوف الجواب
لدلالة المذكور عليه أي وحق الذي فطرنا لا نؤثرك إلى آخره ولا مساغ لكون المذكور جوابا له عند من يجوز تقديم الجواب أيضا لما أن القسم لا يجاب
بلن إلا على شذوذ وقوله تعالى فاقض ما أنت قاض جواب عن تهديده بقوله لأقطعن إلى آخره أي فاصنع ما أنت صانعه أو فاحكم ما أنت حاكم به
وقوله تعالى إنما تقضي هذه الحياة الدنيا مع ما بعده تعليل لعدم المبالاة المستفاد مما سبق من الأمر بالقضاء أي إنما تصنع ما تهواه أو تحكم بما تراه في هذه الحياة
الدنيا فحسب وما لنا من رغبة في عذبها ولا رهبة من عذابها إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا التي اقترفناها من الكفر والمعاصي ولا يؤاخذنا بها في
الدار الآخرة لا ليمتعنا بتلك الحياة الفانية حتى نتأثر بما أوعدتنا به من القطع والصلب وقوله تعالى وما أكرهتنا عليه من السحر عطف على خطايانا

اي ويغفر لنا السحر الذي عملناه في معارضة موسى عليه السلام باكراهك وحشرك ايانا من المدائن القاصية خصوه بالذكر مع اندراجه في خطاياهم
اظهارا لغاية نفرتهم عنه ورغبتهم في مغفرته وذكر الاكراه للايذان بانه مما يجب ان يفرد بالاستغفار منه مع صدوره عنهم بالاكراه وفيه نوع اعتذار
لاستجلاب المغفرة وقيل ارادوا الاكراه على تعلم السحر حيث روي ان رؤساهم كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم من القبط والباقي من بني اسرائيل
وكان فرعون اكرههم على تعلم السحر وقيل انه اكرههم على المعارضة حيث روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه
فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه ويأباه تصديهم للمعارضة على الرغبة والنشاط كما يعرب عنه قولهم ان لنا
لاجرا ان كنا نحن الغالبين وقولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون والله خير اي في حد ذاته وهو ناظر الى قولهم والذي فطرنا وابقى اي جزاء ثوابا
كان او عذابا او خير ثوابا وابقى عذابا وقوله تع انه الى آخر الشرطيتين تعليل من جهتهم لكونه تعالى خيرا وابقى جزاء وتحقيق له وابطال لما ادعاه
فرعون وتصديرهما بضمير الشان للتنبيه على فخامة مضمونهما لان مناط وضع الضمير موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره مع ما فيه من زيادة التقرير
فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن كانه قيل ان الشان الخطير
هذا اي قوله تع من يأت ربه مجرما بان مات على الكفر والمعاصي فان له جهنم لا يموت فيها فينتهي عذابه وهذا تحقيق لكون عذابه ابقى ولا يحيى
حيوة ينتفع بها ومن يأته مؤمنا به تعالى وبما جاء من عنده من المعجزات التي من جملتها ما شاهدناه قد عمل الصالحات كالحسنة جارية مجرى الاسم
ولذلك لا يذكر غالبا مع الموصوف وهي كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والنقل فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد
في الفعلين السابقين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم اي فاولئك المؤمنون العاملون الصالحات لهم
بسبب ايمانهم واعمالهم الصالحة لهم الدرجات العلى اي المنازل الرفيعة وليس فيه ما يدل على عدم اعتبار الايمان المجرد عن العمل الصالح في استتباع الثواب
لان ما نيط بالايمان المقرون بالاعمال الصالحة هو الفوز بالدرجات العلى لا بالثواب مطلقا وهل التشاجر الا فيه جنات عدن بدل من الدرجات
العلى او بيان وقد مر ان عدنا علم لمعنى الاقامة او لارض الجنة فقوله تع تجري من تحتها الانهار حال من الجنات وقوله تع خالدين فيها حال من الضمير
في لهم والعامل معنى الاستقرار او الاشارة وذلك اشارة الى ما اتيح لهم من الفوز بما ذكر من الدرجات العلى ومعنى البعد لما مر من التفخيم جزاء من تزكى
اي تطهر من دنس الكفر والمعاصي بما ذكر من الايمان والاعمال الصالحة وهذا تحقيق لكون ثوابه تعالى ابقى وتقديم ذكر حال المجرم للمسارعة الى بيان اشدية
عذابه ودوامه ردا على ما ادعاه فرعون بقوله اينا اشد عذابا وابقى هذا وقيل هذه الآيات الثلث ابتداء كلام من الله عز وجل قالوا ليس في
القرآن ان فرعون فعل باولئك المؤمنين ما اوعدهم به ولم يثبت في الاخبار ولقد اوحينا الى موسى حكاية اجمالية لما انتهى اليه امر فرعون وقومه وقد
طوى في البين ذكر ما جرى عليهم من الآيات المفصلات الظاهرة على يدي موسى عليه السلام بعد ما غلب السحرة في نحو من عشرين سنة حسبما فصل في
الاعراف وتصديرها بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها وان في قوله تع ان اسر بعبادي اما مفسرة لان في الوحي معنى القول او مصدرية حذف
عنها الجار والتعبير عنهم بعنوان العبادة باعتبار كونهم عباد الله تعالى لاظهار الرحمة والاعتناء بامرهم والتنبيه على غاية قبح صنيع فرعون بهم حيث استعبدهم وهم
عباده عز وجل وفعل بهم من فنون الظلم ما فعل اي وبالله لقد اوحينا اليه عليه السلام ان اسر بعبادي الذين ارسلتك لانقاذهم من ملكة فرعون اي
سر بهم من مصر ليلا فاضرب لهم اي فاجعل او فاتخذ لهم طريقا في البحر يبسا اي يابسا على انه مصدر وصف به الفاعل مبالغة وقرئ يبسا وهو اما
تخفيف منه او وصف كصعب او جمع يابس كصحب وصف به الواحد للمبالغة او لتعدده حسب تعدد الاسباط لا تخاف دركا حال من المأمور اي آمنا
من ان يدرككم العدو او صفة اخرى لطريقا والعائد محذوف وقرئ لا تخف جوابا للامر ولا تخشى عطف على لا تخاف داخل في حكمه اي ولا تخشى الغرق
وعلى قراءة الجزم استئناف اي وانت لا تخشى او عطف عليه والالف للاطلاق كما في قوله تع وتظنون بالله الظنونا وتقديم نفي الخوف المذكور للمسارعة
الى ازاحة ما كانوا عليه من الخوف العظيم حيث قالوا انا لمدركون فاتبعهم فرعون بجنوده اي تبعهم ومعه جنوده حتى لحقوهم يقال اتبعهم اي تبعهم
وذلك اذا كانوا سبقوك فلحقتهم ويؤيده انه قرئ فاتبعهم من الافتعال وقيل المعنى اتبعهم فرعون نفسه فحذف المفعول الثاني وقيل الباء زائدة
والمعنى فاتبعهم فرعون جنوده اي ساقهم خلفهم وايا ما كان فالفاء فصيحة معربة عن مضمر قد طوي ذكره ثقة بغاية ظهوره وايذانا بكمال مسارعة
موسى عليه السلام الى الامتثال بالامر اي ففعل ما امر به من الاسراء بهم وضرب الطريق وسلوكه فاتبعهم فرعون بجنوده برا وبحرا روي ان موسى عليه السلام
خرج بهم اول الليل وكانوا ستمائة وسبعين الفا فاخبر فرعون بذلك فاتبعهم فرعون بعساكره وكانت مقدمته سبعمائة الف فقص اثرهم

فلحقهم بحيث تراءى الجمعان فعند ذلك ضرب عليه السلام بعصاه البحر فانفلق على اثني عشر فرقا كل فرق كالطود العظيم فعبر موسى عليه السلام بمن معه
من الاسباط سالمين وتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم اي علاهم منه وغمرهم ما غمرهم من الامر الهائل الذي لا يقادر قدره ولا يبلغ
كنهه وقيل غشيهم ما سمعت قصته وليس بذاك فان مدار التهويل والتفخيم خروجه عن حدود الفهم والوصف لا سماع قصته وقرئ فغشاهم من اليم
ما غشاهم اي غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله عز وعلا او ما غشاهم وقيل فرعون لانه الذي ورطهم للهلكة ويأباه الاظهار في قوله تع
واضل فرعون قومه اي سلك بهم مسلكا اداهم الى الخيبة والخسران في الدين والدنيا معا حيث ماتوا على الكفر بالعذاب الهائل الدنيوي المتصل
بالعذاب الخالد الاخروي وقوله تع وما هدى اي ما ارشدهم قط الى طريق موصل الى مطلب من المطالب الدينية والدنيوية تقرير لاضلاله وتأكيد له
اذ رب مضل قد يرشد من يضله الى بعض مطالبه وفيه نوع تهكم به في قوله تع وما اهديكم الا سبيل الرشاد فان نفي الهداية من شخص مشعر بكونه
ممن يتصور منه الهداية في الجملة وذلك انما يتصور في حقه بطريق التهكم وحمل الاضلال والهداية على ما يختص بالديني منهما يأباه مقام بيان سوقه
لجنوده الى مساق الهلاك الدنيوي وجعلهما عبارة عن الاضلال في البحر والانجاء منه مما لا يقبله العقل السليم يا بني اسرائيل حكاية لما خاطبهم الله
تعالى بعد اغراق فرعون وقومه وانجائهم منهم لكن لا عقيب ذلك بل بعد ما افاض عليهم من فنون النعم الدينية والدنيوية ما افاض وقيل هو انشاء خطاب
للذين كانوا منهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم على معنى انه تعالى قد من عليهم بما فعل بآبائهم اصالة وبهم تبعا ويرده ما سيأتي من قوله تع وما
اعجلك الآية ضرورة استحالة حمله على الانشاء فالوجه هو الحكاية بتقدير قلنا عطفا على اوحينا اي وقلنا يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم
فرعون وقومه حيث كانوا يبغونكم الغوائل ويسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وقرئ نجيناكم وانجيتكم وواعدناكم جانب
الطور الايمن بالنصب على انه صفة للمضاف وقرئ بالجر للجوار اي واعدناكم بواسطة نبيكم اتيان جانبه الايمن نظرا الى السالك من مصر الى الشام
اي اتيان موسى عليه السلام للمناجاة وانزال التورية عليه ونسبت المواعدة اليهم مع كونها لموسى عليه السلام نظرا الى ملابستها اياهم وسراية
منفعتها اليهم وايفاء لمقام الامتنان حقه كما في قوله تع ولقد خلقناكم ثم صورناكم حيث نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين مع ان المخلوق المصور
بالذات هو آدم عليه السلام وقرئ وعدتكم ووعدناكم ونزلنا عليكم المن والسلوى اي الترنجبين والسماني حيث كان ينزل عليهم المن وهم في التيه
مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع ويبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منه ما يكفيه كما مر مرارا كلوا جملة مستأنفة مسوقة لبيان اباحة
ما ذكر لهم واتماما للنعمة عليهم من طيبات ما رزقناكم اي من طيبات ما رزقناكم اي من لذائذه او حلالاته وقرئ رزقتكم وفي البدء بنعمة الانجاء ثم
بالنعمة الدينية ثم بالنعمة الدنيوية من حسن النظم ولطف الترتيب ما لا يخفى ولا تطغوا فيه اي فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدي لما حد لكم
فيه كالسرف والبطر والمنع من المستحق فيحل عليكم غضبي جواب للنهي اي فيلزمكم عقوبتي ويجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه ومن يحلل عليه
غضبي فقد هوى اي تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرئ فيحل بضم الحاء من حل يحل اذا وقع ونزل واني لغفار لمن تاب من الشرك والمعاصي
التي من جملتها الطغيان فيما ذكر وآمن بما يجب الايمان به وعمل صالحا اي عملا صالحا مستقيما عند الشرع والعقل وفيه ترغيب لمن وقع منه الطغيان
فيما ذكر وحث على التوبة والايمان وقوله تع ثم اهتدى اي استقام على الهدى الى ان من لم يستمر عليه بمعزل من الغفران وثم للتراخي الرتبي
وما اعجلك عن قومك يا موسى حكاية لما جرى بينه تعالى وبين موسى عليه السلام من الكلام عند ابتداء موافاته الميقات بموجب المواعدة اي وقلنا له
اي شيء اعجلك منفردا عن قومك وهذا كما ترى سؤال عن سبب تقدمه على النقباء مسوق لانكار انفراده عنهم لما في ذلك بحسب الظاهر من
مخايل اغفالهم وعدم الاعتداد بهم مع كونه مأمورا باستصحابهم واحضارهم معه لا لانكار نفس العجلة الصادرة عنه عليه السلام لكونها نقيصة منافية
للحزم اللائق باولي العزم ولذلك اجاب عليه السلام بنفي الانفراد المنافي للاستصحاب والمعية حيث قال هم اولاء على اثري يعني انهم معي وانما سبقتهم
بخطى يسيرة ظننت انها لا تخل بالمعية ولا تقدح في الاستصحاب فان ذلك مما لا يعتد به فيما بين الرفقة اصلا وبعد ما ذكر عليه السلام ان تقدمه
ذلك ليس لامر منكر ذكر انه لامر مرضي حيث قال وعجلت اليك رب لترضى عني بمسارعتي الى الامتثال بامرك واعتنائي بالوفاء بعهدك وزيادة
رغبة لمزيد الضراعة والابتهال رغبة في قبول العذر قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية اعتذاره عليه السلام وهو السر في وروده
على صيغة الغائب لا انه التفات من التكلم الى الغيبة لما ان المقدر فيما سبق من الموضعين على صيغة التكلم كانه قيل من جهة السامعين فماذا
قال له ربه حينئذ فقيل فانا قد فتنا قومك من بعدك ابتليناهم بعبادة العجل من بعد ذهابك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون عليه السلام

وكانوا ستمائة الف ما نجا منهم من عبادة العجل الا اثنا عشر الفا والفاء لترتيب الاخبار بما ذكر من الابتلاء على اخبار موسى عليه السلام بعجلته لكن لا لان الاخبار بها سبب موجب للاخبار به بل لما بينهما من المناسبة المصححة للانتقال من احدهما الى الآخر من حيث ان مدار الابتلاء المذكور عجلة القوم فانه روي انهم اقاموا على ما وصى به موسى عليه السلام عشرين ليلة بعد ذهابه فحسبوها مع ايامها اربعين وقالوا قد اكملنا العدة وليس من موسى عليه السلام عين ولا اثر **واضلهم السامري** حيث كان هو المدبر في الفتنة فقال لهم انما اخلف موسى عليه السلام ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم فكان من امر العجل ما كان فاخباره تعالى بوقوع هذه الفتنة عند قدومه اما باعتبار تحققها في علمه تعالى ومشيئته واما بطريق التعبير عن المتوقع بالواقع كما في قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ونظائره او لان السامري كان قد عزم على ايقاع الفتنة عند ذهاب موسى عليه السلام وتصدى لترتيب مباديها وتمهيد مبانيها فكانت الفتنة واقعة عند الاخبار بها وقرئ واضلهم السامري على صيغة التفضيل اي اشدهم ضلالا لانه ضال ومضل والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر **فرجع موسى الى قومه** عند رجوعه المعهود اي بعد ما استوفى الاربعين واخذ التورية لا عقيب الاخبار بالفتنة فسببية ما قبل الفاء لما بعدها انما هي باعتبار قيد الرجوع المستفاد من قوله تعالى **غضبان اسفا** لا باعتبار نفسه وان كانت داخلة عليه حقيقة فان كون الرجوع بعد تمام الاربعين امر مقرر مشهور لا يذهب الوهم الى كونه عند الاخبار بالفتنة كما اذا قلت شايعت الحجاج ودعوت لهم بالسلامة فرجعوا سالمين فان احدا لا يرتاب في ان المراد رجوعهم المعتاد لا رجوعهم اثر الدعاء وان سببية الدعاء باعتبار وصف السلامة لا باعتبار نفس الرجوع والاسف الشديد الغضب وقيل الحزن **قال** استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية رجوعه كذلك كانه قيل فماذا فعل بهم فقيل **يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا** بان يعطيكم التورية فيها ما فيها من النور والهدى والهمزة لانكار عدم الوعد ونفيه وتقرير وجوده على ابلغ وجه واكده اي وعدكم بحيث لا سبيل لكم الى انكاره والفاء في قوله تعالى **افطال عليكم العهد** اي الزمان للعطف على مقدر والهمزة لانكار المعطوف ونفيه فقط اي اوعدكم ذلك فطال زمان الانجاز فاخطأتم بسببه **ام اردتم ان يحل** اي يجب **عليكم غضب** شديد لا يقادر قدره كائن **من ربكم** اي من مالك امركم على الاطلاق **فاخلفتم موعدي** اي وعدكم اياي على الثبات بما امرتكم به الى ان ارجع من الميقات على اضافة المصدر الى مفعوله للقصد الى زيادة تقبيح حالهم فان اخلافهم الوعد الجاري فيما بينهم وبينه عليه السلام من حيث اضافته اليه عليه السلام اشنع منه من حيث اضافته اليهم والفاء لترتيب ما بعدها على كل واحد من شقي الترديد على سبيل البدل كانه قيل انسيتم الوعد بطول العهد فاخلفتموه خطأ ام اردتم حلول الغضب عليكم فاخلفتموه عمدا واما جعل الموعد مضافا الى فاعله وحمل اخلافه على معنى وجدان الخلف فيه اي فوجدتم الخلف في موعدي لكم بالعود بعد الاربعين فمما لا يساعده السباق ولا السياق اصلا **قالوا ما اخلفنا موعدك** اي وعدنا اياك الثبات على ما امرتنا به وايثاره على ان يقال موعدنا على اضافة المصدر الى فاعله لما مر آنفا **بملكنا** اي بان ملكنا امورنا يعنون انا لو خلينا وامورنا ولم يسول لنا السامري ما سوله مع مساعدة بعض الاحوال لما اخلفناه وقرئ بملكنا بكسر الميم وضمها وكل لغات في مصدر ملكت الشيء **ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم** استدراك عما سبق واعتذار عما فعلوا ببيان منشأ الخطأ وقرئ حملنا بالتخفيف اي حملنا احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل كانوا استعاروها لعيد كان لهم ثم لم يردوها اليهم عند الخروج مخافة ان يقفوا على امرهم وقيل هي ما القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوها ولعل تسميتهم لها اوزارا لانها تبعات وآثام حيث لم تكن الغنائم تحل حينئذ **فقذفناها** اي في النار رجاء للخلاص عن ذنبها **فكذلك** اي مثل ذلك القذف **القى السامري** اي ما كان معه منها وقد كان اراهم انه ايضا يلقي ما كان معه من الحلي فقالوا ما قالوا على زعمهم وانما كان الذي القاه التربة التي اخذها من اثر الرسول كما سيأتي روي انه قال لهم انما تأخر موسى عنكم لما معكم من الاوزار فالرأي ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف فيها كل ما معنا ففعلوا **فاخرج** اي السامري **لهم** للقائلين **عجلا** من تلك الحلي المذابة وتأخيره مع كونه مفعولا صريحا عن الجار والمجرور لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم فان قوله تعالى **جسدا** اي جثة ذا دم ولحم او جسدا من ذهب لا روح له بدل منه وقوله تعالى **له خوار** اي صوت عجل نعته **فقالوا** اي السامري ومن افتتن به اول ما رآه هذا

الهكم واله موسى فنسي اي غفل عنه وذهب يطلبه في الطور وهذا حكاية لنتيجة فتنة السامري فعلا وقولا من جهته تعالى قصدا الى زيادة تقريرها ثم ترتيب الانكار عليها لا من جهة القائلين والا لقيل فاخرج لنا والحمل على ان عدولهم الى ضمير الغيبة لبيان ان الاخراج والقول المذكورين للعبدة فقط خلاف الظاهر مع انه مخل باعتذارهم فان مخالفة بعضهم للسامري وعدم افتتانهم بتسويله مع كون الاخراج والخطاب لهم مما يهون مخالفة المعتذرين فافتتانهم بعد ذلك اعظم جناية واكثر شناعة واما ما قيل من ان المعتذرين هم الذين لم يعبدوا العجل وان نسبة الاخلاف الى انفسهم وهم برآء منه من قبيل قولهم بنوا فلان قتلوا فلانا مع ان القاتل واحد منهم كانهم قالوا ما وجد الاخلاف فيما بيننا بامر كنا نملكه بل تمكنت الشبهة في قلوب العبدة حيث فعل السامري ما فعل فاخرج لهم ما اخرج وقال ما قال فلم نقدر على صرفهم عن ذلك ولم نفارقهم مخافة ازدياد الفتنة فيقضي بفساده سياق النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى **افلا يرون** الى آخره انكار وتقبيح من جهته تعالى لحال الضالين والمضلين جميعا وتسفيه لهم فيما اقدموا عليه من المنكر الذي لا يشتبه بطلانه واستحالته على احد وهو اتخاذه الها والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا يتفكرون فلا يعلمون **ان لا يرجع اليهم قولا** اي انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا فكيف يتوهمون انه اله وقرئ يرجع بالنصب قالوا فالرؤية بصرية حينئذ فان ان الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين اي لا ينظرون فلا يبصرون عدم رجعه اليهم قولا من الاقوال وتعليق الابصار بما ذكر مع كونه امرا عدميا للتنبيه على كمال ظهوره المستدعي لمزيد تشنيعهم وتركيك عقولهم وقوله تعالى **ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا** عطف على لا يرجع داخل معه في حيز الرؤية اي افلا يرون انه لا يقدر على ان يدفع عنهم ضرا ولا يجلب لهم نفعا او لا يقدر على ان يضرهم ان لم يعبدوه او ينفعهم ان عبدوه **ولقد قال لهم هرون من قبل** جملة قسمية مؤكدة لما قبلها من الانكار والتشنيع ببيان عتوهم واستعصائهم على الرسول اثر بيان مكابرتهم لقضية العقول اي وبالله لقد نصح لهم هرون ونبههم على كنه الامر من قبل رجوع موسى عليه السلام اليهم وخطابه اياهم بما ذكر من المقالات وقيل من قبل قول السامري كانه عليه السلام اول ما ابصره حين طلع من الحفيرة توهم منهم الافتتان به فسارع الى تحذيرهم وقال لهم **يا قوم انما فتنتم به** اي وقعتم في الفتنة بالعجل او اضللتم به على توجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى نفس الفعل بالقياس الى مقابله الذي يدعيه القوم لا الى قيده بالقياس الى قيد آخر على معنى انما فعل بكم الفتنة لا الارشاد الى الحق لا على معنى انما فتنتم بالعجل لا بغيره وقوله تعالى **وان ربكم الرحمن** بكسر ان عطفا على انما ارشاد لهم الى الحق اثر زجرهم عن الباطل والتعرض لعنوان الربوبية والرحمة للاعتناء باستمالتهم الى الحق كما ان التعرض لوصف العجل للاهتمام بالزجر عن الباطل اي ان ربكم المستحق للعبادة هو الرحمن لا غيره والفاء في قوله تعالى **فاتبعوني** لترتيب ما بعدها على ما قبلها من مضمون الجملتين اي اذا كان الامر كذلك فاتبعوني في الثبات **قالوا** في جواب هرون عليه السلام **لن نبرح عليه** على العجل وعبادته **عاكفين** مقيمين **حتى يرجع الينا موسى** جعلوا رجوعه اليهم عليه السلام غاية لعكوفهم على عبادة العجل لكن لا على طريق الوعد بتركها عند رجوعه عليه السلام بل بطريق التعليل والتسويف وقد دسوا تحت ذلك انه عليه السلام لا يرجع بشيء مبين تعويلا على مقالة السامري روي انهم لما قالوه اعتزلهم هرون عليه السلام في اثني عشر الفا وهم الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى عليه السلام وسمع الصياح وكانوا يرقصون حول العجل قال للسبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة فقال لهم ما قال وسمع منهم ما قالوا وقوله تعالى **قال** استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية جوابهم لهرون عليه السلام كانه قيل فماذا قال موسى عليه السلام لهرون حين سمع جوابهم له وهل رضي بسكوته بعد ما شاهد منهم ما شاهد فقيل قال له وهو مغتاظ قد اخذ بلحيته ورأسه **يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا** بعبادة العجل وبلغوا من المكابرة الى ان شافهوك بتلك المقالة الشنعاء **ان لا تتبعن** اي ان تتبعني على ان لا مزيدة وهو مفعول ثان لمنع وعامل في اذ اي اي شيء منعك حين رؤيتك لضلالهم من ان تتبعني في الغضب لله تعالى والمقاتلة مع من كفر به وقيل المعنى ما حملك على ان لا تتبعني فان المنع عن الشيء مستلزم للحمل على مقابله وقيل ما منعك ان تلحقني وتخبرني بضلالهم فتكون مفارقتك زجرا لهم وفيه ان نصائح هرون عليه السلام حيث لم تزجرهم عما كانوا عليه فلأن لا يزجرهم مفارقته اياهم عنه اولى والاعتذار بانهم اذا علموا انه يلحقه ويخبره عليهما السلام بالقصة يخافون رجوع موسى عليه السلام فينزجرون مما هو عن ذلك بمعزل كيف لا وهم قد صرحوا بانهم عاكفون عليه الى حين رجوعه عليه السلام **افعصيت امري** اي بالصلابة في الدين والمحاماة عليه فان قوله له عليهما السلام اخلفني متضمن للامر بهما حتما فان الخلافة لا تتحقق الا بمباشرة الخليفة ما كان يباشره المستخلف لو كان حاضرا والهمزة للانكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام

اي لم تتبعني او اخالفتني فعصيت امري **قال يا ابن ام** خص الام بالاضافة استعطافا وترقيقا لقلبه لا لما قيل من انه كان اخاه لامه فان الجمهور على
انهما كانا شقيقين **لا تاخذ بلحيتي ولا براسي** اي بشعر راسي روي انه عليه السلام اخذ شعر راسه بيمينه ولحيته بشماله من شدة غيظه وفرط غضبه
لله تعالى وكان عليه السلام حديدا متصلبا في كل شيء فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل ففعل ما فعل وقوله تعالى **اني خشيت** الى آخره استئناف
سيق لتعليل موجب النهي ببيان الداعي الى ترك المقاتلة وتحقيق انه غير عاص لامره بل ممتثل به اي اني خشيت لو قاتلت بعضهم ببعض
وتفانوا وتفرقوا **ان تقول فرقت بين بني اسرائيل** برايك مع كونهم ابناء واحد كما ينبئ عنه ذكرهم بذلك العنوان دون القوم ونحوه واراد عليه
السلام بالتفريق ما يستتبعه القتال من التفريق الذي لا يرجى بعده الاجتماع **ولم ترقب قولي** يريد به قوله عليه السلام اخلفني في قومي واصلح
الى آخره يعني اني رايت ان الاصلاح في حفظ الدهماء والمداراة معهم الى ان ترجع اليهم فلذلك استانيتك لتكون انت المتدارك للامر
حسبما رايت لا سيما وقد كانوا في غاية القوة ونحن على القلة والضعف كما يعرب عنه قوله تعالى ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني **قال**
استئناف وقع جوابا عما نشا من حكاية ما سلف من اعتذار القوم باسناد الفساد الى السامري واعتذار هرون عليه السلام كانه قيل
فماذا صنع موسى عليه السلام بعد سماع ما حكي من الاعتذارين واستقرار اصل الفتنة على السامري فقيل قال موبخا له هذا شانهم **فما**
خطبك يا سامري اي ما شانك وما مطلوبك مما فعلت خاطبه عليه السلام بذلك ليظهر للناس بطلان كيده باعترافه ويفعل به وبما صنعه من
العقاب ما يكون نكالا للمفتونين به ولمن خلفهم من الامم **قال** اي السامري مجيبا له عليه السلام **بصرت بما لم يبصروا به** بضم الصاد فيهما
وقرئ بكسرها في الاول وفتحها في الثاني وقرئ بالتاء على الوجهين على خطاب موسى عليه السلام وقومه اي علمت ما لم يعلمه القوم وفطنت
لما لم يفطنوا له او رايت ما لم يروه وهو الانسب بما سياتي من قوله وكذلك سولت لي نفسي لا سيما على القراءة بالخطاب فان ادعاء علم
ما لم يعلمه موسى عليه السلام جراءة عظيمة لا يليق بشانه ولا بمقامه بخلاف ادعاء رؤية ما لم يره عليه السلام فانها مما يقع بحسب ما يتفق
وقد كان راى ان جبريل عليه السلام جاء راكب فرس وكان كلما رفع الفرس يديه او رجليه على الطريق اليبس يخرج من تحته النبات في الحال
فعرف ان له شانا فاخذ من موطئه حفنة وذلك قوله تعالى **فقبضت قبضة من اثر الرسول** وقرئ من اثر فرس الرسول اي من تربة موطئ
فرس الملك الذي ارسل اليك ليذهب بك الى الطور ولعل ذكره بعنوان الرسالة للاشعار بوقوفه على ما لم يقف عليه القوم من الاسرار
الالهية تاكيدا لما صدر به مقالته والتنبيه على وقت اخذ ما اخذه والقبضة المرة من القبض اطلقت على المقبوض مرة وقرئ
بضم القاف وهو اسم المقبوض كالغرفة والمضغة وقرئ فقبصت قبصة بالصاد المهملة والاول للاخذ بجميع الكف والثاني باطراف
الاصابع ونحوهما الخضم والقضم **فنبذتها** اي في الحلي المذابة فكان ما كان **وكذلك سولت لي نفسي** اي ما فعلته من القبض والنبذ
فقوله تعالى **ذلك** اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده ومحل الكاف في الاصل النصب على انه مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر محذوف والتقدير
سولت لي نفسي تسويلا كائنا مثل ذلك التسويل فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة لافادة تاكيد ما افاده اسم الاشارة
من الفخامة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي ذلك التزيين زينت لي نفسي ما فعلته لا تزيينا ادنى منه ولذلك فعلته وحاصل
جوابه ان ما فعله انما صدر عنه بمحض اتباع هوى النفس الامارة بالسوء واغوائها لا لشيء آخر من البرهان العقلي او الالهام الالهي فعند ذلك
قال عليه السلام **فاذهب** اي من بين الناس وقوله تعالى **فان لك في الحيوة** الى آخره تعليل لموجب الامر وفي متعلقة بالاستقرار في لك اي ثابت
لك في الحيوة او بمحذوف وقع حالا من الكاف والعامل معنى الاستقرار في الظرف المذكور لاعتماده على ما هو مبتدا معنى قوله تعالى **ان تقول**
لا مساس مكان ان اي ثابت لك كائنا في الحيوة اي مدة حيوتك ان تفارقهم مفارقة كلية لكن لا بحسب الاختيار بموجب التكليف
بل بحسب الاضطرار الملجئ اليها وذلك انه تعالى رماه بداء عقام لا يكاد يمس احدا او يمسه احد كائنا من كان الا حم من ساعته حمى شديدة
فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح باقصى طوقه لا مساس وحرم عليهم ملاقاته ومواجهته ومكالمته ومبايعته وغيرها مما يعتاد جريانه
فيما بين الناس من المعاملات وصار بين الناس اوحش من القاتل اللاجئ الى الحرم ومن الوحشي النافر في البرية ويقال ان قومه باق فيهم
تلك الحالة الى اليوم وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة ولعل السر في مقابلة جنايته بتلك العقوبة خاصة لما بينهما من مناسبة
التضاد فانه لما انشا الفتنة بما كانت ملابسته سببا لحيوة الموات عوقب بما يضاده حيث جعلت ملابسته سببا للحمى التي هي من

اسباب موت الاحياء **وان لك موعدا** اي في الآخرة **لن تخلفه** اي لن يخلفك الله ذلك الوعد بل ينجزه لك البتة بعد ما عاقبك في الدنيا وقرئ
بكسر اللام والاظهر انه من اخلفت الموعد اي وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله عز وجل **وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا** اي
ظللت عليه مقيما على عبادته فحذفت اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء بنقل حركة اللام اليها **لنحرقنه** جواب قسم محذوف اي بالنار
ويؤيده قراءة لنحرقنه من الاحراق وقيل بالمبرد على انه مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه **ثم لننسفنه** اي لنذرينه
وقرئ بضم السين **في اليم** رمادا او مبرودا كانه هباء **نسفا** بحيث لا يبقى منه عين ولا اثر ولقد فعل عليه السلام ذلك كله حينئذ
كما يشهد به الامر بالنظر وانما لم يصرح به تنبيها على كمال ظهوره واستحالة الخلف في وعده المؤكد باليمين **انما الهكم الله** استئناف مسوق
لتحقيق الحق اثر ابطال الباطل بتلوين الخطاب وتوجيهه الى الكل اي انما معبودكم المستحق للعبادة الله **الذي لا اله** في الوجود لشيء من الاشياء
الا هو وحده من غير ان يشاركه شيء من الاشياء بوجه من الوجوه التي من جملتها احكام الالوهية وقرئ الله لا اله الا هو الرحمن رب
العرش وقوله تعالى **وسع كل شيء علما** اي وسع علمه كل ما من شانه ان يعلم بدل من الصلة كانه قيل انما الهكم الذي وسع كل شيء علما لا غيره
كائنا ما كان فيدخل فيه العجل دخولا اوليا وقرئ وسع بالتشديد فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه على القراءة الاولى فاعل حقيقة
وبنقل الفعل الى التعدية الى المفعولين صار الفاعل مفعولا اول كانه قيل وسع علمه كل شيء وبه تم حديث موسى عليه السلام المذكور لتقرير امر
التوحيد حسبما نطقت به خاتمته وقوله تعالى **كذلك نقص عليك** كلام مستانف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق الوعد الجميل بتنزيل امثال ما مر
من انباء الامم السالفة وذلك اشارة الى اقتصاص حديث موسى عليه السلام وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل
ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر مقدر اي نقص عليك **من انباء ما قد سبق** من الحوادث الماضية الجارية على الامم الخالية قصصا مثل ذلك القص
المار والتقديم للقصر المفيد لزيادة التعيين ومن في قوله تعالى من انباء في حيز النصب اما على انه مفعول نقص باعتبار مضمونه واما على انه متعلق بمحذوف
هو صفة للمفعول كما في قوله تعالى ومنا دون ذلك اي جمع دون ذلك والمعنى نقص عليك بعض انباء ما قد سبق او بعضا كائنا من انباء ما قد سبق
وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الآية وتاخيره عن عليك لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي مثل
ذلك القص الذي سمعته نقص عليك ما ذكر من الانباء لا قصا ناقصا عنه تبصرة لك وتوفيرا وتكثيرا لمعجزاتك وتذكيرا للمستبصرين من امتك **وقد**
آتيناك من لدنا ذكرا اي كتابا منطويا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار وكلمة من متعلقة بآتيناك وتنكير ذكرا للتفخيم
وتاخيره عن الجار والمجرور لما ان مرجع الافادة في الجملة كون المؤتى من لدنه تعالى ذكرا عظيما وقرآنا كريما جامعا لكل كمال لا كون ذلك الذكر
مؤتى من لدنه عز وجل مع ما فيه من نوع طول بما بعده من الصفة فتقديمه يذهب برونق النظم الكريم **من اعرض عنه** عن ذلك الذكر العظيم الشان
المستتبع لسعادة الدارين وقيل عن الله عز وجل ومن اما شرطية او موصولة واياما كانت فالجملة صفة لذكرا **فانه** اي المعرض عنه **يحمل يوم**
القيمة وزرا اي عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وسائر ذنوبه وتسميتها وزرا اما لتشبيهها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل
الذي يفدح الحامل وينقض ظهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم والاول هو الانسب بما سياتي من تسميتها حملا وقوله تعالى **خالدين فيه**
اي في الوزر او في احتماله المستمر حال من المستكن في يحمل والجمع بالنظر الى معنى من لما ان الخلود في النار مما يتحقق حال اجتماع اهلها كما ان الافراد
فيما سبق من الضمائر الثلثة بالنظر الى لفظها **وساء لهم يوم القيمة حملا** اي بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف اي ساء حملا
وزرهم واللام للبيان كما في هيت لك كانه لما قيل ساء قيل لمن يقال هذا فاجيب لهم واعادة يوم القيمة لزيادة التقرير وتهويل الامر
يوم ينفخ في الصور بدل من يوم القيمة او منصوب باضمار اذكر او ظرف لمضمر قد حذف للايذان بضيق العبارة عن حصره وبيانه حسبما مر في
تفسير قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وقد قرئ ننفخ بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له
وبالياء المفتوحة على ان ضميره لله عز وجل او لاسرافيل عليه السلام وان لم يجر ذكره لشهرته **ونحشر المجرمين يومئذ** اي يوم ينفخ في الصور
وذكره صريحا مع تعين ان الحشر لا يكون الا يومئذ للتهويل وقرئ ويحشر المجرمون **زرقا** اي حال كونهم زرق العيون وانما جعلوا كذلك
لان الزرقة اسوأ الوان العين وابغضها الى العرب فان الروم الذين كانوا اعدى عدوهم زرق ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد
واصهب السبال وازرق العين او عميا لان حدقة الاعمى تزرق وقوله تعالى **يتخافتون بينهم** اي يخفضون اصواتهم ويخفونها لما يملأ صدورهم

من الرعب والهول استيناف لبيان ما يأتون وما يذرون ح او حال اخرى من المجرمين اي يقول بعضهم لبعض بطريق المخافتة ان لبثتم اي ما لبثتم في الدنيا
الا عشرا اي عشر ليال استقصارا لمدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة الآخرة او لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وايقنوا
انهم استحقوها على اضاعتهم في قضاء الاوطار واتباع الشهوات او في القبر وهو الانسب بحالهم فانهم حين يشاهدون البعث الذي كانوا
ينكرونه في الدنيا ويعدونه من قبيل المحال لا يتمالكون من ان يقولوا ذلك اعترافا به وتحقيقا لسرعة وقوعه كانهم قالوا قد بعثتم وما
لبثتم في القبر الا مدة يسيرة والا فحالهم افظع من ان تمكنهم من الاشتغال بتذكر ايام النعمة والسرور واستقصارها والتأسف عليها نحن
اعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة اي اعدلهم رأيا او عملا ان لبثتم الا يوما ونسبة هذا القول الى امثلهم استرجاع منه
له لكن لا لكونه اقرب الى الصدق بل لكونه ادل على شدة الهول ويسألونك عن الجبال اي عن مآل امرها وقد سأل عنه رجل من ثقيف وقيل مشركوا
مكة على طريق الاستهزاء فقل ينسفها ربي نسفا اي يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها والفاء للمسارعة الى الزام السائلين فيذرها
الضمير اما للجبال باعتبار اجزائها السافلة الباقية بعد النسف وهي مقارها اي فيذر ما انبسط منها وساوى سطحه سطوح سائر اجزاء
الارض بعد نسف ما نتا منها ونشز واما للارض المدلول عليها بقرينة الحال لانها الباقية بعد نسف الجبال وعلى التقديرين يذر الكل قاعا صفصفا
لان الجبال اذا سويت وجعل سطحها مساويا لسطوح سائر اجزاء الارض فقد جعل الكل سطحا واحدا والقاع قيل السهل وقيل المنكشف
من الارض وقيل المستوي الصلب منها وقيل ما لا نبات فيه ولا بناء والصفصف الارض المستوية الملساء كان اجزاءه صف واحد من كل
جهة وانتصاب قاعا على الحالية من الضمير المنصوب او هو مفعول ثان ليذر على تضمين معنى التصيير وصفصفا اما حال ثانية او بدل من المفعول
الثاني وقوله تع لا ترى فيها اي في مقار الجبال او في الارض على ما مر من التفصيل عوجا بكسر العين اي اعوجاجا ما كانه لغاية خفائه من قبيل
ما في المعاني اي لا تدركه ان تأملت بالمقاييس الهندسية ولا امتا اي نتوا يسيرا استيناف مبين لكيفية ما سبق من القاع الصفصف والتسويق
او حال اخرى او صفة لقاعا والخطاب لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم
والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من طول ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم يومئذ اي يوم اذ نسفت الجبال على اضافة اليوم الى وقت النسف وهو ظرف
لقوله تعالى يتبعون الداعي وقيل بدل من يوم القيمة وليس بذاك اي يتبع الناس داعي الله عز وجل الى المحشر وهو اسرافيل عليه السلام يدعو الناس عند
النفخة الثانية قائما على صخرة بيت المقدس ويقول ايتها العظام النخرة والاوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة قومي الى عرض الرحمن فيقبلون من
كل اوب الى صوبه لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات للرحمن اي خفضت لهيبته فلا تسمع الا همسا اي صوتا خفيا ومنه
الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر يومئذ اي يوم اذ يقع ما ذكر من الامور الهائلة لا تنفع الشفاعة من
الشفعاء احدا الا من اذن له الرحمن ان يشفع له ورضي له قولا اي ورضي لاجله قول الشافع في شأنه او رضي قوله لاجله وفي شأنه واما
من عداه فلا تكاد تنفعه وان فرض صدورها عن الشفعاء المتصدين للشفاعة للناس كقوله تع فما تنفعهم شفاعة الشافعين فالاستثناء
كما ترى من اعم المفاعيل واما كونه استثناء من الشفاعة على معنى لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن ان يشفع لغيره كما
فلا سبيل اليه لما ان حكم الشفاعة ممن لم يؤذن له ان لا يملكها ولا تصدر هي عنه اصلا كما في قوله تعا لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ
عند الرحمن عهدا وقوله تع ولا يشفعون الا لمن ارتضى فالاخبار عنها بمجرد عدم نفعها للمشفوع له ربما يوهم امكان صدورها عمن لم يؤذن
له مع اخلاله بمقتضى مقام تهويل اليوم واما قوله تع ولا يقبل منها شفاعة فمعناه عدم الاذن في الشفاعة لا عدم قبولها بعد وقوعها
يعلم ما بين ايديهم اي ما تقدمهم من الاحوال وقيل من امر الدنيا وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه وقيل من امر الآخرة ولا يحيطون به علما اي
لا يحيط علومهم بمعلوماته تعا وقيل بذاته اي من حيث اتصافه بصفات الكمال التي من جملتها العلم الشامل وقيل الضمير لاحد الموصولين
او لمجموعهما فانهم لا يعلمون جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه وعنت الوجوه للحي القيوم اي ذلت وخضعت خضوع العناة اي الاسارى
في يد الملك القهار ولعلها وجوه المجرمين كقوله تع سيئت وجوه الذين كفروا ويؤيده قوله تعا وقد خاب من حمل ظلما قال ابن
عباس رضي الله عنهما خسر من اشرك بالله ولم يتب وهو استيناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم او اعتراض كانه قيل خابوا وخسروا وقيل حال
من الوجوه ومن عبارة عنها مغنية عن ضميرها وقيل الوجوه على العموم فالمعنى ح وقد خاب من حمل ظلما لا لقوله تعا وعنت الوجوه الى آخره

الى آخره قسيم لقوله تع وقد خاب من حمل ظلما لا لقوله تعا وعنت الوجوه الى آخره كما انه كذلك على الوجه الاول اي ومن يعمل بعض الصالحات او
بعضا من الصالحات على احد الوجهين المذكورين في تفسير قوله تع من انباء ما قد سبق وهو مؤمن فان الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول الحسنات
فلا يخاف ظلما اي منع ثواب مستحق بموجب الوعد ولا هضما ولا كسرا منه بنقص او لا يخاف جزاء ظلم وهضم اذ لم يصدر عنه ظلم ولا هضم
حتى يخافهما وقرئ فلا يخف على النهي وكذلك عطف على كذلك نقص وذلك اشارة الى انزال ما سبق من الآيات المتضمنة للوعيد المنبئة عما سيقع من
احوال القيمة واهوالها اي مثل ذلك الانزال انزلناه اي القرآن كله واضماره من غير سبق ذكره للايذان بنباهة شأنه وكونه مركوزا في العقول
حاضرا في الاذهان قرآنا عربيا ليفهمه العرب ويقفوا على ما فيه من النظم الكريم المعجز الدال على كونه خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خلاق
القوى والقدر وصرفنا فيه من الوعيد اي كررنا فيه بعض الوعيد او بعضا من الوعيد حسبما اشير اليه انفا لعلهم يتقون اي كي يتقوا الكفر
والمعاصي بالفعل او يحدث لهم ذكرا اتعاظا واعتبارا مؤديا بالآخرة الى الاتقاء فتعالى الله استعظام له تعا وللشؤون التي يصرف عليها
عباده من الاوامر والنواهي والوعد والوعيد وغير ذلك اي ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته وافعاله واحواله
الملك النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده الحق في ملكوته والوهيته لذاته او الثابت في ذاته وصفاته ولا تعجل بالقرآن
من قبل ان يقضى اليك وحيه اي يتم وحيه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القى اليه جبريل عليه الوحي يتبعه عند تلفظ كل حرف وكل كلمة لكمال
اعتنائه بالتلقي والحفظ فنهي عن ذلك اثر ذكر الانزال بطريق الاستطراد لما ان استقرار الالفاظ في الاذهان تابع لاستقرار معانيها فيها
وربما يشغل التلفظ بكلمة عن سماع ما بعدها وامر باستفاضة العلم واستزادته منه تعا فقيل وقل اي في نفسك رب زدني علما اي
سل الله عز وجل زيادة العلم فانه الموصل الى طلبتك دون الاستعجال وقيل انه نهي عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان يأتي بيانه وليس بذاك
فان تبليغ المجمل وتلاوته قبل البيان مما لا ريب في صحته ومشروعيته ولقد عهدنا الى آدم كلام مستأنف مسوق لتقرير ما سبق من تصريف
الوعيد في القرآن وبيان ان اساس بني آدم على العصيان وعرقه راسخ في النسيان مع ما فيه من انجاز الموعود في قوله تع كذلك نقص من انباء ما قد
سبق يقال عهد اليه الملك وعزم عليه واوعز عليه وتقدم اليه اذا امره ووصاه والمعهود محذوف يدل عليه ما بعده واللام جواب قسم محذوف
اي واقسم او والله او تالله لقد امرناه ووصيناه من قبل اي من قبل هذا الزمان فنسي اي العهد ولم يعتن به حتى غفل عنه او تركه ترك
المنسي عنه وقرئ فنسي اي نساه الشيطان ولم نجد له عزما تصميم رأي وثبات قدم في الامور اذ لو كان كذلك لما ازله الشيطان ولما
استطاع ان يغره وقد كان ذلك منه عليه السلام في بدء امره من قبل ان يجرب الامور ويتولى حارها وقارها ويذوق شرها وارها عن النبي
صلى الله عليه وسلم لو وزنت احلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تع ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب فانه اخطأ ولم يتعمد
وقوله تعا ولم نجد ان كان من الوجود العلمي فله عزما مفعولاه قدم الثاني على الاول لكونه ظرفا وان كان من الوجود المقابل للعدم وهو الانسب
لان مصب الفائدة هو المفعول وليس في الاخبار بكون العزم المعدوم له مزيد مزية فله متعلق به قدم على مفعوله لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم
والتشويق الى المؤخر او بمحذوف هو حال من مفعوله المنكر كانه قيل ولم نصادف له عزما وقوله تع واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم شروع في
بيان المعهود وكيفية ظهور نسيانه وفقدان عزمه واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم اي واذكر وقت قولنا
لهم وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث لما مر مرارا في ايجاب ذكرها فان الوقت مشتمل على اعيان الحوادث فاذا
ذكر صارت الحوادث كانها موجودة في ذهن المخاطب بوجوداتها العينية اي اذكر ما وقع في ذلك الوقت منا ومنه حتى يتبين لك نسيانه وفقدان عزمه
فسجدوا الا ابليس قد سبق الكلام فيه مرارا ابى جملة مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ عن الاخبار بعدم سجوده كانه قيل ما باله لم يسجد فقيل
ابى اما محذوف اي ابى السجود كما في قوله تع ابى ان يكون مع الساجدين او غير منوي رأسا بتنزيله منزلة اللازم اي فعل الاباء واظهره عقيب ذلك
اعتناء بفضحه فقلنا يا آدم ان هذا الذي رأيت ما فعل عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما اي لا يكونن سببا لاخراجكما من الجنة والمراد نهيهما عن ان يكونا
بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما منها بالطريق البرهاني كما في قولك لا ارينك ههنا والفاء لترتيب موجب النهي على عداوته لهما او على الاخبار
بها فتشقى جواب للنهي واسناد الشقاء اليه خاصة بعد تعليق الاخراج الموجب له بهما معا لاصالته في الامور واستلزام شقائه لشقائها
مع ما فيه من مراعاة الفواصل وقيل المراد بالشقاء التعب في تحصيل مبادي المعاش وذلك من وظائف الرجال ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى

وانك لا تظمؤ فيها ولا تضحى تعليل لما يوجبه النهي فان اجتماع اسباب الراحة فيها مما يوجب المبالغة في الاهتمام بتحصيل مبادي البقاء فيها والجد
في الانتهاء عما يؤدي الى الخروج عنها والعدول عن التصريح بان له عليه السلام فيها تنعما بفنون النعم من المآكل والمشارب وتمتعا باصناف
الملابس البهية والمساكن المرضية مع ان فيه من الترغيب في البقاء فيها ما لا يخفى الى ما ذكر من نفي نقائضها التي هي الجوع والعطش
والعري والضحو لتذكير تلك الامور المنكرة والتنبيه على ما فيها من انواع الشقوة التي حذره عنها ليبالغ في التحامي عن السبب المؤدي اليها
على ان الترغيب قد حصل بما سوغ له من التمتع بجميع ما فيها سوى ما استثني من الشجرة حسبما ينطق به قوله تعالى ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة
وكلا منها رغدا حيث شئتما وقد طوى ذكره ههنا اكتفاء بما ذكر في موضع آخر واقتصر على ما ذكر من الترغيب المتضمن للترهيب ومعنى ان لا تجوع فيها الى
آخره ان لا يصيبه شيء من الامور الاربعة اصلا فان الشبع والري والكسوة والكن قد يحصل بعد عروض اضدادها باعواز الطعام
والشراب واللباس والمسكن وليس الامر فيها كذلك بل كلما وقع فيها شهوة وميل الى شيء من الامور المذكورة تمتع به من غير ان يصل الى حد
الضرورة ووجه افراده عليه السلام بما ذكر ما مر آنفا وفصل الظمأ عن الجوع في الذكر مع تجانسهما وتقارنهما في الذكر عادة وكذا حال
العري والضحو المتجانسين لتوفية مقام الامتنان حقه بالاشارة الى ان نفي كل واحد من تلك الامور نعمة على حيالها ولو جمع بين الجوع
والظمأ لربما توهم ان نفيهما نعمة واحدة وكذا الحال في الجمع بين العري والضحو على منهاج قصة البقرة ولزيادة التقرير بالتنبيه على ان
نفي كل واحد من الامور المذكورة مقصود بالذات مذكور بالاصالة لا ان نفي بعضها مذكور بطريق الاستطراد والتبعية لنفي بعض آخر
كما عسى يتوهم لو جمع بين كل من المتجانسين وقرئ انك بالكسر والجمهور على الفتح بالعطف على ان لا تجوع وصحة وقوع الجملة المصدرة بان المفتوحة
اسما للمكسورة المشاركة لها في افادة التحقيق مع امتناع وقوعها خبرا لها لما ان المحذور اجتماع حرفي التحقيق في مادة واحدة ولا
اجتماع فيما نحن فيه لاختلاف مناط التحقيق فيما في حيزيهما بخلاف ما لو وقعت خبرا لها فان اتحاد المناط حينئذ مما لا ريب فيه وبيانه ان
كل واحدة من المكسورة والمفتوحة موضوعة لتحقيق مضمون الجملة الخبرية المنعقدة من اسمها وخبرها ولا يخفى ان مرجع خبريتها ما فيها من الحكم
الايجابي او السلبي وان مناط ذلك الحكم خبرها لا اسمها فمدلول كل منهما تحقيق ثبوت خبرها لاسمها لا ثبوت اسمها في نفسه فاللازم من وقوع
الجملة المصدرة بالمفتوحة اسما للمكسورة تحقيق ثبوت خبرها لتلك الجملة المؤولة بالمصدر واما تحقيق ثبوتها في نفسها فهو مدلول المفتوحة حتما
فلم يلزم اجتماع حرفي التحقيق في مادة واحدة قطعا واما لم يجوزوا ان يقال ان ان زيدا قائم حق مع اختلاف المناط بل شرطوا الفصل
بالخبر كقولنا ان عندي ان زيدا قائم للتجافي عن صورة الاجتماع والواو العاطفة وان كانت نائبة عن المكسورة التي يمتنع دخولها على
المفتوحة بلا فصل وقائمة مقامها في افضاء معناها واجراء احكامها على مدخولها لكنها حيث لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق لم يلزم من دخولها
على المفتوحة اجتماع حرفي التحقيق اصلا فالمعنى ان لك عدم الجوع وعدم العري وعدم الظمأ خلا انه لم يقتصر على بيان ان الثابت له عليه السلام
عدم الظمأ والضحو مطلقا كما فعل مثله في المعطوف عليه بل قصد بيان ان الثابت له عليه السلام تحقيق عدمهما فوضع موضع الحرف المصدري
المحض ان المفيدة له كأنه قيل ان لك فيها عدم ظمئك على التحقيق فوسوس اليه الشيطان اي انهى اليه وسوسته فقبل او اسرها اليه قال اما بدل من
اي شجرة من اكل منها خلد ولم يمت اصلا سواء كان على حاله او بان يكون ملكا لقوله تعالى الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وملك لا يبلى
اي لا يزول ولا يختل بوجه من الوجوه فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عريا عن النور الذي كان الله تعالى البسهما حتى
بدت فروجهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قد مر تفسيره في سورة الاعراف وعصى آدم ربه بما ذكر من اكل الشجرة فغوى ضل عن مطلوبه الذي
هو الخلود او عن المأمور به او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوي من غوي الفصيل اذا اتخم من اللبن وفي وصفه عليه السلام بالعصيان
والغواية مع صغر زلته تعظيم لها وزجر بليغ لاولاده عن امثالها ثم اجتباه ربه اي اصطفاه وقربه اليه بالحمل على التوبة والتوفيق لها
من اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اي جمعه كقولك اجتمعه او من جبى الي كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها واصل الكلمة الجمع وفي
التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام مزيد تشريف له عليه السلام فتاب عليه اي قبل توبته حين تاب هو وزوجه
قائلين ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وافراده عليه السلام بالاجتباء وقبول التوبة قد مر وجهه وهدى
اي الى الثبات على التوبة والتمسك باسباب العصمة قال استئناف مبني على سؤال نشأ من الاخبار بانه تعالى قبل توبته وهداه كأنه قيل

قيل فماذا امره تعالى بعد ذلك فقيل قال له ولزوجته اهبطا منها جميعا اي انزلا من الجنة الى الارض وقوله تعالى بعضكم لبعض عدو حال من ضمير المخاطب
في اهبطا والجمع لما انهما اصل الذرية ومنشأ الاولاد اي متعادين في امر المعاش كما عليه الناس من التجاذب فاما يأتينكم مني هدى من كتاب
ورسول فمن اتبع هداي وضع الظاهر موضع المضمر مع الاضافة الى ضميره تعالى للتشريف والمبالغة في ايجاب اتباعه فلا يضل في الدنيا ولا
يشقى في الآخرة ومن اعرض عن ذكري اي عن الهدى الذاكر لي والداعي الي فان له في الدنيا معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك
يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع همته ومطامح نظره مقصورة على اعراض الدنيا وهو متهالك على
ازديادها وخائف من انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع انه قد يضيق الله تعالى بشؤم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال تعالى
وضربت عليهم الذلة والمسكنة وقال تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقوله ولو ان اهل
القرى آمنوا الى قوله تعالى لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب النار ونحشره وقرئ بسكون
الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط يوم القيمة اعمى فاقد البصر كما في قوله تعالى
ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما لا اعمى عن الحجة كما قيل قال استئناف كما مر رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا اي
في الدنيا وقرئ اعمى بالامالة في الموضعين وفي الاول فقط لكونه جديرا بالتغيير لكونه رأس الآية ومحل الوقف قال كذلك اي مثل ذلك
فعلت انت ثم فسر بقوله تعالى اتتك آياتنا واضحة نيرة بحيث لا تخفى على احد فنسيتها اي عميت عنها وتركتها ترك المنسي الذي لا يذكر
اصلا وكذلك ومثل ذلك النسيان الذي كنت فعلته في الدنيا اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب جزاء وفاقا لكن لا ابدا كما قيل بل الى
ما شاء الله ثم يزيله عنه فيرى اهوال القيمة ويشاهد مقعده من النار ويكون ذلك له عذابا فوق العذاب وكذا البكم والصمم يزيلهما الله تعالى
عنهم اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا وكذلك اي مثل ذلك الجزاء الموافق للجناية نجزي من اسرف بالانهماك في الشهوات ولم يؤمن بآيات ربه
بل كذبها واعرض عنها ولعذاب الآخرة على الاطلاق او عذاب النار اشد وابقى اي من ضنك العيش ومنه ومن الحشر على العمى افلم يهد لهم كم اهلكنا
قبلهم من القرون كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من قوله تعالى وكذلك نجزي الآية والهمزة للانكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه
المقام واقتضاءه استعمال الهداية باللام اما لتنزيلها منزلة اللازم فلا حاجة الى المفعول او لانها بمعنى التبيين والمفعول محذوف واياما
كان فالفاعل هو الجملة بمضمونها ومعناها وضمير لهم للمشركين المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى اغفلوا فلم يفعل الهداية لهم
او فلم يبين لهم مآل امرهم كثرة اهلاكنا للقرون الاولى وقد مر في قوله عز وعلا اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها الآية وقيل
الفاعل الضمير العائد الى الله عز وجل ويؤيده القراءة بنون العظمة وقوله تعالى كم اهلكنا الى آخره اما معلق للفعل ساد مسد مفعوله او
مفسر لمفعوله المحذوف وهكذا قيل والاوجه ان يلاحظ له مفعول كأنه قيل افلم يفعل الله تعالى لهم الهداية ثم قيل بطريق الالتفات كم اهلكنا
الى آخره بيانا لتلك الهداية ومن القرون في محل النصب على انه وصف لمميز كم اي كم قرنا كائنا من القرون وقوله تعالى يمشون في مساكنهم حال
من القرون او من مفعول اهلكنا اي اهلكناهم وهم في حال امن وتقلب في ديارهم او من الضمير في لهم مؤكد للانكار والعامل يهد والمعنى افلم
يهد لهم اهلاكنا للامم السالفة من اصحاب الحجر وثمود وقريات قوم لوط حال كونهم ماشين في مساكنهم اذا سافروا الى الشام مشاهدين
لآثار هلاكهم مع ان ذلك مما يوجب ان يهتدوا الى الحق فيعتبروا لئلا يحل بهم مثل ما حل باولئك وقرئ يمشون على البناء للمفعول اي يمكنون
من المشي ان في ذلك تعليل للانكار وتقرير للهداية مع عدم اهتدائهم وذلك اشارة الى مضمون قوله تعالى كم اهلكنا الى آخره وما فيه من معنى
البعد للاشعار ببعد منزلته وعلو شأنه في بابه لآيات كثيرة عظيمة واضحة الهداية ظاهرات الدلالة على الحق فاذن هو هاد وايما هاد
ويجوز ان يكون كلمة في تجريدية فافهم لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن القبائح التي من اقبحها ما يتعاطاه كفار مكة من الكفر بآيات الله
والتعامي عنها وغير ذلك من فنون المعاصي وفيه دلالة على ان مضمون الجملة هو الفاعل لا المفعول وقوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك كلام مستأنف
سيق لبيان حكمة عدم وقوع ما يشعر به قوله تعالى افلم يهد لهم الآية من ان يصيبهم مثل ما اصاب القرون المهلكة اي لولا الكلمة السابقة وهي العدة
بتأخير عذاب هذه الامة الى الآخرة لحكمة تقتضيه ومصلحة تستدعيه لكان عقاب جناياتهم لزاما اي لازما لهؤلاء الكفرة بحيث لا يتأخر
عن جناياتهم ساعة لزوم ما نزل باولئك الغابرين وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تلويح بان ذلك التأخير

للتشريعه عليه السلام كما ينبئ عنه قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واللزام اما مصدر لازم وصف به مبالغة واما فعال بمعنى مفعل جعل آلة اللزوم
لفرط لزومه كما يقال لزاز خصم **واجل مسمى** عطف على كلمة اي ولولا اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم القيمة او يوم بدر لما تاخر عذابهم
وفصله عما عطف عليه للمسارعة الى بيان جواب لولا وللاشعار باستقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ومراعاة فواصل الآي الكريمة وقد جوز عطفه
على المستكن في كان العائد الى الاخذ العاجل المفهوم من السياق تنزيلا للفصل بالخبر منزلة التاكيد اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين لهم
كداب عاد وثمود واضرابهم ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل **فاصبر على ما يقولون** اي اذا كان الامر على ما ذكر من ان تاخير عذابهم ليس باهمال
بل امهال وانه لازم لهم البتة فاصبر على ما يقولون من كلمات الكفر فان علمه صلى الله عليه وسلم بانهم معذبون لا محالة مما يسليه ويحمله على الصبر **وسبح**
ملتبسا **بحمد ربك** اي صل وانت حامد لربك الذي يبلغك الى كمالك على هدايته وتوفيقه او نزهه تعالى عما ينسبونه اليه مما لا يليق بشانه الرفيع
حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بانه مولى النعم كلها والاول هو الاظهر المناسب لقوله تعالى **قبل طلوع الشمس** الى آخره فان توقيت التنزيه غير معهود
فالمراد صلوة الفجر **وقبل غروبها** يعني صلوتي الظهر والعصر لانهما قبل غروبها بعد زوالها وجمعهما لمناسبته لقوله تعالى قبل طلوع الشمس وقيل صلوة العصر
ومن آناء الليل اي من ساعاته جمع اني بالكسر والقصر وآناء بالفتح والمد **فسبح** اي فصل والمراد به المغرب والعشاء وتقديم الوقت فيهما لاختصاصهما
بمزيد الفضل فان القلب فيهما اجمع والنفس الى الاستراحة اميل فتكون العبادة فيهما اشق ولذلك قال تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ
واقوم قيلا **واطراف النهار** تكرير لصلوتي الفجر والمغرب ايذانا باختصاصهما بمزيد مزية ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالباس كقول من قال ظهراهما مثل
ظهور الترسين او امر بصلوة الظهر فانه نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف الاخير وجمعه باعتبار النصفين او لان النهار
جنس او امر بالتطوع في اجزاء النهار **لعلك ترضى** متعلق بسبح اي سبح في هذه الاوقات رجاء ان تنال عنده تعالى ما ترضى به نفسك وقرئ
ترضى على صيغة البناء للمفعول من ارضى اي يرضيك ربك **ولا تمدن عينيك** اي لا تطل نظرهما بطريق الرغبة والميل **الى ما متعنا به** من زخارف
الدنيا وقوله تعالى **ازواجا منهم** اي اصنافا من الكفرة مفعول متعنا قدم عليه الجار والمجرور للاعتناء به او هو حال من الضمير والمفعول منهم
اي الى الذي متعنا به وهو اصناف وانواع بعضهم على انه بمعنى من التبعيضية او بعضا منهم على حذف الموصوف كما مر مرارا **زهرة الحيوة الدنيا** منصوب
بمحذوف يدل عليه متعنا اي اعطينا او به على تضمين معناه او بالبدلية من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف او بدونه او بالذم وهي الزينة
والبهجة وقرئ زهرة بفتح الهاء وهي لغة كالجهرة في الجهرة او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهر والدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه
المؤمنون الزهاد **لنفتنهم فيه** متعلق بمتعنا جيء به للتنفير عنه ببيان سوء عاقبته مآلا اثر اظهار بهجته حالا اي لنعاملهم معاملة من يبتليهم
ويختبرهم او لنعذبهم في الآخرة بسببه **ورزق ربك** اي ما ادخر لك في الآخرة او ما رزقك في الدنيا من النبوة والهدى خير مما منحهم في
الدنيا لانه مع كونه في نفسه اجل ما يتنافس فيه المتنافسون مامون الغائلة بخلاف ما منحوه **وابقى** فانه لا يكاد ينقطع نفسه او اثره ابدا كما
عليه زهرة الدنيا **وامر اهلك بالصلوة** امر عليه السلام بان يامر اهل بيته او التابعين له من امته بالصلوة بعد ما امر هو بها ليتعاونوا
على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة **واصطبر عليها** وثابر عليها غير مشتغل بامر المعاش
لا نسئلك رزقا اي لا نكلفك ان ترزق نفسك ولا اهلك **نحن نرزقك** واياهم ففرغ بالك لامر الآخرة **والعاقبة** الحميدة **للتقوى** اي لاهل التقوى
على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تنبيها على ان ملاك الامر هو التقوى روي انه عليه السلام كان اذا اصاب اهله ضر امرهم
بالصلوة وتلا هذه الآية **وقالوا لولا ياتينا باية من ربه** حكاية لبعض اقاويلهم الباطلة التي امر عليه السلام بالصبر عليها اي هلا ياتينا باية
تدل على صدقه في دعوى النبوة او باية مما اقترحوها بلغوا من المكابرة والعناد الى حيث لم يعدوا ما شاهدوا من المعجزات التي تخر لها صم
الجبال من قبيل الآيات حتى اجترؤا على التفوه بهذه العظيمة الشنعاء وقوله تعالى **اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى** اي التورية
والانجيل وسائر الكتب السماوية رد من جهته عز وعلا لمقالتهم القبيحة وتكذيب لهم فيما دسوا تحتها من انكار اتيان الآية باتيان القرآن
الكريم الذي هو ام الآيات واس المعجزات واظهرها واعظمها وابقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من الامور الخارقة
للعادات اي امر كان ولا ريب في ان العلم اجل الامور واعلاها اذ هو اصل الاعمال ومبدأ الافعال ولقد ظهر مع حيازته لجميع علوم
الاولين والآخرين على يد امي لم يمارس شيئا من الامور ولم يدارك احدا من اهلها اصلا فاي معجزة تراد بعد وروده واي آية ترام مع

مع وجوده وفي ايراده بعنوان كونه بينة لما في الصحف الاولى من التورية والانجيل وسائر الكتب السماوية اي شاهدا بحقية ما فيها من العقائد الحقة واصول
الاحكام التي اجمعت عليها كافة الرسل وبصحة ما ينطق به من انباء الامم من حيث انه غني باعجازه عما يشهد بحقيته حقيق باثبات حقية غيره
ما لا يخفى من تنويه شانه وانارة برهانه ومزيد تقرير وتحقيق لاتيانه واسناد الاتيان اليه مع جعلهم اياه ما ياتي به للتنبيه على اصالته فيه
مع ما فيه من المناسبة للبينة والهمزة لانكار الوقوع والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل الم تاتهم الآيات ولم تاتهم خاصة بينة
ما في الصحف الاولى تقريرا لاتيانه وايذانا بانه من الوضوح بحيث لا يتاتى منهم انكاره اصلا وان اجترؤا على انكار سائر الآيات مكابرة
وعنادا وقرئ اولم ياتهم بالياء التحتانية وقرئ الصحف بالسكون تخفيفا وقوله تعالى **ولو انا اهلكناهم بعذاب** الى آخر الآية جملة مستانفة
سيقت لتقرير ما قبلها من كون القرآن آية بينة لا يمكن انكارها ببيان انهم يعترفون بها يوم القيمة والمعنى لو انا اهلكناهم في الدنيا
بعذاب مستاصل **من قبله** متعلق باهلكنا او بمحذوف هو صفة لعذاب اي بعذاب كائن من قبل اتيان البينة او من قبل محمد صلى الله عليه
وسلم **لقالوا** اي يوم القيمة **ربنا لولا ارسلت الينا** في الدنيا **رسولا** مع كتاب **فنتبع آياتك** التي جاءنا بها **من قبل
ان نذل** بالعذاب في الدنيا **ونخزى** بدخول النار اليوم ولكنا لم نهلكهم قبل اتيانها فانقطعت معذرتهم فان ذلك قالوا بلى قد جاءنا
نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء **قل** لاولئك الكفرة المتمردين **كل** اي كل واحد منا ومنكم **متربص** منتظر لما يؤول اليه امرنا
وامركم **فتربصوا** وقرئ فتمتعوا **فستعلمون** عن قريب **من اصحاب الصراط السوي** اي المستقيم وقرئ السواء اي الوسط الجيد وقرئ السوء
والسوأى والسوي تصغير السوء **ومن اهتدى** من الضلالة ومن في الموضعين استفهامية محلها الرفع بالابتداء خبرهما ما بعدهما والجملة
سادة مسد مفعولي العلم او مفعوله ويجوز كون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق
عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط وقيل العائد في الاولى محذوف والتقدير من هم اصحاب الصراط عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار وقال لا يقرا يوم القيمة اهل الجنة من القرآن الا سورة طه

سورة اقترب ويس والانبياء

بسم الله الرحمن الرحيم **اقترب للناس حسابهم** مناسبة هذه الفاتحة الكريمة لما قبلها من الخاتمة الشريفة غنية عن البيان قال
ابن عباس رضي الله عنهما المراد بالناس المشركون وهو الذي يفصح عنه ما بعده والمراد باقتراب حسابهم اقتراب الساعة واسناد الاقتراب
اليه لا الى الساعة مع استتباعها له ولسائر ما فيها من الاحوال والاهوال الفظيعة لانسياق الكلام الى بيان غفلتهم عنه واعراضهم عما يذكرهم
ذلك والكلام متعلقة بالفعل وتقديمها على الفاعل للمسارعة الى ادخال الروعة فان نسبة الاقتراب اليهم من اول الامر مما يسوؤهم ويورثهم
رهبة وانزعاجا من المقترب كما ان تقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح في قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض لتعجيل المسرة لما
بيان كون الخلق لاجل المخاطبين مما يسرهم ويزيدهم رغبة فيما خلق لهم وشوقا اليه وجعلها تاكيدا للاضافة على ان الاصل المتعارف فيما
بين الاواسط اقترب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم مع انه تعسف تام بمعزل مما يقتضيه المقام وانما الذي يستدعيه
حسن النظام ما قدمناه والمعنى دنا منهم حساب اعمالهم السيئة الموجبة للعقاب وفي اسناد الاقتراب المنبي على التوجه نحوهم الى الحساب مع امكان
العكس بان يعتبر التوجه والاقبال من جهتهم نحوه من تفخيم شانه وتهويل امره ما لا يخفى لما فيه من تصويره بصورة شيء مقبل عليهم لا يزال يطلبهم
ويصيبهم لا محالة ومعنى اقترابه لهم تقاربه ودنوه منهم بعد بعده عنهم فانه في كل ساعة من ساعات الزمان اقرب اليهم منه في الساعة
السابقة هذا واما الاعتذار بان قربه بالاضافة الى ما مضى من الزمان او بالنسبة الى الله عز وجل او باعتبار ان كل آت قريب فلا تعلق له
بما نحن فيه من الاقتراب المستفاد من صيغة الماضي ولا حاجة اليه في تحقيق اصل معناه نعم قد يفهم منه عرفا كونه قريبا في نفسه ايضا فيصار حينئذ
الى التوجيه بالوجه الاول دون الاخيرين اما الثاني فلا سبيل الى اعتباره ههنا لان قربه بالنسبة اليه تعالى مما لا يتصور فيه التجدد والتفاوت حتما
وانما اعتباره في قوله تعالى لعل الساعة قريب ونظائره مما لا دلالة فيه على القرب حقيقة ولو بالنسبة الى شيء آخر **وهم في غفلة** اي في غفلة
تامة منه ساهون عنه بالمرة لانهم غير مبالين به مع اعترافهم باتيانه بل منكرون له كافرون به مع اقتضاء عقولهم ان الاعمال لا بد لها
من الجزاء **معرضون** اي عن الآيات والنذر المنبهة لهم عن سنة الغفلة وهما خبران للضمير وحيث كانت الغفلة امرا جبليا لهم جعل الخبر الاول

ظرفاً مبنياً عن الاستقرار لاختلاف الإعراض والجملة حال من الناس وقد جوز كون الظرف حالاً من المستكن في معرضون **ما يأتيهم من ذكر** من طائفة نازلة من
القرآن تذكرهم ذلك أكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة أتم تنبيه كأنها نفس الذكر ومن في قوله تع **من ربهم** لابتداء الغاية مجازاً متعلقة بيأتيهم
أو بمحذوف هو صفة لذكر وأياً ما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وكمال شناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الربوبية لتشديد التشنيع **محدث**
بالجر صفة لذكر وقرئ بالرفع حملاً على محله أي محدث تنزيله بحسب اقتضاء الحكمة وقوله تع **إلا استمعوه** استثناء مفرغ محله النصب على أنه حال
من مفعول يأتيهم بإضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور وقوله تع **وهم يلعبون** حال من فاعل استمعوه وقوله تع **لاهية قلوبهم** إما حال أخرى منه أو من
واو يلعبون والمعنى ما يأتيهم ذكر من ربهم محدث في حال من الأحوال إلا حال استماعهم إياه لاعبين مستهزئين به لاهين عنه أو لاعبين به
حال كون قلوبهم لاهية عنه لتناهي غفلتهم وفرط إعراضهم عن النظر في الأمور والتفكر في العواقب وقرئ لاهية بالرفع على أنه خبر بعد خبر **وأسروا**
النجوى كلام مستأنف مسوق لبيان جناية خاصة إثر حكاية جناياتهم المعتادة والنجوى اسم من التناجي ومعنى إسرارها مع أنها لا تكون إلا
سراً أنهم بالغوا في إخفائها وأسروا نفس التناجي بحيث لم يشعر أحد بأنهم متناجون وقوله تع **الذين ظلموا** بدل من واو أسروا منبئ عن كونهم
موصوفين بالظلم الفاحش فيما أسروا به أو هو مبتدأ خبره أسروا النجوى قدم عليه اهتماماً به والمعنى هم أسروا النجوى فوضع الموصول موضع الضمير
تسجيلاً على فعلهم بكونه ظلماً أو منصوب على الذم وقوله تع **هل هذا إلا بشر مثلكم** إلى آخره في حيز النصب على أنه مفعول للقول مضمر هو جواب
عن سؤال نشأ عما قبله كأنه قيل ماذا قالوا في نجواهم فقيل قالوا هل هذا إلى آخره أو بدل من أسروا أو معطوف عليه أو على أنه بدل من النجوى أي أسروا
هذا الحديث وهل بمعنى النفي والمراد في قوله تع **أفتأتون السحر** للإنكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تع **وأنتم تبصرون** حال من فاعل
تأتون مقررة للإنكار ومؤكدة للاستبعاد والمعنى ما هذا إلا بشر مثلكم أي من جنسكم وما أتى به سحر أتعلمون ذلك فتأتونه وتحضرونه
على وجه الإذعان والقبول وأنتم تعاينون أنه سحر قالوه بناء على ما ارتكز في اعتقادهم الزائغ أن الرسول لا يكون إلا ملكاً وأن كل ما يظهر على يد
البشر من الخوارق من قبيل السحر وعزل عنهم أن إرسال البشر إلى عامة البشر هو الذي تقتضيه الحكمة التشريعية قاتلهم الله أنى يؤفكون وإنما أسروا ذلك
لأنه كان على طريق توثيق العهد وترتيب مبادي الشر والفساد وتمهيد مقدمات المكر والكيد في هدم أمر النبوة وإطفاء نور الدين والله متم نوره
ولو كره المشركون **قال ربي يعلم القول في السماء والأرض** حكاية من جهته تعالى لما قاله عليه السلام بعدما أوحي إليه أحوالهم وأقوالهم بياناً لظهور أمرهم و
انكشاف سرهم وإيثار القول المنتظم للسر والجهر على السر لإثبات علمه تعالى بالسر على النهج البرهاني مع ما فيه من الإيذان بأن علمه تعالى بالسر والجهر على
وتيرة واحدة لا تفاوت بينهما بالجلاء والخفاء قطعاً كما في علوم الخلق وقرئ قل ربي إلى آخره وقوله تع في السماء والأرض متعلق بمحذوف وقع
حالاً من القول أي كائناً في السماء والأرض وقوله تع **وهو السميع العليم** أي المبالغ في العلم بالمسموعات والمعلومات التي من جملتها ما أسروه من النجوى
فيجازيهم بأقوالهم وأفعالهم اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله متضمن للوعيد **بل قالوا أضغاث أحلام** إضراب من جهته تعالى وانتقال من حكاية قولهم
السابق إلى حكاية قول آخر مضطرب في مطارح البطلان أي لم يقتصروا على أن يقولوا في حقه عليه السلام هل هذا إلا بشر وفي حق ما ظهر على يده من
القرآن الكريم إنه سحر بل قالوا تخاليط الأحلام ثم أضربوا عنه فقالوا **بل افتراه** من تلقاء نفسه من غير أن يكون له أصل أو شبهة أصل ثم قالوا **بل**
هو شاعر وما أتى به شعر يخيل إلى السامع معاني لا حقيقة لها وهكذا شأن المبطل المحجوج متحير لا يزال يتردد بين باطل وأبطل ويتذبذب بين فاسد
وأفسد فالإضراب الأول كما ترى من جهته تعالى والثاني والثالث من قبلهم وقد قيل الكل من قبلهم حيث أضربوا عن قولهم هو سحر إلى أنه تخاليط
أحلام ثم إلى أنه كلام مفترى ثم إلى أنه قول شاعر ولا ريب في أنه كان ينبغي حينئذ أن يقال بل قالوا أضغاث أحلام والاعتذار بأن بل قالوا
مقول لقالوا المضمر قبل قوله تع هل هذا إلا بشر إلى آخره كأنه قيل وأسروا النجوى قالوا هل هذا إلى قوله بل أضغاث أحلام وإنما صرح بقالوا
لبعد العهد مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن أمثاله **فليأتنا بآية** جواب شرط محذوف يفصح عنه السياق كأنه قيل وإن لم يكن كما قلنا بل كان
رسولاً من الله تعالى فليأتنا بآية **كما أرسل الأولون** أي مثل الآية التي أرسل بها الأولون كاليد والعصا ونظائرهما حتى نؤمن به فما موصولة و
محل الكاف الجر على أنها صفة لآية ويجوز أن تكون مصدرية فالكاف منصوبة على أنها مصدر تشبيهي أي نعت لمصدر محذوف أي فليأتنا بآية
إتياناً كائناً مثل إرسال الأولين بها وصحة التشبيه من حيث إن الإتيان بالآية من فروع الإرسال بها أي مثل إتيان مترتب على الإرسال
ويجوز أن يحمل النظم الكريم على أنه أريد كل واحد من الإتيان والإرسال في كل واحد من طرفي التشبيه لكنه ترك في جانب المشبه ذكر الإرسال وفي

وفي جانب المشبه به ذكر الإتيان اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في الموطن الآخر حسبما مر في آخر سورة يونس عليه السلام **ما آمنت قبلهم من قرية** كلام
مستأنف مسوق لتكذيبهم فيما ينبئ عنه خاتمة مقالهم من الوعد الضمني بالإيمان كما أشير إليه وبيان أنهم في اقتراح تلك الآيات كالباحث عن حتفه
بظلفه وأن في ترك الإجابة إليه إبقاء عليهم كيف لا ولو أعطوا ما اقترحوا مع عدم إيمانهم قطعاً لوجب استئصالهم لجريان سنة الله عز وجل
في الأمم السالفة على أن المقترحين إذا أعطوا ما اقترحوه ثم لم يؤمنوا نزل بهم عذاب الاستئصال لا محالة وقد سبقت كلمة الحق منه تعالى أن
هذه الأمة لا يعذبون بعذاب الاستئصال فقوله من قرية أي من أهل قرية في محل الرفع على الفاعلية ومن مزيدة لتأكيد العموم وقوله تعالى
أهلكناها أي بإهلاك أهلها لعدم إيمانهم بعد مجيء ما اقترحوه من الآيات صفة لقرية والهمزة في قوله تع **أفهم يؤمنون** لإنكار الوقوع
والفاء للعطف إما على مقدر دخلته الهمزة فأفادت إنكار وقوع إيمانهم ونفيه عقيب عدم إيمان الأولين فالمعنى أنه لم يؤمن أمة من الأمم المهلكة
عند إعطاء ما اقترحوه من الآيات أهم لم يؤمنوا فهؤلاء يؤمنون لو أجيبوا إلى ما سألوا وأعطوا ما اقترحوا مع كونهم أعتى منهم وأطغى وإما
على ما آمنت على أن الفاء متقدمة على الهمزة في الاعتبار مفيدة لترتيب إنكار وقوع إيمانهم على عدم إيمان الأولين وإنما قدمت عليها الهمزة
لاقتضائها الصدارة كما هو رأي الجمهور وقوله عز وجل **وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً** جواب لقولهم هل هذا إلا بشر إلى آخره متضمن لرد ما دسوا تحت قولهم
كما أرسل الأولون من التعريض بعدم كونه صلى الله عليه وسلم مثل أولئك الرسل صلوات الله تعالى عليهم أجمعين ولذلك قدم عليه جواب قولهم فليأتنا بآية
ولأنهم قالوا ذلك بطريق التعجيز فلا بد من المسارعة إلى رده وإبطاله كما مر في تفسير قوله تع قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين وقوله تع ما
ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذاً منظرين ولأن في هذا الجواب نوع بسط يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم والحق أن ما اتخذوه سبباً
للتكذيب موجب للتصديق في الحقيقة لأن مقتضى الحكمة أن يرسل إلى البشر البشر وإلى الملك الملك حسبما ينطق به قوله تع قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون
مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً فإن عامة البشر بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية لتوقفها على التناسب بين المفيض والمستفيض
فبعث الملك إليهم مزاحم للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع وإنما الذي تقتضيه الحكمة أن يبعث الملك منهم إلى الخواص المختصين بالنفوس الزكية
المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا إلى جانب وقوله تع **نوحي إليهم** استئناف
مبين لكيفية الإرسال وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية المستمرة وحذف المفعول لعدم القصد إلى خصوصه والمعنى وما أرسلنا إلى الأمم
قبل إرسالك إلى أمتك إلا رجالاً مخصوصين من أفراد الجنس مستأهلين للاصطفاء والإرسال نوحي إليهم بواسطة الملك ما نوحي من الشرائع
والأحكام وغيرهما من القصص والأخبار كما نوحي إليك من غير فرق بينهما في حقيقة الوحي وحقيقة مدلوله حسبما يحكيه قوله تع إنا أوحينا إليك كما أوحينا
إلى نوح والنبيين إلى قوله وكلم الله موسى تكليماً كما لا فرق بينك وبينهم في البشرية فما لهم لا يفهمون أنك لست بدعاً من الرسل وأن ما أوحي إليك
ليس مخالفاً لما أوحي إليهم فيقولون ما يقولون وقرئ يوحى إليهم بالياء على صيغة المبني للمفعول جرياً على سنن الكبرياء وإيذاناً بتعين الفاعل وقوله تع
فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون تلوين للخطاب وتوجيه له إلى الكفرة لتبكيتهم واستنزالهم عن رتبة الاستبعاد والنكير إثر تحقيق الحق على طريقة الخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم لأنه الحقيق بالخطاب في أمثال تلك الحقائق الأنيقة وأما الوقوف عليها بالاستخبار من الغير فهو من وظائف العوام والفاء لترتيب ما بعدها
على ما قبلها وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه أي إن كنتم لا تعلمون ما ذكر فاسألوا أيها الجهلة أهل الكتاب الواقفين على أحوال الرسل السالفة عليهم
الصلاة والسلام لتزول شبهتكم أمروا بذلك لأن أخبار الجم الغفير توجب العلم لا سيما وهم كانوا يشايعون المشركين في عداوته صلى الله عليه وسلم ويشاورونهم
في أمره عليه السلام ففيه من الدلالة على كمال وضوح الأمر وقوة شأن النبي صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى **وما جعلناهم جسداً** بيان لكون الرسل عليهم السلام أسوة
لسائر أفراد الجنس في أحكام الطبيعة البشرية إثر بيان كونهم أسوة لهم في نفس البشرية والجسد جسم الإنسان والجن والملائكة ونصبه إما على أنه مفعول ثان للجعل
لكن لا بمعنى جعله جسداً بعد أن لم يكن كذلك كما هو المشهور من معنى التصيير بل بمعنى جعله ابتداء كذلك على طريقة قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل كما مر
في قوله تع وجعلنا آية النهار مبصرة وإما حال من الضمير والجعل إبداعي وإفراده لإرادة الجنس المنتظم للكثير أيضاً وقيل بتقدير المضاف أي ذوي جسد وقوله
تع **لا يأكلون الطعام** صفة له أي وما جعلناهم جسداً مستغنياً عن الأكل والشرب بل محتاجاً إلى ذلك لتحصيل بدل ما يتحلل منه **وما كانوا خالدين** لأن مآل
التحلل هو الفناء لا محالة وفي إيثار ما كانوا على ما جعلناهم تنبيه على أن عدم الخلود ومقتضى جبلتهم التي أشير إليها بقوله تع وما جعلناهم إلى آخره
لا بالجعل المستأنف والمراد بالخلود إما المكث المديد كما هو شأن الملائكة أو الأبدية وهم معتقدون أنهم لا يموتون والمعنى جعلناهم أجساداً

متغذية صائرة الى الموت بالآخرة على حسب حالهم لا ملائكة ولا اجسادا مستغنية عن الاغذية مصونة عن التحلل كالملائكة فلم يكن لها خلود كخلودهم فالجملة
مقررة لما قبلها من كون الرسل السالفة عليهم السلام لا ملكا مع ما في ذلك من الرد على قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام وقوله تع ثم صدقناهم الوعد عطف على ما
يفهم من حكاية وحيه تعالى اليهم على الاستمرار التجددي كأنه قيل اوحينا اليهم ما اوحينا ثم صدقناهم في الوعد الذي وعدناهم في تضاعيف الوحي باهلاك
اعدائهم فانجيناهم ومن نشاء من المؤمنين وغيرهم ممن تستدعي الحكمة ابقاءه لكن سيؤمن هو او بعض فروعه بالآخرة وهو السر في حماية العرب من عذاب الاستئصال
واهلكنا المسرفين اي المجاوزين للحدود في الكفر والمعاصي لقد انزلنا اليكم كلام مستأنف مسوق لتحقيق حقية القرآن العظيم الذي ذكر في صدر السورة الكريمة
اعراض الناس عما يأتيهم من آياته واستهزاؤهم به وتسميتهم تارة سحرا وتارة اضغاث احلام واخرى مفترى وشعرا وبيان علو رتبته اثر تحقيق رسالته
صلى الله عليه وسلم ببيان انه كسائر الرسل الكرام عليهم الصلوة والسلام قد صدر بالتوكيد القسمي اظهارا لمزيد الاعتناء بمضمونه وايذانا بكون المخاطبين في
اقصى مراتب النكير اي والله لقد انزلنا اليكم يا معشر قريش كتابا عظيم الشأن نير البرهان وقوله تع فيه ذكركم صفة لكتابا مؤكدة لما افاده التنكير التفخيمي
من كونه جليل المقدار بانه جميل الآثار مستجلب لهم منافع جليلة اي فيه شرفكم وصيتكم كقوله تع وانه لذكر لك ولقومك وقيل ما تحتاجون اليه في امور دينكم ودنياكم
وقيل فيه ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق وقيل فيه موعظتكم وهو الانسب بسباق النظم الكريم وسياقه فان قوله تع افلا تعقلون انكار
توبيخي فيه بعث لهم على التدبر في امر الكتاب والتأمل فيما في تضاعيفه من فنون المواعظ والزواجر التي من جملتها القوارع السابقة واللاحقة والفاء للعطف على
مقدر ينسحب عليه الكلام اي الا تتفكرون فلا تعقلون ان الامر كذلك او لا تعقلون شيئا من الاشياء التي من جملتها ما ذكر وقوله تع وكم قصمنا من قرية نوع تفصيل
لاجمال قوله تع واهلكنا المسرفين وبيان لكيفية اهلاكهم وسببه وتنبيه على كثرتهم وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها النصب على انها مفعول لقصمنا ومن قرية
تمييز وفي لفظ القصم الذي هو عبارة عن الكسر بابانة اجزاء المكسور وازالة تأليفها بالكلية من الدلالة على قوة الغضب وشدة السخط ما لا يخفى وقوله تع
كانت ظالمة في محل الجر على انها صفة لقرية بتقدير مضاف ينبئ عنه الضمير الآتي اي وكثيرا قصمنا من اهل قرية كانوا ظالمين بآيات الله تعالى كافرين بها
كدأبكم وانشأنا بعدها اي بعد اهلاكها قوما آخرين اي ليسوا منهم نسبا ولا دينا ففيه تنبيه على استيصال الاولين وقطع دابرهم بالكلية وهو السر في
تقديم حكاية انشاء هؤلاء على حكاية مبادي اهلاك اولئك بقوله تع فلما احسوا بأسنا اي ادركوا عذابنا الشديد ادراكا تاما كأنه ادراك
المشاهد المحسوس اذا هم منها يركضون يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم في فرط الاسراع لا تركضوا اي قيل لهم بلسان الحال او بلسان المقال
من الملك او ممن ثمة من المؤمنين بطريق الاستهزاء والتوبيخ وارجعوا الى ما اترفتم فيه من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة ومساكنكم التي كنتم
تفتخرون بها لعلكم تسألون تقصدون للسؤال والتشاور والتدبير في المهمات والنوازل او تتفقدون اذا رأيتم مساكنكم خالية وتسألون
اين اصحابها او يسألكم الوافدون نوالكم على انهم كانوا اسخياء ينفقون اموالهم رئاء او بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم قالوا لما يئسوا من
الخلاص بالهرب وايقنوا بنزول العذاب يا ويلنا اي هلاكنا انا كنا ظالمين اي مستوجبين للعذاب وهذا اعتراف منهم بالظلم وباستتباعه للعذاب
وندم عليه حين لم ينفعهم ذلك فما زالت تلك دعواهم اي فما زالوا يرددون تلك الكلمة وتسميتها دعوى اي دعوة لان المولول كأنه يدعو الويل
قائلا يا ويل تعال فهذا اوانك حتى جعلناهم حصيدا اي مثل الحصيد وهو المحصود من الزرع والنبت ولذلك لم يجمع خامدين اي ميتين من خمدت
النار اذا طفئت وهو مع حصيدا في حيز المفعول الثاني للجعل كقولك جعلته حلوا حامضا والمعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود او حال
من الضمير المنصوب في جعلناهم او من المستكن في حصيدا او صفة لحصيدا لتعدده معنى لانه في حكم جعلناهم امثال حصيد وما خلقنا السماء والارض اشارة
اجمالية الى ان تكوين العالم وابداع بني آدم مؤسس على قواعد الحكم البالغة المستتبعة للغايات الجليلة وتنبيه على ان ما حكي من العذاب الهائل والعقاب
النازل باهل القرى من مقتضيات تلك الحكم ومتفرعاتها حسب اقتضاء اعمالهم اياه وان للمخاطبين المقتدين بآثارهم ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم
اي ما خلقناهما وما بينهما من المخلوقات التي لا تحصى اجناسها وافرادها ولا تحصر انواعها وآحادها على هذا النمط البديع والاسلوب المنيع خالية عن الحكم
والمصالح وانما عبر عن ذلك باللعب واللهو حيث قيل لاعبين لبيان كمال تنزهه تعالى عن الخلق الخالي عن الحكمة بتصويره بصورة ما لا يرتاب احد
في استحالة صدوره عنه سبحانه بل انما خلقناهما وما بينهما ليكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يقوده الى تحصيل معرفتنا التي
هي الغاية القصوى بواسطة طاعتنا وعبادتنا كما ينطق به قوله تع وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم
ايكم احسن عملا وقوله تع وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تع لو اردنا ان نتخذ لهوا استئناف مقرر لما قبله من انتفاء اللعب واللهو اي

اي لو اردنا ان نتخذ ما نتلهى به ونلعب لاتخذناه من لدنا اي من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بشأننا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام
الموضوعة كديدن الجبابرة في رفع العروش وتحسينها وتسوية الفروش وتزيينها لكن يستحيل ارادتنا له لمنافاته الحكمة فيستحيل اتخاذنا له قطعا وقوله
تع ان كنا فاعلين جوابه محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه اي ان كنا فاعلين لاتخذناه وقيل ان نافية اي ما كنا فاعلين اي لاتخاذ اللهو لعدم ارادتنا
اياه فيكون بيانا لانتفاء المقدم او لارادة اتخاذه فيكون بيانا لانتفاء المقدم المستلزم لانتفاء التالي وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل
الزوجة والمراد الرد على النصارى ولا يخفى بعده بل نقذف بالحق على الباطل اضراب عن اتخاذ اللهو بل عن ارادته كأنه قيل لكنا لا نريده بل
شأننا ان نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي من قبيله اللهو وتخصيص شأنه هذا من بين سائر شؤونه تعالى بالذكر للتخلص الى ما
سيأتي من الوعيد فيدمغه اي يمحقه بالكلية كما فعلنا باهل القرى المحكية وقد استعير لايراد الحق على الباطل القذف الذي هو الرمي الشديد
بالجرم الصلب كالصخرة ولمحقه الباطل الدمغ الذي هو كسر الشيء الرخو الاجوف وهو الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدي الى زهوق الروح
تصويرا له بذلك وقرئ فيدمغه بالنصب وهو ضعيف وقرئ فيدمغه بضم الميم فاذا هو زاهق اي ذاهب بالكلية وفي اذا الفجائية والجملة الاسمية
من الدلالة على كمال المسارعة في الذهاب والبطلان ما لا يخفى فكأنه زاهق من الاصل ولكم الويل مما تصفون وعيد لقريش بان لهم ايضا مثل ما
لاولئك من العذاب العقاب ومن تعليلية متعلقة بالاستقرار الذي تعلق به الخبر او بمحذوف هو حال من الويل او من ضميره في الخبر وما اما مصدرية
او موصولة او موصوفة اي واستقر لكم الويل والهلاك من اجل وصفكم له سبحانه بما لا يليق بشأنه الجليل او بالذي تصفونه او بشيء تصفونه به
من الولد ونحوه كذبا مما تصفونه تعالى به وله من في السموات والارض استئناف مقرر لما قبله من خلقه تعالى لجميع مخلوقاته على حكمة بالغة ونظام كامل وانه
تعالى يحق الحق ويزهق الباطل اي له تعالى خاصة جميع المخلوقات خلقا وملكا وتدبيرا وتصرفا واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير ان يكون لاحد
في ذلك دخل ما استقلالا او استتباعا ومن عنده وهم الملائكة عليهم السلام عبر عنهم بذلك اثر ما عبر عنهم بمن في السموات تنزيلا لهم
لكرامتهم عليه عز وجل وزلفاهم عنده منزلة المقربين عند الملوك بطريق التمثيل وهو مبتدأ خبره لا يستكبرون عن عبادته اي لا يتعظمون عنها ولا يعدون
انفسهم كبيرا ولا يستحسرون ولا يكلون ولا يعيون وصيغة الاستفعال المنبئة عن المبالغة في الحسور للتنبيه على ان عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة
بان يستحسر منها ومع ذلك لا يستحسرون لا لافادة نفي المبالغة في الحسور مع ثبوت اصله في الجملة كما ان نفي الظلامية في قوله تع وما انا بظلام
للعبيد لافادة كثرة الظلم المفروض تعلقه بالعبيد لا لافادة نفي المبالغة في الظلم مع ثبوت اصل الظلم في الجملة وقيل من عنده معطوف على من
الاولى وافرادهم بالذكر مع دخولهم في من في السموات والارض للتعظيم كما في قوله تع وجبريل وميكال فقوله لا يستكبرون حينئذ حال من الثانية
يسبحون الليل والنهار اي ينزهونه في جميع الاوقات ويعظمونه ويمجدونه دائما وهو استئناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله كأنه قيل ماذا يصنعون
في عبادتهم او كيف يعبدون فقيل يسبحون الى آخره او حال من فاعل يستحسرون وكذا قوله تع لا يفترون اي لا يتخلل تسبيحهم فترة اصلا بفراغ
او بشغل آخر ام اتخذوا آلهة حكاية لجناية اخرى من جناياتهم بطريق الاضراب والانتقال من فن الى فن آخر من التوبيخ اثر تحقيق الحق ببيان
انه تعالى خلق جميع المخلوقات على منهاج الحكمة وانهم قاطبة تحت ملكوته وقهره وان عباده مذعنون لطاعته ومثابرون على عبادته منزهون
عن كل ما لا يليق بشأنه من الامور التي من جملتها الانداد ومعنى الهمزة في ام المنقطعة انكار الوقوع لا انكار الواقع وقوله تع من الارض متعلق
باتخذوا او بمحذوف هو صفة لآلهة وايا ما كان فالمراد هو التحقير لا التخصيص وقوله تع هم ينشرون اي يبعثون الموتى صفة لآلهة وهو الذي يدور
عليه الانكار والتجهيل والتشنيع لا نفس الاتخاذ فانه واقع لا محالة اي بل اتخذوا آلهة من الارض هم خاصة مع حقارتهم وجماديتهم ينشرون الموتى كلا
فان ما اتخذوها آلهة بمعزل من ذلك وهم وان لم يقولوا بذلك صريحا لكنهم حيث ادعوا لها الالهية فكأنهم ادعوا لها الانشار ضرورة انه من الخصائص
الالهية حتما ومعنى الاختصاص والتخصيص في تقديم الضمير ما اشير اليه من التنبيه على كمال مباينة حالهم للانشار الموجبة لمزيد الانكار كما في قوله تع
افي الله شك وقوله تع أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون فان تقديم الجار والمجرور للتنبيه على كمال مباينة امره تعالى لان يشك فيه
ويستهزأ به وتجوز ان يجعل ذلك من مستتبعات ادعائهم الباطل فان الالوهية مقتضية للاستقلال بالابداء والاعادة فحيث ادعوا للاصنام الالهية
فكأنهم ادعوا لها الاستقلال بالانشار كما انهم جعلوا بذلك مدعين لاصل الانشار لو كان فيهما آلهة الا الله ابطال لتعدد الآلهة باقامة البرهان على
انتفائه بل على استحالته وايراد الجمع لوروده اثر انكار اتخاذ الآلهة لا لان للجمعية مدخلا في الاستدلال وكذا فرض كونها فيهما والا يعني

غير علي انها صفة لآلهة ولا مساغ للاستثناء لاستحالة شمول ما قبلها لما بعدها وافضائه الي فساد المعني لدلالته حينئذ علي ان الفساد لكونها فيهما بدونه والا للرفع علي البدل لانه متفرع علي الاستثناء ومشروط بان يكون في كلام غير موجب اي لو كان في السموات والارض آلهة غير الله كما هو اعتقادهم الباطل لفسدتا اي لبطلتا بما فيهما جميعا وحيث انتفي التالي علم انتفاء المقدم قطعا بيان الملازمة ان الالهية مستلزمة للقدرة علي الاستبداد بالتصرف فيهما علي الاطلاق تغييرا وتبديلا وايجادا واعداما واحياء واماتة فبقاؤهما علي ما هما عليه اما بتاثير كل منهما وهو محال لاستحالة وقوع المعلول المعين بعلل متعددة واما بتاثير واحد منها فالبواقي بمعزل من الالهية قطعا واعلم ان جعل التالي فسادهما بعد وجودهما لما انه اعتبر في المقدم تعدد الآلهة فيهما والا فالبرهان يقضي باستحالة التعدد علي الاطلاق فانه لو تعدد الاله فان توافق الكل في المراد تطاردت عليه القدر وان تخالف تعاوقت فلا يوجد موجود اصلا وحيث انتفي التالي تعين انتفاء المقدم والفاء في قوله تعالى **فسبحان الله** لترتيب ما بعدها علي ما قبلها من ثبوت الوحدانية بالبرهان اي فسبحوه سبحانه اللائق به ونزهوه عما لا يليق به من الامور التي من جملتها ان يكون له شريك في الالوهية وايراد الجلالة في موضع الاضمار للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية مناط لجميع صفات كماله التي من جملتها تنزهه تعالى عما لا يليق به ولتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى **رب العرش** صفة للاسم الجليل مؤكدة لتنزهه عز وجل **عما يصفون** متعلق بالتسبيح اي فسبحوه عما يصفونه من ان يكون من دونه آلهة **لا يسئل عما يفعل** استئناف ببيان انه تعالى لقوة عظمته وعزة سلطانه القاهر بحيث ليس لاحد من مخلوقاته ان يناقشه ويسأله عما يفعل من افعاله اثر بيان ان ليس له شريك في الالهية **وهم** اي العباد **يسئلون** عما يفعلون نقيرا وقطميرا لانهم مملوكون له تعالى مستعبدون ففيه وعيد للكفرة **ام اتخذوا من دونه آلهة** اضراب وانتقال من اظهار بطلان كون ما اتخذوه آلهة آلهة حقيقة باظهار خلوها عن خصائص الالهية التي من جملتها الانشار واقامة البرهان القاطع علي استحالة تعدد الاله علي الاطلاق وتفرده سبحانه بالالوهية الي اظهار بطلان اتخاذهم تلك الآلهة مع عرائها عن تلك الخصائص بالمرة شركاء لله عز سلطانه وتبكيتهم بالجائهم الي اقامة البرهان علي دعواهم الباطلة وتحقيق ان جميع الكتب السماوية ناطقة بحقية التوحيد وبطلان الاشراك والهمزة لانكار الاتخاذ المذكور واستقباحه واستعظامه ومن متعلقة باتخذوا والمعني بل اتخذوا متجاوزين اياه تعالى مع ظهور شؤونه الجليلة الموجبة لتفرده بالالوهية آلهة مع ظهور خلوهم عن خواص الالوهية بالكلية **قل** لهم بطريق التبكيت والقام الحجر **هاتوا برهانكم** علي ما تدعونه من جهة العقل او النقل فانه لا صحة لقول لا دليل عليه في الامور الدينية لا سيما في مثل هذا الشأن الخطير وما في اضافة البرهان الي ضميرهم من الاشعار بان لهم برهانا ضرب من التهكم بهم وقوله تعالى **هذا ذكر من معي وذكر من قبلي** انارة لبرهانه واشارة الي انه مما نطقت به الكتب الالهية قاطبة وشهدت به السنة الرسل المتقدمة كافة وزيادة تهييج لهم علي اقامة البرهان لاظهار كمال عجزهم اي هذا الوحي الوارد في شأن التوحيد المتضمن للبرهان القاطع العقلي ذكر امتي اي عظتهم وذكر الامم السالفة قد اقمته فاقيموا انتم ايضا برهانكم وقيل المعني هذا كتاب انزل علي امتي وهذا كتاب انزل علي امم الانبياء عليهم السلام من الكتب الثلثة والصحف فراجعوها وانظروا هل في واحد منها غير الامر بالتوحيد والنهي عن الاشراك ففيه تبكيت لهم متضمن لاثبات نقيض مدعاهم وقرئ بالتنوين والاعمال كقوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وبه ومن الجارة علي ان مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وقوله تعالى **بل اكثرهم لا يعلمون الحق** اضراب من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن وانتقال من الامر بتبكيتهم بمطالبة البرهان الي بيان انه لا ينجع فيهم المحاجة باظهار حقية الحق وبطلان الباطل فان اكثرهم لا يفهمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل **فهم** لاجل ذلك **معرضون** اي مستمرون علي الاعراض عن التوحيد واتباع الرسول لا يرعوون عما هم عليه من الغي والضلال وان كررت عليهم البينات والحجج او معرضون عما القي عليهم من البراهين العقلية والنقلية وقرئ الحق بالرفع علي انه خبر مبتدأ محذوف وسط بين السبب والمسبب تاكيدا للسببية وقوله تعالى **وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون** استئناف مقرر لما اجمل فيما قبله من كون التوحيد مما نطقت به الكتب الالهية واجمعت عليه الرسل عليهم السلام وقرئ يوحي علي صيغة الغائب مبنيا للمفعول وايا ما كان فصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورة الوحي **وقالوا اتخذ الرحمن ولدا** حكاية لجناية فريق من المشركين جيء بها لاظهار بطلانها وبيان تنزهه تعالى عن ذلك اثر بيان تنزهه **سبحانه** عن الشركاء علي الاطلاق وهم حي من خزاعة يقولون الملائكة بنات الله تعالى ونقل الواحدي ان قريشا وبعض اجناس العرب جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح يقولون ذلك والتعرض لعنوان الرحمانية المنبئة عن كون جميع ما سواه تعالى مربوبا له تعالى نعمة او منعما عليه لابراز كمال شناعة مقالتهم الباطلة **سبحانه** اي تنزه بالذات تنزهه اللائق به علي ان السبحان مصدر من سبح اي بعد او سبحه تسبيحه علي انه علم للتسبيح وهو مقول علي السنة العباد او سبحوه تسبيحه وقوله تعالى **بل عباد** اضراب

اضراب وابطال لما قالوه كأنه قيل ليست الملائكة كما قالوا بل هم عباد له تعالى **مكرمون** مقربون عنده وقرئ مكرمون بالتشديد وفيه تنبيه علي منشأ غلط القوم وقوله تعالى **لا يسبقونه بالقول** صفة اخري لعباد منبئة علي كمال طاعتهم وانقيادهم لامره تعالى اي لا يقولون شيئا حتي يقوله تعالى او يأمرهم به واصله لا يسبق قولهم قوله فاسند السبق اليهم منسوبا اليه تعالى تنزيلا لسبق قولهم قوله تعالى منزلة سبقهم اياه تعالى لمزيد تنزيههم عن ذلك وللتنبيه علي يد استهجان السبق المعرض به للذين يقولون ما لا يقوله الله تعالى وجعل القول محلا للسبق واداة له ثم انيب اللام عن الاضافة للاختصار والتجافي عن التكرار وقرئ لا يسبقونه بضم الباء من سابقته فسبقته اسبقه وفيه مزيد استهجان للسبق واشعار بان من سبق قوله تعالى فقد تصدي لمغالبته تعالى في السبق فغلبه والعياذ بالله تعالى وزيادة تنزيه لهم عما نفي عنهم ببيان ان ذلك عندهم بمنزلة الغلبة بعد المغالبة فاني يتوهم صدوره عنهم **وهم بامره يعملون** بيان لتبعيتهم له تعالى في الاعمال اثر بيان تبعيتهم له تعالى في الاقوال فان نفي سبقهم له تعالى بالقول عبارة عن تبعيتهم له تعالى فيه كأنه قيل هم بامره يقولون وبامره يعملون لا بغير امره اصلا فالقصر المستفاد من تقديم الجار معتبر بالنسبة الي غير امره لا الي امر غيره **يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم** استئناف وقع تعليلا لما قبله وتمهيدا لما بعده فانهم لعلمهم باحاطته تعالى بما قدموا واخروا من الاقوال والاعمال لا يزالون يراقبون احوالهم فلا يقدمون علي قول او عمل بغير امره تعالى **ولا يشفعون الا لمن ارتضى** اي يشفع له مهابة منه تعالى **وهم** مع ذلك **من خشيته** عز وجل **مشفقون** مرتعدون واصل الخشية الخوف مع التعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق الخوف مع الاعتناء فعند تعديته بمن يكون معني الخوف فيه اظهر وعند تعديته بعلي بالعكس الامر **ومن يقل منهم** اي من الملائكة اذ الكلام فيهم وفي كونهم بمعزل مما قالوا في حقهم **اني اله من دونه** متجاوزا اياه تعالى **فذلك** الذي فرض قوله فرض محال **نجزيه جهنم** كسائر المجرمين ولا يغني عنهم ما ذكر من صفاتهم السنية وافعالهم المرضية وفيه من الدلالة علي قوة ملكوته تعالى وعزة جبروته واستحالة كون الملائكة بحيث يتوهم ما يتوهمه اولئك الكفرة ما لا يخفى **كذلك نجزي الظالمين** مصدر تشبيهي مؤكد لمضمون ما قبله اي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي الذين يضعون الاشياء في غير موضعها ويتعدون اطوارهم والقصر المستفاد من التقديم معتبر بالنسبة الي النقصان دون الزيادة اي لا جزاء انقص منه **اولم ير الذين كفروا** تجهيل لهم بتقصيرهم في التدبر في الآيات التكوينية الدالة علي استقلاله تعالى بالالوهية وكون جميع ما سواه مقهورا تحت ملكوته والهمزة للانكار والواو للعطف علي مقدر وقرئ بغير واو والرؤية قلبية اي الم يتفكروا ولم يعلموا **ان السموات والارض كانتا** اي جماعتا السموات والارضين كما في قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا **رتقا** الرتق الضم والالتحام والمعني اما علي حذف المضاف او هو بمعني المفعول اي كانتا ذواتي رتق او مرتوقتين وقرئ رتقا اي شيئا رتقا اي مرتوقا **ففتقناهما** قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في رواية عكرمة والحسن البصري وقتادة وسعيد بن جبير كانتا شيئا واحدا ملتزقتين ففصل الله تعالى بينهما ورفع السماء الي حيث هي واقر الارض وقال كعب خلق الله السموات والارض ملتصقتين ثم خلق ريحا فتوسطتها ففتقتها وعن الحسن خلق الله تعالى الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما فجعلها سبع سموات وكذلك الارض كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع ارضين وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في رواية عطاء وعليه اكثر المفسرين ان السموات كانتا رتقا مستوية صلبة لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات فيكون المراد بالسموات السماء الدنيا والجمع باعتبار الآفاق او السموات جميعا علي ان لها مدخلا في الامطار وعلم الكفرة الرتق والفتق بهذا المعني مما لا سترة به واما بالمعاني الاول فهم وان لم يعلموها لكنهم متمكنون من علمهما اما بطريق النظر والتفكر فان الفتق عارض مفتقر الي مؤثر قديم واما بالاستفسار من العلماء ومطالعة الكتب **وجعلنا من الماء كل شيء حي** اي خلقنا من الماء كل حيوان كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من اعظم مواده او لفرط احتياجه اليه وانتفاعه به او صيرنا كل حي من الماء اي بسبب منه لا بد له من ذلك وتقديم المفعول الثاني للاهتمام به لا لمجرد ان المفعولين في الاصل مبتدأ وخبر وحق الخبر عند كونه ظرفا ان يتقدم علي المبتدأ فان ذلك مصحح محض وقرئ حيا علي انه صفة كل ومفعول ثان والظرف كما في الوجه الاول قدم علي المفعول للاهتمام به والتشويق الي المؤخر **افلا يؤمنون** انكار لعدم ايمانهم بالله تعالى وحده مع ظهور ما يوجبه حتما من الآيات الآفاقية والانفسية الدالة علي تفرده عز وجل بالالوهية وعلي كون ما سواه من مخلوقاته مقهورة تحت ملكوته وقدرته والفاء للعطف علي مقدر يستدعيه الانكار السابق اي ايعلمون ذلك فلا يؤمنون **وجعلنا في الارض رواسي** اي جبالا ثوابت جمع راسية من رسا الشيء اذا ثبت ورسخ ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء

وجعلنا فيها
مما لاريب في صحته كقوله تع اشهر معلومات واياما معدودات ان تميد بهم اي كراهة ان تتحرك وتضطرب بهم او لئلا تميد بهم بحذف اللام ولا العدم لالباس
اي في الارض وتكرير الفعل لاختلاف المجعولين ولتوفية مقام الامتنان حقه او في الرواسي لانها المحتاجة الى الطريق فجاجا مسالك واسعة
واتى قدم على قوله تع سبلا وهو وصف له ليصير حالا فيفيد انه تع حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه تع خلقها
ووسعها للسابلة مع ما فيه من التوكيد لعلهم يهتدون اي الى مصالحهم ومهماتهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا من الوقوع بقدرتنا القاهرة
او من الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئتنا او من استراق السمع بالشهب وهم عن آياتها الدالة على وحدانيته تع وعلمه وحكمته وقدرته
وارادته التي بعضها محسوس وبعضها معلوم بالبحث عنه في علمي الطبيعة والهيئة معرضون لا يتدبرون فيها فيبقون على ما هم عليه من الكفر والضلال
وقوله تع وهو الذي خلق الليل والنهار الذين هما آيتاهما بيان لبعض تلك الآيات التي هم عنها معرضون بطريق الالتفات الموجب لتأكيد
الاعتناء بفحوى الكلام اي هو الذي خلقهن وحده كل اي كل واحد منهما على ان التنوين عوض عن المضاف اليه في فلك يسبحون اي يجرون
في سطح الفلك كالسبح في الماء والمراد بالفلك الجنس كقولك كساهم الخليفة حلة والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير
لهما والجمع باعتبار المطالع وجعل الضمير واو العقلاء لان السباحة حالهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد اي في الدنيا لكونه مخالفا للحكمة التكوينية
والتشريعية افان مت بمقتضى حكمتنا فهم الخالدون نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون والفاء لتعليق الشرطية بما قبلها والهمزة لانكار
مضمونها بعد تقرر القاعدة الكلية النافية لذلك بالمرة والمراد بانكار خلودهم ونفيه انكار ما هو مداره وجودا وعدما من شماتتهم
عليه السلام فان الشماتة بما يعتريه ايضا مما لا ينبغي ان يصدر عن العاقل كانه قيل افان مت فهم الخالدون حتى يشمتوا بموتك وقوله تعالى
كل نفس ذائقة الموت اي ذائقة مرارة مفارقتها جسدها برهان على ما انكر من خلودهم ونبلوكم الخطاب اما للناس كافة بطريق التلوين
او للكفرة بطريق الالتفات اي نعاملكم معاملة من يبلوكم بالشر والخير بالبلايا والنعم هل تصبرون وتشكرون او لا فتنة مصدر مؤكد
لنبلوكم من غير لفظه والينا ترجعون لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا فنجازيكم حسبما يظهر منكم من الاعمال فهو على الاول وعد ووعيد وعلى
الثاني وعيد محض وفيه ايماء الى ان المقصود من هذه الحيوة الدنيا الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب وقرئ يرجعون بالياء على الالتفات
واذا رآك الذين كفروا اي المشركون ان يتخذونك الا هزوا اي ما يتخذونك الا مهزوا به على معنى قصر معاملتهم معه عليه السلام على اتخاذهم اياه هزوا
لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزوا كما هو المتبادر كانه قيل ما يفعلون بك الا اتخاذك هزوا وقد مر تحقيقه في قوله تع ان اتبع الا ما يوحى
الي في سورة الانعام اهذا الذي يذكر آلهتكم على ارادة القول اي ويقولون او قائلين ذلك او يذكرهم بسوء كما في قوله تع سمعنا فتى يذكرهم
الى آخره وقوله تع وهم بذكر الرحمن هم كافرون في حيز النصب على الحالية من ضمير القول المقدر والمعنى انهم يعيبون عليه عليه السلام ان يذكر آلهتهم
التي لا تضر ولا تنفع بالسوء والحال انهم بذكر الرحمن المنعم عليهم بما لا يليق به من التوحيد او بارشاد الخلق بارسال الرسل وانزال الكتب او بالقرآن
كافرون فهم احق بالعيب والانكار فالضمير الاول مبتدأ خبره كافرون وبذكر متعلق بالخبر والتقدير وهم كافرون بذكر الرحمن والضمير الثاني
تأكيد لفظي للاول فوقع الفصل بين العامل ومعموله بالمؤكد وبين المؤكد بالمعمول خلق الانسان من عجل جعل لفرط استعجاله وقلة صبره كانه
مخلوق منه تنزيلا لما طبع عليه من الاخلاق منزلة ما طبع منه من الاركان ايذانا بغاية لزومه وعدم انفكاكه عنه ومن عجلته مبادرته الى الكفر
واستعجاله بالوعد روي انها نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل العذاب بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر الآية وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما ان المراد بالانسان آدم عليه السلام فانه حين بلغ الروح صدره ولم تتبالغ فيه اراد ان يقوم وروي انه لما دخلت الروح في
عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخلت جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله تعالى في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع في خلقه قبل
غيبتها فالمعنى خلق الانسان خلقا ناشئا من عجل فذكره لبيان انه من دواعي عجلته في الامور والاظهر ان المراد به الجنس وان كان خلقه عليه السلام
ساريا الى اولاده وقيل العجل الطين بلغة حمير ولا تقريب له ههنا وقوله تع سأريكم آياتي تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى المستعجلين بطريق التهديد والوعيد اي سأريكم نقماتي في الآخرة كعذاب النار وغيره فلا تستعجلون بالاتيان بها والنهي عما جبلت
عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها ويقولون متى هذا الوعد اي وقت مجيء الساعة التي كانوا يوعدون وانما كانوا يقولونه استعجالا لمجيئه
بطريق الاستهزاء والانكار كما يرشد اليه الجواب لا طلبا للتعيين وقته بطريق الالزام كما في سورة الملك ان كنتم صادقين اي وعدكم بانه

بانه يأتينا والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الذين يتلون الآيات الكريمة المنبئة عن مجيء الساعة وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه
حسبما حذف في مثل قوله تع فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فان قولهم متى هذا الوعد استبطاء منهم للموعود وطلب لاتيانه بطريق العجلة فان
ذلك في قوة الامر بالاتيان عجلة كانه قيل فليأتنا بسرعة ان كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا استئناف مسوق لبيان شدة هول ما
يستعجلونه وفظاعة ما فيه من العذاب وانهم انما يستعجلونه لجهلهم بشأنه وايثار صيغة المضارع في الشرط وان كان المعنى على المضي لافادة
استمرار عدم العلم فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس بنص في افادة انتفاء استمرار الفعل بل يفيد استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام
كما في قولك لو تحسن الي لشكرتك فان المعنى ان انتفاء الشكر لاستمرار انتفاء الاحسان لا لانتفاء استمرار الاحسان ووضع الموصول موضع الضمير
للتنبيه بما في حيز الصلة على علة استعجالهم وقوله تع حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم مفعول يعلم وهو عبارة عن الوقت الموعود الذي كانوا
يستعجلونه واضافته الى الجملة الجارية مجرى الصفة التي حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند المخاطب ايضا مع انكار الكفرة بذلك
للايذان بانه من الظهور بحيث لا حاجة له الى الاخبار به وانما حقه الانتظام في سلك المسلمات المفروغ عنها وجواب لو محذوف اي لو لم يستمر عدم
علمهم بالوقت الذي يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد وهو الحين الذي يحيط بهم النار فيه من كل جانب وتخصيص الوجوه والظهور بالذكر بمعنى القدام
والخلف لكونهما اشهر الجوانب واستلزام الاحاطة بهما للاحاطة بالكل بحيث لا يقدرون على دفعها بانفسهم من جانب من جوانبهم ولا هم ينصرون من
جهة الغير في دفعها الى آخره لما فعلوا ما فعلوا من الاستعجال ويجوز ان يكون يعلم متروك المفعول منزلا منزلة اللازم اي لو كان لهم علم لما فعلوه وقوله تع
الى آخره استئناف مقرر لجهلهم ومبين لاستمراره الى ذلك الوقت كانه قيل حين يروون يعلمون حقيقة الحال بل تأتيهم عطف على لا
يكفون اي لا يكفونها بل تأتيهم العدة او النار او الساعة بغتة فتبهتهم اي تغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان بالتذكير على ان الضمير للوعد
او الحين وكذا الهاء في قوله تع فلا يستطيعون ردها بتأويل الوعد بالنار او العدة والحين بالساعة ويجوز عوده الى النار وقيل الى البغتة
اي لا يستطيعون ردها عنهم بالكلية ولا هم ينظرون اي يمهلون ليستريحوا طرفة عين وفيه تذكير لامهالهم في الدنيا ولقد استهزئ برسل من قبلك
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به عليه السلام في ضمن الاستعجال وعدة ضمنية بانه يصيبهم مثل ما اصاب المستهزئين بالرسل
السالفة عليهم الصلوة والسلام وتصديرها بالقسم لزيادة تحقيق مضمونها وتنوين الرسل للتفخيم والتكثير ومن متعلقة بمحذوف هو صفة له
اي وبالله لقد استهزئ برسل اولي شأن خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
فحاق اي احاط عقيب ذلك او نزل او حل ونحو ذلك فان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل الا في الشر والحيق ما يشتمل على الانسان
من مكروه فعله وقوله تع بالذين سخروا منهم اي من اولئك الرسل عليهم السلام متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذي هو قوله تع ما كانوا به يستهزئون
للمسارعة الى بيان لحوق الشر بهم وما اما موصولة مفيدة للتهويل والضمير المجرور عائد اليها والجار متعلق بالفعل وتقديمه عليه لرعاية الفواصل اي
فاحاط بهم الذي كانوا يستهزئون به حيث اهلكوا لاجله واما مصدرية فالضمير المجرور راجع حينئذ الى جنس الرسول المدلول عليه بالجمع كما قالوا
ولعل ايثاره على الجمع للتنبيه على انه يحيق بهم جزاء استهزائهم بكل واحد واحد منهم عليهم السلام لا جزاء استهزائهم بكلهم من حيث هو كل فقط اي فنزل
بهم جزاء استهزائهم على وضع السبب موضع المسبب ايذانا بكمال الملابسة بينهما او عين استهزائهم ان اريد بذلك العذاب الاخروي بناء على تجسم الاعمال
فان الاعمال الظاهرة في هذه النشأة بصورة عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصورة جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح وعلى ذلك بني الوزن
وقد مر تفصيله في سورة الاعراف وفي قوله تع انما بغيكم على انفسكم الآية الى آخرها قل خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تسليته بما ذكر من مصير
امرهم الى الهلاك وامر له عليه السلام بان يقول لاولئك المستهزئين بطريق التقريع والتبكيت من يكلؤكم اي يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن اي
من بأسه الذي تستحقون نزوله ليلا ونهارا وتقديم الليل لما ان الدواهي اكثر فيه وقوعا واشد وقعا وفي التعرض لعنوان الرحمانية ايذان بان كالئهم
ليس الا رحمته العامة وبعد ما امر عليه السلام بما ذكر من السؤال على الوجه المذكور حسبما يقتضيه حالهم لانهم بحيث لولا ان الله تع يحفظهم في الملوين
يحل بهم فنون الآفات فهم احقاء بان يكلفوا الاعتراف بذلك فيوبخوا على ما هم عليه من الاشراك اضرب عن ذلك بقوله تعالى بل هم عن ذكر ربهم معرضون ببيان
ان لهم حالا اخرى مقتضية لصرف الخطاب عنهم وهي انهم لا يخطرون ذكره تعالى ببالهم فضلا عن ان يخافوا بأسه ويعدوا ما كانوا عليه من الامن والدعة
حفظا وكلاءة حتى يسألوا عن الكالئ على طريقة قول من قال عوجوا فحيوا النعمى دمنة الدار ماذا تحيون من نؤي واحجار وفي تعليق الاعراض

بذكره تعالى وايراد اسم الرب المضاف الى ضميرهم المنبئ عن كونهم تحت ملكوته وتدبيره وتربيته تعالى من الدلالة على كونهم في الغاية القاصية من الضلالة والغي ما لا يخفى وكلمة ام في قوله تع ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عما قبله من بيان ان جهلهم بحفظه تعالى اياهم لعدم خوفهم الناشئ عن اعراضهم عن ذكر ربهم بالكلية الى توبيخهم باعتمادهم على آلهتهم واسنادهم الحفظ اليها والهمزة لانكار ان يكون لهم آلهة تقدر على ذلك والمعنى بل ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا او من عذاب كائن من عندنا فهم معولون عليها واثقون بحفظها وفي توجيه الانكار والنفي الى وجود الآلهة الموصوفة بما ذكر من المنع لا الى نفس الصفة بان يقال ام تمنعهم آلهتهم الى آخره من الدلالة على سقوطها عن مرتبة الوجود فضلا عن رتبة المنع ما لا يخفى وقوله عز وجل لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون استئناف مقرر لما قبله من الانكار وموضح لبطلان اعتقادهم اي هم لا يستطيعون ان ينصروا انفسهم ولا يصحبون بالنصر من جهتنا فكيف يتوهم ان ينصروا غيرهم وقوله تع بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر اضراب عما توهموا ببيان ان الداعي الى حفظهم تمتيعنا اياهم بما قدر لهم من الاعمار او عن الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحيوة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانهم بسبب ما هم عليه ولذلك عقب بما يدل على انه طمع فارغ وامل كاذب حيث قيل افلا يرون اي الا ينظرون فلا يرون انا نأتي الارض اي ارض الكفرة ننقصها من اطرافها فكيف يتوهمون انهم ناجون من بأسنا وهو تمثيل وتصوير لما يجريه الله عز وجل من ديارهم على ايدي المسلمين من يضيفها الى دار الاسلام افهم الغالبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والفاء لانكار ترتيب الغالبية على ما ذكر من نقص ارض الكفرة بتسليط المسلمين عليها كأنه قيل ابعد ظهور ما ذكر ورؤيتهم له يتوهم غلبتهم كما مر في قوله تع افمن كان على بينة من ربه وقوله تع قل افاتخذتم من دونه اولياء وفي التعريف تعريض بان المسلمين هم المتعينون للغلبة المعروفون بها قل انما انذركم بعد ما بين من جهته تعالى غاية هول ما يستعجله المستعجلون ونهاية سوء حالهم عند اتيانه ونعى عليهم جهلهم بذلك واعراضهم عن ذكر ربهم الذي يكلؤهم من طوارق الليل والنهار وغير ذلك من مساوي احوالهم أمر عليه السلام بان يقول لهم انما انذركم ما تستعجلونه من الساعة بالوحي الصادق الناطق باتيانها وفظاعة ما فيها من الاهوال اي انما شأني ان انذركم بالاخبار بذلك لا بالاتيان بها فانه مزاحم للحكمة التكوينية والتشريعية اذ الايمان برهاني لا عياني وقوله تع ولا يسمع الصم الدعاء اما من تتمة الكلام الملقن تذييل له بطريق الاعتراض وقد امر عليه السلام بان يقوله لهم توبيخا وتقريعا وتسجيلا عليهم بكمال الجهل والعناد واللام للجنس المنتظم للمخاطبين انتظاما اوليا او للعهد فوضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالتصام وتقييد نفي السماع بقوله تعالى اذا ما ينذرون مع ان الصم لا يسمعون الكلام انذارا كان او تبشيرا لبيان كمال شدة الصمم كما ان ايثار الدعاء الذي هو عبارة عن الصوت والنداء على الكلام لذلك فان الانذار عادة يكون باصوات عالية مكررة مقارنة لهيئات دالة عليه فاذا لم يسمعوها يكون صممهم في غاية لا غاية وراءها واما من جهته تعالى على طريقة قوله تعالى بل هم عن ذكر ربهم معرضون ويؤيده القراءة على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم من الاسماع والدعاء كأنه قيل قل لهم ذلك وانت بمعزل من اسماعهم وقرئ بالياء ايضا على ان الفاعل هو عليه السلام وقرئ على البناء للمفعول اي لا يقدر احد على اسماع الصم وقوله تع ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك بيان لسرعة تأثرهم من مجيء خبره على نهج التوكيد القسمي اي وبالله لئن اصابهم ادنى اصابة ادنى شيء من عذابه تعالى كما ينبئ عنه المس والنفحة بجوهرها وبنائها واصل النفح الهبوب من رائحة الشيء ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين ليدعن على انفسهم بالويل والهلاك ويعترفن عليها بالظلم وقوله تع ونضع الموازين القسط بيان لما سيقع عند اتيان ما انذروه اي نقيم الموازين العادلة التي توزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال وقد مر تفصيل ما فيه من الكلام في سورة الاعراف وافراد القسط لانه مصدر وصف به مبالغة ليوم القيمة التي كانوا يستعجلونها اي لجزائه او لاجل اهله او فيه كما في قولك جئت لخمس خلون من الشهر فلا تظلم نفس من النفوس شيئا حقا من حقوقها او شيئا ما من الظلم بل يوفى كل ذي حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر والفاء لترتيب انتفاء الظلم على وضع الموازين وان كان اي العمل المدلول عليه بوضع الموازين مثقال حبة من خردل اي مقدار حبة كائنة من خردل اي وان كان في غاية القلة والحقارة فان حبة الخردل مثل في الصغر وقرئ مثقال حبة بالرفع على ان كان تامة اتينا بها اي احضرنا ذلك العمل المعبر عنه بمثقال حبة الخردل للوزن والتأنيث لاضافته الى الحبة وقرئ آتينا بها اي جازينا بها من الايتاء بمعنى المجازاة والمكافأة لانهم اتوه باعمال وآتاهم بالجزاء وقرئ اثبنا من الثواب وقرئ جئنا بها وكفى بنا حاسبين

اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرى للمتقين نوع تفصيل لما اجمل في قوله تع وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم الى قوله تع واهلكنا المسرفين واشارة الى كيفية انجائهم واهلاك اعدائهم وتصديره بالتوكيد القسمي لاظهار كمال الاعتناء بمضمونه والمراد بالفرقان هو التورية وكذا بالضياء والذكر اي وبالله لقد آتيناهما وحيا ساطعا وكتابا جامعا بين كونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية وذكرى يتعظ به الناس وتخصيص المتقين بالذكر لانهم المستضيئون بانواره المغتنمون لمغانم آثاره او ذكر ما يحتاجون اليه من الشرائع والاحكام وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر والاول هو اللائق بمساق النظم الكريم فانه لتحقيق امر القرآن المشارك لسائر الكتب الالهية لا سيما التورية فيما ذكر من الصفات ولان فلق البحر هو الذي اقترح الكفرة مثله بقولهم فليأتنا بآية كما ارسل الاولون وقرئ ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان وقوله تع الذين يخشون ربهم اي عذابه مجرور المحل على انه صفة مادحة للمتقين او بدل او بيان او منصوب او مرفوع على المدح بالغيب حال من المفعول اي يخشون عذابه تع وهو غائب عنهم غير مشاهد لهم ففيه تعريض بالكفرة حيث لا يتأثرون بالانذار ما لم يشاهدوا ما انذروه وقيل من الفاعل وهم من الساعة مشفقون اي خائفون منها بطريق الاعتناء وتقديم الجار لمراعاة الفواصل وتخصيص اشفاقهم منها بالذكر بعد وصفهم بالخشية على الاطلاق للايذان بكونها معظم المخوفات وللتنصيص بضد ما اتصف به المستعجلون وايثار الجملة الاسمية للدلالة على ثبات الاشفاق ودوامه وهذا اي القرآن الكريم اشير اليه بهذا ايذانا بغاية وضوح امره ذكر يتذكر به من تذكر وصف بالوصف الاخير للتورية لمناسبة المقام وموافقة لما مر في صدر السورة الكريمة مبارك كثير النفع غزير الخير يتبرك به انزلناه اما صفة ثانية لذكر او خبر آخر افانتم له منكرون انكار لانكارهم بعد ظهور كون انزاله كايتاء التورية كأنه قيل ابعد ان علمتم ان شأنه كشأن التورية في الايتاء والايحاء انتم منكرون لكونه منزلا من عندنا فان ذلك بعد ملاحظة حال التورية مما لا مساغ له اصلا ولقد آتينا ابراهيم رشده اي الرشد اللائق به وبامثاله من الرسل الكبار وهو الاهتداء الكامل المستند الى الهداية الخاصة الحاصلة بالوحي والاقتدار على اصلاح الامة باستعمال النواميس الالهية وقرئ رشده وهما لغة كالحزن والحزن من قبل اي من قبل ايتاء موسى وهرون التورية وتقديم ذكر ايتائهما لما بينه وبين انزال القرآن من الشبه التام وقيل من قبل استنبائه او قبل بلوغه ويأباه المقام وكنا به عالمين اي بانه اهل لما آتيناه وفيه من الدليل على انه تعالى عالم بالجزئيات مختار في افعاله ما لا يخفى اذ قال لابيه وقومه ظرف لآتينا على انه وقت متسع وقع فيه الايتاء وما ترتب عليه من افعاله واقواله وقيل مفعول لمضمر مستأنف وقع تعليلا لما قبله اي اذكر وقت قوله لهم ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون لتقف على كمال رشده وغاية فضله والتمثال اسم لشيء مصنوع مشبه بخلق من خلائق الله تعالى وهذا تجاهل منه عليه السلام حيث سألهم عن اصنامهم بما التي يطلب بها بيان الحقيقة او شرح الاسم كأنه لا يعرف انها ماذا مع احاطته بان حقيقتها حجر او شجر اتخذوها معبودا وعبر عن عبادتهم لها بطريق العكوف الذي هو عبارة عن اللزوم والاستمرار على الشيء لغرض من الاغراض قصدا الى تحقيرها واذلالها وتوبيخا لهم على اجلالها واللام في لها للاختصاص دون التعدية والا لجيء بكلمة على والمعنى انتم فاعلون العكوف لها وقد جوز تضمين العكوف معنى العبادة كما ينبئ عنه قوله تع قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين اجابوا بذلك لما ان مآل سؤاله عليه السلام الاستفسار عن سبب عبادتهم لها كما ينبئ عنه وصفه عليه السلام اياهم بالعكوف لها كأنه عليه السلام قال ما هي هل تستحق ما تصنعون من العكوف عليها فلما لم يكن لهم ملجأ يعتد به التجأوا الى التقليد فابطله عليه السلام على طريقة التوكيد القسمي حيث قال لقد كنتم انتم وآباؤكم الذين سنوا لكم هذه السنة الباطلة في ضلال عجيب لا يقادر قدره مبين اي ظاهر بين بحيث لا يخفى على احد من العقلاء كونه كذلك ومعنى كنتم مطلق استقرارهم على الضلال لا استقرارهم الماضي الحاصل قبل زمان الخطاب المتناول لهم ولآبائهم اي والله لقد كنتم مستقرين على ضلال عظيم ظاهر لعدم استناده الى دليل ما والتقليد انما يجوز فيما يحتمل الحقية في الجملة قالوا لما سمعوا مقالته عليه السلام استبعادا لكون ما هم عليه ضلالا وتعجبا من تضليله عليه السلام اياهم بطريق التوكيد القسمي وترددا في كون ذلك منه عليه السلام على وجه الجد اجئتنا بالحق اي بالجد ام انت من اللاعبين فتقول ما تقول على وجه المداعبة والمزاح وفي ايراد الشق الاخير بالجملة الاسمية الدالة على الثبات ايذان برجحانه عندهم قال عليه السلام اضرابا عما بنوا عليه مقالتهم من اعتقاد كونها اربابا لهم كما يفصح عنه قولهم نعبد اصناما فنظل لها عاكفين كأنه قيل ليس الامر كذلك بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وقيل هو اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وضمير هن للسموات والارض وصفه تعالى بايجادهن اثر وصفه تعالى بربوبيته تعالى لهن تحقيقا للحق وتنبيها على ان ما لا يكون كذلك بمعزل من الربوبية اي

انشأهن بما فيهن من التي من جملتها انتم وآباؤكم وما تعبدونه من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتجه ورجع الضمير الى التماثيل ادخل في تضليلهم
واظهر في الزام الحجة عليهم لما فيه من التصريح المغني عن التأمل في كون ما يعبدونه من جملة المخلوقات وانا على ذلكم الذي ذكرته من كون ربكم رب السموات
والارض فقط دون ما عداه كائنا ما كان من الشاهدين اي العالمين به على سبيل الحقيقة المبرهنين عليه فان الشاهد على الشيء من تحققه وحققه
وشهادته على ذلك ادلاؤه بالحجة عليه واثباته بها كأنه قال وانا ابين ذلك وابرهن عليه وتالله وقرئ بالباء وهو الاصل والتاء بدل
من الواو التي هي بدل من الاصل وفيها تعجب لأكيدن اصنامكم اي لأجتهدن في كسرها وفيه ايذان بصعوبة الانتهاز وتوقفه على استعمال الحيل
وانما قاله عليه السلام سرا وقيل سمعه رجل واحد بعد ان تولوا مدبرين من عبادتها الى عيدكم وقرئ تولوا من التولي بحذف احدى التاءين
ويعضده قوله تع فتولوا عنه مدبرين والفاء في قوله تع فجعلهم فصيحة اي فولوا فجعلهم جذاذا اي قطاعا فعال بمعنى مفعول من الجذ
الذي هو القطع كالحطام من الحطم الذي هو الكسر وقرئ بالكسر وهي لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ
وجذذا جمع جذة روي ان آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدؤوا بيت الاصنام فدخلوه فسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا معهم وقالوا
الى ان نرجع بركت الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابراهيم عليه السلام فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفا ثم صنم عظيم
مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسر الكل بفأس كان في يده ولم يبق الا الكبير وعلق الفأس في عنقه
وذلك قوله تع الا كبيرا لهم اي للاصنام لعلهم اليه اي الى ابراهيم عليه السلام يرجعون فيحاجهم بما سيأتي فيحجهم ويبكتهم وقيل يرجعون الى الكبير
فيسألونه عن الكاسر لان من شأن المعبود ان يرجع في الملمات وقيل يرجعون الى الله تعالى وتوحيده عند تحققهم عجز آلهتهم عن دفع ما يصيبهم
وعن الاضرار بمن كسرهم قالوا اي حين رجعوا من عيدهم ورأوا من فعل هذا بآلهتنا على طريقة الانكار والتوبيخ والتشنيع وانما عبروا عنها
بما ذكر ولم يشيروا اليها بهؤلاء وهي بين ايديهم مبالغة في التشنيع وقوله تع انه لمن الظالمين استئناف مقرر لما قبله وقيل من موصولة وهذه الجملة
في حيز الرفع على انها خبرها والمعنى الذي فعل هذا الكسر والحطم بآلهتنا انه معدود من جملة الظلمة اما لجراءته على اهانتها وهي حقيقة بالاعظام
او لافراطه في الكسر والحطم وتماديه في الاستهانة بها او بتعريض نفسه للهلكة قالوا اي بعض منهم مجيبين للسائلين سمعنا فتى يذكرهم اي
يعيبهم فلعله فعل ذلك بها فقوله تع يذكرهم اما مفعول ثان لسمع لتعلقه بالعين او صفة لفتى مصحح لتعلقه به هذا اذا كان القائلون سمعوه
عليه السلام بالذات يذكرهم وان كانوا قد سمعوا من الناس انه عليه السلام يذكرهم بسوء فلا حاجة الى المصحح يقال له ابراهيم صفة اخرى لفتى
اي يطلق عليه هذا الاسم قالوا اي الت ثلون فأتوا به على اعين الناس اي بمرأى منهم بحيث يكون نصب اعينهم في مكان مرتفع لا يكاد يخفى
على احد لعلهم يشهدون اي يحضرون عقوبته وقيل لعلهم يشهدون بفعله او بقوله ذلك فالضمير حينئذ ليس للناس بل للبعض منهم
او معهود قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية قولهم كأنه قيل فماذا فعلوا به بعد ذلك هل اتوا به او لا فقيل اتوا به ثم قالوا
أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم اقتصارا على حكاية مخاطبتهم اياه عليه السلام للتنبيه على ان اتيانهم به ومسارعتهم الى ذلك امر محقق غني
عن البيان قال بل فعله كبيرهم هذا مشيرا الى الذي لم يكسر سلك عليه السلام مسلكا تعريضيا يؤديه الى مقصده الذي هو الزامهم الحجة على
الطف وجه واحسنه بحملهم على التأمل في شأن آلهتهم مع ما فيه من التوقي عن الكذب حيث ابرز الكبير قولا في معرض المباشر للفعل باسناده اليه
كما ابرزه في ذلك المعرض فعلا بجعل الفأس في عنقه وقد قصد اسناده اليه بطريق التسبب حيث كانت تلك الاصنام غاظته عليه السلام
حين ابصرها مصطفة مرتبة للعبادة من دون الله سبحانه وكان غيظ كبيرها اكبر واشد حسب زيادة تعظيمهم له فاسند اليه الفعل باعتبار انه
الحامل عليه وقيل هو حكاية لما يقود الى تجويزه مذهبهم كأنه قيل لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر
على ما هو اشد من ذلك ويحكى انه عليه السلام قال فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها فيكون تمثيلا اراد به عليه السلام
تنبيههم على غضب الله تعالى عليهم لاشراكهم بعبادته الاصنام واما ما قيل من انه عليه السلام لم يقصد نسبة الفعل الصادر عنه الى الصنم بل انما
قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم ومثل ذلك ما لو قال لك امي فيما كتبته بخط
رشيق وانت شهير بحسن الخط أانت كتبت هذا فقلت له بل انت كتبته كان قصدك تقرير الكتابة لنفسك مع الاستهزاء بالسائل لا
نفيها عنك واثباتها له فبمعزل من التحقيق لان خلاصة المعنى في المثال المذكور مجرد تقرير الكتابة لنفسك وادعاء ظهور الامر مع الاستهزاء

مع الاستهزاء بالسائل وتجهيله في السؤال لابتنائه على ان صدورها عن غيرك محتمل عنده مع استحالته عندك ولا ريب في ان مراده عليه السلام من اسناد الكسر الى الصنم
ليس مجرد تقريره لنفسه ولا تجهيلهم في سؤالهم لابتنائه على احتمال صدوره عن الغير عندهم بل تمام مراده عليه السلام توجيههم نحو التأمل في احوال اصنامهم كما ينبئ
عنه قوله تع فاسألوهم ان كانوا ينطقون اي ان كانوا ممن يمكن ان ينطقوا وانما لم يقل عليه السلام ان كانوا يسمعون او يعقلون مع ان السؤال موقوف على
السمع والعقل ايضا لما ان نتيجة السؤال هو الجواب وان عدم نطقهم اظهر وتبكيتهم بذلك ادخل وقد حصل ذلك حسبما نطق به قوله تع فرجعوا الى انفسهم
اي رجعوا عقولهم وتذكروا ان ما لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه ولا عن الاضرار بمن كسره بوجه من الوجوه يستحيل ان يقدر على دفع مضرة عن غيره او جلب منفعة
له فكيف يستحق ان يكون معبودا فقالوا اي قال بعضهم لبعض فيما بينهم انكم انتم الظالمون اي بهذا السؤال لانه كان على طريقة التوبيخ المستتبع للمؤاخذة
او بعبادة الاصنام لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين او انتم الظالمون بعبادتها لا من كسرها ثم نكسوا على رءوسهم اي انقلبوا الى المجادلة
بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشيء اعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا على البناء للفاعل اي نكسوا انفسهم
لقد علمت ما هؤلاء ينطقون على ارادة القول اي قائلين والله لقد علمت ان ليس من شأنهم النطق فكيف تأمرنا بسؤالهم على ان المراد استمرار
نفي النطق لا نفي استمراره كما يوهمه صيغة المضارع قال مبكتا لهم أفتعبدون اي أتعلمون ذلك فتعبدون من دون الله اي متجاوزين عبادته تعالى
ما لا ينفعكم شيئا من النفع ولا يضركم فان العلم بحاله المنافية للالوهية مما يوجب الاجتناب عن عبادته قطعا أف لكم ولما تعبدون من دون الله
تضجر منه عليه السلام من اصرارهم على الباطل البين واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لمزيد استقباح ما فعلوا وأف صوت المتضجر ومعناه قبحا
ونتنا واللام لبيان المتأفف له أفلا تعقلون اي الا تتفكرون فلا تعقلون قبح صنيعكم قالوا اي قال بعضهم لبعض لما عجزوا عن المحاجة وضاقت عليهم
الحيل وعيت بهم العلل وهكذا ديدن المبطل المحجوج اذا قرعت شبهته بالحجة القاطعة وافتضح لا يبقى له مفزع الا المناصبة حرقوه فانه اشد العقوبات
وانصروا آلهتكم بالانتقام لها ان كنتم فاعلين اي للنصر او لشيء يعتد به قيل القائل نمرود بن كنعان السنجاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح
وقيل رجل من اكراد فارس اسمه هيون وقيل هدير خسفت به الارض روي انهم لما اجمعوا على احراقه عليه السلام بنوا له حظيرة بكوثى قرية من قرى
الانباط وذلك قوله تع قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم فجمعوا له صلاب الحطب من اصناف الخشب مدة اربعين يوما فاوقدوا نارا
عظيمة لا يكاد يحوم حولها احد حتى ان كانت الطير لتمر بها وهي في اقصى الجو فتحترق من شدة وهجها ولم يكد احد يحوم حولها فلم يعلموا كيف
يلقونه عليه السلام فيها فاتى ابليس وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه وقيل صنعه لهم رجل من الاكراد فخسف الله تعالى به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم
القيامة ثم عمدوا الى ابراهيم عليه السلام فوضعوه فيه مغلولا فرموا به فيها فقال له جبريل عليهما السلام هل لك حاجة قال اما اليك فلا قال
فاسأل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فجعل الله تعالى ببركة قوله الحظيرة روضة وذلك قوله قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم اي
كوني ذات برد وسلام اي ابردي بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته تعالى مأمورة مطاوعة واقامة كوني ذات برد
مقام ابردي ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اي وسلمنا سلاما عليه روي ان الملائكة اخذوا بضبعي ابراهيم
واقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس ولم تحرق النار منه الا وثاقه وروي انه عليه السلام مكث فيها اربعين يوما او خمسين
وقال ما كان اطيب عيشا مني اذ كنت فيها قال ابن يسار وبعث الله تعالى ملك الظل فقعد الى جنبه يؤنسه فنظر نمرود من صرحه فاشرف عليه فرآه
جالسا في روضة مونقة ومعه جليس على احسن ما يكون من الهيئة والنار محيطة به فناداه يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال فقم
فاخرج فقام يمشي فخرج منها فاستقبله نمرود وعظمه وقال من الرجل الذي رأيته معك قال ذلك ملك الظل ارسله الله تعالى ربي ليؤنسني فقال اني
مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك فقال عليه السلام لا يقبل الله منك ما دمت على دينك هذا قال لا استطيع ترك ملكي ولكن
سوف اذبح له اربعة آلاف بقرة فذبحها وكف عن ابراهيم عليه السلام وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وهذا كما ترى من بدائع المعجزات فان انقلاب
النار هواء طيبا وان لم يكن بدعا من قدرة الله عز وجل لكن وقوع ذلك على هذه الهيئة مما يخرق العادات وقيل كانت النار على حالها لكنه
تعالى دفع عنه عليه السلام اذاها كما تراه في السمندر كما يشعر به ظاهر قوله تع وارادوا به كيدا مكرا عظيما في الاضرار به فجعلناهم الاخسرين
اي اخسر من كل خاسر حيث عاد سعيهم في اطفاء نور الحق برهانا قاطعا على انه عليه السلام على الحق وهم على الباطل وموجبا لارتفاع درجته
واستحقاقهم لاشد العذاب ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين اي من العراق الى الشام وبركاته العامة ان اكثر الانبياء

بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روي انه عليه السلام
نزل بفلسطين ولوط عليه السلام بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ﴿ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة﴾ اي عطية فهي حال منهما او ولد ولد
او زيادة على ما سأل فتختص بيعقوب ولا لبس فيه للقرينة الظاهرة ﴿وكلا﴾ اي كل واحد من هؤلاء الاربعة لا بعضهم دون بعض ﴿جعلنا صالحين﴾ بان
وفقناهم للصلاح في الدين والدنيا فصاروا كاملين ﴿وجعلناهم ائمة﴾ يقتدى بهم في امور الدين اجابة لدعائه عليه السلام بقوله ومن ذريتي
﴿يهدون﴾ اي الامة الى الحق ﴿بامرنا﴾ لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين ﴿واوحينا اليهم فعل الخيرات﴾ ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام
العمل الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات وكذا قوله تع ﴿واقام الصلوة وايتاء الزكوة﴾ وهو من عطف الخاص على العام دلالة
على فضله وانافته وحذفت تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقام المضاف ﴿وكانوا لنا﴾ خاصة دون غيرنا ﴿عابدين﴾
لا يخطر ببالهم غير عبادتنا ﴿ولوطا﴾ قيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تع ﴿آتيناه﴾ اي وآتينا لوطا وقيل باذكر ﴿حكما﴾ اي حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم
بالحق ﴿وعلما﴾ بما ينبغي علمه للانبياء عليهم السلام ﴿ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث﴾ اي اللواطة وصفت بصفة اهلها واسندت اليها على حذف المضاف
واقامتها مقامه كما يؤذن به قوله تع ﴿انهم كانوا قوم سوء فاسقين﴾ فانه كالتعليل له ﴿وادخلناه في رحمتنا﴾ اي في اهل رحمتنا او في جنتنا ﴿انه من الصالحين﴾
الذين سبقت منا الحسنى ﴿ونوحا﴾ اي اذكر نوحا اي خبره وقوله تع ﴿اذ نادى﴾ اي دعا الله تعالى على قومه بالهلاك ظرف للمضاف المقدر اي اذكر
نبأه الواقع وقت دعائه ﴿من قبل﴾ اي من قبل هؤلاء المذكورين ﴿فاستجبنا له﴾ اي دعاءه الذي من جملته قوله اني مغلوب فانتصر ﴿فنجيناه واهله
من الكرب العظيم﴾ وهو الطوفان وقيل اذية قومه واصل الكرب الغم الشديد ﴿ونصرناه﴾ نصرا مستتبعا للانتقام والانتصار ولذلك قيل ﴿من القوم الذين
كذبوا بآياتنا﴾ وحمله على فانتصر اياه ماذكر من دعائه عليه السلام فان ظاهره يوجب اسناد الانتصار اليه تعالى مع ما فيه من تهويل الامر وقوله تع
﴿انهم كانوا قوم سوء﴾ تعليل لما قبله وتمهيد لما بعده من قوله تع ﴿فاغرقناهم اجمعين﴾ فان الاصرار على تكذيب الحق والانهماك في الشر والفساد مما يوجب
الاهلاك قطعا ﴿وداود وسليمان﴾ اما عطف على نوحا معمول لعامله واما مضمر معطوف على ذلك العامل بتقدير المضاف وقوله تع ﴿اذ يحكمان﴾ ظرف للمضاف
المقدر وصيغة المضارع حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها اي اذكر خبرهما وقت حكمهما ﴿في الحرث﴾ اي في حق الزرع او الكرم المتدلي عناقيده
كما قيل او بدل اشتمال منهما وقوله تع ﴿اذ نفشت﴾ اي تفرقت وانتشرت ﴿فيه غنم القوم﴾ ليلا بلا راع فرعته وافسدته ظرف للحكم اي لحكم الحاكمين
فان الاضافة لمجرد الاختصاص المنتظم لاختصاص القيام والوقوعي وقرئ لحكمهما ﴿شاهدين﴾ حاضرين علما والجملة اعتراض مقرر للحكم ومفيد لمزيد
الاعتناء بشأنه ﴿ففهمناها سليمان﴾ عطف على يحكمان فانه في حكم الماضي وقرئ فافهمناها والضمير للحكومة او الفتيا روي انه دخل على داود
عليه السلام رجلان فقال احدهما ان غنم هذا دخل في حرثي ليلا فافسدته فقضى له بالغنم فخرجا فمرا على سليمان عليه السلام فاخبراه بذلك فقال غير
هذا ارفق بالفريقين فسمعه داود فدعاه فقال له بحق النبوة والابوة الا ما اخبرتني بالذي ارفق بالفريقين فقال ارى ان تدفع الغنم الى
صاحب الارض لينتفع بدرها ونسلها وصوفها والحرث الى رب الغنم ليقوم عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادا فقال القضاء ما قضيت
وامضى الحكم بذلك والذي عندي ان حكمهما عليهما السلام بالاجتهاد فان قول سليمان عليه السلام غير هذا ارفق بالفريقين ثم قوله ارى ان
تدفع الى اخره صريح في انه ليس بطريق الوحي والا لبت القول بذلك ولما ناشده داود عليه السلام لاظهار ما عنده بل وجب عليه ان يظهره بدأ
وحرم عليه كتمه ومن ضرورته ان يكون القضاء السابق ايضا كذلك ضرورة استحالة نقض حكم النص بالاجتهاد بل اقول والله تعالى اعلم ان رأي
سليمان عليه السلام استحسان كما ينبئ عنه قوله ارفق بالفريقين ورأي داود عليه السلام قياس كما ان العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى عند ابي حنيفة
الى المجني عليه او يفديه ويبيعه في ذلك او يفديه عند الشافعي وقد روي انه لم يكن بين قيمة الحرث وقيمة الغنم تفاوت واما سليمان عليه السلام فقد
استحسن حيث جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك المالك من الغنم واوجب على صاحب الغنم ان يعمل في
الحرث الى ان يزول الضرر الذي اتاه من قبله كما قال اصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا فابق منه انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء
ما فوته الغاصب من المنافع فاذا ظهر الآبق ترادا وفي قوله تع ﴿ففهمناها سليمان﴾ دليل على رجحان قوله ورجوع داود عليه السلام اليه مع ان الحكم
المبني على الاجتهاد لا ينقض باجتهاد آخر وان كان اقوى منه لما ان ذلك من خصائص شريعتنا على انه ورد في الاخبار ان داود عليه السلام لم
يكن بت الحكم في ذلك حتى سمع من سليمان ما سمع واما حكم المسألة في شريعتنا فعند ابي حنيفة رحمه الله تعالى لا ضمان ان لم يكن معها سائق او قائد

او قائد وعند الشافعي يجب الضمان ليلا لا نهارا وقوله تع ﴿وكلا آتينا حكما وعلما﴾ لدفع ما عسى يوهمه تخصيص سليمان عليه السلام بالتفهيم من عدم كون
حكم داود عليه السلام حكما شرعيا اي وكل واحد منهما آتيناه حكما وعلما كثيرا لا سليمان وحده وهذا انما يدل على ان خطأ المجتهد لا يقدح في كونه مجتهدا
وقيل بل على ان كل مجتهد مصيب وهو مخالف لقوله تع ففهمناها سليمان ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله تع ففهمناها سليمان لاظهار ما
تفضل عليه في صغره فانه عليه السلام كان حينئذ ابن احدى عشرة سنة ﴿وسخرنا مع داود الجبال﴾ شروع في بيان ما يختص بكل منهما من كرامته
تعالى اثر بيان كرامته العامة لهما ﴿يسبحن﴾ اي يقدسن الله عز وجل معه بصوت يتمثل له او يخلق الله تعالى فيها الكلام وقيل يسرن معه من السباحة
وهو حال من الجبال او استئناف مبين لكيفية التسخير ومع متعلقة بالتسخير وقيل بالتسبيح وهو بعيد ﴿والطير﴾ عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع
على الابتداء والخبر محذوف اي والطير مسخرات وقيل على العطف على الضمير في يسبحن وفيه ضعف لعدم التأكيد والفصل ﴿وكنا فاعلين﴾ اي من
شأننا ان نفعل امثاله فليس ذلك ببدع منا وان كان بديعا عندكم ﴿وعلمناه صنعة لبوس﴾ اي عمل الدرع وهو في الاصل اللباس قال قائلهم
البس لكل حالة لبوسها اما نعيمها واما بؤسها وقيل كانت صفائح فحلقها وسردها ﴿لكم﴾ متعلق بعلمنا او بمحذوف هو صفة للبوس ﴿لتحصنكم﴾
اي اللبوس بتأويل الدرع وقرئ بالتذكير على ان الضمير لداود عليه السلام او للبوس وقرئ بنون العظمة وهو بدل اشتمال من لكم باعادة الجار
مبين لكيفية الاختصاص والمنفعة المستفادة من لام لكم ﴿من بأسكم﴾ قيل من حرب عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم ﴿فهل انتم شاكرون﴾ امر وارد على
صورة الاستفهام للمبالغة او التقريع ﴿ولسليمان الريح﴾ اي وسخرنا له الريح وايراد اللام ههنا دون الاول للدلالة على ما بين التسخيرين من التفاوت
فان تسخير ما سخر له عليه السلام من الريح وغيرها كان بطريق الانقياد الكلي له والامتثال بامره ونهيه والمقهورية تحت ملكوته واما تسخير الجبال والطير لداود
عليه السلام فلم يكن بهذه المثابة بل بطريق التبعية له عليه السلام والاقتداء به في عبادة الله عز وعلا ﴿عاصفة﴾ حال من الريح والعامل فيها الفعل
المقدر اي وسخرنا له الريح حال كونها شديدة الهبوب من حيث انها كانت تبعد بكرسيه في مدة يسيرة من الزمان كما قال تعالى غدوها شهر
ورواحها شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته عليه السلام وقرئ الريح بالرفع على الابتداء
والخبر هو الظرف المقدم وعاصفة حينئذ حال من ضمير المبتدأ في الخبر والعامل ما فيه من معنى الاستقرار وقرئ الرياح نصبا ورفعا ﴿تجري بامره﴾
بمشيئته حال ثانية او بدل من الاولى او حال من ضميرها ﴿الى الارض التي باركنا فيها﴾ وهي الشام رواحا بعد ما سارت به منه بكرة قال الكلبي كان سليمان
عليه السلام وقومه يركبون عليها من اصطخر الى الشام والى حيث شاء ثم يعود الى منزله ﴿وكنا بكل شيء عالمين﴾ فنجريه حسبما تقتضيه الحكمة ﴿ومن
الشياطين﴾ اي وسخرنا له من الشياطين ﴿من يغوصون له﴾ في البحار ويستخرجون له من نفائسه وقيل من رفع على الابتداء وخبره ما قبله والاول هو
الاظهر ﴿ويعملون عملا دون ذلك﴾ اي غير ما ذكر من بناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة لقوله تع يعملون له ما يشاء من محاريب
وتماثيل الآية وهؤلاء اما الفرقة الاولى او غيرها لعموم كلمة من كانه قيل ومن يعملون وجمع الضمير الراجع اليها باعتبار معناها بعد ما رشح
جانبه بقوله تع من الشياطين روي ان المسخر له عليه السلام كفارهم لا مؤمنوهم لقوله تع ومن الشياطين في قوله تع ﴿وكنا لهم حافظين﴾ اي من
ان يزيغوا عن امره او يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم قيل وكل بهم جمعا من الملائكة وجمعا من مؤمني الجن وقال الزجاج كان يحفظهم من ان
يفسدوا ما عملوا وكان دأبهم ان يفسدوا بالليل ما عملوه بالنهار ﴿وايوب﴾ الكلام فيه كما مر في قوله تع وداود وسليمان اي واذكر خبر ايوب ﴿اذ نادى﴾
﴿انى﴾ اي باني ﴿مسني الضر﴾ وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس من
مرض وهزال ونحوهما ﴿وانت ارحم الراحمين﴾ وصفه تعالى بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى به عن عرض المطلب لطفا في السؤال
وكان عليه السلام روميا من ولد عيص بن اسحق استنبأه الله تعالى وكثر اهله وماله فابتلاه الله تعالى بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب
امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلث عشرة سنة او سبعا وسبعة اشهر وسبعة ايام وسبع ساعات روي ان امرأته ماصر بنت ميشا
بن يوسف عليه السلام او رحمة بنت افرائيم بن يوسف عليه السلام قالت له يوما لو دعوت الله تعالى فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين
سنة فقال استحيي من الله تعالى ان اسأله وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي وروي ان ابليس اتاها على هيئة عظيمة فقال انا اله الارض فعلت
بزوجك ما فعلت لانه تركني وعبد اله السماء فلو سجدت لي سجدة لرددت عليه وعليك جميع ما اخذت منكما وفي رواية لو سجدت لي سجدة لرجعت المال والولد
وعافيت زوجك فرجعت الى ايوب وكان ملقى في الكناسة لا يقرب منه احد فاخبرته بالقصة فقال عليه السلام كانك افتتنت بقول اللعين لئن عافاني

الله عز وجل لاضربنك مائة سوط وحرام علي ان اذوق بعد هذا شيئا من طعامك وشرابك فطردها فبقي طريحا في الكناسة لا يحوم حوله احد من الناس فعند ذلك
خر ساجدا فقال رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فقيل له ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض برجلك فركض فنبعت من تحته عين ماء فاغتسل منها
فلم يبق في ظاهر بدنه دابة الا سقطت ولا جراحة الا برئت ثم ركض مرة اخرى فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج وعاد
صحيحا ورجع اليه شبابه وجماله ثم كسي حلة وذلك قوله تع فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر فلما قام جعل يلتفت فلا يرى شيئا مما كان له من الاهل والمال
الا وقد ضاعفه الله تعالى وذلك قوله تع وآتيناه اهله ومثلهم معهم وقيل كان ذلك بان ولد له ضعف ما كان ثم ان امرأته قالت في نفسها
هب انه طردني افاتركه حتى يموت جوعا ويأكله السباع لارجعن اليه فلما رجعت ما رأت تلك الكناسة ولا تلك الحال وقد تغيرت الامور فجعلت
تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وهابت صاحب الحلة ان تأتيه وتسأل عنه فارسل اليها ايوب ودعاها فقال ما تريدين يا امة الله فبكت وقالت
اريد ذلك المبتلى الذي كان ملقى على الكناسة قال لها ما كان منك فبكت وقالت بعلي قال اتعرفينه اذا رأيتيه قالت وهل يخفى علي فتبسم فقال انا
ذلك فعرفته بضحكه فاعتنقته رحمة من عندنا وذكرى للعابدين اي آتيناه ما ذكر لرحمتنا ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا
كما اثيب او لرحمتنا العابدين الذين من جملتهم ايوب وذكرنا اياهم بالاحسان وعدم نسياننا لهم واسمعيل وادريس وذا الكفل اي واذكرهم
وذو الكفل الياس وقيل يوشع بن نون وقيل زكريا سمي به لانه كان ذا حظ من الله تعالى او تكفل منه او ضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم فان
الكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف كل اي كل واحد من هؤلاء من الصابرين اي على مشاق التكاليف وشدائد النوب والجملة استئناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ من الامر بذكرهم وادخلناهم في رحمتنا اي في النبوة او في نعمة الآخرة انهم من الصالحين اي الكاملين في
الصلاح الكامل الذي لا يحوم حوله شائبة الفساد وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم من كدر الفساد وذا النون اي واذكر صاحب الحوت وهو
يونس عليه السلام اذ ذهب مغاضبا اي مراغما لقومه لما برم من طول دعوته اياهم وشدة شكيمتهم وتمادي اصرارهم مهاجرا عنهم قبل
ان يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم فغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة او لانه اغضبهم
بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا فظن ان لن نقدر عليه اي لن نضيق عليه او لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ويؤيده
انه قرئ مشددا او لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من يظن ان لن نقدر عليه اي نعامل معاملة من يظن ان لن نقدر عليه في مراغمته
قومه من غير انتظار لامرنا كما في قوله تع يحسب ان ماله اخلده اي نعامل معاملة من يحسب ذلك وقيل خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسميت
ظنا للمبالغة وقرئ بالياء مخففا ومثقلا مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول فنادى الفاء فصيحة اي فكان ما كان من المساهمة والتقام الحوت
فنادى في الظلمات اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة او في ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل في ظلمتي
بطني الحوتين وظلمتي البحر والليل ان لا اله الا انت اي بانه لا اله الا انت على ان ان مخففة من ان وضمير الشأن محذوف او اي لا اله الا انت
على انها مفسرة سبحانك انزهك تنزيها لائقا بك من ان يعجزك شيء او ان يكون ابتلائي هذا بغير سبب من جهتي اني كنت من الظالمين لانفسهم
بتعريضها للهلكة حيث بادرت الى المهاجرة فاستجبنا له اي دعاءه الذي دعاه في ضمن الاعتراف بالذنب على الطف وجه واحسنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له ونجيناه من الغم بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان
فيها في بطنه وقيل بعد ثلثة ايام وقيل الغم غم الالتقام وقيل الخطيئة وكذلك اي مثل ذلك الانجاء الكامل ننجي المؤمنين من غموم دعوا الله تعالى
فيها بالاخلاص لا انجاء ادنى منه وفي الامام نجي فلذلك اخفي الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم وقرئ بتشديد الجيم على ان اصله
ننجي فحذفت الثانية كما حذفت التاء في تظاهرون وهي وان كانت فاء فحذفها اوقع من حذف حرف المضارعة التي لمعنى ولا يقدح اختلاف
حركتي النونين فان الداعي الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تجافى لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول اسند الى ضمير
المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن آخره وزكريا اي اذكر خبره اذ نادى ربه وقال
رب لا تذرني فردا اي وحيدا بلا ولد يرثني وانت خير الوارثين فحسبي انت ان لم ترزقني وارثا فاستجبنا له اي دعاءه ووهبنا له يحيى وقد مر
بيان كيفية الاستجابة في سورة مريم واصلحنا له زوجه اي اصلحناها للولادة بعد عقرها او اصلحناها للمعاشرة بتحسين خلقها وكانت حردة
وقوله تع انهم كانوا يسارعون في الخيرات تعليل لما فصل من فنون احسانه تعالى المتعلقة بالانبياء المذكورين اي كانوا يبادرون في وجوه الخيرات

الخيرات مع ثباتهم واستقرارهم في اصل الخير وهو السر في ايثار كلمة في على كلمة الى المشعرة بخلاف المقصود من كونهم خارجين عن اصل الخيرات متوجهين اليها كما في
قوله تع وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة ويدعوننا رغبا ورهبا ذوي رغب ورهب او راغبين في الثواب راجين للاجابة او في الطاعة وخائفين
العقاب او المعصية او للرغب والرهب وكانوا لنا خاشعين اي مخبتين متضرعين او دائمي الوجل والمعنى انهم نالوا من الله تعالى ما نالوا بسبب اتصافهم
بهذه الخصال الحميدة والتي احصنت فرجها اي اذكر خبر التي احصنته على الاطلاق من الحلال والحرام والتعبير عنها بالموصول لتفخيم شأنها وتنزيهها
عما فعلوه في حقها اثر فنفخنا فيها اي احيينا عيسى في جوفها من روحنا من الروح الذي هو من امرنا وقيل فعلنا النفخ فيها من جهة روحنا جبريل
عليه السلام وجعلناها وابنها اي قصتهما او حالهما آية للعالمين فان من تأمل حالهما تحقق كمال قدرته عز وجل فالمراد بالآية ما حصل بهما من الآية
التامة مع تكاثر آيات كل واحد منهما وقيل اريد بالآية الجنس الشامل لما لكل واحد منهما من الآيات المستقلة وقيل المعنى وجعلناها آية وابنها آية
فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها ان هذه اي ملة التوحيد والاسلام المشار اليها بهذه تنبيها على كمال ظهور امرها في الصحة والسداد امتكم اي
ملتكم التي يجب ان تحافظوا على حدودها وتراعوا حقوقها ولا تخلوا بشيء منها والخطاب للناس قاطبة امة واحدة نصب على الحالية من الملة
اي غير مختلفة فيما بين الانبياء عليهم السلام اذ لا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع ولا احتمال لتبدلها وتغيرها كفروع الشرائع المتبدلة حسب تبدل
الامم والاعصار وقرئ امتكم بالنصب على البدلية من اسم ان وامة واحدة بالرفع على الخبرية وقرئتا بالرفع على انهما خبران وانا ربكم لا اله لكم غيري
فاعبدون خاصة لا غير وقوله تع وتقطعوا امرهم بينهم التفات الى الغيبة لينعى عليهم ما افسدوه من التفرق في الدين وجعل امره قطعا موزعة
وينهي قبائح افعالهم الى الآخرين كانه قيل الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله الذي اجمعت عليه كافة الانبياء كل اي كل واحدة
من الفرق المتقطعة او كل واحد من آحاد كل واحدة من تلك الفرق الينا راجعون بالبعث لا الى غيرنا فنجازيهم حينئذ بحسب اعمالهم وايراد اسم الفاعل
للدلالة على الثبات والتحقق وقوله تع فمن يعمل من الصالحات الى آخره تفصيل للجزاء اي فمن يعمل بعض الصالحات او بعضا من الصالحات وهو مؤمن بالله
ورسله فلا كفران لسعيه اي لا حرمان لثواب عمله ذلك عبر عن ذلك بالكفران الذي هو ستر النعمة وجحودها لبيان كمال نزاهته تعالى عنه بتصويره بصورة
ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه تعالى ونفي نفي الجنس للمبالغة في التنزيه وعبر عن العمل بالسعي
لاظهار الاعتداد به وانا له اي لسعيه كاتبون اي مثبتون في صحائف اعمالهم لا نغادر من ذلك شيئا وحرام على قرية اي ممتنع على اهلها غير
متصور منهم وقرئ حرم وهي لغة كالحل والحلال اهلكناها قدرنا هلاكها او حكمنا به لغاية طغيانهم وعتوهم وقوله تع انهم لا يرجعون في
حيز الرفع على انه مبتدأ خبره حرام او فاعل له ساد مسد خبره والجملة لتقرير مضمون ما قبلها من قوله تع كل الينا راجعون وما في ان من معنى التحقيق
معتبر في النفي المستفاد من حرام لا في المنفي اي ممتنع البتة عدم رجوعهم الينا للجزاء لا ان عدم رجوعهم المحقق ممتنع وتخصيص امتناع عدم
رجوعهم بالذكر مع شمول الامتناع لعدم رجوع الكل حسبما نطق به قوله تع كل الينا راجعون لانهم المنكرون للبعث والرجوع دون غيرهم
وقيل ممتنع رجوعهم الى التوبة على ان لا صلة وقرئ انهم لا يرجعون بالكسر على انه استئناف تعليلي لما قبله فحرام خبر مبتدأ محذوف اي حرام
عليها ذلك وهو ما ذكر في الآية السابقة من العمل الصالح المشفوع بالايمان والسعي المشكور ثم علل بقوله تع انهم لا يرجعون عما هم عليه من
الكفر فكيف لا يمتنع ذلك ويجوز حمل المفتوحة ايضا على هذا المعنى بحذف اللام عنها اي لانهم لا يرجعون وحتى في قوله تع حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج
الى آخره هي التي يحكى بعدها الكلام وهي على الاول غاية لما يدل عليه ما قبلها كانه قيل يستمرون على ما هم عليه من الهلاك حتى اذا قامت القيمة
يرجعون الينا ويقولون يا ويلنا الى آخره وعلى الثانية غاية للحرمة اي يستمر امتناع رجوعهم الى التوبة حتى اذا قامت القيمة يرجعون اليها
حين لا تنفعهم التوبة وعلى الثالث غاية لعدم الرجوع عن الكفر اي لا يرجعون عنه حتى اذا قامت القيمة يرجعون عنه حين لا ينفعهم الرجوع
ويأجوج ومأجوج قبيلتان من الانس قالوا الناس عشرة اجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج والمراد بفتحهما فتح سدهما على حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه وقرئ فتحت بالتشديد وهم اي يأجوج ومأجوج وقيل الناس من كل حدب اي نشز من الارض وقرئ جدث وهو القبر
ينسلون اي يسرعون واصله مقاربة الخطو مع الاسراع وقرئ بضم السين واقترب الوعد الحق عطف على فتحت والمراد به ما بعد النفخة الثانية
من البعث والحساب والجزاء لا النفخة الاولى فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا جواب الشرط واذا للمفاجأة تسد مسد الفاء الجزائية كما في قوله تع
اذا هم يقنطون فاذا دخلتها الفاء تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط والضمير للقصة او مبهم يفسره ما بعده يا ويلنا على تقدير قول وقع حالا

من الموصول اي يقولون يا ويلنا تعال فهذا اوان حضورك وقيل هو الجواب للشرط قد كنا في غفلة تامة من هذا الذي دهمنا من البعث والرجوع اليه
تعالى للجزاء ولم نعلم انه حق بل كنا ظالمين اضراب عما قبله من وصف انفسهم بالغفلة اي لم نكن غافلين عنه حيث نبهنا عليه بالآيات والنذر بل كنا
ظالمين بتلك الآيات والنذر مكذبين بها او ظالمين لانفسنا بتعريضها للعذاب الخالد بالتكذيب وقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
خطاب لكفار مكة وتصريح بمآل امرهم مع كونه معلوما مما سبق على وجه الاجمال مبالغة في الانذار وازاحة الاعذار وما تعبدون عبارة عن اصنامهم
لانها التي يعبدونها كما يفصح عنه كلمة ما وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تلا الآية وقال له ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة
اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى المسيح وبنو مليح الملائكة رد عليه بقوله عليه السلام ما اجهلك بلغة قومك اما فهمت ان ما لما لا يعقل
ولا يعارضه ما روي انه عليه السلام رده بقوله بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك ولا ما روي ان ابن الزبعرى قال هذا شيء لآلهتنا
خاصة او لكل من عبد من دون الله فقال عليه السلام بل لكل من عبد من دون الله تعالى اذ ليس شيء منهما نصا في عموم كلمة ما كما ان الاول نص
في خصوصها وشمول حكم النص لا يقتضي شموله بطريق العبارة بل يكفي في ذلك شموله لهم بطريق دلالة النص بجامع الشركة في المعبودية من دون الله
تعالى فلعله عليه السلام بعد ما بين مدلول النظم الكريم بما ذكر وعدم دخول المذكورين في حكمه بطريق العبارة بين عدم دخولهم فيه بطريق الدلالة
ايضا تأكيدا للرد والالزام وتكريرا للتبكيت والافحام لكن لا باعتبار كونهم معبودين لهم كما هو زعمهم فان اخراج بعض المعبودين عن
حكم مبني على الغضب على العبدة والمعبودين مما يوهم الرخصة في عبادته في الجملة بل بتحقيق الحق وبيان انهم ليسوا من المعبودية في شيء حتى
يتوهم دخولهم في الحكم المذكور دلالة بموجب شركتهم للاصنام في المعبودية من دون الله تعالى وانما معبودهم الشياطين التي امرتهم بعبادتهم
كما نطق به قوله تعالى سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية فهم الداخلون في الحكم المذكور لاشتراكهم الاصنام في المعبودية
من دونه تعالى دون المذكورين عليهم السلام وهذا هو الوجه في التوفيق بين الاخبار المذكورة واما تعميم كلمة ما للعقلاء ايضا وجعل ما سيأتي من
قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الى آخره بيانا للتجوز او التخصيص فمما لا يساعده السياق والسباق كما يشهد به الذوق السليم والحصب ما
يرمى به وتهيج به النار من حصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا له بالمصدر للمبالغة انتم لها واردون استئناف او بدل من حصب
واللام معوضة من على للدلالة على الاختصاص وان ورودهم لاجلها والخطاب لهم ولما يعبدون تغليبا لو كان هؤلاء اي اصنامهم آلهة كما يزعمون
ما وردوها حيث تبين ورودهم اياها تعين امتناع كونها آلهة بالضرورة وهذا كما ترى صريح في ان المراد بما يعبدون هي الاصنام لان المراد
اثبات نقيض ما يدعونه من الهية الاصنام لا الهية الشياطين حتى يحتج بورودها النار على عدم الهيتها واما ما وقع في الحديث الشريف فقد وقع
بطريق التكملة بانجرار الكلام اليه عند بيان ما سبق له النظم الكريم بطريق العبارة حيث سأل ابن الزبعرى عن حال سائر المعبودين وكان الاقتصار
على الجواب الاول مما يوهم الرخصة في عبادتهم في الجملة لانهم المعبودون عندهم اجيب ببيان ان المعبودين هم الشياطين وانهم داخلون في حكم
النص لكن بطريق الدلالة لا بطريق العبارة لئلا يلزم التدافع بين الخبرين وكل اي من العبدة والمعبودين فيها خالدون لا خلاص لهم عنها وكذا
لهم فيها زفير اي انين وتنفس شديد وهو مع كونه من افعال العبدة اضيف الى الكل للتغليب وجوز ان يكون الضمير للعبدة لعدم الالتباس
في قوله تعالى وهم فيها لا يسمعون اي لا يسمع بعضهم زفير بعض لشدة الهول وفظاعة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم من الكلام ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
شروع في بيان حال المؤمنين اثر شرح حال الكفرة حسبما جرت به سنة التنزيل من شفع الوعد بالوعيد وايراد الترغيب مع الترهيب اي سبقت لهم
منا في التقدير الخصلة الحسنى التي هي احسن الخصال وهي السعادة وقيل التوفيق للطاعة او سبقت لهم كلمتنا بالبشرى بالثواب على الطاعة وهو الاظهر
الادخل في الحمل عليهما لما ان الاولين مع خفائهما ليسا من مقدورات المكلفين فالجملة مع ما بعدها تفصيل لما اجمل في قوله تعالى فمن يعمل من الصالحات وهو
مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون كما ان ما قبلها من قوله انكم وما تعبدون الى آخره تفصيل لما اجمل في قوله تعالى وحرام الى آخره اولئك اشارة
الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف والفضل اي اولئك المنعوتون بما ذكر
من النعت الجميل عنها اي عن جهنم مبعدون لانهم في الجنة وشتان بينها وبين النار وما روي ان عليا رضي الله تعالى عنه وكرم الله وجهه خطب يوما
فقرأ هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ثم اقيمت الصلاة
فقام يجر رداءه ويقول لا يسمعون حسيسها ليس بنص في كون الموصول عبارة عن طائفة مخصوصة والحسيس صوت يحس به اي لا يسمعون صوتها سمعا ضعيفا

ضعيفا كما هو المعهود عند كون المصوت بعيدا وان كان صوته في غاية الشدة لا انهم لا يسمعون صوتها الخفي في نفسه فقط والجملة بدل من مبعدون او حال من ضميره
مسوقة للمبالغة في انقاذهم عنها وقوله تعالى وهم في ما اشتهت انفسهم خالدون بيان لفوزهم بالمطالب اثر بيان خلاصهم عن المهالك والمعاطب اي دائمون في
غاية التنعم وتقديم الظرف للقصر والاهتمام به وقوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر بيان لنجاتهم من الافزاع بالكلية بعد بيان نجاتهم من النار لانها اذا لم
يحزنهم اكبر الافزاع لا يحزنهم ما عداه بالضرورة عن الحسن رحمه الله تعالى انه الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين يذبح الموت
في صورة كبش املح وقيل النفخة الاخيرة لقوله تعالى ففزع من في السموات ومن في الارض وليس بذاك فان الامن من ذلك الفزع مع استثناه الله تعالى
بقوله الا من شاء الله لا يعم جميع المؤمنين الموصوفين بالاعمال الصالحة على ان الاكثرين على ان ذلك في النفخة الاولى دون الاخيرة كما سيأتي في سورة النمل
وتتلقاهم الملائكة اي تستقبلهم مهنئين لهم هذا يومكم على ارادة القول اي قائلين هذا اليوم يومكم الذي كنتم توعدون في الدنيا وتبشرون
بما فيه من فنون المثوبات على الايمان والطاعات وهذا كما ترى صريح في ان المراد بالذين سبقت لهم منا الحسنى كافة المؤمنين الموصوفين بالايمان والاعمال
الصالحة لا من ذكر من المسيح وعزير والملائكة عليهم السلام خاصة كما قيل يوم نطوي السماء بنون العظمة منصوب باذكر وقيل ظرف لقوله تعالى
لا يحزنهم الفزع وقيل لتتلقاهم وقيل حال مقدرة من الضمير المحذوف في توعدون والطي ضد النشر وقيل المحو وقرئ بالياء والتاء والبناء
للمفعول كطي السجل وهي الصحيفة اي طيا كطي الطومار وقرئ السجل كلفظ الدلو وبالكسر والسجل على وزن العتل وهما لغتان واللام في قوله
تعالى للكتب متعلقة بمحذوف هو حال من السجل او صفة له على رأي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي كطي السجل كائنا للكتب او الكائن
للكتب فان الكتب عبارة عن الصحيفة وما كتب فيها فسجلها بعض اجزائها وبه يتعلق الطي حقيقة وقرئ للكتاب وهو اما مصدر واللام للتعليل
اي كما يطوي الطومار للكتابة او اسم كالامام فاللام كما ذكر اولا وقيل السجل اسم ملك يطوي كتب اعمال بني آدم اذا رفعت اليه وقيل هو كاتب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم كما بدأنا اول خلق نعيده اي نعيد ما خلقناه مبتدأ اعادة مثل بدئنا اياه في كونهما ايجادا بعد العدم او جمعا من الاجزاء
المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على المبدأ لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة لهما على السواء وما كافة
او مصدرية واول مفعول لبدأنا او لفعل يفسره نعيده او موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اي نعيد مثل الذي بدأناه واول
خلق ظرف لبدأنا او حال من ضمير الموصول المحذوف وعدا مصدر مؤكد لفعله ومقرر لنعيده او منتصب به لانه عدة بالاعادة علينا اي علينا
انجازه انا كنا فاعلين لما ذكر لا محالة ولقد كتبنا في الزبور وهو كتاب داود عليه السلام وقيل هو اسم للجنس ما انزل على الانبياء عليهم السلام
من بعد الذكر اي التوراة وقيل اللوح المحفوظ اي وبالله لقد كتبنا في كتاب داود بعد ما كتبنا في التوراة او كتبنا في جميع الكتب المنزلة بعد ما
كتبنا واثبتنا في اللوح المحفوظ ان الارض يرثها عبادي الصالحون اي عامة المؤمنين بعد اجلاء الكفار وهذا وعد منه تعالى باظهار الدين
واعزاز اهله وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان المراد ارض الجنة كما ينبئ عنه قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض
نتبوأ من الجنة حيث نشاء وقيل الارض المقدسة يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم ان في هذا اي فيما ذكر في السورة الكريمة من الاخبار والمواعظ
البالغة والوعد والوعيد والبراهين القاطعة الدالة على التوحيد وصحة النبوة لبلاغا اي لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية لقوم عابدين اي
لقوم همهم العبادة دون العادة وما ارسلناك بما ذكر وبامثاله من الشرائع والاحكام وغير ذلك من الامور التي هي مناط لسعادة الدارين الا رحمة
للعالمين هو في حيز النصب على انه استثناء من اعم العلل او من اعم الاحوال اي ما ارسلناك بما ذكر لعلة من العلل الا لرحمتنا الواسعة للعالمين
قاطبة او ما ارسلناك في حال من الاحوال الا حال كونك رحمة لهم فان ما بعثت به سبب لسعادة الدارين ومنشأ لانتظام مصالحهم في
النشأتين ومن لم يغتنم مغانم آثاره فانما فرط في نفسه وحرم حقه لا انه تعالى حرمه مما يسعده وقيل كونه رحمة في حق الكفار امنهم من الخسف
والمسخ والاستئصال حسبما ينطق به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد اي ما يوحى الي الا انه لا اله لكم الا اله
واحد لانه المقصود الاصلي من البعثة واما ما عداه فمن الاحكام المتفرعة عليه فانما الاولى لقصر الحكم على الشيء كقولك انما يقوم زيد اي ما يقوم الا زيد
والثانية لقصر الشيء على الحكم كقولك انما زيد قائم اي ليس له الا صفة القيام فهل انتم مسلمون اي مخلصون العبادة لله تعالى مخصصون لها
به تعالى والفاء للدلالة على ان ما قبلها موجب لما بعدها قالوا فيه دلالة على ان صفة الوحدانية يصح ان يكون طريقها السمع فان تولوا عن الاسلام
ولم يلتفتوا الى ما يوجبه من الوحي فقل لهم آذنتكم اي اعلمتكم ما امرت به او حربي لكم على سواء كائنين على سواء في الاعلام به ولم اطوه عن احد

منكم او مستوين بانا وانتم في العلم بما اعلمتكم به او في المعاداة او ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم اني على سواء اي عدل واستقامة رأي بالبرهان النير وان ادري
اي ما ادري اقريب ام بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين وظهور الدين او الحشر مع كونه آتيا لا محالة انه يعلم الجهر من القول اي ما تجاهرون به من
الطعن في الاسلام وتكذيب الآيات التي من جملتها ما نطق بمجيء الموعود ويعلم ما تكتمون من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه نقيرا وقطميرا وان ادري
لعله فتنة لكم اي ما ادري لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم او امتحان لكم لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين اي
وتمتيع لكم الى اجل مقدر تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة ليكون ذلك حجة عليكم قال رب احكم بالحق حكاية لدعائه صلى الله عليه وسلم وقرئ
على صيغة الامر اي اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضي لتعجيل العذاب والتشديد عليهم وقد استجيب دعاؤه عليه السلام حيث عذبوا ببدر
اي تعذيب وقرئ رب احكم بضم الباء وربي احكم على صيغة التفضيل وربي احكم من الاحكام وربنا الرحمن مبتدأ وخبر اي كثير الرحمة على عباده
وقوله تع المستعان اي المطلوب منه المعونة خبر آخر للمبتدأ واضافة الرب فيما سبق الى ضميره عليه السلام خاصة لما ان الدعاء من الوظائف
الخاصة به عليه السلام كما ان اضافته ههنا الى ضمير الجمع المنتظم للمؤمنين ايضا لما ان الاستعانة من الوظائف العامة لهم على ما تصفون من
الحال فانهم كانوا يقولون ان الشوكة تكون لكم وان راية الاسلام تخفق ثم تركد وان المتوعد به لو كان حقا لنزل بهم الى غير ذلك مما لا خير فيه
فاستجاب الله عز وجل دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم فخيب آمالهم وغير احوالهم ونصر اولياءه عليهم فاصابهم يوم بدر ما اصابهم والجملة
اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقرئ يصفون بالياء التحتانية عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه
وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن

سورة الحج

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم بعد من الموجودين القاصرين
عن رتبة التكليف والحادثين بعد ذلك الى يوم القيمة وان كان خطاب المشافهة مخصوصا بالفريق الاول على الوجه الذي مر تقريره في مطلع
سورة النساء ولفظ الناس ينتظم الذكور والاناث حقيقة واما صيغة جمع المذكر فواردة على نهج التغليب لعدم تناولها للاناث حقيقة
الا عند الحنابلة والمأمور به مطلق التقوى هو التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك ويندرج فيه الايمان بالله واليوم الآخر حسبما ورد به الشرع اندراجا
اوليا والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتأييد الامر وتأكيد ايجاب الامتثال به ترهيبا
وترغيبا اي احذروا عقوبة مالك اموركم ومربيكم وقوله تع ان زلزلة الساعة شيء عظيم تعليل لموجب الامر بذكر بعض عقوباته الهائلة فان
ملاحظة عظمها وهولها وفظاعة ما هي من مباديه ومقدماته من الاحوال والاهوال التي لا ملجأ منها سوى التدرع بلباس التقوى مما يوجب
مزيد الاعتناء بملابسته وملازمته لا محالة والزلزلة التحريك الشديد والازعاج العنيف بطريق التكرير بحيث تزيل الاشياء من مقارها و
تخرجها عن مراكزها واضافتها الى الساعة اما اضافة المصدر الى فاعله على المجاز الحكمي كأنها هي التي تزلزل الاشياء او اضافته الى الظرف
اما باجرائه مجرى المفعول به اتساعا او بتقدير في كما في قوله تع بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله تع اذا زلزلت الارض
زلزالها عن الحسن انها تكون يوم القيمة وعن ابن عباس رضي الله تع عنهما زلزلة الساعة قيامها وعن علقمة والشعبي انها قبل طلوع الشمس من
مغربها فاضافتها الى الساعة حينئذ لكونها من اشراطها وفي التعبير عنها بالشيء ايذان بان العقول قاصرة عن ادراك كنهها والعبارة
ضيقة لا تحيط بها الا على وجه الابهام وقوله تع يوم ترونها منتصب بما بعده قدم عليه اهتماما به والضمير للزلزلة اي وقت رؤيتكم اياها
ومشاهدتكم لهول مطلعها تذهل كل مرضعة اي مباشرة للارضاع عما ارضعت اي تغفل وتذهب مع دهشتها عما هي بصدد ارضاعه من
طفلها الذي القمته ثديها والتعبير عنه بما دون من لتأكيد الذهول وكونه بحيث لا يخطر ببالها انه ماذا لا انها تعرف شيئيته لكن لا تدري
من هو بخصوصه وقيل مصدرية اي تذهل عن ارضاعها والاول ادل على شدة الهول وكمال الانزعاج وقرئ تذهل من الاذهال مبنيا للمفعول
ومبنيا للفاعل مع نصب كل اي تذهلها الزلزلة وتضع كل ذات حمل حملها اي تلقي جنينها لغير تمام كما ان المرضعة تذهل عن ولدها لغير
فطام وهذا ظاهر على قول علقمة والشعبي واما على ما روي عن ابن عباس رضي الله تع عنهما فقد قيل انه تمثيل لتهويل الامر وفيه ان الامر
حينئذ اشد من ذلك واعظم واهول مما وصف واطم وقيل ان ذلك يكون عند النفخة الثانية فانهم يقومون على ما صعقوا في النفخة الاولى
فتقوم المرضعة على ارضاعها والحامل على حملها ولا ريب في ان قيام الناس من قبورهم بعد النفخة الثانية لا قبلها حتى يتصور ما ذكر وترى الناس

بفتح التاء والراء على خطاب كل احد من المخاطبين برؤية الزلزلة والاختلاف بالجمعية والافراد لما ان المرئي في الاول هي الزلزلة
التي يشاهدها الجميع وفي الثاني حال من عدا المخاطب منهم فلا بد من افراد المخاطب على وجه يعم كل واحد منهم لكن من غير اعتبار اتصافه بتلك الحالة
فان المراد بيان تأثير الزلزلة في المرئي لا في الرائي باختلاف مشاعره لان مداره حيثية رؤيته للزلزلة لا لغيرها كانه قيل وتصير الناس سكارى
الى آخره وانما اوثر عليه ما في التنزيل للايذان بكمال ظهور تلك الحالة فيهم وبلوغها من الجلاء الى حد لا يكاد يخفى على احد اي يراهم كل احد سكارى
اي كانهم سكارى وما هم بسكارى حقيقة ولكن عذاب الله شديد فرهقهم هوله وطير عقولهم وسلب تمييزهم فهو الذي جعلهم كما وصفوا وقرئ
ترى بضم التاء وفتح الراء مسندا الى المخاطب من اريتك قائما او رؤيتك قائما والناس منصوب اي تظنهم سكارى وقرئ برفع الناس على اسناد الفعل
المجهول اليه والتأنيث على تأويل الجماعة وقرئ ترى بضم التاء وكسر الراء اي ترى الزلزلة الخلق جميع الناس سكارى وقرئ سكرى وبسكرى كعطشى
وجوعى اجراء للسكر مجرى العلل ومن الناس كلام مبتدأ جيء به اثر بيان عظم شأن الساعة المنبئة عن البعث بيانا لحال بعض المنكرين لها ومحل الجار
الرفع على الابتداء اما بحمله على المعنى او بتقدير ما يتعلق به كما مر مرارا اي وبعض الناس او وبعض كائن من الناس من يجادل في الله اي في شأنه تع
ويقول فيه ما لا خير فيه من الاباطيل وقوله تع بغير علم حال من ضمير يجادل موضحة لما يشعر به المجادلة من الجهل اي ملابسا بغير علم روي انها نزلت
في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهي عامة له ولاضرابه من العتاة المتمردين
ويتبع اي فيما يتعاطاه من المجادلة او في كل ما يأتي وما يذر من الامور الباطلة التي من جملتها ذلك كل شيطان مريد عات متمرد متجرد
للفساد واصله العري المبني عن التملص له كالتشمر ولعله مأخوذ من تجرد المصارعين عند المصارعة قال الزجاج المريد والمارد المرتفع الاملس
والمراد اما رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم الى الكفر واما ابليس وجنوده وقوله تع كتب عليه اي على الشيطان صفة اخرى له وقوله تع
انه فاعل كتب والضمير للشأن اي رقم به لظهور ذلك من حاله ان الشأن من تولاه اي اتخذه وليا وتبعه فانه يضله بالفتح على انه خبر
مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره محذوف والجملة جواب الشرط ان جعلت من شرطية وخبرها ان جعلت موصولة متضمنة لمعنى الشرط اي من تولاه فشأنه
ان يضله من طريق الجنة او طريق الحق او فحق انه يضله قطعا وقيل فانه معطوف على انه وفيه من التعسف ما لا يخفى وقيل وقيل مما لا يخلو عن التمحل والتكلف
وقرئ فانه بالكسر على انه خبر لمن او جواب لها وقرئ بالكسر فيهما على حكاية المكتوب كما هو مثل ما في قولك كتبت ان الله يأمر بالعدل والاحسان او على اضمار
القول او تضمين الكتب معناه على رأي من يراه ويهديه الى عذاب السعير بحمله على مباشرة ما يؤدي اليه من السيئات يا ايها الناس اثر ما حكى احوال المجادلين
بغير علم واشير الى ما يؤول اليه امرهم اقيمت الحجة الدالة على تحقق ما جادلوا فيه من البعث ان كنتم في ريب من البعث من امكانه وكونه مقدورا له
تع او من وقوعه وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع انهم جازمون باستحالته
وايراد كلمة الشك مع تقرر حالهم في ذلك وايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال ان ارتبتم في البعث قد مر تحقيقه في تفسير قوله تع وان كنتم في
ريب مما نزلنا على عبدنا فانا خلقناكم اي فانظروا الى مبدأ خلقكم ليزول ريبكم فانا خلقناكم اي خلقنا كل فرد منكم من تراب في ضمن خلق آدم
منه خلقا اجماليا فان خلق كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا
على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من التراب خلقا للكل منه كما مر تحقيقه مرارا
ثم من نطفة اي ثم خلقناكم خلقا تفصيليا من نطفة اي مني من النطف الذي هو الصب ثم من علقة اي قطعة من الدم جامدة متكونة من المني
ثم من مضغة اي قطعة من اللحم متكونة من العلقة وهي في الاصل مقدار ما يمضغ مخلقة بالجر صفة اي مستبينة الخلق مصورة وغير مخلقة اي
لم يستبن خلقها وصورتها بعد والمراد تفصيل حال المضغة وكونها اولا قطعة لم يظهر فيها شيء من الاعضاء ثم ظهرت بعد ذلك شيئا فشيئا وكان
مقتضى الترتيب السابق المبني على التدرج من المبادي البعيدة الى القريبة ان يقدم غير المخلقة على المخلقة وانما اخرت عنها لانها عدم الملكة
هذا وقد فسرتا بالمسواة وغير المسواة وبالتامة والساقطة وليس بذاك وفي جعل كل واحدة من هذه المراتب مبدأ لخلقهم لا لخلق ما بعدها
من المراتب كما في قوله تع ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة الآية مزيد دلالة على عظيم قدرته وكسر لسورة استبعادهم لنبين لكم متعلق
بخلقنا وترك المفعول لتفخيمه اشارة كما وكيفا اي خلقناكم على هذا النمط البديع لنبين لكم بذلك ما لا تحصره العبارة من الحقائق التي من جملتها
سر البعث فان من تأمل فيما ذكر من الخلق التدريجي تأملا حقيقيا جزم جزما ضروريا بان من قدر على خلق البشر اولا من تراب لم يشم

من المخالفة

رائحة الحيوة قط والتشابه على وجه مصحح لتوليد مثله مرة بعد اخرى بتصريفه في اطوار الخلقة وتحويله من حال الى حال مع ما بين تلك الاطوار والاحوال
والتباين فهو قادر على اعادته بل هو اهون في القياس نظرا الى القابل والفاعل وقرئ ليبين بطريق الالتفات وقوله تعالى ونقر في الارحام ما نشاء
استئناف مسوق لبيان حالهم بعد تمام خلقهم وعدم نظم هذا وما عطف عليه في سلك الخلق المعلل بالتبيين مع كونهما من متمماته ومن مبادي التبيين
ايضا لما ان دلالة الاول على كمال قدرته تعالى على جميع المقدورات التي من جملتها البعث المبحوث عنه اجلى واظهر اي ونحن نقر في الارحام بعد ذلك
ما نشاء ان نقره فيها الى اجل مسمى هو وقت الوضع وادناه ستة اشهر واقصاه سنتان وقيل اربع سنين وفيه اشارة الى ان بعض ما في
الارحام لا يشاء الله تعالى اقراره فيها بعد تكامل خلقه فتسقطه والتعرض للازلاق لا يناسب المقام لان الكلام فيما جرى عليه اطوار الخلق
وهذا صريح في ان المراد بغير المخلقة ليس من ولد ناقصا او معيبا وان ما فصل الى هنا هي الاطوار المتواردة على المولود قبل الولادة وقرئ
ويقر بالياء ونقر ونقر من قررت الماء اذا صببته ثم نخرجكم اي من بطون امهاتكم بعد اقراركم فيها عند تمام الاجل المسمى طفلا اي حال كونكم
اطفالا والافراد باعتبار كل واحد منهم او بارادة الجنس المنتظم للواحد والمتعدد وقرئ نخرجكم بالياء وقوله تعالى ثم لتبلغوا اشدكم علة
لنخرجكم معطوفة على علة اخرى له مناسبة لها كانه قيل ثم نخرجكم لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل والتمييز وقيل التقدير
ثم نمهلكم لتبلغوا الى آخره وما قيل انه معطوف على نبين مخل بجزالة النظم الكريم هذا وقد قرئ ما قبله من الفعلين بالنصب حكاية وغيبة فهو حينئذ
عطف على نبين مثلهما والمعنى خلقناكم على التدريج المذكور لغايتين مترتبتين عليه احداهما ان نبين شؤوننا والثانية ان نقركم في الارحام
ثم نخرجكم صغارا ثم لتبلغوا اشدكم وتقديم التبيين على ما بعده مع ان حصوله بالفعل بعد الكل للايذان بانه غاية الغايات ومقصود بالذات
واعادة اللام ههنا مع تجريد الاولين عنها للاشعار باصالته في الغرضية بالنسبة اليهما اذ عليه يدور فلك التكليف المؤدي الى السعادة والشقاوة
وايثار البلوغ مسندا الى المخاطبين على التبليغ مسندا اليه تعالى كالافعال السابقة لانه المناسب لبيان حال اتصافهم بالكمال واستقلالهم
بمبدئية الآثار والافعال والاشد من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالاسدة والقتود كانها حيث كانت شدة في غير شيء بنيت
على لفظ الجمع ومنكم من يتوفى اي بعد بلوغ الاشد او قبله وقرئ يتوفى مبنيا للفاعل اي يتوفاه الله تعالى ومنكم من يرد الى ارذل العمر وهو
الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم وايراد الرد والتوفي على صيغة المبني للمفعول للجري على سنن الكبرياء لتعين الفاعل لكيلا يعلم من بعد علم
اي علم كثير شيئا اي شيئا من الاشياء او شيئا من العلم مبالغة في انتقاص علمه وانتكاس حاله اي ليعود الى ما كان عليه في اوان الطفولية
من ضعف البنية وسخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه ويعجز عما قدر عليه وفيه من التنبيه على صحة البعث ما لا يخفى وترى الارض
هامدة حجة اخرى على صحة البعث والخطاب لكل احد ممن يتاتى منه الرؤية وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وهي بصرية
وهامدة حال من الارض اي ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا فاذا انزلنا عليها الماء اي المطر اهتزت تحركت بالنبات
وربت انتفخت وازدادت وقرئ ربأت اي ارتفعت وانبتت من كل زوج اي صنف بهيج حسن رائق يسر ناظره ذلك
بان الله هو الحق كلام مستانف جيء به اثر تحقيق حقية البعث واقامة البرهان عليه من العالمين الانساني والنباتي لبيان ان ذلك من آثار
الوهيته تعالى واحكام شؤونه الذاتية والوصفية والفعلية وان ما ينكرون وجوده بل امكانه من اتيان الساعة والبعث من اسباب
تلك الآثار العجيبة التي يشاهدونها في الانفس والآفاق ومبادي صدورها عنه تعالى وفيه من الايذان بقوة الدليل واصالة المدلول في التحقق
واظهار بطلان انكاره ما لا يخفى فان انكار تحقق السبب مع الجزم بتحقق المسبب مما يقضي ببطلانه بديهة العقول والمراد بالحق هو الثابت
الذي يحق ثبوته لا محالة لكونه لذاته لا الثابت مطلقا وذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان على اطوار مختلفة وتصريفه في احوال متباينة
واحياء الارض بعد موتها وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الكمال وهو مبتدأ خبره الجار والمجرور اي ذلك الصنع البديع حاصل
بسبب انه تعالى هو الحق وحده في ذاته وصفاته وافعاله المحقق لما سواه من الاشياء وانه يحيي الموتى اي شانه وعادته احياء الموتى
وحاصله انه تعالى قادر على احيائها بدءا واعادة والا لما احيا النطفة والارض الميتة مرارا بعد مرار وما يفيده صيغة المضارع من
التجدد انما هو باعتبار تعلق القدرة ومتعلقها لا باعتبار نفسها وانه على كل شيء قدير اي مبالغ في القدرة والا لما اوجد هذه
الموجودات الفائتة للحصر التي من جملتها ما ذكر وانما الاستدلال عن ذلك بان قدرته تعالى لذاته التي نسبته الى الكل سواء فلما دلت المشاهدة

المشاهدة على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها فملتساوه العقول عما سبق له النظم الكريم من بيان كون الآثار الخاصة المذكورة من فروع
القدرة العامة التامة ومسبباتها وتخصيص احياء الموتى بالذكر مع كونه من جملة الاشياء المقدور عليها للتصريح بما فيه النزاع والدفع في نحور المنكرين
وتقديمه لابراز الاعتناء به وان الساعة آتية اي فيما سيأتي وايثار صيغة الفاعل على الفعل للدلالة على تحقق اتيانها وتقررها البتة لاقتضاء الحكمة اياه
لا محالة وتعليله بان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه مبني على ما ذكر من العقول وقوله لا ريب فيها اما خبر ثان لان او حال من ضمير الساعة في الخبر
ومعنى الريب عنها انها في ظهور امرها ووضوح دلائلها التكوينية والتنزيلية بحيث ليس فيها مظنة ان يرتاب في اتيانها حسبما مر في مطلع سورة البقرة
والجملة عطف على المجرور بالباء كما قبلها من الجملتين داخلة مثلها في حيز السببية وكذا قوله عز وجل وان الله يبعث من في القبور لكن لا من حيث ان
اتيان الساعة وبعث الموتى مؤثران فيما ذكر من افاعيله تعالى تاثير القدرة فيها بل من حيث ان كلا منهما سبب داع له عز وعلا بموجب رأفته بالعباد
المبنية على الحكم البالغة الى ما ذكر من خلقهم ومن احياء الارض الميتة على نمط بديع صالح للاستشهاد به على امكانهما ليتأملوا في ذلك ويستدلوا به على
وقوعهما لا محالة ويصدقوا بما ينطق بهما من الوحي المبين وينالوا به السعادة الابدية ولولا ذلك لما فعل تعالى ما فعل بل لما خلق العالم رأسا وهذا
كما ترى من احكام حقيته تعالى في افعاله وابتنائها على الحكم الباهرة كما ان ما قبله من احكام حقيته تعالى في صفاته وكونها في غاية الكمال وقد جعل
اتيان الساعة وبعث من في القبور لكونهما من روادف الحكمة كناية عن كونه تعالى حكيما كانه قيل ذلك بسبب انه تعالى قادر على احياء الموتى وعلى
كل مقدور وانه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد وانت خبير بان مآله الاستدلال بحكمته تعالى على
اتيان الساعة والبعث وليس الكلام في ذلك بل انما هو في سببيتهما لما مر من خلق الانسان واحياء الارض فتامل وكن على الحق المبين وقيل
قوله تعالى ان الساعة آتية ليس معطوفا على المجرور بالباء ولا داخلا في حيز السببية بل هو خبر والمبتدأ محذوف لفهم المعنى والتقدير والامر ان
الساعة آتية وان الثانية معطوفة على الاولى وقيل المعنى ذلك لتعلموا ان الله هو الحق الآيتين ومن الناس من يجادل في الله هو ابو جهل
هشام حسبما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقيل هو من يتصدى لاضلال الناس واغوائهم كائنا ما كان كما ان الاول من يقلدهم على ان
الشيطان عبارة عن المضل المغوي على الاطلاق بغير علم متعلق بمحذوف وقع حالا من ضمير يجادل اي كائنا بغير علم والمراد بالعلم العلم الضروري
كما ان المراد بالهدى في قوله تعالى ولا هدى هو الاستدلال والنظر الصحيح الهادي الى المعرفة ولا كتاب منير وحي مظهر للحق اي يجادل في شأنه تعالى
من غير تمسك بمقدمة ضرورية ولا بحجة نظرية ولا ببرهان سمعي كما في قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم
واما ما قيل من ان المراد المجادل الاول والتكرير للتاكيد والتمهيد لما بعده من بيان انه لا سند له من استدلال او وحي فلا يساعده النظم الكريم
كيف لا وان وصفه باتباع كل شيطان موصوف بما ذكر يغني عن وصفه بالعراء عن الدليل العقلي والسمعي ثاني عطفه حال اخرى من فاعل
يجادل اي عاطفا لجانبه وطاويا كشحه معرضا متكبرا فان ثني العطف كناية عن التكبر وقرئ بفتح العين اي مانعا لتعطفه ليضل عن سبيل الله
متعلق بيجادل فان غرضه الاضلال عنه وان لم يعترف بانه اضلال والمراد به اما الاخراج من الهدى الى الضلال فالمفعول من يجادله من المؤمنين
او الناس جميعا بتغليب المؤمنين على غيرهم واما التثبيت على الضلال او الزيادة عليه مجازا فالمفعول هم الكفرة خاصة وقرئ بفتح الياء
وجعل ضلاله غاية لجداله من حيث ان المراد به الضلال المبين الذي لا هداية له بعده مع تمكنه منها قبل ذلك له في الدنيا خزي جملة مستانفة
مسوقة لبيان نتيجة ما سلكه من الطريقة اي يثبت له في الدنيا بسبب ما فعله خزي وهو ما اصابه يوم بدر من القتل والصغار ونذيقه يوم القيمة
عذاب الحريق اي النار المحرقة ذلك اي ما ذكر من العذاب الدنيوي والاخروي وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه في الغاية القاصية من الهول
والفظاعة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بما قدمت يداك اي بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي واسناده الى يديه لما ان الاكتساب عادة يكون بالايدي
والالتفات لتاكيد الوعيد وتشديد التهديد ومحل ان في قوله عز وعلا وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي
والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة
اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه في سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها واما ما قيل من ان محل
ان هو الجر بالعطف على ما قدمت فقد عرفت حاله في سورة الانفال ومن الناس من يعبد الله على حرف شروع في بيان حال المذبذبين اثر بيان
حال المجاهرين اي ومنهم من يعبده تعالى على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي ينحرف الى طرف الجيش فان احس بظفر قر والا فر فان اصابه خير

اي نبوي من الصحة والسعة **اطمأن به** اي ثبت على ما كان عليه ظاهرا لا انه اطمأن به اطمئنان المؤمنين الذين لا يلويهم عنه صارف ولا يثنيهم عاطف **وان
اصابته فتنة** اي شيء يفتتن به من مكروه يعتريه في نفسه او اهله او ماله **انقلب على وجهه** روي انها نزلت في اعاريب قدموا المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه
ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته ولدا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه
قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد رضي الله عنه ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال اقلني فقال عليه السلام ان الاسلام لا يقال فنزلت وقيل نزلت في المؤلفة قلوبهم **خسر الدنيا والآخرة** فقدهما وضيعهما بذهاب عصمته وحبوط عمله
بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه او على انه خبر مبتدأ محذوف
ذلك اي ما ذكر من الخسران وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه في غاية ما يكون **هو الخسران المبين** الواضح كونه خسرانا اذ لا خسران مثله **يدعو من دون الله**
استئناف مبين لعظم الخسران اي يعبد متجاوزا عبادة الله تعالى **ما لا يضره** اذا لم يعبده **وما لا ينفعه** ان عبده اي جمادا ليس من شأنه الضر والنفع كما
يلوح به تكرير كلمة ما **ذلك** الدعاء **هو الضلال البعيد** عن الحق والهدى مستعار من ضلال من ابعد في التيه ضالا عن الطريق **يدعو لمن ضره اقرب من نفعه**
استئناف مسوق لبيان مآل دعائه المذكور وتقرير كونه ضلالا بعيدا مع ازاحة ما عسى يتوهم من نفي الضر عن معبوده بطريق المباشرة نفيه عنه
بطريق التسبيب ايضا فالدعاء بمعنى القول واللام داخلة على الجملة الواقعة مقولا له ومن مبتدأ وضره مبتدأ ثان خبره اقرب والجملة خبر للمبتدأ الاول و
قوله تعالى **لبئس المولى ولبئس العشير** جواب لقسم مقدر هو وجوابه خبر للمبتدأ الاول وايثار من على ما مع كون معبوده جمادا وايراد صيغة التفضيل مع خلوه
عن النفع بالمرة للمبالغة في تقبيح حاله والامعان في ذمه اي يقول ذلك الكافر يوم القيامة بدعاء وصراخ حين يرى تضرره بمعبوده ودخوله النار
بسببه ولا يرى منه اثر النفع اصلا لمن ضره اقرب من نفعه والله لبئس الناصر ولبئس الصاحب هو فكيف بما هو ضرر محض عار عن النفع بالكلية ويجوز
ان يكون يدعو الثاني اعادة للاول تأكيدا له فقط بل وتمهيدا لما بعده من بيان سوء حال معبوده اثر بيان سوء حال عبادته بقوله تعالى ذلك
هو الضلال البعيد كأنه قيل من جهته تعالى بعد ذكر عبادته لما لا يضره ولا ينفعه يدعو ذلكم ثم قيل لمن ضره اقرب من نفعه والله لبئس المولى ولبئس العشير
فكلمة من وصيغة التفضيل للتهكم به وقيل اللام زائدة ومن مفعول يدعو ويؤيده القراءة بغير لام اي يعبد من ضره اقرب من نفعه وايراد كلمة من
وصيغة التفضيل تهكم به ايضا والجملة القسمية مستأنفة **ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات** استئناف جيء به لبيان كمال حسن حال المؤمنين
العابدين له تعالى وان الله عز وجل يتفضل عليهم بما لا غاية وراءه من اجل المنافع واعظم الخيرات اثر بيان غاية سوء حال الكفرة وما لهم من فريقي
المجاهرين والمذبذبين وان معبودهم لا يجديهم شيئا من النفع بل يضرهم مضرة عظيمة وانهم يعترفون بسوء ولايته وعشرته ويذمونه مذمة
تامة وقوله تعالى **تجري من تحتها الانهار** صفة لجنات فان اريد بها الاشجار المتكاثفة الساترة لما تحتها فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها
الارض فلا بد من تقدير مضاف اي من تحت اشجارها وان جعلت عبارة عن مجموع الارض والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء الظاهر المصحح
لاطلاق اسم الجنة على الكل كما مر تفصيله في اوائل سورة البقرة وقوله تعالى **ان الله يفعل ما يريد** تعليل لما قبله وتقرير له بطريق التحقيق اي يفعل
البتة كل ما يريده من الافعال المتقنة اللائقة المبنية على الحكم الرائقة التي من جملتها اثابة من آمن به وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم
وعقاب من اشرك به وكذب برسوله صلى الله عليه وسلم ولما كان هذا من آثار نصرته تعالى له صلى الله عليه وسلم عقب بقوله عز وعلا **من كان يظن ان لن
ينصره الله في الدنيا والآخرة** تحقيقا لها وتقريرا لثبوتها على ابلغ وجه وآكده وفيه ايجاز بادع واختصار رائع والمعنى انه تعالى ناصر لرسوله في الدنيا
والآخرة لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه فمن كان يغيظه ذلك من اعاديه وحساده ويظن ان لن يفعله تعالى بسبب مدافعته ببعض
الامور ومباشرة ما يرده من المكايد فليبالغ في استفراغ المجهود وليجاوز في الجد كل حد معهود فقصارى امره وعاقبة مكره ان
يختنق خنقا مما يرى من ضلال مساعيه وعدم انتاج مقدماته ومباديه **فليمدد بسبب الى السماء** فليمدد حبلا الى سقف بيته **ثم ليقطع** اي ليختنق
من قطع اذا اختنق لانه يقطع نفسه بحبس مجاريه وقيل ليقطع الحبل بعد الاختناق على ان المراد به فرض القطع وتقديره كما ان المراد بالنظر
في قوله تعالى **فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ** تقدير النظر وتصويره اي فليصور في نفسه النظر هل يذهبن كيده ما يغيظه تقدير النظر اليه قدرته
في باب المغاضبة والمضارة ما يغيظه من النصرة كلا ويجوز ان يراد فلينظر الآن انه ان فعل ذلك هل يذهب ما يغيظه وقيل المعنى فليمدد حبلا
الى السماء المظلة وليصعد عليه ثم ليقطع الوحي وقيل ليقطع المسافة حتى يبلغ عنانها فيجتهد في دفع نصره ويأباه ان مساق النظم

النظم الكريم ببيان ان الامور المفروضة على تقدير وقوعها وتحققها بمعزل من اذهاب ما يغيظ ومن البين ان لا معنى لفرض وقوع الامور الممتنعة وترتيب
الامر بالنظر عليه لا سيما قطع الوحي فان فرض وقوعه مخل بالمرام قطعا وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون
ما وعد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه عليه السلام ويخشون ان لا يثبت امره فنزلت وقد فسر
النصر بالرزق فالمعنى ان الارزاق بيد الله تعالى لا تنال الا بمشيئته فلا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن ان الله تعالى غير رازقه ولم يصبر
ولم يستسلم فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا **وكذلك** اي مثل ذلك الانزال البديع المنطوي على
الحكم البالغة **انزلناه** اي القرآن الكريم كله وقوله تعالى **آيات بينات** اي واضحات الدلالة على معانيها الرائقة حال من الضمير المنصوب
مبينة لما اشير اليه بذلك **وان الله يهدي** به ابتداء او يثبت على الهدى او يزيد فيه **من يريد** هدايته او تثبيته او زيادته فيها ومحل الجملة
اما الجر على حذف الجار المتعلق بمحذوف مؤخر اي ولان الله يهدي من يريد انزله كذلك او الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي والامر ان الله
يهدي من يريد هدايته **ان الذين آمنوا** اي بما ذكر من الآيات البينات بهداية الله تعالى او بكل ما يجب ان يؤمن به فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا
والذين هادوا والصابئين والنصارى قيل هم يعبدون النار وقيل الشمس والقمر وقيل هم قوم من النصارى اعتزلوا عنهم ولبسوا المسوح وقيل اخذوا
من دين النصارى شيئا ومن دين اليهود شيئا وهم القائلون بان للعالم اصلين نورا وظلمة **والذين اشركوا** هم عبدة الاصنام وقوله تعالى **ان الله
يفصل بينهم يوم القيامة** في حيز الرفع على انه خبر لان الاولى وتصدير طرفي الجملة بحرفي التحقيق لزيادة التقرير والتأكيد اي يقضي بين المؤمنين
وبين الفرق الخمس المتفقة على ملة الكفر باظهار المحق من المبطل وتوفية كل منهما حقه من الجزاء باثابة الاول وعقاب الثاني بحسب استحقاق افراد
كل منهما وقوله تعالى **ان الله على كل شيء شهيد** تعليل لما قبله من الفصل اي عالم بكل شيء من الاشياء ومراقب لاحواله ومن قضيته الاحاطة بتفاصيل
ما صدر عن كل فرد من افراد الفرق المذكورة واجراء جزائه اللائق به عليه وقوله تعالى **الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض** الى آخره بيان لما يوجب
الفصل المذكور من اعمال الفرق المذكورة مع الاشارة الى كيفيته وكونه بطريق التعذيب والاثابة والاكرام والاهانة اثر بيان ما يوجبه من كونه تعالى
شهيدا على جميع الاشياء التي من جملتها احوالهم وافعالهم والمراد بالرؤية العلم عبر عنه بها اشعارا بظهور المعلوم والخطاب لكل احد ممن يتأتى
منه الرؤية تنبيها على انه من الجلاء بحيث لا يخفى على احد والمراد بالسجود هو الانقياد التام لتدبيره تعالى بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهه باكمل
افعال المكلف في باب الطاعة ايذانا بكونه في اقصى مراتب التسخر والتذلل لا سجود الطاعة الخاصة بالعقلاء سواء جعلت كلمة من عامة لغيرهم
ايضا وهو الانسب بالمقام لافادته شمول الحكم لكل ما فيهما بطريق القرار فيهما او بطريق الجزئية منهما فيكون قوله تعالى **والشمس والقمر والنجوم والجبال
والشجر والدواب** افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها عادة او جعلت خاصة بالعقلاء لعدم شمول سجود الطاعة لكلهم حسبما ينبئ عنه قوله
تعالى **وكثير من الناس** فانه مرتفع بفعل مضمر يدل عليه المذكور اي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ومن قضيته انتفاء ذلك عن بعضهم وقيل
هو مرفوع على الابتداء حذف خبره ثقة بدلالة خبر قسيمه عليه نحو حق له الثواب والاول هو الاولى لما فيه من الترغيب في السجود والطاعة وقد جوز ان يكون من
الناس خبرا له اي من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون وان يكون قوله تعالى **وكثير** معطوفا على كثير الاول للايذان بغاية
الكثرة ثم يخبر عنهم باستحقاق العذاب كأنه قيل وكثير وكثير من الناس **حق عليه العذاب** اي بكفره واستعصائه وقرئ حق بالضم وحقا اي حق عليه
العذاب حقا **ومن يهن الله** بان كتب عليه الشقاوة حسبما علمه من صرف اختياره الى الشر **فما له من مكرم** يكرمه بالسعادة وقرئ بفتح الراء على انه مصدر
ميمي **ان الله يفعل ما يشاء** من الاشياء التي من جملتها الاكرام والاهانة **هذان** تعيين لطرفي الخصام وازاحة لما عسى يتبادر الى الوهم من كونه
بين كل واحدة من الفرق الست وبين البواقي وتحرير لمحله اي فريق المؤمنين وفريق الكفرة المنقسم الى الفرق الخمس **خصمان** اي فريقان مختصمان
وانما قيل **اختصموا في ربهم** حملا على المعنى اي اختصموا في شأنه عز وجل وقيل في دينه وقيل في ذاته وصفاته والكل من شؤونه تعالى فان
اعتقاد كل من الفريقين بحقية ما هو عليه وبطلان ما عليه صاحبه وبناء اقواله وافعاله عليه خصومة للفريق الآخر وان لم يجر بينهما التحاور والخصام وقيل
تخاصمت اليهود والمؤمنون فقالت اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله منكم آمنا بمحمد
وبنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت **فالذين كفروا** تفصيل لما اجمل في قوله تعالى يفصل بينهم يوم القيامة
قطعت اي قدرت على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف **ثياب من نار** اي نيران هائلة تحيط بهم احاطة الثياب بلابسها **يصب من فوق رؤوسهم الحميم** اي

الماء الحار الذي انتهت حرارته قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لو قطرت قطرة منها على جبال الدنيا لأذابتها والجملة مستأنفة او خبر ثان للموصول او حال من ضميرهم يصهر به اي يذاب بما في بطونهم من الامعاء والاحشاء وقرئ يصهر بالتشديد والجلود عطف على ما وتاخيره عنه اما لمراعاة الفواصل او للاشعار بغاية شدة الحرارة بايهام ان تاثيرها في الباطن اقدم من تاثيرها في الظاهر مع ان ملابستها على العكس والجملة حال من الحميم ولهم للكفرة اي لتعذيبهم واجلهم مقامع من حديد جمع مقمعة وهي آلة القمع كلما ارادوا ان يخرجوا اي اشرفوا على الخروج من النار ودنوا منه حسبما روي انها تضربهم بلهيبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا من غم اي من غم شديد من غمومها وهو بدل اشتمال من الهاء باعادة الجار والرابط محذوف كما اشير وقيل الاول مفعول له للخروج اعيدوا فيها اي في قعرها بان ردوا من اعاليها الى اسافلها من غير ان يخرجوا منها وذوقوا على تقدير قول معطوف على اعيدوا اي عذاب الحريق اي الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار بيان لحسن حال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة وقد غير الاسلوب فيه باسناد الادخال الى الله عز وجل وتصدير الجملة بحرف التحقيق ايذانا بكمال مباينة حالهم لحال الكفرة واظهارا لمزيد العناية بامر المؤمنين ودلالة على تحقق مضمون الكلام يحلون فيها على البناء للمفعول بالتشديد من التحلية وقرئ بالتخفيف من الاحلاء بمعنى الالباس اي تحليهم الملائكة بامره تعالى وقرئ يحلون من حليت المرأة اذا لبست حليها او من قوله تعالى من اساور اما للتبعيض اي بعض اساور وهي جمع اسورة جمع سوار او للبيان لما ان ذكر التحلية مما ينبئ عن الحلي المبهم وقيل زائدة وقيل نعت لمفعول محذوف ليحلون فانه بمعنى يلبسون من ذهب بيان للاساور ولؤلؤا عطف على محل من اساور او على المفعول المحذوف او منصوب بفعل مضمر يدل عليه يحلون اي يؤتون وقرئ بالجر عطفا على اساور وقرئ لولوا بقلب الهمزة واوا ولوليا بقلبها ياء بعد قلبها واوا وليليا بقلبهما ياء ولباسهم فيها حرير غير الاسلوب حيث لم يقل ويلبسون فيها حريرا للدلالة على ان الحرير ثيابهم المعتادة او لمجرد المحافظة على هيئة الفواصل بل للايذان بان ثبوت اللباس لهم امر محقق غني عن البيان اذ لا يمكن عراؤهم عنه وانما المحتاج الى البيان ان لباسهم ماذا بخلاف الاساور واللؤلؤ فانها ليست من اللوازم الضرورية فجعل بيان تحليتهم بها مقصودا بالذات ولعل هذا هو الباعث الى تقديم بيان التحلية على بيان حال اللباس وهدوا الى الطيب من القول وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء الآية وهدوا الى صراط الحميد اي المحمود نفسه او عاقبته وهي الجنة ووجه تاخير هذه الهداية عن ذكر الهداية الى القول المذكور لما انه آخر عن دخول الجنة المتأخر عن الهداية الى طريقها لرعاية الفواصل وقيل المراد بالحميد الحق المستحق لذاته لغاية الحمد وهو الله عز وجل وصراطه الاسلام ووجه التاخير ان ذكر الحمد يستدعي ذكر المحمود ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله ليس المراد به حالا ولا استقبالا وانما هو استمرار الصد ولذلك حسن عطفه على الماضي كما في قوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وقيل هو حال من فاعل كفروا اي وهم يصدون وخبر ان محذوف لدلالة آخر الآية الكريمة عليه فان من الحد في الحرم حيث عوقب بالعذاب الاليم فلان يعاقب من جمع اليه الكفر والصد عن سبيل الله تعالى باشد من ذلك حق واولى والمسجد الحرام عطف على سبيل الله قيل المراد به مكة بدليل وصفه بقوله تعالى الذي جعلناه للناس اي كائنا من كان من غير فرق بين مكي وآفاقي سواء العاكف فيه والباد اي المقيم والطارئ وسواء اي مستويا مفعول ثان لجعلناه والعاكف مرتفع به واللام متعلق ظرف له وفائدة وصف المسجد الحرام بذلك زيادة تشنيع الصادين عنه وقرئ سواء بالرفع على انه خبر مقدم والعاكف مبتدأ والجملة مفعول ثان للجعل وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس ومن يرد فيه مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول كانه قيل ومن يرد فيه مرادا ما بالحاد عن القصد بعدول بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان والثاني بدل من الاول باعادة الجار او صلة له اي ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الآثام نذقه من عذاب اليم جواب لمن واذ بوأنا يقال بوأه منزلا اي انزله فيه ولما لزمه جعل الثاني مباءة للاول قيل لابراهيم مكان البيت وعليه يبتنى قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما جعلناه اي اذكر وقت جعلنا مكان البيت مباءة له عليه السلام اي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه غير مرة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف كما في اصل الاستعمال اي انزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء ايام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله تعالى ابراهيم عليه السلام مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على اسه القديم روي ان الكعبة الكريمة بنيت خمس مرات احداها بناء الملائكة وكانت من ياقوتة حمراء ثم رفعت ايام الطوفان والثانية بناء ابراهيم عليه السلام والثالثة بناء قريش في الجاهلية وقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا البناء والرابعة بناء ابن الزبير رضي الله عنه والخامسة بناء الحجاج وقد اوردنا في هذا الشان من الاقاويل في تفسير قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وان في قوله تعالى ان لا تشرك بي شيئا مفسرة

لبوأنا من حيث انه متضمن لمعنى تعبدنا لان التبوئة للعبادة او مصدرية موصولة بالنهي وقد مر تحقيقه في اوائل سورة هود اي فعلنا ذلك لئلا تشرك بي في العبادة شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود اي وتطهير بيتي من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلي فيه ولعل التعبير عن الصلاة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك فكيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء واذن في الناس اي ناد فيهم وقرئ آذن بالحج بدعوة الحج والامر به روي انه عليه السلام صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه الله تعالى من في اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه تعالى ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر بذلك في حجة الوداع ويأباه كون السورة مكية يأتوك جواب للامر رجالا اي مشاة جمع راجل كقيام جمع قائم وقرئ بضم الراء وتخفيف الجيم وتشديده ورجالى كعجالى وعلى كل ضامر عطف على رجالا اي وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد الشقة فهزله او زاد هزاله يأتين صفة لضامر محمولة على المعنى وقرئ يأتون على انه صفة للرجال والركبان او استئناف فيكون الضمير للناس من كل فج طريق واسع عميق بعيد وقرئ معيق يقال بعيد العمق وبعيد المعق بمعنى كالجذب والجبذ ليشهدوا متعلق بيأتوك لا باذن اي ليحضروا منافع عظيمة الخطر كثيرة العدد او نوعا من المنافع الدينية والدنيوية المختصة بهذه العبادة واللام في قوله تعالى لهم متعلق بمحذوف هو صفة لمنافع اي منافع كائنة لهم ويذكروا اسم الله عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وفي جعله غاية للاتيان ايذان بانه الغاية القصوى دون غيره وقيل هو كناية عن الذبح لانه لا ينفك عنه في ايام معلومات هي ايام النحر كما ينبئ عنه قوله تعالى على ما رزقهم من بهيمة الانعام فان المراد بالذكر ما وقع عند الذبح وقيل هي عشر ذي الحجة وقد علق الفعل بالمرزوق وبين بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على الذكر فكلوا منها التفات الى الخطاب والفاء فصيحة عاطفة لمدخولها على مقدر قد حذف للاشعار بانه امر محقق غير محتاج الى التصريح به كما في قوله تعالى فانبجست اي فاذكروا اسم الله تعالى على ضحاياكم فكلوا من لحومها والامر للاباحة وازاحة ما كانت عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او للندب الى مواساة الفقراء ومساواتهم واطعموا البائس اي الذي اصابه بؤس وشدة الفقير المحتاج وهذا الامر للوجوب وقد قيل به في الاول ايضا ثم ليقضوا تفثهم اي ليؤدوا ازالة وسخهم وليحكموا بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال وليوفوا نذورهم ما ينذرون من البر في حجهم وقيل مواجب الحج وقرئ بفتح الواو وتشديد الفاء وليطوفوا طواف الركن الذي به تمام التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق اي القديم فانه اول بيت وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكأي من جبار سار ليهدمه فعصمه الله تعالى منه واما الحجاج الثقفي فانما قصد اخراج ابن الزبير رضي الله عنهما منه لا التسلط عليه ذلك اي الامر ذلك وهذا وامثاله يطلق للفصل بين الكلامين او بين وجهي كلام واحد ومن يعظم حرمات الله اي احكامه وسائر ما لا يحل هتكه بالعلم بوجوب مراعاتها والعمل بموجبه وقيل الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام فهو خير له اي فالتعظيم خير له ثوابا عند ربه اي في الآخرة والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره من لتشريفه والاشعار بعلة الحكم واحلت لكم الانعام وهي الازواج الثمانية على الاطلاق فقوله تعالى الا ما يتلى عليكم اي الا ما اهل به لغير الله تعالى والجملة اعتراض جيء به تقريرا لما قبله من الامر بالاكل والاطعام ودفعا لما عسى يتوهم ان الاحرام يحرمه كما يحرم الصيد وعدم الاكتفاء ببيان عدم كونها من ذلك القبيل لحمل الانعام على ما ذكر من الضحايا والهدايا المعهودة خاصة لئلا يحتاج الى الاستثناء المذكور اذ ليس فيها ما حرم لعارض قطعا لمراعاة حسن التخلص الى ما بعده من قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان فانه مترتب على ما يفيده قوله تعالى ومن يعظم حرمات الله من وجوب مراعاتها والاجتناب عن هتكها ولما كان بيان حل الانعام من دواعي التعاطي لا من مبادي الاجتناب عقب بما يوجب الاجتناب عنه من المحرمات ثم امر بالاجتناب عما هو اقصى الحرمات فانها محللة لكم الا ما يتلى عليكم آية تحريمه فانه مما يجب الاجتناب عنه فاجتنبوا ما هو معظم الامور التي يجب الاجتناب عنها وقوله تعالى واجتنبوا قول الزور تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان رأس الزور كانه لما حث على تعظيم الحرمات اتبع ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب ونحوها والافتراء على الله تعالى بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روي انه عليه السلام قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثلاثا وتلا هذه الآية والزور من الزور وهو الانحراف كالافك المأخوذ من الافك الذي هو القلب والصرف فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع وقيل هو قول الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك حنفاء لله مائلين عن كل دين زائغ الى الدين الحق مخلصين لله تعالى غير مشركين به اي شيئا من الاشياء فيدخل في ذلك الاوثان دخولا اوليا وهما حالان من واو فاجتنبوا ومن يشرك بالله جملة مبتدأة مؤكدة لما قبلها من الاجتناب من الاشراك واظهار الاسم الجليل لاظهار كمال قبح الاشراك فكانما خر من السماء لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر فتخطفه الطير

فان الاهواء المردية توزع افكاره وقرئ فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء وبكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما واصلهما تختطفه **او تهوي به الريح** اي تسقطه
وتقذفه **في مكان سحيق** بعيد فان الشيطان قد طوح به في الضلالة واو للتخيير كما في او كصيب او للتنويع ويجوز ان يكون من باب التشبيه المركب فيكون المعنى
ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكا شبيها بهلاك احد الهالكين **ذلك** اي الامر ذلك او امتثلوا ذلك **ومن يعظم شعائر الله** اي الهدايا فانها من
معالم الحج وشعائره تعالى كما ينبئ عنه والبدن جعلناها لكم من شعائر الله وهو الاوفق لما بعده وتعظيمها اعتقاد ان التقرب بها من اجل القربات وان
يختارها حسانا سمانا غالية الاثمان روي انه صلى الله عليه وسلم اهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وان عمر رضي الله عنه اهدى
نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار **فانها** اي فان تعظيمها **من تقوى القلوب** فحذفت هذه المضافات والعائد الى من او فان تعظيمها ناشئ من تقوى القلوب
وتخصيصها بالاضافة لانها مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها في سائر الاعضاء **لكم فيها** اي في الهدايا **منافع** هي درها
ونسلها وصوفها وظهرها **الى اجل مسمى** هو وقت نحرها والتصدق بلحمها والاكل منه **ثم محلها** اي وجوب نحرها او وقت نحرها منتهية **الى البيت العتيق** اي
الى ما يليه من الحرم وثم للتراخي الزماني او الرتبي اي لكم فيها منافع دنيوية الى وقت نحرها ثم منافع دينية اعظم منها في النفع محلها اي وجوب نحرها
او وقت وجوب نحرها الى البيت العتيق اي منتهية اليه هذا وقد قيل المراد بالشعائر مناسك الحج ومعالمه والمعنى لكم فيها منافع بالاجر والثواب
في قضاء المناسك واقامة شعائر الحج الى اجل مسمى هو انقضاء ايام الحج ثم محلها اي محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق اي منتهية اليه بان
يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر بعد قضاء المناسك فاضافة المحل اليها لادنى ملابسة **ولكل امة** اي لكل اهل دين **جعلنا منسكا** اي متعبدا
وقربانا يتقربون به الى الله عز وجل وقرئ بكسر السين اي موضع نسك وتقديم الجار والمجرور على الفعل للتخصيص اي لكل امة من الامم جعلنا منسكا
لبعض منهم دون بعض **ليذكروا اسم الله** خاصة دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه الكريم علل الجعل به تنبيها على ان المقصود الاصلي من المناسك تذكر
المعبود **على ما رزقهم من بهيمة الانعام** عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان يجب ان يكون من الانعام والخطاب في قوله تع **فالهكم اله واحد** للكل تغليبا والفاء
لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان جعله تعالى لكل امة من الامم منسكا مما يدل على وحدانيته تعالى وانما قيل اله واحد ولم يقل واحد لما ان المراد بيان انه
تعالى واحد في ذاته كما انه واحد في الهيته للكل والفاء في قوله تع **فله اسلموا** لترتيب ما بعدها من الامر بالاسلام على وحدانيته تعالى وتقديم الجار والمجرور
على الامر للقصر اي فاذا كان الهكم الها واحدا فاخلصوا له التقرب او الذكر واجعلوه لوجهه خاصة ولا تشوبوه بالشرك **وبشر المخبتين** تجريد
للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اي المتواضعين او المخلصين فان الاخبات من الوظائف الخاصة بهم **الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم** منه
تعالى لاشراق اشعة جلاله عليها **والصابرين على ما اصابهم** من مشاق التكاليف ومؤنات النوائب **والمقيمي الصلوة** في اوقاتها وقرئ بنصب
الصلوة على تقدير النون وقرئ والمقيمين الصلوة على الاصل **ومما رزقناهم ينفقون** في وجوه الخير **والبدن** بضم الباء وسكون الدال وقرئ بضمهما
وهما جمعا بدنة وقيل الاصل ضم الدال كخشب وخشبة والتسكين تخفيف منه وقرئ بتشديد النون على لفظ الوقف وانما سميت بها الابل لعظم
بدنها ماخوذة من بدن بدانة وحيث شاركها البقرة في الاجزاء عن سبعة بقوله صلى الله عليه وسلم البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة جعلا
في الشريعة جنسا واحدا وانتصابه بمضمر يفسره **جعلناها لكم** وقرئ بالرفع على انه مبتدأ والجملة خبره وقوله تع **من شعائر الله** اي من اعلام
دينه التي شرعها الله تعالى مفعول ثان للجعل ولكم ظرف لغو متعلق به وقوله تع **لكم فيها خير** اي منافع دينية ودنيوية جملة مستانفة مقررة
لما قبلها **فاذكروا اسم الله عليها** بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك **صواف** اي قائمات قد صففن ايديهن
وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلث وعلى طرف سنبك الرابعة لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلث وقرئ
صوافنا بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف وقرئ صوافي اي خوالص لوجه الله تعالى وصواف على لغة من يسكن الياء على الاطلاق كما
في قوله خذا احد ثاني عن قلى وفلان لعلي اري باق على الحدثان **فاذا وجبت جنوبها** سقطت على الارض وهي كناية عن الموت **فكلوا منها واطعموا القانع**
اي الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسألة ويؤيده انه قرئ القنع او السائل من قنع اليه قنوعا اذا خضع له في السؤال **والمعتر**
المتعرض للسؤال وقرئ المعتري يقال عره وعراه واعتره واعتراه **كذلك** مثل ذلك التسخير البديع المفهوم من قوله تع صواف **سخرناها لكم**
مع كمال عظمها ونهاية قوتها فلا تستعصي عليكم حتى تاخذونها منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها **لعلكم**
تشكرون لتشكروا انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص **لن ينال الله** اي لن يبلغ مرضاته ولن يقع موقع القبول **لحومها** المتصدق بها ولا دماؤها المهراقة

المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء **ولكن يناله التقوى منكم** ولكن يصيبه تقوى قلوبكم التي تدعوكم الى الامتثال بامره تعالى وتعظيمه والتقرب اليه والاخلاص
وقيل كان اهل الجاهلية يلطخون الكعبة بدماء قرابينهم فهم به المسلمون فنزلت **كذلك سخرها لكم** تكرير للتذكير والتعليل بقوله تع **لتكبروا الله** اي
لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال والذبح **على ما هديكم** اي ارشدكم الى طريق
تسخيرها وكيفية التقرب بها وما مصدرية او موصولة اي على هدايته اياكم او على ما هداكم اليه وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر **وبشر المحسنين**
اي المخلصين في كل ما ياتون وما يذرون في امور دينهم **ان الله يدافع عن الذين آمنوا** كلام مستانف مسوق لتوطين قلوب المؤمنين ببيان ان الله تعالى
ناصرهم على اعدائهم بحيث لا يقدرون على صدهم عن الحج ليتفرغوا الى اداء مناسكه وتصديره بكلمة التحقيق لابراز الاعتناء التام بمضمونه
وصيغة المفاعلة اما للمبالغة او للدلالة على تكرر الدفع فانها قد تجرد عن وقوع الفعل المتكرر من الجانبين فيبقى تكرره كما في الممارسة اي يبالغ
في دفع غائلة المشركين وضررهم الذي من جملته الصد عن سبيل الله تعالى مبالغة من يغالب فيه او يدفعها عنهم مرة بعد اخرى حسبما تجدد منهم القصد الى
الاضرار بالمسلمين كما في قوله تع كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله وقرئ يدفع والمفعول محذوف وقوله تع **ان الله لا يحب كل خوان كفور** تعليل
لما في ضمن الوعد الكريم من الوعيد للمشركين وايذان بان دفعهم بطريق القهر والخزي ونفي المحبة كناية عن البغض اي ان الله يبغض كل خوان في امانته
تعالى وهي اوامره ونواهيه او في جميع الامانات التي هي معظمها كفور للنعمة وصيغة المبالغة فيهما لبيان انهم كذلك لا لتقييد البغض بغاية الخيانة
والكفر او للمبالغة في نفي المحبة على اعتبار النفي اولا وايراد معنى المبالغة ثانيا **اذن** اي رخص وقرئ على البناء للفاعل اي اذن الله تعالى
للذين يقاتلون اي يقاتلهم المشركون والماذون فيه محذوف لدلالة المذكور عليه فان مقاتلة المشركين اياهم دالة على مقاتلتهم اياهم دلالة
نيرة وقرئ على صيغة المبني للفاعل اي يريدون ان يقاتلوا المشركين فيما سياتي ويحرصون عليه فدلالته على المحذوف اظهر **بانهم ظلموا** اي بسبب انهم
ظلموا وهم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم كان المشركون يؤذونهم وكانوا ياتونه عليه السلام بين مضروب ومشجوج ويتظلمون اليه فيقول عليه
السلام لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجروا فانزلت وهي اول آية نزلت في القتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية **وان الله على نصرهم**
لقدير وعد لهم بالنصر وتاكيد لما مر من العدة الكريمة بالدفع وتصريح بان المراد ليس مجرد تخليصهم عن ايدي المشركين بل تغليبهم واظهارهم عليهم والاخبار
بقدرته تعالى على نصرهم وارد على سنن الكبرياء وتاكيده بكلمة التحقيق واللام لمزيد تحقيق مضمونه وزيادة توطين نفوس المؤمنين وقوله تع **الذين اخرجوا**
من ديارهم في حيز الجر على انه صفة للموصول الاول او بيان له او بدل منه او في محل النصب على المدح او في محل الرفع باضمار مبتدإ والجملة مرفوعة على المدح
والمراد بديارهم مكة المعظمة **بغير حق** متعلق باخرجوا اي اخرجوا بغير ما يوجب اخراجهم وقوله تع **الا ان يقولوا ربنا الله** بدل من حق اي بغير موجب سوى
التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجبا للاقرار والتمكين دون الاخراج والتسيير لكن لا على الظاهر بل على طريقة قول النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب وقيل الاستثناء منقطع **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض** بتسليط المؤمنين على الكافرين في كل عصر وزمان وقرئ
دفاع **لهدمت** لخربت باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرئ هدمت بالتخفيف **صوامع** للرهابنة **وبيع** للنصارى **وصلوات** اي كنائس
لليهود وتسميتها بها لانها يصلى فيها وقيل اصلها صلوثا بالعبرية فعربت **ومساجد** للمسلمين **يذكر فيها اسم الله كثيرا** اي ذكرا كثيرا او وقتا كثيرا صفة
مادحة للمساجد خصت بها دلالة على فضلها وفضل اهلها وقيل صفة للاربع وليس كذلك فان بيان ذكر الله عز وجل في الصوامع والبيع والكنائس
بعد انتساخ شرعيتها مما لا يقتضيه المقام ولا ترتضيه الافهام **ولينصرن الله من ينصره** اي وبالله لينصرن الله من ينصر اولياءه او من ينصر دينه
ولقد انجز الله عز سلطانه وعده حيث سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرة الروم واورثهم ارضهم وديارهم **ان**
الله لقوي على كل ما يريده من مراداته التي من جملتها نصرهم **عزيز** لا يغالبه شيء ولا يدافعه **الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا** عن المنكر
وصف من الله عز وجل للذين اخرجوا من ديارهم بما سيكون منهم من حسن السيرة عند تمكينه تعالى اياهم في الارض واعطائه اياهم زمام الاحكام منبئ
عن عدة كريمة على ابلغ وجه والطفه وعن عثمان رضي الله تعالى عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد انه تعالى اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا
قالوا وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين لانه تعالى لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ
في ذلك للانصار والطلقاء وعن الحسن رضي الله تعالى عنه هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين بدل من قوله تع من ينصره **ولله**
عاقبة الامور خاصة فان مرجعها الى حكمه وتقديره فقط وفيه تاكيد للوعد باظهار اوليائه واعلاء كلمته **وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم** قوم نوح تسلية

لرسول الله صلى الله عليه وسلم متضمنة للوعد الكريم باهلاك من يعاديه من الكفرة وتعيين لكيفية نصره تعالى له الموعود بقوله تعالى ولينصرن الله من ينصره وبيان
لرجوع عاقبة الامور اليه تعالى وصيغة المضارع في الشرط مع تحقق التكذيب لما ان المقصود تسليته عليه السلام عما يترتب على التكذيب من الحزن المتوقع
اي وان يحزنوك على تكذيبهم اياك فاعلم انك لست باوحدي في ذلك فقد كذبت قبل تكذيب قومك اياك وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين
اي رسلهم ممن ذكر وممن لم يذكر وانما حذف لكمال ظهور المراد لان المراد نفس الفعل اي فعلت التكذيب قوم نوح الى آخره وكذب موسى غير النظم الكريم
بذكر المفعول وبناء الفعل له لا لان قومه بنو اسرائيل وهم لم يكذبوه وانما كذبه القبط لما ان ذلك انما يقتضي عدم ذكرهم بعنوان كونهم قوم موسى لا
بعنوان آخر على ان بني اسرائيل ايضا قد كذبوه مرة بعد اخرى حسبما نطق به قوله تعالى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك من الآيات الكريمة بل
للايذان بان تكذيبهم له كان في غاية الشناعة لكون آياته في كمال الوضوح وقوله فامليت للكافرين اي امهلتهم حتى انصرمت حبال آجالهم والفاء
لترتيب امهال كل فريق من فرق المكذبين على تكذيب ذلك الفريق لا لترتيب امهال الكل على تكذيب الكل ووضع الظاهر موضع الضمير العائد
الى المكذبين لذمهم بالكفر والتصريح بمكذبي موسى عليه السلام حيث لم يذكروا فيما قبل صريحا ثم اخذتهم اي اخذت كل فريق من فريق المكذبين
بعد انقضاء مدة املائه وامهاله فكيف كان نكير اي انكاري عليهم بالاهلاك اي فكان ذلك في غاية ما يكون من الهول والفظاعة وقوله
تعالى فكأين من قرية منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى اهلكناها اي فاهلكنا كثيرا من القرى باهلاك اهلها والجملة بدل من قوله تعالى فكيف كان
نكير وهي ظالمة جملة حالية من مفعول اهلكنا وقوله تعالى فهي خاوية عطف على اهلكناها لا على وهي ظالمة لانها حال والاهلاك ليس في حال
خوائها فعلى الاول لا محل لها من الاعراب كالمعطوف عليه وعلى الثاني في محل الرفع لعطفه على الخبر والخواء اما بمعنى السقوط من خوى النجم اذا
سقط فالمعنى فهي ساقطة حيطانها على عروشها اي سقوفها بان تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق
السقوف واسناد السقوط على العروش اليها لتنزيل الحيطان منزلة كل البنيان لكونها عمدة فيه واما بمعنى الخلو من خوى المنزل
اذا خلا من اهله فالمعنى فهي خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون على بمعنى مع ويجوز ان يكون على عروشها خبرا بعد خبر اي فهي خالية
وهي على عروشها اي قائمة مشرفة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض وبقيت الحيطان قائمة فهي مشرفة على السقوف
الساقطة واسناد الاشراف الى الكل مع كونه حال الحيطان لما مر آنفا وبئر معطلة عطف على قرية اي وكم بئر عامرة في البوادي تركت
لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله وقصر مشيد مرفوع البنيان او مجصص اخليناه عن ساكنيه وهذا
يؤيد كون معنى خاوية على عروشها خاوية مع بقاء عروشها وقيل المراد بالبئر بئر بسفح جبل بحضرموت وبالقصر قصر مشرف على قلته كانا
لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله تعالى وعطلهما افلم يسيروا في الارض حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين
فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا فيها ولكنهم حيث لم يسافروا للاعتبار جعلوا كانهم غير مسافرين فحثوا على ذلك والفاء لعطف ما بعدها على مقدر
يقتضيه المقام اي اغفلوا فلم يسيروا فيها فتكون لهم بسبب ما شاهدوه من مواد الاعتبار ومظان الاستبصار قلوب يعقلون بها ما يجب
ان يعقل من التوحيد او آذان يسمعون بها ما يجب ان يسمع من الوحي او من اخبار الامم المهلكة ممن يجاورهم من الناس فانهم اعرف منهم بحالهم فانها
لا تعمى الابصار الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار وفي تعمى ضمير راجع اليه وقد اقيم الظاهر مقامه ولكن تعمى القلوب التي في الصدور اي
ليس الخلل في مشاعرهم وانما هو في عقولهم باتباع الهوى والانهماك في الغفلة وذكر الصدور للتاكيد ونفي توهم التجوز وفضل التنبيه
على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يختص بالبصر قيل لما نزل قوله تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله
انا في الدنيا اعمى افاكون في الآخرة اعمى فنزلت ويستعجلونك بالعذاب كانوا منكرين لمجيء العذاب المتوعد به اشد الانكار وانما كانوا يستعجلون به استهزاء
برسول الله صلى الله عليه وسلم وتعجيزا له على زعمهم فحكى عنهم ذلك بطريق التخطئة والاستنكار فقوله تعالى ولن يخلف الله وعده اما جملة حالية جيء بها لبيان
بطلان انكارهم لمجيئه في ضمن استعجالهم واظهار خطائهم فيه كانه قيل كيف ينكرون مجيء العذاب الموعود والحال انه تعالى لا يخلف وعده ابدا وقد
سبق الوعد فلا بد من مجيئه حتما او اعتراضية مبينة لما ذكر وقوله تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون جملة مستانفة ان كانت الاولى حالية
ومعطوفة عليها ان كانت اعتراضية سيقت لبيان خطائهم في الاستعجال المذكور ببيان كمال سعة ساحة حلمه تعالى ووقاره واظهار غاية ضيق
عطنهم المستتبع لكون المدة القصيرة عنده تعالى مددا طوالا عندهم حسبما ينطق به قوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا ولذلك يرون مجيئه بعيدا

ويتخذونه ذريعة الى انكاره ويجترؤن على الاستعجال به ولا يدرون ان معيار تقدير الامور كلها وقوعا واخبارا ما عنده تعالى من المقدار وقرأة يعدون
على صيغة الغيبة اي يعده المستعجلون اوفق لهذا المعنى وقد جعل الخطاب في القراءة المشهورة لهم ايضا بطريق الالتفات لكن الظاهر انه تعالى ويستعجلونك
بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب فتكون الجملة الاولى حالية كانت او اعتراضية مبينة لبطلان الاستعجال به ببيان استحالة مجيئه قبل وقته الموعود والجملة
الاخيرة بيانا لبطلانه ببيان ابتنائه على استطالة ما هو قصير عنده تعالى على الوجه الذي مر بيانه فلا يكون في النظم الكريم حينئذ تعرض لانكارهم الذي
دسوه تحت الاستعجال بل يكون الجواب مبنيا على ظاهر مقالهم ويكتفي في رد انكارهم ببيان عاقبة من قبلهم من امثالهم هذا وحمل المستعجل به على عذاب الآخرة
وجعل اليوم عبارة عن يوم العذاب المستطال لشدته او عن ايام الآخرة الطويلة حقيقة او المستطالة لشدة عذابها مما لا يساعده سياق النظم الكريم
الجليل ولا سياقه فان كلا منهما ناطق بان المراد هو العذاب الدنيوي وان الزمان الممتد هو الذي مر عليهم قبل حلوله بطريق الاملاء والامهال لا الزمان
المقارن له الا يرى الى قوله تعالى وكأين من قرية الى آخره فانه كما سلف من قوله تعالى فامليت للكافرين ثم اخذتهم صريح في ان المراد هو الاخذ العاجل الشديد بعد
الاملاء المديد اي وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل امليت
لها كما امليت لهؤلاء حتى انكروا مجيء ما وعدوا من العذاب واستعجلوا به استهزاء برسلهم كما فعل هؤلاء وهي ظالمة جملة حالية مفيدة لكمال
حلمه تعالى ومشعرة بطريق التعريض بظلم المستعجلين اي امليت لها والحال انها ظالمة مستوجبة لتعجيل العقوبة كدأب هؤلاء ثم اخذتها بالعذاب
والنكال بعد طول الاملاء والامهال وقوله تعالى والي المصير اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ومصرح بما افاده ذلك بطريق التعريض من ان مآل
امر المستعجلين ايضا ما ذكر من الاخذ الوبيل اي الى حكمي مرجع الكل جميعا لا الى احد غيري لا استقلالا ولا شركة فافعل بهم ما افعل مما يليق باعمالهم قل
يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين انذركم انذارا بينا بما اوحي من انباء الامم المهلكة من غير ان يكون لي دخل في اتيان ما توعدونه من العذاب
حتى تستعجلوني به والاقتصار على الانذار مع بيان حال الفريقين بعده لما اشير اليه من ان مساق الحديث للمشركين وعقابهم وانما ذكر المؤمنون
وثوابهم زيادة في غيظهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما اندر منهم من الذنوب ورزق كريم هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله
ويحوز كمالاته والذين سعوا في آياتنا معاجزين اي سابقين ومسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم والمعاجز
من عاجزه فاعجزه وعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يريد اعجاز الآخر عن اللحاق به وقرئ معجزين اي مثبطين الناس عن الايمان
على انه حال مقدرة اولئك الموصوفون بما ذكر من السعي والمعاجزة اصحاب الجحيم اي ملازموا النار الموقدة وقيل هو اسم دركة من دركاتها وما
ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الرسول من بعثه الله تعالى بشريعة جديدة يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شريعة سابقة كانبياء بني
اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم الصلوة والسلام ولذلك شبه عليه السلام علماء امته بهم فالنبي اعم من الرسول ويدل انه عليه السلام سئل عن الانبياء
فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل كم الرسل منهم فقال ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي
غير الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من ياتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام الا اذا تمنى اي هيأ في نفسه ما يهواه القى
الشيطان في امنيته في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه السلام وانه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة فينسخ الله
ما يلقي الشيطان فيبطله ويذهب بعصمته عن الركون اليه وارشاده الى ما يزيحه ثم يحكم الله آياته اي يثبت آياته الداعية الى الاستغراق
في شؤون الحق وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددي واظهار الجلالة في موقع الاضمار لزيادة التقرير والايذان بان
الالوهية من موجبات احكام آياته الباهرة والله عليم مبالغ في العلم بكل ما من شأنه ان يعلم ومن جملته ما صدر عن الجاهل من قول وفعل
عمدا او خطأ حكيم في كل ما يفعل والاظهار ههنا ايضا لما ذكر مع ما فيه من تاكيد استقلال الاعتراض التذييلي قيل حدث نفسه بزوال المسكنة
فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة النجم فاخذ يقرؤها فلما
بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون
حتى شايعوه بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبريل عليه السلام فاغتم به فعزاه الله عز وجل
بهذه الآية وهو مردود عند المحققين ولئن صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى بمعنى قرأ كقوله تمنى كتاب الله
اول ليلة تمنى داود الزبور على رسل وامنيته قراءته والقاء الشيطان فيها ان تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءته

النبي صلى الله عليه وسلم وقد رد بأنه يخل بالوثوق بالقرآن ولا يندفع بقوله تعالى فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته لأنه أيضاً يحتمل وفي الآية دلالة على
جواز السهو من الأنبياء عليهم السلام وتطرق الوسوسة **ليجعل ما يلقي الشيطان** علة لما ينبئ عنه ما ذكر من إلقاء الشيطان من تمكينه تعالى إياه من ذلك
في حق النبي صلى الله عليه وسلم خاصة كما يعرب عنه سياق النظم الكريم لا لأن تمكينه تعالى إياه من الإلقاء في حق سائر الأنبياء عليهم السلام لا يمكن تعليله
بما سيأتي وفيه دلالة على أن ما يلقيه أمر ظاهر يعرفه المحق والمبطل **فتنة للذين في قلوبهم مرض** أي شك ونفاق كما في قوله تعالى **والقاسية**
قلوبهم أي المشركين **وإن الظالمين** أي الفريقين المذكورين فوضع الظاهر موضع ضميرهم تسجيل عليهم بالظلم مع ما وصفوا به من المرض والقساوة
لفي شقاق بعيد أي عداوة شديدة ومخالفة تامة ووصف الشقاق بالبعد مع أن الموصوف به حقيقة هو معروضه للمبالغة والجملة اعتراض
تذييلي مقرر لمضمون ما قبله **وليعلم الذين أوتوا العلم أنه** أي القرآن **الحق من ربك** أي هو الحق النازل من عنده تعالى وقيل ليعلموا أن تمكين الشيطان
من الإلقاء هو الحق المتضمن للحكمة والغاية الجميلة لأنه مما جرت به عادته في جنس الإنس من لدن آدم عليه السلام فحينئذ لا حاجة إلى تخصيص
التمكين فيما سبق بالإلقاء في حقه عليه السلام لكن يأباه قوله تعالى **فيؤمنوا به** أي بالقرآن أي يثبتوا على الإيمان به أو يزدادوا إيماناً برد ما يلقي
الشيطان **فتخبت له قلوبهم** بالانقياد والخشية والإذعان لما فيه من الأوامر والنواهي ورجع الضميرين لا سيما الثاني إلى تمكين الشيطان من
الإلقاء مما لا وجه له **وإن الله لهادي الذين آمنوا** أي في الأمور الدينية خصوصاً في المداحض والمشكلات التي من جملتها ما ذكر **إلى صراط مستقيم** هو
النظر الصحيح الموصل إلى الحق الصريح والجملة اعتراض مقرر لما قبله **ولا يزال الذين كفروا في مرية** أي في شك وجدال **منه** أي من القرآن وقيل من الرسول
صلى الله عليه وسلم والأول هو الأظهر لشهادة ما سبق من قوله تعالى ثم يحكم الله آياته وقوله أنه الحق من ربك فيؤمنوا به وما لحق من قوله تعالى وكذبوا
بآياتنا وأما تجويز كون الضمير لما ألقى الشيطان في أمنيته فمما لا مساغ له لأن ذلك ليس من هناتهم التي تستمر إلى الأمد المذكور بل إنما هي مريتهم
في شأن القرآن ولا يجدي حمل من على السببية دون الابتدائية لما أن مريتهم المستمرة كما أنها ليست مستفادة من ذلك ليست ناشئة منه ضرورة
أنها مستمرة منهم من لدن نزول القرآن الكريم **حتى تأتيهم الساعة** أي القيامة نفسها كما يؤذن به قوله تعالى **بغتة** أي فجأة فإنها الموصوفة بالإتيان
كذلك لا أشراطها وقيل الموت **أو يأتيهم عذاب يوم عقيم** أي يوم بعده كأن كل يوم يلد ما بعده من الأيام فما لا يوم بعده يكون عقيماً والمراد به
الساعة أيضاً كأنه قيل أو يأتيهم عذابها فوضع ذلك موضع المضمر الذي هو ضميرها لمزيد التهويل ولا سبيل إلى حمل الساعة على أشراطها لما عرفته
وأما ما قيل من أن المراد يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لأن أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن أو لأن المقاتلين
أبناء الحرب فإذا قتلوا صارت عقيماً أي ثكلى فوصف اليوم بوصفها اتساعاً أو لأنه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ مطراً ولم تلقح
شجراً أو لأنه لا مثل له لقتال الملائكة عليهم السلام فيه فمما لا يساعده سياق النظم الكريم أصلاً كيف لا وأن تخصيص الملك والتصرف الكلي
فيه بالله عز وجل ثم بيان ما يقع فيه من حكمه تعالى بين الفريقين بالثواب والعقاب الأخروي ينادي بأن المراد به يوم القيامة قطعاً
الملك أي السلطان القاهر والاستيلاء التام والتصرف على الإطلاق **يومئذ لله** وحده بلا شريك أصلاً بحيث لا يكون فيه لأحد تصرف من التصرفات
في أمر من الأمور لا حقيقة ولا مجازاً ولا صورة ولا معنى كما في الدنيا فإن للبعض فيها تصرفاً صورياً في الجملة وليس التنوين نائباً عما
يدل عليه الغاية من زوال مريتهم كما قيل ولا عما يستلزمه ذلك من إيمانهم كما قيل لما أن القيد المعتبر مع اليوم حيث توسط بين طرفي
الجملة يجب أن يكون مداراً لحكمها أعني كون الملك لله عز وجل وما يتفرع عليه من الإثابة والتعذيب ولا ريب في أن إيمانهم أو زوال مريتهم
ليس مما له تعلق ما بما ذكر فضلاً عن المدارية له فلا سبيل إلى اعتبار شيء منهما مع اليوم قطعاً وإنما الذي يدل عليه ما ذكر من إتيان الساعة
التي هي منتهى تصرفات الخلق ومبدأ ظهور أحكام الملك الحق جل جلاله فإذن هو نائب عن نفس الجملة الواقعة غاية لمريتهم فالمعنى الملك
يوم إذ تأتيهم الساعة أو عذابها لله تعالى وقوله تعالى **يحكم بينهم** جملة مستأنفة وقعت جواباً عن سؤال نشأ من الإخبار بكون الملك يومئذ لله
كأنه قيل فماذا يصنع بهم حينئذ فقيل يحكم بين فريقي المؤمنين به والممارين فيه بالمجازاة وقوله تعالى **فالذين آمنوا** إلى آخره تفسير للحكم المذكور وتفصيل له
أي فالذين آمنوا بالقرآن الكريم ولم يماروا فيه **وعملوا الصالحات** امتثالاً بما أمروا في تضاعيفه **في جنات النعيم** أي مستقرون فيها **والذين**
كفروا وكذبوا بآياتنا أي أصروا على ذلك واستمروا **فأولئك** إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر
والتكذيب وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد أي أولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر والتكذيب وهو مبتدأ وقوله

وقوله تعالى **لهم عذاب** جملة اسمية من مبتدأ وخبر مقدم عليه وقعت خبراً لأولئك أو لهم خبر لأولئك وعذاب مرتفع على الفاعلية بالاستقرار في
الجار والمجرور لاعتماده على المبتدأ وأولئك مع خبره على الوجهين خبر للموصول وتصديره بالفاء للدلالة على أن تعذيب الكفار بسبب أعمالهم السيئة
كما أن تجريد خبر الموصول الأول عنها للإيذان بأن إثابة المؤمنين بطريق التفضل لا لإيجاب الأعمال الصالحة إياها وقوله تعالى **مهين** صفة
لعذاب مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة وفيه من المبالغة من وجوه شتى ما لا يخفى **والذين هاجروا في سبيل الله** أي في الجهاد حسبما يلوح به قوله
تعالى **ثم قتلوا أو ماتوا** أي في تضاعيف المهاجرة ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى **ليرزقنهم الله** جواب لقسم محذوف والجملة خبره ومن منع
وقوع الجملة القسمية وجوابها خبراً للمبتدأ يضمر قولاً هو الخبر والجملة محكية به وقوله تعالى **رزقاً حسناً** إما مفعول ثان على أنه من باب الرعي والذبح
أي مرزوقاً حسناً أو مصدر مؤكد والمراد به ما لا ينقطع أبداً من نعيم الجنة وإنما سوى بينهما في الوعد لاستوائهما في القصد وأصل العمل
على أن مراتب الحسن متفاوتة فيجوز تفاوت حال المرزوقين حسب تفاوت الأرزاق الحسنة روي أن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا
يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله قد علمنا ما أعطاهم الله تعالى من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا إن متنا معك فنزلت
وقيل نزلت في طوائف خرجوا من مكة إلى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون فقاتلوهم **وإن الله لهو خير الرازقين** فإنه يرزق بغير حساب مع أن ما يرزقه
لا يقدر عليه أحد غيره والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وقوله تعالى **ليدخلنهم مدخلاً يرضونه** بدل من قوله تعالى ليرزقنهم الله أو استئناف
مقرر لمضمونه ومدخلاً إما اسم مكان أريد به الجنة فهو مفعول ثان للإدخال أو مصدر ميمي أكد به فعله قال ابن عباس رضي الله عنهما إنما قيل
يرضونه لما أنهم يرون فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيرضونه **وإن الله لعليم** بأحوالهم وأحوال معاديهم **حليم**
لا يعاجلهم بالعقوبة **ذلك** خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك والجملة لتقرير ما قبله والتنبيه على أن ما بعده كلام مستأنف **ومن عاقب بمثل ما عوقب به** أي
لم يزد في القصاص وإنما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو جزاء الجناية للمشاكلة أو لكونه سبباً له **ثم بغي عليه** بالمعاودة إلى العقوبة
لينصرنه الله على من بغى عليه لا محالة **إن الله لعفو غفور** أي مبالغ في العفو والغفران فيعفو عن المنتصر ويغفر له ما صدر عنه من ترجيح الانتقام
على العفو والصبر المندوب إليهما بقوله تعالى ولمن صبر وغفر إن ذلك أي ما ذكر من الصبر والمغفرة لمن عزم الأمور فإن فيه حثاً بليغاً
على العفو والمغفرة فإنه تعالى مع كمال قدرته لما كان يعفو ويغفر فغيره أولى بذلك وتنبيهاً على أنه تعالى قادر على العقوبة إذ لا يوصف
بالعفو إلا القادر على ضده **ذلك** إشارة إلى النصر وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو رتبته ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى
بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل أي بسبب أنه تعالى من شأنه وسنته تغليب بعض مخلوقاته على بعض والمداولة بين الأشياء المتعاندة ومعبر
عن ذلك بإيلاج أحد الملوين في الآخر بأن يزيد فيه ما ينقص عن الآخر أو بتحصيل أحدهما في مكان الآخر لكونه أظهر المواد وأوضحها **وأن الله**
سميع بكل المسموعات التي من جملتها قول المعاقب **بصير** بجميع المبصرات التي من جملتها أفعاله **ذلك** أي الاتصاف بما ذكر من كمال القدرة والعلم وما
فيه من معنى البعد لما مر آنفاً وهو مبتدأ خبره قوله تعالى **بأن الله هو الحق** الواجب لذاته الثابت في نفسه وصفاته وأفعاله وحده فإن وجوب
وجوده ووحدته يقتضيان كونه مبدأ لكل ما يوجد من الموجودات عالماً بكل المعلومات أو الثابت إلهيته فلا يصلح لها إلا من كان عالماً قادراً
وأن ما يدعون من دونه إلهاً وقرئ على البناء للمفعول على أن الواو لما فإنه عبارة عن الآلهة وقرئ بالتاء على خطاب المشركين **هو الباطل** أي
المعدوم في حد ذاته أو الباطل ألوهيته **وأن الله هو العلي** على جميع الأشياء **الكبير** من أن يكون له شريك لا شيء أعلى منه شأناً
وأكبر سلطاناً **ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء** استفهام تقرير كما يفصح عنه الرفع في قوله تعالى **فتصبح الأرض مخضرة** بالعطف على أنزل
وإيثار صيغة الاستقبال للإشعار بتجدد أثر الإنزال واستمراره أو لاستحضار صورة الاخضرار **إن الله لطيف** يصل لطفه أو علمه إلى كل ما جل ودق
خبير بما يليق من التدابير الحسنة ظاهراً وباطناً **له ما في السموات وما في الأرض** خلقاً وملكاً وتصرفاً **وإن الله لهو الغني** عن كل شيء **الحميد** المستوجب
للحمد بصفاته وأفعاله **ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض** أي جعل ما فيها من الأشياء مذللة لكم معدة لمنافعكم تتصرفون فيها كيف شئتم فلا أصلب
من الحجر ولا أشد من الحديد ولا أهيب من النار ألا وهي مسخرة لكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مراراً من الاهتمام بالمقدم وتعجيل
المسرة والتشويق إلى المؤخر **والفلك** عطف على ما أو على اسم أن وقرئ بالرفع على الابتداء **تجري في البحر بأمره** حال من الفلك على الأول

وجرّ الاخرين ويمسك السماء ان تقع على الارض اي من ان تقع او كراهة ان تقع بان خلقها على هيئة متداعية الى الاستمساك الا باذنه اي بمشيئته وذلك يوم
القيمة وفيه ردّ لاستمساكها بذاتها فانها مساوية في الجسمية لسائر الاجسام القابلة للميل الهابط فتقبله كقبول غيرها ان الله بالناس لرؤف رحيم
حيث هيّأ لهم اسباب معاشهم وفتح عليهم ابواب المنافع واوضح لهم مناهج الاستدلال بالآيات التكوينية والتنزيلية وهو الذي احياكم بعد
ان كنتم جمادًا عناصر ونطفًا حسبما فصّل في مطلع السورة الكريمة ثم يميتكم عند مجيء آجالكم ثم يحييكم عند البعث ان الانسان لكفور اي
جحود للنعم مع ظهورها وصف للجنس بوصف بعض افراده لكل امة كلام مستأنف جيء به لزجر معاصريه من الاديان السماوية عن منازعته
عليه السلام ببيان حال ما تمسكوا به من الشرائع اظهارًا لخطائهم في النظر اي لكل امة معينة من الامم الخالية والباقية جعلنا اي وضعنا وعيّنا
منسكًا اي شريعة خاصة لامة اخرى منهم على معنى عيّنا كل شريعة لامة معينة من الامم بحيث لا تتخطّى امة منهم شريعتها المعينة لها الى
شريعة اخرى لا استقلالا ولا اشتراكا وقوله تعالى هم ناسكوه صفة لمنسكًا مؤكدة للقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور على الفعل والضمير لكل امة
باعتبار خصوصها اي تلك الامة المعينة ناسكوه والعاملون به لا امة اخرى فالامة التي كانت من مبعث موسى عليه السلام الى مبعث عيسى عليهما
السلام منسكهم التورية هم ناسكوها والعاملون بها لا غيرهم والتي كانت من مبعث عيسى عليه السلام الى مبعث النبي عليهما السلام منسكهم الانجيل هم
ناسكوه والعاملون به لا غيرهم واما الامة الموجودة عند بعث النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم من الموجودين الى يوم القيمة فهم امة منسكهم القرآن
ليس الا كما مرّ في تفسير قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا والفاء في قوله تعالى فلا ينازعنك في الامر لترتيب النهي او موجبه على ما قبلها فان تعيينه تعالى
لكل امة من الامم التي من جملتهم هذه الامة شريعة مستقلة بحيث لا تتخطى امة منهم شريعتها المعينة لها موجب لطاعة هؤلاء لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وعدم منازعتهم اياه في امر الدين زعمًا منهم ان شريعتهم ما عيّن لآبائهم الاولين من التورية والانجيل فانهما شريعتان لمن مضى من الامم قبل
انتساخهما وهؤلاء امة مستقلة منسكهم القرآن المجيد فحسب والنهي اما على حقيقته او كناية عن نهيه عليه السلام عن الالتفات الى زعمهم المبني على
زعمهم المذكور واما جعله عبارة عن نهيه عليه السلام عن منازعتهم فلا يساعده المقام وقرئ فلا ينزعنك على تهييجه عليه السلام والمبالغة في
تثبيته واياما كان فمحل النزاع ما ذكرناه وتخصيصه بامر النسائك وجعله عبارة عن قول الخزاعيين وغيرهم للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون
ما قتله الله تعالى مما لا سبيل اليه اصلا كيف لا وانه يستدعي ان يكون اكل الميتة وسائر ما يدينونه من الاباطيل من جملة المناسك التي جعلها الله تعالى
لبعض الامم ولا يرتاب في بطلانه عاقل وادع اي وادعهم او ادع الناس كافة على انهم داخلون فيهم دخولا اوليا الى ربك الى توحيده وعبادته
حسبما بيّن لهم في مناسكهم وشريعتهم انك لعلى هدى مستقيم اي طريق موصل الى الحق سوي والمراد به اما الدين والشريعة او ادلتهما وان
جادلوك بعد ظهور الحق بما ذكر من التحقيق ولزوم الحجة عليهم فقل لهم على سبيل الوعيد الله اعلم بما تعملون من الاباطيل التي من جملتها المجادلة
الله يحكم بينكم يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين يوم القيمة بالثواب والعقاب كما فصل في الدنيا بالحجج والآيات فيما كنتم فيه تختلفون من امر
الدين الم تعلم استيناف مقرر لمضمون ما قبله والاستفهام للتقرير اي قد علمت ان الله يعلم ما في السماء والارض فلا يخفى عليه شيء من الاشياء التي من جملتها
ما يقوله الكفرة وما يعملونه ان ذلك اي ما في السماء والارض في كتاب هو اللوح قد كتب فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له
ان ذلك اي ما ذكر من العلم والاحاطة به واثباته في اللوح المحفوظ او الحكم بينهم على الله يسير فان علمه وقدرته مقتضى ذاته فلا يخفى عليه شيء
مقدور ويعبدون من دون الله حكاية لبعض اباطيل المشركين واحوالهم الدالة على كمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم من بناء امر دينهم على غير مبنى
من دليل سمعي او عقلي واعراضهم عما القي عليهم من سلطان بيّن هو اساس الدين وقاعدته اشد اعراض اي يعبدون متجاوزين عبادة الله
ما لم ينزّل به اي بجواز عبادته سلطانا اي حجة وما ليس لهم به اي بجواز عبادته علم من ضرورة العقل او استدلال وما للظالمين اي الذين
ارتكبوا مثل هذا الظلم العظيم الذي يقضي ببطلانه وكونه ظلما بديهة العقول من نصير يساعدهم بنصرة مذهبهم وتقرير رأيهم او يدفع العذاب
الذي يعتريهم بسبب ظلمهم واذا تتلى عليهم آياتنا عطف على يعبدون وما بينهما اعتراض وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي بيّنات اي
حال كونها واضحات الدلالة على العقائد الحقة والاحكام الصادقة او على بطلان ما هم عليه من عبادة الاصنام او على كونها من عند الله عز وجل تعرف
في وجوه الذين كفروا المنكر اي الانكار كالكلوح بعبوس الاكرام او الفظيع من التجهم والبسور او الشرّ الذي يقصدونه بظهور مخايله من الاوضاع والهيئات

والهيئات وهو الانسب بقوله تعالى يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا اي يثبون ويبطشون بهم من فرط الغيظ والغضب لاباطيل اخذوها تقليدًا
وهذا جهالة اعظم واطمّ من ان يعبدوا ما لا يوهم صحة عبادته شيء ما اصلا بل يقضي ببطلانها العقل والنقل ويظهروا لمن يهديهم الى الحق
البيّن بالسلطان المبين مثل هذا المنكر الشنيع كلا وهذا وضع الذين كفروا موضع الضمير قل ردّا عليهم واقناطا عما يقصدونه من الاضرار
بالمسلمين افانبئكم اي اخاطبكم فاخبركم بشر من ذلكم الذي فيكم من غيظكم على التالين وسطوتكم بهم او مما تبغونهم من الغوائل
او مما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوه عليكم النار اي هو النار على انه جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ما هو وقيل هو مبتدأ خبره قوله تعالى
وعدها الله الذين كفروا وقرئ النار بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة الفعلية استينافا كالوجه الاول وحالا من
النار باضمار قد وبئس المصير اي النار يا ايها الناس ضرب مثل اي بيّن لكم حال مستغربة او قصة بديعة رائعة حقيقة بان تسمى مثلا
وتسير في الامصار والاعصار وجعل لله مثل اي مثل في استحقاق العبادة واريد بذلك ما حكي عنهم من عبادتهم للاصنام فاستمعوا له
اي للمثل نفسه استماع تدبر وتفكر او فاستمعوا لاجله ما اقول فقوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله الى آخره بيان للمثل وتفسير على الاول
وتعليل لبطلان جعلهم الاصنام مثلا لله سبحانه في استحقاق العبادة على الثاني وقرئ بياء الغيبة مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول والراجع الى
الموصول على الاولين محذوف لن يخلقوا ذبابا اي لن يقدروا على خلقه ابدا مع صغره وحقارته فان لن بما فيها من تأكيد النفي دالة على
منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه ولو اجتمعوا له اي لخلقه وجواب لو محذوف ثقة بدلالة ما قبلها عليها اي لو لم يجتمعوا عليه لن يخلقوه ولو
اجتمعوا له لن يخلقوه كما مرّ تحقيقه مرارًا وهي في موضع الحال كأنه قيل لن يخلقوا ذبابا على كل حال وان يسلبهم الذباب شيئا بيان لعجزهم
عن الامتناع عما يفعل بهم الذباب بعد بيان عجزهم عن خلقه اي ان يأخذ الذباب منهم لا يستنقذوه منه كافة الموجودات تماثيل هي
اعجز الاشياء وبيّن لهم ذلك بانها لا تقدر على اقل الاحياء واذلها ولو اتفقوا عليه بل لا تقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبّه عن نفسها
واستنقاذ ما يختطفه منها قيل كانوا يطيبونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله ضعف الطالب والمطلوب
اي عابد الصنم ومعبوده او الذباب الطالب لما يسلبه عن الصنم بالطيب والصنم المطلوب منه ذلك او الصنم والذباب كأنه يطلبه ليستنقذ منه
ما يسلبه ولو حققت وجدت الصنم اعجز من الذباب بدرجات وعابده اجهل من كل جاهل واضل من كل ضال ما قدروا الله حق قدره اي ما
عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسمّوا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة ان الله لقوي على خلق الممكنات باسرها وافناء
الموجودات عن آخرها عزيز غالب على جميع الاشياء وقد عرفت حال آلهتهم المقهورة لاذل الاشياء العجزة عن اقلها والجملة تعليل لما قبلها من نفي
معرفتهم له تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا يتوسطون بينه تعالى وبين الانبياء عليهم السلام بالوحي ومن الناس وهم المختصون بالنفوس
الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون بكلا العالمين الروحاني والجسماني يتلقون من جانب ويلقون الى جانب ولا يعوقهم
التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق فيدعونهم اليه تعالى بما انزل عليهم ويعلمونهم شرائعه واحكامه كأنه تعالى لما قرر وحدانيته
في الالوهية ونفي ان يشاركه فيها شيء من الاشياء بيّن ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادته عز وجل
وهو اعلى الدرجات واقصى الغايات لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم لو شاء الله لانزل ملائكة وقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى وقولهم الملائكة بنات الله وغير ذلك من الاباطيل ان الله سميع بصير عليم بجميع المسموعات والمبصرات فلا يخفى عليه شيء من الاقوال
والافعال يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور لا الى احد غيره لا اشتراكا ولا استقلالا يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا اي
صلّوا وكنّى عنها بهما لانهم ما كانوا يفعلونهما اول الاسلام او صلوا وعبّر عن الصلوة بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله تعالى وخروا له
سجدًا واعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم به وافعلوا الخير وتحرّوا ما هو خير واصلح في كل ما تأتون وما تذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام
ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اي افعلوا هذه كلها وانتم راجون بها الفلاح غير متيقنين له واثقين باعمالكم والآية آية سجدة
عند الشافعي رحمه الله تعالى لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله عليه الصلوة والسلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأها
وجاهدوا في الله اي لله تعالى ولاجله اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه السلام انه رجع عن غزوة
تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حق جهاده اي جهادًا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة

كقولك هو حق عالم واضيف اليهما دالي الضمير اتساعا او لانه مختص به تعالى من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله **هو اجتباكم** اي هو اختاركم لدينه ونصرته لا غيره وفيه تنبيه على ما يقتضي الجهاد ويدعو اليه **وما جعل عليكم في الدين من حرج** اي ضيق بتكليف ما يشق عليكم اقامته اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه او الى الرخصة في اغفال بعض ما امرهم به حيث يشق عليهم لقوله عليه السلام اذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم في المضايق وفتح عليهم باب التوبة وسوغ لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات في حقوق العباد **ملة ابيكم ابراهيم** نصب على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبله بحذف المضاف اي وسع عليكم دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء او على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحيوتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الآخرة او لان اكثر العرب كانوا من ذريته عليه السلام فغلبوا على غيرهم **هو سماكم المسلمين من قبل** في الكتب المتقدمة **وفي هذا** اي في القرآن والضمير لله تعالى ويؤيده انه قرئ الله سماكم او لابراهيم وتسميتهم بالمسلمين في القرآن وان لم تكن منه عليه السلام كانت بسبب تسميته من قبل في قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل في هذا تقديره وفي هذا بيان تسميته اياكم مسلمين **ليكون الرسول** يوم القيمة متعلق بسماكم **شهيدا عليكم** بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى **وتكونوا شهداء على الناس** بتبليغ الرسل اليهم **فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة** اي فتقربوا الى الله بانواع هذه العبادات وتخصيصهما بالذكر لانافتهما على غيرهما وفضلهما **واعتصموا بالله** اي ثقوا به في مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه **هو موليكم** ناصركم ومتولي اموركم **فنعم المولى ونعم النصير** اذ لا مثل له في الولاية والنصرة بل لا ولي ولا نصير في الحقيقة سواه عز وجل عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وما بقي

سورة المؤمنين

بسم الله الرحمن الرحيم **قد افلح المؤمنون** الفلاح الفوز بالمرام والنجاة عن المكروه وقيل البقاء في الخير والافلاح الدخول في ذلك كالابشار الذي هو الدخول في البشارة وقد يجيء متعديا بمعنى الادخال فيه وعليه قراءة من قرأ على البناء للمفعول وكلمة قد ههنا لافادة ثبوت ما كان متوقع الثبوت من قبل لا متوقع الاخبار به ضرورة ان المتوقع من حال المؤمنين ثبوت الفلاح لهم لا الاخبار بذلك فالمعنى قد فازوا بكل خير ونجوا من كل ضير حسبما كان ذلك متوقعا من حالهم فان ايمانهم وما تفرع عليه من اعمالهم الصالحة من دواعي الفلاح بموجب الوعد الكريم خلا انه ان اريد بالافلاح حقيقة الدخول في الفلاح الذي لا يتحقق الا في الآخرة فالاخبار به على صيغة الماضي للدلالة على تحققه لا محالة بتنزيله منزلة الثابت وان اريد كونهم بحال تستتبعه البتة فصيغة الماضي في محلها وقرئ افلحوا على الابهام والتفسير او على لغة اكلوني البراغيث وقرئ افلح بضمة اكتفي بها عن الواو كما في قول من قال ولو ان الاطباء كان حولي والمراد بالمؤمنين اما المصدقون بما علم ضرورة انه من دين نبينا صلى الله عليه وسلم من التوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها فقوله تعالى **الذين هم في صلوتهم خاشعون** وما عطف عليه صفات مخصصة لهم واما الآتون بفروعه ايضا كما ينبئ عنه اضافة الصلوة اليهم فهي صفات موضحة او مادحة لهم حسب اعتبار ما ذكر في حيز الصلة من المعاني الايمان اجمالا او تفصيلا كما مر في اوائل سورة البقرة والخشوع الخوف والتذلل اي خائفون من الله عز وجل متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم روي انه عليه السلام كان اذا صلى رفع بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه رأى مصليا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه **والذين هم عن اللغو** اي عما لا يعنيهم من الاقوال والافعال **معرضون** اي في عامة اوقاتهم كما ينبئ عنه الاسم الدال على الاستمرار فيدخل في ذلك اعراضهم عنه حال اشتغالهم بالصلوة دخولا اوليا ومدار اعراضهم عنه ما فيه من الحالة الداعية الى الاعراض عنه لا مجرد الاشتغال بالجد في امور الدين كما قيل فان ذلك ربما يوهم ان لا يكون في اللغو نفسه ما يزجرهم عن تعاطيه وهو ابلغ من ان يقال لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على تباعدهم عنه رأسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون في عرض غير عرضه **والذين هم للزكوة فاعلون** وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلوة للدلالة على انهم بلغوا الغاية القصوى من القيام بالطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما يوجب المروءة اجتنابه وتوسيط حديث الاعراض بينهما لكمال ملابسته بالخشوع في الصلوة والزكوة مصدر لانه

الامر الصادر عن الفاعل لا المحل الذي هو موقعه ومعنى الفعل قد مر في تفسير قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ويجوز ان يراد بها العين على تقدير المضاف **والذين هم لفروجهم حافظون** ممسكون لها فالاستثناء في قوله تعالى **الا على ازواجهم** من نفي الارسال الذي ينبئ عنه الحفظ اي لا يرسلونها على احد الا على ازواجهم وفيه ايذان بان قوتهم الشهوية داعية لهم الى ما لا يخفى وانهم حافظون لها من استيفاء مقتضاها وبذلك يتحقق كمال العفة ويجوز ان يكون على بمعنى من واليه ذهب الفراء كما في قوله تعالى اذا اكتالوا على الناس اي حافظون لها من كل احد الا من ازواجهم وقيل هي متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير حافظون اي حافظون لها في جميع الاحوال الا حال كونهم والين او قوامين على ازواجهم وقيل بمحذوف يدل عليه غير ملومين كأنه قيل يلامون على كل مباشر الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين عليه وحمل الحفظ على القصر عليهن ليكون المعنى حافظون فروجهم على الازواج لا يتعداهن ثم يقال غير حافظين الا عليهن تأكيدا على تأكيد وتكلف على تكلف **او ما ملكت ايمانهم** اي سراريهم عبر عنهن بما اجراء لهن لمملوكيتهن مجرى غير العقلاء او لانوثتهن المنبئة عن القصور وقوله تعالى **فانهم غير ملومين** تعليل لما يفيده الاستثناء من عدم حفظ فروجهم منهن اي فانهم غير ملومين على عدم حفظها منهن **فمن ابتغى وراء ذلك** الذي ذكر من الحد المتسع وهو اربع من الحرائر وما شاء من الاماء **فاولئك هم العادون** الكاملون في العدوان المتناهون فيه وليس فيه ما يدل حتما على تحريم المتعة حسبما نقل عن القاسم بن محمد فانه قال انها ليست زوجة له فوجب ان لا تحل له اما انها ليست له زوجة فلانهما لا يتوارثان بالاجماع ولو كانت زوجة له لحصل التوارث لقوله تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم فوجب ان لا تحل لقوله تعالى الا على ازواجهم لان لهم ان يقولوا انها زوجة له في الجملة واما ان كل زوجة ترث فهم لا يسلمونها واما ما قيل من انه ان اريد لو كانت زوجة حال الحيوة لم يفد وان اريد بعد الموت فالملازمة ممنوعة فليس له معنى محصل نعم لو عكس لكان له وجه **والذين هم لاماناتهم وعهدهم** لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق او الخلق **راعون** اي قائمون عليها حافظون لها على وجه الاصلاح وقرئ لامانتهم **والذين هم على صلواتهم** المفروضة عليهم **يحافظون** يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما في الصلوات من التجدد والتكرر وهو السر في جمعها وليس فيه تكرير لما ان الخشوع في الصلوات غير المحافظة عليها وفصلهما للايذان بان كلا منهما فضيلة مستقلة على حيالها ولو قرنا في الذكر لربما توهم ان مجموع الخشوع والمحافظة فضيلة واحدة **اولئك** اشارة الى المؤمنين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وايثارها على الاضمار للاشعار بامتيازهم بها عن غيرهم ونزولهم منزلة المشار اليه حسا وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد درجتهم في الفضل والشرف اي اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة **هم الوارثون** اي الاحقاء بان يسموا وراثا دون من عداهم ممن ورث رغائب الاموال والذخائر وكرائمها **الذين يرثون الفردوس** بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها وتفسير لها بعد ابهامها تفخيما لشأنها ورفعا لمحلها وهي استعارة لاستحقاقهم الفردوس باعمالهم حسبما يقتضيه الوعد الكريم للمبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار **هم فيها** اي في الفردوس والتأنيث لانه اسم للجنة او لطبقتها العليا وهو البستان الجامع لاصناف الثمر روي انه تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من فضة ولبنة من ذهب وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية ولبنة من مسك مذري وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان **خالدون** لا يخرجون منها ابدا والجملة اما مستأنفة مقررة لما قبلها واما حال مقدرة من فاعل يرثون او مفعوله اذ فيها ذكر كل منهما ومعنى الكلام لا يموتون ولا يخرجون منها **ولقد خلقنا الانسان** شروع في بيان مبدأ خلق الانسان وتقلبه في اطوار الخلقة وادوار الفطرة بيانا اجماليا اثر بيان حال بعض افراده السعداء واللام جواب قسم والواو ابتدائية وقيل عاطفة على ما قبلها والمراد بالانسان الجنس اي وبالله لقد خلقنا جنس الانسان في ضمن خلق آدم عليه السلام خلقا اجماليا كما حققته في سورة الحج وغيرها واما كونه مخلوقا من سلالات جعلت نطفا بعد ادوار واطوار فبعيد **من سلالة** السلالة ما سل من الشيء واستخرج منه فان فعالة اسم لما يحصل من الفعل فتارة يكون مقصودا منه كالخلاصة واخرى غير مقصود منه كالقلامة والكناسة والسلالة من قبيل الاول فانها مقصودة بالسل ومن ابتدائية متعلقة بالخلق ومن في قوله تعالى **من طين** بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسلالة اي خلقناه من سلالة كائنة من طين ويجوز ان تتعلق بسلالة على انها بمعنى مسلولة فهي ابتدائية كالاولى وقيل المراد بالانسان آدم عليه السلام فانه الذي خلق من صفوة سلت من الطين وقد وقفت على التحقيق **ثم جعلناه** اي الجنس باعتبار افراده المغايرة لآدم عليه السلام او جعلنا نسله على حذف المضاف ان اريد بالانسان

آدم عليه السلام **نطفة** بان خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة والتذكير بتأويل الجوهر او المسلول او الماء **في قرار** اي مستقر وهو الرحم عبر
عنها بالقرار الذي هو مصدر مبالغة وقوله تع **مكين** وصف لها بصفة ما استقر فيها مثل طريق سائر او بمكانتها في نفسها فانها مكنت
بحيث هي واحرزت **ثم خلقنا النطفة علقة** اي دما جامدا بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء **فخلقنا العلقة مضغة** اي قطعة لحم لا استبانة
ولا تمايز فيها **فخلقنا المضغة** اي غالبها ومعظمها او كلها **عظاما** بان صلبناها وجعلناها عمودا للبدن على هيئات واوضاع مخصوصة
تقتضيها الحكمة **فكسونا العظام** المعهودة **لحما** من بقية المضغة او مما انبتنا عليها بقدرتنا مما يصل اليها اي كسونا كل عظم من
تلك العظام ما يليق به من اللحم على مقدار لائق به وهيأة مناسبة له واختلاف العواطف للتنبيه على تفاوت الاستحالات وجمع العظام
لاختلافها وقرئ على التوحيد فيهما اكتفاء بالجنس وبتوحيد الاول فقط وبتوحيد الثاني فحسب **ثم انشاناه خلقا آخر** هي صورة البدن او الروح
او القوى بنفخه فيه او المجموع وثم لكمال التفاوت بين الخلقين واحتج به ابو حنيفة رحمه الله تعالى على ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه
ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر **فتبارك الله** فتعالى شانه في علمه الشامل وقدرته الباهرة والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة
وادخال الروعة والاشعار بان ما ذكر من الافاعيل العجيبة من احكام الالوهية وللايذان بان حق كل من سمع ما فصل من آثار قدرته عز
وعلا او لاحظه ان يسارع الى التكلم به اجلالا واعظاما لشؤنه تعالى **احسن الخالقين** بدل من الجلالة وقيل نعت له بناء على ان الاضافة ليست
لفظية وقيل خبر مبتدأ محذوف اي هو احسن الخالقين خلقا اي المقدرين تقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه كما حذف المأذون
فيه في قوله تع اذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة عليه اي احسن الخالقين خلقا فالحسن للخلق قيل نظيره قوله عليه السلام ان الله جميل يحب
الجمال اي جميل فعله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن روي ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم الوحي فلما انتهى عليه السلام الى قوله خلقا آخر سارع عبد الله الى النطق به قبل املائه عليه السلام فقال عليه السلام اكتب
هكذا انزلت فشك عبد الله فقال ان كان محمد يوحى اليه فانا كذلك فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح وقيل مات على كفره وروى سعيد
بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما نزلت هذه الآية قال عمر رضي الله عنه فتبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هكذا انزل يا عمر وكان رضي الله تعالى عنه يفتخر بذلك ويقول وافقت ربي في اربع الصلوة خلف المقام وضرب الحجاب على النسوة وقولي لهن
او ليبدلنه الله خيرا منكن فنزل قوله تع عسى ربه ان طلقكن الآية والرابع فتبارك الله احسن الخالقين انظر كيف وقعت هذه الواقعة
سببا لسعادة عمر رضي الله عنه وشقاوة ابن ابي سرح حسبما قال تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا لا يقال فقد تكلم البشر ابتداء بمثل
نظم القرآن وذلك قادح في اعجازه لما ان الخارج عن قدرة البشر ما كان مقدار اقصر السور على ان اعجاز هذه الآية الكريمة منوط بما قبلها
كما يعرب عنه الفاء فانها اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله **ثم انكم بعد ذلك** اي بعد ما ذكر من الامور العجيبة حسبما ينبئ عنه ما في اسم
الاشارة من معنى البعد المشعر بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل والكمال وكونه بذلك ممتازا منزلا منزلة الامور الحسية
لميتون لصائرون الى الموت لا محالة كما يؤذن به صيغة النعت الدالة على الثبوت دون الحدوث الذي يفيده صيغة الفاعل وقد
قرئ لمائتون **ثم انكم يوم القيمة** اي عند النفخة الثانية **تبعثون** من قبوركم للحساب والمجازاة بالثواب والعقاب **ولقد خلقنا فوقكم سبع** بيان
لخلق ما يحتاج اليه بقاؤهم اثر بيان خلقهم اي خلقنا في جهة العلو من غير اعتبار فوقيتها لهم لان تلك النسبة انما تعرض لها بعد خلقهم **طرائق**
هي السموات السبع سميت بها لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل فان كل ما فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرائق الملائكة
او الكواكب فيها مسيرها **وما كنا عن الخلق** عن ذلك المخلوق الذي هي السموات او عن جميع المخلوقات التي هي من جملتها او عن الناس **غافلين**
مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به
المشيئة ويصل الى ما في الارض منافعها كما ينبئ عنه قوله تع **وانزلنا من السماء ماء** هو المطر او الانهار انزلناه من الجنة قيل هي خمسة انهار
سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر انزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة
فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في فنون معايشهم ومن ابتدائية متعلقة بانزلنا وتقديمها على
المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر والعدول عن الاضمار لان الانزال لا يعتبر فيه عنوان كونها

كونها طرائق بل مجرد كونها جهة العلو **بقدر** بتقدير لائق لاستجلاب منافعهم ودفع مضارهم او بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم
فاسكناه في الارض اي جعلناه ثابتا قارا فيها **وانا على ذهاب به** اي ازالته بالافساد او التصعيد او التعميق بحيث يتعذر استنباطه **لقادرون**
كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله تع قل ارايتم ان اصبح
ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين **فانشانا لكم به** اي بذلك الماء **جنات من نخيل واعناب لكم فيها** في الجنات **فواكه كثيرة** تتفكهون بها
ومنها من الجنات **تأكلون** تغذيا او ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز ان يعود الضمير الى النخيل
والاعناب اي لكم في ثمراتها انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه **وشجرة**
بالنصب عطف على جنات وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره محذوف دل عليه ما قبله اي ومما انشئ لكم به شجرة وتخصيصها بالذكر من بين سائر
الاشجار لاستقلالها بمنافع معروفة وقيل هي اول شجرة نبتت بعد الطوفان وقوله تع **تخرج من طور سيناء** وهو جبل موسى عليه السلام
بين مصر وايلة وقيل بفلسطين ويقال له طور سينين فاما ان يكون الطور اسم للجبل وسيناء اسم البقعة اضيف اليها او المركب منهما علم له
كامرئ القيس ومنع صرفه على قراءة من كسر السين للتعريف والعجمة او التانيث على تاويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء
بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بالف التانيث بخلاف سيناء فانه فيعال ككيسان
او فعلاء كصحراء اذ لا فعلال في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر والجملة صفة لشجرة وتخصيصها بالخروج منه مع خروجها من سائر البقاع ايضا لتعظيمها
ولانه المنشأ الاصلي لها وقوله تع **تنبت بالدهن** صفة اخرى لشجرة والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا منها اي تنبت ملتبسة به ويجوز
كونها صلة معدية اي تنبته بمعنى تتضمنه وتحصله فان النبات حقيقة صفة للشجرة لا للدهن وقرئ تنبت من الافعال وهو اما من الانبات
بمعنى النبات كما في قول زهير رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن
وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتنبت بالدهان **وصبغ للآكلين** معطوف على الدهن جار على اعراب
عطف احد وصفي الشيء على الآخر اي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اي يغمس للائتدام
وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ **وان لكم في الانعام لعبرة** بيان للنعم الفائضة عليهم من جهة الحيوان اثر بيان النعم الواصلة اليهم من
جهة الماء والنبات وقد بين انها مع كونها في نفسها نعمة ينتفعون بها على وجوه شتى عبرة لا بد من ان يعتبروا بها ويستدلوا
باحوالها على عظم قدرة الله عز وجل وسابغ رحمته ويشكروه ولا يكفروه وخص هذا بالحيوان لما ان محل العبرة فيه اظهر مما في النبات
وقوله تع **نسقيكم مما في بطونها** تفصيل لما فيها من مواقع العبرة وما في بطونها عبارة اما عن الالبان فمن تبعيضية والمراد بالبطون الجوف
او العلف الذي يتكون منه اللبن فمن ابتدائية والبطون على حقيقتها وقرئ بفتح النون وبالتاء اي تسقيكم الانعام **ولكم فيها منافع كثيرة**
غير ما ذكر من اصوافها واشعارها **ومنها تأكلون** فتنتفعون باعيانها كما تنتفعون بما يحصل منها **وعليها** اي على الانعام فان الحمل
عليها لا يقتضي الحمل على جميع انواعها بل يتحقق بالحمل على البعض كالابل ونحوها وقيل المراد هي الابل خاصة لانها هي المحمول عليها عندهم
والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها فالضمير فيه كما في قوله تع وبعولتهن احق بردهن
وعلى الفلك تحملون اي في البر والبحر وفي الجمع بينها وبين الفلك في ايقاع الحمل عليها مبالغة في تحملها للحمل وهو الداعي الى تاخير ذكر
هذه المنفعة مع كونها من المنافع الحاصلة منها من ذكر منفعة الاكل المتعلقة بعينها **ولقد ارسلنا نوحا الى قومه** شروع في بيان اهمال
الامم السالفة وتركهم النظر والاعتبار فيما عدد من النعم الفائتة للحصر وعدم تذكرهم بتذكير رسلهم وما حاق بهم لذلك من فنون
العذاب تحذيرا للمخاطبين وتقديم قصة نوح عليه السلام على سائر القصص مما لا يخفى وجهه وفي ايرادها اثر قوله تع وعلى الفلك تحملون
من حسن الموقع ما لا يوصف والواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وتصدير القصة به لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها اي وبالله
لقد ارسلنا نوحا الى آخره ونسبته الكريم وكيفية بعثه وكمية لبثه فيما بينهم قد مر تفصيله في سورة الاعراف وسورة هود **فقال** متعطفا
عليهم ومستميلا لهم الى الحق **يا قوم اعبدوا الله** اي اعبدوه وحده كما يفصح عنه قوله تع في سورة هود ان لا تعبدوا الا الله وترك التقييد به
للايذان بانها هي العبادة فقط واما العبادة بالاشراك فليس من العبادة في شيء راسا وقوله تع **مالكم من اله غيره** استيناف

مسوق لتعليل العبادة المأمور بها او تعليل الامر بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذي هو الرفع على انه فاعل او مبتدأ خبره لكم او
محذوف ولكم للتخصيص والتبيين اي ما لكم في الوجود او في العالم اله غيره تعالى وقرئ بالجر باعتبار لفظه **افلا تتقون** اي افلا تقون انفسكم
عذابه الذي يستوجبه ما انتم عليه من ترك عبادته تعالى كما يفصح عنه قوله تعالى **اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم** وقوله تعالى عذاب يوم اليم وقيل
افلا تخافون ان ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم الى آخره وليس بذاك وقيل افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه الى آخره وفيه ما فيه والهمزة
لانكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اتعرفون ذلك اي مضمون قوله تعالى ما لكم من اله غيره فلا تتقون
عذابه بسبب اشراككم به في العبادة ما لا يستحق الوجود لولا ايجاد الله تعالى اياه فضلا من استحقاق العبادة فالمنكر عدم الاتقاء مع
تحقق ما يوجبه او الا تلاحظون ذلك فلا تتقونه فالمنكر كلا الامرين فالمبالغة حينئذ في الكمية وفي الاول في الكيفية **فقال الملأ** اي
الاشراف **الذين كفروا من قومه** وصف الملأ بما ذكر مع اشتراك الكل فيه للايذان بكمال عراقتهم في الكفر وشدة شكيمتهم فيه اي قالوا
لعوامهم **ما هذا الا بشر مثلكم** اي في الجنس والوصف من غير فرق بينكم وبينه وصفوه عليه السلام بذلك مبالغة في وضع رتبته العالية
وحطها عن منصب النبوة **يريد ان يتفضل عليكم** اي يريد ان يطلب الفضل عليكم ويتقدمكم بادعاء الرسالة مع كونه مثلكم ووصفوه
بذلك اغضابا للمخاطبين عليه عليه الصلوة والسلام واغراء لهم على معاداته عليه السلام وقوله تعالى **ولو شاء الله لانزل ملائكة** بيان لعدم رسالة
البشر على الاطلاق على زعمهم الفاسد بعد تحقيق بشريته عليه السلام اي لو شاء الله تعالى ارسال الرسول لارسل رسلا من الملائكة وانما قيل
لانزل لان ارسال الملائكة لا يكون الا بطريق الانزال فمفعول المشيئة مطلق الارسال المفهوم من الجواب لا نفس مضمونه كما في قوله تعالى ولو شاء
لهداكم ونظائره **ما سمعنا بهذا** اي بمثل هذا الكلام الذي هو الامر بعبادة الله تعالى خاصة وترك عبادة ما سواه وقيل بمثل نوح عليه السلام
في دعوى النبوة **في آبائنا الاولين** اي الماضين قبل بعثته عليه السلام قالوه اما لكونهم وآبائهم في فترة متطاولة واما لفرط غلوهم في
التكذيب والعناد وانهماكهم في الغي والفساد وايا ما كان فقولهم هذا ينبغي ان يكون هو الصادر عنهم في مبادي دعوته عليه السلام كما تنبئ عنه
الفاء في قوله تعالى فقال الملأ الى آخره وقيل معناه ما سمعنا به عليه السلام انه نبي فالمراد بآبائهم الاولين مضوا قبلهم في زمن نوح عليه السلام
وقولهم المذكور هو الذي صدر عنهم في اواخره عليه السلام وهو المناسب لما بعده من حكاية دعائه عليه السلام وقولهم **ان هو** اي ما هو **الا رجل به جنة**
اي جنون او جن يخبلونه ولذلك يقول ما يقول **فتربصوا به** اي احتملوه واصبروا عليه وانتظروا **حتى حين** لعله يفيق مما هو فيه محول حينئذ على
على ترامي احوالهم في المكابرة والعناد واضرابهم عما وصفوه به عليه السلام من البشرية وارادة التفضل الى وصفه عليه السلام بما ترى وهم يعرفون
انه عليه السلام ارجح الناس عقلا وارزنهم قولا وعلى الاول على تناقض مقالاتهم الفاسدة قاتلهم الله انى يؤفكون **قال** استئناف مبني
على سؤال نشأ من حكاية كلام الكفرة كأنه قيل فماذا قال عليه السلام بعد ما سمع منهم هذه الاباطيل فقيل قال لما رآهم قد اصروا على الكفر والتكذيب
وتمادوا في الغي والضلال حتى يئس من ايمانهم بالكلية وقد اوحي اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن **رب انصرني** باهلاكهم بالمرة فانه حكاية
اجمالية لقوله عليه السلام رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الى آخره **بما كذبون** اي بسبب تكذيبهم اياي او بدل تكذيبهم **فاوحينا اليه** عند ذلك
ان اصنع الفلك ان مفسرة لما في الوحي من معنى القول **باعيننا** ملتبسا بحفظنا وكلائتنا كان معه عليه السلام منه عز وجل حفاظا وحراسا
يكلؤنه باعينهم من التعدي او من الزيغ في الصنعة **ووحينا** وامرنا وتعليمنا لكيفية صنعها والفاء في قوله تعالى **فاذا جاء امرنا** لترتيب مضمون ما بعدها
على ما قبلها من تمام صنع الفلك والمراد بالامر العذاب كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله لا الامر بالركوب كما قيل وبمجيئه كمال اقترابه او
ابتداء ظهوره اي اذا جاء اثر تمام الفلك عذابنا وقوله تعالى **وفار التنور** عطف بيان لمجيء الامر روي انه قيل لنوح عليه السلام اذا فار الماء
من التنور اركب انت ومن معك وكان تنور آدم عليه السلام فصار الى نوح عليه السلام فلما نبع منه الماء اخبرته امرأته فركبوا واختلف في مكانه
فقيل كان في مسجد الكوفة اي في موضعه عن يمين الداخل من باب كندة اليوم وقيل كان في عين وردة من الشام وقد مر تفصيله في تفسير سورة هود
عليه السلام **فاسلك فيها** اي ادخل فيها يقال سلك فيه اي دخل فيه وسلكه فيه اي ادخله فيه ومنه قوله تعالى ما سلككم في سقر **من كل**
من كل امة **زوجين** اي فردين مزدوجين كما يعرب عنه قوله تعالى **اثنين** فانه نص في الفردين دون الجمعين او الفريقين وقرئ بالاضافة
على ان المفعول اثنين اي من كل امتي زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك وهذا صريح في ان الامر

في ان الامر كان قبل صنعة الفلك وفي سورة هود حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين فالوجه ان يحمل اما انه حكاية
لامر آخر تنجيزي ورد عند فوران التنور الذي نيط به الامر التعليقي اعتناء بشأن المأمور به او على ان ذلك هو الامر السابق بعينه
لكن لما كان الامر التعليقي قبل تحقق المعلق به في حق ايجاب المأمور به بمنزلة العدم جعل كأنه انما حدث عند تحققه فحكي على صورة التنجيز
وقد مر في تفسير قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم **واهلك** منصوب بفعل معطوف على فاسلك لا بالعطف على زوجين او اثنين
على القراءتين لادائه الى اختلال المعنى اي واسلك اهلك والمراد به امرأته وبنوه وتأخير الامر بادخالهم عما ذكر من ادخال الازواج
فيها لكونه عريقا فيما امر به من الادخال فانه محتاج الى مزاولة الاعمال منه عليه السلام بل الى معاونة من اهله واتباعه واما هم فانما
يدخلونها باختيارهم بعد ذلك ولان في المؤخر ضرب تفصيل بذكر الاستثناء وغيره فتقديمه يؤدي الى الاخلال بتجاوب اطراف
النظم الكريم **الا من سبق عليه القول منهم** اي القول باهلاك الكفرة وانما جيء بعلى لكون السابق ضارا كما جيء باللام في قوله تعالى ان
الذين سبقت لهم منا الحسنى لكونه نافعا **ولا تخاطبني في الذين ظلموا** بالدعاء لانجائهم **انهم مغرقون** تعليل للنهي او لما ينبئ عنه من عدم
قبول الدعاء اي انهم مقضي عليهم بالاغراق لا محالة لظلمهم بالاشراك وسائر المعاصي ومن هذا شأنه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف لا وقد
امر بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله تعالى **فاذا استويت انت ومن معك** اي من اهلك واشياعك **على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين** على طريقة
قوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين **وقل رب انزلني** في السفينة او منها **منزلا مباركا** اي انزالا او موضع
انزال يستتبع خيرا كثيرا وقرئ منزلا اي موضع نزول **وانت خير المنزلين** امر عليه السلام بان يشفع دعاءه بما يطابقه من ثنائه عز
وجل توسلا به الى الاجابة وافراده عليه السلام بالامر مع شركة الكل في الاستواء والنجاة لاظهار فضله عليه السلام والاشعار بان في
دعائه وثنائه مندوحة عما عداه **ان في ذلك** الذي ذكر مما فعل به عليه السلام وبقومه **لآيات** جليلة يستدل بها اولو الابصار ويعتبر
بها ذوو الاعتبار **وان كنا لمبتلين** ان مخففة من ان واللام فارقة بينها وبين النافية وضمير الشأن محذوف اي وان الشأن كنا
مصيبين قوم نوح عليه السلام ببلاء عظيم وعقاب شديد او مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويتذكر كقوله تعالى ولقد
تركناها آية فهل من مدكر **ثم انشأنا من بعدهم** اي من بعد اهلاكهم **قرنا آخرين** هم عاد حسبما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
وعليه اكثر المفسرين وعليه الاوفق لما هو المعهود في سائر السور الكريمة من ايراد قصتهم اثر قصة قوم نوح وقيل هم ثمود **فارسلنا فيهم**
جعلوا موضعا للارسال كما في قوله تعالى كذلك ارسلناك في امة ونحوه لا غاية له كما في مثل قوله تعالى لقد ارسلنا نوحا الى قومه للايذان
من اول الامر بان من ارسل اليهم لم يأتهم من غير مكانهم بل انما نشأ فيما بين اظهرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى **رسولا منهم** اي من جملتهم نسبا فانهما
عليهما السلام كان منهم وان في قوله تعالى **ان اعبدوا الله** مفسرة لارسلنا لتضمنه معنى القول اي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله تعالى
وقوله تعالى **ما لكم من اله غيره** تعليل للعبادة المأمور بها او للامر بها او لوجوب الامتثال به **افلا تتقون** اي عذابه الذي يستدعيه ما انتم
عليه من الشرك والمعاصي والكلام في العطف كالذي مر في قصة نوح عليه السلام **وقال الملأ من قومه** حكاية لقولهم الباطل اثر حكاية
القول الحق الذي نطق به حكاية ارسال الرسول بطريق العطف على ان المراد حكاية مطلق تكذيبهم له عليه السلام اجمالا لا حكاية ما
جرى بينه عليه السلام وبينهم من المحاورة والمقاولة تفصيلا حتى يحكى بطريق الاستئناف المبني على السؤال كما ينبئ عنه ما سيأتي من حكاية
سائر الامم اي وقال الاشراف **الذين كفروا** في محل الرفع على انه صفة للملأ وصفوا بذلك ذما لهم وتنبيها على غلوهم في الكفر
وتأخيره عن من قومه عطف قوله تعالى **وكذبوا بلقاء الآخرة** وما عطف عليه على الصلة الاولى اي كذبوا بلقاء ما فيها من الحساب والثواب
او بمعادهم الى الحيوة الثانية بالبعث **واترفناهم** ونعمناهم **في الحيوة الدنيا** بكثرة الاموال والاولاد اي قالوا لاعقابهم
مضلين لهم **ما هذا الا بشر مثلكم** اي في الصفات والاحوال وايثار مثلكم على مثلنا للمبالغة في تهوين امره عليه السلام وتوهينه
ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثاني منصوب محذوف او مجرور قد حذف مع الجار
لدلالة ما قبله عليه **ولئن اطعتم بشرا مثلكم** اي فيما ذكر من الاحوال والصفات اي ان امتثلتم باوامره **انكم اذا** اي على تقدير الاتباع
لخاسرون عقولكم ومغبونون في آرائكم حيث اذللتم انفسكم انظر كيف جعلوا اتباع الرسول الحق الذي يوصلهم الى سعادة الدارين خسرانا

دون عبادة الاصنام التي لا خسران وراءها قاتلهم الله اني يؤفكون واذا واقع بين اسم ان وخبرها لتأكيد مضمون الشرط والجملة جواب
لقسم محذوف وقيل ان الشرطية المصدرية باللام الموطئة اي والله لئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون ايعدكم استيناف مسوق لتقرير ما قبله
من زجرهم عن اتباعه عليه السلام بانكار وقوع ما يدعوهم الى الايمان به واستبعاده انكم اذا متم بكسر الميم من مات يموت وقرئ بضمها من مات
يموت وكنتم ترابا وعظاما نخرة مجردة عن اللحوم والاعصاب اي كان بعض اجزائكم من اللحم ونظائره ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب
لعراقته في الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء البادية او كان متقدموكم ترابا صرفا ومتأخروكم عظاما وقوله تعالى انكم تأكيد للاول لطول
الفصل بينه وبين خبره الذي هو قوله تعالى مخرجون اي من القبور احياء كما كنتم وقيل انكم مخرجون مبتدأ واذا متم خبره على معنى اخراجكم
اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم وقيل رفع انكم مخرجون بفعل هو جزاء الشرط كأنه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم اوقعت الجملة الشرطية
خبرا عن انكم والذي تقتضيه جزالة النظم الكريم هو الاول وقرئ ايعدكم اذا متم الى آخره هيهات هيهات تكرير لتأكيد البعد اي بعد
الوقوع او الصحة لما توعدون وقيل اللام لبيان المستبعد ما هو كما في هيت لك كأنهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل لماذا هذا الاستبعاد
فقيل لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع
هيهة منون تشبيها بقيل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وابدال التاء هاء ان هي الا حياتنا الدنيا اصله ان الحيوة
الا حيوتنا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا من التكرار واشعارا باغنائها عن التصريح كما في النفس تتحمل ما
حملت وهي العرب تقول ما شاءت وحيث كان الضمير بمعنى الحيوة الدالة على الجنس كانت ان النافية بمنزلة لا النافية للجنس وقوله تعالى
نموت ونحيا جملة مفسرة لما ادعوه من ان الحيوة هي الحيوة الدنيا اي يموت بعضنا ويولد بعض الى انقراض العصر وما نحن بمبعوثين بعد الموت
ان هو اي ما هو الا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من ارساله وفيما يعدنا من ان الله تعالى يبعثنا وما نحن له بمؤمنين بمصدقين فيما يقوله
قال اي هود عليه السلام عند يأسه من ايمانهم بعد ما سلك في دعوتهم كل مسلك متضرعا الى الله عز وجل رب انصرني عليهم وانتقم لي منهم
بما كذبون اي بسبب تكذيبهم اياي واصرارهم عليه قال تعالى اجابة لدعائه ووعدا بالقبول عما قليل اي عن زمان قليل وما مزيدة بين
الجار والمجرور لتأكيد معنى القلة كما زيدت في قوله تعالى فبما رحمة من الله او نكرة موصوفة اي عن شيء قليل ليصبحن نادمين على ما فعلوه من
التكذيب وذلك عند معاينتهم للعذاب فاخذتهم الصيحة لعلهم حين اصابتهم الريح العقيم اصيبوا في تضاعيفها بصيحة هائلة ايضا وقد روي
ان شداد بن عاد حين اتم بناء ارم سار اليها باهله فلما دنا منها بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وقيل الصيحة نفس العذاب والموت
وقيل هي العذاب المصطلم قال قائلهم صاح الزمان بآل برمك صيحة خروا لشدتها على الاذقان بالحق متعلق بالاخذ اي بالامر الثابت الذي
لا دفاع له او بالعدل من الله تعالى او بالوعد الصادق فجعلناهم غثاء اي كغثاء السيل وهو حميله فبعدا للقوم الظالمين اخبار او دعاء
وبعدا من المصادر التي لا يكاد يستعمل ناصبها والمعنى بعدوا بعدا اي هلكوا واللام لبيان من قيل له بعدا ووضع الظاهر موضع الضمير
للتعليل ثم انشانا من بعدهم اي بعد هلاكهم قرونا آخرين هم قوم صالح ولوط وقوم شعيب عليهم السلام وغيرهم ما تسبق من امة اجلها
ما تقدم امة من الامم المهلكة الوقت الذي عين لهلاكهم اي ما تهلك امة قبل مجيء اجلها وما يستأخرون ذلك الاجل ساعة وقوله تعالى
وما يستأخرون عطف على انشانا لكن لا على معنى ان ارسالهم متراخ من انشاء القرون المذكورة جميعا بل على معنى ان ارسال كل رسول متأخر
عن انشاء قرن مخصوص بذلك الرسول كأنه قيل ثم ارسلنا من بعدهم قرونا آخرين قد ارسلنا الى كل قرن منهم رسولا خاصا والفصل بين المعطوفين
بالجملة المعترضة الناطقة بعدم تقدم الامم اجلها المضروب لهلاكهم للمسارعة الى بيان هلاكهم على وجه اجمالي تترى اي متواترين واحدا بعد
واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كما في تولج وتيقور والالف للتأنيث باعتبار ان الرسل جماعة وقرئ بالتنوين على انه مصدر بمعنى
الفاعل وقع حالا وقوله تعالى كلما جاء امة رسولها كذبوه استيناف مبين لمجيء كل رسول لامته ولما صدر عنهم عند تبليغ الرسالة والمراد
بالمجيء اما التبليغ واما حقيقة المجيء للايذان بانهم كذبوه في اول الملاقاة واضافة الرسول الى الامة مع اضافة كلهم فيما سبق الى
نون العظمة لتحقيق ان كل رسول جاء امته الخاصة به لا ان كلهم جاؤا كل الامم وللاشعار بكمال شناعتهم وضلالهم حيث كذبت
كل واحدة منهم رسولها المعين لها وقيل لان الارسال لائق بالمرسل والمجيء بالمرسل اليهم فاتبعنا بعضهم بعضا في الهلاك حسبما تبع بعضهم

بعضهم بعضا في مباشرة اسبابه التي هي الكفر والتكذيب وسائر المعاصي وجعلناهم احاديث لم يبق منهم الا حكايات يعتبر بها المعتبرون وهو اسم جمع
للحديث او جمع احدوثة وهي ما يتحدث به تلهيا وتعجبا كالاعاجيب جمع اعجوبة وهي ما يتعجب منه اي جعلناهم احاديث يتحدث بها تلهيا وتعجبا فبعدا
لقوم لا يؤمنون اقتصر ههنا على وصفهم بعدم الايمان حسبما اقتصر على حكاية تكذيبهم اجمالا واما القرون الاولون فحيث نقل عنهم ما مر من الغلو
وتجاوز الحد في الكفر والعدوان وصفوا بالظلم ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا هي الآيات التسع من اليد والعصا والجراد والقمل والضفادع والدم
ونقص الثمرات والطاعون ولا مساغ لعد فلق البحر منها اذ المراد هي الآيات التي كذبوها واستكبروا عنها وسلطان مبين اي حجة واضحة ملزمة للخصم
وهي اما العصا وافرادها بالذكر مع اندراجها في الآيات لما انها ام آياته عليه السلام واولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها ثعبانا
وتلقفها لما افكته السحرة حسبما فصل في تفسير سورة طه واما التعرض لانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها وحراستها وصيرورتها
شمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء وغير ذلك مما ظهر منها من قبل ومن بعد في غير مشهد فرعون وقومه فغير ملايم لمقتضى المقام واما نفس
الآيات كقوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب في المزدحم الى آخره عبر عنها بذلك على طريقة العطف تنبيها على جمعها لعنوانين جليلين
وتنزيلا لتغايرهما منزلة التغاير الذاتي الى فرعون وملائه اي اشراف قومه خصوا بالذكر لان ارسال بني اسرائيل منوط بآرائهم لا بآراء اعقابهم
فاستكبروا عن الانقياد وتمردوا وكانوا قوما عالين متكبرين متمردين فقالوا عطف على استكبروا وما بينهما اعتراض مقرر للاستكبار
والتمرد اي قالوا فيما بينهم بطريق المناصحة انؤمن لبشرين مثلنا ثني البشر لانه يطلق على الواحد كقوله تعالى بشرا سويا كما يطلق على الجمع كما
في قوله تعالى فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل نظرا الى كونه في حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تدل على ان مدار شبه المنكرين للنبوة
قياس حال الانبياء على احوالهم بناء على جهلهم بتفاصيل شؤن الحقيقة البشرية وتباين صفات افرادها في مراقي الكمال ومهاوي النقصان
بحيث يكون بعضها في اعلى عليين وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون لصفاء جواهرهم بكلا العالمين الروحاني
والجسماني يتلقون من جانب ويلقون الى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق وبعضها في اسفل سافلين
كاولئك الجهلة الذين هم كالانعام بل هم اضل سبيلا وقومهما يعنون بني اسرائيل لنا عابدون اي خادمون منقادون لنا كالعبيد وكأنهم
قصدوا بذلك التعرض لشانهما عليهما السلام وحط رتبتهما العلية عن منصب الرسالة من وجه آخر غير البشرية واللام في لنا متعلقة بعابدون
قدمت عليه رعاية للفواصل والجملة حال من فاعل نؤمن مؤكدة لانكار الايمان لهما بناء على زعمهم الفاسد المؤسس على قياس الرياسة الدينية على
الرياسات الدنيوية الدائرة على التقدم في نيل الحظوظ الدنية من المال والجاه كدأب قريش حيث قالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وقالوا لولا نزل
هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وجهلهم بان مناط الاصطفاء للرسالة هو السبق في حيازة ما ذكر من النعوت العلية واحراز الملكات
السنية جبلة واكتسابا فكذبوهما اي فتموا على تكذيبهما واصروا واستكبروا استكبارا فكانوا من المهلكين بالغرق في بحر قلزم ولقد آتينا
بعد اهلاكهم وانجاء بني اسرائيل من ملكتهم موسى الكتاب اي التورية وحيث كان ايتاؤه عليه السلام اياه لارشاد قومه الى الحق كما هو شأن
الكتب الالهية جعلوا كأنهم اوتوها فقيل لعلهم يهتدون اي الى طريق الحق بالعمل بما فيها من الشرائع والاحكام وقيل اريد آتينا قوم موسى
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كما في قوله تعالى على خوف من فرعون وملائهم اي من آل فرعون وملائهم ولا سبيل الى عود الضمير الى
فرعون وقومه لظهور ان التورية انما انزلت بعد اغراقهم لبني اسرائيل واما الاستشهاد على ذلك بقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما
اهلكنا القرون الاولى فمما لا سبيل اليه ضرورة ان ليس المراد بالقرون الاولى ما يتناول قوم فرعون بل من قبلهم من الامم المهلكة خاصة كقوم
نوح وقوم هود وقوم صالح كما سيأتي في سورة القصص وجعلنا ابن مريم وامه آية واية آية دالة على عظيم قدرتنا بولادته منها من
غير مسيس بشر فالآية امر واحد نسب اليهما او جعلنا ابن مريم آية بان تكلم في المهد فظهرت منه معجزات جمة وامه آية بانها ولدته من غير
مسيس فحذف الاولى لدلالة الثانية عليها والتعبير عنهما بما ذكر من العنوانين وهما كونه عليه السلام ابنها وكونها امه عليه السلام للايذان من
اول الامر بحيثية كونهما آية فان نسبته عليه السلام اليها مع ان النسب الى الآباء دلالة على انه لا اب له اي جعلنا ابن مريم وحدها من غير ان يكون
له اب وامه التي ولدته خاصة من غير مشاركة الاب آية وتقديمه عليه السلام لاصالته فيما ذكر من كونه آية كما ان تقديم امه في قوله تعالى وجعلناها وابنها
آية للعالمين لاصالتها فيما نسب اليهما من الاحصان والنفخ وآويناهما الى ربوة اي ارض مرتفعة قيل هي ايليا ارض بيت المقدس فانها مرتفعة

وانها كبد الأرض واقرب الأرض الى السماء بثمانية عشر ميلا على ما روي عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وقيل فلسطين والرملة وقيل مصر فان قراها على الربى وقرئ بكسر الراء وضمها ورباوة بالكسر والضم **ذات قرار** مستقر من ارض منبسطة سهلة يستقر عليها ساكنوها وقيل ذات ثمار وزروع لاجلها **ومعين** اي وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد في المشي او من الماعون وهو النفع لانه نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه بالعين فانه لظهوره يدرك بالعيون وصف ماؤها بذلك للايذان بكونه جامعا لفنون المنافع من الشرب وسقي ما يسقى من الحيوان والنبات بغير كلفة والتنزه بمنظره المونق **يا ايها الرسل كلوا من الطيبات** حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه الاجمال لما خوطب به كل رسول في عصره جيء بها اثر حكاية ايواء عيسى عليه السلام وامه الى الربوة ايذانا بان ترتيب مبادي التنعم لم يكن من خصائصه عليه السلام بل اباحة الطيبات شرع قديم جرى عليه جميع الرسل عليهم السلام ووصوا به اي وقلنا لكل رسول كل من الطيبات واعمل صالحا فعبر عن تلك الاوامر المتعددة بالرسل بصيغة الجمع عند الحكاية اجمالا للايجاز وفيه من الدلالة على بطلان ما عليه الرهبانية من رفض الطيبات ما لا يخفى وقيل حكاية لما ذكر لعيسى عليه السلام وامه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا وقيل نداء وخطاب له والجمع للتعظيم وعن الحسن ومجاهد وقتادة والسدي والكلبي رحمهم الله تعالى انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحده على دأب العرب في مخاطبة الواحد بلفظ الجمع وفيه ابانة لفضله وقيامه مقام الكل في حيازة كمالاتهم والطيبات ما يستطاب ويستلذ من مباحات الماكل والفواكه حسبما ينبئ عنه سياق النظم الكريم فالامر للترفيه **واعملوا صالحا** اي عملا صالحا فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم **اني بما تعملون** من الاعمال الظاهرة والباطنة **عليم** فاجازيكم عليه **وان هذه** استئناف داخل فيما خوطب به الرسل عليهم السلام على الوجه المذكور مسوق لبيان ان ملة الاسلام والتوحيد مما امر به كافة الرسل والامم وانما اشير اليها بهذه للتنبيه على كمال ظهور امرها في الصحة والسداد وانتظامها بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة **امتكم** اي ملتكم وشريعتكم ايها الرسل **امة واحدة** اي ملة وشريعة متحدة في اصول الشرائع التي لا تتبدل بتبدل الاعصار وقيل هذه اشارة الى الامم المؤمنة للرسل والمعنى ان هذه جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد في العبادة **وانا ربكم** من غير ان يكون لي شريك في الربوبية وضمير المخاطب فيه وفي قوله تعالى **فاتقون** اي في شق العصا والمخالفة بالاخلال بمواجب ما ذكر من اختصاص الربوبية بي للرسل والامم جميعا على ان الامر في حق الرسل للتهييج والالهاب وفي حق الامم للتحذير والايجاب والفاء لترتيب الامر او وجوب الامتثال به على ما قبله من اختصاص الربوبية به تعالى واتحاد الامة فان كلا منهما موجب للاتقاء حتما وقرئ بفتح الهمزة على حذف اللام اي ولان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون اي ان تتقون فالامر في قوله تعالى فاتقون كما في قوله تعالى فاياي فارهبون وقيل على العطف على ما اي اني عليم بان امتكم امة الى آخره وقيل على حذف عامل فيه اي واعلموا ان هذه امتكم الى آخره وقرئ وان هذه على انها مخففة من ان **فتقطعوا امرهم** حكاية لما ظهر من امم الرسل بعدهم من مخالفة الامر وشق العصا والضمير لما دل عليه الامة من اربابها او لها على التفسيرين والفاء لترتيب عصيانهم على الامر لزيادة تقبيح حالهم اي تقطعوا امر دينهم مع اتحاده وجعلوه قطعا متفرقة واديانا مختلفة **بينهم زبرا** اي قطعا جمع زبور بمعنى الفرقة ويؤيده قراءة زبرا بفتح الباء جمع زبرة وهو حال من امرهم او من واو تقطعوا او مفعول ثان له فانه متضمن لمعنى جعلوا وقيل كتبا فيكون مفعولا ثانيا او حالا من امرهم على تقدير المضاف اي مثل كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل في رسل **كل حزب** من اولئك المتحزبين **بما لديهم** من الدين الذي اختاروه **فرحون** معجبون معتقدون انه الحق **فذرهم في غمرتهم** شبه ما هم فيه من الجهالة بالماء الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها لاعبون بها وقرئ غمراتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفاء لترتيب الامر بالترك على ما قبله من كونهم فرحين بما لديهم فان انهماكهم فيما هم فيه واصرارهم عليه من مخايل كونهم مطبوعا على قلوبهم اي اتركهم على حالهم **حتى حين** هو حين قتلهم او موتهم على الكفر او عذابهم فهو وعيد لهم بعذاب الدنيا والآخرة وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونهي له عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيره وفي التنكير والابهام ما لا يخفى من التهويل **ايحسبون انما نمدهم به** اي نعطيهم اياه ونجعله مددا لهم فما موصولة وقوله تعالى **من مال وبنين** بيان لها وتقديم المال على البنين مع كونهم اعز منه قد مر وجهه في سورة الكهف لا خبر لان وانما الخبر قوله تعالى **نسارع لهم في الخيرات** على حذف الراجع الى الاسم اي ايحسبون ان الذي نمدهم به من المال والبنين نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم على ان الهمزة لانكار الواقع واستقباحه وقوله تعالى **بل لا يشعرون** عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي كلا لا نفعل ذلك بل هم لا يشعرون بشيء اصلا كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا ويعرفوا ان ذلك الامداد استدراج لهم واستجرار الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في

الخيرات وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممد به وقرئ يسارع مبنيا للمفعول **ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون** استئناف مسوق لبيان من له المسارعة في الخيرات اثر اقناط الكفار عنها وابطال حسبانهم الكاذب اي من خوف عذابه حذرون **والذين هم بآيات ربهم** المنصوبة والمنزلة **يؤمنون** بتصديق مدلولها **والذين هم بربهم لا يشركون** شركا جليا ولا خفيا ولذلك عبر عن الايمان بالآيات والتعرض لعنوان الربوبية في المواقع الثلاثة للاشعار بعليتها للاشفاق والايمان وعدم الاشراك **والذين يؤتون ما آتوا** اي يعطون ما اعطوه من الصدقات وقرئ يأتون ما أتوا اي يفعلون ما فعلوه من الطاعات وايا ما كان فصيغة الماضي في الصلة الثانية للدلالة على التحقق كما ان صيغة المضارع في الاولى للدلالة على الاستمرار **وقلوبهم وجلة** حال من فاعل يؤتون او يأتون اي يؤتون ما آتوه او يفعلون من العبادات ما فعلوه والحال ان قلوبهم خائفة اشد الخوف **انهم الى ربهم راجعون** اي من ان رجوعهم اليه عز وجل على ان مناط الوجل ان لا يقبل منهم ذلك وان لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به حينئذ لا مجرد رجوعهم اليه تعالى وقيل لان مرجعهم اليه تعالى والموصولات الاربعة عبارة عن طائفة واحدة متصفة بما ذكر في حيز صلاتها من الاوصاف الاربعة لا عن طوائف كل واحدة منها متصفة بواحد من الاوصاف المذكورة كانه قيل ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون وبآيات ربهم يؤمنون الى آخره وانما كرر الموصول ايذانا باستقلال كل واحدة من تلك الصفات بفضيلة باهرة على حيالها وتنزيلا لاستقلالها منزلة استقلال الموصول بها **اولئك** اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بها وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبتهم في الفضل اي اولئك المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة خاصة دون غيرهم **يسارعون في الخيرات** اي في نيل الخيرات التي من جملتها الخيرات العاجلة الموعودة على الاعمال الصالحة كما في قوله تعالى فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وقوله تعالى وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين فقد اثبت لهم ما نفي عن اضدادهم خلا انه غير الاسلوب حيث لم يقل اولئك نسارع لهم في الخيرات بل اسند المسارعة اليهم ايماء الى كمال استحقاقهم لنيل الخيرات بمحاسن اعمالهم وايثار كلمة في على كلمة الى للايذان بانهم متقلبون في فنون الخيرات لا انهم خارجون عنها متوجهون اليها بطريق المسارعة كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الآية **وهم لها سابقون** اي اياها سابقون واللام لتقوية العمل كما في قوله تعالى هم لها عاملون اي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا وقيل المراد بالخيرات الطاعات والمعنى يرغبون في الطاعات والعبادات اشد الرغبة وهم لاجلها فاعلون السبق او لاجلها سابقون الناس والاول هو الاولى **ولا نكلف نفسا الا وسعها** جملة مستأنفة سيقت للتحريض على ما وصف به السابقون من فعل الطاعات المؤدي الى نيل الخيرات ببيان سهولته وكونه غير خارج عن حد الوسع والطاقة اي عادتنا جارية على ان لا نكلف نفسا من النفوس الا ما في وسعها على ان المراد استمرار النفي بمعونة المقام لا نفي الاستمرار كما مر مرارا او للترخيص فيما هو قاصر عن درجة اعمال اولئك الصالحين ببيان انه تعالى لا يكلف عباده الا ما في وسعهم فان لم يبلغوا في فعل الطاعات مراتب السابقين فلا عليهم بعد ان يبذلوا طاقتهم ويستفرغوا وسعهم قال مقاتل من لم يستطع القيام فليصل قاعدا ومن لم يستطع القعود فليوم ايماء وقوله تعالى **ولدينا كتاب** الى آخره تتمة لما قبله ببيان احوال ما كلفوه من الاعمال واحكامها المترتبة عليها من الحساب والثواب والعقاب والمراد بالكتاب صحائف الاعمال التي يقرؤنها عند الحساب حسبما يعرب عنه قوله تعالى **ينطق بالحق** كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اي عندنا كتاب قد اثبت فيه اعمال كل احد على ما هي عليه واعمال السابقين والمقتصدين جميعا لا انه اثبت فيه اعمال الاولين واهمل اعمال الآخرين ففيه قطع معذرتهم ايضا وقوله تعالى بالحق متعلق بينطق اي يظهر الحق المطابق للواقع على ما هو عليه ذاتا ووصفا ويبينه للناظر كما يبينه النطق ويظهره للسامع فيظهر هنالك جلائل اعمالهم ودقائقها ويرتب عليها اجزيتها ان خيرا فخير وان شرا فشر وقوله تعالى **وهم لا يظلمون** بيان لفضله تعالى وعدله في الجزاء اثر بيان لطفه في التكليف وكتب الاعمال اي لا يظلمون في الجزاء بنقص ثواب او بزيادة عذاب بل يجزون بقدر اعمالهم التي كلفوها ونطقت بها صحائفها بالحق وقد جوز ان يكون تقريرا لما قبله من التكليف وكتب الاعمال اي لا يظلمون بتكليف ما ليس في وسعهم ولا بعدم كتب بعض اعمالهم التي من جملتها اعمال المقتصدين بناء على قصورها عن درجة اعمال السابقين بل يكتب كل منها على مقاديرها وطبقاتها والتعبير عما ذكر من الامور بالظلم مع ان شيئا منها ليس بظلم على ما تقرر من ان الاعمال الصالحة لا توجب الثواب فضلا عن ايجاب مرتبة معينة منه حتى يعد الاثابة بما دونها نقصا وكذلك الاعمال السيئة لا توجب درجة معينة من العذاب حتى يعد التعذيب بما فوقها زيادة وكذا التكليف ما في الوسع وكتب الاعمال ليسا مما يجب عليه سبحانه حتى يعد تركهما ظلما لكمال تنزيه ساحة السبحان عنها بتصويرها بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى وتسميتها باسمه وقوله تعالى **بل قلوبهم في غمرة من هذا** اضراب عما قبله والضمير للكفرة لا للكل كما قيل اي بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها من هذا الذي بين في القرآن من ان لديه تعالى كتابا ينطق بالحق ويظهر لهم اعمالهم السيئة على رؤس

الأشهاد فيجزون بها كما ينبئ عنه ما سيأتي من قوله تعالى قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم الى آخره وقيل هما عليه اولئك الموصوفون بالأعمال الصالحة **ولهم أعمال** سيئة
كثيرة **من دون ذلك** الذي ذكر من كون قلوبهم في غفلة عظيمة مما ذكر وهي فنون كفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما سيأتي من طعنهم في القرآن حسبما ينبئ
عنه قوله تعالى مستكبرين به سامرا تهجرون وقيل متخطية لما وصف به المؤمنون من الأعمال الصالحة المذكورة وفيه أنه لا مزية في وصف أعمالهم الخبيثة
بالتخطي للأعمال الحسنة للمؤمنين وقيل متخطية عما هم عليه من الشرك ولا يخفى بعده لعدم جريان ذكره **هم لها عاملون** مستمرون عليها معتادون فعلها
ضارون بها لا يكادون يبرحونها **حتى إذا أخذنا مترفيهم** أي متنعميهم وهم الذين أمدهم الله تعالى بما ذكر من المال والبنين وحتى مع كونها غاية
لأعمالهم المذكورة مبدأ لما بعدها من مضمون الشرطية أي لا يزالون يعملون أعمالهم الى حيث إذا أخذنا رؤساءهم **بالعذاب** قيل هو القتل والأسر يوم بدر
وقيل هو الجوع الذي أصابهم حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف
فقحطوا حتى أكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة والأولاد والحق أنه العذاب الأخروي إذ هو الذي يفاجئون عنده الجؤار فيجابون بالرد
والإقناط عن النصر وأما عذاب يوم بدر فلم يوجد لهم عنده جؤار حسبما ينبئ عنه قوله تعالى **فما استكانوا لربهم وما يتضرعون** فإن المراد بهذا العذاب
ما جرى عليهم يوم بدر من القتل والأسر حتما وأما عذاب الجوع فإن أبا سفيان وإن تضرع فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن لم يرد عليه بالإقناط
حيث روي أنه عليه السلام قد دعا بكشفه فكشف عنهم ذلك **إذا هم يجأرون** أي فاجؤوا الصراخ بالاستغاثة من الله عز وجل كقوله تعالى فإليه تجأرون
وهو جواب الشرط وتخصيص مترفيهم بما ذكر من الأخذ بالعذاب ومفاجأة الجؤار مع عمومه لغيرهم أيضا لغاية ظهور انعكاس حالهم وانتكاس أمرهم
وكون ذلك أشق عليهم ولأنهم مع كونهم متمنعين محميين بحماية غيرهم من المنعة والحشم حين لقوا ما لقوا من الحالة الفظيعة فلأن يلقاها من عداهم
من الحماة والخدم أولى وأقدم **لا تجأروا اليوم** على إضمار القول مسوقا لردهم وتبكيتهم وإقناطهم عما علقوا به أطماعهم الفارغة من الإغاثة
والإعانة من جهته تعالى وتخصيص اليوم بالذكر للتهويل والإيذان بتفويتهم وقت الجؤار وقد جوز كونه جواب الشرط وأنت خبير بأن المقصود الأصلي
في الجملة الشرطية هو الجواب فيؤدي ذلك الى أن يكون مفاجأتهم الى الجؤار غير مقصود أصلي وقوله تعالى **إنكم منا لا تنصرون** تعليل للنهي عن الجؤار ببيان
عدم إفادته ونفعه أي لا يلحقكم من جهتنا نصرة تنجيكم مما دهمكم وقيل لا تغاثون ولا تمنعون منا ولا يساعده سياق النظم الكريم لأن جؤارهم
ليس الى غيره تعالى حتى يرد عليهم بعدم منصوريتهم من قبله ولا سياقه فإن قوله تعالى قد كانت **آياتي تتلى عليكم** الى آخره إنه تعليل لما ذكرنا من عدم
لحوق النصر من جهته تعالى بسبب كفرهم بالآيات ولو كان النصر المنفي متوهما من الغير لعلل بعجزه وذلته أو بعزة الله تعالى وقوته أي قد كانت
آياتي تتلى عليكم في الدنيا **فكنتم على أعقابكم تنكصون** أي تعرضون عن سماعها أشد الإعراض فضلا عن تصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع
قهقرى **مستكبرين به** أي بالبيت الحرام أو الحرم والإضمار قبل الذكر لاشتهار استكبارهم وافتخارهم بأنهم خدامه وقوامه أو بآياتي الذي
عبر عنه بآياتي على تضمين الاستكبار معنى التكذيب ولأن استكبارهم على المسلمين قد حدث لسبب استماعه ويجوز أن يتعلق الباء بقوله تعالى **سامرا**
أي يسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه حيث كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا أو شعرا
والسامر كالحاضر في الإطلاق على الجمع وقيل هو مصدر جاء على لفظ الفاعل وقرئ سمرا وسمارا وأن يتعلق بقوله تعالى **تهجرون** من الهجر بالفتح
بمعنى الهذيان أو الترك أي تهذون في شأن القرآن أو تتركونه أو من الهجر بالضم وهو الفحش ويؤيده قراءة تهجرون من أهجر في منطقه إذا أفحش
فيه وقرئ تهجرون من هجر الذي هو مبالغة في هجر إذا هذى **أفلم يدبروا القول** الهمزة لإنكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر
ينسحب عليه الكلام أي أفعلوا ما فعلوا من النكوص والاستكبار والهجر فلم يدبروا القرآن ليعرفوا بما فيه من إعجاز النظم وصحة المدلول والإخبار عن
الغيب أنه الحق من ربهم فيؤمنوا به فضلا عما فعلوا في شأنه من القبائح وأم في قوله تعالى **أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين** منقطعة وما فيها من معنى بل
للإضراب والانتقال عن التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بآخر والهمزة لإنكار الوقوع لا لإنكار الواقع أي بل أجاءهم من الكتاب ما لم يأت آباءهم الأولين حتى استبدعوه
واستبعدوه فوقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال يعني أن مجيء الكتب من جهته تعالى الى الرسل عليهم السلام سنة قديمة له تعالى لا تكاد تنبئ
إنكاره وأن مجيء القرآن على طريقته فمن أين ينكرونه وقيل أم جاءهم من الأمن من عذابه تعالى ما لم يأت آباءهم الأولين كإسمعيل عليه السلام
وأعقابه من عدنان وقحطان ومضر وربيعة وقيس والحارث بن كعب وأسد بن خزيمة وتميم بن مرة وتبع وضبة بن أد فآمنوا به تعالى وبكتبه
ورسله وأطاعوه **أم لم يعرفوا رسولهم** إضراب وانتقال من التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه آخر والهمزة لإنكار الوقوع أيضا أي بل ألم يعرفوه عليه السلام

عليه السلام بالأمانة والصدق وحسن الأخلاق وكمال العلم مع عدم التعلم من أحد وغير ذلك مما حازه من الكمالات اللائقة بالأنبياء عليهم السلام
فهم له منكرون أي جاحدون بنبوته فجحودهم به مترتب على عدم معرفتهم بشأنه عليه السلام ومن ضرورة انتفاء المبني بطلان ما بني عليه أو
فهم غير عارفين له عليه السلام فهو تأكيد لما قبله **أم يقولون به جنة** انتقال الى توبيخ آخر والهمزة لإنكار الواقع كالأولى أي بل أيقولون به جنة
أي جنون مع أنه أرجح الناس عقلا وأثقبهم ذهنا وأتقنهم رأيا وأوفرهم رزانة ولقد روعي في هذه التوبيخات الأربعة التي اثنتان
منها متعلقتان بالقرآن والباقيتان به عليه السلام الترقي من الأدنى الى الأعلى حيث نحوا أولا بعدم التدبر وذلك يتحقق مع كون القول غير
متعرض له بوجه من الوجوه ثم نحوا بشيء لو اتصف به القول لكان سببا لعدم تصديقهم به ثم نحوا بما يتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم من
عدم معرفتهم به عليه السلام وذلك يتحقق بعدم المعرفة بخير ولا شر ثم بما لو كان فيه عليه السلام ذلك لقدح في رسالته عليه السلام **بل جاءهم بالحق** إضراب
عما يدل عليه ما سبق أي ليس الأمر كما زعموا في حق القرآن والرسول عليه السلام بل جاءهم عليه السلام **بالحق** أي الصدق الثابت الذي لا محيد عنه
أصلا ولا مدخل فيه للباطل بوجه من الوجوه **وأكثرهم للحق** من حيث هو حق أي حق كان لا لهذا الحق فقط كما ينبئ عنه الإظهار في موقع الإضمار
كارهون لما في جبلتهم من الزيغ والانحراف المناسب للباطل ولذلك كرهوا هذا الحق الأبلج وزاغوا عن الطريق الأنهج وتخصيص أكثرهم بهذا الوصف
لا يقتضي إلا عدم كراهة الباقين لكل حق من الحقوق وذلك لا ينافي كراهتهم لهذا الحق المبين فتأمل وقيل تقييد الحكم بالأكثر لأن منهم من
ترك الإيمان استنكافا من توبيخ قومه أو لقلة فطنته وعدم تفكره لا لكراهية الحق وأنت خبير بأن التعرض لعدم كراهة بعضهم للحق مع
اتفاق الكل على الكفر به مما لا يساعده المقام أصلا **ولو اتبع الحق أهواءهم** استئناف مسوق لبيان أن أهواءهم الزائغة التي ما كرهوا الحق
إلا لعدم موافقته إياها مقتضية للطامة أي لو كان ما كرهوه من الحق الذي من جملته ما جاء به عليه السلام موافقا لأهوائهم الباطلة **لفسدت**
السموات والأرض ومن فيهن وخرجت عن الصلاح والانتظام بالكلية لأن مناط النظام ليس إلا ذلك وفيه من تنويه شأن الحق والتنبيه
على سمو مكانه ما لا يخفى وأما ما قيل لو اتبع الحق الذي جاء عليه السلام أهواءهم وانقلب شركا لجاء الله تعالى يوم القيمة ولأهلك العالم ولم
يؤخر ففيه أنه لا يلائم فرض مجيئه عليه السلام وكذا ما قيل لو كان في الواقع آلهة لا يناسب المقام وأما ما قيل لو اتبع الحق أهواءهم لخرج عن
الالهية مما لا احتمال له أصلا **بل أتيناهم بذكرهم** انتقال من تشنيعهم بكراهة الحق الذي به يقوم العالم الى تشنيعهم بالإعراض عما جبل عليه
كل نفس من الرغبة فيما فيه خيرها والمراد بالذكر القرآن الذي هو فخرهم وشرفهم حسبما ينطق به قوله تعالى وإنه لذكر لك ولقومك أي بل أتيناهم
بفخرهم وشرفهم الذي كان يجب عليهم أن يقبلوا عليه أكمل إقبال **فهم** بما فعلوا من النكوص **عن ذكرهم** أي فخرهم وشرفهم خاصة **معرضون** لا
عن غير ذلك مما لا يوجب الإقبال عليه والاعتناء به وفي وضع الظاهر موضع الضمير مزيد تشنيع لهم وتقريع والفاء لترتيب ما بعدها من
إعراضهم عن ذكرهم على ما قبلها من إيتاء ذكرهم لا لترتيب الإعراض على الإيتاء مطلقا فإن المستتبع لكون إعراضهم إعراضا عن ذكرهم
لا الإيتاء مطلقا وفي إسناد الإتيان بالذكر الى نون العظمة بعد إسناده الى ضميره عليه السلام تنويه لشأن النبي صلى الله عليه وسلم وتنبيه
على كونه بمثابة عظيمة منه عز وجل وفي إيراد القرآن الكريم عند نسبته اليه عليه السلام بعنوان الحقية وعند نسبته اليه تعالى بعنوان الذكر من النكتة
السرية والحكمة العبقرية ما لا يخفى فإن التصريح بحقيته المستلزمة لحقية من جاء به هو الذي يقتضيه حكاية ما قاله المبطلون في شأنه وأما التشريف
فإنما يليق به تعالى لا باستعمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد المشرفين وقيل المراد بالذكر ما تمنوه بقولهم لو أن عندنا ذكرا من الأولين وقيل
وعظهم وأيد ذلك بأنه قرئ بذكراهم والتشنيع على الأول أشد فإن الإعراض عن وعظهم ليس في مثابة إعراضهم عن شرفهم أو عن
ذكرهم الذي يتمنونه في الشناعة والقباحة **أم تسألهم** انتقال من توبيخهم بما ذكر من قولهم أم يقولون به جنة الى التوبيخ بوجه آخر كأنه
قيل أم يزعمون أنك تسألهم على أداء الرسالة **خرجا** أي جعلا فلأجل ذلك لا يؤمنون بك وقوله تعالى **فخراج ربك خير** أي رزقه
في الدنيا وثوابه في الآخرة تعليل لنفي السؤال المستفاد من الإنكار أي لا تسألهم ذلك فإن ما رزقك الله تعالى في الدنيا والعقبى خير لك من
ذلك وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة الى ضميره عليه السلام من تعليل الحكم وتشريفه عليه السلام ما لا يخفى والخرج بإزاء الدخل
يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب في الضريبة على الأرض وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك وقيل الخرج أخص من الخراج ففي
النظم الكريم إشعار بالكثرة واللزوم وقرئ خرجا فخرج وخراجا فخراج **وهو خير الرازقين** تقرير لخيرية خراجه تعالى **وإنك لتدعوهم**

الى صراط مستقيم تشهد العقول السليمة باستقامته ليس فيه شائبة اعوجاج توجب اتهامهم لك بوجه من الوجوه ولقد الزمهم الله تعالى الحجة وازاح عللهم
في هذه الآيات حيث حصر اقسام ما يؤدي الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهتهم للحق وقلة فطنتهم **وان الذين لا يؤمنون بالآخرة** وصفوا
بذلك تشنيعاً لهم بما هم عليه من الانهماك في الدنيا وزعمهم ان لا حيوة الا الحيوة الدنيا واشعاراً بعلة الحكم فان الايمان بالآخرة وخوف
ما فيها من الدواهي من اقوى الدواعي الى طلب الحق وسلوك سبيله **عن الصراط** اي عن جنس الصراط **لناكبون** لعادلون فضلاً عن الصراط المستقيم
عن الصراط المستقيم الذي تدعوهم اليه والاول ادل على كمال ضلالهم وغاية غوايتهم لما انه ينبئ عن كون ما ذهبوا اليه مما لا يطلق عليه اسم
الصراط ولو كان معوجاً **ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر** اي قحط وجدب **للجوا** لتمادوا **في طغيانهم** افراطهم في الكفر والاستكبار وعداوة
الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين **يعمهون** اي عامهين عن الهدى روي انه لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة
من اهل مكة واخذهم الله تعالى بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انشدك الله والرحم الست
تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت والمعنى لو كشفنا عنهم ما اصابهم من القحط والهزال
برحمتنا اياهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الافراط في الكفر والاستكبار ولذهب عنهم هذا التملق والابلاس وقد كان كذلك
وقوله تعالى **ولقد اخذناهم بالعذاب** استيناف مسوق للاستشهاد على مضمون الشرطية والمراد بالعذاب ما نالهم يوم بدر من القتل والاسر او ما اصابهم من
فنون العذاب التي من جملتها القحط المذكور واللام جواب قسم محذوف اي وبالله لقد اخذناهم بالعذاب **فما استكانوا لربهم** بذلك اي لم
يخضعوا ولم يتذللوا على انه اما استفعال من الكون لان الخاضع ينتقل من كون الى كون او افتعال من السكون قد اشبعت فتحته كمنتزاح في
منتزح بل اقاموا على ما كانوا عليه من العتو والاستكبار وقوله تعالى **وما يتضرعون** اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي وليس من عادتهم التضرع اليه تعالى
حتى اذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد هو عذاب الآخرة كما ينبئ عنه التهويل بفتح الباب والوصف بالشدة وقرئ فتّحنا بالتشديد **اذا هم فيه مبلسون** اي
متحيرون آيسون من كل خير اي محنّاهم بكل محنة من القتل والاسر والجوع وغير ذلك فما روي منهم لين مقادة وتوجه الى الاسلام قط واما ما اظهره
ابو سفيان فليس من الاستكانة له تعالى والتضرع اليه في شيء وانما هو نوع خنوع الى ان يتم غرضه فحاله كما قيل اذا جاع ضغا واذا شبع طغا
واكثرهم مستمرون على ذلك الى ان يروا عذاب الآخرة فحينئذ يبلسون وقيل المراد بالباب الجوع فانه اشد واعم من القتل والاسر والمعنى
اخذناهم اولاً بما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم فما وجد منهم تضرع واستكانة حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو اطم
واتم فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء اعتاهم واشدهم شكيمة في العناد يستعطفك والوجه هو الاول **وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار**
لتحسوا بها ما نصب من الآيات التنزيلية والتكوينية **والافئدة** لتتفكروا بها ما تشاهدونها وتعتبروا اعتباراً لائقاً **قليلاً ما تشكرون** اي
شكراً قليلاً غير معتد به تشكرون تلك النعم الجليلة لان العمدة في الشكر صرف تلك القوى التي هي في انفسها نعم باهرة الى ما خلقت هي له
وانتم تخلون بذلك اخلالاً عظيماً **وهو الذي ذرأكم في الارض** اي خلقكم وبثكم فيها بالتناسل **واليه تحشرون** اي تجمعون يوم القيمة بعد
تفرقكم لا الى غيره فما لكم لا تؤمنون به ولا تشكرونه **وهو الذي يحيي ويميت** من غير ان يشاركه في ذلك شيء من الاشياء **وله** خاصة **اختلاف الليل**
والنهار اي هو المؤثر في اختلافهما اي تعاقبهما او اختلافهما ازدياداً وانتقاصاً او لامره وقضائه اختلافهما **افلا تعقلون** اي الا
تتفكرون فلا تعقلون او اتتفكرون فلا تعقلون بالنظر والتأمل ان الكل منا وان قدرتنا تعم جميع الممكنات التي من جملتها البعث
وقرئ يعقلون على ان الالتفات الى الغيبة لحكاية سوء حال المخاطبين لغيرهم وقيل على ان الخطاب الاول لتغليب المؤمنين وليس ذلك
بل قالوا عطف على مضمر يقتضيه المقام اي فلم يعقلوا بل قالوا **مثل ما قال الاولون** اي آباؤهم ومن دان بدينهم **قالوا ءاذا متنا وكنا ترابا**
وعظاما ءانا لمبعوثون تفسير لما قبله من المبهم وتفصيل لما فيه من الاجمال وقد مر الكلام فيه **لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا** اي البعث **من قبل** متعلق بالفعل
من حيث اسناده الى آبائهم لا اليهم اي وُعد آباؤنا من قبل او بمحذوف وقع حالاً من آباؤنا اي كائنين من قبل **ان هذا** اي ما هذا **الا**
اساطير الاولين اي اكاذيبهم التي سطروها جمع اسطورة كاحدوثة واعجوبة وقيل جمع اسطار جمع سطر **قل لمن الارض ومن فيها** من
المخلوقات تغليباً للعقلاء على غيرهم **ان كنتم تعلمون** جوابه محذوف ثقة بدلالة الاستفهام عليه اي ان كنتم تعلمون شيئاً ما فاخبروني به
فان ذلك كاف في الجواب وفيه من المبالغة في وضوح الامر وفي تجهيلهم ما لا يخفى او ان كنتم تعلمون ذلك فاخبروني

فاخبروني وفيه استهانة بهم وتقرير لجهلهم ولذلك اخبر بجوابهم قبل ان يجيبوا حيث قيل **سيقولون لله** لان بديهة العقول تضطرهم الى الاعتراف
بانه تعالى خالقها **قل** اي عند اعترافهم بذلك تبكيتاً لهم **افلا تذكرون** اي اتعلمون ذلك ولا تقولون ذلك فلا تتذكرون ان من فطر الارض ومن
فيها ابتداء قادر على اعادتها ثانياً فان البدء ليس باهون من الاعادة بل الامر بالعكس في قياس العقول وقرئ تتذكرون على الاصل
قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم اعيد الرب تنويهاً لشأن العرش ورفعاً لمحله من ان يكون تبعاً للسموات وجوداً وذكراً
ولقد روعي بالامر في السؤال الترقي من الادنى الى الاعلى **سيقولون لله** باللام نظراً الى معنى السؤال فان قولك من ربه ولمن هو في معنى
واحد وقرئ الله وما بعده بغير لام نظراً الى لفظ السؤال **قل** افحاماً لهم وتوبيخاً **افلا تتقون** اي اتعلمون ذلك ولا تتقون انفسكم عقابه بعدم
العمل بموجب العلم حيث تكفرون به وتنكرون البعث وتثبتون له شريكاً في الربوبية **قل من بيده ملكوت كل شيء** مما ذكر ومما لم يذكر اي ملكه التام
القاهر وقيل خزائنه **وهو يجير** اي يغيث غيره اذا شاء **ولا يجار عليه** اي ولا يغيث احد عليه اي لا يمنع احد منه بالنصر عليه **ان كنتم تعلمون**
شيئاً ما او ذلك فاجيبوني على ما سبق **سيقولون لله** اي لله ملكوت كل شيء وهو الذي يجير ولا يجار عليه **قل فانى تسحرون** اي فمن اين
تخدعون وتصرفون عن الرشد مع علمكم به الى ما انتم عليه من الغي فان من لا يكون مسحوراً مختل العقل لا يكون كذلك **بل اتيناهم بالحق** الذي
لا محيد عنه من التوحيد والوعد بالبعث **وانهم لكاذبون** فيما قالوا من الشرك وانكار البعث **ما اتخذ الله من ولد** كما يقوله النصارى والقائلون
ان الملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً **وما كان معه من اله** يشاركه في الالوهية كما يقوله عبدة الاوثان وغيرهم **اذاً لذهب**
كل اله بما خلق جواب لمحاجتهم وجزاء الشرط قد حذف لدلالة ما قبله عليه اي لو كان معه آلهة كما يقولون لذهب كل واحد منهم بما خلقه
واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التغالب والتحارب كما هو الجاري فيما بين الملوك **ولعلا بعضهم على بعض** فلم يكن بيده وحده
ملكوت كل شيء وهو باطل لا يقول به عاقل قط مع قيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب الوجود واحد بالذات **سبحان الله**
عما يصفون اي يصفونه من ان يكون له انداد واولاد **عالم الغيب والشهادة** بالجر على انه بدل من الجلالة وقيل صفة لها وقرئ بالرفع على
انه خبر مبتدأ محذوف وايّاً ما كان فهو دليل آخر على انتفاء الشريك بناء على توافقهم في تفرده تعالى بذلك ولذلك رتب عليه بالفاء
قوله تعالى **فتعالى الله عما يشركون** فان تفرده تعالى بذلك موجب لتعاليه عن ان يكون له شريك **قل رب اما تريني** اي ان كان لا بد من ان تريني
ما يوعدون من العذاب الدنيوي المستأصل واما العذاب الاخروي فلا يناسبه المقام **رب فلا تجعلني في القوم الظالمين** اي قريناً لهم فيما
هم فيه من العذاب وفيه ايذان بكمال فظاعة ما وعدوه من العذاب وكونه بحيث يجب ان يستعيذ منه من لا يكاد يمكن ان يحيق به ورد لانكارهم
اياه واستعجالهم به على طريقة الاستهزاء به وقيل امر به عليه السلام هضماً لنفسه وقيل لان شؤم الكفرة قد يحيق بمن وراءهم كقوله تعالى
واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وروي انه تعالى اخبر نبيه عليه السلام بان له في امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا
الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل من الشرط والجزاء به لابراز كمال الضراعة والابتهال **وانا على ان نريك ما نعدهم** من العذاب **لقادرون**
ولكن نؤخره لعلمنا بان بعضهم او بعض اعقابهم سيؤمنون او لانا لا نعذبهم وانت فيهم وقيل قد اراه ذلك وهو ما اصابهم يوم بدر او فتح مكة
ولا يخفى بعده فان المتبادر ان يكون ما يستحقونه من العذاب الموعود عذاباً هائلاً مستأصلاً لا يظهر على يديه عليه السلام للحكمة الداعية اليه
ادفع بالتي هي احسن السيئة وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن لا بحيث يؤدي الى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد
والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل وتقديم الجار
والمجرور على المفعول في الموضعين للاهتمام **نحن اعلم بما يصفون** اي بما يصفونك به او بوصفهم اياك على خلاف ما انت عليه وفيه وعيد لهم
بالجزاء والعقوبة وتسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وارشاد له عليه السلام الى تفويض امره اليه تعالى **وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين** اي
وساوسهم المغرية على خلاف ما امرت به من المحاسن التي من جملتها دفع السيئة بالحسنة واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم
للناس على المعاصي بهمز الرائض الدواب على الاسراع او الوثب والجمع للمرات او لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف اليه **واعوذ بك رب ان يحضرون**
امر عليه السلام بان يعوذ به تعالى من حضورهم بعد ما امر بالعوذ به من همزاتهم للمبالغة في التحذير عن ملابستهم واعادة الفعل مع تكرير النداء
لاظهار كمال الاعتناء بالمأمور به وعرض نهاية الابتهال في الاستدعاء اي اعوذ بك من ان يحضروني ويحوموا حولي في حال من الاحوال

وتخصيص حال الصلوة وقراءة القرآن كما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وحال حلول الأجل كما روي عن عكرمة رضي الله عنه لأنها أحرى الأحوال بالاستعاذة منها **حتى إذا جاء أحدهم الموت** حتى هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لما قبلها متعلقة بيصفون وما بينهما اعتراض مؤكد للإغضاء بالاستعاذة به تعالى من الشياطين أن يزلّوه عليه السلام عن الحلم ويغروه على الانتقام لكن لا بمعنى أنه العامل فيه لفساد المعنى بل بمعنى أنه معمول المحذوف يدل عليه ذلك وتعلقها بكاذبون في غاية البعد لفظًا ومعنًى أي يستمرون على الوصف المذكور حتى إذا جاء أحدهم أي أحد كان الموت الذي لا مردّ له وظهرت له أحوال الآخرة **قال** تحسرًا على ما فرط فيه من الإيمان والطاعة **رب ارجعون** أي ردّني إلى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني كما في قفا نبك وأطرقا **لعلي أعمل صالحا فيما تركت** أي في الإيمان الذي تركته لم ينظمه في سلك الرجاء كسائر الأعمال الصالحة بأن يقول لعلي أؤمن فأعمل إلى آخره للإشعار بأنه أمر مقرر الوقوع غني عن الإخبار بوقوعه قطعًا فضلًا عن كونه مرجو الوقوع أي لعلي أعمل في الإيمان الذي آتي به البتة عملًا صالحًا وقيل فيما تركته من المال أو من الدنيا وعنه عليه السلام إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا أنرجعك إلى الدنيا فيقول إلى دار الهموم والأحزان بل قدومًا إلى الله تبارك وتعالى وأما الكافر فيقول ارجعوني **كلا** ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها **إنها** أي قوله رب ارجعون إلى آخره **كلمة هو قائلها** لا محالة لتسلط الحسرة عليه **ومن ورائهم** أي أمامهم والضمير لأحدهم والجمع باعتبار المعنى لأنه في حكم كلهم كما أن الإفراد في الضمائر الأول باعتبار اللفظ **برزخ** حائل بينهم وبين الرجعة **إلى يوم يبعثون** يوم القيمة وهو إقناط كلي عن الرجعة إلى الدنيا لما علم أنه لا رجعة يوم البعث إلى الدنيا وإنما الرجعة يومئذ إلى الحيوة الأخروية **فإذا نفخ في الصور** لقيام الساعة وهي النفخة الثانية التي يقع عندها البعث والنشور وقيل المعنى فإذا نفخ في الأجساد أرواحها على أن الصور جمع الصورة لا القرن ويؤيده القراءة بفتح الواو وبه مع كسر الصاد **فلا أنساب بينهم** تنفعهم لزوال التراحم والتعاطف من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه أو لا أنساب بينهم يفتخرون بها **يومئذ** كما هي بينهم اليوم **ولا يتساءلون** أي لا يسأل بعضهم بعضًا لاشتغال كل منهم بنفسه ولا يناقضه قوله تعالى فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون لأن هذا عند ابتداء النفخة الثانية وذاك بعد ذلك **فمن ثقلت موازينه** موزونات حسناته من العقائد والأعمال أي فمن كانت له عقائد صحيحة وأعمال صالحة يكون لها وزن وقدر عند الله تعالى **فأولئك هم المفلحون** الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مهروب **ومن خفت موازينه** أي ومن لم يكن له من العقائد والأعمال الصالحة ماله وزن وقدر عند الله تعالى وهم الكفار لقوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنًا وقد مر تفصيل ما في هذا المقام من الكلام في تفسير سورة الأعراف **فأولئك الذين خسروا أنفسهم** ضيعوها بتضييع زمان استكمالها وأبطلوا استعدادها لنيل كمالها واسم الإشارة في الموضعين عبارة عن الموصول وجمعه باعتبار معناه كما أن إفراد الضميرين في الصلتين باعتبار لفظه **في جهنم خالدون** بدل من الصلة أو خبر ثان لأولئك **تلفح وجوههم النار** تحرقها واللفح كالنفح إلا أنه أشد تأثيرًا منه وتخصيص الوجوه بذلك لأنها أشرف الأعضاء فبيان حالها أزجر عن المعاصي المؤدية إلى النار وهو السر في تقديمها على الفاعل **وهم فيها كالحون** من شدة الإحراق والكلوح تقلص الشفتين عن الأسنان وقرئ كلحون **ألم تكن آياتي تتلى عليكم** على إضمار القول أي يقال لهم تعنيفًا وتوبيخًا وتذكيرًا لما به استحقوا ما ابتلوا به من العذاب ألم تكن آياتي تتلى عليكم في الدنيا **فكنتم بها تكذبون** حينئذ **قالوا ربنا غلبت علينا** أي ملكتنا **شقوتنا** التي اقترفناها بسوء اختيارنا كما ينبئ عنه إضافتها إلى أنفسهم وقرئ شقوتنا بالفتح وشقاوتنا أيضًا بالفتح والكسر **وكنا** بسبب ذلك **قومًا ضالين** عن الحق ولذلك فعلنا ما فعلنا من التكذيب وهذا كما ترى اعتراف منهم بأن ما أصابهم قد أصابهم بسوء صنيعهم وأما ما قيل من أنه اعتذار منهم بغلبة ما كتب عليهم من الشقاوة الأزلية فمع أنه باطل في نفسه لما أنه لا يكتب عليهم من السعادة والشقاوة إلا ما علم الله تعالى أنهم يفعلونه باختيارهم ضرورة أن العلم تابع للمعلوم يرده قوله تعالى **ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون** أي أخرجنا من النار وارجعنا إلى الدنيا فإن عدنا بعد ذلك إلى ما كنا عليه من الكفر والمعاصي فإنا متجاوزون الحد في الظلم ولو كان اعتقادهم أنهم مجبورون على ما صدر عنهم لما سألوا الرجعة إلى الدنيا ولما وعدوا الإيمان والطاعة بل قولهم فإن عدنا صريح في أنهم حينئذ على الإيمان والطاعة وأنهما الموعود على تقدير الرجعة إلى الدنيا الثبات عليهما لا إحداثهما **قال اخسؤوا فيها** أي اسكتوا في النار سكوت هوان وذلوا وانزجروا انزجار الكلاب إذا زجرت من خسأت الكلب إذا زجرته فخسأ أي انزجر **ولا تكلمون** أي باستدعاء الإخراج من النار والرجعة إلى الدنيا وقيل لا تكلمون في رفع العذاب ويرده

حا

ويرده التعليل الآتي وقيل لا تكلمون رأسًا وهو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك إلا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون ويرده الخطابات الآتية قطعًا وقوله تعالى **إنه** تعليل لما قبله من الزجر عن الدعاء أي إن الشأن وقرئ بالفتح أي لأن الشأن **كان فريق من عبادي** وهم المؤمنون وقيل هم الصحابة وقيل أهل الصفة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين **يقولون** في الدنيا **ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين** **فاتخذتموهم سخريا** أي اسكتوا عن الدعاء بقولكم ربنا إلى آخره لأنكم كنتم تستهزؤن بالداعين بقولهم ربنا آمنا إلى آخره وتتشاغلون باستهزائهم **حتى أنسوكم** أي الاستهزاء بهم **ذكري** من فرط اشتغالكم باستهزائهم **وكنتم منهم تضحكون** وذلك غاية الاستهزاء وقوله تعالى **إني جزيتهم اليوم** استيناف لبيان حسن حالهم وأنهم انتفعوا بما آذوهم **بما صبروا** بسبب صبرهم على أذيتهم وقوله تعالى **أنهم هم الفائزون** ثاني مفعولي الجزاء أي جزيتهم فوزهم بمجامع مرادتهم مخصوصين به وقرئ بكسر الهمزة على أنه تعليل للجزاء وبيان لكونه في غاية ما يكون من الحسن **قال** أي الله عز وجل أو الملك المأمور بذلك تذكيرًا لما لبثوا فيما سألوا الرجوع إليه من الدنيا بعد التنبيه على استحالته بقوله اخسؤوا فيها إلى آخره وقرئ قل على الأمر للملك **كم لبثتم في الأرض** التي تدعون أن ترجعوا إليها **عدد سنين** تمييز لكم **قالوا لبثنا يومًا أو بعض يوم** استقصارًا للمدة لبثهم فيها **فاسأل العادين** أي المتمكنين من العد فإنا بما دهمنا من العذاب بمعزل من ذلك أو الملائكة العادين لأعمار العباد وأعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف أي المتعدين فإنهم أيضًا يقولون كما نقول كأنهم الأتباع يسمون الرؤساء بذلك لظلمهم إياهم بإضلالهم وقرئ العاديين أي القدماء المعمرين فإنهم أيضًا يستقصرون مدة لبثهم **قال** أي الله تبارك وتعالى أو الملك وقرئ قل كما سبق **إن لبثتم إلا قليلا** تصديق لهم في ذلك **لو أنكم كنتم تعلمون** أي تعلمون شيئًا أو لو كنتم من أهل العلم والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه أي لعلمتم يومئذ قلة لبثكم فيها كما علمتم اليوم ولعملتم بموجبه ولم تخلدوا إليها **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا** أي ألم تعلموا شيئًا فحسبتم أنما خلقناكم بغير حكمة بالغة حتى أنكرتم البعث فعبثًا حال من نون العظمة أي عابثين أو مفعول له أي أنما خلقناكم للعبث **وأنكم إلينا لا ترجعون** عطف على أنما أي فإن خلقكم بغير بعث من قبيل العبث وإنما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على أعمالكم وقرئ ترجعون بفتح التاء من الرجوع **فتعالى الله** استعظام له تعالى ولشؤنه التي تصرف عليها عباده من البدء والإعادة والإثابة والعقاب بموجب الحكمة البالغة أي ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته وأحواله وأفعاله وعن خلو أفعاله عن الحكم والمصالح والغايات الحميدة **الملك الحق** الذي يحق له الملك على الإطلاق إيجادًا وإعدامًا بدأً وإعادةً إحياءً وإماتةً عقابًا وإثابةً وكل ما سواه مملوك له مقهور تحت ملكوته **لا إله إلا هو** فإن كل ما عداه عبيده **رب العرش الكريم** فكيف بما تحته ومحاط به من الموجودات كائنًا ما كان ووصفه بالكرم إما لأنه منه ينزل الوحي الذي منه القرآن الكريم أو الخير والبركة والرحمة أو لنسبته إلى أكرم الأكرمين وقرئ الكريم بالرفع على أنه صفة الرب كما في قوله تعالى ذو العرش المجيد **ومن يدع مع الله إلها آخر** يعبده إفرادًا أو إشراكًا **لا برهان له به** صفة لازمة لإلهًا كقوله تعالى يطير بجناحيه جيء بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيهًا على أن التدين بما لا دليل عليه باطل فكيف بما شهدت بديهة العقول بخلافه أو اعتراض بين الشرط والجزاء كقولك من أحسن إلى زيد لا أحق منه بالإحسان فالله مثيبه **فإنما حسابه عند ربه** فهو مجازيه على قدر ما يستحقه **إنه لا يفلح الكافرون** أي إن الشأن إلى آخره وقرئ بالفتح على أنه تعليل أو خبر ومعناه حسابه عدم الفلاح والأصل حسابه أنه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لأن من يدع في معنى الجمع وكذلك حسابه أنه لا يفلح في معنى حسابهم أنهم لا يفلحون بدئت السورة الكريمة بتقرير فلاح المؤمنين وختمت بنفي الفلاح عن الكافرين ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستغفار والاسترحام فقيل **وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين** إيذانًا بأنهما من أهم الأمور الدينية حيث أمر به من قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف بمن عداه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وعنه عليه السلام أنه قال لقد أنزلت علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر وروي أن أولها وآخرها من كنوز الجنة من عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع من آخرها نجا وأفلح

سورة النور

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة خبر مبتدأ محذوف أي هذه سورة وإنما أشير إليها مع عدم سبق ذكرها لأنها باعتبار كونها في شرف الذكر في حكم الحاضر المشاهد وقوله تعالى **أنزلناها** مع ما عطف عليه صفات لها مؤكدة لما أفادة التنكير من الفخامة من حيث الذات بالفخامة من حيث الصفات وأما كونها

مبتدأ محذوف الخبر على ان يكون التقدير فيما اوحينا اليك سورة انزلناها فيأباه ان مقتضى المقام بيان شأن هذه السورة الكريمة لان في جملة
ما اوحي الى النبي عليه السلام سورة شأنها كذا وكذا وحملها على السورة الكريمة بمعونة المقام يوهم ان غيرها من السور الكريمة ليست على
تلك الصفة وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره انزلناها فلا محل له حينئذ من الاعراب او على تقدير اقرأ ونحوه او دونك عند من يسوغ حذف
اداة الاغراء فمحل انزلناها النصب على الوصفية **وفرضناها** اي اوجبنا ما فيها من الاحكام ايجابا قطعيا وفيه من الايذان بغاية وكادة الفرضية
ما لا يخفى وقرئ فرّضناها بالتشديد لتأكيد الايجاب او لتعدد الفرائض ولكثرة المفروض عليهم من السلف والخلف **وانزلنا فيها** اي في
تضاعيف السورة **آيات بينات** ان اريد بها الآيات التي نيطت بها الاحكام المفروضة وهو الاظهر فكونها في السورة ظاهر ومعنى كونها
بينات وضوح دلالاتها على احكامها لا على معانيها على الاطلاق فانها اسوة لسائر الآيات في ذلك وتكرير انزلنا مع استلزام انزال السورة
لانزالها لابراز كمال العناية بشأنها وان اريد جميع الآيات فالظرفية باعتبار اشتمال الكل على كل واحد من اجزائه وتكرير انزلنا مع ان جميع الآيات
عين السورة وانزلها عين انزالها لاستقلالها بعنوان رائق داع الى تخصيص انزالها بالذكر ابانة لخطرها ورفعة لمحلها كقوله تعالى ونجيناهم
من عذاب غليظ بعد قوله تعالى نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا **لعلكم تذكرون** بحذف احدى التاءين وقرئ بادغام الثانية في الذال اي
تتذكرونها فتعملون بموجبها عند وقوع الحوادث الداعية الى اجراء احكامها وفيه ايذان بان حقها ان يكون على ذكر منهم بحيث متى مست الحاجة اليها استحضروها
الزانية والزاني شروع في تفصيل ما ذكر من الآيات البينات وبيان احكامها والزانية هي المرأة المطاوعة للزنا الممكنة منه كما ينبئ عنه الصيغة
لا المزنية كرها وتقديمها على الزاني لانها الاصل في الفعل لكون الداعية فيها اوفر ولولا تمكينها منه لم يقع ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالى
فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط اذ اللام بمعنى الموصول والتقدير التي زنت والذي زنا كما في قوله تعالى
واللذان يأتيانها منكم فآذوهما وقيل الخبر محذوف اي فيما انزلنا او فيما فرضنا الزانية والزاني اي حكمهما وقوله تعالى فاجلدوا الى آخره بيان لذلك الحكم
وكان هذا عاما في حق المحصن وغيره وقد نسخ في حق المحصن قطعا ويكفينا في تعيين الناسخ القطع بانه عليه السلام قد رجم ماعزا وغيره فيكون من
نسخ الكتاب بالسنة المشهورة وفي الايضاح الرجم حكم ثبت بالسنة المشهورة المتفق عليها فجازت الزيادة بها على الكتاب وروي عن علي رضي الله عنه
جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نسخ بآية منسوخة التلاوة هي الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله
والله عزيز حكيم ويأباه ما روي عن علي رضي الله تعالى عنه **ولا تأخذكم بهما رأفة** وقرئ بفتح الهمزة وبالمد ايضا على فعالة اي رحمة ورقة **في دين الله**
في طاعته واقامة حده فتعطلوه او تسامحوا فيه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سرقت فاطمة لقطعت يدها **ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** من
باب التهييج والالهاب فان الايمان بهما يقتضي الجد في طاعته تعالى والاجتهاد في اجراء احكامه وذكر اليوم الآخر لتذكير ما فيه من العقاب في مقابلة المسامحة
والتعطيل **وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين** اي لتحضره زيادة في التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل العذاب والطائفة فرقة
يمكن ان تكون حافة حول الشيء من الطوف واقلها ثلثة كما روي عن قتادة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اربعة الى اربعين وعن الحسن عشرة
والمراد جمع يحصل به التشهير والزجر **الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك** حكم مؤسس على الغالب المعتاد جيء به لزجر المؤمنين عن
نكاح الزواني بعد زجرهم عن الزنا بهن وقد رغب بعض من ضعفة المهاجرين في نكاح موسرات كانت بالمدينة من بغايا المشركين فاستأذنوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فنفروا عنه ببيان انه من افعال الزناة وخصائص المشركين كأنه قيل الزاني لا يرغب في نكاح احداهما
والزانية لا يرغب في نكاحها الا احد منهما فلا تحوموا حوله كيلا تنتظموا او تتشبهوا بسمتهما فايراد الجملة الاولى مع ان مناط التنفير هي الثانية
اما للتعريض بقصرهم الرغبة عليهن حيث استأذنوا في نكاحهن او لتأكيد العلاقة بين الجانبين مبالغة في الزجر والتنفير وعدم التعرض
في الجملة الثانية للمشركة للتنبيه على ان مناط الزجر والتنفير هو الزنا لا مجرد الاشراك وانما تعرض لها في الاولى اشباعا في التنفير عن الزانية
بنظمها في سلك المشركة **وحرم ذلك** اي نكاح الزواني **على المؤمنين** لما ان فيه من التشبه بالفسقة والتعرض للتهمة والتسبب لسوء القالة
والطعن في النسب واختلال امر المعاش وغير ذلك من المفاسد ما لا يكاد يليق باحد من الاداني والاراذل فضلا عن المؤمنين ولذلك عبر عن التنزيه
بالتحريم مبالغة في الزجر بمعنى النهي قد قرئ به والتحريم على حقيقته والحكم اما مخصوص بسبب النزول او منسوخ بقوله تعالى وانكحوا الايامى
منكم فانه متناول للمسافحات ويؤيده ما روي انه عليه الصلوة والسلام سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال

الحلال وما قيل من ان المراد بالنكاح هو الوطء بين البطلان **والذين يرمون المحصنات** بيان لحكم العفائف اذا نسبن الى الزنا بعد بيان حكم الزواني ويعتبر
في الاحصان هيهنا مع مدلوله الوضعي الذي هو النزاهة عن الزنا الحرية والبلوغ والاسلام وفي التعبير عن التفوه بما قالوا في حقهن بالرمي المنبئ عن صلابة
الآلة وايلام المرمي وبعده عن الرامي ايذان بشدة تأثيره فيهن وكونه رجما بالغيب والمراد رميهن بالزنا لا غير وعدم التصريح به للاكتفاء
بايرادهن عقيب الزواني ووصفهن بالاحصان الدال بالوضع على نزاهتهن عن الزنا خاصة فان ذلك بمنزلة التصريح بكون رميهن به لا محالة
ولا حاجة في ذلك الى الاستشهاد باعتبار الاربعة من الشهداء على ان فيه مؤنة بيان تأخر نزول الآية عن قوله تعالى فاستشهدوا عليهن
اربعة ولا بعدم وجوب الحد بالرمي بغير الزنا على ان شبه المصادرة كأنه قيل والذين يرمون العفائف المنزهات عما رمين به من الزنا **ثم لم يأتوا
بأربعة شهداء** يشهدون عليهن بما رموهن به وفي كلمة ثم اشعار بجواز تأخير الاتيان بالشهود كما ان في كلمة لم اشعارا بتحقق العجز
عن الاتيان بهم وتقرره خلا ان اجتماع الشهود لا بد منه عند الاداء خلافا للشافعي فانه جوز التراخي بين الشهادات كما بين الرمي والشهادة
ويجوز ان يكون احدهم زوج المقذوفة خلافا له ايضا وقرئ باربعة شهداء **فاجلدوهم ثمانين جلدة** لظهور كذبهم وافترائهم بعجزهم عن
الاتيان بالشهداء لقوله تعالى فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون وانتصاب ثمانين كانتصاب المصادر ونصب جلدة على التمييز وتخصيص رميهن
بهذا الحكم مع ان حكم رمي المحصنين ايضا ذلك لخصوص الواقعة وشيوع الرمي فيهن **ولا تقبلوا لهم شهادة** عطف على اجلدوا داخل في حكمه تتمة له
لما فيه من معنى الزجر لانه مؤلم للقلب كما ان الجلد مؤلم للبدن وقد آذى المقذوف بلسانه فعوقب باهدار منافعه جزاء وفاقا واللام في لهم
متعلقة بمحذوف هو حال من شهادة قدمت عليها لكونها نكرة ولو تأخرت عنها لكانت صفة لها وفائدتها تخصيص الرد بشهادتهم الناشئة
من اهليتهم الثابتة لهم عند الرمي وهو السر في قبول شهادة الكافر المحدود في القذف بعد التوبة والاسلام لانها ليست ناشئة من اهليته السابقة
بل من اهلية حدثت له بعد اسلامه فلا يتناولها الرد فتدبر ودع عنك ما قيل من ان المسلمين لا يعبأون بسب الكفار فلا يلحق المقذوف
بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف المسلم فان ذلك بمعزل من الاعتبار وتعليل في مقابلة النص ولا يخفى حاله فالمعنى لا تقبلوا منهم
شهادة من الشهادات حال كونها حاصلة لهم عند الرمي **ابدا** اي مدة حياتهم وان تابوا واصلحوا لما عرفت من انه تتمة للحد كأنه قيل فاجلدوهم
وردوا شهادتهم اي فاجمعوا لهم الجلد والرد فيبقى كاصله **واولئك هم الفاسقون** كلام مستأنف مقرر لما قبله ومبين لسوء حالهم عند الله
عز وجل وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد اي اولئك هم المحكوم عليهم بالفسق والخروج عن الطاعة
والتجاوز عن الحدود الكاملون فيه كأنهم هم المستحقون لاطلاق اسم الفاسق عليهم لا غيرهم من الفسقة وقوله تعالى **الا الذين تابوا** استثناء
من الفاسقين كما ينبئ عنه التعليل الآتي ومحل المستثنى النصب لانه عن موجب وقوله تعالى **من بعد ذلك** لتهويل المتوب عنه اي من بعد ما اقترفوا
ذلك الذنب العظيم الهائل **واصلحوا** اي اصلحوا اعمالهم التي من جملتها ما فرط منهم بالتلافي والتدارك ومنه الاستسلام للحد والاستحلال من
المقذوف **فان الله غفور رحيم** تعليل لما يفيده الاستثناء من العفو عن المؤاخذة بموجب الفسق كأنه قيل فحينئذ لا يؤاخذهم الله تعالى
بما فرط منهم ولا ينظمهم في سلك الفاسقين لانه تعالى مبالغ في المغفرة والرحمة هذا وقد علق الشافعي رحمه الله تعالى الاستثناء بالنهي
فمحل المستثنى الجر على البدلية من الضمير في لهم وجعل الابد عبارة عن مدة كونه قاذفا فينتهي بالتوبة فتقبل شهادته بعدها **والذين
يرمون ازواجهم** بيان لحكم الرامين لازواجهم خاصة بعد بيان حكم الرامين لكن لا بان يكون هذا مخصصا للمحصنات بالاجنبيات ليلزم
بقاء الآية السابقة ظنية فلا يثبت بها الحد فان من شرائط التخصيص ان لا يكون المخصص متراخي النزول بل بكونه ناسخا لعمومها
ضرورة تراخي نزولها كما سيأتي فتبقى الآية السابقة قطعية الدلالة فيما بقي بعد النسخ لما بين في موضعه ان دليل النسخ غير معلل
ولم يكن لهم شهداء يشهدون بما رموهن به من الزنا وقرئ بتأنيث الفعل **الا انفسهم** بدل من شهداء او صفة لها على ان الا بمعنى غير
جعلوا من جملة الشهداء ايذانا من اول الامر بعدم الغاء قولهم بالمرة ونظمه في سلك الشهادة في الجملة وبذلك ازداد حسن اضافة
الشهادة اليهم في قوله تعالى **فشهادة احدهم** اي شهادة كل واحد منهم وهو مبتدأ وقوله تعالى **اربع شهادات** خبره اي والعامل في المصدر على النصب
فشهادة على انه اما خبر لمبتدأ محذوف اي فالواجب شهادة احدهم واما مبتدأ محذوف الخبر اي فشهادة احدهم واجبة **انه لمن
الصادقين** اي فيما رماها به من الزنا واصله على انه الى آخره فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنها للتأكيد **والخامسة** اي الشهادة

أنها مثنية للأربع المتقدمة أي الجاعلة لها خمسا بانضمامها إليهن وإفرادها عنهن مع كونها شهادة أيضا لاستقلالها بالفحوى ووكادتها في
إفادة ما يقصد بالشهادة من تحقيق الخبر وإظهار الصدق وهي مبتدأ خبره أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا فإذا
لاعن الزوج حبست الزوجة حتى تعترف فترجم أو تلاعن ويدرأ عنها العذاب أي العذاب الدنيوي وهو الحبس المغيا على أحد الوجهين
بالرجم الذي هو أشد العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه أي الزوج لمن الكاذبين أي فيما رماني به من الزنا والخامسة بالنصب عطفا على
أربع شهادات أن غضب الله عليها إن كان أي الزوج من الصادقين أي فيما رماني به من الزنا وقرئ والخامسة بالرفع على الابتداء وقرئ
أن بالتخفيف وفي اللعنة والغضب وقرئ أن غضب الله وتخصيص الغضب بجانب المرأة للتغليظ عليها لما أنها مادة الفجور ولأن
النساء كثيرا ما يستعملن اللعن فربما يجترئن على التفوه به لسقوط وقعه عن قلوبهن بخلاف غضبه تعالى روي أن آية القذف لما
نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدي الأنصاري رحمه الله فقال جعلني الله فداك إن وجد رجل مع امرأته
رجلا فأخبر جلد ثمانين وردت شهادته وفسق وإن ضربه بالسيف قتل وإن سكت سكت على غيظ وإلى أن يجيء بأربعة شهداء فقد قضى
الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن أمية أو عويمر فقال ما وراءك قال شر وجدت على امرأتي خولة وهي بنت
عاصم شريك بن سحماء فقال والله هذا سؤالي ما أسرع ما ابتليت به فرجعا فأخبرا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة فأنكرت فنزلت
فلاعن بينهما والفرقة الواقعة باللعان في حكم التطليقة البائنة عند أبي حنيفة ومحمد رحمهما الله تعالى ولا يتأبد حكمها حتى إذا أكذب
الرجل نفسه بعد ذلك فحد جاز له أن يتزوجها وعند أبي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي رحمهم الله تعالى هي فرقة بغير طلاق
يوجب تحريما مؤبدا ليس لهما اجتماع بعد ذلك أبدا ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم التفات إلى خطاب الرامين والمرميات
بطريق التغليب لتوفية مقام الامتنان حقه وجواب لولا محذوف لتهويله والإشعار بضيق العبارة عن حصره كأنه قيل ولولا تفضله تعالى عليكم
ورحمته وأنه تعالى مبالغ في قبول التوبة في جميع أعماله وأفعاله وأحكامه التي من جملتها ما شرع لكم من حكم اللعان لكان ما كان
مما لا يحيط به نطاق البيان ومن جملته أنه تعالى لو لم يشرع لهم ذلك لوجب على الزوج حد القذف مع أن الظاهر صدقه لأنه أعرف بحال
زوجته وأنه لا يفتري عليها لاشتراكهما في الفضاحة وبعد ما شرع لهم ذلك لو جعل شهاداته موجبة لحد الزنا عليها لفات النظر لها
ولا ريب في خروج الكل عن سنن الحكمة والفضل والرحمة فجعل شهادات كل منهما مع الجزم بكذب أحدهما حتما دارئة لما توجه إليه من
الغائلة الدنيوية وقد ابتلي الكاذب منهما في تضاعيف شهاداته من العذاب بما هو أتم مما درأته عنه وأطم وفي ذلك من أحكام الحكم
البالغة وآثار التفضل والرحمة ما لا يخفى أما على الصادق فظاهر وأما على الكاذب فهو إمهاله والستر عليه في الدنيا ودرء الحد عنه وتعريضه
للتوبة حسبما ينبئ عنه التعرض لعنوان توابيته سبحانه ما أعظم شأنه وأوسع رحمته وأدق حكمته إن الذين جاءوا بالإفك أي بأبلغ ما يكون
من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك وأصله الأفك وهو القلب لأنه مأفوك عن وجهه وسننه والمراد به ما أفك به
الصديقة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها وفي لفظ المجيء إشارة إلى أنهم أظهروه من عند أنفسهم من غير أن يكون له أصل وذلك أن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم كان إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرجت قرعتها استصحبها قالت عائشة رضي الله تعالى عنها فأقرع
بيننا في غزوة غزاها قيل غزوة بني المصطلق فخرج سهمي فخرجت معه صلى الله عليه وسلم بعد نزول آية الحجاب فحملت في هودج فسرنا حتى إذا قفلنا
ودنونا من المدينة نزلنا منزلا ثم نودي بالرحيل فقمت ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا
عقدي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمسته فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على
بعيري وهم يحسبون أني فيه لخفتي فلم يستنكروا خفة الهودج وذهبوا بالبعير ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس فيها
داع ولا مجيب فتيممت منزلي وظننت أني سيفقدونني ويعودون في طلبي فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل
السلمي من وراء الجيش فلما رآني عرفني فاستيقظت باسترجاعه فخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه
وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فقمت إليها فركبتها وانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول
وافتقدني الناس حين نزلوا وماج القوم في ذكري فبينا الناس كذلك إذ هجمت عليهم فخاض الناس في حديثي فهلك من هلك وقوله تعالى

وقوله تعالى عصبة منكم خبر إن أي جماعة وهي من العشرة إلى الأربعين وكذا العصابة وهم عبد الله بن أبي وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة
وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وقوله تعالى لا تحسبوه شرا لكم استئناف خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعائشة وصفوان تسلية لهم
من أول الأمر والضمير للإفك بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله عز وجل بإنزال ثماني عشرة آية في نزاهة ساحتكم
وتعظيم شأنكم وتشديد الوعيد فيمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا لكل امرئ منهم أي من العصبة ما اكتسب من الإثم بقدر ما خاض فيه والذي تولى كبره
أي معظمه وقرئ بضم الكاف وهي لغة فيه منهم من العصبة وهو ابن أبي فإنه بدأ به وأذاعه بين الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو
حسان ومسطح فإنهما شايعاه بالتصريح به فإفراد الموصول حينئذ باعتبار الفوج أو الفريق أو نحوهما منهم له عذاب عظيم أي في الآخرة أو في الدنيا
أيضا فإنهم جلدوا وردت شهادتهم وصار ابن أبي مطرودا مشهودا عليه بالنفاق وحسان أعمى وأشل اليدين ومسطح مكفوف البصر وفي
التعبير عنه بالذي وتكرير الإسناد وتنكير العذاب ووصفه بالعظم من تهويل الخطب ما لا يخفى لولا إذ سمعتموه تلوين للخطاب وصرف له عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وذويه إلى الخائضين بطريق الالتفات لتشديد ما في لولا التحضيضية من التوبيخ ثم العدول عنه إلى الغيبة في قوله تعالى ظن المؤمنون
والمؤمنات بأنفسهم خيرا لتأكيد التوبيخ والتشنيع لكن لا بطريق الإعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم على وجه المباثة بل بالتوسل بذلك إلى وصفهم بما يوجب
الإتيان بالمحضوض عليه ويقتضيه اقتضاء تاما ويزجرهم عن ضده زجرا بليغا فإن كون وصف الإيمان مما يحملهم على إحسان الظن ويكفهم عن إساءته
بأنفسهم أي بأبناء جنسهم النازلين منزلة أنفسهم كقوله تعالى ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وقوله تعالى ولا تلمزوا أنفسكم مما لا ريب فيه فإخلالهم
بموجب ذلك الوصف أقبح وأشنع والتوبيخ عليه أدخل مع ما فيه من التوسل به إلى التصريح بتوبيخ الخائضات ثم إن كان المراد بالإيمان الإيمان الحقيقي
فإيجابه لما ذكر واضح والتوبيخ خاص بالمؤمنين وإن كان مطلق الإيمان الشامل لما يظهره المنافقون أيضا فإيجابه له من حيث إنهم كانوا يحترزون
عن إظهار ما ينافي مدعاهم فالتوبيخ حينئذ متوجه إلى الكل وتوسيط الظرف بين لولا وفعلها لتخصيص التحضيض بأول زمان سماعهم وقصر التوبيخ
على تأخير الإتيان بالمحضوض عليه عن ذلك الآن والتردد فيه ليفيد أن عدم الإتيان به رأسا في غاية ما يكون من القباحة والشناعة أي كان الواجب
أن يظن المؤمنون والمؤمنات أول ما سمعوه ممن اخترعه بالذات أو بالواسطة من غير تلعثم وتردد بمثلهم من آحاد المؤمنين خيرا وقالوا في ذلك الآن
هذا إفك مبين أي ظاهر مكشوف كونه إفكا فكيف بالصديقة بنت الصديق أم المؤمنين حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء
إما من تمام القول المحضوض عليه مسوق لحث السامعين على إلزام المسمعين وتكذيبهم إثر تكذيب ما سمعوه منهم بقولهم هذا إفك مبين وتوبيخهم على تركه أي
هلا جاء الخائضون بأربعة شهداء يشهدون على ما قالوا فإذ لم يأتوا بالشهداء وإنما قيل بالشهداء لزيادة التقرير فأولئك إشارة إلى الخائضين
وما فيه من معنى البعد للإيذان بغلوهم في الفساد وبعد منزلتهم في الشر أي أولئك المفسدون عند الله أي في حكمه وشرعه المؤسس على الدلائل الظاهرة
المتقنة هم الكاذبون الكاملون في الكذب المشهود عليهم بذلك المستحقون لإطلاق الاسم عليهم دون غيرهم ولذلك رتب عليهم الحد خاصة وإما
كلام مبتدأ مسوق من جهته تعالى للاحتجاج على كذبهم بكون ما قالوه قولا لا يساعده الدليل أصلا ولولا فضل الله عليكم خطاب للسامعين والمسمعين
جميعا ورحمته في الدنيا والآخرة من فنون النعم التي من جملتها العفو والمغفرة بعد التوبة لمسكم عاجلا فيما أفضتم فيه بسبب ما خضتم فيه من حديث الإفك
والإبهام لتهويل أمره والاستهجان بذكره يقال أفاض في الحديث وخاض واندفع وهضب بمعنى عذاب عظيم يستحقر دونه التوبيخ والجلد إذ تلقونه
بحذف إحدى التاءين ظرف للمس أي لمسكم ذلك العذاب العظيم وقت تلقيكم إياه من المخترعين بألسنتكم والتلقي والتلقف والتلقن معان
متقاربة خلا أن في الأول معنى الاستقبال وفي الثاني معنى الخطف والأخذ بسرعة وفي الثالث معنى الحذق والمهارة وقرئ تتلقونه على
الأصل وتلقونه من لقيه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من إلقاء بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته
إذا طلبته فوجدته وتقفونه أي تتبعونه وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم أي تقولون قولا مختصا بالأفواه من غير أن يكون له مصداق
ومنشأ في القلوب لأنه ليس بتعبير عن علم به في قلوبكم كقوله تعالى يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له أو ليس له
كثير عقوبة وهو عند الله والحال أنه عنده عز وجل عظيم لا يقادر قدره في الوزر واستجرار العذاب ولولا إذ سمعتموه من المخترعين أو المشايعين
لهم قلتم تكذيبا لهم وتهويلا لما ارتكبوه ما يكون لنا ما يمكننا أن نتكلم بهذا وما يصدر عنا ذلك بوجه من الوجوه وحاصله نفي وجود التكلم به
لا نفي وجوده على وجه الصحة أو الاستقامة والانبغاء وهذا إشارة إلى ما سمعوه وتوسيط الظرف بين لولا وقلتم لما مر من تخصيص التحضيض

باول وقت السماع وقصر التوبيخ واللوم على تأخير القول المذكور عن ذلك الآن ليفيد انه المحتمل للوقوع المفتقر الى التخصيص على ترك القول نفسه رأسا
فيما لا يتوهم وقوعه حتى يحض على فعله ويلام على تركه وعلى هذا ينبغي ان يحمل ما قيل ان المعنى انه كان الواجب عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوا
بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم وجب التقديم واما ما قيل من ان ظروف الاشياء منزلة منزلة انفسها لوقوعها فيها وانها لا
تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها فهي ضابطة ربما تستعمل فيما اذا وضع الظرف موضع المظروف بان جعل مفعولا صريحا لفعل
مذكور كما في قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء او مقدر كعامة الظروف المنصوبة باضمار اذكر واما ههنا فلا حاجة اليها اصلا كما تحققته
ان مناط التقديم توجه التخصيص اليه وذلك يتحقق في جميع متعلقات الفعل كما في قوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها سبحانك تعجب
ممن تفوه به واصله ان يذكر عند معاينة العجيب من صنائعه تعالى تنزيها له سبحانه من ان يصعب عليه امثاله ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه او تنزيه
له تعالى من ان يكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها تنفير عنه ومخل بمقصود الزواج فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله تعالى هذا بهتان عظيم
لعظمة المبهوت عليه واستحالة صدقه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها يعظكم الله اي ينصحكم ان تعودوا لمثله اي كراهة
ان تعودوا او يزجركم من ان تعودوا من قولك وعظته بكذا فتركه ابدا اي مدة حياتكم ان كنتم مؤمنين فان الايمان وازع عنه لا محالة وفيه تهييج
وتقريع ويبين الله لكم الآيات الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب دلالة واضحة لتتعظوا وتتأدبوا بها اي ينزلها كذلك مبينة
ظاهرة الدلالة على معانيها لا انه يبينها بعد ان لم تكن كذلك وهذا كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل اي خلقهما صغيرا وكبيرا
ومنه قولك ضيق فم الركية ووسع اسفلها واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتفخيم شأن البيان والله عليم باحوال جميع مخلوقاته جلائلها
ودقائقها حكيم في جميع تدابيره وافعاله فأنى يمكن صدق ما قيل في حق حرمة من اصطفاه لرسالته وبعثه الى كافة الخلق ليرشدهم الى
الحق ويزكيهم ويطهرهم تطهيرا واظهار الاسم الجليل ههنا لتأكيد استقلال الاعتراض التذييلي والاشعار بعلة الالوهية للعلم والحكمة
ان الذين يحبون اي يريدون ويقصدون ان تشيع الفاحشة اي تنتشر الخصلة المفرطة في القبح وهي الفرية والرمي بالزنا او نفس الزنا
فالمراد بشيوعها شيوع خبرها اي يحبون شيوعها ويتصدون مع ذلك لاشاعتها وانما لم يصرح به اكتفاء بذكر المحبة فانها مستتبعة له لا محالة
في الذين آمنوا متعلق بتشيع اي تشيع فيما بين الناس وذكر المؤمنين لانهم العمدة فيهم او بمضمر هو حال من الفاحشة فالموصول عبارة عن
المؤمنين اي يحبون ان تشيع الفاحشة كائنة في حق المؤمنين وفي شأنهم لهم بسبب ما ذكر عذاب اليم في الدنيا من الحد وغيره مما يتفق
من البلايا الدنيوية ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي وحسانا ومسطحا حد القذف وضرب صفوان حسانا ضربة
بالسيف وكف بصره والآخرة من عذاب النار وغير ذلك مما يعلمه الله عز وجل والله يعلم جميع الامور التي من جملتها ما في الضمائر من المحبة
المذكورة وانتم لا تعلمون ما يعلمه تعالى انما تعلمون ما ظهر لكم من الاقوال والافعال المحسوسة فابنوا امركم على ما تعلمونه وعاقبوا في الدنيا
على ما تشاهدونه من الاحوال الظاهرة والله سبحانه هو المتولي للسرائر فيعاقب في الآخرة على ما تكنه الصدور هذا اذا جعل العذاب
في الدنيا عبارة عن حد القذف ومنتظما له كما اطبق عليه الجمهور اما اذا ابقي على اطلاقه يراد بالمحبة نفسها من غير ان يقارنها التصدي
للاشاعة وهو الانسب لسياق النظم الكريم فيكون ترتيب العذاب عليها تنبيها على ان عذاب من يباشر الاشاعة ويتولاها اشد واعظم ويكون
الاعتراض التذييلي اعني قوله تعالى والله يعلم وانتم لا تعلمون تقريرا لثبوت العذاب العظيم لهم وتعليلا له ولولا فضل الله عليكم ورحمته تكرير للمنة
بترك المعاجلة بالعقاب للتنبيه على كمال عظم الجريرة وان الله رؤوف رحيم عطف على فضل الله واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والاشعار
باستتباع صفة الالوهية للرأفة والرحمة وتغيير سبكه وتصديره بحرف التحقيق لما ان المراد بيان اتصافه تعالى في ذاته بالرأفة التي هي كمال
الرحمة وبالرحيمية التي هي المبالغة فيها على الدوام والاستمرار لا بيان حدوث تعلق رأفته ورحمته بهم كما انه المراد بالمعطوف عليه
وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تسلكوا مسالكه في كل ما تأتون وما تذرون من الافاعيل
التي من جملتها اشاعة الفاحشة وحبها وقرئ خطوات بسكون الطاء وبفتحها ايضا ومن يتبع خطوات الشيطان وضع الظاهران
موضع ضميرهما حيث لم يقل ومن يتبعها او ومن يتبع خطواته لزيادة التقرير والمبالغة في التنفير والتحذير فانه يأمر بالفحشاء والمنكر علة
للجزاء وضعت موضعه كأنه قيل فقد ارتكب الفحشاء والمنكر لان دأبه المستمر ان يأمر بهما فمن اتبع خطواته فقد امتثل بأمره قطعا والفحشاء

ما افرط قبحه كالفاحشة والمنكر ما ينكره الشرع وضمير انه للشيطان وقيل للشأن على رأي من لا يوجب عود الضمير من الجملة الجزائية الى اسم
الشرط او على ان الاصل يأمره وقيل هو عائد الى من اي فان ذلك المتبع يأمر الناس بهما لان شأن الشيطان هو الاضلال فمن اتبعه يترقى من
رتبة الضلال والفساد الى رتبة الاضلال والافساد ولولا فضل الله عليكم ورحمته بما من جملته هاتيك البيانات والتوفيق للتوبة الماحية للذنوب
وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى اي ما طهر من دنسها وقرئ ما زكى بالتشديد اي ما طهر الله تعالى ومن في قوله تعالى منكم بيانية وفي قوله تعالى
من احد زائدة واحد في حيز الرفع على الفاعلية على القراءة الاولى وفي محل النصب على المفعولية على القراءة الثانية ابدا الى ما لا نهاية له ولكن
الله يزكي يطهر من يشاء من عباده بافاضة آثار فضله ورحمته عليه وحمله على التوبة ثم قبولها منه كما فعل بكم والله سميع مبالغ
في سمع الاقوال التي من جملتها ما اظهروه من التوبة عليم بجميع المعلومات التي من جملتها نياتهم وفيه حث لهم على الاخلاص في التوبة واظهار
الاسم الجليل للايذان باستدعاء الالوهية للسمع والعلم مع ما فيه من تأكيد استقلال الاعتراض التذييلي ولا يأتل اي لا يحلف افتعال
من الألية وقيل لا يقصر من الألو والاول هو الاظهر لنزوله في شأن الصديق رضي الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان ينفق عليه لكونه
ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين ويعضده قراءة من قرأ ولا يتأل اولو الفضل منكم في الدين وكفى به دليلا على فضل الصديق رضي الله تعالى
عنه والسعة في المال ان يؤتوا على ان لا يؤتوا وقرئ بتاء الخطاب على الالتفات اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله صفات لموصوف
واحد جيء بها بطريق العطف تنبيها على ان كلا منها علة مستقلة لاستحقاقه الايتاء وقيل لموصوفات اقيمت هي مقامها وحذف المفعول الثاني
لغاية ظهوره اي على ان لا يؤتوهم شيئا وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا بالاغضاء عنه وقرئ الامران بتاء الخطاب على وفق قوله تعالى
الا تحبون ان يغفر الله لكم اي بمقابلة عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم والله غفور رحيم مبالغ في المغفرة والرحمة مع كمال
قدرته على المؤاخذة وكثرة ذنوب العباد الداعية اليها وفيه ترغيب عظيم في العفو ووعد كريم بمقابلته كأنه قيل الا تحبون ان يغفر الله لكم
فهذا من موجباته روي انه صلى الله عليه وسلم قرأها على ابي بكر رضي الله عنه فقال بلى احب ان يغفر الله لي فرجع الى مسطح نفقته وقال والله لا
انزعها ابدا ان الذين يرمون المحصنات العفائف مما رمين به من الفاحشة الغافلات عنها على الاطلاق بحيث لم يخطر ببالهن شيء منها
ولا من مقدماتها اصلا وفيها من الدلالة على كمال النزاهة ما ليس في المحصنات اي السليمات الصدور النقيات القلوب عن كل سوء المؤمنات اي المتصفات
بالايمان بكل ما يجب ان يؤمن به من الواجبات والمحظورات وغيرها ايمانا حقيقيا تفصيليا كما ينبئ عنه تأخير المؤمنات عما قبلها مع اصالة وصف الايمان
فانه للايذان بان المراد بها المعنى الوصفي المعرب عما ذكر لا المعنى الاسمي المصحح لاطلاق الاسم في الجملة كما هو المتبادر على تقدير التقديم والمراد بها
الصديقة رضي الله تعالى عنها والجمع باعتبار ان رميها رمي لسائر امهات المؤمنين لاشتراك الكل في العصمة والنزاهة والانتساب الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين ونظائره وقيل امهات المؤمنين فيدخل فيهن الصديقة دخولا اوليا واما ما قيل من
ان المراد هي الصديقة والجمع باعتبار استتباعها للمتصفات بالصفات المذكورة من نساء الامة فيأباه ان العقوبات المرتبة على رمي هؤلاء
عقوبات مختصة بالكفار والمنافقين ولا ريب في ان رمي غير امهات المؤمنين ليس بكفر فيجب ان يكون المراد اياهن على احد الوجهين فانهن قد
خصصن من بين سائر المؤمنات فجعل رميهن كفرا ابرازا لكرامتهن على الله عز وجل وحماية لحمى الرسالة عن ان يحوم حوله احد بسوء حتى ان
ابن عباس رضي الله عنهما جعل رميهن اغلظ من سائر افراد الكفر حين سئل عن هذه الآيات فقال من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته
الا من خاض في امر عائشة رضي الله تعالى عنها وهل هو منه رضي الله عنه الا لتهويل امر الافك والتنبيه على انه كفر غليظ لعنوا بما قالوا في حقهن في
الدنيا والآخرة حيث يلعنهم اللاعنون من المؤمنين والملائكة ابدا ولهم مع ما ذكر من اللعن الابدي عذاب عظيم هائل لا يقادر قدره لغاية
عظم ما اقترفوه من الجناية وقوله تعالى يوم تشهد عليهم الى آخره اما متصل بما قبله مسوق لتقرير العذاب المذكور بتعيين وقت حلوله وتهويله ببيان
ظهور جناياتهم الموجبة له مع سائر جناياتهم المستتبعة لعقوباتها على كيفية هائلة وهيئة خارقة للعادات فيوم ظرف لما في الجار والمجرور
المتقدم من معنى الاستقرار لا للعذاب وان اعتبرنا عن وصفه لاخلاله بجزالة المعنى واما منقطع عنه مسوق لتهويل اليوم بتهويل ما يحويه على انه
ظرف لفعل مؤخر قد ضرب عنه الذكر صفحا للايذان بقصور العبارة عن تفصيل ما يقع فيه من الطامة التامة والداهية العامة كأنه قيل يوم تشهد عليهم السنتهم
وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به حيطة المقال على ان الموصول المذكور عبارة عن جميع اعمالهم السيئة

وجناياتهم القبيحة لا عن جناياتهم المعهودة فقط ومعنى شهادة الجوارح المذكورة بها انه تعالى ينطقها بقدرته فتخبر كل جارحة منها بما صدر عنها من الافاعيل
من صاحبها لا ان كلا منها تخبر بجناياتهم المعهودة فحسب والموصول المحذوف عبارة عنها وعن فنون العقوبات المترتبة عليها كافة لا عن
احداهما خاصة ففيه من ضروب التهويل بالاجمال والتفصيل ما لا مزيد عليه وجعل الموصول المذكورة عبارة عن خصوص جناياتهم المعهودة وحمل
شهادة الجوارح على اخبار الكل بها فقط تحجير للواسع وتهوين لامر الوازع والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم عليها في
الدنيا وتقديم عليهم على الفاعل للمسارعة الى بيان كون الشهادة ضارة لهم مع ما فيه من التشويق الى المؤخر كما مر مرارا وقوله تع
يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق اي يوم اذ تشهد جوارحهم باعمالهم القبيحة يعطيهم الله تعالى جزاءهم الثابت الذي يحق ان يثبت لهم لا محالة
وافيا كاملا كلام مبتدأ مسوق لبيان ترتيب حكم الشهادة عليها متضمن لبيان ذلك المبهم المحذوف على وجه الاجمال ويجوز ان يكون يوم تشهد
ظرفا ليوفيهم ويومئذ بدلا منه وقيل هو منصوب على انه مفعول لفعل مضمر اي اذكر يوم تشهد وقرئ يوم يشهد بالتذكير للفصل **ويعلمون**
عند معاينتهم الاهوال والخطوب حسبما نطق به القرآن الكريم **ان الله هو الحق** الذي يحق ان يثبت لا محالة في ذاته وصفاته وافعاله التي
من جملتها كلماته التامات المنبئة عن الشؤون التي يشاهدونها منطبقة عليها **المبين** المظهر للاشياء كما هي في انفسها او الظاهر انه
هو الحق وتفسيره بظهور الوهيته تعالى وعدم مشاركة الغير له فيها وعدم قدرة ما سواه على الثواب والعقاب ليس له كثير مناسبة للمقام كما
ان تفسير الحق بذي الحق المبين اي العادل الظاهر عدله كذلك ولو تتبعت ما في الفرقان المجيد من آيات الوعيد الواردة في حق كل كفار عنيد
وجبار مريد لتجد شيئا منها فوق هاتيك القوارع المشحونة بفنون التهديد والتشديد وما ذاك الا لاظهار منزلة النبي صلى الله عليه وسلم في علو الشان
والنباهة وابراز رتبة الصديقة رضي الله تعالى عنها في العفة والنزاهة وقوله تع **الخبيثات** الى آخره كلام مستأنف مؤسس على قاعدة السنة
الالهية الجارية بين الخلق على موجب ان لله ملكا يسوق الاهل الى الاهل اي الخبيثات من النساء **للخبيثين** من الرجال اي مختصات بهم لا يكدن
يتجاوزنهم الى غيرهم على ان اللام للاختصاص **والخبيثون** ايضا **للخبيثات** لان المجانسة من دواعي الانضمام **والطيبات** منهن **للطيبين** منهم
والطيبون ايضا **للطيبات** منهن بحيث لا يكادون يجاوزونهن الى من عداهن وحيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب الاطيبين
وخيرة الاولين والآخرين تبين كون الصديقة رضي الله تعالى عنها من اطيب الطيبات بالضرورة واتضح بطلان ما قيل في حقها من الخرافات حسبما نطق
قوله تع **اولئك مبرؤن مما يقولون** على ان الاشارة الى اهل البيت المنتظمين للصديقة انتظاما اوليا وقيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والصديقة
وصفوان وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليهم وبعد منزلتهم في الفضل اي اولئك الموصوفون بعلو الشان مبرؤن
مما يقوله اهل الافك في حقهم من الاكاذيب الباطلة وقيل الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والنساء اي مختصة ولائقة بهم لا ينبغي ان تقال
في حق غيرهم وكذا الخبيثون من الفريقين احقاء بان يقال في حقهم خبائث القول والطيبات من الكلم للطيبين من الفريقين مختصة
وحقيقة بهم وهم احقاء بان يقال في شانهم طيبات الكلم اولئك الطيبون مبرؤن مما يقول الخبيثون في حقهم فماله تنزيه الصديقة ايضا
وقيل خبيثات القول مختصة بالخبيثين من فريقي الرجال والنساء لا تصدر عن غيرهم والخبيثون من الفريقين مختصون بخبائث القول متعرضون
لها والطيبات من الكلام للطيبين من الفريقين اي مختصة بهم لا تصدر عن غيرهم والطيبون من الفريقين مختصون بطيبات الكلام لا يصدر عنهم
غيرها اولئك الطيبون مبرؤن مما يقوله الخبيثون من الخبائث اي لا يصدر عنهم مثل ذلك فماله تنزيه القائلين سبحانك هذا بهتان عظيم **لهم**
مغفرة عظيمة لما لا يخلو عنه البشر من الذنب **ورزق كريم** هو الجنة **يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم** اثر ما فصل من الزواجر عن
الزنا وعن رمي العفائف عنه شرع في تفصيل الزواجر عما عسى يؤدي الى احدهما من مخالطة الرجال بالنساء ودخولهم عليهن في اوقات
الخلوات وتعليم الآداب الجميلة والافاعيل المرضية المستتبعة لسعادة الدارين ووصف البيوت بمغايرة بيوتهم خارج مخرج العادة التي
هي سكنى كل احد في ملكه والا فالآجر والمعير ايضا منهيان عن الدخول بغير اذن وقرئ بيوتا غير بيوتكم بكسر الباء لاجل الياء **حتى تستأنسوا**
اي تستأذنوا من يملك الاذن من اصحابها من الاستيناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء اذا ابصره فان المستأذن مستعلم للحال مستكشف
انه هل يؤذن له او من الاستيناس الذي هو خلاف الاستيحاش لما ان المستأذن مستوحش خائف ان لا يؤذن له فاذا اذن له استأنس **وتسلموا**
على اهلها عند الاستيذان روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان التسليم ان يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فان اذن له دخل والا رجع

اي الاستيذان مع التسليم **خير لكم** من ان تدخلوا بغتة او على تحية الجاهلية حيث كان الرجل منهم اذا اراد ان يدخل بيتا غير بيته يقول حييتم صباحا
حييتم مساء فيدخل فربما اصاب الرجل مع امرأته في لحاف وروي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أأستأذن على امي قال نعم قال ليس
لها خادم غيري أأستأذن عليها كلما دخلت قال عليه السلام أتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستأذن **لعلكم تذكرون** متعلق بمضمر اي
امرتم به او قيل لكم هذا كي تتذكروا وتتعظوا وتعملوا بموجبه **فان لم تجدوا فيها احدا** اي ممن يملك الاذن على ان من لا يملكه من النساء والولدان
وجدانه كفقدانه او احدا اصلا على ان مدلول النص الكريم عبارة هو النهي عن دخول البيوت الخالية لما فيه من الاطلاع على ما يعتاد الناس
اخفاءه مع ان التصرف في ملك الغير محظور مطلقا واما حرمة دخول ما فيه النساء والولدان فثابتة بدلالة النص لان الدخول حيث حرم مع ما ذكر
من العلة فلان يحرم عند انضمام ما هو اقوى منه اليه اعني الاطلاع على العورات اولى **فلا تدخلوها** واصبروا **حتى يؤذن لكم** اي من جهة من يملك
الاذن عند اتيانه ومن فسره بقوله حتى يأتي من يأذن لكم او حتى تجدوا من يأذن لكم فقد ابرز القطعي في معرض الاحتمال ولما كان جعل النهي
منتهيا بالاذن مما يوهم الرخصة في الانتظار على الابواب مطلقا بل في تكرير الاستيذان ولو بعد الرد دفع ذلك بقوله تع **وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا** اي
ان امرتم من جهة اهل البيت بالرجوع سواء كان الامر ممن يملك الاذن اولا فارجعوا ولا تلحوا بتكرير الاستيذان كما في الوجه الاول ولا تلحوا
بالاصرار على الانتظار الى ان يأتي الاذن كما في الثاني فان ذلك مما يجلب الكراهة في قلوب الناس ويقدح في المروءة اي قدح **هو** اي الرجوع
ازكى لكم اي اطهر مما لا يخلو عنه اللج والعناد والوقوف على الابواب من دنس الدناءة والرذالة **والله بما تعملون عليم** فيعلم ما تأتون
وما تذرون مما كلفتموه فيجازيكم عليه **ليس عليكم جناح ان تدخلوا** اي بغير استيذان **بيوتا غير مسكونة** اي غير موضوعة لسكنى طائفة مخصوصة
فقط بل ليتمتع بها من يضطر اليها كائنا من كان من غير ان يتخذها سكنا كالربط والخانات والحوانيت والحمامات ونحوها فانها معدة
لمصالح الناس كافة كما ينبئ عنه قوله تع **فيها متاع لكم** فانه صفة للبيوت او استيناف جار مجرى التعليل لعدم الجناح اي فيها حق تمتع
لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والرحال والشرى والبيع والاغتسال وغير ذلك مما يليق بحال البيوت وداخليها فلا
بأس بدخولها بغير استيذان من داخليها من قبل ولا ممن يتولى امرها ويقوم بتدبيرها من قوام الرباطات والخانات واصحاب الحوانيت
ومتصرفي الحمامات ونحوهم وروي ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه قال يا رسول الله ان الله تعالى قد انزل عليك آية في الاستيذان وانا نختلف في
تجاراتنا فننزل هذه الخانات افلا ندخلها الا باذن فنزلت وقيل هي الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز والظاهر انها من جملة ما ينتظمه
البيوت لا انها المرادة فقط وقوله تع **والله يعلم ما تبدون وما تكتمون** وعيد لمن يدخل مدخلا من هذه المداخل لفساد او اطلاع على عورات **قل**
للمؤمنين شروع في بيان احكام كلية شاملة للمؤمنين كافة يندرج فيها حكم المستأذنين عند دخولهم البيوت اندراجا اوليا
وتلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفويض ما في حيزه من الاوامر والنواهي الى رأيه عليه السلام لانها تكاليف
متعلقة بامور جزئية كثيرة الوقوع حقيقة بان يكون الآمر بها والمتصدي لتدبيرها حافظا ومهيمنا عليهم ومفعول الامر امر آخر
قد حذف تعويلا على دلالة جوابه عليه اي قل لهم غضوا **يغضوا من ابصارهم** عما يحرم ويقصروها على ما يحل **ويحفظوا فروجهم** الا على ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم وتقييد الغض بمن التبعيضية دون الحفظ لما في امر النظر من السعة وقيل المراد بالحفظ ههنا خاصة هو الستر **ذلك**
اي ما ذكر من الغض والحفظ **ازكى لهم** اي اطهر لهم من دنس الريبة **ان الله خبير بما يصنعون** لا يخفى عليه شيء مما يصدر عنهم من الافاعيل
التي من جملتها اجالة النظر واستعمال سائر الحواس وتحريك الجوارح وما يقصدون بذلك فليكونوا على حذر منه في كل ما يأتون وما يذرون **وقل للمؤمنات**
يغضضن من ابصارهن فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه **ويحفظن فروجهن** بالتستر او التصون عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد
الزنا ورائد الفساد **ولا يبدين زينتهن** كالحلي وغيرها مما يتزين به وفيه من المبالغة في النهي عن ابداء مواقعها ما لا يخفى **الا ما ظهر منها** عند
مزاولة الامور التي لا بد منها عادة كالخاتم والكحل والخضاب ونحوها فان في سترها حرجا بينا وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف
او ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة **وليضربن بخمرهن على جيوبهن** ارشاد الى كيفية اخفاء
بعض مواضع الزينة بعد النهي عن ابدائها وقد كانت النساء على عادة الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن
لوسعتها فامرن بارسال خمرهن الى جيوبهن سترا لما يبدو منها وقد ضمن الضرب معنى الالقاء فعدي بعلى وقرئ بكسر الجيم كما تقدم **ولا يبدين زينتهن**

كرر النهي لاستثناء بعض مواد الرخصة عنه باعتبار الناظر بعد ما استثني عنه بعض مواد الضرورة باعتبار المنظور **إلا لبعولتهن** فإنهم المقصودون بالزينة ولهم أن ينظروا إلى جميع بدنهن حتى الموضع المعهود **أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن** لكثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في طباع الفريقين من النفرة عن مماسة القرائب ولهم أن ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وعدم ذكر الأعمام والأخوال لما أن الأحوط أن يتسترن عنهم حذرا من أن يصفوهن لأبنائهم **أو نسائهن** المختصات بهن بالصحبة والخدمة من حرائر المؤمنات فإن الكوافر لا يتحرجن عن وصفهن للرجال **أو ما ملكت أيمانهن** أي من الإماء فإن عبد المرأة بمنزلة الأجنبي منها وقيل من الإماء والعبيد لما روي أنه عليه السلام أتى فاطمة رضي الله تعالى عنها بعبد وهبه لها وعليها أثواب إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها وإذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فقال عليه السلام إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلامك **أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال** أي أولي الحاجة إلى النساء وهم الشيوخ الهم والممسوحون وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل هم البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من أمور النساء وقرئ غير بالنصب على الحالية **أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء** لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع أو لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف **ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن** أي لا يضربن بأرجلهن الأرض لتتقعقع خلاخلهن فيعلم أنهن ذوات خلخال فإن ذلك مما يورث الرجال ميلا إليهن وفي النهي عن إبداء صوت الحلي بعد النهي عن إبداء عينها من المبالغة في الزجر عن إبداء مواضعها ما لا يخفى **وتوبوا إلى الله جميعا** تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى الكل بطريق التغليب لإبراز كمال العناية بما في حيزه من أمر التوبة وأنها من معظمات المهمات الحقيقة بأن يكون سبحانه وتعالى هو الآمر بها لما أنه لا يكاد يخلو أحد من المكلفين عن نوع تفريط في إقامة موجب التكاليف كما ينبغي وناهيك بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم شيبتني سورة هود لما فيها من قوله تعالى فاستقم كما أمرت لا سيما إذ لو كان المأمور به الكف عن الشهوات وقيل توبوا عما كنتم تفعلونه في الجاهلية فإنه وإن جب بالإسلام لكن يجب الندم عليه والعزم على تركه كلما خطر بباله وفي تكرير الخطاب بقوله تعالى **أيه المؤمنون** تأكيد للإيجاب وإيذان بأن وصف الإيمان موجب للامتثال حتما وقرئ أيه المؤمنون **لعلكم تفلحون** تفوزون بذلك بسعادة الدارين **وأنكحوا الأيامى منكم** بعد ما زجر تعالى عن السفاح ومباديه القريبة والبعيدة أمر بالنكاح فإنه مع كونه مقصودا بالذات من حيث كونه مناطا لبقاء النوع خير مزجرة عن ذلك وأيامى مقلوب أيايم جمع أيم وهو من لا زوج له من الرجال والنساء بكرا كان أو ثيبا كما يفصح عنه قول من قال

فإن تنكحي أنكح وإن تتأيمي وإن كنت أفتى منكم أتأيم

أي زوجوا من لا زوج له من الأحرار والحرائر **والصالحين من عبادكم وإمائكم** على أن الخطاب للأولياء والسادات واعتبار الصلاح في الأرقاء لأن من لا صلاح له منهم بمعزل من أن يكون خليقا بأن يعتني مولاه بشأنه ويشفق عليه ويتكلف في نظم مصالحه بما لا بد منه شرعا وعادة من بذل المال والمنافع بل حقه أن لا يستبقيه عنده وأما عدم اعتبار الصلاح في الأحرار والحرائر فلأن الغالب فيهم الصلاح على أنهم مستبدون في التصرفات المتعلقة بأنفسهم وأموالهم فإذا عزموا النكاح فلا بد من مساعدة الأولياء لهم إذ ليس عليهم في ذلك غرامة حتى يعتبر في مقابلتها غنيمة عائدة إليهم عاجلة أو آجلة وقيل المراد بالصلاح للنكاح والقيام بحقوقه **إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله** إزاحة لما عسى يكون وازعا من النكاح من فقر أحد الجانبين أي لا يمنعن فقر الخاطب أو المخطوبة من المناكحة فإن في فضل الله عز وجل غنية عن المال فإنه غاد ورائح يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب أو وعد منه سبحانه بالإغناء لقوله صلى الله عليه وسلم اطلبوا الغنى في هذه الآية لكنه مشروط بالمشيئة كما في قوله تعالى وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء **والله واسع** غني ذو سعة لا يرزؤه إغناء الخلائق إذ لا نفاد لنعمته ولا غاية لقدرته ومع ذلك **عليم** يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة **وليستعفف** إرشاد للعاجزين عن مبادي النكاح وأسبابها إلى ما هو الأولى لهم والأحرى بهم بعد بيان جواز مناكحة الفقراء أي ليجتهد في العفة وقمع الشهوة **الذين لا يجدون نكاحا** أي أسباب نكاح ولا يتمكنون من ما ينكح به من المال **حتى يغنيهم الله من فضله** عدة كريمة بالتفضل عليهم بالغنى ولطف لهم في استعفافهم وتقوية لقلوبهم وإيذان بأن فضله تعالى أولى بالإعفاء وأدنى من الصلحاء **والذين يبتغون الكتاب** بعد ما أمر بإنكاح صالحي المماليك الأحقاء بالإنكاح أمر بكتابة من يستحقها منهم والكتاب مصدر كاتب كالمكاتبة أي الذين يطلبون المكاتبة **مما ملكت أيمانكم** عبدا كان أو أمة وهي أن يقول المولى لمملوكه كاتبتك على كذا درهما تؤديه إلي وتعتق ويقول المملوك قبلته أو نحو ذلك فإن أداه إليه عتق قالوا معناه كتبت لك على نفسي أن تعتق مني إذا وفيت بالمال وكتبت على العتق عنده والتحقيق أن الكتابة اسم للعقد الحاصل من مجموع كلاميهما كسائر العقود الشرعية المنعقدة بالإيجاب والقبول ولا ريب في أن ذلك لا يصدر

حقيقة إلا من المتعاقدين وليس وظيفة كل منهما في الحقيقة إلا الإتيان بأحد شطريه معربا عما يتم من قبله ويصدر عنه من الفعل الخاص به من غير تعرض لما يتم من قبل صاحبه ويصدر عنه من فعله الخاص به إلا أن كلا من ذينك الفعلين لما كان بحيث لا يمكن تحققه في نفسه إلا منوطا بتحقق الآخر ضرورة أن التزام العتق بمقابلة البدل من جهة المولى لا يتصور تحققه وتحصله إلا بالتزام البدل من طرف العبد كما أن عقد البيع الذي هو تمليك المبيع بالثمن من جهة البائع لا يمكن تحققه إلا بتملكه به من جانب المشتري لم يكن بد من تضمين أحدهما الآخر وقت الإنشاء فكما أن قول البائع بعت إنشاء لعقد البيع على معنى إيقاع لما يتم من قبله أصالة ولما يتم من قبل المشتري ضمنا إيقاعا متوقفا على رأيه توقفا شبيها بتوقف عقد الفضولي كذلك قول المولى كاتبتك على كذا إنشاء لعقد الكتابة أي إيقاع لما يتم من قبله من التزام العتق بمقابلة البدل أصالة ولما يتم من قبل العبد من التزام البدل ضمنا إيقاعا متوقفا على قبوله فإذا قبل تم العقد ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره **فكاتبوهم** والفاء لتضمنه معنى الشرط أو النصب على أنه مفعول لمضمر يفسره هذا والأمر فيه للندب لأن الكتابة عقد يتضمن الإرفاق فلا يجب كغيرها ويجوز حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم وعند الشافعي لا يجوز إلا مؤجلا منجما وقد فصل في موضعه **إن علمتم فيهم خيرا** أي أمانة ورشدا وقدرة على أداء البدل بتحصيله من وجه حلال وصلاحا لا يؤذي الناس بعد العتق وإطلاق العنان **وآتوهم من مال الله الذي آتاكم** أمر للموالي ببذل شيء من أموالهم وفي حكمه حط شيء من مال الكتابة ويكفي في ذلك أقل ما يتمول وعن علي رضي الله تعالى عنه حط الربع وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الثلث وهو للندب عندنا وعند الشافعي رضي الله عنه للوجوب ويرده قوله عليه السلام المكاتب عبد ما بقي عليه درهم إذ لو وجب الحط لسقط عنه الباقي حتما وأيضا لو وجب الحط لكان وجوبه معلقا بالعقد فيكون العقد موجبا ومسقطا معا وأيضا هو عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى آتوهم أقرضوهم وقيل هو أمر لهم بأن ينفقوا عليهم بعد أن يؤدوا ويعتقوا وإضافة المال إليه تعالى ووصفه بإيتائه إياهم للحث على الامتثال بالأمر بتحقيق المأمور به كما في قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فإن ملاحظة وصول المال إليهم من جهته تعالى مع كونه هو المالك الحقيقي له من أقوى الدواعي إلى صرفه إلى الجهة المأمور بها وقيل هو أمر بإعطاء سهمهم من الصدقات فالأمر للوجوب حتما والإضافة والوصف لتعيين المأخذ وقيل هو أمر ندب لعامة المسلمين بإعانة المكاتبين بالتصدق عليهم ويحل ذلك للمولى وإن كان غنيا لتبدل العنوان حسبما ينطق به قوله عليه السلام في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية **ولا تكرهوا فتياتكم** أي إماءكم فإن كلا من الفتى والفتاة كناية مشهورة عن العبد والأمة وعلى ذلك يبتنى قوله عليه الصلوة والسلام ليقل أحدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وأمتي ولهذه العبارة في هذا المقام باعتبار مفهومها الأصلي حسن موقع ومزيد مناسبة لقوله تعالى **على البغاء** وهو الزنا من حيث صدوره عن النساء لأنهن اللاتي يتوقع منهن ذلك غالبا دون من عداهن من العجائز والصغائر وقوله تعالى **إن أردن تحصنا** ليس لتخصيص النهي بصورة إرادتهن التعفف عن الزنا وإخراج ما عداها من حكمه كما إذا كان الإكراه بسبب كراهتهن الزنا لخصوص الزاني أو لخصوص الزمان أو لخصوص المكان أو لغير ذلك من الأمور المصححة للإكراه في الجملة بل للمحافظة على عادتهم المستمرة حيث كانوا يكرهونهن على البغاء وهن يردن التعفف عنه مع وفور شهوتهن الآمرة بالفجور وقصورهن في معرفة الأمور الداعية إلى المحاسن الزاجرة عن تعاطي القبائح فإن عبد الله بن أبي كان له ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن ضرائب فشكت اثنتان منهن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفيه من زيادة تقبيح حالهم وتشنيعهم على ما كانوا يفعلونه من القبائح ما لا يخفى فإن من له أدنى مروءة لا يرضى بفجور من يحويه حرمه من إمائه فضلا عن أمرهن به أو إكراههن عليه لا سيما عند إرادتهن التعفف فتأمل ودع عنك ما قيل من أن ذلك لأن الإكراه لا يتأتى إلا مع إرادة التحصن وما قيل من أنه إن جعل شرطا للنهي لا يلزم من عدمه جواز الإكراه لجواز أن يكون ارتفاع النهي لامتناع المنهي عنه فإنهما بمعزل من التحقيق وإيثار كلمة إن على إذا مع تحقق الإرادة في مورد النص حتما للإيذان بوجوب الانتهاء عن الإكراه عند كون إرادة التحصن في حيز التردد والشك فكيف إذا كانت محققة الوقوع كما هو الواقع وتعليله بأن الإرادة المذكورة منهن في حيز الشاذ النادر مع خلوه عن الجدوى بالكلية يأباه اعتبار تحققها إباء ظاهرا وقوله تعالى **لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا** قيد للإكراه لكن لا باعتبار أنه مدار للنهي عنه بل باعتبار أنه المعتاد فيما بينهم كما قبله جيء به تشنيعا لهم فيما هم عليه من احتمال الوزر الكبير لأجل النزر الحقير أي لا تفعلوا ما أنتم عليه من إكراههن على البغاء لتبتغوا المتاع السريع الزوال الوشيك الاضمحلال فالمراد بالابتغاء الطلب المقارن لنيل المطلوب واستيفائه بالفعل إذ هو الصالح لكونه غاية للإكراه مترتبا عليه لا المطلق

المنال للطلب اتبق الباعث عليه **ومن يكرههن** الى آخره جملة مستأنفة سيقت لتقرير النهي وتأكيد وجوب العمل به ببيان خلاص المكرهات عن عقوبة
المكره عليه ورجوع غائلة الاكراه الى المكرهين اشارة اي ومن يكرههن على ما ذكر من البغاء **فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم** اي لهن كما وقع
في مصحف ابن مسعود وعليه قرأة ابن عباس رضي الله تعالى عنهم وكما ينبئ عنه قوله تع من بعد اكراههن اي كونهن مكرهات على ان الاكراه مصدر من
المبني للمفعول فان توسيطه بين اسم ان وخبرها للايذان بان ذلك هو السبب للمغفرة والرحمة وكان الحسن البصري اذا قرأ هذه الآية يقول لهن والله
والله وفي تخصيصهما بهن وتعيين مدارهما مع سبق ذكر المكرهين ايضا في الشرطية دلالة بينة على كونهم محرومين منهما بالكلية كانه قيل
لا للمكره ولظهور هذا التقدير اكتفي به عن العائد الى اسم الشرط فتجويز تعليقهما بهم بشرط التوبة استقلالا او معهن اخلال بجزالة
النظم الجليل وتهوين لامر النهي في مقام التهويل وحاجتهن الى المغفرة المنبئة عن سابقة الاثم اما باعتبار انهن وان كن مكرهات لا يخلون
في تضاعيف الزنا عن شائبة مطاوعة ما بحكم الجبلة البشرية واما باعتبار ان الاكراه قد يكون قاصرا عن حد الالجاء المزيل للاختيار
بالمرة واما الغاية تهويل امر الزنا وحث المكرهات على التثبت في التجافي عنه والتشديد في تحذير المكرهين ببيان انهن حيث كن عرضة
للعقوبة لولا ان تداركهن المغفرة والرحمة مع قيام العذر في حقهن فما حال من يكرههن في استحقاق العذاب **ولقد انزلنا اليكم آيات**
مبينات كلام مستأنف جيء به في تضاعيف ما ورد من الآيات السابقة واللاحقة لبيان جلالة شؤنها المستوجبة للاقبال الكلي على العمل بمضمونها
وصدر بالقسم الذي يعرب عنه اللام لابراز كمال العناية بشأنه اي وبالله لقد انزلنا اليكم في هذه السورة الكريمة آيات مبينات لكل ما بكم حاجة
الى بيانه من الحدود وسائر الاحكام والآداب وغير ذلك مما هو من مبادي بيانها على ان اسناد التبيين اليها مجازي او آيات واضحات
تصدقها الكتب القديمة والعقول السليمة على ان مبينات من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين وقرئ على صيغة المفعول
اي التي بينت واوضحت في هذه السورة في معاني الاحكام والحدود وقد جوز ان يكون الاصل مبينا فيها الاحكام فاتسع في الظرف باجرائه
مجرى المفعول **ومثلا من الذين خلوا من قبلكم** عطف على آيات اي وانزلنا مثلا كائنا من قبيل امثال الذين مضوا من قبلكم من القصص العجيبة والامثال
المضروبة لهم في الكتب السابقة والكلمات الجارية على السنة الانبياء عليهم السلام فينتظم قصة عائشة رضي المحاكية لقصة يوسف عليه السلام
وقصة مريم رضي وسائر الامثال الواردة في السورة الكريمة انتظاما واضحا وتخصيص الآيات المبينات بالسوابق وحمل المثل على القصة العجيبة
فقط يأباه تعقيب الكلام بما سيأتي من التمثيلات **وموعظة** تتعظون به وتنزجرون عما لا ينبغي من المحرمات والمكروهات وسائر ما يخل بمحاسن
الآداب فهي عبارة عما سبق من الآيات والمثل لظهور كونها من المواعظ بالمعنى المذكور ومدار العطف هو التغاير العنواني المنزل منزلة
التغاير الذاتي وقد خصت الآيات بما يبين الحدود والاحكام والموعظة بما وعظ به من قوله تع ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله
وقوله تع لولا اذ سمعتموه وغير ذلك من الآيات الواردة في شأن الآداب وانما قيل **للمتقين** مع شمول الموعظة للكل حسب شمول الانزال
لقوله تع انزلنا اليكم حثا للمخاطبين على الاعتناء بالانتظام في سلك المتقين ببيان انهم المغتنمون لآثارها المقتبسون من انوارها فحسب
وقد قيل المراد بالآيات المبينات والمثل والموعظة جميع ما في القرآن المجيد من الآيات والامثال والمواعظ فقوله تعالى **الله نور السموات والارض**
الى آخره حينئذ استئناف مسوق لتقرير ما فيها من البيان مع الاشعار بكونه في غاية الكمال على الوجه الذي ستعرفه واما على الاول فلتحقيق ان بيانه تعالى
ليس مقصورا على ما ورد في السورة الكريمة بل هو شامل لكل ما يحتاج بيانه من الاحكام والشرائع ومباديها وغاياتها المترتبة عليها في الدنيا والآخرة
وغير ذلك مما له مدخل في البيان وانه واقع منه تعالى على اتم الوجوه واكملها حيث عبر عنه بالتنوير الذي هو اقوى مراتب البيان واجلاها وعبر عن المنور
بنفس النور تنبيها على قوة التنوير وشدة التأثير وايذانا بانه تعالى ظاهر بذاته وكل ما سواه ظاهر باظهاره كما ان النور نير
بذاته وما عداه مستنير به واضيف النور الى السموات والارض للدلالة على كمال شيوع البيان المستعار له وغاية شموله لكل ما يليق به من الامور
التي لها مدخل في ارشاد الناس بواسطة بيان شمول المستنار منه لجميع ما يقبله ويستحقه من الاجرام العلوية والسفلية فانهما قطران للعالم
الجسماني الذي لا مظهر للنور الحسي سواه او على شمول البيان لاحوالهما واحوال ما فيهما من الموجودات اذ ما من موجود الا وقد بين
من احواله ما يستحق البيان اما تفصيلا او اجمالا كيف لا ولا ريب في بيان كونه دليلا على وجود الصانع وصفاته وشاهدا بصحة
البعث او على تعلق البيان باهلها كما قال ابن عباس رضي الله عنهما هادي اهل السموات والارض فهم بنوره يهتدون وبهداه

وبهداه من حيرة الضلالة ينجون هذا وانما حمل التنوير على اخراجه تعالى للماهيات من العدم الى الوجود اذ هو الاصل في الاظهار كما ان الاعدام هو الاصل
في الاخفاء او على تزيين السموات بالنيرين وسائر الكواكب وما يفيض عنها من الانوار او بالملائكة عليهم السلام وتزيين الارض بالانبياء
عليهم السلام والعلماء والمؤمنين او بالنبات والاشجار او على تدبيره تعالى لامورهما وامور ما فيهما فمما لا يلايم المقام ولا يساعده حسن
النظام **مثل نوره** اي نوره الفائض منه تعالى على الاشياء المستنيرة به وهو القرآن المبين كما يعرب عنه ما قبله من وصف آياته بالانزال
والتبيين وقد صرح بكونه نورا ايضا في قوله تعالى وانزلنا اليكم نورا مبينا وبه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والحسن وزيد
بن اسلم رح وجعله عبارة عن الحق وان شاع استعارته له كاستعارة الظلمة للباطل يأباه مقام بيان شأن الآيات ووصفها بما ذكر
من التبيين مع عدم سبق ذكر الحق ولان المعتبر في مفهوم النور هو الظهور لا الاظهار والمراد بالمثل الصفة العجيبة اي صفة نوره
العجيبة **كمشكاة** اي كصفة كوة غير نافذة في الجدار في الانارة والتنوير **فيها مصباح** سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الانبوبة في وسط
القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة **المصباح في زجاجة** اي قنديل من الزجاج الصافي الازهر وقرئ بفتح الزاء وكسرها في الموضعين
الزجاجة كانها كوكب دري متلألئ وقاد شبيه بالدر في صفائه وزهرته ودراري الكواكب عظامها المشهورة وقرئ دري
بدال مكسورة وراء مشددة وياء ممدودة بعدها همزة على انه فعيل من الدرء وهو الدفع اي مبالغ في دفع الظلام بضوئه او في
دفع بعض اجزاء ضيائه لبعض عند البريق واللمعان وقرئ بضم الدال والباقي على حاله وفي اعادة المصباح والزجاجة معرفين اثر سبقهما
منكرين والاخبار عنهما بما بعدهما مع انتظام الكلام بان يقال كمشكاة فيها مصباح في زجاجة كانها كوكب دري من تفخيم شأنهما
ورفع مكانهما بالتفسير اثر الابهام والتفصيل بعد الاجمال وباثبات ما بعدهما لهما بطريق الاخبار المنبئ عن القصد الاصلي دون الوصف
المبني على الاشارة الى الثبوت في الجملة ما لا يخفى ومحل الجملة الاولى الرفع على انها صفة لمصباح ومحل الثانية الجر على انها صفة لزجاجة
واللام مغنية عن الرابط كانه قيل فيها مصباح هو في زجاجة هي كانها كوكب دري **يوقد من شجرة** اي يبتدأ ايقاد المصباح من شجرة
مباركة اي كثيرة المنافع بان رويت ذبالته بزيتها وقيل انما وصفت بالبركة لانها تنبت في الارض التي بارك الله تعالى فيها للعالمين
زيتونة بدل من شجرة وفي ابهامها ووصفها بالبركة ثم الابدال عنها تفخيم لشأنها وقرئ توقد بالتاء على ان الضمير القائم مقام الفاعل
للزجاجة دون المصباح وقرئ توقد على صيغة الماضي من التفعل اي ابتدأ ثقوب المصباح منها وقرئ توقد بحذف احدى التائين من
تتوقد على اسناده الى الزجاجة **لا شرقية ولا غربية** تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي على قلة او صحراء
واسعة فتقع الشمس عليها حالتي الطلوع والغروب وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير وقتادة وقال الفراء والزجاج
لا شرقية وحدها ولا غربية وحدها لكنها شرقية غربية اي يصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فيكون شرقية غربية تأخذ حظها
من الامرين فيكون زيتها اضوأ وقيل نابتة في شرق المعمورة ولا في غربها بل في وسطها وهو الشام فان زيتونها اجود ما يكون وقيل
لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها ولا في مقناة تغيب عنها دائما فتتركها نيئا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا نبات في
مقناة ولا خير فيهما في مضحى **يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار** اي هو في الصفاء والانارة بحيث يكاد يضيء بنفسه من غير مساس نار اصلا
وكلمة لو في امثال هذه المواقع ليست لبيان انتفاء شيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها
ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال
مفروض من الاحوال المقارنة له اجمالا بادخالها على ابعدها منه اما لوجود المانع كما في قوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة
واما لعدم الشرط كما في هذه الآية الكريمة ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء
متى تحقق مع ما ينافيه من وجود المانع او عدم الشرط فلان يتحقق بدون ذلك اولى ولذلك لا يذكر معه شيء آخر مع ما ينافيه من وجود المانع من سائر
الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء
الاحوال على سبيل الاجمال وهذا امر مطرد في الخبر الموجب والمنفي فانك اذا قلت فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا او بخيل لا يعطي ولو كان غنيا تريد بيان
تحقق الاعطاء في الاول وعدم تحققه في الثاني في جميع الاحوال المفروضة والتقدير يعطي لو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا ولا يعطي لو لم يكن غنيا

ولو كان غيبا فالجملة مع ما عطفت هي عليه في حيز النصب على الحالية من المستكن في الفعل الموجب او المنفي اي يعطي او لا يعطي كائنا على جميع الاحوال وتقدير الآية
الكريمة يكاد زيتها يضيء لو مسته نار ولو لم تمسسه نار اي يضيء كائنا على كل حال من وجود الشرط وعدمه وقد حذفت الجملة الاولى حسبما هو المطرد في
الباب لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة **نور** خبر مبتدأ محذوف وقوله تع **على نور** متعلق بمحذوف هو صفة له مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة والجملة فذلكة
للتمثيل وتصريح بما حصل منه وتمهيد لما يعقبه اي ذلك النور الذي عبر به عن القرآن ومثلت صفته العجيبة الشأن بما فصل من صفة المشكاة نور عظيم
كائن على نور كذلك لا على انه عبارة عن نور واحد معين او غير معين فوق نور آخر مثله ولا عن مجموع نورين اثنين فقط بل عن نور متضاعف من غير تحديد
لتضاعفه بحد معين وتحديد مراتب تضاعف ما مثل به من نور المشكاة بما ذكر لكونه اقصى مراتب تضاعفه عادة فان المصباح اذا كان في
مكان متضايق كالمشكاة كان اضوأ له واجمع لنوره بسبب انضمام الشعاع المنعكس منه الى اصل الشعاع بخلاف المكان المتسع فان الضوء ينبث فيه
وينتشر والقنديل اعون شيء على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه وليس وراء هذه المراتب مما يزيد نورها اشراقا ويمده باضاءة مرتبة
اخرى عادة هذا وجعل النور عبارة عن النور المشبه به مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل **يهدي الله لنوره** اي يهدي هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما
لذلك النور المتضاعف العظيم الشأن واظهاره في مقام الاضمار لزيادة تقريره وتأكيد فخامته الذاتية بفخامته الاضافية الناشئة من اضافته
الى ضميره عز وجل **من يشاء** هدايته من عباده بان يوفقهم لفهم ما فيه من دلائل حقيته وكونه من عند الله تعالى من الاعجاز والاخبار عن الغيب وغير
ذلك من موجبات الايمان به وفيه ايذان بان مناط هذه الهداية وملاكها ليس الا مشيئته تع وان تظاهر الاسباب بدونها بمعزل من الافضاء الى
المطالب **ويضرب الله الامثال للناس** في تضاعيف الهداية حسبما يقتضي حالهم فان له دخلا عظيما في باب الارشاد لانه ابراز للمعقول في هيئة المحسوس
وتصوير لاوابد المعاني بصورة المأنوس ولذلك مثل نوره المعبر به عن القرآن المبين بنور المشكاة واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار للايذان
باختلاف حال ما اسند اليه تع من الهداية الخاصة وضرب الامثال الذي هو من قبيل الهداية العامة كما يفصح عنه تعليق الاولى بمن يشاء والثانية
بالناس كافة **والله بكل شيء عليم** معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او باطنا ومن قضيته ان تتعلق مشيئته بهداية من يليق بها ويستحقها من
الناس دون من عداهم لمخالفة الحكمة التي عليها مبنى التكوين والتشريع وان تكون هدايته العامة على فنون مختلفة وطرائق شتى حسبما تقتضيه
احوالهم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله واظهار الاسم الجليل لتأكيد استقلال الجملة والاشعار بعلة الحكم وبما ذكر من اختلاف حال المحكوم به
ذاتا وتعلقا **في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه** لما ذكر شأن القرآن الكريم في بيانه للشرائع والاحكام ومباديها وغاياتها
المترتبة عليها من الثواب والعقاب وغير ذلك من احوال الآخرة واهوالها واشير الى كونه في غاية ما يكون من التوضيح والاظهار حيث مثل
بما فصل من نور المشكاة واشير الى ان ذلك النور مع كونه في اقصى مراتب الظهور انما يهتدي بهداه من تعلقت مشيئة الله تع بهدايته
دون من عداه عقب ذلك بذكر الفريقين وتصوير بعض اعمالهم المعربة عن كيفية حالهم في الاهتداء وعدمه والمراد بالبيوت المساجد كلها
حسبما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقيل هي المساجد التي بناها نبي من انبياء الله تع الكعبة التي بناها ابراهيم واسمعيل عليهما السلام
وبيت المقدس الذي بناه داود وسليمان عليهما السلام ومسجد المدينة ومسجد قباء اللذان بناهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنكيرها للتفخيم
والمراد بالاذن في رفعها الامر ببنائها رفيعة لا كسائر البيوت وقيل هو الامر برفع مقدارها بعبادة الله تع فيها فيكون عطف الذكر عليه من
قبيل العطف التفسيري وايا ما كان ففي التعبير عنه بالاذن تلويح بان اللائق بحال المأمور ان يكون متوجها الى المأمور به قبل ورود الامر
ناويا لتحقيقه كأنه مستأذن في ذلك فيقع الامر به موقع الاذن فيه والمراد بذكر اسمه تع ما يعم جميع اذكاره تع وكلمة في متعلقة بقوله تع
يسبح له وقوله تع **فيها** تكرير لها للتأكيد والتذكير لما بينهما من الفاصلة وللايذان بان التقديم للاهتمام لا للقصر التسبيح على الوقوع في البيوت
واصل التسبيح التنزيه والتقديس يستعمل باللام وبدونها ايضا كما في قوله تع سبح اسم ربك الاعلى قالوا اريد به الصلوات المفروضة كما ينبئ عنه
تعيين الاوقات بقوله تع **بالغدو والآصال** اي بالغدوات والعشايا على ان الغدو اما جمع غداة كقني في جمع قناة كما قيل او مصدر اطلق على
الوقت حسبما يشعر به اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل وهو العشي وهو شامل للاوقات ما عدا صلاة الفجر المؤداة بالغداة ويجوز ان يراد به
نفس التنزيه على انه عبارة عما يقع منه في اثناء الصلوات واوقاتها لزيادة شرفه وانافته على سائر افراده او عما يقع في جميع الاوقات
وافراد طرفي النهار بالذكر لقيامهما مقام كلها لكونهما العمدة فيها لكونهما مشهودين وكونهما اشهر ما يقع فيه المباشرة للاعمال

للاعمال والاشتغال بالاشغال وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل وقوله تع **رجال** فاعل يسبح وتأخيره عن الظروف لما مر مرارا
من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ولان في وصفه نوع طول فيخل تقديمه بحسن الانتظام وقرئ يسبح على البناء للمفعول باسناده
الى احد الظروف ورجال مرفوع بما ينبئ عنه حكاية الفعل من غير تسمية الفاعل على طريقة قوله ليبك يزيد ضارع لخصومة كأنه قيل من يسبح له
فقيل يسبح له رجال وقرئ تسبح بتأنيث الفعل مبنيا للفاعل لان جمع التكسير قد يعامل معاملة المؤنث ومبنيا للمفعول على ان يسند الى
اوقات الغدو والآصال بزيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة مع كونها مسبحا فيها او يسند الى ضمير التسبيحة اي تسبح له التسبيحة على المجاز
المسوغ لاسناده الى الوقتين كما خرجوا قراءة ابي جعفر ليجزى قوما اي ليجزى الجزاء قوما بل هذا اولى من ذلك اذ ليس هنا مفعول صريح
لا تلهيهم تجارة صفة لرجال مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة مفيدة لكمال تبتلهم الى الله تعالى واستغراقهم فيما حكي عنهم من التسبيح من غير صارف
يلويهم ولا عاطف يثنيهم كائنا ما كان وتخصيص التجارة بالذكر لكونها اقوى الصوارف عندهم واشهرها اي لا يشغلهم نوع من انواع التجارة
ولا بيع اي ولا فرد من افراد البياعات وان كان في غاية الربح وافراده بالذكر مع اندراجه تحت التجارة للايذان بانافته على سائر انواعها لان
ربحه متيقن ناجز وربح ما عداه متوقع في ثاني الحال عند البيع فلم يلزم من نفي الهاء ما عداه نفي الهائه ولذلك كررت كلمة لا لتذكير النفي وتأكيده وقد
نقل عن الواقدي ان المراد بالتجارة هو الشرى لانه اصلها ومبدؤها وقيل هو الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا اي جلبه **عن ذكر الله**
بالتسبيح والتمجيد **واقام الصلوة** اي اقامتها لمواقيتها من غير تأخير وقد اسقطت التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال وعوض عنها الاضافة
كما في قوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا اي عدة الامر **وايتاء الزكوة** اي المال الذي فرض اخراجه للمستحقين وايراده ههنا وان لم يكن مما يفعل
في البيوت لكونه قرينة لا تفارق اقامة الصلوة في عامة المواضع مع ما فيه من التنبيه على ان محاسن اعمالهم غير منحصرة فيما يقع في المساجد
وكذلك قوله تع **يخافون** الخ فانه صفة ثانية لرجال او حال من مفعول لا تلهيهم وايا ما كان فليس خوفهم مقصورا على كونهم في المساجد وقوله
تع **يوما** مفعول ليخافون لا ظرف وقوله تع **تتقلب فيه القلوب والابصار** صفة ليوما اي تضطرب وتتغير في انفسها من الهول والفزع وتشخص كما في
قوله تع واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر او تتغير احوالها وتتقلب فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها وتبصر الابصار بعد ان
كانت عميا او تتقلب القلوب بين توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من اي ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم **ليجزيهم الله** متعلق بمحذوف
يدل عليه ما حكي من اعمالهم المرضية اي يفعلون ما يفعلون من المداومة على التسبيح والذكر وايتاء الزكوة والخوف من غير صارف لهم عن ذلك
ليجزيهم الله تعالى **احسن ما عملوا** اي احسن جزاء اعمالهم حسبما وعد لهم بمقابلة حسنة واحدة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف **ويزيدهم من فضله**
اي يتفضل عليهم باشياء لم توعد لهم بخصوصياتها او بمقاديرها ولم يخطر ببالهم كيفياتها ولا كمياتها بل انما وعدت بطريق الاجمال في
مثل قوله تع للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقوله عليه السلام حكاية عنه عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر وغير ذلك من المواعيد الكريمة التي من جملتها قوله تع **والله يرزق من يشاء بغير حساب** فانه تذييل مقرر للزيادة ووعد كريم بانه تع
يعطيهم غير اجزية اعمالهم من الخيرات ما لا يفي به الحساب واما عدم سبق الوعد بالزيادة ولو اجمالا وعدم خطورها ببالهم ولو بوجه ما فيأباه نظمها في
سلك الغاية والموصول عبارة عمن ذكرت صفاتهم الجميلة كأنه قيل والله يرزقهم بغير حساب ووضعه موضع ضميرهم للتنبيه بما في حيز الصلة على
ان مناط الرزق المذكور محض مشيئته تع لا اعمالهم المحكية كما انها المناط لما سبق من الهداية لنوره تع لا تظاهر الاسباب وللايذان بانهم ممن شاء الله
تع ان يرزقهم كما انهم ممن شاء تع ان يهديهم لنوره حسبما يعرب عنه ما فصل من اعمالهم الحسنة فان جميع ما ذكر من الذكر والتسبيح واقامة الصلوة
وايتاء الزكوة وخوف اليوم الآخر واهواله ورجاء الثواب مقتبس من القرآن العظيم الذي هو المعني بالنور وبه يتم بيان احوال من اهتدى بهداه على
اوضح وجه واجلاه هذا وقد قيل قوله تع في بيوت الى آخره من تتمة التمثيل وكلمة في متعلقة بمحذوف هو صفة لمشكوة اي كائنة في بيوت وقيل
لمصباح وقيل لزجاجة وقيل متعلقة بيوقد والكل مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل كيف لا وان ما بعد قوله تع ولو لم تمسسه نار على ما هو الحق او ما بعد قوله تع
نور على نور على ما قيل الى قوله تع بكل شيء عليم كلام متعلق بالممثل قطعا فتوسيطه بين اجزاء التمثيل مع كونه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه بالاجنبي
يؤدي الى كون ذكر حال المنتفعين بالتمثيل المهتدين لنور القرآن الكريم بطريق الاستتباع والاستطراد مع كون بيان حال اضدادهم مقصودا
بالذات ومثل هذا مما لا عهد به في كلام الناس فضلا ان يحمل عليه الكلام المعجز **والذين كفروا** عطف على ما ينساق اليه ما قبله كأنه قيل الذين آمنوا

أعمالهم حالاً ومآلاً كما وصف والذين كفروا أعمالهم أي أعمالهم التي هي من أبواب البر كصلة الأرحام وفك العناة وسقاية الحاج وعمارة البيت وإغاثة
وقرى الأضياف ونحو ذلك مما لو قارنه الإيمان لاستتبع الثواب كما في قوله تع مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد الآية كسراب وهو ما يرى في الفلوات
من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن أنه ماء يسرب أي يجري بقيعة متعلق بمحذوف هو صفة لسراب أي كائن في قاع وهي الأرض المنبسطة
وقيل هي جمع قاع كجيرة جمع جار وقرئ بقيعات بتاء ممدودة كديمات إما على أنها جمع قيعة أو على أن الأصل قيعة قد أشبعت فتحة العين فتولد منها الف
يحسبه الظمآن ماء صفة أخرى لسراب وتخصيص الحسبان بالظمآن مع شموله لكل من رآه كائنا من كان من العطشان والريان لتكميل التشبيه بتحقيق شركة طرفيه
في وجه الشبه الذي هو المطلع المطمع والمقطع المؤيس حتى إذا جاءه أي إذا جاء العطشان ما حسبه ماء وقيل موضعه لم يجده أي ما حسبه ماء وعلق به رجاءه شيئا أصلا
لا محققا ولا متوهما كما كان يراه من قبل فضلا عن وجدانه ماء وبه تم بيان أحوال الكفرة بطريق التمثيل وقوله تع ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب بيان
لبقية أحوالهم العارضة لهم بعد ذلك بطريق التكملة لئلا يتوهم أن قصارى أمرهم هو الخيبة والقنوط فقط كما هو شأن الظمآن ويظهر أنه يعتريهم بعد
ذلك من سوء الحال ما لا قدر عنده للخيبة أصلا فليست الجملة معطوفة على لم يجده شيئا بل على ما يفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة من أعمالهم
المذكورة عينا ولا أثرا كما في قوله تع وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كيف لا وإن الحكم بأن أعمال الكفرة كسراب يحسبه
الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا حكم بأنها بحيث يحسبونها في الدنيا نافعة لهم في الآخرة حتى إذا جاؤها لم يجدوها شيئا ووجدوا الله
أي حكمه وقضاءه عند المجيء وقيل عند العمل فوفاهم أي أعطاهم وافيا كاملا حسابهم أي حساب أعمالهم المذكورة وجزاءها فإن اعتقادهم لنفعها بغير
إيمان وعملهم بموجبه كفر على كفر موجب للعقاب قطعا وإفراد الضمير من الراجعين إلى الذين كفروا إما لإرادة الجنس كالظمآن الواقع في التمثيل
وإما للحمل على كل واحد منهم وكذا إفراد ما يرجع إلى أعمالهم هذا وقد قيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن أمية كان قد تعبد في الجاهلية ولبس المسوح
والتمس الدين فلما جاء الإسلام كفر أو كظلمات عطف على كسراب وكلمة أو للتنويع إثر ما مثلت أعمالهم التي كانوا يعتمدون عليها أقوى اعتماد
ويفتخرون بها في كل واد وناد بما ذكر من حال السراب مع زيادة حسا وعقابا مثلت أعمالهم القبيحة التي ليس فيها شائبة خيرية يغتر بها المغتر
بظلمات كائنة في بحر لجي أي عميق كثير الماء منسوب إلى اللج وهو معظم ماء البحر وقيل إلى اللجة وهي أيضا معظمه يغشاه صفة أخرى للبحر أي
يستره ويغطيه بالكلية موج وقوله تع من فوقه موج جملة من مبتدأ وخبر محلها الرفع على أنها صفة لموج أو الصفة هي الجار والمجرور وموج الثاني
فاعل له لاعتماده على الموصوف والكلام فيه كما مر في قوله تع نور على نور أي يغشاه أمواج متراكمة متراكبة بعضها على بعض وقوله تع من فوقه سحاب
صفة لموج الثاني على أحد الوجهين المذكورين أي من فوق ذلك الموج سحاب ظلماني ستر أضواء النجوم وفيه إيماء إلى غاية تراكم الأمواج وتضاعفها
حتى كأنها بلغت السحاب ظلمات خبر مبتدأ محذوف أي هي ظلمات بعضها فوق بعض أي متكاثفة متراكمة وهذا بيان لكمال شدة الظلمات كما أن قوله تعالى
نور على نور بيان لغاية قوة النور خلا أن ذلك متعلق بالمشبه وهذا بالمشبه به كما يعرب عنه ما بعده وقرئ بالجر على الإبدال من الأولى وقرئ بإضافة السحاب إليها
إذا أخرج أي من ابتلي بها وإضماره من غير ذكره لدلالة المعنى عليه دلالة واضحة يده وجعلها بمرأى منه قريبة من عينه لينظر إليها لم يكد يراها وهي أقرب شيء منه
فضلا عن أن يراها ومن لم يجعل الله له نورا الخ اعتراض تذييلي جيء به لتقرير ما أفاده التمثيل من كون أعمال الكفرة كما فصل وتحقيق أن ذلك لعدم هدايته
تعالى إياهم لنوره وإيراد الموصول للإشارة بما في حيز الصلة إلى علة الحكم وأنهم ممن لم يشأ الله تعالى هدايتهم أي ومن لم يشأ الله أن يهديه لنوره الذي
هو القرآن هداية خاصة مستتبعة للاهتداء حتما ولم يوفقه للإيمان به فما له من نور أي فما له هداية ما من أحد أصلا وقوله تع ألم تر الخ استئناف خوطب
به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للإيذان بأنه تعالى قد أفاض عليه عليه السلام أعلى مراتب النور وأجلاها وبين له من أسرار الملك والملكوت أدقها وأخفاها والهمزة
للتقرير أي قد علمت علما يقينيا شبيها بالمشاهدة في القوة والرصانة بالوحي الصريح والاستدلال الصحيح أن الله يسبح له أي ينزهه تعالى على الدوام في ذاته وصفاته
وأفعاله عن كل ما لا يليق بشأنه الجليل من نقص أو خلل من في السموات والأرض أي ما فيهما إما بطريق الاستقرار فيهما من العقلاء وغيرهم كائنا ما كان أو بطريق الجزئية منهما
تنزيها معنويا يفهمه العقول السليمة فإن كل موجود من الموجودات الممكنة مركبا كان أو بسيطا فهو من حيث ماهيته ووجوده وأحواله يدل على وجود صانع واجب الوجود
متصف بصفات الكمال مقدس عن كل ما لا يليق بشأن من شؤونه الجليلة وقد نبه على كمال قوة تلك الدلالة وغاية وضوحها حيث عبر عنها بما يخص العقلاء من التسبيح
الذي هو أقوى مراتب التنزيه وأظهرها تنزيلا للسان الحال منزلة لسان المقال وأكد ذلك بإيثار كلمة من على ما كأن كل شيء مما عز وهان وكل فرد من أفراد
الأعراض والأعيان عاقل ناطق ومخبر صادق بعلو شأنه تع وعزة سلطانه وتخصيص التنزيه بالذكر مع دلالة ما فيهما على اتصافه تعالى بنعوت الكمال

أيضا لما أن مساق الكلام لتقبيح حال الكفرة في إخلالهم بالتنزيه بجعلهم الجمادات شركاء له في الألوهية ونسبتهم إياه إلى اتخاذ الولد تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحمل
التسبيح على ما يليق بكل نوع من أنواع المخلوقات بأن يراد به معنى مجازي شامل لتسبيح العقلاء وغيرهم حسبما هو المتبادر من قوله تع يرده
أن بعضا من العقلاء وهم الكفرة من الثقلين لا يسبحونه بذلك المعنى قطعا وإنما تسبيحهم ما ذكر من الدلالة التي يشاركهم فيها غير العقلاء أيضا وفيه مزيد
تخطئة لهم وتعيير ببيان أنهم يسبحونه تعالى باعتبار أخس جهاتهم التي هي الجمادية والجسمية والحيوانية ولا يسبحونه باعتبار أشرفها التي هي الإنسانية
والطير بالرفع عطفا على من وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في جملة ما في الأرض لعدم استمرار قرارها فيها واستقلالها بصنع بارع وإنشاء رائع
قصد بيان تسبيحها من تلك الجهة لوضوح إنبائها عن كمال قدرة صانعها ولطف تدبير مبدعها حسبما يعرب عنه التقييد بقوله تع صافات أي
تعالى حال كونها صافات أجنحتها فإن إعطاءه تعالى للأجرام الثقيلة ما تتمكن به من الوقوف في الجو والحركة كيف تشاء من الأجنحة والأذناب
الخفيفة وإرشادها إلى كيفية استعمالها بالقبض والبسط حجة نيرة واضحة المكنون وآية بينة لقوم يعقلون دالة على كمال قدرة الصانع الحكيم
وغاية حكمة المبدئ المعيد وقوله تع كل قد علم صلاته وتسبيحه بيان لكمال عراقة كل واحد مما ذكر في التنزيه ورسوخ قدمه فيه بتمثيل حاله بحال من
يعلم ما يصدر عنه من الأفاعيل فيفعلها عن قصد ونية لا عن اتفاق بلا روية وقد أدمج في تضاعيفه الإشارة إلى أن لكل واحد من الأشياء المذكورة
مع ما ذكر من التنزيه حاجة ذاتية إليه تعالى واستفاضة منه لما يهمه بلسان استعداده وتحقيقه أن كل واحد من الموجودات الممكنة في حد ذاته بمعزل
من استحقاق الوجود لكنه مستعد لأن يفيض عليه منه تعالى ما يليق بشأنه من الوجود وما يتبعه من الكمالات ابتداء وبقاء فهو مستفيض منه تعالى
على الاستمرار فيفيض عليه في كل آن من فنون الفيوض المتعلقة بذاته وصفاته ما لا يحيط به نطاق البيان بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية
الربانية من العلاقة لانعدم بالمرة وقد عبر عن تلك الاستفاضة المعنوية بالصلاة التي هي الدعاء والابتهال لتكميل التمثيل وإفادة
المزايا المذكورة فيما مر على التفصيل وتقديمها على التسبيح في الذكر لتقدمها عليه في الرتبة هذا وجوز أن يكون العلم على حقيقته ويراد
به مطلق الإدراك وبما ناب عنه التنوين في كل أنواع الطير وأفرادها وبالصلاة والتسبيح ما ألهمه الله تعالى كل واحد منها من الدعاء و
التسبيح المخصوصين به لكن لا على أن يكون الطير معطوفا على كلمة من مرفوعا بارتفاعها فإنه يؤدي إلى أن يراد بالتسبيح معنى مجازي شامل للتسبيح
المقالي والحالي من العقلاء وغيرهم وقد عرفت ما فيه بل بفعل مضمر أريد به التسبيح المخصوص بالطير معطوف على المذكور كما مر في قوله تعالى وكثير من
الناس أي ويسبح الطير تسبيحا خاصا بها حال كونها صافات أجنحتها وقوله تع كل قد علم صلاته وتسبيحه أي دعاءه وتسبيحه اللذين ألهمهما الله
عز وجل إياه لبيان كمال رسوخه فيهما وأن صدورهما عنه ليس بطريق الاتفاق بلا روية بل عن علم وإتقان من غير إخلال بشيء منهما حسبما
ألهمه الله تعالى فإن إلهامه تعالى لكل نوع من أنواع المخلوقات علوما دقيقة لا يكاد يهتدي إليه جهابذة العقلاء مما لا سبيل إلى إنكاره أصلا كيف لا
وإن القنفذ مع كونه أبعد الأشياء من الإدراك قالوا إنه يحس بالشمال والجنوب قبل هبوبهما فيغير المدخل إلى جحره حتى روي أنه كان
بقسطنطينية قبل الفتح الإسلامي رجل قد أثرى بسبب أنه كان ينذر الناس بالرياح قبل هبوبها وينتفعون بإنذاره بتدارك أمور سفائنهم وغيرها
وكان السبب في ذلك أنه كان يقتني في داره قنفذا يستدل بأحواله على ما ذكر وتخصيص تسبيح الطير بهذا المعنى بالذكر لما أن أصواتها أظهر وجودا
وأقرب حملا على التسبيح وقوله تع والله عليم بما يفعلون أي بما يفعلونه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وما على الوجه الأول عبارة عما ذكر من الدلالة
الشاملة لجميع الموجودات من العقلاء وغيرهم والتعبير عنها بالفعل مسندا إلى ضمير العقلاء لما مر غير مرة وعلى الثاني إما عبارة عنها وعن التسبيح
الخاص بالطير معا أو عن تسبيح الطير فقط فالفعل على حقيقته وإسناده إلى ضمير العقلاء لما مر والاعتراض حينئذ مقرر لتسبيح الطير فقط
وعلى الأوليين لتسبيح الكل هذا وقد قيل إن الضمير في قوله تعالى قد علم لله عز وجل وفي صلاته وتسبيحه لكل أي قد علم الله تعالى صلاة
كل واحد مما في السموات والأرض وتسبيحه فالاعتراض حينئذ مقرر لمضمونه على الوجهين لكن لا على أن يكون ما عبارة عما تعلق به علمه تعالى
من صلاته وتسبيحه بل من جميع أحواله العارضة له وأفعاله الصادرة عنه وهما داخلتان فيها دخولا أوليا ولله ملك السموات والأرض لا لغيره
لأنه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات وهو المتصرف في جميعها إيجادا وإعداما بدءا وإعادة وقوله تع وإلى الله أي إليه تعالى
خاصة لا إلى غيره المصير أي رجوع الكل بالفناء والبعث بيان لاختصاص الملك به تعالى في المعاد إثر بيان اختصاصه به تعالى في المبدأ وإظهار
الاسم الجليل في موقع الإضمار لتربية المهابة والإشعار بعلة الحكم ألم تر أن الله يزجي سحابا الإزجاء سوق الشيء برفق وسهولة غلب

في سوق شئ يسير او غير معتد به ومنه البضاعة المزجاة ففيه ايماء الى ان الشئ بالنسبة الى قدرته تعالى مما لا يعتد به ثم يؤلف بينه
اي بين اجزائه بضم بعضها الى بعض وقرئ يولف بغير همزة ثم يجعله ركاما اي متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق اي المطر اثر
تراكمه وتكاثفه وقوله تعالى يخرج من خلاله اي من فتوقه حال من الودق لان الرؤية بصرية وفي تعقيب الجعل المذكور برؤيته خارجا
لا بخروجه من المبالغة في سرعة الخروج على طريقة قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق ومن الاعتناء بتقرير الرؤية ما لا يخفى
والخلال جمع خلل كجبال وجبل وقيل مفرد كحجاب وحجاز ويؤيده انه قرئ من خلله وينزل من السماء من الغمام فان كل ما علاك سماء
من جبال اي من قطع عظام تشبه الجبال في العظم كائنة فيها وقوله تعالى من برد مفعول ينزل على ان من تبعيضية والاوليان لابتداء
الغاية على ان الثانية بدل اشتمال من الاولى باعادة الجار اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها بعض برد وقيل المفعول محذوف
ومن برد بيان للجبال اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من جنس البرد بردا والاول اظهر لخلوه عن ارتكاب الحذف و
التصريح ببعضية المنزل وقيل المفعول من جبال على ان من تبعيضية ومن برد بيان للجبال اي ينزل من السماء بعض جبال كائنة فيها
من برد اي مشبهة بالجبال في الكثرة واياما كان فتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة من الاعتناء بالمقدم والتشويق
الى المؤخر وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما ان في الارض جبالا من حجر وليس في العقل ما ينفيه من قاطع والمشهور ان
الابخرة اذا تصاعدت ولم يحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد اجتمع هناك وصار سحابا وان لم يشتد البرد
تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض
وينعقد سحابا وينزل منه المطر او الثلج وكل ذلك مستند الى ارادة الله تعالى ومشيئته المبنية على الحكم والمصالح فيصيب به اي
بما ينزله من البرد من يشاء ان يصيبه فيناله ما يناله من ضرر في نفسه وماله ويصرفه عمن يشاء ان يصرفه عنه فينجو من غائلته يكاد سنا برقه
اي ضوء برق السحاب الموصوف بما مر من الازجاء والتأليف وغيرهما واضافة البرق اليه قبل الاخبار بوجوده فيه للايذان بظهور امره
واستغنائه عن التصريح به وقرئ بالمد بمعنى الرفعة والعلو وبادغام الدال في السين وبرقه بفتح الراء على انه جمع برقة وهي مقدار
من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع بضمة الباء يذهب بالابصار اي يخطفها من فرط الاضاءة وسرعة ورودها وفي اطلاق الابصار
مزيد تهويل لامره وبيان لشدة تأثيره فيها كانه يكاد يذهب بها ولو عند الاغماض وهذا من اقوى الدلائل على كمال القدرة
من حيث انه توليد للضد من الضد وقرئ يُذهب من الاذهاب على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما
وزيادة الآخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد وغيرهما مما يقع فيهما من الامور التي من جملتها ما ذكر من ازجاء السحاب وما ترتب عليه
ان في ذلك اشارة الى ما فصل آنفا وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته لعبرة لدلالة واضحة
على وجود الصانع القديم ووحدته وكمال قدرته واحاطة علمه بجميع الاشياء ونفاذ مشيئته وتنزهه عما لا يليق بشأنه العلي لاولي الابصار
لمن له بصر والله خلق كل دابة من ماء اي كل حيوان يدب على الارض وقرئ خالق كل دابة بالاضافة من ماء هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة
فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل لان من الحيوانات ما يتولد لا عن نطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليست صلة لخلق فمنهم من يمشي على بطنه كالحية
وتسمية حركتها مشيا مع كونها زحفا بطريق الاستعارة او المشاكلة ومنهم من يمشي على رجلين كالانس والطير ومنهم من يمشي على اربع كالنعم والوحش
وعدم التعرض لما يمشي على اكثر من اربع كالعناكب ونحوها من الحشرات لعدم الاعتداد بها وتذكير الضمير في منهم لتغليب العقلاء والتعبير عن
الاصناف بكلمة من ليوافق التفصيل الاجمال والترتيب لتقديم ما هو اعرف في القدرة يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا كان او مركبا
على ما يشاء من الصور والاعضاء والهيئات والحركات والطبايع والقوى والافاعيل مع اتحاد العنصر واظهار الاسم الجليل في موضع
الاضمار لتفخيم شان الخلق المذكور والايذان بانه من احكام الالوهية ان الله على كل شئ قدير فيفعل ما يشاء كما يشاء والجملة
مع تأكيد لاستقلال الاستيناف التعليلي لقد انزلنا آيات مبينات اي لكل ما يليق بيانه من الاحكام الدينية والاسرار التكوينية والله يهدي
من يشاء ان يهديه بتوفيقه للنظر الصحيح فيها وارشاده الى التأمل في معانيها الى صراط مستقيم موصل الى حقيقة الحق والفوز بالجنة ويقولون آمنا
بالله وبالرسول شروع في بيان احوال بعض من لم يشاء الله هدايته الى الصراط المستقيم قال الحسن نزلت في المنافقين الذين كانوا يظهرون

يظهرون الايمان ويسرون الكفر وقيل نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف واليهودي يدعوه الى النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم واياما كان فصيغة الجمع للايذان بان للقائل طائفة يساعدونه ويشايعونه في تلك المقالة كما يقال بنو فلان
قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم واطعنا اي اطعناهما في الامر والنهي ثم يتولى عن قبول حكمه فريق منهم من بعد ذلك اي من بعد ما صدر عنهم ما صدر من
ادعاء الايمان بالله وبالرسول والطاعة لهما على التفصيل وما في ذلك من معنى البعد للايذان بكونه امرا معتدا به واجب المراعاة
وما اولئك اشارة الى القائلين لا الى الفريق المتولي منهم فقط لعدم اقتضاء نفي الايمان عنهم نفيه عن الاولين بخلاف العكس فان نفيه عن
القائلين مقتض لنفيه عنهم على ابلغ وجه واكده وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الكفر والفساد اي وما اولئك الذين يدعون
الايمان والطاعة ثم يتولى بعضهم الذين يشاركونهم في العقد والعمل بالمؤمنين اي المؤمنين حقيقة كما يعرب عنه اللام اي ليسوا بالمؤمنين
المعهودين بالاخلاص في الايمان والثبات عليه واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم اي الرسول بينهم لانه المباشر للحكم حقيقة وان كان ذلك حكم الله تعالى
حقيقة وذكر الله تعالى لتفخيمه عليه السلام والايذان بجلالة محله عنده تعالى اذا فريق منهم معرضون اي فاجأ فريق منهم الاعراض عن المحاكمة
اليه عليه السلام لكون الحق عليهم وعلمهم بانه عليه السلام يحكم بالحق عليهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه وان يكن لهم الحق لا عليهم يأتوا اليه مذعنين
منقادين لجزمهم بانه عليه السلام يحكم لهم والى صلة ليأتوا فان الاتيان والمجيء يعديان بالى او لمذعنين على تضمين معنى الاسراع والاقبال
كما في قوله تعالى فاقبلوا اليه يزفون والتقديم للاختصاص افي قلوبهم مرض انكار واستقباح لاعراضهم المذكور وبيان لمنشئه بعد
استقصاء عدة من القبائح المحققة فيهم والمتوقعة منهم وترديد المنشئية بينها فمدار الاستفهام ليس نفس ما وليته الهمزة وام
من الامور الثلثة بل هو منشئيتها له كانه قيل اذلك اي اعراضهم المذكور لانهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم ام ارتابوا في امر
نبوته عليه السلام مع ظهور حقيتها ام لانهم يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله ثم اضرب عن الكل وابطلت منشئيته وحكم بان المنشئية
امر آخر من شنائعهم حيث قيل بل اولئك هم الظالمون اي ليس ذلك لشئ مما ذكر اما الاولان فلانه لو كان لشئ منهما لاعرضوا عنه عليه السلام
عند كون الحق لهم ولما اتوا اليه عليه السلام مذعنين لحكمه لتحقق نفاقهم وارتيابهم حينئذ ايضا واما الثالث فلانتفائه رأسا حيث كانوا
لا يخافون الحيف اصلا لمعرفتهم بتفاصيل احواله عليه السلام في الامانة والثبات على الحق بل لانهم هم الظالمون يريدون ان يظلموا من له
الحق عليهم ويتم لهم جحوده فيأبون المحاكمة اليه عليه السلام لعلمهم بانه عليه السلام يقضي عليهم بالحق فمناط النفي المستفاد من الاضراب في الاولين
هو وصف منشئيتهما للاعراض فقط مع تحققهما في نفسهما وفي الثالث هو الاصل والوصف جميعا هذا وقد خص الارتياب بما له منشأ
مصحح لعروضه لهم في الجملة والمعنى ام ارتابوا بان رأوا منه عليه السلام تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم به عليه السلام فمدار النفي حينئذ نفس
الارتياب ومنشئيته معا فتأمل فيما ذكر على التفصيل ودع عنك ما قيل وقيل حسبما يقتضيه النظر الجليل انما كان قول المؤمنين بالنصب على انه
خبر كان وان مع ما في حيزها اسمها وقرئ بالرفع على العكس والاول اقوى صناعة لان الاولى للاسمية ما هو اوغل في التعريف وذلك هو الفعل
المصدر بان اذ لا سبيل اليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين فانه يحتمله كما اذا اختزلت عنه الاضافة لكن قراءة الرفع اقعد بحسب المعنى واوفى
لمقتضى المقام لما ان مصب الفائدة وموقع البيان في الجمل هو الخبر فالاحق بالخبرية ما هو اكثر افادة واظهر دلالة على الحدوث وادخل
اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع ولا ريب في ان ذلك ههنا في ان مع ما في حيزها اتم واكمل فاذن
هو احق بالخبرية واما ما يفيده الاضافة من النسبة المطلقة الاجمالية بحيث كانت قليلة الجدوى سهلة الحصول خارجا وذهنا كان
حقها ان تلاحظ ملاحظة مجملة وتجعل عنوانا للموضوع فالمعنى انما كان مطلق القول الصادر عن المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله اي
الرسول عليه السلام ليحكم بينهم اي بين خصومهم سواء كانوا منهم او من غيرهم ان يقولوا سمعنا واطعنا اي خصوصية هذا القول المحكي عنهم
لا قولا آخر اصلا واما قراءة النصب فمعناها انما كان قول المؤمنين اي انما كان قولا لهم عند الدعوة خصوصية قولهم المحكي عنهم ففيه
من جعل اخص النسبتين وابعدهما وقوعا وحضورا في الاذهان واحقهما بالبيان مفروغا عنها عنوانا للموضوع وابراز ما هو
بخلاف ذلك في معرض القصد الاصلي ما لا يخفى وقرئ ليحكم على بناء الفعل للمفعول مسندا الى مصدره مجاوزا لقوله تعالى اذا دعوا اي ليفعل
الحكم كما في قوله تعالى لقد تقطع بينكم اي وقع التقطع بينكم واولئك اشارة الى المؤمنين باعتبار صدور القول المذكور عنهم وما فيه

من معنى البعد للإشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل أي أولئك المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل **هم المفلحون** أي هم الفائزون بكل مطلوب والناجون عن كل محذور **ومن يطع الله ورسوله** استئناف جيء به لتقرير مضمون ما قبله من حسن حال المؤمنين وترغيب من عداهم في الانتظام في سلكهم أي ومن يطعهما كائنا من كان فيما أمرا به من الأحكام الشرعية اللازمة والمتعدية وقيل في الفرائض والسنن والأول هو الأنسب بالمقام **ويخش الله ويتقه** بإسكان الكاف المبني على تشبيهه بكتف وقرئ بكسر القاف والهاء وبإسكان الهاء أي ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل **فأولئك** الموصوفون بما ذكر من الطاعة والخشية والاتقاء **هم الفائزون** بالنعيم المقيم لا من عداهم **وأقسموا بالله** حكاية لبعض آخر من أكاذيبهم مؤكدا بالأيمان الفاجرة وقوله تعالى **جهد أيمانهم** نصب على أنه مصدر مؤكد لفعله الذي هو في حيز النصب على أنه حال من فاعل أقسموا أي أقسموا به تعالى يجهدون أيمانهم جهدا ومعنى جهد اليمين بلوغ غايتها بطريق الاستعارة من قولهم جهد نفسه إذا بلغ أقصى وسعها وطاقتها أي جاهدين بالغين أقصى مراتب اليمين في الشدة والوكادة وقيل هو مصدر مؤكد لأقسموا أي أقسموا إقسام اجتهاد في اليمين قال مقاتل من حلف بالله فقد اجتهد في اليمين **لئن أمرتهم** أي بالخروج إلى الغزو لا عن ديارهم وأموالهم كما قيل لأنه حكاية لما كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا وإن أقمت أقمنا وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا وقوله تعالى **ليخرجن** جواب لأقسموا على طريقة حكاية فعلهم لا حكاية قولهم وحيث كانت مقالتهم هذه كاذبة ويمينهم فاجرة أمره عليه السلام بردها حيث قيل **قل** ردا عليهم وزجرا لهم عن التفوه بها وإظهارا لعدم القبول لكونهم كاذبين فيها **لا تقسموا** أي على ما ينبئ عنه كلامكم من الطاعة وقوله تعالى **طاعة معروفة** خبر مبتدأ محذوف والجملة تعليل للنهي أي لا تقسموا على ما تدعون من الطاعة لأن طاعتكم طاعة نفاقية واقعة باللسان فقط من غير مواطأة من القلب وإنما عبر عنها بمعروفة للإيذان بأن كونها كذلك مشهور معروف لكل أحد وقرئ بالنصب والمعنى تطيعون طاعة هذا وحملها على الطاعة الحقيقية بتقدير ما يناسبها من مبتدأ أو خبر أو فعل مثل الذي يطلب منكم طاعة معروفة حقيقية لا نفاقية أو طاعة معروفة أمثل أو لتكن طاعة معروفة أو أطيعوا طاعة معروفة مما لا يساعده المقام **إن الله خبير بما تعملون** من الأعمال الظاهرة والباطنة التي من جملتها ما تظهرونه من الأكاذيب المؤكدة بالأيمان الفاجرة وما تضمرونه في قلوبكم من الكفر والنفاق والعزيمة على مخادعة المؤمنين وغيرها من فنون الشر والفساد والجملة تعليل للحكم بأن طاعتهم طاعة نفاقية مشعر بأن مدار شهرة أمرها فيما بين المؤمنين إخباره تعالى بذلك ووعيد لهم بأنه تعالى مجازيهم بجميع أعمالهم السيئة التي منها نفاقهم **قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول** كرر الأمر بالقول لإبراز كمال العناية به والإشعار باختلافهما من حيث أن القول في الأولين بطريق الرد والتقريع كما في قوله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون وفي الثاني أمر بطريق التكليف والتشريع وإطلاق الطاعة المأمور بها عن وصف الصحة والإخلاص ونحوهما بعد وصف طاعتهم بما ذكر للتنبيه على أنها ليست من الطاعة في شيء أصلا وقوله تعالى **فإن تولوا** خطاب للمأمورين بالطاعة من جهته تعالى وارد لتأكيد الأمر بها والمبالغة في إيجاب الامتثال به والحمل عليه بالترهيب والترغيب لما أن تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعاني وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشأنه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من السامع كما أشير إليه في تفسير قوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا لا سيما إذا كان ذلك بتغيير الخطاب بالواسطة إلى الخطاب بالذات فإن في خطابه تعالى إياهم بالذات بعد أمره تعالى إياهم بواسطته عليه السلام وتصديه لبيان حكم الامتثال بالأمر والتولي عنه إجمالا وتفصيلا من إفادة ما ذكر من التأكيد والمبالغة ما لا غاية وراءه وتوهم أنه داخل تحت القول مأمور بحكايته من جهته تعالى وأنه أبلغ في التبكيت يعكس للأمر والفاء لترتيب ما بعدها على تبليغه عليه السلام للمأمور به إليهم وعدم التصريح به للإيذان بغاية ظهور مسارعته عليه السلام إلى تبليغ ما أمر به وعدم الحاجة إلى الذكر أي إن تتولوا عن الطاعة إثر ما أمرتم بها **فإنما عليه** أي فاعلموا أنما عليه عليه السلام **ما حمل** أي ما أمر به من التبليغ وقد شاهدتموه عند قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول **وعليكم ما حملتم** أي ما أمرتم به من الطاعة ولعل التعبير عنه بالتحميل للإشعار بثقله وكون مؤنته باقية في عهدتهم بعد كأنه قيل وحيث توليتم عن ذلك فقد بقيتم تحت ذلك الحمل الثقيل وقوله تعالى ما حمل محمول على المشاكلة **وإن تطيعوه** أي فيما أمركم به من الطاعة **تهتدوا** إلى الحق الذي هو المقصد الأقصى الموصل إلى كل خير والمنجي عن كل شر وتأخيره عن بيان حكم التولي لما في تقديم الترهيب من تأكيد الترغيب وتقريبه مما هو من بابه من الوعد الكريم وقوله تعالى **وما على الرسول إلا البلاغ المبين** اعتراض مقرر لما قبله من أن غائلة التولي وفائدة الإطاعة مقصورتان عليهم واللام إما للجنس

اما الجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما أوليا أو للعهد أي ما على جنس الرسول كائنا ما كان أو ما عليه عليه السلام إلا التبليغ الموضح لكل ما يحتاج إلى الإيضاح أو الواضح على أن المبين من أبان بمعنى بان وقد علمتم أنه قد فعله بما لا مزيد عليه وإنما بقي ما حملتم وقوله تعالى **وعد الله الذين آمنوا منكم** استئناف مقرر لما في قوله تعالى وإن تطيعوه تهتدوا من الوعد الكريم ومعرب بطريق التصريح ومبين لتفاصيل ما أجمل فيه من فنون السعادات الدينية والدنيوية التي هي من آثار الاهتداء ومتضمن لما هو المراد بالطاعة التي نيط بها الاهتداء والمراد بالذين آمنوا كل من اتصف بالإيمان بعد الكفر على الإطلاق من أي طائفة كان وفي أي وقت كان لا من آمن من طائفة المنافقين فقط ولا من آمن من بعد نزول الآية الكريمة ضرورة عموم الوعد الكريم للكل كافة فالخطاب في منكم لعامة الكفرة لا للمنافقين خاصة ومن تبعيضية **وعملوا الصالحات** عطف على آمنوا داخل معه في حيز الصلة وبه يتم تفسير الطاعة التي أمر بها ورتب عليها ما نظم في سلك الوعد الكريم كما أشير إليه وتوسيط الظرف بين المعطوفين لإظهار أصالة الإيمان وعراقته في استتباع الآثار والأحكام والإيذان بكونه أول ما يطلب منهم وأهم ما يجب عليهم وأما تأخيره عنهما في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما فلأن من هناك بيانية والضمير للذين معه عليه السلام من خلص المؤمنين ولا ريب في أنهم جامعون بين الإيمان والأعمال الصالحة مثابرون عليها فلا بد من ورود بيانهم بعد ذكر نعوتهم الجليلة بكمالها هذا ومن جعل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وللأمة عموما على أن من تبعيضية أوله عليه السلام ولمن معه من المؤمنين خصوصا على أنها بيانية فقد نأى عما يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه بمنازل وأبعد عما يليق بشأنه عليه السلام بمراحل **ليستخلفنهم في الأرض** جواب للقسم إما بإضمار أو بتنزيل وعده تعالى منزلة القسم لتحقق إنجازه لا محالة أي ليجعلنهم خلفاء متصرفين فيها تصرف الملوك في مماليكهم أو خلفا من الذين لم يكونوا على حالهم من الإيمان والأعمال الصالحة **كما استخلف الذين من قبلهم** هم بنو إسرائيل استخلفهم الله عز وجل في مصر والشام بعد إهلاك فرعون والجبابرة أو هم ومن قبلهم من الأمم المؤمنة التي أشير إليهم في قوله تعالى ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات إلى قوله تعالى ولنسكننكم الأرض من بعدهم ومحل الكاف النصب على أنه مصدر تشبيهي مؤكد للفعل بعد تأكيده بالقسم وما مصدرية أي ليستخلفنهم استخلافا كائنا كاستخلافه تعالى الذين من قبلهم وقرئ كما استخلف على البناء للمفعول فليس العامل في الكاف الفعل المذكور بل ما يدل هو عليه من فعل مبني للمفعول جار منه مجرى المطاوع فإن استخلافه تعالى إياهم مستلزم لكونهم مستخلفين لا محالة كأنه قيل ليستخلفنهم في الأرض فيستخلفون فيها استخلافا أي مستخلفية كائنة كمستخلفية من قبلهم وقد مر تحقيقه في قوله تعالى كما سئل موسى من قبل ومن هذا القبيل قوله تعالى فأنبتها الله نباتا حسنا على أحد الوجهين أي فنبتت نباتا حسنا وعليه قول من قال • وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع من المال إلا مسحت أو مجلف • أي فلم يبق إلا مسحت إلخ **وليمكنن لهم دينهم** عطف على ليستخلفنهم منتظم معه في الجواب وتأخيره عنه مع كونه أجل الرغائب الموعودة وأعظمها لما أن النفوس إلى الحظوظ العاجلة أميل فتصدير المواعيد بها في الاستمالة أدخل والمعنى ليجعلن دينهم ثابتا مقررا بحيث يستمرون على العمل بأحكامه ويرجعون إليه في كل ما يأتون وما يذرون والتعبير عن ذلك بالتمكين الذي هو جعل الشيء مكانا لآخر يقال مكن له في الأرض أي جعلها مقرا له ومنه قوله تعالى إنا مكنا له في الأرض ونظائره وكلمة في للإيذان بأن ما جعل مقرا له قطعة منها لا كلها للدلالة على كمال ثبات الدين ورصانة أحكامه وسلامته عن التغيير والتبديل لابتنائه على تشبيهه بالأرض في الثبات والقرار مع ما فيه من مراعاة المناسبة بينه وبين الاستخلاف في الأرض وتقديم صلة التمكين على مفعوله الصريح للمسارعة إلى بيان كون الموعود من منافعهم تشويقا لهم إليه وترغيبا لهم في قبوله عند وروده ولأن في توسيطها بينه وبين وصفه أعني قوله تعالى **الذي ارتضى لهم** وتأخيرها عنه من الإخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وفي إضافة الدين إليهم وهو دين الإسلام ثم وصفه بارتضائه لهم تأليف لقلوبهم ومزيد ترغيب فيه وفضل تثبيت عليه **وليبدلنهم** بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الإبدال **من بعد خوفهم** أي من الأعداء **أمنا** حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة عشر سنين بل أكثر خائفين ثم هاجروا إلى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون كذلك حتى قال رجل منهم ما يأتي علينا يوم نأمن فيه فقال عليه السلام لا تغبرون إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس معه حديدة فأنزل الله عز وجل هذه الآية وأنجز وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وصاروا إلى حال يخشاهم كل من عداهم وفيه من الدلالة على صحة النبوة للإخبار بالغيب على ما هو عليه قبل وقوعه ما لا يخفى وقيل المراد الخوف من العذاب والأمن منه في الآخرة **يعبدونني** حال من الموصول لا أول مفيدة لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد أو استئناف ببيان المقتضي للاستخلاف وما

انتظم معه في سلك الوعد يشركون بي شيئاً حال من الواو اي يعبدونني غير مشركين بي في العبادة شيئاً ومن كفر اي اتصف بالكفر بان ثبت واستمر
عليه ولم يتأثر بما مر من الترغيب والترهيب فان الاصرار عليه بعد مشاهدة دلائل التوحيد كفر مستأنف زائد على الاصل وقيل كفر بعد الايمان
وقيل كفر هذه النعمة العظيمة والاول هو الانسب بالمقام بعد ذلك اي بعد ذلك الوعد الكريم بما فصل من المطالب العالية المستوجبة لغاية
الاهتمام بتحصيلها والسعي الجميل في حيازتها فاولئك البعداء عن الحق التائهون في تيه الغواية والضلال هم الفاسقون الكاملون
في الفسق والخروج عن حدود الكفر والطغيان واقيموا الصلوة واتوا الزكوة عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام فان خطابه تعالى
للمأمورين بالطاعة على طريق الترهيب من التولي بقوله تعالى فان تولوا الخ وترغيبه تعالى اياهم في الطاعة بقوله تعالى وان تطيعوه تهتدوا
الخ ووعده تعالى اياهم على الايمان والعمل الصالح بما فصل من الاستخلاف وما يتلوه من الرغائب الموعودة ووعيده على الكفر مما يوجب
الامر بالايمان والعمل الصالح والنهي عن الكفر فكأنه قيل فآمنوا واعملوا صالحاً واقيموا او فلا تكفروا واقيموا وعطفه على اطيعوا الله مما
لا يليق بجزالة النظم الكريم واطيعوا الرسول امرهم الله سبحانه بالذات بما امرهم به بواسطة الرسول عليه السلام من طاعته التي هي طاعته
تعالى في الحقيقة تأكيداً للامر السابق وتقريراً لمضمونه على ان المراد بالمطاع فيه جميع الاحكام الشرعية المنتظمة للآداب المرضية
ايضاً اي واطيعوه في كل ما يأمركم به وينهاكم عنه وتكميلاً لما قبله من الامرين الخاصين المتعلقين بالصلاة والزكوة على ان المراد
بما ذكر ما عداهما من الشرائع اي واطيعوه في سائر ما يأمركم به الخ وقوله تعالى لعلكم ترحمون متعلق على الامر الاخير المشتمل على جميع الاوامر او على
الثلثة اي بالاوامر الثلثة اي افعلوا ما ذكر من الاقامة والايتاء والاطاعة راجين ان ترحموا لا تحسبن الذين كفروا لما بين حال من اطاع عليه السلام
واشير الى فوزه بالرحمة المطلقة المستتبعة لسعادة الدارين عقب ذلك ببيان حال من عصاه عليه السلام ومآل امره في الدنيا والآخرة بعد بيان تناهيه
في الفسق تكميلاً لامر الترغيب والترهيب والخطاب اما لكل احد ممن يصلح له كائناً من كان واما للرسول صلى الله عليه وسلم على منهاج قوله تعالى فلا
تكونن من المشركين ونظائره للايذان بان الحسبان المذكور من القبح والمحذورية بحيث ينهى عنه من يمتنع صدوره عنه فكيف بمن يمكن ذلك منه ومحل
الموصول النصب على انه مفعول اول للحسبان وقوله تعالى معجزين ثانيهما وقوله تعالى في الارض ظرف لمعجزين لكن لا لافادة كون الاعجاز فيها لا في غيرها
فان ذلك مما لا يحتاج الى البيان بل لافادة شمول عدم الاعجاز بجميع اجزائها اي لا تحسبنهم معجزين الله عز وجل عن ادراكهم واهلاكهم في قطر من
الاقطار بما رحبت وان هربوا منها كل مهرب وقرئ لا يحسبن بياء الغيبة على ان الفاعل كل احد والمعنى كما ذكر اي لا يحسبن احد الكافرين معجزين
له سبحانه في الارض وهو الموصول والمفعول الاول محذوف لكونه عبارة عن انفسهم كأنه قيل لا يحسبن الكافرين انفسهم معجزين في الارض واما
جعل معجزين مفعولاً اول وفي الارض مفعولاً ثانياً فيعزل من الطاعة لمقتضى المقام ضرورة ان مصب الفائدة هو المفعول الثاني ولا فائدة
في بيان كون المعجزين في الارض وقد مر في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة وقوله تعالى ومأويهم النار معطوف على جملة النهي بتأويلها
بجملة خبرية لان المقصود بالنهي عن الحسبان تحقيق نفي الحسبان كأنه قيل ليس الذين كفروا معجزين ومأويهم الخ او على جملة مقدرة وقعت تعليلاً
للنهي كأنه قيل لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض فانهم مدركون ومأويهم الخ وقيل الجملة المقدرة بل هم مقهورون ولبئس المصير جواب
لقسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف اي وبالله لبئس المصير هي اي النار والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وفي ايراد النار بعنوان كونها
مأوى ومصيراً لهم اثر نفي فوتهم بالهرب في الارض كل مهرب من الجزالة ما لا غاية وراءه ولله در شأن التنزيل يا ايها الذين آمنوا رجوع الى
بيان تتمة الاحكام السابقة بعد تمهيد ما يوجب الامتثال بالاوامر والنواهي الواردة فيها وفي الاحكام اللاحقة من التمثيلات والترغيب والترهيب
والوعد والوعيد والخطاب اما للرجال خاصة والنساء داخلات في الحكم بدلالة النص او للفريقين جميعاً بطريق التغليب روي ان غلاماً لاسماء بنت
ابي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصاري وكان غلاماً وقت الظهيرة ليدعو
عمر رضي الله عنه فدخل عليه وهو نائم قد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله عنه لوددت ان الله تعالى نهى آباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا
علينا هذه الساعة الا باذن ثم انطلق معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الآية ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم اي
من العبيد والجواري والذين لم يبلغوا الحلم اي الصبيان القاصرون عن درجة البلوغ المعهود والتعبير عنه بالحلم لكونه اظهر دلائله منكم اي
من الاحرار ثلث مرات اي ثلثة اوقات في اليوم والليلة والتعبير عنها بالمرات للايذان بان مدار وجوب الاستيذان مقارنة تلك الاوقات

لتلك الاوقات لمرور المستأذنين بالمخاطبين لا انفسها من قبل صلوة الفجر لظهور انه وقت القيام عن المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة
ومحله النصب على انه بدل من ثلث مرات او الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي احدها من قبل الخ وحين تضعون ثيابكم اي ثيابكم التي تلبسونها في
النهار وتخلعونها لاجل القيلولة من الظهيرة وهي شدة الحر عند انتصاف النهار بيان للحين والتصريح بمدار الامر اعني وضع الثياب في هذا الحين
دون الاول والآخر لما ان التجرد عن الثياب فيه لاجل القيلولة لقلة زمانها كما ينبئ عنها ايراد الحين مضافاً الى فعل حادث منقض ووقوعها في النهار
الذي هو مئنة لكثرة الورود والصدور ومظنة لظهور الاحوال وبروز الامور ليس من التحقق والاطراد بمنزلة ما في الوقتين المذكورين فان تحقق
التجرد واطراده فيهما امر معروف لا يحتاج الى التصريح به ومن بعد صلوة العشاء ضرورة انه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف وليس المراد بالقبلية
والبعدية المذكورتين مطلقهما المتحقق في الوقت الممتد المتخلل بين الصلاتين كما في قوله تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين وقوله تعالى من بعد ان
نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي بل ما يعرض منهما الطرفي ذلك الوقت الممتد المتصلين بالصلاتين المذكورتين اتصالاً عادياً وقوله تعالى ثلث عورات خبر
مبتدأ محذوف وقوله تعالى لكم متعلق بمحذوف هو صفة لثلث عورات اي كائنة لكم والجملة استئناف مسوق لبيان علة وجوب الاستيذان اي هن
ثلثة اوقات يختل فيها التستر عادة والعورة في الاصل هو الخلل غلب في الخلل الواقع فيما يهم حفظه ويعتني بستره اطلق على الاوقات المشتملة
عليها مبالغة كأنها نفس العورة وقرئ ثلث عورات بالنصب بدلاً من ثلث مرات ليس عليكم ولا عليهم اي على المماليك والصبيان جناح اي اثم في
الدخول بغير استيذان لعدم ما يوجبه من مخالفة الامر والاطلاع على العورات بعدهن اي بعد كل واحدة من تلك العورات الثلث وهي الاوقات المتخللة بين
كل اثنتين منهن وايرادها بعنوان البعدية مع ان كل وقت من تلك الاوقات قبل عورة من العورات كما انها بعد اخرى منهن لتوفية حق التكليف والترخيص
الذي هو عبارة عن رفعه اذ لا يتصور في فعل يقع بعد زمان وقوع الفعل المكلف والجملة على القرائتين مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها بالطرد
والعكس وقد جوز على القراءة الاولى كونها في محل الرفع على انها صفة اخرى لثلث عورات واما على القراءة الثانية فهي مستأنفة لا غير اذ لو جعلت
صفة لثلث عورات وهي بدل من ثلث مرات لكان التقدير ليستأذنكم هؤلاء في ثلث عورات لا اثم في ترك الاستيذان بعدهن وحيث كان انتفاء
الاثم حينئذ مما لا يعلم الا مع ان بهذا الكلام لم يتسن ابرازه في معرض الصفة بخلاف قراءة الرفع فان انتفاء الاثم حينئذ معلوم من صدر الكلام وقوله تعالى
طوافون عليكم استيناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستيذان وهي المخالطة الضرورية وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في
الفرق بين الاوقات الثلثة وبين غيرها بكونها عورات بعضكم على بعض اي بعضكم طائف على بعض طوافاً كثيراً او بعضكم يطوف على بعض كذلك اشارة
الى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد لما مر مراراً من تفخيم شأن المشار اليه والايذان ببعد منزلته وكونه من الوضوح بمنزلة المشار اليه
حساً اي مثل ذلك التبيين يبين الله لكم الآيات الدالة على الاحكام اي ينزلها مبينة واضحة الدلالة عليها لا انه تعالى يبينها بعد ان لم تكن كذلك
والكاف مقحمة وقد مر تفصيله في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا الآية ولكم متعلق بيبين وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مراراً من
الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل يبين علل الاحكام وليس بواضح مع انه مؤد الى تخصيص الآيات بما ذكر ههنا والله عليم مبالغ في العلم
بجميع المعلومات فيعلم احوالكم حكيم في جميع افاعيله فيشرع لكم ما فيه صلاح امركم معاشاً ومعاداً واذا بلغ الاطفال منكم الحلم لما بين فيما مر آنفاً
حكم الاطفال في انه لا جناح في ترك الاستيذان فيما عدا الاوقات الثلثة عقب ببيان حالهم بعد البلوغ دفعاً لما عسى يتوهم انهم وان كانوا اجانب
ليسوا كسائر الاجانب بسبب اعتيادهم الدخول اي اذا بلغ الاطفال الاحرار الاجانب فليستأذنوا اذا ارادوا الدخول عليكم وقوله تعالى كما استأذن الذين
من قبلهم في حيز النصب على انه نعت لمصدر مؤكد للفعل السابق والموصول عبارة عمن قيل لهم لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية ووصفهم
بكونهم قبل هؤلاء باعتبار ذكرهم قبل ذكرهم لا باعتبار بلوغهم قبل بلوغهم كما قيل لان المقصود بالتشبيه بيان كيفية استيذان هؤلاء وزيادة
ايضاحه ولا يتسنى ذلك الا بالتشبيه باستيذان المعهودين عند السامع ولا ريب في ان بلوغهم قبل بلوغ هؤلاء مما لا يخطر ببال احد وان كان الامر
كذلك في الواقع وانما المعهود المعروف ذكرهم قبل ذكرهم اي فليستأذنوا استيذاناً كائناً مثل استيذان المذكورين قبلهم بان يستأذنوا في
جميع الاوقات ويرجعوا ان قيل لهم ارجعوا حسبما فصل فيما سلف كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم الكلام فيه كالذي سبق والتكرير للتأكيد
والمبالغة في الامر بالاستيذان واضافة الآيات الى ضمير الجلالة لتشريفها والقواعد من النساء اي العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل اللاتي لا يرجون نكاحاً
اي لا يطمعن فيه لكبرهن فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اي الثياب الظاهرة كالجلباب ونحوه واللام فيه لان اللام في القواعد

بمعنى اللاتي او للوصف لها **غير متبرجات بزينة** غير مظهرات للزينة مما امر باخفائه كما في قوله تعالى ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف
في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله الا انه خص بكشف المرأة زينتها
ومحاسنها للرجال **وان يستعففن** بترك الوضع **خير لهن** من الوضع لبعده من التهمة **والله سميع** مبالغ في سمع جميع ما يسمع فيسمع ما يجري بينهن وبين الرجال
من المقاولة **عليم** فيعلم مقاصدهن وفيه من الترهيب ما لا يخفى **ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج** كانت هؤلاء الطوائف يتحرجون
من مؤاكلة الاصحاء حذارا من استقذارهم اياهم وخوفا من تأذيهم بافعالهم واوضاعهم فان الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت اليه عين
الاكيل وهو لا يشعر به والاعرج يتفسح في مجلسه فيأخذ اكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو عن حالة تؤذي قرينه وقيل كانوا يدخلون على الرجل
لطلب العلم فاذا لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم الى بيوت آبائهم وامهاتهم او الى بعض من سماهم الله عز وجل في الآية الكريمة فكانوا يتحرجون من
ذلك ويقولون ذهب بنا الى بيت غيره ولعل اهله كارهون لذلك وكذا كانوا يتحرجون من الاكل من اموال الذين كانوا اذا خرجوا الى الغزو
خلفوا هؤلاء الضعفاء في بيوتهم ودفعوا اليهم مفاتيحها واذنوا لهم ان يأكلوا مما فيها مخافة ان لا يكون اذنهم عن طيب نفس منهم وكان
غير هؤلاء ايضا يتحرجون من الاكل في بيوت غيرهم فقيل لهم ليس على الطوائف المعدودة **ولا على انفسكم** اي عليكم وعلى من يماثلكم في الاحوال
من المؤمنين حرج **ان تأكلوا** اي تأكلوا انتم وهم معكم وتعميم الخطاب للطوائف المذكورة ايضا يأباه ما قبله وما بعده فان الخطاب فيهما
لغير اولئك الطوائف حتما **من بيوتكم** اي البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيتهم كبيته لقوله عليه السلام انت ومالك لابيك
وقوله عليه السلام ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه **او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم** وقرئ بكسر الهمزة والميم وبكسر الاولى وفتح الثانية
او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه من البيوت التي تملكون التصرف فيها باذن اربابها على الوجه
الذي مر بيانه وقيل هي بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وجمع المفتاح مفاتيح وقرئ مفتاحه **او صديقكم** اي او بيوت صديقكم وان لم يكن بينكم
وبينه قرابة نسبية فانهم ارضى بالتبسط واسر به من كثير من الاقرباء روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الصديق اكبر من الوالدين وان الجهنميين
لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والامهات بل قالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم والصديق يقع على الواحد والجمع كالخليط والقطين واضرابهما
وهذا فيما اذا علم رضى صاحب البيت بصريح الاذن او بقرينة دالة عليه ولذلك خصص هؤلاء بالذكر لاعتيادهم التبسط فيما بينهم وقوله تعالى **ليس عليكم جناح ان
تأكلوا جميعا او اشتاتا** كلام مستأنف مسوق لبيان حكم آخر من جنس ما بين قبله حيث كان فريق من المؤمنين كبني ليث بن عمرو من كنانة يتحرجون ان يأكلوا طعامهم
منفردين وكان الرجل منهم لا يأكل ويمكث يومه حتى يجد ضيفا يأكل معه فان لم يجد من يؤاكله لم يأكل شيئا وربما قعد الرجل والطعام بين يديه
لا يتناوله من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من البانها حتى يجد من يشاربه فاذا امسى ولم يجد احدا اكل وقيل كان الغني منهم
يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته فيدعوه الى طعامه فيقول اني اتحرج ان آكل معك وانا غني وانت فقير وقيل كان قوم من الانصار لا يأكلون اذا
نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم فرخص لهم في ان يأكلوا كيف شاؤوا وقيل كانوا اذا اجتمعوا ليأكلوا طعاما عزلوا للاعمى واشباهه طعاما على حدة فبين الله
تعالى ان ذلك ليس بواجب وقوله تعالى جميعا حال من فاعل تأكلوا واشتاتا عطف عليه داخل في حكمه وهو جمع شت على انه صفة كالحق يقال امر شت اي
متفرق او على انه في الاصل مصدر وصف به مبالغة اي ليس عليكم ان تأكلوا مجتمعين او متفرقين **فاذا دخلتم** شروع في بيان الآداب التي يجب رعايتها عند
مباشرة ما رخص فيه اثر بيان الرخصة فيه **بيوتا** اي من البيوت المذكورة **فسلموا على انفسكم** اي على اهلها الذين بمنزلة انفسكم لما بينكم وبينهم من القرابة
الدينية والنسبية الموجبة لذلك **تحية من عند الله** اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة للتحية فانها طلب الحياة التي هي من عنده
تعالى وانتصابها على المصدرية لانها بمعنى التسليم **مباركة** مستتبعة لزيادة الخير والثواب ودوامهما **طيبة** تطيب بها نفس المستمع وعن انس رضي الله عنه انه عليه السلام
قال متى لقيت احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خيرك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين **كذلك يبين
الله لكم الآيات** تكرير لتأكيد الاحكام المختتمة وتفخيمها **لعلكم تعقلون** اي ما في تضاعيفها من الشرائع والاحكام وتعملون بموجبها وتفوزون بذلك
سعادة الدارين وفي تعليل هذا التبيين بهذه الغاية القصوى بعد تذييل الاولين بما يوجبهما من الجزالة ما لا يخفى **انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله** استئناف
جيء به في آخر الاحكام السابقة تقريرا لها وتأكيدا لوجوب مراعاتها وتكميلا لها ببيان بعض آخر من جنسها وانما ذكر الايمان بالله ورسوله في حيز
الصلة للموصول الواقع خبرا للمبتدأ مع تضمنه له قطعا تقريرا لما قبله وتمهيدا لما بعده وايذانا بانه حقيق بان يجعل قرينا للايمان بهما منتظما في سلكه

فقوله تعالى **واذا كانوا معه على امر جامع** الى آخره معطوف على آمنوا داخل معه في حيز الصلة اي انما الكاملون في الايمان الذين آمنوا بالله ورسوله عن صميم قلوبهم
واطاعوهما في جميع الاحكام التي من جملتها ما فصل من قبل من الاحكام المتعلقة بعامة احوالهم المطردة في الوقوع واحوالهم الواقعة بحسب الاتفاق كما اذا كانوا
معه عليه السلام على امر مهم يجب اجتماعهم في شأنه كالجمعة والاعياد والحروب وغيرها من الامور الداعية الى اجتماع اولي الآراء والتجارب ووصف الامر بالجمع للمبالغة
وقرئ امر جميع **لم يذهبوا** اي من المجمع مع كون ذلك الامر مما لا يوجب حضورهم لا محالة كما عند اقامة الجمعة ولقاء العدو بل يسوغ التخلف عنه **حتى يستأذنوه**
عليه السلام في الذهاب لا على ان نفس الاستئذان غاية لعدم الذهاب بل الغاية هي الاذن المنوط برأيه عليه السلام والاقتصار على ذكره لانه الذي يتم من
قبلهم وهو المعتبر في كمال الايمان لا الاذن ولا الذهاب المترتب عليه واعتباره في ذلك لما انه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص عن المنافق فان ديدنه التسلل
للفرار ولتعظيم ما في الذهاب بغير اذنه عليه السلام من الجناية وللتنبيه على ذلك عقب بقوله تعالى **ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله**
فقضى بان المستأذنين هم المؤمنون بالله ورسوله كما حكم في الاول بان الكاملين في الايمان هم الجامعون بين الايمان بهما وبين الاستئذان وفي اولئك من
تفخيم شأن المستأذنين ما لا يخفى **فاذا استأذنوك** بيان لما هو وظيفته عليه السلام في هذا الباب اثر بيان ما هو وظيفة المؤمنين وان الاذن عند
الاستئذان ليس بأمر محتوم بل هو مفوض الى رأيه عليه السلام والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي بعد ما تحقق ان الكاملين في الايمان هم المستأذنون
فاذا استأذنوك **لبعض شأنهم** اي لبعض امرهم المهم وخطبهم الملم **فأذن لمن شئت منهم** لما علمت في ذلك من حكمة ومصلحة **واستغفر لهم الله** فان الاستئذان
وان كان لعذر قوي لا يخلو عن شائبة تقديم امر الدنيا على امر الآخرة **ان الله غفور** مبالغ في مغفرة فرطات العباد **رحيم** مبالغ في افاضة
آثار الرحمة عليهم والجملة تعليل للمغفرة الموعودة في ضمن الامر بالاستغفار **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم** استئناف مقرر لمضمون ما قبله والالتفات لابراز
مزيد الاعتناء بشأنه اي لا تجعلوا دعوته عليه السلام اياكم في الاعتقاد والعمل بها **كدعاء بعضكم بعضا** اي لا تقيسوا دعاءه عليه السلام اياكم على دعاء
بعضكم بعضا في حال من الاحوال وامر من الامور التي من جملتها المساهلة فيه والرجوع عن مجلسه عليه السلام بغير استئذان فان ذلك من المحرمات
وقيل لا تجعلوا دعاءه عليه السلام ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه عليه السلام مستجاب لا مرد له عند الله عز وجل
وتقرير الجملة حينئذ لما قبلها اما من حيث ان استجابته تعالى لدعائه عليه السلام مما يوجب امتثالهم باوامره عليه السلام ومتابعتهم له في الورود والصدور
اكمل ايجاب واما من حيث انها موجبة للاحتراز عن التعرض لسخطه عليه الصلاة والسلام المؤدي الى ما يوجب هلاككم من دعائه عليه السلام عليكم واما ما قيل
من ان المعنى لا تجعلوا نداءه عليه السلام كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت والنداء من وراء الحجرات ولكن بلقبه المعظم مثل يا رسول الله
يا نبي الله مع غاية التوقير والتفخيم والتواضع وخفض الصوت فلا يناسب المقام فان قوله تعالى **قد يعلم الله الذين يتسللون منكم** الآية وعيد
للمخالفين امره عليه السلام فيما ذكر من قبل فتوسيط ما ذكر بينهما مما لا وجه له والتسلل الخروج من البين على التدريج والخفية وقد للتحقيق كما
ان رب تجيء للتكثير حسبما بين في مطلع سورة الحجر اي يعلم الله الذين يخرجون من الجماعة قليلا قليلا على خفية **لواذا** اي ملاوذة بان يستتر
بعضهم ببعض حتى يخرج او بان يلوذ بمن يخرج بالاذن اراءة انه من اتباعه وقرئ بفتح اللام وانتصابه على الحالية من ضمير يتسللون اي
ملاوذين او على انه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال في الحقيقة اي يلوذون لواذا والفاء في قوله تعالى **فليحذر الذين يخالفون عن امره** لترتيب الحذر
او الامر به على ما قبلها من علمه تعالى باحوالهم فانه مما يوجب الحذر البتة اي يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لما
لتضمينه معنى الاعراض وحمله على معنى يصدون عن امره دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لما ان المقصود
بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله تعالى لانه الآمر حقيقة او للرسول صلى الله عليه وسلم لانه المقصود بالذكر **ان تصيبهم فتنة** اي محنة في
الدنيا **او يصيبهم عذاب اليم** اي في الآخرة وكلمة او لمنع الخلو دون الجمع واعادة الفعل صريحا للاعتناء بالتهديد والتحذير واستدل به على
ان الامر للايجاب فان ترتيب العذاب على مخالفته كما يوجب التحذير عن اصابتهما يوجب وجوب الامتثال به حتما **الا ان لله ما في السموات والارض** من موجودات
باسرها خلقا وملكا وتصرفا ايجادا واعداما بدءا واعادة **قد يعلم ما انتم عليه** ايها المكلفون من الاحوال والاوضاع التي من جملتها الموافقة
والمخالفة والاخلاص والنفاق **ويوم يرجعون اليه** عطف على ما انتم عليه اي يعلم يوم يرجع المنافقون المخالفون للامر اليه تعالى للجزاء والعقاب
وتعليق علمه تعالى بيوم رجعهم لا برجعهم لزيادة تحقيق علمه تعالى بذلك وغاية تقريره لما ان العلم بوقت وقوع الشيء مستلزم للعلم بوقوعه على

ابلغ وجه وآكده وفيه اشعار بان علمه تعالى بنفس جرمهم من الظهور بحيث لا يحتاج الى البيان قطعا ويجوز ان يكون الخطاب ايضا خاصا بالمنافقين
على طريقة الالتفات وقرئ يرجعون مبنيا للفاعل **فينبئهم بما عملوا** من الاعمال السيئة التي من جملتها مخالفة الامر فيترتب عليه ما يليق به من
التوبيخ والجزاء وقد مر وجه التعبير عن الجزاء بالتنبئة في قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم الآية **والله بكل شيء عليم** لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض
ولا في السماء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان

بسم الله الرحمن الرحيم **تبارك الذي نزل الفرقان** البركة النماء والزيادة حسية كانت او معنوية وكثرة الخير ودوامه ايضا ونسبتها الى الله
عز وجل على المعنى الاول وهو الاليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وافعاله التي من جملتها تنزيل القرآن الكريم المعجز
الناطق بعلو شأنه تعالى وسمو صفاته وابتناء افعاله على اساس الحكم والمصالح وخلوها عن شائبة الخلل بالكلية وصيغة التفاعل للمبالغة
فيما ذكر فان ما لا يتصور نسبته اليه سبحانه حقيقة من الصيغ كالتكبر ونحوه لا ينسب اليه تعالى الا باعتبار غاياتها وعلى المعنى الثاني باعتبار كثرة
ما يفيض منه على مخلوقاته لا سيما على الانسان من فنون الخيرات التي من جملتها تنزيل القرآن المنطوي على جميع الخيرات الدينية والدنيوية والصيغة
حينئذ يجوز ان تكون لافادة نماء تلك الخيرات وتزايدها شيئا فشيئا وآنا فآنا بحسب حدوثها او حدوث متعلقاتها ولاستقلالها بالدلالة
على غاية الكمال وتحققها بالفعل والاشعار بالتعجب المناسب للانشاء والآباء عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها في حق غيره تعالى ولا استعمال
غيرها من الصيغ في حقه تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اي فصل بينهما سمي به القرآن لغاية فرقه بين الحق والباطل باحكامه او بين المحق
والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه من بعض في نفسه وفي انزاله **على عبده** محمد صلى الله عليه وسلم وايراده عليه السلام بذلك العنوان لتشريفه
والايذان بكونه عليه السلام في اقصى مراتب العبودية والتنبيه على ان الرسول لا يكون الا عبدا للمرسل ردا على النصارى **ليكون** غاية للتنزيل
اي نزله عليه ليكون هو عليه السلام او الفرقان **للعالمين** من الثقلين **نذيرا** اي منذرا او انذارا مبالغة او ليكون تنزيله انذارا وعدم
التعرض للتبشير لانسياق الكلام على احوال الكفرة وتقديم اللام على عاملها لمراعاة الفواصل وايراد تنزيل الفرقان في معرض الصلة التي حقها ان
تكون معلومة الثبوت للموصول عند السامع مع انكار الكفرة له لاجرائه مجرى المعلوم المسلم تنبيها على كمال قوة دلائله وكونه بحيث لا يكاد يجهله احد
كقوله تعالى لا ريب فيه **الذي له ملك السموات والارض** اي له خاصة دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا السلطان القاهر والاستيلاء الباهر
عليهما المستلزمان للقدرة التامة والتصرف الكلي فيهما وفيما فيهما ايجادا واعداما واحياء واماتة وامرا ونهيا حسبما تقتضيه
مشيئته المبنية على الحكم والمصالح ومحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها او على انه نعت للموصول الاول
او بيان له او بدل منه وما بينهما ليس باجنبي لانه تمام صلة ومعلومية مضمونه للكفرة مما لا ريب فيه لقوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب
العرش العظيم سيقولون لله ونظائره او مدح له تعالى بالرفع او بالنصب **ولم يتخذ ولدا** كما يزعم الذين يقولون في حق المسيح والملائكة ما
يقولون فسبحان الله عما يصفون وهو معطوف على ما قبله من الجملة الظرفية ونظم في سلك الصلة للايذان بان مضمونه من الوضوح والظهور
بحيث لا يكاد يجهله جاهل لا سيما بعد تقرير ما قبله **ولم يكن له شريك في الملك** اي ملك السموات والارض وهو ايضا عطف على الصلة وافراده
بالذكر مع ان ما ذكر من اختصاص ملكهما به تعالى مستلزم له قطعا للتصريح ببطلان زعم الثنوية القائلين بتعدد الآلهة والرد في نحورهم
وتوسيط نفي اتخاذ الولد بينهما للتنبيه على استقلاله واصالته والاحتراز عن توهم كونه تتمة للاول **وخلق كل شيء** اي احدث كل موجود من
الموجودات احداثا جاريا على سنن التقدير حسبما اقتضته ارادته المبنية على الحكم البالغة بان خلق كلا منها من مواد مخصوصة على صور معينة
ورتب فيها قوى وخواص مختلفة الآثار والاحكام **فقدره** اي هيأه لما اراد به من الخصائص والافعال اللائقة به **تقديرا** بديعا لا يقادر
قدره ولا يبلغ كنهه كتهيئة الانسان للفهم والادراك والنظر والتدبر في امور المعاد والمعاش واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة
الاعمال المختلفة وهكذا احوال سائر الانواع وقيل اريد بالخلق مطلق الايجاد والاحداث مجازا من غير ملاحظة معنى التقدير وان لم يخل عنه
في نفس الامر فالمعنى اوجد كل شيء فقدره في ذلك الايجاد تقديرا واما ما قيل من ان تسمي احداثه تعالى خلقا لانه تعالى لا يحدث شيئا
الا على وجه التقدير من غير تفاوت ففيه ان ارتكاب المجاز بحمل الخلق على مطلق الاحداث للتجريد عن معنى التقدير فاعتباره فيه بوجه آخر

من الوجوه مخل بالمرام قطعا وقيل المراد بالتقدير تقديره للبقاء الى الاجل المسمى واياما كان فالجملة جارية مجرى التعليل لما قبلها من الجمل
المنتظمة مثلها في سلك الصلة فان خلقه تعالى لجميع الاشياء على ذلك النمط البديع كما يقتضي استقلاله تعالى باتصافه بصفات الالوهية يقتضي
انتظام كل ما سواه كائنا ما كان تحت ملكوته القاهرة بحيث لا يشذ عنها شيء من ذلك قطعا وما كان كذلك كيف يتوهم كونه ولدا له سبحانه
او شريكا في ملكه **واتخذوا من دونه آلهة** بعدما بين حقيقة الحق في مطلع السورة الكريمة بذكر تنزيله تعالى الفرقان العظيم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ووصفه تعالى بصفات الكمال وتنزيهه عما لا يليق بشأنه الجليل عقب بحكاية اباطيل المشركين في حق المنزل سبحانه والمنزل والمنزل عليه على
الترتيب واظهار بطلانها والاضمار من غير جريان ذكرهم للثقة بدلالة ما قبله من نفي الشريك عليهم اي اتخذوا لانفسهم متجاوزين الله
الذي ذكر بعض شؤونه العظيمة من اختصاص ملك السموات والارض به تعالى وانتفاء الولد والشريك منه تعالى وخلق جميع الاشياء وتقديرها
ابدع تقدير **آلهة لا يخلقون شيئا** اي لا يقدرون على خلق شيء من الاشياء اصلا **وهم يخلقون** كسائر المخلوقات وقيل لا يقدرون على ان
يختلقوا شيئا وهم يختلقون حيث يختلقهم عبدتهم بالنحت والتصوير وقوله تعالى **ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا** لبيان ما لم يدل عليه ما قبله من مراتب
عجزهم وضعفهم فان بعض المخلوقين العاجزين عن الخلق ربما يملك دفع الضر وجلب النفع في الجملة كالحيوان وهؤلاء لا يقدرون على التصرف
في ضر ليدفعوه عن انفسهم ولا في نفع ما حتى يجلبوه اليهم فكيف يملكون شيئا منهما لغيرهم وتقديم ذكر الضر لان دفعه مع كونه اهم في
نفسه اول مراتب النفع واقدمها والتنصيص على قوله تعالى **ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا** اي لا يقدرون على التصرف في شيء منها باماتة
الاحياء واحياء الموتى وبعثهم بعد بيان عجزهم عما هو اهون من هذه الامور من دفع الضر وجلب النفع للتصريح بعجزهم عن كل واحد مما ذكر على التفصيل
والتنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على جميع ذلك وفيه ايذان بغاية جهلهم وسخافة عقولهم كانهم غير عارفين بانتفاء ما نفي عن آلهتهم من
الامور المذكورة مفتقرون الى التصريح بذلك **وقال الذين كفروا ان هذا الا افك** شروع في حكاية اباطيلهم المتعلقة بالمنزل والمنزل عليه معا
وابطالها والموصول اما عبارة عن غلاتهم في الكفر والطغيان وهم النضر بن الحارث وعبد الله بن امية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم
عن الكلبي ومقاتل ان القائل هو النضر بن الحارث والجمع لمشايعة الباقين له في ذلك واما عن كلهم ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم
بما في حيز الصلة والايذان بان ما تفوهوا به كفر عظيم وفي كلمة هذا حط لرتبة المشار اليه اي ما هذا الا كذب مصروف عن وجهه **افتراه**
يريدون انه اختلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم **واعانه عليه** اي على اختلاقه **قوم آخرون** يعنون اليهود بان يلقوا اليه اخبار الامم
الدارجة وهو يعبر عنها بعبارته وقيل هم جبر ويسار كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التورية والانجيل وقيل هو عايش وقد مر تفصيله
في سورة النحل **فقد جاءوا ظلما** منصوب بجاءوا فان جاء واتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته او بنزع الخافض اي بظلم قاله الزجاج
والتنوين للتفخيم اي جاءوا بما قالوا ظلما هائلا عظيما لا يقادر قدره حيث جعلوا الحق البحت الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
افكا مفترى من قبل البشر وهو من جهة نظمه الرائق وطرزه الفائق بحيث لو اجتمعت الانس والجن على مباراته لعجزوا عن الاتيان بمثل آية من
آياته ومن جهة اشتماله على الحكم الخفية والاحكام المستتبعة للسعادات الدينية والدنيوية والامور الغيبية بحيث لا تناله عقول البشر ولا
يفي بفهمه القوى والقدر **وزورا** اي كذبا كبيرا لا يبلغ غايته حيث نسبوا اليه عليه السلام ما هو بريء منه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها
لكن لا على انهما امران متغايران حقيقة يقع احدهما عقيب الآخر ويحصل بسببه بل على ان الثاني هو عين الاول حقيقة وانما الترتيب
بحسب التغاير الاعتباري وقد لتحقيق ذلك المعنى فان ما جاءوه من الظلم والزور هو عين ما حكي عنهم لكنه لما كان مغايرا له في المفهوم واظهر منه
بطلانا رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم تهويلا لامره **وقالوا اساطير الاولين** بعدما جعلوا الحق الذي لا محيد عنه افكا مختلقا باعانة
البشر بينوا على زعمهم الفاسد كيفية الاعانة والاساطير جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة وهي ما سطره المتقدمون من الخرافات
اكتتبها اي كتبها لنفسه على الاسناد المجازي او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه عليه السلام امي واصله اكتتبها له كاتب
فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل لعدم تعلق الغرض العلمي بخصوصه وبني الفعل للضمير المنفصل
فاستتر فيه **فهي تملى عليه** اي تلقى عليه تلك الاساطير بعد اكتتابها ليحفظها من افواه من يمليها عليه من ذلك المكتتب لكونه
اميا لا يقدر على ان يتلقاها منه بالقراءة او تملى على الكاتب على ان معنى اكتتبها اراد اكتتابها او استكتابها ورجع الضمير المجرور اليه عليه السلام

كاسناد الكتابة في ضمن الاكتتاب اليه عليه السلام **بكرة واصيلا** اي دائما او خفية قبل انتشار الناس وحين يأوون الى مساكنهم انظر الى
هذه الرتبة من الجرأة العظيمة قاتلهم الله انى يؤفكون **قل** لهم ردا عليهم وتحقيقا للحق **انزله الذي يعلم السر في السموات والارض** وصفه تعالى بإحاطة
علمه بجميع المعلومات الجلية والخفية للايذان بانطواء ما انزله على اسرار مطوية عن عقول البشر مع ما فيه من التعريض بمجازاتهم بجناياتهم
الخفية التي هي من جملة معلوماته تعالى اي ليس ذلك كما يفترى ويفتعل باعانة قوم وكتابة آخرين من الاحاديث الملفقة واساطير الاولين
بل هو امر سماوي انزله الله الذي لا يعزب عن علمه شيء من الاشياء واودع فيه فنون الحكم والاسرار على وجه بديع لا يحوم حوله الافهام
حيث اعجزكم قاطبة بفصاحته وبلاغته واخبركم بمغيبات مستقبلة وامور مكنونة لا يهتدى اليها ولا يوقف عليها الا بتوفيق العليم الخبير
وقد جعلتموه افكا مفترى من قبيل الاساطير واستوجبتم بذلك ان يصب عليكم سوط العذاب صبا فقوله تعالى **انه كان غفورا رحيما** تعليل
لما هو المشاهد من تأخير العقوبة اي انه تعالى ازلا وابدا مستمر على المغفرة والرحمة المستتبعتين للتأخير فلذلك لا يعجل بعقوبتكم على ما
تقولون في حقه مع كمال استيجابه اياها وغاية قدرته تعالى عليها **وقالوا مال هذا الرسول** شروع في حكاية جناياتهم المتعلقة بخصوصية المنزل
عليه وما استفهامية بمعنى انكار الوقوع ونفيه مرفوعة على الابتداء خبرها ما بعدها من الجار والمجرور وفي هذا تصغير لشأنه عليه السلام و
تسميته عليه السلام رسولا بطريق الاستهزاء به عليه السلام كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم وقوله تعالى **يأكل الطعام** حال من الرسول
والعامل فيها ما عمل في الجار من معنى الاستقرار اي اي سبب حصل لهذا الذي يدعي الرسالة حال كونه يأكل الطعام كما نأكل **ويمشي في الاسواق** لابتغاء
الارزاق كما نفعله على توجيه الانكار والنفي الى السبب فقط مع تحقق المسبب الذي هو مضمون الجملة الحالية كما في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون
وقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فكما ان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء امر محقق قد انكر واستبعد تحققه لانتفاء سببه بل لوجود سبب
نقيضه كذلك كل من الاكل والمشي امر محقق قد استبعد تحققه لانتفاء سببه بل لوجود سبب عدمه خلا ان استبعاد المسبب وانكار السبب ونفيه في
عدم الايمان وعدم الرجاء بطريق التحقيق وفي الاكل والمشي بطريق التهكم والاستهزاء فانهم لا يستبعدونهما ولا ينكرون سببهما حقيقة بل
هم معترفون بوجودهما وتحقق سببهما وانما الذي يستبعدونه الرسالة المنافية لهما على زعمهم يعنون انه ان صح ما يدعيه فما باله لم يخالف
حاله حالنا وهل هو الا لعمههم وركاكة عقولهم وقصور انظارهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو بامور
نفسانية كما اشير اليه بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد **لولا انزل اليه ملك** اي على صورته وهيئته **فيكون معه نذيرا**
تنزل منهم عن اقتراح ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والشرب الى اقتراح ان يكون معه ملك يصدقه ويكون ردءا له في الانذار وهو يعبر
عنه ويفسر ما يقوله للعامة وقوله تعالى **او يلقى اليه كنز** تنزل من تلك المرتبة الى اقتراح ان يلقى اليه من السماء كنز يستظهر به ولا
يحتاج الى طلب المعاش ويكون دليلا على صدقه وقوله تعالى **او تكون له جنة يأكل منها** تنزل من ذلك الى اقتراح ما هو ايسر منه واقرب من الوقوع
وقرئ نأكل بنون الحكاية وفيه مزيد مكابرة وفرط تهكم **وقال الظالمون** هم القائلون الاولون وانما وضع المظهر موضع ضميرهم تسجيلا
عليهم بالظلم وتجاوز الحد فيما قالوه لكونه اضلالا خارجا عن حد الضلال مع ما فيه من نسبته صلى الله عليه وسلم الى المسحورية اي قالوا للمؤمنين
ان تتبعون اي ما تتبعون **الا رجلا مسحورا** قد سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهي الرئة اي بشرا لا ملكا على ان الوصف لزيادة التقرير والاول
هو الانسب بحالهم **انظر كيف ضربوا لك الامثال** استعظام للاباطيل التي اجترءوا على التفوه بها وتعجيب منها اي انظر كيف قالوا في حقك تلك الاقاويل
العجيبة الخارجة عن العقول الجارية لغرابتها مجرى الامثال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال الشاذة البعيدة من الوقوع **فضلوا** اي عن
طريق المحاجة حيث لم يأتوا بشيء يمكن صدوره عمن له ادنى عقل وتمييز فبقوا متحيرين **فلا يستطيعون سبيلا** الى القدح في نبوتك بان يجدوا قولا
يستقرون عليه وان كان باطلا في نفسه او فضلوا عن الحق ضلالا مبينا فلا يجدون طريقا موصلا اليه فان من اعتاد استعمال امثال هذه
الاباطيل لا يكاد يهتدي الى استعمال المقدمات الحقة **تبارك الذي** اي تكاثر وتزايد خير الذي **ان شاء جعل لك** في الدنيا عاجلا شيئا **خيرا من ذلك**
الذي اقترحوه من ان يكون لك جنة تأكل منها بان يعجل لك مثل ما وعدك في الآخرة وقوله تعالى **جنات تجري من تحتها الانهار** بدل من خيرا ومحقق
لخيريته كما قالوا لان ذلك كان مطلقا عن قيد التعدد وجريان الانهار **ويجعل لك قصورا** عطف على محل الجزاء الذي هو جعل وقرئ بالرفع
عطفا على نفسه لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كما في قول القائل وان اتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي

ولا حرم ويجوز ان يكون استئنافا بوعد ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو وتعليق ذلك بمشيئته تعالى للايذان بان
عدم جعلها بمشيئته المبنية على الحكم والمصالح وعدم التعرض لجواب الاقتراحين الاولين للتنبيه على خروجهما عن دائرة العقل واستغنائهما
عن الجواب لظهور بطلانهما ومنافاتهما للحكمة التشريعية وانما الذي له وجه في الجملة هو الاقتراح الاخير فانه غير مناف للحكمة بالكلية فان بعض
الانبياء عليهم السلام قد اوتوا في الدنيا مع النبوة ملكا عظيما **بل كذبوا بالساعة** اضراب عن توبيخهم بحكاية جناياتهم السابقة وانتقال منه الى
توبيخهم بحكاية جناياتهم الاخرى للتخلص الى بيان ما لهم في الآخرة بسببها من فنون العذاب بقوله تعالى **واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا**
اي اعتدنا لهم نارا عظيمة شديدة الاشتعال شأنها كيت وكيت بسبب تكذيبهم بها على ما يشعر به وضع الموصول موضع ضميرهم او لكل
من كذب بها كائنا من كان وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا ووضع الساعة موضع ضميرها للمبالغة في التشنيع ومدار اعتاد السعير لهم
وان لم يكن مجرد تكذيبهم بالساعة بل مع تكذيبهم بسائر ما جاء به من الشريعة الشريفة لكن الساعة لما كانت هي العلة القريبة لدخولهم السعير اشير الى
سببية تكذيبهم لدخولها وقيل هو عطف على قالوا ما لهذا الى آخره على معنى بل اتوا باعجب من ذلك حيث كذبوا بالساعة وانكروها والحال انا قد
اعتدنا لكل من كذب بها سعيرا فان جراءتهم على التكذيب بها وعدم خوفهم مما اعد لمن كذب بها من انواع العذاب اعجب من القول الاول
وقيل هو متصل بما قبله من الجواب المبني على التحقيق المنبئ عن الوعد بالجنات في الآخرة مسوق لبيان ان ذلك لا يجدي نفعا ولا يحلى بطائل على
طريقة قول من قال عوجوا لنعم فحيوا دمنة الدار ماذا تحيون من نؤي واحجار والمعنى انهم لا يؤمنون بالساعة فكيف يقتنعون بهذا الجواب
وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وقيل المعنى بل كذبوا بها فقصرت انظارهم على الحظوظ الدنيوية وظنوا ان الكرامة ليست الا بالمال وجعلوا
فقرك ذريعة الى تكذيبك وقوله تعالى **اذا رأتهم** الى آخره صفة للسعير اي اذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد كقوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما
اي لا تتقاربان بحيث تكون احداهما بمرأى من الاخرى على المجاز كأن بعضها يرى البعض ونسبة الرؤية اليها لا اليهم للايذان بان التغيظ
والزفير منها لهيجان غضبها عليهم عند رؤيتها اياهم حقيقة او تمثيلا وفي قوله تعالى **من مكان بعيد** اشعار بان بعد ما بينها وبينهم من
المسافة حين رأتهم خارج عن حدود البعد المعتاد في المسافات المعهودة وفيه مزيد تهويل لامرها قال الكلبي والسدي من مسيرة مائة سنة وقيل
من مسيرة مائتي سنة **سمعوا لها تغيظا وزفيرا** اي صوت تغيظ على تشبيه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا
وان الحيوة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله تعالى فيها حيوة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على
حذف المضاف **واذا القوا منها مكانا** نصب على الظرفية ومنها حال منه لانه في الاصل صفة له **ضيقا** صفة لمكانا مفيدة لزيادة شدة فان الكرب
مع الضيق كما ان الروح مع السعة وهو السر في وصف الجنة بان عرضها السموات والارض وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله تعالى عنهم تضيق
جهنم عليهم كما يضيق الزج على الرمح وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال والذي نفسي بيده انهم يستكرهون في النار كما يستكره
الوتد في الحائط قال الكلبي الاسفلون يرفعهم اللهب والاعلون يحطهم الداخلون فيزدحمون فيها وقرئ ضيقا بسكون الياء **مقرنين** حال
من مفعول القوا اي اذا القوا منها مكانا ضيقا حال كونهم مقرنين قد قرنت ايديهم الى اعناقهم بالجوامع وقيل مقرنين مع الشياطين في السلاسل
كل كافر مع شيطانه وفي ارجلهم الاصفاد **دعوا هنالك** اي في ذلك المكان الهائل والحالة الفظيعة **ثبورا** اي يتمنون هلاكا
وينادونه يا ثبوراه تعال فهذا حينك واوانك **لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا** على تقدير قول اما منصوب على انه حال من فاعل دعوا اي
مقولا لهم ذلك حقيقة بان يخاطبهم الملائكة به لتنبيههم على خلود عذابهم وانهم لا يجابون الى ما يدعونه ولا ينالون ما يتمنونه من الهلاك
المنجي او تمثيلا وتصويرا لحالهم بحال من يقال له ذلك من غير ان يكون هناك قول ولا خطاب اي دعوه حال كونهم احقاء بان يقال
لهم ذلك واما مستأنف وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كأنه قيل فماذا يكون عند دعائهم المذكور فقيل يقال لهم ذلك اقناطا مما علقوا
به اطماعهم من الهلاك وتنبيها على ان عذابهم الملجئ لهم الى استدعاء الهلاك بالمرة ابدي لا خلاص لهم منه اي لا تقتصروا على دعاء ثبور واحد
وادعوا ثبورا كثيرا اي بحسب كثرة الدعاء المتعلق به لا بحسب كثرته في نفسه فان ما يدعونه ثبور واحد في حد ذاته لكنه كلما تعلق به
دعاء من تلك الادعية الكثيرة صار كأنه ثبور مغاير لما تعلق به دعاء آخر منها وتحقيقه لا تدعوه دعاء واحدا وادعوه ادعية كثيرة
فان ما انتم فيه من العذاب لغاية شدته وطول مدته مستوجب لتكرير الدعاء في كل آن وهذا ادل على فظاعة العذاب وهوله من جعل

تعدد الدعاء وتجدده لتعدد العذاب بتعدد انواعه والوانه او لتعدده بتجدد الجلود كما لا يخفى واما ما قيل من ان المعنى انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه
واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب انواع والوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته او لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية
لهلاكهم فلا يلائم المقام كيف لا وهم انما يدعون هلاكا ينهي عذابهم وينجيهم منه فلا بد ان يكون الجواب اقناطا لهم عن ذلك ببيان استحالته ودوام
ما يوجب استدعاءه من العذاب الشديد وتقييد النهي والامر باليوم لمزيد التهويل والتفظيع والتنبيه على انه ليس كسائر الايام المعهودة
تقريعا لهم وتهكما بهم وتحسيرا على ما فاتهم قل اذلك اشارة الى ما ذكر من السعير باعتبار اتصافها بما فصل من الاحوال الهائلة وما فيه من معنى البعد
للاشعار بكونها في الغاية القاصية من الهول والفظاعة اي قل لهم اذلك الذي ذكر من السعير التي اعتدت لمن كذب بالساعة وشأنها كيت
وكيت وشأن اهلها ذيت وذيت خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون اي وعدها المتقون واضافة الجنة الى الخلد للمدح وقيل للتمييز عن جنات الدنيا
والمراد بالمتقين المتصفون بمطلق التقوى لا بالمرتبة الثانية او الثالثة منها فقط كانت تلك الجنة لهم في علم الله تعالى او في اللوح
ما وعده الله تعالى فهو كائن لا محالة فحكي تحققه ووقوعه جزاء على اعمالهم حسبما مر من الوعد الكريم ومصيرا ينقلبون اليه لهم فيها ما يشاؤن
ما يشاؤنه من فنون الملاذ والمشتهيات وانواع النعيم كما في قوله تعالى ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولعل كل فريق منهم يقنع بما اتيح له من درجات
النعيم ولا يمتد اعناق هممهم الى ما فوق ذلك من المراتب العالية فلا يلزم الحرمان ولا تساوي مراتب اهل الجنان خالدين حال من الضمير المستكن في
الجار والمجرور لاعتماده على المبتدأ وقيل من فاعل يشاؤن كان اي ما يشاؤنه وقيل الوعد المدلول عليه بقوله تعالى وعد المتقون على ربك وعدا مسئولا
اي موعودا حقيقا بان يسأل ويطلب لكونه مما يتنافس فيه المتنافسون او مسئولا يسأله الناس في دعائهم بقولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على
رسلك او الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده تعالى ولا يلزم منه الالجاء
الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود متقدم على الوعد الموجب للانجاز وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
من تشريفه والاشعار بانه عليه السلام هو الفائز بمغانم الوعد الكريم ما لا يخفى ويوم يحشرهم نصب على انه مفعول لمضمر مقدم معطوف
على قوله تعالى قل اذلك الى آخره اي واذكر لهم بعد التقريع والتحسير يوم يحشرهم الله عز وجل وتعليق التذكير باليوم مع ان المقصود تذكير ما
وقع فيه من الحوادث الهائلة قد مر وجهه غير مرة او على انه ظرف لمضمر مؤخر قد حذف للتنبيه على كمال هوله وما فيه والايذان بقصور العبارة
عن بيانه اي يوم يحشرهم يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفي ببيانه المقال وقرئ بنون العظمة بطريق الالتفات من الغيبة الى التكلم وبكسر الشين
ايضا وما يعبدون من دون الله اريد به ما يعم العقلاء وغيرهم اما لان كلمة ما موضوعة للكل كما ينبئ عنه انك اذا رأيت شبحا من بعيد تقول
ما هو او لانه اريد به الوصف لا الذات كأنه قيل ومعبوديهم او لتغليب الاصنام على غيرها تنبيها على انهم مثلها في السقوط عن رتبة المعبودية
او اعتبارا لغلبة عبدتها او اريد به الملائكة والمسيح وعزير بقرينة السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله تعالى او تكلم بلسان الحال كما قيل
في شهادة الايدي والارجل فيقول اي الله عز وجل للمعبودين اثر حشر الكل تقريعا للعبدة وتبكيتا لهم وقرئ بالنون كما عطف عليه وقرئ
بالياء والاول بالنون على طريق الالتفات الى الغيبة ءانتم اضللتم عبادي هؤلاء بان دعوتموهم الى عبادتكم كما في قوله تعالى ءانت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين من دون الله ام هم ضلوا السبيل اي عن السبيل بانفسهم لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد فحذف الجار واوصل الفعل
الى المفعول كقوله تعالى وهو يهدي السبيل والاصل الى السبيل او للسبيل وتقديم الضميرين على الفعلين لما ان المقصود بالسؤال هو المتصدي للفعل
لا نفسه قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية السؤال كأنه قيل فماذا قالوا في الجواب فقيل قالوا سبحانك تعجبا مما قيل لهم لانهم
اما ملائكة معصومون او جمادات لا قدرة لها على شيء او اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه تعالى وتوحيده فكيف يتأتى منهم اضلال عباده
او تنزيها له تعالى عن الانداد ما كان ينبغي لنا اي ما صح وما استقام لنا ان نتخذ من دونك متجاوزين اياك من اولياء نعبدهم لما بنا من الحالة المنافية
له فانى يتصور ان نحمل غيرنا على ان يتخذ وليا غيرك فضلا ان يتخذنا وليا او ان نتخذ من دونك اولياء اي اتباعا فان الولي كما
يطلق على المتبوع يطلق على التابع كالمولى يطلق على الاعلى والاسفل ومنه اولياء الشيطان اي اتباعه وقرئ على البناء للمفعول من المتعدي
الى المفعولين كما في قوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثاني من اولياء على ان من للتبعيض اي ان نتخذ بعض اولياء وهي على الاول
مزيدة وتنكير اولياء من حيث انهم اولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام ولكن متعتهم وآباءهم استدراك مسوق لبيان انهم هم الضالون

بعد بيان تنزههم عن اضلالهم وقد نعي عليهم سوء صنيعهم حيث جعلوا اسباب الهداية اسبابا للضلالة اي ما اضللناهم ولكن متعتهم وآباءهم
بانواع النعم ليعرفوا حقها ويشكروها فاستغرقوا في الشهوات وانهمكوا فيها حتى نسوا الذكر اي غفلوا عن ذكرك او عن التذكر في آلائك
والتدبر في آياتك فجعلوا اسباب الهداية بسوء اختيارهم ذريعة الى الغواية وكانوا اي في قضائك المبني على علمك الازلي المتعلق بما سيصدر عنهم فيما
لا يزال باختيارهم من الاعمال السيئة قوما بورا هالكين على ان بورا مصدر وصف به الفاعل مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع او جمع بائر
كعوذ في جمع عائذ والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقوله تعالى فقد كذبوكم حكاية لاحتجاجه تعالى على العبدة بطريق تلوين الخطاب وصرفه
عن المعبودين عند تمام جوابهم وتوجيهه الى العبدة مبالغة في تقريعهم وتبكيتهم على تقدير قول مرتب على الجواب اي فقال الله تعالى عند ذلك فقد كذبكم
المعبودون ايها الكفرة بما تقولون اي في قولكم انهم آلهة وقيل في قولكم هؤلاء اضلونا ويأباه ان تكذيبهم في هذا القول لا تعلق له
بما بعده من عدم استطاعتهم للصرف والنصر اصلا وانما الذي يستتبعه تكذيبهم في زعمهم انهم آلهتهم وناصروهم والباء بمعنى في
او هي صلة للتكذيب على ان الجار والمجرور بدل اشتمال من الضمير المنصوب وقرئ بالياء اي كذبوكم بقولهم سبحانك الآية فما تستطيعون
اي ما تملكون صرفا اي دفعا للعذاب عنكم بوجه من الوجوه كما يعرب عنه التنكير اي لا بالذات ولا بالواسطة وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف
في اموره اي يحتال فيها وقيل توبة ولا نصرا اي فردا من افراد النصر لا من جهة انفسكم ولا من جهة غيركم والفاء لترتيب عدم الاستطاعة على ما
قبلها من التكذيب لكن لا على معنى انه لولاه لوجدت الاستطاعة حقيقة بل في زعمهم حيث كانوا يزعمون انهم يدفعون عنهم العذاب وينصرونهم
وفيه ضرب تهكم بهم وقرئ يستطيعون على صيغة الغيبة اي ما يستطيع آلهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب ويحتالوا لكم ولا ان ينصروكم وترتيب ما بعد الفاء
على ما قبلها كما مر بيانه ومن يظلم منكم ايها المكلفون كدأب هؤلاء حيث ركبوا متن المكابرة والعناد واستمروا على ما هم عليه من الفساد وتجاوزوا
في اللجاج كل حد معتاد نذقه في الآخرة عذابا كبيرا لا يقادر قدره وهو عذاب النار وقرئ يذقه على ان الضمير لله سبحانه وقيل لمصدر الفعل الواقع
شرطا وتعميم الظلم لا يستلزم اشتراك الفاسق للكافر في ذاقة العذاب الكبير فان الشرط باقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة
والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق جواب عن قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام
ويمشي في الاسواق والجملة الواقعة بعد الا صفة لموصوف قد حذف ثقة بدلالة الجار والمجرور عليه واقيمت هي مقامه كما في قوله تعالى وما منا الا له مقام
معلوم والمعنى ما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا آكلين وماشين وقيل هي حال والتقدير الا وانهم ليأكلون الى آخره وقرئ يمشون
على البناء للمفعول اي يمشيهم حوائجهم او الناس وجعلنا بعضكم تلوين للخطاب بتعميمه لسائر الرسل عليهم السلام بطريق التغليب والمراد
بهذا البعض كفار الامم فان اختصاصهم بالرسل وتبعيتهم لهم مصحح لان يعدوا بعضا منهم وبما في قوله تعالى لبعض رسلهم لكن لا على معنى جعلنا
مجموع البعض الاول فتنة اي ابتلاء ومحنة لمجموع البعض الثاني ولا على معنى جعلنا لكل فرد من افراد البعض الاول فتنة لكل فرد من افراد
البعض الثاني ولا على معنى جعلنا بعضا مبهما من الاولين فتنة لبعض مبهم من الآخرين ضرورة ان مجموع الرسل من حيث هو مجموع غير مفتون
بمجموع الامم ولا كل فرد منهم بكل فرد من الامم ولا بعض مبهم من الآخرين ببعض مبهم من الاولين بل على معنى جعلنا كل بعض معين من الامم
فتنة لبعض معين من الرسل كأنه قيل وجعلنا كل امة مخصوصة من الامم الكافرة فتنة لرسولها المعين المبعوث اليها وانما لم يصرح
بذلك تعويلا على شهادة الحال هذا واما تعميم الخطاب لجميع المكلفين وابقاء البعضين على العموم والابهام على معنى وجعلنا بعضكم ايها
الناس فتنة لبعض آخر منكم فيأباه قوله تعالى اتصبرون فانه غاية للجعل المذكور ومن البين ان ليس ابتلاء كل احد من آحاد الناس
منحصرا بالصبر بل بما يناسب حاله على ان الاقتصار على ذكره من غير تعرض لمعادله مما يدل على ان اللائق بحال المفتونين والمتوقع صدوره عنهم
هو الصبر لا غير فلا بد ان يكون المراد بهم الرسل فيحصل به تسليته عليه السلام فالمعنى جرت سنتنا بموجب حكمتنا على ابتلاء المرسلين باممهم وبمناصبتهم
لهم العداوة وايذائهم لهم واقاويلهم الخارجة عن حدود الانصاف لنعلم صبركم وقوله تعالى وكان ربك بصيرا وعد كريم للرسول صلى الله عليه وسلم
بالاجر الجزيل لصبره الجميل مع مزيد تشريف له عليه السلام بالالتفات الى اسم الرب مضافا الى ضميره صلى الله عليه وسلم وقال الذين لا يرجون لقاءنا شروع
في حكاية بعض آخر من اقاويلهم الباطلة وبيان بطلانها اثر ابطال اباطيلهم السابقة والجملة معطوفة على قوله تعالى وقالوا ما لهذا الرسول
الى آخره ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة على ان ما يحكى عنهم من الشناعة بحيث لا يصدر عمن يعتقد المصير الى الله عز وجل

ولقاء الشيء عبارة عن مصادفته من غير أن يمنع مانع من إدراكه بوجه من الوجوه والمراد بلقائه تعالى إما الرجوع إليه تعالى بالبعث والحشر أو لقاء حسابه تعالى
كما في قوله تعالى إني ظننت أني ملاق حسابيه وبعدم رجائهم إياه عدم توقعهم له لإنكارهم البعث والحساب بالكلية لا عدم أملهم حسن اللقاء ولا عدم
خوفهم سوء اللقاء لأن عدمهما غير مستلزم لما هم عليه من العتو والاستكبار وإنكار البعث والحساب رأسا أي وقال الذين لا يتوقعون الرجوع إلينا
أو حسابنا المؤدي إلى سوء العذاب الذي يستوجبه مقالتهم لولا أنزل علينا الملائكة أي هلا أنزلوا علينا لنخبر بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل
هلا أنزلوا علينا بطريق الرسالة وهو الأنسب لقولهم أو نرى ربنا من حيث أن كلا القولين ناشئ عن غاية غلوهم في المكابرة والعتو حسبما
يعرب عنه قوله تعالى لقد استكبروا في أنفسهم أي في شأنها حتى اجترؤوا على التفوه بمثل هذه العظيمة الشنعاء وعتوا أي تجاوزوا الحد في الظلم والطغيان
عتوا كبيرا بالغا أقصى غاياته حيث أملوا نيل مرتبة المفاوضة الإلهية من غير توسط الرسول والملك كما قالوا لولا يكلمنا الله ولم يكتفوا
بما عاينوا من المعجزات القاهرة التي تخر لها صم الجبال فذهبوا في الاقتراح كل مذهب حتى منتهم أنفسهم الخبيثة أماني لا تكاد ترنو إليها
أحداق الأمم ولا تمتد إليها أعناق الهمم ولا ينالها إلا أولو العزائم الماضية من الأنبياء عليهم السلام واللام جواب قسم محذوف أي والله
لقد استكبروا الآية وفيه من الدلالة على غاية قبح ما هم عليه والإشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم ما لا يخفى يوم يرون الملائكة استئناف
مسوق لبيان ما يلقونه عند مشاهدتهم لما اقترحوه من نزول الملائكة عليهم السلام بعد استعظامه وبيان كونه في غاية ما يكون من الشناعة
وإنما قيل يوم يرون دون أن يقال يوم ينزل الملائكة إيذانا من أول الأمر بأن رؤيتهم لهم ليست على طريق الإجابة إلى ما اقترحوه بل على وجه
آخر غير معهود ويوم منصوب على الظرفية بما يدل عليه قوله تعالى لا بشرى يومئذ للمجرمين فإنه في معنى لا يبشر يومئذ المجرمون والعدول إلى نفي الجنس للمبالغة
في نفي البشرى وما قيل من أنه بمعنى يمنعون البشرى أو يعدمونها تهوين للخطب في مقام التهويل فإن منع البشرى وفقدانها مشعران بأن
هناك بشرى يمنعونها أو يفقدونها وأين هذا من نفيها بالكلية وحيث كان نفيها كناية عن إثبات ضدها كما أن نفي المحبة في مثل قوله تعالى
والله لا يحب الكافرين كناية عن البغض والمقت دل على ثبوت المنذري لهم على أبلغ وجه وآكده وقيل منصوب بفعل مقدر يؤكده بشرى على أن لا
نافية للجنس وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم عليه أي اذكر يوم رؤيتهم الملائكة ويومئذ على كل حال تكرير للتأكيد والتهويل مع ما فيه من الإيذان
بأن تقديم الظرف للاهتمام لا للقصر في نفي البشرى على ذلك الوقت فقط فإن ذلك مخل بتفظيع حالهم وللمجرمين تبيين على أنه مظهر وضع موضع
الضمير تسجيلا عليهم بالإجرام مع ما هم عليه من الكفر وحمله على العموم بحيث يتناول فساق المؤمنين ثم الالتجاء في إخراجهم عن الحرمان الكلي إلى
أن نفي البشرى حينئذ لا يستلزم نفيه في جميع الأوقات فيجوز أن يبشروا بالعفو والشفاعة في وقت آخر بمعزل من الحق بعيد ويقولون عطف على ما
ذكر من الفعل المنفي المنبئ عن كمال فظاعة ما يحيق بهم من الشر وغاية هول مطلعه ببيان أنهم يقولون عند مشاهدتهم له حجرا محجورا وهي
كلمة يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور وهجوم نازلة هائلة يضعونها موضع الاستعاذة حيث يطلبون من الله تعالى أن يمنع المكروه فلا
يلحقهم فكان المعنى نسأل الله تعالى أن يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا وكسر الحاء تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما في قعدك وعمرك وقرئ
حجرا بالضم والمعنى أنهم يطلبون نزول الملائكة عليهم السلام ويقترحونه وهم إذا رأوهم كرهوا لقاءهم أشد كراهة وفزعوا منهم فزعا
شديدا وقالوا ما كانوا يقولونه عند نزول خطب شنيع وحلول بأس فظيع ومحجورا صفة لحجرا وإرادة للتأكيد كما قالوا ذيل ذائل وليل أليل
وقيل يقولها الملائكة إقناطا للكفرة بمعنى حراما عليكم الغفران أو الجنة أو البشرى أي جعل الله تعالى ذلك حراما عليكم وليس بواضح وقدمنا
إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا بيان لحال ما كانوا يعملونه في الدنيا من صلة رحم وإغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على أسير وغير ذلك من مكارمهم
ومحاسنهم التي لو كانوا عملوها مع الإيمان لنالوا ثوابها بتمثيل حالهم وحال أعمالهم المذكورة بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم
إلى أشيائهم وقصد إلى ما تحت أيديهم فأتى عليها بالإفساد والتمزيق وفرقها كل ممزق بحيث لم يدع لها عينا ولا أثرا أي عمدنا إليها وأبطلناها
أي أظهرنا بطلانها بالكلية من غير أن يكون هناك قدوم ولا شيء يقصد تشبيهه به والهباء شبه غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة
من الهبوة وهي الغبار ومنثورا صفته شبه به أعمالهم المحبطة في الحقارة وعدم الجدوى ثم بالمنثور منه في الانتشار بحيث لا يمكن نظمه أو مفعول ثالث
من حيث أنه كالخبر بعد الخبر كما في قوله تعالى كونوا قردة خاسئين أصحاب الجنة هم المؤمنون المشار إليهم في قوله تعالى قل أذلك خير أم جنة الخلد
التي وعد المتقون إلى آخره يومئذ أي يوم إذ يكون ما ذكر من عدم التبشير وقولهم حجرا محجورا وجعل أعمالهم هباء منثورا خير مستقرا

المستقر

المستقر المكان الذي يستقر فيه في أكثر الأوقات للتجالس والتحادث وأحسن مقيلا المقيل المكان الذي يؤوى إليه للاسترواح إلى الأزواج والتمتع
بمغازلتهن سمي بذلك لما أن التمتع به يكون في وقت القيلولة وقيل لأنه يفرغ من الحساب في منتصف ذلك اليوم فيقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في
النار وفي وصفه بزيادة الحسن مع حصول الخيرية بعطفه على المستقر رمز إلى أنه مزين بفنون الزين والزخارف والتفضيل المعتبر فيهما
إما لإرادة الزيادة على الإطلاق أي هم في أقصى ما يكون من خيرية المستقر وحسن المقيل وإما بالإضافة إلى ما للكفرة المتنعمين في الدنيا أو إلى ما لهم في الآخرة
بطريق التهكم بهم كما مر في قوله تعالى قل أذلك خير الآية هذا وقد جوز أن يراد بأحدهما المصدر أو الزمان إشارة إلى أن مكانهم وزمانهم أطيب
ما يتخيل من الأمكنة والأزمنة ويوم تشقق السماء أي تتفتح وأصله تتشقق فحذفت إحدى التاءين كما في تلظى وقرئ بإدغام التاء في الشين
بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة قيل هو غمام أبيض
رقيق مثل الضبابة ولم يكن إلا لبني إسرائيل ونزل الملائكة تنزيلا أي تنزيلا عجيبا غير معهود قيل تنشق سماء سماء وتنزل الملائكة خلال ذلك
الغمام بصحائف أعمال العباد وقرئ ونزلت الملائكة ونزل وتنزل على صيغة المتكلم من الإنزال والتنزيل وتنزل الملائكة ونزل
الملائكة على حذف النون الذي هو فاء الفعل من تنزل الملك يومئذ الحق للرحمن أي السلطنة القاهرة والاستيلاء الكلي العام الثابت صورة
ومعنى ظاهرا وباطنا بحيث لا زوال له أصلا ثابت للرحمن يومئذ فالملك مبتدأ والحق صفته وللرحمن خبره ويومئذ ظرف لثبوت الخبر للمبتدأ
وفائدة التقييد أن ثبوت الملك المذكور له تعالى خاصة يومئذ وأما فيما عداه من أيام الدنيا فيكون لغيره أيضا تصرف صوري في الجملة وقيل
الملك مبتدأ والحق خبره وللرحمن متعلق بالحق أو بمحذوف على التبيين أو بمحذوف هو صفة للحق ويومئذ معمول للملك وقيل الخبر يومئذ
والحق نعت للملك وللرحمن على ما ذكر وأيا ما كان فالجملة بمعناها عاملة في الظرف أي ينفرد الله تعالى بالملك يوم تشقق وقيل الظرف منصوب
باذكر فالجملة حينئذ استئناف مسوق لبيان أحواله وأهواله وإيراده تعالى بعنوان الرحمانية للإيذان بأن اتصافه تعالى بغاية الرحمة
لا يهون الخطب على الكفرة لعدم استحقاقهم للرحمة كما في قوله تعالى يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم والمعنى أن الملك الحقيقي يومئذ
للرحمن وكان ذلك اليوم مع كون الملك فيه لله المبالغ في الرحمة لعباده يوما على الكافرين عسيرا شديدا لهم وتقديم الجار والمجرور لمراعاة
الفواصل وأما للمؤمنين فيكون يسيرا بفضل الله تعالى وقد جاء في الحديث أنه يهون يوم القيامة على المؤمنين حتى يكون أخف عليهم من
صلاة مكتوبة صلوها في الدنيا والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ويوم يعض الظالم على يديه عض اليدين والأنامل وأكل البنان وحرق
الأسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لأنها من روادفها والمراد بالظالم إما عقبة بن أبي معيط على ما قيل من أنه كان يكثر مجالسة النبي صلى الله
عليه وسلم فدعاه عليه السلام يوما إلى ضيافته فأبى عليه السلام أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبي بن خلف صديقه
فعاتبه وقال صبأت فقال لا ولكن أبى أن يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال إني لا أرضى منك إلا أن تأتيه فتطأ
قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال عليه السلام لا ألقاك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فأسر
يوم بدر فأمر عليا رضي الله عنه فقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت الأنصاري وطعن عليه السلام أبيا يوم أحد في المبارزة فرجع إلى مكة فمات وإما
جنس الظالم وهو داخل فيه دخولا أوليا وقوله تعالى يقول إلى آخره حال من فاعل يعض وقوله تعالى يا ليتني إلى آخره محكي به ويا إما لمجرد التنبيه من غير
قصد إلى تعيين المنبه والمنادى محذوف أي يا هؤلاء ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا أي طريقا واحدا منجيا من هذه الورطات وهو طريق الحق ولم تتشعب
بي طرق الضلالة أو حصلت في صحبته عليه السلام طريقا ولم أكن ضالا لا طريق لي قط يا ويلتى بقلب ياء المتكلم ألفا كما في صحاري ومداري
وقرئ على الأصل يا ويلتي أي هلكتي تعالي واحضري فهذا أوانك ليتني لم أتخذ فلانا خليلا يريد من أضله في الدنيا فإن فلانا كناية عن الأعلام
كما أن الهن كناية عن الأجناس وقيل فلان كناية عن علم ذكور من يعقل وفلانة عن علم إناثهم وفل كناية عن نكرة من يعقل من الذكور وفلة
عمن يعقل من الإناث والفلان والفلانة عن غير العاقل ويختص فل بالنداء إلا في ضرورة كما في قوله في لجة أمسك فلانا عن فل وقوله خذا حدا
ثانيا عن فل وفلان وليس فل مرخما من فلان خلافا للفراء واختلفوا في لام فل وفلان فقيل واو وقيل ياء هذا فإن أريد بالظالم عقبة ففلان
كناية عن أبي وإن أريد به الجنس فهو كناية عن علم كل من يضله كائنا من كان من شياطين الإنس والجن وهذا التمني منه وإن كان مسوقا لإبراز
الندم والحسرة لكنه متضمن لنوع تعلل واعتذار بتوريك جنايته إلى الغير وقوله تعالى لقد أضلني عن الذكر تعليل لتمنيه المذكور وتوضيح لتعلله

وتصديره باللام القسمية للمبالغة في بيان خطائه واظهار ندمه وحسرته اي والله لقد اضلني عن ذكر الله تعالى او عن القرآن او عن موعظة الرسول صلى الله عليه وسلم
او كلمة الشهادة بعد اذ جاءني وتمكنت منه وقوله تعالى وكان الشيطان للانسان خذولا اي مبالغا في الخذلان حيث يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه
اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اما من جهته تعالى او من تمام كلام الظالم على انه سمى خليله شيطانا بعد وصفه بالاضلال الذي هو اخص الاوصاف الشيطانية
او على انه اراد بالشيطان ابليس لانه الذي حمله على مخالة المضلين ومخالفة الرسول الهادي عليه السلام بوسوسته واغوائه فان وصفه بالخذلان
يشعر انه كان يعده في الدنيا ويمنيه بانه ينفعه في الآخرة وهو اوفق لحال ابليس وقال الرسول عطف على قوله تعالى قال الذين لا يرجون لقاءنا وما بينهما
اعتراض مسوق لاستعظام ما قالوه وبيان ما يحيق بهم في الآخرة من الاهوال والخطوب وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة لتحقيق الحق والرد على
نحورهم حيث كان ما حكي عنهم قدحا في رسالته عليه السلام اي قالوا كيت وكيت وقال الرسول اثر ما شاهد منهم غاية العتو ونهاية الطغيان بطريق
البث الى ربه عز وجل يا رب ان قومي يعني الذين حكي عنهم ما حكي من الشنائع اتخذوا هذا القرآن الذي من جملته هذه الآيات الناطقة بما يحيق بهم في
من فنون العقاب كما ينبئ عنه كلمة الاشارة مهجورا اي متروكا بالكلية ولم يؤمنوا به ولم يرفعوا اليه رأسا ولم يتأثروا بوعيده وفيه
تلويح بان من حق المؤمن ان يكون كثير التعاهد للقرآن كيلا يندرج تحت ظاهر النظم الكريم فانه روي عنه صلى الله عليه وسلم من تعلم
القرآن وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه
وقيل من هجر اذا هذى اي جعلوه مهجورا فيه اما على زعمهم الباطل واما بان هجروا فيه اذا سمعوه كما يحكى عنهم من قولهم لا تسمعوا لهذا
القرآن والغوا فيه وقد جوز ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول فالمعنى اتخذوه هجرا وهذيانا وفيه من التحذير والتخويف ما لا يخفى
فان الانبياء اذا شكوا الى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب ولم ينظروا وقوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وحمل له على الاقتداء بمن قبله من الانبياء عليهم السلام اي كما جعلنا لك اعداء من المشركين يقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون
من الاباطيل جعلنا لكل نبي من الانبياء الذين هم اصحاب الشريعة والدعوة اليها عدوا من مجرمي قومهم فاصبر كما صبروا وقوله تعالى وكفى بربك
هاديا ونصيرا وعد كريم له عليه السلام بالهداية الى كافة مطالبه والنصر على اعدائه اي كفاك مالك امرك ومبلغك الى الكمال هاديا لك الى ما يوصلك
الى غاية الغايات التي من جملتها تبليغ الكتاب اجله واجراء احكامه في اكناف الدنيا الى يوم القيامة ونصيرا لك على جميع من يعاديك وقال الذين كفروا حكاية
لاقتراحهم الخاص بالقرآن الكريم بعد حكاية اقتراحهم في حقه عليه السلام والقائلون هم القائلون اولا وايرادهم بعنوان الكفر لذمهم به
والاشعار بعلة الحكم لولا نزل عليه القرآن التنزيل ههنا مجرد عن معنى التدريج كما في قوله تعالى يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء ويجوز
ان يراد به الدلالة على كثرة المنزل في نفسه اي هلا انزل كله جملة واحدة كالكتب الثلاثة وبطلان هذه الكلمة الحمقاء مما لا يكاد يخفى على احد
فان الكتب المتقدمة لم يكن شاهد صحتها ودليل كونها من عند الله تعالى اعجازها واما القرآن الكريم فبينة صحته وآية كونه من عند الله تعالى
نظمه المعجز الباقي على الدهور المتحقق في كل جزء من الاجزاء المقدرة بمقدار اقصر السور حسبما وقع به التحدي ولا ريب في ان ما يدور عليه فلك
الاعجاز هو المطابقة لما يقتضيه الاحوال ومن ضرورة تغيرها وتجددها تغير ما يطابقها حتما على ان فيه فوائد جمة قد اشير الى بعض منها بقوله
تعالى كذلك لنثبت به فؤادك فانه استيناف وارد من جهته تعالى لرد مقالتهم الباطلة وبيان الحكمة في التنزيل التدريجي ومحل الكاف النصب على
انها صفة لمصدر مؤكد لمضمر معلل بما بعده وذلك اشارة الى ما يفهم من كلامهم اي مثل ذلك التنزيل المفرق الذي قدحوا فيه واقترحوا خلافه
نزلناه لا تنزيلا مغايرا له لنقوي بذلك التنزيل المفرق فؤادك فان فيه تيسيرا لحفظ النظم وفهم المعاني وضبط الاحكام والوقوف على تفاصيل
ما روعي فيها من الحكم والمصالح المبنية على المناسبة على انها منوطة باسبابها الداعية الى شرعها ابتداء او تبديلا بالنسخ من احوال المكلفين
عامة ما ورد في القرآن المجيد من الاخبار وغيرها متعلقة بامور حادثة من الاقاويل والافاعيل ومن قضية تجددها تجدد ما يتعلق بها كالاقتراحات
الواقعة من الكفرة الداعية الى حكايتها وابطالها وبيان ما يؤول اليه حالهم في الآخرة على انهم في هذا الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه حيث امروا
بالاتيان بمثل نوبة من نوب التنزيل فظهر عجزهم عن المعارضة وضاقت عليهم الارض بما رحبت فكيف لو تحدوا بكله وقوله تعالى ورتلناه ترتيلا عطف
على ذلك المضمر وتنكير ترتيلا للتفخيم اي كذلك نزلناه ورتلناه ترتيلا بديعا لا يقادر قدره ومعنى ترتيله تفريقه آية بعد آية قاله النخعي
والحسن وقتادة وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهم بيناه بيانا فيه ترتيل وتثبيت وقال السدي فصلناه تفصيلا وقال مجاهد جعلنا بعضه

بعضه في اثر بعض وقيل هو الامر بترتيل قراءته بقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا وقيل قرأناه عليك بلسان جبريل شيئا فشيئا في عشرين او في
ثلث وعشرين سنة على تؤدة وتمهل ولا يأتونك بمثل من الامثال التي من جملتها ما حكي من اقتراحاتهم القبيحة الخارجة عن دائرة العقول الجارية
له لكن مجرى الامثال اي لا يأتونك بكلام عجيب هو مثل في البطلان يريدون به القدح في حقك وحق القرآن الا جئناك في مقابلته بالحق اي بالجواب الحق
الثابت الذي ينحي عليه بالابطال ويحسم مادة القيل والقال كما مر من الاجوبة الحقة القالعة لعروق اسؤلتهم الشنيعة الدامغة لها بالكلية وقوله تعالى
واحسن تفسيرا عطف على الحق اي جئناك باحسن تفسيرا او على محل بالحق اي آتيناك الحق واحسن تفسيرا اي بيانا وتفصيلا على معنى انه في غاية ما
يكون من الحسن في حد ذاته لا ان ما يأتون به له حسن في الجملة وهذا احسن منه كما مر والاستثناء مفرغ محله النصب على الحالية اي لا يأتونك بمثل الا
حال ايتائنا اياك الحق الذي لا محيد عنه وفيه من الدلالة على المسارعة الى ابطال ما اتوا به وتثبيت فؤاده عليه السلام ما لا يخفى وهذا بعبارته
ناطق ببطلان جميع الاسولة وبصحة جميع الاجوبة اذ لولا ان تنزيل القرآن على التدريج لما امكن ابطال تلك الاقتراحات الشنيعة ولما حصل تثبيت
فؤاده عليه السلام من تلك الحيثية هذا وقد جوز ان يكون المثل عبارة عن الصفة الغريبة التي كانوا يقترحون كونه عليه السلام عليها من مقارنة
الملك والاستغناء عن الاكل والشرب وحيازة الكنز والجنة ونزول القرآن عليه جملة واحدة على معنى لا يأتونك بحالة عجيبة يقترحون اتصافك
بها قائلين هلا كان على هذه الحالة الا اعطيناك نحن من الاحوال الممكنة ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا ان تعطاه وما هو احسن تكشيفا لما
بعثت عليه ودلالة على صحته وهو الذي انت عليه في الذات والصفات ويأباه الاستثناء المذكور فان المتبادر منه ان يكون ما اعطاه الله من الحق
مترتبا على ما اتوا به من الاباطيل وافعالها ولا ريب في ان ما آتاه الله تعالى من الملكات السنية اللائقة بالرسالة قد آتاه من اول الامر لا بمقابلة ما
حكي عنهم من الاقتراحات لاجل دفعها وابطالها الذين يحشرون على وجوههم اي يحشرون كائنين على وجوههم يسحبون عليها ويجرون الى جهنم
وقيل مقلوبين وجوههم على قفاهم وارجلهم الى فوق روي عنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة اثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم
وثلث على اقدامهم ينسلون نسلا واما ما قيل متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها فبعيد لان هول ذلك اليوم ليس بحيث يبقى لهم
عنده تعلق بالسفليات او توجه اليها في الجملة ومحل الموصول اما النصب او الرفع على الذم او الرفع على الابتداء وقوله اولئك بدل منه او بيان له
وقوله شر مكانا واضل سبيلا خبر له او اسم الاشارة مبتدأ ثان وشر خبره والجملة خبر للموصول ووصف السبيل بالضلال من باب الاسناد المجازي
للمبالغة والمفضل عليه الرسول صلى الله عليه وسلم على منهاج قوله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كأنه قيل
ان حاملهم على هذه الاقتراحات تحقير مكانه عليه السلام وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا وقيل هو متصل بقوله تعالى
اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا ولقد آتينا موسى الكتاب جملة مستأنفة سيقت لتأكيد ما مر من التسلية والوعد بالهداية والنصر في
قوله تعالى وكفى بربك هاديا ونصيرا بحكاية ما جرى بين من ذكر من الانبياء عليهم السلام وبين قومهم حكاية اجمالية كافية فيما هو المقصود واللام
جواب لقسم محذوف اي وبالله لقد آتينا موسى التوراة اي انزلناها عليه وجعلنا معه الظرف متعلق بجعلنا وقوله تعالى اخاه مفعول اول
له وقوله تعالى هرون بدل من اخاه او عطف بيان له على عكس ما وقع في سورة طه وقوله تعالى وزيرا مفعول ثان له وقد مر تمام معنى الوزير اي
جعلناه في اول الامر وزيرا له فقلنا لهما حينئذ اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا هم فرعون وقومه والآيات هي المعجزات التسع المفصلات الظاهرة على
يدي موسى عليه السلام ولم يوصف القوم لهما عند ارسالهما اليهم بهذا الوصف ضرورة تأخر تكذيب الآيات عن اظهارها المتأخر عن ذهابهما
المتأخر عن الامر بل انما وصفوا بذلك عند الحكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بيانا لعلة استحقاقهم لما يحكى بعده من التدمير اي فذهبا
اليهم فأرياهم آياتنا كلها فكذبوهما تكذيبا مستمرا فدمرناهم اثر ذلك التكذيب المستمر تدميرا عجيبا هائلا لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه
فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود وحمل قوله تعالى فدمرناهم على معنى فحكمنا بتدميرهم مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا وجه له
اذ لا فائدة يعتد بها في حكاية الحكم بتدمير قد وقع وانقضى والتعرض في مطلع القصة لايتاء الكتاب مع انه كان بعد مهلك القوم ولم
يكن له مدخل في هلاكهم كسائر الآيات للايذان من اول الامر ببلوغه عليه السلام غاية الكمال ونيله نهاية الآمال التي هي انجاء بني اسرائيل من ملكة
فرعون وارشادهم الى طريق الحق بما في التوراة من الاحكام اذ به يحصل تأكيد الوعد بالهداية على الوجه الذي مر بيانه وقرئ فدمرتهم
فدمراهم وفدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة وقوم نوح منصوب بمضمر يدل عليه قوله تعالى فدمرناهم اي ودمرنا قوم نوح وقيل

عطف على مفعول فدمرناهم وليس من ضرورة ترتب تدميرهم على ما قبله ترتب تدمير هؤلاء عليه لا سيما وقد بين سببه بقوله تعالى لما كذبوا الرسل أي
نوحا ومن قبله من الرسل أو نوحا وحده لأن تكذيبه تكذيب للكل لاتفاقهم على التوحيد والإسلام وقيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى أغرقناهم وما
يتسنى ذلك على تقدير كون كلمة لما ظرف زمان وأما على تقدير كونها حرف وجود لوجود فلا لأنه حينئذ جواب لها وجواب لما لا يفسر ما قبله مع أنه
مخل بعطف المنصوبات الآتية على قوم نوح لما أن إهلاكهم ليس بالإغراق فالوجه ما تقدم وقوله تعالى أغرقناهم استئناف مبين لكيفية تدميرهم وجعلناهم
أي جعلنا إغراقهم أو قصتهم للناس آية أي آية عظيمة يعتبر بها كل من شاهدها أو سمعها وهي مفعول ثان لجعلنا وللناس ظرف لغو له أو متعلق
بمحذوف وقع حالا من آية إذ لو تأخر عنها لكان صفة لها وأعتدنا للظالمين أي لهم والإظهار في موقع الإضمار للإيذان بتجاوزهم الحد في الكفر والتكذيب
عذابا أليما هو عذاب الآخرة إذ لا فائدة في الإخبار بإعداد العذاب الذي قد أخبر بوقوعه من قبل أو لجميع الظالمين الباقين الذين لم يعتبروا
بما جرى عليهم من العذاب فيدخل في زمرتهم قريش دخولا أوليا ويحتمل العذاب الدنيوي والأخروي وعادا عطف على قوم نوح وقيل على المفعول
الأول لجعلناهم وقيل على محل للظالمين إذ هو في معنى وعدنا الظالمين وكلاهما بعيد وثمود الكلام فيه وفيما بعده كما فيما قبله وقرئ وثمودا
على تأويل الحي أو على أنه اسم الأب الأقصى وأصحاب الرس هم قوم يعبدون الأصنام فبعث الله تعالى إليهم شعيبا عليه السلام فكذبوه فبينما هم حول
الرس وهي البئر التي لم تطو بعد إذ انهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث إليهم نبي فقتلوه
فهلكوا وقيل هو الأخدود وقيل بئر بأنطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم أصحاب حنظلة بن صفوان النبي عليه السلام ابتلاهم الله تعالى
بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ أو دمخ فتنقض على صبيانهم فتخطفهم
إن أعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة عليه السلام فأصابتها الصاعقة ثم إنهم قتلوه عليه السلام فأهلكوا وقيل قوم
كذبوا رسولهم فرسوه أي دسوه في بئر وقرونا أي أهل قرون قيل القرن أربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون بين ذلك
أي بين ذلك المذكور من الطوائف والأمم وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير إليها بذلك ويحسب الحاسب أعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك
كيت وكيت على ذلك المذكور وذلك المحسوب كثيرا لا يعلم مقدارها إلا العليم الخبير ولعل الاكتفاء في شؤون تلك القرون بهذا البيان الإجمالي
لما أن كل قرن منها لم يكن في الشهرة وغرابة القصة بمثابة الأمم المذكورة وكلا منصوب بمضمر يدل عليه ما بعده فإن ضرب المثل في معنى
التذكير والتحذير والمحذوف الذي عوض عنه التنوين عبارة إما عن الأمم التي لم يذكر أسباب إهلاكهم وإما عن الكل فإن ما حكي عن قوم نوح وقوم
فرعون تكذيبهم للآيات والرسل لا عدم التأثر من الأمثال المضروبة أي ذكرنا وأنذرنا كل واحد من المذكورين ضربنا له الأمثال أي بينا له القصص
العجيبة الزاجرة عما هم عليه من الكفر والمعاصي بواسطة الرسل وكلا أي كل واحد منهم لا بعضهم دون بعض تبرنا تتبيرا عجيبا هائلا لما أنهم لم يتأثروا
بذلك ويرفعوا له رأسا وتمادوا على ما هم عليه من الكفر والعدوان وأصل التتبير التفتيت قال الزجاج كسرته وفتته فقد تبرته ومنه التبر لفتات الذهب
والفضة ولقد أتوا جملة مستأنفة مسوقة لبيان مشاهدتهم لآثار هلاك الأمم المتبرة وعدم اتعاظهم بها وتصديرها بالقسم لمزيد تقرير مضمونها أي وبالله
لقد أتى قريش في متاجرهم إلى الشام على القرية التي أمطرت أي أهلكت بالحجارة وهي قرى قوم لوط وكانت خمسا ما نجت منها إلا واحدة كان
أهلها لا يعملون العمل الخبيث وأما البواقي فأهلكها الله تعالى بالحجارة وهي المرادة بقوله تعالى مطر السوء وانتصابه إما على أنه مصدر مؤكد بحذف
الزوائد كما قيل في أنبته الله نباتا حسنا أي إمطار السوء أو على أنه مفعول ثان إذ المعنى أعطيت أو أوليت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها توبيخ
لهم على تركهم التذكر عند مشاهدة ما يوجبه والهمزة لإنكار نفي استمرار رؤيتهم لها وتقرير استمرارها حسب استمرار ما يوجبها من إتيانهم عليها
لا لإنكار استمرار نفي رؤيتهم وتقريره وتحتمها في الجملة والفاء لعطف مدخولها على مقدر يقتضيه المقام أي ألم يكونوا ينظرون إليها فلم يكونوا
يرونها أو ألم يكونوا ينظرون إليها فلم يكونوا يرونها في مرار مرورهم ليتعظوا بما كانوا يشاهدونه من آثار العذاب فالمنكر في الأول ترك النظر
وعدم الرؤية معا وفي الثاني عدم الرؤية مع تحقق النظر الموجب لها وقوله تعالى بل كانوا لا يرجون نشورا إما إضراب عما قبله من عدم رؤيتهم
لآثار ما جرى على أهل القرى من العقوبة وبيان لكون عدم اتعاظهم بسبب إنكارهم لكون ذلك عقوبة لمعاصيهم لا لعدم رؤيتهم لآثارها
خلا أنه اكتفي عن التصريح بإنكارهم ذلك بذكر ما يستلزمه من إنكارهم للجزاء الأخروي الذي هو الغاية من خلق العالم وقد كني عن ذلك
بعدم رجاء النشور أي عدم توقعه كأنه قيل بل كانوا ينكرون النشور المستتبع للجزاء الأخروي ولا يرون لنفس من النفوس نشورا

أصلا مع تحققه حتما وشموله للناس عموما واطراده وقوعا فكيف يعترفون بالجزاء الدنيوي في حق طائفة خاصة مع عدم الاطراد والملازمة
بينه وبين المعاصي حتى يتذكروا ويتعظوا بما شاهدوه من آثار الهلاك وإنما يحملونه على الاتفاق وإما انتقال من التوبيخ بما ذكر من ترك التذكر إلى التوبيخ
بما هو أعظم منه من عدم توقع النشور وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أي ما يتخذونك إلا موضع هزؤ أو مهزوءا به على معنى قصر معاملتهم معه عليه السلام على اتخاذهم
إياه عليه السلام هزوا لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزوا كما هو المتبادر من ظاهر العبارة كأنه قيل ما يفعلون بك إلا اتخاذك هزوا
وقد مر تحقيقه في قوله تعالى إن أتبع إلا ما يوحى إلي من سورة الأنعام وقوله تعالى أهذا الذي بعث الله رسولا محكي بعد قول مضمر هو حال من فاعل يتخذونك أي
يستهزئون بك قائلين أهذا الذي إلى آخره والإشارة للاستحقار وإبراز بعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله صلة للموصول الذي هو صفته
عليه السلام مع كونهم في غاية الإنكار لبعثه عليه السلام بطريق التهكم والاستهزاء وإلا لقالوا أبعث الله هذا رسولا أو هذا الذي يزعم أنه بعثه الله
رسولا إن كاد إن مخففة من إن وضمير الشأن محذوف أي إنه كاد ليضلنا عن آلهتنا أي ليصرفنا عن عبادتها فقط والعدول إلى الإضلال لغاية
ضلالهم بادعاء أن عبادتها طريق سوي لولا أن صبرنا عليها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في أمثال هذا الكلام تجري مجرى التقييد للحكم
المطلق من حيث المعنى كما أشير إليه في قوله تعالى ولقد همت به إلى آخره وهذا اعتراف منهم بأنه صلى الله عليه وسلم قد بلغ من الاجتهاد في الدعوة إلى
الحق وإظهار المعجزات وإفاضة الحجج والبينات إلى حيث شارفوا أن يتركوا دينهم لولا فرط لجاجهم وغاية عنادهم يروى أنه من قول أبي جهل
وسوف يعلمون جواب من جهته تعالى لآخر كلامهم ورد لما ينبئ عنه من نسبته عليه السلام إلى الضلال في ضمن الإضلال أي سوف يعلمون البتة وإن تراخى
حين يرون العذاب الذي يستوجبه كفرهم وعنادهم من أضل سبيلا وفيه ما لا يخفى من الوعيد والتنبيه على أنه تعالى لا يهملهم وإن أمهلهم
أرأيت من اتخذ إلهه هواه تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من شناعة حالهم بعد حكاية قبائحهم من الأقوال والأفعال وبيان ما لهم من
المصير والمآل وتنبيه على أن ذلك من الغرابة بحيث يجب أن يرى ويتعجب منه وإلهه مفعول ثان لاتخذ قدم على الأول للاعتناء به لأنه الذي
يدور عليه أمر التعجب ومن توهم أنهما على الترتيب بناء على تساويهما في التعريف فقد زل عنه أن المفعول الثاني في هذا الباب هو المتلبس بالحالة
الحادثة أي أرأيت من جعل هواه إلها لنفسه من غير أن يلاحظه وبنى عليه أمر دينه معرضا عن استماع الحجج الباهرة والبرهان النير بالكلية
على معنى انظر إليه وتعجب منه وقوله تعالى أفأنت تكون عليه وكيلا إنكار واستبعاد لكونه عليه السلام حفيظا عليه يزجره عما هو عليه من الضلال
ويرشده إلى الحق طوعا أو كرها والفاء لترتيب الإنكار على ما قبله من الحالة الموجبة له كأنه قيل أبعد ما شاهدت غلوه في طاعة الهوى وعتوه عن
اتباع الهدى تقسره على الإيمان شاء أو أبى وقوله تعالى أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إضراب وانتقال عن الإنكار المذكور إلى إنكار حسبانه عليه السلام
لهم ممن يسمع أو يعقل حسبما ينبئ عنه جده عليه السلام في الدعوة واهتمامه بالإرشاد والتذكير لكن لا على أنه لا يقع كالأول بل على أنه لا
ينبغي أن يقع أي بل أتحسب أن أكثرهم يسمعون ما تتلو عليهم من الآيات حق السماع أو يعقلون ما في تضاعيفها من المواعظ الزاجرة عن القبائح الداعية
إلى المحاسن فتعتني بشأنهم وتطمع في إيمانهم وضمير أكثرهم لمن وجمعه باعتبار معناه كما أن الإفراد في الضمائر الأول باعتبار لفظها وضمير الفعلين
للأكثر لما أضيف هواه إليه وقوله تعالى إن هم إلا كالأنعام إلى آخره جملة مستأنفة مسوقة لتقرير النكير وتأكيده وحسم مادة الحسبان بالمرة أي
ما هم في عدم الانتفاع بما يقرع آذانهم من قوارع الآيات وانتفاء التدبر فيما يشاهدونه من الدلائل والمعجزات إلا كالبهائم التي هي مثل في الغفلة
وعلم في الضلالة بل هم أضل سبيلا منها لأنها تنقاد لصاحبها الذي يعلفها ويتعهدها وتعرف من يحسن إليها ممن يسيء إليها وتطلب ما
ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وتأوي إلى معاطنها وهؤلاء لا ينقادون لربهم وخالقهم ورازقهم ولا يعرفون إحسانه
إليهم من إساءة الشيطان الذي هو أعدى عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار
والمهالك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والمورد العذب الروي ولأنها إن لم تعتقد حقا مستتبعا لاكتساب الخير لم
تعتقد باطلا مستوجبا لاقتراف الشر بخلاف هؤلاء حيث مهدوا قواعد الباطل وفرعوا عليها أحكام الشرور ولأن أحكام جهالتها وضلالتها
مقصورة على أنفسها لا تتعدى إلى أحد وجهالة هؤلاء مؤدية إلى ثوران الفتنة والفساد وصد الناس عن سنن السداد وهيجان الهرج والمرج
فيما بين العباد ولأنها غير معطلة لقوة من القوى المودعة بل صارفة إياها إلى ما خلقت هي له فلا تقصير من قبلها في طلب الكمال وأما هؤلاء فهم
معطلون لقواهم العقلية مضيعون للفطرة الأصلية التي فطر الناس عليها مستحقون بذلك أعظم العقاب وأشد النكال ألم تر إلى ربك
بيان

لبعض دلائل التوحيد اثر بيان جهالة المعرضين عنها وضلالتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة للتقرير والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميره عليه السلام لتشريفه عليه السلام وللايذان بان ما يعقبه من آثار ربوبيته تعالى ورحمته تعالى اي الم تنظر الى بديع صنعه تعالى **كيف مد الظل** اي
كيف انشأ ظلا اي ظل كان من جبل او بناء او شجر عند ابتداء طلوع الشمس ممتدا لا انه تعالى مده بعد ان لم يكن كذلك كما بعد نصف النهار الى غروبها
فان ذلك مع خلوه عن التصريح بكون نفسه بانشائه تعالى واحداثه يأباه سياق النظم الكريم واما ما قيل من ان المراد بالظل ما بين طلوع الفجر وطلوع
الشمس وانه اطيب الاوقات فان الظلمة الخالصة تنفر عنها الطباع وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة في قوله تعالى وظل
ممدود ففيه سداد لا ريب في ان المراد تنبيه الناس على عظيم قدرة الله عز وجل وبالغ حكمته فلا بد ان يراد بالظل ما يتعارفونه من حالة مخصوصة
يشاهدونها في موضع يحول بينه وبين الشمس جسم كثيف مخالفة لما في جوانبه من مواقع ضح الشمس وما ذكر وان كان في الحقيقة ظلا للافق
الشرقي لكنهم لا يعدونه ظلا ولا يصفونه باوصافه المعهودة ولعل توجيه الرؤية اليه سبحانه مع ان المراد تقرير رؤيته عليه السلام لكيفية مد
الظل للتنبيه على ان نظره عليه السلام غير مقصور على ما يطالعه من الآثار والصنائع بل مطمح انظاره معرفة شؤون الصانع المجيد وقوله تعالى **ولو شاء لجعله ساكنا**
جملة اعتراضية بين المعطوفين للتنبيه من اول الامر على انه لا مدخل فيما ذكر من المد للاسباب العادية وانما المؤثر فيه المشيئة والقدرة ومفعول
المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء اي ولو شاء سكونه لجعله ساكنا اي ثابتا على حاله من الطول
والامتداد وانما عبر عن ذلك بالسكون لما ان مقابله الذي هو تغير حاله حسب تغير الاوضاع بين المظل وبين الشمس يرى رأي العين حركة وانتقالا
وحاصله انه لا يعتريه اختلاف حال بان لا ينسخه الشمس واما التعليل بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد فمدار الغفول عما سيق له النظم الكريم
ونطق به صريحا من بيان كمال قدرته القاهرة وحكمته الباهرة بنسبة جميع الامور الحادثة اليه تعالى بالذات واسقاط الاسباب العادية عن
رتبة السببية والتأثير بالكلية وقصرها على مجرد الدلالة على وجود المسببات لا بذكر قدرته تعالى على بعض الخوارق كاقامة الشمس في مقام واحد
على انها اعظم من ابقاء الظل على حاله في الدلالة على ما ذكر من كمال القدرة والحكمة لكونه من فروعها مستتبعا لها فهي اولى واحق بالايراد
في معرض البيان وقوله تعالى **ثم جعلنا الشمس عليه دليلا** عطف على مد داخل في حكمه اي جعلناها علامة يستدل باحوالها المتغيرة على احواله من غير
ان يكون بينهما سببية وتأثير قطعا حسبما نطق به الشرطية المعترضة والالتفات الى نون العظمة لما في الجعل المذكور العاري عن التأثير مع ما يشاهد
بين الشمس والظل من الدوران المطرد المنبئ عن السببية من مزيد دلالة على عظم القدرة ودقة الحكمة وهو السر في ايراد كلمة التراخي وقوله تعالى **ثم قبضناه**
عطف على مد داخل في حكمه وثم للتراخي الزماني لما ان في بيان كون القبض والمد مرتبتين دائرين على قطب مصالح المخلوقات مزيد دلالة على الحكمة الربانية
ويجوز ان يكون للتراخي الرتبي اي ازلناه بعدما انشأناه ممتدا ومحوناه بمحض قدرتنا ومشيئتنا عند ايقاع شعاع الشمس موقعه من غير ان يكون له
تأثير في ذلك اصلا وانما عبر عنه بالقبض المنبئ عن جمع المنبسط وطيه لما انه قد عبر عن احداثه بالمد الذي هو البسط طولا وقوله تعالى **الينا** للتنصيص
على كون مرجعه اليه تعالى كما ان حدوثه منه عز وجل **قبضا يسيرا** اي على مهل قليلا قليلا حسب ارتفاع دليله على وتيرة معينة مطردة مستتبعة لمصالح
المخلوقات ومرافقها وقيل ان الله تعالى حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الارض تحتها القت القبة ظلها على الارض لعدم النير وذلك مده
تعالى اياه ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل اي سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع
الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير او قبضا سهلا عند قيام الساعة
بقبض اسبابه وهي الاجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه كما ذكر انشاؤه بانشائها ووصفه باليسير على طريقة قوله تعالى
ذلك حشر علينا يسير وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع **وهو الذي جعل لكم الليل لباسا** بيان لبعض بدائع آثار قدرته تعالى وحكمته وروائع
احكام رحمته ونعمته الفائضة على الخلق وتلوين الخطاب لتوفية مقام الامتنان حقه واللام متعلقة بجعل وتقديمها على مفعوليه للاعتناء
ببيان كون ما يعقبه من منافعهم وفي تعقيب بيان احوال الظل ببيان احكام الليل الذي هو ظل الارض من لطف المسلك ما لا مزيد عليه اي
هو الذي جعل لكم الليل كاللباس يستركم بظلامه كما يستركم اللباس **والنوم سباتا** اي وجعل النوم الذي يقع في الليل غالبا قطعا
عن الافاعيل المختصة بحال اليقظة عبر عنه بالسبات الذي هو الموت لما بينهما من المشابهة التامة في انقطاع احكام الحيوة وعليه قوله
تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها **وجعل النهار نشورا** اي زمان بعث

بعث من ذلك السبات كبعث الموتى على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه او نفس البعث على طريق المبالغة وفيه اشارة الى ان النوم واليقظة
انموذج للموت والنشور وعن لقمان عليه السلام يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر **وهو الذي ارسل الرياح** وقرئ بالتوحيد على ان المراد
هو الجنس تخفيف نشر جمع نشور اي مبشرين وقرئ بشرى وقرئ نشرا بالنون جمع نشور اي ناشرات للسحاب وقرئ بالتخفيف وبفتح
النون ايضا على انه مصدر وصف به مبالغة وقوله تعالى **بين يدي رحمته** استعارة بديعة اي قدام المطر والالتفات الى نون العظمة في
قوله تعالى **وانزلنا من السماء ماء طهورا** لابراز كمال العناية بالانزال لانه نتيجة ما ذكر من ارسال الرياح اي انزلنا بعظمتنا بما رتبنا من ارسال الرياح
من جهة الفوق ماء بليغا في الطهارة وما قيل من انه ما يكون طاهرا في نفسه ومطهرا لغيره فهو شرح لبلاغته في الطهارة كما ينبئ عنه
قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به فان الطهور في العربية اما صفة كما تقول ماء طهورا او اسم كما في قوله عليه السلام التراب طهور
المؤمن وقد جاء بمعنى الطهارة كما في قولك تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوءا حسنا ومنه قوله عليه السلام لا صلوة الا بطهور ووصف
الماء به اشعار بتمام النعمة فيه وتتميم للنعمة فيما بعده فان الماء الطهور اهنأ وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيه على ان ظواهرهم لما
كانت مما ينبغي ان يطهروها فبواطنهم احق بذلك واولى **لنحيي به** اي بما انزلنا من الماء الطهور **بلدة ميتا** بانبات النبات والتذكير
لان البلدة بمعنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجري مجرى الجامد والمراد به القطعة من الارض عامرة كانت او غامرة
ونسقيه اي ذلك الماء الطهور عند جريانه في الاودية او اجتماعه في الحياض والمنافع او الآبار **مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا** اي اهل
البوادي الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم بالذكر لان اهل القرى والامصار يقيمون بقرب الانهار والمنابع
فبهم وبما لهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق الآية
الكريمة كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام حيث كانت قنية للانسان وعامة منافعهم ومعايشهم منوطة
بها قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه واسقى وسقى لغتان وقيل اسقاه
جعل له سقيا واناسي جمع انسي او انسان كظرابي في ظربان على ان اصله اناسين فقلبت نونه ياء وقرئ اناسي بالتخفيف بحذف ياء
افاعيل كاناعم في اناعيم **ولقد صرفناه** اي وبالله لقد كررنا هذا القول الذي هو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر لما مر من الغايات الجليلة
في القرآن وغيره من الكتب السماوية **بينهم** اي بين الناس من المتقدمين والمتأخرين **ليذكروا** ليتفكروا ويعرفوا بذلك كمال قدرته تعالى
وواسع رحمته في ذلك ويقوموا بشكر نعمته حق قيام وقيل الضمير للمطر وتصريفه بينهم انزاله في بعض البلاد دون غيرها وفي بعض الاوقات
دون بعض او جعله تارة وابلا واخرى طلا وحينا ديمة وقيل رهمة والاول هو الاظهر **فابى اكثر الناس** ممن سلف وخلف **الا كفورا**
اي لم يفعلوا الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او الا جحودها بان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته ومن لا
يرى الامطار الا من الانواء فهو كافر بخلاف من يرى ان الكل بخلق الله تعالى والانواء امارات بجعله تعالى **ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا**
نبيا ينذر اهلها فيخف عليك اعباء النبوة لكن لم نشأ ذلك فلم نفعله بل قصرنا الامر عليك حسبما ينطق به قوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا اجلالا
لك وتعظيما وتفضيلا لك على سائر الرسل **فلا تطع الكافرين** اي فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة واظهار الحق والتشدد معهم
كانه نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن المداراة معهم والتلطف في الدعوة لما انه عليه السلام كان يود ان يدخلوا في الاسلام ويجتهد
في ذلك بتأليف قلوبهم اشد الاجتهاد **وجاهدهم به** اي بالقرآن بتلاوة ما في تضاعيفه من القوارع والزواجر والمواعظ وتذكير احوال
الامم المكذبة **جهادا كبيرا** فان دعوة كل العالمين على الوجه المذكور جهاد كبير لا يقادر قدره كما وكيفا وقيل الضمير لترك الطاعة
المفهوم من النهي عن الطاعة وانت خبير بان مجرد ترك الطاعة يتحقق بلا دعوة اصلا وليس فيه شائبة الجهاد فضلا عن الجهاد الكبير
اللهم الا ان يجعل الباء للملابسة ليكون المعنى وجاهدهم بما ذكر من احكام القرآن الكريم ملابسا بترك طاعتهم كانه قيل فجاهدهم بالشدة
والعنف لا بالملاءمة والمداراة كما في قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقد جعل الضمير لما دل عليه قوله تعالى ولو
شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه عليه السلام نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت
على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر من اجل ذلك جهاده وعظم فقيل له عليه السلام وجاهدهم بسبب كونك نذير

كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة وانت خبير بان بيان سبب كبر المجاهدة بحسب الكمية ليس فيه مزيد فائدة فانه بين بنفسه
وانما اللائق بالمقام بيان سبب كبرها وعظمها في الكيفية وهو الذي مرج البحرين اي خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته
اذا خلاها هذا عذب فرات قامع للعطش لغاية عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح فلعله تخفيف مالح كبرد في بارد وجعل
بينهما برزخا حاجزا غير مرئي من قدرته تعالى كما في قوله تعالى بغير عمد ترونها وحجرا محجورا وتنافرا مفرطا كأن كلا منهما يتعوذ من الآخر بتلك
المقالة وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر وتشقه وتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم وبالملح
البحر الكبير وبالبرزخ ما بينهما من الارض فيكون اثر القدرة في الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة كل عنصر التضام والتلاصق
والتشابه في الكيفية وهو الذي خلق من الماء بشرا يعني الماء الذي خمر به طينة آدم عليه السلام او جعله جزءا من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويستعد
لقبول الاشكال والهيئات بسهولة او هو النطفة فجعله نسبا وصهرا اي قسمه قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن
كقوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا مبالغا في القدرة حيث قدر على ان يخلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء
مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وانثى ويعبدون من دون الله الذي شأنه ما ذكر ما لا
ينفعهم ولا يضرهم اي ما ليس من شأنه النفع والضر اصلا وهو الاصنام او كل ما يعبد من دونه تعالى اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر وكان الكافر
على ربه الذي ذكرت آثار ربوبيته ظهيرا يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هينا مهينا لا وقع له
عنده تعالى من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله تعالى ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين
قل لهم ما اسألكم عليه اي على تبليغ الرسالة الذي ينبئ عنه الارسال من اجر من جهتكم الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا اي الا فعل من يريد ان يتقرب اليه
تعالى ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة حسبما ادعوهم اليهما فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود الاتيان به واستثنى منه قلعا
كليا لشائبة الطمع واظهارا لغاية الشفقة عليهم حيث جعل ذلك مع كون نفعه عائدا اليهم عائدا اليه عليه السلام وقيل الاستثناء منقطع
اي لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحي الذي لا يموت في الاستكفاء عن شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق
بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين من شأنهم الموت فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه
بنعوت الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابقه وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن خبيرا اي مطلعا عليها بحيث لا يخفى عليه شيء منها
فيجزيهم جزاء وافيا الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش قد سلف تفسيره ومحل الموصول الجر
على انه صفة اخرى للحي وصف بالصفة الفعلية بعد وصفه بالابدية التي هي من الصفات الذاتية والاشارة الى اتصافه بالعلم الشامل
لتقرير وجوب التوكل عليه تعالى وتأكيده فان من انشأ هذه الاجرام العظام على هذا النمط الفائق والنسق الرائق بتدبير متين وترتيب
رصين في اوقات معينة مع كمال قدرته على ابداعها دفعة لحكم جليلة وغايات جميلة لا تقف على تفاصيلها العقول احق من يتوكل عليه
واولى من يفوض الامر اليه الرحمن مرفوع على المدح او هو الرحمن وهو في الحقيقة وصف آخر للحي كما قرئ بالجر مفيد لزيادة تأكيد
ما ذكر من وجوب التوكل عليه تعالى وان لم يتبعه في الاعراب لما تقرر من ان المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة
حيث لم يتبعاه في الاعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان له حقيقة الا يرى كيف التزموا حذف الفعل والمبتدأ في النصب والرفع روما
لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما وقد مر تمام التحقيق في تفسير قوله عز وجل الذين يؤمنون
بالغيب الآية وقيل الموصول مبتدأ والرحمن خبره وقيل الرحمن بدل من المستكن في استوى فاسأل به اي بتفاصيل ما ذكر اجمالا من الخلق والاستواء
لا بنفسهما فقط اذ بعد بيانهما لا يبقى الى السؤال حاجة ولا في تعديته بالباء فائدة فانها مبنية على تضمينه معنى الاعتناء المستدعي لكون
المسؤول امرا خطيرا مهتما بشأنه غير حاصل للسائل وظاهر ان نفس الخلق والاستواء بعد الذكر ليس كذلك وما قيل من ان التقدير ان شككت
فيه فاسأل به خبيرا على ان الخطاب له عليه السلام والمراد غيره بمعزل من السداد بل التقدير ان شئت تحقق ما ذكر او تفصيل ما ذكر فاسأل معتنيا به
خبيرا عظيم الشأن محيطا بظواهر الامور وبواطنها وهو الله سبحانه يطلعك على جلية الامر وقيل فاسأل به من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك
فيه فلا حاجة حينئذ الى ما ذكرنا وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه

ما يراد فيه في كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ وما بعده خبرا وقرئ فسل واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قالوه لانهم
ما كانوا يطلقونه على الله تعالى او لانهم ظنوا ان المراد به غيره تعالى ولذلك قالوا انسجد لما تأمرنا اي للذي تأمرنا بسجوده او لامرك بانا من غير
ان يعرف ان المسجود ماذا وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرئ يأمرنا بالياء على انه قول بعضهم لبعض وزادهم اي الامر بالسجود للرحمن
نفورا عن الايمان تبارك الذي جعل في السماء بروجا هي البروج الاثنا عشر سميت به وهي القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل
الرفيعة لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره وجعل فيها سراجا هي الشمس لقوله تعالى وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس
والكواكب الكبار وقمرا منيرا مضيئا بالليل وقرئ قمرا اي ذا قمر وهي جمع قمراء ولما ان الليالي بالقمر تكون قمراء اضيف اليها ثم حذف
واجري حكمه على المضاف اليه القائم مقامه كما في قول حسان رضي الله عنه بردى يصفق بالرحيق السلسل اي ماء بردى ويحتمل ان يكون بمعنى
القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان
يعمل فيه او بان يعتقبا كقوله تعالى واختلاف الليل والنهار وهي اسم للحالة من خلف كالركبة والجلسة من ركب وجلس لمن اراد
ان يذكر اي يتذكر آلاء الله عز وجل ويتفكر في بدائع صنائعه فيعلم انه لا بد لها من صانع حكيم واجب الذات رحيم للعباد او اراد شكورا
اي ان يشكر الله تعالى على ما فيهما من النعم وليكونا وقتين للذاكرين من فاته ورده في احدهما تداركه في الآخر وقرئ ان يذكر من
ذكر بمعنى تذكر وعباد الرحمن كلام مستأنف مسوق لبيان اوصاف خلص عباد الرحمن واحوالهم الدنيوية والاخروية بعد بيان حال النافرين
عن عبادته والسجود له والاضافة للتشريف وهو مبتدأ خبره ما بعده من الموصول وما عطف عليه وقيل هو ما في آخر السورة الكريمة من الجملة
المصدرة باسم الاشارة وقرئ عباد الرحمن اي عباده المقبولون الذين يمشون على الارض هونا اي بسكينة وتواضع وهونا مصدر وصف
ونصبه اما على انه حال من فاعل يمشون او على انه نعت لمصدره اي يمشون هينين لين الجانب من غير فظاظة او مشيا هينا واذا خاطبهم
الجاهلون اي السفهاء كما في قول من قال الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا قالوا سلاما بيان لحالهم في المعاملة مع غيرهم اثر
بيان حالهم في انفسهم اي اذا خاطبوهم بالسوء قالوا تسلما منكم ومتاركة لا خير بيننا وبينكم ولا شر وقيل سدادا من القول يسلمون به من
الاذية والاثم وليس فيه تعرض لمعاملتهم مع الكفرة حتى يقال نسختها آية القتال كما نقل عن ابي العالية وقوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا
وقياما بيان لحالهم في معاملتهم مع ربهم اي يكونون ساجدين لربهم وقائمين اي يحيون الليل كلا او بعضا بالصلاة وقيل من قرأ شيئا
من القرآن في صلاة وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء وتقديم السجود على القيام لرعاية
الفواصل والذين يقولون اي في اعقاب صلواتهم او في عامة اوقاتهم ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما اي شرا دائما
وهلاكا لازما وفيه مزيد مدح لهم ببيان انهم مع حسن معاملتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق يخافون العذاب ويبتهلون الى الله تعالى
في صرفه عنهم غير محتفلين باعمالهم كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون انها ساءت مستقرا ومقاما تعليل
لاستدعائهم المذكور بسوء حالها في نفسها اثر تعليله بسوء حال عذابها وقد جوز ان يكون تعليلا للاول وليس بذاك وساءت في حكم بئست وفيها
ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها
قيل ويجوز ان يكون ساءت بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز وهو بعيد خال عما في الاول من المبالغة في بيان سوء حالها وكذا جعل
التعليلين من جهته تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا لم يجاوزوا حد الكرم ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق في المعاصي والقتر
منع الواجبات والقرب وقرئ بكسر التاء مع فتح الياء وبكسرها مخففة ومشددة مع ضم الياء وكان بين ذلك اي بين ما ذكر من الاسراف والقتر
قواما وسطا وعدلا سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي به سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل ولا ينقص وهو خبر ثان
او حال مؤكدة او هو الخبر وبين ذلك لغو وقد جوز ان يكون اسم كان على انه مبني لاضافته الى غير متمكن ولا يخفى ضعفه فانه بمعنى القوام فيكون
كالاخبار بالشيء عن نفسه والذين لا يدعون مع الله الها آخر شروع في بيان اجتنابهم عن المعاصي بعد بيان اتيانهم بالطاعات وذكر نفي الاسراف
والقتر لتحقيق معنى الاقتصاد والتصريح بوصفهم بنفي الاشراك مع ظهور ايمانهم لاظهار كمال الاعتناء بالتوحيد والاخلاص وتهويل امر القتل والزنا
بنظمهما في سلكه وللتعريض بما كان عليه الكفرة من قريش وغيرهم اي لا يعبدون معه تعالى الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله اي حرمها

يعني حرم قتلها فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه مبالغة في التحريم اي لا يقتلونها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق المزيل لحرمتها وعصمتها
او لا يقتلون قتلا ما الا قتلا ملتبسا بالحق او لا يقتلونها في حال من الاحوال الا حال كونهم ملتبسين بالحق اي الذين لا يفعلون
شيئا من هذه العظائم القبيحة التي جمعهن الكفرة حيث كانوا مع اشراكهم به سبحانه مداومين على قتل النفوس المحرمة التي من جملتها الموؤدة
مكبين على الزنا لا يرعوون عنه اصلا **ومن يفعل ذلك** اي ما ذكر كما هو دأب الكفرة المذكورين **يلق** في الآخرة وقرئ يلقى وقرئ يُلَقَّ بالتشديد
مجزوما **اثاما** وهو جزاء الاثم كالوبال والنكال وزنا ومعنى وقيل هو الاثم اي يلق جزاء الاثم والتنوين على التقديرين للتفخيم وقرئ اياما
اي شدائد يقال يوم ذو ايام لليوم العصيب **يضاعف له العذاب يوم القيمة** بدل من يلق لاتحادهما في المعنى كقوله متى تأتنا تلمم بنا
في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وقرئ بالرفع على الاستيناف وعلى الحالية وكذا ما عطف عليه وقرئ يُضعَّف ونُضعِّف له العذاب بالنون
ونصب العذاب **ويخلد فيه** في ذلك العذاب المضاعف **مهانا** ذليلا مستحقرا جامعا للعذاب الجسماني والروحاني وقرئ يُخلَد ويُخلَّد مبنيا
للمفعول من الاخلاد والتخليد وقرئ تخلد بالتاء على الالتفات المنبئ عن شدة الغضب ومضاعفة العذاب لانضمام المعاصي الى الكفر كما
يفصح عنه قوله تعالى **الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا** وذكر الموصوف مع جريان الصالح والصالحات مجرى الاسم للاعتناء به والتنصيص على
مغايرته للاعمال السابقة **فاولئك** اشارة الى الموصول والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد في الافعال الثلاثة باعتبار لفظه اي اولئك
الموصوفون بالتوبة والايمان والعمل الصالح **يبدل الله سيئاتهم حسنات** بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم
او يبدل بملكة المعصية ودواعيها في النفس ملكة الطاعة بان يزيل الاولى ويأتي بالثانية وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه
او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا **وكان الله
غفورا رحيما** اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من المحو والاثبات **ومن تاب** اي عن المعاصي بتركها بالكلية والندم عليها **وعمل صالحا** يتلافى
به ما فرط منه او خرج عن المعاصي ودخل في الطاعات **فانه** بما فعل **يتوب الى الله** اي يرجع اليه تعالى **متابا** اي متابا عظيم الشان مرضيا عنده تعالى
ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله تعالى الذي يحب التوابين ويحسن اليهم او فانه يرجع اليه تعالى او الى ثوابه مرجعا
حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص **والذين لا يشهدون الزور** لا يقيمون الشهادة الكاذبة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة
الباطل مشاركة فيه **واذا مروا** على طريق الاتفاق **باللغو** اي ما يجب ان يلغى ويطرح مما لا خير فيه **مروا كراما** معرضين عنه انفسهم
عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به **والذين اذا ذكروا
بآيات ربهم** المنطوية على المواعظ والاحكام **لم يخروا عليها صما وعميانا** اي اكبوا عليها سامعين باذان واعية مجتلين لها بعيون راعية
وانما عبر عن ذلك بنفي الضد تعريضا بما يفعله الكفرة والمنافقون وقيل الضمير للمعاصي المدلول عليها باللغو **والذين يقولون ربنا هب لنا
من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين** بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا ساعده اهله في طاعة الله عز وجل وشاركوه
فيها يسر بهم قلبه وتقر بهم عينه لما يشاهده من مشايعتهم له في مناهج الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة حسبما وعد بقوله تعالى الحقنا بهم
ذرياتهم ومن ابتدائية او بيانية وقرئ وذريتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين ولا
ريب في قلتها نظرا الى غيرها **واجعلنا للمتقين اماما** اي اجعلنا بحيث يقتدون بنا في اقامة مراسم الدين بافاضة العلم والتوفيق للعمل
وتوحيده للدلالة على الجنس وعدم الالتباس كقوله تعالى ثم نخرجكم طفلا او لان المراد واجعل كل واحد منا اماما او لانهم كنفس واحدة
لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم كذا قالوا وانت خبير بان مدار التكلف صدور هذا الدعاء اما عن الكل بطريق المعية وانه محال لاستحالة
اجتماعهم في عصر واحد فما ظنك باجتماعهم في مجلس واحد واتفاقهم على كلمة واحدة واما عن كل واحد منهم بطريق تشريك غيره في استدعاء
الامامة وانه ليس بثابت جزما بل الظاهر صدوره عنهم بطريق الانفراد وان عبارة كل واحد منهم عند الدعاء واجعلني للمتقين اماما
خلا انه حكيت عبارات الكل بصيغة المتكلم مع الغير للقصد الى الايجاز على طريقة قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا
وابقي اماما على حاله وقيل الامام جمع آم بمعنى قاصد كصيام جمع صائم ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم واعادة الموصول في المواقع
السبعة مع كفاية ذكر الصلات بطريق العطف على صلة الموصول الاول للايذان بان كل واحد مما ذكر في حيز صلة الموصولات

المذكورات وصف جليل على حياله له شان خطير حقيق بان يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شيء من ذلك تتمة لغيره وتوسيط العاطف
بين الموصولات لتنزيل الاختلاف العنواني منزلة الاختلاف الذاتي كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب في المزدحم **اولئك**
اشارة الى المتصفين بما فصل في حيز صلة الموصولات الثمانية من حيث اتصافهم به وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك اكمل تميز منتظمون
بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى **يجزون الغرفة** والجملة
مستأنفة لا محل لها من الاعراب مبينة لما لهم في الآخرة من السعادة الابدية اثر بيان ما لهم في الدنيا من الاعمال السنية والغرفة الدرجة
العالية من المنازل وكل بناء مرتفع عال اي يثابون اعلى منازل الجنة وهي اسم جنس اريد به الجمع كقوله تعالى وهم في الغرفات آمنون وقيل هي اسم
من اسماء الجنة **بما صبروا** بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات **ويلقون فيها** من جهة الملائكة **تحية وسلاما** اي
يحييهم الملائكة ويدعون لهم بطول الحيوة والسلامة عن الآفات ويعطون التبقية والتخلية مع السلامة من كل آفة وقيل يحيي بعضهم بعضا ويسلم
عليه وقرئ يَلقون من لقي **خالدين فيها** لا يموتون ولا يخرجون **حسنت مستقرا ومقاما** الكلام فيه كالذي مر في مقابله **قل** امر لرسول الله صلى الله
عليه وسلم بان يبين للناس ان الفائزين بتلك النعماء الجليلة التي يتنافس فيها المتنافسون انما نالوها بما عدد من محاسنهم ولولاها لم يعتد بهم
اصلا اي قل لهم كافة مشافها لهم بما صدر عن جنسهم من خير وشر **ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم** اي اي عبء يعبأ بكم واي اعتداد يعتد بكم
لولا عبادتكم له تعالى حسبما مر تفصيله فان ما خلق له الانسان معرفته تعالى وطاعته والا فهو وسائر البهائم سواء وقال الزجاج معناه اي وزن
يكون لكم عنده وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة ويجوز ان تكون ما نافية
وقوله تعالى **فقد كذبتم** بيان لحال الكفرة من المخاطبين كما ان ما قبله بيان لحال المؤمنين منهم اي فقد كذبتم بما اخبرتم به وخالفتموه ايها الكفرة
ولم تعملوا عمل اولئك المذكورين وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون اي الكافرون منكم
لعموم الخطاب للفريقين وفائدته الايذان بان مناط فوز احدهما وخسران الآخر مع الاتحاد الجنسي المصحح للاشتراك في الفوز ليس الا اختلافهما في الاعمال
فسوف يكون لزاما اي يكون جزاء التكذيب او اثره لازما يحيق بكم لا محالة حتى يكبكم في النار كما يعرب عنه الفاء الدالة على لزوم ما بعدها لما قبلها
وانما اضمر من غير ذكر للايذان بغاية ظهوره وتهويل امره والتنبيه على انه مما لا يكتنهه البيان وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد رحمه الله تعالى
هو القتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى وقرئ لَزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان
لقي الله تعالى وهو مؤمن بان الساعة آتية وادخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء

بسم الله الرحمن الرحيم **طسم** بتفخيم الالف وبامالتها واظهار النون وبادغامها في الميم وهو اما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدي
على احد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف
وهو اظهر من الرفع على الابتداء وقد مر وجهه في مطلع سورة يونس عليه السلام او النصب بتقدير فعل لائق بالمقام نحو اذكر او اقرأ وتلك
في قوله تعالى **تلك آيات الكتاب المبين** اشارة الى السورة سواء كان طسم مسرودا على نمط التعديد او اسما للسورة حسبما مر تحقيقه هناك
وما في اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلة المشار اليه في الفخامة ومحله الرفع على انه مبتدأ خبره ما بعده وعلى تقدير كون طسم مبتدأ ثان
او بدل من الاول على ان المراد بالكتاب القرآن وبالمبين الظاهر اعجازه على انه من ابان بمعنى بان او المبين للاحكام الشرعية وما يتعلق بها او الفاصل
بين الحق والباطل والمعنى هي آيات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمراد ببيان كونها بعضا منه وصفها بما اشتهر به الكل من النعوت الفاضلة **لعلك
باخع نفسك** اي قاتل واصل البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك على الاضافة
ولعل للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك **الا يكونوا مؤمنين** اي لعدم ايمانهم بذلك الكتاب المبين او خيفة
ان لا يؤمنوا به وقوله تعالى **ان نشأ** الى آخره استيناف مسوق لتعليل ما يفهم من الكلام من النهي عن التحسر المذكور ببيان ان ايمانهم ليس مما تعلقت به
مشية الله تعالى فلا وجه للطمع فيه والتألم من فواته ومفعول المشية محذوف لكونه مضمون الجزاء اعني قوله تعالى **ننزل عليهم من السماء آية** اي ملجئة لهم
الى الايمان قاسرة عليه وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر **فظلت اعناقهم لها خاضعين** اي
منقادين واصله فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لزيادة التقرير ببيان موضع الخضوع وترك الخبر على حاله وقيل لما وصفت الاعناق

بصفات العقلاء أجريت مجراهم في الصيغة أيضاً كما في قوله تعالى رأيتهم لي ساجدين وقيل يريد بها الرؤساء والجماعات من قولهم جاءنا
عنق من الناس أي فوج منهم وقرئ خاضعة وقوله تعالى فظلت عطف على ننزل باعتبار محله وقوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا
كانوا عنه معرضين بيان لشدة شكيمتهم وعدم ارعوائهم عما كانوا عليه من الكفر والتكذيب بغير ما ذكر من الآية الملجئة لصرف رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الحرص على إسلامهم وقطع رجائه عنه ومن الأولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية لابتداء الغاية مجازاً متعلقة بيأتيهم
أو بمحذوف هو صفة لذكر وأيا ما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وشناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الرحمة لتغليظ شناعتهم
وتهويل جنايتهم فإن الإعراض عما يأتيهم من جنابه عز وجل على الإطلاق شنيع قبيح وعما يأتيهم بموجب رحمته تعالى لمحض منفعتهم
أشنع وأقبح أي ما يأتيهم من موعظة من المواعظ القرآنية أو من طائفة نازلة من القرآن تذكرهم أكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة أتم
تنبيه كأنها نفس الذكر من جهته تعالى بمقتضى رحمته الواسعة مجدد تنزيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة إلا جددوا إعراضاً عنه على وجه
التكذيب والاستهزاء وإصراراً على ما كانوا عليه من الكفر والضلال والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال محله النصب على الحالية من مفعول
يأتيهم بإضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور أي ما يأتيهم من ذكر في حال من الأحوال إلا حال كونهم معرضين عنه فقد كذبوا أي كذبوا بالذكر
الذي يأتيهم تكذيباً صريحاً مقارناً للاستهزاء به ولم يكتفوا بالإعراض عنه حيث جعلوه تارة سحراً وأخرى أساطير وأخرى شعراً
والفاء في قوله تعالى فسيأتيهم لترتيب ما قبلها على ما بعدها والسين لتأكيد مضمون الجملة وتقريره أي فسيأتيهم البتة من غير تخلف أصلاً
أنباء ما كانوا به يستهزئون عدل عما يقتضيه ظاهر ما سلف من الإعراض والتكذيب للإيذان بأنهما كانا مقارنين للاستهزاء كما أشير إليه
حسبما وقع في قوله تعالى وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا
به يستهزئون وأنباؤه ما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة والآجلة عبر عنها بذلك إما لكونها مما أنبأ بها القرآن وإما لأنهم بمشاهدتها
يقفون على حقيقة حال القرآن كما يقفون على الأحوال الخافية عنهم باستماع الأنباء وفيه تهويل له لأن النبأ لا يطلق إلا على خبر خطير له وقع
عظيم أي فسيأتيهم لا محالة مصداق ما كانوا يستهزئون به قبل من غير أن يتدبروا في أحواله ويقفوا عليها أولم يروا الهمزة للإنكار التوبيخي والواو
للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي فعلوا ما فعلوا من الإعراض عن الآيات والتكذيب والاستهزاء بها ولم ينظروا إلى الأرض أي إلى عجائبها
الزاجرة عما فعلوا الداعية إلى الإقبال على ما أعرضوا عنه وإلى الإيمان به وقوله تعالى كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم استئناف مبين لما في الأرض من
الآيات الزاجرة عن الكفر الداعية إلى الإيمان وكم خبرية منصوبة بما بعدها على المفعولية والجمع بينها وبين كل لإفادة الإحاطة والكثرة معاً
ومن كل زوج أي صنف بمير والكريم من كل شيء مرضيه ومحموده أي كثيراً من كل صنف مرضي كثير المنافع أنبتنا فيها وتخصيص النبات بالذكر
دون ما عداه من الأصناف لاختصاصه بالدلالة على القدرة والنعمة معاً ويحتمل أن يراد به جميع أصناف النبات نافعها وضارها ويكون وصف
الكل بالكرم للتنبيه على أنه تعالى ما أنبت شيئاً إلا وفيه فائدة كما نطق به قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً فإن الحكيم لا يكاد يفعل
فعلاً إلا وفيه حكمة بالغة غفل عنها الغافلون ولم يتوصل إلى معرفة كنهها العاقلون إن في ذلك إشارة إلى مصدر أنبتنا أو إلى كل واحد
من تلك الأزواج وأيا ما كان فما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلته في الفضل لآية أي آية عظيمة دالة على كمال قدرة منبتها وغاية وفور
علمه وحكمته ونهاية سعة رحمته موجبة للإيمان وازعة عن الكفر وما كان أكثرهم أي أكثر قومه عليه السلام مؤمنين قيل أي في علم الله تعالى وقضائه حيث
علم أزلاً أنهم سيصرفون فيما لا يزال اختيارهم الذي عليه يدور أمر التكليف إلى جانب الشر ولا يتدبرون في هذه الآيات العظام وكان في هذه
كان صلة أي زائدة منه والمعنى وما أكثرهم مؤمنين وهو الأنسب بمقام بيان عتوهم وغلوهم في المكابرة والعناد مع تعاضد موجبات الإيمان
من جهته تعالى وأما نسبة كفرهم إلى علمه تعالى وقضائه فربما يتوهم منها كونهم معذورين فيه بحسب الظاهر لأن ما أشير إليه من التحقيق مما خفي على
مهرة العلماء المتقنين كأنه قيل إن في ذلك لآية باهرة موجبة للإيمان وما أكثرهم مؤمنين مع ذلك لغاية تماديهم في الكفر والضلالة وانهماكهم
في الغي والجهالة ونسبة عدم الإيمان إلى أكثرهم لأن منهم من سيؤمن وإن ربك لهو العزيز الغالب على كل ما يريده من الأمور التي من جملتها الانتقام
من هؤلاء الرحيم المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يأخذهم بغتة بما اجترؤوا عليه من العظائم الموجبة لفنون العقوبات وفي التعرض لوصف
الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام من تشريفه والعدة الخفية بالانتقام من الكفرة ما لا يخفى وإذ نادى ربك موسى كلام مستأنف

مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من إعراضهم عن كل ما يأتيهم من الآيات التنزيلية وتكذيبهم بها إثر بيان إعراضهم عما يشاهدونه من الآيات التكوينية
وإذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم أي واذكر لأولئك المعرضين المكذبين وقت ندائه تعالى إياه عليه السلام وذكرهم بما
جرى على قوم فرعون بسبب تكذيبهم إياه زجراً لهم عما هم عليه من التكذيب وتحذيراً من أن يحيق بهم مثل ما حاق بأضرابهم المكذبين الظالمين حتى يتضح لك
أنهم لا يؤمنون بما يأتيهم من الآيات لكن لا بقياس حال هؤلاء بحال أولئك فقط بل بمشاهدة إصرارهم على ما هم عليه بعد سماع الوحي الناطق بقصتهم
وعدم اتعاظهم بذلك كما يلوح به تكرير قوله تعالى إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين عقيب كل قصة وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت مع أن
المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر سره مراراً أن ائت معناه أي ائت على أن أن مفسرة أو بأن ائت على أنها مصدرية حذف
عنها الجار القوم الظالمين أي بالكفر والمعاصي واستعباد بني إسرائيل وذبح أبنائهم وليس هذا مطلع ما ورد في حيز النداء وإنما هو ما
فصل في سورة طه من قوله تعالى إني أنا ربك إلى قوله تعالى لنريك من آياتنا الكبرى وإيراد ما جرى في قصة واحدة من المقالات بعبارات
شتى وأساليب مختلفة قد مر تحقيقه في أوائل سورة الأعراف عند قوله قال أنظرني قوم فرعون بدل من الأول أو عطف بيان له جيء به
للإيذان بأنهم علم في الظلم كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون والاقتصار على ذكر قومه للإيذان بشهرة أن نفسه أول داخل
في الحكم ألا يتقون استئناف جيء به إثر إرساله عليه السلام إليهم للإنذار تعجيباً من غلوهم في الظلم وإفراطهم في العدوان وقرئ بتاء الخطاب
على طريقة الالتفات المبني عن زيادة الغضب عليهم كأن ذكر ظلمهم أدى إلى مشافهتهم بذلك وهم وإن كانوا حينئذ غيباً لكنهم قد أجروا
مجرى الحاضرين في كلام المرسل إليهم من حيث إنه مبلغه إليهم وإسماعه مبدأ إسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل
وقرئ بكسر النون اكتفاء به عن ياء المتكلم وقد جوز أن يكون بمعنى ألا يا ناس اتقون نحو ألا يا اسجدوا قال استئناف مبني على سؤال نشأ
من حكاية ما مضى كأنه قيل فماذا قال موسى عليه السلام فقيل قال متضرعاً إلى الله عز وجل رب إني أخاف أن يكذبون من أول الأمر
ويضيق صدري ولا ينطلق لساني معطوفان على أخاف فأرسل أي جبريل عليه السلام إلى هارون ليكون معي وأتعاضد به في تبليغ الرسالة
رتب عليه السلام استدعاءه ذلك على الأمور الثلاثة خوف التكذيب وضيق الصدر وازدياد ما كان فيه عليه السلام من حبسة اللسان بانقباض
الروح إلى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لأنها إذا اجتمعت مست الحاجة إلى معين يقوي قلبه وينوب منابه إذا اعتراه حبسة
حتى لا تختل دعوته ولا تنقطع حجته وليس هذا من التعلل والتوقف في تلقي الأمر في شيء وإنما هو استدعاء لما يعينه على الامتثال به وتمهيد عذره فيه
وقرئ ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفاً على يكذبون فيكونان من جملة ما يخاف منه ولهم علي ذنب أي تبعة ذنب فحذف المضاف
وأقيم المضاف إليه مقامه أو سمي باسمه والمراد به قتل القبطي وتسميته ذنباً بحسب زعمهم كما ينبئ عنه قوله لهم وهذا إشارة إلى قصة مبسوطة
في غير موضع فأخاف أي إن أتيتهم وحدي أن يقتلون بمقابلته قبل أداء الرسالة كما ينبغي وليس هذا أيضاً تعللاً وإنما هو استدفاع
للبلية المتوقعة قبل وقوعها وقوله تعالى قال كلا فاذهبا بآياتنا حكاية لإجابته تعالى إلى الطلبتين تدفع المفهوم من الردع عن الخوف
وضم أخيه المفهوم من توجيه الخطاب إليهما بطريق التغليب فإنه معطوف على مضمر ينبئ عنه الردع كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب
أنت ومن استدعيته وفي قوله تعالى بآياتنا رمز إلى أنها تدفع ما يخافه وقوله تعالى إنا معكم مستمعون تعليل للردع عن الخوف
ومزيد تسلية لهما بضمان كمال الحفظ والنصرة كقوله تعالى إنني معكما أسمع وأرى وحيث كان الموعود بمحضر من فرعون اعتبر ههنا
في المعية وقيل أجريا مجرى الجماعة وبأباه ما قبله وما بعده من ضمير التثنية أي سامعون ما يجري بينكما وبينه فنظهركما عليه مثل حاله تعالى
بحال ذي شوكة قد حضر مجادلة قوم يستمع ما يجري بينهم ليمد أولياءه ويظهرهم على أعدائهم مبالغة في الوعد بالإعانة أو استعير الاستماع
الذي هو بمعنى الإصغاء للسمع الذي هو العلم بالحروف والأصوات وهو خبر ثان أو خبر وحده ومعكم ظرف لغو والفاء في قوله تعالى فأتيا فرعون فقولا إنا
رسول رب العالمين لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الوعد الكريم وليس هذا مجرد تأكيد للأمر بالذهاب لأن معناه الوصول إلى المأتي لا مجرد التوجه إليه
كالذهاب وإفراد الرسول إما باعتبار رسالة كل منهما أو لاتحاد مطلبهما أو لأنه مصدر وصف به وأن في قوله تعالى أن أرسل معنا بني إسرائيل
مفسرة لتضمن الإرسال المفهوم من الرسول معنى القول ومعنى إرسالهم تخليتهم وشأنهم ليذهبوا معهما إلى الشام قال أي فرعون لموسى عليه السلام
بعد ما أتياه وقالا له ما أمرا به روي أنهما انطلقا إلى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب إن ههنا إنساناً يزعم أنه رسول

رب العالمين فقال الذين له لعلنا نضحك فأتيا اليه الرسالة فعرف موسى عليه السلام فقال عند ذلك ألم نربك فينا اي في حجرنا ومنازلنا وليدا
اي طفلا عبر عنه بذلك لقرب عهده بالولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين واقام بها عشر سنين
ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله عز وجل ثلاثين سنة ثم بقي بعد الغرق خمسين وقيل وكز القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة وفر منهم على اثر ذلك والله
تعالى اعلم وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي بعد ما عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال وبخه بما جرى عليه من قتل خبازه
وعظم ذلك وفظعه وقرئ فعلتك بكسر الفاء لانها كانت نوعا من القتل وانت من الكافرين اي بنعمتي حيث عمدت الى قتل رجل من خواصي
وانت حينئذ ممن تكفرهم الآن وقد افترى عليه عليه السلام او جهل امره عليه السلام حيث كان يعاشرهم بالتقية والا فاين هو عليه السلام من
مشاركتهم في الدين فالجملة حينئذ حال من احدى التائين ويجوز ان يكون حكما مبتدأ عليه بانه من الكافرين بالهيته او ممن يكفرون في دينهم
حيث كانت لهم آلهة يعبدونهم او من الكافرين بالنعم المعتادين بغمطها ومن اعتاد ذلك لا يكون مثل هذه الجناية بدعا منه قال مجيبا له
مصدقا له في القتل ومكذبا فيما نسبه اليه من الكفر فعلتها اذا وانا من الضالين اي من الجاهلين وقد قرئ كذلك لا من الكافرين كما زعمت
افتراء اي من الفاعلين فعل الجهلة والسفهاء او من المخطئين لانه لم يتعمد قتله بل اراد تأديبه او الذاهبين عما يؤدي اليه الوكز والتأديب
كقوله تعالى ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ففررت منكم الى ربي لما خفتكم ان تصيبوني بمضرة وتؤاخذوني بما لا استحقه بجنايتي من
العقاب فوهب لي ربي حكما اي حكمة او نبوة وجعلني من المرسلين ردا اولا بذلك ما وبخه به قدحا في نبوته ثم كر على ما عده عليه من النعمة
ولم يصرح برده حيث كان صدقا غير قادح في دعواه بل نبه على انه كان في الحقيقة نقمة فقال وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل
اي تلك التربية نعمة تمن بها علي ظاهرا وهي في الحقيقة تعبيدك بني اسرائيل وقصدك اياهم بذبح ابنائهم فانه السبب في وقوعي عندك وحصولي
في تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اي او تلك نعمة تمنها علي وهي ان عبدت بني اسرائيل ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
او بدل من نعمة او الجر باضمار الباء او النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت عطف بيان لها والمعنى
تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وتوحيد الخطاب في تمنها وجمعه فيما قبله لان المنة منه خاصة والخوف والفرار منه ومن ملائه
منه عليه السلام تلك المقالة المتينة وشاهد تصلبه في امره وعدم تأثره فيما قدمه من الابراق والارعاد شرع في الاعتراض على
دعواه عليه السلام فبدأ بالاستفسار عن المرسل فقال وما رب العالمين حكاية لما وقع في عبارته عليه السلام اي اي شيء رب العالمين الذي يدعي
انك رسوله منكرا لان يكون للعالمين رب سواه حسبما يعرب عنه قوله انا ربكم الاعلى وقوله ما علمت لكم من اله غيري وينطق به وعيده عند
تمام اجوبته عليه السلام قال موسى عليه السلام مجيبا له رب السموات والارض وما بينهما تعيين لما اراد بالعالمين وتفصيل لزيادة التحقيق
والتقرير وحسم لمادة تزوير اللعين وتشكيكه بحمل العالمين على ما تحت مملكته ان كنتم موقنين اي ان كنتم موقنين بالاشياء محققين لها علمتم
ذلك او ان كنتم موقنين بشيء من الاشياء فهذا اولى بالايقان لظهوره وانارة دليله قال اي فرعون عند سماع جوابه عليه السلام خوفا من
تأثيره في قلوب قومه واذعانهم له لمن حوله من اشراف قومه قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا خمسمائة عليهم الاساور وكانت للملوك
خاصة ألا تستمعون مرائيا لهم ان ما سمعوه من جوابه عليه السلام مع كونه مما لا يليق بان يعتد به امر حقيق بان يتعجب منه كأنه قال الا تستمعون
ما يقوله فاستمعوه وتعجبوا منه حيث يدعي خلاف امر محقق لا اشتباه فيه يريد به ربوبية نفسه قال عليه السلام تصريحا بما كان مندرجا
تحت جوابيه السابقين ربكم ورب آبائكم الاولين وحطا له من ادعاء الربوبية الى مرتبة المربوبية قال اي فرعون لما واجهه موسى عليه
السلام بما ذكر غاظه ذلك وخاف من تأثر قومه منه فاراهم ان ما قاله عليه السلام مما لا يصدر عن العقلاء صدا لهم عن قبوله فقال مؤكدا
لمقالته الشنعاء بحرفي التأكيد ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ليفتنهم بذلك ويصرفهم عن قبول الحق وسماه رسولا بطريق
الاستهزاء واضافه الى مخاطبيه ترفعا من ان يكون مرسلا الى نفسه قال عليه السلام رب المشرق والمغرب وما بينهما قاله عليه السلام تكميلا
لجوابه الاول وتفسيرا له وتنبيها على جهلهم وعدم فهمهم لمعنى مقالته فان بيان ربوبيته تعالى للسموات والارض وما بينهما وان كان متضمنا لبيان
ربوبيته تعالى للخافقين وما بينهما لكن لما لم يكن فيه تصريح باستناد حركات السموات وما فيها وتغيرات احوالها واوضاعها وكون الارض
تارة مظلمة واخرى منورة الى الله تعالى ارشدهم الى طريق معرفة ربوبيته لما ذكر فان ذكر المشرق والمغرب منبئ عن شروق الشمس

وغروبها المنوطين بحركات السموات وما فيها على نمط بديع يترتب عليه هذه الاوضاع الرصينة وكل ذلك امور حادثة مفتقرة الى محدث قادر عليم حكيم
لا كذوات السموات والارض التي ربما يتوهم جهلة المتوهين باستمرارها استغناؤها عن الموجد المتصرف ان كنتم تعقلون اي ان كنتم تعقلون شيئا
من الاشياء او ان كنتم من اهل العقل علمتم ان الامر كما قلته وفيه ايذان بغاية وضوح الامر بحيث لا يشتبه على من له عقل في الجملة وتلويح بانهم بمعزل
من دائرة العقل وانهم المتصفون بما رموه عليه السلام به من الجنون قال لما سمع اللعين منه عليه السلام تلك المقالات المبنية على اساس الحكم
البالغة وشاهد شدة حزمه وقوة عزمه على تمشية امره وانه ممن لا يجارى في حلبة المحاورة ضرب صفحا عن المقاولة بالانصاف ونأى بجانبه
عدق الجور والاعتساف فقال مظهرا لما كان يضمره عند السؤال والجواب لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين لم يقنع منه عليه السلام
بترك دعوى الرسالة وعدم التعرض له حتى كلفه عليه السلام ان يتخذه الها لغاية عتوه وغلوه فيما فيه من دعوى الالوهية وهذا صريح في ان
تعجبه وتعجيبه من الجواب الاول ونسبته عليه السلام الى الجنون في الجواب الثاني كان لنسبته عليه السلام الربوبية الى غيره واما ما قيل من ان
سؤاله كان عن حقيقة المرسل وتعجبه من جوابه كان لعدم مطابقته له لكونه ذكرا لاحواله فلا يساعده النظم الكريم ولا حال فرعون ولا مقاله
واللام في المسجونين للعهد اي لاجعلنك ممن عرفت احوالهم في سجوني حيث كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك لم يقل لاسجننك
قال اولو جئتك بشيء مبين اي اتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين اي موضح لصدق دعواي يريد به المعجزة فانها جامعة بين الدلالة
على وجود الصانع وحكمته وبين الدلالة على صدق دعوى من ظهرت على يده والتعبير عنها بالشيء للتهويل قالوا الواو في اولو جئتك
للحال دخلت عليها همزة الاستفهام اي جائيا بشيء مبين وقد سلف منا مرارا انها للعطف وان كلمة لو ليست لانتفاء الشيء في
الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف تعويلا على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان
الاعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال
المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال
بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى
عنه بذكر العاطف للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها ليظهر ما ذكر من تحقق الحكم على جميع الاحوال
فانك اذا قلت فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا تريد بيان تحقق الاعطاء منه على كل حال من احواله المفروضة فتعلق الحكم بابعدها منه ليظهر
بتحققه معه تحققه مع ما عداه من الاحوال التي لا منافاة بينها وبين الحكم بطريق الاولوية المصححة للاكتفاء بذكر العاطف عن تفصيلها كانك قلت
فلان جواد يعطي لو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا اي يعطي حال كونه غنيا وحال كونه فقيرا فالحال في الحقيقة كلتا الجملتين المتعاطفتين
لا المذكورة على ان الواو للحال وتصدير المجيء بما ذكر من كلمة لو دون ان ليس لبيان استبعاده في نفسه بل بالنسبة الى فرعون والمعنى افتفعل
بي ذلك حال عدم مجيئي بشيء مبين وحال مجيئي به قال فأت به ان كنت من الصادقين اي فيما يدل عليه كلامك من انك تأتي بشيء مبين موضح
لصدق دعواك او في دعوى الرسالة وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين اي ظاهر ثعبانيته
لا انه شيء يشبهه واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اي فجرته فانفجر وقد مر بيان كيفية الحال في سورة الاعراف وسورة
طه ونزع يده من جيبه فاذا هي بيضاء للناظرين قيل لما رأى فرعون الآية الاولى قال هل لك غيرها فاخرج يده فقال فرعون
يدك فما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق قال للملأ حوله اي مستقرين حوله
فهو ظرف وقع موقع الحال ان هذا لساحر عليم فائق في فن السحر يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون بهره
سلطان المعجزة وحيرته حتى حطه عن ذروة ادعاء الربوبية الى حضيض الخضوع لعبيده في زعمه والامتثال بامرهم
او الى مقام مؤامرتهم بعد ما كان مستقلا في الرأي والتدبير واظهر استشعار الخوف من استيلائه على ملكه ونسبة
الاخراج والارض اليهم لتنفيرهم عن موسى عليه السلام قالوا ارجه واخاه اخر امرهما وقيل احبسهما وابعث في المدائن حاشرين
شرطا يحشرون السحرة يأتوك بكل سحار عليم اي الحاشرون فائق في فن السحر وقرئ بكل ساحر فجمع السحرة لميقات
يوم معلوم هو ما عينه موسى عليه السلام بقوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى وقيل للناس هل انتم مجتمعون

قيل لهم

ذلك استنباطاً لهم في الاجتماع وحثاً لهم على المبادرة اليه لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين اي نتبعهم في دينهم ان كانوا هم الغالبين لا موسى عليه السلام وليس مرادهم بذلك ان يتبعوا دينهم حقيقة وانما هو ان لا يتبعوا موسى عليه السلام لكنهم ساقوا الكلام مساق الكناية حملاً لهم على الاهتمام والجد في المغالبة فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجراً اي اجراً عظيماً ان كنا نحن الغالبين لا موسى عليه السلام قال نعم لكم ذلك وانكم مع ذلك اذاً لمن المقربين عندي قيل قال لهم تكونون اول من يدخل علي وآخر من يخرج عني وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان قال لهم موسى اي بعد ما قال له السحرة اما ان تلقي واما ان نكون اول من ألقى ألقوا ما انتم ملقون ولم يرد به الامر بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه البتة توسلاً به الى اظهار الحق وابطال الباطل فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا اي وقد قالوا عند الالقاء بعزة فرعون انا لنحن الغالبون قالوا ذلك لفرط اعتقادهم في انفسهم واتيانهم بأقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر فألقى موسى عصاه فاذا هي تلقف اي تبتلع بسرعة وقرئ تلقف بحذف احدى التائين من تتلقف ما يأفكون اي ما يقلبونه من وجهه وصورته بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى او افكهم تسمية للمأفوك به مبالغة فألقي السحرة ساجدين اي اثر ما شاهدوا ذلك من غير تلعثم وتردد غير متمالكين كأن ملقياً ألقاهم لعلمهم بأن مثل ذلك خارج عن حدود السحر وانه امر الهي قد ظهر على يده عليه السلام لتصديقه وفيه دليل على ان قصارى ما ينتهي اليه همم السحرة هو التمويه والتزوير وتخييل شيء لا حقيقة له قالوا آمنا برب العالمين بدل اشتمال من ألقي او حال باضمار قد وقوله تعالى رب موسى وهرون بدل من رب العالمين للتوضيح ودفع توهم ارادة فرعون حيث كان قومه الجهلة يسمونه بذلك وللاشعار بأن الموجب لايمانهم به تعالى ما اجراه على ايديهما من المعجزة القاهرة قال اي فرعون للسحرة آمنتم له قبل ان آذن لكم اي بغير ان آذن لكم كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان الاذن منه ممكن او متوقع انه لكبيركم الذي علمكم السحر فتواطأتم على ما فعلتم او علمكم شيئاً دون شيء فلذلك غلبكم اراد بذلك التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا انهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرئ أآمنتم بهمزتين فلسوف تعلمون اي وبال ما فعلتم وقوله لأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولأصلبنكم اجمعين بيان لما اوعدهم به قالوا اي السحرة لا ضير لا ضرر فيه علينا وقوله تعالى انا الى ربنا منقلبون تعليل لعدم الضير اي صغير في ذلك بل لنا فيه نفع عظيم لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب العظيم او لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل انه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل اهونها وارجاها وقوله تعالى انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اي لان كنا اول المؤمنين وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة قول المدل بامره قول العامل لمستأجر اخرجته ان كنت عملت لك فوفني حقي واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي وذلك بعد بضع سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا الا عتواً وعناداً حسبما فصل في سورة الاعراف بقوله تعالى ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات الآيات وقرئ بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ ان سر من السير انكم متبعون تعليل للامر بالاسراء اي يتبعكم فرعون وجنوده مصبحين فأسر بمن معك حتى لا يدركوكم قبل الوصول الى البحر فيدخلوا مداخلكم فأطبقه عليهم فأغرقهم حين اخبر بمسيرهم فأرسل فرعون في المدائن حاشرين جامعين للعساكر ليتبعوهم ان هؤلاء يريد بني اسرائيل لشرذمة قليلون استقلهم وهم ستمائة الف وسبعون الفاً بالنسبة الى جنوده اذ روي انه ارسل في اثرهم الف الف وخمسمائة ملك مسور مع كل ملك الف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة الف رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما خرج فرعون في الف الف حصان سوى الاناث وانهم لنا لغائظون اي فاعلون ما يغيظنا وانا لجميع حاذرون يريد انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالاً تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى اطفاء نائرة فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرئ حذرون فالاول دال على التجدد والثاني على الثبات وقيل الحاذر المؤدي في السلاح وقرئ حادرون بالدال المهملة اي اقوياء واشداء وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حدارة في صدورهم واجسامهم فأخرجناهم بأن خلقنا فيهم داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم

كانت لهم جملة ذلك كذلك اما مصدر تشبيهي لأخرجنا اي مثل ذلك الاخراج العجيب اخرجناهم او صفة لمقام كريم اي من مقام كريم كائن كذلك او خبر لمبتداء محذوف اي الامر كذلك واورثناها بني اسرائيل اي ملكناهم اياها على طريقة تمليك مال المورث للوارث كأنهم ملكوها من حين خروج اربابها منها قبل ان يقبضوها ويتسلموها فأتبعوهم اي فلحقوهم وقرئ فاتّبعوهم مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس اي طلوعها فلما تراءى الجمعان تقاربا بحيث رأى كل واحد منهما الآخر وقرئ تراءت الفئتان قال اصحاب موسى انا لمدركون جاؤا بالجملة الاسمية مؤكدة بحرفي التأكيد للدلالة على تحقق الادراك واللحاق وتنجزهما وقرئ لمدّركون بتشديد الدال من ادّرك الشيء اذا تتابع ففني اي لمتتابعون في الهلاك على ايديهم قال كلا ارتدعوا عن ذلك فانهم لا يدركونكم ان معي ربي بالنصرة والهداية سيهدين البتة الى طريق النجاة منهم بالكلية روي ان يوشع عليه السلام قال يا كليم الله اين أمرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا قال عليه السلام ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى عليه السلام بعصاه البحر فكان ما كان وروي ان مؤمناً من آل فرعون كان بين يدي موسى عليه السلام فقال اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولعلي اومر بما اصنع فأمر بما امر به وذلك قوله تعالى فأوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر القلزم او النيل فانفلق اي فضرب فانفلق فصار اثني عشر مسلكاً بعدد الاسباط فكان كل فرق حاصل بالانفلاق كالطود العظيم كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب منها وازلفنا اي قربنا ثم الآخرين اي فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم وانجينا موسى ومن معه اجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا الى البر ثم اغرقنا الآخرين باطباقه عليهم ان في ذلك اي في جميع ما فصل مما صدر عن موسى عليه السلام وظهر على يديه من المعجزات القاهرة ومما فعل فرعون وقومه من الاقوال والافعال وما فعل بهم من العذاب والنكال وما في اسم الاشارة من معنى البعد لتهويل امر المشار اليه وتفظيعه كتنكير الآية في قوله تعالى لآية اي آية آية واية عظيمة لا تكاد توصف موجبة لأن يعتبر بها المعتبرون ويقيسوا شأن النبي صلى الله عليه وسلم بشأن موسى عليه السلام وحال انفسهم بحال اولئك المهلكين ويجتنبوا تعاطي ما كانوا يتعاطونه من الكفر والمعاصي ومخالفة الرسول ويؤمنوا بالله تعالى ويطيعوا رسوله كيلا يحل بهم مثل ما حل باولئك او ان فيما فصل من القصة من حيث حكايته عليه السلام اياها على ما هي من غير ان يسمعها من احد لآية عظيمة دالة على ان ذلك بطريق الوحي الصادق موجبة للايمان بالله تعالى وحده وطاعة رسوله عليه السلام وما كان اكثرهم اي اكثر هؤلاء الذين سمعوا قصتهم منه عليه السلام مؤمنين لا بأن يقيسوا شأنه بشأن موسى عليهما السلام وحال انفسهم بحال اولئك المكذبين المهلكين ولا بأن يتدبروا في حكايته عليه السلام لقصتهم من غير ان يسمعها من احد مع كون كل من الطريقين مما يؤدي الى الايمان قطعاً ومعنى ما كان اكثرهم مؤمنين وما اكثرهم مؤمنين على ان كان زائدة كما هو رأي سيبويه فيكون كقوله تعالى وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وهو اخبار منه تعالى بما سيكون من المشركين بعد ما سمعوا الآيات التي لحقته بالقصة تقريراً لما مر من قوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الى آخره وايثار الجملة الاسمية للدلالة على استقرارهم على عدم الايمان واستمرارهم عليه ويجوز ان يجعل كان بمعنى صار كما في قوله تعالى وكان من الكافرين فالمعنى وما صار اكثرهم مؤمنين مع ما سمعوا من الآية العظيمة الموجبة له بما ذكر من الطريقين فيكون الاخبار بعدم الصيرورة قبل الحدوث للدلالة على كمال تحققه وتقرره كقوله تعالى اتى امر الله الآية وان ربك لهو العزيز الغالب على كل ما يريده من الامور التي من جملتها الانتقام من المكذبين الرحيم المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يعجل عقوبتهم بعدم ايمانهم بعد مشاهدة هذه الآية العظيمة بطريق الوحي مع كمال استحقاقهم لذلك هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم من مطلع السورة الكريمة الى آخر القصص السبع بل الى آخر السورة الكريمة اقتضاء بيّناً لا ريب فيه واما ما قيل من ان ضمير اكثرهم لأهل عصر فرعون من القبط وغيرهم وان المعنى وما كان اكثر اهل مصر مؤمنين حيث لم يؤمن منهم الا آسية وخربيل ومريم بنت ياموشا التي دلت على تابوت يوسف عليه السلام وبنو اسرائيل بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فبمعزل من التحقيق كيف لا ومساق كل قصة من القصص الواردة في السورة الكريمة سوى قصة ابراهيم عليه السلام انما هو لبيان حال طائفة معينة قد عتوا عن امر ربهم وعصوا رسله عليهم السلام كما يفصح عنه تصدير القصص بتكذيبهم المرسلين بعد ما شاهدوا بأيديهم من الآيات العظام ما يوجب عليهم الايمان ويزجرهم عن الكفر والعصيان واصروا على ما هم عليه من التكذيب فعاقبهم الله تعالى لذلك بالعقوبة الدنيوية وقطع دابرهم بالكلية فكيف يمكن ان يخبر عنهم بعدم ايمان اكثرهم لا سيما بعد الاخبار باهلاكهم وعد

المؤمنين من جملتهم اولاً واخراجهم منها آخراً مع عدم مشاركتهم لهم في شيء مما حكي عنهم من الجنايات اصلاً فما يجب تنزيه التنزيل عن امثاله
فتدبر واتل عليهم عطف على المضمر المقدر عاملاً لاذ نادي اي اذكر اي واتل على المشركين نبأ ابراهيم اي خبره العظيم الشان حسبما اوحي اليك
لتقف على ما ذكر من عدم ايمانهم بما ياتيهم من الآيات باحد الطريقين اذ قال منصوب اما على الظرفية للنبأ اي نبأه وقت قوله لابيه
وقومه وعلى المفعولية لاتل على انه بدل من نبأ اي واتل عليهم وقت قوله ما تعبدون على ان المتلو ما قاله لهم في ذلك الوقت سألهم عليه السلام
عن ذلك ليبني على جوابهم انما يعبدونه بمعزل من استحقاق العبادة بالكلية قالوا نعبد اصناماً فنظل لها عاكفين لم يقتصروا على الجواب
الكافي بان يقولوا اصناماً كما في قوله تعالى ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو وقوله تعالى ماذا انزل ربكم قالوا الحق ونظائرهما بل اطنبوا فيه
باظهار الفعل وعطف دوام عكوفهم على اصنامهم قصداً الى ابراز ما في نفوسهم الخبيثة من الابتهاج والافتخار بذلك والمراد بالظلول الدوام
وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل وصلة العكوف كلمة على وايراد اللام لافادة معنى زائد كانهم قالوا فنظل لاجلها مقبلين على
عبادتها او مستديرين حولها وهذا ايضاً من جملة اطنابهم قال استيناف مبني على سؤال نشأ من تفصيل جوابهم هل يسمعونكم اي هل يسمعون
دعاكم على حذف المضاف او يسمعونكم تدعون كقولك سمعت زيداً يقول كيت وكيت فحذف لدلالة قوله تعالى اذ تدعون عليه وقرئ هل يُسمعونكم
من الاسماع اي هل يسمعونكم شيئاً من الاسماع والجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك وصيغة المضارع مع اذ على حكاية الحال الماضية التي
كنتم تدعونها فيها واجيبوا هل سمعوا او اسمعوا قط او ينفعونكم بسبب عبادتكم لها او يضرون اي يضرونكم بترككم لعبادتها اذ لا بد للعبادة
لا سيما عند كونها على ما وصفتم من المبالغة فيها من جلب نفع او دفع ضر قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون اعترفوا بانها بمعزل مما ذكر من السمع
والمنفعة والمضرة بالمرة واضطروا الى اظهار ان لا سند لهم سوى التقليد اي ما علمنا او ما رأينا منهم ما ذكر من الامور بل وجدنا آباءنا كذلك
يفعلون اي مثل عبادتنا يعبدون فاقتدينا بهم قال افرأيتم ما كنتم تعبدون اي انظرتم فابصرتم او تأملتم فعلمتم ما كنتم تعبدونه انتم وآباؤكم
الاقدمون حق الابصار او حق العلم وقوله تعالى فانهم عدو لي بيان لحال ما يعبدونه بعد التنبيه على عدم علمهم بذلك اي فاعلموا انهم اعداء لعابديهم الذين
يحبونهم كحب الله تعالى لما انهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه او لان من يغريهم على عبادتهم ويحملهم عليها هو الشيطان الذي
هو اعدى عدو الانسان لكنه عليه السلام صور الامر في نفسه تعريضاً بهم فانه انفع في النصيحة من التصريح واشعاراً بانها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون
ادعى الى القبول والعدو والصديق يجيئان في معنى الواحد والجمع ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو شبهاً بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين
والصهيل الا رب العالمين استثناء منقطع اي لكن رب العالمين ليس كذلك بل هو وليي في الدنيا والآخرة لا يزال يتفضل علي بمنافعهما حسبما يعرب عنه
ما وصفه تعالى به من احكام الولاية وقيل متصل وهو قول الزجاج على ان الضمير لكل معبود وكان من آبائهم من عبد الله تعالى وقوله تعالى الذي خلقني
صفة لرب العالمين وجعله مبتدأ وما بعده خبراً غير حقيق بجزالة التنزيل وانما وصفه تعالى بذلك وبما عطف عليه مع اندراج الكل تحت ربوبيته تعالى
للعالمين تصريحاً بالنعم الخاصة به عليه السلام وتفصيلاً لها لكونها ادخل في اقتضاء تخصيص العبادة به تعالى وقصر الالتجاء في جلب المنافع الدينية
والدنيوية ودفع المضار العاجلة والآجلة عليه تعالى فهو يهدين اي هو يهديني وحده الى كل ما يهمني ويصلحني من امور الدين والدنيا هداية متصلة
بحين الخلق ونفخ الروح متجددة على الاستمرار كما ينبئ عنه الفاء وصيغة المضارع فانه تعالى يهدي كل ما خلقه لما خلق له من امور المعاش والمعاد هداية
متدرجة من مبدأ ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب منافعه ودفع مضاره اما طبعاً واما اختياراً مبدؤها بالنسبة الى الانسان هداية
الجنين لامتصاص دم الطمث ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بنعيمها المقيم والذي هو يطعمني ويسقين عطف على الصفة الاولى وتكرير
الموصول في المواقع الثلاثة مع كفاية عطف ما وقع في حيز الصلة من الجمل الست على صلة الموصول الاول للايذان بان كل واحدة من تلك الصلات نعت
جليل له تعالى مستقل في استيجاب الحكم حقيق بان تجري عليه تعالى بحيالها ولا تجعل من روادف غيرها واذا مرضت فهو يشفين عطف على يطعمني
ويسقين نظم معهما في سلك الصلة لموصول واحد لما ان الصحة والمرض من متفرعات الاكل والشرب غالباً ونسبة المرض الى نفسه والشفاء الى الله تعالى
مع تنزهما منه تعالى لمراعاة حسن الادب كما قال الخضر عليه السلام فاردت ان اعيبها وقال فاراد ربك ان يبلغا اشدهما واما الاماتة فحيث
كانت من معظم خصائصه تعالى كالاحياء بدأً واعادةً وقد نيطت امور الآخرة جميعاً بها وبما بعدها من البعث نظمهما في سلك واحد في قوله تعالى
والذي يميتني ثم يحيين على ان الموت لكونه ذريعة الى نيله عليه السلام للحيوة الابدية بمعزل من ان يكون غير مطبوع عنده عليه السلام والذي اطمع ان يغفر لي

خطيئتي يوم الدين ذكره عليه السلام هضماً لنفسه وتعليماً للامة ان يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب مغفرة لما يفرط منهم وتلافياً لما عسى يندر منه عليه السلام
من الصغائر وتنبيهاً لابيه وقومه على ان يتأملوا في امرهم فيقفوا على انهم من سوء الحال في درجة لا يقادر قدرها فان حاله عليه السلام مع كونه في
طاعة الله تعالى وعبادته في الغاية القاصية حيث كانت بتلك المثابة فما ظنك بحال اولئك المغمورين في الكفر وفنون المعاصي والخطايا وحمل الخطيئة
على كلماته الثلاث اني سقيم بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي اختي مما لا سبيل اليه مع كونها معاريض لا من قبيل الخطايا المفتقرة الى الاستغفار وانما
صدرت عنه عليه السلام بعد هذه المقاولة الجارية بينه وبين قومه اما الثالثة فظاهرة لوقوعها بعد مهاجرته عليه السلام الى الشام واما
الاوليان فلانهما وقعتا مكتنفتين بكسر الاصنام ومن البين ان جريان هذه المقالات فيما بينهم كان في مبادي الامر وتعليق مغفرة الخطيئة بيوم الدين
مع انها انما تغفر في الدنيا لان اثرها يومئذ يتبين ولان في ذلك تهويلاً له واشارة الى وقوع الجزاء فيه ان لم تغفر رب هب لي حكماً بعدما ذكر عليه السلام
لهم فنون الالطاف الفائضة عليه من الله عز وجل من مبدأ خلقه الى يوم بعثه حمله ذلك على مناجاته تعالى ودعائه لربط العتيد وجلب المزيد والحكم
الحكمة التي هي الكمال في العلم والعمل بحيث يتمكن به من خلافة الحق ورياسة الخلق والحقني بالصالحين ووفقني من العلوم والاعمال والملكات
لما يرشحني للانتظام في زمرة الكاملين الراسخين في الصلاح المنزهين عن كبائر الذنوب وصغائرها او اجمع بيني وبينهم في الجنة ولقد اجابه
تعالى حيث قال وانه في الآخرة لمن الصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين اي جاهاً وحسن صيت في الدنيا بحيث يبقى اثره الى يوم الدين
ولذلك لا ترى امة من الامم الا وهي محبة له ومثنية عليه او صادقاً من ذريتي يجدد اصل ديني ويدعو الناس الى ما كنت ادعوهم اليه من التوحيد وهو
النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال عليه الصلوة والسلام انا دعوة ابي ابرهيم عليه السلام واجعلني في الآخرة من ورثة جنة النعيم وقد مر
معنى الوراثة في سورة مريم واغفر لابي بالهداية والتوفيق للايمان كما يلوح به تعليله بقوله تعالى انه كان من الضالين اي طريق الحق وقد مر تحقيق المقام
في تفسير سورة التوبة وسورة مريم بما لا مزيد عليه ولا تخزني بمعاتبتي على ما فرطت او بنقص رتبتي عن بعض الوراث او بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز
التعذيب عقلاً وكل ذلك مبني على هضم النفس منه عليه السلام او بتعذيب والدي او ببعثه في عداد الضالين بعدم توفيقه للايمان وهو من الخزي بمعنى
الهوان او من الخزاية بمعنى الحياء يوم يبعثون اي الناس كافة والاضمار قبل الذكر لما في عموم البعث من الشهرة الفاشية المغنية عنه وتخصيصه بالضالين
مما يخل بتهويل اليوم يوم لا ينفع مال ولا بنون بدل من يوم يبعثون جيء به تأكيداً للتهويل وتهويلاً لما يعقبه من الاستثناء وهو من اعم المفاعيل اي
لا ينفع مال وان كان مصروفاً في الدنيا الى وجوه البر والخيرات ولا بنون وان كانوا صلحاء مستأهلين للشفاعة احداً الا من اتى الله بقلب سليم اي
عن مرض الكفر والنفاق ضرورة اشتراط نفع كل منهما بالايمان وفيه تأييد لكون استغفاره عليه السلام لابيه طلباً لهدايته الى الايمان لاستحالة طلب
مغفرته بعد موته كافراً مع علمه عليه السلام بعدم نفعه لانه من باب الشفاعة وقيل هو استثناء من فاعل ينفع بتقدير المضاف اي الا مال من
او بنون من اتى الله الآية وقيل المضاف المحذوف وليس من جنس المستثنى منه حقيقة بل بضرب من الاعتبار كما في قوله تحية بينهم ضرب وجيع اي الا
حال من اتى الله بقلب سليم على انها عبارة عن سلامة القلب كانه قيل الا سلامة قلب من اتى الله الآية وقيل المضاف المحذوف ما دل عليه المال
والبنون من الغنى وهو المستثنى منه كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله الآية لان غنى المرء في دينه بسلامة قلبه وقيل الاستثناء منقطع
والمعنى لكن سلامة قلبه تنفعه وازلفت الجنة للمتقين عطف على لا ينفع وصيغة الماضي فيه وفيما بعده من الجمل المنتظمة معه في سلك العطف للدلالة
على تحقق الوقوع وتقرره كما ان صيغة المضارع في المعطوف عليه للدلالة على استمرار انتفاء النفع ودوامه حسبما يقتضيه مقام التهويل والتفظيع اي
اي قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بانهم المحشورون اليها
وبرزت الجحيم للغاوين الضالين عن طريق الحق الذي هو الايمان والتقوى اي جعلت بارزة لهم بحيث يرونها مع ما فيها من انواع الاحوال الهائلة
ويوقنون بانهم مواقعوها ولا يجدون عنها مصرفاً وقيل لهم اينما كنتم في الدنيا تعبدون من دون الله اي اين آلهتكم الذين كنتم تزعمون في الدنيا
انهم شفعاؤكم في هذا الموقف هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم او ينتصرون بدفعه عن انفسهم وهذا سؤال تقريع وتبكيت لا يتوقع له جواب ولذلك قيل
فكبكبوا فيها اي القوا في الجحيم على وجوههم مرة بعد اخرى الى ان يستقروا في قعرها هم اي آلهتهم والغاوون الذين كانوا يعبدونهم وفي تأخير
ذكر الغاوين عن ذكر آلهتهم رمزاً الى انهم يؤخرون عنها في الكبكبة ليشاهدوا سوء حالهم فيزدادوا غماً الى غمهم وجنود ابليس اي شياطينه الذين كانوا يغوونهم
ويوسوسون اليهم ويسولون لهم ما هم عليه من عبادة الاصنام وسائر فنون الكفر والمعاصي ليجتمعوا في العذاب حسبما كانوا مجتمعين فيما يوجبه وقيل

متبعوه من عصاة الثقلين والأول هو الأوجه **اجمعون** تأكيد للضمير وما عطف عليه وقوله تعالى **قالوا** الى آخره استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من
حكاية حالهم كأنه قيل ماذا قالوا حين فعل بهم ما فعل فقيل قال العبدة **وهم فيها يختصمون** اي قالوا معترفين بخطائهم في انهماكهم في الضلالة متحسرين
معيرين لأنفسهم والحال انهم في الجحيم بصدد الاختصام مع من معهم من المذكورين مخاطبين لمعبوديهم على ان الله تعالى يجعل الأصنام صالحة للاختصام
بأن يعطيها القدرة على الفهم والنطق **تالله ان كنا لفي ضلال مبين** ان مخففة من الثقيلة قد حذف اسمها الذي هو ضمير الشأن واللام فارقة
بينها وبين النافية اي ان الشأن كنا في ضلال مبين واضح لا خفاء فيه ووصفهم له بالوضوح للاشباع في اظهار ندمهم وتحسرهم وبيان عظم
خطائهم في رأيهم مع وضوح الحق كما ينبئ عنه تصدير قسمهم بحرف التاء المشعرة بالتعجب وقوله تعالى **اذ نسويكم برب العالمين** ظرف لكونهم في ضلال
مبين وقيل لما دل عليه الكلام اي ضللنا وقيل للضلال المذكور وان كان فيه ضعف صناعي من حيث ان المصدر الموصوف لا يعمل بعد الوصف وقيل ظرف
لمبين وصيغة المضارع لاستحضار الصورة الماضية اي تالله لقد كنا في غاية الضلال الفاحش وقت تسويتنا اياكم ايها الأصنام في استحقاق
العبادة برب العالمين الذي انتم ادنى مخلوقاته واذلهم واعجزهم وقولهم **وما اضلنا الا المجرمون** بيان لسبب ضلالهم بعد اعترافهم بصدوره عنهم لكن لا على
معنى قصر الاضلال على المجرمين دون من عداهم بل على معنى قصر ضلالهم على كونه بسبب اضلالهم من غير ان يستقلوا في تحققه او يكون بسبب اضلال الغير
كأنه قيل وما صدر عنا ذلك الضلال الفاحش الا بسبب اضلالهم والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كما في قوله تعالى ربنا انا
اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وعن السدي رحمه الله الأولون الذين اقتدوا بهم وايا ما كان ففيه اوفر نصيب من التعريض للذين
قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون وعن ابن جريج ابليس وابن آدم القاتل لأنه اول من سن القتل وانواع المعاصي **فما لنا من شافعين** كما للمؤمنين
من الملائكة والأنبياء عليهم الصلوة والسلام **ولا صديق حميم** كما نرى لهم اصدقاء او فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا
نعدهم شفعاء واصدقاء على ان عدمهما كناية عن عدم نفعهما كما ان عدم المحبة في مثل قوله تعالى والله لا يحب الفساد كناية عن البغض حسبما
ينبئ عنه قوله تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق على ان المراد بعدمهما عدم
اثرهما وجمع الشافع لكثرة الشفعاء عادة كما ان افراد الصديق لقلته او لصحة اطلاقه على الجمع كالعدو تشبيها لهما بالمصادر كالحنين
والقبول وكلمة لو في قوله تعالى **فلو ان لنا كرة** للتمني كليت لما بين معنييهما تلاقيا في معنى الفرض والتقدير كأنه قيل فليت لنا كرة اي رجعة
الى الدنيا وقيل هي على اصلها من الشرط وجوابها محذوف كأنه قيل فلو ان لنا كرة لفعلنا من الخيرات كيت وكيت ويأباه قوله تعالى **فنكون من المؤمنين**
لتحتم كونه جوابا للتمني مفيدا لترتب ايمانهم على وقوع الكرة البتة بلا تخلف كما هو مقتضى حالهم وعطفه على كرة على طريقة للبس عباءة وتقر
عيني كما يستدعيه كون لو على اصلها انما يفيد تحقق مضمون الجواب على تقدير تحقق كونهم وايمانهم معا من غير دلالة على استلزام الكرة للايمان
اصلا مع ان المقصود حتما **ان في ذلك** اي فيما ذكر من نبأ ابراهيم عليه السلام المشتمل على بيان بطلان ما كان عليه اهل مكة من عبادة الأصنام
وتفصيل ما يؤول اليه امر عبدتها يوم القيمة من اعترافهم بخطائهم الفاحش وندمهم وتحسرهم على ما فاتهم من الايمان وتمنيهم الرجعة الى الدنيا ليكونوا
من المؤمنين عند مشاهدتهم لما ازلفت لهم جنات النعيم وبرزت لانفسهم الجحيم وغشيهم ما غشيهم من الوان العذاب وانواع العقاب **لآية** اي
آية عظيمة لا تقادر قدرها موجبة على عبدة الأصنام كافة لا سيما على اهل مكة الذين يدعون انهم على ملة ابراهيم عليه السلام ان يجتنبوا كل
الاجتناب ما كانوا عليه من عبادتها خوفا ان يحيق بهم مثل ما حاق باولئك من العذاب بحكم الاشتراك فيما يوجبه او ان في ذكر نبائه وتلاوته
عليهم على ما هو عليه من غير ان تسمعه من احد لآية عظيمة دالة على ان ما تتلوه عليهم وحي صادق نازل من جهة الله تعالى موجبة للايمان به قطعا **وما**
كان اكثرهم مؤمنين اي اكثر هؤلاء الذين تتلو عليهم النبأ مؤمنين بل هم مصرون على ما كانوا عليه من الكفر والضلال واما ان ضمير اكثرهم لقوم
ابراهيم عليه السلام كما توهموا فمما لا سبيل اليه اصلا لظهور انهم ما ازدادوا بما سمعوا منه عليه السلام الا طغيانا وكفرا حتى اجترؤا على تلك
العظيمة التي فعلوها به عليه السلام فكيف يعبر عنهم بعدم ايمان اكثرهم وانما آمن له لوط فنجاهما الله تعالى الى الشام وقد مر بقية الكلام في
آخر قصة موسى عليه السلام **وان ربك لهو العزيز الرحيم** اي هو القادر على تعجيل العقوبة لقومك ولكنه يمهلهم بحكم رحمته الواسعة ليؤمن بعض منهم
او من ذرياتهم **كذبت قوم نوح المرسلين** القوم مؤنث ولذلك يصغر على قويمة وقيل القوم بمعنى الأمة وتكذيبهم للمرسلين اما باعتبار اجماع الكل
على التوحيد واصول الشرائع التي لا تختلف باختلاف الأزمنة والأعصار واما لان المراد بالجمع الواحد كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس البرود وماله

الا دابة وبردة واذ في قوله تعالى [illegible] مديد وقع فيه ما وقع من الجانبين الى تمام الأمر كما ان تكذيبهم
عبارة عما صدر عنهم من حين ابتداء دعوته عليه السلام الى انتهائها **اخوهم** اي نسيبهم **نوح الا تتقون** الله حيث تعبدون غيره **اني لكم رسول**
من جهته تعالى **امين** مشهور بالأمانة فيما بينكم **فاتقوا الله واطيعون** فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله تعالى **وما اسئلكم عليه** اي على ما انا متصد له
من الدعاء والنصح **من اجر** اصلا **ان اجري** فيما اتولاه **الا على رب العالمين** والفاء في قوله تعالى **فاتقوا الله واطيعون** لترتيب ما بعدها على ما قبلها من
تنزهه عليه السلام من الطمع كما ان نظيرتها السابقة لترتيب ما بعدها على امانته والتكرير للتأكيد والتنبيه على ان كلا منهما مستقل في ايجاب
التقوى والطاعة فكيف اذا اجتمعا وقرئ ان اجري بسكون الياء **قالوا انؤمن لك واتبعك الأرذلون** اي الأقلون جاها ومالا جمع الأرذل
على الصحة فانه بالغلبة صار جاريا مجرى الاسم كالأكبر والأكابر وقيل جمع ارذل جمع رذل كالكالب والاكلب وكلب وقرئ واتباعك وهو
جمع تابع كشاهد واشهاد او جمع تبع كبطل وابطال يعنون انه لا عبرة باتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصابة رأي وقد كان ذلك
منهم في بادي الرأي كما ذكر في موضع آخر وهذا من كمال سخافة عقولهم وقصرهم انظارهم على حطام الدنيا وكون الأشرف عندهم من هو اكثر
منها حظا والأرذل من حرمها وجهلهم بانها لا تزن عند الله تعالى جناح بعوضة وان النعيم هو نعيم الآخرة والأشرف من فاز به والأرذل من
حرمه **قال وما علمي بما كانوا يعملون** جواب عما اشير اليه من قولهم انهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة اي ما وظيفتي الا اعتبار الظواهر وبناء الأحكام
عليها دون التفتيش عن بواطنهم والشق عن قلوبهم **ان حسابهم** اي ما محاسبة اعمالهم والتنقير عن كيفياتها البارزة والكامنة **الا على ربي**
فانه المطلع على السرائر والضمائر **لو تشعرون** اي بشيء من الأشياء او لو كنتم من اهل الشعور لعلمتم ذلك ولكنكم لستم كذلك فتقولون ما تقولون
وما انا بطارد المؤمنين جواب عما اوهمه كلامهم من استدعاء طردهم وتعليق ايمانهم بذلك حيث جعلوا اتباعهم مانعا عنه وقوله تعالى
ان انا الا نذير مبين كالعلة له اي ما انا الا رسول مبعوث لانذار المكلفين وزجرهم عن الكفر والمعاصي سواء كانوا من الأعزاء او الأذلاء فكيف
يتسنى لي طرد الفقراء لاستتباع الأغنياء او ما علي الا انذاركم بالبرهان الواضح وقد فعلته وما علي استرضاء بعضكم بطرد الآخرين **قالوا**
لئن لم تنته يا نوح عما تقول **لتكونن من المرجومين** من المشتومين او المرميين بالحجارة قالوه قاتلهم الله تعالى في اواخر الأمر ومعنى قوله تعالى
قال رب ان قومي كذبون تموا على تكذيبي واصروا على ذلك بعد ما دعوتهم هذه الأزمنة المتطاولة ولم يزدهم دعائي الا فرارا كما يعرب عنه
دعاؤه بقوله **فافتح بيني وبينهم فتحا** اي احكم بيننا بما يستحقه كل واحد منا وهذه حكاية اجمالية لدعائه المفصل في سورة نوح **ونجني ومن**
معي من المؤمنين اي من قصدهم او من شؤم اعمالهم **فانجيناه ومن معه** حسب دعائه **في الفلك المشحون** اي المملوء بما لا بد لهم منه **ثم اغرقنا بعد** اي بعد
انجائهم **الباقين** اي من قومه **ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم** الكلام فيه كالذي مر خلا ان حمل اكثرهم على اكثر
قوم نوح ابعد من السداد وابعد **كذبت عاد المرسلين** انث عادا باعتبار القبيلة وهو اسم ابيهم الأقصى **اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون** الكلام
ان المراد بتكذيبهم وبما وقع فيه من الزمان ما ذكر في صدر قصة نوح عليه السلام اي الا تتقون الله تعالى فتفعلون ما تفعلون **اني لكم رسول امين**
فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين الكلام فيه كالذي مر وتصدير القصص به للتنبيه على ان مبنى البعثة
هو الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى الثواب ويبعده من العقاب وان الأنبياء عليهم السلام مجمعون على ذلك وان اختلفوا
في بعض فروع الشرائع المختلفة باختلاف الأزمنة والأعصار وانهم منزهون عن المطامع الدنية والأغراض الدنيوية بالكلية **اتبنون بكل ريع**
اي مكان مرتفع ومنه ريع الأرض لارتفاعها **آية** علما للمارة **تعبثون** ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم فلا يحتاجون اليها
او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليه ليعبثوا بمن مر عليهم او قصورا عالية يفتخرون بها **وتتخذون مصانع** اي مآخذ الماء وقيل قصورا مشيدة
وحصونا **لعلكم تخلدون** اي راجين ان تخلدوا في الدنيا اي عاملين عمل من يرجو ذلك فلذلك تحكمون بنيانها **واذا بطشتم** بسوط او سيف
بطشتم جبارين مسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ولا نظر في العاقبة **فاتقوا الله** واتركوا هذه الأفعال **واطيعون** فيما ادعوكم اليه
فانه انفع لكم **واتقوا الذي امدكم بما تعلمون** من الوان النعماء واصناف الآلاء اجملها اولا ثم فصلها بقوله **امدكم بانعام وبنين** باعادة الفعل
لزيادة التقرير فان التفصيل بعد الاجمال والتفسير اثر الابهام ادخل في ذلك **وجنات وعيون اني اخاف عليكم** ان لم تقوموا بشكر هذه النعم **عذاب**
يوم عظيم في الدنيا والآخرة فان كفران النعمة مستتبع للعذاب كما ان شكرها مستلزم لزيادتها قال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم

إن عذابي لشديد قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين فإنا لن نرعوي عما نحن عليه وتغيير الشق الثاني عن مقابله للمبالغة في
بيان قلة اعتدادهم بوعظه كأنهم قالوا أم لم تكن من أهل الوعظ ومباشريه أصلاً إن هذا ما هذا الذي جئتنا به إلا خلق الأولين أي عادتهم كانوا
يلفقون مثله ويسطرونه أو ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا خلق الأولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون أو ما هذا الذي نحن عليه من الموت والحياة
إلا عادة قديمة لم يزل الناس عليها وقرئ خلق الأولين بفتح الخاء أي اختلاق الأولين كما قالوا أساطير الأولين أو ما خلقنا هذا إلا
خلقهم نحيي كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب وما نحن بمعذبين على ما نحن عليه من الأعمال فكذبوه أي أصروا على ذلك فأهلكناهم بسببه
بريح صرصر إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون إنكار
الله تعالى إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتتركون فيما هاهنا آمنين
ونفي لأن يتركوا فيما هم عليه وفيه من النعمة أو تذكير للنعمة في تخليته تعالى إياهم وأسباب تنعمهم آمنين وقوله تعالى في جنات وعيون وزروع
ونخل طلعها هضيم تفسير لما قبله من المبهم والهضيم اللطيف اللين للطف الثمر أو لأن النخل أنثى وطلع إناث النخل ألطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف
في جوفه شماريخ القنو أو متدل متكسر من كثرة الحمل وإفراد النخل لفضله على سائر أشجار الجنات أو لأن المراد بها غيرها من الأشجار وتنحتون من
الجبال بيوتاً فارهين بطرين أو حاذقين من الفراهة وهي النشاط فإن الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرئ فرهين وهو أبلغ فاتقوا
الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين استعير الطاعة التي هي انقياد الآمر لامتثال الأمر وارتسامه أو نسب حكم الآمر إلى أمره مجازاً الذين
يفسدون في الأرض وصف موضح لإسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون لبيان خلوص إفسادهم عن مخالطة الإصلاح قالوا إنما أنت
من المسحرين أي الذين سحروا حتى غلب على عقولهم أو من ذوي السحر أي الرئة أي من الإنس فيكون قوله تعالى ما أنت إلا بشر مثلنا تأكيداً له فأت
بآية إن كنت من الصادقين أي في دعواك قال هذه ناقة أي بعد ما أخرجها الله تعالى من الصخرة بدعائه عليه السلام حسبما مر تفصيله في سورة الأعراف
وسورة هود لها شرب أي نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم ولكم شرب يوم معلوم فاقتنعوا بشربكم ولا تزاحموا
على شربها ولا تمسوها بسوء كضرب وعقر فيأخذكم عذاب يوم عظيم وصف اليوم بالعظم لعظم ما يحل فيه وهو أبلغ من تعظيم العذاب فعقروها أسند العقر
إلى كلهم لما أن عاقرها عقرها برأيهم ولذلك عمهم العذاب فأصبحوا نادمين خوفاً من حلول العذاب لا توبة أو عند معاينتهم لمباديه ولذلك لم ينفعهم
الندم وإن كان بطريق التوبة فأخذهم العذاب أي العذاب الموعود إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم قيل
في نفي الإيمان عن أكثرهم في هذا المعرض إيماء إلى أنه لو آمن أكثرهم أو شطرهم لما أخذوا بالعذاب وإن قريشاً إنما عصموا من مثله ببركة من آمن منهم وأنت
خبير بأن قريشاً هم المشتهرون بعدم إيمان أكثرهم كذبت قوم لوط المرسلين إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين
فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين أي أتأتون من بين من عداكم
من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم أو أتأتون الذكران من أولاد آدم مع كثرتهم وغلبة النساء فيهم مع كونهن أليق بالاستمتاع فالمراد
بالعالمين على الأول كل ما ينكح من الحيوان وعلى الثاني الناس وتذرون ما خلق لكم ربكم لأجل استمتاعكم وكلمة من في قوله تعالى من أزواجكم للبيان إن
أريد بها جنس الإناث وهو الظاهر أو للتبعيض إن أريد بها العضو المباح منهن تعريضاً بأنهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم أيضاً بل أنتم قوم عادون
متعدون متجاوزون الحد في جميع المعاصي وهذا من جملتها وقيل متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات قالوا لئن لم تنته يا لوط
أي عن تقبيح أمرنا أو نهينا عنه أو عن دعوى النبوة التي من جملة أحكامها التعرض لنا لتكونن من المخرجين أي من المنفيين من قريتنا ولعلهم
كانوا يخرجون من أخرجوه من بينهم على عنف وسوء حال قال إني لعملكم من القالين أي من المبغضين غاية البغض كأنه يقلي الفؤاد والكبد
لشدته وهو أبلغ من أن يقال إني لعملكم قال لدلالته على أنه عليه السلام من جملة الراسخين في بغضه المشهورين في قلاه ولعله عليه السلام أراد إظهار
الكراهة في مساكنتهم والرغبة في الخلاص من سوء جوارهم ولذلك أعرض عن محاورتهم وتوجه إلى الله تعالى قائلاً رب نجني وأهلي مما يعملون أي من
شؤم عملهم وغائلته فنجيناه وأهله أجمعين أي أهل بيته ومن اتبعه في الدين بإخراجهم من بينهم عند مشارفة حلول العذاب بهم إلا عجوزاً هي امرأة
لوط استثنيت من أهله فلا يضره كونها كافرة لأن لها شركة في الأهلية بحق الزواج في الغابرين أي مقدراً كونها من الباقين في العذاب
لأنها كانت مائلة إلى القوم راضية بفعلهم وقد أصابها الحجر في الطريق فأهلكها كما مر في سورة الحجر وسورة هود وقيل كانت فيمن بقي في القرية

في القرية ولم تخرج مع لوط عليه السلام ثم دمرنا الآخرين أهلكناهم أشد إهلاك وأفظعه وأمطرنا عليهم مطراً أي مطراً غير معهود قيل أمطر الله تعالى على شذاذ القوم
حجارة فأهلكتهم فساء مطر المنذرين اللام فيه للجنس وبه يتسنى وقوع المضاف إليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم إن في ذلك لآية وما كان
أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذب أصحاب الأيكة المرسلين الأيكة الغيضة التي تنبت ناعم الشجر وهي غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة
وكانوا ممن بعث إليهم شعيب عليه السلام وكان أجنبياً منهم ولذلك قيل إذ قال لهم شعيب ألا تتقون ولم يقل أخوهم وقيل الأيكة الشجر الملتف وكان شجرهم الدوم
وهو المقل وقرئ بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على أنها ليكة وهي اسم بلدهم وإنما كتبت هاهنا وفي ص بغير ألف اتباعاً
للفظ اللافظ إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أوفوا الكيل أي أتموه ولا تكونوا
من المخسرين أي حقوق الناس بالتطفيف وزنوا أي الموزونات بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو إن كان عربياً فإن كان من القسط ففعلاس بتكرير
العين وإلا ففعلال وقرئ بضم القاف ولا تبخسوا الناس أشياءهم أي لا تنقصوا شيئاً من حقوقهم أي حق كان وهذا تعميم بعد تخصيص بعض المواد
بالذكر لغاية انهماكهم فيها ولا تعثوا في الأرض مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين أي وذوي الجبلة الأولين
وهم من تقدمهم من الخلائق وقرئ بضم الجيم وسكون الباء كالخلقة قالوا إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا إدخال الواو بين الجملتين للدلالة على
أن كلاً من التسحير والبشرية مناف للرسالة مبالغة في التكذيب وإن نظنك لمن الكاذبين أي فيما تدعيه من النبوة فأسقط علينا كسفاً من السماء أي قطعاً
وقرئ بسكون السين وهو أيضاً جمع كسفة وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهي القطعة والمراد بالسماء إما السحاب أو المظلة ولعله جواب لما أشعر به الأمر
بالتقوى من التهديد إن كنت من الصادقين في دعواك ولم يكن طلبهم ذلك إلا لتصميمهم على الجحود والتكذيب وإلا لما أخطروه ببالهم فضلاً أن يطلبوه قال ربي أعلم بما
تعملون من الكفر والمعاصي وبما تستحقون بسببه من العذاب فسينزله عليكم في وقته المقدر له لا محالة فكذبوه أي فتموا على تكذيبه وأصروا عليه فأخذهم عذاب يوم الظلة
حسبما اقترحوا أما إن أرادوا بالسماء السحاب فظاهر وإن أرادوا المظلة فلأن نزول العذاب من جهتها وفي إضافة العذاب إلى يوم الظلة دون نفسها إيذان
بأن لهم يومئذ عذاباً آخر غير عذاب يوم الظلة وذلك بأن سلط الله تعالى عليهم الحر سبعة أيام ولياليها فأخذ بأنفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب
فاضطروا إلى أن خرجوا إلى البرية فأظلتهم سحابة وجدوا لها برداً ونسيماً فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا جميعاً روي أن شعيباً عليه السلام
بعث إلى أمتين أصحاب مدين وأصحاب الأيكة فأهلكت مدين بالصيحة والرجفة وأصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم أي في الشدة والهول
وفظاعة ما وقع فيه من الطامة والداهية التامة إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم هذا آخر القصص السبع التي أوحيت
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لصرفه عليه السلام عن الحرص على إسلام قومه وقطع رجائه عنه ودفع تحسره على فواته تحقيقاً لمضمون ما مر في مطلع السورة الكريمة
من قوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الآية فإن كل واحدة من هذه القصص ذكر مستقل متجدد النزول
قد أتاهم من جهته تعالى بموجب رحمته الواسعة وما كان أكثرهم مؤمنين بعدما سمعوها على التفصيل قصة بعد قصة لا بأن يتدبروا فيها ويعتبروا بما في كل واحدة منها
من الدواعي إلى الإيمان والزواجر عن الكفر والطغيان ولا بأن يتأملوا في شأن الآيات الكريمة الناطقة بتلك القصص على ما هي عليه مع علمهم بأنه عليه السلام لم
يسمع شيئاً منها من أحد أصلاً واستمروا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال كأن لم يسمعوا شيئاً يزجرهم عن ذلك قطعاً كما حقق في خاتمة قصة موسى عليه السلام
وإنه أي ما ذكر من الآيات الكريمة الناطقة بالقصص المحكية أو القرآن الذي هي من جملته لتنزيل رب العالمين أي منزل من جهته تعالى سمي به مبالغة ووصفه تعالى
بربوبية العالمين للإيذان بأن تنزيله من أحكام تربيته تعالى ورأفته للكل كقوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين نزل به أي أنزله الروح الأمين أي جبريل عليه السلام
فإنه أمين وحيه تعالى وموصله إلى أنبيائه عليهم السلام وقرئ بالتشديد ونصب الروح الأمين أي جعل الله تعالى الروح الأمين نازلاً به على قلبك أي روحك
وإن أريد به العضو فتخصيصه به لأن المعاني الروحانية تنزل أولاً على الروح ثم تنتقل منه إلى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد منه إلى الدماغ فينتقش بها
لوح المتخيلة لتكون من المنذرين متعلق بنزل أي أنزله لتنذرهم بما في تضاعيفه من العقوبات الهائلة وإيثار ما عليه النظم الكريم للدلالة على انتظامه عليه
السلام في سلك أولئك المنذرين المشهورين في حقية الرسالة وتقرر وقوع العذاب المنذر بلسان عربي مبين واضح المعنى ظاهر المدلول لئلا يبقى لهم عذر ما
وهو أيضاً متعلق بنزل وتأخيره للاعتناء بأمر الإنذار وللإيماء إلى أن مدار كونه من جملة المنذرين المذكورين عليهم السلام مجرد إنزاله عليه عليه السلام
لا إنزاله باللسان العربي وجعله متعلقاً بالمنذرين كما جوزه الجمهور يؤدي إلى أن غاية الإنزال كونه عليه السلام من جملة المنذرين باللغة العربية فقط من هود
وصالح وشعيب ولا يخفى فساده كيف لا والطامة الكبرى في باب الإنذار ما أنذره نوح وموسى عليهما السلام وأشد الزواجر تأثيراً في قلوب المشركين

ما انذره ابراهيم عليه السلام لانتمائهم اليه وادعائهم انهم على ملته عليه السلام وانه لفي زبر الاولين اي وان ذكره او معناه لفي الكتب المتقدمة فان احكامه
لا تحتمل النسخ والتبديل بحسب تبدل الاعصار من التوحيد وسائر ما يتعلق بالذات والصفات مسطورة فيها وكذا ما في تضاعيفه من المواعظ والقصص وقيل الضمير
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بواضح اولم يكن لهم اية الهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل اغفلوا عن ذلك ولم يكن لهم
اية دالة على انه تنزيل من رب العالمين وانه في زبر الاولين على ان لهم متعلق بالكون قدم على اسمه وخبره للاهتمام به او بمحذوف هو حال من اية قدمت عليها
لكونها نكرة واية خبر للكون قدم على اسمه الذي هو قوله تعالى ان يعلمه علماء بني اسرائيل لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي ان يعرفوه
بنعوته المذكورة في كتبهم ويعرفوا من انزل عليه وقرئ تكن بالتانيث وجعلت اية اسما وان يعلمه خبرا وفيه ضعف حيث وقع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد
قيل في تكن ضمير القصة واية ان يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز ان يكون لهم اية هي جملة الشان وان يعلمه بدلا من اية ويجوز مع نصب اية تانيث تكن
كما في قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا وقرئ تعلمه بالتاء ولو نزلناه كما هو بنظمه الرائق المعجز على بعض الاعجمين الذين لا يقدرون على التكلم بالعربية
وهو جمع اعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة وقرئ الاعجميين وفي لفظ البعض اشارة الى كون ذلك واحدا من عرض تلك الطائفة كائنا من
كان فقراه عليهم قراءة صحيحة خارقة للعادات ما كانوا به مؤمنين مع انضمام اعجاز القراءة الى اعجاز المقرو لفرط عنادهم وشدة شكيمتهم في المكابرة
وقيل المعنى ولو نزلناه على بعض الاعجمين بلغة العجم وليس بذاك فانه بمعزل من المناسبة لمقام بيان تماديهم في المكابرة والعناد كذلك سلكناه اي مثل ذلك
السلك البديع المذكور سلكناه اي ادخلنا القران في قلوب المجرمين ففهموا معانيه وعرفوا فصاحته وانه خارج عن القوى البشرية من حيث النظم المعجز
ومن حيث الاخبار عن الغيب وقد انضم اليه اتفاق علماء اهل الكتب المنزلة قبله على تضمنها للبشارة بانزاله وبعثة من انزل عليه باوصافه فقوله تعالى لا يؤمنون به
جملة مستانفة مسوقة لبيان انهم لا يتاثرون بامثال تلك الامور الداعية الى الايمان به بل يستمرون على ما هم عليه حتى يروا العذاب الاليم الملجئ الى الايمان حين
لا ينفعهم الايمان فياتيهم بغتة اي فجاة في الدنيا والاخرة وهم لا يشعرون باتيانه فيقولوا هل نحن منظرون تحسرا على ما فات من الايمان وتمنيا للامهال لتلافي
ما فرطوه وقيل معنى كذلك سلكناه مثل تلك الحال وتلك الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعناه في قلوبهم وقوله تعالى لا يؤمنون به في موقع الايضاح والتلخيص له
او في موقع الحال اي سلكناه فيها غير مؤمن به والاول هو الانسب بمقام بيان غاية عنادهم ومكابرتهم مع تعاضد ادلة الايمان وتاخذ مبادي الهداية
والارشاد وانقطاع اعذارهم بالكلية وقيل ضمير سلكناه للكفر المدلول عليه بما قبله من قوله تعالى ما كانوا به مؤمنين فقد نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
والحسن والمجاهد رحمهما الله تعالى ادخلنا الشرك والتكذيب في قلوب المجرمين افبعذابنا يستعجلون بقولهم امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم
وقولهم فاتنا بما تعدنا ونحوهما وحالهم عند نزول العذاب كما وصف من طلب الانظار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي ايكون حالهم كما ذكر من
الاستنظار عند نزول العذاب الاليم فيستعجلون بعذابنا وبينهما من التنافي ما لا يخفى على احد او ايغفلون عن ذلك مع تحققه وتقرره فيستعجلون الى اخره
وانما قدم الجار والمجرور للايذان بان مصب الانكار والتوبيخ كون المستعجل به عذابه تعالى مع ما فيه من رعاية الفواصل افرايت لما كانت الرؤية من اقوى
اسباب الاخبار بالشيء واشهرها شاع استعمال ارايت في معنى اخبرني والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان والفاء لترتيب الاستخبار على قولهم هل نحن منظرون
وما بينهما اعتراض للتوبيخ والتبكيت وهي متقدمة في المعنى على الهمزة وتاخيرها عنها صورة لاقتضاء الهمزة الصدارة كما هو راي الجمهور اي
فاخبرني ان متعناهم سنين متطاولة بطول الاعمار وطيب المعائش ثم جاءهم ما كانوا يوعدون من العذاب ما اغنى عنهم اي شيء او اي اغناء اغنى
عنهم ما كانوا يمتعون اي كونهم ممتعين ذلك التمتيع المديد على ان ما مصدرية او ما كانوا يمتعون به من متاع الحيوة الدنيا على انها موصولة حذف عائدها
واياما كان فالاستفهام للانكار والنفي وقيل ما نافية اي لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه والاول هو الاولى لكونه اوفق لصورة الاستخبار
وادل على انتفاء الاغناء على ابلغ وجه واكده كان كل من من شانه الخطاب قد كلف ان يخبر بان تمتيعهم ماذا افادهم واي شيء اغنى عنهم فلم يقدر
احد على ان يخبر بشيء من ذلك اصلا وقرئ يمتعون من الامتاع وما اهلكنا من قرية من القرى المهلكة الا لها منذرون قد انذروا اهلها الزام
الحجة ذكرى اي تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها في معنى الانذار كانه قيل مذكرون ذكرى وعلى انه مصدر مؤكد لفعل هو صفة منذرون
اي الا لها منذرون يذكرونهم ذكرى والرفع على انها صفة منذرون باضمار ذوو او بجعلهم ذكرى لامعانهم في التذكرة او خبر مبتدا محذوف
والجملة اعتراضية وضمير لها للقرى المدلول عليها بمفردها الواقع في حيز النفي على معنى ان للكل منذرين اعم من ان يكون لكل قرية منها منذر واحد
او اكثر وما كنا ظالمين فنهلك غير الظالمين وقيل الانذار والتعبير عن ذلك بنفي الظالمية مع ان اهلاكهم قبل الانذار ليس بظلم اصلا على ما تقرر

على ما تقرر من قاعدة اهل السنة لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من الظلم اصلا وقد مر في سورة ال عمران
عند قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد وما تنزلت به الشياطين رد لما زعمه الكفرة في حق القران الكريم من انه من قبيل ما يلقيه الشياطين على الكهنة بعد
تحقيق الحق ببيان انه نزل به الروح الامين وما ينبغي لهم اي وما يصح وما يستقيم لهم ذلك وما يستطيعون ذلك اصلا انهم عن السمع لكلام الملائكة لمعزولون
لانتفاء المشاركة بينهم وبين الملائكة في صفاء الذوات والاستعداد لقبول فيضان انوار الحق والانتقاش بصور العلوم الربانية والمعارف النورانية كيف لا
ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات غير مستعدة الا لقبول ما لا خير فيه اصلا من فنون الشرور فمن اين لهم ان يحوموا حول القران الكريم المنطوي على
الحقائق الرائقة الغيبية التي لا يمكن تلقيها الا من الملائكة عليهم السلام فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين خوطب النبي صلى الله عليه وسلم مع
ظهور استحالة صدور المنهي عنه عنه عليه السلام تهييجا وحثا على ازدياد الاخلاص ولطفا لسائر المكلفين ببيان ان الاشراك من القبح والسوء بحيث
ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه فكيف بمن عداه وانذر العذاب الذي يستتبعه الشرك والمعاصي عشيرتك الاقربين الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشانهم
اهم روي انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني
نذير لكم بين يدي عذاب شديد وروي انه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم شيئا ثم
قال يا عائشة بنت ابي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ويا صفية عمة محمد اشترين انفسكن من النار فاني لا اغني عنكن
شيئا واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين اي لين جانبك لهم مستعار من حال الطائر فانه اذا اراد ان ينحط خفض جناحه ومن للتبيين لان
من اتبع اعم ممن اتبع لدين او لغيره او للتبعيض على ان المراد بالمؤمنين المشارفون للايمان او المصدقون باللسان فحسب فان عصوك ولم يتبعوك فقل
اني بريء مما تعملون اي مما تعملونه او من اعمالكم وتوكل على العزيز الرحيم الذي يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرئ
فتوكل على انه بدل من جواب الشرط الذي يراك حين تقوم اي الى التهجد وتقلبك في الساجدين وترددك في تصفح احوال المتهجدين كما روي انه لما
نسخ فرض قيام الليل طاف عليه السلام تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم
بذكر الله تعالى والتلاوة او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا اممتهم وانما وصف الله تعالى ذاته بعلمه بحاله عليه السلام التي بها
يستاهل ولايته بعد ان عبر عنه بما ينبئ عن قهر اعدائه ونصر اوليائه من وصفي العزيز الرحيم تحقيقا للتوكل وتوطينا لقلبه عليه عليه السلام انه هو السميع بما
تقوله العليم بما تنويه وتعمله هل انبئكم على من تنزل الشياطين اي تتنزل بحذف احدى التائين وهو استئناف مسوق لبيان استحالة تنزل الشياطين على
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بيان امتناع تنزلهم بالقران ودخول حرف الجر على من الاستفهامية لانها ليست موضوعة للاستفهام بل الاصل ام من فحذف
حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والاصل اهل وقوله تعالى تنزل على كل افاك اثيم قصر لتنزلهم على كل من اتصف بالافك الكثير والاثم
الكبير من الكهنة والمتنبئة وتخصيص لهم بهم بحيث لا يتخطاهم الى غيرهم وحيث كانت ساحة رسول الله صلى الله عليه وسلم منزهة من ان يحوم حولها شائبة
شيء من تلك الاوصاف اتضح استحالة تنزلهم عليه عليه السلام يلقون اي الافاكون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم اوهاما وامارات لنقصان علمهم فيضمون
اليها بحسب تخيلاتهم الباطلة خرافات لا يطابق اكثرها الواقع وذلك قوله تعالى واكثرهم كاذبون اي فيما قالوه من الاقاويل وقد ورد في الحديث الكلمة
يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد اكثر من مائة كذبة ويلقون السمع اي المسموع من الشياطين الى الناس واكثرهم كاذبون يفترون على الشياطين
ما لم يوحوا اليهم والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى ان هؤلاء قلما يصدقون فيما يحكونه عن الجني واما في اكثره فهم كاذبون وما قالوه
واكثر اقوالهم كاذبة لا باعتبار ذواتهم حتى يلزم من نسبة الكذب الى اكثرهم كون اقلهم صادقين على الاطلاق وليس معنى الافاك من لا ينطق الا
بالافك حتى يمتنع منه الصدق بل من يكثر الافك فلا ينافيه ان يصدق نادرا في بعض الاحايين وقيل الضمير للشياطين اي يلقون السمع الى المسموع من
الملأ الاعلى قبل ان رجموا من بعض المغيبات الى اوليائهم واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ لا يسمعونهم على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم او لقصور
فهمهم او ضبطهم او افهامهم ولا سبيل الى حمل القاء السمع على تسمعهم وانصاتهم الى الملأ الاعلى قبل الرجم كما جوزه الجمهور لما ان يلقون كما صرحوا به اما
حال من ضمير تنزل معيدة لمقارنة التنزل للالقاء او استئناف مبني للغرض من التنزل مبني على السؤال عنه ولا ريب في ان القاء السمع الى الملأ
الاعلى بمعزل من احتمال ان يقارن التنزل او يكون غرضا منه لتقدمه عليه قطعا وانما المحتمل لهما الالقاء بالمعنى الاول فالمعنى على تقدير كونه حالا
تنزل الشياطين على الافاكين ملقين اليهم ما سمعوه من الملأ الاعلى وعلى تقدير كونه جوابا عن سؤال من قال لم تنزل عليهم وماذا يفعلون بهم يلقون

اليهم ما سمعوه وحمله على الاستيناف الاخبار كما فعله بعضهم غير سديد لان ذكر حالهم السابقة على تنزلهم المذكور قبله غير خليق بجزالة النظم الكريم واما
على تقدير كون ضمير يلقون للافاكين فهو صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع سواء اريد بالقاء السمع الاصغاء الى الشياطين او القاء المسموع الى الناس ويجوز
ان يكون استيناف اخبار بحالهم على كلا التقديرين لما ان كلا من تلقيهم من الشياطين والقائهم الى الناس يكون بعد التنزل وان يكون استينافا
مبنيا على السؤال على التقدير الاول فقط كانه قيل ما يفعلون عند تنزل الشياطين عليهم فقيل يلقون اليهم اسماعهم ليحفظوا ما يوحون به اليهم
وقوله تعالى واكثرهم كاذبون على التقدير الاول استيناف فقط وعلى الثاني يحتمل الحالية من ضمير يلقون اي يلقون ما سمعوه من الشياطين الى
الناس والحال انهم في اكثر اقوالهم كاذبون فتدبر و **الشعراء يتبعهم الغاوون** استيناف مسوق لابطال ما قالوا في حق القرآن العظيم من انه من قبيل
الشعر وان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشعراء ببيان حال الشعراء المنافية لحاله صلى الله عليه وسلم بعد ابطال ما قالوا انه من قبيل ما يلقي الشياطين
على الكهنة من الاباطيل بما مر من بيان احوالهم المضادة لاحواله عليه السلام والمعنى ان الشعراء يتبعهم اي يجاريهم ويسلك مسلكهم ويكون من جملتهم
الغاوون الضالون عن السنن الحائرون فيما يأتون وما يذرون لا يستمرون على وتيرة واحدة في الافعال والاقوال والاحوال لا غيرهم من اهل
الرشد المهتدين الى طريق الحق الثابتين عليه وقوله تعالى **الم تر انهم في كل واد يهيمون** استشهاد على ان الشعراء انما يتبعهم الغاوون وتقرير له والخطاب
لكل من تتأتى منه الرؤية للقصد الى ان حالهم من الجلاء والظهور بحيث لا يختص رؤيته براء دون راء اي الم تر ان الشعراء في كل واد من اودية القيل
والقال وفي كل شعب من شعاب الوهم والخيال وفي كل مسلك من مسالك الغي والضلال يهيمون على وجوههم لا يهتدون الى سبيل معين من السبل
بل يتحيرون في فيافي الغواية والسفاهة ويتيهون في تيه المجون والوقاحة ديدنهم تمزيق الاعراض المحمية والقدح في الانساب الطاهرة السنية
والنسيب بالحرم والغزل والابتهار والتردد بين طرفي الافراط والتفريط في المدح والهجاء **وانهم يقولون ما لا يفعلون** من الافاعيل غير مبالين
بما يستتبعه من اللوائم فكيف يتوهم ان يتبعهم في مسلكهم ذلك ويلتحق بهم وينتظم في سلكهم من تنزهت ساحته عن ان يحوم حولها شائبة الاتصاف
بشيء من الامور المذكورة واتصف بمحاسن الصفات الجليلة وتحلى بمكارم الاخلاق الجميلة وحاز جميع الكمالات القدسية وفاز بجملة الملكات الانسية
مستقرا على المنهاج القويم مستمرا على الصراط المستقيم ناطقا بكل امر رشيد داعيا الى صراط العزيز الحميد مؤيدا بمعجزات قاهرة وآيات ظاهرة
مشحونة بفنون الحكم الباهرة وصنوف المعارف الزاهرة مستقلة بنظم رائق اعجز كل منطيق ماهر وبكت كل مفلق ساحر هذا وقد قيل في تنزيهه عليه السلام
من ان يكون من الشعراء ان اتباع الشعراء الغاوون واتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك ولا ريب في ان تعليل عدم كونه عليه السلام منهم
بكون اتباعه عليه السلام غير غاوين مما لا يليق بشأنه العالي وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى
وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وابو عزة الجمحي ومن ثقيف امية بن ابي الصلت قالوا نحن نقول مثل ما قال محمد صلى الله عليه وسلم
وقرئ والشعراء بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد **الا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا** استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله تعالى ويكون اكثر
اشعارهم في التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته والحكمة والموعظة والزهد في الدنيا والترغيب عن الركون اليها والزجر عن الاغترار
بزخارفها والافتتان بملاذها الفانية ولو وقع منهم في بعض الاوقات هجو وقع ذلك منهم بطريق الانتصار ممن هجاهم وقيل المراد بالمستثنين
عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير بن ابي سلمى والذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافحون هجاة
قريش وعن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان
يقول لحسان قل وروح القدس معك **وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون** تهديد ووعيد اكيد لما في سيعلم من تهويل متعلقه وفي الذين
ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون من الابهام والتهويل وقد قاله ابو بكر لعمر رضي الله تعالى عنهما حين عهد اليه وقرئ اي منفلت
ينفلتون من الانفلات بمعنى النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله تعالى وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه
الانفلات عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم
وبعدد من كذب بعيسى وصدق محمدا عليهم الصلوة والسلام

سورة النمل

بسم الله الرحمن الرحيم **طس** بالتفخيم وقرئ بالامالة والكلام فيه كالذي مر في نظائره من الفواتح الشريفة ومحله على تقدير كونه اسما

اسما للسورة وهو الاظهر الاشهر الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذا طس اي مسمى به والاشارة اليه قبل ذكره قد مر وجهها في سورة فاتحة
يونس وغيرها ورفعه بالابتداء على ان ما بعده خبره ضعيف لما ذكر هناك **تلك** اشارة الى نفس السورة لانها التي نوهت بذكر اسمها لا الى
اياتها لعدم ذكرها صريحا ولان اضافتها اليها تأبى اضافتها الى القرآن كما سيأتي وما في اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه
للايذان ببعد منزلته في الفضل والشرف ومحله الرفع على الابتداء خبره **آيات القرآن** والجملة مستأنفة مقررة لما افاده التسمية من نباهة
شأن المسمى والقرآن عبارة عن الكل او عن الجميع المنزل عند نزول السورة حسبما ذكر في فاتحة فاتحة الكتاب اي تلك السورة آيات القرآن
المعروف بعلو الشأن اي بعض منه مترجم مستقل باسم خاص **وكتاب** اي كتاب عظيم الشأن **مبين** مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والاحكام
واحوال الآخرة التي من جملتها الثواب والعقاب او لسبيل الرشد والغي او فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام او ظاهر الاعجاز على انه من
بمعنى بان وتقدم تفخيم شأنه الجليل بما جمع فيه من وصف القرآنية المنبئة عن كونه بديعا في بابه ممتازا عن غيره بالنظم المعجز كما يعرب عنه قوله تعالى
قرآنا عربيا غير ذي عوج ووصف الكتابية المعربة عن اشتماله على صفات كمال الكتب الالهية فكأنه كلها وقدم الوصف الاول هاهنا نظرا
الى تقدم حال القرآنية على حال الكتابية وعكس في سورة الحجر نظرا الى ما ذكر هناك من الوجه وما قيل من ان الكتاب هو اللوح المحفوظ وابانته
انه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه لا يساعده اضافة الآيات اليه اذ لا عهد باشتماله على الآيات ولا وصفه بالهداية والبشارة
اذ هما باعتبار اباتة فلا بد من اعتبارها بالنسبة الى الناس الذين من جملتهم المؤمنون لا الى الناظرين فيه وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه اي وآيات كتاب مبين **هدى وبشرى للمؤمنين** في حيز النصب على الحالية من الآيات على انهما مصدران اقيما مقام الفاعل
للمبالغة كأنهما نفس الهدى والبشارة والعامل معنى الاشارة اي هادية ومبشرة او الرفع على انهما بدلان من الآيات او خبران للكل او
لمبتدأ محذوف ومعنى هدايتها لهم وهم مهتدون انها تزيدهم هدى قال تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما
معنى تبشيرها اياهم فظاهر لانها تبشرهم برحمة من الله ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم وقوله تعالى **الذين يقيمون الصلوة ويؤتون
الزكوة** صفة مادحة لهم وتخصيصها بالذكر لانهما قرينتا الايمان وقطر العبادات البدنية والمالية مستتبعان لسائر الاعمال الصالحة وقوله تعالى
وهم بالآخرة هم يوقنون جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة حق الايقان لا من عداهم لان
تحمل مشاق العبادات لخوف العقاب ورجاء الثواب وهو من تتمة الصلة والواو حالية او عاطفة له على الصلة الاولى وتغيير نظمه للدلالة على قوة
يقينهم وثباته وانهم اوحديون فيه **ان الذين لا يؤمنون بالآخرة** بيان لاحوال الكفرة بعد بيان احوال المؤمنين اي لا يؤمنون بها وبما فيها من الثواب على
الاعمال الصالحة والعقاب على السيئات حسبما ينطق به القرآن **زينا لهم اعمالهم** القبيحة حيث جعلناها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس كما ينبئ عنه قوله
عليه السلام حفت النار بالشهوات او الاعمال الحسنة ببيان حسنها في انفسها حالا واستتباعها الفنون المنافع مآلا واضافتها اليهم باعتبار امرهم
بها وايجابها عليهم **فهم يعمهون** يتحيرون ويترددون على التجدد والاستمرار في الاشتغال بها والانهماك فيها من ملاحظة ما يتبعها من نفع وضر
او في الضلال والاعراض عنها والفاء على الاول لترتيب المسبب على السبب وعلى الثاني لترتيب ضد المسبب على السبب كما في قولك وعظته فلم يتعظ
وفيه ايذان بكمال عتوهم ومكابرتهم وتعكيسهم في الامور **اولئك** اشارة الى المذكورين وهو مبتدأ خبره الموصول بعده اي اولئك الموصوفون
بالكفر والعمه **الذين لهم سوء العذاب** اي في الدنيا كالقتل والاسر يوم بدر **وهم في الآخرة هم الاخسرون** اي اشد الناس خسرانا لفوات الثواب
واستحقاق العذاب **وانك لتلقى القرآن** كلام مستأنف قد سيق بعد بيان شؤون القرآن الكريم تمهيدا لما يعقبه من الاقاصيص وتصديره بحرفي
التأكيد لابراز كمال العناية بمضمونه اي لتؤتاه بطريق التلقية والتلقين **من لدن حكيم عليم** اي اي حكيم واي عليم وفي تفخيمهما تفخيم لشأن
القرآن وتنصيص على علو طبقته عليه السلام في معرفته والاحاطة بما فيه من الجلائل والدقائق فان من تلقى العلوم والحكم من مثل ذلك
الحكيم العليم يكون علما في رصانة العلم والحكمة والجمع بينهما مع دخول العلم في الحكمة لعموم العلم على اتقان الفعل وللاشعار بان ما في القرآن من العلوم
منها ما هو حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار الغيبية وقوله تعالى **اذ قال موسى لاهله** منصوب على المفعولية
بمضمر خوطب النبي صلى الله عليه وسلم وامر بتلاوة بعض من القرآن الذي يلقاه عليه السلام من لدنه عز وجل تقريرا لما قبله وتحقيقا له
اي اذكر لهم وقت قوله عليه السلام لاهله في وادي طوى وقد غشيتهم ظلمة الليل وقدح فاصلد زنده فبدا له **اني آنست نارا سآتيكم منها بخبر**

بالاهل

ايجن الطريق وقد كانوا ضلوه والسين للدلالة على نوع بعد في المسافة وتأكيد الوعد والجمع ان صح انه لم يكن معه عليه السلام الا امرأته لما كنى عنها او للتعظيم مبالغة في التسلية او آتيكم بشهاب قبس بتنوينهما على ان الثاني بدل من الاول او صفة له لانه بمعنى مقبوس اي بشعلة نار مقبوسة اي مأخوذة من اصلها وقرئ بالاضافة وعلى التقديرين فالمراد تعيين المقصود الذي هو القبس الجامع لمنفعتي الضياء والاصطلاء لان من النار ما ليس بقبس كالجمر وكلا العدتين منه عليه السلام بطريق الظن كما يفصح عن ذلك ما في سورة طه من صيغة الترجي والترديد للايذان بانه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بسنة الله تعالى لا يكاد يجمع على عبده حرمانين لعلكم تصطلون رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة فلما جاءها نودي من جانب الطور ان بورك اي بورك على ان ان مفسرة لما في النداء من معنى القول او بان بورك على انها مصدرية حذف عنها الجار جريا على القاعدة المستمرة وقيل مخففة من الثقيلة ولا ضير في فقدان التعويض بلا او قد او السين او سوف لما ان الدعاء يخالف غيره في الاحكام من في النار ومن حولها اي من في مكان النار وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله سبحانه نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة ومن حول مكانها وقرئ تباركت الارض ومن حولها والظاهر عمومه لكل من في ذلك الواد وحواليه من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء عليهم السلام وكفاتهم احياء وامواتا ولا سيما تلك البقعة التي كلم الله تعالى موسى فيها وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي له امر عظيم ديني تنتشر بركاته في اقطار الشام وهو تكليمه تعالى اياه عليه السلام واستنباؤه له واظهار المعجزات على يده عليه السلام وسبحان الله رب العالمين تعجيب لموسى عليه السلام من ذلك وايذان بان ذلك مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على ان الكائن من جلائل الامور وعظائم الشؤون من احكام تربيته تعالى للعالمين يا موسى انه انا الله استئناف مسوق لبيان آثار البركة المذكورة والضمير اما للشأن وانا الله جملة مفسرة له واما راجع الى المتكلم وانا خبره والله بيان له وقوله تعالى العزيز الحكيم صفتان لله تعالى ممهدتان لما اريد اظهاره على يده من المعجزة اي انا القوي القادر على ما لا يناله الاوهام من الامور العظام التي من جملتها امر العصا واليد الفاعل كل ما افعله بحكمة بالغة وتدبير رصين والق عطف على بورك منتظم معه في سلك تفسير النداء اي نودي ان بورك وان الق عصاك حسبما نطق به قوله تعالى وان الق عصاك بتكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليه ان حج وان اعتمر وان شئت ان حج واعتمر والفاء في قوله تعالى فلما رآها تهتز فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بظهورها ودلالة على سرعة وقوع مضمونها كما في قوله تعالى فلما رأينه اكبرنه بعد قوله اخرج عليهن كأنه قيل فالقاها فانقلبت حية تسعى فابصرها فلما ابصرها متحركة بسرعة واضطراب وقوله تعالى كانها جان اي حية خفيفة سريعة الحركة جملة حالية اما من مفعول رأى مثل تهتز كما اشير اليه او من ضمير تهتز على طريقة التداخل وقرئ جأن على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ولى مدبرا من الخوف ولم يعقب اي لم يرجع على عقبه من عقب المقاتل اذا كر بعد الفر وانما اعتراه الرعب لظنه ان ذلك لامر اريد به كما ينبئ عنه قوله تعالى يا موسى لا تخف اي من غير ثقة بي او مطلقا لقوله تعالى اني لا يخاف لدي المرسلون فانه يدل على نفي الخوف عنهم مطلقا لكن لا في جميع الاوقات بل حين يوحى اليهم كوقت الخطاب فانهم حينئذ مستغرقون في مطالعة شؤون الله عز وجل لا يخطر ببالهم خوف من احد اصلا واما في سائر الاحيان فهم اخوف الناس منه سبحانه او لا يكون لهم عندي سوء عاقبة ليخافوا منه الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم استثناء منقطع استدرك به ما عسى يختلج في الخلد من نفي الخوف عن كلهم مع ان منهم من فرطت منه صغيرة مما يجوز صدوره عن الانبياء عليهم الصلوة والسلام فانهم وان صدر عنهم شيء من ذلك فقد فعلوا عقيبه ما يبطله ويستحقون به من الله تعالى مغفرة ورحمة وقد قصد به التعريض بما وقع من موسى عليه السلام من وكزه القبطي والاستغفار وتسميته ظلما لقوله عليه السلام رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له وادخل يدك في جيبك لانه كان له مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب اي يقطع تخرج بيضاء من غير سوء اي آفة كبرص ونحوه في تسع آيات في جملتها او معها على ان التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع ان يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق منها لانه لم يبعث به الى فرعون او اذهب في تسع آيات على انه استئناف بالارسال فيتعلق به الى فرعون وقومه وعلى الاولين يتعلق بنحو مبعوثا او مرسلا انهم كانوا قوما فاسقين تعليل للارسال اي خارجين عن الحدود في الكفر والعدوان فلما جاءتهم آياتنا وظهرت على يد موسى عليه السلام مبصرة بينة اسم فاعل اطلق على المفعول اشعارا بانها لفرط وضوحها وانارتها كانها تبصر نفسها لو كانت مما يبصر او ذات تبصر من حيث انها تهدي العمي ولا

تهتدي فضلا عن الهداية او مبصرة كل من نظر اليها وتأمل فيها وقرئ مبصرة اي مكانا يكثر فيه التبصر قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته وجحدوا بها اي كذبوا بها واستيقنتها انفسهم الواو للحال اي وقد استيقنتها اي علمتها انفسهم علما يقينيا ظلما اي للآيات كقوله تعالى بما كانوا بآياتنا يظلمون ولقد ظلموا بها اي ظلم حيث حطوها عن رتبتها العالية وسموها سحرا وقيل ظلما لانفسهم وليس بذاك وعلوا اي استكبارا عن الايمان بها كقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها وانتصابهما اما على العلة من جحدوا بها او على الحالية من فاعله اي جحدوا بها ظالمين لها مستكبرين عنها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين من الاغراق على الوجه الهائل الذي هو عبرة للعالمين وانما لم يذكر تنبيها على انه عرضة لكل ناظر مشهور فيما بين كل باد وحاضر ولقد آتينا داود وسليمان علما كلام مستأنف مسوق لتقرير ما سبق من انه عليه السلام يلقى القرآن من لدن حكيم عليم فان قصتهما عليهما السلام من جملة القرآن الكريم لقيه عليه السلام من لدنه تعالى كقصة موسى عليه السلام وتصديره بالقسم لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمونه اي آتينا كل واحد منهما طائفة من العلم لائقة به من علم الشرائع والاحكام وغير ذلك مما يختص بكل منهما كصنعة لبوس ومنطق الطير او علما سنيا عزيزا وقالا اي قال كل واحد منهما شكرا لما اوتيه من العلم الحمد لله الذي فضلنا بما آتانا من العلم على كثير من عباده المؤمنين على ان عبارة كل منهما فضلني الا انه عبر عنها عند الحكاية بصيغة المتكلم مع الغير ايجازا فان حكاية الاقوال المتعددة سواء كانت صادرة عن المتكلم او عن غيره بعبارة جامعة للكل مما ليس بعزيز ومن الاول قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقد مر في سورة قد افلح المؤمنون وبهذا ظهر حسن موقع العطف بالواو اذ المتبادر من العطف بالفاء ترتب حمد كل منهما على ايتاء ما اوتي كل منهما لا على ايتاء ما اوتي نفسه فقط وقيل في العطف بالواو اشعار بان ما قالاه بعض ما احدث فيهما ايتاء العلم وشيء من مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كانه قيل ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه وقالا الحمد لله الآية والكثير المفضل عليه من لم يؤت مثل علمهما وقيل من لم يؤت علما واياه يتبين الكثير بالمؤمنين فانه خلو من العلم بالمرة مما لا يكن وفي تخصيصهما الاكثر بالذكر رمز الى ان البعض مفضلون عليهما وفيه اوضح دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من الملك الذي لم يؤته غيرهما وتحريض للعلماء على ان يحمدوا الله تعالى على ما آتاهم من فضله ويتواضعوا ويعتقدوا انهم وان فضلوا على كثير فقد فضل عليهم كثير وفوق كل ذي علم عليم ونعما قال امير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه كل الناس افقه من عمر وورث سليمان داود اي النبوة والعلم او الملك بان قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وقال تشهيرا لنعمة الله تعالى وتنويها بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة الباهرة التي اوتيها يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء المنطق في المتعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا او مركبا وقد يطلق على كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد يقال نطقت الحمامة وكل صنف من اصناف الطير يتفاهم اصواته والذي علمه سليمان عليه السلام من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه واغراضه ويحكى انه مر على بلبل في شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه اعلم قال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبون وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاح قمري فاخبر انه يقول سبحان ربي الاعلى وصاحت رخمة فقال سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وارضه وقال الحدأ يقول كل شيء هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والديك اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس انس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس واراد عليه السلام بقوله علمنا واوتينا بالنون التي يقال لها نون الواحد المطاع بيان حاله وصفته من كونه ملكا مطاعا لكن لا تكبرا وتجبرا بل تمهيدا لما اراده منهم من حسن الطاعة والانقياد له في اوامره ونواهيه حيث كان على عزيمة المسير ... من كل شيء كثرة ما اوتيه كما يقال فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء ويراد به كثرة قصاده وغزارة علمه ومثله قوله تعالى واوتيت من كل شيء وقال ابن عباس كل ما يهم من امر الدنيا والآخرة وقال مقاتل يعني النبوة والملك وتسخير الانس والجن والشياطين والريح ان هذا اشارة الى ما ذكر من التعليم والايتاء لهو الفضل والاحسان من الله تعالى المبين الواضح الذي لا يخفى على احد وان هذا الفضل الذي اوتيه لهو الفضل المبين على انه عليه السلام قاله على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر اي اقول هذا القول شكرا لا فخرا ولعله عليه السلام رتب على كلامه ذلك دعوة الناس الى الغزو فان اخبارهم بايتاء كل شيء من الاشياء التي من جملتها آلات الحرب واسباب الغزو مما ينبئ عن ذلك يعني قوله تعالى وحشر لسليمان

جنوده جمع له عساكره **من الجن والانس والطير** بمباشرة مخاطبيه فانهم كانوا رؤساء مملكته وعظماء دولته من الثقلين وغيرهم بتعميم الكل تغليبا وتقديم
الجن على الانس في البيان للمسارعة الى الايذان بكمال قوة ملكه وعزة سلطانه من اول الامر لما ان الجن طائفة عاتية وقبيلة طاغية ماردة بعيدة
من الحشر والتسخير **فهم يوزعون** اي يحبس اوائلهم على اواخرهم اي يوقف سلاف العسكر حتى يلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم احد وذلك للكثرة
العظيمة ويجوز ان يكون ذلك لترتيب الصفوف كما هو المعتاد في العساكر وفيه اشعار بكمال مسارعتهم الى السير وتخصيص حبس اوائلهم بالذكر دون سوق اواخرهم
مع ان التلاحق يحصل بذلك ايضا لما ان اواخرهم غير قادرين على ما يقدر عليه اوائلهم من السير السريع وهذا اذا لم يكن سيرهم بتسيير الريح في الجو روي ان
معسكره عليه السلام كان مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له عليه السلام
الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في
وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء عليهم السلام على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم
الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر وروي انه كان
يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره فاوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك لا يتكلم احد بشيء الا القته
الريح في سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتي آل داود ملكا عظيما فالقته الريح في اذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى
ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما اوتي آل داود **حتى اذا اتوا على واد النمل** حتى هي التي يبتدأ بها الكلام ومع ذلك هي
غاية لما قبلها كالتي في قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل الآية وهي ههنا غاية لما ينبئ عنه قوله تعالى **قالت نملة** من السير كأنه
قيل فساروا حتى اذا اتوا الى آخره ووادي النمل واد بالشام كثير النمل على ما قاله مقاتل وبالطائف على ما قاله كعب وقيل هو واد تسكنه الجن والنمل
مراكبهم وتعدية الفعل اليه بكلمة على اما لان اتيانهم كان من فوق واما لان المراد بالاتيان عليه قطعه من قولهم اتى على الشيء اذا انفذه وبلغ آخره
ولعلهم ارادوا ان ينزلوا عند منتهى الوادي فرأت منهم فصاحت صيحة تنبهت بها ما لا يحضرها من النمل لمرادها فتبعتها في الفرار فشبه ذلك بمخاطبة
العقلاء ومناصحتهم فاجروا مجراهم حيث جعلت هي قائلة وما عداها من النمل مقولا لهم حيث قيل **يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم** مع انه لا يمتنع ان يخلق الله
تعالى فيها النطق وفيما عداها العقل والفهم وقرئ نملة يا ايها النمل بضم الميم وهو الاصل كالرجل وتسكين الميم تخفيف منه كالسبع في السبع وقرئ
بضم النون والميم قيل كانت نملة عرجاء تمشي وهي تتكاوس فنادت بما قالت فسمع سليمان عليه السلام كلامها من ثلثة اميال وقيل كان اسمها طاخية
وقرئ مسكنكم وقوله تعالى **لا يحطمنكم سليمان وجنوده** نهي في الحقيقة للنمل عن التأخر في دخول مساكنهم وان كان بحسب الظاهر نهيا له عليه السلام ولجنوده
عن الحطم كقولهم لا أرينك ههنا فهو استيناف او بدل من الامر كقول من قال فقلت له ارحل لا تقيمن عندنا لا جواب له فان النون لا تدخله في السعة
وقرئ لا يحطنكم بالنون الخفيفة وقرئ لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها واصله لا يحتطمنكم وقوله تعالى **وهم لا يشعرون** حال من فاعل يحطمنكم مفيدة لتقييد الحطم بحال
عدم شعورهم بمكانهم حتى لو شعروا بذلك لم يحطموا وارادت بذلك الايذان بانها عارفة بجلالة شئون سليمان وسائر الانبياء عليهم السلام في عصمتهم
عن الظلم والايذاء وقيل هو استيناف اي فهم سليمان ما قالته النملة والقوم لا يشعرون بذلك **فتبسم ضاحكا من قولها** تعجبا من حذرها واهتدائها
الى تدبير مصالحها ومصالح بني نوعها وسرورا بشهرة حاله وحال جنوده في باب التقوى والشفقة فيما بين اصناف المخلوقات التي هي ابعد لها من ادراك
امثال هذه الامور وابتهاجا بما خصه الله تعالى به من ادراك همسها وفهم مرادها روي انها احست بصوت الجنود ولا تعلم انهم في الهواء فامر
سليمان عليه السلام الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن **وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك** اي اجعلني ازع شكر نعمتك عندي واكفه
وارتبطه بحيث لا ينفلت عني ولا ينفك حتى لا انفك عن شكرك اصلا وقرئ بفتح الياء اوزعني **التي انعمت علي وعلى والدي** ادرج فيه ذكرهما
تكثيرا للنعمة فان الانعام عليهما انعام عليه مستوجب للشكر **وان اعمل صالحا ترضيه** اتماما للشكر واستدامة للنعمة **وادخلني برحمتك في عبادك
الصالحين** في جملتهم الجنة التي هي دار الصالحين **وتفقد الطير** اي تعرف احوال الطير فلم ير الهدهد فيما بينها **فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من
الغائبين** كأنه قال اولا ما له لا اراه لساتر ستره او لسبب آخر ثم بدا له انه غائب فاضرب عنه فاخذ يقول اهو غائب **لاعذبنه عذابا شديدا** قيل كان
تعذيبه للطير بنتف ريشه وتشميسه وقيل بجعله مع ضده في قفص وقيل بالتفريق بينه وبين الفه **او لاذبحنه** ليعتبر به ابناء جنسه **او ليأتيني بسلطان
مبين** بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على احد الاولين على تقدير عدم الثالث وقرئ ليأتينني بنونين اولاهما مفتوحة مشددة وقيل انه

قيل انه عليه السلام لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم واقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة
وعشرين الف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضا حسناء اعجبته خضرتها
فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء في الزجاجة فيجيء الشياطين فيسلخونها
كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وقد كان حين نزل سليمان عليه السلام حلق الهدهد فرأى هدهدا واقعا فانحط اليه فوصف له ملك سليمان عليه السلام
وما سخر له من كل شيء فذكر له صاحبه ملك بلقيس وان تحت يدها اثني عشر الف قائد تحت كل قائد مائة الف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر وذلك قوله تعالى
فمكث غير بعيد اي زمانا غير مديد وقرئ بضم الكاف وذكر انه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان عليه السلام فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير
وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الذي قواك
واقدرك علي الا ما رحمتني فتركته وقالت ثكلتك امك ان نبي الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى قال او ليأتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمان
عليه السلام ارخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا له فلما دنا منه اخذ عليه السلام برأسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى
فارتعد سليمان عليه السلام وعفا عنه ثم سأله **فقال احطت بما لم تحط به** اي علما ومعرفة وحفظته من جميع جهاته وقرئ احطت بادغام الطاء في التاء
باطباق وبغير اطباق ولا خفاء في انه لم يرد بما ادعى الاحاطة به ما هو من حقائق العلوم ودقائق المعارف التي تكون معرفتها والاحاطة بها من وظائف
ارباب العلم والحكمة لتوقفها على علم رصين وفضل مبين حتى يكون اثباتها لنفسه بين يدي سليمان عليه السلام تعديا عن طوره وتجاوزا عن دائرة قدره
ونفيها عنه عليه السلام جناية على جنابه فيحتاج الى الاعتذار عنه بان ذلك كان منه بطريق الالهام فكافحه عليه السلام بذلك مع ما اوتي عليه السلام من فضل
النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له عليه السلام في علمه وتنبيها على ان في ادنى خلقه تعالى واضعفهم من احاط علما بما لم يحط
ليتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء بل اراد به ما هو من الامور المحسوسة التي لا يعد الاحاطة بها
فضيلة ولا الغفلة عنها نقيصة لعدم توقف ادراكها الا على مجرد احساس يستوي فيه العقلاء وغيرهم وقد علم انه عليه السلام لم يشاهده ولم يسمع خبره
من غيره قطعا فعبر عنه بما ذكر لترويج كلامه عنده عليه السلام وترغيبه في الاصغاء الى اعتذاره واستمالة قلبه نحو قبوله فان النفس للاعتذار المبني
على امر بديع اقبل والى تلقي ما لا تعلمه اميل ثم ايده بقوله **وجئتك من سبأ بنبأ يقين** حيث فسر ابهامه نوع تفسير واراه عليه السلام انه كان بصدد اقامة
خدمة مهمة له حيث عبر عما جاء به بالنبأ الذي هو الخبر الخطير والشأن الكبير ووصفه بما وصفه والا فاذا صدر عنه عليه السلام مع حلمه عنه ما حكي من الحمد
والشكر واستدعاء الا... ع حتى يليق بالحكمة الالهية تنبيهه عليه السلام على تركه وسبأ منصرف على انه اسم حي سموا باسم ابيهم الاكبر وهو سبأ بن يشجب بن يعرب
بن قحطان قالوا اسمه عبد شمس لقب به لكونه اول من سبى وقرئ بفتح الهمزة غير منصرف على انه اسم للقبيلة ثم سميت مدينة مأرب بسبأ وبينها وبين صنعاء
مسيرة ثلث وعلى هذه القراءة يجوز ان يراد به القبيلة والمدينة واما على القراءة الاولى فالمراد هو الحي لا غير وعدم وقوف سليمان عليه السلام على نبائهم
قبل نبأ الهدهد ليس بامر بديع لا بد له من حكمة داعية اليه البتة وان استحال خلو افعاله تعالى من الحكم والمصالح لما ان المسافة بين محطه عليه السلام وبين
مأرب وان كانت قصيرة لكن مدة ما بين نزوله عليه السلام هناك وبين مجيء الهدهد بالخبر ايضا قصيرة نعم اختصاص الهدهد بذلك مع كون الجن اقوى منه
مبني على حكمة بالغة يستأثر بها علام الغيوب وقوله تعالى **اني وجدت امرأة تملكهم** استيناف لبيان ما جاء به من النبأ وتفصيل له اثر الاجمال وهي بلقيس بنت
شراحيل بن مالك بن ريان وكان ابوها ملك ارض اليمن كلها ورث الملك من اربعين ابا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت بعده على الملك ودانت لها الامة
وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس وايثار وجدت على رأيت لما اشير اليه من الايذان بكونه عند غيبته بصدد خدمته عليه السلام بابراز
نفسه في معرض من يتفقد احوالها ويتعرفها كأنها طلبته وضالته ليعرضها على سليمان عليه السلام وضمير تملكهم لسبأ على انه اسم للحي او لاهلها المدلول
عليهم بذكر مدينتهم على انها اسم لها **واوتيت من كل شيء** اي من الاشياء التي يحتاج اليها الملوك **ولها عرش عظيم** قيل كان ثلثين ذراعا في
ثلثين عرضا وسمكا وقيل ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر وكانت قوائمه من ياقوت احمر واخضر ودر وزمرد وعليه سبعة ابيات
على كل بيت باب مغلق واستعظام الهدهد لعرشها مع ما كان يشاهده من ملك سليمان عليه السلام اما بالنسبة الى حالها او الى عروش امثالها من الملوك
وقد جوز ان لا يكون لسليمان عليه السلام مثله وان اوتي ما لم يؤتها فوضعه بذلك بين يديه عليه السلام لما مر من ترغيبه في الاصغاء الى حديثه وتوجيه عزيمته عليه السلام
نحو تسخيرها ولذلك عقبه بما يوجب غزوها من كفرها وكفر قومها حيث قال **وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله** اي يعبدونها متجاوزين

عبادة الله تعالى وزين لهم الشيطان أعمالهم التي هي عبادة الشمس ونظائرها من أصناف الكفر والمعاصي فصدهم بسبب ذلك عن السبيل اي وقوله تعالى
ألا يسجدوا لله مفعول له إما للصد او للتزيين على حذف اللام منه اي فصدهم لئلا يسجدوا له تعالى او زين لهم اعمالهم لئلا يسجدوا او بدل على حاله
من اعمالهم وما بينهما اعتراض اي زين لهم ان لا يسجدوا وقيل هو في موقع المفعول ليهتدون باسقاط الخافض ولا مزيدة كما في قوله تعالى لئلا
يعلم اهل الكتاب والمعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا له تعالى وقرئ ألا يا اسجدوا على التنبيه والنداء والمنادى محذوف اي ألا يا قوم اسجدوا كما في
قوله ألا يا اسلمي يا دار مي على البلى ونظائره وعلى هذا يحتمل ان يكون استئنافا من جهة الله عز وجل او من سليمان ويوقف على لا يهتدون ويكون
امرا بالسجود على الوجوه المتقدمة ذما على تركه وأياما كان فالسجود واجب وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وقرئ هلا تسجدون بمعنى الا
تسجدون على الخطاب الذي يخرج الخبء في السموات والأرض اي يظهر ما هو مخبوء ومخفي فيهما كائنا ما كان وتخصيص هذا الوصف بالذكر بصدد بيان تفرده
تعالى باستحقاق السجود له من بين سائر اوصافه الموجبة لذلك لما انه ارسخ في معرفته والاحاطة باحكامه بمشاهدة آثاره التي من جملتها ما اودعه
الله تعالى في نفسه من القدرة على معرفة الماء تحت الارض واشار بعطف قوله ويعلم ما تخفون وما تعلنون على يخرج الى انه تعالى يخرج ما في العالم الانساني
من الخفايا كما يخرج ما في العالم الكبير من الخبايا لما ان المراد يظهر ما تخفونه من الاحوال فيجازيكم بها وذكر ما تعلنون لتوسيع دائرة العلم او للتنبيه
على تساويهما بالنسبة الى العلم الالهي وقرئ ما يخفون وما يعلنون على صيغة الغيبة بلا التفات واخراج الخبء يعم اشراق الكواكب واظهارها
من آفاقها بعد استتارها وراءها وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء الذي هو اخراج ما في الشيء من القوة الى الفعل والابداع
الذي هو اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجود وغير ذلك من غيوبه عز وجل وقرئ الخب بتخفيف الهمزة بالحذف وقرئ الخبا بتخفيفها بالقلب
وقرئ الا تسجدون لله الذي يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم الذي هو اول الاجرام واعظمها
وقرئ العظيم بالرفع على انه صفة الرب وان ما حكي عن الهدهد من قوله الذي يخرج الخبء الى هنا ليس داخلا تحت قوله تعالى احطت بما لم تحط به
وانما هو من العلوم والمعارف التي اقتبسها من سليمان عليه السلام اورده بيانا لما هو عليه واظهارا لتصلبه في الدين وكل ذلك لتوجيه قلبه عليه السلام
نحو قبول كلامه وصرف عنان عزيمته عليه السلام الى غزوها وتسخير ولايتها قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية كلام الهدهد كانه قيل
فماذا فعل سليمان عليه السلام عند ذلك فقيل قال سننظر اي فيما ذكرته من النظر بمعنى التأمل والسين للتأكيد اي سنتعرف بالتجربة البتة
أصدقت أم كنت من الكاذبين كان مقتضى الظاهر ام كذبت وايثاره عليه النظم الكريم للايذان بان كذبه في هذه المادة يستلزم انتظامه
في سلك الموسومين بالكذب الراسخين فيه فان ساق هذه الاقاويل الملفقة على ترتيب انيق يستميل قلوب السامعين نحو قبولها من غير
ان يكون لها مصداق اصلا لاسيما بين يدي نبي عظيم الشأن لا يكاد يصدر الا عمن له قدم راسخ في الكذب والافك وقوله تعالى اذهب
بكتابي هذا فألقه اليهم استئناف مبين لكيفية النظر الذي وعده عليه السلام وقد قال عليه السلام بعد ما كتب كتابه في ذلك المجلس او بعده
وتخصيصه عليه السلام اياه بالرسالة دون سائر ما تحت ملكه من امناء الجن الاقوياء على التصرف والتعرف لما عاين فيه من مخايل
العلم والحكمة وصحة الفراسة ولئلا يبقى له عذر اصلا ثم تول عنهم اي تنح الى مكان قريب تتوارى فيه فانظر اي تأمل وتعرف ماذا
يرجعون اي ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول وجمع الضمائر لما ان مضمون الكتاب الكريم دعوة الكل الى الاسلام قالت اي بعد ما ذهب
الهدهد بالكتاب فالقاه اليهم وتنحى عنهم حسبما امر به وانما ذكره ايذانا بكمال مسارعته الى اقامة ما امر به من الخدمة واشعارا باستغنائه
عن التصريح به لغاية ظهوره روي انه عليه السلام كتب كتابه وطبعه بالمسك وختمه بخاتمه ودفعه الى الهدهد فوجدها راقدة في قصرها بمأرب
وكانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها
فانتبهت فزعة وقيل اتاها والقادة والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فالقى الكتاب في حجرها وكانت
قارئة كاتبة عربية من نسل تبع الحميري كما مر فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت فعند ذلك قالت لاشراف قومها يا أيها الملأ إني
ألقي إلي كتاب كريم وصفته بالكرم لكرم مضمونه او لكونه من عند ملك كريم او لكونه مختوما او لغرابة شأنه ووصوله اليها على منهاج غير معتاد إنه
من سليمان استئناف وقع جوابا لسؤال مقدر كانه قيل ممن هو وماذا مضمونه فقالت انه من سليمان وانه اي مضمونه او المكتوب فيه
بسم الله الرحمن الرحيم وفيه اشارة الى سبب وصفها اياه بالكرم وقرئ انه وانه بالفتح على حذف اللام كانها عللت كرمه بكونه من سليمان

من سليمان وبكونه مصدرا باسم الله تعالى وقيل على انه بدل من كتاب وقرئ ان من سليمان وان بسم الله على ان المفسرة ألا تعلوا علي ان مفسرة ولا ناهية
اي لا تتكبروا كما يفعل جبابرة الملوك وقيل مصدرية ناصبة للفعل ولا نافية محلها الرفع على انها بدل من كتاب او خبر لمبتدأ مضمر يليق بالمقام
اي مضمونه ان لا تعلوا او النصب باسقاط الخافض اي بان لا تعلوا علي وقرئ الا تغلوا بالغين المعجمة اي لا تتجاوزوا حدكم وأتوني مسلمين
اي مؤمنين وقيل منقادين والاول هو الاليق بشأن النبي عليه السلام على ان الايمان مستتبع للانقياد حتما روي ان فاتحة الكتاب من عبد الله
سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا علي وأتوني مسلمين وليس الامر فيه بالاسلام قبل اقامة
الحجة على رسالته حتى يتوهم كونه استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة معجزة باهرة دالة على رسالة مرسلها
دلالة بينة قالت كررت حكاية قولها للايذان بغاية اعتنائها بما في حيزه من قولها يا أيها الملأ أفتوني في أمري اي اجيبوني
في امري الذي حزبني وذكرت لكم خلاصته وعبرت عن الجواب بالفتوى الذي هو الجواب في الحوادث المشكلة غالبا تهويلا للأمر ورفعا لمحلهم بانهم قادرون
على حل المشكلات المهمة وقولها ما كنت قاطعة أمرا اي من الامور المتعلقة بالملك حتى تشهدون اي الا بمحضركم وبموجب آرائكم استعطاف
لهم واستمالة لقلوبهم لئلا يخالفوها في الرأي والتدبير قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية قولها كانه قيل فماذا قالوا في
جوابها فقيل قالوا نحن أولوا قوة في الاجساد والآلات والعدد وأولوا بأس شديد اي نجدة وشجاعة مفرطة وبلاء في الحرب والأمر إليك
اي هو موكول اليك فانظري ماذا تأمرين فنحن مطيعون لك فمرينا بامرك نمتثل له ونتبع رأيك وارادوا نحن من ابناء الحرب لا من ابناء
الرأي والتدبير فانظري ماذا تأمرين نكن في الخدمة فلما احست منهم الميل الى الحرب والعدول عن سنن الصواب شرعت في تزييف مقالتهم
المبنية على الغفلة عن شأن سليمان عليه السلام وذلك قوله تعالى قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية من القرى على منهاج المقاتلة والحراب أفسدوها
بتخريب عماراتها واتلاف ما فيها من الاموال وجعلوا أعزة أهلها أذلة بالقتل والأسر والاجلاء وغير ذلك من فنون الاهانة والاذلال
وكذلك يفعلون تأكيد لما وصفت من حالهم بطريق الاعتراض التذييلي وتقرير له بان ذلك عادتهم المستمرة وقيل تصديق لها من جهة الله
تعالى على طريقة قوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا اثر قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي وإني مرسلة إليهم بهدية تقرير لرأيها بعد ما
زيفت آراءهم واتت بالجملة الاسمية الدالة على الثبات المصدرة بحرف التحقيق للايذان بانها مزمعة على رأيها لا يلويها عنه صارف
ولا يثنيها عنه عاطف اي واني مرسلة اليهم رسلا بهدية عظيمة فناظرة بم يرجع المرسلون حتى اعمل بما يقتضيه الحال روي انها بعثت
خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الاساور والاطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع
بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان والف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت والمسك والعنبر وحقة فيها
درة عذراء وخرزة معوجة الثقب وبعثت رجلا من اشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وآخر ذا رأي وعقل وقالت ان كان نبيا
ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك
وان رأيته بشا لطيفا فهو نبي فاقبل الهدهد فاخبر سليمان عليه السلام بذلك فامر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله
سبع فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفاته من الذهب والفضة وامر باحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على
اللبن وامر باولاد الجن وهم خلق كثير فاقيموا على اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ
والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت
اليهم نفوسهم ورموا بما معهم فلما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال اين الحقة واخبره جبريل عليه السلام بما فيها
فقال لهم ان فيها كذا وكذا ثم امر بالارضة فاخذت شعرة ونفذت في الدرة فجعل رزقها في الشجر واخذت دودة بيضاء الخيط بفيها
ونفذت في الخرزة فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها
والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وذلك قوله تعالى فلما جاء سليمان اي الرسول قال اي مخاطبا للرسول والمرسل
تغليبا للحاضر على الغائب وقيل للرسول ومن معه ويؤيده انه قرئ فلما جاءوا والاول اولى لما فيه من تشديد الانكار والتوبيخ وتعميمهما لبلقيس
وقومها ويؤيده الافراد في قوله تعالى ارجع اليهم أتمدونن بمال وهو انكار لامدادهم اياه عليه السلام بالمال مع علو شأنه وسعة سلطانه

وتوبيخ لهم بذلك وتنكير المال للتحقير وقوله تعالى فما آتاني الله اي مما رأيتم آثاره من النبوة والملك الذي لا غاية وراءه خير مما آتاكم اي من المال
الذي من جملته ما جئتم به فلا حاجة لي الى هديتكم ولا وقع لها عندي تعليل للانكار ولعله عليه السلام انما قال لهم هذه المقالة الى آخرها بعد
جري بينه وبينهم ما حكي من قصة الحق والجزعة وتغيير زي الغلمان والجواري وغير ذلك وفائدة الاضراب التنبيه على ان امداده عليه السلام
بالمال منكر قبيح وعد ذلك مع انه لا قدر له عنده عليه السلام مما يتنافس فيه المتنافسون اقبح والتوبيخ به ادخل وقيل المضاف اليه
المهدى اليه والمعنى بل انتم بما يهدى اليكم تفرحون حبا لزيادة المال لما انكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا ارجع افراد الضمير ههنا بعد
جمع الضمائر الخمسة فيما سبق لاختصاص الرجوع بالرسول وعموم الامداد ونحوه للكل اي ارجع ايها الرسول اليهم اي الى بلقيس وقومها فلنأتينهم
اي فوالله لنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها اي لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقابلتها وقرئ بهم ولنخرجنهم عطف على جواب
القسم منها من سبأ اذلة اي حال كونهم اذلة بعد ما كانوا فيه من العز والتمكين وفي جمع الذلة تأكيد لذلتهم وقوله تعالى وهم صاغرون اي
اساري مهانون حال اخرى مفيدة لكون اخراجهم بطريق الاسر لا بطريق الاجلاء وعدم وقوع جواب القسم لانه كان معلقا بشرط قد حذف عند
الحكاية ثقة بدلالة الحال عليه كأنه قيل ارجع اليهم فليأتوا مسلمين والا فلنأتينهم الخ قال يا ايها الملأ ايكم يأتيني بعرشها قاله عليه السلام لما دنى
مجيء بلقيس اليه عليه السلام يروى انها لما رجعت رسلها اليها بما حكي من خبر سليمان عليه السلام قالت قد علمت والله ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة
وبعثت الى سليمان اني قادمة عليك بملوك قومي حتى انظر ما امرك وما تدعو اليه من دينك ثم اذنت بالرحيل الى سليمان عليه السلام فشخصت اليه في
اثني عشر الف قيل تحت كل قيل الوف وروي انها امرت فجعلت عرشها في آخر سبعة ابيات بعضها في بعض في آخر قصر من قصور لها سبعة وغلقت
الابواب ووكلت به حراسا يحفظونه ولعله اوحي الى سليمان عليه السلام باستيثاقها من عرشها فاراد ان يريها بعض ما خصه الله تعالى به
من اجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظيم قدرته تعالى وصحة نبوته عليه السلام ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر اتعرف امره
وتقييد الاتيان به بقوله تعالى قبل ان يأتوني مسلمين لما ان ذلك ابدع واغرب وابعد من الوقوع عادة وادل على عظم قدرة الله تعالى وصحة نبوته
عليه السلام وليكون اختبار اطلاعها على بدائع المعجزات في اول مجيئها وقيل لانها اذا اتت مسلمة لم يحل له اخذ مالها بغير رضاها قال عفريت اي
مارد خبيث من الجن بيان له اذ يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر لاقرانه وكان اسمه ذكوان او صخرا انا آتيك به اي بعرشها قبل ان تقوم من مقامك اي
مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار وآتيك اما صيغة المضارع او الفاعل وهو الانسب لمقام ادعاء الاتيان به لا محالة واوفق لما عطف
عليه من الجملة الاسمية اي انا آت به في تلك المدة البتة واني عليه اي على الاتيان به لقوي لا يثقل علي حمله امين لا اختزل منه شيئا ولا ابدله
قال الذي عنده علم من الكتاب فصل عما قبله للايذان بما بين القائلين ومقاليهما وكيفيتي قدرتيهما على الاتيان به من كمال التباين او لاسقاط الاول
عن درجة الاعتبار قيل هو آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام وقيل رجل كان عنده اسم الله الاعظم الذي اذا سئل به اجاب وقيل الخضر
او جبريل او ملك ايده الله عز وجل به عليهم السلام وقيل هو سليمان نفسه عليه السلام وفيه بعد لا يخفى والمراد بالكتاب الجنس المنتظم لجميع الكتب المنزلة او اللوح وتنكير
علم للتفخيم والرمز الى انه علم غير معهود ومن ابتدائية انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك الطرف تحريك الاجفان وفتحها للنظر الى شيء وارتداده انضمامها ولكونه
امرا طبيعيا غير منوط بالقصد اوثر الارتداد على الرد ولما لم يكن بين هذا الوعد وانجازه مدة كما في وعد العفريت استغنى عن التأكيد وطوي عند الحكاية
ذكر الاتيان به للايذان بانه امر محقق غني عن الاخبار به وجيء بالفاء الفصيحة لا داخلة على جملة معطوفة على جملة مقدرة دالة على تحققه فقط كما في
قوله عز وجل فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق ونظائره بل داخلة على الشرطية حيث قيل فلما رآه مستقرا عنده اي رأى العرش حاضرا لديه كما في
قوله عز وجل فلما رأينه اكبرنه للدلالة على كمال ظهور ما ذكر من تحققه واستغنائه عن الاخبار به ببيان ظهور ما يترتب عليه من رؤية سليمان عليه السلام
اياه واستغنائه ايضا عن التصريح بان التقدير فأتاه به فرآه فلما رآه الخ فحذف ما حذف لما ذكر وللايذان بكمال سرعة الاتيان به كأنه
لم يقع بين الوعد به وبين رؤيته عليه السلام اياه شيء ما اصلا وفي تقييد رؤيته باستقراره عنده عليه السلام تأكيد لهذا المعنى
لايهامه انه لم يتوسط بينهما ابتداء الاتيان ايضا كأنه لم يزل موجودا عنده مع ما فيه من الدلالة على دوام قراره عنده منتظما
في سلك ملكه قال اي سليمان عليه السلام تلقيا بالنعمة للشكر جريا على سنن ابناء جنسه من انبياء الله تعالى عليهم السلام وخلص عباده
اي حضور العرش بين يديه في هذه المدة القصيرة او التمكن من احضاره بالواسطة او بالذات كما قيل من فضل ربي اي تفضله

علي من غير استحقاق له من قبلي ليبلوني بان اراه محض فضله تعالى من غير حول من جهتي ولا قوة واقوم بحقه ام اكفر بان اجد لنفسي مدخلا في
البين او اقصر في اقامة مواجبه كما هو شأن سائر النعم الفائضة على العباد ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه يرتبط به عتيدها ويستجلب به مزيدها
ويحط به عن ذمته عبء الواجب ويتخلص عن وصمة الكفران ومن كفر اي لم يشكر فان ربي غني عن شكره كريم بترك تعجيل العقوبة والانعام
مع عدم الشكر ايضا قال اي سليمان عليه السلام كررت الحكاية مع كون المحكي سابقا ولاحقا من كلامه عليه السلام تنبيها على ما بين السابق
واللاحق من المخالفة لما ان الاول من باب الشكر لله تعالى والثاني امر لخدمه نكروا لها عرشها اي غيروا هيئته بوجه من الوجوه
ننظر بالجزم على انه جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستئناف أتهتدي الى معرفته او الى الجواب اللائق بالمقام وقيل الى الايمان بالله تعالى
ورسوله عند رؤيتها لتقدم عرشها من مسافة طويلة في مدة قليلة وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكل عليه الحراس والحجاب ويأباه تعليق
النظر المتعلق بالاهتداء بالتنكير فان ذلك مما لا دخل فيه للتنكير ام تكون اي بالنسبة الى علمنا من الذين لا يهتدون اي الى ما ذكر من معرفة
عرشها او الجواب الصواب فان كونها في نفس الامر منهم وان كان امرا مستمرا لكن كونها منهم عند سليمان عليه السلام وقومه امر حادث
يظهر بالاختبار فلما جاءت شروع في حكاية التجربة التي قصدها سليمان عليه السلام فلما جاءت بلقيس سليمان عليه السلام وقد كان العرش بين
يديه قيل اي من جهة سليمان عليه السلام بالذات او بالواسطة اهكذا عرشك لم يقل اهذا عرشك لئلا يكون تلقينا لها فيفوت ما هو المقصود
من الامر بالتنكير من ابراز العرش في معرض الاشكال والاشتباه حتى يتبين حالها وقد ذكرت عنده عليه السلام بسخافة العقل قالت كأنه هو
فانبأت عن كمال رجاحة عقلها حيث لم تقل هو مع علمها بحقيقة الحال تلويحا بما اعتراه بالتنكير من نوع مغايرة في الصفات مع اتحاد الذات
ومراعاة لحسن الادب في محاورته عليه السلام واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين من تتمة كلامها كأنها ظنت انه عليه السلام اراد بذلك
اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت واوتينا العلم بكمال قدرة الله تعالى وصحة نبوتك من قبل هذه المعجزة التي شاهدناها بما سمعناه
من المنذر من الآيات الدالة على ذلك وكنا مسلمين من ذلك الوقت وفيه من الدلالة على كمال رزانة رأيها ورصانة فكرها ما لا يخفى وقوله
وصدها ما كانت تعبد من دون الله تعليل لسبقية عبادتها المذكورة للصد اي انها كانت من قوم راسخين في الكفر ولذلك لم تكن قادرة على
اظهار اسلامها وهي بين ظهرانيهم الى ان دخلت تحت ملكه سليمان عليه السلام وقرئ انها بالفتح على البدلية من فاعل صد او على
التعليل بحذف اللام هذا واما ما قيل من ان قوله تعالى واوتينا العلم الى قوله تعالى من قوم كافرين من كلام سليمان عليه السلام وملائه كأنهم
لما سمعوا قولها كأنه هو تفطنوا لاسلامها فقالوا استحسانا لشأنها اصابت في الجواب وعلمت قدرة الله تعالى وصحة النبوة بما سمعت
من المنذر من الآيات المتقدمة وبما عاينت من هذه الآية الباهرة من امر عرشها ورزقت الاسلام فعطفوا على ذلك قولهم واوتينا العلم
اي واوتينا نحن العلم بالله تعالى وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام شكرا لله تعالى على فضلهم عليها وسبقهم
الى العلم بالله تعالى والاسلام قبلها وصدها من التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشوها بين ظهراني الكفرة فمما لا يخفى ما فيه من البعد والتعسف
قيل لها ادخلي الصرح الصرح القصر وقيل صحن الدار روي ان سليمان عليه السلام امر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر من زجاج ابيض
واجري من تحته الماء والقي فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك
ليزيد في استعظامها لامره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضي اليه باسرارهم لانها كانت
بنت جنية وقيل خافوا ان يولد منها ولد تجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجوا من ملك سليمان الى ملك هو اشد وافظع فقالوا ان في عقلها شيئا وهو
شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقيها ورجليها فلما رأته وهو حاضر بين يديها كما
يعرب عنه الامر بدخولها واحاطت بتفاصيل احواله خبرا حسبته لجة وكشفت عن ساقيها وتشمرت لئلا تبتل ذيالها فاذا هي احسن الناس ساقا
وقدما خلا انها شعراء قيل هي السبب في اتخاذ النورة امر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها عليه السلام وامر الجن فبنوا لها وغمدان
وكان يزورها في الشهر مرة ويقيم عندها ثلاثة ايام وقيل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وامر زوبعة امير جن اليمن ان يطيعه فبنى له المصانع
وقرئ سأقيها حملا للمفرد على الجمع في سؤق واسؤق قال عليه السلام حين رأى ما اعتراها من الدهشة والرعب انه اي ما توهمته ماء صرح ممرد اي مملس
من قوارير من الزجاج قالت حين عاينت ذلك المعجزة ايضا رب اني ظلمت نفسي بما كنت عليه الى الآن من عبادة الشمس وقيل بظني حين ظننت انه يريد

اعواتها في اللجة وهو بعيد واسلمت مع سليمان تابعة له مقتدية به وما في قوله تعالى لله رب العالمين من الالتفات الى الاسم الجليل ووصفه بربوبيته للعالمين لاظهار
معرفتها بالوهيته تعالى وتفرده باستحقاق العبادة وربوبيته لجميع الموجودات التي من جملتها ما كانت تعبده قبل ذلك من الشمس ولقد ارسلنا عطف على قوله تعالى ولقد
آتينا داود وسليمان علما مسوق لما سيق له من تقرير انه عليه السلام يلقى القرآن من لدن حكيم عليم فان هذه القصة ايضا من جملة القرآن الكريم الذي يلقاه عليه السلام
واللام جواب قسم محذوف اي وبالله لقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا وان في قوله تعالى ان اعبدوا الله مفسرة لما في الارسال من معنى القول او مصدرية حذف
عنها الباء وقرئ بضم النون اتباعا للباء فاذا هم فريقان يختصمون ففاجؤوا التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين قال عليه السلام
للفريق الكافر منهم بعد ما شاهد منهم ما شاهد من نهاية العتو والعناد حتى بلغوا من المكابرة الى ان قالوا له عليه السلام يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين
يا قوم لم تستعجلون بالسيئة اي بالعقوبة السيئة قبل الحسنة اي التوبة فتؤخرونها الى حين نزولها حيث كانوا من جهلهم وغوايتهم يقولون ان وقع ايعاده
تبنا حينئذ والا فنحن على ما كنا عليه لولا تستغفرون الله هلا تستغفرونه تعالى قبل نزولها لعلكم ترحمون بقبولها اذ لا امكان للقبول عند النزول قالوا اطيرنا
اصله تطيرنا والتطير التشاؤم عبر عنه بذلك لما انهم كانوا اذا خرجوا مسافرين فيمرون بطائر يزجرونه فان مر سانحا تيمنوا وان مر بارحا تشاءموا فلما
نسبوا الشر والخير الى الطائر استعير لما كان سببا لهما من قدر الله تعالى وقسمته او من عمل العبد اي تشاءمنا بك وبمن معك في دينك حيث تتابعت علينا الشدائد
وقد كانوا قحطوا او لم نزل في اختلاف وافتراق مذ اخترعتم دينكم قال طائركم اي سببكم الذي منه ينالكم ما ينالكم من الشر عند الله وهو قدره او عملكم المكتوب عنده
وقوله تعالى بل انتم قوم تفتنون اي تختبرون بتعاقب السراء والضراء او تعذبون او يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة اضراب من بيان طائرهم الذي هو
مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعي اليه وكان في المدينة وهي الحجر تسعة رهط اي اشخاص وبهذا الاعتبار وقع تمييزا للتسعة لا باعتبار لفظه والفرق بينه وبين النفر
انه من الثلاثة او من السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة واسماؤهم حسبما نقل عن وهب الهذيل بن عبد رب وغنم بن غنم ورئاب بن مهرج
ومصدع بن مهرج وعمير بن كردبة وعاصم بن مخرمة وسبيط بن صدقة وسمعان بن صفي وقدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا
عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم يفسدون في الارض اي في المدينة فقط افساد الحال لا يخالطه شيء ما من الصلاح كما ينطق به قوله تعالى ولا يصلحون اي لا
يفعلون شيئا من الاصلاح او لا يصلحون شيئا من الاشياء قالوا استئناف لبيان بعض ما فعلوا من الفساد اي قال بعضهم لبعض في اثناء المشاورة في
امر صالح عليه السلام وكان ذلك غب ما انذرهم بالعذاب وقوله تعالى تمتعوا في داركم ثلاثة ايام الخ تقاسموا بالله امر مقول لقالوا وما وقع بدلا منه او حالا من
فاعله باضمار قد وقوله تعالى لنبيتنه واهله اي لنباغتن صالحا واهله ليلا ولنقتلنهم وقرئ بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على الغيبة وضم التاء
على ان تقاسموا فعل ماض ثم لنقولن لوليه اي لولي صالح وقرئ بالتاء والياء كما قبله ما شهدنا مهلك اهله اي ما حضرنا هلاكهم او وقت هلاكهم
او مكان هلاكهم فضلا ان تولى اهلاكهم وقرئ مهلك بفتح اللام فيكون مصدرا وانا لصادقون من تمام القول والحال اي نقول ما نقول والحال انا
صادقون في ذلك لان الشاهد للشيء غير المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم جميعا كقولك ما رأيت ثمة رجلا بل رجلين ومكروا
مكرا بهذه المواضعة ومكرنا مكرا اي اهلكناهم اهلاكا غير معهود وهم لا يشعرون اي جازيناهم على مكرهم من حيث لا يحتسبون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم
شروع في بيان ما ترتب على ما باشروه من المكر وكيف معلقة لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض اي فتفكر في انه كيف كان عاقبة مكرهم وقوله
تعالى انا دمرناهم الخ بدل من عاقبة مكرهم على انه فاعل كان وهي تامة وكيف حال اي فانظر كيف حصل اي على اي وجه حدث تدميرنا اياهم واما خبر
لمبتدأ محذوف والجملة مبينة لما في عاقبة مكرهم من الابهام اي هي تدميرنا اياهم وقومهم الذين لم يكونوا معهم في مباشرة التبييت اجمعين بحيث
لم يشذ منهم شاذ واما تعليل لما ينبئ عنه الامر بالنظر في كيفية عاقبة مكرهم من غاية الهول والفظاعة بحذف الجار اي لانا دمرناهم الخ وقيل
كان ناقصة اسمها عاقبة مكرهم خبرها كيف كان فلا وجه ح ان يكون قوله تعالى انا دمرناهم الخ تعليلا لما ذكر وقرئ انا دمرناهم بالكسر على الاستئناف
روي انه كان لصالح عليه السلام مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فخرجوا الى
الشعب وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله تعالى صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب
فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله تعالى كلا منهم في مكانه ونجا صالحا ومن معه وقيل جاؤوا بالليل شاهري سيوفهم
وقد ارسل الله تعالى الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا فتلك بيوتهم جملة مقررة لما قبلها وقوله تعالى خاوية
اي خالية او ساقطة متهدمة بما ظلموا اي بسبب ظلمهم المذكور حال من بيوتهم والعامل معنى الاشارة وقرئ خاوية بالرفع على انه خبر لمبتدأ

محذوف ان في ذلك اي فيما ذكر من التدمير العجيب بظلمهم لآية لعبرة عظيمة لقوم يعلمون اي لمن شأنه ان يعلم من الاشياء او لقوم يتصفون بالعلم وانجينا
الذين آمنوا صالحا ومن معه من المؤمنين وكانوا يتقون اي الكفر والمعاصي اتقاء مستمرا فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا منصوب بمضمر معطوف
على ارسلنا في صدر قصة صالح داخل معه في حيز القسم اي وارسلنا لوطا وقوله تعالى اذ قال لقومه ظرف للارسال على ان المراد به امتداد
وقع فيه الارسال وما جرى بينه وبين قومه من الافعال والاحوال وقيل انتصاب لوطا باضمار اذكر واذ بدل منه وقيل بالعطف على
الذين آمنوا وانجينا لوطا وهو بعيد أتأتون الفاحشة اي الفعلة المتناهية في القبح والسماجة وقوله تعالى وانتم تبصرون جملة حالية
من فاعل تأتون مفيدة لتأكيد الانكار وتشديد التوبيخ فان تعاطي القبيح من العالم بقبحه اقبح واشنع وتبصرون من بصر القلب اي تفعلونها
والحال انكم تعلمون علما يقينيا بكونها كذلك وقيل يبصرها بعضكم من بعض لما كانوا يعلنون بها ائنكم لتأتون الرجال شهوة تثنية للانكار
وتكرير للتوبيخ وبيان لما يأتونه من الفاحشة بطريق التصريح وتحلية الجملة بحرفي التأكيد للايذان بان مضمونها مما لا يصدق وقوعه
احد لكمال بعده من العقول وايراد المفعول بعنوان الرجولية لتربية التقبيح وتحقيق المباينة بينها وبين الشهوة التي علل بها الاتيان
من دون النساء متجاوزين النساء اللاتي هن محال الشهوة بل انتم قوم تجهلون تفعلون فعل الجاهلين بقبحه او تجهلون العاقبة
او الجهل بمعنى السفاهة والمجون اي بل انتم قوم سفهاء ماجنون والتاء فيه مع كونه صفة لقوم لكونهم في حيز الخطاب فما كان جواب قومه الا
ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه استهزاء وقد مر في سورة الاعراف ان هذا الجواب هو الذي صدر عنهم في المرة الاخيرة من مرات مواعظ لوط عليه السلام بالامر والنهي
لانه لم يصدر عنهم كلام آخر غيره فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها اي قدرنا كونها من الغابرين اي الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا غير
معهود فساء مطر المنذرين قد مر بيان كيفية ما جرى عليهم من العذاب غير مرة قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اثر ما قص الله تعالى
على رسوله صلى الله عليه وسلم قصص الانبياء المذكورين عليهم السلام واخبارهم الناطقة بكمال قدرته تعالى وعظم شأنه وبما خصهم به من الآيات القاهرة
والمعجزات الباهرة الدالة على جلالة اقدارهم وصحة اخبارهم وبين على السنتهم حقية الاسلام والتوحيد وبطلان الكفر والاشراك وان من اقتدى بهم
فقد اهتدى ومن اعرض عنهم فقد تردى في مهاوي الردى وشرح صدره عليه السلام بما في تضاعيف تلك القصص من فنون المعارف الربانية
ونور قلبه بانوار الملكات السبحانية الفائضة من عالم القدس وقرر بذلك فحوى ما نطق به عز وجل وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم امره صلى الله عليه وسلم
بان يحمده على ما افاض عليه من تلك النعم التي لا مطمع وراءها لطامع ولا مطمح من دونها لطامح ويسلم على كافة الانبياء الذين من جملتهم
الذين قصت عليه اخبارهم التي هي من جملة المعارف التي اوحيت اليه عليه السلام اداء لحق تقدمهم واجتهادهم في الدين وقيل هو امر للوط عليه
السلام بان يحمد الله تعالى على اهلاك الكفرة من قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة عن الفواحش والنجاة عن الهلاك ولا يخفى آلله خير اما يشركون
اي آلله الذي ذكرت شؤونه العظيمة خير اما يشركونه تعالى من الاصنام ومرجع الترديد الى التعريض بتبكيت الكفرة من جهته تعالى وتسفيه آرائهم الركيكة
والتهكم بهم اذ من البين ان ليس فيما اشركوه به تعالى شائبة خير ما حتى يمكن ان يوازن بينه وبين من لا خير الا خيره ولا اله غيره وقرئ تشركون بالتاء
الفوقانية بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى الكفرة وهو الاليق بما بعده من سياق النظم الكريم المبني عن خطابهم وجعله من جملة القول المأمور
بايراده قوله تعالى فانبتنا الخ فانه صريح في ان التبكيت من قبله عز وعلا بالذات وحمله على انه حكاية منه عليه السلام لما امر بعبارته كما في قوله تعالى
قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم تعسف ظاهر من غير داع اليه وام في قوله تعالى ام من خلق السموات والارض منقطعة وما فيها من كلمة بل على
القراءة الاولى للاضراب والانتقال من التبكيت تعريضا الى التصريح به خطابا على وجه اظهر منه لمزيد التأكيد والتشديد واما على القراءة الثانية
فلتثنية التبكيت وتكرير الالزام كنظائرها الآتية والهمزة لتقرير اي حملهم على الاقرار بالحق على وجه الاضطرار فانه لا يتمالك احد ممن له ادنى
تمييز ولا يقدر على ان لا يعترف بخيرية من خلق جميع المخلوقات وافاض على كل منها ما يليق به من منافعه من احسن تلك المخلوقات وادناها بل بان لا خيرية
فيه بوجه من الوجوه قطعا ومن مبتدأ خبره محذوف مع ام المعادلة للهمزة تعويلا على ما سبق في الاستفهام الاول خلا ان تشركون ههنا
بتاء الخطاب على القراءتين معا وهكذا في المواضع الاربعة الآتية والمعنى بل امن خلق قطري العالم الجسماني ومبادي منافع ما بينهما وانزل لكم
الى خطاب الكفرة على القراءة الاولى لتشديد التبكيت والالزام اي انزل لاجلكم ومنفعتكم من السماء ماء اي نوعا منه هو المطر فانبتنا به حدائق اي

بساتين محدقة ومحاطة بالحوائط ذات بهجة اي ذات حسن ورونق يبتهج به النظار ما كان لكم اي ما صح وما امكن لكم ان تنبتوا شجرها فضلاً عن ثمرها
وسائر صفاتها البديعة خير اما تشركون وقرئ آمن بالتخفيف على انه بدل من الله وتقديم صلتيه الانزال على مفعوله لما مر مراراً من التشويق الى المؤخر
والتفات الى التكلم في قوله تعالى فانبتنا لتأكيد الاختصاص الفعل بذاته تعالى والايذان بان انبات تلك الحدائق المختلفة الاصناف والاوصاف والالوان
والطعوم والروائح والاشكال مع ما لها من الحسن البارع والبهاء الرائع بماء واحد مما لا يكاد يقدر عليه الا هو وحده حسبما ينبئ عنه تقييده بقوله تعالى
ما كان لكم الخ سواء كانت صفة لها او حالا وتوحيد وصفها الاول اعني ذات بهجة لما ان المعنى جماعة حدائق ذات بهجة على نهج قولهم النساء ذهبت
وكذا الحال في ضمير شجرها أاله مع الله اي آله آخر كائن مع الله الذي ذكر بعض افعاله التي لا يكاد يقدر عليها غيره حتى يتوهم جعله شريكاً له تعالى في العبادة
وهذا تبكيت لهم بنفي الالوهية عما يشركون به تعالى في ضمن النفي الكلي على الطريقة البرهانية بعد تبكيتهم بنفي الخيرية عنه بما ذكر من الترديد فان احداً
ممن له تمييز في الجملة كما لا يقدر على انكار انتفاء الخيرية عنه بالمرة لا يكاد يقدر على انكار انتفاء الالوهية عنه رأساً لا سيما بعد ملاحظة انتفاء
احكامها عما سواه تعالى وهكذا الحال في المواقع الاربعة الآتية وقيل المراد نفي ان يكون معه تعالى آله آخر فيما ذكر من الخلق وما عطف عليه لكن لا على ان
التبكيت بنفس ذلك النفي فقط كيف لا وهم لا ينكرونه حسبما ينطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله بل اشراكهم به
تعالى في العبادة ما يعترفون بعدم مشاركته له تعالى فيما ذكر من لوازم الالوهية كأنه قيل أاله آخر مع الله في خواص الالوهية حتى يجعل شريكاً له تعالى
في العبادة وقيل المعنى أغيره يقرن به ويجعل له شريكاً في العبادة مع تفرده تعالى بالخلق والتكوين فالانكار للتوبيخ والتبكيت مع تحقق المنكر
دون النفي كما في الوجهين الاولين والاول هو الاظهر المناسب لقوله تعالى وما كان معه من آله والاوفق بحق المقام لافادته نفي وجود آله آخر
معه تعالى رأساً لا نفي معيته في الخلق وفروعه فقط وقرئ أالهاً بتوسيط مدة بين الهمزتين وباخراج الثانية بين بين وقرئ أالهاً باضمار فعل يناسب
المقام مثل اتدعون او اتشركون بل هم قوم يعدلون اضراب وانتقال من تبكيتهم بطريق الخطاب الى بيان سوء حالهم وحكايته لغيرهم اي بل هم قوم
عادتهم العدول عن طريق الحق بالكلية والانحراف عن الاستقامة في كل امر من الامور فلذلك يفعلون ما يفعلون من العدول عن الحق الواضح الذي هو التوحيد والعكوف
على الباطل البين الذي هو الاشراك وقيل يعدلون به تعالى غيره وهو بعيد خال عن الافادة أمن جعل الارض قراراً قيل هو بدل من أمن خلق السموات
الخ وكذا ما بعده من الجمل الثلاث وحكم الكل واحد والاظهر ان كل واحدة منها اضراب وانتقال من التبكيت بما قبلها الى التبكيت بوجه آخر داخل في الالزام
بجهة من الجهات اي جعلها بحيث يستقر عليها الانسان والدواب بابداء بعضها من الماء ودحوها وتسويتها حسبما يدور عليه منافعهم وجعل خلالها اوساطها
انهاراً جارية ينتفعون بها وجعل لها رواسي اي جبالاً ثوابت تمنعها ان تميد باهلها وتتكون فيها المعادن وينبع في حضيضها الينابيع ويتعلق بها
من المصالح ما لا يحصى وجعل بين البحرين اي العذب والمالح او خليجي فارس والروم حاجزاً برزخاً مانعاً من الممازجة وقد مر في تفسير سورة الفرقان
والجعل في المواقع الثلاثة الاخيرة ابداعي وتأخير مفعوله عن الظرف لما مر مراراً من التشويق أاله مع الله في الوجود او في ابداع هذه البدائع على ما مر
بل اكثرهم لا يعلمون اي شيئاً من الاشياء ولذلك لا يفهمون بطلان ما هم عليه من الشرك مع كمال ظهوره أمن يجيب المضطر اذا دعاه وهو الذي احوجه
شدة من الشدائد والجأته الى اللجأ والضراعة الى الله تعالى وهو اسم مفعول من الاضطرار الذي هو افتعال من الضرورة وعن ابن عباس رضي الله
عنهما هو المجهود وعن السدي من لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر واللام للجنس لا للاستغراق حتى يلزم اجابة كل مضطر ويكشف السوء وهو
الذي يعتري الانسان مما يسوءه ويجعلكم خلفاء الارض اي خلفاء فيها بان ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم من الامم وقيل المراد بالخلافة
الملك والتسلط أاله مع الله الذي يفيض على كافة الانام هذه النعم الجسام قليلاً ما تذكرون اي تذكراً قليلاً او زماناً قليلاً تتذكرون
وما مزيدة لتأكيد معنى القلة التي اريد بها العدم او ما يجري مجراه في الحقارة وعدم الجدوى وقيل تذييل الكلام بنفي التذكر عنهم ايذان بان مضمونه
مركوز في ذهن كل ذكي وغبي وانه من الوضوح بحيث لا يتوقف الا على التوجه اليه وتذكره وقرئ تتذكرون على الاصل وتذكرون ويذكرون
بالتاء والياء مع الادغام أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر اي في ظلمات الليالي فيهما على ان الاضافة للملابسة او في مشتبهات الطرق يقال طريقة
ظلماء وعمياء للتي لا منار بها ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته وهي المطر ولئن صح ان السبب الاكثري في تكون الريح معاودة الادخنة
الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها للهواء فلا ريب في ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك كله من خلق الله عز وجل والفاعل
للسبب فاعل للمسبب قطعاً أاله مع الله نفي لان يكون معه آله آخر وقوله تعالى تعالى الله عما يشركون تقرير وتحقيق له واظهار الاسم الجليل في موقع

في موقع الاضمار للاشعار بعلة الحكم اي تعالى وتنزه بذاته المنفردة بالالوهية المستتبعة لجميع صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال المقتضية
لكون كل المخلوقات مقهوراً تحت قدرته عما يشركون اي عن وجود ما يشركون به تعالى اطلاقاً فان وجوده مما لا مرد له بل عن وجوده بعنوان كونه
الهاً وشريكاً له تعالى او عن اشراكهم أمن يبدأ الخلق ثم يعيده اي بل أمن يبدأ الخلق ثم يعيده بعد الموت بالبعث ومن يرزقكم من السماء والارض اي باسباب
سماوية وارضية قدرتها على ترتيب بديع تقتضيه الحكمة التي عليها يبنى امر التكوين خير اما تشركونه في العبادة من جماد لا يتوهم
قدرته على شيء ما اصلاً قل هاتوا برهانكم امر له عليه السلام بتبكيتهم اثر تبكيت اي هاتوا برهاناً عقلياً او نقلياً يدل على ان معه تعالى
الهاً لا على ان غيره تعالى يقدر على شيء مما ذكر من افعاله تعالى كما قيل فانهم لا يدعونه صريحاً ولا يلتزمون كونه من لوازم الالوهية وان كان منها في الحقيقة
فمطالبتهم بالبرهان عليه لا على صريح دعواهم مما لا وجه له وفي اضافة البرهان الى ضميرهم تهكم بهم لما فيها من ايهام ان لهم برهاناً واني لهم ذلك
ان كنتم صادقين اي في تلك الدعوى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله بعدما حقق تفرده تعالى بالالوهية ببيان اختصاصه
بالقدرة الكاملة التامة والرحمة الشاملة العامة عقب بذكر ما هو من لوازمه وهو اختصاصه بعلم الغيب تكميلاً لما قبله وتمهيداً لما بعده من امر
البعث والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على استحالة علم الغيب من اهل السموات والارض بتعليقه بكونه سبحانه منهم
كأنه قيل ان كان الله تعالى ممن فيهما ففيهم من يعلم الغيب ومتصل على المراد ممن في السموات والارض من تعلق علمه بهما واطلع عليهما اطلاع الحاضر
فيهما فان ذلك المعنى مجازي عام له تعالى ولاولي العلم من خلقه ومن موصولة او موصوفة وما يشعرون ايان يبعثون اي متى ينشرون من القبور
مع كونه مما لا بد لهم منه ومن اهم الامور عندهم وايان مركبة من اي وآن وقرئ بكسر الهمزة والضمير للكفرة وان كان عدم الشعور بما ذكر عاماً لئلا
يلزم التفكيك بينه وبين ما سيأتي من الضمائر الخاصة بهم قطعاً وقيل الكل لمن واسناد خواص الكفرة الى الجميع من قولهم بنو فلان فعلوا كذا والفاعل بعض منهم
بل ادارك علمهم في الآخرة لما نفى عنهم علم الغيب اكد ذلك بنفي شعورهم بوقت ما هو مصيرهم لا محالة بولغ في تأكيده وتقريره بما اضرب عنه
وبين انهم في جهل افحش من جهلهم بوقت بعثهم حيث لا يعلمون احوال الآخرة مطلقاً مع تعاضد اسباب معرفتها على ان معنى ادرك علمهم في الآخرة
تدارك وتتابع علمهم في شأن الآخرة التي ما ذكر من البعث حال من احوالها حتى انقطع ولم يبق لهم علم بشيء مما سيكون فيها قطعاً لكن لا على معنى
انهم كان لهم علم بذلك على الحقيقة ثم انتفى شيئاً فشيئاً بل على طريقة المجاز بتنزيل اسباب العلم ومباديه من الدلائل العقلية والسمعية منزلة نفسه واجراء
تساقطها عن درجة اعتبارهم كلما لاحظوها مجرى تتابعها الى الانقطاع ثم اضرب وانتقل عن بيان عدم علمهم بها الى بيان ما هو اسوأ منه وهو حيرتهم
في ذلك حيث قيل بل هم في شك منها بحيث لا يكادون يدركون دلائلها لاختلال بصائرهم بالكلية وقرئ بل ادرك علمهم يعني انتهى وفني وقد فسر الجمهور
البصر باضمحل علمهم وقيل كلتا الصيغتين على معناها الظاهر اي تكامل واستحكم او تم اسباب علمهم بان القيامة كائنة لا محالة من الآيات القاطعة
والحجج الساطعة وتمكنوا من المعرفة فضل تمكن وهم جاهلون في ذلك وقوله تعالى بل هم في شك منها اضراب وانتقال من وصفهم بمطلق الجهل الى وصفهم
بالشك وقوله تعالى بل هم منها عمون اضراب من وصفهم بالشك الى وصفهم بما هو اشد وافظع من العمى وانت خبير بان تنزيل اسباب العلم منزلة العلم سلوك
لكن دلالة النظم الكريم على جهلهم حينئذ ليست بواضحة وقيل المراد بوصفهم باستحكام العلم وتكامله التهكم بهم فيكون وصفاً لهم بالجهل مبالغة والاضراب على ما
ذكر واصل ادارك تدارك وبه قرأ ابي فابدلت التاء دالاً وسكنت فتعذر الابتداء فاجتلبت همزة الوصل فصار ادارك وقرئ بل ادرك
واصله افتعل وبل ادرك بهمزتين وبل آادرك بالف بينهما وبل ادرك بالتخفيف والنقل وبل ادرك بفتح اللام وتشديد الدال واصله بل ادرك على الاستفهام
وبلى ادرك وام تدارك وام ادرك فهي ثنتي عشرة قراءة فما فيه استفهام صريح او مضمن من ذلك فهو انكار ونفي وما فيه بلى اثبات لشعورهم وتفسير له
بالادراك على وجه التهكم الذي هو ابلغ وجوه النفي والانكار وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في النفي ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون
فيها بل انهم منها عمون اوردوا انكار لشعورهم وقال الذين كفروا بيان لجهلهم بالآخرة وعمههم منها بحكاية انكارهم للبعث ووضع الموصول
موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعلة حكمهم الباطل في قولهم أئذا كنا تراباً وآباؤنا أئنا لمخرجون اي أنخرج من القبور اذا كنا
تراباً كما ينبئ عنه مخرجون ولا مساغ لان يكون هو العامل في اذا لاجتماع موانع لو تفرد واحد منها لكفى في المنع وتقييد الاخراج بوقت كونهم تراباً
ليس لتخصيص الانكار بالاخراج حينئذ فقط فانهم منكرون للاحياء بعد الموت مطلقاً وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار بتوجيهه الى الاخراج
في حالة منافية له وقوله تعالى وآباؤنا عطف على اسم كان وقام الفصل بالخبر مقام الفصل بالتأكيد وتكرير الهمزة في أئنا للمبالغة والتشديد

في الانكار وتحلية الجملة بان واللام لتأكيد الانكار لا الانكار التأكيد كما يوهمه ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في قوله تعالى أفلا
تعقلون ونظائره على رأي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرئ
انا لمخرجون على الخبر لقد وعدنا هذا اي الاخراج نحن وآباؤنا من قبل اي من قبل وعده عليه السلام وتقديم الموعود على نحن لانه المقصود بالذكر وحيث
اخر في المبعوث والجملة استئناف مسوق لتقرير الانكار وتصديرها بالمزيد التأكيد وقوله تعالى ان هذا الا اساطير الاولين تقرير اثر تقرير قل سيروا
في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين بسبب تكذيبهم للرسل عليهم السلام فيما دعوهم اليه من الايمان بالله عز وجل وعده باليوم الآخر
الذي تنكرونه فان في مشاهدة عاقبتهم ما فيه كفاية لاولي الابصار وفي التعبير عن المكذبين بالمجرمين لطف بالمؤمنين في ترك الجرائم ولا تحزن عليهم الاصرارهم
على الكفر والتكذيب ولا تكن في ضيق في حرج صدر مما يمكرون من مكرهم فان الله يعصمك من الناس وقرئ بكسر الضاد وهو ايضا مصدر ويجوز ان
يكون المفتوح مخففا من ضيق وقد قرئ كذلك اي لا تكن في امر ضيق ويقولون متى هذا الوعد اي العذاب العاجل الموعود ان كنتم صادقين في اخباركم
باتيانه والجمع باعتبار شركة المؤمنين في الاخبار بذلك قل عسى ان يكون ردف لكم اي تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتأكيد كالباء في قوله تعالى ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة او الفعل مضمن معنى فعل يتعدى باللام وقرئ بفتح الدال وهي لغة فيه بعض الذي تستعجلون وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف
مواعيد الملوك بمنزلة الجزم بها وانما يطلقونها اظهارا للوقار واشعارا بان الرمز من امثالهم كالتصريح ممن عداهم وعلى ذلك يجري وعد الله تعالى ووعيده
وايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال عسى ان يردفكم الخ لكونه ادل على تحقق الوعد وان ربك لذو فضل على الناس اي لذو افضال وانعام
كافة الناس ومن جملة انعاماته تأخير عقوبة هؤلاء على ما يرتكبونه من المعاصي التي من جملتها استعجال العذاب ولكن اكثرهم لا يشكرون لا يعرفون حق النعم
فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه كدأب هؤلاء وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم اي ما تخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت الشيء اي
سترته وما يعلنون من الافعال والاقوال التي من جملتها ما حكي عنهم من استعجال العذاب وفيه ايذان بان لهم قبائح غير ما يظهرونه وانه تعالى يجازيهم
على الكل وتقديم السر على العلن قد مر سره في سورة البقرة عند قوله تعالى ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون وما من غائبة في السماء والارض اي من
خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء للمبالغة كما في الراوية او اسمان لما يغيب ويخفى والتاء للنقل الى الاسمية الا في كتاب مبين اي
بين او مبين ما فيه لمن يطالعه وهو اللوح المحفوظ وقيل هو القضاء العدل بطريق الاستعارة ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون من جملة
ما اختلفوا فيه من شأن المسيح وتحزبوا فيه احزابا وركبوا متن العتو والغلو في الافراط والتفريط والتشبيه والتنزيه ووقع بينهم التناكر في اشياء
حتى بلغت المنافرة الى حيث لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن الكريم ببيان كنه الامر لو كانوا في حق النصفة وانه لهدى ورحمة للمؤمنين على الاطلاق
فيدخل فيهم من آمن من بني اسرائيل دخولا اوليا ان ربك يقضي بينهم اي بين بني اسرائيل بحكمه بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويؤيده انه قرئ بحكمه وهو
العزيز فلا يرد حكمه وقضاؤه العليم بجميع الاشياء التي من جملتها ما يقضى به والفاء في قوله تعالى فتوكل على الله لترتيب الامر على ما ذكر من شؤونه عز وجل
فانها موجبة للتوكل عليه وداعية الى الامر به اي فتوكل على الله الذي هذا شأنه فانه موجب على كل احد ان يتوكل عليه ويفوض جميع اموره اليه
وقوله تعالى انك على الحق المبين تعليل صريح للتوكل عليه بكونه عليه السلام على الحق المبين او الفصل بينه وبين الباطل او بين المحق والمبطل فان
كونه عليه السلام كذلك مما يوجب الوثوق بحفظه تعالى ونصرته وتأييده لا محالة وقوله تعالى انك لا تسمع الموتى الخ تعليل آخر للتوكل الذي هو عبارة
عن التبتل الى الله تعالى وتفويض الامر اليه والاعراض عن التشبث بما سواه وقد علل اولا بما يوجبه من جهته تعالى اعني قضاءه بالحق وعزته
وعلمه تعالى وثانيا بما يوجبه من جهته عليه السلام على احد الوجهين اعني كونه عليه السلام على الحق ومن جهته تعالى على الوجه الآخر اعني اعانته تعالى وتأييده
للمحق ثم علل ثالثا بما يوجبه لكن لا بالذات بل بواسطة ايجابه للاعراض عن التشبث بما سواه فان كونهم كالموتى والصم والعمي موجب لقطع
الطمع عن مشايعتهم ومعاضدتهم رأسا وداع الى تخصيص الاعتضاد به تعالى وهو المعنى بالتوكل عليه تعالى وانما شبهوا بالموتى لعدم تأثرهم
بما يتلى عليهم من القوارع واطلاق الاسماع عن المفعول لبيان عدم سماعهم لشيء من المسموعات ولعل المراد تشبيه قلوبهم بالموتى فيما ذكر من عدم الشعور فان
القلب مشعر من المشاعر واشير الى بطلانه بالمرة ثم بين بطلان مشعري الاذن والعين كما في قوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون
بها ولهم آذان لا يسمعون بها والا فبعد تشبيه انفسهم بالموتى لا يظهر لتشبيههم بالصم والعمي مزيد فريه ولا تسمع الصم الدعاء اي الدعوة الى امر من الامور وتقييد
النفي بقوله تعالى اذا ولوا مدبرين لتكميل التشبيه وتأكيد النفي فانهم مع كونهم الداعي بمقابلة صماخهم قريبا منه فكيف اذا كان خلفهم بعيدا منه وقرئ ولا يسمع الصم

الدعاء وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم هداية موصلة الى المطلوب كما في قوله تعالى فانك لا تهدي من احببت فان الاهتداء منوط بالبصر وعن متعلقة بالهداية
باعتبار تضمنه معنى الصرف وقيل بالعمي يقال عمي عن كذا وفيه بعد وايراد الجملة الاسمية للمبالغة في نفي الهداية وقرئ وما انت تهدي العمي ان تسمع اي ما
تسمع سماعا يجدي السامع نفعا الا من يؤمن بآياتنا اي من شأنهم الايمان بها وايراد الاسماع في النفي والاثبات دون الهداية مع قربها بان
يقال ان تهدي الا من يؤمن الخ لما ان طريق الهداية هو اسماع الآيات التنزيلية فهم مسلمون تعليل لايمانهم بها كانه قيل فانهم منقادون للحق
وقيل مخلصون لله تعالى من قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله واذا وقع القول عليهم بيان لما اشير اليه بقوله تعالى بعض الذي تستعجلون من بقية ما
تستعجلونه من الساعة ومباديها والمراد بالقول ما نطق من الآيات الكريمة بمجيء الساعة وما فيها من فنون الاهوال التي كانوا يستعجلونها وبوقوعه
قيامها وحصولها عبر عن ذلك به للايذان بشدته وقوعها وتأثيرها واسناده الى القول لما ان المراد بيان وقوعها من حيث انها مصداق للقول
الناطق بمجيئها وقد اريد بالوقوع دنوه واقترابه كما في قوله تعالى اتى امر الله اي اذا دنى وقوع مدلول القول المذكور الذي لا يكادون يسمعونه
ومصداقه اخرجنا لهم دابة من الارض وهي الجساسة وفي التعبير عنها باسم الجنس وتأكيد ابهامه بالتنوين التفخيمي من الدلالة على غرابة شأنها
وخروج اوصافها عن اطوار البيان ما لا يخفى وقد ورد في الحديث ان طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروي ان لها اربع قوائم
ولها زغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها رأس ثور وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة
هرة وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام وقال وجهها وجه رجل وباقي خلقها خلق الطير وروي
عن علي رضي الله عنه فيها كل لون ما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن رضي الله عنه لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة ايام وعن علي رضي الله عنه انها تخرج
ايام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل من اين تخرج الدابة فقال من اعظم المساجد حرمة على الله تعالى
يعني المسجد الحرام وروي انها تخرج ثلاث خرجات تخرج باقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا فبينا الناس في اعظم المساجد حرمة على
الله تعالى واكرمها فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل
تخرج من الصفا وروي بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى
فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام فتضرب المؤمن في مسجده بالعصا فتنكت نكتة بيضاء فتفشو حتى يضيء لها وجهه وتكتب بين
عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في انفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر ثم تقول لهم انت يا فلان من اهل الجنة وانت يا فلان من
اهل النار وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاي هذه وروي ابو هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بئس الشعب شعب اجياد مرتين او ثلاثا قال ولم ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين
الخافقين فتكلمهم بالعربية بلسان ذلق وذلك قوله تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون اي تكلمهم بانهم كانوا لا يوقنون بآيات الله تعالى الناطقة
بمجيء الساعة ومباديها او بجميع آياته التي من جملتها تلك الآيات وقيل بآياته التي من جملتها خروجها بين يدي الساعة والاول هو الحق كما ستحيط به علما
وقرئ بان الناس الآية واضافة الآيات الى نون العظمة لانها حكاية منه تعالى لمعنى قولها لا لعين عبارتها وقيل لانها حكاية منها لقول الله عز وجل
وقيل لاختصاصها به تعالى واثرتها عنده كما يقول بعض خواص الملك خيلنا وبلادنا وانما الخيل والبلاد لمولاه وقيل هناك مضاف محذوف اي بآيات ربنا
ووصفهم بعدم الايقان بها مع انهم كانوا جاحدين بها للايذان بانه كان من حقهم ان يوقنوا بها ويقطعوا بصحتها وقد اتصفوا بنقيضه وقرئ ان الناس
بالكسر على اضمار القول واجراء الكلام مجراه والكلام في الاضافة كالذي سبق وقيل هو استئناف مسوق من جهته تعالى لتعليل اخراجها او تكليمها ويرده الجمع
بين صيغتي الجمع والمستقبل فانه صريح في كونه لعدم ايقانهم السابق في الدنيا والمراد بالناس اما الكفرة على الاطلاق او مشركو مكة وقد روي عن وهب
انها تخبر كل من تراه ان اهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون وقرئ تكلمهم من الكلم الذي هو الجرح والمراد به ما نقل من الوسم بالعصا والخاتم وقد
جوز كون القراءة المشهورة ايضا منه لمعنى التكثير ولا يخفى بعده ويوم نحشر من كل امة فوجا بيان اجمالي لحال المكذبين عند قيام الساعة بعد
بيان بعض مباديها ويوم منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمراد بهذا الحشر هو الحشر للعذاب بعد الحشر الكلي الشامل لكافة الخلق وتوجيه الامر
بالذكر الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه مرارا اي واذكر لهم وقت حشرنا اي جمعنا من كل امة من امم
الانبياء عليهم السلام او من اهل كل قرن من القرون جماعة كثيرة فمن تبعيضية لان كل امة منقسمة الى مصدق ومكذب وقوله تعالى ممن يكذب

بآياتي الناطقة بلقاء يومكم هذا وقوله تعالى **فهم يوزعون** جملة حالية مفيدة لزيادة شناعة التكذيب وغاية قبحه ومؤكدة للإنكار والتوبيخ أي
أكذبتم بها بادي الرأي غير ناظرين فيها نظراً يؤدي إلى العلم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق حتماً وهذا نص في أن المراد بالآيات فيما سلف في الموضعين هي
الآيات القرآنية لأنها هي المنطوية على دلائل الصحة وشواهد الصدق التي لم يحيطوا بها علماً مع وجوب أن يتأملوا ويتدبروا فيها لا نفس الساعة وقيل
هو معطوف على كذبتم أي أجمعتم بين التكذيب وعدم التدبر فيها **أم ماذا كنتم تعملون** أي أم أي شيء كنتم تعملون بها أو أم أي شيء كنتم تعملون غير ذلك
بمعنى أنه لم يكن لهم عمل غير ذلك كأنهم لم يخلقوا إلا للكفر والمعاصي مع أنهم ما خلقوا إلا للإيمان والطاعة يخاطبون بذلك تبكيتاً ثم يكبون في النار وذلك
قوله تعالى **ووقع القول عليهم** أي حل بهم العذاب الذي هو مدلول القول الناطق بحلوله ونزوله **بما ظلموا** بسبب ظلمهم الذي هو تكذيبهم بآيات الله
فهم لا ينطقون لانقطاعهم عن الجواب بالكلية وابتلائهم بشغل شاغل من العذاب الأليم **ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه** الرؤية قلبية لا بصرية
لأن نفس الليل والنهار وإن كانا من المبصرات لكن جعلهما كما ذكر من قبيل المعقولات أي ألم يعلموا أنا جعلنا الليل بما فيه من الإظلام ليستريحوا فيه بالنوم
والقرار **والنهار مبصراً** أي ليبصروا بما فيه من الإضاءة طرق التقلب في أمور المعاش فبولغ فيه حيث جعل الإبصار الذي هو حال الناس حالاً له ووصفاً
من أوصافه التي جعل عليها بحيث لا ينفك عنها ولم يسلك في الليل هذا المسلك لما أن تأثير ظلام الليل في السكون ليس بمثابة تأثير النهار في الإبصار
إن في ذلك أي في جعلهما كما وصفا وما في اسم الإشارة من معنى البعد للإشعار ببعد درجته في الفضل **لآيات** أي عظيمة كثيرة **لقوم يؤمنون** دالة
على صحة البعث وصدق الآيات الناطقة به دلالة واضحة كيف لا وأن من تأمل في تعاقب الليل والنهار واختلافهما على وجوه بديعة مبنية على حكم
رائقة يحار في فهمها العقول ولا يحيط بها إلا الله عز وعلا وشاهد في الآفاق تبدل ظلمة الليل المحاكية للموت بضياء النهار المضاهي للحياة
وعاين في نفسه تبدل النوم الذي هو أخو الموت بالانتباه الذي هو مثل الحياة قضى بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور قضاء
متقناً وجزم بأنه تعالى قد جعل هذا أنموذجاً له ودليلاً يستدل به على تحققه وأن الآيات الناطقة به وبكون حال الليل والنهار برهاناً عليه وسائر
الآيات كلها حق نازل من عند الله تعالى **ويوم ينفخ في الصور** إما معطوف على يوم نحشر منصوب بناصبه أو بمضمر معطوف عليه والصور هو القرن الذي ينفخ فيه
إسرافيل عليه السلام عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه
إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره إلى العرش متى يؤمر قال قلت يا رسول الله ما الصور قال القرن قال قلت كيف هو قال عظيم والذي نفسي بيده إن
أعظم دارة فيه كعرض السموات والأرض فيؤمر بالنفخ فيه فينفخ نفخة لا يبقى عندها في الحياة أحد غير من شاء الله تعالى وذلك قوله تعالى فصعق من في السموات
ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم يؤمر بأخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت إلا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون
والذي يستدعيه سياق النظم الكريم وسياقه أن المراد بالنفخ ههنا هي النفخة الثانية وبالفزع في قوله تعالى **ففزع من في السموات ومن في الأرض** ما يعتري
الكل عند البعث والنشور بمشاهدة الأمور الهائلة الخارقة للعادات في الأنفس والآفاق من الرعب والتهيب الضروريين الجبليين وإيراد صيغة الماضي
مع كون المعطوف عليه أعني ينفخ مضارعاً للدلالة على تحقق وقوعه إثر النفخ ولعل تأخير بيان الأحوال الواقعة عند ابتداء النفخة عن بيان ما يقع بعدها من
حشر المكذبين من كل أمة لتثنية التهويل بتكرير التذكير إيذاناً بأن كل واحد منهما طامة كبرى وداهية دهياء حقيقة بالتذكير على حيالها ولو روعي الترتيب
الوقوعي لربما توهم أن الكل داهية واحدة قد أمر بذكرها كما مر في قصة البقرة **إلا من شاء الله** أي أن لا يفزع قيل هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل
عليهم السلام وقيل الحور والخزنة وحملة العرش **وكل** أي كل واحد من المبعوثين عند النفخة **أتوه** حضروا الموقف بين يدي رب العزة جل جلاله للسؤال
والجواب والمناقشة والحساب وقيل أتاه باعتبار لفظ الكل كما أن القراءة الأولى باعتبار معناه وقرئ أتوه حاضروه **داخرين** أي صاغرين
وقرئ دخرين وقوله تعالى **وترى الجبال** عطف على ينفخ داخل في حكم التذكير وقوله عز وعلا **تحسبها جامدة** أي ثابتة في أماكنها إما بدل منه أو حال من
ضمير ترى أو من مفعوله وقوله تعالى **وهي تمر مر السحاب** حال من ضمير الجبال في تحسبها أو في جامدة أي تراها رأي العين ساكنة والحال أنها تمر مر
السحاب التي تسيرها الرياح سيراً حثيثاً وذلك أن الأجرام العظام إذا تحركت نحو سمت لا تكاد تتبين حركتها وعليه قول من قال شعر بأرعن مثل الطود
تحسب أنهم وقوف لحاج والركاب تهملج وقد أدمج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب في تخلخل الأجزاء وانتفاشها كما في قوله تعالى
وتكون الجبال كالعهن المنفوش وهذا أيضاً مما يقع عند النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الأرض غير الأرض ويغير هيئاتها ويسير الجبال عن
مقارها على ما ذكر من الهيئة الهائلة ليشاهدها أهل المحشر وهي وإن اندكت وتصدعت عند النفخة الأولى لكن تسييرها وتسوية الأرض إنما يكونان

إنما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً يومئذ
يتبعون الداعي لا عوج له يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فإن اتباع الداعي الذي هو إسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله تعالى
لا يكون إلا بعد النفخة الثانية وقد قالوا في تفسير قوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم إن صيغة الماضي في المعطوف مع كون المعطوف
عليه مستقبلاً للدلالة على تقدم الحشر على التسيير والرؤية كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك هذا وقد قيل إن المراد هي النفخة الأولى والفزع هو الذي يستتبع الموت
لغاية شدة الهول كما في قوله تعالى فصعق من في السموات ومن في الأرض الخ فيختص أثرها بمن كان حياً عند وقوعها دون من مات قبل ذلك من الأمم
وجواز أن يراد بالإتيان داخرين رجوعهم إلى أمره تعالى وانقيادهم له ولا ريب في أن ذلك مما ينبغي أن ينزه ساحة التنزيل عن أمثاله وأبعد من هذا ما قيل
إن المراد بهذه النفخة نفخة الفزع الذي يكون قبل نفخة الصعق وهي التي أريدت بقوله تعالى وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق فيسير الله تعالى
عنده الجبال فتمر مر السحاب فتكون سراباً وترج الأرض بأهلها رجاً كالسفينة الموثقة في البحر أو كالقنديل المعلق ترجحه الأرياح فإنه مما لا ارتباط له
بالمقام قطعاً والحق الذي لا محيد عنه ما قدمناه ومما هو نص في الباب ما سيأتي من قوله تعالى وهم من فزع يومئذ آمنون **صنع الله** مصدر مؤكد
لمضمون ما قبله أي صنع الله ذلك صنعاً على أنه عبارة عما ذكر من النفخ في الصور وما ترتب عليه جميعاً قصد به التنبيه على عظم شأن تلك الأفاعيل وتهويل
أمرها والإيذان بأنها ليست بطريق إخلال نظام العالم وإفساد أحوال الكائنات بالكلية من غير أن يدعو إليها داعية أو يكون لها عاقبة بل هي من قبيل بدائع
صنع الله تعالى المبنية على أساس الحكمة المستتبعة للغايات الجميلة التي لأجلها رتبت مقدمات الخلق ومبادي الإبداع على الوجه المتين والنهج الرصين كما
يعرب عنه قوله تعالى **الذي أتقن كل شيء** أي أحكم خلقه وسواه على ما تقتضيه الحكمة وقوله تعالى **إنه خبير بما تفعلون** تعليل لكون ما ذكر صنعاً محكماً له تعالى ببيان أن
علمه تعالى بظواهر أفعال المكلفين وبواطنها مما يدعو إلى إظهارها وبيان كيفياتها على ما هي عليه من الحسن والسوء وترتيب أجزيتها عليها بعد بعثهم وحشرهم
وجعل السموات والأرض والجبال على وفق ما نطق به التنزيل ليتحققوا بمشاهدة ذلك أن وعد الله حق لا ريب فيه وقرئ بما يفعلون وقوله تعالى **فله خير منها**
بيان لما أشير إليه بإحاطة علمه تعالى بأفعالهم من ترتيب أجزيتها عليها أي من جاء منكم أو من أولئك الذين أتوه تعالى بالحسنة فله من الجزاء ما هو خير
منها إما باعتبار أنه أضعافها وإما باعتبار دوامه وانقضائها وقيل فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
الحسنة كلمة الشهادة **وهم** أي الذين جاؤوا بالحسنات **من فزع** أي عظيم هائل لا يقادر قدره وهو الفزع الحاصل من مشاهدة العذاب بعد تمام المحاسبة
وظهور الحسنات والسيئات وهو الذي في قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الأكبر وعن الحسن رضي الله عنه يوم يؤمر بالعبد إلى النار وقال ابن جريج حين يذبح الموت
وينادي المنادي يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت **يومئذ** أي يوم إذ ينفخ في الصور **آمنون** لا يعتريهم ذلك الفزع الهائل
ولا يلحقهم ضرره أصلاً وأما الفزع الذي يعتري كل من في السموات ومن في الأرض غير من استثناه الله تعالى فإنما هو التهيب والرعب الحاصل في ابتداء النفخة
من معاينة فنون الدواهي والأهوال ولا يكاد يخلو منه أحد بحكم الجبلة وإن كان آمناً من لحوق الضرر والأمن يستعمل بالجار وبدونه كما في قوله أفأمنوا
مكر الله وقرئ من فزع يومئذ بالإضافة مع كسر الميم وفتحها أيضاً والمراد هو الفزع المذكور في القراءة الأولى لا جميع الأفزاع الحاصلة يومئذ ومدار
الإضافة كونه أعظم الأفزاع وأكبرها كأن ما عداه ليس بفزع بالنسبة إليه **ومن جاء بالسيئة** قيل هو الشرك **فكبت وجوههم في النار** أي كبوا فيها على
وجوههم منكوسين أو كبت فيها أنفسهم على طريقة ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة **هل تجزون إلا ما كنتم تعملون** على الالتفات للتشديد أو على إضمار القول أي
مقولاً لهم ذلك **إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها** أمر عليه السلام بأن يقول لهم ذلك بعد ما بين لهم أحوال المبدأ والمعاد وشرح أحوال
القيامة تنبيهاً لهم على أنه قد أتم أمر الدعوة بلا مزيد عليه ولم يبق له عليه السلام بعد ذلك شأن سوى الاشتغال بعبادة الله عز وجل والاستغراق في
مراقبته غير مبال بهم ضلوا أم رشدوا صلحوا أو فسدوا ليحملهم ذلك على أن يهتموا بأمور أنفسهم ولا يتوهموا من شدة اعتنائه عليه السلام بأمر دعوتهم
أنه عليه السلام يظهر لهم ما يلجئهم إلى الإيمان لا محالة ويشتغلوا بتدارك أحوالهم ويتوجهوا نحو التدبر فيما شاهدوه من الآيات الباهرة والبلدة
هي مكة المعظمة وتخصيصها بالإضافة لتفخيم شأنها وإجلال مكانها والتعرض لتحريمه تعالى إياها تشريف لها بعد تشريف وتعظيم إثر تعظيم مع ما فيه من
الإشعار بعلة الأمر وموجب الامتثال به كما في قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت الخ ومن الرمز إلى غاية شناعة ما فعلوا فيها ألا يرى أنها مع كونها
محرمة من أن تنتهك حرمتها باختلاء خلاها وعضد شجرها وتنفير صيدها وإرادة الإلحاد فيها بوجه من الوجوه قد استمروا فيها على تعاطي أفجر أفراد
الفجور وأشنع آحاد الإلحاد حيث تركوا عبادة ربها ونصبوا فيها الأوثان وعكفوا على عبادتها قاتلهم الله أنى يؤفكون وقرئ حرمها بالتخفيف

وقوله تع وله كل شيء اي خلقاً وملكاً وتصرفاً من غير ان يشاركه شيء في شيء من ذلك تحقيق للحق وتنبيه على ان افراد مكة بالاضافة لما ذكر من
التفخيم والتشريف مع عموم الربوبية لجميع الموجودات وامرت ان اكون من المسلمين اي اثبت على ما كنت عليه من كوني من جملة الثابتين على ملة الاسلام
والتوحيد اي الذين اسلموا وجوههم لله خالصة من قوله ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وان اتلو القرآن اي واظب على تلاوته لينكشف لي
حقائقه الرائقة المخزونة في تضاعيفه شيئاً فشيئاً او على تلاوته على الناس بطريق تكرير الدعوة وتثنية الارشاد فيكون ذلك تنبيهاً
على كفايته في الهداية والارشاد من غير حاجة الى اظهار معجزة اخرى فمعنى قوله تع فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه حينئذ فمن اهتدى
بالايمان به والعمل بما فيه من الشرائع والاحكام وعلى الاول فمن اهتدى باتباعه اياي فيما ذكر من العبادة والاسلام وتلاوة القرآن
فانما منافع اهتدائه عائدة اليه لا الي ومن ضل بالكفر به والاعراض عن العمل بما فيه او بمخالفتي فيما ذكر فقل في حقه انما انا من المنذرين وقد
خرجت عن عهدة الانذار فليس علي من وبال ضلاله شيء وانما هو عليه فقط وقل الحمد لله اي على ما افاض علي من نعمائه التي اجلها نعمة
النبوة المستتبعة لفنون النعم الدينية والدنيوية ووفقني لتحمل اعبائها وتبليغ احكامها الى كافة الورى بالآيات البينة والبراهين النيرة
وقوله تع سيريكم آياته من جملة الكلام المأمور به اي سيريكم الله في الدنيا آياته الباهرة التي نطق بها القرآن كخروج الدابة وسائر
الاشراط وقد عد منها وقعة بدر ويأباه قوله تع فتعرفونها اي فتعرفون انها آيات الله تع لا ينفعكم المعرفة لا يعترفون بكون
وقعة بدر كذلك وقيل سيريكم في الآخرة وقوله تع وما ربك بغافل عما تعملون كلام مسوق من جهته تع بطريق التذييل مقرر لما قبله متضمن
للوعد والوعيد كما ينبئ عنه اضافة الرب الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم وتخصيص الخطاب اولا به عليه السلام وتعميمه ثانيا للكفرة تغليبا
اي وما ربك بغافل عما تعمل انت من الحسنات وما تعملون انتم ايها الكفرة من السيئات فيجازي كلا منكم بعمله لا محالة وقرئ عما يعملون على الغيبة
فهو وعيد محض والمعنى وما ربك بغافل عن اعمالهم فيعذبهم الله فلا يحسبوا ان تأخير عذابهم لغفلته تع عن اعمالهم الموجبة له عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وهود وصالح وابرهيم وشعيب عليهم السلام ومن
كذب بهم ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله محمد رسول الله

سورة طس القصص

بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين قد مر ما يتعلق به من الكلام بالاجمال والتفصيل في اشباهه نتلو عليك اي
نقرأ بواسطة جبريل عليه السلام ويجوز ان يكون التلاوة مجازاً من التنزيل من نبإ موسى وفرعون مفعول نتلو اي بعض نبائهما بالحق متعلق
بمحذوف هو حال من فاعل نتلو او من مفعوله او صفة لمصدره اي نتلو عليك بعض نبائهما ملتبسين او ملتبساً بالحق او تلاوة ملتبسة
بالحق لقوم يؤمنون متعلق بنتلو وتخصيصهم بذلك مع عموم الدعوة والبيان للكل لانهم المنتفعون به ان فرعون علا في الارض استئناف
جار مجرى التفسير للمجمل الموعود وتصديره بحرف التاكيد للاعتناء بتحقيق مضمون ما بعده اي انه تجبر وطغى في الارض مصر وجاوز الحدود المعهودة
في الظلم والعدوان وجعل اهلها شيعاً اي فرقاً يشايعونه في كل ما يريده من الشر والفساد او يشيع بعضهم بعضاً في طاعته او اصنافاً
في استخدامه يستعمل كل صنف في عمل ويستخره فيه من بناء وحرث وحفر وغير ذلك من الاعمال الشاقة ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية او فرقاً
مختلفة قد اغرى بينهم العداوة والبغضاء لئلا تتفق كلمتهم يستضعف طائفة منهم وهم بنو اسرائيل والجملة اما حال من فاعل جعل
او صفة لشيعاً او استئناف وقوله تع يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم بدل منها وكان ذلك لما ان كاهناً قال له يولد في بني اسرائيل مولود
يذهب ملكك على يده وما ذاك الا لغاية حمقه اذ لو صدق فما فائدة القتل وان كذب فما وجهه انه كان من المفسدين اي الراسخين
في الافساد ولذلك اجترأ على مثل تلك العظيمة من قتل المعصومين من اولاد الانبياء عليهم السلام ونريد ان نمن تتفضل على الذين استضعفوا في الارض على الوجه
المذكور بانجائهم من بأسه وصيغة المضارع في نريد حكاية حال ماضية وهو معطوف على ان فرعون علا الخ لتناسبهما في الوقوع في حيز التفسير للنبا
او حال من يستضعف بتقدير المبتدا اي يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم وليس من ضرورة مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة
المراد له لما ان تعلق الارادة للمن تعلق استقبالي على ان منة الله تع عليهم بالخلاص لما كانت في شرف الوقوع جاز اجراؤها مجرى الواقع المقارن
ووضع الموصول موضع الضمير لابانة قدر النعمة في المنة بذكر حالتهم السابقة المباينة لها ونجعلهم ائمة يقتدى بهم في امور الدين بعد ان
كانوا اتباعاً مسخرين لآخرين ونجعلهم الوارثين لجميع ما كان منتظماً في سلك ملك فرعون وقومه وراثة معهودة فيما بينهم كما ينبئ عنه تعريف

الوارثين وتأخير ذكر وراثتهم له عن ذكر جعلهم ائمة مع تقدمها عليه زماناً لانحطاط رتبتها عن الامامة ولئلا ينفصل عنه ما بعده مع كونه
من روادفه اعني قوله تع ونمكن لهم في الارض الخ اي نسلطهم على مصر والشام يتصرفون فيها كيف ما يشاؤن واصل التمكين ان يجعل للشيء مكاناً
يتمكن فيه ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم اي من اولئك المستضعفين ما كانوا يحذرون ويجتهدون في دفعه من ذهاب ملكهم
وهلاكهم على يد مولود منهم وقرئ يرى بالياء ورفع ما بعده على الفاعلية واوحينا الى ام موسى بالهام او رؤيا ان ارضعيه ما امكنك اخفاؤه
فاذا خفت عليه بان يحس به الجيران عند بكائه وينموا عليه فالقيه في اليم في البحر وهو النيل ولا تخافي عليه ضيعة بالغرق ولا شدة
عن قريب بحيث تأمنين عليه وجاعلوه من المرسلين والجملة تعليل للنهي عن الخوف والحزن وايثار الجملة الاسمية وتصديرها بحرف التحقيق للاعتناء
بتحقيق مضمونها اي انا فاعلون لرده وجعله من المرسلين لا محالة روي ان بعض القوابل الموكلات من قبل فرعون بحبالى بني اسرائيل كانت مصافية
لام موسى عليه السلام فقالت لها لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه
قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون ولكني وجدت لابنك في قلبي محبة ما وجدت مثلها لاحد فاحفظيه فلما خرجت
جاء عيون فرعون فلفته في خرقة فالقته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئاً فخرجوا وهي لا تدري مكانه
فسمعت بكاء من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله تع النار عليه برداً وسلاماً فلما الح فرعون في طلب الولدان اوحى الله تع اليها ما اوحى
وقد روي انها ارضعته ثلثة اشهر في تابوت يردي حليه بالقار من داخله والقاء في قوله تع فالتقطه آل فرعون فصيحة مفصحة عن عطفه على جملة مترتبة
على ما قبلها من الامر بالالقاء قد حذفت تعويلاً على دلالة الحال وايذاناً بكمال سرعة الامتثال اي فالقته في اليم بعد ما جعلته في التابوت حسبما
امرت فالتقطه آل فرعون اي اخذوه اخذ اعتناء به وصيانة له عن الضياع قال ابن عباس وغيره كان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها
وكانت من اكرم الناس اليه وكان بها برص شديد عجزت الاطباء عن علاجه فقالوا لا تبرأ الا من قبل البحر يؤخذ منه شبه الانس يوم كذا وساعة
كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون في مجلس له على شفير النيل ومعه امرأته آسية
بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف الصديق عليه السلام وقيل كانت من بني اسرائيل من سبط موسى عليه السلام
وقيل كانت عمته حكاه السهيلي واقبلت بنت فرعون في جواريها حتى جلست على شاطئ النيل فاذا بتابوت في النيل تضربه الامواج فتعلق بشجرة فقال
فرعون ائتوني به فابتدروا بالسفن فاحضروه بين يديه فعالجوا فتحه فلم يقدروا عليه وقصدوا كسره فاعياهم فنظرت آسية فرأت نوراً في جوف
التابوت لم يره غيرها فعالجته ففتحته فاذا هي بصبي صغير في مهده واذا نور بين عينيه وهو يمص ابهامه فالقى الله محبته في قلوب القوم وعمدت
ابنة فرعون الى ريقه فلطخت به برصها فبرأت من ساعتها وقيل لما نظرت الى وجهه برئت فقالت الغواة من قوم فرعون انا نظن ان هذا هو الذي
نحذر منه رمي في البحر فرقاً منك فاقتله فهم فرعون بقتله فاستوهبته آسية فتركه كما سيأتي واللام في قوله تع ليكون لهم عدواً وحزناً لام العاقبة
ابرز مدخولها في معرض العلة لالتقاطهم تشبيهاً له في الترتب عليه بالغرض الحامل عليه وقرئ حزناً وهما لغتان كالسقم والسقم جعل عليه السلام نفس الحزن
ايذاناً بقوة سببيته لحزنهم ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين اي في كل ما يأتون وما يذرون فلا غرو في ان قتلوا الاجلة الوفاء ثم اخذوه
ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون روي انهم ذبحوا في طلبه عليه السلام تسعين الف وليد وكانوا مذنبين فعاقبهم الله تع بان ربى عدوهم
على ايديهم فالجملة اعتراضية لتأكيد خطائهم او لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين على انه تخفيف خاطئين او على انه بمعنى متعدين الصواب
الى الخطأ وقالت امرأة فرعون اي لفرعون حين اخرجته من التابوت قرة عين لي ولك اي هو قرة عين لنا لما انهما لما رأياه احباه
او لما ذكر من برء ابنته من البرص بريقه وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله تع كما هداها لا تقتلوه خاطبته بلفظ
الجمع تعظيماً ليساعدها فيما تريده عسى ان ينفعنا فان فيه مخائل اليمن ودلائل النجابة وذلك لما رأت فيه من العلامات المذكورة او نتخذه ولداً اي
نتبناه فانه خليق بذلك وهم لا يشعرون حال من آل فرعون والتقدير فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً وقالت امرأته له كيت وكيت
وهم لا يشعرون بانهم على خطأ عظيم فيما صنعوا من الالتقاط ورجاء النفع منه والتبني له وقوله ان فرعون الآية اعتراض وقع بين المعطوفين
لتأكيد خطائهم وقيل حال من احد ضميري نتخذه على ان الضمير للناس اي وهم لا يعلمون انه لغيرنا وقد تبنيناه واصبح فؤاد ام موسى فارغاً صفراً
من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله تع وافئدتهم هواء اي خلاء لا عقول فيها ويعضده انه قرئ

ولا تحزني انا رادوه اليك

فرغا من قولهم وما هم بينهم فرغ اي صدر وقيل فارغا من الهم والحزن لغاية وثوقها بوعد الله تعالى او لسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه وقرئ
ام موسى بالهمز اجراء للضمة في جارة الواو مجرى ضمتها فهمزت كما في وجوه إن كادت لتبدي به اي انها كادت لتظهر بموسى بامره وقصته من
فرط الحيرة والدهشة او الفرح لتبنيه لولا أن ربطنا على قلبها بالصبر والثبات لتكون من المؤمنين اي المصدقين بوعد الله تعالى
او من الواثقين بحفظه لا لتبني فرعون وتعطفه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه وقالت لأخته مريم والتعبير عنها
باخوته عليه السلام دون ان يقال لبنتها للتصريح بمدار المحبة الموجبة للامتثال بالامر قصيه اي اتبعي اثره وتتبعي خبره فبصرت به اي ابصرته
عن جنب عن بعد وقرئ بسكون النون وعن جانب والكل بمعنى وهم لا يشعرون انها تقصه وتتعرف حاله او انها اخته وحرمنا عليه المراضع اي
منعناه ان يرتضع من المرضعات جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع او مرضع وهي الرضاع او موضعه اعني الثدي من قبل اي من قبل قصها اثره
فقالت عند رؤيتها لعدم قبوله الثدي واعتناء فرعون بامره وطلبهم من يقبل ثديها هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم اي لاجلكم
وهم له ناصحون لا يقصرون في ارضاعه وتربيته. روي ان هامان لما سمعه منها قال انها لتعرفه واهله فخذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما
اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان تأتي بمن يكفله فأتت بأمه وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله فدفعه اليها فلما وجد ريحها
استأنس والتقم ثديها فقال من انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك فقالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فقرره في
يدها واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومه وذلك قوله تعالى فرددناه الى امه كي تقر عينها بوصول ولدها اليها ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله
اي جميع ما وعدها من رده وجعله من المرسلين حق لا خلف فيه بمشاهدة بعضه وقياس بعضه عليه ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كذلك
فيرتابون فيه او ان الغرض الاصلي من الرد علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون ولما بلغ اشده
اي المبلغ الذي لا يزيد عليه نشؤه وذلك من ثلاثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروي انه لم يبعث نبي الا على راس الاربعين واستوى
اي اعتدل قده او عقله آتيناه حكما اي نبوة وعلما بالدين او علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما
يستجهل فيه وهو اوفق لنظم القصة لانه تعالى استنبأه بعد الهجرة في المراجعة وكذلك ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى وامه نجزي المحسنين على
احسانهم ودخل المدينة اي مصر من قصر فرعون وقيل منف او حابين او عين الشمس من نواحيها على حين غفلة من اهلها في وقت لا يعتاد
دخولها او لا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشائين فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته اي ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل
وهذا من عدوه اي من مخالفيه دينا وهم القبط والاشارة على الحكاية فاستغاثه الذي من شيعته اي سأله ان يغيثه بالاعانة كما يشعر به
تعديته بعلى وقرئ استعانه على الذي من عدوه فوكزه موسى اي ضرب القبطي بجمع كفه وقرئ فلكزه اي فضرب به صدره فقضى عليه فقتله
واصله انهى حياته من قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر قال هذا من عمل الشيطان لانه لم يكن مأمورا بقتل الكفار او لانه كان مأمونا فيما بينهم فلم يكن له
اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر عنه جريا على سنن المقربين في استعظام ما
فرط منهم ولو كان من محقرات الصغائر انه عدو مضل مبين ظاهر العداوة والاضلال قال توسيط بين كلامه عليه السلام للابانة ما بينهما
من المخالفة من حيث انه مناجاة ودعاء بخلاف الاول رب اني ظلمت نفسي اي بقتله فاغفر لي ذنبي فغفر له ذلك انه هو الغفور الرحيم
المبالغ في مغفرة ذنوب عباده ورحمتهم قال رب بما انعمت علي اما قسم محذوف الجواب اي اقسم بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن فلن اكون بعد
ابدا ظهيرا للمجرمين واما استعطاف اي بحق انعامك علي اعصمني فلن اكون معينا لمن تؤدي معاونته الى الجرم وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه عليه السلام لم يستثن فابتلي به مرة اخرى وهذا يؤيد الاول وقيل معناه بما انعمت علي من القوة اعين اولياءك فلن استعملها
في مظاهرة اعدائك فاصبح في المدينة خائفا يترقب يترصد الاستقادة او الاخبار فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه اي يستغيثه
برفع الصوت من الصراخ قال له موسى انك لغوي مبين اي بين الغواية تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو موسى
عدو لهما اي لموسى وللاسرائيلي اذ لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء لبني اسرائيل على الاطلاق وقرئ يبطش بضم الطاء قال اي
الاسرائيلي ظانا انه عليه السلام يبطش به حسبما يوهمه تسميته اياه غويا يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس قالوا لما سمع القبطي
قول الاسرائيلي علم ان موسى هو الذي قتل ذلك الفرعوني فانطلق الى فرعون فاخبره بذلك وامر فرعون بقتل موسى عليه السلام وقيل قاله

قاله القبطي ان تريد اي ما تريد الا ان تكون جبارا في الارض وهو الذي يفعل كلما يريده من الضرب والقتل ولا ينظر في العواقب وقيل المتعظم الذي لا
يتواضع لامر الله تعالى وما تريد ان تكون من المصلحين بين الناس بالقول والفعل وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى اي يسرع صفة لرجل او حال منه على ان الجار
والمجرور صفة له لا متعلق بجاء فان تخصيصه يلحقه بالمعارف قيل هو مؤمن من آل فرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل شمعان قال يا موسى ان الملأ يأتمرون
بك ليقتلوك اي يتشاورون بسببك فان كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر فاخرج اي من المدينة اني لك من الناصحين اللام للبيان
لا ان معمول الصلة لا يتقدمها فخرج منها اي من المدينة خائفا يترقب لحوق الطالبين قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني منهم واحفظني
من لحوقهم ولما توجه تلقاء مدين اي نحو مدين وهي قرية شعيب عليه السلام سميت باسم مدين بن ابراهيم ولم تكن تحت سلطان فرعون وكان
بينها وبين مصر ثمانية ايام قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل توكلا على الله تعالى وثقة بحسن توفيقه وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلث طرق
فاخذ في الوسطى وجاء الطلاب فشرعوا في الاخريين وقيل خرج حافيا لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدميه وقيل جاء ملك على فرس
وبيده عنزة فانطلق به الى مدين ولما ورد ماء مدين اي وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها وجد عليه اي فوق شفيرها امة جماعة
كثيفة يسقون اي مواشيهم ووجد من دونهم في موضع اسفل منهم امرأتين تذودان اي تمنعان ما معهما من الاغنام عن التقدم الى
البئر كيلا تختلط باغنامهم مع عدم الفائدة في التقدم قال عليه السلام لهما حين رأى حالهما على ما هما عليه ما خطبكما ما شأنكما
عليه من التأخر والذود ولم لا تباشران السقي كدأب هؤلاء قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء اي عادتنا ان لا نسقي حتى يصرف الرعاء مواشيهم بعد
ريها عن الماء عجزا عن مساجلتهم وحذرا عن مخالطة الرجال لا انا لا نسقي اليوم الى تلك الغاية وحذف مفعول السقي والذود والاصدار
لما ان الغرض هو بيان تلك الافعال انفسها اذ هي التي دعت موسى عليه السلام الى ما صنع في حقهما من المعروف فانه عليه السلام انما رحمهما لكونهما على
الذياد والعجز والعفة وكونهم على السقي غير مبالين بهما وما رحمهما لكون مذودهما غنما ومسقيهم ابلا مثلا وقرئ لا نسقي من الاسقاء ويصدر من الصدور
والرعاء بضم الراء وهي اسم جمع كالرجال واما الرعاء فجمع قياسي كصيام وقيام وقوله تعالى وابونا شيخ كبير ابلاء منهما للعذر اليه عليه السلام في توليهما
للسقي بانفسهما كانهما قالتا انا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم وما لنا رجل يقوم بذلك وابونا شيخ كبير قد
اضعفه الكبر فلا بد لنا من تأخير السقي الى ان يقضي الناس اوطارهم من الماء فسقى لهما رحمة عليهما والكلام في حذف مفعوله كما مر آنفا روي ان
الرعاة كانوا يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل اربعون وقيل مائة فاقله موسى عليه السلام وحده مع ما كان
به من الوصب والجراحة والجوع ولعله عليه السلام زاحمهم في السقي لهما فوضعوا الحجر على البئر لتعجيزه عليه السلام عن ذلك فان الظاهر انه عليه السلام عقيب ما
ساعدهما سارع الى السقي لهما وقد روي انه دفعهم عن الماء الى ان سقى لهما وقيل كانت هناك بئر اخرى عليها الصخرة المذكورة وروي انه عليه السلام
سألهم دلوا من ماء فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكان لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها في الحوض بالبركة وروى غنمهما واصدرهما
ثم تولى الى الظل الذي كان هناك فقال رب اني لما انزلت الي اي اي شيء انزلته الي من خير جل او قل وحمله الاكثرون على الطعام بمعونة المقام
فقير اي محتاج ولتضمنه معنى السؤال والطلب جيء بلام الدعامة لتقوية العمل وقيل المعنى لما انزلت الي من خير عظيم هو خير الدارين صرت فقيرا في الدنيا
لانه كان في سعة من العيش عند فرعون قاله عليه السلام اظهارا للتبجح والشكر على ذلك فجاءته احداهما قيل هي كبراهما واسمها صفوراء او صفراء
وقيل صغراهما واسمها صفيراء اي جاءته عقيب ما رجعتا الى ابيهما روي انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما
قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه لي وقوله تعالى تمشي على استحياء متعلق بمحذوف هو حال من ضمير تمشي اي جاءته
تمشي كائنة على استحياء ومعناه انها كانت على استحياء حالتي المشي والمجيء معا لا عند المجيء فقط وتنكير استحياء للتفخيم قيل جاءته متخفرة اي
شديدة الحياء وقيل قد استترت بكم درعها قالت استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية مجيئها اياه عليه السلام كأنه قيل فماذا قالت له عليه السلام
فقيل قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا اي جزاء سقيك لنا اسندت الدعوة الى ابيها وعللتها بالجزاء لئلا يوهم كلامها ريبة وفيه من
الدلالة على كمال العقل والحياء والعفة ما لا يخفى روي انه عليه السلام اجابها فانطلقا وهي امامه فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها
امشي خلفي وانعتي لي الطريق ففعلت حتى اتيا دار شعيب عليهما السلام فلما جاءه وقص عليه القصص اي ما جرى عليه من الخبر المقصوص فانه مصدر سمي
به المفعول كالعلل قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين الذي يلوح من ظاهر النظم الكريم ان موسى عليه السلام انما اجاب المستدعي من غير تلعثم

التبرك برؤية شعيب عليه السلام واستظهر برأيه لا ليأخذ بمعروفه أجرا حسبما صرحت به الآية الى ما روي ان شعيبا لما قدم اليه طعاما قال انا اهل بيت
لا نبيع دينا بطلاع الارض ذهبا ولا ناخذ على المعروف ثمنا ولم يتناول حتى قال شعيب عليه السلام هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا فتناول بعد ذلك
على سبيل التقبل لمعروف مبتدأ كيف لا وقد قص عليه قصصه وعرفه انه من بيت النبوة من اولاد يعقوب عليهم السلام ومثله حقيق بان يضيف ويكرم لا سيما في
دار نبي من انبياء الله تعالى عليهم السلام وقيل ليس بمستنكر منه عليه السلام ان يقبل الاجر لاضطرار الفقر والفاقة وقد روي عن عطاء بن السائب انه عليه السلام
رفع صوته بدعائه ليسمعها ولذلك قيل له ليجزيك الخ ولعله عليه السلام انما فعله ليكون ذريعة الى استدعائه لا الى استيفاء الاجر قالت احديهما وهي التي
استدعت الى ابيها وهي التي زوجها من موسى عليه السلام يا أبت استأجره اي لرعي الغنم والقيام بامرها ان خير من استأجرت القوي الامين تعليل جار
مجرى الدليل على انه حقيق بالاستيجار وللمبالغة في ذلك جعل خير اسما لان وذكر الفعل على صيغة الماضي للدلالة على انه امين مجرب روي ان شعيبا عليه السلام
قال لها وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت ما شاهدت منه عليه السلام من اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب راسه حتى بلغته رسالتك وامرها
بالمشي خلفه قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تاجرني اي تكون اجيرا لي او تثيبني من اجرته كذا اذا اثبته كذا فقوله تعالى ثماني
حجج على الاول ظرف وعلى الثاني مفعول به على تقدير مضاف اي رعية ثماني حجج ظرف كالوجه الاول فان اتممت عشرا في الخدمة والعمل فمن عندك اي فهو من
عندك بطريق التفضل لا من عندي بطريق الالزام عليك وهذا من شعيب عرض لرايه على موسى عليهما السلام واستدعاء منه للعقد لا انشاء وتحقيق له
بالفعل وما اريد ان اشق عليك بالزام تمام العشر او المناقشة في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك
اعتقادك في اطاقته ويوزع رايك في مزاولته ستجدني ان شاء الله من الصالحين في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالعهد ومراده عليه السلام
بالاستثناء التبرك وتفويض امره الى توفيقه تعالى لا تعليق صلاحه بمشيئته تعالى قال ذلك بيني وبينك مبتدأ وخبر اي ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه
وشارطتني عليه قائم وثابت بيننا جميعا لا يخرج عنه واحد منا لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت على نفسك وقوله تعالى ايما الاجلين اي
اكثرهما او اقصرهما قضيت اي وفيتكه باداء الخدمة فيه فلا عدوان علي تصريح بالمراد وتقرير لامر الخيرة اي لا عدوان علي بطلب الزيادة على ما قضيته
من الاجلين وتعميم انتفاء العدوان لكلا الاجلين بصدد المشارطة مع عدم تحقق العدوان في اكثرهما راسا للقصد الى التسوية بينهما في الانتفاء
اي كما لا اطالب بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة على الثماني وايما الاجلين قضيت فلا اثم علي يعني كما لا اثم علي في قضاء الاكثر لا اثم علي في قضاء
الاقصر فقط وقرئ ايما الاجلين ما قضيت فما مزيدة لتاكيد القضاء كما انها في القراءة الاولى مزيدة لتاكيد ابهام اي شيء وشياعها وقرئ ايما بسكون
الياء كقول من قال تنظرت نصرا والسماكين ايهما * علي من الغيث استهلت مواطره والله على ما نقول من الشروط الجارية بيننا وكيل شاهد
وحفيظ فلا سبيل لاحد منا الى الخروج عنه اصلا وليس ما حكي عنهما عليهما السلام تمام ما جرى بينهما من الكلام في انشاء عقد النكاح وعقد الاجارة
وايقاعهما بل هو بيان لما عزما عليه واتفقا على ايقاعه حسبما يتوقف عليه مساق القصة اجمالا من غير تعرض لبيان مواجب العقدين في تلك الشريعة
تفصيلا روي انهما لما اتما العقد قال شعيب لموسى عليه السلام ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي وكانت عنده عصي الانبياء عليهم السلام
فاخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب عليه السلام فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال غيرها
فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شانا وقيل اخذها جبريل عليه السلام بعد موت آدم عليه السلام فكانت معه حتى لقي بها موسى عليه السلام
وقيل اودعها شعيبا ملك في صورة رجل فامر بنته ان تاتيه بعصا فاتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها
وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا ان يحكم بينهما اول طالع فاتاهما الملك فقال القياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى
عليه السلام وعن الحسن رضي الله عنه ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبي رحمه الله الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت
عصاه ولما اصبح قال له شعيب عليهما السلام اذا بلغت مفرق الطريق فلا تاخذ على يمينك فان الكلا وان كان بها اكثر الا ان فيها تنينا اخشاه
عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها ومشى على اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل فحاربته
العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى عليه السلام دامية فلما ابصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب عليهما السلام
مر الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فاخبره عليه السلام بالشان ففرح وعلم ان لموسى والعصا شانا وقال له اني وهبت لك من نتاج
غنمي هذا العام كل ادرع ودرعاء فاوحي اليه في المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما اخطأت واحدة الا وضعت ادرع ودرعاء

ودرعاء فوفى له بشرطه والفاء في قوله تعالى فلما قضى موسى الاجل فصيحة اي فعقدا العقدين وباشر موسى عليه السلام ما التزمه فلما اتم الاجل وسار باهله نحو مصر
باذن من شعيب عليهما السلام روي انه عليه السلام قضى ابعد الاجلين ومكث عنده بعد ذلك عشر سنين ثم عزم على العود الى مصر فاستاذنه في ذلك
فاذن له فخرج باهله آنس من جانب الطور اي ابصر من الجهة التي تلي الطور نارا قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر اي بخبر
الطريق وقد كانوا ضلوه او جذوة اي عود غليظ سواء كانت في راسه نار او لا قال قائلهم باتت حواطب ليلى يلتمسن لها * جزل الجذى غير خوار
ولا دعر وقال والقى على قبس من النار جذوة * شديدا عليها حرها والتهابها ولذلك بين بقوله تعالى من النار وقرئ بكسر الجيم وبضمها
وكلها لغات لعلكم تصطلون اي تستدفئون فلما اتاها اي النار التي آنسها نودي من شاطئ الواد الايمن اي اتاه النداء من شاطئه الايمن بالنسبة
الى موسى عليه السلام في البقعة المباركة متصل بالشاطئ او صلة لنودي من الشجرة بدل الاشتمال من شاطئ لانها كانت نابتة على الشاطئ
ان يا موسى اني انا الله رب العالمين وهذا وان خالف لفظا لما في طه والنمل لكنه موافق له في المعنى المراد وان الق عصاك عطف على ان يا موسى وكلاهما
مفسر لنودي والفاء في قوله تعالى فلما رآها تهتز فصيحة معربة عن جمل قد حذفت تعويلا على دلالة الحال عليها واشعارا بغاية سرعة تحققها كانها
اي فالقاها فصارت ثعبانا فاهتزت فلما رآها تهتز كانها جان اي في سرعة الحركة مع غاية عظم جثتها ولى مدبرا اي منهزما من الخوف
ولم يعقب اي لم يرجع يا موسى اي قيل يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين عن المخاوف فانه لا يخاف لدي المرسلون اسلك يدك في جيبك
اي ادخلها فيه تخرج بيضاء من غير سوء اي عيب واضمم اليك جناحك اي يديك المبسوطتين لتتقي بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى
تحت العضد الايسر واليسرى تحت الايمن او بادخالهما في الجيب فيكون تكرير الغرض آخر هو ان يكون ذلك في وجه العدو واظهار جراءة ومبدأ لظهور
معجزة ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا ثعبانا استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا امن واطمان
ضمهما اليه من الرهب اي من اجل الرهب اي اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرئ بضم الراء وسكون الهاء وبضمهما وكل لغات
فذانك برهانان اشارة الى العصا واليد وقرئ بتشديد النون فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك برهانان حجتان نيرتان وبرهان فعلان لقولهم
ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال للمراة البيضاء برهاء وبرهرهة ونظيره تسمية الحجة سلطانا من السليط وهو الزيت
لانارتها وقيل هو فعلال لقولهم برهن ومن في قوله تعالى من ربك متعلق بمحذوف هو صفة لبرهانان اي كائنان منه تعالى الى فرعون وملائه واصلان
ومنتهيان اليهم انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن حدود الظلم والعدوان فكانوا احقاء بان نرسلك اليهم بهاتين المعجزتين الباهرتين قال
رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون بمقابلتها واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا اي معينا وهو في الاصل اسم ما يعان به
كالدفء وقرئ ردا بالتخفيف يصدقني بتلخيص الحق وتقرير الحجة بتوضيحها وتزييف الشبهة اني اخاف ان يكذبون ولساني لا يطاوعني عند المحاجة وقيل
المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرئ يصدقني بالجزم على انه جواب الامر قال سنشد عضدك باخيك اي سنقويك
به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد ونجعل لكما سلطانا اي تسلطا وغلبة وقيل حجة
وليس بذاك فلا يصلون اليكما باستيلاء او محاجة باياتنا متعلق بمحذوف قد صرح به في مواضع اخر اي اذهبا باياتنا او بنجعل اي نسلطكما
باياتنا او بمعنى لا يصلون اي تمتنعون منهم بها وقيل هو قسم وجوابه لا يصلون وقيل هو بيان للغالبون في قوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون بمعنى
انه صلة لما يبينه او صلة له على ان اللام للتعريف لا بمعنى الذي فلما جاءهم موسى باياتنا بينات اي واضحات الدلالة على صحة رسالته منه
تعالى والمراد بها العصا واليد اذ هما اللتان اظهرهما موسى عليه السلام اذ ذاك والتعبير عنهما بصيغة الجمع قد مر سره في سورة طه قالوا ما هذا الا
سحر مفترى اي سحر مختلق لم يفعل قبل هذا مثله او سحر تعمله ثم تفتريه على الله تعالى او سحر موصوف بالافتراء كسائر اصناف السحر وما سمعنا بهذا اي السحر او ادعاء النبوة
في آبائنا الاولين اي واقعا في ايامهم وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده يريد به نفسه وقرئ قال بغير واو لانه جواب عن مقالتهم ووجه العطف ان
المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد ومن تكون له عاقبة الدار اي العاقبة المحمودة في الدار وهي الدنيا وعاقبتها الاصلية
هي الجنة لانها خلقت مجازا الى الآخرة ومزرعة لها والمقصود بالذات منها الثواب واما العقاب فمن نتائج اعمال العصاة وسيئات الغواة وقرئ يكون بالياء
التحتانية انه لا يفلح الظالمون اي لا يفوزون بمطلوب ولا ينجون عن محذور وقال فرعون يا ايها الملا ما علمت لكم من اله غيري قاله اللعين بعد ما جمع السحرة
وتصدى للمعارضة فكان من امرهم ما كان فاوقد لي يا هامان على الطين اي اصنع آجرا فاجعل لي منه صرحا اي قصرا رفيعا لعلي اطلع الى اله موسى كانه توهم

انه لو كان لكان جسما في السماء يمكن الرقي اليه ثم قال واني لاظنه من الكاذبين او اراد ان يبني له رصدا يترصد منه اوضاع الكواكب فيرى هل فيها
ما يدل على بعثة رسول الله وتبدل دولته وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم كما في قوله تعالى قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض فان معناه
بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاء معلوماتها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل اول
من اتخذ الآجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه بياء في وسط الكلام واستكبر هو
وجنوده في الارض ارض مصر بغير الحق بغير استحقاق وظنوا انهم الينا لا يرجعون بالبعث للجزاء وقرئ بفتح الياء وكسر الجيم من رجع رجوعا والاول من رجع
رجعا وهو انسب بالمقام فاخذناه وجنوده عقيب ما بلغوا من الكفر والعتو اقصى الغايات فنبذناهم في اليم قد مر تفصيله وفيه من تفخيم شأن الاخذ
وتهويله واستحقار المأخوذين المنبوذين ما لا يخفى كأنه تعالى اخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في البحر ونظيره قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره
والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وبينها للناس ليعتبروا بها وجعلناهم اي صيرناهم في عهدهم
ائمة يدعون الى النار الى ما يؤدي اليها من الكفر والمعاصي اي قدوة يقتدي بهم اهل الضلال لما صرفوا اختيارهم الى تحصيل تلك الحالة وقيل سميناهم
ائمة دعاة الى النار كما في قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا فالانسب ح ان يكون الجعل بعدهم فيما بين الامم ويكون الدعوة الى
نفس النار وقيل معنى الجعل منع الالطاف الصارفة عن ذلك ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة
طردا وابعادا من الرحمة ولعنا من اللاعنين حيث لا تزال تلعنهم الملائكة والمؤمنون خلفا عن سلف ويوم القيمة هم من المقبوحين من المطرودين
المبعدين وقيل من الموسومين بعلامة منكرة كزرقة العيون وسواد الوجوه قاله ابن عباس رضي الله عنهما يقال قبحه الله وقبحه اذا جعله قبيحا وقال ابو
عبيدة من المقبوحين المهلكين ويوم القيمة اما متعلق بالمقبوحين على ان اللام للتعريف لا بمعنى الذي او بمحذوف يفسره ذلك كأنه قيل وقبحوا يوم القيمة
نحو اني لعملكم من القالين ولقد آتينا موسى الكتاب اي التوراة من بعد ما اهلكنا القرون الاولى هم اقوام نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام
والتعرض لبيان كون ايتائها بعد اهلاكهم للاشعار بمساس الحاجة الداعية اليه تمهيدا لما يعقبه من بيان الحاجة الداعية الى انزال القرآن
الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان اهلاك القرون الاولى موجب لاندراس معالم الشرائع وانطماس آثارها واحكامها المؤدي الى
اختلال نظام العالم وفساد احوال الامم المستدعين للتشريع الجديد بتقرير الاصول الباقية على مر الدهور وترتيب الفروع المتبدلة بتبدل
العصور وتذكير احوال الامم الخالية الموجبة للاعتبار كأنه قيل ولقد آتينا موسى التوراة على حين حاجة اليها بصائر للناس اي انوارا
لقلوبهم تبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل حيث كانت عميا عن الفهم والادراك بالكلية فان البصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما
ان البصر نور العين الذي به تبصر وهدى حيث ينال من عمل بها رحمة الله تعالى وانتصاب الكل على الحالية من الكتاب على ان نفس البصائر والهدى
والرحمة او على حذف المضاف اي ذا بصائر الى آخره وقيل على العلة اي آتيناه الكتاب للبصائر والهدى والرحمة لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال
يرجى منهم التذكر وقد مر تحقيق القول في ذلك عند قوله تعالى لعلكم تتقون من سورة البقرة وقوله تعالى وما كنت بجانب الغربي شروع في بيان
انزال القرآن الكريم ايضا واقع في زمان شدة مساس الحاجة اليه واقتضاء الحكمة له البتة وقد صدر بتحقيق كونه وحيا صادقا من عند الله
عز وجل ببيان ان الوقوف على ما فصل من الاحوال لا يتسنى الا بالمشاهدة او التعلم ممن شاهدها وحيث انتفى كلاهما تبين انه بوحي من علام
الغيوب لا محالة على طريقة قوله تعالى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم الآية اي وما كنت بجانب الجبل الغربي او المكان الغربي الذي
وقع فيه الميقات على حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه او الجانب الغربي على اضافة الموصوف الى الصفة كمسجد الجامع اذ قضينا الى موسى الامر اي
عهدنا اليه واحكمنا امر نبوته بالوحي وايتاء التوراة وما كنت من الشاهدين اي من جملة الشاهدين للوحي وهم السبعون المختارون للميقات حتى تشاهد ما جرى
من امر موسى عليه السلام في ميقاته وكتبه التوراة له في الالواح فتخبره للناس ولكنا انشأنا قرونا اي ولكنا خلقنا بين زمانك وزمان موسى
قرونا كثيرة فتطاول عليهم العمر وتمادى الامد فتغيرت الشرائع والاحكام وعميت عليهم الانباء لا سيما على آخرهم فاقتضى الحال التشريع الجديد
فاوحينا اليك فحذف المستدرك اكتفاء بذكر ما يوجبه ويدل عليه وقوله تعالى وما كنت ثاويا في اهل مدين نفي لاحتمال كون معرفته عليه السلام للقصة
بالسماع ممن شاهدها اي وما كنت مقيما في اهل مدين من شعيب والمؤمنين به وقوله تعالى تتلوا عليهم اي تقرأ على اهل مدين بطريق التعلم منهم آياتنا
اي وقت ندائنا موسى اني انا الله رب العالمين واستنبائنا اياه وارسالنا له الى فرعون ولكن رحمة من ربك اي ولكن ارسلناك بالقرآن الناطق

الناطق بما ذكر وبغيره لرحمة عظيمة كائنة منا لك وللناس وقيل علمناك وقيل عرفناك ذلك وليس بذاك كما ستعرفه والالتفات الى اسم الرب للاشعار بعلة
الرحمة وتشريفه عليه السلام بالاضافة وقد اكتفي عن ذكر المستدرك ههنا بذكر ما يوجبه من جهته تعالى كما اكتفي عنه في الاول بذكر ما يوجبه من جهة الناس وصرح به
فيما بينهما تنصيصا على ما هو المقصود واشعارا بانه المراد فيهما ايضا ولله در شان التنزيل وقوله تعالى لتنذر قوما متعلق بالفعل المعلل بالرحمة
فهو ما ذكرنا من ارساله عليه السلام بالقرآن حتما لما انه المعلل بالانذار لا تعليم ما ذكر وقرئ رحمة بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى
ما اتاهم من نذير من قبلك صفة لقوما اي لم يأتهم نذير لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة او بينك وبين اسمعيل بناء
على ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني اسرائيل لعلهم يتذكرون اي يتعظون بانذارك وتغيير الترتيب الوقوعي بين قضاء الامر والثواء
في اهل مدين والنداء للتنبيه على ان كلا من ذلك برهان مستقل على ان حكايته عليه السلام للقصة بطريق الوحي الالهي ولو ذكر اولا نفي ثوائه عليه السلام
في اهل مدين ثم نفي حضوره عليه السلام عند النداء ثم نفي حضوره عليه السلام عند قضاء الامر كما هو الموافق للترتيب الوقوعي لربما توهم ان الكل
دليل واحد على ما ذكر كما مر في قصة البقرة ولولا ان تصيبهم مصيبة اي عقوبة بما قدمت ايديهم اي بما اقترفوا من الكفر والمعاصي فيقولوا عطف
على تصيبهم داخل في حيز لولا الامتناعية على ان مدار انتفاء ما يجاب به هو امتناعه لا امتناع المعطوف عليه وانما ذكره في حيزها للايذان بانه
السبب الملجئ لهم الى قولهم ربنا لولا ارسلت الينا رسولا اي هلا ارسلت الينا رسولا مؤيدا من عندك بالآيات فنتبع آياتك الظاهرة على يدك وهو جواب
لولا الثانية ونكون من المؤمنين بها وجواب لولا الاولى محذوف ثقة بدلالة الحال عليه والمعنى لولا قولهم هذا عند اصابة عقوبة جناياتهم التي
قدموها ما ارسلناك لكن لما كان قولهم ذلك محققا لا محيد عنه ارسلناك قطعا لمعاذيرهم بالكلية فلما جاءهم اي اهل مكة الحق من عندنا وهو
القرآن المنزل عليه عليه السلام قالوا تعنتا واقتراحا لولا اوتي يعنونه عليه السلام مثل ما اوتي موسى من الكتاب المنزل جملة واما اليد والعصا
فلا تعلق لهما بالمقام كسائر معجزاته عليه السلام وقوله تعالى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل رد عليهم واظهار لكون ما قالوه تعنتا محضا لا طلبا لما
يرشدهم الى الحق اي الم يكفروا من قبل هذا القول بما اوتي موسى من الكتاب كما كفروا بهذا الحق وقوله تعالى قالوا استئناف مسوق لتقرير كفرهم المستفاد
من الانكار السابق وبيان كيفيته وقوله تعالى سحران خبر لمبتدأ محذوف اي هما يعنون ما اوتي موسى ومحمد عليهما السلام سحران تظاهرا اي تعاونا بتصديق
كل واحد منهما الآخر وذلك انهم بعثوا رهطا منهم الى رؤساء اليهود في عيد لهم فسألوهم عن شأنه عليه السلام فقالوا انا نجده في التوراة بنعته
وصفته فلما رجع الى الرهط واخبروهم بما قالت اليهود قالوا ذلك وقوله تعالى وانا بكل اي بكل واحد من الكتابين كافرون تصريح بكفرهم بهما وتأكيد
لكفرهم المفهوم من تسميتهما سحرا وذلك لغاية عتوهم وتماديهم في الكفر والطغيان وقرئ ساحران تظاهرا يعنون موسى ومحمدا صلى الله عليهما وسلم هذا هو
الذي يستدعيه جزالة النظم الجليل فتأمل ودع عنك ما قيل وقيل الا ترى الى قوله تعالى قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما اوتياه من التوراة
والقرآن وسميتموهما سحرين فانه نص فيما ذكر وقوله تعالى اتبعه جواب للامر اي ان تأتوا به اتبعه ومثل هذا الشرط مما يأتي به من يدل بوضوح حجته وسنوح
محجته لان الاتيان بما هو اهدى من الكتابين امر بين الاستحالة فيوسع دائرة الكلام للتبكيت والافحام ان كنتم صادقين اي في انهما سحران مختلقان
وفي ايراد كلمة ان مع امتناع صدقهم نوع تهكم بهم فان لم يستجيبوا لك اي فان لم يفعلوا ما كلفتهم من الاتيان بكتاب اهدى منهما كقوله تعالى فان لم
تفعلوا وانما عبر عنه بالاستجابة ايذانا بانه عليه السلام على كمال امن من امره كأن امره عليه السلام لهم بالاتيان بما ذكر دعاء لهم الى امر يريد
وقوعه والاستجابة تتعدى الى الدعاء بنفسه والى الداعي باللام فيحذف الدعاء عند ذكر الداعي غالبا ولا يكاد يقال استجاب الله له دعاءه فاعلم انما
يتبعون اهواءهم الزائغة من غير ان يكون لهم متمسك ما اصلا اذ لو كان لهم ذلك لأتوا به ومن اضل ممن اتبع هواه استفهام انكاري
للنفي اي لا اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله اي هو اضل من كل ضال وان كان ظاهر السبك لنفي الاضل لا لنفي المساوي كما مر في نظائره مرارا
وتقييد اتباع الهوى بعدم الهدى من الله تعالى لزيادة التقرير والاشباع في التشنيع والتضليل والا فمقارنته لهدايته تعالى بينة الاستحالة
ان الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالانهماك في اتباع الهوى والاعراض عن الآيات الهادية الى الحق المبين ولقد وصلنا لهم القول وقرئ
بالتخفيف اي انزلنا القرآن عليهم متواصلا بعضه اثر بعض حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة او متتابعا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح
لعلهم يتذكرون فيؤمنون بما فيه الذين آتيناهم الكتاب من قبله اي من قبل ايتاء القرآن هم به يؤمنون وهم مؤمنو اهل الكتاب وقيل اربعون
من اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام واذا يتلى اي القرآن عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا اي الحق

الذي كنا نقر وحقيقه وهو استيناف لبيان ما اوجب ايمانهم وقوله تع انا كنا من قبله اي من قبل نزوله مسلمين بيان لكون ايمانهم به امر متقادم العهد لما شاهدوا
ذكره في الكتاب المتقدمه وانهم على دين الاسلام قبل نزول القرآن مما ذكر من البعوث اولئك الموصوفون يؤتون اجرهم مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة
على ايمانهم بالقرآن بما صبروا بصبرهم وثباتهم على الايمانين وعلى الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده او على اذى من هاجرهم من اهل دينهم ومن المشركين ويدرؤن
بالحسنة السيئة اي يدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه السلام اتبع الحسنة السيئة تمحها ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير واذا سمعوا اللغو من اللاغين
اعرضوا عنه من اللغو تكرما كقوله تع واذا مروا باللغو مروا كراما وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم بطريق المشاركة والتوديع لا نبتغي الجاهلين
اي لا نطلب صحبتهم ولا نريد مخالطتهم انك لا تهدي هداية موصلة الى البغية لا محالة من احببت من الناس ولا تقدر على ان تدخله في الاسلام وان بذلت فيه غاية
المجهود وجاوزت في السعي كل حد معهود ولكن الله يهدي من يشاء اي يهديه فيدخله في الاسلام وهو اعلم بالمهتدين بالمستعدين لذلك والجمهور على انها
نزلت في ابي طالب فانه لما احتضر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج بها لك عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك
صادق ولكني اخشى ان يقال جزع عند الموت ولولا ان يكون عليك وعلى بني ابيك غضاضة بعدي لقلتها ولاقررت بها عينك عند الفراق لما ارى
من شدة وجدك ونصحك ولكني سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا نزلت في الحارث
ابن عثمان بن نوفل بن عبد مناف جد النبي صلى الله عليه وسلم ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب وانما نحن اكلة رأس ان يتخطفونا من
ارضنا فرد عليهم بقوله تع اولم نمكن لهم حرما آمنا اي الم نعصمهم ولم نجعل مكانهم حرما ذا امن لحرمة البيت الحرام الذي تتناحر العرب حوله وهم آمنون
يجبى اليه وقرئ تجبى اي يجمع ويحمل اليه ثمرات كل شيء من كل اوب والجملة صفة اخرى لحرما دافعة لما عسى يتوهم من تضررهم بانقطاع الميرة رزقا من
لدنا فاذا كان حالهم ما ذكروه عبدة الاصنام فكيف يخافون التخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد ولكن اكثرهم لا يعلمون اي جهلة لا يتفطنون
له ولا يتفكرون ليعلموا ذلك وقيل هو متعلق بقوله تع من لدنا اي قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله تع اذ لو علموا لما خافوا غيره
وانتصاب رزقا على انه مصدر مؤكد لمعنى يجبى او حال من الثمرات على انه بمعنى مرزوق لتخصصها بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس وانهم احقاء
بان يخافوا بأس الله تع بقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها اي وكثيرا من اهل قرية كانت حالهم كحال هؤلاء في الامن وخفض العيش والدعة
حتى اشروا فدمرنا عليهم وخربنا ديارهم فتلك مساكنهم خاوية بما ظلموا لم تسكن من بعدهم من بعد تدميرهم الا قليلا اي الا زمانا قليلا اذ لا يسكنها
الا المارة يوما او بعض يوم اذ لم يبق من يسكنها الا قليلا من شؤم معاصيهم وكنا نحن الوارثين منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف في ديارهم وسائر ذات
ايديهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك ظني مقيم او باضمار زمان مضاف اليه او بجعله مفعولا لبطرت بتضمين معنى
كفرت وما كان ربك مهلك القرى بيان للعناية الربانية اثر بيان اهلاك القرى المذكورة اي ما صح وما استقام بل استحال في سنته المبنية على
الحكم والمصالح البالغة او ما كان في حكمه الماضي وقضائه السابق ان يهلك القرى قبل الانذار بل كانت عادته ان لا يهلكها حتى يبعث في امها اي في
اصلها وقصبتها التي هي اعمالها وتوابعها لكون اهلها افطن وانبل رسولا يتلو عليهم آياتنا الناطقة بالحق ويدعوهم اليه بالترغيب والترهيب وذلك لالزام
الحجة وقطع المعذرة بان يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك والالتفات الى نون العظمة لتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تع وما كنا
مهلكي القرى عطف على ما كان ربك وقوله تع الا واهلها ظالمون استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي وما كنا مهلكين لاهل القرى بعدما بعثنا في
امها رسولا يدعوهم الى الحق ويرشدهم اليه في حال من الاحوال الا حال كونهم ظالمين بتكذيب رسولنا والكفر باياتنا فالبعث غاية لصحة عدم
الاهلاك بموجب السنة الالهية لا لعدم وقوعه حتى يلزم تحقق الاهلاك عقيب البعث وقد مر تحقيقه في سورة بني اسرائيل وما اوتيتم من شيء من امور
الدنيا فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها اي فهو شيء شأنه ان يتمتع ويتزين به اياما قلائل وما عند الله وهو الثواب خير في نفسه من ذلك لانه لذة
خالصة عن شوائب الالم وبهجة كاملة عارية عن سمة الهم وابقى لانه ابدي افلا تعقلون لا تتفكرون فلا تعقلون هذا الامر الواضح فتستبدلون الذي
هو ادنى بالذي هو خير وقرئ بالياء على الالتفات المبني على اقتضاء سوء صنيعهم والاعراض عن مخاطبتهم افمن وعدناه وعدا حسنا اي وعدا
بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه اي مدركه لا محالة لاستحالة الخلف في وعده تع ولذلك جيء بالجملة الاسمية المفيدة لتحققه البتة
وعطفت بالفاء المنبئة عن معنى السببية كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا الذي هو مشوب بالآلام منغص بالاكدار مستتبع للتحسر على الانقطاع ومعنى
الفاء الاولى ترتيب انكار التشابه بين اهل الدنيا واهل الآخرة على ما قبلها من ظهور التفاوت بين متاع الحيوة الدنيا وبين ما عند الله تعالى اي

اي بعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين الفريقين وقوله تع ثم هو يوم القيمة من المحضرين عطف على متعناه داخل معه في حيز الصلة مؤكد لانكار
التشابه ومقرر له كأنه قيل كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم نحضره او احضرناه يوم القيمة النار والعذاب وايثار الجملة الاسمية للدلالة
على التحقق ضمنا وفي جعله من جملة المحضرين من التهويل ما لا يخفى وثم للتراخي في الزمان او في الرتبة وقرئ ثم هو بسكون الهاء تشبيها
للمنفصل بالمتصل ويوم يناديهم منصوب بالعطف على يوم القيمة لاختلافهما عنوانا وان اتحدا ذاتا او باضمار اذكر فيقول تفسير للنداء اين
شركائي الذين كنتم تزعمون اي الذين كنتم تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان معا ثقة بدلالة الكلام عليهما قال استيناف مبني على حكاية
السؤال كأنه قيل فما صدر عنهم ح فقيل قال الذين حق عليهم القول وهم شركاء من الشياطين او رؤساؤهم اتخذوهم اربابا من
دون الله تع بان اطاعوهم في كل ما امروهم به ونهوهم عنه ومعنى حق عليهم القول انه ثبت مقتضاه وتحقق مؤداه وقوله تع لاملان جهنم
من الجنة والناس اجمعين وغيره من آيات الوعيد وتخصيصهم بهذا الحكم مع شموله للاتباع ايضا لاصالتهم في الكفر واستحقاق العذاب
حسبما يشعر به قوله تع لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم ومسارعتهم الى الجواب مع كون السؤال للعبدة واما لتفطنهم ان السؤال عنهم
لاستحضارهم وتوبيخهم بالاضلال وجزمهم بان العبدة سيقولون هؤلاء اضلونا واما لان العبدة قد قالوه اعتذارا وهؤلاء انما قالوا ما قالوا
ردا لقولهم الا انه لم يحك قول العبدة ايجازا لظهوره ربنا هؤلاء الذين اغوينا اي هم الذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول ومرادهم
بالاشارة بيان انهم يقولون ما يقولون بمحضر منهم وانهم غير قادرين على انكاره ورده وقوله تع اغويناهم كما غوينا هو الجواب حقيقة
وما قبله تمهيد له اي ما اكرهناهم على الغي وانما اغويناهم بطريق الوسوسة والتسويل لا بالقسر والالجاء فغووا باختيارهم غيا مثل غينا
باختيارنا ويجوز ان يكون الذين صفة لاسم الاشارة واغويناهم الخبر تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر والمعاصي هوى منهم وهو تقرير لما قبله
ولذلك لم يعطف عليه وكذلك قوله تع ما كانوا ايانا يعبدون اي ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة
بقوله تع تبرأنا اي تبرأنا من عبادتهم ايانا وقيل ادعوا شركاءكم اما تهكما بهم او تبكيتا لهم فدعوهم لفرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم ضرورة
عدم قدرتهم على الاستجابة والنصرة ورأوا العذاب قد غشيهم لو انهم كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما لقوا
ما لقوا وقيل لو للتمني اي تمنوا لو انهم كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين عطف على ما قبله سئلوا اولا عن اشراكهم وثانيا عن
جوابهم للرسل الذين نهوهم عن ذلك فعميت عليهم الانباء يومئذ اي صارت كالعمي عنهم لا تهتدي اليهم واصله فعموا عن الانباء وقد عكس للمبالغة والتنبيه على ان
ما يحضره الذهن يفيض عليه ويصل اليه من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره وتعديته الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء والاشتباه والمراد
بالانباء اما ما طلب منهم مما اجابوا به الرسل او جميع الانبياء وهي داخلة فيه دخولا اوليا واذا كانت الرسل عليهم السلام يفوضون العلم في ذلك المقام
الهائل الى علام الغيوب مع نزاهتهم عن غائلة المسؤول فما ظنك باولئك الضلال من الامم فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة
او العلم بان الكل سواء في الجهل فاما من تاب من الشرك وآمن وعمل صالحا اي جمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يكون من المفلحين اي الفائزين بالمطلوب
عنده تع الناجين عن المهروب وعسى للتحقيق على عادة الكرام او للترجي من قبل التائب بمعنى فليتوقع الافلاح وربك يخلق ما يشاء ان يخلقه
ويختار ما يشاء اختياره من غير ايجاب عليه تع ولا منع اصلا ما كان لهم الخيرة اي التخير كالطيرة بمعنى التطير والمراد نفي الاختيار المؤثر عنهم وذلك مما
لا ريب فيه وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روي انه نزل في قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم والمعنى لا يبعث الله الرسل باختيار المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذي كان لهم فيه الخير والصلاح سبحان الله وتعالى عما يشركون اي تنزه بذاته
تنزها خاصا به من ان ينازعه احد او يزاحم اختياره ~~وربك يعلم ما تكن~~ عن اشراكهم او عن مشاركة ما يشركون به وربك يعلم ما تكن صدورهم كعداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحقده وما يعلنون كالطعن فيه وهو الله اي المستحق للعبادة لا اله الا هو لا احد يستحقها الا هو له الحمد في الاولى والآخرة لانه المولي للنعم
كلها عاجلها وآجلها كالخلق كافة يحمده المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده
ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم اي القضاء النافذ في كل شيء من غير مشاركة فيه لغيره واليه ترجعون بالبعث لا الى غيره قل تقريرا لما ذكر ارأيتم
اي اخبروني ان جعل الله عليكم الليل سرمدا دائما من السرد وهو المتابعة والاطراد والميم مزيدة كما في دلامص من الدلاص تعالى درع دلاص اي
ملساء لينة الى يوم القيمة باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق الغائر من اله غير الله صفة لاله يأتيكم بضياء صفة اخرى له عليها يدور امر التبكيت

وتعالى عما يشركون

والالزام كما في قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض وقوله فمن يأتيكم بماء معين ونظائرهما خلا انه قصد بيان انتفاء الموصوف بانتفاء الصفة ولم يقل هل اله لان الغرض لا يراد التبكيت والالزام على زعمهم وقرئ بضئاء بهمزتين افلا تسمعون سماع تدبر واستبصار حتى تذعنوا له وتعملوا بموجبه قل ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة باسكانها في وسط السماء او بتحريكها على مدار فوق الافق من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه استراحة من متاعب الاشتغال ولعل تجريد الضياء عن ذكر منافعه لكونه مقصودا بذاته ظاهرا لاستتباعه لما نيط به من المنافع افلا تبصرون هذه المنفعة الظاهرة التي لا تخفى على من له بصر ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه اي في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار بانواع المكاسب ولعلكم تشكرون ولكي تشكروا نعمة الله تعالى فعل ذلك فعل ولتعرفوا نعمة الله تعالى وتشكروه عليها ويوم يناديهم منصوب باذكر فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون تقريع اثر تقريع للاشعار بانه لا شيء اجلب لغضب الله عز وجل من الاشراك كما لا شيء ادخل في مرضاته من توحيده سبحانه وقوله تعالى ونزعنا عطف على يناديهم وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وحال من فاعله باضمار قد والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال الاعتناء بشأن النزع وهو يليه اي اخرجنا من كل امة من الامم شهيدا نبيا يشهد عليهم بما كانوا عليه كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد فقلنا لكل من تلك الامم هاتوا برهانكم على صحة ما كنتم تدينون به فعلموا يومئذ ان الحق لله في الالهية لا يشاركه فيها احد وضل عنهم اي غاب غيبة الضائع ما كانوا يفترون في الدنيا من الباطل ان قارون كان من قوم موسى كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى عليه السلام بن عمران بن قاهث وقيل كان موسى عليه السلام ابن اخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وقيل كان اقرأ بني اسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري وقال اذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان لهرون فما لي روي انه لما جاوز بهم البحر وصارت الرسالة والحبورة والقربان لهرون وجد قارون في نفسه وحسدهما فقال لموسى الامر لكما ولست على شيء الى متى اصبر قال موسى عليه السلام هذا صنع الله تعالى قال لا اصدقك حتى تأتي باية فامر رؤساء بني اسرائيل ان يجيء كل واحد بعصاه فحزمها والقاها في القبة التي كان الوحي ينزل فيها فكانوا يحرسون عصيهم بالليل فاصبحوا فاذا بعصا هرون تهتز ولها ورق اخضر فقال قارون ما هو باعجب مما تصنع من السحر وذلك قوله تعالى فبغى عليهم فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره وظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني اسرائيل وقيل حسدهم وذلك ما ذكرناه في حق موسى وهرون عليهما السلام واتيناه من الكنوز اي الاموال المدخرة ما ان مفاتحه اي مفاتح صناديقه وهو جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح بالفتح لتنوء بالعصبة اولي القوة خبر ان والجملة صلة ما وهو ثاني مفعولي آتى وناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة وقرئ لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه كما مر في قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين اذ قال له قومه منصوب بتنوء وقيل ببغى ورد بان البغي ليس مقيدا بذلك الوقت وقيل بآتيناه ورد بان الايتاء ايضا غير مقيد به وقيل بمضمر فقيل هو اذكر وقيل هو اظهر الفرح ويجوز ان يكون منصوبا بما بعده من قوله تعالى قال انما اوتيته وتكون الجملة مقررة لبغيه لا تفرح اي لا تبطر والفرح في الدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضى بها والذهول عن ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح حتما ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل النهي ههنا بكونه مانعا من محبته عز وعلا ان الله لا يحب الفرحين اي بزخارف الدنيا وابتغ وقرئ واتبع فيما آتاك الله من الغنى الدار الآخرة اي ثواب الله تعالى فيها بصرفه الى ما يكون وسيلة اليه ولا تنس اي لا تترك ترك المنسي نصيبك من الدنيا وهو ان تحصل بها آخرتك وتأخذ منها ما يكفيك واحسن الى عباد الله تعالى كما احسن الله اليك فيما انعم به عليك وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن الله اليك بالانعام ولا تبغ الفساد في الارض نهي عما كان عليه من الظلم والبغي ان الله لا يحب المفسدين لسوء افعالهم قال مجيبا للناصح انما اوتيته على علم كانه يريد به الرد على قولهم كما احسن الله اليك لما فيه من انه تعالى انعم عليه بتلك الاموال والذخائر من غير سبب واستحقاق من قبله اي فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالمال والجاه وعلى علم في موقع الحال وهو علم التوراة وكان اعلمهم بها وقيل هو علم الكيمياء وقيل هو علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم فتح الكنوز والدفائن وعندي صفة له او متعلق باوتيته كقولك جاز هذا عندي اي في ظني ورأيي اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا توبيخ له من جهة الله عز وجل على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك قراءة في التوراة وتلقنا من موسى عليه السلام وسماعا من حفاظ التواريخ وتعجيب منه فالمعنى الم يقرأ التوراة ولم يعلم ما فعل الله تعالى باضرابه من اهل القرون السابقة حتى لا يغتر اغترارهم او رد لادعائه العلم وتعظمه به بنفي هذا العلم منه فالمعنى اعنده مثل ما ادعاه ولم يعلم

ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام بل يعذبون بها بغتة كأن قارون لما هدد بذكر اهلاك من قبله ممن كان اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين ذلكم حكم لا يختص باولئك المهلكين بل الله تعالى مطلع على ذنوب كافة المجرمين يعاقبهم عليها لا محالة فخرج على قومه عطف على قال وما بينهما اعتراض وقوله تعالى في زينته اما متعلق بخرج او بمحذوف هو حال من فاعله اي فخرج عليهم كائنا في زينته قيل خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج وقيل في تسعين الفا عليهم المعصفرات وهو اول يوم روي المعصفر قال الذين يريدون الحيوة الدنيا من المؤمنين جريا على سنن الجبلة البشرية من الرغبة في السعة واليسار يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون وعن قتادة انهم تمنوه ليتقربوا به الى الله تعالى وينفقوه في سبيل الله وقيل كان المتمنون قوما كفارا انه لذو حظ عظيم تعليل لتمنيهم وتاكيد له وقال الذين اوتوا العلم اي باحوال الدنيا والآخرة كما ينبغي وانما لم يوصفوا بارادة ثواب الآخرة تنبيها على ان العلم باحوال النشأتين يقتضي الاعراض عن الاولى والاقبال على الثانية حتما وان تمني المتمنين ليس الا لعدم علمهم بهما كما ينبغي ويلكم دعاء بالهلاك شاع استعماله في الزجر عما لا يرتضى ثواب الله في الآخرة خير مما تتمنونه لمن آمن وعمل صالحا فلا يليق بكم ان تتمنوه غير مكتفين بثوابه تعالى ولا يلقاها اي هذه الكلمة التي تكلم بها العلماء او الثواب فانه بمعنى المثوبة او الجنة او الايمان والعمل الصالح فانهما في معنى السيرة والطريقة الا الصابرون اي على الطاعات وعن الشهوات فخسفنا به وبداره الارض روي انه كان يؤذي موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل الف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى عليه السلام بين بني اسرائيل فجعل لبغي من بغايا بني اسرائيل الف دينار وقيل طستا من ذهب مملوءا ذهبا فلما كان يوم عيد قام موسى عليه السلام خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى رجمناه فقال قارون ولو كنت انت قال ولو كنت قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها عليه السلام ان تصدق فقالت جعل لي قارون جعلا على ان ارميك بنفسي فخر موسى عليه السلام ساجدا لربه يبكي ويقول يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحي اليه ان مر الارض بما شئت فقال يا بني اسرائيل ان الله تعالى بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وهم يناشدونه عليه السلام بالله تعالى وبالرحم وهو لا يلتفت اليهم لشدة غيظه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فاصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا موسى عليه السلام ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وامواله فما كان له من فئة جماعة مشفقة ينصرونه من دون الله بدفع العذاب عنه وما كان من المنتصرين اي الممتنعين منه بوجه من الوجوه يقال نصره من عدوه فانتصر اي منعه فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه منزلته بالامس منذ زمان قريب يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر اي يفعل كل واحد من البسط والقدر بمحض مشيته لا لكرامة توجب البسط ولا لهوان يقتضي القبض وويكأن عند البصريين مركب من وي للتعجب وكأن للتشبيه والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط الخ وعند الكوفيين من ويك بمعنى ويلك وان وتقديره ويك اعلم ان الله وانما يستعمل عند التنبيه على الخطأ والتندم والمعنى انهم قد تنبهوا على خطائهم في تمنيهم وتندموا على ذلك لولا ان من الله علينا بعدم اعطائه ايانا ما تمنيناه واعطانا مثل ما اعطاه اياه وقرئ لولا من الله علينا لخسف بنا كما خسف به وقرئ لخسف بنا على البناء للمفعول وبنا هو القائم مقام الفاعل وقرئ لانخسف بنا كقولك انقطع به وقرئ لتخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون لنعمة الله تعالى او المكذبون لرسله وبما وعدوا من ثواب الآخرة تلك الدار الآخرة اشارة تعظيم وتفخيم كانه قيل تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض اي غلبة وتسلطا ولا فسادا اي ظلما وعدوانا على العباد كدأب فرعون وقارون وفي تعليق الموعد بترك ارادتهما لا بترك انفسهما مزيد تحذير منهما وعن علي رضي الله عنه ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها والعاقبة الحميدة للمتقين اي الذين يتقون ما لا يرضاه الله تعالى من الافعال والاقوال من جاء بالحسنة فله خير منها ذاتا ووصفا وقدرا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات وضع فيه الموصول والظاهر موضع الضمير لتهجين حالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم الا ما كانوا يعملون اي الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل واقيم مقامه يعملون مبالغة في المماثلة ان الذي فرض عليك القرآن اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل به لرادك الى معاد اي معاد يتخطى اليه اعناق الهمم ويرنو اليه احداق الامم وهو المقام المحمود الذي وعدك ان يبعثك فيه وقيل هو مكة المعظمة على انه تعالى قد رده اليها

وهو بمكة في اذيته وشدة من اهلها انه يهاجر به منها ثم يعيده اليها بعز ظاهر وسلطان قاهر وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد
اشتاق الى مولده ومولد آبائه وحرم ابراهيم عليه السلام فنزل جبريل عليه السلام فقال له اتشتاق الى مكة قال نعم فاوحاها اليه قل ربي اعلم من جاء بالهدى
وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يدل عليه اعلم اي يعلم وقيل باعلم على انه بمعنى عالم ومن هو في ضلال مبين وما استحقه من العذاب
والاذلال يعني بذلك نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله تعالى وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب اي سيردك الى معادك كما القى
اليك الكتاب وما كنت ترجوه الا رحمة من ربك ولكن القاه اليك رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كانه قيل وما القي اليك الكتاب الا رحمة
اي لاجل الترحم فلا تكونن ظهيرا للكافرين بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم ولا يصدنك اي الكافرون عن آيات الله اي عن قراءتها
والعمل بها بعد اذ انزلت اليك وفرضت عليك وقرئ يصدنك من اصد المنقول من صد اللازم وادع الناس الى ربك الى عبادته وتوحيده
ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم في الامور ولا تدع مع الله الها آخر هذا وما قبله للتهييج والهاب وقطع اطماع المشركين عن مساعدته عليه السلام
لهم واظهار ان المنهي عنه في القبح والشرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن عنه صدوره اصلا لا اله الا هو وحده كل شيء هالك الا وجهه الا ذاته
فان ما عداه كائنا ما كان ممكن في حد ذاته عرضة للهلاك والعدم له الحكم اي القضاء النافذ في الخلق واليه ترجعون عند البعث للجزاء بالحق والعدل
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق بموسى وكذب به ولم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا

سورة العنكبوت

بسم الله الرحمن الرحيم الم الكلام فيه كالذي مر مرارا في نظائره من الفواتح الكريمة خلا ان ما بعده لا يحتمل ان يتعلق به تعلقا اعرابيا
احسب الناس الحسبان ونظائره لا تتعلق بمعاني المفردات بل بمضامين الجمل المفيدة لثبوت شيء لشيء او انتفاء شيء عن شيء بحيث يتحصل منها
مفعولا اما بالفعل كما في عامة المواقع واما بنوع تصرف فيها كما في الجمل المصدرة بان والواقعة صلة للموصول الاسمي او الحرفي فان كلا منها
صالحة لان يسبك منها مفعولاه لان قوله تعالى احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون في قوة ان يقال احسبوا انفسهم متروكين
بلا فتنة بمجرد ان يقولوا آمنا وان يقولوا احسبوا تركهم غير مفتونين بقولهم آمنا حاصلا متحققا والمعنى انكار الحسبان المذكور واستبعاده وتحقيق
انه تعالى يمتحنهم بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض ما تشتهيه النفس ووظائف الطاعات وفنون المصائب في الانفس والاموال ليتميز
المخلص من المنافق والراسخ في الدين من المتزلزل فيه ويجازيهم بحسب مراتب اعمالهم فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص
من الخلود في النار روي انها نزلت في ناس من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين جزعوا من اذية المشركين وقيل في عمار قد عذب في الله
وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رماه عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابوه وامرأته وهو اول من استشهد يومئذ
من المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة ولقد فتنا الذين من قبلهم
متصل بقوله تعالى احسب او بقوله لا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة مبنية على الحكم البالغة جارية فيما بين الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافها
والمعنى ان الامم الماضية قد اصابتهم من ضروب الفتن والمحن ما هو اشد مما اصاب هؤلاء فصبروا كما يعرب عنه قوله تعالى وكاين من نبي قتل
معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا الآيات وعن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من قبلكم يوضع فيوخذ
المنشار على راسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن
الله الذين صدقوا اي في قولهم آمنا وليعلمن الكاذبين في ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما يفصح عنه ما قبلها من وقوع الامتحان واللام جواب القسم
والالتفات الى الاسم الجليل لادخال الروعة وتربية المهابة وتكرير الجواب لزيادة التاكيد والتقرير اي فوالله ليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا
يتميز به الذين صدقوا في الايمان الذي ظهر منهم والذين هم كاذبون فيه مستمرون على الكذب ويترتب عليه اجزيتهم من الثواب والعقاب ولذلك
قيل المعنى ليميزن او ليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام اي وليعرفنهم او ليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجوه وسوادها
ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا اي يفوتونا فلا نقدر على مجازاتهم بمساوي اعمالهم وهو ساد مسد مفعولي حسب لاشتماله على
مسند ومسند اليه وام منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ بانكار حسبانهم متروكين غير مفتونين الى التوبيخ بانكار ما هو ابطل
من الحسبان الاول وهو حسبانهم ان لا يجازوا بسيئاتهم وهم وان لم يحسبوا انهم يفوتونه تعالى ولم يحدثوا انفسهم بذلك لكنهم حيث

حيث اصروا على المعاصي ولم يتفكروا في العاقبة نزلوا منزلة من يطمع في ذلك كما في قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده ساء ما يحكمون اي بئس الذي يحكمونه
حكمهم ذلك او بئس حكما يحكمونه ذلك من كان يرجوا لقاء الله اي يتوقع ملاقاة جزائه ثوابا وعقابا او ملاقاة حكمه يوم القيمة وقيل يرجو لقاء الله
عز وجل في الجنة وقيل يرجو ثوابه وقيل يخاف عقابه وقيل لقاؤه تعالى عبارة عن الوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء
على تمثيل تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد علم مولاه بجميع ما كان ياتي ويذر فاما ان يلقاه ببشر وكرامة لما رضي من افعاله
او بضده لما سخط فان اجل الله الاجل عبارة عن غاية زمان ممتد عين لامر من الامور وقد يطلق على كل ذلك الزمان والاول هو الاشهر في الاستعمال
اي فان الوقت الذي عينه تعالى لذلك لآت لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لان اجزاء الزمان على التقضي والتصرم دائما فلا بد من
اتيان الجزاء ايضا البتة واتيان وقته موجب لاتيان اللقاء حتما والجواب محذوف اي فليختر من الاعمال ما يؤدي الى حسن الثواب وليحذر ما يسوقه
الى سوء العذاب كما في قوله تعالى فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى
وقيل فليبادر ما يحقق امله ويصدق رجاءه او ما يوجب القربة والزلفى وهو السميع لاقوال العباد العليم باحوالهم من الاعمال الظاهرة والعقائد
ومن جاهد في طاعة الله عز وجل فانما يجاهد لنفسه لعود منفعتها اليها ان الله لغني عن العالمين فلا حاجة له الى طاعتهم وانما امرهم بها
تعريضا لهم للثواب بموجب رحمته والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم الكفر بالايمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعات ولنجزينهم
احسن الذي كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم لا جزاء احسن اعمالهم فقط ووصينا الانسان بوالديه حسنا اي بايتاء والديه وايلائهما فعلا
ذا حسن وما هو في حد ذاته حسن لفرط حسنه كقوله تعالى وقولوا للناس حسنا ووصى يجري مجرى الامر معنى وتصرفا غير انه يستعمل فيما كان
في المامور به نفع عائد الى المامور او غيره وقيل هو بمعنى قال فالمعنى وقلنا احسن بوالديك حسنا وقيل انتصابه بمضمر على تقدير قول مفسر للتوصية
اي وقلنا او افعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا واحسانا فلا تطعهما في ذلك فانه
لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر فيما قبل وفي تعليق النهي عن طاعتهما بمجاهدتهما في التكليف اشعار
بان موجب النهي فيما دونها من التكليف ثابت بطريق الاولوية الي مرجعكم اي مرجع من آمن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق فانبئكم بما كنتم
تعملون بان اجازي كلا منكم بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر والآية نزلت في سعد بن ابي وقاص عند اسلامه حيث حلفت امه حمنة بنت ابي
سفيان بن امية ان لا تنتقل من الضح الى الظل ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد فلبثت ثلاثة ايام كذلك وكذا التي في سورة لقمان وسورة الاحقاف
وقيل نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى نزلا المدينة فخرج ابو جهل والحارث اخواه
لامه اسماء فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلى الله عليه وسلم صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوي
بيتا حتى تراك فاخرج معنا وفتلا منه في الذروة والغارب واستشار عمر رضي الله عنه فقال هما يخدعانك ولك علي ان اقسم مالي بيني وبينك
فما زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر رضي الله عنه فقال عمر رضي الله عنه اما اذ عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهما
ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال ان ناقتي قد كلت فاحملني معك فنزل ليوطئ لنفسه وله فاخذاه فشداه وثاقا وجلده كل واحد مائة
جلدة وذهبا به الى امه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين اي في زمرة
الراسخين في الصلاح والكمال والصلاح منتهى درجات المؤمنين وغاية مأمول انبياء الله المرسلين قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام
وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال في ابراهيم عليه السلام وانه في الآخرة لمن الصالحين او في مدخل الصالحين وهي الجنة ومن الناس من يقول آمنا بالله
فاذا اوذي في الله اي في شأنه تعالى بان عذبهم الكفرة على الايمان جعل فتنة الناس اي ما يصيبه من اذيتهم كعذاب الله في الشدة والهول
فيرتد عن الدين مع انه لا قدر لها عند نفحة من عذابه تعالى اصلا ولئن جاء نصر من ربك اي فتح وغنيمة ليقولن بضم اللام نظرا الى معنى من
كما ان الافراد فيما سبق بالنظر الى لفظها وقرئ بالفتح انا كنا معكم اي مشايعين لكم في الدين فاشركونا في المغنم وهم ناس من ضعفة المسلمين
كانوا اذا مسهم اذى من الكفار وافقوهم وكانوا يكتمونه من المسلمين فرد عليهم ذلك بقوله تعالى اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين اي
باعلم منهم بما في صدورهم من الاخلاص والنفاق حتى يفعلوا ما يفعلون من الارتداد والاخفاء عن المسلمين وادعاء كونهم منهم لنيل الغنيمة وهذا
هو الاوفق لما سبق وما لحق من قوله تعالى وليعلمن الله الذين آمنوا اي بالاخلاص وليعلمن المنافقين سواء كان كفرهم باذية الكفرة او لا اي

اي لينجيتهم عما لهم من الايمان والنفاق وقال الذين كفروا للذين آمنوا بيان لحملهم للمؤمنين على الكفر بالاستمالة بعد بيان حملهم لهم عليه بالاذية والوعيد
ووصفهم بالكفر ههنا دون ما سبق لما ان مساق الكلام لبيان جناياتهم وفيما سبق لبيان جناية من اضلوه واللام للتبليغ اي قالوا مخاطبين لهم اتبعوا سبيلنا
اي اسلكوا طريقنا التي نسلكها في الدين عبر عن ذلك بالاتباع الذي هو المشي خلف ماش آخر تنزيلا للمسلك منزلة السالك فيه او اتبعونا في طريقتنا
ولنحمل خطاياكم اي ان كان ذلك خطيئة يؤاخذ عليها بالبعث كما تقولون وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين على امرهم بالاتباع للمبالغة في تعليق
الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كان ثمة وزر فرد عليهم بقوله تعالى وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء وقرئ من خطيئاتهم اي وما هم
بحاملين شيئا من خطاياهم التي التزموا ان يحملوا كلها على ان من الاولى للتبيين والثانية مزيدة للاستغراق والجملة اعتراض او حال انهم لكاذبون حيث
اخبروا في ضمن وعدهم بالحمل بانهم قادرون على انجاز ما وعدوا فان الكذب كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه يتطرق اليه باعتبار ما يلزم
مدلوله كما مر في قوله تعالى انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين وليحملن اثقالهم بيان لما يستتبعه قولهم ذلك في الآخرة من المضرة لانفسهم بعد بيان
عدم منفعته لمخاطبيهم اصلا والتعبير عن الخطايا بالاثقال للايذان بغاية ثقلها وكونها فادحة واللام جواب قسم مضمر اي وبالله ليحملن اثقال
انفسهم كاملة واثقالا اخر مع اثقالهم لما تسببوا له بالاضلال والحمل على الكفر والمعاصي من غير ان ينتقص من اثقال من اضلوه شيء اصلا وليسألن
يوم القيمة سؤال تقريع وتبكيت عما كانوا يفترون اي يختلقونه في الدنيا من الاكاذيب والاباطيل التي من جملتها كذبهم هذا ولقد ارسلنا نوحا الى قومه
فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما شروع في بيان افتتان الانبياء عليهم السلام باذية اممهم اثر بيان افتتان المؤمنين باذية الكفار تأكيدا للانكار
على الذين يحسبون ان يتركوا بمجرد الايمان بلا ابتلاء وحثا لهم على الصبر فان الانبياء عليهم السلام حيث ابتلوا بما اصابهم من جهة اممهم من فنون المكاره
وصبروا عليها فلان يصبر هؤلاء اولى واحرى قالوا كان عمر نوح الفا وخمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة وعن وهب انه عاش الفا واربعمائة
سنة ولعل ما عليه النظم الكريم للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الالف من تخييل طول المدة
فان المقصود من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما كان عليه من مكابدة ما يناله من الكفرة واظهار ركاكة رأي الذين يحسبون
انهم يتركون بلا ابتلاء واختلاف المميز لما في التكرير من نوع بشاعة فاخذهم الطوفان اي عقيب تمام المدة المذكورة والطوفان يطلق على كل
ما يطوف بشيء على كثرة وشدة من السيل والريح والظلام وقد غلب على طوفان الماء وهم ظالمون اي والحال انهم مستمرون على
الظلم لم يتأثروا بما سمعوا من نوح عليه السلام من الآيات ولم يرعووا عما هم عليه من الكفر والمعاصي هذه المدة المتمادية فانجيناه اي نوحا عليه السلام
واصحاب السفينة اي ومن ركب فيها معه من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة وقيل ثمانية نصفهم ذكور ونصفهم اناث
وجعلناها اي السفينة او الحادثة والقصة آية للعالمين يتعظون بها وابرهيم نصب بالعطف على نوحا وقيل باضمار اذكر وقرئ بالرفع
على تقدير ومن المرسلين ابرهيم اذ قال لقومه على الاول ظرف للارسال اي ارسلناه حين تكامل عقله وقدر على النظر والاستدلال وترقى من
مرتبة الكمال الى درجة التكميل حيث تصدى لارشاد الخلق الى طريق الحق وعلى الثاني بدل اشتمال من ابرهيم اعبدوا الله وحده واتقوه ان
تشركوا به شيئا ذلكم اي ما ذكر من العبادة والتقوى خير لكم اي مما انتم عليه ومعنى التفضيل مع انه لا خيرية فيه قطعا باعتبار زعمهم الباطل ان
كنتم تعلمون اي الخير والشر وتميزون احدهما من الآخر او ان كنتم تعلمون شيئا من الاشياء بوجه من الوجوه فان ذلك كاف في الحكم بخيرية ما ذكر
من العبادة والتقوى انما تعبدون من دون الله اوثانا بيان لبطلان دينهم وشريته في نفسه بعد بيان شريته بالنسبة الى الدين الحق اي انما
تعبدون من دونه تعالى اوثانا هي في نفسها تماثيل مصنوعة لكم ليس فيها وصف غير ذلك وتخلقون افكا اي وتكذبون كذبا حيث تسمونها
آلهة وتدعون انها شفعاؤكم عند الله تعالى او تعملونها وتنحتونها للافك وقرئ تخلقون بالتشديد للتكثير في الخلق بمعنى الكذب في الافك و تخلقون
بحذف احدى التائين من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ افكا على انه مصدر كالكذب واللعب ونعت بمعنى خلقا ذا افك ان الذين تعبدون من دون الله
بيان لشرية ما يعبدونه من حيث انه لا يكاد يجديهم نفعا لا يملكون لكم رزقا اي لا يقدرون على ان يرزقوكم شيئا من الرزق فابتغوا
عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق ذو القوة المتين واعبدوه وحده واشكروا له على نعمائه متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين
بالشكر للعتيد ومستجلب للمزيد اليه ترجعون اي بالموت ثم البعث لا الى غيره فافعلوا ما امرتكم به وقرئ ترجعون من رجع رجوعا
اي تكذبوني فيما اخبرتكم به من انكم اليه ترجعون بالبعث فقد كذب امم من قبلكم تعليل للجواب اي فلا تضروني بتكذيبكم فان من قبلكم

فان من قبلكم من الامم قد كذبوا من قبلي من الرسل وهم شيث وادريس ونوح عليهم السلام فلم يضرهم تكذيبهم شيئا وانما ضر انفسهم حيث تسببوا لما حل
بهم من العذاب فكذا تكذيبكم وما على الرسول الا البلاغ المبين اي التبليغ الذي لا يبقى معه شك وما عليه ان يصدقه قومه البتة وقد خرجت عن عهدة التبليغ
بما لا مزيد عليه فلا يضرني تكذيبكم بعد ذلك اصلا اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق كلام مستأنف مسوق من جهته تعالى للانكار على تكذيبهم بالبعث مع
وضوح دليله وسنوح سبيله والهمزة لانكار عدم رؤيتهم الموجب لتقريرها والواو للعطف على مقدر اي الم ينظروا ولم يعلموا علما جاريا مجرى
الرؤية في الجلاء والظهور كيفية خلق الله تعالى الخلق ابتداء من مادة ومن غير مادة اي قد علموا ذلك وقرئ بصيغة الخطاب لتشديد الانكار
وتأكيده وقرئ يبدأ وقوله تعالى ثم يعيده عطف على اولم يروا لا على يبدئ لعدم وقوع الرؤية عليه فهو اخبار بانه تعالى يعيد الخلق قياسا
على الابداء وقد جوز العطف على يبدئ بتأويل الاعادة بانشائه تعالى كل سنة مثل ما انشاه في السنة السابقة من النبات والثمار وغيرهما
فان ذلك مما يستدل به على صحة البعث ووقوعه من غير ريب ان ذلك اي ما ذكر من الاعادة على الله يسير اذ لا يفتقر فعله الى شيء اصلا قل سيروا
في الارض امر لابراهيم عليه السلام ان يقول لهم ذلك اي سيروا فيها فانظروا كيف بدأ الخلق اي كيف خلقهم ابتداء على اطوار مختلفة
وطبائع متغايرة واخلاق شتى فان ترتيب النظر على السير في الارض مؤذن بتتبع احوال اصناف الخلق القاطنين في اقطارها ثم الله
ينشئ النشأة الآخرة بعد النشأة الاولى التي شاهدتموها والتعبير عن الاعادة التي هي محل النزاع بالنشأة الآخرة المشعر
بكون البدء نشأة اولى للتنبيه على انهما واحد من شؤون الله حقيقة واسما من حيث ان كلا منهما اختراع واخراج من العدم الى الوجود
لا فرق بينهما الا بالاولية والآخرية وقرئ النشاءة بالمد وهما لغتان كالرأفة والرآفة ومحلها النصب على انها مصدر مؤكد
لينشئ بحذف الزوائد والاصل الانشاء او بحذف العامل اي فينشئون النشأة الآخرة كما في قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا
والجملة معطوفة على جملة سيروا في الارض داخلة معها في حيز القول واظهار الاسم الجليل وايقاعه مبتدأ مع اضماره في بدأ لابراز
مزيد اعتناء ببيان تحقق الاعادة بالاشارة الى علة الحكم وتكرير الاسناد وقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير تعليل لما قبله بطريق
التحقيق فان من علم قدرته تعالى على جميع الاشياء التي من جملتها الاعادة لا يتصور ان يتردد في قدرته عليها ولا في وقوعها بعد ما
اخبر به يعذب اي بعد النشأة الآخرة من يشاء ان يعذبه وهم المنكرون طاحتما ويرحم من يشاء ان يرحمه وهم المصدقون بها والجملة
تكملة لما قبلها وتقديم التعذيب لما ان الترهيب انسب بالمقام من الترغيب واليه تقلبون عند ذلك لا الى غيره فيفعل بكم ما يشاء من
التعذيب والرحمة وما انتم بمعجزين له تعالى عن اجراء حكمه وقضائه عليكم في الارض ولا في السماء اي بالتواري في الارض والهبوط في مهاويها
ولا بالتحصن في السماء التي هي افسح منها لو استطعتم الرقي فيها كما في قوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض
فانفذوا او القلاع الذاهبة فيها وقيل في السماء صفة لمحذوف معطوف على انتم اي ولا من في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير
يحرسكم مما يصيبكم من بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء ويدفعه عنكم والذين كفروا بآيات الله اي بدلائله التكوينية والتنزيلية
الدالة على ذاته تعالى وصفاته وافعاله فيدخل فيها النشأة الاولى الدالة على تحقق البعث والآيات الناطقة به دخولا اوليا وتخصيصها
بدلائل وحدانيته تعالى لا يناسب المقام ولقائه الذي ينطق به تلك الآيات اولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر بآياته تعالى ولقائه يئسوا
من رحمتي اي ييأسون منها يوم القيمة وصيغة الماضي للدلالة على تحققه او يئسوا منها في الدنيا لانكارهم البعث والجزاء واولئك لهم عذاب اليم
وفي تكرير اسم الاشارة وتكرير الاسناد وتنكير العذاب ووصفه بالاليم من الدلالة على كمال فظاعة حالهم ما لا يخفى اي اولئك الموصوفون بالكفر بآيات الله
تعالى ولقائه وباليأس من رحمته الممتازون بذلك عن سائر الكفرة لهم بسبب تلك الاوصاف القبيحة عذاب لا يقادر قدره في الشدة والايلام
فما كان جواب قومه بالنصب على انه خبر كان واسمها قوله تعالى الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه وقرئ بالرفع على العكس وقد مر ما فيه في نظائره وليس
المراد انه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن حجج ابرهيم عليه السلام الا هذه المقالة الشنيعة كما هو المتبادر من ظاهر النظم الكريم بل ان ذلك هو الذي استقر عليه
جوابهم بعد اللتيا والتي في المرة الاخيرة والا فقد صدر عنهم من الخرافات والاباطيل ما لا يحصى فانجاه الله من النار الفاء فصيحة اي فالقوه في النار
فانجاه الله منها بان جعلها عليه عليه السلام بردا وسلاما حسبما بين في موضع آخر وقد مر في سورة الانبياء بيان كيفية القائه فيها وانجائه
تعالى اياه تفصيلا قيل لم ينتفع يومئذ بالنار في موضع اصلا ان في ذلك اي في انجائه منها لآيات بينة عجيبة هي حفظه تعالى اياه من حرها

ولحماد بها في زمان يسير وانشاء روض في مكانها لقوم يؤمنون واما من عداهم فهم عن اجتلائها غافلون ومن الفوز بمغانم آثارها محرومون وقال اي
ابرهيم عليه السلام مخاطبا لهم انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها
وائتلافكم وثاني مفعول اتخذتم محذوف اي اوثانا آلهة ويجوز ان يكون مودة هو المفعول بتقدير المضاف او بتأويلها بالمودودة او بجعلها نفس المودة
مبالغة اي اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم او مودودة او نفس المودة وقرئ مودة منونة منصوبة ناصبة للظرف وقرئت بالرفع والاضافة
على انها خبر مبتدأ محذوف اي هي مودودة او نفس المودة او سبب مودة بينكم والجملة صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة قد حذف
عائدها وهو المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم على احد الوجهين وقرئ انما مودة بينكم والمعنى ان
اتخاذكم اياها مودة بينكم ليس الا في الحياة وقد اجريتم احكامه حيث فعلتم في ما فعلتم لاجل مودتكم لها انتصارا هي كما ينبئ عنه قوله تعالى وانصروا
آلهتكم ثم يوم القيمة ينقلب الامر ويتبدل التوادد تباغضا والتلاطف تلاعنا حيث يكفر بعضكم وهم العبدة ببعض وهم الاوثان
ويلعن بعضكم بعضا اي يلعن كل فريق منكم ومن الاوثان حيث ينطقها الله تعالى الفريق الآخر وماويكم النار اي هي منزلكم الذي تاوون اليه ولا
ترجعون منه ابدا وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها كما خلصني ربي من النار التي القيتموني فيها وجمع الناصر لوقوعه في مقابلة الجمع اي ما لاحد منكم من
ناصر اصلا فآمن له لوط اي صدقه في جميع مقالاته لا في نبوته وما دعى اليه من التوحيد فقط فانه كان منزها عن الكفر وما قيل انه آمن له حين رأى
النار لم تحرقه ينبغي ان يحمل على ما ذكرنا او على ان يراد بالايمان الرتبة العالية منها وهي التي لا يرتقي اليها الا الافراد الكمل ولوط هو ابن اخيه عليهما
السلام وقال اني مهاجر اي من قومي الى ربي الى حيث امرني به انه هو العزيز الغالب على امره فيمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يفعل فعلا الا وفيه
حكمة ومصلحة فلا يأمرني الا بما فيه صلاحي روي انه هاجر من كوثى من سواد الكوفة مع لوط وسارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشأم فنزل فلسطين
ونزل لوط سدوم ووهبنا له اسحق ويعقوب ولدا ونافلة حين ايس من عجوز عاقر وجعلنا في ذريته النبوة اي جنس الكتاب المتناول للكتب
الاربعة وآتيناه اجره بمقابلة هجرته الينا في الدنيا باعطاء الولد والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلاة عليه آخر
الدهر وانه في الآخرة لمن الصالحين اي الكاملين في الصلاح ولوطا منصوب اما بالعطف على نوحا او على ابرهيم والكلام في قوله تعالى اذ قال لقومه كالذي
مر في قصة ابرهيم عليه السلام انكم لتأتون الفاحشة اي الفعلة الفاحشة المتناهية في القبح وقرئ ائنكم ما سبقكم بها من احد من العالمين
استئناف مقرر لكمال قبحها فان اجماع جميع افراد العالمين على التحاشي عنها ليس الا لكونها مما تشمئز منه الطباع وتنفر منه النفوس ائنكم لتأتون
الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون للسابلة اي بالفاحشة حيث روي انهم كانوا كثيرا ما يفعلونها بالغرباء وقيل تقطعون سبيل النسل
بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وقيل تقطعون السبيل بالقتل واخذ المال وتأتون في ناديكم اي تفعلون في مجلسكم الجامع لصحابكم المنكر
كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها مما لا خير فيه من الافاعيل المنكرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الحذف بالحصى والرمي بالبنادق والفرقعة
ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازار والسباب والفحش في المزاح وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل فما كان جواب قومه
الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين اي فما كان جوابا من جهتهم شيء من الاشياء الا هذه الكلمة الشنيعة اي لم يصدر عنهم في هذه المرة
من مرات مواعظ لوط عليه السلام وقد كان اوعدهم فيها بالعذاب واما ما في سورة الاعراف من قوله تعالى وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم
الآية وما في سورة النمل من قوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم الآية فهو الذي صدر عنهم بعد هذه المرة وهي المرة
الاخيرة من مرات المقاولات الجارية بينهم وبينه عليه السلام وقد مر تحقيقه في سورة الاعراف قال رب انصرني اي بانزال العذاب الموعود على القوم المفسدين
بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم والاصرار عليها واستعجال العذاب بطريق الاستهزاء وانما وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب عليهم ولما جاءت
رسلنا ابرهيم بالبشرى اي بالبشارة بالولد والنافلة قالوا اي لابرهيم عليه السلام في تضاعيف الكلام حسبما فصل في سورة هود وسورة الحجر انا
مهلكوا اهل هذه القرية اي قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى على الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين تعليل للاهلاك باصرارهم على الظلم
وتماديهم في فنون الفساد وانواع المعاصي قال ان فيها لوطا فكيف تهلكونها قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله ارادوا انهم غير غافلين
عن مكان لوط عليه السلام فيها بل عمن لم يتعرض له ابرهيم من اتباعه المؤمنين وانهم معتنون بشأنهم اتم اعتناء حسبما يفصح عنه تصدير الوعد بالتنجية
بالقسم اي والله لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين اي الباقين في العذاب والقرية ولما ان جاءت رسلنا المذكورون بعد مفارقتهم

مفارقتهم لابرهيم عليه السلام لوطا سيء بهم اعتراه المساءة بسببهم مخافة ان يتعرض لهم قومه بسوء وكلمة ان صلة لتأكيد ما بين الفعلين من الاتصال
وضاق بهم ذرعا اي ضاق بشأنهم وبتدبير امرهم ذرعه اي طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا به قادرا عليه
وذلك ان طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع وقالوا اي الرسل لما شاهدوا فيه مخايل التضجر من جهتهم وعاينوا انه قد عجز عن مدافعة قومه بعد اللتيا
والتي آلت به الحال الى ان قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد لا تخف اي من قومك علينا ولا تحزن اي على شيء وقيل باهلاكنا اياهم انا
منجوك واهلك مما يصيبهم من العذاب الا امرأتك كانت من الغابرين وقرئ لننجينه ومنجوك من الانجاء واياما كان فمحل الكاف الجر على المختار ونصب اهلك
باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار الاصل انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء استئناف مسوق لبيان ما اشير اليه بوعد التنجية من نزول
العذاب عليهم والرجز العذاب الذي يقلق المعذب اي يزعجه من قولهم ارتجز اذا ارتجس واضطرب وقرئ منزلون بالتشديد بما كانوا يفسقون بسبب
فسقهم المستمر ولقد تركنا منها اي من القرية آية بينة هي قصتها العجيبة وآثار ديارها الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية
بعدها وقيل الماء الاسود على وجه الارض لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار وهو متعلق اما بتركنا او ببينة والى
مدين اخاهم شعيبا متعلق بمضمر معطوف على ارسلنا في قصة نوح اي وارسلنا الى مدين شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وحده وارجوا اليوم الآخر اي
توقعوه وما سيقع فيه من فنون الاهوال وافعلوا اليوم من الاعمال ما تأمنون غائلته وقيل وارجوا ثوابه بطريق اقامة المسبب مقام السبب وقيل
الرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة الشديدة وفي سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اي
صيحة جبريل عليه السلام فانها موجبة للرجفة بسبب تموجها للهواء وما يجاورها من الارض فاصبحوا في دارهم اي بلدهم ومنازلهم
والافراد لامن اللبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمود منصوبان باضمار فعل ينبئ عنه ما قبله اي واهلكنا وقرئ ثمود اي
الحي وقد تبين لكم من مساكنهم اي وقد ظهر لكم اهلاكنا اياهم من جهة مساكنهم بالنظر اليها عند اجتيازكم بها ذهابا الى الشأم وايابا منه
وزين لهم الشيطان اعمالهم من فنون الكفر والمعاصي فصدهم عن السبيل السوي الموصل الى الحق وكانوا مستبصرين متمكنين من النظر والاستدلال
ولكنهم لم يفعلوا ذلك او متبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل عليهم السلام ولكنهم لجوا حتى لقوا ما لقوا وقارون وفرعون وهامان معطوف
على عاد وتقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين مفلتين فائتين من قولهم سبق طالبه
اذا فاته ولم يدركه ولقد ادركهم امر الله عز وجل اي ادركهم فتداركوا نحو الدمار والهلاك فكلا تفسير لما ينبئ عنه عدم سبقهم بطريق الابهام اي
فكل واحد من المذكورين اخذنا بذنبه اي عاقبناه بجنايته لا بعضهم دون بعض كما يشعر به تقديم المفعول فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا تفصيل
للاخذ اي ريحا عاصفا فيها حصباء وقيل ملكا رماهم بها وهم قوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض كقارون
ومنهم من اغرقنا كقوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم بما فعل بهم فان ذلك محال من جهته تعالى ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالاستمرار
على مباشرة ما يوجب ذلك من انواع الكفر والمعاصي مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا
فيما نسجته في الوهن والخور بل ذلك اوهن من هذا لان لهذا حقيقة وانتفاعا في الجملة او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل
يبني بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والغالب في الاستعمال التأنيث وتاؤه كتاء طاغوت ويجمع على عناكب
وعنكبوتات واما العكاب والعكب والاعكب فاسماء الجموع وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت حيث لا يرى شيء يدانيه في الوهن والوهي لو كانوا
يعلمون اي شيئا من الاشياء لجزموا ان هذا مثلهم او ان دينهم اوهى من ذلك ويجوز ان يجعل بيت العنكبوت عبارة عن دينهم تحقيقا للتمثيل
فالمعنى وان اوهن ما يعتمد به في الدين دينهم ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء على اضمار القول اي قل للكفرة ان الله الخ وما استفهامية
منصوبة بيدعون معلقة ليعلم ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة وشيء مفعول يدعون او مصدرية وشيء عبارة عن المصدر او موصولة مفعول
ليعلم ومفعول يدعون عائدة المحذوف وقرئ يدعون بالياء والكلام على الاولين تجهيل لهم وتأكيد للمثل وعلى الاخيرين وعيد لهم وهو العزيز الحكيم
تعليل على المعنيين فان اشراك ما لا يعد شيئا بمن هذا شأنه من فرط الغباوة وان الجماد بالنسبة الى القادر القاهر على كل شيء لمعدوم فهم
وما يعقلها على ما هي عليه من الحسن واستتباع الفوائد الا العالمون الراسخون في العلم المتدبرون في الاشياء على ما ينبغي وعنه صلى الله عليه وسلم
انه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله وعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات والارض بالحق اي محقا مراعيا للحكم والمصالح

على أنه حال من فاعل خلق او ملتبسة بالحق الذي لا محيد عنه مستتبعة للمنافع الدينية والدنيوية على انه حال من مفعوله فانها مع اشتمالها على جميع ما يتعلق به معاشهم شواهد دالة على شؤونه تعالى المتعلقة بذاته وصفاته كما يفصح عنه قوله تعالى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ دالة لهم على ما ذكر من شؤونه سبحانه وتخصيص المؤمنين بالذكر مع عموم الهداية والارشاد في خلقهما للكل لانهم المنتفعون بذلك اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ تقربا الى الله تعالى بقراءته وتذكرا لما في تضاعيفه من المعاني وتذكيرا للناس وحملا لهم على العمل بما فيه من الاحكام ومحاسن الآداب ومكارم الاخلاق وَأَقِمِ الصَّلَاةَ اي داوم على اقامتها وحيث كانت الصلاة منتظمة للصلوات المكتوبة المؤداة بالجماعة وكان امره عليه السلام باقامتها متضمنا لامر الامة بها علل بقوله تعالى إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ كأنه قيل وصل بهم ان الصلوة تنهاهم عن الفحشاء والمنكر ومعنى نهيها عنهما انها سبب للانتهاء عنهما لانها مناجاة لله تعالى فلا بد من ان تكون مع اقبال تام على طاعته واعراض كلي عن معاصيه قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله تعالى فمن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله تعالى الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه وروي انس رضي الله عنه ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له عليه السلام حاله فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وحسن حاله وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ اي وللصلاة اكبر من سائر الطاعات وانما عبر عنها به كما في قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله للايذان بان ما فيها من ذكر الله تعالى هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات وقيل ولذكر الله تعالى عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما اكبر في الزجر عنهما وقيل ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها احسن المجازاة وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ من اليهود والنصارى إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ اي بالخصلة التي هي احسن كمقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح والسورة بالاناة على وجه لا يدل على الضعف ولا يؤدي الى اعطاء الدنية وقيل منسوخ باية السيف إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ بالافراط في الاعتداء والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة ونحو ذلك فانه يجب حينئذ المدافعة بما يليق بحالهم وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا من القرآن وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ اي وبالذي انزل اليكم من التوراة والانجيل وقد مر تحقيق كيفية الايمان بهما في خاتمة سورة البقرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ لا شريك له في الالوهية وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ مطيعون خاصة وفيه تعريض بحال الفريقين حيث اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وَكَذَٰلِكَ تجريد للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليهم في الفضل اي ذلك الانزال البديع الموافق لانزال سائر الكتب أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ اي القرآن الذي من جملته هذه الآية الناطقة بما ذكر من المجادلة بالحسنى فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ من الطائفتين يُؤْمِنُونَ بِهِ اريد بهم عبد الله بن سلام واضرابه من اهل الكتاب خاصة كأن من عداهم لم يؤتوا الكتاب حيث لم يعملوا بما فيه او من تقدم عهد الرسول صلى الله عليه وسلم منهم حيث كانوا مصدقين بنزوله حسبما شاهدوا في كتابيهما وتخصيصهم بايتاء الكتاب للايذان بان من بعدهم من معاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزع عنهم الكتاب بالنسخ فلم يؤتوه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ايمانهم به مترتب على انزاله على الوجه المذكور وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ اي من العرب او من اهل مكة على الاول او ممن في عصره عليه السلام على الثاني مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ اي بالقرآن وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا عبر عن الكتاب بالآيات للتنبيه على ظهور دلالتها على معانيها وعلى كونها من عند الله تعالى واضيفت الى نون العظمة لمزيد تفخيمها وغاية تشنيع من يجحد بها إِلَّا الْكَافِرُونَ المتوغلون في الكفر المصممون عليه فان ذلك يصدهم عن التأمل فيما يؤديهم الى معرفة حقيتها وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ اي ما كنت قبل انزالنا اليك الكتاب تقدر على ان تتلو شيئا مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ ولا تقدر على ان تخطه بِيَمِينِكَ حسبما هو المعتاد او ما كانت عادتك ان تتلوه ولا ان تخطه إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ اي لو كنت ممن يقدر على التلاوة والخط او ممن يعتادهما لارتابوا وقالوا لعله التقطه من كتب الاوائل وحيث لم تكن كذلك لم يبق في شأنك منشأ ريب اصلا وتسميتهم مبطلين في ارتيابهم على التقدير المفروض لكونهم مبطلين في اتباعهم للاحتمال المذكور مع ظهور نزاهته عليه السلام عن ذلك بَلْ هُوَ اي القرآن آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ واضحة ثابتة راسخة فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ من غير ان يلتقط من كتاب يحفظونه بحيث لا يقدر احد على تحريفه وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا مع كونها كما ذكر إِلَّا الظَّالِمُونَ المتجاوزون للحدود في الشر والمكابرة والفساد وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى عليهم السلام وقرئ آية قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ ينزلها حسبما يشاء من غير دخل لاحد في ذلك قطعا وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ليس من شأني الا الانذار بما اوتيت من الآيات أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ كلام مستأنف وارد من جهته تعالى ردا على اقتراحهم وبيانا لبطلانه والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي أقصر ولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ الناطق بالحق المصدق لما بين يديه من الكتب السماوية وانت بمعزل من مدارستها وممارستها يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ في كل زمان ومكان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها ويكون في مكان دون مكان او يتلى على اليهود بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك إِنَّ فِي ذَٰلِكَ الكتاب العظيم الشأن الباقي على مر الدهور لَرَحْمَةً اي نعمة عظيمة وَذِكْرَىٰ اي تذكرة لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ اي لقوم همهم الايمان لا التعنت كاولئك المقترحين قيل ان ناسا من المؤمنين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف فيها بعض ما يقوله اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا بما صدر عني وعنكم يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ اي من الامور التي من جملتها شأني وشأنكم فهو تقرير لما قبله من كفايته تعالى شهيدا وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وهو ما يعبد من دون الله تعالى وَكَفَرُوا بِاللَّهِ مع تعاضد موجبات الايمان به أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان بان ضيعوا الفطرة الاصلية والادلة السمعية الموجبة للايمان والآية من قبيل المجادلة بالتي هي احسن حيث لم يصرح بنسبة الايمان بالباطل والكفر بالله والخسران اليهم بل ذكر على منهاج الابهام كما في قوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ على طريقة الاستهزاء بقولهم متى هذا الوعد وقولهم امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ونحو ذلك وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى قد ضربه الله تعالى لعذابهم وبينه في اللوح لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ المعين لهم حسبما استعجلوا به قيل المراد بالاجل يوم القيمة لما روي انه تعالى وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يعذب قومه بعذاب الاستئصال وان يؤخر عذابهم الى يوم القيمة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم بآجالهم وفيه بعد ظاهر لما انهم ما كانوا يوعدون بفنائهم الطبيعي ولا كانوا يستعجلون به وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ جملة مستأنفة مبينة لما اشير اليه في الجملة السابقة من مجيء العذاب عند محل الاجل اي وبالله ليأتينهم العذاب الذي عين لهم عند حلول الاجل بَغْتَةً اي فجأة وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ اي باتيانه ولعل المراد باتيانه كذلك انه لا يأتيهم بطريق التعجيل عند استعجالهم والاجابة الى مسؤلهم فان ذلك اتيان برأيهم وشعورهم لا انه يأتيهم وهم غارون آمنون لا يخطرونه بالبال كدأب بعض العقوبات النازلة على بعض الامم بياتا وهم نائمون او ضحى وهم يلعبون لما ان اتيان عذاب الآخرة وعذاب يوم بدر ليس من هذا القبيل يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ استئناف سيق لغاية تجهيلهم وركاكة رأيهم وفيه دلالة على ان ما استعجلوه عذاب الآخرة اي يستعجلونك والحال ان محل العذاب الذي لا عذاب فوقه محيط بهم كأنه قيل يستعجلونك بالعذاب وان العذاب لمحيط بهم اي سيحيط بهم وانما جيء بالجملة الاسمية دلالة على تحقق الاحاطة واستمرارها او تنزيلا لحال السبب منزلة حال المسبب فان الكفر والمعاصي الموجبة لدخول جهنم محيطة بهم وقيل ان الكفر والمعاصي هي النار في الحقيقة لكنها ظهرت في النشأة بهذه الصورة وقد مر تفصيله في سورة الاعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق ولام الكافرين اما للعهد ووضع الظاهر موضع المضمر للاشعار بعلة الحكم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ ظرف لمضمر قد طوي ذكره ايذانا بغاية كثرته وفظاعته كأنه قيل يوم يغشاهم العذاب الذي اشير اليه باحاطة جهنم بهم يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفي به المقال وقيل ظرف للاحاطة مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ اي من جميع جهاتهم وَيَقُولُ اي الله عز وجل ويعضده القراءة بنون العظمة او بعض ملائكته بامره ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ اي جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من السيئات التي من جملتها الاستعجال بالعذاب يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا خطاب تشريف لبعض المؤمنين الذين لا يتمكنون من اقامة امور الدين كما ينبغي للممانعة من جهة الكفرة وارشاد لهم الى الطريق الاسلم إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ اي اذا لم يتسهل لكم العبادة في بلد ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتسنى لكم ذلك وعنه عليه السلام من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق محمد وابراهيم عليهما السلام والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضي واسعة ان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض عنه تقديم المفعول مع افادة تقديم معنى الاختصاص والاخلاص كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ جملة مستأنفة جيء بها حثا على المسارعة في الامتثال بالامر اي كل نفس من النفوس واجدة مرارة الموت وكربه ثم راجعة الى حكمنا وجزائنا بحسب اعمالها فمن كانت هذه عاقبته فليس له بد من التزود والاستعداد لها وقرئ يرجعون وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ لننزلنهم مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا اي علالي وهو مفعول ثان لنبوئنه وقرئ لنثوينهم من الثواء بمعنى الاقامة فانتصاب غرفا اما باجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع

أو بتشبيه الظرف الموقت بالمبهم كما في قوله تعالى لأقعدن لهم صراطك المستقيم **تجري من تحتها الأنهار** صفة لغرفاً **خالدين فيها** أي في الغرف أو في الجنة **نعم أجر العاملين** أي الأعمال الصالحة والمخصوص بالذم محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقرئ فنعم **الذين صبروا** إما صفة للعاملين أو نصب على المدح أي صبروا على أذية المشركين وشدائد المهاجرة وغير ذلك من المحن والمشاق **وعلى ربهم يتوكلون** أي لم يتوكلوا فيما يأتون ويذرون إلا على الله تعالى **وكأين من دابة لا تحمل رزقها** روي أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر المؤمنين الذين كانوا بمكة بالمهاجرة إلى المدينة قالوا كيف تقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت أي وكأين من دابة لا تطيق حمل رزقها لضعفها أو لا تدخره وإنما تصبح ولا معيشة عندها **الله يرزقها وإياكم** ثم إنها مع ضعفها وتوكلها وأنتم مع قوتكم واجتهادكم سواء في أنه لا يرزقها وإياكم إلا الله تعالى لأن رزق الكل بأسباب هو المسبب لها فلا تخافوا الفقر بالمهاجرة **وهو السميع** المبالغ في السمع فيسمع قولكم هذا **العليم** المبالغ في العلم فيعلم ضمائركم **ولئن سألتهم** أي أهل مكة **من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله** إذ لا سبيل لهم إلى إنكاره ولا إلى التردد فيه **فأنى يؤفكون** إنكار واستبعاد من جهته تعالى لتركهم العمل بموجبه أي فكيف يصرفون عن الإقرار بتفرده تعالى في الألوهية مع إقرارهم بتفرده تعالى فيما ذكر من الخلق والتسخير **الله يبسط الرزق لمن يشاء** أن يبسط له **من عباده ويقدر** أي يقدر لمن يشاء أن يقدر له منهم كائناً من كان على أن الضمير مبهم حسب إبهام مرجعه أو يقدر لمن يبسط له على التعاقب **إن الله بكل شيء عليم** فيعلم من يليق ببسط الرزق فيبسط له ومن يليق بقدره له فيقدر له أو فيعلم أن كلا من البسط والقدر في أي وقت يوافق الحكمة والمصلحة فيفعل كلاً منهما في وقته **ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله** معترفين بأنه الموجد للممكنات بأسرها أصولها وفروعها ثم إنهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يكاد يتوهم منه القدرة على شيء ما أصلاً **قل الحمد لله** على أن جعل الحق بحيث لا يجترئ المبطلون على جحوده وأن أظهر حجتك عليهم وقيل على أن عصمك من أمثال هذه الضلالات والحق بعيد **بل أكثرهم لا يعقلون** أي شيئاً من الأشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى قولهم هذا فيشركون به سبحانه أخس مخلوقاته وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم ذلك **وما هذه الحياة الدنيا** إشارة تحقير وازدراء للدنيا وكيف لا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء **إلا لهو ولعب** إلا كما يلهى ويلعب الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون عنه **وإن الدار الآخرة لهي الحيوان** أي لهي دار الحياة الحقيقية لامتناع طريان الموت والفناء عليها أو هي في ذاتها حياة للمبالغة والحيوان مصدر حيي سمي به ذو الحياة وأصله حييان فقلبت الياء الثانية واواً لما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب اللازم للحيوان ولذلك اختير على الحياة في هذا المقام المقتضي للمبالغة **لو كانوا يعلمون** أي لما آثروا عليها الدنيا التي أصلها عدم الحياة ثم ما يحدث فيها من الحياة عارضة سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال **فإذا ركبوا في الفلك** متصل بما دل عليه شرح حالهم والركوب هو الاستعلاء على الشيء المتحرك وهو متعد بنفسه كما في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها واستعماله ههنا وفي أمثاله بكلمة في للإيذان بأن المركوب في نفسه من قبيل الأمكنة وحركته قسرية غير إرادية كما مر في سورة هود والمعنى أنهم على ما وصفوا من الإشراك فإذا ركبوا في البحر ولقوا شدة **دعوا الله مخلصين له الدين** أي كائنين على صورة المخلصين لدينهم من المؤمنين حيث لا يدعون غير الله تعالى لعلمهم بأنه لا يكشف الشدائد عنهم إلا هو **فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون** أي فاجؤوا المعاودة إلى الشرك **ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا** أي يفاجئون الإشراك ليكونوا كافرين بما آتيناهم من نعمة الإنجاء التي حقها أن يشكروها **فسوف يعلمون** أي عاقبة ذلك وغائلته حين يرون العذاب **أولم يروا** أي ألم ينظروا ولم يشاهدوا **أنا جعلنا** بلدهم **حرماً آمناً** مصوناً عن النهب والتعدي سالماً أهله من كل سوء **ويتخطف الناس من حولهم** أي والحال أنهم يختلسون من حولهم قتلاً وسبياً إذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب **أفبالباطل يؤمنون** أي أبعد ظهور الحق الذي لا ريب فيه بالباطل خاصة يؤمنون دون الحق **وبنعمة الله يكفرون** وهي المستوجبة للشكر حيث يشركون به غيره وتقديم الصلة في الموضعين لإظهار كمال شناعة ما فعلوا **ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً** بأن زعم أن له شريكاً أي هو أظلم من كل ظالم وإن كان سبك النظم دالاً على نفي الأظلم من غير تعرض لنفي المساوي وقد مر مراراً **أو كذب بالحق لما جاءه** أي بالرسول أو بالقرآن وفي لما تسفيه لهم بأن لم يتوقفوا ولم يتأملوا حين جاءهم بل سارعوا إلى التكذيب أثر ذي أثر **أليس في جهنم مثوى للكافرين** تقرير لثوائهم فيها كقول من قال ألستم خير من ركب المطايا أي لا يستوجبون الثواء فيها وقد فعلوا ما فعلوا من الافتراء على الله تعالى والتكذيب بالحق الصريح أو إنكار واستبعاد لاجترائهم على ما ذكر من الافتراء والتكذيب مع علمهم بحال الكفرة أي ألم يعلموا أن في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤوا هذه الجراءة **والذين جاهدوا فينا**

أي في شأننا ولوجهنا خالصاً أطلق المجاهدة ليعم جهاد الأعادي الظاهرة والباطنة **لنهدينهم سبلنا** سبل السير إلينا والوصول إلى جنابنا أو لنزيدنهم هداية إلى سبيل الخير وتوفيقاً إلى سلوكها كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وفي الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم **وإن الله لمع المحسنين** بالنصرة والمعونة وعنه عليه السلام من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

سورة الروم

بسم الله الرحمن الرحيم **الم** الكلام فيه كالكلام في الذي مر من أمثاله من الفواتح الكريمة **غلبت الروم في أدنى الأرض** أي أدنى أرض العرب منهم إذ هي الأرض المعهودة عندهم وهي أطراف الشام أو في أدنى أرضهم من العرب على أن اللام عوض عن المضاف إليه قال مجاهد هي أرض الجزيرة وهي أدنى أرض الروم إلى فارس وعن ابن عباس رضي الله عنهما الأردن وفلسطين وقرئ في أداني الأرض **وهم** أي الروم **من بعد غلبهم** أي من بعد مغلوبيتهم وقرئ بسكون اللام وهي لغة كالجلب والجلب **سيغلبون** أي يغلبون فارس **في بضع سنين** روي أن فارس غزوا الروم فوافوهم بأذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة كما مر فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر إخواننا على إخوانكم فلنظهرن عليكم فقال أبو بكر رضي الله عنه لا يقرر الله أعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس في بضع سنين فقال له أبي بن خلف اللعين كذبت اجعل بيننا أجلاً أناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل منهما وجعل الأجل ثلاث سنين فأخبر به أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزايده في الخطر وزايده في الأجل فجعلاها مائة قلوص إلى تسع سنين ومات أبي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس عند رأس سبع سنين وذلك يوم الحديبية وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبي فجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به وكان ذلك قبل تحريم القمار وهذه الآيات من البينات الباهرة الشاهدة بصحة النبوة وكون القرآن من عند الله عز وجل حيث أخبر عن الغيب الذي لا يعلمه إلا العليم الخبير وقرئ غلبت على البناء للفاعل وسيغلبون على البناء للمفعول والمعنى أن الروم غلبت على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون وقد غزاهم المسلمون في السنة التاسعة من نزولها ففتحوا بعض بلادهم فإضافة الغلب إلى الفاعل **لله الأمر من قبل ومن بعد** أي في أول الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كأنه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين والمعنى أن كلاً من كونهم مغلوبين أولاً وغالبين آخراً ليس إلا بأمر الله تعالى وقضائه وتلك الأيام نداولها بين الناس وقرئ من قبل ومن بعد على الجر من غير تقدير مضاف إليه واقتطاعه كأنه قيل قبلاً وبعداً بمعنى أولاً وآخراً **ويومئذ** إذ يغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله تعالى من غلبتهم **يفرح المؤمنون بنصر الله** وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وكون ذلك من دلائل غلبة المؤمنين على الكفار وقيل نصر الله إظهار صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم على فارس وقيل نصره تعالى أنه ولى بعض الظالمين بعضاً وفرق بين كلمتهم حتى تناقصوا وتفانوا وفل كل منهما شوكة الآخر وفي ذلك قوة للإسلام وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه وافق ذلك يوم بدر وفيه من نصر الله العزيز للمؤمنين وفرحهم بذلك ما لا يخفى والأول هو الأنسب بقوله تعالى **ينصر من يشاء** أي من يشاء أن ينصره من عباده على عدوه ويغلبه عليه فإنه استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى لله الأمر من قبل ومن بعد **وهو العزيز** المبالغ في العزة **الرحيم** المبالغ في الرحمة فينصر من يشاء أن ينصره أي فريق كان والمراد بالرحمة هي الدنيوية أما على القراءة المشهورة فظاهر لما أن كلا الفريقين لا يستحق الرحمة الأخروية وأما على القراءة الأخيرة فلأن المسلمين وإن كانوا مستحقين لها لكن المراد ههنا نصرهم الذي هو من آثار الرحمة الدنيوية وتقديم وصف العزة لتقدمه في الاعتبار **وعد الله** مصدر مؤكد لنفسه لأن ما قبله في معنى الوعد كأنه قيل وعد الله وعداً **لا يخلف الله وعده** أي وعد كان مما يتعلق بالدنيا والآخرة لاستحالة الكذب عليه سبحانه وإظهار الاسم في موقع الإضمار لتعليل الحكم وتفخيمه والجملة استئناف مقرر لمعنى المصدر وقد جوز أن تكون حالاً منه فيكون كالمصدر الموصوف كأنه قيل وعد الله وعداً غير مخلف **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** أي ما سبق من شؤونه تعالى **يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا** وهو ما يشاهدونه من زخارفها وملاذها وسائر أحوالها الموافقة لشهواتهم الملائمة لأهوائهم المستدعية لانهماكهم فيها وعكوفهم عليها لا تمتعهم بزخارفها وتنعمهم بملاذها كما قيل فإنهما ليسا مما علموه منها بل من أفعالهم المرتبة على علمهم وتنكير ظاهراً للتحقير والتخسيس دون الوحدة كما توهم أي يعلمون ظاهراً حقيراً خسيساً من الدنيا **وهم عن الآخرة** التي هي الغاية القصوى والمطلب الأسنى **هم غافلون** لا يخطر ببالهم ولا يدركون من الدنيا ما يؤدي إلى معرفتها من أحوالها ولا يتفكرون فيها كما سيأتي فالجملة معطوفة على يعلمون وإيرادها اسمية

للدلالة على استمرار غفلتهم ودوامها وهم الثانية تكرير للأولى أو مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر للأولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم
عن الآخرة المحققة المقتضية للجملة المتقدمة تقريرا لجهالتهم وتشبيها لهم بالبهائم المقصور إدراكاتها من الدنيا على ظواهرها الخسيسة
دون أحوالها التي هي مبادي العلم بأمور الآخرة وإشعارا بأن العلم المذكور وعدم العلم رأسا سيان **أولم يتفكروا** إنكار واستقباح
لقصر نظرهم على ما ذكر من ظاهر الحيوة الدنيا مع الغفلة عن الآخرة والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى **في أنفسهم** ظرف للتفكر
وذكره مع ظهور استحالة كونه في غيرها لتحقيق أمرها وتصوير حال المتفكرين وقوله تعالى **ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما** إلى آخره متعلق بالعلم
الذي يؤدي إليه التفكر ويدل عليه أو بالقول الذي يترتب عليه كما في قوله تعالى ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت
هذا باطلا أي أعلموا ظاهر الحيوة الدنيا فقط أو أقصروا النظر عليه ولم يحدثوا التفكر في قلوبهم فيعلموا أنه تعالى ما خلقهما وما بينهما
من المخلوقات التي هم من جملتها ملتبسة بشيء من الأشياء **إلا** ملتبسة **بالحق** أو يقولوا هذا القول معترفين بمضمونه إثر ما علموه والمراد
بالحق هو الثابت الذي يحق أن يثبت لا محالة لابتنائه على الحكم البالغة والغرض الصحيح الذي هو استشهاد المكلفين بذواتها وصفاتها
وأحوالها المتغيرة على وجود صانعها عز وجل ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته واختصاصه بالمعبودية وصحة أخباره التي من جملتها إحياؤهم
بعد الفناء بالحيوة الأبدية ومجازاتهم بحسب أعمالهم عندما يتبين المحسن من المسيء وامتازت درجات أفراد كل من الفريقين حسبما امتاز
طبقات علومهم واعتقاداتهم المترتبة على أنظارهم فيما نصب في المصنوعات من الآيات والدلائل والأمارات والمخايل كما نطق به قوله تعالى وهو الذي
خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره بقوله أيكم أحسن
عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله وقد مر تحقيقه في أوائل سورة هود عليه السلام وقوله تعالى **وأجل مسمى** عطف
على الحق أي وبأجل معين قدره الله تعالى لبقائها لا بد لها من أن تنتهي إليه لا محالة وهو وقت قيام الساعة هذا وقد جوز أن يكون قوله
تعالى في أنفسهم صلة للتفكر على معنى أولم يتفكروا في أنفسهم التي هي أقرب المخلوقات إليهم وهم أعلم بشؤونها وأخبر بأحوالها منهم بأحوال
ما عداها فيتدبروا ما أودعها الله تعالى ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الإهمال وأنه لا بد من انتهائها إلى وقت
يجازيها الحكيم الذي دبر أمرها على الإحسان وعلى الإساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك أن سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة والتدبير
وأنه لا بد لها من الانتهاء إلى ذلك الوقت وأنت خبير بأن أمر معاد الإنسان ومجازاته بما عمل من الإساءة والإحسان هو المقصود بالذات
والمحتاج إلى الإثبات فجعله ذريعة إلى إثبات معاد ما عداه مع كونه بمعزل من الجزاء تعكيس للأمر فتدبر وقوله تعالى **وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون**
تذييل مقرر لما قبله ببيان أن أكثرهم غير مقتصرين على ما ذكر من الغفلة عن أحوال الآخرة والإعراض عن التفكر فيما يرشدهم إلى معرفتها من
خلق السموات والأرض وما بينهما من المصنوعات بل هم منكرون جاحدون بلقاء حسابه تعالى وجزائه بالبعث **أولم يسيروا** توبيخ لهم بعدم
اتعاظهم بمشاهدة أحوال أمثالهم الدالة على عاقبتهم ومآلهم والهمزة لتقرير المنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أقعدوا في أماكنهم
ولم يسيروا **في الأرض** وقوله تعالى **فينظروا** عطف على يسيروا داخل في حكم التقرير والتوبيخ والمعنى أنهم قد ساروا في أقطار الأرض وشاهدوا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الأمم المهلكة كعاد وثمود وقوله تعالى **كانوا أشد منهم قوة** إلى آخره بيان لمبدأ أحوالهم ومآلها يعني
أنهم كانوا أقدر منهم على التمتع بالحيوة الدنيا حيث كانوا أشد منهم قوة **وأثاروا الأرض** أي قلبوها للزراعة والحرث وقيل لاستنباط
المياه واستخراج المعادن وغير ذلك **وعمروها** أي عمروها بفنون العمارات من الزراعة والغرس والبناء وغيرها مما يعد عمارة لها **أكثر مما عمروها**
أي عمارة أكثر كما وكيفا وزمانا من عمارة هؤلاء إياها كيف لا وهم أهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيره وفيه تهكم بهم حيث كانوا مغترين بالدنيا
مفتخرين بمتاعها مع ضعف حالهم وضيق عطنهم إذ مدار أمرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد والتقلب في أكناف الأرض بأصناف التصرفات
وهم ضعفة ملجؤون إلى واد لا نفع فيه يخافون أن يتخطفهم الناس **وجاءتهم رسلهم بالبينات** بالمعجزات أو الآيات الواضحات **فما كان الله ليظلمهم** أي فكذبوهم
فأهلكهم فما كان الله ليهلكهم من غير جرم يستدعيه من قبلهم والتعبير عن ذلك بالظلم مع أن إهلاكه تعالى إياهم بلا جرم ليس من الظلم في شيء على ما تقرر
من قاعدة أهل السنة لإظهار كمال نزاهته تعالى عن ذلك بإبرازه في معرض ما يستحيل صدوره عنه تعالى وقد مر تفسيره في سورة الأنفال وسورة آل
عمران **ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** بأن اجترؤوا على اقتراف ما يوجب من المعاصي العظيمة **ثم كان عاقبة الذين أساءوا** أي عملوا السيئات ووضع الموصول

وضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالإساءة والإشعار بعلة الحكم **السوأى** أي العقوبة التي هي أسوأ العقوبات وأفظعها التي هي العقوبة بالنار
فإنها تأنيث الأسوإ كالحسنى تأنيث الأحسن أو مصدر كالبشرى وصف به العقوبة مبالغة كأنها نفس السوء وهي مرفوعة على أنها اسم كان وخبرها
عاقبة وقرئ على العكس وهو أدخل في الجزالة وقوله تعالى **أن كذبوا بآيات الله** علة لما أشير إليه من تعذيبهم الدنيوي والأخروي أي لأن كذبوا أو
بأن كذبوا بآيات الله المنزلة على رسله عليهم السلام ومعجزاته الظاهرة على أيديهم وقوله تعالى **وكانوا بها يستهزؤن** عطف على كذبوا داخل معه في حكم العلية
وإيراد الاستهزاء بصيغة المضارع للدلالة على استمراره وتجدده هذا هو اللائق بجزالة النظم الجليل وقد قيل وقيل **الله يبدأ الخلق** أي ينشئهم
ثم يعيده بعد الموت بالبعث **ثم إليه ترجعون** إلى موقف الحساب والجزاء والالتفات للمبالغة في الترهيب وقرئ بالياء **ويوم تقوم الساعة** التي هي وقت
إعادة الخلق ورجعهم إليه **يبلس المجرمون** أي يسكتون متحيرين لا ينبسون يقال ناظرته فأبلس إذا سكت وأيس من أن يحتج وقرئ بفتح
اللام من أبلسه إذا أسكته **ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء** يجيرونهم من عذاب الله كما كانوا يزعمونه وصيغة الجمع لوقوعها في مقابلة
الجمع أي لم يكن لواحد منهم شفيع أصلا **وكانوا بشركائهم كافرين** أي بإلهيتهم وشركتهم لله سبحانه حيث وقفوا على كنه أمرهم وصيغة الماضي للدلالة
على تحققه وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وليس بذاك إذ ليس في الإخبار به فائدة يعتد بها **ويوم تقوم الساعة** أعيد لتهويله وتفظيع ما
يقع فيه وقوله تعالى **يومئذ يتفرقون** تهويل له إثر تهويل وفيه رمز إلى أن التفرق يقع في بعض منه وضمير يتفرقون لجميع الخلق المدلول عليهم بما
تقدم من بدئهم وإعادتهم ورجعهم لا المجرمون خاصة وليس المراد بتفرقهم افتراق كل فرد منهم عن الآخر بل تفرقهم إلى فريقي المؤمنين والكافرين كما
في قوله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير وذلك بعد تمام الحساب وقوله تعالى **فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون** تفصيل وبيان لأحوال ذينك
الفريقين والروضة كل أرض ذات نبات وماء ورونق ونضارة وتنكيرها للتفخيم والمراد بها الجنة والحبور السرور يقال حبره إذا سره
سرورا تهلل له وجهه وقيل الحبرة كل نعمة حسنة والتحبير التحسين واختلف فيه الأقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار فعن ابن عباس ومجاهد
يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن أبي بكر بن عياش التيجان على رؤسهم وعن وكيع السماع في الجنة وعن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي آخر القوم أعرابي فقال يا رسول الله هل من سماع في الجنة قال عليه السلام يا أعرابي إن في الجنة
لنهرا حافتاه الأبكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين بأصوات لم يسمع الخلائق بمثلها قط وذلك أفضل نعيم الجنة وقال الراوي فسألت أبا
الدرداء رضي الله عنه بم يتغنين قال بالتسبيح وروي أن في الجنة لأشجارا عليها أجراس من فضة فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله
تعالى ريحا من تحت العرش فيقع في تلك الأشجار فتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طربا **وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا** التي
من جملتها هذه الآيات الناطقة بما فصل **ولقاء الآخرة** صرح بذلك مع اندراجه في تكذيب الآيات للاعتناء بأمره وقوله تعالى **فأولئك** إشارة
إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب بآياته تعالى وبلقاء الآخرة للإيذان بكمال تميزهم بذلك عن غيرهم وانتظامهم
في سلك المشاهدات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإشعار ببعد منزلتهم في الشر أي أولئك الموصوفون بما فصل من القبائح
في العذاب محضرون على الدوام لا يغيبون عنه **فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون** إثر
بيان حال فريقي المؤمنين العاملين للصالحات والكافرين المكذبين بالآيات وما لهما من الثواب والعذاب أمروا بما ينجي من الثاني ويفضي إلى الأول من
تنزيه الله عز وجل عن كل ما لا يليق بشأنه سبحانه ومن حمده تعالى على نعمه العظام وتقديم الأول على الثاني لما أن التخلية مقدمة على التحلية والفاء
لترتيب ما بعدها على ما قبلها أي إذا علمتم ذلك فسبحوا الله تعالى أي نزهوه عما ذكر سبحانه أي تسبيحه اللائق به في هذه الأوقات واحمدوه
فإن الإخبار بثبوت الحمد له تعالى ووجوبه على المميزين من أهل السموات والأرض في معنى الأمر به على أبلغ وجه وآكده وتوسيطه بين أوقات التسبيح
للاعتناء بشأنه والإشعار بأن حقهما أن يجمع بينهما كما ينبئ عنه قوله تعالى ونحن نسبح بحمدك وقوله تعالى فسبح بحمد ربك وقوله صلى الله عليه وسلم
من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيمة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه وقوله عليه السلام
كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وغير ذلك مما لا يحصى من الآيات والأحاديث وتخصيصهما بتلك
الأوقات للدلالة على أن ما يحدث فيها من آيات قدرته تعالى وأحكام رحمته ونعمته شواهد ناطقة بتنزهه تعالى واستحقاقه الحمد وموجبة لتسبيحه
وتحميده حتما وقوله تعالى **وعشيا** عطف على حين تمسون وتقديمه على حين تظهرون لمراعاة الفواصل وتغيير الأسلوب لما أنه لا يجيء منه الفعل بمعنى الدخول

في العشي كالمساء والصباح والظهيرة ولعل السر في ذلك أنه ليس من الأوقات التي تختلف فيها أحوال الناس وتتغير تغيرا ظاهرا مصححا لوصفهم بالخروج عما
قبلها والدخول فيها كالأوقات المذكورة فإن كلا منها وقت تتغير فيه الأحوال تغيرا ظاهرا أما في المساء والصباح فظاهر وأما في الظهيرة فلأنها وقت
يعتاد فيه التجرد عن الثياب للقيلولة كما في سورة النور وقيل المراد بالتسبيح والحمد الصلوة لاشتمالها عليهما وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
أن الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلاتي المغرب والعشاء وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر ولذلك ذهب الحسن إلى
أنها مدنية إذ كان يقول إن الواجب بمكة ركعتان في أي وقت اتفقتا وإنما فرضت الخمس بالمدينة والجمهور على أنها فرضت بمكة وهو الحق لحديث
المعراج وفي آخره هن خمس صلوات كل يوم وليلة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من سره أن يكال له بالقفيز الأوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
الآية وعنه عليه السلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون إلى قوله تعالى وكذلك تخرجون أدرك ما فاته في يومه ومن
قالها حين يمسي أدرك ما فاته في ليلته وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون أي تمسون فيه وتصبحون فيه يخرج الحي من الميت كالإنسان من النطفة
والطير من البيضة ويخرج الميت من الحي النطفة والبيضة من الحيوان ويحيي الأرض بالنبات بعد موتها يبسها وكذلك ومثل ذلك
الإخراج تخرجون من قبوركم وقرئ تخرجون بفتح التاء وضم الراء وهذا نوع تفصيل لقوله تعالى الله يبدأ الخلق ثم يعيده ومن آياته الباهرة
الدالة على أنكم تبعثون دلالة أوضح مما سبق فإن دلالة بدء خلقهم على إعادتهم أظهر من دلالة إخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي
ومن دلالة إحياء الأرض بعد موتها عليها أن خلقكم أي في ضمن خلق آدم عليه السلام لما مر مرارا من أن خلقه عليه السلام منطويا على خلق ذرياته
انطواء إجماليا من تراب لم يشم رائحة الحياة قط ولا مناسبة بينه وبين ما أنتم عليه في ذاتكم وصفاتكم ثم إذا أنتم بشر تنتشرون أي
فاجأتم بعد ذلك وقت كونكم بشرا تنتشرون في الأرض وهذا مجمل ما فصل في قوله تعالى يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من
تراب ثم من نطفة الآية ومن آياته الدالة على ما ذكر من البعث وما بعده من الجزاء أن خلق لكم أي لأجلكم من أنفسكم أزواجا فإن خلق أصل أزواجكم
حواء من ضلع آدم عليه السلام متضمن لخلقهن من أنفسكم على ما عرفته من التحقيق أو من جنسكم لا من جنس آخر وهو الأوفق لقوله تعالى لتسكنوا إليها
أي لتألفوها وتميلوا إليها وتطمئنوا بها فإن المجانسة من دواعي التضام والتعارف كما أن المخالفة من أسباب التفرق والتنافر وجعل بينكم أي
بين الأزواج إما على تغليب الرجال على النساء في الخطاب أو على حذف ظرف معطوف على الظرف المذكور أي جعل بينكم وبينهن كما مر في قوله تعالى
لا نفرق بين أحد من رسله وقيل أو بين أفراد الجنس أي بين الرجال والنساء ويأباه قوله تعالى مودة ورحمة فإن المراد بهما ما كان منهما بعصمة
الزواج قطعا أي جعل بينكم بالزواج الذي شرع لكم توادا وتراحما من غير أن يكون بينكم سابقة معرفة ولا رابطة مصححة للتعاطف من قرابة
أو رحم وقيل المودة والرحمة من قبل الله تعالى والفرك من الشيطان وعن الحسن المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال ورحمة منا إن في ذلك
أي فيما ذكر من خلقهم من تراب وخلق أزواجهم من أنفسهم وإلقاء المودة والرحمة بينهم وفيه من معنى البعد مع قرب المشار إليه للإشعار ببعد منزلته
لآيات عظيمة لا يكتنه كنهها كثيرة لا يقادر قدرها لقوم يتفكرون في تضاعيف تلك الأفاعيل المبنية على الحكم البالغة والجملة تذييل
مقرر لمضمون ما قبله مع التنبيه على أن ما ذكر ليس بآية فذة كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن آياته الدالة على ما ذكر من أمر البعث وما يتلوه من الجزاء
خلق السموات والأرض إما من حيث إن القادر على خلقهما بما فيهما من المخلوقات بلا مادة مستعدة لها أظهر قدرة على إعادة ما كان حيا قبل ذلك وإما
من حيث إن خلقهما وما فيهما ليس إلا لمعاش البشر ومعاده كما يفصح عنه قوله تعالى هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على
الماء الآية واختلاف ألسنتكم أي لغاتكم بأن علم كل صنف لغته أو ألهمه وضعها وأقدره عليها أو أجناس نطقكم وأشكاله فإنك لا تكاد تسمع منطقين
متساويين في الكيفية من كل وجه وألوانكم ببياض الجلد وسواده وتوسط فيما بينهما أو تخطيطات الأعضاء وهيئاتها وألوانها وحلاها بحيث
وقع التمايز بين الأشخاص حتى إن التوأمين مع توافق موادهما وأسبابهما والأمور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة
وإن كانا في غاية التشابه وإنما نظم هذا في سلك الآيات الآفاقية من خلق السموات والأرض مع كونه من الآيات الأنفسية الحقيقة بالانتظام في سلك
ما سبق من خلق أنفسهم وأزواجهم للإيذان باستقلاله والاحتراز عن توهم كونه من تتمات خلقهم إن في ذلك أي فيما ذكر من خلق السموات
والأرض واختلاف الألسنة والألوان لآيات عظيمة في أنفسها كثيرة في عددها للعالمين أي المتصفين بالعلم كما في قوله تعالى وما يعقلها
إلا العالمون وقرئ بفتح اللام وفيه دلالة على كمال وضوح الآيات وعدم خفائها على أحد من الخلق كافة ومن آياته منامكم بالليل والنهار لاستراحة

لاستراحة القوى النفسانية وتقوي القوى الطبيعية وابتغاؤكم من فضله فيهما فإن كلا من المنام وابتغاء الفضل يقع في الملوين وإن كان الأغلب
وقوع الأول في الأول والثاني في الثاني أو منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار كما هو المعتاد والموافق لسائر الآيات الواردة في ذلك خلا أنه فصل بين القرينين
الأولين بالقرينين الأخيرين لأنهما زمانان والزمان مع ما وقع فيه كشيء واحد مع إعانة اللف على الاتحاد إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون أي
شأنهم أن يسمعوا الكلام سماع تفهم واستبصار حيث يتأملون في تضاعيف هذه الآيات ويستدلون بذلك على شؤونه تعالى ومن آياته يريكم البرق
الفعل إما مقدر بأن كما في قول من قال ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى أي أن أحضر أو منزل منزلة المصدر وبه فسر المثل المشهور تسمع
بالمعيدي خير من أن تراه أو هو على حاله صفة لمحذوف أي آية يريكم بها البرق كقول من قال وما الدهر إلا تارتان فمنهما أموت وأخرى
أبتغي العيش أكدح أي فمنهما تارة أموت فيها وأخرى أبتغي فيها أو من آياته شيء أو سحاب يريكم البرق خوفا من الصاعقة للمسافر وطمعا
في الغيث للمقيم ونصبهما على العلة لفعل يستلزمه المذكور فإن إراءتهم البرق مستلزمة لرؤيتهم إياه أو للمذكور نفسه على تقدير مضاف نحو إرادة
خوف وطمع أو على تأويل الخوف والطمع بالإخافة والإطماع كقولك فعلته رغما للشيطان أو على الحال نحو كلمته شفاها وينزل من السماء ماء وقرئ
بالتخفيف فيحيي به الأرض بالنبات بعد موتها يبسها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون فإنها من الظهور بحيث يكفي في إدراكها مجرد
العقل عند استنباط في استعمال أسبابها وكيفية تكونها ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره أي بإرادته تعالى لقيامهما والتعبير عنها
بالأمر للدلالة على كمال القدرة والغنى عن المبادي والأسباب وليس المراد بإقامتهما إنشاؤهما لأنه قد بين حاله بقوله تعالى ومن آياته خلق السموات
والأرض ولا إقامتهما بغير مقيم محسوس كما قيل فإن ذلك من تتمات إنشائهما وإن لم يصرح به تعويلا على ما ذكر في غير موضع من قوله تعالى
خلق السموات بغير عمد ترونها الآية بل قيامهما فيما قيل ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل
مسمى وحيث كانت هذه الآية متأخرة عن سائر الآيات المعدودة متصلة بالبعث في الوجود أخرت عنهن وجعلت متصلة به في الذكر أيضا فقيل
ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون فإنه كلام مسوق للإخبار بوقوع البعث ووجوده بعد انقضاء أجل قيامهما مترتب على تعداد
آياته الدالة عليه غير منتظم في سلكها كأنه قيل ومن آياته قيام السموات والأرض على هيئاتهما بأمره تعالى إلى أجل مسمى قدره الله تعالى لقيامهما
ثم إذا دعاكم دعوة أي بعد انقضاء الأجل من الأرض وأنتم في قبوركم دعوة واحدة بأن قال أيها الموتى اخرجوا فاجأتم الخروج منها وذلك
قوله تعالى يومئذ يتبعون الداعي ومن الأرض متعلق بدعاكم إذ يكفي في ذلك كون المدعو فيها يقال دعوته من أسفل الوادي فطلع إلي لا بتخرجون لأن ما بعد
إذا لا يعمل فيما قبلها وله خاصة من في السموات والأرض من الملائكة والثقلين خلقا وملكا وتصرفا ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه أصلا
كل له قانتون أي منقادون لفعله لا يمتنعون عليه في شأن من شؤونه تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده بعد موتكم وتكريره لزيادة
التقرير والتمهيد لما بعده من قوله تعالى وهو أهون عليه أي بالإضافة إلى قدركم والقياس على أصولكم وإلا فهما عليه سواء وقيل أهون بمعنى هين
وتذكير الضمير مع رجوعه إلى الإعادة لما أنها مؤولة بأن يعيد وقيل هو راجع إلى الخلق وليس بذاك وأما ما قيل من أن الإنشاء
بطريق التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين الفعل والترك والإعادة من قبيل الواجب الذي لا بد من فعله حتما فكان أقرب إلى الحصول
من الإنشاء المتردد بين الحصول وعدمه فبمعزل من التحصيل إذ ليس المراد بأهونية الفعل أقربيته إلى الوجود باعتبار كثرة الأمور الداعية للفاعل
إلى إيجاده وقوة اقتضائها لتعلق قدرته به بل أسهلية تأتيه وصدوره عنه بعد تعلق قدرته بوجوده وكونه واجبا بالغير ولا تفاوت في ذلك
بين أن يكون ذلك التعلق بطريق الإيجاب أو بطريق الاختيار وله المثل الأعلى أي الوصف الأعلى العجيب الشأن من القدرة العامة والحكمة التامة
وسائر صفات الكمال التي ليس لغيره ما يدانيها فضلا عما يساويها ومن فسره بقول لا إله إلا الله أراد به الوصف بالوحدانية في السموات والأرض متعلق
بمضمون الجملة المتقدمة على معنى أنه تعالى قد وصف به وعرف فيهما على ألسنة الخلائق وألسنة الدلائل وقيل متعلق بالأعلى وقيل بمحذوف هو حال منه
أو من المثل أو من ضميره في الأعلى وهو العزيز القادر الذي لا يعجز عن بدء ممكن وإعادته الحكيم الذي يجري الأفعال على سنن الحكمة والمصلحة ضرب لكم مثلا
يتبين به بطلان الشرك من أنفسكم أي منتزعا من أحوالها التي هي أقرب الأمور إليكم وأعرفها عندكم وأظهرها دلالة على ما ذكر من بطلان الشرك لكونها
بطريق الأولوية وقوله تعالى هل لكم الخ تصوير للمثل أي هل لكم من ما ملكت أيمانكم من العبيد والإماء من شركاء فيما رزقناكم من الأموال وما
يجري مجراها مما تتصرفون فيها فمن الأولى ابتدائية والثانية تبعيضية والثالثة مزيدة لتأكيد النفي المستفاد من الاستفهام وقوله تعالى فأنتم فيه سواء تحقيق

لمعنى الشركة وبيان لكونهم وشركائهم متساويين في التصرف فيما ذكر من غير مزية لهم عليها على ان هنالك محذوفا معطوفا على انتم لانه عام للفريقين لتطرق
اي ما لا ترضون لانفسكم والحال ان عبيدكم امثالكم في البشرية واحكامها ان يشاركوكم فيما رزقناكم وهو مستعار لكم فانتم وهم فيه سواء شرع تتصرفون
فيه كتصرفكم من غير فرق بينكم وبينهم **تخافونهم** خبر آخر لانتم او حال من ضمير الفاعل في سواء اي تهابون ان تستبدوا بالتصرف فيه بدون رايهم
كخيفتكم اي خيفة كائنة مثل خيفتكم من الاحرار المساهمين لكم فيما ذكر والمعنى نفي مضمون ما فصل من الجملة الاستفهامية اي لا ترضون ان يشارككم
فيما هو معار لكم مماليككم وهم امثالكم في البشرية غير مخلوقين لكم بل لله تعالى فكيف تشركون به سبحانه في المعبودية التي هي من خصائصه الذاتية مخلوقه
بل مصنوع مخلوقه حيث تصنعونه بايديكم ثم تعبدونه **كذلك** اي مثل ذلك التفصيل الواضح **نفصل الآيات** اي نبينها ونوضحها لا تفصيلا
ادنى منه فان التمثيل تصوير للمعاني المعقولة بصورة المحسوس وابراز … المدرك على هيئة المأنوس فيكون في غاية الايضاح والبيان **لقوم يعقلون**
اي يستعملون عقولهم في تدبر الامور وتخصيصهم بالذكر مع عموم تفصيل الآيات للكل لانهم المنتفعون بها **بل اتبع الذين ظلموا** اعراض عن مخاطبتهم ومحاولة
ارشادهم الى الحق بضرب المثل وتفصيل الآيات واستعمال المقدمات الحقة المعقولة وبيان لاستحالة تبعيتهم للحق كانه قيل لم يعقلوا شيئا من الآيات المفصلة
بل اتبعوا **اهواءهم** الزائغة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بانهم في ذلك الاتباع ظالمون واضعون للشيء في غير موضعه او ظالمون
لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد **بغير علم** اي جاهلين ببطلان ما اتوا مكبين عليه لا يلويهم عنه صارف حسبما يصرف العالم اذا اتبع الباطل علمه
ببطلانه **فمن يهدي من اضل الله** اي خلق فيه الضلال لصرف اختياره الى كسبه اي لا يقدر على هدايته احد **وما لهم** اي لمن اضله الله تعالى والجمع باعتبار المعنى
من ناصرين يخلصونهم من الضلال ويحفظونهم من تبعاته وآفاته على معنى ليس لواحد منهم ناصر واحد على ما هو قاعدة مقابلة الجمع بالجمع **فاقم وجهك للدين**
تمثيل لاقباله على الدين واستقامته وثباته عليه واهتمامه بترتيب اسبابه فان من اهتم بشيء محسوس بالبصر عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم وجهه مقبلا به
عليه اي فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت يمينا وشمالا وقوله تعالى **حنيفا** حال من المأمور او من الدين **فطرة الله** الفطرة الخلقة وانتصابها على الاغراء
اي الزموا او عليكم فطرة الله فان الخطاب للكل كما يفصح عنه قوله تعالى منيبين اليه والافراد في اقم لما ان الرسول صلى الله عليه وسلم امام الامة فامره عليه السلام
مستتبع لامرهم والمراد بلزومها الجريان على موجبها وعدم الاخلال به باتباع الهوى وتسويل الشياطين وقيل على المصدر اي فطر الله فطرة وقوله تعالى
التي فطر الناس عليها صفة لفطرة الله مؤكدة لوجوب الامتثال بالامر فان خلق الله الناس على فطرته التي هي عبارة عن قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه
او عن ملة الاسلام من موجبات لزومها والتمسك بها قطعا فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها وما اختاروا عليها دينا آخر ومن غوى منهم فباغواء
شياطين الانس والجن ومنه قوله عليه السلام حكاية عن رب العزة كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا بي غيري
وقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه وقوله تعالى **لا تبديل لخلق الله** تعليل للامر بلزوم فطرته تعالى او
لوجوب الامتثال به اي لا صحة ولا استقامة لتبديله بالاخلال بموجبه وعدم ترتيب مقتضاه عليه باتباع الهوى وقبول وسوسة الشيطان وقيل لا يقدر
احد على ان يغيره فلا بد حينئذ من حمل التبديل على تبديل نفس الفطرة بازالتها راسا ووضع فطرة اخرى مكانها غير مصححة لقبول الحق والتمكن من ادراكه
ضرورة ان التبديل بالمعنى الاول مقدور بل واقع فالتعليل حينئذ من جهة ان سلامة الفطرة … في كل واحد فلا بد من لزومها بترتيب مقتضاها عليها
وعدم الاخلال به بما ذكر من اتباع الهوى وخطوات الشيطان **ذلك** اشارة الى الدين المأمور باقامة الوجه له او الى لزوم فطرة الله المستفاد من الاغراء
او الى الفطرة ان فسرت بالملة والتذكير بتأويل المذكور او باعتبار الخبر **الدين القيم** المستوي الذي لا عوج فيه **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** ذلك فيصدون عنه صدودا
منيبين اليه حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله او في اقم لعمومه للامة حسبما اشير اليه وما بينهما اعتراض اي راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة
بعد اخرى وقوله تعالى **واتقوه** اي من مخالفة امره عطف على المقدر المذكور وكذا قوله تعالى **واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين** المبدلين لفطرة الله تبديلا
من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين باعادة الجار وتفريقهم لدينهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوائهم وفائدة الابدال التحذير عن الانتماء
الى حزب من احزاب المشركين ببيان ان الكل على الضلال المبين وقرئ فارقوا اي تركوا دينهم الذي امروا به **وكانوا شيعا** اي فرقا تشايع كل منها امامها
الذي اضلها **كل حزب بما لديهم فرحون** مسرورون ظنا منهم انه حق … له ذلك فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من تفريق دينهم وكونهم شيعا وقد جوز ان
يكون فرحون صفة لكل على ان الخبر هو الظرف المقدم اعني من الذين فرقوا ولا يخفى بعده **واذا مس الناس ضر** اي شدة **دعوا ربهم منيبين اليه** راجعين من
دعاء غيره **ثم اذا اذاقهم منه رحمة** خلاصا من تلك الشدة **اذا فريق منهم بربهم** الذين كانوا دعوه منيبين اليه **يشركون** اي فاجأ فريق منهم الاشراك وتخصيص

وتخصيص هذا الفعل ببعضهم لان بعضهم ليسوا كذلك كما في قوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اي مقيم على الطريق القصد او متوسط في الكفر
لانزجاره في الجملة **ليكفروا بما آتيناهم** اللام فيه للعاقبة وقيل للامر التهديدي كقوله تعالى **فتمتعوا** غير انه التفت فيه للمبالغة وقرئ
ليتمتعوا **فسوف تعلمون** عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض والالتفات الى الغيبة في قوله تعالى **ام انزلنا عليهم سلطانا** للايذان
بالاعراض عنهم وتعديد جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة وسلطانا حجة واضحة وقيل ذا سلطان اي ملكا معه برهان **فهو يتكلم** تكلم دلالة
كما في قوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق او تكلم نطق **بما كانوا به يشركون** باشراكهم به تعالى او بالامر الذي بسببه يشركون **واذا اذقنا**
الناس رحمة اي نعمة من صحة وسعة **فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم** بشؤم معاصيهم **اذا هم يقنطون**
فاجؤوا القنوط من رحمته تعالى وقرئ بكسر النون **اولم يروا** اي الم ينظروا ولم يشاهدوا **ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر** فما لهم لم يشكروا
ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين **ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون** فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة **فآت ذا القربى حقه** من
الصلة والصدقة وسائر المبرات **والمسكين وابن السبيل** ما يستحقانه والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لمن بسط له النعيم المقيم **ذلك خير للذين**
يريدون وجه الله زيادة خالية عن العوض عند المعاملة وقرئ اتيتم بالقصر اي غشيتموه او رهقتموه من اعطاء ربا **ليربوا في اموال الناس** ليزيد ويزكوا
في اموالهم **فلا يربوا عند الله** اي لا يبارك فيه وقرئ لتربوا اي لتزيدوا او لتصيروا ذوي ربا **وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله** اي
تبتغون بها وجه الله تعالى خالصا **فاولئك هم المضعفون** اي ذوو الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوي والموسر لذوي القوة واليسار
او الذين ضعفوا ثوابهم واموالهم بالبركة وقرئ بفتح العين وفي تغيير النظم الكريم والالتفات من الخطاب ما لا يخفى **الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم**
ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اثبت له تعالى لوازم الالوهية وخواصها ونفاها راسا عما اتخذوه شركاء له
تعالى من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج منه تنزهه عن الشركاء بقوله تعالى **سبحانه وتعالى**
عما يشركون ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط قوله تعالى من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية
تفيدان شيوع الحكم في جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفي وكل منها مستقلة بالتاكيد وقرئ تشركون بصيغة الخطاب **ظهر الفساد**
في البر والبحر كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار او الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر
قرى السواحل وقرئ والبحور **بما كسبت ايدي الناس** بشؤم معاصيهم او بكسبهم اياها وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قابيل اخاه هابيل وفي
البحر بان … كان ياخذ كل سفينة غصبا **ليذيقهم بعض الذي عملوا** اي بعض جزائه فان تمامه في الآخرة واللام للعلة او للعاقبة وقرئ
لنذيقهم بالنون **لعلهم يرجعون** عما كانوا عليه **قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل** ليشاهدوا آثارهم **كان اكثرهم**
مشركين استيناف للدلالة على ان ما اصابهم لفشو الشرك في اكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم **فاقم وجهك للدين القيم** اي البليغ
الاستقامة **من قبل ان ياتي يوم لا مرد له** لا يقدر احد على رده **من الله** متعلق بياتي او بمرد لانه مصدر والمعنى لا يرده الله تعالى لتعلق ارادته
القديمة بمجيئه **يومئذ يصدعون** اصله يتصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير **من كفر فعليه كفره** اي وبال كفره وهو النار
المؤبدة **ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون** اي يسوون منزلا في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص **ليجزي الذين آمنوا وعملوا**
الصالحات من فضله متعلق بيصدعون وقيل بيمهدون اي يتفرقون بتفريق الله تعالى فريقين ليجزي كلا منهما بحسب اعمالهم وحيث كان
جزاء المؤمنين هو المقصود بالذات ابرز ذلك في معرض الغاية وعبر عنه بالفضل لما ان الاثابة بطريق التفضل لا الوجوب واشير الى جزاء
الفريق الآخر بقوله تعالى **انه لا يحب الكافرين** فان عدم محبته تعالى كناية عن بغضه الموجب لغضبه المستتبع للعقوبة لا محالة **ومن آياته ان يرسل الرياح**
اي الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرئ
الريح على ارادة الجنس **مبشرات** بالمطر **وليذيقكم من رحمته** وهي المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها او الروح الذي مع
هبوبها واللام متعلقة بيرسل والجملة معطوفة على مبشرات على المعنى كانه قيل ليبشركم بها وليذيقكم او بمحذوف يفهم من ذكر الارسال تقديره وليذيقكم
وليكون كذا وكذا ارسلها لا لامر آخر لا تعلق له بما فعلكم **ولتجري الفلك بامره** بسوقها **ولتبتغوا من فضله** بتجارة البحر **ولعلكم تشكرون** ولتشكروا
نعمة الله تعالى فيما ذكر من الغايات الجليلة **ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم** كما ارسلناك الى قومك **فجاؤوهم بالبينات** اي جاء كل رسول قومه بما يخصه

من البينات كما جئت قومك ببيناتك والفاء في قوله تعالى فانتقمنا من الذين اجرموا فصيحة اي فكذبوهم فانتقمنا منهم وانما وضع موضع ضميرهم الموصول للتنبيه على
مكان المحذوف والاشعار بكونه علة للانتقام وفي قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين مزيد تشريف وتكرمة للمؤمنين حيث جعلوا مستحقين على الله تعالى
ان ينصرهم واشعار بان الانتقام من الكفرة لاجلهم وقد يوقف على حقا على انه متعلق بالانتقام ولعل توسيط الآية الكريمة بطريق الاعتراض بين ما سبق
وما لحق من احوال الرياح واحكامها لانذار الكفرة وتحذيرهم عن الاخلال بمواجب الشكر المطلوب بقوله تعالى لعلكم تشكرون بمقابلة النعم المعدودة المنوطة بارسالها
كيلا يحل بهم مثل ما حل باولئك الامم من الانتقام الله الذي يرسل الرياح استئناف مسوق لبيان ما اجمل فيما سبق من احوال الرياح فتثير
سحابا متصلا تارة فيبسطه في السماء في جوها كيف يشاء سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا
تارة اخرى اي قطعا وقرئ بسكون السين على انه مخفف جمع كسفة او مصدر وصف به فترى الودق المطر يخرج من خلاله في التارتين فاذا اصاب
به من يشاء من عباده اي بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون فاجؤوا الاستبشار بمجيء الخصب وان كانوا ان مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف
وان الشان كانوا من قبل ان ينزل عليهم اي المطر من قبله تكرير للتاكيد والايذان بطول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم منه وقيل الضمير للمطر او للسحاب
او الارسال وقيل للكسف على القراءة بالسكون وليس بواضح واقرب من ذلك ان يكون الضمير للاستبشار ومن متعلقة بينزل لتفيد سرعة تقلب قلوبهم من اليأس
الى الاستبشار بالاشارة الى غاية تقارب زمانيهما ببيان اتصال اليأس بالتنزيل المتصل بالاستبشار بشهادة اذا الفجائية لمبلسين خبر كانوا
واللام فارقة اي آيسين فانظر الى آثار رحمة الله المترتبة على تنزيل المطر من النبات والاشجار وانواع الثمار والفاء للدلالة على سرعة ترتبها عليه وقرئ
اثر بالتوحيد وقوله تعالى كيف يحيي اي الله تعالى الارض بعد موتها في حيز النصب بنزع الخافض وكيف معلق بانظر اي فانظر الى احيائه البديع للارض
بعد موتها وقيل على الحالية بالتأويل وايا ما كان فالمراد بالنظر التنبيه على عظم قدرته تعالى وسعة رحمته مع ما فيه من التمهيد لما يعقبه من امر البعث وقرئ
تحيي بالتانيث على الاسناد الى ضمير الرحمة ان ذلك العظيم الشان الذي ذكر بعض شؤونه لمحيي الموتى لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان
في موادهم من القوى الحيوانية كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية او لمحييهم البتة وقوله تعالى وهو على كل شيء قدير تذييل
مقرر لمضمون ما قبله اي مبالغ في القدرة على جميع الاشياء التي من جملتها احياؤهم لما ان نسبة قدرته الى الكل سواء ولئن ارسلنا ريحا اي الاثر
المدلول عليه بالآثار او النبات المعبر عنه بالآثار فانه اسم جنس يعم القليل والكثير فرأوه مصفرا بعد خضرته وقد جوز ان يكون الضمير للسحاب لانه اذا كان
مصفرا لم يمطر واللام في ولئن موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط والفاء في فرأوه فصيحة واللام في قوله تعالى لظلوا لام جواب القسم
الساد مسد الجوابين اي وبالله لئن ارسلنا ريحا حارة او باردة فضربت زرعهم بالصفار فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون من غير تلعثم
وفيه من ذمهم بعدم تثبتهم وسرعة تزلزلهم بين طرفي الافراط والتفريط ما لا يخفى حيث كان الواجب عليهم ان يتوكلوا على الله تعالى في كل حال ويلجؤوا اليه بالاستغفار
اذا احتبس عنهم القطر ولا ييأسوا من روح الله تعالى ويبادروا الى الشكر بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولا يفرطوا في الاستبشار وان يصبروا على بلائه اذا اعترى
زرعهم آفة ولا يكفروا بنعمائه فعكسوا الامر وابوا ما يجديهم واتوا ما يؤذيهم فانك لا تسمع الموتى لما انهم مثلهم لانسداد مشاعرهم عن الحق ولا
تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين تقييد الحكم بما ذكر لبيان كمال سوء حال الكفرة والتنبيه على انهم جامعون لخصلتي السوء نبو اسماعهم عن الحق واعراضهم
عن الاصغاء اليه ولو كان فيهم احديهما لكفاهم ذلك فكيف وقد جمعوهما فان الاصم المقبل الى المتكلم ربما يفطن من اوضاعه وحركاته بشيء من كلامه وان لم
يسمعه اصلا واما اذا كان معرضا عنه فلا يكاد يفهم منه شيئا اصلا وقرئ بالياء المفتوحة ورفع الصم وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم سماهم عميا اما لفقدهم
المقصود الحقيقي من الابصار او لعمى قلوبهم وقرئ تهدي العمي ان تسمع اي ما تسمع الا من يؤمن بآياتنا فان ايمانهم يدعوهم الى التدبر فيها وتلقيها
بالقبول او الا من يشارف الايمان بها ويقبل عليها لا يتفكر فهم مسلمون منقادون لما تأمرهم به من الحق الله الذي خلقكم من ضعف مبتدأ
وخبر اي ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم كقوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا اي خلقكم من اصل ضعيف هو النطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة وذلك
عند بلوغكم الحلم او تعلق الروح بابدانكم ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اذا اخذ منكم السن وقرئ بضم الضاد في الكل وهو اقوى لقول ابن عمر رضي الله عنهما
قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقرأني من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتقدم غير المتاخر يخلق ما يشاء من الاشياء
التي من جملتها ما ذكر من الضعف والقوة والشيبة وهو العليم القدير المبالغ في العلم والقدرة فان الترديد فيما ذكر من الاطوار المختلفة من اوضح
دلائل العلم والقدرة ويوم تقوم الساعة اي القيمة سميت بها لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وصارت علما لها كالنجم للثريا

والكوكب للزهرة يقسم المجرمون اي في القبور او في الدنيا والاول هو الاظهر لان لبثهم مغيا بيوم البعث كما سيأتي وليس لبثهم في الدنيا كذلك
وقيل فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل للساعات والايام والاعوام وقيل لا يعلم اهي
اربعون سنة او اربعون الف سنة ما لبثوا غير ساعة استقلوا مدة لبثهم نسيانا او كذبا او تخمينا كذلك كانوا يؤفكون مثل ذلك الافك كانوا يؤفكون
في الدنيا عن الحق والصدق وقال الذين اوتوا العلم والايمان في الدنيا من الملائكة والانس لقد لبثتم في كتاب الله في علمه او قضائه او ما كتبه وعينه
او في اللوح او القرآن وهو قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم البعث ردوا بذلك ما قالوه وايدوه باليمين كأنهم من فرط حيرتهم لم يدروا
ان ذلك هو البعث الموعود الذي كانوا ينكرونه وكانوا يسمعون انه يكون بعد فناء الخلق كافة ويقدر لذلك زمانا مديدا وان لم يعتقدوا تحققه
فرد العالمون مقالتهم ونبهوهم على انهم لبثوا الى غاية بعيدة كانوا يسمعونها وينكرونها وبكتوهم بالاخبار بوقوعها حيث قالوا فهذا يوم البعث الذي
كنتم توعدون في الدنيا ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق فتستعجلون بها استهزاء والفاء جواب شرط محذوف كما في قول من قال قالوا خراسان اقصى ما
يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم اي عذرهم وقرئ تنفع بالتاء محافظة على ظاهر اللفظ وان توسط بينهما
فاصل ولا هم يستعتبون لا يدعون الى ما يقتضي اعتابهم اي ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبني فلان
فاعتبته اي استرضاني فارضيته ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل اي وبالله لقد بينا لهم كل حال ووصفنا لهم كل صفة كأنها في
غرابتها مثل وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم القيمة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما يفعل بهم من رد اعتذارهم ولئن جئتهم بآية
من آيات القرآن الناطقة بامثال ذلك ليقولن الذين كفروا لفرط عتوهم وعنادهم وقساوة قلوبهم مخاطبين للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان انتم
الا مبطلون اي مزورون كذلك مثل ذلك الطبع الفظيع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون لا يطلبون العلم ولا يتحرون الحق بل يصرون على خرافات
اعتقدوها وترهات ابتدعوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر على ما تشاهد منهم من الاقوال الباطلة والافعال
السيئة ان وعد الله حق وقد وعدك بالنصرة واظهار الدين واعلاء كلمة الحق ولا بد من انجازه والوفاء به لا محالة ولا يستخفنك لا يحملنك على
الخفة والقلق الذين لا يوقنون بما تتلو عليهم من الآيات البينة بتكذيبهم اياها وايذائهم لك باباطيلهم التي من جملتها قولهم ان انتم الا مبطلون فانهم
شاكون ضالون ولا يستبدع منهم امثال ذلك وقرئ بالنون المخففة وقرئ ولا يستحقنك من الاستحقاق اي فلا يملكوك ويكونوا احق بك من
المؤمنين واياما كان فظاهر النظم الكريم وان كان نهيا للكفرة عن استخفافه عليه السلام واستحقاقه لكنه في الحقيقة نهي له عليه السلام عن التأثر
من استخفافهم والافتتان بفتنتهم على طريق الكناية كما في قوله تعالى لا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله تعالى بين السماء والارض وادرك ما ضيع يومه وليلته

سورة لقمان

بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك آيات الكتاب سلف بيانه في نظائره الحكيم اي ذي الحكمة لاشتماله عليها او هو وصف له تعالى او اصله الحكيم
منزله او قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن في الصفة المشبهة وقيل الحكيم فعيل بمعنى مفعول كما قالوا عقدت اللبن فهو
عقيد اي معقد وهو قليل وقيل بمعنى فاعل هدى ورحمة بالنصب على الحالية من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انهما خبران
آخران لاسم الاشارة او لمبتدأ محذوف للمحسنين اي العاملين للحسنات فان اريد مشاهيرها المعهودة في الدين فقوله تعالى الذين يقيمون
الصلوة ويؤتون الزكوة بيان لما عملوه من الحسنات على طريقة قوله تعالى وهم بالآخرة هم يوقنون وان اريد بها جميع الحسنات فهو تخصيص
لهذه الثلاث بالذكر من بين سائر شعبها لاظهار فضلها وانافتها على غيرها وتخصيص الوجه الاول بصورة كون الموصول صفة للمحسنين والوجه الاخير بصورة
كونه مبتدأ مما لا وجه له اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب والناجون من كل مهروب لحيازتهم قطري العلم والعمل
وقد مر ما فيه من المقال في مطلع سورة البقرة بما لا مزيد عليه ومن الناس محله الرفع على الابتداء باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف ومن في قوله تعالى من يشتري
لهو الحديث موصولة او موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس او وبعض من الناس الذي يشتري او فريق يشتري على ان مناط
الافادة والمقصود بالاصالة هو اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة لا كونهم ذوات اولئك المذكورين كما في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله
وباليوم الآخر الآية ولهو الحديث ما يلهي عما يعني من المهمات كالاحاديث التي لا اصل لها والاساطير التي لا اعتداد بها والمضاحك وسائر ما لا خير فيه
من فضول الكلام والاضافة بمعنى من التبيينية ان اريد بالحديث المنكر وبمعنى التبعيضية ان اريد به الاعم من ذلك وقيل نزلت الآية في نضر بن الحارث

اشتري كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشتري القيان ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه **ليضل عن سبيل الله** اي دينه الحق الموصل اليه تعالى او عن قراءة كتابه الهادي اليه تعالى وقرئ ليضل بفتح الياء اي ليثبت ويستمر على ضلاله اولزداد فيه **بغير علم** اي بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل الشر البحت بالخير المحض **ويتخذها** بالنصب عطف على يضل والضمير للسبيل فانه مما يذكر ويؤنث وهو دين الاسلام او القرآن اي ويتخذها **هزوا** مهزوا به وقرئ ويتخذها بالرفع عطفا على يشتري وقوله تعالى **اولئك** اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بذكر المشار اليه للايذان ببعد منزلتهم في الشرارة اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الاشتراء للاضلال **لهم عذاب مهين** لما اتصفوا به من اهانتهم الحق بايثار الباطل عليه وترغيب الناس عنه **واذا تتلى عليه** اي على المشتري افرد الضمير فيه فيما بعده كالضمائر الثلاثة الاول باعتبار لفظه من بعد ما جمع فيما بينهما باعتبار معناها **آياتنا** التي هي آيات الكتاب الحكيم وهدى ورحمة للمحسنين **ولى** اعرض عنها غير معتد بها **مستكبرا** مبالغا في التكبر **كأن لم يسمعها** حال من ضمير ولى او من ضمير مستكبرا والاصل كانه فحذف ضمير الشأن وخففت المثقلة اي مشبها حاله حال من لم يسمعها وهو سامع وفيه رمز الى ان من سمعها لا يتصور منه التولية والاستكبار لما فيها من الامور الموجبة للاقبال عليها والخضوع لها على طريقة قول من قال كانك لم تجزع على ابن طريف **كأن في اذنيه وقرا** حال من ضمير لم يسمعها اي مشبها حاله حال من في اذنيه ثقل مانع من السماع ويجوز ان يكونا استئنافين وقرئ في اذنيه بسكون الذال **فبشره بعذاب اليم** اي فاعلمه بان العذاب المفرط في الايلام لاحق به لا محالة وذكر البشارة للتهكم **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات** بيان لحال المؤمنين بآياته تعالى اثر بيان حال الكافرين بها اي ان الذين آمنوا بآياته تعالى وعملوا بموجبها **لهم** بمقابلة ما ذكر من ايمانهم واعمالهم **جنات النعيم** اي نعيم جنات فعكس للمبالغة والجملة خبر ان والاحسن ان يجعل لهم هو الخبر لان وجنات النعيم مرتفعا به على الفاعلية وقوله تعالى **خالدين فيها** حال من الضمير في لهم او من جنات النعيم لاشتماله على ضميرهما والعامل ما تعلق به اللام **وعد الله حقا** مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثاني لغيره لان قوله تعالى لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فاكد معنى الوعد بالوعد واما حقا فدال على معنى الثبات اكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعا لهم جنات النعيم **وهو العزيز الحكيم** الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة **خلق السموات بغير عمد** الخ استئناف مسوق للاستشهاد بما فصل فيه على عزته تعالى التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم وتمهيد قاعدة التوحيد وتقريره وابطال امر الاشراك وتبكيت اهله والعمد جمع عماد كاهب جمع اهاب وهو ما يعمد اي يسند يقال عمدت الحائط اذا دعمته اي بغير دعائم على ان الجمع لتعدد السموات وقوله تعالى **ترونها** استئناف جيء به للاستشهاد على ما ذكر من خلقه تعالى لها غير معهودة بمشاهدتهم لها كذلك او صفة لعمد اي خلقها بغير عمد مرئية على ان التقييد للرمز الى انه تعالى عمدها بعمد لا ترى هي عمد القدرة **والقى في الارض رواسي** بيان لصنعه البديع في قرار الارض اثر بيان صنعه الحكيم في قرار السموات اي القى فيها جبالا ثوابت وقد مر ما فيه من الكلام في سورة الرعد **ان تميد بكم** كراهة ان تميد بكم فان بساط اجزائها تقتضي تبدل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشيء من لوازمه بحيز معين ووضع مخصوص **وبث فيها من كل دابة** من كل نوع من انواعها **وانزلنا من السماء ماء** هو المطر **فانبتنا فيها** بسبب ذلك الماء **من كل زوج كريم** من كل صنف كثير المنافع والالتفات الى نون العظمة في الفعلين لابراز مزيد الاعتناء بامرهما **هذا** اي ما ذكر من السموات والارض وما تعلق بهما من الامور المعدودة **خلق الله** اي مخلوقه **فاروني ماذا خلق الذين من دونه** مما اتخذتموهم شركاء له تعالى في العبادة حتى استحقوا به المعبودية وماذا نصب بخلق او ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته واروني متعلق به وقوله تعالى **بل الظالمون في ضلال مبين** اضراب عن تبكيتهم بما ذكر الى التسجيل عليهم بالضلال البين المستدعي للاعراض عن مخاطبتهم بالمقدمات المعقولة الحقة لاستحالة ان يفهموا منها شيئا فيهتدوا به الى العلم ببطلان ما هم عليه او يتأثروا منه بالالزام والتبكيت فينزجروا عنه ووضع الظاهر موضع ضميرهم للدلالة على انهم باشراكهم واضعون للشيء في غير موضعه ومتعدون عن الحد وظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد **ولقد آتينا لقمان الحكمة** كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان الشرك وهو لقمان بن باعورا من اولاد آزر ابن اخت ايوب عليه السلام او ابن خالته اي وظالمون انفسهم ادرك داود عليه السلام واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود عليه السلام شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما اتمها لبسها فقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم

الصمت حكمة وقليل فاعله فقال له داود عليه السلام بحق ما سميت حكيما وان داود قال له يوما كيف اصبحت قال اصبحت في يدي غيري فتفكر داود عليه السلام فيه فصعق صعقة وانه امره مولاه بان يذبح شاة ويأتي باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد ايام امره بان يأتي باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضا فسأله عن ذلك فقال هما اطيب شيء اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا ومعنى **ان اشكر لله** اي اشكر لله تعالى على ان ان مفسرة فان ايتاء الحكمة في معنى القول وقوله تعالى **ومن يشكر** الخ استئناف مقرر لمضمون ما قبله موجب للامتثال بالامر اي ومن يشكر لله تعالى **فانما يشكر لنفسه** لان منفعته التي هي ارتباط النعمة واستجلاب المزيد مقصورة عليها **ومن كفر فان الله غني** عن كل شيء فلا يحتاج الى الشكر ليتضرر بكفر من كفر **حميد** حقيق بالحمد وان لم يحمده احد او محمود بالفعل يحمده بلسان الحال جميع المخلوقات وعدم التعرض لكونه تعالى مشكورا لما ان الحمد متضمن للشكر بل هو رأسه كما قال عليه السلام الحمد رأس الشكر لم يشكر الله عبد لم يحمده فاثباته له تعالى اثبات للشكر قطعا **واذ قال لقمان لابنه** انعم وقيل اشكم وقيل ماثان **وهو يعظه يا بني** تصغير اشفاق وقرئ يا بني باسكان الياء وبكسرها **لا تشرك بالله** قيل كان ابنه كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما **ان الشرك لظلم عظيم** تعليل للنهي والانتهاء عن الشرك **ووصينا الانسان بوالديه** الخ كلام مستأنف اعترض به على نهج الاستطراد في اثناء وصية لقمان تأكيدا لما فيها من النهي عن الشرك وقوله تعالى **حملته امه** الخ اعتراض بين المفسر والمفسر وقوله تعالى **وهنا** حال من امه اي ذات وهن او مصدر مؤكد لفعل هو الحال اي تهن وهنا وقوله تعالى **على وهن** صفة لمصدر اي كائنا على وهن اي تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا تزال يتضاعف ضعفها وقرئ وهنا على وهن بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا **وفصاله في عامين** وفطامه في تمام عامين وهي مدة الرضاع عند الشافعي رضي الله عنه وعند ابي حنيفة رضي الله عنه هي ثلاثون شهرا وقد بين وجهه في موضعه وقرئ وفصله **ان اشكر لي ولوالديك** تفسير لوصينا وما بينهما اعتراض مؤكد للوصية في حقها خاصة ولذلك قال عليه السلام لمن قال له عليه السلام من ابر ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك **الي المصير** تعليل لوجوب الامتثال بالامر اي الى الرجوع لا الى غيري فاجازيك على ما صدر عنك من الشكر والكفر **وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم** اي بشركته له تعالى في استحقاق العبادة **فلا تطعهما** في ذلك **وصاحبهما في الدنيا معروفا** اي صحابا معروفا **واتبع سبيل من اناب الي** بالتوحيد والاخلاص في الطاعة **ثم الي مرجعكم** اي مرجعك ومرجعهما ومرجع من اناب الي **فانبئكم بما كنتم تعملون** عند رجوعكم بان اجازي كلا منكم بما صدر عنه من الخير والشر وقوله تعالى **يا بني** الخ شروع في حكاية وصية لقمان اثر تقرير ما في مطلعها من النهي عن الشرك وتأكيده بالاعتراض **انها ان تك مثقال حبة من خردل** اي الخصلة من الاساءة والاحسان ان مثلا في الصغر كحبة الخردل وقرئ برفع مثقال على ان الضمير للقصة وكان تامة والتأنيث لاضافة المثقال الى الحبة كما في قول من قال كما شرقت صدر القناة من الدم او لان المراد به الحسنة او السيئة **فتكن في صخرة او في السموات او في الارض** اي فتكن مع كونها في اقصى غايات الصغر والحقارة في اخفى مكان واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت في العالم العلوي او السفلي **يأت بها الله** اي يحضرها ويحاسب عليها **ان الله لطيف** يصل علمه الى كل خفي **خبير** بكنهه وبعدما امره بالتوحيد الذي هو اول ما يجب على الانسان في ضمن النهي عن الشرك ونبهه على كمال علم الله تعالى وقدرته امره بالصلاة التي هي اكمل العبادات تكميلا له من حيث العمل بعد تكميله من حيث الاعتقاد فقال مستميلا له **يا بني اقم الصلوة** تكميلا لنفسك **وامر بالمعروف وانه عن المنكر** تكميلا لغيرك **واصبر على ما اصابك** من الشدائد والمحن لا سيما فيما امرت به **ان ذلك** اشارة الى كل ما ذكر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من الاشعار ببعد منزلته في الفضل **من عزم الامور** اي مما عزمه الله تعالى وقطعه على عباده من الامور لمزيد مزيتها مصدر اطلق على المفعول وقد جوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله تعالى فاذا عزم الامر اي جد والجملة تعليل لوجوب الامتثال بما سبق من الامر والنهي وايذان بان ما بعدها ليس بمثابته **ولا تصعر خدك للناس** اي لا تمله عنهم ولا تولهم صفحة وجهك كما هو ديدن المتكبرين من الصعر وهو الصيد وهو داء يصيب البعير فيلوي منه عنقه وقرئ ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر من الافعال مثل علاه وعالاه واعلاه **ولا تمش في الارض مرحا** اي فرحا مصدر وقع موقع الحال او مصدر مؤكد لفعل هو الحال اي تمرح مرحا او لاجل المرح والبطر **ان الله لا يحب كل مختال فخور** تعليل للنهي او موجبه وتأخير الفخور مع كونه بمقابلة الصعر عن المختال وهو بمقابلة الماشي مرحا لرعاية الفواصل **واقصد في مشيك** بعد الاجتناب عن المرح فيه اي توسط بين الدبيب والاسراع وعنه عليه السلام سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة رضي الله عنها اذا مشى اسرع فالمراد به ما فوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا سدد سهمه الرمية **واغضض من صوتك** وانقص منه واقصر **ان انكر الاصوات** اي اوحشها **لصوت الحمير** تعليل للامر على ابلغ وآكده مبني على تشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق وافراط في التحذير عن رفع الصوت والتنفير عنه وافراد الصوت مع اضافته الى الجمع لما ان المراد ليس بيان حال صوت

كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع بل بيان حال صوت هذا الجنس من بين أصوات سائر الأجناس وقوله تعالى ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض رجوع إلى
سنن ما سلف قبل قصة لقمان من خطاب المشركين وتوبيخ لهم على إصرارهم على ما هم عليه مع مشاهدتهم لدلائل التوحيد والمراد بالتسخير إما جعل المسخر بحيث
ينفع المسخر له أعم من أن يكون منقاداً له يتصرف فيه كيف يشاء ويستعمله حسبما يريد كعامة ما في الأرض من الأشياء المسخرة للإنسان المستعملة له من الجماد
والحيوان أو لا يكون كذلك بل يكون سبباً لحصول مراده من غير أن يكون له دخل في استعماله كجميع ما في السموات من الأشياء التي نيطت بها مصالح العباد معاشاً
أو معاداً وإما جعله منقاداً للأمر مذللاً على أن معنى لكم لأجلكم فإن جميع ما في السموات والأرض من الكائنات مسخرة لله تعالى مستتبعة لمنافع الخلق وما يستعمله
الإنسان حسبما يشاء وإن كان مسخراً له بحسب الظاهر فهو في الحقيقة مسخر لله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة محسوسة ومعقولة معروفة لكم وغير معروفة
وقد مر شرح النعم وتفصيلها في الفاتحة وقرئ أصبغ بالصاد وهو جار في كل سين قارنه الغين أو الخاء أو القاف كما تقول في سلخ صلخ وفي سقر صقر
وفي سالغ صالغ وقرئ نعمة ومن الناس من يجادل في الله في توحيده وصفاته بغير علم مستفاد من دليل ولا هدى من جهة الرسول عليه السلام ولا كتاب منير أنزله الله
تعالى بل بمجرد التقليد وإذا قيل لهم أي لمن يجادل والجمع باعتبار المعنى اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا يريدون به عبادة الأصنام
أولو كان الشيطان يدعوهم أي آباءهم لا أنفسهم كما قيل فإن مدار إنكار الاتباع واستبعاده كون المتبوعين تابعين للشيطان لا كون أنفسهم كذلك
أي أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم فيما هم عليه من الشرك إلى عذاب السعير فهم متوجهون إليه حسب دعوته والجملة في حيز النصب على الحالية وقد مر
تحقيقه في قوله تعالى أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون من سورة البقرة بما لا مزيد عليه ومن يسلم وجهه إلى الله بأن فوض إليه مجامع أموره
وأقبل عليه بكليته وحيث عدي باللام قصد معنى الاختصاص وقرئ بالتشديد وهو محسن أي في أعماله آت بها جامعة بين الحسن الذاتي والوصفي
وقد مر في آخر سورة النحل فقد استمسك بالعروة الوثقى أي تعلق بأوثق ما يتعلق به من الأسباب وهو تمثيل لحال المتوكل المشتغل بالطاعة بحال من أراد
أن يترقى إلى شاهق جبل فتمسك بأوثق عرى الحبل المتدلي منه وإلى الله لا إلى أحد غيره عاقبة الأمور فيجازيه أحسن الجزاء ومن كفر فلا يحزنك كفره فإنه
لا يضرك في الدنيا ولا في الآخرة وقرئ فلا يحزنك من أحزن المنقول من حزن بكسر الزاء وليس بمستفيض إلينا مرجعهم لا إلى غيرنا فننبئهم بما عملوا
في الدنيا من الكفر والمعاصي بالعذاب والعقاب والجمع في الضمائر الثلاثة باعتبار معنى من كما أن الإفراد في الأول باعتبار لفظها إن الله عليم بذات الصدور تعليل
للتنبئة المعبر بها عن التعذيب نمتعهم قليلاً تمتيعاً أو زماناً قليلاً فإن ما يزول وإن كان بعد أمد طويل بالنسبة إلى ما يدوم قليل ثم نضطرهم
إلى عذاب غليظ يثقل عليهم ثقل الأجرام الغلاظ أو يضم إلى الإحراق الضغط ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله لغاية
وضوح الأمر بحيث اضطروا إلى الاعتراف به قل الحمد لله على أن جعل دلائل التوحيد بحيث لا يكاد ينكرها المكابرون أيضاً بل أكثرهم لا يعلمون شيئاً من
الأشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى اعترافهم وقيل لا يعلمون أن ذلك يلزمهم لله ما في السموات والأرض فلا يستحق العبادة فيهما غيره إن الله هو الغني
عن العالمين الحميد المستحق للحمد وإن لم يحمده أحد أو المحمود بالفعل يحمده كل مخلوق بلسان الحال ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام أي لو ثبت أن الأشجار
أقلام وتوحيد الشجرة لما أن المراد تفصيل الآحاد والبحر يمده من بعده أي من بعد نفاده سبعة أبحر أي والحال أن البحر المحيط بسعته يمده الأبحر السبعة مداً
لا ينقطع أبداً وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات الله ما نفدت كلمات الله ونفدت تلك الأقلام والمداد كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل أن تنفد
كلمات ربي وقرئ يمده من الإمداد بالياء والتاء وإسناد المد إلى الأبحر السبعة دون البحر المحيط مع كونه أعظم منها وأطم لأنها هي المجاورة للجبال
ومنابع المياه الجارية وإليها تنصب الأنهار العظام أولاً ومنها إلى البحر المحيط ثانياً وإيثار جمع القلة في الكلمات للإيذان بأن ما ذكر لا يفي بالقليل
منها فكيف بالكثير إن الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته أمر فلا تنفد كلماته المؤسسة عليهما ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إلا
كخلقها وبعثها في سهولة التأتي إذ لا يشغله شأن عن شأن لأن مناط وجود الكل تعلق إرادته الواجبة مع قدرته الذاتية حسبما يفصح عنه قوله تعالى
إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون إن الله سميع يسمع كل مسموع بصير يبصر كل مبصر لا يشغله علم بعضها عن علم بعض فكذلك الخلق
والبعث ألم تر قيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل عام لكل أحد ممن يصلح للخطاب وهو الأوفق لما سبق وما لحق أي ألم تعلم علماً قوياً جارياً
مجرى الرؤية أن الله يولج الليل في النهار أي يدخل كل واحد منهما في الآخر ويولج النهار في الليل بذلك حاله زيادة ونقصاناً
وسخر الشمس والقمر عطف على يولج والاختلاف بينهما صيغة لما أن إيلاج أحدهما في الآخر متجدد في كل حين وأما تسخير النيرين فأمر لا تعدد فيه
ولا تجدد وإنما التعدد والتجدد في آثاره وقد أشير إلى ذلك حيث قيل كل يجري أي بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية

المتخالفة المتعددة حسب تعدد الأيام جرياً مستمراً إلى أجل مسمى قدره الله تعالى لجريهما وهو يوم القيامة كما روي عن الحسن فإنه لا ينقطع جريهما إلا
والجملة على تقدير عموم الخطاب اعتراض بين المعطوفين لبيان الواقع بطريق الاستطراد وعلى تقدير اختصاصه به عليه السلام يجوز أن يكون حالاً من الشمس والقمر
فإن جريانهما إلى يوم القيامة من جملة ما في حيز رؤيته عليه السلام هذا وقد جعل جريانهما عبارة عن حركتهما الخاصة بهما في فلكهما والأجل المسمى عن منتهى
دورتهما وجعل مدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهراً فالجملة حينئذ بيان لحكم تسخيرهما وتنبيه على كيفية إيلاج أحد الملوين في الآخر وكون ذلك بحسب اختلاف
جريان الشمس على مداراتها اليومية فكلما كان جريانها متوجهاً إلى سمت الرأس تزداد القوس التي هي فوق الأرض كبراً فيزداد النهار طولاً بانضمام
بعض أجزاء الليل إليه إلى أن يبلغ المدار الذي هو أقرب المدارات إلى سمت الرأس وذلك عند بلوغها إلى رأس السرطان ثم ترجع متوجهة إلى التباعد
عن سمت الرأس فلا تزال القسي التي فوق الأرض تزداد صغراً فيزداد النهار قصراً بانضمام بعض أجزائه إلى الليل إلى أن يبلغ المدار الذي هو أبعد
المدارات اليومية عن سمت الرأس وذلك عند بلوغها برج الجدي وقوله تعالى وأن الله بما تعملون خبير عطف على أن الله يولج الخ داخل في حيز الرؤية على تقدير
خصوص الخطاب وعمومه فإن من شاهد مثل ذلك الصنع الرائق والتدبير اللائق لا يكاد يغفل عن كون صانعه عز وجل محيطاً بجلائل أعماله ودقائقها
ذلك إشارة إلى ما تلي من الآيات الكريمة وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتها في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بأن الله هو الحق أي بسبب
بيان أنه تعالى هو الحق إلهيته فقط ولأجله لكونها ناطقة بحقية التوحيد وأن ما يدعون من دونه الباطل أي ولأجل بيان بطلان إلهية ما يدعونه
من دونه تعالى لكونها شاهدة بذلك شهادة بينة لا ريب فيها وقرئ بالتاء والتصريح بذلك مع أن الدلالة على اختصاص حقية الإلهية به تعالى مستتبعة
للدلالة على بطلان إلهية ما عداه لإبراز كمال الاعتناء بأمر التوحيد وللإيذان بأن الدلالة على بطلان ما ذكر ليست بطريق الاستتباع فقط
بل بطريق الاستقلال أيضاً وأن الله هو العلي الكبير أي ولبيان أنه تعالى هو المرتفع عن كل شيء المتسلط عليه فإن ما في تضاعيف الآيات الكريمة مبين
لاختصاص العلو والكبرياء به تعالى أي بيان هذا وقيل ذلك إلى ما ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص الباري تعالى بها بسبب أنه
الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته أو الثابت إلهيته وأنت خبير بأن حقيته تعالى وعلوه وكبرياءه وإن كانت صالحة لمناطية ما ذكر من الأحكام
المعدودة لكن بطلان إلهية الأصنام لا دخل له في المناطية قطعاً فلا مساغ لنظمه في سلك الأسباب بل هو تعكيس للأمر ضرورة أن الأحكام المذكورة
هي المقتضية لبطلانها لا أن بطلانها يقتضيها ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله بإحسانه في تهيئة أسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وغاية
حكمته وشمول إنعامه والباء إما متعلقة بتجري أو بمقدر هو حال من فاعله أي بنعمته تعالى وقرئ الفلك بضم اللام وبنعمات الله وعين نعمات يجوز فيه
الكسر والفتح والسكون ليريكم من آياته أي بعض دلائل وحدته وعلمه وقدرته وقوله تعالى إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور تعليل لما قبله أي إن فيما
ذكر لآيات عظيمة في ذاتها كثيرة في عددها لكل من يبالغ في الصبر على المشاق فيتعب نفسه في التفكر في الأنفس والآفاق ويبالغ في الشكر على
نعمائه وهما صفتا المؤمن فكأنه قيل لكل مؤمن وإذا غشيهم أي علاهم وأحاط بهم موج كالظلل كما يظل من جبل أو سحاب أو غيرهما وقرئ
كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الدواهي والشدائد فلما نجاهم إلى
البر فمنهم مقتصد أي مقيم على القصد السوي الذي هو التوحيد أو متوسط في الكفر لانزجاره في الجملة وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار غدار فإنه نقض للعهد
الفطري أو رفض لما كان في البحر والختر أشد الغدر وأقبحه كفور مبالغ في كفران نعم الله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده
أي لا يقضي عنه وقرئ لا يجزئ من أجزأ إذا أغنى والعائد إلى الموصول محذوف أي لا يجزي فيه ولا مولود عطف على والد وهو مبتدأ خبره هو جاز عن والده شيئاً
وتغيير النظم للدلالة على أن المولود أولى بأن لا يجزي وقطع طمع من توقع من المؤمنين أن ينفع أباه الكافر في الآخرة إن وعد الله بالثواب والعقاب
حق لا يمكن إخلافه أصلاً فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور أي الشيطان المبالغ في الغرور بأن يحملكم على المعاصي بتزيينها لكم
ويرجيكم التوبة والمغفرة إن الله عنده علم الساعة علم وقت قيامها لما روي أن الحارث بن عمرو أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة
وإني قد ألقيت حباتي في الأرض فمتى السماء تمطر وحمل امرأتي ذكر أو أنثى وما أعمل غداً وأين أموت فنزلت وعنه عليه السلام مفاتح الغيب خمس وتلا
هذه الآية وينزل الغيث في إبانه الذي قدره وإلى محله الذي عينه في علمه وقرئ ينزل من الإنزال ويعلم ما في الأرحام من ذكر أو أنثى
أو تام أو ناقص وما تدري نفس من النفوس ماذا تكسب غداً من خير أو شر وربما تعزم على شيء منهما فتفعل خلافه وما تدري نفس بأي أرض
كما لا تدري في أي وقت تموت روي أن ملك الموت مر على سليمان عليهما السلام فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه فقال من هذا قال ملك الموت

فقال كأنه يريد في الريح ان تحملني وتلقيني ببلاد الهند ففعل ثم قال الملك لسليمان عليهما السلام كان دوام نظري تعجبا منه حيث كنت امرت بان اقبض روحه بالهند وهو عندك ونسبة العلم الى الله تعالى والدراية الى العبد للايذان بانه ان اعمل حيلته وبذل في التعرف وسعه لم يعرف ما هو لاحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليل عليه وقرئ بأية ارض وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث كل في كلتهن ان الله عليم مبالغ في العلم فلا يعزب عن علمه شيء من الاشياء التي من جملتها ما ذكر خبير يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لقمان كان لقمان رفيقا له يوم القيمة واعطي من الحسنات عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة السجدة والم تنزيل

بسم الله الرحمن الرحيم الم ان اسم للسورة فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذا مسمى بالم والاشارة اليها قبل جريان ذكرها قد عرفت سرها وان مسرود على نمط التعديد فلا محل له من الاعراب تنزيل الكتاب على الاول خبر بعد خبر على انه مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدأ محذوف اي المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل خبر لالم اي المسمى به تنزيل الكتاب وقد مر مرارا ان ما جعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لا عهد بالتسمية قبل فحقها الاخبار بها وقوله تعالى لا ريب فيه خبر ثالث على الوجه الاول وثان على الاخيرين وقيل خبر لتنزيل الكتاب فقوله تعالى من رب العالمين متعلق بمضمر هو حال من الضمير المجرور اي كائنا منه تعالى لا بتنزيل لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر والاوجه انه الخبر ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كأنه قيل لا ريب في ذلك اي في كونه منزلا من رب العالمين ويؤيده قوله تعالى ام يقولون افتريه فان قولهم هذا انكار منهم لكونه من رب العالمين فلا بد ان يكون مورده حكما مقصود الافادة لا قيدا للحكم بنفي الريب عنه وقد رد عليهم ذلك وابطل حيث جيء بام المنقطعة انكارا له وتعجيبا منه لغاية ظهور بطلانه واستحالة كونه مفترى ثم اضرب عنه الى بيان حقيقة ما انكروه حيث قيل بل هو الحق من ربك باضافة اسم الرب الى ضميره عليه السلام بعد اضافته فيما سبق الى العالمين تشريفا له عليه السلام ثم ايد ذلك ببيان غايته حيث قيل لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون فان بيان غاية الشيء وحكمته لا سيما عند كونها غاية حميدة مستتبعة لمنافع جليلة في وقت شدة الحاجة اليها مما يقرر وجود الشيء ويؤكده لا محالة ولقد كانت قريش اضل الناس واحوجهم الى الهداية بارسال الرسول وتنزيل الكتاب حيث لم يبعث اليهم من رسول قبله عليه السلام اي ما اتاهم من نذير من قبل انذارك او من قبل زمانك والترجي معتبر من جهته عليه السلام اي لتنذرهم راجيا لاهتدائهم او رجاء اهتدائهم واعلم ان ما ذكر من التأييد انما يتسنى على ما ذكر من كون تنزيل الكتاب مبتدأ واما على سائر الوجوه فلا تأييد اصلا لان قوله تعالى من رب العالمين خبر رابع على الوجه الاول وخبر ثالث على الوجهين الاخيرين وايا ما كان فكونه من رب العالمين حكم مقصود الافادة لا قيد لحكم آخر فتدبر الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش مر بيانه فيما سلف ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع اي ما لكم اذا جاوزتم رضاه تعالى احد ينصركم ويشفع لكم ويجيركم من بأسه او ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن النصر على ان الشفيع عبارة عن الناصر مجازا فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير افلا تتذكرون اي الا تسمعون هذه المواعظ فلا تتذكرون او اتسمعونها فلا تتذكرون بها فالانكار على الوجه الاول متوجه الى عدم السماع وعدم التذكر معا وعلى الثاني على عدم التذكر مع تحقق ما يوجبه من السماع يدبر الامر من السماء الى الارض قيل يدبر امر الدنيا باسباب سماوية من الملائكة وغيرها نازلة آثارها واحكامها الى الارض ثم يعرج اليه اي يثبت في علمه موجودا بالفعل في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون اي في برهة من الزمان متطاولة والمراد بيان طول امتداد ما بين تدبير الحوادث وحدوثها من الزمان وقيل يدبر امر الحوادث اليومية باثباتها في اللوح المحفوظ فينزل بها الملائكة ثم تعرج اليه في زمان هو كالف سنة مما تعدون فان ما بين الارض والسماء مسيرة خمسمائة عام وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف لالف آخر وقيل يدبر امر الدنيا جميعا الى يوم القيمة ثم يعرج اليه الامر كله عند قيامها وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض بالوحي ثم لا يعرج اليه خالصا الا في مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال المخلصة وانت خبير بان قلة الاعمال الخالصة لا تقتضي بطء عروجها الى السماء بل قلته وقرئ يعدون بالياء ذلك اشارة الى الله عز وجل باعتبار اتصافه بما ذكر من خلق السموات والارض والاستواء على العرش وانحصار الولاية والنصرة فيه وتدبير امر الكائنات على ما ذكر من الوجه البديع وهو مبتدأ خبره ما بعده اي ذلك العظيم الشأن عالم الغيب والشهادة فيدبر امرهما حسبما تقتضيه الحكمة العزيز الغالب على امره الرحيم

على عباده وهما خبران آخران وفيه ايماء الى انه تعالى متفضل في جميع ما ذكر فاعل بالاحسان الذي احسن كل شيء خلقه خبر آخر او نصب على المدح اي حسن كل مخلوق خلقه اذ ما من مخلوق الا وهو مرتب على ما تقتضيه الحكمة وتوجبه المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن واحسن كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن معرفته ويعرفه معرفة حسنة بتحقيق وايقان وقرئ خلقه على انه بدل اشتمال من كل والضمير للمبدل منه اي حسن خلق كل شيء وقيل بدل الكل على ان الضمير لله تعالى والخلق بمعنى المخلوق اي حسن كل مخلوقاته وقيل هو مفعول ثان لاحسن على تضمينه معنى اعطى اي اعطى كل شيء خلقه اللائق به بطريق الاحسان والتفضل وقيل هو مفعوله الاول وكل شيء مفعوله الثاني والخلق بمعنى المخلوق وضميره لله تعالى سبحانه على تضمين الاحسان معنى الالهام والتعريف والمعنى الهم خلقه كل شيء مما يحتاجون اليه وقال ابو البقاء عرف مخلوقاته كل شيء يحتاجون اليه فيؤول الى معنى قوله تعالى الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وبدأ خلق الانسان من بين جميع المخلوقات من طين على وجه بديع تحار العقول في فهمه حيث برأ آدم عليه السلام على فطرة عجيبة منطوية على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لخروج كل فرد منها من القوة الى الفعل بحسب استعداداتها المتفاوتة قربا وبعدا كما ينبئ عنه قوله تعالى ثم جعل نسله اي ذريته سميت بذلك لانها تنسل وتنفصل منه من سلالة من ماء مهين هو المني الممتهن ثم سواه اي عدله بتكميل اعضائه في الرحم وتصويرها على ما ينبغي ونفخ فيه من روحه اضافه اليه تعالى تشريفا له وايذانا بانه خلق عجيب وصنع بديع وان له شأنا له مناسبة الى حضرة الربوبية وان اقصى ما تنتهي اليه العقول البشرية من معرفته هذا القدر الذي يعبر عنه تارة بالاضافة اليه تعالى واخرى بالنسبة الى امره تعالى كما في قوله تعالى قل الروح من امر ربي وجعل لكم السمع والابصار والافئدة الجعل ابداعي واللام متعلقة به والتقديم على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بجزالة النظم اي خلق لمنفعتكم تلك المشاعر لتعرفوا انها مع كونها في انفسها نعما جليلة لا يقادر قدرها وسائل الى التمتع بسائر النعم الدينية والدنيوية الفائضة عليكم وتشكروها بان تصرفوا كلا منها الى ما خلق هو له فتدركوا بسمعكم الآيات التنزيلية الناطقة بالتوحيد والبعث وبأبصاركم الآيات التكوينية الشاهدة بهما وتستدلوا بأفئدتكم على حقيتهما وقوله تعالى قليلا ما تشكرون بيان لكفرهم بتلك النعم بطريق الاعتراض التذييلي على ان القلة بمعنى النفي كما ينبئ عنه ما بعده اي تشكرون شكرا قليلا او زمانا قليلا تشكرون وفي حكاية احوال الانسان من مبدأ فطرته الى نفخ الروح فيه بطريق الغيبة وحكاية احواله بعد ذلك بطريق الخطاب المبني على استعداد الفهم وصلاحيته له من الجزالة ما لا غاية وراءه وقالوا كلام مستأنف مسوق لبيان اباطيلهم بطريق الالتفات ايذانا بان ما ذكر من عدم شكرهم لتلك النعم موجب للاعراض عنهم وتعديد جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة أئذا ضللنا في الارض اي صرنا ترابا مخلوطا بها بحيث لا نتميز منه او غبنا فيها بالدفن وقرئ ضللنا بكسر اللام من باب علم وصللنا بالصاد المهملة من صل اللحم اذا انتن وقيل من الصلة وهي الارض اي صرنا من جنس الصلة قيل القائل ابي بن خلف ولرضاهم بقوله اسند القول الى الكل والعامل في اذا ما يدل عليه قوله تعالى أئنا لفي خلق جديد وهو نبعث او نجدد خلقنا والهمزة لتذكير الانكار السابق وتأكيده وقرئ انا على الخبر وايا ما كان فالمعنى على تأكيد الانكار لا انكار التأكيد كما هو المتبادر من تقدم الهمزة على ان فانها مؤخرة عنها في الاعتبار وانما تقديمها عليها لاقتضائها الصدارة بل هم بلقاء ربهم كافرون اضراب وانتقال من بيان كفرهم بالبعث الى بيان ما هو ابلغ واشنع منه وهو كفرهم بالوصول الى العاقبة وما يلقونه فيها من الاحوال والاهوال جميعا قل بيانا للحق وردا على زعمهم الباطل يتوفاكم ملك الموت لا كما تزعمون ان الموت من الاحوال الطبيعية العارضة للحيوان بموجب الجبلة اي يقبض ارواحكم بحيث لا يدع فيكم شيئا ولا يترك منكم احدا على اشد ما يكون من الوجوه وافظعها من ضرب وجوهكم وادباركم الذي وكل بكم اي بقبض ارواحكم واحصاء آجالكم ثم الى ربكم ترجعون بالبعث للحساب والجزاء ولو ترى اذ المجرمون وهم القائلون أئذا ضللنا في الارض الآية او جنس المجرمين وهم من جملتهم ناكسوا رؤوسهم عند ربهم من الحياء والخزي عند ظهور قبائحهم التي اقترفوها في الدنيا ربنا اي يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا اي صرنا ممن يبصر ويسمع وحصل لنا الاستعداد لادراك الآيات المبصرة والآيات المسموعة وكنا من قبل عميا وصما لا ندرك شيئا فارجعنا الى الدنيا نعمل عملا صالحا حسبما تقتضيه تلك الآيات وقوله تعالى انا موقنون ادعاء منهم لصحة الافئدة والاقتدار على فهم معاني الآيات والعمل بموجبها كما ان ما قبله ادعاء لصحة مشعري البصر والسمع كانهم قالوا وايقنا وكنا من قبل لا نعقل شيئا اصلا وانما عدلوا الى الجملة الاسمية المؤكدة اظهارا لثباتهم على الايقان وكمال رغبتهم فيه وكل ذلك للجد في الاستدعاء طمعا في الاجابة الى ما سألوه من الرجعة وانى لهم ذلك ويجوز ان يقدر لكل من الفعلين مفعول مناسب له مما يبصرونه ويسمعونه فانهم حيث يشاهدون الكفر والمعاصي على صور منكرة هائلة ويخبرهم الملائكة بان مصيرهم الى النار لا محالة فالمعنى ابصرنا قبح اعمالنا وكنا نراها في الدنيا حسنة وسمعنا ان مردنا الى النار وهو الانسب بما بعده من الوعد بالعمل الصالح هذا وقد قيل المعنى وسمعنا منك تصديق

رسلك وانت خبير بان تصديقه تعالى لهم يكون باظهار مدلول ما اخبروا به من الوعد والوعيد لا بالاخبار بانهم صادقون حتى يسمعوه وقيل وسمعنا قول
الرسل اي سمعناه سمع طاعة واذعان ولا يقدر لترى مفعول اذ المعنى لو تكون منك رؤية في ذلك الوقت او يقدر ما ينبئ عنه صلة اذ والمضي فيها وفي
لو باعتبار الثابت في علم الله تعالى بمنزلة الواقع وجواب لو محذوف اي لرأيت امرا فظيعا لا يقادر قدره والخطاب لكل احد ممن يصلح له كائنا من كان
اذ المراد بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الفظاعة الى حيث لا يختص استغرابها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الامور البديعة والدواهي الفظيعة
بل كل من يتأتى منه الرؤية يتعجب من هولها وفظاعتها ومن علل عموم الخطاب بالقصد الى بيان ان حالهم قد بلغت من الظهور الى حيث يمتنع خفاؤها البتة
فلا تختص برؤية راء دون راء بل كل من يتأتى منه الرؤية فله مدخل في هذا الخطاب فقد نأى عن تحقيق الحق لان المقصود بيان كمال فظاعة حالهم كما
يفصح عنه الجواب المحذوف لا بيان كمال ظهورها فانه مسوق مساق المسلمات فتدبر **ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها** مقدر بقول معطوف على ما قدر قبل قوله تعالى
ربنا ابصرنا الخ اي ونقول لو شئنا اي لو تعلقت مشيئتنا تعلقا فعليا بان نعطي كل نفس البرة والفاجرة ما تهتدي به الى الايمان والعمل الصالح لاعطيناها
اياه في الدنيا التي هي دار الكسب وما اخرناه الى دار الجزاء **ولكن حق القول مني** اي سبقت كلمتي حيث قلت لابليس عند قوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم
المخلصين فالحق والحق اقول لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وهو المعني بقوله تعالى **لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين** كما يلوح به تقديم الجنة على
الناس فبموجب ذلك القول لم نشأ اعطاء الهدى على العموم بل منعناه من اتباع ابليس الذين انتم من جملتهم حيث صرفتم اختياركم الى الغي باغوائه ومشيئتنا
لافعال العباد منوطة باختيارهم اياها فلما لم تختاروا الهدى واخترتم الضلالة لم نشأ اعطاءه لكم وانما اعطيناه الذين اختاروه من النفوس البرة وهم
المعنيون بما سيأتي من قوله تعالى انما يؤمن باياتنا الآية فيكون مناط عدم مشيئة اعطاء الهدى في الحقيقة سوء اختيارهم لا تحقق القول وانما قيدنا
المشيئة بما مر من التعلق الفعلي بافعال العباد عند حدوثها لان المشيئة الازلية من حيث تعلقها بما سيكون من افعالهم اجمالا متقدمة على تحقق كلمة العذاب
فلا يكون عدمها منوطا بتحققها وانما مناطه علمه تعالى ازلا بصرف اختيارهم فيما سيأتي الى الغي وايثارهم له على الهدى فلو اريد بها تلك المشيئة
لاستدرك بعدمها ونيط ذلك بما ذكر من المناط على منهاج قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم فمن توهم ان المعنى ولو شئنا لاعطينا كل نفس ما عندنا
من اللطف الذي لو كان منهم اختياره لاهتدوا ولكن لم نعطهم لما علمنا منهم اختيار الكفر وايثاره فقد اشتبه عليه الشؤون والفاء في قوله تعالى **فذوقوا** لترتيب
الامر بالذوق على ما يعرب عنه ما قبله من نفي الرجع الى الدنيا او على الوعيد المحكي والباء في قوله تعالى **بما نسيتم لقاء يومكم هذا** للايذان بان تعذيبهم ليس لمجرد
سبق الوعيد به فقط بل هو وسبق الوعيد ايضا بسبب موجب من قبلهم كأنه قيل لا رجع لكم الى الدنيا او حق وعيدي فذوقوا بسبب نسيانكم لقاء
هذا اليوم الهائل وترككم التفكر فيه والاستعداد له بالكلية **انا نسيناكم** اي تركناكم في العذاب ترك المنسي بالمرة وقوله تعالى **وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون**
تكرير للتأكيد والتشديد وتعيين المفعول المطوي للذوق والاشعار بان سببه ليس مجرد ما ذكر من النسيان بل له اسباب اخر من فنون الكفر والمعاصي التي كانوا
مستمرين عليها في الدنيا وعدم نظم الكل في سلك واحد للتنبيه على استقلال كل منها في استيجاب العذاب وفي ابهام المذوق اولا وبيانه ثانيا بتكرير الامر
وتوسيط الاستيناف المنبئ عن كمال السخط بينهما من الدلالة على غاية التشديد في الانتقام منهم ما لا يخفى وقوله تعالى **انما يؤمن باياتنا** استيناف مسوق
لتقرير عدم استحقاقهم لايتاء الهدى والاشعار بعدم ايمانهم لو اوتوه بتعيين من يستحقه بطريق القصر كأنه قيل انكم لا تؤمنون باياتنا ولا تعملون
بموجبها عملا صالحا ولو رجعناكم الى الدنيا كما تدعون حسبما ينطق به قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانما يؤمن **الذين اذا ذكروا بها** اي
وعظوا **خروا سجدا** اثر ذي اثير من غير تردد ولا تلعثم فضلا عن التسويف الى معاينة ما نطقت به من الوعيد اي سقطوا على وجوههم **وسبحوا**
بحمد ربهم اي ونزهوه عند ذلك عن كل ما لا يليق به من الامور التي من جملتها العجز عن البعث ملتبسين بحمده تعالى على نعمائه التي اجلها الهداية بايتاء
الايات والتوفيق للاهتداء بها والتعرض لعنوان الربوبية بطريق الالتفات مع الاضافة الى ضميرهم للاشعار بعلة التسبيح والتحميد وبانهم يفعلونهما
بملاحظة ربوبيته تعالى لهم **وهم لا يستكبرون** اي والحال انهم خاضعون له تعالى لا يستكبرون عما فعلوا من الخرور والتسبيح والتحميد **تتجافى جنوبهم** اي ترتفع وتتنحى **عن**
المضاجع اي الفرش ومواضع المنام والجملة مستأنفة لبيان بقية محاسنهم وهم المتهجدون بالليل قال انس رضي الله عنه نزلت فينا معاشر الانصار كنا
نصلي المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن انس ايضا قال نزلت في اناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
كانوا يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء وهي صلاة الاوابين وهو قول ابي حازم ومحمد بن المنكدر وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما
وقال عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة والفجر في جماعة والمشهور ان المراد منه صلوة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك

والاوزاعي وجماعة لقوله صلى الله عليه وسلم افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وافضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل وعن النبي صلى الله
عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه عليه السلام اذا جمع الله الاولين والآخرين جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع من
اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليلون ثم يرجع فيقول ليقم الذين يحمدون الله في البأساء
والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقوله تعالى **يدعون ربهم** حال من ضمير جنوبهم اي داعين له تعالى
على الاستمرار **خوفا** من سخطه وعذابه وعدم قبول عبادته **وطمعا** في رحمته **ومما رزقناهم** من المال **ينفقون** في وجوه البر والحسنات **فلا تعلم نفس** من النفوس لا ملك
مقرب ولا نبي مرسل فضلا عمن عداهم **ما اخفي لهم** اي لاولئك الذين عددت نعوتهم الجليلة **من قرة اعين** مما تقر به اعينهم وعنه عليه السلام يقول الله عز وجل
اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقرؤوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من
قرة اعين وقرئ ما اخفي لهم وما نخفي لهم وما اخفيت لهم على صيغة المتكلم وما اخفى لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وقرئ قرات اعين لاختلاف
انواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة او استفهامية علق عنها الفعل **جزاء بما كانوا يعملون** اي جزوا جزاء او اخفي لهم للجزاء بما كانوا يعملونه في
الدنيا من الاعمال الصالحة قيل هؤلاء القوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله تعالى ثوابهم **افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا** اي ابعد ظهور ما بينهما من التباين
البين يتوهم كون المؤمن الذي حكيت اوصافه الفاضلة كالفاسق الذي ذكرت احواله **لا يستوون** التصريح به مع افادة الانكار لنفي المشابهة
بالمرة على وجه واكده لبناء التفصيل الآتي عليه والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها وقوله تعالى **اما الذين امنوا وعملوا الصالحات**
فلهم جنات المأوى تفصيل لمراتب الفريقين بعد ذكر احوالهما في الدنيا واضيفت الجنة الى المأوى لانها المأوى الحقيقي وانما الدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة وقيل المأوى جنة من
الجنات واياما كان فلا يبعد ان يكون فيه رمز الى ما ذكر من تجافيهم عن مضاجعهم التي هي مأواهم في الدنيا **نزلا** اي ثوابا وهو في الاصل ما يعد للنازل
من الطعام والشراب وانتصابه على الحالية **بما كانوا يعملون** في الدنيا من الاعمال الصالحة او باعمالهم **واما الذين فسقوا** اي خرجوا عن الطاعة **فمأواهم**
اي ملجأهم ومنزلهم **النار** مكان جنات المأوى للمؤمنين **كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها** استيناف لبيان كيفية كون النار مأواهم يروى
انهم يضربهم لهب النار فيرتفعون الى طبقاتها حتى اذا قربوا من بابها وارادوا ان يخرجوا منها يضربهم اللهيب فيهوون الى قعرها وهكذا يفعل بهم
ابدا وكلمة في للدلالة على انهم مستقرون فيها وانما الاعادة من بعض طبقاتها الى بعض **وقيل لهم** تشديدا عليهم وزيادة في غيظهم **ذوقوا**
عذاب النار الذي كنتم به اي بعذاب النار **تكذبون** على الاستمرار في الدنيا **ولنذيقنهم من العذاب الادنى** اي عذاب الدنيا وهو ما محنوا به من السنة سبع سنين
والقتل والاسر **دون العذاب الاكبر** الذي هو عذاب الآخرة **لعلهم** لعل الذين يشاهدونه وهم في الحياة **يرجعون** يتوبون عن الكفر روي
ان الوليد بن عقبة فاخر عليا رضي الله عنه يوم بدر فنزلت هذه الآيات **ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها** بيان اجمالي لمن قابل آيات الله تعالى بالاعراض
بعد بيان حال من قابلها بالسجود والتسبيح والتحميد وكلمة ثم لاستبعاد الاعراض عنها عقلا مع غاية وضوحها وارشادها الى سعادة الدارين كما في
بيت الحماسة ولا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها اي هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب على نفي الاظلم من غير تعرض
لنفي المساوي وقد مر مرارا **انا من المجرمين** اي من كل من اتصف بالاجرام وان هانت جريمته **منتقمون** فكيف ممن هو اظلم من كل ظالم واشد جرما من كل
مجرم **ولقد آتينا موسى الكتاب** من لقاء الكتاب الذي هو الفرقان كقوله وانك لتلقى القرآن والمعنى انا آتينا موسى مثل ما آتيناك ولقيناه مثل
ما لقيناك من الوحي فلا تكن في شك من انك لقيت مثله ونظيره وقيل من لقائك موسى الكتاب او من لقائك موسى عليه السلام وعنه عليه الصلوة
والسلام رأيت ليلة اسري بي موسى عليه السلام رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة **وجعلناه** اي الكتاب الذي آتيناه موسى **هدى لبني**
اسرائيل قيل لم يتعبد بما في التوراة ولد اسمعيل **وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا** بقيتهم بما في تضاعيف الكتاب من الحكم والاحكام الى طريق الحق او يهدونهم
الى ما فيه من دين الله وشرائعه **بامرنا** اياهم بذلك او بتوفيقنا لهم **لما صبروا** هي لما التي فيها معنى الجزاء نحو احسنت اليك لما جئتني والضمير للائمة
تقديره لما صبروا جعلناهم ائمة او هي ظرف بمعنى الحين اي جعلناهم ائمة حين صبروا والمراد صبرهم على مشاق الطاعات ومقاساة الشدائد في
نصرة الدين او صبرهم عن الدنيا وقرئ لما صبروا اي لصبرهم **وكانوا باياتنا** التي في تضاعيف الكتاب **يوقنون** لامعانهم النظر والمعنى كذلك
لنجعلن الكتاب الذي آتيناكه هدى لامتك ولنجعلن منهم ائمة يهدون مثل تلك الهداية **ان ربك هو يفصل** اي يقضي **بينهم** قيل بين الانبياء
واممهم وقيل بين المؤمنين والمشركين **يوم القيامة** فيميز بين المحق والمبطل **فيما كانوا فيه يختلفون** من امور الدين **اولم يهد لهم** الهمزة للانكار

ص
للتوراة بعنوان الكتاب لتحقيق المجانسة بينها وبين الفرقان والتنبيه على ان ايتاءه الرسول صلى الله عليه وسلم كايتائها لموسى عليه السلام **فلا تكن في** **مرية من لقائه**

والواو للعطف على منوي يقتضيه المقام وفعل الهداية اما من قبيل فلان يعطي في ان المراد ايقاع نفس الفعل بلا ملاحظة المفعول واما بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل ما دل عليه قوله تعالى كم اهلكنا اي اغفلوا ولم يفعل الهداية لهم او ولم يبين لهم مآل امرهم كثرة اهلاكنا من قبلهم من القرون مثل عاد وثمود وقوم لوط وقرئ نهد لهم بنون العظمة وقد جوز ان يكون الفاعل على القراءة الاولى ايضا ضميره تعالى فيكون قوله تعالى كم اهلكنا الخ استئنافا مبينا لكيفية هدايته يمشون في مساكنهم اي يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم ويشاهدون آثار هلاكهم والجملة حال من ضمير لهم وقرئ يمشّون للتكثير ان في ذلك اي فيما ذكر من كثرة اهلاكنا للامم الخالية العاتية او في مساكنهم لآيات عظيمة في انفسها كثيرة في عددها افلا يسمعون هذه الآيات سماع تدبر واتعاظ اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز اي التي جرز نباتها اي قطع وازيل بالمرة وقيل هو اسم موضع باليمن فنخرج به من تلك الارض زرعا تأكل منه اي من ذلك الزرع انعامهم كالتبن والقصيل والورق وبعض الحبوب المخصوصة بها وقرئ يأكل بالياء وانفسهم كالحبوب التي يقتاتها الانسان والثمار افلا يبصرون اي الا ينظرون فلا يبصرون ذلك ليستدلوا به على كمال قدرته تعالى وفضله ويقولون كان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفصل بيننا وبينهم وكان اهل مكة اذا سمعوه يقولون بطريق الاستعجال تكذيبا واستهزاء متى هذا الفتح اي النصر او الفصل بالحكومة ان كنتم صادقين في ان الله تعالى ينصركم او يفصل بيننا وبينكم قل تبكيتا لهم وتحقيقا للحق يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون يوم الفتح يوم القيمة وهو يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة والعدول عن تطبيق الجواب على ظاهر سؤالهم للتنبيه على انه ليس مما ينبغي ان يسأل عنه لكونه امرا بينا غنيا عن الاخبار به وكذا ايمانهم واستنظارهم يومئذ وانما المحتاج الى البيان عدم نفع ذلك الايمان وعدم الانظار كأنه قيل لا تستعجلوا فكأني بكم قد آمنتم فلم ينفعكم واستنظرتم فلم تنظروا وهذا على الوجه الاول ظاهر واما على الاخيرين فالموصول عبارة عن المقتولين يومئذ لا عن كافة الكفرة كما في الوجه الاول كيف لا وقد نفع الايمان الطلقاء يوم الفتح وناسا آمنوا يوم بدر فاعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم انهم منتظرون قيل اي الغلبة عليكم كقوله تعالى فتربصوا انا معكم متربصون والاظهر ان يقال انهم منتظرون هلاكهم كما في قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام الآية ويقرب منه ما قيل وانتظر عذابنا انهم منتظرون فان استعجالهم المذكور وعكوفهم على ما هم عليه من الكفر والمعاصي في حكم انتظارهم العذاب المترتب عليه لا محالة وقرئ على صيغة المفعول على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او فان الملائكة ينتظرونه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كأنما احيا ليلة القدر وعنه عليه الصلوة والسلام من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلثة ايام صدق رسول الله

سورة الاحزاب

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اتق الله في ندائه عليه السلام بعنوان النبوة تنويه بشأنه وتنبيه على سمو مكانه والمراد بالتقوى المأمور به الثبات عليه والازدياد منه فان له بابا واسعا وعرضا عريضا لا ينال مداه ولا تطع الكافرين اي المجاهرين بالكفر والمنافقين المضمرين له اي فيما يعود بوهن في الدين واعطاء دنية فيما بين المسلمين روي ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه عليه السلام في الموادعة التي كانت بينه عليه السلام وبينهم وقام معهم عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت اي اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تساعد الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك ان الله كان عليما حكيما مبالغا في العلم والحكمة فيعلم جميع الاشياء من المصالح والمفاسد فلا يأمرك الا بما فيه مصلحة ولا ينهاك الا عما فيه مفسدة ولا يحكم الا بما فيه الحكمة البالغة فالجملة تعليل للامر والنهي مؤكد لوجوب الامتثال بهما واتبع اي في كل ما تأتي وتذر من امور الدين ما يوحى اليك من ربك من الآيات التي من جملتها هذه الآية الآمرة بتقوى الله الناهية عن طاعة الكفرة والمنافقين والتعرض لعنوان الربوبية لتأكيد وجوب الامتثال بالامر ان الله كان بما تعملون خبيرا قيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم وقيل له عليه السلام وللمؤمنين وقيل للغائبين بطريق الالتفات ولا يخفى بعده نعم يجوز ان يكون للكل على ضرب من التغليب وايا ما كان فالجملة تعليل للامر وتأكيد لموجبه اما على الوجهين الاولين فبطريق الترغيب والترهيب كأنه قيل ان الله خبير بما تعملونه من الامتثال وتركه فيرتب على كل منهما جزاءه ثوابا وعقابا واما على الوجه الاخير فبطريق الترغيب فقط كأنه قيل ان الله خبير بما يعمله كلا الفريقين فيرشدك الى ما فيه صلاح حالك وانتظام امرك ويطلعك على ما يعملونه من المكايد والمفاسد ويأمرك بما ينبغي لك ان تعمله في دفعها وردها فلا بد من اتباع الوحي والعمل بمقتضاه حتما وتوكل على الله اي

فوض جميع امورك اليه وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا اليه كل الامور ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه شروع في القاء الوحي الذي امر عليه السلام باتباعه وهذا مثل ما ضربه الله تمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم تنبيها على ان كون المظاهر منها اما وكون الدعي ابنا اي بمنزلة الام والابن في الآثار والاحكام المعهودة فيما بينهم في الاستحالة بمنزلة اجتماع قلبين في جوف واحد وقيل هو رد لما كانت العرب تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابي معمر جميل بن اسد الفهري ذو القلبين اي ما جمع الله قلبين في رجل وذكر الجوف لزيادة التقرير كما في قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ولا زوجية وامومة في امرأة ولا دعوة وبنوة في شخص لكن لا بمعنى نفي الجمع بين حقيقة الزوجية والامومة ونفي الجمع بين حقيقة الدعوة والبنوة كما في القلب ولا بمعنى نفي الجمع بين احكام الزوجية واحكام الامومة ونفي الجمع بين احكام الدعوة واحكام البنوة على الاطلاق بل بمعنى نفي الجمع بين حقيقة الزوجية واحكام الامومة ونفي الجمع بين حقيقة الدعوة واحكام البنوة على الدعي ومعنى الظهار ان يقول لزوجته انت علي كظهر امي مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة كما عدي آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهار للكناية عن البطن الذي هو عموده فان ذكره قريب من ذكر الفرج او للتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان الزوجة وظهرها الى السماء وقرئ اللاي وقرئ اللاء وقرئ تظاهرون بحذف احدى التاءين من تتظاهرون وتظاهرون بادغام التاء الثانية في الظاء وتظهرون من اظهر بمعنى تظهر وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر ظهورا وادعياء جمع دعي وهو الذي يدعى ولدا على الشذوذ لاختصاص افعلاء بفعيل بمعنى فاعل كتقي واتقياء كأنه شبه به في اللفظ فجمع جمعه كقتلاء واسراء ذلكم اشارة الى ما يفهم مما ذكر من الظهار والدعاء او الى الاخير الذي هو المقصود من سياق الكلام اي دعاؤكم بقولكم هذا ابني قولكم بافواهكم فقط من غير ان يكون له مصداق وحقيقة في الاعيان فاذن هو بمعزل من استتباع احكام البنوة كما زعمتم والله يقول الحق المطابق للواقع وهو يهدي السبيل اي سبيل الحق لا غير فدعوا اقوالكم وخذوا بقوله عز وجل ادعوهم لآبائهم اي انسبوهم اليهم وخصوهم وقوله تعالى هو اقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا كما في قوله تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل اي الدعاء لآبائهم بالغ في العدل والصدق في حكم الله تعالى وقضائه فان لم تعلموا آباءهم فتنسبوهم اليهم فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين ومواليكم واولياؤكم فيه اي فادعوهم بالاخوة الدينية والمولوية وليس عليكم جناح اي اثم فيما اخطأتم به اي فيما فعلتموه من ذلك مخطئين بالسهو او النسيان او سبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم اي ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم بعد النهي او ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن المخطئ وحكم التبني بقوله هو ابني اذا كان عبدا للقائل عتق على كل حال ولا يثبت نسبه منه الا اذا كان مجهول النسب وكان بحيث يولد مثله لمثل المتبني ولم يقر قبله بنسبه من غيره النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم اي في كل امر من امور الدين والدنيا كما يشهد به الاطلاق فيجب عليهم ان يكون عليه السلام احب اليهم من انفسهم وحكمه انفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه اقدم من شفقتهم عليها روي انه عليه السلام اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس نستأذن آباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم في الدين فان كل نبي اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحياة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة وازواجه امهاتهم اي منزلات منازلهن في التحريم واستحقاق التعظيم واما فيما عدا ذلك فهن كالاجنبيات ولذلك قالت رضي الله عنها لسنا امهات النساء واولوا الارحام اي ذوو القرابات بعضهم اولى ببعض في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين في كتاب الله في اللوح او فيما انزله وهو هذه الآية او آية المواريث او فيما فرض الله تعالى من المؤمنين والمهاجرين بيان لاولي الارحام او صلة لاولى اي اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا استثناء من اعم ما يقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية او منقطع كان ذلك في الكتاب مسطورا اي كان ما ذكر من الآيتين ثابتا في اللوح او القرآن وقيل في التوراة واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم اي اذكر وقت اخذنا من النبيين كافة عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين الحق ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم تخصيصهم بالذكر مع اندراجهم في النبيين اندراجا بينا للايذان بمزيد مزيتهم وفضلهم وكونهم من مشاهير ارباب الشرائع واساطين اولي العزم من الرسل وتقديم نبينا عليهم عليهم الصلوة والسلام لابانة خطره الجليل واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي عهدا عظيم الشأن او مؤكدا باليمين وهذا هو الميثاق الاول بعينه واخذه هو اخذه والعطف مبني على تنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير

الذاتي تفخيماً لشأنه كما في قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ اثر قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا وقوله تعالى
ليسأل الصادقين عن صدقهم متعلق بمضمر مستأنف مسوق لبيان ما هو داع الى ما ذكر من اخذ الميثاق وغاية له لا باخذنا فان المقصود تذكير
نفس الميثاق ثم بيان الغرض منه قصدياً كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات الى الغيبة اي فعل الله ذلك ليسأل يوم القيمة الانبياء
ووضع الصادقين موضع ضميرهم للايذان من اول الامر بانهم صادقون فيما سألوا عنه وانما السؤال لحكمة تقتضيه اي ليسأل الانبياء
الذين صدقوا عهودهم عما قالوه لقومهم او عن تصديقهم اياهم تبكيتاً لهم كما في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم او
المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق وتصديقه صدق واما ما قيل من ان المعنى ليسأل المؤمنين الذين صدقوا
عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهده فيأباه مقام تذكير ميثاق النبيين وقوله تعالى واعد للكافرين عذاباً اليماً عطف على ما ذكر
من المضمر لا على اخذنا كما قيل والتوجيه بان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين او بان المعنى ان الله تعالى اكد على الانبياء
الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين تعسف ظاهر مع انه مفض الى كون بيان اعداد العذاب الاليم للكافرين غير مقصود بالذات نعم يجوز
العطف على ما دل عليه قوله تعالى ليسأل الصادقين كأنه قيل فاثاب المؤمنين واعد للكافرين الآية يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم
ان جعل النعمة مصدراً فالجار متعلق بها والا فهو متعلق بمحذوف هو حال منها اي كائنة عليكم اذ جاءتكم جنود ظرف لنفس النعمة او لثبوتها لهم وقيل
منصوب باذكروا على انه بدل اشتمال من نعمة الله والمراد بالجنود الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني
عشر الفاً فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة باشارة سلمان الفارسي ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب
معسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق في المنافقين
حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر ونحن لا نقدر ان نذهب الى الغائط ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا
ان فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود وعكرمة بن ابي جهل وهبيرة بن ابي وهب ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب ومرداس اخو بني محارب
قد ركبوا خيولهم وتيمموا من الخندق مكاناً مضيقاً فضربوا خيولهم فاقتحموا فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع فخرج علي بن ابي طالب رضي الله عنه
في نفر من المسلمين حتى اخذ عليهم الثغرة التي اقتحموا منها فاقبلت الفرسان نحوهم فكان عمرو معلماً ليرى مكانه فقال له علي رضي الله عنه يا عمرو
اني ادعوك الى الله ورسوله والاسلام قال لا حاجة لي اليه قال فاني ادعوك الى النزال قال يا ابن اخي والله لا احب ان اقتلك قال علي رضي الله عنه
لكني والله احب ان اقتلك فحمي عمرو عند ذلك وكان غيوراً مشهوراً بالشجاعة فاقتحم عن فرسه فعقره او ضرب وجهه ثم اقبل على علي فتنازلا وتجاولا
فضربه علي رضي الله عنه ضربة فيها نفسه فلما قتله انهزمت فرسانه حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان بن عبد الدار
ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي قتله ايضاً علي رضي الله عنه وقيل لم يكن بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله تعالى النصر وذلك
قوله تعالى فارسلنا عليهم ريحاً عطف على جاءتكم مسوق لبيان النعمة اجمالاً وسيأتي بقيتها في آخر القصة وجنوداً لم تروها وهم الملائكة عليهم السلام وكانوا
الفاً بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب في وجوههم وامر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب واطفأت النيران
واكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد
فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وكان الله بما تعملون من حفر الخندق وترتيب مبادي الحرب وقيل من التجائكم اليه ورجائكم من فضله
وقرئ بالياء اي بما يعمله الكفار من التحزب والمحاربة او من الكفر والمعاصي بصيراً ولذلك فعل ما فعل من نصركم عليهم والجملة اعتراض مقرر لما قبله اذ
جاؤكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى الوادي من جهة المشرق وهم بنو غطفان ومن تابعهم من اهل نجد قائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل في
هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومن اسفل منكم اي من اسفل الوادي من قبل المغرب وهم قريش ومن شايعهم من الاحابيش وبني كنانة واهل تهامة وقائدهم
ابو سفيان وكانوا عشرة آلاف واذ زاغت الابصار عطف على ما قبله داخل معه في حكم التذكير اي حين مالت عن سننها وانحرفت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصاً
وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع وبلغت القلوب الحناجر لان الرئة تنتفخ من شدة الروع فيرتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة
وهي منتهى الحلقوم وقيل هو مثل في اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة والخطاب في قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا لمن يظهر الايمان
على الاطلاق اي تظنون به تعالى انواع الظنون المختلفة حيث ظن المخلصون الثبت القلوب ان الله تعالى ينجز وعده في اعلاء دينه كما يعرب عنه ما سيحكى عنهم

عنهم من قولهم هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله الآية او يمتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكي عنهم مما لا خير فيه
والجملة معطوفة على زاغت وصيغة المضارع لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار وقرئ الظنون بغير الف وهو القياس وزيادتها لمراعاة الفواصل
كما تزاد في القوافي هنالك ظرف زمان وظرف مكان لما بعده اي في ذلك الزمان الهائل او المكان الدحض ابتلي المؤمنون اي عوملوا معاملة من
يختبر فظهر المخلص من المنافق والراسخ من المتزلزل وزلزلوا زلزالاً شديداً من الهول والفزع وقرئ بفتح الزاء واذ يقول المنافقون عطف على اذ زاغت
وصيغة المضارع لما مر من الدلالة على استمرار القول واستحضار صورته والذين في قلوبهم مرض اي ضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله من اعلاء
الدين والظفر الا غروراً اي وعد غرور وقيل قولاً باطلاً والقائل معتب بن قشير واضرابه راضون به قال يعدنا فتح كنوز كسرى وقيصر واحدنا لا يقدر
ان يبرز فرقاً ما هذا الا وعد غرور واذ قالت طائفة منهم هم اوس بن قيظي واتباعه وقيل عبد الله بن ابي واشياعه يا اهل يثرب هو اسم المدينة
المطهرة وقيل اسم بقعة وقعت المدينة في ناحية منها وقد نهي النبي صلى الله عليه وسلم ان تسمى بها كراهة لها وقال هي طيبة او طابة كأنهم
ذكروها بذلك الاسم مخالفة له صلى الله عليه وسلم ونداؤهم اياهم بعنوان اهليتهم لها ترشيح لما بعده من الامر بالرجوع اليها لا مقام لكم لا موضع اقامة
لكم او لا اقامة لكم ههنا يريدون المعسكر وقرئ بفتح الميم اي لا قيام او لا موضع قيام لكم فارجعوا اي الى منازلكم بالمدينة مرادهم الامر بالفرار لكنهم
عبروا عنه بالرجوع ترويجاً لمقالهم وايذاناً بانه ليس من قبيل الفرار المذموم وقيل المعنى لا قيام لكم في دين محمد عليه السلام فارجعوا الى ما كنتم
عليه من الشرك او فارجعوا عما بايعتموه عليه واسلموه الى اعدائه او مقام لكم في يثرب فارجعوا كفاراً ليمكنني لكم المقام بها والاول انسب
لما بعده فان قوله تعالى ويستأذن فريق منهم النبي معطوف على قالت وصيغة المضارع لما مر من استحضار الصورة وهم بنو حارثة وبنو
سلمة استأذنوه عليه السلام في الرجوع ممتثلين بامره وقوله تعالى يقولون بدل من يستأذن او حال من فاعله او استئناف مبني على سؤال
من كيفية الاستئذان ان بيوتنا عورة اي غير حصينة معرضة للعدو والسراق فأذن لنا حتى نحصنها ثم نرجع الى العسكر والعورة في الاصل
الخلل على المحل مبالغة وقد جوز ان تكون تخفيف عورة من عورت الدار اي اختلت وقد قرئ بها والاول هو الانسب بمقام الاعتذار كما يفصح عنه
تصدير مقالتهم بحرف التحقيق وما هي بعورة والحال انها ليست كذلك ان يريدون ما يريدون بالاستئذان الا فراراً من القتال ولو دخلت عليهم
اسند الدخول الى بيوتهم واوقع عليهم لما ان المراد فرض دخولها وهم فيها لا فرض دخولها مطلقاً كما هو المفهوم لو لم يذكر الجار والمجرور ولا فرض الدخول
عليهم مطلقاً كما هو المفهوم لو اسند الى الجار والمجرور من اقطارها اي من جميع جوانبها لا من بعضها دون بعض فالمعنى لو كانت بيوتهم مختلة بالكلية
ودخلها كل من اراد من اهل الدعارة والفساد ثم سئلوا من جهة طائفة اخرى عند تلك النازلة والرجفة الهائلة الفتنة اي الردة والرجعة
الى الكفر مكان ما سئلوا الآن من الايمان والطاعة لآتوها لاعطوها غير مبالين بما دهاهم من الداهية الدهياء والغارة الشعواء وقرئ لاتوها
بالقصر اي لفعلوها وجاؤها وما تلبثوا بها بالفتنة اي ما لبثوا وما اخروها الا يسيراً ريثما يسع السؤال والجواب من الزمان فضلاً عن التعلل باختلال
البيوت مع سلامتها كما فعلوا الآن وقيل ما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيراً والاول هو اللائق بالمقام هذا واما تخصيص فرض الدخول بتلك العساكر
المتحزبة فمع منافاته للعموم المستفاد من تجريد الدخول عن الفاعل ففيه ضرب من فساد الوضع لما عرفت من ان مساق النظم الكريم لبيان انهم
اذا دعوا الى الحق تعللوا بشيء يسير وان دعوا الى الباطل سارعوا اليه اثر ذي اثير من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم ففرض الدخول عليهم من جهة
العساكر المذكورة واسناد سؤال الفتنة والدعوة الى الكفر الى طائفة اخرى مع ان العساكر هم المعروفون بعداوة الدين المباشرون لقتال
المؤمنين المصرون على الاعراض عن الحق المجدون في الدعاء الى الكفر والضلال بمعزل من التقريب ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار فان
بني حارثة عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حين فشلوا ان لا يعودوا لمثله وقيل هم قوم غابوا عن وقعة بدر ورأوا ما اعطى الله
اهل بدر من الكرامة والفضيلة فقالوا لئن اشهدنا الله قتالاً لنقاتلن وكان عهد الله مسؤولاً مطلوباً مقتضى حتى يوفى به وقيل مسؤولاً عن الوفاء
به ومجازى عليه قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل فانه لا بد لكل شخص من حتف انفه او قتل بسيف في وقت معين سبق به القضاء
وجرى عليه القلم واذاً لا تمتعون الا قليلاً اي وان نفعكم الفرار مثلاً فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع الا تمتيعاً قليلاً او زماناً قليلاً قل
من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءاً او اراد بكم رحمة اي يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام او حمل الثاني على الاول
لما في العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ينفعهم ولا نصيراً يدفع عنهم الضرر قد يعلم الله المعوقين منكم اي المثبطين للناس

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون **والقائلين لإخوانهم** من منافقي المدينة **هلم إلينا** وهو صوت سمي به فعل متعد نحو احضر او قرب ويستوي فيه الواحد والجماعة على لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال اي قربوا انفسكم الينا وهذا يدل على انهم عند هذا القول خارجون عن المعسكر متوجهون نحو المدينة **ولا يأتون البأس** اي الحرب والقتال **إلا قليلا** اي اتيانا او زمانا او بأسا قليلا فانهم يعتذرون ويثبطون ما امكن لهم ويخرجون مع المؤمنين يوهمونهم انهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون الا شيئا قليلا اذا اضطروا اليه كقوله تعالى ما قاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم معناه ولا يأتي اصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا **أشحة عليكم** اي بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة في سبيل الله او الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبه على الحالية من فاعل يأتون او من المعوقين او على الذم **فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم** في احداقهم **كالذي يغشى عليه من الموت** صفة لمصدر ينظرون او حال من فاعله او لمصدر تدور او حال من اعينهم اي ينظرون نظرا كائنا كنظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخوفا ولواذا بك او ينظرون كائنين كالذي الخ او تدور اعينهم دورانا كائنا كدوران عينه او تدور اعينهم كائنة كعينه **فإذا ذهب الخوف** وحيزت الغنائم **سلقوكم** ضربوكم **بألسنة حداد** وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه والسلق البسط بقهر باليد او اللسان وقرئ صلقوكم **أشحة على الخير** نصب على الحالية او الذم ويؤيده القراءة بالرفع **أولئك** الموصوفون بما ذكر من صفات السوء **لم يؤمنوا** بالاخلاص **فأحبط الله أعمالهم** اي اظهر بطلانها اذ لم يثبت لهم اعمال فتبطل او ابطل تصنعهم ونفاقهم فلم يبق مستتبعا لمنفعة دنيوية اصلا **وكان ذلك** الاحباط **على الله يسيرا** هينا وتخصيص يسره بالذكر مع ان كل شيء عليه تعالى يسير لبيان ان اعمالهم حقيقة بأن يظهر حبوطها لكمال تعاضد الدواعي وعدم الصوارف بالكلية **يحسبون الأحزاب لم يذهبوا** اي هؤلاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا الى داخل المدينة **وإن يأت الأحزاب** كرة ثانية **يودوا لو أنهم بادون في الأعراب** تمنوا انهم خارجون الى البدو وحاصلون بين الاعراب وقرئ بدى جمع باد كغاز وغزى **يسألون** كل قادم من جانب المدينة وقرئ يساءلون اي يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك او يتساءلون الاعراب كما يقال رأيت الهلال وتراءيناه فان صيغة التفاعل قد تجرد عن معنى كون ما اسندت اليه فاعلا من وجه ومفعولا من وجه ويكتفى بتعدد الفاعل كما في المثال المذكور ونظائره **عن أنبائكم** عما جرى عليكم **ولو كانوا فيكم** هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال **ما قاتلوا إلا قليلا** رياء وخوفا من التعيير **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة** خصلة حسنة حقها ان يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد وهو نفسه في حد ذاته قدوة يحق التأسي به كقولك في البيضة عشرون منا حديدا اي هي في نفسها هذا القدر من الحديد وقرئ بكسر الهمزة وهي لغة فيها **لمن كان يرجو الله واليوم الآخر** اي ثواب الله ولقاءه او ايام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو مثل قولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الآخر من ايام الله تعالى ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثر على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه **وذكر الله** اي وقرن الرجاء بذكر الله **كثيرا** اي ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا فان المثابرة على ذكره تعالى تؤدي الى ملازمة الطاعة وبها يتحقق الائتساء برسول الله صلى الله عليه وسلم **ولما رأى المؤمنون الأحزاب** بيان لما صدر عن خلص المؤمنين عند اشتباه الشؤون واختلاط الظنون بعد حكاية ما صدر عن غيرهم اي لما شاهدوهم حسبما وصفوا لهم **قالوا هذا** مشيرين الى ما شاهدوه من حيث هو من غير ان يخطر ببالهم لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيثه فانهما من احكام اللفظ كما مر في قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي وجعله اشارة الى الخطب او البلاء من نتائج النظر فتدبر نعم يجوز التذكير باعتبار الخبر الذي هو **ما وعدنا الله ورسوله** فان ذلك العنوان اول ما يخطر ببالهم عند المشاهدة ومرادهم بذلك ما وعدوه بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء الآية وقوله عليه السلام سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه السلام ان الاحزاب سائرون اليكم بعد تسع ليال او عشر وقرئ بكسر الراء وفتح الهمزة **وصدق الله ورسوله** اي ظهر صدق خبر الله تعالى ورسوله او صدقا في النصرة والثواب كما صدقا في البلاء واظهار الاسم للتعظيم **وما زادهم إلا إيمانا** بالله تعالى وبمواعيده **وتسليما** لاوامره ومقاديره **من المؤمنين** اي المؤمنين بالاخلاص مطلقا لا الذين حكيت محاسنهم خاصة **رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه** من الثبات مع الرسول عليه السلام والمقاتلة لاعداء الدين وهم رجال من الصحابة رضي الله عنهم نذروا انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم

تحريضهم الاعداء الى ...

اجمعين ومعنى صدقوا اتوا بالصدق من صدقني اذا قال الصدق ومحل ما عاهدوا النصب اما بطرح الخافض عنه وايصال الفعل اليه كما في قولهم صدقني سن بكره اي في سنه واما بجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كأنهم خاطبوه خطاب من قال لكم ما نويه او حي الى الكوماء هذا طارق وقالوا سيقتي بكبه وحيث وفوا به فقد صدقوه ولو كانوا نكثوه لكذبوه ولكان مكذوبا **فمنهم من قضى نحبه** تفصيل لحال الصادقين وتقسيم لهم الى قسمين والنحب النذر وهو ان يلتزم الانسان شيئا من اعماله ويوجبه على نفسه وقضاؤه الفراغ منه والوفاء به ومحل الجار والمجرور الرفع على الابتداء على الوجهين المذكورين في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية اي فبعضهم او فبعض منهم من خرج عن العهدة كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر عم انس بن مالك وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فانهم قد قضوا نذورهم سواء كان النذر على حقيقته بأن يكون ما نذروه افعالهم الاختيارية التي هي المقاتلة المغياة بما ليس منها ولا يدخل تحت النذر وهو الموت شهيدا او كان مستعارا لالتزام على ما سيأتي **ومنهم** اي بعضهم او وبعض منهم **من ينتظر** اي قضاء نحبه لكونه موقتا كعثمان وطلحة وغيرهما ممن استشهد بعد ذلك رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فانهم مستمرون على نذورهم قد قضوا بعضها وهو الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقتال الى حين نزول الآية الكريمة وينتظرون لقضاء بعضها الباقي وهو القتال الى الموت شهيدا هذا ويجوز ان يكون النحب مستعارا لالتزام الموت شهيدا اما بتنزيل التزام اسبابه التي هي افعاله الاختيارية للناذر منزلة التزام نفسه واما بتنزيل نفسه منزلة اسبابه وايراد الالتزام عليه وهو الانسب بمقام المدح واياما كان ففي وصفهم بالانتظار المنبئ عن الرغبة في المنتظر شهادة حقة بكمال اشتياقهم الى الشهادة واما ما قيل من ان النحب استعير للموت لانه كنذر لازم في رقبة كل حيوان فمسخ للاستعارة وذهاب برونقها واخراج النظم الكريم عن مقتضى المقام بالكلية **وما بدلوا** عطف على صدقوا وفاعله اي وما بدلوا عهدهم وما غيروه **تبديلا** اي تبديلا ما لا اصلا ولا وصفا بل ثبتوا عليه راغبين فيه مراعين لحقوقه على احسن ما يكون اما الذين قضوا فظاهر واما الباقون فيشهد به انتظارهم اصدق شهادة وتعميم عدم التبديل للفريق الاول مع ظهور حالهم للايذان بمساواة الفريق الثاني لهم في الحكم ويجوز ان يكون ضمير بدلوا للمنتظرين خاصة بناء على ان المحتاج الى البيان حالهم وقد روي ان طلحة رضي الله عنه ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اصيبت يده فقال عليه السلام اوجب طلحة الجنة وفي رواية اوجب طلحة وعنه عليه السلام في رواية جابر رضي الله عنه من سره ان ينظر الى شهيد يمشي على الارض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله وفي رواية عائشة رضي الله عنها من سره ان ينظر الى شهيد يمشي على الارض وقد قضى نحبه فلينظر الى طلحة وهذا يشير الى انه من الاولين حكما **ليجزي الله الصادقين** متعلق بمضمر مستانف مسوق بطريق الفذلكة لبيان ما هو داع الى وقوع ما حكي من الاحوال والاقوال على التفصيل وغاية له كما مر في قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم كأنه قيل وقع جميع ما وقع ليجزي الله الصادقين بما صدر عنهم من الصدق والوفاء قولا وفعلا **ويعذب المنافقين** بما صدر عنهم من الاعمال والاقوال المحكية **إن شاء** تعذيبهم **أو يتوب عليهم** ان تابوا وقيل متعلق بما قبله من نفي التبديل المنطوق واثباته المعرض به كان المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى وقيل تعليل لصدقوا وقيل لما فهم من قوله تعالى وما زادهم الا ايمانا وتسليما وقيل لما يستفاد من قوله تعالى ولما رأى المؤمنون الاحزاب كأنه قيل ابتلاهم الله تعالى برؤية ذلك الخطب ليجزي الآية فتأمل وبالله التوفيق **إن الله كان غفورا رحيما** اي لمن تاب وهو اعتراض فيه بعث الى التوبة وقوله تعالى **ورد الذين كفروا** رجوع الى حكاية بقية القصة وبقيتها تتمة النعمة المشار اليها اجمالا بقوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها معطوف اما على المضمر المقدر قبل قوله تعالى ليجزي الله كأنه قيل اثر حكاية الامور المذكورة وقع ما وقع من الحوادث ورد الله الى آخره واما على ارسلنا وقد وسط بينهما بيان كون ما نزل بهم واقعة طامة تحيرت بها العقول والافهام وداهية تامة تحاكت منها الركب وزلت الاقدام وتفصيل ما صدر عن فريقي اهل الايمان واهل الكفر والنفاق من الاحوال والاقوال لاظهار عظم النعمة وابانة خطرها الجليل ببيان وصولها اليهم عند غاية احتياجهم اليها اي فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ورددنا بذلك الذين كفروا والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى **بغيظهم** حال من الموصول اي ملتبسين به وكذا قوله تعالى **لم ينالوا خيرا** بتداخل او تعاقب اي غير ظافرين بخير او الثانية بيان للاولى او استئناف **وكفى الله المؤمنين القتال** بما ذكر من ارسال الريح والجنود **وكان الله قويا** على احداث كل ما يريده **عزيزا** غالبا على كل شيء **وأنزل الذين ظاهروهم** اي عاونوا الاحزاب المردودة

من اهل الكتاب وهم بنو قريظة من صياصيهم من حصونهم جمع صيصية وهي ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة الديك وقذف في
قلوبهم الرعب الخوف الشديد بحيث اسلموا انفسهم للقتل واهليهم واولادهم للاسر حسبما ينطق به قوله تعالى فريقا تقتلون وتأسرون فريقا من غير ان يكون من
جهتهم حراك فضلا عن المخالفة والاستعصاء روي ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب
ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا السلاح فقال اتنزع لامتك والملائكة ما وضعوا السلاح ان الله يأمرك ان تسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم
فأذن في الناس ان لا يصلوا العصر الا ببني قريظة فحاصروهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون
على حكمي فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال لقد حكمت
بحكم الله من فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة مقاتل وقيل من ثمانمائة الى تسعمائة واسر سبعمائة وقرئ تأسرون بضم السين كما
قرئ الرعب بضم العين ولعل تأخير المفعول في الجملة الثانية مع ان مساق الكلام لتفصيله وتقسيمه كما في قوله تعالى ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون
وقوله تعالى فريقا كذبوا وفريقا يقتلون لمراعاة الفواصل واورثكم ارضهم وديارهم اي حصونهم واموالهم نقودهم واثاثهم ومواشيهم روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين فقالت الانصار في ذلك فقال انكم في منازلكم فقال عمر رضي الله عنه اما تخمس كما خمست
يوم بدر قال عليه السلام لا انما جعلت هذه لي طعمة دون الناس قالوا رضينا بما صنع الله ورسوله وارضا لم تطؤها اي واورثكم في علم الله وتقديره
ارضا لم تطؤها بعد كفارس والروم وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيمة وقيل خيبر وكان الله على كل شيء قديرا فقد شاهدتم بعض مقدوراته من ايراث
الارض التي تسلمتموها فقيسوا عليها ما عداها يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا اي السعة والتنعم فيها وزينتها وزخارفها فتعالين اي اقبلن
بارادتكن واختياركن لاحدى الخصلتين كما يقال اقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني امتعكن بالجزم جوابا للامر وكذا اسرحكن اي اعطكن
المتعة واطلقكن سراحا جميلا طلاقا من غير ضرار وقرئ بالرفع على الاستيناف روي انهن سألنه عليه السلام ثياب الزينة وزيادة النفقة
فنزلت فبدأ بعائشة فخيرها فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن الله ذلك فنزل لا يحل لك النساء
من بعد واختلف في ان هذا التخيير هل كان تفويض الطلاق اليهن حتى يقع الطلاق بنفس الاختيار اولا فذهب الحسن وقتادة واكثر اهل
العلم الى انه لم يكن بتفويض الطلاق وانما كان تخييرا لهن بين الارادتين على انهن ان اردن الدنيا فارقهن عليه السلام كما ينبئ عنه قوله تعالى فتعالين
امتعكن واسرحكن وذهب آخرون الى انه كان تفويضا للطلاق اليهن حتى انهن لو اخترن انفسهن كان ذلك طلاقا وكذا اختلف في حكم
التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس رضي الله تعالى عنهم اذا خير رجل امرأته فاختارت زوجها لا يقع شيء اصلا ولو اختارت نفسها
وقعت طلقة بائنة عندنا ورجعية عند الشافعي وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن ابي ليلى وسفيان رحمهم الله تعالى وروي عن زيد بن
ثابت انها ان اختارت زوجها يقع طلقة واحدة وان اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة وروي عنه
انها ان اختارت زوجها لا يقع شيء اصلا وعليه اجماع فقهاء الامصار وقد روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح من باب الكرم وفيه قطع لمعاذيرهن من اول الامر والمتعة في المطلقة التي
لم يدخل بها ولم يفرض لها صداق عند العقد واجبة عندنا وفيما عداها مستحبة وهي درع وخمار وملحفة بحسب السعة والاقتار الا ان
يكون نصف مهرها اقل من ذلك فيجب لها الاقل منهما ولا ينقص من خمسة دراهم وان كنتن تردن الله ورسوله اي تردن رسوله وذكر الله
عز وجل للايذان بجلالة محله عنده عليه السلام والدار الآخرة اي نعيمها الذي لا قدر عنده للدنيا وما فيها جميعا فان الله اعد للمحسنات منكن بمقابلة
احسانكن اجرا عظيما لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ومن للتبيين لان كلهن محسنات وتجريد الشرطية الاولى عن الوعيد للمبالغة في
تحقيق معنى التخيير والاحتراز عن شائبة الاكراه وهو السر فيما ذكر من تقديم التمتيع على التسريح وفي وصف السراح بالجميل يا نساء النبي تلوين
للخطاب وتوجيه له اليهن لاظهار الاعتناء بنصحهن ونداؤهن ههنا وفيما بعده بالاضافة اليه عليه السلام لانها التي يدور عليها ما يرد عليهن
من الاحكام من يأت منكن بفاحشة مبينة بكبيرة ظاهرة القبح من بين بمعنى تبين وقرئ بفتح الياء والمراد بها كل ما اقترفن من
الكبائر وقيل هي عصيانهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه او ما يضيق به ذرعه ويغتم لاجله وقرئ
تأت بالفوقانية يضاعف لها العذاب ضعفين اي تعذبن ضعفي عذاب غيرهن مثليه لان الذنب منهن اقبح فان زيادة القبح

تابعة لزيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعف حد الرقيق وعوتب الانبياء عليهم السلام وقرئ يضعف على البناء للمفعول
ويضاعف ونضعف بنون العظمة على البناء للفاعل ونصب العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي صلى الله عليه وسلم
بل يدعوه اليه لمراعاة حقه ومن يقنت منكن وقرئ بالتاء اي ومن يدم على الطاعة لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين مرة على
الطاعة والتقوى واخرى على طلبهن رضى الله ورضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقناعة وحسن المعاشرة وقرئ يعمل بالياء حملا على اللفظ
على لفظ من ويؤتها على ان فيه ضمير اسم الله تعالى واعتدنا لها في الجنة زيادة على اجرها المضاعف رزقا كريما مرضيا يا نساء النبي لستن
كأحد من النساء اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة
من جماعات النساء في الفضل والشرف ان اتقيتن مخالفة حكم الله تعالى ورضا رسوله او ان اتصفتن بالتقوى كما هو اللائق بحالكن فلا
تخضعن بالقول عند مخاطبة الناس اي لا تجئن بقولكن خاضعا لينا على سنن قول المريبات والمومسات فيطمع الذي في قلبه مرض اي فجور
وريبة وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على انه نهي لمريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الاطماع بالقول الخاضع كأنه قيل فلا
تخضعن بالقول فلا يطمع مريض القلب وقلن قولا معروفا بعيدا من الريبة والاطماع بجد وخشونة من غير تخنيث او قولا حسنا مع كونه خشنا
وقرن في بيوتكن امر من قر يقر من باب علم واصله اقررن فحذفت الراء الاولى والقيت فتحتها على ما قبلها كما في قولك ظلن او من قار يقار
اذا اجتمع وقرئ بكسر القاف من وقر يقر وقارا اذا ثبت واستقر واصله اوقرن ففعل به ما فعل بعدن من وعد او من قر يقر حذفت
احدى رائي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن ولا تبرجن اي لا تتبخترن في مشيكن تبرج الجاهلية الاولى اي تبرجا
مثل تبرج النساء في الجاهلية القديمة وهي ما بين آدم ونوح وقيل ما بين ادريس ونوح عليهم السلام وقيل الزمان الذي ولد فيه ابراهيم
عليه السلام كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل زمن داود وسليمان عليهما السلام
والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر والجاهلية الاخرى الفسوق في الاسلام ويؤيده
قوله عليه السلام لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او جاهلية اسلام قال بل جاهلية كفر واقمن الصلوة وآتين الزكوة
امرن بهما لانافتهما على غيرهما وكونهما اصلي الطاعات البدنية والمالية واطعن الله ورسوله اي في كل ما تأتين وتذرن لا سيما فيما امرتن به
ونهيتن عنه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اي الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستيناف ولذلك عمم الحكم بتعميم
الخطاب لغيرهن وصرح بالمقصود حيث قيل بطريق النداء او المدح اهل البيت مرادا بهم من حواهم بيت النبوة ويطهركم من اوضار الاوزار
والمعاصي تطهيرا بليغا واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير لمزيد التنفير عنها وهذه كما ترى آية بينة وحجة نيرة على كون نساء
النبي صلى الله عليه وسلم من اهل بيته قاضية ببطلان رأي الشيعة في تخصيصهم اهلية البيت بفاطمة رضي الله عنها وعلي وابنيهما رضوان
الله تعالى عليهم اجمعين واما ما تمسكوا به من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر اسود وجلس فأتت
فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
فانما يدل على كونهم من اهل البيت لا على ان من عداهم ليسوا كذلك ولو فرضت دلالته على ذلك لما اعتد بها لكونها في مقابلة النص واذكرن ما
يتلى في بيوتكن اي اذكرن للناس بطريق العظة والتذكير ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة من الكتاب الجامع بين كونه آيات الله البينة
الدالة على صدق النبوة بنظمه المعجز وكونه حكمة منطوية على فنون العلوم والشرائع وهو تذكير بما انعم عليهن حيث جعلهن اهل بيت النبوة و
مهبط الوحي وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفنه والتعرض للتلاوة
في البيوت دون النزول فيها مع انه الانسب لكونها مهبط الوحي لعمومها لجميع الآيات ووقوعها في كل البيوت وتكررها الموجب لتمكنهن من
الذكر والتذكير بخلاف النزول وعدم تعيين التالي لتعم تلاوة جبريل وتلاوة النبي عليهما السلام وتلاوتهن وتلاوة غيرهن تعليما وتعلما
ان الله كان لطيفا خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك فعل ما فعل من الامر والنهي او يعلم من يصلح للنبوة ومن يستأهل ان يكون من اهل
بيته ان المسلمين والمسلمات اي الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله تعالى من الذكور والاناث والمؤمنين والمؤمنات المصدقين بما يجب ان يصدق به
من الفريقين والقانتين والقانتات في القول والعمل والصابرين والصابرات على الطاعة وعن المعاصي والخاشعين والخاشعات المتواضعين لله

بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين والمتصدقات بما وجب في مالهم والصائمين والصائمات الصوم المفروض والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام
والذاكرين الله كثيرا والذاكرات بقلوبهم والسنتهم اعد الله لهم بسبب ما عملوا من الحسنات المذكورة مغفرة لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات
بما عملوا من الاعمال الصالحة واجرا عظيما على ما صدر عنهم من الطاعات والآية وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال الحميدة روي
ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير افما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا تقبل منا
طاعة فنزلت وقيل السائلة ام سلمة وروي انه لما نزل في نساء النبي عليه السلام ما نزل قال نساء المؤمنين فما نزل فينا شيء فنزلت وعطف
الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري واما عطف الزوجين على الزوجين فلتغاير الوصفين فليس بضروري ولذلك ترك
في قوله تعالى مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على ان مدار اعداد ما اعد لهم جمعهم بين هذه النعوت الجميلة وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اي ما صح
وما استقام لرجل ولا امرأة من المؤمنين والمؤمنات اذا قضى الله ورسوله امرا اي اذا قضى رسول الله وذكر الله تعالى لتعظيم امره وللاشعار
بان قضاءه عليه السلام قضاء الله تعالى لانه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم
لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها من
زيد فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله فزوجنا عبده ان يكون لهم الخيرة من امرهم ان يختاروا من امرهم ما شاؤوا بل يجب عليهم ان يجعلوا رايهم
تبعا لرايه عليه السلام واختيارهم تلوا لاختياره وجمع الضميرين لعموم مؤمن ومؤمنة لوقوعهما في سياق النفي وقيل الضمير الثاني للرسول
صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم وقرئ تكون بالتاء ومن يعص الله ورسوله في امر من الامور ويعمل فيه برايه فقد ضل طريق الحق ضلالا مبينا اي
بين الانحراف عن سبيل الصواب واذ تقول اي واذكر وقت قولك للذي انعم الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لحسن تربيته ومراعاته وانعمت
عليه بالعمل بما وفقك الله له من فنون الاحسان التي من جملتها تحريره وهو زيد بن حارثة وايراده بالعنوان المذكور لبيان منافاة حاله لما صدر عنه
عليه السلام من اظهار خلاف ما في ضميره اذ هو انما يقع عند الاستحياء او الاحتشام وكلاهما مما لا يتصور في حق زيد امسك عليك زوجك
اي زينب وذلك انه عليه السلام ابصرها بعدما انكحها اياه فوقعت في نفسه حالة جبلية لا يكاد يسلم عنها البشر فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت
زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن لذلك فوقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اريد ان افارق صاحبتي فقال
ما لك ارابك منها شيء قال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم علي فقال له امسك عليك زوجك واتق الله في امرها فلا
تطلقها اضرارا وتعللا بتكبرها وتخفي في نفسك ما الله مبديه وهو نكاحها ان طلقها وارادة طلاقها وتخشى الناس تعييرهم اياك به والله احق ان
تخشاه ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ما ينافي اضماره فان
الاولى في امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى رايه فلما قضى زيد منها وطرا بحيث لم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها وقيل قضاء الوطر
كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك زوجناكها وقرئ زوجتكها والمراد الامر بتزوجها منه عليه السلام وقيل جعلها زوجته بلا واسطة عقد
يؤيده انها كانت تقول لسائر نساء النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تولى نكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان زيد السفير في
خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد عدل بقوة ايمانه لكيلا يكون على المؤمنين حرج ضيق ومشقة في ازواج ادعيائهم اي في حق تزوجهن اذا
قضوا منهن وطرا فان لهم في رسول الله اسوة حسنة وفيه دلالة على ان حكمه عليه السلام وحكم الامة سواء الا ما خصه الدليل وكان امر الله اي ما
يريد تكوينه من الامور او مأموره الحاصل بكن مفعولا مكونا لا محالة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ما كان على النبي من حرج اي ما صح وما استقام
في الحكمة ان يكون له ضيق فيما فرض الله له اي قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان كذا ومنه فروض العسكر لاعطياتهم سنة الله اسم موضوع موضع
المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لما قبله من نفي الحرج اي سن الله ذلك سنة في الذين خلوا مضوا من قبل من الانبياء عليهم السلام حيث وسع عليهم
في باب النكاح وغيره ولقد كانت لداود عليه السلام مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمان عليه السلام ثلثمائة امرأة وسبعمائة سرية وقوله تعالى
وكان امر الله قدرا مقدورا اي قضاء مقضيا وحكما مبتوتا اعتراض وسط بين الموصولين الجاريين مجرى الواحد للمسارعة الى تقرير نفي الحرج
وتحقيقه الذين يبلغون رسالات الله صفة للذين خلوا او مدح لهم بالنصب او بالرفع وقرئ رسالة الله ويخشونه في كل ما ياتون ويذرون
لا سيما في امر تبليغ الرسالة حيث لا يخرمون منها حرفا ولا تاخذهم في ذلك لومة لائم ولا يخشون احدا الا الله وفي وصفهم بقصر الخشية على الله

على الله تعالى تعريض بما صدر عنه عليه السلام من الاحتراز عن لائمة الخلق بعد التصريح في قوله تعالى وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وكفى بالله حسيبا
كافيا للمخاوف فينبغي ان لا يخشى غيره او محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب ان يكون حق الخشية منه تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم
اي على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الوالد والولد من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه عليه السلام ابا للطاهر
والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا الحلم ولو بلغوا لكانوا رجاله عليه السلام لا لهم ولكن رسول الله اي كان رسول الله وكل رسول ابو امته
لكن لا حقيقة بل بمعنى انه شفيق ناصح لهم وسبب لحياتهم الابدية وما زيد الا واحد من رجالكم الذين لا ولاد بينهم وبينه عليه السلام
فحكمه حكمهم وليس للتبني والادعاء حكم سوى التقريب والاختصاص وخاتم النبيين اي كان آخرهم الذي ختموا به وقرئ بكسر التاء اي كان
خاتمهم ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ولكن نبيا ختم النبيين واياما كان فلو كان له ابن بالغ لكان نبيا ولم يكن هو عليه السلام
خاتم النبيين كما يروى انه قال في ابراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده عليهما السلام لان معنى كونه خاتم
النبيين انه لا ينبأ احد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل انما ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا الى قبلته كانه
بعض امته وكان الله بكل شيء عليما ومن جملته هذه الاحكام والحكم التي بينها لكم وكنتم منها في شك مريب يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله
بما هو اهله من التهليل والتحميد والتمجيد والتقديس ذكرا كثيرا يعم الاوقات والاحوال وسبحوه ونزهوه عما لا يليق به بكرة واصيلا اي اول النهار
وآخره على ان تخصيصهما بالذكر ليس لقصر التسبيح عليهما دون سائر الاوقات بل لابانة فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح
به من بين الاذكار مع اندراجه فيها لكونه العمدة فيها وقيل كلا الفعلين متوجه اليهما كقولك صم وصل يوم الجمعة وقيل المراد بالتسبيح
الصلوة هو الذي يصلي عليكم الى آخره استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من الامرين فان صلوته تعالى عليهم مع عدم استحقاقهم
لها وغناه عن العالمين مما يوجب عليهم المداومة على ما يستوجبه تعالى عليهم من ذكره تعالى وتسبيحه وقوله تعالى وملائكته عطف على المستكن
في يصلي لمكان الفصل المغني عن التاكيد بالمنفصل لكن لا على ان يراد بالصلوة اولا والاستغفار ثانيا فان استعمال اللفظ الواحد في
معنيين متغايرين مما لا مساغ له بل على ان يراد بها معنى مجازي عام يكون كلا المعنيين فردا حقيقيا له وهو الاعتناء بما فيه
خيرهم وصلاح امرهم فان كلا من الرحمة والاستغفار فرد حقيقي له او الترحم والانعطاف المعنوي الماخوذ من الصلوة المشتملة على الانعطاف
الصوري الذي هو الركوع والسجود ولا ريب في ان استغفار الملائكة ودعاءهم للمؤمنين ترحم عليهم واما ان ذلك سبب للرحمة لكونهم مجابي الدعوة
كما قيل فاعتباره ينزع الى الجمع بين المتغايرين فتدبر ليخرجكم من الظلمات الى النور متعلق بيصلي اي يعتني بامركم هو وملائكته
ليخرجكم بذلك من ظلمات المعصية الى نور الطاعة وقوله تعالى وكان بالمؤمنين رحيما اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي كان بكافة
المؤمنين الذين انتم من زمرتهم رحيما ولذلك يفعل بكم ما يفعل من الاعتناء باصلاحكم بالذات وبالواسطة ويهديكم الى الايمان
والطاعة او كان بكم رحيما على ان المؤمنين مظهر وضع موضع المضمر مدحا لهم واشعارا بعلة الرحمة وقوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه
سلام بيان للاحكام العاجلة لرحمته تعالى بهم بعد بيان آثارها العاجلة التي هي العناية بامرهم وهدايتهم الى الطاعة اي ما يحيون به على
انه مصدر اضيف الى المفعول يوم لقائه عند الموت او عند البعث من القبور او عند دخول الجنة تسليم عليهم من الله عز وجل تعظيما لهم او من
الملائكة بشارة لهم بالجنة او تكرمة لهم كما في قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم او اخبار بالسلامة عن كل مكروه
وآفة وقوله تعالى واعد لهم اجرا كريما بيان لآثار رحمته الفائضة عليهم بعد دخول الجنة عقيب بيان آثار رحمته الواصلة اليهم قبل ذلك ولعل
ايثار الجملة الفعلية على الاسمية المناسبة لما قبلها بان يقال مثلا واجرهم اجر كريم او ولهم اجر كريم للمبالغة في الترغيب والتشويق الى الموعود
ببيان ان الاجر الذي هو المقصد الاقصى من بين سائر آثار الرحمة موجود بالفعل مهيأ لهم مع ما فيه من مراعاة الفواصل يا ايها النبي
انا ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم تراقب احوالهم وتشاهد اعمالهم وتتحمل منهم الشهادة بما صدر عنهم من التصديق والتكذيب وسائر ما هم
عليه من الهدى والضلال وتؤديها يوم القيمة اداء مقبولا فيما لهم وما عليهم وهو حال مقدرة ومبشرا ونذيرا تبشر المؤمنين بالجنة وتنذر
الكفار بالنار وداعيا الى الله اي الى الاقرار به وبوحدانيته وبسائر ما يجب الايمان به من صفاته وافعاله باذنه اي بتيسيره اطلق عليه مجازا
لما انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانها امر صعب المنال وخطب في غاية الاعضال لا يتاتى الا بامداد من جناب قدسه كيف لا وهو صرف للوجوه

عن القبل المعبودة وادخال للأعناق في قلادة غير معهودة وسراجا منيرا يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية ويهتدى بأنواره الى مناهج
الرشد والهداية وبشر المؤمنين عطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كأنه قيل فراقب احوال الناس وبشر المؤمنين منهم بأن لهم
من الله فضلا كبيرا اي على مؤمني سائر الأمم في الرتبة والشرف او زيادة على اجور اعمالهم بطريق التفضل والاحسان ولا تطع الكافرين والمنافقين
نهي عن مداراتهم في امر الدعوة واستعمال لين الجانب في التبليغ والمسامحة في الانذار كنى عن ذلك بالنهي عن طاعتهم مبالغة في الزجر والتنفير
عن المنهي عنه بنظمه في سلكها وتصويره بصورتها ومن حمل النهي على التهييج والالهاب فقد ابعد عن التحقيق بمراحل ودع اذاهم اي لا تبال
بأذيتهم لك بسبب تصلبك في الدعوة والانذار وتوكل على الله في كل ما تأتي وما تذر من الشؤون التي من جملتها هذا الشأن فانه تعالى يكفيكم
وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الأمور في كل الأحوال واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتأكيد استقلال الاعتراض التذييلي ولما
وصف عليه السلام بنعوت خمسة قوبل كل منها بخطاب يناسبه خلا انه لم يذكر مقابل الشاهد صريحا وهو الأمر بالمراقبة ثقة بظهور دلالة مقابلة
المبشر عليه وهو الأمر بالتبشير حسبما ذكر آنفا وقوبل النذير بالنهي عن مداراة الكفار والمنافقين والمسامحة في انذارهم كما تحققته وقوبل
الداعي اليه تعالى باذنه بالأمر بالتوكل عليه من حيث انه عبارة عن الاستمداد منه تعالى والاستعانة به وقوبل السراج المنير بالاكتفاء به تعالى
فان من ايده الله تعالى بالقوة القدسية ورشحه للنبوة وجعله برهانا نيرا يهدي الخلق من ظلمات الغي الى نور الرشاد حقيق بأن يكتفي به
عما سواه يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن اي تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم التاء
فما لكم عليهن من عدة بأيام يتربصن فيها بأنفسهن تعتدونها تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها وحقيقته عدها لنفسه وكذلك كلته
فاكتاله والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الأزواج كما اشعر به قوله تعالى فما لكم وقرئ تعتدونها على ابدال احدى الدالين بالتاء
او على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها والخلوة الصحيحة في حكم المس وتخصيص المؤمنات مع عموم الحكم للكتابيات للتنبيه على ان المؤمن من
شأنه ان يتخير لنطفته ولا ينكح الا مؤمنة وفائدة ثم ازاحة ما عسى يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما يمكن الاصابة يؤثر في العدة كما يؤثر في
النسب فمتعوهن اي ان لم يكن مفروضا لها في العقد فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة فانها مستحبة عندنا في رواية
وفي اخرى غير مستحبة وسرحوهن اي اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع حق ولا مساغ لتفسيره بالطلاق
السني لأنه انما يتسنى في المدخول بهن يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن اي مهورهن فانها اجور الابضاع
وايتاؤها اما اعطاؤها معجلة او تسميتها في العقد وايا ما كان فتقييد الاحلال له عليه السلام به ليس لتوقف الحل عليه ضرورة انه يصح العقد
بلا تسمية ويجب مهر المثل او المتعة على تقديري الدخول وعدمه بل لايثار الأفضل والأولى له عليه السلام كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية في قوله تعالى
وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك فان المشتراة لا يتحقق بدء امرها وما جرى عليها وكتقييد القرائب بكونهن مهاجرات معه في قوله تعالى
وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه عليه السلام خاصة ويعضده
قول ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الآية فلم احل له لأني لم اهاجر
معه كنت من الطلقاء وامرأة مؤمنة بالنصب عطفا على مفعول احللنا اذ ليس معناه انشاء الاحلال الناجز بل اعلام مطلق الاحلال المنتظم لما سبق
ولحق وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره محذوف اي احللناها لك ايضا ان وهبت نفسها للنبي اي ملكته بضعها بأي عبارة كانت بلا مهر
ان اتفق ذلك كما ينبئ عنه تنكيرها لكن لا مطلقا بل عند ارادته عليه السلام استنكاحها كما نطق به قوله تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها اي ان
يتملك بضعها كذلك اي بلا مهر فان ذلك جار منه عليه السلام مجرى القبول وحيث لم يكن هذا نصا في كون تمليكها بلفظ الهبة لم يصلح ان يكون
مناطا للخلاف في انعقاد النكاح بلفظ الهبة ايجابا او سلبا واختلف في اتفاق هذا العقد فعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن عنده عليه السلام
احد منهن بالهبة وقيل الموهوبات اربع ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الأنصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وايراده عليه
السلام في الموضعين بعنوان النبوة بطريق الالتفات للتكرمة والايذان بأنها المناط لثبوت الحكم فيختص به عليه السلام حسب اختصاصها به كما ينطق
به قوله تعالى خالصة لك اي خلص لك احلالها خالصة اي خلوصا فان الفاعلة في المصادر غير عزيز كالعافية والكاذبة او خلص احلال ما احللنا
لك من المذكورات على القيود المذكورة خالصة ومعنى قوله تعالى من دون المؤمنين على الأول ان الاحلال المذكور في المادة المعهودة غير متحقق في

في حقهم بل المتحقق فيه احلال البضع المعدود على الوجه المعهود وقرئ خالصة بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي ذلك خلوص لك وخصوص وهي
اي تملك المرأة او الهبة خالصة لك لا تتجاوز المؤمنين حيث لا تحل لهم بغير مهر المثل ولا تصح الهبة بل تجب مهر المثل وقوله تعالى قد علمنا ما
فرضنا عليهم اي على المؤمنين في ازواجهم اي في حقهن اعتراض مقرر لما قبله من خلوص الاحلال المذكور لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم
تجاوزه للمؤمنين ببيان انه قد فرض عليهم من شرائط العقد وحقوقه ما لم يفرض عليه عليه السلام تكرمة له وتوسعة عليه اي قد علمنا ما ينبغي ان
يفرض عليهم في حق ازواجهم وما ملكت ايمانهم وعلى اي حد واي صفة يحق ان يفرض عليهم ففرضنا ما فرضنا على ذلك الوجه وخصصناك ببعض
الخصائص لكيلا يكون عليك حرج اي ضيق واللام متعلقة بخالصة باعتبار ما فيها من معنى ثبوت الاحلال وحصوله له عليه السلام لا باعتبار اختصاصه
به عليه السلام لأن مدار انتفاء الحرج هو الأول لا الثاني الذي هو عبارة عن عدم ثبوته لغيره وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما ولذلك
وسع الأمر في مواقع الحرج ترجي من تشاء منهن اي تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوي اليك من تشاء وتضم اليك من تشاء منهن وتضاجعها
او تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء وقرئ ترجئ بالهمزة والمعنى واحد ومن ابتغيت اي طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح عليك
في شيء مما ذكر وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لأنه اما ان يطلق او يمسك فاذا امسك ضاجع او ترك وقسم او لم يقسم واذا طلق فاما ان يخلي
المعزولة او يبتغيها وروي انه ارجى منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وام حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى
اليه عائشة وحفصة وام سلمة وزينب ارجى خمسا وآوى اربعا وروي انه كان يسوي بينهن مع ما اطلق له وخير الا سودة فانها وهبت
ليلتها لعائشة رضي الله تعالى عنها وقالت لا تطلقني حتى احشر في زمرة نسائك ذلك اي ما ذكر من تفويض الأمر الى مشيئتك ادنى ان تقر
اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن اي اقرب الى قرة عيونهن ورضاهن جميعا لأن حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن
ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن به نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء ونصب اعينهن وتقر على البناء للمفعول
وكلهن تأكيد لنون يرضين وقرئ بالنصب على انه تأكيد لهن والله يعلم ما في قلوبكم من الضمائر والخواطر فاجتهدوا في احسانها وكان الله عليما
مبالغا في العلم فيعلم كل ما تبدونه وتخفونه حليما لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بتأخيرها فانه امهال لا اهمال لا يحل لك النساء بالياء
لأن تأنيث الجمع غير حقيقي ولوجود الفصل وقرئ بالتاء من بعد اي من بعد التسع وهو في حقه كالأربع في حقنا وقال ابن عباس
وقتادة من بعد هؤلاء التسع اللاتي خيرتهن فاخترنك وقيل من بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن بما تؤتيهن من الوصل والحرمان
ولا ان تبدل اي تتبدل بحذف احدى التاءين بهن اي بهؤلاء التسع من ازواج بأن تطلق واحدة منها وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة
لتأكيد الاستغراق اراد الله تعالى لهن كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسوله عليهن وهن التسع اللاتي توفي عليه السلام
عنهن وهن عائشة بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر وام حبيبة بنت ابي سفيان وسودة بنت زمعة وام سلمة بنت ابي امية وصفية
بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الأسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية وقال عكرمة المعنى لا يحل لك النساء من بعد الأجناس
الأربعة اللاتي احللناهن لك بالصفة التي تقدم ذكرها من الأعرابيات والغرائب او من الكتابيات او من الاماء بالنكاح ويأباه قوله تعالى
ولا ان تبدل بهن فان معنى احلال الأجناس المذكورة احلال نكاحهن فلا بد ان يكون معنى التبدل بهن احلال نكاح غيرهن بدل احلال
نكاحهن وذلك انما يتصور بالنسخ الذي ليس من وظائف البشرية ولو اعجبك حسنهن اي حسن الأزواج المستبدلة وهو حال من فاعل
تبدل لا من مفعوله وهو من ازواج لتوغله في التنكير وقيل تقديره مفروضا اعجابك بهن وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ولأمة مؤمنة خير من مشركة
ولو اعجبتكم وقيل هي اسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه اي هي ممن اعجبه عليه السلام حسنهن واختلف في ان
الآية محكمة او منسوخة قيل بقوله تعالى ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء وقيل بقوله تعالى انا احللنا لك وترتيب النزول على
ترتيب المصحف وقيل بالسنة وعن عائشة رضي الله تعالى عنها ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النساء وقال انس رضي الله عنه
مات عليه الصلاة والسلام على التحريم الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء لأنه يتناول الأزواج والاماء وقيل منقطع وكان الله على كل شيء
رقيبا حافظا مهيمنا فاحذروا تجاوز حدوده وتخطي حلاله الى حرامه يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي شروع في بيان ما يجب
مراعاته على الناس من حقوق نساء النبي صلى الله عليه وسلم اثر بيان ما يجب مراعاته عليه عليه السلام من الحقوق المتعلقة بهن وقوله تعالى الا ان

يؤذن لكم استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى لا تدخلوها في حال من الاحوال الا حال كونكم ماذونا لكم وقيل من اعم الاوقات اى لا تدخلوها في وقت من الاوقات
الا وقت ان يؤذن لكم ورد عليه بان النحاة نصوا على ان الوقوع موقع الظرف مختص بالمصدر الصريح دون ان فلا يقال آتيك ان يصيح الديك
وانما يقال آتيك صياح الديك وقوله تعالى الى طعام متعلق بيؤذن بتضمين معنى الدعاء للاشعار بانه لا ينبغى ان يدخلوا على الطعام بغير دعوة
وان تحقق الاذن كما يشعر به وقوله تعالى غير ناظرين اناه اى غير منتظرين وقته او ادراكه وهو حال من فاعل لا تدخلوا على ان الاستثناء واقع على
الوقت والحال معا عند من يجوزه او من المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير ولا مساغ له عند البصريين
وقرئ بالامالة لانه مصدر انى الطعام اى ادرك ولكن اذا دعيتم فادخلوا استدراك من النهى عن الدخول بغير اذن وفيه دلالة بينة على ان
المراد بالاذن الى الطعام هو الدعوة اليه فاذا طعمتم فانتشروا فتفرقوا ولا تلبثوا لانه خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام النبى صلى الله عليه وسلم
فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته عليه السلام باذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام
لامر مهم ولا مستأنسين لحديث اى لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين او مقدر بفعل اى ولا تدخلوا او لا
تمكثوا مستأنسين الى آخره ان ذلكم اى الاستيناس الذى كنتم تفعلونه من قبل كان يؤذى النبى لتضييق المنزل عليه وعلى اهله وايجابه
للاشتغال بما لا يعنيه وصده عن الاشتغال بما يعنيه فيستحيى منكم اى من اخراجكم لقوله تعالى والله لا يستحيى من الحق فانه يستدعى ان يكون المستحيى منه
امرا حقا متعلقا بهم لا انفسهم وما ذلك الا اخراجهم فينبغى ان لا يترك حياء ولذلك لم يتركه تعالى وامركم بالخروج والتعبير عنه بعدم الاستحياء
للمشاكلة وقرئ لا يستحى بحذف الياء الاولى والقاء حركتها الى ما قبلها واذا سألتموهن الضمير لنساء النبى المدلول عليهن بذكر بيوته عليه السلام متاعا
اى شيئا يتمتع به من الماعون وغيره فاسألوهن اى المتاع من وراء حجاب اى ستر روى ان عمر رضى الله عنه قال يا رسول الله يدخل عليك البر
والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه السلام كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم يد عائشة رضى الله
عنها فكره النبى ذلك فنزلت ذلكم اى ما ذكر من عدم الدخول بغير اذن وعدم الاستيناس للحديث عند الدخول وسؤال المتاع من وراء حجاب اطهر لقلوبكم
وقلوبهن اى اكثر تطهيرا من الخواطر الشيطانية وما كان لكم اى وما صح وما استقام لكم ان تؤذوا رسول الله اى ان تفعلوا في حياته فعلا يكرهه
ويتأذى به ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا اى من بعد وفاته او فراقه ان ذلكم اشارة الى ما ذكر من ايذائه عليه السلام ونكاح ازواجه من بعده
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الشر والفساد كان عند الله عظيما اى امرا عظيما وخطبا هائلا لا يقادر قدره وفيه من تعظيمه تعالى
لشأن رسوله صلى الله عليه وسلم وايجاب حرمته حيا وميتا ما لا يخفى ولذلك بالغ تعالى في الوعيد حيث قال ان تبدوا شيئا مما لا خير فيه كنكاحهن
على السنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شئ عليما فيجازيكم بما صدر عنكم من المعاصى البادية والخافية لا محالة وفى هذا التعميم مع
البرهان على المقصود مزيد تهويل وتشديد ومبالغة في الوعيد لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا
ابناء اخواتهن استئناف لبيان من لا يجب الاحتجاب عنهم روى انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نكلمهن
ايضا من وراء الحجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمى العم ابا في قوله تعالى واله آبائك ابراهيم واسمعيل
واسحق او لانه اكتفى عن ذكرهما بذكر ابناء الاخوة وابناء الاخوات فان مناط عدم لزوم الاحتجاب بينهن وبين الفريقين عين ما بينهن
وبين العم والخال من العمومة والخؤولة لانهن عمات لابناء الاخوة وخالات لابناء الاخوات وقيل لانه كره ترك الاحتجاب منهما مخافة
ان يصفاهن لابنائهما ولا نسائهن اى نساء المؤمنات ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد مر في سورة النور
واتقين الله في كل ما تأتين وما تذرن لا سيما فيما امرتن به ونهيتن عنه ان الله كان على كل شئ شهيدا لا تخفى عليه خافية ولا تتفاوت
في علمه الاحوال ان الله وملائكته وقرئ وملائكته بالرفع عطفا على محل ان واسمها عند الكوفيين وحملا على حذف الخبر ثقة بدلالة ما بعده عليه
على رأى البصريين يصلون على النبى قيل الصلوة من الله تعالى الرحمة ومن الملائكة الاستغفار وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اراد ان الله
تعالى يرحمه والملائكة يدعون له وعنه ايضا يصلون يتبركون وقال ابو العالية رحمه الله صلوة الله تعالى عليه ثناؤه عليه عند الملائكة و
صلوتهم دعاؤهم له فينبغى ان يراد بها في يصلون معنى مجازى عام يكون كل واحد من المعانى المذكورة فردا حقيقيا له اى يعتنون بما فيه
خيره وصلاح امره ويهتمون باظهار شرفه وتعظيم شأنه وذلك من الله سبحانه بالرحمة ومن الملائكة بالدعاء والاستغفار يا ايها

الذين آمنوا صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا بذلك فانكم اولى به وسلموا تسليما قائلين اللهم صل على محمد وسلم او نحو ذلك وقيل المراد بالتسليم انقياد
امره والآية دليل على وجوب الصلاة والسلام عليه مطلقا من غير تعرض لوجوب التكرار وعدمه قيل يجب ذلك كلما جرى ذكره لقوله صلى الله عليه وسلم
رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل على وقوله عليه السلام من ذكرت عنده فلم يصل على دخل النار فابعده الله ويروى انه عليه السلام
قال وكل الله تعالى بى ملكين امين ولا اذكر عند مسلم فلم يصل على الا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك ويقول الله تعالى وملائكته جوابا لذينك
الملكين آمين ومنهم من قال يجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره عليه السلام كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس ولذلك في كل دعاء
في اوله وآخره ومنهم من قال الوجوب في العمر مرة وكذا قال في اظهار الشهادتين والذى يقتضيه الاحتياط ويستدعيه معرفة علو شأنه صلى الله
عليه وسلم ان يصلى عليه كلما جرى ذكره الرفيع واما الصلوة عليه في الصلوة بان يقال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى
آل ابراهيم انك حميد مجيد فليست بشرط في جواز الصلوة عندنا وعن ابراهيم النخعى رحمه الله تعالى عنهم كانوا يكتفون عن ذلك بما في التشهد
وهو السلام عليك ايها النبى واما الشافعى رحمه الله تعالى فقد جعلها شرطا واما الصلوة على غير الانبياء عليهم السلام فتجوز تبعا وتكره
استقلالا لانه في العرف شعار ذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل مع كونه عزيزا جليلا ان الذين يؤذون الله ورسوله اريد
بالايذاء اما فعل ما يكرهانه من الكفر والمعاصى مجازا لاستحالة حقيقة التأذى في حقه تعالى وقيل في ايذائه تعالى هو قول اليهود والنصارى والمشركين
يد الله مغلولة غلت ايديهم وثالث ثلثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقيل قول الذين
يلحدون في آياته وفى ايذاء الرسول عليه السلام هو قولهم شاعر ساحر كاهن مجنون وقيل هو كسر رباعيته وشج وجهه الكريم يوم احد وقيل
طعنهم في نكاح صفية والحق هو العموم فيهما واما ايذاؤه عليه السلام خاصة بطريق الحقيقة وذكر الله عز وجل للتعظيم والايذان بجلالة قدره
ومقداره عنده تعالى وان ايذاءه عليه السلام ايذاء له سبحانه وتعالى لعنهم الله طردهم وابعدهم من رحمته في الدنيا والآخرة بحيث لا يكادون
ينالون فيهما شيئا منها واعد لهم مع ذلك عذابا مهينا يصيبهم في الآخرة خاصة والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات يفعلون بهم ما يتأذون به
من قول او فعل وتقييده بقوله تعالى بغير ما اكتسبوا اى بغير جناية يستحقون بها الاذية بعد اطلاقه فيما قبله للايذان بان اذى الله ورسوله
لا يكون الا غير حق واما اذى هؤلاء فمنه ومنه فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا اى ظاهرا بينا قيل انها نزلت في منافقين كانوا
يؤذون عليا رضى الله تعالى عنه ويسمعونه ما لا خير فيه وقيل في اهل الافك وقال الضحاك والكلبى في زناة يتبعون النساء اذا برزن بالليل
لقضاء حوائجهن وكانوا لا يتعرضون الا للاماء ولكن ربما كان يقع منهم التعرض للحرائر ايضا جهلا او تجاهلا لاتحاد الكل في
الزى واللباس والظاهر عمومه لكل ما ذكر ولما سيأتى من اراجيف المرجفين يا ايها النبى بعد ما بين سوء حال المؤذين زجرا لهم عن الايذاء
امر النبى صلى الله عليه وسلم بان يأمر بعض المتأذين منهم بما يدفع ايذاءهم في الجملة من التستر والتميز عن مواقع الايذاء فقيل قل لازواجك
وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن الجلباب ثوب اوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقى منه
ما ترسله الى صدرها وقيل هى الملحفة وكل ما يتستر به اى يغطين بها وجوههن وابدانهن اذا برزن لداعية من الدواعى ومن للتبعيض لما مر
من ان المعهود التلفع ببعضها وارخاء بعضها وعن السدى تغطى احدى عينيها وجبهتها والشق الآخر الا العين ذلك اى ما ذكر من التغطى ادنى
اقرب ان يعرفن ويميزن عن الاماء والقينات اللاتى هن مواقع تعرضهم وايذائهم فلا يؤذين من جهة اهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله غفورا
لما سلف منهن من التفريط رحيما بعباده حيث راعى من مصالحهم امثال هاتيك الجزئيات لئن لم ينته المنافقون عما هم عليه من النفاق واحكامه
الموجبة للايذاء والذين في قلوبهم مرض عما هم عليه من التزلزل وما يستتبعه مما لا خير فيه والمرجفون في المدينة من الفريقين عما هم عليه من نشر
اخبار السوء عن سرايا المسلمين وغير ذلك من الاراجيف الملفقة المستتبعة للاذية واصل الارجاف التحريك من الرجفة التى هى الزلزلة وصفت به
الاخبار الكاذبة لكونها متزلزلة غير ثابتة لنغرينك بهم لنأمرنك بقتالهم واجلائهم او بما يضطرهم الى الجلاء ولنحرضنك على ذلك ثم لا يجاورونك فيها عطف على
جواب القسم وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة جوار الرسول اعظم ما يصيبهم فيها اى في المدينة الا قليلا زمانا او جوارا قليلا ريثما يتبين
حالهم من الانتهاء وعدمه ملعونين نصب على الشتم او الحال على ان الاستثناء وارد عليه ايضا على رأى من يجوزه كما مر في قوله تعالى غير
ناظرين اناه ولا سبيل الى انتصابه عن قوله تعالى اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها سنة الله

في الذين خلوا من قبل اي سن الله ذلك في الامم الماضية سنة وهي ان يقتل الذين نافقوا الانبياء عليهم السلام وسعوا في توهين امرهم
بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا اصلا لابتنائها على اساس الحكمة التي عليها يدور فلك التشريف يسألك الناس عن
الساعة اي عن وقت قيامها كان المشركون يسألونه عليه السلام عن ذلك استعجالا بطريق الاستهزاء واليهود امتحانا لما ان الله تعالى
عمى وقتها في التورية وسائر الكتب قل انما علمها عند الله لا يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وقوله تعالى وما يدريك خطاب مستقل له
عليه السلام غير داخل تحت الامر مسوق لبيان انها مع كونها غير معلومة للخلق مرجوة المجيء عن قريب اي اي شيء يعلمك بوقت قيامها اي لا
يعلمك به شيء اصلا لعل الساعة تكون قريبا اي شيئا قريبا او تكون الساعة في وقت قريب وانتصابه على الظرفية ويجوز ان يكون التذكير
باعتبار ان الساعة في معنى اليوم او الوقت وفيه تهديد للمستعجلين وتبكيت للمتعنتين والاظهار في حيز الاضمار للتهويل وزيادة التقرير
في تأكيد استقلال الجملة كما اشير اليه ان الله لعن الكافرين على الاطلاق اي طردهم وابعدهم من رحمته العاجلة والآجلة واعد لهم مع ذلك
سعيرا نارا شديدة الاتقاد يقاسونها في الآخرة خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يخلصهم منها يوم
تقلب وجوههم في النار ظرف لعدم الوجدان وقيل لخالدين وقيل لنصيرا وقيل مفعول لاذكر اي يوم تصرف وجوههم فيها متقلبين
منكسين وقرئ تقلب بحذف احدى التاءين من تتقلب ونقلب باسناد الفعل الى نون العظمة ونصب وجوههم وتقلب باسناده الى السعير
وتخصيص الوجوه بالذكر لما انها اكرم الاعضاء ففيه مزيد تفظيع للامر وتهويل للخطب ويجوز ان تكون عبارة عن كل الجسد فقوله تعالى يقولون
استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية حالهم الفظيعة كأنه قيل فماذا يصنعون عند ذلك فقيل يقولون متحسرين على ما فاتهم يا ليتنا
اطعنا الله واطعنا الرسولا فلا نبتلى بهذا العذاب او حال من ضمير وجوههم او من نفسها او هو العامل في يوم وقالوا عطف على يقولون
والعدول الى صيغة الماضي للاشعار بان قولهم هذا ليس مستمرا كقولهم السابق بل هو ضرب اعتذار ارادوا به ضربا من التشفي بمضاعفة
عذاب الذين القوهم في تلك الورطة وان علموا عدم قبوله في حق خلاصهم منها ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم الذين
لقنوهم الكفر وقرئ ساداتنا للدلالة على الكثرة والتعبير عنهم بعنوان السيادة والكبر لتقوية الاعتذار والا فهم في مقام التحقير والاهانة
فاضلونا السبيلا بما زينوا لنا من الاباطيل والالف للاطلاق كما في اطعنا الرسولا ربنا آتهم ضعفين من العذاب اي مثلي العذاب الذي آتيتناه
لانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كبيرا اي شديدا عظيما وقرئ كثيرا وتصدير الدعاء بالنداء مكررا للمبالغة في الجؤار واستدعاء
الاجابة يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى قيل نزلت في شأن زيد وزينب وما سمع فيه من قالة الناس فبرأه الله
مما قالوا اي فاظهر براءته عليه السلام مما قالوا في حقه اي من مضمونه ومؤداه الذي هو الامر المعيب وذلك ان قارون اغرى مومسة
على قذفه عليه السلام بنفسها بان دفع اليها مالا عظيما فاظهر الله تعالى نزاهته عليه السلام عن ذلك بان اقرت المومسة بالمصانعة الجارية
بينها وبين قارون وفعل بقارون ما فعل كما فصل في سورة القصص وقيل اتهمه ناس بقتل هارون عند خروجه معه الى الطور فمات هناك
فحملته الملائكة ومروا به حتى رأوه غير مقتول وقيل احياه الله تعالى فاخبرهم ببراءته وقيل قرفوه بعيب في بدنه من برص او ادرة لفرط
تستره حياء فاطلعهم الله تعالى على براءته بان فر الحجر بثوبه حين وضعه عليه عند اغتساله والقصة مشهورة وكان عند الله وجيها يا ايها
الذين آمنوا اتقوا الله اي في كل ما تأتون وما تذرون لا سيما في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله عليه السلام وقولوا في كل شأن
من الشؤون قولا سديدا قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا يقال سدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل بها عن سمتها والمراد نهيهم عما
خاضوا فيه من حديث زينب الجائر عن العدل والقصد يصلح لكم اعمالكم يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها ويغفر لكم
ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله في الاوامر والنواهي التي من جملتها هذه التكليفات فقد فاز في
الدارين فوزا عظيما لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها لما
عظم شأن طاعة الله تعالى ورسوله ببيان مآل الخارجين عنها من العذاب الاليم ومنال المراعين لها من الفوز العظيم عقب ذلك ببيان عظم
شأن ما يوجبها من التكاليف الشرعية وصعوبة امرها بطريق التمثيل مع الايذان بان ما صدر عنهم من الطاعة وتركها صدر عنهم بعد
القبول والالتزام وعبر عنها بالامانة تنبيها على انها حقوق مرعية اودعها الله تعالى المكلفين وائتمنهم عليها واوجب عليهم تلقيها

تلقيها بحسن الطاعة والانقياد وامرهم بمراعاتها والمحافظة عليها وادائها من غير اخلال بشيء من حقوقها وعبر عن اعتبارها بالنسبة
الى استعداد ما ذكر وغيرها بالعرض عليهن لاظهار مزيد الاعتناء بامرها والرغبة في قبولهن لها وعن عدم استعدادهن
لقبولها بالاباء والاشفاق منها لتهويل امرها وتربية فخامتها وعن قبولها بالحمل لتحقيق معنى الصعوبة المعتبرة فيها بجعلها من قبيل الاجسام
الثقيلة التي يستعمل فيها القوى الجسمانية التي اشدها واعظمها ما فيهن من القوة والشدة والمعنى ان تلك الامانة في عظم الشأن
بحيث لو كلفت بمراعاتها الاجرام العظام التي هي مثل في القوة والشدة مراعاتها وكانت ذات شعور وادراك لابين قبولها واشفقن منها
ولكن صرف الكلام عن سننه بتصوير المفروض بصورة المحقق روما لزيادة تحقيق المعنى المقصود بالتمثيل وتوضيحه وحملها الانسان اي عند
عرضها عليه اما باعتبارها بالاضافة الى استعداده او بتكليفه اياها يوم الميثاق اي تكلفها والتزمها مع ما فيه من ضعف البنية ورخاوة
القوة وهو اما عبارة عن قبوله لها بموجب استعداده الفطري او عن اعترافه بقوله بلى وقوله تعالى انه كان ظلوما جهولا اعتراض وسط بين
الحمل وغايته للايذان من اول الامر بعدم وفائه بما عهده وتحمله اي انه كان مفرطا في الظلم مبالغا في الجهل اي بحسب غالب افراده الذين لم يعملوا
بموجب فطرتهم السليمة او اعترافهم السابق دون من عداهم من الذين لم يبدلوا فطرة الله تبديلا والى الفريق الاول اشير بقوله عز وجل
ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات اي حملها الانسان ليعذب الله بعض افراده الذين لم يراعوها ولم يقابلوها بالطاعة
على ان اللام للعاقبة فان التعذيب وان لم يكن غرضا له من الحمل لكن لما ترتب عليه بالنسبة الى هؤلاء من افراده لخيانتهم الامانة وخروجهم عن
الطاعة بالكلية والى الفريق الثاني اشير بقوله تعالى ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات اي كان عاقبة حمله لها ان يتوب الله تعالى على هؤلاء من
افراده اي يقبل توبتهم لعدم خلعهم ربقة الطاعة عن رقابهم بالمرة وتلافيهم لما فرط منهم من فرطات قلما يخلو عنها الانسان بحكم جبلته
وتداركهم لها بالتوبة والانابة والالتفات الى الاسم الجليل اولا لتهويل الخطب وتربية المهابة والاظهار في موقع الاضمار ثانيا لابراز
مزيد الاعتناء بامر المؤمنين توفية لكل من مقامي الوعيد والوعد حقه والله تعالى اعلم وجعل الامانة التي شأنها ان تكون من جهته تعالى
عبارة عن الطاعة التي هي من افعال المكلفين التابعة للتكليف بمعزل من التقريب وحمل الكلام على تقرير الوعد الكريم الذي ينبئ عنه قوله تعالى
ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما بجعل تعظيم شأن الطاعة ذريعة الى ذلك بان من قام بحقوق مثل هذا الامر العظيم الشأن
وراعاها فهو جدير بان يفوز بخير الدارين يأباه وصفه بالظلم والجهل اولا وتعليل الحمل بتعذيب فريق والتوبة على فريق ثانيا وقيل
المراد بالامانة مطلق الانقياد الشامل للطبيعي والاختياري وبعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره
من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادائها فيكون الاباء امتناعا عن الخيانة واتيانا بالمراد فالمعنى ان هذه الاجرام مع عظمها وقوتها
ابين الخيانة لامانتنا واتين بما امرناهن به كقوله تعالى اتينا طائعين وخانها الانسان حيث لم يأت بما امرناه به انه كان ظلوما
جهولا وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها اني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني فيها ونارا لمن عصاني
فقلن نحن مسخرات لما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبتغي ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عليه السلام عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما
لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته وقيل المراد بالامانة العقل او التكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن
وباباءهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد لها وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه
من القوة الغضبية والشهوية وهذا قريب من التحقيق فتأمل والله الموفق وقرئ ويتوب الله على الاستيناف وكان الله غفورا رحيما مبالغا في المغفرة
والرحمة حيث تاب عليهم وغفر لهم فرطاتهم واثابهم بالفوز على طاعاتهم قال عليه السلام من قرأ سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه
اعطي الامان من عذاب القبر تمت

سورة سبا

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض اي له تعالى خلقا وملكا وتصرفا بالايجاد والاعدام والاحياء
والاماتة جميع ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فكأنه قيل له جميع المخلوقات كما مر في آية الكرسي ووصفه تعالى
بذلك لتقرير ما افاده تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة بالاسم الجليل من اختصاص جميع افراده به تعالى على ما بين في فاتحة الفاتحة لبيان
تفرده تعالى واستقلاله بما يوجب ذلك وكون كل ما سواه من الموجودات التي من جملتها الانسان تحت ملكوته تعالى ليس لها في حد ذاته استحقاق

الوجود فضلاً عما عداه من صفاتها بل كل ذلك نعم فائضة عليها من جهته تعالى وجل فما هو بمعزل من استحقاق الحمد الذي مداره الجميل
الصادر عن القادر بالاختيار فظهر اختصاص جميع افراده به تعالى وقوله تعالى وله الحمد في الآخرة بيان لاختصاص الحمد الأخروي به تعالى اثر بيان اختصاص
الدنيوية على ان الجار متعلق اما بنفس الحمد او بما تعلق به الخبر من الاستقرار واطلاقه عن ذكر ما يشعر بالمحمود عليه ليس للاكتفاء بذكر كونه في
الآخرة عن التعيين كما اكتفي فيما سبق بذكر كون المحمود عليه في الدنيا عن ذكر كون الحمد ايضا فيها بل ليعم النعم الاخروية كما في قوله تعالى الحمد لله
الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة وقوله تعالى الذي احلنا دار المقامة من فضله الآية وما يكون ذريعة الى نيلها
من النعم الدينية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي هدانا لهذا اي لما جزاؤه هذا من الايمان والعمل الصالح والفرق بين الحمدين مع كون نعمتي الدنيا
والآخرة بطريق التفضل ان الاول على نهج العبادة والثاني على وجه التلذذ والاغتباط وقد ورد في الخبر انهم يلهمون التسبيح كما
يلهمون النفس وهو الحكيم الذي احكم امور الدين والدنيا ودبرها حسبما تقتضيه الحكمة الخبير ببواطن الاشياء ومكنوناتها وقوله تعالى
يعلم ما يلج في الارض الى آخره تفصيل لبعض ما يحيط به علمه من الامور التي نيطت بها مصالحهم الدنيوية والدينية اي يعلم ما يدخل فيها من الغيث و
الكنوز والدفائن والاموات ونحوها وما يخرج منها كالحيوان والنبات وماء العيون ونحوها وما ينزل من السماء كالملائكة والكتب والمقادير
ونحوها وقرئ وما ننزل بالتشديد ونون العظمة وما يعرج فيها كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة وهو الرحيم للحامدين على ما ذكر
من نعمه الغفور للمفرطين في ذلك بلطفه وكرمه وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة ارادوا بضمير المتكلم جنس البشر قاطبة لا انفسهم او معاصريهم
فقط كما ارادوا بنفي اتيانها نفي وجودها بالكلية لا عدم حضورها مع تحققها في نفس الامر وانما عبروا عنه بذلك لانهم كانوا يوعدون
باتيانها ولان وجود الامور الزمانية المستقبلة لا سيما اجزاء الزمان لا يكون الا بالاتيان والحضور وقيل هو استبطاء لاتيانها
الموعود بطريق الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد قل بلى رد لكلامهم واثبات لما نفوه على معنى ليس الامر الا اتيانها وقوله تعالى
وربي لتأتينكم تأكيد له على اتم الوجوه واكملها وقرئ ليأتينكم على تأويل الساعة باليوم او الوقت وقوله تعالى عالم الغيب الى آخره
اما للتأكيد وتشديد له اثر تشديد وكسر لسورة نكيرهم واستبعادهم فان تعقيب القسم بجلائل نعوت المقسم به على الاطلاق يؤذن
بفخامة شأن المقسم عليه وقوة ثباته وصحته لما ان ذلك في حكم الاستشهاد على الامر ولا ريب في ان المستشهد به كلما كان اجل واعلى
كانت الشهادة آكد واقوى والمستشهد عليه احق بالثبوت واولى لا سيما اذا خص بالذكر من النعوت ما له تعلق خاص بالمقسم عليه كما
نحن فيه فان وصفه بعلم الغيب الذي اشهر افراده وادخلها في الخفاء هو المقسم عليه تنبيه لهم على علة الحكم وكونه مما لا يحوم حوله شائبة
ريب ما وفائدة الامر في هذه المرتبة من اليمين ان لا يبقى للمعاندين عذر ما اصلاً فانهم كانوا يعرفون امانته ونزاهته عن وصمة الكذب
فضلاً عن اليمين الفاجرة وانما لم يصدقوه مكابرة وقرئ علام الغيوب وعالم الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح لا يعزب عنه اي لا يبعد
وقرئ بكسر الزاي مثقال ذرة مقدار اصغر نملة في السموات ولا في الارض اي كائنة فيهما ولا اصغر من ذلك اي من مثقال ذرة ولا اكبر اي منه
ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالى الا في كتاب مبين هو اللوح المحفوظ والجملة مؤكدة لنفي العزوب وقرئ ولا اصغر ولا اكبر بفتح الراء
على نفي الجنس ولا يجوز ان يعطف المرفوع على مثقال ولا المفتوح على ذرة بانه فتح في حيز الجر لامتناع الصرف لما ان الاستثناء يمنعه
اللهم الا ان يجعل الضمير في عنه للغيب ويجعل المثبت في اللوح خارجاً عنه لبروزه للمطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شيء
الا مسطوراً في اللوح ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات علة لقوله تعالى لتأتينكم وبيان لما يقتضي اتيانها اولئك اشارة الى الموصول من حيث
اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل والشرف اي اولئك الموصوفون بالصفات الجليلة لهم بسبب
ذلك مغفرة لما فرط منهم من بعض فرطات قلما يخلو عنها البشر ورزق كريم لا تعب فيه ولا من عليه والذين سعوا في آياتنا بالقدح فيها
وصد الناس عنها معاجزين اي مسابقين كي يفوتونا وقرئ معجزين اي مثبطين عن الايمان من اراده اولئك لهم عذاب الكلام
فيه كالذي مر آنفاً ومن في قوله تعالى من رجز للبيان قال قتادة رضي الله عنه الرجز سوء العذاب وقوله تعالى اليم بالرفع صفة
عذاب اي اولئك لهم عذاب من جنس سوء العذاب شديد الايلام وقرئ اليم بالجر صفة لرجز ويرى الذين اوتوا العلم اي يعلم
اولو العلم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شايعهم من علماء الامة او من آمن من علماء اهل الكتاب كعبد الله بن سلام

وكعب واضرابهما رضي الله تعالى عنهم الذي انزل اليك من ربك اي القرآن هو الحق بالنصب على انه مفعول ثان ليرى والمفعول الاول هو الموصول الثاني
وهو ضمير الفصل وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر والجملة هو المفعول الثاني ليرى وقوله تعالى ويرى الى آخره مستأنف مسوق للاستشهاد باولي
العلم على الجهلة الساعين في الآيات وقيل منصوب عطفاً على ليجزي اي وليعلم اولو العلم عند مجيء الساعة معاينة انه الحق حسبما علموه
الآن برهاناً ويحتج به على المكذبين وقد جوز ان يراد باولي العلم من لم يؤمن من الاحبار اي ليعلموا يومئذ انه هو الحق فيزدادوا حسرة
وغماً ويهدي عطف على الحق عطف الفعل على الاسم لانه في تأويله كما في قوله تعالى صافات ويقبضن اي وقابضات كأنه قيل ويرى
الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك الحق وهادياً الى صراط العزيز الحميد الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقيل حال من الذي انزل
على اضمار مبتدأ اي وهو يهدي كما في قول من قال نجوت وارهنهم مالكا وقال الذين كفروا هم كفار قريش قالوا مخاطبين بعضهم لبعض
هل ندلكم على رجل يعنون به النبي صلى الله عليه وسلم وانما قصدوا بالتنكير الهزء والسخرية قاتلهم الله تعالى ينبئكم اي يحدثكم بأعجب
وقرئ ينبيكم من الانباء اذا مزقتم كل ممزق اي اذا متم وفرقت اجسادكم كل تفريق بحيث صرتم تراباً ورفاتاً انكم لفي خلق
جديد اي مستقرون فيه وعدل اليه عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث مثل تبعثون او تخلقون خلقاً جديداً للاشباع في الاستبعاد
والتعجيب وكذلك تقديم الظرف والعامل فيه ما دل عليه المذكور لا نفسه لما ان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وجديد فعيل بمعنى فاعل من جد فهو
جديد وقيل فهو قليل وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه ثم شاع افترى على الله كذباً فيما قاله ام به جنة اي جنون
يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه والاستدلال بهذا الترديد على ان بين الصدق والكذب واسطة هو ما لا يكون من الاخبار عن بصيرة بين الفساد
لظهور كون الافتراء اخص من الكذب بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد جواب من جهة الله تعالى عن ترديدهم الوارد على طريقة
الاستفهام بالاضراب عن شقيه وابطالهما واثبات قسم ثالث كاشف عن حقيقة الحال ناع عليهم سوء حالهم وابتلاءهم بما قالوا في
حقه عليه السلام كأنه قيل ليس الامر كما زعموا بل هم في كمال اختلال العقل وغاية الضلال عن الفهم والادراك الذي هو الجنون حقيقة وفيما يؤدي
اليه ذلك من العذاب ولذلك يقولون ما يقولون وتقديم العذاب على ما يوجبه ويستتبعه للمسارعة الى بيان ما يسوؤهم ويفت في اعضادهم
والاشعار بغاية سرعة ترتبه عليه كأنه يسابقه فيسبقه ووصف الضلال بالبعد الذي هو وصف الضال للمبالغة ووضع الموصول
موضع ضميرهم للتنبيه بما في حيز الصلة على ان علة ما ارتكبوه واجترأوا عليه من الشنيعة الفظيعة كفرهم بالآخرة وما فيها من
فنون العقاب ولولاه لما فعلوا ذلك خوفاً من غائلته وقوله تعالى افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض استئناف مسوق
لتهويل ما اجترأوا عليه من تكذيب آيات الله تعالى واستعظام ما قالوا في حقه عليه الصلوة والسلام وانه من العظائم الموجبة لنزول
اشد العذاب وحلول افظع العذاب من غير ريث وتأخير والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى ان نشأ الى آخره
بيان لما ينبئ عنه ذكر احاطتهما بهم من المحذور المتوقع من جهتهما وفيه تنبيه على انه لم يبق من اسباب وقوعه الا تعلق المشيئة به اي افعلوا
ما فعلوا من المنكر الهائل المستتبع للعقوبة فلم ينظروا الى ما احاط بهم من جميع جوانبهم بحيث لا مفر لهم عنه ولا محيص ان نشأ جرياً على
موجب جناياتهم نخسف بهم الارض كما خسفناها بقارون او نسقط عليهم كسفاً من السماء كما اسقطناها على اصحاب الايكة لاستيجابهم
ذلك بما ارتكبوه من الجرائم وقيل هو تذكير بما يعاينون مما يدل على كمال قدرته وما يحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم البعث حتى جعلوه
افتراء وهزؤاً وتهديد عليها والمعنى أعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا اهم اشد خلقاً ام هي
وان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفاً لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات فتأمل وكن على الحق المبين وقرئ يخسف ويسقط
بالياء لقوله تعالى افترى على الله وكسفاً بسكون السين ان في ذلك اي فيما ذكر من السماء والارض من حيث احاطتهما بالناظر من جميع
الجوانب او فيما تلي من الوحي الناطق بما ذكر لآية عظيمة واضحة لكل عبد منيب شأنه الانابة الى ربه فانه اذا تأمل فيهما او في
الوحي المذكور ينزجر عن تعاطي القبائح وينيب اليه تعالى وفيه حث بليغ على التوبة والانابة وقد اكد ذلك بقوله تعالى ولقد آتينا داود
منا فضلاً اي آتيناه لحسن انابته وصحة توبته فضلاً على سائر الانبياء عليهم السلام اي نوعاً من الفضل وهو ما ذكر بعد فانه معجزة
خاصة به عليه السلام او على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن فتنكيره للتفخيم ومنا لتأكيد فخامته الذاتية

بنجابته الاضافية كما في قوله تعالى وآتيناه من لدنا علما وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بالمقدم والتشويق فان ما حقه التقديم اذا اخر
تبقى النفس مترقبة له فاذا ورد لها يتمكن عندها فضل تمكن يا جبال اوبي معه من التأويب اي رجعي معه التسبيح او النوحة على الذنب وذلك اما
بان يخلق الله تعالى فيها صوتا مثل صوته كما خلق الكلام في الشجرة او بان يتمثل له ذلك وقرئ اوبي من الاوب اي ارجعي معه في التسبيح كلما
رجع فيه وكان كلما سبح عليه السلام يسمع من الجبال ما يسمع من المسبح معجزة له عليه السلام وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين
وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها وهو بدل من آتينا باضمار قلنا او من فضلا باضمار قولنا والطير بالنصب عطفا
على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير لان ايتاءها اياه عليه السلام تسخيرها له فلا حاجة الى اضماره كما نقل عن الكسائي ولا الى تقدير مضاف
اي تسبيح الطير كما نقل عنه في رواية وقيل عطفا على محل الجبال وفيه من التكلف لفظا ومعنى ما لا يخفى وقرئ بالرفع عطفا على لفظها تشبيها
للحركة البنائية العارضة بالحركة الاعرابية وقد جوز انتصابه على انه مفعول معه والاول هو الوجه وفي تنزيل الجبال والطير منزلة العقلاء
المطيعين لامره تعالى المذعنين لحكمه المشعر بانه ما من حيوان وجماد وصامت وناطق الا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته من الفخامة
المعربة عن غاية عظمة شأنه تعالى وكمال كبريائه وسلطانه ما لا يخفى على اولي الالباب والنا له الحديد اي جعلناه لينا في نفسه كالشمع يصرفه
كيف يشاء في يده من غير احماء بنار ولا ضرب بمطرقة او جعلناه بالنسبة الى قوته التي آتيناها اياه لينا كالشمع بالنسبة الى سائر
القوى البشرية ان اعمل امرناه ان اعمل على ان ان مصدرية حذف عنها الباء وفي حملها على المفسرة تكلف لا يخفى سابغات واسعات
وقرئ صابغات وهي الدروع الواسعة الضافية وهو عليه السلام اول من اتخذها وكانت قبل صفائح قالوا كان عليه السلام حين
ملك على بني اسرائيل يخرج متنكرا فيسأل الناس ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله تعالى له ملكا في صورة آدمي فسأله
على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فسأله عنها فقال لولا انه يطعم عياله من بيت المال فعند ذلك سأل ربه ان
يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه تعالى صنعة الدروع وقيل كان يبيع الدرع باربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق
على الفقراء وقدر في السرد السرد نسج الدروع اي اقتصد في نسجها بحيث تتناسب حلقها وقيل قدر مساميرها فلا تجعلها دقاقا ولا غلاظا
ورد بان دروعه عليه السلام لم تكن مسمرة كما ينبئ عنه الانة الحديد وقيل معنى قدر في السرد لا تصرف جميع اوقاتك اليه بل مقدار ما
يحصل به القوت واما الباقي فاصرفه الى العبادة وهو الانسب بقوله تعالى واعملوا صالحا عمم الخطاب حسب عموم التكليف له عليه السلام ولاهله
اني بما تعملون بصير تعليل للامر او لوجوب الامتثال به ولسليمان الريح اي وسخرنا له الريح وقرئ برفع الريح اي ولسليمان الريح مسخرة وقرئ الرياح غدوها
شهر ورواحها شهر اي جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك والجملة اما مستأنفة او حال من الريح وقرئ غدوتها وروحتها وعن
الحسن رضي الله عنه كان يغدو اي من دمشق فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل وقيل كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند
ويحكى ان بعضهم رأى مكتوبا في منزل بناحية دجلة كتبه بعض اصحاب سليمان عليه السلام نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا
من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشام ان شاء الله تعالى واسلنا له عين القطر اي النحاس المذاب اسالة معدنه كما الان الحديد
لداود عليه السلام فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سمي عينا وكان ذلك باليمن وقيل كان يسيل في الشهر ثلاثة ايام وقوله تعالى ومن الجن
من يعمل بين يديه اما جملة من مبتدأ وخبر او من يعمل عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة باذن ربه تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن يزغ منهم عن امرنا
ومن يعدل منهم عما امرناه به من طاعة سليمان وقرئ يزغ على البناء للمفعول من ازاغه نذقه من عذاب السعير اي عذاب النار في الآخرة وروي
السدي رحمه الله تعالى كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجني يعملون له ما يشاء تفصيل لما ذكر
من عملهم وقوله تعالى من محاريب الى آخره بيان لما يشاء اي من قصور حصينة ومساكن شريفة سميت بذلك لانها يذب ويحارب عنها وقيل هي المساجد
وتماثيل وصور الملائكة والانبياء عليهم السلام على ما اعتادوا فانها كانت تعمل حينئذ في المساجد ليراها الناس ويعبدوا مثل عبادتهم
وحرمة التصاوير شرع جديد وروي انهم عملوا اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان ذراعيهما
واذا قعد اظله النسران باجنحتهما وجفان جمع جفنة وهي الصحفة كالجواب كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية لاجتماع الماء فيها وهي
من الصفات الغالبة كالدابة وقرئ باثبات الياء قيل كان يقعد على الجفنة الف رجل وقدور راسيات ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها

عنها لعظمها اعملوا آل داود شكرا حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على انه مفعول له او مصدر لاعملوا لان العمل للمنعم شكر له او لفعل المحذوف اي اشكروا
شكرا او حال اي شاكرين او مفعول به اي اعملوا شكرا وقليل من عبادي الشكور اي المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته
ومع ذلك لا يوفي حقه لان التوفيق للشكر نعمة تستدعي شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر وروي انه عليه السلام جزأ
ساعات الليل والنهار على اهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلي فلما قضينا عليه الموت اي على سليمان عليه السلام
ما دلهم اي الجن او اهله على موته الا دابة الارض اي الارضة اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال ارضت الارضة
الخشبة ارضا فارضت ارضا مثل اكلت القوادح اسنانه اكلا فأكلت اكلا تأكل منسأته اي عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها
يطرد بها ما يطرد وقرئ منساته بالف ساكنة بدلا من الهمزة وبهمزة ساكنة وباخراجها بين بين عند الوقف ومنساءته على مفعالة كميضاءة
في ميضاءة ومن سأته اي من طرف عصاه من سأة القوس وفيه لغتان كما في قحة بالكسر والفتح وقرئ اكلت فلما خر تبينت الجن من
تبينت الشيء اذا علمته بعد التباسه عليك اي علمت الجن علما بينا بعد التباس الامر عليهم ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين اي انهم
لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته عليه السلام حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره الى ان خر او من تبين الشيء اذا ظهر
وتجلى اي ظهرت الجن وان مع ما في حيزها بدل اشتمال من الجن اي ظهر لو كانوا يعلمون الغيب الى آخره وقرئ تبينت الجن على البناء للمفعول
على ان المتبين في الحقيقة هو ان مع ما في صلتها لانه بدل وقرئ تبينت الانس والضمير في كانوا للجن في قوله تعالى ومن الجن من يعمل وفي
قراءة ابن مسعود رضي الله عنه تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب روي ان داود اسس بنيان بيت المقدس في موضع فسطاط
موسى فتوفي قبل تمامه فوصى به الى سليمان عليهما السلام فاستعمل فيه الجن والشياطين فباشروه حتى اذا دنا اجله وعلم به سأل ربه ان
يعمي عليهم موته حتى يفرغوا منه ولتبطل دعواهم علم الغيب قد عاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه
فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك وهم فيما امروا به من الاعمال حتى اكلت الارضة عصاه فخر ميتا وكذلك كانت الشياطين تجتمع
حول محرابه ايثما صلى عليه السلام فلم يكن ينظر اليه شيطان في صلوته الا احترق فمر به يوما شيطان فنظر فاذا سليمان عليه السلام قد خر ميتا
ففتحوا عنه فاذا العصا قد اكلتها الارضة فارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت منها في يوم وليلة مقدارا فحسبوا
على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره عليه السلام ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبقي في ملكه اربعين سنة
وابتدأ بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه لقد كان لسبأ بيان لاخبار بعض الكافرين بنعم الله تعالى اثر بيان احوال الشاكرين لها
اي لاولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقرئ بمنع الصرف على انه اسم القبيلة وقرئ بقلب الهمزة الفا ولعله اخراج لها
بين بين في مسكنهم وقرئ بكسر الكاف كالمسجد وقرئ بلفظ الجمع اي مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء
مسيرة ثلاث ليال آية دالة بملاحظة احوالها السابقة واللاحقة على وجود الصانع المختار القادر على كل ما يشاء من الامور البديعة
المجازي للمحسن والمسيء معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان عليهما السلام جنتان بدل من آية او خبر لمبتدأ محذوف
اي هي جنتان وفيه معنى المدح ويؤيده قراءة النصب على المدح والمراد بهما جماعتان من البساتين عن يمين وشمال جماعة عن يمين
بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة من تينك الجماعتين في تقاربها وتضامها كانها جنة واحدة او بستان كل رجل منهم عن يمين
مسكنه وعن شماله كلوا من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قيل لهم على لسان نبيهم تكميلا للنعمة وتذكيرا لحقوقها او لما نطق به لسان الحال
او بيان لكونهم احقاء بان يقال لهم ذلك بلدة طيبة ورب غفور استئناف مبين لما يوجب الشكر المأمور به اي بلدتكم بلدة
طيبة وربكم الذي رزقكم ما فيها من الطيبات وطلب منكم الشكر رب غفور لفرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل
كانت اطيب البلاد هواء واخصبها وكانت المرأة تخرج وعلى رأسها المكتل فتعمل بيديها وتسير فيما بين الاشجار فيمتلئ المكتل مما يتساقط
فيه من الثمار ولم يكن فيها من موذيات الهوام شيء فاعرضوا عن الشكر بعد ابانة الآيات الداعية لهم اليه قيل ارسل اليهم ثلاثة عشر نبيا
فدعوهم الى الله تعالى وذكروهم نعمه وانذروهم عقابه فكذبوهم فارسلنا عليهم سيل العرم اي سيل الامر العرم اي الصعب من عرم الرجل
فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد وقيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة وقيل هو السكر الذي

يحبس الماء وقيل هو اسم للبناء الذي يجعل سدًّا وقيل هو المسنّاة الذي بنتها الملكة بلقيس بين الجبلين بالصخرة والقار وحقنت
ما العيون والامطار وتركت فيها خروقًا على ما يحتاجون اليه في سقيهم وقيل العرم الجرذ الذي نقب عليهم ذلك السد وهو الفار الاعمى
الذي يقال له الخلد سلطه الله تعالى على سدّهم فنقبه فغرق بلادهم وقيل العرم اسم الوادي وقيل العرم المسكون الآراء قالوا كان ذلك
في الفترة التي كانت بين عيسى والنبي صلى الله عليه وسلم **وبدلناهم بجنتيهم** اي اذهبنا جنتيهم وآتينا بدلهما **جنتين ذواتي اكل خمط** اي ثمر
بشع فان الخمط كل نبت اخذ طعمًا من مرارة حتى لا يمكن اكله وقيل هو الحمض وقيل هو ثمرة شجرة يقال لها فسوة الضبع
على صورة الخشخاش لا ينتفع بها وقيل هو الاراك وكل شجر ذي شوك والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
وقرئ اكل خمط بالاضافة وتخفيف اكل **واثل وشيء من سدر قليل** معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء وقيل شجر يشبهه
اعظم منه ولا ثمر له وقرئ واثلًا وشيئًا عطفًا على جنتين قيل وصف السدر بالقلة لما ان جناه وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك
يغرس في البساتين والصحيح ان السدر صنفان صنف يؤكل من ثمره وينتفع بورقه لغسل اليد وصنف له ثمرة عفصة لا تؤكل اصلًا
ولا ينتفع بورقه وهو الضال والمراد ههنا هو الثاني حتمًا وقال قتادة كان شجرهم خير شجر فصيّره الله تعالى شر الشجر باعمالهم وتسمية
البدل جنتين للمشاكلة والتهكم **ذلك** اشارة الى قوله تعالى **جزيناهم** او الى ما ذكر من التبديل وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد
رتبته في الفظاعة ومحله على الاول النصب على انه مصدر مؤكد للفعل المذكور وعلى الثاني النصب على انه مفعول ثان له اي ذلك الجزاء
الفظيع جزيناهم لا جزاء آخر او ذلك التبديل جزيناهم لا غيره **بما كفروا** بسبب كفرانهم النعمة حيث نزعناها منهم ووضعنا مكانها
ضدها او بسبب كفرهم بالرسل **وهل نجازي الا الكفور** اي وما نجازي هذا الجزاء الا المبالغ في الكفران او الكفر وقرئ يجازي على البناء
للفاعل وهو الله عز وجل وهل يجازى على البناء للمفعول ورفع الكفور وهل نجزي على البناء للفاعل ويجزى على البناء للمفعول ايضًا
وهذا بيان لما اوتوا من النعم الحاضرة في مساكنهم وما فعلوا بها من الكفران وما فعل بهم من الجزاء وقوله تعالى **وجعلنا بينهم وبين القرى التي**
حكاية لما اوتوا من النعم البادية في مسايرهم ومتاجرهم وما فعلوا بها من الكفران وما حاق بهم بسبب ذلك تكملة لقصتهم وبيانًا
لعاقبتهم وانما لم يذكر الكل معًا لما في التثنية والتكرير من زيادة تنبيه وتذكير وهو عطف على كان لسبأ لا على ما بعده من الجمل الناطقة
بافعالهم او باجزيتها اي وجعلنا مع ما آتيناهم في مساكنهم من فنون النعم بينهم اي بين بلادهم وبين القرى الشامية التي باركنا فيها
للعالمين **قرى ظاهرة** متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لاعين اهلها او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة غير
بعيدة عن مسالكهم حتى تخفى عليهم **وقدرنا فيها السير** اي جعلناها في نسبة بعضها الى بعض على مقدار معين يليق بحال ابناء السبيل قيل كان
الغادي من قرية يقيل في اخرى والرائح منها يبيت في اخرى الى ان يبلغ الشام كل ذلك كان تكميلًا لما اوتوا من انواع النعماء
وتوفيرًا لها في الحضر والسفر **سيروا فيها** على ارادة القول اي قلنا لهم سيروا في تلك القرى **ليالي واياما** اي متى شئتم من الليالي والايام
آمنين من كل ما تكرهونه لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا فيها آمنين وان تطاولت مدة سفركم وامتدت ليالي
واياما كثيرة او سيروا فيها ليالي اعماركم لا تلقون فيها الا الامن لكن لا على الحقيقة بل على تنزيل تمكينهم من السير المذكور وتسوية مباديه
واسبابه على الوجه المذكور منزلة امرهم بذلك **فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا** وقرئ يا ربنا بطروا النعمة وسئموا طيب العيش وهو العافية
فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل الثوم والبصل مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنا جنا بنا ابعد لكان احذر ان نشتهيه
وسالوا ان يجعل الله تعالى بينهم وبين الشام مفاوز وقفارًا ليركبوا فيها الرواحل ويتزودوا الازواد ويتطاولوا فيها على الفقراء
فجعل الله تعالى لهم الاجابة بتخريب تلك القرى المتوسطة لا يسمع فيها داع ولا مجيب وقرئ بعّد وقرئ ربنا بعّد بين اسفارنا على النداء
واسناد الفعل الى بين ورفعه به كما يقال سير فرسخان وبوعد بين اسفارنا وقرئ ربنا باعد بين اسفارنا وبين سفرنا وبعّد برفع
ربنا على الابتداء والمعنى على خلاف الاول وهو استبعاد مسايرهم مع قصرها ودنوها وسهولة سلوكها لفرط تنعمهم وغاية ترفههم
وعدم اعتدادهم بنعم الله تعالى كانهم يتشاجون على الله تعالى ويتحازنون عليه **وظلموا انفسهم** حيث عرضوها للسخط والعذاب حين بطروا النعمة
او غمطوها **فجعلناهم احاديث** اي جعلناهم بحيث يتحدث الناس بهم متعجبين من احوالهم ومعتبرين بعاقبتهم ومآلهم **ومزقناهم كل ممزق** اي

اي فرقناهم كل تفريق على ان الممزق مصدر او كل مطرح ومكان تفريق على انه اسم مكان وفي عبارة التمزيق الخاص بتفريق المتصل وخرقه
من تهويل الامر والدلالة على شدة التاثير والايلام ما لا يخفى اي مزقناهم تمزيقًا لا غاية وراءه بحيث يضرب به الامثال في كل فرق ليس
بعدها وصال حتى لحق غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان واصل قصتهم على ما رواه الكلبي عن ابي صالح ان
عمرو بن عامر من اولاد سبأ وبينهما اثنا عشر ابا وهو الذي يقال له مزيقياء بن ماء السماء اخبرته طريفة الكاهنة بخراب سد مارب
وتغريق سيل العرم الجنتين وعن ابي زيد الانصاري ان عمروا راى جرذًا يحفر السد فعلم انه لا بقاء له بعد وقيل انه كان كاهنًا وقد علم بكهانته
فباع املاكه وسار بقومه وهم الوف من بلد الى بلد حتى انتهى الى مكة المعظمة واهلها جرهم وكانوا قهروا الناس وحازوا ولاية البيت
على بني اسماعيل عليه السلام وغيرهم فارسل اليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر يسالهم المقام معهم الى ان يرجع اليه رواده الذين ارسلهم
الى اصقاع البلاد يطلبون له موضعًا يسعه ومن معه من قومه فابوا فاقتتلوا ثلاثة ايام فانهزمت جرهم ولم يفلت منهم الا الشريد
واقام ثعلبة بمكة وما حولها في قومه وعساكره حولًا فاصابتهم الحمى فاضطروا الى الخروج وقد رجع اليه رواده فافترقوا فرقتين فرقة
توجهت نحو عمان وهم الازد وكندة وحمير ومن يتلوهم وسار ثعلبة نحو الشام فنزل الاوس والخزرج ابناء حارثة بن ثعلبة بالمدينة وهم
الانصار ومضت غسان فنزلوا بالشام وانخزعت خزاعة بمكة فاقام بها ربيعة بن حارث بن عمرو بن عامر وهو لحي فولي امر مكة
وحجابة الكعبة ثم جاءهم اولاد اسماعيل عليه السلام فسالوهم السكنى معهم وحولهم فاذنوا لهم في ذلك وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان فروة بن مسيك الغطيفي سال النبي صلى الله عليه وسلم عن سبأ فقال عليه السلام هو رجل كان له عشرة اولاد ستة منهم سكنوا
اليمن وهم مذحج وكندة والازد والاشعريون وحمير وانمار منهم واثنان بجيلة وخثعم واربعة منهم سكنوا الشام وهم لخم وجذام
وعاملة وغسان لما هلكت اموالهم وخربت بلادهم تفرقوا ايدي سبا شذر مذر فنزلت طوائف منهم بالحجاز فمنهم خزاعة نزلوا بظاهر
مكة ونزلت الاوس والخزرج بيثرب فكانوا اول من سكنها ثم نزل عندهم ثلث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة والنضير
فحالفوا الاوس والخزرج واقاموا عندهم ونزلت طوائف اخر منهم بالشام وهم الذين تنصروا فيما بعد وهم غسان وعاملة ولخم
وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم وسبأ تجمع هذه القبائل كلها والجمهور على ان جميع العرب قسمان قحطانية وعدنانية والقحطانية
شعبان سبأ وحضرموت والعدنانية شعبان ربيعة ومضر واما قضاعة فمختلف فيها فبعضهم ينسبونها الى قحطان وبعضهم الى عدنان
والله تعالى اعلم **ان في ذلك** اي فيما ذكر من قصتهم **لآيات** عظيمة **لكل صبار شكور** اي شانه الصبر عن الشهوات ودواعي الهوى وعلى
مشاق الطاعات والشكر على النعم وتخصيص هؤلاء بذلك لانهم المنتفعون بها **ولقد صدق عليهم ابليس ظنه** اي حقق عليهم
ظنه او وجده صادقًا وقرئ بالتخفيف اي صدق في ظنه او صدق بظن ظنه ويجوز تعدية الفعل اليه بنفسه لانه نوع من
القول وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقًا ومع التخفيف بمعنى قال له الصدق حين خيله
اغواءهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبأ حين راى انهماكهم في الشهوات او ببني آدم حين شاهد آدم عليه السلام
قد اصغى الى وسوسته قال ان ذريته اضعف منه عزمًا وقيل ظن ذلك عند اخبار الله تعالى الملائكة انه يجعل فيها من يفسد فيها
ويسفك الدماء وقال لاضلنهم ولاغوينهم **فاتبعوه** اي اهل سبأ او الناس **الا فريقا من المؤمنين** الا فريقًا منهم المؤمنون لم يتبعوه
على ان من بيانية وتقليلهم بالاضافة الى الكفار او فريقًا من فرق المؤمنين لم يتبعوه وهم المخلصون **وما كان له عليهم من سلطان** اي
تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء وقوله تعالى **الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك** استثناء مفرغ من اعم العلل ومن موصولة
اي وما كان تسلطه عليهم الا ليتعلق علمنا بمن يؤمن بالآخرة متميزًا ممن هو منها في شك تعلقًا حاليًا يترتب عليه الجزاء او الا ليتميز
المؤمن من الشاك او الا ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة **وربك على كل
شيء حفيظ** اي محافظ عليه فان فعيلًا ومفاعلًا صيغتان متآخيتان **قل** اي للمشركين اظهارًا لبطلان ما هم عليه وتبكيتًا لهم **ادعوا
الذين زعمتم** اي زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم ثم حذف الاول تخفيفًا لطول الموصول بصلته والثاني لقيام صفته اعني قوله
تعالى **من دون الله** ولا سبيل الى جعله مفعولًا ثانيًا لانه لا يلتئم مع الضمير كلامًا وكذا **لا يملكون** لانهم لا يزعمونه والمعنى ادعوهم فيما يهمكم

من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعاراً بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون
مثقال ذرة من خير وشر ونفع وضر في السموات ولا في الارض اي في امر ما من الامور وذكرهما للتعميم عرفاً او لان آلهتهم بعضها سماوية
كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للخير والشر سماوية وارضية والجملة استيناف لبيان
حالهم وما لهم اي لآلهتهم فيهما من شرك اي شركة لا خلقاً ولا ملكاً ولا تصرفاً وما له اي الله تعالى منهم من آلهتهم من ظهير يعينه في
تدبير امرهما ولا تنفع الشفاعة عنده اي لا يوجد رأساً كما في قوله ولا ترى الضب بها ينجحر لقوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه
وانما علق النفي بنفعها لا بوقوعها تصريحاً بنفي ما هو غرضهم من وقوعها وقوله تعالى الا لمن اذن له استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تنفع
الشفاعة حال من الاحوال الا كائنة لمن اذن له في الشفاعة من النبيين والملائكة ونحوهم من المستأهلين لمقام الشفاعة فتبين
حرمان الكفرة منها بالكلية اما من جهة اصنامهم فلظهور انتفاء الاذن لها لاستحالة الاذن في الشفاعة ضرورة استحالة الاذن
في الشفاعة لجماد لا يعقل ولا ينطق واما من جهة من يعبدونه من الملائكة فلأن اذنهم مقصور على الشفاعة للمستحقين لها بقوله تعالى
لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صواباً ومن البين ان الشفاعة للكفرة بمعزل من الصواب او لا تنفع الشفاعة من الشفعاء
المستأهلين لها في حال من الاحوال الا كائنة لمن اذن له اي لاجله وفي شأنه من المستحقين للشفاعة واما من عداهم من غير
لها فلا تنفعهم اصلاً وان فرض وقوعها وصدورها عن الشفعاء اذ لم يؤذن لهم في شفاعتهم بل في شفاعة غيرهم فعلى هذا يثبت
حرمانهم عن شفاعة هؤلاء بعبارة النص وعن شفاعة الاصنام بدلالته اذ حين حرموها من جهة القادرين على شفاعة بعض
المحتاجين اليها فلأن يحرموها من جهة العجزة عنها اولى وقرئ أُذِن له مبنياً للمفعول حتى اذا فزع عن قلوبهم اي قلوب الشفعاء
والمشفوع لهم من المؤمنين واما الكفرة فهم من موقف الاستشفاع بمعزل وعن التفزيع عن قلوبهم بالف منزل والتفزيع ازالة الفزع
ثم ترك ذكر الفزع واسند الفعل الى الجار والمجرور وحتى غاية لما ينبئ عنه ما قبلها من الاشعار بوقوع الاذن لمن اذن له فانه مسبوق
بالاستيذان المستدعي للترقب والانتظار للجواب كأنه سئل كيف يؤذن لهم فقيل يتربصون في موقف الاستيذان والاستدعاء ويتوقفون
على وجل وفزع ملياً حتى اذا ازيل الفزع عن قلوبهم بعد اللتيا والتي وظهرت لهم تباشير الاجابة قالوا اي المشفوع لهم اذ هم المحتاجون
الى الاذن والمهتمون بامره ماذا قال ربكم اي في شأن الاذن قالوا اي الشفعاء لانهم المباشرون للاستيذان بالذات
المتوسطون بينهم وبينه عز وجل بالشفاعة الحق اي قال ربنا القول الحق وهو الاذن بالشفاعة للمستحقين لها وقرئ
الحق مرفوعاً اي ما قاله الحق وهو العلي الكبير من تمام كلام الشفعاء قالوه اعترافاً بغاية عظمة جناب العزة عز وجل وقصور
كل من سواه اي هو المتفرد بالعلو والكبرياء ليس لاحد من اشراف الخلائق ان يتكلم الا باذنه وقرئ فُزِع مخففاً بمعنى
فُزِّع وقرئ فَزَّع على البناء للفاعل وهو الله تعالى وحده وقرئ فُرِّغ بالراء المهملة والغين المعجمة اي نفي الوجل عنها وافني
من فرغ الزاد اذا لم يبق منه شيء وهو من الاسناد المجازي لان الفراغ وهو الخلو حال ظرفه عند نفاده فاسند اليه
على عكس قولهم جرى النهر وعن الحسن تخفيف الراء واصله فرغ الوجل عنها اي انتفى عنها وفني ثم حذف الفاعل واسند الى
الجار والمجرور به يعرب حال التفزيع وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها قل من يرزقكم من السموات والارض امر عليه السلام بتبكيت
المشركين بحملهم على الاقرار بان آلهتهم لا يملكون مثقال ذرة فيهما وان الرازق هو الله تعالى فانهم لا ينكرونه كما ينطق به قوله تعالى
قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار فسيقولون الله وحيث كانوا يتلعثمون احياناً في الجواب مخافة
الالزام قيل له عليه السلام قل الله اذ لا جواب سواه عندهم ايضاً وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين اي وان احد الفريقين
من الذين يوحدون المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية ويخصونه بالعبادة والذين يشركون به في العبادة الجماد النازل
في ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبين وهذا بعد ما سبق من التقرير البليغ الناطق بتعيين من هو
على الضلال ابلغ من التصريح به لكونه على سنن الانصاف المسكت للخصم الالد وقرئ وانا او اياكم اما على هدى او في ضلال مبين واختلاف
الجارين للايذان بان الهادي كمن استعلى منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها والضال كأنه منغمس في ظلام لا يرى شيئاً او محبوس

في مطمورة لا يستطيع الخروج عنها قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون وهذا ابلغ في الانصاف وابعد من الجدل والاعتساف حيث اسند فيه الاجرام
اريد به الزلة وترك الاولى الى انفسهم ومطلق العمل الى المخاطبين مع ان اعمالهم اكبر الكبائر قل يجمع بيننا ربنا يوم القيامة عند الحشر والحساب
ثم يفتح بيننا بالحق اي يحكم بيننا ويفصل بعد ظهور حال كل منا ومنكم بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم
الفيصل في القضايا المنغلقة العليم بما ينبغي ان يقضى به قل اروني الذين الحقتم به شركاء اي الحقتموهم به شركاء اريد بامرهم باراءة الاصنام
مع كونها بمرأى منه عليه السلام اظهار خطائهم العظيم واطلاعهم على بطلان رأيهم اي اروني لانظر باي صفة الحقتموها بالله الذي ليس كمثله شيء
في استحقاق العبادة وفيه مزيد تأكيد تبكيت لهم بعد الزام الحجة عليهم كلا ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم
الموصوف بالغلبة القاهرة والحكمة الباهرة فاين شركاؤكم التي هي اخس الاشياء واذلها من هذه الرتبة العالية والضمير اما لله
عز وعلا او للشأن كما في قل هو الله احد وما ارسلناك الا كافة للناس اي الا ارسالة عامة لهم فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم
او الا جامعاً لهم في الابلاغ فهي حال من الكاف والتاء للمبالغة ولا سبيل الى جعلها حالاً من الناس لاستحالة تقدم الحال على صاحبها المجرور بشيراً
ونذيراً ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك فيحملهم جهلهم على ما هم عليه من الغي والضلال ويقولون من فرط جهلهم وغاية غيهم متى هذا الوعد
بطريق الاستهزاء يعنون به المبشر به والمنذر عنه او الموعود بقوله تعالى يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا ان كنتم صادقين مخاطبين لرسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به قل لكم ميعاد يوم اي وعد يوم او زمان وعد والاضافة للتبيين وقرئ ميعادٌ يومٌ منونين على البدل ويوماً
باضمار اعني للتعظيم لا تستأخرون عنه عند مفاجأته ساعة ولا تستقدمون صفة لميعاد وفي هذا الجواب من المبالغة في التهديد ما لا يخفى حيث جعل
الاستيخار كالاستقدام الممتنع عقلاً وقد مر بيانه مراراً ويجوز ان يكون نفي الاستيخار والاستقدام غير مقيد بالمفاجأة فيكون وصف الميعاد
بذلك لتحقيقه وتقريره وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه اي من الكتب القديمة الدالة على البعث وقيل ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا فقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه القيمة ولو ترى اذ الظالمون المنكرون
للبعث موقوفون عند ربهم اي في موقف المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض القول اي يتجاوزون ويتراجعون يقول الذين استضعفوا بدل من يرجع
الى آخره اي يقول الاتباع للذين استكبروا في الدنيا واستتبعوهم في الغي والضلال لولا انتم اي لولا اضلالكم وصدكم لنا عن الايمان
لكنا مؤمنين باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم قال الذين استكبروا للذين استضعفوا استيناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال الذين استكبروا
في الجواب فقيل قالوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين منكرين لكونهم هم الصادين لهم عن الايمان مثبتين انهم هم الصادون بانفسهم
بسبب كونهم راسخين في الاجرام وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا اضراباً عن اضرابهم وابطالاً له بل مكر الليل والنهار اي بل صدنا مكركم بنا بالليل
والنهار فحذف المضاف اليه واقيم مقامه الظرف اتساعاً او جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازي وقرئ بل مكرٌ الليلَ والنهارَ
بالتنوين ونصب الظرفين اي بل صدنا مكر كم في الليل والنهار على ان التنوين عوض عن المضاف اليه او مكر عظيم على انه للتفخيم وقرئ بل
مكرّ الليل والنهار بالرفع والنصب اي تكرون الاغواء مكراً دائباً لا تفترون عنه فالرفع على الفاعلية اي بل صدنا مكركم الاغواء
في الليل والنهار على ما سبق من الاتساع في الظرف باقامته مقام المضاف اليه والنصب على المصدرية اي بل تكرون الاغواء مكر الليل
والنهار اي مكراً دائباً وقوله تعالى اذ تأمروننا ظرف للمكر اي بل مكركم الدائم وقت امركم لنا ان نكفر بالله ونجعل له انداداً على ان المراد بمكرهم نفس
امرهم بما ذكر كما في قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكاً فان الجعلين المذكورين نعمة من الله تعالى واي نعمة
واما امور اخر مقارنة لامرهم داعية الى الامتثال به من الترغيب والترهيب وغير ذلك واسروا الندامة لما رأوا العذاب اي اضمر الفريقان الندامة
على ما فعلا من الضلال والاضلال واخفاها كل منهما عن الآخر مخافة التعيير او اظهروها فانه من الاضداد وهو المناسب لحالهم وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا
اي في اعناقهم والاظهار في موقع الاضمار للتنويه بذمهم والتنبيه على موجب اغلالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي لا يجزون الا جزاء
ما كانوا يعملونه او الا بما كانوا يعملونه على نزع الجار وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مما مني به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بحظوظ الدنيا وزخارفها والتكبر
بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من اجله وقولهم اي الفريقين خير مقاماً واحسن ندياً بانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير الا قال

مترفوهم مثل ما قال مترفوا اهل مكة في حقه عليه السلام وكادوا به نحو ما كادوا به عليه السلام وقاسوا امور الآخرة الموهومة او المفروضة عندهم على امور الدنيا فزعموا انهم لو لم يكرموا على الله تعالى لما رزقهم طيبات الدنيا ولولا ان المؤمنين هانوا عليه تعالى لما حرمهم اياها على ذلك الرأي الركيك بنوا احكامهم **وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين** اما بناء على انتفاء العذاب الاخروي رأسا او على اعتقاد انه تعالى اكرمهم في الدنيا فلا يهينهم في الآخرة على تقدير وقوعها **قل** ردا عليهم وحسما لمادة طمعهم الفارغ وتحقيقا للحق الذي عليه يدور امر التكوين **ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء** ان يبسطه له **ويقدر** على من يشاء ان يقدره عليه من غير ان يكون لاحد من الفريقين داع الى ما فعل به من البسط والقدر فربما يوسع على العاصي ويضيق على المطيع وربما يعكس الامر وربما يوسع عليهما معا وقد يضيق عليهما وقد يوسع على شخص تارة ويضيق عليه اخرى يفعل كلا من ذلك حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فلا ينقاس على ذلك امر الثواب والعذاب اللذين مناطهما الطاعة وعدمها وقرئ ويقدر بالتشديد **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** ذلك فيزعمون ان مدار البسط هو الشرف والكرامة ومدار القدر هو الهوان ولا يدرون ان الاول كثيرا ما يكون بطريق الاستدراج والثاني بطريق الابتلاء ورفع الدرجات **وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى** كلام مستأنف من جهته عز وعلا خوطب به الناس بطريق التلوين والالتفات مبالغة في تحقيق الحق وتقرير ما سبق اي وما جماعة اموالكم واولادكم بالجماعة التي تقربكم عندنا قربة فان الجمع المكسر عقلاء وغير عقلاء سواء في حكم التأنيث او بالخصلة التي تقربكم وقرئ بالذي اي بالشيء الذي **الا من آمن وعمل صالحا** استثناء من مفعول تقربكم اي وما الاموال والاولاد تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي انفق امواله في سبيل الله وعلم اولاده الخير ورباهم على الصلاح وشحهم للطاعة وقيل اموالكم واولادكم على حذف مضاف اي الا اموال من الى آخره **فاولئك** اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل اي فاولئك المنعوتون بالعنوان والعمل الصالح **لهم جزاء الضعف** اي ثابت لهم ذلك على ان الجار والمجرور خبر لما بعده والجملة خبر لاولئك وفيه تاكيد لتكرر الاسناد او يثبت لهم ذلك على ان الجار والمجرور خبر لاولئك وما بعده مرتفع على الفاعلية واضافة الجزاء الى الضعف من اضافة المصدر الى المفعول اصله فاولئك لهم ان يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ثم جزاء الضعف ومعناه ان يضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرة فما فوقها وقرئ جزاء الضعف على فاولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على ان يجازوا الضعف وجزاء الضعف بالرفع على ان الضعف بدل من جزاء **بما عملوا** من الصالحات **وهم في الغرفات** اي غرفات الجنة **آمنون** من جميع المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرئ في الغرفة على ارادة الجنس **والذين يسعون في آياتنا** بالرد والطعن فيها **معاجزين** مسابقين لانبيائنا او زاعمين انهم يفوتوننا **اولئك في العذاب محضرون** لا يجديهم ما عولوا عليه نفعا **قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده** اي يوسعه عليه تارة **ويقدر له** اي يضيقه عليه تارة اخرى فلا تخشوا الفقر وانفقوا في سبيل الله وتعرضوا لنفحاته تعالى **وما انفقتم من شيء فهو يخلفه** عوضا اما عاجلا واما آجلا **وهو خير الرازقين** فان غيره واسطة في ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته **ويوم يحشرهم جميعا** اي المستكبرين والمستضعفين وما كانوا يعبدون من دون الله ويوم ظرف لمضمر متأخر سيأتي تقديره او مفعول لمضمر مقدم نحو اذكر **ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون** تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم على نهج قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني الآية واقناطا لهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك فبظهور قصورهم عن رتبة المعبودية وتنزههم عن عبادتهم يظهر حال سائر شركائهم بطريق الاولوية وقرئ الفعلان بالنون **قالوا** استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية سؤال الملائكة كأنه قيل فماذا يقول الملائكة حينئذ فقيل يقولون متنزهين عن ذلك **سبحانك انت ولينا من دونهم** والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على التحقق اي انت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كأنهم بينوا بذلك براءتهم من الرضا بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم حقيقة بقولهم **بل كانوا يعبدون الجن** اي الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله سبحانه وقيل كانوا يتمثلون لهم انهم الملائكة فيعبدونهم وقيل يدخلون اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها **اكثرهم بهم مؤمنون** الضمير الاول للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثاني للجن **فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا** من جملة ما يقال للملائكة عند جوابهم بالتنزه والتبرء عما نسب اليهم الكفرة يخاطبون بذلك على رؤوس الاشهاد اظهارا لعجزهم وقصورهم عند عبدتهم وتنصيصا على ما يوجب

على ما يوجب خيبة رجائهم بالكلية والفاء ليس لترتيب ما بعدها من الحكم على جواب الملائكة فانه محقق اجابوا بذلك ام لا بل لترتيب الاخبار به عليه ونسبة عدم النفع والضر الى البعض المبهم للمبالغة فيما هو المقصود الذي هو بيان عدم نفع الملائكة للعبدة بنظمه في سلك عدم نفع العبدة لهم كأن نفع الملائكة لعبدتهم في الاستحالة والانتفاء كنفع العبدة لهم والتعرض لعدم الضر مع انه لا بحث عنه اصلا اما لتعميم العجز او لحمل عدم النفع على تقدير العبادة وعدم الضر على تقدير تركها او لان المراد دفع الضر على حذف المضاف وتقييد هذا الحكم بذلك اليوم مع ثبوته على الاطلاق لانعقاد رجائهم على تحقق النفع يومئذ وقوله عز وجل **ونقول للذين ظلموا** عطف على نقول للملائكة لا على يملك كما قيل لانه مما يقال يوم القيامة خطابا للملائكة مترتبا على جوابهم المحكي وهذا حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما سيقال للعبدة يومئذ اثر حكاية ما سيقال للملائكة اي يوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة كذا وكذا ونقول للمشركين **ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون** يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به نطاق المقال وقوله تعالى **واذا تتلى عليهم آياتنا بينات** بيان لبعض آخر من كفراتهم اي اذا تتلى عليهم بلسان الرسول صلى الله عليه وسلم آياتنا الناطقة بحقية التوحيد وبطلان الشرك **قالوا ما هذا** يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم **الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم** فيستتبعكم بما يستبدعه من غير ان يكون هناك دين الهي واضافة الآباء الى المخاطبين لا الى انفسهم لتحريك عرق العصبية منهم مبالغة في تقريرهم على الشرك وتنفيرهم عن التوحيد **وقالوا ما هذا** يعنون القرآن الكريم **الا افك** اي كلام مصروف عن وجهه لا مصداق له في الواقع **مفترى** باسناده الى الله تعالى **وقال الذين كفروا للحق** اي لامر النبوة او الاسلام او القرآن على ان العطف لاختلاف العنوان بان يراد بالاول معناه وبالثاني نظمه المعجز **لما جاءهم** من غير تدبر ولا تأمل فيه **ان هذا الا سحر مبين** ظاهر سحريته وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في لما من المسارعة الى البت بهذا القول الباطل انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه **وما آتيناهم من كتب يدرسونها** فيها دليل على صحة الاشراك كما في قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله تعالى ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون وقرئ يدرسونها ويدرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس **وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير** يدعوهم اليه وينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا وقد بان من قبل ان لا وجه له بوجه من الوجوه فمن اين ذهبوا هذا المذهب الزائغ وهذا غاية تجهيل لهم وتسفيه لرأيهم ثم هددهم بقوله تعالى **وكذب الذين من قبلهم** من الامم المتقدمة والقرون الخالية كما كذبوا **وما بلغوا معشار ما آتيناهم** اي ما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا اولئك من البينات والهدى **فكذبوا رسلي** عطف على كذب الذين الى آخره بطريق التفصيل والتفسير كقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا الآية **فكيف كان نكير** اي انكاري لهم بالتدمير فليحذر هؤلاء من مثل ذلك **قل انما اعظكم بواحدة** اي ما ارشدكم وانصح لكم الا بخصلة واحدة هي ما دل عليه قوله تعالى **ان تقوموا** على انه بدل منها او بيان لها او خبر مبتدأ محذوف اي هي ان تقوموا من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم او تنتصبوا للامر خالصا لوجه الله تعالى معرضين عن المماراة والتقليد **مثنى وفرادى** اي متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الافهام ويخلط الافكار وفي تقديم مثنى ايذان بانه اوثق واقرب من الاطمئنان **ثم تتفكروا** في امره صلى الله عليه وسلم وما جاء به لتعلموا حقيقته وقوله تعالى **ما بصاحبكم من جنة** استئناف مسوق من جهته تعالى للتنبيه على طريقة النظر والتأمل بان مثل هذا الامر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة لا يتصدى لادعائه الا مجنون لا يبالي بافتضاحه عند مطالبته بالبرهان وظهور عجزه او مؤيد من عند الله تعالى مرشح للنبوة واثق بحجته وبرهانه واذ قد علمتم انه عليه السلام ارجح العالمين عقلا واصدقهم قولا وانزههم نفسا وافضلهم علما واحسنهم عملا واجمعهم للكمالات البشرية وجب ان تصدقوه في دعواه فكيف وقد انضم الى ذلك معجزات تخر لها صم الجبال ويجوز ان يتعلق بما قبله على معنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز ان تكون ما استفهامية على معنى ثم تتفكروا اي شيء به من آثار الجنون **ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد** هو عذاب الآخرة فانه عليه السلام مبعوث في نسم الساعة **قل ما سألتكم من اجر** اي اي شيء سألتكم من اجر على الرسالة **فهو لكم** والمراد نفي السؤال رأسا كقول من قال لمن لم يعطه شيئا ان اعطيتني شيئا فخذه وقيل ما موصولة اريد بها ما سألهم بقوله تعالى ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وقوله تعالى لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى واتخاذ السبيل اليه تعالى منفعتهم الكبرى وقرباه عليه السلام قرباهم **ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد** مطلع يعلم صدقي

وخلوص نيتي وقرئ ان اجري بسكون الياء قل ان ربي يقذف بالحق اي يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمي به الباطل فيدمغه
او يرمي به في اقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام واعلاء كلمة الحق علام الغيوب صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكن
في يقذف او خبر ثان لان او خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي او مقدرا باعني وقرئ بكسر الغين وبالفتح كصبور مبالغة
غائب قل جاء الحق اي الاسلام والتوحيد وما يبدئ الباطل وما يعيد اي زهق الشرك بحيث لم يبق اثره اصلا مأخوذ من هلاك الحي فانه
اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعل مثلا في الهلاك بالمرة ومنه قول عبيد . اقفر من اهله عبيد . فليس يبدي ولا يعيد . وقيل
الباطل ابليس او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيده او لا يبدئ خيرا لاهله ولا يعيده وقيل ما استفهامية منصوبة بما بعدها قل ان ضللت
عن الطريق الحق فانما اضل على نفسي فان وبال ضلالي عليها لانه بسببها اذ هي الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قوبل
الشرطية بقوله تعالى وان اهتديت فيما يوحي الي ربي لان الاهتداء بهدايته وتوفيقه وقرئ ربي بفتح الياء انه سميع قريب يعلم قول كل
من المهتدي والضال وفعله وان بالغ في اخفائهما ولو ترى اذ فزعوا عند الموت او البعث او يوم بدر وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان
ثمانين الفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم وجواب لو محذوف اي لرأيت امرا هائلا فلا فوت ولا يفوتون الله
عز وجل بهرب او تحصن واخذوا من مكان قريب من ظهر الارض او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى القليب او من تحت اقدامهم
اذا خسف بهم والجملة معطوفة على فزعوا وقيل على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا ويؤيده انه قرئ واخذ بالعطف
على محله اي فلا فوت هنا وهناك اخذ وقالوا آمنا به اي بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد مر ذكره في قوله تعالى ما بصاحبكم وانى لهم التناوش
التناول السهل اي ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا من مكان بعيد فانه في حيز التكليف وهم منه بمعزل بعيد وهو تمثيل حالهم
في الاستخلاص بالايمان بعدما فات عنهم وبعد بحال من يريد ان يتناول الشيء من غلوة تناوله من ذراع في الاستحالة وقرئ بالهمز
على قلب الواو لضمها وهو من نأشت الشيء اذا طلبته وعن ابي عمرو التناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم نأشت اذا ابطأت
وتأخرت ومنه قول من قال تمنى نئيشا ان يكون اطاعني وقد حدثت بعد الامور امور وقد كفروا به اي بمحمد صلى الله عليه وسلم او بالعذاب
الشديد الذي انذرهم اياه من قبل اي من قبل ذلك في اوان التكليف ويقذفون بالغيب ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في حق
الرسول صلى الله عليه وسلم من المطاعن او في العذاب المذكور من بت القول بنفيه من مكان بعيد من جهة بعيدة من حاله عليه السلام حيث
ينسبونه عليه السلام الى الشعر والسحر والكذب وان ابعد شيء مما جاء به الشعر والسحر وابعد شيء من عاداته المعروفة فيما بين الداني
والقاصي الكذب ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للوهم في لحوقه وقرئ ويقذفون
على ان الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم ذلك وهو معطوف على قد كفروا به على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا
لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من الايمان في الدنيا وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان والنجاة من النار وقرئ
باشمام الضم للحاء كما فعل باشياعهم من قبل اي باشباههم من كفرة الامم الدارجة انهم كانوا في شك مريب اي موقع في الريبة او ذي ريبة
والاول منقول ممن يصح ان يكون مريبا من الاعيان الى المعنى والثاني من صاحب الشك الى الشك كما يقال شعر شاعر والله تعالى
اعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا صدق رسول الله

سورة الملائكة بسم الله الرحمن الرحيم الفاطر

الحمد لله فاطر السموات والارض مبدعهما من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه من الفطر وهو الشق وقيل الشق طولا كأنه شق العدم باخراجهما منه
واضافته محضة لانه بمعنى الماضي فهو نعت للاسم الجليل ومن جعلها غير محضة جعله بدلا منه وهو قليل في المشتق جاعل الملائكة الكلام
في اضافته وكونه نعتا او بدلا كما قبله وقوله تعالى رسلا منصوب به على الوجه الثاني من الاضافة بالاتفاق واما على الاول فكذلك عند
الكسائي واما عند البصريين فبمضمر يدل هو عليه لان اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضي لا يعمل عندهم الا معرفا باللام وقال
ابو سعيد السيرافي اسم الفاعل المتعدي الى اثنين يعمل في الثاني لانه باضافته الى الاول تعذرت اضافته الى الثاني فتعين نصبه له
وعلل بعضهم ذلك بانه بالاضافة اشبه المعرف باللام فعمل عمله وقرئ جاعل بالرفع على المدح وقرئ الذي فطر السموات والارض

والارض وجعل الملائكة اي جاعلهم وسائط بينه تعالى وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا
الصادقة او بينه تعالى وبين خلقه ايضا حيث يوصلون اليهم آثار قدرته وصنعه وهذا على تقدير كون الجعل تصييريا اما على تقدير كونه
ابداعيا فرسلا نصب على الحالية وقرئ رسلا بسكون السين اولي اجنحة صفة لرسلا واولو اسم جمع لذو كما ان اولاء اسم جمع لذا
ونظيرهما في الاسماء المتمكنة المخاض والخلفة وقوله تعالى مثنى وثلاث ورباع صفات لاجنحة اي ذوي اجنحة متعددة متفاوتة في العدد
حسب تفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها والمعنى ان من الملائكة خلقا لكل واحد منهم جناحان وخلقا
اجنحة كل منهم ثلاثة وخلقا آخر لكل منهم اربعة اجنحة ويروى ان صنفا من الملائكة لهم ستة اجنحة بجناحين منها يلفون
اجسادهم وآخرين منها يطيرون فيما امروا به من جهته تعالى وجناحان منها مرخيان على وجوههم حياء من الله تعالى وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه رأى جبرائيل عليه السلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروي انه سأله عليهما السلام ان يتراءى له في صورته فقال
انك لن تطيق ذلك قال اني احب ان تفعل فخرج عليه السلام في ليلة مقمرة فاتاه جبريل صلوات الله تعالى عليهما في صورته فغشي عليه عليه السلام
ثم افاق وجبريل مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى على كتفيه فقال سبحان الله ما كنت ارى ان شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل عليه السلام
فكيف لو رأيت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح منها بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله عز وجل
حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير يزيد في الخلق ما يشاء استئناف مقرر لما قبله من تفاوت احوال الملائكة وعدد الاجنحة ومؤذن بان ذلك
من احكام مشيئته تعالى لا لامر راجع الى ذواتهم ببيان حكم كلي ناطق بانه تعالى يزيد في اي خلق كان كل ما يشاء اي يزيده بموجب مشيئته ومقتضى
حكمته من الامور التي لا يحيط بها الوصف وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من تخصيص بعض المعاني بالذكر من الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن
فبيان لبعض المواد المعهودة بطريق التمثيل لا بطريق الحصر فيها وقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير تعليل بطريق التحقيق للحكم المذكور فان شمول قدرته
تعالى لجميع الاشياء مما يوجب قدرته تعالى على ان يزيد كل ما يشاؤه ايجابا بينا ما يفتح الله للناس من رحمة عبر عن ارسالها بالفتح ايذانا بانها
انفس الخزائن التي يتنافس فيها المتنافسون واعزها منالا وتنكيرها للاشاعة والابهام اي اي شيء يفتح الله من خزائن رحمته اية رحمة
كانت من نعمة وصحة وعلم وحكمة الى غير ذلك مما لا يحاط به فلا ممسك لها اي لا احد يقدر على امساكها وما يمسك اي اي شيء يمسك فلا مرسل له
اي لا احد يقدر على ارساله واختلاف الضميرين لما ان مرجع الاول مفسر بالرحمة ومرجع الثاني مطلق يتناولها وغيرها كائنا ما كان وفيه اشعار
بان رحمته سبقت غضبه من بعده اي من بعد امساكه وهو العزيز الغالب على كل ما يشاء من الامور التي من جملتها الفتح والامساك الحكيم الذي
يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تذييل لما قبلها ومعرب عن كون كل من الفتح والامساك بموجب الحكمة التي عليها يدور امر التكوين
وبعدما بين سبحانه انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما بالقبض والبسط من غير ان يكون لاحد في ذلك دخل ما بوجه من الوجوه امر الناس قاطبة
او اهل مكة خاصة بشكر نعمه فقال يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم اي انعامه عليكم ان جعلت النعمة مصدرا او كائنة عليكم ان جعلت اسما اي
راعوها واحفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وتخصيص العبادة والطاعة بموليها ولما كانت نعم الله تعالى مع تشعب فنونها منحصرة في نعمة الايجاد
ونعمة الابقاء نفى ان يكون في الوجود شيء غيره يصدر عنه احدى النعمتين بطريق الاستفهام الانكاري المنادي باستحالة ان يجاب عنه بنعم فقال هل
من خالق غير الله اي هل خالق مغاير له تعالى موجود على ان خالق مبتدأ محذوف الخبر زيدت عليه كلمة من لتأكيد العموم وغير الله نعت له باعتبار
محله كما انه نعت له في قراءة الجر باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستثناء وقوله تعالى يرزقكم من السماء والارض اي بالمطر والنبات كلام مبتدأ
على التقادير لا محل له من الاعراب او في حيز النفي والانكار ولا مساغ لما قيل من انه صفة اخرى لخالق مرفوعة المحل او مجرورته لان معناه نفي
وجود خالق موصوف بوصفي المغايرة والرازقية معا من غير تعرض لنفي وجود ما اتصف بالمغايرة فقط ولا لما قيل من انه الخبر للمبتدأ ولا لما قيل
من انه مفسر لمضمر ارتفع به قوله تعالى من خالق على الفاعلية اي هل يرزقكم من خالق الى آخره لما ان معناهما نفي رازقية خالق مغاير له تعالى من غير
تعرض لنفي وجوده راسا مع انه المراد حتما الا يرى الى قوله تعالى لا اله الا هو فانه استئناف مسوق لتقرير النفي المستفاد منه قصدا وجار
مجرى الجواب عما يوهمه الاستفهام صورة فحيث كان هذا ناطقا بنفي الوجود تعين ان يكون ذلك ايضا كذلك قطعا والفاء في قوله تعالى فانى تؤفكون
لترتيب انكار عدولهم عن التوحيد الى الاشراك قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

بني خطابه الى بس مسارعة الى تسليته عليه السلام بعموم البلية اولاً والاشارة الى الوعد والوعيد ثانياً اي وان استمروا على ان يكذبوك
فيما بلغت اليهم من الحق المبين بعد ما اقمت عليه الحجة والقمتهم الحجر فتأس باولئك الرسل في المصابرة على ما اصابهم من قبل قومهم فوضع موضعه
ما ذكر اكتفاءً بذكر السبب عن ذكر المسبب وتنكير الرسل للتفخيم الموجب لمزيد التسلية والتوجه الى المصابرة اي رسل اولوا شأن خطير
وذووا عدد كثير والى الله ترجع الامور لا الى غيره فيجازي كلاً منك ومنهم بما انتم عليه من الاحوال التي من جملتها صبرك وتكذيبهم وفي الاقتصار على
ذكر اختصاص المرجع بالله تعالى مع ابهام الجزاء ثواباً وعقاباً من المبالغة في الوعد والوعيد ما لا يخفى وقرئ ترجع بفتح التاء من الرجوع والاول
ادخل في التهويل يا ايها الناس رجوع الى خطابهم وتكرير النداء لتأكيد العظة والتذكير ان وعد الله المشار اليه بترجع الامور اليه تعالى
من البعث والجزاء حق ثابت لا محالة من غير خلف فلا تغرنكم الحيوة الدنيا بان يذهلكم التمتع بمتاعها ويلهيكم التلهي بزخارفها عن تدارك ما يهمكم
يوم حلول الميعاد والمراد نهيهم عن الاغترار بها وان توجه النهي صورة اليها كما في قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقي ولا يغرنكم بالله وعفوه وكرمه
تعالى الغرور اي المبالغ في الغرور وهو الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعاصي قائلاً اعملوا ما شئتم ان الله غفور يغفر
الذنوب جميعاً فان ذلك وان امكن لكن تعاطي الذنوب بهذا التوقع من قبيل تناول السم تعويلاً على دفع الطبيعة وتكرير فعل النهي
للمبالغة فيه ولاختلاف المغرورين في الكيفية وقرئ الغرور بالضم على انه مصدر او جمع غار كقعود جمع قاعد ان الشيطان لكم عدو عداوة
قديمة لا تكاد تزول وتقديم لكم للاهتمام به فاتخذوه عدواً بمخالفتكم له في عقائدكم وافعالكم وكونكم على حذر منه في مجامع احوالكم وقوله تعالى انما يدعوا
حزبه ليكونوا من اصحاب السعير تقرير لعداوته وتحذير من طاعته بالتنبيه على ان غرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى ملاذ الدنيا
ليس تحصيل مطالبهم ومنافعهم الدنيوية كما هو مقصد المتحابين في الدنيا عند سعي بعضهم في حاجة بعض بل هو توريطهم والقاؤهم في العذاب
المخلد من حيث لا يحتسبون الذين كفروا لهم بسبب كفرهم واجابتهم لدعوة الشيطان واتباعهم لخطواته عذاب شديد لا يقادر قدره
ولا يبلغ مداه والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح الذي من جملته عداوة الشيطان مغفرة عظيمة واجر كبير
لا غاية لهما افمن زين له سوء عمله فرآه حسناً اما تقرير لما سبق من التباين البين بين عاقبتي الفريقين ببيان تباين حاليهما المؤديين
الى تينك العاقبتين والفاء لانكار ترتب ما بعدها على ما قبلها اي ابعد كون حالهما كما ذكر يكون من زين له الكفرة من جهة الشيطان فانهمك
فيه كمن استقبحه واجتنبه واختار الايمان والعمل الصالح حتى لا يكون عاقبتاهما كما ذكر فحذف ما حذف لدلالة ما سبق عليه وقوله تعالى فان الله يضل الآية
تقرير له وتحقيق ببيان ان الكل بمشيئته تعالى اي ان يهديه لصرف اختياره الى الهدى فرفعه الى اعلى عليين واما تمهيد لما يعقبه من نهيه عليه السلام
لعدم اسلامهم ببيان انهم ليسوا باهل لذلك بل لان يضرب عنهم صفحاً ولا يبالى بهم قطعاً اي ابعد كون حالهم كما ذكر تتحسر عليهم فحذف لما دل عليه
قوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات دلالة بينة واما تمهيد لصرفه عليه السلام عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والمبالغة في دعوتهم اليه
ببيان استحالة تحولهم عن الكفر لكونه في غاية الحسن عندهم اي ابعد ما ذكر من زين له الكفر من قبل الشيطان فرآه حسناً فانهمك فيه يقبل الهداية
حتى تطمع في اسلامه وتتعب نفسك في دعوته فحذف ما حذف لدلالة ما مر من قوله تعالى فان الله يضل من يشاء الآية اذ على انه ممن شاء الله تعالى ان يضله
فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين وقرئ فلا تذهب نفسك وقوله تعالى حسرات اما مفعول له اي فلا تهلك نفسك للحسرات والجمع للدلالة
على تضاعف اغتمامه عليه السلام على احوالهم او على كثرة قبائح اعمالهم الموجبة للتأسف والتحسر وعليهم صلة تذهب كما يقال هلك عليه حباً ومات
عليه حزناً او هو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته واما حال كأن كلها صارت حسرات وقوله تعالى
ان الله عليم بما يصنعون اي من القبائح تعليل لما قبله على الوجوه الثلثة مع ما فيه من الوعيد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انها نزلت في ابي جهل
ومشركي مكة والله الذي ارسل الرياح مبتدأ وخبر وقرئ الريح وصيغة المضارع في قوله تعالى فتثير سحاباً بالحكاية الحال الماضية استحضاراً لتلك
الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة ولان المراد بيان احداثها لتلك الخاصية ولذلك اسند اليها وللدلالة على استمرار
الاثارة فسقناه الى بلد ميت وقرئ بالتخفيف فاحيينا به الارض اي بالمطر النازل منه المدلول عليه بالسحاب فان بينهما تلازماً في الذهن كما في الخارج
او بالسحاب فانه سبب السبب بعد موتها اي يبسها وايراد الفعلين على صيغة الماضي للدلالة على التحقق واسنادهما الى نون العظمة المنبئ
عن اختصاصهما به تعالى لما فيهما من مزيد الصنع ولتكميل المماثلة بين احياء الارض وبين البعث الذي شبه به بقوله تعالى كذلك النشور في كمال

الاختصاص بالقدرة الربانية والكاف في حيز الرفع على الخبرية اي مثل ذلك الاحياء الذي تشاهدونه احياء الاموات في صحة المقدورية وسهولة
التأتي من غير تفاوت بينهما اصلاً سوى الالف في الاول دون الثاني وقيل في كيفية الاحياء يرسل الله تعالى من تحت العرش ماء فينبت منه اجساد
الخلق من كان يريد العزة هم المشركون الذين كانوا يتعززون بعبادة الاصنام كقوله تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً والذين كانوا
يتعززون بهم من الذين آمنوا بالسنتهم كما في قوله تعالى الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة والجمع بين كان
ويريد للدلالة على دوام الارادة واستمرارها فلله العزة جميعاً اي له تعالى وحده لا لغيره عزة الدنيا وعزة الآخرة اي فليطلبها منه لان عزة
فاستغنى عن ذكره بذكر دليله ايذاناً بان اختصاص العزة به تعالى موجب لتخصيص طلبها به تعالى وقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه بيان لما يطلب
به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن قبوله تعالى اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما وتقديم الجار والمجرور عبارة عن كمال
الاعتداد به كقوله تعالى هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات اي اليه يصل الكلم الطيب الذي به يطلب العزة لا الى الملائكة الموكلين باعمال
العباد فقط وهو يعز صاحبه ويعطي طلبته بالذات والمستكن في يرفعه للكلم فان مدار قبول العمل هو التوحيد ويؤيده القراءة بنصب العمل
او للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه ولا ينال الدرجات العالية الا به وقرئ يصعد من الاصعاد على البناءين والمصعد هو الله سبحانه او المتكلم به او الملك
وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء والاستغفار وقراءة القرآن وعنه عليه السلام انه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وتبارك الله الا اخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن فما يمر بهن على جمع من الملائكة
الا استغفروا للقائلين حتى يحيي بهن وجه رب العالمين ومصداقه قوله عز وجل اليه يصعد الكلم الطيب الآية والذين يمكرون السيئات بيان
لحال الكلم الخبيث والعمل السيء واهلهما بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح وانتصاب السيئات على انها صفة للمصدر المحذوف اي
يمكرون المكرات السيئات وهي مكرات قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وتداورهم الرأي في احدى الثلث التي هي الاثبات
والقتل والاخراج لهم بسبب مكراتهم عذاب شديد لا يقادر قدره ولا يؤبه عنده لما يمكرون ومكر اولئك وضع اسم الاشارة موضع ضميرهم
للايذان بكمال تميزهم بما هم فيه من الشر والفساد عن سائر المفسدين واشتهارهم بذلك وما فيه من معنى البعد للتنبيه على ترامي امرهم
في الطغيان وبعد منزلتهم في العدوان اي ومكر اولئك المفسدين الذين ارادوا ان يمكروا به عليه السلام هو يبور اي هو يهلك ويفسد
خاصة لا من مكروا به ولقد ابارهم الله تعالى بعد ابارة مكراتهم حيث اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم الثلث التي
اكتفوا في حقه عليه السلام بواحدة منهن والله خلقكم من تراب دليل آخر على صحة البعث والنشور اي خلقكم ابتداءً منه في ضمن خلق آدم
عليه السلام خلقاً اجمالياً كما مر تحقيقه مراراً ثم من نطفة اي ثم خلقكم منها خلقاً تفصيلياً ثم جعلكم ازواجاً اي اصنافاً او ذكراناً واناثاً
وعن قتادة جعل بعضكم زوجاً لبعض وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه الا ملتبسة بعلمه تابعة لمشيئته وما يعمر من معمر اي من احد وانما سمي معمراً
باعتبار مصيره وما يمد في عمر احد ولا ينقص من عمره اي من عمر احد على طريقة قولهم لا يثيب الله عبداً ولا يعاقبه الا بالحق لكن لا على معنى لا ينقص
عمره بعد كونه زائداً بل على معنى لا يجعل من الابتداء ناقصاً وقيل الزيادة والنقص في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت في اللوح
مثل ان يكتب فيه ان حج فلان فعمره ستون والا فاربعون واليه اشار عليه السلام بقوله الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار
وقيل المراد بالنقص ما يمر من عمره وينقص فانه يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب تحت ذلك ذهب يوم ذهب يومان وهكذا
حتى يأتي على آخره وقرئ ولا ينقص على البناء للفاعل ومن عمره بسكون الميم الا في كتاب عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه اللوح وقيل علم الله
عز وجل وقيل صحيفة كل انسان ان ذلك اي ما ذكر من الخلق وما بعده مع كونه محاراً للعقول والافهام على الله يسير لاستغنائه عن الاسباب
فكذلك البعث وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج مثل ضرب للمؤمن والكافر والفرات الذي يكسر العطش والسائغ
الذي يسهل انحداره لعذوبته والاجاج الذي يحرق بملوحته وقرئ سيغ كسيد وسيغ بالتخفيف وملح كحذر وقوله تعالى ومن كل اي من كل
واحد منهما تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها اي من المالح خاصة اما استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم والمنافع واما تكملة للتمثيل
والمعنى كما انهما وان اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث انهما تفاوتا فيما هو المقصود بالذات من الماء لما خالط احدهما ما افسده

وغيره عن كمال فطرته لا يساوي الكافر المؤمن وان شاركه في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة ونحوهما لتباينهما فيما هو الخاصية العظمى لبقاء
احدهما على فطرته الاصلية وحيازته لكماله اللائق دون الآخر او تفضيل للاجاج على الكافر من حيث انه يشارك العذب في منافع كثيرة والكافر
خلو من المنافع بالكلية على طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها
لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله والمراد بالحلية اللؤلؤ والمرجان وترى الفلك فيه اي في كل منهما وافراد ضمير الخطاب مع
جمعه فيما سبق وما لحق لان الخطاب لكل احد يتأتى منه الرؤية دون المنتفعين بالبحرين فقط مواخر شواق للماء بجريها مقبلة ومدبرة بريح
واحدة لتبتغوا من فضله من فضل الله تعالى بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر وقد جوز تعلقها بما يدل عليه الافعال المذكورة اي فعل ذلك
لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون اي ولتشكروا على ذلك وحرف الترجي للايذان بكونه مرضيا عنده تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
بزيادة احدهما ونقص الآخر باضافة بعض اجزاء كل منهما الى الآخر وسخر الشمس والقمر عطف على يولج واختلافهما صيغة لما ان ايلاج الملوين في الآخر
متجدد حينا فحينا واما تسخير النيرين فامر لا تعدد فيه وانما المتعدد والمتجدد آثاره وقد اشير اليه بقوله تعالى كل يجري اي بحسب حركته الخاصة وحركته
القسرية على المدارات اليومية المتعددة حسب تعدد ايام السنة جريانا مستمرا لاجل مسمى قدره الله تعالى لجريانهما وهو يوم القيمة كما روي
عن الحسن رحمه الله تعالى وقيل جريانهما عبارة عن حركتيهما الخاصتين بهما في فلكيهما والاجل المسمى عن منتهى دورتيهما ومدة الجريان للشمس سنة
وللقمر شهر وقد مر تفصيله في سورة لقمان ذلكم اشارة الى فاعل الافاعيل المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية العظمة وهو مبتدأ
وما بعده اخبار مترادفة اي ذلكم العظيم الشأن الذي ابدع هذه الصنائع البديعة الله ربكم له الملك وفيه من الدلالة على ان ابداعه تعالى لتلك
البدائع مما يوجب ثبوت تلك الاخبار له ما لا يخفى ويجوز ان يكون الاخير كلاما مبتدأ في مقابلة قوله تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون
من قطمير للدلالة على تفرده تعالى بالالوهية والربوبية وقرئ يدعون بالياء التحتانية والقطمير لفافة النواة وهو مثل في القلة والحقارة
ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم استئناف مقرر لمضمون ما قبله كاشف عن جلية حال ما يدعونه بانه جماد ليس من شأنه السماع ولو سمعوا على الفرض
والتقدير ما استجابوا لكم لعجزهم عن الافعال بالمرة لا لما قيل من انهم متبرؤون منكم ومما تدعون لهم فان ذلك مما لا يتصور منهم في الدنيا ويوم القيمة
يكفرون بشرككم اي يجحدون باشراككم لهم وعبادتكم اياهم بقولهم ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير اي لا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير
اخبرك به وهو الحق سبحانه فانه الخبير بكنه الامور دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم من الالهية يا
ايها الناس انتم الفقراء الى الله في انفسكم وفيما يعن لكم من امر مهم او خطب ملم وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كأنهم لكثرة افتقارهم وشدة
احتياجهم هم الفقراء فحسب وان افتقار سائر الخلائق بالنسبة الى فقرهم بمنزلة العدم ولذلك قال تعالى وخلق الانسان ضعيفا والله هو
الغني الحميد اي المستغني على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات المستوجب للحمد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ليسوا على صفتكم بل مستمرين على الطاعة
او بعالم آخر غير ما تعرفونه وما ذلك اي بما ذكر من الاذهاب بهم والاتيان بآخرين على الله بعزيز بمتعذر ولا متعسر ولا تزر وازرة اي
لا تحمل نفس آثمة وزر اخرى اثم نفس اخرى بل انما تحمل كل منها وزرها واما ما في قوله تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم من حمل
المضلين اثقالا غير اثقالهم فهو حمل اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم وكلاهما اوزارهم ليس فيها شيء من اوزار غيرهم وان تدع مثقلة اي
نفس اثقلتها الاوزار الى حملها ليحمل بعض اوزارها لا يحمل منه شيء لم تجب لحمل شيء منه ولو كان اي المدعو المفهوم من الدعوة ذا قربى
ذا قرابة من الداعي وقرئ ذو قربى وهذا نفي للحمل اختيارا والاول نفي له اجبارا انما تنذر استئناف مسوق لبيان من يتعظ بما ذكر اي انما
تنذر بهذه الانذارات الذين يخشون ربهم بالغيب اي يخشونه تعالى غائبين عن عذابه او عن الناس في خلواتهم او يخشون عذابه وهو غائب عنهم واقاموا
الصلوة اي راعوها كما ينبغي وجعلوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا اي انما ينفع انذارك وتحذيرك هؤلاء من قومك دون من عداهم
من اهل التمرد والعناد ومن تزكى اي تطهر من اوضار الاوزار والمعاصي بالتأثر من هذه الانذارات فانما يتزكى لنفسه لاقتصار نفعه عليها
كما ان من تدنس بها لا يتدنس الا عليها وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مقرر لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما من معظم مبادي التزكي
والى الله المصير لا الى احد غيره استقلالا او اشتراكا فيجازيهم على تزكيهم احسن الجزاء وما يستوي الاعمى والبصير اي الكافر والمؤمن ولا الظلمات ولا النور
اي ولا الباطل ولا الحق وجمع الظلمات مع افراد النور لتعدد فنون الباطل واتحاد الحق ولا الظل ولا الحرور اي ولا الثواب ولا العقاب وادخال

لا على المتقابلين لتذكير نفي الاستواء وتوسيطها بينهما للتأكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما يهب نهارا والحرور
ما يهب ليلا وما يستوي الاحياء ولا الاموات تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل واوثر صيغة الجمع في الطرفين تحقيقا للتباين
بين افراد الفريقين وقيل تمثيل للعلماء والجهلة ان الله يسمع من يشاء ان يسمعه ويوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته وما انت بمسمع من في القبور ترشيح
لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات واشباع في اقناطه عليه السلام من ايمانهم ان انت الا نذير ما عليك الا الانذار واما الاسماع البتة فليس
من وظائفك ولا حيلة لك اليه في المطبوع على قلوبهم انا ارسلناك بالحق اي محقين او محقا انت او ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز ان يتعلق بقوله
بشيرا ونذيرا اي بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق وان من امة اي ما من امة من الامم الدارجة في الازمنة الماضية الا خلا اي مضى
فيها نذير من نبي او عالم ينذرهم والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة قرينة البشارة لا سيما وقد اقترنا آنفا ولان الانذار هو
الانسب بالمقام وان يكذبوك اي تموا على تكذيبك فلا تبال بهم وبتكذيبهم فقد كذب الذين من قبلهم من الامم العاتية جاءتهم رسلهم بالبينات اي المعجزات
الظاهرة الدالة على نبوتهم وبالزبر كصحف ابراهيم وبالكتاب المنير كالتورية والانجيل والزبور على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز
ان يراد بها واحد والعطف لتغاير العنوانين ثم اخذت الذين كفروا وضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعلة
الاخذ فكيف كان نكير اي انكاري بالعقوبة وفيه مزيد تشديد وتهويل لها الم تر استئناف مسوق لتقرير ما قبله من اختلاف احوال
الناس ببيان ان الاختلاف والتفاوت امر مطرد في جميع المخلوقات من النبات والجماد والحيوان والرؤية قلبية اي الم تعلم ان الله
انزل من السماء ماء فاخرجنا به بذلك الماء والالتفات لاظهار كمال الاعتناء بالفعل لما فيه من الصنع البديع المنبئ عن كمال القدرة والحكمة
ثمرات مختلفا الوانها اي اجناسها واصنافها على ان كلا منها ذو اصناف مختلفة او هيئاتها واشكالها او الوانها من الصفرة والخضرة
والحمرة وغيرها وهو الاوفق لما في قوله تعالى ومن الجبال جدد اي ذو جدد اي خطط وطرائق ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره
وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح بيض وحمر مختلف الوانها بالشدة والضعف وغرابيب سود
عطف على بيض او على جدد كأنه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وهو تأكيد لمضمر يفسره ما بعده فان
الغربيب تأكيد للاسود كالفاقع للاصفر والقاني للاحمر ومن حق التأكيد ان يتبع المؤكد ونظيره في الصفة قول النابغة والمؤمن العائذات
الطير يمسحها ركبان مكة بين الغيل والسند وفي مثله مزيد تأكيد لما فيه من التكرار باعتبار الاضمار والاظهار ومن الناس والدواب والانعام مختلف
الوانه كذلك اي ومنهم بعض مختلف الوانه او وبعضهم مختلف الوانه على ما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وايراد الجملتين اسميتين مع مشاركتهما
للجملة الفعلية في الاستشهاد بمضمونهما على تباين الناس في الاحوال الباطنة لما ان اختلاف الجبال والناس والدواب والانعام
فيما ذكر من الالوان امر مستمر فعبر عنه بما يدل على الاستمرار واما اخراج الثمرات المختلفة فحيث كان امرا حادثا عبر عنه بما يدل على الحدوث
ثم لما كان فيه نوع خفاء علق به الرؤية بطريق الاستفهام التقريري المنبئ عن الحمل عليها والترغيب فيها بخلاف احوال الجبال والناس
وغيرهما فانها مشاهدات غنية عن التأمل فلذلك جردت عن التعليق بالرؤية فتدبر وقوله تعالى كذلك مصدر تشبيهي لقوله تعالى مختلف
اي صفة لمصدره المؤكد تقديره مختلف اختلافا كائنا كذلك اي كاختلاف الثمار والجبال وقرئ الوانها وقرئ والدواب بالتخفيف مبالغة
في الهرب من التقاء الساكنين وقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء تكملة لقوله تعالى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب بتعيين من يخشاه
عز وجل من الناس بعد بيان اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم اما في الاوصاف المعنوية فبطريق التمثيل واما في الاوصاف الصورية فبطريق
التصريح توفية لكل واحدة منها حقها اللائق بها من البيان اي انما يخشاه تعالى بالغيب العالمون به عز وجل وبما يليق به من صفاته الجليلة
وافعاله الجميلة لما ان مدار الخشية معرفة المخشي والعلم بشؤونه فمن كان اعلم به تعالى كان اخشى منه عز وجل كما قال عليه السلام انا اخشاكم لله
واتقاكم له ولذلك عقب بذكر افعاله الدالة على كمال قدرته وحيث كان الكفرة بمعزل من هذه المعرفة امتنع انذارهم بالكلية وتقديم
المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو اخر انعكس الامر وقرئ برفع الاسم الجليل ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم
يكون مهيبا ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه ان الذين يتلون كتاب الله اي يداومون
على قراءته ومتابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله تعالى القرآن وقيل جنس كتب الله تعالى فيكون ثناء على المصدقين

من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين منهم وليس بذاك فان صيغة المضارع منادية باستمرار مشروعية تلاوته والعمل بما فيه واستتباعهما
لما سيأتي من توفية الاجور وزيادة الفضل وحملها على حكاية الحال الماضية مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا سبيل اليه كيف لا والمقصود الترغيب
في دين الاسلام والعمل بالقرآن الناسخ لما بين يديه من الكتب فالتعرض لبيان حقيتها قبل انتساخها والاشباع في ذكر استتباعها لما ذكر
من الفوائد العظيمة مما يورث الرغبة في تلاوتها والاقبال على العمل بها وتخصيص التلاوة بما لم ينسخ منها باطل قطعا لما ان الباقي مشروع
ليس الا حكمها لكن لا من حيث انه حكمها بل من حيث انه حكم القرآن واما تلاوتها فبمعزل من المشروعية واستتباع الاجر بالمرة فتدبر و
الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية كيفما اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة يرجون تجارة تحصيل ثواب بالطاعة
وهو خبر ان وقوله تعالى لن تبور اي لن تكسد ولن تهلك بالخسران اصلا صفة للتجارة جيء بها للدلالة على انها ليست كسائر التجارات
الدائرة بين الربح والخسران لانه اشتراء باق بفان والاخبار برجائهم من اكرم الاكرمين عدة قطعية بحصول مرجوهم وقوله تعالى ليوفيهم
متعلق بلن تبور على معنى انه ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله تعالى ليوفيهم اجور اعمالهم ويزيدهم من فضله على ذلك من خزائن رحمته ما يشاء
وقيل بمضمر دل عليه ما عد من افعالهم المرضية اي فعلوا ذلك ليوفيهم الى آخره وقيل بيرجون على ان اللام للعاقبة انه غفور شكور تعليل
لما قبله من التوفية والزيادة اي غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم اي مجازيهم عليها وقيل هو خبر ان الذين ويرجون حال من واو انفقوا
والذي اوحينا اليك من الكتاب وهو القرآن ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض وقيل اللوح ومن للابتداء هو الحق مصدقا لما بين يديه اي احقه مصدقا
لما تقدمه من الكتب السماوية وهي حال مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه في العقائد واصول الاحكام ان الله بعباده لخبير بصير محيط ببواطن
امورهم وظواهرها فلو كان في احوالك ما ينافي النبوة لم يوح اليك مثل هذا الحق المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبير للتنبيه على ان العمدة
هي الامور الروحانية ثم اورثنا الكتاب اي قضينا بتوريثه منك او نورثه والتعبير عنه بالماضي لتقرره وتحققه وقيل اورثناه من الامم
السالفة اي اخرناه عنهم واعطيناه الذين اصطفينا من عبادنا وهم علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم ممن يسير بسيرتهم والامة باسرهم فان الله تعالى
اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم امة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى افضل الرسل عليهم الصلوة والسلام
وليس من ضرورة وراثة الكتاب مراعاته حق رعايته لقوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب الآية فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل به
وهو المرجأ لامر الله تعالى ومنهم مقتصد يعمل به في اغلب الاوقات ولا يخلو من خلط السيء ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قيل هم السابقون الاولون
من المهاجرين والانصار وقيل هم المداومون على اقامة مواجبه علما وعملا وتعليما وفي قوله تعالى باذن الله اي بتيسيره وتوفيقه تنبيه على عزة
منال هذه الرتبة وصعوبة مأخذها وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح
بالسيء والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه السلام اما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة
يرزقون فيها بغير حساب واما المقتصد فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله
تعالى برحمته وقد روي ان عمر رضي الله تعالى عنه قال على المنبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له
ذلك اشارة الى السبق بالخيرات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف هو الفضل الكبير
من الله عز وعلا لا ينال الا بتوفيقه تعالى جنات عدن اما بدل من الفضل الكبير بتنزيل السبب منزلة المسبب او مبتدأ خبره يدخلونها وعلى الاول
هو مستأنف وجمع الضمير لان المراد بالسابق الجنس وتخصيص حال السابقين ومآلهم بالذكر والسكوت عن الفريقين الاخرين وان لم يدل على حرمانهما
من دخول الجنة مطلقا لكن فيه تحذيرا لهما من التقصير وتحريضا على السعي في ادراك شأو السابقين وقرئ جنة عدن وجنات عدن
على النصب بفعل يفسره الظاهر وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المرأة فهي
حالية من اساور هي جمع اسورة جمع سوار من الاولى تبعيضية والثانية بيانية اي يحلون بعض اساور من ذهب كانه افضل من سائر افرادها
ولؤلؤا بالنصب عطفا على محل من اساور وقرئ بالجر عطفا على ذهب اي من ذهب مرصع من لؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ ولباسهم فيها
وتغيير الاسلوب قد مر سره في سورة الحج وقالوا اي يقولون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وهو
ما اهمهم من خوف سوء العاقبة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حزن الاعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن وسوسة

وسوسة ابليس وقيل هم المعاش وقيل خوف زوال النعم والظاهر انه الجنس المنتظم لجميع احزان الدين والدنيا وقرئ الحزن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في منشرهم وكأني باهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم ينفضون التراب عن وجوههم
ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور للمذنبين شكور للمطيعين الذي احلنا دار المقامة اي دار الاقامة التي لا انتقال عنها ابدا من فضله من انعامه
وتفضله من غير ان يوجبه شيء من قبلنا لا يمسنا فيها نصب تعب ولا يمسنا فيها لغوب كلال والفرق بينهما ان النصب نفس المشقة والكلفة واللغوب ما يحدث
منه من الفتور والتصريح بنفي الثاني مع استلزام نفي الاول له وتكرير الفعل المنفي للمبالغة في بيان انتفاء كل منهما والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى
عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان فيموتوا ويستريحوا ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من
عذابها بل كلما خبت زيد اسعارها كذلك اي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي كل كفور مبالغ في الكفر او الكفران لا جزاء اخف وادنى منه وقرئ يجزى على
البناء للمفعول واسناده الى كل وقرئ نجازي وهم يصطرخون فيها يستغيثون والاصطراخ افتعال من الصراخ استعمل في الاستغاثة لجهر المستغيث صوته ربنا
اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار
بان استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبونه صالحا والآن تبين خلافه وقوله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر جواب من جهته تعالى وتوبيخ لهم
والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وما نكرة موصوفة اي الم نمهلكم او الم نؤخركم ولم نعمركم عمرا يتذكر فيه من تذكر
اي يتمكن فيه المتذكر من التذكر والتفكر قيل هو اربعون سنة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ستون سنة وروي ذلك عن علي رضي الله عنهم وهو العمر
الذي اعذر الله فيه الى ابن آدم قال عليه السلام اعذر الله الى امرئ اخر اجله حتى بلغ ستين سنة وقوله تعالى وجاءكم النذير عطف على الجملة الاستفهامية
لانها في معنى قد عمرناكم كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك ووضعنا الى آخره لانه في معنى قد شرحنا الى آخره والمراد بالنذير رسول الله
صلى الله عليه وسلم او ما معه من القرآن وقيل العقل وقيل الشيب وقيل موت الاقارب والاقتصار على ذكر النذير لانه الذي يقتضيه المقام والفاء
في قوله تعالى فذوقوا لترتيب الامر بالذوق على ما قبلها من التعمير ومجيء النذير وفي قوله تعالى فما للظالمين من نصير للتعليل ان الله عالم غيب السموات والارض
بالاضافة وقرئ بالتنوين ونصب غيب على المفعولية اي لا يخفى عليه خافية فيهما فلا يخفى عليه احوالهم انه عليم بذات الصدور قيل انه تعليل لما قبله
لانه اذا علم مضمرات الصدور وهي اخفى ما يكون كان اعلم بغيرها هو الذي جعلكم خلائف في الارض يقال للمستخلف خليفة وخليف والاول يجمع خلائف
والثاني خلفاء والمعنى انه تعالى جعلكم خلائف في ارضه والقى اليكم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها او جعلكم خلفاء عمن قبلكم
من الامم واورثكم ما بايديهم من متاع الدنيا لتشكروه بالتوحيد والطاعة فمن كفر منكم مثل هذه النعمة السنية وغمطها فعليه كفره اي وبال
كفره لا يتعداه الى غيره وقوله تعالى ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا بيان لوبال الكفر وغائلته
وهو مقت الله تعالى اياهم اي بغضه الشديد الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسار الآخرة الذي ليس بعده شر وخسار والتكرير لزيادة التقرير
والتنبيه على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين الهائلين القبيحين بطريق الاستقلال والاصالة وقوله تعالى قل ارأيتم شركاءكم
الذين تدعون من دون الله اي آلهتكم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء لله تعالى من غير ان يكون له اصل ما اصلا وقيل جعلوهم شركاء لانفسهم
فيما يملكونه ويأباه سياق النظم الكريم وسياقه اروني ماذا خلقوا من الارض بدل اشتمال من ارأيتم كأنه قيل اخبروني عن شركائكم اروني اي جزء
خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات اي ام لهم شركة مع الله سبحانه في خلق السموات ليستحقوا بذلك شركة في الالوهية الذاتية ام آتيناهم كتابا
ينطق بانا اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه اي حجة ظاهرة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون ضمير آتيناهم للمشركين كما في
قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا الى آخره وقرئ على بينات وفيه ايماء الى ان الشرك امر خطير لا بد في اثباته من تعاضد الدلائل بل ان يعد الظالمون
بعضهم بعضا الا غرورا لما نفى انواع الحجج في ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف للاخلاف واضلال الرؤساء للاتباع بانهم شفعاء عند الله
يشفعون لهم بالتقرب اليهم ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا استئناف مسوق لبيان غاية قبح الشرك وهوله اي يمسكهما كراهة زوالهما
او يمنعهما ان تزولا لان الامساك منع ولئن زالتا ان امسكهما اي ما امسكهما من احد من بعده من بعد امساكه تعالى او من بعد الزوال والجملة سادة
مسد الجوابين ومن الاولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية للابتداء انه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة التي تستوجبها جناياتهم حيث امسكهما
وكانتا جديرتين بان تهدا هدا حسبما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وقرئ ولو زالتا واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم

الأمم

أهدى من إحدى الأمم بلغ قريشاً قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم
فوالله لئن أتانا رسول لنكونن أهدى من إحدى الأمم اليهود والنصارى وغيرهم أو من الأمة التي يقال لها إحدى الأمم تفضيلاً لها على
غيرها في الهدى والاستقامة **فلما جاءهم نذير** وأي نذير أشرف الرسل عليهم الصلاة والسلام **ما زادهم** أي النذير أو مجيئه **إلا نفوراً** تباعداً
عن الحق **استكباراً في الأرض** بدل من نفوراً أو مفعول له **ومكر السيئ** أصله وأن مكروا السيئ أي المكر السيئ ثم ومكراً السيئ ثم مكر السيئ وقرئ
بسكون الهمزة في الوصل ولعله اختلاس ظن سكوناً أو وقفة خفيفة وقرئ ومكراً سيئاً **ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فهل**
ينظرون أي ما ينظرون **إلا سنة الأولين** أي سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم **فلن تجد لسنة الله تبديلاً** بأن يضع موضع العذاب غير العذاب
ولن تجد لسنة الله تحويلاً بأن ينقله من المكذبين إلى غيرهم والفاء لتعليل ما يفيده الحكم بانتظارهم العذاب من مجيئه ونفي وجدان التبديل والتحويل
عبارة عن نفي وجودهما بالطريق البرهاني وتخصيص كل منهما بنفي مستقل لتأكيد انتفائهما **أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة**
الذين من قبلهم استشهاد على ما قبله من جريان سنته تعالى على تعذيب المكذبين بما يشاهدونه في مسايرهم إلى الشام واليمن والعراق من آثار
دمار الأمم الماضية العاتية والهمزة للإنكار والنفي والواو للعطف على مقدر يليق بالمقام أي أقعدوا في مساكنهم ولم يسيروا في الأرض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم **وكانوا أشد منهم قوة** وأطول أعماراً فما نفعهم طول المدى وما أغنى عنهم شدة القوى ومحل الجملة النصب
على الحالية وقوله تعالى **وما كان الله ليعجزه من شيء** أي ليسبقه ويفوته **في السموات ولا في الأرض** اعتراض مقرر لما يفهم مما قبله من استيصال الأمم
السالفة وقوله تعالى **إنه كان عليماً قديراً** أي مبالغاً في العلم والقدرة ولذلك علم بجميع أعمالهم السيئة فعاقبهم بموجبها تعليل لذلك **ولو يؤاخذ الله**
الناس جميعاً بما كسبوا من السيئات كما فعل بأولئك **ما ترك على ظهرها** أي على ظهر الأرض **من دابة** من نسمة تدب عليها من بني آدم وقيل ومن غيرهم أيضاً
من شؤم معاصيهم وهو المروي عن ابن مسعود وأنس رضي الله تعالى عنهما ويعضده الأول قوله تعالى **ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى** وهو يوم القيامة **فإذا جاء**
أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً فيجازيهم عند ذلك بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة
دعته ثمانية أبواب الجنة أن ادخل من أي باب شئت

سورة يس

وعنه عليه السلام يس تدعى المعمة تعم صاحبها خير الدارين والدافعة والقاضية بسم الله الرحمن الرحيم **يس** إما مسرود على نمط التعديد فلا حظ لها من الإعراب
أو اسم للسورة كما نص عليه الخليل وسيبويه وعليه الأكثر فمحله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو النصب على أنه مفعول لفعل مضمر وعليهما مدار قراءة
يس بالرفع والنصب أي هذه يس أو اقرأوا يس ولا مساغ للنصب بإضمار فعل القسم لأن ما بعده مقسم به وقد أبوا الجمع بين قسمين على شيء
واحد قبل انقضاء الأول ولا مجال للعطف لاختلافهما إعراباً وقيل هو مجرور بإضمار باء القسم مفتوح لكونه غير منصرف كما سلف في فاتحة سورة البقرة
من أن ما كانت من هذه الفواتح مفردة مثل ص وق ونون أو كانت موازنة لمفرد نحو طس ويس وحم الموازنة لقابيل وهابيل يتأتى فيها الإعراب
اللفظي ذكره سيبويه في باب أسماء السور من كتابه وقيل هو حركة بناء كما في حيث وأين حسبما يشهد بذلك قراءة يس بالكسر كجير وقيل
الفتح والكسر تحريك للجد في الهرب من التقاء الساكنين وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن معناه يا إنسان في لغة طيء وقالوا المراد به رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولعل أصله يا أنيسين فاقتصر على شطره كما قيل من الله في أيمن الله **والقرآن** بالجر على أنه مقسم به ابتداء وقد جوز أن يكون عطفاً
على يس على تقدير كونه مجروراً بإضمار باء القسم **الحكيم** أي المتضمن للحكمة أو الناطق بها بطريق الاستعارة أو المتصف بها على الإسناد المجازي وقد
جوز أن يكون الأصل الحكيم قائله فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فبانقلابه مرفوعاً بعد الجر استكن في الصفة المشبهة كما مر في صدر سورة
لقمان **إنك لمن المرسلين** جواب للقسم والجملة لرد إنكار الكفرة بقولهم في حقه عليه الصلاة والسلام لست مرسلاً وهذه الشهادة منه عز وجل من جملة
ما أشير إليه بقوله تعالى في جوابهم قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم وفي تخصيص القرآن بالإقسام به أولاً ووصفه بالحكيم ثانياً تنويه بشأنه وتنبيه
على أنه كما يشهد بها من هذه الحيثية أيضاً لما أن الإقسام بالشيء استشهاد به على تحقق مضمون الجملة القسمية وتقوية لثبوته فيكون شاهداً
ودليلاً عليه قطعاً وقوله تعالى **على صراط مستقيم** خبر آخر لإن أو حال من المستكن في الجار والمجرور على أنه عبارة عن الشريعة الشريفة بكمالها لا عن التوحيد
فقط وفائدته بيان أن شريعته عليه السلام أقوم الشرائع وأعدلها كما يعرب عنه التنكير التفخيمي والوصف إثر بيان أنه عليه السلام من جملة
المرسلين بالشرائع **تنزيل العزيز الرحيم** نصب على المدح وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وبالجر على أنه بدل من القرآن وأيّاً ما كان فهو مصدر

مصدر بمعنى المفعول عبر به عن القرآن بياناً لكمال عراقته في كونه منزلاً من عند الله عز وجل كأنه نفس التنزيل وإظهاراً لفخامته الإضافية بعد بيان
فخامته الذاتية بوصفه بالحكمة وفي تخصيص الاسمين الكريمين المعربين عن الغلبة التامة والرأفة العامة حث على الإيمان به ترهيباً وترغيباً
وإشعار بأن تنزيله ناشئ عن غاية الرحمة حسبما نطق به قوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وقيل النصب على أنه مصدر مؤكد لفعله المضمر
أي نزل تنزيل العزيز الرحيم على أنه استئناف مسوق لبيان ما ذكر من فخامة شأن القرآن وعلى كل تقدير ففيه فضل تأكيد لمضمون الجملة القسمية
لتنذر متعلق بتنزيل على الوجوه الأول وبعامله المضمر على الوجه الأخير أي لتنذر به كما في صدر الأعراف وقيل هو متعلق بما يدل عليه لمن المرسلين
أي إنك مرسل لتنذر **قوماً ما أنذر آباؤهم** الأقربون لتطاول مدة الفترة على أن ما نافية فيكون صفة مبينة لغاية احتياجهم إلى الإنذار أو الذي
أنذره أو شيئاً أنذره آباؤهم الأبعدون على أنها موصولة أو موصوفة فيكون مفعولاً ثانياً لتنذر أو إنذار آبائهم الأقدمين على أنها
مصدرية فيكون نعتاً لمصدر مؤكد أي لتنذر إنذاراً كائناً مثل إنذارهم **فهم غافلون** على الوجه الأول متعلق بنفي الإنذار مترتب عليه والضمير
للفريقين أي لم ينذر آباؤهم فهم جميعاً لأجله غافلون وعلى الوجوه الباقية متعلق بقوله تعالى لتنذر أو بما يفيده إنك لمن المرسلين وارد
لتعليل إنذاره عليه السلام أو إرساله بغفلتهم المحوجة إليهما على أن الضمير للقوم خاصة فالمعنى فهم غافلون عنه أي عما أنذر آباؤهم الأقدمون
لامتداد المدة واللام في قوله تعالى **لقد حق القول على أكثرهم** جواب القسم أي والله لقد ثبت وتحقق عليهم البتة لكن لا بطريق الجبر من غير أن يكون من قبلهم
ما يقتضيه بل بسبب إصرارهم الاختياري على الكفر والإنكار وعدم تأثرهم من التذكير والإنذار وغلوهم في العتو والطغيان وتماديهم في اتباع
خطوات الشيطان بحيث لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف كيف لا والمراد بالحق من القول قوله تعالى لإبليس عند قوله لأغوينهم أجمعين لأملأن
جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين أو من الجنة والناس أجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فإنه كما ترى قد أوقع فيه الحكم بإدخال
جهنم على من تبع إبليس وذلك تعليل له بتبعيته قطعاً وثبوت القول على هؤلاء الذين عبر عنهم بأكثرهم إنما هو لكونهم من جملة أولئك المصرين
على تبعية إبليس أبداً وإذ قد تبين أن مناط ثبوت القول وتحققه عليهم إصرارهم على الكفر إلى الموت ظهر أن قوله تعالى **فهم لا يؤمنون** متفرع
في الحقيقة على ذلك لا على ثبوت القول وقوله تعالى **إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً** تقرير لتصميمهم على الكفر وعدم ارعوائهم عنه بتمثيل حالهم بحال
الذين غلت أعناقهم **فهي إلى الأذقان** أي فالأغلال منتهية إلى أذقانهم فلا تدعهم يلتفتون إلى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون
رؤوسهم له **فهم مقمحون** رافعون رؤوسهم غاضون أبصارهم بحيث لا يكادون يرون الحق أو ينظرون إلى جهته **وجعلنا من بين أيديهم سداً**
ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون إما تتمة للتمثيل وتكميل له أي وجعلنا مع ما ذكر من أمامهم سداً عظيماً ومن ورائهم
سداً كذلك فغطينا بهما أبصارهم فهم بسبب ذلك لا يقدرون على إبصار شيء ما أصلاً وإما تمثيل مستقل فإن ما ذكر من جعلهم محصورين
بين سدين هائلين قد غطيا أبصارهم بحيث لا يبصرون شيئاً قطعاً كاف في الكشف عن كمال فظاعة حالهم وكونهم محبوسين في مطمورة
الغي والجهالات محرومين عن النظر في الأدلة والآيات وقرئ سداً بالضم وهي لغة فيه وقيل ما كان من عمل الناس فهو بالفتح وما كان من خلق
الله فهو بالضم وقرئ فأعشيناهم من العشاء وقيل الآيتان في بني مخزوم وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلي ليرضخن رأسه فأتاه وهو عليه السلام يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت إلى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها
بجهد فرجع إلى قومه فأخبرهم فقال مخزومي آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله تعالى بصره **وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم** بيان لشأنهم
بطريق التصريح إثر بيانه بطريق التمثيل أي مستو عندهم إنذارك إياهم وعدمه حسبما مر تحقيقه في سورة البقرة وقوله تعالى **لا يؤمنون**
استئناف مؤكد لما قبله مبين لما فيه من إجمال ما فيه الاستواء أو حال مؤكدة له أو بدل منه ولما بين كون الإنذار عندهم كعدمه عقب
ببيان من يتأثر منه فقيل **إنما تنذر** أي إنذاراً مستتبعاً للأثر **من اتبع الذكر** أي القرآن بالتأمل فيه أو الوعظ ولم يصر على اتباع خطوات
الشيطان **وخشي الرحمن بالغيب** أي خاف عقابه وهو غائب عنه على أنه حال من الفاعل أو خافه في سريرته ولم يغتر برحمته فإنه منتقم
قهار كما أنه رحيم غفار كما نطق به قوله تعالى نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم **فبشره بمغفرة** عظيمة **وأجر كريم**
لا يقادر قدره والفاء لترتيب البشارة أو الأمر بها على ما قبلها من اتباع الذكر والخشية **إنا نحن نحيي الموتى** بيان لشأن عظيم ينطوي
على الإنذار والتبشير انطواءً إجمالياً أي نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن إحياؤهم إخراجهم من الشرك إلى الإيمان فهو حينئذ عدة كريمة بتحقيق

المبشر به ونكتب ما قدموا اي ما اسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها وآثارهم التي ابقوها من الحسنات كعلم علّموه او كتاب الّفوه او حبيس وقفوه او بناء بنوه
من المساجد والرباطات والقناطير وغير ذلك من وجوه البر ومن السيئات كتأسيس قوانين الظلم والعدوان وترتيب مبادي الشر والعدوان
فيما بين العباد وغير ذلك من فنون الشرور التي احدثوها وسنّوها لمن بعدهم من المفسدين وقيل هي آثار المشائين الى المساجد ولعل المراد انها
من جملة الآثار وقرئ ويكتب على البناء للمفعول ورفع آثارهم وكل شيء من الاشياء كائنا ما كان احصيناه في امام مبين اصل عظيم الشأن
مظهر لجميع الاشياء مما كان وما سيكون وهو اللوح المحفوظ وقرئ كل شيء بالرفع واضرب لهم مثلا اصحاب القرية ضرب المثل يستعمل تارة في تطبيق
حالة غريبة وبيانها للناس من غير قصد الى تطبيقها بنظيرة لها كما في قوله تعالى وضربنا لكم الامثال على احد الوجهين اي بينا لكم احوالا بديعة
هي في الغرابة كالامثال فالمعنى على الاول اجعل اصحاب القرية مثلا لهؤلاء في الغلو في الكفر والاصرار على تكذيب الرسل اي طبق حالهم بحالهم
على ان مثلا مفعول ثان لاضرب واصحاب القرية مفعوله الاول أخّر عنه ليتصل به ما هو شرحه وبيانه وعلى الثاني اذكر وبيّن لهم قصة هي في
الغرابة
كالمثل وقوله اصحاب القرية بدل منه بتقدير المضاف او بيان له والقرية انطاكية اذ جاءها المرسلون بدل اشتمال من اصحاب القرية وهم رسل
عيسى عليه السلام الى اهلها ونسبة ارساله اليه تعالى في قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين بناء على انه كان بامره تعالى لتكميل التمثيل وتتميم التسلية
وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما فكذبوهما اي فاتياهم فدعواهم الى الحق فكذبوهما في الرسالة فعززنا اي قوينا يقال عزز المطر الارض
اذا لبدها وقرئ بالتخفيف من عزه اذا غلبه وقهره وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصد ذكر المعزز به بثالث هو شمعون فقالوا
اي جميعا انا اليكم مرسلون مؤكدين كلامهم لسبق الانكار لما ان تكذيبهما تكذيب للثالث لاتحاد كلمتهم وذلك انهم كانوا عبدة اصنام
فارسل اليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسألهما فاخبراه
قال امعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض منذ سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر وشفي على
ايديهما خلق وبلغ حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك وآلهتك فقال حتى انظر في امركما فتبعهما الناس
وقيل ضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك
فأنس به فقال له يوما بلغني انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله
الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام
مطموس العينين فدعوا الله تعالى حتى انشق له البصر فاخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون ار
لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر ان الهنا لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان
شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون انه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة ايام
فقام وقال اني ادخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه
يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك من هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم
ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه السلام فهلكوا هكذا قالوا ولكن لا يساعده سياق النظم الكريم حيث اقتصر فيه على حكاية تماديهم
في العناد واللجاج وركوبهم متن المكابرة في الحجاج ولم يذكر فيه ممن يؤمن احد سوى حبيب ولو ان الملك وقوما من حواشيه آمنوا
لكان الظاهر والرسل ليسا عدوهم قبلوا في ذلك او قتلوا كدأب النجار الشهيد ولكان لهم فيه ذكر ما بوجه من الوجوه اللهم الا ان يكون
ايمان الملك بطريق الخفية على خوف من عتاة ملائه فيعتزل عنهم معتذرا بعذر من الاعذار قالوا اي اهل انطاكية الذين لم يؤمنوا مخاطبين
للثلاثة ما انتم الا بشر مثلنا من غير مزية لكم علينا موجبة لاختصاصكم بما تدعونه ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي لاعمال ما بالا وما
انزل الرحمن من شيء مما تدعونه من الوحي والرسالة ان انتم الا تكذبون في دعوى رسالته قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون استشهدوا بعلم الله تعالى
وهو يجري مجرى القسم مع ما فيه من تحذيرهم معارضة علم الله تعالى وزادوا اللام المؤكدة لما شاهدوا منهم من شدة الانكار وما علينا
اي من جهة ربنا الا البلاغ المبين اي الا تبليغ رسالته تبليغا ظاهرا بينا بالآيات الشاهدة بالصحة وقد خرجنا عن عهدته فلا مؤاخذة
لنا بعد ذلك من جهة ربنا او وما علينا شيء نطالب به من جهتكم الا تبليغ الرسالة على الوجه المذكور وقد فعلناه فاي شيء تطلبون

تطلبون منا حتى تصدقونا بذلك قالوا لما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم جريا على ديدن الجهلة حيث كانوا
يتيمنون بكل ما يوافق شهواتهم وان كان مستجلبا لكل شر ووبال ويتشاءمون بما لا يوافقها وان كان مستتبعا لسعادة الدارين او بناء
على ان الدعوة لا تخلو عن الوعيد بما يكرهونه من اصابة ضر متعلق بانفسهم واهليهم واموالهم ان لم يؤمنوا فكانوا ينفرون عنه وقد روي
انه حبس عنهم القطر فقالوه لئن لم تنتهوا اي عن مقالتكم هذه لنرجمنكم بالحجارة وليمسنكم منا عذاب اليم لا يقادر قدره قالوا طائركم
اي سبب شؤمكم معكم لا من قبلنا وهو سوء عقيدتكم وقبح اعمالكم وقرئ طيركم أئن ذكرتم اي وعظتم بما فيه سعادتكم وجواب الشرط
محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه اي تطيرتم وتوعدتم بالرجم والتعذيب وقرئ بالف بين همزتين وبفتح ان بمعنى اتطيرتم لان ذكرتم
وان ذكرتم بغير استفهام واين ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ بل انتم قوم مسرفون اضراب عما تقتضيه الشرطية
من كون التذكير سببا للشؤم او مصححا للتوعد اي ليس الامر كذلك بل انتم قوم عادتكم الاسراف في العصيان فلذلك اتاكم الشؤم او في الظلم
والعدوان ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب اكرامه والتبرك به وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى هو حبيب النجار وكان ينحت
اصنامهم وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن
بنبي غيره عليه السلام احد قبل مبعثه وقيل كان في غار يعبد الله تعالى فلما بلغه خبر الرسل عليهم السلام اظهر دينه قال استئناف وقع
جوابا عن سؤال نشأ من حكاية مجيئه ساعيا كانه قيل فماذا قال عند مجيئه فقيل قال يا قوم اتبعوا المرسلين تعرض لعنوان رسالتهم
حثا لهم على اتباعهم كما ان خطابهم بيا قوم لتأليف قلوبهم واستمالتها نحو قبول نصيحته وقوله اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون تكرير
للتأكيد وللتوسل به الى وصفهم بما يرغبهم في اتباعهم من التنزه عن الغرض الدنيوي والاهتداء الى خيري الدنيا والدين وما لي لا اعبد
الذي فطرني تلطف في الارشاد بايراده في معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراهم انه اختار لهم ما يختار لنفسه والمراد تقريعهم
على ترك عبادة خالقهم الى عبادة غيره كما ينبئ عنه قوله تعالى واليه ترجعون مبالغة في التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال أأتخذ من
دونه آلهة انكار ونفي لاتخاذ الآلهة على الاطلاق وقوله تعالى ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا اي لا تنفعني شيئا من النفع ولا ينقذون
من ذلك الضر بالنصرة والمظاهرة استئناف سيق لتعليل النفي المذكور وجعله صفة لآلهة كما ذهب اليه بعضهم ربما يوهم ان هناك
آلهة ليست كذلك وقرئ ان يردن بفتح الياء على معنى ان يوردني ضرا اي يجعلني مورد الضر اني اذا اي اذا اتخذت من دونه
آلهة لفي ضلال مبين فان اشراك ما ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر بالخالق المقتدر الذي لا قادر غيره ولا خير الا خيره ضلال بين
لا يخفى على احد ممن له تمييز في الجملة اني آمنت بربكم خطاب منه للرسل بطريق التلوين قيل لما نصح قومه بما ذكر هموا برجمه فاسرع نحو
الرسل قبل ان يقتلوه فقال ذلك وانما اكده لاظهار صدوره عنه بكمال الرغبة والنشاط واضافة الرب الى ضميرهم روما لزيادة
التقرير واظهار الاختصاص والاقتداء بهم كانه قيل بربكم الذي ارسلكم او الذي تدعوننا الى الايمان به فاسمعون اي اسمعوا ايماني واشهدوا
لي به عند الله تعالى وقيل الخطاب للكفرة شافههم بذلك اظهارا للتصلب في الدين وعدم المبالاة بالقتل واضافة الرب الى ضميرهم
لتحقيق الحق والتنبيه على بطلان ما هم عليه من اتخاذ الاصنام اربابا وقيل للناس جميعا قيل ادخل الجنة قيل له ذلك لما قتلوه اكراما له بدخولها
حينئذ كسائر الشهداء وقيل لما هموا بقتله رفعه الله تعالى الى الجنة قاله الحسن وعن قتادة ادخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق وقيل معناه
البشرى بدخول الجنة وانه من اهلها وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول لا المقول له لظهوره وللمبالغة في المسارعة الى بيانه والجملة
استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حاله ومقاله كانه قيل كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في دينه والتسخي بروحه
تعالى فقيل قيل ادخل الجنة وكذلك قوله تعالى قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين فانه جواب عن سؤال نشأ من حكاية حاله قيل فماذا قال
عند نيله تلك الكرامة السنية فقيل قال الى آخره وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم ذلك على اكتساب مثله بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والطاعة
جريا على سنن الاولياء في كظم الغيظ والترحم على الاعداء او ليعلموا انهم كانوا على خطأ عظيم في امره وانه كان على الحق وان عداوتهم
لم تكسبه الا سعادة وقرئ من المكرمين وما موصولة او مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية وردت على الاصل والباء متعلقة
بغفر اي باي شيء غفر لي ربي يريد به تفخيم شأن المهاجرة عن ملتهم والمصابرة على اذيتهم وما انزلنا على قومه من بعده من بعد قتله او رفعه

من جند من السماء لاهلاكهم والانتقام منهم كما فعلناه يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لهم ولاهلاكهم وايماء الى تفخيم شأن
الرسول صلى الله عليه وسلم وما كنا منزلين وما صح في حكمتنا ان ننزل لاهلاك قومه جندا من السماء لانا قدرنا لكل شيء سببا حيث اهلكنا بعض من
اهلكنا من الامم بالحاصب وبعضهم بالصيحة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالاغراق وجعلنا انزال الجند من خصائصك في الانتصار من قومك وقيل ما
موصولة معطوفة على جند اي وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة وغيرها ان كانت اي ما كانت الاخذة او العقوبة
الا صيحة واحدة صاح بها جبريل عليه السلام وقرئ الا صيحة بالرفع على ان كان تامة وقرئ الا زقية من زقا الطير اذا صاح فاذا هم
خامدون ميتون شبهوا بالنار الخامدة رمزا الى ان الحي كالنار الساطعة في الحركة والالتهاب والميت كالرماد قال لبيد وما المرء الا
كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع يا حسرة على العباد تعالي فهذه من الاحوال التي حقها ان تحضري فيها وهي ما دل عليه قوله تعالى ما
يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون فان المستهزئين بالناصحين الذين نيطت بنصائحهم سعادة الدارين احقاء بان يتحسروا او يتحسر عليهم المتحسرون
او قد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين وقد جوز ان يكون تحسرا عليهم من جهة الله تعالى بطريق الاستعارة لتعظيم ما جنوه على
انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا لان المعنى يا حسرتي ونصبها لطولها بما تعلق بها من الجار وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ
يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل او المفعول ويا حسره على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف الم يروا اي الم يعلموا وهو معلق عن العمل
في قوله تعالى كم اهلكنا قبلهم من القرون لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام خلا ان معناه نافذ في الجملة كما نفذ في
قولك الم تر ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل في لفظه انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا على المعنى اي الم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم من المذكورين
آنفا ومن غيرهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستئناف وقرئ الم يروا من اهلكنا والبدل حينئذ بدل الاشتمال وان
كل لما جميع لدينا محضرون بيان لرجوع الكل الى المحشر بعد بيان عدم الرجوع الى الدنيا وان نافية وتنوين كل عوض عن المضاف اليه ولما بمعنى
الا وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او لما بعده والمعنى ما كلهم الا مجموعون لدينا محضرون للحساب والجزاء وقيل محضرون
معذبون فكل عبارة عن الكفرة وقرئ لما بالتخفيف على ان ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة وما مزيدة للتأكيد والمعنى ان
كلهم مجموعون الى آخره وآية لهم الارض الميتة بالتخفيف وقرئ بالتشديد وقوله تعالى آية خبر مقدم للاهتمام به وتنكيرها للتفخيم ولهم اما
متعلقة بها لانها بمعنى العلامة او بمضمر هو صفتها والارض مبتدأ والميتة صفتها وقوله تعالى احييناها استئناف مبين لكيفية
كونها آية وقيل آية مبتدأ ولهم خبر والارض الميتة مبتدأ موصوف واحييناها خبره والجملة مفسرة لآية وقيل الارض مبتدأ واحييناها
خبره والجملة خبر لآية وقيل الخبر لها هو الارض واحييناها صفتها لان المراد بها الجنس لا المعينة والاول هو الاولى لان معتمد الفائدة
هو كون الارض آية لهم لا كون الآية هي الارض واخرجنا منها حبا جنس الحب فمنه يأكلون تقديم الصلة للدلالة على ان الحب معظم
ما يؤكل ويعاش به وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب اي من انواع النخل والعنب ولذلك جمعهما دون الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف
ولا كذلك الدال على الانواع وذكر النخل دون التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع وفجرنا فيها وقرئ
بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى من العيون اي بعضا من العيون فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة
على رأي الاخفش ليأكلوا من ثمره متعلق بجعلنا وتأخيره عن تفجير العيون لانه من مبادي الاثمار اي وجعلنا فيها جنات من نخيل ورتبنا مبادي
اثمارها ليأكلوا من ثمر ما ذكر من الجنات والنخيل باجراء الضمير مجرى اسم الاشارة وقيل الضمير لله تعالى بطريق الالتفات الى الغيبة والاضافة
لان الثمر بخلقه تعالى وقرئ بضمتين وهي لغة فيه او جمع ثمار وبضمة وسكون وما عملته ايديهم عطف على ثمره وهو ما يتخذ منه كالعصير والدبس
ونحوهما وقيل ما نافية والمعنى ان الثمر بخلق الله تعالى لا بفعلهم ومحل الجملة النصب على الحالية ويؤكد الاول قراءة عملت بلا هاء فان حذف
العائد من الصلة احسن من الحذف من غيرها افلا يشكرون انكار واستقباح لعدم شكرهم للنعم المعدودة والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام
اي يرون هذه النعم او يتنعمون بها فلا يشكرونها سبحان الذي خلق الازواج كلها استئناف مسوق لتنزيهه تعالى عما فعلوه من ترك
شكره على الآية المذكورة واستعظام ما ذكر في حيز الصلة من بدائع آثار قدرته واسرار حكمته وروائع النعم الموجبة للشكر وتخصيص العبادة
به والتعجيب من اخلالهم بذلك والحالة هذه وسبحان علم للتسبيح الذي هو التبعيد عن السوء اعتقادا وقولا اي اعتقاد البعد عنه والحكم

والحكم به من سبح في الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح واسع الجري وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اي اسبح سبحان
من جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة
في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران اريد به التنزه التام والتباعد الكلي عن السوء ففيه مبالغة
من جهة اسناد التنزه الى الذات المقدسة فالمعنى تنزه بذاته عن كل ما لا يليق به تنزها خاصا به فالجملة على هذا اخبار من الله تعالى
بتنزهه وبراءته عن كل ما لا يليق به مما فعلوه وما تركوه وعلى الاول حكم منه عز وجل بذلك وتلقين للمؤمنين ان يقولوه ويعتقدوا
مضمونه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه والمراد بالازواج الاصناف والانواع مما تنبت الارض بيان لها والمراد به كل ما ينبت فيها من الاشياء
المذكورة وغيرها ومن انفسهم اي خلق الازواج من انفسهم اي الانثى والذكر ومما لا يعلمون اي والازواج مما لم يطلعهم الله تعالى على خصوصياته
لعدم قدرتهم على الاحاطة بها ولما لم يتعلق بذلك شيء من مصالحهم الدينية والدنيوية وانما اطلعهم على ذلك بطريق الاجمال على منهاج
قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون لما نيط به وقوفهم على عظم قدرته تعالى وسعة ملكه وسلطانه وآية لهم الليل جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر كما
مر وقوله تعالى نسلخ منه النهار جملة مبينة لكيفية كونه آية اي نزيله ونكشف عن مكانه مستعار من السلخ وهو ازالة ما بين الحيوان وجلده
من الاتصال والاغلب في الاستعمال تعليقه بالجلد يقال سلخت الاهاب من الشاة وقد يعكس ومنه الشاة المسلوخة فاذا هم مظلمون اي داخلون
في الظلام مفاجأة وفيه رمز الى ان الاصل هو الظلام والنور عارض والشمس تجري لمستقر لها لحد معين ينتهي اليه دورها فشبه بمستقر
المسافر اذا قطع مسيره او لكبد السماء فان حركتها فيه توجد ابطأ بحيث يظن ان لها هناك وقفة قال والشمس حيرى لها بالجو تدويم
او لاستقرار لها على نهج مخصوص او لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها في دورها ثلثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل
يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ الى مستقر لها وقرئ لا مستقر لها
اي لا سكون لها فانها متحركة دائما وقرئ لا مستقر لها على ان لا بمعنى ليس ذلك اشارة الى جريها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد
بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته اي ذلك الجري البديع المنطوي على الحكم الرائعة التي تحار في فهمها العقول والافهام تقدير العزيز
الغالب بقدرته على كل مقدور العليم المحيط علمه بكل معلوم والقمر قدرناه بالنصب باضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ بالرفع على الابتداء اي
قدرنا له منازل وقيل قدرنا مسيره منازل وقيل قدرناه ذا منازل وهي ثمانية وعشرون السرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة
الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانى الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد
السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة في واحد منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنها فاذا
كان في آخر منازله وهو الذي يكون قبيل الاجتماع دق واستقوس حتى عاد كالعرجون كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج
وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون القديم العتيق وقيل هو ما مر عليه حول فصاعدا لا الشمس ينبغي لها اي يصح لها ويتسهل
ان تدرك القمر في سرعة السير فان ذلك يخل بتكوين النبات وتعيش الحيوان او في الآثار والمنافع او في المكان بان تنزل في منزله او في
سلطانه فتطمس نوره وايلاء حرف النفي الشمس للدلالة على انها مسخرة لا يتيسر لها الا ما قدر لها ولا الليل سابق النهار اي يسبقه فيفوته
ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاول وايراد السبق مكان الادراك
لانه الملائم لسرعة سيره وكل اي وكلهم على ان التنوين عوض من المضاف اليه الذي هو الضمير العائد الى الشمس والقمر والجمع باعتبار التكاثر
العارض لهما بتكاثر مطالعهما فان اختلاف الاحوال يوجب تعددا ما في الذات او الى الكواكب فان ذكرهما مشعر بها في فلك يسبحون يسيرون
بانبساط وسهولة وآية لهم انا حملنا ذريتهم اولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم فان الذرية
تطلق عليهن لاستيداع الاخلاط وتخصيصهم بالذكر لما ان استقرارهم في السفن اشق واستمساكهم فيها ابدع في الفلك المشحون اي المملوء
وقيل هو فلك نوح عليه السلام وحمل ذرياتهم فيها حمل آبائهم الاقدمين وفي اصلابهم هؤلاء وذرياتهم وتخصيص اعقابهم بالذكر دونهم لانه
ابلغ في الامتنان وادخل في التعجيب الذي عليه يدور كونه آية وخلقنا لهم من مثله مما يماثل الفلك ما يركبون من الابل فانها سفائن البر او مما
يماثل ذلك الفلك من السفن والزوارق وجعلها مخلوقة لله تعالى مع كونها من مصنوعات العباد ليس لمجرد كون صنعهم باقدار الله تعالى والهامه

بل المزيد اختصاص أصلها بقدرته تعالى وحكمته حسبما يعرب عنه قوله عز وجل واصنع الفلك بأعيننا ووحينا والتعبير عن ملابستهم بهذه السفن بالركوب
لأنها باختيارهم كما أن التعبير عن ملابسة ذريتهم بفلك نوح عليه السلام بالحمل لكونها بغير شعور منهم واختيار وإن نشأ نغرقهم إلى آخره من تمام الآية
فإنهم معترفون بمضمونه كما ينطق به قوله تعالى وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين وقرئ نغرقهم بالتشديد وفي تعليق الإغراق
بمحض المشيئة إشعار بأنه قد تكامل ما يوجب إهلاكهم من معاصيهم ولم يبق إلا تعلق مشيئته تعالى به أي إن نشأ نغرقهم في اليم مع ما حملناهم فيه
من الفلك فحديث خلق الإبل حينئذ كلام جيء به في خلال الآية بطريق الاستطراد لكمال التماثل بين الإبل والفلك فكأنها نوع منه أو مع ما يركبون
من السفن والزوارق فلا صريخ لهم أي فلا مغيث لهم يحرسهم من الغرق ويدفعه عنهم قبل وقوعه وقيل فلا استغاثة لهم من قولهم أتاهم الصريخ
ولا هم ينقذون أي ينجون منه بعد وقوعه وقوله تعالى إلا رحمة منا ومتاعا استثناء مفرغ من أعم العلل الشاملة للباعث المتقدم والغاية
المتأخرة أي لا يغاثون ولا ينقذون لشيء من الأشياء إلا لرحمة عظيمة من قبلنا داعية إلى الإغاثة والإنقاذ وتمتيع بالحياة مترتب عليهما
ويجوز أن يراد بالرحمة ما يقارن التمتيع من الرحمة الدنيوية فيكون كلاهما غاية للإغاثة والإنقاذ أي لنوع من الرحمة وتمتيع إلى حين أي إلى زمان
قدر فيه آجالهم كما قيل لم أسلم لكن لأمر بقي ولكن سلمت من الحمام إلى الحمام وإذا قيل لهم اتقوا بيان لإعراضهم عن الآيات التنزيلية بعد بيان
إعراضهم عن الآيات الآفاقية التي كانوا يشاهدونها وعدم تأملهم فيها أي إذا قيل لهم بطريق الإنذار بما نزل من الآيات أو بغيره ما بين أيديكم
وما خلفكم من الآفات والنوازل فإنها محيطة بكم أو يصيبكم من المكاره من حيث تحتسبون ومن حيث لا تحتسبون أو من الوقائع النازلة
على الأمم الخالية قبلكم والعذاب المعد لكم في الآخرة أو من نوازل السماء ونوائب الأرض أو من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة أو ما تقدم من الذنوب
وما تأخر لعلكم ترحمون إما حال من واتقوا أو غاية له أي راجين أن ترحموا أو كي ترحموا فتنجوا من ذلك لما عرفتم أن مناط النجاة ليس إلا
رحمة الله تعالى وجواب إذا محذوف ثقة بانفهامه من قوله تعالى وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين انفهاما بينا أما إذا كان الإنذار بالآية
الكريمة فبعبارة النص وأما إذا كان بغيرها فبدلالته لأنهم حين أعرضوا عن آيات ربهم فلأن يعرضوا عن غيرها بطريق الأولوية كأنه قيل وإذا قيل لهم
اتقوا العذاب أعرضوا حسبما اعتادوه وما نافية وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي ومن الأولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية تبعيضية
واقعة مع مجرورها صفة لآية وإضافة الآيات إلى اسم الرب المضاف إلى ضميرهم لتفخيم شأنها المستتبع لتهويل ما اجترؤوا عليه في حقها والمراد بها
إما الآيات التنزيلية فإتيانها نزولها والمعنى ما ينزل إليهم آية من الآيات القرآنية التي من جملتها هذه الآيات الناطقة بما فصل من بدائع
صنع الله تعالى وسوابغ آلائه الموجبة للإقبال عليها والإيمان بها إلا كانوا عنها معرضين على وجه التكذيب والاستهزاء وإما ما يعمها وغيرها من الآيات
التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات التي من جملتها الآيات الثلاث المعدودة آنفا فالمراد بإتيانها ما يعم نزول الوحي
وظهور تلك الأمور لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات التي من جملتها ما ذكر من شؤونه الشاهدة بوحدانيته تعالى وتفرده بالألوهية إلا كانوا عنها
تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدي إلى الإيمان به تعالى وإشارة على أن يقال إلا أعرضوا عنها كما وقع مثله في قوله تعالى وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا
سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الإعراض حسب استمرار إتيان الآيات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل والجملة في
حيز النصب على أنها حال من مفعول تأتي أو من فاعله المتخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال أي ما تأتيهم
من آية من آيات ربهم في حال من أحوالهم إلا حال إعراضهم عنها أو ما تأتيهم آية منها في كل من أحوالها إلا حال إعراضهم عنها وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله
أي أعطاكم بطريق التفضل والإنعام من أنواع الأموال عبر عنها بذلك تحقيقا للحق وترغيبا في الإنفاق على منهاج قوله تعالى وأحسن كما أحسن الله
إليك وتنبيها على عظم جنايتهم في ترك الامتثال بالأمر وكذلك من التبعيضية أي إذا قيل لهم بطريق النصيحة أنفقوا بعض ما أعطاكم الله تعالى
من فضله على المحتاجين فإن ذلك مما يرد البلاء ويدفع المكاره قال الذين كفروا بالصانع عز وجل وهم زنادقة كانوا بمكة للذين آمنوا تهكما
بهم وبما كانوا عليه من تعليق الأمور بمشيئة الله تعالى أنطعم من لو يشاء الله أطعمه أي على زعمكم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
كان بمكة زنادقة إذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله أيفقره الله ونطعمه نحن وقيل قاله مشركو قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين
من أموالهم التي زعموا أنهم جعلوها لله تعالى من الحرث والأنعام يوهمون أنه تعالى لما لم يشأ إطعامهم وهو قادر عليه فنحن أحق بذلك
وما هو إلا لفرط جهالتهم فإن الله تعالى يطعم عباده بأسباب من جملتها حث الأغنياء على إطعام الفقراء وتوفيقهم لذلك إن أنتم إلا في ضلال

حيث أمرونا بما يخالف مشيئة الله تعالى ويجوز أن يكون جوابا لهم من جهته تعالى أو حكاية لجواب المؤمنين لهم ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين
أي فيما تعدوننا به من قيام الساعة خاطبوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لما أنهم أيضا كانوا يتلون عليهم آيات الوعيد بقيامها ومعنى القرب
في هذا إما بطريق الاستهزاء وإما باعتبار قرب العهد بالوعيد ما ينظرون جواب من جهته تعالى أي ما ينتظرون إلا صيحة واحدة هي النفخة الأولى تأخذهم
مفاجأة وهم يخصمون أي يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم شيء من مخايلها كقوله تعالى فأخذتهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون فلا
يغتروا بعدم ظهور علائمها ولا يزعموا أنها لا تأتيهم وأصل يخصمون يختصمون فسكنت التاء وأدغمت في الصاد ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وقرئ
بكسر الياء للاتباع وبفتح الخاء على إلقاء حركة التاء عليه وقرئ على الاختلاس وبالإسكان على تجويز الجمع بين الساكنين إذا كان الثاني مدغما وإن لم
يكن الأول حرف مد وقرئ يخصمون من خصمه إذا جادله فلا يستطيعون توصية في شيء من أمورهم إن كانوا فيما بين أهليهم ولا إلى أهلهم يرجعون إذا كانوا
في خارج أبوابهم بل تبغتهم الصيحة فيموتون حيثما كانوا ونفخ في الصور هي النفخة الثانية بينها وبين الأولى أربعون سنة أي ينفخ فيه وصيغة الماضي للدلالة
على تحقق وقوعها فإذا هم من الأجداث أي القبور جمع جدث وقرئ بالفاء إلى ربهم مالك أمرهم على الإطلاق ينسلون يسرعون بطريق الإجبار دون
الاختيار لقوله تعالى لدينا محضرون وقرئ بضم السين قالوا أي في ابتداء بعثهم من القبور يا ويلنا احضر فهذا أوانك وقرئ يا ويلتنا من بعثنا
من مرقدنا وقرئ من أهبنا من هب من نومه إذا انتبه وقرئ من هبنا بمعنى أهبنا وقيل أصله هب بنا فحذف الجار وأوصل الفعل إلى الضمير قيل
فيه ترشيح ورمز وإشعار بأنهم لاختلاط عقولهم يظنون أنهم كانوا نياما وعن مجاهد أن للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فإذا صيح بأهل
القبور يقولون ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما وأبي بن كعب وقتادة رضي الله عنهم أن الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون
فإذا بعثوا بالنفخة الثانية وشاهدوا من أهوال القيامة ما شاهدوا دعوا بالويل وقالوا ذلك وقيل إذا عاينوا جهنم وما فيها من ألوان العذاب
يصير عذاب القبر في جنبها مثل النوم فيقولون ذلك وقرئ من بعثنا ومن هبنا بمن الجارة والمصدر والمرقد إما مصدر أي من رقادنا
أو اسم مكان أريد به الجنس فينتظم مراقد الكل هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون جملة من مبتدأ وخبر وما موصولة محذوفة العائد أو مصدرية
وهو جواب من قبل الملائكة أو المؤمنين عدل به عن سنن سؤالهم تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها على أن الذي يهمهم هو السؤال
عن نفس البعث ماذا هو دون الباعث كأنهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم ذلك في كتبه وأرسل إليكم الرسل فصدقوكم فيه وليس الأمر كما
تتوهمونه حتى تسألوا عن الباعث وقيل هو من كلام الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل عليهم السلام فيجيبون به أنفسهم أو بعضهم بعضا
وقيل هذا صفة لمرقدنا وما وعد إلى آخره خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره محذوف أي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق إن كانت أي ما كانت
النفخة التي حكيت آنفا إلا صيحة واحدة حصلت من نفخ إسرافيل عليه السلام في الصور فإذا هم جميع أي مجموع لدينا محضرون من غير لبث ما طرفة
عين وفيه من تهويل أمر البعث والحشر والإيذان باستغنائهما عن الأسباب ما لا يخفى فاليوم لا تظلم نفس من النفوس برة كانت أو فاجرة
شيئا من الظلم ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون أي إلا جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من الكفر والمعاصي على حذف المضاف وإقامة المضاف
إليه مقامه للتنبيه على قوة التلازم والارتباط بينهما كأنهما شيء واحد أو إلا بما كنتم تعملونه أي بمقابلته أو بسببه وتعميم الخطاب للمؤمنين
يرده أنه تعالى يوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله أضعافا مضاعفة وهذه حكاية لما سيقال لهم حين يرون العذاب المعد لهم تحقيقا
للحق وتقريعا لهم وقوله تعالى إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون من جملة ما سيقال لهم يومئذ زيادة لحسرتهم وندامتهم فإن الإخبار بحسن حال
أعدائهم إثر بيان سوء حالهم مما يزيدهم مساءة على مساءة وفي هذه الحكاية مزجرة لهؤلاء الكفرة عما هم عليه ومدعاة إلى الاقتداء
بسيرة المؤمنين والشغل هو الشأن الذي يصد المرء ويشغله عما سواه من شؤونه لكونه أهم عنده من الكل إما لإيجابه كمال المسرة والبهجة
أو كمال المساءة والغم والمراد ههنا هو الأول وما فيه من التنكير والإبهام للإيذان بارتفاعه عن رتبة البيان والمراد به ما هم فيه من فنون
الملاذ التي تلهيهم عما عداها بالكلية وأما أن المراد به افتضاض الأبكار أو السماع أو ضرب الأوتار أو التزاور أو ضيافة الله تعالى أو شغلهم
عما فيه أهل النار على الإطلاق أو شغلهم عن أهاليهم في النار لا يهمهم أمرهم ولا يبالون بهم كيلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم كما روي كل واحد
منها عن واحد من أكابر السلف فليس مرادهم بذلك حصر شغلهم فيما ذكروه فقط بل بيان أنه من جملة اشتغالهم وتخصيص كل منهم كلا من تلك
الأمور بالذكر محمول على اقتضاء مقام البيان إياه وهو مع جاره خبر لإن وفاكهون خبر آخر لها أي إنهم مستقرون في شغل وأي شغل

في شغل عظيم الشأن متنعمون بنعيم مقيم فائزون بملك كبير والتعبير عن حالهم هذه بالجملة الاسمية قبل تحققها تنزيل المترقب المتوقع منزلة الواقع
للايذان بغاية سرعة تحققها ووقوعها ولزيادة مساءة المخاطبين بذلك وقرئ في شغْل بسكون الغين وفي شَغَل بفتحتين وبفتحة وسكون
والكل لغات وقرئ فَكِهون للمبالغة وفكُهون بضم الكاف وهي لغة كنطُس ونطِس وفاكهين وفكهين على الحال من المستكن في الظرف وقوله تعالى **هم وازواجهم**
في ظلال على الارائك متكئون استيناف مسوق لبيان كيفية شغلهم وتفكههم وتكميلها بما يزيدهم بهجة وسرورا من شركة ازواجهم فيما هم
فيه من الشغل والفكاهة على ان هم مبتدأ وازواجهم عطف عليه ومتكئون خبر والجاران صلتان له قدمتا عليه لمراعاة الفواصل او هو بمجرد ان
بما تعلقا به من الاستقرار اخبار مترتبة وقيل الخبر هو الظرف الاول والثاني مستأنف على انه متعلق بمتكئون وهو خبر لمبتدأ محذوف وقيل على انه
خبر مقدم ومتكئون مبتدأ مؤخر وقرئ متكئين بلا همز نصبا على الحال من المستكن في الظرفين او احدهما وقيل هم تأكيد للمستكن في خبر ان
ومتكئون خبر آخر لها وعلى الارائك متعلق به وكذا في ظلال او بمضمر هو حال من المعطوفين والظلال جمع ظل كشعاب جمع شعب او جمع ظلة
كقباب جمع قبة ويؤيده قراءة في ظلل والارائك جمع اريكة وهي السرير المزين بالثياب والستور قال ثعلب لا يكون اريكة حتى يكون عليها
حجلة وقوله تعالى **فيها فاكهة** الى آخره بيان لما يتمتعون به في الجنة من المآكل والمشارب ويتلذذون به من الملاذ الجسمانية والروحانية
بعد بيان ما لهم فيها من مجالس الانس ومحافل القدس تكميلا لبيان كيفية ما هم فيه من الشغل والبهجة اي لهم فيها فاكهة كثيرة من كل نوع من انواع
الفواكه وما في قوله تعالى **ولهم ما يدعون** موصولة او موصوفة عبر بها عن مدعو عظيم الشأن معين او مبهم ايذانا بانه الحقيق بالادعاء دون كل ما عداه ثم صرح به
رَوْمًا لزيادة التقرير بالتحقيق بعد التشويق كما ستعرفه او هي باقية على عمومها قصد بها التعميم بعد تخصيص بعض المواد المعتادة بالذكر واياما كان
فهو مبتدأ ولهم خبره والجملة معطوفة على الجملة السابقة وعدم الاكتفاء بعطف ما يدعون على فاكهة لئلا يتوهم كونها عبارة عن توابع الفاكهة
وتتماتها والمعنى ولهم ما يدعون به لانفسهم من مدعو عظيم الشأن او كل ما يدعون به كائنا ما كان من اسباب البهجة وموجبات السرور واياما
كان ففيه دلالة على انهم في اقصى غاية البهجة والغبطة ويدعون يفتعلون من الدعاء كما اشير اليه مثل اشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه
وقيل بمعنى يتداعون كالارتماء بمعنى الترامي وقيل بمعنى يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي وقال الزجاج هو من الدعاء اي ما يدعو
اهل الجنة يأتيهم فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالاحتمال بمعنى الحمل والارتحال بمعنى الرحلة ويعضده القراءة بالتخفيف كما ذكره الكواشي
وقوله تعالى **سلام** على التقدير الاول بدل من ما يدعون وخبر لمبتدأ محذوف **قولا** مصدر لفعل هو صفة لسلام وما بعده من الجار متعلق
بمضمر هو صفة له كأنه قيل ولهم سلام او ما يدعون سلام اي يقال لهم قولا كائنا **من** جهة **رب رحيم** اي يسلم عليهم من جهته تعالى بواسطة
الملك او بدونها مبالغة في تعظيمهم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين واما على التقدير الثاني
فقد قيل انه خبر لما يدعون ولهم لبيان الجهة كما يقال لزيد الشرف متوفر على ان الشرف مبتدأ ومتوفر خبره والجار والمجرور لبيان من له
ذلك اي ما يدعون سالم لهم خالص لا شوب فيه وقولا حينئذ مصدر مؤكد لمضمون الجملة اي عدة من رب رحيم والاوجه ان ينتصب على
الاختصاص وقيل هو مبتدأ محذوف الخبر اي سلام اي تسليم قولا من رب رحيم او سلامة من الآفات فيكون قولا مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة
كما سبق وقيل تقديره سلام عليهم فيكون حكاية لما سيقال لهم من جهته تعالى يومئذ وقيل خبره الفعل المقدر ناصبا لقولا وقيل خبره من رب رحيم
وقرئ سلاما بالنصب على الحالية اي لهم مرادهم سالما خالصا وقرئ سِلْم وهو بمعنى السلام في المعنيين **وامتازوا اليوم** عطف اما على
الجملة السابقة المسوقة لبيان احوال اهل الجنة لكن لا على ان المقصود عطف فعل الامر بخصوصه حتى يتمحل له مشاكل يصح عطفه عليه بل على انه عطف
قصة سوء حال هؤلاء وكيفية عقابهم على قصة حسن حال اولئك ووصف ثوابهم كما مر في قوله تعالى وبشر الذين آمنوا الآية وكان تغيير
السبك لتخييل كمال التباين بين الفريقين وحاليهما واما على مضمر ينساق اليه حكاية حال اهل الجنة كأنه قيل اثر بيان كونهم في شغل عظيم الشأن
وفوزهم بنعيم مقيم يقصر عنه البيان فليقروا بذلك عينا وامتازوا عنهم **ايها المجرمون** الى مصيركم وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن
الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى واما ما قيل من ان المضمر فليمتازوا وفيمتازوا من السداد لما ان المحكي عنهم ليس
مصيرهم الى ما ذكر من الحال المرضية حتى يتسنى ترتيب الامر المذكور عليه بل انما هو استقرارهم عليها بالفعل وكون ذلك بطريق تنزيل المترقب منزلة
الواقع لا يجدي نفعا لان مناط الاضمار انسياق الافهام اليه وانصباب نظم الكلام عليه فبعد ما نزلت تلك الحال منزلة الواقع بالفعل

بالفعل لما اقتضاه المقام من النكتة البارعة والحكمة الرائعة حسبما مر بيانه واسقط كونها مترقبة عن درجة الاعتبار بالكلية يكون التصدي لاضمار
شيء يتعلق به اخراجا للنظم الكريم عن الجزالة بالمرة **الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان** من جملة ما يقال لهم بطريق التقريع والالزام والتبكيت بين الامر
بدخول الرسل عليهم السلام من الاوامر والنواهي التي من جملتها قوله تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة الآية وقوله تعالى
ولا تتبعوا خطوات الشيطان **انه لكم عدو مبين** وغيرهما من الآيات الكريمة الواردة في هذا المعنى وقيل هو الميثاق المأخوذ عليهم حين اخرجوا
من ظهور بني آدم واشهدوا على انفسهم وقيل هو ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته تعالى الزاجرة عن عبادة غيره والمراد بعبادة
الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم عبر عنها بالعبارة لزيادة التحذير والتنفير عنها ولوقوعها في مقابلة عبادته عز وجل وقيل
إِعهد بكسر الهمزة واَعهِد بكسر الهاء واحهد بالحاء مكان العين واحد بالادغام وهي لغة بني تميم انه لكم عدو مبين اي ظاهر العداوة وهو تعليل
لوجوب الانتهاء عن المنهي عنه وقيل تعليل للنهي **وان اعبدوني** عطف على ان لا تعبدوا على ان ان فيهما مفسرة للعهد الذي فيه معنى القول بالنهي والامر
او مصدرية حذف عنها الجار اي الم اعهد اليكم في ترك عبادة الشيطان وفي عبادتي وتقديم النهي على الامر لما ان حق التخلية التقديم على التحلية كما في
كلمة التوحيد وليتصل به قوله تعالى **هذا صراط مستقيم** فانه اشارة الى عبادته تعالى التي هي عبارة عن التوحيد والاسلام وهو المشار اليه بقوله تعالى
هذا صراط مستقيم والمقصود بقوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم والتنكير للتفخيم واللام في قوله تعالى **ولقد اضل منكم جبلا كثيرا** جواب قسم محذوف والجملة
استيناف مسوق لتشديد التوبيخ وتأكيد التقريع ببيان ان جناياتهم ليست بنقض العهد فقط بل به وبعدم الاتعاظ بما شاهدوا من العقوبات
النازلة على الامم الخالية بسبب طاعتهم للشيطان فالخطاب للمتأخرين الذين من جملتهم كفار مكة خصوا بزيادة التوبيخ والتقريع لتضاعف جناياتهم
والجبل بكسر الجيم والباء وتشديد اللام الخلق وقرئ بضمتين وتخفيف اللام وبضمة وسكون وبكسرتين وتخفيف اللام وبكسرة وسكون والكل لغات
وقرئ جبلا جمع جبلة كفطر وخلق في جمع فطرة وخلقة وقرئ جيلا بالياء وهو الصنف من الناس اي وبالله لقد اضل منكم خلقا كثيرا وصنفا
كثيرا عن ذلك الصراط المستقيم الذي امرتكم بالثبات عليه فاصابهم لاجل ذلك ما اصابهم من العقوبات الهائلة التي ملأ الآفاق اخبارها وبقي
مدى الدهر آثارها والفاء في قوله تعالى **افلم تكونوا تعقلون** للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اكنتم تشاهدون آثار عقوباتهم فلم تكونوا
تعقلون انها لضلالهم او فلم تكونوا تعقلون شيئا اصلا حتى ترتدعوا عما كانوا عليه كيلا يحيق بكم العقاب وقوله تعالى **هذه جهنم التي كنتم
توعدون** استيناف يخاطبون به بعد تمام التوبيخ والتقريع والالزام والتبكيت عند اشرافهم على شفير جهنم اي كنتم توعدونها على ألسنة الرسل
عليهم السلام بمقابلة عبادة الشيطان مثل قوله تعالى لاملأن جهنم وممن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم
جزاؤكم جزاء موفورا وقوله تعالى قال اخرج منها مذؤوما مدحورا لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين وغير ذلك مما لا يحصى وقوله تعالى
اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون امر تنكيل واهانة كقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم اي ادخلوها من فوق وقاسوا فنون عذابها اليوم بكفركم المستمر في
الدنيا وقوله تعالى **اليوم نختم على افواههم** اي نمنعها عن الكلام التفات الى الغيبة للايذان بان ذكر احوالهم القبيحة استدعى ان يعرض عنهم
ويحكي احوالهم الفظيعة لغيرهم مع ما فيه من الايماء الى ان ذلك من مقتضيات الختم لان الخطاب لتلقي الجواب وقد انقطع بالكلية وقرئ
يختم **وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون** يروى انهم يجحدون ويخاصمون فيشهد عليهم جيرانهم واهاليهم وعشائرهم فيحلفون
ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيمة اني لا اجيز علي شاهدا الا من نفسي فيختم
على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلي بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وقيل تكليم الاركان
وشهادتها دلالتها على افعالها وظهور آثار المعاصي عليها وقرئ وتتكلم ايديهم وقرئ ولتكلمنا ايديهم وتشهد بلام كي والنصب على معنى ولذلك
نختم على افواههم وقرئ ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام الامر والجزم **ولو نشاء لطمسنا على اعينهم** الطمس تعمية شق العين حتى تعود ممسوحة ومفعول
المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة التي هي وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء اي لو نشاء ان نطمس على اعينهم لفعلناه وايثار
صيغة الاستقبال وان كان المعنى على المضي لافادة ان عدم الطمس على اعينهم لاستمرار عدم المشيئة فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي
ليس بنص في افادة انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه بحسب المقام كما مر في قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم
بالخير **فاستبقوا الصراط** اي فارادوا ان يستبقوا الى الطريق الذي اعتادوا سلوكه على ان انتصابه بنزع الجار او هو بتضمين الاستباق

جهنم بقوله تعالى اصلوها اليوم الآية
والعهد الوصية والتقدم بأمر فيه خير ومنفعة
والمراد ههنا ما كلفهم الله تعالى على ألسنة

معنى الابتداء او بالظرفية فاني يبصرون الطريق وجهة السلوك ولو نشاء لمسخناهم بتغيير صورهم وابطال قواهم على مكانتهم اي مكانهم الا ان المكان اخص
كالمقامة والمقام وقرئ على مكاناتهم اي لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون ان يبرحوه باقبال ولا ادبار ولا رجوع وذلك قوله
تعالى فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون اي ولا رجوعا فوضع موضعه الفعل لمراعاة الفاصلة قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قردة وخنازير وقيل حجارة
وعن قتادة لاقعدناهم على ارجلهم وازمناهم وقرئ مضيا بكسر الميم وفتحها وليس مساق الشرطيتين لمجرد بيان قدرته تعالى على ما ذكر
من عقوبة الطمس والمسخ بل لبيان انهم بما هم عليه من الكفر ونقض العهد وعدم الاتعاظ بما شاهدوا من آثار دمار امثالهم احقاء بان
يفعل بهم في الدنيا تلك العقوبة كما فعل بهم في الآخرة عقوبة الختم وان المانع من ذلك ليس الا عدم تعلق المشيئة الالهية به كأنه قيل
لو نشاء عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسخ جريا على موجب جناياتهم المستدعية لها ولكنا لم نشأ ذلك جريا على سنن الرحمة والحكمة الداعيتين
الى امهالهم ومن نعمره اي نطل عمره ننكسه في الخلق اي نقلبه فيه ونخلقه على عكس ما خلقناه اولا فلا يزال يتزايد ضعفه ويتناقص قوته وينتقص
بنيته ويتغير شكله وصورته حتى يعود الى حالة شبيهة بحال الصبي في ضعف الجسد وقلة العقل والخلو عن الفهم والادراك وقرئ ننكسه
من الثلاثي وننكسه من الانكاس افلا يعقلون اي ايرون ذلك فلا يعقلون ان من قدر على ذلك يقدر على ما ذكر من الطمس والمسخ وان عدم ايقاعهما
لعدم تعلق مشيئته تعالى بهما وقرئ تعقلون بالتاء لجري الخطاب قبله وما علمناه الشعر رد وابطال لما كانوا يقولون في حقه عليه السلام من انه شاعر وما يقوله
شعر اي ما علمناه الشعر بتعليم القرآن على معنى ان القرآن ليس بشعر فان الشعر كلام متكلف موضوع ومقال مزخرف مصنوع منسوج على منوال
الوزن والقافية مبني على خيالات واوهام واهية فاين ذلك من التنزيل الجليل الخطر المنزه عن مماثلة كلام البشر المشحون بفنون الحكم والاحكام
الباهرة الموصلة الى سعادة الدنيا والآخرة ومن اين اشتبه عليهم الشئون واختلط بهم الظنون قاتلهم الله انى يؤفكون وما ينبغي له
وما يصح له الشعر ولا يتأتى له لو طلبه اي جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر لم يتأت له كما جعلناه اميا لا يهتدي للخط لتكون
الحجة اثبت والشبهة ادحض واما قوله عليه السلام انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله عليه السلام هل انت الا اصبع دميت
وفي سبيل الله ما لقيت فمن قبيل الاتفاقات الواردة من غير قصد اليها وعزم على ترتيبها وقيل الضمير في له للقرآن اي وما ينبغي للقرآن
ان يكون شعرا ان هو اي ما القرآن الا ذكر اي عظة من الله عز وجل وارشاد للثقلين كما قال تعالى ان هو الا ذكر للعالمين وقرآن
مبين اي كتاب سماوي بين كونه كذلك او فارق بين الحق والباطل يقرأ في المحاريب ويتلى في المعابد وينال بتلاوته والعمل بما فيه
فوز الدارين فكم بينه وبين ما قالوا لينذر اي القرآن او الرسول عليه السلام ويؤيده القراءة بالتاء لينذر من تذرب اي علم ولينذر
مبنيا للمفعول من الانذار من كان حيا اي عاقلا متأملا فان الغافل بمنزلة الميت ومؤمنا في علم الله تعالى فان الحياة الابدية بالايمان
والايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به ويحق القول اي يجب كلمة العذاب على الكافرين المصرين على الكفر وفي ايرادهم بمقابلة من كان حيا
اشعار بانهم لخلوهم عن آثار الحياة واحكامها التي هي المعرفة اموات في الحقيقة اولم يروا الهمزة للانكار والتعجيب والواو للعطف
على جملة منفية مقدرة مستتبعة للمعطوف اي ألم يتفكروا اولم يلاحظوا ولم يعلموا علما يقينيا متاخما للمعاينة انا خلقنا لهم اي لاجلهم
وانتفاعهم مما عملت ايدينا اي مما توليناه احداثه بالذات وذكر الايدي واسناد العمل اليها تقييد مبالغة في الاختصاص والتفرد بالاحداث
والاعتناء به انعاما مفعول خلقنا وتأخيره عن الجار والمجرور المتعلقين به مع ان حقه التقدم عليهما لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم
والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن لا سيما عند كون المقدم
منبئا عن كون المؤخر امرا نافعا خطيرا كما في النظم الكريم فان الجار الاول المعرب عن كون المؤخر من منافعهم والثاني المفصح عن كونه
من الامور الخطيرة يزيدان النفس شوقا اليه ورغبة فيه ولان في تأخيره جمعا بينه وبين احكامه المتفرعة عليه بقوله تعالى
فهم لها مالكون الآيات الثلاث اي فملكناها اياهم وايثار الجملة الاسمية على ذلك للدلالة على استقرار مالكيتهم لها واستمرارها واللام
متعلقة بمالكون مقوية لعمله اي فهم مالكون لها بتمليكنا اياها لهم متصرفون فيها بالاستقلال مختصون بالانتفاع بها لا يزاحمهم
في ذلك غيرهم او قادرون على ضبطها متمكنون من التصرف فيها باقدارنا وتمكيننا وتسخيرنا اياها لهم كما في قول من قال اصبحت
لا احمل السلاح ولا املك رأس البعير ان نفرا والاول هو الاظهر ليكون قوله تعالى وذللناها لهم تأسيسا لنعمة على حيالها لا تتمة

لما قبلها اي صيرناها منقادة لهم بحيث لا تستعصي عليهم في شيء مما يريدون بها حتى الذبح حسبما نطق به قوله تعالى فمنها ركوبهم الى آخره فان
الفاء فيه لتفريع احكام التذليل عليه وتفصيلها اي فبعض منها ركوبهم اي مركوبهم اي معظم منافعها الركوب وعدم التعرض للحمل لكونه من تتمات الركوب
وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة اسم جمع وقرئ ركوبهم اي ذو ركوبهم ومنها يأكلون اي وبعض منها يأكلون لحمه ولهم فيها
اي في الانعام بكلا قسميها منافع اخر غير الركوب والاكل كالجلود والاصواف والاوبار وغيرها وكالحراثة بالثيران ومشارب من اللبن جمع
مشرب وهذا اجمال ما فصل في سورة النحل افلا يشكرون اي ايشاهدون هذه النعم او ايتنعمون بها فلا يشكرون المنعم بها واتخذوا من دون الله
متجاوزين الله الذي شاهدوا قدرته الباهرة وتفضله عليهم بتلك النعم المتظاهرة آلهة من الاصنام واشركوها به
تعالى في العبادة لعلهم ينصرون رجاء ان ينصروا من جهتهم فيما حزبهم من الامور او يشفعوا لهم في الآخرة وقوله تعالى لا يستطيعون نصرهم الى آخره
استئناف سيق لبيان بطلان رأيهم وخيبة رجائهم وانعكاس تدبيرهم اي لا تقدر آلهتهم على نصرهم وهم اي المشركون لهم اي لآلهتهم جند محضرون
يشيعونهم عند سوقهم الى النار وقيل معدون في الدنيا لحفظهم وخدمتهم والذب عنهم ولا يساعده سياق النظم الكريم فان الفاء في قوله
تعالى فلا يحزنك قولهم لترتيب النهي على ما قبله فلا بد ان يكون عبارة عن خسرانهم وحرمانهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة وانعكاس الامر عليهم
بترتب الشر على ما رتبوه لرجاء الخير فان ذلك مما يهون الخطب ويورث السلوة واما كونهم معدين لخدمتهم وحفظهم فبمعزل من ذلك
والنهي وان كان بحسب الظاهر متوجها الى قولهم لكنه في الحقيقة متوجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهي له عليه السلام عن التأثر منه
بطريق الكناية على ابلغ وجه وآكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية وقد يوجه
النهي الى المسبب ويراد النهي عن السبب كما في قوله لا أرينك ههنا يريد به نهي مخاطبه عن الحضور لديه والمراد بقولهم ما ينبئ عنه ما ذكر
من اتخاذهم الاصنام آلهة فان ذلك مما لا يخلو عن التفوه بقولهم هؤلاء آلهتنا وانهم شركاء الله سبحانه في المعبودية وغير ذلك
مما يورث الحزن وقرئ يحزنك بضم الياء وكسر الزاء من احزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى انا نعلم ما يسرون وما يعلنون تعليل صريح
للنهي بطريق الاستئناف بعد تعليله بطريق الاشعار فان العلم بما ذكر مستلزم للمجازاة قطعا اي انا نجازيهم بجميع جناياتهم الخافية والبادية
التي لا يعزب عن علمنا شيء منها وفيه فضل تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقديم السر على العلن اما للمبالغة في بيان شمول علمه
تعالى لمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة
والكامنة واما لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه مضمر في القلب قبل ذلك فتعلق
علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية حقيقة اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان انكارهم البعث
بعدما شاهدوا في انفسهم اوضح دلائله واعدل شواهده كما ان ما سبق مسوق لبيان بطلان اشراكهم بالله تعالى بعدما عاينوا فيما بايديهم
ما يوجب التوحيد والاسلام واما ما قيل من انه تسلية ثانية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر فكلا والهمزة
للانكار والتعجيب والواو للعطف على جملة مقدرة هي مستتبعة للمعطوف كما مر في الجملة الانكارية السابقة اي الم يتفكر الانسان ولم يعلم
علما يقينيا انا خلقناه من نطفة الى آخره او هي عين الجملة السابقة اعيدت تأكيدا للنكير السابق وتمهيدا لانكار ما هو احق منه بالانكار
والتعجيب لما ان المنكر هناك عدم علمهم بما يتعلق بخلق اسباب معايشهم وههنا عدم علمهم بما يتعلق بخلق انفسهم ولا ريب في ان علم الانسان
باحوال نفسه اهم واحاطته بها اسهل واكمل فالانكار والتعجيب من الاخلال بذلك ادخل كأنه قيل الم يعلموا خلقه تعالى لاسباب معايشهم ولم
يعلموا خلقه تعالى لانفسهم ايضا مع كون العلم بذلك في غاية الظهور ونهاية الاهمية على معنى ان المنكر الاول بعيد قبيح والثاني ابعد واقبح
ويجوز ان يكون الواو لعطف الجملة الانكارية الثانية على الاولى على انها متقدمة في الاعتبار وان تقدم الهمزة عليها لاقتضائها الصدارة
في الكلام كما هو رأي الجمهور وايراد الانسان مورد الضمير لان مدار الانكار متعلق باحواله من حيث هو انسان كما في قوله تعالى اولا يذكر الانسان
انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا وقوله تعالى فاذا هو خصيم مبين اي شديد الخصومة والجدال بالباطل عطف على الجملة المنفية داخل في
حيز الانكار والتعجيب كأنه قيل اولم ير انا خلقناه من اخس الاشياء وامهنها ففاجأ خصومتنا في امر يشهد بصحته وتحقيقه مبدأ
فطرته شهادة بينة وايراد الجملة الاسمية للدلالة على استقراره في الخصومة واستمراره عليها روي ان جماعة من كفار قريش منهم

أبي بن خلف الجمحي وأبو جهل والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم أبي بن خلف ألا ترون إلى ما يقول محمد إن الله يبعث
الأموات ثم قال واللات والعزى لأصيرن إليه ولأخصمنه وأخذ عظما باليا فجعل يفتته بيده ويقول يا محمد أترى الله يحيي هذا بعد ما رم
قال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم فنزلت وقيل معنى قوله تعالى فإذا هو خصيم مبين فإذا هو بعد ما كان ماء مهينا رجل
مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح فهو حينئذ معطوف على خلقناه غير داخل تحت الإنكار والتعجيب بل هو من
متممات شواهد صحة البعث فقوله تعالى **وضرب لنا مثلا** معطوف حينئذ على الجملة المنفية داخل في حيز الإنكار وأما على التقدير الأول
فهو عطف على الجملة الفجائية والمعنى ففاجأ خصومتنا وضرب لنا مثلا أي أورد في شأننا قصة عجيبة في نفس الأمر هي في الغرابة والبعد
عن العقول كالمثل وهي إنكار إحيائنا العظام أو قصة عجيبة في زعمه واستبعدها وعدها من قبيل المثل وأنكرها أشد الإنكار وهي إحياؤنا
إياها أو جعل لنا مثلا ونظيرا من الخلق وقاس قدرتنا على قدرتهم ونفى الكل على العموم وقوله تعالى **ونسي خلقه** أي خلقنا إياه على
الوجه المذكور الدال على بطلان ما ضربه إما عطف على ضرب داخل في حيز الإنكار والتعجيب أو حال من فاعله بإضمار قد أو بدونه وقوله تعالى
قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية ضربه المثل كأنه قيل أي مثل ضرب أو ماذا قال فقيل قال **من يحيي العظام** منكرا له
أشد النكير مؤكدا له بقوله **وهي رميم** أي بالية أشد البلى بعيدة من الحياة غاية البعد فالمثل على الأول هو إنكار إحيائه تعالى للعظام
فإنه أمر عجيب في نفس الأمر حقيق لغرابته وبعده من العقول بأن يعد مثلا ضرورة جزم العقول ببطلان الإنكار ووقوع المنكر لكونه
كالإنشاء بل أهون منه في قياس العقل وعلى الثاني هو إحياؤه تعالى لها فإنه أمر عجيب في زعمه قد استبعده وعده من قبيل المثل وأنكره أشد
الإنكار مع أنه في نفس الأمر أقرب شيء من الوقوع لما سبق من كونه مثل الإنشاء أو أهون منه وأما على الثالث فلا فرق بين أن يكون المثل هو
الإنكار أو المنكر وعدم تأنيث الرميم مع وقوعه خبرا للمؤنث لأنه اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرفات وقد تمسك بظاهر الآية
الكريمة من أثبت للعظم حياة وبنى عليه الحكم بنجاسة عظم الميتة وأما أصحابنا فلا يقولون بحياته كالشعر ويقولون المراد بإحياء العظام
ردها إلى ما كانت عليه من الغضاضة والرطوبة في بدن حي حساس **قل** تبكيتا له بتذكير ما نسيه من فطرته الدالة على حقيقة الحال وإرشادا إلى
طريقة الاستشهاد بها **يحييها الذي أنشأها أول مرة** فإن قدرته كما هي لاستحالة التغير فيها والمادة على حالها **وهو بكل خلق عليم** مبالغ في العلم
بتفاصيل كيفيات الخلق والإيجاد إنشاء وإعادة محيط بجميع الأجزاء المتفتتة المتبددة لكل شخص من الأشخاص أصولها وفروعها وأوضاع
بعضها من بعض من الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق فيعيد كلا من ذلك على النمط السابق مع القوى التي كانت قبل والجملة
إما اعتراض تذييلي مقرر لمضمون الجواب أو معطوفة على الصلة والعدول إلى الجملة الاسمية للتنبيه على أن علمه تعالى بما ذكر أمر مستمر ليس
كالإنشاء وقوله تعالى **الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا** بدل من الموصول الأول وعدم الاكتفاء بعطف صلته على صلته للتأكيد ولتفاوتهما
في كيفية الدلالة أي خلق لأجلكم ومنفعتكم منه نارا على أن الجعل إبداعي والجاران متعلقان به قدما على مفعوله الصريح مع تأخرهما عنه
رتبة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر ووصف الشجر بالأخضر نظرا إلى اللفظ وقد قرئ الخضراء نظرا إلى المعنى وهو المرخ
والعفار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهو أنثى فينقدح النار
بإذن الله تعالى وذلك قوله تعالى **فإذا أنتم منه توقدون** فمن قدر على إحداث النار من الشجر الأخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان
أقدر على إعادة الغضاضة إلى ما كان غضا فطرأ عليه اليبوسة والبلى وقوله تعالى **أوليس الذي خلق السموات والأرض** إلى آخره استئناف مسوق
من جهته عز وجل لتحقيق مضمون الجواب الذي أمر عليه السلام بأن يخاطبهم بذلك ويلزمهم الحجة والهمزة للإنكار والنفي والواو للعطف
على مقدر يقتضيه المقام أي أليس الذي أنشأها أول مرة وليس الذي جعل لهم من الشجر الأخضر نارا وليس الذي خلق السموات والأرض
مع كبر جرمهما وعظم شأنهما **بقادر على أن يخلق مثلهم** في الصغر والقماءة بالنسبة إليهما فإن بديهة العقل قاضية بأن من قدر على خلقهما
فهو على خلق الأناسي أقدر كما قال تعالى لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله تعالى **بلى** جواب من جهته تعالى
وتصريح بما أفاده الاستفهام الإنكاري من تقرير ما بعد النفي وإيذان بتعين الجواب نطقوا به أو تلعثموا فيه مخافة الإلزام وقوله تعالى
وهو الخلاق العليم عطف على ما يفيده الإيجاب أي بلى هو قادر على ذلك وهو المبالغ في الخلق والعلم كيفا وكما **إنما أمره** أي شأنه إذا أراد

من الأشياء **أن يقول له كن** أي أن يعلق به قدرته **فيكون** فيحدث من غير توقف على شيء آخر أصلا وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى
فيما أراده بأمر الآمر المطاع للمأمور المطيع في سرعة حصول المأمور به من غير توقف على شيء ما وقرئ فيكون بالنصب عطفا على يقول
فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء تنزيه له عز وعلا عما وصفوه تعالى به وتعجيب مما قالوا في شأنه تعالى وقد مر تحقيق معنى سبحان والفاء للإشارة
إلى أن ما فصل من شؤونه تعالى موجبة لتنزهه وتنزيهه أكمل إيجاب كما أن وصفه تعالى بالمالكية الكلية المطلقة للإشعار بأنها مقتضية لذلك
أتم اقتضاء والملكوت مبالغة في الملك كالرحموت والرهبوت وقرئ ملكة كل شيء ومملكة كل شيء وملك **وإليه ترجعون** لا إلى غيره
وقرئ ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم من الرجوع وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كنت لا أعلم ما روي في فضائل
يس وقراءتها كيف خصتنا بذلك فإذا إنه لهذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لكل شيء قلبا وإن قلب القرآن يس
من قرأها يريد بها وجه الله تعالى غفر الله تعالى له وأعطي من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وأيما مسلم قرئ عنده
إذا نزل به ملك الموت سورة ياسين نزل بكل حرف فيها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له
ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وأيما مسلم قرأ ياسين وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت
روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث
في قبره وهو ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال صلى الله عليه وسلم إن في القرآن سورة
يشفع قارئها ويغفر لمستمعها ألا وهي سورة يس

سورة صافات

بسم الله الرحمن الرحيم **والصافات صفا** أقسم الله عز وجل بطوائف الملائكة الفاعلات للصفوف على أن المراد إيقاع نفس الفعل
من غير قصد إلى المفعول أو الصافات أنفسها أي الناظمات لها في سلك الصفوف بقيامها في مقاماتها المعلومة حسبما ينطق به قوله تعالى
وما منا إلا له مقام معلوم وعلى هذين المعنيين مدار قوله تعالى وإنا لنحن الصافون وقيل الصافات أقدامها في الصلاة وقيل أجنحتها
في الهواء **فالزاجرات زجرا** أي الفاعلات للزجر أو الزاجرات لما نيط بها زجره من الأجرام العلوية والسفلية وغيرها على وجه يليق
بالمزجور ومن جملة ذلك زجر العباد عن المعاصي وزجر الشياطين عن الوسوسة والإغواء وعن استراق السمع كما سيأتي وصفا وزجرا
مصدران مؤكدان لما قبلهما أي صفا بديعا وزجرا بليغا وأما ذكرا في قوله تعالى **فالتاليات ذكرا** فمفعول للتاليات أي التاليات ذكرا عظيم الشأن
من الله تعالى وكتبه المنزلة على الأنبياء عليهم السلام وغيرها من التسبيح والتقديس والتحميد والتمجيد وقيل هو أيضا مصدر مؤكد لما قبله
فإن التلاوة من باب الذكر ثم إن هذه الصفات إن أجريت على الكل فعطفها بالفاء للدلالة على ترتبها في الفضل إما بكون الفضل للصف
ثم للزجر ثم للتلاوة أو على العكس وإن أجريت كل واحدة منهن على طوائف معينة فهو للدلالة على ترتب الموصوفات في مراتب الفضل
بمعنى أن طوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات أفضل والتاليات أبهر فضلا أو على العكس وقيل المراد بالمذكورات نفوس العلماء العمال
الصافات أنفسها في صفوف الجماعات وأقدامها في الصلوات الزاجرات بالمواعظ والنصائح التاليات آيات الله تعالى الدارسات
شرائعه وأحكامه وقيل طوائف الغزاة الصافات أنفسهم في مواطن الحرب كأنهم بنيان مرصوص وطوائف قوادهم الصافات لهم
فيها الزاجرات الخيل للجهاد سوقا والعدو في المعارك طردا التاليات آيات الله تعالى وذكره وتسبيحه في تضاعيف ذلك والكلام في العطف
والدلالة على ترتب الصفات في الفضل وترتب موصوفاتها فيه كالذي سلف وأما الدلالة على الترتب في الوجود كما في قوله يا لهف زيابة
للحارث الصابح فالغانم فالآيب فغير ظاهرة في شيء من الطوائف المذكورة فإنه لو سلم تقدم الصف على الزجر في الملائكة والغزاة
فتأخر التلاوة عن الزجر غير ظاهر وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل من زجر عن المعاصي
والتاليات كل من يتلو كتاب الله وقيل الزاجرات القوارع القرآنية وقرئ بإدغام التاء في الصاد والزاي والذال **إن إلهكم لواحد** جواب
للقسم والجملة تحقيق للحق الذي هو التوحيد بما هو المألوف في كلامهم من التأكيد القسمي وتمهيد لما يعقبه من البرهان الناطق به أعني قوله
تعالى **رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق** فإن وجودها وانتظامها على هذا النمط البديع من أوضح دلائل وجود الصانع وعلمه
وقدرته وأعدل شواهد وحدته كما مر في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ورب خبر ثان لأن أو خبر لمبتدأ محذوف

اوما لك السموات والارض وما بينهما من الموجودات ومربيها ومبلغها الى كمالاتها والمراد بالمشارق مشارق الشمس واعادة الرب فيها لغاية ظهور آثار الربوبية فيها وتجددها كل يوم فانها ثلثمائة وستون مشرقا تشرق كل يوم من مشرق منها وبحسبها تختلف المغارب وتغرب كل يوم في مغرب منها واما قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين فهما مشرقا الصيف والشتاء ومغرباهما **انا زينا السماء الدنيا** اي القربى منكم **بزينة** عجيبة بديعة **الكواكب** بالجر بدل من زينة على ان المراد بها الاسم اي ما يزان به لا المصدر فان الكواكب بانفسها واوضاع بعضها من بعض زينة واي زينة وقرئ بالاضافة على انها بيانية لما ان الزينة مبهمة صادقة على كل ما يزان به فيقع الكواكب بيانا لها ويجوز ان يراد بزينة الكواكب ما زينت هي به وهو ضوؤها وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما بزينة الكواكب بضوء الكواكب هذا واما على تقدير كون الزينة مصدرا فالمعنى على تقدير اضافتها الى الفاعل بان زانت الكواكب اياها واصله بتزيينة الكواكب وعلى تقدير اضافتها الى المفعول بان زان الله الكواكب وحسنها واصله بتزيينه الكواكب والمراد هو التزيين في رأي العين فان جميع الكواكب من الثوابت والسيارات تبدو للناظرين كانها جواهر متلألئة في سطح سماء الدنيا بصور بديعة واشكال رائعة ولا يقدح في ذلك ارتكاز الثوابت في الفلك الثامن وما عدا القمر في الستة المتوسطة ان ثبت ذلك **وحفظا** منصوب اما بعطفه على زينة باعتبار المعنى كانه قيل انا خلقنا الكواكب زينة للسماء **من كل شيطان مارد** اي خارج عن الطاعة برمي الشهب واما باضمار فعله واما بتقدير فعل مؤخر معلل به كانه قيل وحفظا من كل شيطان مارد زيناها بالكواكب كقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقوله تعالى **لا يسمعون الى الملأ الاعلى** كلام مبتدأ مسوق لبيان حالهم بعد بيان حفظ السماء عنهم مع التنبيه على كيفية الحفظ وما يعتريهم في اثناء ذلك من العذاب ولا سبيل الى جعله صفة لكل شيطان ولا جوابا عن سؤال مقدر لعدم استقامة المعنى ولا علة للحفظ على ان يكون الاصل لئلا يسمعوا فتحذف اللام كما حذفت من قولك جئتك ان تكرمني فبقي ان لا يسمعوا ثم تحذف ان ويهدر عملها كما في قول من قال الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي لما ان كل واحد من ذينك الحذفين غير منكر بانفراده فاما اجتماعهما فمن المنكرات التي يجب تنزيه ساحة التنزيل الجليل عن امثالها واصل يسمعون يتسمعون والملأ الاعلى الملائكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الكتبة وعنه اشراف الملائكة عليهم السلام اي لا يتطلبون السماع والاصغاء اليهم وقرئ يسمعون بالتخفيف **ويقذفون** يرمون **من كل جانب** من جميع جوانب السماء اذا قصدوا الصعود اليها **دحورا** علة للقذف اي للدحور وهو الطرد او حال بمعنى مدحورين او مصدر مؤكد له لانهما من واد واحد وقرئ دحورا بفتح الدال اي قذفا دحورا مبالغا في الطرد وقد جوز ان يكون مصدرا كالقبول والولوع **ولهم عذاب واصب** اي ولهم في الآخرة غير ما في الدنيا من عذاب الرجم بالشهب عذاب شديد دائم غير منقطع كقوله تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير **الا من خطف الخطفة** استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة كما يعرب عنه تعريف الخطفة وقرئ بكسر الخاء والطاء المشددة وبفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها واصلهما اختطف **فاتبعه شهاب** اي تبعه ولحقه وقرئ فاتبعه والشهاب ما يرى منقضا من السماء **ثاقب** مضيء في الغاية كانه يثقب الجو بضوئه يرجم به الشياطين اذا صعدوا لاستراق السمع فيقتلهم او يحرقهم او يخبلهم قالوا وانما يعودون مع علمهم منهم حيا طمعا في السلامة ونيل المراد كراكب السفينة **فاستفتهم** فاستخبر مشركي مكة **اهم اشد خلقا** اي اقوى خلقة وامتن بنية او اصعب خلقا واشق ايجادا **ام من خلقنا** من الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء على غيرهم ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك لا سيما قراءة من قرأ ام من عددنا وقوله تعالى **انا خلقناهم من طين لازب** فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم من الامم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وقرئ لازم ولاتب **بل عجبت** اي من قدرة الله تعالى على هذه الخلائق العظيمة وانكارهم للبعث **ويسخرون** من تعجبك وتقريرك للبعث وقرئ بضم التاء على معنى انه بلغ كمال قدرتي وكثرة مخلوقاتي الى حيث عجبت منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها او عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه افاعيله ويسخروا ممن يجوزه والعجب من الله تعالى اما على الفرض والتخييل او على الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري الانسان عند استعظام الشيء وقيل انه مقدر بالقول اي قل يا محمد بل عجبت **واذا ذكروا** اي ودأبهم المستمر انهم

انهم اذا وعظوا بشيء **لا يذكرون** لا يتعظون واذا ذكر لهم ما يدل على صحة البعث لا ينتفعون به لغاية بلادتهم وقصور فكرهم **واذا رأوا آية** اي معجزة تدل على صدق القائل به **يستسخرون** يبالغون في السخرية ويقولون انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها **وقالوا ان هذا** اي ما يرونه من الآيات الباهرة **الا سحر مبين** ظاهر سحريته **أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما** اي كان بعض اجزائنا ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لانه منقلب من الاجزاء البادية والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون في قوله تعالى **أئنا لمبعوثون** اي نبعث لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها لو تفرد واحد منها لكفى في المنع وتقديم الظرف لتقوية الانكار بالبعث بتوجيهه الى حالة منافية له غاية المنافاة وكذا تكرير الهمزة في أئنا للمبالغة والتشديد في ذلك وكذا تحلية الجملة بان واللام لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد كما يوهمه ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى افلا تعقلون على رأي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ بطرح الهمزة الاولى وبطرح الثانية فقط **او آباؤنا الاولون** رفع على الابتداء وخبره محذوف عند سيبويه اي وآباؤنا الاولون ايضا مبعوثون وقيل عطف على محل ان واسمها وقيل على الضمير في مبعوثون للفصل بهمزة الانكار الجارية مجرى حرف النفي في قوله تعالى ما اشركنا ولا آباؤنا وايا ما كان فمرادهم زيادة الاستبعاد بناء على انهم اقدم فبعثهم ابعد على زعمهم وقرئ وآباؤنا **قل** تبكيتا لهم **نعم** والخطاب في قوله تعالى **وانتم داخرون** لهم ولآبائهم بطريق التغليب والجملة حال من فاعل ما دل عليه نعم اي كلكم مبعوثون والحال انكم صاغرون اذلاء وقرئ نعم بكسر العين وهي لغة فيه **فانما هي زجرة واحدة** هي اما ضمير مبهم يفسره خبره او ضمير البعثة والجملة جواب شرط مضمر او تعليل لنهي مقدر اي اذا كان كذلك فانما هي الى آخره او لا تستصعبوه فانما هي الى آخره والزجرة الصيحة من زجر الراعي غنمه اذا صاح عليها وهي النفخة الثانية **فاذا هم** قائمون من مراقدهم احياء **ينظرون** يبصرون كما كانوا او ينتظرون ما يفعل بهم **وقالوا** اي المبعوثون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق والتقرر **يا ويلنا** اي يا هلاكنا احضر فهذا اوان حضورك وقوله تعالى **هذا يوم الدين** تعليل لدعائهم الويل بطريق الاستئناف اي اليوم الذي نجازى فيه باعمالنا وانما علموا ذلك لانهم كانوا يسمعون في الدنيا انهم يبعثون ويحاسبون ويجزون باعمالهم فلما شاهدوا البعث ايقنوا بما بعده ايضا وقوله تعالى **هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون** كلام الملائكة جوابا لهم بطريق التوبيخ والتقريع وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء او الفرق بين فرق الهدى والضلال وقوله تعالى **احشروا الذين ظلموا** خطاب من الله عز وجل للملائكة او من بعضهم لبعض بحشرهم الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل من الموقف الى الجحيم **وازواجهم** اي اشباههم ونظراءهم من العصاة عابد الصنم مع عبدته وعابد الكوكب مع عبدته كقوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة وقيل قرناءهم من الشياطين وقيل نساءهم اللاتي على دينهم **وما كانوا يعبدون من دون الله** من الاصنام ونحوها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم قيل هو عام مخصوص بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية الكريمة وانت خبير بان الموصول عبارة عن المشركين خاصة جيء به لتعليل الحكم بما في حيز صلته فلا عموم ولا تخصيص **فاهدوهم الى صراط الجحيم** اي عرفوهم طريقها ووجهوهم اليها وفيه تهكم بهم **وقفوهم** احبسوهم في الموقف كان الملائكة سارعوا الى ما امروا به من حشرهم الى الجحيم فامروا بذلك وعلل بقوله تعالى **انهم مسئولون** ايذانا من اول الامر بان ذلك ليس للعفو عنهم ولا ليستريحوا بتأخير العذاب في الجملة بل ليسألوا لكن لا عن عقائدهم واعمالهم كما قيل فان ذلك قد وقع قبل الامر بهم الى الجحيم بل عما ينطق به قوله عز وجل **ما لكم لا تناصرون** بطريق التوبيخ والتقريع والتهكم اي لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم تزعمون في الدنيا وتأخير هذا السؤال الى ذلك الوقت لانه وقت تنجز العذاب وشدة الحاجة الى النصرة وحالة انقطاع الرجاء عنها بالكلية فالتوبيخ والتقريع حينئذ اشد وقعا وتأثيرا وقرئ لا تتناصرون ولا تناصرون بالادغام **بل هم اليوم مستسلمون** منقادون خاضعون لظهور عجزهم وانسداد باب الحيل عليهم او اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر **واقبل بعضهم على بعض** هم الاتباع والرؤساء او الكفرة والقرناء **يتساءلون** يسأل بعضهم بعضا سؤال توبيخ بطريق الخصومة والجدال **قالوا** استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية تساؤلهم كانه قيل كيف تساءلوا فقيل قالوا اي الاتباع للرؤساء او الكل للقرناء **انكم كنتم تأتوننا** في الدنيا **عن اليمين** عن اقوى الوجوه وامتنها او عن الدين او عن الخير كانكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم فهلكنا مستعار من يمين الانسان الذي هو اشرف الجانبين واقواهما وانفعهما ولذلك يسمى يمينا ويتيمن بالسانح او عن القوة والقسر فتقسروننا على الغي وهو الاوفق للجواب او عن الحلف حيث كانوا يحلفون انهم على الحق **قالوا** استئناف كما سبق اي قال الرؤساء او القرناء **بل لم تكونوا مؤمنين** اي لم نمنعكم من الايمان بل لم تؤمنوا باختياركم

واعرضتم عنه مع تمكنكم منه وآثرتم الكفر عليه **وما كان لنا عليكم من سلطان** من قهر وتسلط نسلبكم به اختياركم **بل كنتم قوما طاغين** مختارين للطغيان
مصرين عليه **فحق علينا** اي لزمنا وثبت علينا **قول ربنا** وهو قوله تعالى فالحق والحق اقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين **انا
لذائقون** اي العذاب الذي ورد به الوعيد **فأغويناكم** فدعوناكم الى الغي دعوة غير ملجئة فاستجبتم لنا باختياركم واستحبابكم الغي على الرشد **انا
كنا غاوين** فلا عتب علينا في تعرضنا لاغوائكم بتلك المرتبة من الدعوة لتكونوا امثالنا في الغواية **فانهم** اي الاتباع والمتبوعين **يومئذ في
العذاب مشتركون** حسبما كانوا مشتركين في الغواية **انا كذلك** اي مثل ذلك الفعل البديع الذي تقتضيه الحكمة التشريعية **نفعل بالمجرمين** المتناهين
في الاجرام وهم المشركون كما يعرب عنه التعليل بقوله تعالى **انهم كانوا اذا قيل لهم** بطريق الدعوة والتلقين **لا اله الا الله يستكبرون** عن القبول **ويقولون
أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون** **بل جاء بالحق وصدق المرسلين** رد عليهم وتكذيب لهم ببيان ان ما جاء به من التوحيد هو الحق الذي
قام به البرهان واجمع عليه كافة الرسل عليهم السلام فأين الشعر والجنون من ساحته الرفيعة **انكم** بما فعلتم من الاشراك وتكذيب الرسول عليه السلام
والاستكبار **لذائقوا العذاب الاليم** والالتفات لاظهار كمال الغضب عليهم وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وقرئ
لذائقون العذاب على الاصل **وما تجزون الا ما كنتم تعملون** اي الا جزاء ما كنتم تعملونه من السيئات او الا بما كنتم تعملونه منها **الا عباد الله المخلصين** استثناء
منقطع من ضمير ذائقوا وما بينهما اعتراض جيء به مسارعة الى تحقيق الحق ببيان ان ذوقهم العذاب ليس الا من جهتهم لا من جهة غيرهم اصلا
وجعله استثناء من ضمير تجزون على معنى ان الكفرة لا يجزون الا بقدر اعمالهم دون عباد الله المخلصين فانهم يجزون اضعافا مضاعفة مما لا وجه له
اصلا لا سيما جعله استثناء متصلا بتعميم الخطاب في تجزون لجميع المكلفين فانه في حيز الاحتمال فالمعنى انكم لذائقوا العذاب الاليم لكن
عباد الله المخلصين الموحدين ليسوا كذلك وقوله تعالى **اولئك** اشارة اليهم للايذان بانهم متمازون بما اتصفوا به من الاخلاص في
عبادته تعالى عمن عداهم امتيازا بالغا منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار
بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى **لهم** اما خبر له وقوله تعالى **رزق** مرتفع على الفاعلية بما فيه من الاستقرار او مبتدأ ولهم خبر
مقدم والجملة خبر لاولئك والجملة الكبرى استئناف مبين لما افاده الاستثناء اجمالا بيانا تفصيليا وقيل هي خبر للاستثناء المنقطع على انه
متأول بالمبتدأ وقوله تعالى **معلوم** اي معلوم الخصائص من حسن المنظر ولذة الطعم وطيب الرائحة ونحوها من نعوت الكمال وقيل معلوم الوقت
كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقوله تعالى **فواكه** اما بدل من رزق او خبر مبتدأ مضمر اي ذلك الرزق فواكه وتخصيصها بالذكر
لان ارزاق اهل الجنة كلها فواكه اي ما يؤكل لمجرد التلذذ دون الاقتيات لانهم مستغنون عن القوت لكون خلقتهم محكمة محفوظة من التحلل
المحوج الى البدل وقيل لان الفواكه من اتباع سائر الاطعمة فذكرها مغن عن ذكرها **وهم مكرمون** عند الله عز وجل لا يلحقهم هوان وذلك اعظم
المثوبات واليقها باولي الهمم وقيل مكرمون في نيله حيث يصل اليهم بغير تعب وسؤال كما هو شان ارزاق الدنيا وقرئ مكرمون بالتشديد
في جنات النعيم اي في جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او حال من المستكن في مكرمون او خبر ثان لاولئك وقوله تعالى **على سرر** يحتمل الحالية
والخبرية فقوله تعالى **متقابلين** حال من المستكن فيه او في مكرمون وقوله تعالى **يطاف عليهم** اما استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية تكامل
مجالس انسهم او حال من الضمير في متقابلين او في احد الجارين وقد جوز كونه صفة لمكرمون **بكأس** باناء فيه خمر او بخمر فان الكأس يطلق على
نفس الخمر كما في قول من قال وكأس شربت على لذة واخرى تداويت منها بها **من معين** متعلق بمضمر هو صفة لكأس اي كائنة من شراب
معين او من نهر معين وهو الجاري على وجه الارض الظاهر للعيون او الخارج من العيون من عان الماء اذا نبع وصف به الخمر وهو للماء لانها
تجري في الجنة انهارا كما يجري الماء قال تعالى وانهار من خمر **بيضاء لذة للشاربين** صفتان ايضا لكأس ووصفها بلذة اما للمبالغة كأنها نفس
اللذة او لانها تأنيث اللذ بمعنى اللذيذ ووزنه فعل قال ولذ لطعم الصرخدي تركته بارض العدى من خشية الحدثان يريد به النوم
لا فيها غول اي غائلة كما في خمور الدنيا من غاله اذا افسده واهلكه ومنه الغول **ولا هم عنها ينزفون** يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ونزوف
اذا ذهب عقله ويقال للمطعون نزف فمات اذا خرج دمه كله افرد هذا بالنفي مع اندراجه فيما قبله من نفي الغول عنها لما انه من معظم مفاسد الخمر
كأنه جنس برأسه والمعنى لا فيها نوع من انواع الفساد من مغص او صداع او خمار او غريدة او لغو وتأثيم ولا هم يسكرون وقرئ ولا هم
ينزفون بكسر الزاي من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه وقرئ ينزفون بضم الزاي من نزف ينزف بضم الزاي **وعندهم قاصرات الطرف**

قصرن ابصارهن على ازواجهن لا يمدون طرفا الى غيرهم **عين** نجل العيون جمع عيناء والنجل سعة العين **كأنهن بيض مكنون** شبههن
ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بادنى صفرة فان ذلك احسن الوان الابدان **فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون**
معطوف على يطاف اي يشربون فيتحادثون على الشراب كما هو عادة الشراب قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام
فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن الفضائل والمعارف وعما جرى لهم وعليهم في الدنيا فالتعبير عنه بصيغة الماضي للتاكيد والدلالة على
تحقق الوقوع حتما **قال قائل منهم** في تضاعيف محاوراتهم **اني كان لي** في الدنيا **قرين** مصاحب **يقول** لي على طريقة التوبيخ بما كنت عليه من
الايمان والتصديق بالبعث **أئنك لمن المصدقين** اي بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق والاول هو الاوفق لقوله تعالى **أئذا متنا وكنا ترابا
وعظاما أئنا لمدينون** اي لمبعوثون ومجزيون من الدين بمعنى الجزاء او لمسوسون يقال دانه اي ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه وقيل كان رجل
تصدق بماله لوجه الله تعالى فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال اين مالك قال تصدقت به ليعوضني الله تعالى في الآخرة خيرا منه فقال أئنك
لمن المصدقين بيوم الدين او من المتصدقين لطلب الثواب والله لا اعطيك شيئا فيكون التعرض لذكر موتهم وكونهم ترابا وعظاما حينئذ
لتأكيد انكار الجزاء المبني على انكار البعث **قال** اي ذلك القائل بعدما حكى لجلسائه مقالة قرينه في الدنيا **هل انتم مطلعون** اي الى اهل النار
لاريكم ذلك القرين يريد بذلك بيان صدقه فيما حكاه وقيل القائل هو الله تعالى او بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار
لاريكم ذلك القرين فتعلموا ان منزلتكم من منزلتهم قيل ان في الجنة كوى ينظر منها اهلها الى اهل النار **فاطلع** اي عليهم **فرآه** اي قرينه **في سواء
الجحيم** اي في وسطها وقرئ فاطلع على لفظ المضارع المنصوب وقرئ مطلعون فاطلع وفاطلع بالتخفيف على لفظ الماضي والمضارع المنصوب
يقال طلع علينا فلان واطلع واطلع بمعنى واحد والمعنى هل انتم مطلعون الى القرين فاطلع انا ايضا او عرض عليهم الاطلاع فقبلوا
ما عرضه فاطلع هو بعد ذلك وان جعل الاطلاع متعديا فالمعنى انه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم كما هو دين الجلساء فكأنهم مطلعوه
وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ مطلعون بكسر النون اراد مطلعون اياي فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والآمرون
اذا ما خشوا من محدث الدهر معظما او شبه اسم الفاعل بالمضارع لما بينهما من التآخي **قال** اي القائل مخاطبا لقرينه **تالله ان كدت لتردين** اي
لتهلكني بالاغواء وقرئ لتغوين والتاء فيه معنى التعجب وان هي المخففة من ان وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف واللام فارقة
اي تالله ان الشأن كدت لتردين **ولولا نعمة ربي** بالهداية والعصمة **لكنت من المحضرين** اي من الذين احضروا العذاب كما احضرته انت وامثالك
وقوله تعالى **أفما نحن بميتين** رجوع الى محاورة جلسائه بعد اتمام الكلام مع قرينه تبجحا وابتهاجا بما اتاح الله تعالى لهم من الفضل العظيم والنعيم المقيم
والهمزة للتقرير وفيها معنى التعجب والفاء للعطف على مقدر يقتضيه نظم الكلام اي انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين اي بمن شأنه الموت
وقرئ بمائتين **الا موتتنا الاولى** التي كانت في الدنيا وهي متناولة لما في القبر بعد الاحياء للسؤال قاله تصديقا لقوله تعالى لا يذوقون فيها
الموت الا الموتة الاولى وقيل ان اهل الجنة اول ما دخلوا الجنة لا يعلمون انهم لا يموتون فاذا جيء بالموت على صورة كبش املح وذبح
فنودي يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت يعلمونه فيقولون ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى واغتباطا بها **وما نحن بمعذبين**
كالكفار فان النجاة من العذاب ايضا نعمة جليلة مستوجبة للتحدث بها **ان هذا** اي الامر العظيم الذي نحن فيه **لهو الفوز العظيم** وقيل هو
من قول الله عز وجل تقريرا لقولهم وتصديقا له وقرئ لهو الرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادة العظمى **لمثل هذا فليعمل العاملون** اي لنيل
هذا المرام الجليل يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية السريعة الانصرام المشوبة بفنون الآلام وهذا ايضا يحتمل ان يكون من كلام رب
العزة **أذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم** اصل النزل الفضل والريع فاستعير للحاصل من الشيء فانتصابه على التمييز اي ذلك الرزق المعلوم الذي
حاصله اللذة والسرور خير نزلا ام شجرة الزقوم التي حاصلها الالم والغم ويقال النزل لما يقام ويهيأ من الطعام الحاضر للنازل فانتصابه
على الحالية والمعنى ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار نزلهم شجرة الزقوم فأيهما خير في كونه نزلا والزقوم اسم شجرة صغيرة
الورق ذفرة مرة كريهة الرائحة تكون في تهامة سميت به الشجرة الموصوفة **انا جعلناها فتنة للظالمين** محنة وعذابا لهم في الآخرة
وابتلاء في الدنيا فانهم لما سمعوا انها في النار قالوا كيف يمكن ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق حيوان يعيش في
النار ويتلذذ بها اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق **انها شجرة تخرج في اصل الجحيم** منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع

الى دركاتها وقرئ نابتة في اصل الجحيم طلعها اي حملها الذي يخرج منها مستعار من طلع النخل لمشاركته له في الشكل او الطلوع من الشجر
قالوا اول التمر طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر كأنه رؤس الشياطين في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق
في الحسن بالملك وقيل الشياطين الحيات الهائلة القبيحة المنظر لها اعراف وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا منتنا مرا منكر الصورة
يسمى ثمره رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها اي من الشجرة او من طلعها فالتأنيث مكتسب من المضاف اليه فمالئون منها البطون لغلبة
الجوع او للقسر على اكلها وان كرهوا ليكون ذلك بابا من العذاب ثم ان لهم عليها على الشجرة التي ملأوا منها بطونهم بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش
وطال استسقاؤهم كما ينبئ عنه كلمة ثم ويجوز ان تكون لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا من غساق او صديد
مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم والاول مصدر سمي به ثم ان مرجعهم اي مصيرهم وقد قرئ كذلك لالى الجحيم الى دركاتها
او الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون
بينها وبين حميم آن يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم الى شجرة الزقوم فيأكلون منها الى ان يتملؤا ثم يسقون من الحميم ثم
يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم انهم الفوا آباءهم ضالين تعليل لاستحقاقهم ما ذكر من فنون العذاب بتقليد الآباء
في الدين من غير ان يكون لهم ولا لآبائهم شيء يتمسك به اصلا اي وجدوهم ضالين في نفس الامر ليس لهم ما يصلح شبهة فضلا عن
صلاحية الدليل فهم على آثارهم يهرعون من غير ان يتدبروا انهم على الحق او لا مع ظهور كونهم على الباطل بادنى تأمل والاهراع الاسراع الشديد
كأنهم يزعجون ويحثون حثا على الاسراع على آثارهم وقيل هو اسراع فيه شبه رعدة ولقد ضل قبلهم اي قبل قومك قريش اكثر الاولين
من الامم السالفة وهو جواب قسم محذوف وكذا قوله تعالى ولقد ارسلنا فيهم منذرين اي انبياء اولي عدد كثير وذوي شأن خطير بينوا لهم
بطلان ما هم عليه وانذروهم عاقبته الوخيمة وتكرير القسم لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمون كل من الجملتين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين من الهول
والفظاعة لما لم يلتفتوا الى الانذار ولم يرفعوا له رأسا والخطاب اما للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يتمكن من مشاهدة آثارهم
وحيث كان المعنى انهم اهلكوا اهلاكا فظيعا استثني عنهم المخلصون بقوله تعالى الا عباد الله المخلصين اي الذين اخلصهم الله تعالى بتوفيقهم
للايمان والعمل بموجب الانذار وقرئ المخلصين بكسر اللام اي الذين اخلصوا دينهم لله تعالى ولقد نادانا نوح نوع تفصيل لما اجمل فيما قبل
ببيان احوال بعض المرسلين وحسن عاقبتهم متضمن لبيان سوء عاقبة بعض المنذرين حسبما اشير اليه بقوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
كقوم نوح وآل فرعون وقوم لوط وقوم الياس ولبيان حسن عاقبة بعضهم الذين اخلصهم الله تعالى ووفقهم للايمان كما اشار اليه الاستثناء
كقوم يونس عليه السلام ووجه تقديم قصة نوح على سائر القصص غني عن البيان واللام جواب قسم محذوف وكذا ما في قوله تعالى فلنعم
اي وبالله لقد دعانا نوح حين يئس من ايمان قومه بعد ما دعاهم اليه احقابا ودهورا فلم يزدهم دعاؤه الا فرارا فاجبناه احسن الاجابة
فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف ما حذف ثقة بدلالة ما ذكر عليه والجمع دليل العظمة والكبرياء ونجيناه واهله من الكرب العظيم اي من الغرق وقيل من اذية
قومه وجعلنا ذريته هم الباقين فحسب حيث اهلكنا الكفرة بموجب دعائه رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقد روي انه مات كل من كان معه
في السفينة غير ابنائه وازواجهم او هم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيمة قال قتادة رضي الله عنه الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام وكان له
ثلثة اولاد سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث ابو الترك ويأجوج ومأجوج
وتركنا عليه في الآخرين من الامم سلام على نوح اي هذا الكلام بعينه وهو وارد على الحكاية كقولك قرأت سورة انزلناها والمعنى يسلمون عليه
تسليما ويدعون له على الدوام امة بعد امة وقيل ثمة قول مقدر اي فقلنا وقيل ضمن تركنا معنى قلنا وقوله تعالى في العالمين متعلق بالجار والمجرور
ومعناه الدعاء بثبات هذه التحية واستمرارها ابدا في العالمين من الملائكة والثقلين جميعا وقوله تعالى انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لما فعل
به عليه السلام من التكرمة السنية من اجابة دعائه احسن اجابة وابقاء ذريته وتبقية ذكره الجميل وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بكونه من زمرة
المعروفين بالاحسان الراسخين فيه وان ذلك من قبيل مجازاة الاحسان بالاحسان وذلك اشارة الى ما ذكر من الكرامات السنية التي وقعت جزاء له
عليه السلام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل والشرف والكاف متعلقة بما بعده
اي مثل ذلك الجزاء الكامل نجزي الكاملين في الاحسان لا جزاء ادنى منه وقوله تعالى انه من عبادنا المؤمنين تعليل لكونه من المحسنين بخلوص عبوديته وكمال

ايمانه وفيه من الدلالة على جلالة قدرهما ما لا يخفى ثم اغرقنا الآخرين اي المغايرين لنوح واهله وهم كفار قومه اجمعين وان من شيعته اي ممن شايعه
في اصول الدين لابراهيم وان اختلفت فروع شرايعهما ويجوز ان يكون بين شريعتيهما اتفاق كلي او اكثري وعن ابن عباس رضي الله عنهما من اهل
دينه وعلى سنته او ممن شايعه على التصلب في دين الله تعالى ومصابرة المكذبين وما كان بينهما الا نبيان هود وصالح عليهم السلام وكان بين
نوح وابراهيم عليهما السلام الفان وستمائة واربعون سنة اذ جاء ربه منصوب باذكر او متعلق بما في الشيعة من معنى المشايعة بقلب سليم اي من
آفات القلوب او من العلائق الشاغلة عن التبتل الى الله عز وجل ومعنى المجيء به ربه اخلاصه له كأنه جاء به متحفا اياه بطريق
التمثيل اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون بدل من الاولى او ظرف لجاء او لسليم اي اي شيء تعبدون ائفكا آلهة دون الله تريدون اي اتريدون
آلهة من دون الله افكا اي للافك فقدم المفعول على الفعل للعناية ثم المفعول له على المفعول به لان الاهم مكافحتهم بانهم على افك وباطل
في شركهم ويجوز ان يكون افكا مفعولا به بمعنى اتريدون افكا ثم تفسير الافك بقوله آلهة من دون الله دلالة على انها افك في نفسها للمبالغة
او يراد بها عبادتها بحذف المضاف ويجوز ان يكون حالا بمعنى آفكين فما ظنكم برب العالمين اي بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين
حتى تركتم عبادته خاصة واشركتم به اخس مخلوقاته او فما ظنكم به اي شيء هو من الاشياء حتى جعلتم الاصنام له اندادا او فما ظنكم به
اذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم بعد ما فعلتم ما فعلتم من الاشراك به فنظر نظرة في النجوم قيل كانت له عليه السلام حمى لها نوبة معينة في بعض ساعات
الليل فنظر ليعرف هل هي تلك الساعة فاذا هي قد حضرت فقال اني سقيم وكان صادقا في ذلك فجعله عذرا في تخلفه عن عيدهم وقيل
اراد اني سقيم القلب لكفركم وقيل نظر في علمها او في كتبها او في احكامها ولا منع من ذلك حيث كان قصده عليه السلام ايهامهم حين ارادوا ان
يخرجوا به عليه السلام الى معيدهم ليتركوه فان القوم كانوا نجامين فاوهمهم انه قد استدل بامارة في علم النجوم على انه سقيم اي مشارف
للسقم وهو الطاعون وكان اغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى معيدهم وتركوه في بيت الاصنام
وذلك قوله تعالى فتولوا عنه مدبرين اي هاربين مخافة العدوى فراغ الى آلهتهم اي ذهب اليها في خفية واصله الميل بحيلة فقال للاصنام استهزاء
الا تأكلون اي من الطعام الذي كانوا يصنعونه عندها لتبرك عليه ما لكم لا تنطقون اي بجوابي فراغ عليهم فمال مستعليا عليهم وقوله تعالى
ضربا باليمين مصدر مؤكد لراغ عليهم فانه بمعنى ضربهم او لفعل مضمر هو حال من فاعله اي فراغ عليهم يضربهم ضربا او هو الحال منه على انه مصدر
بمعنى الفاعل اي فراغ عليهم ضاربا باليمين اي ضربا شديدا قويا وذلك لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما وقوة الآلة تقتضي قوة
الفعل وشدته وقيل بالقوة والمتانة كما في قوله اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة فأقبلوا اي بالقوة وعلى ذلك مدار تسمية الحلف
باليمين لانه يقوي الكلام ويؤكده وقيل بسبب الحلف وهو قوله وتالله لاكيدن اصنامكم اليه يزفون اي المأمورون باحضاره عليه السلام
بعد ما رجعوا عن عيدهم الى بيت الاصنام فوجدوها مكسورة فسألوا عن الفاعل فظنوا انه عليه السلام فعله فقيل فأتوا به يزفون حال من واو
اقبلوا اي يسرعون من زف النعام وقرئ يزفون اي يزف بعضهم بعضا ويزفون على البناء للمفعول اي يحملون على الزفيف ويزفون
من زف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كأن بعضهم يزفوا بعضا لتسارعهم اليه عليه السلام قال اي بعد ما اتوا به عليه السلام
وجرى بينه عليه السلام وبينهم من المحاورات ما نطق به قوله تعالى قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم الى قوله تعالى لقد علمت ما هؤلاء
ينطقون أتعبدون ما تنحتون ما تنحتونه من الاصنام وقوله تعالى والله خلقكم وما تعملون حال من فاعل تعبدون مؤكدة للانكار والتوبيخ اي والحال انه
تعالى خلقكم وخلق ما تعملونه فان جوهر اصنامهم ومادتها بخلقه تعالى وشكلها وان كان بفعلهم لكنه باقداره تعالى اياهم عليه وخلقه ما يتوقف
عليه فعلهم من الدواعي والعدد والاسباب وما تعملون اما عبارة عن الاصنام فوضعه موضع ضمير ما تنحتون للايذان بان مخلوقيتها لله عز وجل
ليس من حيث نحتهم لها فقط بل من حيث سائر اعمالهم ايضا من التصوير والتحلية والتزيين ونحوها واما على عمومه فينتظم الاصنام انتظاما
اوليا مع ما فيه من تحقيق الحق ببيان ان جميع ما يعملونه كائنا ما كان مخلوق له سبحانه وقيل ما مصدرية اي عملكم وقيل انه بمعنى المفعول وقيل
بمعناه فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى كان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم اي في النار الشديدة
الاتقاد من الجحمة وقيل شديدة التأجج واللام عوض من المضاف اليه اي جحيم ذلك البنيان وقد ذكر كيفية بنائهم له في سورة الانبياء
فارادوا به كيدا فانه عليه السلام لما قهرهم بالحجة والقمهم الحجر قصدوا ما قصدوا لئلا يظهر للعامة عجزهم فجعلناهم الاسفلين الاذلين

بابطال كيدهم وجعله برهاناً نيّراً على علوّ شأنه عليه السلام بجعل النار عليه برداً وسلاماً **وقال اني ذاهب الى ربي** اي مهاجر الى حيث امرني ربي
كما قال اني مهاجر الى ربي وهو الشام او الى حيث اتجرّد فيه لعبادته تعالى **سيهدين** اي الى ما فيه صلاح ديني او الى مقصدي وبتّ القول بذلك
لسبق الوعد او لفرط توكّله او للبناء على عادته تعالى معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حيث قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل
ولذلك اتى بصيغة التوقّع **رب هب لي من الصالحين** اي بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربة يعني الولد لان لفظ
الهبة على الاطلاق خاصّ به وان كان قد ورد مقيّداً بالأخوّة في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيّاً ولقوله تعالى **فبشّرناه
بغلام حليم** فانه صريح في ان المبشّر به عين ما استوهبه عليه السلام ولقد جمع فيه بشارات ثلاث بشارة انه غلام وانه يبلغ اوان الحلم
وانه يكون حليماً واي حلم يعادل حلمه عليه السلام حين عرض عليه ابوه الذبح فقال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقيل ما نعت الله
الانبياء عليهم السلام باقلّ مما نعتهم بالحلم لعزّة وجوده غير ابراهيم وابنه فانه تعالى نعتهما به وحالهما المحكيّة بعدُ اعدل بيّنة بذلك والفاء
في قوله تعالى **فلما بلغ معه السعي** فصيحة معربة عن مقدّر قد حذف تعويلاً على شهادة الحال وايذاناً بعدم الحاجة الى التصريح به لاستحالة التخلّف
والتأخّر بعد البشارة كما مرّ في قوله تعالى فلما رأينه اكبرنه وفي قوله تعالى فلما رآه مستقرّاً عنده اي فوهبناه له فنشأ فلما بلغ رتبة ان يسعى معه
في اشغاله وحوائجه ومعه متعلّق بمحذوف ينبئ عنه السعي لا بنفسه لان صلة المصدر لا تتقدّمه ولا ببلغ لان بلوغهما لم يكن معاً كأنه لما ذكر
السعي قيل مع من فقيل معه وتخصيصه بالذكر لان الاب اكمل في الرفق والاستصلاح فلا يستسعيه قبل اوانه او لانه استوهبه لذلك وكان له
يومئذ ثلاث عشرة سنة **قال** اي ابراهيم عليه السلام **يا بنيّ اني ارى في المنام اني اذبحك** اي ارى هذه الصورة بعينها او ما هذه عبارته
وتأويله وقيل انه رأى ليلة التروية كأنّ قائلاً يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح روّى في ذلك من الصباح الى الرواح
أمن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثمّة سمّي يوم التروية فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله تعالى فمن ثمّة سمّي يوم عرفة ثم رأى
مثله في الليلة الثالثة فهمّ بنحره فسمّي اليوم يوم النحر وقيل ان الملائكة حين بشّرته بغلام حليم قال اذن ذبيح الله فلما ولد وبلغ حدّ
السعي معه قيل له اوف بنذرك والاظهر الاشهر ان المخاطب اسمعيل عليه السلام اذ هو الذي وُهب اثر المهاجرة ولان البشارة باسحق بعده معطوف
على البشارة بهذا الغلام ولقوله صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين فاحدهما جدّه اسمعيل عليه السلام والآخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب
نذر ان يذبح ولداً ان سهّل الله تعالى له حفر بئر زمزم او بلغ بنوه عشرة فلما حصل ذلك خرج السهم على عبد الله ففداه بمائة من الابل ولذلك سُنّت
الدية مائة ولان ذلك كان بمكّة وكان قرنا الكبش معلّقين بالكعبة حتى احترقا في ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمّة ولان بشارة
اسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبه الامر بذبحه مراهقاً وما روي انه صلى الله عليه وسلم سئل اي النسب اشرف فقال
يوسف صدّيق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فالصحيح انه عليه الصلوة والسلام قال يوسف بن يعقوب
بن اسحق بن ابراهيم والزوائد من الراوي وما روي من ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرئ انّي بفتح الياء فيهما **فانظر
ماذا ترى** من الرأي وانما شاوره فيه وهو امر محتوم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله تعالى فيثبّت قدمه ان جزع ويأمن عليه ان سلّم وليوطّن
نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة عليه بالانقياد له قبل نزوله وقرئ ماذا تُري بضمّ التاء وكسر الراء وبفتحها مبنيّاً للمفعول **قال يا ابت افعل ما تؤمر**
اي ما تؤمر به فحذف الجارّ اوّلاً على القاعدة المطّردة ثمّ حذف العائد الى المفعول بعد انقلابه منصوباً بايصاله الى الفعل او حذفا دفعة او فعل
امرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المأمور به امراً وقرئ ما تؤمر به وصيغة المضارع للدلالة على ان الامر متعلّق به متوجّه اليه
مستمرّ الى حين الامتثال به **ستجدني ان شاء الله من الصابرين** على الذبح او على قضاء الله تعالى **فلما اسلما** اي استسلما لامر الله تعالى وانقادا
وخضعا له يقال سلّم لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهنّ جميعاً واصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلّم من ان
ينازع فيه وقولهم سلّم لامر الله تعالى واسلم له منقولان منه ومعناهما اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه لله تعالى
وعن قتادة رضي الله تعالى عنه في اسلما اسلم ابراهيم ابنه واسمعيل نفسه **وتلّه للجبين** صرعه على شقّه فوقع جبينه على الارض وهو احد جانبي الجبهة وقيل
كبّه على وجهه باشارته كيلا يرى منه ما يورث رقّة تحول بينه وبين امر الله تعالى وكان ذلك عند الصخرة من منى وقيل في الموضع المشرف على مسجد
منى وقيل في المنحر الذي ينحر فيه اليوم **وناديناه ان يا ابراهيم قد صدّقت الرؤيا** بالعزم على الاتيان بالمأمور به وترتيب مقدّماته وقد روي

وقد روي انه امرّ السكّين بقوّته على حلقه مراراً فلم تقطع ثم وضع السكّين على قفاه فانقلب السكّين فعند ذلك وقع النداء وجواب لمّا محذوف ايذاناً
بعدم وفاء التعبير بتفاصيله كأنه قيل كان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان من استبشارهما وشكرهما لله تعالى على ما انعم به عليهما من دفع البلاء
بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفّق احد لمثله واظهار فضلهما بذلك على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك **انا كذلك نجزي المحسنين** تعليل لتفريج تلك
الكربة عنهما باحسانهما واحتجّ به من جوّز النسخ قبل وقوع المأمور به فانه عليه السلام كان مأموراً بالذبح لقوله تعالى افعل ما تؤمر ولم يحصل **ان هذا
لهو البلاء المبين** الابتلاء البيّن الذي يتميّز فيه المخلص عن غيره او المحنة البيّنة الصعوبة اذ لا شيء اصعب منها **وفديناه بذبح** بما يذبح بدله فيتمّ به
الفعل **عظيم** اي عظيم الجثّة سمين او عظيم القدر لانه يفدي به الله نبيّاً ابن نبيّ واي نبيّ من نسله سيّد المرسلين قيل كان ذلك كبشاً من الجنّة
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه الكبش الذي قرّبه هابيل فتقبّل منه وكان يرعى في الجنّة حتى فدي به اسمعيل عليه السلام وقيل
فدي بوعل اهبط عليه من ثبير وروي انه هرب من ابراهيم عليه السلام عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فبقي سنّة في الرمي وروي انه
رمي الشيطان حين تعرّض له بالوسوسة عند ذبح ولده وروي انه لما ذبحه قال جبريل عليه السلام الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله
والله اكبر فقال ابراهيم الله اكبر ولله الحمد فبقي سنّة والفادي في الحقيقة هو ابراهيم وانما قيل وفديناه لانه تعالى هو المعطي له والآمر به على التجوّز
في الفداء او الاسناد **وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم** قد سلف بيانه في خاتمة قصّة نوح **كذلك نجزي المحسنين** ذلك اشارة الى ابقاء
ذكره الجميل فيما بين الامم لا الى ما اشير اليه فيما سبق فلا تكرار وعدم تصدير الجملة بانّا للاكتفاء بما مرّ آنفاً **انه من عبادنا المؤمنين** الراسخين
في الايمان على وجه الايقان والاطمئنان **وبشّرناه باسحق نبيّاً من الصالحين** ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين
كانوا مقدّرين خلودهم وقت الدخول واسحق عليه السلام لم يكن مقدّراً بنبوّة نفسه وصلاحها حيثما يوجد ومن فسّر الغلام باسحق جعل المقصود من البشارة
بنبوّته وفي ذكر الصلاح بعد النبوّة تعظيم لشأنه وايماء الى انه الغاية لها لتضمّنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق **وباركنا عليه** على ابراهيم في
اولاده **وعلى اسحق** بان اخرجنا من صلبه انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايّوب وشعيب عليهم السلام او افضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا
ومن ذرّيّتهما محسن في عمله او لنفسه بالايمان والطاعة **وظالم لنفسه** بالكفر والمعاصي **مبين** ظاهر ظلمه وفيه تنبيه على ان النسب لا تأثير له في الهداية والضلال
وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة ولا عيب **ولقد مننّا على موسى وهرون** اي انعمنا عليهما بالنبوّة وغيرها من النعم الدينيّة والدنيويّة
ونجّيناهما وقومهما وهم بنو اسرائيل **من الكرب العظيم** هو تملّك آل فرعون وتسلّطهم عليهم بالوان العسف والعذاب كما في قوله تعالى واذ نجّيناكم من آل
فرعون وقيل هو الغرق وهو بعيد لانه لم يكن عليهم كرباً ومشقّة **ونصرناهم** اي اياهما وقومهما على عدوّهم **فكانوا** بسبب ذلك **هم الغالبين** عليهم غلبة
لا غاية وراءها بعد ان كان قومهما في اسرهم وقسرهم مقهورين تحت ايديهم العادية يسومونهم سوء العذاب وهذه النتيجة وان كانت بحسب الوجود
مقارنة لما ذكر من النصر والغلبة لكنها لما كانت بحسب المفهوم عبارة عن التخليص عن المكروه بدئ بها ثم بالنصر الذي يتحقّق مضمونه ومدلوله
بمحض نجاة المنصور من عدوّه من غير تغليبه عليه ثم بالغلبة لتوفية مقام الامتنان حقّه باظهار ان كلّ مرتبة من هذه المراتب الثلث نعمة جليلة
على حيالها **وآتيناهما** بعد ذلك **الكتاب المستبين** اي البليغ في البيان والتفصيل وهو التورية **وهديناهما** بذلك **الصراط المستقيم** الموصل الى الحقّ
والصواب بما فيه من تفاصيل الشرائع وتفاريع الاحكام **وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون** اي ابقينا فيما بين الامم الآخرين هذا
الذكر الجميل والثناء الجزيل الكامل **انا كذلك** اي مثل ذلك الجزاء الكامل **نجزي المحسنين** الذين هما من جملتهم لا جزاء قاصراً عنه **انهما من عبادنا المؤمنين** سبق بيانه **وان
الياس لمن المرسلين** هو الياس بن ياسين من سبط هرون اخي موسى عليهم السلام بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ مكانه ادريس وادراس
وقرئ ايليس وقرئ اليأس بحذف الهمزة **اذ قال لقومه الا تتّقون** اي عذاب الله تعالى **اتدعون بعلاً** اتعبدونه وتطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل
بكّ من الشام وهو البلد المعروف اليوم ببعلبك قيل كان من ذهب طوله عشرون ذراعاً وله اربعة اوجه فتنوا به وعظّموه حتى اخدموه اربعمائة سادن
وجعلوهم انبياءه فكان الشيطان يدخل جوفه ويتكلّم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلّمونها الناس وقيل البعل الربّ بلغة اليمن اي اتعبدون
بعض البعول **وتذرون احسن الخالقين** اي وتتركون عبادته وقد اشير الى المقتضي للانكار المعني بالهمزة ثم صرّح به بقوله تعالى **الله ربّكم وربّ آبائكم**
بالنصب على البدليّة من احسن الخالقين وقرئ بالرفع على الابتداء والتعرّض لذكر ربوبيّته تعالى لآبائهم لتأكيد انكار تركهم عبادته تعالى والاشعار
ببطلان آراء آبائهم ايضاً **فكذّبوه فانهم** بسبب تكذيبهم ذلك **لمحضرون** اي العذاب والاطلاق للاكتفاء بالقرائن على ان الاحضار المطلق مخصوص بالشرّ

اي مقصيّاً بنبوّته مقدراً كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا فاجة الى وجود المبشّر به وقت البشارة فان وجود ذي الحال
ليس بشرط وانما الشرط مقارنة تعلّق الفعل به لاعتبار معنى الحال فلا حاجة الى تقدير
مضاف يجعل عاملاً فيهما اي وبشّرناه بوجود اسحق اي بان يوجد اسحق نبيّاً من الصالحين

إلا عباد الله المخلصين استثناء من ضمير محضرون وتركنا عليه في الآخرين سلام على إل ياسين هو لغة في إلياس كسيناء في سينين وقيل هو جمع أريد به هو
وأتباعه كالمهلبين والخبيبين وفيه أن العلم إذا جمع يجب تعريفه كالمثالين وقرئ بإضافة آل إلى ياسين لأنهما في المصحف مفصولان فيكون ياسين
أبا إلياس إنا كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين مر تفسيره وإن لوطا لمن المرسلين إذ نجيناه أي اذكر وقت تنجيتنا إياه وأهله أجمعين إلا
عجوزا في الغابرين أي الباقين في العذاب أو الماضين الهالكين ثم دمرنا الآخرين فإن في ذلك شواهد على جلية أمره وكونه من جملة المرسلين وإنكم
يا أهل مكة لتمرون عليهم على منازلهم في متاجركم إلى الشام وتشاهدون آثار هلاكهم فإن سدوم في طريق الشام مصبحين داخلين في الصباح
وبالليل أي مساء أو نهارا وليلا ولعلها وقعت بقرب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد له مساء أفلا تعقلون أتشاهدون ذلك فلا
تعقلون حتى تعتبروا به وتخافوا أن يصيبكم مثل ما أصابهم وإن يونس لمن المرسلين وقرئ بكسر النون إذ أبق أي هرب وأصله الهرب من السيد لكن لما
كان هربه من قومه بغير إذن ربه حسن إطلاقه عليه إلى الفلك المشحون أي المملوء فساهم فقارع أهله فكان من المدحضين فصار من المغلوبين بالقرعة
وأصله المزلق عن مقام الظفر روي أنه عليه السلام لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل أن يأمره الله تعالى به فركب السفينة فوقفت فقالوا
فيها عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال أنا الآبق ورمى بنفسه في الماء فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل في الملامة أو آت بما يلام
عليه أو مليم نفسه وقرئ مليم بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب فلولا أنه كان من المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره أو في بطن الحوت
وهو قوله لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين وقيل من المصلين فإنه عليه السلام كان كثير الصلاة في الرخاء للبث في بطنه إلى يوم يبعثون
حيا وقيل ميتا وفيه حث على إكثار الذكر وتعظيم لشأنه ومن أقبل عليه في السراء أخذ بيده عند الضراء فنبذناه بالعراء بأن حملنا الحوت
على لفظه بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر أو نبت روي أن الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس عليه السلام ويسبح ولم
يفارقهم حتى انتهوا إلى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فأسلموا وروي أن الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل واختلف في مقدار لبثه
فقيل أربعون يوما وقيل عشرون وقيل سبعة وقيل ثلاثة وقيل لم يلبث إلا قليلا ثم أخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقم فيه روي أنه
حين ابتلعه أوحى الله تعالى إلى الحوت إني جعلت بطنك له سجنا ولم أجعله لك طعاما وهو سقيم مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وأنبتنا عليه
أي فوقه مظلة شجرة من يقطين وهو كل ما ينبسط على الأرض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان إذا
أقام به والأكثرون على أنه الدباء غطته بأوراقها عن الذباب فإنه لا يقع عليه ويدل عليه أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنك تحب القرع
قال أجل هي شجرة أخي يونس وقيل هي التين وقيل الموز تغطى بورقه واستظل بأغصانه وأفطر على ثماره وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت
وعلة تختلف إليه فيشرب من لبنها وأرسلناه إلى مائة ألف هم قومه الذين هرب منهم وهم أهل نينوى والمراد به إرساله السابق أخبر أولا بأنه
من المرسلين على الإطلاق ثم أخبر بأنه قد أرسل إلى أمة جمة وكان توسيط تذكير وقت هربه عليه السلام إلى الفلك وما بعده بينهما لتذكير سببه وهو ما
جرى بينه عليه السلام وبين قومه من إنذاره إياهم عذاب الله تعالى وتعيينه لوقت حلوله وتعللهم وتعليقهم لإيمانهم بظهور أماراته كما مر تفصيله في
سورة يونس ليعلم أن إيمانهم الذي سيحكى بعد لم يكن عقيب الإرسال كما هو المتبادر من ترتيب الإيمان عليه بالفاء بل بعد اللتيا والتي وقيل
هو إرسال آخر إليهم وقيل إلى غيرهم وليس بظاهر أو يزيدون أي في مرأى الناظر فإنه إذا نظر إليهم قال إنهم مائة ألف أو يزيدون والمراد هو الوصف
بالكثرة وقرئ بالواو فآمنوا أي بعدما شاهدوا علائم حلول العذاب إيمانا خالصا فمتعناهم أي بالحياة الدنيا إلى حين قدره الله سبحانه
لهم قيل ولعل عدم ختم هذه القصة وقصة لوط بما ختم به سائر القصص للتفرقة بينهما وبين أرباب الشرائع وأولي العزم من الرسل أو اكتفاء
بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة فاستفتهم أمر الله عز وجل في صدر السورة الكريمة رسوله صلى الله عليه وسلم بتبكيت قريش
وإبطال مذهبهم في إنكار البعث بطريق الاستفتاء وساق البراهين القاطعة الناطقة بتحققه لا محالة وبين وقوعه وما سيلقونه عنده من
فنون العذاب واستثنى منهم عباده المخلصين وفصل ما لهم من النعيم المقيم ثم ذكر أنه قد ضل من قبلهم أكثر الأولين وأنه تعالى أرسل إليهم منذرين
على وجه الإجمال ثم أورد قصص كل واحد منهم على وجه التفصيل مبينا في كل قصة منها أنهم من عباده تعالى واصفا لهم تارة بالإخلاص وأخرى بالإيمان
ثم أمره صلى الله عليه وسلم هاهنا بتبكيتهم بطريق الاستفتاء عن وجه أمر منكر خارج عن العقول بالكلية وهي القسمة الباطلة اللازمة لما كانوا عليه من الاعتقاد
الزائغ حيث كانوا يقولون كبعض أجناس العرب جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح الملائكة بنات الله والفاء لترتيب الأمر على ما سبق من كون

أولئك الرسل الذين هم أعلام الخلق عليهم السلام عباده تعالى فإن ذلك مما يؤكد التبكيت ويظهر بطلان مذهبهم الفاسد ثم تبكيتهم بما يتضمنه
كفرهم المذكور من الاستهانة بالملائكة بجعلهم إناثا ثم أبطل أصل كفرهم المنطوي على هذين الكفرين وهو نسبة الولد إليه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا
ولم ينظمه في سلك التبكيت لمشاركتهم النصارى في ذلك أي فاستخبرهم ألربك البنات اللاتي هن أوضع الجنسين ولهم البنون الذين هم أرفعهما
فإن ذلك مما لا يقول به من له أدنى شيء من العقل وقوله تعالى أم خلقنا الملائكة إناثا إضراب وانتقال من التبكيت بالاستفتاء إلى
التبكيت بهذا كما أشير إليه أي بل خلقنا الملائكة الذين هم من أشرف الخلائق وأبعدهم من صفات الأجسام ورذائل الطبائع
والأنوثة من أخس صفات الحيوان وقوله تعالى وهم شاهدون استهزاء بهم وتجهيل لهم كقوله تعالى أشهدوا خلقهم وقوله تعالى ما أشهدتهم خلق
السموات والأرض ولا خلق أنفسهم فإن أمثال هذه الأمور لا تعلم إلا بالمشاهدة إذ لا سبيل إلى معرفتها بطريق العقل وانتفاء
النقل مما لا ريب فيه فلا بد أن يكون القائل بأنوثتهم شاهدا عند خلقهم والجملة إما حال من فاعل خلقنا أي بل خلقناهم إناثا والحال
أنهم حاضرون حينئذ أو عطف على خلقنا أي بل أهم شاهدون وقوله تعالى ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله استئناف من جهته تعالى غير داخل
تحت الأمر بالاستفتاء مسوق لإبطال أصل مذهبهم الفاسد ببيان أن مبناه ليس إلا الإفك الصريح والافتراء القبيح من غير أن يكون لهم دليل
أو شبهة قطعا وإنهم لكاذبون في قولهم ذلك كذبا بينا لا ريب فيه وقرئ ولد الله على أنه خبر مبتدأ محذوف أي الملائكة ولده تعالى عن ذلك
علوا كبيرا فإن الولد فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث أصطفى البنات على البنين إثبات لإفكهم وتقرير لكذبهم فيما
قالوا ببيان استلزامه لأمر بين الاستحالة هو اصطفاؤه تعالى البنات على البنين والاصطفاء أخذ صفوة الشيء لنفسه وقرئ بكسر الهمزة
على حذف حرف الاستفهام ثقة بدلالة القرائن عليه وجعله بدلا من ولد الله ضعيف وتقدير القول أي لكاذبون في قولهم اصطفى إلى آخره تعسف بعيد
ما لكم كيف تحكمون بهذا الحكم الذي يقضي ببطلانه بديهة العقول أفلا تذكرون بحذف إحدى التاءين من تتذكرون وقرئ تذكرون من ذكر والفاء للعطف
على مقدر أي ألا تلاحظون ذلك فلا تتذكرون بطلانه فإنه مركوز في عقل كل ذكي وغبي أم لكم سلطان مبين إضراب وانتقال من توبيخهم وتبكيتهم
بما ذكر إلى تبكيتهم بتكليفهم ما لا يدخل تحت الوجود قطعا أي بل ألكم حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بأن الملائكة بناته تعالى ضرورة أن الحكم بذلك
لا بد له من سند حسي أو عقلي وحيث انتفى كلاهما فلا بد من سند نقلي فأتوا بكتابكم الناطق بصحة دعواكم إن كنتم صادقين فيها وفي هذه الآيات
من الإنباء عن السخط العظيم والإنكار الفظيع لأقاويلهم والاستبعاد الشديد لأباطيلهم وتسفيه أحلامهم وتركيك عقولهم وأفهامهم مع استهزاء بهم
والتعجب من جهلهم ما لا يخفى على من تأمل فيها وقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا التفات إلى الغيبة للإيذان بانقطاعهم عن الجواب وسقوطهم
عن درجة الخطاب واقتضاء حالهم أن يعرض عنهم وتحكى جناياتهم لآخرين والمراد بالجنة الملائكة قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن
ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك وإنما عبر عنهم بذلك الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم مع
عظم شأنهم فيما بين الخلق أن يبلغوا منزلة المناسبة التي أضافوها إليهم فجعلهم هذا عبارة عن قولهم الملائكة بنات الله وإنما أعيد ذكره
تمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون أي وبالله لقد علمت الجنة التي عظموها بأن جعلوا بينها وبينه تعالى نسبا وهم الملائكة
إن الكفرة لمحضرون النار معذبون بها لكذبهم وافترائهم في قوله ذلك والمراد به المبالغة في التكذيب ببيان أن الذين يدعون هؤلاء لهم تلك
النسبة ويعلمون أنهم أعلم منهم بحقيقة الحال يكذبونهم في ذلك ويحكمون بأنهم معذبون لأجله حكما مؤكدا وقيل إن قوما من الزنادقة يقولون
الله تعالى وإبليس أخوان فالله هو الخير الكريم وإبليس هو الشرير اللئيم وهو المراد بقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال الإمام الرازي وهذا القول
عندي أقرب الأقاويل وهو مذهب المجوس القائلين بيزدان وأهرمن وقال مجاهد قالت قريش الملائكة بنات الله فقال أبو بكر الصديق رضي الله
عنه فمن أمهاتهم تبكيتا لهم فقالوا سروات الجن وقيل معنى جعلوا بينه وبين الجنة نسبا جعلوا بينهما مناسبة حيث أشركوا به تعالى الجن في استحقاق
العبادة فعلى هذه الأقاويل يجوز أن يكون الضمير في إنهم لمحضرون للجنة فالمعنى لقد علمت الشياطين أن الله تعالى يحضرهم النار ويعذبهم بها
ولو كانوا مناسبين له تعالى أو شركاء في استحقاق العبادة لما عذبهم والوجه هو الأول فإن قوله سبحان الله عما يصفون حكاية لتنزيه الملائكة إياه
تعالى عما وصفه المشركون به بعد تكذيبهم لهم في ذلك بتقدير قول معطوف على علمت وقوله تعالى إلا عباد الله المخلصين شهادة منهم ببراءة المخلصين
من أن يصفوه تعالى بذلك متضمنة لتبرئهم منه بحكم اندراجهم في زمرة المخلصين على أبلغ وجه وآكده على أنه استثناء منقطع من واو يصفون كأنه قيل

ولقد علمت الملائكة ان المشركين لمعذبون لقولهم ذلك وقالوا سبحان الله عما يصفونه به لكن عباد الله الذين هم المخلصون برآء من ذلك الوصف وقوله تعالى **فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين** تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين عما ذكر ببيان عجزهم عن اغوائهم واضلالهم والالتفات الى الخطاب لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمون الكلام وما تعبدون عبارة عن الشياطين الذين اغووهم وفيه ايذان بتبرؤهم عنهم وعن عبادتهم كقولهم بل كانوا يعبدون الجن وما نافية وانتم خطاب لهم ولمعبوديهم تغليبا وعلى متعلقة بفاتنين يقال فتن فلان على فلان امرأته اي افسدها عليه والمعنى فانكم ومعبوديكم ايها المشركون لستم بفاتنين عليه تعالى بافساد عباده واضلالهم **الا من هو صال الجحيم** منهم اي داخلها لعلمه تعالى بانه يصر على الكفر بسوء اختياره ويصير من اهل النار لا محالة واما المخلصون منهم فانتم بمعزل من افسادهم واضلالهم فهم لاجرم برآء من ان يفتنوا بكم ويسلكوا مسلككم في وصفه تعالى بما وصفتموه به وقرئ صال بضم اللام على انه جمع محمول على معنى من قد سقط واوه لالتقاء الساكنين قوله تعالى **وما منا الا له مقام معلوم** تبيين لجلية امرهم وتعيين لحيزهم في موقف العبودية بعد ما ذكر من تكذيب الكفرة فيما قالوا وتنزيه الله تعالى عن ذلك وتبرئة المخلصين عنه واظهار لقصور شأنهم وقماءتهم اي وما منا احد الا له مقام معلوم في العبادة والانتهاء الى امر الله عز وجل مقصور عليه لا يتجاوزه ولا يستطيع ان يزل عنه خضوعا لعظمته وخشوعا لهيبته وتواضعا لجلاله كما روي فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع رأسه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما في السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلي ويسبح وروي انه قال عليه السلام اطت السماء وحق لها ان تئط والذي نفسي بيده ما فيها موضع اربع اصابع الا وفيه ملك واضع جبهته ساجد لله تعالى وقال السدي **وانا لنحن الصافون** في مواقف الطاعة ومواطن الخدمة **وانا لنحن المسبحون** المقدسون لله سبحانه عن كل ما لا يليق بجناب كبريائه وتحلية كلامهم بفنون التأكيد لابراز ان صدوره عنهم بكمال الرغبة والنشاط هذا هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل وقد ذكر في تفسير الآيات الكريمة واعرابها وجوه اخر فتأمل والله الموفق **وان كانوا ليقولون** ان هي المخففة من الثقيلة وضمير الشأن محذوف واللام هي الفارقة اي ان الشأن كانت قريش تقول **لو ان عندنا ذكرا من الاولين** اي كتابا من كتب الاولين التوراة والانجيل **لكنا عباد الله المخلصين** اي لأخلصنا العبادة لله تعالى وما خالفنا كما خالفوا وهذا كقولهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم والفاء في قوله تعالى **فكفروا به** فصيحة كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فجاءهم ذكر اي ذكر سيد الاذكار وكتاب مهيمن على سائر الكتب والاسفار فكفروا به **فسوف يعلمون** اي عاقبة كفرهم وغائلته **ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين** استئناف مقرر للوعيد وتصديره بالقسم لغاية الاعتناء بتحقيق مضمونه اي وبالله لقد سبق وعدنا لهم بالنصرة والغلبة وهو قوله تعالى **انهم لهم المنصورون وان جندنا** وهم اتباع المرسلين **لهم الغالبون** على اعدائهم في الدنيا والآخرة ولا يقدح في ذلك انهزامهم في بعض المشاهد فان قاعدة امرهم واساسه الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة وقرئ على عبادنا بتضمين سبقت معنى حقت وتسميتها كلمة مع انها كلمات لانتظامها في معنى واحد وقرئ كلماتنا **فتول عنهم** فاعرض عنهم واصبر **حتى حين** الى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وقيل يوم بدر وقيل يوم الفتح **وابصرهم** على سوء حال وافظع نكال حل بهم من القتل والاسر والمراد بالامر بابصارهم الايذان بغاية قربه كأنه بين يديه **فسوف يبصرون** ما يقع حينئذ من الامور وسوف للوعيد دون التبعيد **افبعذابنا يستعجلون** روي انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل **فاذا نزل بساحتهم** اي فاذا نزل العذاب الموعود بفنائهم كأنه جيش قد هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم بالمرة وقيل المراد نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وقرئ نزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور وقرئ نزل مبنيا للمفعول من التنزيل اي نزل العذاب **فساء صباح المنذرين** فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت منهم الغارة في الصباح سموها صباحا وان وقعت ليلا روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اتى خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال صلى الله عليه وسلم الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين **وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون** تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تسلية وتأكيد لوقوع الميعاد غب تأكيد مع ما في اطلاق الفعلين عن المفعول من الايذان بان ما يبصره عليه السلام حينئذ من فنون المسار وما يبصرونه من الوان المضار لا يحيط به الوصف والبيان وقيل اريد بالاول عذاب الدنيا وبالثاني عذاب الآخرة **سبحان ربك رب العزة عما يصفون** تنزيه لله سبحانه عن كل ما يصفه المشركون به مما لا يليق بجناب كبريائه وجبروته مما ذكر في السورة الكريمة وما لم يذكر من الامور التي من جملتها ترك انجاز الموعود وعلى موجب كلمته السابقة لا سيما في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية المعربة عن التربية والتكميل والمالكية الكلية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام اولا والى العزة ثانيا كأنه قيل سبحان من هو مربيك ومكملك ومالك العزة والغلبة على الاطلاق عما يصفه المشركون به من الاشياء التي منها ترك نصرتك عليهم كما يدل عليه استعجالهم بالعذاب وقوله تعالى **وسلام على المرسلين** تشريف لهم عليهم السلام بعد تنزيهه تعالى عما ذكر وتنويه بشأنهم وايذان بانهم سالمون عن كل المكاره فائزون بجميع المآرب وقوله تعالى **والحمد لله رب العالمين** اشارة الى وصفه عز وجل بصفاته الكريمة الثبوتية على اتصافه تعالى بجميع صفاته السلبية وايذان باستتباعها للافعال الجميلة التي من جملتها افاضته عليهم من فنون الكرامات السنية والكمالات الدينية والدنيوية واسباغه عليهم وعلى من تبعهم من صنوف النعماء الظاهرة والباطنة الموجبة لحمده تعالى واشعار بان وعده عليه السلام من النصرة والغلبة قد تحقق والمراد تنبيه المؤمنين على كيفية تسبيحه تعالى وتحميده والتسليم على رسله الذين هم وسائط بينهم وبينه عز وعلا في فيضان الكمالات الدينية والدنيوية عليهم ولعل توسيط التسليم على المرسلين بين تسبيحه تعالى وتحميده لختم السورة الكريمة بحمده تعالى مع ما فيه من الاشعار بان توفيقه تعالى للتسليم عليهم من جملة نعمه الموجبة للحمد عن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة انه كان مؤمنا بالمرسلين

سورة ص

بسم الله الرحمن الرحيم

ص بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان يكون الفتح باضمار حرف القسم في موقع الجر كقولهم الله لأفعلن بالجر وان يكون ذلك نصبا باضمار اذكر او اقرأ لا فتحا كما مر في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث لانها علم للسورة وقد صرفها من قرأ صاد بالتنوين على انه اسم الكتاب والتنزيل وقيل هو في قراءة الكسر امر من المصاداة وهي المعارضة والمقابلة ومنها الصدى الذي ينعكس من الاجسام الصلبة بمقابلة الصوت ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه وتخلق باخلاقه ثم ان جعل اسما للحرف مسرودا على منهاج التحدي والرمز الى كلام مثل صدق الله او صدق محمد كما نقل عن السلف او اسما للسورة خبرا لمبتدأ محذوف او نصبا على اضمار اذكر او اقرأ او امرا من المصاداة فالواو في قوله تعالى **والقرآن ذي الذكر** للقسم وان جعل قسما به فهي للعطف عليه فان اريد بالقرآن كله فالمغايرة بينهما حقيقية وان اريد عين السورة فهي اعتبارية كما في قولك مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة واياما كان ففي التكرير مزيد تأكيد لمضمون الجملة المقسم عليها والذكر الشرف والنباهة كما في قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك او الذكرى والموعظة او ما ذكر ما يحتاج اليه في امر الدين من الشرائع والاحكام وغيرها من اقاصيص الانبياء عليهم السلام واخبار الامم الدارجة والوعد والوعيد وجواب القسم على الوجه الاول والرابع والخامس محذوف هو ما ينبئ عنه التحدي والامر والاقسام به من كون المتحدى به معجزا وكون المأمور به واجبا وكون المقسم به حقيقا بالاعظام اي بالقرآن او بصاد وبه انه لمعجز او لواجب العمل به او لحقيق بالاعظام واما على الوجهين الباقيين فهو الكلام المرموز اليه ونفس الجملة المذكورة قبل القسم فان التسمية تنويه بشأن المسمى وتنبيه على عظم خطره اي انه لصادق والقرآن ذي الذكر او هذه السورة عظيمة الشأن والقرآن الى آخره على طريقة قولهم هذا حاتم والله ولما كان كل واحد من هذه الاجوبة منبئا عن انتفاء الريب عن مضمونه بالكلية انباء بينا كان قوله تعالى **بل الذين كفروا في عزة وشقاق** اضرابا عن ذلك كأنه قيل لا ريب فيه قطعا وليس عدم اذعان الكفرة له لشائبة ريب ما فيه بل هم في استكبار وحمية شديدة وشقاق بعيد لله تعالى ولرسوله ولذلك لا يذعنون له وقيل الجواب ما دل عليه الجملة الاضرابية اي ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا الى آخره وقرئ في غرة اي في غفلة عما يجب عليهم التنبه له من مبادي الايمان ودواعيه **كم اهلكنا من قبلهم من قرن** وعيد لهم على كفرهم واستكبارهم ببيان ما اصاب من قبلهم من المستكبرين وكم مفعول اهلكنا ومن قرن تمييز والمعنى قرنا كثيرا اي اهلكنا من القرون الخالية **فنادوا** عند نزول بأسنا وحلول نقمتنا استغاثة وتوبة لينجوا من ذلك وقوله تعالى **ولات حين مناص** حال من ضمير نادوا اي نادوا واستغاثوا طلبا للنجاة

والحال أن ليس الحين حين مناص اي فوت ونجاة من ناصه اي فاته لا من ناص بمعنى تأخر ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث
للتأكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بنفي الأحيان وحين مناص منصوب على انه اسمها اي ولا الحين حين مناص لهم او بفعل مضمر اي ولا أرى
حين مناص وقرئ بالرفع فهو على الاول اسمها والخبر محذوف اي ليس حين مناص حاصلا لهم وعلى الثاني مبتدأ محذوف الخبر اي ولا حين
مناص كائن لهم وقرئ بالكسر كما في قوله طلبوا صلحنا ولات اوان فأجبنا ان لات حين بقاء اما لان لات تجر الأحيان كما ان لولا تجر
الضمائر في نحو قوله لولاك هذا العام لم أحجج او لأن اوان شبه باذ في قوله نهيتك عن طلابك ام عمرو بعافية وانت اذ صحيح في انه زمان
قطع منه المضاف اليه وعوض التنوين لان اصله اوان صلح ثم حمل عليه حين مناص تنزيلا لقطع المضاف اليه من مناص اذ اصله حين مناصهم منزلة
قطعه من حين لما بين المضافين من الاتحاد ثم بني الحين لاضافته الى غير متمكن وقرئ لات بالكسر كجير ويقف الكوفيون عليها بالهاء كالاسماء
والبصرية بالتاء كالافعال وما قيل ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به في الامام مما لا وجه له فان خط المصحف خارج عن القياس **وعجبوا**
ان جاءهم منذر منهم حكاية لاباطيلهم المتفرعة على ما حكى من استكبارهم وشقاقهم اي عجبوا من ان جاءهم رسول من جنسهم بل أدون منهم
في الرياسة الدنيوية والمال على معنى انهم عدّوا ذلك امرا عجيبا خارجا عن احتمال الوقوع وانكروه اشدّ الانكار لا انهم اعتقدوا وقوعه
وتعجبوا منه **وقال الكافرون** وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وايذانا بانه لا يتجاسر على مثل ما يقولونه الا المتوغلون في الكفر والفسوق
هذا ساحر فيما يظهره من الخوارق **كذاب** فيما يسنده الى الله تعالى من الارسال والانزال **أجعل الآلهة الها واحدا** بأن نفى الالوهية عنهم وقصرها
على واحد **ان هذا لشيء عجاب** بليغ في العجب وذلك لانه خلاف ما ألفوا عليه آباءهم الذين اجمعوا على الوهيتهم وواظبوا على عبادتهم كابرا عن كابر
فان مدار كل ما يأتون وما يذرون من امور دينهم هو التقليد والاعتياد فيعدّون ما يخالف ما اعتادوه عجيبا بل محالا واما جعل مدار تعجبهم عدم
وفاء علم الواحد وقدرته بالاشياء الكثيرة فلا وجه له لما انهم لا يدعون ان لآلهتهم علما وقدرة ومدخلا في حدوث شيء من الاشياء
حتى يلزم من نفي الوهيتهم بقاء الآثار بلا مؤثر وقرئ عجّاب بالتشديد وهو ابلغ ككرّام وكُرام روي انه لما اسلم عمر رضي الله تعالى عنه شق
ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم فاتوا ابا طالب فقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وجئناك
لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك
فقال صلى الله عليه وسلم ماذا تسألونني فقالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال صلى الله عليه وسلم أرأيتم ان اعطيتكم ما سألتم
أمعطيّ انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك **وانطلق الملأ منهم**
اي وانطلق اشراف من قريش عن مجلس ابي طالب بعد ما بكّتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد وشاهدوا تصلبه عليه السلام في الدين وعزيمته
على ان يظهره على الدين كله ويئسوا مما كانوا يرجونه بتوسط ابي طالب من المصالحة على الوجه المذكور **ان امشوا** اي قائلين بعضهم لبعض على
وجه النصيحة **واصبروا على آلهتكم** اي واثبتوا على عبادتها متحملين لما تسمعونه في حقها من القدح وان هي المفسرة لان الانطلاق
عن مجلس التقاول لا يخلو عن القول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية
للتفاؤل اي اجتمعوا واكثروا وقرئ امشوا بغير ان على اضمار القول وقرئ يمشون ان اصبروا **ان هذا لشيء يراد** تعليل للامر بالصبر او لوجوب
الامتثال به اي هذا الذي شاهدناه من محمد صلى الله عليه وسلم من امر التوحيد ونفي آلهتنا وابطال امرها لشيء يراد اي من جهته عليه السلام
امضاؤه وتنفيذه لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لا قول يقال من طرف اللسان او امر يرجى فيه المسامحة بشفاعة او امتنان
فاقطعوا اطماعكم عن استنزاله من رأيه بوساطة ابي طالب وشفاعته وحسبكم ان لا تمنعوا من عبادة آلهتكم بالكلية فاصبروا عليها وتحملوا
ما تسمعونه في حقها من القدح وسوء المقالة وقيل ان هذا الامر لشيء يريده الله تعالى ويحكم بامضائه وما اراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه
الا الصبر وقيل ان هذا الامر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه وقيل ان دينكم لشيء يراد اي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه
وقيل ان هذا الذي يدعيه من التوحيد او يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى ويريده كل احد فتأمل في هذه الاقاويل
واختر منها ما يساعده النظم الجليل **ما سمعنا بهذا** الذي يقوله **في الملة الآخرة** اي الملة النصرانية التي هي آخر الملل فانهم مثلثة او في الملة
التي ادركنا عليها آباءنا ويجوز ان يكون الجار والمجرور حالا من هذا اي ما سمعنا بهذا من اهل الكتاب ولا الكهان كائنا في الملة المترقبة

ولقد كذبوا في ذلك اقبح كذب فان حديث البعث والتوحيد كان اشهر الامور قبل الظهور **ان هذا** اي ما هذا **الا اختلاق** اي كذب اختلقه **أأنزل**
عليه الذكر اي القرآن **من بيننا** ونحن رؤساء الناس واشرافهم كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ومرادهم انكار كونه
ذكرا منزلا من الله عز وجل كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه وامثال هذه المقالات الباطلة دليل على ان مناط تكذيبهم ليس الا الحسد
وقصر النظر على الحطام الدنيوي **بل هم في شك من ذكري** اي من القرآن او الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن النظر في الادلة المؤدية الى
العلم بحقيته وليس في عقيدتهم ما يبتون به فهم مذبذبون بين الاوهام ينسبونه تارة الى السحر واخرى الى الاختلاق **بل لما يذوقوا عذاب** اي
بل لم يذوقوا بعد عذابي فاذا ذاقوه تبين لهم حقيقة الحال وفي لمّا دلالة على ان ذوقهم على شرف الوقوع والمعنى انهم لا يصدقون به حتى
يذوقوا العذاب ويمسهم اليم العقاب وقيل لم يذوقوا عذابي الموعود في القرآن ولذلك شكّوا فيه **ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب**
بل اعندهم خزائن رحمته تعالى يتصرفون فيها حسبما يشاؤون حتى يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا ويتحكموا فيها بمقتضى آرائهم
فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله عز وجل يتفضل بها على من يشاء من عباده المصطفين لا مانع له
فانه العزيز اي الغالب الذي لا يغالب الوهاب الذي له ان يهب كل ما يشاء وفي اضافة اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ الى الكمال الى
ضميره عليه السلام من تشريفه واللطف به ما لا يخفى وقوله تعالى **ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما** ترشيح لما سبق اي بل ألهم ملك هذه العوالم
العلوية والسفلية حتى يتكلموا في الامور الربانية ويتحكموا في التدابير الالهية التي يستأثر بها رب العزة والكبرياء وقوله تعالى
فليرتقوا في الاسباب جواب شرط محذوف اي ان كان لهم ما ذكر من الملك فليصعدوا في المعارج والمناهيج التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا
عليه ويدبروا امر العالم وينزلوا الوحي الى من يختارون ويستصوبون وفيه من التهكم بهم ما لا غاية وراءه والسبب في الاصل هو الوصلة
وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث السفلية وقيل ابوابها **جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب** اي هم جند ما من الكفار المتحزبين
على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث بما يهذون وما مزيدة للتقليل والتحقير نحو اكلت شيئا ما وقيل للتعظيم
على الهزء وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم وقوله تعالى **كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون**
ذو الاوتاد الى آخره استئناف مقرر لمضمون ما قبله ببيان احوال العتاة الطغاة الذين هؤلاء جند من جنودهم مما فعلوا من التكذيب وفعل
بهم من العقاب وذو الاوتاد معناه ذو الملك الثابت اصله من ثبات البيت المطنب باوتاده فاستعير لثبات الملك ورسوخ السلطنة
واستقامة الامر كان الاسود بن يعفر ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد وذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد
بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب اربع سوار وكان يمد يدي المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها اوتادا ويتركه حتى يموت وقيل
كان يمده بين اربعة اوتاد في الارض ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له اوتاد وحبال يلعب بها بين يديه **وثمود وقوم لوط**
واصحاب الايكة اصحاب الغيضة من قوم شعيب عليه السلام وقوله **اولئك الاحزاب** اما بدل من الطوائف المذكورة كما ان ذلك الكتاب بدل من الم
على احد الوجوه وفيه فضل تأكيد وتنبيه على انهم الذين جعل الجند المهزوم منهم وقوله تعالى **ان كل الا كذب الرسل** استئناف جيء به تقريرا لتكذيبهم
وبيانا لكيفيته وتمهيدا لما يعقبه اي ما كل احد من آحاد اولئك الاحزاب او ما كل حزب منهم الا كذب الرسل لان تكذيب واحد منهم تكذيب لهم جميعا
لاتفاق الكل على الحق وقيل ما كل حزب الا كذب رسوله على نهج مقابلة الجمع بالجمع وايا ما كان فالاستثناء مفرغ من اعم العام في خبر المبتدأ
اي ما كل احد منهم محكوما عليه بحكم الا محكوم عليه بانه كذب الرسل وقيل ما كل واحد منهم مخبرا عنه بخبر الا مخبر عنه بانه كذب الرسل وفي اسناد
التكذيب الى الطوائف المذكورة على وجه الابهام اولا والايذان بان كلا منهم حزب على حياله تحزب على رسوله ثانيا وتبيين كيفية تكذيبهم بالجملة
الاستثنائية ثالثا فنون من المبالغة مسجلة عليهم باستحقاق اشد العذاب وافظعه ولذلك رتب عليه قوله تعالى **فحق عقاب** اي ثبت ووقع
على كل منهم عقابي الذي كانت توجبه جناياتهم من اصناف العقوبات المفصلة في مواقعها واما مبتدأ وقوله تعالى ان كل الا كذب الرسل خبره
بحذف العائد اي ان كل منهم الى آخره والجملة استئناف مقرر لما قبله مؤكد لمضمونه مع ما فيه من بيان كيفية تكذيبهم والتنبيه على انهم الذين
جعل الجند المهزوم منهم منهم وانهم الذين وجد منهم التكذيب فتدبر واما ما قيل من انه خبر والمبتدأ قوله وعاد الى آخره او قوله
وقوم لوط الى آخره فمما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله **وما ينظر هؤلاء** شروع في بيان عقاب كفار مكة اثر بيان عقاب اضرابهم من الاحزاب

الذين أخبر فيما سبق بأنهم جند حقير منهزم عن قريب فإن ذلك مما يوجب انتظار السامع وترقبه إلى بيانه قطعا وفي الإشارة إليهم بهؤلاء
تحقير لشأنهم وتهوين لأمرهم وأما جعلها إشارة إلى الأحزاب باعتبار حضورهم بحسب الذكر أو حضورهم في علم الله عز وجل فليس في حيز الاحتمال
أصلا كيف لا والانتظار سواء كان حقيقة أو استهزاء إنما يتصور في حق من لم يترتب على أعماله تمام أجزيتها بعد وبعد ما بين عقاب الأحزاب واستئصالهم
بالمرة لم يبق مما أريد بيانه من عقوباتهم أمر أشد منه وما يلاقوا بعد شيئا من غوائلها أي وما ينتظر هؤلاء الكفرة الذين هم أمثال أولئك
الطوائف المهلكة في الكفر والتكذيب **إلا صيحة واحدة** هي النفخة الثانية لا بمعنى أن عقابهم نفسها بل في بيان أنها من الشدة والهول فإنها داهية يعم
هولها جميع الأمم برها وفاجرها بل بمعنى أنه ليس بينهم وبين حلول ما أعد لهم من العقاب الفظيع إلا هي حيث أخرت عقوبتهم إلى الآخرة لما أن
تعذيبهم بالاستئصال حسبما يستحقونه والنبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم خارج عن السنة الإلهية على الحكم الباهرة كما نطق به قوله تعالى وما كان الله
ليعذبهم وأنت فيهم وأما ما قيل من أنها النفخة الأولى فمما لا وجه له أصلا لما أنه لا يشاهد هولها ولا يصعق بها إلا من كان حيا عند وقوعها وليس
عقابهم الموعود واقعا عقيبها ولا العذاب المطلق مؤخرا عنها بل يحل بهم من حين موتهم **ما لها من فواق** أي من توقف مقدار فواق
وهو ما بين الحلبتين وقرئ بضم الفاء وهما لغتان وقوله تعالى **وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب** حكاية لما قالوه عند سماعهم بتأخير
عقابهم إلى الآخرة أي قالوا بطريق الاستهزاء والسخرية عجل لنا قطنا من العذاب الذي توعدنا به ولا تؤخره إلى يوم الحساب الذي مبدؤه
الصيحة المذكورة والقط القطعة من الشيء من قطه إذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لأنها قطعة من القرطاس وقد فسر بها أي
عجل لنا صحيفة أعمالنا لننظر فيها وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله تعالى المؤمنين بالجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا
منها وتصدير دعائهم بالنداء المذكور للإمعان في الاستهزاء كأنهم يدعون ذلك بكمال الرغبة والابتهال **اصبر على ما يقولون** من أمثال هذه
المقالات الباطلة **واذكر** لهم **عبدنا داود** أي قصته تهويلا لأمر المعصية في أعينهم وتنبيها لهم على كمال قبح ما اجترءوا عليه من المعاصي فإنه عليه السلام
مع علو شأنه واختصاصه بعظائم النعم والكرامات لما ألم بصغيرة نزل عن منزلته ووبخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر
ربه وأناب ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائب وغمه الواصب ونوحه الدائم فما ظنك بهؤلاء الكفرة الأذلين من كل ذليل المرتكبين
لأكبر الكبائر المصرين على أعظم المعاصي أو تذكر قصته عليه السلام وصن نفسك أن تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل أذيتهم كيلا يلقاك
ما لقيه من المعاتبة **ذا الأيد** أي ذا القوة يقال فلان أيد وذو أيد وآد بمعنى وأياد كل شيء ما يتقوى به **إنه أواب** رجاع إلى
مرضاة الله تعالى وهو تعليل لكونه ذا الأيد ودليل على أن المراد به القوة في الدين فإنه عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم
نصف الليل **إنا سخرنا الجبال معه** استئناف مسوق لتعليل قوته في الدين وأوابيته إلى مرضاته تعالى ومع متعلقة بالتسخير وإيثارها على اللام
لما أشير إليه في سورة الأنبياء من أن تسخير الجبال له عليه السلام لم يكن بطريق تفويض التصرف الكلي فيها إليه عليه السلام كتسخير الريح وغيرها
لسليمان عليه السلام بل بطريق التبعية له عليه السلام والاقتداء به في عبادة الله تعالى وقيل متعلقة بما بعدها وهو أقرب بالنسبة إلى ما في
سورة الأنبياء **يسبحن** أي يقدسن الله عز وجل بصوت يتمثل له أو يخلق الله تعالى فيها الكلام أو بلسان الحال وقيل يسرن معه من السباحة
وهو حال من الجبال وضع موضع مسبحات للدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال أو استئناف مبين لكيفية التسخير **بالعشي والإشراق** أي
ووقت الإشراق وهو حين تشرق الشمس أي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق
وعن أم هانئ رضي الله عنها أنه عليه السلام صلى صلاة الضحى وقال هذه صلاة الإشراق وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت صلاة
الضحى إلا بهذه الآية **والطير** عطف على الجبال **محشورة** حال من الطير والعامل سخرنا أي وسخرنا الطير حال كونها محشورة وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما كان إذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت إليه الطير فسبحت وذلك حشرها وقرئ والطير محشورة بالرفع على الابتداء
والخبرية **كل له أواب** استئناف مقرر لمضمون ما قبله مصرح بما فهم منه إجمالا من تسبيح الطير أي كل واحد من الجبال والطير لأجل تسبيحه رجاع إلى التسبيح
ووضع الأواب موضع المسبح إما لأنها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لأنه يرجع إلى فعله رجوعا بعد رجوع وإما لأن الأواب هو
التواب الكثير الرجوع إلى الله تعالى ومن دأبه إكثار الذكر وإدامة التسبيح والتقديس وقيل الضمير لله عز وعلا أي كل من داود والجبال والطير له
أواب أي مسبح مرجع للتسبيح **وشددنا ملكه** قويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة قيل كان يبيت حول محرابه

أربعون ألف مستلئم وقيل ادعى رجل على آخر بقرة وعجز عن إقامة البينة فأوحي إليه في المنام أن اقتل المدعى عليه فتأخر فأعيد الوحي في اليقظة
فأعلم الرجل فقال إن الله تعالى لم يأخذني بهذا الذنب ولكن بأني قتلت أبا هذا غيلة فقتله فقال الناس إن أذنب أحد ذنبا أظهره الله تعالى
عليه فقتله فهابوه وعظمت هيبته في القلوب **وآتيناه الحكمة** النبوة وكمال العلم وإتقان العمل وقيل الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق
الحق فهو حكمة **وفصل الخطاب** أي فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل أو الكلام المخلص الذي ينبه المخاطب على المرام من غير التباس لما قد روعي فيه مظان الفصل
والوصل والعطف والاستئناف والإضمار والإظهار والحذف والتكرار وإنما سمي به أما بعد لأنه يفصل المقصود عما سيق تمهيدا له
كالحمد والصلوة وقيل هو الخطاب الفصل الذي ليس فيه إيجاز مخل ولا إطناب ممل كما جاء في نعت كلام النبوة فصل لا نزر ولا هذر **وهل أتاك**
نبأ الخصم استفهام معناه التعجيب والتشويق إلى استماع ما في حيزه للإيذان بأنه من الأنباء البديعة التي حقها أن تشيع فيما بين كل حاضر
وباد والخصم في الأصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد وما فوقه كالضيف ومعنى خصمان فريقان **إذ تسوروا المحراب** أي تصعدوا سوره
ونزلوا إليه والسور الحائط المرتفع ونظيره تسنمه إذا علا سنامه وتذراه إذا علا ذروته وإذ متعلقة بمحذوف أي نبأ تحاكم الخصم إذ تسوروا
أو بالنبأ على أن المراد به الواقع في عهد داود عليه السلام وأن إسناد الإتيان إليه على حذف مضاف أي قصة نبأ الخصم أو بالخصم
لما فيه من معنى الخصومة لا بأتى لأن إتيانه الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن حينئذ وقوله تعالى **إذ دخلوا على داود** بدل مما قبله أو ظرف لتسوروا
ففزع منهم روي أنه تعالى بعث إليه ملكين في صورة إنسانين قيل هما جبريل وميكائيل عليهما السلام فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته
فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب بمن معهما من الملائكة فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم لأنهم نزلوا عليه من فوق على خلاف
العادة والحرس حوله وفي غير يوم الحكومة والقضاء قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما إن داود عليه السلام جزأ زمانه أربعة أجزاء يوما
للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخاصة نفسه ويوما للوعظ والتذكير **قالوا** استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية فزعه
عليه السلام كأنه قيل فماذا قالت الملائكة عندما شاهدوا فزع داود عليه السلام فقيل قالوا إزالة لفزعه **لا تخف خصمان** أي نحن فوجان متخاصمان
على تسمية مصاحب الخصم خصما **بغى بعضنا على بعض** هو على الفرض وقصد التعريض فلا كذب فيه **فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط** أي لا تجر في الحكومة
وقرئ ولا تشطط أي لا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق **واهدنا إلى سواء**
الصراط إلى وسط طريق الحق بزجر الباغي عما سلكه من طريق الجور وإرشاده إلى منهاج العدل **إن هذا أخي** استئناف لبيان ما فيه الخصومة أي أخي في
الدين أو في الصحبة والتعرض لذلك تمهيد لبيان كمال قبح ما فعل به صاحبه **له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة** هي الأنثى من الضأن وقد يكنى
بها عن المرأة والكناية والتعريض أبلغ في المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرئ ولي نعجة بسكون الياء **فقال**
أكفلنيها أي ملكنيها وحقيقته اجعلني أكفلها كما أكفل ما تحت يدي وقيل اجعلها كفلي أي نصيبي **وعزني في الخطاب** أي غلبني في مخاطبته إياي
محاجة بأن جاء بحجاج لم أقدر على رده أو في مغالبته إياي في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا أي غالبني في الخطبة
فغلبني حيث زوجها دوني وقرئ وعازني أي غالبني وعزني بتخفيف الزاي طلبا للخفة وهو تخفيف غريب كأنه قيس على ظلت ومست
قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه جواب قسم محذوف قصد به عليه السلام المبالغة في إنكار فعل صاحبه وتهجين طمعه في نعجة من ليس له غيرها مع أن له
قطيعا منها ولعله عليه السلام قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما ادعاه عليه أو بناه على تقدير صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف
إلى مفعوله وتعديته إلى مفعول آخر بإلى لتضمينه معنى الإضافة والضم **وإن كثيرا من الخلطاء** أي الشركاء الذين خلطوا أموالهم **ليبغي** ليتعدى وقرئ
بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة **بعضهم على بعض** غير مراع لحق الصحبة والشركة **إلا الذين آمنوا وعملوا**
الصالحات منهم فإنهم يتحامون عن البغي والعدوان **وقليل ما هم** أي وهم قليل وما مزيدة للإبهام والتعجب من قلتهم والجملة اعتراض **وظن**
داود أنما فتناه الظن مستعار للعلم الاستدلالي لما بينهما من المشابهة الظاهرة أي علم بما جرى في مجلس الحكومة وقيل لما قضى بينهما نظر
أحدهما إلى صاحبه فضحك ثم صعدا إلى السماء حيال وجهه فعلم عليه السلام أنه تعالى ابتلاه وليس المعنى على تخصيص الفتنة به عليه السلام دون غيره
بتوجيه القصر المستفاد من كلمة إنما إلى المفعول بالقياس إلى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيه القصر إلى متعلقات الفعل وقيوده
باعتبار النفي فيه والإثبات فيها كما في مثل قولك إنما ضربت زيدا وإنما ضربته تأديبا بل على تخصيص حاله عليه السلام بالفتنة بتوجيه

القصر الى نفس الفعل بالقياس الى ما يغايره من الافعال لكن لا باعتبار النفي والاثبات معا في خصوصية الفعل فانه غير ممكن قطعا بل باعتبار النفي
فيما فيه من معنى مطلق الفعل واعتبار الاثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فان كل فعل من الافعال المخصوصة ينحل عند التحقيق الى معنى
مطلق هو مدلول لفظ الفعل والى معنى مخصوص يقارنه ويقيده وهو اثره في الحقيقة فان معنى نصر مثلا فعل النصر يرشدك الى ذلك
قولهم معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء والمنع فمورد القصر في الحقيقة ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي فيه والاثبات فيما يتعلق به فالمعنى
وعلم داود انما فعلنا به الفتنة لا غير قيل ابتليناه بامرأة اوريا وقيل امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها لما قصد منها وايثار طريق
التمثيل لانه ابلغ في التوبيخ فان التأمل فيه اذا اداه الى الشعور بما هو الغرض كان اوقع في نفسه واعظم تأثيرا في قلبه وادعى الى التنبه
للخطاب مع ما فيه من مراعاة حرمته عليه السلام بترك المجاهرة والاشعار بانه امر يستحيي من التصريح به وتصويره بصورة التحاكم لالجائه
عليه السلام الى التصريح بنسبة نفسه الى الظلم وتنبيهه عليه السلام على ان اوريا بصدد الخصام فاستغفر ربه اثر ما علم ان ما صدر عنه ذنب
وخر راكعا اي ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبداؤه او خر للسجود راكعا اي مصليا كانه احرم بركعتي الاستغفار وأناب اي رجع الى الله
تعالى بالتوبة واصل القصة ان داود عليه السلام رأى امرأة رجل يقال له اوريا فمال قلبه اليها فسأله ان يطلقها فاستحيي ان يرده ففعل
فتزوجها وهي ام سليمان عليهما السلام وكان ذلك جائزا في شريعته معتادا فيما بين امته غير مخل بالمروءة حيث كان يسأل بعضهم بعضا
ان ينزل عن امرأته فيتزوجها اذا اعجبته وقد كان الانصار في صدر الاسلام يواسون المهاجرين بمثل ذلك من غير نكير خلا انه عليه السلام لعظم
منزلته وارتفاع مرتبته وعلو شأنه نبه بالتمثيل على انه لم يكن ينبغي له ان يتعاطى ما يتعاطاه آحاد امته ويسأل رجلا ليس له الا امرأة
واحدة ان ينزل عنها فيتزوجها مع كثرة نسائه بل كان يجب عليه ان يغالب هواه ويقهر نفسه ويصبر على ما امتحن به وقيل لم يكن اوريا تزوجها
بل كان خطبها داود عليه السلام فآثره عليه السلام اهلها فكان ذنبه عليه السلام ان خطب على خطبة اخيه المسلم هذا واما ما يذكر من انه عليه السلام
دخل ذات يوم محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها
لابن له صغير فطارت فامتد اليها فطارت فوقعت في كوة فتبعها فابصر امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امرأة اوريا
وهو من غزاة البلقاء فكتب الى ايوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء ان ابعث اوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت
لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله تعالى على يده او يستشهد ففتح الله تعالى على يده وسلم فامر برده مرة اخرى وثالثة حتى قتل واتاه خبر
قتله فلم يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فافك مبتدع مكروه ومكر مخترع بئسما مكروه تمجه الاسماع وتنفر عنه الطباع ويل لمن ابتدعه
واشاعه وتبا لمن اخترعه واذاعه ولذلك قال علي رضي الله تعالى عنه من حدث بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مائة
وستين وذلك حد الفرية على الانبياء صلوات الله تعالى عليهم هذا وقد قيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه عليه السلام فتسوروا المحراب
ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم عليه السلام غرضهم فهم بان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء له من الله تعالى فاستغفر
ربه مما هم به فاناب فغفرنا له ذلك اي ما استغفر عنه وروي انه عليه السلام بقي ساجدا اربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه الا لصلاة مكتوبة
او لما لا بد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت العشب الى رأسه ولم يشرب ماء الا ثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا الى الله تعالى في العفو عنه حتى كاد يهلك
واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه فاجتمع اليه اهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه
وان له عندنا لزلفى لقربة وكرامة بعد المغفرة وحسن مآب حسن مرجع في الجنة يا داود انا جعلناك خليفة اما حكاية لما خوطب به عليه السلام مبينة
لزلفاه عنده عز وجل واما مقول لقول مقدر هو معطوف على غفرنا او حال من فاعله اي وقلنا له او قائلين له يا داود انا جعلناك خليفة اي استخلفناك
على الملك فيها والحكم فيما بين اهلها او جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل بين على ان حاله عليه السلام
بعد التوبة كما كانت قبلها لم تتغير قط فاحكم بين الناس بالحق بحكم الله تعالى فان الخلافة بكلا معنييه مقتضية له حتما ولا تتبع الهوى اي هوى النفس
في الحكومات وغيرها من امور الدين والدنيا فيضلك عن سبيل الله بالنصب على انه جواب النهي وقيل هو مجزوم بالعطف على النهي مفتوح لالتقاء الساكنين
اي فيكون الهوى او اتباعه سببا لضلالك عن دلائله التي نصبها على الحق تكوينا وتشريعا وقوله تعالى ان الذين يضلون عن سبيل الله تعليل
لما قبله ببيان غائلته واظهار سبيل الله في موقع الاضمار لزيادة التقرير والايذان بكمال شناعة الضلال عنه لهم عذاب شديد جملة من خبر

من خبر ومبتدأ وقعت خبرا لان او الظرف خبر لان وعذاب مرتفع على الفاعلية بما فيه من الاستقرار بما نسوا بسبب نسيانهم وقوله تعالى
يوم الحساب اما مفعول لنسوا فيكون تعليلا صريحا لثبوت العذاب الشديد لهم بنسيان يوم الحساب بعد الاشعار بعليته بما يستتبعه ويستلزمه
اعني الضلال عن سبيل الله فانه مستلزم لنسيان يوم الحساب بالمرة بل هذا فرد من افراده او ظرف لقوله تعالى لهم اي لهم عذاب شديد
يوم القيمة بسبب نسيانهم الذي هو عبارة عن ضلالهم ومن ضرورته ان يكون مفعوله سبيل الله فيكون التعليل المصرح به حينئذ عين
التعليل المشعر به بالذات غيره بالعنوان ومن لم يتنبه لهذا السر السري قال بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره
يقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوى فتدبر وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا كلام مستأنف مقرر لما قبله من امر البعث والحساب
والجزاء اي ما خلقناهما وما بينهما من المخلوقات على هذا النظم البديع الذي يحار في فهمه العقول خلقا باطلا اي خاليا عن الغاية
الجليلة والحكمة الباهرة بل منطويا على الحق المبين والحكم البالغة حيث خلقنا من بين ما خلقنا نفوسا اودعناها العقل والتمييز
بين الحق والباطل والنافع والضار ومكناها من التصرفات العلمية والعملية في استجلاب منافعها واستدفاع مضارها ونصبنا للحق
دلائل آفاقية وانفسية ومنحناها القدرة على الاستشهاد بها ثم لم نقتصر على ذلك المقدار من الالطاف بل ارسلنا اليها رسلا وانزلنا
عليها كتبا بينا فيها كل دقيق وجليل وازحنا عللها بالكلية وعرضناها بالتكليف للمنافع العظيمة واعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب
اعمالها ذلك اشارة الى ما نفي من خلق ما ذكر باطلا ظن الذين كفروا اي مظنونهم فان جحودهم بامر البعث والجزاء الذي يدور فلك
تكوين العالم قول منهم ببطلان خلق ما ذكر وخلوه عن الحكمة سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا فويل للذين كفروا مبتدأ وخبر والفاء لافادة
ترتب ثبوت الويل لهم على ظنهم الباطل كما ان وضع الموصول موضع ضميرهم للاشعار بما في حيز الصلة بعليته كفرهم له ولا تنافي بينهما لان
ظنهم من باب كفرهم ومن في قوله تعالى من النار تعليلية كما في قوله تعالى فويل لهم مما كتبت ايديهم ونظائره مفيدة لعلية النار لثبوت الويل
لهم صريحا بعد الاشعار بعلية ما يؤدي اليها من ظنهم وكفرهم اي فويل لهم بسبب النار المترتبة على ظنهم وكفرهم ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين في الارض ام منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب الانتقالي عن تقرير امر البعث والحساب والجزاء بما مر من نفي خلق العالم خاليا عن الحكم
والمصالح الى تقريره وتحقيقه بما في الهمزة من انكار التسوية بين الفريقين ونفيها على ابلغ وجه وآكده اي بل انجعل المؤمنين المصلحين كالكفرة المفسدين
في اقطار الارض كما يقتضيه عدم البعث وما يترتب عليه من الجزاء لاستواء الفريقين في التمتع بالحيوة الدنيا بل الكفرة اوفر حظا منها من المؤمنين
لكن ذلك الجعل محال فتعين البعث والجزاء حتما لرفع الاولين الى اعلى عليين ورد الآخرين الى اسفل سافلين وقوله تعالى ام نجعل المتقين كالفجار
اضراب وانتقال عن اثبات ما ذكر بلزوم المحال الذي هو التسوية بين الفريقين المذكورين على الاطلاق الى اثباته بلزوم ما هو اظهر منه استحالة وهو
التسوية بين اتقياء المؤمنين واشقياء الكفرة وحمل الفجار على فجرة المؤمنين مما لا يساعده المقام ويجوز ان يراد بهذين الفريقين عين الاولين
ويكون التكرير باعتبار وصفين آخرين هما ادخل في انكار التسوية من الوصفين الاولين وقيل قال كفار قريش للمؤمنين انا نعطى في الآخرة من الخير
ما تعطون فنزلت كتاب خبر مبتدأ محذوف هو عبارة عن القرآن او السورة وقوله تعالى انزلناه اليك صفته وقوله تعالى مبارك خبر ثان للمبتدأ
او صفة لكتاب عند من يجوز تأخير الوصف الصريح عن غير الصريح وقرئ مباركا على انه حال من مفعول انزلناه ومعنى المبارك الكثير المنافع الدينية
والدنيوية وقوله تعالى ليدبروا آياته متعلق بانزلناه اي انزلناه ليتفكروا في آياته التي من جملتها هذه الآيات المعربة عن اسرار التكوين والتشريع
فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من المعاني الفائقة والتأويلات اللائقة وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب اي انت وعلماء امتك بحذف احدى
التاءين وليتذكر اولوا الالباب اي وليتعظ به ذووا العقول السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته لما نصب عليه من
الدلائل فان الكتب الالهية مبينة لما لا يعرف الا بالشرع ومرشدة الى ما لا سبيل للعقل اليه ووهبنا لداود سليمان نعم العبد وقرئ نعم العبد اي سليمان
كما ينبئ عنه تأخيره عن داود مع كونه مفعولا صريحا لوهبنا ولان قوله تعالى انه اواب اي رجاع الى الله تعالى بالتوبة او الى التسبيح مرجع له تعليل
للمدح وهو من حاله لما ان الضمير المجرور في قوله تعالى اذ عرض عليه راجع اليه عليه السلام قطعا واذ منصوب باذكر اي اذكر ما صدر عنه اذ عرض عليه بالعشي هو من
الظهر الى آخر النهار الصافنات فانه يشهد بانه اواب وقيل ظرف لاواب وقيل لنعم وتأخير الصافنات عن الظرفين لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر والصافن
من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات المحمودة في الخيل لا يكاد يتحقق الا في العراب الخلص وقيل هو الذي يجمع يديه ويسويهما

واما الذي يقف على سنبكه فهو المتخيم **الجياد** جمع جواد وجود وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود عند الركض وقيل وصفت بالصفون والجودة
لبيان جمعها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية اي اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها وقيل هو
جمع جيد روي انه عليه السلام غزا اهل دمشق ونصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه وقيل خرجت من البحر لها
اجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الظهر على كرسيه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد كان له من الذكر وقتئذ وتهيبوه
فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها مقربا لله تعالى وبقي مائة فما في ايدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله عز وجل خيرا منها
وهي الريح تجري بامره **فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي** قاله عليه السلام عند غروب الشمس اعترافا بما صدر عنه من الاشتغال بها عن الصلوة
وندما عليه وتمهيدا لما يعقبه من الامر بردها وعقرها والتعقيب باعتبار اواخر العرض المستمر دون ابتدائه والتاكيد للدلالة على ان اعترافه وندمه
عن صميم القلب لا لتحقيق مضمون الخبر واصل احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما انيب مناب انبت عدي تعديته وحب الخير مفعوله
كانه قيل انبت حب الخير عن ذكر ربي ووضعته موضعه والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته عليه السلام ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها
قال عليه السلام الخير معقود بنواصي الخيل الى يوم القيمة وقرئ اني **حتى توارت بالحجاب** متعلق بقوله تعالى احببت باعتبار استمرار المحبة ودوامها
حسب استمرار العرض اي انبت حب الخير عن ذكر ربي واستمر ذلك حتى توارت اي غربت الشمس تشبيها لغروبها في مغربها بتواري المخباة بحجابها
واضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليها وقيل الضمير للصافنات اي حتى توارت بحجاب الليل اي بظلامه **ردوها علي** من تمام مقالة سليمان عليه السلام
ومرمى غرضه من تقديم ما قدمه ومن لم يتنبه له مع ظهوره توهم انه متصل بمضمر هو جواب لمضمر كان سائلا قال فماذا قال سليمان فقيل قال
ردوها فالفاء في قوله تعالى **فطفق مسحا** فصيحة مفصحة عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الامتثال بالامر
اي فردوها عليه فاخذ يمسح السيف **بالسوق والاعناق** اي بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اي ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده
اعناقها وسوقها حبا لها واعجابا بها وليس بذاك وقرئ بالسؤوق على همز الواو لضمها كما في ادؤر وقرئ بالسؤق تنزيلا لضمة السين
منزلة ضمة الواو وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالتباس **ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب** اظهر ما قيل
في فتنته عليه السلام ما روي مرفوعا انه قال لاطوفن الليلة على سبعين امراة تاتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى ولم يقل
ان شاء الله تعالى فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة واحدة جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله
تعالى فرسانا اجمعون وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكانوا يغذونه في السحاب فما شعر به الا ان القي على كرسيه
ميتا فتنبه لخطائه حيث لم يتوكل على الله عز وجل وقيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها واصاب بنتا له تسمى جرادة من احسن النساء
فاصطفاها لنفسه واسلمت واحبها وكان لا يرقا دمعها جزعا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح مع
ولائدها يسجدن لها كعادتهن في ملكه فاخبره آصف بذلك فكسر الصورة وعاقب المراة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه
تائبا الى الله تعالى باكيا متضرعا وكانت له ام ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امراة يعطيها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها
يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء الا في نسائه وغير سليمان
عن هيأته فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته وطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمان
حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين صباحا عدد ما عبد الوثن
في بيته فانكر آصف وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان ثم طار اللعين وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يد سليمان فبقر بطنها فاذا
هو بالخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليه باخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص وقذفه في البحر
وعلى هذا فالجسد عبارة عن صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه تمثل بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عليه السلام عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل
لم يكن محظورا حينئذ وسجود الصورة بغير علم لا يضره **قال** بدل من اناب وتفسير له **رب اغفر لي** اي ما صدر عني من الزلة **وهب لي ملكا لا ينبغي**
لاحد من بعدي لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لي مناسبة لحالي فانه عليه السلام لما نشأ في بيت الملك والنبوة وورثهما معا استدعى من ربه
معجزة جامعة لحكمهما او لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني بعد هذه السلبة او لا يصح لاحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل

والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لا ان لا يعطى احد مثله فيكون منافسة وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطى مثله احد فلا يحافظ على حدود الله
تعالى وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين جريا على سنن الانبياء عليهم السلام والصالحين وكون ذلك ادخل في الاجابة
وقرئ بي بفتح الياء **انك انت الوهاب** تعليل للدعاء بالمغفرة والهبة معا لا بالاخيرة فقط فان المغفرة ايضا من احكام وصف الوهابية قطعا
فسخرنا له الريح اي فذللناها لطاعته اجابة لدعوته فعاد امره عليه السلام الى ما كان عليه قبل الفتنة وقرئ الرياح **تجري بامره** بيان لتسخيرها له **رخاء**
اي لينة من الرخاوة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة لا تمتنع عليه كالمامور المنقاد **حيث اصاب** اي حيث قصد واراد حكى الاصمعي عن العرب اصاب الصواب
فاخطأ في الجواب **والشياطين** عطف على الريح **كل بناء وغواص** بدل من الشياطين **وآخرين مقرنين في الاصفاد** عطف على كل بناء داخل في حكم البدل
كانه عليه السلام فصل الشياطين الى عملة استعملهم في الاعمال الشاقة من البناء والغوص ونحو ذلك والى مردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل
لكفهم عن الشر والفساد ولعل اجسامهم شفافة فلا ترى صلبة فيمكن تقييدها ويقدرون على الاعمال الصعبة وقد جوز ان يكون الاقران في
الاصفاد عبارة عن كفهم عن الشرور بطريق التمثيل والصفد القيد وسمي به العطاء لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده
قيده واصفده اعطاه على عكس وعد واوعد وقوله تعالى هذا الى آخره اما حكاية لما خوطب به سليمان عليه السلام مبينة لعظم شأن ما اوتي من
الملك وانه مفوض اليه تفويضا كليا واما مقول لقول مقدر هو معطوف على سخرنا او حال من فاعله كما مر في خاتمة قصة داود عليه السلام
اي وقلنا له او قائلين له **هذا** الذي اعطيناك من الملك العظيم والبسطة والتسلط على ما لم يسلط عليه غيرك **عطاؤنا** الخاص بك **فامنن او امسك**
فاعط من شئت وامنع من شئت **بغير حساب** حال من المستكن في الامر اي غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك على الاطلاق
او من العطاء اي هذا عطاؤنا ملتبسا بغير حساب لغاية كثرته او صلة له وما بينهما اعتراض على التقديرين وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد
بالمن والامساك الاطلاق والتقييد **وان له عندنا لزلفى** في الآخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا **وحسن مآب** هو الجنة قيل فتن سليمان عليه السلام
بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وذكر الفقيه ابو حنيفة احمد بن داود الدينوري في تاريخه ان سليمان عليه السلام ورث ملك
ابيه في عصر كيخسرو بن سياوش وسار من الشام الى العراق فبلغ خبره كيخسرو فهرب الى خراسان فلم يلبث حتى هلك ثم سار سليمان عليه السلام
الى مرو ثم الى بلاد الترك فوغل فيها ثم جاز بلاد الصين ثم عطف الى ان وافى بلاد فارس فنزلها اياما ثم عاد الى الشام ثم امر ببناء بيت المقدس
فلما فرغ منه سار الى تهامة ثم الى صنعاء وكان من حديثه عليه السلام مع صاحبتها ما ذكره الله تعالى وغزا بلاد المغرب الاندلس وطنجة وغيرها
والله تعالى اعلم **واذكر عبدنا ايوب** عطف على اذكر عبدنا داود وعدم تصدير قصة سليمان عليه السلام بهذا العنوان لكمال الاتصال بينه وبين داود
عليهما السلام وايوب عليه السلام هو ابن عيص بن اسحق **اذ نادى ربه** بدل اشتمال من عبدنا وايوب عطف بيان له **اني** اي باني **مسني الشيطان** بفتح الياء
مسني وقرئ باسكانها واسقاطها **بنصب** اي تعب وقرئ بفتح النون وبفتحتين للتثقيل **وعذاب** اي الم ووصب يريد مرضه وما كان يقاسيه من فنون
الشدائد وهو المراد بالضر في قوله اني مسني الضر وهو حكاية لكلامه الذي ناداه به بعبارته والا لقيل انه مسه الى آخره والاسناد الى الشيطان اما
لانه تعالى مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاثه مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم
يغزه او لامتحان صبره فيكون اعترافا بالذنب او مراعاة للادب او لانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم او لان المراد بالنصب
والعذاب ما كان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله تعالى في ان يكفيه
ذلك بكشف البلاء او بالتوفيق لدفعه ورده بالصبر الجميل وليس هذا تمام دعائه عليه السلام بل من جملته قوله وانت ارحم الراحمين فاكتفى ههنا
عن ذكره بما في سورة الانبياء كما ترك هناك ذكر الشيطان ثقة بما ذكر ههنا وقوله تعالى **اركض برجلك** الى آخره اما حكاية لما قيل له او مقول
لقول مقدر معطوف على نادى اي فقلنا له اركض برجلك اي اضرب بها الارض وكذا قوله تعالى **هذا مغتسل بارد وشراب** فانه ايضا اما حكاية لما قيل له
بعد امتثاله بالامر ونبوع الماء او مقول لقول مقدر معطوف على مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل فضربها فنبعت عين فقلنا له هذا مغتسل تغتسل
به وتشرب منه فيبرأ ظاهرك وباطنك وقيل نبعت عينان حارة للاغتسال وباردة للشرب ويأباه ظاهر النظم الكريم وقوله تعالى **ووهبنا له اهله**
معطوف على مقدر مترتب على مقدر آخر يقتضيه القول المقدر آنفا كانه قيل فاغتسل وشرب فكشفنا بذلك ما به من ضر كما في سورة الانبياء
ووهبنا له اهله اما باحيائهم بعد هلاكهم وهو المروي عن الحسن رضي الله عنه او بجمعهم بعد تفرقهم كما قيل **ومثلهم معهم** عطف على اهله فكان له من الاولاد

ضغف ما كان قبل رحمة منا اي لرحمة عظيمة عليه من قبلنا وذكرى لأولي الألباب ولتذكيرهم بذلك ليصبروا على الشدائد كما صبر ويلجأوا الى الله تعالى فيما يحيق بهم كما لجأ ليفعل بهم ما فعل به من حسن العاقبة وخذ بيدك ضغثا معطوف على اركض او على وهبنا بتقدير قلنا اي وقلنا خذ بيدك الى آخره والاول اقرب لفظا وهذا انسب معنى فان الحاجة الى هذه الامر لا تمس الا بعد الصحة فان امرأته رحمة بنت افرائيم بن يوسف وقيل ليا بنت يعقوب وقيل ماصر بنت ميشا بن يوسف عليهم السلام ذهبت لحاجة فابطأت فحلف ان برئ ليضربنها مائة ضربة فامره الله تعالى بأخذ الضغث والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قبضة من الشجر وقال فاضرب به اي بذلك الضغث ولا تحنث في يمينك فان البر يتحقق به وقد شرع الله سبحانه هذه الرخصة رحمة عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهي باقية ويجب ان يصيب المضروب كل واحد من المائة اما باطرافها قائمة او باعراضها مبسوطة على هيئة الضرب انا وجدناه صابرا فيما اصابه في النفس والاهل والمال وليس في شكواه الى الله تعالى اخلال بذلك فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء على انه قال ذلك خيفة الفتنة في الدين حيث كان الشيطان يوسوس الى قومه بانه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ امره الى ان لم يبق منه الا القلب واللسان وروي انه عليه السلام قال في مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يهنني ما ملكت يميني ولم آكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعانا ولا كاسيا ومعي جائع او عريان فكشف الله تعالى عنه نعم العبد اي ايوب انه اواب تعليل للمدح اي رجاع الى الله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب عطف بيان لعبادنا وقرئ عبدنا اما على ان ابراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان له وقيل بدل وقيل نصب باضمار اعني والباقيان عطف على عبدنا واما على ان عبدنا اسم جنس وضع موضع الجمع اولي الأيدي والأبصار اولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين او اولي الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدي عن الاعمال لان اكثرها تباشر بها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض بالجهلة البطالين انهم كالزمنى والعماة وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع تمكنهم منهما وقرئ اولي الايد بطرح الياء والاكتفاء بالكسر وقرئ اولي الايادي على جمع الجمع انا اخلصناهم بخالصة تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة في العلم والعمل اي جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة عظيم الشأن كما ينبئ عنه التنكير التفخيمي وقوله تعالى ذكرى الدار بيان للخالصة بعد ابهامها للتفخيم اي تذكر للدار الآخرة دائما فان خلوصهم في الطاعة بسبب تذكرهم لها وذلك لان مطمح انظارهم ومطرح افكارهم في كل ما يأتون وما يذرون جوار الله عز وجل والفوز بلقائه ولا يتسنى ذلك الا في الآخرة وقيل اخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارها ويعضد الاول قراءة من قرأ بخالصتهم واطلاق الدار للاشعار بانها الدار في الحقيقة وانما الدنيا معبر وقرئ باضافة خالصة الى ذكرى اي بما خلص من ذكرى الدار على معنى انهم لا يشوبون ذكرها بهم آخر اصلا او تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شأن الانبياء عليهم السلام وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم في الخير والاخيار جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خير او خير مخفف منه كاموات في جمع ميت وميت واذكر اسماعيل فصل ذكره عن ذكر ابيه واخيه للاشعار بعراقته في الصبر الذي هو المقصود بالتذكير واليسع هو ابن اخطوب بن العجوز استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه حرف تعريف دخل على يسع كما في قول من قال رأيت الوليد بن اليزيد مباركا وقرئ والليسع كأن اصله ليسع فيعل من اللسع دخل عليه حرف التعريف وقيل هو على القراءتين علم اعجمي دخل عليه اللام وقيل هو يوشع وذا الكفل هو ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف في نبوته ولقبه فقيل فر اليه مائة نبي من بني اسرائيل من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلوة وكل اي وكلهم من الأخيار المشهورين بالخيرية هذا اشارة الى ما تقدم من الآيات الناطقة بمحاسنهم ذكر اي شرف لهم وذكر جميل يذكرون به ابدا او نوع من الذكر الذي هو القرآن وباب منه مشتمل على انباء الانبياء وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هذا ذكر من مضى من الانبياء وقوله تعالى وان للمتقين لحسن مآب شروع في بيان اجرهم الجزيل في الآجل بعد بيان ذكرهم الجميل في العاجل وهو باب آخر من ابواب التنزيل والمراد بالمتقين اما الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا واما نفس المذكورين عبر عنهم بذلك مدحا لهم بالتقوى التي هي الغاية القاصية من الكمال جنات عدن عطف بيان لحسن مآب عند من يجوز تخالفهما تعريفا وتنكيرا فان عدنا معرفة لقوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن عباده او بدل منه او نصب على المدح وقوله تعالى مفتحة لهم الأبواب حال من جنات عدن والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل والابواب مرتفعة باسم المفعول والرابط بين الحال وصاحبها

وصاحبها اما ضمير مقدر كما هو رأي البصريين اي الابواب منها او الالف واللام القائمة مقامه كما هو رأي الكوفيين اذ الاصل ابوابها وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر او على انهما خبران لمحذوف اي هي جنات عدن هي مفتحة متكئين فيها حال من لهم والعامل فيها مفتحة وقوله تعالى يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب استئناف لبيان حالهم فيها وقيل هو ايضا حال مما ذكر او من ضمير متكئين والاقتصار على دعاء الفاكهة للايذان بان مطاعمهم لمحض التفكه والتلذذ دون التغذي فانه لتحصيل بدل المتحلل ولا تحلل ثمة وعندهم قاصرات الطرف اي على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم اتراب لدات لهم فان التحاب بين الاقران ارسخ او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه يمسهم في وقت واحد هذا ما توعدون ليوم الحساب اي لاجله فان الحساب علة للوصول الى الجزاء وقرئ بالياء ليوافق ما قبله والالتفات اليق بمقام الامتنان والتكريم ان هذا اي ما ذكر من الوان النعم والكرامات لرزقنا اعطيناكموه ما له من نفاد انقطاع ابدا هذا اي الامر هذا او هذا كما ذكر او هذا ذكر وقوله تعالى وان للطاغين لشر مآب شروع في بيان اضداد الفريق السابق جهنم اعرابه كما سلف يصلونها اي يدخلونها حال من جهنم فبئس المهاد وهو المهد والمفرش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم لقوله تعالى لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه اي ليذوقوا هذا فليذوقوه كقوله تعالى فاياي فارهبون او العذاب هذا فليذوقوه او هذا مبتدأ خبره حميم وغساق وما بينهما اعتراض وهو على الاولين خبر مبتدأ محذوف اي هو حميم والغساق ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة في المشرق لنتنت اهل المغرب ولو قطرت قطرة في المغرب لنتنت اهل المشرق وقيل الغساق عذاب لا يعلمه الا الله تعالى وقرئ بتخفيف السين وآخر من شكله اي ومذوق آخر او عذاب آخر من مثل هذا المذوق او العذاب في الشدة والفظاعة وقرئ واخر اي ومذوقات اخر او انواع عذاب اخر وتوحيد ضمير شكله بتأويل ما ذكر او الشراب الشامل للحميم والغساق وهو راجع الى الغساق ازواج اي اجناس وهو خبر لآخر لانه يجوز ان يكون ضروبا او صفة له او للثلاثة او مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال من جهة الخزنة لرؤساء الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج كانوا يتبعونهم في الكفر والضلالة والاقتحام الدخول في الشيء بشدة قال الراغب الاقتحام توسط شدة مخيفة وقوله تعالى لا مرحبا بهم من تمام كلام الخزنة بطريق الدعاء على الفوج او صفة للفوج او حال منه اي مقولا او مقولا في حقهم لا مرحبا بهم اي لا اتوا مرحبا او لا رحبت بهم الدار مرحبا انهم صالوا النار تعليل من جهة الخزنة لاستحقاقهم الدعاء عليهم او وصفهم بما ذكر وقيل لا مرحبا بهم الى هنا كلام الرؤساء في حق اتباعهم عند خطاب الخزنة لهم باقتحام الفوج معهم تضجرا من مقارنتهم وتنفرا من مصاحبتهم وقيل كل ذلك كلام الرؤساء بعضهم مع بعض في حق الاتباع قالوا اي الاتباع عند سماعهم ما قيل في حقهم وتوجيه خطابهم للرؤساء في قولهم بل انتم لا مرحبا بكم الى آخره على الوجهين الاخيرين ظاهر واما على الوجه الاول فلعلهم انما خاطبوهم مع ان الظاهر ان يقولوا بطريق الاعتذار الى الخزنة بل هم لا مرحبا بهم الى آخره قصدا منهم الى اظهار صدقهم بالمخاصمة مع الرؤساء والتحاكم الى الخزنة طمعا في قضائهم بتخفيف عذابهم او تضعيف عذاب خصمائهم اي بل انتم احق بما قيل لنا او قلتم وقوله تعالى انتم قدمتموه لنا تعليل لاحقيتهم بذلك اي انتم قدمتم العذاب او الصلي لنا واوقعتمونا فيه بتقديم ما يؤدي اليه من العقائد الزائفة والاعمال السيئة وتزيينها في اعيننا واغرائنا عليها لا انا باشرناها من تلقاء انفسنا فبئس القرار اي فبئس المقر جهنم قصدوا بذمها تغليظ جناية الرؤساء عليهم قالوا اي الاتباع ايضا وتوسيط ما بين كلاميهم لما بينهما من التباين البين ذاتا وخطابا اي قالوا معرضين عن خصومتهم متضرعين الى الله تعالى ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار كقولهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار اي عذابا مضاعفا اي ذا ضعف وذلك بان يزيد عليه مثله ويكون ضعفين كقولهم ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقيل المراد بالضعف الحيات والعقارب والافاعي وقالوا اي الطاغون ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار يعنون فقراء المسلمين الذين كانوا يسترذلونهم ويسخرون منهم اتخذناهم سخريا بهمزة استفهام سقطت لاجلها همزة الوصل والجملة استئناف لا محل لها من الاعراب قالوه انكارا على انفسهم وتأنيبا لها في الاستسخار منهم ام زاغت عنهم الأبصار متصل باتخذناهم على ان ام متصلة والمعنى اي الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام الازدراء بهم وتحقيرهم وان ابصارنا كانت تزيغ عنهم وتقتحمهم على معنى انكار كل واحد من الفعلين على انفسهم توبيخا لها او على انها منقطعة والمعنى اتخذناهم سخريا بل ازاغت عنهم ابصارنا كقولك ازيد عندك ام عندك عمرو على معنى توبيخ انفسهم على الاستسخار ثم الاضراب والانتقال منه الى التوبيخ على الازدراء والتحقير وقرئ اتخذناهم بغير همزة على انه صفة اخرى لرجالا فقوله تعالى ام زاغت متصل بقوله تعالى ما لنا لا نرى والمعنى ما لنا لا نراهم في النار اليسوا فيها فلذلك لا نراهم ام زاغت عنهم ابصارنا وهم فيها وقد جوز ان تكون الهمزة

على هذه القراءة وقرئ سُخريا بضم السين **ان ذلك** اي الذي حكي من احوالهم **لحق** لا بد من وقوعه البتة وقوله تعالى **تخاصم اهل النار** خبر مبتدأ محذوف والجملة بيان لذلك وفي الابهام اولا والتبيين ثانيا مزيد تقرير له وقيل بدل من محل ذلك وقيل بدل من حق او عطف بيان له وقرئ بالنصب على انه بدل من ذلك وما قيل من انه صفة له فقد قيل عليه ان اسم الاشارة لا يوصف الا بالمعرف باللام يقال بهذا الرجل ولا يقال بهذا غلام الرجل **قل** امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول للمشركين **انما انا منذر** من جهته تعالى انذركم عذابه **وما من اله** في الوجود **الا الله الواحد** الذي لا يقبل الشركة والكثرة اصلا **القهار** لكل شيء سواه **رب السموات والارض وما بينهما** من المخلوقات فكيف يتوهم ان يكون له شريك منها **العزيز** الذي لا يغلب في امر من اموره **الغفار** المبالغ في المغفرة يغفر ما يشاء لمن يشاء وفي هذه النعوت من تقرير التوحيد والوعد للموحدين والوعيد للمشركين ما لا يخفى وتثنية ما يشعر بالوعيد من وصفي القهر والعزة امرا وايتمارا **قل هو** اي ما انبأتكم به من اني منذر من جهته تعالى وانه تعالى واحد لا شريك له وانه متصف بما ذكر من الصفات الجليلة والاظهر انه القرآن وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا كما يشهد به آخر السورة الكريمة وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة رضي الله تعالى عنهم **نبأ عظيم** وارد من جهته تعالى وقوله تعالى **انتم عنه معرضون** استئناف ناع عليهم سوء صنيعهم به ببيان انهم لا يقدرون قدره الجليل حيث يعرضون عنه مع عظمته وكونه موجبا للاقبال الكلي عليه وتلقيه بحسن القبول وقيل صفة اخرى لنبأ وقوله تعالى **ما كان لي من علم بالملأ الاعلى** الى آخره استئناف مسوق لتحقيق انه نبأ عظيم وارد من جهته تعالى بذكر نبأ من انبائه على التفصيل من غير سابقة معرفة به ولا مباشرة سبب من اسبابها المعتادة فان ذلك حجة بينة دالة على ان ذلك بطريق الوحي من عند الله تعالى وان سائر انبائه ايضا كذلك والملأ الاعلى هم الملائكة وآدم عليهم السلام وابليس عليه اللعنة والخزي وقوله تعالى **اذ يختصمون** متعلق بمحذوف يقتضيه المقام اذ المراد نفي علمه عليه السلام بحالهم لا بذواتهم والتقدير ما كان لي فيما سبق علم ما بوجه من الوجوه بحال الملأ الاعلى وقت اختصامهم وتقدير الكلام كما اختاره الجمهور تحجير للواسع فان علمه عليه السلام غير مقصور على ما جرى بينهم من الاقوال فقط بل عام لها وللافعال ايضا من سجود الملائكة واستكبار ابليس وكفره حسبما ينطق به الوحي فلا بد من اعتبار العموم في نفيه ايضا لا محالة وقوله تعالى **ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين** اعتراض وسط بين اجمال اختصامهم وتفصيله تقريرا لثبوت علمه عليه السلام وتعيينا لسببه الا ان بيان انتفائه فيما سبق لما كان منبئا عن ثبوته الآن ومن البين عدم ملابسته عليه السلام بشيء من مباديه المعهودة تعين انه ليس الا بطريق الوحي حتما فجعل ذلك امرا مسلم الثبوت غنيا عن الاخبار به قصدا وجعل مصب الفائدة والمقصود اخبار ما هو داع الى الوحي ومصحح له تحقيقا لقوله تعالى انما انا منذر في ضمن تحقيق علمه عليه السلام بقصة الملأ الاعلى فالقائم مقام الفاعل ليوحى اما ضمير عائد الى الحال المقدر او ما يعمه وغيره فالمعنى ما يوحى الي حال الملأ الاعلى وما يوحى الي ما يوحى من الامور الغيبية التي من جملتها حالهم الا لانما انا نذير مبين من جهته تعالى فانه كونه عليه السلام كذلك من دواعي الوحي اليه ومن حياته حتما واما ان القائم مقام الفاعل هو الجار والمجرور او هو انما انا نذير مبين بلا تقدير اللام وان المعنى ما يوحى الي الا للانذار في الاول وقصره على الانذار في الثاني فلا يساعده سياق النظم الكريم وسياقه كيف لا والاعتراض حينئذ يكون اجنبيا مما توسط بينهما من اجمال الاختصام وتفصيله فتأمل والله المرشد وقرئ انما بالكسر على الحكاية وقوله تعالى **اذ قال ربك للملائكة** شروع في تفصيل ما اجمل من الاختصام الذي هو ما جرى بينهم من التقاول وحيث كان تكليمه تعالى اياهم بواسطة الملك صح اسناد الاختصام الى الملائكة واذ بدل من اذ الاول وليس من ضرورة البدلية دخولها على نفس الاختصام بل يكفي اشتمال ما في حيزها عليه فان القصة ناطقة بذلك تفصيلا والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه عليه السلام والايذان بان وحي هذا النبأ اليه تربية وتأييد له عليه السلام والكاف وارد باعتبار حال الآمر لكونه ادل على كونه وحيا منزلا من عنده تعالى كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا الى آخره دون حال المأمور والا لقيل ربي لانه داخل في حيز الامر **اني خالق** اي فيما سيأتي وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه تعالى فاعل له البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه **بشرا** قيل اي جسما كثيفا يلاقي ويباشر وقيل خلقا بادي البشرة بلا صوف ولا شعر ولعل ما جرى عند وقوع المحكي ليس هذا الاسم الذي لم يخلق مسماه حينئذ فضلا عن تسميته به بل عبارة كاشفة عن حاله وانما عبر عنه بهذا الاسم عند الحكاية **من طين** لم يتعرض لاوصافه من التغير والاسوداد والمسنونية اكتفاء بما ذكر في مواقع اخر **فاذا سويته** اي صورته بالصورة الانسانية والخلقة البشرية او سويت اجزاء بدنه بتعديل طبائعه **ونفخت فيه من روحي** النفخ اجراء الريح الى تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحيوة بالفعل على المادة القابلة لها اي فاذا اكملت استعداده وافضت عليه ما يحيى به من الروح

من الروح التي هي من امري **فقعوا له** امر من وقع وفيه دليل على ان المأمور به ليس مجرد الانحناء كما قيل اي اسقطوا له **ساجدين** تحية له وتكريما **فسجد الملائكة** اي فخلقه فسواه فنفخ فيه الروح فسجد له الملائكة **كلهم** بحيث لم يتأخر في ذلك احد منهم عن احد ولا اختصاص لافادة هذا المعنى بالحالية بل يفيده التأكيد ايضا وقيل اكد بتأكيدين مبالغة في التعميم هذا واما ان سجودهم هذا هل ترتب على ما حكي من الامر التعليقي كما تقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة الحجر فان ظاهرهما يستدعي ترتبه عليه من غير ان يتوسط بينهما شيء غير ما يفصح عنه الفاء الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح او على الامر التنجيزي كما تقتضيه ما في سورة البقرة وما في سورة الاعراف وما في سورة بني اسرائيل وما في سورة الكهف وما في سورة طه من الآيات الكريمة فقد مر تحقيقه بتوفيق الله عز وجل في سورة البقرة وسورة الاعراف **الا ابليس** استثناء متصل لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالالوف من الملائكة موصوفا بصفاتهم فغلبوا عليه ثم استثني استثناء واحد منهم او لان من الملائكة جنسا يتوالدون وهو منهم او منقطع وقوله تعالى **استكبر** على الاول استئناف مبين لكيفية ترك السجود المفهوم من الاستثناء فان تركه يحتمل ان يكون للتأمل والتروي وبه يتحقق انه للاباء والاستكبار وعلى الثاني يجوز اتصاله بما قبله اي لكن ابليس استكبر **وكان من الكافرين** اي وصار منهم بمخالفته للامر واستكباره عن الطاعة او كان منهم في علم الله عز وجل **قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي** اي خلقته بالذات من غير توسط اب وام والتثنية لابراز كمال الاعتناء بخلقه عليه السلام المستدعي لاجلاله واعظامه قصدا الى تأكيد الانكار وتشديدا للتوبيخ **استكبرت** بهمزة الانكار وطرح همزة الوصل اي اتكبرت من غير استحقاق **ام كنت من العالين** المستحقين للتفوق وقيل استكبرت الآن ام لم تزل منذ كنت من المستكبرين وقرئ بحذف همزة الاستفهام ثقة بدلالة ام عليها وقوله تعالى **قال انا خير منه** ادعاء منه لشيء مستلزم لمنعه من السجود على زعمه واشعار بانه لا يليق ان يسجد الفاضل للمفضول كما يعرب عنه قوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون وقوله تعالى **خلقتني من نار وخلقته من طين** تعليل لما ادعاه من فضله عليه عليه السلام ولقد اخطأ اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر وزل عنه ما من جهة الفاعل كما انبأ عنه قوله تعالى لما خلقت بيدي وما من جهة الصورة كما نبه عليه قوله تعالى ونفخت فيه من روحي وما من جهة الغاية وهو ملاك الامر ولذلك امر الملائكة بسجوده عليهم السلام حين ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر الخلافة في الارض وان له خواص ليست لغيره **قال فاخرج منها** الفاء لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين من المخالفة للامر الجليل وتعليلها بالاباطيل اي فاخرج من الجنة او من زمرة الملائكة وهو المراد بالامر بالهبوط لا الهبوط من السماء كما قيل فان وسوسته لآدم عليه السلام كانت بعد الطرد وقد بين كيفيته ووسوسته في سورة البقرة وقيل اخرج من الخلقة التي كنت فيها وانسلخ منها فانه كان يفتخر بخلقته فغير الله تعالى خلقته فاسود بعد ما كان نورانيا وقوله تعالى **فانك رجيم** تعليل للامر بالخروج اي مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة او شيطان يرجم بالشهب **وان عليك لعنتي** اي ابعادي عن الرحمة وتقييدها بالاضافة مع اطلاقها في قوله تعالى وان عليك اللعنة لما ان لعنة اللاعنين من الملائكة والثقلين ايضا من جهته تعالى وانهم يدعون عليه بلعنة الله وابعاده من الرحمة **الى يوم الدين** اي يوم الجزاء والعقوبة وفيه ايذان بان اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لجنايته بل هي انموذج مما سيلقاه مستمر الى ذلك اليوم لكن لا على انها تنقطع يومئذ كما يوهمه ظاهر التوقيت بل على انه سيلقى يومئذ من الوان العذاب وافانين العقاب ما تنسى عنده اللعنة وتصير كالزائل الا يرى الى قوله فأذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين وقوله تعالى ويلعن بعضكم بعضا **قال رب فانظرني** اي امهلني واخرني والفاء متعلقة بمحذوف يستدعيه الكلام اي اذ جعلتني رجيما فامهلني ولا تمتني **الى يوم يبعثون** اي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت بالكلية اذ لا موت بعد يوم البعث **قال فانك من المنظرين** ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله لآخرين على وجه يشعر بكون السائل تبعا لهم في ذلك دليل واضح على انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به وقع اجابة لدعائه وان استنظاره كان طلبا لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه منهم لا لتأخير العقوبة كما قيل فان ذلك معلوم من اضافة اليوم الى الدين اي انك من جملة الذين اخرت آجالهم ازلا حسبما تقتضيه حكمة التكوين **الى يوم الوقت المعلوم** الذي قدره الله تعالى وعينه لفناء الخلق وهو وقت النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذي هو المسئول فالفاء ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور به كما في قول من قال فان ترحم فانت لذاك اهل فانه لا امكان لجعل الفاء فيه لربط ما له تعالى من الاهلية القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط الاخبار بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها هذا وقد ترك التوقيت في سورة الاعراف كما ترك النداء والفاء في الاستنظار

والانظار تعويلاً على ما ذكر ههنا وفي سورة الحجر وان خطر ببالك ان كل وجه من وجوه النظم الكريم لا بد ان يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وانما
حكي من اللعين ما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع الا دفعة فمقام الانظار والانظار ان اقتضى احد الوجوه المحكية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال
والبالغ الى رتبة البلاغة ودرجة الاعجاز واما ما عداه من الوجوه فهو بمعزل من بلوغ طبقة البلاغة فضلاً عن العروج الى معارج الاعجاز
فقد سلف تحقيقه في سورة الاعراف بفضل الله تعالى وتوفيقه قال فبعزتك الباء للقسم والفاء لترتيب مضمون الجملة على الانظار ولا ينافيه قوله
فبما اغويتني وقوله تعالى رب بما اغويتني فان اغواءه تعالى اياه اثر من آثار قدرته تعالى وعزته وحكم من احكام قهره وعظمته وسلطنته فمآل
الاقسام بهما واحد ولعل اللعين اقسم بهما جميعاً فحكي تارة قسمه باحدهما واخرى بالآخر اي فاقسم بعزتك لأغوينهم اجمعين اي ذرية آدم بتزيين
المعاصي لهم الا عبادك منهم المخلصين وهم الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته وعصمهم من الغواية وقرئ المخلصين على صيغة الفاعل اي الذين اخلصوا قلوبهم
او اعمالهم لله تعالى قال اي الله عز وجل فالحق والحق اقول برفع الاول على انه مبتدأ محذوف الخبر او خبر محذوف المبتدأ ونصب الثاني على انه
مفعول لما بعده قدم عليه للقصر اي لا اقول الا الحق والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي فالحق قسمي لأملأن جهنم على ان الحق اما اسمه تعالى او نقيض الباطل
عظمه الله تعالى باقسامه به او فانا الحق او فقولي الحق وقوله تعالى لأملأن الى آخره حينئذ جواب لقسم محذوف اي والله لأملأن الى آخره وقوله تعالى
والحق اقول على كل تقدير اعتراض مقرر على الوجهين الاولين لمضمون الجملة القسمية وعلى الوجه الثالث لمضمون الجملة المتقدمة اعني فقولي الحق وقرئا
منصوبين على ان الاول مقسم به كقولك الله لأفعلن وجوابه لأملأن وما بينهما اعتراض وقرئا مجرورين على ان الاول مقسم به قد اضمر حرف قسمه
كقولك الله لأفعلن والحق اقول على حكاية لفظ المقسم به على تقدير كونه نقيض الباطل ومعناه التأكيد والتشديد وقرئ بجر الاول على اضمار حرف
القسم ونصب الثاني على المفعولية منك اي من جنسك من الشياطين وممن تبعك في الغواية والضلال منهم من ذرية آدم اجمعين تأكيد للكاف
وما عطف عليه اي لأملأنها من المتبوعين والاتباع اجمعين كقوله تعالى لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم اجمعين وهذا القول هو المراد بقوله تعالى
ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وحيث كان مناطه ههنا اتباع الشيطان اتضح ان مدار عدم المشيئة في قوله تعالى
ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها اتباع الكفرة للشيطان بسوء اختيارهم لا تحقق القول فليس في ذلك شائبة الجبر فتدبر قل ما اسألكم عليه على
القرآن او على تبليغ ما يوحى الي من اجر دنيوي وما انا من المتكلفين اي المتصنعين بما ليسوا من اهله حتى انتحل النبوة واتقول القرآن
ان هو اي ما هو الا ذكر من الله عز وجل للعالمين للثقلين كافة ولتعلمن نبأه اي ما انبأ به من الوعد والوعيد وغيرهما او صحة خبره وانه الحق
والصدق بعد حين بعد الموت او يوم القيامة او عند ظهور الاسلام وفشوه وقيل من بقي علم ذلك اذا ظهر امره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وفيه
من التهديد ما لا يخفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله تعالى لداود عليه السلام عشر حسنات وعصمه
ان يصر على ذنب صغيرا او كبيرا وقال ابو امامة عصمه الله من كل ذنب صغير او كبير والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

سورة زمر

بسم الله الرحمن الرحيم

تنزيل الكتاب خبر لمبتدأ محذوف هو اسم اشارة اشير به الى السورة تنزيلاً لها منزلة الحاضر المشار اليه لكونها على شرف الذكر
والحضور كما مر مراراً وقد قيل هو ضمير عائد الى الذكر في قوله ان هو الا ذكر للعالمين وقوله تعالى من الله العزيز الحكيم صلة للتنزيل وخبر ثان
او حال من التنزيل عاملها معنى الاشارة او من الكتاب الذي هو مفعول معنى عاملها المضاف وقيل هو خبر لتنزيل الكتاب والوجه الاول ادخل في مقتضى
المقام الذي هو بيان ان السورة او القرآن تنزيل الكتاب من الله تعالى لا بيان ان تنزيل الكتاب منه تعالى لا من غيره كما يفيده الوجه الاخير وقرئ تنزيل الكتاب
بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ او الزم والتعرض لوصفي العزة والحكمة للايذان بظهور اثريهما في الكتاب بجريان احكامه ونفاذ اوامره ونواهيه من غير
مدافع ولا ممانع وباتيانه جميع ما فيه على اساس الحكم الباهرة وقوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق شروع في بيان شأن المنزل اليه وما يجب عليه
اثر بيان شأن المنزل وكونه من عند الله تعالى والمراد بالكتاب هو القرآن واظهاره على تقدير كونه هو المراد بالاول ايضاً لتعظيمه ومزيد
الاعتناء بشأنه والباء اما متعلقة بالانزال اي بسبب الحق واثباته واظهاره او بداعية الحق واقتضائه للانزال واما بمحذوف هو
حال من نون العظمة او من الكتاب اي انزلناه اليك محقين في ذلك او انزلناه ملتبساً بالحق والصواب اي كل ما فيه حق لا ريب فيه موجب
للعمل به حتماً والفاء في قوله تعالى فاعبد الله مخلصاً له الدين لترتيب الامر بالعبادة على انزال الكتاب اليه عليه السلام بالحق اي فاعبده تعالى

تعالى مخلصاً له الدين من شوائب الشرك والرياء حسبما بين في تضاعيف ما انزل اليك وقرئ برفع الدين على انه مبتدأ خبره الظرف المقدم عليه
لتأكيد الاختصاص المستفاد من اللام والجملة استئناف وقع تعليلاً للامر باخلاص العبادة وقوله تعالى الا لله الدين الخالص استئناف مقرر لما قبله
من الامر باخلاص الدين له تعالى ووجوب الامتثال به وعلى القراءة الاخيرة مؤكد لاختصاص الدين به تعالى اي الا هو الذي يجب ان يخص باخلاص الطاعة له
لانه المنفرد بصفات الالوهية التي من جملتها الاطلاع على السرائر والضمائر وقوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء تحقيق لحقية ما ذكر من اخلاص الدين
الذي هو عبارة عن التوحيد ببيان بطلان الشرك الذي هو عبارة عن ترك اخلاصه والموصول عبارة عن المشركين ومحله الرفع على الابتداء خبره
ما سيأتي من الجملة المصدرة بان والاولياء من الملائكة وعيسى عليهم السلام والاصنام وقوله تعالى ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى حال بتقدير القول
من واو اتخذوا مبينة لكيفية اشراكهم وعدم خلوص دينهم والاستثناء مفرغ من اعم العلل وزلفى مصدر مؤكد على غير لفظ المصدر ملاق له في المعنى
اي والذين لم يخلصوا العبادة لله تعالى بل شابوها بعبادة غيره قائلين ما نعبدهم لشيء من الاشياء الا ليقربونا ان الله يحكم بينهم اي وبين خصمائهم الذين
هم المخلصون للدين وقد حذف لدلالة الحال عليه كما في قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله على احد الوجهين اي بين احد منهم وبين غيره وعليه قول النابغة فما كان
بين الخير لو جاء سالما ابو حجر الا ليال قلائل اي بين الخير وبيني وقيل ضمير بينهم للفريقين جميعاً فيما هم فيه يختلفون من الدين الذي اختلفوا فيه بالتوحيد
والاشراك وادعى كل فريق صحة ما انتحله وحكمه تعالى في ذلك ادخال الموحدين الجنة والمشركين النار فالضمير للفريقين هذا هو الذي يستدعيه مساق النظم
الكريم واما تجويز ان يكون الموصول عبارة عن المعبودين على حذف العائد اليه واضمار المشركين من غير ذكر تعويلاً على دلالة الحال عليهم ويكون التقدير
والذين اتخذهم المشركون اولياء قائلين ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله تعالى ان الله يحكم بينهم اي بين العبدة والمعبودين فيما هم فيه يختلفون حيث يرجو
العبدة شفاعتهم وهم يلعنونهم فبعد الاغضاء عما فيه من التعسفات بمعزل من السداد كيف لا وليس فيما ذكر من طلب الشفاعة واللعن مادة يختلف فيها
الفريقان اختلافاً محوجاً الى الحكم والفصل وانما ذاك ما بين فريقي الموحدين والمشركين في الدنيا من الاختلاف في الدين الباقي الى يوم القيامة وقرئ قالوا ما
نعبدهم فهو بدل من الصلة لا خبر للموصول كما قيل اذ ليس في الاخبار بذلك مزيد مزية وقرئ ما نعبدكم الا لتقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرئ نعبدهم
اتباعاً للباء ان الله لا يهدي اي لا يوفق للاهتداء الى الحق الذي هو النجاة عن المكروه والفوز بالمطلوب من هو كاذب كفار اي راسخ في الكذب مبالغ في
الكفر كما يعرب عنه قراءة كذاب وكذوب فانهما فاقدان للبصيرة غير قابلين للاهتداء لتغييرهما الفطرة الاصلية بالتمرن في الضلالة والتمادي في الغي
والجملة تعليل لما ذكر من حكمه لو اراد الله ان يتخذ ولداً استئناف مسوق لتحقيق الحق وابطال القول بان الملائكة بنات الله تعالى وعيسى ابنه تعالى الله عن ذلك
علواً كبيراً ببيان استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى على الاطلاق ليندرج فيه استحالة ما قيل اندراجاً اولياً اي لو اراد الله لاصطفى اي لاتخذ
مما يخلق اي من جملة ما يخلقه او من جنس ما يخلقه ما يشاء ان يتخذه اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوق له تعالى لامتناع تعدد الواجب ووجوب استناد جميع
ما عداه اليه ومن البين ان اتخاذ الولد منوط بالمماثلة بين المتخذ وان المخلوق لا يماثل خالقه حتى يمكن اتخاذه ولداً فما فرضناه اتخاذ ولد لم يكن
اتخاذ ولد بل اصطفاء عبد واليه اشير حيث وضع الاصطفاء موضع الاتخاذ الذي يقتضيه الشرطية تنبيهاً على استحالة مقدمها لاستلزام فرض
وقوعه انتفاءه اي لو اراد الله تعالى ان يتخذ ولداً لفعل شيئاً ليس من اتخاذ الولد في شيء اصلاً بل انما هو اصطفاء عبد ولا ريب في ان ما يستلزم فرض
وقوعه انتفاءه فهو ممنوع قطعاً فكأنه قيل لو اراد الله ان يتخذ ولداً لامتنع ولم يصح لكن لا على ان الامتناع منوط بتحقق الارادة بل على انه
متحقق عند عدمها بطريق الاولوية على منوال لو لم يخف الله لم يعصه وقوله تعالى سبحانه تقرير لما ذكر من استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى وتأكيد له
ببيان تنزهه تعالى عنه اي تنزه بالذات عن ذلك تنزهه الخاص به على ان السبحان مصدر من سبح اذا بعد او سبحوه تسبيحه اللائق به على انه علم للتسبيح مقول
على السنة العباد او سبحوه تسبيحاً حقيقاً بشأنه وقوله تعالى هو الله الواحد القهار استئناف مبين لتنزهه تعالى بحسب الصفات اثر بيان تنزهه تعالى عنه
بحسب الذات فان صفة الالوهية المستتبعة لسائر صفات الكمال النافية لسمات النقصان والوحدة الذاتية الموجبة لامتناع المماثلة والمشاركة بينه تعالى
وبين غيره على الاطلاق مما يقضي بتنزهه تعالى عما قالوا اقتضاء متقناً وكذا وصف القهارية لما ان اتخاذ الولد شأن من يكون تحت ملكوت الغير عرضة للفناء
ليقوم ولده مقامه عند فنائه ومن هو مستحيل الفناء قهار لكل الكائنات كيف يتصور ان يتخذ من الاشياء الفانية ما يقوم مقامه وقوله تعالى
خلق السموات والارض بالحق تفصيل لبعض افعاله تعالى الدالة على تفرده تعالى بما ذكر من الصفات الجليلة اي خلقهما وما بينهما من الموجودات ملتبسة بالحق والصواب
مشتملة على الحكم والمصالح وقوله تعالى يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل بيان لكيفية تصرفه تعالى فيهما بعد بيان خلقهما فان حدوث الليل والنهار في الارض منوط

بتحريك السموات اي يغشي كل واحد منهما الآخر كأنه يلفه عليه لف اللباس على اللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله كارًّا عليه كرورًا متتابعًا تتابع اكوار العمامة وصيغة المضارع للدلالة على التجدد وسخر الشمس والقمر جعلهما منقادين لأمره تعالى وقوله تعالى كل يجري لأجل مسمى بيان لكيفية تسخيرهما اي كل منهما يجري لمنتهى دورته او منقطع حركته وقد مر تفصيله غير مرة الا هو العزيز الغالب القادر على كل شيء من الاشياء التي من جملتها عقاب العصاة الغفار المبالغ في المغفرة ولذلك لا يعجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنائع البديعة من آثار الرحمة وتصدير الجملة بحرف التنبيه لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها خلقكم من نفس واحدة بيان لبعض آخر من افعاله الدالة على ما ذكر وترك عطفه على خلق السموات للايذان باستقلاله في الدلالة ولتعلقه بالعالم السفلي والبداية بخلق الانسان لعراقته في الدلالة لما فيه من تعاجيب آثار القدرة واسرار الحكمة واصالته في المعرفة فان الانسان بحال نفسه اعرف والمراد بالنفس نفس آدم عليه السلام وقوله تعالى ثم جعل منها زوجها عطف على محذوف هو صفة لنفس اي من نفس خلقها ثم جعل منها زوجها او على معنى واحدة اي من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها او على خلقكم لتفاوت ما بينهما في الدلالة فانهما وان كانتا آيتين دالتين على ما ذكر لكن الاولى لاستمرارها صارت معتادة واما الثانية فحيث لم تكن معتادة خارجة عن قياس الاولى كما يشعر به التعبير عنها بالجعل دون الخلق كانت ادخل في كونها آية واجلب للتعجب من السامع فعطفت على الاولى بثم دلالة على مباينتها لها فضلًا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة وقيل اخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق منه حواء ففيه ثلث آيات مترتبة خلق آدم عليه السلام بلا اب وام وخلق حواء من قصيراه ثم تشعيب الخلق للغائب للحصر منهما وقوله تعالى وانزل لكم بيان لبعض آخر من افعاله الدالة على ما ذكر اي قضى او قسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث تكتب في اللوح المحفوظ او احدث لكم باسباب نازلة من السماء كالامطار واشعة الكواكب من الانعام ثمانية ازواج ذكرًا وانثى هي الابل والبقر والضأن والمعز وقيل خلقها في الجنة ثم انزلها وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر مرارًا من الاعتناء بالمقدم والتشوق الى المؤخر فان كون الانزال لمنافعهم وكونه من الجهة العالية من الامور المهمة المشوقة الى ما انزل لا محالة وقوله تعالى يخلقكم في بطون امهاتكم استئناف مسوق لبيان كيفية خلقهم واطواره المختلفة الدالة على القدرة الباهرة وصيغة المضارع للدلالة على التدرج والتجدد وقوله تعالى خلقا من بعد خلق مصدر مؤكد اي يخلقكم فيها خلقًا كائنًا من بعد خلق اي خلقًا مدرجًا حيوانًا سويًا من بعد عظام مكسوة لحمًا من بعد عظام عارية من بعد مضغ مخلقة من بعد مضغ غير مخلقة من بعد علقة من بعد نطفة في ظلمات ثلث متعلق بيخلقكم وهي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة او ظلمة الصلب والبطن والرحم ذلكم اشارة اليه تعالى باعتبار افعاله المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته تعالى في العظمة والكبرياء ومحله الرفع على الابتداء اي ذلكم العظيم الشأن الذي عددت افعاله الله وقوله تعالى ربكم خبر آخر اي مربيكم فيما ذكر من الاطوار وفيما بعدها ومالككم المستحق لتخصيص العبادة به له الملك على الاطلاق في الدنيا والآخرة ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه والجملة خبر آخر وكذا قوله تعالى لا اله الا هو والفاء في قوله تعالى فأنى تصرفون لترتيب ما بعدها على ما ذكر من شؤونه تعالى اي فكيف تصرفون عن عبادته تعالى مع وفور موجباتها ودواعيها وانتفاء الصارف عنها بالكلية الى عبادة غيره من غير داع اليها مع كثرة الصوارف عنها ان تكفروا به تعالى بعد مشاهدة ما ذكر من فنون نعمائه ومعرفة شؤونه العظيمة الموجبة للايمان والشكر فان الله غني عنكم اي فاعلموا انه تعالى غني عن ايمانكم وشكركم غير متأثر من انتفائهما ولا يرضى لعباده الكفر اي عدم رضاه بكفر عباده لاجل منفعتهم ودفع مضرتهم رحمة عليهم لا لتضرره تعالى به وان تشكروا يرضه لكم اي يرض الشكر لاجلكم ومنفعتكم لانه سبب لفوزكم بسعادة الدارين لا لانتفاعه تعالى به وانما قيل لعباده لا لكم لتعميم الحكم وتعليله بكونهم عباده تعالى وقرئ باسكان الهاء ولا تزر وازرة وزر اخرى بيان لعدم سراية كفر الكافر الى غيره اصلًا اي لا تحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس اخرى ثم الى ربكم مرجعكم بالبعث بعد الموت فينبئكم عند ذلك بما كنتم تعملون اي كنتم تعملونه في الدنيا من اعمال الكفر والايمان اي يجازيكم بذلك ثوابًا وعقابًا انه عليم بذات الصدور اي بمضمرات القلوب فكيف بالاعمال الظاهرة وهو تعليل للتنبئة واذا مس الانسان ضر من مرض وغيره دعا ربه منيبا اليه راجعا اليه مما كان يدعوه في حالة الرخاء لعلمه بانه بمعزل من القدرة على كشف ضره وهذا وصف للجنس بحال بعض افراده كقوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار ثم اذا خوله نعمة منه اي اعطاه نعمة عظيمة من جنابه تعالى من التخويل وهو التعهد اي جعله خائل مال من قولهم فلان خائل مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به او من الخول وهو الافتخار اي جعله يخول اي يختال ويفتخر نسي ما كان يدعو اليه اي نسي الضر الذي كان يدعو الله تعالى فيما سبق الى كشفه من قبل اي من قبل التخويل او نسي ربه الذي كان يدعوه ويتضرع اليه اما بناء على ان ما بمعنى من كما في قوله تعالى وما

خلق الذكر والانثى وقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد واما ايذانا بان نسيانه بلغ الى حيث لا يعرف مدعوه ما هو فضلا من ان يعرفه من هو كما مر في قوله تعالى عما صنعت وجعل لله اندادا شركاء في العبادة ليضل الناس بذلك عن سبيله الذي هو التوحيد وقرئ ليضل بفتح الياء اي ليزداد ضلالا او يثبت عليه والا فاصل الضلال غير متأخر عن الجعل المذكور واللام لام العاقبة كما في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا خلا ان هذا اقرب الى الحقيقة لان الجاعل ههنا قاصد بجعله المذكور حقيقة الاضلال والضلال وان لم يعرف لجهله انهما اضلال وضلال واما آل فرعون فهم غير قاصدين بالتقاطهم العداوة اصلا قل تهديدا لذلك الضال المضل وبيانا لحاله ومآله قل تمتع بكفرك قليلا اي تمتعا قليلا او زمانا قليلا انك من اصحاب النار اي من ملازميها والمعذبين فيها على الدوام وهو تعليل لقلة التمتع وفيه من الاقناط من النجاة ما لا يخفى كأنه قيل اذ قد ابيت قبول ما امرت به من الايمان والطاعة فمن حقك ان تؤمر بتركه لتذوق عقوبته امن هو قانت آناء الليل من تمام الكلام المأمور به وام اما متصلة قد حذف معادلها ثقة بدلالة الكلام عليه كأنه قيل أ انت احسن حالا ومآلا ام من هو قائم بمواجب الطاعات ودائم على وظائف العبادات في ساعات الليل حالتي السراء والضراء لا عند مساس الضر فقط كدأبك حال كونه ساجدا وقائما اي جامعا بين الوصفين المحمودين وتقديم السجود على القيام لكونه ادخل في معنى العبادة وقرئ كلاهما بالرفع على انه خبر بعد خبر يحذر الآخرة حال اخرى على الترادف او التداخل او استئناف وقع جوابا عما نشأ من حكاية حاله من القنوت والسجود والقيام كأنه قيل ما باله يفعل ذلك فقيل يحذر عذاب الآخرة ويرجو رحمة ربه فينجو بذلك مما يحذره ويفوز بما يرجوه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضمير الراجي لا انه يحذر ضر الدنيا ويرجو خيرها فقط واما منقطعة وما فيها من الاضراب للانتقال من التهديد الى التبكيت بتكليف الجواب الملجئ الى الاعتراف بما بينهما من التباين البين كأنه قيل بل امن هو قانت الى آخره افضل ام من هو كافر مثلك كما هو المعنى على قراءة التخفيف قل بيانا للحق وتنبيها على شرف العلم والعمل هل يستوي الذين يعلمون حقائق الاحوال فيعملون بموجب علمهم كالقانت المذكور والذين لا يعلمون اي ما ذكر او شيئا فيعملون بمقتضى جهلهم وضلالهم كدأبك والاستفهام للتنبيه اي كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون وقوله تعالى انما يتذكر اولوا الالباب كلام مستقل غير داخل في الكلام المأمور به وارد من جهته تعالى بعد الامر بما ذكر من القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصي لبيان عدم تأثيرها في قلوب الكفرة لاختلال عقولهم كما في قول من قال عوجوا فحيوا النعمى دمنة الدار ماذا تحيون من نؤي واحجار اي انما يتعظ بهذه البيانات الواضحة اصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وهؤلاء بمعزل من ذلك وقرئ انما يذكر بالادغام قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتذكير المؤمنين وحملهم على التقوى والطاعة اثر تخصيص التذكر باولي الالباب ايذانا بانهم هم كما سيصرح به اي قل لهم قولي هذا بعينه وفيه تشريف لهم باضافتهم الى ضمير الجلالة ومزيد اعتناء بشأن المأمور به فان نقل عين امر الله تعالى ادخل في ايجاب الامتثال به وقوله تعالى للذين احسنوا تعليل للامر او لوجوب الامتثال به وايراد الاحسان في حيز الصلة دون التقوى للايذان بانه من باب الاحسان وانهما متلازمان وكذا الصبر كما مر في قوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفي قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقوله تعالى في هذه الدنيا متعلق باحسنوا اي عملوا الاعمال الحسنة في هذه الدنيا على وجه الاخلاص وهو الذي عبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الاحسان بقوله عليه السلام ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك حسنة اي حسنة عظيمة لا تكتنه كنهها وهي الجنة وقيل هو متعلق بحسنة على انه بيان لمكانها او حال من ضميرها في الظرف فالمراد بها حينئذ الصحة والعافية وارض الله واسعة فمن تعسر عليه التوفر على التقوى والاحسان في وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن فيه من ذلك كما هو سنة الانبياء والصالحين فانه لا عذر له في التفريط اصلا وقوله تعالى انما يوفى الصابرون الى آخره ترغيب في التقوى المأمور به وايثار الصابرين على المتقين للايذان بانهم حائزون لفضيلة الصبر كحيازتهم لفضيلة الاحسان لما اشير اليه من استلزام التقوى لهما مع ما فيه من زيادة حث على المصابرة والمجاهدة في تحمل مشاق المهاجرة ومتاعبها اي انما يوفى الذين صبروا على دينهم وحافظوا على حدوده ولم يفرطوا في مراعاة حقوقه لما عراهم في ذلك من فنون الآلام والبلايا التي من جملتها مهاجرة الاهل ومفارقة الاوطان اجرهم بمقابلة ما كابدوا من الصبر بغير حساب اي بحيث لا يحصى ولا يحصر عن ابن عباس لا يهتدي اليه حساب الحساب ولا يعرف وفي الحديث انه ينصب الموازين يوم القيامة لاهل الصلوة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا تنصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين اي من كل ما ينافيه من الشرك والرياء وغير ذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ما امر به من الاخلاص في عبادة الله تعالى الذي هو عبارة عما امر به المؤمنون من التقوى مبالغة في حثهم على الاتيان بما كلفوه وتمهيدا لما يعقبه

مما خوطب به المشركون **وأمرت لأن أكون أول المسلمين** أي وأمرت بذلك لأجل أن أكون مقدمهم في الدنيا والآخرة لأن احراز قصب السبق في الدين بالإخلاص
فيه والعطف لمغايرة الثاني الأول بتقييده بالعلة والاشعار بأن العبادة المذكورة كما تقتضي الأمر بها لذاتها تقتضيه لما يلزمها من السبق
في الدين ويجوز أن تجعل اللام مزيدة كما في اردت لأن أقوم بدليل قوله تعالى أمرت أن أكون أول من أسلم فالمعنى وأمرت أن أكون أول من أسلم
من أهل زماني ومن قومي أو أكون أول من دعا غيره إلى ما دعا إليه نفسه **قل إني أخاف إن عصيت ربي** بترك الإخلاص والميل إلى ما أنتم عليه من الشرك
عذاب يوم عظيم هو يوم القيمة وصف بالعظمة لما فيه من الدواهي والأهوال **قل الله أعبد** لا غيره لا استقلالا ولا اشتراكا **مخلصا له ديني** من كل
شوب أمر عليه السلام أولا ببيان كونه مأمورا بعبادة الله تعالى وإخلاص الدين له ثم بالإخبار بخوفه من العذاب على تقدير العصيان ثم بالإخبار بامتثاله
بالأمر على أبلغ وجه وآكده اظهارا لتصلبه في الدين وحسما لأطماعهم الفارغة وتمهيدا لتهديدهم بقوله تعالى **فاعبدوا ما شئتم** أن تعبدوه **من دونه**
تعالى وفيه من الدلالة على شدة الغضب عليهم ما لا يخفى كأنهم لما لم ينتهوا عما نهوا عنه أمروا به كي يحل بهم العقاب **قل إن الخاسرين** أي الكاملين في الخسران
الذي هو عبارة عن اضاعة ما يهمه واتلاف ما لا بد منه **الذين خسروا أنفسهم وأهليهم** باختيارهم الكفر لهما أي أضاعوهما وأتلفوهما **يوم القيمة** حين
يدخلون النار حيث عرضوهما للعذاب السرمدي وأوقعوهما في هلكة لا هلكة وراءها وقيل خسروا أهليهم لأنهم إن كانوا من أهل النار فقد
خسروهم كما خسروا أنفسهم وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا اياب بعده وفيه أن المحذور ذهاب ما لو آب لانتفع به الخاسر
وذلك غير متصور في الشق الأخير وقيل خسروهم لأنهم لم يدخلوا مدخل الذين لهم أهل في الجنة وخسروا أهليهم الذين كانوا يتمتعون بهم لو آمنوا وأيا
ما كان فليس المراد مجرد تعريف الكاملين في الخسران بما ذكر بل بيان أنهم هم اما بجعل الموصول عبارة عنهم أو عما هم مندرجون فيه اندراجا أوليا
وما في قوله تعالى **ألا ذلك هو الخسران المبين** من استئناف الجملة وتصديرها بحرف التنبيه والاشارة بذلك إلى بعد منزلة المشار إليه في الشر وتوسط ضمير
الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين من الدلالة على كمال هوله وفظاعته وأنه لا خسران وراءه ما لا يخفى وقوله تعالى **لهم من فوقهم ظلل من النار** إلى
آخره نوع بيان لخسرانهم بعد تهويله بطريق الابهام على أن لهم خبر لظلل ومن فوقهم متعلق بمحذوف وقيل هو حال من ظلل والأظهر أنه حال من الضمير
في الظرف المقدم ومن النار صفة لظلل أي لهم كائنة من فوقهم ظلل كثيرة متراكمة بعضها فوق بعض كائنة من النار **ومن تحتهم** أيضا **ظلل** أي أطباق
كثيرة بعضها تحت بعض ظلل للآخرين بل لهم أيضا عند ترديهم في دركاتها وذلك العذاب الفظيع هو الذي **ذلك يخوف الله به عباده** ويحذرهم اياه
بآيات الوعيد ليجتنبوا ما يوقعهم فيه **يا عباد فاتقون** ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه عظة من الله تعالى بالغة منطوية على غاية اللطف والرحمة
وقرئ يا عبادي **والذين اجتنبوا الطاغوت** أي البالغ أقصى غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بني للمبالغة في المصدر كالرحموت والعظموت
ثم وصف به للمبالغة في النعت والمراد هو الشيطان **أن يعبدوها** بدل الاشتمال منه فإن عبادة غير الله تعالى عبادة للشيطان إذ هو الآمر بها والمزين
لها **وأنابوا إلى الله** تعالى وأقبلوا إليه معرضين عما سواه اقبالا كليا **لهم البشرى** بالثواب على ألسنة الرسل والملائكة عند حضور الموت وحين يحشرون
وبعد ذلك **فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه** هم الموصوفون بالاجتناب والانابة بأعيانهم لكن وضع الموصول موضع ضميرهم للتشريف بالاضافة
ودلالة على أن مدار اتصافهم بالوصفين الجليلين كونهم نقادا في الدين يميزون الحق من الباطل ويؤثرون الأفضل فالأفضل **أولئك** اشارة إليهم
باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده
من الموصول أي أولئك المنعوتون بالمحاسن الجميلة **الذين هديهم الله** للدين الحق **وأولئك هم أولوا الألباب** أي هم أصحاب العقول السليمة عن معارضة
الوهم ومنازعة الهوى المستحقون للهداية لا غيرهم وفيه دلالة على أن الهداية تحصل بفعل الله تعالى وقبول النفس لها **أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار**
بيان لأحوال أضداد المذكورين على طريقة الاجمال وتسجيل عليهم بحرمان الهداية وهم عبدة الطاغوت ومتبعوا خطواتها كما يلوح به التعبير عنهم بمن حق
عليه كلمة العذاب فإن المراد بها قوله تعالى لابليس لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وأصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه على أنها شرطية
دخل عليها الهمزة لانكار مضمونها ثم الفاء لعطفها على جملة مستتبعة لها مقدرة بعد الهمزة ليتعلق الانكار والنفي بمضمونيهما معا أي أأنت مالك أمر الناس
فمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه ثم كررت الهمزة في الجزاء لتأكيد الانكار وتذكيره لما طال الكلام ثم وضع موضع الضمير من في النار لمزيد تشديد
الانكار والاستبعاد والتنبيه على أن المحكوم عليه بالعذاب بمنزلة الواقع في النار وأن اجتهاده عليه السلام في دعائهم إلى الايمان سعي في انقاذهم
من النار ويجوز أن يكون الجزاء محذوفا وقوله تعالى أفأنت إلى آخره جملة مستقلة مسوقة لتقرير مضمون الجملة السابقة وتعيين ما حذف منها وتشديد

وتشديد للانكار بتنزيل من استحق العذاب منزلة من دخل النار وتصوير لاجتهاده في دعائه عليه السلام إلى الايمان بصورة الانقاذ من النار كأنه قيل أولا
أفمن حق عليه العذاب فأنت تخلصه منه ثم شدد الانكار فقيل أفأنت تنقذ من في النار وفيه تلويح بأنه تعالى هو الذي يقدر على الانقاذ لا غير وحيث
كان المراد بمن في النار الذين قيل في حقهم لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل استدرك عنهم بقوله تعالى **لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف** وهم
الذين خوطبوا بقوله تعالى يا عباد فاتقون ووصفوا بما عدد من الصفات الفاضلة وهم المخاطبون أيضا فيما سبق بقوله تعالى يا عبادي الذين آمنوا
اتقوا ربكم الآية وبين أن لهم درجات عالية في جنات النعيم بمقابلة ما للكفرة من دركات سافلة في الجحيم أي لهم علالي بعضها فوق بعض **مبنية**
بناء المنازل المبنية المؤسسة على الأرض في الرصانة والاحكام **تجري من تحتها** من تحت تلك الغرف **الأنهار** من غير تفاوت بين العلو والسفل
وعد الله مصدر مؤكد لقوله تعالى لهم غرف إلى آخره فإنه وعد وأي وعد **لا يخلف الله الميعاد** لاستحالته عليه سبحانه **ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء** استئناف
وارد إما لتمثيل الحيوة الدنيا في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال بما ذكر من أحوال الزرع ترغيبا عن زخارفها وزينتها وتحذيرا عن الاغترار بها
وبزهرتها كما في نظائر قوله تعالى إنما مثل الحيوة الدنيا الآية أو للاستشهاد على تحقق الموعود من الأنهار الجارية من تحت الغرف بما يشاهد
من انزال الماء من السماء وما يترتب عليه من آثار قدرته تعالى وأحكام حكمته ورحمته والمراد بالماء المطر وقيل كل ماء في الأرض فهو من السماء
ينزل منها إلى الصخرة ثم يقسمه الله تعالى بين البقاع **فسلكه** فأدخله ونظمه **ينابيع في الأرض** أي عيونا ومجاري كالعروق في الأجساد وقيل
مياها نابعة فيها فإن الينبوع يطلق على المنبع والنابع ونصبها على الحال وعلى الأول بنزع الجار أي في ينابيع **ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه** أصنافه
من بر وشعير وغيرهما أو كيفياته من الألوان والطعوم وكلمة ثم للتراخي في الرتبة أو الزمان وصيغة المضارع لاستحضار الصورة
ثم يهيج أي يتم جفافه ويشرف على أن يثور من منابته **فتراه مصفرا** من بعد خضرته ونضارته وقرئ مصفارا **ثم يجعله حطاما** فتاتا متكسرة
كأن لم تغن بالأمس ولكون هذه الحالة من الآثار القوية علقت بجعل الله تعالى كالاخراج **إن في ذلك** اشارة إلى ما ذكر تفصيلا وما فيه من
معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الغرابة والدلالة على ما قصد بيانه **لذكرى** لتذكيرا عظيما **لأولي الألباب** لأصحاب العقول الخالصة عن
شوائب الخلل وتنبيها لهم على حقيقة الحال يتذكرون بذلك أن حال الحيوة الدنيا في سرعة التقضي والانصرام كما يشاهدونه من حال
الحطام كل عام فلا يغترون ببهجتها ولا يفتنون بفتنتها أو يجزمون بأن من قدر على انزال الماء من السماء واجرائه في ينابيع الأرض قادر
على اجراء الأنهار من تحت الغرف هذا وأما ما قيل أن في ذلك لتذكيرا وتنبيها على أنه لا بد من صانع حكيم وأنه كائن عن تقدير وتدبير لا عن
تعطيل واهمال فبمعزل من تفسير الآية الكريمة وإنما يليق ذلك بما لو ذكر ما ذكر من الآثار الجليلة والأفعال الجميلة من غير اسنادها إلى مؤثر ما فحيث
ذكرت مسندة إلى الله عز وجل تعين أن يكون متعلق التذكر والتنبيه شؤونه تعالى أو شؤون آثاره حسبما بين لا وجوده تعالى وقوله تعالى **أفمن شرح
الله صدره للاسلام** استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تخصيص الذكرى بأولي الألباب وشرح الصدر للاسلام عبارة عن تكميل الاستعداد له فإنه محل للقلب
الذي هو منبع للروح التي تتعلق بها النفس القابلة للاسلام فانشراحه مستدع لاتساع القلب واستضاءته بنوره فإنه روي أنه عليه السلام قال
إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال عليه السلام الانابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل
نزوله والكلام في الهمزة والفاء كالذي مر في قوله تعالى أفمن حق عليه كلمة العذاب وخبر من محذوف لدلالة ما بعده عليه والتقدير أكل الناس سواء
فمن شرح الله صدره أي خلقه متسع الصدر مستعدا للاسلام فبقي على الفطرة الأصلية ولم يتغير بالعوارض المكتسبة القادحة فيها **فهو** بموجب ذلك
مستقر **على نور** عظيم **من ربه** وهو اللطف الالهي الفائض عليه عند مشاهدة الآيات التكوينية والتنزيلية والتوفيق للاهتداء بها إلى الحق
كمن قسا قلبه وحرج صدره بسبب تبديل فطرة الله تعالى بسوء اختياره واستولى عليه ظلمات الغي والضلالة فأعرض عن تلك الآيات بالكلية
حتى لا يتذكر بها ولا يغتنمها **فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله** أي من أجل ذكره الذي حقه أن تنشرح له الصدور وتطمئن به القلوب أي إذا ذكر الله
تعالى عندهم أو آياته اشمأزوا من أجله وازدادت قلوبهم قساوة فزادتهم رجسا وقرئ عن ذكر الله أي عن قبوله **أولئك** البعداء الموصوفون
بما ذكر من قساوة القلوب **في ضلال** بعيد من الحق **مبين** ظاهر كونه ضلالا لكل أحد قيل نزلت الآية في حمزة وعلي رضي الله تعالى عنهما وأبي لهب وولده وقيل
في عمار بن ياسر رضي الله عنه وأبي جهل وذويه **الله نزل أحسن الحديث** هو القرآن الكريم روي أن أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ملوا ملة فقالوا له عليه السلام حدثنا حديثا فنزل ذلك وعن ابن مسعود وابن عباس قالوا لو حدثتنا فنزلت والمعنى أن فيه مندوحة عن

الأحاديث وفي إيقاع الاسم الجليل مبتدأ وبناء نزل عليه تفخيم لأحسن الحديث ورفع لمحله واستشهاد على حسنه وتأكيد لاستناده إليه تعالى وأنه من عنده
لا يمكن صدوره عن غيره وتنبيه على أنه وحي معجز ما لا يخفى **كتاباً** بدل من أحسن الحديث أو حال منه سواء اكتسب من المضاف إليه تعريفاً أو لا فإن مساغ الحال
من النكرة المضافة اتفاقي ووقوعه حالاً مع كونه اسماً لا صفة إما لاتصافه بقوله تعالى **متشابهاً** أو لكونه في قوة مكتوباً ومعنى كونه متشابهاً تشابه
معانيه في الصحة والإحكام والابتناء على الحق والصدق واستتباع منافع الخلق في المعاد والمعاش وتناسب ألفاظه في الفصاحة وتجاوب نظمه في
الإعجاز **مثاني** صفة أخرى لكتاباً أو حال أخرى منه وهو جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثني من قصصه وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده
ووعيده ومواعظه وقيل لأنه يثنى في التلاوة وقيل هو جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والإعادة كما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين
أي كرة بعد كرة ووقوعه صفة لكتاباً باعتبار تفاصيله كما يقال القرآن سور وآيات ويجوز أن ينتصب على التمييز من متشابهاً كما يقال رأيت
رجلاً حسناً شمائل أي شمائله والمعنى متشابهة مثانيه **تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم** قيل صفة لكتاباً أو حال منه لتخصصه بالصفة والأظهر أنه
استئناف مسوق لبيان آثاره الظاهرة في سامعيه بعد بيان أوصافه في نفسه ولتقرير كونه أحسن الحديث والاقشعرار التقبض يقال اقشعر الجلد إذا
تقبض تقبضاً شديداً وتركيبه من القشع وهو الأديم اليابس قد ضم إليه الراء ليكون رباعياً ودالاً على معنى زائد يقال اقشعر جلده ووقف شعره
إذا عرض له خوف شديد من منكر هائل دهمه بغتة والمراد إما بيان إفراط خشيتهم بطريق التمثيل والتصوير أو بيان حصول تلك الحالة وعروضها لهم
بطريق التحقيق والمعنى أنهم إذا سمعوا بالقرآن وقوارع آياته وعيده أصابتهم هيبة وخشية تقشعر منها جلودهم وإذا ذكروا رحمة الله تعالى
تبدلت خشيتهم رجاء ورهبتهم رغبة وذلك قوله تعالى **ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله** أي ساكنة مطمئنة إلى ذكر رحمته تعالى وإنما لم يصرح بها إيذاناً
بأنها أول ما يخطر بالبال عند ذكره تعالى **ذلك** أي الكتاب الذي شرح أحواله **هدى الله يهدي به من يشاء** أن يهديه بصرف مقدوره إلى الاهتداء بتأمله
فيما في تضاعيفه من شواهد الحقية ودلائل كونه من عند الله تعالى **ومن يضلل الله** أي يخلق فيه الضلالة لصرف قدرته إلى مباديها وإعراضه عما يرشده إلى الحق
بالكلية وعدم تأثره بوعيده ووعده أصلاً أو ومن يخذله **فما له من هاد** يخلصه من ورطة الضلال وقيل ذلك الذي ذكر من الخشية والرجاء أثر
هداه تعالى يهدي بذلك الأثر من يشاء من عباده ومن يضلل أي ومن لم يؤثر فيه لطفه لقسوة قلبه وإصراره على فجوره فما له من هاد من مؤثر فيه بشيء قط **أفمن**
يتقي بوجهه استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تباين حالي المهتدي والضال والكلام في الهمزة والفاء وحذف الخبر كالذي مر في نظيره والتقدير
أكل الناس سواء فمن شأنه أنه يتقي نفسه بوجهه الذي هو أشرف أعضائه **سوء العذاب** أي العذاب السيئ الشديد **يوم القيامة** لكون يده التي بها كان
يتقي المكاره والمخاوف مغلولة إلى عنقه كمن هو آمن لا يعتريه مكروه ولا يحتاج إلى الاتقاء بوجه من الوجوه وقيل نزلت في أبي جهل **وقيل للظالمين** عطف
على يتقي أي ويقال لهم من جهة خزنة النار وصيغة الماضي للدلالة على التحقق والتقرر وقيل هو حال من ضمير يتقي بإضمار قد ووضع المظهر في مقام
المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والإشعار بعلة الأمر في قوله تعالى **ذوقوا ما كنتم تكسبون** أي وبال ما كنتم تكسبونه في الدنيا على الدوام من الكفر والمعاصي
كذب الذين من قبلهم استئناف مسوق لبيان ما أصاب بعض الكفرة من العذاب الدنيوي إثر بيان ما يصيب الكل من العذاب الأخروي أي كذب الذين من
قبلهم من الأمم السالفة **فأتاهم العذاب** المقدر لكل أمة منهم **من حيث لا يشعرون** من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم إتيان الشر منها **فأذاقهم الله الخزي**
أي الذل والصغار **في الحياة الدنيا** كالمسخ والخسف والقتل والسبي والإجلاء ونحو ذلك من فنون النكال **ولعذاب الآخرة** المعد لهم **أكبر** لشدته وسرمديته **لو كانوا**
يعلمون أي لو كان من شأنهم أن يعلموا شيئاً لعلموا ذلك واعتبروا به **ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل** يحتاج إليه الناظر في أمور دينه **لعلهم يتذكرون**
كي يتذكروا به ويتعظوا **قرآناً عربياً** حال مؤكدة من هذا على أن مدار التأكيد هو الوصف كقولك جاءني زيد رجلاً صالحاً أو مدح له **غير ذي عوج**
لا اختلاف فيه بوجه من الوجوه فهو أبلغ من المستقيم وأخص بالمعاني وقيل المراد بالعوج الشك **لعلهم يتقون** علة أخرى مترتبة على الأولى **ضرب الله مثلاً**
رجلاً فيه شركاء متشاكسون أي أراد المثل من الأمثال القرآنية بعد بيان أن الحكمة في ضربها هو التذكر والاتعاظ بها وتحصيل التقوى والمراد بضرب المثل ههنا
تطبيق حالة عجيبة بأخرى مثلها وجعلها مثلها كما مر في سورة يس ومثلاً مفعول ثان لضرب ورجلاً مفعوله الأول أخر عن الثاني للتشويق إليه وليتصل
بما هو من تتمته التي هي العمدة في التمثيل وليس بصلة لشركاء كما قيل بل هو خبر له وبيان أنه في الأصل كذلك مما لا حاجة إليه والجملة في حيز النصب
على أنه وصف لرجلاً أو الوصف هو الجار والمجرور وشركاء مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على الموصوف فالمعنى جعل الله تعالى مثلاً للمشرك حسبما
يقود إليه مذهبه من ادعائه كل من معبوديه عبوديته عبداً يتشارك فيه جماعة يتجاذبونه ويتعاورونه في مهماتهم المتباينة في تحيره وتوزع قلبه

وتوزع قلبه **ورجلاً** أي وجعل للموحد مثلاً رجلاً **سلماً** أي خالصاً **لرجل** فرد ليس لغيره عليه سبيل أصلاً وقرئ سلماً بفتح السين وكسرها
مع سكون اللام والكل مصادر من سلم له كذا أي خلص نعت به مبالغة أو حذف منها ذو وقرئ سالماً وسالم أي وهناك رجل سالم
وتخصيص الرجل لأنه أفطن لما يجري عليه من الضر والنفع **هل يستويان مثلاً** إنكار واستبعاد لاستوائهما ونفي له على أبلغ وجه وآكده
وإيذان بأن ذلك من الجلاء والظهور بحيث لا يقدر أحد أن يتفوه باستوائهما أو يتلعثم في الحكم بتباينهما ضرورة أن أحدهما
في أعلى عليين والآخر في أسفل سافلين وهو السر في إبهام الفاضل والمفضول وانتصاب مثلاً على التمييز أي هل يستوي حالاهما
وصفتاهما والاقتصار في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله تعالى أكثر أموالاً وأولاداً للإشعار باختلاف النوع
أو لأن المراد هل يستويان في الوصفين على أن الضمير للمثلين لأن التقدير مثل رجل فيه إلى آخره ومثل رجل إلى آخره وقوله تعالى **الحمد لله**
تقرير لما قبله من نفي الاستواء بطريق الاعتراض وتنبيه للموحدين على أن ما لهم من المزية بتوفيق الله تعالى وأنها نعمة جليلة موجبة عليهم
أن يداوموا على حمده وعبادته أو على أن بيانه تعالى بضرب المثل أن لهم المثل الأعلى وللمشركين مثل السوء صنع جميل ولطف تام منه
تعالى عز وجل مستوجب لحمده وعبادته وقوله تعالى **بل أكثرهم لا يعلمون** إضراب وانتقال من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور إلى بيان
أن أكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره فيبقون في ورطة الشرك والضلال وقوله تعالى **إنك ميت وإنهم ميتون** تمهيد لما
يعقبه من الاختصام يوم القيامة وقرئ مائت ومائتون وقيل كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته أي إنكم جميعاً بصدد الموت **ثم**
إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون أي مالك أموركم فتحتج أنت عليهم بأنك بلغتهم ما أرسلت به من الأحكام والمواعظ التي من جملتها ما في تضاعيف
هذه الآيات واجتهدت في الدعوة إلى الحق الاجتهاد الكلي وهم قد لجوا في المكابرة والعناد وقيل المراد به الاختصام العام الجاري في الدنيا بين
الأنام والأول هو الأظهر الأنسب بقوله تعالى **فمن أظلم ممن كذب على الله** فإنه إلى آخره مسوق لبيان حال كل من طرفي الاختصام الجاري في شأن الكفر
والإيمان لا غير أي أظلم من كل ظالم من افترى على الله سبحانه وتعالى بأن أضاف إليه الشريك والولد **وكذب بالصدق** أي بالأمر الذي هو عين الحق ونفس
الصدق وهو ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم **إذ جاءه** في أول مجيئه من غير تدبر فيه ولا تأمل **أليس في جهنم مثوى للكافرين** أي لهؤلاء الذين افتروا على الله
سبحانه وسارعوا إلى التكذيب بالصدق من أول الأمر والجمع باعتبار معنى من كما أن الإفراد في الضمائر السابقة باعتبار لفظها أو لجنس الكفرة
وهم داخلون في الحكم دخولاً أولياً **والذي جاء بالصدق وصدق به** الموصول عبارة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومن تبعه كما أن المراد
في قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون هو وقومه وقيل عن الجنس المتناول للرسل والمؤمنين بهم ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه
والذين جاؤوا بالصدق وصدقوا به وقيل هو صفة لموصوف محذوف هو الفوج أو الفريق **أولئك** الموصوفون بما ذكر من المجيء بالصدق والتصديق
به **هم المتقون** المنعوتون بالتقوى التي هي أجل الرغائب وقرئ وصدق به بالتخفيف أي صدق به الناس فأداه إليهم كما نزل عليه
من غير تغيير وقيل وصار صادقاً به أي بسببه لأن ما جاء به من القرآن معجزة دالة على صدقه عليه السلام وقرئ صُدِّق به على البناء للمفعول
لهم ما يشاؤون عند ربهم بيان لما لهم في الآخرة من حسن المآب بعد بيان ما لهم في الدنيا من محاسن الأعمال أي لهم كل ما يشاؤونه من جلب المنافع
ودفع المضار في الآخرة لا في الجنة فقط لما أن بعض ما يشاؤونه من تكفير السيئات والأمن من الفزع الأكبر وسائر أهوال القيامة إنما يقع قبل
دخول الجنة **ذلك** الذي ذكر من حصول كل ما يشاؤونه **جزاء المحسنين** أي الذين أحسنوا أعمالهم وقد مر تفسير الإحسان غير مرة وقوله تعالى **ليكفر الله**
عنهم أسوأ الذي عملوا إلخ متعلق بقوله تعالى لهم ما يشاؤون لكن لا باعتبار منطوقه ضرورة أن التكفير المذكور لا يتصور كونه غاية لثبوت ما
يشاؤون لهم في الآخرة كيف لا وهو بعض ما سيثبت لهم فيها بل باعتبار فحواه فإنه حيث لم يكن إخباراً بما ثبت لهم فيما مضى بل بما سيثبت لهم فيما
سيأتي كان في معنى الوعد به كما مر في قوله تعالى وعد الله فإنه مصدر مؤكد لما قبله من قوله تعالى لهم غرف فإنه في معنى وعدهم الله غرفاً فانتصب به
وعد الله كأنه قيل وعدهم الله جميع ما يشاؤونه من زوال المضار وحصول المسار ليكفر عنهم بموجب ذلك الوعد أسوأ الذي عملوا دفعاً لمضارهم
ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون إعطاء لمنافعهم وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لإبراز كمال الاعتناء بمضمون الكلام وإضافة الأسوأ
والأحسن إلى ما بعدهما ليست من قبيل إضافة المفضل إلى المفضل عليه بل من إضافة الشيء إلى بعضه للقصد إلى التحقيق والتوضيح من غير اعتبار
تفضيله عليه وإنما المعتبر فيهما مطلق الفضل والزيادة لا على المضاف إليه المعين بخصوصه كما في قولهم الناقص والأشج أعدلا بني مروان

ان الزيادة المعتبرة فيهما ليست بطريق الحقيقة بل هي في الاول بالنظر الى ما يليق بحالهم من استعظام سيئاتهم وان قلت واستصغار حسناتهم
وان جلت وفي الثاني بالنظر الى لطف اكرم الاكرمين من استكثار الحسنة اليسيرة ومقابلتها بالمثوبة الكثيرة وحمل الزيادة على الحقيقة وان امكن في
الاول بناء على ان تخصيص الاسوأ بالذكر لبيان تكفير ما دونه بطريق الاولوية ضرورة استلزام تكفير الاسوأ لتكفير السيء لكن لما لم
يمكن ذلك في الاحسن كان الاحسن نظمهما في سلك واحد من الاعتبار والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في صلة الموصول الثاني دون الاول للايذان
باستمرارهم على الاعمال الصالحة بخلاف السيئة أليس الله بكاف عبده انكار ونفي لعدم كفايته تعالى على ابلغ وجه واكده كان الكفاية من
التحقق والظهور بحيث لا يقدر احد على ان يتفوه بعدمها او يتلعثم في الجواب بوجودها والمراد بالعبد اما رسول الله صلى الله عليه وسلم
او الجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما اوليا ويؤيده قراءة من قرأ عباده وفسر بالانبياء عليهم السلام وكذا قراءة من قرأ بكافي
عباده على الاضافة ويكافي عباده على صيغة المغالبة اما من الكفاية لافادة المبالغة فيها واما من المكافاة بمعنى المجازاة وهذه تسلية
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عما قالت له قريش انا نخاف ان تخبلك آلهتنا ويصيبك معرتها لعيبك اياها وفي رواية قالوا لتكفن
عن شتم آلهتنا او ليصيبنك منهم خبل او جنون كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء وذلك قوله تعالى ويخوفونك بالذين
من دونه اي الاوثان التي اتخذوها آلهة من دونه تعالى والجملة استئناف وقيل حال ومن يضلل الله حتى غفل عن كفايته تعالى وعصمته له عليه
السلام وخوفه بما لا ينفع ولا يضر اصلا فما له من هاد يهديه الى خير ما ومن يهدي الله فما له من مضل يصرفه عن مقصده او يصيبه بسوء
يخل بسلوكه اذ لا راد لفعله ولا معارض لارادته كما ينطق به قوله تعالى أليس الله بعزيز غالب لا يغالب منيع لا يمانع ولا ينازع ذي انتقام
ينتقم من اعدائه لاوليائه واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتحقيق مضمون الكلام وتربية المهابة ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله لوضوح الدليل وسنوح السبيل قل تبكيتا لهم أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره اي
بعدما تحققتم ان خالق العالم العلوي والسفلي هو الله عز وجل فاخبروني ان آلهتكم ان ارادني الله بضر هل يكشفن عني ذلك الضر
او ارادني برحمة اي او ان ارادني بنفع هل هن ممسكات رحمته فيمنعنها عني وقرئ كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره
ورحمته وتعليق ارادة الضر والرحمة بنفسه عليه السلام للرد في نحورهم حيث كانوا خوفوه معرة الاوثان ولما فيه من الايذان بامحاض النصيحة
قل حسبي الله اي في جميع اموري من اصابة الخير ودفع الشر روي انه عليه السلام لما سألهم سكتوا فنزل ذلك عليه يتوكل المتوكلون لا على غيره اصلا
لعلمهم بان كل ما سواه تحت ملكوته تعالى قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالتكم التي انتم عليها من العداوة التي تمكنتم فيها فان المكانة تستعار من
العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان مع كونهما للمكان وقرئ على مكاناتكم اني عامل اي على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد
والاشعار بان حاله لا تزداد الا قوة بنصر الله عز وجل وتأييده ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين بقوله تعالى فسوف تعلمون من
يأتيه عذاب يخزيه فان خزي اعدائه دليل غلبته عليه السلام وقد اخزاهم الله تعالى واخزاهم يوم بدر ويحل عليه عذاب مقيم اي دائم هو عذاب النار
انا انزلنا عليك الكتاب للناس لاجلهم فانه مناط مصالحهم في المعاش والمعاد بالحق حال من فاعل انزلنا او من مفعوله فمن اهتدى بان عمل
بما فيه فلنفسه اي انما نفع به نفسه ومن ضل بان لم يعمل بموجبه فانما يضل عليها لما ان وبال ضلاله مقصور عليها وما انت عليهم بوكيل لتجبرهم على الهدى
وما وظيفتك الا البلاغ وقد بلغت اي بلاغ الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها اي يقبضها عن الابدان بان يقطع تعلقها عنها
وتصرفها فيها اما ظاهرا وباطنا كما عند الموت واما ظاهرا فقط كما عند النوم فيمسك التي قضى عليها الموت ولا يردها الى البدن وقرئ
قضي على البناء للمفعول ورفع الموت ويرسل الاخرى اي النائمة الى بدنها عند التيقظ الى اجل مسمى هو الوقت المضروب لموته وهو غاية لجنس الارسال
الواقع بعد الامساك لا لفرد منه فان ذلك مما لا امتداد فيه ولا كمية وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان في ابن آدم نفسا وروحا بينهما
مثل شعاع الشمس فالنفس هي التي بها العقل والتمييز والروح هي التي بها النفس والتحرك فتتوفيان عند الموت وتتوفى النفس وحدها عند النوم
قريب مما ذكر ان في ذلك اي فيما ذكر من التوفي على الوجهين والامساك في احدهما والارسال في الآخر لآيات عجيبة دالة على كمال قدرته تعالى
وحكمته وشمول رحمته لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها تارة بالكلية كما عند الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما
يعتريها من السعادة والشقاوة واخرى عن ظواهرها فقط كما عند النوم وارسالها حينا بعد حين الى انقضاء اجلها ام اتخذوا اي بل اتخذ

اي بل اتخذ قريش من دون الله من دون اذنه تعالى شفعاء تشفع لهم عنده تعالى قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون الهمزة لانكار الوقوع
واستقباحه والتوبيخ عليه اي قل أتتخذونهم شفعاء ولو كانوا لا يملكون شيئا من الاشياء ولا يعقلونه فضلا عن ان يملكوا الشفاعة
عند الله تعالى او هي لانكار الوقوع ونفيه على ان المراد بيان ان ما فعلوا ليس من اتخاذ الشفعاء لانه فرع كون الاوثان شفعاء وذلك
اظهر المحال فالمقدر حينئذ غير ما قدر اولا وعلى اي تقدير كان فالواو للعطف على شرطية قد حذفت لدلالة المذكورة عليها اي
ايشفعون لو كانوا يملكون شيئا ولو كانوا لا يملكون الى آخره وجواب لو محذوف لدلالة المذكور عليه وقد مر تحقيقه مرارا قل بعد
تبكيتهم وتجهيلهم بما ذكر تحقيقا للحق لله الشفاعة جميعا اي هو مالكها لا يستطيع احد شفاعة الا ان يكون المشفوع له مرتضى والشفيع مأذونا
وكلاهما مفقود ههنا وقوله تعالى له ملك السموات والارض تقرير له وتأكيد اي له ملكهما وما فيهما من المخلوقات لا يملك احد ان يتكلم في امر من امور
بدون اذنه ورضاه ثم اليه ترجعون يوم القيامة لا الى احد سواه لا استقلالا ولا اشتراكا فيفعل يومئذ ما يريد واذا ذكر الله وحده دون
آلهتهم اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة اي انقبضت ونفرت كما في قوله تعالى واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا
واذا ذكر الذين من دونه فرادى او مع ذكر الله تعالى اذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله تعالى ولقد بولغ في بيان حاليهم
القبيحتين حيث بين الغاية فيهما فان الاستبشار هو ان يمتلئ القلب سرورا حتى ينبسط له بشرة الوجه والاشمئزاز ان يمتلئ غيظا
وغما ينقبض منه اديم الوجه والعامل في اذا الاولى اشمأزت وفي الثانية ما هو العامل في اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه
فاجؤوا وقت الاستبشار قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اي التجئ اليه تعالى بالدعاء لما تحيرت في امر الدعوة وضجرت
من شدة شكيمتهم في المكابرة والعناد فانه القادر على الاشياء بجملتها والعالم بالاحوال برمتها انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه
يختلفون اي حكما يسلم له كل مكابر معاند ويخضع له كل عات مارد وهو العذاب الدنيوي والاخروي وقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في
الارض جميعا كلام مستأنف مسوق لبيان آثار الحكم الذي استدعاه النبي صلى الله عليه وسلم وغاية شدته وفظاعته اي لو ان لهم جميع ما
في الدنيا من الاموال والذخائر ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة اي لجعلوا كل ذلك فدية لانفسهم من العذاب الشديد وهيهات
ولات حين مناص وهذا كما ترى وعيد شديد واقناط كلي لهم من الخلاص وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون اي ظهر لهم من فنون العقوبات ما لم يكن
في حسابهم وهذه غاية من الوعيد لا غاية وراءها ونظيره في الوعد قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وبدا لهم سيئات ما كسبوا سيئات
اعمالهم او كسبهم حين تعرض عليهم صحائفهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون اي احاط بهم جزاؤه فاذا مس الانسان ضر دعانا اخبار عن الجنس
بما يفعله غالب افراده والفاء لترتيب ما بعدها من المناقضة والتعكيس على ما مر من حالتيهم القبيحتين وما بينهما اعتراض مؤكد للانكار عليهم
اي انهم يشمئزون عن ذكر الله تعالى وحده ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا عن ذكره دون من استبشروا
بذكره ثم اذا خولناه نعمة منا اعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به لا يطلق على ما اعطي جزاء قال انما اوتيته على علم اي على علم مني
بوجوه كسبه او بانه سيعطاه لما لي من الاستحقاق او على علم من الله تعالى بي وباستحقاقي والهاء لما ان جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير
لما ان المراد شيئا من النعمة بل هي فتنة اي محنة وابتلاء له اي اشكر ام يكفر وهو رد لما قاله وتغيير السبك للمبالغة فيه والايذان بان ذلك ليس
من باب الايتاء المنبئ عن الكرامة وانما هو امر مباين له بالكلية وتأنيث الضمير باعتبار لفظ النعمة او باعتبار الخبر وقرئ بالتذكير ولكن اكثرهم
لا يعلمون ان الامر كذلك وفيه دلالة على ان المراد بالانسان هو الجنس قد قالها الذين من قبلهم الهاء لقوله انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة
وقرئ بالتذكير والموصول عبارة عن قارون وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندي وهم راضون به فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا
او يجمعون منه فاصابهم سيئات ما كسبوا اجزاء سيئات اعمالهم او جزاء ما كسبوا وتسميتها سيئات لانها في مقابلة سيئاتهم وجزاء سيئة
سيئة مثلها والذين ظلموا من هؤلاء المشركين ومن للبيان او للتبعيض اي من الذين افرطوا في الظلم والعتو سيصيبهم سيئات ما كسبوا من الكفر
والمعاصي كما اصاب اولئك والسين للتاكيد وقد اصابهم اي اصابة حيث قحطوا سبع سنين وقتل صناديدهم يوم بدر وما هم بمعجزين اي فائتين
اولم يعلموا اي قالوا ذلك ولم يعلموا او اغفلوا ولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء اي يبسطه له ويقدر لمن يشاء ان يقدر له من غير ان يكون
لاحد مدخل ما في ذلك حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا ان في ذلك اي الذي ذكر لآيات دالة على ان الحوادث كافة من الله عز وجل

لقوم يؤمنون اذ هم المستدلون بها على مدلولاتها قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم اي افرطوا في الجناية عليها بالاسراف في المعاصي واضافة العباد
تخصصه بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن الكريم لا تقنطوا من رحمة الله لا تيأسوا من مغفرته اولا وتفضله ثانيا ان الله يغفر الذنوب جميعا عفوا ولو
بعد حين بتعذيب في الجملة وبغير حسبما يشاء وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر كيف لا وقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ظاهر
في الاطلاق فيما عدا الشرك ومما يدل عليه التعليل بقوله تعالى انه هو الغفور الرحيم على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي
عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهي عن القنوط مطلقا عن الرحمة
فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لدلالته على انه المستغني والمنعم على الاطلاق والتأكيد بالجميع وما روي
من اسباب النزول الدالة على ورود الآية فيمن تاب لا يقتضي اختصاص الحكم بهم ووجوب حمل المطلق على المقيد في كلام واحد مثل اكرم الفضلاء اكرم الكاملين غير
مسلم فكيف فيما هو بمنزلة كلام واحد ولا يخل بذلك الامر بالتوبة والاخلاص في قوله تعالى وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون
اذ ليس المدعى ان الآية تدل على حصول المغفرة لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن الامر بهما وتنافي الوعيد بالعذاب واتبعوا احسن ما انزل
اليكم من ربكم اي القرآن والمأمور به دون المنهي عنه او العزائم دون الرخص او الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة
من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون بمجيئه فتتداركوا او تتأهبوا ان تقول نفس اي كراهة ان تقول والتنكير للتكثير كما في قوله تعالى علمت
نفس ما احضرت فانه مسلك ربما يسلك عند ارادة التكثير والتعميم وقد مر تحقيقه في مطلع سورة الحجر يا حسرتا بالالف بدلا من ياء الاضافة وقرئ يا حسرتاه
بهاء السكت وقفا وقرئ يا حسرتاي بالجمع بين العوضين وقرئ يا حسرتي على الاصل اي احضري فهذا اوان حضورك على ما فرطت اي على تفريطي وتقصيري
في جنب الله اي جانبه في حقه وطاعته وعليه قول من قال اما تتقين الله في جنب وامق له كبد حرّى وعين ترقرق وهو كناية فيها مبالغة وقيل في
ذات الله على تقدير مضاف كالطاعة وقيل في قربه من قوله تعالى والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله وان كنت لمن الساخرين
اي المستهزئين بدين الله تعالى واهله ومحل الجملة النصب على الحال اي فرطت والحال اني ساخر او تقول لو ان الله هداني بالارشاد الى
الحق والعمل لكنت من المتقين من الشرك والمعاصي او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة رجعة الى الدنيا فاكون من المحسنين في العقيدة
واو للدلالة على انها لا تخلو عن هذه الاقوال تحسرا وتحيرا وتعللا بما لا طائل تحته وقوله تعالى بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها
واستكبرت وكنت من الكافرين رد من الله تعالى عليه لما تضمنه قوله تعالى لو ان الله هداني من معنى النفي وفصله عنه لان تقديمه يفرق
القرائن وتأخير المردود يخل بالترتيب الوجودي لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تأثير قدرة الله
تعالى في فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب باعتبار المعنى وقرئ بالتأنيث ويوم القيمة ترى الذين
كذبوا على الله بان وصفوه بما لا يليق بشأنه كاتخاذ الولد وجوههم مسودة بما ينالهم من الشدة او بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة
حال قد اكتفي فيها بالضمير عن الواو على ان الرؤية بصرية او مفعول ثان لها على انها عرفانية اليس في جهنم مثوى اي مقام للمتكبرين عن الايمان
والطاعة وهو تقرير لما قبله من رؤيتهم وينجي الله الذين اتقوا الشرك والمعاصي اي من جهنم وقرئ ينجي من الانجاء بمفازتهم مصدر ميمي
اما من فاز بالمطلوب اي ظفر به والباء متعلقة بمحذوف هو حال من الموصول مفيدة لمقارنة تنجيتهم من العذاب لنيل الصواب اي ينجيهم
الله تعالى من مثوى المتكبرين ملتبسين بفوزهم بمطلوبهم الذي هو الجنة وقوله تعالى لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون اما حال اخرى من الموصول
او من ضمير مفازتهم مفيدة لكون نجاتهم او فوزهم بالجنة غير مسبوقة بمساس العذاب والحزن واما من فاز منه اي نجا منه والباء للملابسة
وقوله تعالى لا يمسهم الى آخره تفسير وبيان لمفازتهم اي ينجيهم الله تعالى ملتبسين بنجاتهم الخاصة بهم اي بنفي السوء والحزن عنهم او للسببية
اما على حذف المضاف اي ينجيهم بسبب مفازتهم التي هي تقواهم كما يشعر به ايراده في حيز الصلة واما على اطلاق المفازة على سببها الذي
هو التقوى وليس المراد نفي دوام المساس والحزن بل دوام نفيهما كما مر مرارا الله خالق كل شيء من خير وشر وايمان وكفر لكن لا بالجبر بل
بمباشرة الكاسب لاسبابها وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف فيه كيفما يشاء له مقاليد السموات والارض لا يملك امرها ولا يتمكن من
التصرف فيها غيره وهو عبارة عن قدرته تعالى وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاستقلال والاستبداد لان الخزائن لا يدخلها ولا
يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد او مقلاد من قلدته اذا ألزمته وقيل جمع اقليد معرب كليد على الشذوذ كالمذاكير

وعن عثمان رضي الله عنه انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال عليه السلام تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا ان الله
بهذه الكلمات يوحّد بها ويمجّد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها اصابه والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون متصل بما قبله والمعنى
ان الله تعالى خالق لجميع الاشياء ومتصرف فيها كيفما يشاء بالاحياء والاماتة بيده مقاليد العالم العلوي والسفلي والذين كفروا بآياته التكوينية
المنصوبة في الآفاق والانفس والتنزيلية التي من جملتها هاتيك الآيات الناطقة بذلك هم الخاسرون حصرا لا خسران وراءه هذا وقيل متصل بقوله
تعالى وينجي الله وما بينهما اعتراض فتدبر قل افغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون اي بعدما حققت هذه الآيات غير الله اعبد وتأمروني اعتراض
للدلالة على انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض آلهتنا نؤمن بالهك لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غير بما دل عليه تأمروني اعبد لانه بمعنى
تعبّدونني وتقولون لي اعبد على ان اصله تأمرونني ان اعبد فحذف ان ورفع ما بعدها كما في قوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات
هل انت مخلدي ويؤيده قراءة اعبد بالنصب وقرئ تأمرونني باظهار النونين على الاصل وبحذف الثانية ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك اي من الرسل
عليهم السلام لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين كلام وارد على طريقة الفرض لتهييج الرسل واقناط الكفرة والايذان بغاية شناعة
الاشراك وقبحه وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يمكن ان يباشره فكيف بمن عداه وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب
واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من خصائصهم لان الاشراك منهم اشد واقبح وان يكون مقيدا بالموت كما صرح به في قوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت
وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب بل الله فاعبد رد لما امروه ولولا دلالة التقديم على القصر لم يكن كذلك
وكن من الشاكرين انعامه عليك وفيه اشارة الى موجب الاختصاص وتقييده وما قدروا الله حق قدره ما قدروا عظمته تعالى في انفسهم حق عظمته حيث جعلوا له
شريكا ووصفوه بما لا يليق بشؤونه الجليلة وقرئ بالتشديد والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه تنبيه على غاية عظمته وكمال قدرته
وحقارة الافعال العظام التي تتحير فيها الاوهام بالنسبة الى قدرته تعالى ودلالة على ان تخريب العالم اهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار
القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض اطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار المقبوض تسمية بالمصدر
او بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للموقت بالمبهم وتأكيد الارض بالجميع لان المراد بها الارضون السبع او جميع ابعاضها البادية والغائرة
وقرئ مطويات على انها حال والسموات مطوقة على الارض منظومة في حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد وما اعلى من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم
او عما يشركونه من الشركاء ونفخ في الصور يعني النفخة الاولى فصعق من في السموات ومن في الارض اي خروا امواتا او مغشيا عليهم الا من شاء الله قيل جبريل
وميكائيل واسرافيل فانهم لا يموتون بعد وقيل حملة العرش ثم نفخ فيه اخرى نفخة اخرى هي النفخة الثانية واخرى يحتمل النصب والرفع فاذا هم قيام قائمون
من قبورهم او متوقفون وقرئ بالنصب على ان الخبر ينظرون وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم في الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل بهم
واشرقت الارض بنور ربها بما اقام فيها من العدل استعير له النور لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما يسمى الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات يوم
القيمة ولذلك اضيف الاسم الجليل الى ضمير الارض او بنور خلقه فيها بلا اجسام مضيئة ولذلك اضيف الى الاسم الجليل ووضع الكتاب الحساب والجزاء من
وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه او صحائف الاعمال في ايدي العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف وجيء بالنبيين والشهداء
للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون وقضي بينهم بين العباد بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة عقاب على ما جرى به الوعد
ووفيت كل نفس ما عملت اي جزاءه وهو اعلم بما يفعلون فلا يفوته شيء من افعالهم وقوله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا الى آخره تفصيل للتوفية
وبيان لكيفيتها اي سيقوا اليها بالعنف والاهانة افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض مترتبة حسب ترتب طبقاتهم في الضلالة والشرارة والزمر جمع زمرة
واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها ليدخلوها وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة وقرئ بالتشديد وقال لهم خزنتها
تقريعا وتوبيخا الم يأتكم رسل منكم من جنسكم وقرئ نذر منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا اي وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار
وفيه دليل على انه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب قالوا بلى قد اتونا وانذرونا
ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين حيث قال الله تعالى لابليس لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقد كذبنا من تبعه وكذبنا
الرسل وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا تكذبون قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها اي مقدرا خلودكم فيها وابهام القائل

لتهويل المقول فبئس مثوى المتكبرين اللام للجنس والمخصوص بالذم محذوف ثقة بذكره آنفاً اي فبئس مثواهم جهنم ولا يقدح ما فيه من الاشعار بان
كون مثواهم جهنم لتكبرهم عن الحق في ان دخولهم النار لسبق كلمة العذاب عليهم فانها انما حقت عليهم بناء على تكبرهم وكفرهم وقد مر تحقيقه
في سورة الم السجدة وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة مساق اعزاز وتشريف للاسراع بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب
بهم الا راكبين زمراً متفاوتين حسب تفاوت اعمالهم ومراتبهم في الفضل وعلو الطبقة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقرئ بالتشديد وجواب
اذا محذوف للايذان بان لهم حينئذ من فنون الكرامة ما لا يحدق به نطاق العبارة كانه قيل حتى اذا جاؤها وقد فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها
سلام عليكم من جميع المكاره والآلام طبتم طهرتم من دنس المعاصي او طبتم نفساً بما اتيح لكم من النعيم فادخلوها خالدين كان ما كان مما
يقصر عنه البيان وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده بالبعث والثواب واورثنا الارض يريدون المكان الذي استقروا فيه على طريق الاستعارة
وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم او تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه نتبوأ من الجنة حيث نشاء اي يتبوأ كل واحد منا
في اي مكان اراده من جنته الواسعة على ان فيها مقامات معنوية لا يتمانع واردوها فنعم اجر العاملين الجنة وترى الملائكة حافين من حول العرش
اي حوله ومن مزيدة او لابتداء الحفوف يسبحون بحمد ربهم اي ينزهونه تعالى عما لا يليق به ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى
والمعنى ذاكرين له تعالى بوصفي جلاله واكرامه تلذذاً به وفيه اشعار بان اقصى درجات العليين واعلى لذائذهم هو الاستغراق في شؤونه
تعالى وقضي بينهم بالحق اي بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة او بين الملائكة باقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم وقيل الحمد لله رب العالمين
اي على ما قضى بيننا بالحق وانزل كلاً منا منزلته التي هي حقه والقائلون هم المؤمنون ممن قضي بينهم والملائكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله تعالى رجاءه يوم القيمة واعطاه ثواب الخائفين وعن عائشة رضي الله تعالى عنها
انه عليه السلام كان يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر

سورة المؤمن الغافر

بسم الله الرحمن الرحيم حم بتفخيم الالف وتسكين الميم وقرئ باماله الالف وباخراجها بين بين وبفتح الميم لالتقاء الساكنين او نصبها
باضمار نحو اقرأ ومنع الصرف للتأنيث والتعريف او للتعريف وكونها على زنة قابيل وهابيل وبقية الكلام فيه وفي قوله تعالى تنزيل الكتاب كالذي سلف
في الم السجدة وقوله تعالى من الله العزيز العليم كما في مطلع سورة الزمر في الوجوه كلها ووجه التعرض لنعتي العزة والعلم ما ذكر هناك غافر الذنب وقابل
التوب شديد العقاب ذي الطول صفات اخر لتحقيق ما فيها من الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود والاضافة فيها حقيقية على انه لم يرد بها زمان
مخصوص واريد بشديد العقاب مشدده والشديد عقابه بحذف اللام للازدواج وامن الالتباس وابدال جعله وحده بدلاً كما فعله الزجاج
مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير
موقع الفعلين لان الغفر هو الستر مع بقاء الذنب وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل
جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل سبقها ورجحانها لا اله الا هو فيجب الاقبال
الكلي على طاعته في اوامره ونواهيه اليه المصير فيجازي كلاً من المطيع والعاصي ما يجادل في آيات الله اي
بالطعن فيها واستعمال المقدمات الباطلة لادحاض الحق كقوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق الا الذين كفروا بها واما الذين آمنوا فلا يخطر
ببالهم شائبة شبهة منها فضلاً عن الطعن فيها واما الجدال فيها لحل مشكلاتها وكشف معضلاتها واستنباط حقائقها الكلية وتوضيح مناهج
الحق في مضائق الافهام ومزالق الاقدام وابطال شبه اهل الزيغ فمن اعظم الطاعات ولذلك قال عليه السلام ان جدالاً في القرآن كفر بالتنكير
للفرق بين جدال وجدال فلا يغررك تقلبهم في البلاد لترتيب النهي او وجوب الانتهاء على ما قبلها من التسجيل عليهم بالكفر الذي
لا شيء امقت منه عند الله تعالى ولا اجلب لخسران الدنيا والآخرة فان من تحقق ذلك لا يكاد يغتر بما لهم من حظوظ الدنيا وزخارفها فانهم
ماخوذون عما قليل اخذ من قبلهم من الامم الخالية حسبما ينطق به قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم اي الذين تحزبوا على الرسل
وناصبوهم بعد قوم نوح مثل عاد وثمود واضرابهم وهمت كل امة من تلك الامم العاتية برسولهم وقرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا منه
فيصيبوا به ما ارادوا من تعذيب وقتل من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا بالباطل الذي لا اصل له ولا حقيقة له اصلاً ليدحضوا به الحق الذي لا محيد عنه كما
فعل هؤلاء فاخذتهم بسبب ذلك اخذ عزيز مقتدر فكيف كان عقاب الذي عاقبتهم به فان آثار دمارهم عبرة للناظرين ولآخذن

ولآخذن هؤلاء ايضاً لاتحادهم في الطريقة واشتراكهم في الجريرة كما ينبئ عنه قوله تعالى وكذلك حقت كلمة ربك اي كما وجب وثبت حكمه تعالى
وقضاؤه بالتعذيب على اولئك الامم المكذبة على رسلهم المجادلة بالباطل لادحاض الحق به وجب ايضاً على الذين كفروا اي كفروا بك وتحزبوا
عليك وهموا بما لم ينالوا كما ينبئ عنه اضافة اسم الرب الى ضميره عليه السلام فان ذلك للاشعار بان وجوب كلمة العذاب عليهم من احكام
تربيته التي من جملتها نصرته عليه السلام وتعذيب اعدائه وذلك انما يتحقق بكون الموصول عبارة عن كفار قومه لا عن الامم المهلكة وقوله
تعالى انهم اصحاب النار في حيز النصب بحذف لام التعليل اي لانهم مستحقوا اشد العقوبات وافظعها التي هي عذاب النار وملازموها
ابداً لكونهم كفاراً معاندين متحزبين على الرسول عليه الصلوة والسلام كدأب من قبلهم من الامم المهلكة فهم لسائر فنون العقوبات اشد استحقاقاً
واحق استيجاباً وقيل هو في محل الرفع على انه بدل من كلمة ربك والمعنى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة المهلكة كونهم من اصحاب النار اي كما
وجب اهلاكهم في الدنيا بعذاب الاستيصال كذلك وجب تعذيبهم بعذاب النار في الآخرة ومحل الكاف على التقديرين النصب على انه نعت
لمصدر محذوف الذين يحملون العرش ومن حوله وهم اعلى طبقات الملائكة عليهم السلام واولهم وجوداً وحملهم اياه وحفيفهم حوله
مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن قربهم من ذي العرش جل جلاله ومكانتهم عنده ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره
يسبحون بحمد ربهم والجملة استيناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ان اشراف الملائكة عليهم السلام مثابرون على
ولاية من معه من المؤمنين ونصرتهم واستدعاء ما يسعدهم في الدارين اي ينزهونه تعالى عن كل ما لا يليق بشأنه الجليل ملتبسين بحمده على
نعمائه التي لا تتناهى ويؤمنون به ايماناً حقيقياً بحالهم والتصريح به مع الغنى عن ذكره رأساً لاظهار فضيلة الايمان وابراز شرف اهله
والاشعار بعلة دعائهم للمؤمنين حسبما ينطق به قوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا فان ذلك شاركهم في الايمان اقوى المناسبات
واتمها وادعى الدواعي الى النصح والشفقة وفي نظم استغفارهم لهم في سلك وظائفهم المفروضة عليهم من تسبيحهم وتحميدهم وايمانهم
ايذان بكمال اعتنائهم به واشعار بوقوعه عند الله تعالى في موقع القبول روي ان حملة العرش ارجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت
العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي عليه السلام لا تتفكروا فيما خلق الله من الملائكة فان خلقاً من الملائكة يقال له اسرافيل
زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كانه
الوصع وفي الحديث ان الله امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلاً لهم على سائرهم وقيل خلق الله تعالى
العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملائكة
يطوفون به مكبرين ومن ورائهم سبعون الف صف من الملائكة يطوفون به مهللين ومن ورائهم سبعون الف صف قيام قد وضعوا
ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح
بما لا يسبح به الآخر ربنا على ارادة القول اي يقولون ربنا على انه اما بيان لاستغفارهم او حال وسعت كل شيء رحمة وعلماً اي وسعت
رحمتك وعلمك فازيل عن اصله للاغراق في وصفه تعالى بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومهما وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات ههنا والفاء
في قوله تعالى فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك اي للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق لترتيب الدعاء على ما قبلها من سعة الرحمة
والعلم وقهم عذاب الجحيم واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار للتأكيد ربنا وادخلهم عطف على قهم وتوسيط النداء بينهما للمبالغة في الجؤار
جنات عدن التي وعدتهم اي وعدتهم اياها وقرئ جنة عدن ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم اي صلاحاً مصححاً لدخول الجنة في
الجملة وان كان دون صلاح اصولهم وهو عطف على الضمير الاول اي وادخلها معهم هؤلاء ليتم سرورهم ويتضاعف ابتهاجهم او على الثاني
لكن لا بناء على الوعد العام للكل كما قيل اذ لا يبقى حينئذ للعطف وجه بل بناء على الوعد الخاص بهم بقوله تعالى الحقنا بهم ذرياتهم بان يكونوا على
درجة من ذرياتهم قال سعيد بن جبير يدخل المؤمن الجنة فيقول اين ابي اين ولدي اين زوجي فيقال انهم لم يعملوا مثل عملك فيقول
اني كنت اعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة وسبق الوعد بالادخال والالحاق لا يستدعي حصول الموعود بلا توسط شفاعة واستغفار
وعليه مبنى قول من قال فائدة الاستغفار زيادة الكرامة والثواب والاول هو الاولى لان الدعاء بالادخال صريح وفي الثاني ضمني
وقرئ صلح بالضم وذريتهم بالافراد انك انت العزيز اي الغالب الذي لا يمتنع عليه مقدور الحكيم اي الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة الباهرة

من الأمور التي من جملتها انجاز الوعد فالجملة تعليل لما قبلها وقهم السيئات اي العقوبات لان جزاء السيئة سيئة او جزاء السيئات على حذف المضاف
وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بالأتباع او المعاصي في الدنيا لقوله ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته ومن تقه المعاصي في الدنيا فقد رحمته في الآخرة
كأنهم طلبوا لهم السبب بعد ما سألوا المسبب وذلك اشارة الى الرحمة المفهومة من رحمته او اليها والى الوقاية وما فيه من معنى البعد لما مر
مرارا من الاشعار ببعد درجة المشار اليه هو الفوز العظيم الذي لا مطمع وراءه لطامع ان الذين كفروا شروع في بيان احوال الكفرة بعد
دخولهم النار بعد ما بين فيما سبق انهم اصحاب النار ينادون اي من مكان بعيد وهم في النار وقد مقتوا انفسهم الامارة بالسوء التي
وقعوا فيما وقعوا باتباع هواها او مقت بعضهم بعضا من الاحباب كقوله تعالى يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا اي يبغضونها
اشد البغض وانكروها ابلغ الانكار واظهروا ذلك على رؤس الاشهاد فيقال لهم عند ذلك لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اي لمقت الله
انفسكم الامارة بالسوء او مقته اياكم في الدنيا اذ تدعون من جهة الانبياء الى الايمان فتأبون قبوله فتكفرون اتباعا لانفسكم الامارة
ومسارعة الى هواها او اقتداء باخلائكم المضلين واستحبابا لآرائهم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة او من مقت بعضكم
بعضا اليوم فاذ ظرف للمقت الاول وان توسط بينهما الخبر لما في الظروف من الاتساع وقيل لمصدر آخر مقدر اي مقته اياكم اذ
تدعون وقيل مفعول لاذكروا والاول هو الاوجه وقيل كلا المقتين في الآخرة واذ تدعون تعليل لما بين الظرف والسبب من علاقة
اللزوم والمعنى لمقت الله اياكم الآن اكبر من مقتكم انفسكم لما كنتم تدعون الى الايمان فتكفرون وفي تخصيص هذا الوجه بصورة كون المراد
بانفسهم اضرابهم مما لا داعي اليه قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين صفتان لمصدري الفعلين المذكورين اي اماتتين
واحيائتين او موتتين وحياتين على انهما مصدران لهما ايضا بحذف الزوائد او لفعلين يدل عليهما المذكوران فان الاماتة والاحياء
ينبئان عن الموت والحيوة حتما كأنه قيل امتنا فمتنا موتتين اثنتين واحييتنا فحيينا حياتين اثنتين على طريقة قول من قال
وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع من المال الا مسحت او مجلف اي لم يدع فلم يبق الا مسحت الى آخره قيل ارادوا بالاماتة الاولى خلقهم
امواتا وبالثانية اماتتهم عند انقضاء آجالهم على ان الاماتة جعل الشيء عادم الحيوة اعم من ان يكون بانشائه كذلك كما في قولهم سبحان
من صغر البعوض وكبر الفيل او بجعله كذلك بعد الحيوة وبالاحيائين الاحياء الاول واحياء البعث وقيل ارادوا بالاماتة الاولى ما بعد حياة
الدنيا وبالثانية ما بعد حياة القبر وبالاحيائين ما في القبر وما عند البعث وهو الانسب بحالهم واما حديث لزوم الزيادة على النص ضرورة
تحقق حيوة الدنيا فمدفوع لكن لا بما قيل من عدم اعتدادهم بها لزوالها وانقضائها وانقطاع آثارها واحكامها بل بان مقصودهم
احداث الاعتراف بما كانوا ينكرونه في الدنيا كما ينطق به قولهم فاعترفنا بذنوبنا والتزام العمل بموجب ذلك الاعتراف ليتوسلوا بذلك
الى ما علقوا به اطماعهم الفارغة من الرجع الى الدنيا كما قدم جوابه حيث قالوا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون وهو الذي ارادوه
بقولهم فهل الى خروج من سبيل مع نوع استبعاد له واستشعار يأس منه لا انهم قالوه بطريق القنوط البحت كما قيل ولا ريب في ان الذي
كانوا ينكرونه ويفرعون عليه انواع فنون الكفر والمعاصي ليس الا الاحياء بعد الموت واما الاحياء الاول فلم يكونوا ينكرونه لينظموه
في سلك ما اعترفوا به وزعموا ان الاعتراف به يجديهم نفعا وانما ذكروا الموتة الاولى مع كونهم معترفين بها في الدنيا لتوقف حيوة
القبر عليها وكذا حال الموتة في القبر فان مقصودهم الاصلي هو الاعتراف بالاحيائين وانما ذكروا الاماتتين لترتيبهما عليهما ذكرا حسب ترتيبهما
عليهما وجودا وتنكير سبيل للابهام اي من سبيل ما كيف كان وقوله تعالى ذلكم الى آخره جواب لهم باستحالة حصول مرجوهم ببيان ما يوجبها من اعمالهم
السيئة اي ذلكم الذي انتم فيه من العذاب مطلقا لا مقيدا بالخلود كما قيل بانه اي بسبب ان الشأن اذا دعي الله في الدنيا اي عبد وحده اي
منفردا كفرتم بتوحيده وان يشرك به تؤمنوا اي بالاشراك به وتسارعوا فيه وفي ايراد اذا وصيغة الماضي في الشرطية الاولى وان وصيغة
المضارع في الثانية ما لا يخفى من الدلالة على كمال سوء حالهم وحيث كان حالكم كذلك فالحكم لله الذي لا يحكم الا بالحق ولا يقضي الا بما تقتضيه
الحكمة العلي الكبير الذي ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه وقد حكم بانه لا مغفرة للمشرك
ولا نهاية لعقوبته كما لا نهاية لشناعته فلا سبيل لكم الى الخروج اصلا ابدا هو الذي يريكم آياته الدالة على شؤونه العظيمة الموجبة لتفرده بالالوهية
لتستدلوا بها على ذلك وتعملوا بموجبها فتوحدوه تعالى وتخصوه بالعبادة وينزل بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الانزال لكم من السماء رزقا اي

اي سبب رزق وهو المطر وافراده بالذكر مع كونه من جملة الآيات الدالة على كمال قدرته تعالى لتفرده بعنوان كونه من آثار رحمته تعالى وجلائل
نعمه الموجبة للشكر وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة على تجدد الاراءة والتنزيل واستمرارهما وتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر
غير مرة وما يتذكر بتلك الآيات الباهرة ولا يعمل بمقتضاها الا من ينيب الى الله تعالى ويتفكر في ما اودعه في تضاعيف مصنوعاته من شواهد
قدرته الكاملة ونعمته الشاملة الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى ومن ليس كذلك فهو بمعزل من التذكر والاتعاظ فادعوا الله مخلصين له الدين
اي اذا كان الامر كما ذكر من اختصاص التذكر بمن ينيب فاعبدوه ايها المؤمنون مخلصين له دينكم بموجب انابتكم اليه تعالى وايمانكم به ولو كره
الكافرون ذلك وغاظهم اخلاصكم رفيع الدرجات نحو بديع السموات على انه صفة مشبهة اضيفت الى فاعلها بعد النقل الى فعل بالضم كما هو المشهور
وتفسيره بالرافع ليكون من اضافة اسم الفاعل الى المفعول بعيد في الاستعمال اي رفيع درجات ملائكته اي معارجهم ومصاعدهم الى العرش ذو العرش
اي مالكه وهما خبران آخران لقوله تعالى هو اخبر عنه بهما ايذانا بعلو شأنه تعالى وعظم سلطانه الموجبين لتخصيص العبادة به واخلاص الدين له اما
بطريق الاستشهاد بهما عليهما فان ارتفاع معارج ملائكته الى العرش وكون العرش العظيم المحيط باكناف العالم العلوي والسفلي تحت ملكوته
وقبضة قدرته مما يقضي بكون علو شأنه وعظم سلطانه في غاية لا غاية وراءها واما بجعلهما عبارة عنهما بطريق المجاز المتفرع على الكناية
كالاستواء على العرش وتمهيدا لما يعقبهما من قوله تعالى يلقي الروح من امره فانه خبر آخر لما ذكر مبني على انزال الرزق الروحاني الذي هو
الوحي بعد بيان انزال الرزق الجسماني الذي هو المطر اي ينزل الوحي الجاري من القلوب منزلة الروح من الاجساد وقوله تعالى من امره بيان
للروح الذي اريد به الوحي فانه امر بالخير او حال منه اي حال كونه ناشئا ومبتدئا من امره او صفة له على رأي من يجوز حذف الموصول
مع بعض صلته اي الروح الكائن من امره او متعلق بيلقي ومن للسببية كالباء مثل ما في قوله تعالى مما خطيئاتهم اي يلقي الوحي بسبب امره
على من يشاء من عباده وهو الذي اصطفاه لرسالته وتبليغ احكامه اليهم لينذر اي الله تعالى او الملقى عليه او الروح وقرئ لتنذر على ان
الفاعل هو الرسول عليه السلام او الروح لانها قد تؤنث يوم التلاق اما ظرف للمفعول الثاني اي لينذر الناس العذاب يوم التلاق
وهو يوم القيمة لانه تتلاقى فيه الارواح والاجساد واهل السموات والارض او هو المفعول الثاني اتساعا او اصالة فانه من شدة
هوله وفظاعته حقيق بالانذار اصالة وقرئ لينذر على البناء للمفعول ورفع اليوم يوم هم بارزون بدل من يوم التلاق اي
خارجون من قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل او اكمة او بناء لكون الارض يومئذ قاعا صفصفا ولا عليهم ثياب وانما هم
عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا وقيل ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشي الابدان واعمالهم وسرائرهم
لا يخفى على الله منهم شيء استئناف لبيان بروزهم وتقرير له وازاحة لما كان يتوهمه المتوهمون في الدنيا من الاستتار توهما باطلا
او خبر ثان وقيل حال من ضمير بارزون اي لا يخفى عليه تعالى شيء ما من اعيانهم واعمالهم واحوالهم الجلية والخفية السابقة واللاحقة
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يقع حينئذ من السؤال والجواب بتقدير قول معطوف على ما قبله من الجملة المنفية المستأنفة او استئناف
يقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية بروزهم وظهور احوالهم كأنه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقال الى آخره اي ينادي مناد لمن الملك اليوم
فيجيبه اهل المحشر لله الواحد القهار وقيل المجيب هو السائل بعينه لما روي انه يجمع الله الخلائق يوم القيمة في صعيد واحد في ارض بيضاء كأنها
سبيكة فضة لم يعص الله عليها قط فاول ما يتكلم به ان ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقيل هي حكاية لما ينطق به لسان
الحال من تقطع اسباب التصرفات المجازية واختصاص جميع الافاعيل بقبضة القدرة الالهية اليوم تجزى كل نفس بما كسبت الى آخره اما
من تتمة الجواب لبيان حكم اختصاص الملك به تعالى ونتيجته التي هي الحكم السوي والقضاء بالحق او حكاية لما سيقوله تعالى يومئذ عقيب السؤال والجواب
اي تجزى كل نفس من النفوس البرة والفاجرة بما كسبت من خير او شر لا ظلم اليوم بنقص ثواب او زيادة عذاب ان الله سريع الحساب اي سريع حسابه
تعالى اذ لا يشغله تعالى شأن عن شأن فيحاسب الخلائق قاطبة في اقرب زمان كما نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه تعالى اذا اخذ
في حسابهم لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها فيكون تعليلا لقوله تعالى اليوم تجزى الى آخره فان كون ذلك اليوم بعينه يوم
التلاقي ويوم البروز ربما يوهم استبعاد وقوع الكل فيه او سريع مجيئه فيكون تعليلا للانذار وانذرهم يوم الآزفة اي القيمة سميت بها
لازوفها وهو القرب غير ان فيه اشعارا بضيق الوقت وقيل الخطة الآزفة وهي مشارفة اهل النار دخولها وقيل وقت حضور الموت

كما في قوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم وقوله كلا اذا بلغت التراقي اذ القلوب لدى الحناجر بدل من يوم الآزفة فانها ترتفع عن اماكنها فتلتصق
بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا بالموت كاظمين على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى اذ الاصل قلوبهم او من ضميرها في الظرف
وجمع جمع السلامة باعتبار ان الكظم من احوال العقلاء كقوله تعالى فظلت اعناقهم لها خاضعين او من مفعول انذرهم على انها حال مقدرة اي
انذرهم مقدرا كظمهم او مشارفين الكظم ما للظالمين من حميم اي قريب مشفق ولا شفيع يطاع اي ولا شفيع مشفع على معنى نفي الشفاعة والطاعة
معا على طريقة قوله على لاحب لا يهتدى بمناره والضمائر ان عادت الى الكفار وهو الظاهر فوضع الظالمين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم
وتعليل الحكم به يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين على انها مصدر
وما تخفي الصدور من الضمائر والاسرار والجملة خبر آخر مثل يلقي الروح للدلالة على انه ما من خفي الا وهو متعلق العلم والجزاء والله يقضي بالحق لانه
المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضي بشيء الا وهو حق وعدل والذين يدعون اي يعبدونهم من دونه تعالى لا يقضون بشيء تهكم بهم لان الجماد لا يقال
في حقه يقضي او لا يقضي وقرئ تدعون على الخطاب التفاتا او على اضمار قل ان الله هو السميع البصير تقرير لعلمه تعالى بخائنة الاعين وقضائه بالحق
ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم
اي مآل حال من قبلهم من الامم المكذبة لرسلهم كعاد وثمود واضرابهم كانوا هم اشد منهم قوة قدرة وتمكنا في التصرفات وانما جيء بضمير الفصل مع ان
حقه التوسط بين معرفتين لمضاهاة افعل من للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه وقرئ اشد منكم بالكاف وآثارا في الارض مثل القلاع الحصينة
والمدائن المتينة وقيل المعنى واكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا فاخذهم الله بذنوبهم اخذا وبيلا وما كان لهم من الله من واق اي من واق
يقيهم عذاب الله تعالى ذلك اي ما ذكر من الاخذ بانهم بسبب انهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات او بالاحكام الظاهرة فكفروا فاخذهم الله
انه قوي متمكن مما يريد غاية التمكن شديد العقاب لا يؤبه عند عقابه بعقاب ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وهي معجزاته وسلطان مبين اي وحجة
ظاهرة قاهرة وهي ما عين الآيات والعطف لتغاير العنوانين واما بعض مشاهيرها كالعصا افردت بالذكر مع اندراجها تحت الآيات لانافتها
كافراد جبريل وميكائيل مع دخولهما في الملائكة عليهم السلام الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب اي فيما اظهره من المعجزات وفيما
ادعاه من رسالة رب العالمين فلما جاءهم بالحق من عندنا وهو ما ظهر على يده من المعجزات القاهرة قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا
نساءهم كما قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم اي اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلونه اولا وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما
بعث عليه السلام واحس بانه قد وقع ما وقع اعاده عليهم غيظا وحنقا وزعما منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرته ظنا منهم انه المولود الذي حكم
المنجمون والكهنة بذهاب ملكهم على يده وما كيد الكافرين الا في ضلال اي في ضياع وبطلان لا يغني عنهم شيئا وينفذ عليهم لا محالة القدر المقدور
والقضاء المحتوم واللام اما للعهد والاظهار في موقع الاضمار لذمهم بالكفر والاشعار بعلة الحكم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة
اعتراض جيء به في تضاعيف ما حكي عنهم من الاباطيل للمسارعة الى بيان بطلان ما اظهروه من الابراق والارعاد واضمحلاله بالمرة وقال فرعون
ذروني اقتل موسى كان ملاؤه اذا هم بقتله عليه السلام كفوه بقولهم ليس هذا بالذي تخافه فانه اقل من ذلك واضعف وما هو الا بعض
السحرة ويقولهم اذا قتلته ادخلت على الناس شبهة واعتقدوا انك عجزت عن معارضته بالحجة وعدلت الى المقارعة بالسيف والظاهر من
هذا اللعين ونكارته انه كان قد استيقن انه نبي وان ما جاء به آيات باهرة وما هو بسحر ولكن كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل
بالهلاك وقد كان قوله هذا تمويها على قومه وايهاما انهم هم الكافون له عن قتله ولولاهم لقتله وما كان الذي يكفه الا ما في نفسه من الفزع الهائل
وقوله وليدع ربه تجلد منه واظهار لعدم المبالاة بدعائه ولكنه اخاف ما يخاف اني اخاف ان لم اقتله ان يبدل دينكم اي يغير ما انتم عليه من
الدين الذي هو عبادته وعبادة الاصنام لتقربكم اليه او ان يظهر في الارض الفساد ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج ان لم
يقدر على تبديل دينكم بالكلية وقرئ بالواو الجامعة وقرئ بفتح الياء والهاء ورفع الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر
بمعنى تظاهر اي تتابع وتعاون وقال موسى اي لقومه حين سمع بما تقوله اللعين من حديث قتله عليه السلام اني عذت بربي وربكم من كل متكبر
لا يؤمن بيوم الحساب صدر عليه السلام كلامه بان تأكيدا له واظهارا لمزيد الاعتناء بمضمونه وفرط الرغبة فيه وخص اسم الرب المنبئ عن
الحفظ والتربية لما يستدعيه واضافه اليه واليهم حثا لهم على موافقته في العياذ به تعالى والتوكل عليه فان في تظاهر النفوس تأثيرا قويا

قويا في استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون بل ذكره بوصف يعمه وغيره من الجبابرة لتعميم الاستعاذة والاشعار بعلة القساوة والجراءة على
الله تعالى وقرئ عدت بالادغام وقال رجل مؤمن من آل فرعون قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا وقيل كان اسرائيليا او غريبا موحدا
يكتم ايمانه اي من فرعون وملائه اتقتلون رجلا اتقصدون قتله ان يقول لان يقول او كراهة ان يقول ربي الله اي وحده من غير روية وتأمل في
امره وقد جاءكم بالبينات والحال انه قد جاءكم بالمعجزات الظاهرة التي شاهدتموها وعهدتموها من ربكم اضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا
عليهم واستنزالا لهم عن رتبة المكابرة ثم اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال وان يك كاذبا فعليه كذبه لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في
دفعه الى قتله وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم اي ان لم يصبكم كله فلا اقل من اصابة بعضه لا سيما ان تعرضتم له بالسوء وهذا كلام صادر
عن غاية الانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم من شقي الترديد كونه كاذبا او يصبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض ما يعدهم كانه خوفهم بما هو
اظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل مستدلا بقول لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها مردود لان مراده
بالبعض نفسه ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب احتجاج آخر ذو وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله تعالى الى البينات ولما ايده
بتلك المعجزات وثانيهما ان كان كذلك خذله الله واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله اراد به المعنى الثاني وهو عاكف على المعنى الاول لتليين شكيمتهم
وقد عرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب ومنهاج النجاة يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين عالين على بني
اسرائيل في الارض ارض مصر لا يقاومكم احد في هذا الوقت فمن ينصرنا من بأس الله من اخذه وعذابه ان جاءنا اي فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لبأس الله
بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه احد وانما نسب ما يسرهم من الملك والظهور في الارض اليهم خاصة ونظم نفسه في سلكهم فيما يسوؤهم من مجيء بأس الله
تعالى تطييبا لقلوبهم وايذانا بانه مناصح لهم ساع في تحصيل ما يجديهم ودفع ما يرديهم سعيه في حق نفسه ليتأثروا بنصحه قال فرعون بعد ما
سمع مقالته ما اريكم اي ما اشير عليكم الا ما ارى واستصوبه من قتله وما اهديكم بهذا الرأي الا سبيل الرشاد اي الصواب او لا اعلمكم الا ما علمت ولا اسر
عنكم خلاف ما اظهره ولقد كذب حيث كان مستشعرا للخوف الشديد ولكنه كان يتجلد ولولاه لما استشار احدا ابدا وقرئ بتشديد الشين للمبالغة
من رشد كعلام او من رشد كعباد لا من ارشد كجبار من اجبر لانه مقصور على السماع او للنسبة الى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه الى فعل وقال
الذي آمن مخاطبا لقومه يا قوم اني اخاف عليكم في تكذيبه والتعرض له بالسوء مثل يوم الاحزاب مثل ايام الامم الماضية يعني وقائعهم وجمع الاحزاب
مع التفسير اغنى عن جمع اليوم مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود اي مثل جزاء ما كانوا عليه من الكفر وايذاء الرسل والذين من بعدهم
كقوم لوط وما الله يريد ظلما للعباد لا ان المنفي فيه ارادة ظلم ما فينتفي الظلم بطريق الاولوية ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد
خوفهم بالعذاب الاخروي بعد تخويفهم بالعذاب الدنيوي ويوم التناد يوم القيامة لانه ينادي فيه بعضهم للاستغاثة او يتصايحون بالويل
والثبور او يتنادى اصحاب الجنة واصحاب النار حسبما حكي في سورة الاعراف وقرئ بتشديد الدال وهو ان يند بعضهم من بعض
كقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وعن الضحاك اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا
فبينا هم يموج بعضهم في بعض اذ سمعوا مناديا اقبلوا الى الحساب يوم تولون مدبرين بدل من يوم التناد اي منصرفين عن الموقف الى
النار او فارين منها حسبما نقل آنفا ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه والجملة حال اخرى من ضمير تولون ومن يضلل الله فما له من هاد
يهديه الى طريق النجاة ولقد جاءكم يوسف هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام على ان فرعونه فرعون موسى او على نسبة احوال الآباء الى الاولاد
وقيل سبط يوسف بن ابراهيم بن يوسف الصديق من قبل موسى بالبينات بالمعجزات الواضحة فما زلتم في شك مما جاءكم به من الدين حتى اذا
هلك بالموت قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا تكذيب رسالته ضما الى تكذيب رسالة من بعده او جزما بان لا يبعث بعده رسول
مع الشك في رسالته وقرئ الن يبعث الله على ان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث كذلك اي مثل ذلك الاضلال الفظيع يضل الله من هو
مسرف في عصيانه مرتاب في دينه شاك فيما يشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك في التقليد الذين يجادلون في آيات الله بدل
من الموصول الاول او بيان له او صفة باعتبار معناه كانه قيل كل مسرف مرتاب او المسرفين المرتابين بغير سلطان متعلق بيجادلون اي
اي بغير حجة صالحة للتمسك بها في اتاهم صفة لسلطان كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا فيه ضرب من التعجب والاستعظام وفي كبر
ضمير يعود الى من وتذكيره باعتبار اللفظ وقيل الى الجدال المستفاد من يجادلون كذلك اي مثل ذلك الطبع الفظيع يطبع الله على

كل قلب متكبر جبار فيصدر عنه امثال ما ذكر من الاسراف والارتياب والمجادلة بالباطل وقرئ بتنوين قلب ووصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما
وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا اي بناء مكشوفا عاليا من صرح الشيء اذا ظهر لعلي ابلغ الاسباب اي الطرق اسباب السموات بيان لها
وفي ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشانها وتشويق للسامع الى معرفتها فاطلع الى اله موسى بالنصب على جواب الترجي وقرئ بالرفع عطفا على ابلغ
ولعله اراد ان يبني له رصدا في موضع عال ليرصد منه احوال الكواكب التي هي اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل
على ارسال الله تعالى اياه او ان يرى فساد قوله عليه السلام بان اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه عليه ووصوله اليه وذلك لا يتاتى الا
بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وما ذاك الا لجهله بالله سبحانه وكيفية استنبائه واني لاظنه كاذبا فيما يدعيه من الرسالة
وكذلك اي ومثل ذلك التزيين البليغ المفرط زين لفرعون سوء عمله فانهمك فيه انهماكا لا يرعوي عنه بحال وصد عن السبيل اي سبيل الرشاد
والفاعل في الحقيقة هو الله تعالى ويؤيده قراءة زين بالفتح وبتوسط الشيطان وقرئ وصد على ان فرعون صد الناس عن الهدى بامثال
هذه التمويهات والشبهات ويؤيده قوله تعالى وما كيد فرعون الا في تباب اي خسار وهلاك وعلى انه من صد صدودا اي اعرض وقرئ بكسر الصاد على
نقل حركة الدال اليه وقرئ وصد على انه عطف على سوء عمله وقرئ وصدوا اي هو وقومه وقال الذي آمن اي مؤمن آل فرعون وقيل موسى عليه
السلام يا قوم اتبعون فيما دللتكم عليه اهدكم سبيل الرشاد اي سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ما يسلكه فرعون وقومه سبيل
الغي والضلال يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع اي تمتع يسير لسرعة زوالها اجمل لهم اولا ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شانها لان
الاخلاد اليها راس كل شر ومنه تتشعب فنون ما يؤدي الى سخط الله تعالى ثم ثنى بتعظيم الآخرة فقال وان الآخرة هي دار القرار لخلودها ودوام
ما فيها من عمل في الدنيا سيئة فلا يجزى في الآخرة الا مثلها عدلا من الله سبحانه وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بامثالها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى
وهو مؤمن فاولئك الذين عملوا ذلك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب اي بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا
من الله عز وجل ورحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للايذان بانه لا عبرة بالعمل بدونه وان ثوابه اعلى من ذلك ويا قوم ما لي ادعوكم الى
النجاة وتدعونني الى النار كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واعتناء بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه ومدار
التعجب الذي يلوح به الاستفهام دعوتهم اياه الى النار لا دعوته اياهم الى النجاة كانه قيل اخبروني كيف هذه الحال ادعوكم الى الخير وتدعونني
الى الشر وقد جعله بعضهم من قبيل ما لي اراك حزينا اي ما لك تكون حزينا وقوله تعالى تدعونني لاكفر بالله بدل او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية
في التعدية بالى واللام واشرك به ما ليس لي به بشركته له تعالى في المعبودية وقيل بربوبيته علم والمراد نفي المعلوم والاشعار بان الالوهية
لا بد لها من برهان موجب للعلم بها وانا ادعوكم الى العزيز الغفار الجامع لجميع صفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم
والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران لا جرم لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل ماض بمعنى حق وفاعله قوله تعالى انما تدعونني
اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة اي حق ووجب عدم دعوة آلهتكم الى عبادتها اصلا او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة
لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اي كسب ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل جرم فعل
من الجرم وهو القطع كما ان بدا من لا بد فعل من التبديد اي التفريق والمعنى لا قطع لبطلان الوهية الاصنام اي لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقا ويؤيده
قولهم لا جرم انه يفعل بضم الجيم وسكون الراء وفعل وفعل اخوان كرشد ورشد وان مردنا الى الله بالموت عطف على ان ما تدعونني داخل في حكمه
وكذا قوله تعالى وان المسرفين اي في الضلال والطغيان كالاشراك وسفك الدماء هم اصحاب النار اي ملازموها فستذكرون وقرئ فستذكرون
اي فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب ما اقول لكم من النصائح وافوض امري الى الله قاله لما انهم كانوا توعدوه ان الله بصير بالعباد فيحرس
من يلوذ به من المكاره فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق انواع العذاب بمن خالفهم وقيل نجا مع موسى عليه السلام
وحاق بآل فرعون اي بفرعون وقومه وعدم التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره ضرورة انه اولى منهم بذلك وقيل بطلبة المؤمن
من قومه لما انه فر الى جبل فاتبعه طائفة ليأخذوه فوجدوه يصلي والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سوء العذاب الغرق
والقتل والنار النار يعرضون عليها غدوا وعشيا جملة مستانفة مسوقة لبيان كيفية سوء العذاب والنار خبر مبتدا محذوف
كان قائلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار ويعرضون استئناف للبيان او بدل من سوء العذاب ويعرضون حال منها او من آل ولا يشترط

ولا يشترط في الحيوان ان يكون الحال من ذلك السوء بعينه حتى يرد ان آل فرعون لم يهموا بتعذيبه بالنار ليكون ابتلاؤهم بها من قبيل رجوع ما هموا به
عليهم بل يكفي في ذلك ان يكون مما يطلق عليه اسم السوء وقرئت منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان
عرضهم على النار باحراقهم بها من باب قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روي ابن مسعود رضي الله عنه ان ارواحهم
في اجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيمة وذكر الوقتين اما للتخصيص واما فيما بينهما فالله تعالى اعلم بحالهم واما للتابيد
هذا ما دامت الدنيا ويوم تقوم الساعة يقال للملائكة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب اي عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب
جهنم فان عذابها الوان بعضها اشد من بعض وقرئ ادخلوا من الدخول اي يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون اشد العذاب واذ يتحاجون في
النار اي واذكر للقوم وقت تخاصمهم فيها فيقول الضعفاء منهم للذين استكبروا وهم رؤساؤهم انا كنا لكم تبعا اتباعا كخدم في جمع خادم
او ذوي تبع اي اتباع على اضمار المضاف او تبعا على الوصف بالمصدر مبالغة فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار بالدفع او بالحمل
ونصيبا منصوب بمضمر يدل عليه مغنون اي دافعون عنا نصيبا او بمغنون على تضمينه معنى الحمل اي مغنون عنا حاملين نصيبا الى آخره او نصبا على
المصدرية كشيئا في قوله تعالى لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا فانه في موقع غناء فكذلك نصيبا قال الذين استكبروا انا
كل فيها اي نحن وانتم فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التاكيد لاسم ان لفظه كلنا وتنوينه عوض عن المضاف
اليه ولا مساغ لجعله حالا من المستكن في الظرف فانه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم فانك تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول
جديدا لك ثوب ان الله قد حكم بين العباد وقضى قضاء متقنا لا مرد له ولا معقب لحكمه وقال الذين في النار من الضعفاء والمستكبرين جميعا
لما ضاقت حيلهم لخزنة جهنم اي للقوام بتعذيب اهل النار ووضع جهنم موضع ضمير للتهويل والتفظيع او لبيان محلهم فيها بان تكون جهنم ابعد
دركات النار وفيها اعتى الكفرة واطغاهم او لكون الملائكة الموكلين بعذاب اهلها اقدر على الشفاعة لمزيد قربهم من الله تعالى ادعوا ربكم
يخفف عنا يوما اي مقدار يوم او في يوم ما من الايام على انه ظرف لا معيار شيئا من العذاب واقتصارهم في الاستدعاء على ما ذكر من تخفيف
قدر يسير من العذاب في مقدار قصير من الزمان دون رفعه راسا او تخفيف قدر كثير منه في زمان مديد لان ذلك عندهم مما ليس في حيز
الامكان ولا يكاد يدخل تحت امانيهم قالوا اي الخزنة اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات اي الم تنبهوا على هذا ولم تك تاتيكم رسلكم في الدنيا على الاستمرار
بالحجج الواضحة الدالة على سوء مغبة ما كنتم عليه من الكفر والمعاصي كما في قوله تعالى الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم
لقاء يومكم هذا ارادوا بذلك الزامهم وتوبيخهم على اضاعة اوقات الدعاء وتعطيل اسباب الاجابة قالوا بلى اي اتونا بها فكذبناهم كما نطق به
قوله تعالى بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير والفاء في قوله تعالى قالوا فادعوا فصيحة كما في قول من قال
فقد جئنا خراسانا اي اذا كان الامر كذلك فادعوا انتم فان الدعاء لمن يفعل ذلك مما يستحيل صدوره عنا وتعليل امتناعهم عن الدعاء بعدم الاذن فيه
مع عرائه عن بيان ان سببه من قبلهم كما يفصح عنه الفاء ربما يوهم ان الاذن في حيز الامكان وانهم لو اذن لهم فيه لفعلوا ولم يريدوا بامرهم بالدعاء
اطماعهم في الاجابة بل اقناطهم منها واظهار خيبتهم حسبما صرحوا به في قولهم وما دعاء الكافرين الا في ضلال اي ضياع وبطلان وقوله تعالى
انا لننصر رسلنا والذين آمنوا كلام مستانف مسوق من جهته تعالى لبيان ان ما اصاب الكفرة من العذاب المحكي من فروع حكم كلي تقتضيه الحكمة
وهو ان شاننا المستمر انا ننصر رسلنا واتباعهم في الحيوة الدنيا بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة بالاستئصال والقتل والسبي وغير ذلك
من العقوبات ولا يقدح في ذلك ما قد يتفق لهم من صورة الغلبة امتحانا اذ العبرة انما هي بالعواقب وغالب الامر ويوم يقوم الاشهاد اي يوم
القيمة عبر عنه بذلك للاشعار بكيفية النصرة وانها تكون عند جمع الاولين والآخرين بشهادة الاشهاد للرسل بالتبليغ وعلى الكفرة بالتكذيب يوم لا
ينفع الظالمين معذرتهم بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة وقرئ لا تنفع بالتاء ولهم اللعنة اي البعد عن الرحمة ولهم سوء الدار
اي جهنم ولقد آتينا موسى الهدى ما يهتدى به من المعجزات والصحف والشرائع واورثنا بني اسرائيل الكتاب وتركنا عليهم من بعده التورية هدى
وذكرى هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا لاولي الالباب لذوي العقول السليمة من العاملين بما في تضاعيفه فاصبر على ما نالك من اذية المشركين ان
وعد الله اي وعده الذي ينطق به قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون او وعده الخاص
بك او جميع مواعيده التي من جملتها ذلك حق لا يحتمل الاخلاف اصلا واستشهد بحال موسى وفرعون واستغفر لذنبك تداركا لما فرط منك من ترك

الا ولى في بعض الأحايين فإنه تعالى كافيك في نصرة دينك وإظهاره على الدين كله وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار أي ودم على التسبيح ملتبسا
بحمده تعالى وقيل صل لهذين الوقتين إذ كان الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشيا وقيل صل شكرا لربك بالعشي والإبكار وقيل هما
صلوة العصر وصلوة الفجر إن الذين يجادلون في آيات الله ويجحدون بها بغير سلطان أتاهم في ذلك من جهته تعالى وتقييد المجادلة بذلك مع
استحالة إتيانه للإيذان بأن التكلم في أمر الدين لا بد من استناده إلى سلطان مبين البتة وهذا عام لكل مجادل مبطل وإن نزل في مشركي
مكة إن في صدورهم إلا كبر خبر لأن أي ما في قلوبهم إلا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم أو إلا إرادة الرياسة والتقدم على الإطلاق
أو إلا إرادة أن تكون النبوة لهم دون غيرهم حسدا وبغيا حسبما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقالوا لو كان خيرا ما
سبقونا إليه ولذلك يجادلون فيها لا أن فيها موقع جدال ما أو أن لهم شيئا يتوهم أن يصلح مدارا لمجادلتهم في الجملة وقوله تعالى ما هم ببالغيه
صفة لكبر قال مجاهد ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر وهو ما أرادوه من الرياسة أو النبوة وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون لست
صاحبنا المذكور في التورية بل هو المسيح بن داود يريدون الدجال يخرج في آخر الزمان ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الأنهار وهو
آية من آيات الله تعالى فيرجع إلينا الملك فسمى الله تعالى تمنيهم ذلك كبرا ونفى أن يبلغوا متمناهم فاستعذ بالله أي فالتجئ إليه من كيد من يحسدك
ويبغي عليك وفيه رمز إلى أنه من همزات الشياطين إنه هو السميع البصير بأقوالكم وأفعالكم وقوله تعالى لخلق السموات والأرض أكبر من خلق
الناس تحقيق للحق وتبيين لأشهر ما يجادلون فيه من أمر البعث على منهاج قوله أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم
ولكن أكثر الناس لا يعلمون لقصورهم في النظر والتأمل لفرط غفلتهم واتباعهم لأهوائهم وما يستوي الأعمى والبصير أي الغافل والمستبصر
والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء أي المحسن والمسيء فلا بد أن يكون لهم حال أخرى يظهر فيها ما بين الفريقين من التفاوت وهي فيما
بعد البعث وزيادة لا في المسيء لتأكيد النفي لطول الكلام بالصلة ولأن المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف
الثاني عطف الموصول بما عطف عليه على الأعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود والدلالة بالصراحة والتمثيل قليلا ما تتذكرون على الخطاب
بطريق الالتفات أي تذكرا قليلا تتذكرون وقرئ على الغيبة والضمير للناس أو للكفار إن الساعة لآتية لا ريب فيها أي في مجيئها لوضوح
شواهدها وإجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها لقصور أنظارهم على ظواهر ما يحسون به وقال ربكم
ادعوني أستجب لكم أي أثبكم لقوله تعالى إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين أي صاغرين أذلاء وإن فسر الدعاء بالسؤال
كان الأمر الصارف عنه منزلا منزلة الاستكبار عن العبادة للمبالغة أو المراد بالعبادة الدعاء فإنه من أفضل أبوابها وقرئ سيدخلون
على صيغة المبني للمفعول من الإدخال الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه بأن خلقه باردا مظلما ليؤدي إلى ضعف المحركات وهدوء
الحواس لتستريحوا فيه وتقديم الجار والمجرور على المفعول قد مر سره مرارا والنهار مبصرا أي مبصرا فيه أو به إن الله لذو فضل عظيم لا يوازيه
ولا يدانيه فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون لجهلهم بالمنعم وإغفالهم عن مواضع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ذلكم
المتفرد بالأفعال المقتضية للألوهية والربوبية الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو أخبار مترادفة تخصص اللاحقة منها السابقة وتقررها
وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا إله إلا هو استئنافا بما هو كالنتيجة للأوصاف المذكورة فأنى تؤفكون فكيف ومن أي وجه تصرفون
عن عبادته خاصة إلى عبادة غيره كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون أي مثل ذلك الإفك العجيب الذي لا وجه له ولا مصحح أصلا
يؤفك كل من جحد بآياته تعالى أي آية كانت لا إفكا آخر له وجه مصحح في الجملة الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء بيان لفضله تعالى
المتعلق بالمكان بعد بيان فضله المتعلق بالزمان وقوله تعالى وصوركم فأحسن صوركم بيان لفضله المتعلق بأنفسهم والفاء في فأحسن
تفسيرية فإن الإحسان عين التصوير أي صوركم أحسن تصوير حيث خلقكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب الأعضاء والتخطيطات
متهيئا لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات ورزقكم من الطيبات أي اللذائذ ذلكم الذي نعت بما ذكر من النعوت الجليلة الله ربكم خبران
لذلكم فتبارك الله أي تعالى بذاته رب العالمين أي مالكهم ومربيهم والكل تحت ملكوته مفتقر إليه في ذاته ووجوده وسائر أحواله جميعا
بحيث لو انقطع فيضه عنه آنا لانعدم بالكلية هو الحي المنفرد بالحيوة الذاتية الحقيقية لا إله إلا هو إذ لا موجود يدانيه في ذاته وصفاته
وأفعاله فادعوه فاعبدوه خاصة لاختصاص ما يوجبه به تعالى مخلصين له الدين أي الطاعة من الشرك الجلي والخفي الحمد لله رب العالمين

أي قائلين ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما من قال لا إله إلا الله فليقل على إثرها الحمد لله رب العالمين قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون
من دون الله لما جاءني البينات من ربي من الحجج والآيات أو من الآيات لكونها مؤيدة لأدلة العقل منبهة عليها فإن الآيات التنزيلية
مفسرة للآيات التكوينية الآفاقية والأنفسية وأمرت أن أسلم لرب العالمين أي بأن أنقاد له وأخلص له ديني هو الذي خلقكم من تراب أي في
ضمن خلق آدم عليه السلام منه حسبما مر تحقيقه مرارا ثم من نطفة أي ثم خلقكم خلقا تفصيليا من نطفة أي مني ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا
أي أطفالا والإفراد لإرادة الجنس أو لإرادة كل واحد من أفراده ثم لتبلغوا أشدكم علة ليخرجكم معطوفة على علة أخرى له مناسبة لها كأنه
قيل ثم يخرجكم طفلا لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل وكذا الكلام في قوله تعالى ثم لتكونوا شيوخا ويجوز عطفه على لتبلغوا
وقرئ شيخا كقوله تعالى طفلا ومنكم من يتوفى من قبل أي من قبل الشيخوخة بعد بلوغ الأشد أو قبله أيضا ولتبلغوا متعلق بفعل مقدر
بعده أي ولتبلغوا أجلا مسمى هو وقت الموت أو يوم القيمة يفعل ذلك ولعلكم تعقلون ولكي تعقلوا ما في ذلك من فنون الحكم والعبر هو الذي
يحيي الأموات ويميت الأحياء أو يفعل الإحياء والإماتة فإذا قضى أمرا أي أراد أمرا من الأمور فإنما يقول له كن فيكون من غير توقف على شيء
من الأشياء أصلا وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى في المقدورات عند تعلق إرادته بها وتصوير لسرعة ترتب المكونات على تكوينه من غير أن يكون
هناك آمر ومأمور والفاء الأولى للدلالة على أن ما بعدها من نتايج ما قبلها من اختصاص الإحياء والإماتة به سبحانه ألم تر إلى الذين يجادلون
في آيات الله أنى يصرفون تعجيب من أحوالهم الشنيعة وآرائهم الركيكة وتمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القرآن وبسائر الكتب والشرايع
وترتيب الوعيد على ذلك كما أن ما سبق من قوله تعالى إن الذين يجادلون في آيات الله إلى آخره بيان لابتناء جدالهم على مبنى فاسد لا يكاد يدخل تحت الوجود
هو الأمنية الفارغة فلا تكرير فيه أي انظر إلى هؤلاء المكابرين المجادلين في آياته تعالى الواضحة الموجبة للإيمان بها الزاجرة عن الجدال
فيها كيف يصرفون عنها مع تعاضد الدواعي إلى الإقبال عليها وانتفاء الصوارف عنها بالكلية وقوله تعالى الذين كذبوا بالكتاب أي بكل
القرآن أو بجنس الكتب السماوية فإن تكذيبه تكذيب لها في محل الجر على أنه بدل من الموصول الأول أو في حيز النصب أو الرفع على الذم وإنما وصل
الموصول الثاني بالتكذيب دون المجادلة لأن المعتاد وقوع المجادلة في بعض المواد لا في الكل وصيغة الماضي للدلالة على التحقق كما
أن صيغة المضارع في الصلة الأولى للدلالة على تجدد المجادلة وتكررها وبما أرسلنا به رسلنا من سائر الكتب أو مطلق الوحي والشرايع
فسوف يعلمون كنه ما فعلوا من الجدال والتكذيب عند مشاهدتهم لعقوباته إذ الأغلال في أعناقهم ظرف ليعلمون إذ المعنى على الاستقبال
ولفظ الماضي لتيقنه والسلاسل عطف على الأغلال والجار في نية التأخير وقيل مبتدأ حذف خبره لدلالة خبر الأول عليه وقيل قوله تعالى
يسحبون بحذف العائد أي يسحبون بها وهو على الأولين حال من المستكن في الظرف وقيل استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حالهم
كأنه قيل فماذا يكون حالهم بعد ذلك فقيل يسحبون في الحميم وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على
الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى لأن قوله تعالى الأغلال في أعناقهم في معنى أعناقهم في الأغلال أو إضمارا للباء ويدل عليه القراءة به
في النار يسجرون أي يحرقون من سجر التنور إذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كأنه يسجر بالحب أي يملأ والمراد بيان أنهم يعذبون بأنواع
العذاب وينقلون من باب إلى باب ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا أي يقال لهم ويقولون وصيغة الماضي للدلالة على
التحقق ومعنى ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل أن تقرن بهم آلهتهم أو ضاعوا عنا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعو من قبل شيئا
أي بل تبين لنا أنا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم لما ظهر لنا اليوم أنهم لم يكونوا شيئا يعتد بهم كقولك حسبته شيئا فلم يكن كذلك أي مثل ذلك
الضلال الفظيع يضل الله الكافرين حيث لا يهتدون إلى شيء ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض أي تبطرون وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك والطغيان
وبما كنتم تمرحون تتوسعون في البطر والأشر والالتفات للمبالغة في التوبيخ ادخلوا أبواب جهنم أي أبوابها السبعة المقسومة لكم خالدين فيها مقدرا
خلودكم فيها فبئس مثوى المتكبرين أي عن الحق جهنم والتعبير عن مدخلهم بالمثوى لكون دخولهم بطريق الخلود فاصبر إلى أن يلاقوا ما أعد لهم من
العذاب إن وعد الله بتعذيبهم حق كائن لا محالة فإما نرينك أي فإن نرك وما مزيدة لتأكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحقه
مع إن وحدها بعض الذي نعدهم وهو القتل والأسر أو نتوفينك قبل ذلك فإلينا يرجعون يوم القيمة فيجازيهم بأعمالهم وهو جواب نتوفينك
وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز أن يكون جوابا لهما بمعنى إن نعذبهم في حياتك أو لم نعذبهم فإنا نعذبهم في الآخرة أشد العذاب

وانقطعه كما ينبئ عنه الاقتصار على ذكر الرجوع في هذا المعرض ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك اذ قيل
عدد الانبياء عليهم السلام مائة واربعة وعشرون الفا والمذكور قصصهم افراد معدودة وقيل اربعة آلاف من بني اسرائيل واربعة آلاف من سائر
الناس وما كان لرسول اي وما صح وما استقام لرسول منهم ان يأتي بآية الا باذن الله فان المعجزات على تشعب فنونها عطايا من الله تعالى قسمها بينهم على ما
اقتضته مشيته المبنية على الحكم البالغة كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها فاذا جاء امر الله بالعذاب في الدنيا
والآخرة قضي بالحق بانجاء المحق واثابته واهلاك المبطل وتعذيبه وخسر هنالك اي وقت مجيء امر الله اسم مكان استعير للزمان المبطلون اي
المتمسكون بالباطل على الاطلاق فيدخل فيهم المعاندون المقترحون دخولا اوليا الله الذي جعل لكم الانعام قيل هي الابل خاصة اي خلقها لاجلكم ولمصلحتكم
وقوله تعالى لتركبوا منها ومنها تأكلون تفصيل لما دل عليه اللام اجمالا ومن لابتداء الغاية ومعناها ابتداء الركوب والاكل منها اي تعلقهما بها
وقيل للتبعيض اي لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها لا على ان كلا من الركوب والاكل مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر
بل على ان كل بعض منها صالح لكل منهما وتغيير النظم الكريم في الجملة الثانية لمراعاة الفواصل مع الاشعار باصالة الركوب ولكم فيها منافع
اخر غير الركوب والاكل كالبانها واوبارها وجلودها ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم بحمل اثقالكم من بلد الى بلد وعليها وعلى الفلك تحملون
لعل المراد به حمل النساء والولدان عليها بالهودج وهو السر في فصله عن الركوب والجمع بينها وبين الفلك في الحمل لما بينهما من المناسبة التامة
حتى سميت سفائن البر وقيل هي الازواج الثمانية فمعنى الركوب والاكل منها تعلقهما بالكل لكن لا على ان كلا منهما يجوز تعلقه بكل منها ولا على
ان كلا منها مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر بل على ان بعضها يتعلق به الاكل فقط كالغنم وبعضها يتعلق به كلاهما
كالابل والبقر والمنافع تعم الكل وبلوغ الحاجة عليها يعم البقر ويريكم آياته دلائله الدالة على كمال قدرته ووفور رحمته فاي آيات الله اي
فاي آية من تلك الآيات الباهرة تنكرون فان كلا منها من الظهور بحيث لا يكاد يجترئ على انكارها من له عقل في الجملة وهو ناصب لاي واضافة
الآيات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وتهويل انكارها وتذكير اي هو الشائع المستفيض والتأنيث قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث في
الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في اي اغرب لابهامه افلم يسيروا اي اقعدوا فلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
من الامم المهلكة وقوله تعالى كانوا اكثر منهم واشد قوة الى آخره استيناف مسوق لبيان مبادي احوالهم وعواقبها وآثارا في الارض باقية
بعدهم من الابنية والقصور والمصانع وقيل هي آثار اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما الاولى نافية او استفهامية
منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة اي لم يغن عنهم او اي شيء اغنى عنهم مكسوبهم او كسبهم فلما جاءتهم رسلهم بالبينات
بالمعجزات او بالآيات الواضحة فرحوا بما عندهم من العلم اي اظهروا الفرح بذلك وهو ما لهم من العقائد الزائفة والشبه الداحضة وتسميتها
علما للتهكم بهم او علم الطبائع والصنائع ونحو ذلك او هو علم الانبياء الذي اظهره رسلهم على ان معنى فرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم
به ويؤيده قوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما شاهدوا تمادي جهلهم وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا
من العلم المؤدي الى حسن العاقبة وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم فلما رأوا بأسنا شدة عذابنا ومنه قوله
تعالى بعذاب بئيس قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا اي عند رؤية
عذابنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قيل فلم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لبيان عاقبة كثرتهم وشدة قوتهم وما كانوا يكسبون بذلك
زعما منهم ان ذلك يغني عنهم فلم يترتب عليه الا عدم الاغناء فبهذا الاعتبار جرى مجرى النتيجة وان كان عكس الغرض ونقيض المطلوب كما في
قولك وعظته فلم يتعظ والثانية تفسير وتفصيل لما ابهم واجمل من عدم الاغناء وقد كثر في الكلام مثل هذه الفاء ومبناها على ان التفسير بعد
الابهام والتفصيل بعد الاجمال والثالثة لمجرد التعقيب وجعل ما بعدها تابعا لما قبلها واقعا عقيبه لان مضمون قوله تعالى فلما جاءتهم الى آخره
وهو انهم كفروا اختصار مجموع الكلام بمنزلة ان يقال فكفروا ثم لما رأوا بأسنا آمنوا والرابعة للعطف على آمنوا كأنه قيل فآمنوا فلم
ينفعهم لان النافع هو الايمان الاختياري سنت الله التي قد خلت في عباده اي سن الله تعالى ذلك سنة ماضية في العباد وهي من المصادر
المؤكدة وخسر هنالك الكافرون اي وقت رؤيتهم البأس اسم مكان قد استعير للزمان كما سلف آنفا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

سورة حم السجدة بسم الله الرحمن الرحيم

حم ان جعل اسما للسورة فهو اما خبر لمبتدأ محذوف وهو الاظهر لما مر مرارا او مبتدأ خبره تنزيل وهو على الاول خبر بعد خبر او خبر
لمبتدأ محذوف او جعل مسرودا على نمط التعديد وقوله تعالى من الرحمن الرحيم متعلق به مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية
او خبر آخر او تنزيل مبتدأ لتخصصه بالصفة خبره كتاب وهو على الوجه الاول بدل منه او خبر آخر او خبر لمبتدأ محذوف ونسبة التنزيل الى الرحمن الرحيم
للايذان بانه مدار للمصالح الدينية والدنيوية واقع بمقتضى الرحمة الربانية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
فصلت آياته ميزت بحسب النظم والمعنى وجعلت تفاصيل في اساليب مختلفة ومعان متغايرة من احكام وقصص ومواعظ وامثال ووعد ووعيد
وقرئ فصلت اي فرقت بين الحق والباطل او فصل بعضها من بعض باختلاف الاساليب والمعاني من قولك فصل من البلد فصولا قرآنا عربيا نصب على
المدح او الحالية من كتاب لتخصصه بالصفة او من آياته لقوم يعلمون اي معانيه لكونه على لسانهم وقيل لاهل العلم والنظر لانهم المنتفعون به واللام
متعلقة بمحذوف هو صفة اخرى لقرآنا اي كائنا لقوم الى آخره او بتنزيل على ان من الرحمن الرحيم ليست بصفة له او بفصلت بشيرا ونذيرا
صفتان اخريان لقرآنا اي بشيرا لاهل الطاعة ونذيرا لاهل المعصية او حالان من كتاب او من آياته وقرئا بالرفع على الوصفية لكتاب
او الخبرية لمحذوف فاعرض اكثرهم عن تدبره مع كونه على لغتهم فهم لا يسمعون سماع تفكر وتأمل حتى يفهموا جلالة قدره فيؤمنوا به وقالوا اي
لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند دعوته اياهم الى الايمان والعمل بما في القرآن قلوبنا في اكنة اي اغطية متكاثفة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر
اي صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر وقرئ بفتح القاف ومن بيننا وبينك حجاب غليظ يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدئ من
الجانبين بحيث استوعب ما بينهما من المسافة المتوسطة ولم يبق ثمة فراغ اصلا وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك الحق وقبوله ومج
اسماعهم له كأن بها صمما وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول صلى الله عليه وسلم فاعمل اي على دينك وقيل في ابطال امرك والاول هو الاظهر
فان قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد تلقين للجواب عنه اي لست من جنس مغاير لكم حتى يكون بيني وبينكم حجاب
وتباين مصحح لتباين الاعمال والاديان كما ينبئ عنه قولكم فاعمل اننا عاملون بل انما انا بشر مثلكم مأمور بما امرتم به حيث اخبرنا جميعا بالتوحيد
بخطاب جامع بيني وبينكم فان الخطاب في الهكم محكي منتظم للكل لا انه خطاب منه عليه السلام للكفرة كما في مثلكم وقيل المعنى لست ملكا
ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة في العمل وقد دل عليهما
دلائل العقل وشواهد النقل وقيل المعنى اني لست ملكا وانما انا بشر مثلكم وقد اوحي الي دونكم فصحت بالوحي الي وانا بشر نبوتي واذا
صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي فتأمل والفاء في قوله تعالى فاستقيموا اليه لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ايحاء الوحدانية فان ذلك موجب لاستقامتهم
اليه تعالى بالتوحيد والاخلاص في الاعمال واستغفروه مما كنتم عليه من سوء العقيدة والعمل وقوله تعالى وويل للمشركين ترهيب وتنفير لهم عن الشرك
اثر ترغيبهم في التوحيد ووصفهم بقوله تعالى الذين لا يؤتون الزكوة لزيادة التحذير والتخويف عن منع الزكوة حيث جعل من اوصاف المشركين وقرن
بالكفر بالآخرة حيث قيل وهم بالآخرة هم كافرون وهو عطف على لا يؤتون داخل في حيز الصلة واختلافهما بالفعلية والاسمية لما ان عدم ايتائها
متجدد والكفر امر مستمر ونقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه فسر لا يؤتون الزكوة بقوله لا يقولون لا اله الا الله فانها زكوة الانفس والمعنى
لا يطهرون انفسهم من الشرك بالتوحيد وهو مأخوذ من قوله تعالى ونفس وما سويها وقال الضحاك ومقاتل لا ينفقون في الطاعة ولا يتصدقون وقال مجاهد
لا يزكون اعمالهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون اي لا يمن به عليهم من المن واصله الثقل او لا ينقطع من مننت الحبل اذا قطعته وقيل
نزلت في المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل أئنكم لتكفرون انكار وتشنيع لكفرهم وان واللام اما لتأكيد الانكار
وتقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة لا لانكار التأكيد واما للاشعار بان كفرهم من البعد بحيث ينكر العقلاء وقوعه فيحتاج الى التأكيد واما تعليق
كفرهم بالموصول حيث قيل بالذي خلق الارض في يومين لتفخيم شأنه تعالى واستعظام كفرهم به اي بالعظيم الشأن الذي قدر وجودها اي حكم
بانها ستوجد في مقدار يومين او في نوبتين على ان ما يوجد في كل نوبة يوجد باسرع ما يكون والا فاليوم الحقيقي انما يتحقق بعد وجودها وتسوية
السموات وابداع نيراتها وترتيب حركاتها وتجعلون له اندادا عطف على تكفرون داخل في حكم الانكار والتوبيخ وجمع الانداد باعتبار ما هو الواقع
لا بان يكون مدار الانكار هو التعدد اي وتجعلون له اندادا والحال انه لا يمكن ان يكون له ند واحد ذلك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه

بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في العظمة وافراد الكاف لما مر مرارا من ان المراد ليس تعيين
المخاطبين وهو مبتدأ خبره ما بعده اي ذلك العظيم الشأن الذي فعل ما ذكر **رب العالمين** اي خالق جميع الموجودات ومربيها دون الارض خاصة
فكيف يتصور ان يكون اخس مخلوقاته ندا له وقوله تعالى **وجعل فيها رواسي** عطف على خلق داخل في حكم الصلة والجعل ابداعي وحديث
لزوم الفصل بينهما بجملتين خارجتين عن حيز الصلة مدفوع بان الاولى متحدة بقوله تعالى تكفرون فهو بمنزلة الاعادة له والثانية اعتراضية
مقررة لمضمون الكلام بمنزلة التأكيد فالفصل بهما كلا فصل على ان فيه فائدة التأكيد على ان مجرد المعطوف عليه كاف في تحقق ربوبيته
للعالمين واستحالة ان يجعل له ند فكيف اذا انضم المعطوفات وقيل عطف على مقدر اي خلقها وجعل الى آخره وقيل هو كلام مستأنف واياما كان
فالمراد تقدير الجعل لا الجعل بالفعل وقوله تعالى **من فوقها** متعلق بجعل او بمضمر هو صفة لرواسي اي كائنة من فوقها مرتفعة عليها ليكون منافعها
معرضة لاهلها ويظهر للنظار ما فيها من مراصد الاعتبار ومطارح الافكار **وبارك فيها** اي قدر ان يكثر خيرها بان يخلق انواع الحيوانات
التي من جملتها الانسان واصناف النبات التي منها معايشهم **وقدر فيها اقواتها** اي حكم بالفعل بان يوجد فيما سيأتي لاهلها من الانواع المختلفة
اقواتها المناسبة لها على مقدار معين تقتضيه الحكمة وقرئ وقسم فيها اقواتها **في اربعة ايام** متعلق بحصول الامور المذكورة لا بتقديرها
اي قدر حصولها في يومين وانما قيل في اربعة اي تتمة اربعة ايام تصريحا بالفذلكة **سواء** اي استوت سواء كما ينبئ عنه القراءة بالجر وقيل هو
حال من الضمير في اقواتها او في فيها وقرئ بالرفع اي هي سواء **للسائلين** متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها
او بقدر اي قدر فيها اقواتها لاجل السائلين اي الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وقوله تعالى **ثم استوى الى السماء** شروع في بيان كيفية
التكوين اثر بيان كيفية التقدير ولعل تخصيص البيان بما ذكر لما ان بيان اعتنائه تعالى بامر ... اي ثم قصد نحوها قصدا سويا لا يلوي على غيره **وهي دخان**
اي امر ظلماني عبر به عن مادتها او عن الاجزاء المتصغرة التي ركبت هي منها او دخان مرتفع من الماء كما سيأتي وانما خص الاستواء بالسماء
مع ان الخطاب المترتب عليه متوجه اليهما معا حسبما ينطق به قوله تعالى **فقال لها وللارض** اكتفاء بذكر تقديرها وتقدير ما فيها كانه قيل
فقال لها وللارض التي قدر وجودها ووجود ما فيها **ائتيا** اي كونا واحدثا على وجه معين وفي وقت مقدر لكل منهما وهو عبارة عن تعلق
ارادته تعالى بوجودهما تعلقا فعليا بطريق التمثيل بعد تقدير امرهما من غير ان يكون هناك آمر ومأمور كما في قوله تعالى كن فيكون وقوله تعالى
طوعا او كرها تمثيل لتحتم تأثير قدرته تعالى فيهما واستحالة امتناعهما من ذلك لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال
اي طائعين او كارهين وقوله تعالى **قالتا اتينا طائعين** اي منقادين تمثيل لكمال تأثرهما بالذات عن القدرة الربانية وحصولهما كما
امرتا به وتصوير لكون وجودهما كما هما عليه جاريا على مقتضى الحكمة البالغة فان الطوع منبئ عن ذلك والكره موهم لخلافه وانما قيل طائعين
باعتبار كونهما في معرض الخطاب والجواب كقوله تعالى ساجدين وقوله تعالى **فقضاهن سبع سموات** تفسير وتفصيل لتكوين السماء المجمل المعبر عنه بالامر
وجوابه لا انه فعل مترتب على تكونهما اي خلقهن خلقا ابداعيا وابدعهن واتقن امرهن حسبما تقتضيه الحكمة والضمير اما للسماء على المعنى
او مبهم وسبع سموات حال على الاول وتمييز على الثاني **في يومين** في وقت مقدر بيومين وقد بين مقدار زمان خلق الارض وخلق ما فيها عند بيان
تقديرهما فكان خلق الكل في ستة ايام حسبما نص عليه في مواقع من التنزيل **واوحى في كل سماء امرها** عطف على قضاهن اي خلق في كل منها ما فيها من الملائكة
والنيرات وغير ذلك مما لا يعلمه الا الله تعالى كما قاله قتادة والسدي فالوحي عبارة عن التكوين كالامر مقيد بما قيد به المعطوف عليه من الوقت او اوحى
الى اهل كل منها اوامره وكلفهم ما يليق بهم من التكاليف فهو بمعناه ومطلق عن القيد المذكور واياما كان فعلى ما قرر من التفصيل لا دلالة في الآية
الكريمة على الترتيب بين ايجاد الارض وايجاد السماء وانما الترتيب بين التقدير والايجاد واما على تقدير كون الخلق وما عطف عليه من الافعال
الثلاثة على معانيها الظاهرة وما في سورة البقرة من قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات
يدلان على تقدم خلق الارض وما فيها على خلق السماء وما فيها عليه اطباق اكثر اهل التفسير وقد روي ان العرش العظيم كان قبل خلق السموات والارض
على الماء ثم انه تعالى احدث في الماء اضطرابا فازبد فارتفع منه دخان فاما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله ارضا واحدة
ثم فتقها فجعلها ارضين واما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروي انه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها
وخلق ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة منه وهي

الساعة التي تقوم فيها القيامة وقيل ان خلق جرم الارض مقدم على خلق السموات لكن دحوها وخلق ما فيها مؤخر عنه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها
ولما روي عن الحسن رضي الله تعالى عنه من انه تعالى خلق الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات
وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما الآية وليس المراد بنظمها مع السماء في سلك الامر
بالاتيان انشاؤها واحداثها بل انشاء دحوها وجعلها على وجه خاص يليق بها من شكل معين ووصف مخصوص كانه قيل ائتيا على ما ينبغي
ان تأتيا عليه ائتي يا ارض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وائتي يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول على ذلك الوجه كما ينبئ عنه
قراءة آتيا وآتينا من المواتاة وهي الموافقة وانت خبير بان المذكور قبل الامر بالاتيان ليس خلق الارض حتى يتأتى ما ذكر بل خلق
ما فيها ايضا من الامور المتأخرة عن دحوها قطعا فالاظهر ان يسلك مسلك الاولين ويحمل الامر بالاتيان على تكونهما موافقتين على الوجه
المذكور وليس من ضرورته ان يكون دحوها مترتبا على ذلك التكوين وانما اللازم ترتب حصول التوافق عليه ولا ريب في ان تكوين السماء على الوجه
اللائق بها كاف في حصوله ولا يقدح في ذلك تكوين الارض على الوجه المذكور قبل ذلك وان يجعل الارض في قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها
منصوبا بمضمر قد حذف على شريطة التفسير ويجعل ذلك اشارة الى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا الى انفسها ويحمل
البعدية اما على انه قاصر عن الاول في الدلالة على القدرة القاهرة كما قيل واما على انه ادخل في الالزام لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر
وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر واحاطتهم بتفاصيلها اكمل اجدر وليس ما روي عن الحسن رضي الله تعالى عنه نصا في تأخر دحو الارض عن خلق
السماء فان بسط الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو فلا دلالة في ذلك على الترتيب قطعا وقد نقل الامام الواحدي عن مقاتل
رحمهما الله تعالى ان خلق السماء مقدم على ايجاد الارض فضلا عن دحوها فلا بد من حمل الامر باتيانهما حينئذ ايضا على ما ذكر من التوافق والمواتاة ولا
يقدح في ذلك تقدم خلق السماء على خلق الارض كما لم يقدح فيه تقدم خلق الارض على خلق السماء هذا كله على تقدير كون كلمة ثم للتراخي
الزماني واما على تقدير كونها للتراخي الرتبي كما جنح اليه الاكثرون فلا دلالة في الآية الكريمة على الترتيب كما في الوجه الاول وعلى ذلك بني الكلام
في تفسير قوله سبحانه وتعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا الآية وانما لم يحمل الخلق ههنا على معنى التقدير كما حمل عليه ثمة توفية لمقام
الامتنان حقه **وزينا السماء الدنيا بمصابيح** من الكواكب فانها كلها ترى متلألئة عليها كانها فيها والالتفات الى نون العظمة لابراز مزيد العناية
بالامر وقوله سبحانه وتعالى **وحفظا** مصدر مؤكد لفعل معطوف على زينا اي وحفظناها من الآفات ومن المسترقة حفظا تاما وقيل مفعول له
على المعنى كانه قيل وخلقنا المصابيح زينة وحفظا **ذلك** الذي ذكر تفاصيله **تقدير العزيز العليم** المبالغ في القدرة والعلم **فان اعرضوا**
متصل بقوله تعالى قل ائنكم الى آخره اي فان اعرضوا عن التدبر فيما ذكر من عظائم الامور الداعية الى الايمان او عن الايمان بعد هذا البيان **فقل انذرتكم**
اي انذركم وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الانذار المنبئ عن تحقق المنذر به **صاعقة** اي عذابا هائلا شديد الوقع كانه صاعقة **مثل
صاعقة عاد وثمود** وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق
صعقا وهو من باب فعلته ففعل **اذ جاءتهم الرسل** حال من صاعقة عاد ولا سداد لجعله ظرفا لانذرتكم او صفة لصاعقة لفساد المعنى
واما جعله صفة لصاعقة عاد اي الكائنة اذ جاءتهم ففيه حذف الموصول مع بعض صلته **من بين ايديهم ومن خلفهم** متعلق بجاءتهم اي من جميع
جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة او من جهة الزمان الماضي بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما سيحيق بهم من
عذاب الدنيا ومن عذاب الآخرة وقيل المعنى جاءتهم الرسل المتقدمون والمتأخرون على تنزيل مجيء كلامهم ودعوتهم الى الحق منزلة مجيء
انفسهم فان هودا وصالحا كانا داعيين لهم الى الايمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين ايديهم اي من قبلهم وممن يجيء من خلفهم
اي من بعدهم فكان الرسل قد جاؤوهم وخاطبوهم بقوله تعالى **الا تعبدوا الا الله** اي بان لا تعبدوا على ان ان مصدرية او لا تعبدوا على
انها مفسرة **قالوا لو شاء الله** اي ارسال الرسل لا انزال الملائكة كما قيل فانه عار عن افادة ما ارادوه من نفي رسالة البشر وقد مر فيما
سلف **لانزل ملائكة** اي لارسلهم لكن لما كان ارسالهم بطريق الانزال قيل لانزل **فانا بما ارسلتم به** اي على زعمكم وفيه ضرب تهكم بهم **كافرون**
لما انكم بشر مثلنا من غير فضل لكم علينا روي ان ابا جهل قال في ملأ من قريش قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر
والكهانة والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان من امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما كبيرا

وما يخفي علي فاتاه فقال انت يا محمد خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فيم تشتم آلهتنا وتضللنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك الالوية فكنت رئيسنا وان تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن اي بنات قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ عتبة قال عليه الصلاة والسلام بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله تعالى مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه عليه السلام وناشده بالرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبأ فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبأت فغضب ثم قال والله لقد كلمته فاجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود امسكت بفيه وناشدته الرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب فاما عاد فاستكبروا في الارض شروع في حكاية ما يخص بكل واحدة من الطائفتين من الجناية والعذاب اثر حكاية [illegible] اي تعظموا فيها على اهلها او استعلوا فيها واستولوا على اهلها بغير الحق اي بغير استحقاق للتعظم والولاية وقالوا مدلين بشدتهم وقوتهم من اشد منا قوة حيث كانوا ذوي اجسام طوال وخلق عظيم وقد بلغ من قوتهم ان الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة اي قدرة اي اغفلوا ولم ينظروا ولم يعلموا علما جليا شبيها بالمشاهدة والعيان فانه تعالى قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوي على ما لا يقدر عليه غيره مفيض للقوى والقدر على كل قوي وقادر وانما اورد في حيز الصلة خلقهم دون خلق السموات والارض لادعائهم الشدة في القوة وفيه ضرب من التهكم بهم وكانوا بآياتنا المنزلة على الرسل عليهم السلام يجحدون اي ينكرونها وهم يعرفون حقيتها وهو عطف على فاستكبروا وقوله تعالى وقالوا وما بينهما اعتراض للرد على كلمتهم الشنعاء فارسلنا عليهم ريحا صرصرا اي باردة تهلك وتحرق بشدة بردها من الصر وهو البرد الذي يطري يجمع ويقبض او عاصفة تصوت في هبوبها من الصرير في ايام نحسات جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرئ بالسكون على التخفيف وعلى انه نعت على فعل او وصف بمصدر مبالغة قيل كن آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا في يوم الاربعاء لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا وقرئ لتذيقهم على اسناد الاذاقة الى الريح او الى الايام واضيف العذاب الى الخزي الذي هو الذل والاستكانة على انه وصف له كما يعرب عنه قوله تعالى ولعذاب الآخرة اخزى وهو في الحقيقة وصف للمعذب قد وصف به العذاب للمبالغة وهم لا ينصرون بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه واما ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب الآيات التكوينية وارسال الرسل وانزال الآيات التشريعية وازحنا عللهم بالكلية وقد مر تحقيق معنى الهدى في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وقرئ ثمود بالنصب بفعل يفسره ما بعده ومنونا في الحالين وبضم الثاء فاستحبوا العمى على الهدى اي اختاروا الضلالة على الهداية فاخذتهم صاعقة العذاب الهون داهية العذاب وقارعته والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة او ابدل منه بما كانوا يكسبون من اختيار الضلالة ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله شروع في بيان عقوباتهم الآجلة والتعبير عنهم باعداء الله تعالى لذمهم والايذان بعلة ما يحيق بهم من الوان العذاب وقيل المراد بهم الكفار من الاولين والآخرين ويرده ما سيأتي من قوله تعالى في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقرئ يحشر على البناء للفاعل ونصب اعداء الله وبنون العظمة وضم الشين وكسرها الى النار اي الى موقف الحساب اذ هناك تتحقق الشهادة الآتية لا بعد تمام السؤال والجواب وسوقهم الى النار والتعبير عنه بالنار اما للايذان بانها عاقبة حشرهم وانهم على شرف دخولها واما لان حسابهم يكون على شفيرها ويوم اما منصوب باذكر او ظرف لمضمر مؤخر قد حذف ايذانا بقصور العبارة عن تفصيله كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقيل ظرف لما يدل عليه قوله تعالى فهم يوزعون اي يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرتهم وقيل يساقون ويدفعون الى النار وقوله تعالى حتى اذا ما جاؤها اي جميعا غاية ليحشر او ليوزعون اي حتى اذا حضروها وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون في الدنيا من فنون الكفر والمعاصي بان ينطقها الله تعالى او يظهر عليها آثارا دالة على ما اقترفوا بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد بشهادة الجلود شهادة الفروج وهو من باب الكنايات ولعل تخصيص السؤال بها في قوله سبحانه وتعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا فان ما تشهد به من الزنا اعظم جناية وقبحا واجلب للخزي والعقوبة مما يشهد به السمع والابصار من الجنايات المكتسبة بتوسطهما وقيل المراد بالجلود الجوارح اي سألوها سؤال توبيخ لما روي انهم قالوا لها فعنكن كنا نناضل وفي رواية بعدا لكن وسحقا عنكن كنت اجادل وصيغة جمع العقلاء في خطاب الجلود وفي قوله تعالى قالوا

انطقنا الله الذي انطق كل شيء لوقوعها في موقع السؤال والجواب المختصين بالعقلاء اي انطقنا الله الذي نطق كل ناطق واقدرنا على بيان الواقع فشهدنا عليكم بما عملتم بواسطتنا من القبائح وما كتمناها وقيل ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذي انطق كل شيء وليس بذاك لما فيه من ايهام الاضطرار في الاخبار وقيل سألوها سؤال تعجب فالمعنى حينئذ ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذي انطق كل حي وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون فان من قدر على خلقكم وانشائكم اولا وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزائه ثانيا لا يتعجب من انطاقه لجوارحكم ولعل صيغة المضارع مع ان هذه المحاورة بعد البعث والرجع لما ان المراد بالرجع ليس مجرد الرد الى الحيوة بالبعث بل ما يعمه وما يترتب عليه من العذاب الخالد المترقب عند المخاطب على تغليب المتوقع على الواقع على ان فيه مراعاة الفواصل وقوله تعالى وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم حكاية لما سيقال لهم يومئذ من جهته تعالى بطريق التوبيخ والتقريع تقريرا لجواب الجلود اي ما كنتم تستترون في الدنيا عند مباشرتكم الفواحش مخافة ان تشهد عليكم جوارحكم بذلك كما كنتم تستترون الناس مخافة الافتضاح عندهم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء رأسا ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من القبائح المخفية فلا يظهرها في الآخرة ولذلك اجترأتم على ما فعلتم وفيه ايذان بان شهادة الجوارح باعلامه تعالى حينئذ لا بانها كانت عالمة بما شهدت به عند صدوره عنهم عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه كنت مستترا باستار الكعبة فدخل ثلثة نفر ثقفيان وقرشي او قرشيان وثقفي فقال احدهم اترون ان الله تعالى يسمع ما نقول قال الآخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وما كنتم تستترون الآية فالحكم المحكي حينئذ يكون خاصا بمن كان على ذلك الاعتقاد من الكفرة ولعل الانسب ان يراد بالظن معنى مجازي يعم معناه الحقيقي وما يجري مجراه من الاعمال المنبئة عنه كما في قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده ليعم ما حكي من الحال جميع اصناف الكفرة فتدبر وذلكم اشارة الى ذكر من ظنهم وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية بعد منزلته في الشر والسوء وهو مبتدأ وقوله تعالى ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم خبران ويجوز ان يكون ظنكم بدلا وارديكم خبرا فاصبحتم بسبب ذلك الظن السوء الذي اهلككم من الخاسرين اذ صار ما منحوا لنيل سعادة الدارين سببا للشقاوة النشأتين فان يصبروا فالنار مثوى لهم اي محل ثواء واقامة ابدية لهم بحيث لا براح لهم منها والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم ان يعرض عنهم ويحكي سوء حالهم لغيرهم او للاشعار بابعادهم عن حيز الخطاب والقائهم في غياية دركات النار وان يستعتبوا اي يسألوا العتبى وهو الرجوع الى ما يحبونه جزعا مما هم فيه فما هم من المعتبين المجابين اليها ونظيره قوله تعالى سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي ان يسألوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلين لفوات المكنة وقيضنا لهم اي قدرنا وقرنا للكفرة في الدنيا قرناء جمع قرين اي اخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم ما بين ايديهم من امور الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امور الآخرة حيث اروهم ان لا بعث ولا حساب ولا مكروه قط وحق عليهم القول اي ثبت وتقرر عليهم كلمة العذاب وتحقق موجبها ومصداقها وهي قوله تعالى لابليس فالحق والحق اقول لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى في امم حال من الضمير المجرور اي كائنين في جملة امم وقيل في بمعنى مع وهذا كما ترى صريح في ان المراد باعداء الله تعالى فيما سبق المعهودون من عاد وثمود لا الكفار من الاولين والآخرين كما قيل قد خلت صفة لامم اي مضت من قبلهم من الجن والانس على الكفر والعصيان كدأب هؤلاء انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير للاولين والآخرين وقال الذين كفروا من رؤساء المشركين لاعقابهم او قال بعضهم لبعض لا تسمعوا لهذا القرآن اي لا تنصتوا له والغوا فيه وعارضوه بالخرافات من الرجز والشعر والتصدية والمكاء وارفعوا اصواتكم بها لتشوشوه على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغي يلغى كلقي يلقى ولغا يلغو اذا هذى لعلكم تغلبون اي تغلبونه على قراءته فلنذيقن الذين كفروا اي فوالله لنذيقن هؤلاء القائلين واللاغين او جميع الكفار وهم داخلون فيهم دخولا اوليا عذابا شديدا لا يقادر قدره ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون اي جزاء سيئات اعمالهم التي هي في انفسها اسوأ وقيل انه لا يجازيهم بمحاسن اعمالهم كاغاثة الملهوفين وصلة الارحام وقري الاضياف لانها محبطة بالكفر وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عذابا شديدا في يوم بدر واسوأ الذي كانوا يعملون في الآخرة ذلك مبتدأ وقوله تعالى جزاء اعداء الله خبره اي ما ذكر من الجزاء جزاء معد لاعدائه تعالى وقوله تعالى النار عطف بيان للجزاء وذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك على انه عبارة عن مضمون الجملة لا عن الجزاء وما بعده جملة مستقلة مبينة لما قبلها وقوله تعالى لهم فيها دار الخلد جملة مستقلة مقررة لما قبلها او النار مبتدأ هي خبره اي هي بعينها دار اقامتهم على ان في للتجريد وهو ان ينتزع

زائد ذي صفة اي آخر مثله مبالغة لكماله فيها كما تقول في البغضة عشرون متباعدين وقيل هي على معناها والمراد ان لهم في النار المشتملة على الدركات
مخصوصة هم فيها خالدون جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون منصوب بفعل مقدر اي يجزون جزاء او بالمصدر السابق فان المصدر ينتصب بمثله كما في
قوله تعالى فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا والباء الاولى متعلقة بجزاء والثانية بيجحدون قدمت عليه لمراعاة الفواصل اي بسبب ما كانوا يجحدون
بآياتنا الحقة او يلغون فيها وذكر الجحود لكونه سببا للغو وقال الذين كفروا وهم متقلبون فيما ذكر من العذاب ربنا ارنا الذين اضلانا من
الجن والانس يعنون فريقي شياطين النوعين المقيضين لهم الحاملين لهم على الكفر والمعاصي بالتسويل والتزيين وقيل هما ابليس وقابيل فانهما
سنا الكفر والقتل بغير حق وقرئ ارنا تخفيفا كفخذ في فخذ وقيل معناه اعطناهما وقرئ باختلاس كسرة الراء نجعلهما تحت اقدامنا اي ندسهما
انتقاما منهما وقيل نجعلهما في الدرك الاسفل ليكونا من الاسفلين اي ذلا ومهانة او مكانا ان الذين قالوا ربنا الله شروع في بيان احوال
المؤمنين في الدنيا والآخرة بعد بيان سوء حال الكفرة فيهما اي قالوه اعترافا بربوبيته تعالى واقرارا بوحدانيته ثم استقاموا اي ثبتوا على الاقرار
ومقتضياته على ان ثم للتراخي في الزمان او في الرتبة فان الاستقامة لها الشأن كله وما روي عن الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم في
معناها من الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض بيان لجزئياتها تتنزل عليهم الملائكة من جهته تعالى يمدونهم فيما يعن لهم من الامور الدينية
والدنيوية بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الالهام كما ان الكفرة يغويهم ما قيض لهم من قرناء السوء بتزيين القبائح
وقيل تتنزل عند الموت بالبشرى وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى في مواطن كثيرة عند الموت وفي القبر وعند البعث والاظهر هو العموم
والاطلاق كما ستعرفه ان لا تخافوا ما تقدمون عليه فان الخوف غم يلحق لتوقع المكروه ولا تحزنوا على ما خلفتم فانه غم يلحق لوقوعه من فوات
نافع او حصول ضار وقيل المراد نهيهم عن الغموم على الاطلاق والمعنى ان الله تعالى كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا وان اما مفسرة
او مخففة من الثقيلة والاصل بانه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن وقرئ لا تخافوا اي يقولون لا تخافوا على انه حال من الملائكة او استيناف وابشروا
اي سروا بالجنة التي كنتم توعدون في الدنيا على السنة الانبياء والرسل هذا من بشاراتهم في احد المواطن الثلثة وقوله تعالى نحن اولياؤكم
في الحيوة الدنيا الى آخره من بشاراتهم في الدنيا اي اعوانكم في اموركم نلهمكم الحق ونرشدكم الى ما فيه خيركم وصلاحكم ولعل ذلك عبارة عما
يخطر ببال المؤمنين المستمرين على الطاعات من ان ذلك بتوفيق الله تعالى وتأييده لهم بواسطة الملائكة عليهم السلام وفي الآخرة نمدكم بالشفاعة
ونتلقاكم بالكرامة حين يقع بين الكفرة وقرنائهم ما يقع من التعادي والخصام ولكم فيها اي في الآخرة ما تشتهي انفسكم من فنون الطيبات ولكم
فيها ما تدعون ما تتمنون افتعال من الدعاء بمعنى الطلب اي تدعون لانفسكم وهو اعم من الاول ولكم في الموضعين خبر وما مبتدأ وفيها حال
من ضميره في الخبر وعدم الاكتفاء بعطف ما تدعون على ما تشتهي للايذان باستقلال كل منهما نزلا من غفور رحيم حال مما
تدعون مفيدة لكون ما يتمنونه بالنسبة الى ما يعطون من عظائم الاجور كالنزل للضيف ومن احسن قولا ممن دعا الى الله اي الى توحيده سبحانه
وتعالى وطاعته عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى الاسلام وعنه انهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
نزلت في المؤذنين والحق ان حكمها عام لكل من جمع ما فيها من الخصال الحميدة وان نزلت فيمن ذكر وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وقال انني من المسلمين
ابتهاجا بانه منهم او اتخاذا للاسلام دينا ونحلة من قولهم هذا قول فلان اي مذهبه لا انه تكلم بذلك وقرئ اني بنون واحدة ولا تستوي
الحسنة ولا السيئة جملة مستأنفة سيقت لبيان محاسن الاعمال الجارية بين العباد اثر بيان محاسن الاعمال الجارية بين العبد وبين الرب عز وجل
ترغيبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الصبر على اذية المشركين ومقابلة اساءتهم بالاحسان اي لا تستوي الخصلة الحسنة والسيئة في الآثار والاحكام
ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفي وقوله سبحانه وتعالى ادفع بالتي هي احسن الى آخره استئناف لحسن عاقبة الحسنة اي ادفع السيئة حيث اعترضتك
من بعض اعاديك بالتي هي احسن ما يمكن دفعها به من الحسنات كالاحسان الى من اساء فانه احسن من العفو واخراجه مخرج الجواب عن سؤال من قال كيف اصنع
للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع الحسنة وقوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم بيان لنتيجة الدفع المأمور به اي فاذا فعلت
ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق وما يلقاها اي ما يلقى هذه الخصلة البجيحة التي هي مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا اي
شأنهم وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة وقيل هو الثواب قيل نزلت في ابي سفيان بن حرب وكان مؤذيا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس شبه به وسوسة

وسوسة الشيطان لانها بعث على الشر وجعل نازغا على طريقة جد جده او اريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر اي وان
صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ بالله من شره ولا تطعه انه هو السميع باستعاذتك العليم بنيتك او بصلاحك
وفي جعل ترك الدفع بالاحسن من آثار نزغات الشيطان مزيد تحذير وتنفير عنه ومن آياته الدالة على شؤونه العظيمة الليل والنهار والشمس
والقمر كل منها مخلوق من مخلوقاته مسخر لامره لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانهما من جملة مخلوقاته المسخرة لاوامره مثلكم واسجدوا لله الذي
خلقهن الضمير للاربعة لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى او الاناث او لانها عبارة عن الآيات وتعليق الفعل بالكل مع كفاية بيان
مخلوقية الشمس والقمر للايذان بكمال سقوطهما عن رتبة المسجودية بنظمهما في المخلوقية في سلك الاعراض التي لا قيام لها بذاتها وهو
السر في نظم الكل في سلك آياته تعالى ان كنتم اياه تعبدون فان السجود اقصى مراتب العبادة فلا بد من تخصيصه به سبحانه وهو موضع السجود
عند الشافعي وعندنا آخر الآية الاخرى لانه تمام المعنى فان استكبروا عن الامتثال فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون له بالليل والنهار
اي دائما وهم لا يسأمون لا يفترون ولا يملون وقرئ لا يسأمون بكسر الياء ومن آياته انك ترى الارض خاشعة يابسة متطامنة
مستعار من الخشوع بمعنى التذلل فاذا انزلنا عليها الماء اي المطر اهتزت وربت اي تحركت بالنبات وانتفخت لان النبات اذا دنا
ان يظهر ارتفعت له الارض وانتفخت ثم تصدعت عن النبات وقيل تزخرفت بالنبات وقرئ ربأت اي ارتفعت ان الذي احياها
بما ذكر بعد موتها لمحيي الموتى بالبعث انه على كل شيء من الاشياء التي من جملتها الاحياء قدير مبالغ في القدرة ان الذين يلحدون يميلون عن
الاستقامة وقرئ يلحدون في آياتنا بالطعن فيها وتحريفها بحملها على المحامل الباطلة لا يخفون علينا فنجازيهم بالحادهم وقوله تعالى افمن
يلقى في النار خير ام من يأتي آمنا يوم القيامة تنبيه على كيفية الجزاء اعملوا ما شئتم من الاعمال المؤدية الى ما ذكر من الالقاء في النار والاتيان
آمنا وفيه تهديد شديد انه بما تعملون بصير فيجازيكم بحسب اعمالكم وقوله تعالى ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله تعالى ان
الذين يلحدون الى آخره وخبر ان هو الخبر السابق وقيل مستأنف وخبرها محذوف وقال الكسائي سد مسده الخبر السابق والذكر القرآن
وقوله تعالى وانه لكتاب عزيز اي كثير المنافع عديم النظير او منيع لا يتأتى معارضته وهي جملة حالية مفيدة لغاية شناعة الكفر به وقوله
تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اي لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات صفة اخرى لكتاب وقوله تعالى تنزيل من حكيم حميد خبر
لمبتدأ محذوف او صفة اخرى لكتاب مفيدة لفخامته الاضافية كما ان الصفتين السابقتين مفيدتان لفخامته الذاتية وقوله تعالى لا يأتيه
الى آخره اعتراض عند من لا يجوز تقديم غير الصريح من الصفات على الصريح كل ذلك لتأكيد بطلان الكفر بالقرآن وقوله تعالى ما يقال لك الى آخره تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يصيبه من اذية الكفار اي ما يقال في شأنك وشأن ما انزل اليك من القرآن من جهة كفار قومك الا ما قد قيل
للرسل من قبلك اي الا مثل ما قد قيل في حقهم مما لا خير فيه ان ربك لذو مغفرة لانبيائه وذو عقاب اليم لاعدائهم وقد نصر من قبلك من الرسل
وانتقم من اعدائهم وسيفعل مثل ذلك بك وباعدائك ايضا ولو جعلناه قرآنا اعجميا جواب لقولهم هلا انزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر
لقالوا لولا فصلت آياته اي بينت بلسان نفقهه وقوله تعالى أاعجمي وعربي انكار مقرر للتخصيص والاعجمي يقال للكلام الذي لا يفهم وللمتكلم به والياء
للمبالغة في الوصف كاحمري والمعنى أكلام اعجمي ورسول ومرسل اليه عربي على ان الافراد مع كون المرسل اليهم امة جمة لما ان المراد بيان التنافي
والتنافر بين الكلام وبين المخاطب به لا بيان كون المخاطب واحدا او جمعا وقرئ أعجمي اي أكلام منسوب الى امة العجم وقرئ اعجمي على الاخبار بان
القرآن اعجمي والمتكلم او المخاطب عربي ويجوز ان يراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها اعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب واياما كان
فالمقصود بيان ان آيات الله تعالى على اي وجه جاءتهم وجدوا فيها متعنتا يتعللون به قل هو للذين آمنوا هدى يهديهم الى الحق وشفاء
لما في الصدور من شك وشبهة والذين لا يؤمنون مبتدأ خبره في آذانهم وقر على ان التقدير هو اي القرآن في آذانهم وقر على ان وقر خبر للضمير
المقدر وفي آذانهم متعلق بمحذوف وقع حالا من وقر وهو اوفق لقوله سبحانه وتعالى وهو عليهم عمى وقيل خبر الموصول في آذانهم ووقر فاعل
الظرف وقيل وقر مبتدأ والظرف خبره والجملة خبر للموصول وقيل التقدير والذين لا يؤمنون في آذانهم منه وقر ومن جوز العطف على عاملين
عطف الموصول على الموصول الاول اي هو للاولين هدى وشفاء وللآخرين وقر في آذانهم اولئك اشارة الى الموصول الثاني باعتبار
اتصافه بما في حيز صلته وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الشر مع ما فيه من
كمال المناسبة للنداء من بعيد اي اولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من التصامم عن الحق الذي يسمعونه والتعامي عن الآيات الظاهرة

التي يشاهدونها ينادون من مكان بعيد تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم له بمن ينادي من مسافة نائية لا يكاد يسمع من مثلها الأصوات ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه كلام مستأنف مسوق لبيان أن الاختلاف في شأن الكتب عادة قديمة للأمم غير مختص بقومك على منهاج قوله تعالى ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك أي وبالله لقد آتيناه التوراة فاختلف فيها فمن مصدق لها ومكذب وهكذا حال قومك في شأن ما آتيناك من القرآن فمن مؤمن به وكافر ولولا كلمة سبقت من ربك في حق أمتك المكذبة وهي العدة بتأخير عذابهم والفصل بينهم وبين المؤمنين من الخصومة إلى يوم القيمة بنحو قوله تعالى بل الساعة موعدهم وقوله تعالى ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى لقضي بينهم باستئصال المكذبين كما فعل بمكذبي الأمم السالفة وإنهم أي كفار قومك لفي شك منه مريب أي من القرآن وجعل الضمير الأول لليهود والثاني للتوراة مما لا وجه له من عمل صالحا بأن آمن بالكتب وعمل بموجبها فلنفسه أي فلنفسه يعمله أو فنفعه لنفسه لا لغيره ومن أساء فعليها ضرره لا على غيره وما ربك بظلام للعبيد اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مبني على تنزيل ترك إثابة المحسن بعمله أو إثابة الغير بعمله وتنزيل التعذيب بغير إساءة أو بإساءة غيره منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه سبحانه وتعالى وقد مر ما في المقام من التحقيق والتفصيل في سورة آل عمران وسورة الأنفال إليه يرد علم الساعة أي إذا سئل عنها يقال الله يعلم أو لا يعلمها إلا الله وما تخرج من ثمرات من أكمامها أي من أوعيتها جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمرة كجف الطلعة وقرئ من ثمرة على إرادة الجنس والجمع لاختلاف الأنواع وقد قرئ بجمع الضمير أيضا وما نافية ومن الأولى مزيدة للاستغراق واحتمال أن تكون موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بعيد وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وقوله تعالى إلا بعلمه استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي وما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع ملابسا بشيء من الأشياء إلا ملابسا بعلمه المحيط ويوم يناديهم أين شركائي أي بزعمكم كما نص عليه في قوله تعالى نادوا شركائي الذين زعمتم وفيه تهكم بهم وتقريع لهم ويوم منصوب باذكر أو ظرف لمضمر مؤخر قد ترك إيذانا بقصور البيان عنه كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل قالوا آذناك أي أخبرناك ما منا من شهيد أحد يشهد لهم بالشركة إذ تبرأنا منهم لما عاينا الحال وما منا أحد إلا هو موحد لك أو ما منا من أحد يشاهدهم لأنهم ضلوا عنهم حينئذ وقيل هو قول الشركاء أي ما منا من شهيد يشهد لهم بأنهم كانوا محقين وقولهم آذناك إما لأن هذا التوبيخ مسبوق بتوبيخ آخر مجاب بهذا الجواب أو لأن معناه إنك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن أنا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لأنه إذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعلموه أو لأن معناه الإنشاء لا الإخبار بإيذان قد كان قبل ذلك وضل عنهم ما كانوا يدعون أي يعبدون من قبل أي غابوا عنهم أو ظهر عدم نفعهم فكان حضورهم كغيبتهم وظنوا أي أيقنوا ما لهم من محيص مهرب والظن معلق عنه بحرف النفي لا يسأم الإنسان أي لا يمل ولا يفتر من دعاء الخير من طلب السعة في النعمة وأسباب المعيشة وقرئ من دعاء بالخير وإن مسه الشر أي العسر والضيقة فيؤوس قنوط فيه مبالغة من جهة البناء ومن جهة التكرير ومن جهة أن القنوط عبارة عن يأس مفرط يظهر أثره في الشخص فيتضاءل وينكسر أي مبالغ في قطع الرجاء من فضل الله تعالى ورحمته وهذا وصف للجنس بوصف غالب أفراده لما أن اليأس من رحمة تعالى لا يتأتى إلا من الكافر وسيصرح به ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لي أي حقي استحقه لما لي من الفضل والعمل أولي لا لغيري فلا يزول عني أبدا وما أظن الساعة قائمة أي تقوم فيما سيأتي ولئن رجعت إلى ربي على تقدير قيامها إن لي عنده للحسنى أي للحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده أن ما أصابه من نعم الدنيا لاستحقاقه له وأن نعم الآخرة كذلك فلننبئن الذين كفروا بما عملوا أي لنعلمنهم بحقيقة أعمالهم حين أظهرناها بصورها الحقيقية وقد مر تحقيقه في سورة الأعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق وفي قوله تعالى إنما بغيكم على أنفسكم في سورة يونس عليه السلام ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض أي عن الشكر ونأى بجانبه أي ذهب بنفسه وتباعد بكليته تكبرا وتعظما والجانب مجاز عن النفس كما في قوله تعالى في جنب الله ويجوز أن يراد به عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض أي كثير مستعار مما له عرض متسع للإشعار بكثرته واستمراره وهو أبلغ من الطويل إذ الطول أطول الامتدادين فإذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله ولعل هذا شأن بعض غير البعض الذي حكي عنه اليأس والقنوط أو شأن بعض الأوقات قل أرأيتم أي أخبروني إن كان أي القرآن من عند الله ثم كفرتم به مع تعاضد موجبات الإيمان به من أضل ممن هو في شقاق بعيد أي من أضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم سنريهم آياتنا الدالة على حقيقته وكونه من عند الله في الآفاق هو ما أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم من الحوادث الآتية

الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله تعالى له ولخلفائه من الفتوح والظهور على آفاق الدنيا والاستيلاء على بلاد المشارق على وجه خارق للعادة وفي أنفسهم هو ما ظهر فيما بين أهل مكة وما حل بهم وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في الآفاق أي منازل الأمم الخالية وآثارهم وفي أنفسهم يوم بدر وقال مجاهد والحسن والسدي في الآفاق ما يفتح الله من القرى عليه عليه السلام والمسلمين وفي أنفسهم فتح مكة وقيل في الآفاق أي في أقطار السموات والأرض من الشمس والقمر والنجوم وما يترتب عليها من الليل والنهار والأضواء والأظلال والظلمات ومن النبات والأشجار والأنهار وفي أنفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة في تكوين الأجنة في ظلمات الأرحام وحدوث الأعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة كقوله تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون وأعتبر بأن معنى السين مع أن إراءة تلك الآيات قد حصلت قبل ذلك أنه تعالى سيطلعهم على تلك الآيات زمانا فزمانا ويزيدهم وقوفا على حقائقها يوما فيوما حتى يتبين لهم بذلك أنه الحق أي القرآن أو الإسلام أو التوحيد أولم يكف بربك استئناف وارد لتوبيخهم على ترددهم في شأن القرآن وعنادهم المحوج إلى إراءة الآيات وعدم اكتفائهم بإخباره تعالى والهمزة للإنكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي ألم يغن ولم يكف ربك والباء مزيدة للتأكيد ولا يكاد يزاد في الفاعل إلا مع كفى وقوله تعالى أنه على كل شيء شهيد بدل منه أي ألم تغنهم عن إراءة الآيات الموعودة المبينة لحقية القرآن ولم يكفهم في ذلك أنه تعالى شهيد على جميع الأشياء وقد أخبر بأنه من عنده وقيل معناه أن هذا الموعود من إظهار آيات الله تعالى في الآفاق وفي أنفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد أي مطلع يستوي عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على أنه حق وأنه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة فتأمل وأما ما قيل من أن المعنى أولم يكفك أنه تعالى على كل شيء شهيد محقق له فيحقق أمرك بإظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الأشياء الموعودة فمع إشعاره بما لا يليق بجلالة منصبه عليه السلام من التردد فيما ذكر من تحقيق الموعود يرده قوله تعالى ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم أي في شك عظيم من ذلك بالبعث والجزاء فإنه صريح في أن عدم الكفاية معتبر بالنسبة إليهم وقرئ مرية بالضم وهي لغة فيها ألا إنه بكل شيء محيط عالم بجميع الأشياء جملها وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا يخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم لا محالة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة أعطاه الله بكل حرف عشر حسنات

سورة حم عسق

بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وقيل اسم واحد والفصل ليناسب سائر الحواميم وقرئ حم سق فعلى الأول هما خبران لمبتدأ محذوف وقيل حم مبتدأ وعسق خبره وعلى الثاني الكل خبر واحد وقوله سبحانه وتعالى كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم كلام مستأنف وارد لتحقيق أن مضمون السورة موافق لما في تضاعيف سائر الكتب المنزلة على الرسل المتقدمة في الدعوة إلى التوحيد والإرشاد إلى الحق أو أن إيحاءها مثل إيحائها بعد تنويهها بذكر اسمها والتنبيه على فخامة شأنها والكاف في حيز النصب على أنه مفعول ليوحي على الأول وعلى أنه نعت لمصدر مؤكد له على الثاني وذلك على الأول إشارة إلى ما فيها وعلى الثاني إلى إيحائها وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو رتبة المشار إليه وبعد منزلته في الفضل أي مثل ما في هذه السورة من المعاني أوحي إليك في سائر السور وإلى من قبلك من الرسل في كتبهم على أن مناط المماثلة ما أشير إليه من الدعوة إلى التوحيد والإرشاد إلى الحق وما فيه صلاح العباد في المعاش والمعاد أو مثل إيحائها أوحي إليك عند إيحاء سائر الكتب والسور وإلى سائر الرسل عند إيحاء كتبهم إليهم لا إيحاء مغاير له كما في قوله تعالى إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح الآية على أن مدار المثلية كونه بواسطة الملك وصيغة المضارع على حكاية الحال الماضية للإيذان باستمرار الوحي وأن إيحاء مثله عادته وفي جعل مضمون السورة أو إيحائها مشبها به من تفخيمها ما لا يخفى وكذا في وصفه تعالى بوصفي العزة والحكمة وتأخير الفاعل لمراعاة الفواصل مع ما فيه من التشويق وقرئ يوحى على البناء للمفعول على أن كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند إلى ضميره أو مصدر ويوحى مسند إلى إليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى كأنه قيل من يوحي فقيل الله والعزيز الحكيم صفتان له أو مبتدأ كما في قراءة نوحي والعزيز وما بعده خبران له أو العزيز الحكيم صفتان له وقوله تعالى له ما في السموات وما في الأرض وهو العلي العظيم خبران له وعلى الوجوه السابقة استئناف مقرر لعزته وحكمته تكاد السموات وقرئ بالياء يتفطرن يتشققن من عظمة الله تعالى وقيل من دعاء الولد له كما في سورة مريم وقرئ ينفطرن والأول أبلغ لأنه مطاوع فطر وهذا مطاوع فطر وقرئ تتفطرن بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر من فوقهن أي يبتدئ التفطر من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الأول لما أن أعظم الآيات وأدلها على العظمة والجلال من تلك الجهة وعلى الثاني للدلالة على التفطر من تحتهن بالطريق الأولى لأن تلك الكلمة الشنعاء الواقعة في الأرض حين أثرت في جهة الفوق فلأن تؤثر في جهة التحت

اولى وقيل الضمير للأرض فإن الهاء في معنى الأرضين والملائكة يسبحون بحمد ربهم ينزهونه تعالى عما لا يليق به ملتبسين بحمده ويستغفرون لمن في الأرض بالسعي فيما
يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والالهام وترتيب الأسباب المقربة الى الطاعة واستدعاء تأخير العقوبة طمعا في ايمان الكافر وتوبة الفاسق
وهذا يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين كما في قوله تعالى ويستغفرون
للذين آمنوا فالمراد به الشفاعة ألا إن الله هو الغفور الرحيم إذ ما من مخلوق إلا وله حظ عظيم من رحمته تعالى والآية على الأول زيادة تقرير لعظمته تعالى
وعلى الثاني بيان لكمال تقدسه عما نسب إليه وان ترك معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء بسبب استغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته ففيها
رمز الى انه تعالى يقبل استغفارهم ويزيدهم على ما طلبوه من المغفرة رحمة والذين اتخذوا من دونه أولياء شركاء وأندادا الله حفيظ عليهم رقيب على أحوالهم
وأعمالهم فيجازيهم بها وما أنت عليهم بوكيل بموكل بهم أو بموكول إليه أمرهم وإنما وظيفتك الإنذار وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا ذلك إشارة الى مصدر
أوحينا ومحل الكاف النصب على المصدرية وقرآنا عربيا مفعول لأوحينا أي ومثل ذلك الإيحاء البديع البين المفهم أوحينا إليك قرآنا عربيا
لا لبس فيه عليك ولا على قومك وقيل إشارة الى معنى الآية المتقدمة من أنه تعالى هو الحفيظ عليهم وإنما أنت نذير فحسب والكاف مفعول به لأوحينا
وقرآنا عربيا حال من المفعول به أي أوحيناه إليك وهو قرآن عربي بين لتنذر أم القرى أي أهلها وهي مكة ومن حولها من العرب وتنذر يوم الجمع أي يوم
القيامة لأنه يجمع فيه الخلائق قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع فيه الأرواح والأشباح وقيل الأعمال والعمال والإنذار يتعدى الى مفعولين
وقد يستعمل ثانيهما بالباء وقد حذف ههنا ثاني مفعولي الأول وأول مفعولي الثاني للتهويل وإيهام التعميم وقرئ لينذر بالياء على أن فاعله
ضمير القرآن لا ريب فيه اعتراض مقرر لما قبله فريق في الجنة وفريق في السعير أي بعد جمعهم في الموقف فإنهم يجمعون فيه أولا ثم يفرقون بعد الحساب
والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحالية منهم أي وتنذر يوم جمعهم متفرقين أي مشارفين للتفرق أي
متفرقين في داري الثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة قيل مهتدين أو ضالين وهو تفصيل لما أجمله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
في قوله على دين واحد فمعنى قوله تعالى ولكن يدخل من يشاء في رحمته أنه تعالى يدخل في رحمته من يشاء أن يدخله فيها ويدخل في عذابه من يشاء أن يدخله فيه ولا ريب
أن مشيئته تعالى لكل من الداخلين تابعة لاستحقاق كل من الفريقين لدخول مدخله ومن ضرورة اختلاف الرحمة والعذاب اختلاف حال الداخلين
فيهما قطعا فلم يشأ جعل الكل أمة واحدة بل جعلهم فريقين وإنما قيل والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير للإيذان بأن الإدخال في الرحمة لا ما قيل من
المبالغة في الوعيد وقيل مؤمنين كلهم وهو ما قاله مقاتل على دين الإسلام كما في قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقوله تعالى ولو شئنا لآتينا
كل نفس هداها والمعنى ولو شاء الله مشيئة قدرة لقسرهم على الإيمان ولكنه شاء مشيئة حكمة وكلفهم وبنى أمرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين
في رحمته وهم المرادون بقوله تعالى من يشاء وترك الظالمين بغير ولي ولا نصير وأنت خبير بأن فرض جعل الكل مؤمنين يأباه تصدير الاستدراك
بإدخال بعضهم في رحمته إذ الكل حينئذ داخلون فيها فكان المناسب حينئذ تصديره بإخراج بعضهم من بينهم وإدخالهم في عذابه فالذي يقتضيه سياق
النظم الكريم وسياقه أن يراد الاتحاد في الكفر كما في قوله تعالى كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين الآية على أحد الوجهين بأن يراد بهم
الذين هم في فترة إدريس أو في فترة نوح عليهما السلام فالمعنى ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة متفقة على الكفر بأن لا يرسل إليهم
رسولا لينذرهم ما ذكر من يوم الجمع وما فيه من ألوان الأهوال فيبقوا على ما هم عليه من الكفر ويصيروا في الآخرة الى السعير من غير ولي يلي أمرهم
ولا نصير يخلصهم من العذاب أم اتخذوا من دونه أولياء جملة مستأنفة مقررة لما قبلها من انتفاء أن يكون للظالمين ولي أو نصير وأم منقطعة وما فيها
من بل للانتقال من بيان ما قبلها الى بيان ما بعدها والهمزة لإنكار الوقوع ونفيه على أبلغ وجه وآكده لا لإنكار الواقع واستقباحه كما قيل
إذ المراد بيان أن ما فعلوا ليس من اتخاذ الأولياء في شيء لأن ذلك فرع كون الأصنام أولياء وهو ظاهر الامتناع أي بل اتخذوا متجاوزين
الله أولياء من الأصنام وغيرها هيهات وقوله تعالى فالله هو الولي جواب شرط محذوف كأنه قيل بعد إبطال ولاية ما اتخذوه أولياء إن أرادوا
وليا في الحقيقة فالله هو الولي لا ولي سواه وهو يحيي الموتى أي ومن شأنه ذلك وهو على كل شيء قدير فهو الحقيق بأن يتخذ وليا فليخصوه بالاتخاذ
دون من لا يقدر على شيء وما اختلفتم فيه من شيء حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين أي ما خالفكم الكفار فيه من أمور الدين
فاختلفتم أنتم وهم فحكمه راجع الى الله وهو إثابة المحقين وعقاب المبطلين ذلكم الحاكم العظيم الشأن الله ربي مالكي عليه توكلت في جامع أموري
خاصة لا الى غيره وإليه أنيب أرجع في كل ما يعن لي من معضلات الأمور لا الى أحد سواه وحيث كان التوكل أمرا واحدا مستمرا والإنابة متعددة

متجددة حسب تجدد موادها أوثر في الأول صيغة الماضي وفي الثانية صيغة المضارع وقل وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شيء من الخصومات
فتحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا
في بيانه الى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتعلق بتكليفكم ولا
طريق لكم الى علمه فقولوا الله أعلم كمعرفة الروح وامتناع حمل هذا على الاجتهاد لعدم جوازه بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم فاطر السموات والأرض
خبر آخر لذلكم أو خبر لمبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره جعل لكم وقرئ بالجر على أنه بدل من الضمير أو وصف لاسم الجليل في قوله تعالى الى الله وما بينهما
اعتراض بين الصفة والموصوف من أنفسكم من جنسكم أزواجا نساء وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح قد مر سره غير مرة ومن الأنعام أي
وجعل للأنعام من جنسها أزواجا أو خلق لكم من الأنعام أصنافا أو ذكورا وإناثا يذرؤكم يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه الذرو
والذر فيه أي فيما ذكر من التدبير فإن جعل الناس والأنعام أزواجا يكون بينهم توالد كالمنبع للبث والتكثير ليس كمثله شيء أي ليس مثله شيء في
شأن من الشؤون التي من جملتها هذا التدبير البديع والمراد من مثله ذاته كما في قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فإنه إذا نفي
عمن يناسبه كان نفيه عنه أولى ثم سلكت هذه الطريقة في شأن من لا مثل له وقيل مثله صفته أي ليس كصفته صفة وهو السميع البصير المبالغ في العلم
بكل ما يسمع ويبصر له مقاليد السموات والأرض أي خزائنها يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق حسبما تقتضيه مشيئته المؤسسة على الحكم
البالغة إنه بكل شيء عليم مبالغ في الإحاطة به فيفعل كل ما يفعل على ما ينبغي أن يفعل عليه والجملة تعليل لما قبلها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى شرع لكم
من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى وإيذان بأن ما شرع لهم صادر عن كمال العلم والحكمة
كما أن بيان نسبته الى المذكورين عليهم السلام تنبيه على كونه دينا قديما أجمع عليه الرسل والخطاب لأمته صلى الله عليه وسلم أي شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا ومن بعده من أرباب الشرائع وأولي العزم من مشاهير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأمرهم به أمرا مؤكدا على أن تخصيصهم بالذكر
لعلو شأنهم ولاستمالة قلوب الكفرة إليه لاتفاق الكل على نبوة بعضهم وتفرد اليهود في شأن موسى عليه الصلاة والسلام وتفرد النصارى
في حق عيسى عليه الصلاة والسلام وإلا فما من نبي إلا وهو مأمور بما أمروا به وهو عبارة عن التوحيد ودين الإسلام وما لا يختلف باختلاف الأمم وتبدل
الأعصار من أصول الشرائع والأحكام كما ينبئ عنه التوصية فإنها معربة عن تأكيد الأمر والاعتناء بشأن المأمور به والمراد بإيحائه إليه عليه الصلاة والسلام
إما ما ذكر في صدر السورة الكريمة وفي قوله تعالى وكذلك أوحينا الآية أو ما يعمهما وغيرهما مما وقع في سائر المواقع التي من جملتها قوله تعالى ثم أوحينا إليك
أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وقوله تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد وغير ذلك والتعبير عن ذلك عند نسبته إليه عليه الصلاة والسلام
بالذي لزيادة تفخيم شأنه من تلك الحيثية وإيثار الإيحاء على ما قبله وما بعده من التوصية لمراعاة ما وقع في الآيات المذكورة ولما في الإيحاء من التصريح
برسالته عليه السلام القاطع لإنكار الكفرة والالتفات الى نون العظمة لإظهار كمال الاعتناء بإيحائه وهو السر في تقديمه على ما بعده مع تقدمه عليه زمانا
وتقديم توصية نوح عليه السلام للمسارعة الى بيان كون المشروع لهم دينا قديما وتوجيه الخطاب إليه عليه الصلاة والسلام أن أقيموا الدين أي دين
الإسلام الذي هو توحيد الله تعالى وطاعته والإيمان بكتبه ورسله وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل به مؤمنا والمراد بإقامته تعديل أركانه وحفظه
من أن يقع فيه زيغ أو المواظبة عليه والتشمر له ومحل أن أقيموا إما النصب على أنه بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه والرفع على أنه جواب عن
سؤال نشأ من إبهام المشروع كأنه قيل وما ذاك فقيل هو إقامة الدين وقيل بدل من ضمير به وليس بذاك لما أنه مع إفضائه الى خروجه عن حيز الإيحاء
الى النبي صلى الله عليه وسلم مستلزم لكون الخطاب في قوله تعالى ولا تتفرقوا فيه للأنبياء المذكورين عليهم الصلاة والسلام وتوجيه النهي الى
أممهم تمحل ظاهر مع أن الأظهر أنه متوجه الى أمته صلى الله عليه وسلم وأنهم المتفرقون كما ستحيط به خبرا أي لا تتفرقوا في الدين الذي هو عبارة
عما ذكر من الأصول دون الفروع المختلفة حسب اختلاف الأمم باختلاف الأعصار كما نطق به قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقوله تعالى
كبر على المشركين شروع في بيان أحوال بعض من شرع لهم ما شرع من الدين القديم أي عظم وشق عليهم ما تدعوهم إليه من التوحيد ورفض
عبادة الأصنام واستبعدوه حيث قالوا أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب وقوله تعالى الله يجتبي إليه من يشاء استئناف وارد
لتحقيق الحق وفيه إشعار بأن منهم من يجيب الى الدعوة أي الله يجتبي الى ما تدعوهم إليه من يشاء أن يجتبيه إليه وهو من صرف اختياره الى ما دعي إليه
كما ينبئ عنه قوله تعالى ويهدي إليه من ينيب أي يقبل إليه حيث يمده بالتوفيق والألطاف وقوله تعالى وما تفرقوا شروع في بيان أحوال أهل الكتاب

عقيب الاشارة الاجمالية الى احوال اهل الشرك وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هم اليهود والنصارى لقوله تع وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد
ما جاءتهم البينة اي وما تفرقوا في الدين الذي دعوا اليه ولم يؤمنوا كما آمن بعضهم الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيته بما شاهدوا في رسول الله
صلى الله تع عليه وسلم والقرآن من دلائل الحقية حسبما وجدوه في كتابهم او العلم بمبعثه عليه الصلوة والسلام وهو استثناء مفرغ من اعم
الاحوال او من اعم الاوقات اي وما تفرقوا في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات الا حال مجيء العلم او الا وقت مجيء العلم بغيا بينهم وحمية
وطلبا للرياسة لا لان لهم في ذلك شبهة ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بتأخير العقوبة الى اجل مسمى هو يوم القيمة لقضي بينهم
لاوقع القضاء بينهم باستيصالهم لاستيجاب جناياتهم لذلك قطعا وقوله تع وان الذين اورثوا الكتاب الى آخره بيان لكيفية كفر المشركين بالقرآن اثر
بيان كيفية كفر اهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا اي وان المشركين اورثوا القرآن من بعد ما اورث اهل الكتاب كتابهم لفي شك منه من
القرآن مريب موقع في القلق او في الريبة ولذلك لا يؤمنون به لا لمحض البغي والمكابرة بعد ما علموا بحقيته كدأب اهل الكتابين هذا واما ما قيل من ان
ضمير تفرقوا للامم الانبياء عليهم السلام وان المراد تفرق كل امة بعد نبيها مع علمهم بان الفرقة ضلال وفساد وامر متوعد عليه على السنة الانبياء
عليهم السلام فيرده قوله تع ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم وكذا ما قيل من ان الناس كانوا امة واحدة مؤمنين بعد ما اهلك الله
تع اهل الارض بالطوفان فلما مات الآباء اختلف الابناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله تعالى النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وانما
اختلفوا للبغي بينهم فان مشاهير الامم المذكورة قد اصابهم عذاب الاستيصال من غير انظار وامهال على ان مساق النظم الكريم لبيان احوال
هذه الامة وانما ذكر من ذكر من الانبياء عليهم الصلوة والسلام لتحقيق ان ما شرع لهؤلاء دين قديم اجمع عليه اولئك الاعلام عليهم الصلوة
والسلام تأكيدا لوجوب اقامته وتشديدا للزجر عن التفرق والاختلاف فيه فالتعرض لبيان تفرق اممهم عنهم ربما يوهم الاخلال بذلك المرام
فلذلك اي فلاجل ما ذكر من التفرق والشك المريب او فلاجل انه شرع لهم الدين القويم القديم الحقيق بان يتنافس فيه المتنافسون فادع اي
الناس كافة الى اقامة ذلك الدين والعمل بموجبه فان كلا من تفرقهم وكونهم في شك مريب ومن شرع ذلك الدين لهم على لسان رسول الله صلى الله
عليه وسلم سبب للدعوة اليه والامر بها وليس المشار اليه ما ذكر من التوصية والامر بالاقامة والنهي عن التفرق حتى يتوهم شائبة التكرار وقيل
المشار اليه نفس الدين المشروع واللام بمعنى الى كما في قوله تع بان ربك اوحى لها اي فالى ذلك الدين فادع واستقم عليه وعلى الدعوة اليه
كما امرت واوحي اليك ولا تتبع اهواءهم الباطلة وقل آمنت بما انزل الله من كتاب اي كتاب كان من الكتب المنزلة لا كالذين آمنوا ببعض منها وكفروا
ببعض وفيه تحقيق للحق وبيان لاتفاق الكتب في الاصول وتأليف لقلوب اهل الكتابين وتعريض بهم وقد مر بيان كيفية الايمان بها في خاتمة
سورة البقرة وامرت لاعدل بينكم في تبليغ الشرائع والاحكام وفصل القضايا عند المحاكمة والخصام وقيل معناه لاسوي بيني وبينكم
ولا آمركم بما لا اعمله ولا اخالفكم الى ما انهاكم عنه ولا افرق بين اكابركم واصاغركم واللام اما على حقيقتها والمأمور به محذوف اي امرت
بذلك لاعدل او زائدة اي امرت ان اعدل والباء محذوفة الله ربنا وربكم اي خالقنا جميعا ومتولي امورنا لنا اعمالنا لا يتخطانا
جزاؤها ثوابا كان او عقابا ولكم اعمالكم لا يجاوزكم آثارها لنستفيد بحسناتكم ونتضرر بسيئاتكم لا حجة بيننا وبينكم اي لا محاجة ولا خصومة
لان الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة حاجة ولا للمخالفة محمل سوى المكابرة الله يجمع بيننا يوم القيمة واليه المصير فيظهر هناك حالنا وحالكم وهذا كما ترى
محاجزة في موقف المجاوبة لا متاركة في مواطن المحاربة حتى يصار الى النسخ باية القتال والذين يحاجون في الله اي في دينه من بعد ما استجيب له من بعد
ما استجاب له الناس ودخلوا فيه والتعبير عن ذلك بالاستجابة باعتبار دعوتهم اليه او من بعد ما استجاب الله لرسوله عليه الصلوة والسلام وايده
بنصره او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب بان اقروا بنبوته عليه الصلوة والسلام واستفتحوا به قبل مبعثه عليه الصلوة والسلام وذلك ان اليهود
والنصارى كانوا يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم واولى بالحق حجتهم داحضة عند ربهم زائلة باطلة بل لا حجة لهم
وانما عبر عن اباطيلهم بالحجة مجاراة معهم على زعمهم الباطل وعليهم غضب عظيم لمكابرتهم الحق بعد ظهوره ولهم عذاب شديد لا يقادر قدره الله
الذي انزل الكتاب اي جنس الكتاب بالحق ملتبسا به في احكامه واخباره او بما يحق انزاله من العقائد والاحكام والميزان والشرع الذي يوزن به
الحقوق ويسوى بين الناس او نفس العدل بان انزل الامر به او آلة الوزن وما يدريك اي اي شيء يجعلك عالما لعل الساعة التي يخبر بمجيئها الكتاب الناطق
بالحق قريب اي شيء قريب او قريب مجيئها وقيل القريب بمعنى ذات قرب والساعة بمعنى البعث والمعنى انها على جناح الاتيان فاتبع الكتاب واعمل به وواظب

وواظب على العدل قبل ان يفاجئك اليوم الذي يوزن فيه الاعمال ويوفى جزاؤها يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استعجال انكار واستهزاء كانوا يقولون
متى هي ليتها قامت حتى يظهر لنا الحق اهو الذي نحن عليه ام الذي عليه محمد واصحابه والذين آمنوا مشفقون منها خائفون منها مع اعتنائهم بها لتوقع الثواب
ويعلمون انها الحق اي الكائن لا محالة الا ان الذين يمارون في الساعة يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا من
المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة لفي ضلال بعيد عن الحق فان البعث اشبه الغائبات بالمحسوسات فمن لم يهتد الى تجويزه فهو عن الاهتداء
الى ما وراءه ابعد وابعد الله لطيف بعباده اي بر بليغ البر بهم يفيض عليهم من فنون الطافه ما لا يكاد تناله ايدي الافكار والظنون يرزق من يشاء ان يرزقه
كيفما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة وهو القوي الباهر القدرة والغالب على كل شيء العزيز المنيع
الذي لا يغلب من كان يريد حرث الآخرة الحرث في الاصل القاء البذر في الارض يطلق على الزرع الحاصل منه ويستعمل في ثمرات الاعمال ونتائجها
بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهها بالغلال الحاصلة من البذور المتضمن لتشبيه الاعمال بالبذور اي من كان يريد باعماله ثواب الآخرة نزد له في
حرثه نضاعف له ثوابه بالواحد عشرة الى سبعمائة فما فوقها ومن كان يريد باعماله حرث الدنيا وهو متاعها وطيباتها نؤته منها اي شيئا منها حسبما
قسمنا له لا ما يريده ويبتغيه وما له في الآخرة من نصيب اذ كانت همته مقصورة على الدنيا وقد مر تفصيله في سورة الاسراء ام لهم شركاء
اي بل الهم شركاء من الشياطين والهمزة للتقرير والتقريع شرعوا لهم بالتسويل من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا
وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم الذين جعلوها شركاء لله تعالى واسناد الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم كقوله تع انهن اضللن
كثيرا او تماثيل من سن الضلالة لهم ولولا كلمة الفصل اي القضاء السابق بتأخير الجزاء او العدة بان الفصل يكون يوم القيمة لقضي بينهم اي بين الكافرين
والمؤمنين او بين المشركين وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرئ بالفتح عطفا على كلمة الفصل اي ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين
في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا فان العذاب الاليم غالب في عذاب الآخرة ترى الظالمين يوم القيمة والخطاب لكل احد ممن يصلح له للقصد الى ان
سوء حالهم غير مختص برؤية راء دون راء مشفقين خائفين مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم اي ووباله لاحق بهم لا محالة اشفقوا او لم يشفقوا
والجملة حال من ضمير مشفقين او اعتراض والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات مستقرون في اطيب بقاعها وانزهها لهم ما يشاؤن عند ربهم
اي ما يشتهونه من فنون المستلذات حاصل لهم عند ربهم على ان عند ربهم ظرف للاستقرار العامل في لهم وقيل ظرف ليشاؤن ذلك اشارة الى ما ذكر من حال
المؤمنين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه هو الفضل الكبير الذي لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ذلك اي الفضل الكبير هو الذي يبشر الله
عباده اي يبشرهم به فحذف الجار ثم العائد الى الموصول كما في قوله تع اهذا الذي بعث الله رسولا او ذلك التبشير الذي يبشره الله تع الذين آمنوا
وعملوا الصالحات وقرئ يبشر من البشر قل لا اسئلكم عليه روي انه اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض اترون ان محمدا يسأل على ما يتعاطاه اجرا
فنزلت اي لا اطلب منكم على ما انا عليه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا الا المودة في القربى اي الا ان تودوني لقرابتي منكم او تودوا اهل قرابتي وقيل
الاستثناء منقطع والمعنى لا اسئلكم اجرا قط ولكن اسئلكم المودة وفي القربى حال منها اي الا المودة ثابتة في القربى متمكنة في اهلها او في حق القرابة
والقربى مصدر كالزلفى بمعنى القرابة روي انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما
وعن النبي صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتي وآذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه فانا اجازيه
عليها غدا اذا لقيني يوم القيمة وقيل القربى التقرب الى الله اي الا ان تتوددوا الى الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة
في القربى ومن يقترف حسنة اي يكتسب اي حسنة كانت فيتناول مودة ذي القربى تناولا اوليا وعن السدي انها المراد وقيل نزلت في
الصديق رضي الله تع عنه ومودته فيهم نزد له فيها اي في الحسنة حسنا بمضاعفة الثواب وقرئ يزد الله وقرئ حسنى ان الله غفور لمن اذنب
شكور لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة ام يقولون بل ايقولون افترى على الله كذبا بدعوى النبوة وتلاوة القرآن على ان
الهمزة للانكار التوبيخي كأنه قيل ايتمالكون ان ينسبوا مثله عليه الصلوة والسلام وهو هو الى الافتراء لا سيما الافتراء على الله الذي هو اعظم الفرى
وافحشها وقوله تع فان يشأ الله يختم على قلبك استشهاد على بطلان ما قالوا ببيان انه عليه السلام لو افترى على الله تعالى لمنعه من ذلك
قطعا وتحقيقه ان دعوى كون القرآن افتراء على الله تع قول منهم بانه تع لا يشاء صدوره عن النبي عليه الصلوة والسلام بل يشاء عدم صدوره
ومن ضرورته انه لم يمكن منه ولم يصدر عنه قطعا فكأنه قيل لو كان افتراء على الله تعالى لشاء عدم صدوره عنك وان يشأ ذلك يختم على قلبك

بحيث لم يخطر ببالك معنى من معانيه ولم تنطق بحرف من حروفه وحيث لم يكن الامر كذلك بل تواتر الوحي حينا فحينا تبين انه من عنده تعالى هذا وقيل المعنى
ان يشأ يجعلك من المختوم على قلوبهم فانه لا يجترئ على الافتراء عليه تعالى الا من كان كذلك ومؤداه استبعاد الافتراء من مثله عليه الصلوة
والسلام وانه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في جملة المختوم على قلوبهم وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحي يعني لو
افترى على الله الكذب لفعل به ذلك وهذا معنى ما قيل لو كذب على الله لانساه القرآن وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم
ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته استيناف مقرر لنفي الافتراء غير معطوف على يختم كما ينبئ عنه اظهار الاسم الجليل وسقوط الواو كما في بعض
المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله تعالى ويدع الانسان بالشر الآية اي ومن عادته تعالى انه يمحو الباطل ويثبت الحق بوحيه وبقضائه لقوله تع بل نقذف
بالحق على الباطل فيدمغه فلو كان افتراء كما زعموا لمحقه ودمغه او وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانه تعالى يمحو الباطل الذي هم عليه من البهت
والتكذيب ويثبت الحق الذي هو عليه بالقرآن وبقضائه الذي لا مرد له بنصرته عليهم انه عليم بذات الصدور فيجري عليها احكامها اللائقة بها من
المحو والاثبات وهو الذي يقبل التوبة عن عباده التوبة هو الرجوع عن المعاصي بالندم عليها والعزم على ان لا يعاودها ابدا وروي جابر رضي الله تعالى عنه
ان اعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اني استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلوته قال له علي رضي الله تعالى عنه
يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك هذه تحتاج الى التوبة فقال يا امير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على
الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقتها مرارة الطاعة
كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفوا عن السيئات صغيرها وكبيرها لمن يشاء ويعلم ما تفعلون كائنا ما كان من خير او شر
فيجازي ويتجاوز حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وقرئ ما تفعلون بالتاء ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي يستجيب الله لهم فحذف
اللام كما في قوله تعالى واذا كالوهم اي كالوا لهم والمراد اجابة دعوتهم والاثابة على طاعتهم فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليها ومنه قوله عليه السلام
افضل الدعاء الحمد لله او يستجيبون لله بالطاعة اذا دعاهم اليها وعن ابراهيم بن ادهم انه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم
تجيبوه ثم قرأ والله يدعوا الى دار السلام ويزيدهم من فضله على ما سألوا واستحقوا بموجب الوعد والكافرون لهم عذاب شديد بدل ما للمؤمنين من
الثواب والفضل المزيد ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض لتكبروا وافسدوا فيها بطرا ولعلا بعضهم على بعض بالاستيلاء والاستعلاء كما
عليه الجبلة البشرية واصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى من حيث الكمية والكيفية ولكن ينزل بقدر اي بتقدير ما يشاء ان ينزله مما تقتضيه مشيئته
انه بعباده خبير بصير محيط بخفايا امورهم وجلاياها فيقدر لكل واحد منهم في كل وقت من اوقاتهم ما يليق بشأنهم فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض
ويبسط حسبما تقتضيه الحكمة الربانية ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا وروي ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل نزلت في العرب كانوا
اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا وهو الذي ينزل الغيث اي المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع منه وقرئ ينزل من الانزال
من بعد ما قنطوا يئسوا منه وتقييد تنزيله بذلك مع تحققه بدونه ايضا لتذكير كمال النعمة وقرئ بكسر النون وينشر رحمته اي بركات الغيث ومنافعه في كل شيء
من السهل والجبل والنبات والحيوان او رحمته الواسعة المنتظمة لما ذكر انتظاما اوليا وهو الولي الذي يتولى عباده بالاحسان ونشر الرحمة الحميد
المستحق للحمد على ذلك لا غيره ومن آياته خلق السموات والارض على ما هما عليه من تعاجيب الصنائع فانها بذاتها وصفاتها تدل على شؤونه العظيمة
وما بث فيهما عطف على السموات او الخلق من دابة من حي على اطلاق اسم المسبب على السبب او مما يدب على الارض فان ما يختص باحد الشيئين المتجاورين
يصح نسبته اليهما كما في قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح وقد جوز ان يكون للملائكة عليهم السلام مشي مع الطيران فيوصفوا
بالدبيب وان يخلق الله في السماء حيوانا يمشون فيها مشي الاناسي على الارض كما ينبئ عنه قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال فوق السماء السابعة بحر بين اعلاه واسفله كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك ثمانية اوعال بين ركبهن واظلافهن كما بين السماء والارض
ثم فوق ذلك العرش العظيم وهو على جمعهم اي حشرهم بعد البعث للمحاسبة وقوله تعالى اذا يشاء متعلق بما قبله لا بقوله تعالى قدير فان المقيد بالمشيئة جمعه
لا قدرته واذا عند كونها بمعنى الوقت كما تدخل الماضي تدخل المضارع وما اصابكم من مصيبة اي مصيبة كانت فبما كسبت ايديكم اي فهي بسبب معاصيكم
التي اكتسبتموها والفاء لان ما شرطية او متضمنة لمعنى الشرط وقرئ بدونها اكتفاء بما في الباء من معنى السببية ويعفو عن كثير من الذنوب فلا
يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم لاسباب اخر وتعريضه للثواب بالصبر عليه وما انتم بمعجزين في الارض فائتين ما قضي عليكم

عليكم من المصائب وان هربتم من اقطارها كل مهرب وما لكم من دون الله من ولي يحميكم منها ولا نصير يدفعها عنكم ومن آياته الجوار السفن الجارية
في البحر وقرئ الجواري كالاعلام اي كالجبال على الاطلاق لا التي عليها النار للاهتداء خاصة ان يشأ يسكن الريح التي تجريها وقرئ الرياح فيظللن
رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر اي غير جاريات لا غير متحركات اصلا ان في ذلك الذي ذكر من السفن اللاتي يجرين تارة
ويركدن اخرى على حسب مشيئته تعالى لآيات عظيمة في انفسها كثيرة في العدد دالة على ما ذكر من شؤونه تعالى لكل صبار شكور لكل من
حبس نفسه عن التوجه الى ما لا ينبغي ووكل همته بالنظر في آيات الله تعالى والتفكر في آلائه او لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفه صبر ونصفه
شكر او يوبقهن بما كسبوا عطف على يسكن والمعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن او يرسلها فيغرقن بعصفها وايقاع الايباق عليهن مع
حال اهلهن للمبالغة والتهويل واجراء حكمه على العفو في قوله تع ويعف عن كثير لما ان المعنى او يرسلها فيوبق ناسا وينج آخرين بطريق
العفو عنهم وقرئ ويعفو على الاستيناف ويعلم الذين يجادلون في آياتنا عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم وليعلم الى آخره كما
في قوله تعالى ولنجعله آية للناس وقوله تع ولنعلمه من تأويل الاحاديث ونظائرهما وقرئ بالرفع على الاستيناف وبالجزم عطفا على يعف
فيكون المعنى او ان يشأ يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير ما لهم من محيص اي من مهرب من العذاب والجملة معلق عنها الفعل فما اوتيتم
من شيء مما ترغبون وتتنافسون فيه فمتاع الحيوة الدنيا اي فهو متاعها تتمتعون به مدة حيوتكم وما عند الله من ثواب الآخرة خير ذاتا
لخلوص نفعه وابقى زمانا حيث لا يزول ولا يفنى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون لا على غيره اصلا والموصول الاول لما كان متضمنا لمعنى الشرط
من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها في الحيوة الدنيا دخلت جوابها الفاء بخلاف الثاني وعن علي رضي الله عنه انه
تصدق ابو بكر رضي الله تعالى عنه بماله كله فلامه جمع من المسلمين فنزلت وقوله تع والذين يجتنبون كبائر الاثم اي الكبائر من هذا
الجنس والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون مع ما بعده عطف على الذين آمنوا ومدح بالتصلب والترفع وبناء يغفرون على الضمير
خبرا له للدلالة على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب لعزة منالها وقرئ كبير الاثم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كبير الاثم
الشرك والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة نزلت في الانصار لما دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له وامرهم
شورى بينهم اي ذو شورى لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وكانوا قبل الهجرة وبعدها اذا حزبهم امر اجتمعوا وتشاوروا
ومما رزقناهم ينفقون اي في سبيل الخير ولعل فصله عن قرينه بذكر المشاورة لوقوعها عند اجتماعهم للصلوات والذين اذا اصابهم
البغي هم ينتصرون اي ينتقمون ممن بغى عليهم على ما جعله الله تعالى لهم كراهة التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امهات
الفضائل وهذا لا ينافي وصفهم بالغفران فان كلا منهما فضيلة محمودة في موقع نفسه ورذيلة مذمومة في موقع صاحبه فان
الحلم عن العاجز وعوراء الكرام محمود وعن المتغلب لغواة اللئام مذموم فانه اغراء على البغي وعليه قول من قال اذا انت اكرمت
الكريم ملكته وان انت اكرمت اللئيم تمردا فوضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندى وقوله تع
وجزاء سيئة سيئة مثلها بيان لوجه كون الانتصار من الخصال الحميدة مع كونه في نفسه اساءة الى الغير بالاشارة الى ان البادي هو الذي
فعله لنفسه فان الافعال مستتبعة لاجزيتها حتما ان خيرا فخير وان شرا فشر وفيه تنبيه على حرمة التعدي واطلاق السيئة على الثانية لانها
تسوء من نزلت به فمن عفا عن المسيء اليه واصلح بينه وبين من يعاديه بالعفو والاغضاء كما في قوله تع فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه
ولي حميم فاجره على الله عدة مبهمة منبئة عن عظم شان الموعود وخروجه عن الحد المعهود انه لا يحب الظالمين البادئين بالسيئة والمعتدين
في الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه اي بعد ما ظلم وقد قرئ به فاولئك اشارة الى من باعتبار المعنى كما ان الضمير الاول باعتبار اللفظ ما عليهم
من سبيل بالمعاتبة او المعاقبة انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالاضرار ويعتدون في الانتقام ويبغون في الارض بغير الحق
اي يتكبرون فيها تجبرا وفسادا اولئك الموصوفون بما ذكر من الظلم والبغي لهم عذاب اليم بسبب ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الاذى وغفر لمن ظلمه
ولم ينتصر وفوض امره الى الله تعالى ان ذلك الذي ذكر من الصبر والمغفرة لمن عزم الامور اي ان ذلك منه فحذف ثقة بغاية ظهوره كما في قولهم
السمن منوان بدرهم وهذا في المواد التي لا يؤدي العفو فيها الى الشر كما اشير اليه ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده من ناصر يتولاه من بعد
خذلانه تعالى اياه وترى الظالمين لما رأوا العذاب اي حين يرونه وصيغة الماضي للدلالة على التحقق يقولون هل الى مرد اي رجعة

الى الدنيا من سبيل حتى نؤمن ونعمل صالحا وتريهم يعرضون عليها اي على النار المدلول عليها بالعذاب والخطاب في الموضعين لكل من يتأتى منه
الرؤية خاشعين من الذل متذللين متضائلين مما دهاهم ينظرون من طرف خفي اي يبتدي نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور
ينظر الى السيف وقال الذين آمنوا ان الخاسرين اي المتصفين بحقيقة الخسران الذين خسروا انفسهم واهليهم بالتعريض للعذاب المخلد يوم القيمة اما
ظرف لخسروا والقول في الدنيا او لقال اي يقولون حين يرونهم على تلك الحالة وصيغة الماضي للدلالة على تحققه وقوله تع الا ان الظالمين
في عذاب مقيم اما من تمام كلامهم او تصديق من الله تعالى لهم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم برفع العذاب عنهم من دون الله حسبما كانوا يرجون ذلك في
الدنيا ومن يضلل الله فما له من سبيل يؤدي سلوكه الى النجاة استجيبوا لربكم اذ دعاكم الى الايمان على لسان نبيه من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله
اي لا يرده الله بعد ما حكم به على ان من صلة مرد او من قبل ان يأتي من الله يوم لا يمكن رده ما لكم من ملجأ يومئذ اي مفر تلتجئون اليه وما لكم
من نكير اي انكار لما اقترفتموه لانه مدون في صحائف اعمالكم وتشهد عليكم جوارحكم فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا تلوين للكلام وصرف له
عن خطاب الناس بعد امرهم بالاستجابة وتوجيه له الى الرسول عليه الصلوة والسلام فان لم يستجيبوا واعرضوا عما تدعوهم اليه فما ارسلناك رقيبا
ومحاسبا عليهم ان عليك الا البلاغ وقد فعلت وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة اي نعمة من الصحة والغنى والامن فرح بها اريد بالانسان
الجنس لقوله تع وان تصبهم سيئة اي بلاء من مرض وفقر وخوف بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور بليغ الكفر ينسى النعمة رأسا ويذكر
البلية ويستعظمها ولا يتأمل سببها بل يزعم انها اصابته بغير استحقاق لها واسناد هذه الخصلة الى الجنس مع كونها من خواص المجرمين لغلبتهم فيما
بين الافراد وتصدير الشرطية الاولى باذا مع اسناد الاذاقة الى نون العظمة للتنبيه على ان ايصال النعمة محقق الوجود كثير الوقوع وانه مقتضى الذات
كما ان تصدير الثانية بان واسناد الاصابة الى السيئة وتعليلها باعمالهم للايذان بندرة وقوعها وانها بمعزل من الانتظام في سلك الارادة
بالذات ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم لله ملك السموات والارض فمن قضيته ان يملك التصرف
فيهما وفي كل ما فيهما كيفما يشاء ومن حكمته ان يقسم النعمة والبلية حسبما يريده يخلق ما يشاء مما نعلمه ومما لا نعلمه يهب لمن يشاء اناثا من الاولاد
ويهب لمن يشاء الذكور منهم من غير ان يكون في ذلك مدخل لاحد او يزوجهم اي يقرن بين الصنفين فيهبهما جميعا ذكرانا واناثا قالوا معنى
يزوجهم ان تلد الجارية غلاما ثم جارية ثم غلاما او تلد ذكرا وانثى توأمين ويجعل من يشاء عقيما والمعنى يجعل احوال العباد في حق الاولاد
مختلفة على ما تقتضيه المشية فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى واما صنفين ويعقم آخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر
لتكثير النسل او لان مساق الآية للدلالة على ان الواقع ما يتعلق به مشيته تعالى لا ما يتعلق به مشية الانسان والاناث كذلك او لان
الكلام في البلاء والعرب تعدهن من اعظم البلايا او لتطييب قلوب آبائهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف وجبر التأخير وتغيير العاطف
في الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين ولا حاجة اليه في الرابع لافصاحه بانه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة وقيل المراد بيان احوال الانبياء
عليهم السلام حيث وهب لشعيب ولوط اناثا ولابراهيم ذكورا وللنبي صلى الله عليه وسلم ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين انه عليم قدير
مبالغ في العلم والقدرة فيفعل ما فيه حكمة ومصلحة وما كان لبشر اي وما صح لفرد من افراد البشر ان يكلمه الله بوجه من الوجوه الا وحيا اي الا بان يوحي
اليه ويلهمه ويقذف في قلبه كما اوحى الى ام موسى والى ابراهيم عليه السلام في ذبح ولده وقد روي عن مجاهد اوحى الله الزبور الى داود عليه السلام
في صدره او بان يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الاجرام من غير ان يبصر السامع من يكلمه وهو المراد بقوله تعالى او من وراء حجاب فانه تمثيل له
بحال الملك المحتجب الذي يكلم بعض خواصه من وراء الحجاب يسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى عليه السلام وكما يكلم الملائكة عليهم السلام
او بان يكلمه بواسطة الملك وذلك قوله تعالى او يرسل رسولا اي ملكا فيوحي ذلك الرسول الى المرسل اليه الذي هو الرسول البشري باذنه اي بامره
تعالى وتيسيره ما يشاء ان يوحيه اليه وهذا هو الذي يجري بينه تعالى وبين الانبياء عليهم السلام في عامة الاوقات من الكلام وقيل قوله تعالى وحيا
وقوله تعالى او يرسل رسولا مصدران وقعا موقع الحال وقوله تعالى او من وراء حجاب ظرف واقع موقعها والتقدير وما صح ان يكلم الا موحيا
او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا وقرئ او يرسل بالرفع على اضمار مبتدأ وروي عن اليهود انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر
اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك فقال عليه الصلوة والسلام لم ينظر موسى عليه السلام الى الله تعالى
فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم ان محمدا رأى ربه فقد اعظم على الله الفرية ثم قالت اولم تسمعوا ربكم يقول وتلت هذه الآية

هذه الآية انه علي متعال عن صفات المخلوقين لا يأتي جريان المفاوضة بينه تعالى وبينهم الا باحد الوجوه المذكورة حكيم تجري افعاله على سنن الحكمة
فيكلم تارة بواسطة واخرى بدونها اما الهاما واما خطابا وكذلك اي ومثل ذلك الايحاء البديع اوحينا اليك روحا من امرنا وهو القرآن الذي هو
للقلوب بمنزلة الروح للابدان حيث يحييها حيوة ابدية وقيل هو جبريل عليه السلام ومعنى ايحائه عليه السلام ارساله اليه بالوحي ما كنت تدري ما
قبل الوحي الكتاب اي اي شيء هو ولا الايمان اي الايمان بتفاصيل ما في تضاعيف الكتاب من الامور التي لا تهتدي اليها العقول لا الايمان بما يستقل به
العقل والنظر فان درايته عليه السلام له مما لا ريب فيه قطعا ولكن جعلناه اي الروح الذي اوحيناه نورا نهدي به من نشاء هدايته من عبادنا
وهو الذي يصرف اختياره نحو الاهتداء به وقوله تع وانك لتهدي تقرير لهدايته تعالى وبيان لكيفيتها ومفعول لتهدي محذوف ثقة بغاية الظهور
اي وانك لتهدي بذلك النور من نشاء هدايته الى صراط مستقيم هو الاسلام وسائر الشرائع والاحكام وقرئ لتهدى اي ليهديك الله وقرئ
لتدعوا صراط الله بدل من الاول واضافته الى الاسم الجليل ثم وصفه بقوله تعالى الذي له ما في السموات وما في الارض لتفخيم شأنه وتقرير
استقامته وتأكيد وجوب سلوكه فان كون جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا وتصرفا مما يوجب ذلك اتم ايجاب الا الى الله تصير الامور
اي امور ما فيهما قاطبة لا الى غيره ففيه من الوعد للمهتدين الى الصراط المستقيم والوعيد للضالين عنه ما لا يخفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
سورة من قرأ سورة حم عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له الزخرف

بسم الله الرحمن الرحيم حم الكلام فيه كالذي مر في فاتحة سورة يس خلا ان الظاهر على تقدير اسميته كونه اسما للقرآن لا للسورة
كما قيل فان ذلك مخل بجزالة النظم الكريم والكتاب بالجر على انه مقسم به اما ابتداء او عطفا على حم على تقدير كونه مجرورا باضمار
باء القسم على ان مدار العطف المغايرة في العنوان ومناط تكرير القسم المبالغة في تأكيد مضمون الجملة القسمية المبين اي البين لمن انزل عليهم
لكونه على لغتهم او المبين لطريق الهدى من طرق الضلالة الموضح لكل ما يحتاج في ابواب الديانة انا جعلناه قرآنا عربيا جواب للقسم
لكن لا على ان مرجع التأكيد جعله كذلك كما قيل بل ما هو غايته التي يعرب عنها قوله تع لعلكم تعقلون فانها المحتاجة الى التحقيق
والتأكيد لكونها منبئة عن الاعتناء بامرهم واتمام النعمة عليهم وازاحة اعذارهم اي جعلنا ذلك الكتاب قرآنا عربيا لكي تفهموه وتحيطوا
بما فيه من النظم الرائق والمعنى الفائق وتقفوا على ما يتضمنه من الشواهد الناطقة بخروجه عن طوق البشر وتعرفوا حق النعمة في ذلك
وتنقطع اعذاركم بالكلية وانه في ام الكتاب اي في اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية وقرئ ام الكتاب بالكسر لدينا اي عندنا
لعلي رفيع القدر بين الكتب شريف حكيم ذو حكمة بالغة او محكم وهما خبران لان وما بينهما بيان لمحل الحكم كانه قيل بعد بيان اتصافه بما ذكر من
الوصفين الجليلين هذا في ام الكتاب ولدينا والجملة اما عطف على الجملة المقسم عليها داخلة في حكمها ففي الاقسام بالقرآن على علو قدره
تعالى براعة بديعة وايذان بانه من علو الشأن بحيث لا يحتاج في بيانه الى الاستشهاد عليه بالاقسام بغيره بل هو بذاته كاف في الشهادة
على ذلك من حيث الاقسام به كما انه كاف فيها من حيث اعجازه ورمز الى انه لا يخطر بالبال عند ذكره شيء آخر اولى منه بالاقسام به على منهاج
الاعتراض في قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وبعد ما بين علو شأن القرآن العظيم وحقق ان انزاله على لغتهم ليعقلوه ويؤمنوا به
بموجبه عقب بذلك انكار ان يكون الامر بخلافه فقيل افنضرب عنكم الذكر اي ننحيه ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض وفيه اشعار
باقتضاء الحكمة توجه الذكر اليهم وملازمته لهم كانه يتهافت عليهم والفاء للعطف على محذوف يقتضيه المقام اي انهملكم فننحي الذكر عنكم
صفحا اي اعراضا عنكم على انه مفعول له للمذكور او مصدر مؤكد لما دل هو عليه فان التنحية منبئة عن الصفح والاعراض قطعا كانه قيل
افنصفح عنكم صفحا او بمعنى الجانب فينتصب على الظرفية اي افننحيه عنكم جانبا ان كنتم قوما مسرفين اي لان كنتم منهمكين في الاسراف مصرين عليه
على معنى ان حالكم وان اقتضى تخليتكم وشأنكم حتى تموتوا على الكفر والضلالة وتبقوا في العذاب الخالد لكنا لسعة رحمتنا لا نفعل ذلك
بل نهديكم الى الحق بارسال الرسول الامين وانزال الكتاب المبين وقرئ ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك
لاستجهالهم والجزاء محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقوله تع وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن
تقرير لما قبله ببيان ان اسراف الامم السالفة لم يمنعه تعالى من ارسال الانبياء اليهم وتسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن استهزاء
قومه به وقوله تعالى فاهلكنا اشد منهم بطشا اي من هؤلاء القوم المسرفين عدة له عليه الصلوة والسلام ووعيد لهم بمثل ما جرى على

الاولين ووصفهم بأشدية البطش لاثبات حكمهم لهؤلاء بطريق الاولوية **ومضى مثل الاولين** اي سلف في القرآن غير مرة ذكر قصتهم التي حقها ان تسير مسير المثل **ولئن سألتهم من خلق ليقولن خلقهن العزيز العليم** اي ليسندن خلقها الى من هذا شأنه في الحقيقة وفي نفس الامر لا انهم يعبرون عنه بهذا العنوان وسلوك هذه الطريقة للاشعار بان اتصافه تعالى بما سرد من جلائل الصفات والافعال وما يستلزمه ذلك من البعث والجزاء امر بين لاريب فيه وان الحجة قائمة عليهم شاؤا او ابوا وقد جوز ان يكون ذلك عين عبارتهم وقوله تعالى **الذي جعل لكم الارض مهدا** استئناف من جهته تعالى اي بسطها لكم تستقرون فيها **وجعل لكم فيها سبلا** تسلكونها في اسفاركم **لعلكم تهتدون** اي لكي تهتدوا بسلوكها الى مقاصدكم او بالتفكر فيها الى التوحيد الذي هو المقصد الاصلي **والذي نزل من السماء ماء بقدر** بمقدار تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح **فانشرنا به** اي احيينا بذلك الماء **بلدة ميتا** خاليا عن النماء والنبات بالكلية وقرئ ميتا بالتشديد وتذكيره لان البلدة في معنى البلد والمكان والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال العناية بامر الاحياء والاشعار بعظم خطره **كذلك** اي مثل ذلك الاحياء الذي هو في الحقيقة اخراج النبات من الارض **تخرجون** اي تبعثون من قبوركم احياء وفي التعبير عن اخراج النبات بالانشار الذي هو احياء الموتى وعن احيائهم بالاخراج تفخيم لشأن الانبات وتهوين لامر البعث لتقويم سنن الاستدلال وتوضيح منهاج القياس **والذي خلق الازواج كلها** اي اصناف المخلوقات وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الازواج الضروب والانواع كالحلو والحامض والابيض والاسود والذكر والانثى وقيل كل ما سوى الله تعالى فهو زوج كالفوق والتحت واليمين واليسار الى غير ذلك **وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون** اي ما تركبونه تغليبا للانعام على الفلك فان الركوب متعد بنفسه واستعماله في الفلك ونحوها بكلمة في للرمز الى مكانيتها وكون حركتها غير ارادية كما في سورة هود عند قوله تعالى وقال اركبوا فيها **لتستووا على ظهوره** اي لتستعلوا على ظهور ما تركبونه من الفلك والانعام والجمع باعتبار المعنى **ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه** اي تذكروها بقلوبكم معترفين بها مستعظمين لها ثم تحمدوا عليها بالسنتكم **وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا** متعجبين من ذلك كما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله تعالى لمنقلبون وكبر ثلاثا **وما كنا له مقرنين** اي مطيقين من اقرن الشيء اذا اطاقه واصله وجده قرينه لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وهذا من تمام ذكر نعمته تعالى اذ بدون اعتراف المنعم عليه بالعجز عن تحصيل النعمة لا يعرف قدرها ولا حق المنعم بها **وانا الى ربنا لمنقلبون** اي راجعون وفيه ايذان بان حق الراكب ان يتأمل فيما يلابسه من المسير ويتذكر منه المسافرة العظمى التي هي الانقلاب الى الله تعالى فيبني اموره في مسيره ذلك على تلك الملاحظة ولا يخطر بباله في شيء مما يأتي ويذر امرا ينافيها ومن ضرورته ان يكون ركوبه لامر مشروع **وجعلوا له من عباده جزءا** متصل بقوله تعالى ولئن سألتهم الى آخره اي وقد جعلوا له سبحانه بالسنتهم واعتقادهم بذلك الاعتراف من عباده ولدا وانما عبر عنه بالجزء لمزيد استحالته في حق الواحد الحق من جميع الجهات وقرئ جزؤا بضمتين **ان الانسان لكفور مبين** ظاهر الكفران مبالغ فيه ولذلك يقولون ما يقولون سبحان الله عما يصفون **ام اتخذ مما يخلق بنات** ام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من بيان بطلان جعلهم له تعالى ولدا على الاطلاق الى بيان بطلان جعلهم ذلك الولد من اخس صنفيه والهمزة للانكار والتوبيخ والتعجيب من شأنهم وقوله تعالى **واصفاكم بالبنين** اما عطف على اتخذ داخل في حكم الانكار والتعجيب او حال من فاعله باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور والالتفات الى خطابهم لتأكيد الالزام وتشديد التوبيخ اي بل اتخذ من خلقه اخس الصنفين واختار لكم افضلهما على معنى هبوا انكم اجترأتم على اضافة اتخاذ جنس الولد اليه سبحانه مع ظهور استحالته وامتناعه اما كان لكم شيء من العقل ونبذ من الحياء حتى اجترأتم على التفوه بهذه العظيمة الخارقة للعقول من ادعاء انه تعالى آثركم على نفسه بخير الصنفين واعلاهما وترك له شرهما وادناهما وتنكير بنات وتعريف البنين لتربية ما اعتبر فيهما من الحقارة والفخامة **واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا** الى آخره استئناف مقرر لما قبله وقيل حال على معنى انهم نسبوا اليه ما ذكر ومن حالهم ان احدهم اذا بشر به اغتم والالتفات للايذان باقتضاء ذكر قبائحهم ان يعرض عنهم وتحكى لغيرهم تعجيبا منها اي اذا اخبر احدهم بولادة ما جعله مثلا له سبحانه اذ الولد لابد ان يجانس الوالد ويماثله **ظل وجهه مسودا** اي صار اسود في الغاية من سوء ما بشر به **وهو كظيم** مملو

من الكرب والكآبة والجملة حال وقرئ مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا له **او من ينشأ في الحلية** تكرير للانكار وتثنية للتوبيخ ومن منصوبة بمضمر معطوف على جعلوا اي وجعلوا من شأنه ان يربى في الزينة وهو عاجز عن ان يتولى لامره بنفسه فالهمزة لانكار الواقع واستقباحه وقد جوز انتصابها بمضمر معطوف على اتخذ فالهمزة حينئذ لانكار الوقوع واستبعاده واقحامها بين المعطوفين لتذكير ما في ام المنقطعة من الانكار وتأكيده والعطف للتغاير العنواني اي او اتخذ من هذه الصفة الذميمة صفته **وهو** مع ما ذكر من القصور **في الخصام** اي الجدال الذي لا يكاد يخلو عنه الانسان في العادة **غير مبين** غير قادر على تقرير دعواه واقامة حجته لنقصان عقله وضعف رأيه واضافة غير لا يمنع عمل ما بعده في الجار المتقدم لانه بمعنى النفي وقرئ ينشأ ويناشأ من الافعال والمفاعلة والكل بمعنى ونظيره غلاه واغلاه وغالاه **وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا** بيان لتضمن كفرهم المذكور كفرا آخر وتقريع لهم بذلك وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله عز وجل انقصهم رأيا واخسهم صنفا وقرئ عبيد الرحمن وقرئ عند الرحمن على تمثيل زلفاهم وقرئ انثا وهو جمع الجمع **اشهدوا خلقهم** اي احضروا خلق الله تعالى اياهم فشاهدوهم اناثا حتى يحكموا بانوثتهم فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل لهم وتهكم بهم وقرئ أأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وآأشهدوا بالالف بينهما **ستكتب شهادتهم** هذه في ديوان اعمالهم **ويسألون** عنها يوم القيامة وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وقرئ يساءلون من المساءلة للمبالغة **وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم** بيان لفن آخر من كفرهم اي لو شاء عدم عبادتنا للملائكة مشيئة ارتضاء **ما عبدناهم** ارادوا بذلك بيان ان ما فعلوه حق مرضي عنده تعالى وانهم انما يفعلونه بمشيئته تعالى لا الاعتذار من ارتكابه بانه بمشيئته تعالى اياه منهم مع اعترافهم بقبحه حتى ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ومبنى كلامهم الباطل على مقدمتين احداهما ان عبادتهم لهم بمشيئته تعالى والثانية ان ذلك مستلزم لكونها مرضية عنده تعالى ولقد اخطأوا في الثانية حيث جهلوا ان المشيئة عبارة عن ترجيح بعض الممكنات على بعض كائنا ما كان من غير اعتبار الرضا والسخط في شيء من الطرفين ولذلك جهلوا بقوله تعالى **ما لهم بذلك** اي بما ارادوا بقولهم ذلك من كونها فعلوه بمشيئة الارتضاء لا بمطلق المشيئة فان ذلك محقق ينطق به ما لا يحصى من الآيات الكريمة **من علم** يستند الى سند ما **ان هم الا يخرصون** يتمحلون تمحلا باطلا وقد جوز ان يشار بذلك الى اصل الدعوى كأنه لما اظهر وجوه فسادها وحكي شبهتهم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب عنه الى ابطال ان يكون لهم سند من جهة النقل فقيل **ام آتيناهم كتابا من قبله** من قبل القرآن او من قبل ادعائهم ينطق بصحة ما يدعونه **فهم به مستمسكون** بذلك الكتاب وعليه معولون **بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على** اي لم يأتوا بحجة عقلية او نقلية بل اعترفوا بان لا سند لهم سوى تقليد آبائهم الجهلة مثلهم والامة الدين والطريقة التي تؤم اي تقصد كالرحلة لما يرحل اليه وقرئ امة بالكسر وهي الحالة التي يكون عليها الآم اي القاصد وقوله تعالى **على آثارهم مهتدون** خبران او الظرف صلة لمهتدون **وكذلك** اي والامر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتشبثهم بذيل التقليد وقوله تعالى **ما ارسلنا من قبلك من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على** استئناف مبين لذلك دال على ان التقليد فيما بينهم ضلال قديم ليس لاسلافهم ايضا سند غيره وتخصيص المترفين بتلك المقالة للايذان بان التنعم وحب البطالة هو الذي صرفهم عن النظر الى التقليد **قال** حكاية لما جرى بين المنذرين وبين اممهم عند تعللهم بتقليد آبائهم اي قال كل نذير من اولئك المنذرين لاممهم **اولو جئتكم** اي اتقتدون بآبائكم ولو جئتكم **باهدى** بدين اهدى **مما وجدتم عليه آباءكم** من الضلالة التي ليست من الهداية في شيء وانما عبر عنها بذلك مجاراة معهم على مسلك الانصاف وقرئ قل على انه حكاية امر ماض اوحي حينئذ الى كل نذير لا على انه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم كما قيل لقوله تعالى **قالوا انا بما ارسلتم به كافرون** فانه حكاية عن الامم قطعا اي قال كل امة لنذيرها انا بما ارسلت به الى آخره وقد اجمل عند الحكاية للايجاز كما مر في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وجعله حكاية عن قومه عليه الصلوة والسلام بحمل صيغة الجمع على تغليبه على سائر المنذرين عليهم السلام وتوجيه كفرهم الى ما ارسل به الكل من التوحيد لاجماعهم عليه كما في نظائر قوله تعالى كذبت عاد المرسلين تمحل بعيد يرده بالكلية قوله تعالى **فانتقمنا منهم** اي بالاستئصال **فانظر كيف كان عاقبة المكذبين** من الامم المذكورين فلا تكترث بتكذيب قومك **واذ قال ابراهيم** اي واذكر لهم وقت قوله عليه السلام **لابيه وقومه** المكبين على التقليد كيف تبرأ مما هم فيه بقوله **انني براء مما تعبدون**

وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلكه في الاستدلال او ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه اشرف آبائهم و براء مصدر نعت به مبالغة
ولذلك يستوي فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ بريء وبراء ككريم وكرام وما اما مصدرية او موصولة حذف عائدها
اي انني بريء من عبادتكم او معبودكم الا الذي فطرني استثناء منقطع او متصل على ان ما تعم اولي العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله
والاصنام او صفة على ان ما موصوفة اي انني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فانه سيهدين اي سيثبتني على الهداية
او سيهديني الى ما وراء ذلك الذي هداني اليه الى الآن والاوجه ان السين للتاكيد دون التسويف وصيغة المضارع للدلالة
على الاستمرار وجعلها اي جعل ابراهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها عبارة عنها كلمة باقية في عقبه اي في ذريته حيث وصاهم
بها كما نطق به قوله تع ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب الآية فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى ويدعو الى توحيده وقرئ كلمة و في
عقبه بالتخفيف لعلهم يرجعون علة للجعل اي جعلها باقية في عقبه رجاء ان يرجع اليها من اشرك منهم بدعاء الموحد بل متعت هؤلاء
اضراب عن محذوف ينساق اليه الكلام كانه قيل جعلها كلمة باقية في عقبه بان وصى بها بنيه رجاء ان يرجع اليها من اشرك منهم بدعاء
الموحد فلم يحصل ما رجاه بل متعت منهم هؤلاء المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل مكة وآباءهم بالمد في العمر والنعمة
فاغتروا بالمهلة وانهمكوا في الشهوات وشغلوا بها عن كلمة التوحيد حتى جاءهم اي هؤلاء الحق اي القرآن ورسول اي رسول
مبين ظاهر الرسالة واضحها بالمعجزات الباهرة او مبين للتوحيد بالآيات البينة والحجج القاطعة وقرئ متعنا ومتعت بالخطاب على
انه تعالى اعترض به على ذاته وقوله تع وجعلها كلمة باقية في عقبه الى آخره مبالغة في تعييرهم فان التمتع بزيادة النعم يوجب عليهم ان
يجعلوه سببا لزيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان فجعلوه سببا لزيادة الكفران في اقصى مراتب الكفر والضلال ولما جاءهم الحق
لينبههم عما هم فيه من الغفلة ويرشدهم الى التوحيد ازدادوا كفرا وعتوا الى كفرهم السابق معاندة الحق والاستهانة به حيث قالوا
هذا سحر وانا به كافرون فسموا القرآن سحرا وكفروا به واستحقروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين اي رجل
من القريتين مكة والطائف على نهج قوله تع يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان عظيم اي بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة المخزومي
وعروة بن مسعود الثقفي وقيل حبيب بن عمرو بن الثقفي وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل ولم يتفوهوا بهذه العظيمة
حسدا على نزوله الى الرسول صلى الله عليه وسلم دون من ذكر من عظمائهم مع اعترافهم بقرآنيته بل استدلالا على عدمها بمعنى انه لو كان
قرآنا لنزل الى احد هؤلاء بناء على ما زعموا من ان الرسالة منصب جليل لا يليق الا بمن له جلالة من حيث المال والجاه ولم يدروا
انها رتبة روحانية لا يترقى اليها الا همم الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتحلين بالفضائل
الانسية واما المتزخرفون بزخارف الدنيوية المتمتعون بالحظوظ الدنية فهم من استحقاق تلك الرتبة بالف منزل وقوله تعالى
اهم يقسمون رحمة ربك انكار فيه تجهيل لهم وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم اي اسباب معيشتهم في الحيوة الدنيا
قسمة تقتضيها مشيتنا المبنية على الحكم والمصالح ولم نفوض امرها اليهم علما منا بعجزهم عن تدبيرها بالكلية ورفعنا بعضهم فوق بعض في الرزق
وسائر مبادي المعاش درجات متفاوتة بحسب القرب والبعد حسبما تقتضيه الحكمة من ضعيف وقوي وفقير وغني وخادم ومخدوم وحاكم
ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليصرف بعضهم بعضا في مصالحهم ويستخدموهم في مهنهم ويسخروهم في اشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا
ويصلوا الى مرافقهم لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر ولو فوضنا ذلك الى تدبيرهم لضاعوا وهلكوا فاذا كانوا في تدبير خويصة
انفسهم وامرهم وما يصلحهم من متاع الدنيا الدنية وهو في طرف الثمام على هذه الحالة فما ظنهم بانفسهم في تدبير الدين وهو ابعد
من مناط العيوق ومن اين لهم البحث عن امر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بامرها ورحمة ربك اي النبوة وما يتبعها من سعادة
الدارين خير مما يجمعون من حطام الدنيا الدنية الفانية وقوله تع ولولا ان يكون الناس امة واحدة استيناف مبين لحقارة متاع الدنيا
ودناءة قدرها عند الله تعالى والمعنى ان حقارة شانه بحيث لولا ان يرغب الناس لحبهم الدنيا في الكفر اذا راوا اهله في سعة وتنعم
فيجتمعوا عليه لاعطيناه بحذافيره من هو شر الخلائق وادناهم منزلة وذلك قوله تع لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة
اي متخذة منها وبيوتهم بدل اشتمال من لمن وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان افراد المستكن في يكفر باعتبار لفظها والسقف جمع

والسقف جمع سقف كرهن جمع رهن وعن الفراء انه جمع سقيفة كسفن وسفينة وقرئ سقفا بسكون القاف تخفيفا وسقفا اكتفاء بجمع البيوت
وسقفا كانه لغة في سقف وسقوفا ومعارج اي جعلنا لهم معارج من فضة اي مصاعد جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج عليها يظهرون اي
يعلون السطوح والعلالي ولبيوتهم اي وجعلنا لبيوتهم ابوابا وسررا من فضة عليها اي على السرر يتكؤن ولعل تكرير ذكر بيوتهم لزيادة التقرير
وزخرفا اي زينة عطفا على سقفا او ذهبا عطفا على محل من فضة وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا اي وما كل ما ذكر من البيوت الموصوفة
بالصفة المفصلة الا شيء يتمتع به في الحيوة الدنيا وفي معناه ما قرئ وما كل ذلك الا متاع الحيوة الدنيا وقرئ بتخفيف لما على ان ان هي المخففة
واللام هي الفارقة وقرئ بكسر اللام على انها لام العلة وما موصولة قد حذف عائدها اي للذي هو متاع الآخرة كما في قوله تع تماما على
الذي احسن والآخرة بما فيها من فنون النعيم التي يقصر عنها البيان عند ربك للمتقين اي عن الكفر والمعاصي وبهذا تبين ان العظيم هو العظيم في الآخرة
لا في الدنيا ومن يعش اي يتعام عن ذكر الرحمن وهو القرآن واضافته الى اسم الرحمن للايذان بنزوله رحمة للعالمين وقرئ يعش بالفتح اي يعم يقال
عشي يعشى اذا كان في بصره آفة وعشي يعشو اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على ان من موصولة غير متضمنة معنى الشرط والمعنى
ومن يعرض عنه لفرط اشتغاله بزهرة الحيوة الدنيا وانهماكه في حظوظها الفانية والشهوات نقيض له شيطانا فهو له قرين لا يفارقه ولا
يزال يوسوسه ويغويه وقرئ يقيض بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو فحقه ان يرفع يقيض وانهم اي الشياطين الذين قيض
لكل واحد منهم لكل واحد ممن يعشو ليصدونهم اي قرناءهم فمدار جمع الضميرين اعتبار معنى من كما ان مدار افراد الضمائر السابقة اعتبار لفظها
عن السبيل المستبين الذي يدعو اليه القرآن ويحسبون اي العاشون انهم اي الشياطين مهتدون اي الى السبيل المستقيم والا لما اتبعوهم او يحسبون
ان انفسهم مهتدون لان اعتقاد كون الشياطين مهتدين مستلزم لاعتقاد كونهم كذلك لاتحاد مسلكهما والحال حال من مفعول يصدون بتقدير
المبتداء او من فاعله او منهما لاشتمالها على ضميريهما اي وانهم ليصدونهم عن الطريق الحق وهم يحسبون انهم مهتدون اليه وصيغة المضارع في الافعال الاربعة
للدلالة على الاستمرار التجددي لقوله تع حتى اذا جاءنا فان حتى وان كانت ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية لكنها تقتضي حتما ان تكون
غاية لامر ممتد كما مر مرارا وافراد الضمير في جاء وما بعده لما ان المراد حكاية مقالة كل واحد واحد من العاشين لقرينه لتهويل الامر وتفظيع
الحال والمعنى يستمر العاشون على ما ذكر من مقارنة الشياطين والصد والحسبان الباطل حتى اذا جاءنا كل واحد منهم مع قرينه يوم القيامة قال
مخاطبا له يا ليت بيني وبينك في الدنيا بعد المشرقين اي بعد المشرق والمغرب اي تباعد كل منهما عن الآخر فغلب المشرق وثني واضيف البعد اليهما
فبئس القرين اي انت وقوله تع ولن ينفعكم الى آخره حكاية عما سيقال لهم حينئذ من جهة الله عز وجل توبيخا وتقريعا اي لن ينفعكم اليوم
اي يوم القيامة تمنيكم لمباعدتهم اذ ظلمتم اي لاجل ظلمكم انفسكم في الدنيا باتباعكم اياهم في الكفر والمعاصي وقيل اذ ظلمتم بدل من اليوم
اي اذ تبين عندكم وعند الناس جميعا انكم ظلمتم انفسكم في الدنيا وعليه قول من قال اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين اني لم تلدني
لئيمة بل كريمة وقوله تعالى انكم في العذاب مشتركون تعليل لنفي النفع اي لان حقكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في
سببه في الدنيا ويجوز ان يسند الفعل اليه لكن لا بمعنى ان ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في شدائد الدنيا اشتراكهم فيها
لتعاونهم في تحمل اعبائها وتقسمهم لعذابها لان لكل منهم ما لا يبلغه طاقته كما قيل لان الانتفاع بذلك الوجه ليس مما يخطر ببالكم حتى يرد عليكم
بنفيه بل بمعنى لن يحصل لكم التشفي بكون قرنائكم معذبين مثلكم حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا وقولكم
فآتهم عذابا ضعفا من النار ونظيره ليتشفوا بذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبالغ في المجاهدة في دعاء قومه وهم لا
يزيدون الا غيا وتعاميا عما يشاهدونه من شواهد النبوة وتصاما عما يستمعونه من بينات القرآن فنزل افانت تسمع الصم او تهدي العمي
وهو انكار تعجيب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم وهم قد تمرنوا في الكفر واستغرقوا في الضلال بحيث صار ما بهم من العشى عمى مقرونا
بالصمم ومن كان في ضلال مبين عطف على العمي باعتبار تغاير الوصفين ومدار الانكار هو التمكن والاستقرار في الضلال المفرط بحيث لا ارعواء له منه
لا توهم القصور من قبل الهادي ففيه رمز الى انه لا يقدر على ذلك الا الله تعالى وحده بالقسر والالجاء فاما نذهبن بك اي فان قبضناك قبل ان نبصرك
عذابهم ونشفي بذلك صدرك وصدور المؤمنين فانا منهم منتقمون لا محالة في الدنيا والآخرة فما مزيدة للتاكيد بمنزلة لام القسم في انها لا تفارق
النون المؤكدة او نرينك الذي وعدناهم اي او اردنا ان نريك العذاب الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون بحيث لا مناص لهم من تحت ملكتنا

وقهرنا ولقد اراه عليه الصلوة والسلام ذلك يوم بدر فاستمسك بالذي اوحي اليك من الآيات والشرائع سواء عجلنا لك الموعود او اخرناه الي
اليوم الآخر وقرئ اوحي علي البناء للفاعل وهو الله عز وجل انك علي صراط مستقيم تعليل للاستمساك او للامر به وانه لذكر لشرف عظيم لك ولقومك وسوف
تسألون يوم القيمة عنه وعن قيامكم بحقوقه واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اي واسأل اممهم وعلماء دينهم كقوله تع فاسأل الذين يقرؤن الكتاب
من قبلك وفائدة هذا المجاز التنبيه علي ان المسؤل عنه عين ما نطقت به السنة الرسل لا ما يقوله اممهم وعلماؤهم من تلقاء انفسهم قال الفراء انهم يخبرونه
عن كتب الرسل فاذا سألهم فكأنه سأل الانبياء عليهم الصلوة والسلام اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون اي هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت
في ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء علي التوحيد والتنبيه علي انه ليس ببدع ابتدعه حتي يكذب ويعادي ولقد ارسلنا موسي باياتنا
ملتبسا بها الي فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين اريد باقتصاصه تسلية رسول الله صلي الله عليه وسلم والاستشهاد بدعوة موسي عليه السلام
الي التوحيد اثر ما اشير الي اجماع جميع الانبياء والرسل عليهم الصلوة والسلام عليه فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون اي فاجؤا وقت ضحكهم منها اي
استهزؤا بها اول ما رأوها ولم يتأملوا فيها وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها الا وهي بالغة اقصي مراتب الاعجاز بحيث يحسب كل من
ينظر اليها انها اكبر من كل ما يقاس بها من الآيات والمراد وصف الكل بغاية الكبر من غير ملاحظة قصور في شيء منها او الا وهي مختصة بنوع من الاعجاز مفضلة
بذلك الاعتبار علي غيرها واخذناهم بالعذاب كالسنين والطوفان والجراد وغيرها لعلهم يرجعون لكي يرجعوا عما هم عليه من الكفر وقالوا يا ايه الساحر
نادوه بذلك في مثل تلك الحالة لغاية عتوهم ونهاية حماقتهم وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر وقرئ ايه بضم
الهاء ادع لنا ربك ليكشف عنا العذاب بما عهد عندك بعهده عندك من النبوة او من استجابة دعوتك او من كشف العذاب عمن اهتدي او بما عهد عندك
فوفيت به من الايمان والطاعة انا لمهتدون اي لمؤمنون علي تقدير كشف العذاب عنا بدعوتك كقولهم لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك فلما كشفنا
عنهم العذاب بدعوته اذا هم ينكثون فاجؤا وقت نكث عهدهم بالاهتداء وقد مر تفصيله في الاعراف ونادي فرعون بنفسه او بمناديه في قومه في مجمعهم
وفيما بينهم بعد ان كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمنوا قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون
ونهر دمياط ونهر تنيس تجري من تحتي اي من تحت قصري او امري وقيل من تحت سريري لارتفاعه وقيل بين يدي في جناتي وبساتيني
والواو اما عاطفة لهذه الانهار علي ملك مصر فتجري حال منها او للحال فهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجري خبر للمبتدأ افلا تبصرون
ذلك يريد به استعظام ملكه ام انا خير مع هذه المملكة والبسطة من هذا الذي هو مهين اي ضعيف حقير من المهانة وهي القلة ولا يكاد يبين
اي الكلام قاله افتراء عليه عليه السلام وتنقيصا له عليه السلام في اعين الناس باعتبار ما كان في لسانه عليه السلام من نوع رتة وقد كانت
ذهبت عنه لقوله تع قد اوتيت سؤلك وام اما منقطعة والهمزة للتقرير كأنه قال اثر ما عدد اسباب فضله ومبادي خيريته اثبت عندكم
واستقر لديكم اني انا خير وهذه حالي من هذا الي آخره واما متصلة فالمعني افلا تبصرون ام تبصرون خلا انه وضع قوله انا خير موضع تبصرون
لانهم اذا قالوا له انت خير فهم عنده بصراء وهذا من باب تنزيل السبب منزلة المسبب ويجوز ان يجعل من تنزيل المسبب منزلة السبب فان ابصارهم
لما ذكر من اسباب فضله سبب علي زعمه لحكمهم بخيريته فلولا القي عليه اسورة من ذهب اي فهلا القي اليه مقاليد الملك ان كان صادقا لما انهم
كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من ذهب واسورة جمع سوار وقرئ اساور جمع اسورة وقرئ اساورة جمع اسوار
بمعني السوار علي تعويض التاء من ياء اساوير وقد قرئ كذلك وقرئ والقي عليه اسورة واساور علي البناء للفاعل وهو الله تعالي او جاء
معه الملائكة مقترنين مقرونين يعينونه او يصدقونه من قرنته به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعني تقارن فاستخف قومه فاستفزهم
وطلب منهم الخفة في مطاوعته او فاستخف احلامهم فاطاعوه فيما امرهم به انهم كانوا قوما فاسقين فلذلك سارعوا الي طاعة ذلك
الفاسق الغوي فلما آسفونا اي اغضبونا اشد الغضب منقول من اسف اذا اشتد غضبه انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين في اليم فجعلناهم
سلفا قدوة لمن بعدهم من الكفار يسلكون مسلكهم في استيجاب مثل ما حل بهم من العذاب وهو اما مصدر نعت به او جمع سالف كخدم جمع
خادم وقرئ بضم السين واللام علي انه جمع سليف اي فريق قد سلف كرغف او سالف كصبر او سلف كاسد وقرئ سلفا بابدال ضمة
اللام فتحة او علي انه جمع سلفة اي ثلة قد سلفت ومثلا للآخرين اي عظة لهم او قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل
قوم فرعون ولما ضرب ابن مريم مثلا اي ضربه ابن الزبعري حين جادل رسول الله صلي الله عليه وسلم في قوله تع انكم وما تعبدون من دون

من دون الله حصب جهنم حيث قال اهذا لنا ولآلهتنا ام لجميع الامم فقال عليه الصلوة والسلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال اللعين
خصمتك ورب الكعبة اليست النصاري يعبدون المسيح واليهود عزيرا وبنو مليح الملائكة فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا ان نكون
نحن وآلهتنا معهم ففرح به قومه وضحكوا وارتفعت اصواتهم وذلك قوله تعالي اذا قومك منه اي من ذلك المثل يصدون اي يضجون
لهم جلبة فرحا وجذلا وقرئ يصدون اي من اجل ذلك المثل يعرضون عن الحق اي يثبتون علي ما كانوا عليه من الاعراض او
يزدادون فيه وقيل هو ايضا من الصديد وهما لغتان فيه نحو يعكف ويعكف وهو الانسب بمعني المفاجاة وقالوا أآلهتنا خير
ام هو حكاية لطرف آخر من المثل المضروب قالوه تمهيدا لما بنوا عليه من الباطل المموه بما يغتر به السفهاء اي ظاهر ان عيسي خير من آلهتنا
وحيث كان هو في النار فلا بأس بكوننا مع آلهتنا فيها وعلم ان ما نقل عنهم من الفرح ورفع الاصوات لم يكن لما قيل من انه عليه الصلوة
والسلام سكت عند ذلك الي ان نزل قوله تع ان الذين سبقت لهم منا الحسني الآية فان ذلك مع ابهامه مما يجب تنزيه ساحته عنه من شائبة
الافحام من اول الامر كيف لا وقد روي ان قول ابن الزبعري خصمتك ورب الكعبة صدر عنه من اول الامر عند سماع الآية الكريمة فرد
عليه النبي بقوله عليه الصلوة والسلام ما اجهلك بلغة قومك اما فهمت ان ما لما لا يعقل واتمام التحقيق عليه السلام هذا الحكم بآلهتهم حتي سأل
الفاجر عن الخصوص والعموم عملا بما ذكر من اختصاص كلمة ما بغير العقلاء لان اخراج بعض المعبودين عنه عند المحاجة موهم للرخصة
في عبادته في الجملة فعممه عليه السلام للكل لكن لا بطريق عبارة النص بل بطريق الدلالة بجامع الاشتراك في المعبودية من دون الله تعالي
ثم بين عليه الصلوة والسلام بقوله بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك وان الملائكة والمسيح بمعزل من ان يكونوا معبوديهم كما
نطق به قوله تعالي سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية وقد مر تحقيق المقام عند قوله تع ان الذين سبقت لهم منا
الحسني الآية بل انما كان ما اظهروه من الاحوال المنكرة لمحض وقاحتهم وتهالكهم علي المكابرة والعناد كما ينطق به قوله تع ما ضربوه لك
الا جدلا اي ما ضربوا لك ذلك المثل الا لاجل الجدال والخصام لا لطلب الحق حتي يذعنوا له عند ظهوره ببيانك بل هم قوم خصمون اي
لد شداد الخصومة مجبولون علي المحك واللجاج وقيل لما سمعوا قوله تع ان مثل عيسي عند الله كمثل آدم خلقه من تراب قالوا نحن اهدي من النصاري
لانهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت فقولهم آلهتنا خير ام هو حينئذ تفضيل لآلهتهم علي عيسي عليه السلام لان المراد بهم الملائكة
ومعني ما ضربوه الي آخره ما قالوا هذا القول الا للجدل وقيل لما نزلت ان مثل عيسي الآية قالوا ما يريد محمد بهذا الا ان نعبده وانه يستأهل
ان يعبد وان كان بشرا كما عبدت النصاري المسيح وهو بشر ومعني يصدون يضجون ويضجرون والضمير في ام هو لمحمد عليه الصلوة والسلام
وغرضهم بالموازنة بينه وبين آلهتهم الاستهزاء به وقد جوز ان يكون مرادهم التفضيل عما انكر عليهم من قولهم الملائكة بنات الله تعالي
ومن عبادتهم لهم كأنهم قالوا اما قلنا بدعا من القول ولا فعلنا منكرا من الفعل فان النصاري جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه فنحن
اشف منهم قولا وفعلا حيث نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسي فقوله تع ان هو الا عبد انعمنا عليه اي بالنبوة وجعلناه مثلا
لبني اسرائيل اي امرا عجيبا حقيقا بان يسير ذكره كالامثال السائرة علي الوجه الاول استئناف مسوق لتنزيهه عليه السلام عن ان ينسب اليه
ما نسب الي الاصنام بطريق الرمز كما نطق به صريحا قوله تع ان الذين سبقت لهم منا الحسني الآية وفيه تنبيه علي بطلان رأي من رفعه عن
رتبة العبودية وتعريض بفساد من يري رأيهم في شأن الملائكة وعلي الثاني والرابع لبيان انه قياس باطل بباطل او باطل علي زعمهم وما
عيسي الا عبد كسائر العبيد وقصاري امره انه ممن انعمنا عليهم بالنبوة وخصصناه ببعض الخواص البديعة بان خلقناه بوجه بديع وقد
خلقنا آدم بوجه ابدع منه فاين هو من رتبة الربوبية ومن اين يتوهم صحة عبدته حتي يفتخروا بعبدة الملائكة بكونهم اهدي منهم او
يعتذروا بان حالهم اشف واخف من حالهم واما علي الوجه الثالث فلرد قولهم وتكذيبهم في افترائهم علي رسول الله صلي الله عليه وسلم
ببيان ان عيسي في الحقيقة وفيما اوحي الي الرسول عليهما السلام ليس الا انه عبد منعم عليه كما ذكر فكيف يرضي عليه الصلوة والسلام بمعبوديته
او كيف يتوهم الرضي بمعبودية نفسه وقوله تع ولو نشاء الي آخره ان مثل عيسي عليه السلام ليس ببدع من قدرة الله عز وجل وانه تعالي قادر
علي ابدع من ذلك وابدع مع التنبيه علي سقوط الملائكة ايضا من درجة المعبودية اي قدرتنا بحيث لو نشاء لجعلنا اي لخلقنا بطريق
التوالد منكم وانتم رجال ليس من شأنكم الولادة ملائكة كما خلقناهم بطريق الابداع في الارض مستقرين فيها كما جعلناهم مستقرين

في السماء يخلفون اي يخلفونكم مثل اولادكم فيما تاتون وما تذرون ويباشرون الافاعيل المنوطة بمباشرتكم مع ان شانهم التسبيح والتقديس في السماء
فمن شانهم بهذه المثابة بالنسبة الى القدرة الربانية كيف يتوهم استحقاقهم للمعبودية او انتسابهم اليه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وانه
اي وان عيسى عليه السلام لعلم للساعة اي انه بنزوله شرط من اشراطها وتسميته علما لحصوله به او بحدوثه بغير اب او باحيائه الموتى دليل على صحة
البعث الذي هو معظم ما ينكره الكفرة من الامور الواقعة في الساعة وقرئ لعلم اي علامة وقرئ للعلم وقرئ لذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا كتسمية
ما يعلم به علما وفي الحديث ان عيسى عليه السلام ينزل على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وعليه ممصرتان وبيده حربة وبها يقتل الدجال
فياتي بيت المقدس والناس في صلوة الصبح فيتأخر الامام فيتقدمه عيسى عليه السلام ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل
الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به وقيل الضمير للقرآن لان فيه الاعلام بالساعة فلا تمترن بها
فلا تشكن في وقوعها واتبعون اي اتبعوا هداي او شرعي او رسولي وقيل هو قول الرسول مامورا من جهته تعالى هذا اي الذي ادعوكم اليه او القرآن
على ان الضمير في انه له صراط مستقيم موصل الى الحق ولا يصدنكم الشيطان عن اتباعي انه لكم عدو مبين بين العداوة حيث اخرج اباكم من الجنة
وعرضكم للبلية ولما جاء عيسى بالبينات اي بالمعجزات او بآيات الانجيل او بالشرائع الواضحات قال لبني اسرائيل قد جئتكم بالحكمة كانه قيل لاعلمكم
اياها ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه وهو ما يتعلق بامور الدين واما ما يتعلق بامور الدنيا فليس بيانه من وظائف الانبياء عليهم السلام
كما قال عليه الصلوة والسلام انتم اعلم بامور دنياكم فاتقوا الله في مخالفتي واطيعون فيما ابلغه عنه تعالى ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه بيان لما
امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع هذا اي التوحيد والتعبد بالشرائع صراط مستقيم لا يضل سالكه وهو اما من تتمة كلامه
عليه السلام او استيناف من جهته تعالى مقرر لمقالة عيسى عليه السلام فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة من بينهم اي من بين من بعث اليهم من اليهود
والنصارى فويل للذين ظلموا من المختلفين من عذاب يوم اليم هو يوم القيمة هل ينظرون اي ما ينتظر الناس الا الساعة ان تاتيهم اي الا اتيان
الساعة بغتة اي فجاءة لكن لا عند كونهم مترقبين لها بل غافلين عنها مشتغلين بامور الدنيا منكرين لها وذلك قوله وهم لا يشعرون الاخلاء
المتحابون في الدنيا على الاطلاق او في الامور الدنيوية يومئذ اي يوم اذ تاتيهم الساعة بعضهم لبعض عدو لانقطاع ما بينهم من علائق التحاب
لظهور كونها اسبابا للعذاب الا المتقين فان خلتهم في الدنيا لما كانت في الله تبقى على حالها بل تزيد وتزداد بمشاهدة كل منهم آثار خلتهم
من الثواب ورفع الدرجات والاستثناء على الاول متصل وعلى الثاني منفصل يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية لما ينادى به
المتقون المتحابون في الله يومئذ تشريفا لهم وتطييبا لقلوبهم الذين آمنوا بآياتنا صفة للمنادى ونصب على المدح وكانوا مسلمين اي مخلصين
وجوههم لنا جاعلين انفسهم سالمة لطاعتنا وهو حال من واو آمنوا عن مقاتل اذا بعث الله الناس فزع كل احد فينادي مناد يا عبادي
فيرفع الخلائق رؤسهم على الرجاء ثم يتبعها الذين آمنوا الآية فينكس اهل الاديان الباطلة رؤسهم ادخلوا الجنة انتم وازواجكم
نساؤكم المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره على وجوهكم او تزينون من الحبرة وهو حسن الهيئة او تكرمون اكراما
بليغا والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم بعد دخولهم حسبما امروا به بصحاف من ذهب واكواب كذلك والصحاف جمع صحفة قيل
هي كالقصعة وقيل اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة ثم الصحفة ثم المكيلة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له وفيها اي في الجنة
ما تشتهيه الانفس من فنون الملاذ وقرئ ما تشتهي وتلذ الاعين اي تستلذه وتقر بمشاهدته وقرئ وتلذه وانتم فيها خالدون اتمام
للنعمة واكمال للسرور فان كل نعيم له زوال بالآخرة مقارن لخوفه لا محالة والالتفات للتشريف وتلك الجنة مبتدأ وخبر التي اورثتموها وقرئ
ورثتموها بما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه العامل عليه وقيل تلك الجنة مبتدأ وصفة
والموصول مع صلته خبر وقيل هو صفة الجنة كالوجه الاول والخبر بما كنتم تعملون فتتعلق الباء بمحذوف لا باورثتموها كما في الاولين لكم فيها
فاكهة كثيرة بحسب الانواع والاصناف لا بحسب الافراد فقط منها تاكلون اي بعضها تاكلون في كل نوبة واما الباقي فعلى الاشجار على الدوام
لا ترى فيها شجرة خلت عن ثمرها لحظة فهي مزينة بالثمار ابدا موقرة بها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها الا نبت
مثلاها مكانها ان المجرمين اي الراسخين في الاجرام وهم الكفار حسبما ينبئ عنه ايرادهم في مقابلة المؤمنين بالآيات في عذاب جهنم خالدون
خبر ان او خالدون هو الخبر وفي متعلقة به لا يفتر عنهم اي لا يخفف العذاب عنهم من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت عنه قليلا والتركيب

والتركيب للضعف وهم فيه اي في العذاب وقرئ فيها اي في النار مبلسون آيسون من النجاة وما ظلمناهم بذلك ولكن كانوا هم الظالمين
لتعريضهم انفسهم للعذاب الخالد ونادوا خازن النار يا مالك وقرئ يا مال على الترخيم بالضم والكسر ولعله رمز الى ضعفهم وعجزهم عن تادية
اللفظ بتمامه ليقض علينا ربك اي ليمتنا حتى نستريح من قضى عليه اذا اماته والمعنى سل ربك ان يقضي علينا وهذا لا ينافي ما ذكر من ابلاسهم
لانه جؤار وتمن للموت لفرط الشدة قال انكم ماكثون اي في العذاب ابدا لا خلاص لكم منه بموت ولا بغيره عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما انه لا يجيبهم الا بعد الف سنة وقيل بعد مائة وقيل بعد اربعين سنة لقد جئناكم بالحق في الدنيا بارسال الرسل وانزال الكتب وهو
خطاب توبيخ وتقريع من جهة الله تعالى مقرر لجواب مالك ومقرر لسبب مكثهم وقيل الضمير في قال لله عز وجل ولكن اكثركم للحق اي حق
كان كارهون لا تقبلونه وتنفرون منه واما الحق المعهود الذي هو التوحيد او القرآن فكلهم كارهون له مشمئزون منه ام ابرموا امرا
كلام مبتدأ ناع على المشركين ما فعلوا من الكيد برسول الله صلى الله عليه وسلم وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من توبيخ اهل النار
الى حكاية جناية هؤلاء والهمزة للانكار فان اريد بالابرام الاحكام حقيقة فهي لانكار الوقوع واستبعاده وان اريد به الاحكام صورة
فهي لانكار الواقع واستقباحه اي ابرم مشركوا مكة امرا من كيدهم ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فانا مبرمون كيدنا حقيقة لا هم
او فانا مبرمون كيدنا بهم حقيقة كما ابرموا كيدهم صورة كقوله تعالى ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتناجون في
انديتهم ويتشاورون في اموره عليه الصلوة والسلام ام يحسبون اي بل ايحسبون انا لا نسمع سرهم ونجويهم حديث انفسهم وغيرهم في مكان
خال ونجويهم اي ما تكلموا به فيما بينهم بطريق التناجي بلى نحن نسمعها ونطلع عليها ورسلنا الذين يحفظون عليهم اعمالهم ويلازمونهم اينما
كانوا لديهم عندهم يكتبون اي يكتبونها او يكتبون كل ما صدر عنهم من الافعال والاقوال التي من جملتها ما ذكر من سرهم ونجويهم والجملة
اما عطف على ما يترجم عنه بلى وحال اي نسمعها والحال ان رسلنا يكتبونها قل اي للكفرة تحقيقا للحق وتنبيها لهم على ان [illegible] لهم
بعدم عبادتك لما يعبدونه من الملائكة عليهم السلام ليس لبغضك وعداوتك لهم او لمعبوديهم بل انما هو لجزمك باستحالة ما نسبوا
اليهم وبنوا عليه عبادتهم من كونهم بنات الله تعالى ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين اي له وذلك لانه عليه السلام اعلم الناس
بشؤنه تعالى وبما يجوز عليه وبما لا يجوز واولاهم بمراعات حقوقه ومن مواجب تعظيم الوالد تعظيم ولده وفيه من الدلالة على انتفاء كونهم
كذلك على ابلغ الوجوه واقواها وعلى كون رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوة يقين وثبات قدم في باب التوحيد ما لا يخفى مع ما فيه
من استنزال الكفرة عن رتبة المكابرة حسبما يعرب عنه ايراد ان مكان لو المنبئة عن امتناع مقدم الشرطية وقيل ان كان للرحمن ولد
في زعمكم فانا اول العابدين الموحدين لله تعالى وقيل فانا اول الآنفين اي المستنكفين منه او من ان يكون له ولد من عبد يعبد
اذا اشتد انفه وقيل ان نافية اي ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال بذلك وقرئ ولد سبحان رب السموات والارض رب
العرش عما يصفون اي يصفونه به من ان يكون له ولد وفي اضافة اسم الرب الى اعظم الاجرام واقواها تنبيه على انها وما فيها من المخلوقات
حيث كانت تحت ملكوته وربوبيته كيف يتوهم ان يكون شيء منها جزأ منه سبحانه وفي تكرير اسم الرب تفخيم لشان العرش فذرهم
حيث لم يذعنوا للحق بعد ما سمعوا هذا البرهان الجلي يخوضوا في اباطيلهم ويلعبوا في دنياهم فان ما هم فيه من الافعال والاقوال ليست الا
من باب الجهل واللعب والجزم في الفعل لجواب الامر حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون من يوم القيمة فانهم يومئذ يعلمون ما فعلوا وما يفعل
بهم وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله الظرفان متعلقان بالمعنى الوصفي الذي ينبئ عنه الاسم الجليل من معنى المعبودية بالحق
بناء على اختصاصه بالمعبود بالحق كما مر في تفسير البسملة كانه قيل وهو الذي مستحق لان يعبد فيهما وقد مر تحقيقه في سورة الانعام
وقرئ وهو الذي في السماء الله وفي الارض الله والراجع الى الموصول مبتدأ قد حذف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا مساغ
لكون اله خبرا مقدما واله مبتدأ مؤخرا للزوم عراء الجملة حينئذ عن العائد نعم يجوز ان يكون الصلة للموصول واله خبر المبتدأ محذوف
على ان الجملة بيان للصلة وان كونه في السماء على سبيل الالهية لا على سبيل الاستقرار وفيه نفي للالهة السماوية والارضية وتخصيص
لاستحقاق الالهية به تعالى وقوله تعالى وهو العليم الحكيم كالدليل على ما قبله وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما اما
على الدوام كالهواء او في بعض الاوقات كالطير وعنده علم الساعة اي العلم بالساعة التي فيها تقوم واليه ترجعون للجزاء

والالتفات للتهديد وقرئ على الغيبة وقرئ تحشرون بالتاء ولا يملك الذين يدعون اي يدعونه وقرئ بالتاء تخفيفا ومشددا من دونه
الشفاعة كما يزعمون الا من شهد بالحق الذي هو التوحيد وهم يعلمون بما يشهدون به عن بصيرة وايقان واخلاص وجمع الضمير
باعتبار معنى من كما ان الافراد اولا باعتبار لفظها والاستثناء اما متصل والموصول عام لكل ما يعبد من دون الله او منفصل على انه
خاص بالاصنام ولئن سألتهم من خلقهم اي سألت العابدين والمعبودين ليقولن الله لتعذر الانكار لغاية بطلانه فأنى يؤفكون
فكيف يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره مع اعترافهم بكون الكل مخلوقا له وقيله بالجر اما على انه عطف على الساعة اي عنده علم
الساعة وعلم قوله عليه السلام يا رب الى آخره فان القول والقيل والقال كلها مصادر او على ان الواو للقسم وقوله تعالى ان هؤلاء
قوم لا يؤمنون جوابه وفي الاقسام به من رفع شأنه عليه السلام وتفخيم دعائه والتجائه اليه تعالى ما لا يخفى وقرئ بالنصب بالعطف على
سرهم او على محل الساعة او باضمار فعله او بتقدير فعل القسم وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ما بعده وقد جوز عطفه على علم الساعة
فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم واقنط عن ايمانهم وقل سلام اي امري تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون حالهم البتة وان تأخر ذلك
وهو وعيد من الله تعالى وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ تعلمون على انه داخل في حيز قل عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ
سورة الزخرف كان ممن يقال لهم يوم القيمة يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

سورة الدخان

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين الكلام فيه كالذي سلف في السورة السابقة انا انزلناه اي الكتاب المبين الذي هو
القرآن في ليلة مباركة هي ليلة القدر وقيل ليلة البراءة ابتدئ فيها انزاله او انزل فيها جملة الى السماء الدنيا من اللوح واملاه
جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة كما مر في سورة الفاتحة ووصفها
بالبركة لما ان نزول القرآن مستتبع للمنافع الدينية والدنيوية باجمعها او لما فيها من تنزل الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم
النعمة وفصل الاقضية وفضيلة العبادة واعطاء تمام الشفاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل يزيد في هذه الليلة ماء
زمزم زيادة ظاهرة انا كنا منذرين استئناف مبين لما يقتضي الانزال كانه قيل انا انزلناه لان من شأننا الانذار والتحذير
من العقاب وقيل جواب للقسم وقوله تعالى انا انزلناه الى آخره اعتراض وقيل جواب ثان بغير عاطف فيها يفرق كل امر حكيم استئناف كما
قبله فان كونها مفرق الامور المحكمة او الملتبسة بالحكمة الموافقة لها يستدعي ان ينزل فيها القرآن الذي هو من عظائمها وقيل صفة اخرى
لليلة وما بينهما اعتراض وهذا يدل على انها ليلة القدر ومعنى يفرق انه يكتب ويفصل كل امر حكيم من ارزاق العباد وآجالهم وجميع امورهم من
هذه الليلة الى الاخرى من السنة القابلة وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع
نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبرائيل وكذا الزلازل والخسف ونسخة الاعمال الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم
ونسخة المصائب الى ملك الموت عليهم السلام وقرئ يفرق بالتشديد وقرئ يفرق على البناء للفاعل اي يفرق الله تعالى كل امر حكيم وقرئ نفرق
بنون العظمة امرا من عندنا نصب على الاختصاص اي اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو بيان لفخامته الاضافية بعد بيان فخامته
الذاتية ويجوز كونه حالا من كل امر لتخصيصه بالوصف او من ضميره في حكيم وقد جوز ان يراد به مقابل النهي وجعل مصدرا مؤكدا ليفرق لاتحاد
الامر والفرقان في المعنى او لفعله المضمر لما ان الفرق به او حالا من احد ضميري انزلناه اي آمرين او مأمورا انا كنا مرسلين بدل من انا كنا منذرين وقيل
جواب ثالث وقيل مستأنف وقوله تعالى رحمة من ربك غاية للارسال متأخرة عنه على ان المراد بها الرحمة الواصلة الى العباد او باعث متقدم
عليه على ان المراد مبدؤها اي انا انزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل افاضة رحمتنا عليهم او لاقتضاء رحمتنا
السابقة ارسالهم ووضع الرب موضع الضمير للايذان بان ذلك من احكام الربوبية ومقتضياتها واضافته الى ضميره عليه السلام للتشريف او تعليل
ليفرق او لقوله تعالى امرا على ان قوله تعالى رحمة مفعول للارسال كما في قوله تعالى وما يمسك فلا مرسل له اي يفرق فيها كل امر او تصدر الاوامر
من عندنا لان من عادتنا ارسال رحمتنا ولا ريب في ان كلا من قسمة الارزاق وغيرها والاوامر الصادرة عنه تعالى من باب الرحمة فان الغاية
لتكليف العباد وتعريضهم للمنافع وقرئ رحمة بالرفع اي تلك رحمة وقوله تعالى انه هو السميع العليم تحقيق لربوبيته تعالى وانها لا تحق الا لمن هذه

الا لمن هذه نعوته رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك او بيان او نعت وقرئ بالرفع على انه خبر آخر او استئناف على اضمار مبتدأ
ان كنتم موقنين اي ان كنتم من اهل الايقان في العلوم او ان كنتم موقنين في اقراركم بانه تعالى رب السموات والارض وما بينهما اذا
سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا اله الا هو جملة مستأنفة مقررة
لما قبلها وقيل خبر لقوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما اعتراض يحيي ويميت جملة مستأنفة كما قبلها وكذا قوله تعالى ربكم
ورب آبائكم الاولين باضمار مبتدأ او بدل من رب السموات على قراءة الرفع او بيان او نعت له وقيل فاعل يميت وفي يحيي ضمير راجع
الى رب السموات وقرئا بالجر بدلا من رب السموات على قراءة الجر بل هم في شك مما ذكر من شؤونه تعالى غير موقنين في اقرارهم
يلعبون لا يقولون ما يقولون عن جد واذعان بل مخلوطا بهزء ولعب والفاء في قوله تعالى فارتقب لترتيب الارتقاب او الامر به
على ما قبلها فان كونهم في شك مما يوجب ذلك حتما اي فانتظر لهم يوم تأتي السماء بدخان مبين اي يوم شدة ومجاعة فان الجائع
يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان اما لضعف بصره او لان في عام القحط يظلم الهواء لقلة الامطار وكثرة الغبار او لان العرب
تسمي الشر الغالب دخانا وذلك ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على
مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاخذتهم سنة حتى اكلوا الجيف والعظام والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان
وكان يحدث الرجل الرجل ويسمع كلامه ولا يرى شخصه من الدخان وذلك قوله تعالى يغشى الناس اي يحيط بهم هذا عذاب اليم اي قائلين
ذلك فمشى اليه عليه الصلوة والسلام ابو سفيان ونفر معه وناشده الله تعالى والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم العذاب ان
يؤمنوا وذلك قوله تعالى ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون وهذا قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم وبه اخذ مجاهد ومقاتل وهو
اختيار الفراء والزجاج وقيل هو دخان يأتي من السماء قبل يوم القيمة فيدخل في اسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ ويعتري
المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الآيات الدخان ونزول عيسى
ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وما الدخان فتلا الآية وقال
يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه
ودبره والاول هو الذي يستدعيه مساق النظم الكريم قطعا فان قوله تعالى انى لهم الذكرى الى آخره رد لكلامهم واستدعائهم الكشف وتكذيب
لهم في الوعد بالايمان المنبئ عن التذكر والاتعاظ بما اعتراهم من الداهية اي كيف يتذكرون او من اين يتذكرون بذلك ويفون بما وعدوه
من الايمان عند كشف العذاب عنهم وقد جاءهم رسول مبين اي والحال انهم شاهدوا ما هو ادعى الى التذكر وموجبات الاتعاظ ما هو اعظم منه في ايجابها
حيث جاءهم رسول عظيم الشأن وبين لهم مناهج الحق باظهار آيات باهرة ومعجزات قاهرة تخر لها صم الجبال ثم تولوا عنه عن ذلك
الرسول وهو ريثما شاهدوا منه ما شاهدوا من العظائم الموجبة للاقبال اليه لم يقتنعوا بالتولي وقالوا في حقه معلم مجنون اي قالوا
تارة يعلمه غلام اعجمي لبعض ثقيف واخرى مجنون او يقول بعضهم كذا وآخرون كذا فهل يتوقع من قوم هذه صفاتهم ان يتأثروا بالعظة
والتذكير وما مثلهم الا كمثل الكلب اذا جاع ضغا واذا شبع طغى وقوله تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون جواب من جهته تعالى عن قولهم ربنا
اكشف عنا العذاب انا مؤمنون بطريق الالتفات لمزيد التوبيخ والتهديد وما بينهما اعتراض اي انا نكشف العذاب المعهود عنكم كشفا قليلا
او زمانا قليلا انكم تعودون اثر ذلك الى ما كنتم عليه من العتو والاصرار على الكفر وتنسون هذه الحالة وصيغة الفاعل في الفعلين للدلالة على
تحققهما لا محالة ولقد وقع كلاهما حيث كشفه الله تعالى بدعاء النبي عليه السلام فما لبثوا ان عادوا الى ما كانوا فيه من العتو والعناد ومن فسر
الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا
مؤمنون فيكشفه الله تعالى بعد اربعين يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدون ولا يتمهلون يوم نبطش البطشة الكبرى اي يوم القيمة او يوم بدر وهو
ظرف لما دل عليه قوله تعالى انا منتقمون لا لمنتقمون لان ان مانعة عن ذلك اي يوم نبطش ننتقم انا منتقمون وقيل هو بدل من يوم تأتي الى آخره
وقرئ نبطش اي نحمل الملائكة على ان يبطشوا بهم البطشة الكبرى وهو التناول بعنف وصولة او نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقرئ
نبطش بضم الطاء وهي لغة فيه ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون اي امتحناهم بارسال موسى عليه السلام اليهم او اوقعناهم في الفتنة بالامهال

وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للمبالغة او لكثرة القوم وجاءهم رسول كريم على الله تعالى او على المؤمنين او في نفسه لأن الله تعالى
لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم ان ادوا الي عباد الله اي بان ادوا الي بني اسرائيل وارسلوهم معي او بان ادوا الي يا عباد الله
حقه من الايمان وقبول الدعوة وقيل ان مفسرة لان مجيء الرسول لا يكون الا برسالة ودعوة وقيل مخففة من الثقيلة اي جاءهم بان الشان
ادوا الي الى آخره وقوله تعالى اني لكم رسول امين تعليل للأمر او لوجوب المأمور به اي رسول غير ظنين قد ائتمنني الله تعالى على وحيه وصدقني
بالمعجزات القاهرة وان لا تعلوا على الله اي لا تتكبروا عليه تعالى بالاستهانة بوحيه وبرسوله وان كالتي سلفت وقوله تعالى اني آتيكم اي
من جهته تعالى بسلطان مبين تعليل للنهي اي آتيكم بحجة واضحة لا سبيل الى انكارها وآتيكم على صيغة الفاعل او المضارع وفي ايراد الاداء مع
الأمين والسلطان مع العلاء من الجزالة ما لا يخفى واني عذت بربي وربكم اي التجأت اليه وتوكلت عليه ان ترجمون من ان ترجموني
اي تؤذوني ضربا او شتما او ان تقتلوني قيل لما قال وان لا تعلوا على الله توعدوه بالقتل وقرئ بادغام الذال في التاء وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون
اي وان كابرتم مقتضى العقل ولم تؤمنوا لي فخلوني كفافا لا علي ولا لي ولا تتعرضوا الي بشر واذى فليس ذلك جزاء من يدعوكم الى ما فيه فلاحكم وحمله على
معنى فاقطعوا اسباب الوصلة عني فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمن يأباه المقام فدعا ربه بعد ما تموا على تكذيبه عليه السلام ان هؤلاء اي
بان هؤلاء قوم مجرمون وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سمي دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول قيل كان دعاؤه
اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين فاسر بعبادي ليلا باضمار القول اما بعد الفاء
اي فقال ربه اسر بعبادي واما قبلها كأنه قيل قال ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادي اي بني اسرائيل فقد دبر الله تعالى ان تتقدموا وقرئ
بوصل الهمزة من سرى انكم متبعون اي يتبعكم فرعون وجنوده بعد ما علموا بخروجكم واترك البحر رهوا مفتوحا ذا فجوة واسعة
او ساكنا على هيئته بعدما جاوزته ولا تضربه بعصاك لينطبق ولا تغيره عن حاله ليدخله القبط انهم جند مغرقون وقرئ بالفتح
اي لانهم كم تركوا اي كثيرا تركوا بمصر من جنات وعيون وزروع ومقام كريم محافل مزينة ومنازل محسنة ونعمة اي تنعم كانوا
فيها فاكهين متنعمين وقرئ فكهين كذلك الكاف في حيز النصب وذلك اشارة الى مصدر فعل يدل عليه تركوا اي مثل ذلك السلب سلبناهم
اياها واورثناها قوما آخرين وقيل مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها وقيل في حيز الرفع على الخبرية اي الامر كذلك فحينئذ يكون اورثناها
معطوفا على تركوا وعلى الاولين على الفعل المقدر فما بكت عليهم السماء والارض مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم وفيه
تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال له بكت عليه السماء والارض ومنه ما روي ان المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته
ومصاعد عمله ومهابط رزقه وآثاره في الارض وقيل تقديره اهل السماء والارض وما كانوا لما جاء وقت هلاكهم منظرين ممهلين الى وقت آخر
او الى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا ولقد نجينا بني اسرائيل مما فعلنا بفرعون وقومه فعلنا من العذاب المهين من استعباد فرعون اياهم وقتل ابنائهم
واستحياء نسائهم على الخسف والضيم من فرعون بدل من العذاب اما على جعله نفس العذاب لافراطه فيه واما على حذف المضاف اي عذاب فرعون
او حال من المهين اي كائنا من فرعون وقرئ من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو في عتوه وتفرعنه وفي ابهام امره اولا وتبيينه بقوله
تعالى انه كان عاليا من المسرفين ثانيا من الافصاح عن كنه امره في الشر والفساد ما لا مزيد عليه وقوله تعالى من المسرفين اما خبر ثان لكان اي كان
متكبرا مسرفا او حال من الضمير في عاليا اي كان رفيع الطبقة من بين المسرفين فائقا لهم بليغا في الاسراف ولقد اخترناهم اي بني اسرائيل
على علم اي عالمين بانهم احقاء بالاختيار او عالمين بانهم يزيغون في بعض الاوقات ويكثر منهم الفرطات على العالمين جميعا لكثرة الانبياء
فيهم او على عالمي زمانهم وآتيناهم من الآيات كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغيرها من عظائم الآيات التي لم يعهد مثلها في غيرهم ما فيه
بلاء مبين نعمة جلية جليلة او اختبار ظاهر لننظر كيف يعملون ان هؤلاء يعني كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة
للدلالة على تماثلهم في الاصرار على الضلالة والتحذير عن حلول مثل ما حل بهم ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى اي ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة
الاولى المزيلة للحياة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات موتة اخرى كما في قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة
تعقبها حياة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ان هي الا موتتنا الاولى اي ما الموتة التي تعقبها حياة الا الموتة الاولى وقيل المعنى ليست
الموتة الا هذه الموتة دون الموتة التي تعقب حياة القبر كما تزعمون وما نحن بمنشرين اي بمبعوثين فأتوا بآبائنا خطاب لمن وعدهم

بالنشور من الرسول عليه السلام والمؤمنين ان كنتم صادقين فيما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى ليظهر انه حق وقيل كانوا
يطلبون اليهم ان يدعوا الله تعالى فينشر لهم قصي بن كلاب ليشاوروه وكان كبيرهم ومفزعهم في المهمات والملمات أهم خير رد لقولهم وتهديد لهم
اي اهم خير في القوة والمنعة اللتين يدفع بهما اسباب الهلاك ام قوم تبع هو تبع الحميري الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند
وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم الله تعالى دونه وكان يكتب في عنوان كتابه بسم الله الذي ملك بحرا وبرا اي بحارا وبرا
وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم وعنه عليه الصلاة والسلام ما ادري اكان تبع نبيا او غير نبي وعن
ابن عباس انه كان نبيا وقيل هو ملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما يقال لهم الاقيال لانهم يتقيلون والذين من قبلهم عطف على قوم تبع
والمراد بهم عاد وثمود واضرابهم من كل جبار عنيد اولي بأس شديد والاستفهام لتقرير ان اولئك اقوى من هؤلاء وقوله تعالى اهلكناهم استئناف
لبيان عاقبة امرهم وقوله تعالى انهم كانوا مجرمين تعليل لاهلاكهم ليعلم ان اولئك حيث اهلكوا بسبب اجرامهم مع ما كانوا فيه من غاية القوة
والشدة فلان يهلك هؤلاء وهم شركاء لهم في الاجرام واضعف منهم في الشدة والقوة اولى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما اي ما بين الجنسين
وقرئ وما بينهن لاعبين من غير ان يكون لنا في خلقهما غرض صحيح وغاية حميدة ما خلقناهما وما بينهما الا بالحق استثناء مفرغ من اعم
الاحوال او اعم الاسباب اي ما خلقناهما وما بينهما ملتبسا بشيء من الاشياء الا ملتبسا بالحق او ما خلقناهما بسبب من الاسباب الا بسبب الحق
الذي هو الايمان والطاعة والبعث والجزاء ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كذلك فينكرون البعث والجزاء ان يوم الفصل اي فصل الحق
عن الباطل وتمييز المحق من المبطل وفصل الرجل عن اقاربه واحبائه ميقاتهم وقت موعدهم اجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه اسم ان
ويوم الفصل خبرها اي ان ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم الفصل يوم لا يغني بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه
الفصل لا لنفسه مولى من قرابة او غيرها عن مولى اي مولى كان شيئا اي شيئا من الاغناء ولا هم ينصرون الضمير لمولى الاول باعتبار
المعنى لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة في حقه ومحله الرفع على البدل من الواو او النصب على الاستثناء انه هو العزيز الذي
لا ينصر من اراد تعذيبه الرحيم لمن اراد ان يرحمه ان شجرة الزقوم وقرئ بكسر الشين وقد مر معنى الزقوم في سورة الصافات طعام الاثيم اي الكثير
الآثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه كالمهل وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل هو دردي الزيت يغلي في البطون وقرئ
بالتاء على اسناد الفعل الى الشجرة كغلي الحميم غليانا كغليه خذوه على ارادة القول والخطاب للزبانية فاعتلوه اي جروه والعتل الاخذ بمجامع
الشيء وجره بقهر وعنف وقرئ بضم التاء وهي لغة فيه الى سواء الجحيم اي وسطه ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم كان الاصل يصب فوق رؤسهم
الحميم وقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع ذق انك
انت العزيز الكريم اي وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعا له على ما كان يزعمه روي ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها اعز ولا اكرم
مني فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا وقرئ بالفتح اي لانك وعذابي لانك ان هذا اي العذاب ما كنتم به تمترون تشكون و
تمارون فيه والجمع باعتبار المعنى لان المراد جنس الاثيم ان المتقين اي الكفر والمعاصي في مقام في موضع قيام والمراد المكان على الاطلاق فانه من الخاص
الذي شاع استعماله في معنى العموم وقرئ بضم الميم وهو موضع اقامة امين يأمن صاحبه الآفات والانتقال عنه وهو من الامن الذي هو ضد
الخيانة وصف به المكان بطريق الاستعارة كأن المكان المخيف يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره في جنات وعيون بدل من مقام جيء به دلالة
على نزاهته واشتماله على طيبات المآكل والمشارب يلبسون من سندس واستبرق خبر ثان او حال من الضمير في الجار او استئناف والسندس ما رق من
الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب متقابلين في المجالس ليستأنس بعضهم ببعض كذلك اي الامر كذلك او كذلك اثبناهم وزوجناهم بحور عين على الوصف
وقرئ بالاضافة اي قرناهم بهن والحور جمع الحوراء وهي البيضاء والعين جمع العيناء وهي العظيمة العينين واختلف في انهن نساء الدنيا او غيرها
يدعون فيها بكل فاكهة اي يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهونه من الفواكه لا يتخصص شيء منها بمكان ولا زمان آمنين من كل ما يسوؤهم لا يذوقون
فيها الموت الا الموتة الاولى بل يستمرون على الحياة ابدا والاستثناء منقطع او متصل على ان المراد بيان استحالة ذوق الموت فيها على الاطلاق
كأنه قيل لا يذوقون فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى حينئذ ووقاهم عذاب الجحيم وقرئ مشددا للمبالغة في الوقاية فضلا من ربك اي
اعطوا ذلك كله عطاء وتفضلا منه تعالى وقرئ بالرفع اي ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه اذ هو خلاص عن جميع المكاره ونيل كل

المطالبة فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فذلكة للسورة الكريمة اي انما انزلنا الكتاب المبين بلغتك كي يفهمه قومك ويتذكروا ويعملوا بموجبه
واذ لم يفعلوا ذلك فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون ما يحل بك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له

سورة الجاثية

بسم الله الرحمن الرحيم حم الكلام فيه كما مر في فاتحة سورة المؤمن فان جعل اسما للسورة فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف
اي هذا مسمى بحم والاشارة الى السورة قبل جريان ذكرها وقد وقفت على سره مرارا او على انه مبتدأ خبره ما بعده وان جعل مسرودا على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب وقوله
تعالى تنزيل الكتاب على الاول خبر بعد خبر على انه مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدأ محذوف مصير يلوح به ما قبله اي المؤلف
من جنس ما ذكر من الحروف تنزيل الكتاب وقيل هو خبر لحم اي المسمى به تنزيل الخ وقد مر مرارا ان الذي يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك
معلوما لانتساب اليه واذ لا عهد بالتسمية بعد فحقها الاخبار بها واما جعله خبرا له بتقدير المضاف وابقاء التنزيل على اصله اي تنزيل حم
تنزيل الكتاب فمع عرائه عن افادة فائدة يعتد بها مخل على مخل وقوله تعالى من الله العزيز الحكيم كما مر في صدر سورة الزمر على التفصيل وقيل
حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم قوله تعالى ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين وهو على الوجوه المتقدمة كلام مستأنف
مسوق للتنبيه على الآيات التكوينية الآفاقية والانفسية ومحل الآيات اما نفس السموات والارض فانهما منطويتان من فنون الآيات
على ما يقصر عنه البيان واما خلقهما كما في قوله تعالى ان في خلق السموات والارض وهو الاوفق لقوله تعالى وفي خلقكم اي من نطفة ثم من علقة
متقلبة في اطوار مختلفة الى تمام الخلق وما يبث من دابة عطف على المضاف دون المضاف اليه اي وفيما ينشره ويفرقه من دابة آيات بالرفع على
انه مبتدأ خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها من الجملة المصدرة بان وقيل آيات عطف على ما قبلها من آيات باعتبار المحل عند من
يجوزه وقرئ آية بالتوحيد وقرئ آيات بالنصب عطفا على ما قبلها من اسم ان والخبر هو الخبر كأنه قيل وان في خلقكم وما يبث من دابة
آيات لقوم يوقنون اي من شأنهم ان يوقنوا بالاشياء على ما هي عليه واختلاف الليل والنهار بالجر على اضمار الجار المذكور في الآيتين قبله وقد قرئ
بذكره والمراد باختلافهما اما تعاقبهما او تفاوتهما طولا وقصرا وما انزل الله من السماء عطف على اختلاف من رزق اي من مطر وهو سبب الرزق
عبر عنه بذلك تنبيها على كونه آية من جهتي القدرة والرحمة فاحيا به الارض بان اخرج منها اصناف الزروع والثمرات والنبات بعد موتها
وعرائها عن آثار الحياة وانتفاء قوة التنمية عنها وخلو اشجارها عن الثمار وتصريف الرياح من جهة الى اخرى ومن حال الى حال وقرئ بتوحيد الريح
وتأخيره عن انزال المطر مع تقدمه عليه في الوجود اما للايذان بانه آية مستقلة بحيث لو روعي الترتيب الوجودي لربما توهم ان مجموع تصريف
الرياح وانزال المطر آية واحدة واما لان كون التصريف آية ليس لمجرد كونه مبدأ لانشاء المطر له بل لسائر المنافع التي من جملتها سوق
السفن في البحار آيات لقوم يعقلون بالرفع على انه مبتدأ خبره ما تقدم من الجار والمجرور والجملة معطوفة على ما قبلها وقرئ بالنصب على الاختصاص
وقيل انها اسم ان والجار والمجرور المتقدم خبرها بطريق العطف على معمولي عاملين مختلفين هما ان وفي واقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في اختلاف
والنصب في آيات وتنكير آيات في المواقع الثلاثة للتفخيم كما وكيفا واختلاف الفواصل لاختلاف مراتب الآيات في الدقة والجلاء تلك آيات الله
مبتدأ وخبر وقوله تعالى نتلوها عليك حال عاملها معنى الاشارة وقيل هو الخبر وآيات الله بدل او عطف بيان بالحق حال من فاعل نتلو او من مفعوله
اي نتلوها محقين او ملتبسة بالحق فبأي حديث من الاحاديث بعد الله وآياته اي بعد آيات الله وتقديم الاسم الجليل لتعظيمها كما في قولهم
اعجبني زيد وكرمه او بعد حديث الله الذي هو القرآن حسبما نطق به قوله تعالى الله نزل احسن الحديث وهو المراد بآياته ايضا ومناط العطف
التغاير العنواني يؤمنون بصيغة الغيبة وقرئ بالتاء ويل لكل افاك كذاب اثيم كثير الآثام يسمع آيات الله صفة اخرى لافاك وقيل استئناف وقيل
حال من الضمير في اثيم تتلى عليه حال من آيات الله ولا مساغ لجعله مفعولا ثانيا ليسمع لان شرطه ان يكون ما بعده مما لا يسمع كقولك سمعت زيدا
يقرأ ثم يصر اي يقيم على كفره واصله من اصرار الحمار على العانة مستكبرا عن الايمان بما سمعه من آيات الله تعالى والاذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها
معجبا بما عنده من الاباطيل وقيل نزلت في النضر بن الحارث وكان يشتري من احاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن وقيل هي عامة
لكنها وردت بعبارة عامة ناعية عليه وعلى كل من يسير بسيرته ما هم فيه من الشر والفساد وكلمة ثم لاستبعاد الاصرار والاستكبار بعد سماع
الآيات التي حقها ان تذعن لها القلوب وتخضع لها الرقاب كما في قول من قال يرى غمرات الموت ثم يزورها كأن لم يسمعها اي كأنه لم يسمعها

اي كأنه لم يسمعها فخفف وحذف ضمير الشأن والجملة حال من يصر اي يصر شبيها بغير السامع فبشره بعذاب اليم على اصراره واستكباره واذا علم من
آياتنا شيئا اي اذا بلغه من آياتنا شيء وعلم انه من آياتنا لا انه علمه كما هو عليه فانه بمعزل من ذلك العلم وقيل اذا علم منها شيئا يمكن ان يتشبث به المعاند
ويجد له محملا فاسدا يتوسل به الى الطعن والغميزة اتخذها اي الآيات كلها هزوا اي مهزوا بها لا ما سمعه فقط وقيل الضمير للشيء والتأنيث
لانه في معنى الآية اولئك اشارة الى كل افاك من حيث الاتصاف بما ذكر من القبائح والجمع باعتبار الشمول للكل كما في قوله تعالى كل حزب بما
لديهم فرحون كما ان الافراد فيما سبق من الضمائر باعتبار كل واحد لهم بسبب جناياتهم المذكورة عذاب مهين وصف العذاب بالاهانة
توفية لحق استكبارهم واستهزائهم بآيات الله تعالى من ورائهم جهنم اي من قدامهم لانهم متوجهون الى ما اعد لهم او من خلفهم لانهم معرضون
عن ذلك مقبلون على الدنيا فان الوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف او قدام ولا يغني عنهم ولا يدفع ما كسبوا من الاموال والاولاد
شيئا من عذاب الله تعالى او شيئا من الاغناء ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء اي الاصنام وتوسيط حرف النفي بين المعطوفين مع ان عدم اغناء
الاصنام اظهر واجلى من عدم اغناء الاموال والاولاد قطعا مبني على زعمهم الفاسد حيث كانوا يطمعون في شفاعتهم وفيه تهكم ولهم فيما
وراءهم من جهنم عذاب عظيم لا يقادر قدره هذا اي القرآن هدى في غاية الكمال من الهداية كأنه نفسها والذين كفروا اي بالقرآن
وانما وضع موضع ضميره قوله تعالى بآيات ربهم لزيادة تشنيع حالهم وكفرهم به وتفظيع حالهم لهم عذاب من رجز اليم اي اشد العذاب اليم بالرفع
صفة عذاب وقرئ بالجر على انه صفة رجز وتنوين عذاب في المواقع الثلاثة للتفخيم ورفعه اما على الابتداء واما على الفاعلية الله الذي سخر لكم البحر
بان جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص والخرق لميعانه لتجري الفلك فيه بامره وانتم راكبوها ولتبتغوا من فضله بالتجارة
والغوص والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون ولكي تشكروا النعم المترتبة على ذلك وسخر لكم ما في السموات وما في الارض من الموجودات بان جعلها مدارا لمنافعكم
جميعا اما حال من ما في السموات والارض او توكيد له منه متعلق بمحذوف هو صفة لجميعا او حال من ما اي جميعا كائنا منه تعالى او سخر لكم
هذه الاشياء كائنة منه مخلوقة له تعالى او خبر لمحذوف اي هي جميعا منه تعالى وقرئ منة على المفعول له ومنه على انه فاعل سخر على الاسناد
المجازي او خبر مبتدأ محذوف اي ذلك منه ان في ذلك اي فيما ذكر من الامور العظام لآيات عظيمة الشأن كثيرة العدد لقوم يتفكرون
في بدائع صنع الله تعالى فانهم يقفون بذلك على جلائل نعمه تعالى ودقائقها ويوفقون لشكرها قل للذين آمنوا حذف المقول لدلالة يغفروا عليه
فانه جواب للامر باعتبار تعلقه به لا باعتبار نفسه فقط اي قل لهم اغفروا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله اي يعفوا ويصفحوا عن الذين
لا يتوقعون وقائعه تعالى باعدائه من قولهم ايام العرب لوقائعها وقيل لا يؤملون الاوقات التي وقتها الله تعالى لثواب المؤمنين ووعدهم
الفوز فيها قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخت بها وقيل نزلت في عمر رضي الله تعالى عنه حين شتمه غفاري فهم ان يبطش به وقيل حين قال ابن
ابي ما قال وذلك انهم نزلوا في غزوة بني المصطلق على بئر يقال لها المريسيع فارسل ابن ابي غلامه يستقي فابطأ عليه فلما اتاه قال له ما
حبسك قال غلام عمر قعد على طرف البئر فما ترك احدا يستقي حتى ملأ قرب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقرب ابي بكر رضي الله تعالى عنه فقال ابن
ابي ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن كلبك يأكلك فبلغ ذلك عمر رضي الله تعالى عنه فاشتمل سيفه يريد التوجه اليه فانزلها الله تعالى ليجزي قوما
بما كانوا يكسبون تعليل للامر بالمغفرة والمراد بالقوم المؤمنون والتنكير لمدحهم والثناء عليهم اي امروا بذلك ليجزي يوم القيامة قوما اي قوما
مخصوصين بما كسبوا في الدنيا من الاعمال الحسنة التي من جملتها الصبر على اذية الكفار والاغضاء عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ما يقصر عنه
البيان من الثواب العظيم هذا وقد جوز ان يراد بالقوم الكفرة وبما كانوا يكسبون سيئاتهم التي من جملتها ما حكي من الكلمة الخبيثة والتنكير
للتحقير وفيه ان مطلق الجزاء لا يصلح تعليلا للامر بالمغفرة لتحققه على تقديري المغفرة وعدمها فلا بد من تخصيصه بالكل بان لا يتحقق بعض
منه في الدنيا او بما يصدر عنه تعالى بالذات وفي ذلك من التكلف ما لا يخفى وان يراد كلا الفريقين وهو اكثر تكلفا واشد تمحلا وقرئ ليجزى
قوم وليجزى قوما اي ليجزي الجزاء قوما وقرئ لنجزي بنون العظمة من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها لا يكاد يسري عمل الى غير عامله ثم الى ربكم مالك
اموركم ترجعون فيجازيكم على اعمالكم خيرا كان او شرا ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب اي التوراة والحكم اي الحكمة النظرية والعملية او الفقه في الدين
او فصل الخصومات بين الناس اذ كان الملك فيهم والنبوة حيث كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر في غيرهم ورزقناهم من الطيبات مما احل الله تعالى
من اللذائذ كالمن والسلوى وفضلناهم على العالمين حيث آتيناهم ما لم نؤت من عداهم من فلق البحر واظلال الغمام ونظائرهما وقيل على عالمي

ما نهم وآتيناهم بينات من الأمر دلائل ظاهرة في أمر الدين ومعجزات قاهرة وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو العلم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وما بين
لهم من أمره وأنه يهاجر من تهامة إلى يثرب ويكون أنصاره أهل يثرب فما اختلفوا في ذلك الأمر إلا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقته وحقيته فجعلوا ما يوجب زوال
الخلاف موجباً لرسوخه بغياً بينهم أي عداوة وحسداً لا شكاً فيه إن ربك يقضي بينهم بالمؤاخذة والجزاء فيما كانوا فيه يختلفون من أمر الدين ثم جعلناك
على شريعة أي سنة وطريقة عظيمة الشأن من الأمر أي أمر الدين فاتبعها بإجراء أحكامها في نفسك وفي غيرك من غير إخلال بشيء منها ولا تتبع أهواء الذين لا
يعلمون أي آراء الجهلة واعتقاداتهم الزائغة التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش كانوا يقولون له عليه السلام ارجع إلى دين آبائك إنهم لن يغنوا عنك من الله
شيئاً مما أراد بك إن اتبعتهم وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض لا يواليهم ولا يتبع أهواءهم إلا من كان ظالماً مثلهم والله ولي المتقين الذين أنت على
قدم على ما أنت عليه من توليه خاصة والإعراض عما سواه بالكلية هذا أي القرآن أو اتباع الشريعة بصائر للناس فإن ما فيه من معالم الدين وشعائر
الشرائع بمنزلة البصائر للقلوب وهدى من ورطة الضلالة ورحمة عظيمة لقوم يوقنون من شأنهم الإيقان بالأمور أم حسب الذين اجترحوا السيئات
استئناف مسوق لبيان تباين حال المسيئين والمحسنين إثر بيان تباين حالي الظالمين والمتقين وأم منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من البيان الأول
إلى الثاني والهمزة لإنكار الحسبان لكن لا بطريق إنكار الوقوع ونفيه كما في قوله تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل
المتقين كالفجار بل بطريق إنكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه والاجتراح الاكتساب أن نجعلهم أي نصيرهم في الحكم والاعتبار وهم على ما هم عليه من
مساوي الأحوال كالذين آمنوا وعملوا الصالحات وهم فيما هم فيه من محاسن الأعمال ونعاملهم معاملتهم في الكرامة ورفع الدرجات وقوله تعالى سواء محياهم ومماتهم
أي محيا الفريقين جميعاً ومماتهم حال من الضمير في الظرف والموصول معاً لاشتماله على ضميريهما على أن السواء بمعنى المستوي ومحياهم ومماتهم مرتفعان به
على الفاعلية والمعنى أم حسبوا أن نجعلهم كائنين مثلهم حال كون الكل مستوياً محياهم ومماتهم كلا لا يستوون في شيء منهما فإن هؤلاء في عز الإيمان
والطاعة وشرفهما في المحيا وفي رحمة الله تعالى ورضوانه في الممات وأولئك في ذل الكفر والمعاصي وهوانهما في المحيا وفي لعنة الله والعذاب الخالد
في الممات شتان بينهما وقد قيل المراد إنكار أن يستووا في الممات كما استووا في الحيوة لأن المسيئين والمحسنين مستو محياهم في الرزق والصحة
وإنما يفترقون في الممات وقرئ محياهم ومماتهم بالنصب على أنهما ظرفان كمقدم الحاج وسواء حال على حاله أي حال كونهم مستوين في محياهم ومماتهم
وقد ذكر في الآية الكريمة وجوه أخر من الإعراب والذي يليق بجزالة التنزيل هو الأول فتدبر وقرئ سواء بالرفع على أنه خبر ومحياهم مبتدأ فقيل
الجملة بدل من الكاف وقيل حال وأياً ما كان فنسبة حسبان التساوي إليهم في ضمن الإنكار التوبيخي مع أنهم بمعزل منه جازمون بفضلهم على المؤمنين
للمبالغة في الإنكار والتشديد في التوبيخ فإن إنكار حسبان التساوي والتوبيخ عليه إنكار لحسبان الجزم بالفضل وتوبيخ عليه على أبلغ وجه وآكده ساء
ما يحكمون أي ساء حكمهم هذا أو بئس شيئاً حكموا به ذلك وخلق الله السموات والأرض بالحق استئناف مقرر لما سبق من الحكم فإن خلق الله تعالى
لهما ولما فيهما بالحق المقتضي للعدل يستدعي لا محالة تفضيل المحسن على المسيء في المحيا والممات وانتصار المظلوم من الظالم وإذا لم يطرد ذلك في المحيا
فهو بعد الممات حتماً ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على بالحق لأن فيه معنى التعليل إذ معناه خلقها مقرونة بالحكمة والصواب دون العبث والباطل
فحاصله خلقها لأجل ذلك ولتجزى إلى آخره أو على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته أو ليعدل بها ولتجزى وهم أي النفوس المدلول عليها بكل
نفس لا يظلمون بنقص ثواب أو زيادة عقاب وتسمية ذلك ظلماً مع أنه ليس كذلك على ما عرف من قاعدة أهل السنة لبيان غاية تنزه ساحة
لطفه تعالى عما ذكر بتنزيله منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه تعجيب من حال من ترك متابعة الهدى إلى مطاوعة
الهوى فكأنه عبده أي أنظرت فرأيته فإن ذلك مما يقضي منه العجب وقرئ آلهة هواه لأن أحدهم كان يستحسن حجراً فيعبده فإذا رأى أحسن منه رفضه
إليه فكأنه اتخذ آلهة شتى وأضله الله وخذله على علم أي عالماً بضلاله وتبديله لفطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها وختم على سمعه وقلبه بحيث لا يتأثر
بالمواعظ ولا يتفكر في الآيات والنذر وجعل على بصره غشاوة مانعة عن الاستبصار والاعتبار وقرئ بفتح الغين وضمها وقرئ غشوة فمن يهديه
من بعد الله أي من بعد إضلاله تعالى إياه بموجب تعاميه عن الهدى وتماديه في الغي أفلا تذكرون ألا تلاحظون فلا تذكرون وقرئ تتذكرون
على الأصل وقالوا بيان لأحكام ضلالهم المحكي أي قالوا من غاية غيهم وضلالهم ما هي أي ما الحيوة إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها نموت ونحيا
أي يصيبنا الموت والحيوة فيها وليس وراء ذلك حيوة وقيل نكون نطفاً وما قبلها وما بعدها ونحيا بعد ذلك أو نموت بأنفسنا ونحيى
ببقاء أنفسنا وأولادنا أو يموت بعضنا ويحيى بعضنا وقد جوز أن يريدوا به التناسخ فإنه عقيدة أكثر عبدة الأوثان وقرئ

وقرئ نحيى وما يهلكنا إلا الدهر إلا مرور الزمان وهو في الأصل مدة بقاء العالم من دهره أي غلبه وقرئ إلا دهر يمر وكانوا يزعمون أن المؤثر
في هلاك الأنفس هو مرور الأيام والليالي وينكرون ملك الموت وقبضه للأرواح بأمر الله تعالى ويضيفون الحوادث إلى الدهر والزمان ومنه قوله
عليه السلام لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر أي فإن الله هو الآتي بالحوادث لا الدهر وما لهم بذلك أي بما ذكر من اقتصار الحيوة على ما في الدنيا واستناد الحيوة والموت
إلى الدهر من علم ما مستند إلى عقل أو نقل إن هم إلا يظنون ما هم إلا قوم قصارى أمرهم الظن والتقليد من غير أن يكون لهم شيء يصح أن يتمسك به
في الجملة هذا معتقدهم الفاسد في أنفسهم وإذا تتلى عليهم آياتنا الناطقة بالحق الذي من جملته البعث بينات واضحات الدلالة على ما نطقت به أو مبينات له
ما كان حجتهم بالنصب على أنه خبر كان أي ما كان متمسكاً لهم بشيء من الأشياء إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين في أنا نبعث بعد الموت أي إلا هذا القول
الباطل الذي يستحيل أن يكون من قبيل الحجة وتسميته حجة إما لسوقهم إياه مساق الحجة على سبيل التهكم بهم أو لأنه من قبيل تحية بينهم ضرب وجيع وقرئ
برفع حجتهم على أنها اسم كان فالمعنى ما كان حجتهم شيئاً من الأشياء إلا هذا القول الباطل قل الله يحييكم ابتداء ثم يميتكم عند انقضاء
آجالكم لا كما تزعمون من أنكم تحيون وتموتون بحكم الدهر ثم يجمعكم بعد البعث إلى يوم القيمة للجزاء لا ريب فيه أي في جمعكم فإن من قدر على
البداءة قدر على الإعادة والحكمة اقتضت الجمع للجزاء لا محالة والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها حتماً والإتيان بآبائهم حيث كان مزاحماً
للحكمة التشريعية امتنع إيقاعه ولكن أكثر الناس لا يعلمون استدراك من قوله تعالى لا ريب فيه وهو إما من تمام الكلام المأمور به أو كلام مسوق من جهته تعالى
تحقيقاً للحق وتنبيهاً على أن ارتيابهم لجهلهم وقصورهم في النظر والتفكر لا لأن فيه شائبة ريب ما ولله ملك السموات والأرض بيان لاختصاص الملك
المطلق والتصرف الكلي فيهما وفيما بينهما بالله عز وجل إثر بيان تصرفه تعالى في الناس بالإحياء والإماتة والبعث والجمع للمجازاة ويوم تقوم
الساعة يومئذ يخسر المبطلون العامل في يوم يخسر ويومئذ بدل منه وترى كل أمة من الأمم المجموعة جاثية باركة على الركب مستوفزة وقرئ
جاذية أي جالسة على أطراف الأصابع والجذو أشد استيفازاً من الجثو وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما جاثية مجتمعة وقيل جماعات
من الجثوة وهي الجماعة كل أمة تدعى إلى كتابها أي صحيفة أعمالها وقرئ كل بالنصب على أنه بدل من الأول وتدعى صفة أو حال أو مفعول ثان
اليوم تجزون ما كنتم تعملون أي يقال لهم ذلك وقوله تعالى هذا كتابنا إلى آخره من تمام ما يقال حينئذ وحيث كان كتاب كل أمة مكتوباً بأمر الله تعالى
أضيف إلى نون العظمة تفخيماً لشأنه وتهويلاً لأمره فهذا مبتدأ وكتابنا خبره وقوله تعالى ينطق عليكم أي يشهد عليكم بالحق من غير زيادة
ولا نقص خبر آخر أو حال وبالحق حال من فاعل ينطق وقوله تعالى إنا كنا نستنسخ إلى آخره تعليل لنطقه عليهم بأعمالهم من غير إخلال بشيء
منها أي إنا كنا فيما قبل نستكتب الملائكة ما كنتم تعملون في الدنيا من الأعمال حسنة كانت أو سيئة وقوله تعالى فأما الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته أي في جنته تفصيل لما يفعل بالأمم بعد بيان ما خوطبوا به من الكلام المنطوي على الوعد والوعيد ذلك الذي ذكر
من الإدخال في رحمته وقوله تعالى هو الفوز المبين الظاهر كونه فوزاً لا فوز وراءه وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم أي فيقال لهم
بطريق التوبيخ والتقريع ألم تكن تأتيكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه ثقة بدلالة القرينة عليه فاستكبرتم عن الإيمان بها
وكنتم قوماً مجرمين أي قوماً عادتهم الإجرام وإذا قيل إن وعد الله أي ما وعده من الأمور الآتية أو وعده بذلك حق أي واقع لا محالة
أو مطابق للواقع والساعة التي هي أشهر ما وعده لا ريب فيها أي في وقوعها وقرئ والساعة بالنصب عطفاً على اسم إن وقراءة الرفع للعطف
على محل إن واسمها قلتم ما ندري ما الساعة أي ما نفعل الظن إلا ظناً ضعيفاً وقد مر تحقيقه في قوله تعالى إن أتبع إلا ما يوحى إلي وقيل ما نعتقد إلا ظناً
أي إلا علماً وقيل ما نحن إلا نظن ظناً وقيل لم نطق إلا ظناً ضعيفاً ويرده قوله تعالى وما نحن بمستيقنين أي لإمكانه فإن مقابل الاستيقان مطلق
الظن لا الضعيف منه ولعل هؤلاء غير القائلين ما هي إلا حياتنا الدنيا وبدا لهم أي ظهر لهم حينئذ سيئات ما عملوا على ما هي عليه من
الصورة المنكرة الهائلة وعاينوا وخامة عاقبتها أو جزاءها فإن جزاء السيئة سيئة وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون من الجزاء والعقاب
وقيل اليوم ننساكم نترككم في العذاب ترك المنسي كما نسيتم في الدنيا لقاء يومكم هذا أي كما تركتم عدته ولم تبالوا به وإضافة
اللقاء إلى اليوم إضافة المصدر إلى ظرفه ومأواكم النار وما لكم من ناصرين أي ما لأحد منكم ناصر واحد يخلصكم منها ذلكم العذاب بأنكم بسبب
أنكم اتخذتم آيات الله هزواً أي مهزوءاً بها ولم ترفعوا لها رأساً وغرتكم الحيوة الدنيا فحسبتم أن لا حيوة سواها فاليوم لا يخرجون منها

اي من النار وقرئ يخرجون من الخروج والالتفات الى الغيبة للايذان باسقاطهم عن رتبة الخطاب استهانة بهم او بنقلهم من مقام الخطاب الى غيابة
النار ولا هم يستعتبون اي يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه لفوات اوانه فلله الحمد خاصة رب السموات ورب الارض رب العالمين فلا يستحق
الحمد احد سواه وتكرير الرب للتأكيد والايذان بان ربوبيته تعالى لكل منها بطريق الاصالة وقرئ برفع الثلثة على المدح باضمار هو وله
الكبرياء في السموات والارض لظهور آثارها واحكامها فيهما واظهارهما في موقع الاضمار لتفخيم شأن الكبرياء وهو العزيز الذي لا يغلب الحكيم في
كل ما قضى وقدر فاحمدوه وكبروه واطيعوه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة حم الجاثية ستر الله تعالى عورته وسكن روعته يوم

سورة الحن الاحقاف

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم الكلام فيه كما مر في مطلع السورة السابقة ما خلقنا السموات والارض وما بينهما
من حيث الجزئية منهما ومن حيث الاستقرار فيهما وما بينهما من المخلوقات الا بالحق استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اي الا خلقا ملتبسا بالحق
الذي تقتضيه الحكمة التكوينية والتشريعية او من اعم الاحوال من فاعل خلقنا او من مفعوله اي ما خلقناها في حال من الاحوال الا حال ملابستنا
بالحق او حال ملابستها به وفيه من الدلالة على وجود الصانع تعالى وصفات كماله وابتناء افعاله على حكم بالغة وانتهائها الى غايات جليلة
ما لا يخفى واجل مسمى عطف على الحق بتقدير مضاف اي وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه امور الكل وهو يوم القيمة يوم تبدل الارض غير
الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وقيل هو آخر مدة البقاء المقدر لكل واحد ويأباه قوله تعالى والذين كفروا عما انذروا معرضون فان
ما انذروه يوم القيمة وما فيه من الطامة التامة والاهوال العامة لا آخر اعمارهم وقد جوز كون ما مصدرية والجملة حالية اي ما خلقنا
الخلق الا بالحق وتقدير الاجل الذي يجازون عنده والحال انهم غير مؤمنين به معرضون عنه وعن استعداد له قل توبيخا لهم وتبكيتا
ارأيتم اخبروني وقرئ ارأيتكم ما تدعون ما تعبدون من دون الله من الاصنام اروني تأكيد لارأيتم ماذا خلقوا من الارض بيان
للابهام في ماذا ام لهم شرك اي شركة مع الله تعالى في السموات اي في خلقها او ملكها وتدبيرها حتى يتوهم ان يكون لهم شائبة استحقاق
للمعبودية فان ما لا مدخل له في وجود شيء من الاشياء بوجه من الوجوه فهو بمعزل من ذلك الاستحقاق بالمرة وان كان من الاحياء العقلاء
فما ظنكم بالجماد وقوله تعالى ائتوني بكتاب الى آخره تبكيت لهم بتعجيزهم عن الاتيان بسند نقلي بعد تبكيتهم بالتعجيز عن الاتيان بسند عقلي
اي ائتوني بكتاب الهي كائن من قبل هذا الكتاب اي القرآن الناطق بالتوحيد وابطال الشرك دال على صحة دينكم او اثارة من علم
او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين شاهدة باستحقاقهم للعبادة ان كنتم صادقين في دعواكم فانها لا تكاد تصح ما لم يقم
عليها برهان عقلي او سلطان نقلي وحيث لم يقم عليها شيء منهما وقد قامت على خلافها ادلة العقل والنقل تبين بطلانها وقرئ اثارة بكسر
الهمزة اي مناظرة فانها تثير المعاني واثرة اي شيء اوثرتم به وخصصتم من علم مطوي عن غيركم واثرة بالحركات الثلث مع
سكون الثاء فاما المكسورة فبمعنى الاثرة واما المفتوحة فهي المرة من اثر الحديث اي رواه واما المضمومة فاسم ما يؤثر كالخطبة التي هي
اسم ما يخطب به ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له انكار ونفي لان يكون احد يساوي المشركين في الضلال وان كان سبك التركيب لنفي
الاضل منهم من غير تعرض لنفي المساوي كما مر غير مرة اي هم اضل من كل ضال حيث تركوا عبادة خالقهم السميع القادر المجيب الخبير الى عبادة
مصنوعهم العاري عن السمع والقدرة والاستجابة الى يوم القيمة غاية لنفي الاستجابة وهم عن دعائهم غافلون الضمير الاول للمفعول يدعو والثاني لفاعله
والجمع فيهما باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها غافلون لكونها جمادات وضمائر العقلاء لاجرائهم اياها مجرى العقلاء
ووصفها بما ذكر من ترك الاستجابة والغفلة مع ظهور حالها للتهكم بها وبعبدتها كقوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم الآية واذا حشر الناس
عند قيام القيمة كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين اي مكذبين بلسان الحال او المقال على ما يروى انه تعالى يحيي الاصنام فتتبرأ عن عبادتهم وقد
جوز ان يراد بهم كل من يعبد من دون الله من الملائكة والجن والانس وغيرهم ويبتنى ارجاع الضمائر واسناد العداوة والكفر اليهم على
التغليب ويراد بذلك تبرؤهم عنهم وعن عبادتهم وقيل ضمير كانوا للعبدة وذلك قولهم والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم آياتنا بينات
واضحات او مبينات قال الذين كفروا للحق اي لاجله وفي شأنه وهو عبارة عن الآيات المتلوة ووضع موضع ضميرها تنصيصا على حقيتها

على حقيتها ووجوب الايمان بها كما وضع الموصول موضع ضمير المتلو عليهم تسجيلا عليهم بكمال الكفر والضلالة لما جاءهم اي في اول ما جاءهم من غير
تدبر وتأمل هذا سحر مبين اي ظاهر كونه سحرا ام يقولون افتراه اضراب وانتقال من حكاية شناعتهم السابقة الى حكاية ما هو اشنع
منها وما في ام من الهمزة للانكار التوبيخي المتضمن للتعجب اي بل ايقولون افترى القرآن قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون لي من الله شيئا اذ لا ريب
في انه تعالى يعاجلني حينئذ بالعقوبة فكيف اجترئ على ان افتري عليه تعالى كذبا واعرض نفسي للعقوبة التي لا مناص عنها ولا عنها
هو اعلم بما تفيضون فيه اي تندفعون فيه من القدح في وحي الله والطعن في آياته وتسميته سحرا تارة وفرية اخرى كفى به شهيدا بيني وبينكم
حيث يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والجحود وهو وعيد بجزاء افاضتهم وقوله تعالى وهو الغفور الرحيم وعد بالغفران
والرحمة لمن تاب وآمن واشعار بحلم الله تعالى عنهم مع عظم جرائمهم قل ما كنت بدعا من الرسل البدع بمعنى البديع كالخل بمعنى الخليل وهو ما لا
مثل له وقرئ بفتح الدال على انه صفة كقيم وزيم او جمع مقدر بمضاف اي ذا بدع وقد جوز ذلك في القراءة الاولى ايضا على انه مصدر
كانوا يقترحون عليه عليه السلام آيات عجيبة ويسألونه عن المغيبات عنادا ومكابرة فامر عليه السلام بان يقول لهم ما كنت بدعا من الرسل
قادرا عليه حتى آتيكم بكل ما تقترحونه واخبركم بكل ما تسألون عنه من الغيوب فان من قبلي من الرسل عليهم الصلوة والسلام ما كانوا
يأتون الا بما آتاهم الله تعالى من الآيات ولا يخبرونهم الا بما اوحي اليهم وما ادري ما يفعل بي ولا بكم اي اي شيء يصيبنا فيما يستقبل من
الزمان من افعاله تعالى وماذا يقدر لنا من قضاياه وعن الحسن رضي الله عنه ما ادري ما يصير اليه امري وامركم في الدنيا وعن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وقال هي منسوخة بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل يجوز ان يكون المنفي
هي الدراية المفصلة والاظهر الاوفق لما ذكر من سبب النزول ان ما عبارة عما ليس علمه من وظائف النبوة من الحوادث والواقعات
الدنيوية وقد ورد به الوحي الناطق بتفاصيل ما يفعل بالجانبين هذا وقد روي عن الكلبي ان اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قالوا له عليه السلام وقد ضجروا من اذية المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم أأترك بمكة ام اومر بالخروج الى
ارض ذات نخل وشجر قد رفعت لي ورأيتها يعني في منامه وجوز ان تكون ما موصولة والاستفهامية اقضى لحق مقام التبرؤ عن
الدراية وتكرير لا لتذكير النفي المنسحب اليه وتأكيده وقرئ ما يفعل على اسناد الفعل الى ضميره تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي اي ما افعل
الا اتباع ما يوحى الي على معنى قصر افعاله عليه الصلوة والسلام على اتباع الوحي لا قصر اتباعه على الوحي كما هو المتسارع الى الافهام وقد مر
تحقيقه في سورة الانعام وقرئ يوحي على البناء للفاعل وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه عليه الصلوة والسلام من الغيوب
وقيل عن استعجال المسلمين ان يتخلصوا عن اذية المشركين والاول هو الاوفق لقوله تعالى وما انا الا نذير انذركم عقاب الله تعالى
حسبما يوحى الي مبين بين الانذار بالمعجزات الباهرة قل ارأيتم ان كان اي ما يوحى الي من القرآن من عند الله لا سحرا ولا مفترى كما
تزعمون وقوله تعالى وكفرتم به حال باضمار قد من الضمير في الخبر وسطت بين اجزاء الشرط مسارعة الى التسجيل عليهم بالكفر او عطف
على كان كما في قوله تعالى قل ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به لكن لا على ان نظمه في سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه عندهم
باعتبار حاله في نفسه بل باعتبار حال المعطوف عليه عندهم فان كفرهم به امر متحقق عندهم ايضا وانما ترددهم في ان ذلك كفر
بما من عند الله تعالى ام لا وكذا الحال في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل وما بعده من الفعلين فان الكل امور متحققة عندهم
وانما ترددهم في انها شهادة وايمان بما من عند الله تعالى واستكبار منه او لا والمعنى اخبروني ان كان ذلك في الحقيقة
من عند الله تعالى وكفرتم به وشهد شاهد عظيم الشأن من بني اسرائيل الواقفين على شؤون الله تعالى واسرار الوحي بما اوتوا
من التورية على مثله اي مثل القرآن من المعاني المنطوية في التورية المطابقة لما في القرآن من التوحيد والوعد والوعيد
وغير ذلك فانها عين ما فيه في الحقيقة كما يعرب عنه قوله تعالى وانه لفي زبر الاولين وقوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى
والمثلية باعتبار تأديتها بعبارات اخر او على مثل ما ذكر من كونه من عند الله تعالى والمثلية لما ذكر وقيل المثل صلة
والفاء في قوله تعالى فآمن للدلالة على انه سارع الى الايمان بالقرآن لما علم انه من جنس الوحي الناطق بالحق وهو عبد الله
بن سلام لما سمع بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اتاه فنظر الى وجهه الكريم فعلم انه ليس بوجه كذاب وتأمل فتحقق

انه النبي المنتظر فقال له اني سائلك عن ثلث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام ياكله اهل الجنة والولد ينزع الى ابيه
او الى امه فقال عليه الصلوة والسلام اما اول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام اهل الجنة فزيادة
كبد حوت واما الولد فان سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المرأة نزعته فقال اشهد انك رسول الله حقا فقام ثم قال يا رسول الله
ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل ان تسألهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي عليه الصلوة والسلام اي رجل
عبد الله بن سلام فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال ارأيتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك
فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت اخاف يا
رسول الله واحذر قال سعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله
ابن سلام فنزل وشهد شاهد الآية وقيل الشاهد موسى عليه السلام وشهادته ما في التورية من نعت النبي صلى الله عليه وسلم وبه قال الشعبي وقال
مسروق والله ما نزلت في عبد الله بن سلام فان آل حم نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله بن سلام بالمدينة واجاب الكلبي بان الآية مدنية وان
كانت السورة مكية واستكبرتم عطف على شهد شاهد وجواب الشرط محذوف والمعنى اخبروني ان كان من عند الله تعالى وشهد على ذلك اعلم بني اسرائيل
آمن به من غير تلعثم واستكبرتم عن الايمان به بعد هذه المرتبة من اضل منكم بقرينة قوله تعالى قل ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو
في شقاق بعيد وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين فان عدم الهداية مما ينبئ عن الضلال قطعا ووصفهم بالظلم للاشعار بعلة الحكم فان تركه تعالى
هدايتهم لظلمهم وقال الذين كفروا حكاية لبعض آخر من اقاويلهم الباطلة في حق القرآن العظيم والمؤمنين به اي قال كفار مكة للذين آمنوا اي لاجلهم
لو كان اي ما جاء به عليه الصلوة والسلام من القرآن والدين خيرا ما سبقونا اليه فان معالي الامور لا ينالها ايدي الاراذل وهم سقاط عامتهم
فقراء وموال ورعاة قالوه زعما منهم ان الرياسة مما ينال باسباب دنيوية كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وزل عنهم
انها منوطة بكمالات نفسانية وملكات روحانية مبناها الاعراض عن زخارف الدنيا الدنية والاقبال على الآخرة بالكلية وان من فاز بها
فقد حازها بحذافيرها ومن حرمها فما له من خلاق وقيل قاله بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار وقيل قالته
اليهود حين اسلم عبد الله بن سلام واصحابه ويأباه ان السورة مكية لابد حينئذ من الالتجاء الى ادعاء ان الآية نزلت بالمدينة واذ لم يهتدوا به ظرف
لمحذوف يدل عليه ما قبله ويترتب عليه ما بعده اي واذ لم يهتدوا بالقرآن قالوا ما قالوا فسيقولون غير مكتفين بنفي خيريته هذا افك قديم كما
قالوا اساطير الاولين وقيل المحذوف ظهر عنادهم وليس بذاك ومن قبله اي من قبل القرآن وهو خبر لقوله تعالى كتاب موسى قيل والجملة حالية
او مستأنفة وايا ما كان فهو رد لقولهم هذا افك قديم وابطال له فان كونه مصدقا لكتاب موسى مقرر لحقيته قطعا اماما ورحمة حالان من كتاب
موسى اي اماما يقتدي به في دين الله تعالى وشرائعه كما يقتدي بالامام ورحمة من الله تعالى لمن آمن به وعمل بموجبه وهذا الذي يقولون في حقه ما يقولون كتاب
عظيم الشأن مصدق اي لكتاب موسى الذي هو امام ورحمة او لما بين يديه من جميع الكتب الالهية وقد قرئ كذلك لسانا عربيا حال من ضمير كتاب
في مصدق او من نفسه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وعلى الاول مصدق وقيل مفعول لمصدق اي يصدق ذا لسان عربي لينذر
[margin: لينذر الذين ظلموا]
متعلق بمصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول عليه السلام ويؤيد الاخير القراءة بتاء الخطاب وبشرى للمحسنين في حيز النصب عطفا على
محل لينذر وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدأ مضمر اي وهو بشرى وقيل على انه عطف على مصدق ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اي جمعوا
بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في امور الدين التي هي منتهى العمل وثم للدلالة على تراخي رتبة العمل وتوقف الاعتداد به
على التوحيد فلا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط والمراد بيان دوام
نفي الحزن لا نفي دوام الحزن كما يوهمه كون الخبر مضارعا وقد مر بيانه مرارا اولئك الموصوفون بما ذكر من الوصفين الجليلين اصحاب
الجنة خالدين فيها حال من المستكن في اصحاب وقوله تعالى جزاء منصوب اما بعامل مقدر اي يجزون جزاء او بمعنى ما تقدم فان قوله تعالى
اولئك اصحاب الجنة في معنى جازيناهم بما كانوا يعملون من الحسنات العلمية والعملية ووصينا الانسان بان يحسن بوالديه احسانا وقرئ
حسنا اي بان يفعل بهما حسنا اي فعلا ذا حسن او كانه في ذاته نفس الحسن لفرط حسنه وقرئ بضم السين ايضا وبفتحهما اي بان يفعل
بهما فعلا حسنا او ووصيناه ايصاء حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها اي ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة وقرئ بالفتح

وقرئ بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وحمله وفصاله اي مدة حمله وفصاله وهو الفطام وقرئ وفصله
والفصل كالفطم والفطام بناء ومعنى والمراد به الرضاع التام المنتهي به كما اراد بالامد المدة من قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود
اذا انتهى امده ثلثون شهرا تمضي عليها بمعاناة المشاق ومقاساة الشدائد لاجله وهذا دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لما انه
اذا حط عنه للفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة يبقى للحمل ذلك قيل ولعل تعيين اقل مدة الحمل واكثر مدة
الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط النسب والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده اي اكتهل واستحكم قوته وعقله وبلغ اربعين سنة قيل لم يبعث
نبي قبل اربعين وقرئ حتى اذا استوى وبلغ اشده قال رب اوزعني اي الهمني واصله اولعني من اوزعته بكذا ان اشكر نعمتك التي انعمت علي
وعلى والدي اي نعمة الدين او ما يعمها وغيرها وان اعمل صالحا ترضيه التنكير للتفخيم والتكثير واصلح لي في ذريتي اي واجعل الصلاح ساريا في
ذريتي راسخا كما في قوله يجرح في عراقيبها نصلي قال ابن عباس اجاب الله تعالى دعاء ابي بكر رضي الله عنهم فاعتق تسعة من المؤمنين منهم بلال
وعامر بن فهيرة ولم يرد شيئا من الخير الا اعانه الله تعالى عليه ودعا ايضا فقال واصلح لي في ذريتي فاجابه الله عز وجل فلم يكن له ولد الا آمنوا
جميعا فاجتمع له اسلام ابويه واولاده جميعا فادرك ابوه ابو قحافة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه عبد الرحمن بن ابي بكر وابن عبد الرحمن
ابو عتيق كلهم ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لاحد من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين اني تبت اليك عما لا ترضاه او عما يشغلني
عن ذكرك واني من المسلمين الذين اخلصوا لك انفسهم اولئك اشارة الى الانسان والجمع لان المراد به الجنس المتصف بالوصف المحكي عنه وما فيه من معنى
البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته اي اولئك المنعوتون بما ذكر من النعوت الجليلة الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا من الطاعات فان المباح حسن
لا يثاب عليه ونتجاوز عن سيئاتهم وقرئ الفعلان بالياء على اسنادهما الى الله تعالى وعلى بنائهما للمفعول ورفع احسن على انه قائم مقام الفاعل
وكذا الجار والمجرور في اصحاب الجنة اي كائنين في عدادهم منتظمين في سلكهم وعد الصدق مصدر مؤكد لما ان قوله تعالى نتقبل عنهم ونتجاوز
وعد من الله تعالى لهم بالتقبل والتجاوز الذي كانوا يوعدون على السنة الرسل والذي قال لوالديه عند دعوتهما له الى الايمان اف لكما هو صوت
يصدر عن المرء عند تضجره واللام لبيان المؤفف له كما في هيت لك وقرئ اف بالفتح والكسر بغير تنوين وبالحركات الثلث مع التنوين والموصول
عبارة عن الجنس القائل ذلك القول ولذلك اخبر عنه بالمجموع كما سبق قيل هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء
عاق لوالديه فاجر لربه وما روي من انها نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قبل اسلامه يرده ما سيأتي من قوله تعالى
اولئك الذين حق عليهم القول الآية فانه كان من افاضل المسلمين وسرواتهم وقد كذبت الصديقة اي عائشة رضي الله تعالى عنها من قال ذلك
اتعدانني ان اخرج اي ابعث من القبر بعد الموت وقرئ اخرج من الخروج وقد خلت القرون من قبلي ولم يبعث منهم احد وهما يستغيثان الله تعالى يسألانه
ان يغيثه ويوفقه للايمان ويلك اي قائلين له ويلك وهو في الاصل دعاء عليه بالثبور اريد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك آمن ان وعد الله
حق اي البعث اضافه اليه تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على خطائه في اسناد الوعد اليهما وقرئ ان وعد الله اي آمن بان وعد الله حق فيقول
مكذبا لهما ما هذا الذي تسميانه وعد الله الا اساطير الاولين اباطيلهم التي سطروها في الكتب من غير ان يكون لها حقيقة اولئك القائلون هذه
المقالات الباطلة الذين حق عليهم القول وهو قوله تعالى لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين كما ينبئ عنه قوله تعالى في امم قد خلت من قبلهم
من الجن والانس وقد مر تفصيله في سورة الم السجدة انهم كانوا خاسرين قد ضيعوا فطرتهم الاصلية الجارية مجرى رؤس اموالهم باتباع
الشيطان والجملة تعليل للحكم بطريق الاستيناف التحقيقي ولكل من الفريقين المذكورين درجات مما عملوا مراتب من اجزية ما عملوا من الخير والشر
والدرجات غالبة في مراتب المثوبة وايرادها ههنا بطريق التغليب وليوفيهم اعمالهم اي اجزية اعمالهم وقرئ بنون العظمة وهم لا يظلمون بنقص ثواب
الاولين وزيادة عقاب الآخرين والجملة اما حال مؤكدة للتوفية او استيناف مقرر لها واللام متعلقة بمحذوف مؤخر كانه قيل وليوفيهم
اعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم فعل ما فعل من تقدير الاجزية على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات ويوم يعرض الذين كفروا على النار
اي يعذبون بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اي قتلوا وقيل تعرض النار عليهم بطريق القلب مبالغة اذهبتم طيباتكم اي يقال لهم ذلك وهو
الناصب للظرف وقرئ ااذهبتم بهمزتين وبالف بينهما على الاستفهام التوبيخي اي اصبتم واخذتم ما كتب لكم من حظوظ الدنيا ولذائذها
في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فلم يبق لكم بعد ذلك شيء منها فاليوم تجزون عذاب الهون اي الهوان وقد قرئ كذلك بما كنتم في الدنيا تستكبرون

في الأرض بغير الحق بغير استحقاق لذلك وبما كنتم تفسقون اي تخرجون من طاعة الله عز وجل اي بسبب استكباركم وفسقكم المستمرين وقرئ
تفسقون بكسر السين واذكر اي لكفار مكة أخا عاد اي هودا عليه السلام إذ أنذر قومه بدل اشتمال منه اي وقت انذاره اياهم بالأحقاف
جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانت عاد اصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفة على البحر
بارض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة وقد خلت النذر اي الرسل جمع نذير بمعنى المنذر من بين يديه اي من قبله
ومن خلفه اي من بعده والجملة اعتراض مقرر لما قبله مؤكد لوجوب العمل بموجب الانذار وسط بين انذر قومه وبين قوله تعالى ألا تعبدوا
إلا الله مسارعة الى ما ذكر من التقرير والتأكيد وايذانا باشتراكهم في العبادة المحكية والمعنى واذكر لقومك انذار هود قومه عاقبة
الشرك والعذاب العظيم وقد انذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه قومهم مثل ذلك فاذكرهم واما جعلها حالا من فاعل انذر على معنى
انه عليه السلام انذرهم وقال لهم لا تعبدوا الا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقد اعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين لم
يبعثوا بعده كلهم منذرون نحو انذاره فمع ما فيه من تكلف تقدير الاعلام لا بد في نسبة الخلو الى من بعده من الرسل من تنزيل الآتي منزلة
الخالي قالوا أجئتنا لتأفكنا اي تصرفنا عن آلهتنا عن عبادتها فأتنا بما تعدنا من العذاب العظيم إن كنت من الصادقين في وعدك
بنزوله بنا قال إنما العلم اي بوقت نزوله او العلم بجميع الاشياء التي من جملتها ذلك عند الله وحده لا علم لي بوقت نزوله ولا مدخل لي في
اتيانه وحلوله وانما علمه عند الله تعالى فيأتيكم به في وقته المقدر له وأبلغكم ما أرسلت به من مواجب الرسالة التي من جملتها بيان نزول
العذاب ان لم تنتهوا عن الشرك من غير وقوف على وقت نزوله وقرئ ابلغكم من الابلاغ ولكني أراكم قوما تجهلون حيث تقترحون على ما ليس
من وظائف الرسل من الاتيان بالعذاب وتعيين وقته والفاء في قوله تعالى فلما رأوه فصيحة والضمير اما مبهم يوضحه قوله تعالى عارضا اما تمييز
او حال او راجع الى ما استعجلوه بقولهم فأتنا بما تعدنا اي فأتاهم فلما رأوه سحابا يعرض في افق السماء مستقبل أوديتهم اي متوجه
اوديتهم والاضافة فيه لفظية كما في قوله تعالى قالوا هذا عارض ممطرنا ولذلك وقعا وصفين للنكرة بل هو اي قال هود وقد قرئ كذلك وقرئ
قل وهو رد عليهم اي ليس الأمر كذلك بل هو ما استعجلتم به من العذاب ريح بدل من ما او خبر لمبتدأ محذوف فيها عذاب أليم صفة لريح وكذا قوله تعالى
تدمر اي تهلك كل شيء من نفوسهم واموالهم بأمر ربها وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك فالعائد الى الموصوف محذوف او هو الهاء
في ربها ويجوز ان يكون استئنافا واردا لبيان ان لكل ممكن فناء مقضيا منوطا بأمر باريه وكون الهاء لكل شيء لكونه بمعنى الاشياء
وفي ذكر الأمر والرب والاضافة الى الريح من الدلالة على عظمة شأنه عز وجل ما لا يخفى والفاء في قوله تعالى فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم
اي فجاءتهم الريح فدمرتهم فأصبحوا بحيث لا يرى إلا مساكنهم وقرئ ترى بالتاء ونصب مساكنهم خطابا لكل احد يتأتى منه الرؤية تنبيها
على ان حالهم بحيث لو حضر كل احد بلادهم لا يرى فيها الا مساكنهم كذلك اي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي القوم المجرمين وقد مر تفصيل القصة
في سورة الأعراف وقد روي ان الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعها في الجو حتى ترى كأنها جرادة قيل اول من ابصر العذاب امرأة
منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروي ان اول ما عرفوا به انه عذاب انهم رأوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير بها
الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا ابوابهم فقلعت الريح ابوابهم وصرعتهم فأمال الله تعالى الأحقاف فكانوا تحتها سبع ليال
وثمانية ايام لهم انين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في البحر وروي ان هودا عليه السلام لما احس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين
خطا الى جنب عين تنبع وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اعتزل هود عليه السلام ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين على
الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة ولقد مكناهم اي قررنا عادا واقدرناهم وما في
قوله تعالى فيما إن مكناكم فيه موصولة او موصوفة وان نافية اي في الذي او في شيء ما مكناكم فيه من السعة والبسطة وطول الاعمار وسائر
مبادي التصرفات كما في قوله تعالى ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم ومما يحسن موقع ان ههنا التفصي من تكرر لفظة
ما وهو الداعي الى قلب ألفها هاء في مهما وجعلها شرطية او زائدة مما لا يليق بالمقام وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة ليستعملوها فيما
خلقت له ويعرفوا بكل منها ما نيطت به معرفته من فنون النعم ويستدلوا بها على شؤون منعمها عز وجل ويداوموا على شكره فما أغنى عنهم سمعهم
حيث لم يستعملوه في استماع الوحي ومواعظ الرسل ولا أبصارهم حيث لم يجتلوا بها الآيات التكوينية المنصوبة في صحائف العالم

ولا أفئدتهم حيث لم يستعملوها في معرفة الله تعالى من شيء اي شيئا من الاغناء ومن مزيدة للتأكيد وقوله تعالى إذ كانوا يجحدون بآيات الله متعلق بما
أغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مترتب على ما اضيف اليه فان قولك اكرمته اذ اكرمني في قوة قولك اكرمته لاكرامه لانك اذا
اكرمته وقت اكرامه فانما اكرمته فيه لوجود اكرامه فيه وكذا الحال في حيث وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون من العذاب الذي كانوا يستعجلونه
بطريق الاستهزاء ويقولون فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ولقد أهلكنا ما حولكم يا اهل مكة من القرى كحجر ثمود وقرى قوم لوط وصرفنا
الآيات كررناها لعلهم يرجعون لكي يرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة القربان ما يتقرب به الى الله
عز وجل واحد مفعولي اتخذوا والضمير الموصول المحذوف والثاني آلهة وقربانا حال والتقدير فهلا نصرهم وخلصهم من العذاب الذين اتخذوهم
آلهة حال كونها متقربا بها الى الله تعالى حيث كانوا يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله وفيه تهكم بهم
ولا مساغ لجعل قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى فان البدل وان كان هو المقصود لكنه لا بد في غير بدل الغلط من صحة
المعنى بدونه ولا ريب في ان قولنا اتخذوهم من دون الله قربانا اي متقربا به مما لا صحة له قطعا لانه تعالى متقرب اليه لا متقرب به فلا يصح
انهم اتخذوهم قربانا متجاوزين الله في ذلك وقرئ قربانا بضم الراء بل ضلوا عنهم اي غابوا وفيه تهكم آخر بهم كأن عدم نصرهم لغيبتهم
او ضاعوا عنهم اي ظهر ضياعهم عنهم بالكلية وقيل امتنع نصرهم امتناع نصر الغائب عن المنصور وذلك اي ضياع آلهتهم عنهم وامتناع نصرهم
إفكهم اي اثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها آلهة ونتيجة شركهم وقرئ أفكهم وكلاهما مصدر كالحذر والحذر وقرئ افكهم على صيغة الماضي
فذلك اشارة ح الى الاتخاذ اي وذلك الاتخاذ الذي هذه ثمرته وعاقبته صرفهم عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم من
الافعال اي جعلهم آفكين وقرئ آفكهم على صيغة اسم الفاعل مضافا الى ضميرهم اي قولهم الافك اي ذو الافك كما يقال قول كاذب وما كانوا
يفترون من الافك وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن املناهم اليك واقبلنا بهم نحوك وقرئ صرّفنا بالتشديد للتكثير لانهم جماعة وهو السر
في جمع الضمير في قوله تعالى يستمعون القرآن وما بعده وهو حال مقدرة من نفرا لتخصصه بالصفة او صفة اخرى اي واذكر لقومك وقت صرفنا اليك
نفرا كائنا من الجن مقدرا استماعهم القرآن فلما حضروه اي القرآن عند تلاوته او الرسول عند تلاوته على الالتفات والاول هو الاظهر قالوا اي قال
بعضهم لبعض أنصتوا اي اسكتوا لنسمعه فلما قضي اتم وفرغ عن تلاوته وقرئ على البناء للفاعل وهو ضمير الرسول عليه الصلوة والسلام وهذا
يؤيد عود ضمير حضروه اليه عليه الصلوة والسلام ولوا إلى قومهم منذرين مقدرين انذارهم عند رجوعهم اليهم روي ان الجن كانت تسترق
السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر او تسعة نفر من اشراف الجن نصيبين او نينوى منهم
زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادي نخلة فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلي او في صلوة
الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وانما كان
يتلو في صلوته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر بهم فأنبأه الله تعالى باستماعهم وقيل بل امره الله تعالى ان ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف
اليه نفرا منهم جمعهم له فقال عليه الصلوة والسلام اني أمرت ان اقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلاثا فأطرقوا الا عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه قال فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة في شعب الحجون خط لي خطا فقال لا تخرج منه حتى اعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا
شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته عليه السلام ثم انقطعوا
كقطع السحاب فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيئا قلت نعم رجالا سودا مستثفري ثياب بيض فقال اولئك جن نصيبين
وكانوا اثني عشر الفا والسورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك قالوا اي عند رجوعهم الى قومهم يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى قيل
قالوه لانهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام مصدقا لما بين يديه
ارادوا به التورية يهدي إلى الحق من العقائد الصحيحة وإلى طريق مستقيم موصل اليه وهو الشرائع والأعمال الصالحة يا قومنا أجيبوا داعي الله
وآمنوا به ارادوا به ما سمعوه من الكتاب وصفوه بالدعوة الى الله تعالى بعد ما وصفوه بالهداية الى الحق والصراط المستقيم لتلازمهما دعوهم
الى ذلك بعد بيان حقيقته واستقامته ترغيبا لهم في الاجابة ثم اكدوه بقولهم يغفر لكم من ذنوبكم اي بعض ذنوبكم وهو ما كان في خالص حق الله
تعالى فان حقوق العباد لا تغفر بالايمان ويجركم من عذاب أليم معد للكفرة واختلف في ان لهم اجرا غير هذا او لا والأظهر انهم في حكم بني آدم

نوابا وعقابا وقوله تعالى ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض ايجاب للاجابة بطريق الترهيب اثر ايجابها بطريق الترغيب وتحقيق لكونهم منذرين
واظهار داعي الله من غير اكتفاء بأحد الضميرين للمبالغة في الايجاب بزيادة التقرير وتربية المهابة وادخال الروعة وتقييد الاعجاز بكونه
في الارض لتوسيع الدائرة اي فليس بمعجز له تعالى بالهرب وان هرب كل مهرب من اقطارها او دخل في اعماقها وقوله تعالى وليس له من دونه اولياء
بيان لاستحالة نجاته بواسطة الغير اثر بيان استحالة نجاته بنفسه وجمع الاولياء باعتبار معنى من فيكون من باب مقابلة الجمع بالجمع لانقسام الآحاد
الى الآحاد كما ان الجمع في قوله تعالى اولئك بذلك الاعتبار اي اولئك الموصوفون بعدم اجابة داعي الله في ضلال مبين اي ظاهر كونه ضلالا
بحيث لا يخفى على احد حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شأنه اولم يروا الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يستدعيه المقام والرؤية قلبية
اي الم يتفكروا ولم يعلموا علما جازما متاخما للمشاهدة والعيان ان الله الذي خلق السموات والارض ابتداء من غير مثال يحتذيه ولا قانون
ينتحيه ولم يعي بخلقهن اي لم يتعب ولم ينصب بذلك اصلا او لم يعجز عنه يقال عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه وقوله تعالى بقادر في حيز الرفع لانه
خبر ان كما ينبئ عنه القراءة بغير باء ووجه دخولها في القراءة الاولى اشتمال النفي الوارد في صدر الآية على ان وما في حيزها كأنه قيل
اوليس الله بقادر على ان يحيي الموتى ولذلك اجيب عنه بقوله تعالى بلى انه على كل شيء قدير تقريرا للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان
على المقصود ويوم يعرض الذين كفروا على النار ظرف عامله قول مضمر مقوله اليس هذا بالحق على ان الاشارة الى ما يشاهدونه حينئذ
من حيث هو من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيثه اذ هو اللائق بتهويله وتفخيمه وقد مر في سورة الاحقاف وقيل
هي الى العذاب وفيه تهكم بهم وتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين قالوا بلى وربنا اكدوا جوابهم بالقسم
كأنهم يطمعون في الخلاص بالاعتراف بحقيتها كما في الدنيا وانى لهم ذلك قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بها في الدنيا ومعنى الامر
الاهانة بهم والتوبيخ لهم والفاء في قوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل جواب شرط محذوف اي اذا كان عاقبة امر الكفرة ما ذكر
فاصبر على ما يصيبك من جهتهم بل من عليتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض والمراد باولي العزم اصحاب الشرائع الذين اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها
وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاغين ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى وقيل هم الصابرون على بلاء الله كنوح
صبر على اذية قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم صبر على النار وعلى ذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر
ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة
وعيسى لم يضع لبنة على لبنة صلوات الله عليهم اجمعين ولا تستعجل لهم اي لكفار مكة بالعذاب فانه على شرف النزول بهم كأنهم يوم يرون
ما يوعدون من العذاب لم يلبثوا في الدنيا الا ساعة يسيرة من نهار لما يشاهدون من شدة العذاب وطول مدته وقوله تعالى
بلاغ خبر مبتدأ محذوف اي هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة او تبليغ من الرسول ويؤيده انه قرئ بلغ وقرئ بلاغا اي بلغوا
بلاغا فهل يهلك الا القوم الفاسقون اي الخارجون عن الاتعاظ به او عن الطاعة وقرئ بفتح الياء وكسر اللام وبفتحهما من هلك وبهلك
وبنون العظمة من الاهلاك ونصب القوم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة
في الدنيا

سورة محمد

بسم الله الرحمن الرحيم • الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اي اعرضوا عن الاسلام وسلوك طريقه من صد صدودا او منعوا
الناس عن ذلك من صده صدا كالمطعمين يوم بدر وقيل هم اثنا عشر رجلا من اهل الشرك كانوا يصدون الناس عن الاسلام ويأمرونهم
بالكفر وقيل اهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من اراد منهم ومن غيرهم ان يدخل في الاسلام وقيل هو عام في كل من كفر وصد
اضل اعمالهم اي ابطلها واحبطها وجعلها ضائعة لا اثر لها اصلا لكن لا بمعنى انه ابطلها واحبطها بعد ان لم تكن كذلك بل بمعنى انه
حكم ببطلانها وضياعها فان ما كانوا يعملونها من اعمال البر كصلة الارحام وقري الاضياف وفك الاسارى وغيرها من المكارم ليس لها
اثر من اصلها لعدم مقارنتها للايمان او ابطل ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيله بنصر رسوله واظهار
دينه على الدين كله وهو الاوفق لما سيأتي من قوله تعالى فتعسا لهم واضل اعمالهم وقوله تعالى فاذا لقيتم الى آخره والذين آمنوا وعملوا الصالحات
قيل هم ناس من قريش وقيل من الانصار وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل عام للكل وآمنوا بما نزل على محمد خص بالذكر

الايمان بذلك مع اندراجه فيما قبله تنويها بشأنه وتنبيها على سمو مكانه من بين سائر ما يجب الايمان به وانه الاصل في الكل ولذلك اكد بقوله تعالى
وهو الحق من ربهم بطريق حصر الحقية فيه وقيل حقيته بكونه ناسخا غير منسوخ فالحق على هذا مقابل الزائل وعلى الاول مقابل الباطل واياما كان
فقوله تعالى من ربهم حال من ضمير الحق وقرئ نزل على البناء للفاعل وانزل على البنائين ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم اي سترها بالايمان
والعمل الصالح واصلح بالهم اي حالهم في الدنيا والدين بالتأييد والتوفيق ذلك اشارة الى ما مر من الاضلال وتكفير السيئات واصلاح البال
وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم اي ذلك كائن بسبب ان الاولين
اتبعوا الشيطان كما قاله مجاهد ففعلوا ما فعلوا من الكفر والصد فبيان سببية اتباعه للاضلال المذكور متضمن لبيان سببيتهما له لكونه
اصلا مستتبعا لهما قطعا وبسبب ان الآخرين اتبعوا الحق الذي لا محيد عنه كائنا من ربهم ففعلوا من الايمان به وبكتابه ومن الاعمال الصالحة
فبيان سببية اتباعه لما ذكر من التكفير والاصلاح بعد الاشعار بسببية الايمان والعمل الصالح له متضمن لبيان سببيتهما له لكونه مبدأ ومنشأ لهما
حتما فلا تدافع بين الاشعار والتصريح في شيء من الموضعين ويجوز ان يحمل الباطل على ما يقابل الحق وهو الزائل الذاهب الذي لا اصل له اصلا
فالتصريح بسببية اتباعه لاضلال اعمالهم وابطالها لبيان ان ابطالها لبطلان مبناها وزواله واما حمله على ما لا ينتفع به فليس كما ينبغي لما ان الكفر
والصد اخس منه فلا وجه للتصريح بسببيته لما ذكر من اضلال اعمالهم بطريق القصر بعد الاشعار بسببيتهما له فتدبر ويجوز ان يراد بالباطل نفس الكفر
والصد وبالحق نفس الايمان والاعمال الصالحة فيكون التنصيص على سببيتهما لما ذكر من الاضلال ومن التكفير والاصلاح تصريحا
بالسببية المشعر بها في الموقعين كذلك اي مثل ذلك الضرب البديع يضرب الله اي يبين للناس امثالهم اي احوال الفريقين واوصافهما
الجارية في الغرابة مجرى الامثال وهي اتباع الاولين الباطل وخيبتهم وخسرانهم واتباع الآخرين الحق وفوزهم وفلاحهم والفاء في قوله تعالى
فاذا لقيتم الذين كفروا لترتيب ما في حيزها من الامر على ما قبلها فان ضلال اعمال الكفرة وخيبتهم وصلاح احوال المؤمنين وفلاحهم مما يوجب ان
يترتب على كل من الجانبين ما يليق به من الاحكام اي فاذا كان الامر كما ذكر فاذا لقيتموهم في المحاربة فضرب الرقاب اصله فاضربوا
الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار وتأكيد بليغ والتعبير به عن القتل تصوير له
باشنع صوره وتهويل لامره وارشاد للغزاة الى ايسر ما يكون منه حتى اذا اثخنتموهم اي اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الشيء الثخين وهو الغليظ
او اثقلتموهم بالقتل والجراح حتى اذهبتم عنهم النهوض فشدوا الوثاق فاسروهم واحفظوهم والوثاق اسم لما يوثق به وكذا الوثاق
بالكسر وقد قرئ بذلك فاما منا بعد واما فداء اي فاما تمنون بعد ذلك منا او تفدون فداء والمعنى التخيير بين القتل والاسترقاق والمن
والفداء وهذا ثابت عند الشافعي وعندنا منسوخ قالوا نزل ذلك يوم بدر ثم نسخ والحكم اما القتل او الاسترقاق وعن مجاهد ليس اليوم
من ولا فداء انما هو الاسلام او ضرب العنق وقرئ فدا كعصا حتى تضع الحرب اوزارها اوزار الحرب آلاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها من
السلاح والكراع اسند وضعها اليها وهو لاهلها اسنادا مجازيا وحتى غاية عند الشافعي رحمه الله تعالى لاحد الامور الاربعة او للمجموع والمعنى
انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون مع المشركين حرب بان لا تبقى لهم شوكة وقيل بان ينزل عيسى عليه السلام واما عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى
فان حمل الحرب على حرب بدر فهي غاية للمن والفداء والمعنى يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها وان حملت على الجنس فهي
غاية للضرب والشد والمعنى انهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب اوزارها بان لا يبقى للمشركين شوكة وقيل اوزارها آثامها اي حتى
يترك المشركون شركهم ومعاصيهم بان اسلموا ذلك اي الامر ذلك او افعلوا ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم ببعض اسباب الهلكة
والاستئصال ولكن لم يشأ ذلك ليبلو بعضكم ببعض فامركم بالقتال وبلاكم بالكافرين لتجاهدوهم فتستوجبوا الثواب العظيم بموجب الوعد
والكافرين بكم ليعاجلهم على ايديكم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر والذين قتلوا في سبيل الله اي استشهدوا وقرئ قاتلوا
اي جاهدوا وقتلوا وقتّلوا فلن يضل اعمالهم اي فلن يضيعها وقرئ تضل اعمالهم على البناء للمفعول وتضل اعمالهم من ضل وعن
قتادة انها نزلت في يوم احد سيهديهم في الدنيا الى رشد الامور وفي الآخرة الى الثواب ويثبت هدايتهم ويصلح بالهم ويدخلهم
الجنة عرفها لهم في الدنيا بذكر اوصافها بحيث اشتاقوا اليها او بينها لهم بحيث يعلم كل احد منزلته ويهتدي اليه كأنه كان ساكنه منذ خلق
وعن مقاتل ان الملك الموكل بعمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء اعطاه الله تعالى او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة

اوحده لهم وافرزها من عرّف الدار الجنة لكل واحد منهم محددة مفرزة والجملة اما مستانفة او حال باضمار قد او بدونه يا ايها الذين آمنوا
ان تنصروا الله اي دينه ورسوله ينصركم على اعدائكم ويفتح لكم ويثبت اقدامكم في مواطن الحرب ومواقفها او على محجة الاسلام والذين كفروا فتعسا
لهم التعس الهلاك والعثار والسقوط والشر والبعد والانحطاط ورجل تاعس وتعس وانتصابه بفعله الواجب حذفه سماعا اي فقال
تعسا لهم او فقضى تعسا لهم وقوله تعالى واضل اعمالهم عطف عليه داخل معه في حيز الخبرية للموصول ذلك اي ما ذكر من التعس واضلال الاعمال
بانهم بسبب انهم كرهوا ما انزل الله من القرآن لما فيه من التوحيد وسائر الاحكام المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم الامارة بالسوء فاحبط
لاجل ذلك اعمالهم التي لو كانوا عملوها مع الايمان لاثيبوا عليها افلم يسيروا في الارض اي اقعدوا في اماكنهم فلم يسيروا فيها فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم من الامم المكذبة فان آثار ديارهم تنبئ عن اخبارهم وقوله تع دمر الله عليهم استيناف مبني على سؤال نشأ
من الكلام كانه قيل كيف كان عاقبتهم فقيل استاصل الله عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم يقال دمره اهلكه ودمر عليه
اهلك عليه ما يختص به وللكافرين اي ولهؤلاء الكافرين السائرين بسيرتهم امثالها امثال عواقبهم او عقوباتهم لكن لا على ان لهؤلاء
امثال ما لاولئك واضعافه بل مثله وانما جمع باعتبار مماثلته لعواقب متعددة حسب تعدد الامم المعذبة وقيل يجوز ان يكون عذابهم اشد
من عذاب الاولين وقد قتلوا واسروا بايدي من كانوا يستحقرونهم ويستضعفونهم والقتل بيد المثل اشد الما من الهلاك بسبب عام
وقيل المراد بالكافرين المتقدمون بطريق وضع الظاهر موضع الضمير كانه قيل دمر الله عليهم في الدنيا ولهم في الآخرة امثالها ذلك
اشارة الى ثبوت امثال عقوبة الامم السابقة لهؤلاء بان الله مولى الذين آمنوا اي ناصرهم على اعدائهم وفي ولي الذين وان
الكافرين لا مولى لهم فيدفع عنهم ما حل بهم من العقوبة والعذاب ولا يخالف هذا قوله تع ثم ردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى هناك
بمعنى المالك ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار بيان لحكم ولايته تع لهم وثمرتها الاخروية
والذين كفروا يتمتعون اي ينتفعون في الدنيا بمتاعها ويأكلون كما تأكل الانعام غافلين عن عواقبهم والنار مثوى لهم اي منزل
ثواء واقامة والجملة اما حال مقدرة من واو يأكلون او استيناف وكأين كلمة مركبة من الكاف واي بمعنى كم الخبرية ومحلها الرفع
بالابتداء وقوله تع من قرية تمييزها وقوله تع هي اشد قوة من قريتك صفة لقرية كما ان قوله تعالى التي اخرجتك صفة لقريتك
وقد حذف عنهما المضاف واجري احكامه عليهما كما يفصح عنه الخبر الذي هو قوله تعالى اهلكناهم اي وكم من اهل قرية هي اشد قوة من
اهل قريتك الذين كانوا سببا لخروجك من بينهم ووصف القرية الاولى بشدة القوة للايذان باولوية الثانية منها بالاهلاك لضعف
قوتها كما ان وصف الثانية باخراجه عليه الصلوة والسلام للايذان باولويتها به لقوة جنايتها وعلى طريقة قول النابغة كليب لعمري
كان اكثر ناصرا وايسر جرما منك ضرج بالدم وقوله تع فلا ناصر لهم بيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الاعوان والانصار اثر بيان عدم
خلاصهم منه بانفسهم والفاء لترتيب ذكر ما بالغير على ذكر ما بالذات وهو حكاية حال ماضية افمن كان على بينة من ربه تقرير لتباين
حالي فريقي المؤمنين والكافرين وكون الاولين في اعلى عليين والآخرين في اسفل سافلين وبيان لعلة ما لكل منهما من الحال والهمزة
للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقد قرئ بدونها ومن عبارة عن المؤمنين المتمسكين بادلة الدين وجعلها عبارة
عن النبي صلى الله عليه وسلم او عنه وعن المؤمنين لا يساعده النظم الكريم على ان الموازنة بينه عليه الصلوة والسلام وبينهم مما يأباه
منصبه الجليل والتقدير ليس الامر كما ذكر فمن كان مستقرا على حجة ظاهرة وبرهان نير من مالك امره ومربيه وهو القرآن الكريم وسائر
المعجزات والحجج العقلية كمن زين له سوء عمله من الشرك وسائر المعاصي مع كونه في نفسه اقبح القبائح واتبعوا بسبب ذلك التزيين اهواءهم
الزائغة وانهمكوا في فنون الضلالات من غير ان يكون لهم شبهة توهم صحة ما هم عليه فضلا عن حجة تدل عليها وجمع الضمير في الآخرين
باعتبار معنى من كما ان افراد الاولين باعتبار لفظها مثل الجنة التي وعد المتقون استيناف مسوق لشرح محاسن الجنة الموعودة
آنفا للمؤمنين وبيان كيفية انهارها التي اشير الى جريانها من تحتها وعبر عنهم بالمتقين ايذانا بان الايمان والعمل الصالح من باب التقوى الذي هو
عبارة عن فعل الواجبات باسرها وترك السيئات عن آخرها ومثلها وصفها العجيب الشان وهو مبتدأ محذوف الخبر فقدره النضر بن شميل
مثل الجنة ما تسمعون وقوله تع فيها انهار الى آخره مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والاول هو الانسب لصعد النظم الكريم

النظم الكريم وقيل المثل زائد كزيادة الاسم في قول من قال الى الحول ثم اسم السلام عليكما والجنة مبتدأ خبره فيها انهار الى آخره من ماء غير آسن
اي غير متغير الطعم والرائحة وقرئ غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه بان صار قارصا ولا حازرا كالبان الدنيا وانهار من خمر لذة
للشاربين لذيذة ليس فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر وخمار وانما هي تلذذ محض ولذة اما تأنيث لذ بمعنى لذيذ او مصدر نعت به
مبالغة وقرئ لذة بالرفع على انها صفة انهار وبالنصب على العلة اي لاجل لذة الشاربين وانهار من عسل مصفى لا يخالطه الشمع وفضلات النحل
وغيرها وفي هذا تمثيل لما يجري مجرى الاشربة في الجنة بانواع ما يستطاب منها ويستلذ في الدنيا بالتخلية عما ينقصها وينقصها والتحلية بما يوجب
غزارتها ودوامها ولهم فيها مع ما ذكر من فنون الانهار من كل الثمرات اي صنف من كل الثمرات ومغفرة اي ولهم مغفرة عظيمة لا يقادر قدرها
وقوله تع من ربهم متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة من ربهم وقوله
تع كمن هو خالد في النار خبر لمبتدأ محذوف تقديره امن هو خالد في هذه الجنة حسبما جرى به الوعد كمن هو خالد في النار كما نطق به قوله تع
والنار مثوى لهم وقيل هو خبر لمثل الجنة على ان في الكلام حذفا تقديره امثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد في النار او امثل اهل الجنة
كمثل من هو خالد فعري عن حرف الانكار وحذف ما حذف تصويرا لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة وبين التابع للهوى بمكابرة من
يسوي بين الجنة الموصوفة بما فصل من الصفات الجليلة وبين النار وسقوا ماء حميما مكان تلك الاشربة فقطع امعاءهم ومنهم من يستمع اليك
هم المنافقون وافراد الضمير باعتبار لفظة من كما ان جمعه فيما سيأتي باعتبار معناها كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون
كلامه ولا يعونه ولا يراعونه حق رعايته تهاونا منهم حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
ماذا قال آنفا اي ما الذي قال الساعة على طريقة الاستهزاء وان كان بصورة الاستعلام وآنفا من قولهم انف الشيء لما تقدم منه مستعار
من الجارحة ومنه استانف الشيء وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا او حال من الضمير في قال وقرئ انفا اولئك الموصوفون بما
ذكر الذين طبع الله على قلوبهم لعدم توجهها نحو الخير اصلا واتبعوا اهواءهم الباطلة فلذلك فعلوا ما فعلوا مما لا خير فيه والذين اهتدوا الى
طريق الحق زادهم اي الله تع هدى بالتوفيق والالهام وآتاهم تقواهم اعانهم على تقواهم او بين لهم ما يتقون فهل ينظرون الا الساعة اي القيمة
وقوله ان تاتيهم بغتة وهي المفاجاة بدل اشتمال من الساعة والمعنى انهم لا يتذكرون بذكر احوال الامم الخالية ولا بالاخبار باتيان الساعة
وما فيها من عظائم الاهوال وما ينتظرون للتذكر الا اتيان نفس الساعة بغتة وقرئ بغتة بفتح الغين وقوله تع فقد جاء اشراطها تعليل
لمفاجاتها لا لاتيانها مطلقا على معنى انه لم يبق من الامور الموجبة للتذكر امر مترقب ينتظرونه سوى اتيان نفس الساعة اذ قد
جاء اشراطها فلم يرفعوا لها رأسا ولم يعدوها من مبادي اتيانها فيكون اتيانها بطريق المفاجاة لا محالة والاشراط جمع شرط بالتحريك
وهي العلامة والمراد بها مبعثه صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر ونحوهما وقوله تعالى فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم حكم بخطائهم وفساد رأيهم
في تأخير التذكر الى اتيانها ببيان استحالة نفع التذكر حينئذ كقوله تع يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى اي وكيف لهم
ذكراهم اذا جاءتهم على ان انى خبر مقدم وذكراهم مبتدأ واذا جاءتهم اعتراض وسط بينهما رمزا الى غاية سرعة مجيئها واطلاق
المجيء عن قيد البغتة لما ان مدار استحالة نفع التذكر كونه عند مجيئها مطلقا لا مقيدا بقيد البغتة وقرئ ان تاتهم على انه شرط
مستأنف جزاؤه فانى لهم الخ والمعنى ان تاتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر اماراتها فكيف لهم تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم
فاعلم انه لا اله الا الله اي اذا علمت ان مدار السعادة هو التوحيد والطاعة ومناط الشقاوة هو الاشراك والعصيان فاثبت على ما انت
عليه من العلم بالوحدانية والعمل بموجبه واستغفر لذنبك وهو الذي ربما يصدر عنه عليه السلام من ترك الاولى عبر عنه بالذنب نظرا
الى منصبه الجليل كيف لا وحسنات الابرار سيئات المقربين وارشاد له عليه الصلوة والسلام الى التواضع وهضم النفس واستقصار العمل
وللمؤمنين والمؤمنات اي لذنوبهم بالدعاء لهم وترغيبهم فيما يستدعي غفرانهم وفي اعادة صلة الاستغفار تنبيه على اختلاف متعلقيه جنسا وفي
حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اشعارا بعراقتهم في الذنب وفرط افتقارهم الى الاستغفار والله يعلم متقلبكم في الدنيا فانها مراحل لا بد
من قطعها لا محالة ومثواكم في العقبى فانها موطن اقامتكم فلا يأمركم الا بما هو خير لكم فيهما فبادروا الى الامتثال بما امركم به فانه المهم
لكم في المقامين وقيل يعلم جميع احوالكم فلا يخفى عليه شيء منها ويقول الذين آمنوا حرصا منهم على الجهاد لولا نزلت سورة اي هلا نزلت

من فرط الحرارة وقيل اذا دنا منهم شوى وجوههم
واذاب فروة رؤسهم فاذا شربوه قطع امعاءهم

سورة تؤمر فيها بالجهاد فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال بطريق الامر به اي سورة مبينة لا تشابه ولا احتمال فيها لوجه آخر سوى وجوب
القتال عن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة لم تنسخ وقرئ فاذا نزلت سورة وقرئ وذكر على اسناد الفعل الى ضميره تعالى
ونصب القتال رايت الذين في قلوبهم مرض اي ضعف في الدين وقيل نفاق وهو الاظهر الاوفق لسياق النظم الكريم ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت
اي تشخص ابصارهم جبناً وهلعاً كدأب من اصابته غشية الموت فاولى لهم اي فويل لهم وهو افعل من الولي وهو القرب وقيل من آل
ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه او يؤول اليه امرهم وقيل هو مشتق من الويل واصله اويل فقلبت العين الى ما بعد اللام فوزنه
افلع طاعة وقول معروف كلام مستأنف اي امرهم طاعة الى آخره او طاعة وقول معروف خير لهم او حكاية لقولهم ويؤيده قراءة ابي
يقولون طاعة وقول معروف اي امرنا ذلك فاذا عزم الامر اسند العزم وهو الجد الى الامر وهو لاصحابه مجازاً كما في قوله تعالى ان ذلك لمن عزم
الامور وعامل الظرف محذوف اي خالفوا وتخلفوا فلو صدقوا الله على طريقة قولك اذا حضرني طعام فلو جئتني لاطعمتك اي فلو صدقوه تعالى
فيما قالوا من الكلام المنبئ عن الحرص على الجهاد بالجري على موجبه لكان خيراً لهم اي الصدق وفيه دلالة على اشتراك الكل فيما حكي عنهم من قوله
تعالى لولا نزلت سورة وقيل فلو صدقوه في الايمان وواطأت قلوبهم في ذلك السنتهم واياما كان فالمراد بهم الذين في قلوبهم مرض وهم المخاطبون
بقوله تعالى فهل عسيتم الى آخره بطريق الالتفات لتأكيد التوبيخ وتشديد التقريع اي فهل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتأمرتم عليهم ان تفسدوا
في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحراً على الملك وتهالكاً على الدنيا فان من شاهد احوالكم الدالة على الضعف في الدين والحرص على الدنيا حين امرتم
بالجهاد الذي هو عبارة عن كل خير وصلاح ودفع كل شر وفساد وانتم مأمورون شأنكم الطاعة والقول المعروف يتوقع منكم اذا اطلقت
اعنتكم وصرتم آمرين ما ذكر من الافساد وقطع الارحام وقيل ان اعرضتم عن الاسلام ان ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الافساد في الارض
بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضاً ووأد البنات وفيه ان الواقع في حيز الشرط في مثل هذا المقام لابد
ان يكون محذوراً باعتبار ما يستتبعه من المفاسد لا باعتبار ذاته ولا ريب في ان الاعراض عن الاسلام رأس كل شر وفساد فحقه
ان يجعل عمدة في التوبيخ لا وسيلة لما دونه من المفاسد وقرئ وليتم على البناء للمفعول اي جعلتم ولاة وقرئ توليتم اي تولاكم ولاة جور خرجتم
معهم وساعدتموهم في الافساد وقطيعة الرحم وقرئ وتقطعوا من التقطع بحذف احدى التاءين فانتصاب ارحامكم حينئذ على نزع الجار
اي في ارحامكم وقرئ وتقطعوا من القطع والحاق الضمير بعسى لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون عسى ان تفعل وعسى ان تفعلوا
اولئك اشارة الى المخاطبين بطريق الالتفات ايذاناً بان ذكر هناتهم اوجب اسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية احوالهم الفظيعة لغيرهم
وهو مبتدأ خبره الذين لعنهم الله اي ابعدهم من رحمته فاصمهم عن استماع الحق لتصامهم عنه بسوء اختيارهم واعمى ابصارهم لتعاميهم
عما يشاهدونه من الآيات المنصوبة في الانفس والآفاق افلا يتدبرون القرآن اي الا يلاحظونه ولا يتصفحونه وما فيه من المواعظ
والزواجر حتى لا يقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات ام على قلوب اقفالها فلا يكاد يصل اليها ذكر اصلاً وام منقطعة وما فيها من معنى بل
للانتقال من التوبيخ بعدم التدبر الى التوبيخ بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفكر والهمزة للتقرير وتنكير القلوب اما لتهويل
حالها وتفظيع شأنها بابهام امرها في القساوة والجهالة كأنه قيل على قلوب منكرة لا يعرف حالها ولا يقادر قدرها في القسوة
واما لان المراد بها قلوب بعض منهم وهم المنافقون واضافة الاقفال اليها للدلالة على انها اقفال مخصوصة بها مناسبة لها غير
مجانسة لسائر الاقفال المعهودة وقرئ اقفلها واقفالها على المصدر ان الذين ارتدوا على ادبارهم اي رجعوا الى ما كانوا عليه من الكفر
وهم المنافقون الذين وصفوا فيما سلف بمرض القلوب وغيره من قبائح الافعال والاحوال فانهم قد كفروا به عليه الصلوة والسلام
من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل الظاهرة والمعجزات القاهرة وقيل هم اليهود وقيل اهل الكتابين جميعاً كفروا به عليه السلام بعدما وجدوا
نعته عليه الصلوة والسلام في كتابهم وعرفوا انه المنعوت بذلك وقوله تعالى الشيطان سول لهم جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبراً لان اي
سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقيل من السول المخفف من السؤل لاستمرار القلب فمعنى سول له امراً حينئذ اوقعه
في امنيته فان السول الامنية وقرئ سول مبنياً للمفعول على حذف المضاف اي كيد الشيطان واملى لهم ومد لهم في الاماني والآمال وقيل
امهلهم الله تعالى ولم يعاجلهم بالعقوبة وقرئ املي لهم على صيغة التكلم فالمعنى ان الشيطان يغويهم وانا انظرهم فالواو للحال او للاستئناف

او للاستيناف وقرئ املي لهم على البناء للمفعول اي امهلوا ومد في عمرهم ذلك اشارة الى ما ذكر من ارتدادهم لا الى الاملاء كما نقل عن الواحدي
ولا الى التسويل كما قيل لان شيئاً منهما ليس مسبباً عن القول الآتي وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بانهم اي بسبب انهم قالوا يعني المنافقين
المذكورين لا اليهود الكافرين به عليه السلام بعدما وجدوا نعته عليه السلام في التورية كما قيل فان كفرهم به عليه السلام ليس بسبب هذا
القول ولو فرض صدوره عنهم سواء كان المقول لهم المنافقين او المشركين على رأي القائل بل من حين بعثته عليه السلام للذين
كرهوا ما نزل الله اي لليهود الكارهين لنزول القرآن على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع علمهم بانه من عند الله تعالى
حسداً وطمعاً في نزوله عليهم لا للمشركين كما قيل فان قوله تعالى سنطيعكم في بعض الامر عبارة قطعاً عما حكي عنهم بقوله تعالى الم تر الى
الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احداً ابداً وان قوتلتم
لننصرنكم وهم بنو قريظة والنضير الذين كانوا يوالونهم ويوادونهم وارادوا بالبعض الذي اشاروا الى عدم طاعتهم فيه
اظهار كفرهم واعلان امرهم بالفعل قبل قتالهم واخراجهم من ديارهم فانهم كانوا يأبون ذلك قبل مساس الحاجة الضرورية
الداعية اليه لما كان لهم في اظهار الايمان من المنافع الدنيوية وانما كانوا يقولون لهم ما يقولون سراً كما يعرب عنه قوله تعالى
والله يعلم اسرارهم اي اخفاءهم ما يقولونه لليهود وقرئ اسرارهم التي من جملتها قولهم هذا والجملة اعتراض مقرر لما قبله متضمن للافشاء
في الدنيا والتعذيب في الآخرة والفاء في قوله تعالى فكيف اذا توفتهم الملائكة لترتيب ما بعدها على ما قبلها وكيف منصوب بفعل محذوف هو العامل
في الظرف كأنه قيل يفعلون في حياتهم ما يفعلون من الحيل فكيف يفعلون اذا توفتهم الملائكة وقيل مرفوع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي فكيف
حالهم او حيلتهم اذا توفتهم الى آخره وقرئ توفاهم على انه اما ماض او مضارع قد حذف احدى تائيه يضربون وجوههم وادبارهم حال
من فاعل توفتهم او من مفعوله وهو تصوير لتوفيهم على اهول الوجوه وافظعها وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لا يتوفى احد على معصية
الا تضرب الملائكة وجهه ودبره ذلك التوفي الهائل بانهم اي بسبب انهم اتبعوا ما اسخط الله من الكفر والمعاصي وكرهوا رضوانه اي
ما يرضاه من الايمان والطاعة حيث كفروا بعد الايمان وخرجوا عن الطاعة بما صنعوا من المعاملة مع اليهود فاحبط لاجل ذلك اعمالهم
التي عملوها حال ايمانهم من الطاعات او بعد ذلك من اعمال البر التي لو عملوها حال الايمان لانتفعوا بها ام حسب الذين في قلوبهم مرض هم
المنافقون الذين فصلت احوالهم الشنيعة وصفوا بوصفهم السابق لكونه مدار ما نعي عليهم بقوله تعالى ان لن يخرج الله اضغانهم ام منقطعة
وان مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف ولن بما في حيزها خبرها والاضغان جمع ضغن وهو الحقد اي بل احسب الذين
في قلوبهم حقد وعداوة للمؤمنين انه لن يخرج الله احقادهم ولن يبرزها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين فيبقى امورهم مستورة
والمعنى ان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الاحتمال ولو نشاء لاريناكهم لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم معرفة متاخمة
للرؤية والالتفات الى نون العظمة لابراز العناية بالاراءة فلعرفتهم بسيماهم بعلاماتهم التي نسمهم بها وعن انس رضي الله عنه ما خفي على
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين
يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة واصبحوا وعلى وجه كل واحد منهم مكتوب هذا منافق واللام لام الجواب كررت في المعطوف للتأكيد
والفاء لترتيب المعرفة على الاراءة واما ما في قوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول فلجواب قسم محذوف ولحن القول نحوه واسلوبه وامالته الى جهة
تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لعدله بالكلام عن سمت الصواب والله يعلم اعمالكم فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا وعد للمؤمنين
وايذان بان حالهم بخلاف حال المنافقين ولنبلونكم بالامر بالجهاد ونحوه من التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على مشاق
الجهاد علماً فعلياً يتعلق به الجزاء ونبلوا اخباركم ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها وقرئ وليبلو بالياء وقرئ ونبلو بسكون الواو
على انه خبر لمبتدأ محذوف اي ونحن نبلو ان الذين كفروا وصدوا الناس عن سبيل الله وشاقوا الرسول وعادوه من بعد ما تبين لهم الهدى بما
شاهدوا نعته عليه الصلوة والسلام في التورية وبما ظهر على يديه من المعجزات ونزل عليه من الآيات وهم قريظة والنضير او المطعمون يوم بدر لن يضروا الله
بكفرهم وصدهم شيئاً من الاشياء او شيئاً من الضرر او لن يضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشاقته شيئاً وقد حذف المضاف لتعظيمه
وتفظيع مشاقته وسيحبط اعمالهم اي مكايدهم التي نصبوها في ابطال دينه تعالى ومشاقة رسوله عليه السلام فلا يصلون بها الى

كانوا يبغون من الغوائل ولا ثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم اى لا تبطلوا بمثل ما ابطل هؤلاء اعمالهم من الكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوهما وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم حكم يعم كل من مات على الكفر وان صح نزوله في اصحاب القليب فلا تهنوا اى لا تضعفوا وتدعوا الى السلم اى لا تدعوا الكفار الى الصلح خورا فان ذلك اعطاء الدنية ويجوز ان يكون ذلك منصوبا باضمار ان على جواب النهي وقرئ ولا تدعوا من ادعى القوم بمعنى تداعوا كقولهم ارتموا الصيد وتراموه ومنه تراءوا الهلال فان صيغة التفاعل قد يراد بها صدور الفعل عن المتعدد من غير اعتبار وقوعه عليه ومنه قوله تعالى عم يتساءلون على احد الوجهين والفاء لترتيب النهي على ما سبق من الامر بالطاعة وقوله تعالى وانتم الاعلون جملة حالية مقررة لمعنى النهي مؤكدة لوجوب الانتهاء وكذا قوله تعالى والله معكم فان كونهم الاعلين وكونه تعالى ناصرهم من اقوى موجبات الاجتناب عما يوهم الذل والضراعة وكذا توفيته تعالى لاجور الاعمال حسبما يعرب عنه قوله تعالى ولن يتركم اعمالكم اى ولن يضيعها من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد او اخ او حميم فافردته منه من الوتر الذي هو الفرد عبر عن ترك الاثابة في مقابلة الاعمال بالوتر الذي هو اضاعة شيء معتد به من الانفس والاموال مع ان الاعمال غير موجبة للثواب على قاعدة اهل السنة ابرازا لغاية اللطف بتصوير الثواب بصورة الحق المستحق وتنزيل ترك الاثابة منزلة اضاعة اعظم الحقوق واتلافها وقد مر في قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم انما الحياة الدنيا لعب ولهو لاثبات لها ولا اعتداد بها وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم اى ثواب ايمانكم وتقواكم من الباقيات الصالحات التي يتنافس فيها المتنافسون ولا يسألكم اموالكم بحيث يخل اداؤها بمعاشكم وانما اقتصر على نذر يسير منها هو ربع العشر تؤدونها الى فقرائكم ان يسألكموها اى اموالكم فيحفكم اى يجهدكم بطلب الكل فان الاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه اى استأصله تبخلوا فلا تعطوا ويخرج اضغانكم اى احقادكم وضمير يخرج لله تعالى ويعضده القراءة بنون العظمة او للبخل لانه سبب الاضغان وقرئ تخرج من الخروج بالياء والتاء مسندا الى الاضغان ها انتم هؤلاء اى انتم ايها المخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تعالى تدعون لتنفقوا في سبيل الله استئناف مقرر لذلك او صلة لهؤلاء على انه بمعنى الذين اى ها انتم الذين تدعون ففيه توبيخ عظيم وتحقير من شأنهم والانفاق في سبيل الله يعم نفقة الغزو والزكوة وغيرهما فمنكم من يبخل اى ناس يبخلون وهو في حيز الدليل على الشرطية السابقة ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه فان كلا من نفع الانفاق وضرر البخل عائد اليه والبخل يستعمل بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدي والله الغني دون من عداه وانتم الفقراء فما يأمركم به فهو لاحتياجكم الى ما فيه من المنافع فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم وقوله تعالى وان تتولوا عطف على ان تؤمنوا اى وان تعرضوا عن الايمان والتقوى يستبدل قوما غيركم يخلفكم مكانكم قوما آخرين ثم لا يكونوا امثالكم في التولي عن الايمان والتقوى بل يكونوا راغبين فيهما قيل هم الانصار وقيل الملائكة وقيل اهل فارس لما روي انه عليه السلام سئل عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه فقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وقيل كندة والنخع وقيل العجم وقيل الروم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد كان حقا على الله عز وجل ان يسقيه من انهار الجنة والحمد لله رب العالمين

سورة الفتح

بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتح البلد عبارة عن الظفر به عنوة او صلحا بحراب او بدونه فانه ما لم يظفر به لا يكون فتحا وهو متعلق مأخوذ من فتح الدار واسناده الى نون العظمة لاستناد افعال العباد اليه تعالى خلقا وايجادا والمراد به فتح مكة وهو المروي عن انس رضي الله عنه بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند انصرافه عن الحديبية والتعبير عنه بصيغة الماضي على سنن سائر الاخبار الربانية للايذان بتحققه لا محالة تأكيدا للتبشير كما ان تصدير الكلام بحرف التحقيق لذلك وفيه من الفخامة المنبئة عن عظمة شأن المخبر جل جلاله وعز سلطانه ما لا يخفى وقيل هو ما اتيح له عليه السلام في تلك السنة من فتح خيبر وهو المروي عن مجاهد وقيل هو صلح الحديبية فانه وان لم يكن فيه حراب شديد بل ترام بين الفريقين بسهام وحجارة لكن لما كان الظهور للمسلمين حيث سألهم المشركون الصلح كان فتحا بلا ريب وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح وقد روي انه عليه السلام حين بلغه ان رجلا قال ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا قال بل هو اعظم الفتوح وقد

رضي المشركون ان يدفعوكم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد رأوا منكم ما يكرهون وعن الشعبي نزلت بالحديبية واصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة حيث اصاب ان بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبلغ الهدى محله واطعموا نخل خيبر وظهرت الروم على فارس ففرح به المسلمون وكان في فتح الحديبية آية عظيمة هي انه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل فجاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو جميع ما فتح له عليه السلام من الفتوح وقيل هو ما فتح الله له عليه السلام من الاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح ابين منه واعظم وهو رأس الفتوح كافة اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو شعبة من شعبه وفرع من فروعه وقيل الفتح بمعنى القضاء ومنه الفتاحة للحكومة والمعنى قضينا لك على اهل مكة ان تدخلها من قابل وهو المروي عن قتادة رضي الله عنه واياما كان فحذف المفعول للقصد الى نفس الفعل والايذان بان مناط التبشير نفس الفتح الصادر عنه سبحانه لا خصوصية المفتوح فتحا مبينا بينا ظاهر الامر مكشوف الحال او فارقا بين الحق والباطل وقوله تعالى ليغفر لك الله غاية للفتح من حيث انه مترتب على سعيه عليه السلام في اعلاء كلمة الله تعالى بمكابدة مشاق الحروب واقتحام موارد الخطوب والالتفات الى اسم الذات المستتبع لجميع الصفات للاشعار بان كل واحد مما انتظم في سلك الغاية من افعاله تعالى صادر عنه تعالى من حيثية غير حيثية الآخر مترتبة على صفة من صفاته تعالى ما تقدم من ذنبك وما تأخر اى جميع ما فرط منك من ترك الاولى وتسميته ذنبا بالنظر الى منصبه الجليل ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة وغيرهما مما افاضه عليه من النعم الدينية والدنيوية ويهديك صراطا مستقيما في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرسالة وان كانت حاصلة قبل الفتح لكن حصل بعد ذلك من اتضاح سبل الحق واستقامة مناهجه ما لم يكن حاصلا قبل وينصرك الله اظهار الاسم الجليل لكونه خاتمة الغايات ولاظهار كمال العناية بشأن النصر كما يعرب عنه تأكيده بقوله تعالى نصرا عزيزا اى نصرا فيه عزة ومنعة او قويا منيعا على وصف المصدر بوصف صاحبه مجازا للمبالغة او عزيزا صاحبه هو الذي انزل السكينة بيان لما افاض عليهم من مبادي الفتح من الثبات والطمأنينة اى انزلها في قلوب المؤمنين بسبب الصلح والامن اظهارا لفضله تعالى عليهم بتيسير الامن بعد الخوف ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم اى يقينا منضما الى يقينهم او انزل فيها السكون الى ما جاء به عليه السلام من الشرائع ليزدادوا ايمانا بها مقرونا مع ايمانهم بالوحدانية واليوم الآخر عن ابن عباس رضي الله عنه ان اول ما اتاهم به النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد ثم الصلوة والزكوة ثم الحج والجهاد فازدادوا ايمانا مع ايمانهم او انزل فيها الوقار والعظمة لله ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا الى ايمانهم ولله جنود السموات والارض يدبر امرها كيفما يريد يسلط بعضها على بعض تارة ويوقع بينها السلم اخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وكان الله عليما مبالغا في العلم بجميع الامور حكيما في تقديره وتدبيره وقوله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها متعلق بما دل عليه ما ذكر من كون جنود السموات والارض له تعالى من معنى التصرف والتدبير اى دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله تعالى في ذلك ويشكروها فيدخلهم الجنة ويكفر عنهم سيئاتهم اى يغطيها ولا يظهرها وتقديم الادخال في الذكر على التكفير مع ان الترتيب في الوجود على العكس للمسارعة الى بيان ما هو المطلب الاعلى وكان ذلك اى ما ذكر من الادخال والتكفير عند الله فوزا عظيما لا يقادر قدره لانه منتهى ما يمتد اليه اعناق الهمم من جلب نفع ودفع ضر وعند الله حال من فوزا لانه صفته في الاصل فلما قدم عليه صار حالا اى كائنا عند الله اى في علمه وقضائه والجملة اعتراض مقرر لما قبله ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات عطف على يدخل وفي تقديم المنافقين على المشركين ما لا يخفى من الدلالة على انهم احق منهم بالعذاب الظانين بالله ظن السوء اى ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله والمؤمنين عليهم دائرة السوء اى ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم وقرئ دائرة السوء بالضم وهما لغتان من ساء كالكره والكره خلا ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شيء واما المضموم فجار مجرى الشر وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم عطف لما استحقوه في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو في الاخيرين مع ان حقهما الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للايذان باستقلال كل منها في الوعيد واصالته من غير اعتبار استتباع بعضها لبعض وساءت مصيرا اى جهنم ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما اعادة لما سبق قالوا فائدتها التنبيه على ان لله تعالى جنود الرحمة وجنود العذاب وان المراد ههنا جنود العذاب كما ينبئ عنه التعرض لوصف العزة انا ارسلناك شاهدا اى على امتك لقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا ومبشرا على الطاعة ونذيرا على المعصية لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب للرسول

صلى الله عليه وسلم ولامته وتعزروه وتقووه بتقوية دينه ورسوله وتوقروه وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا له من التسبيح بكرة
غدوة وعشية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما صلوة الفجر وصلوة الظهر وصلوة العصر وقرئ الافعال الاربعة بالياء التحتانية وقرئ
وتعزروه بضم التاء وتخفيف الزاء المكسورة وقرئ بفتح التاء وضم الزاء وكسرها وتعزروه بزائين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره
ان الذين يبايعونك اي على قتال قريش تحت الشجرة وقوله تع انما يبايعون الله يعني ان مبايعتك هي مبايعة الله عز وجل لان المقصود توثيق
العهد بمراعاة توثيق اوامره ونواهيه وقوله تع يد الله فوق ايديهم حال او استيناف مؤكد له على طريقة التخييل والمعنى ان عقد الميثاق
مع الرسول كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله تع من يطع الرسول فقد اطاع الله وقرئ انما يبايعون لله اي لاجله ولوجهه فمن
نكث فانما ينكث على نفسه وقرئ بكسر الكاف ومن اوفى بما عاهد عليه الله بضم الهاء فانه ابقي بعد حذف الواو توسلا بذلك الى تفخيم لام الجلالة
وقرئ بكسرها اي ومن وفى بعهده فسيؤتيه اجرا عظيما هو الجنة وقرئ بما عهد وقرئ فسنؤتيه بنون العظمة سيقول لك المخلفون من الاعراب
هم اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم والديل تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي
ليخرجوا معه عند ارادته المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت واحرم عليه السلام وساق معه
الهدي ليعلم انه لا يريد الحرب وتثاقلوا عن الخروج وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فنقاتلهم فاوحى الله
اليه عليه السلام بانهم سيعتلون ويقولون شغلتنا اموالنا واهلونا ولم يكن لنا من يخلفنا فيهم ويقوم بمصالحهم ويحميهم من الضياع وقرئ
شغلتنا بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا الله تعالى ليغفر لنا تخلفنا عنك حيث لم يكن باختيار بل عن اضطرار يقولون بالسنتهم ما ليس في
قلوبهم بدل من سيقول او استيناف لتكذيبهم في الاعتذار والاستغفار قل ردا لهم عند اعتذارهم اليك باباطيلهم فمن يملك لكم من الله شيئا
اي فمن يقدر لاجلكم من مشية الله تعالى وقضائه على شيء من النفع ان اراد بكم ضرا اي ما يضركم من هلاك الاهل والمال وضياعهما حتى تتخلفوا عن
الخروج لحفظهما ودفع الضرر عنهما وقرئ ضرا بالضم او اراد بكم نفعا اي ومن يقدر على شيء من الضرر ان اراد بكم ما ينفعكم من حفظ اموالكم
واهليكم فاي حاجة الى التخلف لاجل القيام بحفظهما وهذا تحقيق للحق ورد لهم بموجب ظاهر مقالتهم الكاذبة وتعميم الضرر والنفع لما يتوقع
على تقدير الخروج من القتل والهزيمة والظفر والغنيمة يرده قوله تع بل كان الله بما تعملون خبيرا فانه اضراب عما قالوا وبيان لكذبه بعد بيان رده
على تقدير صدقه اي ليس الامر كما تقولون بل كان الله خبيرا بجميع ما تعملون من الاعمال التي من جملتها تخلفكم وما هو من مباديه وقوله تع بل
ظننتم الى آخره بدل من كان الله الى آخره مفسر لما فيه من الابهام اي ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا بان يستأصلهم
المشركون بالمرة فخشيتم ان كنتم معهم ان يصيبكم ما اصابهم فلاجل ذلك تخلفتم لا لما ذكرتم من المعاذير الباطلة والاهلون جمع اهل
وقد يجمع على اهلات كارضات على تقدير تاء التانيث واما الاهالي فاسم جمع كالليالي وقرئ الى اهلهم وزين ذلك في قلوبكم
وقبلتموه واشتغلتم بشأن انفسكم غير مبالين بهم وقرئ زين على البناء للفاعل باسناده الى الله تعالى او الى الشيطان وظننتم ظن
السوء المراد به اما الظن الاول والتكرير لتشديد التوبيخ والتسجيل عليه بالسوء او ما يعمه وغيره من الظنون الفاسدة التي من جملتها
الظن بعدم صحة رسالته عليه السلام فان الجازم بصحتها لا يحوم حول فكره ما ذكر من الاستيصال وكنتم قوما بورا اي هالكين عند الله
مستوجبين لسخطه وعقابه على انه جمع بائر كعائذ وعوذ او فاسدين في انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم وقيل البور من بار
كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ومن لم يؤمن بالله ورسوله كلام من جهته تعالى غير داخل
في الكلام الملقن مقرر لبوارهم ومبين لكيفيته اي ومن لم يؤمن بهما كدأب هؤلاء المخلفين فانا اعتدنا للكافرين سعيرا اي لهم
وانما وضع موضع الضمير الكافرين ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله ورسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا
للتنكير والتهويل او لانها نار مخصوصة ولله ملك السموات والارض وما فيهما يتصرف في الكل كيف يشاء يغفر لمن يشاء ان يغفر له
ويعذب من يشاء ان يعذبه من غير دخل لاحد في شيء منهما وجودا وعدما وفيه حسم لاطماعهم الفارغة في استغفاره عليه السلام
لهم وكان الله غفورا رحيما مبالغا في المغفرة والرحمة لمن يشاء ولا يشاء الا لمن تقتضي الحكمة مغفرته ممن يؤمن به وبرسوله واما
من عداه من الكافرين فهم بمعزل من ذلك قطعا سيقول المخلفون اي المذكورون وقوله تع اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها

لتأخذوها ظرف لما قبله لا شرط لما بعده اي سيقولون عند انطلاقكم الى مغانم خيبر لتحوزوها حسبما وعدكم اياها وخصكم بها عوضا عما
فاتكم من غنائم مكة ذرونا نتبعكم الى خيبر ونشهد معكم قتال اهلها يريدون ان يبدلوا كلام الله بان يشاركوا في الغنائم التي
خصها باهل الحديبية فانه عليه السلام رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها واوائل المحرم من سنة سبع
وغزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم حسبما امره الله عز وجل وقرئ كلم الله وهو جمع كلمة واياما كان
فالمراد ما ذكر من وعده تعالى غنائم خيبر لاهل الحديبية خاصة لا قوله تعالى لن تخرجوا معي ابدا فان ذلك في غزوة تبوك قل اقناطا
لهم لن تتبعونا اي لا تتبعونا فانه نفي في معنى النهي للمبالغة كذلكم قال الله من قبل اي عند الانصراف من الحديبية فسيقولون للمؤمنين
عند سماع هذا النهي بل تحسدوننا اي ليس ذلك النهي حكم الله بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنائم وقرئ تحسدوننا بكسر السين وقوله
تع بل كانوا لا يفقهون اي لا يفهمون الا قليلا اي الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا رد لقولهم الباطل ووصف لهم بما هو
اعظم من الحسد واطم من الجهل المفرط وهو سوء الفهم في امور الدين قل للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم بهذا العنوان مبالغة في ذمهم
ستدعون الى قوم اولي بأس شديد هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب وغيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين
لقوله تعالى تقاتلونهم او يسلمون اي يكون احد الامرين اما المقاتلة ابدا او الاسلام لا غير كما يفصح عنه قراءة او يسلموا واما من عداهم
فينتهي قتالهم بالجزية كما ينتهي بالاسلام وفيه دليل على امامة ابي بكر رضي الله عنه اذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف
وهوازن فان ذلك كان في عهد النبوة فيختص دوام نفي الاتباع بما في غزوة خيبر كما قاله محيي السنة وقيل هم فارس والروم ومعنى
يسلمون ينقادون فان الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم الجزية فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة في الدنيا والجنة
في الآخرة وان تتولوا عن الدعوة كما توليتم من قبل في الحديبية يعذبكم عذابا اليما لتضاعف جرمكم ليس على الاعمى حرج ولا على
الاعرج حرج ولا على المريض حرج اي في التخلف عن الغزو لما بهم من العذر والعاهة فان التكليف يدور على الاستطاعة وفي نفي
الحرج عن كل من الطوائف المعدودة مزيد اعتناء بامرهم وتوسيع لدائرة الرخصة ومن يطع الله ورسوله فيما ذكر من الاوامر
والنواهي يدخله جنات تجري من تحتها الانهار وقرئ ندخله بنون العظمة ومن يتول اي عن الطاعة يعذبه وقرئ بالنون عذابا
اليما لا يقادر قدره لقد رضي الله عن المؤمنين هم الذين ذكر شأن مبايعتهم وبهذه الآية سميت بيعة الرضوان وقوله تع اذ
يبايعونك تحت الشجرة منصوب برضي وصيغة المضارع لاستحضار صورتها وتحت الشجرة متعلق به او بمحذوف هو حال من فاعله روي
انه عليه السلام لما نزل الحديبية بعث جواس بن امية الخزاعي رسولا الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان
فاخبرهم انه عليه السلام لم يأت لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف بالبيت
فافعل فقال ما كنت لاطوف قبل ان يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبس عندهم فارجف بانهم قتلوه فقال عليه السلام لا نبرح
حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة وقيل سدرة على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا
وروي على الموت دونه وان لا يفروا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم اليوم خير اهل الارض وكانوا الفا وخمسمائة وخمسة
وعشرين وقيل الفا واربعمائة وقيل الفا وثلثمائة وقوله تع فعلم ما في قلوبهم عطف على يبايعونك لما عرفت من انه بمعنى بايعوك
لا على رضي فان رضاه تعالى عنهم مترتب على علمه تعالى بما في قلوبهم من الصدق والاخلاص عند مبايعتهم له عليه السلام وقوله تع
فانزل السكينة عليهم عطف على رضي اي فانزل عليهم الطمأنينة والامن وسكون النفس بالربط على قلوبهم وقيل بالصلح واثابهم فتحا
قريبا هو فتح خيبر غب انصرافهم من الحديبية كما مر تفصيله وقرئ وآتاهم ومغانم كثيرة يأخذونها اي مغانم خيبر والالتفات
الى الخطاب على قراءة الاعمش وطلحة ونافع لتشريفهم في مقام الامتنان وكان الله عزيزا حكيما غالبا مراعيا لمقتضى الحكمة في
احكامه وقضاياه وعدكم الله مغانم كثيرة هي ما يفيء بها على المؤمنين ويمن عليهم بها الى يوم القيمة تأخذونها في اوقاتها المقدرة
لكل واحدة منها فعجل لكم هذه اي غنائم خيبر وكف ايدي الناس عنكم اي ايدي اهل خيبر وحلفائهم من بني اسد وغطفان حيث
جاؤا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل ايدي اهل مكة بالصلح ولتكون آية للمؤمنين امارة يعرفونها

صدق الرسول في وعده اياهم عند رجوعه من الحديبية ما ذكر من المغانم وفتح مكة ودخول المسجد الحرام واللام متعلقة اما بمحذوف مؤخر
اي ولتكون آية لهم فعل ما فعل من التعجيل والكف او بما تعلق به علة اخرى محذوفة من احد الفعلين اي فعجل لكم هذه وكف ايدي الناس
لتغتنموها ولتكون الى آخره فالواو على الاول اعتراضية وعلى الثاني عاطفة ويهديكم بتلك الآية صراطا مستقيما هو الثقة بفضل الله
تعالى والتوكل عليه في كل ما تأتون وما تذرون واخرى عطف على هذه اي فعجل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى لم تقدروا عليها
وهي مغانم هوازن في غزوة حنين ووصفها بعدم القدرة عليها لما كان فيها من الجولة قبل ذلك لزيادة ترغيبهم فيها وقوله تعالى
قد احاط الله بها صفة اخرى لأخرى مفيدة لسهولة تأتيها بالنسبة الى قدرته تعالى بعد بيان صعوبة منالها بالنظر الى قدرتهم
اي قد قدر الله عليها واستولى واظهركم عليها وقيل حفظها لكم ومنعها من غيركم هذا وقد قيل ان اخرى منصوب بمضمر يفسره قد احاط
الله بها اي وقضى الله اخرى ولا ريب في ان الاخبار بقضاء الله تعالى اياها بعد اندراجها في جملة المغانم الموعودة بقوله تعالى
وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها ليس فيه مزيد فائدة وانما الفائدة في بيان تعجيلها وكان الله على كل شيء قديرا لان قدرته
تعالى ذاتية لا تختص بشيء دون شيء ولو قاتلكم الذين كفروا اي اهل مكة ولم يصالحوكم وقيل حلفاء خيبر لولوا الادبار منهزمين ثم
لا يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التي قد خلت من قبل اي سن الله غلبة انبيائه سنة قديمة فيمن مضى من
الامم ولن تجد لسنة الله تبديلا اي تغييرا وهو الذي كف ايديهم اي ايدي كفار مكة عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة اي في داخلها
من بعد ان اظفركم عليهم وذلك ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على
جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا وكان
الله بما تعملون من مقاتلتهم وهزمهم اولا والكف عنهم ثانيا لتعظيم بيت الله الحرام وقرئ بالياء بصيرا فيجازيكم بذلك او يجازيهم
هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي بالنصب عطفا على الضمير المنصوب في صدوكم وقرئ بالجر عطفا على المسجد بحذف المضاف
اي ونحر الهدي وبالرفع على وصدوكم اي وصد الهدي وقوله تعالى معكوفا حال من الهدي اي محبوسا وقوله تعالى ان يبلغ محله بدل اشتمال
من الهدي او منصوب بنزع الخافض اي محبوسا من ان يبلغ مكانه الذي يحل فيه نحره وبه استدل ابو حنيفة رضي الله عنه على ان
المحصر محل هديه الحرم قالوا بعض الحديبية من الحرم وروي ان خيامه عليه السلام كانت في الحل ومصلاه في الحرم وهناك نحرت هداياه
عليه السلام والمراد صدها عن محلها المعهود الذي هو منى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم لم تعرفوهم باعيانهم
لاختلاطهم وهو صفة لرجال ونساء وقوله تعالى ان تطؤوهم اي توقعوا بهم وتهلكوهم بدل اشتمال منهم او من الضمير المنصوب في تعلموهم
فتصيبكم منهم اي من جهتهم معرة اي مشقة ومكروه كوجوب الدية او الكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار وسوء
قالتهم والاثم بالتقصير في البحث عنهم وهي مفعلة من عره اذا عراه ودهاه ما يكرهه بغير علم متعلق بان تطؤوهم اي غير عالمين بهم وجواب
لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين الكافرين غير عالمين بهم فيصيبكم بذلك مكروه لما
كف ايديكم عنهم وقوله تعالى ليدخل الله في رحمته متعلق بما يدل عليه الجواب المحذوف كأنه قيل عقيبه لكن كفها عنهم ليدخل بذلك الكف
المؤدي الى الفتح بلا محذور في رحمته الواسعة بقسميها من يشاء وهم المؤمنون فانهم كانوا خارجين من الرحمة الدنيوية التي من جملتها
الامن مستضعفين تحت ايدي الكفرة واما الرحمة الاخروية فهم وان كانوا غير محرومين منها بالمرة لكنهم كانوا قاصرين في
اقامة مراسم العبادة كما ينبغي فتوفيقهم لاقامتها على الوجه الاتم ادخال لهم في الرحمة الاخروية وقد جوز ان يكون من يشاء عبارة
عمن رغب في الاسلام من المشركين واباه قوله تعالى لو تزيلوا الى آخره فان فرض التنزيل وترتيب التعذيب عليه يقتضي تحقق المباينة
بين الفريقين بالايمان والكفر قبل التنزيل حتما اي لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ لو تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم
عذابا اليما بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها اذ جعل الذين كفروا منصوب باذكر على المفعولية او بعذبنا
على الظرفية وقيل بمضمر هو احسن الله اليكم واياما كان فوضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة وتعليل الحكم به والجعل اما بمعنى
الالقاء فقوله تعالى في قلوبهم الحمية اي الانفة والتكبر متعلق به وبمعنى التصيير فهو متعلق بمحذوف هو مفعول ثان له اي جعلوها

اي جعلوها ثابتة راسخة في قلوبهم حمية الجاهلية بدل من الحمية الاولى اي حمية الملة الجاهلية او الحمية الناشئة من الجاهلية
وقوله تعالى فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين على الاول عطف على جعل والمراد تذكير حسن صنيع الرسول عليه السلام والمؤمنين بتوفيق الله
تعالى وسوء صنيع الكفرة وعلى الثاني على ما يدل عليه الجملة الامتناعية كأنه قيل لم يتزيلوا فلم نعذب فانزل الله الى آخره وعلى الثالث على
المضمر تفسير والسكينة الثبات والوقار روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن
عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاحنف على ان يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم ان يرجع من عامه ذلك على ان تخلي له قريش مكة من العام القابل
ثلاثة ايام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب
هذا ما صالح عليه رسول الله اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله
اهل مكة فقال صلى الله عليه وسلم اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يأبوا ذلك ويبطشوا بهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وحلموا والزمهم كلمة
التقوى هي الوفاء بالعهد والثبات عليه واضافتها الى التقوى لانها سبب التقوى واساسها او كلمة اهلها وكانوا احق بها متصفين بمزيد استحقاق
لها على ان صيغة التفضيل للزيادة مطلقا وقيل احق بها من الكفار واهلها اي المستأهل لها وكان الله بكل شيء عليما فيعلم حق كل شيء
فيسوقه الى مستحقه لقد صدق الله رسوله الرؤيا اي رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية كأنه قد دخلوا مكة آمنين وقد
حلقوا رؤوسهم وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن ابي وعبد الله
ابن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت اي صدقه عليه السلام في رؤياه كما في قولهم صدقني سن
بكره وتحقيقه اراه الرؤيا الصادقة وقوله تعالى بالحق اما صفة لمصدر مؤكد محذوف اي صدقا ملتبسا بالحق اي بالغرض الصحيح والحكمة
البالغة التي هي التمييز بين الراسخ في الايمان والمتزلزل فيه او حال من الرؤيا اي ملتبسة بالحق ليست من قبيل اضغاث الاحلام وقد جوز ان يكون
قسما بالحق الذي هو من اسماء الله تعالى او بنقيض الباطل وقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام جوابه وهو على الاولين جواب قسم محذوف اي والله
لتدخلن الى آخره وقوله تعالى ان شاء الله تعليق للعدة بالمشيئة لتعليم العباد او للاشعار بان بعضهم لا يدخلونه لموت او غيبة او غير ذلك
او هي حكاية لما قاله ملك الرؤيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لما قاله عليه السلام لاصحابه آمنين حال من فاعل لتدخلن والشرط معترض
وكذا قوله تعالى محلقين رؤوسكم ومقصرين اي محلقا بعضكم ومقصرا آخرون وقيل محلقين حال من ضمير آمنين فتكون متداخلة لا تخافون حال
مؤكدة من فاعل لتدخلن او آمنين او محلقين او مقصرين او استئناف اي لا تخافون بعد ذلك فعلم ما لم تعلموا عطف على صدق والمراد بعلمه تعالى
العلم الفعلي المتعلق بامر حادث بعد المعطوف عليه اي فعلم عقيب ما اراه الرؤيا الصادقة ما لم تعلموا من الحكمة الداعية الى تقديم ما يشهد بالصدق علما
فعليا فجعل لاجله من دون ذلك اي من دون تحقق مصداق ذلك الذي اراه من دخول المسجد الحرام آمنين الى آخره فتحا قريبا وهو فتح خيبر والمراد
بجعله وعده وانجازه من غير تسويف ليستدل به على صدق الرؤيا حسبما قال ولتكون آية للمؤمنين واما جعل ما في قوله تعالى ما لم تعلموا عبارة
عن الحكمة في تأخير فتح مكة الى العام القابل كما جنح اليه الجمهور فيأباه الفاء فان علمه تعالى بذلك متقدم على اراءة الرؤيا قطعا هو الذي
ارسل رسوله بالهدى اي ملتبسا به او بسببه او لاجله ودين الحق وهو دين الاسلام ليظهره على الدين كله ليغلبه على جنس الدين بجميع افراده التي
هي الاديان المختلفة بنسخ ما كان حقا من بعض الاحكام المتبدلة بتبدل الاعصار واظهار بطلان ما كان باطلا او بتسليط المسلمين على
اهل سائر الاديان اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه فضل تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على انه تعالى سيفتح
لهم من البلاد ويتيح لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه فتح مكة وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن لا محالة او على نبوته عليه
السلام باظهار المعجزات محمد خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى رسول الله بدل او بيان او نعت اي ذلك الرسول المرسل بالهدى ودين الحق محمد
رسول الله وقيل محمد مبتدأ ورسول الله خبره والجملة مبينة للمشهود به وقوله تعالى والذين معه مبتدأ خبره اشداء على الكفار رحماء بينهم
واشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة ولمن وافقهم في الدين الرحمة والرأفة
كقوله تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين وقرئ اشداء ورحماء بالنصب على المدح او على الحال من المستكن في معه لوقوعه صلة فالخبر
حينئذ قوله تعالى تراهم ركعا سجدا اي تشاهدهم حال كونهم راكعين ساجدين لمواظبتهم على الصلوات وهو على الاول خبر آخر او استئناف

وقوله تعالى يبتغون فضلا من الله ورضوانا اي ثوابا ورضا اما خبر آخر او حال من ضمير تراهم او من المستتر في ركعا سجدا او استئناف مبني على
سؤال نشأ من بيان مواظبتهم على الركوع والسجود كأنه قيل ماذا يريدون بذلك فقيل يبتغون فضلا من الله الى آخره سيماهم اي سمتهم وقرئ
سيمياؤهم بالياء بعد الميم والمد وهما لغتان وفيها لغة ثالثة هي السيماء بالمد وهو مبتدأ خبره في وجوههم اي في جباههم وقوله تعالى
من اثر السجود حال من المستكن في الجار اي من التأثير الذي تؤثره كثرة السجود وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله عليه السلام لا تعلبوا
صوركم اي لا تسموها انما هو فيما اذا اعتمد بجبهته على الارض ليحدث فيها تلك السمة وذلك محض رياء ونفاق والكلام فيما حدث في
جبهة السجاد الذي لا يسجد الا خالصا لوجه الله عز وجل وكان الامام زين العابدين وعلي بن عبد الله بن العباس رضي الله تعالى عنهما
يقال لهما ذوا الثفنات لما احدثت كثرة سجودهما في مواقعه منهما اشباه ثفنات البعير قال قائلهم ديار علي والحسين وجعفر وحمزة
والسجاد ذي الثفنات وقيل صفرة الوجه من خشية الله تعالى وقيل ندى الطهور وتراب الارض وقيل استنارة وجوههم من طول ما صلوا
بالليل قال عليه السلام من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وقرئ من آثار السجود ومن اثر السجود بكسر الهمزة ذلك اشارة الى ما ذكر
من نعوتهم الجليلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شأنه وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدأ خبره
قوله تعالى مثلهم اي وصفهم العجيب الشأن الجاري في الغرابة مجرى الامثال وقوله تعالى في التوراة حال من مثلهم والعامل معنى الاشارة
وقوله تعالى ومثلهم في الانجيل عطف على مثلهم الاول كأنه قيل ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل وتكرير مثلهم لتأكيد غرابته
وزيادة تقريرها وقوله تعالى كزرع اخرج شطأه الى آخره تمثيل مستأنف اي هم كزرع اخرج فراخه وقيل هو تفسير لذلك على انه
اشارة مبهمة وقيل خبر لقوله تعالى ومثلهم في الانجيل على ان الكلام قد تم عند قوله تعالى مثلهم في التوراة وقرئ شطأه بفتحات وقرئ
شطاه بفتح الطاء وتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا فآزره فقواه
من الموازرة بمعنى المعاونة او من الايزار وهي الاعانة وقرئ فأزره بالتخفيف وازّره بالتشديد اي شد ازره وقواه
فاستغلظ فصار غليظا بعد ما كان دقيقا فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وقرئ سؤقه بالهمزة يعجب الزراع
بقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله عز وجل لاصحابه صلى الله عليه وسلم عند ما كثروا واستحكموا بعد ما قلوا في بدء
الاسلام فترقى امرهم يوما فيوما بحيث اعجب الناس وقيل مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر وقوله تعالى ليغيظ بهم الكفار علة لما يعرب عنه الكلام من تشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه او لما بعده من قوله تعالى
وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فان الكفار اذا سمعوا بما اعد للمؤمنين في الآخرة مع ما لهم في الدنيا
من العزة غاظهم ذلك اشد غيظ ومنهم للبيان عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتح مكة شرفها الله تعالى

سورة الحجرات

بسم الله الرحمن الرحيم • يا ايها الذين آمنوا تصدير الخطاب بالنداء لتنبيه المخاطبين على ان ما في حيزه امر خطير يستدعي مزيد
اعتنائهم بشأنه وفرط اهتمامهم بتلقيه ومراعاته ووصفهم بالايمان لتنشيطهم والايذان بانه داع الى المحافظة عليه ووازع عن
الاخلال به لا تقدموا اي لا تفعلوا التقديم على ان ترك المفعول للقصد الى نفس الفعل من غير اعتبار تعلقه بامر من الامور على طريقة
قولهم فلان يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع او لا تقدموا امرا من الامور على ان حذف المفعول للقصد الى تعميمه والاول اوفى
بحق المقام لافادة النهي عن التلبس بنفس الفعل الموجب لانتفائه بالكلية المستلزم لانتفاء تعلقه بمفعوله بالطريق البرهاني
وقد جوز ان يكون التقديم ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة ويعضده قراءة من قرأ لا تقدموا بحذف احدى التاءين من تتقدموا
وقرئ لا تقدموا من القدوم وقوله تعالى بين يدي الله ورسوله مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسان تهجينا لما نهوا عنه
والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول الله وذكر الله تعالى لتعظيمه والايذان بجلالة محله عنده عز وجل
قيل نزل فيما جرى بين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما لدى النبي صلى الله عليه وسلم في تأمير الاقرع بن حابس او القعقاع بن معبد واتقوا الله
في كل ما تأتون وما تذرون من الاقوال والافعال التي من جملتها ما نحن فيه ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم فمن حقه

فمن حقه ان يتقى ويراقب يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي شروع في النهي عن التجاوز في كيفية القول عند النبي صلى الله عليه وسلم
بعد النهي عن التجاوز في نفس القول والفعل واعادة النداء مع قرب العهد به للمبالغة في الايقاظ والتنبيه والاشعار باستقلال كل من
الكلامين باستدعاء الاعتناء بشأنه اي لا تبلغوا باصواتكم وراء حد يبلغه عليه السلام بصوته وقرئ لا ترفعوا باصواتكم على ان الباء
مزيدة ولا تجهروا له بالقول اذا كلمتموه كجهر بعضكم لبعض اي جهرا كائنا كالجهر الجاري فيما بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته عليه السلام
وتعهدوا في مخاطبته اللين القريب من الهمس كما هو الدأب عند مخاطبة المهيب المعظم وحافظوا على مراعاة ابهة النبوة وجلالة
مقدارها وقيل معنى لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا له يا محمد يا احمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
نزلت بهذه الآية قال ابو بكر يا رسول الله والله لا اكلمك الا السرار او اخا السرار حتى القى الله وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه كان يكلمه عليه
السلام كأخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان ابو بكر رضي الله تعالى عنه اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفود ارسل اليهم
من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ان تحبط اعمالكم اما علة للنهي اي لا
تجهروا خشية ان تحبط او كراهة ان تحبط كما في قوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا او للمنهي اي لا تجهروا لاجل الحبوط فان الجهر حيث
كان بصدد الاداء الى الحبوط فكأنه فعل لاجله على طريقة التمثيل كقوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا وليس المراد بما نهي عنه من الرفع
والجهر ما يقارنه من الاستخفاف والاستهانة فان ذلك كفر بل ما يتوهم ان يؤدي اليه مما يجري بينهم في اثناء المحاورة من الرفع
والجهر حسبما يعرب عنه قوله تعالى كجهر بعضكم لبعض خلا ان رفع الصوت فوق صوته عليه السلام لما كان منكرا محضا لم يقيد بشيء ولا ما
يقع منهما في حرب او مجادلة معاند او ارهاب عدو او نحو ذلك وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نزلت في ثابت بن قيس بن شماس
وكان في اذنه وقر وكان جهوري الصوت وربما كان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته وعن ابن عباس انه لما
نزلت الآية فقد ثابت وتفقده عليه السلام فاخبر بشأنه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية واني رجل
جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال له عليه السلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة واما
ما روي عن الحسن من انها في بعض المنافقين الذين كانوا يرفعون اصواتهم فوق صوته عليه السلام فقد قيل محمله ان نهيهم مندرج تحت نهي
المؤمنين بدلالة النص وانتم لا تشعرون حال من فاعل تحبط اي والحال انكم لا تشعرون بحبوطها وفيه مزيد تحذير عما نهوا عنه
وقوله تعالى ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الى آخره ترغيب في الانتهاء عما نهوا عنه بعد الترهيب عن الاخلال به اي يخفضونها مراعاة
للادب وخشية من مخالفة النهي اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد
بالمشار اليه لما مر مرارا من تفخيم شأنه وهو مبتدأ خبره الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اي جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها كائنة للتقوى
خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة لمحذوف او للفعل باعتبار الاصل او ضرب قلوبهم بضروب المحن والتكاليف الشاقة لاجل
التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه وعن عمر رضي الله تعالى عنه
اذهب عنها الشهوات لهم في الآخرة مغفرة عظيمة لذنوبهم واجر عظيم لا يقادر قدره والجملة اما خبر آخر لان كالجملة المصدرة
باسم الاشارة او استئناف لبيان جزائهم احمادا لحالهم وتعريضا بسوء حال من ليس مثلهم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات
اي من خارجها من خلفها او قدامها ومن ابتدائية دالة على ان المناداة نشأت من جهة الوراء وان المنادى داخل الحجرة لوجوب
اختلاف المبدأ والمنتهى بحسب الجهة بخلاف ما لو قيل ينادونك وراء الحجرات بفتح الجيم وبسكونها وتثليثها جمع حجرة وهي القطعة من الارض
المحجورة بالحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهي فعلة من الحجر بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد بها حجرات امهات
المؤمنين ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه عليه السلام من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له
عليه السلام فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك فاسند فعل الابعاض الى الكل وقد جوز ان يكونوا قد نادوه من وراء
الحجرة التي كان عليه السلام فيها ولكنها جمعت اجلالا له عليه السلام وقيل ان الذي ناداه عيينة بن حصن الفزاري والاقرع بن
حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما

اسند النداء الى الكل لانهم رضوا بذلك وامروا به ولانه وجد فيما بينهم اكثرهم لا يعقلون اذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة
من سوء الادب ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم ولو تحقق صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم فان ان وان دلت بما في حيزها على المصدر
لكنها تفيد بنفسها التحقق والثبوت للفرق البين بين قولك بلغني انك قائم وحتى تفيد ان الصبر ينبغي ان يكون مغيا بخروجه عليه السلام
فانها مختصة بما هو غاية للشيء في نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى راسها ولا تقول حتى نصفها او ثلثها بخلاف الى فانها عامة
وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم لكان اي الصبر المذكور خيرا لهم من
الاستعجال لما فيه من رعاية حسن الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب والاسعاف بالمسؤول اذ روي انهم وفدوا شافعين
في اسارى بني العنبر فاطلق النصف وفادى النصف والله غفور رحيم بليغ المغفرة والرحمة واسعهما فلن يضيق ساحتهما عن هؤلاء
ان تابوا واصلحوا يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا اي فتعرفوا وتفحصوا روي انه عليه السلام بعث الوليد بن عقبة
اخا عثمان لامه مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسب انهم مقاتلوه فرجع وقال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم عليه السلام بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم بالصلوة متهجدين
فسلموا اليه الصدقات وفي ترتيب الامر بالتبين على فسق المخبر اشارة الى قبول خبر الواحد العدل في بعض المواد وقرئ فتثبتوا اي توقفوا
الى ان يتبين لكم الحال ان تصيبوا حذار ان تصيبوا قوما بجهالة ملتبسين بجهالة بحالهم فتصبحوا بعد ظهور براءتهم عما اسند اليهم على
ما فعلتم في حقهم نادمين مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع فان تركيب هذه الاحرف الثلثة يدور مع الدوام واعلموا ان
فيكم رسول الله ان بما في حيزها ساد مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما بعده من قوله تعالى لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم فانه حال من احد
الضميرين في فيكم والمعنى ان فيكم رسول الله كائنا على حالة يجب عليكم تغييرها او كائنين على حالة الى آخره وهي انكم تريدون ان
يتبع عليه السلام رايكم في كثير من الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم في الجهد والهلاك وفيه ايذان بان بعضهم زينوا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم الايقاع ببني المصطلق تصديقا لقول الوليد وانه عليه السلام لم يطع رايهم واما صيغة المضارع فقد قيل انها للدلالة على ان
امتناع عنتهم لامتناع استمرار طاعته عليه السلام لهم لان عنتهم انما يلزم من استمرار الطاعة فيما يعن لهم من الامور اذ فيه اختلال
امر الايالة وانقلاب الرئيس مرؤوسا لا من اطاعته في بعض ما يرونه نادرا بل فيها استمالتهم بلا معرة وقيل انها للدلالة على ان
امتناع عنتهم لاستمرار امتناع طاعته عليه السلام لهم في ذلك فان المضارع المنفي قد يدل على استمرار النفي بحسب المقام كما في
نظائر قوله تعالى ولا هم يحزنون والتحقيق ان الاستمرار الذي يفيده صيغة المضارع يعتبر تارة بالنسبة الى ما يتعلق بالفعل من
الامور الزمانية المتجددة وذلك بان يعتبر الاستمرار في نفس الفعل على الابهام ثم يعتبر تعلقه بما يتعلق به بيانا لما فيه الاستمرار
واخرى بالنسبة الى ما يتعلق به من نفس الزمان المتجدد وذلك اذا اعتبر تعلقه بما يتعلق به اولا ثم اعتبر استمراره فتعين ان
يكون ذلك بحسب الزمان فان اريد باستمرار الطاعة استمرارها وتجددها بحسب تجدد مواقعها الكثيرة التي يفصح عنها قوله
تعالى في كثير من الامر فالحق هو الاول ضرورة ان مدار امتناع العنت هو امتناع ذلك الاستمرار سواء كان ذلك الامتناع بعدم
وقوع الطاعة في امر ما في تلك الامور الكثيرة اصلا او بعدم وقوعها في كلها مع وقوعها في بعض يسير منها حتى لو لم يمتنع ذلك
الاستمرار باحد الوجهين المذكورين بل وقعت الطاعة فيما ذكر من كثير الامر في وقت من الاوقات وقع العنت مطلقا وان اريد به
استمرار الطاعة الواقعة في الكل وتجددها بحسب تجدد الزمان واستمراره فالحق هو الثاني فان مناط امتناع العنت حينئذ ليس
امتناع استمرار الطاعة المذكورة ضرورة انه موجب لوقوع العنت بل هو الاستمرار الزماني لامتناع تلك الطاعة الواقعة في تلك
الامور الكثيرة باحد الوجهين حتى لو لم يستمر امتناعها بان وقعت تلك الطاعة في وقت من الاوقات وقع العنت حتما واعلم
ان الاحق بالاختيار والاولى بالاعتبار هو الوجه الاول لانه اوفق بالقياس المقتضي لامتناع الاعتبار واردا على الاستمرار حسب
ورود كلمة لو المفيدة للاول على صيغة المضارع المفيدة للثاني على ان اعتبار الاستمرار واردا على النفي على خلاف القياس بمعونة
المقام انما يصار اليه اذا تعذر الجريان على موجب القياس او لم يكن فيه مزيد مزية كما في مثل قوله تعالى ولا هم يحزنون حيث حمل

على استمرار نفي الحزن عنهم اذ ليس في نفي استمرار الحزن مزيد فائدة واما اذا انتظم الكلام مع مراعاة موجب القياس حق الانتظام فالعدول عنه
تمحل لا يخفى وقوله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان الى آخره تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بطريق الاستدراك بيانا لبراءتهم عن اوصاف الاولين
واحمادا لافعالهم ولكنه تعالى جعل الايمان محبوبا لديكم وزينه في قلوبكم حتى رسخ حبه فيها ولذلك اتيتم بما يليق به من الاقوال والاحوال وكره
اليكم الكفر والفسوق والعصيان ولذلك اجتنبتم عما يليق بها مما لا خير فيه من آثارها واحكامها ولما كان في التحبيب والتكريه معنى انهاء المحبة
والكراهة وايصالهما اليهم استعملا بكلمة الى وقيل هو استدراك ببيان عذر الاولين كانه قيل لم يكن ما صدر عنكم في حق بني المصطلق من خلل في
عقيدتكم بل من فرط حبكم للايمان وكراهتكم للكفر والفسوق والعصيان والاول هو الاظهر لقوله تعالى اولئك هم الراشدون اي اولئك الكائنون الى الطريق
السوي الموصل الى الحق والالتفات الى الغيبة كالذي في قوله تعالى وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون فضلا من الله
ونعمة اي داعيا فاحبب او كره وما بينهما اعتراض وقيل نصبهما بفعل مضمر اي وذلك فضلا وقيل يبتغون فضلا والله عليم مبالغ في العلم فيعلم احوال
المؤمنين وما بينهم من التفاضل حكيم يفعل كل ما يفعل بموجب الحكمة وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا اي تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فاصلحوا
بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله فان بغت اي تعدت احديهما على الاخرى ولم تتأثر بالنصيحة فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء اي ترجع الى امر الله
الى حكمه او الى ما امر به فان فاءت اليه واقلعت عن القتال حذارا من قتالكم فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما على حكم الله تعالى ولا تكتفوا بمجرد
متاركتهما عسى ان يكون بينهما قتال في وقت آخر وتقييد الاصلاح بالعدل لانه مظنة الحيف لوقوعه بعد المقاتلة وقد اكد ذلك حيث قيل واقسطوا
اي واقسطوا اي واعدلوا في كل ما تأتون وما تذرون ان الله يحب المقسطين فيجازيهم احسن الجزاء والآية نزلت في قتال حدث بين الاوس
والخزرج في عهده عليه السلام بالسعف والنعال وفيها دلالة على ان الباغي لا يخرج بالبغي عن الايمان وانه اذا امسك عن الحرب ترك لانه فيء
الى امر الله تعالى وانه يجب معاونة من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة انما المؤمنون اخوة استيناف مقرر لما قبله من الامر
بالاصلاح اي انهم منتسبون الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحيوة الابدية والفاء في قوله تعالى فاصلحوا بين اخويكم للايذان بان الاخوة
الدينية موجبة للاصلاح ووضع المظهر مقام المضمر مضافا الى المأمورين للمبالغة في تأكيد وجوب الاصلاح والتحضيض عليه وتخصيص الاثنين
بالذكر لاثبات وجوب الاصلاح فيما فوق ذلك بطريق الاولوية لتضاعف الفتنة والفساد فيه وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ
بين اخوتكم واخوانكم واتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون من الامور التي من جملتها ما امرتم به من الاصلاح لعلكم ترحمون راجين ان ترحموا على
تقواكم يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم منكم من قوم آخرين ايضا منكم وقوله عسى ان يكونوا خيرا منهم تعليل للنهي او لموجبه اي عسى ان يكون
المسخور منهم خيرا عند الله تعالى من الساخرين والقوم مختص بالرجال لانهم القوام على النساء وهو في الاصل اما جمع قائم
كصوم وزور في جمع صائم وزائر او مصدر نعت به فشاع في الجمع واما تعميمه للفريقين في مثل قوم عاد وثمود وقوم فرعون فاما للتغليب
او لانهن توابع واختيار الجمع لغلبة وقوع السخرية في المجامع والتنكير اما للتعميم او للقصد الى نهي بعضهم عن سخرية بعض لما انها مما يجري بين
بعض وبعض ولا نساء اي ولا يسخر نساء من المؤمنات من نساء منهن عسى ان يكن اي المسخورات خيرا منهن اي من الساخرات
فان مناط الخيرية في الفريقين ليس ما يظهر للناس من الصور والاشكال ولا الاوضاع والاطوار التي عليها يدور امر السخرية غالبا بل
انما هو الامور الكامنة في القلوب فلا يجترئ احد على استحقار احد فلعله اجمع منه لما نيط به الخيرية عند الله تعالى فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله
والاستهانة بمن عظمه الله تعالى وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فعسى حينئذ هي ذات الخبر كما في قوله تعالى فهل عسيتم واما على الاول فهي
التي لا خبر لها ولا تلمزوا انفسكم اي ولا يعب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما يستحق به
اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرئ بضم الميم ولا تنابزوا بالالقاب اي ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان التنابز مختص
عرفا بلقب السوء بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسق بعد دخولهم الايمان واشتهارهم به فان الاسم ههنا بمعنى
الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم او باللوم والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسوق الى المؤمنين خصوصا اذ روي ان الآية نزلت
في صفية بنت حيي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال عليه السلام هلا قلت ان ابي
هارون وعمي موسى وزوجي محمد عليه السلام اذ الدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان قبيح ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك

بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن أي كونوا على جانب منه وإبهام الكثير لإيجاب الاحتياط
والتأمل في كل ظن ظن حتى يعلم أنه من أي قبيل فإن من الظن ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى
ومنه ما يحرم كالظن في الإلهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومنه ما يباح كالظن في الأمور المعاشية
إن بعض الظن إثم تعليل للأمر بالاجتناب أو لموجبه بطريق الاستئناف التحقيقي والإثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه وهمزته منقلبة
من الواو كأنه يثم الأعمال أي يكسرها ولا تجسسوا أي ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس لما فيه من معنى الطلب كما أن
التلمس بمعنى الطلب لما في اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب في قوله تعالى وأنا لمسنا السماء وقرئ بالحاء من الحس الذي هو أثر الجس
وغايته ولتقاربهما يقال للمشاعر الحواس بالحاء والجيم وفي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فإن من تتبع عورات المسلمين تتبع الله
عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا أي لا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الغيبة فقال أن تذكر أخاك بما يكره فإن كان فيه فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
الغيبة إدام كلاب الناس أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا تمثيل وتصوير لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه
على أفحش وجه وأشنعه طبعا وشرعا وعقلا مع مبالغات من فنون شتى الاستفهام التقريري وإسناد الفعل إلى أحد إيذانا بأن أحدا من الأحدين
لا يفعل ذلك وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان وجعل المأكول أخا للآكل وميتا وإخراج تماثلهما مخرج أمر
بين غني عن الإخبار به وقرئ ميتا بالتشديد وانتصابه على الحالية من اللحم وقيل من الأخ والفاء في قوله تعالى فكرهتموه لترتيب ما بعدها على
ما قبلها من التمثيل كأنه قيل وحيث كان الأمر كما ذكر فكرهتموه وقرئ كرّهتموه أي جبلتم على كراهته واتقوا الله بترك ما أمرتم باجتنابه والندم
على ما صدر عنكم من قبل إن الله تواب رحيم مبالغ في قبول التوبة وإفاضة الرحمة حيث يجعل التائب كمن لم يذنب ولا يخص ذلك بتائب دون تائب
بل يعم الجميع وإن كثرت ذنوبهم روي أن رجلين من الصحابة بعثا سلمان إلى النبي صلى الله عليه وسلم يبتغي لهما إداما وكان أسامة على طعامه عليه السلام
فقال ما عندي شيء فأخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه إلى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما لي أرى خضرة
اللحم في أفواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال عليه السلام إنكما قد اغتبتما فنزلت يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى من آدم وحواء أو خلقنا
كل واحد منكم من أب وأم فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب وقد جوز أن يكون تأكيدا للنهي السابق بتقرير الأخوة المانعة من الاغتياب
وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون إلى أصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الأفخاذ
والفخذ تجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل
بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا بحسب الأنساب فلا يعتزي أحد إلى غير آبائه لا لتفاخروا بالآباء والقبائل وتدعوا التفاوت والتفاضل
في الأنساب وقرئ لتتعارفوا على الأصل ولتعارفوا بالإدغام ولتعرفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم تعليل للنهي عن التفاخر بالأنساب المستفاد
من الكلام بطريق الاستئناف التحقيقي كأنه قيل إن الأكرم عنده تعالى هو الأتقى فإن تفاخرتم ففاخروا بالتقوى وقرئ بأن المفتوحة
على حذف لام التعليل كأنه قيل لم لا تفاخروا بالأنساب فقيل لأن أكرمكم عند الله أتقاكم لا أنسبكم فإن مدار كمال النفوس وتفاوت
الأشخاص هو التقوى فمن رام نيل الدرجات العلى فعليه بالتقوى قال عليه السلام من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله وقال يا أيها الناس
إنما الناس رجلان رجل مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى
إن الله عليم بكم وبأعمالكم خبير ببواطن أحوالكم قالت الأعراب آمنا نزلت في نفر من بني أسد قدموا المدينة في سنة جدب فأظهروا الشهادتين
وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتيناك بالأثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون عليه عليه السلام
بما فعلوا قل لم تؤمنوا إذ الإيمان هو التصديق المقارن للثقة وطمأنينة القلب ولم يحصل لكم ذلك وإلا لما مننتم علي ما ذكرتم كما ينبئ عنه
آخر السورة ولكن قولوا أسلمنا فإن الإسلام انقياد ودخول في السلم وإظهار الشهادة وترك المحاربة مشعر به وإيثار ما عليه النظم الكريم
على أن يقال لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا أو لم تؤمنوا ولكن أسلمتم للاحتراز من النهي عن التلفظ بالإيمان وللتفادي عن إخراج قولهم مخرج
التسليم والاعتداد به مع كونه تقولا محضا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم حال من ضمير قولوا أي ولكن قولوا أسلمنا حال عدم مواطأة قلوبكم

لألسنتكم وما في لما من معنى التوقع مشعر بأن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد وإن تطيعوا الله ورسوله بالإخلاص لا يلتكم من أعمالكم لا ينقصكم
شيئا من أجورها من لات يليت ليتا إذا نقص وقرئ لا يألتكم من الألت وهي لغة غطفان أو شيئا من النقص إن الله غفور لما
فرط من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه إذا أوقعه في
الشك مع التهمة وفيه إشارة إلى أن فيهم ما يوجب نفي الإيمان عنهم وثم للإشعار بأن اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الإيمان
ليس في حال إنشائه فقط بل وفيما يستقبل فهي كما في قوله تعالى ثم استقاموا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله في طاعته على
تكثر فنونها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة عليهما معا كالحج والجهاد أولئك الموصوفون بما ذكر من الأوصاف
الجميلة هم الصادقون أي الذين صدقوا في دعوى الإيمان لا غيرهم روي أنه لما نزلت الآية جاؤوا وحلفوا أنهم مؤمنون صادقون فنزل لتكذيبهم
قوله تعالى قل أتعلمون الله بدينكم أي أتخبرونه بذلك بقولكم آمنا والتعبير عنه بالتعليم لغاية تشنيعهم وقوله تعالى والله يعلم ما في السموات
وما في الأرض حال من مفعول تعلمون مؤكدة للتشنيع عليهم وقوله تعالى والله بكل شيء عليم تذييل مقرر لما قبله أي مبالغ في العلم بجميع الأشياء
التي من جملتها ما أخفوه من الكفر عند إظهارهم الإيمان وفيه مزيد تجهيل وتوبيخ لهم يمنون عليك أن أسلموا أي يعدون إسلامهم منة عليك
وهي النعمة التي لا يطلب موليها ثوابا ممن أنعم بها عليه من المن بمعنى القطع لأن المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن قل لا تمنوا
علي إسلامكم أي لا تعدوا إسلامكم منة علي أو لا تمنوا علي بإسلامكم فنصب بنزع الخافض بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان على ما زعمتم من الهداية
لا تستلزم الاهتداء وقرئ إن هداكم وإذ هداكم إن كنتم صادقين في ادعاء الإيمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله أي فلله المنة عليكم
وفي سياق النظم الكريم من اللطف ما لا يخفى فإنهم لما سموا ما صدر عنهم إيمانا ومنوا به فنفى كونه إيمانا وسماه إسلاما قيل يمنون عليك بما هو في الحقيقة
إسلام وليس بجدير بالمن بل لو صح ادعاؤهم للإيمان فلله المنة عليهم بالهداية إليه لا لهم إن الله يعلم غيب السموات والأرض أي ما
غاب فيهما والله بصير بما تعملون في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وقرئ بالياء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الحجرات أعطي من الأجر بعدد من أطاع الله وعصاه صدق رسول الله

سورة ق

بسم الله الرحمن الرحيم ق والقرآن المجيد أي ذي المجد والشرف على سائر الكتب أو لأنه كلام المجيد أو لأن من علم معانيه وعمل
بما فيه مجد عند الله تعالى وعند الناس والكلام فيه كالذي فصل في مطلع سورة ص وقوله تعالى بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم أي لأن جاءهم
منذر من جنسهم لا من جنس الملك أو من جلدتهم إضراب عما ينبئ عنه جواب المحذوف كأنه قيل والقرآن المجيد أنزلناه إليك لتنذر به الناس
حسبما ورد في صدر سورة الأعراف كأنه قيل بعد ذلك لم يؤمنوا به بل جعلوا كلا من المنذر والمنذر به عرضة للنكير والتعجب مع
كونهما أوفق شيء لقضية العقول وأقرب إلى التلقي بالقبول وقيل التقدير والقرآن المجيد إنك لمنذر ثم قيل بعده إنهم شكوا فيه ثم
أضرب عنه وقيل بل عجبوا أي لم يكتفوا بالشك والرد بل جزموا بالخلاف حتى جعلوا ذلك من الأمور العجيبة وقيل هو إضراب عما ينبئ عنه
من وصف القرآن بالمجيد كأنه قيل ليس سبب امتناعهم من الإيمان بالقرآن أنه لا مجد له ولكن لجهلهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب تفسير
لتعجبهم وبيان لكونه مقارنا لغاية الإنكار مع زيادة تفصيل لمحل التعجب وهذا إشارة إلى كونه عليه السلام منذرا بالقرآن وإضمارهم
أولا للإشعار بتعينهم بما أسند إليهم وإظهارهم ثانيا للتسجيل عليهم بالكفر بموجبه أو عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة على أن هذا
إشارة إلى مبهم يفسره ما بعده من الجملة الإنكارية ووضع المظهر موضع المضمر إما لسبق اتصافهم بما يوجب كفرهم وإما للإيذان بأن
تعجبهم من البعث لدلالته على استقصارهم لقدرة الله سبحانه عنه مع معاينتهم لقدرته تعالى على ما هو أشق منه في قياس العقل من مصنوعاته
البديعة أشنع من الأول وأعرق في كونه كفرا أئذا متنا وكنا ترابا تقرير للتعجب وتأكيد للإنكار والعامل في إذا مضمر غني عن البيان لغاية
شهرته مع دلالة ما بعده عليه أي أحين نموت ونصير ترابا نرجع كما ينطق به النذير والمنذر به مع كمال التباين بيننا وبين الحياة حينئذ
وقرئ إذا متنا على لفظ الخبر أو على حذف أداة الإنكار ذلك إشارة إلى محل النزاع رجع بعيد أي عن الأوهام أو العادة
أو الإمكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع الذي هو الجواب فناصب الظرف ح ما ينبئ عنه المنذر من البعث قد علمنا ما تنقص الأرض منهم رد
لاستبعادهم وإزاحة له فإن من عم علمه ولطف حكمته علم حتى انتهى إلى حيث علم ما تنقص الأرض من أجساد الموتى وما تأكل من لحومهم

وعظامهم فكيف يستبعد رجعه اياهم احياء كما كانوا عن النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب وقيل ما تنقص الارض منهم ما
قد فني في الارض منهم **وعندنا كتاب حفيظ** حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ من التغير والمراد اما تمثيل علمه تعالى بكليات الاشياء
وجزئياتها بعلم من عنده كتاب محيط يتلقى منه كل شيء او تأكيد لعلمه تعالى بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده **بل كذبوا بالحق** اضراب وانتقال
من بيان شناعتهم السابقة الى بيان ما هو اشنع منه وافظع وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة بالمعجزات الباهرة **لما جاءهم** من غير تأمل
وتفكر وقرئ لما جاءهم بالكسر على ان اللام للتوقيت اي وقت مجيئه اياهم وقيل الحق القرآن او الاخبار بالبعث **فهم في امر مريج** اي
مضطرب لا قرار له من مرج الخاتم في اصبعه حيث يقولون تارة انه شاعر وتارة ساحر واخرى كاهن **افلم ينظروا** اي اغفلوا او عموا
فلم ينظروا **الى السماء فوقهم** بحيث يشاهدونها كل وقت **كيف بنيناها** اي رفعناها بغير عمد **وزيناها** بما فيها من الكواكب المرتبة على نظام
بديع **وما لها من فروج** من فتوق لملاستها وسلامتها من كل عيب وخلل ولعل تأخير هذا لمراعاة الفواصل **والارض مددناها** اي بسطناها **والقينا
فيها رواسي** جبالا ثوابت من رسا الشيء اي ثبت والتعبير عنها بهذا الوصف للايذان بان القاءها لارساء الارض بها **وانبتنا فيها من كل زوج**
من كل صنف **بهيج** حسن **تبصرة وذكرى** علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبتا بالفعل الاخير او لفعل مقدر بطريق الاستئناف
اي فعلنا ما فعلنا تبصيرا وتذكيرا **لكل عبد منيب** اي راجع الى ربه متفكر في بدائع صنائعه وقوله تعالى **ونزلنا من السماء ماء مباركا** اي كثير
المنافع شروع في بيان كيفية انبات ما ذكر من كل زوج بهيج وهو عطف على انبتنا وما بينهما على الوجه الاخير اعتراض مقرر لما قبله ومنبه على
ما بعده **فانبتنا به** اي بذلك الماء **جنات** كثيرة اي اشجارا ذوات ثمار **وحب الحصيد** اي حب الزرع الذي شأنه ان يحصد من البر والشعير
وامثالهما وتخصيص انبات حبه بالذكر لانه المقصود بالذات **والنخل** عطف على جنات وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الجنات لبيان فضلها
على سائر الاشجار وتوسيط الحب بينهما لتأكيد استقلالها وامتيازها عن البقية مع ما فيه من مراعاة الفواصل **باسقات** اي طوالا او حوامل
من بسقت الشاة اذا حملت فيكون من باب افعل فهو فاعل وقرئ باصقات لاجل القاف **لها طلع نضيد** اي منضود بعضه فوق
بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر والجملة حال من النخل كباسقات بطريق الترادف او من ضميرها في باسقات على التداخل
او الحال هو الجار والمجرور وطلع مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى **رزقا للعباد** اي لنرزقهم علة لقوله تعالى فانبتنا وفي تعليله بذلك
بعد تعليل انبات الاول بالتبصرة والتذكير تنبيه على ان الواجب على العبد ان يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكر والاستبصار
اهم واقدم من تمتعه به من حيث الرزق وقيل رزقا مصدر من معنى انبتنا لان الانبات رزق **واحيينا به** اي بذلك الماء **بلدة ميتا** اي ارضا جدبة لا نماء
فيها اصلا بان جعلناها بحيث ربت وانبتت انواع النبات والازهار فصارت تهتز بها بعد ما كانت جامدة هامدة وتذكير
ميتا لان البلدة بمعنى البلد والمكان **كذلك الخروج** جملة قدم فيها الخبر للقصد الى القصر وذلك اشارة الى الحياة المستفادة من الاحياء
وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبتها اي مثل تلك الحياة البديعة حياتكم بالبعث والنشور من القبور لا شيء مخالف لها وفي التعبير
عن اخراج النبات من الارض بالاحياء وعن حياة الموتى بالخروج تفخيم لشأن الانبات وتهوين لامر البعث وتحقيق للمماثلة بين اخراج
النبات واحياء الموتى لتوضيح منهاج القياس وتقريبه الى افهام الناس وقوله تعالى **كذبت قبلهم قوم نوح** الى آخره استئناف
وارد لتقرير حقية البعث ببيان اتفاق كافة الرسل عليهم السلام عليها وتعذيب منكريها **واصحاب الرس** قيل هم من بعث اليهم شعيب عليه
السلام وقيل كما مر في سورة الفرقان على التفصيل **وثمود وعاد وفرعون** اي هو وقومه ليلائم ما قبله وما بعده **واخوان لوط**
قيل كانوا من اصهاره عليه السلام **واصحاب الايكة** هم من بعث اليهم شعيب عليه السلام غير اهل مدين **وقوم تبع** سبق شرح حالهم في سورة الدخان
كل كذب الرسل اي فيما ارسلوا به من الشرائع التي من جملتها البعث الذي اجمعوا عليه قاطبة اي كل قوم من الاقوام المذكورين كذبوا رسولهم
او كذب جميعهم جميع الرسل بالمعنى المذكور وافراد الضمير باعتبار لفظ الكل او كل واحد منهم كذب جميع الرسل لاتفاقهم على الدعوة الى التوحيد
والانذار بالبعث والحشر فتكذيب واحد منهم تكذيب للكل وهذا على تقدير رسالة تبع ظاهر واما على تقدير عدمها وهو الاظهر فمعنى تكذيب
قومه الرسل تكذيبهم لمن قبلهم من الرسل المجمعين على التوحيد والبعث والى ذلك كان يدعوهم تبع **فحق وعيد** اي فوجب وحل عليهم وعيدي
كلمة العذاب وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم **افعيينا بالخلق الاول** استئناف مقرر لصحة البعث الذي حكيت احوال

احوال المنكرين له من الامم المهلكة والعي بالامر العجز عنه يقال عيي بالامر وعيي به اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر ينبئ
عنه العي من القصد والمباشرة كانه قيل اقصدنا الخلق الاول فعجزنا عنه حتى يتوهم عجزنا عن الاعادة **بل هم في لبس من خلق جديد**
عطف على مقدر يدل عليه ما قبله كانه قيل هم غير منكرين لقدرتنا على الخلق الاول بل هم في خلط وشبهة في خلق مستأنف لما فيه
من مخالفة العادة وتنكير خلق لتفخيم شأنه والاشعار بخروجه عن حدود العادات والايذان بانه حقيق بان يبحث ويهتم بمعرفته **ولقد
خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه** اي ما تحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفي ومنه وسواس الحلي
والضمير لما ان جعلت موصولة والباء كما في صوت بكذا او للانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية **ونحن اقرب اليه من
حبل الوريد** اي اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد عبر عن قرب العلم بقرب الذات تجوزا لانه موجب له وحبل الوريد مثل في
فرط القرب والحبل العرق واضافته بيانية والوريدان عرقان يكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من
الرأس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح ترده **اذ يتلقى المتلقيان** منصوب بما في اقرب من معنى الفعل والمعنى انه لطيف يتوصل
علمه الى ما لا شيء اخفى منه وهو اقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى ويتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه تعالى غني عن
استحفاظهما لاحاطة علمه بما يخفى عليهما وانما ذكر ذلك لما في كتبتهما وحفظهما لاعمال العبد وعرض صحائفهما يوم يقوم الاشهاد
وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطته تعالى بتفاصيل احواله خبرا من زيادة لطف له في الكف عن السيئات والرغبة في الحسنات وعنه عليه
الصلوة والسلام ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجري فيما لا يعنيك لا تستحيي من الله ولا منهما
وقد جوز ان يكون تلقي الملكين بيانا للقرب على معنى انا اقرب اليه مطلعون على اعماله لان حفظتنا وكتبتنا موكلون به **عن اليمين وعن الشمال
قعيد** اي عن اليمين قعيد وعن الشمال كذلك اي مقاعد كالجليس بمعنى المجالس لفظا ومعنى فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قول من قال
رماني بامر كنت منه ووالدي بريئا ومن اجل الطوي رماني وقيل يطلق الفعيل على الواحد والمتعدد كما في قوله تعالى والملائكة بعد ذلك
ظهير **ما يلفظ من قول** ما يرمي به من فيه خيرا او شرا وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول **الا لديه رقيب** ملك يرقب قوله ذلك ويكتبه فان كان
خيرا فهو صاحب اليمين بعينه والا فهو صاحب الشمال ووجه تغيير العنوان غني عن البيان والافراد مع وقوفهما معا على ما صدر عنه لما ان كلا
منهما رقيب لما فوض اليه لا لما فوض الى صاحبه كما ينبئ عنه قوله تعالى **عتيد** اي معد مهيأ لكتابة ما امر به من الخير والشر ومن لم يتنبه له توهم ان معناه
رقيبان عتيدان وتخصيص القول بالذكر لاثبات الحكم في الفعل بدلالة النص واختلف فيما يكتبانه فقيل يكتبان كل شيء حتى انينه في مرضه وقيل انما
يكتبان ما فيه اجر او وزر وهو الاظهر كما ينبئ عنه قوله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب
الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات
لعله يسبح او يستغفر **وجاءت سكرة الموت بالحق** بعد ما ذكر استبعادهم للبعث والجزاء وازيح ذلك بتحقيق قدرته تعالى وعلمه وبين ان جميع
اعمالهم محفوظة مكتوبة عليهم اتبع ذلك ببيان ما لاقوه لا محالة من الموت والبعث وما يتفرع عليه من الاحوال والاهوال وقد عبر عن
وقوعها بصيغة الماضي ايذانا بتحققها وغاية اقترابها وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء اما للتعدية كما في قولك جاء الرسول
بالخبر والمعنى احضرت سكرة الموت حقيقة الامر الذي نطقت به كتب الله ورسله او حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته
وقيل الحق الذي لا بد ان يكون لا محالة من الموت او الجزاء فان الانسان خلق له واما للملابسة كالتي في قوله تعالى تنبت بالدهن اي ملتبسة بالحق
اي بحقيقة الامر او بالحكمة والغاية الجميلة وقرئ سكرة الحق بالموت والمعنى انها السكرة التي كتبت على الانسان بموجب الحكمة وانها لشدتها
توجب زهوق الروح او تستعقبه وقيل الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله تعالى على ان الاضافة للتهويل وقرئ سكرات الموت **ذلك** اي الموت
ما كنت منه تحيد اي تميل وتنفر عنه والخطاب للانسان فان النفرة عنه شاملة لكل فرد من افراده طبعا **ونفخ في الصور** هي النفخة الثانية
ذلك اي وقت ذلك النفخ على حذف المضاف **يوم الوعيد** اي يوم انجاز الوعيد الواقع في الدنيا او يوم وقوع الوعيد على انه عبارة عن
العذاب الموعود وقيل ذلك اشارة الى الزمان المفهوم من نفخ فان الفعل كما يدل على الحدث يدل على الزمان وتخصيص الوعيد بالذكر مع انه
يوم الوعد ايضا لتهويله ولذلك بدئ ببيان حال الكفرة **وجاءت كل نفس** من النفوس البرة والفاجرة **معها سائق وشهيد** وان اختلف

كيفية السوق والشهادة حيث خلاف النفوس عملا اي معها ملكان احدهما يسوقها الى المحشر والآخر يشهد بعملها او ملك جامع بين الوصفين
قيل معها ملك يسوقها ويشهد عليها وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه واعماله
ومحل معها النصب على الحالية من كل لاضافته الى ما هو في حكم المعرفة كانه قيل كل النفوس او الجر على انه وصف لنفس او الرفع على انه وصف لكل
وقوله تعالى **لقد كنت في غفلة من هذا** محكي باضمار قول هو اما صفة اخرى لنفس او حال اخرى منها او استيناف مبني على سؤال نشأ مما قبله كانه
قيل فماذا يفعل بها فقيل يقال لقد كنت في غفلة الى آخره والخطاب للكل لما انه ما من احد الا وله غفلة ما من الآخرة وقيل الخطاب للكافر
وقرئ لقد كنت بكسر التاء على اعتبار تأنيث النفس والتذكير على القراءة المشهورة بتأويل الشخص كما في قول جبلة بن حريث يا نفس انك
باللذات مسرور فاذكر فهل ينفعك اليوم تذكير **فكشفنا عنك غطاءك** الغطاء الحجاب المغطي لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في
المحسوسات والالف بها وقصر النظر عليها **فبصرك اليوم حديد** نافذ لزوال المانع للابصار وقرئ بكسر الكاف في المواضع الثلاثة **وقال**
قرينه اي الشيطان المقيض له مشيرا اليه **هذا ما لدي عتيد** اي هذا ما عندي وفي ملكتي عتيد لجهنم قد هيأته لها باغوائي
واضلالي وقيل قال الملك الموكل به مشيرا الى ما معه من كتاب عمله هذا مكتوب عندي عتيد مهيأ للعرض وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها
وان جعلت موصولة فهي بدل منها او خبر بعد خبر او خبر لمبتدأ محذوف **القيا في جهنم كل كفار** خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد او للملكين
من خزنة النار او لواحد على تنزيل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقول من قال فان تزجراني يا ابن عفان انزجر وان تدعاني
احم عرضا ممنعا او على ان الالف بدل من نون التأكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه قرئ القين بالنون الخفيفة **عنيد** معاند
للحق **مناع للخير** كثير المنع للمال عن اداء حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الآية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني
اخيه الاسلام **معتد** ظالم متخط للحق **مريب** شاك في الله وفي دينه **الذي جعل مع الله الها آخر** مبتدأ متضمن لمعنى الشرط خبره **فالقياه**
في العذاب الشديد او بدل من كل كفار وقوله تعالى فالقياه تكرير للتوكيد او مفعول لمضمر يفسره فالقياه **قال قرينه** اي الشيطان
المقيض له وانما استؤنفت استيناف الجمل الواقعة في حكاية المقاولة لما انه جواب لمحذوف دل عليه قوله تعالى **ربنا ما اطغيته** فانه مبني
عن سابقة كلام اعتذر به الكافر كانه قال هو اطغاني فاجاب قرينه بتكذيبه واسناد الطغيان اليه بخلاف الجملة الاولى فانها واجبة
العطف على ما قبلها دلالة على الجمع بين مفهوميهما في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه **ولكن كان** هو بالذات **في ضلال بعيد** من الحق
فاعنته عليه بالاغواء والدعوة اليه من غير قسر والجاء كما في قوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي **قال** استيناف
مبني على سؤال نشأ مما قبله كانه قيل فماذا قال الله تعالى فقيل قال تعالى **لا تختصموا لدي** اي في موقف الحساب والجزاء اذ لا فائدة في ذلك
وقد قدمت اليكم بالوعيد على الطغيان في دار الكسب في كتبي وعلى ألسنة رسلي فلا تطمعوا في الخلاص عنه بما انتم فيه من التعلل بالمعاذير الباطلة
والجملة حال فيها تعليل للنهي على معنى لا تختصموا وقد صح عندكم اني قدمت اليكم بالوعيد حيث قلت لابليس لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم
اجمعين فاتبعتموه معرضين عن الحق فلا وجه للاختصام في هذا الوقت والباء مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى تقدم وقد جوز ان يكون
قدمت واقعا على قوله تعالى **ما يبدل القول لدي** الى آخره ويكون بالوعيد متعلقا بمحذوف هو حال من المفعول او الفاعل اي وقد قدمت
اليكم هذا القول ملتبسا بالوعيد مقترنا به وقدمته اليكم موعدا لكم به فلا تطمعوا ان ابدل وعيدي والعفو عن بعض المذنبين
لاسباب داعية اليه ليس بتبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد وقوله تعالى **وما انا بظلام للعبيد** وارد لتحقيق الحق على الوجه
الكلي وتبيين ان عدم تبديل القول وتحقيق موجب الوعيد ليس من جهته تعالى من غير استحقاق له منهم انما ذلك بما صدر عنهم من الجنايات
الموجبة له حسبما اشير اليه آنفا اي وما انا بمعذب للعبيد بغير ذنب من قبلهم والتعبير عنه بالظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما
تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما مفرطا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه
من الظلم وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في معرض المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية العبيد
من قولهم فلان ظالم لعبيده وظلام لعبيده على انها مبالغة كما لا كيفا **يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد** سؤال
وجواب جيء بهما على منهاج التمثيل والتخييل لتهويل امرها والمعنى انها مع اتساعها وتباعد اقطارها تطرح فيها من الجنة والناس فوجا

فوجا بعد فوج حتى تمتلئ او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد محل فارغ او انها لغيظها على العصاة تطلب زيادتهم وقرئ
يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمحيد والمميد او مفعول كالمبيع ويوم اما منصوب باذكر او انذر او ظرف لنفخ فيكون ذلك حينئذ اشارة
اليه من غير حاجة الى تقدير مضاف او لمقدر مؤخر اي يكون من الاحوال والاهوال ما يقصر عنه المقال **وازلفت الجنة للمتقين** شروع في بيان
حال المؤمنين بعد النفخ ومجيء النفوس الى موقف الحساب وقد مر سر تقديم بيان حال الكفرة عليه وهو عطف على نفخ اي قربت للمتقين
عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بانهم محشورون اليها فائزون بها وقوله
تعالى **غير بعيد** تأكيد للازلاف اي مكانا غير بعيد بحيث يشاهدونها او حال كونها غير بعيد اي شيئا غير بعيد ويجوز ان يكون التذكير لكونه
على زنة المصدر الذي يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث او لتأويل الجنة بالبستان **هذا ما توعدون** اشارة الى الجنة والتذكير لما
ان المشار اليه هو المسمى من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيثه فانهما من احكام اللفظ العربي كما مر في قوله
تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي وقوله تعالى ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ويجوز ان يكون ذلك
لتذكير الخبر وقيل هو اشارة الى الثواب وقيل الى مصدر ازلفت وقرئ توعدون والجملة اما اعتراض بين البدل والمبدل منه واما مقدر
بقول هو حال من المتقين او من الجنة والعامل ازلفت اي مقولا لهم او مقولا في حقها هذا ما توعدون **لكل اواب** اي رجاع الى الله تعالى بدل
من المتقين باعادة الجار **حفيظ** حافظ لتوبته من النقض وقيل هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل هو الحافظ
لاوامر الله تعالى وقيل لما استودعه الله تعالى من حقوقه **من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب** بدل بعد بدل او بدل من موصوف
اواب ولا يجوز ان يكون في حكمه لان من لا يوصف به لا يوصف الا بالذي او مبتدأ خبره **ادخلوها** بتأويل يقال لهم ادخلوها والجمع باعتبار
معنى من وقوله تعالى بالغيب متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خشي او مفعوله او صفة لمصدره اي خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه
وهو غائب عنه او هو غائب عن الاعين لا يراه احد والتعرض لعنوان الرحمانية للاشعار بانهم مع خشيتهم عقابه راجون رحمته او بان
علمهم بسعة رحمته تعالى لا يصدهم عن خشيته تعالى وانهم عاملون بموجب قوله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم
ووصف القلب بالانابة لما ان العبرة برجوعه الى الله تعالى **بسلام** متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ادخلوها اي ملتبسين بسلامة من العذاب
وزوال النعم او بسلام من جهة الله تعالى وملائكته **ذلك** اشارة الى الزمان الممتد الذي وقع في بعض منه ما ذكر من الامور **يوم الخلود** اذ
لا انتهاء له ابدا **لهم ما يشاؤون** من فنون المطالب كائنا ما كان **فيها** متعلق بيشاؤون وقيل بمحذوف هو حال من الموصول او من عائده المحذوف
من صلته **ولدينا مزيد** هو ما لا يخطر ببالهم ولا يندرج تحت مشيئتهم من معالي الكرامات التي لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقيل
ان السحاب تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذي قال تعالى ولدينا مزيد **وكم اهلكنا قبلهم** اي قبل قومك **من قرن هم اشد منهم بطشا**
اي قوة كعاد واضرابها **فنقبوا في البلاد** اي خرقوا فيها ودوخوا وتصرفوا في اقطارها وجالوا في اكناف الارض كل مجال حذار الموت
واصل التنقيب والتنقير عن الامر والبحث والطلب والفاء للدلالة على ان شدة بطشهم اقدرتهم على التنقيب وقيل هي عاطفة في المعنى كانه قيل
اشتد بطشهم فنقبوا وقرئ بالتخفيف **هل من محيص** اي هل لهم من مخلص من امر الله تعالى والجملة اما على اضمار قول هو حال من واو نقبوا
اي فنقبوا في البلاد قائلين هل من محيص او على اجراء التنقيب لما فيه من معنى التتبع والتفتيش مجرى القول وهو كلام مستأنف وارد لنفي ان
يكون لهم محيص وقيل ضمير نقبوا لاهل مكة اي ساروا في مسايرهم واسفارهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم ويعضده
القراءة على صيغة الامر وقرئ فنقبوا بكسر القاف من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اي اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم واخفاف ابلهم
ان في ذلك اي فيما ذكر من قصتهم وقيل فيما ذكر في السورة **لذكرى** لتذكرة وعظة **لمن كان له قلب** اي قلب سليم يدرك به كنه
ما يشاهده من الامور ويتفكر فيها كما ينبغي فان من كان كذلك يعلم ان مدار دمارهم هو الكفر فيرتدع عنه بمجرد مشاهدة الآثار من غير تذكير
او القى السمع اي الى ما يتلى عليه من الوحي الناطق بما جرى عليهم فان من فعله يقف على جلية الامر فينزجر عما يؤدي اليه من الكفر فكلمة او
لمنع الخلو دون الجمع فان القاء السمع لا يجدي بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله تعالى **وهو شهيد** اي حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكانه
غائب وتجريد القلب عما ذكر من الصفات للايذان بان من عري قلبه عنها كمن لا قلب له اصلا **ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما** من

اصناف المخلوقات في ستة ايام وما مسنا بذلك مع كونه مما لا يفي به القوى والقدر من لغوب من اعياء وتعب ولا انتفع في الجملة وهذا رد على جهلة اليهود في
زعمهم انه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا
فاصبر على ما يقولون اي ما يقوله المشركون في شأن البعث من الاباطيل المبنية على الانكار والاستبعاد فان من فعل هذه الافاعيل بلا فتور
قادر على بعثهم والانتقام منهم او ما يقوله اليهود من مقالات الكفر والتشبيه وسبح بحمد ربك اي نزهه تعالى عن العجز عما يمكن وعن وقوع الخلف في
اخباره التي من جملتها الاخبار بوقوع البعث وعن وصفه تعالى بما يوجب التشبيه حامدا له تعالى على ما انعم به عليك من اصابة الحق وغيرها قبل طلوع
الشمس وقبل غروبها هما وقت الفجر والعصر وفضيلتهما مشهورة ومن الليل فسبحه اي وسبحه بعض الليل وادبار السجود واعقاب الصلوات جمع
دبر وقرئ بالكسر من ادبرت الصلوة اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود وقيل المراد بالتسبيح الصلوة فالمراد بما قبل الغروب الظهر
والعصر وبما من الليل العشاآن والتهجد وما يصلى بادبار السجود والنوافل بعد المكتوبات واستمع اي لما يوحى اليك من احوال القيامة وفيه
تهويل وتفظيع للمخبر به يوم يناد المناد اي اسرافيل او جبرائيل عليهم السلام فيقول ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور
المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبرئيل ينادي بالحشر من مكان قريب بحيث يصل نداؤه الى
الكل على سواء وقيل من صخرة بيت المقدس وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ولعل ذلك في الاعادة
مثل كن في البداء يوم يسمعون الصيحة بدل من يوم يناد الى آخره وهي النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والعامل في الظرف ما دل
عليه قوله تعالى ذلك يوم الخروج اي يوم يسمعون الصيحة ملتبسة بالحق الذي هو البعث يخرجون من القبور انا نحن نحيي ونميت في الدنيا من
غير ان يشاركنا في ذلك احد والينا المصير للجزاء في الآخرة لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا يوم تشقق الارض عنهم بحذف
احدى التائين من تتشقق وقرئ بتشديد الشين وتشقق على البناء للمفعول من التفعيل وتنشق سراعا مسرعين ذلك حشر بعث وجمع
وسوق علينا يسير اي هين وتقديم الجار والمجرور لتخصيص اليسير به تعالى نحن اعلم بما يقولون من نفي البعث وتكذيب الآيات الناطقة به
وغير ذلك مما لا خير فيه وما انت عليهم بجبار بمتسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت مذكر فذكر بالقرآن من يخاف وعيد فاما
من عداهم فنحن نفعل بهم ما يوجبه اقوالهم وافعالهم ويستدعيه اعمالهم من الوان العقاب وفنون العذاب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

سورة الذاريات

بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا اي الرياح التي تذروا التراب وغيره وقرئ بادغام التاء في الذال فالحاملات وقرا
اي السحب الحاملات للمطر او الرياح الحاملة للسحاب وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر فالجاريات يسرا اي السفن الجارية في البحر والرياح الجارية
في مهابها او السحب الجارية في الجو بسوق الرياح او الكواكب الجارية في مجاريها ومنازلها ويسرا صفة لمصدر محذوف اي جريا ذا يسر
فالمقسمات امرا اي الملائكة التي تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او السحب التي يقسم الله تعالى بها ارزاق العباد وقد جوز ان
يراد بالكل الرياح تنزيلا لاختلاف العنوان منزلة اختلاف الذات فانها كما تذروا ما تذروه تثير السحاب وتحمله وتجري في الجو جريا
سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب في الاقطار فان حملت الامور المقسم بها على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام باعتبار ما
بينهما من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة والا فهي ما صدر عن الريح من الافاعيل فانها تذروا الابخرة الى الجو
حتى تنعقد سحابا فتجري به باسطة له الى ما امرت به فتقسم المطر وقوله تعالى انما توعدون لصادق وان الدين لواقع جواب للقسم
وفي تخصيص الامور المذكورة بالاقسام بها رمز الى شهادتها بتحقق مضمون الجملة المقسم عليها من حيث انها امور بديعة مخالفة لمقتضى
الطبيعة فمن قدر عليها فهو قادر على البعث الموعود وما موصولة او مصدرية ووصف الوعد بالصدق كوصف العيشة بالرضا والدين
الجزاء ووقوعه حصوله والسماء ذات الحبك قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وعكرمة ذات الخلق المستوي وقال سعيد بن جبير
ذات الزينة وقال مجاهد هي المتقنة البنيان وقال مقاتل والكلبي والضحاك ذات الطريق والمراد اما الطرق المحسوسة التي هي مسير
الكواكب او المعقولة التي يسلكها النظار او النجوم فان لها طرائق وعن الحسن حبكها نجومها حيث تزينها كما تزين الموشي طرائق الوشي
وهي اما جمع حباك وحبيكة كمثال ومثل وطريقة وطرق وقرئ الحبك بوزن السلك والحبك كالجبل والحبك كالبرق والحبك كالنعم

والحبك كالابل انكم لفي قول مختلف اي متخالف متناقض وهو قولهم في حقه عليه السلام تارة شاعر واخرى ساحر
وفي شأن القرآن الكريم تارة شعر وتارة سحر واخرى اساطير وفي هذا الجواب تأكيد لكون الحبك عبارة عن الاستواء كما يلوح به ما نقل
عن الضحاك ان قول الكفار لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف وقيل النكتة في هذا القسم تشبيه اقوالهم في اختلافها وتنافي اغراضها
بطرائق السموات في تباعدها واختلاف غاياتها وليس بذاك يؤفك عنه من افك اي يصرف عن القرآن او الرسول صلى الله عليه وسلم
من صرف اذ لا صرف افظع منه واشد وقيل يصرف عنه من صرف في علم الله تعالى ويجوز ان يكون الضمير للقول المختلف على معنى يصدر افك من
افك عن ذلك القول وقرئ من افك اي من افك الناس وهم قريش حيث كانوا يصدون عن الايمان قتل الخراصون دعاء عليهم
كقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره واصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن والخراصون الكذابون المقدرون ما لا يصح وهم اصحاب
القول المختلف كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين اي قتل الله الذين هم في غمرة من الجهل والضلالة ساهون غافلون
عما امروا به يسئلون ايان يوم الدين اي متى وقوع يوم الجزاء لكن لا بطريق الاستعلام حقيقة بل بطريق الاستعجال استهزاء وقرئ ايان بكسر الهمزة
يوم هم على النار يفتنون جواب للسؤال اي يقع يوم هم على النار يحرقون ويعذبون ويجوز ان يكون يوم خبر المبتدأ محذوف اي هو يومهم
والفتح لاضافته الى غير متمكن ويؤيده انه قرئ بالرفع ذوقوا فتنتكم اي مقولا لهم هذا القول وقوله تعالى هذا الذي كنتم به تستعجلون
جملة من مبتدأ وخبر داخلة تحت القول المضمر اي هذا ما كنتم تستعجلون به بطريق الاستهزاء ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم بتأويل العذاب والذي
صفته ان المتقين في جنات وعيون لا يبلغ كنهها ولا يقادر قدرها آخذين ما آتاهم ربهم اي قابلين لما اعطاهم راضين به على معنى ان
كل ما آتاهم حسن مرضي متلقى بحسن القبول انهم كانوا قبل ذلك في الدنيا محسنين اي لاعمالهم الصالحة آتين بها على ما ينبغي فلذلك نالوا ما نالوا
من الفوز العظيم ومعنى الاحسان بالاجمال ما اشار اليه عليه السلام بقوله هو ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقد فسر بقوله تعالى
كانوا قليلا من الليل ما يهجعون اي كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل على ان قليلا ظرف او كانوا يهجعون هجوعا قليلا على انه صفة
للمصدر وما مزيدة في الوجهين ويجوز ان تكون مصدرية او موصولة مرتفعة بقليلا على الفاعلية اي كانوا قليلا من الليل هجوعهم
او ما يهجعون فيه وفيه مبالغات في تقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو وقت الراحة والهجوع الذي هو الغرار من النوم
وزيادة ما ولا مساغ لجعل ما نافية على معنى انهم لا يهجعون من الليل قليلا بل يحيونه كله لما ان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها
وبالاسحار هم يستغفرون اي هم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار في الاسحار كانهم اسلفوا في ليلهم
باقتراف الجرائم وفي بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم الاحقاء بان يوصفوا بالاستغفار كانهم المختصون به لاستدامتهم له واطنابهم
فيه وفي اموالهم حق اي نصيب وافر يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله واشفاقا على الناس للسائل والمحروم للمستجدي والمتعفف
الذي يحسبه الناس غنيا فيحرم الصدقة وفي الارض آيات للموقنين اي دلائل واضحة دالة على شؤونه تعالى على التفصيل من حيث انها
مدحوة كالبساط الممتد وفيها مسالك وفجاج للمتقلبين في اقطارها والسالكين في مناكبها وفيها سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورة
وعيون متفجرة ومعادن متفننة وانها تلقح بالوان النبات وانواع الاشجار واصناف الثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح
وفيها دواب منبثة قد رتب كلها ودبر لمنافع ساكنيها ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم وفي انفسكم اي وفي انفسكم
آيات اذ ليس في العالم شيء الا وفي الانفس له نظير يدل دلالته على ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة
والتمكن من الافعال البديعة واستنباط الصنايع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة افلا تبصرون اي الا تنظرون فلا تبصرون
بعين البصيرة وفي السماء رزقكم اي رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات
وما توعدون من الثواب لان الجنة في السماء السابعة او لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء وقيل انه مبتدأ
خبره قوله تعالى فورب السماء والارض انه لحق على ان الضمير لما واما على الاول فلما ذكر من الآيات والرزق على انه مستعار
لاسم الاشارة مثل ما انكم تنطقون اي كما انه لا شك لكم في انكم تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في حقيته ونصبه على الحالية من المستكن
في لحق او على انه وصف لمصدر محذوف اي انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كان

عبادة عن شيء وان بما في خبرها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على انه صفة لحق ويؤيده القراءة بالرفع **هل اتيك حديث ضيف ابرهيم** تفخيم لشان الحديث وتنبيه على انه ليس مما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير طريق الوحي والضيف في الاصل مصدر ضافه ولذلك يطلق على الواحد والجماعة كالزور والصوم وكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وقيل ميكائيل وملكا معهما عليهم السلام وتسميتهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف حيث اضافهم ابرهيم عليه السلام او لانهم كانوا في حسبانه كذلك **المكرمين** اي المكرمين عند الله تعالى او عند ابرهيم عليه السلام حيث خدمهم بنفسه وبزوجه **اذ دخلوا عليه** ظرف للحديث او لما في الضيف من معنى الفعل او المكرمين ان فسر باكرام ابرهيم **فقالوا سلاما** اي نسلم سلاما عليك **قال** اي ابرهيم **سلام** اي عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء للقصد الى الثبات والدوام حتى تكون تحيته عليه السلام احسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرئ سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد **قوم منكرون** انكرهم عليه السلام للسلام الذي هو علم للاسلام او لانهم ليسوا ممن عهدهم من الناس او لان اوضاعهم واشكالهم خلاف ما عليه الناس ولعله عليه السلام انما قاله في نفسه من غير ان يشعرهم بذلك لا انه خاطبهم به جهرا او سألهم ان يعرفوه انفسهم كما قيل والا لكشفوا احوالهم عند ذلك ولم يتصد عليه السلام لمقدمات الضيافة **فراغ الى اهله** اي ذهب اليهم خفية من ضيفه فان من ادب المضيف ان يبادره بالقرى ويبادر به حذرا من ان يكفه او ينتظر والفاء في قوله تعالى **فجاء بعجل سمين** فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بكمال سرعة المجيء بالطعام كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فذبح عجلا فحنذه فجاء به **فقربه اليهم** بان وضعه عليه السلام لديهم حسبما هو المعتاد **قال الا تأكلون** انكار لعدم تعرضهم للاكل **فاوجس منهم** اضمر في نفسه **خيفة** لتوهم انهم جاؤا للشر وقيل وقع في قلبه انهم ملائكة جاؤا للعذاب **قالوا لا تخف** قيل مسح جبريل عليه السلام العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم **وبشروه** وفي سورة الصافات فبشرناه بواسطتهم **بغلام** هو اسحق عليه السلام **عليم** عند بلوغه واستوائه **فاقبلت امرأته** لما سمعت بشارتهم الى بعلها وكانت في زاوية تنظر اليهم **في صرة** في صيحة من الصرير ومحله النصب على الحالية او المفعولية ان جعلت اقبلت بمعنى اخذت كما يقال اقبل يشتمني **فصكت وجهها** اي لطمته من الحياء لما انها وجدت حرارة دم الطمث وقيل ضربت باطراف اصابعها جبينها كما يفعله المتعجب **وقالت عجوز عقيم** اي انا عجوز عاقر فكيف الد **قالوا كذلك** مثل ذلك القول الكريم **قال ربك** وانما نحن معبرون نخبرك به عنه تعالى لا انا نقول من تلقاء انفسنا **انه هو الحكيم العليم** فيكون قوله حقا وفعله متقنا لا محالة روي ان جبريل عليه السلام قال لها انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة ولم تكن هذه المفاوضة مع سارة فقط بل مع ابرهيم عليه السلام ايضا كما صرح في سورة الحجر وانما لم يذكر ههنا اكتفاء بما ذكر هناك كما انه لم يذكر هناك سارة اكتفاء بما ذكر ههنا وفي سورة هود **قال** اي ابرهيم عليه السلام لما علم انهم ملائكة ارسلوا لامر **فما خطبكم** اي شانكم الخطير الذي لاجله ارسلتم سوى البشارة **ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين** يعنون قوم لوط **لنرسل عليهم** اي بعد ما قلبنا قراهم وجعلنا عاليها سافلها حسبما فصل في سائر السور الكريمة **حجارة من طين** اي طين متحجر هو السجيل **مسومة** مرسلة من اسمت الماشية اي ارسلتها او معلمة من السومة وهي العلامة وقد مر تفصيله في سورة هود **عند ربك للمسرفين** المجاوزين الحد في الفجور وقوله **فاخرجنا** الخ حكاية من جهته تعالى لما جرى على قوم لوط على طريق الاجمال بعد حكاية ما جرى بين الملائكة وبين ابرهيم عليه السلام من الكلام والفاء فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بدلالة ذكرها في مواضع اخر كانه قيل فباشروا ما امروا به فاخرجنا بقولنا فاسر باهلك الى آخره **من كان فيها** اي في قرى قوم لوط واضمارها بغير ذكر لشهرتها **من المؤمنين** ممن آمن بلوط **فما وجدنا فيها غير بيت** اي غير اهل بيت **من المسلمين** قيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط واهل بيته الذين نجوا ثلثة عشر **وتركنا فيها** اي في القرية **آية** علامة دالة على ما اصابهم من العذاب قيل هي تلك الاحجار او صخر منضود او ماء منتن **للذين يخافون العذاب الاليم** اي لمن من شانهم ان يخافوه لسلامة فطرتهم ورقة قلوبهم دون من عداهم من ذوي القلوب القاسية فانهم لا يعتدون بها ولا يعدونها آية **وفي موسى** عطف على قوله تعالى وفي الارض

اوعلى

او على قوله تعالى وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا في موسى آية كقوله علفتها تبنا وماء باردا **اذ ارسلناه** قيل هو منصوب بآية وقيل بمحذوف اي كائنة وقت ارسالنا وقيل بتركنا **الى فرعون بسلطان مبين** هو ما ظهر على يديه من المعجزات الباهرة **فتولى بركنه** اي فاعرض عن الايمان به وازور كقوله تعالى ونأى بجانبه وقيل فتولى بما يتقوى به من ملكه وعساكره فان الركن اسم لما يركن اليه الشيء وقرئ بركنه بضم الكاف **وقال ساحر** اي هو ساحر **او مجنون** كانه نسب ما ظهر على يديه عليه السلام من الخوارق العجيبة الى الجن وتردد في انه حصل باختياره وسعيه او بغيرهما **فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم** وفيه من الدلالة على غاية عظم شان القدرة الربانية ونهاية قماءة فرعون وقومه ما لا يخفى **وهو مليم** اي آت بما يلام عليه من الكفر والطغيان والجملة حال من الضمير في اخذناه **وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم** وصفت بالعقم لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانها لم تتضمن خيرا ما من انشاء مطر او القاح شجر وهي النكباء او الدبور او الجنوب **ما تذر من شيء اتت عليه** اي جرت عليه **الا جعلته كالرميم** هو كل ما رم وبلي وتفتت من عظم او نبات او غير ذلك **وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين** وقوله تعالى تمتعوا في داركم ثلثة ايام قيل قال لهم صالح عليه السلام تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب **فعتوا عن امر ربهم** اي فاستكبروا عن الامتثال به **فاخذتهم الصاعقة** قيل لما رأوا العلامات التي بينها صالح عليه السلام من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله عليه السلام فنجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة فهلكوا وقرئ الصعقة وهي المرة من الصعق **وهم ينظرون** اليها ويعاينونها **فما استطاعوا من قيام** كقوله فاصبحوا في دارهم جاثمين **وما كانوا منتصرين** بغيرهم كما لم يمتنعوا بانفسهم **وقوم نوح** اي واهلكت قوم نوح فان ما قبله يدل عليه او واذكر ويجوز ان يكون معطوفا على محل في عاد ويؤيده القراءة بالجر وقيل هو معطوف على مفعول فاخذناه **من قبل** اي من قبل هؤلاء المهلكين **انهم كانوا قوما فاسقين** اي خارجين عن الحدود فيما كانوا فيه من الكفر والمعاصي **والسماء بنيناها بايد** اي بقوة **وانا لموسعون** لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع على الانفاق او لموسعون السماء او ما بينها وبين الارض او الرزق **والارض فرشناها** مهدناها وبسطناها ليستقروا عليها **فنعم الماهدون** اي نحن **ومن كل شيء** اي من الاجناس **خلقنا زوجين** اي نوعين ذكرا وانثى وقيل متقابلين كالسماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر ونحو ذلك **لعلكم تذكرون** اي فعلنا ذلك كله كي تتذكروا فتعرفوا انه خالق الكل ورازقه وانه المستحق للعبادة وانه قادر على اعادة الجميع فتعملوا بمقتضاه وقوله تعالى **ففروا الى الله** مقدر بقول خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين والفاء اما لترتيب الامر على ما حكي من آثار غضبه الموجبة للفرار منها ومن احكام رحمته المستدعية للفرار اليها كانه قيل قل لهم اذا كان الامر كذلك فاهربوا الى الله الذي هذه شؤونه بالايمان والطاعة كي تنجوا من عقابه وتفوزوا بثوابه واما للعطف على جملة مقدرة مترتبة على قوله تعالى **لعلكم تذكرون** كانه قيل قل لهم فتذكروا ففروا الى الله الى آخره وقوله تعالى **اني لكم منه نذير مبين** تعليل للامر بالفرار اليه تعالى او لوجوب الامتثال به فان كونه عليه السلام منذرا منه تعالى او مظهر لما يجب اظهاره من العذاب المنذر به وفي امره تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم بان يامرهم بالهرب اليه تعالى من عقابه وتعليله بانه عليه السلام ينذرهم من جهته تعالى لا من تلقاء نفسه وعد كريم بنجاتهم من المهروب وفوزهم بالمطلوب وقوله تعالى **ولا تجعلوا مع الله الها آخر** نهي موجب للفرار من سبب العقاب بعد الامر بالفرار من نفسه كما يشعر به قوله تعالى **اني لكم منه نذير** اي من الجعل المنهي عنه **نذير مبين** فان تعلق كلمة من بالانذار مع كون صلته الباء بتضمينه معنى الفرار يقال فر منه اي هرب وافره غيره كانه قيل وفروا من ان تجعلوا معه تعالى اعتقادا او قولا الها آخر وفيه تأكيد لما قبله من الامر بالفرار من العقاب اليه تعالى لكن لا بطريق التكرير كما قيل بل بالنهي عن سببه وايجاب الفرار منه **كذلك** اي الامر مثل ما ذكر من تكذيبهم الرسول وتسميتهم له ساحرا او مجنونا وقوله تعالى **ما اتى الذين من قبلهم** الى آخره تفسير له اي ما اتاهم من رسول من رسل الله الا قالوا في حقه ساحر او مجنون ولا سبيل الى انتصاب الكاف بأتى لامتناع عمل ما بعد ما النافية فيما قبلها **اتواصوا به** انكار

وتعجب

وتعجيب من حالهم واجماعهم على تلك الكلمة الشنعاء التي لا تكاد تخطر ببال احد من العقلاء فضلا ان يتفوهوا بها اوصى بها الاول
بعضهم بعضا حتى اتفقوا عليه وقوله تعالى **بل هم قوم طاغون** اضراب عن كون مدار اتفاقهم على الشر تواصيهم بذلك واثبات لكونه
امرا اقبح من التواصي واشنع منه من الطغيان الشامل للكل الدال على ان صدور تلك الكلمة الشنعاء عن كل واحد منهم بمقتضى جبلته الخبيثة
لا بموجب وصية من قبلهم بذلك من غير ان يكون ذلك مقتضى طباعهم **فتول عنهم** فاعرض عن جدالهم فقد كررت عليهم الدعوة فابوا
الا الاباء **فما انت بملوم** على التولي بعد ما بذلت المجهود وجاوزت في الابلاغ كل حد معهود **وذكر** اي افعل التذكير والموعظة ولا تدعها
بالمرة او فذكرهم وقد حذف الضمير لظهور الامر **فان الذكرى تنفع المؤمنين** اي الذين قدر الله تعالى ايمانهم او الذين امنوا بالفعل فانها تزيدهم
بصيرة وقوة في اليقين **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون** استيناف مؤكد للامر مقرر لمضمون تعليله فان كون خلقهم منطا لعبادته تعالى مما يدعوه
عليه السلام الى تذكيرهم ويوجب عليهم التذكر والاتعاظ ولعل تقديم خلق الجن في الذكر لتقدمه على خلق الانس في الوجود ومعنى خلقهم لعبادته
تعالى خلقهم مستعدين لها ومتمكنين منها اتم استعداد واكمل تمكن مع كونها مطلوبة منهم بتنزيل ترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على
ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات جليلة مما لا نزاع فيه قطعا كيف لا وهي رحمة منه تعالى وتفضل على عباده وانما الذي لا يليق بجنابه عز وجل
تعليلها بالغرض بمعنى الباعث على الفعل بحيث لولاه لم يفعله لافضائه الى استكماله بفعله وهو الكامل بالفعل من كل وجه واما بمعنى نهاية
كاملة يفضي اليها فعل الفاعل الحق فغير منفي من افعاله تعالى بل كلها جارية على ذلك المنهاج وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه تعالى بالحكمة ويكفي
في تحقق معنى التعليل على ما يقوله الفقهاء ويتعارفه اهل اللغة هذا المقدار وبه يتحقق مدلول اللام واما ارادة الفاعل لها فليست من
مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور العبادة عن البعض تخلف المراد عن الارادة فان تفوق البعض عن الوصول الى الغاية مع تعاضد
المبادي وتاخذ المقدمات الموصلة اليها لا يمنع كونها غاية كما في قوله تعالى كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور ونظائره
وقيل المعنى الا لآمرهم بالعبادة كما في قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وقيل المراد سعداء الجنسين كما ان المراد بقوله تعالى ولقد
ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس اشقياؤهما ويعضده قراءة من قرأ وما خلقت الجن والانس من المؤمنين وقال مجاهد واختاره البغوي معناه
الا ليعرفون ومداره قوله صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن رب العزة كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف ولعل السر في التعبير
عن المعرفة بالعبادة على طريقة اطلاق اسم السبب على المسبب والتنبيه على ان المعتبر هي المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى لا ما يحصل بغيرها كمعرفة الفلاسفة **ما
اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون** بيان لكون شأنه تعالى مع عباده متعاليا من ان يكون كشأن السادة مع عبيدهم حيث يملكونهم ليستعينوا بهم
على معايشهم وتهيئة ارزاقهم اي ما اريد ان اصرفهم في تحصيل رزقي ولا رزقهم بل اتفضل عليهم برزقهم وما يصلحهم ويعيشهم من عندي فليشتغلوا بما
خلقوا له من عبادتي **ان الله هو الرزاق** الذي يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه تلويح بانه غني عنه وقرئ اني انا الرزاق **ذو القوة المتين**
بالرفع على انه نعت للرزاق او لذو او خبر بعد خبر او خبر لمضمر محذوف وقرئ بالجر على انه صفة للقوة على تاويل الاقتدار او الايد **فان للذين
ظلموا** اي ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم او وضعوا مكان التصديق تكذيبا وهم اهل مكة **ذنوبا**
اي نصيبا وافرا من العذاب **مثل ذنوب اصحابهم** مثل انصباء نظرائهم من الامم المحكية وهو ماخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالذنوب وهو
الدلو العظيم المملوء **فلا يستعجلون** اي لا يطلبوا مني ان اعجل في المجيء به يقال استعجله اي حثه على العجلة وامره بها ويقال استعجله اي طلب وقوعه
بالعجلة ومنه قوله تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه وهو جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين **فويل للذين كفروا** وضع الموصول موضع ضميرهم
تسجيلا عليهم بما في حيز الصلة من الكفر واشعارا بعلة الحكم والفاء لترتيب ثبوت الويل لهم على ان لهم عذابا عظيما كما ان الفاء الاولى لترتيب النهي
عن الاستعجال على ذلك ومن في قوله تعالى **من يومهم الذي يوعدون** للتعليل اي يوعدونه من يوم بدر وقيل يوم القيامة وهو الانسب بما في صدر السورة
الكريمة الآتية والاول هو الاوفق لما قبله من حيث انهما من العذاب الدنيوي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والذاريات اعطاه الله تعالى
عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

سورة الطور

بسم الله الرحمن الرحيم **والطور** الطور بالسريانية الجبل والمراد به طور سينين وهو جبل بمدين سمع موسى فيه كلام الله عز وعلا **و
كتاب مسطور** مكتوب على وجه الانتظام فان السطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن او الواح موسى عليه السلام وهو الانسب

كما بينه

بالطور او ما يكتب في اللوح او ما يكتبه الحفظة **في رق منشور** الرق الجلد الذي يكتب فيه استعير لما يكتب فيه الكتاب من الصحيفة
وتنكيرهما للتفخيم والاشعار بانهما ليسا مما يتعارفه الناس **والبيت المعمور** اي الكعبة وعمارتها بالحجاج والعمار والمجاورين او الضراح
وهو في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة **والسقف المرفوع** اي السماء ولا يخفى حسن موقع العنوان المذكور **والبحر المسجور**
اي المملوء وهو البحر المحيط او الموقد من قوله تعالى واذا البحار سجرت فالمراد به الجنس روي ان الله تعالى يجعل البحار يوم القيامة نارا يسجر بها
نار جهنم **ان عذاب ربك لواقع** اي لنازل حتما وهو جواب القسم وقوله تعالى **ما له من دافع** اما خبر ثان لان او صفة لواقع ومن دافع
اما مبتدأ للظرف او مرتفع به على الفاعلية ومن مزيدة للتاكيد وتخصيص هذه الامور بالاقسام بها لما انها امور عظام تنبئ عن عظم قدرة الله
وكمال علمه وحكمته الدالة على احاطته تعالى بتفاصيل اعمال العباد وضبطها الشاهدة بصدق اخباره التي من جملتها الجملة المقسم بها
وقوله تعالى **يوم تمور السماء مورا** ظرف لواقع مبين لكيفية الوقوع منبئ عن كمال هوله وفظاعته والمور الاضطراب والتردد في المجيء
والذهاب وقيل هو تحرك في تموج قيل تدور السماء كما تدور الرحى وتتكفأ باهلها تكفؤ السفينة وقيل تختلف اجزاؤها وتسير
وتسير الجبال سيرا الجبال اي تزول عن وجه الارض فتصير هباء وتاكيد الفعلين بمصدريهما للايذان بغرابتهما وخروجهما عن
الحدود المعهود اي مورا عجيبا وسيرا بديعا لا يدرك كنههما **فويل يومئذ للمكذبين** اي اذا وقع ذلك وكان الامر
كما ذكر فويل يوم اذ يقع ذلك لهم **الذين هم في خوض** اي في اندفاع عجيب في الاباطيل والاكاذيب **يلعبون** يلهون **يوم يدعون الى
نار جهنم دعا** اي يدفعون اليها دفعا عنيفا شديدا بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعوا الى النار
وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم اما بدل من يوم تمور او ظرف لقول مقدر قبل قوله تعالى
هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي يقال لهم ذلك ومعنى التكذيب بها تكذيبهم بالوحي الناطق بها وقوله تعالى **افسحر هذا**
توبيخ وتقريع لهم حيث كانوا يسمونه سحرا كانه قيل كنتم تقولون للقرآن الناطق بهذا سحر فهذا ايضا سحر وتقديم الخبر لانه محط
الانكار ومدار التوبيخ **ام انتم لا تبصرون** اي ام انتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر او ام سدت ابصاركم كما سدت
في الدنيا على زعمكم حيث كنتم تقولون انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون **اصلوها فاصبروا او لا تصبروا** اي ادخلوها وقاسوا
شدائدها فافعلوا ما شئتم من الصبر وعدمه **سواء عليكم** اي الامران في عدم النفع لا بدفع العذاب ولا بتخفيفه وقوله تعالى
انما تجزون ما كنتم تعملون تعليل للاستواء فان الجزاء حيث كان واجب الوقوع حتما كان الصبر وعدمه سواء في عدم النفع
ان المتقين في جنات ونعيم اي في اية جنات واي نعيم على ان التنوين للتفخيم او في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين على انه للتنويع
فاكهين ناعمين متلذذين **بما آتاهم ربهم** وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو متعلق بالخبر وخبر آخر ووقاهم
ربهم **عذاب الجحيم** عطف على آتاهم على ان ما مصدرية او على في جنات او حال على اضمار قد اما من المستكن في الخبر او في الحال
واما من فاعل آتاهم او من مفعوله او منهما واظهار الرب في موقع الاضمار مضافا الى ضميرهم للتشريف والتعليل **كلوا واشربوا**
اي يقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا **هنيئا** اي طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه بما كنتم تعملون بسببه او بمقابلته
وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا اي هنيئا لكم **بما كنتم تعملون** اي جزاؤه **متكئين على سرر مصفوفة** مصطفة **وزوجناهم
بحور عين** وقرئ بحور عين على اضافة الموصوف الى صفته بالتاويل المشهور وقرئ بعيس عين والباء مع ان التزويج مما يتعدى
الى مفعولين لما فيه من معنى الوصل والالصاق وللسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن فان الزوجة لا تتحقق بدون انضمامهن
اليهم وقوله تعالى **والذين آمنوا** الخ كلام مستأنف مسوق لبيان حال طائفة من اهل الجنة اثر بيان حال الكل وهم الذين شاركتهم
ذريتهم في الايمان وهو مبتدأ خبره الحقنا بهم وقوله تعالى **واتبعتهم ذريتهم** عطف على آمنوا وقيل اعتراض وقوله تعالى
بايمان متعلق بالاتباع اي اتبعتهم ذريتهم بايمان في الجملة قاصر عن رتبة الاباء واعتبار هذا القيد للايذان بثبوت الحكم
في الايمان الكامل اصالة لا الحاقا وقرئ ذرياتهم للمبالغة في الكثرة وذرياتهم بكسر الذال وقرئ واتبعناهم ذرياتهم اي جعلناهم
تابعين لهم في الايمان وقرئ اتبعتهم **الحقنا بهم ذريتهم** اي في الدرجة كما روي انه عليه السلام قال ان الله تعالى يرفع ذرية

ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية وما ألتناهم وما نقصنا الآباء بهذا الالحاق من عملهم
من ثواب عملهم من شيء بان اعطينا بعض مثوباتهم ابناءهم فتنتقص مثوبتهم وتنحط درجتهم وانما رفعناهم الى منزلتهم بمحض التفضل والاحسان
وقرئ ألتناهم بكسر اللام من ألت يألت كعلم يعلم والاول كضرب يضرب ولتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت يؤلت وولتناهم من ولت
يلت والكل بمعنى واحد هذا وقد قيل الموصول معطوف على حور والمعنى قرناهم بالحور وبالذين آمنوا اي بالرفقاء والجلساء منهم فيتمتعون تارة
بملاعبة الحور واخرى بموانسة الاخوان المؤمنين وقوله تعالى واتبعتهم عطف على زوجناهم وقوله تعالى بايمان متعلق بما بعده اي بسبب
ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الآباء الحقنا بدرجاتهم ذرياتهم وان كانوا لا يستأهلونها تفضلا عليهم وعلى آبائهم ليتم سرورهم
ويكمل نعيمهم او بسبب ايمان داني المنزلة وهو ايمان الذرية كأنه قيل بشيء من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الآباء الحقناهم بهم
كل امرئ بما كسب رهين قيل هو فعيل بمعنى المفعول والمعنى كل امرئ مرهون عند الله تعالى بالعمل الصالح فان عمله فكه والا اهلكه
وقيل بمعنى الفاعل والمعنى كل امرئ بما كسبت راهن اي دائم ثابت وهذا انسب بالمقام فان الدوام يقتضي عدم المفارقة
بين المرء وعمله ومن ضرورته ان لا ينقص من ثواب الآباء شيء فالجملة تعليل لما قبلها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون
وزدناهم على ما كان لهم من مبادي النعم وقتا فوقتا ما يشتهون من فنون النعماء والوان الآلاء يتنازعون فيها اي يتعاطون
فيها هم وجلساؤهم بكمال رغبة واشتياق كما ينبئ عنه التعبير عن ذلك بالتنازع كأسا اي خمرا وتسميتها باسم محلها لا لغو فيها
اي في شربها حيث لا يتكلمون في اثناء الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام ولا تأثيم ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله اي ينسب الى الاثم
لو فعله في دار التكليف كما هو ديدن المنادمين في الدنيا وانما يتكلمون بالحكم واحاسن الكلام ويفعلون ما يفعله الكرام وقرئ لا لغو فيها
ولا تأثيم بالفتح ويطوف عليهم اي بالكأس غلمان لهم اي مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم كأنهم لؤلؤ مكنون
مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالي القيمة قيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم
فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب
وعنه عليه السلام ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه لبيك لبيك واقبل بعضهم على بعض
يتساءلون اي يسأل كل بعض منهم بعضا آخر عن احواله واعماله فيكون كل بعض سائلا ومسؤولا لا انه يسأل كل بعض معين منهم بعضا آخر معينا
قالوا اي المسؤولون وهم كل واحد منهم في الحقيقة انا كنا قبل اي في الدنيا في اهلنا مشفقين ارقاء القلوب خائفين من عصيان الله تعالى
معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة والتوفيق للحق ووقانا عذاب السموم عذاب النار النافذة في المسام نفوذ
السموم وقرئ ووقانا بالتشديد انا كنا من قبل ندعوه اي نعبده او نسأله الوقاية انه هو البر المحسن الرحيم الكثير الرحمة الذي اذا عبد
اثاب واذا سئل اجاب وقرئ انه بالفتح بمعنى لانه فذكر فاثبت على ما انت عليه من التذكير بما انزل اليك من الآيات والذكر الحكيم ولا تكترث
بما يقولون مما لا خير فيه من الاباطيل فما انت بنعمة ربك بحمد الله وانعامه بصدق النبوة ورجاحة العقل بكاهن ولا مجنون كما يقولون قاتلهم الله تعالى
ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وهو ما يقلق النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر وقيل المنون الموت وهو في الاصل فعول
من منه اذا قطعه لان الموت قطوع اي بل يقولون ننتظر به نوائب الدهر قل تربصوا فاني معكم من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي
وفيه عدة كريمة باهلاكهم ام تأمرهم احلامهم اي عقولهم بهذا اي بهذا التناقض في المقال فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر في الامور
والمجنون مغطى عليه عقله مختل فكره والشاعر ذو كلام موزون متسق مخيل فكيف يجتمع اوصاف هؤلاء في واحد وامر الاحلام بذلك مجاز
عن ادائها اليه ام هم قوم طاغون مجاوزون الحدود في المكابرة والعناد لا يحومون حول الرشد والسداد ولذلك يقولون
ما يقولون من الاكاذيب الخارجة عن دائرة العقول والظنون وقرئ بل هم ام يقولون تقوله اي اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون
فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه الاباطيل التي لا يخفى على احد بطلانها كيف لا وما رسول الله صلى الله عليه وسلم الا واحد من العرب فكيف
اتى بما عجز عنه كافة الامم من العرب والعجم فليأتوا بحديث مثله مثل القرآن في النعوت التي استقل بها من حيث النظم ومن حيث المعنى ان كانوا
صادقين فيما زعموا فان صدقهم في ذلك يستدعي قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه السلام في البشرية والعربية مع ما بهم

من طول الممارسة للخطب والاشعار وكثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقايع والايام ولا ريب في ان القدرة
على الشيء من موجبات الاتيان به ودواعي الامر بذلك ام خلقوا من غير شيء اي ام احدثوا وقدروا هذا التقدير البديع من غير محدث
ومقدر وقيل ام خلقوا من اجل شيء من عبادة او جزاء ام هم الخالقون لانفسهم فلذلك لا يعبدون الله سبحانه ام خلقوا
السموات والارض بل لا يوقنون اي اذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم غير موقنين بما قالوا والا لما اعرضوا عن
عبادته ام عندهم خزائن ربك اي خزائن رزقه ورحمته حتى يرزقوا النبوة من شاؤوا او يمسكوها عمن شاؤوا او اعندهم علمه وحكمته
حتى يختاروا لها من اقتضت الحكمة اختياره ام هم المسيطرون اي الغالبون على الامور يدبرونها كيفما شاؤوا حتى يدبروا
امر الربوبية ويبنوا الامور على ارادتهم ومشيئتهم وقرئ المصيطرون بالصاد مكان السين ام لهم سلم منصوب الى السماء
يستمعون فيه صاعدين الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من الامور التي يتقولون فيها رجما بالغيب
ويعلقون بها اطماعهم الفارغة فليأت مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماعه ام له البنات ولكم البنون تسفيه
وتركيك لعقولهم وايذان بان من هذا رأيه لا يكاد يعد من العقلاء فضلا عن الترقي الى عالم الملكوت والتطلع على الاسرار
الغيبية والالتفات الى الخطاب لتشديد ما في ام المنقطعة من الانكار والتوبيخ ام تسألهم اجرا رجوع الى خطابه عليه السلام
واعراض عنهم اي بل اتسألهم اجرا على تبليغ الرسالة فهم لاجل ذلك من مغرم من التزام غرامة فادحة مثقلون محملون الثقل فلذلك
لا يتبعونك ام عندهم الغيب اي اللوح المحفوظ المثبت فيه الغيوب فهم يكتبون ما فيه حتى يتكلموا في ذلك بنفي او اثبات
ام يريدون كيدا هو كيدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة فالذين كفروا هم اي المذكورون ووضع الموصول
موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بما في حيز الصلة من الكفر وتعليل الحكم به او جميع الكفرة وهم داخلون فيه دخولا اوليا هم المكيدون
اي هم الذين يحيق بهم كيدهم او يعود عليهم وباله لا من ارادوا ان يكيدوه وهو ما اصابهم يوم بدر ام هم المغلوبون في الكيد
من كايدته فكدته ام لهم اله غير الله يعينهم ويحرسهم من عذابه سبحان الله عما يشركون اي عن اشراكهم او عن شركة ما يشركونه
وان يروا كسفا قطعة من السماء ساقطا لتعذيبهم يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب مركوم اي هم في الطغيان
بحيث لو اسقطناه عليهم حسبما قالوا او تسقط السماء علينا كما زعمت علينا كسفا لقالوا هذا سحاب تراكم بعضه على بعض يمطرنا
ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب فذرهم حتى يلاقوا وقرئ حتى يلقوا يومهم الذي فيه يصعقون على البناء للمفعول
من صعقته الصاعقة او من اصعقته وقرئ يصعقون بفتح الياء والعين وهو يوم يصيبهم الصعقة بالقتل يوم بدر
لا النفخة الاولى كما قيل اذ لا يصعق بها الا من كان حيا حينئذ ولان قوله تعالى يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا اي شيئا من الاغناء
بدل من يومهم ولا يخفى ان التعرض لبيان عدم نفع كيدهم يستدعي استعمالهم له طمعا في الانتفاع وليس ذلك الا ما دبروه
في امره صلى الله عليه وسلم من الكيد اي جملة مناشبتهم يوم بدر واما النفخة الاولى فليس مما يجري فيها مدافعة الكيد والحيل وقيل هو يوم
موتهم وفيه ما فيه مع ما يأباه الاضافة المنبئة عن اختصاصه بهم ولا هم ينصرون من جهة الغير في دفع العذاب عنهم وان للذين
ظلموا اي لهم ووضع الموصول موضع الضمير لما ذكر من قبل اي وان لهؤلاء الظلمة عذابا آخر دون ذلك دون ما لاقوه
من القتل اي قبله وهو القحط الذي اصابهم سبع سنين او وراءه كما في قوله تريك القذى من دونها وهو دونها وهو عذاب
وما بعده من فنون عذاب الآخرة وقرئ دون ذلك قريبا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كما ذكر وفيه اشارة الى ان
فيهم من يعلم ذلك وانما يصر على الكفر عنادا او لا يعلمون شيئا اصلا واصبر لحكم ربك بامهالهم الى يومهم الموعود و
ابقائك فيما بينهم مع مقاساة الاحزان ومعاناة الهموم فانك باعيننا اي في حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك
ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير والايذان بغاية الاعتناء بالحفظ وسبح اي نزهه تعالى عما لا يليق به ملتبسا بحمد ربك
على نعمائه الفائتة للحصر حين تقوم من اي مكان قمت قال سعيد بن جبير وعطاء اي قل حين تقوم من مجلسك سبحانك
اللهم وبحمدك وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه صل لله حين تقوم من مقامك وقال الضحاك والربيع اذا قمت

الى الصلوة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وقوله تعالى ومن الليل فسبحه افراد لبعض الليل بالتسبيح لان
العبادة فيه اشق على النفس وابعد عن الرياء كما يلوح به تقديمه على الفعل وادبار النجوم اى وقت ادبارها من آخر الليل اى غيبتها بضوء
الصباح وقيل التسبيح من الليل صلوة العشائين وادبار النجوم صلوة الفجر وقرئ ادبار النجوم بالفتح اى فى اعقابها اذا غربت او خفيت
عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطور كان حقا على الله تعالى ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه فى جنته صدق رسول الله وصدق حبيب الله

سورة النجم

بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى المراد بالنجم اما الثريا فانه اسم غالب له او جنس النجوم وبهويه غروبه وقيل طلوعه يقال هوى
هويا بوزن قبول اذا غرب وهويا بوزن دخول اذا علا وصعد واما النجم من نجوم القرآن فهويه نزوله والعامل فى اذا فعل القسم فانه
بمعنى مطلق الوقت منسلخ من معنى الاستقبال كما فى قولك آتيك اذا احمر البسر وفى الاقسام بذلك دلالة على نزاهته عليه السلام عن شائبة الضلال
والغواية من البراعة البديعة وحسن الموقع ما لا غاية وراءه اما على الاولين فلان النجم شانه ان يهتدى به السارى الى مسالك الدنيا كانه قيل
والنجم الذى يهتدى به السابلة الى سواء السبيل ما ضل صاحبكم اى ما عدل عن طريق الحق الذى هو مسلك الآخرة وما غوى اى وما اعتقد
باطلا قط اى هو فى غاية الهدى والرشد وليس مما تتوهمونه من الضلال والغواية فى شئ اصلا واما على الثالث فلانه تنويه بشأن القرآن
كما اشير اليه فى مطلع سورة يس وسورة الزخرف وتنبيه على مناط اهتدائه عليه السلام ومدار رشاده كانه قيل والقرآن الذى هو
علم فى الهداية الى مناهج الدين ومسالك الحق ما ضل عنها محمد عليه الصلوة والسلام وما غوى والخطاب لقريش وايراده عليه السلام
بعنوان صاحبيته لهم للايذان بوقوفهم على تفاصيل احواله الشريفة واحاطتهم خبرا ببرائته عليه السلام مما نفى عنه بالكلية وباتصافه عليه السلام بغاية
الهدى والرشاد فان طول صحبتهم له عليه السلام ومشاهدتهم لمحاسن شؤونه العظيمة مقتضية لذلك حتما وتقييد القسم بوقت الهوى
على الوجه الاخير ظاهر واما على الاولين فلان النجم لا يهتدى به السارى عند كونه فى وسط السماء ولا يعلم المشرق من المغرب والشمال من الجنوب
ولا يهتدى به الا عند هبوطه او صعوده مع ما فيه من كمال المناسبة لما سيحكى من تدلى جبريل عليه السلام من الافق الاعلى ودنوه منه عليهما السلام
هذا هو اللائق بشأن التنزيل الجليل واما حمل هويه على انتثاره يوم القيمة او على انقضاض النجم الذى يرجم به او حمل النجم على النبات وحمل هويه
على سقوطه على الارض او ظهوره منها فمما لا يناسب المقام وما ينطق عن الهوى وما يصدر نطقه بالقرآن عن هواه ورأيه اصلا فان
المراد استمرار نفى النطق عن الهوى لا نفى استمرار النطق عنه كما مر مرارا ان هو اى الذى ينطق به من القرآن الا وحى من الله
وقوله تعالى يوحى صفة مؤكدة لوحى رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجددى علمه شديد القوى اى ملك شديد قواه
وهو جبريل عليه السلام فانه الواسطة فى ابداء الخوارق وناهيك دليلا على شدة قوته انه قلع قرى قوم لوط من الماء الاسود الذى تحت الثرى
وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح بثمود صيحة فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده فى اسرع من رجعة الطرف
ذو مرة اى حصافة فى عقله ورأيه ومتانة فى دينه عطف على علمه بطريق التفسير فانه الى قوله تعالى ما اوحى بيان لكيفية التعليم
اى فاستقام على صورته التى خلقه الله تعالى عليها دون الصورة التى كان يتمثل بها كلما هبط بالوحى وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
احب ان يراه فى صورته التى جبل عليها فقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء فطلع له جبريل عليه السلام من المشرق فسد الارض من المغرب
وملأ الافق فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام فى صورة الادميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه
قيل ما رآه احد من الانبياء فى صورته غير النبى عليه السلام وعليهم اجمعين فانه رآه فيها مرتين مرة فى الارض ومرة فى السماء وقيل استوى
بقوته على ما جعل له من الامر وقوله تعالى وهو بالافق الاعلى اى افق الشمس حال من فاعل استوى ثم دنا اى اراد الدنو من النبى عليهما السلام
فتدلى اى استرسل من الافق الاعلى مع تعلق به فدنا من النبى صلى الله عليه وسلم يقال تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير وادلى دلوه
والدوالى الثمر المعلق فكان اى مقدار امتداد ما بينهما قاب قوسين اى مقدارهما فان القاب والقيب والقاد والقيد
والقوس المقدار وقيل وكان جبريل عليه السلام كما فى قولك هو منى معقد الازار او ادنى اى على تقديركم كما فى قوله تعالى او يزيدون
والمراد تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحى اليه بنفى البعد الملبس فاوحى اى جبريل الى عبده عبد الله تعالى واضماره قبل الذكر

لغاية

لغاية ظهوره كما فى قوله تعالى ما ترك على ظهرها ما اوحى اى من الامور العظيمة التى لا تفى بها العبارة او فاوحى الله تعالى حينئذ
بواسطة جبريل ما اوحى قيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك ما كذب الفؤاد اى فؤاد
محمد عليه الصلوة والسلام ما رأى اى ما رآه ببصره من صورة جبريل عليهما السلام اى ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال
ذلك لكان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره وقرئ ما كذب اى صدقه ولم يشك انه جبريل بصورته أفتمارونه على ما يرى
اى أتكذبونه فتجادلونه على ما يراه معاينة او ابعد ما ذكر من احواله المنافية للمماراة تمارونه من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه
من مرى الناقة كأن كلا من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه وقرئ أفتمرونه فتغلبونه فى المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة
عدى بعلى كما يقال غلبته على كذا وقيل افتمرونه اى افتجحدونه من مراه حقه اى جحده ولقد رآه نزلة اخرى اى وبالله لقد رأى جبريل
فى صورته مرة اخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذى هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت فى حكمها وقيل
تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى فنصبها على المصدر عند سدرة المنتهى هى شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش
ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع من اصلها الانهار التى ذكرها الله تعالى فى كتابه يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما لا يقطعها
والمنتهى موضع الانتهاء او الانتهاء كأنها فى منتهى الجنة وقيل اليها ينتهى علم الخلائق واعمالهم ولا يعلم احد ما وراءها و
قيل ينتهى اليها ارواح الشهداء وقيل ينتهى اليها ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها قيل اضافة السدرة اما من اضافة الشئ
الى مكانه كقولك اشجار البستان او اضافة المحل الى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير سدرة عندها منتهى العلوم واضافة
الملك الى المالك على حذف الجار والمجرور اى سدرة المنتهى اليه وهو الله عز وجل قال تعالى الى ربك المنتهى عندها
جنة المأوى اى الجنة التى يأوى اليها المتقون او ارواح الشهداء والجملة حالية قيل الاحسن ان يكون الحال هو الظرف وجنة
المأوى مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى ظرف زمان لرآه لا لما بعده من الجملة المنفية كما قيل فان ما النافية
لا يعمل ما بعدها فيما قبلها والغشيان بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشى او بمعنى الاتيان يقال يغشانى كل حين اى يأتينى والاول
هو اللائق بالمقام وفى ابهام ما يغشى من التفخيم ما لا يخفى وتأخيره عن المفعول للتشويق اليه اى ولقد رآه عند السدرة وقت ما
غشيها مما لا يكتنهه الوصف ولا يفى به البيان كيفا ولا كما وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها البديعة او
للايذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها وقيل يزورونها متبركين بها كما
يزور الناس الكعبة وقيل يغشاها سبحات انوار الله عز وجل حين يتجلى لها كما تجلى للجبل لكنها كانت اقوى من الجبل واثبت حيث لم يصبها ما اصاب
من الدك وقيل يغشاها فراش او جراد من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى وعنه عليه السلام يغشاها رفرف من طير خضر
ما زاغ البصر اى ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه وما طغى وما تجاوزه مع ما شاهد هناك من الامور العجيبة
المذهلة مما لا يحصى بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا او ما عدل عن رؤية العجائب التى امر برؤيتها ومكن منها وما جاوزها أفرأيتم اللات
والعزى ومناة الثالثة الاخرى اى والله لقد رأى الآيات التى هى كبراها وعظماها حين عرج به الى السماء فارى من عجائب الملك والملكوت
مما لا يحيط به نطاق العبارة ويجوز ان يكون الكبرى صفة للآيات والمفعول محذوف اى شيئا عظيما من آيات ربه وان يكون من مزيدة
لقد رأى من آيات ربه الكبرى هى اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل لقريش بنخلة وهى فعلة من لوى لانهم
كانوا يلوون عليها ويطوفون بها وقرئ بتشديد التاء على انه اسم فاعل اشتهر به رجل كان يلت السمن بالزيت ويطعم الحاج وقيل
كان يلت السويق بالطائف ويطعمه الحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان يجلس على حجر فلما مات سمى الحجر باسمه وعبد
من دون الله وقيل كان الحجر على صورته والعزى تأنيث الاعز كانت لغطفان وهى سمرة كانوا يعبدونها فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها على رأسها وهى تولول فجعل خالد يضربها
بالسيف حتى قتلها فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا ومناة صخرة لهذيل وخزاعة وقيل

لثقيف و كانها سميت مناة لان دماء النسائك تمنى عندها اى تراق وقرئ ومناءة وهى مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها والاخرى صفة ذم لها وهى المتاخرة الوضيعة المقدار وقد جوز ان يكون الاولوية والتقدم عندهم للات والعزى ثم انهم كانوا مع ما ذكر من عبادتهم لها يقولون ان الملائكة وتلك الاصنام بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا فقيل لهم توبيخا وتبكيتا افرائيتم الخ والهمزة للانكار والفاء لتوجيهه الى ترتيب الرؤية على ما ذكر من شؤون الله تعالى المنافية لها غاية المنافاة وهى قلبية ومفعولها الثانى محذوف لدلالة الحال عليه فالمعنى اعقيب ما سمعتم من آثار كمال عظمة الله عز وجل في ملكه وملكوته وجلاله وجبروته واحكام قدرته ونفاذ امره فى الملاء الاعلى وما تحت الثرى وما بينهما رائيتم هذه الاصنام مع غاية حقارتها وقمائتها بنات له تعالى وقيل المعنى افرائيتم هذه الاصنام مع حقارتها وذلتها شركاء لله تعالى مع ما تقدم من عظمته وقيل اخبرونى عن الهتكم هل لها شئ من القدرة والعظمة التى وصف بها رب العزة فى الآى السابقة وقيل المعنى اظننتم ان هذه الاصنام التى تعبدونها تنفعكم وقيل اظننتم انها تشفع لكم فى الآخرة وقيل افرائيتم الى هذه الاصنام ان عبدتموها لا تنفعكم وان تركتموها لا تضركم والاول هو الحق كما يشهد به قوله تعالى **الكم الذكر وله الانثى** شهادة بينة فانه توبيخ مبنى على التوبيخ الاول وحيث كان مدار تفضيل جانب انفسهم على جانبه تعالى نسبتهم اليه تعالى الاناث مع اختيارهم لانفسهم الذكور وجب ان يكون مناط الاول نفس تلك النسبة حتى يتسنى بناء التوبيخ الثانى عليه وظاهر ان ليس شئ من التقديرات المذكورة من تلك النسبة عين ولا اثر واما ما قيل من ان هذه الجملة مفعول ثان للرؤية وخلوها عن العائد الى المفعول الاول لما ان الاصل اخبرونى ان اللات والعزى ومناة الكم الذكر وله هن اى تلك الاصنام فوضع موضعها الانثى لمراعاة الفواصل وتحقيق مناط التوبيخ فمع ما فيه من التمحلات التى ينبغى تنزيه ساحة التنزيل عن امثالها يقتضى اقتصار التوبيخ على ترجيح جانبهم الحقير على جناب الله عز وجل من غير تعرض للتوبيخ على نسبة الولد اليه سبحانه **تلك** اى القسمة المنفهمة من الجملة الاستفهامية **اذا قسمة ضيزى** اى جائرة حيث جعلتم له تعالى ما تستنكفون منه وهى فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل فى بيض فان فعلى بالكسر لم يات فى الوصف وقرئ ضئزى بالهمزة من ضأزه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به وقرئ ضيزى اما على انه مصدر وصف به كدعوى او على انه صفة كسكرى وعطشى **ان هى** الضمير للاصنام اى ما الاصنام باعتبار الالوهية التى تدعونها **الا اسماء** محضة ليس تحتها مما تنبئ هى عنه من معنى الالوهية شئ ما اصلا وقوله تعالى **سميتموها** صفة لاسماء وضميرها للاصنام والمعنى جعلتموها اسماء فان التسمية نسبة بين الاسم والمسمى فاذا نسبت الى الاسم فمعناها جعله اسما للمسمى لا جعله مسمى للاسم وانما اختير ههنا المعنى الاول من غير تعرض للمسمى لتحقيق ان تلك الاصنام التى يسمونها آلهة اسماء مجردة ليس لها مسميات قطعا كما فى قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها الآية الا ان هناك مسميات لكنها لا تستحق التسمية وقيل هى للاسماء الثلاثة المذكورة حيث كانوا يطلقونها على تلك الاصنام لاعتقادهم انها تستحق العكوف على عبادتها والاعزاز والتقرب اليها بالقرابين وانت خبير بانه لو سلم دلالة الاسماء المذكورة على ثبوت تلك المعانى الخاصة للاصنام فليس فى سلبها عنها مزيد فائدة بل انما هى فى سلب الالوهية عنها كما هو زعمهم المشهور فى حق جميع الاصنام على وجه برهانى فان انتفاء الموصوف يقتضى انتفاء الوصف بطريق الاولوية اى ما هى الا اسماء خالية عن المسميات وضعتموها **انتم واباؤكم** بمقتضى اهوائكم الباطلة **ما انزل الله بها من سلطان** برهان تتعلقون به **ان يتبعون** التفات الى الغيبة للايذان بان تعداد قبائحهم اقتضى الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم اى ما يتبعون فيما ذكر من التسمية والعمل بموجبها **الا الظن** الا توهم ان ما هم عليه حق توهما باطلا **وما تهوى الانفس** اى تشتهيه انفسهم الامارة بالسوء **ولقد جاءهم من ربهم الهدى** حال من فاعل يتبعون او اعتراض واياما كان ففيه تاكيد لبطلان اتباع الظن وهوى النفس وزيادة تقبيح لحالهم فان اتباعهما من اى شخص كان قبيح وممن هداه الله تعالى بارسال الرسول عليه السلام وانزال الكتاب اقبح **ام للانسان ما تمنى** ام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من بيان ان ما هم عليه غير مستند الا الى توهمهم وهوى انفسهم الى بيان ان ذلك مما لا يجدى نفعا اصلا والهمزة للانكار والنفى اى ليس للانسان كل ما يتمناه وتشتهيه نفسه من الامور التى من جملتها تعلق اطماعهم الفارغة فى شفاعة الآلهة ونظائرها التى لا تكاد تدخل تحت الوجود **فلله الآخرة والاولى** تعليل لانتفاء ان يكون للانسان ما يتمناه حتما فان اختصاص امور الآخرة والاولى جميعا به تعالى مقتض لانتفاء ان يكون له امر من الامور وقوله تعالى **وكم من ملك فى**

السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا اقناط لهم عما علقوا به اطماعهم من شفاعة الملائكة لهم موجب لاقناطهم عن شفاعة الاصنام بطريق الاولوية وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها الرفع على الابتداء والخبر هى الجملة المنفية وجمع الضمير فى شفاعتهم مع افراد الملك باعتبار المعنى اى وكثير من الملائكة لا تغنى شفاعتهم عند الله تعالى شيئا من الاغناء فى وقت من الاوقات **الا من بعد ان ياذن الله** لهم فى الشفاعة **لمن يشاء** ان يشفعوا له **ويرضى** ويراه اهلا للشفاعة من اهل التوحيد والايمان واما من عداهم من اهل الكفر والطغيان فهم من اذن الله تعالى بمعزل ومن الشفاعة بالف منزل فاذا كان حال الملائكة فى باب الشفاعة كما ذكر فما ظنهم بحال الاصنام **ان الذين لا يؤمنون بالآخرة** وما فيها من العقاب على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصى **ليسمون الملائكة** المنزهين عن سمات النقصان على الاطلاق اى ليسمون كل واحد منهم **تسمية الانثى** فان قولهم الملائكة بنات الله قول بان كلا منهم بنته سبحانه وهى التسمية بالانثى وفى تعليقها بعدم الايمان بالآخرة اشعار بانها فى الشناعة والفظاعة واستتباع العقوبة فى الآخرة بحيث لا يجترئ عليها الا من لا يؤمن بها راسا وقوله تعالى **وما لهم به من علم** حال من فاعل يسمون والحال انه لا علم لهم بما يقولون اصلا وقرئ بها اى بالملائكة او بالتسمية **ان يتبعون** فى ذلك **الا الظن** الفاسد **وان الظن** اى جنس الظن كما يلوح به الاظهار فى موقع الاضمار **لا يغنى من الحق شيئا** من الاغناء فان الحق الذى هو عبارة عن حقيقة الشئ لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتداد به فى شان المعارف الحقيقية وانما يعتد به فى العمليات وما يؤدى اليها **فاعرض عمن تولى** اى عنهم ووضع الموصول موضع ضميرهم للتوسل به الى وصفهم بما فى حيز صلته من الاوصاف القبيحة وتعليل الحكم بها اى فاعرض عمن اعرض عن ذكرنا المفيد للعلم اليقينى وهو القرآن المنطوى على علوم الاولين والآخرين المذكر لامور الآخرة او عن ذكرنا كما ينبغى فان ذلك مستتبع لذكر الآخرة وما فيها من الامور المرغوب فيها والمرهوب عنها **ولم يرد الا الحيوة الدنيا** راضيا بها قاصرا نظره عليها والمراد النهى عن دعوته والاعتناء بشانه فان من اعرض عما ذكر وانهمك فى الدنيا بحيث كانت هى منتهى همته وقصارى سعيه لا تزيده الدعوة الى خلافها الا عنادا واصرارا على الباطل **ذلك** اى ما اداهم الى ما هم فيه من التولى وقصر الارادة على الحيوة الدنيا **مبلغهم من العلم** لا يكادون يجاوزونه الى غيره حتى يجديهم الدعوة والارشاد وجمع الضمير فى مبلغهم باعتبار معنى من كما ان افراده فيما سبق باعتبار لفظها والمراد بالعلم مطلق الادراك المنتظم للظن الفاسد وغيره والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها من قصر الارادة على الحيوة الدنيا وقوله تعالى **ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى** تعليل للامر بالاعراض وتكرير قوله تعالى هو اعلم لزيادة التقرير والايذان بكمال تباين المعلومين والمراد بمن ضل من اصر عليه ولم يرجع الى الهدى اصلا وبمن اهتدى من من شانه الاهتداء فى الجملة اى هو المبالغ فى العلم بمن لا يرعوى عن الضلال ابدا وبمن يقبل الاهتداء فى الجملة لا غيره فلا تتعب نفسك فى دعوتهم فانهم من القبيل الاول وفى تعليل الامر باعراضه عليه السلام عن الاعتناء بامرهم باختصاص العلم باحوال الفريقين به تعالى رمز الى انه تعالى يعاملهم بموجب علمه بهم فيجزى كلا منهم بما يليق به من الجزاء ففيه وعيد ووعد ضمنا كما سياتى صريحا **ولله ما فى السموات وما فى الارض** اى خلقا وملكا لا لغيره اصلا لا استقلالا ولا اشتراكا وقوله تعالى **ليجزى** الخ متعلق بما دل عليه اعلم الى آخره وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله فان كون الكل مخلوقا له تعالى مما يقرر علمه باحوالهم الا يعلم من خلق كانه قيل فيعلم ضلال من ضل واهتداء من اهتدى ويحفظهما ليجزى الذين اساؤا **بما عملوا** اى بعقاب ما عملوا من الضلال الذى عبر عنه بالاساءة بيانا لحاله او بسبب ما عملوا **ويجزى الذين احسنوا** اى اهتدوا **بالحسنى** اى بالمثوبة الحسنى هى الجنة او بسبب اعمالهم الحسنى وقيل متعلق بما دل عليه قوله تعالى ولله ما فى السموات وما فى الارض كانه قيل خلق ما فيهما ليجزى الخ وقيل متعلق بضل واهتدى على ان اللام للعاقبة اى هو اعلم بمن ضل ليؤول امره الى ان يجزيه الله تعالى بعمله وبمن اهتدى ليؤول امره الى ان يجزيه بالحسنى وفيه من البعد ما لا يخفى وتكرير الفعل لابراز كمال الاعتناء بامر الجزاء والتنبيه على تباين الجزائين **الذين يجتنبون كبائر الاثم** بدل من الموصول الثانى وصيغة الاستقبال فى صلته للدلالة على تجدد الاجتناب واستمراره او بيان او نعت او منصوب على المدح وكبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب عليه الوعيد بخصوصه وقرئ كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك **والفواحش** اى وما فحش من الكبائر خصوصا **الا اللمم** اى الا ما قل وصغر فانه مغفور ممن يجتنب الكبائر قيل هى النظرة والغمزة والقبلة وقيل هى الخطرة من الذنب وقيل كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وقيل عادة النفس الحين بعد الحين والاستثناء منقطع **ان ربك**

واسع المغفرة حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر فالجملة تعليل لاستثناء اللمم وتنبيه على ان اخراجه عن حكم المؤاخذة به ليس لخلوه عن الذنب في نفسه بل لسعة المغفرة الربانية وقيل المعنى ان يغفر لمن يشاء من المؤمنين ما يشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعل تعقيب وعيد المسيئين ووعد المحسنين بذلك حينئذ لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته تعالى ولا يتوهم وجوب العقاب عليه تعالى **هو اعلم بكم** اي باحوالكم يعلمها **اذ انشأكم** في ضمن انشاء ابيكم آدم عليه السلام **من الارض** انشاء اجماليا حسبما مر تحقيقه مرارا **واذ انتم اجنة** ووقت كونكم اجنة **في بطون امهاتكم** على اطوار مختلفة مترتبة لا يخفى عليه حال من احوالكم وعمل من اعمالكم التي من جملتها اللمم الذي لولا المغفرة الواسعة لاصابكم وباله فالجملة استيناف مقرر لما قبلها والفاء في قوله تعالى **فلا تزكوا انفسكم** لترتيب النهي عن تزكية النفس على ما سبق من ان عدم المؤاخذة باللمم ليس لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تعالى مع علمه بصدوره عنكم اي اذا كان الامر كذلك فلا تثنوا عليها بالطهارة عن المعاصي بالكلية او بما يستلزمها من زكاء العمل ونماء الخير بل اشكروا الله تعالى على فضله ومغفرته **هو اعلم بمن اتقى** المعاصي جميعا وهو استيناف مقرر للنهي ومشعر بان فيهم من يتقيها باسرها وقيل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلوتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان بطريق الاعجاب او الريا فاما من اعتقد ان ما عمله من الاعمال الصالحة من الله تعالى وبتوفيقه وتأييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين انفسهم فان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر **افرأيت الذي تولى** اي عن اتباع الحق والثبات عليه **واعطى قليلا** اي شيئا قليلا **واكدى** اي قطع العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية اي الصلابة كالصخرة فلا يمكنه ان يحفر قالوا نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بعض المشركين وقال له تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطاه بعض المشروط وبخل بالباقي وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي لما انه كان يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الامور وقيل في ابي جهل كان ربما يوافق الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض الامور وكان يقول والله ما يأمرنا محمد الا بمكارم الاخلاق وذلك قوله تعالى واعطى قليلا واكدى والاول هو الاشهر المناسب لما بعده من قوله تعالى **اعنده علم الغيب فهو يرى** الى آخره اي أعنده علم بالامور الغيبية التي من جملتها تحمل صاحبه عنه يوم القيمة **ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابرهيم الذي وفى** اي وفر واتم ما ابتلي به من الكلمات او امر به او بالغ في الوفاء بما عاهد الله عليه وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى انه اتاه جبريل عليهما السلام حين القي في النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وعلى ذبح الولد ويروى انه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى لما ان صحفه التي هي التورية اشهر عندهم واكثر **الا تزر وازرة وزر اخرى** اي انه لا تحمل نفس من شأنها الحمل حمل نفس اخرى على ان ان هي المخففة من الثقيلة وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف والجملة المنفية خبرها ومحل الجملة الجر على انها بدل مما في صحف موسى او الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل ما في صحفهما هو الا تزر الى آخره والمعنى انه لا يؤاخذ احد بذنب غيره ليتخلص الثاني من عقابه ولا يقدح في ذلك قوله عليه السلام من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة فان ذلك وزر الاضلال الذي هو وزره وقوله تعالى **وان ليس للانسان الا ما سعى** بيان لعدم انتفاع الانسان بعمل غيره من حيث جلب النفع اليه اثر بيان عدم انتفاعه به من حيث دفع الضرر عنه واما شفاعة الانبياء عليهم السلام واستغفار الملائكة عليهم السلام ودعاء الاحياء للاموات وصدقتهم عنهم وغير ذلك مما لا يكاد يحصى من الامور النافعة للانسان مع انها ليست من عمله قطعا فحيث كان مناط منفعة كل منها عمله الذي هو الايمان والصلاح ولم يكن لشيء منها نفع ما بدونه جعل النافع نفس عمله وان كان بانضمام عمل غيره اليه وان مخففة كاختها معطوفة عليها وكذا قوله تعالى **وان سعيه سوف يرى** اي يعرض عليه ويكشف له يوم القيمة في صحيفته وميزانه من اريته الشيء **ثم يجزاه** اي يجزى الانسان سعيه يقال جزاه الله بعمله وجزاه الله على عمله وجزاه عمله بحذف الجار وايصال الفعل ويجوز ان يجعل الضمير للجزاء ثم يفسر بقوله تعالى **الجزاء الاوفى** او يبدل هو عنه كما في قوله تعالى واسروا النجوى الذين ظلموا **وان الى ربك المنتهى** اي انتهاء الخلق ورجوعهم اليه تعالى لا الى غيره لا استقلالا ولا اشتراكا وقرئ بكسر ان على الابتداء **وانه هو اضحك وابكى** اي هو خلق قوتي الضحك والبكاء **وانه هو امات واحيا** لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان اثر القاتل نقض البنية وتفريق الاتصال وانما يحصل الموت عنده بفعل الله تعالى على العادة **وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى** تدفق في الرحم او تخلق او يقدر منها الولد من منى بمعنى قدر **وان عليه النشأة الاخرى** اي الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرئ النشاءة بالمد وهي ايضا مصدر نشأ **وانه هو اغنى واقنى** واعطى القنية وهي ما تأثل

من الاموال وافرادها بالذكر لانها اشرف الاموال او ارضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية **وانه هو رب الشعرى** اي رب معبودهم وهي العبور وهي اشد ضياء من الغميصاء وكانت خزاعة تعبدها سن ذلك لهم ابو كبشة رجل من اشرافهم كانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابو كبشة تشبيها له عليه السلام به لمخالفته اياهم في دينهم **وانه اهلك عادا الاولى** هي قوم هود عليه السلام وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح وقرئ عاد لولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى اللام وعاد لولى بادغام التنوين في اللام وطرح همزة اولى ونقل حركتها الى لام التعريف **وثمود** عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه وقرئ وثمودا بالتنوين **فما ابقى** اي احدا من الفريقين **وقوم نوح** عطف عليه ايضا **من قبل** اي من قبل اهلاك عاد وثمود **انهم كانوا هم اظلم واطغى** من الفريقين حيث كانوا يؤذونه وينفرون الناس عنه ويحذرون صبيانهم ان لا يسمعوا منه وكانوا يضربونه عليه السلام حتى لا يكون به حراك وما اثر فيهم دعاؤه قريبا من الف سنة **والمؤتفكة** هي قرى قوم لوط ائتفكت باهلها اي انقلبت بهم **اهوى** اي اسقطها الى الارض بعد ان رفعها على جناح جبريل عليه السلام الى السماء **فغشاها ما غشى** من فنون العذاب وفيه من التهويل والتفظيع ما لا غاية وراءه **فباي آلاء ربك تتمارى** تتشكك والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله لئن اشركت ليحبطن عملك او لكل احد واسناد فعل التماري الى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه فان صيغة التفاعل وان كانت موضوعة لافادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يكون كل من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنها قد تجرد عن المعنى الثاني فيراد بها المعنى الاول فقط كما في تداعوهم اي دعوهم وقد تجرد عنه ايضا فيكتفى بتعدد الفعل بتعدد متعلقه كما فيما نحن فيه فان التماري متعدد بتعدد الآلاء فتدبر وتسميته الامور المعدودة آلاء مع ان بعضها نقم لما انها ايضا نعم من حيث انها نصرة للانبياء والمؤمنين وانتقام لهم وفيها عظات وعبر للمعتبرين **هذا نذير من النذر الاولى** هذا اما اشارة الى القرآن والنذير مصدر او الى الرسول صلى الله عليه وسلم والنذير بمعنى المنذر واياما كان فالتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف هو نعت لنذير مقرر له ومتضمن للوعيد اي هذا القرآن الذي تشاهدونه نذير من قبيل الانذار المتقدمة التي سمعتم عاقبتها او هذا الرسول منذر من جنس المنذرين الاولين والاولى على تأويل الجماعة لمراعاة الفواصل وقد علمتم احوال قومهم المنذرين وفي تعقيبه بقوله تعالى **ازفت الازفة** اشعار بان تعذيبهم مؤخر الى يوم القيمة اي دنت الساعة الموصوفة بالدنو في نحو قوله تعالى اقتربت الساعة **ليس لها من دون الله كاشفة** اي ليس لها نفس قادرة على كشفها عند وقوعها الا الله تعالى لكنها لا يكشفها او ليس لها الآن نفس كاشفة بالتأخير الا الله تعالى فانه المؤخر لها او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله كقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو او ليس لها من غير الله تعالى كشف على ان كاشفة مصدر كالعافية **افمن هذا الحديث** اي القرآن **تعجبون** انكارا **وتضحكون** استهزاء مع كونه ابعد شيء من ذلك **ولا تبكون** حزنا على ما فرطتم في شأنه وخوفا من ان يحيق بكم ما حاق بالامم المذكورة **وانتم سامدون** اي لاهون او مستكبرون من سمد البعير اذا رفع رأسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود بمعنى الغناء على لغة حمير او خاشعون جامدون من السمود بمعنى الجمود والخشوع كما في قول من قال رمى الحدثان نسوة آل سعد بمقدار سمدن له سمودا فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا والجملة حال من فاعل لا تبكون خلا ان مضمونها على الوجه الاخير قيد للنفي والانكار وارد على نفي البكاء والسمود معا وعلى الوجوه الاول قيد للنفي والانكار متوجه الى نفي البكاء ووجود السمود والاول اوفى بحق المقام فتدبر والفاء في قوله تعالى **فاسجدوا لله واعبدوا** لترتيب الامر او موجبه على ما تقرر من بطلان مقابلة القرآن بالانكار والاستهزاء ووجوب تلقيه بالايمان مع كمال الخضوع والخشوع اي اذا كان الامر كذلك فاسجدوا لله الذي انزله واعبدوه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنجم اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

سورة القمر

بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة وانشق القمر روي ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم آية فانشق القمر قال ابن عباس رضي الله عنهما انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رضي الله عنه رأيت حراء بين فلقتي القمر وعن عثمان بن عطاء عن ابيه ان معناه سينشق يوم القيمة ويرده قوله تعالى **وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر** فانه قاطع بانه قد وقع وانهم قد شاهدوه

بعد مشاهدة نظائره وقد قرئ وقد انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من اقترابها ان القمر قد انشق ومعنى الاستمرار الاطراد والاستحكام
اي وان يروا آية من آيات الله تعالى يعرضوا عن التأمل فيها ليقفوا على حقيقتها وعلو طبقتها ويقولوا سحر مطرد دائم يأتي به محمد عليه السلام على مر الزمان
لا يكاد يختلف بحال كسائر انواع السحر او قوي مستحكم لا يمكن ازالته وقيل مستمر ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لانفسهم وتعليلا وهو لا يناسب بغلوهم في العناد
والمكابرة ويؤيده ما سيأتي تردده وقرئ وان يروا على البناء للمفعول من الاراءة **وكذبوا** اي النبي عليه السلام وما عاينوه مما اظهره الله تعالى على يده
من المعجزات **واتبعوا اهواءهم** التي زينها الشيطان لهم او كذبوا الآية التي هي انشقاق القمر واتبعوا اهواءهم وقالوا سحر القمر او سحر اعيننا والقمر بحاله
وصيغة الماضي للدلالة على التحقيق وقوله تعالى **وكل امر مستقر** استئناف مسوق لاقناطهم عما علقوا به اما نيهم الفارغة من عدم استقرار امره عليه السلام
حسبما قالوا سحر مستمر ببيان ثباته ورسوخه اي وكل امر من الامور مستقر اي منته الى غاية يستقر عليها لا محالة ومن جملتها امر النبي صلى الله عليه وسلم
فيصير الى غاية يتبين عندها حقيته وعلو شأنه وابهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة الى التصريح به وقيل المعنى كل امر من امرهم
مستقر اي سيثبت ويستقر على حالة خذلان او نصرة في الدنيا وشقاوة او سعادة في الآخرة وقرئ بالفتح على انه مصدر او اسم مكان او اسم
زمان اي ذو استقرار وذو موضع استقرار وذو زمان استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل عطف على الساعة اي اقتربت الساعة
وكل امر مستقر **ولقد جاءهم** اي في القرآن وقوله تعالى **من الانباء** اي انباء القرون الخالية او انباء الآخرة متعلق بمحذوف هو حال مما بعده اي
وبالله لقد جاءهم كائنا من الانباء **ما فيه مزدجر** اي ازدجار من تعذيب او وعيد او موضع ازدجار على ان في تجريدية والمعنى انه في نفسه
موضع ازدجار وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاء للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زاء وادغامها **حكمة بالغة** غايتها
لا خلل فيها وهي بدل من ما او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا منها فانها موصولة او موصوفة تخصصت بصفتها فساغ نصب الحال عنها **فما
تغن النذر** نفي للاغناء او انكار له والفاء لترتيب عدم الاغناء على مجيء الحكمة البالغة مع كونه مظنة للاغناء وصيغة المضارع للدلالة على تجدد
عدم الاغناء واستمراره حسب تجدد مجيء الزواجر واستمراره وما على الوجه الثاني منصوبة اي فاي اغناء تغني النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر
او مصدر بمعنى الانذار **فتول عنهم** لعلمك بان الانذار لا يؤثر فيهم البتة **يوم يدع الداع** منصوب بيخرجون او باذكر والداعي
اسرافيل عليه السلام ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر في قوله تعالى كن فيكون واسقاط الياء للاكتفاء بالكسر تخفيفا **الى شيء نكر** اي منكر
فظيع تنكره النفوس لعدم العهد بمثله وهو هول القيامة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى انكر **خشعا ابصارهم** حال من فاعل يخرجون و
التقديم لان العامل متصرف اي **يخرجون من الاجداث** اذلة ابصارهم من شدة الهول وقرئ خاشعا والافراد والتذكير لان فاعله
ظاهر غير حقيقي التأنيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر على ان الجملة **كانهم جراد منتشر** في الكثرة والتموج
والتفرق في الاقطار **مهطعين الى الداع** مسرعين مادي اعناقهم اليه او ناظرين اليه **يقول الكافرون** استئناف وقع جوابا عما نشأ من
وصف اليوم بالاهوال واهله بسوء الحال كانه قيل فماذا يقول حينئذ فقيل يقول الكافرون **هذا يوم عسر** اي صعب شديد وفي اسناد
القول المذكور الى الكفار تلويح بان المؤمنين ليسوا في تلك المرتبة من الشدة **كذبت قبلهم قوم نوح** شروع في تعداد بعض ما ذكر من الانباء
الموجبة للازدجار ونوع تحصيل لها وبيان لعدم تأثيرهم بها تقرير الفحوى قوله تعالى فما تغن النذر اي فعل التكذيب قبل تكذيب قومك
قوم نوح وقوله تعالى **فكذبوا عبدنا** تفسير لذلك التكذيب المبهم كما في قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب الى آخره وفيه مزيد تقرير
وتحقيق للتكذيب وقيل معناه كذبوه تكذيبا اثر تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب جاء عقيبه قرن آخر مكذب مثله وقيل كذبت قوم نوح
الرسل فكذبوا عبدنا لانه من جملتهم وفي ذكره عليه السلام بعنوان العبودية مع الاضافة الى نون العظمة تفخيم له عليه السلام ورفع لمحله
وزيادة تشنيع لمكذبيه **وقالوا مجنون** اي لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه الى الجنون **وازدجر** عطف على قالوا اي وزجر
عن التبليغ بانواع الاذية وقيل هو من جملة ما قالوه اي هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته الجن **فدعا ربه انى** اي باني وقرئ
بالكسر على ارادة القول **مغلوب** اي من جهة قومي وما لي قدرة على الانتقام منهم **فانتصر** اي فانتقم لي منهم بعد اليأس والبتة
فقد روي ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون **ففتحنا ابواب
السماء بماء منهمر** منصب وهو تمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرئ ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب **وفجرنا الارض عيونا**

اي جعلنا

اي جعلنا الارض كلها كانها عيون متفجرة واصله وفجرنا عيون الارض فغير اقتضاء لحق المقام **فالتقى الماء** اي ماء السماء وماء الارض والافراد
لتحقيق ان التقاء الماءين لم يكن بطريق المجاورة والتقارب بل بطريق الاختلاط والاتحاد وقرئ الماءان لاختلاف النوعين والماوان بقلب
الهمزة واوا **على امر قد قدر** اي كائنا على حال قد قدرها الله تعالى من غير تفاوت او على حال قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل على قدر ما
اخرج او على امر قدره الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان **وحملناه** اي نوحا **على ذات الواح** اي اخشاب عريضة **ودسر** ومسامير
جمع دسار من الدسر وهو الدفع وهي صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها كالشرح لها تؤدي مؤداها **تجري باعيننا** بمرأى منا
اي محفوظة بحفظنا **جزاء لمن كان كفر** اي فعلنا ذلك جزاء لنوح عليه السلام لانه كان نعمة كفروها فان كل نبي نعمة من الله تعالى على امته
ورحمة واي نعمة ورحمة وقد جوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير واستتاره في الفعل بعد انقلابه مرفوعا وقرئ لمن كفر
اي للكافرين **ولقد تركناها** اي السفينة او الفعلة **آية** يعتبر بها من يقف على خبرها وقال قتادة ابقاها الله تعالى بارض الجزيرة و
قيل على الجودي دهرا طويلا حتى نظر اليها اوائل هذه الامة **فهل من مدكر** اي معتبر بتلك الآية الحقيقة بالاعتبار وقرئ مذتكر على الاصل
ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها **فكيف كان عذابي ونذر** استفهام تعظيم وتعجيب اي كانا على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف
والنذر جمع نذير من الانذار **ولقد يسرنا القرآن** الى آخره جملة قسمية وردت في آخر القصص الاربع تقريرا لمضمون ما سبق من قوله تعالى ولقد جاءهم
من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغن النذر وتنبيها على ان كل قصة منها مستقلة بايجاب الادكار كافية في الازدجار ومع ذلك لم يقع
واحد في حيز الاعتبار اي وبالله لقد سهلنا القرآن لقومك بان انزلناه على لغتهم وشحناه بانواع المواعظ والعبر وصرفنا فيه من الوعيد
والوعد **للذكر** اي للتذكر والاتعاظ **فهل من مدكر** انكار ونفي للمتعظ على ابلغ وجه واكده حيث يدل على انه لا يقدر احد ان يجيب
المستفهم بنعم وحمل تيسيره على تسهيل حفظه بجزالة نظمه وعذوبة الفاظه وعباراته مما لا يساعده المقام **كذبت عاد** اي هودا عليه السلام
ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم له روما للاختصار ومسارعة الى بيان ما فيه الازدجار من العذاب وقوله تعالى **فكيف كان عذابي ونذر**
لتوجيه قلوب السامعين نحو الاصغاء الى ما يلقى اليهم قبل ذكره لا للتهويل والتعظيم والتعجيب من حاله بعد بيانه كما قبله وما بعده كانه قيل
كذبت عاد فهل سمعتم او فاسمعوا كيف كان عذابي وانذاري لهم وقوله تعالى **انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا** استئناف ببيان ما اجمل اولا
اي ارسلنا عليهم ريحا باردة او شديدة الصوت **في يوم نحس** شؤم **مستمر** اي شؤمه واستمر عليهم الى ان اهلكهم او شامل لجميعهم
كبيرهم وصغيرهم او اشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر **تنزع الناس** تقلعهم روي انهم دخلوا الشعاب والحفر وتمسك
بعضهم ببعض فنزعتهم الريح وصرعتهم موتى **كانهم اعجاز نخل منقعر** اي منقلع مغارسه قيل شبهوا باعجاز النخل وهي اصولها
بلا فروع لان الريح كانت تقلع رؤوسهم فتبقى اجسادا وجثثا بلا رؤوس وتذكير صفة نخل للنظر الى اللفظ كما ان تأنيثها في قوله تعالى اعجاز
نخل خاوية للنظر الى المعنى وقوله تعالى **فكيف كان عذابي ونذر** تهويل لهما وتعجيب لهم من امرهما بعد بيانهما فليس فيه شائبة تكرار
وما قيل من ان الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الآخرة يرده ترتيب الثاني على العذاب الدنيوي **ولقد يسرنا القرآن
للذكر فهل من مدكر** الكلام فيه كالذي مر فيما سبق **كذبت ثمود بالنذر** اي بالانذارات والمواعظ التي سمعوها من صالح او بالرسل
عليهم السلام فان تكذيب احدهم تكذيب للكل لاتفاقهم على اصول الشرائع **فقالوا ابشرا منا** اي كائنا من جنسنا وانتصابه بفعل يفسره
ما بعده **واحدا** اي منفردا لا تبع له او واحدا من آحادهم لا من اشرافهم وهو صفة اخرى لبشرا وتأخيره عن الصفة المؤولة للتنبيه
على ان كلا من الجنسية والوحدة مما لا يمنع الاتباع ولو قدم عليها لفاتت هذه النكتة وقرئ ابشر منا واحد على الابتداء وقوله تعالى
نتبعه خبره والاول اوجه للاستفهام **انا اذا** اي على تقدير اتباعنا له وهو منفرد ونحن امة جمة **لفي ضلال** عن الصواب
وسعر اي جنون فان ذلك بمعزل من مقتضى العقل وقيل كان يقول لهم ان لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر اي نيران جمع سعير
فعكسوا عليه لغاية عتوهم فقالوا ان اتبعناك كنا اذن كما تقول **االقي الذكر** اي الكتاب والوحي **عليه من بيننا** وفينا من هو
احق منه بذلك **بل هو كذاب اشر** اي ليس الامر كذلك بل هو كذا وكذا حمله بطره على الترفع علينا بما ادعاه وقوله تعالى **سيعلمون غدا
من الكذاب الاشر** حكاية لما قاله تعالى لصالح عليه السلام وعدا له ووعيدا لقومه والسين لتقريب مضمون الجملة وتأكيده والمراد بوقت

نزول العذاب اي سيعلمون البتة عن قريب الكذاب الاشر الذي حمله اشره وبطره على الترفع اصالح هو ام من كذبه وقرئ ستعلمون على الالتفات
لتشديد التوبيخ او على حكاية ما اجابهم به صالح عليه السلام وقرئ الأشُر كقولهم حَذُر في حَذِر وقرئ الاشرّ اي الابلغ في الشرارة وهو اصل مرفوض
كالاخير وقيل المراد بالغد يوم القيمة ويأباه قوله تعالى انا مرسلوا الناقة الى آخره فانه استيناف مسوق لبيان مبادي احوال الموعود حتما اي مخرجوها
من الهضبة حسبما سألوا فتنة لهم اي امتحانا فارتقبهم اي فانتظرهم وتبصر ما يصنعون واصطبر على اذيتهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم
مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء كل شرب محتضر يحضره صاحبه في نوبته فنادوا صاحبهم هو قدار بن سالف احيمر ثمود
فتعاطى فعقر فاجترأ على الامر العظيم غير مكترث له فاحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى الناقة فعقرها او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي تناول
الشيء بتكلف فكيف كان عذابي ونذر الكلام فيه كالذي مر في صدر قصة عاد انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة هي صيحة جبرائيل عليه السلام فكانوا
اي فصاروا كهشيم المحتظر اي كالشجر اليابس الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته
في الشتاء وقرئ بفتح الظاء اي كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا
اي ريحا تحصبهم اي ترميهم بالحصباء الا آل لوط نجيناهم بسحر في سحر وهو آخر الليل وقيل هو السدس الاخير منه او ملتبسين بسحر نعمة من عندنا
اي انعاما منا وهو علة لنجينا كذلك اي مثل ذلك الجزاء العجيب نجزي من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة ولقد انذرهم لوط بطشتنا
اي اخذتنا الشديدة بالعذاب فتماروا فكذبوا بالنذر متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا اعينهم
فمسحناها كسائر الوجه روي انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبرائيل عليه السلام صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم
لوط فذوقوا عذابي ونذر اي فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملائكة وظاهر الحال والمراد به الطمس فانه من جملة ما انذروه من العذاب ولقد صبحهم
بكرة وقرئ بكرة غير مصروفة على ان المراد بها اول نهار مخصوص عذاب مستقر لا يفارقهم حتى يسلمهم الى النار وفي وصفه بالاستقرار
ايماء الى ان ما قبله من عذاب الطمس ينتهي اليه فذوقوا عذابي ونذر حكاية لما قيل حينئذ من جهته تعالى تشديدا للعذاب ولقد يسرنا القرآن للذكر
فهل من مدكر مر ما فيه من الكلام ولقد جاء آل فرعون النذر صدرت قصتهم بالتوكيد القسمي لابراز كمال الاعتناء بشانها لغاية عظم ما فيها من الآيات وكثرتها
وهول ما لاقوه من العذاب وقوة ايجابها للاتعاظ والاكتفاء بذكر آل فرعون للعلم بان نفسه اولى بذلك اي وبالله لقد جاءهم الانذارات
وقوله تعالى كذبوا باياتنا كلها استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية مجيء النذر كأنه قيل فماذا فعلوا حينئذ فقيل كذبوا بجميع آياتنا وهي الآيات
التسع فاخذناهم اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء اكفاركم يا معشر العرب خير قوة وشدة وعدة وعدة او مكانة من
اولئكم الكفار المعدودين والمعنى انه اصابهم ما اصابهم مع ظهور خيريتهم منكم فيما ذكر من الامور فهل تطمعون ان لا يصيبكم مثل ذلك وانتم
شر منهم مكانا واسوأ حالا وقوله تعالى ام لكم براءة في الزبر اضراب وانتقال من التبكيت بما ذكر الى التبكيت بوجه آخر اي بل الكم براءة وامن
من تبعات ما تعملون من الكفر والمعاصي وغوائلها في الكتب السماوية فلذلك تصرون على ما انتم عليه وقوله تعالى ام يقولون نحن جميع منتصر
اضراب من التبكيت المذكور الى وجه آخر من التبكيت والالتفات للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم واسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية قبائحهم
لغيرهم اي بل ايقولون واثقين بشوكتهم نحن اولو حزم ورأي امرنا مجتمع لا نرام ولا نضام او منتصر من الاعداء لا نغلب او متناصر ينصر
بعضنا بعضا والافراد باعتبار لفظ الجميع وقوله تعالى سيهزم الجمع رد وابطال لذلك والسين للتأكيد اي يهزم جمعهم البتة ويولون الدبر
اي الادبار وقد قرئ كذلك والتوحيد لارادة الجنس او ارادة ان كل واحد منهم يولي دبره وقد كان كذلك يوم بدر قال سعيد بن المسيب
سمعت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا ادري اي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت تأويلها وقرئ سيهزم الجمع اي الله عز وعلا بل الساعة موعدهم
اي ليس هذا تمام عقوبتهم بل الساعة موعد اصل عذابهم وهذا من طلائعه والساعة ادهى وامر اي في اقصى غاية من الفظاعة والمرارة والداهية
الامر الفظيع الذي لا يهتدى الى الخلاص عنه واظهار الساعة في موقع اضمارها لتربية تهويلها ان المجرمين من الاولين والآخرين في ضلال وسعر
في هلاك ونيران مسعرة وقيل في ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الآخرة وقوله تعالى يوم يسحبون الى آخره منصوب اما بما يفهم من قوله تعالى
في ضلال اي كائنون في ضلال وسعر يوم يجرون في النار على وجوههم واما بقول مقدر بعده اي يوم يسحبون يقال لهم ذوقوا مس سقر

اي

اي قاسوا حرها والمها وسقر علم على جهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته والقول المقدر على الوجه الاول حال
من ضمير يسحبون انا كل شيء من الاشياء خلقناه بقدر اي ملتبسا بقدر معين اقتضته الحكمة التي عليها يدور امر التكوين او مقدرا مكتوبا في
اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على انه مبتدأ وخلقناه خبره وما امرنا الا واحدة الا كلمة
واحدة سريعة التكوين لقوله تعالى كن او الا فعلة واحدة هو الايجاد بلا معالجة كلمح بالبصر في اليسر والسرعة وقيل معناه قوله تعالى
وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب ولقد اهلكنا اشياعكم اي اشباهكم في الكفر من الامم وقيل اتباعكم فهل من مدكر متعظ
بذلك وكل شيء فعلوه من الكفر والمعاصي مكتوب على التفصيل في الزبر اي في ديوان الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال مستطر مسطور
في اللوح المحفوظ بتفاصيله ولما كان بيان سوء حال الكفرة بقوله تعالى ان المجرمين الى آخره مما يستدعي بيان حسن حال المؤمنين ليتكافأ
الترغيب والترهيب بين ما لهم من حسن الحال بطريق الاجمال فقيل ان المتقين اي من الكفر والمعاصي في جنات عظيمة الشان ونهر
اي انهار كذلك والافراد للاكتفاء باسم الجنس مراعاة للفواصل وقرئ نُهُر جمع نهر كاسد واسد في مقعد صدق في مكان مرضي
وقرئ مقاعد صدق عند مليك مقتدر اي مقربين عند مليك لا يقادر قدر ملكه وسلطانه فلا شيء الا وهو تحت ملكوته
سبحانه ما اعظم شانه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله تعالى يوم القيمة ووجهه مثل القمر ليلة البدر

سورة الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم لما عدد في السورة السابقة ما نزل بالامم السالفة من ضروب نقم الله تعالى عز وجل وبين عقيب كل ضرب
منها ان القرآن قد يسر لحمل الناس على التذكر والاتعاظ ونعى عليهم اعراضهم عن ذلك عدد في هذه السورة الكريمة ما فاض على كافة
الانام من فنون نعمه الدينية والدنيوية الانفسية والآفاقية وانكر عليهم اثر كل فن منها اخلالهم بمواجب شكرها وبدئ بتعليم القرآن
فقيل الرحمن علم القرآن لانه اعظم النعم شانا وارفعها مكانا كيف لا وهو مدار للسعادة الدينية والدنيوية عيار على سائر
الكتب السماوية ما من مرصد يرنو اليه احداق الامم الا وهو منشاؤه ومناطه وما من مقصد يمتد اليه اعناق الهمم الا وهو منهجه وصراطه
واسناد تعليمه الى اسم الرحمن للايذان بانه من آثار رحمته الواسعة واحكامها وقد اقتصر على ذكره تنبيها على اصالته وجلالة قدره ثم
قيل خلق الانسان علمه البيان تعيينا للمعلم وتبيينا لكيفية التعليم والمراد بخلق الانسان انشاؤه على ما هو عليه من القوى الظاهرة والباطنة
والبيان هو التعبير عما في الضمير وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الانسان من بيان نفسه بل منه ومن فهم بيان غيره ايضا اذ هو الذي يدور
عليه تعليم القرآن والجمل الثلاث اخبار مترادفة للرحمن واخلاء الاخيرتين عن العاطف لورودهما على منهاج التعديد الشمس والقمر
بحسبان اي يجريان بحساب مقدر في بروجهما ومنازلهما بحيث ينتظم بذلك امور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والاوقات
ويعلم السنون والحساب والنجم اي النبات الذي ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له والشجر الذي له ساق يسجدان اي ينقادان له تعالى فيما
يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا والجملتان خبران آخران للرحمن جردتا عن الرابط اللفظي تعويلا على كمال قوة الارتباط
المعنوي اذ لا يتوهم ذهاب الوهم الى كون حال الشمس والقمر بتسخير غيره تعالى ولا الى كون سجود النجم والشجر لما سواه تعالى كانه قيل الشمس والقمر
بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له واخلاء الجملة الاولى عن العاطف لما ذكر من قبل وتوسيط العاطف بينها وبين الثانية لتناسبهما من حيث
التقابل لما ان الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث ان كلا من حال العلويين وحال السفليين من باب الانقياد لامر الله تعالى
والسماء رفعها اي خلقها مرفوعة محلا ورتبة حيث جعلها منشأ احكامه وقضاياه ومنزل اوامره ومحل ملائكته وفيه من التنبيه
على كبرياء شانه وعظم ملكوته وسلطانه ما لا يخفى وقرئ بالرفع على الابتداء ووضع الميزان اي شرع العدل وامر به بان وفر
كل مستحق ما استحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم به امر العالم واستقام كما قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والارض
فقيل فعلى هذا الميزان القرآن وهو قول الحسين بن الفضل كما في قوله تعالى وانزلنا معهم الكتاب والميزان وقيل هو ما يعرف به مقادير
الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما وهو قول الحسن وقتادة والضحاك فالمعنى خلقه موضوعا مخصوصا على الارض حيث علق به احكام
عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في اخذهم واعطائهم ان لا تطغوا في الميزان اي لئلا تطغوا على ان ان

ناصبة ولا نافية ولام العلة مقدرة متعلقة بقوله تعالى ووضع الميزان او اى لا تطغوا على انها مفسرة لما فى الشرع من معنى
القول ولا ناهية اى لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة القول **واقيموا الوزن بالقسط** قوموا وزنكم
بالعدل وقيل اقيموا لسان الميزان بالقسط والعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب **ولا تخسروا الميزان** اى لا تنقصوه امر
اولا بالتسوية ثم نهى عن الطغيان الذى هو اعتداء وزيادة ثم عن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية
به وتاكيدا للامر باستعماله والحث عليه وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره وبفتح السين
ايضا على ان الاصل ولا تخسروا فى الميزان فحذف الجار واوصل الفعل **والارض وضعها** اى خفضها مدحوة على الماء **للانام** اى
الخلق وقيل المراد به كل ذى روح وقيل كل ما على ظهر الارض من دابة وقيل الثقلان وقوله تعالى **فيها فاكهة** الى آخره استئناف مسوق
لتقرير ما افادته الجملة السابقة من كون الارض موضوعة لمنافع الانام وتفصيل المنافع العائدة الى البشر وقيل حال مقدرة من الارض
فالاحسن حينئذ ان يكون الحال هو الجار والمجرور وفاكهة رفع على الفاعلية اى فيها ضروب كثيرة مما يتفكه به **والنخل ذات الاكمام**
هى اوعية التمر جمع كم او كل ما يكم اى يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه مما ينتفع به كالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه **والحب** هو ما يتغذى
به كالحنطة والشعير **ذو العصف** هو ورق الزرع وقيل التبن **والريحان** قيل هو الرزق اريد به اللب اى فيها ما يتلذذ به من الفواكه
والجامع بين التلذذ والتغذى وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب الذى له عصف هو علف الانعام وريحان هو مطعم الناس
وقرئ والحب ذا العصف والريحان اى خلق الحب ذا العصف والريحان او اخص ويجوز ان يراد وذا الريحان فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه والريحان اما فيعلان من روح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف او فعلان قلبت واوه ياء للتخفيف
او للفرق بينه وبين الروحان وهو ماله روح قاله القرطبى **فباى آلاء ربكما تكذبان** الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله تعالى للانام و
سينطق به قوله تعالى ايها الثقلان والفاء لترتيب الانكار والتوبيخ على ما فصل من فنون النعماء وصنوف الآلاء الموجبة للايمان
والشكر حتما والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية الكلية والتربية مع الاضافة الى ضميرهم لتاكيد النكير وتشديد التوبيخ
ومعنى تكذيبهم بآلائه تعالى كفرهم بها اما بانكار كونه نعمة فى نفسه كتعليم القرآن وما يستند اليه من النعم الدينية واما بانكار كونه من الله تعالى
مع الاعتراف بكونه نعمة فى نفسه كالنعم الدنيوية الواصلة اليهم باسناده الى غيره تعالى استقلالا او اشتراكا صريحا او دلالة فان اشراكهم
لآلهتهم به تعالى فى العبادة من دواعى اشراكهم لها تعالى به فيما يوجبها والتعبير عن كفرهم المذكور بالتكذيب لما ان دلالة الآلاء المذكورة
على وجوب الايمان والشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب بها لا محالة اى فاذا كان الامر كما فصل فباى فرد من افراد الآلاء الكائنة
من تلك تكذبان مع ان كلا منها ناطق بالحق شاهد بالصدق **خلق الانسان من صلصال كالفخار** تمهيد للتوبيخ على اخلالهم بمواجب
شكر النعمة المتعلقة بذات كل واحد من الثقلين والصلصال الطين اليابس الذى له صلصلة كالفخار الخزف وقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام من تراب
جعله طينا ثم حما مسنونا ثم صلصالا فلا تنافى بين الآية الناطقة باحدها وبين ما نطق بالآخر **وخلق الجان** اى الجن او ابا الجن **من مارج**
من دخان صاف **من نار** بيان لمارج فانه فى الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب **فباى آلاء ربكما تكذبان** مما افاض عليكما فى تضاعيف خلقكما من
سوابغ النعم **رب المشرقين ورب المغربين** بالرفع على خبرية مبتدأ محذوف اى الذى فعل ما ذكر من الافاعيل البديعة رب مشرقى الصيف والشتاء
ومغربيهما ومن قضيته ان يكون رب ما بينهما من الموجودات قاطبة وقيل على الابتداء والخبر قوله تعالى مرج الى آخره وقرئ بالجر على انه بدل من ربكما **فباى
آلاء ربكما تكذبان** مما فى ذلك من فوائد لا تحصى من اعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فى وقته الى غير ذلك **مرج البحرين**
اى ارسلهما من مرجت الدابة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب **يلتقيان** اى يتجاوران ويتماس سطوحهما لا فصل بينهما فى مرأى العين
وقيل ارسل بحرى فارس والروم يلتقيان فى المحيط لانهما خليجان يتشعبان منه **بينهما برزخ** اى حاجز من قدرة الله تعالى عز وجل او من الارض **لا يبغيان**
اى لا يبغى احدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية اذ لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما **فباى آلاء ربكما تكذبان** وليس منهما شئ يقبل
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الاحمر المشهور وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره فنسبة خروجهما حينئذ
الى البحرين مع انهما يخرجان من الملح على ما قالوا لما قيل انهما لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب او لانهما لما التقيا وصارا كالشئ الواحد

سائغ

سائغ ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر مع انهما لا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وهو الاظهر وقرئ يخرج مبنيا للمفعول
من الاخراج ومبنيا للفاعل بنصب اللؤلؤ والمرجان وبنون العظمة **فباى آلاء ربكما تكذبان وله الجوار** اى السفن جمع جارية وقرئ برفع الراء
بحذف الياء كقول من قال لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان **المنشآت** المرفوعات الشرع والمصنوعات وقرئ بكسر الشين اى الرافعات الشرع
او اللاتى ينشئن الامواج بجريهن **فى البحر كالاعلام** كالجبال الشاهقة جمع علم وهو الجبل الطويل **فباى آلاء ربكما تكذبان** من خلق مواد السفن
والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها فى البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها وترتيبها غيره سبحانه **كل من عليها** اى على الارض من الحيوانات
والمركبات ومن للتغليب او من الثقلين **فان** هالك لا محالة **ويبقى وجه ربك** اى ذاته عز وجل **ذو الجلال والاكرام** اى ذو الاستغناء المطلق
والفضل التام وقيل الذى عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده وهذه من عظائم صفاته تعالى ولقد قال صلى الله عليه وسلم الظوا بيا
ذا الجلال والاكرام وعنه عليه السلام انه مر برجل وهو يصلى ويقول يا ذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك وقرئ ذى الجلال والاكرام
على انه صفة ربك اى ما كان فى وصفه تعالى بذلك بعد ذكر فناء الخلق وبقائه تعالى ايذان بانه تعالى يفيض عليهم بعد فنائهم ايضا آثار لطفه
وكرمه حسبما ينبئ عنه قوله تعالى **فباى آلاء ربكما تكذبان** فان احياءهم بالحياة الابدية واثابتهم بالنعيم المقيم اجل النعماء واعظم الآلاء **يسأله
من فى السموات والارض** قاطبة ما يحتاجون اليه فى ذواتهم ووجوداتهم حدوثا وبقاء وسائر احوالهم سؤالا مستمرا بلسان المقال او بلسان الحال
فانهم كافة من حيث حقائقهم الممكنة بمعزل من استحقاق الوجود وما يتفرع عليه من الكمالات بالمرة بحيث لو انقطع ما بينهم وبين العناية الالهية
من العلاقة لم يشموا رائحة الوجود اصلا فهم فى كل آن مستمرون على الاستدعاء والسؤال وقد مر فى تفسير قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
من سورة ابرهيم عليه السلام **كل يوم** اى كل وقت من الاوقات **هو فى شأن** من الشؤون التى من جملتها اعطاء ما سألوا فانه تعالى لا يزال ينشئ اشخاصا
ويفنى آخرين ويأتى باحوال ويذهب باحوال حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة وفى الحديث من شأنه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما
ويضع آخرين قيل وفيه رد على اليهود حيث يقولون ان الله لا يقضى يوم السبت شيئا **فباى آلاء ربكما تكذبان** مع مشاهدتكم لما ذكر من احسانه
سنفرغ لكم اى سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيمة عند انتهاء شؤون الخلق المشار اليها بقوله تعالى كل يوم هو فى شأن فلا يبقى حينئذ
الا شأن واحد هو الجزاء فعبر عنه بالفراغ لهم بطريق التمثيل وقيل هو مستعار من قول المتهدد لصاحبه سافرغ لك اى سأتجرد للايقاع بك
من كل ما يشغلنى عنه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه وقرئ سيفرغ مبنيا للفاعل وللمفعول وقرئ سنفرغ اليكم اى سنقصد اليكم
ايها الثقلان هما الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة آرائهما او لانهما مثقلان بالتكليف **فباى آلاء ربكما** التى من جملتها
التنبيه على ما سيلقونه يوم القيمة للتحذير عما يؤدى الى سوء الحساب **تكذبان** باقوالكما وافعالكما **يا معشر الجن والانس** هما الثقلان خوطبا
باسم جنسهما لزيادة التقرير ولان الجن مشهورون بالقدرة على الافاعيل الشاقة فخوطبوا بما ينبئ عن ذلك لبيان ان قدرتهم لا تفى بما كلفوه
ان استطعتم ان قدرتم على **ان تنفذوا من اقطار السموات والارض** اى ان تهربوا من قضائى وتخرجوا من ملكوتى ومن اقطار سمواتى وارضى
فانفذوا منها وخلصوا انفسكم من عقابى **لا تنفذون** لا تقدرون على النفوذ **الا بسلطان** اى بقوة وقهر وانتم من ذلك بمعزل بعيد
روى ان الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجها الا وجدوا الملائكة احاطت به **فباى آلاء
ربكما تكذبان** اى من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة على العقوبة **يرسل عليكما شواظ** قيل هو اللهب الخالص وقيل
المختلط بالدخان وقيل اللهب الاحمر وقيل اللهب الاخضر المنقطع عن النار وقيل هو الدخان الخارج من اللهب وقيل هو النار والدخان جميعا
وقرئ شواظ بكسر الشين **من نار** متعلق بيرسل او بمضمر هو صفة لشواظ اى كائن من نار والتنوين للتفخيم **ونحاس** اى دخان وقيل صفر
مذاب يصب على رؤسهم وقرئ بكسر النون وقرئ بالجر عطفا على نار وقرئ نرسل بنون العظمة ونصب شواظا ونحاسا وقرئ ونحس جمع
نحاس مثل لحاف ولحف وقرئ ونحس اى نقتل بالعذاب **فلا تنتصران** اى لا تمتنعان **فباى آلاء ربكما تكذبان** فان بيان عاقبة ما هم عليه
من الكفر والمعاصى لطف اى لطف ونعمة اى نعمة **فاذا انشقت السماء** اى انصدعت يوم القيمة **فكانت وردة** كوردة حمراء وقرئ
وردة بالرفع على ان كان تامة اى حصلت سماء وردة فيكون من باب التجريد كقول من قال ولئن بقيت لارحلن بغزوة وبحو الغنائم
او يموت كريم **كالدهان** خبر ثان لكانت او نعت لوردة او حال من اسم كان اى كدهن الزيت وهو اما جمع دهن او اسم لما يدهن

به كالحرام والادام وقيل الاديم الاحمر وجواب اذا محذوف اي يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به دايرة المقال فباي آلاء ربكما تكذبان
مع عظم شانها فيومئذ اي يوم اذ تنشق السماء حسبما ذكر لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان لانهم يعرفون بسيماهم وذلك اول ما يخرجون
من القبور ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله فوربك لنسئلنهم اجمعين ونحوه ففي موقف المناقشة والحساب
وضمير ذنبه للانس لتقدمه رتبة وافراده لما ان المراد فرد من الانس كانه قيل لا يسئل عن ذنبه انسي ولا جني فباي آلاء ربكما تكذبان
مع كثرة منافعها فان الاخبار بما ذكر مما يزجركم عن الشر المؤدي اليه واما ما قيل مما انعم الله على عباده المؤمنين في هذا اليوم فلا تعلق له
بالمقام وقوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم استيناف يجري مجرى التعليل لعدم السؤال قيل يعرفون بسواد الوجوه وزرقة العيون وقيل بما
يعلوهم من الكآبة والحزن فيؤخذ بالنواصي والاقدام الجار والمجرور هو القايم مقام الفاعل يقال اخذه اذا كان المأخوذ مقصودا بالاخذ
ومنه قوله تعالى خذوا حذركم ونحوه واخذ به اذا كان المأخوذ شيئا من ملابسات المقصود بالاخذ ومنه قوله تعالى لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي وقول
المستغيث خذ بيدي اخذ الله بيدك اي يجمع بين نواصيهم واقدامهم في سلسلة من وراء ظهورهم وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصي
وتارة بالاقدام فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون على ارادة القول اي يقال لهم ذلك بطريق
التوبيخ على ان الجملة اما استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية الاخذ بالنواصي والاقدام كانه قيل فماذا يفعل بهم عند ذلك فقيل يقال الى اخره
او حال من اصحاب النواصي والاقدام لان الالف واللام عوض من المضاف اليه وما بينهما اعتراض يطوفون بينها اي بين النار يحرقون بها
وبين حميم آن ماء بالغ من الحرارة اقصاها يصب عليهم او يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم فباي آلاء ربكما
تكذبان وقد اشير الى سر كون بيان امثال هذه الامور من قبيل الآلاء مرارا ولمن خاف مقام ربه شروع في تعداد الآلاء الفايضة
عليهم في الآخرة بعد تعداد ما وصل اليهم في الدنيا من الآلاء الدينية والدنيوية واعلم ان ما عدد فيما بين هذه الآية وبين خاتمة
السورة الكريمة من فنون الكرامات كما ان انفسها آلاء جليلة واصلة اليهم في الآخرة كذلك حكاياتها الواصلة اليهم في الدنيا آلاء عظيمة
لكونها داعية لهم الى السعي في تحصيل ما يؤدي الى نيلها من الايمان والطاعة وان ما فصل من فاتحة السورة الكريمة الى قوله تعالى كل يوم هو
في شان من النعم الدينية والدنيوية الانفسية والافاقية آلاء جليلة واصلة اليهم في الدنيا وكذلك حكاياتها من حيث ايجابها للشكر
والمثابرة على ما يؤدي الى استدامتها وانما عدد فيما بين قوله تعالى سنفرغ لكم وبين هذه الآية من الاحوال الهائلة التي ستقع في الآخرة
فليست من قبيل الآلاء وانما الآلاء حكاياتها الموجبة للانزجار عما يؤدي الى الابتلاء بها من الكفر والمعاصي كما اشير اليه في تضاعيف تعدادها
ومقامه تعالى موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين او قيامه تعالى على احواله من قام عليه اذا راقبه او مقام
الخائف عند ربه للحساب باحد المعنيين واضافته الى الرب للتفخيم والتهويل او مقحم للتعظيم جنتان جنة للخائف الانسي وجنة للخائف
الجني فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعات واخرى لترك المعاصي
او جنة يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى ذواتا
افنان صفة لجنتان وما بينهما اعتراض وسط بينهما تنبيها على ان تكذيب كل من الموصوف والصفة موجب للانكار والتوبيخ والافنان اما جمع
فن اي ذواتا انواع من الاشجار والثمار او جمع فنن اي ذواتا اغصان متشعبة من فروع الشجر وتخصيصها بالذكر لانها التي تورق وتثمر وتمد
الظل فباي آلاء ربكما تكذبان وليس فيها شيء يقبل التكذيب فيهما عينان تجريان صفة اخرى لجنتان اي في كل واحدة منهما عين تجري
كيف يشاء صاحبها في الاعالي والاسافل وقيل تجريان من جبل من مسك وعن ابن عباس والحسن تجريان بالماء الزلال احديهما التسنيم والاخرى
السلسبيل وقيل احديهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين قال ابو بكر الوراق فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان
من مخافة الله عز وجل فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهما من كل فاكهة زوجان اي صنفان معروف وغريب او رطب ويابس صفة
اخرى لجنتان وتوسيط الاعتراض بين الصفات لما مر آنفا فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى متكئين حال من الخائفين لان من خاف
في معنى الجمع او نصب على المدح على فرش بطائنها من استبرق من ديباج ثخين وحيث كانت بطائنها كذلك فما ظنك بظهائرها وقيل
ظهائرها من سندس وقيل من نور وجنى الجنتين دان اي ما يجتنى من اشجارهما من الثمار قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع قال ابن عباس

رضي الله عنهما تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا وان شاء مضطجعا وقرئ جنى بكسر الجيم فباي آلاء
ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهن اي في الجنان المدلول عليها بقوله تعالى جنتان لما عرفت من انهما لكل خائفين من الثقلين او لكل خائف حسب تعدد
عمله وقد اعتبر الجمعية في قوله تعالى متكئين وقيل فيهما فيهما من الاماكن والقصور وقيل في الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش
قاصرات الطرف نساء يقصرن ابصارهن على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان اي لم يمس الانسيات احد من الانس ولا
الجنيات احد من الجن قبل ازواجهن المدلول عليهم بقاصرات الطرف وقيل بقوله تعالى متكئين وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرئ يطمثهن بضم الميم
والجملة صفة لقاصرات الطرف لان اضافتها لفظية او حال منها لتخصصها بالاضافة فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى كانهن الياقوت والمرجان اما صفة
لقاصرات الطرف او حال منها كالتي قبلها اي مشبهات بالياقوت في حمرة الوجه والمرجان اي صغار الدر في بياض البشرة وصفائها فان صغار الدر انصع بياضا
من كباره قيل ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى
هل جزاء الاحسان الا الاحسان استيناف مقرر لمضمون ما فصل قبله اي ما جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى
ومن دونهما جنتان مبتدأ وخبر اي ومن دون تينك الجنتين الموعودتين جنتان اخريان لمن دونهم من اصحاب اليمين فباي آلاء ربكما تكذبان
وقوله تعالى مدهامتان صفة لجنتان وسط بينهما الاعتراض لما ذكر من التنبيه على ان تكذيب كل من الموصوف والصفة حقيق بالانكار والتوبيخ اي
خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاوليين
الاشجار والفواكه فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان اي فوارتان بالماء والنضخ اكثر من النضح بالحاء المهملة وهو الرش فباي آلاء
ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان عطف الاخيران على الفاكهة عطف جبريل وميكائيل على الملائكة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء
والرمان فاكهة ودواء وعن هذا قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى من حلف لا يأكل فاكهة فاكل رمانا او رطبا لم يحنث فباي آلاء ربكما تكذبان
وقوله تعالى فيهن خيرات صفة اخرى لجنتان كالجملة التي قبلها والكلام في جمع الضمير كالذي مر فيما مر وخيرات مخففة من خيرات لان خير الذي بمعنى اخير لا
يجمع وقد قرئ على الاصل حسان اي حسان الخلق والخلق فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى حور بدل من خيرات مقصورات في الخيام قصرن في خدورهن
يقال امرأة قصيرة وقصورة اي مخدرة او مقصورات الطرف على ازواجهن وقيل ان الخيمة من خيامهن درة مجوفة فباي آلاء ربكما تكذبان
وقوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان كالذي مر من نظيره في جميع الوجوه فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى متكئين نصب على الاختصاص على
رفرف خضر الرفرف اما اسم جنس او اسم جمع واحده رفرفة قيل هو ما تدلى من الاسرة من عالي الثياب وقيل هو ضرب من البسط والبسط و
قيل الوسائد وقيل النمارق وقيل كل ثوب عريض رفرفة ويقال لاطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه وعبقري حسان
العبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انه بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب والمراد الجنس ولذلك وصف بالجمع على المعنى كما في رفرف على احد
الوجهين وقرئ على رفارف خضر وعباقري كمدائني نسبة الى عباقر في اسم البلد فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى تبارك اسم ربك
تنزيه وتقديس له تعالى فيه تقرير لما ذكر في السورة الكريمة من الآلاء الفائضة على الانام اي تعالى اسمه الجليل الذي من جملته ما صدرت به السورة
من اسم الرحمن المنبئ عن افاضة الآلاء المفصلة وارتفع عما لا يليق بشأنه من الامور التي من جملتها جحود نعمائه وتكذيبها واذا كان حال اسمه
بملابسة دلالته عليه فما ظنك بذاته الاقدس الاعلى وقيل الاسم بمعنى الصفة وقيل مقحم كما في قول من قال الى الحول ثم اسم السلام عليكما
ذي الجلال والاكرام وصف به الرب تكميلا لما ذكر من التنزيه والتقرير وقرئ ذو الجلال على انه نعت للاسم عن النبي عليه السلام من
قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه

سورة الواقعة

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا وقعت الواقعة اي اذا قامت القيامة وذلك عند النفخة الثانية والتعبير عنها بالواقعة للايذان بتحقق وقوعها لا محالة كانها واقعة
في نفسها مع قطع النظر عن الوقوع الواقع في حيز الشرط كانه قيل كانت الكائنة وحدثت الحادثة وانتصاب اذا بمضمر ينبئ عن الهول والفظاعة كانه قيل اذا
وقعت الواقعة يكون من الاهوال ما لا يفي به المقال وقيل بالنفي المفهوم من قوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة اي لا يكون عند وقوعها نفس تكذب
على الله او تكذب في نفيها كما تكذب اليوم واللام كهي في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وهذه الجملة على الوجه الاول اعتراض مقرر لمضمون الشرط

على ان الكاذبة مصدر كالعافية اي ليس لاجل وقعتها وفي حقها كذب اصلا بل كل ما ورد في شانها من الاخبار حق صادق لا ريب فيه وقوله تعالى
خافضة رافعة خبر مبتدإ محذوف اي هي خافضة لاقوام رافعة لآخرين وهو تقرير لعظمتها وتهويل لامرها فان الوقائع العظام شانها كذلك
او بيان لما يكون يومئذ من حط الاشقياء الى الدركات ورفع السعداء الى الدرجات ومن زلزلة الاشياء وازالة الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب و
اسقاط السماء كسفا وتسيير الجبال في الجو كالسحاب. وتقديم الخفض على الرفع للتشديد في التهويل وقرئ خافضةً رافعةً بالنصب على الحال من الواقعة
وقوله **اذا رجت الارض رجا** اي زلزلت زلزالا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل متعلقة بخافضة رافعة اي تخفض وترفع وقت رج الارض
اذ عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض او بدل من اذا وقعت **وبست الجبال بسا** اي فتتت حتى صارت مثل السويق الملتوت
من بس السويق اذا لته او سيقت وسيرت من اماكنها من بس الغنم اذا ساقها كقوله تعالى وسيرت الجبال وقرئ رجت وبست اي ارتجت وذهبت
فكانت اي فصارت بسبب ذلك **هباء** غبارا **منبثا** منتشرا **وكنتم** اما خطاب للامة الحاضرة والامم السالفة تغليبا او للحاضرة فقط **ازواجا**
اي اصنافا **ثلثة** فكل صنف يكون مع صنف آخر في الوجود او في الذكر فهو زوج وقوله تعالى **فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة**
ما اصحاب المشئمة تقسيم وتنويع للازواج الثلثة مع الاشارة الاجمالية الى احوالهم قبل تفصيلها فقوله تعالى فاصحاب الميمنة مبتدأ وقوله
ما اصحاب الميمنة خبره على ان ما الاستفهامية مبتدأ ثان ما بعده خبره والجملة خبر للاول والاصل ما هم اي اي شيء هم في حالهم وصفتهم
فان ما وان شاعت في طلب مفهوم الاسم والحقيقة لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم او طبيب فوضع الظاهر موضع المضمر
لكونه ادخل في التفخيم وكذا الكلام في قوله تعالى واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة والمراد تعجيب السامع من شان الفريقين في الفخامة والفظاعة
كانه قيل فاصحاب الميمنة في غاية حسن الحال واصحاب المشئمة في نهاية سوء الحال وتكلموا في الفريقين فقيل اصحاب الميمنة اصحاب المنزلة السنية
واصحاب المشئمة اصحاب المنزلة الدنية اخذا من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل وقيل الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم والذين يؤتونها
بشمائلهم وقيل الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة والذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار وقيل اصحاب اليمن واصحاب الشوم فان
السعداء ميامين على انفسهم بالطاعات والاشقياء مشائيم على انفسهم بالمعصية وقوله تعالى **والسابقون السابقون** هو القسم الثالث من الازواج
الثلثة ولعل تاخير ذكرهم مع كونهم اسبق الاقسام واقدمهم في الفضل ليقترن ذكرهم ببيان محاسن احوالهم على ان ايرادهم بعنوان السبق مطلقا
معرب عن احرازهم لقصب السبق من جميع الوجوه وتكلموا فيهم ايضا فقيل هم الذين سبقوا الى الايمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تلعثم و
توان وقيل الذين سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات وقيل هم الذين صلوا الى القبلتين كما قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين
والانصار وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل المسارعون في الخيرات واياما كان فالجملة مبتدأ وخبر والمعنى والسابقون هم
الذين اشتهرت احوالهم وعرفت محاسنهم كقول ابي النجم وشعري شعري وفيه من تفخيم شانهم والايذان بشيوع فضلهم واستغنائهم عن الوصف
بالجميل ما لا يخفى وقيل والسابقون الى طاعة الله عز وجل السابقون الى رحمته او والسابقون الى الخير السابقون الى الجنة وقوله تعالى **اولئك**
اشارة الى السابقين وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء وخبره ما بعده
اي اولئك الموصوفون بذلك النعت الجميل الجليل **المقربون** اي الذين قربت الى العرش درجاتهم واعليت مراتبهم ورقيت الى حظائر
القدس نفوسهم الزكية هذا اظهر ما ذكر في اعراب هذه الجمل واشهره والذي يقتضيه جزالة النظم الكريم والتنزيل الجليل ان قوله تعالى فاصحاب
الميمنة خبر مبتدإ محذوف وكذا قوله تعالى واصحاب المشئمة وقوله تعالى والسابقون فان المترقب عند بيان انقسام الناس الى الاقسام الثلثة
بيان انفس الاقسام واما اوصافها واحوالها فحقها ان تبين بعد ذلك باسنادها اليها والتقدير فاحدها اصحاب الميمنة والآخر اصحاب
المشئمة والثالث السابقون خلا انه لما اخر بيان احوال القسمين الاولين عقب كل منهما بجملة معترضة بين القسمين منبئة عن ترامي
احوالهما في الخير والشر انباء اجماليا مشعرا بان لاحوال كل منهما تفصيلا مترقبا لكن لا على ان ما الاستفهامية مبتدأ وما بعدها خبر على ما راه
سيبويه في امثاله بل على انها خبر لما بعدها فان مناط الافادة بيان ان اصحاب الميمنة امر بديع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان ان امرا
بديعا اصحاب الميمنة كما يفيده كونها مبتدأ وكذا الحال في ما اصحاب المشئمة واما القسم الاخير فحيث قرن بيان محاسن احواله بذكره لم
يحتج فيه الى تقديم الانموذج فقوله تعالى السابقون مبتدأ والاظهار في مقام الاضمار للتفخيم واولئك مبتدأ ثان او بدل من الاول

وما بعده خبر له او للثاني والجملة خبر للاول وقوله تعالى **في جنات النعيم** متعلق بالمقربون او بمضمر هو حال من ضميره اي كائنين في جنات
النعيم وقيل خبر ثان لاسم الاشارة وفيه ان الاخبار بكونهم فيها بعد الاخبار بكونهم مقربين ليس فيه مزيد مزية وقرئ في جنة النعيم وقوله
تعالى **ثلة من الاولين** خبر مبتدإ محذوف اي هم امة كثيرة من الاولين وهم الامم السالفة من لدن آدم الى نبينا عليهم السلام وعلى من بينهما
من الانبياء العظام **وقليل من الآخرين** اي من هذه الامة ولا يخالفه قوله عليه السلام ان امتي يكثرون فان اكثرية سابقي الامم السالفة
من سابقي هذه الامة لا تمنع اكثرية تابعي هؤلاء من تابعي اولئك ولا يرده قوله تعالى في اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان
كثرة كل من الفريقين في انفسهما لا تنافي اكثرية احدهما من الآخر وسياتي ان الثلتين من هذه الامة وقد روي مرفوعا ان الاولين والآخرين
ههنا ايضا متقدموا هذه الامة ومتاخروهم واشتقاق الثلة من الثل وهو الكسر **على سرر موضونة** حال اخرى من المقربين او من ضميرهم في الحال
الاولى وقيل خبر آخر للضمير والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت والمتواصلة من الوضن وهو النسج **متكئين عليها متقابلين**
حالان من الضمير المستكن فيما تعلق به على سرر متكئين متقابلين لا ينظر بعضهم في اقفاء بعض وهو وصف لهم بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والاداب
يطوف عليهم حال اخرى اي يدور حولهم للخدمة **ولدان مخلدون** اي مبقون ابدا على شكل الولدان وطراوتهم لا يتحولون عنها وقيل
مقرطون والخلد القرط قيل هم اولاد اهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابون عليها ولا سيئات فيعاقبون عليها روي ذلك عن علي رضي الله عنه وعن الحسن
رحمه الله وفي الحديث اولاد الكفار خدام اهل الجنة **باكواب** آنية لا عرى لها ولا خراطيم **واباريق** اي آنية ذات عرى وخراطيم **وكاس من معين**
اي خمر جارية من العيون قيل انما افرد الكاس لانها لا تسمى كاسا الا اذا كانت مملوءة **لا يصدعون عنها** اي بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها و
وقرئ لا يصدعون اي لا يتصدعون ولا يتفرقون كقوله تعالى يومئذ يصدعون وقرئ لا يصدعون اي لا يفرق بعضهم بعضا **ولا ينزفون**
اي لا يسكرون من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه **وفاكهة مما يتخيرون** اي يختارونه وياخذون خيره وافضله **ولحم طير مما يشتهون** اي
يتمنون وقرئ ولحوم طير **وحور عين** بالرفع عطف على ولدان او مبتدأ محذوف الخبر اي وفيها او ولهم حور وقرئ بالجر عطفا على جنات النعيم كانه
قيل هم في جنات وفاكهة ولحم ومصاحبة حور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وبالنصب اي ويؤتون حورا
كامثال اللؤلؤ المكنون صفة لحور او حال **جزاء بما كانوا يعملون** مفعول له اي يفعل بهم ذلك كله جزاء باعمالهم او مصدر مؤكد اي يجزون
جزاء **لا يسمعون فيها لغوا** اي باطلا **ولا تاثيما** اي ولا نسبة الى الاثم اي لا لغو فيها ولا تاثيم ولا سماع كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر **الا**
قيلا اي قولا **سلاما سلاما** بدل من قيلا كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما او صفته او مفعوله بمعنى لا يسمعون فيها الا ان يقولوا سلاما
سلاما والمعنى انهم يفشون السلام فيسلمون سلاما بعد سلام او لا يسمع كل من المسلم والمسلم عليه الا سلام الآخر بدأ او ردا وقرئ سلام
سلام على الحكاية وقوله تعالى **واصحاب اليمين** شروع في تفصيل ما اجمل عند التقسيم من شؤونهم الفاضلة اثر تفصيل شؤون السابقين وهو مبتدأ
وقوله تعالى ما اصحاب اليمين جملة استفهامية مسوقة لتفخيمهم والتعجيب من حالهم وقد عرفت كيفية سبكها ومحلها اما الرفع على انها خبر للمبتدأ او معترضة
لا محل لها والخبر قوله تعالى **في سدر مخضود** وهو على الاول خبر ثان للمبتدأ او خبر مبتدإ محذوف والجملة استئناف لبيان ما ابهم في قوله ما اصحاب
اليمين من علو الشان اي هم في سدر غير ذي شوك لا كسدر الدنيا وهو شجر النبق كانه خضد شوكه اي قطع وقيل مخضود اي مثني اغصانه
لكثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب **وطلح منضود** قد نضد حمله من اسفله الى اعلاه ليست له ساق بارزة هو شجر الموز او ام غيلان
وله انوار كثيرة منتظمة طيبة الرائحة وعن السدي شجرة يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل وعن علي رضي الله عنه انه قرأ وطلع وما شان
الطلح وقرئ قوله تعالى لها طلع نضيد فقيل او نحولها قال آي القرآن لا يهاج ولا يحول وعن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه **وظل ممدود**
ممتد منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس **وماء مسكوب** يسكب لهم اين شاؤا وكيف ارادوا بلا تعب
او مصبوب سائل يجري على الارض في غير اخدود كانه حال السابقين باقصى ما يتصور لاهل المدن وحال اصحاب اليمين باكمل ما يتصور لاهل
البوادي ايذانا بالتفاوت بين الحالين **وفاكهة كثيرة** بحسب الانواع والاجناس **لا مقطوعة** في وقت من الاوقات كفواكه الدنيا **ولا ممنوعة**
عن متناوليها بوجه من الوجوه ولا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وقرئ فاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة الى آخره كقوله تعالى
وحور عين **وفرش مرفوعة** اي رفيعة القدر او منضدة مرتفعة او مرفوعة على الاسرة وقيل الفرش النساء حيث يكنى بالفراش عن المرأة

وارتفاعها كونهن على الارائك قال تعالى هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون ويدل عليه قوله تعالى **إنا أنشأناهن إنشاء**
وعلى التفسير الاول اضمر لهن لدلالة ذكر الفرش التي هي المضاجع عليهن دلالة بينة والمعنى ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا او ابدعناهن
من غير ولادة ابداء او اعادة وفي الحديث هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد في
الاستواء كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا وذلك قوله تعالى **فجعلناهن أبكارا** وقوله تعالى **عربا** جمع عروب وهي المتحببة الى
زوجها الحسنة التبعل وقرئ عربا بسكون الراء **لأصحاب اليمين** متعلقة بأنشأنا او جعلنا او باترابا كقولك هذا ترب لهذا اي مساو له
في السن وقيل بمحذوف هو صفة لابكارا اي كائنات لاصحاب اليمين او خبر مبتدإ محذوف اي هن لاصحاب اليمين وقيل خبر لقوله تعالى **ثلة
من الأولين وثلة من الآخرين** وهو بعيد بل هو خبر مبتدإ محذوف خصت به قصة اصحاب اليمين اي هم امة من الاولين وامة من الآخرين
وقد مر الكلام فيهما وعن ابي العالية ومجاهد وعطاء والضحاك ثلة من الاولين اي من سابقي هذه الامة وثلة من الآخرين من هذه
الامة في آخر الزمان وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم في هذه الاية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم جميعا من امتي
وأصحاب الشمال شروع في تفصيل احوالهم التي اشير عند التنويع الى هولها وفظاعتها بعد تفصيل حسن حال اصحاب اليمين والكلام في قوله تعالى
ما أصحاب الشمال على نحو ما فصل في نظيره وكذا في قوله تعالى **في سموم وحميم** والسموم حر نار ينفذ في المسام والحميم الماء المتناهي في
الحرارة **وظل من يحموم** من دخان اسود بهيم **لا بارد** كسائر الظلال **ولا كريم** فيه خير ما في الجملة سمي ذلك ظلا ثم نفي عنه وصفاه البرد
والكرم الذي عبر عنه عن النفع اذ المراد للتحقيق انه ليس بظل وقرئ لا بارد ولا كريم بالرفع اي لا هو بارد ولا كريم وقوله تعالى **إنهم
كانوا قبل ذلك مترفين** تعليل لابتلائهم بما ذكر من العذاب اي انهم كانوا قبل ما ذكر من سوء العذاب في الدنيا متنعمين بانواع النعم من المآكل
والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين في الشهوات فلا جرم عذبوا بنقائضها **وكانوا يصرون على الحنث العظيم** اي الذنب
العظيم الذي هو الشرك ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث اي الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب **وكانوا يقولون** لغاية عتوهم وعنادهم **أئذا متنا
وكنا ترابا وعظاما** اي كان بعض اجزائنا من اللحم والجلد ترابا وبعضها عظاما نخرة وتقديم التراب لعراقته في الاستحالة والانقلاب من
الاجزاء البادية واذا متمحضة للظرفية والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى **أئنا لمبعوثون** لا نفسه لان ما بعد ان واللام والهمزة لا يعمل فيما قبلها
وهو نبعث وهو المرجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص انكاره به فانهم منكرون للاحياء بعد الموت وان كان البدن على حاله
بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه اليه في حالة منافية له بالكلية وتكرير الهمزة لتأكيد النكير وتحلية الجملة بان لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد
كما عسى يتوهم من ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى أفلا تعقلون على رأي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار
لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في المبعوثية بالفعل في حال كونهم ترابا وعظاما بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم
له ومرجعه الى انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم في الكفر وتماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه وتكرير الهمزة في قوله تعالى
أوآباؤنا الأولون لتأكيد النكير والواو للعطف على المستكن في لمبعوثون وحسن ذلك للفصل بالهمزة يعنون ان بعث آبائهم الاولين ابعد
من الوقوع وقرئ او آباؤنا **قل** ردا لانكارهم وتحقيقا للحق **إن الأولين والآخرين** من الامم الذين من جملتهم انتم وآباؤكم وفي تقديم
الاولين مبالغة في الرد حيث كان انكارهم لبعث آبائهم اشد من انكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودي **لمجموعون** بعد البعث وقرئ
لمجمّعون **إلى ميقات يوم معلوم** الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم فضة **ثم إنكم أيها الضالون** عطف على
ان الاولين داخل تحت القول وثم للتراخي زمانا او رتبة **المكذبون** اي بالبعث والخطاب لاهل مكة واضرابهم **لآكلون** بعد البعث والجمع
ودخول جهنم **من شجر من زقوم** من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره اي مبتدئون الاكل من شجر هو زقوم وقيل من الثانية
متعلقة بمضمر هو وصف لشجر اي كائن من زقوم **فمالئون منها البطون** اي بطونكم من شدة الجوع **فشاربون عليه** عقيب ذلك بلا ريث
من الحميم اي الماء الحار في الغاية وتانيث ضمير الشجر اولا وتذكيره ثانيا باعتبار المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فضمير عليه حينئذ للزقوم وقيل
للاكل وقوله تعالى **فشاربون شرب الهيم** كالتفسير لما قبله على طريقة قوله تعالى فكذبوا عبدنا الآية اي لا يكون شربكم شربا معتادا بل يكون مثل شرب
الهيم وهي الابل التي بها الهيام وهو داء يصيبها فتشرب ولا تروى جمع اهيم وهيماء وقيل الهيم الرمال على انه جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل

الذي

الذي لا يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار في احشائهم
ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذي هو كالمهل فاذا ملؤوا منه بطونهم وهو في غاية المرارة والحرارة سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى
شرب الحميم الذي يقطع امعاءهم فيشربونه شرب الهيم وقرئ شرب الهيم بالفتح وهو ايضا مصدر وقرئ بالكسر على انه اسم المشروب **هذا**
الذي ذكر من انواع العذاب **نزلهم يوم الدين** اي يوم الجزاء فاذا كان ذلك نزلهم وهو ما يعد للنازل مما حضر فما ظنك بما لهم بعد ما استقر لهم
القرار واطمأنت بهم الدار في النار وفيه من التهكم بهم ما لا يخفى وقرئ نزلهم بسكون الزاي تخفيفا والجملة مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة
مقررة لمضمون الكلام الملقن غير داخلة تحت القول وقوله تعالى **نحن خلقناكم فلولا تصدقون** تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكفرة بطريق
الالزام والتبكيت والفاء لترتيب التحضيض على ما قبلها اي فهلا تصدقون بالخلق فان ما لا يحققه العمل ولا يساعده بل ينبئ عن خلافه
ليس من التصديق في شيء وقيل بالبعث استدلالا عليه بالانشاء فان من قدر عليه قدر على الاعادة حتما والاول هو الاوجه كما ستحيط
به خبرا **أفرأيتم ما تمنون** اي تقذفونه في الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى امناها **أأنتم تخلقونه** اي تقدرونه
وتصورونه بشرا سويا **أم نحن الخالقون** له من غير دخل شيء فيه وام قيل منقطعة لان ما بعدها جملة فالمعنى بل نحن الخالقون على ان
الاستفهام للتقرير وقيل متصلة ومجيء الخالقون بعد نحن بطريق التأكيد لا بطريق الخبرية اصالة **نحن قدرنا بينكم الموت** اي قسمناه
عليكم ووقتنا موت كل احد بوقت معين حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة وقرئ قدرنا مخففا **وما نحن بمسبوقين**
اي انا قادرون **على أن نبدل أمثالكم** لا يغلبنا احد على ان نذهبكم ونأتي مكانكم اشباهكم من الخلق **وننشئكم فيما لا تعلمون** من
الخلق والاطوار ولا تعهدون بمثلها قال الحسن رحمه الله تعالى اي نجعلكم قردة وخنازير والمعنى وننشئكم في البعث على غير صوركم
في الدنيا فمن هذا شأنه كيف يعجز عن اعادتكم وقيل المعنى وما يسبقنا احد فيهرب من الموت او يغير وقته وعلى ان نبدل الى آخره
اما حال من فاعل قدرنا او علة للتقدير وعلى بمعنى اللام وما بينهما اعتراض **ولقد علمتم النشأة الأولى** هي خلقهم من نطفة ثم من
علقة ثم من مضغة وقيل هي فطرة آدم عليه السلام من التراب **فلولا تذكرون** فهلا تتذكرون ان من قدر عليها قدر على النشأة الاخرى
حتما فانها اقل صنعا لحصول المواد وتخصص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس وقرئ فلولا تذكرون من الثلاثي وفي
الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الاولى وعجبا للمصدق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار الغرور
أفرأيتم ما تحرثون اي تبذرون حبه وتعملون في ارضه **أأنتم تزرعونه** تنبتونه وتردونه نباتا يرف **أم نحن الزارعون** اي
المنبتون لا انتم والكلام في ام كما مر آنفا **لو نشاء لجعلناه حطاما** هشيما متكسرا متفتتا بعد ما انبتناه وصار بحيث طمعتم في
حيازة غلاله **فظلتم** بسبب ذلك **تفكهون** تتعجبون من سوء حاله اثر ما شاهدتموه على احسن ما يكون من الحال او تندمون على
ما تعبتم فيه وانفقتم عليه او على ما اقترفتم لاجله من المعاصي فتتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث
وقرئ تفكنون اي تندمون وقرئ فظلتم بالكسر وفظللتم على الاصل **إنا لمغرمون** اي لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون
بهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك وقرئ أئنا على الاستفهام والجملة على القراءتين مقدرة بقول هو في حيز النصب على الحالية من فاعل تفكهون
اي قائلين او تقولون انا لمغرمون **بل نحن محرومون** حرمنا رزقنا او محارفون محدودون لا حظ لنا ولا بخت لا مجدودون
أفرأيتم الماء الذي تشربون عذبا فراتا وتخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لان الشرب اهم المقاصد المنوطة به **أأنتم
أنزلتموه من المزن** اي من السحاب واحده مزنة وقيل هو السحاب الابيض وماؤه اعذب **أم نحن المنزلون** له بقدرتنا **لو نشاء جعلناه
أجاجا** ملحا زعاقا لا يمكن شربه وحذف اللام هنا مع اثباتها في الشرطية الاولى للتعويل على علم السامع او الفرق بين المطعوم والمشروب
في الاهمية وصعوبة الفقد والشرطيتان مستأنفتان مسوقتان لبيان ان عصمته تعالى للزرع مستوجبة للشكر والماء عما
يخل بالتمتع بها نعمة اخرى بعد نعمة الانبات والانزال فقوله تعالى **فلولا تشكرون** تحضيض على شكر الكل **أفرأيتم النار التي تورون**
اي تقدحونها وتستخرجونها من الزناد **أأنتم أنشأتم شجرتها** التي منها الزناد وهي المرخ والعفار **أم نحن المنشئون** لها بقدرتنا والتعبير
عن خلقها بالانشاء المنبئ عن بديع الصنع المعرب عن كمال القدرة والحكمة لما فيه من الغرابة الفارقة بينها وبين سائر الاشجار التي لا تخلو

عن الغار حتى قيل في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار كما ان التعبير عن نفخ الروح بالانشاء في قوله تعالى ثم انشأناه خلقا آخر لذلك وقوله تعالى **نحن جعلناها تذكرة** استيناف مبين لمنافعها اى جعلناها تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها اسباب المعاش لينظروا اليها ويذكروا ما اوعدوا به من نار جهنم لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التي يوقدها بنو آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم وقيل تبصرة في امر البعث فانه ليس بابدع من اخراج النار من الشيء الرطب **ومتاعا** ومنفعة **للمقوين** للذين ينزلون القواء وهي القفر وتخصيصهم بذلك لانهم احوج اليها فان المقيمين او النازلين بقرب منهم ليسوا بمضطرين الى الاقتداح بالزناد وقد جوز ان يراد بالمقوين الذين خلت بطونهم ومزاودهم من الطعام وهو بعيد لعدم انحصار ما يهمهم ويدخلهم فيما لا يؤكل الا بالطبخ وتأخير المنفعة على ان الاهم يتبع الاخروي والفاء في قوله تعالى **فسبح باسم ربك العظيم** لترتيب ما بعدها على ما عدد من بدائع صنعه تعالى وروائع نعمه الموجبة لتسبيحه تعالى اما تنزيها له تعالى عما يقوله الجاحدون بوحدانيته تعالى الكافرون بنعمته مع عظمها وكثرتها او تعجبا من امرهم في غمط تلك النعم الباهرة مع جلالة قدرها وظهور امرها او شكرا على تلك النعم السابقة اى فاحدث التسبيح بذكر اسمه تعالى او بذكره فان اطلاق الاسم للشيء ذكره والعظيم صفة للاسم او الرب **فلا اقسم** اى فاقسم ولا مزيدة للتأكيد كما في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب او فلانا اقسم فحذف المبتدأ واشبع فتحة لام الابتداء ويعضده قراءة من قرأ فلاقسم او فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه واما ما قيل من ان المعنى فلا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى القسم فيأباه تعيين المقسم به وتفخيم شأن القسم به **بمواقع النجوم** اى بمساقطها وهي مغاربها وتخصيصها بالقسم لما في غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر دائم لا يتغير او لان في ذلك وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه تعالى واوان نزول الرحمة والرضوان عليهم او بمنازلها ومجاريها فان له تعالى في ذلك من الدليل على عظم قدرته وكمال حكمته ما لا يحيط به البيان وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها اوقات نزولها وقوله تعالى **وانه لقسم لو تعلمون عظيم** اعتراض في اعتراض قصد به المبالغة في تحقيق مضمون الجملة القسمية وتأكيده حيث اعترض بقوله وانه لقسم بين القسم وجوابه الذي هو قوله تعالى **انه لقرآن كريم** اى كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة في صلاح المعاش والمعاد او حسن مرضي او كريم عند الله تعالى وبقوله تعالى لو تعلمون بين الموصوف وصفته وجواب لو اما متروك اريد به نفي علمهم او محذوف ثقة بظهوره اى لعظمتموه او لعملتم بموجبه **في كتاب مكنون** اى مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهو اللوح **لا يمسه الا المطهرون** اما صفة اخرى لكتاب فالمراد بالمطهرين الملائكة المنزهون عن الكدورات الجسمانية واوضار الاوزار او للقرآن فالمراد هم المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى النهى اى لا ينبغي ان يمسه الا من كان على طهارة من الناس على طريقة قوله صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه اى لا ينبغي له ان يظلمه او يسلمه الى من يظلمه وقيل لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون بالادغام والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون اى انفسهم او غيرهم بالاستغفار او غيره **تنزيل من رب العالمين** صفة اخرى للقرآن وهو مصدر نعت به حتى جرى مجرى اسمه وقرئ تنزيلا **افبهذا الحديث** اى الذي ذكرت نعوته الجليلة الموجبة لاعظامه واجلاله وهو القرآن العظيم **انتم مدهنون** اى متهاونون به كمن يدهن في الامر اى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به **وتجعلون رزقكم** اى شكر رزقكم **انكم تكذبون** اى تضعون التكذيب موضع الشكر وقرئ وتجعلون شكركم انكم تكذبون اى تجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به وقيل الرزق المطر والمعنى وتجعلون شكر ما يرزقكم الله تعالى من الغيث انكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه الى الانواء والاول هو الاوفق لسباق النظم الكريم وسياقه فان قوله عز وجل **فلولا اذا بلغت الحلقوم** الى آخره تبكيت مبني على تكذيبهم بالقرآن فيما نطق به قوله تعالى نحن خلقناكم الى هنا من القوارع الدالة على كونهم تحت ملكوته تعالى من حيث ذواتهم ومن حيث طعامهم وشرابهم وسائر اسباب معايشهم كما ستقف عليه ولولا للتحضيض لاظهار عجزهم واذا ظرفية اى فهلا اذا بلغت النفس اى الروح وقيل نفس احدكم الحلقوم وتداعت الى الخروج **وانتم حينئذ** ايها الحاضرون حول صاحبها **تنظرون** الى ما هو فيه من الغمرات **ونحن اقرب اليه** علما وقدرة وتصرفا **منكم** حيث لا تعرفون من حاله الا ما تشاهدونه من آثار الشدة من غير ان تقفوا على كنهها وكيفياتها واسبابها ولا ان تقدروا على دفع ادنى شيء منها ونحن المتولون لتفاصيل احواله بعلمنا وقدرتنا او بملائكة الموت **ولكن لا تبصرون** لا تدركون ذلك لجهلكم بشؤوننا وقوله تعالى **فلولا ان كنتم غير مدينين** اى غير مربوبين من دان السلطان رعيته اذا ساسهم واستعبدهم ناظر الى قوله تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون فان التحضيض يستدعي عدم المحضض عليه حتما وقوله تعالى **ترجعونها** اى النفس الى مقرها هو العامل في اذا والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية مكررة للتأكيد وهي مع ما في حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مربوبين كما ينبئ عنه عدم تصديقكم بخلقنا اياكم فهلا ترجعون النفس الى مقرها عند بلوغها الحلقوم **ان كنتم صادقين** في اعتقادكم فان

عدم

فان عدم تصديقكم بخالقيته تعالى لهم عبارة عن تصديقهم بعدم خالقيته تعالى بموجب مذهبهم وقوله تعالى **فاما ان كان من المقربين** الى آخره شروع في بيان حال المتوفى بعد الممات اثر بيان حاله عند الوفاة اى فاما ان كان الذي بين حاله من السابقين من الازواج الثلاثة عبر عنهم باجل اوصافهم **فروح** اى فله استراحة وقرئ فروح بضم الراء وفسر بالرحمة لانها سبب لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة **وريحان** ورزق **وجنة نعيم** اى ذات تنعم **واما ان كان من اصحاب اليمين** عبر عنهم بالعنوان السابق اذ لم يذكر لهم فيما سبق وصف ينبئ عن شأنهم سواه كما ذكر للفريقين الآخرين وقوله تعالى **فسلام لك من اصحاب اليمين** اخبار من جهته تعالى بتسليم بعضهم على بعض كما يفصح عنه اللام لا حكاية انشاء سلام بعضهم على بعض والا لقيل عليك والالتفات الى خطاب كل واحد منهم للتشريف **واما ان كان من المكذبين الضالين** وهم اصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبما وصفوا به عند بيان احوالهم بقوله تعالى ثم انكم ايها الضالون المكذبون ذما لهم بذلك واشعارا بسبب ما ابتلوا به من العذاب **فنزل** اى فله نزل كائن **من حميم** يشرب بعد اكل الزقوم كما فصل فيما قبل **وتصلية جحيم** اى ادخال في النار وقيل اقامة فيها ومقاساة لالوان العذاب وقيل ذلك ما يجد في القبر من سموم النار ودخانها **ان هذا** اى الذي ذكر في السورة الكريمة **لهو حق اليقين** اى حق الخبر اليقين وقيل الحق الثابت من اليقين والفاء في قوله تعالى **فسبح باسم ربك العظيم** لترتيب التسبيح او الامر به على ما قبلها فان حقية ما فصل في تضاعيف السورة الكريمة مما يوجب تنزيهه تعالى عما لا يليق بشأنه الجليل من الامور التي من جملتها الاشراك والتكذيب باياته الناطقة بالحق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا الحمد لله تعالى حمدا دائما على ذلك

سورة الحديد

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات والارض التسبيح تنزيه الله تعالى اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه سبحانه من سبح في الارض والماء اذا ذهب فيهما وابعد وحيث اسند ههنا الى غير العقلاء ايضا فان ما في السموات والارض يعم جميع ما فيهما سواء كان مستقرا فيهما او جزءا منهما كما مر في آية الكرسي اريد به معنى عام مجازي شامل لما نطق به لسان المقال كتسبيح الملائكة والمؤمنين من الثقلين ولسان الحال كتسبيح غيرهم فان كل فرد من افراد الموجودات يدل بامكانه وحدوثه على وجود الصانع القديم الواجب الوجود المتصف بالكمال المنزه عن النقصان وهو المراد بقوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده وهو متعد بنفسه كما في قوله تعالى وتسبحوه واللام اما مزيدة للتأكيد كما في نصحت له وشكرت له او للتعليل اى فعل التسبيح لاجل الله تعالى وخالصا لوجهه ومجيئه في بعض الفواتح ماضيا وفي البعض مضارعا للايذان بتحققه في جميع الاوقات وفيه تنبيه على ان حق من شأنه التسبيح الاختياري ان يسبحه تعالى في جميع اوقاته كما عليه الملأ الاعلى حيث يسبحون الليل والنهار لا يفترون **وهو العزيز** القادر الغالب الذي لا يمانعه ولا ينازعه شيء **الحكيم** الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مشعر بعلة الحكم وكذا قوله تعالى **له ملك السموات والارض** اى التصرف الكلي فيهما وفيما فيهما من الموجودات من حيث الايجاد والاعدام وسائر التصرفات مما نعلمه ومما لا نعلمه وقوله تعالى **يحيي ويميت** استئناف مبين لبعض احكام الملك وجعله حالا من ضمير له ليس كما ينبغي **وهو على كل شيء** من الاشياء التي من جملتها ما ذكر من الاحياء والاماتة **قدير** مبالغ في القدرة **هو الاول** السابق على سائر الموجودات لما انه مبدئها ومبدعها **والآخر** الباقي بعد فنائها حقيقة او نظرا الى ذاتها مع قطع النظر عن مبقيها فان جميع الموجودات الممكنة اذا قطع النظر عن علتها فهي فانية **والظاهر** وجودا لكثرة دلائله الواضحة **والباطن** حقيقة فلا تحوم حولها العقول والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين المكتنفين بهما والوسطى للجمع بين المجموعين فهو متصف باستمرار الوجود في جميع الاوقات والظهور والخفاء **وهو بكل شيء عليم** لا يعزب عن علمه شيء من الظاهر والخفي **هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش** بيان لبعض احكام ملكهما وقد مر تفسيره مرارا **يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها** مر بيانه في سورة سبأ **وهو معكم اينما كنتم** تمثيل لاحاطة علمه تعالى بهم وتصوير لعدم خروجهم عنه اينما داروا وقوله تعالى **والله بما تعملون بصير** عبارة عن احاطته باعمالهم وتأخيره عن الخلق لما ان المراد به ما يدور عليه الجزاء من العلم التابع للمعلوم لا لما قيل من انه دليل عليه وقوله تعالى **له ملك السموات والارض** تكرير للتأكيد وتمهيد لقوله تعالى **والى الله ترجع الامور** اى اليه وحده لا الى غيره استقلالا او اشتراكا ترجع جميع الامور على البناء للمفعول من رجع رجعا وقرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعا **يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل** مر تفسيره مرارا وقوله تعالى **وهو عليم** اى مبالغ في العلم **بذات الصدور** اى بمكنوناتها اللازمة لها بيان لاحاطة

علمه تعالى بما يضمرونه من نياتهم بعد بيان احاطته باعمالهم التي يظهرونها **آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه** اي جعلكم خلفاء
في التصرف فيه من غير ان تملكوه حقيقة عبر عما بايديهم من الاموال والارزاق بذلك تحقيقا للحق وترغيبا لهم في الانفاق فان من علم انها لله عز وجل
وانما هو بمنزلة الوكيل يصرفها الى ما عينه الله تعالى من المصارف هان عليه الانفاق او جعلكم خلفاء من قبلكم فيما كان بايديهم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم
حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به **فالذين آمنوا منكم وانفقوا** حسبما امروا به **لهم** بسبب ذلك **اجر كبير** وفيه من المبالغات
ما لا يخفى حيث جعل الجملة اسمية واعيد ذكر الايمان والانفاق وكرر الاسناد وفخم الاجر بالتنكير ووصف بالكبر وقوله عز وجل **وما لكم لا تؤمنون بالله**
استيناف مسوق لتوبيخهم على ترك الايمان حسبما امروا به بانكار ان يكون لهم في ذلك عذر ما في الجملة على ان لا تؤمنون حال من الضمير في لكم والعامل ما فيه من
معنى الاستقرار اي اي شيء حصل لكم غير مؤمنين على توجيه الانكار والنفي الى السبب فقط مع تحقق المسبب لا الى السبب والمسبب جميعا كما في قوله تعالى
وما لي لا اعبد الذي فطرني فان همزة الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع كما في اتضرب اباك واخرى لانكار الوقوع كما في اضرب ابي كذلك ما
الاستفهامية قد تكون لانكار سبب الواقع ونفيه فقط كما فيما نحن فيه وفي قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا فان كلا
من عدم الايمان وعدم الرجاء امر محقق قد انكر ونفي سببه وقد تكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيسري الى المسبب ايضا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد
الى آخره فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا قطعا فان عدم العبادة امر مفروض قطعا قد انكر ونفي سببه فانتفى نفسه ايضا وقوله تعالى **و**
والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم حال من الضمير في لا تؤمنون مفيدة لتوبيخهم على الكفر مع تحقق ما يوجب عدمه بعد توبيخهم عليه مع عدم ما يوجبه
اي واي عذر في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه وقوله تعالى **وقد اخذ ميثاقكم** حال من مفعول يدعوكم اي وقد اخذ الله تعالى
ميثاقكم بالايمان من قبل وذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر وقرئ وقد اخذ مبنيا للمفعول برفع ميثاقكم **ان كنتم مؤمنين** بموجب ما فان هذا موجب
لا موجب وراءه **هو الذي ينزل على عبده** حسبما يعن لكم من المصالح **آيات بينات** واضحات **ليخرجكم** اي الله تعالى او العبد بها **من الظلمات الى
النور** من ظلمات الكفر الى نور الايمان **وان الله بكم لرؤوف رحيم** حيث يهديكم الى سعادة الدارين بارسال الرسول وتنزيل الآيات بعد
نصب الحجج العقلية وقوله تعالى **وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله** توبيخ لهم على ترك المامور به بعد توبيخهم على ترك الايمان بانكار ان يكون لهم
في ذلك ايضا عذر من الاعذار وحذف المفعول لظهور انه الذي بين حاله فيما سبق وتعيين المنفق فيه لتشديد التوبيخ اي واي شيء لكم
في ان لا تنفقوا فيما هو قربة لكم الى الله تعالى ما هو له في الحقيقة وانما انتم خلفاؤه في صرفه الى ما عينه من المصارف وقوله تعالى **ولله ميراث السموات
والارض** حال من فاعل لا تنفقوا ومفعوله مؤكدة للتوبيخ فان ترك الانفاق بغير سبب قبيح منكر ومع تحقق ما يوجب الانفاق اشد في القبح وادخل
في الانكار فان بيان بقاء جميع ما في السموات والارض من الاموال بالآخرة لله عز وجل من غير ان يبقى من اصحابها احد اقوى في ايجاب الانفاق عليهم
من بيان انها لله عز وجل في الحقيقة وهم خلفاؤه في التصرف فيها كانه قيل وما لكم في ترك انفاقها في سبيل الله والحال انه لا يبقى لكم منها شيء بل تبقى
كلها لله تعالى واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لزيادة التقرير وتربية المهابة وقوله تعالى **لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل** بيان
لتفاوت درجات المنفقين حسب تفاوت احوالهم في الانفاق بعد بيان ان لهم اجرا كبيرا على الاطلاق حثا لهم على تحري الافضل وعطف القتال
على الانفاق للايذان بانه من اتم مواد الانفاق مع كونه في نفسه من افضل العبادات وانه لا يخلو من الانفاق اصلا وقسيم من انفق محذوف
لظهوره ودلالة ما بعده عليه وقرئ قبل الفتح بغير من والفتح فتح مكة **اولئك** اشارة الى من انفق والجمع بالنظر الى معنى من كما ان افراد ضمير
السابقين بالنظر الى لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل ومحله الرفع
على الابتداء اي اولئك المنعوتون بذينك النعتين الجميلين **اعظم درجة** وارفع منزلة **من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا** لانهم
انما فعلوا ما فعلوا من الانفاق والقتال قبل عزة الاسلام وقوة اهله عند كمال الحاجة الى النصرة بالنفس والمال وهم السابقون
الاولون من المهاجرين والانصار الذين فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وهؤلاء
فعلوا ما فعلوا بعد ظهور الدين ودخول الناس فيه افواجا وقلة الحاجة الى الانفاق والقتال **وكلا** اي كل واحد من الفريقين
وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة لا الاولين فقط وقرئ وكل بالرفع على الابتداء اي وكل وعده الله الى آخره **والله
بما تعملون خبير** بظواهره وبواطنه فيجازيكم بحسبه وقيل نزلت الآية في ابي بكر رضي الله عنه فانه اول من آمن واول من انفق في سبيل الله تعالى

وخاصم

وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك وقوله تعالى **من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا** ندب بليغ من الله تعالى الى الانفاق في سبيله
بعد الامر به والتوبيخ على تركه وبيان درجات المنفقين اي من ذا الذي ينفق ماله في سبيله تعالى رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق
بالاخلاص فيه وتحري اكرم المال وافضل الجهات **فيضاعفه له** بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى كانه قيل ايقرض الله احد فيضاعفه له
اي فيعطيه اجره اضعافا **وله اجر كريم** اي وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه حقيق بان يتنافس فيه المتنافسون وان لم يضاعف
فكيف وقد ضوعف اضعافا كثيرة وقرئ بالرفع عطفا على يقرض او حملا على تقدير مبتدا اي فهو يضاعفه وقرئ يضعفه بالرفع والنصب
يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله تعالى وله اجر كريم او لقوله تعالى فيضاعفه او منصوب باضمار اذكر تفخيما لذلك اليوم وقوله تعالى
يسعى نورهم حال من مفعول ترى قيل نورهم الضياء الذي يرى **بين ايديهم وبايمانهم** وقيل هو هداهم وبايمانهم هو كتبهم وعملهم الصالح
بين ايديهم وفي ايمانهم كتب اعمالهم وقيل هو القرآن وعن ابن مسعود رضي الله عنه يؤتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة
ومنهم من يؤتى كالرجل القائم وادناهم نورا من نوره على ابهام رجله ينطفي تارة ويلمع اخرى قال الحسن يستضيئون به على الصراط وقال مقاتل
يكون لهم دليلا الى الجنة **بشراكم اليوم جنات** مقدر بقول هو حال او استيناف اي يقال لهم بشراكم اي ما تبشرون به جنات او بشراكم دخول
جنات **تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك** اي ما ذكر من النور والبشرى بالجنات المخلدة **هو الفوز العظيم** الذي لا غاية وراءه
وقرئ ذلك الفوز العظيم **يوم يقول المنافقون والمنافقات** بدل من يوم ترى **للذين آمنوا انظرونا** اي انتظرونا يقولون ذلك
لما ان المؤمنين يسرع بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب ترف بهم وهؤلاء مشاة او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم
بوجوههم فيستضيئون بالنور الذي بين ايديهم وقرئ انظرونا من النظرة وهي الامهال جعل اتئادهم في المضي الى ان يلحقوا بهم انظارا لهم
نقتبس من نوركم اي نستضيء منه واصله اتخاذ القبس **قيل** طردا لهم وتهكما بهم من جهة المؤمنين او من جهة الملائكة **ارجعوا وراءكم** اي الى
الموقف **فالتمسوا نورا** من ثمة يقتبس او الى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل مباديه من الايمان والاعمال الصالحة او ارجعوا خائبين
خاسئين فالتمسوا نورا آخر وقد علموا ان لا نور وراءهم وانما قالوه تخييبا لهم او ارادوا بالنور ما وراءهم من الظلمة الكثيفة تهكما
بهم **فضرب بينهم** اي بين الفريقين **بسور** اي حائط والباء زائدة **له باب باطنه** اي باطن السور او الباب وهو الجانب الذي يلي الجنة
من قبله من جهته **العذاب** وقرئ فضرب على البناء للفاعل **فيه الرحمة وظاهره** وهو الطرف الذي يلي النار **من قبله** من جهته **العذاب**
وقرئ فضرب على البناء للفاعل **ينادونهم** استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا يفعلون بعد ضرب السور ومشاهدة العذاب
فقيل ينادونهم **الم نكن** في الدنيا **معكم** يريدون به موافقتهم لهم في الظاهر **قالوا بلى** كنتم معنا بحسب الظاهر **ولكنكم فتنتم انفسكم**
محنتموها بالنفاق واهلكتموها **وتربصتم** بالمؤمنين الدوائر **وارتبتم** في امر الدين **وغرتكم الاماني** الفارغة التي من جملتها
الطمع في انتكاس امر الاسلام **حتى جاء امر الله** **وغركم بالله** الكريم **الغرور** اي غركم الشيطان بان الله عفو كريم لا يعذبكم
وقرئ الغرور بالضم **فاليوم لا يؤخذ منكم فدية** اي فداء وقرئ تؤخذ بالتاء **ولا من الذين كفروا** اي ظاهرا وباطنا **مأواكم
النار** لا تبرحونها ابدا **هي مولاكم** اي اولى بكم وحقيقته مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كما يقال هو مئنة الكرم اي مكان لقول
القائل انه لكريم او مكانكم عن قريب من الولي وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع او متوليكم كما توليتم موجباتها
وبئس المصير اي النار **الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله** استيناف ناع عليهم تثاقلهم في امور الدين ورخاوة عقدهم
فيها واستبطاء لانتدابهم لما ندبوا اليه بالترغيب والترهيب وروي ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق
والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الآية الا اربع سنين وعن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الله تعالى استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن اي الم يجئ وقت
ان تخشع قلوبهم لذكره تعالى وتطمئن به ويسارعوا الى الطاعة بالامتثال لاوامره والانتهاء عما نهوا عنه من غير توان ولا فتور من انى الامر اذا جاء
اناه اي وقته وقرئ الم يئن من آن يئين بمعنى انى وقرئ الما يأن وفيه دلالة على ان المنفي متوقع **وما نزل من الحق** اي القرآن وهو عطف
على ذكر الله فان كان هو المراد به ايضا فالعطف لتغاير العنوانين فانه ذكر وموعظة كما انه حق نازل من السماء والا فالعطف كما في

في قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ومعنى الخشوع له الانقياد التام
لاوامره ونواهيه والعكوف على العمل بما فيه من الاحكام التي من جملتها ما سبق وبالحق من الانفاق في سبيل الله تعالى وقرئ نزل من التنزيل مبنيا
للمفعول ومبنيا للفاعل وانزل ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل عطف على تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات للاعتناء بالتحذير وقيل
هو نهي عن مماثلة اهل الكتاب في قسوة القلوب بعد ان وبخوا وذلك ان بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التورية و
الانجيل خشعوا لله تعالى ورقت قلوبهم فطال عليهم الامد اي الاجل وقرئ الامد بالتشديد للدال اي الوقت الاطول وغلبهم الجفاء
وزالت عنهم الروعة التي كانت تأتيهم من الكتابين فقست قلوبهم فهي كالحجارة او اشد قسوة وكثير منهم فاسقون اي خارجون عن
حدود دينهم رافضون لما في كتابهم بالكلية اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة باحياء الارض
الميتة بالغيث للترغيب في الخشوع والتحذير عن القساوة قد بينا لكم الآيات التي من جملتها هذه الآيات لعلكم تعقلون كي تعقلوا ما فيها
وتعملوا بموجبها فتفوزوا بسعادة الدارين ان المصدقين والمصدقات اي المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ كذلك وقرئ بتخفيف الصاد
من التصديق اي الذين صدقوا الله ورسوله واقرضوا الله قرضا حسنا قيل هو عطف على ما في المصدقين من معنى الفعل فانه في حكم الذين
اصدقوا او صدقوا على القراءتين وعقب بان فيه فصلا بين اجزاء الصلة باجنبي وهو المصدقات واجيب بان المعنى ان الناس الذين
يصدقوا ويصدقن واقرضوا فهو عطف على الصلة من حيث المعنى من غير فصل وقيل ان المصدقات ليس بعطف على المصدقين بل هو منصوب على الاختصاص
كانه قيل ان المصدقين على العموم تغليبا واخص المصدقات من بينهم كما تقول ان الذين آمنوا ولا سيما العلماء منهم وعملوا الصالحات لهم كذا لكن لا على
ان مدار التخصيص مزيد استحقاقهن لمضاعفة الاجر كما في المثال المذكور بل زيادة احتياجهن الى التصدق الداعية الى الاعتناء بحثهن على التصدق
لما روي انه عليه السلام قال يا معشر النساء تصدقن فاني رأيتكن اكثر اهل النار وقيل هو صلة لموصول محذوف معطوف على المصدقين كانه قيل
والذين اقرضوا والقرض الحسن عبارة عن التصدق من الطيب عن طيبة النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة يضاعف لهم على البناء للمفعول
مسندا الى ما بعده من الجار والمجرور وقيل الى مصدر ما في خبر الصلة على حذف مضاف اي ثواب التصدق وقرئ يضعف بتشديد العين و
فتحها ولهم اجر كريم قد مر ما فيه من الكلام والذين آمنوا بالله ورسله كافة وقد مر بيان كيفية الايمان بهم في خاتمة سورة البقرة اولئك
اشارة الى الموصول الذي هو مبتدأ وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه قد مر سره مرارا وهو مبتدأ ثان وقوله تعالى
هم مبتدأ ثالث خبره الصديقون والشهداء وهو مع خبره خبر للثاني وهو مع خبره خبر للاول او هم ضمير الفصل وما بعده خبر لاولئك
والجملة خبر للموصول اي اولئك عند ربهم بمنزلة الصديقين والشهداء المشهورين بعلو الرتبة ورفعة المحل وهم الذين سبقوا الى
التصديق واستشهدوا في سبيل الله تعالى او هم المبالغون في الصدق حيث آمنوا وصدقوا جميع اخباره تعالى ورسله والقائمون بالشهادة لله تعالى
بالوحدانية ولهم بالايمان او على الامم يوم القيمة وقوله تعالى لهم اجرهم ونورهم بيان لثمرات ما وصفوا به من نعوت الكمال على انه جملة من مبتدأ
وخبر محلها الرفع على انه خبر ثان للموصول والجار هو الخبر وما بعده مرتفع به على الفاعلية والضمير الاول على الوجه الاول للموصول وفي الاخير
للصديقين والشهداء اي لهم مثل اجرهم ونورهم المعروفين بغاية الكمال وعزة المنال وقد حذف اداة التشبيه تنبيها على قوة المماثلة
وبلوغها حد الاتحاد كما فعل ذلك حيث قيل هم الصديقون والشهداء وليست المماثلة بين ما للفريق الاول من الاجر والنور وبين
تمام ما للفريقين الاخيرين بل بين تمام ما للاول من الاصل والاضعاف وبين ما للاخيرين من الاصل بدون الاضعاف واما على الوجه الثاني فمرجع
الكل واحد والمعنى لهم الاجر والنور الموعودان لهم هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم وقد قيل والشهداء مبتدأ وعند ربهم خبره
وقيل الخبر لهم اجرهم الى آخره والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك الموصوفون بتلك الصفة القبيحة اصحاب الجحيم بحيث لا يفارقونها
ابدا اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد بعد ما بين حال الفريقين في الآخرة
شرح حال الحيوة الدنيا التي اطمأن بها الفريق الثاني واشير الى انها من محقرات الامور التي لا يركن اليها العقلاء فضلا عن الاطمئنان بها وانها
مع ذلك سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال حيث قيل كمثل غيث اعجب الكفار نباته اي الحراث النبات الحاصل به ثم يهيج اي يجف
بعد خضرته ونضارته فتراه مصفرا بعد ما رأيته ناضرا مونقا وقرئ مصفارا وانما لم يقل فيصفر ايذانا بان اصفراره مقارن

لجفافه وانما المرتب عليه رؤيته كذلك ثم يكون حطاما هشيما متكسرا ومحل الكاف قيل النصب على الحالية من الضمير في لعب لانه
في معنى الوصف وقيل الرفع على انه خبر بعد خبر للحيوة الدنيا بتقدير المضاف اي مثل الحيوة الدنيا كمثل الخ وبعد ما بين حقارة امر الدنيا
تزهيدا فيها وتنفيرا عن العكوف عليها اشير الى فخامة شان الآخرة وعظم ما فيها من اللذات والآلام ترغيبا في تحصيل نعيمها المقيم وتحذيرا
من عذابها الاليم وقدم ذكر العذاب فقيل وفي الآخرة عذاب شديد لانه من نتائج الانهماك فيما فصل من احوال الدنيا ومغفرة عظيمة
من الله ورضوان عظيم لا يقادر قدره وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور اي لمن اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة الى الآخرة عن سعيد
بن جبير الدنيا متاع الغرور ان الهتك عن طلب الآخرة فاما اذا دعتك الى طلب رضوان الله تعالى فنعم المتاع ونعم الوسيلة سابقوا
اي سارعوا مسارعة المسابقين لاقرانهم في المضمار الى مغفرة عظيمة كائنة من ربكم اي الى موجباتها من الاعمال الصالحة وجنة
عرضها كعرض السماء والارض اي كعرضهما جميعا واذا كان عرضها كذلك فما ظنك بطولها وقيل المراد بالعرض البسطة وتقديم
المغفرة على الجنة لتقدم التخلية على التحلية اعدت للذين آمنوا بالله ورسله فيه دليل على ان الجنة مخلوقة بالفعل وان الايمان كاف
وحده في استحقاقها ذلك الذي وعد من المغفرة والجنة فضل الله عطاؤه يؤتيه من يشاء ايتاءه اياه تفضلا واحسانا من غير ايجاب
والله ذو الفضل العظيم ولذلك يؤتي من يشاء مثل ذلك الفضل الذي لا غاية وراءه ما اصاب من مصيبة في الارض كجدب
وعاهة في الزروع والثمار ولا في انفسكم كمرض وآفة الا في كتاب اي الا مكتوبة مثبتة في علم الله تعالى او في اللوح من قبل ان
نبرأها اي نخلق الانفس او المصائب او الارض ان ذلك اي اثباتها في كتاب على الله يسير لاستغنائه فيه عن العدة والمدة لكيلا تأسوا
اي اخبرناكم بذلك لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما آتاكم اي اعطاكم الله تعالى منها فان من علم ان الكل مقدر يفوت
ما قدر فواته ويأتي ما قدر اتيانه لا محالة لا يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه بما هو آت وقرئ بما اتاكم من الاتيان وفي القراءة الاولى
اشعار بان فوات النعم يلحقها اذا خليت وطباعها واما حصولها وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها وقرئ بما اوتيتم
والمراد به نفي الاسى المانع عن التسليم لامر الله تعالى والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقب بقوله تعالى والله لا يحب
كل مختال فخور فان من فرح بالحظوظ الدنيوية وعظمت في نفسه اختال وافتخر بها لا محالة وفي تخصيص التذييل بالنهي عن الفرح المذكور
ايذان بانه اقبح من الاسى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا ويأمر غيره به
او مبتدأ خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني
عنه وعن انفاقه محمود في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره بالتقرب اليه بشيء من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة
المنفق وقرئ فان الله الغني لقد ارسلنا رسلنا اي الملائكة الى الانبياء او الى الامم وهو الاظهر بالبينات اي بالحجج والمعجزات
وانزلنا معهم الكتاب اي جنس الكتاب الشامل للكل والميزان ليقوم الناس بالقسط اي بالعدل روي ان جبريل عليه السلام
نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به وقيل اريد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به العدوان
وانزلنا الحديد قيل نزل آدم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة
والابرة وروي ومعه المر والمسحاة وعن الحسن وانزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وانزل لكم من الانعام وذلك ان اوامره
وقضاياه واحكامه تنزل من السماء وقوله تعالى وليعلم الله من ينصره فيه بأس شديد لان آلات الحروب انما تتخذ منه
ومنافع للناس اذ ما من صنعة الا والحديد او ما يعمل بالحديد آلتها والجملة حال من الحديد وقوله تعالى وليعلم الله من ينصره ورسله
عطف على محذوف يدل عليه ما قبله فانه حال متضمنة للتعليل كانه قيل ليستعملوه وليعلم الله علما يتعلق به الجزاء من ينصره ورسله
باستعمال السيوف والرماح وسائر الاسلحة في مجاهدة اعدائه او متعلق بمحذوف مؤخر والواو اعتراضية اي وليعلم الله من ينصره
ورسله انزله وقيل عطف على قوله تعالى ليقوم الناس بالقسط وقوله تعالى بالغيب حال من فاعل ينصر او مفعوله اي غائبا منهم
او غائبين منه وقوله تعالى ان الله قوي عزيز اعتراض تذييلي جيء به تحقيقا للحق وتنبيها على ان تكليفهم الجهاد وتعريضهم
للقتال ليس لحاجة في اعلاء كلمته واظهار دينه الى نصرتهم بل انما هو لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر فيه الى الثواب والا فهو

عنى بقدرته وعزته عنهم في كل ما يريد **ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم** فيه نوع تفصيل لما اجمل في قوله تعالى لقد ارسلنا رسلنا الى آخره وتكرير
القسم لاظهار مزيد الاعتناء بالامر اى وبالله لقد ارسلناهما **وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب** بان استنبأناهما واوحينا اليهم الكتب
وقيل المراد بالكتاب الخط بالقلم **فمنهم** اى من الذرية او من المرسل اليهم المدلول عليهم بذكر الارسال والمرسلين **مهتد** الى الحق **وكثير
منهم فاسقون** خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والايذان بغلبة الضلال وكثرتهم **ثم قفينا على
آثارهم برسلنا** اى ثم ارسلنا بعدهم رسلنا **وقفينا بعيسى ابن مريم** اى ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى عليه السلام والضمير
لنوح وابرهيم ومن ارسلا اليهم او من عاصرهما من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية **وآتيناه الانجيل** وقرئ بفتح الهمزة فانه
اعجمى لا يلزم فيه مراعاة ابنية العرب **وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة** وقرئ رآفة على فعالة **ورحمة** اى وفقناهم للتراحم والتعاطف
بينهم ونحوه في شان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم **ورهبانية** منصوبا اما بفعل مضمر يفسره الظاهر اى وابتدعوا رهبانية
ابتدعوها واما بالعطف على ما قبلها **وابتدعوها** صفة لها اى وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم اى وفقناهم
للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها وهى المبالغة في العبادة بالرياضة والانقطاع عن الناس ومعناها الفعلة المنسوبة الى
الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشى وقرئ بضم الراء كانها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وسبب
ابتداعهم اياها ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد رفع عيسى عليه السلام فقاتلوهم ثلث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا قليل فخافوا ان
يفتتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانية في قلل الجبال فارين بدينهم مخلصين انفسهم للعبادة وقوله تعالى **ما كتبناها عليهم** جملة مستانفة
وقيل صفة اخرى لرهبانية والنفى على الوجه الاول متوجه الى اصل الفعل وقوله تعالى **الا ابتغاء رضوان الله** استثناء منقطع اى ما فرضناها
نحن عليهم راسا ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فذمهم حينئذ بقوله تعالى **فما رعوها حق رعايتها** من حيث ان النذر عهد مع الله
لا يحل نكثه لا سيما اذا قصد به رضاه تعالى وعلى الوجه الثانى متوجه الى قيده لا الى نفسه والاستثناء متصل من اعم العلل اى ما كتبناها عليهم
بان وفقناهم لابتداعها لشئ من الاشياء الا ليبتغوا بها رضوان الله تعالى ويستحقوا بها الثواب ومن ضرورة ذلك ان يراعوها حق رعايتها
ويحافظوا عليها فما رعاها كلهم بل بعضهم **فآتينا الذين آمنوا منهم** ايمانا صحيحا وهو الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رعاية
رهبانيتهم لا مجرد رعايتها فانها بعد البعثة لغو محض وكفر بحت وانى لها استتباع الاجر **اجرهم** اى ما يخص بهم من الاجر **وكثير منهم فاسقون**
خارجون عن حد الاتباع وحمل الفريقين على من مضى من المراعين لحقوق الرهبانية قبل النسخ والمخلين بها اذ ذاك بالتثليث والقول بالاتحاد
وقصد السمعة من غير تعرض لايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكفرهم مما لا يساعده المقام **يا ايها الذين آمنوا** اى بالرسل المتقدمة
اتقوا الله فيما نهاكم عنه **وآمنوا برسوله** اى بمحمد صلى الله عليه وسلم وفي اطلاقه ايذان بانه علم فرد في الرسالة لا يذهب الوهم الى غيره **يؤتكم
كفلين** نصيبين **من رحمته** لايمانكم بالرسول ومن قبله من الرسل عليهم السلام لكن لا على معنى ان شرائعهم باقية بعد البعثة بل على انها كانت حقة قبل النسخ
ويجعل لكم نورا تمشون به يوم القيمة حسبما نطق به قوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم **ويغفر لكم** ما اسلفتم من الكفر والمعاصى
والله غفور رحيم اى مبالغ في المغفرة والرحمة وقوله تعالى **لئلا يعلم اهل الكتاب** متعلق بمضمون الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط اذ
التقدير ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا لئلا يعلم الذين لم يسلموا من اهل الكتاب اى ليعلموا ولا مزيدة كما ينبئ عنه قراءة ليعلم
ولكى يعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء وان في قوله تعالى **ان لا يقدرون على شئ من فضل الله** مخففة من الثقيلة واسمها الذى هو ضمير الشان
محذوف والجملة في حيز النصب على انها مفعول يعلم اى ليعلموا انه لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة ولا يتمكنون من نيله
حيث لم ياتوا بشرطه الذى هو الايمان برسوله وقوله تعالى **وان الفضل بيد الله** عطف على ان لا يقدرون وقوله تعالى **يؤتيه من يشاء** خبر ثان لان
وقيل هو الخبر والجار حال لازمة وقوله تعالى **والله ذو الفضل العظيم** اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله وقد جوز ان يكون الامر بالتقوى
والطاعة والايمان لغير اهل الكتاب فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتكم ما وعد من آمن من اهل الكتاب من الكفلين
في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم مثلهم في الايمانين لا تفرقون بين احد من رسله وروى ان مؤمنى اهل
الكتاب افتخروا على سائر المؤمنين بانهم يؤتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقرئ ليلا بقلب الهمزة ياء لانفتاحها بعد كسرة

وقرئ بسكون الياء وفتح اللام كاسم المرأة وبكسر اللام مع سكون الياء وقرئ ان لا يقدروا هذا وقد قيل لا غير مزيدة وضمير لا يقدرون
للنبى صلى الله عليه وسلم واصحابه والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون به على شئ من فضل الله الذى
هو عبارة عما آتوه من سعادة الدارين على ان عدم علمهم بعدم قدرتهم على ذلك كناية عن علمهم بقدرتهم عليه فيكون قوله تعالى ان الفضل
بيد الله الى آخره عطفا على ان لا يعلم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله صلوات الله عليهم اجمعين

سورة المجادلة

بسم الله الرحمن الرحيم **قد سمع الله** باظهار الدال وقرئ بادغامها في السين **قول التى تجادلك في زوجها** اى
تراجعك الكلام في شانه وفيما صدر عنه في حقها من الظهار وقرئ تحاورك وتحاولك اى تسائلك **وتشتكى الى الله** عطف على تجادلك
اى تتضرع اليه تعالى وقيل حال من فاعله اى تجادلك وهى متضرعة اليه تعالى وهى خولة بنت ثعلبة بن مالك بن خزامة الخزرجية ظاهر عنها
زوجها اوس بن الصامت اخو عبادة ثم ندم على ما قال فقال لها ما اظنك الا قد حرمت على فشق عليها ذلك فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا فقال حرمت عليه وفي رواية ما اراك الا قد حرمت عليه في المكرر كلها فقالت اشكو
الى الله فاقتى ووجدى وجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما قال عليه السلام حرمت عليه هتفت وشكت الى الله تعالى فنزلت
وفي كلمة قد اشعار بان الرسول صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا يتوقعان ان ينزل الله تعالى حكم الحادثة ويفرج عنها كربها كما يلوح به ما روى
انه عليه السلام قال لها عندى استفتائها ما عندى في امرك شئ وانها كانت ترفع راسها الى السماء وتقول اللهم انى اشكو اليك فانزل
على لسان نبيك ومعنى سمعه تعالى لقولها اجابة دعائها لا مجرد علمه تعالى بذلك كما هو المعنى بقوله تعالى **والله يسمع تحاوركما** اى يعلم
تراجعكما الكلام وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع حسب استمرار التحاور وتجدده وفي نظمها في سلك الخطاب تغليبا تشريف
لها من جهتين والجملة استيناف جار مجرى التعليل لما قبله فان الحافها في المسئلة ومبالغتها في التضرع الى الله تعالى ومدافعته عليه السلام
اياها بجواب منبئ عن التوقف وترقب الوحى وعلمه تعالى بحالهما من دواعى الاجابة وقيل هى حال وهو بعيد وقوله عز وجل **ان الله سميع
بصير** تعليل لما قبله بطريق التحقيق اى مبالغ في العلم بالمسموعات والمبصرات ومن قضيته ان يسمع تحاورهما ويرى ما يقارنه من الهيئات التى
من جملتها رفع راسها الى السماء وسائر آثار التضرع واظهار الاسم الجليل في الموقعين لتربية المهابة وتعليل الحكم بوصف الالوهية وتاكيد
استقلال الجملتين وقوله تعالى **الذين يظاهرون منكم من نسائهم** شروع في بيان شان الظهار في نفسه وحكمه المترتب عليه شرعا بطريق
الاستيناف والظهار ان يقول الرجل لامرأته انت على كظهر امى مشتق من الظهر وقد مر تفصيله في الاحزاب والحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم
وفي منكم مزيد توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان اهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم وقرئ يظاهرون من
اظاهر ويتظاهرون ويظهرون وقوله تعالى **ما هن امهاتهم** خبر للموصول اى ما نساؤهم امهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت
وقرئ امهاتهم بالرفع على لغة تميم وبامهاتهم **ان امهاتهم** اى ما هن **الا اللائى ولدنهم** فلا تشبه بهن في الحرمة الا من الحقهن الشرع
بهن من المرضعات وازواج النبى صلى الله عليه وسلم فدخلن بذلك في حكم الامهات واما الزوجات فابعد شئ من الامومة **وانهم ليقولون**
بقولهم ذلك **منكرا من القول** على ان مناط التاكيد ليس صدور القول عنهم فانه امر محقق بل كونه منكرا اى عند الشرع وعند العقل
والطبع ايضا كما يشعر به تنكيره ونظيره قوله تعالى انكم لتقولون قولا عظيما **وزورا** اى محرفا عن الحق **وان الله لعفو غفور**
اى مبالغ في العفو والمغفرة فيغفر لما سلف منه على الاطلاق او بالمتاركة وقوله تعالى **والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون
لما قالوا** تفصيل لحكم الظهار بعد بيان كونه امرا منكرا بطريق التشريع الكلى المنتظم لحكم الحادثة انتظاما اوليا اى والذين يقولون
ذلك القول المنكر ثم يعودون لما قالوا اى الى ما قالوا بالتدارك والتلافى لا بالتقرير والتكرير كما في قوله تعالى ان تعودوا
لمثله ابدا فان اللام والى تتعاقبان كثيرا كما في قوله تعالى هدانا لهذا وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقوله تعالى بان ربك
اوحى لها وقوله تعالى واوحى الى نوح **فتحرير رقبة** اى فتداركه او فعليه او فالواجب اعتاق رقبة اى رقبة كانت وعند الشافعي

يشترط الايمان والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار وقيل ما قالوا عبارة عما حرموه على انفسهم بلفظ
الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه كما ذكر في قوله تعالى ونرثه ما يقول اي المقول فيه من المال والولد فالمعنى ثم يريدون العود للاستمتاع
فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا اي من قبل ان يستمتع كل من المظاهر منها بالآخر جماعا ولمسا ونظرا الى الفرج بشهوة وان وقع شيء من ذلك
قبل التكفير يجب عليه ان يستغفر ولا يعود حتى يكفر وان اعتق بعض الرقبة ثم مس عليه ان يستأنف عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى ذلكم
اشارة الى الحكم المذكور وهو مبتدأ خبره توعظون به اي تزجرون به عن ارتكاب المنكر المذكور فان الغرامات مزاجر عن تعاطي الجنايات
والمراد بذكره بيان ان المقصود من شرع هذا الحكم ليس تعريضكم للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة التي هو علم في استتباع الثواب العظيم بل هو ردعكم
وزجركم عن مباشرة ما يوجبه والله بما تعملون من الاعمال التي من جملتها التكفير وما يوجبه من جناية الظهار خبير اي عالم بظواهرها وبواطنها ومجازيكم
بها فحافظوا على حدود ما شرع لكم ولا تخلوا بشيء منها فمن لم يجد فصيام شهرين فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا
ليلا او نهارا عمدا او خطأ فمن لم يستطع اي الصيام لسبب من الاسباب فاطعام ستين مسكينا لكل مسكين نصف صاع من بر او صاع
من غيره ويجب تقديمه على المسيس لكن لا يستأنف ان مس في خلال الاطعام ذلك اشارة الى ما مر من البيان والتعليم للاحكام والتنبيه
عليها وما فيه من معنى البعد قد مر سره مرارا ومحله اما الرفع على الابتداء او النصب بمضمر معلل بما بعده اي ذلك واقع او فعلنا ذلك
لتؤمنوا بالله ورسوله وتعملوا بشرائعه التي شرعها لكم وترفضوا ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك اشارة الى الاحكام المذكورة وما فيه من معنى البعد
لتعظيمها كما مر غير مرة حدود الله التي لا يجوز تعديها وللكافرين اي الذين لا يعملون بها عذاب اليم عبر عنه بذلك للتغليظ على طريقة
قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين ان الذين يحادون الله ورسوله اي يعادونهما ويشاقونهما فان كلا من المتعاديين كما انه
يكون في عدوة وشق غير عدوة الآخر وشقه كذلك يكون في حد غير حد الآخر غير ان لورود المحادة في اثناء ذكر حدود الله دون المعاداة
والمشاقة من حسن الموقع ما لا غاية وراءه كبتوا اي اخزوا وقيل خذلوا وقيل اذلوا وقيل اهلكوا وقيل لعنوا وقيل غيظوا وهو ما وقع
يوم الخندق قالوا معنى كبتوا سيكبتون على طريقة قوله تعالى اتى امر الله وقيل اصل الكبت الكب كما كبت الذين من قبلهم من كفار الامم
الماضية المعادين للرسل عليهم السلام وقد انزلنا آيات بينات حال من واو كبتوا اي كبتوا لمحادتهم والحال انا قد انزلنا آيات واضحات
فيمن حاد الله ورسوله ممن قبلهم من الامم وفيما فعلنا بهم وقيل آيات تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به وللكافرين اي بتلك الآيات
او بكل ما يجب الايمان به فيدخل فيه تلك الآيات دخولا اوليا عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بما تعلق
به اللام من الاستقرار او بمهين او باضمار اذكر تعظيما لليوم وتهويلا له جميعا اي كلهم بحيث لا يبقى منهم احد غير مبعوث او مجتمعين في حال
واحدة فينبئهم بما عملوا من القبائح ببيان صدورها عنهم او بتصويرها في تلك النشأة بما يليق بها من الصور الهائلة على رؤوس الاشهاد
تخجيلا لهم وتشهيرا لحالهم وتشديدا لعذابهم وقوله تعالى احصاه الله استئناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله من السؤال اما عن كيفية
التنبئة او عن سببها كانه قيل كيف ينبئهم باعمالهم وهي اعراض منقضية متلاشية فقيل احصاه الله عددا لم يفته منه شيء فقوله تعالى
ونسوه حينئذ حال من مفعول احصى باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور او قيل لم ينبئهم بذلك فقيل احصاه الله ونسوه
فينبئهم به ليعرفوا ان ما عاينوه من العذاب انما حاق بهم لاجله وفيه مزيد توبيخ وتقريع لهم غير التخجيل والتشهير والله على كل شيء شهيد
لا يغيب عنه امر من الامور قط والجملة اعتراض تذييلي مقرر لاحصائه تعالى وقوله تعالى الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض
استشهاد على شمول شهادته كما في قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه وفي قوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون اي الم تعلم علما
يقينيا متاخما للمشاهدة انه تعالى يعلم ما فيهما من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما او بالجزئية منهما وقوله تعالى ما يكون من
نجوى ثلاثة الى آخره استئناف مقرر لما قبله من سعة علمه تعالى ومبين لكيفيته ويكون من كان التامة وقرئ تكون بالتاء اعتبارا لتأنيث النجوى
وان كان غير حقيقي اي ما يقع من تناجي ثلاثة نفر اي مسارتهم على ان نجوى مضافة الى ثلاثة او على انها موصوفة بها اما بتقدير مضاف اي من اهل
نجوى ثلاثة او بجعلهم نجوى في انفسهم مبالغة الا هو اي الله عز وجل رابعهم اي جاعلهم اربعة من حيث انه تعالى يشاركهم في
الاطلاع عليها وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال ولا خمسة ولا نجوى خمسة الا هو سادسهم وتخصيص العددين بالذكر

اما لخصوص الواقعة فان الآية نزلت في تناجي المنافقين واما لبناء الكلام على اغلب عادات المتناجين وقد عمم الحكم بعد ذلك
فقيل ولا ادنى من ذلك اي مما ذكر كالواحد والاثنين ولا اكثر كالستة وما فوقها الا هو معهم يعلم ما يجري بينهم وقرئ ولا اكثر بالرفع
عطفا على محل من نجوى او محل لا ادنى بان جعل لا لنفي الجنس اينما كانوا من الاماكن ولو كانوا تحت الارض فان علمه تعالى بالاشياء
ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الامكنة قربا وبعدا ثم ينبئهم بالتخفيف بما عملوا يوم القيمة تفضيحا لهم واظهارا لما يوجب عذابهم
ان الله بكل شيء عليم لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل سواء الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه
نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
والهمزة للتعجب من حالهم وصيغة المضارع للدلالة على تكرر عودهم وتجدده واستحضار صورته العجيبة وقوله تعالى ويتناجون
بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول عطف عليه داخل في حكمه اي بما هو اثم في نفسه وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول عليه السلام
وذكره عليه السلام بعنوان الرسالة بين الخطابين المتوجهين اليه عليه السلام لزيادة تشنيعهم واستعظام معصيتهم وقرئ وينتجون بالاثم
والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون السام عليك او انعم صباحا والله سبحانه
يقول وسلام على المرسلين ويقولون في انفسهم اي فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول اي هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبيا
حسبهم جهنم عذابا يصلونها يدخلونها وبئس المصير اي جهنم يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم في انديتكم وفي خلواتكم فلا تتناجوا
بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول كما يفعله المنافقون وقرئ فلا تنتجوا وفلا تناجوا بحذف احدى التائين وتناجوا بالبر والتقوى
اي بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول صلى الله عليه وسلم واتقوا الله الذي اليه تحشرون وحده لا الى غيره استقلالا
او اشتراكا فيجازيكم بكل ما تأتون وتذرون انما النجوى المعهودة التي هي التناجي بالاثم والعدوان من الشيطان لا من غيره فانه
المزين لها والحامل عليها وقوله تعالى ليحزن الذين آمنوا خبر آخر اي انما هي ليحزن المؤمنين بتوهمهم انها في نكبة اصابتهم وليس
بضارهم اي الشيطان او التناجي بضار المؤمنين شيئا من الاشياء او شيئا من الضرر الا باذن الله اي بمشيئته وعلى الله فليتوكل المؤمنون
ولا يبالوا بنجواهم فانه تعالى يعصمهم من شره وضره يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا اي توسعوا وليفسح بعضكم عن بعض ولا تتضاموا
من قولهم افسح عني اي تنح وقرئ تفاسحوا وقوله تعالى في المجالس متعلق بقيل وقرئ في المجلس على ان المراد به الجنس وقيل مجلس الرسول
صلى الله عليه وسلم وكانوا يتضامون تنافسا في القرب منه عليه السلام وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهي مراكز
الغزاة كقوله تعالى مقاعد للقتال قيل كان الرجل يأتي الصف ويقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة وقرئ في المجلس بفتح اللام
فهو متعلق بتفسحوا قطعا اي توسعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه فافسحوا يفسح الله لكم اي في كل ما تريدون التفسح فيه من المكان
والرزق والصدر والقبر وغيرها واذا قيل انشزوا اي انهضوا للتوسعة على المقبلين او لما امرتم به من صلوة او جهاد او غيرهما من اعمال
الخير فانشزوا فانهضوا ولا تتثبطوا ولا تفرطوا وقرئ بكسر الشين يرفع الله الذين آمنوا منكم بالنصر وحسن الذكر في الدنيا والايواء
الى غرف الجنان في الآخرة والذين اوتوا العلم منهم خصوصا درجات عالية بما جمعوا من اثرتي العلم والعمل فان العلم مع علو رتبته يقتضي للعمل
المقرون به مزيد رفعة لا يدرك شأوه العمل العاري عنه وان كان في غاية الصلاح ولذلك يقتدى بالعالم في افعاله ولا يقتدى بغيره
وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب والله بما تعملون خبير تهديد لمن لم يمتثل بالامر وقرئ يعملون بالياء
التحتانية يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول في بعض شؤونكم المهمة الداعية الى مناجاته عليه السلام فقدموا بين يدي نجواكم صدقة اي فتصدقوا
قبلها مستعار ممن له يدان وفي هذا الامر تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وانفاع الفقراء والزجر عن الافراط في السؤال والتمييز بين المخلص
والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف في انه للندب او للوجوب لكنه نسخ بقوله تعالى أأشفقتم وهو وان كان متصلا به تلاوة
لكنه متراخ عنه نزولا وعن علي رضي الله تعالى عنه ان في كتاب الله آية ما عمل بها احد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته عليه السلام
تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب محمول على انه لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدة بقائه اذ روي انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة
ذلك اي التصدق خير لكم واطهر اي لانفسكم من الريبة وحب المال وهذا يشعر بالندب لكن قوله تعالى فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم

مبنيّ عن الوجوب لانه ترخيص لمن لم يجد في المناجاة بلا تصدق ءأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات أي أخفتم الفقر من تقديم الصدقات
أو أخفتم التقدم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين فإذ لم تفعلوا ما أمرتم به وشق عليكم ذلك وتاب الله عليكم
بأن رخص لكم أن لا تفعلوه وفيه إشعار بأن إشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم من الانفعال ما قام مقام توبتهم وإذ على بابها من المضي
وقيل بمعنى إذا كما في قوله تعالى إذ الأغلال في أعناقهم وقيل بمعنى إن فأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة أي فإذ فرطتم فيما أمرتم به من تقديم الصدقات
فتداركوه بالمثابرة على إقامة الصلوة وإيتاء الزكوة وأطيعوا الله ورسوله في سائر الأوامر فإن القيام بها كالجابر لما وقع في ذلك من التفريط
والله خبير بما تعملون ظاهرا وباطنا ألم تر تعجيب من حال المنافقين الذين كانوا يتخذون اليهود أولياء ويناصحونهم وينقلون إليهم
أسرار المؤمنين أي ألم تنظر إلى الذين تولوا أي والوا قوما غضب الله عليهم وهم اليهود كما أنبأ عنه قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه ما هم
منكم ولا منهم لأنهم منافقون مذبذبون بين ذلك والجملة مستأنفة أو حال من فاعل تولوا ويحلفون على الكذب أي يقولون والله إنا لمسلمون
وهو عطف على تولوا داخل في حكم التعجيب وصيغة المضارع للدلالة على تكرر الحلف وتجدده حسب تكرر ما يقتضيه وقوله تعالى وهم يعلمون
حال من فاعل يحلفون مفيدة لكمال شناعة ما فعلوا فإن الحلف على ما يعلم أنه كذب في غاية القبح وفيه دلالة على أن الكذب يعم ما يعلم المخبر
عدم مطابقته للواقع وما لا يعلمه روي أنه عليه السلام كان في حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين
شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان أزرق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم علام تشتمني أنت وأصحابك فحلف بالله ما فعل فقال
عليه السلام فعلت فانطلق فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت أعد الله لهم بسبب ذلك عذابا شديدا نوعا من العذاب
متفاقما إنهم ساء ما كانوا يعملون فيما مضى من الزمان المتطاول فتمرنوا على سوء العمل وضروا به وأصروا عليه اتخذوا أيمانهم الفاجرة
التي يحلفون بها عند الحاجة وقرئ بكسر الهمزة أي إيمانهم الذي أظهروه لأهل الإسلام جنة وقاية وسترة دون دمائهم وأموالهم
فالاتخاذ على هذه القراءة عبارة عن التستر بما أظهروه بالفعل وأما على القراءة الأولى فهي عبارة عن إعدادهم لأيمانهم الكاذبة وتهيئتهم
لها إلى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل فإن ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية
والخيانة واتخاذ الجنة لا بد أن يكون قبل المؤاخذة وعن سببها أيضا كما يعرب عنه الفاء في قوله تعالى فصدوا أي الناس عن سبيل الله في
خلال أمنهم بتثبيط من لقوا عن الدخول في الإسلام وتضعيف أمر المسلمين عندهم فلهم عذاب مهين وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم
وقيل الأول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله أي من عذابه تعالى شيئا من الإغناء روي أن رجلا منهم قال
لننصرن يوم القيمة بأنفسنا وأولادنا وأموالنا أولئك الموصوفون بما ذكر من الصفات القبيحة أصحاب النار أي ملازموها ومقارنوها
هم فيها خالدون لا يخرجون منها أبدا يوم يبعثهم الله جميعا قيل هو ظرف لقوله تعالى لهم عذاب مهين فيحلفون له أي لله
تعالى يومئذ على أنهم مسلمون كما يحلفون لكم في الدنيا ويحسبون في الآخرة أنهم بتلك الأيمان الفاجرة على شيء من جلب منفعة أو دفع
مضرة كما كانوا عليه في الدنيا حيث كانوا يدفعون بها عن أرواحهم وأموالهم ويستجرون بها فوائد دنيوية ألا إنهم هم الكاذبون البالغون
في الكذب إلى غاية لا مطمح وراءها حيث تجاسروا على الكذب بين يدي علام الغيوب وزعموا أن أيمانهم الفاجرة تروج الكذب لديه كما
تروجه عند الغافلين استحوذ عليهم الشيطان أي استولى عليهم من حاذ الإبل إذا استوليت عليها وجمعتها وهو مما جاء على الأصل كاستصوب
واستنوق أي ملكهم فأنساهم ذكر الله بحيث لم يذكروه بقلوبهم ولا بألسنتهم أولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح حزب الشيطان
أي جنوده وأتباعه ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون أي الموصوفون بالخسران الذي لا غاية وراءه حيث فوتوا على أنفسهم النعيم المقيم وأخذوا
بدله العذاب الأليم وفي تصدير الجملة بحرفي التنبيه والتحقيق وإظهار المتضايفين معا في موقع الإضمار بأحد الوجهين وتوسيط ضمير الفصل
من فنون التأكيد ما لا يخفى إن الذين يحادون الله ورسوله استئناف مسوق لتعليل ما قبله من خسران حزب الشيطان عبر عنهم بالموصول للتنبيه بما في حيز الصلة
على أن موادة من حاد الله ورسوله محادة لهما والإشعار بعلية الحكم أولئك بما فعلوا من التولي والموادة في الأذلين أي في جملة من هو
أذل خلق الله تعالى من الأولين والآخرين لأن ذلة أحد المتخاصمين على مقدار عزة الآخر وحيث كانت عزة الله عز وجل غير متناهية كانت ذلة
من يحاده كذلك كتب الله استئناف وارد لتعليل كونهم في الأذلين أي قضى وأثبت في اللوح وحيث جرى ذلك مجرى القسم أجيب

بما

بما يجاب به فقيل لأغلبن أنا ورسلي أي بالحجة والسيف وما يجري مجراه أو بأحدهما ونظيره قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون وقرئ ورسلي بفتح الياء إن الله قوي على نصر أنبيائه عزيز لا يغلب عليه في مراده
لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد وتجد إما متعد إلى اثنين فقوله تعالى يوادون من حاد الله ورسوله
مفعوله الثاني أو إلى واحد فهو حال من مفعوله لتخصصه بالصفة وقيل صفة أخرى له أي قوما جامعين بين الإيمان بالله واليوم الآخر وبين
موادة أعداء الله ورسوله والمراد بنفي الوجدان نفي الموادة على معنى أنه لا ينبغي أن يتحقق ذلك وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال وإن جد
في طلبه كل أحد ولو كانوا أي من حاد الله ورسوله والجمع باعتبار معنى من كما أن الإفراد فيما قبله باعتبار لفظها آباءهم أي آباء الموادين
أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم فإن قضية الإيمان بالله تعالى أن يهجر الجميع بالمرة والكلام في لو قد مر على التفصيل مرارا أولئك إشارة إلى
الذين لا يوادونهم وإن كانوا أقرب الناس إليهم وأمسهم رحما وما فيه من معنى البعد لرفعة درجتهم في الفضل وهو مبتدأ خبره كتب في
قلوبهم الإيمان أي أثبته فيها وفيه دلالة على خروج العمل من مفهوم الإيمان فإن جزء الثابت في القلب ثابت فيه قطعا ولا شيء من أعمال الجوارح يثبت فيه
وأيدهم أي قواهم بروح منه أي من عند الله تعالى وهو نور القلب أو القرآن أو النصر على العدو وقيل الضمير للإيمان لحياة القلوب به
فمن تجريدية وقوله تعالى ويدخلهم إلى آخره بيان لآثار رحمته الأخروية إثر بيان ألطافه الدنيوية أي ويدخلهم في الآخرة جنات تجري من
تحتها الأنهار خالدين فيها أبد الآبدين وقوله تعالى رضي الله عنهم استئناف بياني لاختصاصهم جار مجرى التعليل لما أفاض
عليهم من آثار رحمته العاجلة والآجلة وقوله تعالى ورضوا عنه بيان لابتهاجهم بما أوتوه عاجلا وآجلا وقوله تعالى أولئك حزب الله
تشريف لهم ببيان اختصاصهم به عز وجل وقوله تعالى ألا إن حزب الله هم المفلحون بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة النشأتين
والكلام في تحلية الجملة بفنون التأكيد كما مر في مثلها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة

سورة الحشر

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم مر ما فيه من الكلام في صدر سورة الحديد وقد كرر
الموصول ههنا لزيادة التقرير والتنبيه على استقلال كل من الفريقين بالتسبيح روي أنه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة صالح
بني النضير وهم رهط من اليهود من ذرية هارون عليه السلام نزلوا المدينة في فتن بني إسرائيل انتظارا لبعثة النبي صلى الله عليه وسلم
وعاهدهم أن لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر عليه السلام يوم بدر قالوا هو النبي الذي نعته في التورية ولا ترد له راية فلما كان يوم
أحد ما كان ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الأشرف في أربعين راكبا إلى مكة فحالفوا قريشا عند الكعبة على قتاله عليه السلام فأمر
محمد عليه السلام محمد بن مسلمة الأنصاري فقتل كعبا غيلة وكان أخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب فقال لهم اخرجوا من المدينة
فاستمهلوه عليه السلام عشرة أيام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن أبي المنافق وأصحابه إليهم لا تخرجوا من الحصن فإن قاتلوكم
فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الأزقة وحصنوها فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم إحدى وعشرين ليلة
فلما قذف الله في قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فأبى عليهم إلا الجلاء على أن يحمل كل ثلثة أبيات على
بعير ما شاؤوا من المتاع فجلوا إلى الشام إلى أريحاء وأذرعات إلا أهل بيتين منهم آل أبي الحقيق وآل حيي بن أخطب فإنهم
لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فأنزل الله تعالى سبح لله ما في السموات إلى قوله تعالى والله على كل شيء قدير وقوله تعالى هو
الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم بيان لبعض آثار عزته تعالى وأحكام حكمته إثر وصفه تعالى بالعزة القاهرة والحكمة
الباهرة على الإطلاق والضمير راجع إليه تعالى بذلك العنوان إما بناء على كمال ظهور اتصافه تعالى بهما مع مساعدة تامة من المقام
أو على جعله مستعارا لاسم الإشارة كما في قوله تعالى قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به أي
بذلك وعليه قول رؤبة بن العجاج كأنه في الجلد توليع البهق كما هو المشهور كأنه قيل ذلك المنعوت بالعزة والحكمة الذي أخرج إلى آخره
ففيه إشعار بأن في الإخراج حكمة باهرة وقوله تعالى لأول الحشر أي في أول حشرهم إلى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم أول

اول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء عمر رضي الله عنه اياهم من خيبر الى الشام وقيل آخر حشرهم حشر يوم القيمة لان المحشر يكون بالشام ما ظننتم
ايها المسلمون ان يخرجوا من ديارهم بهذا الذل والهوان لشدة بأسهم وقوة منعتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله اي ظنوا ان
حصونهم تمنعهم او مانعتهم من بأس الله تعالى وتغيير النظم بتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على كمال وثوقهم بحصانة حصونهم
واعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالي معها باحد يتعرض لهم او يطمع في معازتهم ويجوز ان يكون مانعتهم خبرا لان وحصونهم
مرتفعا على الفاعلية فاتاهم الله اي امر الله تعالى وقدره المقدور لهم من حيث لم يحتسبوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن
الاشرف فانه مما اضعف قوتهم وفل شوكتهم وسلب قلوبهم الامن والطمانينة وقيل الضمير في اتاهم ولم يحتسبوا للمؤمنين اي فاتاهم
نصر الله وقرئ فآتاهم اي فآتاهم الله العذاب او النصر وقذف في قلوبهم الرعب اي اثبت فيها الخوف الذي يرعبها اي يملؤها يخربون
بيوتهم بايديهم ليسدوا بما نقضوا منها من الخشب والحجارة افواه الازقة ولئلا يبقى بعد جلائهم مساكن للمسلمين ولينقلوا معهم
بعض آلاتها المرغوب فيها مما يقبل النقل وايدي المؤمنين حيث كانوا يخربونها ازالة لمتحصنهم ومتمنعهم وتوسيعا لمجال القتال ونكاية
لهم واسناد هذا اليهم لما انهم السبب فيه فكانهم كلفوه اياه وامروهم به قيل الجملة حال او تفسير للرعب وقرئ يخربون بالتشديد للتكثير
وقيل الاخراب التعطيل او ترك الشئ خرابا والتخريب النقض والهدم فاعتبروا يا اولي الابصار فاتعظوا بما جرى عليهم من الامور الهائلة
على وجه لا يكاد يهتدي اليه الافكار واتقوا مباشرة ما اداهم اليه من الكفر والمعاصي وانتقلوا من حال الفريقين الى حال انفسكم فلا
تعولوا على تعاضد الاسباب بل توكلوا على الله عز وجل وقد استدل به على حجية القياس كما فصل في موقعه ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء
اي الخروج من اوطانهم على ذلك الوجه الفظيع لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة ولهم في الآخرة عذاب النار استيناف غير متعلق
بجواب لولا جئ به لبيان انهم ان نجوا من عذاب الدنيا بجنابة الجلاء لا نجاة لهم من عذاب الآخرة ذلك اي ما حاق بهم وما سيحيق بهم
بسبب انهم شاقوا الله ورسوله وفعلوا ما فعلوا مما حكي عنهم من القبائح ومن يشاق الله وقرئ يشاقق الله كما في الانفال والاقتصار على ذكر مشاقته
تعالى لتضمنها لمشاقته عليه السلام وليوافق قوله تعالى فان الله شديد العقاب وهو اما نفس الجزاء قد حذف منه العائد الى من عند من يلزمه
اي شديد العقاب له او تعليل للجزاء المحذوف اي يعاقبه الله فان الله شديد العقاب واياما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق
للسببية بالطريق البرهاني كانه قيل ذلك الذي حاق بهم من العقاب عقاب شديد فاذن لهم عقاب شديد ما قطعتم من لينة اي اي شئ قطعتم
العاجل والآجل بسبب مشاقتهم لله تعالى ورسوله وكل من يشاق الله كائنا من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد فاذن لهم عقاب شديد
اي اي شئ قطعتم من نخلة وهي فعلة من اللون وياؤها مقلوبة من واو لكسرة ما قبلها كديمة وتجمع على الوان وقيل من اللين وتجمع على لين
وهي النخلة الكريمة او تركتموها الضمير لما وتانيثه لتفسيره باللينة كما في قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها قائمة على اصولها كما كانت من غير
ان تتعرضوا لها بشئ ما وقرئ على اصلها اما على الاكتفاء من الواو بالضم او على انه جمع كرهن وقرئ قائما على اصوله ذهابا الى لفظ ما فباذن
الله فذاك اي قطعها وتركها بامر الله تعالى وليخزي الفاسقين اي وليذل اليهود ويغيظهم اذن في قطعها وتركها لانهم اذا رأوا المؤمنين
يتحكمون في اموالهم كيف احبوا ويتصرفون فيها حسبما شاؤا من القطع والترك يزدادون غيظا ويتضاعفون حسرة واستدل به على
جواز هدم ديار الكفرة وقطع اشجارهم واحراق زروعهم زيادة لغيظهم وتخصيص اللينة بالقطع ان كانت من الالوان لاستبقاء العجوة
والبرنية اللتين هما كرام النخيل وان كانت هي الكرام ليكون غيظهم اشد وقوله تعالى وما افاء الله على رسوله شروع في بيان حال ما اخذ من اموالهم
بعد بيان ما حل بانفسهم من العذاب العاجل والآجل وما فعل بديارهم ونخيلهم من التخريب والقطع اي ما اعاده اليه من مالهم وفيه اشعار بانه كان
حقيقا بان يكون له عليه السلام وانما وقع في ايديهم بغير حق فرجعه الله تعالى الى مستحقه لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق ليتوسلوا به
الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين منهم اي من بني النضير فما اوجفتم عليه اي فما اجريتم على تحصيله وتغنمه من الوجيف وهو سرعة
السير من خيل ولا ركاب هي ما يركب من الابل خاصة كما ان الراكب عندهم راكبها لا غير واما راكب الفرس فانما يسمونه فارسا ولا واحد لها
من لفظها وانما الواحدة منها راحلة والمعنى ما قطعتم لها شقة بعيدة ولا لقيتم مشقة شديدة ولا قتالا شديدا وذلك لانه كانت قراهم
على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشاة وما كان فيهم راكب الا النبي صلى الله عليه وسلم فافتتحها صلحا من غير ان يجري بينهم مسايفة كانه قيل فما افاء الله

على رسوله منهم فما حصلتموه بكد اليمين وعرق الجبين ولكن الله يسلط رسله على من يشاء اي سنته تعالى جارية على ان يسلطهم على من يشاء من
اعدائهم تسليطا خاصا وقد سلط النبي صلى الله عليه وسلم على هؤلاء تسليطا غير معتاد من غير ان تقتحموا مضايق الخطوب وتقاسوا شدائد الحروب
فلا حق لكم في اموالهم والله على كل شئ قدير فيفعل ما يشاء كما يشاء تارة على الوجوه المعهودة واخرى على غيرها وقوله تعالى فلله وللرسول
ولذي القربى واليتامى والمساكين بيان لمصارف الفئ بعد بيان افاءته عليه السلام من غير ان يكون للمقاتلة فيه حق واعادة عين العبارة الاولى لزيادة
التقرير ووضع اهل القرى موضع ضميرهم للاشعار بشمول ما لعقاراتهم ايضا فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
اختلف في قسمة الفئ قيل تسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله الى عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل تخمس لان ذكر الله للتعظيم ويصرف
الآن سهم الرسول صلى الله عليه وسلم الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه
كالغنيمة فانه صلى الله عليه وسلم كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والآن على الخلاف المذكور كيلا يكون اي الفئ
الذي حقه ان يكون للفقراء الذين يحتفون ويعيشون به دولة بضم الدال وقرئ بفتحها وهي ما يدول للانسان اي يدور من الغناء والجد
والغلبة وقيل الدولة بالفتح من الملك بالضم وبالضم من الملك بكسرها او بالضم في المال وبالفتح في النصرة اي كيلا يكون جدا بين الاغنياء
منكم يتكاثرون به او كيلا يكون دولة جاهلية بينكم فان الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة ويقولون من عز بز وقيل الدولة
بالضم ما يتداول كالغرفة اسم ما يغترف فالمعنى كيلا يكون الفئ شيئا يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة
بالفتح بمعنى التداول فالمعنى كيلا يكون ذا تداول بينهم او كيلا يكون امساكه تداولا بينهم لا يخرجونه الى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على
ان كان تامة اي كيلا يقع دولة على ما فصل من المعاني وما آتاكم الرسول اي ما اعطاكموه من الفئ او من الامر فخذوه فانه حقكم او فتمسكوا به
فانه واجب عليكم وما نهاكم عنه اي عن اخذه او عن تعاطيه فانتهوا عنه واتقوا الله في مخالفته عليه السلام ان الله شديد العقاب
فيعاقب من يخالف امره ونهيه للفقراء المهاجرين بدل من لذي القربى وما عطف عليه فان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء
ذوي القربى خص الابدال بما بعده واما تخصيص اعتبار الفقر بفئ بني النضير فتعسف ظاهر الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم حيث اضطرهم
كفار مكة واحوجوهم الى الخروج وكانوا مائة رجل فخرجوا منها يبتغون فضلا من الله ورضوانا اي طالبين منه تعالى رزقا في الدنيا ومرضاة
في الآخرة وصفوا اولا بما يدل على استحقاقهم للفئ من الاخراج من الديار والاموال وقيد ذلك ثانيا بما يوجب تفخيم شانهم ويؤكده
وينصرون الله ورسوله عطف على يبتغون فهي حال مقدرة اي ناوين لنصرة الله تعالى ورسوله او مقارنة فان خروجهم من بين
الكفار مراغمين لهم مهاجرين الى المدينة نصرة واي نصرة اولئك الموصوفون بما فصل من الصفات الحميدة هم الصادقون الراسخون في الصدق
حيث ظهر ذلك بما وصفوا ظهورا بينا والذين تبوؤا الدار والايمان كلام مستانف مسوق لمدح الانصار بخصال حميدة من جملتها محبتهم
للمهاجرين ورضاهم باختصاص الفئ بهم احسن رضا واكمله ومعنى تبوئهم الدار انهم اتخذوا المدينة والايمان مباءة وتمكنوا فيهما اشد
تمكن على تنزيل الحال منزلة المكان وقيل ضمن التبوء معنى اللزوم وقيل تبوؤا الدار واخلصوا الايمان كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا
وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثاني والمضاف اليه من الاول وعوض منه اللام وقيل سمى المدينة بالايمان
لكونها مظهره ومنشاه من قبلهم اي من قبل هجرة المهاجرين على المعنى الاول ومن قبل تبوء المهاجرين على الآخرين ويجوز ان يجعل اتخاذ الايمان
مباءة ولزومه واخلاصه على المعنى الاول عبارة عن اقامة كافة حقوقه التي من جملتها اظهار عامة شعائره واحكامه ولا ريب في
تقدم الانصار في ذلك على المهاجرين لظهور عجزهم عن اظهار بعضها لا عن اخلاصه قلبا واعتقادا اذ لا يتصور تقدمهم عليهم في ذلك
يحبون من هاجر اليهم خبر للموصول اي يحبونهم من حيث مهاجرتهم اليهم لمحبتهم الايمان ولا يجدون في صدورهم اي في نفوسهم حاجة
اي شيئا محتاجا اليه يقال خذ منه حاجتك اي ما تحتاج اليه وقيل اثر حاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ مما اوتوا اي مما اوتي
المهاجرون من الفئ وغيره ويؤثرون اي يقدمون المهاجرين على انفسهم في كل شئ من اسباب المعاش حتى ان من كان عنده امرأتان
كان ينزل عن احديهما ويزوجها واحدا منهم ولو كان بهم خصاصة اي حاجة وخلة واصلها خصاص البيت وهي فروجه والجملة
في حيز الحال وقد عرفت وجهه مرارا وكان النبي صلى الله عليه وسلم قسم اموال بني النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلثة نفر محتاجين

ما افاء الله على رسوله من اهل القرى

ابو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه
الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم
فيها فنزلت وهذا صريح في ان قوله تعالى والذين تبوؤا الدار الآية مستأنف غير معطوف على الفقراء والمهاجرين نعم يجوز عطفه على اولئك فان
ذلك انما يستدعي شركة الانصار للمهاجرين في الصدق دون الفيء فيكون قوله تعالى يحبون وما عطف عليه استئنافا مقررا لصدقهم او حالا من ضمير تبوؤا
ومن يوق شح نفسه الشح بالضم والكسر وقد قرئ به ايضا اللؤم واضافته الى النفس لانه غريزة فيها مقتضية للحرص على المنع الذي هو
البخل اي من يوق بتوفيق الله تعالى شحها حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق فاولئك اشارة الى من باعتبار معناها
العام المنتظم للمذكورين انتظاما اوليا هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه والجملة اعتراض وارد لمدح الانصار
والثناء عليهم وقرئ يوق بالتشديد والذين جاؤا من بعدهم هم الذين هاجروا بعد ما قوي الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنون
بعد الفريقين الى يوم القيمة ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين واياما كان فالموصول مبتدأ خبره يقولون الى آخره والجملة
مسوقة لمدحهم بمحبتهم لمن تقدمهم من المؤمنين ومراعاتهم لحقوق الاخوة في الدين والسبق بالايمان كما ان ما عطفت عليه من الجملة السابقة لمدح
الانصار اي يدعون لهم ربنا اغفر لنا ولاخواننا اي في الدين الذي هو اعز واشرف من النسب الذين سبقونا بالايمان وصفوهم
بذلك اعترافا بفضلهم ولا تجعل في قلوبنا غلا وقرئ غمرا وهما الحقد للذين آمنوا على الاطلاق ربنا انك رؤف رحيم اي مبالغ
في الرأفة والرحمة فحقيق بان تجيب دعاءنا الم تر الى الذين نافقوا حكاية لما جرى بين الكفرة والمنافقين من الاقوال الكاذبة والاحوال الفاسدة
وتعجيب منها بعد حكاية محاسن احوال المؤمنين واقوالهم على اختلاف طبقاتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له
حظ من الخطاب وقوله تعالى يقولون الى آخره استيناف لبيان المتعجب منه وصيغة المضارع للدلالة على استمرار قولهم او لاستحضار صورته
واللام في قوله تعالى لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب للتبليغ والمراد باخوانهم اما توافقهم في الكفر او صداقتهم وموالاتهم واللام
في قوله تعالى لئن اخرجتم اي من دياركم قسرا موطئة للقسم وقوله تعالى لنخرجن معكم جواب القسم اي والله لئن اخرجتم لنخرجن معكم البتة و
نذهبن في صحبتكم اينما ذهبتم ولا نطيع فيكم اي في شأنكم احدا يمنعنا من الخروج معكم ابدا وان طال الزمان وقيل لا نطيع في قتالكم
او خذلانكم وليس بذاك لان تقدير القتال مترقب بعد ولان وعدهم لهم على ذلك التقدير ليس بمجرد عدم طاعتهم لمن يدعوهم الى قتالهم
بل نصرتهم عليه كما ينطق به قوله تعالى وان قوتلتم لننصرنكم اي لنعاوننكم على عدوكم على ان وعدهم الى خذلان اليهود مما يمكن صدوره عنهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين بحيث يدعوا عدم طاعتهم فيها ضرورة انها لو كانت لكانت عند استعدادهم لنصرتهم واظهار
كفرهم ولا ريب في ان ما يفعله عليه السلام عند ذلك قتلهم لا دعوتهم الى ترك نصرتهم واما الخروج معهم فليس بهذه المرتبة من اظهار الكفر لجواز
ان يدعوا ان خروجهم معهم لما بينهم من الصداقة الدنيوية لا للموافقة في الدين والله يشهد انهم لكاذبون في المواعيد المؤكدة
بالايمان الفاجرة وقوله تعالى لئن اخرجوا لا يخرجون معهم الى آخره تكذيب لهم في كل واحد من اقوالهم على التفصيل بعد تكذيبهم في الكل على
الاجمال ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان الامر كذلك فان ابن ابي واصحابه ارسلوا الى بني النضير ذلك سرا ثم اخلفوهم وفيه حجة
بينة لصحة النبوة واعجاز القرآن ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن الادبار فرارا ثم لا ينصرون اي المنافقون بعد ذلك
اي يهلكهم الله تعالى ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم او ليهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين لانتم اشد رهبة اي اشد مرهوبية
على انها مصدر المبني للمفعول في صدورهم من الله اي رهبتهم منكم في السر اشد مما يظهرونه لكم من رهبة الله تعالى فانهم كانوا يدعون
عندهم رهبة عظيمة من الله تعالى ذلك اي ما ذكر من كون رهبتهم منكم اشد من رهبة الله تعالى بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون اي شيئا
حتى يعلموا عظمة الله تعالى فيخشوه حق خشيته لا يقاتلونكم اي اليهود والمنافقون بمعنى لا يقدرون على قتالكم جميعا اي مجتمعين
متفقين في موطن من المواطن الا في قرى محصنة بالدروب والخنادق او من وراء جدر دون ان يصحروا لكم ويبارزوكم لفرط رهبتهم
وقرئ جدر بالتخفيف وقرئ جدار وجدر وجدر وهما الجدار بأسهم بينهم شديد استيناف مسوق لبيان ان ما ذكر
من رهبتهم ليس لضعفهم وجبنهم في انفسهم فان بأسهم بالنسبة الى اقرانهم شديد وانما ضعفهم وجبنهم بالنسبة اليكم بما قذف الله تعالى في قلوبهم

من الرعب

من الرعب تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى متفرقة لا الفة بينها ذلك بانهم بسبب انهم قوم لا يعقلون شيئا حتى يعرفوا
الحق ويتبعوه وتطمئن قلوبهم وتتحد كلمتهم ويرموا عن قوس واحدة فيقعون في تيه الضلال وتتشتت قلوبهم حسب تشتت طرقهم
وتفرق فنونهم واما ما قيل من ان المعنى لا يعقلون ان تشتت القلوب مما يوهن قواهم فيعزل عن السداد وقوله تعالى كمثل الذين من قبلهم
خبر مبتدأ محذوف تقديره مثلهم اي مثل المذكورين من اليهود والمنافقين كمثل اهل بدر او بني قينقاع على ما قيل من انهم اخرجوا قبل بني النضير
قريبا في زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوقوع الى آخره ذاقوا وبال امرهم اي سوء عاقبة امر كفرهم في الدنيا ولهم في
الآخرة عذاب اليم لا يقادر قدره والمعنى ان حال هؤلاء كحال اولئك في الدنيا والآخرة لكن لا على ان حال كلهم كحالهم بل حال بعضهم الذين
هم اليهود كذلك واما حال المنافقين فهي ما نطق به قوله تعالى كمثل الشيطان فانه خبر ثان للمبتدأ المقدر المبين لحالهم المتضمن لمعنى حال
اخرى لليهود وهي اغترارهم بمقالة المنافقين اولا وخيبتهم آخرا وقد اجمل في النظم الكريم حيث اسند كل من الخبرين الى المقدر المضاف
الى ضمير الفريقين من غير تعيين ما اسند اليه بخصوصه ثقة بان السامع يرد كلا من المثلين الى ما يماثله كانه قيل مثل اليهود في حلول العذاب بهم
كمثل الذين من قبلهم ومثل المنافقين في اغرائهم اياهم على القتال حسبما نقل عنهم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر اي اغراه على
الكفر اغراء الآمر للمأمور على المأمور به فلما كفر قال اني بريء منك وقرئ انا بريء منك ان اريد بالانسان الجنس فهذا التبرؤ
من الشيطان يكون يوم القيمة كما ينبئ عنه قوله تعالى اني اخاف الله رب العالمين وان اريد به ابو جهل فقوله تعالى اكفر عبارة عن
قول ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم وتبرؤه قوله يومئذ اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله
الآية فكان عاقبتهما بالنصب على انه خبر كان واسمها انهما في النار وقرئ بالعكس وقد مر انه اوضح خالدين فيها وقرئ خالدان فيها
على انه خبر ان وفي النار لغو وذلك جزاء الظالمين اي الخلود في النار جزاء الظالمين على الاطلاق دون هؤلاء خاصة يا ايها
الذين آمنوا اتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون ولتنظر نفس ما قدمت لغد اي لاي شيء قدمت من الاعمال ليوم القيمة عبر عنه
بذلك لدنوه او لان الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره لتفخيم وتهويله كانه قيل لغد لا يعرف كنهه لغاية عظمه واما تنكير نفس فلاستقلال
الانفس النواظر فيما قدمن لذلك اليوم الهائل كانه قيل ولتنظر نفس واحدة في ذلك واتقوا الله تكرير للتأكيد والاول في اداء الواجبات
كما يشعر به ما بعده من الامر بالعمل وهذا في ترك المحارم كما يؤذن به الوعيد بقوله تعالى ان الله خبير بما تعملون من المعاصي ولا تكونوا كالذين نسوا الله
اي نسوا حقوقه تعالى وما قدروه حق قدره ولم يراعوا مواجب اوامره ونواهيه حق رعايتها فانساهم بسبب ذلك انفسهم اي جعلهم
ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها او اراهم يوم القيمة من الاهوال ما انساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون
الكاملون في الفسوق لا يستوي اصحاب النار الذين نسوا الله تعالى فاستحقوا الخلود في النار واصحاب الجنة الذين اتقوا الله فاستحقوا
الخلود في الجنة ولعل تقديم اصحاب النار في الذكر للايذان بان القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم
فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب
نقصان الناقص وعليه قوله تعالى هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور الى غير ذلك من المواقع واما قوله تعالى هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة لصلة المفضول والاعدام مسبوقة بملكاتها ولا دلالة في
الآية الكريمة على ان المسلم لا يقتص بالكافر وان الكفار لا يملكون اموال المسلمين بالقهر لان المراد عدم الاستواء في الاحوال الاخروية
كما ينبئ عنه التعبير عن الفريقين بصاحبية النار وصاحبية الجنة وكذا قوله تعالى اصحاب الجنة هم الفائزون فانه استئناف مبين لكيفية عدم
الاستواء بين الفريقين اي هم الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه لو انزلنا هذا القرآن العظيم الشأن المنطوي على فنون القوارع
على جبل من الجبال لرأيته مع كونه علما في القسوة وعدم التأثر مما يصادمه خاشعا متصدعا من خشية الله اي متشققا منها وقرئ مصدعا
بالادغام وهذا تمثيل وتخييل لعلو شأن القرآن وقوة تأثير ما فيه من المواعظ كما ينطق به قوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم
يتفكرون اريد به توبيخ الانسان على قسوة قلبه وعدم تخشعه عند تلاوته وقلة تدبره فيه هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب
والشهادة اي ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقديم الغيب على الشهادة لتقدمه في الوجود

وتعلق العلم القديم بها والمعدوم والموجود والسر والعلانية هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو كرر لإبراز الاعتناء بأمر التوحيد الملك القدوس البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا ما وقرئ بالفتح وهي لغة فيه السلام ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة المؤمن واهب الأمن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من الأمن بقلب همزته هاء العزيز الغالب الجبار الذي جبر خلقه على ما أراد أو جبر حالهم أي أصلحها المتكبر الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة أو نقصانا أو البليغ الكبرياء والعظمة سبحان الله عما يشركون تنزيه له تعالى أو عن إشراكهم به تعالى إثر تعداد صفاته التي لا يمكن أن يشركه تعالى في شيء منها شيء ما أصلا هو الله الخالق المقدر للأشياء على مقتضى حكمته البارئ الموجد لها بريئا من التفاوت وقيل المميز بعضها من بعض بالأشكال المختلفة المصور الموجد لصورها وكيفياتها كما أراد له الأسماء الحسنى لدلالتها على المعاني الحسنة يسبح له ما في السموات والأرض ينطق بتنزيهه عن جميع النقائص تنزها ظاهرا وهو العزيز الحكيم الجامع للكمالات كافة فإنها مع تكثرها وتشعبها راجعة إلى الكمال في القدرة والعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الممتحنة

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء نزلت في خاطب بن بلتعة وذلك أنه لما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزوة الفتح كتب إلى أهل مكة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وأرسله مع سارة مولاة بني المطلب فنزل جبريل عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب خاطب إلى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فإن أبت فاضربوا عنقها فأدركوها ثمة فجحدت فسل علي سيفه فأخرجته من عقاصها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم خاطبا وقال ما حملك على هذا فقال يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش ليس فيهم من يحمي أهلي فأردت أن آخذ عندهم يدا وقد علمت أن كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل عذره تلقون إليهم بالمودة أي توصلون إليهم المودة على أن الباء زائدة كما في قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة أو تلقون إليهم أخبار النبي عليه السلام بسبب المودة التي بينكم وبينهم والجملة إما حال من فاعل لا تتخذوا أو صفة لأولياء وإبراز الضمير في الصفات الجارية على غير من هي له إنما اشترط في الاسم دون الفعل أو استئناف وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من فاعل تلقون وقيل من فاعل لا تتخذوا وقرئ لما جاءكم أي كفروا لأجل ما جاءكم بمعنى جعلوا ما هو سبب الإيمان سببا للكفر يخرجون الرسول وإياكم أي من مكة وهو إما حال من فاعل كفروا أو استئناف مبين لكفرهم وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى أن تؤمنوا بالله ربكم تعليل للإخراج وفيه تغليب المخاطب على الغائب والتفات من التكلم إلى الغيبة للإشعار بما يوجب الإيمان من الألوهية والربوبية إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي متعلق بلا تتخذوا كأنه قيل لا تتولوا أعدائي إن كنتم أوليائي وقوله تعالى تسرون إليهم بالمودة استئناف وارد على نهج العتاب والتوبيخ أي تسرون إليهم المودة وأنا أعلم أي والحال أني أعلم منكم بما أخفيتم وما أعلنتم ومطلع رسولي على ما تسرون فأي طائل لكم في الإسرار وقيل أعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة أو مصدرية وتقديم الإخفاء على الإعلان قد مر وجهه في قوله تعالى ما يسرون وما يعلنون ومن يفعله منكم أي الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل فقد أخطأه طريق الحق والصواب إن يثقفوكم أي إن يظفروا بكم يكونوا لكم أعداء أي يظهروا ما في قلوبهم من العداوة ويرتبوا عليها أحكامها ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء بما يسوؤكم من القتل والأسر والشتم وودوا لو تكفرون أي تمنوا ارتدادكم وصيغة الماضي للإيذان بتحقق ودادتهم قبل أن يثقفوهم أيضا لن تنفعكم أرحامكم قراباتكم ولا أولادكم الذين توالون المشركين لأجلهم وتتقربون إليهم محاماة عليهم يوم القيامة بجلب نفع أو دفع ضر يفصل بينكم استئناف لبيان عدم نفع الأرحام والأولاد يومئذ أي يفرق الله بينكم بما اعتراكم من الهول الموجب لفرار كل منكم من الآخر حسبما نطق به قوله تعالى يوم يفر المرء من أخيه الآية فما لكم ترفضون حق الله تعالى لمراعاة حق من هذا شأنه وقرئ يفصل ويفصل ويفصل مبنيا للمفعول ويفصل ونفصل مبنيا للفاعل وهو الله تعالى ونفصل ونفصل بالنون والله

بما تعملون بصير فيجازيكم به قد كانت لكم أسوة حسنة أي خصلة حميدة حقيقة بأن يؤتسى ويقتدى بها وقوله تعالى في إبراهيم والذين معه أي من أصحابه المؤمنين صفة ثانية لأسوة أو خبر لكان ولكم للبيان أو حال من المستكن في حسنة أو صلة لها لا لأسوة عند من يجوز العمل بالوصف إذ قالوا ظرف لخبر كان لقومهم إنا برآء منكم جمع بريء كظريف وظرفاء وقرئ برآء كظراف وبراء كرخال وبراء على الوصف بالمصدر مبالغة ومما تعبدون من دون الله من الأصنام كفرنا بكم أي بدينكم أو بمعبودكم أو بكم وبه فلا نعتد بشأنكم وبآلهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا أي هذا دأبنا معكم لا نتركه حتى تؤمنوا بالله وحده وتتركوا ما أنتم عليه من الشرك فتنقلب العداوة حينئذ ولاية والبغضاء محبة إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك استثناء من قوله تعالى أسوة حسنة فإن استغفاره عليه السلام لأبيه الكافر وإن كان جائزا عقلا وشرعا لوقوعه قبل تبين أنه من أصحاب الجحيم كما نطق به النص لكنه ليس مما ينبغي أن يؤتسى به أصلا إذ المراد به ما يجب الائتساء به حتما لورود الوعيد على الإعراض عنه بما سيأتي من قوله تعالى ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد فاستثناؤه من الأسوة إنما يفيد عدم وجوب استدعاء الإيمان والمغفرة للكافر المرجو إيمانه وذلك مما لا يرتاب فيه عاقل وأما عدم جوازه فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا هذا وأما تعليل عدم كون استغفاره عليه السلام لأبيه الكافر مما ينبغي أن يؤتسى به بأنه كان قبل النهي لاستغفاره عليه السلام له وأنه عن كونه مؤتسى به لو لم ينه عنه وكلاهما بين البطلان لما أن مورد النهي هو الاستغفار للكافر بعد تبين أمره وقد عرفت أن استغفاره عليه السلام لأبيه كان قبل ذلك قطعا وأن ما يؤتسى به ما يجب الائتساء به لا ما يجوز فعله في الجملة وتجويز أن يكون استغفاره عليه السلام له بعد النهي كما هو المفهوم من ظاهر قوله إلا عن موعدة وعدها إياه مما لا مساغ له أو توجيه الاستثناء إلى العدة بالاستغفار بقوله واغفر لأبي الآية لأنها كانت هي الحاملة له عليه السلام على الاستغفار وتخصيص هذه العدة بالذكر دون ما وقع في سورة مريم من قوله تعالى سأستغفر لك ربي لورودها على طريق التوكيد القسمي وأما جعل الاستغفار دائرا عليها وترتيب التبرؤ على تبين الأمر فقد مر تحقيقه في سورة التوبة وقوله تعالى وما أملك لك من الله من شيء من تمام القول المستثنى محله النصب على أنه حال من فاعل لأستغفرن لك أي أستغفر لك وليس في طاقتي إلا الاستغفار ومورد الاستثناء نفس الاستغفار لا قيده الذي هو في نفسه من خصال الخير إظهارا للعجز وتفويضا للأمر إلى الله تعالى وقوله تعالى ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير إلى آخره من تمام ما نقل عن إبراهيم عليه السلام ومن معه من الأسوة الحسنة وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والإنابة والمصير إلى الله تعالى قالوه بعد المجاهرة وقشر العصا التجاء إلى الله عز وجل في جميع أمورهم لا سيما في مدافعة الكفرة وكفاية شرورهم كما ينطق به قوله تعالى ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بأن تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نطيقه واغفر لنا ما فرط منا من الذنوب ربنا إنك أنت العزيز الغالب الذي لا يذل من التجأ إليه ولا يخيب رجاء من توكل عليه الحكيم الذي لا يفعل إلا ما فيه حكمة بالغة وتكرير النداء للمبالغة في التضرع والجؤار هذا وأما جعل الآيتين تلقينا للمؤمنين من جهته تعالى وأمرا لهم بأن يتوكلوا وينيبوا إليه ويستعيذوا به من فتنة الكفرة ويستغفروا مما فرط منهم تكملة لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفرة فلا يساعده النظم الكريم لقد كان لكم فيهم أي في إبراهيم ومن معه أسوة حسنة تكرير للمبالغة في الحث على الاقتداء بالأنبياء عليهم السلام ولذلك صدر بالقسم وقوله تعالى لمن كان يرجو الله واليوم الآخر بدل من لكم فائدته الإيذان بأن من يؤمن بالله واليوم الآخر لا يترك الاقتداء بهم وأن تركه من مخائل عدم الإيمان بهما كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد فإنه مما يوعد بأمثاله الكفرة عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم أي من أقاربكم المشركين مودة بأن يوافقوكم في الدين ووعدهم الله تعالى بذلك لما رأى منهم من التصلب في الدين والتشدد في معاداة آبائهم وأبنائهم وسائر أقاربهم ومقاطعتهم إياهم بالكلية تطييبا لقلوبهم ولقد أنجز وعده الكريم حين أتاح لهم الفتح فأسلم قومهم فتم بينهم التحاب والتصافي والله قدير أي مبالغ في القدرة فيقدر على تقليب القلوب وتغيير الأحوال وتسهيل أسباب المودة والله غفور رحيم فيغفر لمن أسلم من المشركين ويرحمهم وقيل غفور لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أي لا ينهاكم عن البر بهؤلاء فإن قوله تعالى أن تبروهم بدل من الموصول وتقسطوا إليهم أي تقضوا إليهم بالقسط أي العدل إن الله يحب المقسطين أي العادلين روي أن قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه بهدايا

فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وقيل المراد
بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه **انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين
واخرجوكم من دياركم** وهم عتاة اهل مكة **وظاهروا على اخراجكم** وهم سائر اهلها **ان تولوهم** بدل اشتمال من الموصول اي انما ينهاكم عن ان
تتولوهم **ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون** لوضعهم الولاية في موضع العداوة وهم الظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب
يا ايها الذين آمنوا بيان لحكم من يظهر الايمان بعد بيان حكم فريقي الكافرين **اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات** من بين الكفار **فامتحنوهن**
فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن للسانهن في الايمان يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول للتي يمتحنها
بالله الذي لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة عن ارض بالله ما خرجت الا حبا لله ورسوله **الله اعلم
بايمانهن** لان المطلع على ما في قلوبهن والجملة اعتراض **فان علمتموهن** بعد الامتحان **مؤمنات** علما يمكنكم تحصيله وتبلغه طاقتكم بعد الظن
الذي هو من الاسناد لا بالعلائم والدلائل الاسترشاد بالامارات والمخايل وهو الظن الغالب وتسميته علما للايذان بانه جار مجرى العلم في وجوب
العمل به **فلا ترجعوهن الى الكفار** اي الى ازواجهن الكفرة لقوله تعالى **لا هن حل لهم ولا هم يحلون
لهن** فانه تعليل للنهي عن رجعهن اليهم والتكرير اما لتأكيد الحرمة او لان الاول لبيان زوال النكاح والثاني لبيان امتناع النكاح
الجديد **وآتوهم ما انفقوا** اي واعطوا ازواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك لان صلح الحديبية كان على ان من جاءنا منكم
رددناه فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية فاقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي
ابن الراهب فقال يا محمد اردد علي زوجتي فانك قد شرطت ان ترد علينا من اتاك منا فنزلت لبيان ان الشرط انما كان في الرجال دون
النساء فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر رضي الله عنه **ولا جناح عليكم
ان تنكحوهن** فان اسلامهن حال بينهن وبين ازواجهن الكفار **اذا آتيتموهن اجورهن** شرط ايتاء المهر في نكاحهن ايذانا بان ما اعطى
ازواجهن لا يقوم مقام المهر **ولا تمسكوا بعصم الكوافر** جمع عصمة وهي ما يعتصم به من عقد وسبب ان لا يكون بينكم وبين المشركات
عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين
قطع عصمتها منه وعن النخعي رحمه الله تعالى هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد امرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن
وقرئ لا تمسكوا بالتشديد ولا تمسكوا بحذف احدى التاءين من تتمسكوا **واسألوا ما انفقتم** من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار
وليسألوا ما انفقوا من مهور ازواجهم المهاجرات **ذلكم حكم الله** اي الذي ذكر في الآية **يحكم بينكم** كلام مستأنف او حال من حكم الله على حذف العائد
اي يحكمه الله او جعل الحكم حاكما على المبالغة **والله عليم حكيم** يشرع ما تقتضيه الحكمة البالغة روي انه لما نزلت الآية ادى المؤمنون
ما امروا به من مهور المهاجرات الى ازواجهن المشركين وابى المشركون ان يؤدوا شيئا من مهور الكوافر الى ازواجهن المسلمين فنزل قوله
تعالى **وان فاتكم** وان سبقكم وانفلت **شيء من ازواجكم الى الكفار** اي احد من ازواجكم وقد قرئ كذلك وايقاع شيء موقعه للتحقير
والاشباع في التعميم او شيء من مهور ازواجكم **فعاقبتم** اي فجاءت عقبتكم اي نوبتكم من اداء المهر شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من
اداء هؤلاء مهور نساء اولئك واولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره **فآتوا الذين ذهبت
ازواجهم مثل ما انفقوا** من مهر المهاجرات اللاتي تزوجتموهن ولا تؤتوه ازواجهن الكفار وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى
هي الغنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة وقرئ فاعقبتم وعقبتم بالتخفيف وفتح القاف وبكسرها قيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين
ست نسوة ام الحكم بنت ابي سفيان وفاطمة بنت امية وبروع بنت عقبة وعبدة بنت عبد العزى وهند بنت ابي جهل وكلثوم بنت جرول **واتقوا
الله الذي انتم به مؤمنون** فان الايمان به يقتضي التقوى منه تعالى **يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك** اي مبايعات لك اي قاصدات
للمبايعة نزلت يوم الفتح فانه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال شرع في بيعة النساء **على ان لا يشركن بالله شيئا** اي شيئا من الاشياء او شيئا من الاشراك
ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن اريد به وأد البنات وقرئ ولا يقتلن بالتشديد **ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن
وارجلهن** كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك كنى عنه بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها لان بطنها الذي تحمله فيه

بين يديها ومخرجه بين رجليها **ولا يعصينك في معروف** اي فيما تأمرهن به من معروف وتنهاهن عنه من منكر والتقييد بالمعروف مع ان الرسول
صلى الله عليه وسلم لا يأمر الا به للتنبيه على انه لا يجوز طاعة المخلوق في معصية الخالق وتخصيص الامور المعدودة بالذكر في حقهن لكثرة وقوعها
فيما بينهم مع اختصاص بعضها بهن **فبايعهن** اي على ما ذكر وما لم يذكر لوضوح امره وظهور اصالته في المبايعة من الصلوة والزكوة وسائر
اركان الدين وشعائر الاسلام وتقييد مبايعتهن بما ذكر من مجيئهن لحثهن على المسارعة اليها مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة لهن اليها
واستغفر لهن الله زيادة على ما في ضمن المبايعة فانها عبارة عن ضمان الثواب من قبله عليه السلام بمقابلة الوفاء بالامور المذكورة
من قبلهن **ان الله غفور رحيم** اي مبالغ في المغفرة والرحمة فيغفر لهن ويرحمهن اذا وفين بما بايعن عليه واختلف في كيفية
مبايعته عليه السلام لهن يومئذ فروي انه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا ومعه عمر اسفل منه فجعل عليه السلام
يشترط عليهن البيعة وعمر يصافحهن وروي انه كلف امرأة وقفت على الصفا فبايعتهن وقيل دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم
غمس ايديهن وروي انه عليه السلام بايعهن وبين يديه وايديهن ثوب قطري والاظهر الاشهر ما قالت عائشة رضي الله عنها
والله ما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على النساء قط الا بما امر الله تعالى وما مست كف رسول الله كف امرأة قط وكان يقول
اذا اخذ عليهن قد بايعتكن كلاما وكان المؤمنات اذا هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحنهن بقول الله عز وجل يا ايها النبي
اذا جاءك المؤمنات الى آخره فاذا اقررن بذلك من قولهن قال انطلقن فقد بايعتكن **يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله
عليهم** يعم عامة الكفرة وقيل اليهود لما روي انها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم **قد يئسوا
من الآخرة** لكفرهم بها او لعلمهم بانه لا خلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التورية المؤيد بالآيات **كما يئس الكفار من اصحاب القبور**
اي كما يئس منها الذين ماتوا منهم لانهم وقفوا على حقيقة الحال وشاهدوا حرمانهم من نعيمها المقيم وابتلاءهم بعذابهم الاليم والمراد
وصفهم بكمال اليأس منها وقيل كما يئسوا من موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا الى الدنيا احياء والاظهار في موضع الاضمار للاشعار بعلة
يأسهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيمة صدق رسول الله

سورة الصف

بسم الله الرحمن الرحيم **سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم** الكلام فيه كالذي مر في نظيره **يا ايها
الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون** روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا
فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت وما قيل من ان النزل قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيل الله صفا بين الاختلال وروي انهم
قالوا يا رسول الله لو نعلم احب الاعمال الى الله تعالى لسارعنا اليه فنزلت هل ادلكم على تجارة الى آخره وهو قوله تعالى وتجاهدون في سبيل الله
باموالكم وانفسكم فولوا يوم احد وفيه التزام ان ترتيب الآيات الكريمة ليس على ترتيب النزول وقيل لما اخبر الله تعالى بثواب
شهداء بدر قالت الصحابة اللهم اشهد لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد فنزلت وقيل نزلت فيمن يتمدح كاذبا
حيث كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وهكذا وقيل كان رجل قد آذى المسلمين يوم بدر ونكى فيهم فقتله
صهيب وانتحل قتله آخر فنزلت في المنتحل وقيل نزلت في المنافقين ونداؤهم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم وليس بذاك كما
ستعرفه ولم مركبة من اللام الجارة وما الاستفهامية قد حذفت الفها تخفيفا لكثرة استعمالهما معا كما في عم وفيم ونظائرهما
معناها لاي شيء تقولون نفعل ما لا تفعلونه من الخير والمعروف على ان مدار التوبيخ والتعيير في الحقيقة عدم فعلهم وانما وجها
الى قولهم تنبيها على تضاعف معصيتهم ببيان ان المنكر ليس ترك الخير الموعود فقط بل الوعد به ايضا وقد كان يحسبونه
معروفا ولو قيل لم لا تفعلون ما تقولون لفهم منه ان المنكر هو ترك الموعود **كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون** بيان لغاية
قبح ما فعلوه وفرط سماجته وكبر من باب نعم وبئس فيه ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده وان تقولوا هو المخصوص بالذم قيل
قصد فيه التعجب عن لفظه واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على التفسير دلالة على ان قولهم ما لا تفعلون مقت خالص لا شوب

فيه كبر عنده من يحقره دونه كل عظيم وقوله تعالى إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا بيان لما هو مرضي عنده تعالى بعد بيان
ما هو ممقوت عنده وهذا صريح في أن ما قالوه عبارة عن الوعد بالقتال لا عما نقوله المتمدح وانتحله المنتحل وادعاه المنافق
وأن مناط التعيير والتوبيخ هو إخلافهم لا وعدهم كما أشير إليه وقرئ يقاتَلون بالفتح للتاء ويقتّلون وصفا مصدر وقع موقع الفاعل
أو المفعول ونصبه على الحالية من فاعل يقاتلون أي صافين أنفسهم أو مصفوفين وقوله تعالى كأنهم بنيان مرصوص حال من المستكن
في الحال الأولى أي مشبهين في تراصهم من غير فرجة وخلل ببنيان رص بعضه إلى بعض ورصف حتى صار شيئا واحدا وقوله تعالى
وإذ قال موسى لقومه كلام مستأنف مقرر لما قبله من شناعة ترك القتال وإذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم
بطريق التلوين أي واذكر لهؤلاء المعرضين عن القتال وقت قول موسى لبني إسرائيل حين ندبهم إلى قتال الجبابرة بقوله يا قوم ادخلوا
الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين فلم يمتثلوا أمره ولم يعتملوا به وعصوه أشد عصيان حيث
قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون إلى قوله تعالى فاذهب أنت وربك فقاتلا
إنا ههنا قاعدون وأصروا على ذلك وآذوه عليه السلام كل الأذية يا قوم لم تؤذونني أي بالمخالفة والعصيان وقد تعلمون أني رسول الله
إليكم جملة حالية مؤكدة لإنكار الإيذاء ونفي سببه وقد لتحقيق العلم وصيغة المضارع للدلالة على استمراره أي والحال أنكم تعلمون علما
قطعيا مستمرا بمشاهدة ما ظهر بيدي من المعجزات القاهرة التي معظمها إهلاك عدوكم وإنجاؤكم من ملكته أني رسول الله إليكم لأرشدكم إلى خيري
الدنيا والآخرة ومن قضية علمكم بذلك أن تبالغوا في تعظيمي وتسارعوا إلى طاعتي فلما زاغوا أي أصروا على الزيغ عن الحق الذي جاء به
موسى عليه السلام واستمروا عليه أزاغ الله قلوبهم أي صرفها عن قبول الحق والميل إلى الصواب بصرف اختيارهم نحو الغي والضلال وقوله تعالى
والله لا يهدي القوم الفاسقين اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله من الإزاغة ومؤذن بعلته أي لا يهدي القوم الخارجين عن الطاعة
ومنهاج الحق المصرين على الغواية هداية إلى البغية لا هداية موصلة إلى ما يوصل إليها فإنها شاملة للكل والمراد بهم إما المذكورون خاصة
والإظهار في موقع الإضمار لذمهم بالفسق وتعليل عدم الهداية به أو جنس الفاسقين وهم داخلون في حكمهم دخولا أوليا وأيا ما كان
فوصفهم بالفسق ناظر إلى ما في قوله تعالى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين وقوله تعالى فلا تأس على القوم الفاسقين وهذا هو الذي يقتضيه
جزالة النظم الكريم ويرتضيه الذوق السليم وأما ما قيل بصدد بيان أسباب الأذية من أنهم كانوا يؤذونه عليه السلام بأنواع الأذى من انتقاصه
وعيبه في نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما تعود إليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذي هو تضييع حق الله
تعالى وحقه فمما لا تعلق له بالمقام وقوله تعالى وإذ قال عيسى بن مريم إما معطوف على الأولى معمول لعاملها وإما معمول لمضمر معطوف على عاملها
يا بني إسرائيل ناداهم بذلك استمالة لقلوبهم إلى تصديقه في قوله تعالى إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة فإن تصديقه
عليه السلام إياها من أقوى الدواعي إلى تصديقهم إياه وقوله تعالى ومبشرا برسول يأتي من بعدي فإن تصديقه عليه السلام مثله معطوف على
مصدقا داع إلى تصديقه عليه السلام مثله من حيث إن البشارة به واقعة في التوراة والعامل فيهما ما في الرسول من معنى الإرسال لا الجار
فإنه صلة للرسول والصلات بمعزل من تضمن معنى الفعل وعليه يدور العمل أي أرسلت إليكم حال كوني مصدقا لما تقدمني من التوراة ومبشرا بمن
يأتي من بعدي من رسول اسمه أحمد أي محمد صلى الله عليه وسلم يريد أن ديني التصديق بكتب الله تعالى وأنبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر وقرئ من
بعدي بفتح الياء فلما جاءهم بالبينات أي بالمعجزات الظاهرة قالوا هذا سحر مبين مشيرين إلى ما جاء به وإليه عليه السلام وتسميته سحرا للمبالغة
ويؤيده قراءة من قرأ هذا ساحر ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام أي أي الناس أشد ظلما ممن يدعى إلى الإسلام الذي
يوصله إلى سعادة الدارين فيضع موضع الإجابة الافتراء على الله عز وجل بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده إلى الحق هذا سحر أي هو أظلم من
كل ظالم وإن لم يتعرض ظاهر الكلام لنفي المساوي وقد مر بيانه غير مرة وقرئ يدّعي يقال دعاه وادّعاه مثل لمسه والتمسه والله لا يهدي
القوم الظالمين أي لا يرشدهم إلى ما فيه فلاحهم لعدم توجههم إليه يريدون ليطفئوا نور الله أي يريدون أن يطفئوا نور الله دينه
أو كتابه أو حجته النيرة واللام مزيدة لما فيها من معنى الإرادة تأكيدا لها كما زيدت لما فيها من معنى الإضافة تأكيدا لها في لا أبا لك أو يريدون الافتراء
ليطفئوا نور الله والله متم نوره أي مبلغه إلى غايته بنشره في الآفاق وإعلائه وقرئ متمٌّ نورَه بالإضافة ولو كره الكافرون أي إرغاما لهم

والجملة

والجملة في حيز الحال على ما بين مرارا هو الذي أرسل رسوله بالهدى بالقرآن أو بالمعجزة ودين الحق والملة الحنيفية ليظهره على الدين
كله ليغلبه على الأديان جميعها المخالفة له ولقد أنجز الله تعالى وعده عز وعلا حيث جعله بحيث لم يبق دين من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور
بدين الإسلام ولو كره المشركون ذلك وقرئ هو الذي أرسل نبيه يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم
استئناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله كأنهم قالوا كيف نعمل أو ما نصنع فقيل تؤمنون بالله إلى آخره وهو خبر في معنى الأمر جيء به للإيذان بوجوب
الامتثال فكأنه قد وقع فأخبر بوقوعه ويؤيده قراءة من قرأ آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا وقرئ تؤمنوا وتجاهدوا على إضمار لام الأمر
ذلكم إشارة إلى ما ذكر من الإيمان والجهاد بقسميه وما فيه من معنى البعد لما مر سره غير مرة خير لكم على الإطلاق أو من أموالكم وأنفسكم
إن كنتم تعلمون أي إن كنتم من أهل العلم فإن الجهلة لا يعتد بأفعالهم أو إن كنتم تعلمون أنه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لأنكم إذا علمتم ذلك
واعتقدتموه أحببتم الإيمان والجهاد فوق ما تحبون أنفسكم وأموالكم فتخلصون وتفلحون يغفر لكم ذنوبكم جواب للأمر المدلول
عليه بلفظ الخبر أو لشرط أو استفهام دل عليه الكلام تقديره إن تؤمنوا وتجاهدوا أو هل تقبلون أن أدلكم يغفر لكم وجعله جوابا
لهل أدلكم بعيد لأن مجرد الدلالة لا توجب المغفرة ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك
أي ما ذكر من المغفرة وإدخال الجنة الموصوفة بما ذكر من الأوصاف الجليلة الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وأخرى ولكم إلى هذه
النعم العظيمة نعمة أخرى عاجلة تحبونها وترغبون فيها وفيه تعريض بأنهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل أخرى منصوبة بإضمار يعطكم
أو تحبون وهي مبتدأ خبره نصر من الله وهو على الأول بدل أو بيان وعلى تقدير النصب خبر مبتدأ محذوف وفتح قريب أي عاجل
عطف على نصر على الوجوه المذكورة وقرئ نصرا وفتحا قريبا على الاختصاص أو على المصدر أي تنصرون نصرا ويفتح لكم فتحا أو على البدل
من أخرى على تقدير نصبها أي يعطكم نعمة أخرى نصرا وفتحا وبشر المؤمنين عطف على محذوف مثل قل يا أيها الذين آمنوا وبشر أو على
تؤمنون فإنه في معنى آمنوا كأنه قيل آمنوا وجاهدوا أيها المؤمنون وبشرهم يا أيها الرسول بما وعدتهم على ذلك عاجلا وآجلا يا
أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله وقرئ أنصارا لله بلا إضافة لأن المعنى كونوا بعض أنصار الله وقرئ كونوا أنتم أنصار الله
كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله أي من جندي متوجها إلى نصرة الله كما يقتضيه قوله تعالى قال الحواريون نحن أنصار الله
والإضافة الأولى إضافة أحد المتشاركين إلى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية إضافة الفاعل إلى المفعول والتشبيه باعتبار
المعنى أي كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصاره حين قال لهم عيسى من أنصاري إلى الله أو قل لهم كونوا كما قال عيسى للحواريين
والحواريون أصفياؤه وهم أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا فآمنت طائفة من بني إسرائيل أي بعيسى وأطاعوه فيما أمرهم
به من نصرة الدين وكفرت طائفة أخرى به وقاتلوه فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم أي قويناهم بالحجة أو بالسيف وذلك بعد
رفع عيسى عليه السلام فأصبحوا ظاهرين غالبين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى عليه السلام
مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه صدق رسول الله وصدق حبيب الله وسائر الأنبياء وعليهم أجمعين

سورة الجمعة

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الأرض تسبيحا مستمرا الملك القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ
الصفات الأربع بالرفع على المدح هو الذي بعث في الأميين أي في العرب لأن أكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤون قيل بدئت الكتابة بالطائف
أخذوها من أهل الحيرة وهم من أهل الأنبار رسولا منهم أي كائنا من جملتهم أميا مثلهم يتلو عليهم آياته مع كونه أميا مثلهم لم يعهد
منه قراءة ولا تعلم ويزكيهم صفة أخرى لرسولا مترتبة في الوجود على التلاوة وإنما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة
معطوفة على يتلو أي يحملهم على ما يصيرون به أزكياء من خبائث العقائد والأعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة صفة أخرى
لرسولا مترتبة في الوجود على التلاوة وإنما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة تكميل النفس بحسب قوتها العملية وتهذيبها المتفرع
على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصلة بالتعليم المترتبة على التلاوة للإيذان بأن كلا من الأمور المترتبة نعمة جليلة على حيالها

متوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة واحدة كما مر في سورة البقرة وهو السر في التعبير عن القرآن تارة
بالآيات واخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما في تضاعيف الاحاديث النبوية من الاحكام
والشرائع وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة افتقارهم الى من يرشدهم وازاحة لما عسى يتوهم من
تعلمه عليه السلام من الغير وان هي المخففة واللام هي الفارقة وآخرين منهم عطف على الاميين او على المنصوب في يعلمهم اى يعلمهم ويعلم آخرين
منهم اى من الاميين وهم الذين جاؤا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته عليه السلام وتعليمه يعم الجميع لما يلحقوا بهم صفة لآخرين اى لم
يلحقوا بهم بعد وسيلحقون وهو العزيز الحكيم المبالغ في العزة والحكمة ولذلك مكن رجلا اميا من ذلك الامر العظيم واصطفاه من
بين كافة البشر ذلك الذى امتاز به من بين سائر الافراد فضل الله يؤتيه من يشاء تفضلا وعطية والله ذو الفضل العظيم الذى
يستحقر دونه نعم الدنيا ونعم الآخرة مثل الذين حملوا التورية اى علموها وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها اى لم يعملوا بما في تضاعيفها
من الآيات التي من جملتها الآيات الناطقة بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كمثل الحمار يحمل اسفارا اى كتبا من العلم يتعب بحملها ولا
ينتفع بها ويحمل اما حال والعامل فيها معنى المثل او صفة للحمار اذ ليس المراد به معينا فهو في حكم النكرة كما في قول من قال ولقد امر على اللئيم
يسبني بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله اى بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله على ان التمييز محذوف والفاعل المفسر به مستتر
ومثل القوم هو المخصوص بالذم والموصول صفة للقوم او بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا الآية على ان مثل القوم فاعل بئس والمخصوص بالذم
الموصول بحذف المضاف او بئس مثل القوم المكذبين مثل هؤلاء على ان الموصول صفة القوم والمخصوص بالذم محذوف وهم اليهود الذين كذبوا بما في
التورية من الآيات الشاهدة بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والله لا يهدي القوم الظالمين الواضعين للتكذيب في موضع التصديق او
الظالمين لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد قل يا ايها الذين هادوا اى تهودوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس كانوا يقولون نحن
ابناء الله واحباؤه ويدعون ان الدار الآخرة لهم عند الله ويقولون لن يدخل الجنة الا من كان هودا فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يقول
لهم اظهارا لكذبهم ان زعمتم ذلك فتمنوا الموت اى فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى دار الكرامة ان كنتم صادقين جوابه محذوف
لدلالة ما قبله عليه اى ان كنتم صادقين في زعمكم واثقين بانه حق فتمنوا الموت فان من ايقن بانه من اهل الجنة فليتخلص اليها من هذه الدار التي هي قرارة
الاكدار ولا يتمنونه ابدا اخبار بما سيكون منهم والباء في قوله تعالى بما قدمت ايديهم متعلقة بما يدل عليه النفي اى يأبون التمني بسبب ما عملوا من الكفر
والمعاصي الموجبة لدخول النار ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناط عامة افاعيله عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة والله عليم بالظالمين
اى بهم وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بانهم ظالمون في كل ما يأتون وما يذرون من الامور التي من جملتها ادعاء ما هم عنه
بمعزل والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه اى عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي المفضية الى افانين العذاب وبما سيكون منهم
من الاحتراز عما يؤدي الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم موته احد كما يعرب عنه قوله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فان ذلك انما
يقال لهم بعد ظهور فرارهم من التمني وقد قال عليه السلام لو تمنوا الماتوا من ساعتهم وهذه احدى المعجزات اى ان الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون
على ان تتمنوه مخافة ان تؤخذوا بوبال كفركم فانه ملاقيكم البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف
وقرئ بدونها وقرئ تفرون منه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة الذي لا تخفى عليه خافية فينبئكم بما كنتم تعملون من الكفر والمعاصي
بان يجازيكم بها يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة اى فعل النداء لها اى اذن من يوم الجمعة بيان لاذا وتفسير لها وقيل من بمعنى في كما في
قوله تعالى اروني ماذا خلقوا من الارض اى في الارض وانما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلوة وقيل اول من سماها جمعة كعب بن لؤي وكانت
العرب تسميه العروبة وقيل ان الانصار قالوا قبل الهجرة لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا
نجمع فيه فنذكر الله فيه ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين
فذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل الله آية الجمعة فهي اول جمعة كانت في الاسلام واما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهي انه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على بني عمرو بن عوف فاقام بها يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم
الجمعة عامدا المدينة فادركته صلوة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة فاسعوا الى ذكر الله اى امشوا واقصدوا الى الخطبة

والصلوة وذروا البيع واتركوا المعاملة ذلكم اى السعي الى ذكر الله وترك البيع خير لكم من مباشرته فان نفع الآخرة اجل وابقى ان كنتم تعلمون
اى الخير والشر الحقيقيين او ان كنتم من اهل العلم فاذا قضيت الصلوة اى اديت وفرغ منها فانتشروا في الارض لاقامة مصالحكم وابتغوا
من فضل الله اى الربح فالامر للاطلاق بعد الحظر وعن ابن عباس رضي الله عنه لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز
وزيارة اخ في الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلوة التطوع واذكروا الله كثيرا ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا ولا تخصوا
ذكره تعالى بالصلوة لعلكم تفلحون كي تفوزوا بخير الدارين واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها روي ان اهل المدينة اصابهم
جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشية ان
يسبقوا اليه فما بقي عليه السلام الا ثمانية وقيل احد عشر وقيل اثنا عشر وقيل اربعون فقال عليه السلام والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا
لاضرم الله عليهم الوادي نارا وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق وهو المراد باللهو حينئذ وتخصيص التجارة برجع الضمير
لانها المقصودة او لان الانفضاض للتجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما فما ظنك بالانفضاض الى اللهو وهو مذموم في نفسه
وقيل تقديره اذا رأوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف الثاني لدلالة الاول عليه وقرئ اليهما وتركوك قائما اى على
المنبر قل ما عند الله من الثواب خير من اللهو ومن التجارة فان ذلك نفع محقق مخلد بخلاف ما فيهما من النفع المتوهم والله خير الرازقين
فاليه اسعوا ومنه اطلبوا الرزق وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم
يأتها في امصار المسلمين صدق رسول الله وصدق حبيب الله

سورة المنافقين

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون اى حضروا مجلسك قالوا نشهد انك لرسول الله مؤكدين كلامهم بان
واللام للايذان بان شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلوص اعتقادهم ووفور رغبتهم ونشاطهم وقوله تعالى والله يعلم
انك لرسوله اعتراض مقرر لمنطوق كلامهم وسط بينه وبين قوله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون تحقيقا وتعيينا
لما نيط به التكذيب من المنطوق كلامهم اى والله يشهد انهم لكاذبون فيما ضمنوا مقالتهم من انها صادرة عن اعتقاد وطمأنينة
قلب والاظهار في موقع الاضمار لذمهم والاشعار بعلة الحكم اتخذوا ايمانهم الفاجرة التي من جملتها ما حكي عنهم جنة اى وقاية عما
يتوجه اليهم من المؤاخذة بالقتل والسبي او غير ذلك واتخاذها جنة عبارة عن اعدادهم وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها
ويتخلصوا عن المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل فان ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية واتخاذ الجنة لا بد ان يكون
قبل المؤاخذة وعن سببها ايضا كما يفصح عنه الفاء في قوله تعالى فصدوا عن سبيل الله اى فصدوا من اراد الدخول في الاسلام بانه
عليه السلام ليس برسول ومن اراد الانفاق في سبيل الله بالنهي عنه كما سيحكي عنهم ولا ريب في ان هذا الصد منهم متقدم على حلفهم
بالفعل وقرئ ايمانهم اى ما اظهروه على السنتهم فاتخاذه جنة عبارة عن استعماله بالفعل فانه وقاية دون دمائهم واموالهم
فمعنى قوله تعالى فصدوا فاستمروا على ما كانوا عليه من الصد والاعراض عن سبيله تعالى انهم ساء ما كانوا يعملون من النفاق
والصد وفي ساء معنى التعجب وتعظيم امرهم عند السامعين ذلك اشارة الى ما تقدم من القول الناعي عليهم انهم اسوأ الناس
اعمالا او الى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستتار بالايمان الصوري وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد
بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الشر بانهم اى بسبب انهم آمنوا اى نطقوا بكلمة الشهادة كسائر من يدخل في الاسلام
ثم كفروا اى ظهر كفرهم بما شوهد منهم من شواهد الكفر ودلائله او نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم
فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واطمأنوا به وقرئ على البناء للفاعل وقرئ وطبع الله فهم لا يفقهون حقيقة الايمان
ولا يعرفون حقيقته اصلا واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم لضخامتها ويروقك منظرهم لصباحة وجوههم وان يقولوا تسمع لقولهم
لفصاحتهم وذلاقة السنتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابي جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من
امثاله وهم رؤساء المدينة وكان عليه السلام ومن معه يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم وقيل الخطاب لكل احد ممن

يصلح للخطاب ويؤيده قراءة يُسمع على البناء للمفعول وقوله تعالى **كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ** في حيز الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او كلام مستأنف لا محل له شبهوا في جلوسهم في مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم مستندين فيها بخشب منصوبة مسندة الى الحائط في كونهم اشباحا خالية عن العلم والخير وقرئ خُشْب على انه جمع خشبة كبُدْن جمع بَدَنة وقيل هو جمع خشباء وهي الخشبة التي نُخِر جوفها اي فسد شبهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم وقرئ خَشَب كمدرة ومدر **يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ** اي واقعة عليهم ضارة لهم لجبنهم واستقرار الرعب في قلوبهم وقيل كانوا على وجل من ان ينزل الله فيهم ما يهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم **هُمُ الْعَدُوُّ** اي هم الكاملون في العداوة الراسخون فيها فان اعدى الاعادي العدو المكاشر الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي والجملة مستأنفة وجعلها مفعولا ثانيا للحسبان مما لا يساعده النظم الكريم اصلا فان الفاء في قوله تعالى **فَاحْذَرْهُمْ** لترتيب الامر بالحذر على كونهم اعدى الاعادي **قَاتَلَهُمُ اللَّهُ** دعاء عليهم وطلب من ذاته تعالى ان يلعنهم ويخزيهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك وقوله تعالى **أَنَّى يُؤْفَكُونَ** تعجيب من حالهم اي كيف يصرفون عن الحق الى ما هم عليه من الكفر والضلال **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ** عند ظهور جناياتهم بطريق النصيحة **تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ** اي عطفوها استكبارا **وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ** يعرضون عن القائل او عن الاستغفار **وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ** عن ذلك **سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ** كما اذا جاؤك معتذرين من جناياتهم وقرئ استغفرت بحذف حرف الاستفهام لا بقلب همزة الوصل **أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ** كما اذا اصروا على قبائحهم واستكبروا عن الاعتذار والاستغفار **لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ أَبَدًا** لاصرارهم على الفسق ورسوخهم في الكفر **إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** الكاملين في الفسق الخارجين عن دائرة الاستصلاح المنهمكين في الكفر والنفاق والمراد اياهم باعيانهم والاظهار في موقع الاضمار لبيان غلوهم في الفسق والجنس وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا وقوله تعالى **هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ** اي للانصار **لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا** يعنون فقراء المهاجرين استيناف جار مجرى التعليل لفسقهم او لعدم مغفرته تعالى لهم وقرئ حتى ينفضوا من انفض القوم اذا فنيت ازوادهم وحقيقته حان لهم ان ينفضوا مزاودهم وقوله تعالى **وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** رد وابطال لما زعموا من ان عدم انفاقهم يؤدي الى انفضاض الفقراء من حوله عليه السلام ببيان ان خزائن الارزاق بيده تعالى خاصة يعطي من يشاء ويمنع من يشاء **وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ** ذلك لجهلهم بالله تعالى وبشؤنه ولذلك يقولون من مقالات الكفر ما يقولون **يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ** روي ان جهجاه بن سعيد اجير عمر رضي الله عنه نازع سنانا الجهني حليف ابن ابي واقتتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فاعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فاشتكى الى ابن ابي فقال للانصار لا تنفقوا الى آخره والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل جانب المؤمنين واسناد القول المذكور الى المنافقين لرضاهم به فرد عليهم ذلك بقوله تعالى **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ** اي ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسله وللمؤمنين لا لغيرهم **وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ** من فرط جهلهم وغرورهم فيهذون ما يهذون روي ان عبد الله بن ابي لما اراد ان يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله وكان مخلصا وقال لئن لم تقر لله ولرسوله بالعز لاضربن عنقك فلما رأى منه الجد قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال النبي صلى الله عليه وسلم جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ** اي لا يشغلكم الاهتمام بتدبير امورها والاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن الاشتغال بذكره تعالى من الصلوة وسائر العبادات المذكورة المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن التلهي بها وتوجيه النهي اليها للمبالغة كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الآية **وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ** اي التلهي بالدنيا عن الدين **فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** اي الكاملون في الخسران حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني **وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ** اي بعض ما آتيناكم تفضلا من غير ان يكون حصوله من جهتكم ادخارا للآخرة **مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ** بان يشاهد دلائله ويعاين اماراته ومخايله وتقديم المفعول على الفاعل للاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر **فَيَقُولَ** عند تيقنه بحلوله **رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي** اي امهلتني **إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ** اي امد قصير **فَأَصَّدَّقَ** بالنصب على جواب التمني وقرئ فاتصدق **وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ** بالجزم عطفا على محل فاصدق كانه قيل ان اخرتني اصدق واكن وقرئ واكون بالنصب عطفا على لفظه وقرئ واكون بالرفع اي وانا اكون

عدة منه بالصلاح **وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا** اي ولن يمهلها **إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا** اي آخر عمرها او انتهى ان اريد بالاجل الزمان الممتد من اول العمر الى آخره **وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** فيجازيكم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر فسارعوا الى الخيرات واستعدوا لما هو آت وقرئ يعملون بالياء التحتانية عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق صدق رسول الله

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة التغابن

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ اي ينزهه سبحانه جميع ما فيهما من المخلوقات عما لا يليق بجناب كبريائه تنزيها مستمرا **لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ** لا لغيره اذ هو المبدئ لكل شيء وهو القائم به والمهيمن عليه وهو المولى لاصول النعم وفروعها واما ملك غيره فاسترعاء من جنابه وحمد غيره اعتداد بان نعمة الله جرت على يده **وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل سواء **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ** خلقا بديعا حاويا لجميع مبادي الكمالات العلمية والعملية ومع ذلك **فَمِنْكُمْ كَافِرٌ** اي فبعضكم او فبعض منكم مختار للكفر كاسب له على خلاف ما تستدعيه خلقته **وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ** مختار للايمان كاسب له حسبما تقتضيه خلقته وكان الواجب عليكم جميعا ان تكونوا مختارين للايمان شاكرين لنعمة الخلق والايجاد وما يتفرع عليها من سائر النعم فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنكم منه بل تشعبتم شعبا وتفرقتم فرقا وتقديم الكفر لانه الاغلب فيما بينهم والانسب بمقام التوبيخ وحمله على معنى فمنكم كافر مقدر كفره موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه مما لا يلائم المقام **وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** فيجازيكم بذلك فاختاروا منه ما يجديكم من الايمان والطاعة واياكم وما يرديكم من الكفر والعصيان **خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ** بالحكمة البالغة المتضمنة للمصالح الدينية والدنيوية **وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ** حيث براكم في احسن تقويم واودع فيكم من القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة ما نيط بها جميع الكمالات البارزة والكامنة وزينكم بصفوة صفات مصنوعاته وخصكم بخلاصة خصائص مبدعاته وجعلكم انموذج جميع مخلوقاته في هذه النشأة **وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ** في النشأة الاخرى لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فاحسنوا سرائركم باستعمال تلك القوى والمشاعر فيما خلقن له **يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** من الامور الكلية والجزئية والاحوال الجلية والخفية **وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ** اي ما تسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من الامور والتصريح به مع اندراجه فيما قبله لانه الذي عليه يدور الجزاء ففيه تأكيد للوعيد والوعد وتشديد لهما وقوله تعالى **وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من شمول علمه تعالى لسرهم وعلنهم اي هو محيط بجميع المضمرات المستكنة في صدور الناس بحيث لا تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما يسرونه وما يعلنونه واظهار الجلالة للاشعار بعلة الحكم وتأكيد استقلال الجملة قبل وتقديم تقرير القدرة على تقدير العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته بالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء **أَلَمْ يَأْتِكُمْ** ايها الكفرة **نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ** كقوم نوح ومن بعدهم من الامم المصرة على الكفر **فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ** عطف على كفروا والوبال الثقل والشدة المترتبة على امر من الامور وامرهم كفرهم عبر عنه بذلك للايذان بانه امر هائل وجناية عظيمة اي الم يأتكم خبر الذين كفروا من قبل فذاقوا من غير مهلة ما يستتبعه كفرهم في الدنيا **وَلَهُمْ** في الآخرة **عَذَابٌ أَلِيمٌ** لا يقادر قدره **ذَلِكَ** اي ما ذكر من العذاب الذي ذاقوه في الدنيا وما سيذوقونه في الآخرة **بِأَنَّهُ** اي بسبب ان الشأن **كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ** اي بالمعجزات الظاهرة **فَقَالُوا** عطف على كانت **أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا** اي قال كل قوم من المذكورين في حق رسولهم الذي اتاهم بالمعجزات منكرين لكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك ابشر يهدوننا كما قالت ثمود ابشرا منا واحدا نتبعه وقد اجمل في الحكاية فاسند القول الى جميع الاقوام واريد بالبشر الجنس فوصف بالجمع كما اجمل الخطاب والامر في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا **فَكَفَرُوا** اي بالرسل **وَتَوَلَّوْا** عن التدبر فيما اتوا به من البينات ومن الايمان بهم **وَاسْتَغْنَى اللَّهُ** اي اظهر استغناءه عن ايمانهم وطاعتهم حيث اهلكهم وقطع دابرهم ولولا غناه تعالى عنهما لما فعل ذلك **وَاللَّهُ غَنِيٌّ** عن العالمين فضلا عن ايمانهم وطاعتهم **حَمِيدٌ** يحمده كل مخلوق بلسان الحال او مستحق للحمد بذاته وان لم يحمده حامد **زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا** الزعم ادعاء العلم يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما ان المخففة مع ما في حيزها والمراد بالموصول كفار مكة اي زعموا ان الشأن لن يبعثوا بعد موتهم ابدا **قُلْ** ردا عليهم وابطالا لزعمهم باثبات ما نفوه **بَلَى** اي تبعثون وقوله تعالى **وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ** اي لتحاسبن ولتجزون باعمالكم جملة مستقلة داخلة تحت الامر واردة لتأكيد ما افاده

كلمة بلى في اثبات البعث وبيان تحقق امر آخر متفرع عليه منوط به ففيه تاكيد لتحقق البعث بوجهين وذلك اي ما ذكر من البعث والجزاء
على الله يسير لتحقق القدرة التامة وقبول المادة والفاء في قوله تعالى فآمنوا فصيحة مفصحة عن شرط قد حذف دلالة وثقة بغاية ظهوره
اي اذا كان الامر كذلك فآمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم والنور الذي انزلنا وهو القرآن فانه باعجازه بين بنفسه مبين
لغيره كما ان النور كذلك والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال العناية بامر الانزال والله بما تعملون من الامتثال بالامر وعدمه خبير
فمجازيكم عليه والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الامر موجب للامتثال به بالوعد والوعيد والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة و
تاكيد استقلال الجملة يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن وقيل لخبير لما فيه من معنى الوعيد كانه قيل والله مجازيكم ومعاقبكم يوم يجمعكم او مفعول
لاذكر وقرئ نجمعكم بنون العظمة ليوم الجمع ليوم يجمع فيه الاولون والآخرون اي لاجل ما فيه من الحساب والجزاء ذلك يوم التغابن اي يوم
غبن بعض الناس بعضا بنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس وفي الحديث ما من عبد يدخل الجنة الا اري مقعده
من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة وتخصيص التغابن بذلك للايذان بان
التغابن في الحقيقة هو الذي يقع فيه لا ما يقع في امور الدنيا ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا اي عملا صالحا يكفر اي الله عز وجل وقرئ بنون العظمة
عنه سيئاته يوم القيمة ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرئ ندخله بالنون ذلك اي ما ذكر من تكفير السيئات وادخال الجنات
الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه لانطوائه على النجاة من اعظم المهلكات والظفر باجل الطلبات والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك
اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير اي النار كانت هاتين الآيتين الكريمتين بيان لكيفية التغابن ما اصاب من مصيبة اي من المصائب
الدنيوية الا باذن الله اي بتقديره وارادته كانها بذاتها متوجهة الى الانسان متوقفة على اذنه تعالى ومن يؤمن بالله يهد قلبه عند اصابتها
للثبات والاسترجاع وقيل يهد قلبه حتى تعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه وقيل يهد قلبه اي يلطف به ويشرحه لازدياد
الطاعة والخير وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول ورفع قلبه وقرئ بنصبه على نهج سفه نفسه وقرئ يهدأ قلبه بالهمزة اي يسكن والله
بكل شيء من الاشياء التي من جملتها القلوب واحوالها عليم فيعلم ايمان المؤمن ويهدي قلبه الى ما ذكر واطيعوا الله واطيعوا الرسول
كرر الامر للتاكيد والايذان بالفرق بين الطاعتين في الكيفية وتوضيح مورد التولي في قوله تعالى فانما على رسولنا البلاغ المبين تعليل
للجواب المحذوف اي فلا بأس عليه اذ ما عليه الا التبليغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه واظهار الرسول مضافا الى نون العظمة في مقام اضماره
لتشريفه عليه السلام والاشعار بمدار الحكم الذي هو كون وظيفته عليه السلام محض البلاغ ولزيادة تشنيع التولي عنه الله لا اله الا هو
جملة من مبتدا وخبر اي هو المستحق للمعبودية لا غير وفي اضمار خبر لا مثل في الوجود او يصح ان يوجد خلاف للنحاة معروف وعلى الله اي عليه تعالى
خاصة دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا فليتوكل المؤمنون واظهار الجلالة في موقع الاضمار للاشعار بعلة التوكل والامر به فان الالوهية
المقتضية للتبتل اليه تعالى بالكلية وقطع التعلق عما سواه بالمرة يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم يشغلونكم عن طاعة الله
او يخاصمونكم في امور الدين او الدنيا فاحذروهم الضمير للعدو فانه يطلق على الجمع نحو قوله تعالى فانهم عدو لي او للازواج والاولاد جميعا
فالمامور به على الاول الحذر عن الكل وعلى الثاني الحذر عن البعض لان منهم من ليس بعدو واما الحذر عن مجموع الفريقين لاشتماله على العدو
وان تعفوا عن ذنوبهم القابلة للعفو بان تكون متعلقة بامور الدنيا او بامور الدين لكن مقارنة للتوبة وتصفحوا بترك التثريب والتعيير
وتغفروا باخفائها وتمهيد معذرتهم فان الله غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم وقيل ان ناسا من المؤمنين ارادوا الهجرة عن مكة
فثبطهم ازواجهم واولادهم وقالوا انطلقوا وتضيعونا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا المهاجرين الاولين قد فقهوا
في الدين ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم واموالكم فغضبوا عليهم وقالوا
لئن جمعنا الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا على ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة انما اموالكم واولادكم فتنة
بلاء ومحنة يوقعونكم في الاثم من حيث لا تحتسبون والله عنده اجر عظيم لمن آثر محبة الله تعالى وطاعته على محبة الاموال والاولاد و
السعي في تدبير مصالحهم فاتقوا الله ما استطعتم اي ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه واطيعوا امره وانفقوا مما رزقكم
في الوجوه التي امركم بالانفاق فيها خالصا لوجهه خيرا لانفسكم اي ائتوا خيرا وافعلوا ما هو خير لها وانفع وهو تاكيد للحث على امتثال هذه الاوامر

وبيان لكون الامور المذكورة خيرا لانفسهم ويجوز ان يكون صفة لمصدر محذوف اي انفاقا خيرا او خبرا لكان مقدرا جوابا
للامر ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون الفائزون بكل مرام ان تقرضوا الله بصرف اموالكم الى المصارف التي عينها قرضا حسنا
مقرونا بالاخلاص وطيب النفس يضاعفه لكم بالواحد عشرة الى سبعمائة واكثر وقرئ يضعفه لكم ويغفر لكم ببركة الانفاق ما فرط منكم
من بعض الذنوب والله شكور يعطي الجزيل بمقابلة النزر القليل حليم لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم عالم الغيب والشهادة
لا يخفى عليه خافية العزيز الحكيم المبالغ في القدرة والحكمة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة

سورة الطلاق

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اذا طلقتم النساء تخصيص النداء به صلى الله عليه وسلم مع عموم الخطاب لامته ايضا
لتشريفه عليه السلام واظهار جلالة منصبه وتحقيق انه المخاطب حقيقة ودخولهم في الخطاب بطريق استتباعه عليه السلام اياهم وتغليبه عليهم
لا لان نداءه كندائهم فان ذلك الاعتبار لو كان في حيز الرعاية لكان الخطاب هو الاحق بشمول حكمه للكل قطعا والمعنى اذا اردتم تطليقهن
وعزمتم عليه كما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فطلقوهن لعدتهن اي مستقبلات لها كما في قراءة من قرأ في قبل عدتهن فان المرأة
اذا طلقت في طهر يعقبه القرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان يطلقن في طهر لم يقع فيه جماع ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن
وهذا احسن الطلاق وادخله في السنة واحصوا العدة واضبطوها واكملوها ثلثة اقراء كوامل واتقوا الله ربكم في تطويل العدة عليهن والاضرار
بهن وفي وصفه تعالى بربوبيته لهم تاكيد للامر ومبالغة في ايجاب الاتقاء لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن عند الفراق حتى تنقضي عدتهن
واضافتها اليهن وهي لازواجهن لتاكيد النهي ببيان كمال استحقاقهن لسكناها كانها املاكهن ولا يخرجن ولو باذن منكم فان الاذن بالخروج
في حكم الاخراج باستبداد منهن واما اذا اتفقا على الخروج جاز اذ الحق لا يعدوهما الا ان يأتين بفاحشة مبينة استثناء من الاول قيل هي الزنا
فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل الا ان يبذون على الازواج فيحل حينئذ اخراجهن ويؤيده قراءة الا ان يفحشن عليكم او من الثاني للمبالغة في النهي
عن الخروج ببيان ان خروجها فاحشة وتلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام وما في اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان
بعلو درجتها وبعد منزلتها حدود الله التي عينها لعباده ومن يتعد حدود الله اي حدوده المذكورة بان اخل بشيء منها على ان الاظهار في حيز
الاضمار لتهويل امر التعدي والاشعار بعلة الحكم في قوله تعالى فقد ظلم نفسه اي اضر بها وتفسير الظلم بتعريضها للعقاب ياباه قوله تعالى لا تدري
لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فانه استيناف مسوق لتعليل مضمون الشرطية وقد قالوا ان الامر الذي يحدثه الله تعالى ان يقلب قلبه عما فعله بالتعدي
الى خلافه فلا بد ان يكون الظلم عبارة عن ضرر دنيوي يلحقه بسبب تعديه ولا يمكن تداركه او عن مطلق الضرر الشامل للدنيوي والاخروي و
يخص التعليل بالدنيوي لكون احتراز الناس منه اشد واهتمامهم بدفعه اقوى وقوله تعالى لا تدري خطاب للمتعدي بطريق الالتفات لمزيد الاهتمام
بالزجر عن التعدي لا للنبي صلى الله عليه وسلم كما توهم فالمعنى ومن يتعد حدود الله فقد اضر بنفسه فانك لا تدري ايها المتعدي عاقبة الامر لعل الله
يحدث في قلبك بعد ذلك الذي فعلت من التعدي امرا يقتضي خلاف ما فعلته فيبدل ببغضها محبة وبالاعراض عنها اقبالا اليها ولا يتسنى
تلافيه برجعة او استيناف نكاح فاذا بلغن اجلهن شارفن آخر عدتهن فامسكوهن بمعروف فراجعوهن بحسن معاشرة وانفاق لائق او
فارقوهن بمعروف بايفاء الحق واتقاء الضرر بان يراجعها ثم يطلقها تطويلا للعدة واشهدوا ذوي عدل منكم عند الرجعة والفرقة
قطعا للتنازع وهذا امر ندب كما في قوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم ويروى عن الشافعي انه للوجوب في الرجعة واقيموا الشهادة ايها الشهود
عند الحاجة خالصا لوجهه تعالى ذلكم اشارة الى الحث على الاشهاد والاقامة او على جميع ما في الآية يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم
الآخر اذ هو المنتفع به والمقصود تذكيره وقوله تعالى ومن يتق الله الى آخره جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من وجوب مراعاة حدود الله تعالى
بالوعد على الاتقاء عن تعديها كما ان ما تقدم من قوله تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه مؤكد له بالوعيد على تعديها فالمعنى ومن يتق
الله بطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط في الاشهاد وغيره من الامور يجعل له مخرجا مما عسى يقع في شأن الازواج
من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه ما يعتريه من الكروب ويرزقه من حيث لا يحتسب اي من وجه لا يخطره بباله ولا يحتسبه

ويجوز ان يكون كلاما جيء به على نهج الاستطراد عند ذكر قوله تعالى ذلك يوعظ به من كان يؤمن بالله الى اخره فالمعنى ومن يتق الله في
ما يأتي وما يذر يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة فيندرج فيه ما نحن فيه اندراجا اوليا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأها فقال
مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيمة وقال عليه السلام اني لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال
يقرؤها ويعيدها وروي ان عوف بن مالك الاشجعي اسر المشركون ولده سالما فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اسر ابني وشكى اليه الفاقة
فقال عليه السلام اتق الله واكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ففعل فبينما هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها
العدو فاستاقها فنزلت **ومن يتوكل على الله فهو حسبه** اي كافيه في جميع اموره **ان الله بالغ امره** بالاضافة اي منفذ امره وقرئ بتنوين
بالغ ونصب امره اي يبلغ ما يريده ولا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرئ برفع امره على انه مبتدأ وبالغ خبره مقدم والجملة خبر ان او
بالغ خبر ان وامره مرتفع به على الفاعلية اي نافذ امره وقرئ بالغا امره على انه حال وخبر ان قوله تعالى **قد جعل الله لكل شيء قدرا** اي
تقديرا او توقيتا او مقدارا وهو بيان لوجوب التوكل عليه تعالى وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق وغيره لا يكون الا بتقديره
تعالى لا يبقى الا التسليم للقدر والتوكل عليه تعالى **واللائي يئسن من المحيض من نسائكم** لكبرهن وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين
ان ارتبتم اي شككتم وجهلتم كيف عدتهن **فعدتهن ثلثة اشهر واللائي لم يحضن** بعد لصغرهن اي فعدتهن ايضا كذلك فحذف ثقة بدلالة
ما قبله عليه **واولات الاحمال اجلهن** اي منتهى عدتهن **ان يضعن حملهن** سواء كن مطلقات او متوفى عنهن ازواجهن وقد نسخ به عموم
قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا لتراخي نزوله عن ذلك لما هو المشهور من قول ابن مسعود
رضي الله عنه من شاء باهلته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد التي في سورة البقرة وقد صح ان سبيعة بنت حارث الاسلمية ولدت
بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها قد حللت فتزوجي **ومن يتق الله** في شان احكامه ومراعاة
حقوقها **يجعل له من امره يسرا** اي يسهل عليه امره ويوفقه للخير **ذلك** اشارة الى ما ذكر من الاحكام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه
للايذان ببعد منزلته في الفضل وافراد الكاف مع ان الخطاب للجمع كما يفصح عنه قوله تعالى **امر الله انزله اليكم** لما انها لمجرد الفرق بين الحاضر والمنقضي
لا لتعيين خصوصية المخاطبين وقد مر في قوله تعالى من كان يؤمن بالله في سورة البقرة **ومن يتق الله** بالمحافظة على احكامه **يكفر عنه سيئاته**
فان الحسنات يذهبن السيئات **ويعظم له اجرا** بالمضاعفة وقوله تعالى **اسكنوهن من حيث سكنتم** استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله من الحث
على التقوى كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى في شان المعتدات فقيل اسكنوهن مكانا من مكان حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم وقوله تعالى **من وجدكم** اي من
وسعكم اي مما تطيقونه بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير **ولا تضاروهن** في السكنى **لتضيقوا عليهن** وتلجؤهن الى الخروج
وان كن اي المطلقات **اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن** فيخرجن من العدة اما المتوفى عنهن ازواجهن فلا نفقة لها **فان**
ارضعن لكم بعد ذلك **فآتوهن اجورهن** على الارضاع **وأتمروا بينكم بمعروف** اي تشاوروا وحقيقته ليأمر بعضكم بعضا بجميل في الارضاع
والاجر ولا يكن من الاب مماكسة ولا من الام معاسرة **وان تعاسرتم** اي تضايقتم **فسترضع له اخرى** اي فستوجد ولا تعوز مرضعة اخرى
وفيه معاتبة للام على المعاسرة **لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله** وان قل اي لينفق كل واحد من الموسر والمعسر
ما يبلغه وسعه **لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها** جل او قل فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر وترغيب له في بذل
مجهوده وقد اكد ذلك بالوعد حيث قيل **سيجعل الله بعد عسر يسرا** اي عاجلا او آجلا **وكأين من قرية** اي كثير من اهل قرية **عتت** اي اعرضت
عن امر ربها ورسله بالعتو والتمرد والعناد **فحاسبناها حسابا شديدا** بالاستقصاء والتنقير والمناقشة في كل نقير وقطمير **وعذبناها**
عذابا نكرا اي منكرا عظيما وقرئ نكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير عنهما بلفظ الماضي للدلالة على تحققهما كما في قوله تعالى ونادى اصحاب
الجنة **فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا** هائلا لا خسر وراءه **اعد الله لهم عذابا شديدا** تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا
كأنه قيل اعد الله لهم هذا العذاب **فاتقوا الله يا اولي الالباب** ويجوز ان يراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها في صحائف الحفظة
وبالعذاب ما اصابهم عاجلا وقد جوز ان يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية واعد الله لهم جوابا لقوله تعالى كأين **الذين آمنوا**
منصوب باضمار اعني بيانا للمنادى او عطف بيان له او نعت وفي ابداله منه ضعف لتعذر حلوله محله **قد انزل الله اليكم ذكرا** هو جبريل عليه السلام

لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر الذي هو القرآن كما ينبئ عنه ابداله قوله تعالى **رسولا منه** او لانه مذكور في السموات وفي الامم او اريد بالذكر
الشرف كما في قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك كانه في نفسه شرف للمنزل عليه واما لانه ذو مجد وشرف عند الله كقوله تعالى عند ذي العرش
مكين او هو النبي صلى الله عليه وسلم وعليه الاكثر عبر عنه بالذكر لمواظبته على تلاوة القرآن او تبليغه والتذكير به وعبر عن ارساله بالانزال
بطريق الترشيح او لانه مسبب عن انزال الوحي اليه وابدل منه رسولا للبيان او هو القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل او بذكرا على اعمال
المصدر المنون او بدل منه على انه بمعنى الرسالة وقوله تعالى **يتلو عليكم آيات الله مبينات** نعت لرسولا وآيات الله القرآن ومبينات حال منها اي
حال كونها مبينات ما تحتاجون اليه من الاحكام وقرئ مبينات اي بينها الله تعالى كقوله تعالى قد بينا لكم الآيات واللام في قوله تعالى **ليخرج الذين آمنوا**
وعملوا الصالحات متعلقة بيتلو او بانزل وفاعل يخرج على الاول ضمير الرسول عليه السلام او ضمير الجلالة والموصول عبارة عن المؤمنين
بعد انزاله اي ليحصل لهم الرسول او الله عز وعلا ما هم عليه الآن من الايمان والعمل او ليخرج من علم او قدر انه سيؤمن **من الظلمات الى النور**
من الضلالة الى الهدى **ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا** حسبما بين في تضاعيف ما انزل من الآيات المبينات **يدخله جنات تجري من تحتها الانهار** وقرئ
ندخله بالنون وقوله تعالى **خالدين فيها ابدا** حال من مفعول يدخله والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر الثلثة باعتبار لفظها
وقوله تعالى **قد احسن الله له رزقا** حال اخرى منه او من الضمير في خالدين بطريق التداخل وافراد ضمير له قد مر وجهه وفيه معنى التعجب والتعظيم
لما رزقه المؤمنين من الثواب **الله الذي خلق سبع سموات** مبتدأ وخبر **ومن الارض مثلهن** اي خلق من الارض مثلهن في العدد وقرئ
مثلهن بالرفع على انه مبتدأ ومن الارض خبره واختلف في كيفية طبقات الارض وقال الجمهور على انها سبع ارضين طباقا بعضها فوق
بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين السماء والارض وفي كل ارض سكان من خلق الله تعالى وقال الضحاك مطبقة بعضها ببعض من غير فتوق
بخلاف السموات قال القرطبي والاول اصح لان الاخبار دالة عليه كما روى البخاري وغيره من ان كعبا حلف بالذي فلق البحر لموسى ان صهيبا
حدثه ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين وما اقللن
ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما اذرين نسألك خير هذه القرية وخير اهلها ونعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر من فيها وعن ابن
عباس رضي الله عنهما ان نافع بن الازرق سأله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة او جن قال الماوردي وعلى هذا
تختص دعوة الاسلام باهل الارض العليا دون من عداهم وان كان فيهن من يعقل من خلق وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها
قولان احدهما انهم يشاهدون السماء من كل جانب من ارضهم ويستمدون الضياء منها والثاني انهم لا يشاهدون السماء وان الله تعالى
خلق لهم ضياء يشاهدونه وحكى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهم انها سبع ارضين متفرقة بالبحار وتظل الجميع السماء
يتنزل الامر بينهن اي يجري امره وقضاؤه بينهن وينفذ ملكه فيهن وعن قتادة في كل سماء وفي كل ارض خلق من خلقه وامر من امره وقضاء
من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرئ ينزل الامر **لتعلموا ان الله على كل شيء قدير** متعلق بخلق او بيتنزل او بمضمر
يعمهما اي فعل ذلك لتعلموا ان من قدر على ما ذكر قادر على كل شيء **وان الله قد احاط بكل شيء علما** لاستحالة صدور الافاعيل المذكورة
ممن ليس كذلك ويجوز ان يكون العامل في اللام بيان ما ذكر من الخلق وتنزل الامر اي اوحى ذلك وبينه لتعلموا ان ما ذكر من الامور التي
تشاهدونها والتي تتلقونها من الوحي من عجائب المصنوعات انه لا يخرج عن قدرته وعلمه شيء وقرئ ليعلموا عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق رسول الله وصدق حبيب الله

سورة التحريم

بسم الله الرحمن الرحيم **يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك** روي ان النبي صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عائشة
وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمي علي فقد حرمت مارية على نفسي وابشرك ان ابا بكر وعمر يملكان بعدي امر امتي فاخبرت به عائشة
وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه فنزل جبريل عليه السلام
فقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك في الجنة وروي انه عليه السلام شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت

عائشة وحفصة فقالتا انا نشم منك ريح المغافير وكان صلى الله عليه وسلم يكره التفل فحرم العسل فمعناه لم تحرم ما احل الله لك من ملك اليمين او من العسل
تبتغي مرضات ازواجك تفسير لتحرم او حال من فاعله او استيناف ببيان ما دعاه اليه مؤذن بعدم صلاحيته لذلك والله غفور مبالغ في الغفران
قد غفر لك هذه الزلة رحيم قد رحمك ولم يؤاخذك به وانما عاتبك محاماة على عصمتك قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم اي شرع لكم تحليلها وهو حل
ما عقدته بالكفارة او بالاستثناء متصلا حتى لا يحنث والاول هو المراد ههنا والله مولاكم سيدكم ومتولي اموركم وهو العليم بما يصلحكم
فيشرعه لكم الحكيم المتقن في افعاله واحكامه فلا يأمركم ولا ينهاكم الا حسبما يقتضيه الحكمة واذ اسر النبي الى بعض ازواجه
وهي حفصة حديثا اي حديث تحريم مارية او العسل او ان الخلافة فلما نبأت به اي اخبرت حفصة عائشة بالحديث وافشته اليها وقرئ
انبأت به واظهره الله عليه اي اطلع الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم على افشائه حفصة عرف اي النبي عليه الصلوة والسلام حفصة بعضه
بعض الحديث الذي افشته قيل هو حديث الامامة روي انه عليه السلام قال لم اقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا
بالكرامة التي خص الله تعالى بها اباها واعرض عن بعض اي عن تعريف بعض تكرما قيل هو حديث مارية فلما نبأها به اي اخبر النبي صلى الله عليه وسلم
حفصة بما عرفه من الحديث قالت من انبأك هذا اي افشاءه هذا الحديث قال نبأني العليم الخبير الذي لا يخفى عليه خافية ان تتوبا الى الله خطاب
لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة في العتاب فقد صغت قلوبكما الفاء للتعليل كما في قولك اعبد ربك فالعبادة حق فقد وجد منكما ما يوجب
التوبة من ميل قلوبكما عما يجب عليكما من مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرئ فقد زاغت وان تظاهرا عليه باسقاط
احدى التائين وقرئ على الاصل وبتشديد الظاء وتظهرا اي ان تتعاونا عليه بما يسوءه من الافراط في الغيرة وافشاء سره فان الله هو مولاه
وجبريل وصالح المؤمنين اي فلن يعدم من يظاهره فان الله هو ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه
قال ابن عباس رضي الله عنهما اراد بصالح المؤمنين ابا بكر وعمر وقد روي ذلك مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وبه قال عكرمة ومقاتل
وهو اللائق بتوسيطه بين جبريل والملائكة عليهم السلام فانه جمع بين الظهير المعنوي والظهير الصوري كيف لا وان جبريل ظهير له عليه
السلام يؤيده بالتاييدات الالهية وهما وزيراه وظهيراه في تدبير امور الرسالة وتمشية احكامها الظاهرة ولان بيان مظاهرتهما له عليه السلام
اشد تاثيرا في قلوب بنتيهما وتوهينا لامرهما حقيقا بالتقديم بخلاف ما اذا اريد جنس الصالحين كما هو المشهور والملائكة مع تكاثر عددهم
وامتلاء السموات من جموعهم بعد ذلك اي بعد نصرة الله عز وجل وناموسه الاعظم وصالح المؤمنين ظهير اي فوج مظاهر له كانهم
يد واحدة على من يعاديه فما ذا يفيد تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه وما ينبئ عنه قوله تعالى بعد ذلك من فضل نصرتهم على نصرة غيرهم
من حيث ان نصرة الكل نصرة الله تعالى وان نصرته تعالى بهم وبمظاهرتهم افضل من سائر وجوه نصرته هذا ما قالوا ولعل الانسب ان يجعل ذلك
اشارة الى مظاهرة صالح المؤمنين خاصة ويكون بيان بعدية مظاهرة الملائكة تداركا لما يوهم الترتيب الذكري من افضلية المقدم فكأنه
قيل بعد ذكر مظاهرة صالح المؤمنين وسائر الملائكة بعد ذلك ظهير له عليه السلام ايذانا بعلو رتبة مظاهرتهم وبعد منزلتها وجبرا لفصلها
عن مظاهرة جبريل عليه السلام عسى ربه ان طلقكن ان يبدله اي يعطيه عليه السلام بدلكن ازواجا خيرا منكن على التغليب او تعميم الخطاب
وليس فيه ما يدل على انه عليه السلام لم يطلق حفصة وان في النساء خيرا منهن فان تعليق طلاق الكل لا ينافي تطليق واحدة وما علق بما
لا يقع لا يجب وقوعه وقرئ ان يبدله بالتشديد مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات او منقادات مصدقات قانتات مصليات او مواظبات على
الطاعة تائبات من الذنوب عابدات متعبدات او متذللات لامر الرسول عليه السلام سائحات صائمات سمي الصائم سائحا لانه يسيح في النهار
بلا زاد او مهاجرات وقرئ سيحات ثيبات وابكارا وسط بينهما العاطف لتنافيهما يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم بترك المعاصي
وفعل الطاعات واهليكم بان تأخذوهم بما تأخذون به انفسكم وقرئ اهلوكم عطفا على واو قوا انفسكم فيكون انفسكم عبارة عن نفس الكل
على تغليب المخاطبين اي قوا انتم واهلوكم انفسكم نارا وقودها الناس والحجارة اي نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب وامر المؤمنين
باتقاء مثل النار المعدة للكافرين كما نص عليه في سورة البقرة للمبالغة في التحذير عليها ملائكة اي تلي امرها وتعذيب اهلها وهم الزبانية
غلاظ شداد غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد الخلق اقوياء على الافعال الشديدة لا يعصون الله ما امرهم
اي امره على انه بدل اشتمال من الله تعالى او فيما امرهم به على نزع الخافض لا يمتنعون من قبول الامر ويلتزمونه ويفعلون ما يؤمرون

اي ويؤدون ما يؤمرون به من غير تثاقل ولا توان وقوله تعالى يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم مقول القول قد حذف دلالة
وثقة بدلالة الحال عليه اي يقال لهم ذلك عند ادخال الملائكة اياهم النار حسبما امروا به انما تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا من الكفر
والمعاصي بعد ما نهيتم عنها اشد النهي وامرتم بالايمان والطاعة فلا عذر لكم قطعا يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا اي
بالغة في النصح وصفت التوبة بذلك على الاسناد المجازي وهو وصف التائبين وهو ان ينصحوا بالتوبة انفسهم فياتوا بها على طريقها
وذلك ان يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين اشد الاغتمام لارتكابها عازمين على انهم لا يعودون الى قبيح من القبائح موطنين
انفسهم على ذلك بحيث لا يلويهم عنه صارف اصلا عن علي رضي الله ان التوبة يجمعها ستة اشياء على الماضي من الذنوب الندامة و
للفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تربي نفسك في طاعة الله تعالى كما ربيتها في المعصية وان تذيقها
مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية وعن شهر بن حوشب ان لا يعود ولو حز بالسيف واحرق بالنار وقيل نصوحا من نصاحة
الثوب اي توبة ترفو خروقك في دينك وترم خللك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس
اي تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل بمقتضياتها وقرئ توبا نصوحا وهو مصدر نصح فان
النصح والنصوح كالشكر والشكور اي ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا النصح لانفسكم على انه مفعول له عسى ربكم ان يكفر
عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ورود صيغة الاطماع للجري على سنن الكبرياء والاشعار بانه تفضل والتوبة
غير موجبة له وان العبد ينبغي ان يكون بين خوف ورجاء وان بالغ في اقامة وظائف العبادة يوم لا يخزي الله النبي ظرف
ليدخلكم والذين آمنوا معه عطف على النبي وفيه تعريض بمن اخزاهم الله تعالى من اهل الكفر والفسوق واستحماد الى المؤمنين على انه عصمهم
من مثل حالهم وقيل هو مبتدأ خبره قوله تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم اي على الصراط وهو على الاول استيناف او حال وكذا
قوله تعالى يقولون الى آخره وعلى الثاني خبر آخر للموصول اي يقولون اذا طفئ نور المنافقين ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك
على كل شيء قدير وقيل يدعون تقربا الى الله تعالى مع تمام نورهم وقيل تتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا
وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا او زحفا وهم اولئك الذين يقولون ربنا اتمم
لنا نورنا يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم واستعمل الخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما
من القتال والمحاجة ومأواهم جهنم سيرون فيها عذابا غليظا وبئس المصير اي جهنم او مصيرهم ضرب الله مثلا للذين كفروا
ضرب المثل في امثال هذه المواقع عبارة عن ايراد حالة غريبة ليعرف بها حالة اخرى مشاكلة لها في الغرابة اي جعل الله مثلا لهؤلاء الكفرة
حالا ومآلا على ان مثلا مفعول ثان لضرب واللام متعلقة به وقوله تعالى امرأة نوح وامرأة لوط اي حالهما مفعوله الاول اخر
عنه ليتصل به ما هو شرح وتفسير لهما ويتضح بذلك حال هؤلاء فقوله تعالى كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين بيان لحالهما الداعية
لهما الى الخير والصلاح اي كانتا في عصمة نبيين عظيمي الشان متمكنتين من تحصيل خيري الدنيا والآخرة وحيازة سعادتهما وقوله تعالى
فخانتاهما بيان لما صدر عنهما من الجناية العظيمة مع تحقق ما ينفيها من صحبة النبي اي فخانتاهما بالكفر والنفاق وهذا تصوير لحالهما
المحاكية لحال هؤلاء الكفرة في خيانتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالكفر والعصيان مع تمكنهم التام من الايمان والطاعة وقوله تعالى
فلم يغنيا الى آخره بيان لما ادى اليه خيانتهما اي فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج من الله اي من عذابه تعالى شيئا اي شيئا
من الاغناء وقيل لهما عند موتهما او يوم القيامة ادخلا النار مع الداخلين اي مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين
الانبياء وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اي جعل حالها مثلا لحال المؤمنين في ان وصلة الكفرة لا تضرهم حيث كانت
في الدنيا تحت اعدى اعداء الله وهي في اعلى غرف الجنة وقوله تعالى اذ قالت ظرف لمحذوف اشير اليه اي ضرب الله مثلا للمؤمنين
حالها اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة قريبا من رحمتك او في اعلى درجات المقربين روي انها لما قالت ذلك اريت
بيتها في الجنة من درة وانتزعت روحها ونجني من فرعون وعمله اي من نفسه الخبيثة وعمله السيء ونجني من القوم الظالمين من القبط
التابعين له في الظلم ومريم ابنت عمران عطف على امرأة فرعون تسلية للارامل اي ضرب الله مثلا للذين آمنوا حالها وما اوتيت

من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع كون قومها كفاراً التي احصنت فرجها فنفخنا فيه وقرئ فيها اي في جرم
من روحنا من روح خلقناه بلا واسطة اصل وصدقت بكلمات ربها بصحفه المنزلة اي بما اوحى الى انبيائه وكتبه بجميع كتبه المنزلة وقرئ
بكلمات الله وكتابه اي بعيسى وبالكتاب المنزل عليه وهو الانجيل وكانت من القانتين اي من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب
والاشعار بان طاعتها لم تقصر من طاعة الرجال حتى عدت من جملتهم او من نسلهم لانها من اعقاب هرون اخي موسى عليهما السلام وعن النبي
صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد
وفضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

سورة الملك

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي بيده الملك البركة النماء والزيادة حسية كانت او عقلية وكثرة الخير ودوامه
ونسبتها الى الله عز وجل على المعنى الاول وهو الاليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وافعاله وصيغة التفاعل للمبالغة
في ذلك فان ما لا يتصور نسبته اليه تعالى من الصيغ كالتكبر ونحوه انما تنسب اليه تعالى باعتبار غاياتها وعلى الثاني باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته
من فنون الخيرات والصيغة ح يجوز ان تكون لافادة نماء تلك الخيرات وازديادها شيئاً فشيئاً وآناً فآناً بحسب حدوثها او حدوث متعلقاتها ولاستقلالها
بالدلالة على غاية الكمال وانبائها على نهاية التعظيم لم يجز استعمالها في حق غيره سبحانه ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه تبارك وتعالى واسنادها الى الموصول
للاستشهاد بما في حيز الصلة على تحقق مضمونها واليد مجاز من القدرة التامة والاستيلاء الكامل اي تعالى وتعاظم بالذات عن كل ما سواه ذاتاً وصفة
وفعلاً الذي بقبضة قدرته التصرف الكلي في كل الامور وهو على كل شيء من الاشياء قدير مبالغ في القدرة عليه يتصرف فيه حسبما تقتضيه مشيئته
المبنية على الحكم البالغة والجملة معطوفة على الصلة مقررة لمضمونها مفيدة لجريان احكام ملكه تعالى في جلائل الامور ودقائقها وقوله تعالى
الذي خلق الموت والحيوة شروع في تفصيل بعض احكام الملك وآثار القدرة وبيان ابتنائها على قوانين الحكم والمصالح واستتباعها لغايات
جليلة والموصول بدل من الموصول الاول داخل معه في حكم الشهادة بتعاليه تعالى والموت عند اصحابنا صفة وجودية مضادة للحيوة واما ما
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من انه تعالى خلق الموت في صورة كبش املح لا يمر بشيء ولا يجد رائحته شيء الا مات وخلق الحيوة في صورة فرس بلقاء
لا تمر بشيء ولا يجد رائحتها شيء الا حيي فكلام وارد على منهاج التمثيل والتصوير وقيل هي عدم الحيوة فمعنى خلقه حينئذ تقديره وازالة الحيوة
واياً ما كان فالاقرب ان المراد به الموت الطارئ وبالحيوة ما قبله وما بعده لظهور مداريتهما لما ينطق به قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملاً
فان استدعاءه ملاحظتهما لاحسان العمل مما لا ريب فيه مع ان نفس العمل لا يتحقق بدون الحيوة الدنيوية وتقديم الموت لكونه ادعى الى
احسان العمل واللام متعلقة بخلق اي خلق موتكم وحيوتكم على ان الالف واللام عوض عن المضاف اليه ليعاملكم معاملة من يختبركم ايكم احسن عملاً فيجازيكم
على مراتب متفاوتة حسب تفاوت طبقات علومكم واعمالكم فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ايكم احسن عقلاً
واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملاً خاصاً به فكما ان الاول اشرف من الثاني كذلك الحال في عمله كيف لا
ولا عمل بدون معرفة الله تعالى الواجبة على العباد آثر ذي اثير وانما طريقها النظر والتفكر في بدائع صنع الله تعالى والتدبر في آياته المنصوبة
في الانفس والآفاق وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض الذي هو عمل
القلب ضرورة ان احداً لا يقدر على ان يعمل بجوارحه كل يوم مثل عمل اهل الارض وتعليق فعل البلوى اي تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق
المشهور الذي يقتضي عدم ايراد المفعول اصلاً مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظائره ولذلك اجري
مجراه بطريق التمثيل وقيل بطريق الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل لهم باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح
ايضاً لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد بالذات والمقصد الاصلي من الابتلاء هو ظهور كمال احسان المحسنين مع تحقق اصل الايمان
والطاعة في الباقين ايضاً لكمال تعاضد الموجبات له واما الاعراض عن ذلك فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلاً عن الانتظام في سلك الغاية
للافعال الالهية وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب وفيه من الترغيب في الترقي الى معارج العلوم ومدارج

الطاعات والزجر عن مباشرة نقائضها ما لا يخفى وهو العزيز الغالب الذي لا يفوته من اساء العمل الغفور لمن تاب منهم
الذي خلق سبع سموات قيل هو نعت للعزيز الغفور او بيان او بدل والاوجه انه نصب او رفع على المدح متعلق بالموصولين
السابقين معنى وان كان منقطعاً عنهما اعراباً كما مر تفصيله في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة منتظم معهما في سلك
الشهادة بتعاليه سبحانه ومع الموصول الثاني في كونه مدار البلوى كما نطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان
عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملاً وقوله تعالى طباقاً صفة لسبع سموات اي مطابقة على انه مصدر طابقت النعل اذا خصفتها
وصف به المفعول او مصدر مؤكد لمحذوف هو صفتها اي طوبقت طباقاً وقوله تعالى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت صفة اخرى لسبع
وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بعلة الحكم وبانه تعالى خلقها بقدرته الظاهرة رحمة وتفضلاً وبان في ابداعها
نعماً جليلة او استيناف والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب ومن لتأكيد النفي اي ما ترى فيه شيئاً من تفاوت
اي اختلاف وعدم تناسب من الفوت فان كلاً من المتفاوتين لا يفوت منه بعض ما في الآخر وقرئ من تفوت ومعناهما واحد
فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق به على معنى التسبب حيث اخبر اولاً بانه لا تفاوت في خلقهن ثم قيل فارجع البصر حتى يتضح لك ذلك
بالمعاينة ولا يبقى عندك شبهة ما والفطور الشقوق والصدوع جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ثم ارجع البصر كرتين
اي رجعتين اخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك اي رجعة بعد رجعة وان كثرت ينقلب
اليك البصر خاسئاً اي بعيداً محروماً من اصابة ما التمسه من العيب والخلل كانه يطرد عن ذلك طرداً بالصغار والقماءة وهو حسير اي كليل لطول
المعاودة وكثرة المراجعة وقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بيان لكون خلق السموات في غاية الحسن والبهاء اثر بيان خلوها عن شائبة
القصور وتصدير الجملة بالقسم لابراز كمال الاعتناء بمضمونها اي وبالله لقد زينا اقرب السموات الى الارض بمصابيح اي بكواكب
مضيئة بالليل اضاءة السرج من السيارات والثوابت تتراءى كانها كلها مركوزة فيها مع ان بعضها في سائر السموات وما ذاك
الا لان كل واحد منها مخلوقة على نمط رائع تحار في فهمه الافكار وطراز فائق يهيم في دركه الانظار وجعلناها رجوماً
للشياطين وجعلنا لها فائدة اخرى وهي رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المقتبسة من نار الكواكب وقيل معناه وجعلناها
ظنوناً ورجوماً بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون ولا يساعده المقام والرجوم جمع رجم بالفتح وهو ما يرجم به واعتدنا لهم
في الآخرة عذاب السعير بعد الاحراق في الدنيا بالشهب وللذين كفروا بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وقرئ بالنصب
على انه عطف على عذاب السعير وللذين على لهم وبئس المصير اي جهنم اذا القوا فيها سمعوا لها اي لجهنم وهو متعلق بمحذوف وقع حالاً
من قوله تعالى شهيقاً لانه في الاصل صفة فلما قدمت صارت حالاً اي سمعوا كائناً لها شهيقاً اي صوتاً كصوت الحمير وهو حسيسها
المنكر الفظيع قالوا الشهيق في الصدر والزفير في الحلق وهي تفور اي والحال انها تغلي بهم غليان المرجل بما فيه وجعل الشهيق لاهلها ممن تقدمهم
وممن طرح فيها قبلهم كما في قوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق تكاد تميز اي تتميز وتتفرق من الغيظ اي من شدة الغضب عليهم فانه صرح
انه من آثار الغضب عليهم كما في قوله تعالى سمعوا لها تغيظاً وزفيراً ان هو من شهيقهم الناشئ من شدة ما يقاسونه من العذاب الاليم والجملة
اما حال من فاعل تفور او خبر آخر وقوله تعالى كلما القي فيها فوج استيناف مسوق لبيان حال اهلها بعد بيان حال نفسها وقيل حال من ضميرها
اي كلما القي فيها جماعة من الكفرة سألهم خزنتها بطريق التوبيخ والتقريع ليزدادوا عذاباً فوق عذابهم وحسرة فوق حسرة الم يأتكم نذير
يتلو عليكم آيات ربكم وينذركم لقاء يومكم هذا كما وقع في سورة الزمر ويعرب عنه جواباً لهم ايضاً قالوا اعترافاً بانه تعالى قد ازاح عللهم بالكلية
بلى قد جاءنا نذير جامعين بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها مبالغة في الاعتراف بمجيء النذير وتحسراً على ما فاتهم من السعادة في
تصديقهم وتمهيداً لبيان ما وقع منهم من التفريط تندماً واغتماماً على ذلك اي قال كل فوج من تلك الافواج قد جاءنا نذير اي واحد
حقيقة او حكماً كانبياء بني اسرائيل فانهم في حكم نذير واحد فانذرنا وتلا علينا ما نزل الله تعالى من آياته فكذبنا ذلك النذير في كونه
نذيراً من جهته تعالى وقلنا في حق ما تلاه من الآيات افراطاً في التكذيب وتمادياً في التكبر ما نزل الله على احد من شيء من الاشياء فضلاً
عن تنزيل الآيات عليكم ان انتم اي ما انتم في ادعاء انه تعالى نزل عليكم آيات تنذروننا بما فيها الا في ضلال كبير بعيد عن الحق والصواب وجمع ضمير

الخطاب مع ان يخاطب كل فوج نذيره لتغايبه على امثاله مبالغة في التكذيب وتماديا في التفصيل كما ينبئ عنه تعميم المنزل مع ترك ذكر المنزل عليه فانه
ملوح بعمومه حتما واما اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل فامر تحقيقي يصار اليه لتهويل ما ارتكبوه من الجناية ولا مساغ لاعتباره من جهتهم لا
لادراجه تحت عبارتهم كيف لا وهو منوط بملاحظة اجماع النذر على ما لا يختلف من الشرائع والاحكام باختلاف العصور والاعوام واين هم
من ذلك وقد حال الجريض دون القريض هذا اذا جعل ما ذكر حكاية عن كل واحد من الافواج واما اذا جعل حكاية عن الكل فالنذير اما بمعنى الجمع
لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف عام اي اهل نذير او منعوت به فيتفق كلا طرفي الخطاب في الجمعية ومن اعتبر الجمعية باحد الوجوه الثلثة
على التقدير الاول ولم يخص اعتبارها بالتقدير الاخير فقد اشتبه عليه الشؤون واختلط به الظنون وقد جوز ان يكون الخطاب
من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول على ان مرادهم بالضلال ما كانوا عليه في الدنيا او هلاكهم او عقاب ضلالهم تسمية له باسم سببه
او يكون من كلام الرسل للكفرة وقد حكوه للخزنة فتأمل وكن على الحق المبين وقالوا ايضا معترفين بانهم لم يكونوا ممن يسمع او يعقل
لو كنا نسمع كلاما او نعقل شيئا ما كنا في اصحاب السعير اي في عدادهم ومن اتباعهم وهم الشياطين لقوله تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير
كان الخزنة قالوا لهم في تضاعيف التوبيخ الم تسمعوا آيات ربكم ولم تعقلوا معانيها حتى لا تكذبوا بها فاجابوا بذلك فاعترفوا بذنبهم
الذي هو كفرهم وتكذيبهم بآيات الله ورسله فسحقا بسكون الحاء وقرئ بضمها مصدر مؤكد اما لفعل متعد من المزيد بحذف الزوائد كما
في قعدك الله اي فاسحقهم الله او لفعل مترتب على ذلك الفعل اي فاسحقهم الله فسحقوا اي بعدوا سحقا كما في قول من قال وعضة دهر يا ابن
مروان لم تدع من المال الا مسحت او مجلف اي لم يدع فلم يبق الا مسحت الى آخره وعلى هذين الوجهين قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا واللام في قوله تعالى
لاصحاب السعير للبيان كما في هيت لك ونحوه والمراد بهم الشياطين والداخلون في عدادهم بطريق التغليب ان الذين يخشون ربهم بالغيب
اي يخافون عذابه غائبا عنهم او غائبين عنه او عن اعين الناس او بما خفي منهم وهو قلوبهم لهم مغفرة عظيمة لذنوبهم واجر كبير لا يقادر قدره
واسروا قولكم او اجهروا به بيان لتساوي السر والجهر بالنسبة الى علمه تعالى كما في قوله تعالى سواء منكم من اسر القول ومن جهر به قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما نزلت في المشركين كانوا ينالون من النبي صلى الله عليه وسلم فيوحى اليه عليه السلام فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم كيلا يسمع رب
محمد فقيل لهم اسروا ذلك او اجهروا به فان الله يعلمه وتقديم السر على الجهر للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة في
بيان شمول علمه المحيط لجميع المخلوقات والمعلومات كان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يجهرون به مع كونهما في الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته
ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى او لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر اذ ما من شيء يجهر به الا وهو او مباديه
مضمر في القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدمة على تعلقه بحالته الثانية وقوله تعالى انه عليم بذات الصدور
تعليل لما قبله وتقرير له وفي صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق ووصف الضمائر بصاحبيتها من الجزالة ما لا غاية وراءه كانه
قيل انه مبالغ في الاحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما تسرون
وتجهرون به ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب التي في الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها وقوله
تعالى الا يعلم من خلق انكار ونفي لعدم احاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر اي الا يعلم السر والجهر من اوجد بموجب حكمته واوجد جميع الاشياء
التي هما من جملتها وقوله تعالى وهو اللطيف الخبير حال من فاعل يعلم مؤكدة للانكار والنفي اي الا يعلم ذلك والحال انه المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه
وما بطن ويجوز ان يكون من خلق منصوبا والمعنى الا يعلم الله من خلقه والحال انه بهذه المثابة من شمول العلم ولا مساغ لاخلائه عن المفعول
لاجرائه مجرى يعطي ويمنع على معنى الا يكون عالما من خلق لان الخلق لا يتأتى بدون العلم لخلو الحال حينئذ عن الافادة لان نظم الكلام حينئذ
الا يكون عالما وهو مبالغ في العلم هو الذي جعل لكم الارض ذلولا لينة يسهل عليكم السلوك فيها وتقديم لكم على مفعول الجعل لما ان الحاجة
عنها للاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر فان حقه التقديم اذا اخر لا سيما عند كون المقدم مما يدل على كون المؤخر من منافع المخاطبين
تبقى النفس مترقبة لوروده فيتمكن لديها عند ذكره فضل تمكن والفاء في قوله تعالى فامشوا في مناكبها لترتيب الامر على الجعل المذكور اي
اي فاسلكوا في جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير ارق اعضائه وانباها عن ان يطأه الراكب بقدميه فاذا جعل الارض في الذل
بحيث تأتى المشي في مناكبها لم يبق منها شيء لم يتذلل وكلوا من رزقه والتمسوا من نعم الله تعالى واليه النشور اي المرجع بعد البعث لا الى غيره

فبالغوا في شكر نعمه وآلائه ءأمنتم من في السماء اي الملائكة الموكلون بتدبير هذا العالم او الله سبحانه على تأويل من في السماء امره وقضاؤه او على زعم
العرب حيث كانوا يزعمون انه تعالى في السماء اي آمنتم من تزعمون انه في السماء وهو متعال عن المكان ان يخسف بكم الارض بعد ما جعلها
لكم ذلولا تمشون في مناكبها وتأكلون من رزقه لكفرانكم تلك النعمة اي يقلبها ملتبسة بكم فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل اشتمال من من
وقيل هو على حذف الجار اي من ان يخسف فاذا هي تمور تضطرب ذهابا ومجيئا على خلاف ما كانت عليه من الذل والاطمئنان ام امنتم من في السماء
اضراب عن التهديد بما ذكر وانتقال الى التهديد بوجه آخر اي بل امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا اي حجارة من السماء كما ارسلها الى
قوم لوط واصحاب الفيل وقيل ريحا فيها حجارة وحصباء كانها تقلع الحصباء لشدتها وقوتها وقيل هي سحاب فيها حجارة فستعلمون عن
قريب البتة كيف نذير اي انذاري عند مشاهدتكم للمنذر به ولكن لا ينفعكم العلم وقرئ فسيعلمون بالياء ولقد كذب الذين
من قبلهم اي من قبل كفار مكة من كفار الامم السالفة كقوم نوح وعاد واضرابهم والالتفات الى الغيبة لابراز الاعراض عنهم فكيف كان نكير
اي انكاري عليهم بانزال العذاب اي كان على غاية الهول والفظاعة وهذا مورد التأكيد القسمي لا تكذيبهم فقط وفيه من المبالغة في تسلية الرسول
صلى الله عليه وسلم وتشديد التهديد لقومه ما لا يخفى اولم يروا اغفلوا ولم ينظروا الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند
طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن حينا فحينا للاستظهار به على التحرك وهو السر في ايثار
يقبضن الدال على تجدد القبض تارة بعد تارة على قابضات ما يمسكهن في الجو عند الصف والقبض على خلاف مقتضى الطبع الا الرحمن الواسع
رحمته كل شيء بان براهن على اشكال وخصائص وهيأهن للجري في الهواء والجملة مستأنفة او حال من الضمير في يقبضن انه بكل شيء بصير
يعلم كيفية ابداع المبدعات وتدبير المصنوعات وقوله تعالى امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن تبكيت لهم بنفي ان يكون لهم
غير الله تعالى ناصر كما يلوح به التعرض لعنوان الرحمانية ويعضده قوله تعالى ما يمسكهن الا الرحمن او ناصر من عذابه تعالى كما هو الانسب بسياق من قوله تعالى
ان امسك رزقه كقوله تعالى ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا في المعنيين خلا ان الاستفهام هناك متوجه الى نفس المانع وتحققه وههنا الى تعيين
الناصر لتبكيتهم باظهار عجزهم عن تعيينه وام منقطعة مقدرة ببل المفيدة للانتقال من توبيخهم على ترك التأمل فيما يشاهدونه من احوال الطير
المنبئة عن تعاجيب آثار قدرة الله عز وجل الى التبكيت بما ذكر والالتفات للتشديد في ذلك ولا سبيل الى تقدير الهمزة معها لان ما بعدها من اسم استفهام
وهي مبتدأ وهذا خبره والموصول مع صلته صفته كما في قوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده وايثار هذا التحقير المشار اليه وينصركم صفة لجند باعتبار
لفظه ومن دون الرحمن على الوجه الاول اما حال من فاعل ينصركم او نعت لمصدره وعلى الثاني متعلق بينصركم كما في قوله تعالى فمن ينصرنا من الله
فالمعنى بل من هذا الحقير الذي هو في زعمكم جند لكم ينصركم متجاوزا نصر الرحمن او ينصركم نصرا كائنا من دون نصره تعالى او ينصركم من عذاب كائن من عند الله تعالى
وتوهم ان ام معادلة لقوله تعالى اولم يروا الى آخره مع القول بان من استفهامية مما لا تقريب له اصلا وقوله تعالى ان الكافرون الا في غرور
اعتراض مقرر لما قبله ناع عليهم ما هم فيه من غاية الضلال اي ما هم في زعمهم انهم محفوظون من النوائب بحفظ آلهتهم لا بحفظه تعالى فقط
او ان آلهتهم تحفظهم من بأس الله الا في غرور عظيم وضلال فاحش من جهة الشيطان ليس لهم في ذلك شيء يعتد به في الجملة والالتفات
الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم وبيان قبائحهم لغيرهم والاظهار في موقع الاضمار لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به والكلام
في قوله تعالى امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه اي الله عز وجل رزقه بامساك المطر وسائر مباديه كالذي مر تفصيله خلا ان قوله
بل لجوا في عتو ونفور مبني على مقدر يستدعيه المقام كانه قيل اثر التبكيت والتعجيز لم يتأثروا بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا وتمادوا في عتو
اي عناد واستكبار وطغيان ونفور اي شراد عن الحق وقوله تعالى افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى الى آخره مثل ضرب للمشرك والموحد توضيحا
لحالهما وتحقيقا لشأن مذهبيهما والفاء لترتيب ذلك على ما ظهر من سوء حالهم وخرورهم في مهاوي الغرور وركوبهم متن عشواء العتو والنفور
وعدم اهتدائهم في مسلك المحاجة الى جهة يتوهم فيها رشد في الجملة فان تقدم الهمزة عليها صورة انما هو لاقتضائها الصدارة واما بحسب المعنى
فالامر بالعكس كما هو المشهور حتى لو كان مكان الهمزة هل لقيل فهل من يمشي مكبا الى آخره والمكب الساقط على وجهه يقال اكبه فاكب على وجهه
وحقيقته صار ذا كب ودخل في الكب كاقشع الغمام اي صار ذا قشع والمعنى افمن يمشي وهو يعثر في كل ساعة ويخر على وجهه في كل خطوة لتوعر طريقه
واختلال قواه اهدى الى المقصد الذي يؤمه ام من يمشي سويا اي قائما سالما من الخبط والعثار على صراط مستقيم مستوي الاجزاء لا عوج

فيه ولا انحراف قيل خبر من الثانية محذوف لدلالة خبر الاولى عليه ولا حاجة الى ذلك فان الثانية معطوفة على الاولى عطف المفرد على المفرد
كقولك ازيد افضل ام عمرو وقيل اريد بالمكب الاعمى وبالسوي البصير وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي سويا
الذي يحشر على قدميه الى الجنة والابصار لتنظروا بها الى الآيات التكوينية وترتقوا في معارج الايمان الشاهدة بشؤون الله عز وجل
والافئدة لتتفكروا بها فيما تسمعونه وتشاهدونه من الآيات التنزيلية والتكوينية وترتقوا في معارج الايمان والطاعة قليلا ما تشكرون
اي باستعمالها فيما خلقت لاجله من الامور المذكورة وقليلا نعت لمحذوف وما مزيدة لتأكيد القلة اي شكرا قليلا او زمانا قليلا تشكرون
وقيل القلة عبارة عن العدم قل هو الذي ذرأكم في الارض اي خلقكم وكثركم فيها لا غيره واليه تحشرون للجزاء لا الى غيره اشتراكا او استقلالا
فابنوا اموركم على ذلك ويقولون من فرط عتوهم وعنادهم متى هذا الوعد اي الحشر الموعود كما ينبئ عنه قوله تعالى واليه تحشرون ان كنتم
صادقين يخاطبون به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون حيث كانوا مشاركين له عليه السلام في الوعد وتلاوة الآيات المتضمنة له وجواب
الشرط محذوف اي ان كنتم صادقين فيما تخبرونه من مجيء الساعة والحشر فبينوا وقته قل انما العلم اي العلم بوقته عند الله عز وجل لا يطلع عليه غيره كقوله
تعالى قل انما علمها عند ربي وانما انا نذير مبين انذركم وقوع الموعود لا محالة واما العلم بوقت وقوعه فليس من وظائف الانذار والفاء
في قوله تعالى فلما رأوه فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترتيب الشرطية عليهما كانه قيل وقد اتاهم الموعود فرأوه فلما رأوه الى آخره كما مر تحقيقه في قوله تعالى
فلما رآه مستقرا عنده الا ان المقدر هناك امر واقع مترتب على ما قبله بالفاء وههنا امر منزل منزلة الواقع وارد على طريقة الاستيناف وقوله تعالى
زلفة حال من مفعول رأوه اما بتقدير المضاف اي ذا زلفة وقرب او على انه مصدر بمعنى الفاعل اي مزدلفا او على انه مصدر نعت به مبالغة
او ظرف اي رأوه في مكان ذي زلفة سيئت وجوه الذين كفروا بان غشيتها الكآبة ورهقها القتر والذلة ووضع الموصول موضع ضميرهم
لذمهم بالكفر وتعليل المساءة به وقيل توبيخا لهم وتشديدا لعذابهم هذا الذي كنتم به تدعون اي تطلبونه في الدنيا وتستعجلونه انكارا واستهزاء على
انه تفتعلون من الدعاء وقيل هو من الدعوى اي تدعون ان لا بعث ولا حشر وقرئ تدعون وقد روي عن مجاهد ان الموعود عذاب يوم
بدر وهو بعيد قل ارأيتم اي اخبروني ان اهلكني الله اي اماتني والتعبير عنه بالاهلاك لما كانوا يدعون عليه صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك
ومن معي من المؤمنين او رحمنا بتأخير آجالنا فنحن في جوار رحمته متربصون لاحدى الحسنيين فمن يجير الكافرين من عذاب اليم اي لا
يجيركم منه احد متنا او بقينا ووضع الكافرين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالكفر وتعليل نفي الانجاء به قل هو الرحمن اي الذي ادعوكم الى عبادته
مولى النعم كلها آمنا به وحده لما علمنا ان كل ما سواه اما نعمة او منعم عليه وعليه توكلنا لا على غيره اصلا لعلمنا ان ما عداه كائنا ما كان بمعزل
من الضر والنفع فستعلمون عن قريب البتة من هو في ضلال مبين منا ومنكم وقرئ فسيعلمون بالياء التحتانية قل ارأيتم اي اخبروني ان اصبح
ماؤكم غورا اي غائرا في الارض بالكلية وقيل بحيث لا تناله الدلاء وهو مصدر وصف به فمن يأتيكم بماء معين جار او ظاهر
سهل المأخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكانما احيى ليلة القدر صدق رسول الله وصدق حبيب الله

سورة القلم

بسم الله الرحمن الرحيم ن بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر وبالفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان يكون الفتح باضمار حرف
القسم في موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وان يكون ذلك باضمار اذكر لا فتحا كما سبق في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتانيث
على انه علم للسورة منصوبا على الوجه المذكور او مرفوعا على انه خبر لمبتدأ محذوف فالواو في قوله تعالى والقلم للقسم وان جعل اسما للحرف ثم ان جعل
للحرف مسرودا على نمط التعديد للتحدي باحد الطريقين المذكورين في موضعه او اسما للسورة منصوبا على الوجه المذكور او مرفوعا على انه خبر لمبتدأ
محذوف فالواو في قوله تعالى والقلم للقسم وان جعل مقسما به فهي للعطف عليه واياما كان اريد به قلم اللوح والكرام الكاتبين فاستحقاقه للاعظام
بالاقسام به ظاهر وان اريد به الجنس فاستحقاق ما في ايدي الناس لذلك لكثرة منافعه ولو لم يكن له مزية سوى كونه آلة لتحرير كتب الله تعالى لكفى به فضلا
موجبا لتعظيمه وقرئ بادغام النون في الواو وما يسطرون الضمير لاصحاب القلم المدلول بذكره وقيل للقلم على ان المراد به اصحابه كانه قيل واصحاب
القلم ومسطوراتهم على ان ما موصولة او وسطرهم على انها مصدرية وقيل للقلم نفسه باسناد الفعل الى الآلة واجرائه مجرى العقلاء لاقامته مقامهم

وما

وقيل المراد بالقلم ما خط اللوح خاصة والجمع للتعظيم ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والباء متعلقة بمضمر هو حال من الضمير في
خبرها والعامل فيها معنى النفي كانه قيل انت بريء من الجنون ملتبسا بنعمة الله التي هي النبوة والرياسة العامة والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن
التبليغ الى معارج الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه عليه السلام والايذان بانه تعالى يتم نعمته عليه ويبلغه من العلو الى غاية لا غاية
وراءها والمراد تنزيهه صلى الله عليه وسلم عما كانوا ينسبونه اليه عليه السلام من الجنون حسدا وعداوة ومكابرة مع جزمهم بانه عليه السلام
في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية من حصافة العقل ورزانة الرأي وان لك بمقابلة مقاساتك الوان الشدائد من جهتهم
وتحملك لاعباء الرسالة لاجرا لثوابا عظيما لا يقادر قدره غير ممنون مع عظمه كقوله تعالى عطاء غير مجذوذ اي غير ممنون عليك
من جهة الناس فانه عطاؤه تعالى بلا توسط وانك لعلى خلق عظيم لا يدرك شأوه احد من الخلق ولذلك تحتمل من جهتهم ما لا يكاد يحتمله
البشر وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه عليه الصلوة والسلام فقالت كان خلقه القرآن الست تقرأ قد افلح المؤمنون والجملتان
معطوفتان على جواب القسم فستبصر ويبصرون قال ابن عباس رضي الله عنهما فستعلم ويعلمون يوم القيمة حين يتبين الحق من الباطل
وقيل فستبصر ويبصرون في الدنيا بظهور عاقبة امركم بغلبة الاسلام واستيلائك عليهم بالقتل والاسر والنهب وصيرورتك مهيبا معظما
في قلوب العالمين وكونهم اذلة صاغرين قال مقاتل هذا وعيد بعذاب يوم بدر بأيكم المفتون اي ايكم الذي فتن بالجنون والباء
مزيدة او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود او باي الفريقين منكم الجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين
اي في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بابي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة واضرابهما كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب
الاشر وقوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله تعليل لما ينبئ عنه ما قبله من ظهور جنونهم بحيث لا يخفى على احد وتأكيد لما فيه من الوعد
والوعيد اي هو اعلم بمن ضل عن سبيله تعالى المؤدي الى سعادة الدارين وهام في تيه الضلال متوجها الى ما يقضيه الى الشقاوة الابدية وهذا
هو المجنون الذي لا يفرق بين النفع والضرر بل يحسب الضرر نفعا فيؤثره والنفع ضررا فيهجره وهو اعلم بالمهتدين الى سبيله الفائزين بكل مطلوب
الناجين عن كل محذور وهم العقلاء المراجيح فيجزي كلا من الفريقين حسبما يستحقه من العقاب والثواب واعادة هو اعلم لزيادة التقرير والفاء
في قوله تعالى فلا تطع المكذبين لترتيب النهي على ما ينبئ عنه ما قبله من اهتدائه عليه السلام وضلالهم او على جميع ما فصل من اول السورة وهذا
تهييج والهاب للتصميم على معاصيهم اي دم على ما انت عليه من عدم طاعتهم وتصلب في ذلك او نهي عن مداهنتهم ومداراتهم باظهار خلاف
ضميره عليه السلام استجلابا لقلوبهم لا عن طاعتهم حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى ودوا لو تدهن فانه تعليل للنهي او للانتهاء وانما عبر عنها بالطاعة
للمبالغة في الزجر والتنفير اي احبوا لو تلاينهم وتسامحهم في بعض الامور فيدهنون اي فهم يدهنون طمعا في ادهانك وقيل هو عطف على تدهن
داخل في حيز لو والمعنى ودوا لو يدهنون عقيب ادهانك ويأباه ما سلف من تدبيرهم بالادهان على ان ادهانهم امر محقق لا يناسب له
ادخاله تحت التمني واياما كان فالمعتبر في جانبهم حقيقة الادهان الذي هو اظهار الملاينة واضمار خلافها واما في جانبه عليه السلام فالمعتبر
بالنسبة الى ودادتهم هو اظهار الملاينة فقط واما اضمار خلافها فليس في حيز الاعتبار بل هم في غاية الكراهة له وانما اعتباره بالنسبة اليه
عليه السلام وفي بعض المصاحف فيدهنوا على انه جواب التمني المفهوم من ودوا وان ما بعده حكاية لودادتهم وقيل على انه عطف على
تدهن بناء على ان لو بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا لودوا كانه قيل ودوا ان تدهن
فيدهنوا وقيل لو على حقيقتها وجوابها محذوف وكذا مفعول ودوا اي ودوا ادهانك لو تدهن فيدهنون لسروا بذلك ولا تطع كل حلاف
اي كثير الحلف في الحق والباطل وتقديم هذا الوصف على سائر الاوصاف الزاجرة على الطاعة لكونه ادخل في الزجر مهين حقير الرأي والتدبير
هماز عياب طعان مشاء بنميم مضرب نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم فان النميم والنميمة السعاية مناع
للخير اي بخيل ومناع للناس من الخير الذي هو الايمان والطاعة والانفاق معتد متجاوز في الظلم اثيم كثير الآثام عتل جاف غليظ من عتله
اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعد ما عد من مثالبه زنيم دعي مأخوذ من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى متدلية
في حلقها وفي قوله تعالى بعد ذلك دلالة على ان دعوته اشد معايبه واقبح قبائحه قيل هو الوليد بن المغيرة فانه كان دعيا في قريش وليس من سنخهم ادعاه
المغيرة بعد ثماني عشرة من مولده وقيل هو الاخنس بن شريق اصله من ثقيف وعداده في زهرة ان كان ذا مال وبنين متعلق بقوله تعالى لا تطع

اي

اى لا تطع من هذه مثالبه لان كان متمولا مستظهرا بالبنين وقوله تعالى اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين استيناف جار
مجرى التعليل للنهى وقيل متعلق بما دل عليه الجملة الشرطية من معنى الجحود والتكذيب لا بجواب الشرط لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله كانه قيل
لكونه مستظهرا بالمال والبنين كذب بآياتنا وفيه انه يدل على ان مدار تكذيبه كونه ذا مال وبنين من غير ان يكون لسائر قبائحه دخل فى ذلك
وقرئ أان كان على معنى ألان كان ذا مال كذب بها او اتطيعه وقرئ ان كان بالكسر والشرط للمخاطب اى لا تطع كل حلاف شارطا يساره
لان طاعة الكافر لغناه بمنزلة اشتراط غناه فى الطاعة سنسمه على الخرطوم بالكى على اكرم مواضعه لغاية اهانته واذلاله قيل اصاب انف
الوليد جراحة يوم بدر فبقيت علامتها وقيل معناه سنعلمه يوم القيمة بعلامة مشوهة يعلم بها عن سائر الكفرة انا بلوناهم اى اهل مكة
بالقحط بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بلونا اصحاب الجنة وهم من اهل الصلوة كانت لابيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان
يأخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقى وكان ينادى الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطأه المنجل وما فى اسفل الاكداس وما اخطأه القطاف من العنب
وما بقى على البساط الذى يبسط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شئ كثير فلما مات ابوهم قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر
فحلفوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ليقطعنها داخلين فى الصباح ولا يستثنون اى لا يقولون ان شاء الله وتسميته استثناء مع انه
شرط من حيث ان مؤداه مؤدى الاستثناء فان قولك لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله بمعنى واحد او ولا يستثنون حصة المساكين كما كان
يفعله ابوهم والجملة مستأنفة فطاف عليها اى على الجنة طائف بلاء طائف وقرئ طيف من ربك مبتدأ من جهته تعالى وهم نائمون غافلون عما جرى به المقادير
فاصبحت كالصريم كالبستان الذى صرمت ثماره بحيث لم يبق فيها شئ فعيل بمعنى مفعول وقيل كالليل اى احترقت فاسودت وقيل كالنهار اى يبست وابيضت سميا بذلك
لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه وقيل الصريم الرمال فتنادوا اى نادى بعضهم بعضا مصبحين اى داخلين فى الصباح ان اغدوا اى اغدوا على ان ان مفسرة
او بان اغدوا على انها مصدرية اى اخرجوا غدوة على حرثكم بستانكم وضيعتكم وتعدية الغدو بعلى لتضمينه معنى الاقبال او الاستيلاء ان كنتم صارمين
قاصدين للصرم فانطلقوا وهم يتخافتون اى يتشاورون فيما بينهم بطريق المخافتة وخفى وخفت وخفد ثلاثتها فى معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ان
لا يدخلنها اى الجنة اليوم عليكم مسكين ان مفسرة لما فى التخافت من معنى القول وقيل بطرحها على اضمار القول والمراد بنهى المسكين عن الدخول المبالغة
فى النهى عن تمكينه من الدخول كقولهم لا ارينك ههنا وغدوا على حرد قادرين اى على نكد لا غير من حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل
اذا منعت درها والمعنى انهم ارادوا ان ينكدوا على المساكين فتحرموا هم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال لا يقدرون فيها الا على النكد
والحرمان وذلك انهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة او وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين
على اصابة خيرها ومنافعها اى غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به اى لم يقدروا
الا على حنق بعضهم لبعض لقوله تعالى يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة اى غدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على
صرامها وقيل هو علم للجنة فلما رأوها قالوا فى بديهة رؤيتهم انا لضالون طريق جنتنا وما هى بها بل نحن محرومون قالوه بعدما تأملوا ووقفوا على حقيقة
الامر مضربين عن قولهم الاول اى لسنا ضالين بل نحن محرومون حرمنا خيرها بجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم اى رأيا او سنا الم اقل لكم
لولا تسبحون لولا تذكرون الله تعالى وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد كان قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وتوبوا اليه عن هذه العزيمة
الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء
لاشتراكهما فى التعظيم او لانه تنزيه له تعالى عن ان يجرى فى ملكه ما لا يشاؤه قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين يلوم بعضهم بعضا فان منهم من اشار بذلك
ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا به ومنهم من انكره قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين متجاوزين حدود الله تعالى عسى ربنا ان يبدلنا وقرئ بالتشديد
اى يعطينا بدلا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة خيرا منها انا الى ربنا راغبون راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع
عن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها وروى انهم تعاقدوا وقالوا ان ابدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع ابونا فدعوا الله تعالى وتضرعوا اليه فابدلهم
الله تعالى من ليلتهم ما هو خير منها قالوا ان الله تعالى امر جبريل عليه السلام ان يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر من ارض الشام ويأخذ من الشام جنة
فيجعلها مكانها وقال ابن مسعود ان القوم لما اخلصوا وعرف الله منهم الصدق ابدلهم جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا
وقال ابو خالد اليمانى دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود منها كالرجل الاسود القائم وسئل قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار

فقال لقد كلفتنى تعبا وعن الحسن رضى الله عنه قول اصحاب الجنة انا الى ربنا راغبون لا ادرى ايمانا كان ذلك منهم او على حد ما يكون من
المشركين اذا اصابتهم الشدة فتوقف فى امرهم والاكثرون على انهم تابوا واخلصوا حكاه القشيرى كذلك العذاب جملة من مبتدأ وخبر مقدم لافادة القصر
والالف واللام للعهد اى مثل الذى بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر اعظم واشد لو كانوا يعلمون انه اكبر لاحترزوا
عما يؤديهم اليه ان للمتقين من الكفر والمعاصى عند ربهم اى فى الآخرة او فى جوار القدس جنات النعيم جنات ليس فيها الا التنعم الخالص
عن شائبة ما ينقصه من الكدورات وخوف الزوال كما عليه نعيم الدنيا وقوله تعالى افنجعل المسلمين كالمجرمين تقرير لما قبله من فوز المتقين بجنات النعيم
ورد لما يقوله الكفرة عند سماعهم بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين فيها فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم
يكن حالنا وحالهم الا كما هى فى الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساوونا والهمزة للانكار والفاء للعطف على
مقدر يقتضيه المقام اى انحيف فى الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتأكيد الرد وتشديده ام لكم كتاب
تعجبا من حكمهم واستبعادا له وايذانا بانه لا يصدر عن عاقل فيه تدرسون نازل من السماء تدرسونه اى تقرؤن ان لكم فيه لما تخيرون
وتشتهون واصله ان لكم بالفتح لانه مدروس فلما جئ باللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله تعالى وتركنا عليه فى
الآخرين سلام على نوح فى العالمين وتخير الشئ واختياره اخذ خيره ام لكم ايمان علينا اى عهود مؤكدة بالايمان بالغة متناهية فى التأكيد
وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها احد الظرفين الى يوم القيمة متعلق بالمقدر فى لكم اى ثابتة لكم الى يوم القيمة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم
يومئذ ونعطيكم ما تحكمون او ببالغة اى ايمان تبلغ ذلك اليوم وتنتهى اليه وافرة لم تبطل منها يمين ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم علينا
ايمان ام اقسمنا لكم سلهم تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسقاطهم عن رتبة الخطاب اى سلهم مبكتا ايهم بذلك
الحكم الخارج عن العقول زعيم اى قائم يتصدى لتصحيحه ام لهم شركاء يشاركونهم فى هذا القول يذهبون مذهبهم فليأتوا بشركائهم ان
كانوا صادقين فى دعواهم اذ لا اقل من التقليد وقد نبه فى هذه الآيات الكريمة على ان ليس لهم شئ يتوهم ان يتشبثوا به حتى التقليد الذى لا يفلح من
تشبث بذيله وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل المسلمين فى الآخرة يوم يكشف عن ساق اى يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل فى
ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن فى الهرب قال حاتم اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا وقيل ساق الشئ
اصله الذى به قوامه كساق الشجر وساق الانسان اى يوم يكشف عن اصل الامر فتظهر حقائق الامور واصولها بحيث تصير عيانا وتنكيره للتهويل
او التعظيم وقرئ تكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول والفعل للساعة او الحال وقرئ نكشف بالنون وتكشف بالتاء المضمومة
وكسر الشين من اكشف اذا دخل فى الكشف وناصب الظرف فليأتوا او مضمر مقدم اى اذكر يوم او مؤخر اى يوم يكشف عن ساق
يكون من الاهوال وعظائم الاحوال ما لا يبلغه الوصف ويدعون الى السجود توبيخا وتعنيفا على تركهم اياه فى الدنيا وتحسيرا لهم على تفريطهم
فى ذلك فلا يستطيعون لزوال القدرة عليه وفيه دلالة على انهم يقصدون السجود فلا يتأتى منهم ذلك وعن ابن مسعود رضى الله عنه تعقم اصلابهم
اى ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثنى عند الرفع والخفض وفى الحديث وتبقى اصلابهم طبقا واحدا اى فقارة واحدة خاشعة ابصارهم
حال من مرفوع يدعون على ان ابصارهم مرتفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع الى الابصار لظهور اثره فيها ترهقهم ذلة تلحقهم وتغشاهم
ذلة شديدة وقد كانوا يدعون الى السجود فى الدنيا والاظهار فى موضع الاضمار لزيادة التقرير او لان المراد به الصلوة او ما فيها
من السجود والدعوة دعوة التكليف وهم سالمون متمكنون منه اقوى تمكن فلا يجيبون اليه ويأبونه وانما ترك ذكره ثقة بظهوره فذرنى
ومن يكذب بهذا الحديث اى كله الى فانى اكفيكه اى حسبك فى الايقاع به والانتقام منه ان تكل الى وتخلى بينى وبينه فانى عالم
بما يستحقه من العذاب ومطيق له والفاء لترتيب الامر على ما قبلها من احوالهم المحكية اى اذا كان فى الآخرة كذلك فذرنى ومن يكذب بهذا
الحديث بالقرآن وتوكل على فى الانتقام منه وقوله تعالى سنستدرجهم استيناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد من الامر السابق اجمالا
والضمير لمن والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فى يكذب باعتبار لفظها اى سنستنزلهم الى العذاب درجة فدرجة بالاحسان وادامة
الصحة وازدياد النعمة من حيث لا يعلمون انه استدراج وهو الانعام عليهم بل يزعمون انه ايثار لهم وتفضيل على المؤمنين مع انه سبب
لهلاكهم واملى لهم وامهلهم ليزدادوا اثما وهم يزعمون ان ذلك لارادة الخير بهم ان كيدى متين لا يوقف عليه ولا يدفع بشئ وتسميته ذلك

كيدا الكونه في صورة الكيد أم تسألهم على البلاغ والارشاد أجرا دنيويا فهم لاجل ذلك من مغرم اي غرامة مالية مثقلون مكلفون حملا
ثقيلا فيعرضون عنك أم عندهم الغيب اي اللوح والمغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتاخير نصرتك
عليهم ولا تكن كصاحب الحوت اي يونس عليه السلام إذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم مملو غيظا والجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور النهي لا على النداء
فانه امر مستحسن ولذلك لم يذكر المنادى واذ منصوب بمضاف محذوف اي لا يكن حالك كحاله وقت ندائه اي لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر
والمغاضبة فتبتلى ببلائه لولا أن تداركه نعمة من ربه وقرئ رحمة وهو توفيقه للتوبة وقبولها منه وحسن تذكير الفعل للفصل بالضمير
وقرئ تداركته وتداركه اي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه لنبذ بالعراء بالارض الخالية من
الاشجار وهو مذموم مليم مطرود من الرحمة والكرامة وهو حال من مرفوع نبذ عليها يعتمد جواب لولا لانها هي المنفية لا النبذ
بالعراء كما في الحال الاولى والجملة الشرطية استئناف وارد لبيان كون المنهي عنه امرا محذورا مستتبعا للغائلة وقوله تعالى فاجتباه ربه
عطف على مقدر اي فتداركته نعمة من ربه فاجتباه بان رد اليه الوحي وارسله الى مائة الف او يزيدون وقيل استنباه ان صح انه
لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة فجعله من الصالحين من الكاملين في الصلاح بان عصمه من ان يفعل فعلا يكون تركه اولى روي انها نزلت
باحد حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو على المنهزمين من المؤمنين وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف وإن يكاد الذين
كفروا ليزلقونك بأبصارهم وقرئ ليزلقونك بفتح الياء من زلقه بمعنى ازلقه ويزهقونك وان هي المخففة واللام دليلها والمعنى انهم
لشدة عداوتهم لك ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك فيرمونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني اي لو امكنه
بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ قد روي انه كان في بني اسد عيانون فاراد بعضهم ان يعين رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت وفي الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله من خصائص بعض النفوس وعن الحسن دواء الاصابة
بالعين ان تقرأ هذه الآية لما سمعوا الذكر اي وقت سماعهم القرآن على ان لما ظرفية منصوبة بيزلقونك وذلك لاشتداد بغضهم
وحسدهم عند سماعه ويقولون لغاية حيرتهم في امره عليه السلام ونهاية جهلهم بما في تضاعيف القرآن من تعاجيب الحكم وبدائع العلوم المحجوبة
عن العقول المنغمسة باحكام الطبائع ولتنفير الناس عنه إنه لمجنون وحيث كان مدار حكمهم الباطل ما سمعوه منه عليه السلام رد ذلك ببيان علو
شانه وسطوع برهانه فقيل وما هو إلا ذكر للعالمين على انه حال من فاعل يقولون مفيدة لغاية بطلان قولهم وتعجيب السامعين من جراتهم على تفوه تلك
العظيمة اي يقولون ذلك والحال انه ذكر للعالمين اي تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون اليه من امور دينهم فاين من انزل عليه ذلك وهو مطلع على
اسراره طرا ومحيط بجميع حقائقه خبرا مما قالوا وقيل معناه شرف وفضل لقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقيل الضمير لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وكونه مذكرا وشرفا للعالمين لا ريب فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

صدق رسول الله فيما قال

سورة الحاقة

بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة اي الساعة او الحالة الثابتة الوقوع الواجبة المجيء لا محالة او التي تحق فيها الامور الحاقة من الحساب
والثواب والعقاب او التي تحق فيها الامور اي تعرف على الحقيقة من حقه يحقه اذا عرف حقيقته وجعل الفعل مجازا لها وهو لما فيها من الامور او لمن
فيها من اولي العلم وايا ما كان فحذف الموصوف للايذان بكمال ظهور اتصافه بهذه الصفة وجريانها مجرى الاسم وارتفاعها على الابتداء خبرها ما الحاقة
على ان ما مبتدأ ثان والحاقة خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والاصل ما هي اي اي شيء هي هذا ما ذكروه في اعراب هذه الجملة ونظائرها وقد سبق
في سورة الواقعة ان مقتضى التحقيق ان يكون ما الاستفهامية خبرا لما بعدها فان مناط الافادة بيان ان الحاقة امر بديع وخطب فظيع كما يفيده كون
ما خبرا لا بيان ان امرا بديعا الحاقة كما يفيده كونها مبتدأ وكون الحاقة خبرا وقوله تعالى فان ما قد بطلت طيها الصفة والحال في وضع الظاهر موضع الضمير
تاكيد لهولها هي في حالها وصفتها وما أدراك اي واي شيء اعلمك ما الحاقة تاكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم المخلوقات
على معنى ان عظم شانها ومدى هولها وشدتها بحيث لا تكاد تبلغه دراية احد ولا وهمه وكيف ما قدرت حالها فهي اعظم من ذلك واهول
فلا يتسنى الاعلام وما في حيز الرفع على الابتداء وادراك خبره ولا مساغ ههنا للعكس وما الحاقة جملة من مبتدأ وخبر على الوجه الذي عرفته

محلها النصب على اسقاط الخافض لان ادرى يتعدى الى المفعول الثاني بالباء كما في قوله تعالى ولا ادراكم به فلما وقعت جملة الاستفهام
معلقة له كانت في موضع المفعول الثاني والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبرا لقوله تعالى الحاقة مؤكدة لهولها كما مر
كذبت ثمود وعاد بالقارعة اي بالحالة التي تقرع الناس بفنون الافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك
والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعها موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى القرع فيها تشديدا لهولها والجملة استئناف مسوق لاعلام بعض
احوال الحاقة له عليه السلام اثر تقرير انه ما ادراه بها احد كما في قوله تعالى وما ادراك ماهيه نار حامية ونظيره خلا ان المبين هناك نفس
المسؤول عنها وههنا حال من احوالها كما في قوله تعالى وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر فكما ان المبين هناك ليس نفس ليلة القدر
بل فضلها وشرفها كذلك المبين ههنا هول الحاقة وعظم شدتها وكونها بحيث يحق اهلاك من يكذب بها كانه قيل وما ادراك ما الحاقة
كذبت بها ثمود وعاد فاهلكوا فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية اي بالواقعة المجاوزة للحد وهي الصيحة والرجفة وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر
اي شديدة الصوت لها صرصرة او شديدة البرد تحرق ببردها عاتية شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها
او على عاد فلم يقدروا على ردها وقوله تعالى سخرها عليهم الى آخره استئناف جيء به بيانا لكيفية اهلاكهم بالريح اي سلطها الله تعالى بقدرته
القاهرة سبع ليال وثمانية أيام حسوما اي متتابعات جمع حاسم كشهود جمع شاهد من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها او نحسات حسمت
كل خير واستاصلته او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او على المصدر لفعله المقدر حالا اي
تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهي كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء الى غروب الاربعاء الآخر وانما سميت عجوزا لان عجوزا من عاد
توارت في سرب فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فاهلكتها وقيل هي ايام العجز وهي آخر الشتاء واسماؤها الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل
ومطفئ النار الجمر وقيل مكفئ الظعن فترى القوم ان كنت حاضرا فيها في مهابها او في تلك الليالي والايام صرعى موتى جمع صريع كأنهم أعجاز نخل اي اصول نخل
خاوية متآكلة الاجواف فهل ترى لهم من باقية اي بقية او نفس باقية او بقاء على انها مصدر كالكاذبة والطاغية وجاء فرعون ومن قبله اي من
تقدمه وقرئ ومن قبله اي ومن عنده من اتباعه ويؤيده انه قرئ ومن معه والمؤتفكات اي قرى قوم لوط اي اهلها بالخاطئة بالخطاء او بالفعلة او الافعال
ذات الخطاء التي من جملتها تكذيب البعث والقيمة فعصوا رسول ربهم اي فعصى كل امة رسولها حين نهوهم عما كانوا يتعاطونه من القبائح فأخذهم اي الله
عز وجل أخذة رابية اي زائدة في الشدة كما زادت قبائحهم في القبح من ربا الشيء اذا زاد إنا لما طغى الماء بسبب اصرار قوم نوح على فنون الكفر والمعاصي
ومبالغتهم في تكذيبه عليه السلام فيما اوحي اليه من الاحكام التي من جملتها احوال القيمة حملناكم اي في اصلاب آبائكم في الجارية في سفينة نوح عليه السلام كما
عنه كلمة في فانها ليست بصلة بل متعلقة بمحذوف هو حال من مفعوله اي رفعناكم فوق الماء وحفظناكم حال كونكم في السفينة الجارية بامرنا وحفظنا وفيه
تنبيه على ان مدار نجاتهم محض عصمته تعالى لنجعلها اي الفعلة التي هي عبارة عن انجاء المؤمنين واغراق الكافرين لكم تذكرة عبرة ودلالة على كمال
قدرة الصانع وحكمته وقوة قهره وسعة رحمته وتعيها اي تحفظها والوعي ان تحفظ الشيء في نفسك والايعاء ان تحفظه في غير نفسك من وعاء وقرئ اذن
بالتخفيف فاذا نفخ في الصور نفخة شروع في بيان نفس الحاقة وقرئ تعيها بسكون العين تشبيها له بكتف أذن واعية اي اذن من شانها ان تحفظ ما يجب حفظه بتذكره
واشاعته والتفكر فيه ولا تضيعه بترك العمل به والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شانه مع قلته يتسبب لنجاة الجم الغفير وادامة نسلهم وقرئ اذن
بالتخفيف فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة شروع في بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها اثر بيان عظم شانها باهلاك مكذبيها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر
لتقييده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة واحدة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التي عندها خراب العالم
وحملت الأرض والجبال اي قلعت ورفعت من اماكنها بمجرد القدرة الالهية او بتوسط الزلزلة او الريح العاصفة فدكتا دكة واحدة اي فضربت
الجملتان اثر رفعهما بعضها ببعض ضربة واحدة حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا قاعا صفصفا
لا ترى فيها عوجا ولا امتا من قولهم اندك السنام اذا افترش وبعير ادك وناقة دكاء ومنه الدكان فيومئذ فحينئذ وقعت الواقعة
اي قامت القيامة وانشقت السماء لنزول الملائكة فهي اي السماء يومئذ واهية ضعيفة مسترخية بعدما كانت محكمة والملك اي الخلق
المعروف بالملك على أرجائها اي جوانبها جمع رجا بالقصر اي تنشق السماء التي هي مساكنهم فيلجؤون الى اكنافها وحافاتها ويحمل عرش ربك
فوقهم اي فوق الملائكة الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية يومئذ ثمانية من الملائكة عن النبي صلى الله عليه وسلم هم اليوم اربعة فاذا كان

يوم القيمة ايدهم الله باربعة آخرين فيكون ثمانية وروى ثمانية املاك ارجلهم في تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وروى ثمانية املاك في خلق الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله اعلم اثمانية ام ثمانية الاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله تعالى ويجوز ان يكون الثمانية من الروح او من خلق آخر وقيل هو تمثيل لعظمته تعالى بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام لكونها اقصى ما يتصور من العظمة والجلال والا فشأنه سبحانه اجل من ان يحيط به فلك العبارة والاشارة **يومئذ تعرضون** اى تسألون وتحاسبون عبر عنه بذلك تشبيها بعرض السلطان العسكر لتعرف احوالهم روى ان في يوم القيمة ثلث عرضات فاما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة ففيها تنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك بشماله وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل **لا تخفى منكم خافية** حال من مرفوع تعرضون اى تعرضون غير خاف عليه تعالى سر من اسراركم قبل ذلك ايضا وانما العرض لافشاء الحال والمبالغة في العدل او غير خاف يومئذ على الناس كقوله تعالى يوم تبلى السرائر وقرئ يخفى بالياء التحتانية **فاما من اوتى كتابه بيمينه** تفصيل للاحكام **فيقول** تبجحا وابتهاجا **هاؤم اقرؤا كتابيه** ها اسم لخذ وفيه ثلث لغات اجودهن هاء يا رجل وهاء يا امرأة وهاؤما يا رجلان او امرأتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء فيه وفي حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف وتسقط في الوصل واستحب اثباتها لثباتها في مصحف الامام **انى ظننت انى ملاق حسابيه** اى علمت ولعل التعبير عنه بالظن للاشعار بانه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا تنفك عنها العلوم النظرية غالبا **فهو في عيشة راضية** ذات رضا على النسبة بالصيغة كلابن وتامر او النسبة بالحرف وجعل الفعل لها مجازا وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم **في جنة عالية** مرتفعة المكان لانها في السماء او الدرجات او الابنية والاشجار **قطوفها** جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح مصدر **دانية** يتناولها القاعد **كلوا واشربوا** باضمار القول والجمع باعتبار المعنى **هنيئا** اى اكلا وشربا هنيئا وهنيتم هنيئا **بما اسلفتم** بمقابلة ما قدمتم من الاعمال الصالحة **في الايام الخالية** اى الماضية في الدنيا وعن مجاهد ايام الصيام وروى يقول الله تعالى يا اوليائي طالما نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا الآية **واما من اوتى كتابه بشماله** ورأى ما فيه من قبائح الاعمال **فيقول يا ليتنى لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه** لما شاهد من سوء العاقبة **يا ليتها** يا ليت الموتة التي متها **كانت القاضية** اى القاطعة لامرى ولم ابعث بعدها ولم الق ما القى فضمير ليتها للموتة ويجوز ان يكون لما شاهده من الحالة اى يا ليت الحيوة الدنيا كانت الموتة ولم اخلق حيا **ما اغنى عنى ماليه** مالى من المال والاتباع على ان ما نافية والمفعول محذوف اى هذه الحالة كانت الموتة التي قضت على لما انه وجدها امر من الموت فتمناه عندها وقد جوز ان يكون للحيوة الدنيا اى يا ليت الحيوة الدنيا كانت الموتة ولم اخلق حيا **ما اغنى عنى** مالى من المال والاتباع على ان ما نافية والمفعول محذوف او استفهامية للانكار اى اى شيء اغنى عنى ما كان لى من اليسار **هلك عنى سلطانيه** اى ملكى وتسلطى على الناس او حجتى التي كنت احتج بها في الدنيا او تسلطى على القوى والآلات فعجزت عن استعمالها في العبادات **خذوه** حكاية لما يقوله الله تعالى يومئذ لخزنة النار **فغلوه** اى شدوه بالاغلال **ثم الجحيم صلوه** اى لا تصلوه الا الجحيم وهى النار العظيمة ليكون الجزاء على وفق حيث كان يتعظم على الناس **ثم في سلسلة ذرعها** اى طولها **سبعون ذراعا فاسلكوه** فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده فهو فيما بينها مرهق لا يستطيع حراكا وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على الاختصاص والاهتمام بذكر الوان ما يعذب به وثم لتفاوت ما بين الغل والتصلية وما بينها وبين السلك في السلسلة في الشدة **انه كان لا يؤمن بالله العظيم** تعليل بطريق الاستيناف التحقيقى ووصفه تعالى بالعظيم للايذان بانه المستحق للعظمة فحسب فمن نسبها الى نفسه استحق اعظم العقوبات **ولا يحض على طعام المسكين** ولا يحث على بذل طعامه او على طعامه فضلا على ان يبذل من ماله وقيل ذكر الحض للتنبيه على ان تارك الحض بهذه المنزلة فما ظنك بتارك الفعل وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة قالوا تخصيص الامرين بالذكر لما ان اقبح العقائد الكفر واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب **فليس له اليوم ههنا حميم** اى قريب يحميه ويدفع عنه ويحزن له لان اولياءه يتحامونه ويفرون منه **ولا طعام الا من غسلين**

اى من غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل **لا يأكله الا الخاطئون** اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب لا من الخطاء المقابل للصواب دون المقابل للعمد عن ابن عباس رضى الله عنهما انهم المشركون وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء وقرئ بطرحها وقد جوز ان يراد بهم الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله تعالى **فلا اقسم** اى فاقسم على ان لا مزيدة للتأكيد واما على معنى نفى الاقسام لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق فيرده تعيين المقسم به بقوله تعالى **بما تبصرون وما لا تبصرون** كما مر في سورة الواقعة اى اقسم بالمشاهدات والمغيبات وقيل بالدنيا والآخرة وقيل بالاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة والاول منتظم للكل **انه** اى القرآن **لقول رسول** يبلغه عن الله تعالى فان الرسول لا يقول عن نفسه **كريم** على الله تعالى وهو النبى او جبريل عليهما السلام **وما هو بقول شاعر** كما تزعمون تارة **قليلا ما تؤمنون** ايمانا قليلا او تؤمنون **ولا بقول كاهن** كما تدعون ذلك تارة اخرى **قليلا ما تذكرون** اى تذكرا قليلا او زمانا قليلا تتذكرون على ان القلة بمعنى النفى اى لا تؤمنون ولا تتذكرون اصلا قيل ذكر الايمان مع نفى الشاعرية والتذكر مع نفى الكاهنية لما ان عدم مشابهة القرآن الشعر وهو امر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر احواله صلى الله عليه وسلم ومعانى القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعانى اقوالهم وانت خبير بان ذلك ايضا مما لا يتوقف على تأمل وقرئ بالياء فيهما **تنزيل من رب العالمين** نزل عليه على لسان جبريل عليه السلام **ولو تقول علينا بعض الاقاويل** سمى الافتراء التقول لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانه جمع افعولة من القول كالاضاحيك **لاخذنا منه باليمين** اى بيمينه **ثم لقطعنا منه الوتين** اى نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان يأخذ القتال بيمينه ويكفح بالسيف ويضرب عنقه وقيل اليمين بمعنى القوة قال قائلهم اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين **فما منكم** ايها الناس **من احد عنه** عن القتل والمقتول **حاجزين** رافعين وصف لاحد فانه عام **وانه** اى القرآن **لتذكرة للمتقين** لانهم المنتفعون به **وانا لنعلم ان منكم مكذبين** فنجازيهم على تكذيبهم **وانه لحسرة على الكافرين** عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين به **وانه لحق اليقين** اى لليقين حوله ريب ما **فسبح باسم ربك العظيم** اى فسبح بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضا بالتقول عليه شكرا على ما اوحى اليك عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا صدق رسول الله وصدق حبيب الله تعالى

سورة المعارج

بسم الله الرحمن الرحيم **سأل سائل** اى دعا داع **بعذاب واقع** اى استدعاه وطلبه وهو النضر بن الحارث قال انكارا واستهزاء ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقيل ابو جهل حيث قال اسقط علينا كسفا من السماء وقيل هو الحارث بن النعمان الفهرى وذلك انه لما بلغه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في على رضى الله تعالى عنه من كنت مولاه فعلى مولاه قال اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء فما لبث حتى رماه الله تعالى بحجر فخرج من اسفله فهلك من ساعته وقيل هو الرسول صلى الله عليه وسلم استعجل عذابهم وقرئ سال وهو اما من السؤال على لغة قريش فالمعنى ما مر او من السيلان ويؤيده انه قرئ سيل اى اندفع واد بعذاب واقع وصيغة الماضى للدلالة على تحقق وقوعه اما في الدنيا وهو عذاب يوم بدر فان النضر قتل يومئذ صبرا وقد مر حال الفهرى واما في الآخرة فهو عذاب النار **للكافرين** صفة اخرى لعذاب اى كائن للكافرين او صلة لواقع او متعلق بسأل اى دعا للكافرين بعذاب واقع وقوله تعالى **ليس له دافع** صفة اخرى لعذاب او حال منه لتخصصه بالصفة او بالعمل او من الضمير للكافرين على تقدير كونه صفة لعذاب او استيناف **من الله** تعالى متعلق بواقع او بدافع اى ليس له دافع من جهته تعالى **ذى المعارج** اى ذى المصاعد التي يصعد فيها الملائكة بالاوامر والنواهى او هى عبارة عن السموات المترتبة بعضها على بعض **تعرج الملائكة والروح** اى جبريل عليه السلام افرد بالذكر لتميزه وفضله وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما ان الملائكة حفظة على الناس **اليه** الى عرشه والى حيث تهبط منه اوامره تعالى وقيل هو من قبيل قول ابرهيم عليه السلام انى ذاهب الى ربى اى الى حيث امرنى ربى به **في يوم كان مقداره خمسين الف سنة** مما يعده الناس وهو بيان لغاية ارتفاع المعارج وبعد مداها على منهاج التمثيل والتخييل والمعنى انها من الارتفاع بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان ذلك الزمان مقدار خمسين الف سنة اى يقطعون في يوم ما يقطعه الانسان في خمسين الف سنة لو فرض ذلك وقيل في يوم متعلق بواقع وقيل بسال على تقدير كونه من السيلان فالمراد به يوم القيمة واستطالته اما لانه كذلك في الحقيقة

او لشدته على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات وايا ما كان فذلك في حق الكافر واما في حق المؤمن فلا لما روى ابو سعيد الخدري
رضي الله عنه انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اطول هذا اليوم فقال عليه السلام والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون
اخف من صلوة مكتوبة يصليها في الدنيا وقوله تعالى فاصبر صبرا جميلا متعلق بسأل لان السؤال كان عن استهزاء وتعنت وتكذيب بالوحي
وذلك مما يضجره عليه السلام او كان عن تضجره واستبطائه للنصر او بسال سائل او سال سيل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فقد شارفت
الانتقام انهم يرونه اي العذاب الواقع او يوم القيمة على تقدير تعلق في يوم بواقع بعيدا اي يستبعدونه بطريق الاحالة فلذلك
يسألون به ونراه قريبا هينا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر على ان البعد والقرب معتبران بالنسبة الى الامكان والجملة تعليل للامر
بالصبر وقوله تعالى يوم تكون السماء كالمهل متعلق بقريبا اي يمكن ولا يتعذر في ذلك اليوم او بمضمر دل عليه واقع او بمضمر مؤخر اي يوم تكون
السماء كالمهل الى آخره يكون من الاحوال والاهوال ما لا يوصف او بدل من في يوم على تقدير تعلقه بواقع هذا ما قالوا ولعل الاقرب ان قوله تعالى
سأل سائل حكاية لسؤالهم المعهود على طريقة قوله تعالى يسألونك عن الساعة وقوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ونحوهما اذ هو المعهود
بالوقوع على الكافرين لا ما دعا به النضر او ابو جهل والفهري فالسؤال بمعناه والباء بمعنى عن كما في قوله تعالى فاسئل به خبيرا وقوله تعالى
ليس له دافع الى آخره استيناف مسوق لبيان وقوع المسئول عنه لا محالة وقوله تعالى فاصبر صبرا جميلا مترتب عليه وقوله تعالى انهم يرونه بعيدا
ونراه قريبا تعليل للامر بالصبر كما ذكر وقوله تعالى يوم تكون الى آخره متعلق بليس له دافع او بما يدل هو عليه اي يقع يوم تكون السماء كالمهل وهو ما اذيب
على مهل من الفلزات وقيل دردي الزيت وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لاختلاف الوان الجبال منها جدد بيض وحمر وغرابيب سود فاذا بست
وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسئل حميم حميما اي لا يسأل قريب قريبا عن احواله ولا يكلمه لابتلاء كل منهم بما يشغله عن ذلك
وقرئ على البناء للمفعول اي لا يطلب من حميم حميم او لا يسأل منه حاله يبصرونهم اي يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم ولا يمنعهم من التساؤل الا اشتغالهم
بحال انفسهم وقيل ما يغني عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده والاول ادخل في التهويل وجمع الضميرين لعموم الحميم وقرئ يبصرونهم والجملة استيناف
يود المجرم اي يتمنى الكافر وقيل كل مذنب وقوله تعالى لو يفتدي من عذاب يومئذ اي العذاب الذي ابتلوا به يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه
حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وقيل هي بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا ليود والتقدير
يود افتداءه ببنيه الى آخره والجملة استيناف لبيان ان اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ الى حيث يتمنى ان يفتدي باقرب الناس اليه واعلقهم بقلبه فضلا عن
ان يهتم بحاله ويسأل منها وقرئ يومئذ بالفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن وبتنوين عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه في معنى
وفصيلته اي عشيرته التي فصل عنهم التي تؤويه اي تضمه في النسب او عند الشدائد ومن في الارض جميعا من الثقلين والخلائق ومن للتغليب
ثم ينجيه عطف على يفتدي اي يود لو يفتدي ثم لو ينجيه الافتداء وثم لاستبعاد الانجاء يعني يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده وبذلهم في فداء نفسه
ثم ينجيه ذلك وهيهات كلا ردع للمجرم عن الودادة وتصريح بامتناع انجاء الافتداء وضمير انها اما للنار المدلول عليها بذكر العذاب او هو مبهم ترجم
عنه الخبر الذي هو قوله تعالى لظى وهي علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب نزاعة للشوى نصب على الاختصاص او حال مؤكدة والشوى الاطراف
جمع شواة وهي جلد الرأس وقرئ نزاعة بالرفع على انه خبر ثان لان او هو الخبر ولظى بدل من الضمير او الضمير للقصة ولظى مبتدأ ونزاعة خبر
تدعو اي تجذب وتحضر وقيل تدعو وتقول لهم الي الي يا كافر يا منافق وقيل تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط
وقيل تدعو تهلك وقيل تدعو زبانيتها من ادبر اي عن الحق وتولى اعرض عن الطاعة وجمع فاوعى اي جمع المال فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤد زكوته
وحقوقه وتشاغل به عن الدين وزهي باقتنائه حرصا وتأميلا ان الانسان خلق هلوعا الهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس
الخير وقد فسره احسن تفسير قوله تعالى اذا مسه الشر اي الفقر او المرض ونحوهما جزوعا اي مبالغا في الجزع مكثرا منه واذا مسه الخير اي الصحة والسعة
منوعا مبالغا في المنع والامساك والاوصاف الثلثة احوال مقدرة او محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا والثانية
الا المصلين استثناء للمتصفين بالنعوت الجليلة الآتية من المطبوعين على القبائح الماضية لابتنائها على الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق
على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل على خلاف القبائح المذكورة الناشئة من الانهماك في
حب العاجل وقصر النظر عليه الذين هم على صلوتهم دائمون لا يشغلهم عنها شاغل والذين في اموالهم حق معلوم اي نصيب معين يستوجبونه على انفسهم

تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس من الزكوة المفروضة والصدقات الموظفة للسائل الذي يسأله والمحروم الذي لا يسأله فيظن انه غني
فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين اي باعمالهم حيث يتعبون انفسهم في الطاعات البدنية والمالية طمعا في المثوبة الاخروية بحيث يستدل
بذلك على تصديقهم بيوم الجزاء والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون على انفسهم مع ما لهم من الاعمال الفاضلة استقصارا لها واستعظاما
لجنابه عز وجل كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون وقوله تعالى ان عذاب ربهم غير مأمون اعتراض مؤذن
بانه لا ينبغي لاحد ان يأمن عذابه تعالى وان بالغ في الطاعة والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين
سلف تفسيره في سورة المؤمنين فمن ابتغى اي طلب لنفسه وراء ذلك وراء ما ذكر من الازواج والمملوكات فاولئك هم العادون المبتغون
المتعدون لحدود الله والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون لا يخلون بشيء من حقوقها والذين هم بشهاداتهم قائمون اي مقيمون لها بالعدل احياء
لحقوق الناس وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الامانات لابانة فضلها وقرئ لامانتهم وبشهادتهم على ارادة الجنس والذين هم على
صلوتهم يحافظون اي يراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها ومستحباتها وآدابها وتكرير ذكر الصلوة ووصفهم بها اولا وآخرا باعتبار الدلالة
على فضلها وانافتها على سائر الطاعات وتكرير الموصول لتنزيل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذوات كما في قول من قال الى الملك القرم وابن الهمام
وليث الكتائب في المزدحم ايذانا بان كل واحد من الصفات المذكورة نعت جليل على حياله له شان خطير مستتبع لاحكام جمة حقيق بان يفرد
له موصوف مستقل ولا يجعل شيء منها تتمة للآخر اولئك اشارة الى الموصوفين بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليهم
للايذان بعلو شانهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وخبره في جنات اي مستقرون في جنات لا يقادر قدرها ولا يدرك كنهها وقوله
تعالى مكرمون خبر آخر او هو الخبر وفي جنات متعلق به قدم عليه لمراعاة الفواصل او بمضمر هو حال من الضمير في الخبر اي مكرمون كائنين في جنات فمال
الذين كفروا قبلك حولك مهطعين مسرعين نحوك مادي اعناقهم اليك مقبلين بابصارهم عليك عن اليمين وعن الشمال عزين اي فرقا شتى
جمع عزة واصلها عزوة من العزو كان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى كان المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم
حلقا حلقا وفرقا فرقا ويستهزؤن بكلامه عليه السلام ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم فلندخلنها قبلهم
فنزلت ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان كلا ردع لهم عن ذلك الطمع الفارغ انا خلقناهم مما يعلمون قيل هو تعليل للردع والمعنى انا خلقناهم
من اجل ما يعلمون كما في قول الاعشى أأزمعت من آل ليلى ابتكارا وشطت على ذي هوى ان تزارا وهو تكميل النفس بالايمان والطاعة فمن
لم يستكملها بذلك فهو بمعزل من ان يتبوأ متبوأ الكاملين فمن اين لهم ان يطمعوا في دخول الجنة وهم مكبون على الكفر والفسوق وانكار البعث
وقيل معناه انا خلقناهم مما يعلمون من نطفة مذرة فمن اين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل انهم مخلوقون من نطفة
قذرة لا تناسب عالم القدس فمتى لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق بالاخلاق الملكية لم تستعد دخولها ولا يخفى ان الكلام حينئذ لا يتحمل الا الاقرب
انه كلام مستأنف قد سيق تمهيدا لما بعده من بيان قدرته تعالى على ان يهلكهم لكفرهم بالبعث والجزاء واستهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
وبما نزل عليه من الوحي وادعائهم دخول الجنة بطريق السخرية وينشئ بدلهم قوما آخرين فان قدرته تعالى على ما يعلمون من النشأة الاولى
حجة بينة على قدرته تعالى على ذلك كما تفصح عنه الفاء الفصيحة في قوله تعالى فلا اقسم برب المشارق والمغارب والمعنى اذا كان الامر كما ذكر
من انا خلقناهم مما يعلمون فاقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم اي نهلكهم بالمرة حسبما تقتضيه جناياتهم ونأتي
بدلهم بخلق آخرين ليسوا على صفتهم وما نحن بمسبوقين بمغلوبين ان اردنا ذلك لكن مشيتنا المبنية على الحكم البالغة اقتضت تأخير
عقوباتهم فذرهم فخلهم وشأنهم يخوضوا في باطلهم الذي من جملته ما حكي عنهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون
هو يوم البعث عند النفخة الثانية لا يوم النفخة الاولى كما توهم فان قوله تعالى يوم يخرجون من الاجداث بدل من يومهم وقرئ يخرجون على البناء
للمفعول من الاخراج سراعا حال من مرفوع يخرجون اي مسرعين كانهم الى نصب وهو كل ما نصب فعبد من دون الله تعالى وقرئ بسكون
الصاد وبفتح النون وسكون الصاد ايضا يوفضون يسرعون خاشعة ابصارهم وصفت ابصارهم بالخشوع مع انه وصف الكل
لغاية ظهور آثاره فيها ترهقهم ذلة تغشاهم ذلة شديدة ذلك الذي ذكر ما سيقع فيه من الاحوال الهائلة اليوم الذي كانوا يوعدون
في الدنيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سأل سائل اعطاه الله تعالى ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح

بسم الله الرحمن الرحيم إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك أي بأن أنذرهم على أن أن مصدرية حذف منها الجار وأوصل إليها
الفعل فإن حذفه مع أن وأن مطرد وجعلت صلتها أمرا كما في قوله تعالى وأن أقم وجهك لأن مدار وصلها بصيغ الأفعال دلالتها على المصدر
وذلك لا يختلف بالخبرية والإنشائية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي إنما هو للتوصل إلى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف
إلا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك وحيث استوى الخبر والإنشاء في الدلالة على المصدر استويا في صحة الوصل بهما فيتجرد عند ذلك
كل منهما عن المعنى الخاص بصيغته فيبقى الحدث المجرد عن معنى الأمر والنهي والمضي والاستقبال كأنه قيل أرسلناه بالإنذار وقيل المعنى أرسلناه بأن قلنا له
أنذر أي أرسلناه بالأمر بالإنذار ويجوز أن تكون أن مفسرة لما في الإرسال من معنى القول فلا يكون للجملة محل من الإعراب وعلى الأول محلها النصب
عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل والكسائي كما هو المعروف وقرئ أنذر بغير أن على إرادة القول من قبل أن يأتيهم عذاب أليم عاجل أو آجل لئلا يبقى
لهم عذر ما أصلا قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية إرساله عليه السلام بالوجه المذكور كأنه قيل فما فعل عليه السلام فقيل قال لهم يا قوم
إني لكم نذير مبين منذر موضح بحقيقة الأمر وقوله تعالى أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون متعلق بنذير على الوجهين المذكورين
يغفر لكم من ذنوبكم أي بعض ذنوبكم وهو ما سلف في الجاهلية فإن الإسلام يجبه ويؤخركم إلى أجل مسمى هو الأمد الأقصى الذي قدره الله
تبارك وتعالى لهم بشرط الإيمان والطاعة وراء ما قدره لهم على تقدير بقائهم على الكفر والعصيان فإن وصف الأجل بالمسمى وتعليق تأخيرهم
إليه بالإيمان والطاعة صريح في أن لهم أجلا آخر لا يجاوزونه إن لم يؤمنوا وهو المراد بقوله تعالى إن أجل الله أي ما قدره لكم على تقدير بقائكم على
الكفر إذا جاء وأنتم على ما أنتم عليه من الكفر لا يؤخر فبادروا إلى الإيمان والطاعة قبل مجيئه حتى لا يتحقق شرطه الذي هو بقاؤكم على الكفر فلا يجيء
ويتحقق شرط التأخير إلى الأجل المسمى فتؤخروا إليه ويجوز أن يراد به وقت إتيان العذاب المذكور في قوله تعالى من قبل أن يأتيهم عذاب أليم
فإنه أجل مؤقت له حتما وحمله على الأجل الأطول مما لا يساعده المقام كيف لا والجملة تعليل للأمر بالعبادة المستتبعة للمغفرة والتأخير
إلى الأجل المسمى فلا بد أن يكون المنفي عند مجيء الأجل هو التأخير الموعود فكيف يتصور أن يكون ما فرض مجيئه هو الأجل المسمى لو كنتم تعلمون أي لو كنتم
شيئا لسارعتم إلى ما أمرتكم به قال أي نوح عليه السلام مناجيا ربه وحاكيا له تعالى وهو أعلم بحاله ما جرى بينه وبين قومه من القيل والقال في تلك المدد الطوال بعدما
بذل في الدعوة غاية المجهود وجاوز في الإنذار كل حد معهود وضاقت عليه الحيل وعيت به العلل رب إني دعوت قومي إلى الإيمان والطاعة ليلا ونهارا
أي دائما من غير فتور ولا توان فلم يزدهم دعائي إلا فرارا مما دعوتهم إليه وإسناد الزيادة إلى الدعاء لسببيته لها كما في قوله تعالى زادتهم إيمانا وإني
كلما دعوتهم أي إلى الإيمان لتغفر لهم بسببه جعلوا أصابعهم في آذانهم أي سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم أي بالغوا في التغطي بها
كأنهم طلبوا أن تغشاهم ثيابهم أو تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر إليه أو لئلا يعرفهم فيدعوهم وأصروا أي أكبوا على الكفر والمعاصي مستعار
من أصر الحمار على العانة إذا صر أذنيه وأقبل عليها واستكبروا من اتباعي وطاعتي استكبارا شديدا ثم إني دعوتهم جهارا ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا
أي دعوتهم تارة بعد تارة ومرة غب مرة على وجوه متخالفة وأساليب متفاوتة وثم لتفاوت الوجوه فإن الجهار أشد من الإسرار والجمع بينهما
أغلظ من الإفراد أو للتراخي بعضها من بعض وجهارا منصوب بدعوتهم على المصدر لأنه أحد نوعي الدعاء أو يراد بدعوتهم جاهرتهم أو هو صفة لمصدر أي دعوتهم
دعاء جهارا أي مجاهرا به أو مصدر في موقع الحال أي مجاهرا فقلت استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر والمعاصي إنه كان غفارا للتائبين كأنه قيل كأنهم
تعللوا وقالوا إن كنا على الحق فكيف نتركه وإن كنا على الباطل فكيف يقبلنا بعدما عكفنا عليه دهرا طويلا فأمرهم بما يمحق ما سلف منهم من المعاصي
ويجلب إليهم المنافع ولذلك وعدهم بما هو أوقع في قلوبهم وأحب إليهم من العوائد العاجلة وقيل لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله تعالى
عليهم القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة وقيل سبعين سنة فوعدهم أنهم إن آمنوا أن يرزقهم الله تعالى الخصب ويرفع عنهم ما كانوا
فيه يرسل السماء عليكم مدرارا أي كثير الدرور والمراد بالسماء المظلة أو السحاب ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا
جارية ما لكم لا ترجون لله وقارا إنكار لأن يكون لهم سبب ما في عدم رجائهم لله تعالى وقارا على أن الرجاء بمعنى الاعتقاد ولا ترجون حال من ضمير
المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار في لكم على أن الإنكار متوجه إلى السبب فقط مع تحقق مضمون الجملة الحالية لا إليهما معا كما في قوله تعالى

وما لي

وما لي لا أعبد الذي فطرني ولله متعلق بمضمر وقع حالا من وقارا ولو تأخر لكان صفة له أي أي سبب حصل لكم حال كونكم غير معتقدين لله تعالى
عظمة موجبة لتعظيمه بالإيمان به والطاعة له وقد خلقكم أطوارا أي والحال أنكم على حال منافية لما أنتم عليه بالكلية وهي أنكم تعلمون أنه تعالى خلقكم
تارات عناصر ثم أغذية ثم أخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم أنشأكم خلقا آخر فإن التقصير في توقير من هذه شئونه في القدرة القاهرة
والإحسان التام مع العلم بها مما لا يكاد يصدر عن العاقل هذا وقد قيل الرجاء بمعنى الأمل أي ما لكم لا تأملون له تعالى توقيرا أي تعظيما لمن عبده وأطاعه
ولا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله تعالى إياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار والأول هو الذي يستدعيه
الجزالة التنزيلية فإن اللائق بحال الكفرة استبعاد أن لا يعتقدوا وقار الله تعالى وعظمته مع مشاهدتهم لآثارها وأحكامها الموجبة
للاعتقاد حتما وأما عدم رجائهم لتعظيم الله تعالى إياهم في دار الثواب فليس من الاستبعاد والإنكار مع أن في جعل الوقار بمعنى التوقير من التعسف
وفي قوله ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار من التناقض ما لا يخفى فإن كونه بيانا للموقر يقتضي أن يكون التوقير صادرا عنه تعالى والوقار
وصفا للمخاطبين وكونه صلة للوقار يوجب كون الوقار وصفا له تعالى وقيل ما لكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على أحدكم بالعقوبة أي أي عذر لكم
في ترك الخوف منه تعالى وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم ما لكم لا تخشون لله عقابا ولا ترجون منه ثوابا وعن مجاهد والضحاك ما لكم
لا تبالون لله عظمة قال قطرب هي لغة حجازية يقولون لم أرج أي لم أبال وقوله تعالى ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا أي متطابقة بعضها فوق بعض
وجعل القمر فيهن نورا أي منورا لوجه الأرض في ظلمة الليل ونسبته إلى الكل مع أنه في السماء الدنيا لما أنها محاطة بسائر السموات فما فيها يكون في الكل ولأن كل واحدة
منها شفافة لا تحجب ما وراءها فيرى الكل كأنها سماء واحدة ومن ضرورة ذلك أن يكون ما في واحدة منها كأنه في الكل وجعل الشمس سراجا يزيل ظلمة الليل ويبصر
أهل الدنيا في ضوئها وجه الأرض ويشاهدون الآفاق كما يبصر أهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون إلى إبصاره وليس القمر بهذه المثابة إنما هو
في الجملة والله أنبتكم من الأرض نباتا أي أنشأكم منها فاستعير الإنبات للإنشاء لكونه أدل على الحدوث والتكون من الأرض ونباتا إما مصدر مؤكد
لأنبتكم بحذف الزوائد ويسمى اسم مصدر أو لما يترتب عليه من فعله أي أنبتكم من الأرض فنبتم نباتا ويجوز أن يكون الأصل أنبتكم من الأرض إنباتا فنبتم نباتا
فيحذف من الجملة الأولى المصدر ومن الثانية الفعل اكتفاء في كل منهما بما ذكر في الأخرى كما مر في قوله أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل
وقوله تعالى وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله ثم يعيدكم فيها بالدفن عند موتكم ويخرجكم منها عند البعث
إخراجا محققا لا ريب فيه والله جعل لكم الأرض بساطا تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم في بيوتكم وتوسيطه بين الجعل ومفعوليه مع أن حقه التأخير لما مر
مرارا من الاهتمام ببيان كون المجعول من منافعهم والتشويق إلى المؤخر فإن النفس عند تأخير ما حقه التقديم لا سيما عند كون المقدم منبئا بكونه من المنافع
تبقى مترقبة له فيتمكن عند وروده لها فضل تمكن لتسلكوا منها سبلا فجاجا أي طرقا واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع وقيل هو المسلك بين الجبلين
ومن متعلق بما قبله لما فيه من معنى الاتخاذ أو بمضمر هو حال من سبلا أي كائنة من الأرض ولو تأخر لكان صفة لها قال نوح أعيد لفظ الحكاية لطول العهد
بحكاية مناجاته لربه أي قال مناجيا له تعالى رب إنهم عصوني أي تموا على عصياني فيما أمرتهم به مع ما بالغت في إرشادهم بالعظة والتذكير واتبعوا من لم
يزده ماله وولده إلا خسارا أي واستمروا على اتباع رؤسائهم الذين أبطرتهم وغرتهم أموالهم وأولادهم وصار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الآخرة فصاروا أسوة لهم في الخسار
وفي وصفهم بذلك إشعار بأنهم إنما اتبعوهم لوجاهتهم الحاصلة لهم بسبب الأموال والأولاد لما شاهدوا فيهم من شبهة مصححة للاتباع في الجملة وقرئ
وولده بالضم والسكون على أنه لغة كالحزن أو جمع كالأسد ومكروا عطف على صلة من والجمع باعتبار المعنى كما أن الإفراد في الضمائر الأولى باعتبار لفظها
مكرا كبارا أي كبيرا في الغاية وقرئ بالتخفيف والأول أبلغ منه وهو أبلغ من الكبير وذلك احتيالهم في الدين وصدهم للناس عنه وتحريشهم له على أذية نوح
عليه السلام وقالوا لا تذرن آلهتكم أي لا تتركوا عبادتها على الإطلاق إلى عبادة رب نوح ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا أي ولا تذرن عبادة هؤلاء
خصوها بالذكر مع اندراجها فيما سبق لأنها كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم وقد انتقلت هذه الأصنام عنهم إلى العرب فكان ود لكلب وسواع
لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هي أسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح وقيل من أولاد آدم عليه السلام ماتوا فقال إبليس
لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون إليهم وتتبركون بهم ففعلوا فلما مات أولئك قال لمن بعدهم إنهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان
ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وقرئ ود بضم الواو ويغوثا
ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعجمة والعلمية وقد أضلوا أي الرؤساء كثيرا خلقا كثيرا أو الأصنام كقوله تعالى رب إنهن أضللن كثيرا من الناس ولا تزد الظالمين إلا

ضلالا

عطف على قوله تعالى رب انهم عصوني على حكاية كلام نوح بعد قال وبعد الواو النائبة عنه اي قال رب انهم عصوني وقال لا تزد الظالمين الا ضلالا ووضع الظاهر
موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم المفرط وتعليل الدعاء عليهم به والمطلوب هو الضلال في تمشية مكرهم ومصالح دنياهم او الضياع والهلاك كما في قوله
تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر ويؤيده ما سبق من دعائه عليه السلام مما خطيئاتهم بدلا منها وقري مما خطاياهم اغرقوا بالطوفان لا بسبب آخر فادخلوا نارا
المراد ما عذاب القبر فهو عقيب الاغراق وان كانوا في الماء عن الضحاك انهم كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب او عذاب جهنم والتعقيب لتنزيله
منزلة المتعقب لاغراقهم لاقترابه وتحققه لا محالة وتنكير النار اما لتعظيمها او تنويعها او لانه تعالى اعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار فلم يجدوا لهم
من دون الله انصارا اي لم يجد احد منهم واحدا من الانصار وفيه تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله تعالى وبانها غير قادرة على نصرهم وتهكم
بهم وقال نوح رب لا تذر من الكافرين ديارا عطف على نظيره السابق وقوله تعالى مما خطيئاتهم الى آخره اعتراض وسط بين دعائه عليه السلام
للايذان من اول الامر بان ما اصابهم من الاغراق والاحراق لم يصبهم الا لاجل خطيئاتهم التي عددها نوح واشار الى استحقاقهم للاهلاك لاجلها لا انها
حكاية لنفس الاغراق والاحراق على طريقة حكاية ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من الاحوال والاقوال والا لاخر عن حكاية دعائه هذا وديارا من الاسماء
المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار وديور كقيام وقيوم اي احد وهو فيعال من الدور او من الدار اصله ديوار فعل به ما فعل باصل سيد
لا فعال والا لكان دوارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك عن طريق الحق ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اي الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون
اليه وكانه اعتذار مما عسى يرد عليه من ان الدعاء بالاستيصال مع احتمال ان يكون من اخلافهم من يؤمن منكر وانما قاله لاستحكام علمه بما يكون منهم ومن
اعقابهم بعد ما جربهم واستقرأ احوالهم قريبا من الف سنة رب اغفر لي ولوالدي ابوه لمك بن متوشلخ وامه شمخاء بنت انوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحوا وقري
ولولدي يريد ساما وحاما ولمن دخل بيتي اي منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي مؤمنا بهذا القيد خرجت امراته وابنه كنعان ولكن لم يجزم عليه السلام
بخروجه الا بعد ما قيل له انه ليس من اهلك وقد مر تفصيله في سورة هود وللمؤمنين والمؤمنات عمهم بالدعاء اثر ما خص به من يتصل به نسبا ودينا ولا تزد
الظالمين الا تبارا اي هلاكا قيل غرق معهم صبيانهم ايضا لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وامهاتهم بارادة هلاك اطفالهم
الذين كانوا اعز عليهم من انفسهم قال عليه السلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم
فاهلكهم بغير عذاب وقيل اعقم الله تعالى ارحام نسائهم وايبس اصلاب آبائهم قبل الطوفان باربعين او سبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين غرقوا عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام   صدق رسول الله وصدق حبيب الله

سورة الجن

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اوحي الي وقري اُحي اصله وُحي وقد قري كذلك من وحى اليه فقلبت الواو المضمومة همزة كاعد وازن في وعد ووزن انه بالفتح لانه
فاعل اوحي والضمير للشان استمع اي القرآن كما ذكر في الاحقاف وقد حذف لدلالة ما بعده عليه نفر من الجن النفر ما بين الثلثة والعشرة والجن اجسام
عاقلة خفية يغلب عليهم النارية او الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل هي النفوس البشرية المفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على انه عليه السلام لم يشعر
بهم وباستماعهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات قراءته فسمعوها فاخبره الله تعالى بذلك وقد مر ما فيه من التفصيل في الاحقاف
فقالوا لقومهم عند رجوعهم اليهم انا سمعنا قرآنا كتابا مقروا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن النظم ودقة المعنى وهو مصدر وصف به للمبالغة
يهدي الى الرشد الى الحق والصواب فآمنا به اي بذلك القرآن ولن نشرك بربنا احدا حسبما نطق به ما فيه من دلائل التوحيد وانه تعالى جد ربنا
بالفتح قالوا هو وما بعده من الجمل المصدرة بان في اثني عشر موضعا عطف على محل الجار والمجرور في فآمنا به كانه قيل فصدقناه وصدقنا انه تعالى
جد ربنا اي ارتفع عظمته من جد فلان في عيني اي عظم تمكنه او سلطانه او غناه على انه مستعار من الجد الذي هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء عن الصاحبة
والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه وقري بالكسر وكذا الجمل الآتية تحت المذكورة عطفا على المحكي بعد القول وهو الاظهر لوضوح اندراج كلها تحت
القول واما اندراج الجمل الآتية تحت الايمان والتصديق كما يقتضيه العطف على محل الجار والمجرور ففيه اشكال كما ستحيط به خبرا وقوله تعالى
ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لحكم تعالى جده وقري جدا ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر اي صدق ربوبيته وحق الهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد

وذلك انهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا للخطأ بما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله تعالى بخلقه في اتخاذ الصاحبة
والولد فاستعظموه ونزهوه تعالى عنه وانه كان يقول سفيهنا اي ابليس او مردة الجن على الله شططا اي قولا ذا شطط اي بعد عن القصد
ومجاوزة للحد او هو شطط في نفسه لفرط بعده عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد اليه تعالى وتعلق الايمان والتصديق بهذا القول ليس باعتبار
نفسه فانهم كانوا عالمين بقول سفهائهم من قبل ايضا بل باعتبار كونه شططا كانه قيل وصدقنا ان ما كان يقوله سفيهنا في حقه تعالى كان شططا
واما تعلقهما بقوله تعالى وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا فغير ظاهر وهو اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيههم اي كنا نظن ان لن يكذب
على الله تعالى احد ابدا ولذلك اتبعنا قوله وكذبا مصدر مؤكد لتقول لانه نوع من القول او وصف لمصدره المحذوف اي قولا كذبا اي مكذوبا
فيه وقري ان لن تَقَوّل بحذف احدى التائين فكذبا مصدر مؤكد له لان الكذب هو التقول وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن كان الرجل
من العرب اذا امسى في واد قفر وخاف على نفسه يقول اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك
استكبروا وقالوا سدنا الانس والجن وذلك قوله تعالى فزادوهم اي زاد الرجال العائذون الجن رهقا اي تكبرا وعتوا او فزاد
الجن العائذين غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم وانهم ظنوا اي الانس كما ظننتم ايها الجن على انه كلام بعضهم لبعض ان لن يبعث الله احدا
وقيل المعنى ان الجن ظنوا كما ظننتم ايها الكفرة الخ فيكون هذه الآية وما قبلها من جملة الكلام الموحى به والاقرب انهما كذلك على كل تقدير عطفا
على انه استمع اذ لا معنى لادراجهما تحت ما ذكر من الايمان والتصديق وكذا قوله تعالى وانا لمسنا السماء وما بعده من الجمل المصدرة بان مما ينبغي ان تكون
معطوفة على ذلك على ان الموحى عين عبارة الجن بطريق الحكاية كانه قيل قل اوحي الي كيت وكيت وهذه العبارات اي طلبنا بلوغ السماء
او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه فوجدناها ملئت حرسا اي حراسا اسم جمع كخدم مفرد اللفظ
ولذلك قيل شديدا قويا وهم الملائكة يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب وهي الشعلة المقتبسة من نار الكوكب وانا كنا نقعد قبل هذا منها اي من السماء
مقاعد للسمع خالية من الحرس والشهب او صالحة للترصد والاستماع وللسمع متعلق بنقعد اي لاجل السمع او بمضمر هو صفة لمقاعد اي مقاعد كائنة للسمع فمن
يستمع الآن في مقعد من المقاعد يجد له شهابا رصدا اي شهابا راصدا له ولاجله يصده عن الاستماع بالرجم او ذوي شهاب راصدين له على انه اسم جمع
في معنى الجمع كالحرس قيل حدث هذا عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم والصحيح انه كان قبل البعث ايضا لكنه كثر الرجم بعد البعثة وزاد زيادة ظاهرة حتى
تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق اصلا فقالوا ما هذا الا لامر اراده الله تعالى باهل الارض وذلك قولهم وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض
بحراسة السماء ام اراد بهم ربهم رشدا اي خيرا ونسبة الخير الى الله تعالى دون الشر من الآداب الشريفة القرآنية كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره
وانا منا الصالحون اي الموصوفون بصلاح الحال في شان انفسهم وفي معاملتهم مع غيرهم المائلون الى الخير والصلاح حسبما يقتضيه الفطرة السليمة
لا الى الشر والفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة ومنا دون ذلك اي قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون في صلاح الحال على الوجه المذكور لا في
الايمان والتقوى كما توهم فان هذا بيان لحالهم قبل استماع القرآن كما يعرب عنه قوله تعالى كنا طرائق قددا واما حالهم بعد استماعه فيحكي بقوله تعالى
وانا لما سمعنا الهدى الى قوله تعالى وانا منا المسلمون اي كنا قبل هذا ذوي طرائق اي مذاهب او مثل طرائق في اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا
طرائق قددا اي متفرقة مختلفة جمع قدة من قد كالقطعة من قطع وانا ظننا اي علمنا الآن ان لن نعجز الله اي ان الشان لن نعجز الله كائنين
في الارض اينما كنا من اقطارها ولن نعجزه هربا هاربين منها الى السماء او لن نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا وانا لما
سمعنا الهدى اي القرآن الذي هو الهدى بعينه آمنا به من غير تلعثم وتردد فمن يؤمن بربه وبما انزله فلا يخاف فهو لا يخاف بخسا اي نقصا في الجزاء
ولا رهقا ولا ان ترهقه ذلة او جزاء بخس ولا رهق اذ لم يبخس احدا حقا ولا رهق ظلم احد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على ان من حق من آمن بالله تعالى
ان يجتنب المظالم وقري فلا يخف والاول ادل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون عن طريق الحق الذي
هو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك اشارة الى من اسلم والجمع باعتبار المعنى تحروا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما القاسطون
الجائرون عن سنن الاسلام فكانوا لجهنم حطبا توقد بكفرة الانس وان لو استقاموا ان مخففة من الثقيلة والجملة معطوفة قطعا
على انه استمع والمعنى واوحي الي ان الشان لو استقام الجن او الانس او كلاهما على الطريقة التي هي ملة الاسلام لاسقيناهم ماء غدقا
اي لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب وقيل لو استقام

فيحكي

الجن على الطريقة المثلى اى لو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله تعالى وطاعته ولم يتكبر عن السجود لآدم عليه السلام ولم يكفر وتبعه
ولده فى الاسلام لانعمنا عليهم ووسعنا رزقهم لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه انه لو استقام الجن على طريقتهم القديمة
ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق استدراجا لنوقعهم فى الفتنة ونعذبهم فى كفران النعمة ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته
او عن موعظته او وحيه يسلكه يدخله عذابا صعدا اى شاقا صعبا يعلو المعذب ويغلبه على انه مصدر وصف به مبالغة وان المساجد لله عطف على
قوله تعالى انه استمع اى اوحى الى ان المساجد مختصة بالله تعالى وقيل معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا اى فلا تعبدوا فيها مع الله احدا غيره وقيل
المراد بالمساجد المسجد الحرام والجمع لان كل ناحية منه مسجد له قبلة مخصوصة او لانه قبلة المساجد وقيل الارض كلها لانها جعلت مسجدا للنبى
صلى الله عليه وسلم وقيل مواضع السجود على ان المراد نهى السجود لغير الله تعالى وقيل اعضاء السجود السبعة وقيل السجدات على انه جمع مسجد المصدر الميمى
وانه من جملة الوحى اى واوحى الى ان الشان لما قام عبد الله اى النبى صلى الله عليه وسلم وايراده بلفظ العبد للاشعار بما هو المقتضى لقيامه
وعبادته وللتواضع لانه واقع موقع كلامه عن نفسه يدعوه حال من فاعل قام اى يعبده وذلك قيامه لصلوة الفجر بنخلة كما مر تفصيله فى سورة
الاحقاف كادوا اى الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما شاهدوا من عبادته وسمعوا من قراءته واقتداء اصحابه به
قياما وركوعا وسجودا لانهم راوا ما لم يروا مثله وسمعوا ما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام عليه السلام يعبد الله وحده مخالفا
للمشركين كاد المشركون يزدحمون عليه متراكمين واللبد جمع لبدة وهى ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الاسد وقرئ لبدة جمع لبدة وهى
بمعنى اللبدة ولبدا جمع لابد كسجد او ساجد ولبدا بضمتين جمع لبود كصبر وصبور وعن قتادة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفؤه
فابى الله الا ان يظهره على من ناواه قل انما ادعوا اى اعبد ربى ولا اشرك به فى العباده احدا فليس ذلك ببدع ولا مستنكر يوجب التعجب
او الاطباق على عداوتى وقرئ قال على انه حكاية لقوله عليه السلام للمتراكمين عليه والاول هو الاظهر والاوفق لقوله تعالى قل انى لا املك لكم
ضرا ولا رشدا كانه اريد لا املك ضرا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا فترك من كلا المتقابلين ما ذكر فى الآخر قل انى لن يجيرنى من الله احد ان ارادنى
بسوء ولن اجد من دونه ملتحدا ملتجأ ومعدلا وهذا بيان لعجزه عليه السلام عن شئون نفسه بعد بيان عجزه عليه السلام عن شئون غيره وقوله تعالى الا
بلاغا من الله استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد ونفع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفى الاستطاعة او من ملتحدا اى لن اجد من دونه
منجأ الا ان ابلغ عنه ما ارسلنى به وقيل ان مركبة من ان الشرطية ولا النافية ومعناه ان لا ابلغ بلاغا من الله والجواب محذوف لدلالة ما قبله
عليه ورسالاته عطف على بلاغا ومن الله صفته لا صلته اى لا املك لكم الا تبليغا كائنا منه تعالى ورسالاته التى ارسلنى بها ومن يعص
الله ورسوله فى الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه فان له نار جهنم وقرئ بفتح الهمزة على فحقه او فجزاؤه ان له نار جهنم خالدين فيها فى النار او فى جهنم
والجمع باعتبار المعنى ابدا بلا نهاية وقوله تعالى حتى اذا راوا ما يوعدون غاية لمحذوف يدل عليه الحال من استضعاف الكفار لانصاره عليه الصلاة والسلام
واستقلالهم لعدده كانه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا راوا ما يوعدون من فنون العذاب فى الآخرة فسيعلمون حينئذ من اضعف ناصرا واقل عددا
وحمل ما يوعدون على ما راوه يوم بدر يأباه قوله تعالى قل ان ادرى اى ما ادرى اقريب ما توعدون ام يجعل له ربى امدا فانه رد لما قاله المشركون عند
سماعهم ذلك متى يكون ذلك الموعود انكارا له واستهزاء به فقيل قل انه كائن لا محالة واما وقته فما ادرى متى يكون عالم الغيب
بالرفع قيل هو بدل من ربى او بيان له ويأباه الفاء فى قوله تعالى فلا يظهر على غيبه احدا اذ يكون النظم حينئذ ام يجعل له عالم الغيب امدا فلا يظهر
على غيبه احدا وفيه من الاختلال ما لا يخفى فهو خبر مبتدأ محذوف اى هو عالم الغيب والجملة استئناف مقرر لما قبله من عدم الدراية والفاء
لترتيب عدم الاظهار على تفرده تعالى بعلم الغيب على الاطلاق اى فلا يطلع على غيبه اطلاعا كاملا ينكشف به جلية الحال انكشافا تاما موجبا
لعين اليقين احدا من خلقه الا من ارتضى من رسول اى الا رسولا ارتضاه لاظهاره على بعض غيوبه المتعلقة برسالته كما يعرب عنه بيان
من ارتضى بالرسول تعلقا ما اما لكونه من مبادى رسالته بان يكون معجزة دالة على صحتها واما لكونه من اركانها واحكامها كعامة التكاليف
الشرعية التى امر بها المكلفون وكيفيات اعمالهم واجزيتهم المترتبة عليها فى الآخرة وما تتوقف هى عليه من احوال الآخرة التى من جملتها قيام
الساعة والبعث وغير ذلك من الامور الغيبية التى بيانها من وظائف الرسالة واما ما لا يتعلق بها على احد الوجهين من الغيوب التى من جملتها
قيام الساعة فلا يظهر عليه احدا ابدا على ان بيان وقته مخل بالحكمة التشريعية التى عليها يدور فلك الرسالة وليس فيه ما يدل على نفى

كرامات

كرامات الاولياء المتعلقة بالكشف فان اختصاص الغاية القاصية من مراتب الكشف بالرسل لا يستلزم عدم حصول مرتبة ما من تلك المراتب
لغيرهم اصلا ولا يدعى احد لاحد من الاولياء ما فى رتبة الرسل عليهم السلام من الكشف الكامل الحاصل بالوحى الصريح وقوله تعالى فانه يسلك
من بين يديه ومن خلفه رصدا تقرير وتحقيق للاظهار المستفاد من الاستثناء وبيان لكيفيته اى فانه تعالى يسلك من جميع جوانب
الرسول عند اظهاره على غيبه حرسا من الملائكة يحرسونه من تعرض الشياطين لما اظهره عليه من الغيوب المتعلقة بالرسالة وقوله تعالى
ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم متعلق بيسلك غاية له من حيث انه مترتب على الابلاغ المترتب عليه اذ المراد به العلم المتعلق بالابلاغ
الموجود بالفعل وان مخففة من الثقيلة واسمها الذى هو ضمير الشان محذوف والجملة خبرها ورسالات ربهم عبارة عن الغيب الذى اريد
اظهار المرتضى عليه والجمع باعتبار تعدد افراده وضمير ابلغوا اما للرصد فالمعنى انه تعالى يسلكهم من جميع جوانب المرتضى ليعلم ان الشان قد
ابلغوه رسالات ربهم سالمة عن الاختطاف والتخليط على استبعاد الجزاء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا بالفعل كما فى قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين
والغاية فى الحقيقة هو الابلاغ والجهاد وايراد علمه تعالى لابراز اعتنائه تعالى بامرهما والاشعار بترتب الجزاء عليهما والمبالغة فى الحث
عليهما والتحذير عن التفريط فيهما واما لمن ارتضى والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فى الضميرين السابقين باعتبار لفظها فالمعنى
ليعلم انه قد ابلغ الرسل الموحى اليهم رسالات ربهم الى اممهم كما هى من غير اختطاف ولا تخليط بعد ما ابلغها الرصد اليهم كذلك وقوله تعالى
واحاط بما لديهم اى بما عند الرصد او الرسل عليهم السلام حال من فاعل يسلك باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور جئ بها لتحقيق
استغنائه تعالى فى العلم بالابلاغ عما ذكر من سلك الرصد على الوجه المذكور اى يسلكهم تعالى بين يديه ومن خلفه ليترتب عليه علمه بما ذكر والحال
انه تعالى قد احاط بما لديهم من الاحوال جميعا واحصى كل شئ مما كان وما سيكون عددا اى فردا فردا وهو تمييز منقول من المفعول
كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا والاصل احصى عدد كل شئ وقيل هو حال اى معدودا محصورا او مصدر بمعنى احصاء وايا ما كان
ففائدته بيان ان علمه تعالى بالاشياء ليس على وجه كلى اجمالى بل على وجه جزئى تفصيلى فان الاحصاء قد يراد به الاحاطة الاجمالية كما فى قوله تعالى
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اى لا تقدروا على حصرها اجمالا فضلا عن التفصيل وذلك لان اصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من
عقود الاعداد كالعشرة والمائة والالف وضع حصاة ليحفظ بها كمية ذلك العقد فيبنى على ذلك حسابه هذا واما ما قيل من ان قوله تعالى واحاط بما
لديهم الى آخره معطوف على مقدر يدل عليه قوله تعالى ليعلم كانه قيل قد علم ذلك واحاط بما لديهم الى آخره فبمعزل من السداد عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جنى صدق محمدا او كذب به عتق رقبة
صدق رسول الله وصدق حبيب الله

سورة المزمل

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل اى المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء فى الزاء وقد قرئ على الاصل وقرئ المزمل
من زمله مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل قيل خوطب النبى صلى الله عليه وسلم تهجينا لما كان عليه من الحالة حيث كان عليه السلام متلففا بقطيفة مستعدا للنوم
كما يفعله من لا يهمه امر ولا يعنيه شان فامر بان يترك التزمل الى التشمر للعبادة والهجود الى التهجد وقيل دخل عليه السلام على خديجة وقد جئث فرقا اول ما اتاه
جبريل عليهما السلام وبوادره ترعد فقال زملونى زملونى وحسب انه عرض له فبينما هو كذلك اذ ناداه جبريل فقال يا ايها المزمل فيكون تخصيص وصف التزمل
بالخطاب للملاطفة والتأنيس كما فى قوله عليه السلام لعلى رضى الله عنه حين غاضب فاطمة رضى الله عنها فاتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب قم يا ابا تراب
ملاطفة له واشعارا بانه غير عاتب عليه وقيل المعنى يا ايها الذى زمل امرا عظيما هو امر النبوة اى حمله والزمل الحمل وازدمله اى احتمله فالتعرض للوصف
حينئذ للاشعار بعليته للقيام او للامر به فان تحمله عليه السلام لاعباء النبوة مما يوجب الاجتهاد فى العبادة قم الليل اى قم الى الصلوة وانتصاب
الليل على الظرفية وقيل القيام مستعار للصلوة والمعنى قم صل وقرئ بضم الميم وبفتحها الا قليلا استثناء من الليل وقوله تعالى نصفه بدل من
الليل الباقى بعد الثنيا بدل الكل اى قم نصفه والتعبير عن النصف المخرج بالقليل لاظهار كمال الاعتداد بشان الجزء المقارن للقيام والايذان
بفضله وكون القيام فيه بمنزلة القيام فى اكثره فى كثرة الثواب واعتبار قلته بالنسبة الى الكل مع عرائه عن الفائدة خلاف الظاهر او انقص منه
اى انقص القيام من النصف المقارن له فى الصورة الاولى قليلا اى نقصا قليلا او مقدارا قليلا بحيث لا ينحط الى نصف النصف او زد عليه

اي زد القيام على النصف او اقل منه او اكثر وقيل قوله تعالى نصفه بدل من قليلا والتخيير بحاله وليس بسديد اما اولا فلان الحقيق بالاعتناء الذي ينبئ عنه الابدال هو الجزء الباقي بعد الثنيا المقارن للقيام لا الجزء المخرج العاري عنه واما ثانيا فلان بعضهما لان نقص القيام وزيادته انما يعتبران بالقياس الى معياره الذي هو النصف المقارن له فلو جعل نصفه بدلا من قليلا لزم اعتبار نقص القيام وزيادته بالقياس الى ما هو عار منه بالكلية والاعتبار ربما يساوي النصفين مع كونه محل النظر اعتراضا بان الحق هو الاول وقيل نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء من النصف والضمير في منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل على البت وبين ان يختار احد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وقيل الضميران للاقل من النصف كانه قيل قم اقل من نصفه او قم انقص من ذلك الاقل او ازيد منه قليلا وقيل وقيلا والذي يليق بجزالة التنزيل هو الاول والله اعلم بما في كتابه الجليل ورتل القرآن في اثناء ما ذكر من القيام اي اقرأه على تؤدة وتبيين حروف ترتيلا بليغا بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتِل اذا كان مفلجا انا سنلقي عليك اي سنوحي اليك وايثار الالقاء عليه لقوله تعالى قولا ثقيلا وهو القرآن العظيم المنطوي على تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين لا سيما على الرسول صلى الله عليه وسلم فانه عليه السلام مأمور بتحملها وتحميلها للامة والجملة اعتراض بين الامر وتعليله لتسهيل ما كلف عليه السلام من القيام وقيل معنى كونه ثقيلا انه عليه السلام انه رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتأمل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر او ثقيل في الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه عن ابن عباس رضي الله عنهما كان اذا نزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا ان ناشئة الليل اي ان النفس التي تنشأ من مضجعها الى العبادة اي تنهض من نشأ من مكانه اذا نهض او ان قيام الليل على ان الناشئة مصدر من نشأ كالعافية او ان العبادة التي تنشأ بالليل اي تحدث او ان ساعات الليل فانها تحدث واحدة بعد واحدة او ساعاتها الاول من نشأ اذا ابتدأ هي اشد وطأ اي هي خاصة اشد ثبات قدم او كلفة فلا بد من الاعتناء بالقيام وقرئ وطاء اي اشد مواطاة يواطئ قلبها لسانها اي ربها النفس او يواطئ فيها قلب القائم لسانه ان اريد بها القيام او العبادة او الساعات او اشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص واقوم قيلا واسد مقالا او اثبت قراءة لحضور القلب وهدو الاصوات ان لك في النهار سبحا طويلا اي تقلبا وتصرفا في مهماتك واشتغالا بشواغلك فلا تستطيع ان تتفرغ للعبادة فعليك بها في الليل وهذا بيان للداعي الخارجي الى قيام الليل بعد بيان ما في نفسه من الداعي وقرئ سبخا اي تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه واذكر اسم ربك ودم على ذكره تعالى ليلا ونهارا على اي وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلوة وقراءة قرآن ودراسة علم وتبتل اليه اي وانقطع اليه بمجامع الهمة واستغراق العزيمة في مراقبته وحيث لم يكن ذلك الا بتجريد نفسه عليه السلام عن العوائق الصادة عن مراقبته تعالى وقطع العلائق عما سواه قيل تبتيلا مكان تبتلا مع ما فيه من رعاية الفواصل رب المشرق والمغرب مرفوع على المدح وقيل على الابتداء خبره لا اله الا هو وقرئ بالجر على انه بدل من ربك وقيل على اضمار حرف القسم جوابه لا اله الا هو والفاء في قوله تعالى فاتخذه وكيلا لترتيب الامر وموجبه على اختصاص الالوهية والربوبية به تعالى واصبر على ما يقولون مما لا خير فيه من الخرافات واهجرهم هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافيهم وتكل امورهم الى ربهم كما يعرب عنه قوله تعالى وذرني والمكذبين اي دعني واياهم وكل امرهم الي فان فيّ ما يكفيكهم اولي النعمة ارباب التنعم وهم صناديد قريش ومهلهم قليلا اي زمانا قليلا ان لدينا انكالا جمع نكل وهو القيد الثقيل والجملة تعليل للامر اي ان لدينا امورا مضادة لتنعمهم وجحيما وطعاما ذا غصة ينشب في الحلوق ولا يكاد يساغ كالضريع والزقوم وعذابا اليما ونوعا آخر من العذاب مولما لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه كل ذلك معد لهم ومرصد وقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال اي تضطرب وتتزلزل ظرف للاستقرار الذي تعلق به لدينا وقيل متعلق بمضمر هو صفة لعذابا اي عذابا واقعا يوم ترجف وكانت الجبال مع صلابتها وارتفاعها كثيبا رملا مجتمعا من كثب الشيء اذا جمعه كانه فعيل بمعنى مفعول مهيلا منثورا من هيل هيلا اذا نثر واسيل انا ارسلنا اليكم يا اهل مكة رسولا شاهدا عليكم يشهد يوم القيمة بما صدر عنكم من الكفر والعصيان كما ارسلنا الى فرعون رسولا هو موسى عليه السلام وعدم تعيينه لعدم دخله في التشبيه فعصى فرعون الرسول الذي ارسلناه اليه ومحل الكاف النصب على انها صفة لمصدر محذوف اي انا ارسلنا اليكم رسولا فعصيتموه كما يعرب عنه قوله تعالى شاهدا عليكم ارسالا كائنا كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصاه وقوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا خارج عن التشبيه جيء به للتنبيه على انه سيحيق بهؤلاء ما حاق باولئك لا محالة والوبيل الثقيل الغليظ من قولهم كلأ وبيل اي وخيم لا يستمرأ لثقله والوبيل العصا الضخمة فكيف تتقون ان كفرتم اي كيف تقون انفسكم ان بقيتم على الكفر يوما اي عذاب يوم

يجعل

يجعل الولدان من شدة هوله وفظاعة ما فيه من الدواهي شيبا شيوخا جمع اشيب اما حقيقة او تمثيلا واصله ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على المرء ضعفت قواه واسرع فيه الشيب وقد جوز ان يكون ذلك وصفا لليوم بالطول وليس بذاك السماء منفطر اي منشق وقرئ متفطر اي متشقق والتذكير لاجرائه على موصوف مذكر اي شيء منفطر عبر عنها بذلك للتنبيه على انه تبدلت حقيقتها وزال عنها اسمها ورسمها ولم يبق منها الا ما يعبر عنه بالشيء وقيل لتأويل بالسقف وقيل هو من باب النسب اي ذات انفطار والباء في قوله تعالى به مثلها في فطرت العود بالقدوم كان وعده مفعولا الضمير لله عز وجل والمصدر مضاف الى فاعله او لليوم وهو مضاف الى مفعوله ان هذه اشارة الى الآيات المنطوية على القوارع المذكورة تذكرة موعظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا بالتقرب اليه بالايمان والطاعة فانه المنهاج الموصل الى مرضاته ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل اي اقل منهما استعير له الادنى لما ان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى وقرئا بالجر عطفا على ثلثي الليل وطائفة من الذين معك اي ويقوم معك طائفة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار وحده لا يقدر على تقديرهما احد اصلا فان تقديم الاسم الجليل مبتدأ وبناء يقدر عليه موجب للاختصاص قطعا كما يعرب عنه قوله تعالى علم ان لن تحصوه اي علم ان الشان لن تقدروا على تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات ابدا فتاب عليكم بالترخيص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة عنكم في تركه فاقرؤا ما تيسر من القرآن فصلوا ما تيسر لكم من الصلوة في الليل عبر عن الصلوة بالقراءة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس وقيل هي قراءة القرآن بعينها قالوا من قرأ مائة آية من القرآن في ليلة لم يحاجه وقيل من قرأ مائة آية كتب من القانتين وقيل خمسين آية علم ان سيكون منكم مرضى استيناف مبين لحكمة اخرى داعية الى الترخيص والتخفيف وآخرون يضربون في الارض يسافرون فيها للتجارة يبتغون من فضل الله وهو الربح وقد عمم ابتغاء الفضل لتحصيل العلم وآخرون يقاتلون في سبيل الله واذا كان الامر كذلك وتعاضدت الدواعي الى الترخيص فاقرؤا ما تيسر منه من غير تحمل المشاق واقيموا الصلوة اي المفروضة وآتوا الزكوة الواجبة وقيل هي زكوة الفطر اذ لم يكن بمكة زكوة ومن فسرها بالزكوة المفروضة جعل آخر السورة مدنيا واقرضوا الله قرضا حسنا اريد به الانفاق في سبل الخيرات او اداء الزكوة على احسن الوجوه وانفعها للفقراء وما تقدموا لانفسكم من خير اي خير كان مما ذكر وما لم يذكر تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا من الذي تؤخرونه الى الوصية عند الموت وخيرا ثاني مفعولي تجدوا وهو تأكيد او فصل وان لم يقع بين معرفتين فان افعل من في حكم المعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقيل هو خبر على الابتداء والخبر واستغفروا الله في كافة احوالكم فان الانسان قلما يخلو من تفريط ان الله غفور رحيم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل رفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة

سورة المدثر

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المدثر اي المتدثر وهو لابس الدثار وهو ما يلبس فوق الشعار الذي يلي الجسد قيل هي اول سورة نزلت روي عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك لرسول الله فنظرت عن يميني ويساري فلم ار شيئا فنظرت فوقي فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر وعن الزهري ان اول ما نزل سورة اقرأ الى قوله تعالى ما لم يعلم فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهق الجبال فاتاه جبريل عليه السلام وقال انك نبي الله فرجع الى خديجة وقال دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل يا ايها المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكرا كما يفعل المغموم فامر ان لا يدع انذارهم وان اسمعوه وآذوه وقيل كان نائما متدثرا وقيل المراد المتدثر بلباس النبوة والمعارف الالهية وقرئ المدثر على صيغة اسم المفعول من دثره اي الذي دثر هذا الامر العظيم وعصب به وفي حرف ابي المتدثر يا ايها المتدثر على الاصل قم اي من مضجعك او قم قيام عزم وتصميم فانذر اي افعل الانذار واحدثه وقيل انذر قومك كقوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين او جميع الناس حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وربك فكبر واختص ربك بالتكبير وهو وصفه تعالى بالكبرياء اعتقادا وقولا وروي انه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر فكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلوة

والفاء بمعنى الشرط كانه قيل ما كان فلا تدع تكبيره او للدلالة على ان المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه وينزهه عن الشرك فان اول ما يجب
معرفة الصانع جل جلاله ثم تنزيهه عما لا يليق بجنابه **وثيابك فطهر** من النجاسات فان التطهير واجب في الصلوة واولى وأحب في غيرها وذلك بصيانتها وحفظها عن
النجاسات وغسلها بعد تلطخها وبتقصيرها ايضا فان طولها يؤدي الى جر الذيول على القاذورات وهو اول ما امر به عليه السلام من رفض العادات المذمومة
وقيل هو امر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن من الاحوال يقال فلان طاهر الذيل والاردان اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس
الاخلاق **والرجز فاهجر** اي فاهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي اليه من المآثم وقرئ بكسر الراء وهما لغتان كالذكر والذكر **ولا تمنن تستكثر** اي ولا تعط
مستكثرا اي رائيا لما تعطيه كثيرا او طالبا للكثير على انه نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا وهو يطمع ان يتعوض من الموهوب له اكثر مما اعطاه وهو جائز
ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته فالنهي اما للتحريم وهو خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى اختار له اشرف الاخلاق واحسن
الآداب او للتنزيه للكل وقرئ تستكثر بالسكون اعتبارا لحال الوقف او ابدالا من تمنن كانه قيل ولا تمنن ولا تستكثر على انه من المن في قوله
منا ولا اذى لان من يمن بما يعطي يستكثره ويعتد به وقرئ بالنصب باضمار ان مع ابقاء عملها كقول من قال الا ايهذا الزاجري احضر الوغى
وقد قرئ وقد قرئ باثباتها ويجوز في قراءة الرفع ان تحذف ان ويبطل عملها كما روي احضر الوغى بالرفع **ولربك** اي لوجهه تعالى او امره
فاصبر فاستعمل الصبر وقيل على اذية المشركين وقيل على اداء الفرائض **فاذا نقر في الناقور** اي نفخ في الصور وهو فاعول من النقر بمعنى
التصويت واصله القرع الذي هو سبب الصوت والفاء للسببية كانه قيل اصبر على اذاهم فبين ايديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة
صبرك عليه والعامل في اذا ما دل عليه قوله تعالى **فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين** فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وما فيه
من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الهول والفظاعة ومحله الرفع على الابتداء ويومئذ بدل منه مبني على الفتح لاضافته
الى غير متمكن والخبر يوم عسير وقيل يومئذ ظرف للخبر اذ التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير وعلى متعلقة بعسير وقيل بمحذوف هو صفته
او حال من المستكن فيه وقوله تعالى **غير يسير** تأكيد لعسره عليهم مشعر بيسره على المؤمنين واختلف في ان المراد به يوم النفخة الاولى او الثانية والحق
انها الثانية اذ هي التي تختص عسرها بالكافرين واما النفخة الاولى فحكمها الذي هو الاصعاق يعم البر والفاجر على انها مختصة بمن كان حيا عند وقوعها وقد جاء
في الاخبار ان في الصور ثقبا بعدد الارواح كلها وانها تجمع في تلك الثقب في النفخة الثانية فيخرج عند النفخ من كل ثقب روح الى الجسد الذي نزعت منه فيعود
الجسد حيا باذن الله تعالى **ذرني ومن خلقت وحيدا** حال من الياء اي ذرني وحدي معه فاني اكفيكه في الانتقام منه او من التاء اي خلقته وحدي لم يشركني
في خلقه احد او من العائد المحذوف اي ومن خلقته وحيدا فريدا **لا مال له ولا ولد** وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد
فهو تهكم به وبلقبه وصرف له عن الغرض الذي يؤمونه من مدحه الى جهة ذمه بكونه وحيدا من المال والولد او وحيدا من ابيه لانه كان زنيما او من
وحيدا في الشرارة **وجعلت له مالا ممدودا** مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء من مد النهر ومده نهر آخر قيل كان له الضرع والزرع والتجارة وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الاموال وقيل كان له بالطائف بستان لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وقال
ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير رضي الله تعالى عنهم كان له الف دينار وقال قتادة ستة آلاف دينار وقال سفيان الثوري اربعة
آلاف دينار وقال الثوري ايضا الف الف دينار **وبنين شهودا** حضورا معه بمكة يتمتع بمشاهدتهم لا يفارقونه للتصرف في عمل او تجارة لكونهم
مكفيين لوفور نعمهم وكثرة خدمهم او حضورا في الاندية لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال
الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص والقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة **ومهدت له**
تمهيدا وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش **ثم يطمع ان ازيد** على ما اوتيه وهو استبعاد واستنكار
لطمعه وحرصه اما لانه لا مزيد على ما اوتي سعة وكثرة او لانه مناف لما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم وقيل انه كان يقول ان كان
محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي **كلا** ردع وزجر له على طمعه الفارغ وقطع لرجائه الخائب قوله تعالى **انه كان لآياتنا عنيدا** تعليل لذلك على وجه
الاستئناف التحقيقي فان معاندة آيات المنعم مع وضوحها وكفران نعمته مع سبوغها مما يوجب حرمانه بالكلية وانما اوتي ما اوتي استدراجا
قيل ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك **سارهقه صعودا** سأغشيه بدل ما يطمعه من الزيادة او الجنة عقبة شاقة المصعد وهو
مثل لما يلقى من العذاب الصعب الذي لا يطاق وعن النبي صلى الله عليه وسلم يكلف ان يصعد عقبة في النار كلما وضع يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت

وعنه

وعنه صلى الله عليه وسلم يكلف الصعود على جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا **انه فكر وقدر** تعليل للوعيد
واستحقاقه او بيان لعناده لآياته تعالى اي فكر ماذا يقول في شأن القرآن وقدر في نفسه ما يقوله **فقتل كيف قدر** تعجيب من تقديره واصابته
فيه الغرض الذي كان ينتحيه قريش قاتلهم الله او ثناء عليه بطريق الاستهزاء به او حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم
بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قولهم قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره الاشعار بانه قد بلغ من الشجاعة والشعر مبلغا حقيقا
بان يدعو عليه حاسده بذلك روي ان الوليد قال لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن
ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم
فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد عنده حزينا فكلمه بما احماه فقام فاتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون
انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك
اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذي يقوله الا سحر يأثره عن اهل بابل
فارتج النادي فرحا وتفرقوا معجبين متعجبين من قوله **ثم قتل كيف قدر** تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى
وفيما بعد على اصلها من التراخي الزماني **ثم نظر** اي في القرآن مرة بعد مرة **ثم عبس** قطب وجهه لما لم يجد فيه مطعنا ولم يدر ما يقول
وقيل نظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه وقيل نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قطب في وجهه **ثم ادبر** اتباع لعبس **واستكبر** عن الحق او عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم **واستكبر** عن اتباعه فقال **ان هذا الا سحر يؤثر** اي يروى ويتعلم والفاء للدلالة على ان هذه الكلمة لما خطرت بباله
تفوه بها من غير تلعثم وتلبث وقوله تعالى **ان هذا الا قول البشر** تأكيد لما قبله ولذلك اخلي عن العاطف **ساصليه سقر** بدل من سارهقه صعودا
وما ادريك ما سقر اي اي شيء اعلمك ما سقر على ان ما الاولى مبتدأ وادراك خبره وما الثانية خبر لانها المفيدة لما قصد افادته من التهويل
والتفظيع وسقر مبتدأ اي اي شيء هي في وصفها لما مر ان ما قد يطلب بها الوصف وان كان الغالب ان يطلب بها الاسم والحقيقة وقوله تعالى
لا تبقي ولا تذر بيان لوصفها وحالها وانجاز للوعد الضمني الذي يلوح به وما ادريك ما سقر وقيل حال من سقر وليس بذلك اي لا تبقي شيئا يلقى فيها الا اهلكته
واذا اهلكت لم تذره هالكا حتى يعاد او لا تبقي على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة **لواحة للبشر** مغيرة لاعالي الجلد
مسودة لها وقيل تلفح الجلد لفحة فتدعه اشد سوادا من الليل وقيل تلوح للناس كقوله تعالى ثم لترونها عين اليقين وقرئ لواحة بالنصب على
الاختصاص للتهويل **عليها تسعة عشر** اي ملكا او صنفا او صفا او نقيبا من الملائكة يلون امرها ويتسلطون على اهلها وقرئ بسكون عين عشر
حذرا من توالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد وقرئ تسعة اعشر جمع عشير مثل يمين وايمن **وما جعلنا اصحاب النار** اي المدبرين لامرها القائمين
بتعذيب اهلها **الا ملائكة** ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا اليهم ولانهم اقوى الخلق واقومهم بحق الله عز وجل وبالغضب له
تعالى واشدهم بأسا عن النبي صلى الله عليه وسلم لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم
وروي انه لما نزل عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاشد ابن اسيد بن كلدة
الجمحي وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين فنزلت اي ما جعلناهم رجالا من جنسكم **وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا**
اي وما جعلنا عددهم الا العدد الذي تسبب لافتتانهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على التلازم بينهما وليس المراد مجرد جعل عددهم ذلك
العدد المعين في نفس الامر بل جعله في القرآن ايضا كذلك وهو الحكم بان عليها تسعة عشر اذ بذلك يتحقق افتتانهم باستقلالهم له واستبعادهم لتولي هذا
العدد القليل لتعذيب اكثر الثقلين واستهزائهم به حسبما ذكر وعليه يدور ما سيأتي من استيقان اهل الكتاب وازدياد المؤمنين ايمانا قالوا المخصص لهذا
العدد ان اختلاف النفوس البشرية في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنتي عشرة والطبيعية السبع او ان جهنم سبع دركات ست منها لاصناف
الكفرة وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا من العذاب يناسبها وعلى كل نوع ملك او صنف او صف يتولاه وواحدة لعصاة الامة
يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه واحد او ان الساعات اربع وعشرون خمسة منها مصروفة للصلوات الخمس فيبقى تسعة عشر قد تصرف الى ما يؤاخذ
به من انواع العذاب يتولاها الزبانية **ليستيقن الذين اوتوا الكتاب** متعلق بالجعل على المعنى المذكور اي ليكتسبوا اليقين بنبوته عليه الصلوة
والسلام وصدق القرآن لما شاهدوا ما فيه موافقا لما في كتابهم **ويزداد الذين آمنوا ايمانا** اي يزداد ايمانهم كيفية بما رأوا من تسليم اهل الكتاب

وتصديقهم انه كذلك او كميته بانضمام ايمانهم بذلك الى ايمانهم بسائر ما انزل ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون تأكيد لما قبله من الاستيقان
وازدياد الايمان ونفي لما قد يعتري المستيقن من شبهة ما وانما لم ينظم المؤمنون في سلك اهل الكتاب في نفي الارتياب حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه
على تباين النفيين حالا فان انتفاء الارتياب من اهل الكتاب مقارن لما ينافيه من الجحود ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الايمان وكم بينهما
والتعبير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث للايذان بثباتهم على الايمان بعد ازدياده ورسوخهم في ذلك
وليقول الذين في قلوبهم مرض شك او نفاق فيكون اخبارا بما سيكون في المدينة بعد الهجرة والكافرون المصرون على التكذيب ماذا اراد الله بهذا مثلا
اي اي شيء اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب وافراد قولهم هذا بالتعليل مع كونه من باب
فتنتهم للاشعار باستقلاله في الشناعة كذلك يضل الله من يشاء اضلالا وهداية كائنين مثل ما ذكر من الاضلال والهداية فحذف المصدر واقيم
وصفه مقامه ثم قدم على الفعل لافادة القصر فصار النظم ذلك الاضلال وتلك الهداية يضل الله من يشاء اضلاله لصرف اختياره الى جانب
الضلال عند مشاهدته لآيات الله الناطقة بالحق ويهدي من يشاء هدايته لصرف اختياره عند مشاهدة تلك الآيات الى جانب الهدى لا اضلالا وهداية
ادنى منهما وما يعلم جنود ربك اي جموع خلقه التي من جملتها الملائكة المذكورون الا هو اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والوقوف على حقائقها
وصفاتها ولو اجمالا فضلا عن الاطلاع على تفاصيلها من كم وكيف ونسبة وما هي اي سقر او عدة خزنتها او الآيات الناطقة باحوالها
الا ذكرى للبشر الا تذكرة لهم كلا ردع لمن انكرها او انكار ونفي لان يكون لهم تذكر والقمر والليل اذ ادبر وقرئ اذا دبر بمعنى ادبر
كقبل اذا اقبل ومنه قولهم صاروا كامس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه والصبح اذا اسفر اي اضاء وانكشف انها لاحدى الكبر
جواب للقسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتأكيد والكبر جمع الكبرى جعلت الف التأنيث كتائها فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظيرها القواصع
في جمع القاصعاء كانها جمع قاصعة اي لاحدى البلايا او الدواهي الكبر على معنى ان البلايا الكثيرة وهذه واحدة في العظم لا نظير لها
نذيرا للبشر تمييز اي لاحدى الكبر انذارا او حال مما دلت عليه الجملة اي كبرت منذرة وقرئ نذير بالرفع على انه خبر بعد خبر لان او لمبتدأ
محذوف لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر بدل من للبشر اي نذيرا لمن شاء منكم ان يسبق الى الخير فيهديه الله تعالى او لم يشاء ذلك فيضله وقيل لمن شاء خبر
وان يتقدم او يتأخر مبتدأ فيكون كقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر كل نفس بما كسبت رهينة عند الله تعالى بكسبها والرهينة اسم بمعنى الرهن
كالشتيمة بمعنى الشتم لا صفة والا لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول لا تدخله التاء الا اصحاب اليمين فانهم فاكون رقابهم بما احسنوا من اعمالهم
كما يفك الراهن رهنه باداء الدين وقيل هم الملائكة وقيل الاطفال وقيل هم الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقيل الذين كانوا عن يمين آدم
عليه السلام يوم الميثاق وقيل الذين يؤتون كتبهم بايمانهم في جنات لا يكتنه كنهها ولا يدرك وصفها وهو خبر لمبتدأ محذوف والجملة استئناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله من استثناء اصحاب اليمين كانه قيل ما بالهم فقيل هم في جنات وقيل حال من اصحاب اليمين وقيل من ضميرهم في قوله تعالى
يتساءلون وقيل ظرف للتساؤل وليس المراد بتساؤلهم ان يسأل بعضهم بعضا على ان يكون كل واحد منهم سائلا ومسؤولا معا بل صدور السؤال عنهم مجردا عن وقوعه
عليهم فان صيغة التفاعل وان وضعت في الاصل للدلالة على صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه معا بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا
معا كما في قولك ترائى القوم اي رأى كل واحد منهم الآخر لكنها قد تجرد عن المعنى الثاني ويقصد بها الدلالة على الاول فقط فيذكر للفعل حينئذ
مفعول كما في قولك تراءوا الهلال فمعنى يتساءلون عن المجرمين يسألونهم عن احوالهم وقد حذف المسؤول لكونه عين المسؤول عنه وقوله تعالى
ما سلككم في سقر مقدر بقول هو حال من فاعل يتساءلون اي يسألونهم قائلين اي شيء ادخلكم فيها فانها ام ودع عنك ما تكلف فيه المتكلفون
قالوا اي المجرمون مجيبين للسائلين لم نك من المصلين للصلوات الواجبة ولم نك نطعم المسكين على معنى استمرار نفي الاطعام لا على نفي استمرار الاطعام
كما مر مرارا وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة وكنا نخوض مع الخائضين اي نشرع في الباطل مع الشارعين فيه
وكنا نكذب بيوم الدين اي بيوم الجزاء اضافه الى الجزاء مع ان فيه من الدواهي والاهوال ما لا غاية له لانه ادهاها واهولها وانهم ملابسوه وقد
مضت بقية الدواهي وتأخير جنايتهم هذه مع كونها اعظم من الكل لتفخيمها كانهم قالوا وكنا بعد ذلك كله مكذبين بيوم الدين ولبيان كون
تكذيبهم به مقارنا لسائر جناياتهم المعدودة مستمرا الى آخر عمرهم حسبما نطق به قولهم حتى اتانا اليقين اي الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة
الشافعين شفعوا لهم جميعا والفاء في قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين لترتيب انكار اعراضهم عن القرآن بغير سبب على ما قبلها من موجبات الاقبال

عليه

عليه والالتفات للمبالغة في التوبيخ ومعرضين حال من الضمير في الجار الواقع خبرا لما الاستفهامية وعن متعلقة به اي فاذا كان حال المكذبين
على ما ذكر فاي شيء حصل لهم معرضين عن القرآن مع تعاضد موجبات الاقبال عليه وتآخذ الدواعي الى الايمان به وقوله تعالى كانهم حمر
مستنفرة حال من المستكن في معرضين بطريق التداخل اي مشبهين بحمر نافرة فرت من قسورة اي من اسد فعولة من القسر وهو
القهر والغلبة وقيل هي جماعة الرماة الذين يتصيدونها شبهوا في اعراضهم عن القرآن واستماع ما فيه من المواعظ وشرادهم عنه بحمر
جدت في نفارها مما افزعها وفيه من ذمهم وتهجين حالهم ما لا يخفى وقوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة
عطف على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل لا يكتفون بتلك التذكرة ولا يرضون بها بل يريد كل واحد منهم ان يؤتى قراطيس تنشر
وتقرأ وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى يأتي كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين
الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك كما قالوا ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقرئ صحفا منشرة بسكون الحاء والنون
كلا ردع لهم عن تلك الجراءة بل لا يخافون الآخرة فلذلك يعرضون عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف كلا ردع لهم عن
اعراضهم انه اي القرآن تذكرة واي تذكرة فمن شاء ان يذكره وحاز بسببه سعادة الدارين وما يذكرون بمجرد مشيئتهم للذكر كما هو المفهوم
من ظاهر قوله تعالى فمن شاء ذكره اذ لا تأثير لمشيئة العبد وارادته في افعاله وقوله تعالى الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من اعم العلل او من اعم الاحوال اي وما
يذكرون بعلة من العلل او في حال من الاحوال الا بان يشاء الله ذلك وهذا تصريح بان افعال العباد بمشيئة الله عز وجل وقرئ تذكرون على الخطاب التفاتا وقرئ
بهما مشددا هو اهل التقوى اي حقيق بان يتقى عقابه ويؤمن به ويطاع واهل المغفرة حقيق بان يغفر لمن آمن به واطاعه عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة المدثر اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد عليه الصلوة والسلام وكذب به صدق رسول الله وصدق حبيبه

سورة القيمة

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم القيمة ادخال لا النافية على فعل القسم شائع وفائدتها توكيد القسم قالوا انها صلة
مثلها في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب وقيل هي منفية لكن لا لنفي نفس الاقسام بل لنفي ما ينبئ هو عنه من اعظام المقسم به وتفخيمه كان معنى لا اقسم بكذا
لا اعظمه باقسامي به حق اعظامه فانه حقيق باكثر من ذلك واما ما قيل من ان المعنى نفي الاقسام لوضوح الامر فقد عرفت ما فيه في قوله تعالى فلا اقسم بمواقع
النجوم وقيل ان لا نفي ورد لكلام معهود قبل القسم كانهم انكروا البعث فقيل لا اي ليس الامر كذلك ثم قيل اقسم بيوم القيمة كقولك لا والله ان
البعث حق واياما كان ففي الاقسام على تحقق البعث بيوم القيمة من الجزالة ما لا مزيد عليه وقد مر تفصيله في سورة يس وسورة الزخرف ولا اقسم
بالنفس اللوامة اي بالنفس المتقية التي تلوم النفوس يومئذ على تقصيرهن في التقوى ففيه طرف من البراعة التي في القسم به او بالنفس التي لا تزال
تلوم نفسها وان اجتهدت في الطاعات او بالنفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة وقيل بالجنس لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال ليس من نفس برة ولا فاجرة
الا وتلوم نفسها يوم القيمة ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت ليتني كنت قصرت ولا يخفى ضعفه فان هذا القدر
من اللوم لا يكون مدارا للاعظام بالاقسام وان صدر عن النفس المؤمنة المسيئة فكيف من الكافرة المندرجة تحت الجنس وقيل بنفس آدم عليه السلام
فانها لا تزال تتلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة وهو لتبعثن والمراد
بالانسان الجنس والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وان مخففة من الثقيلة وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف اي ايحسب ان الشأن لن نجمع عظامه
فان ذلك حسبان باطل فانا نجمعها بعد تشتتها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها في اقطار الارض و
القتها في البحار وقيل ان عدي بن ابي ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيهما اللهم اكفني جاري
السوء قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثني عن يوم القيمة متى يكون وكيف امره فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت
ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام بلى اي نجمعها حال كوننا قادرين على ان نسوي بنانه اي نجمع سلامياته ونضم بعضها الى بعض
كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام او على ان نسوي اصابعه التي هي اطرافه واخر ما يتم به خلقه وقرئ قادرون اي نحن قادرون
بل يريد الانسان ليفجر امامه عطف على ايحسب اما على انه استفهام مثله اضرب عن التوبيخ بهذا او على انه ايجاب انتقل اليه عن الاستفهام

اى بل يريد ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وما يستقبله من الزمان لا يرعوى عنه **يسئل ايان يوم القيمة** اى متى يكون استبعادا
او استهزاء **فاذا برق البصر** اى تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرئ بفتح الراء وهى لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة
شخوصه وقرئ بلق اى انفتح وانفرج **وخسف القمر** اى ذهب ضوءه وقرئ على البناء للمفعول **وجمع الشمس والقمر** بان يطلعهما الله تعالى
من المغرب وقيل جمعا فى ذهاب الضوء وقيل يجمعان اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران فى النار وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف
يقول الانسان يومئذ اى يوم اذ تقع هذه الامور **اين المفر** اى الفرار يأسا منه وقرئ بالكسر اى موضع الفرار وقد جوز ان يكون هو
ايضا مصدرا كالمرجع **كلا** ردع عن طلب المفر وتمنيه **لا وزر** لا ملجأ مستعار من الجبل وقيل كل ما التجأت وتخلصت به فهو وزرك **الى ربك**
يومئذ المستقر اى اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار امرهم او الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار
ينبؤا الانسان يومئذ اى يخبر كل امرئ برا كان او فاجرا عند وزن الاعمال **بما قدم** اى عمل من عمل خيرا كان او شرا فيثاب بالاول
ويعاقب بالثانى **واخر** اى لم يعمل خيرا كان او شرا فيعاقب بالاول ويثاب بالثانى او بما قدم من حسنة او سيئة وبما اخر من حسنة او سيئة فعمل بها بعده
او بما قدم من مال تصدق فى حيوته وبما اخر فخلفه او وقفه او اوصى به او باول عمله واخره **بل الانسان على نفسه بصيرة** اى حجة بينة على نفسه
شاهدة بما صدر عنه من الاعمال السيئة كما يعبر عنه بكلمة على وما سبق من الجملة الحالية وصفت بالبصارة مجازا كما وصفت الايات بالابصار فى قوله تعالى
فلما جاءتهم اياتنا مبصرة او عين بصيرة والتاء للمبالغة ومعنى بل الترقى اى ينبؤ الانسان باعماله بل هو يومئذ عالم بتفاصيل احواله شاهد على نفسه
لان جوارحه تنطق بذلك وقوله تعالى **ولو القى معاذيره** اى ولو جاء بكل معذرة يمكن ان يعتذر بها عن نفسه حال من المستكن فى بصيرة او من مرفوع ينبؤ
اى هو بصيرة على نفسه تشهد عليه جوارحه وتقبل شهادتها ولو اعتذر بكل معذرة او ينبؤ باعماله ولو اعتذر الى اخره والمعاذير اسم جمع للمعذرة
كالمناكير اسم جمع للمنكر وقيل هو جمع للمعذار وهو الستر اى ولو ارخى ستوره كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحى نازع جبريل عليه السلام فى القراءة
ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان يتفلت منه فامر عليه السلام بان يستنصت له ملقيا اليه قلبه وسمعه حتى يقضى اليه الوحى ثم يقفيه بالدراسة
الى ان يرسخ فيه فقيل **لا تحرك به** اى بالقرآن **لسانك** عند القاء الوحى **لتعجل به** اى لتأخذه على عجلة مخافة ان يتفلت منك **ان علينا جمعه**
فى صدرك بحيث لا يذهب عليك شئ من معانيه **وقرآنه** اى اثبات قراءته فى لسانك **فاذا قرأناه** اى اتممنا قراءته عليك بلسان جبريل عليه السلام
واسناد القراءة الى نون العظمة للمبالغة فى ايجاب التأنى **فاتبع قرآنه** فكن مقفيا له ولا تراسله **ثم ان علينا بيانه** اى بيان ما اشكل عليك من معانيه واحكامه
كلا ردع له صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وترغيب له فى الاناة واكد ذلك بقوله **بل تحبون وتذرون الآخرة** على تعميم الخطاب للكل
بل انتم يا بنى آدم لما خلقتم من عجل وجبلتم عليه تعجلون فى كل شئ ولذلك تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقيل كلا ردع للانسان عن الاغترار
بالعاجل فيكون جمع الضمير فى الفعلين باعتبار معنى الجنس ويؤيده قراءة الفعلين على صيغة الغيبة **وجوه يومئذ ناضرة** اى وجوه كثيرة
والتنوين وهى وجوه المخلصين المؤمنين يوم اذ تقوم القيمة بهية متهللة يشاهد عليها نضرة النعيم على ان وجوه مبتداء وناضرة خبره ويومئذ منصوب
بناضرة وناظرة فى قوله تعالى **الى ربها ناظرة** خبران للمبتداء او نعت لناضرة والى ربها متعلق بناظرة وصحة وقوع النكرة مبتداء لان المقام مقام
تفصيل لا على ان ناضرة صفة لوجوه والخبر ناظرة كما قيل لما هو المشهور من ان حق الصفة ان تكون معلومة لانتساب الى الموصوف عند السامع وحيث
لم يكن ثبوت النضرة للوجوه كذلك فحقه ان يخبر به ومعنى كونها ناظرة الى ربها انها تراه مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه
وتشاهده تعالى بلا كيف ولا على جهة وليس هذا فى جميع الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى
الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يعدى بالى **ووجوه يومئذ باسرة** شديدة العبوس وهى وجوه الكفرة **تظن** تتوقع اربابها
ان يفعل بها فاقرة داهية عظيمة تقصم فقار الظهر **كلا** ردع عن ايثار العاجلة على الآخرة اى ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا لما بين ايديكم
من الموت الذى ينقطع عنده ما بينكم وبين العاجلة من العلاقة **اذا بلغت التراقى** اى بلغت النفس اعالى الصدر وهى العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال
وقيل من راق اى قال من حضره واصحابها من يرقيه وينجيه مما هو فيه من الرقية وقيل هو من كلام ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه املائكة الرحمة او ملائكة
العذاب من الرقى **وظن انه الفراق** وايقن المحتضر ان ما نزل به الفراق من الدنيا ونعيمها **والتفت الساق بالساق** والتفت ساقه بساقه والتوت عليها
عند قلق الموت وقيل هما شدة فراق الدنيا وشدة اقبال الآخرة وقيل هما ساقاه حين تلفان فى اكفانه **الى ربك يومئذ المساق** اى الله

والى

زكاة

والى حكمه يساق لا الى غيره **فلا صدق** ما يجب تصديقه من الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن العظيم الذى نزل عليه او فلا صدق ماله ولا زكاه
ولا صلى ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور فى قوله تعالى ايحسب الانسان وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المواخذة كما مر
ولكن كذب ما ذكر من الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم **وتولى** عن الطاعة **ثم ذهب الى اهله يتمطى** يتبختر افتخارا بذلك من المطّ فان المتبختر يمد
خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه **اولى لك فاولى** اى ويل لك اصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما فى ردف لكم
او اولى لك الهلاك وقيل هو افعل من الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى من آل يؤل بمعنى عقباك النار **ثم اولى لك فاولى** اى يتكرر
عليه ذلك مرة بعد اخرى **ايحسب الانسان ان يترك سدى** اى يخلى مهملا فلا يكلف ولا يجزى وقيل ان يترك فى قبره فلا يبعث وقوله تعالى **الم يك**
نطفة من منى يمنى الى اخره استئناف وارد لابطال الحسبان المذكور فان مداره لما كان استبعادهم للاعادة استدل على تحققها ببدء الخلق
ثم كان علقة اى بقدرة الله تعالى لقوله تعالى ثم جعلنا النطفة علقة **فخلق** اى فقدر بان جعلها مضغة مخلقة **فسوى** فعدل
وكمل نشأته **فجعل منه** اى من الانسان **الزوجين** اى الصنفين **الذكر والانثى** بدل من الزوجين **اليس ذلك** العظيم الشأن الذى انشأ هذا
الانشاء البديع **بقادر على ان يحيى الموتى** وهو اهون من البدء فى قياس العقل روى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال سبحانك بلى
عنه عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة القيمة شهدت له انا وجبريل يوم القيمة انه كان مؤمنا بيوم القيمة صدق رسول الله

سورة الانسان

بسم الله الرحمن الرحيم **هل اتى** استفهام تقرير وتقريب فان هل بمعنى قد والاصل اهل اتى **على الانسان**
قبل زمان قريب **حين من الدهر** اى طائفة محدودة كائنة من الزمن الممتد **لم يكن شيئا مذكورا** بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية اصلا كالعنصر
والنطفة وغير ذلك والجملة المنفية حال من الانسان اى غير مذكور او صفة اخرى لحين على حذف العائد الى الموصوف اى لم يكن فيه شيئا مذكورا
والمراد بالانسان الجنس فالاظهار فى قوله تعالى **انا خلقنا الانسان من نطفة** لزيادة التقرير او آدم عليه السلام وهو المروى عن ابن عباس وقتادة
والثورى وعكرمة والشعبى قال ابن عباس فى رواية ابى صالح عنه مرت به اربعون سنة قبل ان ينفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف وفى رواية
الضحاك عنه انه خلق من طين فاقام اربعين سنة ثم من حمإ مسنون فاقام اربعين سنة ثم من صلصال فاقام اربعين سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين
سنة ثم نفخ فيه الروح وحكى الماوردى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الحين المذكور ههنا هو الزمن الطويل الممتد الذى لا يعرف مقداره فيكون
الاول اشارة الى خلقه عليه السلام والثانى بيانا لخلق بنيه **امشاج** اخلاط جمع مشيج من مشجت الشئ اذا خلطته وصف النطفة به لان المراد
بها مجموع المائين ولكل منهما اوصاف مختلفة من اللون والرقة والغلظ وخواص متباينة فان ماء الرجل ابيض غليظ فيه قوة العقد وماء المرأة
اصفر رقيق فيه قوة الانعقاد ويخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فمن ماء الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة قال القرطبى
وقد روى هذا مرفوعا وقيل مفرد كاعشار واكياس وقيل امشاج الوان واطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة وقوله تعالى
نبتليه حال من فاعل خلقنا اى مريدين ابتلاءه بالتكليف فيما سيأتى او ناقلين له من حال الى حال على طريقة الاستعارة كما روى عن ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما نصرفه فى بطن امه نطفة ثم علقة الى آخره **فجعلناه سميعا بصيرا** ليتمكن من استماع الايات التنزيلية ومشاهدة الايات التكوينية
فهو كالمسبب من الابتلاء فلذلك عطف على الخلق المقيد به بالفاء ورتب عليه قوله **انا هديناه السبيل** بانزال الايات ونصب الدلائل
اما شاكرا واما كفورا حالان من مفعول هدينا اى مكناه واقدرناه على سلوك الطريق الموصل الى البغية فى حالتيه جميعا او للتفصيل
او التقسيم اى هديناه الى ما يوصل اليها فى حاليه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه
وقيل من السبيل اى عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا او كفورا على وصف السبيل بوصف سالكه مجازا وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب اى اما
شاكرا فبتوفيقنا واما كفورا فبسوء اختياره لا بمجرد اجبارنا من غير اختيار من قبله وايراد الكفور لمراعاة الفواصل والاشعار بان الانسان
قلما يخلو من كفران ما وانما المؤاخذ عليه الكفر المفرط **انا اعتدنا للكافرين** من افراد الانسان الذى هديناه السبيل **سلاسل** بها يقادون
واغلالا بها يقيدون **وسعيرا** بها يحرقون وتقديم وعيدهم مع تأخرهم للجمع بينهما فى الذكر كما فى قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه

فاما الذين اسودت وجوههم الآية لان الانذار اتم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن على ان في وصفهم تفصيلا ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقرئ سلاسلا للتناسب **ان الابرار** شروع في بيان حسن حال الشاكرين اثر بيان سوء حال الكافرين وايرادهم بعنوان البر للاشعار بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة السنية والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وشاهد واشهاد وقيل هو من يبر خالقه اي يطيعه وقيل من يمتثل بامره تعالى ويوفي بالنذر وعن الحسن البر من لا يؤذي الذر **يشربون من كاس** هي الزجاجة اذا كانت فيها خمر وتطلق على نفس الخمر ايضا فمن على الاول ابتدائية وعلى الثاني تبعيضية او بيانية **كان مزاجها** اي ما تمزج به **كافورا** اي ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده والجملة صفة كاس وقوله تعالى **عينا** بدل من كافور وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكانها مزجت بالكافور فعينا على هذين القولين بدل من محل من كاس على تقدير مضاف اي يشربون خمرا خمر عين او نصب على الاختصاص وقوله تعالى **يشرب بها عباد الله** صفة عينا اي يشربون بها الخمر لكونها ممزوجة بها وقيل ضمن معنى يلتذ وقيل الباء بمعنى من وقيل زائدة ويعضده قراءة ابن ابي عبلة يشربها عباد الله وقيل الضمير للكاس والمعنى يشربون العين بتلك الكاس **يفجرونها تفجيرا** اي يجرونها حيثما شاؤوا من منازلهم اجراء سهلا لا يمتنع عليهم بل يجري جريا بقوة واندفاع والجملة صفة اخرى لعينا وقوله تعالى **يوفون بالنذر** استئناف مسوق لبيان ما لاجله رزقوا ما ذكر من النعم مشتمل على نوع تفصيل لما ينبئ عنه اسم الابرار اجمالا كانه قيل ماذا يفعلون حتى ينالوا تلك الرتبة العالية فقيل يوفون بما اوجبوه على انفسهم فكيف بما اوجبه الله تعالى عليهم **ويخافون يوما كان شره** عذابه **مستطيرا** فاشيا منتشرا في الاقطار غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار بمنزلة استنفر من نفر **ويطعمون الطعام على حبه** كائنين على حب الطعام والحاجة اليه كما في قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون او على حب الاطعام بان يكون ذلك بطيب النفس او كائنين على حب الله تعالى او اطعاما كائنا على حب الله تعالى وهو الانسب لما سياتي من قوله تعالى لوجه الله تعالى **مسكينا ويتيما واسيرا** اي اسير الكفار فانه صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه او اسيرا مؤمنا فيدخل فيه المملوك والمسجون وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغريم اسيرا فقال غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك **انما نطعمكم لوجه الله** على ارادة قول هو في موقع الحال من فاعل يطعمون اي قائلين ذلك بلسان الحال او بلسان المقال ازاحة لتوهم المن المبطل للصدقة وتوقع المكافاة المنقصة للاجر وعن عائشة الصديقة رضي الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسال الرسول المبعوث ماذا قالوا فاذا ذكر دعاءهم دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله تعالى **لا نريد منكم جزاء ولا شكورا** اي شكرا وهو تقرير وتاكيد لما قبله **انا نخاف من ربنا يوما** اي عذاب يوم **عبوسا** تعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد العبوس في الشدة والضراوة **قمطريرا** شديد العبوس فلذلك نفعل بكم ما نفعل رجاء ان يقينا ربنا بذلك شره وقيل هو تعليل لعدم ارادة الجزاء والشكور اي انا نخاف عقاب الله تعالى ان اردناهما **فوقاهم الله شر ذلك اليوم** بسبب خوفهم وتحفظهم عنه **ولقاهم نضرة وسرورا** اي اعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب **وجزاهم بما صبروا** بصبرهم على مشاق الطاعات ومهاجرة هوى النفس في اجتناب المحرمات وايثار الاموال **جنة** بستانا ياكلون منه ما شاؤوا **وحريرا** يلبسونه ويتزينون به وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الحسن والحسين رضي الله عنهما مرضا فعادهما النبي صلى الله عليه وسلم في ناس معه فقالوا لعلي رضي الله عنه لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة رضي الله عنهما وفضة جارية لهما ان برآ مما بهما ان يصوموا ثلثة فشفيا وما معهما شيء فاستقرض علي رضي الله عنه من شمعون الخيبري ثلث اصوع شعير فطحنت فاطمة رضي الله عنها صاعا واختبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم اهل بيت محمد انا مسكين من مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم في الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ علي بيد الحسن والحسين رضي الله عنهما فاقبلوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال عليه الصلوة والسلام ما اشد ما يسوءني ما ارى بكم وقام فانطلق معهم فراى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عليه السلام وقال خذها يا محمد هناك الله تعالى في اهل بيتك فاقراه السورة **متكئين فيها على الارائك** حال من هم في جزاهم والعامل فيها جزى وقيل صفة لجنة من غير ابراز الضمير والارائك هي السرر في الحجال وقوله تعالى **لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا** اما حال ثانية من الضمير او من المستكن في متكئين والمعنى انه يمر عليهم هواء معتدل لا حار محم ولا بارد مؤذ وقيل الزمهرير القمر في لغة طي والمعنى ان هواءها مضيء بذاته لا يحتاج الى شمس ولا قمر

ودانية عليهم ظلالها عطف على ما قبلها حال مثلها او صفة لمحذوف معطوف على جنة اي وجنة اخرى دانية عليهم ظلالها على انهم وعدوا جنتين كما في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ دانية بالرفع على انه خبر لظلالها والجملة في حيز الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال ان ظلالها دانية قالوا معناه ان ظلال اشجار الجنة قريبة من الابرار مظلة عليهم زيادة في التنعيم على معنى انه لو كان هناك شمس مؤذية لكانت اشجارها مظلة عليهم مع انه لا شمس ثمة ولا قمر **وذللت قطوفها تذليلا** اي سخرت ثمارها لمتناوليها وسهل اخذها من الذل وهو ضد الصعوبة والجملة حال من دانية اي تدنو ظلالها عليهم مذللة قطوفها او معطوفة على دانية اي ودانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها وعلى تقدير رفع دانية فهي جملة فعلية معطوفة على جملة اسمية **ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب** الكوب الكوز العظيم الذي لا اذن له ولا عروة **كانت قواريرا قواريرا من فضة** اي تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها ولين الفضة وبياضها والجملة صفة لاكواب وقرئ بتنوين قوارير الثاني ايضا وقرئا بغير تنوين وقرئ الثاني بالرفع على هي قوارير **قدروها تقديرا** صفة لقوارير ومعنى تقديرهم لها انهم قدروها في انفسهم وارادوا ان تكون على مقادير واشكال معينة موافقة لشهواتهم فجاءت حسبما قدروها او قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها وقيل الضمير للطائفين بها المدلول عليهم بقوله تعالى ويطاف عليهم فالمعنى قدروا شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروا على البناء للمفعول اي جعلوا قادرين لها كما شاؤوا من قدر منقولا من قدرت الشيء **ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا** اي ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكان الشراب الممزوج به اطيب ما تستطيبه العرب والذ ما تستلذ به **عينا** بدل من زنجبيلا وقيل تمزج كاسهم بالزنجبيل بعينه او يخلق الله تعالى طعمه فيها فعينا حينئذ بدل من كاسا كانه قيل ويسقون فيها كاسا كاس عين او نصب على الاختصاص **فيها تسمى سلسبيلا** لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد بيان انها في طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه بل نقيض اللذع الذي هو السلاسة **ويطوف عليهم ولدان مخلدون** اي دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء **اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا** لحسنهم وصفاء الوانهم واشراق وجوههم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم وانعكاس شعاع بعضهم الى بعض **واذا رايت ثم** ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر ولا منوي بل معناه ان بصرك اينما وقع في الجنة **رايت نعيما وملكا كبيرا** اي هنيئا واسعا وفي الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل لا زوال له وقيل اذا ارادوا شيئا كان وقيل يسلم عليهم الملائكة ويستاذنون عليهم **عاليهم ثياب سندس خضر** قيل عاليهم ظرف على انه خبر مقدم وثياب مبتدا مؤخر والجملة صفة اخرى لولدان كانه قيل يطوف عليهم ولدان فوقهم ثياب الخ او حسبتهم لؤلؤا منثورا عاليهم الخ وقيل عاليهم بالرفع على انه مبتدا خبره ثياب اي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وقرئ خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى لكونه اسم جنس **واستبرق** بالرفع عطفا على ثياب وقرئ برفع الاول وجر الثاني وقرئ بالعكس وقرئ بجرهما وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب **وحلوا اساور من فضة** عطف على يطوف عليهم ولا ينافيه قوله تعالى اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلي اهل الجنة تختلف حسب اختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال من ضمير عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذلك للمخدومين **وسقاهم ربهم شرابا طهورا** هو نوع آخر يفوق النوعين السالفين كما يرشد اليه اسناد سقيه الى رب العالمين ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن دنس الميل الى الملاذ الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي الغاية القاصية من منازل الصديقين ولذلك ختم بها مقالة ثواب الابرار **ان هذا** على اضمار القول اي يقال لهم ان هذا الذي ذكر من فنون الكرامات **كان لكم جزاء** بمقابلة اعمالكم الحسنة **وكان سعيكم مشكورا** معتدا به مرضيا مقابلا بالثواب **انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا** اي مفرقا منجما لحكم بالغة مقتضية له لا غيرنا كما يعرب عنه تكرير الضمير مع ان **فاصبر لحكم ربك** بتاخير نصرك على الكفار فان له عاقبة حميدة **ولا تطع منهم آثما او كفورا** اي كل واحد من مرتكب الاثم الداعي لك اليه ومن الغالي في الكفر الداعي لك اليه واو للدلالة على انهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه فان ترتب النهي على الوصفين مشعر بعليتهما له فلا بد ان يكون النهي عن الاطاعة في الاثم والكفر لا فيما ليس باثم ولا كفر وقيل الآثم عتبة فانه كان ركابا للمآثم متعاطيا لانواع الفسوق والكفور الوليد فانه كان غاليا في الكفر شديد الشكيمة في العتو **واذكر اسم ربك بكرة واصيلا** وداوم على ذكره في جميع الاوقات او دم على صلوة الفجر والظهر

والعصر فان الاصيل ينتظمهما ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له ولعله صلوة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلوة الليل من مزيد كلفة وخلوص
وسبحه ليلا طويلا وتهجد له قطعا من الليل طويلا ان هؤلاء الكفرة يحبون العاجلة وينهمكون في لذاتها الفانية ويذرون وراءهم اي امامهم لا يستعدون
او ينبذون وراء ظهورهم يوما ثقيلا لا يعبأون به ووصفه بالثقل لتشبيه شدته وهوله بثقل شيء باهظ لحامله بطريق الاستعارة وهو كالتعليل لما امر به
ونهى عنه نحن خلقناهم لا غيرنا وشددنا اسرهم اي احكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب واذا شئنا بدلنا امثالهم بعد اهلاكهم تبديلا بديعا لا ريب فيه يعني البعث
كما ينبئ عنه كلمة اذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع كقوله تعالى يستبدل قوما غيركم واذا لدلالة على تحقق القدرة وقوة الداعية ان هذه تذكرة اشارة الى السورة
او الآيات القريبة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اي فمن شاء ان يتخذ اليه سبحانه سبيلا اي وسيلة توصله الى ثوابه اتخذه اي تقرب اليه بالعمل بما في تضاعيفها
وقوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله تحقيق للحق ببيان ان مجرد مشيتهم غير كافية في اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية اي وما تشاؤن
اتخاذ السبيل ولا تقدرون على تحصيله في وقت من الاوقات الا وقت مشيته تعالى تحصيله لكم اذ لا دخل لمشية العبد الا في الكسب وانما التاثير والخلق لمشية
الله عز وجل وقرئ يشاؤن بالياء وقرئ الا ما يشاء الله وقوله تعالى ان الله كان عليما حكيما بيان لكون مشيته مبنية على اساس العلم والحكمة والمعنى انه تعالى
مبالغ في العلم والحكمة فيعلم ما يستاهله كل احد فلا يشاء لهم الا ما يستدعيه علمه ويقتضيه حكمته وقوله تعالى يدخل من يشاء في رحمته بيان لاحكام مشيته المترتبة
على علمه وحكمته اي يدخل في رحمته من يشاء ان يدخله فيها وهو الذي يصرف مشيته نحو اتخاذ السبيل اليه تعالى حيث يوفقه لما يؤدي الى دخول الجنة من الايمان والطاعة
والظالمين وهم الذين صرفوا مشيتهم الى خلاف ما ذكر اعد لهم عذابا اليما اي متناهيا في الايلام قال الزجاج نصب الظالمين لان ما قبله منصوب
اي يدخل من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين ويكون اعد لهم تفسيرا لهذا المضمر وقرئ بالرفع على الابتداء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هل اتى كان جزاؤه
على الله جنة وحريرا

سورة المرسلات

بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا اقسام من الله عز وجل بطوائف من الملائكة ارسلهن
باوامره فعصفن في مضيهن عصف الرياح مسارعة في الامتثال بالامر وبطوائف اخرى نشرن اجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي ونشرن الشرائع في الاقطار
او نشرن نفوس الموتى بالكفر والجهل بما اوحين ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين ولعل تقديم نشر الشرائع ونشر
النفوس والفرق على الالقاء للايذان بكونها غاية للالقاء حقيقة بالاعتناء بها او للاشعار بان كلا من الاوصاف المذكورة مستقل بالدلالة
على استحقاق الطوائف الموصوفة للتفخيم والاجلال بالاقسام بهن ولو جيء بها على ترتيب الوقوع لربما فهم ان مجموع الالقاء والنشر والفرق
هو الموجب لما ذكر من الاستحقاق او اقسام برياح عذاب ارسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله تعالى ويجعله كسفا
او سحائب نشرن الموات ففرقن كل صنف منها عن سائر الاصناف بالشكل واللون وسائر الخواص او ففرقن بين من يشكر الله تعالى وبين من يكفر به فالقين ذكرا
اما عذرا للمعتذرين الى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم عند مشاهدتهم لآثار رحمته تعالى في الغيث ويشكرونها واما انذارا للذين يكفرونها
وينسبونها الى الانواء واسناد القاء الذكر اليهن لكونهن سببا في حصوله اذا شكرت النعمة فيهن او كفرت او اقسام بآيات القرآن المرسلة الى رسول
الله فعصفن سائر الكتب بالنسخ ونشرن آثار الهدى في مشارق الارض ومغاربها وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق في اكناف العالمين والعرف
اما نقيض النكر وانتصابه على العلة اي ارسلن للاحسان والمعروف فان ارسال الملائكة ان كان للعذاب فهو معروف للانبياء عليهم السلام والمؤمنين او بمعنى المتابعة
من عرف الفرس وانتصابه على الحالية والعذر والنذر مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن نذر اذا خوف وانتصابهما على البدلية من ذكرا او على العلية
وقرئا بالتثقيل انما توعدون لواقع جواب القسم اي ان الذي توعدونه من مجيء القيمة كائن لا محالة فاذا النجوم طمست محيت ومحقت او ذهب بنورها واذا السماء فرجت
صدعت وفتحت فكانت ابوابا واذا الجبال نسفت جعلت كالحب الذي ينسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وقيل اخذت من مقارها بسرعة من انتسفت الشيء اذا
اختطفته وقرئ طمست وفرجت ونسفت مشددة واذا الرسل اقتت اي عين لهم الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على اممهم وذلك عند مجيئه وحصوله اذ لا
يتعين لهم قبله او بلغوا الميقات الذي كانوا ينتظرونه وقرئ وقتت على الاصل وبالتخفيف فيهما لاي يوم اجلت مقدر بقول هو جواب لاذا في قوله تعالى
واذا الرسل اقتت او حال من مرفوع اقتت اي يقال لاي يوم اخرت الامور المتعلقة بالرسل والمراد تعظيم ذلك اليوم والتعجيب من هوله وقوله تعالى
ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل وهو اليوم يفصل فيه بين الخلائق وما ادريك ما يوم الفصل ما مبتدا وادريك خبره اي اي شيء جعلك داريا ما هو فوضع

الظاهر

الضمير يوم الفصل لزيادة تفظيع وتهويل على ان ما خبر ويوم الفصل مبتدا لا بالعكس كما اختاره سيبويه لان محط الفائدة بيان كون يوم الفصل
امرا بديعا هائلا لا يقادر قدره ولا يكتنه كنهه كما يفيده خبرية ما لا بيان كون امر بديع من الامور يوم الفصل كما يفيده عكسه ويل يومئذ للمكذبين
اي في ذلك اليوم الهائل وويل في الاصل مصدر منصوب ساد مسد فعله لكن عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ويومئذ
ظرف او صفة الم نهلك الاولين كقوم نوح وعاد وثمود لتكذيبهم به وقرئ نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى اهلكه ثم نتبعهم الآخرين بالرفع على
ثم نحن نتبعهم الآخرين من نظائرهم السالكين لمسلكهم في الكفر والتكذيب وهو وعيد لكفار مكة وقرئ ثم سنتبعهم وقرئ نتبعهم بالجزم عطفا على نهلك
فيكون المراد بالآخرين المتاخرين هلاكا من المذكورين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام كذلك مثل ذلك الفعل الفظيع نفعل بالمجرمين اي سنتنا
جارية على ذلك ويل يومئذ للمكذبين اي يوم اذ اهلكنا المكذبين بآيات الله تعالى وانبيائه وليس فيه تكرير لما ان الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا
لعذاب الدنيا الم نخلقكم اي الم نقدركم من ماء مهين اي من نطفة قذرة مهينة فجعلناه في قرار مكين هو الرحم الى قدر معلوم الى مقدار
معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة تسعة اشهر او اقل منها او اكثر فقدرنا اي فقدرناه وقد قرئ مشددا او فقدرنا على ذلك على ان
المراد بالقدرة على ما يقارن وجود المقدور بالفعل فنعم القادرون اي نحن ويل يومئذ للمكذبين بقدرتنا على ذلك او على الاعادة
الم نجعل الارض كفاتا الكفات اسم ما يكفت اي يضم ويجمع من كفت الشيء اذا ضمه وجمعه كالضمام والجماع لما يضم ويجمع اي الم نجعلها كفاتا
تكفت احياء كثيرة على ظهرها وامواتا غير محصورة في بطنها وقيل هو مصدر نعت به للمبالغة وقيل جمع كافت كصائم وصيام او كفت وهو الوعاء
اجري على الارض باعتبار بقاعها وقيل تنكير احياء وامواتا لان احياء الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات وقيل انتصابهما على الحالية
من محذوف اي كفاتا تكفتكم احياء وامواتا وجعلنا فيها رواسي اي جبالا ثوابت شامخات طوالا شواهق ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث
في غير العقلاء مطرد كاجمال ودواخل واشهر معلومات وتنكيرها للتفخيم او للاشعار بان فيها ما لم يعرف واسقيناكم ماء فراتا بان خلقنا
فيها انهارا ومنابع ويل يومئذ للمكذبين بهذه النعم العظيمة وبامثالها انطلقوا اي يقال لهم يومئذ للتوبيخ والتقريع انطلقوا الى ما
كنتم به تكذبون في الدنيا من الاعمال الصالحة انا كذلك الجزاء العظيم نجزي المحسنين اي في عقائدهم واعمالهم لا جزاء ادنى منهم
ويل يومئذ للمكذبين حيث نال اعداؤهم هذا الثواب الجزيل وهم بقوا في العذاب المخلد الوبيل كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون مقدر بقول هو حال
من المكذبين اي من العذاب انطلقوا خصوصا الى ظل اي ظل دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي اخبارا بعد الامر عن عملهم بموجبه
لاضطرارهم اليه طوعا او كرها ذي ثلث شعب يتشعب لعظمه ثلث شعب كما هو شان الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار
كالسرادق وتتشعب من دخانها ثلث شعب كما هو شان الدخان فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش قيل خصوصية الثلث اما لان حجاب النفس
عن انوار القدس الحس والخيال والوهم او لان المؤدي الى هذا العذاب هو القوة الوهمية الشيطانية الحالة في الدماغ والقوة الغضبية السبعية
التي عن يمين القلب والقوة الشهوية البهيمية التي عن يساره ولذلك قيل تقف شعبة فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره لا ظليل
تهكم بهم ورد لما اوهم لفظ الظل ولا يغني من اللهب اي غير مغن لهم من حر اللهب شيئا انها ترمي بشرر كالقصر اي كل شررة كالقصر من القصور في عظمها
وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمر وجمرة وقرئ كالقصر بفتحتين وهي اعناق الابل او اعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرئ كالقصر بمعنى
القصور كرهن ورهن وقرئ جمع قصرة كانه جمالة قيل هو جمع جمل والتاء لتانيث الجمع يقال جمل وجمال وجمالة وقيل اسم جمع كالحجارة صفر
فان الشرار لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود لان سواد الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط
والحركة وقرئ جمالات جمع جمال او جمالة وقرئ جمالات جمع جمالة وقد قرئ بها وهي الحبل العظيم من حبال السفن وقلوس الجسور والتشبيه في امتداده
والتفافه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون اشارة الى وقت دخولهم النار اي هذا يوم لا ينطقون فيه بشيء لان السؤال والجواب والحساب قد انقضت
قبل ذلك ويوم القيمة طويل له مواطن ومواقيت ينطقون في وقت دون وقت فعبر عن كل وقت بيوم او لا ينطقون بشيء ينفعهم فان ذلك كلا نطق وقرئ بنصب
اليوم اي هذا الذي قص واقع يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون عطف على يؤذن منتظم في سلك النفي اي لا يكون لهم اذن واعتذار
متعقب له من غير ان يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن كما لو نصب ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل بين المحق والمبطل والحق والباطل
جمعناكم خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم والاولين من الامم وهذا تقرير وبيان للفصل فان كان لكم كيد فكيدون فان جميع من كنتم تقلدونهم

وتستيقنون انهم حاضرون وهذا تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا واظهار لعجزهم **ويل يومئذ للمكذبين** حيث ظهر ان لا حيلة لهم في الخلاص من العذاب
ان المتقين من الكفر والتكذيب **في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون** اي مستقرون في فنون الترفه وانواع التنعم **كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون**
مقدر بقول هو حال من ضمير المتقين في الجزاء اي مقولا لهم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة **انا كذلك** الجزاء العظيم **نجزي المحسنين**
اي في عقائدهم واعمالهم لا جزاء ادنى منه **ويل يومئذ للمكذبين** حيث نال اعداؤهم هذا الثواب الجزيل وهم بقوا في العذاب المخلد الوبيل **كلوا وتمتعوا**
قليلا انكم مجرمون مقدر بقول هو حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم مقولا لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار
المتاع الفاني عن قريب على النعيم الخالد وعلل ذلك باجرامهم دلالة على ان كل مجرم ماله هذا وقيل هو كلام مستأنف خوطب به المكذبون في الدنيا
بعد بيان مآل حالهم وقرر ذلك بقوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين لزيادة التقريع والتوبيخ **واذا قيل لهم اركعوا** اي اطيعوا الله واخشعوا وتواضعوا له
بقبول وحيه واتباع دينه وارفضوا هذا الاستكبار والنخوة **لا يركعون** اي لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على ما هم عليه من الاستكبار وقيل اذا امروا
بالصلوة او بالركوع لا يفعلون اذ روي انه نزل حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلوة فقالوا لا نجبي فانها مسبة علينا فقال عليه السلام لا خير
في دين لا ركوع فيه ولا سجود وقيل هو يوم القيمة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون **ويل يومئذ للمكذبين** وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون
بالفروع في حق المؤاخذة **فباي حديث بعده** اي بعد القرآن الناطق باحاديث الدارين واخبار النشأتين على نمط بديع معجز مؤسس على حجج قاطعة
وبراهين ساطعة **يؤمنون** اذا لم يؤمنوا به وقرئ تؤمنون على الخطاب. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والمرسلات كتب له انه ليس من المشركين

سورة النبأ

بسم الله الرحمن الرحيم **عم** اصله عما فحذف منه الالف اما فرقا بين ما الاستفهامية وغيرها او قصدا للخفة لكثرة استعمالها
وقرئ على الاصل وما فيها من الابهام للايذان بفخامة شأن المسؤول عنه وهوله وخروجه عن حدود الاجناس المعهودة اي عن اي شيء عظيم الشأن
يتساءلون اي اهل مكة وكانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم ويخوضون فيه انكارا واستهزاء لكن لا على طريقة التساؤل عن حقيقته ومسماه بل عن وقوعه
الذي هو حال من احواله ووصف من اوصافه فان ما وان وضعت لطلب حقائق الاشياء ومسميات اسمائها كما في قولك ما الملك وما الروح لكنها قد يطلب بها الصفة
والحال تقول ما زيد فيقال عالم او طبيب وقيل كانوا يتساءلون الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين استهزاء كقولهم يتداعونهم اي يدعونهم وتحقيقه
ان صيغة التفاعل في الافعال المتعدية موضوعة لافادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنه
يرفع باسناد الفعل اليه ترجيحا لجانب فاعليته ويحال بمفعوليته على دلالة العقل كما في قولك ترائى القوم اي رأى كل واحد منهم الآخر وقد تجرد
عن المعنى الثاني فيراد بها مجرد صدور الفعل عن المتعدد عاريا عن اعتبار وقوعه عليه فيذكر للفعل حينئذ مفعول متعدد كما في المثال المذكور او واحد
كما في قولك تراءوا الهلال وقد يحذف لظهوره كما في ما نحن فيه فالمعنى عن اي شيء يسأل هؤلاء القوم الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وربما
تجرد عن صدور الفعل عن المتعدد ايضا فيراد بها تعدده باعتبار تعدد متعلقه مع وحدة الفاعل كما في قوله تعالى فبأي آلاء ربك تتمارى وقوله تعالى
عن النبأ العظيم بيان لشأن المسؤول عنه اثر تفخيمه بابهامه وتوجيه اذهان السامعين نحوه وتنزيلهم منزلة المستفهمين فان ايراده على طريقة
الاستفهام من علام الغيوب للتنبيه على انه لانقطاع قرينه وانعدام نظيره خارج عن دائرة علوم الخلق خليق بان يعتنى بمعرفته ويسأل عنه كأنه قيل
عن اي شيء يتساءلون هل اخبركم به ثم قيل بطريق الجواب عن النبأ العظيم على منهاج قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فعن متعلقة بما يدل عليه المذكور وحقه
ان يقدر بعدها مسارعة الى البيان ومراعاة لترتيب السؤال هذا هو الحقيق بالجزالة التنزيلية وقد قيل هي متعلقة بالمذكور وعم متعلق بمضمر مفسر
به وايد ذلك بانه قرئ عمه والاظهر انه مبني على اجراء الوصل مجرى الوقف وقيل عن الاولى للتعليل كانه قيل لم يتساءلون عن النبأ العظيم وقيل عن الثانية استفهام
كانه قيل عم يتساءلون أعن النبأ العظيم والنبأ الخبر الذي له شأن وخطر وقد وصف بقوله تعالى **الذي هم فيه مختلفون** بعد وصفه بالعظم تأكيدا لخطره اثر
تأكيد واشعارا بمدار التساؤل عنه وفيه متعلق بمختلفون قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل وجعل الصلة جملة اسمية للدلالة على الثبات اي هم راسخون في
الاختلاف فيه فمن جازم باستحالته يقول ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وشاك يقول ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين
وقيل منهم من ينكر المعادين معا كهؤلاء ومنهم من ينكر المعاد الجسماني فقط كجمهور النصارى وقد حمل الاختلاف على الاختلاف في كيفية الانكار فمنهم من ينكره لانكاره الصانع

المختار ومنهم من ينكره بناء على استحالة اعادة المعدوم بعينه وحمله على الاختلاف بالنفي والاثبات بناء على تعميم التساؤل لفريقي المسلمين والكافرين على ان
سؤال الاولين ليزدادوا خشية واستعدادا وسؤال الآخرين ليزدادوا كفرا وعنادا يرده قوله تعالى **كلا سيعلمون** الى آخره فانه صريح في ان المراد بالاختلاف
الجاهلين به المنكرين له اذ عليه يدور الردع والوعيد لا على خلاف المؤمنين لهم وتخصيصهما بالكفرة بناء على تخصيص ضمير سيعلمون بهم مع عموم الضميرين السابقين
للكل مما ينبغي تنزيه التنزيل عن امثاله هذا ما ادى اليه جليل النظر والذي يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر الدقيق ان يحمل اختلافهم على مخالفتهم للنبي صلى الله عليه وسلم
بان يعتبر في الاختلاف محض صدور الفعل عن المتعدد حسبما ذكر في التساؤل فان الافتعال والتفاعل صيغتان متآخيتان كالاستباق والتسابق والانتضال
والتناضل الى غير ذلك يجري في كل منهما ما يجري في الاخرى لا على مخالفة بعضهم لبعض من الجانبين لان الكل وان استحق الردع والوعيد لكن استحقاق كل
جانب لهما ليس لمخالفته للجانب الآخر اذ لا حقيقة في شيء منهما حتى يستحق من يخالفه المؤاخذة بل لمخالفته له عليه السلام فكلا ردع لهم عن التساؤل والاختلاف
بالمعنيين المذكورين وسيعلمون وعيد لهم بطريق الاستئناف وتعليل للردع والسين للتقريب والتأكيد وليس مفعوله ما ينبئ عنه المقام من وقوع ما يتساءلون عنه
ووقوع ما يختلفون فيه كما في قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت الى قوله تعالى ليبين لهم الذي يختلفون فيه الآية فان ذلك عار عن صريح
الوعيد بل هو عبارة عما يلاقونه من فنون الدواهي والعقوبات والتعبير عن لقائها بالعلم لوقوعه في معرض التساؤل والاختلاف والمعنى ليرتدعوا عما هم عليه فانهم
سيعلمون عما قليل حقيقة الحال اذا حل بهم العذاب والنكال وقوله تعالى **ثم كلا سيعلمون** تكرير للردع والوعيد للمبالغة في التأكيد والتشديد وثم
للدلالة على ان الوعيد الثاني ابلغ واشد وقيل الاول عند النزع والثاني في القيمة وقيل الاول للبعث والثاني للجزاء وقرئ ستعلمون بالتاء على نهج الالتفات
الى الخطاب الموافق لما بعده من الخطابات تشديدا للردع والوعيد لا على تقدير قل لهم كما توهم فان فيه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وقوله تعالى
الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا الى آخره استئناف مسوق لتحقيق النبأ المتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة بحقيته اثر ما نبه عليها بما ذكر
من الردع والوعيد ومن ههنا اتضح ان المتساءل عنه هو البعث لا القرآن او نبوة النبي صلى الله عليه وسلم كما قيل والهمزة للتقرير والالتفات الى الخطاب
على القراءة المشهورة للمبالغة في الالزام والتبكيت والمهاد البساط والفراش وقرئ مهدا على تشبيهها بمهد الصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية بالمهد
بالمصدر وجعل الجبال اوتادا لها ارساؤها بها كما يرسى البيت بالاوتاد **وخلقناكم** عطف على المضارع المنفي بلم داخل في حكمه فانه في قوة اما جعلنا
الى آخره او على ما يقتضيه الانكار التقريري فانه في قوة ان يقال قد جعلنا الى آخره **ازواجا** اصنافا ذكرا وانثى ليسكن كل من الصنفين الى الآخر
وينتظم امر المعاشرة والمعاش ويتأتى التناسل **وجعلنا نومكم سباتا** اي موتا فانه احد التوفيين لما بينهما من المشاركة التامة في انقطاع احكام الحيوة
وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقيل قطعا عن الاحساس والحركة لاراحة القوى
الحيوانية وازاحة كلالها والاول هو اللائق بالمقام كما ستعرفه **وجعلنا الليل** الذي فيه يقع النوم غالبا **لباسا** يستركم بظلامه كما يستركم اللباس
ولعل المراد به ما يستتر به عند النوم من اللحاف ونحوه فان شبه الليل به اكمل واعتباره في تحقيق المقصد ادخل فهو جعل الليل محلا للنوم الذي جعل موتا كما جعل النهار
محلا لليقظة المعبر عنها بالحيوة في قوله تعالى **وجعلنا النهار معاشا** اي وقت حيوة تبعثون فيه من نومكم الذي هو اخو الموت كما في قوله تعالى وهو الذي جعل لكم
الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وجعل كون الليل لباسا عبارة عن ستره عن العيون لمن اراد هربا من عدو او بياتا له او نحو ذلك مما لا مناسبة
له بالمقام وكذا جعل النهار وقت التقلب في تحصيل المعايش والحوائج **وبنينا فوقكم سبعا شدادا** اي سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مرور الدهور
وكر العصور والتعبير عن خلقها بالبناء مبني على تنزيلها منزلة القباب المضروبة على الخلق وتقديم الظرف على المفعول ليس لمراعاة الفواصل فقط بل للتشويق
اليه فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فاذا ورد عليها تمكن عندها فضل تمكن **وجعلنا سراجا وهاجا** هذا الجعل بمعنى الانشاء والابداع
كالخلق خلا انه مختص بالانشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة وللتشريعي ايضا كما في قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الآية
وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وايا ما كان ففيه انباء عن ملابسة مفعوله بشيء آخر بان يكون فيه او له او منه او نحو ذلك ملابسة مصححة لان يتوسط
بينهما شيء من الظروف لغوا كان او مستقرا لكن لا على ان يكون عمدة في الكلام بل قيدا فيه كما في قوله تعالى وجعل بينهما برزخا وقوله تعالى وجعل فيها رواسي
وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك وليا الآية فان كل واحد من هذه الظروف اما متعلق بنفس الجعل او بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة
وايا ما كان فهو قيد للكلام حتى اذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعديا الى اثنين هو ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون اصابعهم في آذانهم
وربما يشتبه الامر فيظن انه عمدة فيه وهو في الحقيقة قيد باحد الوجهين كما سلف في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة والوهاج الوقاد المتلألئ من وهجت

وهجت النار إذا أضاءت أو البالغ في الحرارة من الوهج والمراد الشمس والتعبير عنها بالسراج من روادف التعبير عن خلق السموات بالبناء وأنزلنا من المعصرات هي السحائب إذا أعصرت
أي شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر كما في أحصد الزرع إذا حان له أن يحصد ومنه أعصرت الجارية إذا دنت أن تحيض أو الرياح التي حان لها أن تعصر السحاب وقرئ
بالمعصرات ووجه ذلك أن الإنزال حيث كان من المعصرات سواء أريد بها السحائب أو الرياح فقد كان بها كما يقال أعطاه من يده وبيده وقد فسرت المعصرات
بالرياح ذوات الأعاصير ووجهه أن الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدر أخلافه فصلحت أن تجعل مبدأ للإنزال ماءً ثجاجاً أي منصباً بكثرة يقال ثج الماء إذا سال
بكثرة وثجه أي أساله ومنه قوله صلى الله عليه وسلم أفضل الحج العج والثج أي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وقرئ ثجاحاً بالحاء بعد الجيم قالوا مثاجح الماء
مصابّه لنخرج به بذلك الماء حباً يقتات كالحنطة والشعير ونحوهما ونباتاً يعتلف كالتبن والحشيش وتقديم الحب مع تأخره عن النبات في الإخراج لأصالته
وشرفه لأن غالبه غذاء الإنسان وجنات الجنة في الأصل هي المرة من مصدر جنه إذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه قال زهير بن
أبي سلمى كأن عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا وعلى الأرض ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم والأول هو المراد وقوله تعالى
ألفافاً أي ملتفة تداخل بعضها في بعض قالوا لا واحد له كالأوزاع والأخياف وقيل الواحد لف ككن وأكنان أو لفيف كشريف وأشراف وقيل هو جمع لف
جمع لفاء كخضر وخضراء وقيل جمع ملتفة بحذف الزوائد واعلم أن فيما ذكر من أفعاله عز وجل دلالة على صحة البعث وحقيته من وجوه ثلاثة الأول باعتبار
قدرته تعالى فإن من قدر على إنشاء هذه الأفعال البديعة من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه كان على الإعادة أقدر وأقوى الثاني باعتبار علمه
وحكمته فإن من أبدع هذه المصنوعات على نمط رائع مستتبع لغايات جميلة ومنافع جليلة عائدة إلى الخلق يستحيل أن يفنيها بالكلية ولا يجعل لها عاقبة باقية
والثالث باعتبار نفس الفعل فإن اليقظة بعد النوم أنموذج للبعث بعد الموت يشاهدونها كل يوم وكذا إخراج الحب والنبات من الأرض الميتة يعاينونه
كل حين كأنه قيل ألم نفعل هذه الأفعال الآفاقية والأنفسية الدالة بفنون الدلالات على حقية البعث الموجبة للإيمان به فما لكم تخوضون فيه إنكاراً وتسألون عنه
استهزاءً وقوله تعالى إن يوم الفصل كان ميقاتاً شروع في بيان سر تأخير ما يتساءلون عنه ويستعجلون به قائلين متى هذا الوعد إن كنتم ونوع تفصيل لكيفية وقوعه
وما سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب حسبما جرى به الوعيد إجمالاً أي إن يوم فصل الله عز وعلا بين الخلائق كان في علمه وتقديره ميعاداً لبعث الأولين
والآخرين وما يترتب عليه من الجزاء ثواباً وعقاباً لا يكاد يتخطاه بالتقدم والتأخر وقيل حداً توقت به الدنيا وتنتهي عنده أو حداً للخلائق ينتهون إليه ولا ريب
في أنها بمعزل من التقريب الذي أشير إليه على أن الدنيا تنتهي عند النفخة الأولى وقوله تعالى يوم ينفخ في الصور أي نفخة ثانية بدل من يوم الفصل أو عطف بيان له
مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله ولا ضير في تأخر الفصل عن النفخ فإنه زمان ممتد يقع في مبدئه النفخ وفي بقيته الفصل ومباديه وآثاره والصور هو القرن الذي
ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ الله من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل
فهو واضعه على فيه شاخص بصره إلى العرش متى يؤمر بالنفخ فيه فيؤمر به فينفخ فيه نفخة واحدة لا يبقى عندها في الحياة غير ما شاء الله وذلك قوله تعالى
ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا ما شاء الله ثم يؤمر بأخرى فينفخ فيه نفخة لا يبقى معها ميت إلا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ
فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون والفاء في قوله تعالى فتأتون أفواجاً فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وإيذاناً بغاية
سرعة الإتيان كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق أي فتبعثون من قبوركم فتأتون إلى الموقف عقيب ذلك من غير لبث أصلاً
أفواجاً أي أمماً كل أمة مع إمامها كما في قوله تعالى يوم ندعو كل أناس بإمامهم أو زمراً وجماعات مختلفة الأحوال متباينة الأوضاع حسب اختلاف
أعمالهم وتباينها عن معاذ رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تحشر الناس يوم القيمة فقال يا معاذ سألت عن أمر عظيم من الأمور ثم أرسل عينيه
وقال تحشر عشرة أصناف من أمتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون على أرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم
عمي بكم وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم
مصلبون على جذوع من نار وبعضهم أشد نتناً من الجيف وبعضهم يلبسون جباباً سابغة من قطران لازقة بجلودهم فأما الذين على صورة القردة
فالقتات من الناس وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت وأما المنكسون على وجوههم فأكلة الربا وأما العمي فالذين يجورون في الحكم وأما الصم
البكم فالمعجبون بأعمالهم وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء الذين خالفت أعمالهم أقوالهم وأما الذين قطعت أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون
جيرانهم وأما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان وأما الذين هم أشد نتناً من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله
في أموالهم وأما الذين يلبسون الجباب فأهل الكبر والفخر والخيلاء وفتحت السماء عطف على ينفخ وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وقرئ فتحت بالتشديد

وهو الأنسب

وهو الأنسب بقوله تعالى فكانت أبواباً أي كثرت أبوابها المفتحة لنزول الملائكة نزولاً غير معتاد حتى صارت كأنها ليست إلا أبواباً مفتحة
كقوله تعالى وفجرنا الأرض عيوناً كأن كلها عيون متفجرة وهو المراد بقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى هل ينظرون
إلا أن يأتيهم الله أي أمره وبأسه في ظلل من الغمام وقيل الأبواب الطرق والمسالك أي تكشط فتنفتح مكانها وتصير طرقاً لا يسدها شيء وسيرت
الجبال أي في الجو على هيئاتها بعد قلعها من مقارها كما يعرب عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب أي تراها رأي العين ساكنة
في أماكنها والحال أنها تمر مر السحاب التي تسيرها الرياح سيراً حثيثاً وذلك أن الأجرام العظام إذا تحركت نحواً من الأنحاء لا تكاد تتبين حركتها وإن كانت
في غاية السرعة لا سيما من بعيد وعليه قول من قال بأرعن مثل الطود تحسب أنهم وقوف لحاج والركاب تهملج وقد أدمج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال
بحال السحاب في تخلخل الأجزاء وانتفاشها كما ينطق به قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش يبدل الله الأرض ويغير هيئاتها ويسير الجبال على تلك الهيئة
الهائلة عند حشر الخلائق بعد النفخة الثانية ليشاهدوها ثم يفرقها في الهواء وذلك قوله تعالى فكانت سراباً أي فصارت بعد تسييرها مثل السراب
كقوله تعالى وبست الجبال بساً فكانت هباءً منبثاً أي غباراً منتشراً وهي وإن اندكت وانصدعت عند النفخة الأولى لكن تسييرها وتسوية الأرض إنما يكونان
بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً يومئذ يتبعون الداعي
وقوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فإن اتباع الداعي الذي هو إسرافيل وبروز الخلق لله تعالى لا يكون إلا بعد
النفخة الثانية إن جهنم كانت مرصاداً شروع في تفصيل أحكام الفصل الذي أضيف إليه اليوم إثر بيان هوله ووجه تقديم بيان حال الكفار غني
عن البيان والمرصاد اسم للمكان الذي يرصد فيه كالمضمار الذي هو اسم للمكان الذي يضمر فيه الخيل والمنهاج اسم للمكان الذي ينهج فيه أي إنها كانت في
حكم الله تعالى وقضائه موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها للطاغين متعلق بمضمر هو إما نعت لمرصاداً أي كائناً للطاغين وقوله تعالى
مآباً بدل منه أي مرجعاً يرجعون إليه لا محالة وإما حال من مآباً قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له وقد جوز أن يكون متعلقاً بنفس مآباً
على أنها مرصاد للفريقين مآب للكافرين خاصة ولا يخفى بعده فإن الاعتبار في كونه مرصاداً للطائفة كونهم معذبين بها وقيل إنها مرصاد لأهل الجنة ترصدهم
الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لأن مجازهم عليها وهي مآب للطاغين وقيل المرصاد صيغة من الرصد والمعنى أنها مجدة في ترصد الكفار لئلا يشذ منهم أحد
وقرئ أن بالفتح على تعليل قيام الساعة بأنها مرصاد للطاغين لابثين فيها حال مقدرة من المستكن في للطاغين وقرئ لبثين وقوله تعالى أحقاباً ظرف
للبثهم أي دهوراً متتابعة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر إلى غير نهاية فإن الحقب لا يكاد يستعمل إلا حيث يراد تتابع الأزمنة وتواليها فليس فيها ما يدل على تناهي
تلك الأحقاب ولو أريد بالحقب ثمانون سنة أو سبعون ألف سنة وقوله تعالى لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً إلا حميماً وغساقاً جملة مبتدأة أخبر عنهم بأنهم لا يذوقون
فيها شيئاً ما من برد وروح ينفس عنهم حر النار ولا من شراب يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميماً وغساقاً وقيل البرد النوم وقرئ غساقاً بالتخفيف
وكلاهما ما يسيل من صديدهم جزاءً وفاقاً أي جوزوا بذلك جزاءً ذا وفاق لأعمالهم أو نفس الوفاق مبالغة أو وافقها وفاقاً وقرئ وفاقاً على أنه فعال
من وفقه كذا أي لاقه إنهم كانوا لا يرجون حساباً تعليل لاستحقاقهم الجزاء المذكور أي كانوا لا يخافون أن يحاسبوا بأعمالهم وكذبوا بآياتنا الناطقة بذلك
كذاباً أي تكذيباً مفرطاً ولذلك كانوا مصرين على الكفر وفنون المعاصي وفعال من باب فعل شائع فيما بين الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو مصدر
كذب قال فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وانتصابه إما بفعله المدلول عليه بكذبوا أي وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذاباً وإما بنفس كذبوا لتضمنه معنى كذبوا
فإن كل من يكذب بالحق فهو كاذب وقرئ كذاباً وهو جمع كاذب فانتصابه على الحالية أي كذبوا بآياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب
فيجعل صفة لمصدر كذبوا أي تكذيباً كذاباً مفرطاً كذبه وكل شيء من الأشياء التي من جملتها أعمالهم وانتصابه بمضمر يفسره أحصيناه أي حفظناه وقرئ
بالرفع على الابتداء كتاباً مصدر مؤكد لأحصيناه لما أن الإحصاء والكتبة مراد واحد أو لفعله المقدر أو حال بمعنى مكتوباً في اللوح أو في صحف الحفظة
والجملة اعتراض وقوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وفي الالتفات المنبئ عن التشديد في التهديد وإيراد لن المفيدة
لكون ترك الزيادة من قبيل ما لا يدخل تحت الصحة من الدلالة على تبالغ الغضب ما لا يخفى وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن هذه الآية أشد ما في القرآن
على أهل النار إن للمتقين مفازاً شروع في بيان محاسن أحوال المؤمنين إثر بيان سوء أحوال الكفرة أي إن للذين يتقون الكفر وسائر قبائح أعمالهم
فوزاً وظفراً بمباغيهم أو موضع فوز وقيل نجاة مما فيه أولئك أو موضع نجاة وقوله تعالى حدائق وأعناباً أي بساتين فيها أنواع الأشجار المثمرة
بدل من مفازاً وكواعب أي نساءً فلكت ثديهن وهن النواهد أتراباً أي لدات وكأساً دهاقاً أي مترعة يقال أدهق الحوض أي ملأه لا يسمعون

لا يسمعون فيها اي في الجنة وقيل في الكأس **لغوا ولا كذابا** اي لا ينطقون بلغو ولا يكذب بعضهم بعضا وقرئ بالتخفيف اي لا تكاذب
او لا يكاذبه **جزاء من ربك** مصدر مؤكد منصوب بمعنى ان للمتقين فانه في قوة ان يقال جازى المتقين بمفازا جزاء كائنا من ربك والتعرض
لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم مزيد تشريف له عليه السلام **عطاء** اي تفضلا واحسانا منه
تعالى اذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من جزاء **حسابا** صفة لعطاء بمعنى كافيا على انه مصدر اقيم مقام الوصف او بولغ فيه من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي
وقيل على حسب اعمالهم وقرئ حسابا بالتشديد على انه بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك **رب السموات والارض وما بينهما** بدل من ربك وقوله تعالى
الرحمن صفة له وقيل صفة للاول وايا ما كان ففي ذكر ربوبيته تعالى للكل ورحمته الواسعة اشعار بمدار الجزاء المذكور وقوله تعالى **لا يملكون منه خطابا**
استئناف مقرر لما افاده الربوبية العامة من غاية العظمة والكبرياء واستقلاله تعالى بما ذكر من الجزاء والعطاء من غير ان يكون لاحد قدرة عليه وقرئ
برفعهما فقيل على انهما خبران لمبتداء مضمر فقيل الثاني نعت للاول وقيل الاول مبتداء والثاني خبره ولا يملكون خبر آخر وهو الخبر والرحمن مبتداء ثان
ولا يملكون خبره والجملة خبر للاول وحصل الربط بتكرير المبتداء بمعناه على رأي من يقول به والاوجه ان يكون كلاهما مرفوعا على المدح او يكون الثاني
نعتا للاول ولا يملكون استئنافا على حاله ففيه ما ذكر من الاشعار بمدار الجزاء والعطاء كما في البدلية لما ان المرفوع والمنصوب مدحا تابع لما قبله معنى وان كان
منقطعا عنه اعرابا كما فصل في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة وقرئ بجر الاول على البدلية ورفع الثاني على الابتداء والخبر
ما بعده او على انه خبر مبتداء مضمر وما بعده استئناف او خبر ثان او حال وضمير لا يملكون لاهل السموات والارض اي لا يملكون ان يخاطبوه تعالى من تلقاء
انفسهم كما ينبئ عنه لفظ الملك خطابا ما في شيء ما والمراد نفي قدرتهم على ان يخاطبوه تعالى بشيء من نقص العذاب او زيادة الثواب من غير اذنه على ابلغ وجه
وآكده وقيل ليس في ايديهم مما يخاطب الله به ويأمر به في امر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه او ينقصون منه **يوم يقوم**
الروح والملائكة صفا قيل الروح خلق اعظم من الملائكة واشرف منهم واقرب من رب العالمين وقيل هو ملك ما خلق الله عز وجل بعد العرش خلقا اعظم
منه عن ابن عباس رضي الله عنه انه اذا كان يوم القيمة قام هو وحده صفا والملائكة كلهم صفا وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الروح
جند من جنود الله ليسوا ملائكة لهم رؤس وايد وارجل يأكلون الطعام ثم قرأ يوم يقوم الروح الآية وهذا قول ابي صالح ومجاهد قالوا ما ينزل
من السماء ملك الا ومعه واحد منهم نقله البغوي وقيل هم اشراف الملائكة وقيل هم حفظة على الملائكة كلهم صفا وعنه عن النبي وقيل جبريل وصفا حال
اي مصطفين قيل هما صفان الروح صف واحد او متعدد والملائكة صف وقيل صفوف وهو الاوفق لقوله تعالى والملك صفا صفا وقيل يقوم
الكل صفا واحدا ويوم ظرف لقوله تعالى **لا يتكلمون** وقوله تعالى **الا من اذن له الرحمن وقال صوابا** بدل من ضمير لا يتكلمون العائد الى اهل السموات والارض
الذين من جملتهم الروح والملائكة وذكر قيامهم واصطفافهم لتحقيق عظمة سلطانه وكبرياء ربوبيته وتهويل يوم البعث الذي عليه مدار الكلام
من مطلع السورة الكريمة الى مقطعها والجملة استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى لا يملكون الخ ومؤكد له على معنى ان اهل السموات والارض اذا لم يقدروا
يومئذ على ان يتكلموا بشيء من جنس الكلام الا من اذن الله تعالى له منهم في التكلم وقال ذلك المأذون له قولا صوابا اي حقا فكيف يملكون خطاب رب العزة
مع كونه اخص من مطلق الكلام واعز منه مراما لا على معنى ان الروح والملائكة مع كونهم افضل الخلائق واقربهم من الله تعالى اذا لم يقدروا ان يتكلموا
بما هو صواب من الشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم كما قيل فانه مؤسس على قاعدة الاعتزال فمن سلكه مع تجويزه ان يكون يوم ظرفا لا يملكون
فقد اشتبه عليه الشؤن واختلط به الظنون وقيل الا من الى آخره منصوب على اصل الاستثناء والمعنى لا يتكلمون الا في حق شخص اذن له الرحمن وقال
ذلك الشخص صوابا اي حقا هو التوحيد واظهار الرحمن في موضع الاضمار للايذان بان مناط الاذن هو الرحمة البالغة لا ان احدا يستحقه عليه سبحانه وتعالى
ذلك اشارة الى يوم قيامهم على الوجه المذكور وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في الهول والفخامة ومحله الرفع
على الابتداء خبره ما بعده اي ذلك اليوم العظيم الذي يقوم فيه الروح والملائكة مصطفين غير قادرين هم وغيرهم على التكلم من الهيبة والجلال **اليوم الحق**
اي الثابت المتحقق لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء في قوله تعالى **فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا** فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول المشية
محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقها بها حسب القاعدة المستمرة والى ربه متعلق بمآبا قدم عليه اهتماما به ورعاية
للفواصل كانه قيل اذا كان الامر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور فمن شاء ان يتخذ مرجعا الى ثواب ربه الذي ذكر شأنه العظيم فعل ذلك بالايمان والطاعة
وقال قتادة مآبا اي سبيلا وتعلق الجار به لما فيه من معنى الافضاء والايصال كما مر في قوله تعالى من استطاع اليه سبيلا **انا انذرناكم** اي بما ذكر في السورة

من الآيات الناطقة بالبعث وبما بعده من الدواهي او بها وبسائر القوارع الواردة في القرآن **عذابا قريبا** هو عذاب الآخرة وقربه لتحقق اتيانه حتما
ولانه قريب بالنسبة اليه تعالى وان رأوه بعيدا او سيرونه قريبا لقوله تعالى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وعن قتادة هي عقوبة الدنيا لانه
اقرب العذابين وعن مقاتل هو قتل قريش يوم بدر ويأباه قوله تعالى **يوم ينظر المرء ما قدمت يداه** فانه اما بدل من عذابا او ظرف لمضمر هو صفة له اي عذابا
كائنا يوم ينظر المرء اي يشاهد ما قدمه من خير او شر على ان ما موصولة منصوبة بينظر والعائد محذوف او ينظر اي شيء قدمت يداه على انها استفهامية منصوبة
بقدمت وقيل المرء عبارة عن الكافر وما في قوله تعالى ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم قيل معنى تمنيه ليتني كنت ترابا
في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر الله تعالى الحيوان فيقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر
حاله وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى ان يكون الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله تعالى برد الشراب يوم القيمة **ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا**

سورة النازعات

بسم الله الرحمن الرحيم **والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا** اقسام من الله عز وجل بطوائف الملائكة
الذين ينزعون الارواح من الاجساد على الاطلاق كما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ومجاهد رضي الله عنه او ارواح الكفرة كما قاله علي رضي الله عنه
وابن مسعود رضي الله عنه وسعيد بن جبير ومسروق رضي الله عنهما وينشطونها اي يخرجونها من الاجساد من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها ويسبحون في
اخراجها سبح الغواص الذي يخرج من البحر ما يخرج فيسبقون بارواح الكفرة الى النار وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر ثوابها وعقابها بان يهيؤها لادراك
ما اعد لها من الآلام واللذات والعطف مع اتحاد الكل لتنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب في المزدحم
للاشعار بان كل واحد من الاوصاف المعدودة من معظمات الامور حقيق بان يكون على حياله مناطا لاستحقاق موصوفه للاجلال بالاقسام به من غير انضمام الاوصاف
الاخر اليه والفاء في الاخيرين على ترتبهما على ما قبلهما بغير مهلة كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم ثم فالآيب وغرقا مصدر مؤكد بحذف
الزوائد اي اغراقا في النزع حيث تنزعها من اقاصي الاجساد وقال ابن مسعود رضي الله عنه تنزع روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة ومن تحت الاظافير
واصول القدمين ثم تغرقها في جسده فهذا عملها بالكفار وقيل يرى الكافر نفسه وقت النزع كانها تغرق وانتصاب نشطا وسبحا وسبقا ايضا على المصدرية
واما امرا فمفعول للمدبرات وتنكيره للتهويل والتفخيم ويجوز ان يراد بالسابحات وما بعدها طوائف من الملائكة يسبحون في مضيهم اي يسرعون فيسبقون
الى ما امروا به من الامور الدنيوية والاخروية والمقسم عليه محذوف تعويلا على اشارة ما قبله من المقسم به اليه ودلالة ما بعده من احوال القيمة عليه وهو لتبعثن
فان الاقسام بمن يتولى نزع الارواح ويقوم بتدبير امورها يلوح بكون المقسم عليه من قبيل تلك الامور لا محالة وفيه من الجزالة ما لا يخفى وقد جوز ان يكون
اقساما بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط في اقصى المغرب وتنشط من برج الى برج اي تخرج من نشط الثور
اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح في الفلك فيسبق بعضها بعضا فتدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وتبيين مواقيت العبادات وحيث حركاتها
من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة عبر عن الاولى بالنزع وعن الثانية بالنشط او بنفس الغزاة او بايديهم التي تنزع القسي باغراق السهام وينشطون
بالسهم للرمي ويسبحون في البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او بخيلهم التي تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب
وتخرج من دار الاسلام الى دار الحرب وتسبح في جريها فتسبق الى الغاية فتدبر امر الظفر والغلبة واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه وهذا والذي يليق بشأن التنزيل
هو الاول وقوله تعالى **يوم ترجف الراجفة** منصوب بالجواب المضمر والمراد بالراجفة الواقعة التي ترجف عندها الاجرام الساكنة اي تتحرك حركة شديدة وتتزلزل
زلزلة عظيمة كالارض والجبال وهي النفخة الاولى وقيل الراجفة الارض والجبال لقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال وقوله تعالى تتبعها الرادفة اي الواقعة
التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية حال من الراجفة مصححة لوقوع اليوم ظرفا للبعث اي لتبعثن يوم النفخة الاولى حال كون النفخة الثانية تابعة لها لا قبل ذلك فانه عبارة
عن الزمان الممتد الذي يقع فيه النفختان وبينهما اربعون سنة واعتبار امتداده مع ان البعث لا يكون الا عند النفخة الثانية لتهويل اليوم ببيان كونه موقعا لداهيتين
عظيمتين لا يبقى عند وقوع الاولى حي الا مات ولا عند وقوع الثانية ميت الا بعث وقام ووجه اضافته الى الاولى ظاهر وقيل يوم ترجف منصوب باذكر فيكون الجملة
استئنافا مقررا لمضمون الجواب المضمر كانه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذكر لهم يوم النفختين فانه وقت بعثهم وقيل هو منصوب بما دل عليه قوله تعالى قلوب يومئذ واجفة
اي يوم ترجف وجفت القلوب وقيل قلوب مبتداء ويومئذ متعلق بواجفة وهي صفة لقلوب مسوغة لوقوعه مبتداء وقوله تعالى **ابصارها** اي ابصار اصحابها **خاشعة**

جملة من مبتداء وخبر وقعت خبر القلوب. وقد مر ان حق الصفة ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع حتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار
بعد العلم بها صفات فحيث كان ثبوت الرجيف للقلوب وثبوت الخشوع لابصار اصحابها سواء في المعرفة والجهالة كان جعل الاول عنوانا للموضوع مسلم
مفروغا عنه وجعل الثاني مخبرا به مقصود الافادة تحكما بحتا على ان الرجيف الذي هو عبارة عن شدة اضطراب القلب وقلقه من الخوف والوجل اشد من خشوع
البصر واهول فجعل اهون الشرين عمدة واشدهما فضلة مما لا عهد له في الكلام وايضا فتخصيص الخشوع بقلوب موصوفة بصفة معينة غير مشعرة بالعموم والشمول
تهوين للخطب في موقع التهويل فالوجه ان يقال تنكير قلوب يقوم مقام الوصف المختص سواء حمل على التنويع كما قيل وان لم يذكر النوع المقابل فان المعنى منجب
او على التكثير كما في شاهر نواب فان التفخيم كما يكون بالكيفية يكون بالكمية ايضا كانه قيل قلوب كثيرة يوم اذ يقع النفختان واجفة اي شديدة الاضطراب. قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما خائفة وجلة وقال السدي زايلة عن اماكنها كما في قوله تعالى اذ القلوب لدى الحناجر وقوله تعالى **يقولون ائنا لمردودون في الحافرة**
حكاية لما يقوله المنكرون للبعث المكذبون بالآيات الناطقة به اثر بيان وقوعه بطريق التوكيد القسمي وذكر مقدماته الهائلة وما يعرض عند وقوعها للقلوب
والابصار اي يقولون اذا قيل لهم انكم مبعوثون منكرين له متعجبين منه ائنا لمردودون بعد موتنا في الحافرة اي في الحالة الاولى ويعنون الحيوة من قولهم
رجع فلان في حافرته اي طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيته وتسميتها حافرة مع انها محفورة كقوله تعالى عيشة راضية اي منسوبة الى الحفر والرضا
او كقولهم نهاره صائم على تشبيه القابل بالفاعل وقرئ في الحفرة وهي بمعنى المحفورة وقوله تعالى **ائذا كنا عظاما نخرة** تاكيد لانكار الرد ونفيه بنسبته
الى حالة منافية له والعامل في اذا مضمر يدل عليه مردودون اي اذا كنا عظاما بالية نرد ونبعث مع كونها ابعد شيء من الحيوة وقرئ اذا كنا على الخبر او اسقاط حرف
الانكار ونخرة من نخر العظم فهو نخر وهو البالي الاجوف الذي يمر به الريح فيسمع له نخير قالوا حكاية لكفر اخر لهم متفرع على كفرهم السابق ولعل توسيط قالوا بينهما
للايذان بان صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق الاطراد والاستمرار مثل كفرهم السابق المستمر صدوره عنهم في كافة اوقاتهم حسبما ينبئ عنه حكاية بصيغة
المضارع اي قالوا بطريق الاستهزاء مشيرين الى ما انكروه من الردة في الحافرة مشعرين بغاية بعدها من الوقوع تلك اذا كرة خاسرة اي ذات خسران
او خاسرة اصحابها اي ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وقوله تعالى **فانما هي زجرة واحدة** تعليل لمقدر يقتضيه انكارهم لاحياء العظام النخرة التي
عبروا عنها بالكرة فان مداره لما كان استصعابهم اياها رد عليهم ذلك فقيل لا تستصعبوها فانما هي صيحة واحدة اي حاصلة بصيحة واحدة وهي النفخة
الثانية عبر عنها بها تنبيها على كمال اتصالها بها كانها عينها وقيل هي راجع الى الرادفة فقوله تعالى **فاذا هم بالساهرة** حينئذ بيان لترتب الكرة على الزجرة مفاجأة
اي فاذا هم احياء على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا في جوفها وعلى الاول بيان لحضورهم الموقف عقيب الكرة التي عبر عنها بالزجرة والساهرة الارض البيضاء
المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها نائمة وقيل لان سالكها لا ينام خوف الهلكة وقيل اسم لجهنم وقال الراغب
هي وجه الارض وقيل هي ارض القيامة وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ان الساهرة ارض من فضة لم يعص الله تعالى عليها قط خلقها
حينئذ وقيل هي ارض يجددها الله عز وجل يوم القيمة وقيل هي اسم الارض السابعة ياتي بها الله فيحاسب الخلائق عليها وذلك حين يبدل الله الارض غير الارض
وقال الثوري الساهرة ارض الشام وقال وهب بن منبه جبل بيت المقدس وقيل الساهرة بمعنى الصحراء على شفير جهنم وقوله تعالى **هل اتيك حديث موسى**
كلام مستانف وارد لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه بانه يصيبهم مثل ما اصاب من كان اقوى منهم واعظم ومعنى هل اتاك ان اعتبر هذا
اول ما اتاه عليه السلام من حديثه عليه السلام ترغيب له عليه السلام في استماع حديثه كانه قيل هل اتاك حديثه انا اخبرك به وان اعتبر اتيانه قبل هذا وهو
المتبادر من الايجاز في الاقتصاص اليس قد اتاك حديثه وقوله تعالى **اذ ناداه ربه بالواد المقدس** ظرف للحديث لا للاتيان لاختلاف وقتيهما **طوى**
بضم الطاء غير منون وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا وغير منون فمن نونه اوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثني مصدر لنادى او المقدس اي ناداه
نداءين او المقدس مرة بعد اخرى **اذهب الى فرعون** على ارادة القول وقيل هو تفسير للنداء اي ناداه اذهب وقيل هو على حذف ان المفسرة
ويدل عليه قراءة عبد الله ان اذهب لان في النداء معنى القول **انه طغى** تعليل للامر او لوجوب الامتثال به **فقل** بعد ما اتيته **هل لك** رغبة وتوجه
الى ان تزكى بحذف احدى التائين من تتزكى اي تتطهر من دنس الكفر والطغيان وقرئ تزكى بالتشديد **واهديك الى ربك** وارشدك الى معرفته عز وجل فتعرفه
فتخشى اذ الخشية لا تكون الا بعد معرفته قال عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء وجعل الخشية غاية للهداية لانها ملاك الامر من خشي الله تعالى اتى منه كل خير ومن امن
اجترأ على كل شر امر النبي صلى الله عليه وسلم بان يخاطبه بالاستفهام الذي معناه العرض ويستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من عتوه وهذا ضرب تفصيل لقوله
تعالى **فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى** والفاء في قوله تعالى **فاراه الاية الكبرى** فصيحة تفصح عن جملة قد طويت تعويلا على تفصيلها في السور الاخر فانه عليه السلام

ما اراه

ما رواه اياها عقيب هذا الامر بل بعد ما جرى بينه وبين الله تعالى ما جرى من الاستدعاء والاجابة وغيرهما من المراجعات وبعد ما جرى بينه وبين فرعون ما جرى
من المحاورات الى ان قال ان كنت جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين والاراءة اما بمعنى التبصير او التعريف فان اللعين حين ابصرها عرفها وادعاء
سحرها انما كان اراءة منه واظهارا للتجلد ونسبتها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم بالنظر الى الظاهر كما ان نسبتها الى نون العظمة في قوله تعالى ولقد اريناه
اياتنا بالنظر الى الحقيقة والمراد بالاية الكبرى قلب العصا حية وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما فانها كانت المقدمة والاصل والاخرى كالتبع لها او مجموعهما
وهو قول مجاهد فانهما كالاية الواحدة وقد عبر عنهما بصيغة الجمع حيث قيل **اذهب انت واخوك باياتي** باعتبار ما في تضاعيفهما من بدائع الامور التي كل منها اية
بينة لقوم يعقلون كما مر تفصيله في سورة طه ولا مساغ لحملها على مجموع معجزاته فان ما عدا هاتين الايتين من الايات التسع انما ظهرت على يده عليه السلام بعد
غلب السحرة على مهل في نحو من عشرين سنة كما مر في سورة الاعراف ولا ريب في ان هذا مطلع القصة وامر السحرة مترتب بعد **فكذب** بموسى عليه السلام وسمى معجزته
سحرا **وعصى** الله عز وجل بالتمرد بعد ما علم صحة الامر ووجوب الطاعة اشد عصيان واقبحه حيث اجترأ على انكار وجود رب العالمين راسا وكان اللعين
وقومه مامورين بعبادته عز وجل وترك العظمة التي كان يدعيها ويقبلها منه فئته الباغية لا بارسال بني اسرائيل من الاسر والقسر فقط **ثم ادبر** اي تولى
عن الطاعة او انصرف عن المجلس **يسعى** يجتهد في معارضة الاية او اريد ثم اقبل اي انشاء يسعى فوضع موضعه ادبر تحاشيا عن وصفه بالاقبال وقيل ادبر
هاربا من الثعبان فانه روي انه عليه السلام لما القى العصا انقلبت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى
على سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا من قومه وقيل انها انقلبت حية ارتفعت
في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون انشدك بالذي ارسلك الا اخذتها فاخذه
فعاد عصا يا باه ان ذلك كان قبل الاجتراء على التكذيب والعصيان والتصدي للمعارضة كما يعرب قوله **فحشر** اي فجمع السحرة لقوله فارسل في المدائن
حاشرين وقوله تعالى **فتولى فرعون فجمع كيده** اي ما يكاد به من السحرة والاتهم وقيل جنوده ويجوز ان يراد جمع الناس فنادى في المجمع بنفسه او بواسطة
المنادي **فقال انا ربكم الاعلى** قيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة **فاخذه الله نكال الاخرة والاولى** النكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم وهو
التعذيب الذي ينكل من رآه وسمعه ويمنعه من تعاطي ما يفضي اليه ومحله النصب على انه مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كانه قيل نكل الله نكال الاخرة
والاولى وهو الاحراق في الاخرة والاغراق في الدنيا وقيل مصدر لاخذ اي اخذه الله اخذ نكال وقيل مفعول له اي اخذه لاجل نكال الى اخره وقيل نصب
على نزع الخافض اي اخذ بنكال الاخرة والاولى واضافته الى الدارين باعتبار وقوع نفس الاخذ فيهما لا باعتبار ان ما فيه من معنى المنع يكون فيهما فان
ذلك لا يتصور في الاخرة بل في الدنيا فان العقوبة الاخروية تنكل من سمعها وتمنع من تعاطي ما تؤدي اليها لا محالة وقيل المراد بالاخرة والاولى قوله
انا ربكم الاعلى وقوله ما علمت لكم من اله غيري قيل كان بين الكلمتين اربعون سنة فالاضافة اضافة المسبب الى السبب **ان في ذلك** اي فيما ذكر من
قصة فرعون وما فعل وما فعل به **لعبرة** عظيمة **لمن يخشى** لمن من شانه ان يخشى وهو من من شانه المعرفة وقوله تعالى **ءانتم اشد خلقا** خطاب لاهل مكة
المنكرين للبعث بناء على صعوبته في زعمهم بطريق التوبيخ والتبكيت بعد ما بين كمال سهولته بالنسبة الى قدرة الله تعالى بقوله عز وجل فانما هي زجرة
واحدة اي اخلقكم بعد موتكم اشد اي اشق واصعب في تقديركم **ام السماء** اي ام خلق السماء على عظمها وانطوائها على تعاجيب البدائع التي تحار العقول
عن ملاحظة ادناها كقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقوله تعالى
بناها الى اخره بيان وتفصيل لكيفية خلقها المستفاد من قوله ام السماء وفي عدم ذكر الفاعل فيه وفيما عطف عليه من التنبيه على تعينه وتفخيم شانه عز وجل ما لا يخفى
وقوله تعالى **رفع سمكها** بيان للبناء اي جعل مقدار ارتفاعها من الارض وذهابها الى سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام **فسواها** فعدلها فسواها
مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور او فتممها بما علم انها تتم به من الكواكب والتداوير وغيرها مما لا يعلمه الا الخلاق العليم من قولهم سوى فلان امره اذا اصلحه **واغطش ليلها**
اي جعله مظلما يقال غطش الليل واغطشه الله تعالى كما يقال ظلم واظلمه وقد مر هذا في قوله تعالى اذا اظلم عليهم قاموا ويقال ايضا اغطش الليل
كما اظلم **واخرج ضحيها** اي ابرز نهارها عبر عنه بالضحى لانه اشرف اوقاتها واطيبها فكان احق بالذكر في مقام الامتنان وهو السر في تاخير ذكره عن ذكر الليل
وفي التعبير عن احداثه بالاخراج فان اضافة النور بعد الظلمة اتم في الانعام واكمل في الاحسان واضافة الليل والضحى الى السماء لدوران حدوثهما
على حركتها ويجوز ان يكون اضافة الضحى اليها بواسطة الشمس اي ابرز ضوء شمسها والتعبير عنه بالضحى لانه وقت قيام سلطانها وكمال اشراقها **والارض**
بعد ذلك دحيها اي بسطها ومهدها لسكنى اهلها وتقلبهم في اقطارها وانتصاب الارض بمضمر يفسره دحيها **اخرج منها ماءها** بان فجر منها عيونا واجرى انهارا

وَمَرْعَاهَا اي رعيها وهو في الاصل موضع الرعي وقيل هو مصدر ميمي بمعنى المفعول وتجريد الجملة عن العاطف اما لانها بيان وتفسير لدحاها وتكملة له
فان السكنى لا تتاتى بمجرد البسط والتمهيد بل لا بد من تسوية امر المعاش من المأكل والمشرب حتما واما لانها حال من فاعله باضمار قد عند الجمهور او بدونه عند الكوفيين والاخفش
كما في قوله تعالى او جاؤكم حصرت صدورهم **وَالْجِبَالَ** منصوب بمضمر يفسره **أَرْسَاهَا** اي اثبتها واثبت بها الارض ان تميد باهلها وهذا تحقيق للحق وتنبيه على ان الرسو المنسوب
اليها في مواضع كثيرة من التنزيل والتعبير عنها بالرواسي ليس من مقتضيات ذواتها بل هو بارسائه عز وجل ولولاه لما ثبتت في انفسها فضلا عن اثباتها للارض وقرئ
والجبال بالرفع على الابتداء ولعل تقديم اخراج الماء والمرعى ذكرا مع تقديم الارساء عليه وجودا وشدة تعلقه بالدحو لابراز كمال الاعتناء بامر المأكل والمشرب
مع ما فيه من دفع توهم رجوع ضميري الماء والمرعى الى الجبال وهذا كما ترى يدل بظاهره على تأخر دحو الارض عن خلق السماء وما فيها كما روي عن الحسن من انه تعالى
خلق الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض
وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما الاية وقد مر في سورة حم السجدة ان قوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الى قوله تعالى
ثم استوى الى السماء وهي دخان الاية ان حمل ما فيه من الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلثة على معانيها الظاهرة لا على تقديرها فهو وما في سورة البقرة
من قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات يدلان على تقدم خلق الارض وما فيها على خلق السماء وما فيها
وعليه اطباق اكثر اهل التفسير وقد روي ان العرش كان قبل خلق السموات والارض على الماء ثم انه تعالى احدث على الماء اضطرابا فازبد فارتفع منه دخان
فاما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين واما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروي انه تعالى
خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام
في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة فالاقرب كما قيل تأويل هذه الاية بان يجعل ذلك اشارة الى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها
وتسويتها وغيرها لا الى انفسها ويحمل بعدية الدحو عنها على البعدية في الذكر كما هو المعهود في السنة العرب والعجم لا في الوجود لما عرفت من انتصاب الارض
بمضمر مقدم قد حذف على شريطة التفسير لا بما ذكر بعده ليفيد القصر ويتعين البعدية في الوجود وفائدة تأخيره في الذكر اما التنبيه على انه قاصر في الدلالة
على القدرة الباهرة القاهرة بالنسبة الى احوال السماء واما الاشعار بانه ادخل في الالزام لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر
واحاطتهم بتفاصيل احواله اكمل وليس ما روي عن الحسن رحمه الله نصا في تأخر دحو الارض عن خلق السماء فان بسط الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق
السماء بالواو التي هي بمعزل عن الدلالة على الترتيب هذا على تقدير حمل ما ذكر في آيات سورة السجدة من الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلثة على معانيها الظاهرة
واما اذا حملت على تقديرها فلا دلالة فيها الا على تقدم تقدير الارض وما فيها على ايجاد السماء كما لا دلالة على الترتيب اصلا اذا حملت كلمة ثم فيها وفيما في سورة
البقرة على التراخي في الرتبة وقد سبق تفصيل الكلام في السورتين المذكورتين وقوله تعالى **مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ** اما مفعول له اي فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم
لان فائدة ما ذكر من البسط والتمهيد واخراج الماء والمرعى واصلة اليهم والى انعامهم فان المراد بالمرعى ما يعم ما يأكله الانسان وغيره بناء على استعارة الرعي
لتناول المأكول على الاطلاق كاستعارة المرسن للانف وقيل مصدر مؤكد لفعله المضمر اي متعكم بذلك متاعا او مصدر من غير لفظه فان قوله تعالى
اخرج منها ماءها ومرعاها في معنى متع بذلك وقوله تعالى **فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى** اي الداهية العظمى التي تطم على سائر الطامات اي تعلوها وتغلبها وهي القيامة
او النفخة الثانية وقيل هي الساعة التي يساق فيها الخلائق الى محشرهم وقيل التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار شروع في بيان احوال
معادهم اثر بيان احوال معاشهم بقوله تعالى متاعا لكم الى آخره والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها عما قليل كما ينبئ عنه لفظ المتاع **يَوْمَ يَتَذَكَّرُ
الْإِنْسَانُ مَا سَعَى** قيل هو بدل من اذا جاءت والاظهر انه منصوب باعني كما قيل تفسيرا للطامة الكبرى فان الابدال بالظرف المحض مما يوهن تعلقها بالجواب ويجوز ان يكون
بدلا من الطامة الكبرى مفتوحا باضافته الى الفعل على رأي الكوفيين اي يتذكر فيه كل احد ما عمله من خير او شر بان يشاهده مدونا في صحيفة اعماله وقد كان نسيه
من فرط الغفلة وطول الامد كقوله تعالى احصاه الله ونسوه ويجوز ان تكون ما مصدرية **وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ** عطف على جاءت اي اظهرت اظهارا بينا لا يخفى
على احد **لِمَنْ يَرَى** كائنا من كان يروى انه يكشف عنها فتتلظى فيراها كل ذي بصر وقرئ وبرزت بالتخفيف ولمن رأى ولمن ترى على ان فيه ضمير الجحيم كما في قوله تعالى
اذا رأتهم من مكان بعيد او على انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي لمن تراه من الكفار وقوله تعالى **فَأَمَّا مَنْ طَغَى** الى آخره جواب اذا جاءت على طريقة
قوله تعالى فاما يأتينكم مني هدى الاية وقيل هو تفصيل للجواب المحذوف وتقديره انقسم الراؤن قسمين فاما من الى آخره والذي تستدعيه فخامة التنزيل
ويقتضيه مقام التهويل ان الجواب المحذوف كان من عظائم الشؤون ما لم تشاهده العيون كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فاما من عتا وتمرد عن امر

وجاوز

وجاوز الحد في العصيان **وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا** الفانية التي هي على جناح الفوات فانهمك فيما متع به فيها ولم يستعد للحيوة الآخرة الابدية
بالايمان والطاعة **فَإِنَّ الْجَحِيمَ** التي ذكر شأنها **هِيَ الْمَأْوَى** اي هي مأواه واللام سادة مسد الاضافة للعلم بان صاحب المأوى هو الطاغي كما في
قولك غض الطرف ودخول اللام في المأوى والطرف للتعريف لانهما معروفان وهي اما ضمير فصل او مبتدأ وقيل نزلت الاية في النضر وابيه الحارث المشهورين
بالغلو في الكفر والطغيان **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ** اي مقامه بين يدي مالك امره يوم الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى **وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى**
عن الميل اليه بحكم الجبلة البشرية ولم يعتد بمتاع الحيوة الدنيا وزهرتها ولم يغتر بزخارفها وزينتها علما منه بوخامة عاقبتها **فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى** له لا غيرها
وقيل نزلت الايتان في ابي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب اخاه ابا عزيز يوم احد ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استشهد رضي الله عنه
هذا وقد قيل جواب اذا ما يدل عليه قوله تعالى يوم يتذكر الى آخره اي فاذا جاءت الطامة الكبرى يتذكر الانسان ما سعى على طريقة قوله تعالى
علمت نفس ما احضرت وقوله تعالى علمت نفس ما قدمت واخرت فيكون قوله تعالى وبرزت الجحيم عطفا عليه وصيغة الماضي للدلالة على التحقق او حالا من
الانسان باضمار قد او بدونه على اختلاف الروايتين ولمن يرى مغن عن العائد وقوله تعالى فاما من طغى الى آخره تفصيلا لحال الانسان الذي يتذكر ما سعى
وتقسيما له حسب اعماله الى القسمين المذكورين **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا** متى ارساؤها اي اقامتها يريدون متى يقيمها الله ويثبتها ويكونها
وقيل ايان منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة حيث تنتهي اليه وتستقر فيه وقوله تعالى **فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا** انكار ورد لسؤال المشركين عنها اي
اي شيء انت من ان تذكر لهم وقتها وتعلمهم به حتى يسألونك بيانها كقوله تعالى كأنك حفي عنها اي ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء لان
ذلك فرع علمك به وانى لك ذلك وهو مما استأثر بعلمه علام الغيوب ومن قال بصدد التعليل فان ذكرها لا يزيدهم الا غيا فقد نأى عن الحق
وقيل فيم انكار لسؤالهم وما بعده من الاستئناف تعليل للانكار وبيان لبطلان السؤال اي فيم هذا السؤال ثم ابتدئ فقيل انت من ذكراها اي
ارسالك وانت خاتم الانبياء المبعوث في نسم الساعة علامة من علاماتها ودليل يدلهم على العلم بوقوعها عن قريب فحسبهم هذه المرتبة من العلم فمعنى
قوله الى ربك منتهاها على هذا الوجه اليه تعالى يرجع منتهى علمها اي علمها بكنهها وتفاصيل امرها ووقت وقوعها لا الى احد غيره وانما وظيفتهم ان
يعلموا باقترابها ومشارفتها وقد حصل لهم ذلك ببعثتك فما معنى سؤالهم عنها بعد ذلك واما على الوجه الاول فمعناه اليه تعالى انتهاء علمها ليس لاحد منه
شيء ما كائنا من كان فلاي شيء يسألونك عنها وقوله تعالى **إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا** على الوجه الاول تقرير لما قبله من قوله تعالى فيم انت من ذكراها
وتحقيق لما هو المراد منه وبيان لوظيفته عليه السلام في ذلك الشان فان انكار كونه عليه السلام في شيء من ذكراها مما يوهم بظاهره ان ليس له عليه السلام
ان يذكرها بوجه من الوجوه فازيح ذلك ببيان ان المنفي عنه عليه السلام ذكرها لهم بتعيين وقتها حسبما كانوا يسألونه عنها فالمعنى انما انت منذر من
يخشاها وظيفتك الامتثال بما امرت من بيان اقترابها وتفصيل ما فيها من فنون الاهوال كما تحيط به خبرا لا تعيين وقتها الذي لم يفوض اليك
فما لهم يسألونك عما ليس من وظائفك بيانه وعلى الوجه الثاني هو تقرير لقوله تعالى انت من ذكراها ببيان ان ارساله عليه السلام وهو خاتم الانبياء
عليهم السلام منذر بمجيء الساعة كما ينطق به قوله عليه السلام بعثت انا والساعة كهاتين ان كادت لتسبقني وقرئ منذر بالتنوين وهو الاصل والتخفيف
صالح للحال والاستقبال فاذا اريد الماضي تعينت الاضافة وتخصيص الانذار بمن يخشى مع عموم الدعوة لانه المنتفع به وقوله تعالى **كَأَنَّهُمْ يَوْمَ
يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا** اما تقرير وتأكيد لما ينبئ عنه الانذار من سرعة مجيء المنذر به لا سيما على الوجه الثاني اي كانهم لم يروها لم يلبثوا
بعد الانذار بها الا عشية يوم واحد او ضحاها فلما ترك اليوم اضيف ضحاه الى عشيته واما رد لما ادمجوه في سؤالهم فانهم كانوا يسألون عنها
بطريق الاستبطاء مستعجلين بها وان كان على نهج الاستهزاء بها ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فالمعنى كانهم يوم يرونها لم
يلبثوا بعد الوعد بها الا عشية او ضحاها والمتبادر كون اللبث في الدنيا او في القبور لا تقتضيه المقام واما الذي يقتضيه المقام باعتبار كونه
بعد الانذار او بعد الوعيد تحقيقا للانذار وردا للاستبطاء والجملة على الاول حال من الموصول فانه على تقدير الاضافة وعدمها مفعول
لمنذر كما ان قوله تعالى لم يلبثوا الا ساعة من النهار حال من ضمير المفعول في يحشرهم اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث في الدنيا الا ساعة خلا ان التشبيه
هناك في الاحوال الظاهرة من الزي والهيئة وفيما نحن فيه في الاعتقاد كانه قيل تنذرهم مشبهين يوم يرونها في الاعتقاد بمن لم يلبث بعد الانذار
بها الا تلك المدة اليسيرة وعلى الثاني مستأنفة لا محل لها من الاعراب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله
تعالى في القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلوة مكتوبة صدق رسول الله فيما قال وصدق حبيب الله الملك العلي المتعال

بسم الله الرحمن الرحيم **عبس وتولى ان جاءه الاعمى** روي ان ابن ام مكتوم واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري وام مكتوم ام ابيه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال له يا رسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله تعالى وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله عليه السلام بالقوم فكره رسول الله قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة وان جاءه الاعمى علة لتولى وعبس على اختلاف الرايين اي لان جاءه الاعمى والتعرض لعنوان عماه اما لتمهيد عذره في الاقدام على قطع كلامه عليه السلام بالقوم والايذان باستحقاقه بالرفق والرافة واما لزيادة الانكار كانه قيل تولى لكونه اعمى كما ان الالتفات لذلك فان المشافهة ادخل في تشديد العتاب. **وما يدريك** اي واي شيء يجعلك داريا بحاله حتى تعرض عنه وقوله تعالى **لعله يزكى** استيناف وارد لبيان ما يلوح به ما مع اشعاره بان له شانا منافيا للاعراض عنه خارجا عن دراية الغير وادراكه مؤذن بانه تعالى يدريه ذلك اي لعله يتطهر بما يقتبس منك من اوضار الاوزار بالكلية وكلمة لعل مع تحقق التزكي واردة على سنن الكبرياء او على اعتبار معنى الترجي بالنسبة اليه عليه السلام للتنبيه على ان الاعراض عنه عند كونه مرجو التزكي مما لا يجوز فكيف اذا كان مقطوعا بالتزكي كما في قولك لعلك ستندم على ما فعلت وفيه اشارة الى ان من تصدى لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى منهم التزكي والتذكر اصلا وقوله تعالى **او يذكر** عطف على يزكى داخل معه في حكم الترجي وقوله تعالى **فتنفعه الذكرى** بالنصب على جواب لعل وقرئ بالرفع عطفا على يذكر اي او يتذكر فتنفعه موعظتك ان لم يبلغ درجة التزكي التام وقيل الضمير في لعله للكافر فالمعنى انك طمعت في ان يتزكى ويتذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق ولذلك توليت عن الاعمى وما يدريك ان ذلك مرجو الوقوع **اما من استغنى** اي عن الايمان وعما عندك من العلوم والمعارف التي ينطوي عليها القرآن **فانت له تصدى** اي تتصدى وتتعرض بالاقبال عليه والاهتمام بارشاده واستصلاحه وفيه مزيد تنفير له عليه السلام من مصاحبتهم فان الاقبال على المدبر ليس من شيم الكرام وقرئ تصّدى بادغام التاء في الصاد وقرئ تُصدّى بضم التاء اي تعرض ومعناه يدعوك الى التصدي له داع من الحرص والتهالك على اسلامه **وما عليك الا يزكى** وليس عليك باس في ان لا يتزكى بالاسلام حتى تهتم بامره وتعرض عمن اسلم والجملة حال من ضمير تصدى وقيل ما استفهامية للانكار اي اي شيء في ان لا يتزكى وما لم يتزكى **واما من جاءك يسعى** اي حال كونه مسرعا طالبا لما عندك من احكام الرشد وخصال الخير **وهو يخشى** اي الله تعالى وقيل يخشى اذية الكفار في اتيانك وقيل يخشى الكبوة اذ لم يكن معه قائد والجملة حال من فاعل يسعى كما انه حال من فاعل جاءك **فانت عنه تلهى** تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى وقرئ تُلهى اي يلهيك شان الصناديد وفي تقديم ضميره عليه السلام على الفعلين تنبيه على ان مناط الانكار خصوصيته عليه السلام اي مثلك خصوصا لا ينبغي ان يتصدى للمستغني ويتلهى عن الفقير الطالب للخير وتقديم له وعنه للتعريض باهتمامه عليه السلام بمضمونهما روي انه عليه السلام ما عبس بعد ذلك في وجه فقير قط ولا تصدى لغني **كلا** ردع له عليه السلام عما عوتب عليه من التصدي لمن استغنى عما دعاه اليه من الايمان والطاعة وما يوجبهما من القرآن الكريم مبالغا في الاهتمام بامره حرصا على اسلامه معرضا بسبب ذلك عن ارشاد من يسترشده وقوله تعالى **انها تذكرة** اي موعظة يجب ان يتعظ بها ويعمل بموجبها تعليل للردع عما ذكر ببيان رتبة القرآن العظيم الذي استغنى عنه من تصدى له وتحقيق ان شانه ان يكون موعظة حقيقية بالاتعاظ بها فمن رغب فيها اتعظ كما نطق به قوله تعالى **فمن شاء ذكره** اي حفظه واتعظ به ومن رغب عنها كما فعله المستغني فلا حاجة الى الاهتمام بامره فالضميران للقرآن وتانيث الاول لتانيث خبره وقيل الاول للآيات السابقة والثاني للتذكرة والتذكير لانها في معنى الذكر والوعظ وليس بذاك فان السورة والآيات وان كانت متصفة بما سيأتي من الصفات الشريفة لكنها ليست مما القي على من استغنى عنه واستحق بسبب ذلك ما سيأتي من الدعاء عليه والتعجب من كفره المفرط لنزولها بعد الحادثة واما من جوز رجوعهما الى العتاب المذكور فقد اخطا واساء الادب وخبط خبطا يقضي منه العجب فتامل كلمة ختمها بالحق المبين وقوله تعالى **في صحف** متعلق بمضمر هو صفة لتذكرة وما بينهما اعتراض جيء به للترغيب فيها والحث على حفظها اي كائنة في صحف منتسخة من اللوح او خبر ثان لان **مكرمة** عند الله عز وجل **مرفوعة** اي في السماء السابعة او مرفوعة المقدار والذكر **مطهرة** منزهة عن مساس ايدي الشياطين **بايدي سفرة** اي كتبة من الملائكة ينسخون الكتب من اللوح على انه جمع سافر من السفر وهو الكتب وقيل بايدي رسل من الملائكة يسفرون بالوحي بينه تعالى وبين الانبياء عليهم السلام على جمع سفير من السفارة وحملها على الانبياء عليهم السلام بعيد فان وظيفتهم التلقي من الوحي الى الكتب وارشاد الامة بالامر والنهي وتعليم الشرائع والاحكام لا مجرد السفارة اليهم وكذا حملها على القراء لقراءة الاسفار او على اصحابه صلى الله عليه وسلم وقد قالوا هذه اللفظة مختصة بالملائكة لا تكاد تطلق على غيرهم وان جاز الاطلاق بحسب اللغة والباء

متعلقة بمطهرة قال القفال لما لم يمسها الا الملائكة المطهرون اضيف التطهر اليها لطهارة من يمسها وقال القرطبي ان المراد بما في قوله تعالى لا يمسه الا المطهرون هؤلاء السفرة الكرام البررة **كرام** عند الله عز وجل او متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم **بررة** اتقياء وقيل مطيعين لله تعالى من قولهم فلان يبر خالقه اي يطيعه وقيل صادقين من بر في يمينه **قتل الانسان** دعاء عليه باشنع الدعوات وقوله تعالى **ما اكفره** تعجب من افراطه في الكفران وبيان لكونه مستحقا للدعاء عليه والمراد اما من استغنى عن القرآن الكريم الذي ذكرت نعوته الجليلة الموجبة للاقبال عليه والايمان به واما الجنس باعتبار انتظامه له ولامثاله من افراده لا باعتبار جميع افراده وفيه مع قصر متنه وتقارب قطريه من الانباء عن سخط عظيم ومذمة بالغة ما لا غاية وراءه وقوله تعالى **من اي شيء خلقه** شروع في بيان افراطه في الكفران بتفصيل ما افاض عليه من مبدا فطرته الى منتهى عمره من فنون النعم الموجبة لقضاء حقها بالشكر والطاعة مع اخلاله بذلك وفي الاستفهام من مبدا خلقه ثم بيانه بقوله تعالى **من نطفة خلقه** تحقير له اي من اي شيء حقير مهين خلقه من نطفة قذرة **فقدره** فهياه لما يصلح له ويليق به من الاعضاء والاشكال او فقدره اطوارا الى ان تم خلقه **ثم السبيل يسره** منصوب بمضمر يفسره الظاهر اي ثم سهل مخرجه من البطن بان فتح فم الرحم والهمه ان ينتكس او يسر له سبيل الخير والشر ومكنه من السلوك فيهما وتعريف السبيل باللام دون الاضافة للاشعار بعمومه **ثم اماته فاقبره** اي جعله ذا قبر يواري فيه تكرمة له ولم يدعه مطروحا على وجه الارض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوانات يقال قبر الميت اذا دفنه واقبره اذا امر بدفنه او مكن منه وعد الاماتة من النعم لانها وصلة في الجملة الى الحياة الابدية والنعيم المقيم **ثم اذا شاء انشره** اي اذا شاء انشاره انشره على القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشيئة وفي تعليق الانشار بمشيئته تعالى ايذان بان وقته غير متعين بل هو تابع لها وقرئ نشره **كلا** ردع للانسان عما هو عليه وقوله تعالى **لما يقض ما امره** بيان لسبب الردع اي لم يقض بعد من لدن آدم الى هذه الغاية مع طول المدى وامتداده ما امره الله تعالى باسره اذ لا يخلو احد من تقصير كذا قالوا وهكذا نقل عن مجاهد وقتادة ولا ريب في ان مساق الآيات الكريمة لبيان غاية عظم جناية الانسان وتحقيق كفرانه المفرط المستوجب للسخط العظيم وظاهر ان ذلك لا يتحقق بهذا القدر من نوع تقصير لا يخلو عنه احد من افراده كيف لا وقد قال صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود لما فيها من قوله تعالى فاستقم كما امرت فالوجه ان يحمل عدم القضاء على عموم النفي لا على نفي العموم اما على ان المحكوم عليه هو المستغني او هو الجنس لكن لا على الاطلاق بل على ان مصداق الحكم بعدم القضاء بعض افراده وقد اسند الى الكل كما في قوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار للاشباع في اللوم بحكم المجانسة على طريقة قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم واما على ان مصداقه الكل من حيث هو كل بطريق رفع الايجاب الكلي دون السلب الكلي فالمعنى لما يقض جميع افراده ما امره بل اخل به بعضها بالكفر والعصيان مع ان مقتضى ما فصل من فنون النعماء الشاملة للكل ان لا يتخلف عنه احد اصلا هذا وقد قيل كلا بمعنى حقا فيتعلق بما بعده اي حقا لم يعمل بما امره به وقوله تعالى **فلينظر الانسان الى طعامه** شروع في تعداد النعم المتعلقة ببقائه بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه اي فلينظر الى طعامه الذي يدور عليه امر معاشه كيف دبرناه وقوله تعالى **انا صببنا الماء** اي الغيث **صبا** بدل اشتمال من طعامه لان الماء سبب لحدوث الطعام فهو مشتمل وقرئ انا على الاستيناف وقرئ انى بالامالة اي كيف صببنا الماء صبا عجيبا **ثم شققنا الارض شقا** اي بالنبات بديعا لائقا بما يشقها من النبات صغرا وكبرا وشكلا وهيئة وحمل شقها على ما بالكراب يجعل اسناده الى نون العظمة من قبيل اسناد الفعل الى سببه يابا كلمة ثم والفاء في قوله تعالى **فانبتنا فيها حبا** فان الشق بالمعنى المذكور لا ترتب بينه وبين المطار اصلا وبينه وبين انبات الحب بلا مهلة فان المراد بالنبات ما نبت من الارض الى ان يتكامل النمو وينعقد الحب فان انشقاق الارض بالنبات لا يزال يتزايد ويتسع الى ملك الغاية على مساق النظم الكريم لبيان النعم الفائضة من جنابه تعالى على وجه بديع خارج عن العادات المعهودة كما ينبئ عنه تاكيد الفعلين بالمصدرين وتوسيط فعل المنعم عليه في حصول تلك النعم مخل بالمرام وقوله تعالى **وعنبا** عطف على حبا وليس من لوازم العطف ان يتقيد المعطوف بما قيد به المعطوف عليه فلا ضير في خلو انبات العنب عن شق الارض **وقضبا** اي رطبة سميت بمصدر قضبه اي قطعه مبالغة كانها لتكرر قطعها وتكثره نفس القطع **وزيتونا ونخلا** الكلام فيهما وفي امثالهما كما في العنب **وحدائق غلبا** اي عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانه ذات اشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب **وفاكهة وابا** اي مرعى من ابه اذا امه وقصده لانه يؤم وينتجع او من اب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيئ للرعي او فاكهة يابسة تؤب للشتاء وعن الصديق رضي الله عنه انه سئل عن الاب فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه قرا هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الاب ثم رفض عصا كانت بيده فقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدري ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه **متاعا لكم ولانعامكم** اما مفعول له اي فعل ذلك تمتيعا لكم ولمواشيكم فان بعض النعم المعدودة طعام لهم وبعضها علف لدوابهم والالتفات لتكميل الامتنان واما مصدر لفعله المضمر بحذف الزوائد اي متعكم بذلك متاعا او لفعل مترتب عليه اي متعكم بذلك فتمتعتم بذلك اي تمتعا كما مر غير مرة او مصدر من غير لفظه فان ما ذكر من الافعال الثلاثة

في معنى التمتع **فإذا جاءت الصاخة** شروع في بيان أحوال معادهم إثر بيان مبدإ خلقهم ومعاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها من فنون النعم عن قريب كما يشعر لفظ المتاع بسرعة زوالها وقرب اضمحلالها والصاخة الداهية العظيمة التي يصيخ لها الخلائق أي يصيخون لها من صخ لحديثه إذا أصاخ له واستمع وصفت بها النفخة الثانية لأن الناس يصيخون لها وقيل هي الصيحة التي تصخ الآذان أي تصمها لشدة وقعها وقيل هي مأخوذة من صخه بالحجر أي صكه وقوله تعالى **يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه** إما منصوب بأعني تفسيرا للصاخة أو بدل منها مبني على الفتح بالإضافة إلى الفعل على رأي الكوفيين وقيل بدل من إذا جاءت كما في قوله تعالى يوم يتذكر إلى آخره أي يعرض عنهم ولا يصاحبهم ولا يسأل عن حالهم كما في الدنيا لاشتغاله بحال نفسه وأما تعليل ذلك لعلمه بأنهم لا يغنون عنه شيئا أو بالحذر من مطالبتهم بالتبعات فيأباه قوله تعالى **لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه** فإنه استئناف وارد لبيان سبب الفرار أي لكل واحد من المذكورين شغل شاغل وخطب هائل يكفيه في الاهتمام وأما الفرار حذرا من مطالبتهم أو بغضا لهم كما يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه يفر قابيل من أخيه هابيل ويفر النبي صلى الله عليه وسلم من أمه ويفر إبرهيم من أبيه ولوط عليه السلام من امرأته ونوح عليه السلام من ابنه فليس من قبيل هذا الفرار وكذا ما يروى أن الرجل يفر من أصحابه وأقربائه لئلا يروه على ما هو عليه من سوء الحال وقرئ يعنيه بالياء المفتوحة والعين المهملة أي يهمه من عناه الأمر إذا أهمه أي أوقعه في الهم ومنه من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه لا من عناه إذا قصده كما قيل وقوله تعالى **وجوه يومئذ مسفرة** بيان لمآل أمر المذكورين وانقسامهم إلى السعداء والأشقياء بعد ذكر وقوعهم في داهية دهياء فوجوه مبتدأ وإن كانت نكرة لكونها في حيز التنويع ومسفرة خبره ويومئذ متعلق به أي مضيئة متهللة من أسفر الصبح إذا أضاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن ذلك من قيام الليل وفي الحديث من كثرت صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل **مستبشرة** بما تشاهد من النعيم والبهجة الدائمة **ووجوه يومئذ عليها غبرة** أي غبار وكدورة **ترهقها** أي تعلوها وتغشاها **قترة** أي سواد وظلمة **أولئك** إشارة إلى أصحاب تلك الوجوه وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد درجتهم في سوء الحال أي أولئك الموصوفون بسواد الوجوه وغبرتها **هم الكفرة الفجرة** الجامعون بين الكفر والفجور فلذلك جمع الله عز وجل إلى سواد وجوههم الغبرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس جاء يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا الشمس كورت أي لفت من كورت العمامة إذا لففتها على أن المراد بذلك إما رفعها وإزالتها من مقرها فإن الثوب إذا أريد رفعه يلف لفا ويطوى ونحوه قوله تعالى يوم نطوي السماء وإما لف ضوئها المنبسط في الآفاق المنتشر في الأقطار على أنه عبارة عن إزالتها والذهاب بها بحكم استلزام زوال اللازم لزوال الملزوم أو ألقيت عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار من طعنه فكوره إذا ألقاه على الأرض وعن أبي صالح كورت نكست وعن ابن عباس رضي الله عنهما تكويرها إدخالها في العرش ومدار التركيب على الإدارة والجمع وارتفاع الشمس على أنه فاعل الفعل مضمر يفسره المذكور وعنه النقص على الابتداء **وإذا النجوم انكدرت** أي انقضت وقيل تناثرت وتساقطت روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه لا يبقى يومئذ نجم إلا سقط في الأرض وعنه أن النجوم قناديل معلقة بين السماء والأرض بسلاسل من نور بأيدي ملائكة من نور فإذا مات من في السموات والأرض تساقطت من أيديهم وقيل انكدارها انطماس نورها ويروى أن الشمس والنجوم تطرح في جهنم ليراها من عبدها كما قال إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم **وإذا الجبال سيرت** أي عن أماكنها بالرجفة الحاصلة أو في الجو فإن ذلك بعد النفخة الثانية **وإذا العشار** جمع عشراء وهي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر وهو اسمها إلى أن تضع لتمام السنة وهي أنفس ما يكون عند أهلها وأعزها عليهم **عطلت** تركت مهملة لاشتغال أهلها بأنفسهم وقيل العشار السحاب فإن العرب تشبهها بالحامل ومنه قوله تعالى فالحاملات وقرا وتعطيلها عدم إمطارها وقرئ عطلت بالتخفيف **وإذا الوحوش حشرت** أي جمعت من كل جانب وقيل بعثت للقصاص قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص فإذا قضي بينها ردت ترابا فلا يبقى منها إلا ما فيه سرور لبني آدم وإعجاب بصورته كالطاووس ونحوه وقرئ حشرت بالتشديد **وإذا البحار سجرت** أي أحميت أو ملئت بتفجير بعضها إلى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور إذا ملأه بالحطب ليحميه وقيل ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب أهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة وقرئ سجرت بالتخفيف **وإذا النفوس زوجت** أي قرنت بأجسادها أو قرنت كل نفس بشكلها أو بكتابها أو بعملها أو نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكفرة بالشياطين **وإذا الموءودة** أي المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الإملاق أو لحوق العار بهم من أجلهن قيل كان الرجل إذا ولدت له بنت فأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر حتى إذا بلغت ست سنين ذهب بها إلى الصحراء وقد حفر لها حفيرة فيلقيها فيها ويهيل عليها التراب وقيل كانت الحامل إذا أقربت حفرت

حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فإذا ولدت بنتا رمت بها وإن ولدت ابنا حبسته **سئلت بأي ذنب قتلت** توجيه السؤال إليها لتسليتها وإظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها وإسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة في تبكيته كما في قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين وقرئ سألت أي خاصمت أو سألت الله تعالى أو قاتلها وإنما قيل قتلت لما أن الكلام إخبار عنها لا حكاية لما خوطبت به حين سئلت ليقال قتلت على الخطاب ولا حكاية لكلامها حين سألت ليقال قتلت على الحكاية عن نفسها وقد قرئ كذلك وبالتشديد أيضا وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن أطفال المشركين فقال لا يعذبون واحتج بهذه الآية **وإذا الصحف نشرت** أي صحف الأعمال فإنها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يحشر الناس حفاة عراة فقالت أم سلمة فكيف بالنساء فقال شغل الناس يا أم سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وقيل نشرت أي فرقت بين أصحابها عن مرثد بن وداعة إذا كان يوم القيمة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم أي مكتوب فيها ذلك وهي صحف غير صحف الأعمال **وإذا السماء كشطت** قلعت وأزيلت كما يكشط الإهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء المستور به وقرئ قشطت واعتقاب الكاف والقاف غير عزيز كالكافور والقافور **وإذا الجحيم سعرت** أي أوقدت إيقادا شديدا قيل سعرها غضب الله عز وجل وخطايا بني آدم وقرئ سعرت بالتخفيف **وإذا الجنة أزلفت** أي قربت من المتقين كقوله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها في الدنيا أي فيما بين النفختين وهن من أول السورة إلى قوله تعالى وإذا البحار سجرت على أن المراد بحشر الوحوش جمعها من كل ناحية لا بعثها للقصاص وست في الآخرة أي بعد النفخة الثانية وقوله تعالى **علمت نفس ما أحضرت** جواب إذا على أن المراد بها زمان واحد ممتد يسع ما في سباقها وسياقها وما عطف عليها من الخصال مبدؤه النفخة الأولى ومنتهاه فصل القضاء بين الخلائق لكن لا بمعنى أنها تعلم ما تعلم في كل جزء من أجزاء ذلك الوقت المديد أو عند وقوع داهية من تلك الدواهي بل عند نشر الصحف إلا أنه لما كان بعض تلك الدواهي من مباديه وبعضها من روادفه نسب علمها بذلك إلى زمان وقوع كلها تهويلا للخطب وتفظيعا للحال والمراد بما أحضرت أعمالها من الخير والشر وبحضورها إما حضور صحائفها كما يعرب عنه نشرها وإما حضور أنفسها على ما قالوا من أن الأعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح على كيفيات مخصوصة وهيئات معينة حتى أن الذنوب والمعاصي تتجسم هنالك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وإن جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وكذا قوله عليه السلام في حق من يشرب من آنية الذهب والفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم ولا بعد في ذلك ألا يرى أن العلم يظهر في عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة بأحوال الحضرات الخمس وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه يؤتى بالأعمال الصالحة على صور حسنة وبالأعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع في الميزان وأيا ما كان فإسناد إحضارها إلى النفس مع أنها تحضر بأمر الله تعالى كما ينطق به قوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت محضرا الآية لأنها لما عملتها في الدنيا فكأنها أحضرتها في الموقف ومعنى علمها بها حينئذ أنها تشاهدها على ما هي عليه في الحقيقة فإن كانت صالحة تشاهدها على صور أحسن مما كانت تشاهدها عليه في الدنيا لأن الطاعات لا تخلو فيها عن نوع مشقة وإن كانت سيئة تشاهدها على خلاف ما كانت تشاهدها عليه ههنا لأنها كانت مزينة لها موافقة لهواها وتنكير النفس المفيد لثبوت العلم المذكور لفرد من النفوس أو لبعض منها للإيذان بأن ثبوته لجميع أفرادها قاطبة من الظهور والوضوح بحيث لا يكاد يحوم حوله شائبة اشتباه قطعا يعرفه كل أحد ولو جيء بعبارة تدل على خلافه وللرمز إلى أن تلك النفوس العالمة بما ذكر مع توفر أفرادها وتكثر أعدادها مما يستقل بالنسبة إلى جناب الكبرياء الذي أشير إلى بعض بدائع شؤونه المنبئة عن عظم سلطانه وأما ما قيل من أن هذا من قبيل عكس كلامهم الذي يقصدون به الإفراد فيما يعكس عنه وتمثيله بقوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وبقول من قال قد أترك القرن مصفرا أنامله وبقول من قال حين سئل عن عدد فرسانه رب فارس عندي وعنده المقانب قاصدا بذلك التمادي في تكثير فرسانه وإظهار براءته من التزيد وأنه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا أن يتزيد فمن لوائح النظر الجليل لما أن الكلام المعكوس عنه فيما ذكر من الأمثلة مما يقبل الإفراط والتمادي فيه فإنه في الأول كثيرا ما يود وفي الثاني كثيرا ما وفي الثالث كثير من الفرسان وكل واحد من ذلك قابل للإفراط والمبالغة فيه لعدم انحصار مراتب الكثرة وقد قصد بعكسه ما ذكر من التمادي في التكثير حسبما فصل وأما فيما نحن فيه فالكلام الذي عكس عنه علمت كل نفس ما أحضرت كما صرح به القائل وليس فيه إمكان التكثير حتى يقصد بعكسه المبالغة والتمادي فيه وإنما الذي يمكن فيه من المبالغة ما ذكرناه فتأمل ويجوز أن يكون ذلك للإشعار بأنه إذا علمت حينئذ نفس من النفوس ما أحضرت وجب على كل نفس إصلاح عملها مخافة أن تكون هي التي علمت ما أحضرت فكيف وكل نفس تعلمه على طريقة قولك لمن تنصحه لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الإنسان على ما فعل فإنك لا تقصد بذلك أن ندمه مرجو الوجود لا متيقن به أو نادر الوقوع بل تريد أن العاقل يجب عليه أن يجتنب أمرا يرجى فيه الندم أو قلما يقع فيه فكيف به إذا كان قطعي الوجود كثير الوقوع **فلا أقسم بالخنس** أي بالكواكب الرواجع من خنس إذا تأخر وهي ما عدا النيرين من

من الدراري الخمسة وهي بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري وصفت بقوله تعالى الجوار الكنس لانها تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس
فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوئها من كنس الوحشي اذا دخل كناسه اي بيته الذي يتخذه من اغصان الشجر وقيل هي جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب
عن العيون وتكنس بالليل اي تطلع في اماكنها كالوحش في كنسها **والليل اذا عسعس** اي ادبر ظلامه او اقبل فانه من الاضداد وكذلك سعسع قال الفراء اجمع المفسرون
على ان معنى عسعس ادبر وعليه قول العجاج حتى اذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا وقيل هي لغة قريش خاصة وقيل معناه اقبال ظلامه او فيه
لقوله تعالى **والصبح اذا تنفس** لانه اول النهار وقيل ادباره اقرب من تنفس الصبح ومعناه ان الصبح اذا اقبل يقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له مجازا
فقيل تنفس الصبح **انه** اي القرآن الكريم الناطق بما ذكر من الدواهي الهائلة **لقول رسول كريم** هو جبريل عليه السلام قاله من جهة الله عز وجل **ذي قوة** شديدة
كقوله تعالى شديد القوى وقيل المراد القوة في اداء طاعة الله تعالى وترك الاخلال بها من اول الخلق الى آخر زمان التكليف **عند ذي العرش مكين** ذي مكانة
رفيعة عند الله تعالى عندية اكرام وتشريف لا عندية مكان **مطاع** فيما بين الملائكة المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رأيه **وما صاحبكم**
هو رسول الله صلى الله عليه وسلم **بمجنون** كما بهته الكفرة والتعرض لعنوان المصاحبة للتلويح باحاطتهم بتفاصيل احواله عليه السلام خبرا وعلمهم بنزاهته
عليه السلام عما نسبوه اليه بالكلية وقد استدل به على فضل جبريل على عليهما السلام للتباين البين بين وصفيهما وهو ضعيف اذ المقصود رد قول الكفرة
في حقه عليه السلام انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضائلهما والموازنة بينهما **ولقد رآه** اي وبالله لقد رأى رسول الله جبريل عليهما
السلام **بالافق المبين** بمطلع الشمس الاعلى **وما هو** اي رسول الله صلى الله عليه وسلم **على الغيب** على ما يخبره من الوحي اليه وغيره من الغيوب **بضنين**
اي ببخيل لا يبخل بالوحي ولا يقصر في التبليغ والتعليم وقرئ بظنين اي بمتهم من الظنة وهي التهمة **وما هو بقول شيطان رجيم** اي قول بعض المسترقة للسمع وهو
نفي لقولهم انه كهانة وسحر **فاين تذهبون** استضلال لهم فيما يسلكونه في امر القرآن والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لظهور انه وحي مبين وليس مما
يقولون في شيء كما تقول لمن ترك الجادة بعد ظهورها هذا الطريق الواضح فاين تذهب **ان هو الا ذكر للعالمين** موعظة وتذكير لهم وقوله تعالى **لمن شاء منكم**
بدل من العالمين باعادة الجار وقوله تعالى **ان يستقيم** مفعول شاء اي لمن شاء منكم الاستقامة بتحري الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين
لانهم المنتفعون بالتذكير **وما تشاؤون** اي الاستقامة مشيئة مستتبعة لها في وقت من الاوقات **الا ان يشاء الله** اي الا وقت ان يشاء الله تعالى تلك المشيئة
اي المستتبعة للاستقامة فان مشيئتكم لا تستتبعها بدون مشيئة الله تعالى لها **رب العالمين** مالك الخلق ومربيهم اجمعين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة التكوير اعاذه الله تعالى ان يفضحه حين تنشر صحيفته

ثم امين على الوحي وثم ظرف لما قبله وقيل لما بعده وقرئ ثم تعظيما لوصف الامانة وتفضيلا لها على سائر الاوصاف صح صح صح صح

بسم الله الرحمن الرحيم **اذا السماء انفطرت** اي انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقوله تعالى
وفتحت السماء فكانت ابوابا والكلام في ارتفاع السماء كما مر في ارتفاع الشمس **واذا الكواكب انتثرت** اي تساقطت متفرقة **واذا البحار فجرت** فتح
بعضها الى بعض فاختلط العذب بالاجاج وزال ما بينهما من البرزخ وصارت البحار بحرا واحدا وروي ان الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية
وهو معنى التسجير عند الحسن رحمه الله تعالى وقيل ان مياه البحار الآن راكدة مجتمعة فاذا فجرت تفرقت وذهبت وقرئ فجرت بالتخفيف مبنيا للمفعول ومبنيا
للفاعل ايضا بمعنى بغت من الفجور نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان **واذا القبور بعثرت** اي قلب ترابها واخرج موتاها ونظيره بحثر لفظا ومعنى وهما مركبان من البعث
والبحث مع راء ضمت اليهما وقوله تعالى **علمت نفس ما قدمت واخرت** جواب اذا لكن لا على انها تعلمه عند البعث بل عند نشر الصحف لما عرفت من ان المراد بها
زمان واحد مبدؤه النفخة الاولى ومنتهاه الفصل بين الخلائق لا ازمنة متعددة حسب تعدد كلمة اذا وانما كررت لتهويل ما في حيزها من الدواهي والكلام
كالذي مر تفصيله في نظيره ومعنى ما قدمت واخرت ما اسلف من عمل خير او شر واخر من سنة حسنة او سيئة يعمل بها بعده قاله ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وعن
ابن عباس ايضا ما قدم من معصية واخر من طاعة وهو قول قتادة وقيل ما قدم من اموال نفسه وما اخر لورثته وقيل ما قدم من فرض واخر من فرض وقيل
اول عمله وآخره ومعناه علمها بما عملها التفصيلي حسبما ذكر فيما مر **يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم** اي اي شيء خدعك وجراك على عصيانه وقد علمت
ما بين يديك من الدواهي التامة والعراقيل الطامة وما سيكون حينئذ من مشاهدة اعمالك كلها والتعرض لعنوان كرمه تعالى للايذان بانه ليس مما يصلح ان يكون مدارا
لاغتراره حسبما يغويه الشيطان ويقول له افعل ما شئت فان ربك كريم قد تفضل عليك في الدنيا وسيفعل مثله في الآخرة فانه قياس عقيم وتمنية باطلة
بل هو مما يوجب المبالغة في الاقبال على الايمان والطاعة والاجتناب عن الكفر والعصيان كانه قيل ما حملك على عصيان ربك الموصوف بالصفات الزاجرة عنه

الداعية

الداعية الى خلافه وقوله تعالى **الذي خلقك فسواك فعدلك** صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك بدءا قدر عليه
اعادة والتسوية جعل الاعضاء سوية سليمة معدة لمنافعها وعدلها عدل بعضها ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت او صرفها عن خلقة غير ملائمة
لها وقرئ فعدلك بالتشديد اي صيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه **في اي صورة ما شاء ركبك** اي ركبك في اي صورة شاءها من
الصور المختلفة وما مزيدة وشاء صفة لصورة اي ركبك في اي صورة شاءها واختارها لك من الصور العجيبة الحسنة كقوله تعالى لقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك **كلا** ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى وجعله ذريعة الى الكفر والمعاصي مع كونه موجبا للشكر والطاعة
وقوله تعالى **بل تكذبون بالدين** اضراب عن جملة مقدرة ينساق اليها الكلام كانه قيل بعد الردع بطريق الاعتراض وانتم لا ترتدعون عن ذلك بل تجترئون على اعظم
من ذلك حيث تكذبون بالجزاء والبعث اصلا او بدين الاسلام الذي هو من جملة احكامه فلا تصدقون سؤالا ولا جوابا ولا ثوابا ولا عقابا وقيل كانه
قيل انكم لا تستقيمون على ما توجبه نعمي عليكم وارشادي لكم بل تكذبون الى آخره وقال القفال ليس الامر كما يقولون من انه لا بعث ولا نشور ثم قيل انتم لا
تتبينون بهذا البيان بل تكذبون بيوم الدين وقوله تعالى **وان عليكم لحافظين** حال من فاعل تكذبون مفيدة لبطلان تكذيبهم وتحقق ما يكذبون به اي تكذبون
والحال ان عليكم من قبلنا لحافظين **كراما كاتبين** لها **يعلمون ما تفعلون** من الافعال قليلا وكثيرا ويضبطونه نقيرا وقطميرا للتجاوز وايذانا لك وفي تعظيم
الكاتبين بالثناء عليهم تفخيم لامر الجزاء وانه عند الله عز وجل من جلائل الامور حيث يستعمل فيه هؤلاء الكرام وقوله تعالى **ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم**
استئناف مسوق لبيان نتيجة الحفظ والكتاب من الثواب والعقاب وفي تنكير النعيم والجحيم من التفخيم والتهويل ما لا يخفى وقوله تعالى **يصلونها** اما صفة لجحيم او حال من الفجار
او استئناف مبني على سؤال نشا عن تهويلها كانه قيل ما حالهم فيها فقيل يقاسون حرها **يوم الدين** اي الجزاء الذي كانوا يكذبون به **وما هم عنها بغائبين**
طرفة عين فان المراد دوام نفي الغيبة لا نفي دوام الغيبة لما مر مرارا من ان الجملة الاسمية المنفية قد يراد بها استمرار النفي لا نفي الاستمرار باعتبار ما يفيده
من الدوام والثبات بعد النفي لا قبله وقيل معناه وما كانوا غائبين عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يجدون سمومها في قبورهم حسبما قال النبي صلى الله عليه
وسلم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران وقوله تعالى **ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم** تفخيم لشأن يوم الدين الذي يكذبون به
اثر تفخيم وتهويل لامره بعد تهويل ببيان انه خارج عن دائرة دراية الخلق على اي صورة تصوروه فهو فوقها وكيف ما تخيلوه فهو اطم من ذلك واعظم اي
واي شيء جعلك داريا ما يوم الدين على ان ما الاستفهامية خبر ليوم الدين لا بالعكس كما هو رأي سيبويه لما مر من ان مدار الافادة هو الخبر لا المبتدأ
ولا ريب في ان مناط افادة الهول والفخامة ههنا هو ما لا يوم الدين اي اي شيء عجيب هو في الهول والفظاعة لما مر غير مرة ان كلمة ما قد يطلب بها الوصف
وان كانت موضوعة لطلب الحقيقة وشرح الاسم يقال ما زيد فيقال في الجواب كاتب او طبيب وفي اظهار يوم الدين في موقع الاضمار تاكيد
لهوله وفخامته وقوله تعالى **يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله** بيان اجمالي لشأن يوم الدين اثر ابهامه وبيان خروجه عن علوم الخلق بطريق انجاز
الوعد فان نفي ادرائهم مشعر بالوعد الكريم بالادراء قال ابن عباس رضي الله عنهما كل ما في القرآن من قوله تعالى ما ادراك فقد ادراه اي صرح به
وكل ما فيه من قوله وما يدريك فقد طوي عنه ويوم مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لاضافته الى غير متمكن كانه قيل هو يوم لا تملك فيه
نفس من النفوس شيئا لنفس من النفوس شيئا من الاشياء الى آخره او منصوب باضمار اذكر كانه قيل بعد تفخيم امر يوم الدين وتشويقه صلى الله عليه وسلم الى معرفته
اذكر يوم لا تملك نفس الى آخره فانه يدريك ما هو وقيل باضمار يدانون وليس بذاك فانه عار عن افادة ما يفيده ما قبله كما ان ابداله من يوم الدين
على قراءة الرفع كذلك بل الحق ح الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف والله تعالى اعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفطار كتب الله تعالى له بعدد
كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة صدق رسول الله فيما قال وصدق حبيب الله فيما تكلم

وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين صح

بسم الله الرحمن الرحيم **ويل للمطففين** قيل الويل شدة الشر وقيل العذاب الاليم وقيل هو واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا
قبل ان يبلغ قعره وقيل وقيل وايا ما كان فهو مبتدأ وان كان نكرة لوقوعه في موقع الدعاء والتطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما
يبخس شيء طفيف حقير روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكان اهلها من اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل وقيل قدم
عليه السلام وبها رجل يعرف بابي جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالآخر وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم
المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم فقال خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم

عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر وقوله تعالى **الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون** الى آخره صفة كاشفة للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذي استحقوا به الذم والدعاء بالويل اي اذا اكتالوا من الناس مكيلهم بحكم الشراء ونحوه يأخذونه وافيا وافرا وتبديل كلمة من بعلى لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء او للاشارة الى ان اكتيالهم مضر بهم لكن لا على اعتبار الضرر في حيز الشرط الذي يتضمنه كلمة اذا لاخلاله بالمعنى بل في نفس الامر بموجب الجواب فان المراد بالاستيفاء ليس اخذ الحق وافيا من غير نقص بل مجرد الاخذ الوافي الوافر حسبما ارادوا باي وجه تيسر من وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس المكيل وتحريك المكيال والاحتيال في ملئه واما ما قيل من ان ذلك للدلالة على ان اكتيالهم على الناس فمع اقتضائه لعدم شمول الحكم لاكتيالهم قبل ان يكون لهم على الناس شيء بطريق الشراء ونحوه مع انه الشائع فيما بينهم يقتضي ان يكون معنى الاستيفاء اخذ ما لهم عليهم وافيا من غير نقص اذ هو المتبادر منه عند الاطلاق في معرض الحق فلا يكون مدارا للذم والدعاء عليهم وحمل ما لهم عليهم على معنى ما سيكون لهم عليهم مع كونه بعيدا جدا مما لا يجدي نفعا فان اعتبار كون المكيل لهم حالا كان او مآلا يستدعي كون الاستيفاء بالمعنى المذكور حتما وهكذا حال ما نقل عن الفراء من ان من وعلى يتعقبان في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك فتامل وقد جوز ان يكون على متعلقة بيستوفون ويكون تقديمها على الفعل لافادة الخصوصية اي يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها وانت خبير بان القصر بتقديم الجار والمجرور انما يكون فيما يمكن تعلق الفعل بغير المجرور ايضا حسب تعلقه به فيقصد بالتقديم قصره لطريق القلب او الافراد او التعيين حسبما يقتضيه المقام ولا ريب في ان الاستيفاء الذي هو عبارة عن الاخذ الوافي مما لا يتصور ان يكون على انفسهم حتى يقصد بتقديم الجار والمجرور قصره على الناس على ان الحديث واقع في الفعل لا فيما وقع عليه فتدبر والضمير البارز في قوله تعالى **واذا كالوهم او وزنوهم** للناس اي اذا كالوهم او وزنوا لهم للبيع ونحوه **يخسرون** اي ينقصون يقال خسر الميزان واخسره فحذف الجار واوصل الفعل كما في قوله ولقد جنيتك اكموا وعساقلا اي جنيت لك وجعل البارز تاكيدا للمستكن مما لا يليق بجزالة النظم الجليل ولعل ذكر الكيل والوزن في صورة الاخسار والاقتصار على الاكتيال في صورة الاستيفاء لما انهم لم يكونوا متمكنين من الاحتيال عند الاتزان تمكنهم منه عند الكيل والوزن وعدم التعرض للمكيل والموزون في الصورتين لان مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم في الاخذ والاعطاء لا في خصوصية المأخوذ والمعطى وقوله تعالى **الا يظن اولئك انهم مبعوثون** استيناف وارد لتهويل ما ارتكبوه من التطفيف والتعجيب من اجترائهم واولئك اشارة الى المطففين ووضعه موضع ضميرهم للاشعار بمناط الحكم الذي هو وصفهم فان الاشارة الى الشيء متعرضة من حيث اتصافه بوصفه واما الضمير فلا يتعرض لوصفه وللايذان بانهم ممتازون بذلك الوصف القبيح عن سائر الناس اكمل امتياز نازلون منزلة الامور المشار اليها اشارة حسية وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم في الشرارة والفساد اي الا يظن اولئك الموصوفون بذلك الوصف الشنيع الهائل **انهم مبعوثون ليوم عظيم** لا يقادر قدره وعظم ما فيه ومحاسبون فيه على مقدار الذرة والخردلة فان من يظن ذلك وان كان ظنا ضعيفا مشابها للشك والوهم لا يكاد يتجاسر على امثال هاتيك القبائح فكيف بمن يتيقنه وقوله تعالى **يوم يقوم الناس لرب العالمين** اي لحكمه وقضائه منصوب باضمار اعني وقيل بمبعوثون او مرفوع المحل خبر لمبتدأ مضمر او مجرور بدلا من يوم عظيم مبني على الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو رأي الكوفيين ويؤيده الاخيرين القراءة بالرفع وبالجر وفي هذا الانكار والتعجيب وايراد الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه كافة لله تعالى خاضعين ووصفه تعالى بربوبية العالمين من البيان البليغ لعظم الذنوب وتفاقم الاثم في التطفيف وامثاله ما لا يخفى **كلا** ردع عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب وقوله تعالى **ان كتاب الفجار لفي سجين** الى آخره تعليل للردع او وجوب الارتداد بطريق التحقيق وسجين علم للكتاب الجامع الذي هو كتاب ديوان الشر دون فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من الثقلين منقول عن وصف كحاتم واصله فعيل من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم او لانه مطروح كما قيل تحت الارض السابعة في مكان مظلم وحش وهو مسكن ابليس وذريته فالمعنى ان كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون اي ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم لفي ذلك الكتاب المدون فيه قبائح اعمالهم وقوله تعالى **وما ادراك ما سجين** تهويل لامره اي هو بحيث لا يبلغه دراية احد وقوله تعالى **كتاب مرقوم** اي مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين او محل كتاب مرقوم وقوله تعالى **ويل يومئذ للمكذبين** متصل بقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وما بينهما اعتراض وقوله تعالى **الذين يكذبون بيوم الدين** اما مجرور على انه صفة ذامة للمكذبين او بدل منه او مرفوع او منصوب على الذم **وما يكذب به الا كل معتد** اي متجاوز عن حدود النظر والاعتبار غال في التقليد حتى استقصر قدرة الله تعالى وعلمه عن الاعادة مع مشاهدته للبدء **اثيم** اي منهمك في الشهوات المخدجة الفانية بحيث شغلته عما وراها من اللذات التامة الباقية وحملته على انكارها **اذا تتلى عليه آياتنا** الناطقة بذلك **قال**

قال من فرط جهله واعراضه عن الحق الذي لا محيد عنه **اساطير الاولين** اي هي حكايات الاولين قال الكلبي المراد بالمعتدي الاثيم هو الوليد بن المغيرة وقيل النضر بن الحرث وقيل عام لكل من اتصف بالاوصاف المذكورة وقرئ اذا يتلى بتذكير الفعل وقرئ أاذا تتلى بالاستفهام الانكاري **كلا** ردع للمعتدي الاثيم عن ذلك القول الباطل وتكذيب له وقوله تعالى **بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون** بيان لما ادى بهم الى التفوه بتلك العظيمة اي ليس في آياتنا ما يصح ان يقال في شأنها مثل هذه المقالة الباطلة بل ركب قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبونه من الكفر والمعاصي حتى صار كالصدأ في المرآة فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحق كما قال صلى الله عليه وسلم ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه ولذلك قالوا ما قالوا والرين الصدأ يقال ران على الذنب وغان عليه رينا وغينا ويقال ران فيه النوم اي رسخ فيه وقرئ بادغام اللام في الراء **كلا** ردع وزجر عن الكسب الرائن **انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون** فلا يكادون يرونه بخلاف المؤمنين وقيل هو تمثيل لاهانتهم باهانة من يحجب عن الدخول على الملوك وعن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وابن ابي مليكة محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته **ثم انهم لصالوا الجحيم** اي لداخلوا النار وثم لتراخي الرتبة فان صلي الجحيم اشد من الاهانة والحرمان من الرحمة والكرامة **ثم يقال** لهم توبيخا وتقريعا من جهة الزبانية **هذا الذي كنتم به تكذبون** فذوقوا عذابه **كلا** ردع عما كانوا عليه بعد ردع وزجر اثر زجر وقوله تعالى **ان كتاب الابرار لفي عليين** استيناف مسوق لبيان محل كتاب الابرار بعد بيان سوء حال الفجار متصلا ببيان سوء حال كتابهم وفيه تاكيد للردع ووجوب الارتداع وكتابهم ما كتب من اعمالهم وعليون علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع علي على فعيل من العلو سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى اعالي الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما والكلام في قوله تعالى **وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم** كما مر في نظيره وقوله تعالى **يشهده المقربون** صفة اخرى لكتاب اي يحضرونه ويحفظونه او يشهدون بما فيه يوم القيمة **ان الابرار لفي نعيم** شروع في بيان محاسن احوالهم اثر بيان حال كتابهم على طريقة ما مر في شأن الفجار **على الارائك** اي على الاسرة في الحجال ولا يكاد يطلق الاريكة على السرير عندهم الا عند كونه في الحجلة **ينظرون** اي الى ما شاؤوا مد اعينهم اليه من رغائب مناظر الجنة والى ما اولاهم الله عز وجل من النعمة والكرامة والى اعدائهم يعذبون في النار وما تحجب الحجال ابصارهم عن الادراك **تعرف في وجوههم نضرة النعيم** اي بهجة التنعم وماءه ورونقه والخطاب لكل احد ممن له حظ من الخطاب للايذان بان ما لهم من آثار النعمة واحكام البهجة بحيث لا يختص برؤيته راء دون راء **يسقون من رحيق** شراب خالص لا غش فيه **مختوم ختامه مسك** اي مختوم اوانيه واكوابه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لكمال نفاسته وقيل ختامه مسك اي مقطعه رائحة مسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها اي ما يختم به ويقطع **وفي ذلك** اشارة الى الرحيق وهو الانسب لما بعده او الى ما ذكر من احوالهم وما فيه من معنى البعد اما للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته او لكونه في الجنة اي في ذلك خاصة دون غيره **فليتنافس المتنافسون** اي فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله تعالى وقيل فليعمل العاملون وقيل فليستبق المستبقون واصل التنافس التغالب في الشيء النفيس واصله من النفس لعزتها قال الواحدي نفست الشيء انفسه نفاسة والتنافس تفاعل منه كان كل واحد من الشخصين يريد ان يستأثر به وقال البغوي واصله من الشيء النفيس الذي يحرص عليه نفوس الناس ويريده كل احد لنفسه وينفس به على غيره اي يضن به **ومزاجه من تسنيم** عطف على ختامه صفة اخرى لرحيق مثله وما بينهما اعتراض مقرر لنفاسته اي ما يمزج به ذلك الرحيق من ماء تسنيم علم لعين بعينها سميت به اما لانها ارفع شراب في الجنة واما لانها تأتيهم من فوق روي انها تجري في الهواء متسنمة فتنصب في اوانيهم **عينا** نصب على الاختصاص وجوز ان يكون حالا من تسنيم مع كونه جامدا لاتصافه بقوله تعالى **يشرب بها المقربون** فانهم يشربونها صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة فالباء مزيدة او بمعنى من وقوله تعالى **ان الذين اجرموا** الى آخره حكاية لبعض قبائح مشركي قريش جيء بها تمهيدا لذكر بعض احوال الابرار في الجنة **كانوا** في الدنيا **من الذين آمنوا يضحكون** اي يستهزؤون بفقرائهم كعمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين وتقديم الجار والمجرور اما للقصر اشعارا بغاية شناعة ما فعلوا اي كانوا من الذين آمنوا يضحكون مع ظهور عدم استحقاقهم لذلك على منهاج قوله تعالى افي الله شك او لمراعاة الفواصل **واذا مروا** اي فقراء المؤمنين بهم اي بالمشركين وهم في انديتهم وهو الاظهر وان جاز العكس ايضا **يتغامزون** اي يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم **واذا انقلبوا** من مجالسهم **الى اهلهم انقلبوا فكهين** ملتذين بذكرهم بالسوء والسخرية منهم وفيه اشارة الى انهم كانوا لا يفعلون ذلك بمرأى من المارين بهم ويكتفون

حينئذ بالنعمة وقرئ فاكهين قيل معناه وقيل فكهين اشرين وقيل فرحين وفاكهين متفكهين وقيل ناعمين وقيل مازحين ‌
وَإِذَا رَأَوْهُمْ اينما كانوا قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ اى نسبوا المسلمين ممن رأوهم ومن غيرهم بطريق التأكيد وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ على المسلمين حَافِظِينَ
حال من واو قالوا اى قالوا ذلك والحال انهم ما ارسلوا من جهته تعالى موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم
وهذا تهكم بهم واشعار بان ما اجترؤا عليه من القول من وظائف من ارسل من جهته تعالى وقد جوز ان يكون ذلك من جملة قول المجرمين كانهم قالوا ان هؤلاء لضالون
وما ارسلوا علينا حافظين انكارا لصدهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وانما قيل عليهم نقلا له بالمعنى كما في قولك حلف ليفعلن لا بالعبارة كما في قولك حلف
لافعلن فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا اى المعهودون يوم القيامة مِنَ الْكُفَّارِ اى من المعهودين وهو الاظهر وان امكن التعميم من الجانبين يَضْحَكُونَ حين يرونهم اذلاء مغلولين
قد غشيهم فنون الهوان والصغار بعد العزة والكبر ورهقهم الوان العذاب بعد التنعم والترفه وتقديم الجار والمجرور للقصر تحقيقا للمقابلة اى فاليوم هم
من الكفار يضحكون لا الكفار منهم كما كانوا يفعلون في الدنيا وقوله تعالى عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ حال من فاعل يضحكون اى يضحكون منهم ناظرين اليهم والى
ما فيهم من سوء الحال وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم يفعل بهم ذلك مرارا ويضحك المؤمنين منهم
ويأباه قوله تعالى هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ فانه صريح في ان ضحك المؤمنين منهم جزاء لضحكهم منهم في الدنيا فلا بد من المجانسة والمشاكلة حتما والتثويب
والاثابة المجازاة وقرئ بادغام اللام في الثاء وعنه عليه السلام من قرأ سورة المطففين سقاه الله تعالى يوم القيمة من الرحيق المختوم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ اى بالغمام كما في قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن على رضى الله تعالى عنه تنشق من المجرة
وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا اى استمعت اى انقادت واذعنت لتأثير قدرته تعالى حين تعلقت ارادته بانشقاقها انقياد المأمور المطواع اذا ورد عليه امر المطاع
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليها للاشعار بعلة الحكم وهذه الجملة ونظيرتها الآتية بمنزلة قوله تعالى اتينا طائعين في الانباء عن كون ما نسب الى السماء
والارض من الانشقاق والمد وغيرهما جاريا على مقتضى الحكمة كما اشير اليه فيما سلف وَحُقَّتْ اى جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد ولكن لا بعد ان لم
يكن كذلك بل في نفسها وحد ذاتها من قولهم هو محقوق بكذا وحقيق به والمعنى انقادت لربها وهى حقيقة بذلك لكن لا على ان المدار خصوصية
ذاتها من بين سائر المقدورات بل خصوصية القدرة القاهرة الربانية التى يتأتى لها كل مقدور ولا يتخلف عنها امر من الامور فحق الجملة ان تكون اعتراضا
مقررا لما قبلها لا معطوفة عليه وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ اى بسطت بازالة جبالها وآكامها من مقارها وتسويتها بحيث صارت قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا
امتا او زيدت سعة وبسطة من مده بمعنى امده اى زاده وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا اى رمت ما في جوفها من الموتى والكنوز كقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها وَ
تَخَلَّتْ وخلت عما فيها غاية الخلو حتى لم يبق فيه شىء منه كانها تكلفت في ذلك اقصى جهدها وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا في الالقاء والتخلى وَحُقَّتْ اى وهى حقيقة بذلك
اى شأنها ذلك بالنسبة الى القدرة الربانية وتكرير كلمة اذا مع اتحاد الافعال المنسوبة الى السماء والارض وقوعا في الوقت الممتد الذى هو مدلولها قد
سبق فيما مر يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا اى جاهد ومجد الى الموت وما بعده من الاحوال التى مثلت باللقاء مبالغ في ذلك فان الكدح جهد النفس في
العمل والكد فيه بحيث يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه فَمُلَاقِيهِ اى فملاق له عقيب ذلك لا محالة من غير صارف يلويك عنه وقوله تعالى فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ
فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا الى آخره قيل جواب اذا كما في قوله تعالى فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله تعالى يا ايها الانسان
الى آخره اعتراض وقيل هو محذوف للتهويل والايذان بقصور العبارة عن بيانه او للتعويل على دلالة ما مر في سورة التكوير والانفطار عليه وقيل هو ما دل عليه
قوله تعالى يا ايها الانسان الى آخره باضمار القول سهلا لا مناقشة فيه ولا اعتراض وعن الصديقة رضى الله عنها هو ان يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنها
وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا اى عشيرته المؤمنين مبتهجا بحاله قائلا هاؤم اقرؤا كتابيه وقيل الى اهله في الجنة من الحور والغلمان وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ
اى يؤتاه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا
اى يتمنى الثبور وهو الهلاك ويدعوه يا ثبوراه تعالى فانه اوانك وذلك اذا أتى له ذلك وَيَصْلَى سَعِيرًا اى يدخلها وقرئ يصلى كقوله تعالى وتصلية جحيم
وقرئ ويصلى كما في قوله تعالى ونصله جهنم إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ اى فيما بين اهله وعشيرته في الدنيا مَسْرُورًا مترفا بطرا مستبشرا كدين الفجار الذين
لا يهمهم ولا يخطر ببالهم امور الآخرة ولا يتفكرون في العواقب ولم يكن حزينا متفكرا في حاله ومآله كسنة الصلحاء والمتقين والجملة استئناف لبيان
علة ما قبلها وقوله تعالى إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ تعليل لسروره في الدنيا اى ظن ان لن يرجع الى الله تعالى تكذيبا للمعاد وان مخففة من ان سادة مع ما في حيزها

مسد مفعولى الظن او واحد منهما على الخلاف المعروف بَلَى ايجاب لما بعد لن وقوله تعالى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا تحقيق وتعليل له اى بلى ليحورن البتة ان ربه الذى
خلقه كان به وباعماله الموجبة للجزاء بصيرا بحيث لا يخفى منها خافية فلا بد من رجعه وحسابه ومجازاته عليها حتما وقيل نزلت الآيتان في ابى سلمة بن عبد الاشد
واخيه الاسود فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ هى الحمرة التى تشاهد في افق المغرب بعد الغروب او البياض الذى عليها سمى به لرقته ومنه الشفقة التى هى عبارة عن رقة
القلب وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق اى جمعه فاجتمع وما عبارة عما يجتمع بالليل ويأوى الى مكانه من الدواب وغيرها وَالْقَمَرِ
إِذَا اتَّسَقَ اى اجتمع وتم بدرا ليلة اربع عشرة لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ اى لتلاقن حالا بعد حال كل واحدة منها مطابقة لاختها في الشدة والفظاعة
وقيل الطبق جمع طبقة وهى المرتبة وهى الانسب للركوب المنبئ عن الاعتلاء والمعنى لتركبن احوالا بعد احوال هى طبقات في الشدة بعضها ارفع من بعض وهى الموت
وما بعده من مواطن القيمة ودواهيها وقرئ لتركبن بالافراد على خطاب الانسان باعتبار اللفظ لا باعتبار شموله لافراده كالقراءة الاولى وقرئ بكسر الباء
على خطاب النفس وليركبن بالياء اى ليركبن الانسان ومحل عن طبق النصب على انه صفة لطبقا اى طبقا مجاوزا لطبق او حال من الضمير في لتركبن اى لتركبن طبقا
مجاوزين او مجاوزا او مجاوزة على حسب القراءة والفاء في قوله تعالى فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ لترتيب ما بعدها من الانكار والتعجب على ما قبلها من احوال يوم القيمة واهوالها
الموجبة للايمان والسجود اى اذا كان حالهم يوم القيمة كما ذكر فاى شىء لهم حال كونهم غير مؤمنين اى اى شىء يمنعهم من الايمان مع تعاضد موجباته وقوله تعالى
وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ جملة شرطية محلها النصب على الحالية نسقا على ما قبلها اى فاى مانع لهم حال عدم سجودهم وخضوعهم واستكانتهم عند قراءة
القرآن وقيل قرأ النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر فنزلت وبه احتج
ابو حنيفة رحمه الله على وجوب السجدة وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس في المفصل سجدة وعن ابى هريرة انه سجد فيها وعن انس رضى الله عنه صليت خلف ابى بكر
وعمر وعثمان رضى الله تعالى عنهم فسجدوا وعن الحسن رضى الله عنه هى غير واجبة بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ بالقرآن الناطق بما ذكر من احوال القيمة واهوالها
مع تحقق موجبات تصديقه ولذلك لا يخضعون عند تلاوته وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ بما يضمرون في قلوبهم ويجمعون في صدورهم من الكفر والحسد والبغى والبغضاء
او بما يجمعون في صحفهم من اعمال السوء ويدخرون لانفسهم من انواع العذاب علما فعليا فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ لان علمه تعالى بذلك على الوجه المذكور موجب
لتعذيبهم حتما إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ استثناء منقطع ان جعل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة ومتصل ان اريد به من آمن منهم بعد ذلك وقوله تعالى
لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ اى غير مقطوع او ممنون به عليهم استئناف مقرر لما افاده الاستثناء من انتفاء العذاب عنهم ومبين لكيفيته ومقارنته للثواب العظيم
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت اعاذه الله تعالى ان يعطيه كتابه وراء ظهره

بسم الله الرحمن الرحيم وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ هى البروج الاثنا عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات وتكون فيها الثوابت او
منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ اى يوم القيمة وَ
شَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ اى ومن يشهد في ذلك من الخلائق وما يحضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام في الوصف اى شاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او
للمبالغة في الكثرة وقيل الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيمة وقيل عيسى عليه السلام وامته لقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا الى آخره وقيل
امة محمد وسائر الامم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الاسود والحجيج وقيل الايام والليالى وبنو آدم وعن الحسن رحمه الله تعالى
ما من يوم الا وينادى انى يوم جديد وانى على ما يعمل فى شهيد فاغتنمنى فلو غابت شمسى لم تدركنى الى يوم القيمة وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل الانبياء ومحمد عليهم
الصلوة والسلام قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ قيل هو جواب القسم على حذف اللام منه للطول والاصل لقتل على قول من قال حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا
فما ان من حديث ولا صال وقيل تقديره وقد قتل وايا ما كان فالجملة خبرية والاظهر انها دعائية دالة على الجواب كانه قيل اقسم بهذه الاشياء انهم
اى كفار مكة ملعونون كما لعن اصحاب الاخدود ولما ان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الايمان وتصبيرهم على اذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من
تقدمهم من التعذيب على الايمان وصبرهم على ذلك حتى يأتسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا ان هؤلاء عند الله عز وجل بمنزلة اولئك المعذبين ملعونون
مثلهم احقاء بان يقال فيهم ما قد قيل فيهم وقرئ قتل بالتشديد والاخدود الخد في الارض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق روى عن النبى
انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى في طريقه ذات يوم من الايام دابة قد حبست الناس قيل
كانت تلك الدابة اسدا فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص ويشفى من الادواء

وعمي جليس للملك فابراه فابصر ما الملات فساله من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه
فقد بالمنشار وابى الغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة
فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع وتأخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني
فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد في افواه السكك واوقدت
فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وقيل قال لها قعي ولا تنافقي
ما هي الا غميضة فصبرت وقيل اخرج الغلام من قبره في خلافة عمر بن الخطاب واصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل وعن علي رضي الله عنه ان بعض ملوك المجوس
وقع على اخته وهو سكران فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج ان تخطب بالناس فتقول ان الله قد احل نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك ان الله
حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط ففعل فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف ففعل فلم يقبلوا فامر بالاخاديد وايقاد النار وطرح من
ابى فيها فهم الذين ارادهم الله تعالى بقوله قتل اصحاب الاخدود وقيل وقع الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه السلام فدعاهم فاجابوه فسار اليهم
ذو نواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثني عشر الفا في الاخاديد وقيل سبعين الفا وذكر ان طول الاخدود
اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا النار بدل اشتمال من الاخدود وذات الوقود وصف لها بغاية العظم وارتفاع اللهب وكثرة ما يوجبه من الحطب
وابدان الناس وقرئ الوقود بالضم وقوله تعالى اذ هم عليها قعود ظرف لقتل اي لعنوا حين احدقوا بالنار قاعدين حولها في مكان مشرف عليها
من حافات الاخدود وكلمة على في قوله تعالى وبات على النار الندى والمحلق وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود اي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بان احدا لم يقصر
فيما امر به او انهم شهود يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين يوم القيمة يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وقيل على بمعنى مع والمعنى وهم مع ما يفعلون
بالمؤمنين شهود من العذاب حضور لا يرقون لهم لغاية قسوة قلوبهم هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم وينطق به الروايات المشهورة وقد روي ان الجبابرة
لما القوا المؤمنين في النار وهم قعود حولها علقت بهم النار فاحرقتهم ونجى الله عز وجل المؤمنين منها سالمين والى هذا القول ذهب الربيع بن انس
والواحدي وعلى ذلك حملا قوله تعالى ولهم عذاب الحريق وما نقموا منهم اي ما انكروا منهم وما عابوا الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد
استثناء مفصح عن براءتهم عما يعاب وينكر بالكلية على منهاج قوله ولا عيب فيهم غير ان ضيوفهم تلام بنسيان الاحبة والوطن ووصفه تعالى
بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه وحميدا منعما يرجى ثوابه وتأكيد ذلك بقوله تعالى الذي له ملك السموات والارض للاشعار بمناط ايمانهم وقوله تعالى والله
على كل شيء شهيد وعد لهم ووعيد شديد لمعذبيهم فان علمه تعالى بجميع الاشياء التي من جملتها اعمال الفريقين يستدعي توفير جزاء كل منهما حتما ان الذين فتنوا
المؤمنين والمؤمنات اي محنوهم في دينهم ليرجعوا عنه والمراد بهم اما اصحاب الاخدود خاصة وبالمفتونين المطروحون في الاخدود واما الذين بلوهم
في ذلك بالاذية والتعذيب على الاطلاق وهم داخلون في جملتهم دخولا اوليا ثم لم يتوبوا اي عن كفرهم وفتنتهم فان ما ذكر من الفتنة في الدين
لا يتصور من غير الكافر قطعا وقوله تعالى فلهم عذاب جهنم جملة وقعت خبرا لان او الخبر لهم وعذاب مرتفع به على الفاعلية وهو الاحسن والفاء
لتضمن المبتدأ معنى الشرط ولا ضير في نسخه بان وان خالفه الاخفش والمعنى لهم في الاخرة عذاب جهنم بسبب كفرهم ولهم عذاب الحريق وهي نار اخرى عظيمة
بسبب فتنتهم للمؤمنين ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات على الاطلاق من المفتونين وغيرهم لهم بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح جنات تجري من
تحتها الانهار ان اريد بالجنات الاشجار فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض المشتملة عليها فالتحتية باعتبار جزئها الظاهر فان
اشجارها ساترة لساحتها كما يعرب عنه اسم الجنة وقد مر بيانه مرارا ذلك اشارة الى الجنات الموصوفة والتذكير لتأويلها بما ذكر للاشعار بان
مدار الحكم عنوانها الذي يتنافس فيه المتنافسون فان اسم الاشارة متعرض لذات المشار اليه من حيث اتصافه باوصافه المذكورة لا للذات
فقط كما هو شأن الضمير فاذا اشير الى الجنات من حيث ذكرها فقد اعتبر معها عنوانها المذكور حتما واما الى ما يفيده قوله تعالى جنات الى آخره من حيازتهم
فان حصولها لهم مستلزم لحيازتهم لها قطعا واياما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في الفضل والشرف ومحله الرفع
على الابتداء خبره ما بعده اي ذلك المذكور العظيم الشان الفوز الكبير الذي يصغر عنده الدنيا وما فيها من فنون الرغائب بحذافيرها والفوز النجاة
من الشر والظفر بالخير فعلى الاول هو مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني مصدر على حاله ان بطش ربك لشديد استئناف خوطب به النبي
صلى الله عليه وسلم ايذانا بان لكفار قومه نصيبا موفورا من مضمونه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام والبطش الاخذ

بعنف

بعنف وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة واخذه اياهم بالعذاب والانتقام كقوله تعالى وكذلك
اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد انه هو يبدئ ويعيد اي هو يبدئ الخلق وهو يعيده من غير دخل لاحد في شيء
منهما ففيه مزيد تقرير لشدة بطشه او هو يبدئ البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الآخرة وهو الغفور لمن تاب وآمن الودود المحب لمن اطاع
ذو العرش خالقه وقيل المراد بالعرش الملك اي ذو السلطنة القاهرة وقرئ ذي العرش على انه صفة لربك المجيد العظيم في ذاته وصفاته فانه
واجب الوجود تام القدرة كامل الحكمة وقرئ بالجر على انه صفة لربك او للعرش ومجده علوه وعظمته فعال لما يريد بحيث لا يتخلف عن ارادته
مراد من افعاله تعالى وافعال غيره وهو خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى هل اتاك حديث الجنود استئناف مقرر لشدة بطشه تعالى بالظلمة العصاة والكفرة
العتاة وكونه فعالا لما يريد متضمن لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاشعار بانه سيصيب قومه ما اصاب الجنود فرعون وثمود بدل من الجنود لان المراد
بفرعون هو وقومه والمراد بحديثهم ما صدر عنهم من التمادي في الكفر والضلال وما حل بهم من العذاب والنكال والمعنى قد اتاك حديثهم وعرفت
ما فعلوا وما فعل بهم فذكر قومك بشئون الله تعالى وانذرهم ان يصيبهم مثل ما اصاب امثالهم وقوله تعالى بل الذين كفروا في تكذيب اضراب عن مماثلتهم
لهم وبيان لكونهم اشد منهم في الكفر والطغيان كانه قيل ليسوا مثلهم في ذلك بل هم اشد منهم في استحقاق العذاب واستيجاب العقاب فانهم مستقرون
في تكذيب شديد للقرآن الكريم او قيل ليست جنايتهم مجرد عدم التذكر والاتعاظ بما سمعوا من حديثهم بل هم مع ذلك في تكذيب شديد للقرآن الناطق
بذلك لكن لا انهم يكذبون بوقوع الحادثة بل بكون ما نطق به قرآنا من عند الله تعالى مع وضوح امره وظهور حاله بالبينات الباهرة والله
من ورائهم محيط تمثيل لعدم نجاتهم من بأس الله تعالى بفوت المحاط المحيط وقوله تعالى بل هو قرآن مجيد رد لكفرهم وابطال لتكذيبهم و
تحقيق للحق اي ليس الامر كما قالوا بل هو كتاب شريف عالي الطبقة فيما بين الكتب الالهية في النظم والمعنى وقرئ قرآن مجيد
بالاضافة اي قرآن رب مجيد في لوح محفوظ اي من التحريف ووصول الشياطين اليه وقرئ محفوظ بالرفع على انه صفة قرآن
وقرئ في لوح وهو الهواء اي ما فوق السماء السابعة التي فيها اللوح عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج اعطاه
الله بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا عشر حسنات

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق الطارق في الاصل اسم فاعل من طرق طرقا وطروقا اذا جاء
ليلا قال الماوردي واصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة وانما سمي قاصد الليل طارقا لاحتياجه الى طرق الباب غالبا ثم اتسع
في كل ما ظهر بالليل كائنا ما كان ثم اتسع في التوسع حتى اطلق على الصور الخيالية البادية بالليل قال طرق الخيال ولا دليلة مدلج
سدكا بارحلنا ولم يتعرج والمراد ههنا الكوكب البادي بالليل اما على انه اسم جنس او كوكب معهود وقيل الطارق النجم الذي
يقال له كوكب الصبح وقوله تعالى وما ادراك ما الطارق تنويه بشانه اثر تفخيمه بالاقسام به وتنبيه على ان رفعة قدره بحيث لا ينالها
ادراك الخلق فلا بد من تلقيها من الخلاق العليم فما الاولى مبتدأ وادراك خبره والثانية خبر والطارق مبتدأ حسبما بين في نظائره
اي اي شيء اعلمك ما الطارق وقوله تعالى النجم الثاقب خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف وقع جوابا عن استفهام نشأ عما قبله كانه قيل
ما هو فقيل هو النجم المضيء في الغاية كانه يثقب الظلام او الافلاك بضوئه وينفذ فيها والمراد به اما الجنس فان لكل كوكب ضوءا ثاقبا
لا محالة واما كوكب معهود قيل هو زحل وقيل هو الثريا وقيل هو الجدي وقيل النجم الثاقب نجم في السماء السابعة لا يسكنها غيره فاذا اخذت
النجوم امكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السماء السابعة وهو زحل فهو طارق حين ينزل وحين يصعد وفي ايراده
عند الاقسام به بوصف مشترك بينه وبين غيره ثم الاشارة اليه ان ذلك الوصف غير كاشف عن كنه امره وان ذلك مما لا يبلغه
افكار الخلائق ثم تفسيره بالنجم الثاقب من تفخيم شانه واجلال محله ما لا يخفى وقوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ جواب للقسم وما بينهما
اعتراض جيء به لما ذكر من فخامة المقسم به المستتبع لتأكيد مضمون الجملة المقسم عليها وان نافية ولما بمعنى الا اي ما كل نفس الا عليها
حافظ مهيمن رقيب وهو الله عز وجل كما في قوله تعالى وكان الله على كل شيء رقيبا وقيل هو من يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير
وشر كما في قوله تعالى وان عليكم لحافظين الآية وقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة وقوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه

وقرئ لما مخففة على ان ان مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف واللام هي الفارقة وما مزيدة اي ان الشان
كل نفس لعليها حافظ والفاء في قوله تعالى **فلينظر الانسان مم خلق** للتنبيه على ان ما بين من ان كل نفس عليها حافظ يحصي عليها
كل ما يصدر عنها من قول وفعل يستوجب على الانسان ان يتفكر في مبداء فطرته حق التفكر حتى يتضح له ان من قدر على انشائه من مواد لم
تشم رائحة الحيوة قط فهو قادر على اعادته بل اقدر على قياس العقل فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ما ينفعه يومئذ ويجديه ولا يملي على
حافظه ما يرديه وقوله تعالى **خلق من ماء دافق** استيناف وقع جوابا عن استفهام مقدر كانه قيل مم خلق فقيل خلق من ماء ذي دفق
وهو صب فيه سيلان بسرعة والمراد به الممتزج من المائين في الرحم كما ينبئ عنه قوله تعالى **يخرج من بين الصلب والترائب** اي صلب الرجل
وترائب المرأة وهي عظام صدرها قالوا ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وينفصل عن جميع الاعضاء حتى يستعد لان يتولد
منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ اعظم الاعضاء معونة في توليدها ولذلك
يشبهه ويورث الافراط في الجماع الضعف فيه وله خليفة هي النخاع وهو في الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما اقرب
اوعية المني فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة هي صالب **انه** الضمير للخالق
تعالى فان قوله تعالى خلق يدل عليه اي ان ذلك الذي خلقه ابتداء مما ذكر **على رجعه** اي اعادته بعد موته **لقادر** لبين القدرة
يوم تبلى السرائر اي يتعرف ويتصفح ما اسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما اخفي من الاعمال ويميز بين ما طاب منها وما خبث وهو ظرف
لرجعه **فما له** اي للانسان **من قوة** في نفسه يمتنع بها **ولا ناصر** ينصره **والسماء ذات الرجع** اي ذات المطر سمي رجعا لما ان العرب
كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض او ارادوا بذلك التفؤل ليرجع ولذلك سموه اوبا او لان الله تعالى
يرجعه حينا فحينا **والارض ذات الصدع** هو ما يتصدع عنه الارض من النبات او مصدر من المبني للمفعول وهو تشققها بالنبات لا بالعيون كما قيل
فان وصف السماء والارض عند الاقسام بهما على حقية القرآن الناطق بالبعث بما ذكر من الوصفين للايماء الى انهما في انفسهما
من شواهده وهو السر في التعبير عنه وعن المطر بالرجع وذلك في تشقق بالنبات المحاكي للنشور حسبما ذكر في مواقع من التنزيل لا في تشققها
بالعيون **انه** اي القرآن الذي من جملته ما تلي من الآيات الناطقة بمبدأ حال الانسان ومعاده **لقول فصل** اي فاصل بين الحق والباطل
مبالغ في ذلك كانه نفس الفصل **وما هو بالهزل** ليس في شيء منه شائبة هزل بل كله جد محض لا هوادة فيه فمن حقه ان يهتدي به الغواة
وتخضع له رقاب العتاة **انهم** اي اهل مكة **يكيدون** في ابطال امره واطفاء نوره **كيدا** حسبما تبلغ به قدرتهم **واكيد كيدا** اي اقابلهم بكيد متين
لا يمكن رده حيث استدرجهم من حيث لا يعلمون **فمهل الكافرين** اي لا تشتغل بالانتقام منهم ولا تدع عليهم بالهلاك ولا تستعجل به والفاء
لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان الاخبار بتوليه تعالى لكيدهم بالذات مما يوجب امهالهم وترك التصدي لمكايدتهم قطعا وقوله تعالى **امهلهم**
بدل من مهلهم وقوله تعالى **رويدا** اما مصدر مؤكد لمعنى العامل ونعت لمصدره المحذوف اي امهلهم امهالا رويدا اي قريبا كما قاله
ابن عباس رضي الله عنهما او قليلا كما قال قتادة قال ابو عبيدة هو في الاصل تصغير رود بالضم وانشد كانها ثمل تمشي على رود اي
على مهل وقيل تصغير ارواد مصدر ارود بالترخيم وله في الاستعمال وجهان آخران كونه اسم فعل نحو رويد زيدا وكونه حالا نحو سار
القوم رويدا اي متمهلين وفي ايراد البدل بصيغة لا تحتمل التكثير وتقييده برويدا على احد الوجهين المذكورين من تسلية
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسكين قلبه ما لا يخفى عنه عليه السلام من قرأ سورة الطارق اعطاه الله تعالى بعدد كل نجم في السماء
عشر حسنات صدق رسول الله وصدق حبيب الله

بسم الله الرحمن الرحيم **سبح اسم ربك الاعلى** اي نزه اسمه عز وجل عن الالحاد فيه بالتاويلات الزائغة وعن اطلاقه
على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه وعن ذكره لا على وجه الاعظام والاجلال والاعلى اما صفة للرب وهو الاظهر او للاسم وقرئ سبحان
ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه السلام اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها
في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت **الذي خلق فسوى** صفة اخرى للرب على

الوجه الاول ومنصوب على المدح على الثاني لئلا يلزم الفصل بين الموصوف والصفة بصفة غيره اي خلق كل شيء فسوى خلقه بان
جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه وقوله تعالى **والذي قدر فهدى** اما صفة اخرى للرب كالموصول الاول او معطوف عليه وكذا الحال
ما بعده اي قدر اجناس الاشياء وانواعها وافرادها ومقاديرها وصفاتها وافعالها وآجالها **فهدى** اي فوجه كل واحد منها
الى ما يصدر عنه وينبغي له طبعا واختيارا او يسره لما خلق له بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات ولو تتبعت احوال النباتات
والحيوانات لرأيت في كل منها ما يحار فيه العقول يحكى ان الافعى اذا بلغت الف سنة عميت وقد الهمها الله تعالى ان مسح عينها بورق الرازيانج
الغض يرد اليها بصرها فربما كانت عند عروض العمى لها في برية بينها وبين الريف مسافة طويلة فتطويها حتى تهجم في بعض البساتين
على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك عينها بورقها وترجع باصرة باذن الله عز وجل ويروى ان التمساح لا يكون له دبر وانما
يخرج فضلات ما ياكله من فمه حيث قيض الله تعالى له طائرا قد رغذاءه من ذلك فاذا رآه التمساح يفتح فمه فيدخله الطائر فياكل ما فيه
وقد خلق الله له من فوق منقاره ومن تحته قرنين لئلا يطبق عليه التمساح فمه هذا واما فنون هدايته سبحانه وتعالى للانسان
من حيث الجسمية ومن حيث الحيوانية لا سيما من حيث الانسانية فمما لا يحيط به فلك العبارة والتحرير ولا يعلمه الا العليم الخبير **والذي
اخرج المرعى** اي انبت ما ترعاه الدواب غضا طريا يرف **فجعله** بعد ذلك **غثاء احوى** اي دريا اسود وقيل احوى حال من
المرعى اي اخرجه احوى من شدة الخضرة والري فجعله غثاء بعد ذلك وقوله تعالى **سنقرئك فلا تنسى** بيان لهدايته تعالى الخاصة برسول
الله صلى الله عليه وسلم اثر بيان هدايته العامة لكافة مخلوقاته وهي هدايته عليه السلام لتلقي الوحي وحفظ القرآن الذي هو هدى للعالمين
وتوفيقه عليه السلام لهداية الناس اجمعين والسين اما للتاكيد واما لان المراد اقراء ما اوحي اليك حينئذ وما سيوحى اليك بعد ذلك فهو
وعد كريم باستمرار الوحي في ضمن الوعد بالاقراء اي سنقرئك ما نوحي اليك الآن وفيما بعد على لسان جبريل عليه السلام او سنجعلك قارئا بالهام
القراءة فلا تنسى اصلا من قوة الحفظ والاتقان مع انك امي لا تدري ما الكتاب وما القراءة ليكون ذلك آية اخرى لك مع ما في تضاعيف
ما تقرؤه من الآيات البينات من حيث الاعجاز ومن حيث الاخبار بالمغيبات وقيل فلا تنسى نهي والالف لمراعاة الفاصلة كما في قوله تعالى فاضلونا
السبيلا وقوله تعالى **الا ما شاء الله** استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اي لا تنسى مما تقرؤه شيئا من الاشياء الا ما شاء الله ان تنساه ابدا بان نسخ تلاوته
والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة والايذان بدوران المشيئة على عنوان الالوهية المستتبعة لسائر الصفات وقيل المراد به النسيان في
الجملة على القلة والندرة كما روي انه صلى الله عليه وسلم اسقط آية في قراءته في الصلوة فحسب ابي انها نسخت فساله فقال عليه السلام نسيتها
وقيل نفي النسيان رأسا لا ما قد ينسى ثم يذكر **انه يعلم الجهر وما يخفى** تعليل لما قبله اي يعلم ما ظهر وما بطن من الامور التي من جملتها ما اوحي اليك فينسي
ما يشاء انساءه ويبقي محفوظا ما يشاء ابقاءه لما نيط بكل منهما من مصالح دينكم **ونيسرك لليسرى** عطف على سنقرئك كما ينبئ عنه الالتفات الى الحكاية
وما بينهما اعتراض وارد لما ذكر من التعليل وتعليق التيسير به عليه السلام مع ان الشائع تعليقه بالامور المسخرة للفاعل كما في قوله تعالى
ويسر لي امري للايذان بقوة تمكينه عليه السلام من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كانه عليه السلام جبل عليها كما في
قوله صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر لما خلق له اي نوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليسرى في كل باب من ابواب الدين علما وتعليما واهتداء
وهداية فيندرج فيه تيسير طريق تلقي الوحي والاحاطة بما فيه من احكام الشريعة السمحة والنواميس الالهية مما يتعلق بتكميل نفسه عليه السلام
وتكميل غيره كما يفصح عنه الفاء في قوله تعالى **فذكر ان نفعت الذكرى** اي فذكر الناس حسبما يسرناك له بما يوحى اليك واهدهم الى ما في تضاعيفه
من الاحكام الشرعية كما كنت تفعله لا بعد ما استتب لك الامر كما قيل وتقييد التذكير بنفع الذكرى لما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طالما
كان يذكرهم ويستفرغ فيه غاية المجهود ويتجاوز في الجد كل معهود حرصا على ايمانهم وما كان يزيد ذلك لبعضهم الا كفرا وعنادا
فامر عليه السلام بان يخص التذكير بمواد النفع في الجملة بان يكون من يذكره كلا او بعضا ممن يرجى منه التذكر ولا يتعب نفسه
في تذكير من لا يورثه التذكير الا عتوا ونفورا من المطبوع على قلوبهم كما في قوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وقوله تعالى فاعرض
عمن تولى عن ذكرنا وقيل هو ذم للمذكرين واخبار عن حالهم واستبعاد لتاثير التذكير فيهم وتسجيل عليهم بالطبع على قلوبهم كقولك
للواعظ المكاتبين ان سمعوا منك قصدا الى انه مما لا يكون والاول انسب لقوله تعالى سيذكر من يخشى اي سيتذكر بتذكيره من من شانه

ان يخشى الله تعالى حق خشيته او من يخشى الله تعالى في الجملة فيزداد ذلك بالتذكير فيتفكر في امر ما تذكر به فيقف على حقيته فيؤمن به وقيل ان بمعنى اذ كما في قوله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين اي اذ كنتم مؤمنين وقيل هي بمعنى ما اي فذكر ما نفعت الذكرى فانها لا تخلو عن نوع نفع بكل حال وقيل هناك محذوف فالتقدير ان نفعت الذكرى وان لم تنفع كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر قاله الفراء والنحاس والجرجاني والزهراوي **وَيَتَجَنَّبُهَا** اي الذكرى **الْأَشْقَى** من الكفرة لتوغله في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة **الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى** اي الطبقة السفلى من طبقات النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا لقوله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم **ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا** حتى يستريح **وَلَا يَحْيَى** حيوة تنفعه وثم للتراخي في مراتب الشدة لان التردد بين الموت والحيوة افظع من التصلي **قَدْ أَفْلَحَ** اي نجا من المكروه وظفر بما يرجو **مَنْ تَزَكَّى** اي تطهر من الكفر والمعاصي بتذكره والتعاظه بالذكرى او تكثر من التقوى والخشية من الزكاء وهو النماء وقيل تطهر للصلوة وقيل تزكى تفعل من الزكوة وكلمة قد لما ان عند الاخبار بسوء حال المتجنب عن الذكرى في الآخرة يتوقع السامع الاخبار بحسن حال المتذكر فيها وينتظره **وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ** بقلبه ولسانه **فَصَلَّى** اقام الصلوات الخمس لذكرى كقوله تعالى اقم الصلوة لذكري اي كبر تكبيرة الافتتاح فصلى وقيل تزكى اي تصدق صدقة الفطر وذكر اسم ربه اي كبره يوم العيد فصلى اي صلوته **بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا** اضراب عن مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل اثر بيان ما يؤدي الى الفلاح ولا تفعلون ذلك بل تؤثرون اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها والخطاب اما للكفرة فالمراد بايثار الحيوة الدنيا هو الرضاء والاطمئنان بها والاعراض عن الآخرة بالكلية كما في قوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها الآية او للكل فالمراد بايثارها هو اعم مما ذكر وما لا يخلو عنه الناس غالبا من ترجيح جانب الدنيا على الآخرة في السعي وترتيب المبادي والالتفات على الاول لتشديد التوبيخ وعلى الثاني كذلك في حق الكفرة ولتشديد العتاب في حق المسلمين وقرئ يؤثرون بالياء وقوله تعالى **وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى** حال من فاعل تؤثرون مؤكدة للتوبيخ والعتاب اي تؤثرونها على الآخرة والحال ان الآخرة خير في نفسها لما ان نعيمها مع كونه في غاية ما يكون من اللذة خالصة عن شائبة الغائلة ابدي لا انصرام له وعدم التعرض لبيان تكدر نعيم الدنيا بالمنغصات وانقطاعه عما قليل لغاية ظهوره **إِنَّ هَذَا** اشارة الى ما ذكر من قوله تعالى قد افلح من تزكى وقيل الى ما في السورة جميعا **لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى** اي ثابت فيها معناه **صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى** بدل من الصحف الاولى وفي ابهامها ووصفها بالقدم ثم بيانها وتفسيرها من تفخيم شأنها ما لا يخفى روي ان جميع ما انزل الله عز وجل من كتاب مائة واربعة كتب انزل على آدم عليه السلام عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلثين صحيفة وعلى ابرهيم عشر صحائف عليهم السلام والتورية والانجيل والزبور والفرقان عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله تعالى على ابرهيم وموسى ومحمد صلى الله عليه وسلم صدق رسول الله

بسم الله الرحمن الرحيم **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ** قيل هل بمعنى قد كما في قوله تعالى هل اتى على الانسان الآية قال قطرب اي قد جاءك يا محمد حديث الغاشية وليس بذاك بل هو استفهام اريد به التعجيب مما في حيزه والتشويق الى استماعه والاشعار بانه من الاحاديث البديعة التي حقها ان يتناقلها الرواة ويتنافس في تلقيها الوعاة من كل حاضر وباد والغاشية الداهية الشديدة التي تغشى الناس بشدائدها وتكتنفهم باهوالها وهي القيمة من قوله تعالى يوم يغشاهم العذاب الى آخره وقيل هي النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار وقوله تعالى ومن فوقهم غواش والاول هو الحق فانما سيرد من حديثها ليس مختصا بالنار واهلها بل ناطق باحوال الجنة ايضا وقوله تعالى **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ** الى قوله تعالى مبثوثة استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الاستفهام التشويقي كانه قيل من جهته عليه السلام ما اتاني حديثها ما هو فقيل وجوه يومئذ اي يوم اذ غشيت وليلة قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن اتاه عليه السلام حديثها فاخبره عليه السلام عنها فقال وجوه يومئذ الى آخره فوجوه مبتدا ولا بأس بتنكيرها لانها في موقع التنويع وخاشعة خبر وقوله تعالى **عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ** خبران آخران لوجوه اذ المراد بها اصحابها اي تعمل اعمالا شاقة تتعب فيها وهي جر السلاسل والاغلال والخوض في النار خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط في تلال النار ووهادها وقيل عملت في الدنيا اعمال السوء والتذت بها فهي يومئذ في نصب لها وقيل عملت ونصبت في اعمال لا تجدي عليها في الآخرة وقوله تعالى **تَصْلَى** اي تدخل **نَارًا حَامِيَةً** اي متناهية في الحر

اخر ان لوجوه وقيل هو الخبر وما قبله صفات لوجوه وقد مر غير مرة ان الصفة حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع قبل جعلها صفة له ولا ريب في ان صلي النار وما قبله من الخشوع والعمل والنصب امور متساوية في الانتساب الى الوجوه معرفة وجهالة فجعل بعضها عنوانا للموضوع قيدا مفروغا عنه غير مقصود الافادة وبعضها مناطا للافادة تحكم بحت ويجوز ان يكون هذا وما بعده من الجملتين استينافا مبينا لتفاصيل احوالها **تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ** اي متناهية في الحر كما في قوله تعالى وبين حميم آن **لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ** بيان لطعامهم اثر بيان شرابهم والضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا واذا يبس تحامته وهو سم قاتل وقيل هي شجرة نارية تشبه الضريع وقال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده ويذلون ويتضرعون الى الله تعالى طلبا للخلاص منه فسمي بذلك ولعل هذا الطعام لبعض اهل النار والزقوم والغسلين لآخرين **لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ** اي ليس من شأنه الاسمان والاشباع كما هو شأن طعام الدنيا وانما هو شيء يضطرون الى اكله من غير ان يكون لهم دفع لضرورتهم لكن لا على ان لهم استعداد الشبع والسمن الا انه لا يفيدهم شيئا بل على انه لا استعداد من جهتهم ولا افادة من جهة طعامهم وتحقيق ذلك ان جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ما هو المعهود منهما في هذه النشأة من حالة عارضة للانسان عند استدعاء الطبيعة لبدل ما يتحلل من البدن مشوقة له الى المطعوم بحيث يلتذ بهما عند الاكل والشرب ويستغني بهما عن غيرهما عند استقرارهما في المعدة ويستفيد منهما قوة وسمنا عند انهضامهما بل جوعهم عبارة عن اضطرارهم عند اضطرام النار في احشائهم الى ادخال شيء كثيف يملؤها ويخرج ما فيها من اللهب واما ان يكون لهم شوق الى مطعوم ما او التذاذ به عند الاكل واستغناء به عن الغير او استفادة قوة فهيهات وكذا عطشهم عبارة عن اضطرارهم عند اكل الضريع والتهابه في بطونهم الى شيء مائع بارد يطفئه من غير ان يكون لهم التذاذ بشربه او استفادة قوة به في الجملة وهو المعنى بما روي انه تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرهم الى اكل الضريع فاذا اكلوه يسلط عليهم العطش فيضطرهم الى شرب الحميم فيشوي وجوههم ويقطع امعاءهم وتنكير الجوع للتحقير اي لا يغني من جوع ما وتأخير نفي الاغناء عنه لمراعاة الفواصل والتوسل به الى التصريح بنفي كلا الامرين اذ لو قدم لما احتيج الى ذكر نفي الاسمان ضرورة استلزام نفي الاغناء عن الجوع اياه بخلاف العكس ولذلك كرر لا لتأكيد النفي وقوله تعالى **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ** شروع في رواية حديث اهل الجنة وتقديم حكاية حال اهل النار لانه ادخل في التهويل للغاشية وتفخيم حديثها ولان حكاية حسن حال اهل الجنة بعد حكاية سوء حال اهل النار مما يزيد المحكي حسنا وبهجة والكلام في اعراب الجملة كالذي مر في نظيرتها وانما لم يعطف عليها ايذانا بكمال تباين مضمونيهما ومعنى ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم او متنعمة **لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ** اي لعملها الذي عملته في الدنيا حيث شاهدت ثمرته **فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ** مرتفعة المحل وعلية المقدار **لَا تَسْمَعُ** اي انت او الوجوه **فِيهَا لَاغِيَةً** لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة كله اذكار وحكم وقرئ لا تسمع على البناء للمفعول بالتاء والياء ورفع لاغية **فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ** اي عيون كثيرة تجري مياهها كقوله تعالى علمت نفس **فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ** رفيعة السمك او المقدار **وَأَكْوَابٌ** جمع كوب وهو اناء لا عروة له **مَوْضُوعَةٌ** اي بين ايديهم **وَنَمَارِقُ** وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم **مَصْفُوفَةٌ** بعضها الى بعض **وَزَرَابِيُّ** اي بسط فاخرة جمع زربية **مَبْثُوثَةٌ** اي مبسوطة **أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ** استيناف مسوق لتقرير ما فصل من حديث الغاشية وما هو مبني عليه من البعث الذي هم فيه مختلفون بالاستشهاد عليه بما لا يستطيعون انكاره والهمزة للانكار والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وكلمة كيف منصوبة بما بعدها كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله معلقة لفعل النظر والجملة في حيز الجر على انها بدل اشتمال من الابل اي اينكرون ما ذكر من البعث واحكامه ويستبعدون وقوعه من قدرة الله عز وجل فلا ينظرون الى الابل التي هي نصب اعينهم ويستعملونها كل حين الى انها كيف خلقت خلقا بديعا معدولا به عن سنن خلقة سائر انواع الحيوانات في عظم جثتها وشدة قوتها وعجيب هيئاتها اللائقة بتأتي ما يصدر عنها من الافاعيل الشاقة كالنوء بالاوقار الثقيلة وجر الاثقال الفادحة الى الاقطار النازحة وفي صبرها على الجوع والعطش حتى ان اظماءها لتبلغ العشر فصاعدا واكتفائها باليسير ورعيها لكل ما يتيسر من شوك وشجر وغير ذلك مما لا يكاد يرعاه سائر البهائم وفي انقيادها مع ذلك للانسان في الحركة والسكون والبروك والنهوض حيث يستعملها في ذلك كيفما شاء ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير **وَإِلَى السَّمَاءِ** التي يشاهدونها كل لحظة بالليل والنهار **كَيْفَ رُفِعَتْ** رفعا سحيق المدى بلا عماد ولا مساك بحيث لا يناله الفهم والادراك **وَإِلَى الْجِبَالِ** التي ينزلون في اقطارها وينتفعون بمياهها واشجارها **كَيْفَ نُصِبَتْ** نصبا رصينا فهي راسخة لا تميل ولا تميد **وَإِلَى الْأَرْضِ** التي يضربون فيها ويتقلبون عليها **كَيْفَ سُطِحَتْ** سطحا بتوطية وتمهيد وتسوية وتوطيد حسبما يقتضيه صلاح امور ما عليها من الخلائق وقرئ سطحت مشددا وقرئت الافعال الاربعة على بناء الفاعل للمتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى افلا ينظرون نظر التدبر والاعتبار الى كيفية خلق هذه المخلوقات الشاهدة بحقية البعث والنشور ليرجعوا عما هم عليه من الانكار والنفور ويسمعوا

انذارك وتستعد والقائه بالايمان والطاعة والفاء في قوله تعالى **فذكر** لترتيب الامر بالتذكير على ما ينبئ عنه الانكار السابق من عدم النظر اى فاقتصر على التذكير ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا يتذكرون وقوله تعالى **انما انت مذكر** تعليل للامر وقوله تعالى **لست عليهم بمصيطر** تقرير له وتحقيق لمعنى الانذار اى لست بمتسلط عليهم تجبرهم على ما تريد كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار وقرئ بالسين على الاصل وبالاشمام وقرئ بفتح الطاء وهى لغة بنى تميم فان سيطر عندهم متعد ومنه قولهم تسيطر وقوله تعالى **الا من تولى وكفر** استثناء منقطع اى لكن من تولى منهم فان لله تعالى الولاية والقهر **فيعذبه الله العذاب الاكبر** الذى هو عذاب جهنم وقيل استثناء متصل من قوله تعالى فذكر اى فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويعضد الاول انه قرئ الا على التنبيه وقوله تعالى **ان الينا ايابهم** تعليل لتعذيبهم تعالى بالعذاب الاكبر اى ان الينا رجوعهم بالموت والبعث لا الى احد سوانا لا استقلالا ولا اشتراكا وجمع الضمير فيه وفيما بعده باعتبار معنى من كما ان افراده فيما سبق باعتبار لفظها وقرئ ايابهم على انه فيعال مصدر فيعل من الاياب او فعال من اوب كغفار من غفر قيل ايوابا كديوان في دوان ثم قلبت الواو ياء فادغمت الياء الاولى في الثانية **ثم ان علينا حسابهم** فى المحشر لا على غيرنا وثم للتراخى فى الرتبة لا فى الزمان فان الترتيب الزمانى بين ايابهم وحسابهم لا بين كون ايابهم اليه تعالى وحسابهم عليه تعالى فانهما امران مستمران وفى تصدير الجملتين بان وتقديم خبرها وعطف الثانية على الاولى بكلمة ثم المفيدة لبعد منزلة الحساب فى الشدة من الانباء عن غاية السخط الموجب لتشديد العذاب ما لا يخفى
عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا صدق رسول الله فيما قال وصدق حبيب الله

بسم الله الرحمن الرحيم **والفجر** اقسم سبحانه بالفجر كما اقسم بالصبح حيث قال والصبح اذا تنفس وقيل المراد به صلوته **وليال عشر** هى عشر ذى الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او العشر الاواخر من رمضان وتنكيرها للتفخيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام **والشفع والوتر** اى الاشياء كلها شفعها ووترها او شفع هذه الليالى ووترها وقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم فسرهما بيوم النحر ويوم عرفة ولقد كثرت فيهما الاقوال والله تعالى اعلم بحقيقة الحال وقرئ بكسر الواو وهما لغتان كالحبر والحبر وقيل الوتر بالفتح فى العدد وبالكسر فى الذحل وقرئ والوتر بفتح الواو وكسر التاء **والليل اذا يسر** اى يمضى كقوله تعالى والليل اذ ادبر والليل اذا عسعس والتقييد لما فيه من وضوح الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة او يسرى فيه من قولهم صلى المقام اى صلى فيه وحذف الياء اكتفاء بالكسر وقرئ باثباتها على الاطلاق وبحذفها فى الوقف خاصة وقرئ يسر بالتنوين كما قرئ والفجر والوتر وهو التنوين الذى يقع بدلا من حرف الاطلاق **هل فى ذلك قسم** الى آخره تحقيق وتقرير لفخامة شأن المقسم بها وكونها امورا جليلة حقيقة بالاعظام والاجلال عند ارباب العقول وتنبيه على ان الاقسام بها امر معتد به حقيق بان يؤكد به الاخبار على طريقة قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وذلك اشارة الى الامور المقسم بها والتذكير بتأويل ما ذكر كما مر تحقيقه او الى الاقسام بها واياما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته فى الشرف والفضل اى هل فيما ذكر من الاشياء قسم اى مقسم به **لذى حجر** يراه حقيقا بان يقسم به اجلالا وتعظيما والمراد تحقيق ان الكل كذلك وانما اوثرت هذه الطريقة هضما للخلق وايذانا بظهور الامر او هل فى اقسامى بتلك الاشياء اقسام لذى حجر مقبول عنده يعتد به ويفعل مثله ويؤكد المقسم عليه والحجر العقل لانه يحجر صاحبه اى يمنعه من التهافت فيما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة ايضا من الاحصاء وهو الضبط قال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن كما ينبئ عنه قوله عز وجل **الم تر كيف فعل ربك بعاد** الى آخره فانه استشهاد بعلمه عليه السلام بما يدل عليه من تعذيب عاد واضرابهم المشاركين لقومه عليه السلام فى الطغيان والفساد على طريقة قوله تعالى الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه الآية وقوله تعالى الم تر انهم فى كل واد يهيمون كأنه قيل الم تعلم علما يقينيا كيف عذب ربك عادا ونظائرهم فسيعذب هؤلاء ايضا لاشتراكهم فيما يوجبه من الكفر والمعاصى والمراد بعاد اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام قوم هود عليه السلام سموا باسم ابيهم كما سمى بنو هاشم هاشما وقد قيل لاوائلهم عاد الاولى ولاواخرهم عاد الاخيرة قال عماد الدين بن كثير كل ما ورد فى القرآن خبر عاد الاولى الا ما فى سورة الاحقاف وقوله تعالى **ارم** عطف بيان لعاد للايذان بانهم

عاد الاولى بتقدير مضاف اى سبط ارم واهل ارم على ما قيل من ان ارم اسم بلدتهم او ارضهم التى كانوا فيها ويؤيده القراءة بالاضافة واياما كان فامتناع صرفها للتعريف والتأنيث وقرئ باسكان الراء تخفيفا كما قرئ بورقكم **ذات العماد** صفة لارم اى ذات القدود الطوال على تشبيه قاماتهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل عمد وعمدان اذا كان طويلا او ذات الخيام والاعمدة حيث كانوا بدويين اهل عمد او ذات البناء الرفيع او ذات الاساطين على ان ارم اسم بلدتهم وقرئ ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات العماد والارم العلم اى بعاد اهل اعلام ذات العماد على انها اسم بلدتهم وقرئ ارم ذات العماد اى جعلها الله تعالى رميما بدلا من فعل ربك وقيل هى جملة دعائية اعترضت بين الموصوف والصفة وروى انه كان لعاد ابنان شديد وشداد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابنى مثلها فبنى ارم فى بعض صحارى عدن فى ثلثمائة سنة وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثمة وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هى ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت الى ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل **التى لم يخلق مثلها فى البلاد** صفة اخرى لارم اى لم يخلق مثلهم فى عظم الاجرام والقوة حيث كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع وكان يأتى الصخرة العظيمة فيحملها ويلقيها على اهل الحى فيهلكهم او لم يخلق مثل مدينة شداد فى جميع بلاد الدنيا وقرئ لم يخلق على اسناده الى الله تعالى **وثمود** عطف على عاد وهى قبيلة مشهورة سميت باسم جدهم ثمود اخى جديس وهما ابنا عابر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وكانوا عربا من العاربة يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك وكانوا يعبدون الاصنام كعاد **الذين جابوا الصخر بالواد** اى قطعوا صخر الجبال فاتخذوا فيها بيوتا نحتوها من الصخر كقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا قيل هم اول من نحت الجبال والصخور والرخام وقد بنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة **وفرعون ذى الاوتاد** وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامهم التى يضربونها فى منازلهم او لتعذيبه بالاوتاد **الذين طغوا فى البلاد** اما مجرور على انه صفة للمذكورين او منصوب او مرفوع على الذم اى طغى كل طائفة منهم فى بلادهم وكذا الكلام فى قوله تعالى **فاكثروا فيها الفساد** اى بالكفر وسائر المعاصى **فصب عليهم** اى انزل انزالا شديدا على كل طائفة من اولئك الطوائف عقيب ما فعلت من الطغيان والفساد **ربك سوط عذاب** اى عذابا شديدا لا يدرك غايته وهو عبارة عما حل بكل منهم من فنون العذاب التى شرحت فى سائر السور الكريمة وتسميته سوطا للاشارة الى ان ذلك بالنسبة الى ما اعد لهم فى الآخرة بمنزلة السوط عند السيف والتعبير عن انزاله بالصب للايذان بكثرته واستمراره وتتابعه فانه عبارة عن اراقة شئ مائع او جار مجراه فى السيلان كالرمل والحبوب وافراغه بشدة وكثرة واستمرار ونسبته الى السوط مع انه ليس من ذلك القبيل باعتبار تشبيهه فى نزوله المتتابع المتدارك على المضروب بقطرات الشئ المصبوب وقيل السوط خلط الشئ بعضه ببعض فالمعنى ما خلط لهم من انواع العذاب وقد فسر بالتصبيب وبالشدة ايضا لان السوط يطلق على كل منهما لغة فلا حاجة حينئذ فى تشبيهه بالمصبوب الى اعتبار تكرر تعلقه بالمعذب كما فى المعنى الاول فان كل واحد من هذه المعانى مما يقبل الاستمرار فى نفسه وقوله تعالى **ان ربك لبالمرصاد** تعليل لما قبله وايذان بان كفار قومه صلى الله عليه وسلم سيصيبهم مثل ما اصاب المذكورين من العذاب كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام وقيل هو جواب القسم وما بينهما اعتراض والمرصاد المكان الذى يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا تمثيل لارصاده تعالى بالعصاة وانهم لا يفوتونه وقوله تعالى **فاما الانسان** الى آخره متصل بما قبله كانه قيل انه تعالى بصدد مراقبة احوال عباده ومجازاتهم باعمالهم خيرا وشرا فاما الانسان فلا يهمه ذلك وانما مطمح انظاره ومرصد افكاره الدنيا ولذائذها **اذا ما ابتلاه ربه** اى عامله معاملة من يبتليه بالغنى واليسار والفاء فى قوله تعالى **فاكرمه ونعمه** تفسيرية فان الاكرام والتنعيم عين الابتلاء **فيقول ربى اكرمن** اى فضلنى بما اعطانى من المال والجاه حسبما كنت استحقه ولا يخطر بباله انه فضل عليه ليبلوه ايشكر ام يكفر وهو خبر للمبتدأ الذى هو الانسان والفاء لما فى اما من معنى الشرط والظرف المتوسط على

على نية التأخير كأنه قيل فاما الانسان فيقول ربي اكرمن وقت ابتلائه بالانعام وانما تقدمه للايذان من اول الامر بان الاكرام والتنعيم بطريق الابتلاء ليتضح اختلال قوله المحكي **واما اذا ما ابتلاه** اي واما هو اذا ما ابتلاه **ربه فقدر عليه رزقه** حسبما يقتضيه مشيته المبنية على الحكم البالغة **فيقول ربي اهانن** ولا يخطر بباله ان ذلك ليبلوه ايصبر ام يجزع مع انه ليس من الاهانة في شيء بل التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضي الى خسرانهما وقرئ فقدر بالتشديد وقرئ اكرمني واهانني باثبات الياء واكرمن واهانن بسكون النون في الوقف **كلا** ردع للانسان من مقالته المحكية وتكذيب له فيها في كلتا الحالتين قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم ابتله بالغنى لكرامته علي ولم ابتله بالفقر لهوانه علي بل ذلك لمحض القضاء والقدر وحمل الردع والتكذيب الى قوله الاخير بعيد وقوله تعالى **بل لا تكرمون اليتيم** انتقال من بيان سوء اقواله الى بيان سوء افعاله والالتفات الى الخطاب للايذان باقتضاء ملاحظة جنايته السابقة لمشافهته بالتوبيخ تشديدا للتقريع وتأكيدا للتشنيع والجمع باعتبار معنى الانسان اذ المراد هو الجنس اي بل لكم احوال اشد شرا مما ذكر وادل على تهالككم على المال حيث يكرمكم الله تعالى بكثرة المال فلا تؤدون ما يلزمكم فيه من اكرام اليتيم بالمبرة به وقرئ لا يكرمون **ولا تحاضون** بحذف احدى التائين من تتحاضون اي لا يحض بعضكم بعضا **على طعام المسكين** اي على اطعامه وقرئ تحاضون من المحاضة وقرئ يحضون بالتاء والياء **وتأكلون التراث** اي الميراث واصله وراث **اكلا لما** اي ذا لم اي جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم او يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك **وتحبون المال حبا جما** كثيرا مع حرص وشره وقرئ ويحبون بالياء **كلا** ردع لهم عن ذلك وقوله تعالى **اذا دكت الارض دكا دكا** الى آخره استئناف جيء بطريق الوعيد تعليلا للردع اي اذا دكت الارض دكا متتابعا حتى انكسر وذهب كل ما على وجهها من جبال وابنية وقصور حين زلزلت وصارت هباء منبثا وقيل الدك حط المرتفع بالبسط والتسوية فالمعنى اذا سويت تسوية بعد تسوية ولم يبق على وجهها شيء حتى صارت كالصخرة الملساء واياما كان فهو عبارة عما عرض لها عند النفخة الثانية **وجاء ربك** اي ظهر آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من احكام هيبته وسياسته وقيل جاء امره تعالى وقضاؤه على حذف المضاف للتهويل **والملك صفا صفا** اي مصطفين او ذوي صفوف فانه ينزل يومئذ ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف بحسب منازلهم ومراتبهم محدقين بالانس والجن **وجيء يومئذ بجهنم** كقوله تعالى وبرزت الجحيم قال ابن مسعود ومقاتل تقاد جهنم بسبعين الف زمام كل زمام معه سبعون الف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش لها تغيظ وزفير وقد رواه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود مرفوعا ويومئذ بدل من اذا دكت والعامل فيهما قوله تعالى يتذكر الانسان اي يتذكر ما فرط فيه بتفاصيله بمشاهدة آثاره واحكامه او بمعاينة عينه على ان الاعمال تتجسم في النشأة فيبرز كل من الحسنات والسيئات بما يناسبها من الصور الحسنة والقبيحة او يتعظ وقوله تعالى **وانى له الذكرى** اعتراض جيء به لتحقيق انه ليس بتذكر حقيقة لعراءه عن الجدوى لعدم وقوعه في اوانه وانى خبر مقدم والذكرى مبتدأ وله متعلق بما تعلق به الخبر اي ومن اين يكون له الذكرى وقد فات اوانها وقيل هناك مضاف محذوف اي وانى له منفعة الذكرى والاستدلال به على عدم وجوب التوبة في دار التكليف مما لا وجه له على ان يتذكر ليس من التوبة في شيء فانه عالم بانها انما تكون في الدنيا كما يعرب عنه قوله تعالى **يقول يا ليتني قدمت لحياتي** وهو بدل اشتمال من يتذكر او استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ منه كأنه قيل ماذا يقول عند تذكره فقيل يقول يا ليتني عملت لاجل حياتي هذه او وقت حياتي في الدنيا اعمالا صالحة انتفع بها اليوم وليس في هذا التمني شائبة دلالة على استقلال العبد بفعله وانما الذي يدل عليه ذلك اعتقاد كونه متمكنا من تقديم الاعمال الصالحة واما ان ذلك بمحض قدرته او بخلق الله تعالى عند صرف قدرته الكاسبة اليه فكلا واما ما قيل من ان المحجور قد يتمنى ان كان ممكنا منه فربما يوهم ان من صرف قدرته الى احد طرفي الفعل يعتقد انه محجور من الطرف الآخر وليس كذلك بل كل احد جازم بانه لو صرف قدرته الى اي طرف كان من افعاله الاختيارية يحصل وعلى هذا يدور فلك التكليف والزام الحجة **فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد** الهاء لله تعالى اي لا يتولى عذاب الله تعالى ووثاقه احد سواه اذ الامر كله له او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرئ الفعلان على البناء للمفعول والضمير للانسان ايضا وقيل المراد به ابي بن خلف اي لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لتناهيه

مصطفين نسخ

في الكفر والعناد وقيل لا يحمل عذاب الانسان احد كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وقوله تعالى **يا ايتها النفس المطمئنة** حكاية لما يقال من اطمأن بذكر الله وطاعته اثر حكاية احوال من اطمأن بالدنيا ووصفت بالاطمئنان لانها ترقت في معارج الاسباب والمسببات الى المبدأ المؤثر بالذات فتستقر دون معرفته وتستغني به في وجودها وسائر شؤونها من غيرها بالكلية وقيل هي النفس المؤمنة المطمئنة الى الحق الواصلة الى ثلج اليقين بحيث لا يخالجها شك ما وقيل هي الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن ويؤيده انه قرئ يا ايتها النفس الآمنة المطمئنة اي يقول الله تعالى ذلك بالذات كما كلم موسى عليه السلام او على لسان الملك عند تمام الحساب وهو الاظهر وقيل عند البعث وقيل عند الموت **ارجعي الى ربك** اي الى موعده او الى امره **راضية** بما اوتيت من النعيم المقيم **مرضية** عند الله عز وجل **فادخلي في عبادي** اي في زمرة عبادي الصالحين المختصين بي **وادخلي جنتي** معهم اي انتظمي في سلك المقربين واستضيئي بانوارهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة وقيل المراد بالنفس الروح والمعنى فادخلي اجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي وهذا يؤيد كون الخطاب عند البعث وقرئ فادخلي في عبدي وقرئ في جسد عبدي وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل في خبيب بن عدي رضي الله عنهما والظاهر العموم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيمة صدق رسول الله وصدق حبيب الله

بسم الله الرحمن الرحيم **لا اقسم بهذا البلد** اقسم سبحانه بالبلد الحرام وما عطف عليه على ان الانسان خلق مغمورا بمقاساة الشدائد ومعاناة المشاق واعترض بين القسم وجوابه بقوله تعالى **وانت حل بهذا البلد** اما لتشريفه صلى الله عليه وسلم بجعل حلوله عليه السلام به مناطا لاعظامه بالاقسام به او للتنبيه من اول الامر على تحقق مضمون الجواب بذكر بعض مواد المكابدة على نهج براعة الاستهلال وبيان انه عليه السلام مع جلالة قدره وعظم حرمته قد استحلوه في هذا البلد الحرام وتعرضوا له بما لا خير فيه وهموا بما لم ينالوا عن شرحبيل يحرمون ان يقتلوا بها صيدا ويعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك او لتسليته عليه السلام بالوعد بفتحه على معنى وانت حل به في المستقبل كما في قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وقد كان كذلك حيث احل له عليه السلام مكة وفتحها عليه وما فتحت على احد قبله ولا احلت له فاحل عليه السلام فيها ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابي سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولم تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لعيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال عليه السلام الا الاذخر **ووالد** عطف على هذا البلد والمراد به ابرهيم وبقوله تعالى **وما ولد** اسمعيل والنبي صلوات الله تعالى وسلامه عليهم اجمعين حسبما ينبئ عنه المعطوف عليه فانه حرم ابرهيم ومنشأ اسمعيل ومسقط رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم والتعبير عنهما بما دون من للتفخيم والتنكير والد وابرهيم بعنوان الولادة ترشيح لمضمون الجواب وايماء الى انه متحقق في حالتي الوالدية والولدية وقيل آدم عليه السلام ونسله وهو انسب بمضمون الجواب من حيث شموله للكل لان التفخيم المستفاد من كلمة ما لا بد فيه من اعتبار التغليب وقيل كل والد وولد **لقد خلقنا الانسان في كبد** اي تعب ومشقة فانه لا يزال يقاسي فنون الشدائد من وقت نفخ الروح الى حين نزعها وما وراءه يقال كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده واصله كبده اذا اصاب كبده ثم اتسع فيه حتى استعمل في كل نصب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته اذا اهلكه وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يكابده من كفار قريش والضمير في قوله تعالى **ايحسب** لبعضهم الذي كان عليه السلام يكابد منهم ما يكابد كالوليد بن المغيرة واضرابه وقيل هو ابو الاشد بن كلدة الجمحي وكان شديد القوة مغترا بقوته وكان يبسط له الاديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من ازالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة فينقطع قطعا ولا تزل قدماه اي ايظن هذا القوي المارد المتضعف للمؤمنين **ان لن يقدر عليه احد** ان مخففة من ان

واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف اى ايحسب انه لن يقدر على الانتقام منه احد يقول اهلكت مالا لبدا يريد كثرة ما انفقه
فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالى ومفاخر ايحسب ان لم يره احد حين كان ينفق وانه تعالى لا يسائله
ولا يجازيه عليه الم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل
والشرب وغيرها وهديناه النجدين اى طريقى الخير والشر والثديين واصل النجد المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة اى فلم يشكر
تلك النعمة الجليلة بالاعمال الصالحة وعبر عنها بالعقبة التى هى الطريق فى الجبل لصعوبة سلوكها وقوله تعالى وما ادراك ما العقبة
اى اى شيء اعلمك ما اقتحام العقبة لزيادة تقريرها وكونها عند الله تعالى بمكانة رفيعة فك رقبة هو اعتاق رقبة او اطعام
فى يوم ذى مسغبة اى مجاعة يتيما ذا مقربة اى قرابة او مسكينا ذا متربة اى افتقار وحيث كان المراد باقتحام العقبة هذه
الامور حسن دخول لا على الماضى فانها لا تكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم يتيما او مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة
مفعلات من سغب اذا جاع وقرب من النسب وترب اذا افتقر وقرئ فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم ثم كان من الذين آمنوا عطف
على المنفى بلا وثم للدلالة على تراخى رتبة الايمان ورفعة محله لاشتراط جميع الصالحة به وتواصوا بالصبر عطف على آمنوا اى اوصى
بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وتواصوا بالمرحمة بالرحمة على عباده او بموجبات رحمته تعالى من الخيرات اولئك اشارة الى الموصول
باعتبار اتصافه بما فى حيز صلته وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للايذان ببعد درجتهم فى الشرف والفضل اى اولئك الموصوفون
بالنعوت الجليلة المذكورة اصحاب الميمنة اى اليمين او اليمن والذين كفروا بآياتنا بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة
او القرآن هم اصحاب المشأمة اى الشمال او الشؤم عليهم نار مؤصدة مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته واغلقته وقرئ موصدة
بغير همزة من اوصدته عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله الامان من غضبه يوم القيمة

بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحيها اى ضوئها اذا اشرقت وقام سلطانها وقيل اذا تلا طلوعه
الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف اذا جليها اى جلى الشمس فانها
تنجلى عند انبساط النهار فكانه جلاها مع انها التى تبسطه او جلى الظلمة او الدنيا او الارض وان لم يجر لها ذكر للعلم بها والليل
اذا يغشيها اى الشمس فيغطى ضوءها او الآفاق او الارض وحيث كانت الواوات العاطفة نوائب للواو الاولى القسمية القائمة مقام
الفعل والباء سادة مسدهما معا فى قولك اقسم بالله حقق ان يعمل عمل الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا
وبكر خالدا والسماء وما بنيها اى ومن بناها وايثار ما على من لارادة الوصفية تفخيما كانه قيل والقادر العظيم الشأن الذى بناها
وجعلها مصدرية مخل بالنظم الكريم وكذا الكلام فى قوله تعالى والارض وما طحيها اى بسطها من كل جانب كدحاها ونفس وما سويها
اى انشاها وابدعها مستعدة لكمالاتها والتنكير للتفخيم على ان المراد نفس آدم عليه السلام او للتكثير وهو الانسب للجواب فالهمها
فجورها وتقويها اى افهمها اياهما وعرفها حالهما من الحسن والقبح وما يؤدى اليه كل منهما ومكنها من اختيار ايهما شاءت وتقديم الفجور
لمراعاة الفواصل قد افلح من زكيها اى فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من انماها واعلاها بالتقوى وهو جواب القسم وحذف اللام
لطول الكلام وتكرير قد فى قوله تعالى وقد خاب من دسيها لابراز الاعتناء بتحقيق مضمونه والايذان بتعلق القسم به ايضا اصالة اى خسر
من نقصها واخفاها بالفجور واصل دسى دسس كتقضى وتقضض وقيل هو كلام تابع لقوله تعالى فالهمها فجورها وتقويها بطريق الاستطراد
وانما الجواب ما حذف تعويلا على دلالة قوله تعالى كذبت ثمود بطغويها عليه كانه قيل ليدمدمن الله تعالى على كفار مكة لتكذيبهم رسوله
صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا عليه السلام وهو على الاول استئناف وارد لتقرير مضمون قوله تعالى وقد خاب من
دسيها والطغوى بالفتح الطغيان والباء للسببية اى فعلت التكذيب بسبب طغيانها كما تقول ظلمنى بجرأته على الله تعالى او صلة للتكذيب
اى كذبت بما اوعدت به من العذاب ذى الطغوى كقوله تعالى فاهلكوا بالطاغية وقرئ بطغويها بضم الطاء وهو ايضا كالرجعى اذ

اذ انبعث اشقيها منصوب بكذبت او بالطغوى اى حين قام اشقى ثمود وهو قدار بن سالف او هو ومن تصدى معه
لعقر الناقة من الاشقياء فان افعل التفضيل اذا اضيف يصلح للواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وفضل شقاوتهم على
من عداهم لمباشرتهم العقر مع اشتراك الكل فى الرضى به فقال لهم اى لثمود رسول الله اى صالح عليه السلام عبر عنه بعنوان الرسالة
ايذانا بوجوب طاعته وبيانا لغاية عتوهم وتماديهم فى الطغيان وهو السر فى اضافة الناقة اليه تعالى فى قوله تعالى ناقة الله
اى ذروا ناقة الله وسقيها ولا تذودوها عنها فى نوبتها فكذبوه فى وعيده بقوله تعالى ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم
وقد جوز ان يكون ضمير لهم للاشقين ولا يلائمه ذكر سقياها فعقروها اى الاشقى والجمع على تقدير وحدته لرضى الكل بفعله
وقال قتادة بلغنا انه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وانثاهم وقال الفراء عقرها اثنان والعرب تقول
هذان افضل الناس فدمدم عليهم ربهم فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا ألبسها الشحم
بذنبهم بسبب ذنبهم المحكى والتصريح بذلك مع دلالة الفاء عليه للانذار بعاقبة ليعتبر به كل مذنب فسويها اى الدمدمة
بينهم لم يفلت منهم احد من صغير وكبير او فسوى ثمود بالارض وسواها بالاهلاك ولا يخاف عقبيها اى عاقبتها وتبعتها
كما يخاف سائر المعاقبين من الملوك فيبقى بعض الابقاء وذلك انه تعالى لا يفعل فعلا الا بحق وكل من فعل بحق فانه لا يخاف عاقبة فعله
وان كان من شأنه الخوف والواو للحال او للاستئناف وقرئ فلا يخاف وقرئ فلم يخف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الشمس فكانما تصدق بكل ما طلعت عليه الشمس والقمر

بسم الله الرحمن الرحيم والليل اذا يغشى اى حين يغشى الشمس كقوله تعالى والليل اذا يغشاها او النهار او كل ما يواريه
بظلامه والنهار اذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين وتكشف بطلوع الشمس وما خلق الذكر اى والقادر العظيم القدرة الذى خلق
صنفى الذكر والانثى من كل ما له توالد وقيل هما آدم وحواء وقرئ والذكر والانثى وقرئ والذى خلق الذكر والانثى وقيل ما مصدرية
ان سعيكم لشتى جواب القسم وشتى جمع شتيت اى ان مساعيكم لاشتات مختلفة وقوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى
الى آخره تفصيل لتلك المساعى المشتتة وتبيين لاحكامها اى فاما من اعطى حقوق ماله واتقى محارم الله تعالى التى نهى عنها وصدق
بالخصلة الحسنى وهى الايمان او بالكلمة الحسنى وهى كلمة التوحيد او بالملة الحسنى وهى ملة الاسلام او بالمثوبة الحسنى وهى الجنة فسنيسره لليسرى
فسنهيئه للخصلة التى تؤدى الى يسر وراحة كدخول الجنة ومباديه من يسر الفرس للركوب اذا اسرجها والجمها واما من بخل اى بماله
فلم يبذله فى سبيل الخير واستغنى اى زهد فيما عنده تعالى كانه مستغن عنه فلم يتقه او استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الاخرة وكذب
بالحسنى اى بما ذكر من المعانى المتلازمة فسنيسره للعسرى اى للخصلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار ومقدماته
لاختياره لها ولعل تصدير القسمين بالاعطاء والبخل مع ان كلا منهما ادنى رتبة مما بعدهما فى استتباع التيسير لليسرى والتيسير للعسرى
للايذان بان كلا منهما اصيل فيما ذكر لا تتمة لما بعدهما من التصديق والتقوى والتكذيب والاستغناء وتفسير الاول بالاعطاء والاتقاء
والثانى بالبخل والامر بها مع كونه خلاف الظاهر يأباه قوله تعالى وما يغنى عنه ماله اى ولا يغنى او اى شئ يغنى عنه الذى يبخل به
اذا تردى اى هلك تفعل من الردى الذى هو الهلاك او تردى فى الحفرة اذا قبر او تردى فى قعر جهنم ان علينا للهدى
استئناف مقرر لما قبله اى ان علينا بموجب قضائنا المبنى على الحكم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة ان نبين لهم طريق الهدى
وما يؤدى اليه من طريق الضلال وما يؤدى اليه وقد فعلنا ذلك بما لا مزيد عليه حيث بينا حال من سلك كلا الطريقين ترغيبا
وترهيبا ومن ههنا تبين ان الهداية هى الدلالة على ما يوصل الى البغية لا الدلالة الموصلة اليها قطعا وان لنا للآخرة والاولى
اى التصرف الكلى فيهما كيف ما نشاء فنفعل فيهما ما نشاء من الافعال التى من جملتها ما وعدنا من التيسير لليسرى والتيسير للعسرى وقيل
ان لنا كل ما فى الدنيا والآخرة فلا يضرنا ترككم الاهتداء بهدانا فانذرتكم نارا تلظى بحذف احدى التاءين من تتلظى اى
تتلهب وقرئ على الاصل لا يصليها صليا لازما الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق لا يصلاها صليا لازما وقد صرح به قوله تعالى

الذي كذب وتولى اي كذب وتولى واعرض عن الطاعة وسيجنبها اي سيبعد عنها الاتقى المبالغ في اتقاء الكفر والمعاصي فلا يحوم حولها فضلاً عن دخولها او صليها الابدي واما من دونه ممن يتقي الكفر دون المعاصي فلا يبعد عنها هذا التبعيد وذلك لا يستلزم صليها بالمعنى المذكور فلا يقدح في الحصر السابق الذي يؤتي ماله يعطيه ويصرفه في وجوه البر والحسنات وقوله تعالى يتزكى اما بدل من يؤتي داخل في حكم الصلة لا محل له او في حيز النصب على انه حال من ضمير يؤتي اي يطلب ان يكون عند الله تعالى زاكياً نامياً لا يريد به رياء ولا سمعة وما لاحد عنده من نعمة تجزى استيناف مقرر لكون ايتائه للتزكي خالصاً لوجه الله اي ليس لاحد عنده نعمة من شانها ان تجزى وتكافأ فيقصد بايتاء ما يؤتي مجازاتها وقوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى استثناء منقطع من نعمة وقرئ بالرفع على البدل من محل من نعمة فانه الرفع اما على الفاعلية او على الابتداء ومن مزيدة ويجوز ان يكون مفعولاً له لان المعنى لا يؤتي ماله الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة والآيات نزلت في حق ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين اشترى بلالاً في جماعة كان يؤذيهم المشركون فاعتقهم ولذلك قالوا المراد بالاشقى ابو جهل او امية بن ابي خلف وقد روى عطاء والضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما انه عذب المشركون بلالاً وبلال يقول احد احد فمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال احد يعني الله تعالى ينجيك ثم قال لابي بكر رضي الله عنه ان بلالاً يعذب في الله فعرف مراده صلى الله عليه وسلم فانصرف الى منزله فاخذ رطلاً ومضى به الى امية بن خلف فقال له اتبيعني بلالاً قال نعم فاشتراه فاعتقه فقال المشركون ما اعتقه ابو بكر الا ليد كانت له عنده فنزلت وقوله تعالى ولسوف يرضى جواب قسم مضمر اي وبالله لسوف يرضى وهو وعد كريم بنيل جميع ما يبتغيه على اكمل الوجوه واجملها اذ به يتحقق الرضاء وقرئ يرضى مبنياً للمفعول من الارضاء عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة والليل اعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

بسم الله الرحمن الرحيم والضحى هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار قالوا تخصيصه بالاقسام به لانها الساعة التي كلم فيها موسى عليه السلام والقي فيها السحرة سجداً لقوله تعالى وان يحشر الناس ضحى وقيل اريد به النهار كما في قوله تعالى ان ياتيهم باسنا ضحى في مقابلة بياتاً والليل اي جنس الليل اذا سجى اي سكن اهله او ركد ظلامه من سجى البحر سجواً اذا سكنت امواجه ونقل عن قتادة ومقاتل وجعفر الصادق ان المراد بالضحى هو الضحى الذي كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام وبالليل ليلة المعراج وقوله تعالى ما ودعك ربك جواب القسم اي ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف اي ما تركك وما قلى اي وما ابغضك وحذف المفعول اما للاستغناء عنه بذكره من قبل او للقصد الى نفي صدور الفعل عنه تعالى بالكلية مع ان فيه مراعاة للفواصل روي ان الوحي تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياماً لتركه الاستثناء كما مر في سورة الكهف او لزجره سائلاً ملحاً فقال المشركون ان محمداً ودعه ربه وقلاه فنزلت رداً عليهم وتبشيراً له عليه السلام بالكرامة الحاصلة والمترقبة كما يشعر به ايراد اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام وحيث تضمنها ما سبق من نفي التوديع والقلى انه تعالى يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا بشر عليه السلام بان ما سيؤتيه في الآخرة اجل واعظم من ذلك فقيل وللآخرة خير لك من الاولى لما انها باقية صافية عن الشوائب على الاطلاق وهذه فانية مشوبة بالمضار وما اوتي عليه السلام من شرف النبوة وان كان مما لا يعادله شرف ولا يدانيه فضل لكنه لا يخلو في الدنيا من بعض العوارض القادحة في تمشية الاحكام مع انه عند ما اعد له عليه السلام في الآخرة من السبق والتقدم على كافة الانبياء والرسل يوم الجمع يوم يقوم الناس لرب العالمين وكون امته شهداء على سائر الامم ورفع درجات المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية التي لا تحيط بها العبارة بمنزلة بعض المبادي بالنسبة الى المطالب وقيل المراد بالآخرة عاقبة امره عليه السلام اي لنهاية امرك خير من بدايته لا يزال تتزايد قوته ويتصاعد رفعته وقوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى عدة كريمة شاملة لما اعطاه الله تعالى في الدنيا من كمال النفس وعلوم الاولين والآخرين وظهور الامر وعلو الدين بالفتوح الواقعة في عصره عليه السلام وفي ايام خلفائه الراشدين وغيرهم من الملوك الاسلامية وفشو الدعوة والاسلام في مشارق الارض ومغاربها ولما ادخر له من الكرامات التي لا يعلمها الا الله عز وجل وقد انبأ ابن عباس عن شمة منها حيث قال له عليه السلام في الجنة الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابها المسك واللام للابتداء دخلت الخبر لتأكيد مضمون الجملة والمبتدأ محذوف

تقديره

تقديره ولانت سوف يعطيك الى آخره لا للقسم لانها لا تدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان الاعطاء كائن لا محالة وان تراخى لحكمة وقيل هي للقسم وقاعدة التلازم بينها وبين نون التأكيد قد استثنى النحاة منها صورتين احديهما ان يفصل بينها وبين الفعل بحرف التنفيس كهذه الآية وكقوله والله لسوف اعطيك والثانية ان يفصل بينهما بمعمول الفعل كقوله تعالى لالى الله تحشرون وقد قال ابو علي الفارسي ليست هذه اللام هي التي في قولك ان زيداً لقائم بل هي التي في قولك لاقومن ونابت سوف عن احدى نوني التاكيد فكانه قيل وليعطينك وكذلك في قوله وللآخرة وقوله تعالى الم يجدك يتيما فآوى تعديد لما افاض عليه عليه السلام من اوائل امره الى ذلك الوقت من فنون النعماء العظام ليستشهد بالحاضر الموجود على المترقب الموعود فيطمئن قلبه وينشرح صدره والهمزة لانكار النفي وتقرير المنفي على ابلغ وجه واكده كانه قيل قد وجدك الى آخره والوجود بمعنى العلم ويتيماً مفعوله الثاني وقيل بمعنى المصادفة ويتيماً حال من مفعوله روي ان اباه مات وهو جنين قد اتت عليه ستة اشهر وماتت امه وهو ابن ثماني سنين فكفله عمه ابو طالب وعطفه الله تعالى عليه فاحسن تربيته وذلك ايواؤه وقرئ فاوى وهو اما من اواه بمعنى آواه او من اوى له اذا رحمه وقوله تعالى ووجدك ضالا عطف على ما يقتضيه الانكار السابق كما اشير اليه او على المضارع المنفي بلم داخل في حكمه كانه قيل اما وجدك يتيماً فآوى ووجدك غافلاً عن الشرائع التي لا تهتدي اليها العقول كما في قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فرده ابو جهل الى عبد المطلب وقيل ضل مرة اخرى فطلبوه فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعاً وتضرع الى الله تعالى فسمعوا منادياً ينادي من السماء يا معشر الناس لا تضجوا فان لمحمد رباً لا يخذله ولا يضيعه وان محمداً بوادي تهامة عند شجر السمر فسار عبد المطلب وورقة بن نوفل فاذا النبي صلى الله عليه وسلم قائم تحت شجرة يلعب بالاغصان والاوراق وقيل اضلته مرضعته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به ابو طالب يروى ان ابليس اخذ بزمام ناقته في ليلة ظلماء فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ جبريل نفخة وقع منها الى ارض الهند ورده الى القافلة فهدى فهداك الى مناهج الشرائع المنطوية في تضاعيف ما اوحى اليك من الكتاب المبين وعلمك ما لم تكن تعلم او ازال ضلالك عن جدك وعمك ووجدك عائلا اي فقيراً وقرئ عيلاً وقرئ عديماً فاغنى فاغناك بمال خديجة او بما حصل لك من ربح التجارة او بما افاء عليك من الغنائم قال عليه السلام جعل رزقي تحت ظل رمحي وقيل قنعك واغنى قلبك فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على ماله وقال مجاهد لا تحتقر وقرئ فلا تكهر اي فلا تعبس في وجهه واما السائل فلا تنهر فلا تزجر ولا تغلظ له القول بل رده رداً جميلاً قال ابرهيم بن ادهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابرهيم النخعي السائل يريد الآخرة يجيء الى باب احدكم فيقول اتبعثون الى اهليكم بشيء وقيل المراد بالسائل ههنا الذي يسأل عن الدين واما بنعمة ربك فحدث بشكرها واشاعتها واظهار آثارها واحكامها اريد بها ما افاضه الله تعالى عليه صلى الله عليه وسلم من فنون النعم التي من جملتها النعم المعدودة منها والموعودة والمعنى انك كنت يتيماً وضالاً وعائلاً فآواك الله تعالى وهداك واغناك فمهما يكن من شيء فلا تنس حقوق نعمة الله تعالى عليك في هذه الثلاث واقتد بالله تعالى واحسن كما احسن الله اليك فتعطف على اليتيم فآوه وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك وحدث بنعمة الله كلها وحيث كان معظمها نعمة النبوة فقد اندرج تحت الامر هدايته عليه السلام للضلال وتعليمه للشرائع والاحكام حسبما هداه الله عز وجل وعلمه من الكتاب والحكمة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والضحى جعله الله تعالى فيمن يرضى لمحمد صلى الله عليه وسلم ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل سائل ويتيم

بسم الله الرحمن الرحيم الم نشرح لك صدرك لما كان الصدر محلاً لاحوال النفس ومخزناً لسرائرها من العلوم والادراكات والملكات والارادات وغيرها عبر بشرحه عن توسيع دائرة تصرفاتها بتأييدها بالقوة القدسية وتحليتها بالكمالات الانسية اي الم نفسحه حتى حوى عالمي الغيب والشهادة وجمع بين ملكتي الاستفادة والافادة فما صدك الملابسة بالعلائق الجسمانية عن اقتباس انوار الملكات الروحانية وما عاقك التعلق بمصالح الخلق عن الاستغراق في شئون الحق وقيل اريد به ما روي ان جبريل اتى رسول الله في صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه ايماناً وعلماً ولعله تمثيل لما ذكر او نموذج جسماني لما سيظهر عليه السلام من الكمال الروحاني والتعبير عن ثبوت الشرح بالاستفهام الانكاري عن انتفائه للايذان بان ثبوته من الظهور بحيث لا يقدر احد على ان يجيب عنه بغير بلى وزيادة الجار والمجرور مع توسيطه بين الفعل ومفعوله للايذان من اول الامر بان الشرح من منافعه عليه السلام ومصالحه مسارعة الى ادخال المسرة في قلبه عليه السلام

وتشويقاً له الى ما يعقبه ليتمكن عنده وقت وروده فضل تمكن وقوله تعالى **ووضعنا عنك وزرك** عطف على ما اشير اليه
من مدلول الجملة السابقة كأنه قيل قد شرحنا صدرك ووضعنا والا عنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح مع ان حقه
التأخر عنه لما مر من القصد الى تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر ولما ان في وصفه نوع طول فتأخير الجار والمجرور عنه مخل بتجاوب
اطراف النظم الكريم اي حططنا عنك عبأك الثقيل **الذي انقض ظهرك** اي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك
كما يسمع من الرجل المتداعي الى الانتقاض من ثقل الحمل مثل به حاله عليه السلام مما كان يثقل عليه ويغمه من فرطاته قبل النبوة او من عدم احاطته
بتفاصيل الاحكام والشرائع او من تهالكه على اسلام المعاندين من قومه وتلهفه ووضعه عنه مغفرته وتعليم الشرائع وتمهيد عذره بعد ان بلغ
وبالغ وقرئ وحططنا وحللنا مكان وضعنا وقرئ وحللنا عنك وقرك ورفعنا لك ذكرك بعنوان النبوة واحكامها اي رفع حيث
قرن اسمه باسم الله تعالى في كلمة الشهادة والاذان والاقامة وجعل طاعته طاعته تعالى وصلى عليه هو وملائكته وامر المؤمنين بالصلوة عليه وسمي رسول
الله ونبي الله والكلام في العطف وزيادة لك كالذي سلف وقوله تعالى **فان مع العسر يسرا** تقرير لما قبله ووعد كريم بتيسير كل عسير له عليه السلام
وللمؤمنين كأنه قيل خولناك ما خولناك من جلائل النعم فكن على ثقة بفضل الله تعالى ولطفه فان مع العسر يسراً كثيراً وفي كلمة مع اشعار بغاية سرعة
مجئ اليسر كأنه مقارن للعسر **ان مع العسر يسرا** تكرير للتأكيد او عدة مستأنفة بان العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك ان للصائم
فرحتين اي فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين فان المعرف اذا اعيد يكون الثاني عين الاول
سواء كان معهوداً او جنساً واما المنكر فيحتمل ان يكون يراد بالثاني فرد مغاير لما اريد بالاول **فاذا فرغت** اي من التبليغ او من الغزو **فانصب**
فاجتهد في العبادة واتعب شكراً لما اوليناك من النعم السالفة ووعدناك من الآلاء الآنفة وقيل فاذا فرغت من صلوتك فاجتهد في الدعاء
وقيل اذا فرغت من دنياك فانصب في صلوتك **والى ربك** وحده **فارغب** بالسؤال ولا تسأل غيره فان القادر على اسعافك لا غيره
وقرئ فرغّب اي فرغّب الناس الى طلب ما عنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الم نشرح لك فكأنما جائني وانا مغتم ففرج عني

فرحتان

بسم الله الرحمن الرحيم **والتين والزيتون** هما هذا التين وهذا الزيتون خصهما الله سبحانه من بين الثمار بالاقسام بهما لاختصاصهما
بخواص جليلة فان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في
المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح سدد الكبد والطحال وروي ابو ذر انه اهدي للنبي صلى الله عليه وسلم سل من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت
ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذا لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع النقرس وعن علي بن موسى الرضا التين
يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو امان من الفالج واما الزيتون فهو فاكهة وادام ودواء ولو لم يكن سوى اختصاصه بدهن كثير المنافع
مع حصوله في بقاع لا دهنية فيها لكفى به فضلاً وشجرته هي الشجرة المباركة المشهود لها في التنزيل ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فاخذ منها
قضيباً واستاك به وقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول
هو سواكي وسواك الانبياء قبلي وقيل هما جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون وقيل
التين جبال ما بين حلوان وهمدان والزيتون جبال الشام لانهما منابتهما كأنه قيل ومنابت التين والزيتون وقال قتادة التين الجبل الذي
عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس وقال عكرمة وابن زيد التين دمشق والزيتون بيت المقدس وهو اختيار الطبري وقال
محمد بن كعب التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا وعن ابن عباس التين مسجد نوح عليه السلام الذي بناه على الجودي والزيتون
مسجد بيت المقدس وقال الضحاك التين المسجد الحرام والزيتون الاقصى والصحيح هو الاول قال ابن عباس هو تينكم الذي تأكلون وزيتونكم
الذي تعصرون منه الزيت وبه قال مجاهد وعكرمة وابراهيم النخعي وعطاء وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي وطور سينين هو الجبل الذي
ناجى عليه موسى ربه وسينين وسينا علمان للموضع الذي هو فيه ولذلك اضيف اليهما وسينون كبيرون في جواز الاعراب بالواو والياء
والاقرار على الياء وتحريك النون بالحركات الاعرابية **وهذا البلد الامين** اي الآمن من امن الرجل امانة فهو امين وهو مكة

شرفها الله تعالى وامانتها انها تحفظ من دخلها كما تحفظ الامين ما يؤتمن ويجوز ان يكون فعيلاً بمعنى مفعول من امنه لانه مأمون
الغوائل كما وصف بالامن في قوله تعالى حرماً آمناً بمعنى ذي امن ووجه الاقسام بهاتيك البقاع المباركة المشحونة ببركات الدنيا
والدين غني عن الشرح والتبيين **لقد خلقنا الانسان** اي جنس الانسان **في احسن تقويم** اي كائناً في احسن ما يكون من التقويم و
التعديل صورة ومعنى حيث براه تعالى مستوي القامة متناسب الاعضاء متصفاً بالحيوة والعلم والقدرة والارادة والتكلم و
السمع والبصر وغير ذلك من الصفات التي هي انموذج من الصفات السبحانية وآثار لها وقد عبر بعض العلماء عن ذلك بقوله خلق آدم
على صورته وفي رواية على صورة الرحمن وبنى عليه تحقيق معنى قوله من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال ان النفس الانسانية مجردة ليست حالة
في البدن ولا خارجة عنه متعلقة به تعلق التدبير والتصرف تستعمله كيف ما شاءت فاذا ارادت فعلاً من الافاعيل الجسمانية تلقيه الى ما في
القلب من الروح الحيواني الذي هو اعدل الارواح واصفاها واقربها منها واقواها مناسبة الى عالم المجردات القاء روحانياً وهو
يلقيه بواسطة ما في الشرايين من الارواح الى الدماغ الذي هو منبت الاعصاب التي فيها القوى المحركة للانسان فعند ذلك تحرك
من الاعضاء ما يليق بذلك الفعل من مباديه البعيدة والقريبة فيصدر عنه ذلك بهذه الطريقة فمن عرف نفسه على هذه الكيفية من صفاتها
وافعالها تسنى له ان يترقى الى معارج معرفة رب العزة عز سلطانه ويطلع على انه سبحانه منزه عن كونه داخلاً في العالم او خارجاً عنه
يفعل فيه ما يشاء ويحكم ما يريد بواسطة ما رتبه فيه من الملائكة الذين يستدل على شؤنهم بما ذكر من الارواح والقوى المرتبة في العالم
الانساني الذي هو نسخة للعالم الاكبر وانموذج منه وقوله تعالى **ثم رددناه اسفل سافلين** اي جعلناه من اهل النار الذين هم
اقبح من كل قبيح واسفل من كل سافل لعدم جريانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التي لو عمل بمقتضاها لكان في اعلى عليين
وقيل رددناه الى ارذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق واياً ما كان فاسفل سافلين
اما حال من المفعول اي رددناه حال كونه اسفل سافلين او صفة لمكان محذوف اي رددناه مكاناً اسفل سافلين والاول اظهر وقرئ
اسفل السافلين وقوله تعالى **الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** على الاول استثناء متصل من ضمير رددناه فانه في معنى الجمع وعلى الثاني
منقطع اي لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى **فلهم اجر غير ممنون** غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله تعالى بالشيخوخة والهرم وعلى
مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم او غير ممنون به عليهم وهذه الجملة على الاول مقررة لما يفيده الاستثناء من خروج
المؤمنين من حكم الرد ومبينة لكيفية حالهم والخطاب في قوله تعالى **فما يكذبك بعد بالدين** للرسول عليه السلام اي فاي شئ يكذبك دلالة
او نطقاً بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة به وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على طريقة الالتفات لتشديد التوبيخ والتبكيت اي
فما يجعلك كاذباً بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل والمعنى ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشراً سوياً وتحويله من حال الى حال كمالاً
ونقصاناً من اوضح الدلائل على قدرة الله عز وجل على البعث والجزاء فاي شئ يضطرك بعد هذا الدليل القاطع الى ان تكون كاذباً بسبب
تكذيبه ايها الانسان **اليس الله باحكم الحاكمين** اي اليس الذي فعل ما ذكر باحكم الحاكمين صنعاً وتدبيراً حتى يتوهم عدم الاعادة والجزاء
فالجملة تقرير لما قبلها وقيل الحكم بمعنى القضاء فهي وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما يستحقونه من العذاب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان
اذا قرأها يقول بلى وانا على ذلك من الشاهدين وعنه عليه السلام من قرأ سورة والتين اعطاه الله تعالى الخصلتين العافية واليقين
ما دام في الدنيا واذا مات اعطاه الله تعالى من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة صدق رسول الله وصدق حبيب الله

بسم الله الرحمن الرحيم قيل هي اول سورة نزلت والاكثرون على ان الفاتحة اول ما نزل **اقرأ** اي ما يوحى اليك
فان الامر بالقراءة يقتضي المقروء قطعاً وحيث لم يعين وجب ان يكون ذلك ما يتصل بالامر حتماً سواء كانت السورة اول ما نزل
اولا والاقرب ان هذا الى قوله تعالى ما لم يعلم اول ما نزل عليه عليه السلام كما ينطق به حديث الزهري المشهور وقوله تعالى **باسم ربك**
متعلق بمضمر هو حال من ضمير الفاعل اي اقرأ متلبساً باسمه تعالى اي مبتدئاً به ليتحقق مقارنته لجميع اجزاء المقروء والتعرض لعنوان

الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال اللائق شيئاً فشيئاً مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للاشعار بتبليغه عليه السلام
الى الغاية القاصية من الكمالات البشرية بانزال الوحي المتواتر ووصف الرب بقوله تعالى **الذي خلق** لتذكير اول النعماء الفائضة
عليه منه تعالى والتنبيه على ان من قدر على خلق الانسان على ما هو عليه من الحيوة وما يتبعها من الكمالات العلمية والعملية من مادة لم تشم
رائحة الحيوة فضلاً عن سائر الكمالات قادر على تعليم القراءة للحي العالم المتكلم اى الذي انشأ الخلق واستأثر به او خلق كل شيء وقوله تعالى
خلق الانسان على الاول تخصيص لخلق الانسان بالذكر من بين خلق سائر المخلوقات لاستقلاله ببدائع الصنع والتدبير وعلى الثاني افراد للانسان
من بين سائر المخلوقات بالبيان وتفخيم لشأنه اذ هو اشرفهم واليه التنزيل وهو المأمور بالقراءة ويجوز ان يراد بالفعل الاول ايضاً خلق الانسان
ويقصد بتجريده عن المفعول الابهام ثم التفسير والتفخيم لفطرته وقوله تعالى **من علق** اى دم جامد لبيان كمال قدرته تعالى باظهار ما
بين حالته الاولى والآخرة من التباين البين وايراده بلفظ الجمع بناء على ان الانسان في معنى الجمع لمراعاة الفواصل ولعله هو السر في تخصيصه
بالذكر من بين سائر اطوار الفطرة الانسانية مع كون النطفة والتراب ادل منه على كمال القدرة لكونهما ابعد منه بالنسبة الى الانسانية
ولما كان خلق الانسان اول النعم الفائضة عليه منه تعالى واقدم الدلائل الدالة على وجوده عز وجل وكمال قدرته وعلمه وحكمته ووصف
ذاته تعالى بذلك اولاً ليستشهد عليه السلام به على تمكينه تعالى له من القراءة ثم كرر الامر بقوله تعالى **اقرأ** اى افعل ما امرت به تأكيداً للايجاب
وتمهيداً لما يعقبه من قوله تعالى **وربك الاكرم** الى آخره فانه كلام مستأنف وارد لازاحة ما ابداه عليه السلام من العذر بقوله عليه السلام
ما انا بقارئ يريد ان القراءة شأن من يكتب ويقرأ وانا امي فقيل له وربك الذي امرك بالقراءة مبتدياً باسمه هو الاكرم **الذي علم بالقلم**
اى علم ما علم بواسطة القلم لا غيره فكما علم القارئ بواسطة الكتابة والقلم يعلمك بدونهما وقوله تعالى **علم الانسان ما لم يعلم**
بدل اشتمال من علم بالقلم اى علمه به وبدونه من الامور الكلية والجزئية والجلية والخفية ما لم يخطر بباله وفي حذف المفعول اولاً وايراده
بعنوان عدم المعلومية ثانياً من الدلالة على كمال قدرته تعالى وكمال كرمه والاشعار بانه تعالى يعلمه من العلوم ما لا تحيط به العقول ما لا يخفى
كلا ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى عليه بطغيانه وان لم يسبق ذكره للمبالغة في الزجر وقوله تعالى **ان الانسان ليطغى** اى يجاوز الحد ويستكبر
على ربه بيان للمردوع والمردوع عنه قيل هذا الى آخر السورة نزل في ابي جهل بعد زمان وهو الظاهر وقوله تعالى **ان رآه استغنى** مفعول له
اى يطغى لان يرى نفسه مستغنياً على ان استغنى مفعول ثان لرأى لانه بمعنى علم ولذلك ساغ كون فاعله ومفعوله ضميري واحد كما في
علمتني وقد جوزه بعضهم في الرؤية البصرية ايضاً وجعل من ذلك قول عائشة رضي الله عنها لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما لنا طعام الا الاسودان وتعليل طغيانه برؤيته لا بنفس الاستغناء كما ينبئ عنه قوله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض
للايذان بان مدار طغيانه زعمه الفاسد روي ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة
فضة وذهباً لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل عليه السلام فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم
ما فعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم وقوله تعالى **ان الى ربك الرجعى** تهديد للطاغي وتحذير له
من عاقبة الطغيان والالتفات للتشديد في التهديد والرجعى مصدر بمعنى الرجوع كالبشرى وتقديم الجار والمجرور عليه للقصر اى ان الى
مالك امرك رجوع الكل بالموت والبعث لا الى غيره استقلالاً او اشتراكاً فسترى حينئذ عاقبة طغيانك وقوله تعالى **ارأيت الذي**
ينهى عبداً اذا صلى تقبيح وتشنيع لحاله وتعجيب منها وايذان بانها من الشناعة والغرابة بحيث يجب ان يراها كل من يتأتى منه الرؤية
ويقضي منها العجب روي ان ابا جهل قال في ملأ من طغاة قريش لئن رأيت محمداً يصلي لأطأن عنقه فرآه عليه السلام في الصلوة فجاءه ثم
نكص على عقبيه فقالوا ما لك قال ان بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره لتفخيمه عليه السلام واستعظام
النهي وتأكيد التعجيب منه والرؤية ههنا بصرية واما في قوله تعالى **ارأيت ان كان على الهدى او امر بالتقوى** وما في قوله تعالى **ارأيت**
ان كذب وتولى فقلبية معناه اخبرني فان الرؤية لما كانت سبباً للاخبار عن المرئي اجري الاستفهام عنها مجرى الاستخبار عن متعلقها
والخطاب لكل من صلح للخطاب ونظم الامر والتكذيب والتولي في سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه ليس باعتبار نفس الافعال المذكورة
ومن حيث صدورها عن الفاعل فان ذلك ليس في حيز التردد اصلاً بل باعتبار اوصافها التي هي كونها امراً بالتقوى وتكذيباً وتولياً كما في

قوله تعالى قل ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به كما مر والمفعول الاول لارأيت محذوف وهو ضمير يعود الى الموصول واسم اشارة
يشار به اليه ومفعوله الثاني سد مسده الجملة الشرطية بجوابها المحذوف فان المفعول الثاني لارأيت لا يكون الا جملة استفهامية
او قسمية والمعنى اخبرني ذلك الناهي ان كان على الهدى فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى او آمراً بالتقوى فيما يأمر به من عبادة
الاوثان كما يعتقده او مكذباً للحق معرضاً عن الصواب كما نقول نحن **الم يعلم بان الله يرى** اى يطلع على احواله فيجازيه بها
حتى اجترأ على ما فعل وانما اورد التكذيب والتولي بشرطية مستقلة مقرونة بالجواب مصدرة باستخبار مستأنف ولم ينظمهما في سلك الشرط
الاول بعطفهما على كان للايذان باستقلالهما بالوقوع في نفس الامر واستتباع الوعيد الذي ينطق به الجواب واما القسم الاول فامر
مستحيل قد ذكر في حيز الشرط لتوسيع الدائرة وهو امر شائع في تجريد الشرطية الاولى عن الجواب والاحالة به على جواب الثانية هذا وقد
قيل ارأيت الاول بمعنى اخبرني مفعوله الاول الموصول ومفعوله الثاني الشرطية الاولى بجوابها المحذوف لدلالة جواب الشرطية الثانية
عليه وارأيت في الموضعين تكرير للتأكيد ومعناه اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله تعالى عن صلوته ان كان ذلك الناهي على طريقة سديدة
فيما ينهى عن عبادة الله تعالى او كان آمراً بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده وكذلك ان كان على التكذيب
للحق والتولي عن الدين الصحيح كما نقول نحن الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك فتأمل
وقيل المعنى ارأيت الذي ينهى عبداً اذا صلى والمنهي على الهدى آمر بالتقوى والناهي مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل الخطاب
الثاني للكافر فانه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر اخرى وكأنه قال يا كافر اخبرني ان كان صلوته هدى
ودعاؤه الى الله تعالى آمراً بالتقوى اتنهاه وقيل هو امية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلوة **كلا** ردع للناهي اللعين وخسوء
له واللام في قوله تعالى **لئن لم ينته** موطئة للقسم اى والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر **لنسفعاً بالناصية** لنأخذن بناصيته
ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بعنف وشدة وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرئ لاسفعن وكتبته في المصحف
بالالف على حكم الوقف والاكتفاء بلام العهد عن الاضافة لظهور ان المراد ناصية المذكور **ناصية كاذبة خاطئة** بدل من الناصية
وانما جاز ابدالها من المعرفة وهي نكرة لوصفها وقرئت بالرفع على هي ناصية وبالنصب وكلاهما على الذم والشتم ووصفها بالكذب والخطاء على
الاسناد المجازي وهما لصاحبها وفيه من الجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ **فليدع ناديه** اى اهل ناديه ليعينوه هو المجلس الذي ينتدي
فيه القوم اى يجتمعون روي ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتهددني وانا اكثر اهل الوادي نادياً فنزلت **سندع الزبانية**
ليجروه الى النار والزبانية الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبني وكأنه نسب الى الزبن ثم غير كإمسي واصلها زباني
فقيل زبانية بتعويض التاء عن الياء والمراد ملائكة العذاب عن النبي صلى الله عليه وسلم لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عياناً **كلا** ردع
بعد ردع وزجر اثر زجر **لا تطعه** اى دم على ما انت عليه من معاصاته **واسجد** وواظب على سجودك وصلوتك غير مكترث به **واقترب**
وتقرب بذلك الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق اعطي
من الاجر كأنما قرأ المفصل كله

بسم الله الرحمن الرحيم **انا انزلناه في ليلة القدر** تنويه بشأن القرآن الكريم واجلال لمحله باضماره المؤذن بغاية نباهته
المغنية عن التصريح به كأنه حاضر في جميع الاذهان وباسناد انزاله الى نون العظمة المنبئ عن كمال العناية به وتفخيم وقت انزاله بقوله تعالى
وما ادراك ما ليلة القدر لما فيه من الدلالة على ان علو قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يدريها ولا يدري بها الا علام الغيوب
كما يشعر به قوله تعالى **ليلة القدر خير من الف شهر** فانه بيان اجمالي لشأنها اثر تشويقه عليه السلام الى درايتها فان ذلك معرب
عن الوعد بادراكها وقد مر بيان كيفية اعراب الجملتين وفي اظهار ليلة القدر في الموضعين من تأكيد التفخيم ما لا يخفى والمراد بانزاله فيها
اما انزال كله الى السماء الدنيا كما روي انه انزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه جبريل
عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبي عليه السلام نجوماً في ثلث وعشرين سنة واما ابتداء انزاله فيها كما نقل عن الشعبي وقيل

وقيل المعنى انزلناه في شأن ليلة القدر وفضلها كما في قول عمر رضي الله تعالى عنه خشيت ان ينزل فيّ قرآن وقول عائشة
رضي الله عنها لانا احقر في نفسي من ان ينزل فيّ قرآن فالانسب ان يجعل الضمير حينئذ للسورة التي هي جزء من القرآن واختلفوا في
وقتها فالاكثرون على انها في شهر رمضان في العشر الاواخر في اوتارها واكثر الاقوال انها السابعة منها ولعل السر في اخفائها تعريض
من يريدها للثواب الكثير باحياء الليالي الكثيرة لموافقتها وتسميتها بذلك اما لتقدير الامور وقضائها فيها لقوله فيها يفرق كل امر حكيم او
لخطرها وشرفها على سائر الليالي وتخصيص الالف بالذكر اما للتكثير او لما روي انه صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل
لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون منه وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل ان
الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى الف شهر فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين من اولئك العباد
وقيل اري النبي صلى الله عليه وسلم اعمار الامم كافة فاستقصر اعمار امته فخاف ان لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر
فاعطاه الله تعالى ليلة القدر وجعلها خيرا من الف شهر لسائر الامم وقيل كان ملك سليمان خمسمائة شهر وملك ذي القرنين خمسمائة شهر
فجعل الله العمل في تلك الليلة لمن ادركها خيرا من ملكهما وقوله تعالى تنزل الملائكة والروح فيها استئناف مبين لمناط فضلها على تلك
المدة المتطاولة وقد سبق في سورة النبأ ما قيل في شأن الروح على التفصيل وقيل هم خلق من الملائكة لا يراهم الملائكة الا تلك الليلة
اي تنزل الملائكة والروح في تلك الليلة من كل سماء الى الارض او الى السماء الدنيا باذن ربهم متعلق بتنزل او بمحذوف هو حال من
فاعله اي ملتبسين باذن ربهم اي بامره من كل امر اي من اجل كل امر قضاه الله عز وجل لتلك السنة الى قابل كقوله تعالى فيها يفرق كل امر
حكيم وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان قيل لا يلقون فيها مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه سلام هي اي ما هي الا سلامة
اي لا يقدر الله تعالى فيها الا السلامة والخير واما في غيرها فيقضي سلامة وبلاء او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين حتى
مطلع الفجر اي وقت طلوعه وقرئ بالكسر على انه مصدر كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق وحتى متعلقة بتنزل على انها غاية
لحكم التنزل اي لمكثهم في محل تنزلهم او لنفس تنزلهم بان لا ينقطع تنزلهم فوجا بعد فوج الى طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام بناء على
الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدأ مغتفر في الجار عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيى
ليلة القدر صدق رسول الله وصدق حبيب الله فيما قال

بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اي اليهود والنصارى وايرادهم بذلك العنوان
للاشعار بعلة ما نسب اليهم من الوعد باتباع الحق فان مناط ذلك وجدانهم له في كتابهم وايراد الصلة فعلا لما ان كفرهم حادث بعد انبيائهم
والمشركين اي عبدة الاصنام وقرئ والمشركون عطفا على الموصول منفكين اي عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والايمان
بالرسول المبعوث في آخر الزمان والعزم على انجازه وهذا الوعد من اهل الكتاب مما لا ريب فيه حتى انهم كانوا يستفتحون ويقولون اللهم
افتح علينا وانصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه
قتل عاد وارم واما من المشركين فلعله قد وقع من متأخريهم بعد ما شاع ذلك من اهل الكتاب واعتقدوا صحته بما شاهدوا من نعوتهم
على اسلافهم كما يشهد به انهم كانوا يسألونهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل هو المذكور في كتابهم وكانوا يغرونهم بتغيير نعوته عليه السلام
وانفكاك الشيء عن الشيء ان يزايله بعد التحامه كالعظم اذا انفك عن مفصله وفيه اشارة الى كمال وكادة وعدهم اي لم يكونوا مفارقين
للوعد المذكور بل كانوا مجمعين عليه عازمين على انجازه حتى تأتيهم البينة التي كانوا قد جعلوا اتيانها ميقاتا لاجتماع الكلمة
والاتفاق على الحق فجعلوه ميقاتا للانفكاك والافتراق واخلاف الوعد والتعبير عن اتيانها بصيغة المضارع باعتبار حال المحكي
لا باعتبار حال الحكاية كما في قوله تعالى واتبعوا ما تتلو الشياطين اي تلت وقوله تعالى رسول بدل من البينة عبر عنه عليه السلام
بالبينة للايذان بغاية ظهور امره وكونه ذلك الموعود في الكتابين وقوله تعالى من الله متعلق بمضمر هو صفة لرسول مؤكدة لما
افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي رسول واي رسول كائن منه تعالى وقوله تعالى يتلو صفة اخرى له او حال من الضمير

في متعلق الجار صحفا مطهرة اي منزهة من الباطل لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه ومن ان يمسه غير المطهرين ونسبة تلاوتها
اليه عليه السلام من حيث ان تلاوة ما فيها بمنزلة تلاوتها وقوله تعالى فيها كتب قيمة صفة لصحفا او حال من ضمير ها في مطهرة ويجوز
ان يكون الصفة او الحال الجار والمجرور فقط وكتب مرتفعا به على الفاعلية ومعنى قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والصواب وقوله تعالى وما تفرق الذين
اوتوا الكتاب الى آخره كلام مسوق لغاية تشنيع اهل الكتاب خاصة وتغليظ جناياتهم ببيان ان ما نسب اليهم من الانفكاك لم يكن لاشتباه
ما في الامر بل كان بعد وضوح الحق وتبين الحال وانقطاع الاعذار بالكلية وهو السر في وصفهم بايتاء الكتاب المنبئ عن كمال تمكنهم
من مطالعته والاحاطة بما في تضاعيفه من الاحكام والاخبار التي من جملتها نعوت النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذكرهم فيما سبق بما هو جار
مجرى اسم الجنس للطائفتين ولما كان هؤلاء والمشركون باعتبار اتفاقهم على الرأي المذكور في حكم فريق واحد عبر عما صدر عنهم عقيب
الاتفاق عند الاخبار بوقوعه بالانفكاك وعند بيان كيفية وقوعه بالتفرق اعتبارا لاستقلال كل من فريقي اهل الكتاب وايذانا بان انفكاكهم
عن الرأي المذكور ليس بطريق الاتفاق على رأي آخر بل بطريق الاختلاف القديم وقوله تعالى الا من بعد ما جاءتهم البينة استثناء
مفرغ من اعم الاوقات اي وما تفرقوا في وقت من الاوقات الا من بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة الدالة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو الموعود في كتابهم دلالة جلية لا ريب فيها كقوله تعالى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم وقوله تعالى
وما امروا الا ليعبدوا الله جملة حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا اي والحال انهم ما امروا بما امروا به في كتابهم الا لاجل
ان يعبدوا الله وقيل معناه اي الا بان يعبدوا الله ويعضده قراءة الا ان يعبدوا الله مخلصين له الدين اي
جاعلين دينهم خالصا لله تعالى او جاعلين انفسهم خالصة له تعالى في الدين حنفاء مائلين عن جميع العقائد الزائغة الى
الاسلام ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة ان اريد بهما ما في شريعتهم من الصلوة والزكوة فالامر ظاهر وان اريد ما في شريعتنا
فمعنى امرهم في الكتابين ان امرهم باتباع شريعتنا امر لهم بجميع احكامها التي هما من جملتها وذلك اشارة الى ما ذكر من عبادة الله
تعالى بالاخلاص واقامة الصلوة وايتاء الزكوة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته دين القيمة اي دين الملة
القيمة وقرئ الدين القيمة على تأويل الدين بالملة هذا وقد قيل قوله تعالى لم يكن الذين كفروا الى قوله كتب قيمة حكاية لما كانوا
قبل مبعثه عليه السلام من انهم لا ينفكون من دينهم الى مبعثه ويعدون ان ينفكوا منه حينئذ ويتفقوا على الحق وقوله تعالى
وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الى آخره بيان لاخلافهم الوعد وتعكيسهم الامر بجعلهم ما هو سبب لانفكاكهم من دينهم الباطل
حسبما وعدوه سببا لثباتهم عليه وعدم انفكاكهم منه ومثل ذلك بان يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لا انفك مما انا فيه حتى
يغنيني الله فيستغني فيزداد فسقا فيقول له واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما عكفت على الفسق الا بعد اليسار وانت
خبير بان هذا انما يتسنى بعد اللتيا والتي على تقدير ان يراد بالتفرق تفرقهم عن الحق بان يقال التفرق عن الحق مستلزم
للثبات على الباطل فكانه قيل وما اجمعوا على دينهم الا من بعد ما جاءتهم البينة واما على تقدير ان يراد به تفرقهم فرقا فمنهم
من آمن ومنهم من انكر ومنهم من عرف وعاند كما جوزه القائل فلا فتامل ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
في نار جهنم بيان لحال الفريقين في الآخرة بعد بيان حالهم في الدنيا وذكر المشركين لئلا يتوهم اختصاص الحكم باهل الكتاب
حسبما اختصاص مشاهدة شواهد النبوة في الكتاب بهم ومعنى كونهم فيها انهم يصيرون اليها يوم القيامة وايراد الجملة
الاسمية للايذان بتحقق مضمونها لا محالة او انهم فيها الآن اما على تنزيل ملابستهم لما يوجبها منزلة ملابستهم لها واما
على ان ما هم فيه من الكفر والمعاصي عين النار الا انها ظهرت في هذه النشأة بصور عرضية وستخلعها في النشأة الآخرة وتظهر بصورها
الحقيقية كما مر في قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وفي سورة الاعراف خالدين فيها حال من المستكن في الخبر واشتراك الفريقين
في دخول دار العذاب بطريق الخلود لا ينافي تفاوت عذابهم في الكيفية فان جهنم دركات وعذابها الوان اولئك اشارة
اليهم باعتبار اتصافهم بما هم فيه من القبائح المذكورة وما فيه من معنى البعد للاشعار بغاية بعد منزلتهم في الشر اي اولئك البعداء
المذكورون هم شر البرية شر الخليقة اي اعمالا وهو الموافق لما سيأتي في حق المؤمنين فيكون في حيز التعليل لخلودهم في النار

اذ شرهم مقاماً ومصيراً فيكون تأكيداً لفظاعة حالهم وقرئ بالهمزة على الاصل إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بيان لمحاسن احوال
المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة جرياً على السنة القرآنية من شفع الترهيب بالترغيب أُولَئِكَ المنعوتون بما هو في الغاية القاصية
من الشرف والفضيلة من الايمان والطاعة هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ وقرئ خيار البرية وهو جمع خير نحو جيد وجياد جَزَاؤُهُمْ بمقابلة ما لهم من
الايمان والطاعات عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ان اريد بالجنات الاشجار الملتفة الاغصان كما هو الظاهر
فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض وما عليها فهو باعتبار الجزء الظاهر واياً ما كان فالمراد جريانها بغير
اخدود خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا متنعمين بفنون النعم الجسمانية والروحانية وفي تقديم مدحهم بخيرية البرية وذكر الجزاء المؤذن بكون
ما منحوا في مقابلة ما وصفوا به وبيان كونه من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة
الى ضميرهم وجمع الجنات وتقييدها بالاضافة وبما يزيدها نعيماً وتأكيد الخلود بالابود من الدلالة على غاية حسن حالهم ما لا يخفى رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمْ استئناف مبين لما يتفضل عليهم زيادة على ما ذكر من اجزية اعمالهم وَرَضُوا عَنْهُ حيث بلغوا من المطالب قاصيتها وبلغوا من
المآرب ناصيتها واتيح لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذَلِكَ اي ما ذكر من الجزاء والرضوان لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ
فان الخشية التي هي من خصائص العلماء بشؤون الله تعالى مناط لجميع الكمالات العلمية والعملية المستتبعة للسعادة الدينية والدنيوية والتعرض
لعنوان الربوبية المعربة عن المالكية والتربية للاشعار بعلة الخشية والتحذير من الاغترار بالتربية عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مساءً ومقيلاً

بسم الله الرحمن الرحيم إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ اي حركت تحريكاً عنيفاً متداركاً زِلْزَالَهَا اي الزلزال المخصوص بها على مقتضى
المشية الالهية المبنية على الحكم البالغة وهو الزلزال الشديد الذي لا غاية وراءه او زلزالها العجيب الذي لا يقادر قدره او زلزالها الداخل
في حيز الامكان وقرئ بفتح الزاء وهو اسم وليس في الابنية فعلال بالفتح الا في المضاعف وقولهم ناقة خزعال نادر وقد قيل الزلزال ايضاً
مصدر كالوسواس والجرجار والقلقال وذلك عند النفخة لقوله عز وجل وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا اي ما في جوفها من الاموات والدفائن
جمع ثقل وهو متاع البيت وفي اظهار الارض في موضع الاضمار لزيادة التقرير او للايماء الى تبدل الارض غير الارض او لان اخراج الاثقال حال
بعض اجزائها وَقَالَ الْإِنْسَانُ اي كل فرد من افراده لما يدهمهم من الطامة التامة ويبهرهم من الداهية العامة مَا لَهَا زلزلت هذه المرتبة
الشديدة من الزلزال واخرجت ما فيها من الاثقال استعظاماً لما شاهده من الامر الهائل وقد سيرت الجبال في الجو وصيرت هباء وقيل هو
قول الكافر اذ لم يكن مؤمناً بالبعث والاظهر هو الاول على ان المؤمن يقوله بطريق الاستعظام والكافر بطريق التعجب يَوْمَئِذٍ بدل من اذا
وقوله تعالى تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا عامل فيهما ويجوز ان يكون اذا منتصباً بمضمر اي يوم اذا زلزلت الارض تحدث الخلق اخبارها اما بلسان الحال
حيث تدل دلالة ظاهرة على ما لاجله زلزالها واخراج اثقالها واما بلسان المقال حيث ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انها تشهد على كل احد بما عمل على ظهرها وقرئ تنبئ اخبارها وقرئ تنبئ من الانباء بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا
اي تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك لها وامره اياها بالتحديث على احد الوجهين ويجوز ان يكون بدلاً من اخبارها كانه قيل تحدث
باخبارها بان ربك اوحى لها لان التحديث يستعمل بالباء وبدونها واوحى لها بمعنى اوحى اليها يَوْمَئِذٍ اي يوم اذ يقع ما ذكر يَصْدُرُ النَّاسُ
من قبورهم الى موقف الحساب أَشْتَاتًا متفرقين بحسب طبقاتهم بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين كما مر في قوله تعالى فتأتون
افواجاً وقيل يصدرون عن الموقف اشتاتاً ذات اليمين الى الجنة وذات الشمال الى النار لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ اي اجزية اعمالهم خيراً كان
او شراً وقرئ ليَروا بالفتح وقوله تعالى فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ تفصيل ليروا وقرئ يُرَه
والذرة النملة الصغيرة وقيل ما يرى في شعاع الشمس من الهباء واياً ما كان فمعنى رؤية ما يعادلها من خير وشر اما مشاهدة جزائه فمن الاولى
مخصصة بالسعداء والثانية بالاشقياء كيف لا وحسنات الكافر محبطة بالكفر وسيآت المؤمن المجتنب عن الكبائر معفوة وما قيل من ان حسنة
الكافر تؤثر في نقص العقاب يرده قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً واما مشاهدة نفسه من غير ان تعبره

تحدث

الجزاء

الجزاء ولا عدمه بل يفوض كل منهما الى سائر الدلائل الناطقة بعفو صغائر المؤمن المجتنب عن الكبائر واثابته بجميع حسناته وبحبوط
حسنات الكافر ومعاقبته بجميع معاصيه فالمعنى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيراً او شراً الا اراه الله
تعالى اياه اما المؤمن فيغفر له سيآته ويثيبه بحسناته واما الكافر فيرد حسناته تحسراً ويعاقب بسيآته عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله صدق رسول الله وصدق حبيب الله فيما قال

بسم الله الرحمن الرحيم وَالْعَادِيَاتِ اقسم سبحانه بخيل الغزاة التي تعدو نحو العدو وقوله تعالى ضَبْحًا
مصدر منصوب اما بفعله المحذوف الواقع حالاً منها اي تضبح ضبحاً وهو صوت انفاسها عند عدوها او بالعاديات
فان العدو مستلزم للضبح كانه قيل والضابحات او حال على انه مصدر بمعنى الفاعل اي ضابحات فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا الايراء اخراج النار والقدح
الصك يقال قدح فاورى اي فالتي تورى النار من حوافرها وانتصاب قدحاً كانتصاب ضبحاً على الوجوه الثلاثة فَالْمُغِيرَاتِ
اسناد الاغارة التي هي مباغتة العدو للنهب والقتل والاسر اليها وهي حال اهلها ايذاناً بانها العمدة في اغارتهم صُبْحًا اي
في وقت الصبح وهو المعتاد في الغارات يعدون ليلاً لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون عليهم صباحاً ليروا ما يأتون وما يذرون وقوله تعالى
فَأَثَرْنَ بِهِ عطف على الفعل الذي دل عليه اسم الفاعل اذ المعنى واللاتي عدون فاورين فاغرن فاثرن به اي فهيجن بذلك الوقت
نَقْعًا اي غباراً وتخصيص اثارته بالصبح لانه لا يثور او لا يظهر ثورانه بالليل وبهذا ظهر ان الايراء الذي لا يظهر في النهار واقع في
الليل ولله در شأن التنزيل وقيل النقع الصياح والجلبة وقرئ فاثرن بالتشديد بمعنى فاظهرن به غباراً لان التأثير فيه
معنى الاظهار فَوَسَطْنَ بِهِ اي توسطن بذلك الوقت او توسطن ملتبسات بالنقع جَمْعًا من جموع الاعداء والفاآت للدلالة على
ترتب ما بعد كل منها على ما قبلها كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب فان توسط الجمع مترتب على الاثارة
المترتبة على الاغارة المترتبة على الايراء المترتب على العدو وقوله تعالى إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ اي لكفور من كند النعمة كنوداً
جواب القسم والمراد بالانسان بعض افراده روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى اناس من كنانة سرية واستعمل عليها
المنذر بن عمرو الانصاري وكان احد النقباء فابطأ عليه عليه السلام خبرها شهراً فقال المنافقون انهم قتلوا فنزلت السورة
اخباراً للنبي صلى الله عليه وسلم بسلامتها وبشارة له باغارتها على القوم ونعياً على المرجفين في حقهم ما هم فيه من الكنود
وفي تخصيص خيل الغزاة بالاقسام بها من البراعة ما لا مزيد عليه كانه قيل وخيل الغزاة التي فعلت كيت وكيت وقد ارجف هؤلاء
في حق اربابها ما ارجفوا انهم مبالغون في الكفران وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ اي وان الانسان على كنوده لَشَهِيدٌ يشهد على نفسه بالكنود
لظهور اثره عليه وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ اي المال كما في قوله تعالى ان ترك خيراً لَشَدِيدٌ اي قوي مطيق مجد في طلبه وتحصيله متهالك
عليه يقال هو شديد لهذا الامر وقوي له اذا كان مطيقاً له ضابطاً وقيل الشديد البخيل اي انه لحب المال وثقل انفاقه لبخيل
ممسك ولعل وصفه بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود للايماء الى ان من جملة الامور الداعية للمنافقين الى النفاق حب المال
لانهم بما يظهرون من الايمان يعصمون اموالهم ويحوزون من الغنائم نصيباً وقوله تعالى أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ
الى آخره تهديد ووعيد والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي ايفعل ما يفعل من القبائح او الا يلاحظ
فلا يعلم حاله اذا بعث من في القبور من الموتى وايراد ما لكونهم اذ ذاك بمعزل من رتبة العقلاء وقرئ بحثر وبحث وبحثر
وبحث على بنائهما للفاعل وَحُصِّلَ اي جمع محصلاً او ميز خيره من شره وقرئ حصل مبنياً للفاعل وحصل مخففاً مَا فِي الصُّدُورِ
من الاسرار الخفية التي من جملتها ما يخفيه المنافقون من الكفر والمعاصي فضلاً عن الاعمال الجلية إِنَّ رَبَّهُمْ اي المبعوثين كني عنهم
بعد الاحياء الثاني بضمير العقلاء بعد ما عبر عنهم قبل ذلك بما بناء على تفاوتهم في الحالين كما فعل نظيره بعد الاحياء الاول
حيث التفت الى الخطاب في قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة الآية بعد قوله تعالى ثم سواه ونفخ فيه من روحه

ايذاناً لصلاحيتهم للخطاب بعد نفخ الروح وبعدمها قبله كما اشير اليه هناك بهم بذواتهم وصفاتهم واحوالهم بتفاصيلها يومئذ يوم اذ يكون ما ذكر من بعث ما في القبور وتحصيل ما في الصدور **لخبير** اى عالم بظواهر ما عملوا وبواطنه علماً موجباً للجزاء متصلاً به كما ينبئ عنه تقييده بذلك اليوم والا فمطلق علمه سبحانه محيط بما كان وما سيكون وقوله تعالى **بهم** ويومئذ متعلقان بخبير قدما عليه لمراعاة الفواصل واللام غير مانعة من ذلك وقرأ ابن السماك ان ربهم بهم يومئذ خبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعاديات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعاً

بسم الله الرحمن الرحيم **القارعة** القرع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت شديد وهي القيمة التي مبدؤها النفخة الاولى ومنتهاها فصل القضاء بين الخلائق كما مر في سورة التكوير سميت بها لانها تقرع القلوب والاسماع بفنون الافزاع والاهوال وتخرج جميع الاجرام العلوية والسفلية من حال الى حال السماء بالانشقاق والانفطار والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتثار والارض والجبال بالدك والنسف وهي مبتدأ خبره قوله تعالى **ما القارعة** على ان ما الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ لا بالعكس لما مر غيره مرة ان محط الافادة هو الخبر لا المبتدأ ولا ريب في ان مدار افادة الهول والفخامة ههنا هو كلمة ما لا القارعة اى اى شئ عجيب هي في الفخامة والفظاعة وقد وضع الظاهر موضع الضمير تأكيداً للتهويل وقوله تعالى **وما ادريك ما القارعة** تأكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم الخلق على معنى ان عظم شأنها ومدى شدتها بحيث لا تكاد تناله دراية احد حتى يدريك بها وما في حيز الرفع على الابتداء وادريك هو الخبر ولا سبيل الى العكس ههنا وما القارعة جملة كما مر محلها النصب على نزع الخافض لان ادرى يتعدى الى المفعول الثاني بالباء كما في قوله تعالى ولا ادريكم به فلما وقعت الجملة الاستفهامية معلقة له كانت في موقع المفعول الثاني والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبراً للمبتدأ الاول اى واى شئ اعلمك ما شأن القارعة ولما كان هذا منبئاً عن الوعد الكريم باعلامها انجز ذلك بقوله تعالى **يوم يكون الناس كالفراش المبثوث** على ان يوم مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعاً كما هو رأى الكوفيين اى هي يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطاير الى الداعي كتطاير الفراش الى النار او منصوب باضمار اذكر كأنه قيل بعد تفخيم امر القارعة وتشويقه عليه السلام الى معرفتها اذكر يوم يكون الناس الخ فانه يدريك ما هي هذا وقد قيل انه ظرف ناصبه مضمر يدل عليه القارعة اى تقرع يوم يكون الخ وقيل تقديره ستأتيكم القارعة يوم يكون الخ **وتكون الجبال كالعهن المنفوش** اى كالصوف الملون بالالوان المختلفة المندوف في تفرق اجزائها وتطايرها في الجو حسبما نطق به قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وكلا الامرين من آثار القارعة بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الارض غير الارض ويغير هيآتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيآت الهائلة ليشاهدها اهل المحشر وهي وان اندكت وتصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما ينطق به قوله تعالى ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا امتاً يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعي الذي هو اسرافيل وبروز الخلق لله سبحانه لا يكون الا بعد البعث قطعاً وقد مر تمام الكلام في سورة النمل وقوله تعالى **فاما من ثقلت موازينه** الى آخره بيان اجمالي لتحزب الناس الى حزبين وتنبيه على كيفية الاحوال الخاصة بكل منهما اثر بيان الاحوال الشاملة للكل والموازين اما جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله سبحانه كما قاله الفراء او جمع ميزان قال ابن عباس انه ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه الا الاعمال قالوا توضع فيه صحائف الاعمال فينظر اليه الخلائق اظهاراً للمعدلة وقطعاً للمعذرة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير من المتأخرين قالوا ان الميزان لا يتوصل به الا الى معرفة مقادير الاجسام فكيف يمكن ان يعرف به مقادير الاعمال التي هي اعراض منقضية وقيل ان الاعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة على صور قبيحة

فتوضع في الميزان اى فمن ترجحت مقادير حسناته **فهو في عيشة راضية** اى ذات رضى او مرضية **واما من خفت موازينه** بان لم يكن له حسنة يعتد بها او ترجحت سيئاته على حسناته **فامه** اى فمأواه **هاوية** هي من اسماء النار سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها روى ان اهل النار يهوى فيها سبعين خريفاً وقيل انها اسم للباب الاسفل منها وعبر عن المأوى بالام لان اهلها يأوون اليها كما يأوى الولد الى امه وعن قتادة وعكرمة والكلبي ان المعنى فام رأسه هاوية في قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوساً والاول هو الموافق لقوله تعالى **وما ادريك ما هيه نار حامية** فانه تقرير لها بعد ابهامها والاشعار بخروجها عن الحدود المعهودة للتفخيم والتهويل وهي ضمير الهاوية والهاء للسكت واذا وصل القارى حذفها وقيل حقه ان لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة في المصحف وقد اجيز اثباتها مع الوصل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله تعالى بها ميزانه يوم القيمة صدق رسول الله وصدق حبيب الله

بسم الله الرحمن الرحيم **الهاكم التكاثر** اى شغلكم التغالب في الكثرة والتفاخر بها روى ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا وتعادوا وتكاثروا بالسادة والاشراف في الاسلام فقال كل من الفريقين نحن اكثر منكم سيداً واعز عزيزاً واعظم نفراً فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم ان البغي افنانا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنو سهم والمعنى انكم تكاثرتم بالاحياء **حتى زرتم المقابر** اى حتى اذا استوعبتم عددهم صرتم الى التفاخر والتكاثر بالاموات فعبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور تهكماً بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان يفتخرون بذلك وقيل المعنى الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم في طلب الدنيا معرضين عما يهمكم من السعي لاخراكم فيكون زيارة القبور عبارة عن الموت وقرئ الهاكم على الاستفهام التقريري **كلا** ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان لا يكون معظم همه مقصوراً على الدنيا فان عاقبة ذلك وخيمة **سوف تعلمون** سوء مغبة ما انتم عليه اذا عاينتم عاقبته **ثم كلا سوف تعلمون** تكرير للتأكيد وثم للدلالة على ان الثاني ابلغ من الاول او الاول عند الموت او في القبر والثاني عند النشور **كلا لو تعلمون علم اليقين** اى لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر **اليقين** اى كعلمكم ما تستيقنونه لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتهويل وقوله تعالى **لترون الجحيم** جواب قسم مضمر اكد به الوعيد وشدد به التهديد واوضح به ما انذروه بعد ابهامه تفخيماً **ثم لترونها** تكرير للتأكيد او الاولى اذا رأيتم من مكان بعيد والثانية اذا وردتموها او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية المشاهدة والمعاينة **عين اليقين** اى الرؤية التي هي نفس اليقين فان علم المشاهدة اقصى مراتب اليقين **ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم** اى عن النعيم الذي الهاكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فان الخطاب مخصوص بمن عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا ليأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع اوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فاما من تمتع بنعمة الله تعالى وتقوى بها على طاعته وكان ناهضاً بالشكر فهو من ذلك بمعزل بعيد وقيل الآية بالكفار عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التكاثر لم يحاسبه الله تعالى بالنعيم الذي انعم عليه في دار الدنيا واعطى من الاجر كانما قرأ الف آية

بسم الله الرحمن الرحيم **والعصر** اقسم سبحانه وتعالى بصلوة العصر لفضلها الباهر او بالعشي الذي هو ما بين الزوال والغروب كما اقسم بالضحى او بعصر النبوة لظهور فضله على سائر الاعصار او بالدهر لانطوائه على تعاجيب الامور القارة والمارة **ان الانسان لفي خسر** اى خسران في متاجرهم ومساعيهم وصرف اعمارهم في مباغيهم والتعريف للجنس والتنكير للتفخيم **الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** فانهم في تجارة لن تبور حيث باعوا الفاني الخسيس واشتروا الباقي النفيس واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات الرائحات فيا لها من صفقة ما اربحها وهذا بيان لتكميلهم لانفسهم وقوله تعالى **وتواصوا بالحق** الى آخره

بيان لتكميلهم لغيرهم اى وصى بعضهم بعضاً بالامر الثابت الذى لا سبيل الى انكاره ولا زوال فى الدارين لمحاسن آثاره وهو الخير كله من الايمان بالله عز وجل واتباع كتبه ورسله فى كل عقد وعمل **وتواصوا بالصبر** اى عن المعاصى التى تشتاق اليها النفس بحكم الجبلة البشرية وعلى الطاعات التى يشق عليها اداؤها او على ما يبلو الله عز وجل به عباده وتخصيص هذا التواصى بالذكر مع اندراجه تحت التواصى بالحق لابراز كمال الاعتناء به او لان الاول عبارة عن رتبة العبادة التى هى فعل ما يرضى به الله تعالى والثانى عن رتبة العبودية التى هى الرضى بما فعل الله تعالى فان المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تتوق اليه من فعل وترك بل هو تلقى ما ورد منه تعالى بالجميل والرضا به ظاهراً وباطناً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العصر غفر الله تعالى له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر صدق رسول الله

بسم الله الرحمن الرحيم **ويل** مبتدأ خبره **لكل همزة لمزة** وساغ الابتداء به مع كونه نكرة لانه دعاء عليهم بالهلكة او بشدة الشر والهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز شاعا فى الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة للدلالة على ان ذلك منه عادة مستمرة وقد ضرى بها وكذلك اللعنة والضحكة وقرئ لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذى يأتى بالاضاحيك فيضحك منه ويستهزأ به وقيل نزلت فى الاخنس بن شريق فانه كان ضارياً بالغيبة والوقيعة وقيل فى امية بن خلف وقيل فى الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضه من جنابه الرفيع واختصاص السبب لا يستدعى خصوص الوعيد بهم بل كل من اتصف بوصفهم القبيح فله ذنوب منه مثل ذنوبهم **الذى جمع مالا** بدل من كل او منصوب او مرفوع على الذم وقرئ جمّع بالتشديد للتكثير مالا للتفخيم والتكثير الموافق لقوله تعالى **وعدده** وقيل معنى عدده جعله عدة لنوائب الدهر وقرئ وعدده اى جمع المال وضبط عدده او جمع ماله وعدده الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد اذا كان له عدد وافر من الانصار والاعوان وقيل هو فعل ماض بفك الادغام **يحسب ان ماله اخلده** اى يعمل عمل من يظن ان ماله يبقيه حياً والاظهار فى موضع الاضمار لزيادة التقرير وقيل طول المال امله ومناه الامانى البعيدة حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان المال تركه خالداً فى الدنيا لا يموت وقيل هو تعريض بالعمل الصالح والزهد وانه هو الذى اخلد صاحبه فى الحيوة الابدية والنعيم المقيم فاما المال فليس بمخلد ولا بمخلد وروى ان الاخنس له اربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف والجملة مستأنفة او حال من فاعل جمع **كلا** ردع له عن ذلك الحسبان الباطل وقوله تعالى **لينبذن** جواب قسم مقدر والجملة استئناف مبين لعلة الردع اى والله ليطرحن بسبب تعاطيه للافعال المذكورة **فى الحطمة** لتهويل امرها ببيان انها ليست من الامور التى تنالها عقول الخلق اى فى النار التى شأنها ان تحطم وتكسر كل ما يقع فيها ويلقى كما ان شأنه كسر اعراض الناس وجمع المال وقوله تعالى **وما ادراك ما الحطمة** لتهويل امرها ببيان انها ليست من الامور التى تنالها عقول الخلق وقوله تعالى **نار الله** خبر مبتدأ محذوف والجملة بيان لشأن المسؤول عنها اى هى نار الله **الموقدة** بامر الله عز وجل فى اضافتها اليه سبحانه ووصفها بالايقاد من تهويل امرها ما لا مزيد عليها **التى تطلع على الافئدة** اى تعلو اوساط القلوب وتغشاها وتخصيصها بالذكر لما ان الفؤاد الطف ما فى الجسد واشده تألماً بادنى اذى يمسه او لانه محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة ومنشأ الاعمال السيئة **انها عليهم مؤصدة** اى مطبقة من اوصدت الباب واصدته اى اطبقته **فى عمد ممددة** اى موثقين فيها مثل المقاطر التى تقطر فيها اللصوص وخبر مبتدأ مضمر اى هم فى عمد او صفة لمؤصدة قاله ابو البقاء اى كائنة فى عمد ممددة بان توصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقاً فى استيثاق اللهم اجرنا منها يا خير مستجار وقرئ عُمُد بضمتين عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد عليه السلام واصحابه

بسم الله الرحمن الرحيم **الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل** الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة لتقرير رؤيته عليه السلام بانكار عدمها وكيف معلقة لفعل الرؤية منصوبة بما بعدها والرؤية علمية اى الم تعلم علماً رصيناً متاخماً للمشاهدة والعيان باستماع الاخبار المتواترة ومعاينة الآثار الظاهرة وتعليق الرؤية بكيفية فعله عز وجل لا بنفسه بان يقال الم

الم تر ما فعل ربك الى آخره لتهويل الحادثة والايذان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئة عجيبة دالة على عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسوله صلى الله عليه وسلم فان ذلك من الارهاصات لما روى ان القصة وقعت فى السنة التى ولد فيها النبى صلى الله عليه وسلم وتفصيلها ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشى بنى بصنعاء كنيسة وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج مع الحبشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قوياً عظيماً واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل الف فيل وقيل كان معه وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وعبأ جيشه وقدم الفيل فكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى غيره من الجهات هرول فارسل الله تعالى طيراً اسود او خضراً وقيل بيضاً مع كل طائر حجر فى منقاره وحجران فى رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على رأس الرجل ويخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا وهلكوا فى كل طريق ومنهل ورمى ابرهة فتساقطت انامله وآرابه ومات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتاً بين يديه وقيل ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتى بعير فخرج اليه فى شأنها فلما رآه ابرهة عظم فى عينه وكان رجلا وسيماً جسيماً وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال فنزل ابرهة عن سريره وجلس معه على بساطه وقيل اجلسه معه على سريره ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فلما ذكر حاجته قال سقطت من عينى حيث جئت لاهدم البيت الذى هو دينك ودين آبائك وعصمتكم وشرفكم فى قديم الدهر لا تكلمنى فيه الهاك عنه ذود اخذت لك فقال عبد المطلب انا رب الابل وان للبيت رباً يحميه ثم رجع واتى باب الكعبة فاخذ بحلقته ومعه نفر من قريش يدعون الله عز وجل فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هى بنجدية ولا تهامية فارسل حلقة الباب ثم انطلق مع اصحابه ينتظرون ماذا يفعل ابرهة فارسل الله عليهم الطير فكان ما كان وقيل كان ابرهة جد النجاشى الذى كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضى الله تعالى عنها رأيت قائد الفيل وسائسه اعميين مقعدين يستطعمان وقرئ الم تر بسكون الراء للجد فى اظهار اثر الجازم وقوله تعالى **الم يجعل كيدهم فى تضليل** الى آخره بيان اجمالى لما فعل الله تعالى بهم والهمزة للتقرير كما سبق ولذلك عطف على الجملة الاستفهامية ما بعدها كانه قيل قد جعل كيدهم فى تعطيل الكعبة وتخريبها فى تضييع وابطال بان دمرهم اشنع تدمير **وارسل عليهم طيراً ابابيل** اى خوارق وجماعات جمع ابالة وهى الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير فى تضامها وقيل ابابيل مثل عباديد وشماطيط لا واحد لها **ترميهم بحجارة** صفة لطيراً وقرئ يرميهم بالتذكير لان الطير اسم جمع وتأنيثه باعتبار المعنى **من سجيل** من طين متحجر معرب سنك كل وقيل كانه علم للديوان الذى كتب فيه عذاب الكفار كما ان سجيناً علم للديوان الذى يكتب فيه اعمالهم كانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال **فجعلهم كعصف مأكول** كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان يأكله الدود او اكل حبه فبقى صفراً منه او كتبن اكلته الدواب وراثته اشير عليه باول حاله عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفيل اعفاه الله تعالى ايام حيوته من الخسف والمسخ صدق رسول الله وصدق حبيب الله

بسم الله الرحمن الرحيم **لايلاف قريش** متعلق بقوله تعالى فليعبدوا والفاء لما فى الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله تعالى عليهم غير محصورة فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة وقيل بمضمر تقديره فعلنا ما فعلنا من اهلاك اصحاب الفيل لايلاف الى آخره وقيل اعجبوا لايلاف وقيل بما قبله من قوله تعالى فجعلهم كعصف مأكول ويؤيده انهما فى مصحف ابى سورة واحدة بلا فصل والمعنى اهلك من قصدهم من الحبشة ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوا لهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن فى رحلتهم فلا يجترئ عليهم احد وكانت لقريش رحلتان يرحلون فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف

الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا فى رحلتيهم آمنين لانهم اهل حرم الله وولاة بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس بين متخطف ومنهوب والايلاف من قولك ألفت المكان ايلافا اذا الفته وقرئ لالاف قريش اى هو آلفتهم وقيل يقال الفته الفا واِلافا وقرئ لالف قريش وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة فى البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم فى البلاد وقوله تعالى **ايلافهم رحلة الشتاء والصيف** بدل من الاول ورحلة مفعول لايلافهم وافرادها مع ان المراد رحلتى الشتاء والصيف لامن الالباس وفى اطلاق الايلاف عن المفعول اولا وابداله هذا منه تفخيم لامره وتذكير لعظم النعمة فيه وقرئ ليالف قريش رحلة الشتاء والصيف وقرئ رحلة بالضم وهى الجهة التى يرحل اليها **فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم** بسبب تينك الرحلتين اللتين تمكنوا منها بواسطة كونهم من جيرانه **من جوع** شديد كانوا فيه قبلها اريد به القحط الذى اكلوا فيه الجيف والعظام **وآمنهم من خوف** عظيم لا يقادر قدره وهو خوف اصحاب الفيل او خوف التخطف فى بلدهم ومسايرهم وقيل خوف الجذام فلا يصيبهم فى بلدهم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة قريش اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها صدق الله

بسم الله الرحمن الرحيم **ارايت الذى يكذب بالدين** استفهام اريد به تشويق السامع الى معرفة من سيق له الكلام والتعجب منه والخطاب لرسول الله وقيل لكل عاقل والرؤية بمعنى المعرفة وقرئ ارايتك بزيادة حرف الخطاب والفاء فى قوله **فذلك الذى يدع اليتيم** جواب شرط محذوف على ان ذلك مبتداء والموصول خبره والمعنى هل عرفت الذى يكذب بالاسلام ان لم تعرفه او ان اردت ان تعرفه فهو الذى يدفع اليتيم دفعا عنيفا ويزجره زجرا قبيحا ووضع اسم الاشارة المعرض لوصف المشار اليه موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم والتنبيه بما فيه من معنى البعد على بعد منزلته فى الشر والفساد وقيل هو ابو جهل كان وصيا ليتيم فاتاه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه دفعا شنيعا وقيل ابو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه وقيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو العاص بن وائل السهمى وقيل هو رجل بخيل من المنافقين وقيل الموصول على عمومه وقرئ يدع اليتيم اى يتركه ويجفوه **ولا يحض** اى اهله وغيرهم من الموسرين **على طعام المسكين** واذا كان حال من ترك ذلك مع القدرة عليه والفاء فى قوله تعالى فويل الى آخره اما لربط ما بعدها بشرط محذوف كانه قيل اذا كان ما ذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين من دلائل التكذيب بالدين وموجبات الذم والتوبيخ **فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون** غافلون غير مبالين بها **الذين هم يراؤن** اى يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها **ويمنعون الماعون** اى الزكوة او ما يتعاور عادة فان عدم المبالاة باليتيم والمسكين حيث كان كما ذكر فعدم المبالاة بالصلوة التى هى عماد الدين والرياء الذى هو شعبة من الكفر ومنع الزكوة التى هى قنطرة الاسلام وسوء المعاملة مع الخلق احق بذلك واما لترتيب الدعاء عليهم بالويل على ما ذكر من قبائحهم ووضع المصلين موضع ضميرهم ليتوسل بذلك الى بيان ان لهم قبائح اخر غير ما ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الدين غفر له ان كان للزكوة مؤديا

بسم الله الرحمن الرحيم **انا اعطيناك** وقرئ انطيناك **الكوثر** اى الخير المفرط الكثرة من شرف النبوة الجامعة لخير الدارين والرياسة العامة المستتبعة لسعادة الدين والدنيا فوعل من الكثرة وقيل هو نهر فى الجنة وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قراها فقال اتدرون ما الكوثر انه نهر فى الجنة وعدنيه ربى فيه خير كثير وروى فى صفته احلى من العسل واشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة عدد نجوم السماء وروى لا يظماء من شرب منه ابدا اول وارديه فقراء المهاجرين الدنس الثياب الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا يفتح لهم ابواب السدد يموت احدهم وحاجته تتلجلج فى صدره لو اقسم على الله لابره وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير فان ناسا يقولون هو نهر فى الجنة فقال هو من الخير الكثير وقيل هو

حوض فيها وقيل هو اولاده واتباعه او علماء امته او القرآن الحاوى خيرى الدنيا والدين والفاء فى قوله تعالى **فصل لربك وانحر** لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان اعطاءه تعالى اياه عليه الصلوة والسلام ما ذكر من العطية التى لم يعطها احد ولن يعطيها احدا من العالمين مستوجب للمأمور به اى استيجاب اى قدم على الصلوة لربك الذى افاض عليك هذه النعمة الجليلة التى لا تضاهيها نعمة خالصا لوجهه خلاف الساهين عنها المرائين فيها اداء لحقوق شكرها فان الصلوة جامعة لجميع اقسام الشكر وانحر البدن التى هى خيار اموال العرب باسمه تعالى وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون وعن عطية هى صلوة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل صلوة العيد والتضحية وقيل هى جنس الصلوة والنحر وضع اليمين على الشمال وقيل هو ان يرفع يديه فى التكبير الى نحره هو المروى عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما استقبل القبلة بنحرك وهو قول الفراء والكلبى وابى الاحوص **ان شانئك** اى مبغضك كائنا من كان **هو الابتر** الذى لا عقب له حيث لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيمة ولك فى الآخرة ما لا يندرج تحت البيان وقيل نزلت فى العاص بن وائل وايا ما كان فلا ريب فى عموم الحكم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكوثر سقاه الله تعالى من كل نهر فى الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد فى يوم النحر صدق رسول الله وصدق حبيب الله

بسم الله الرحمن الرحيم **قل يا ايها الكافرون** هم كفرة مخصوصون قد علم الله تعالى انه لا يتاتى منهم الايمان ابدا روى ان رهطا من عتاة قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملاء من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فايسوا **لا اعبد ما تعبدون** اى فيما يستقبل لان لا لا تدخل غالبا الا على مضارع فى معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع فى معنى الحال والمعنى لا افعل فى المستقبل ما تطلبونه منى من عبادة آلهتكم **ولا انتم عابدون ما اعبد** اى ولا انتم فاعلون فيه ما اطلب منكم من عبادة الهى **ولا انا عابد ما عبدتم** اى وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه اى لم يعهد منى عبادة صنم فى الجاهلية فكيف ترجى منى فى الاسلام **ولا انتم عابدون ما اعبد** اى وما عبدتم فى وقت من الاوقات ما انا على عبادته وقيل هاتان الجملتان لنفى العبادة حالا كما ان الاوليين لنفيها استقبالا وانما لم يقل ما عبدت ليوافق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الاصنام وهو عليه الصلوة والسلام لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله تعالى وايثار ما فى ما اعبد على من لان المراد هو الوصف كانه قيل ما اعبد من المعبود العظيم الشان الذى لا يقادر قدر عظمته وقيل ان ما مصدرية اى لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتى وقيل الاوليان بمعنى الذى والاخريان مصدريتان وقيل قوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم تاكيد لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد ثانيا تاكيد لمثله المذكور اولا وقوله تعالى **لكم دينكم** تقرير لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم كما ان قوله تعالى **ولى دين** تقرير لقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد والمعنى ان دينكم الذى هو الاشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه الى الحصول لى ايضا كما تطمعون فيه فلا تعلقوا به امانيكم الفارغة فان ذلك من المحال وان دينى الذى هو التوحيد مقصور على الحصول لى لا يتجاوزه الى الحصول لكم ايضا لانكم علقتموه بالمحال الذى هو عبادتى لآلهتكم او استلامى اياها ولان ما وعدتموه عين الاشراك وحيث كان مبنى قولهم نعبد الهنا سنة ونعبد الهك سنة على شركة الفريقين فى كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصر افراد حتما ويجوز ان يكون هذا تقريرا لقوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم اى ولى دينى لا دينكم كما هو فى قوله تعالى ولكم ما كسبتم وقيل المعنى انى نبى مبعوث اليكم لادعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا منى ولم تتبعونى فدعونى كفافا ولا تدعونى الى الشرك فتامل عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكافرين فكانما قرا ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وتعافى من الفزع الاكبر

صدق رسول الله وصدق حبيب الله

بسم الله الرحمن الرحيم **اذا جاء نصر الله** اي اعانته تعالى واظهاره اياك على عدوك **والفتح** اي فتح مكة
وقيل جنس نصر الله تعالى ومطلق الفتح فان فتح مكة لما كان مفتاح الفتوح ومناطها كما ان نفسها ام القرى وامامها جعل مجيئه بمنزلة
مجيء سائر الفتوح وعلق به امره عليه السلام بالتسبيح والحمد والتعبير عن حصول النصر والفتح بالمجيء للايذان بانهما متوجهان نحوه
وانهما على جناح الوصول اليه عليه الصلوة والسلام عن قريب وروي انها نزلت قبل الفتح وعليه الاكثر وقيل في ايام التشريق بمنى في حجة
الوداع فكلمة اذا حينئذ باعتبار ان بعض ما في حيزها اعني رؤيته دخول الناس الى آخره غير منقض بعد وكان فتح مكة لعشر مضين من
شهر رمضان سنة ثمان ومع النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب واقام بها خمس عشرة ليلة
وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة
ما ترون اني فاعل بكم فقالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله
تعالى امكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيئا ولذلك سمي اهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام ثم خرج الى هوازن **ورايت الناس**
اي ابصرتهم او علمتهم **يدخلون في دين الله** اي ملة الاسلام التي لا دين يضاف اليه تعالى غيرها والجملة على الاول حال من الناس وعلى
الثاني مفعول ثان لرايت وقوله تعالى **افواجا** حال من فاعل يدخلون في جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وقبائل العرب
وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين روي انه عليه الصلوة والسلام لما فتح مكة اقبلت العرب بعضها على بعض وقالوا
اذا ظفر باهل الحرم فلن يقاومه احد وقد كان الله تعالى اجارهم من اصحاب الفيل وعن كل من ارادهم فكانوا يدخلون في دين الاسلام افواجا
من غير قتال وقرئ فتح الله والنصر وقرئ يدخلون على البناء للمفعول **فسبح بحمد ربك** فقل سبحان الله حامدا له اي فتعجب لتيسير الله تعالى ما لم
يخطر ببال احد من ان يغلب احد على اهل حرمه المحترم واحمده على جميل صنعه هذا على الرواية الاولى ظاهر واما على الثانية فلعله عليه السلام امر بان
يداوم على ذلك استعظاما لنعمته لا باحداث التعجب لما ذكر فانه انما يناسب حالة الفتح او فاذكره مسبحا حامدا زيادة في عبادته والثناء عليه لزيادة
انعامه عليك او فصل له حامدا على نعمه روي انه لما فتح باب الكعبة صلى صلوة الضحى ثماني ركعات او فنزهه عما يقوله الظلمة حامدا على صفات الاكرام
واستغفره هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستعظاما لحقوق الله تعالى واستدراكا لما فرط منك من ترك الاولى عن عائشة
رضي الله تعالى عنها انه كان عليه السلام يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك وعنه عليه الصلوة والسلام
اني لاستغفر في اليوم والليلة مائة مرة وروي انه لما قراها النبي صلى الله عليه وسلم على اصحابه استبشروا وبكى العباس فقال عليه السلام
ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال عليه الصلوة والسلام انها لكما تقول فلم ير عليه السلام بعد ذلك ضاحكا مستبشرا
وقيل ان ابن عباس هو الذي قال ذلك فقال عليه السلام لقد اوتي هذا الغلام علما كثيرا ولعل ذلك للدلالة على كمال تمام امر الدعوة
وتكامل امر الدين كقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وروي انها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيره الله تعالى
بين الدنيا والآخرة وبين لقائه فاختار لقاء الله فعلم ابو بكر رضي الله تعالى عنه فقال فديناك بانفسنا وآبائنا واولادنا وعنه عليه
الصلوة والسلام انه دعا فاطمة رضي الله تعالى عنها فقال يا بنتاه انه نعيت الي نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي وعن ابن مسعود
رضي الله عنه ان هذه السورة تسمى سورة التوديع وقيل هو امر بالاستغفار لامته **انه كان توابا** منذ خلق المكلفين اي مبالغا في قبول
توبتهم فليكن كل تائب مستغفر متوقعا للقبول عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النصر اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم
يوم فتح مكة

بسم الله الرحمن الرحيم **تبت** اي هلكت **يدا ابي لهب** هو عبد العزى بن عبد المطلب وايثار التباب على الهلاك واسناده
الى يديه لما روي انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين رقي رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا وجمع اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك
الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه عليه السلام **وتب** اي وهلك كله وقيل المراد بالاول هلاك جملته كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقول من قال جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ويؤيده قراءة من قرا وقد تب وقيل

الاول اخبار عن هلاك عمله لان الاعمال تزاول غالبا بالايدي والثاني اخبار عن هلاك نفسه وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك او
قيل الاول دعاء والثاني اخبار وذكر كنيته للتعريض بكونه جهنميا ولاشتهاره بها ولكراهة اسمه القبيح وقرئ ابو لهب كما قيل علي بن
ابي طالب وقرئ ابو لهب بسكون الهاء **وما اغنى عنه ماله وما كسب** اي لم يغن عنه حين حل به التباب على ان ما نافية او اي شيء اغنى عنه
على انها استفهامية في معنى الانكار منصوبة بما بعدها اصل ماله وما كسبه به من الارباح والنتائج والمنافع والوجاهة والاتباع او ماله الموروث
من ابيه والذي كسبه بنفسه او عمله الخبيث الذي هو كيده في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم او عمله الذي ظن انه على شيء كقوله تعالى
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كسب ولده وروي انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخي
حقا فانا افتدي منه نفسي بمالي وولدي فاستخلص منه وقد خاب مرجاه وما حصل ما تمناه فافترس ولده عتبة اسد في طريق الشام بين
العير المكتنفة به وقد كان صلى الله عليه وسلم دعا عليه وقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وهلك نفسه بالعدسة بعد وقعة بدر بسبع
ليال فاجتنبه اهله مخافة العدوى وكانت قريش تتقيها كالطاعون فبقي ثلاثا حتى انتن ثم استاجروا بعض السودان فاحتملوه و
دفنوه فكان الامر كما اخبر به القرآن **سيصلى** بفتح الياء وقرئ بضمها وفتح اللام بالتخفيف والتشديد والسين لتاكيد الوعيد
وتشديده اي سيدخل لا محالة بعد هذا العذاب العاجل في الآخرة **نارا ذات لهب** اي نارا عظيمة ذات اشتعال وتوقد وهي نار جهنم
وليس هذا نصا في انه لا يؤمن ابدا حتى يلزم من تكليفه الايمان بالقرآن ان يكون مكلفا بانه يؤمن بانه لا يؤمن ابدا فيكون مامورا بالجمع بين
النقيضين كما هو المشهور فان صلي النار غير مختص بالكفار فيجوز ان يفهم ابو لهب من هذا ان دخوله النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره فلا
اضطرار الى الجواب المشهور من ان ما كلفه هو الايمان بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم اجمالا لا الايمان بتفاصيل ما نطق به القرآن
حتى يلزم ان يكلف الايمان بعدم ايمانه المستمر **وامراته** عطف على المستكن في سيصلى لمكان الفصل بالمفعول وهي ام جميل بنت حرب
اخت ابي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريق النبي صلى الله عليه وسلم وكان عليه السلام يطؤه
كما يطؤ الحرير وقيل كانت تمشي بالنميمة ويقال لمن يمشي بالنمائم ويفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم اي يوقد بينهم النائرة **حمالة الحطب**
بالنصب على الشتم والذم وقيل على الحالية بناء على ان الاضافة غير حقيقية اذ المراد انها تحمل يوم القيمة حزمة من حطب جهنم كالزقوم
والضريع عن قتادة مع كثرة مالها كانت تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل فالنصب حينئذ على الشتم حتما وقرئ
بالرفع على انه خبر وامراته مبتدا وقرئ حمالة للحطب بالتنوين نصبا ورفعا وقرئ مريته بالتصغير للتحقير **في جيدها حبل من مسد**
جملة من خبر مقدم ومبتدا مؤخر والجملة حالية وقيل الظرف خبر لامراته على تقدير عطفها على ضمير سيصلى وحبل فاعل كما ذكر والمسد
ما يفتل من الحبال فتلا شديدا من ليف المقل وقيل هو حال من امراته على تقدير من اي ليف كان وقيل من لحاء شجر باليمن وقد يكون
من جلود الابل واوبارها والمعنى في عنقها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل
الحطابون تخسيسا لحالها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما في بيت العز
والشرف قال مرة الهمداني كانت ام جميل تاتي كل يوم بابالة من حسك فتطرحها على طريق المسلمين فبينما هي ذات ليلة حاملة حزمة
اعيت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها الملك من خلفها فاختنقت بحبلها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة تبت رجوت
ان لا يجمع بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

بسم الله الرحمن الرحيم **قل هو الله احد** الضمير للشان ومدار وضعه موضعه مع عدم سبق ذكره الايذان بانه من الشهرة
والنباهة بحيث يستحضره كل احد واليه يشير كل مشير واليه يعود كل ضمير كما ينبئ عنه اسمه الذي اصله القصد المطلق على المفعول مبالغة
ومحله الرفع على الابتداء وخبره الجملة بعده ولا حاجة الى الرابط لانها عين الشان الذي عبر عنه بالضمير والسر في تصدير الجملة به التنبيه من
اول الامر على فخامة مضمونها وجلالة حيزها مع ما فيه من زيادة تحقيق وتقرير فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر
جليل فيبقى الذهن مترقبا لما امامه مما يفسره ويزيل ابهامه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن وهمزة احد مبدلة من الواو واصله وحد

لا كهمزة تلازم النفي ويراد به العموم كما في قوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين وما في قوله عليه السلام ما احلت الغنائم لاحد سود
الرؤس غيركم فانها اصلية وقال بل اصل احد واحد فابدلت الواو همزة فاجتمع الفان لان الهمزة تشبه الالف فحذفت
احديهما تخفيفا وقال ثعلب ان احدا لا يبنى عليه العدد ابتداء فلا يقال احد واثنان كما يقال واحد واثنان ولا يقال رجل احد كما
يقال رجل واحد ولذلك اختص به تعالى او هو كما سئل عنه اي الذي سألتم عنه هو الله اذ روي ان قريشا قالوا صف لنا ربك الذي
تدعونا اليه وانسبه فنزلت فالضمير مبتدأ والله خبره واحد بدل منه او خبر ثان او خبر مبتدأ محذوف وقرئ هو الله احد بغير قل هو
وقرئ هو الله احد بغير قل وقرئ قل هو الواحد وقوله تعالى **الله الصمد** مبتدأ وخبر والصمد فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده
اي هو السيد المصمود اليه في الحوائج المستغني بذاته وكل ما عداه محتاج اليه في جميع جهاته وقيل الصمد الدائم الباقي الذي لم يزل ولا يزال
وقيل الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير الاسم الجليل للاشعار بان من لم يتصف
بذلك فهو بمعزل من استحقاق الالوهية وتعرية الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى بين اولا الوهيته عز وجل المستتبعة لكافة نعوت الكمال ثم احديته
الموجبة لتنزهه عن شائبة التعدد والتركب بوجه من الوجوه وتوهم المشاركة في الحقيقة وخواصها ثم صمديته المقتضية لاستغنائه الذاتي
عما سواه وافتقار جميع المخلوقات اليه في وجودها وبقائها وسائر احوالها تحقيقا للحق وارشادا لهم الى سننه الواضح ثم صرح ببعض
احكام جزئية مندرجة تحت الاحكام السابقة فقيل **لم يلد** تنصيصا على ابطال زعم المفترين في حق الملائكة والمسيح ولذلك ورد
النفي على صيغة الماضي اي لم يصدر عنه ولد لانه لا يجانسه شيء ليمكن ان يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا كما نطق به قوله تعالى
انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولا يفتقر الى ما يعينه او يخلفه لاستحالة الحاجة والفناء عليه سبحانه **ولم يولد** اي لم يصدر
عن شيء لاستحالة نسبة العدم اليه سابقا او لاحقا والتصريح به مع كونهم معترفين بمضمونه لتقرير ما قبله وتحقيقه بالاشارة
الى انهما متلازمان اذ المعهود ان ما يلد يولد وما لا فلا ومن قضية الاعتراف بانه لم يولد الاعتراف بانه لا يلد فهو قريب من عطف
لا يستقدمون على لا يستأخرون كما مر تحقيقه **ولم يكن له كفوا احد** اي لم يكافئه احد ولم يماثله ولم يشاكله من صاحبة وغيرها
وله صلة لكفوا قدمت عليه مع ان حقها التأخر عنه للاهتمام بها لان المقصود نفي المكافأة عن ذاته تعالى وقد جوز ان يكون
خبرا لا صلة ويكون كفوا حالا من احد وليس بذاك واما تأخير اسم كان فلمراعاة الفواصل ووجه الوصل بين هذه الجمل غني عن
البيان وقرئ بضم الكاف والفاء مع تسهيل الهمزة وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء هذا ولانطواء السورة الكريمة مع تقارب
قطريها على اشتات المعارف الالهية والرد على من الحد فيها ورد في الحديث النبوي انها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده منحصرة
في بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات منه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اسست
السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله احد اي ما خلقت الا لتكون دلائل على توحيد الله تعالى ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه
السورة وعنه عليه السلام سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال وجبت فقيل وما وجبت يا رسول الله قال وجبت له الجنة

بسم الله الرحمن الرحيم **قل اعوذ برب الفلق** الفلق الصبح كالفرق لانه يفلق عنه الليل ويفرق فعل بمعنى
مفعول فان كل واحد من المفلوق والمفلوق عنه مفعول وقيل هو ما انفلق من عموده وقيل ما يفلقه الله تعالى كالارض عن النبات
والجبال عن العيون والسحاب عن الامطار والحب والنوى عما يخرج منهما وغير ذلك وفي تعليق العياذ باسم الرب المضاف الى الفلق
المنبئ عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتح بعد الرتق عدة كريمة باعاذة العائذ مما يعوذ منه وانجائه منه وتقوية
لرجائه بتذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب له في الجد والاعتناء بقرع باب الالتجاء اليه تعالى واما الاشعار بان من قدر ان يزيل
ظلمة الليل من هذا العالم قدر ان يزيل عن العائذ ما يخافه كما قيل فلا اذ لا ريب للعائذ في قدرته تعالى على ذلك حتى يحتاج الى
التنبيه عليها **من شر ما خلق** اي من شر ما خلقه من الثقلين وغيرهم كائنا ما كان من ذوات الطبائع والاختيار وهذا كما ترى شامل
لجميع الشرور ومن توهم ان الاستعاذة ههنا من المضار البدنية وانها تعم الانسان وغيره مما ليس بصدد الاستعاذة ثم جعل

عمومها

عمومها مدارا لاضافة الرب الى الفلق فقد نأى عن الحق بمراحل واضافة الشر اليه لاختصاصه بعالم الخلق المؤسس على امتزاج المواد
المتباينة وتفاعل كيفياتها المتضادة المستتبعة للكون والفساد واما عالم الامر فهو خير محض منزه عن شوائب الشر بالمرة وقوله تعالى
ومن شر غاسق تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندراجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة الى الاستعاذة منه لكثرة وقوعه ولان تعيين
المستعاذ منه ادل على الاعتناء بالاستعاذة وادعى الى الاعاذة اي ومن شر ليل معتكر ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل واصل الغسق
الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل هو السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعها واضافة الشر
الى الليل لملابسته له بحدوثه فيه وتنكيره لعدم شمول الشر لجميع افراده ولا لكل اجزائه وتقييده بقوله تعالى **اذا وقب** اي دخل ظلامه
في كل شيء لان حدوثه فيه اكثر والتحرز منه اصعب واعسر ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل الغاسق هو القمر اذا امتلأ ووقوبه
دخوله في الخسوف واسوداده لما روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فاشار الى
القمر فقال تعوذي بالله تعالى من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب وقيل التعبير عن القمر بالغاسق لان جرمه مظلم وانما يستنير بضوء الشمس
ووقوبه المحاق في آخر الشهر والمنجمون يعدونه نحسا ولذلك لا يشتغل السحرة بالسحر المورث للتمريض الا في ذلك الوقت قيل وهو المناسب
لسبب النزول وقيل الغاسق الثريا ووقوبها سقوطها لانها اذا سقطت كثرت الامراض والطواعين وقيل هو كل شر يعتري الانسان
ووقوبه هجومه **ومن شر النفاثات في العقد** اي ومن شر النفوس او النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها
والنفث النفخ مع ريق وقيل بدون ريق وقرئ النافثات كما قرئ النفثات بغير الف وتعريفها اما للعهد او للايذان بشمول الشر
لجميع افرادهن وتمحضهن فيه وتخصيصه بالذكر لما روي ابن عباس وعائشة رضي الله تعالى عنهما انه كان غلام من اليهود يخدم النبي
صلى الله عليه وسلم وكان عنده من مشطه عليه السلام فاعطاها اليهود فسحروه عليه الصلاة والسلام فيها وتولاه لبيد بن الاعصم اليهودي
وبناته وهن النافثات في العقد فدفنها في بئر ارس فمرض النبي صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام بالمعوذتين واخبره بموضع
السحر وبمن سحره وبم سحره فارسل عليه السلام عليا كرم الله وجهه والزبير وعمارا فنزحوا ماء البئر فكانه نقاعة الحناء ثم رفعوا
راعوفة البئر وهي الصخرة التي توضع في قعر البئر فاخرجوا من تحتها الاسنان ومعها وتر قد عقد فيه احدى عشرة عقدة مغرزة
بالابر فجاؤا بها النبي صلى الله عليه السلام فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ اية انحلت عقدة ووجد عليه السلام
خفة حتى انحلت العقدة عند تمام السورتين فقام عليه السلام كانما انشط من عقال فقالوا يا رسول الله افلا نقتل الخبيث
فقال عليه السلام اما انا فقد عافاني الله عز وجل واكره ان اثير على الناس شرا قالت عائشة رضي الله تعالى عنها ما غضب النبي
صلى الله عليه وسلم غضبا ينتقم لنفسه قط الا ان يكون شيئا هو لله تعالى فيغضب وينتقم وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال
عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقد بنفث الريق ليسهل حلها **ومن شر حاسد اذا حسد** اي اذا اظهر ما في نفسه من الحسد
وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادي الاضرار بالمحسود قولا وفعلا والتقييد بذلك لما ان ضرر الحسد قبله انما يحيق
بالحاسد لا غير عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكانما قرأ الكتب التي انزلها الله تعالى صدق رسول الله

بسم الله الرحمن الرحيم **قل اعوذ** وقرئ في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام **برب الناس**
اي مالك امورهم ومربيهم بافاضة ما يصلحهم ودفع ما يضرهم وقوله تعالى **ملك الناس** عطف بيان جيء به لبيان ان تربيته
تعالى اياهم ليست بطريق تربية سائر الملاك لما تحت ايديهم من مماليكهم بل بطريق الملك الكامل والتصرف الكلي والسلطان
القاهر وكذا قوله تعالى **اله الناس** فانه لبيان ان ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير امور سياستهم والتولي
لترتيب مبادي حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى امر الملوك بل هو بطريق المعبودية المؤسسة على الالوهية المقتضية للقدرة على
التصرف الكلي فيهم احياء واماتة وايجادا واعداما وتخصيص الاضافة بالناس مع انتظام جميع العالمين في سلك ربوبيته تعالى
وملكوته والوهيته للارشاد الى منهاج الاستعاذة المرضية عنده تعالى الحقيقة بالاعاذة فان توسل العائذ بربه وانتسا

اليه تعالى بالربوبية والمملوكية والعبودية في ضمن جنس هو فرد من افراده من دواعي مزيد المرحمة والرافة وامره تعالى بذلك من دلائل الوعد الكريم بالاغاثة لا محالة ولان المستعاذ منه شر الشيطان المعروف بعداوتهم ففي التنصيص على انتظامهم في سلك عبوديته تعالى وملكوته رمز الى انجائهم من ملكة الشيطان وتسلطه عليهم حسبما ينطق به قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فمن جعل مدار تخصيص الاضافة مجرد كون الاستعاذة من المضار المختصة بالنفوس البشرية فقد قصر في توفية المقام حقه واما جعل المستعاذ منه فيما سبق المضار البدنية فقد عرفت حاله وتكرير المضاف اليه لمزيد الكشف والتقرير والتشريف بالاضافة **من شر الوسواس** هو اسم بمعنى الوسوسة وهي الصوت الخفي كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر والمراد به الشيطان سمي بفعله مبالغة كانه نفس الوسوسة **الخناس الذي** عادته ان يخنس اي يتاخر اذا ذكر الانسان ربه **الذي يوسوس في صدور الناس** اذا غفلوا عن ذكره تعالى ومحل الموصول اما الجر على الوصف واما الرفع او النصب على الذم **من الجنة والناس** بيان للذي يوسوس على انه ضربان جني وانسي كما قال عز وجل شياطين الانس والجن او متعلق بيوسوس او يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس وقد جوز ان يكون بيانا للناس على انه يطلق على الجن ايضا حسب اطلاق النفر والرجال عليهم ولا تعويل عليه واقرب منه ان يراد بالناس الناسي ويجعل سقوط الياء كسقوطها في قوله تعالى يوم يدع الداع ثم يبين بالجنة والناس فان كل فرد من افراد الفريقين مبتلى بنسيان حق الله تعالى الا من تداركه شوافع عصمته وتناوله واسع رحمته عصمنا الله تعالى من الغفلة عن ذكره ووفقنا لاداء حقوق شكره فان العبد الذليل متضرع الى ربه الجليل اللهم يا ولي العصمة والارشاد وهادي الغواة الى سنن الرشاد بادي البرية مالك الرقاب عليك توكلي واليك متاب انت المغيث لكل حائر ملهوف والمجير لكل هائل مخوف الوذ بجرمك المامون من غوائل ريب المنون والتجي الى حرزك الحريز واوي الى ركنك العزيز واسالك من خزائن بركات المخزون في مكامن سرك المكنون خير ما جرى به قلم التكوين من امور الدنيا والدين واعوذ بك من فنون الفتن والشرور لاسيما الاطمئنان بدار الغرور والاغترار بنعيمها وزهرتها والافتتان بزخارفها وزينتها فاعذني بحمايتك واعني بعنايتك وافض علي من شوارق الانوار الربانية وبوارق الاثار السبحانية ما يخلصني من العوائق الظلمانية ويجردني من العلائق الجسمانية وهذب نفسي الابية من دنس الطبائع والاخلاق ونور قلبي القاسي بلوامع الاشراق ليستعد للعثور على سرائر الانس ويتهيا للحضور في حظائر القدس وثبتني على مناهج الحق والهدى وارشدني الى مسالك البر والتقى واجعل غاية مرامي ابتغاء رضاك واشرف ايامي يوم لقاك يوم يقوم الناس لرب العالمين فريقا فريقا واحشرني مع الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا

كتب المؤلف عفا الله تعالى عنه في اواخر نسخة الاصل اتفق الفراغ من تسويد ساتيك الاوراق بتوفيق الله عز سلطانه ليلة الجمعة الثاني من شهر الله الحرام رجب الفرد لعام ثلثة وسبعين وتسعماية حامدا لله رب العالمين ومصليا على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

امين